رُمُوزُ الكُنُوزِ

في

تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ

تأليف

الإِمَامِ الحَافِظِ عِزِّ الدِّينِ عَبْدِ الرَّازِقِ بْنِ رِزْقِ اللهِ الرَّسْعَنِيِّ الحَنْبَلِيِّ

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش



رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف
الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي
(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق
أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الأول

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع



مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣

تقديم

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وردَّ أباطيل الملحدين بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله في الأميين رسولاً، ونزَّل القرآن عليه تنزيلاً، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة. اللهم اجزه عنا أفضل ما جازيتَ نبيًّا عن أمته، وأحينا اللهم على سنته، وتوفنا على ملته، غير مبدلين ولا مفرطين ولا مفتونين، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وبالله تعالى نستعين على بلوغ الأمل، وإياه نسأل التوفيق للصواب في القول والعمل، وهو حسبنا وإليه نبيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما بعد:

فهذا كتاب «رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز» للإمام المحدث المفسر الحافظ عز الدين عبدالرّازق بن رزق الله الرّسْعَني الحنبلي، نضعه بين أيدي القراء.

وقد ظهرت عناية كبيرة للعلماء بكتاب الإمام الرسعني، وقد تجلى هذا من خلال الحلقات العلمية التي كان أهل العلم يعقدونها لإلقائه في مجالس، وبعضهم كان يلقيه من حفظه(١).

(١) للتوسع في ذلك ينظر ص٦٣ من هذه المقدمة.

وقد اعتمد الرسعني في بيان معاني الآيات أحسن طرق التفسير، فهو يفسر الآية بالقرآن وقراءاته، ثم بالأحاديث الواردة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وإيراد أسباب النزول المروية عنهم، ثم باللغة العربية.

ثم يسوق الأحاديث النبوية بأسانيده المتصلة إلى رسول الله ﷺ، أما ما يذكره عن الصحابة أو التابعين من الروايات فغالباً ما يذكرها دون إسناد.

وقد سقط من أول الكتاب المقدمة والفاتحة والبقرة وصدر آل عمران، وسقط منه أيضاً سورة المائدة كلها، ومائة وسبع وعشرين آية من الأنعام.

نسأل الله أن يوفقنا للعثور على القسم المفقود من الكتاب ليتم إضافته إلى الموجود منه، إنه على كل شيء قدير.

هذا وقد قدمنا بين يدي الكتاب دراسة وافية عنه، وقسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة وستة مباحث:

ففي **المقدمة** تكلمنا عن مقاصد البحث في كتاب «رموز الكنوز».

وفي **المبحث الأول**: ذكرنا ترجمة المؤلف، وقد تناولت حياة المؤلف الشخصية والعلمية.

المبحث الثاني: ذكرنا فيه التعريف بكتاب رموز الكنوز: (نسبة الكتاب للمؤلف ـ قيمة الكتاب العلمية ـ عناية العلماء بكتاب «رموز الكنوز» ـ منهج المؤلف في كتابه «رموز الكنوز»).

المبحث الثالث: موارد الرسعني في كتابه: «رموز الكنوز».

المبحث الرابع: منهج العمل في التحقيق.

المبحث الخامس: منهج العمل في التعليق.

المبحث السادس: التعريف بالنسخ الخطية لكتاب «رموز الكنوز».

وأخيراً ذيلنا الكتاب بفهارس عامة تعين المراجع على الوصول إلى بغيته بسهولة وتتضمن:

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس الرواة.

فهرس الأعلام.

فهرس المسائل الفقهية.

فهرس المسائل اللغوية.

فهرس الكتب.

فهرس الأشعار.

فهرس المقطعات.

فهرس الأمثال.

فهرس المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه:
أ.د.عبدالملك بن عبدالله بن دهيش
١/٩/١٤٢٩هـ

المبحث الأول

ترجمة المؤلف

أ- مصادر ترجمة المؤلف

ب- حياة المؤلف الشخصية

١-اسمه ونسبه ٢- كنيته ولقبه ونسبته

٣- ولادته ٤-أسرته

ج- حياته العلمية

١- نشأته وطلبه للعلم ٢- رحلاته

٣- شيوخه ٤- تلامذته

٥- مؤلفاته ٦- ثناء العلماء على المؤلف

٧- شعره ٨-وفاته

ترجمة المؤلف

مصادر ترجمته:

١. عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار (ت٦٥٤هـ) (٤/ ٣١ب-٣٨/ أ).

٢. ذيل تكملة الإكمال لابن العمادية (ت٦٧٣هـ): (١/ ٢٩٤)

٣. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني (ت٦٨٠هـ): (ص١٥٣)

٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي (ت٦٩٥هـ): (ص٢٥)

٥. معجم الدمياطي (ت٧٠٥هـ) (ق١٣/ أ-١٤/ ب).

٦. تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي (ت٧٢٣هـ): (٤/ ١٩٢)

٧. ذيل مرآة الزمان لليونيني (ت٧٢٦هـ): (١/ ٥٤٥) و (٢/ ٢١٩)

٨. مختصر طبقات المحدثين لابن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ): (٤/ ٢٣٩)

٩. تاريخ الإسلام للذهبي (ت٧٤٨هـ): (٥/ ١٤٣)

١٠. تذكرة الحفاظ له: (٣/ ١٤٥٢)

١١. طبقات المحدثين له: (١/ ٢١٠)

١٢. العبر له: (٣/ ٣٠٢)

١٣. الوافي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ): (١٨/ ٤٠٩)

١٤. البداية والنهاية لابن كثير (ت٧٧٤هـ): (١٣/ ٢٤١)

١٥. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية للقرشي (ت٧٧٥هـ): (١/ ٣١٣)

١٦. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (ت٧٩٥هـ): (٢/ ٢٧٤)
١٧. طبقات القراء لابن الجزري (٨٣٣هـ): (١/ ٣٨٤)
١٨. التبيان في بديعة البيان لابن ناصر الدين (ت٨٤٢هـ) (ق١٤٨/ أ).
١٩. السلوك للمقريزي (ت٨٤٥هـ): (١/ ٥٠٢)
٢٠. تبصير المتتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): (٢/ ٦١٤)
٢١. النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (ت٨٧٤هـ): (٧/ ٢١١)
٢٢. المقصد الأرشد لابن مفلح (ت٨٨٤هـ): (٢/ ١٣٢)
٢٣. طبقات المفسرين للسيوطي (ت ٩١١هـ): (ص٥٥)
٢٤. طبقات الحفاظ له: (ص٥٠٨)
٢٥. المنهج الأحمد للعليمي (ت٩٢٨هـ): (٢/ ٢٦١)
٢٦. طبقات المفسرين للداودي (ت٩٤٥هـ): (١/ ٣٠٠)
٢٧. طبقات المفسرين للأدنروي (القرن الحادي عشر): (ص:٢٤٣)
٢٨. كشف الظنون لحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ): (١/ ٤٥٢، ١/ ٧٤٣، ١/ ٩١٣، ٢/ ١٦٣)
٢٩. شذرات الذهب لابن العماد (ت١٠٨٩هـ): (٣/ ٣٠٥)
٣٠. هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ): (١/ ٥٦٦)
٣١. الأعلام للزركلي: (٣/ ٢٩٢)
٣٢. معجم المؤلفين لكحالة: (٥/ ٢١٧)
٣٣. مستدرك معجم المؤلفين له: (ص:٣٧٣)

٣٤.الإمام الرسعني الحنبلي وتفسيره رموز الكنوز : لمحمد صفاء شيخ إبـراهيم حقي (؟-؟).

٣٥.معجم المفسرين لعادل نويهض (؟-؟) (١/ ٢٨١)

٣٦.مقدمة كتاب رموز الكنوز للدكتور محمد بن صالح البراك.

ب- حياته الشخصية

١ . اسمه ونسبه:

هو : عبد الرَّازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء.

هذا هو الصحيح في اسمه أنه عبد الرّازق، بتقديم الألف على الزاي، خلافاً لسائر المصادر المطبوعة التي ذكرته بعبد الرزاق، وهذا خطأ لعدة أمور:

١ .جاء في السماع المثبت بآخر المجلد الثاني من النسخة أ، ما نصه:

«سمع جميع هذا المجلد، وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز، تأليف الشيخ الإمام عبد الرّازق بن رزق الله»[1].

٢ .جاء في غلاف مختصر الفرق بين الفرق له، بخط يده، ما نصه:

«مختصر «كتاب الفَرْق بين الفِرَق»، تأليف عبد القاهر البغدادي، اختصار: عبد الرّازق بن رزق الله». اهـ.

٣.قال المؤلف في آخر كتاب «الحرز والمنعة في شأن أمر الهدي والمتعة» للحافظ أبي منصور البغدادي، ما نصه:

«نقله -يعني الجزء- والذي قبله في مجلسين، آخرهما يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وستمائة، عبد الرّازق بن رزق الله»[2].

٤ .ذكر المؤلف في آخر كتاب «درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم» لابن

---

(١) رموز الكنوز: (٢/ ٢٠٠/ أ).

(٢) الحرز والمنعة (٢/ ق١٧/ ب).

الجوزي -والذي نسخه بيده- ما نصه:

«وكتبه عبد الرَّازق بن رزق الله الرسعني»[١].

٥. ذكر ابن الفوطي في مخطوطة الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب في باب عز الدين أن اسمه: عبد الرازق[٢].

٦. ترجَمَه تلامذته ومعاصروه بهذا الاسم، فقد ترجمه ابن الشعار في عقود الجمان[٣]، والدمياطي في معجمه[٤]، بـ«عبد الرَّازق».

٧. ذكر الذهبي في كتابه «العبر» في ترجمة ولد المؤلف أن اسمه: محمد بن عبد الرّازق[٥].

٨. نقل الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ» عن الحافظ أحمد بن المجد قوله في اسمه: عبد الرّازق الرسعني[٦].

٩. ترجمه الأدنروي في كتابه «طبقات المفسرين» باسم عبد الرّازق الرسعني[٧].

١٠. قال الزركلي[٨]: هو بتقديم الألف على الزاي، خلافاً لسائر المصادر

---

(١) درء اللوم (٢/ ق١٢/ ب).

(٢) معجم المفسرين (١/ ٢٨١).

(٣) عقود الجمان (٤/ ق١٣١/ ب)

(٤) معجم الدمياطي (ق١٣/ أ).

(٥) العبر (٥/ ٣٦٤).

(٦) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٥٣).

(٧) طبقات المفسرين (ص:٢٤٣).

(٨) الأعلام: (٣/ ٢٩٢).

المطبوعة. والتصحيح من مخطوطة (التبيان) لابن ناصر الدين، وقد وضع فيها فوق (عبد الرازق) (لفظ) صح.

فصح أن اسمه: عبد الرَّازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء.

كذا ذكرت عامة المصادر نسبه. إلا أن الذهبي[١] وابن الجزري[٢] أسقط جده أبا بكر وما بعده، وأسقط ابن العماد[٣] جده خلفاً وما بعده، وأسقط جده أبا الهيجاء كلٌّ من ابن اليونيني[٤]، وابن عبد الهادي[٥]، والذهبي[٦]، والصفدي[٧]، وابن كثير[٨]، والقرشي[٩]، وابن ناصر الدين[١٠]، وابن تغرى بردى[١١]، والسيوطي[١٢]، والأدنروي[١٣]، ونويهض[١٤].

---

(١) طبقات المحدثين (ص:٢١٠).

(٢) طبقات القراء (١/ ٣٨٤).

(٣) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٥).

(٤) ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤٥).

(٥) مختصر طبقات المحدِّثين (٤/ ٢٣٩).

(٦) تاريخ الإسلام (٥/ ١٤٣)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٤٥٢) العبر (٣/ ٣٠٢).

(٧) الوافي بالوفيات (١٨/ ٤٠٩).

(٨) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١).

(٩) الجواهر المضيئة (١/ ٣١٣).

(١٠) التبيان (ق١٤٨/ أ).

(١١) النجوم الزاهرة (٧/ ٢١١).

(١٢) طبقات المفسرين (ص:٥٥).

(١٣) طبقات المفسرين (ص:٢٤٣).

(١٤) معجم المفسرين (١/ ٢٨١).

وشذ ابن كثير[(١)] فقال: عبد الرزاق بن عبد الله، والقرشي[(٢)]، فقال: عبد الرزاق بن أبي بكر بن رزق الله . وكلاهما وهم.

٢ . كنيته ولقبه ونسبته:

أجمعت المصادر على أنه يكنى أبا محمد، ولم يذكر هذه الكنية كل من: ابن العماد[(٣)]، والقرشي[(٤)] .

كما اتفقوا على أنه يلقب: بعز الدين. وأغفل هذا اللقب كل من: ابن الشعار[(٥)]، وابن الصابوني[(٦)]، وابن ناصر الدين[(٧)]، وابن الجزري[(٨)] .

وأما نسبته: فيقال له الرَّسعني، والجزري، والموصلي.

أما الرَّسعني: بفتح الراء والعين المهملة وسكون السين المهملة، نسبة إلى رأس عين، مدينة بالجزيرة الفراتية.

قال السمعاني[(٩)]: هذه النسبة إلى بلدة من ديار بكر، يقال لها رأس عين، وماء

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١).

(٢) الجواهر المضيئة (١/ ٣١٣).

(٣) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٥).

(٤) الجواهر المضيئة (١/ ٣١٣).

(٥) عقود الجمان (٤/ ١٣١/ ب)

(٦) تكملة إكمال الإكمال (ص:١٥٣).

(٧) التبيان (ق١٤٨/ أ).

(٨) طبقات القراء (١/ ٣٨٤).

(٩) الأنساب: (٦/ ١٢٢).

دجلة يخرج منها، والنسبة إليها: رسعني.

وهذه النسبة أكثر شهرة بها من غيرها.

ورأس العين: مدينة بالجزيرة الفراتية على نهر الخابور، كانت تُعرف قديماً باسم «رسين تيودوسيو بوليس»، وهي مدينة مشهورة تقع بين حران ونصيبين، سار الصحابي الجليل عياض بن غنم سنة ١٩هـ إلى إقليم العراق بعد أن أخضع الرها، وصدع بأمر الخليفة عمر رضي الله عنه، فأنفذ عمير بن سعد إلى مدينة رأس عين، فحاصرها وفتحها عنوة، ثم استولى الإفرنجة عليها، غير أنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بها مدة طويلة بسبب جهاد أهلها.

وهي تقع حالياً في شمال شرقي سوريا قريباً من مدينة القامشلي، وهي مدينة جملية تشتهر بمياهها وينابيعها الكبريتية.

وقيل في النسبة إليها الراسي، وممن اشتهر بهذه النسبة أبو الفضل جعفر بن محمد بن الفضل الراسي(١).

وأما الجزري: فنسبة إلى جزيرة الفرات التي تقع فيها رأس العين، وقد ترجمه بهذه النسبة ابن عبد الهادي(٢)، والذهبي(٣)، وابن ناصر الدين(٤)، والسيوطي(٥).

وأما الموصلي: فنسبة إلى الموصل، البلد المشهور في العراق، لأن المؤلف تولى

---

(١) الإمام الرسعني الحنبلي (هامش ص: ١٥-١٦)

(٢) مختصر طبقات المحدثين (٤/ ٢٣٩).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٥٢).

(٤) التبيان (ق١٤٨/ أ).

(٥) طبقات الحفاظ (ص ٥٠٩).

التدريس بدار الحديث المهاجرية بها، كما سيأتي، وقد تفرد بهذه النسبة صديقه علي بن عيسى الإربلي، بهاء الدين، في كتابه «كشف الغمة»، فقال: ونقبت من أحاديث نقلها صديقنا عز الدين عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر، المحدث الحنبلي، الرسعني الأصل، الموصلي المنشأ. اهـ.

٣.ولادته:

اتفقت المصادر على أن ولادة الإمام الرسعني -رحمه الله- كانت في رأس عين الخابور في سنة تسع وثمانين وخمسمائة من الهجرة النبوية.

وأغفل هذا الصفدي في الوافي بالوفيات، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن ناصر الدين في التبيان، وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة، وابن مفلح في المقصد الأرشد، وابن الجزري في طبقات القراء، والبغدادي في هدية العارفين.

وقد حدد ابن الشعار يوم ولادته، فقال: وكانت ولادته -فيما قرأتها بخط يده- يوم الأحد، بين الظهر والعصر، الثالث والعشرين من رجب، سنة تسع وثمانين وخمسمائة، برأس عين[١]. اهـ.

وكذا في ذيل مرآة الزمان لليونيني[٢].

إلا أن ابن الصابوني، قال: وسألته عن مولده، فقال: في يوم الأحد، لثمان بقين من رجب، سنة تسع وثمانين وخمسمائة برأس عين[٣]. اهـ.

---

(١) عقود الجمان (٤/ ١٣١/ ب)،

(٢) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٢١٩).

(٣) تكملة إكمال الإكمال (ص:١٥٥).

فعلى هذا يكون مولده في الثاني والعشرين من رجب، وتقدَّمَ النقل عن ابن الشعار أنه ولد في الثالث والعشرين، ومثلُ هذا لا يُعَدُّ خلافاً لاتفاقهم على أنه ولد يوم الأحد، وإنما اختلفوا فيما يوافقه من الشهر؛ فابن الشعار يقول: يوم الأحد يوافق الثالث والعشرين من رجب، وابن الصابوني يقول: يوافق الثاني والعشرين. فلعل هذا من أجل الخلاف في يوم دخول الشهر.

٤.أسرته:

لم تسعفنا المصادر التي ترجمت للمؤلف بمعلومات مفصلة عن أسرة الرسعني، وهل كان ذلك بتقصير من الذين أوردوا أخباره فلم يعنوا بذكر سيرة أسرته، أم أن أسرته كانت عادية لم تعط حظّاً من الشهرة، فلم يظهر فيها ما يجعل تاريخها وسيرتها معروفة عند أهل عصره؟ وهو الظاهر. إلا أننا سنحاول ومن خلال المعلومات القليلة التي ذكرتها المصادر؛ الحديثَ عن أسرة الرسعني.

فقد تزوج الرسعني امرأة من بيت علم ودين في بلده رأس عين، وهي ابنة الشيخ أبي الخطاب بن هلال الرسعني، كما صرّح بذلك في كتابه «التفسير»، حيث قال[1]: وسمعت الشيخ أبا الخطاب بن هلال الرسعني جد أولادي لأمهم يقول... اهـ.

وقد ولد له أربعة أولاد؛ ثلاثة ذكور وأنثى، وفيما يلي نذكر ترجمة موجزة لمن وقفنا على ذكر له من أسرته:

---

(١) رموز الكنوز (٥/ ٣٤١).

١ ـ ولده: محمد (بضع عشرة وستمائة ـ ٦٨٩هـ)[١]:

شمس الدين، محمد بن عبد الرازق، أبو عبد الله، وأبو الفضائل، الفقيه، الشاعر، الأديب، المعدل، المحدث الحنبلي، نزيل دمشق، كان شيخاً أبيض مليح الشكل.

وهو أكبر أولاده، وبه يكنى.

ذكره أبوه في تفسيره مراراً، وسأل عن غوامض في التفسير، وتكلم فيه بكلام جيد[٢].

وقد اعتنى به أبوه، واصطحبه معه في رحلته إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وأشركه معه في سماعه من الشيخ أبي طالب عبداللطيف بن محمد بن علي القبيطي. ذكر الرسعني ذلك في إسناد له عند تفسير قوله تعالى[٣]: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

سمع من ابن روزبه وابن بهروز وابن القبيطي وجماعة ببغداد، ومن كريمة وغيرها بدمشق، وأمَّ بالمسجد الكبير بالرماحين.

سافر إلى مصر في شهادة، ولما عاد دخل نهر الشريعة[٤]، من الغور، يسقي

---

(١) مصادر ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٤)، والمقصد الأرشد (٢/ ٤٥٦)، والعبر (٥/ ٣٦٤)، والوافي بالوفيات (٣/ ٢٥١-٢٥٣)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٧٩)، وشذرات الذهب (٣/ ٤١٠).

(٢) المقصد الأرشد (٢/ ٤٥٦).

(٣) رموز الكنوز (٧/ ٥٧٤).

(٤) هو المعروف الآن بنهر الأردن (تقويم البلدان ص: ٣٩).

فرسه، فغرق ولم يظهر له خبر، وذلك في جمادى الآخرة، سنة تسع وثمانين وستمائة.

قال الصفدي[١]: كان يمدح الصاحب شمس الدين ابن السلعوس قبل وزارته، وكتب إليه بهاء الدين ابن الأرزني:

أحنُّ إلى تلك السجايا وإن نأتْ ... حنينَ أخي ذكرى حبيب ومنزل
وأُهدي إليها من سلامي مُشاكلاً ... نسيم الصبا جاءت بريَّا القَرَنْفُل

فأجابه شمس الدين المذكور:

على فترة جاء الكتاب مُعطَّراً ... بمسك سحيق لا بريَّا القَرَنْفُل
وأذكرني ليلاتِ وصل تصرمتْ ... بدار حبيب لا بدارة جُلْجُل
شكوتُ إلى صبري اشتياقاً، فقال لي: ... ترَفَّقْ، ولا تهلك أسى وتجمَّل
فقلتُ له: إني عليك معولٌ ... وهل عند رسم دارس من معول

ومن شعره:

ولو أن إنساناً يبلغ لوعتي ... ووجدي وأشجاني إلى ذلك الرشا
لأسكنته عيني ولم أرضها له ... ولولا لهيب القلب أسكنته الحشا

وقال الصفدي[٢]: أنشدني من لفظه الشيخ أثير الدين قال: أنشدني المذكور لنفسه من أبيات:

---

(١) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٥١-٢٥٣).

(٢) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٥٢).

أأحبابَنا إن جادت المزنُ أرضَكم فما هي إلا من دموعي تمطر
وإن لاح برقٌ فهو برقُ أضالعي وإن ناح وُرْقٌ عن أنيني يُخبر
وإن نسمتْ ريحُ الصبا وتأرجت فمن طيب أنفاسي بكم تَتَعطَّر
وإن رنَّحتْ أغصانُ دجلة فانثنت فعنِّي بإبلاغ النسيم تُخبر
ومن عَجَب أنّي أكتمُ لوعة وأودعها طَيَّ الصبا وهي تَنْشُرُ

ومنها في المديح:

على أدهم كالليل يسطو على العِدى بأبيضَ هندي به الموت أحمر
إذا ركعتْ أسيافه في عِداته تخر سجوداً والرماح تكبر

قال الصفدي[١]: هو نظم متوسط واستعارة التكبير للرماح استعارة فاسدة.

ومن شعره[٢]:

أآيسُ من برٍّ وجُودُك واصلٌ إلى كلِّ مخلوق، وأنتَ كريم
وأجزعُ من ذنب وعفوك شاملٍ لكل الورى طُرًّا وأنت رحيم
وأجهدُ في تدبير حالي جهالة وأنتَ بتدبير الأنام حكيم
وأشكو إلى نَعماك ذلِّي وحاجتي وأنت بحالي يا عزيز عليم

---

(١) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٥٣).

(٢) شذرات الذهب (٣/ ٤١٠).

٢ ولده: إبراهيم (٦٤٢-٦٩٥هـ)(١):

إبراهيم بن عبد الرازق، أبو إسحاق، كان حنفي المذهب، ويُعرف بابن المحدث.

ولد في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة بالموصل.

سمع بالموصل من والده الإمام عز الدين، وتفقه عليه، وكان فقيهاً فاضلاً، عالماً.

ذكره البِرْزالي في معجم شيوخه، وقال: كتبتُ عنه، وفاق أبناء جنسه معرفة وذكاء.

وكان نبيهاً، نبيلاً، فاضلاً، عالماً، متنسكاً، ورعاً، حسنَ الأخلاق.

وله منظوم ومنثور.

وشَرَح القُدوري، وكتب الإنشاء بديوان الموصل.

أنشد من شعره كثيراً في كل فن.

وتوفي في شهر رمضان، سنة خمس وتسعين وستمائة بدمشق، ودفن بسفح قاسيون.

وقد ذكره والده الإمام الرسعني في بيت من شعره، فقال(٢):

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١/ ٢٠٦)، والمقصد الأرشد (٢/ ٤٥)، والدليل الشافي على المنهل الصافي (١/ ٢٠)، وتاج التراجم في طبقات الحنفية (ص:٤)، والطبقات السنية للتميمي (١/ ٢٣٧)، والجواهر المضية للقرشي (١/ ٤١).

(٢) معجم الدمياطي (ق١٣/ ب).

تقول عرسي وبي أضعافُ ما وَجدت يوم الفراق ودمعُ العين منحدر
أتترك ابنك إبراهيم منفرداً طفلاً وتُؤْتِمُه حيًّا وتصطبر

٣ ـ ولده: أحمد أبو صالح(؟ـ؟)[١]:

ذكَرَه في تفسيره، فقال:

ومثله قولي في أبيات أرثي بها ولدي أبا صالح أحمد:

على زينة الدنيا ولذّة عيشها السلام فهذا منهما آخر العهد

٤ ـ ابنته: أمة الرحمن بنت عبد الرازق (؟ـ٦٩٥هـ)[٢]:

فاضلة عالمة، توفيت سنة خمس وتسعين وستمائة، ذكرها البرزالي في ذيل الروضتين، فقال: وفي بكرة الأربعاء عاشر شعبان توفيت الشيخة الصالحة، أمة الرحمن، ست الفقهاء، بنت الشيخ الإمام العلامة، عز الدين أبي محمد، عبد الرازق بن رزق الله.

٥ ـ سبط ابنه محمد (؟ـ٧٥٤هـ)[٣]:

عبد الرحمن بن رزق الله بن عبد الرحمن ابن رزق الله الرسعني الدمشقي.

سمع في الخامسة من ابن البخاري مشيخته، وسمع منه سنن أبي داود، وحدث، وكان رسولا بباب القضاة.

---

(١) رموز الكنوز (٥/ ٥٥٣).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات سنة ٦٩٥، ص:٢٥٤).

(٣) مصادر ترجمته: ذيل تذكرة الحفاظ (ص:١٣١)، الوفيات للسلامي (٢/ ٢٣٩).

قال البرزالي: سبط شمس الدين محمد بن عبد الرزاق الرسعني، كان بدمشق رسولا بباب القاضي مدة ثم نزح عنها وتوجه إلى القاهرة وأقام هناك، ثم عاد إلى دمشق.

توفي ليلة الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وسبعمائة، ودفن بمقابر باب الصغير.

ب - حياته العلمية

٥. نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الرسعني في بلدته رأس عين، وتلقى علومه الأولى فيها، فقد حفظ القرآن على الشيخ مبارك بن إسماعيل الحراني[١]، وسمع الحديث من أبي المجد القزويني[٢] وغيره، ثم رحل إلى حواضر العالم الإسلامي لطلب العلم وسماع الحديث الشريف، وفيما يلي نعرض لرحلات المؤلف.

٦. رحلاته:

لما علم المؤلف أن العلم بحر لا شاطئ له، وأنه لا يؤتى إلا ببذل الجهد: شدّ الرحال وجال وطاف البلاد يرتوي من مناهل العلم، ويطلب الحديث ليعلي سنده. لقد أدرك أهمية الرحلة في طلب العلم، فلم يتهاون، بل انضم إلى حلقات

---

(١) ستأتي ترجمته في الكلام على شيوخه.

(٢) ستأتي ترجمته في الكلام على شيوخه.

العلم في البلاد التي طافها، ودرس وتلقى على أكابر علمائها، وأفاضل شيوخها.

وقد رحل المؤلف سبع رحلات، عامتها في طلب العلم وسماع الحديث من أفواه الشيوخ، وإليك تفصيلها:

الرحلة الأولى: إلى بغداد، وكانت سنة ست وستمائة، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة، وسمع فيها من عبد العزيز بن مَنينا، والداهري، وعمر بن كرم وغيرهم(١).

وقرأ فيها القرآن بالروايات العشر، على أبي البقاء العكبري(٢).

كما أنه دخلها مرة أخرى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وفيها قرأ على الشيخ أبي طالب عبداللطيف بن محمد بن علي القبيطي. ذكر الرسعني ذلك في إسناد له عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

الرحلة الثانية: إلى فلسطين، زار فيها بيت المقدس، سنة سبع وستمائة، وسمع فيها من الشيخ عبد الله بن محمد الدربندي، الصوفي بمسجد الخليل عليه السلام، ولم أجد أحداً ذكرها، لكن المؤلف صرح بأنه سمع من الشيخ عبد الله بن محمد الدربندي في مسجد الخليل في إسناد له عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١].

الرحلة الثالثة: إلى دمشق، وقد زار دمشق مراراً، قال الذهبي(٣): قرأت بخط سيف الدين ابن المجد ذكر عبد الرّازق الرسعني، قال: حفظ المقنع، وسمع

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٥٢).

(٢) عقود الجمان في شعراء الزمان (٤/ ١٣١/ ب).

(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ١٤٣).

بدمشق سنة خمس، وسنة ست وسبع من الكندي. اهـ.

ففي سنة ست وستمائة، سمع من أبي العباس الخضر بن كامل بن سالم المعبر الخاتوني، كما ذكر ذلك في إسناده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦].

وفي سنة سبع وستمائة، سمع من أبي العباس أحمد بن عبدالواحد بن أحمد المعروف بالبخاري الفقيه الحنبلي بجامع دمشق، كما صرح بذلك في أحد أسانيده في كتابه «رموز الكنوز» عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

وفي سنة تسع وستمائة، سمع من أبي القاسم السلمي، وابن الحرستاني[1]، والخضر بن كامل، وأبي الفتوح بن الجلاجلي[2]، والموفق ابن قدامة، وتفقه عليه، وحفظه كتابه المقنع، وقرأ عليه كثيرا من كتبه الفقهية[3].

وسمع من أبي اليمن الكندي تاريخ بغداد كله، قاله الذهبي[4]، وتعقبه الدمياطي، فقال: وسمع من الكندي تاريخ بغداد عن القزاز عن الخطيب خلا الجزء السادس والثلاثين ... وخلا قول أبي حنيفة في الإيمان، فإن الكندي أجاز له[5].

---

(١) ذكر ذلك في إسناده عند تفسير قوله تعالى: ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ [البلد:١٦].

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٥٢).

(٣) عقود الجمان في شعراء الزمان (٤/ ١٣٢/ أ).

(٤) تاريخ الإسلام (٥/ ١٤٣).

(٥) معجم الدمياطي (ق١٤/ أ).

وسيأتي ذكر رحلة أخرى للمؤلف إلى دمشق، وذلك بعدما اشتهر وذاع صيته.

الرحلة الرابعة: وكانت إلى حلب، والظاهر أنه مر على حلب بعد منصرفه من دمشق، إلا أن كلام ابن الصابوني يوحي بأنه زار حلب أوَّلاً، فقال[١]: دخل بغداد، وتفقه بها .. وسمع بحلب .. وبدمشق، ثم سافر عنها وأقام بالموصل.

وفي هذه الرحلة سمع من الشريف أبي هاشم، عبد المطلب بن الفضل الهاشمي.

الرحلة الخامسة: إلى الموصل في شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ونزل بدار الحديث المهاجرية، بباب سكة أبي نجيح، التي أنشأها أبو القاسم علي بن مهاجر بن علي الموصلي[٢]، وعيّن مدرساً بها، فصار يُسمع بها أحاديث رسول الله ﷺ، ويفيد الناس[٣].

الرحلة السادسة: إلى تكريت، في سنة عشر وستمائة[٤].

وسمع فيها من القاضي أبي الفرج يحيى بن سعد الله بن أبي تمام التكريتي.

الرحلة السابعة: إلى حران.

---

(١) تكملة إكمال الإكمال (ص:١٥٥).

(٢) معين الدين، التكريتي، ثم الموصلي، الوزير بسنجار، كان من أولاده الأكابر والوزراء، وبيتهم معروف بالفضل والحشمة، والنبل، وكان من أهل الخير والصلاح، والسماح، وبنى بالموصل، في سكة أبي نجيح دار الحديث، ووقف عليها الوقوف الحسنة، والكتب النفيسة. (تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي، رقم (١٤٧٩) من الجزء الخامس).

(٣) عقود الجمان (٤/ ١٣٢/ أ).

(٤) وقد صرح بذلك في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ [إبراهيم:١٢].

سمع فيها من الحافظ عبدالقادر بن عبدالله الرهاوي، والإمام فخر الدين أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم بن تيمية الخطيب[(١)].

الرحلة الثامنة: إلى دمشق، فقد قدم دمشق رسولاً، فقرأ عليه ابن الصابوني جزءاً.

قال ابن الصابوني[(٢)]: ثم قدم دمشق رسولاً فاجتمعت به، وقرأت عليه جزءاً من حديثه، هو روايته عن ابن مَيْنا، وسمعت منه أناشيد من نظمه، وكان معي جماعة من طلبة الحديث.

وهذه الرحلة بعد ما ذاع صيته، واتسعت شهرته، ولهذا بُعث رسولاً على دمشق، ولم أجد أحداً ذكر مَن أرسله، والظاهر أنه بدر الدين لؤلؤ[(٣)]، صاحب الموصل، فقد كانت له حرمة وافرة عنده، وبينهما اتصال وثيق.

الرحلة التاسعة: وكانت إلى مصر، ولم يصرح أحد بهذه الرحلة، إلا أن ترجمة ابن تغرى بردى له في النجوم الزاهرة، تدل على أنه دخلها، لكن متى كان هذا؟ لم أجد مَن ذكره، إلا أن الذي يغلب على الظن أن هذا كان قبل أن يستقر بالموصل، ومما يدل على أنه دخل مصر ما حكاه الحافظ ابن رجب، قال[(٤)]: قال الحافظ أبو

---

(١) وقد صرح المؤلف بالأخذ عنهما في حران في تفسيره الأول: عند تفسير قوله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ [الأعراف:٨]، والثاني: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب:٣٥].

(٢) تكملة إكمال الإكمال (ص:١٥٥).

(٣) السلطان بدر الدين أبو الفضائل، لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي، الملقب بالملك الرحيم، كان بطلاً شجاعاً، حازماً، مدبراً، سائساً، ذا همة عالية، توفي سنة سبع وخمسين وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٦).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥-٢٧٦). وانظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٠١).

محمد عبد الكريم الحلبي في تاريخ مصر له: نقلت من خط الحافظ اليغموري - يعني يوسف بن أحمد بن محمود الدمشقي - أنشدنا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي بكر الجزري، أنشدني ابن دقيق العيد بقوص، أنشدني عز الدين عبد الرازق الرسعني لنفسه:

وكنت أظن في مصر بحارا   إذا أنا جئتها أجد الورودا

فما ألفيتها إلا سرابا   فحينئذ تيممت الصعيدا

فتبين من هذه الأبيات أنه دخل مصر، وأيضا فإن ابن دقيق العيد رواها عنه، وهو في قوص من صعيد مصر، كما صرحت به القصة المتقدمة، ومع هذا فلم يترجمه الأُدفوي في الطالع السعيد.

هذه هي البلاد التي طاف فيها المؤلف مما وقفت عليه، وإلا فقد دخل بلداناً أخر، قال ابن رجب[1]: وسمع بحلب .. وببلدان أخر.

ويلاحظ من هذا أنه لم يدخل مكة ولا المدينة، ولم يذكر أحد أنه حج، إلا أن يكون في صغره قبل أن يشتهر.

وهذه الرحلات المتعددة تدل على كثرة سماعه، ووفرة علمه ومعرفته.

٧.شيوخه:

تتلمذ الرسعني رحمه الله على طائفة من شيوخ وقته في علوم متنوعة، وذلك في البصرة وبغداد ودمشق.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٤).

وفيما يلي نذكر أسماء الشيوخ الذين التقى بهم الرسعني[١]:

١.حنبل الواسطي (٥١٠-٦٠٤هـ)[٢]:

حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة، بقية المسندين، أبو علي، وأبو عبد الله الواسطي، ثم البغدادي، الرصافي، المكبِّر بجامع المهدي، توفي سنة أربع وستمائة تقريباً.

أسمع المسند مرتين بدمشق، واجتمع له جماعة لم تجتمع في مجلس سماع قبله بدمشق، توفي في حديد سنة أربع وستمائة.

حدث المصنف عنه بالمسند في تفسيره.

٢.الخضر الدلال (٥٢٣-٦٠٨هـ)[٣]:

الخَضِر بن كامل بن سالم بن سبيع، الدمشقي، السروجي، الدَّلال المعبر، الشيخ العالم المسند، أبو العباس، مات في شوال سنة ثمان وست مئة وهو في عشر التسعين.

٣.ابن منينا (٥٢٥-٦١٢هـ)[٤]:

عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن الحسن البغدادي، الأشناني، مسند العراق،

---

(١) وسوف يأتي في آخر الكتاب -إن شاء الله- قائمة بأسماء الشيوخ الذي روى عنهم الرسعني في كتابه "رموز الكنوز".

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٣١).

(٣) المرجع السابق (٢٢/ ١١).

(٤) المرجع السابق (٢٢/ ٣٣).

أبو محمد، مات في الثامن والعشرين من ذي الحجة، سنة اثنتي عشرة وستمائة.

٤.ابن الجلاجلي (٥٤١-٦١٢هـ)[١]:

محمد بن علي بن المبارك البغدادي، التاجر الرئيس المقرئ، كمال الدين، أبو الفتوح، توفي في بيت المقدس في رمضان سنة اثنتي عشرة وستمائة.

٥.الكندي (٥٢٠-٦١٣هـ)[٢]:

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير الكندي، البغدادي، الإمام العلامة، شيخ الحنفية، وشيخ العربية، وشيخ القراءات، ومسند الشام، تاج الدين، أبو اليمن، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة.

وقد أسند عنه المصنف في كتابه التفسير بعض الأحاديث.

٦.ابن الحرستاني (٥٢٠-٦١٤هـ)[٣]:

عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، الدمشقي، الشافعي، الشيخ الإمام العالم، قاضي القضاة، جمال الدين، أبو القاسم، ابن الحرستاني، حدث بصحيح مسلم، ودلائل النبوة للبيهقي، وأشياء. توفي سنة أربع عشرة وستمائة.

سمع منه المؤلف صحيح مسلم، وأسند عنه في تفسيره.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٥٢).

(٢) المرجع السابق (٢٢/ ٣٤).

(٣) المرجع السابق (٢٢/ ٨٠).

٧.السلمي (٥٤٦-٦١٥هـ)[1]:

أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق، الشيخ الأمير المسند، أبو القاسم، شمس الدين، السلمي، البغدادي، الصيدلاني، العطار، توفي سنة خمس عشرة وستمائة.

حدث المؤلف عنه بصحيح البخاري.

٨.جمال الدين الياسري (؟-٦١٦هـ)[2]:

عثمان بن مقبل بن قاسم الياسري، ثم البغدادي، الواعظ، الحنبلي، أبو عمرو، صنف كتاباً في طبقات الفقهاء. توفي سنة ست عشرة وستمائة.

أخذ المصنف عنه علم القراءات، وروى عنه مقروناً بأبي البقاء العكبري.

٩.العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ)[3]:

عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ثم البغدادي، الأَزَجي الضرير، النحوي، الحنبلي، الفرضي، الشيخ الإمام العلامة النحوي البارع، محب الدين، أبو البقاء، صاحب التصانيف، توفي سنة: ست عشرة وستمائة.

وقد أخذ المؤلف عنه القراءات، وتلا عليه بالعشر[4]، وتعلم منه العربية،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٨٤).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩١).

(٤) عقود الجمان (٤/ ق١٣١).

والأدب، وقد روى عنه كثيراً من القراءات في كتابه التفسير.

١٠.المؤيد الطوسي (٥٢٤-٦١٧هـ)[١]:

المؤيد بن محمد الطوسي ثم النيسابوري، الشيخ المقرئ، مسند خراسان، رضي الدين، أبو الحسن. سمع صحيح البخاري ومسلم، وغيرها. توفي سنة سبع عشرة وستمائة.

روى المؤلف من صحيح مسلم عنه في تفسيره.

١١.ابن قدامة (٥٤١-٦٢٠هـ)[٢]:

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي، الجَمَّاعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد، موفق الدين، أبو محمد، صاحب المغني، مولده بجماعيل من عمل نابلس، وتوفي سنة عشرين وستمائة.

أخذ عنه الفقه، وقرأ عليه كثيراً من كتبه، وسمع منه مسند الشافعي وغيره، وتفقه به، وأثنى عليه في كتابه. ولما توفي رثاه بمرثية بلغت ثمان وعشرين بيتاً، ومطلعها[٣]:

ألا ما لوجه المكرمات مُلَفّعُ ... وما لعيون الدين تدمى وتدمع
وما لمعاني الفقه أقوت فأصبحت ... معطلة أركانها تتضعضع

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥).

(٣) عقود الجمان (٤/ ق١٣٤-١٣٥/ أ).

ومنها:

وما للورى سكرى ولم يشربوا طلا   وما لغيوم الهم لا تتقشع
ويا قوم ما للشمس أظلم ضوؤها   وما لجبين البدر أيضا مرقع

ومنها:

فلو طالت الأعمار بالفضل لم يكن   لموت على مثل الموفق مَطْمَعُ
ولو أنه بالمشرفية يُتقى   حمته سيوف دونه تتقعقع

وآخرها:

وبعد فلا زالت سحائب رحمة   من الله في لحد الموفق تهمع

١٢. القزويني (٥٥٤-٦٢٢هـ)[١]:

محمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن حسين بن بهرام، القزويني، القاضي الإمام الفاضل المحدث الجوال، مجد الدين، أبو المجد، توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

روى عنه المصنف في كتابه في مواضع منه.

١٣. البخاري (؟-٦٢٣هـ)[٢]:

أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٦٨-١٧٠)، والمقصد الأرشد (١/ ١٢٩-١٣٠).

المقدسي ثم الدمشقي المعروف بالبخاري، شمس الدين أبو العباس، أخو الحافظ ضياء الدين، والد الفخر علي، مسند وقته، سمع بدمشق من أبي المعالي ابن صابر، وببغداد من أبي الفتح ابن شاتيل وابن الجوزي، وبنيسابور من عبد المنعم الفراري، وتفقه وبرع، وأقام ببخارى يشتغل بالخلاف على الرَّضِي النيسابوري، ولهذا عرف بالبخاري، ثم رجع إلى الشام وأقام بحمص مدة، وقيل إنه ولي القضاء بها.

مات يوم الخميس خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن إلى جوار خاله الشيخ الموفق بالروضة.

قال ابن مفلح[١]: سمع منه جماعة منهم عبد الرّازق الرسعني.

١٤.أبو هاشم البلخي (؟-٦٢٦هـ)[٢]:

عبد المطلب بن الفضل، الهاشمي، البلخي، ثم الحلبي، الحنفي، الشيخ الإمام العلامة، افتخار الدين، أبو هاشم، توفي سنة ست وعشرين وستمائة.

١٥.الداهري (٥٤٦ تقريباً-٦٢٨هـ)[٣]:

عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن بكران الداهري، البغدادي، الخفاف، الخراز، الشيخ المسند، الأمي، أبو الفضل، كان أميًّا لا يكتب، سمع صحيح البخاري، ومسند عبد بن حميد، والدارمي، وغيرها. مات سنة ثمان وعشرين وستمائة.

---

(١) المقصد الأرشد (١/ ١٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٠٤).

١٦.ابن أبي المجد الدينوري (٥٣٩-٦٢٩هـ)[١]:

عمر بن كرم بن علي بن عمر، الشيخ المسند الأمين، أبو حفص بن أبي المجد الدينوري، ثم البغدادي، الحمامي. روى الكثير وتفرد، وكان شيخاً مباركاً صحيح السماع والإجازة، تفرد بأجزاء عن أبي الوقت. توفي سنة تسع وعشرين وستمائة.

١٧.ابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠هـ)[٢]:

علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، الشيباني، الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة، عز الدين، أبو الحسن، مصنف التاريخ الكبير الملقب بـ«الكامل» ومصنف كتاب «معرفة الصحابة» توفي سنة ثلاثين وستمائة.

أسند المصنف من طريقه في كتابه «رموز الكنوز».

١٨.ابن روزبة القلانسي (بعد ٥٤٠-٦٣٣هـ)[٣]:

علي بن أبي بكر بن روزبة بن عبد الله البغدادي، القلانسي، العطار، الصوفي، الشيخ المسند المعمر، أبو الحسن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

حدث المؤلف عنه بصحيح البخاري.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٢٥).

(٢) المرجع السابق (٢٢/ ٣٥٣).

(٣) المرجع السابق (٢٢/ ٣٨٧).

١٩.نصر الجيلي (٥٦٤-٦٣٣هـ)[(١)]:

نصر بن عبد الرزّاق بن عبد القادر بن أبي صالح، الجيلي، ثم البغدادي، الأزَجي، الحنبلي، توفي سنة ثلاثين وثلاثين وستمائة.

روى عنه المؤلف، وأثنى عليه، ووصفه بأنه قاضي القضاة شرقا وغرباً.

هذا ما وقفت عليه من ذكر شيوخه، ولم أذكر إلا من نص أهل العلم على أنه سمع منه أو أخذ عنه، أو صرح بالرواية عنه في كتابه، فلم أذكر من عاصره وخالطه؛ مثل ابن الشعار[(٢)]، والإربلي[(٣)]، أو من صحبه مثل العماد الحنبلي[(٤)].

٢٠.القبيطي (٥٥٤-٦٤١هـ)[(٥)]:

الشيخ أبو طالب عبداللطيف بن محمد بن علي القبيطي.

أسند عنه المؤلف في تفسيره[(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٩٦).

(٢) كمال الدين، أبو البركات، المبارك بن أبي بكر، بن حمدان، الموصلي، مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان، توفي سنة أربع وخمسين وستمائة (شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦).

(٣) علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، بهاء الدين الكردي، منشئ مترسل، من الشعراء، توفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة (الأعلام ٤/ ٣١٨).

(٤) إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، ثم الدمشقي الفقيه الزاهد، العابد، الشيخ عماد الدين، أبو إسحاق، أخو الحافظ عبد الغني، توفي سنة أربع عشرة وستمائة (المقصد الأرشد ١/ ٢٢٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٨٧).

(٦) عند تفسير قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن:٦٠].

٢١.الخازن النيسابوري (٥٥٦-٦٤٣هـ)[١]:

محمد بن سعيد بن أبي البقاء الموفق بن علي بن الخازن النيسابوري، ثم البغدادي، الصوفي، الشيخ الجليل الصالح المسند، أبو بكر، أحد رواة مسند الشافعي. توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

روى المؤلف عنه مسند الشافعي، وقرنه بالموفق ابن قدامة.

٢٢. الحراني (؟-؟):

مبارك بن إسماعيل الحراني، ذكره ابن الشعار في عقود الجمان[٢]، ولم أقف على ترجمة له.

قرأ عليه المؤلف القرآن في صباه.

٢٣.الدربندي (؟-؟):

محمد بن داود بن عثمان الدربندي، أبو عبد الله الصوفي، الشيخ الزاهد. لم أعثر له على ترجمة.

روى المصنف عنه عن السِّلَفي بمسجد الخليل بفلسطين، كما سبق ذكر ذلك عند الحديث عن رحلات المؤلف (ص: ٢٣).

٨.تلامذته:

أخذ العلم عن المؤلف جماعة، منهم مَن سمعه وشافهه، ومنهم من روى عنه

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٤).

(٢) عقود الجمان (٤/ ١٣١).

بالإجازة، وفيما يلي نذكر من وقفنا عليه من تلامذة المؤلف:

١. ابن الشعّار (٥٩٣-٦٥٤هـ)[١]:

المبارك بن أبي بكر بن حمدان الموصلي، كمال الدين، أبو البركات، المعروف بابن الشعار، مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان، توفي بحلب، سنة أربع وخمسين وستمائة.

أجاز له المؤلف، كما نص عليه في عقود الجمان، قال: أجازني رواياته ومصنفاته ومقولاته[٢].

٢. القشيري (؟-٦٦٧هـ)[٣]:

علي بن وهب بن مطيع، القشيري المالكي، مجد الدين، والد ابن دقيق العيد، توفي سنة سبع وستين وستمائة، وقد عده ابن رجب من تلاميذ المؤلف.

٣. ابن الصابوني (٦٠٤-٦٨٠هـ)[٤]:

محمد بن علي بن محمود المحمودي بن الصابوني، الحافظ المفيد، جمال الدين، أبو حامد، شيخ دار الحديث النورية، كتب العالي والنازل وبالغ وحصل الأصول، وجمع، وصنف، وتوفي في نصف ذي القعدة، توفي سنة ثمانين وستمائة.

---

(١) شذرات الذهب (٥/ ٢٦٦).

(٢) عقود الجمان (٤/ ق١٣٢/ أ).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٦)، والطالع السعيد (ص٤٢٤).

(٤) طبقات المحدثين (١/ ٢١)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٦).

٤. ابن المؤلف محمد (؟-٦٨٩هـ):

محمد بن عبد الرَّازق بن رزق الله الرسعني.

وقد سبق ذكره عند الكلام عن أسرة المؤلف (ص: ١٧).

٥. الشوشي (؟-٦٩٤هـ)(١):

أبو العلاء إدريس بن محمد بن عثمان بن محمد بن غريب عفيف الدين العامري الشوشي، عالم عامل يؤم بنظامية بغداد.

قال ابن حجر: سمع من الحافظ عبد الرزاق الرسعني.

٦. الوادي آشي (؟-٦٩٤هـ)(٢):

جابر بن محمد بن قاسم، القيسي، الوادي آشي، معين الدين، توفي سنة أربع وتسعين وستمائة. ترجمه ابنه في برنامجه، وعد المؤلف من شيوخه.

٧.ابنه إبراهيم (٦٤٢-٦٩٥هـ):

إبراهيم بن عبد الرَّازق بن رزق الله الرسعني.

سبق ذكره عند الكلام عن أسرته (ص: ٢١).

٨. الأبَرْقوهي (٦١٥-٧٠١هـ)(٣):

مسند الوقت، أبو المعالي، أحمد بن إسحق بن محمد بن الأبرقوهي، بفتح الهمزة

---

(١) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٢/ ٧٥٩).

(٢) برنامج ابن جابر الوادي آشي (ص٥٩).

(٣) شذرات الذهب (٣/ ٤).

والموحدة وسكون الراء وضم القاف، وبالهاء نسبة إلى «أَبَرْقُوه»، بلدة بأصبهان، كان محدثا، ومقرئا صالحاً، توفي سنة إحدى وسبعمائة.

حدث عن المصنف إجازة، وترجمه في معجمه، وقال: يغلب على الظن أني سمعت من هذا الشيخ برأس عين، وقد أجازني جميع مروياته[1].

٩. ابن دقيق العيد (٦٢٥-٧٠٢هـ)[2]:

الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة، تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المنفلوطي، صاحب التصانيف، صنف «شرح العمدة»، و«الإلمام في أحاديث الأحكام»، و«الاقتراح في علوم الحديث»، مات في صفر، سنة اثنتين وسبعمائة.

١٠. الدمياطي (٦١٣-٧٠٥هـ)[3]:

الإمام العلامة الحافظ، شرف الدين، أبو محمد، عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي، الشافعي، وتفقه وبرع، وطلب الحديث، فرحل وجمع فأوعى، وعمل معجم شيوخه فيه ألف وثلاثمائة شيخ، وكان إماماً حافظاً رأساً في النسب، مات فجأة في ذي القعدة، سنة خمس وسبعمائة.

روى عن المؤلف، وترجمه في معجمه[4].

(١) معجم الأبرقوهي، الجزء التاسع، غير مرقم الصفحات.

(٢) طبقات الحفاظ (١/ ٥١)، وشذرات الذهب (٣/ ٥)، والديباج المذهب (١/ ٣٢)، وطبقات المحدثين (١/ ٢٢).

(٣) طبقات الحفاظ (١/ ٥١)، وشذرات الذهب (٣/ ١)، ومعرفة القراء الكبار (٢/ ٧٢).

(٤) معجم الدمياطي (ق١٣/ أ).

١١. الرسغي (بضع وثلاثين وستمائة-٧١٨هـ)[١]:

عبد الغني بن عروة بن عبد الصمد بن عثمان الرسغي. ولد سنة بضع وثلاثين وسمع من عبد الرزاق الرسعني وغيره، وكان لطيف المزاج كثير المزاح خفيف الروح، يتردد إلى أعيان دمشق من نائبها الأفرم إلى من دونه. ومات في جمادى الآخرة سنة ٧١٨.

١٢. البندنيجي (؟-٧٣٦هـ)[٢]:

علي بن محمد بن ممدود بن جامع بن عيسى البندنيجي الصوفي، أبو الحسن، الشيخ المسند الرحلة، سمع صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وأجاز له جماعات، توفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة. وقد أجاز له المؤلف، كما قال ابن رجب[٣].

١٣. بنت الكمال (؟-٧٤٠هـ)[٤]:

زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية، المعروفة ببنت الكمال، المرأة الصالحة العذراء، أم عبد الله. تفردت بقدر وقر بعير من الإجزاء بالإجازة، وكانت دينة وخيِّرة، روت الكثير، وتزاحم عليها الطلبة، وقرؤوا عليها الكتب الكبار. توفيت في تاسع عشر جمادى الأولى عن أربع وتسعين سنة، سنة أربعين وسبعمائة.

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ١٢٩).

(٢) الدرر الكامنة (٤/ ١٤).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٤) شذرات الذهب (٣/ ١٢)، والعبر (٦/ ٢١).

أجازها المصنف، قاله ابن رجب[١].

١٤. أخو ابن دقيق العيد (؟-؟)[٢]:

موسى بن علي بن وهب، سراج الدين، أخو ابن دقيق العيد. عده ابن رجب[٣] ممن أخذ عن المصنف، هو وأبوه وأخوه.

هذا آخر ما وقفت عليه من تلامذة المؤلف، علماً أن المؤلف أجاز إجازة عامة، كما ذكر ذلك ابن الفوطي[٤].

٩. مؤلفاته:

قال صفي الدين عبد المؤمن[٥]: للمؤلف تصانيف غير تفسيره المشهور، في التفسير والفقه، والعروض. اهـ.

وفيما يلي معلومات مفصّلة عن كتب المؤلف، سواء أكان مطبوعاً أم مخطوطاً أم مفقوداً:

١. مختصر الفرق بين الفِرق.

اختصر به كتاب «الفَرْق بين الفِرَق» للبغدادي.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٢) الطالع السعيد (ص ٦٦٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٤) تلخيص مجمع الآداب (١/ ١٩٤).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٧٥).

ذكره الزركلي في الأعلام، وكحالة في معجم المؤلفين[1].

قال في مقدمته: أما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على رسوله محمد وآله، فهذا مختصر من كتاب «الفَرْق بين الفِرَق»، تأليف أبي منصور، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي -رحمه الله تعالى- نظمت فيه مضمونه، وجمعت فيه نكته وعيونه، وأتيت به على ترتيبه وتبويبه، وبالغت في اختصاره وتهذيبه، والله المسؤول أن يعصمنا من الزلل، وأن يوفقنا لما يرضيه في القول والعمل. اهـ.

ولم يتم المؤلف اختصاره، بل أغفل الباب الخامس، في أوصاف الفرقة الناجية.

وله نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق (الأسد الآن) ضمن مجموع رقم (٢٠٩٤٦) ويقع في (٥٦) ورقة، ومسطرتها ستة عشر سطراً، بخط المؤلف.

وقد نشره فيليب حتّي، وطبعته مطبعة الهلال بالقاهرة، سنة: (١٩٢٤م) الطبعة الأولى، ثم طبعته مطبعة التقوى بالقاهرة سنة (١٩٤٠م) ويقع في إحدى ومائتي صفحة.

٢ ـ درّة القارئ، في الفرق بين الضاد والظاء.

ذكرها ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء[2]، وسماها «الظائية النونية» وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون[3]، والزركلي في الأعلام[4]، ورضا

(١) الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٢)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٢١٨).

(٢) طبقات القراء (١/ ٣٨٤).

(٣) كشف الظنون (١/ ٧٤٣).

(٤) الأعلام (٣/ ٢٩٢).

كحالة في معجم المؤلفين[(١)].

وقد أشار إليها المؤلف في كتابه «رموز الكنوز» في مواضع عديدة، ونقل أبياتاً عدة منها، مستشهداً بها على مواطن من كتابه.

ولها نسخ كثيرة منها:

* نسخة في الظاهرية ضمن مجموع رقم (٣٨٤٧).
* ولها نسخة أخرى في الظاهرية أيضاً برقم (٦٣٩٣) مجموع.
* ولها نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع.
* ولها نسخة في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم (١٢).
* ولها نسخة في الخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط، برقم (٧٢٤٢/ ١) مجموع، وتقع في ٢٦ق، ٢٣ س.
* ولها نسخ في مكتبات الحرمين، ولا يخلو فهرس منها.

وهي قصيدة جيدة تقع في اثنين وثلاثين بيتاً، من البسيط.

قال في كشف الظنون[(٢)]: وهي أنفع ما صنف في الفرق بين الضاد والظاء، وأولها:

حفظت لفظا عظيم الوعظ يوقظ من ... ظمأ لظى وشواظ الحظ والوسن

من يكظم الغيظ يظفر بالظلال ومن ... يظعن على الظلم يظلل راكد السفن

وآخرها:

---

(١) معجم المؤلفين (٥/ ٢١٨).

(٢) كشف الظنون (١/ ٧٤٣).

سـميتها درة القـاري، ونِـسْبتها بحـر البـسيط، فزنهـا واختـبر تَـبن
ثـم الـصلاة عـلى المختـار مـن مـضر ما غـردت صـادحات الطـير في الغُـصُن

قال حاجي خليفة[١]: وشرحها بعضهم، وسماه: «كاشف محاسن الغرة لطالب منافع الدرة».

أوله: الحمد لله الذي لا نحصي ثناء عليه .. الخ.

ولعل النسخة التي في الخزانة بالرباط نسخة الشرح، فإنها كبيرة تبلغ ستاً وعشرين ورقة، كما تقدم، ونسخ القصيدة لا تتجاوز ورقتين، والله أعلم.

٣.مطالع أنوار التنزيل، ومفتاح أسرار التأويل.

ذكره حاجي خليفة[٢]، وقال عنه: تفسير كبير حسن انتقاه السيوطي[٣]، وكُتب في آخره إجازة سماع في مجالس آخرها ثاني القعدة سنة ٦٥٩هـ بدار الحديث المهاجرية بالموصل. وذكره كحالة في معجم المؤلفين[٤].

قال ابن رجب[٥]: وكان لما قدم بغداد أنعم عليه المستنصر، وصنف هذا التفسير ببلده، وأرسله إليه، وهو في ثمان مجلدات، وقف المدرسة البشيرية ببغداد.

والظاهر أن هذا الوصف لمطالع أنوار التنزيل، لا لرموز الكنوز، فإنه لا يبلغ هذا القدر.

---

(١) كشف الظنون (١/ ٧٤٣).

(٢) كشف الظنون (٢/ ١٧١٥).

(٣) انظر: دليل مخطوطات السيوطي (ص:٤٣).

(٤) معجم المؤلفين (٥/ ٢١٨).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

وقد جاء ذكره في فهرس الدولة ببرلين (٣/ ٣٢٣).

٤.القمر المنير في علم التفسير.

ذكره ابن الشعار في عقود الجمان[١]، والدمياطي في معجمه[٢]. ويظهر من عنوانه أنه في علوم القرآن.

٥.المنْزع الصافي من المين في مصرع الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين.

ذكره ابن الشعار ذكره بهذا الاسم[٣]، وذكره الذهبي[٤]، وابن رجب[٥]، والداودي[٦]، وابن العماد[٧]، والزركلي[٨]، وعمر كحالة[٩]. باسم «مصرع الحسين».

وقد ألزمه بتصنيفه صاحب الموصل، فذكر فيه ما صح دون غيره.

٦.المنتصر في شرح المختصر.

وهو كتاب في الفقه، شرح به مختصر الخرقي، انفرد بذكره ابن الشعار في

(١) عقود الجمان (٤/ ق ١٣٢/ أ).
(٢) تلخيص مجمع الآداب (١/ ١٩٣).
(٣) عقود الجمان (٤/ ق ١٣٢/ أ).
(٤) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٥٢).
(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).
(٦) طبقات المفسرين (١/ ٣٠٠).
(٧) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٥).
(٨) الأعلام (٣/ ٢٩٢).
(٩) معجم المؤلفين (٥/ ٢١٨).

العقود[1].

٧.أسنى المواهب في أحاديث المذاهب.

انفرد أيضاً بذكره ابن الشعار[2].

٨.عقود العروض.

انفرد بذكره ابن الشعار[3].

وهذا الكتاب يحتمل أن يكون في العَروض، الذي هو موازين الشعر، ويحتمل أن يكون في الفقه، وأنه في الكلام على عقود عروض التجارة، ويشهد للأول ما ذكره صفي الدين عبد المؤمن.

وزعم محقق كتاب المقصد الأرشد أنه وقف على قصيدة في ذم الدنيا، ومدح السّنّة وأهلها، وذم البدعة وأربابها، مشروحة شرحا مفيداً، وأنها هي وشرحها للمؤلف، ولم يذكر ذلك غيره.

٩.رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز.

وهو الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به وتحقيقه. وسيأتي فصل خاص في الكلام عليه.

---

(١) عقود الجمان (٤/ ق ١٣٢/ أ).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

١٠ .ثناء العلماء على المؤلف:

حظي المؤلف بثناء عاطر من معاصريه، ومن أتى بعدهم، ووصفوه بـالحفظ والإمامة:

فقال عنه ابن الشعار[١] -وهو صديقه، وأقدم من ترجم له-: «فقيه، محدث، شاعر، فاضل، ذو قريحة في المنظوم والمأثور».

وقال اليونيني[٢]: «كان فاضلاً عالماً أديباً شاعراً، جميل الأوصاف، رئيساً من صدور تلك البلاد، وأعيان أهلها».

وقال الذهبي[٣]: «كان إماماً محدثاً فقهيـاً، أديبـاً شـاعراً، ديِّنـاً صـالحاً وافـر الحرمة».

ومثله قال السيوطي[٤].

وترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ، فقال[٥]: «الإمام المحدث الرحّال، الحافظ المفسر عالم الجزيرة، وكان إماماً متقناً ذا فنون وأدب».

ونحوه قال السيوطي في الطبقات[٦].

وقال في العبر[٧]: «وكان شيخ الجزيرة في زمانه، علماً وفضلاً وجلالة».

(١) عقود الجمان (٤/ ق ١٣٢/ أ).

(٢) ذيل مرآة الزمان (١/ ٢١٩).

(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ق١٤٣).

(٤) طبقات المفسرين (ص٥٦).

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٤٥٢).

(٦) طبقات الحفاظ للسيوطي (١/ ٥٠٩).

(٧) العبر (٣/ ٣٠٢).

وقال ابن كثير[1]: «المحدث المفسر، سمع الكثير وحدث، وكان من الفضلاء والأدباء».

وقال ابن رجب[2]: «الفقيه المحدث المفسر .. وكان فاضلاً في فنون من العلم والأدب، ذا فصاحة وحُسن عبارة».

ونقل الداودي في طبقات المفسرين[3] نص الترجمة من ابن رجب.

وقال ابن الجزري[4]: «الإمام العلامة، المحدث المفسر، المقرئ، شيخ ديار بكر والجزيرة».

وقال ابن تغرى بردى[5]: «كان إماماً فاضلاً شاعراً محدثاً».

وقال ابن العماد بعد أن نقل كلام الذهبي في العبر[6]: «وتفنن في العلوم العقلية والنقلية».

وكما رأينا فقد اتفقت أقوال من ترجم للمؤلف على أنـه: إمـام فقيـه مُحـدث مفسر شاعر، وانفرد ابن الجزري في وصفه بأنه مقرئ:

أما كونه فقيهاً، فهذا لا مِرية فيه، فقد حاز فيه قصب السبق، ويشهد له ما جاء في هذا التفسير من المسائل الفقهية التي تكلم عليها عند آيات الأحكام.

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) طبقات المفسرين (١/ ٣٠٠).

(٤) طبقات القراء (١/ ٣٨٤).

(٥) النجوم الزاهرة (٧/ ٢١١).

(٦) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٥).

كما أنه قد صنف شرحاً على مختصر الخرقي، وقد لزم الموفقَ ابن قدامة فقرأ عليه كتبه الفقهية، وحفظ كتابه المقنع كما تقدم.

وأما وصفه بالمُحدث، فهذا قد كان سمة له عند العام والخاص، حتى كان ابنه إبراهيم الحنفي يعرف بابن المحدث، كما تقدم.

وبرع في الحديث سماعاً وروايةً ، حتى أودع الكثير من مروياته بأسانيده في هذا التفسير، حيث بلغ عدد الأسانيد في كتابه «رموز الكنوز»: ٥٣٦ إسناداً، وهذا سوى ما هو موجود في الجزء المفقود من الكتاب.

ثم إنه قد صنف كتاباً في الحديث اسمه: أسنى المواهب في أحاديث المذاهب، كما تقدم، ويظهر أنه تتبع الأحاديث التي يُستدل بها في المسائل الفقهية وتكلم عليها، نظير التحقيق لابن الجوزي، والله أعلم.

وقد ترجمه الحافظ الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ ، كما لقبه الحافظ ابن حجر في كتابه تبصير المنتبه: بالحافظ(١).

وأما ما ذكره ابن الجزري من أنه مقرئ، فهذا حق، وقد ذكر جملة كبيرة من القراءات المتواترة والشاذة، وصرّح بالأخذ عن بعض أئمة القراءات كالعكبري، كما أنه قد نظم القصيدة النونية في الفرق بين الضاد والظاء، كما تقدم في ذكر مؤلفاته.

وأما كونه شاعراً، فقد ترجمه صديقه ابن الشعار في كتابه "عقود الجمان في شعراء الزمان"، وذكر أنه صنف كتاباً في العروض، الذي هو من موازين الشعر،

---

(١) تبصير المنتبه (٢/ ٧٥٩).

كما ذكر هو وغيره جملة من أشعاره، وقد تقدم في ترجمة شيخه الموفق ابن قدامة نقل مقتطفات من مرثيته فيه.

فمن جملة هذه الأشعار عدة أبيات ، قالها عند فراقه ابنه محمداً وإخوانه ، قوله:

قف بالديار إذا مررتَ مسلِّما   وابك الأحبة حسرة وتندما

واستخبر الأطلال أين تَرَحَّلوا   فعسى تُخَبِّرِ عنهمُ ولعلما

إلى أن قال:

أمحمد لا حمد للدنيا متى لم   ألتزمك مُقَبِّلاً منك الفما

وقال أيضاً:

وما الدهر إلا ما المماتُ ألذه   وما خير هذا الدهر إلا عقاربه

وما هو إلا حيَّة لانَ مسها   وسُمَّت بأنواع العذاب مضاربه[1]

ومن ذلك قوله:

يا من يرينا كل وقت وجهه   بشْراً، ويبدي كفُّه معروفا

أصبحتَ في الدنيا سَريّا بعدما   أمسيتَ فيها بالتقى معروفا[2]

ومن ذلك قوله:

إنما هذه الحياة متاع   فليجزها بالزهد مَن فيه عقل

---

(١) عقود الجمان (٤/ ق١٣٣/ ب، ق١٣٥/ ب).

(٢) معجم الدمياطي (ق١٣/ ب)، وذيل مرآة الجنان (٢/ ٢١٩).

نظـــــر العـــــارف اللبيـــــب من الفكر فيهـا فلـم يزنـه عقـل[١]

وأخطأ اليونيني فنسب البيتين الآتيين له، وإنما هما لابنه شمس الدين محمـد، كما سبق، وتبعه ابن تغرى بردى، وهما قوله:

ولـــو أن إنـــساناً يبلـــغ لـــوعتي ووجدي وأشـجاني إلى ذلـك الرشـا

لأســـكنته عينـــي ولم أرضـــها لـــه ولولا لهيـب القلـب أسكنته الحشا

١١. شعره:

سبق بيان شاعرية الرسعني في الفقرة السابقة، وفيما يلي نذكر بعض الأشـعار التي نسبت له، فمنها ما نقله ابن العماد في الشذرات[٢]:

وكنـت أظـن في مـصر بحـاراً إذا أنـا جئتهـا أجـد الـورودا

فـــلما ألفيتهـــا إلا سرابـــاً فحينئـــذ تيممـــت الـــصعيدا

وأورد له ابن كثير في البداية والنهاية هذين البيتين[٣]:

نعـــب الغـــراب فـــدلنا بنعيبـــه أن الحبيـــب دنـــا أوان مغيبـــه

يا سائلي عن طيـب عيـشي بعـدهم جُدْ لي بعيش ثم سـل عـن طيبـه

ومن شعره ما نقله صاحب النجوم الزاهرة[٤]:

---

(١) عقود الجمان (٤/ ق١٣٣/ ب).

(٢) شذرات الذهب (٣/ ٣٠٥).

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١).

(٤) النجوم الزاهرة (٧/ ٢١). وقد نسب البيتين الصفدي في الوافي بالوفيات إلى ابن المؤلف محمد بن عبد الرازق (الوافي بالوفيات ٣/ ٢٥٢).

ولـــو أن إنـــسانا يبلـــغ لـــوعتي وشوقي وأشجاني إلى ذلـك الرشـا
لأســـكنته عينـــي ولم أرضـــها لـــه فلولا لهيب القلـب أسـكنته الحـشا

١٢. وفاته:

مات رحمه الله سنة إحدى وستين وستمائة[1]. وهذا قول عامة من ترجمـه، لا سيما تلميذه الدمياطي، وكذلك الذهبي، وابن رجب واليونيني، وابن كثير، وابن مفلح، والسيوطي، وغيرهم.

وقال ابن الفوطي في معجمه: توفي سنة ستين وستمائة، وتبعه ابـن مفلـح في المقصد.

وقال الإربلي في كشف الغمة -وهو صديقه-: قتل سنة أخذ التتار الموصل، وهي سنة ستين وستمائة. وهذا قول غريب لم يتابعه عليه أحد.

ثم اختلفوا، في أي شهر توفي، فقال ابن الفوطي: في ذي الحجـة، وتبعـه كـما قلت ابن مفلح في المقصد.

وقال اليونيني في ذيل المرآة، وابن كثير، والذهبي، وابن العماد: توفي ثاني عشر ربيع الآخر، ليلة الجمعة.

وقال الدمياطي: توفي في ثامن عشر ربيع الآخر ليلـة الجمعـة، عنـد العـشاء الآخر.

---

(١) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٥)، والمقصد الأرشـد (٢/ ١٣)، والنجـوم الزاهـرة (٧/ ٢١)، وطبقـات الحفاظ للسيوطي (١/ ٥٠)، وطبقات المفسرين (ص:٦)، وكشف الظنون (١/ ٩١)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٣٠).

وحكى ابن رجب الأقوال الثلاثة؛ أعني قول ابن الفوطي واليونيني والدمياطي.

ونقل الداودي عن الذهبي أنه توفي ثاني عشر ربيع الأول، وهو خلاف ما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، فالظاهر أنه سهو، وأن الصواب ربيع الآخر.

مما سبق يتبين أنه توفي سنة إحدى وستين وستمائة في ثامن عشر ربيع الآخر، ليلة الجمعة بعد العشاء الآخر، كما ترجمه بهذا تلميذه الدمياطي، وإن كان أكثر المترجمين على أنه في ثاني عشر ربيع الآخر. والله أعلم.

وكانت وفاته بسنجار[1]، ودفن في ظاهرها، شرقي البلد، في مقبرة المشايخ.

---

(١) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي في لحف جبل عال، ويقولون: إن سفينة نوح عليه السلام لما مرت به نطحته فقال نوح: هذا سن جبل جار علينا فسميت سنجار (معجم البلدان ٣/ ٢٦٢).

المبحث الثاني

التعريف بكتاب «رموز الكنوز»

وفيه:

المبحث الثاني: التعريف بكتاب رموز الكنوز

١٣. اسم الكتاب:

هو: «رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز».

هذا الاسم انفرد به صاحب كشف الظنون[١]، وأما بقية من ترجم للمؤلف فقد ذكر الكتاب باسم: «رموز الكنوز»، وكذا جاء الاسم مكتوباً على طُرة بعض أجزاء الكتاب.

كما أنه جاء على غلاف بعض الأجزاء تسميته بتفسير القرآن العظيم.

وقد قال المؤلف في ثنايا الكتاب[٢]: «لما انتهيت مرة في تدريس الكتاب العزيز إلى هذه الآية أورد عليّ رجل فاضل إشكالاً»، فدل ذلك على أن المؤلف ذكر الجزء الثاني من العنوان في طيات تفسيره، وهذا شاهد لما ذهب إليه صاحب كشف الظنون.

ولعل من ذكره باسم «رموز الكنوز» من غير إضافة هو من باب الاختصار في سرد الأسماء، وهذا ما نراه في المؤلفات التي تعرف بالأشخاص، والمؤلفات التي تعرف بالكتب. والله أعلم.

وقد اقتصر بعض مترجميه على قولهم: ألف كتاباً في التفسير، دون التعرض لاسمه.

ونقل الأدنروي في طبقات المفسرين عن كتاب «أسامي الكتب» أن اسم كتاب الرسعني «الرمز الكنيز في تفسير الكتاب العزيز»[٣]. وهذا مما انفرد به

---

(١) كشف الظنون (١/ ٩١٤).

(٢) (١/ ٣٣٦).

(٣) طبقات المفسرين (ص:٢٤٣).

الأدنروي، ولعله وهِم في اسم الكتاب. والله أعلم.

وقد ضمّن المصنف اسم كتابه في ثنايا تفسيره، أثناء دعاءٍ دعاه، فقال[1]: فجاء الكلام على أبدع نظم وأحسن تقسيم وأصح معنى، اللهم! فلك الحمد على ما هديتنا إليه من إبراز رموز خطابك، ودللتنا عليه من إحراز كنوز كتابك.

١٤. نسبة الكتاب للمؤلف:

١. جاء اسم الكتاب مقروناً بنسبته إلى الإمام الرسعني -رحمه الله- على غلاف الكتاب.

٢. جاء في السماع المثبت بآخر المجلد الثاني ما نصه: سمع جميع هذا المجلد وهو الثاني من كتاب «رموز الكنوز»، تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل عز الدين عبد الرازق الرسعني.

٣. ذكر أكثر الذين ترجموا للمؤلف هذا الكتاب من جملة مصنفاته.

٤. نقل عنه العلامة عبد الرحمن بن عمر الحنبلي، المتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة، في موضعين من تفسيره «منتهى العلوم» (ق٧٢/ أ)، و (ق١٦٤/ ب).

كل هذا يجعلك تتأكد بلا ريب من صحة نسبة كتاب «تفسير رموز الكنوز» للمؤلف.

١٥. تاريخ تأليف الكتاب:

حدد المصنف رحمه الله تعالى تاريخ بداية تأليف الكتاب، فقال في مقدمة

---

(١) (٧/ ٢٤٦).

الكتاب: شرعتُ فيه مُظهراً نعم الله عليّ ومنحه في أول المحرم مفتتح سنة ثلاث عشر وثمانمائة، ولي من العمر أربعة وعشرون سنة، وهو أول تصانيفي.

١٦.قيمة الكتاب العلمية:

أثنى المصنف على كتابه "رموز الكنوز" في أثناء تفسيره، وذكر بعض مزايا كتابه؛

فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، بعد أن ذكر اعتراضاً وجواباً عليه: وقلّ أن يُذكر مثل هذا التحرير في تفسير، ولكن هذا من السرِّ المكنون الذي لا يَظهر إلا بالبحث والتقرير.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ١٦]، بعد أن ذكر دخلان وجوابهما: وهذان الدخلان والجواب عنهما والتقرير التالي لهما ما علمتُ أن أحداً من المفسرين ذكره.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٢٤]، بعد أن ذكر دخلاً وجوابه: وقلّ أن ترى مثل هذا التدقيق والتحقيق في تفسير، فإذا قرأته فادْعُ بالرحمة والمغفرة لمن أسهَر فيه ناظره، وأتعب في استثماره خاطره.

واعلم أنني بعد ذلك رأيت بعض نَحارِير العلماء قد ألمّ بهذا المعنى، فحمدت الله على مماثلته في التوفيق، لإصابة جهة التحقيق. انتهى.

وقد أثنى العلماء على كتاب «تفسير رموز الكنوز»، ووصفوه بأوصاف تدل

على قيمة الكتاب العلمية:

فقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام[(١)]: صنف تفسيراً حسناً، يروي فيه بإسناده.

وقال في العبر[(٢)]: وصنف تفسيراً جيداً.

وقال ابن رجب[(٣)]: وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة، سماه: «رموز الكنوز»، وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه الأحاديث بإسناده.

ونصه في طبقات المفسرين للداوودي[(٤)]، ونحوه في المقصد الأرشد[(٥)].

وقال ابن بدران[(٦)]: رموز الكنوز تفسير جليل، يذكر فيه المؤلف أحاديث يرويها بالسند، ويناقش الزمخشري في كشافه، ويذكر فروع الفقه على الخلاف بدون دليل.. وبالجملة هو تفسير مفيد جداً لمن طالعه.

وقال في موضع آخر عند حديثه عن تفاسير الحنابلة[(٧)]: وأجلُّ هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الإمام عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني، الفقيه المحدث الحنبلي.. إلى أن قال: وتفسيره «رموز الكنوز» وهو في أربع مجلدات، وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه أحاديث بإسناده، ويذكر

(١) تاريخ الإسلام (٥/ ق١٤٣).
(٢) العبر (٣/ ٣٠٢).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).
(٤) طبقات المفسرين (١/ ٣٠٠).
(٥) المقصد الأرشد (٢/ ١٣٥).
(٦) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص:٤١٥).
(٧) المرجع السابق (ص:٤٧٧).

الفروع الفقهية، مبيناً خلاف الأئمة فيها، ولـه مناقـشات مـع الزمخـشري، ولقـد اطلعت عليه، وارتويت من مورده العذب الزلال، وشنفت مـسامعي بتحقيقـه، وارتويت من كوثر تدقيقه، فرحم الله مؤلفه.

١٧ .عناية العلماء بكتاب «رموز الكنوز»:

ظهرت عناية كبيرة للعلماء بكتاب الإمام الرسعني، وقد ظهر هذا جليـاً مـن خلال الحلقات العلمية التي كان أهل العلم يعقدونها لإلقائه في مجالس، وبعضهم كان يلقيه من حفظه، وفيما يلي نذكر من كان يلقي كتاب «رموز الكنوز» على طلبة العلم:

١ .فقد كان الإمام الرسعني نفسه يقوم بتدريس كتابـه، وإملائـه عـلى طلبـة العلم.

٢ .الشيخ عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي المعروف بابن الحصري (؟-٧٦٥هـ)[١]:

ألقى كتاب «رموز الكنوز» دروساً من لفظه بمسجد بالس ببغداد.

٣ .القاضي جمال الدين عبد الصمد بن خليل الخضري الحنبلي (؟-٧٦٥هـ).

كان يحدث ويملي تفسير الرسـعني مـن حفظـه، ويحـضره الخلـق، مـنهم

---

(١) عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي، جمال الدين، أبـو أحمـد، المعـروف بـابن الحـصري، الحنبلي، اختصر تفسير الرسعني، بعد أن ألقاه دروساً من لفظه، بمسجد بالس ببغداد، توفي سـنة خمس وستين وسبعمائة . ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤١٣)، والدرر الكامنة (٢/ ٤٧٦)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٠٤).

المدرسون والأكابر[1].

٤. أبو بكر بن محمد بن قاسم بن عبد الله السنجاري ثم البغدادي، شجاع الدين المقرئ المقانعي الحنبلي.

كان يحدث بتفسير الرسعني[2].

١٨. منهج المؤلف في كتابه «رموز الكنوز»:

لم نقف على مقدمة المؤلف رحمه الله لكتابه رموز الكنوز، حيث إن الجزء الأول من المخطوط لم نقف عليه، وإنما وقفنا على الجزء الثاني من المخطوط والذي يبتدئ بسورة آل عمران، ولعل المؤلف رحمه الله قد ذكر في مقدمة كتابه المنهج الذي اتبعه في كتابه "رموز الكنوز"، وعليه فإننا سوف نحاول ومن خلال دراسة كتابه "رموز الكنوز" تلمس المنهج الذي سلكه الرسعني في كتابه هذا، فنقول:

١. يبدأ المؤلف -رَحمه الله- بذكر طرف الآية ثم يذكر القراءات الواردة فيها، وينسبها إلى من قرأ بها من القراء، ثمَّ يقوم بتوجيه القراءات لغوياً، ومن ثم يعرض للمعاني المختلفة المأخوذة من القراءات المختلفة.

كما أنه يُثبت القراءات التي قرأها على شيوخ عصره من القراء، سواء كانت توافق القراءات العشر أو لا، وبهذا يعتبر كتاب "رموز الكنوز" مرجعاً مهماً لدارسي علوم القراءات.

٢. يذكر المعاني اللغوية ومباحث الإعراب ونكت البلاغة المتعلقة باللفظ القرآني.

---

(١) شذرات الذهب (٣/ ٢٠٤).

(٢) الدرر الكامنة (١/ ٥٥١)، والمقصد الأرشد (٣/ ١٥٤).

٣.امتاز لفظ المؤلف بالإيجاز وكان سهل العبارة، مما جعل تفسيره قريب المنال، سهل المأخذ.

٤.اعتمد في بيان معاني الآيات أحسن طرق التفسير، فهو يفسر الآية بالقرآن وقراءاته ثم بالأحاديث الواردة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وإيراد أسباب النزول المروية عنهم، ثم باللغة العربية.

٥.ساق الأحاديث النبوية بأسانيده المتصلة إلى رسول الله ﷺ، أما ما يذكره عن الصحابة أو التابعين من الروايات فغالباً ما يذكرها دون إسناد.

٦.ذكَرَ الحكم على بعض الأحاديث التي يسوقها ، فمن ذلك:

- قال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً﴾ [النمل: ٨٢]: وروي بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: « هي دابة ذات زَغَبٍ وريش، لها أربع قوائم ».

- وقال عند قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: روى الثعلبي بإسناد لا بأس به أن ابن عباس... الحديث.

٧.يذكر الخلافات الواردة عن السلف في التفسير، ويعدد عنهم الروايات في ذلك.

٨.يورد إشكالات على ظاهر النظم ثم يجيب عليها، انظر مثلاً ما ذكره عند الآية رقم (٤) من سورة الأعراف.

٩.يعقب بعض الآيات بذكر فصول مهمة، تتضمن أحكاماً فقهية، أو مسائل من أصول الدين، أو فوائد تتعلق بالآية؛ يُطنب القول فيها، ويذكر الآراء المختلفة حولها، مع سرد الأدلة لكل رأي.

١٠. موقفه من آيات الصفات:

ذكر الرسعني رحمه الله تعالى في كتابه «رموز الكنوز» رأيه في آيات الصفات بوضوح، فقال[١]:

قاعدة مذهب إمامنا في هذا الباب -أي آيات الصفات-: اتباع السلف الصالح؛ فما تأولوه تأولناه، وما سكتوا عنه سكتنا عنه، مفوّضين علمه إلى قائله، منزهين الله عما لا يليق بجلاله. اهـ.

قلت: وقد التزم المؤلف بهذه القاعدة، فقد رجّح تأويل قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]، وأوله بالأمر الشديد، ونسب هذا التفسير إلى كثير من علماء السنة، ثم ذكر الرأي الآخر، وهو إلحاق هذا بنظائره من آيات الصفات[٢].

١١. ذكر فوائد وطرائف رآها أو سمعها، ومنها:

- قال عند قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ [الأعراف:٦٩]: والبَسْطة: الفضيلة في الجسم وامتداد القامة. قال ابن عباس: كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستون ذراعاً. قال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة.

قال: ولقد رأيتُ -أي المؤلف الرسعني- مصداق ذلك وشاهدت صحته حين أرسل الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين رئيس الأصحاب محيي الدين أبا محمد يوسف بن أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي إلى صاحب مصر، فرجع في بعض سفراته ومعه ضرس جبار من الجبارة الأول، قد استُخْرج من بعض

(١) رموز الكنوز (٨/ ٢٤١).

(٢) انظر تفسير هذه الآية في سورة القيامة، آية: ٢٩.

مدافنهم، وزنه أربعة عشر رطلاً، وقد انكسرت منه فلقة، هذا مع ما نقصه تطاول الأزمان ومرّ السنين والأحقاب عليه.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]: ومن جملة أدوية الغضب: ما أخرجه الإمام أحمد رضي الله عنه في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم فليسكت»[(١)].

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[(٢)].

وأنزل الله في بعض كتبه: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت، فلا أمحقك مع من أمحق، وإذا ظلمت فارض بنصرتي، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]: صحبتُ شيخاً من العاملين لله والمتنسّكين بالعلم والمتمسكين بالورع في سفر بطريق الشام فنزلنا قريةً فعرفه بها رجل من ذوي اليسار، فقال: أنتم الليلة أضيافي، فقال له الشيخ: وليلة غدٍ أضياف من نكون؟ يشير بذلك إلى نفي الاعتماد على من هو بعرضية الفناء والنفاد، ووجوب الاستناد في طلب القوت إلى الحي الذي لا يموت.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٩ ح٢١٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٤٩ ح٤٧٨٢).

مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣-١٤]: قيل لبعضهم بعد خروجه من البحر: ما أعجب ما رأيت فيه؟ قال: سلامتي. فينبغي للمتلبس بهذه الحالة استذكار الآخرة والاستعداد لها، فليجتلب ما ينجبه من طاعة الله ويجتنب ما يرديه من معصيته ...

- وقال عند قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]: كنا يوماً نتدارس القرآن في بيت من بيوت الله برأس عين، سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكان عام قحط وغلاء وموت ذريع بسبب الجوع، فأتينا على هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ وعندنا رجل من ذوي اليسار يستمع القرآن سماع تفكر واعتبار، فصاح صيحة شديدة، وألقى نفسه في وسط الحلقة كهيئة الولهان، ثم تراجعت إليه نفسه فقال لنا: أشهدكم أن لله في مالي مائة مكوك من الحنطة، وستمائة درهم أصلحها بها وأطعمها لفقراء المسلمين، أقي بها نفسي وأهلي من نار جهنم، ثم نهض وأمضى ذلك باطلاع منا في أيام، فكان مجموع ما أنفق نحواً من مائتين وخمسين ديناراً تقريباً.

١٢. جمع بين الروايات المتعارضة الواردة في الموضوع:

- فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران:١٤٣]، والمعنى: فقد رأيتم أسبابه ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ توكيد، على معنى: وأنتم بصراء.

وقيل: وأنتم تنظرون ما تمنيتم.

وقال ابن عباس: وأنتم تنظرون إلى السيوف[١].

والذي يظهر لي، ويشهد بصحته سبب النزول، والله أعلم أن المعنى: ولقد كنتم تمنون الموت رغبة في الشهادة فقد رأيتموه، وبلغتم ما كنتم تحبون وتتمنون، وحالكم أنكم قوم تنتظرون الموت، وترتقبونه رغبة في كرامة الله وما أعده للشهداء، فلم انهزمتم، وأسلمتم نبيكم، وخذلتم دينكم.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران:١٤]: وقد روي عن أُبَيٍّ بن كعب عن النبي ﷺ: أنه ألفٌ ومائتا أوقية[٢].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: أنه اثنا عشر ألف أوقية[٣].

وروى الحسن البصري عن النبي ﷺ: أنه ألفٌ ومائتا دينار.

وفيه أقاويل متعددة عن الصحابة والتابعين.

والذي يظهر -في نظري- أن المنقول عن النبي ﷺ، وعنهم في ذلك: ليس على سبيل التحديد لزنة القنطار، وإنما هو على سبيل التنظير للمال الكثير، صيانة لروايات الثقات، ولأقوال العلماء الأثبات عن التناقض والتهافت.

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٨) عن معاذ. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦١) وعزاه لابن جرير.

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٥٢): وهذا حديث منكر أيضاً.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٠٧). وانظر: زاد المسير (١/ ٣٥٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦١) وعزاه لأحمد وابن ماجه.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٧]: المعنى: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم، وإنما أنتم على شفا من استئصال شأفتكم، فعلام نجعل أنفسنا فرائس الفوارس، وأغراض الحتوف، وجزر السيوف، وهذا هو التأويل الذي يشهد العلم بصحته، لا ما ذكره الماوردي(١) من أن المعنى: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم(٢)، ولا ما ذكره ابن إسحاق أن المعنى: لو نعلم قتالاً يجرى اليوم لقاتلنا معكم(٣)، وهذا(٤) الذي ذكره الواحدي، وجمهور المفسِّرين. والقول الذي ذكره الماوردي رديء جداً.

والذي قاله ابن إسحاق قول تشهد العقول الرصينة بتفاهته، لأن أهل النفاق رجعوا حين تراءت الفئتان، وقامت الحرب على ساق، فكيف يقولون ذلك بهذا الاعتبار في معرض الاعتذار، والكفار قد أقبلوا بقضهم وقضيضهم يطلبون الأخذ بالثأر، من المهاجرين والأنصار.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن

---

(١) علي بن محمد بن حبيب، الماوردي، أبو الحسن البصري، كان من وجوه فقهاء الشافعية، وله تصانيف كثيرة، في أصول الفقه وفروعه، توفي سنة خمسين وأربعمائة. (تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٢)، والمنتظم (٨/ ١٩٩)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٣٨٧).

(٢) لم أجد ما ذكره المؤلف عن الماوردي في تفسيره المطبوع، وقد ذكر محقق تفسير الماوردي: أن العبارة عند هذه الآية مضطربة، فصوّبها من السيرة، فلعله أسقط تفسير الآية، وقد نسب هذا القول أيضاً للماوردي ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٨).

(٣) زاد المسير (١/ ٤٩٨).

(٤) يعني ما ذهب إليه، من القول الأول.

فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ [آل عمران:١٦٧]: قال ابن مسعود، وابن عباس، والأكثرون: نزلت في مانعي الزكاة.

وروي عن ابن عباس، ومجاهد أنها نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ، اختاره الزجّاج.

والذي آتاهم الله -على القول الأول-: المال، وعلى القول الثاني: العلم.

والصحيح هو القول الأول؛ لما أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَن آتاه مالاً فلم يؤد زكاته ماله مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه -يعني شدقيه- يقول: أنا مالُكَ ، أنا كنزُكَ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾»(١).

١٣ .ذكر أسانيده:

ذكر المصنف أسانيد بعض الكتب إلى أصحابها أثناء تفسيره:

فقد ذكر إسناده لكتاب ابن سوار في القراءات، فقال: قرأت بجميع ما فيه على شيخنا العلامة أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي تلاوة، وأخبرني أنه قرأ بجميع ذلك وهو ما فيه على الشيخ أبي الحسن علي بن المرحب البطائحي تلاوة، وأخبره أنه قرأ بجميع ما فيه على ابن سوار المصنف تلاوة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٣ ح٤٢٨٩).

١٤ .التفسير الإشاري[١]:

اعتنى الرسعني في تفسيره بذكر تفسير أرباب الإشارات والمعاني لبعض الآيات القرآنية:

- فقد قال عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]: قال بعض أهل المعاني: إني متوفيك عن شهواتك، وحظوظ نفسك.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]: قال بعض أهل المعاني: «ولا تقتلوا أنفسكم» بارتكاب المعاصي.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]: قال بعض أرباب الإشارات: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ من حب الدنيا.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف:٢٠]: قال بعض أرباب الإشارات: والله ما يوسف وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوة ساعة من معاصيك.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢]: قال بعض أرباب الإشارات: يحتاج المصلي إلى أربع خلال حتى يكون خاشعاً:

---

(١) هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً.

قال الإمام ابن الصلاح: يا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس.

وقال الزركشي: قيل إنه ليس بتفسير، وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة (البرهان ٢/ ١٧٠، ومناهل العرفان ٢/ ٥٦).

إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين التام، وجمع الهمّ.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ [الرعد:١٥]: قال أهل المعاني: سجودها: تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطُّول والقِصَر.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥]: سئل يحيى بن معاذ الرازي: أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس في مقاصير قدس، بألحان تحميد في رياض تمجيد، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]: قال الحارث المحاسبي: الظاهرة نعيم الدنيا، والباطن نعيم العقبى.

١٥ .الرد على القدرية[1]:

كما اعتنى الرسعني في كتابه بالرد على القدرية:

- فقد قال عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]: وفي قوله: «صرفكم»، إبطال لمذهب القدرية حيث أضاف الصرف إلى نفسه وجعله من فعله.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]: وفي هذه الآية دليل على أن مَن مات على الإيمان من أهل الكبائر لا يخلد في النار، وبرهان قاطع على بطلان ما انتحله القدرية من قولهم: لا يجوز أن يغفر الله الكبيرة، ولا أن يعفو عن المعاصي.

---

(١) القدرية: هم الذين يقولون لا قَدَر، وأن الأمر أُنُف، وهم قدرية في الأفعال، معتزلية في الصفات، وعيدية في الإيمان.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]: قالت جويرية بن أسماء: سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فنادى بأعلى صوته: انقطع والله هاهنا كلام القدرية.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣]: قال الواحدي(١): هذا صريح في تكذيب القَدَرية، حيث أضاف الضلالة والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن يشاء من خلقه بالمشيئة الأزلية.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٣]: قال عمر بن عبد العزيز: فصلت هذه الآية بين الناس(٢)، يشير إلى إبطال ما انتحلته القدرية.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٤٧]: أخرج مسلم في صحيحه والترمذي من حديث أبي هريرة قال: جاء مشركوا قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القدر، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾(٣). قال: وهذه الآية المعتضدة بالأحاديث الصحيحة المبين لسبب النزول الدافع لكل تأويل يعتصم به الخصم من جملة الدلائل الدامغة

(١) الوسيط (٣/ ٨٠).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٦ ح٢٦٥٦)، والترمذي (٤/ ٤٥٩ ح٢١٥٧).

للقدرية، والبراهين المبطلة لمذهبهم الخبيث...

١٦ .الرد على الزمخشري:

أثارت آراء الزمخشري في الكشاف مناقشات وحواراً بين العلماء، وذلك لأن الزمخشري كان معتزلي العقيدة من ناحية، وكان ينهج منهج الرأي والتأويل ولو كان على حساب الصناعة النحوية من ناحية ثانية.

وقد اعتنى المؤلف عناية كبيرة في الرد على مواطن الاعتزال التي كان الزمخشري يحاول أن يبثّها في ثنايا تفسيره، ورد التجاوز الصريح على الصناعة النحوية ومتعلقاتها.

ولو أردنا حصر مناقشات الرسعني مع الزمخشري لطال الأمر بنا، لذا فإننا نحيل القارئ إلى التفسير، ففيه الشيء الكثير.

وقد جاءت آفة الزمخشري من أمور، تتبعتها في كتب السير والتراجم والطبقات، وهي كما يلي:

- لم يكن له لقاء ولا رواية، بل كان يأخذ علمه من الكتب.

قال الشيخ تاج الدين الكندي: رأيت الزمخشري عند شيخنا أبي منصور الجواليقي رحمه الله تعالى مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاً لها؛ لأنه لم يكن له على ما عنده من العلم لقاء ولا رواية[١].

- غلوه في الاعتزال:

قال الشيخ تاج الدين الكندي: كان متحققاً بالاعتزال[٢].

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٤٠).

(٢) مثل السابق.

وقال ابن خلكان: كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول، يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب[1].

- دعاء والدته عليه:

قال في إنباه الرواة[2]: لما دخل الزمخشري بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله، فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلتُ إلى بخارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت الرجل، وعملت عليَّ عملاً أوجب قطعها.

١٧ .إثارة الاعتراضات والجواب عنها:

أكثر المصنف رحمه الله تعالى في أثناء كتابه من إيراد الاعتراضات والإجابة عليها، وأحياناً يورد الإجابة على الاعتراض من وجوه متعددة، وأحياناً ينوه المصنف بذكره أجوبة لم يسبق إليها:

- فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩]، بعد ذكره دخلين وإجابته عنهما: وهذان الدخلان والجواب عنهما لم أُسْبَق إليهما، فإن يكن ذلك صواباً فمن فضل الله تعالى، وإن لم يكن ذلك فالله المسؤول التجاوز عني

---

(١) وفيات الأعيان (٥/ ١٧٠).

(٢) إنباه الرواة (٣/ ٢٦٨).

برحمته وكرمه.

- وقال بعد تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤]: وقلّ أن ترى مثل هذا التدقيق والتحقيق في تفسيرٍ، فإذا قرأته فادع بالرحمة والمغفرة لمن أسهَر فيه ناظره، وأتعب في استثماره خاطره.

- وقال بعد تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ [الممتحنة:١٢]: وما أعلم أحداً من المفسرين لَحَظَ هذا الذي ذكرته، مع حكايتهم القولين المتنافيين.

١٨ .تعليقه على الأقوال والنقول:

لم يكن الرسعني مجرد ناقل أو راو يسرد الروايات دون دراسة وتمحيص، بل إنه كان يعلق أحياناً، ويبدي رأيه حولها، ويرجح بينها، مورداً أحياناً الأدلة على الرأي الذي اختاره، وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة على ذلك:

- قال عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران: ٥٢]: تقول: أَحْسَسْتُ بالشَّيْءِ وحَسَسْتُ به، فهو مُحِسٌّ، وقول الناس محسوس خطأ.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩]: قال مجاهد والسدي وابن زيد: وجهوا وجوهكم حيث كنتم إلى الكعبة(١).

قال: وفي هذا القول نظر؛ لأن الآية مكية، والأمر بالتوجه إلى الكعبة كان على

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٢)، ومجاهد (ص:٢٣٤).

رأس ستة عشر شهراً في المدينة.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤]:

فإن قيل: نظمُ الآية يدل على تقدم الهلاك على البأس، وهو العكس؟

قلت: المراد أردنا إهلاكها كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾ [المائدة:٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ [النحل:٩٨].

وقال الفراء[1]: وقع الإهلاك والبأس معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت إليّ.

وذكر ابن الأنباري عن ذلك جوابين:

أحدهما: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها، وكان بأسنا قد جاءها، كما أضمر في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: ما كانت تتلوه.

الثاني: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

والأول هو الجواب الذي ينبغي أن يعتمد عليه.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]: وبعض العرب إذا وقف على «غواش» وقف بإثبات الياء، ولا أرى ذلك في القرآن، لأن الياء محذوفة في المصحف.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]:

---

(١) معاني الفراء (١/ ٣٧١).

ذهب أكثر متأخري العلماء إلى أن المراد بالحقِّ: الزكاة.

قال القاضي أبو يعلى ابن الفراء: فائدة ذكر الحصاد: أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، وإنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه، وقد كان يجوز أن يُتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد دون ما يتلف.

وقال أيضاً: «اليوم» ظرفٌ للحقّ لا للإيتاء، فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية.

وقال الواحدي[١]: هذا في النخيل؛ لأن ثمارها إذا حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة. والزرع محمول عليه في وجوب الإخراج، إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخر إلى زمان التنقية.

وقال صاحب الكشاف[٢]: معناه: اعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد، حتى لا تأخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء.

وهذه الفوائد في نهاية ما يكون من الحسن.

ويجوز عندي -والله أعلم- أن يقال: العرب توقع اليوم على الزمان، فيقولون: كان ذلك يوم بُعاث، ويوم صفين[٣]، وقد قررنا ذلك فيما مضى.

---

(١) الوسيط (٢/ ٣٣٠).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٩).

(٣) يوم بُعاَث: كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وهو يوم من مشاهير أيام العرب (انظر: اللسان، مادة: بعث). وكان الظهور فيه للأوس.

=

- وقال عند قوله تعالى: ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف:١٨]: جعله ابن الأنباري من باب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

وقال صاحب الكشاف[1]: المعنى منكم ومنهم، فغلّب ضمير المخاطب.

ويجوز عندي أن يقال: صاروا باتباع إبليس ومشايعته وتلبسهم بطاعته كالجزء منه ومن ذريته، ولذلك شملهم اسم الشيطنة، فيسلم الكلام بهذا التقرير من الإضمار والتقدير.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [الأعراف:٨٦]: قال صاحب الكشاف: الضمير في «آمن به» يعود إلى «كل صراط»، تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير؛ زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدون عنه.

ويجوز عندي -والله تعالى أعلم-: أن يعود الضمير إلى الله تعالى؛ لأنه أقرب المذكورين.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٢٩]: قال ابن عباس: أرض مصر، وقيل: أرض الشام. ويجوز عندي: أن يريد جنس الأرض.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾

= وصفين: موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما (معجم البلدان ٣/ ٤١٤)

(١) الكشاف (٢/ ٩٠).

[الأعراف:١٥٧]: وهو القرآن الكريم، سمي نوراً؛ لأنه يُهتدى به ويُستضاء في طريق النجاة.

فإن قيل: القرآن نزل مع جبريل، فكيف قال «معه»؟

قلت: منهم من فسر المعيّة بالمقارنة في الزمان، أي: النور الذي أنزل في زمانه.

وقال صاحب الكشاف(١): المعنى أنزل مع نبوته؛ لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به. ويجوز أن يتعلق «باتبعوا» أي: اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته، وبما أمر به ونهى عنه، أو يكون المعنى: واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه.

وهذه الأوجه حسنة شديدة، ويحتمل عندي إجراء اللفظ على ظاهره، وأن يكون المراد بالنور الذي أنزل معه؛ ما نزل به ليلة المعراج من القرآن، وهي خواتيم سورة البقرة -على ما ذكرناه في آخرها-، وما أوحاه الله إلى عبده في تلك الحضرة المقدسة، فإن بعض القرآن يسمى نوراً، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]. ومعلوم أنه قد نزل بعد هذه الآية قرآن كثير.

إذا ثبت ذلك فنقول: إذا اتبع الإنسان خواتيم سورة البقرة واستضاء بنورها كان موافقاً لرسول الله ﷺ في الإيمان بما أنزل إليه من ربه، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله، وقارنه الفلاح والفوز الأبدي.

ويؤيد هذا: أن خواتيم سورة البقرة سميت نوراً؛ ففي صحيح مسلم من حديث ابن عباس، أن المَلَك قال للنبي ﷺ: «أبشر بنورين أوتيتهما: فاتحة الكتاب،

---

(١) الكشاف (٢/ ١٥٧).

وخواتيم سورة البقرة»[١].

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف:٨٩] وقال قوم: فالله لا يشاء الكفر، قالوا: وهذا مثل قولك: لا أكلِّمك حتى يَبْيَضَّ القار، ويشيب الغراب، والقار لا يَبْيَضّ، والغراب لا يشيب. قالوا: فكذلك تأويل الآية.

قال الزجاج[٢]: وهذا خطأ؛ لمخالفته أكثر من ألف موضع في القرآن لا يحتمل تأويلين؛ أنه لا يكون شيء ولا يحدث شيء إلا بمشيئة الله تعالى وعن علمه، وسُنَّة الرسل تشهد بذلك، ولكن الله تعالى غيب عن الخلق علمه فيهم، ومشيئته من أعمالهم، فأمرهم ونهاهم؛ لأن الحجة إنما ثبتت من جهة الأمر والنهي، وكل ذلك جار على ما سبق من العلم وجرت به المشيئة. هذا كله مختصر من كلام الزجاج، وهو اعتقادنا، وبه ندين الله تعالى.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧]: قال جماعة من المفسرين: كانوا جعلوا في حبالهم وعصيّهم الزئبق وصوروها على صور الحيات، فاضطرب الزئبق؛ لأنه لا يستقر. وفي هذا بُعد؛ لأن الله تعالى سماه سحراً، ووصفه بكونه عظيماً وكونه كيداً.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢]: قال الواحدي: ومعنى الآية: أنهم قالوا لموسى: متى ما أتيتنا بآية مثل: اليد والعصا لتسحرنا بها فإنا لن نؤمن لك.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٤ ح٨٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٦).

وهذا كلام مدخول فيه على الواحدي، فإن «مهما» ليست من أسماء الزمان.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف:١٤٨]: قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح.

قال: وفي هذا بُعْد؛ لوجوه. ثم ذكر هذه الوجوه.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠]: ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ناسخ لقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ وهذا تخصيص لا نسخ. وغيره كثير.

١٩ .الإحالات في كتاب «رموز الكنوز»:

أكثر الرسعني في كتابه «رموز الكنوز» من الإحالات على مواضيع ضمن الكتاب، وذلك روماً للاختصار، ولربط الموضوع الواحد مع بعضه البعض أحياناً أخرى، وفيما يلي أمثلة لذلك:

- قال عند قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢]: وقد سبق في أثناء كتابنا جملة من الأحاديث والآثار الحاضة على صلة الأرحام في البقرة عند قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وفي سورة الرعد وغيرهما من المواضع، فتطلبْ ذلك وأمثاله في مظانه.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]: وقد ذكرتُ في أثناء كتابي هذا أنواعاً من الأدلة الدالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرتُ في إقامة حُجج الله عليهم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يملأ

أوراقاً كثيرة، لكن في هذا القدر كفاية لمن أراد الله هدايته.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]: وهذه الآية من جملة دلائل فضل العلم وأهله، وفي ذلك من الآثار والأخبار والدلائل العقلية ما لو ذكرت شطره لطال الكتاب، فتطلّب ذلك في أماكنه ومظانّه تجده.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]: وقد ذكرت في أثناء كتابي هذا من فضائحهم -أي الرافضة-، وقبائحهم، ودلائل ضلالهم وكفرهم، ما أرجوا به القربى إلى الله، والزلفى لديه يوم ألقاه.

وغيره كثير.

المبحث الثالث

موارد الرسعني في كتابه: «رموز الكنوز»

موارد الرسعني في كتابه: «رموز الكنوز»

تُمثّل النقول المختلفة المادة الرئيسية لهذا الكتاب، حيث إن المؤلف وجد تراثاً ضخماً من كتب التفسير التي ألفت قبله، لذا تبدو أهمية الكتاب في الجمع والتنسيق، ومناقشة بعض الآراء ومعاضدتها أو تفنيدها، عليه فإننا سنقسم موارد كتاب الرسعني إلى موارد رئيسية وموارد ثانوية.

الموارد الرئيسية:

يأتي كتاب «زاد المسير» لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في الدرجة الأولى من مصادر الكتاب، فقد اقتبس الرسعني من تفسير ابن الجوزي كثيراً من الشروح اللغوية للمفردات القرآنية، وكثيراً من آراء العلماء، وقد يرد الرسعني على رأي ضعيف بالرد الذي رآه ابن الجوزي، ولا يشير إلى ذلك إلا نادراً.

ويعد «الكشاف» من المصادر الرئيسية التي كان الرسعني يستقي منها، ويحاورها، وقد ورد اسم الزمخشري كثيراً في المناقشات التي خاض فيها الرسعني، ورد عليه آراءه الاعتزالية.

ويأتي كتاب العكبري «إعراب القرآن» في المرتبة التالية، والتي استفاد منها الرسعني.

الموارد الثانوية:

وسوف نحاول حصرها، والتعريف بها قدر المستطاع:

أولاً: المؤلفات:

١ .الإبانة الكبرى لابن بطة، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، المعروف بابن بطة (؟-٣٨٧هـ).

٢.الاستيعاب لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر (٣٦٨-٤٦٣هـ).

٣.الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر ابن ماكولا الأمير (٤٢١-٤٧٥هـ).

٤.تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (٣٩٣-٤٦٣هـ).

٥.تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (٢١٣-٢٧٦هـ).

٦.تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (٢١٣-٢٧٦).

تفسير الماوردي = النكت والعيون.

٧.تفسير علي بن فضال بن علي المجاشعي القيرواني (؟-٤٧٩).

٨.تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (٢١٣-٢٧٦).

٩.تفسير مقاتل بن حيان، أبو بسطام البلخي (؟-؟).

١٠.تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (؟-١٥٠هـ).

١١.تهذيب اللغة للأزهري، محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي (؟-٣٧٠هـ).

١٢ .التوابين لابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٥٤١-٦٢٠هـ).

١٣ .جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ).

١٤ .الجامع للترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة (٢٠٩-٢٧٩هـ).

١٥ .جمهرة اللغة لابن دريد، محمد بن حسين بن دريد الأزدي، (٢٢٣-٣٢١هـ).

١٦ .الحجة لابن البنا (؟-؟).

١٧ .الحجة للقراء السبعة للفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (؟-٣٧٧هـ).

١٨ .الزهد لابن المبارك، عبدالله بن المبارك بن واضح المرزوي (١١٨-١٨١هـ).

١٩ .الزهد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ).

٢٠ .سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمران الأزدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ).

٢١ .سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي (٢١٤ أو ٢١٥-٣٠٣هـ).

٢٢ .شأن الدعاء للخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أبو سليمان البستي، الشافعي (؟-٣٨٨هـ).

٢٣.الصحاح للجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (؟-٣٩٣هـ).

٢٤.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ).

٢٥.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ).

٢٦.الفنون لابن عقيل، علي بن عقيل بن محمد البغدادي (٤٣١-٥١٣هـ).

٢٧.الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ).

٢٨.الكتاب لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه (١٤٨-١٨٠هـ).

٢٩.كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، نور الدين علي بن الحسين الباقولي (؟-٥٤٣هـ).

٣٠.الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي بن أبي طالب حموش المقري القيرواني (؟-٤٣٧هـ).

٣١.الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (تفسير الثعلبي)، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (؟-٤٢٧هـ).

٣٢.مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي (؟-٥٩٧).

٣٣.مجاز القرآن لأبي عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (١١٠-٢٠٩هـ).

٣٤.المجروحين لأبي حاتم، محمد بن حبان البستي (؟-٣٥٤هـ).

٣٥.المحتسب في إعراب الشواذ لابن جني، عثمان بن جني أبو الفتح (؟-٣٩٢هـ).

٣٦.المختصر للخرقي (؟-٣٣٤هـ).

٣٧.المستدرك على الصحيحين للحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ).

٣٨.مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ).

٣٩.مسند الشافعي، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ).

٤٠.معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (؟-٢١٥هـ).

٤١.معاني القرآن للفراء، يحيى بن زياد بن عبدالله (١٤٤-٢٠٧هـ).

٤٢.معاني القرآن وإعرابه للزجاج، إبراهيم بن السري (؟-٣١١هـ).

٤٣.معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي (٣٢٩-٣٩٥هـ).

٤٤.المقتضب للمبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (٢١٠-٢٨٥).

٤٥.الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي، أبو عبد الله (٩٣-١٧٩هـ).

٤٦.الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، هبة الله بن سلامة بن نصر المقري (؟-٤١٠هـ).

٤٧.النكت والعيون للماوردي، علي بن محمد بن حبيب (٣٦٤-٤٥٠هـ).

٤٨.الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، علي بن أحمد النيسابوري (؟-٤٦٨هـ).

ثانياً: الإسناد:

اعتنى المؤلف -رحمه الله- بسوق الأحاديث النبوية بأسانيده المتصلة إلى رسول الله ﷺ، حيث بلغ عدد الأسانيد في كتابه «رموز الكنوز»: (٥٣٦) إسناداً، وهذا سوى ما هو موجود في الجزء المفقود من الكتاب.

وقد نوّه أهل العلم بهذا الأمر، وعدّوه ضمن مزايا الكتاب، فقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام[١]: صنف تفسيراً حسناً، يروي فيه بإسناده.

وقال ابن رجب[٢]: وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة، سماه: «رموز الكنوز»، وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه الأحاديث بإسناده.

وقال ابن بدران[٣]: وهو في أربع مجلدات، وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه أحاديث بإسناده.

ثالثاً: الشواهد الشعرية:

ضَمَّنَ الرسعني كتابه كثيراً من الشواهد الشعرية، استقى بعضها من دواوينهم، واقتبس بعضها من مؤلفات سابقيه ومعاصريه، من هؤلاء:

ابن أبي عروبة المدني (؟-١٥٦هـ).

ابن مقبل (؟-بعد ٣٧هـ)

أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ).

---

(١) تاريخ الإسلام (٥/ ق١٤٣).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص:٤٧٧).

أبو ذؤيب الهذلي (؟-نحو ٢٧هـ).

أبو زبيد الطائي (؟-نحو ٦٢هـ).

أبو كبير الهذلي، عامر بن الحليس (؟-؟).

الأعشى، ميمون بن قيس (؟-٧هـ).

امرؤ القيس (؟-٨٠ ق هـ).

أمية بن أبي الصلت (؟-٥هـ).

أوس بن حجر (٩٨-٢ ق هـ).

البحتري، الوليد بن عبيد (٢٠٦-٢٨٤هـ).

جرير بن عبد المسيح المتلمس (؟- نحو ٥٠ ق هـ).

حاتم الطائي (؟-٤٦ ق هـ).

حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه (؟-٥٤هـ).

حميد بن ثور الهلالي (؟- نحو ٣٠هـ).

خفاف بن ندبة (؟-نحو ٢٠هـ)

الخنساء تماضر بنت عمرو (؟-٢٤هـ).

ذو الرمة غيلان بن عقبة (٧٧-١١٧هـ).

رؤبة بن العجاج (؟-١٤٥هـ).

سحيم بن وثيل اليربوعي (؟-٦٠هـ).

طرفة بن العبد (نحو ٨٦-٦٠ ق هـ).

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه (؟-٨هـ).

عَدِيّ بن زيد (؟- نحو ٣٥ ق هـ).

عمران بن حطان (؟-٨٤هـ).

عنترة بن شداد العبسي (؟- نحو ٢٢ ق هـ).

قردة بن نفاثة السلولي (؟-؟).

كثيّر بن عبد الرحمن (كثيّر عزة) (؟-١٠٥هـ)

لبيد بن ربيعة العامري (؟-٤١هـ).

محمد المعروف بالمقنع الكندي (؟- نحو ٧٠هـ).

المنخل بن سبيع بن معاوية (؟-؟).

النابغة الذبياني (؟-نحو ١٨ ق هـ).

همام بن غالب الفرزدق (؟-١١٠هـ).

رابعاً: معاصروه:

نقل المؤلف -رحمه الله- بعض مادته العلمية عن شيوخه، فمن ذلك:

- قال عند قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف:٧٣]: قلت لشيخنا أبي البقاء إمام عصره في العلوم الشرعية والأدبية: قول الشاعر:

أُؤمّلُ أَنْ أَعِيشَ وَإِنّ يَوْمِي لأَوّلَ أَوْ لأَهْوَنَ أو جُبارِ
أو التالي دُبَار فَإِنْ أَفُتْهُ فَمُؤْنِس أو عَروبة أو شِيارِ
ولا يبقى على الحدثان شخص ستطوينا الليالي والنهار

هل هذه الأبيات من شعر العرب؟ وما معناها؟

فقال لي: قال ابن دريد ... الخ

- وقال عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]: قال لي الشيخ أبو البقاء اللغوي، سمعت أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون... الخ.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:١٠]: قال شيخنا الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه فيما قرأته عليه: يجوز في الصلح ردّ من جاءه من أهل الحرب من الرجال...

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]: وحدثني جماعة من أشياخي عن الوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة رحمه الله قال: أنشدني المستنجد بالله أمير المؤمنين رحمه الله:

بتقوى الإله نجا من نجا ... وفاز وأدرك ما قد رجا

ومن يتق الله يجعل له ... كما قال من أمره مخرجا

- وقال عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق:٤]: ومن بديع ما سمعت فيه -أي القلم- ما أنشدنيه صاحبنا أبو نصر بن عثمان بن خليفة الموصلي الحنبلي لنفسه:

أيها الصاحب الكريم ومن ... أصبحَ زيْن الكُتّاب والأصحاب

بِيَرَاعٍ ريعت له نوب الدهر ... وهانت به جميع الصعاب

وإذا ما يشاء أمراً فلا يحفل ... يوماً بالصارم القرضاب

فهو يجزي للأولياء بأرى ... ولأعدائه بشري وصاب

أقْسَمَ الله باسمه(١) وكفاه مفخراً إذ أتى بنصّ الكتاب

خامساً: مصادر مجهولة:

نقل المؤلف أحيانا عن مصادر لم يحددها بالاسم، أو أنه غاب عن ذهنه المصدر الذي حفظ منه هذه المعلومة، مثاله:

- قال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]: ومن نتائج هذا: أن الواو في قوله: «وأنزل الله» واو الحال، على معنى: وما يضرونك من شيء وقد أنزل الله عليك الكتاب والحكمة.

وكنتُ أعجب كيف لم أتنبه لمثل هذا الموضع، حتى أخبرني بعض العلماء أن الواحدي ذكره في البسيط.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]: قال ابن عقيل في هذا الحرف كلاماً حسناً لا يحضرني الآن، حاصله راجع: إلى أن العرب لموضع أنفتهم وحميتهم وغيرة نفوسهم، حتى أنك ترى الواحد منهم يخاطب الأمير كما يخاطب الحقير أحق بتوحيد الله وتخصيصه بالخضوع والعبادة دون الأصنام من الأعاجم الذين لم يقاربوهم في العزة والأنفة.

- وقال عند قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]: قال سعيد بن جبير: آخذين بما أمرهم ربهم، عاملين بالفرائض التي أوجبها عليهم. وروي نحوه عن ابن عباس.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ن والقلم﴾ [القلم:١].

قال المؤلف: وفي نظم الكلام على هذا اضطراب، ولقد راجعتُ فيه بعض العلماء فقال: هو على حذف المضاف، تقديره: ثواب عملهم بالفرائض.

المبحث الرابع

منهج العمل في التحقيق

١- نظراً لأننا لم نقف على نسخة تامة من الكتاب فلذلك اضطررنا إلى التلفيق بين النسخ لاستخراج نسخة من الكتاب.

٢- مقابلة النسخة الخطية التي اعتمدناها أصلاً مع الموجود من النسخة الأخرى إن وجد.

٣- اعتمدنا الطريقة الإملائية الحديثة في الكتابة.

٤- ضبطت ما وجدت ضرورة لضبطه.

٥- إذا وقع سقط في الأصل ووجدت ضرورة لإقامته، وضعت الزيادة بين المعقوفتين [] مع الإشارة إلى أن ما بينها هو ما أثبتناه من النسخة الأخرى غير الأصل، أو من غيرها من المصادر والمراجع. وفي حالة الخطأ أو التحريف أو التصحيف، فقد صححنا الكلمة في الأصل مع الإشارة في الهامش مع وضع الكلمة على هيئتها من الخطأ أو التحريف أو التصحيف.

٦- أثبتنا علامات الترقيم في مواضعها على ما هو معروف عند أهل هذا الفن.

٧- ضبطنا الآيات القرآنية بالشكل على رواية حفص رحمه الله.

٨- ضبطنا الأسماء والاصطلاحات التي تحتاج إلى ضبط، وذلك ليسهل النطق بها وفهمها.

المبحث الخامس

منهج العمل في التعليق

ظهر في علم تحقيق المخطوطات العربية رأيان:

رأي يرى الاقتصار على إخراج النص مجرداً من كل تعليق.

والرأي الثاني: يرى أنه من الأفضل توضيح النص بوضع الهوامش والتعليقات، وإثبات الاختلافات بين النسخ، والتعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات، وشرح ما يحتاج إلى شرح أو توضيح.

وقد أخذنا بالرأي الثاني لأسباب عديدة منها:

ندرة النسخ الخطية الخالية من التصحيف والتحريف.

معظم المخطوطات العربية لم تصل إلينا بخط مؤلفيها، وإنما هي بخط النساخ المختلفين في مستوى الثقافة والمعرفة.

إن جمهرة المؤرخين والنساخ لم يعنوا بالإعجام ووضع الحركات الموضحة للنص.

افتقار المؤلفين والنساخ إلى وحدة كتابية واحدة مما يؤدي إلى التباين في رسم الكلمات[1].

لذا كان لا بد من الهوامش والتعليق.

وقد سرنا في التهميش والتعليق على هذه النقاط:

١ - عزوُ الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها في القران الكريم مع ملاحظة اسم السورة، ورقم الآية، وضبطها على رواية حفص عن عاصم.

---

(١) انظر: ضبط النص والتعليق عليه لبشار عواد (ص:٧).

٢- تخريجُ الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها، والأقوال والأمثال الواردة في النص.

٣- ضبطتُ الشعر، وأكملته في التعليقات إن أورده ناقصاً، فإذا لم ينسبه إلى قائله اجتهدتُ في ذلك مستنداً إلى المظان المختلفة، وإن كان البيت لشاعر له ديوان مطبوع، ذكرت وروده فيه، وإلا خرجته من كتب النحو واللغة تخريجاً لا أستقصي فيه، وأذكر الروايات الأخرى للبيت إن كان مما يخدم الغرض، وشرحتُ الألفاظ الصعبة أو أوردت المعنى العام للبيت، وقد أذكر الشاهد في البيت إن كان ثَمَّ ضرورة، وقد أنبه على تعليق مهم حوله.

٤- تفسير الغريب من الكلام، والذي يشكل على القارئ فهمه، وذلك بالرجوع إلى كتب غريب الحديث، وكتب المعاجم اللغوية المختصة بذلك.

٥- تخريجُ النصوص المقتبسة من مصادرها ومراجعها، وذلك بالرجوع إلى الكتب التي أخذ عنها المؤلف، وعند وجود إشكال بين المنقول والمنقول عنه نثبت الصحيح مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.

٦- التعريفُ بالأعلام والأماكن والبلدان، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم، والكتب الخاصة بالبلدان، وغير ذلك.

٧- تفسيرُ بعض المصطلحات المختلفة الواردة بالنص.

٨- تفقيرُ النص، وذلك بفصل الفقرات بعضها عن بعض، مع جعل بداية مميزة لكل فقرة، مما يعين على تنظيم النص.

المبحث السادس

وصف مخطوطات كتاب «رموز الكنوز»

وصف مخطوطات كتاب «رموز الكنوز»

نسخ الكتاب

ذكر أهل العلم أن كتاب «رموز الكنوز» يقع في أربع مجلدات، فقد قال ابن رجب[1]: وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة.

وقال ابن بدران[2]: وهو في أربع مجلدات.

وقد وقفت على ثلاث نسخ خطية للكتاب، وفيما يلي وصف لها:

١ -النسخة الأولى:

والموجود منها المجلد الثاني، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم (٦٢٢)، وعدد أوراقها (١١٩) ورقة، في كل ورقة (١٥) سطراً، وكلماتها تتراوح بين (١٠-١٢)، وقد سقط من أولها صفحة العنوان وثلاث عشرة آية من آل عمران.

ويبدأ هذا المجلد من أثناء الآية ١٣ من سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ إلى نهاية سورة النساء.

وأولها قوله: «.. نظرنا إلى الكفار فرأيناهم يضعفون علينا».

وهي بخط نسخي جيد، ومشكول، وعليها تعليقات مأخوذة من الكشاف،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص:٤٧٧).

وتفسير البغوي، وحواشي البيضاوي. ولم يقيد المعلق اسمه عليها.

وقد كتبت في زمن المؤلف، ونظر فيها وصححها، ثم قوبلت بأصله، وقد قرأها مرتين في مجالس محمد بن أحمد بن معمر المقرئ في مسجد الرقي، المرة الأولى في واحد وعشرين مجلساً، والمرة الثانية: في ثلاث وأربعين مجلساً، وبآخرها سماع لجماعة من العلماء.

وفي آخر هذا الجزء : أنهاه مصنفه نظراً وتصحيحاً ثم قوبل بالأصل.

وفي الصفحة الأخيرة بالحاشية ما نصه : نقله وما قبله محمد إسماعيل بن الدينوي حامداً لله، ومصلياً على نبيه.

وفيه أيضاً: آخر المجلد الثاني بخط الفقير إلى رحمة ربه أبي نصر بن عثمان الموصلي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، وذلك في شهر ربيع الآخر، سنة أربع وثلاثين وستمائة، ويتلوه السفر الثالث سورة المائدة ، والحمد لله.

٢-النسخة الثانية:

الموجود منها ثلاثة أجزاء، هي: الثاني، والثالث، والرابع.

الجزء الثاني: محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد اليوم) ويحمل رقم (٥٢٨-تفسير١٣٣).

ويبدأ من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الآية (١٢٨) من سورة الأنعام، وينتهي بنهاية سورة الإسراء.

وعدد أوراقه (٢٣٤)، في كل ورقة (٢٧) سطراً.

في أوله: الثاني من تفسير الرسعني رحمه الله، الحمد لله رب العالمين.

وفيه: هذا الجزء الثاني ، وقبله جزء ، وبعده جزءان من تفسير القرآن العظيم للرسعني باسم حسن بن محمد بن داود الججيني الكناني الشافعي.

وأهمل اسم الناسخ في آخره، وقد سقط من (التوبة) خمس وثلاثون آية، وعليه أختام وتملكات لبعض العلماء.

الجزء الثالث: ويحمل رقم (٦٣٦-تفسير-٥١٠)، وهو من مقتنيات المكتبة الظاهرية بدمشق.

ويبدأ من أول الكهف، وينتهي بسورة فاطر، وعدد أوراقه (٢٠٧) في كل ورقة (٢٧) سطراً.

وقد سقط من آخره سورة الكهف وأول مريم، وآخر طه، وأول الأنبياء.

في أوله : رموز الكنوز في التفسير ، حاشية على القرآن.. المشتغلين بمذهب الشافعي بالمدرسة الشامية البرانية .. حسن بن محمد الججيني. وبقية هذا النص غير واضح ، والخط في غاية الرداءة ويصعب قراءته.

هذا وفي الصفحة الأولى منه ترجمة للمؤلف الرسعني ، وهي منقولة من ذيل ابن رجب كما أشار الكاتب في آخره ، حيث قال: ملخص من ذيل ابن رجب . وكل ما سبق كتب على هذه النسخة بخط مختلف عن خط ناسخ الكتاب.

وقد كتب في آخره: «آخر الجزء الثالث، ويتلوه إن شاء الله الجزء الرابع من أول سورة يس إلى آخر القرآن».

ولم يقيد الناسخ اسمه.

وعلى هذه النسخة تعليقات بخطين مختلفين.

الجزء الرابع: محفوظ أيضاً في المكتبة الظاهرية بدمشق، ويحمل رقم (٥٨٣٣)،

وعدد أوراقه (٢٦٦)، في كل صفحة (٢٧) سطراً، ويبدأ من سورة يس، وينتهي بنهاية القرآن العظيم.

وهو من ممتلكات الشيخ ابن بدران، كما هو واضح من تصحيح اسم المؤلف في الغلاف. وكتب في آخره: «وافق الفراغ منه رابع عشر شعبان المكرم، سنة أربع وستين وسبعمائة..، وكتبه أفقر عباد الله إليه محمد بن يحيى المقدسي الحنبلي عفا الله عنه».

وقد رمزت لهذه النسخة بنسخة (الأصل).

٣-النسخة الثالثة:

وتقع هذه النسخة في ست مجلدات؛ الموجود منها جزءان، وهما: الرابع، والسادس.

الجزء الرابع: محفوظ في مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية برقم (١٢٨٢).

ويبدأ من أول سورة الكهف، وينتهي بنهاية سورة العنكبوت.

وعدد أوراقه (٢٥٨)، في كلِّ صفحة (٢١) سطراً، وكل سطر ١٠-١٢ كلمة.

وخطه جميل ومقروء، والكلمات مضبوطة بالشكل، وعلى النسخة تصويبات.

وجاء في آخر هذا الجزء: آخر السفر الرابع من رموز الكنوز، وكان الفراغ منه في غرة جمادى الآخر من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد بن سلمان الشيرجي الحنبلي، تجاوز الله عن سيئاته

وغفر له موبقات زلاته، ولجميع المسلمين آمين، ولله الحمد.

ويتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى سورة الروم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف المرسلين محمد وآله الطاهرين وسلّم.

وفي هامشها: بلغ معارضة بالأصل فصحّ بحسب الإمكان.

الجزء السادس: محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٦٣٧-تفسير-٥١١).

ويبدأ من أول سورة الحجرات إلى نهاية القرآن، وعدد أوراقه (٢٧١)، في كل ورقة (٢١) سطراً.

وقد سقط من أوله ورقة العنوان، والكلام على أول سورة الحجرات.

وجاء في آخر هذا الجزء: «نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله. وكان الفراغ منه على يد الفقير إلى الله تعالى: أحمد بن محمد بن سلمان الشيرجي الحنبلي البغدادي، تجاوز الله عن سيئاته، وغفر له موبقات زلاته، في ثاني عشرين رجب الحرام من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة الهلالية. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وما من كاتب إلا سيبلى ويُبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتبْ بخطك غير شيء يسرُّك في القيامة أن تراه»

وفي الهامش: «بلغ مقابلة وتصحيحاً بأصله المنقول منه، وهي نسخة عليها خط المصنف، فصحّ بحسب الإمكان.

وعلى النسخة مكتوب: فرغ من تصنيفه في عشرين رمضان من سنة خمس وثلاثين وستمائة».

وهو مضبوط بالشكل، ويوجد على هامش هـذا الجـزء تعليقـات تـضمنت تخريج بعض الأحاديث، ومعاني كلمات غريبة.

وقد رمزت لهذه النسخة بنسخة (ب).

كما أنه توجد نسخة أخرى لم أقف عليها ، وفيما يلي وصفها:

الجزء الثاني تحت رقم ٢٧٧٧، بمكتبة الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه العامة بالنجف ، وعدد أوراقه ٢٣٠ ورقة، ولم أجد مـن أشـار إلى هـذه النـسخة سوى مجلة معهـد المخطوطـات العربيـة المجلـد ٢٠ الجـزء الأول ص ٣٨ عـام ١٣٩هـ.

فمن هذا العرض لمخطوطات الكتاب يتبين لنا عدة أمور:

١ -سقط من أول الكتاب المقدمة والفاتحة والبقرة وصدر آل عمران.

٢ -سقط منه سورة المائدة كلها، ومائة وسبع وعشرين آية من الأنعام، وأوائل وأواخر بعض السور. كما تقدم بيانه في موضعه.

٣- النصف الأخير من الكتاب له نسختان، أي من الكهف إلى الحجرات.

نماذج من المخطوطات

النسخة الأولى نسخة باريس – الصفحة الأولى من المجلد الثاني

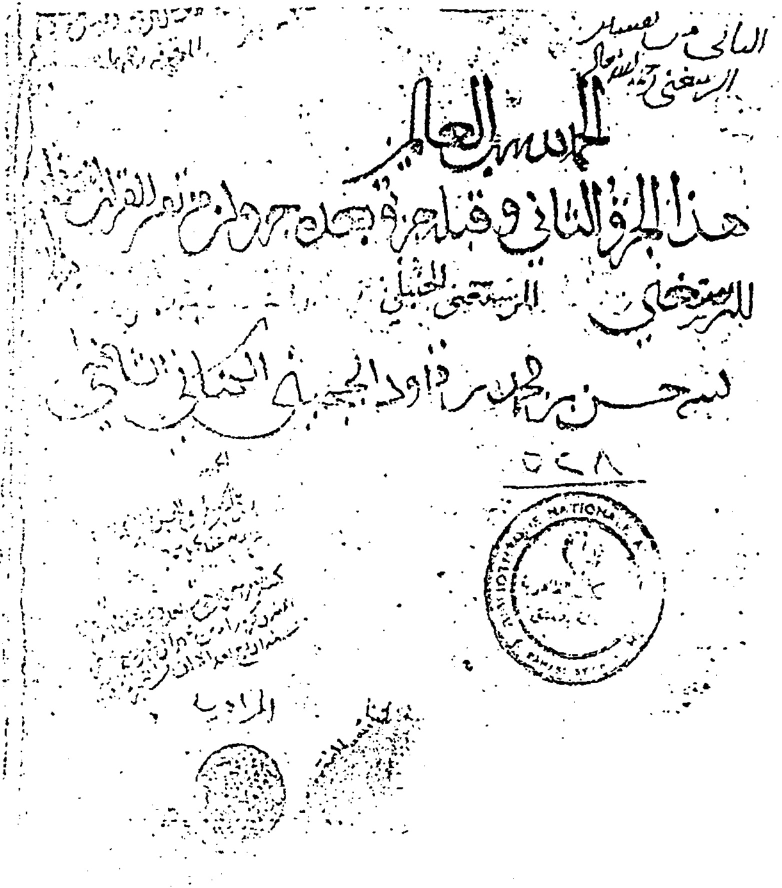
سورة النساء

النسخة الأولى نسخة باريس ـ الصفحة الأولى من سورة النساء

النسخة الأولى نسخة باريس – الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني

سمع جميع [illegible] وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز على الشيخ الإمام العالم
العامل [illegible] الرسعني رضي الله عنه
[illegible] الإمام العالم الحافظ [illegible]
[illegible] الإمام العالم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صفحة السماع المثبت في آخر المجلد الثاني من نسخة باريس



النسخة الثانية الظاهرية ـ غلاف المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

النسخة الثانية الظاهرية - الورقة الأولى من المجلد الثاني

من السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين وقيل الإشارة بقوله وبالحق أنزلناه إلى ما
تضمن من الأمر والنواهي والوعد والوعيد وبالحق نزل أي وعلى الحق يعني الرسول
صلى الله عليه وسلم نزل وقيل المعنى وبوحينا نزل وما أرسلناك إلا مبشراً بالجنة
لمن أطاع ونذيراً بالنار لمن عصى قوله تعالى وقرآناً فرقناه انتصب
قرآناً بفعل مضمر يفسره ما بعده قال ابن عباس بيناه حلاله وحرامه وقال
الحسن فرقنا فيه بين الحق والباطل وقال الفراء أحكمناه وفصلناه وقرأ
جماعة منهم علي وسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس
في آخرين فرقناه بالتشديد ومنها قراءات لأبان عن عاصم أي أنزلناه متفرقاً
شيئاً لتقرأه على الناس على مكث وقرأ أنس بن مالك وقتادة على مَكث بفتح
الميم وبها قرأت لأبان عن عاصم الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو [illegible]
أي على تؤدة وتمهل ليتدبروه ويفهموه والجار في موضع الحال أي مترسلاً متمهلاً
غير مستعجل لاستيعابه ونزلناه تنزيلاً على حسب الوقائع قل لهم يا محمد معرضاً
عنهم مزدرياً بشأنهم مظهراً لاحتقارهم غير مكترث بإيمانهم اكتفاءً بالله والكفاية
بإيمان المؤمنين آمنوا به أو لا تؤمنوا صدقوا بالقرآن أو لا تصدقوا إن الذين
أوتوا العلم من قبله أي من قبل إنزال القرآن وقيل من قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم
وعلموا الشرائع وكانوا يؤمنون بالنبي العربي الذي نعتت بنبوته صلى الله عليه وسلم
الكتب السالفة وشهدت برسالته معجزاته الشاهدة قيل أي ذر وسلمان وورقة بن
نوفل وزيد بن عمرو وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ناس من اليهود
إذا تتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان سجداً قال الزجاج الذقن مجتمع اللحيين
وهو عضو من أعضاء الوجه فإذا ابتدأ يخر فأقرب الأشياء من وجهه إلى
الأرض الذقن قال ابن عباس يخرون للأذقان الوجوه والمراد [illegible]
ضمت إليه بالقناة ثيابه فخر صريعاً لليدين وللفم ويقولون في سجودهم
سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً بإنزال القرآن وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم
لمفعولاً وإن هي المخففة وكانت مؤكدة للفعل [illegible] وما ذكرت
أن ما [illegible] قوله تعالى [illegible] الأكثر [illegible] باللام في قوله
لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون [illegible]

النسخة الثانية الظاهرية ـ الورقة الأخيرة من المجلد الثاني

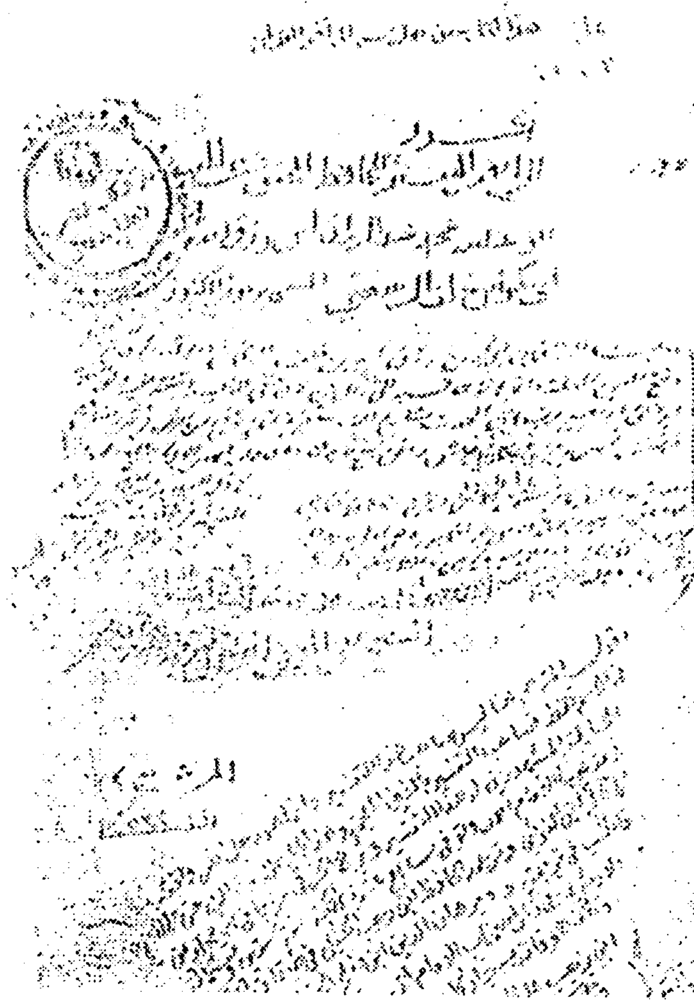
النسخة الثانية الظاهرية ـ غلاف المجلد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن [illegible]
سورة الكهف وهي مائة آية وإحدى عشرة آية مكية
واستثنى ابن عباس وأصحابه وقال مقاتل [illegible] ومن إن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخر الآيتين [illegible] على أبي الحسن [illegible]
[illegible] أخبركم أبو منصور المعروف بحفدة [illegible] قال حدثنا الإمام أبو محمد
الحسين بن مسعود البغوي أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور
السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا حفص بن عمر
حدثنا همام عن قتادة حدثنا سالم بن أبي الجعد الغطفاني عن معدان بن أبي
طلحة عن أبي الدرداء يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات
من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال هذا حديث صحيح أخرجه مسلم
عن محمد بن المثنى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الإسناد وقال حدثنا
حميد بن زنجويه حدثنا أبو الأسود حدثنا ابن لهيعة عن زبان بن فائد عن سهل
ابن معاذ عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ أول سورة الكهف
وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من
الأرض إلى السماء قوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هذا تعليم
لأن كيف يثنون على الله [illegible] نعمه عليهم بالإسلام وإرسال محمد عليه الصلاة والسلام و
إنزال القرآن الذي هو سبب الفوز والسعادة الأبدية ولم يجعل له عوجا أي اختلافا
في معنى [illegible] ولم يجعل له عوجا وقد ذكرنا الفرق بين العوج والعوج في آل عمران
والعوج في المعاني كالعوج في المباني [illegible] لم يجعل له ميلا وزيغا عن الإصابة
والحجة [illegible] عن المناقضة والاختلاف [illegible] مراتب البلاغة
قيما مستقيما عدلا وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا [illegible]
بمصالح العباد [illegible] بالحجة والإعجاز [illegible]
والتقدير في هذه الآية تقديم وتأخير [illegible] أنزل على عبده الكتاب [illegible]
ولم يجعل له عوجا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

النسخة الثانية الظاهرية - الورقة الأولى من المجلد الثالث

بالله يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل أن يرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم
حين سمعوا ما نزل وحل به أهل الكتاب من اللعنة والعذاب لئن جاءهم نذير
ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعني اليهود والنصارى وغيرهم فلما جاءهم نذير
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه إلا نفوراً عن الهدى وهذا
الإسناد المجازي لأنه كان السبب في أن زادوا أنفسهم نفوراً استكباراً في
الأرض مصدر أو بدل من نفوراً أو مفعول له أو حال يعني مستكبرين في الأرض
قيل ومكر السيء معطوف على نفوراً ومكر السيء [illegible] القول [illegible]
باب إضافة الاسم إلى صفته كقوله تعالى والدار الآخرة ولحق اليقين وقرأ
حمزة السيء بسكون الهمزة وقلبها في الوقف ياء قال أبو علي هو على إجراء الوصل
مجرى الوقف ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الحركتين والياء من كلمة
[illegible] الكسرتين ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله [illegible]
عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك فهل ينظرون إلا سنة الأولين
أي فهل ينتظرون إلا نزول العذاب بهم كما نزل بالأمم الماضية قبلهم
وجعل استقباله لهم لذلك انتظاراً له منهم ثم أخبر أن ذلك [illegible]
تعالى [illegible] ولسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً [illegible]
تفسيره إلى قوله تعالى فإن الله كان بعباده بصيراً قال ابن جرير [illegible]
بمن يستحق العقوبة منهم ومن يستحق الكرامة [illegible]
يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع من أوله سورة [illegible]

النسخة الثانية الظاهرية ـ الورقة الأخيرة من المجلد الثالث



النسخة الثانية – غلاف المجلد الرابع من الظاهرية

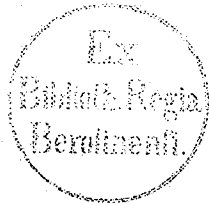
النسخة الثانية — الورقة الأولى من المجلد الرابع من الظاهرية

النسخة الثانية - الورقة الأخيرة من المجلد الرابع من الظاهرية

هذا الجزء من التفسير أوله الكهف وآخره العنكبوت
من رموز الكنوز لعز الدين عبد الرزاق
ابن رزق الله [illegible]
الرسعني [illegible]

النسخة الثالثة – غلاف المجلد الرابع من النسخة الألمانية

النسخة الثالثة – الورقة الأولى من المجلد الرابع من النسخة الألمانية

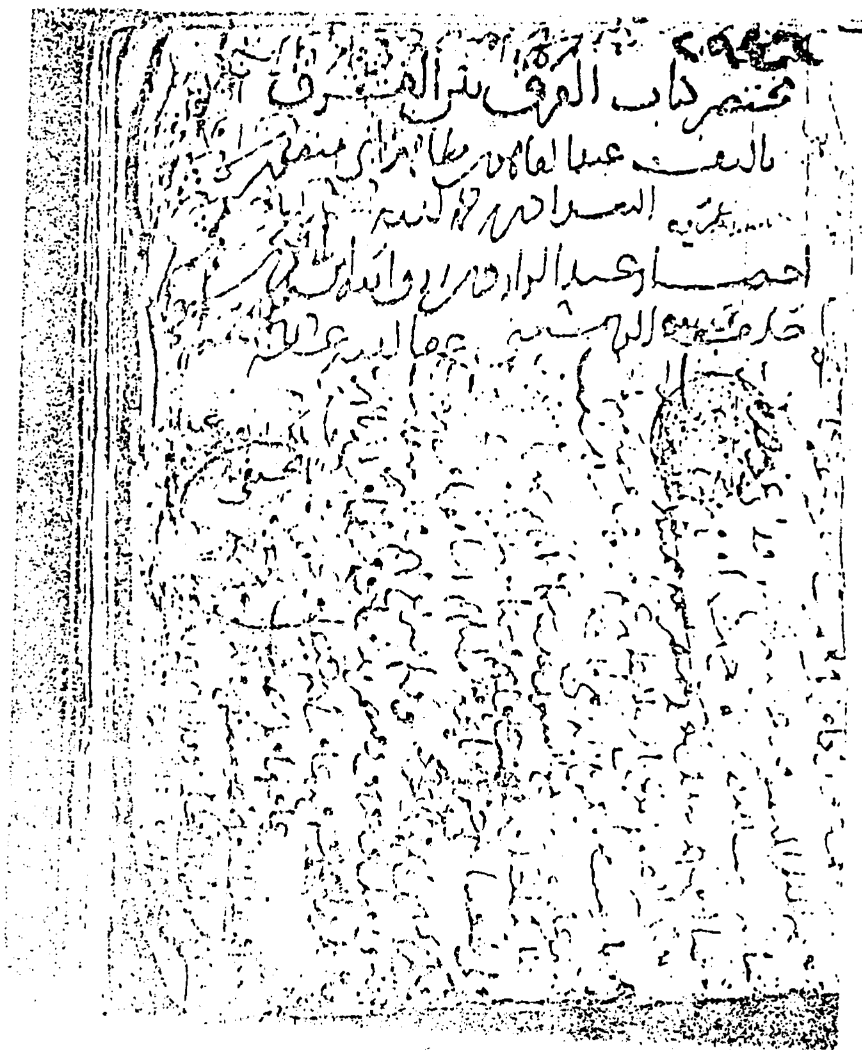


النسخة الثالثة — الورقة الأخيرة من المجلد الرابع من النسخة الألمانية

النسخة الثالثة – الورقة الأولى من المجلد السادس من الظاهرية

النسخة الثالثة – الورقة الاخيرة من المجلد السادس من الظاهرية

الورقة الأخيرة من كتاب الحرز والمنعة بخط المؤلف ويبدو فيه اسمه عبد الرازق واضحا


مختصر كتاب الفرق بين الفرق

غلاف مختصر الفرق بين الفرق بخط المؤلف

الورقة الأخيرة من كتاب درء اللوم والضيم وفيها اسم المؤلف عبد الرازق بخط يده

رموز الكنوز

في تفسير الكتاب العزيز

لعبد الرّازق بن رزق الله الرّسْعَني الحنبلي

النص المحقق

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

[قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً.

وقال في رواية أخرى: لقد قلّلوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين. قال: أراهم مائة][1]: فأسرنا منهم رجلاً، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً[2].

قوله: ﴿رأي العين﴾ أي: في رأي العين.

وقال الواحدي[3]: يجوز أن يكون مصدراً[4]، تقول: رأيته رَأْياً ورُؤْيَةً، ويجوز

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من زاد المسير (١/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ١٩٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٣) علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أبو الحسن النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير، لازم أبو إسحاق الثعلبي، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز. توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة (طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩).

(٤) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٨٨): «رأي العين» مصدر، تقول: فعل فلان كذا رأي عيني وسمع أذني.

أن يكون ظرفاً للمكان، كما تقول: ترونهم أمامكم[١].

﴿والله يؤيد﴾ أي: يقوّي.

﴿بنصره من يشاء إن في ذلك﴾ إشارة إلى النصر، أو إلى رؤيتهم مِثْلَيْهم.

﴿لعبرةً﴾ لدلالة موصلة إلى العلم، أو لآية يُعبَر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم.

﴿لأولي الأبصار﴾ أي: لأولي العقول. يقال: لفلان بَصَرٌ بهذا، أي: علم ومعرفة.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿زُيِّن للناس﴾ سبق الكلام عليه في البقرة.

و﴿الشهوات﴾ جمع شهوة، وهي: ميل الطبع وتوقان النفس، والمراد بها: المشتهيات.

﴿من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ والقناطير: جمع قنطار.

قال ابن دريد[٢]: أحسِبُ أنه فارسي معرَّب.

---

(١) الوسيط (١/ ٤١٧).

(٢) في جمهرة اللغة (٣/ ٣٤٠).

=

وقد روي عن أُبَيِّ بن كعب عن النبي ﷺ: أنه ألفٌ ومائتا أوقية[(١)].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: أنه اثنا عشر ألف أوقية[(٢)].

وروى الحسن البصري عن النبي ﷺ: أنه ألفٌ ومائتا دينار[(٣)].

وفيه أقاويل متعددة عن الصحابة والتابعين[(٤)].

والذي يظهر في نظري: أن المنقولَ عن النبي ﷺ، وعنهم في ذلك: ليس على سبيل التحديد لزنة القنطار، وإنما هو على سبيل التنظير للمال الكثير، صيانة لروايات الثقات ولأقوال العلماء الأثبات عن التناقض والتهافت.

والذي يؤيد ما ذكرته، ويوضح ما اخترته، قول أبي عبيدة[(٥)]: هو مِلء

=

وابن دريد هو: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر البصري، إمام عصره في اللغة والآداب والشعر، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣).

(١) أخرجه الطبري (٣/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٨) عن معاذ. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦١) وعزاه لابن جرير.

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٥٢): وهذا حديث منكر أيضاً.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦١) وعزاه لأحمد وابن ماجه.

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦١) وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر: الطبري (٣/ ١٩٩-٢٠١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٧-٦٠٩).

وفي تفسير ابن عباس (ص:١٢٥): القنطار اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار. وفي تفسير مجاهد (ص:١٢٣): القنطار: سبعون ألف دينار.

(٥) مجاز القرآن (١/ ٨٩).

مَسْك[1] ثورٍ ذهباً، ومعلوم أن هذا غير محدود.

وحكى أبو عبيدة[2] عن بعض العرب: أن القنطار وزن لا يُحَدّ.

وقال الربيع بن أنس: هو المال الكثير بعضه على بعض[3].

قال الفراء[4]: «والمقنطرة»: المُضَعَّفَة، كأن القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة.

وقال ابن قتيبة[5]: «المقنطرة»: المكمَّلة، كما تقول: بَدْرَةٌ مُبَدَّرة، وأَلْفٌ مُؤَلَّفَة[6].

وسُمِّيَ النقدان ذهباً وفضة؛ للذّهاب والانفضاض.

﴿والخيل﴾: جمع، واحده: فرس، من غير لفظه؛ كالنساء؛ سمي به لاختياله.

و﴿المسومة﴾: الراعية.

قال ابن قتيبة[7]: يقال: سامت الخيل، فهي سائمة؛ إذا رعت[8]، وأَسَمْتُها فهي مُسَامة، وسوّمتها فهي مسوّمة؛ إذا رعيتها.

وقيل: المسوّمة: المُعَلَّمة بالشِّيات[9] والألوان.

---

(١) المَسْك -بالفتح-: الجلد (اللسان، مادة: مسك).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٨٨).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٢) وعزاه لابن جرير.

(٤) معاني الفراء (١/ ١٩٥).

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الكاتب الدينوري النحوي اللُّغوي، صاحب التصانيف المشهورة، كان ثقة ديناً فاضلاً. توفي سنة ست وسبعين ومائتين (ميزان الاعتدال ٤/ ١٩٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:١٠٢).

(٧) المصدر السابق.

(٨) انظر: اللسان (مادة: سوم).

(٩) الشيات: جمع شية. والوَشْيُ: خلط لون بلون (اللسان، مادة: وشي).

رُوِيَا عن ابن عباس[١].

والثاني قول قتادة[٢] واختيار الزجاج[٣].

وقال عكرمة ومجاهد: المسوَّمة: الحِسان[٤].

﴿والأنعام﴾: الإبل والبقر والغنم، الواحد: نَعَمْ، والنَّعم جمع لا واحد له من لفظه.

﴿والحرث﴾: الزَّرْع. و﴿المآب﴾: المرجع.

۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

قوله: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ يعني: بخير من الشهوات المذكورة في الآية، ﴿للذين اتقوا عند ربهم جَنَّاتٌ﴾، اللام في «للذين» يتعلق «بخير»، وارتفع «جناتٌ» على معنى: هو جنات، ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً. وفيه دلالة على ما هو خير.

---

(١) أخرج القولين الطبري (٣/ ٢٠٢-٢٠٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠)، وذكرهما السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٢-١٦٣) وعزاهما لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦١١).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٣٨٤)، وقد استحسن القول الأول.

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

وفي تفسير مجاهد (ص:١٢٣) قال: المسومة: المصورة حسناً.

﴿ورضوان من الله﴾ قرأ جمهور القرَّاء بكسر الراء، وهي لغة قريش، وقرأ أبو بكر عن عاصم «ورُضوان» بضم الراء حيث جاء، وهي لغة تميم وقيس[1].

قال الزجاج[2]: تقول رضيت الشيء أرضاه، رضاً، ومرضاةً، ورِضواناً، ورُضواناً.

﴿والله بصير بالعباد﴾ فيعلم المتقين وغيرهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾

﴿الذين يقولون﴾ في موضع نصب على المدح، أو في موضع جر بدل من «الذين»، أو في موضع رفع، على معنى «هم الذين يقولون»[3].

﴿الصابرين﴾ على الطاعة وعن المعصية، ﴿والصادقين﴾ في الأقوال والأفعال، ﴿والقانتين﴾ يعني: المطيعين، ﴿والمنفقين﴾ من الحلال في الطاعة، ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ جمع سَحَر، وهو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر.

قال الحسن: «مَدُّوا الصلاة إلى السَحَر ثم استغفروا»[4].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٥٧)، والكشف لمكي (١/ ٣٣٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٢).

(٢) معاني الزجاج (١/ ٣٨٥).

(٣) وفيه أيضاً وجه ضعيف، وهو أن يكون نعتاً لـ "العباد"؛ لأن فيه تخصيصاً لعلم الله تعالى، وهو جائز على ضعفه (انظر: التبيان ١/ ١٢٨، والدر المصون ٢/ ٣٨).

(٤) أخرجه الثعلبي (٣/ ٣٠).

وكان ابن عمر يُحيي الليل، فإذا جاء وقت السَحَر قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح(١).

وذهب جماعة، منهم مجاهد وقتادة [والضحاك](٢)، إلى أن المراد بالمستغفرين: المُصَلُّون(٣).

وقال ابن كيسان: يعني صلاة الصبح في جماعة(٤).

وتوسط الواو بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل صفة.

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦١٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقد ذكره المؤلف بمعناه.

(٢) زيادة من زاد المسير (١/ ٣٦١).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٠٨) عن قتادة.

(٤) أخرجه الثعلبي (٣/ ٣٠) عن ابن كيسان، وابن أبي شيبة (٧/ ١٨٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦١٦) كلاهما عن زيد بن أسلم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

قوله: ﴿شهد الله﴾ نزلت في مخاصمة نصارى نجران.

وقال ابن السائب[١]: نزلت في حَبْرَيْن من أحبار الشام، قدما على النبي ﷺ، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان؟ فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة، فقالا: أنت محمد؟ قال: «نعم»، قالا: وأحمد؟ قال: «نعم»، قالا: نسألك عن شهادة، فإن أخبرتنا بها آمنا بك؟ فقال: «سَلاَني»، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله؟ فنزلت هذه الآية، فأسلما[٢].

وقال سعيد بن جبير: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان لكل حيّ من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية خرَّت الأصنام سُجَّداً[٣].

قال الزجاج[٤]، وابن كيسان وغيرهما في قوله: ﴿شهد الله﴾ أي: بيَّن وأظهر بعجائب صنعته، وبدائع قدرته ﴿أنه لا إله إلا هو﴾[٥]، ﴿والملائكة﴾ بالإقرار، ﴿وأُولوا العلم﴾ بما صح لهم من البراهين اللامعة، والدلائل القاطعة. ﴿قائماً بالقسط﴾ أي: بالعدل.

و"قائماً" حال مؤكدة إما من فاعل "شهد" أو من "هو" في ﴿لا إله إلا هو﴾،

---

(١) هو: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، صاحب التفسير، وكان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث، توفي سنة ست وأربعين ومائة (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٠٩).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٠١)، وهذا من مراسيل الكلبي.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (١/ ٣٨٥).

(٥) زاد المسير (١/ ٣٦٢).

أو نصب على المدح[١].

وقال الفرّاء[٢]: هو نصب على القطع، كأن أصلَه: القائم، وكذلك في حرف عبد الله[٣]، فلما قطعت الألف واللام نصب، كقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ [النحل:٥٢]، أو صفة للمنفي، تقديره: لا إله قائماً بالقسط إلا هو، فإنهم توسّعوا في الفصل بين الصفة والموصوف.

قال جعفر الصادق رحمه الله: إنما كرر ﴿لا إله إلا هو﴾ لأن الأولى وصف وتوحيد، والثانية رسم وتعليم، أي: قولوا: لا إله إلا هو[٤].

وفي الحديث عن النبي ﷺ، قال: «قال موسى ﷺ: يا رب علِّمني شيئاً أذْكُرُكَ به، أو أدعوك به، فقال: يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب، كلُّ عبادك يقولها، إنما أريد شيئاً تخصّنيه، قال: يا موسى؛ لو أنَّ السموات السبع وعامرهن، والأرضين السبع وعامرهن وُضعن في كِفَّة، ولا إله إلا الله في كِفَّة، لَمَالَتْ بهنَّ لا إله إلا الله»[٥].

ووجه قراءة ابن مسعود: "القائم بالقسط" أنه بدل من "هو"، أو خبر مبتدأ محذوف.

قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ كلام مستأنف.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٢٨)، والدر المصون (٢/ ٤١-٤٢).

(٢) معاني الفراء (١/ ٢٠٠).

(٣) أي: في قراءة عبد الله بن مسعود. انظر: معاني الفرّاء (١/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٢).

(٤) زاد المسير (١/ ٣٦٢).

(٥) أخرجه النسائي (٦/ ٢٠٨)، وابن حبان (١٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ٧١٠).

وقرأ الكسائي: «أن الدين» بفتح الهمزة[١] على البدل من «أنه»، التقدير: شهد الله أن الدين عنده الإسلام. والمعنى: أن الدين المرضي عند الله الإسلام لا اليهودية، ولا النصرانية.

قوله عز وجل[٢]: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى، والذي اختلفوا فيه: دين الإسلام، ونبوة محمد ﷺ، ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ وهو البيان الواضح على صحة نبوته بما عرفوه من صفته.

وقيل: الذي اختلف اليهود فيه: التوراة، والنصارى: عيسى. ﴿من بعد ما جاءهم العلم﴾ بما في التوراة من نعت عيسى بأنه عبد الله ورسوله.

﴿بغياً﴾ مفعول له، أي: اختلفوا لأجل البغي، لا لقصد الحق[٣]. وقد فسَّرنا في البقرة[٤] معنى: ﴿سريع الحساب﴾.

قوله: ﴿فإن حاجُّوك﴾ أي: إن خاصمك اليهود والنصارى بعد ظهور معجزاتك، ووضوح بيِّناتك، فقد عاندوا، ﴿فقل﴾ معرضاً عن مخاصمتهم: ﴿أسلمت وجهي﴾ أي: نفسي وجملتي، أو أخلصت عملي ﴿لله﴾، أو قصدت بعبادتي إليه، ﴿ومن اتبعني﴾ عطف على الضمير في "أسلمت"، أو يكون التقدير: مع مَن اتبعني، فيكون مفعولاً معه[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٠)، والحجة لابن زنجلة (١٥٧-١٥٨)، والكشف (١/ ٣٣٨)، والنشر (٢/ ٢٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٢).

(٢) كتب مقابلها في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً ثانياً، مرة ثانية.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٢٩)، والدر المصون (٢/ ٤٩).

(٤) عند تفسير الآية: ٢٠٢.

(٥) انظر: التبيان (١/ ١٢٩)، والدر المصون (٢/ ٥٠).

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾: وهم اليهود، والنصارى. ﴿والأُميِّين﴾: وهم مشركو العرب، ﴿أأسلمتم﴾؟ قال الزجاج[1]: استفهام بمعنى الأمر، تقديره: أسلموا، ومثله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

أو يكون التقدير: أأسلمتم أم أنتم على كفركم.

﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن توَّلوا فإنما عليك البلاغ﴾ أي: ليس عليك إلا أن تُبلِّغ الرسالة، فيكون منسوخاً بآية السيف[2]، وهذا مذهب جمهور المفسِّرين[3]. وذهب بعضهم إلى أنه محكم[4]، وأن المراد منه تسكين نفس النبي ﷺ، حين امتنعوا من الإسلام، وكان حريصاً على إيمانهم.

ويحتمل عندي أن يقال في تقرير إحكامها، وأنها غير منسوخة: ليس إليك يا محمد، ولا عليك إلا البلاغ، وأما الهداية، واستقرار الإيمان في القلوب، فهذا لا يدخل في وسعك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم

(١) معاني الزجاج (١/ ٣٩٠).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿فإذا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُواْ المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥].

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٦٠)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٣٧).

(٤) زاد المسير (١/ ٣٦٥).

﴿مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾

قوله: ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله﴾ روى أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عُبَّاد بني إسرائيل، فأمروا مَن قتلوهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه، وأنزل الآية فيهم»[1].

وإنما دخلت الفاء في خبر «إنَّ» في قوله: ﴿فبشرهم﴾ لتضمن اسمها معنى الجزاء، لأن «إنَّ» لا تغيِّر معنى الابتداء، كأن معنى «إنَّ الذين يكفرون»: مَن يكفر فبشرهم، ولو كان مكان «إنَّ» ليت، ولعل، لم يجز دخول الفاء[2].

وما بعده سبق تفسيره، إلى قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥﴾

السببُ في نزولها ما روى عكرمة، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢١)، والثعلبي (٣/ ٣٦).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٢٩)، والدر المصون (٢/ ٥١).

«دخل رسول الله ﷺ بيت المِدْراس[1] في جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: على مِلَّة إبراهيم، فقالا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهم رسول الله ﷺ: فهلموا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، فأنزل الله هذه الآية»[2].

وروي عن ابن عباس: أنها نزلت في قصة اليهوديين اللذين زنيا وحكم عليهما رسول الله ﷺ بالرجم، فقالوا: جِرْت علينا يا محمد، ليس عليهما الرجم، فقال: «بيني وبينكم التوراة»، فجاء بها ابن صوريا، فقرأها: فلما بلغ آية الرجم وضع كفَّه عليها، فقال ابن سلام: قد جاوزها، ثم قام فرفع كفَّه عنها، فإذا هي تلوح، فأمر بهما رسول الله فرجما، فغضب اليهود، فأنزل الله هذه الآية[3].

ووبّخهم الله سبحانه وتعالى، وعجّب رسوله والمؤمنين من توليهم وإعراضهم مع كونهم أهل كتاب، وكان ينبغي لهم إذا دعوا إليه أن يبادروا.

والنصيب: الحظ. والكتاب الذي دعوا إليه: التوراة؛ على قول الأكثرين، ومقتضى سبب النزول.

---

(١) بيت المدراس: هو بيت عبادة اليهود، سمي بذلك؛ لأنهم يتدارسون فيه كتبهم (اللسان، مادة: درس).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٢).

(٣) أخرجه الثعلبي (٣/ ٣٨).

وقد أخرج البخاري (٦/ ٢٥١٠)، ومسلم (٣/ ١٣٢٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قصة رجم الزانيين.

وقال الحسن وقتادة: هو القرآن[١].

والمعنى: ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ وهم علماؤهم، ﴿وهم معرضون﴾ يريد: الأَتْبَاع.

وقيل: «ثم يتولى فريق منهم» بأبدانهم، «وهم معرضون» بقلوبهم، أو هو توكيد.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى التولّي والإعراض، ﴿بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً﴾ وقد سبق تفسيرها في البقرة[٢]، ﴿وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ أي: يكذبون في قولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاء الله وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨].

﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ أي: كيف يكون حالهم، أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، وهو استفهام يتضمن الاستعظام لهول ما أُعِدَّ لهم من العذاب. ﴿إذا جمعناهم ليوم﴾، أي: لجزاء يوم، أو لحساب يوم.

وقيل: اللام بمعنى «في».

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٢)، والثعلبي (٣/ ٣٧) كلهم من حديث قتادة. وذكره الماوردي (١/ ٣٨٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) عند تفسير الآية: ٨٠.

تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل اللَّهمَّ مالك الملك﴾ السبب في نزولها: ما روي عن ابن عباس وأنس بن مالك، قالا: لما فتح رسول الله مكة وعد أمته فارس والروم، فقال اليهود والمنافقون: هيهات هيهات، فنزلت هذه الآية[1].

وقال السُّدِّي: قالت اليهود: لا نطيع رجلاً رَامَ نقل النبوة من بني إسرائيل، فنزلت[2].

وكسرت اللام من «قُلِ» لالتقاء الساكنين. «اللَّهم» بمعنى: يا الله، والضمة التي في الهاء: ضمة المنادى المفرد، والميم المشددة عوض من «يا»، فلذلك لا يجتمعان. وقوله: «يا اللهم» شاذ، وهذا قول الخليل، وسيبويه[3].

وقال الفرّاء[4]: المعنى: يا الله أُمَّ بخير، فألقيت الهمزة، وطرحت حركتها على ما قبلها.

ويلزم على قول الفرّاء جواز دخول «يا» عليها، وليس بمختار في الكلام.

﴿مالك الملك﴾ أي: بيده زمامه، ﴿تؤتي الملك مَن تشاء﴾ محمداً، وأمته،

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٤)، والثعلبي (٣/ ٤٠) كلهم عن قتادة. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٦٨) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٣) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ١٩٦).

(٤) معاني الفراء (١/ ٢٠٣).

﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ فارس والروم، وكذلك ﴿وتعز مَن تشاء وتذل من تشاء﴾.

وقيل: تُعِزُّ مَن تشاء بالطاعة، وتُذِلُّ مَن تشاء بالمعصية.

وقيل: تُعِزُّ مَن تشاء بالقناعة، وتُذِلُّ من تشاء بالحرص.

﴿بيدك الخير﴾ قال ابن عباس: النصر والغنيمة[١].

وقيل: المعنى: بيدك الخير والشر، فاكتفى بذكر المرغوب فيه.

﴿إنك على كل شيء﴾ من ذلك وغيره ﴿قدير﴾.

﴿تولج الليل في النهار﴾ قال ابن عباس: ما ينقص من أحدهما يَزيد في الآخر[٢].

قال السدي: حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات[٣]، وكذلك النهار يزيد والليل ينقص.

﴿وتخرج الحي من الميِّت﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة إلا أبا بكر: «الميت» بالتشديد وخففه الباقون[٤]، وتفرّد نافع بالتشديد في ثلاثة مواضع: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً﴾ [الأنعام:١٢٢]، و﴿الأَرْضُ المَيْتَةُ﴾ [يس:٣٣]، و﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ [الحجرات:١٢]،

---

(١) زاد المسير (١/ ٣٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٥)، ومجاهد (ص:١٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ١٧٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ١٧٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١١-١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٥٩)، والكشف (١/ ٣٣٩)، والنشر (٢/ ٢٢٤-٢٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٣).

وكلهم شدد ما لم يَمُتْ، نحو: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر:٣٠]، وخفف ما هو [ميت][1] لما فيه هاء التأنيث، نحو: ﴿بَلْدَةً مَّيْتاً﴾ [الزخرف:١١]، والقراءتان[2] لغتان فاشيتان، قال الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ[3]

فجمع بين اللغتين، والأصل التشديد، والتخفيف فرع عليه، لثقل التشديد والكسر على الياء. وأصله عند البصريين «مَيْوِت» على فَيْعِل، ثم قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها الياء التي قبلها، والمحذوف في قراءة من خفَّف هو الواو التي قلبت ياء، وهي عين الفعل، كما قالوا: هائر وهارٍ، وسائر وسارٍ، فغيّروا العين، وحذفوها بعد القلب[4].

والمعنى: يُخرج الحيوانَ من النطفة، والنطفة من الحيوان، وكذلك يخرج الفرخ من البيضة، والبيضة من الطائر[5].

وقيل: يخرج الحي، وهو المؤمن، من الميت وهو الكافر، ويخرج الميت من

---

(١) في الأصل: نعت. والصواب ما أثبتناه.

(٢) الكشف (١/ ٣٣٩).

(٣) البيت لعدي بن الرعلاء الغساني. انظر: الحجة للفارسي (٢/ ١٢)، واللسان، مادة: (موت)، والأصمعيات (ص:١٥٢)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٥٢)، وابن يعيش (١٠/ ٦٩)، والأشموني (٢/ ١٦٩)، والدر المصون (٢/ ٥٧)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣٤٣).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١٢)، والكشف (١/ ٣٣٩).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٦) كلاهما من حديث ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن مسعود.

الحي، وهو الكافر من المؤمن(١).

والقولان عن ابن عباس(٢). والأول قول الجمهور، والثاني قول الحسن.

وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ دخل على بعض نسائه، فرأى عندها امرأة حسنة الهيئة، فقال: من هذه؟ قالت: إحدى خالاتك. فقال: أي خالاتي؟ قالت: خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث. فقال رسول الله: سبحان الذي يُخْرِج الحي من الميت! وكانت امرأة صالحة، وكان أبوها مات كافراً»(٣).

وقال الزجاج(٤): المعنى: يُخْرِجُ النبات الغضَّ من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النَّامِي.

وما بعده مفسّر في البقرة(٥).

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧) كلاهما من حديث الحسن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٤) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ عن الحسن.

(٢) زاد المسير (١/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٦)، والثعلبي (٣/ ٤٦)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٤٨)، كلهم عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، مرسلاً.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٢٧٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢١٢.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ
﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

قوله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ نزلت في عبادة بن الصامت، وكان قال يوم الأحزاب: يا رسول الله؛ معي خمسمائة من اليهود من حلفائي أريد أن أستظهر بهم على العدو[١].

وقيل: نزلت ناهية لجماعة من الأنصار على مباطنة اليهود وموالاتهم وملاطفتهم، فإنهم كانوا يفعلون ذلك لما كان بينهم من الحلف والرضاع[٢].

والقولان عن ابن عباس[٣].

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ٤٧). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٦) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) قال ابن عباس في تفسيره (ص:١٢٦) عند ذكر هذه الآية: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف، ويخالفوهم في الدين، وذلك قوله: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾.

وقال المقاتلان ابن سليمان[١]، وابن حيّان: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودّة لأهل مكة[٢].

قال الزجاج[٣]: معنى قوله: ﴿من دون المؤمنين﴾ أي: لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية مِن مكان دون مكان المؤمنين. وهذا كلام جرى على المثل في المكان. تقول: زيد دونك، ولست تريد المكان، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسة كالاستفال.

ثم توعَّدهم، فقال: ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾، أي [فالله بريء منه][٤].

قوله: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ يقال: تَقَيْتُه تُقَاةً وتُقَىً وتَقِيَّةً، والمعنى: إلا أن تخشوا منهم أمراً، تحتاجون معه إلى التَّقِيَّة، فتصانعوهم بألسنتكم، وتُفارقوهم بقلوبكم وأعمالكم، والتَّقِيَّة رخصة لا عزيمة، نص عليه إمامنا رحمة الله عليه قولاً، ودان به فعلاً في فتنة الاعتزال[٥]، وذلك حين دُعِيَ إلى القول بخَلْقِ القرآن، وقيل له تلك الأيام: إن عُرِضتَ على السيف تجيب؟ قال: لا، إذا أجاب العالم تَقِيَّةً، والجاهل بجهله، فمتى يظهر الحق؟[٦].

---

(١) مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، نزيل مرو، قال البخاري: منكر الحديث. توفي سنة خمسين ومائة (الضعفاء والمتروكين ٣/ ١٣٦، والتقريب ص:٥٤٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٦٤).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٣٩٦).

(٤) في الأصل: هو بريء من الله، والتصويب من زاد المسير (١/ ٣٧١).

(٥) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص:٣٨٥).

(٦) زاد المسير (١/ ٣٧٢).

فللَّه درُّه ما كان أصبره على تلك الشدة، وأشبهه بأبي بكر الصدِّيق أيام الرِدَّة.

وقال شيخ الإسلام الأنصاري[١] رحمة الله عليه: عُرِضتُ على السيف أربع مرات، وما قيل لي أُترك مذهبك، إنما قيل لي: أُسكت عن مخالفيك، فلم أفعل[٢].

ثم هدَّدَهم وتوعدهم بقوله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، أي: عذاب نفسه، ﴿وإلى الله المصير﴾.

قوله: ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾ الصدر محل القلب، ويُعبَّر به عنه، والمعنى: إن تُخفوا ما في صدوركم، من موالاة الكفار، ومعاداتهم وغير ذلك، ﴿يعلمه الله﴾ المعنى: ويجازيكم عليه، ثم أكد ذلك بتمام الآية.

قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ العامل في "يوم تجد": "يُحذِّركم"، أو فعل مضمر، أو "تَوَدُّ"[٣].

وقال ابن الأنباري[٤]: يجوز أن يكون متعلقاً بقوله: "وإلى الله المصير" أي: وإلى الله المصير يوم تجد[٥].

---

(١) عبد الله بن محمد الأنصاري، أبو إسماعيل الهروي، الفقيه، المفسر الحافظ، الواعظ، إمام الحنابلة في عصره. كان شديداً على المبتدعة، متمسكاً بالسُّنَّة، توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة بهراة (المنتظم ٩/ ٤٤-٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٢/ ٦٢-٦٣).

(٤) محمد بن القاسم بن محمد، أبو بكر بن الأنباري، النحوي، صاحب التصانيف الكثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل، وكان علامة وقته في الآداب وأكثرهم حفظاً لها، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (إنباه الرواة ٣/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤١).

(٥) انظر: زاد المسير (١/ ٣٧٢).

والمعنى: تجد جزاء ما عملت، أو بيان ما عملت في صحائف الأعمال.

والأمد: الغاية.

قال الطِّرِمَّاح[(١)]:

كلُّ حيّ مستكمل عدة العُمـ ـر ومُوْدٍ إذا انْقَضَى أَمَده[(٢)]

أي: غاية أجله.

قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله﴾ قال ابن عباس: قال كفارُ قريش: إنما نعبد الأصنام حباً لله ليقرِّبونا إلى الله زلفى[(٣)].

وقال اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، فأنزل الله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[(٤)].

وقال الحسن: إن ناساً قالوا: إنَّا لنحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبّه علماً، فأنزل هذه الآية[(٥)].

وكان ابن المبارك، رحمه الله، ينشد لنفسه:

---

(١) الطِّرِمَّاح بن حكيم بن نفر الطائي، أبو نفر، كان شاعراً وخطيباً (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص:٣٨٨).

(٢) البيت للطرماح. انظر: ديوانه (ص:١١٢).

(٣) أخرجه الثعلبي (٣/ ٥٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٣).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٦). وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

تَعْـصِي الإلـهَ وأنـتَ تُظْهِـرُ حُبَّـه   هــذا مُحَــالٌ في المقــال بَــديعُ
لـو كـانَ حُبُّـكَ صَـادقاً لأطَعْتَـه   إن المحـبَّ لمـن يُحِـب مُطيـعُ[1]

قال ابن عباس: لما أنزلت هذه الآية قال عبد الله بن أُبَيّ: إنَّ محمداً يأمرنا أن نحبّه كما أحبت النصارى عيسى، وبجعل طاعته كطاعة الله، فأنزل الله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول... الآية﴾[2].

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى الأمير فقد عصاني»[3].

قوله[4]: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً﴾ أي: اختارهم واجتباهم للنبوة. وقد سبق القول في آدم[5]. وأما نوح فاسمه «السكن»، وسمي نوحاً؛ لِنَوْحِه على نفسه.

قال الإمام أحمد في كتاب الزهد[6]: حدثنا عبد الرزاق، عن وهيب ابن الورد، قال: لما عاتب الله نوحاً في ابنه فقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾

(١) انظر البيتان في: روح المعاني (٣/ ١٢٩)، وشعب الإيمان (١/ ٣٨٥-٣٨٦)، ومختصر شعب الإيمان (١/ ٣٠)، وكشف الخفاء (٢/ ١٢٨١)، ومختصر تاريخ دمشق (١/ ١٨٨٧).

(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ٥١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦١١ ح٦٧١٨)، ومسلم (٣/ ١٤٦٦-١٤٦٧ ح١٨٣٥) كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٤) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً أولاً. وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً ثالثاً، مرة ثانية.

(٥) في سورة البقرة عند تفسير الآية: ٣١.

(٦) الزهد (ص:٦٦).

[هود:٤٦]، بكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول.

وقيل: إنه كان ينوح لمعاصي أهله وقومه.

وقيل: إنه مرَّ بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أَعِبْتَنِـي أم عبتَ الكلب؟

قوله: ﴿وآل إبراهيم﴾ قال ابن عباس والحسن: هم أهل دينه[١].

وقال مقاتل[٢]: «آلُه»: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط.

وقيل: أُقحمت «الآل» تفخيماً. والمراد: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وإبراهيم. وقد سبق مثله في سورة البقرة[٣].

﴿وآل عمران﴾ قال الحسن ووهب: هو عمران والد مريم[٤]. فعلى هذا «آله»: مريم، وعيسى.

وقال مقاتل[٥]: هو عمران بن قاهث، فآله: موسى وهارون، وبين العمرانين ألف وثماني مائة سنة.

والأظهر: أنه عمران بن ماثان، لقوله عقيب ذلك: ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾.

قوله: ﴿ذرية﴾ بدل من "آل إبراهيم وآل عمران"، أو حال، أو نصب على القطع. ﴿بعضها من بعض﴾ يعني: الآليْن بعضها من بعض في التناسل. وقيل: في

---

(١) انظر زاد المسير (١/ ٣٧٤).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ١٦٥).

(٣) عند الآية رقم: ١٣٢.

(٤) أخرجه الثعلبي (٣/ ٥٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ١٦٦).

التناصر. ﴿والله سميع عليم﴾ بمن يصلح للاصطفاء، أو «سميع عليم» لقول امرأة عمران.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

فعلى هذا «إذ» في قوله: ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ منصوب به. وقيل: بإضمار اذكر[1].

وقال الزجاج[2]: العامل في «إذ» معنى الاصطفاء، فيكون المعنى: «اصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران».

وقال أبو عبيدة وابن قتيبة[3]: «إذ» ملغاة.

وامرأةُ عمران اسمها: حنّة، وهي أم مريم بنت عمران بن ماثان، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم، وملوكَهم.

قال ابن إسحاق وغيره: كانت رأت طائراً يَزُقُّ فَرْخَه[4] بعد أن أَسَنَّت ويئست من الولد، فهيَّجها على التحنن على الولد، فَدَعَتْ ربها أن يهب لها ولداً، فأجيبت،

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٣١)، والدر المصون (٢/ ٧١).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٠٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩٠)، وتفسير غريب القرآن (ص:١٠٣)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٢٥٢).

(٤) زَقَّ الطائر الفرخ يَزُقُّهُ زقاً: أي أطعمه بفِيه (اللسان، مادة: زقق).

فقالت شكراً لله: ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾[1] أي: خالصاً، عتيقاً من رق الدنيا، حبيساً على العبادة، وسدانة البيت المُقَدَّس.

قال القاضي أبو يعلى ابن الفرّاء رحمه الله: وهذا نذرٌ صحيح في شريعتنا أيضاً، فإنه إذا نذر الإنسانُ أن يُنَشِّئَ ولده الصغير على عبادة الله، وطاعته، وأن يعلِّمه القرآن والفقه وعلوم الدين؛ صح النذر[2].

و«محرراً» حال من «ما»[3]. والتَّقبُّل: الأخذ بالرضى.

﴿إنك أنت السميع﴾ لدعائي ﴿العليم﴾ بنِيَّتي.

﴿فلما وضعتها﴾ الضمير يرجع إلى قوله: لـ﴿ما في بطني﴾، وإنما أُنِّث حملاً على المعنى، لأن ما في بطنها كانت أنثى في علم الله، أو على تأويل الحَبْلَة، أو النفس، أو النَسَمة؛ ﴿قالت رب إني وضعتها﴾ أي وضعت النَسَمة ﴿أنثى﴾، وهو كلام يلوح منه أسفها على خيبة رجائها، فإنها رَجَتْهُ ذَكَراً، ولذلك حرَّرته للعبادة والسدانة.

وفي قوله: ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ تعريضٌ بتعظيم مريم، وتجهيل لـ «حنّة» بما استودع في تلك الأنثى من السر الإلَهي، ونيط بها من الآية العظيمة.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "بما وضعْتُ" بسكون العين وضم التاء[4]، فيكون من تمام كلامها.

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٣٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٦).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٧٦).

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٣١)، والدر المصون (٢/ ٧١).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٠)، والكشف (١/ ٣٤٠)، والنشر (٢/ ٢٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٤).

وفي قراءة ابن عباس: "وضعْتِ"[١] بسكون العين وكسر التاء، فيكون من مخاطبة الله لها، على معنى: إنك لا تعلمين قدر هذا المولود.

﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ جائزٌ أن يكون من تمام كلامها أيضاً، خارجاً مخرج الاعتذار من مصادفة تحريرها أنثى، والأنوثية مانعة من استقصاء الوفاء بما نَذَرَتْهُ، والقيام بما نَوَتْهُ.

وجائز أن يكون من تتمة التعريض بتعظيم مريم، فتكون اللام للعهد، التقدير: وليس الذكر الذي أردتِ كالانثى التي ولدتِ.

﴿وإني سَمَّيْتُها﴾ عطف على «وَضَعْتُها». و﴿مريم﴾ بلغتهم: العابدة، فسمّتها بذلك تفاؤلاً بمطابقة الفعل للاسم، ألا تراها تقول: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان حين يولد فَيَسْتَهِلُّ[٢] صارخاً من نَخْسَةِ الشيطان إلا ابن مريم وأمه، ثم قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: ﴿وإني أُعيذها بك وذُرِّيتها من الشيطان الرجيم﴾»[٣].

ولقد عجبتُ من جُرْأة المعطلين على هذه الشريعة، وتسميتهم المتمسكين بها

---

(١) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص: ٢٠).

(٢) الاستهلال: رفع الصوت. وقد استهلَّ الصبي: رفع صوته بالبكاء (القاموس المحيط ص: ١٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٥٥ ح٤٢٧٤)، ومسلم (٤/ ١٨٣٨ ح٢٣٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٣٣ ح٧١٨٢، ٢/ ٢٧٤ ح٧٦٩٤).

أهل حشو، فتراهم يبادرون إلى تكذيب الأخبار النبوية، المنقولة على ألسنة العلماء الثقات الأثبات، بناء على خيالات فاسدة، يتوهمونها، لكن شؤم البدعة سلبهم وصف التوفيق، فحال بينهم وبين التصديق والتحقيق، وعَمِيَتْ عليهم مسالك الهدى، فتورَّطوا في مهالك الردى. هذا صاحب الكشّاف الزّمخشري يقول في تفسيره[1]: وما روي من الحديث: «ما من مولود...»، ثم ساق الحديث إلى آخره، ثم قال: إن صَحَّ، فمعناه: أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه، إلا مريم وابنها، واستهلاله صارخاً [من مَسِّهِ][2] تخييل [وتصوير][3] لِطَمَعِهِ فيه. وأما حقيقة المس والنخس كما يَتَوَهَّمُ أهل الحشو فكلا، [ولو][4] سُلِّط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً.

قلت: ولست أعجب من قوله عن حديث اتفق أئمة الإسلام على تصحيحه وتدوينه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما: "إن صَحَّ"؛ لأن الرجل كان جاهلاً بهذا العلم الجليل، ولكن من صفاقة وجهه في رد الحديث على تقدير التصحيح، والتمحل لتعطيل اللفظ الصريح، مع أنه لا منافاة في ذلك بين النقل والعقل، لأن العقل لا يحيل ذلك لذاته، ولا يلزم منه محال على تقدير إثباته.

وأما قوله: "لو سُلِّط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً

---

(١) الكشاف (١/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) زيادة من الكشاف (١/ ١٨٦).

(٣) زيادة من الكشاف (١/ ١٨٦).

(٤) في الأصل: لو. والتصويب من الكشاف (١/ ١٨٦).

وعياطاً"، فكلام يُشمِتُ به أعداءه، لا، بل يحزنهم عليه، فما أحقه بإنشاد قول الشاعر:

أغرى يديه بكشف عورته من أذن الله في فضيحته

لأن نبينا ﷺ لم يخبر بتسليط الشيطان على الإنسان بالنخس إلا حالة الولادة، فكيف يتوجه منه هذا الإلحاد؟ ومن أين يلزم أن تمتلئ الدنيا صراخاً وعياطاً؟ ولعله إذا استقرئ البلد العظيم، وتصفح مَن ولد فيه في يوم، لا يبلغ عدداً يوجب أضعاف أضعافه بعض ما توهمه، من امتلاء الدنيا صراخاً. فسبحان من حفظ هذا الدين بحملةٍ عدول، يَنْفُون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. اللَّهم فاحفظنا من ضلالات الأهواء، وعافنا من خيالات الآراء.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فتقبلها ربُّها بقبول حسن﴾ القَبُول: مصدر، والقياس فيه: الضم؛ كالدُّخول والخروج.

قال سيبويه: خمس مصادر جاءت على فَعُول منها: قَبُول.

والمعنى: رضيها ربّها بدل الذي نذرته.

قال ابن عباس: سلك بها طريق السعداء[1].

﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ القَبول والنَّبات مصدران يخالفان المصدر هاهنا.

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ٥٦).

قال الفرَّاء[١]: هو مثل قولك: تكلمت كلاماً.

قال القَطَامِي[٢]:

وخيرُ الأمر ما استقبلتَ منه وليس بأن تَتَبَّعَهُ اتِّباعَا[٣]

وقال آخر:

.... وإن شئتم تَعاودنا عوادا[٤]

لم يقل: تتبعاً ولا تعاوداً.

وقال ابن الأنباري والمفضل[٥]: التقدير: وأنبتها فنبتت نباتاً [حسناً][٦].

قال ابن عباس: كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام[٧]، فيكون إشارة إلى كمال نشوئها.

وقال قتادة: حُدِّثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب[٨]، فيكون استعارة عن

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء، ونقله عنه الثعلبي (٣/ ٥٦).

(٢) عمير بن شييم بن عمرو التغلبي، الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل (طبقات الشعراء: ص:١٦٥، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ص:٤٨٣، والأعلام للزركلي ٥/ ٨٨).

(٣) البيت للقطامي. انظر: ديوانه (ص:٣٥)، والكتاب (٤/ ٨٢)، والدر المصون (٢/ ٧٦)، واللسان، مادة: (تبع)، والقرطبي (٤/ ٦٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٧٢).

(٤) عجز بيت لم أعرف قائله. وهو في الخصائص لابن جني (٢/ ٣٠٩) وقال محققه: إنه لشقيق ابن جزء.

(٥) المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، لغوي عالم بالأدب، توفي سنة ثلاثمائة (إنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٦٣، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٧٩).

(٦) انظر: زاد المسير (١/ ٣٧٧). وما بين المعكوفين زيادة منه.

(٧) أخرجه الثعلبي (٣/ ٥٦).

(٨) أخرجه الطبري (٣/ ٢٤٠).

طهارتها من دنس الآثام.

وقيل: هو استعارة عن حُسْن التربية.

قوله: ﴿وكفَّلها زكريا﴾ قرأ أهل الكوفة: «كفلها» بالتشديد، «زكريا» بالقصر، حيث جاء، إلا أبا بكر عن عاصم، فإنه يمد "زكريا" حيث جاء كالباقين[1].

قال ابن دريد[2]: هو اسم أعجمي.

الإشارة إلى القصة

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: لما وضعت حنّة مريم لفّتها في خرقة وحملتها إلى البيت المُقَدَّس، وفاءً بنذرها، فوضعتها عند الأحبار، أبناء هارون، وهم يومئذ يلونه كما تلي الحَجَبة الكعبة، فقالت: دونكم بهذه النذيرة، فتنافسوا فيها، لأنها بنتُ إمامهم، وصاحب قربانهم، فقال زكريا: أنا أحق بها، وعندي خالتُها، فامتنعوا إلا أن يقترعوا، فساروا إلى نهر الأردن، وكانوا سبعة وعشرين رجلاً[3].

قال ابن عباس: قالوا: نطرح أقلامنا، فمن صعد قلمه مغالباً لجرية الماء فهو أحق بها[4].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦١)، والكشف (١/ ٣٤١)، والنشر (٢/ ٢٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٤-٢٠٥).

(٢) جمهرة اللغة (٢/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٩)، والثعلبي (٣/ ٥٦)، والبيهقي (١٠/ ٢٨٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٥) وعزاه للبيهقي في سننه عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٩).

وقال السدي: ألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فَجَرَت الأقلام كلها، وثبت قلم زكريا[١].

قال الحسن: لم ترتضع ثدياً قط[٢].

وذكر مقاتل[٣]: أنه استأجر لها ظِئْراً.

قوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ "كلما" منصوب على الظرف[٤]، أي: وجد كلما دخل.

وقال الزجاج[٥]: المحراب في اللغة: الموضع العالي الشريف.

قال الشاعر وضّاح اليمن[٦]:

رَبَّةُ مِحْرَابٍ إذا جِئْتُهَا ... لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا[٧]

وقال أبو [عبيدة][٨]: المحراب سيد المجالس، ومقدمها وأشرفها، وكذلك هو

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٤٣)، والثعلبي (٣/ ٥٧)، ومجاهد (ص:١٢٥) ولفظه: ساهمهم بقلمه فسهمهم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨١).

(٢) ذكره الماوردي (١/ ٣٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٠).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ١٦٧). والظئر -بالكسر-: المُرْضِعَة (القاموس المحيط ص:٥٥٥).

(٤) انظر: التبيان (١/ ٢٣)، والدر المصون (٢/ ٧٨).

(٥) معاني الزجاج (١/ ٤٠٣).

(٦) عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال. سمي الوضاح؛ لجماله. له قصص تروى مع أم العينين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتله.

(٧) البيت لوضاح اليمن. انظر: اللسان، مادة: (حرب)، وجمهرة اللغة (١/ ٢١٩)، والأغاني (٦/ ٢٢٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٤)، والدر المصون (٢/ ٧٨)، والقرطبي (٤/ ٧١)، والوسيط (١/ ٤٣٢).

(٨) في الأصل: أبو عبيد، والصواب ما أثبتناه. انظر: مجاز القرآن (١/ ٩١).

من المسجد.

وقال غيره: يقال للمسجد محراب، ومنه: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ [سبأ:١٣]، أي: مساجد.

وأظنُّ الشاعرَ أراد ذلك في قوله:

جَمَعَ الشجاعةَ والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب[1]

قال ابن إسحاق: ضمّها إلى خالتها أم يحيى، حتى إذا شبّت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد، لا يصعد إليها غيره، فكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم[2].

قال ابن عباس: كانت تصلي في غرفتها الليل والنهار.

وقال مقاتل[3]: كانت مريم إذا حاضت أخرجها إلى منزله تكون مع خالتها أم يحيى[4]، فإذا طهرت ردها إلى بيت المقدس.

ويروى عن ابن عباس: أنها لم تكن تحيض[5].

قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقاً[6].

قال ابن عباس: هو ثمار الجنة، كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف،

---

(١) انظر البيت في: وفيات الأعيان (١/ ٤٠٩)، وروح المعاني (٣/ ١٣٩، ٢٢/ ١١٨).

(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨١) عن ابن عباس.

(٣) تفسير مقاتل (١/ ١٦٧).

(٤) واسمها: أيليشفع بنت عمران، كما في تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٧) من قول السدي.

(٦) أخرجه الطبري (٣/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠).

وفاكهة الصيف في الشتاء[١].

فلما عاين زكريا هذه الآية: ﴿قال يا مريم أنّى لكِ هذا﴾ أي: من أين لكِ هذا الرزق الموجود في غير زمانه؟ الواصل إليكِ والأبواب مغلقة عليكِ؟ ﴿قالت هو من عند الله﴾.

وقوله: ﴿إن الله يرزق مَن يشاء بغير حساب﴾ جائز أن يكون من تمام كلامها، وجائز أن يكون ابتداء كلام من الله. وقد سبق تفسيره.

ويروى: أنها تكلمت وهي صغيرة[٢] كما تكلم عيسى في المهد. وفيه بُعْد لما سنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى[٣].

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٤٤). وذكره الماوردي (١/ ٣٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٦) وعزاه لابن جرير.

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٣٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ٤٦ من هذه السورة.

قال المفسِّرون: فلما عاين زكريا هـذه الآيـة، ورأى خَـرْقَ الله العـادة بإيجـاد الفاكهة في غير أوانها، طمع في الولد على الكبر، فذلك قوله: ﴿هنالك دعا زكريـا ربه﴾(١).

قال المفضل: أكثر ما يقال "هنالك" في الزمان، و"هناك" في المكان، وقد يُجعل هذا مكان هذا(٢).

وقال غيره: يستعار: هنا، وثمَّ، وحيث، للزمان.

وجائز أن يكون معنى "هنالك": في ذلـك المكـان عنـد مـريم في المحـراب. وجائز أن يكون في ذلك الوقت.

والذُرِّية تقع على الواحد والجمع، والذكر والأنثى، والمراد هنا واحد، بـدليل قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ [مريم:٤]، وأَنَّثَ «طَيِّبَةً» لتأنيـث لفـظ الذُرِّيـة. و«سميع» بمعنى: سامع أو مجيب.

قوله تعالى(٣): ﴿فنادته الملائكة﴾ قرأ حمزة والكسائي: «فناداه»، بـألف ممالـة. وقرأ الباقون: فنادته(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٤٧-٢٤٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) القرطبي (٤/ ٧٢).

(٣) كتب مقابلها في الهامش: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً رابعاً، مرة ثانية.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١٨)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:١٦٢)، والكـشف (١/ ٣٤٢)، والنـشر (٢/ ٢٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٥).

قال أبو علي[(١)]: من قرأ «فناداه»، فهو كقوله: ﴿وقال نسوة﴾[(٢)] [يوسف:٣٠].

وقال غيره: الذي ناداه: جبريل، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود: "فناداه جبريل"[(٣)]، فيكون الجمع على قراءتها للتعظيم، أو لبيان أن النداء جاء من ذلك الجنس، كما تقول: ركبت السفن.

وسُمِّيَ المحراب محراباً؛ لشرفه، كما ذكرنا، أو لمحاربة الشيطان فيه.

﴿أَنَّ الله﴾ قرأ ابن عامر وحمزة: «إن الله» بكسر الهمزة على إضمار القول، أو لأن النداء في معنى القول. وقرأ الباقون بالفتح[(٤)]، على معنى: نادته بأن الله. فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل فنصب.

قرأ حمزة: «يَبْشُرُكَ» بالتخفيف في كل القرآن، إلا في قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤].

ووافقه الكسائي على التخفيف في خمسة مواضع: في آل عمران موضعان، وفي "سُبْحَانَ" موضع، وفي الكهف موضع، وفي الشورى موضع[(٥)]، وشدَّد ذلك

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي، كان من أكابر أئمة النحو، صنَّف كتباً عجيبة حسنة لم يُسبق إلى مثلها، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ١٨).

(٣) انظر: الطبري (٦/ ٣٦٤).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٢)، والكشف (١/ ٣٤٣)، والنشر (٢/ ٢٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٥).

(٥) في آل عمران عند الآية: ٣٩ و ٤٥. وفي الإسراء عند الآية: ٩. وفي الكهف عند الآية: ٢. وفي الشورى عند الآية: ٢٣.

الباقون، غير أن ابن كثير وأبا عمرو خففا التي في الشورى[1]، وهما لغتان مشهورتان. يقال: بَشَّر يُبَشِّرُ تَبشيراً، وبَشَر يَبْشُرُ بَشْراً وبُشُوراً[2].

وأنشد الفرَّاء للأعشى[3]:

وَإِذا رَأَيْتَ البَاهِشِينَ إِلى النَّدَى غُبْراً أَكُفُّهُمُ بِقَاعٍ مُمْحِلِ
فَأَعِنْهُمْ وابْشِرْ بِما بَشِرُوا بِهِ وَإِذا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ[4]

وقد ذكرنا معنى البشارة في البقرة.

قال المفسرون: رأى زكريا جبريل في صورة شاب عليه ثياب بياض، فناداه: ﴿أن الله يبشرك بيحيى﴾[5].

وهو اسم أعجمي، وقيل: عربي، ومنعه الصرف: التعريف وصيغة الفعل.

قال ابن عباس: أحيا الله قلبه بالإيمان[6].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٠)، والكشف (١/ ٣٤٣-٣٤٤)، والنشر (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (بشر).

(٣) ميمون بن قيس بن جندل البكري، الأعشى، الشاعر المشهور المقدم، مات باليمامة في زمن النبي ﷺ (معجم الشعراء ص:٤٠١).

(٤) معاني الفرّاء (١/ ٢١٢). والبيتان ليسا للأعشى كما قال المصنف، وإنما هما لعبد قيس بن خفاف البرجمي، كما في المفضليات (ص:٣٨٥)، والحجة للفارسي (٢/ ٢٠)، واللسان، (مادة: كرب، بشر)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٥٩)، والطبري (٣/ ٢٥١)، والقرطبي (٤/ ٧٥)، وزاد المسير (١/ ٣٨٢).

(٥) أخرجه الثعلبي (٣/ ٦٠).

(٦) ذكره الماوردي (٢/ ٣٩٠) بلا نسبة بنحوه، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٢).

وقال في رواية: أحيا به عقر أمه[١].

﴿مصدِّقاً بكلمة من الله﴾ أي: مؤمناً بعيسى، فإنه أوّل مَن آمن بـه[٢]، وكـان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر.

وقيل: قبل رفع عيسى إلى السماء.

وسُمِّي عيسى «كلمة»؛ لتكوينه بها من غير أب.

وقال أبو عبيدة[٣]: الكلمة: كتاب الله. تقول العرب: أنـشدني كلمـة فـلان، يعنون: قصيدته. وقال زهير في كلمته كذا وكذا.

﴿وسيداً وحصوراً﴾ السيد: الذي يَسُود قومه، أي: يفـوقهم في الـشرف[٤]. والذي سادهم به: كرامته على الله، وحلمه وتقواه.

والحَصُور: الذي لا يأتي النساء، من الحَصْر، وهو الحَبْس[٥].

والذي عليه جمهور العلماء: أنه لم يكن له آلة الوطء[٦].

وقال سعيد بن المسيب: كان له كالنواة[٧].

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ٦٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٢).

(٢) فرض على يحيى أن يصدق بعيسى وأن يبشر الناس برسالته، فهذا معنى التصديق. أما اتباعه فغير ممكن؛ لأن عيسى لم يبدأ رسالته إلا بعد قتل يحيى (هامش الوسيط ١/ ٤٣٤).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩١).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (سود).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (حصر).

(٦) انظر: الطبري (٣/ ٢٥٥)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣)، والدر المنثور (٢/ ١٩٠).

(٧) أخرجه الطبري (٣/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ١٩١) وعزاه لابن جرير.

وقال ابن عباس: كان لا ينزل الماء[1].

وقيل: كان يمنع نفسه شهواتها.

قال النبي ﷺ: «كلُّ بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذَنْبٌ إلا ما كان من يحيى بن زكريا. ثم دلى رسول الله يده إلى الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود»[2].

لذلك سماه الله: ﴿سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾، أي: ونبياً كائناً من الصالحي الحال عند الله.

وقيل: المعنى: أنه من نسل الصالحين، وأولاد الأنبياء.

﴿قال رب أنّى يكون لي غلام﴾ ليس على وجه الشك في ما جاءه من عند الله؛ لأن الأنبياءَ معصومين من مثل هذه الحالة، ولا على وجه الاستبعاد، كما زعم جماعة من العلماء؛ لأن كمالَ معرفته بالله تنفي استبعاد ما ينفعل عن القدرة الإلَهية، ثم إن دلالة الحال، وإقدامه على السؤال تنفي استبعاده لذلك، وإنما هو استعلام عن الحالة التي يتكوّن الولد فيها. المعنى: أيأتينا الولد على الحالة التي أنا عليها من الكبر، وامرأتي من العقر؟ أم يأتينا بعد رد شبابي؟ وإزالة العقر عن امرأتي؟ هذا قول جماعة منهم: الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان[3].

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٠) وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٤، ٤/ ٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٤).

قال بعض اللغويين: الغُلام فُعَال من الغُلْمة، وهي شدة شهوة النكاح، ويقال للكهل: غلام[1]. ومنه قول ليلى الأخيلية[2] في الحجّاج:

.... غلامٌ إذا هَزَّ القناةَ سقاها[3]

وقد سبق.

والمعنى: قد كان مرة غلاماً، وقولهم للطفل: غلام، على معنى التفاؤل، أي سيصير غلاماً.

﴿وقد بلغني الكبر﴾ قال الزجاج[4]: كل شيء بلغتَه فقد بلغك.

قال ابن عباس: كان يوم بُشِّرَ بالولد ابن مائة وعشرين سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين[5].

والعاقر من الرجال والنساء: المنقطع، والأصل فيه للنساء، فأجري مُجْرى طالق وحائض.

﴿قال كذلك﴾ أي: مثل خلق الولد بين شيخ هرم وعجوز عاقر، يفعل ما يشاء من الآيات الخارقة للعادات.

---

(١) زاد المسير (١/ ٣٨٤).

(٢) ليلى بنت الأخيل بن عقيل بن كعب، وهي من أشعر النساء، وقد هاجت النابغة الجعدي (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص:٢٩١).

(٣) عجز بيت لليلى الأخيلية، وصدره: (شفاها من الداء العضال الذي بها) انظر ديوانها (ص:١١٨)، وفيه: "شفاها" بدل "سقاها". وانظر: اللسان، مادة: (عضل)، والدر المصون (١/ ٥٦٧)، والقرطبي (١١/ ٢١)، وزاد المسير (١/ ٢٦٩)، وروح المعاني (١٥/ ٣٣٨).

(٤) معاني الزجاج (١/ ٤٠٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥).

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ علامة، أعرف بها وجود الحمل. سأل العلامة على وجود ما أمّله ورامه، ليتلقى النعمة بالشكر، ويتعجل السرور، ﴿قال آيتك ألاّ تكلّم الناس ثلاثة أيّام﴾، يريد: بلياليها، لقوله تعالى في موضع آخر: ﴿ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً﴾ [مريم:١١].

﴿إلاّ رمزاً﴾ استثناء منقطع أو متصل. حسن استثناؤه من الكلام لنيابته منابه في الإفهام. والرَّمْزُ: الإشارة، وأكثر ما يستعمل في الشفتين.

قال ابن عباس: جعل يكلّم الناس بيده[1]، وإنما عُقِلَ لسانه عن مخاطبة الناس، ولم يُعقَل عن ذكر الله.

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزيّ، رضي الله عنه[2]: جمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل[3].

وقال قتادة والربيع بن أنس: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية والأمارة بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة[4].

قال الثعلبي[5]: قول قتادة قول أكثر المفسِّرين.

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٢) وعزاه لابن جرير.

(٢) زاد المسير (١/ ٣٨٦).

(٣) في تفسير مجاهد (ص:١٢٦-١٢٧) عن عطاء بن السائب قال: اعتقل لسانه من غير مرض.

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ ٦٦). والثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو إسحاق الثعلبي، صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن. توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة (طبقات المفسِّرين للداوودي ١/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٥).

قلت: وهو قولٌ يخالف ظاهر القرآن[1].

فإن قيل: ما الحكمةُ في اختصاص الآية باعتقال لسانه عن مخاطبة الناس فقط؟

قلت: ليوفِّر زمانه على شكر هذه النعمة العظيمة، والمنة الجسيمة.

﴿واذكر ربك كثيراً﴾ أي: ذكراً كثيراً. ﴿وسبح﴾ بمعنى: صَلِّ، في قول عامة المفسِّرين. وسميت الصلاة تسبيحاً؛ لاشتمالها على تنزيه الله تعالى وتسبيحه. والعشيّ: جمع عشيّة، وهي من وقت نزول[2] الشمس إلى أن تغيب[3]، والإبْكار مصدر: أَبْكَرَ يُبْكِرُ. ويقال: بَكَّرَ يُبَكِّرُ[4]، والمراد: ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

قوله: ﴿وإذ قالت الملائكة﴾ وهو جبريل، ﴿يا مريم إنّ الله اصطفاك﴾ بالقبول

---

(١) قال النحاس: قول قتادة إن زكريا عوقب بترك الكلام، قول مرغوب عنه؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا أنه أذنب، ولا أنه نهاه عن هذا (إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧٥).

(٢) أي: من الزوال، وانظر: الماوردي (١/ ٣٩١).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص:١٢٧).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (بكر).

والنَّبات الحسن، وتكليم جبريل، وولادة المسيح عيسى من غير أب، وغير ذلك، ﴿وطهّرك﴾ من دنس الآثام.

وقال ابن عباس: من الحيض[(١)].

وقيل: طهّرك من مسّ الرجال[(٢)].

وقال مجاهد: من الكفر[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]: من الفاحشة والإثم.

﴿واصطفاك﴾ ثانياً على نساء عالمي زمانك بالفضل، أو هو على عمومه. ويكون الاصطفاء الذي امتازت به على نساء العالمين: ولادتها عيسى من غير أب.

وفي الصحيحين من حديث علي، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»[(٥)].

وفي صحيح مسلم[(٦)]: «فأشار وكيع إلى السماء والأرض».

وفيهما أيضاً من حديث أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرَانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٧).

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٧).

وفي تفسير مجاهد (ص:١٢٧): جعلك طيبة إيماناً.

(٤) تفسير مقاتل (١/ ١٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦٥ ح٣٢٤٩)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦ ح٢٤٣٠).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٦ ح٢٤٣٠).

وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[١].

قوله عز وجل: ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ قال ابن عباس: قومي في الصلاة بين يدي ربك[٢].

وقال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة[٣].

وقال قتادة: أطيعي ربك[٤].

فإن قيل: كيف قدّم السجود على الرّكوع؟

قلت: الواو للجمع، لا للترتيب لأنها نظير التثنية، على أنّه قد قيل: إن السجود في شريعتهم كان مقدَّماً على الركوع[٥].

وفي قوله: ﴿واركعي مع الراكعين﴾ أَمْرٌ لها بالجماعة، أو يكون المعنى: كوني في عِدادِ الراكعين، وانتظمي في سلكهم.

وأراد بالراكعين: الرجال والنساء، إذ لو كان المراد النساء فقط لقال: مع الراكعات.

قال مجاهد: سجدت حتى قرحت[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٥٢ ح٣٢٣٠)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦ ح٢٤٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٦٤). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٦)، والسيوطي في الدر (٢/ ١٩٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٢٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ١٩٥) وعزاه لابن جرير.

(٥) ذكره أبو سليمان الدمشقي. انظر: زاد المسير (١/ ٣٨٨).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٨).

وقال الأوزاعيّ: قامت في الصلاة حتى تورّمت قدماها وسالتا دماً وقيحاً[١].

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما اقتصه على نبيّه ﷺ، من أخبار زكريا، ويحيى، ومريم، وعيسى.

﴿من أنباء الغيب﴾ أي: مما غاب عنك يا محمّد علمه.

﴿نوحيه إليك﴾ أي: نلقيه عليك بإرسال جبريل إليك، ﴿وما كنت لديهم﴾ أي: ما كنت حاضراً عندهم، ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ وهي التي يكتبون بها. وقيل: عصيّهم، ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ أيهم يكفل مريم تنافساً فيها.

فإن قيل: معلومٌ قطعاً أنه لم يكن عندهم، فما الفائدة في الإخبار عن ذلك؟

قلت: إقامةُ الحُجَّة على الكفار برسالة محمد ﷺ، لأنّ طريق العلم بالشيء، إما الرؤية أو السماع، وقد علموا قطعاً أن محمداً لم يكن من أهل الكتاب، ولا متشاغلاً بسماع العلم ولا دراسته، ولا كان حاضراً عند أسلافهم.

فإذا حدّثهم بما لا يعلمه إلاّ الراسخون في العلم منهم، من أنباء أنبيائهم وقصص أسلافهم، ظهرت الحُجَّة عليهم بأنه بطريق الوحي.

فإن قيل: لم سمّي عيسى المسيح؟

قلت: فيه أوجه:

أحدها: أنه لم يمسح ذا عاهة إلا برأ[٢]. ففعيل هنا في تأويل فاعل.

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٦٥) والثعلبي (٣/ ٦٧)،. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٥) وعزاه لابن جرير.

(٢) الوسيط (١/ ٤٣٧-٤٣٨)، وزاد المسير (١/ ٣٨٩).

الثاني: أنه كان مسيح القدمين، رواية عن ابن عباس[١].

الثالث: أنه كان ممسوحاً بالبركة. قاله الحسن[٢].

الرابع: لكونه ولد ممسوحاً بالدّهن. حكاه أبو سليمان[٣] الدمشقي[٤]، وفعيل في تأويل مفعول على هذه الأقوال.

الخامس: لكونه مسح الكفر.

السادس: أن المسيح: الصِّدِّيق. قاله مجاهد[٥]، وهو ينزع إلى قول الحسن، لأنه لما مُسح بالبركة، وطُهِّر من الذنوب صار صِدِّيقاً.

السابع: أنه سمّي مسيحاً؛ لأنه مَسَحَ الأرض، وقطعها بالسّياحة[٦]. فعلى هذا القول: الميم زائدة، وعلى الأقوال التي قبله: الميم أصلية.

وسمّي الدجّال مسيحاً؛ إما لكونه ممسوح إحدى العينين؛ أو لقطعه الأرض

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٧٠) عن سعيد. وذكره الماوردي (١/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٨) وعزاه لابن جرير عن سعيد.

(٣) محمد بن عبد الله بن سليمان السعدي، أبو سليمان الدمشقي، كان شافعياً، أشعرياً، كثير الاتباع للسُنَّة، صنف كتباً في التفسير (طبقات المفسِّرين للسيوطي ص:١٠٣، وطبقات المفسِّرين للداودي ٢/ ١٦٤).

(٤) زاد المسير (١/ ٣٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٥١) كلاهما عن إبراهيم النخعي. وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٨) من قول النخعي، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩) من قول مجاهد، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي.

(٦) زاد المسير (١/ ٣٨٩).

بالسياحة[1]. فالأول: فعيل في تأويل مفعول. والثاني: في تأويل فاعل. قال الشاعر:

.... إِنَّ المَسِيحَ يَقْتُلُ المَسِيحَا[2]

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

فإن قيل: ما الحكمة في نسبته إليها حين واجهها الملك بالبشارة، فقال: ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.

قلت: تنبيهاً على أنه آيةٌ لله، مُصوَّرٌ بكلمته، وليس له أب يُنسب إليه، إنما ينسب إليها.

قوله: ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾ قال الزّجّاج[3]: الوجيه: ذو المنزلة الرفيعة عند ذي القدر والمعرفة.

والمعنى: وجيهاً في الدنيا بالنبوّة، والآيات التي خُصَّ بها، وفي الآخرة بالشفاعة، وارتفاع المنزلة عند الله.

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩).

(٢) انظر الرجز في: اللسان، مادة: (مسح)، وتهذيب اللغة، مادة: (مسح)، والقرطبي (٤/ ٨٩)، ودلائل النبوة للأصبهاني (١/ ٦٩).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤١٢).

«وجيهاً» حال من «كلمة».

فإن قيل: «كلمة» نكرة، فكيف يصحّ الحال منها؟

قلت: تَخَصَّصَتْ بالوصف، فقربت من التعريف، ومثل ذلك: ﴿ومن المقربين﴾[1].

﴿ويكلمُ الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾ أي: يبشركِ به موصوفاً بهذه الأوصاف.

قوله: ﴿في المهد وكهلاً﴾ حالان من الضمير في «يُكَلِّمُ»[2].

قال ابن عباس: تكَلَّمَ ساعة في مهده، ثم لم يتكلّم حتى بلغ مبلغ النطق[3].

أخرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لم يَتكَلَّمْ في المَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ... ثم ساق الحديث إلى آخره»[4].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كَانَتْ اللَّيْلَةُ التي أُسْرِيَ بي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَولادِها، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذاتَ يَوْمٍ إذ سَقَطَ الْمُدْرِيُّ مِنْ يدها فَقَالَتْ: بسم الله، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْن: أَبِي؟ قَالَت: لا، وَلَكِن رَبي وَرَبُّ أَبِيكِ الله، قَالَت: أُخبره بذا؟ فقالَت: نَعَم، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا فَقَالَ: يَا فُلانة، وَإِنَّ لَكِ رَبّاً

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٣٤)، والدر المصون (٢/ ٩٥-٩٦).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٣٤)، والدر المصون (٢/ ٩٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦٨ ح٣٢٥٣)، ومسلم (٤/ ١٩٧٦-١٩٧٧ ح٢٥٥٠).

غَيْرِي؟ قَالَت: نَعم، رَبي وَرَبُّك الله، فَأَمَرَ ببَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادهَا فِيهَا، قَالَت: إِنَّ لي إِلَيْكَ حَاجَة، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَت: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَالَ: ذاك لَكِ عَلَيْنَا [من الحق][1]، قَالَ: فَأَمَرَ بأَوْلادِهَا، فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِداً وَاحِداً، إِلى أَن انْتَهَى ذلِكَ إِلَى صَبيٍّ لَهَا يرْضع، فكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ[2] مِنْ أَجْلِهِ، قَال: يَا أُمَّاه، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَاب الآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ.

قال ابن عباس: تَكَلَّمَ أَرْبَعَة صغار: عِيسى ابن مَرْيَم، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُف، وَابْنُ مَاشِطَةِ [ابْنَةِ][3] فِرْعَوْنَ»[4].

فإن قيل[5]: ما الحكمة في تكليمه الناس في المهد؟

قلت: الحكمة في ذلك تنزيه أمه، وتحقيق معجزته.

قال ابن الأنباري[6]: من أربى على الثلاثين فقد دخل في الكهولة. سمّي بذلك؛ لاجتماع قوَّته، وكمال شبابه، من قولهم: اكْتَهَلَ النَّبات[7].

---

(١) زيادة من مسند أحمد (١/ ٣٠٩).

(٢) قَعَسَ وتَقَاعَسَ: تأخر ورجع إلى خلف (اللسان، مادة: قعس).

(٣) زيادة من مسند أحمد (١/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩ ح٢٨٢٢). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٠): ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد.

(٥) كتب مقابلها في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً خامساً ثانية.

(٦) انظر: زاد المسير (١/ ٣٩٠).

(٧) انظر: اللسان، مادة: (كهل).

وقال ابن فارس[(١)]: الكهل: الرجل حين وَخَطَهُ[(٢)] الشّيب[(٣)].

وقد روي عن ابن عباس أنه قال في قوله: «وَكَهْلاً» قال: ذلك بعد نزوله من السماء[(٤)].

وفي الإخبار لها بأنه يتكلم كهلاً بشارة عظيمة بحياته، وأنه يبلغ سن الكهولة.

﴿قالت﴾ على وجه التعجّب والاستعلام، مخاطبة لله عز وجل. وقيل: لجبريل، بمعنى: يا سيّدي، فإنّ الرب يطلق بمعنى: السيّد، ﴿رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ أي: لم يجامعني رجل، ﴿قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء﴾ بسبب، وغير سبب.

وما بعده إلى آخر الآية مفسّر في البقرة.

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، اللغوي، القزويني، كان نحوياً على طريقة الكوفيين، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة (إنباه الرواة ١/ ١٢٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٥٢).

(٢) الوَخْطُ: فُشُوُّ الشَّيْب في الرأس (اللسان، مادة: وخط).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٤٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٠).

وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾
۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟
وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

قوله: ﴿ونعلّمه الكتاب﴾ وقرأ نافع وعاصم: "ويُعلِّمه" بالياء[1]، عطفاً على "يبشرك"، و"يكلّم".

قال ابن عباس: نعلمه كتب النبيين وعلمهم، [﴿والحكمة﴾: الفقه][2] وقضاء النبيين[3].

وقيل: الكتاب: الكتابة.

﴿ورسولاً﴾ أي: ويكلِّم الناس رسولاً، أو: ونجعله رسولاً. أو هو معطوف على "وجيهاً"[4].

﴿أنّي أخلق لكم﴾ موضعه خفض، بدل من «آية»، أو رفع على معنى: الآية:

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢١)، ولابن زنجلة (ص:١٦٣)، والكشف (١/ ٣٤٤)، والنشر (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٦).

(٢) في الأصل: والفقه والحكمة. والتصويب من زاد المسير (١/ ٣٩١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩١).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٣٥)، والدر المصون (٢/ ١٠٠) وما بعدها.

أنّي أخلق[١].

وقرأ نافع: «إنّي أخلق» بكسر الهمزة[٢] على الاستئناف.

ومعنى «أخلق لكم»: أقدّر لكم، ﴿من الطين كهيئة الطير﴾ وهو جمع طائر؛ كزائر وزَوْر، ﴿فأنفخ فيه﴾ أي: في الشيء المشابه لهيئة الطير، فيكون الضمير للكاف، وكذا الضمير للكاف في قوله في المائدة: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [المائدة:١١٠]، ولا يرجع إلى الهيئة، لأنها ليست من خلق عيسى.

وقال أبو عليّ الفارسي[٣]: جائز أن يكون «فيه» للطير، و«فيها» للهيئة. وجائز أن يكون ذَكَّرَ الطير على [المعنى الجمع، وَأَنَّثَ][٤] على معنى الجماعة.

وقال غيره: «فأنفخ فيه»: أي: في الطين[٥].

قال ابن عباس: أخذ طيناً فصنع منه خُفَّاشاً[٦]، ونفخ فيه، فإذا هو يطير[٧].

ويقال: لم يخلق سوى الخُفَّاش[٨].

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٣٥)، والدر المصون (٢/ ١٠٤).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢١)، ولابن زنجلة (ص:١٦٤)، والكشف (١/ ٣٤٤)، والنشر (٢/ ٢٤٠).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢).

(٤) في الأصل: معنى الجميع فأنث. والتصويب من الحجة (٢/ ٢٢).

(٥) انظر: الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤١٣).

(٦) الخُفَّاش: طائر يطير بالليل؛ لأنه يَشُقُّ عليه ضوء النهار (اللسان، مادة: خفش).

(٧) أخرجه الطبري (٣/ ٢٧٥) عن ابن إسحاق. وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢). وبنحوه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٤) وعزاه لابن جرير عن ابن إسحاق.

(٨) زاد المسير (١/ ٣٩٢).

قال أبو سعيد الخدري: قال لهم عيسى: ماذا تريدون؟ قالوا: الخُفَّاش. فسألوه أشدّ الطير خلقاً، لأنه يطير بغير ريش[١].

وقال وهب: كان الذي صنعه عيسى يطير ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عنهم سقط ميتاً؛ ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق[٢].

قرأ نافع هنا وفي المائدة: «فيكون طائراً»[٣] على معنى: فيكون ما أخلق طائراً[٤].

قوله: ﴿وأبرئ الأَكْمَهَ﴾ وهو الذي يولد أعمى.

وقيل: هو الأعمى مطلقاً.

وقد قيل: لم يولد في هذه الأمّة أَكْمَه سوى قتادة بن دعامة السدوسي، صاحب التفسير.

﴿والأَبْرَص﴾ الذي به وَضَحٌ[٥]، وكان الغالب عليهم[٦] طلب الطِّبّ، فأيَّد

---

(١) ذكره الطبري (٣/ ٢٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢).

(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ٧١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٩٢).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢١)، ولابن زنجلة (ص:١٦٤)، والكشف (١/ ٣٤٥)، والنشر (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٤-١٧٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٦).

(٤) وقرأ بقية القرّاء: "فيكون طيراً". قال الطبري (٣/ ٢٧٥): وأعجب القراءات إليّ في ذلك قراءة من قرأ: ﴿كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً﴾ على الجماع فيهما جميعاً؛ لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك بإذن الله، وأنه موافق لخط المصحف، واتباع خط المصحف مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به أعجب إليّ من خلاف المصحف.

(٥) الوَضَحُ: بياض الصبح والقمر والبرص والغرة والتحجيل في القوائم وغير ذلك من الألوان (اللسان، مادة: وضح).

(٦) أي: قوم عيسى عليه السلام.

الله حُجّته، وشيد معجزته بأن أبرأ على يديه ما لا يقدر حُذَّاق الأطباء عليه.

قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يداويهم بالدعاء[١].

قوله: ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ قال المفسِّرون: أحيا أربعة أنفس: عازر[٢]، وكان صديقاً له، أحياه بعد ثلاثة أيام، وابن العجوز أحياه بعد أن حُمِل على نعشه، فرجع إلى بيته حاملاً نعشه، وابنة عشار، وسام بن نوح[٣].

قال ابن عباس: بقي الأربعة حتى وُلِد لهم إلا سام بن نوح[٤].

وروي أن عيسى دعاه باسم الله الأعظم، فخرج سام من قبره فقال: قد قامت القيامة؟ فقال عيسى: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُتْ، قال: سَلِ الله أن يعيذني من سكرات الموت، فدعا الله ففعل[٥].

قال ابن السائب: كان عيسى يحيي الأموات بـ«يا حيّ يا قيوم»[٦].

قوله: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ قال سعيد بن جبير: كان

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٧٨)، والثعلبي (٣/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٥) وعزاه لابن جرير.

(٢) عازر كان صديقاً لعيسى عليه السلام، فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فأتى قبره فدعا له، فعاش وبقي حتى ولد له (الكامل لابن الأثير ١/ ٢٤٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٠٤).

(٦) أخرجه الثعلبي (٣/ ٧٣). وذكره القرطبي (٣/ ٢٧١).

عيسى في المكتب يقول للغلام: إن أهلك قد هيئوا لك كذا وكذا[١].

وقيل: ما تأكلون من المائدة، وما تدخرون منها[٢].

والأصل في "تَدَّخِرُون": تَذْتَخِرُونَ، تَفْتَعِلُونَ مِن الذُّخْر، ولكن الدال حرف مجهور، والتاء مهموسة، فأبدل من مخرج التاء حرف يشبه الذال في جهرها وهو الدال، فصارت: تذدخرون، ثم أدغمت الذال في الدال.

قوله: ﴿ومصدِّقاً﴾ أي: وجئتكم مصدِّقاً.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون عطفاً على «وجيهاً» و«رسولاً»؟

قلت: يمنعه من ذلك قوله: ﴿لما بين يديَّ﴾، ولم يقل: لما بين يديه[٣].

﴿ولأُحلَّ لكم بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ قال أبو عبيدة[٤]: معناه: كل الذي حُرِّم عليكم.

وأنكر ذلك عليه أبو إسحاق[٥]، لأن "بعضاً" لا يكون بمعنى "كل"، ولا أَحَلَّ لهم كُلَّ الذي حُرِّم عليهم[٦].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١٠٤٣)، والطبري (٣/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٢١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٨٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٣٦)، والدر المصون (٢/ ١٠٨-١٠٩).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٩٤).

(٥) هو الزجاج.

(٦) انظر: معاني الزجاج (١/ ٤١٥). قال النحاس في معاني القرآن (١/ ٤٠٣): وهذا القول -يعني قول أبي عبيدة- غلط عند أهل النظر من أهل اللغة، لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل.

قال قتادة: كان موسى حرَّم عليهم الإبل، والثُّرُوب[١]، وأشياء من الطير، فأحلّها عيسى[٢].

ثم بَرْهَنَ على النبوة بقوله: ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾.

ثم نفى البنوّة بقوله: ﴿إن الله ربي وربكم﴾، ثم أمرهم بالتوحيد بقوله: ﴿فاعبدوه هذا﴾ إشارة إلى ما قدم ذكره ﴿صراط مستقيم﴾: طريق مستوٍ يفضي بكم إلى الجنة[٣].

قوله: ﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر﴾ أي: عَلِمَهُ منهم علماً لا لبس فيه[٤]، كعلم ما يُدرَك بالحواس، اللائي هي إحدى مدارك اليقين. تقول: أَحْسَسْتُ بالشَّيْءِ وحَسَسْتُ به، فهو مُحَسٌّ، وقول الناس: مَحْسُوس؛ خطأ.

﴿قال مَن أنصاري إلى الله﴾ قال الأكثرون: «إلى» بمعنى «مع»، كقوله: ﴿إلى المرافق﴾ [المائدة:٦]. والعرب تقول: الذَّوْدُ إلى الذَّود إبل[٥].

وقيل: المعنى: مَن أنصاري إلى أن أبيّن أمر الله.

وقيل: «إلى» تتعلق بمحذوف، حالاً من الياء، أي مَن أنصاري ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه[٦]. قال ذلك حين كفروا به، وهمُّوا بقتله.

---

(١) الثُّروب: جمع، واحده: ثَرْب، وهو شحم رقيق يغشى الكَرِش والأمعاء (اللسان، مادة: ثرب).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) كتب مقابلها: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً ثانياً.

(٤) قاله الزجاج (١/ ٤١٦)، والفرّاء (١/ ٢١٦).

(٥) انظر: الطبري (٣/ ٢٨٤).

(٦) قاله الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٩٣).

﴿قال الحواريون﴾ أصل التَّحْوير: التنظيف والإخلاص، ومنه: الدقيق الحُوَّاري[١]؛ لنظافته وخلوصه، والحَوَارِيَّات: الحواضر من النساء؛ سُمِّين بذلك لنظافتهن عن قشف البوادي[٢].

قال الزّجّاج[٣]: الحُذَّاق باللغة يقولون: الحواريون صفوة الأنبياء الذين أخلصوا في التصديق بهم ونصرتهم.

ومنه قوله عليه الصلاة السلام: «الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيَّ مِنْ أُمَّتِي»[٤].

قال ابن عباس: الحواريون أصفياء عيسى عليه السلام، قال: وكانوا اثني عشر رجلاً، يصطادون السمك[٥].

وقال في رواية أخرى: كانوا قَصَّارين[٦]، يُحَوِّرُون الثياب[٧]، أي: يُبَيِّضُونَهَا.

وقال ابن المبارك: سمُّوا حواريين؛ لأنهم كانوا ربانيين[٨]، عليهم أثر العبادة

---

(١) أي: الأبيض الخالص.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (حور).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤١٧).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٤ ح ١٤٤١٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(٦) القَصَّارون: جمع قَصَّار، وهو الذي يغسل الثياب.

(٧) أخرجه الطبري (٣/ ٢٨٧) عن أبي أرطاة، وبنحوه في ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩) عن الضحاك، ومجاهد (ص:١٢٨). وذكره الماوردي (١/ ٣٩٥) من قول ابن أبي نجيح ، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٤١) عن عطاء، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن أبي أرطاة.

(٨) في تفسير الثعلبي: نورانيين.

ونورها، وحسنها، قال الله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[١] [الفتح:٢٩].

وحكى ابن الأنباري: أنهم المجاهدون[٢]، وأنشدوا:

.... وَنَحْنُ حَوَارِيُّونَ حِينَ نُزَاحِفُ[٣]

وقد سبق إنشاد البيتين عند قوله: ﴿فمن خاف من موص جنفاً﴾ [البقرة:١٨٢].

﴿نحن أنصار الله﴾ أي: أنصار دينه ورسوله، ﴿آمنا بالله واشهد﴾ يا عيسى أو يا ربنا ﴿بأنّا مسلمون﴾.

﴿ربنا آمنّا بما أنزلت﴾ يعنون: الإنجيل، ﴿واتبعنا الرسول﴾ عيسى، ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي: أثبت أسماءنا مع الذين شهدوا للأنبياء بالصدق.

قال ابن عباس: هم محمد ﷺ وأمته[٤].

قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾، المكْر: الاحتيال، والخديعة.

قال ابن عباس: عامة بني إسرائيل كفروا بعيسى، وهمُّوا بقتله اغتيالاً، فجازاهم الله على مكرهم، فرفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على من دَلَّهم عليه،

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٧٧)، والبغوي (١/ ٣٠٦).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٩٤).

(٣) عجز بيت وصدره: (ونحنُ أناسٌ يملأُ البيضَ هَامُنا). انظر البيت في: زاد المسير (١/ ٣٩٤)، والدر المصون (٢/ ١١٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

فَصُلِب[1].

قال رجل للجنيد[2]: كيف رضي المكرَ لنفسه، وقد عاب به غيره؟ فقال: ما أدري ما تقول، ولكن أنشدتني فلانة [الطبرانية][3]:

فَدَيْتُكَ قَدْ جُبِلْتُ عَلَى هَوَاكَا   فَنَفْسِي لا تُنَازِعُنِي سِوَاكَا
أُحِبُّكَ لا ببَعْضِي بَلْ بكُلِّي   وَإِنْ لَمْ يُبْقِ حُبُّكَ بِي حِراكَا
وَيَقْبحُ مِنْ سِواكَ الفِعْلُ عِنْدِي   وَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذاكَا[4]

فقال الرجل: أسألك عن آية من كتاب الله، وتجيبني عن شعر فلانة الطبرانية، فقال: ويحك! قد أجبتك إن كنتَ تعقل، إن تخليته إياهم مع المكر به، مكر منه بهم[5].

﴿والله خير الماكرين﴾ أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ

---

(١) ذكره الطبري (٦/ ٤٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٥)،

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز، أبو القاسم القواريري، الزاهد المشهور، شيخ الصوفية، وأحد العارفين، شيخ وقته وفريد عصره في علم الأحوال والكلام، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة. توفي ببغداد سنة ثمان وتسعين ومائتين (حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٣).

(٣) في الأصل: الطنبرانية. والمثبت من تفسير الثعلبي. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٤) الأبيات لأبي نُواس، انظر ديوانه: (ص:٤٧٣).

(٥) ذكره الثعلبي (٣/ ٧٩).

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك﴾ «إذ» ظرف لـ «خير الماكرين»، أو لـ «مكر الله»[1].

قال ابن قتيبة[2]: التوفّي من استيفاء العدد. يقال: تَوَفَّيْتُ واسْتَوْفَيْتُ[3].

قال الحسن وابن جريج وابن قتيبة[4] والفرّاء[5] في آخرين: المعنى: إني قابضك [من الأرض][6] وافياً تاماً، من غير أن تنالَ اليهود منك شيئاً[7].

﴿ورافعك﴾ من الدنيا، ﴿إليّ﴾ من غير موت.

وقال الربيع بن أنس: المعنى: إني مُنيمك، ورافعك إليّ في نومك[8]، من قوله:

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٩٤).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٣٩٦).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (وفى).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:١٠٦).

(٥) معاني الفرّاء (١/ ٢١٩).

(٦) زيادة من الوسيط (١/ ٤٤١)، وزاد المسير (١/ ٣٩٦).

(٧) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١-٦٦٢) عن الحسن. وذكره الماوردي (١/ ٣٩٧)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٨) أخرجه الطبري (٣/ ٢٨٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١). وذكره الماوردي (١/ ٣٩٧).

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠].

وقال بعض أهل المعاني: إني متوفيك عن شهواتك، وحظوظ نفسك[١].

قال وهب بن منبه: كساه الله الريش وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فصار ملكياً إنسياً، سمائياً أرضياً[٢].

فعلى هذه الأقوال الكلام على نظمه.

وروي عن ابن عباس أنه قال: "إني متوفيك" أي: مميتك[٣].

ثم اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه على نظمه أيضاً.

قال وهب: توفاه الله ثلاث ساعات من النهار، ثم رفعه إليه[٤].

الثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، معناه: إني رافعك إليّ ومطهرك ومتوفيك بعد إنزالك من السماء[٥].

وتكون الحكمة في إعلامه بوفاته بعد إنزاله من السماء تعريفه أن رفعَه إلى

---

(١) نسبه الثعلبي في تفسيره (٣/ ٨٢) إلى أبي بكر الواسطي.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٤) من حديث ابن إسحاق. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١١٨) وعزاه لابن عساكر عن وهب.

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الطبري (٣/ ٢٩١). ورواه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦١) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

السماء غيرُ عاصم له من الموت المحتوم على أولاد آدم.

قوله: ﴿ورافعك إليّ﴾ قال سعيد بن المسيب: رُفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[(١)].

وقال غيره: حملت به مريم وهي ابنة ثلاث عشرة سنة، وولدته ببيت لحم من أرض أُوْرِي شَلَّمْ[(٢)] لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، وأوحي إليه على رأس ثلاثين سنة، ورُفع وهو ابن ثلاث وثلاثين، فكانت نبوته ثلاث سنين[(٣)].

قال مقاتل[(٤)]: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان.

وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين[(٥)]، ولما صُلِب شَبَهُهُ جاءت مريم تبكي عنده، فجاءها عيسى فقال: عَلامَ تبكين؟ قالت: عليك، فقال: إن الله

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٩٠، ٧/ ٣٨٨)، والحاكم (٣/ ٣٠٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٦) وعزاه لابن سعد وأحمد في الزهد والحاكم.

(٢) هو اسم بيت المقدس، ومعناه بالعبرانية: بيت السلام (اللسان، مادة: أور).

(٣) أخرج الحاكم نحوه (٢/ ٦٥١) عن وهب. وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٨٠)، وذكره أيضاً في عرائس المجالس (ص٤٠٢-٤٠٣)، ونسبه إلى التوراة. وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٥) وعزاه للحاكم عن وهب.

وفي هامش الأصل: عن ابن عباس: كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته بَزَرَتْهُ. وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية. ولم يعش مولود وُضع لثمانية إلا عيسى. وقيل: حملته في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضعته في ساعة. هذا ذكر في سورة مريم [انظر: الآية رقم: ٢٢].

(٤) تفسير مقاتل (١/ ١٧٣).

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ ٨٠)، وزاد المسير (١/ ٣٩٧).

رفعني، ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شُبِّهَ لهم[١].

قال وهب: طرقوا عيسى في بعض الليل ليصلبوه، فلما أرادوا صلبه أظلمت الأرض، فأرسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم، وصلبوا مكانه رجلاً يقال له: يهوذا، وهو الذي دَلَّهُم عليه، وذلك أن عيسى عليه السلام جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم، ثم قال: لَيكفرنّ بي أحدكم قبل أن يصيح الديك، ويبيعني بدراهم يسيرة، فخرجوا وتفرَّقوا، وكانت اليهود [تطلبه][٢]، فأتى الحواري إلى اليهود، فقال: ما تجعلون لي إنْ دَلَلْتُكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين[٣] درهماً، فأخذها ودلَّهم عليه، فألقى الله عليه شَبَهَ عيسى لما دخل البيت، ورُفع عيسى، فأُخِذَ الذي دلّهم عليه، فقال: أنا الذي دَلَلْتُكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه، وهم يظنون أنه عيسى[٤].

قوله: ﴿ومطهرُك من الذين كفروا﴾ أي: مُخْرِجك من بين أظهرهم، فإنهم أرجاس.

﴿وجاعل الذين اتبعوك﴾ قال ابن زيد: هم النصارى، ﴿فوق الذين كفروا﴾ وهم اليهود، فاليهود مقهورون مستذلون[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٣) عن وهب، والثعلبي (٣/ ٨٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٣٠) وعزاه لابن جرير عن وهب.

(٢) في الأصل: تطلبهم. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) في تفسير الثعلبي (٣/ ٨٠): مائتي درهم.

(٤) أخرجه الطبري (٦/ ١٣)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ٧٩-٨٠)، وفي عرائس المجالس (ص:٤٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٧٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٢٧) وعزاه لابن جرير.

وأنكر هذا القول حُذَّاق العلماء، وقالوا: والله ما اتبعه مَن ادعاه رباً[١].

قال قتادة والربيع والشعبي في آخرين: «وجاعل الذين اتبعوك»: هم أمة محمد، لأنهم صدَّقوا بنبوته، وأنه روح الله وكلمته[٢].

وعلى قول ابن زيد: معنى المتابعة لعيسى: محبته والميل إليه.

﴿فوق الذين كفروا﴾ بالبراهين والحجج، أو بالعزّ والغلبة، ﴿ثم إليّ مرجعكم﴾ هذا رجوع من المغايبة إلى المخاطبة، ﴿فأحكم بينكم﴾ حكم مجازاة، وإلا فقد حكم بينهم بالحجج والبراهين وبيان الحق من الباطل.

ألا تراه يقول: ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ بالقتل والسبي والنفي والجزية والعار، ﴿والآخرة﴾ بالنار.

﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم﴾ قرأ حفص «فيوفيهم» بالياء، وهي قراءة الحسن، حملاً على ما قبله من لفظ الغيبة في قول الله: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك﴾. وقرأ الباقون: «فنوفيهم» بالنون، على الإخبار عن الله تعالى[٣].

﴿ذلك﴾[٤] إشارة إلى ما سبق من خبر عيسى وغيره، وهو مبتدأ، خبره ﴿نتلوه عليك من الآيات﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون «ذلك»

---

(١) الوسيط (١/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٢)، والثعلبي (٣/ ٨٣). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٤٢)، والسيوطي في الدر (٢/ ٢٢٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٤)، والكشف (٥/ ٣٤٥)، والنشر (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٦).

(٤) كتب مقابلها: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً سادساً مرة ثانية.

منصوباً بمضمر[١] يفسره «نتلوه».

﴿من الآيات﴾ وهي الدلالات على صدقك، وصحة نبوتك، ﴿والذكر الحكيم﴾ هو القرآن المحكم في نظمه، ومعانيه.

وقيل: الذكر الحكيم: اللوح المحفوظ، وهو دُرَّة بيضاء معلَّقة بالعرش.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

وقد روي عن الحسن البصري قال: جاء راهبا نجران[٢] إلى رسول ﷺ فعرض عليهما الإسلام، فقالا: إنا قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من ذلك ثلاث: أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما: لله ولد. قالا: فمن أبو عيسى؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله ... -إلى قوله:- فلا تكن من الممترين﴾[٣].

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٣٧)، والدر المصون (٢/ ١١٧).

(٢) وهما السيد والعاقب؛ كما في الدر المنثور (٢/ ٢٢٨) عن ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٦-١٠٧). وذكره السيوطي في لباب النقول (ص:٥٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

والمعنى: إن مَثَلَ عيسى عند الله في الخلق والإنشاء من غير أب وإيجاده إيجاداً خارقاً للعادة، كمَثَلِ آدم، وكون آدم خُلِق من غير أبوين لا يمنع من تشبيه عيسى به في أحد الطرفين، إذ المماثلة لا تقتضي المشاركة من كل وجه، وفي ضمن تمثيل عيسى بآدم قطعٌ لحُجَّة الخصم بأبلغ الطرق، حيث اعتقد استحقاق عيسى للإلهية بإيجاده من غير أب، فأورد عليه ما هو أعجب من عيسى، وهو آدم.

وبلغنا أن بعضَ العلماء أسرته الروم، ففاوضوه يوماً في ذكر عيسى، فقال: لِمَ تعبدونه؟ فقالوا: لأنه لا أب له، قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له، قالوا: كان يُحْيي الموتى، قال: فحزقيل[1] أولى، لأن عيسى أحيا أربعة أنفس وحزقيل أحيا ثمانية آلاف، قالوا: فكان يبرئ الأكمه والأبرص، قال: فجرجيس[2] أولى لأنه طُبخ وأُحْرِق، ثم قام سالماً[3].

قوله: ﴿خلقه من تراب﴾ يعني: صوَّره وقدَّره جسداً من طين، لا روح فيه. ﴿ثم قال له﴾ أي لآدم، وقيل: لعيسى، ﴿كن فيكون﴾ أي: فكان، وقد قررنا مثل ذلك في قوله: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢].

﴿الحق من ربك﴾، أي: هذا الحق من ربك، أو أتاك الحق، أو هو مبتدأ وخبر. ثم خاطب المؤيّد بالعصمة بالنهي عن الامتراء، وهو: الشك فيما جاءه من

---

(١) حزقيل وهو الذي يقال له: ابن العجوز؛ لأن أمه سألت الله الولد وقد كبرت فوهبه الله لها، وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله (الكامل ١/ ١٦٠). والله أعلم بصحة هذه الرواية.

(٢) جرجيس: رجل صالح من أهل فلسطين، أدرك بقايا من حواريي عيسى عليه السلام (الكامل ١/ ٢٨٥، والمنتظم ٢/ ١٤٨).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (١/ ١٥٧).

الأنباء، لينبه الغافل، ويثبت العاقل، فقال: ﴿فلا تكن من الممترين﴾.

قوله: ﴿فمن حاجّك فيه﴾ أي: في عيسى، وقيل: في الحق.

﴿فقل تَعَالَوْا﴾ قال الفرَّاء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها صارت عندهم بمنزلة «هلم» حتى استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرف: تعال، أي: اهبط[1].

وقرأ الحسن: تعالُوا -بضم اللام-[2]، والأصل فيه: تعالَيُوا، تفاعَلُوا من العلو، فاستثقلوا الضمة على الياء فأسكنوها ثم حذفوها وبقيت اللام على فتحها[3]. ومَن ضمّ نقل حركة الياء المحذوفة إلى اللام.

﴿نَدْعُ أبناءنا﴾ أي: يَدْعُ كل مني ومنكم. وأبناؤه ﷺ فاطمة وابناها[4]، ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ يعني: نفسه الكريمة.

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمة الله عليه[5]: في قوله: «وأنفسنا»، خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد عليّ بن أبي طالب. قاله الشعبي، والعرب تُخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه.

والثاني: أنه أراد الإخوان. قاله ابن قتيبة[6].

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وعزاه ابن الجوزي له في زاد المسير (١/ ٣٩٩).

(٢) إعراب القراءات الشواذ (ق/ ٤٣/ أ)، وهي قراءة شاذة.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٣٨)، والدر المصون (٢/ ١٢١).

(٤) أي: أبناء فاطمة؛ الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) زاد المسير (١/ ٣٩٩).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:١٠٦).

والثالث: أراد أهل دينه. قاله أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: أراد الأزواج.

والخامس: القرابة القريبة.

وفي صحيح مسلم من حديث سَعْدِ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ، قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً، فقال: اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلِي»[1].

قال العلماء بالتفسير: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ وفد نجران إلى المباهلة[2]، وخرج رسول الله ﷺ محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوتُ فأمّنوا. فقال أَسْقُفّ[3] نجران: يامعشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله، فلا تُباهِلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. ثم قبلوا الجزية، وصالحوا رسول الله ﷺ أن يؤدوا إليه في كل سنة ألفي حُلَّة وثلاثين درعاً من حديد، عارية مضمونة، وانصرفوا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لَمُسِخوا قردة وخنازير، ولاضْطَّرم الوادي عليهم ناراً، ولاسْتَأْصَلَ الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، ولَمَا حال

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧١ ح٢٤٠٤).

(٢) المباهلة: الملاعنة، وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا (اللسان، مادة: بهل).

(٣) الأسقف: رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران (المعجم الوسيط ١/ ٤٣٦).

الحَوْل على النصارى حتى هلكوا»[(١)].

﴿ثم نَبْتَهِل﴾ نَفْتَعِل، من البُهْلَة -بضم الباء وفتحها- وهي اللَّعْنَة، ويكون الابتهال بمعنى: الدعاء والتضرع، فالمعنى: نجتهد في الدعاء على الكاذب. والمعنيان مرويان عن ابن عباس[(٢)].

قوله: ﴿إن هذا﴾ يعني: الذي أوحاه إليه، ﴿لهو القصص الحق﴾ "هو" فصل، وجاز دخول اللام عليها -وهي فصل- لأنها أقرب إلى المبتدأ من الخبر.

والخبر تدخل عليه اللام التي أصلها للمبتدأ، فدخولها على ما هو أقرب أولى، أو يقال: «لهو» مبتدأ، "القصص" خبره، والجملة خبر «إنّ»[(٣)].

﴿وما من إله إلا الله﴾ ردٌّ على النصارى، وتكذيبٌ لهم في اعتقادهم التثليث. ودخلت «مِنْ» هاهنا توكيداً للنفي[(٤)].

و«إله» في موضع رفع بالابتداء، والخبر «إلا الله»[(٥)].

﴿فإن تولَّوا﴾ أعرضوا عن المباهلة، أو عن هذا البيان الواضح، ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ فيستحقون مضاعفة العذاب، مضافاً إلى العذاب المستحق بسبب

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٩-٣٠١)، والحاكم (٢/ ٦٤٩). وذكره الثعلبي (٣/ ٨٥)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٤٤)، وأسباب النزول (ص:١٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٠-٢٣١) وعزاه للحاكم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٨)، وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٣٨)، والدر المصون (٢/ ١٢٣).

(٤) ذكر هذا الزجّاج في معانيه (١/ ٤٢٤).

(٥) انظر: التبيان (١/ ١٣٨)، والدر المصون (٢/ ١٢٣).

الكفر، ويشهد لذلك قوله: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَاب بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨].

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

قوله: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾ وهي: «لا إله إلا الله»، ولعمري إنها كلمات، ولكن العرب تسمى الكلام المشتمل على شرح قصة: "كلمة"، وقد سبق ذكره.

﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أي: عدل بيننا وبينكم، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود[1].

قال الزجاج[2]: يقال للعدل: سَواء وسَوىً وسُوىً. قال زهير بن أبي سلمى:

أَرُونِي خُطَّةً لاَ ضَيْمَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ
فَإِنْ نَزَلَ السَّوَاءُ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُم بَنِي حصن بَقَاءُ[3]

---

(١) انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص:٢٣)، والطبري (٣/ ٣٠٣).

(٢) معاني الزجاج (١/ ٤٢٥).

(٣) البيتان لزهير بن ربيعة المزني، شاعر جاهلي، أحد أصحاب المعلقات. انظر: ديوانه (ص: ٢١)، وفيه: «أرونا سنة» بدل «أروني خطة». وانظر البيت الأول في: اللسان، مادة: (سوا)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٧)، والدر المصون (١/ ١٠٤، ١٢٥)، والقرطبي (٤/ ١٠٦، ١١/ ٢١٢)، وزاد المسير (١/ ٤٠٢)، والحجة للفارسي (١/ ١٦٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٢٦).

فالمعنى: هلموا إلى كلمة عادلة، مستوية بيننا وبينكم، لا تختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن.

وقرأ الحسن البصري: «سواءً»، بالنصب، على معنى: استوت سواء[١].

«ألا نعبد» بدل من «كلمة»، أو في موضع رفع، على معنى: هي[٢].

﴿ألا نعبد إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ كما اتخذتم عيسى وعُزيراً، وهم بشر مثلنا، أو لا نطيع الأحبار في ما حرَّموا وحلَّلوا من غير شريعة، كما قال: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً من دُونِ الله﴾ [التوبة:٣١].

﴿فإن تولَّوا﴾ أعرضوا عن التوحيد، وعن ما أتيتم به من الهدى والبيان ﴿فقولوا﴾ على وجه التضليل لآرائهم، والتقريع لهم: ﴿اشهدوا﴾ اعْلَموا، وأَعْلموا مَن وراءكم، ﴿بأنّا مسلمون﴾ مستسلمون منقادون للحق، إذ تعاصيتم عليه، ونكصتم عنه. وبهذه الآية العظيمة دعا رسول الله ﷺ قيصرَ ملكَ الروم إلى الإسلام حين كتب إليه يقول: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى قيصر عَظِيمِ الرُّوم: سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْد: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلام أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٣]، و﴿يَا أَهْلَ الكِتَاب تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا الله وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُون﴾»[٤].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٠٦).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٣٨)، والدر المصون (٢/ ١٢٥).

(٣) المراد بهم: الخَدَمُ والخَوَلُ، يعني: بصده لهم عن الدين (تاج العروس، مادة: أرس).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٩ ح٧)، ومسلم (٣/ ١٣٩٦ ح١٧٧٣).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم﴾ قال ابن عباس: اجتمع عند النبي ﷺ أحبار اليهود، ونصارى نجران، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانياً، فنزلت هذه الآية[1].

﴿وما أنزلت التوراة﴾ التي حدثت اليهودية بعد نزولها، ﴿والإنجيل﴾ الذي نزلت النصرانية بعد نزوله، ﴿إلا من بعده﴾ أي: من بعد موت إبراهيم بدهر طويل، فبين إبراهيم وموسى نحو من ستمائة سنة، وبين موسى وعيسى ألف وثمانمائة سنة.

﴿أفلا تعقلون﴾ استحالة ما ادعيتم، وقبح ما أتيتم، فتُحجمون عن الجدال بالمحال.

قوله: ﴿ها أنتم﴾ قرأ نافع وأبو عمرو بتليين الهمز مع المد، وقرأ ابن كثير

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٣٠٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٥) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل. وذكره في لباب النقول (ص:٥٣).

بالقصر والهمز، على وزن: هَعَنْتُمْ، وقرأ الباقون بالمد والهمز[١]، وأصله: «ءأنتم» فقلبت الهمزة هاء، فعلى هذا هو استفهام في معنى التعجب من جهلهم.

و قيل: «ها» للتنبيه، «أنتم» مبتدأ، ﴿هؤلاء﴾ خبره[٢].

﴿حاججتم﴾ جملة مستأنفة مبيِّنة للجملة الأولى، على معنى: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم وجهلكم أنكم ﴿حاججتم فيما لكم به علم فلِمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾، وقيل: "هؤلاء" [بمعنى: الذين، و"حاججتم"][٣] صلته، ﴿والله يعلم﴾ دين إبراهيم، ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

ثم [وصفه بالحنيفية][٤] ونزَّهه عمَّا نسبوه إليه من اليهودية والنصرانية فقال: ﴿ما كان إبراهيم ... الآية﴾.

قوله عز وجل: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود، حين قالوا للنبي ﷺ: لقد علمت أنّا أولى بدين إبراهيم منك، إنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد[٥].

وقيل: إنها نزلت في مخاصمة جعفر بن أبي طالب، وعمرو بن العاص عند

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢-٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٥)، والكشف (١/ ٣٤٦)، والنشر (١/ ٤٠١-٤٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٥-١٧٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٧).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ١٣٩)، والدر المصون (٢/ ١٢٩).

(٣) ما بين المعكوفين غير ظاهر في الأصل، والمثبت من الكشاف (١/ ٣٩٨).

(٤) ما بين المعكوفين بياض في الأصل، ولعله كما أثبتناه.

(٥) ذكره الواحدي أسباب النزول (ص:١٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٣).

النجاشي، وكان من حديثهم ما رواه أبو صالح[١] عن ابن عباس، وعبد الرحمن بن غنم[٢] عن أصحاب رسول الله، ويونس بن بكير[٣] عن محمد بن إسحاق رفعه، دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى الحبشة، واستقرت بهم الدار، وهاجر رسول الله إلى المدينة، وكان من أمر بدر ما كان، اجتمعت قريش في دار الندوة، وقالوا: إنّ لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد ثأراً ممن قُتل منكم ببدر، فاجمعوا مالاً وأهدوه للنجاشي لعله يدفع إليكم مَنْ عنده من قومكم، ولينتدب[٤] لذلك رجلان من ذوي آرائكم، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط معهم الهدايا والأدم[٥] وغيره، فركبا البحر وأتيا النجاشي، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلَّما عليه، وقالا له: إنّ قومنا لك ناصحون وشاكرون، ولصلاحك محبّون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك من هؤلاء القوم الذين قدموا عليك؛ لأنهم قوم رجل كذَّاب، خرج فينا يزعم أنه رسول الله، ولم يتابعه أحد منّا إلا السفهاء، وإنّا كنا قد ضيَّقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شِعْب بأرضنا، لا يدخل عليهم أحد، ولا يخرج منهم أحد، فلمّا

---

(١) أبو صالح هو مولى أم هانئ (التقريب ص:١٢٠).

(٢) عبد الرحمن بن غنم -بفتح المعجمة وسكون النون- الأشعري، شيخ أهل فلسطين وفقيه الشام. وكان مولده في حياة النبي ﷺ. توفي سنة ثمان وسبعين (تذكرة الحفاظ ١/ ٥١).

(٣) يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر الجمّال، الكوفي، المحدِّث، صاحب المغازي. توفي سنة تسع وتسعين ومائة (تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٩٧).

(٤) ندب القوم إلى الأمر يندبهم ندباً: دعاهم وحثَّهم (اللسان، مادة: ندب).

(٥) الإدم بالكسر والأدم بالضم: ما يؤكل مع الخبز أيّ شيء كان (النهاية في غريب الحديث، مادة: أدم).

اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه[1] ليفسد عليك دينك ومُلكك ورعيتك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم.

قالوا: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك، ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس، رغبةً عن دينك وسُنَّتك.

قال: فدعاهم النجاشي، فلما حضروا صاح جعفر بالباب: يستأذن عليك حزبُ الله، فقال لهم النجاشي: مروا هذا الصائح فليُعِدْ كلامه، ففعل جعفر، فقال النجاشي: نعم، فليدخلوا بأمان الله وذمته، فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال: ألا تسمع كيف يَرْطُنُون[2] بحزب الله، وما أجابهم به النجاشي، فساءهما ذلك. ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له، فقال عمرو بن العاص: ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك؟ فقال لهم النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا لي، وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق؟ قالوا: نسجد لله الذي خلقك ومَلَّكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله منّا نبياً صادقاً، وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام، تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنّه في التوراة والإنجيل. قال: أيكم الهاتف: يستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: يتكلم، قال: إنك ملك من ملوك الأرض، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام، ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي، فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر، فتسمع محاورتنا. فقال عمرو

---

(١) يعني: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) قال في النهاية: يرطنون بحزب الله، أي: يكنون ولم يصرِّحوا بأسمائهم (النهاية في غريب الحديث، مادة: رطن).

لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين: أَعَبيدٌ نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيداً أَبَقْنَا من أربابنا، رُدَّنا إليهم، فقال النجاشي: أَعَبيدٌ هم يا عمرو أم أحرار؟ قال: بل أحراراً كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية. قال جعفر: فسلهما: هل أهرقنا دماً بغير حق فيُقتص منا؟ فقال عمرو: لا، ولا قطرة. قال جعفر: سلهما: هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟ قال النجاشي: يا عمرو؛ إن كان قنطاراً فعليّ قضاؤه. قال عمرو: [لا](١) ولا قيراط، قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال عمرو: كنا وهم على دين واحد وأمر واحد، على دين آبائنا، فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره، ولزمناه نحن، فبعثنا إليك قومنا وقومهم لتدفعهم إلينا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي كنتم عليه، والدين الذي اتبعتموه؟ أُصْدُقني، قال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه وتركناه، فهو دين الشيطان وأمره، كنا نكفر بالله تعالى، ونعبد الحجارة. وأما الدين الذي تحوَّلنا إليه: فدين الإسلام، جاءنا به من الله رسول كريم، وكتاب مثلُ كتاب ابن مريم موافقاً له، فقال النجاشي: يا جعفر؛ تكلمتَ بأمر عظيم، فعلى رِسْلِك.

ثم أمر النجاشي فضُرِب النَّاقُوس(٢)، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب، فلما اجتمعوا قال: أنشدكم بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى ابن مريم صلى الله عليه، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبياً [مرسلاً](٣)؟ قالوا: اللَّهم نعم، قد

---

(١) زيادة من تفسير الثعلبي (٣/ ٨٩)، وأسباب النزول (ص:١١٠).
(٢) الناقوس: مِضْراب النصارى الذي يضربونه لأوقات الصلاة (اللسان، مادة: نقس).
(٣) زيادة من تفسير الثعلبي (٣/ ٨٩)، وأسباب النزول (ص:١١٠).

بشَّرنا به عيسى ابن مريم[١]، وقال: مَن آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي، فقال النجاشي: يا جعفر، هي! بمَ يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه؟ قالوا: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمر بحُسْنِ الجوار، وصِلَة الرَّحِم، وبرّ اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال له: اقرأ عليّ شيئاً مما يقرأ عليكم، فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدمع، وقالوا: يا جعفر؛ زدنا من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليهم سورة الكهف. فأراد عمرو أن يُغْضِب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ عليهم جعفر سورة مريم، فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة[٢] من سواكه قدر ما تقذي العين، فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا.

ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال: اذهبوا فأنتم سُيُومٌ[٣] بأرضي، يقول: آمنون، مَن سبَّكم أو آذاكم غَرِم، ثم قال: أبشروا ولا تخافوا، فلا دهورة[٤] اليوم على حزب إبراهيم، فقال عمرو للنجاشي: ومَن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم، فأنكر ذلك المشركون

---

(١) ومصداق ذلك من القرآن، قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعد اسمه أحمد ... الآية﴾ [الصف:٦].

(٢) النفثة والنفاثة: الشظية من السواك تبقى في فم الرجل فينفثها (اللسان، مادة: نفث).

(٣) سيوم: أي: آمنون (النهاية في غريب الحديث، مادة: سيم).

(٤) الدهورة: جمعك الشيء وقذفك به في مهواة. كأنه أراد لا ضيعة عليهم، ولا يترك الله حفظهم وتعهدهم (النهاية في غريب الحديث، مادة: دهر).

وادّعوا في دين إبراهيم، ثم ردّ النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه، وقال: إنما هديتكم إليّ رشوة، فاقبضوها، فإن الله ملّكني ولم يأخذ مني رشوة، قال جعفر: فانصرفنا فكنا في خير دار، وأكرم جوار، فأنزل الله تعالى في ذلك اليوم في خصومتهم في إبراهيم على رسوله ﷺ وهو بالمدينة: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ على مِلّته وسُنّته ﴿وهذا النبي﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[(١)].

أنبأنا حنبل بن عبد الله بن الفرج بن شعبان أبو علي[(٢)]، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين[(٣)]، أخبرنا أبو علي بن المذهب[(٤)]، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي[(٥)]، أخبرنا عبد الله -يعني: ابن الإمام أحمد- قال: حدَّثني أبي، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٠٨-١١١)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ٨٨-٩٠) مرسلاً، والسيوطي في الدر (٢/ ٢٣٧) وعزاه لعبد بن حميد من طريق شهر بن حوشب عن ابن غنم.

(٢) كان يكبر بجامع المهدي وينادي في الأملاك، سمع مسند الإمام أحمد جميعه من أبي القاسم ابن الحصين. توفي سنة أربع وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣١، وتكملة الإكمال ٢/ ٣١٥).

(٣) هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني، أبو القاسم البغدادي، الكاتب، مسند العراق. توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٦).

(٤) الحسن بن علي التميمي، أبو علي الواعظ، سمع المسند والزهد للإمام أحمد. توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة (التقييد لابن نقطة ١/ ٢٧٩، والعبر ٢/ ٢٨٥، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧١).

(٥) أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي، أبو بكر القطيعي الحنبلي، الشيخ العالم المحدِّث، مسند العراق، راوي مسند الإمام أحمد وغيره. توفي في ذي الحجّة سنة ثمان وستين وثلاثمائة (لسان الميزان ١/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٠).

عبدالله[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبيٍّ وُلاةٌ مِن النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّي مِنهُمْ أَبي وَخَلِيلُ رَبي، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبـيُّ وَالَّـذِينَ آمَنُوا والله ولي المؤمنين﴾»[٢].

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

قوله: ﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب﴾[٣] قال ابن عباس: نزلت في قول اليهود لمعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد[٤].

قوله تعالى: ﴿لِمَ تكفرون بآيات الله﴾ يعني: القرآن، والآيات المشتملة على نعته، والشهادة برسالته في التوراة والإنجيل ﴿وأنتم تشهدون﴾ أنها حق.

---

(١) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٠ ح ٣٨٠٠).

(٣) كتب مقابلها في الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً سابعاً، مرة ثانية.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٤).

قوله: ﴿لِمَ تَلْبسون الحق بالباطل﴾ وهو إيمانهم بالنبي أول النهار، وكُفْرهم به آخره.

يقصدون بذلك إدخال الشبهة، وإيقاع الريبة في قلوب المسلمين، وقد سبق تفسير الآية في البقرة[١].

قوله: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾ قال الحسن: تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: بأنَّا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت، المبعوث آخر الزمان، فيشك أصحابه في دينهم. ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلى دينهم[٢]، فنزلت هذه الآية[٣].

ووجه النهار: أوله[٤].

وأنشدوا:

---

(١) الآية رقم (٤٢).

(٢) في أسباب النزول: فيرجعون عن دينهم إلى دينكم.

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٣١١-٣١٢) عن السدي بمعناه، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٩). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥) كلاهما عن الحسن والسدي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٩٦)، والزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٢٩)، والنحاس في معاني القرآن (١/ ٤٢٠)، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص:١٠٦).

مَـنْ كَـانَ مَـسْرُوراً بمَقْتَـلِ مَالِـكٍ فَلْيَـأْتِ نِـسْوَتَنَا بوَجْـهِ نَهَـارِ
يَجِـدِ النِّـسَاءَ حَـوَاسِراً يَنْدُبْنَـهُ قَـدْ قُمْـنَ قَبْـلَ تَـبَلُّجِ الأَسْـحَارِ[(١)]

قوله: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ هـذا مـن تمـام كـلام اليهـود، يقـول علماؤهم لقلّتهم: لا تُصَدِّقوا إلا مَن تبع دينكم، وجاء باليهودية.

واللام في قوله «لِمَنْ» صلة[(٢)].

ولا تصدقوا أن أحداً يؤتى مثل ما أوتيتم مـن العلـم، وفَلْـقِ البحـر، والمـن والسلوى، وغير ذلك، ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم، لأنكم أقومُ منهم قيلاً، وأهدى سبيلاً.

ويكون قوله على هذا: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ كلاماً معترضاً من الله تعالى، وهذا معنى قول مجاهد والأخفش[(٣)].

وقيل: إن قوله: «ولا تؤمنوا» متعلقٌ بقوله: «أن يؤتى» على معنى: لا تُظهروا إيمانكم أن أحداً يؤتى مثل ما أوتيتم من الكتاب، إلا لمن تبع دينكم مـن الأحبـار والأشياخ الذين يُؤمَن تزلزلهم ورجوعهم عن دينهم فقط، ولا تفـشوا ذلـك إلى

---

(١) البيتان للربيع بن زياد العبسي يبكي مالك بن زهير بن خزيمة العبسي الذي قتل في عوف ابن بدر. وانظرهما في: معاني الزجاج (١/ ٤٢٩)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥-٤٠٦)، والخزانة (٣/ ٥٨٣). والمعنى: من كان مسروراً بمقتله فخليق به أن يُسرّ؛ لأن حزننا عليه أصابنا بكل هذا. ومعنى "حواسراً يندبنه": أي يكشفن عن وجوههن، وأصبحن لا يبالين أن يراهن الأجانب لما حلَّ بهنّ من المهانة.

(٢) قال النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٨٦): هذه الآية من أشكل ما في السورة، والإعراب بَيِّنها.

(٣) انظر: الطبري (٣/ ٣١٤)، وزاد المسير (١/ ٤٠٦).

المسلمين، فيزدادوا ثباتاً على دينهم، وجرأة علينا، ولا تُظهروه للمشركين فيرغبوا في الإسلام.

﴿أو يحاجوكم﴾ عطف على «أن يوتى»، على معنى: لا تُظهروا إيمانكم أن أحداً يؤتى مثل ما أوتيتم، أو أنهم يحاجوكم عند ربكم، ويكون لهم الغلبة، إلا لأهل دينكم، وعلى هذا يكون «قل إن الهدى هدى الله» كلاماً معترضاً.

وقيل: تم كلام اليهود عند قوله: «لمن تبع دينكم»، فقال الله لنبيه: «قل إن الهدى»، «إن» واسمها «هدى الله» بدل من «الهدى»، «أن يؤتى» خبر «إنَّ»، والمعنى: قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحق الذي جاءكم به موسى فغيَّرتموه وبدَّلتموه حتى «يحاجوكم عند ربكم»، أي: في حكم ربكم، كما تقول: هذه المسألة عند أحمد كذا، وعند الشافعي كذا، أي: في حكمه، أو يكون المعنى: حتى يحاجوكم عند الله يوم القيامة، فيقرعوا باطلكم بحقهم.

وقيل أيضاً: تم كلام اليهود عند قوله: «تبع دينكم»، «قل» لهم يا محمد: "إن الهدى" الذي ينبغي أن يُهتدى ويُقتدى به "هدى الله". وقل لهم موبخاً لهم: «أن يؤتى»: لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم، دعاكم إلى قول ما قلتم[1].

ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن كثير: «أأن يؤتى أحد»[2] بتحقيق الهمزة الأولى،

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ١٣٦) وما بعدها.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦)، ولابن زنجلة (ص:١٦٥)، والكشف (٧/ ٣٤٧)، والنشر (١/ ٣٦٥-٣٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٧).

وتليين الثانية، والفصل بألف على الاستفهام للتوبيخ، بمعنى «أَأَلأَن يؤتى أحد»[(١)].

فإن قيل: كيف يرتبط «أو يحاجوكم» بما قبله على هذا المعنى؟

قلت: التقدير: فعلتم ما فعلتم، وقلتم ما قلتم، لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، ولما يتصل به [عند كفركم به][(٢)] من محاجتهم لكم عند ربكم، فحملكم على ذلك الحسد، ألا تراه يقول: «إن الفضل بيد الله».

ولقراءة ابن كثير وجوه من المعاني والإعراب، فإن قلنا: هو من تمام كلام اليهود، فيكون في موضع رفع بالابتداء، خبره محذوف، تقديره: تعترفون وتظهرون. أو في موضع نصب بتقدير: تشيعون وتظهرون ذلك الذي أوتوه.

وإن قلنا: هو من كلام الله، فجائز أن يكون توبيخاً لليهود كما سبق. وجائز أن يكون خطاباً للمؤمنين، على معنى: لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المؤمنون يحسدونكم، ويفعلون ما يفعلون.

وقرأ الحسن البصري والأعمش: «إن يؤتى» بكسر الهمزة[(٣)]، على معنى: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، وقولوا لهم: ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم، يعني: ما تؤتون مثله، فلا يحاجوكم، فيكون من كلام اليهود بعضهم لبعض.

---

(١) وقد ضَعَّف أبو علي الفارسي قراءة ابن كثير فقال: وهذا موضع ينبغي أن تُرَجَّحَ له قراءةُ غير ابن كثير على قراءته؛ لأن الأسماء المفردة ليس بمستمر فيها أن تدل على الكثرة (انظر: الحجة ٢/ ٢٨).

(٢) زيادة من الكشاف (١/ ٤٠١).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص:٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٦)، والقراءات الشاذة للقاضي (ص:٣٥).

وقيل على هذه القراءة: هو من كلام الله بلا اعتراض، ويكون كلام اليهود تاماً عند قوله: «تبع دينكم»، فالمعنى: قل يا محمد؛ إن الهدى هدى الله ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد «أو يحاجوكم» بمعنى: إلا أن يحاجوكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم.

وقوله: «عند ربكم» أي: عند فعل ربكم بكم ذلك. وتكون «أو» على هذا القول بمعنى الجحد والنفي. وهذا معنى قول سعيد بن جبير، والحسن[1]، ومقاتل[2].

قال الفرّاء[3]: ويجوز أن تكون «أو» بمعنى حتى. كما يقال: تَعَلَّقْ به أو يعطيك حقك، أي: حتى يعطيك حقك.

وقال امرؤ القيس[4]:

فَقُلْتُ لَهُ لاَ تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

أي: حتى نموت.

﴿قل إن الفضل بيد الله﴾ النبوة والكتاب، ﴿يؤتيه مَن يشاء﴾ لا من تشاءون أنتم أيها اليهود، ﴿والله واسع عليم﴾ بمن يصلح للاصطفاء والاجتباء.

---

(١) الماوردي (١/ ٤٠٢)، وزاد المسير (١/ ٤٠٦).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ١٧٨).

(٣) معاني الفراء (١/ ٢٢٣).

(٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، جاهلي، من الطبقة الأولى من الشعراء (طبقات الشعراء ص:٤٩، ومعجم الشعراء ص:٩). انظر البيت في: ديوانه (ص:٦٦)، والدر المصون (٢/ ١٣٩)، والخصائص (١/ ٦٣)، وابن يعيش (٧/ ٢٢)، والقرطبي (٧/ ٢١٨، ١٠/ ٣٩١، ١٦/ ٢٧٣)، والطبري (١٣/ ١٩٢).

﴿يختص برحمته﴾ وهي النبوة، في قول مجاهد[١]، والقرآن والإسلام، في قول ابن جريج[٢].

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ على أوليائه وأهل طاعته.

۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾[٣] قال ابن عباس: أَوْدَعَ رجلٌ عبد الله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأدَّاها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء[٤] ديناراً، فخانه، فذمَّه الله بهذه الآية[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٢)، ومجاهد (ص:١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٤٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٣١٦). وذكره الماوردي (١/ ٤٠٢)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) كتب مقابلها في الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً ثالثاً.

(٤) فنحاص بن عازوراء: من أحبار اليهود الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ويأتونه اللبس ليلبسوا الحق بالباطل، من بني قينقاع، وكان من علمائهم وصاحب بيت مدراسهم، وهو الذي نسب الفقر إلى الله والغنى لليهود (السيرة لابن هشام ٣/ ٩٦-٩٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٨).

وقال مقاتل[١]: الأمانة ترجع إلى من أسلم من أهل الكتاب، والخيانة إلى مَن لم يسلم.

وقيل: أن الذين يؤدون الأمانة: النصارى؛ لغلبة الأمان عليهم، والذين لا يؤدونها: اليهود؛ لغلبة الخيانة عليهم[٢].

والباء بمعنى: على، وقد سبق ذكر القنطار[٣].

والدينار[٤]: فارسي معرب، وأصله دِنَّارٌ، كما قدَّمنا ذكره، وهو وإن كان معرَّباً، فليس تَعْرِفُ له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك اشتقوا منه [فعلاً][٥]، فقالوا: رجل مُدَنَّرٌ: كثير الدنانير، وبِرْذَوْنٌ مُدَنَّرٌ: [أشهب][٦] مستدير النقش ببياض وسواد[٧].

والمراد بقوله: ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ لزوم التقاضي.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ١٧٧) بمعناه. وانظر: زاد المسير (١/ ٤٠٩).

(٢) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٩): فإن قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً، والخلق على ذلك؟

فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك.

(٣) عند الآية (١٤) من هذه السورة.

(٤) الدينار: (٢٤) قيراطاً، والقيراط (٣) حبات من وسط الشعير، فوزنه (٧٢) حبة. والدينار: هو المثقال، والقنطار ٤ أرباع، والربع (٣٠) رطلاً، والرطل (١٢) أوقية، والأوقية (١٦) درهماً، والدرهم (٣٦) حبة شعير (انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٧٥، ومعجم ألفاظ القرآن، مادة: دنر).

(٥) زيادة من زاد المسير (١/ ٤٠٩).

(٦) مثل السابق.

(٧) زاد المسير (١/ ٤٠٩).

فصل

اختلف القراء في الهاء المتصلة بالفعل المجزوم، فقرأ أبو بكر[١] وأبو عمرو وحمزة[٢]: «يُؤَدِّهِ»، و«لاَ يُؤَدِّهِ»، و«نُؤْتِهِ مِنْها»[٣] في موضعين في هذه السورة. وفي النساء: «نُوَلِّهِ»، «ونُصْلِهِ»[٤]، وفي الشورى: «نُؤْتِهِ مِنْها»[٥] بإسكان الهاء في السبعة[٦]، وقرأ ذلك قالون بكسر الهاء من غير ياء. وقرأ الباقون بصلة الهاء بياء في الوصل.

وحُجَّة من قرأ بالإسكان: أن هذه الأفعال قد حُذفت الياء التي قبل الهاء فيها

---

(١) شعبة بن عياش الكوفي، أبو بكر، الإمام، أحد رواة الإمام عاصم. توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة (طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٣٢٥، وميزان الاعتدال ٧/ ٣٣٧-٣٤٠).

(٢) حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة، توفى سنة ست وخمسين ومائة (طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٢٦١، والجرح والتعديل ٣/ ٢٠٩).

(٣) الآية: ١٤٥.

(٤) الآية: ١١٥.

(٥) الآية: ٢٠.

(٦) وقد طعن الزجاج في هذه القراءة فقال: هاء الإسكان الذي رُوي عن هؤلاء غَلَطٌ بَيِّنٌ؛ لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم ولا تسكَّن في الوصل، إنما تسكَّن في الوقف. وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فَغُلِطَ عليه كما غُلِطَ عليه في ﴿بارئكم﴾ [البقرة:٥٤] (انظر: معاني الزجاج ١/ ٤٣٢).
وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٢/ ١٤١): وهذا الردّ من الزجاج ليس بشيء؛ لوجوه، منها: أنه فَرَّ من السكون إلى الاختلاس، والذي نصَّ على أن السكون لا يجوز نصَّ على أن الاختلاس أيضاً لا يجوز، بل جعل الإسكان في الضرورة أحسن منه في الاختلاس.
ومنها: أن هذه لغة ثابتة عند العرب حَفِظَها الأئمة الأعلام؛ كالكسائي والفراء، فيسكّنون الهاء كما يسكّنون ميم (أنتم) و(فمنهم) وأصلها الرفع.

للجزم، وصارت الهاء في موضع لام الفعل، وحلّت محلها، فأسكنت كما تسكن لام الفعل.

ألا ترى أنهم قد قالوا: لم يَقْرْ فلان القرآن، فحذفوا حركة الهمزة للجزم وأبدلوا من الهمزة الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها، ثم حذفوا أيضاً الألف للجزم، كذلك حذفوا الباء قبل الهاء للجزم، وأسكنوا الهاء للجزم، إذ حلت محل لام الفعل.

وليست هذه العِلَّة بالقوية.

وفيه عِلَّة أخرى: وذلك أن مِنَ العرب مَنْ يُسكِّن هاء الكناية إذا تحرك ما قبلها، فيقولون: ضَرَبْتُهْ ضرباً شديداً. يحذفون صلتها، ويُسكِّنونها كما يفعلون بميم الجمع، فالهاء إضمار والميم إضمار، فجريا مجرىً واحداً في جواز الإسكان. وقد كان يجب أن يكون الحذف مع الهاء أقوى منه مع الميم، لأن صلة الميم أصل من الاسم المضمر، وصلة الهاء إنما هي تقوية، فإذا حسن حذف ما هو أصل، فحذف ما هو غير أصل أقوى. وهذا الوجه أقوى من الأول على ضعفه أيضاً.

وحُجَّة مَن قرأ بالكسر من غير ياء: أنه أجرى على أصله، قبل الجزم.

وحُجَّة من وصل بياء: أن الهاء حرف ضعيف خفي، فقوي بالياء في الكسر، وبالواو في الضم[1].

والسبعة وجمهور القرّاء على ضم الدال من «دُمْتَ»، وهي لغة أهل الحجاز[2]،

(١) انظر: الحجة لابن زنجلة (ص:١٦٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٠٧-٢١٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٦).

(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ١٤٣).

لأنها من دَامَ يَدُومُ.

وقرأ يحيى بن وثَّاب[1]: «دِمْت» -بكسر الدال- من دَامَ يَـدَامُ، مثـل: خَـافَ يَخَافُ، وهَابَ يَهَابُ[2].

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ترك الأداء بسبب قولهم: ﴿ليس علينا في الأميين﴾، أي لا يتطرق علينـا إثـم، ولا ذم بـها نختـان مـن أمـوال العـرب، يـشيرون بـذلك إلى استحلالهم أموال المسلمين، ومَن خالفهم من العرب.

﴿ويقولون على الله الكذب﴾ وهو قولهم: "ليس علينـا في الأميـين سـبيل"، ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون، لأنهم قرؤوا في التوراة لزوم الوفاء، وأداء الأمانة.

قوله: ﴿بلى﴾ رَدٌّ عليهم، وإثبات من الله لما نفوه من السبيل، وهو وقف تـام، ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: ﴿بلى من أوفى بعهده﴾ أي بعهد الله.

وقيل: بعهد الموفي.

﴿واتقى﴾ فأدى الأمانة، واجتنب الخيانة، ﴿فإن الله يحب المتقين﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

---

(١) يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم، كوفي تابعي ثقة، كان يقرئ أهل الكوفة في زمانه. توفي سنة ثلاث ومائة (طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٨٠، ومعرفة الثقات ٢/ ٣٥٨).

(٢) مختصر ابن خالويه من شواذ القرآن (ص:٢١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤٥)، وهي قراءة شاذة.

قوله: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾.

أخرجا في الصحيحين: أن الأشعث بن قيس قال: «كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِن اليَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبي ﷺ، فَقَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قُلْتُ: لا، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: احْلِفْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِذاً يَحْلِفُ فَيَذْهَبُ بِمَالي، فَأَنْزَلَ الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ ... الآيَةِ﴾»[(١)].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبي أُمَامَة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ الله لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يا رسول الله؛ وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً. قَال: وَإِنْ كان قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»[(٢)].

هذا هو المشهور في التفسير.

وقال عكرمة ومقاتل[(٣)]: نزلت في الذين كتموا صفة النبي ﷺ من اليهود، لِما كانوا يأخذونه من سفلتهم من الدنيا[(٤)].

فالعهد -على القول الأول-: ما أخذه عليهم من لزوم الطاعة.

وعلى القول الثاني: ما أخذه عليهم من بيان صفة النبي محمد عليه السلام.

﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي لا نصيب لهم في الجنة ونعيمها، ﴿ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم﴾ لهوانهم عليه، أو هو كناية عن غضب الله عليهم، وإعراضه عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٤٨ ح٢٥٢٣)، ومسلم (١/ ١٢٢-١٢٣ ح١٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٢٢ ح١٣٧).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٧٩).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١١).

قال الزجاج[١]: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

﴿ولا يزكيهم﴾ أي: لا يُطهّرهم من دنس كفرهم وذنوبهم، أو لا يثني عليهم.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر[٢] عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِم، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. فقَالَ أَبُو ذرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِب»[٣].

فإن قيل: إن حملت الآية على اليهود فلا إشكال فيها، وإن كانت في حق الذين يفعلون ذلك من المسلمين فما وجهها؟ وقد علمنا بالدليل القطعي أن فسقهم لا يوجب انتفاء نصيبهم من الجنة، ولا لزوم ما ذكر؟.

قلت: إما أن يُحمل على التغليظ، وإما أن يُراد به: لا خلاق لهم بأول وهلة، بل لا بد من عذابهم، وإيقاع ما يستحقونه بهم، ولا يكلمهم الله كلاماً ينفعهم، ولا يثني عليهم.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٣٤).

(٢) أبو ذر: هو جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، أبو ذر الغفاري (الإصابة ٧/ ١٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٠٢ ح١٠٦).

والمُنَفِّق -بالتشديد-: من النَّفَاق، وهو ضد الكساد (اللسان، مادة: نفق).

والمُسْبل: الذي يُطَوِّل ثوبه ويُرْسِله إلى الأرض إذا مشى، وإنما يفعل ذلك كِبْراً واختيالاً (اللسان، مادة: سبل).

والمنَّان: هو الذي لا يعطي شيئاً إلا منَّه واعتدَّ به على من أعطاه (اللسان، مادة: منن).

وإما أن يكون من الوعيد لمن فعل ذلك مستحلاً فإنه يكفر، ويستحق جميع ما تُوعّد به.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وإن منهم﴾[1] يعني: أهل الكتاب، ﴿لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ أي: يقلبونها بالتحريف والزيادة.

والأَلْسِنَة: جمع لِسَان، كَحِمَار وأَحْمِرَة.

قال أبو عمرو: واللسان يُذكَّر ويُؤنَّث، فمن ذَكَّره جمعه: أَلْسِنَة، ومَن أَنَّثه جمعه: أَلْسُناً[2].

وقال الفرّاء[3]: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مُذكَّراً، تقول العرب: سبق من فلان لسان؛ يعنون به الكلام، فيُذكِّرونه.

---

(١) جاء في هامش المخطوط ما نصه: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً ثامناً، مرة ثانية.

(٢) لسان العرب، مادة: (لسن).

(٣) لم أقف عليه في معاني الفراء، وهو في زاد المسير (١/ ٤١٢).

أنشد ابن الأعرابي[١]:

[لِسَانُكَ][٢] مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ شَحَّةٌ ... وَعِنْدَ الثُّرَيَّا من صَدِيقِكَ مَالِكَا[٣]

وأنشد ثعلب[٤]:

نَدِمْتُ عَلى لِسَانٍ كَانَ مِنِّي ... فَلَيْتَ بأَنَّهُ في جَوْفِ عِكْمِ[٥]

فذَكَّر اللسان لإرادته الكلام.

وأنشد ثعلب:

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ ... أَحَادِيثُها بَعْدَ قَوْلٍ نُكُرِ[٦]

فأَنَّث اللسان؛ لأنه عنى الكلمة والرسالة.

قوله عز وجل: ﴿ما كان لبشر... الآية﴾ قال ابن عباس: سبب نزولها أن قوماً من رؤساء اليهود والنصارى قالوا: يا محمد؛ أتريد أن نتخذك رباً، فقال: «معاذ الله، ما بذلك بعثني ربي»[٧].

---

(١) محمد بن زياد أبو عبد الله، ابن الأعرابي، كان نحوياً عالماً باللغة والشعر. توفي سنة ثلاثين -وقيل: سنة إحدى وثلاثين- ومائتين (إنباه الرواة ٣/ ١٢٨، والأعلام للزركلي ٦/ ١٣١).

(٢) في الأصل: لسانه. والتصويب من زاد المسير (١/ ٤١٢).

(٣) البيت لم أعرف قائله. وهو في زاد المسير (١/ ٤١٢)، واللسان مادة: (شحح).

(٤) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، أبو العباس النحوي، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين (الأعلام للزركلي ١/ ٢٦٧).

(٥) البيت للحطيئة. انظر: ديوانه (ص:٣٤٧)، واللسان، مادة: (عكم، لسن)، وزاد المسير (١/ ٤١٢). والعِكْم: العِدْل، داخل الجنب، في الثوب.

(٦) البيت لم أعرف قائله. وهو في زاد المسير (١/ ٤١٢)، واللسان، مادة: (لسن).

(٧) أخرجه الطبري (٣/ ٣٢٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٣)، والثعلبي (٣/ ١٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٠) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في

وقال الضحَّاك: نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى[١].

فعلى القول الأول: المراد بالكتاب: القرآن.

وعلى القول الثاني: الإنجيل.

والمعنى: ما ينبغي ولا يصلح لبشر خصّه الله بإنزال الكتاب عليه، وأنعم عليه بالحكمة والنبوة أن يدعوَ الخلق إلى غير الحق.

﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ أي: ولكن يقول لهم كونوا ربانيين.

قال المبرد[٢]: الرَّبَّاني الذي يَرُبُّ العلم، ويَرُبُّ الناس، أي: يعلمهم ويصلحهم[٣].

وحكى ابن الأنباري[٤] عن بعض اللغويين[٥]: الرَّبَّاني منسوب إلى الرَّبّ، لأن العلم مما يُطاع الله به، فدخلت الألف والنون[٦] في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل =

الدلائل. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١١٥-١١٦) من طريق الكلبي وعطاء، والسيوطي في لباب النقول (ص:٥٤).

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ١٠١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٣).

(٢) محمد بن يزيد الأزدي، أبو العباس المبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. توفي سنة ست وثمانين ومائتين (الأعلام للزركلي ٧/ ١٤٤).

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (١/ ٤٥٦).

(٤) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر بن الأنباري النحوي، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، وأكثرهم حفظاً للشعر والأخبار، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (الأعلام للزركلي ٦/ ٣٣٤).

(٥) انظر: زاد المسير (١/ ٤١٣).

(٦) في الأصل: واللام. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

لِحْياني، إذا بالغوا في وصفه بكبر اللِّحْيَة.

قال عليّ رضي الله عنه: الربانيون: الذين يغذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها[١].

وقال ابن عباس: هم الفقهاء العلماء الحكماء[٢].

وقد روي عن محمد ابن الحنفية أنه قال يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة[٣].

﴿بما كنتم تُعلّمون الكتاب﴾ قرأ ابن عامر[٤] وأهل الكوفة: «تُعلّمون» بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف[٥]. فمَن شدَّد فلما فيه من المبالغة في الوصف بالعلم والتعليم، ومَن خفَّفه حمله على قوله: ﴿تَدْرُسون﴾، فطابق بين الفعلين وجانس بين اللفظين.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٣).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩١)، ومجاهد (ص:١٣٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٠-٢٥١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ١٠٢).

(٤) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليَحْصَبيّ الدمشقي، أبو عمران المقرئ، توفي سنة ثمان عشرة ومائة (التقريب ص:٣٠٩).

(٥) وفتح التاء واللام.

انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٧)، والكشف (١/ ٣٥١)، والنشر (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٦-١٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٣).

وفي حرف ابن مسعود: «تُدَرِّسُون» بالتشديد[١].

قوله: ﴿ولا يَأمُرَكم﴾ قرأ الأكثرون بالرفع، ونصبه ابن عامر وعاصم[٢] وحمزة عطفاً على «يقول»[٣]. وفيه وجهان:

أحدهما: أن تجعل «لا» مزيدة لتأكيد النفي في قوله: «ما كان لبشر». والمعنى: ما كان لبشر أن يختصه الله للنبوة والحكمة وينصبه لدعاء الخلق إلى الله، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له، كما تقول: ما كان لزيد أن أكرمَه ثم يُهينني.

والثاني: أن تجعل «لا» غير مزيدة، على معنى: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يقول: ولا أن يأمركم[٤].

ومن رفع قطعه مما قبله[٥].

---

(١) انظر قراءة ابن مسعود في: زاد المسير (١/ ٤١٤). وقد نسبت هذه القراءة إلى غيره (انظر: مختصر ابن خالويه ص:٢١، والمحتسب ١/ ١٦٣).

(٢) عاصم بن بَهْدَلة، وهو ابن أبي النَّجُود الأسدي، مولاهم الكوفي، أبو بكر، أحد القراء السبعة، تابعي كان ثقة في القراءات، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (الأعلام للزركلي ٣/ ٢٤٨).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨)، ولابن زنجلة (ص:١٦٨)، والكشف (١/ ٣٥٠)، والنشر (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٣).

(٤) وهو اختيار الطبري (٣/ ٣٢٩).

(٥) قال السمين الحلبي في الدر المصون (١/ ١٥٠): قال الواحدي: ومما يدل على الانقطاع من الأول قراءة عبد الله: "ولَنْ يأمركم".

قال الفراء (١/ ٢٢٤-٢٢٥): فهذا دليل على انقطاعها من النَّسَق وأنها مستأنفة، فلما وقعت (لا) موقع (لن) رُفعت، كما قال تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ [البقرة:١١٩]، وهي في قراءة عبد الله: "ولن تسأل".

والضمير في «ولا يأمركم»، وفي «أيأمركم» للبشر[1].

وقيل: لله.

﴿أيأمركم بالكفر﴾ استفهام بمعنى الإنكار. وفي قوله: ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ دليل على أن الخطاب للمسلمين.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ قال الزجاج[2]: موضع «إذ» نصب، المعنى: اذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله.

قال ابن عباس: والميثاق: العهد، وهو العهد الذي أخذه الله على الأنبياء بتصديق محمد ﷺ[3].

أو بتصديق بعضهم بعضاً، أو بتبليغ ما أرسلوا به، أو هو الميثاق الذي أخذه الأنبياء على أممهم، أو هو على حذف المضاف، أي: ميثاق أولاد النبيين، وهم بنو إسرائيل. ويدل عليه قراءة ابن مسعود: «ميثاق الذين أوتوا الكتاب».

---

(١) وهو اختيار الطبري (٣/ ٣٢٩).

(٢) معاني الزجاج (١/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٣).

وكان مجاهد والربيع بن أنس يقرآنها كابن مسعود ويحكمان بغلط الكاتب[١]، واحتج الربيع بقوله: ﴿ثم جاءكم رسول﴾[٢].

ولا حُجَّة فيه؛ لما ذكرناه من حذف المضاف.

أو يكون التقدير: ثم جاءكم يا أمم النبيين الذين أخذ عليهم الميثاق، فلزمهم ما لزم أنبياءهم.

أو يكون التقدير: ميثاق النبيين وأممهم، فاكتفى بذكر المتبوع عن التابع.

قوله: ﴿لَمَا آتيتكم﴾ وقرأ حمزة «لِما» بكسر اللام.

وقرأ نافع: «آتيناكم»[٣]. فمَن فتح اللام -قال الزجاج[٤]-: هي لام التحقيق دخلت على «ما» الجزاء كما تدخل على «إنْ».

ومعناه: لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدِّق لما معكم لتؤمنن به. وتكون «اللام» في ﴿لتؤمنن به﴾ جواب الجزاء.

ومن كسر اللام جعلها متعلقة بـ«أخذ»، أي: أخذ ميثاقهم للذي آتاهم.

وجائز أن تكون «ما» على القراءتين موصولة، أي للذي آتيتكموه لتؤمنن به.

﴿ثم جاءكم رسول﴾ وهو محمد ﷺ، ﴿قال ءأقررتم﴾ أي: قال الله للنبيين:

---

(١) تفسير مجاهد (ص:١٣٠).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٣٢١) عن مجاهد والربيع بن أنس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٢) وعزاه لعبد بن حميد والفريابي وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠-٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٨-١٦٩)، والكشف (١/ ٣٥٠)، والنشر (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٣-٢١٤).

(٤) معاني الزجاج (١/ ٤٣٧).

﴿ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي: عهدي.

وقرأت لعاصم من رواية أبي بكر: "أُصْري"، بضم الهمزة[١].

قال أبو علي[٢]: يشبه أن يكون الضم لغة.

﴿قال فاشهدوا﴾، أي قال الله للنبيين: «فاشهدوا» على أممكم، وقيل: اشهدوا على أنفسكم وعلى أتباعكم. ﴿وأنا معكم﴾، عليكم وعليهم ﴿من الشاهدين﴾ وقيل: قال للملائكة: اشهدوا عليهم وأنا معكم من الشاهدين.

﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ قال ابن عباس: أي من أعرض عما جئتَ به، وأنكر ما عاهد الله عليه، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن العهد والإيمان.

أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤-٣٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٤).

(٢) الحجّة للفارسي (٢/ ٣٥).

عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

قوله: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ قرأ أبو عمرو بالياء، و«ترجعون» بالتاء المعجمة من فوق، وقرأهما الباقون بالتاء فيهما، إلا حفصاً فإنه قرأهما بالياء المعجمة من تحت بنقطتين[1].

قال ابن عباس: اختصم أهل الكتاب، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «كلا الفريقين بريءٌ من دين إبراهيم»، فغضبوا، وقالوا: والله ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾[2]، وهو دين محمد ﷺ.

﴿وله أسلم﴾ أي: انقاد وخضع ﴿من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ يوم[3] ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] أو هو إقرارهم أن الله خالقُهم ورازقُهم

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٠)، والكشف (١/ ٣٥٣)، والنشر (٢/ ٢٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٤).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ١٠٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٦).

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص:٢٧): لم أجد له إسناداً.

(٣) أي: يوم قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

وإن أشرك بعضهم، أو هو استسلامهم لنفاذ أمر الله فيهم، أو يكون إسلام الكافر إذا رأى بأس الله، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [غافر:٨٤] أو سجود ظله، أو هو من العام الذي أريد به الخاص، تقديره: مَن في السموات والأرض من المسلمين.

قوله: ﴿قل آمنا بالله ... الآية﴾ سبق تفسيرها في سورة البقرة[1]. وإنما أتى هاهنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لصحة المعنيين؛ لأن الوحي ينزل من السماء وينتهي إلى المؤمنين والأنبياء.

وقيل: إنما قال هاهنا: ﴿وما أنزل علينا﴾ لأن الأمر بالقول للنبي ﷺ، وفي البقرة: الأمر للمؤمنين، والوحي ينتهي إليهم، والرسل يأتيهم الوحي بطريق الاستعلاء[2]، وأَوْرَدُوا على هذا القول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٠٥]، ﴿وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [النحل:٤٤]، ﴿آمِنُوا بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [آل عمران:٧٢]، فلم يُرَاعَ هذا المعنى.

ويمكن أن يقال في الجواب عن هذا: الفرق المذكور صالح للتعليل به، وتجويز غيره لا يمنع من صلاحية التعليل به.

---

(١) عند الآية: ١٣٦.

(٢) قاله الراغب الأصفهاني. وحكاه السمين في الدر المصون (٢/ ١٥٩).

وقد ردّ هذا القول الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٠٨) فقال: ومن قال إنما قيل "علينا" لقوله: "قل"، و"إلينا" لقوله: "قولوا" تفرقةً بين الرسول والمؤمنين؛ لأن الرسول يأتيه الوحي عن طريق الاستعلاء، ويأتيهم على وجه الانتهاء، فقد تعسَّف. ألا ترى إلى قوله: ﴿بما أنزل إليك﴾ [البقرة:٤]، ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ [المائدة:٤٨]، وإلى قوله: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ [آل عمران:٧٢].

وما بعده مفسرٌ أو ظاهرٌ إلى قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ هم طائفة ارتدوا عن الإسلام، منهم الحارث بن سويد، فندم وعاد إلى الإسلام، فاستثناه الله بقوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾[1].

وقيل: نزلت في اليهود، كفروا بالنبي ﷺ حسداً بعد إيمانهم به قبل مبعثه[2]. والقولان عن ابن عباس.

والاستفهام هاهنا بمعنى الجحد، أي: لا يهدي الله قوماً هذا شأنهم. ومثله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ [التوبة:٧].

ومثله قول ابن الرقيات[3]:

---

(١) أخرجه النسائي في الصغرى (٧/ ١٠٧)، وأحمد (١/ ٢٤٧)، والحاكم (٢/ ١٥٤)، والبيهقي في سننه (٨/ ١٩٧)، وابن حبان (١٠/ ٣٢٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٦-١١٧) كلهم عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٧) وعزاه للنسائي وابن حبان وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه من طريق عكرمة عن ابن عباس.

وانظر: لباب النقول (ص:٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٣٤١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٨) وعزاه للطبري وابن أبي حاتم.

والقول الأول أصح، والثاني اختيار الطبري.

(٣) عبيد الله بن قيس بن شريح القرشي ابن الرقيات، شاعر قريش، كان أكثر شعره الغزل، وله مدح وفخر، لقب بابن قيس الرقيات، لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة: رقية. توفي سنة ٨٥هـ (الأعلام للزركلي ٤/ ١٩٦).

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ المَلِيحَةُ الحَسْنَاءُ[١]

﴿وشهدوا﴾ عطف الفعل على ما اشتمل عليه الاسم من معنى الفعل، تقديره: بعد أن آمنوا وشهدوا، أو تكون الواو للحال، أي: وقد شهدوا[٢].

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ أي: في عذاب اللعنة.

ثم استثنى من تاب وأناب فقال: ﴿إلا الذين تابوا ... ﴾ الآية.

قوله: ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾ وهم الذين ارتدوا مع الحارث ولم يرجعوا عن كفرهم، قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد رَيْبَ المنون[٣].

وقيل: هم اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بإقامتهم على كفرهم، لأنه كلما تجدد إنزال الوحي تجدد كفرهم به.

أو هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿لن تقبل توبتهم﴾ قال ابن عباس: عزموا على أن يظهروا التوبة ويضمروا الكفر[٤].

---

(١) البيتان لابن قيس الرقيات. انظر: ديوانه (ص:٩٦)، وشرح المفصل لابن يعيش (٩/ ٣٦)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٨٣)، والدر المصون (٢/ ١٦٠)، واللسان، مادة: (خدم، شعا) وفيه: "العقيلة العذراء" بدل "المليحة الحسناء"، والقرطبي (٤/ ١٢٩)، والطبري (٣٠/ ٣٤٤)، والوسيط (١/ ٤٦٠)، ومعاني الفراء (١/ ٤٣٢).

والخِدام: الخَلْخال (اللسان، مادة: خدم).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٤٣)، والدر المصون (٢/ ١٦١).

(٣) المنون: الموت (اللسان، مادة: منن).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٩).

وقيل: هذا إيذانٌ بموتهم على كفرهم، لأن الذي لا تُقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر. وهذا معنى قول الحسن ومجاهد[١].

قوله: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به﴾ قال الزمخشري[٢]: إن قلتَ: لِمَ قيل في إحدى الآيتين «لن تقبل» بغير فاء، وفي الأخرى «فلن يقبل»؟

قلت: قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر. وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ [وخبر][٣]، ولا دليل فيه على التسبيب، كما تقول: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيء له سبباً في استحقاق الدرهم بخلاف قولك: فله درهم.

قال الزجاج[٤]: ملء الشيء: مقدار ما يملؤُه.

قال سيبويه[٥] والخليل: المَلْءُ -بفتح الميم- الفعل، تقول: مَلأْتُ الشيء أَمْلؤُهُ مَلأً، المصدر بالفتح لا غير.

و"ذهباً" منصوب على التمييز[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٣٤٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٧٠١) كلاهما عن السدي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٩) وعزاه لابن جرير عن السدي.

(٢) الكشاف (١/ ٤٠٩).

(٣) في الأصل: أو خبر. والتصويب من الكشاف (١/ ٤٠٩).

(٤) معاني الزجاج (١/ ٤٤٢).

(٥) الكتاب (٢/ ٤٢).

(٦) انظر: التبيان (١/ ١٤٣)، والدر المصون (٢/ ١٦٤).

وقرأ الأعمش "ذَهَبٌ"[١] بالرفع، ردّه إلى «مِلْءُ»، كما تقول: عندي عشرون نفساً رجالٌ.

قال ابن فارس[٢]: ربما أُنِّث الذهب، فقيل: ذهَبة، وتُجمع على الأذهاب.

قال الفرّاء[٣]: الواو في قوله: ﴿ولو افتدى به﴾ قد يستغنى عنها، ولو حذفت كان صواباً، كقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

قال الزجاج[٤]: هذا غلط، لأن فائدة الواو بَيِّنَة، فليست مما تلغى، قال: والمعنى: لو قَدَّمَ ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يتقبل منه.

وقال غيره[٥]: «ولو افتدى به»: كلامٌ محمول على المعنى، كأنه قيل: فلن يُقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً.

ويجوز أن يراد: ولو افتدى بمثله؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ [الزمر:٤٧].

والمِثْل يحذف كثيراً في كلامهم، كقولك: ضربته ضرب زيد، تريد: مِثْل ضربه، كما أنه يراد في نحو قولهم: مِثْلك لا يفعل كذا، يريد: أنت.

والسرُّ فيه أن المثلين يسد أحدهما مَسَدّ الآخر، فكانا في حكم شيء واحد.

---

(١) ذكر هذه القراءة في: البحر المحيط (٢/ ٥٤٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٦٢).

(٣) معاني الفراء (١/ ٢٢٦).

(٤) معاني الزجاج (١/ ٤٤١).

(٥) قاله الزمخشري في الكشاف (١/ ٤١٠-٤١١).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً، أَكُنْتَ مفتدياً بهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ ما هو أَيْسَرَ مِنْ ذلِكَ»[1].

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر﴾[2] قال ابن عباس: هو الجنة[3].

وقال الحسن: المعنى: لن تكونوا أبراراً[4].

قال القاضي أبو يعلى[5]: لم يُرِد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦١ ح٢٨٠٥).

(٢) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً رابعاً. وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً تاسعاً، مرة ثانية.

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٣٤٧) عن عمرو بن ميمون والسدي. وابن أبي حاتم (٢/ ٧٠٣) عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود. ومن طريق آخر عن عمرو بن ميمون والسدي ومسروق.
وذكره الماوردي (١/ ٤٠٩) من قول السدي، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٦٣) من قول مسروق وعمرو بن ميمون.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٢٥).

(٥) محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، ابن الفرّاء، أبو يعلى الحنبلي، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب. توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٨٩، والأعلام للزركلي ٦/ ٩٩).

(٦) انظر: زاد المسير (١/ ٤٢٠).

﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ أي: حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها.

والمراد بذلك: النفقة في وجوه الطاعات والقربات إلى الله، سواء أكانت فرضاً كالزكاة، أو نفلاً.

ولما نزلت هذه الآية بادر ذوو النيات إلى العمل بها.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بالمَدِينَةِ مَالاً من نخل، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَا[1]، وَكَانَتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ النبي ﷺ يَدْخُلُهَا فَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَس: فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يا رسول الله، إِنَّ الله يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَا، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله أَرْجُو بِرَّهَا وَذخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا حيثُ أراكَ الله، فقَالَ: بَخ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، أو رايح -شك الراوي-، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِينَ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ»[2].

وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها، فقال: هذه في سبيل الله، فحمل عليها النبي ﷺ أسامة بن زيد، فكأنَّ زيداً وجد في نفسه، وقال: إنما أردت أن أتصدق به. فقال رسول الله ﷺ: «أما إن الله قد قبلها منك»[3].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ١١٤): هذه اللفظة كثيراً ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون: بيرحا، بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمها والمد فيهما، وبفتحهما والقصر. وهي اسم مال وموضع بالمدينة.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٠ ح١٣٩٢)، ومسلم (٢/ ٦٩٣ ح٩٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (٣/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٤)، والثعلبي (٣/ ١١٠).

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص:٢٧): وهو معضل.

وأعتقت امرأة جارية لا تملك غيرها، فقال النبي ﷺ: «حَجَبَتْكِ من النار»(١).

ويروى أن ابن عمر رضي الله عنهما قرأ هذه الآية يوماً، فقال: لا أجد شيئاً أحب إليّ من جاريتي رُمَيْثَة، هي حُرَّة لوجه الله تعالى. ثم قال: لولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها، فأنكحها نافعاً مولاه، فهي أم ولده(٢).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد(٣) بإسناده: أن الربيع بن خُثَيم(٤) جاءه سائل في ليلة باردة، فخرج إليه فرآه كأنه مَقْرُور(٥)، فقال: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، فنزع برنساً له، فأعطاه إياه.

ووقف سائل على بابه مرة أخرى، فقال: أطعموه سُكَّراً، فقالوا: الخبز أنفع له، فقال: ويحكم، أطعموه سُكَّراً فإن الربيع يحب السُّكَّر(٦).

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٩٣)

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ١١٠) بغير إسناد، عن حوشب.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٤٧)، والثعلبي (٣/ ١١١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٠) وعزاه لعبد بن حميد والبزار.

(٣) الزهد (ص:٣٩٩).

(٤) الربيع بن خثيم -بضم المعجمة وفتح المثلثة- بن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، من عباد أهل الكوفة وزهادهم والمواظبين منهم على الورع الخفي والعبادة الدائمة. توفي سنة إحدى أو ثلاث وستين (التقريب ص:٢٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ص:٩٩).

(٥) أي: بارد.

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٩٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١٥)، وهناد في الزهد (١/ ٣٤٤)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ١١١).

فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾

قوله: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾ السبب في نزولها: أن النبي ﷺ قال: «أنا على مِلَّة إبراهيم. فقالت اليهود: وكيف وأنت تأكل لحوم الإبل، وتشرب ألبانها؟ فقال: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم، فقالوا: كل شيء نُحرِّمه [نحن](١) فإنه كان مُحرَّماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأكذبهم الله بهذه الآية»(٢).

والحِلّ والحَلال كالحُرُم والحَرَام، واللُّبس واللِّبَاس. وجائز أن يكون الحل مصدراً، ولذلك استوى في الوصف المذكَّر والمؤنث، والواحد والجمع، نحو قوله: ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [الممتحنة:١٠].

﴿إلا ما حرم إسرائيل علىٰ نفسه﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لحوم الإبل وألبانها. روي عن النبي ﷺ(٣)، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، والحسن، وعطاء.

والثاني: زائدتا الكَبد، والكليتان، والشحم إلا ما على الظهر. قاله عكرمة.

والثالث: العروق. قاله مجاهد وقتادة(٤)، وروي عن ابن عباس(٥).

---

(١) زيادة من زاد المسير (١/ ٤٢٢).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ١١٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٢).

(٣) من حديث شهر بن حوشب عن ابن عباس الآتي.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:١٣٢).

(٥) ذكره الثعلبي (٣/ ١١٢-١١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٢-٤٢٣).

وكان السبب في تحريمه له ما روى شهر بن حوشب عن ابن عباس: «أَنَّ عِصَابَةً مِنَ اليَهُودِ حَضَرَتْ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: أخبرنا يا أحمدُ أَيُّ الطَّعَام حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاة؟ فقَالَ النبي ﷺ: أَنْشُدُكُمْ بِالله الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ يَعْقُوبَ مَرِضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَطَالَ سَقَمُهُ منه، فَنَذَرَ لله لَئِنْ عافاه الله مِنْ سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطعام والشَّرَاب إِلَيْهِ، وكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الإِبلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَاب إِلَيْهِ أَلبَانُهَا، فَقَالُوا: اللهمَ نَعَمْ»[١].

وروي عن ابن عباس: أن الأطباء وصفوا له اجتناب ما حرَّمه، فحرَّمه[٢].

وروي عن ابن عباس: أنه شكى عرق النَّسَا، فحرَّم العروق[٣].

واختلفوا هل حرَّم ذلك بإذن الله أم باجتهاده؟ على قولين[٤].

واختلفوا لماذا ثبت تحريمه على اليهود؟ فقال ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٤ ح٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣٦ ح٩٠٧٢)، وأحمد (١/ ٢٧٣ ح٢٤٧١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٣).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٨). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٦٣) وعزاه لعبد بن حميد والفريابي والبيهقي في سننه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) انظر: القرطبي (٤/ ١٣٥).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال الضحاك: وافقوا أباهم في التحريم(١).

وقال ابن السائب: حرّمه الله بعد التوراة، لا فيها، وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً حُرِّم عليهم طعام طيب، أو صُبَّ عليهم العذاب(٢).

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ لتعرفوا أن هذا التحريم كان من جهة يعقوب، ولم يكن من زمن إبراهيم ولا نوح، ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تدَّعون من التحريم.

ومعنى الآية: أن المطاعمَ كلَّها كانت حلالاً لبني إسرائيل من قبل نزول التوراة، وتحريم ما حُرِّم عليهم منها لظلمهم وبغيهم، لم يحرّم منها شيء قبل ذلك سوى المطعوم الذي حرَّمه يعقوب على نفسه، فتبعه أولاده على تحريمه.

وتتضمن الآية أيضاً تكذيبهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما عيَّرهم الله به في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ ... إلى قوله: ﴿عَذاباً أَلِيماً﴾ [النساء:١٦٠-١٦١]، وفي قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾... إلى قوله: ﴿ذلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام:١٤٦]، فقالوا: لسنا بأول من حُرِّم عليه هذا، وإنما هو محرَّم على نوح وإبراهيم، حتى انتهى التحريم إلينا فحرِّم علينا، فكذبهم الله بهذه الآية.

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢). وذكره الماوردي (١/ ٤١٠) بلا نسبة.

وهذا القول أصح الأقوال.

(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ١١٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٣).

فصل

وقد تضمنتْ هذه الآية فوائد؛ منها:

١- التنبيهُ على جواز النسخ الذي يُنكرونه، وأن الأطعمةَ كانت محلَّلة لهم قبل نزول التوراة، إلا ما استثناه الله، ثم حُرِّمت عليهم طيبات كانت حلالاً لهم، بسبب ظلمهم.

٢- ومنها تأكيدُ صدقه ﷺ، حيث قاضاهم إلى كتابهم وأخبرهم بحقيقة ما فيه.

٣- ومنها إيضاحُ الحُجَّة على رسالته، لكونه أخبرهم بما يعلمون صحته، ولم يكن من أهل العلم بذلك، لولا الوحي.

وقد روي أنهم لم يجسروا على محاققته بالمرافعة إلى التوراة، خوف الفضيحة من ظهور باطلهم.

قوله تعالى: ﴿فمن افترى﴾ أي: اختلق ﴿على الله الكذب من بعد ذلك﴾ ونسب ما لم يكن محرماً على نوح وإبراهيم إليهما، معرضاً عن هذا البيان، ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ الذين شأنهم الظلم، وعدم الاتصاف بالإنصاف.

قوله تعالى: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿صدق الله﴾ فيما أخبر به من دين إبراهيم وشريعته. المعنى: وكذبتم أنتم، ﴿فاتبعوا مِلَّة إبراهيم حنيفاً﴾ وهي مِلَّة محمد ﷺ، وتخلَّصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف، والتبديل، والاجتراء على تكذيب الرسل والكذب عليهم.

وفي قوله: ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض بشرك أهل الكتاب، لأنهم إنما نسبوه إلى اليهودية أو النصرانية.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ
ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ
ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ قال مجاهد: فَخَرَ المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة، وقال المسلمون: الكعبة أفضل؛ فنزلت هذه الآية[١].

قال أبو هريرة: كانت الكعبة حشفة[٢] على الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة[٣].

وقال ابن عباس: وُضِع البيت على الماء على أربعة أركان، قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دحيت[٤] الأرض من تحت البيت[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ١١٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٨-١١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٤).

(٢) الحشفة: صخرة رخوة حولها سهل من الأرض، أو صخرة تنبت في البحر (القاموس المحيط ص:١٠٣٤).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٥) وعزاه لابن المنذر.

(٤) الدَّحْوُ: البَسْط، دحا الأرض يدحوها دحواً: بسطها (اللسان، مادة: دحا).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٨١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣١٠) وعزاه لعبد بن حميد.

وفي هامش الأصل: قيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً، وهو البيت المعمور، ويسمى ضراح، وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله. وقيل: أول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان، ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه. معالم تنزيل [تفسير البغوي ١/ ١١٥].

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلاً؟ قَالَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: المَسْجِدُ الأَقْصَى، قال: قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً»[١].

وفي آخر حديث البخاري: «ثم الأرض لك مسجد، فحيث ما أدركتك الصلاة فَصَلِّ، فإن الفضل فيه»[٢].

وقد أوردنا عند قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧] ما يدل على أوّليته أيضاً.

واختلفوا في بكة ومكة؛ فقال الضحاك: هما واحد[٣]، واحتجوا بأن الباء تبدل من الميم؛ كلازم ولازب، وسَبَّدَ رأسه وسَمَّدَه؛ إذا استأصله[٤].

وذهب الأكثرون إلى أن بينهما فرقاً، فقالوا: مكة -بالميم-: اسم لجميع البلد، وبكة: اسم للبقعة المبنى فيها البيت. قاله ابن عباس ومجاهد وإبراهيم في آخرين[٥].

وقال الزهري: بكة -بالباء-: اسم للمسجد والبيت، ومكة: اسم للحرم كله[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣١ ح٣١٨٦)، ومسلم (١/ ٣٧٠ ح٥٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦٠ ح٣٢٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ١٣٨). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٦٦) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٧) وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (سبد، سمد).

(٥) انظر: الطبري (٤/ ٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٩)، والثعلبي (٣/ ١١٥).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٩)، والثعلبي (٣/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٧) وعزاه لابن جرير.

والبَكُّ في اللغة: الازدحام والدَّقّ[1]، فسُمِّيَ البيت بذلك؛ لأنه مزدحم الطائفين وقاصم أعناق الجبارين الباغين له السوء.

وقال قطرب[2]: هو من بَكَكْتُ الرَّجُل؛ إذا وضعتُ منه ورددت نَخْوَته[3]، فهو يضع من نخوة المتجبرين[4].

وقوله: ﴿مباركاً﴾ حال من المستكنّ في الظرف[5]، أي: استقر ببكة في حال بركته، ﴿وهدى للعالمين﴾ لأنه مطافُهم ومزارُهم، وقِبْلَتُهم.

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة»[6].

قوله: ﴿فيه آيات بيِّنات﴾ وقرأ ابن عباس ومجاهد: «آية بيِّنة»[7].

﴿مقام إبراهيم﴾ عطف بيان[8]، وصح بيان الجماعة بالواحد على قراءة الأكثرين؛ لاشتمال مقام إبراهيم على آيات متعددة؛ منها:

- تأثير قدميه في صخرةٍ صَمَّاء، آيةً لله، ومعجزة لإبراهيم.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (بكك).

(٢) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، عالم بالأدب واللغة، أخذ عن سيبويه، وقطرب لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه. توفي سنة ست ومائتين (الأعلام للزركلي ٧/ ٩٥).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (بكك).

(٤) انظر: زاد المسير (١/ ٤٢٥).

(٥) انظر: التبيان (١/ ١٤٤)، والدر المصون (٢/ ١٦٩).

(٦) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٩٢ ح٩٥٩)، وأحمد (٢/ ٣ ح٤٤٦٢)، والحاكم (١/ ٦٦٤).

(٧) أخرجه مجاهد (ص:١٣٢). وانظر: مختصر ابن خالويه (ص:٢٣)، والطبري (٤/ ١٠).

(٨) قاله الزمخشري في الكشاف (١/ ٤١٥).

- وإلانة بعضها دون بعض.

- وحفظها مع كثرة أعداء الحق وأهله.

قال ابن جرير[1]: فيه إضمار تقديره: منها مقام إبراهيم.

قال المفسِّرون: والآيات فيه كثيرة؛ منها:

- مقام إبراهيم.

- وامتناع الطير من العلوّ عليه، واستشفاء المريض منها به.

- وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمته[2].

وقال علي رضي الله عنه: الآيات البينات: مقامُ إبراهيم، وأمنُ مَن دخله[3].

وقال القاضي أبو يعلى[4]: يجتمع الكلب والظبي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي، ولا الظبي يستوحش منه.

فإن قيل: تأويل عليّ رضي الله عنه يستلزم إطلاق الجمع على التثنية.

قلت: هي آيات باعتبار تعدد الذوات الآمنة فيه.

قوله: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ قال القاضي أبو يعلى[5]: لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، تقديره: من دخله فأمنوه.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١١).

(٢) ذكره الماوردي (١/ ٤١١)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٦).

(٤) انظر: زاد المسير (١/ ٤٢٦).

(٥) انظر: زاد المسير (١/ ٤٢٧).

وقال الضحاك: المعنى: مَنْ حَجَّه كان آمناً من ذنوبه التي اكتسبها قبل ذلك[١].

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: مَن دخله على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان آمناً من عذاب الله[٢].

وقال أبو النجم القرشي الصوفي: كنتُ أطوف بالبيت، فقلت: يا سيدي! قلتَ: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾، من أي شيء؟ فسمعتُ قائلاً من ورائي: آمناً من النار، فالتفتُّ فلم أَرَ شيئاً[٣].

قوله: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص «حِجُّ» -بكسر الحاء-، وفتحها الباقون[٤].

وقوله: ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ بدل من "الناس".

وسئل النبي ﷺ عن الاستطاعة فقال: «الزاد والراحلة»[٥].

وهذا مذهب أكثر العلماء[٦].

وقال مالك: إن وثق من نفسه بالقوة على المشي لزمه الحج[٧].

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ١٥٠).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ١٥١)، والقرطبي (٤/ ١٤١-١٤٢).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ١٥١).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٠)، والكشف (١/ ٣٥٣)، والنشر (٢/ ٢٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٤).

(٥) أخرجه الترمذي (٣/ ١٧٧، ٥/ ٢٢٥)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٧).

(٦) انظر: المغني (٣/ ٩٨).

(٧) انظر: بداية المجتهد (١/ ٣٧٢).

وقال الضحاك: إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع[١].

ثم هدَّد الله اليهود حيث قابلوا وجوب الحج بالجحود، فقال: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ أي: من كفر بوجوب الحج، وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد والأكثرين[٢].

وقال السدي: مَن وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به[٣].

وقال عمر رضي الله عنه: لقد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى الأمصار فينظرون إلى من كان له مال ولم يحج فيضربون عليهم الجزية[٤].

وقال ابن عمر: مَن أمكنه الحج فلم يحج حتى مات، وُسِمَ بين عينيه: كافر[٥].

وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث أبي أمامة قال: «من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة، ولا مرض حابس، ولا سلطان جائر، فمات ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»[٦].

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٤). وانظر: المغني (٣/ ٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٢١).

(٤) أخرج نحوه البيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٣٣٤)، والثعلبي (٣/ ١٥٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٥) وعزاه لسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٠٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الدارمي في السنن (٢/ ٤٥ ح١٧٨٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤ ح٨٤٤٣)، وشعب الإيمان (٣/ ٤٣٠ ح٣٩٧٩)، وأبو يعلى (١/ ١٩٦ ح٢٣١).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾

قوله: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾[1] هم اليهود والنصارى، ﴿لم تكفرون﴾ توبيخ وتقريع لهم ﴿بآيات الله﴾ وهي الآيات والمعجزات التي جاء بها محمد ﷺ.

﴿والله شهيد﴾ أي: شاهد لا يغيب عنه شيء من عملكم، والواو في «والله» للحال.

﴿يا أهل الكتاب لِمَ تَصُدون﴾ وقرأ الحسن: «تُصِدُّونَ»، بضم التاء وكسر الصاد[2].

﴿عن سبيل الله مَن آمن﴾ وكانوا يحتالون لإفتان المؤمنين تارة بكتمان صفة النبي ﷺ، وتارة بالدخول في الإسلام والخروج منه في اليوم الواحد؛ لإيقاع الريبة في قلوب المسلمين، وتارة بالتحريش بين الأوس والخزرج، وبذكرهم الأحقاد والحروب التي كانت بينهم ليعودوا لمثلها.

﴿تبغونها عوجاً﴾ في محل الحال[3]، والكناية للسبيل، وهي تُذكَّر وتُؤنَّث. والمراد: تبغون أهل السبيل الضلال، والميل عن الهدى.

---

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً عاشراً، مرة ثانية.

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٢).

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٤٤)، والدر المصون (٢/ ١٧٣).

قال أبو [عبيدة][١]: العِوَج -بكسر العين-: في الدين والكلام والعمل، والعَوَج -بفتحها-: في الحائط والجذع.

وقال الزجاج[٢]: العِوَج -بكسر العين-: فيما لا ترى له شخصاً، وما كان له شخص قلت: عَوَج -بفتحها-.

وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال[٣]: العِوَج عند العرب -بكسر العين-: في كل ما لا يحاط به. وبفتحها: في كل ما يتحصل، فيقال: في الأرض عِوَج، وفي الدين عِوَج، لأن هذين يتسعان، ولا يُدركان. وفي العصا عَوَج، وفي السن عَوَج، لأنهما يُحاط بهما ويُبلغ كُنْهُهُما[٤].

وقال ابن فارس[٥]: العَوَج -بفتح العين- في كل منتصب؛ كالحائط. والعِوَج: ما كان في بساط، أو أرض[٦]، أو دين، أو معاش.

﴿وأنتم شهداء﴾ هذه واو الحال[٧]، والمعنى: وأنتم شهداء بصحة ما صَددتم عنه، وبطلان ما أنتم عليه. وهذا قول ابن عباس وقتادة والأكثرين[٨].

وقيل: «وأنتم شهداء» ثقات عدول عند أهل دينكم، فيكون خارجاً مخرج

(١) في الأصل: عبيد. والتصويب من زاد المسير (١/ ٤٣٠)، وهو في مجاز القرآن (١/ ٩٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٧).

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٤) كُنْه الشيء: نهايته (مختار الصحاح، مادة: كنه).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٨٠).

(٦) في معجم مقاييس اللغة: أمر.

(٧) انظر: الدر المصون (٢/ ١٧٥).

(٨) الطبري (٤/ ٢٢)، وزاد المسير (١/ ٣٤٠).

التذكير لهم بنِعَمِ الله عليهم وإحسانه إليهم.

وقال القاضي أبو يعلى[١]: «وأنتم شهداء» أي: عُقلاء.

ثم هدَّدهم فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب... الآية﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من اليهود يقال له: شاس بن قيس -وكان شيخاً يهودياً عاسياً[٢] عاتياً شديد الشكيمة في كفره-، مرّ بمجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فغاظه اتفاقهم على الإيمان، بعد افتراقهم زمن عبادة الأوثان، فحمله البغي والعناد على إيقاد نار الفساد، فأنشدهم أشعارَ بُعَاث[٣]؛ ليبعثهم على الشر، وهو يومٌ عظيم من أيام حروبهم، وكان الظفر فيه للأوس، فتنازع الحَيَّان عند ذلك، وتفاخروا، وأخذتهم الأنفة، والحمية، حتى دعوا بدعوى الجاهلية، وأخذوا السلاح، واصطفوا للقتال، فأنزل الله هذه الآية وما في حيزها؛ فأقبل بها نبي الرحمة حتى وقف بين الصَّفَّيْن، فقرأها، ورفع بها صوته، فأنصتوا، وعلموا أنها نزغة

---

(١) انظر: زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٢) عَسَا الشيخُ يَعْسُو عَسْواً وعُسُوّاً وعُسِيّاً: كَبرَ (اللسان، مادة: عسا).

(٣) يوم بُعاث: كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وهو يوم من مشاهير أيام العرب (انظر: اللسان، مادة: بعث). وكان الظهور فيه للأوس.

الشيطان، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً، وجَثُوا[١] يبكون[٢].

﴿وكيف تكفرون﴾ استفهام في معنى التعجب والإنكار، المعنى: من أين يتطرق الكفر إليكم؟ ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله﴾ يعني: القرآن، ﴿وفيكم رسوله﴾ محمدٌ تشرق أنوار رسالته، وهدايته في أبصاركم وبصائركم:

كَأَنَّهُ الشَّمْسُ في البُرْجِ المُنِيفِ بِهِ   عَلَى البَرِيَّةِ لا نَارٌ عَلَى عَلَمِ[٣]

﴿ومن يعتصم بالله﴾ فَيَلُوذُ بِبَابِهِ، وَيَعُوذُ بِجَنَابِهِ، ﴿فقد هُدي إلى صراط مستقيم﴾. أخبر عنه بصيغة الماضي لتحقق حصوله.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ قال ابن مسعود: هو أن يُطاع

---

(١) جَثَا يَجْثُو جُثُوّاً وجثياً: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها (انظر: اللسان، مادة: جثا).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣) عن محمد بن إسحاق قال: حدثني الثقة عن زيد بن أسلم، به. وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٨). وذكره الثعلبي (٣/ ١٥٨-١٥٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٩-١٢٠)، كلهم عن زيد بن أسلم، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٨-٢٧٩) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن زيد بن أسلم، والسيوطي أيضاً في لباب النقول (ص:٥٥-٥٦) وعزاه لابن إسحاق وأبي الشيخ عن زيد بن أسلم. وانظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٩٣-٩٤).

(٣) البيت لابن الرومي، انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٥٠٨).

فلا يُعصَى، وأن يُذكر فلا يُنسَى، وأن يُشكر فلا يُكفر[1].

ورواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وقال ابن عباس: هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده، وأن لا تأخذكم في الله لومة لائم، وأن تقوموا لله بالقسط، ولو على أنفسكم، وآبائكم وأبنائكم[2].

فصل

ذهب ابن عباس -في رواية- وسعيد بن جبير وقتادة وأكثر المفسِّرين إلى أن هذا منسوخ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[3] [التغابن:١٦]، والذاهبون إلى إحكامه جعلوا قوله: "مَا اسْتَطَعْتُمْ" مفسراً لقوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣)، والطبري (٤/ ٢٧-٢٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢)، وابن المبارك في الزهد (ص:٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٢)، والنحاس في ناسخه (ص:٢٨١)، كلهم من طريق زبيد اليامي، عن مرة، عن ابن مسعود موقوفاً. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٢-٢٨٣) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير والنحاس في ناسخه والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه.

وأخرجه الثعلبي (٣/ ١٦١) عن أبي النضر، عن محمد بن طلحة، عن زبيد، عن مرة، عن عبدالله، رفعه.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٨-٢٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢)، والنحاس في ناسخه (ص:٢٨٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه.

(٣) الطبري (٤/ ٢٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢)، والناسخ والمنسوخ لابن الجوزي (ص:٢٤٢).

(٤) قال النحاس في ناسخه (ص:٢٨٣): كل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه ولا يقع فيه نسخ، وهذا هو قول النبي ﷺ: "أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً".

=

قوله: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ قال صاحب الكشاف[١]: معناه: لا تموتن على حال سوى حال الإسلام، إذا أدرككم الموت، كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو: لا تأتني إلا وأنت على حصان، لا تنهاه عن الإتيان، [ولكنك][٢] تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان.

قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ قال الزجاج[٣]: "اعتصموا": استمسكوا.

قال ابن مسعود: "حبل الله": كتابه[٤].

وقال في رواية أخرى: الجماعة[٥].

وقال مجاهد: عهد الله[٦].

=

وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٦٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٤١) وما بعدها، وزاد المسير (١/ ٤٣٢).

(١) الكشاف (١/ ٤٢٣).

(٢) في الأصل: ولكنه. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٣١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٢)، وسعيد بن منصور (٣/ ١٠٨٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني بسند صحيح.

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٣)، والطبراني في الكبير وسعيد بن منصور، الموضعان السابقان. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.

(٦) أخرجه الثعلبي (٣/ ١٦٢)، والطبري (٤/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٣) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٢٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

و«جميعاً» نصب على الحال[1].

﴿ولا تفرَّقوا﴾ أصلها: تتفرقوا، فحذفت التاء الثانية الأصلية؛ لاتفاقهما في الجنسية.

فإن قيل: هلاَّ حُذفت التاء الأولى -لمكان زيادتها- وأقرّتِ الأصلية؟

قلتُ: لأن الأُولى دخلت لمعنى الاستقبال، فكان حذف ما لا معنى فيه أولى.

وابن كثير في رواية البزي[2] يشدِّد التاء على الإدغام، وهذا مذهبه في كل ما أصله تاءان، مثل: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ﴾ [البقرة:٢٦٧]، ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢]، وذلك في إحدى وثلاثين موضعاً في القرآن[3].

والمعنى: لا تختلفوا وتتفرقوا، كما تفرقت اليهود والنصارى.

﴿واذكروا﴾ أيها الأوس والخزرج ﴿إذ كنتم أعداء﴾ تتناحرون، ورحى الحرب تدور بينكم مائة وعشرين سنة ﴿فألَّف بين قلوبكم﴾ بالإسلام، وبمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿فأصبحتم﴾ أي: فَصِرْتُم ﴿بنعمته إخواناً﴾ يعني: إخوة في الدين ﴿وكنتم على شفا حفرة﴾ أي: على حرف هوة ﴿من النار﴾ وهو تمثيل لقربهم من الهلاك، على معنى: ليس بينكم وبين الخلود في النار سوى مفارقة هذه الدار، ﴿فأنقذكم منها﴾ بمحمد ﷺ.

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ١٧٧).

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، أبو الحسن المكي، من كبار القراء، قال ابن الجزري: أستاذ محقق ضابط متقن، توفي سنة خمسين ومائتين (طبقات القراء لابن الجزري ١/ ١٢٠، والأعلام للزركلي ١/ ٢٠٤).

(٣) النشر (٢/ ٢٣٢).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثاً، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلاثاً. رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِوُلاةِ الأَمْرِ. وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»[١].

﴿كذلك﴾ أي: مثلُ ذلك البيان الواضح ﴿يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ إرادة أن تزدادوا هدى.

ويروى: أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ هذه الآية فقال: والله ما أنقذهم منها، وهو يريد أن يوقعهم فيها، فقال ابن عباس: خذوه من غير فقيه[٢].

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٩﴾

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٧ ح٨٣١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٢١-١٢٢).

قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ «مِنْ» للتبعيض، لأنه لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا العالِم بما يجوز في ذلك وما لا يجوز: و«الخير»: الإسلام، و«المعروف»: طاعة الله وطاعة رسوله، و«المنكر»: معصية الله ومعصية رسوله.

﴿وأولئك﴾ يعني: الذين يدعون إلى الخير، ويأمرون وينهون، ﴿هم المفلحون﴾.

قال علي رضي الله عنه: أفضل الجهاد: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1].

وأخرج الإمام في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْر الله عَلَيْهِ فِيهِ مَقَال أن يقول، فَيَقُولُ الله: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: رَب، خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى»[2].

قرأت على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني[3]، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي[4]، أخبرنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري[5]، أخبرنا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٤). وانظر: تفسير أبي السعود (٢/ ٦٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧ ح١١٤٥٨).

(٣) محمد بن الحسين القزويني، أبو المجد الصوفي. المحدِّث. توفي بالموصل سنة اثنتين وعشرين وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٠١).

(٤) محمد بن أسعد الطوسي، أبو منصور العطاري، المعروف بحفدة، واعظ من فقهاء الشافعية. توفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٣٩، والأعلام للزركلي ٦/ ٣١).

(٥) أحمد بن الحسن النيسابوري، أبو بكر الحيري، الشافعي، المحدث الفقيه. توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٦).

حاجب بن أحمد الطوسي[١]، حدثنا عبد الرحيم بن منيب[٢]، حدثنا يعلى[٣]، عن الأعمش، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الواقع في حدود الله والمداهن[٤] فيها، كمثل قوم ركبوا في السفينة، فاستهموا عليها، فركب قوم علوها، وركب قوم سفلها، وكانوا إذا استقوا آذوهم، وأصابوهم بالماء، فقالوا: إنكم قد آذيتمونا، مما تمرون علينا، فأعطوا رجلاً فأساً فنقب عندهم نقباً، قالوا: ما هذا الذي تصنعون؟ قالوا: تأذيتم بنا فننقب عندنا نقباً نستقي منه، فإن تركوهم هلكوا، وأهلكوا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا»[٥]. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري، عن عمر بن حفص، عن أبيه، عن الأعمش.

قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾، وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى. قاله ابن عباس والحسن[٦].

---

(١) حاجب بن أحمد النيسابوري، أبو محمد الطوسي، مسند نيسابور، روى عن محمد بن رافع وجماعة. توفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٣٦، وميزان الاعتدال ٢/ ١٦٤).

(٢) لم أجد له ترجمة، وقد ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٣٦) عرضاً في سياق ترجمة حاجب النيسابوري، إذ قال: "روى عن عبد الرحمن بن منيب" يقصد حاجب النيسابوري.

(٣) يعلى بن عبيد بن أبي أمية، الكوفي، أبو يوسف الطَّنَافِسي، ثقة إلا في حديثه عن الثوري ففيه لين، وقال أبو حاتم: صدوق. توفي سنة بضع ومائتين (لسان الميزان ٧/ ٤٤٦، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٨٩، والتقريب ص:٦٠٩).

(٤) قال في اللسان (مادة: دهن): والمداهنة والإدهان: المصانعة واللين، وقيل: المداهنة إظهار خلاف ما يُضمر، والإدهان: الغش.

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٤ ح٢٥٤٠).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٣٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٨) كلاهما عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

والثاني: أنهم الحرورية. قاله أبو أمامة(١).

قوله: ﴿يوم تَبْيَضُّ وجوه وتَسْوَدُّ وجوه﴾ «يوم» نصب على الظرف، وهو «لهم»، أو بإضمار "اذكروا"(٢).

قال ابن عباس -في رواية عطاء-: يوم تَبْيَضُّ وجوه المهاجرين والأنصار، وتَسْوَدُّ وجوه قريظة والنضير(٣).

وقال -في رواية سعيد بن جبير-: يوم تَبْيَضُّ وجوه أهل السنة، وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة(٤).

وقيل: يوم تَبْيَضُّ وجوه المؤمنين، وتَسْوَدُّ وجوه الكافرين، وقيل: المنافقين.

﴿فأما الذين اسْوَدّت وجوههم﴾ وهم أهل البدعة، أو اليهود والنصارى، على اختلاف القولين، أو جميع الكفار أو المنافقين، على القولين الآخرين، ﴿أكفرتم﴾ على إضمار القول، أي فيقال لهم: أكفرتم ﴿بعد إيمانكم﴾ بمحمد ﷺ قبل مبعثه.

وإن أريد به الحرورية، فالمعنى: "أكفرتم" غطيتم الحق، وفارقتم الجماعة، وسللتم سيف البغي على المؤمنين ﴿بعد إيمانكم﴾.

وإن أريد به جميع الكفار، فالمعنى: أكفرتم بعد إيمانكم يوم ﴿ألست بربكم﴾ [الأعراف:١٧٢].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٤٠). وذكره الثعلبي (٣/ ١٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٥).

(٢) التبيان (١/ ١٤٥)، والدر المصون (٢/ ١٨١).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ١٢٤) عن عطاء، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٧٥) كرواية المصنف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٥)، والخطيب في تاريخه (٧/ ٣٧٩). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٧٥-٤٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩١) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي نصر في الإبانة والخطيب في تاريخه واللالكائي في السُنَّة.

وإن أريد به المنافقون، فالمعنى: بعد إيمانكم بألسنتكم.

﴿فذوقوا العذاب﴾ أصل الذَّوْق بالفم، ثم استعير لما يُتعرَّف. تقول العرب: ذق الفرس فاعرف ما عنده. وأنشدوا:

فَإِنَّ اللهَ ذاقَ حُلُومَ قَيْسٍ فَلَمَّا رَأَى خِفَّتها قَلاَهَا[1]

وفي كتاب الخليل: كُلُّ ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه.

أخبرنا الإمام أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي[2]، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز[3]، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي الخطيب، أخبرنا أبو نصر محمد بن عبيد الله بن الحسن، حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن علي الزيات[4]، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أيوب، سمعت الحسن بن [حماد][5] سَجّادة يقول: بلغني أن أم إسحاق الأزرق قالت له: يا بني؛ إن بالكوفة رجلاً يستخف بأصحاب الحديث، وأنت على الحج،

---

(١) البيت ليزيد بن الصعق، كما في الحيوان للجاحظ (٥/ ٣٠).

(٢) زيد بن الحسن بن زيد، أبو اليمن الكندي البغدادي، المقرئ والنحوي واللغوي، مسند الشام، ولد سنة عشرين وخمسمائة، وقد حفظ القرآن الكريم وقرأه بالروايات العشر وهو صغير، وهو شيخ الحنفية (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤).

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد، أبو منصور الشيباني، القزاز، كان صحيح السماع. توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة (المنتظم ١٠/ ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦٩).

(٤) عمر بن محمد بن علي البغدادي، أبو حفص، المشهور بابن الزيات، كان ثقة أميناً. توفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٣).

(٥) في الأصل: الحسن بن محمد، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه. وهو: ابن كُسَيب، الحضرمي، أبو علي البغدادي. توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين (التقريب ص:١٦٠).

فأسالك بحقي عليك أن لا تسمع منه شيئاً. قال إسحاق: فدخلت الكوفة، فإذا الأعمش قاعد وحده، فوقفت على باب المسجد، فقلت: أمي والأعمش، وقد قال النبي ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[١]، فدخلت المسجد فسلّمت، فقلت: يا أبا محمد؛ حدِّثني فإني رجل غريب، فقال: من أين أنت؟ قلت: من واسط[٢]، قال: فما اسمك؟ قلت: إسحاق بن يوسف الأزرق[٣]، قال: فلا حييت ولا حييت أمك، أليس حرجت عليك أن لاتسمع مني شيئاً؟ قلت: يا أبا محمد؛ ليس كل ما بلغك يكون حقاً، قال: لأحدثنك بحديث ما حدَّثتُ أحداً قبلك، فحدَّثني عن ابن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخَوَارِجُ هُمْ كِلابُ النَّارِ»[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٨١ ح٢٢٤)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٤١).

قال السيوطي في شرحه على ابن ماجه (١/ ٢٠): سئل الشيخ محيي الدين النووي عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، وإن كان صحيحاً.

وقال تلميذه الحافظ جمال الدين المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال، فإني رأيت له خمسين طريقاً، وقد جمعتها في جزء.

(٢) واسط: بلدة مشهورة في العراق، وسميت بذلك؛ لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٥/ ٣٤٧).

(٣) إسحاق بن يوسف بن مِرْداس المخزومي، الواسطي، المشهور بالأزرق، الحافظ الثقة، كان من أعلم الناس بالحديث. توفي سنة خمس وتسعين ومائة (تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٠، وطبقات الحفاظ ص:١٣٨-١٣٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١ ح١٧٣)، وأحمد (٤/ ٣٥٥).

وفي مسند الإمام من حديث سَيَّار[١] قَالَ: «جِيءَ بِرُؤُوسٍ مِنْ قِبَلِ العِرَاقِ، فَنُصِبَتْ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ، وَجَاءَ أَبُو أُمَامَةَ[٢] فَدَخَلَ المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ -ثَلاثاً- وَخَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مَنْ قَتَلُوهُ، وَقَالَ: كِلابُ النَّارِ -ثَلاثاً- ثُمَّ إِنَّهُ بَكَى، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا أَبَا أُمَامَةَ؛ أَرَأَيْتَ هَذَا الحَدِيثَ حَيْثُ قُلْتَ: "كِلابُ أَهْلِ النَّارِ" شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ شَيْءٌ تَقُولُهُ بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، إِنِّي إِذاً لَجَرِيءٌ، لَقد سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَرَّةً، وَمَرَّتَيْنِ، حَتَّى ذَكَرَ سَبْعاً، فَقَالَ الرَّجُلُ: لأَيِّ شَيْءٍ بَكَيْتَ؟ قَالَ رَحْمَةً لَهُمْ»[٣].

وفي رواية أخرى عنه: «ثم قرأ: ﴿يوم تَبْيَضُّ وجوه وتَسْوَدُّ وجوه... إلى آخر الآية﴾»[٤].

قوله: ﴿ففي رحمة الله﴾ يعني: الجنة.

قال ابن قتيبة[٥]: وسمى الجنة رحمة؛ لأن دخولهم إياها كان برحمته.

وقوله: ﴿هم فيها خالدون﴾ موقعه موقع الاستئناف. وكأنه قيل: كيف

---

(١) سيار بن عبد الله الأموي الدمشقي، مولى لآل معاوية، قدم البصرة، روى عن أبي الدرداء وابن عباس وأبي أمامة والخولاني، أخرج له الترمذي (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٧).

(٢) صدى بن عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي، صحابي جليل، سكن الشام وبها توفي سنة إحدى وثمانين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٦ ح٣٠٠٠) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (١/ ٦٢ ح١٧٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٠ ح٢٢٢٠٥).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦ ح٢٢٢٦٢).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:١٤٥).

يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون، لا يظعنون ولا يموتون.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[١] نزلت حين قالت طائفة من اليهود للمسلمين: ديننا خير، ونحن أفضل[٢].

قال الزجاج[٣]: الخطاب لأصحاب رسول الله ﷺ وهو يعمُّ سائر أمته. وفي الحديث: «إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أنتمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا على الله عزَّ وجل»[٤].

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادي عشر، مرة ثانية.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٤٣) عن عكرمة بسند صحيح. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٢١)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ١٢٦) عن عكرمة ومقاتل، ومقاتل في تفسيره (١/ ١٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن عكرمة.

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣)، والترمذي (٥/ ٢٢٦ ح٣٠٠١)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ ح٤٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٤ ح٦٩٨٧) كلهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

والمعنى: كنتم في اللوح المحفوظ، أو في علم الله، أو كنتم مذ كنتم، أو كنتم بمعنى: خلقتم، أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به.

وذكر الفراء[١] والزجاج[٢]: أن معنى «كنتم»: أنتم، كقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء:٩٦].

ومعنى الكلام: كنتم خير الناس للناس، وأنفع لهم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي[٣]، وأبو الحسن علي بن أبي بكر الصوفي[٤]، قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى[٥]، قال: أخبرنا أبو الحسن، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود[٦] قراءة عليه في سنة خمس وستين وأربعمائة، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه بن أحمد بن

(١) معاني الفراء (١/ ٢٢٩).

(٢) لم أقف عليه في معاني الزجاج. ونقله عن الزجاج ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٩). وقد أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:١٣٣).

(٣) أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمي، البغدادي، المحدث، صالح ثقة صدوق، انتقل إلى دمشق فسكنها إلى توفي سنة خمس عشرة وستمائة (التقييد ١/ ١٤٦).

(٤) علي بن أبي بكر بن رُوْزَبة البغدادي، أبو الحسن القلانسي، العطار الصوفي، سمع من أبي الوقت صحيح البخاري، وحدَّث به في حلب وبغداد ورأس عين، حدَّث عنه عز الدين الرسعني، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٨، وذيل التقييد ٢/ ٢٣٠).

(٥) عبد الأول بن عيسى السجزي، أبو الوقت الهروي، مسند الدنيا، شيخ الإسلام، سمع صحيح البخاري من الداوودي، وتوفي ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٠٣، والشذرات ٤/ ١٦٦).

(٦) الداوودي، مسند الوقت، سمع من السرخسي وغيره، توفي سنة سبع وستين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٢).

يوسف بن أعين السرخسي[(١)]، سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري[(٢)]، سنة ست عشرة وثلاثمائة، حدثنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن ميسرة، عن أبي حازم[(٣)]، عن أبي هريرة: «﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام». هذا حديث صحيح[(٤)].

وقيل: المعنى: كنتم خير الأمم التي أخرجت للناس.

﴿تأمرون بالمعروف﴾ كلام مستأنف، مبين لكونهم خير أمة.

و«المعروف»: التوحيد، و«المنكر»: الشرك[(٥)].

قوله: ﴿منهم المؤمنون﴾ كعبد الله بن سلام، وأصحابه، ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ وهم الذين أصرُّوا على الكفر، وخرجوا عن الطاعة.

---

(١) راوي صحيح البخاري، سمعه من الفربري، توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٢، وشذرات الذهب ٣/ ١٠٠).

(٢) حدّث عن البخاري، وسمعه منه مرتين، توفي سنة عشرين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٠، والتقييد ص:١٢٥).

والفِرَبْري نسبة إلى فِرَبْر، بكسر أوله وقد فتحه بعضهم وثانيه مفتوح ثم باء موحدة ساكنة وراء: بليدة بين جيحون وبخارى، وقد خرج منها جماعة من العلماء والرواة (معجم البلدان ٤/ ٢٧٩).

(٣) سلمان الأشجعي، أبو حازم الأعرج، الكوفي، ثقة، مولى عزة الأشجعية. توفي على رأس المائة (سير أعلام النبلاء ٥/ ٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٠ ح٤٢٨١).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:١٣٣).

ومما يدل على قِلَّة مَن آمن منهم؛ ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ آمَنَ بي عَشَرَةٌ من اليَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إلاَّ أَسْلَمَ»[١].

قوله: ﴿لن يضروكم﴾ يعني: اليهود، ﴿إلا أذى﴾ أي: ضرراً مقتصراً على أذى، من بُهْتٍ[٢] يختلقونه، وباطل يلقونه.

ثم ضمن الله النصر للمسلمين، فقال: ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾. وقوله: ﴿ثم لا ينصرون﴾ جملة معطوفة على الشرط والجزاء. والتقدير: ثم أخبركم وأبشركم أنهم لا ينصرون، ولذلك لم يجزم.

قوله[٣]: ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا﴾ أي: أينما وجدوا، وقد سبق تفسيره في البقرة[٤]، ﴿إلا بحبل من الله﴾ في موضع الحال[٥]، على معنى: إلا معتصمين، أو متمسكين بحبل من الله، أي عهد منه، وعهد من الناس[٦]، الذين هم ناس على الحقيقة، وهم المسلمون، وعهدهم عقد الذمة لأهل الكتاب، ونسبته إلى الله لصدور الإذن فيه من جهته.

قال الزجاج[٧]: وما بعد الاستثناء في قوله: ﴿إلا بحبل من الله﴾ ليس من

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٣٤ ح٣٧٢٥)، ومسلم (٤/ ٢١٥١ ح٢٧٩٣).

(٢) بَهَتَ فلانٌ فلاناً: إذا كذب عليه (اللسان، مادة: بهت).

(٣) كتب بالهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً خامساً.

(٤) عند الآية: ٦١.

(٥) انظر: التبيان (١/ ١٤٦)، والدر المصون (٢/ ١٨٨).

(٦) تفسير مجاهد (ص:١٣٣).

(٧) معاني الزجاج (١/ ٤٥٧).

الأول، وإنما المعنى: أنهم أذلاء إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه.

وباقي الآية مُفسَّر في البقرة[1].

﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ يعني: اليهود، ثم بيَّن ما به وقع انتفاء المساواة، فقال: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾[2] مستقيمة عادلة.

قال ابن عباس: قائمة على الحق، وعلى أمر الله، لم يتركوه، كما تركه الآخرون[3].

---

(١) عند قوله: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة... الآية﴾ [البقرة:٦١].

(٢) في الأصل: «منهم أمة قائمة» وهو خطأ.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٥٣-٥٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال السدي: قائمة بطاعة الله[١].

﴿يتلون﴾ في موضع رفع صفة لـ«أمة»[٢]، ومثله: ﴿يؤمنون﴾. والمعنى: يقرؤون كتاب الله، ﴿آناء الليل﴾ ساعاته، واحدها: إِنْي، مثل: نِحْي[٣]، أو: إِنَى، مثل: مِعَى.

قال السدي: "آناء الليل": جوف الليل[٤].

وروى سفيان عن منصور: أنها ما بين المغرب والعشاء[٥].

وقال قتادة: هي ساعات غير معينة[٦].

﴿وهم يسجدون﴾ أي: يصلون النوافل، وقيل: هو السجود المعروف.

فعلى القول الأول: تكون الواو للحال[٧].

﴿ويأمرون بالمعروف﴾ وهو اتباع محمد ﷺ، ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو مخالفته ﷺ، ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ يبادرونها خوف الفوت بحلول الموت.

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ١٣٠). وذكره الطبري (٤/ ٥٣)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٨١).

(٢) ويجوز أن يكون حالاً من "أمة"، أو حالاً من الضمير في "قائمة". (انظر: التبيان ١/ ١٤٦، والدر المصون ٢/ ١٩٠).

(٣) النِّحْيُ: زقّ السَّمن (اللسان، مادة: نحا).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٨)، والثعلبي (٣/ ١٣١). وذكره الماوردي (١/ ٤١٧).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٥٥-٥٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٩)، والثعلبي (٣/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٥٤-٥٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٩) كلاهما عن قتادة والربيع بن أنس. وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٧) وعزاه لابن جرير عن الربيع.

(٧) انظر: التبيان (١/ ١٤٦)، والدر المصون (٢/ ١٩٠).

ومعنى الآية: من أهل الكتاب أمّة موصوفون بهذه الصفات، وهم الذين أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام، ومنهم من أَصَرَّ على يهوديته وكفره، وهم الأكثرون، وإنما اقتصر على الإخبار عن أمة واحدة؛ لوضوح المعنى وظهوره؛ كقوله: ﴿أَمَّن هو قانت﴾ [الزمر:٩]، ولم يذكر ضده، ومثل ذلك قول الشاعر:

وَمَا أَدْرِي إِذا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

أَأَلخَيْرُ الذي أَنَا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّر الذي هُوَ يَبْتَغِينِي [(١)]

أراد: أريد الخير، وأتقي الشر، ولذلك قال: «أيهما يليني»، وقال: «أم الشر».

قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ خطابٌ لأمة محمد ﷺ.

وقرأ حمزة والكسائي "وما يفعلوا" بالياء، "فلن يكفروه" بالياء أيضاً[(٢)]، رداً إلى "الأمة القائمة"، وإخباراً عنهم.

والمعنى: لن يضل عنكم ثوابه، ﴿والله عليم بالمتقين﴾ أي: بالمحتجزين بالإيمان عن الشرك، والإيقان عن الشكّ.

قوله: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾ قال مجاهد: نزلت في نفقات الكفار يوم بدر[(٣)].

---

(١) البيتان للمثقب العبدي من قصيدة طويلة. انظر: ديوانه (ص:٢١٢)، والقرطبي (١٠/ ١٦٠)، والطبري (٢٢/ ١٥١)، وزاد المسير (١/ ١٨٣، ٤٤٣)، وروح المعاني (٢٢/ ٢١٥).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦)، ولابن زنجلة (ص:١٧٠-١٧١)، والكشف (١/ ٣٥٤)، والنشر (٢/ ٢٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٥).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٤١). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٨٢)، والسيوطي في الدر (٢/ ٢٩٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال مقاتل[(١)]: في نفقة [سفلة][(٢)] اليهود على علمائهم.

﴿كمثل ريح فيها صِرّ﴾ وهو البرد الشديد، وقيل: النار، سميت بذلك؛ لتصويتها عند التهابها، فأعلمهم الله عز وجل أن ضرر نفقتهم في طاعة الشيطان ومعصية الله على أنفسهم؛ كضرر هذه الريح على هذا الزرع.

وقوله: ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾، بالكفر والمعاصي، ومنع حق الله منه، فإنهم إذا كانوا بهذه المثابة، كان سخط الله عليهم أشد، وكانت العقوبة في حقهم أعظم.

وقيل: ظلموا أنفسهم بالزرع في غير أوانه.

فإن قيل: الغرضُ تمثيلُ نفقتهم في ضياعها وذهاب نفعها بما أهلكته الريح، فكيف قال: «كمثل ريح»، والمثل ليس للريح، وإنما هو لما أهلكته؟

قلت: قد سبق الكلام على نظائره.

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: مَثَلُ إهلاك نفقتهم كمثل إهلاك الريح، أو مثلها كمثل مهلك الريح، وهو الحرث.

قوله: ﴿وما ظلمهم الله﴾ يعني: المُنْفِقِين، ما ظلمهم إذ لم يتقبل نفقتهم، ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ حيث لم يسلكوا بها مسلك ما يُتقبل من النفقات التي يُتقرب بها إلى الله، وتجدي على أصحابها نفع الدنيا والآخرة.

ويجوز أن يكون المعنى: وما ظلم الله أصحاب الحرث الذين اجتاحت الريح

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ١٨٨). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٥).

(٢) زيادة من المصادر السابقة.

زرعهم بالعقوبة، ولكن أنفسهم يظلمون حيث ارتكبوا ما أوجبوا ذلك من الكفر والمعاصي.

ويجوز أن يعود الضمير في: «وما ظلمهم الله» للمنافقين الذين ضُرِب المثل لهم وبهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ نزلت ناهية لطائفة من المؤمنين، كانوا يواصلون رجالاً من اليهود والمنافقين لما بينهم من الحِلْف، والرَّضاع، والقرابة، والجِوار، والصداقة(١).

وبطانة الرَّجُل: خاصَّتُه الذين يَسْتَبْطِنُونَ أمره، ويَظْهَرُون على سره، مأخوذ

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٦١) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣) عن محمد بن أبي محمد. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٢٣-١٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٦) كلاهما من قول ابن عباس ومجاهد، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٩) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

من بطَانة الثوب[١].

ومنه قوله ﷺ: «الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي»[٢]. أي: جماعتي، وموضع سري، وقوله: «الأنصار شعار، والناس دِثار»[٣].

وقوله: «من دونكم» أي: من دون أبناء جنسكم[٤]، وهم المسلمون. ويجوز أن يكون متعلقاً بـ«لا تتخذوا بطانة» على معنى: بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم.

ثم علَّل ذلك فقال: ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ أي: فساداً، أو شراً. والمعنى: لا يدعون من جهدهم شيئاً في إدخال الفساد عليكم. يقال: ألاَ في الأمر يَأْلُو أَلْواً؛ إذا قَصَّر فيه[٥].

ومنه قول ابن مسعود حين بايعوا عثمان رضي الله عنهما: «ولم نَأْلُ عن خَيْرِنا ذي فُوق»[٦].

و«خبالاً» تمييز، أو مصدر، أو مفعول ثان[٧]، على معنى: لا يمنعونكم، ولا ينقصونكم خبالاً.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (بطن).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨٣ ح٣٥٨٨)، ومسلم (٤/ ١٩٤٩ ح٢٥١٠).

والعَيْبَة من الرَّجُل: موضِعُ سِرّه (اللسان، مادة: عيب).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٧٤ ح٤٠٧٥)، ومسلم (٢/ ٧٣٩ ح١٠٦١).

(٤) قال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٠): ﴿من دونكم﴾ من دون أهل دينكم وملتكم، يعني: من غير المؤمنين.

(٥) انظر: اللسان (مادة: ألا).

(٦) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٣)، والثعلبي في التفسير (٣/ ١٣٤).

(٧) انظر: التبيان (١/ ١٤٧)، والدر المصون (٢/ ١٩٣-١٩٤).

﴿ودوا ما عَنِتُّم﴾ «ما» مصدرية، والمعنى: أحبوا عنتكم وإدخال المشقة عليكم، والإضرار لكم في دينكم ودنياكم.

والعَنَتُ: شِدَّةُ الضَّرَر، والمَشَقَّة[١].

﴿قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم﴾ بما تسمعون منهم، من شتمكم، والكذب عليكم، ﴿وما تُخْفِي صدورهم﴾ من الغِلّ والحِقْد والحَسَد ﴿أكبر﴾ مما يبدون من أفواههم.

قال القاضي أبو يعلى: في هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات، والكتابة، ولهذا قال الإمام أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب[٢].

وقد روي أن عمر رضي الله عنه، كتب إلى أبي موسى -وقد بلغه أنه استكتب ذمياً-: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله[٣].

قوله: ﴿ها أنتم﴾ قال صاحب الكشاف[٤]: «ها» للتنبيه، «أنتم» مبتدأ، «أولاء» خبره، أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب.

قوله: ﴿تحبونهم ولا يحبونكم﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم، حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء. وقيل: [«أولاء»][٥] موصول، «تحبونهم» صلته، والواو في

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (عنت).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٤٤٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢٧)، وشعب الإيمان (٧/ ٤٣).

(٤) الكشاف (١/ ٤٣٥).

(٥) في الأصل: هؤلاء. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

«وتؤمنون» للحال، وانتصابها من «لا يحبونكم»، أي: [لا][1] يحبونكم، والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله، وهم مع ذلك يبغضونكم، فما بالكم تحبونهم، وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم. وفيه توبيخ شديد، بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم، ونحوه: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]. وبها تمام كلامه[2].

وقيل: معنى الآية: أنتم تحبونهم؛ لأنكم تريدون لهم الإسلام، ولا يحبونكم؛ لأنهم يريدون لكم الضلال.

﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ هو اسم جنس، يريد: الكتب كلها.

﴿وإذا لقوكم﴾ يعني: المنافقين، وقيل: يعني: اليهود، ﴿قالوا آمنا وإذا خلوا عَضُّوا﴾ أي: كَدَمُوا[3] ﴿عليكم الأنامل﴾ أي: أطراف الأصابع ﴿من الغيظ﴾.

وقيل: إن عضّ الأنامل هاهنا استعارة لشدة الحنق والحقد، وإن لم يكن ثَمَّ عض على الحقيقة، كقول الشاعر:

إِذَا رَأَوْنِي أَطَالَ اللهُ غَيْظَهُمْ ... عَضُّوا مِنَ الغَيْظِ أَطْرَافَ الأَبَاهِيمِ[4]

ومثله قول أبي طالب:

---

(١) زيادة من الكشاف (١/ ٤٣٥).

(٢) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٣) كَدَمَهُ يَكْدِمُهُ وَيَكْدُمُهُ: عَضَّهُ بأدنى فمه (اللسان، مادة: كدم).

(٤) البيت للفرزدق، انظر البيت في: البحر المحيط (٣/ ٤٤)، والدر المصون (٢/ ١٩٧)، والقرطبي (٤/ ١٨٢).

وَقَدْ صَالَحُوا قَوْماً عَلَيْنَا أَشِحَّةً يَعَضُّونَ غَيْظاً خَلْفَنَا بالأَنَامِلِ[(١)]

وسببُ غيظهم: ما كانوا يرونه من انتظام المسلمين، وائتلاف قلوبهم، واستفحال أمرهم، ﴿قل﴾ لهم يا محمد على وجه الدعاء عليهم بأن يدوموا على حنقهم إلى الموت: ﴿موتوا بغيظكم﴾ أي: اهلكوا كَمَداً بحنقكم.

﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي: بحقيقة ما في القلوب، من خير وشر، فهو يعلم ما في قلوب اليهود والمنافقين من الغيظ والبغضاء، وما يقولون ويتناجون به في الخلاء.

قال ابن الأنباري: تأنيث «ذات» لمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم، فيؤنّثون، لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

قوله عز وجل: ﴿إن تمسسكم حسنة﴾[(٢)] أي: نصر وغنيمة، وحال مستقيمة، ﴿تسؤهم وإن تصبكم سيئة﴾ قتل وهزيمة ﴿يفرحوا بها﴾، ﴿وإن تصبروا﴾ على أذاهم، ﴿وتتقوا﴾ الشرك والمعاصي ﴿لا يضرّكم﴾ جواب الشرط، وهو من ضَارَ يَضِيرُ، ومنه: «لا ضَيْر».

وقرأ الضحاك[(٣)] كذلك، إلا أنه ضم الضاد، من ضَارَ يَضُورُ، وهي لغة قليلة[(٤)].

---

(١) البيت لأبي طالب. انظر: ديوانه (ص:٧٠، ١٩٠)، ورواية الديوان: (وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً). وهو في ديوان الفرزدق (ص:٨٥٥)، والبحر (٣/ ٤٤)، والدر المصون (٢/ ١٩٧)، والمقتضب (٤/ ٩٠).

(٢) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثاني عشر، مرة ثانية.

(٣) لم أقف على قراءة الضحاك هذه.

(٤) انظر: الصحاح (٢/ ٧٢٣)، ولم يشر إلى أنها لغة قليلة.

وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «يضُرُّكم»[١] بضم الضاد، وتشديد الراء وضمّها[٢]، أصله: يضرركم، فاجتمعت راءان، والأولى ساكنة، فأدغمت في الثانية، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد، وضمت الراء الأخيرة، إتْباعاً لأقرب الحركات إليها وهي الضاد، طلباً للمشاكلة؛ كقولهم: مُدّ يا هذا، أو تكون «لا» بمعنى: ليس.

وفي هذه الآية دلالة على أن سهام الكيد لا تنفذ في دروع الصبر والتقوى، وإرشاد للعباد أن يستعينوا بهما في غمرات المهالك، ومخاوف المسالك.

وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «احْفَظ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ»[٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

وقد قال الحكماء: إذا أردتَ أن تكبتَ من يحسُدك، فازدد فضلاً في نفسك[٤].

﴿إن الله بما يعملون﴾ من الصبر والتقوى، ﴿محيط﴾ أي: عالِم، فهو يفعل بكم ما أنتم أهله.

وقرأ الحسن والأعمش [«تعملون» بالتاء][٥] على معنى: بما يعملون في

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧١)، والكشف (٥١/ ٣٥٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٥).

(٢) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: "يَضِرْكُم" (انظر: المصادر السابقة).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٧ ح٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٣٠٧ ح٢٨٠٤) من حديث ابن عباس.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (١/ ١٧٥).

(٥) في الأصل: «يعملون» بالياء. وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه. انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧١)، والكشف (٥١/ ٣٥٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢).

=

عداوتكم، محيط فهو يجازيهم ويعاقبهم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ أي: واذكر إذ أصبحت ذاهباً من بيت عائشة، وذلك يوم أحد.

وقال مجاهد ومقاتل[1]: يوم الأحزاب[2].

وروي عن الحسن: أنه يوم بدر[3].

والأول أصح[4]، لقوله: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ وكان ذلك يوم أُحُد.

﴿تبوئ المؤمنين﴾ أي: تنزلهم، والمباءة: المنزل[5]، ﴿مقاعد﴾ أي: مراكز ومواطن ﴿للقتال﴾ قال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل

= وقراءة الحسن ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن (ص:٢٢)، وهي قراءة شاذة.

(١) تفسير مقاتل (١/ ١٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٨) كلاهما عن الحسن. وذكره الماوردي (١/ ٤٢٠) من قول الحسن ومجاهد.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٩). وقد أخرج الطبري (٤/ ٧٠) وابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٨) عن الحسن: أنه يوم الأحزاب.

(٤) وهو اختيار الطبري.

(٥) انظر: اللسان، مادة: (بوأ).

عائشة رضي الله عنها يمشي على رجليه إلى أُحُد، فجعل يصفُّ أصحابه للقتال[١]، كأنما يُقَوِّم بهم القداح، إن رأى صدراً خارجاً قال: «تأخَّر».

وذلك أن المشركين نزلوا بأُحُد -على ما ذكره السدي ومحمد بن إسحاق- يوم الأربعاء، فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه، ودعا عبد الله بن أُبَيّ بن سلول -ولم يدعه قط-، فاستشاره، فقال عبد الله بن أُبَيّ وأكثر الأنصار: أقم يا رسول الله بالمدينة، لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيفَ وأنت فينا؟! فَدَعْهُمْ يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا، فَأَعْجَبَ رسول الله ﷺ هذا الرأي.

وقال بعض أصحابه: يا رسول الله؛ أُخرج بنا إلى هذه الأكلب[٢]، لا يرون أنّا جَبُنَّا عنهم، وضعفنا. وأتاه النعمان بن مالك الأنصاري فقال: يا رسول الله؛ لا تحرمني الجنة، فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة، فقال له: «بِمَ»؟ قال: بأني أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأني لا أفرّ من الزحف، قال: «صدقتَ»، فقُتِل يومئذ، فقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت في منامي بقراً، فأوَّلتُها خيراً، ورأيت في ذُبَابَ سيفي ثَلْماً[٣]، فأوَّلتها هزيمة، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في درع حصينة، فأوَّلتها المدينة،

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٦٩). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٩).

(٢) الأكلب: على مثال أفعل، جمع كلب (معجم ما استعجم ١/ ١٨٣).

(٣) ثَلَمَ الإناءَ والسيفَ يَثْلِمُهُ ثَلْماً: كَسَر حَرْفَه (اللسان، مادة: ثلم).

=

فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتَدَعوهم، فإن أقاموا أقاموا بشَرّ، وإن هم دخلوا المدينة قاتلناهم فيها»، وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيُقَاتَلوا في الأزقة.

فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر، وأكرمهم الله بالشهادة يوم أُحُد: اخرج بنا إلى أعدائنا.

فلم يزالوا برسول الله ﷺ، من حبهم للقاء العدو، حتى دخل رسول الله ﷺ فلبس لأْمَتَهُ[1]، فلما رأوه وقد لبس السلاح، ندموا، وقالوا: نُشير على رسول الله والوحي يأتيه، فقاموا واعتذروا إليه، وقالوا: اصنع ما شئت، فقال ﷺ: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لأْمَتَهُ فيضعها حتى يقاتل». وكان قد أقام المشركون بأُحُد يوم الأربعاء والخميس، فراح رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد ما صَلَّى بأصحابه الجمعة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار، فصلَّى عليه، ثم خرج إليهم، فأصبح بالشِّعْب من أُحُد يوم السبت للنصف من شوَّال، سنة ثلاث من الهجرة، وكان من أمر حرب أُحُد ما كان، فذلك قوله: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾[2].

= وذُبابُ السيف: طَرَفَهُ المُتَطَرِّفُ الذي يُضْرَبُ به. وقيل: حَدُّه (اللسان، مادة: ذبب).

(١) اللأْمَةُ: الدّرع (اللسان، مادة: لأم).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٧٠-٧١). وذكره الثعلبي في تفسيره بطوله (٣/ ١٣٧-١٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٣-٣٠٥) وعزاه لابن إسحاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن شهاب ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم، كل حدث بعض الحديث عن يوم أحد. وانظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٨٤٠).

والمعنى: سميعٌ لما تُظهرون، عليم بما تُضمرون.

قوله: ﴿إذ هَمَّتْ طائفتان منكم أن تفشلا﴾: "إذ همَّت" بدل من "وإذ غدوت"، أو عمل فيه "سميع عليم"[(١)].

والطائفتان: حيَّان من الأنصار؛ بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس[(٢)]. وكانا جناحي العسكر، وكان رسولُ الله ﷺ خرج في ألف، وقيل: في ألف إلا خمسين.

وذكر الزجاج[(٣)]: أنهم كانوا ثلاثة آلاف، وكان المشركون في ثلاثة آلاف.

ووعد رسول الله ﷺ أصحابه الفتح إن صبروا، فَانْخَزَلَ[(٤)] عبد الله بن أُبَيّ الخزرجي في ثلاثمائة رجل، فقال: عَلامَ نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم عبد الله بن حرام، أبو جابر السلمي، فقال: أنشدكم الله في نبيكم، وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أُبَيّ: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٧]، فهمَّت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف، فعصمهم الله تعالى، فثبتوا، فذكَّرهم الله نعمته بعصمته إياهم[(٥)].

ومعنى «تَفْشَلا»: تَجْبُنا وتَخُورا.

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٠٣).

(٢) تفسير مجاهد (ص:١٣٤).

(٣) قال في معاني الزجاج (١/ ٤٦٦): وكانوا في يوم أحد سبعمائة، والكفار في يوم أحد ثلاثة آلاف. وهو الصحيح.

(٤) انْخَزَلَ: أي: انْفَرَدَ (اللسان، مادة: خزل).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٧٣) عن السدي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٥) وعزاه لابن جرير عن السدي.

﴿والله وليُّهما﴾: ناصرهما.

قال جابر بن عبد الله لفرط استبشاره بإنزال الله آية ناطقة بثنائه عليهم، وولايته لهم: والله ما يسرنا أنّا لم نَهُمَّ بالذي هممنا به، وقد أخبرنا الله أنه وليّنا[١].

وفي الصحيحين من حديث جابر: نحن الطائفتان؛ بنو حارثة، وبنو سلمة، وما يسرني أنها لم تنزل، لقول الله تعالى: ﴿والله وليُّهما﴾[٢].

وقرأ ابن مسعود: "والله وليُّهم"[٣]، مثل قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات:٩].

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ التوكل: الاعتماد على الغير، وإظهار العجز[٤]. يقال: فلان وُكْلَةٌ تُكَلَةٌ، أي: عاجِزٌ، يَكِلُ أمره إلى غيره[٥].

فالتوكلُ على الله: تفويضُ الأمر إليه، والاعتماد عليه ثقة بحسن تدبيره، وتفويضاً إلى قضائه وتقديره.

قوله: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾: بدر[٦]: اسم لماء بين مكة والمدينة،

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٧٢) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٨٨ ح٣٨٢٥، ٤/ ١٦٦٠ ح٤٢٨٢)، ومسلم (٤/ ١٩٤٨ ح٢٥٠٥).

(٣) انظر: الطبري (٤/ ٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٥١).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (وكل). وهذا حد التوكل في اللغة.

(٥) انظر: اللسان، مادة: (وكل). يقال: رجل وُكَلة تُكَلَة؛ إذا كان عاجزاً، يَكِلُ أَمْرَه إلى غيره، ويَتَّكِلُ عليه؛ والتاء في تُكَلَةٍ أَصلها الواو، قلبت تاء؛ وكذلك التُّكْلانُ، أَصله وُكْلان.

(٦) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار، ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، أو بدر بن قريش، وبه سميت الوقعة المباركة؛ لأنه كان احتفرها. وبهذا الماء كانت =

كان لرجل يسمى بدراً، فَسُمِّيَ به، ﴿وأنتم أذلَّة﴾ لِقِلَّة العَدد والعُدد، وذلك أنهم خرجوا من المدينة في ثلاثمائة وثلاثة عشر، سبعة وسبعون من المهاجرين، والباقون من الأنصار.

وكان صاحبَ راية رسول الله ﷺ والمهاجرين: عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب راية الأنصار: سعد بن عبادة، فانطلقوا على النواضح[1]، يعتقبُ النفرُ على البعير الواحد، وكان معهم سبعون بعيراً، وفرسان، أحدهما للمقداد، والآخر لمرثد بن أبي مرثد، وكان معهم ستة أدرع، ونصرهم الله عز وجل مع قِلَّتهم وقِلَّة عُدَدهم على المشركين، وكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً، وكان معهم مائة فرس، فقتلوا منهم سبعين من صناديدهم، وأسروا سبعين، ولم يُقتل من المسلمين في ذلك اليوم سوى ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. وهذه أول غزوة قاتل فيها رسول الله ﷺ[2].

الإشارة إلى مغازيه ﷺ

جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوة، قاتل منها في تسع، أولها:

= الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة (معجم البلدان ١/ ٣٥٧-٣٥٨).

(١) النواضح: مفردها: ناضح، وهي الإبل التي يُستَقى عليها (اللسان، مادة: نضح).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٥٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٤٧).

١ - بدر، وكانت يوم الجمعة، السابع والعشرين[1] من شهر رمضان، سنة اثنين من الهجرة. وفيها حُوِّلت القِبْلة، وماتت رقية بنت رسول الله ﷺ، وبنى بعائشة، وتزوج علي فاطمة، وفُرِض صوم رمضان، وفُرِضت زكاة الفطر.

٢ - ثم أُحُد، وكانت في شوال، سنة ثلاث من الهجرة. وفيها تزوج رسول الله ﷺ حفصة، وزينب[2]، وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وفيها وُلِد الحسن بن علي رضي الله عنهما، وفيها عَلِقَت فاطمة بالحسين، وبين ولادتها للحسن وعلوقها بالحسين خمسون ليلة.

٣- وفيها غزوة بني النضير. وفيها حُرِّمت الخمر.

٤ وَ ٥- ثم غزاة الخندق، وبني قريظة، وذلك في شوال سنة أربع وفيها قصرت الصلاة، ووُلِد الحسين، وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة، وفيها سقط عقد عائشة، فنزلت آية التيمم، وقيل: كانت غزوة الخندق وبني قريظة سنة خمس.

٦ وَ ٧- ثم غزا بني المصطلق، وبني لِحْيان، وذلك في شعبان سنة خمس، وفيها تزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، وفيها نزل الحجاب. وقيل: كانت غزوة المصطلق سنة ست. وفيها قال أهل الإفك ما قالوا. وفيها قال ابن أُبَيّ: «لئن رجعنا إلى المدينة».

٨- ثم غزاة خيبر، وكانت سنة ست. وفيها كانت:

٩- غزوة الحديبية، وفيها استسقى رسول الله ﷺ في رمضان، ومطر الناس.

---

(١) والصحيح: أنها في السابع عشر من رمضان (انظر: السيرة لابن هشام ٣/ ١٧٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٦٩).

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب، وزينب بنت خزيمة القيسية، من بني هلال ابن عامر.

وقيل: كانت خيبر سنة سبع.

١٠ - ثم غزاة الفتح، وكانت في رمضان سنة ثمان. وفيها كانت:

١١ - مؤتة، فأصيب بها زيد بن حارثة، وجعفر، وعبد الله بن رواحة. وفيها أسلم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن أبي طلحة. وفيها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل. وفيها وُلِد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ. وفيها توفيت زينب بنت رسول الله. وفيها طلَّق رسول الله سودة بنت زمعة[1]، فجعلت يومها لعائشة فراجعها. وفيها قالوا: يا رسول الله؛ سعِّر لنا، وكان قد غلا السعر[2].

١٢ وَ ١٣ - ثم غزاة حنين، ثم الطائف، وكانتا في شوال أيضاً سنة ثمان.

قوله: ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ نعمته عليكم، إذ نصركم مع ضعفكم على أضعافكم.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٣) عن عائشة مرسلاً. وأخرج الترمذي (٥/ ٢٤٩ ح٣٠٤٠)، والطيالسي في مسنده (ص:٣٤٩)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٨٤ ح١١٧٤٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩٧ ح١٤٥١٢) كلهم عن سليمان بن معاذ، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني وأجعل يومي لعائشة".

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٧٢ ح٣٤٥١)، والترمذي (٣/ ٦٠٥ ح١٣١٤)، وابن ماجه (٢/ ٤٧١ ح٢٢٠٠) كلهم عن حماد بن سلمة، عن قتادة وثابت وحميد، عن أنس قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله؛ سَعِّر لنا ، فقال: «إن الله هو المُسَعِّر... الحديث».

ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا
يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا
بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ
﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

قوله: ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ وذلك يوم بدر، على الصحيح.

وقال الضحاك ومقاتل[1]: يوم أُحُد[2].

فعلى الأول: «إذ» ظرف لـ"نَصَرَكُم"، وعلى الثاني: هو بدل ثاني من «إِذْ غَدَوْتَ».

فإن قيل: القصة -على هذا القول الصحيح- واحدة، فكيف قال هاهنا: ﴿بثلاثة آلاف﴾، ﴿بخمسة آلاف﴾؟ وقال في الأنفال في قصة بدر أيضاً: ﴿إِذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾ [الأنفال:٩]؟.

قلت: قال قتادة: أمدّهم الله بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.

فإن قيل: كيف ساغ لهذين العالمين أن يقولا: كان ذلك يوم أُحُد، والآية قد

(١) تفسير مقاتل (١/ ١٩٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥١).

صرحت بإمداد الملائكة، وكان ذلك يوم بدر، بغير خلاف[١]، ثم إنهم يوم أُحُد قد كُسِروا وانهزموا، فكيف يكون ذلك مع وجود الملائكة ونزولهم لنصرتهم؟

قلت: نزول الملائكة -على هذا القول- كان مشروطاً بالصبر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿إن تصبروا وتتقوا﴾... ﴿يمددكم ربكم﴾ فانتفى لانتفائهما.

قوله: ﴿ألن يكفيكم﴾[٢] إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف. والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء[٣].

فإن قيل: هل تضمَّن قوله: ﴿منزَلين﴾ معنى مطلوباً للمبشَّرين بذلك؟

قلت: نعم، فإن المقصود من بشارتهم بإمدادهم بالملائكة إظهارُ شرفهم وتطييبُ قلوبهم، ليثقوا بنصر الله لهم، وليزدادوا جرأة على أعدائهم، فإذا علموا أنهم ليسوا من ملائكة الأرض، وأنهم من ملائكة السماء المكرمين، المخصوصين بزيادة القُرب من الله، ازدادوا شرفاً، وطمأنينة في أنفسهم، وإقداماً على المشركين.

فإن قيل: فما وجه قراءة ابن عامر «مُنَزَّلين»[٤] بالتشديد؟

قلت: لأنهم نزلوا من مقام إلى مقام، حتى انتهوا إلى الأرض.

فإن قيل: فما وجه قراءة من قرأ «مُنْزِلِين» بكسر الزاي؟[٥].

---

(١) يعني قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، ولا خلاف أن هذا كان يوم بدر.

(٢) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثالث عشر، مرة ثانية.

(٣) انظر: اللسان، مادة: (مدد).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٢)، والكشف (١/ ٣٥٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٥).

(٥) ذكرها الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٤٣)، وهي قراءة شاذة.

قلت: وجهه أنهم أَنْزَلُوا النصر، وجاؤوا به.

قوله: ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد «لن». المعنى: بل يكفيكم الإمداد، فأوجب الكفاية بهم، ثم قال: ﴿إن تصبروا﴾ يعني عند لقاء الأعداء، وتتقوا مخالفة الرسول، ﴿ويأتوكم من فورهم هذا﴾ يعني المشركين. والفور: مصدر فار يفور فوراً، وأصله غليان القِدْر، ويقال للغضبان: فَارَ فَائِرُهُ؛ إذا اشتدّ[(١)].

ثم استعير للسرعة، وعدم التعريج على شيء، ويقال: قَفَلَ فلان من فَوْره؛ إذا رجع من سفره لا يلوي على شيء يصدُّه عن الرجوع[(٢)].

قال ابن عباس: "ويأتوكم من فورهم": من وجههم هذا، أي: يأتوكم مسرعين من وجههم وسفرهم.

وقال مجاهد: "من فورهم": أي: من غضبهم[(٣)].

وكانوا غضبوا لِمَا أصابهم يوم بدر.

وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو: «مُسَوِّمِين» بكسر الواو، وفتحها الباقون[(٤)].

فمن كَسَرَ فعلى معنى: أنهم قد سوَّموا أنفسهم، أو خيلهم، ويؤيده الحديث،

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (فور).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٨٠-٨١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٣)، ومجاهد (ص:١٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧-٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٣)، والكشف (١/ ٣٥٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٦).

وهو قوله ﷺ يوم بدر: «سَوِّموا فإن الملائكة قد سَوَّمت»[١]، فنسب الفعل إليها.

ومَن فتَحَ فعلى معنى: أنهم قد سُوِّموا وعُلِّموا، من السِّيما، وهي العلامة.

الإشارة إلى نبذة من خبر الملائكة يوم بدر

قال علي وابن عباس رضي الله عنهم: كانت عليهم يوم بدر عمائم بيض، قد أرسلوها بين أكتافهم[٢].

وقال علي: كان سِيما خيل الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض في آذانها ونواصيها[٣].

وقال هشام بن عروة: كانت الملائكة على خيل بُلْق، وعليهم عمائم صُفْر[٤].

وقال عبد الله بن الزبير: كانت على الزبير مُلاءَة[٥] صفراء، أو عمامة صفراء

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٣٧ ح٣٢٧٢٢)، والطبري (٤/ ٨٢) كلهم عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، به. وعمير بن إسحاق تابعي فهو مرسل.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٨٩) عن ابن عباس. وذكره الثعلبي (٣/ ١٤٤)، وابن هشام في السيرة (٣/ ١٨٢)، والواحدي في الوسيط (١/ ٣٨٩) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٩) وعزاه لابن إسحاق والطبراني عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٣٧، ٧/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٨٣). وذكره الماوردي (١/ ٤٢٢)، والسيوطي في الدر (٢/ ٣١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن عروة.

والبَلَق: سواد وبياض، يقال: فرس أبلق، وفرس بَلْقاء (اللسان، مادة: بلق).

(٥) الملاءة: الإزار والريطة (النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٥٢).

يوم بدر، فنزلت الملائكة يوم بدر مسوَّمين بعمائم صُفْر[١].

وروى الزبير بن المنذر عن جده أبي أُسيد[٢] -وكان بدرياً-، قال: لو أن بصري فرج منه ثم ذهبتم معي إلى بدر، لأريتكم الشِّعْب الذي خرجت منه الملائكة في عمائم صُفْر، قد طرحوها بين أكتافهم[٣].

قال مجاهد: كانت أذناب خيولهم مجزوزة[٤]، وفيها العِهْن[٥].

وروى ابن عباس عن رجل من غفار قال: حضرتُ أنا وابن عم لي بدراً ونحن على شركنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٣٧)، والطبري (٤/ ٨٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٣٠٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وغيرهم.

(٢) مالك بن ربيعة بن البَدَن، أبو أُسَيد الساعدي، مشهور بكنيته، شهد بدراً وغيرها، توفي سنة ثلاثين، وقيل بعد ذلك (التقريب ص:٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٠) وعزاه لابن جرير.

(٤) الجز: قص الشعر والصوف (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٣٦)، والطبري (٤/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٤)، ومجاهد (ص:١٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. والعهن: الصوف (مختار الصحاح، مادة: عهن).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٧٧). وذكره ابن هشام في السيرة (٣/ ١٨١).

ويشهد له ما أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٤) عن ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم... الحديث».

وروى جبير بن مُطْعِم عن علي رضي الله عنه، قال: بينا أنا أَمْتَحُ[١] من قليب بدر جاءت ريح شديدة، فلم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل، نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الريح الثانية ميكائيل، نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل، نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله ﷺ، وكنت أنا [عن][٢] يساره، وهزم الله أعداءه[٣].

وقال أبو واقد الليثي: إني لأتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفتُ أن غيري قد قتله[٤].

فصل

واختلفوا في عدد الملائكة يوم بدر:

فقال علي رضي الله تعالى عنه وأكثر المفسِّرين: كانوا خمسة آلاف[٥].

وقال الشعبي: أربعة آلاف[٦].

---

(١) مَتَحَ الماء يَمْتَحُه مَتْحاً: إذا نزعه (اللسان، مادة: متح).

(٢) في الأصل: من. والتصويب من زاد المسير (١/ ٤٥٣).

(٣) زاد المسير (١/ ٤٥٣).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٠)، والطبري (٤/ ٧٧) عن أبي داود المازني. وانظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٨١).

(٥) ذكره الماوردي (١/ ٤٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٣).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٣).

وقال مجاهد: ألفاً[(١)].

وذكر الزجاج[(٢)]: تسعة آلاف.

ونقل بعضُ المفسِّرين: ثمانية آلاف[(٣)].

والأول أشهر وأكثر، ولعل مجاهداً أخذ بقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ... الآية﴾ [الأنفال:٩]، ولعل الشعبي احتج بها، وبقوله: ﴿يمدكم ربكم بثلاثة آلاف﴾. وما حكاه الزجاج مستفاد من مجموع الأعداد في الآيات، الألف، والثلاثة الآلاف، والخمسة الآلاف.

ولعل صاحب القول الأخير نظر إلى العدد المذكور في الآيتين هاهنا، والله أعلم[(٤)].

قوله: ﴿وما جعله الله﴾ يعني: الإمداد بالملائكة ﴿إلا بشرى لكم﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿ولتطمئن﴾ أي: تسكن ﴿قلوبكم به﴾ في الحرب، ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ لا بالعُدد ولا بالعَدد، ﴿العزيز﴾ الذي لا يُغلب من نصره، ﴿الحكيم﴾ فيما قضاه وقدره.

قوله: ﴿ليقطع﴾ متعلق بـ"نَصَرَكُم"، أو "يُمْدِدْكُم". و"الطَّرَف": حِرْف الشيء[(٥)]، والمعنى: ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٣).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٤).

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٤٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٤).

(٤) انظر: الجمع بين الآيات في الصفحة السابقة.

(٥) قال الطبري (٤/ ٨٥): الطرف: الطائفة والنفر. وانظر: اللسان، مادة: (طرف).

﴿أو يكبتهم﴾، قال الخليل بن أحمد: الكَبْتُ في اللغة: الصَّرْعُ في الوَجْه[١].

والمراد به: الهزيمة؛ في قول ابن عباس[٢].

والخِزْي؛ في قول قتادة ومقاتل[٣].

والهلاك؛ في قول أبي عبيدة[٤].

واللَّعْن؛ في قول السدي[٥].

وغيظهم؛ في قول النضر بن شميل وابن قتيبة[٦].

والظفر؛ في قول المبرد[٧]، وكل ذلك يرجع إلى أصل الكلمة بطريق المجاز.

قال ابن قتيبة[٨]: أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن الدال، وكان الأصل فيه: «يَكْبُدُهُم»، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ، وشدة العداوة. والدال والتاء متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولهم: هَرَتَ الثوب، وهَرَدَهُ؛ إذا خَرَّقه[٩]، وكَبَتَ العدوّ وكَبَدَهُ.

(١) انظر: زاد المسير (١/ ٤٥٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٤). وهو قول الزجاج أيضاً في معانيه (١/ ٤٦٧).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٦) كلاهما عن قتادة. وانظر: تفسير مقاتل (١/ ١٩٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١١) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٢). -والمشهور عن أبي عبيدة كقول الخليل. ونقل ما ذكر المصنف عن أبي عبيدة-، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص: ١١٠).

(٥) زاد المسير (١/ ٤٥٤).

(٦) زاد المسير (١/ ٤٥٥)، وتفسير غريب القرآن (ص: ١١٠).

(٧) زاد المسير (١/ ٤٥٥).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص: ١١٠-١١١).

(٩) انظر: اللسان، مادة: (هرت).

﴿فينقلبوا خائبين﴾ لم يدركوا ما أمّلوا.

قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾؛ أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحَرَسْتاني بدمشق سنة تسع وستمائة، أخبرنا عبد الكريم بن حمزة السُلمي[(١)]، حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكناني[(٢)] الحافظ، حدثنا الحافظ أبو القاسم تمّام بن محمد بن عبد الله الرازي[(٣)]، حدثنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة الليثي[(٤)]، حدثنا علي بن أحمد بن مروان بواسط، حدثنا حميد بن الربيع الخزاز[(٥)]، حدثنا هشيم، عن حميد الطويل، وداود بن أبي هند، عن أنس بن مالك، قال: «لما كان يوم أُحُد كُسِرت رباعية النبي ﷺ، وشُجَّ في وجهه، فجعل يمسحه بيده ويقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل، فنزلت: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم

---

(١) عبد الكريم بن حمزة السلمي، أبو محمد الدمشقي الحداد، وكيل المقرئين، الثقة المسند، محدِّث عصره، توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٠، وشذرات الذهب ٤/ ٧٨).

(٢) عبد العزيز بن أحمد التميمي، أبو محمد الدمشقي، الكناني الحافظ محدِّث دمشق، توفي سنة ست وستين وأربعمائة (الأنساب ١٠/ ٣٥٣، والسير ١٨/ ٢٤٨).

(٣) تمام بن محمد بن عبد الله البجلي، أبو القاسم الرازي، ثم الدمشقي، الحافظ، محدِّث الشام، توفي سنة أربع عشرة وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨٩، والوافي بالوفيات ١٠/ ٣٩٧).

(٤) أحمد بن محمد بن عمارة الليثي الكناني مولاهم، أبو الحارث الدمشقي، الشيخ المسند المحدِّث، توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٠، وشذرات الذهب ٣/ ٤٠).

(٥) حميد بن الربيع بن حميد بن مالك بن سحيم الخزاز اللخمي، أبو الحسن، الكوفي. روى عن هشيم وابن عيينة. وروى عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة وغيره (ميزان الاعتدال ١/ ٦١٠).

ظالمون﴾»[(١)]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن علي بن رُوزبة البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، أخبرنا البخاري، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد، أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، فربما قال -إذا قال: "سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد"-: اللَّهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللَّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف. يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته، في صلاة الفجر: اللَّهم العن فلاناً وفلاناً، لأحياء من العرب، حتى أنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾»[(٢)].

ورواه أيضاً البخاري من حديث الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، «أنه سمع رسول الله ﷺ، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: "اللَّهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً". بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد"، فأنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء -إلى قوله:- فإنهم ظالمون﴾»[(٣)]. وهذا حديث صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤١٧ ح١٧٩١) بغير السند الذي ساقه المؤلف. وأما سند المؤلف فهو عند الترمذي (٥/ ٢٢٧ ح٣٠٠٣) عن حميد، عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦١ ح٤٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦١ ح٤٢٨٣).

والمعنى: إنما أنت عبدٌ من عبادي، خصصتك برسالتي، وبعثتك منذراً لهم ليس لك من عذابهم أو استصلاحهم، أو ليس لك من النصر والهزيمة شيء.

و«لك» بمعنى: إليك[1]. "أو يتوب عليهم" عطف على "أو يكبتهم"، و"ليس لك من الأمر شيء" اعتراض[2]. وقيل: "أو يتوب" منصوب بإضمار «أَنْ»، فيكون في حكم اسم معطوف على "الأَمْر"، أو على "شَيْء" أي: ليس لك من أمرهم شيء، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم، أو ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة عليهم، أو تعذيبهم[3].

وقيل: «أو» بمعنى: «إلاّ أنْ»[4]؛ كقولك: لألْزَمَنَّكَ أو تعطيَني حقي، على معنى: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتشتفي منهم.

ثم أثبت الأمر كله لنفسه، فقال عز وجل: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً، ﴿يغفر لمن يشاء﴾ -من الموحِّدين- الكبائر، ﴿ويعذب من يشاء﴾ من المشركين على الصغائر. هذا مروي عن ابن عباس[5].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ

(١) انظر: الطبري (٤/ ٨٦).
(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٠٩).
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) انظر: التبيان (١/ ١٤٩)، والدر المصون (٢/ ٢٠٩)، والطبري (٤/ ٨٦).
(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩١).

وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ نزلت في ربا الجاهلية[١]، وكان الرجل يقول لصاحبه: أخِّر عني دَيْنك وأزيدك في المال، فيستوعب بالشيء الطفيف المال الكثير[٢].

﴿أضعافاً﴾ حال، ﴿مضاعفة﴾ نعت لـ"أضعافاً"[٣].

وفي قوله: ﴿واتقوا النار﴾ تهديد شديد للمؤمنين الذين يأكلون الربا، حيث خوَّفهم بالنار، التي أعدَّها لمن كفر به.

قال أبو حنيفة: هذه أخوفُ آية في القرآن[٤].

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:١٣٤). وذكره الطبري (٤/ ٩٠).

(٢) أخرج الطبري (٤/ ٩٠) عن عطاء قال: كانت ثقيف تداين في بني المغيرة في الجاهلية فإذا حل الأجل قالوا: نزيدكم وتؤخرون، فنزلت: ﴿لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٤٩)، والدر المصون (٢/ ٢١٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٤٢).

وفي الآية رَدٌّ على الجهمية في قولهم: إن النار لم تُخْلق بعد.

﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ في ترك ما نهيتم عنه من أكل الربا وغيره، وامتثال ما أمرتم به من التقوى ﴿لعلكم ترحمون﴾، فتفوزوا بدخول الجنة والنجاة من النار المُعَدَّة للكفار.

قوله[1]: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ قرأ نافع وابن عامر: "سارعوا" بغير واو، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو[2].

قال أبو علي[3]: من قرأ بالواو عَطَفَ «وسارعوا» على «وأطيعوا»، ومن حذفها فلأنَّ الجملة الثانية ملتبسة بالأولى، فاستغنت عن العطف.

ومعنى الآية: بادروا إلى موجبات المغفرة وهي طاعة الله تعالى.

وقال ابن عباس: لا تصروا على الذنب، إذا أذنب أحد فليسرع الرجوع[4].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: سارعوا إلى الإخلاص[5].

وقال علي رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض[6].

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً سادساً، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الرابع عشر، مرة ثانية.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٤)، والكشف (١/ ٣٥٦)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٦).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٢).

(٥) ذكره الثعلبي (٣/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٩).

(٦) مثل السابق.

وقال أنس بن مالك: التكبيرة الأولى من العبادة[١].

وقال الضحاك: إلى الجهاد[٢].

﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ قال سعيد بن جبير: لو أُلصِق بعضهن إلى بعض كانت الجنة في عرضهن[٣].

قال ابن عباس: يريد: لرجل واحد من أوليائه[٤].

قال الزهري: فأما الطول فلا يعلمه إلا الله[٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح: الجنان أربعة: جنة عدن -وهي الدرجة العليا-، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، كل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وُصِلَ بعضها إلى بعض[٦].

وقال ابن قتيبة[٧]: أراد بالعرض: السَّعَة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول،

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٤) وعزاه لابن المنذر.

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٢) بسند حسن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٤-٣١٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٢).

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٠٥). وقد نبه تعالى بالعرض عن الطول؛ لأن الغالب أن الطول يكون أكثر من العرض، والطول إذا ذكر لا يدل على قدر العرض.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٢). وقد أخرج البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٠٠ ح٦٩٨٧) عن النبي ﷺ أنه قال: «... فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تُفجَّر أنهار الجنة».

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:١١١-١١٢).

والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة، قال النبي ﷺ للمنهزمين يوم أُحُد: «لقد ذَهَبْتُمْ فيها عَرِيضة»(١).

قال الشاعر:

كَأَنَّ بلادَ الله وَهْيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الخَائِفِ المَطْلُوب كِفَّةُ حَابلِ(٢)

وروى وكيع في تفسيره بإسناده عن طارق بن شهاب، قال: قالت اليهود لعمر: تقولون: جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال عمر: أرأيت إذا جاء النهار فأين يذهب الليل، وإذا جاء الليل فأين يذهب النهار؟ قالوا: نزعتَ بها في التوراة(٣).

وقال أنس بن مالك: الجنة فوق السموات السبع، تحت العرش(٤).

قال قتادة: وإن جهنم تحت الأرضين السبع(٥).

ثم وصف المتقين فقال: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ أي: في الشدة

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٤٥) بسند عن ابن إسحاق، مقطوعاً.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة. وهو في: اللسان، مادة: (كفف) وفيه: "كأن فجاج الأرض"، والقرطبي (٤/ ٢٠٥، ٨/ ١٠٠، ١٧/ ٢٥٦)، وزاد المسير (١/ ٤٦٠)، والبحر المحيط (٣/ ٦٢)، وروح المعاني (١١/ ٤١). والحابل: الصائد. وكِفّته: حبالته التي يصيد بها.

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٩٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقد أخرج أحمد في مسنده (٣/ ٤٤١) مرفوعاً: «أن هرقل سأل النبي ﷺ فقال: تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار؟!».

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ١٤٩).

(٥) المرجع السابق.

والرخاء، كما فعلت الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المبرأة بنص الكتاب المطهَّرة من كل [عيب][١]، أم المؤمنين، وحبيبة رسول رب العالمين، عائشة رضي الله عنها، فإنها تصدَّقت في يوم بحبّة عنب، فتعجّبن النسوة منها، فقالت: إن فيها ذرّاً كثيراً[٢]، تشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ [الزلزلة:٧]، وتصدقت في يوم آخر بمائة وسبعين ألف درهم فضة[٣].

.... شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِنْ أَخْزَمِ[٤]

فللّه درّها ما أكرم طبعها، وأعظم نفعها، وأكبر قدرها، وأعطر نشرها، وأجمل فضائلها، وأجزل فواضلها:

فَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ ذكرْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ على الرِّجَالِ[٥]

---

(١) في الأصل: عاب. والصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره ابن كثير (٤/ ٥٤١).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٢٦٠). وأخرج ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٩٠) الشطر الأول منه.

(٤) قال في اللسان: أبو أخزم جد أبي حاتم طيء، أو جد جدّه، وكان له ابن يقال له: أخزم، فمات أخزم وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم أبي أخزم فأَدْمَوْهُ، فقال:

إِنَّ بَنِيَّ رَمَّلُونِي بالدَّم ... شِنْشِنَةٌ أَعْرِفها مِنْ أَخْزَمِ

مَنْ يَلْقَ آسادَ الرِّجالِ يُكْلَم

والشِّنْشِنَة: الطبيعةُ والسجية، أي: أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخُلُقه (انظر: اللسان، مادة: خزم، شنن).

(٥) البيت للمتنبي، كما في شرح ديوانه للعكبري (٣/ ١٨)، ولفظه: "ولو كان النساء كمن فقدنا" ... البيت.

قال ابن عباس: ينفقون في اليُسر والعُسر[١].

وأنشدني بعض أهل العلم:

عَلَى كُلِّ حَالٍ كُنْ مُنْفِقاً أَخَا عُسْرَةٍ كُنْتَ أَوْ مُوسِرَا
فَلاَ المَالَ تَمْلِكُهُ مُقْبِلاً وَلاَ المَالَ تَمْلِكُهُ مُدْبِرَا

قوله: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ من قولهم: كَظَمَ القِرْبَةَ؛ إذا مَلأَهَا وَشَدَّ فَاهَا، وكظم البعيرُ على جِرَّته؛ إذا رَدَّدَها في حلقه[٢].

فكاظمُ الغيظ: هو المُمْسِكُ على ما في نفسه منه.

وفي مسند الإمام من حديث سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ حَتَّى يزوّجه ويخيّره مِنْ أَيِّ الحُورِ العين شَاءَ»[٣]. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وأخرج أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى»[٤].

وعن عائشة أن خادماً لها غاظها فقالت: لله در التقوى، ما ترك لذي غيظ

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (كظم).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠)، والترمذي (٤/ ٣٧٢ ح٢٠٢١، ٤/ ٦٥٦ ح٢٤٩٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٨ ح٦١١٤).

شفاء[١].

قوله: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال زيد بن أسلم ومقاتل: يعفون عمن ظلمهم[٢].

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بعَفْوٍ إِلاَّ عِزّاً»[٣].

وقال علي رضي الله عنه: إذا قدرتَ على عدوك فاجعل العفوَ عنه شُكراً للقدرة عليه.

ورأى معاويةُ ابنه يزيد يضربُ غلاماً له، فقال: سوأة لك، أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك؟ والله لقد منعتني القدرة من ذوي الإِحَن[٤]، وإن أحق مَن عفا لمن قدر.

وفي قوله: ﴿والله يحب المحسنين﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الاتصاف بهذه الأوصاف من سمات المحسنين.

ويروى في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ قصوراً مشرفة على الجنة، فقلت: يا جبريل؛ لمن هذه؟ فقال: للكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين»[٥].

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٤٣).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ١٦٧)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ ح٢٥٨٨).

(٤) الإِحَن: جمع، واحدها: إحنة. وهو الحقد في الصدر (اللسان، مادة: أحن).

(٥) ذكره الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٥٥).

قال الحسن: الإحسان: أن يعم ولا يخص، كالريح والمطر.

وقال سفيان الثوري: أن تحسن إلى من أساء إليك، فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة[١].

وكان للمأمون خادم هو صاحب وَضوئه، فبينا هو يصب الماء على يده سقط الإناء، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله يقول: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال: قد كظمتُ غيظي عليك، قال: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال: قد عفوت عنك، قال: ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال: أنت حر[٢].

قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: نزلت في نبهان التَّمَّار، أتته امرأة تشتري منه تمراً، فقال: إن هذا التمر ليس بجيد، وفي البيت أجودُ منه، فهل لك فيه؟ قالت: نعم، فذهب بها إلى بيته، فضمّها وقبّلها، فقالت: اتق الله، فتركها وندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية[٣].

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن أنصارياً وثقفياً آخى النبي ﷺ بينهما، فخرج الثقفي مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعاهد أهلَ الثقفي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت، وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن،

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره (١/ ١٧٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣١٧) عن علي بن الحسين. وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٣١٧) وعزاه للبيهقي عن علي بن الحسين. ولم أجده عن المأمون.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ١٦٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٢٧) بغير إسناد، والوسيط (١/ ٤٩٣-٤٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦١).

وأصل هذه القصة ثابتة في صحيح مسلم (٤/ ٢١١٦ ح٢٧٦٣)، وجامع الترمذي (٥/ ٢٩٢ ح٣١١٥) ونزل بسببها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود:١١٤].

فأخذ يَلْثِمُها[١]، فوضعت كفها على وجهها، فقبَّله، ثم ندم، فأدبر راجعاً، فقالت: سبحان الله! خُنْتَ أمانتك [وعصيتَ ربك، ولم تصبْ حاجتك. قال][٢]: فخرج يسيح في الجبال، تائباً من ذنبه، هائماً على وجهه، يحثو التراب على رأسه. فلما رجع الثقفي لم يستقبله أخوه الأنصاري، فسأل زوجته عنه، فقالت: لا كثَّر الله في الإخوان مثله، وأخبرته خبره، فخرج في طلبه، فوافقه ساجداً يقول: ذنبي ذنبي، فقال: يا فلان! انطلق إلى رسول الله ﷺ، فسله عن ذنبك لعل الله يجعل لك منه مخرجاً، فرجع إلى المدينة، فأتيا أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً، فقال الأنصاري: قد هلكتُ، قال: وما أهلكك؟ فذكر له القصة، فقال: أما علمتَ أن الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، ثم لقيا عمر، فقال مثل ذلك، فأتيا النبي ﷺ فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة ... الآية﴾[٣].

ويروى عن ابن مسعود قال: قال المؤمنون: يا رسول الله؛ كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منّا، كان أحدهم إذا أذنب ذنباً أصبح كفَّارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه، اجدع أنفك، أو أذنك، افعل كذا، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلكم» وقرأ عليهم هذه الآيات[٤].

---

(١) يلثمها: يقبّلها (اللسان، مادة: لثم).

(٢) زيادة من أسباب النزول (ص:١٢٧)، وزاد المسير (١/ ٤٦٢).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٢٧)، والثعلبي (٣/ ١٦٨)، ونسبه لمقاتل والكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٢).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٩٥-٩٦) عن عطاء، عن النبي ﷺ مرسلاً. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٦) وعزاه لابن المنذر عن ابن مسعود كلفظ المصنف.

قوله: «الذين» مبتدأ، خبره «أولئك»، أو عطف على «المتقين»(١)، أي: أعدت للمتقين، والتائبين، ويكون «أولئك» إشارة إليهما.

والفاحشة: القبيحة الشنعاء، وكل شيء جاوز حدّه فهو فاحش. والمراد بها هنا: الزنا، في قول جابر بن زيد(٢).

وقيل: كل كبيرة(٣).

﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ قال مقاتل(٤) وابن السائب: هو ما دون الزنا من قُبْلة أو لمسة أو نظرة.

وقيل: جميع الصغائر.

﴿ذكروا الله﴾ جائز أن يكون باللسان، فهو الاستغفار، وهو قول ابن مسعود(٥).

وجائز أن يكون بالجَنان(٦)، على معنى: ذكروا عظمته وجلاله وعرضهم عليه،

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٤٩)، والدر المصون (٢/ ٢١١).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) زاد المسير (١/ ٤٦٢).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ١٩٢). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٣).

(٦) الجَنان: القلب. قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٣): وذكر الله بالقلب فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه ذكر العرض على الله. قاله الضحاك.

والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة. قاله الواقدي.

والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا. قاله ابن جرير.

والرابع: ذكر نهي الله لهم.

=

ووقوفهم للسؤال بين يديه.

قوله: ﴿ولم يصرّوا على ما فعلوا﴾ قال السدي: الإِصْرار: السّكوت وترك الاستغفار[١].

قال أكثر المفسِّرين: لم يُقيموا ولم يَدوموا[٢].

قال ابن فارس[٣]: الإِصْرار: العزم على الشيء والثبات عليه.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «مَا أَصَرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ في اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٤].

قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ حال من [فاعل][٥] الإصرار[٦]، والمعنى: وهم يعلمون ضرر الإصرار، ونفع الاستغفار، هذا معنى قول ابن عباس[٧].

وقال مجاهد: وهم يعلمون أن الله يتوب على مَن تاب[٨].

= والخامس: ذكر غفران الله. ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي.

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٩٧-٩٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الطبري (٤/ ٩٥)، والوسيط (١/ ٤٩٤)، والدر المنثور (٢/ ٣٢٨).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٢-٢٨٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٤ ح١٥١٤)، والترمذي (٥/ ٥٥٨ ح٣٥٥٩).

(٥) في الأصل: «فعل» وهو خطأ، فهي حال من الواو في «ولم يصروا»، أو من الواو في «استغفروا» (انظر: المصادر التالية).

(٦) انظر: التبيان (١/ ١٥٠)، والدر المصون (٢/ ٢١٢).

(٧) ذكره الثعلبي (٣/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٤).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٧)، ومجاهد (ص:١٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال السدي ومقاتل[١]: يعلمون أنهم قد أذنبوا[٢].

وما زال يخطر لي أن المعنى: وهم يعلمون أن لهم رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، لحديث أبي هريرة، حتى رأيت الثعلبي[٣] قد نسبه إلى الحسين بن الفضل[٤]. والحديث هو ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رجلاً أَذْنَبَ ذَنْباً، فقال: رب إني عملتُ ذنباً فاغفره، فقال تبارك وتعالى: عبدي عمل ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرتُ لعبدي، ثم عمل ذنباً آخر، فقال: رب إني عملتُ ذنباً فاغفره، فقال عز وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به [قد غفرت لعبدي][٥]، ثم عمل ذنباً آخر، فقال: رب إني عملتُ ذنباً فاغفره، فقال: عبدي علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء»[٦].

وفي ما يحكيه النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال: «يا ابن آدم إنك ما دعوتَني

---

(١) ذكره مقاتل (١/ ١٩٢) بمعناه.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٩٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ ١٧٠).

(٤) الحسين بن الفضل البجلي، أبو علي الكوفي النيسابوري، العلامة المفسر. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤).

(٥) زيادة من مسند أحمد (٢/ ٢٩٦).

(٦) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٢٥ ح٧٠٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١١٢ ح٢٧٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٩٦ ح٧٩٣٥).

ورجوتَني، غفرت لك على ما كان منك، يا ابن ادم إنك إن تلقني بقُراب الأرض خطايا بعد أن لا تشرك بي شيئاً، ألقاك بقرابها مغفرة، يا ابن آدم إنك إن تذنب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرني غفرتُ لك ولا أبالي[١].

وقال ثابت البُناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية[٢].

ثم ذكر جزاءهم فقال: ﴿أولئك جزاؤهم ... الآية﴾.

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا
تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ
فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾
وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن
تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾
وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ
عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٨ ح٣٥٤٠) عن أنس، وأحمد (٥/ ١٥٤ ح٢١٤٠٦)، والحاكم (٤/ ٢٤١).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ
وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ
وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟
لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ
﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ
ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

قوله: ﴿قد خلت من قبلكم سُنَن﴾[1] السُّنَن: جمع سُنَّة، وهي الطريقة[2]. والمعنى: مضى قبلكم أهل سنن وشرائع.

﴿فسيروا في الأرض﴾ بأجسادكم. وقال الزجّاج[3]: إذا سرتم في أسفاركم عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم.

وقيل: المعنى: فسيروا في الأرض ببصائركم، ﴿فانظروا﴾ بعين التفكر والاعتبار ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾.

قوله تعالى: ﴿هذا بيان للناس﴾: «هذا» إشارة إلى القرآن. وقيل: إلى أخبار الأمم السالفة[4].

---

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الخامس عشر، مرة ثانية.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (سنن).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤٧٠).

(٤) انظر: الطبري (٤/ ١٠٠)، وابن كثير (١/ ٤٠٩).

قال ابن عبد ربه: كُلُّ شيء كَشَفَ لك قناعَ المعنى الخفي، حتى ينادي إلى الفهم، ويتقبله العقل، ذلك البيان الذي ذكره الله في كتابه ومَنَّ به على عباده.

وقال سهل بن هارون[١]: البيان ترجمان العلم.

وقال بعضهم: ليس لمنقوص اللسان بهاء ولو حَكَّ بيافوخه[٢] عَنَانَ السماء.

﴿وهدى﴾ يعني: من الضلالة، ﴿وموعظة﴾ من الجهالة.

قوله: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ نزلت تسلية للنبي ﷺ وأصحابه بما أصابهم يوم أُحُد، وتقوية لقلوبهم[٣].

والمعنى: لا تضعفوا عن قتال الأعداء، ولا تحزنوا على من أصيب من الشهداء، وكان قد قُتِل يومئذ حمزة عم النبي ﷺ ومصعب بن عمير في خمسة من المهاجرين، وسبعين من الأنصار رضي الله عنهم، وجُرِح سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال أنس: وأُتِي رسول الله بعليّ وبه نيف وستون جراحة، من طعنة وضربة ورمية، فجعل رسول الله ﷺ يمسحها، وهي تلتئم بإذن الله، كأن لم تكن[٤].

قال ابن عباس: لما انهزموا يوم أُحُد أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم لا يَعْلُنّ علينا، اللَّهم لا قوة لنا

(١) أبو محمد، الفارسي الأصل، الأديب الكاتب، يتعصب للعجم على العرب، وكان مشهوراً بالبخل. توفي سنة خمس عشرة ومائتين (معجم الأدباء ١١/ ٢٦٦).

(٢) اليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل (اللسان، مادة: يفخ).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٦).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ٢١٩).

إلا بك»، فنزلت هذه الآية[١].

﴿وأنتم الأعلون﴾ أي: وحالكم أنكم أعلا منهم، وآخر الأمر لكم.

وقيل: وأنتم الأعلون في الآخرة؛ لأن قتالكم في الرحمن، وقتالهم في الشيطان.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ متعلق بالنهي، المعنى: إن كنتم مصدِّقين بما وعدكم الله من الاستعلاء على الأعداء فلا تهنوا ولا تحزنوا.

قوله: ﴿إن يمسسكم قرح﴾ وقرأ أهل الكوفة -إلا حفصاً- بضم القاف[٢]، لغتان بمعنى واحد.

وقال أبو عبيد[٣]: القَرْح: بالفتح: الجراح، وبالضم: ألم الجراح، والمعنى: إن يصبكم يوم أُحُد قرح، ﴿فقد مسَّ القوم﴾ يعني: المشركين ﴿قرح مثله﴾ يوم بدر، وقيل: «قد مس القوم قرح مثله» يوم أُحُد، فإنه قتل منهم خلق كثير.

قال ابن عباس: ما نُصر رسول الله ﷺ ما نُصِر يوم أُحُد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٠٣). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٤)، والكشف (٦/ ٣٥٦)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٦).

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٤٦٦).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٨٧ ح٢٦٠٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٤ ح٣١٦٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٠١ ح١٠٧٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٦-٧٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٤) وعزاه لأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم.

قوله: ﴿وتلك الأيام﴾ مبتدأ وخبره، أو «تلك» مبتدأ، و«الأيام» صفة، «نداولها» خبره[١].

والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة.

﴿نداولها بين الناس﴾ فنجعل الدولة للمسلمين تارة، وللمشركين أخرى ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ أي: وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء، وهو معطوف على محذوف، تقديره: ليتميز الثابتون على الإيمان من غيرهم[٢] ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ قوماً يكرمهم بالشهادة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن الصوفي، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، قال: أخبرنا ابن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن عمرو، سمع جابر بن عبد الله يقول: «قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أرأيتَ إن قُتِلتُ فأين أنا؟ قال: في الجنة. فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قُتِل»[٣]. هذا حديث متفق على صحته.

وأخرجه مسلم عن سعيد بن عمرو الأشعثي عن سفيان.

﴿والله لا يحب الظالمين﴾ كعبد الله بن أُبَيّ وأصحابه المنافقين الذين انخزلوا معه يوم أُحُد.

قوله: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ قال الزجّاج[٤] والمبرد وغيرهما:

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٥٠)، والدر المصون (٢/ ٢١٥-٢١٦).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٥٠)، والدر المصون (٢/ ٢١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٨٧ ح٣٨٢٠)، ومسلم (٣/ ١٥٠٩ ح١٨٩٩).

(٤) معاني الزجاج (١/ ٤٧١).

يُمَحِّصهم: يُنَقِّيهم ويُخَلِّصهم. يقال: مَحَصَ الحبل مَحْصاً؛ إذا أذهب منه الوَبَرُ، ومحصت الذهب بالنار: خلصته مما يشوبه[١]، ومنه: «اللَّهم مَحِّصْ عَنَّا ذنُوبَنَا»[٢].

وقال الزجّاج[٣]: معنى الآية: جعل الله الأيام مداولة بين الناس ليمحّص المؤمنين إذا أَدَالَ[٤] عليهم، ويمحق الكافرين ويستأصلهم إذا أدال عليهم، فقابل تمحيص المؤمنين بمحق الكافرين، لأن تمحيص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق الكافرين بإهلاك أنفسهم.

وقال الحسن ومجاهد: يمحِّصهم: يبتليهم ويختبرهم[٥]، ومنه قول الشاعر:

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئاً مُلَفَّفاً   فَكَشَّفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدا لِيَا[٦]

﴿ويمحق الكافرين﴾ قال ابن عباس: يهلكهم[٧].

وقال الزجّاج[٨]: يحبط أعمالهم.

قوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ «أم» منقطعة، والاستفهام في معنى

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (محص).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٧).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤٧٢).

(٤) الإدالة: الغَلَبة (اللسان، مادة: دول).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٤-٧٧٥)، ومجاهد (ص:١٣٧).

(٦) البيت لعبد الله بن معاوية. انظر: الكامل (١/ ١٨٣)، وزاد المسير (١/ ٤٦٧)، والدر المصون (٢/ ٢١٧)، واللسان، مادة: (محص)، وتفسير غريب القرآن (ص:١١٣).

(٧) أخرجه الطبري (٤/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٥) كلاهما بلفظ: ينقصهم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٨) معاني الزجاج (١/ ٤٧١).

الإنكار[١]، ﴿ولما يعلم الله﴾ بمعنى: ولما يجاهدوا فيعلمه الله واقعاً، لأن العلم متعلق بالمعلوم، قال الله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]، أي: ليس فيهم خير فيعلمه الله.

﴿ويعلم الصابرين﴾ قرأ جمهور القراء: «ويعلَمَ» بالنصب. وقرأت لأبي عمرو من رواية عبد الوارث[٢] عنه: «وَيَعْلَمُ» بالرفع[٣].

وقرأ الحسن: «ويعلمْ الصابرين» بالجزم على العطف، والكسر في الوصل لالتقاء الساكنين، وقرأت بهذه القراءة أيضاً[٤] من بعض طرق عبد الوارث. فمَن نصب فعلى الصرف عن العطف.

قال ابن الأنباري: هذه الواو يسميها النحويون: واو الصرف، فالذي بعدها ينصب على خلاف ما قبلها، كما تقول العرب: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أي: لا تجمع بينهما، ولا تأكل السمك في حال شربك اللبن، وقيل: انتصب بإضمار «أنْ». ومن رفع فعلى أن الواو للحال، كأنه قيل: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون.

قوله: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه﴾ قال ابن عباس وغيره: لما أخبرهم عز وجل على لسان نبيه ما لقي به شهداء بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنّوا قتالاً يستشهدون فيه، فلما كان يوم أُحُد ألَحّوا على النبي ﷺ في الخروج

---

(١) وهو الأظهر. وقيل: "أم" بمعنى الهمزة وحدها. وقيل: هذا استفهام معناه النهي -وهو قول أبي مسلم الأصفهاني-. وقيل: هي متصلة (انظر: الدر المصون ٢/ ٢١٨).

(٢) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو عبيدة البصري، مولاهم، المقرئ الثقة، عرض على أبي عمرو وغيره. توفي سنة ثمانين ومائة بالبصرة (طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٤٧٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٧٢).

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٩).

حرصاً على الشهادة، ورغبة فيها، فلم يلبثوا أن انهزموا، إلا مَن شاء الله منهم، فأنزل الله فيهم هذه الآية[1].

والمعنى: فقد رأيتم أسبابه.

﴿وأنتم تنظرون﴾ توكيد، على معنى: وأنتم بصراء.

وقيل: وأنتم تنظرون ما تمنيتم.

وقال ابن عباس: وأنتم تنظرون إلى السيوف[2].

والذي يظهر لي، ويشهد بصحته سبب النزول -والله أعلم- أن المعنى: ولقد كنتم تمنون الموت رغبة في الشهادة فقد رأيتموه، وبلغتم ما كنتم تحبون وتتمنون، وحالكم أنكم قوم تنتظرون الموت، وترتقبونه رغبة في كرامة الله وما أعده للشهداء، فلم انهزمتم، وأسلمتم نبيكم، وخذلتم دينكم؟.

الإشارة إلى غزاة أُحُد

أخبرنا أبو علي بن فرج بن سعادة في كتابه، أخبرنا أبو القاسم بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، أخبرنا عبد الله بن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٣-٣٣٤) وعزاه لابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن الربيع وقتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن السدي، وعزاه لابن جرير. وانظر: لباب النقول (ص:٥٨-٥٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٦٨).

أحمد، حدثني أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبـو إسـحاق، أن البراء بن عازب قال: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أُحُد -وكـانوا خمسين رجلاً- عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم موضعاً، وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فإن رأيتمونا ظهرنا على القـوم وأوطأنـاهم، فـلا تبرحـوا حتـى أرسـل إلـيكم. قـال: فهزمـوهم، قـال: فأنـا والله رأيـت النـساء [يشتددن][1] على الجبل، وقد بدت [سوقهنّ][2] وخلاخيلهنّ، رافعات ثيـابهنّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم! الغنيمة، ظهر أصـحابُكم فـما تنتظرون؟، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ، قالوا: والله إنَّا لنأتين الناس، فلنصيبين مـن الغنيمـة، فلـما أتـوهم صرفـت وجـوههم، فـأقبلوا منهزمين، وذلك قوله: ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ [آل عمران:١٥٣]، فلـم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فأصـابوا منـا سـبعين رجـلاً، وكـان رسول الله ﷺ قد أصاب من المشركين يوم بـدر أربعـين ومائـة، سـبعين أسـيراً، وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد، أفي القوم محمد، أفي القوم محمد؟ -ثلاثاً- قال: فنهاهم رسول الله أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافـة، أفي القوم ابن أبي قحافة، أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب، أفي القوم ابن الخطاب، أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتِلوا، وقد كُفِيتموهم، فما مَلَكَ عمر نفسه أن قال: كذبتَ -والله- يا عدو الله، إن الذين عددتَ لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال: يوم بيـوم بـدر، والحـرب

(١) في الأصل: يشددن. والتصويب من مصادر تخريج الحديث. والمعنى: يسعين سعياً شديداً.

(٢) في الأصل: أسواقهن. والتصويب من مصادر التخريج.

سِجَال[١]، إنكم ستجدون في القوم مُثْلة[٢] لم آمر بها، ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: اعل هُبَل، اعل هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله؛ وما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلّ، قال: إن لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله؛ ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»[٣]. انفرد بإخراجه البخاري، فرواه في ثلاثة مواضع من كتابه عن عمرو بن خالد، عن زهير.

وبهذا الإسناد قال[٤]: حدثنا أبي، قال: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن [عبيد الله، عن][٥] ابن عباس أنه قال: «ما نصر الله تعالى نبيه في مواطن ما نصره يوم أُحُد. قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾، ثم ذكر حديث الرماة، إلى أن قال: وصاح الشيطان: قُتِل محمد، فلم يُشَكَّ فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نشك أنه قد قُتِل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السَّعْدَين، نعرفه بتكَفُّئه[٦] إذا مشى، قال: ففرحنا حتى كأنَّا لم يصبنا ما أصابنا، قال: فَرَقَى نحونا، وهو يقول: اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسوله. قال: ويقول مرة أخرى: اللَّهم إنه ليس لهم أن يعلونا، حتى انتهى إلينا، فمكث ساعة،

(١) الحرب سِجال: معناه: نُدالُ (نُغْلب) عليه مرة، ويُدالُ علينا أخرى (اللسان، مادة: سجل).

(٢) المُثْلة: التنكيل (اللسان، مادة: مثل).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٠٥ ح٢٨٧٤، ٤/ ١٤٨٦ ح٣٨١٧)، وأحمد (٤/ ٢٩٣).

(٤) أي: عبد الله بن الإمام أحمد.

(٥) في الأصل: عن عبد الله بن عباس. والمثبت من المسند (١/ ٢٨٧).

(٦) التكفّي: التَّمايُل إلى قُدَّام، كما تتكفّأ السفينة في جَرْيها (اللسان، مادة: كفأ).

فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعل هُبَل!! ثم قال: وأجيب نحو ما تقدَّم، فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، إنه قد أنعمت [عينها][(١)] فَعالِ عنها»[(٢)].

قوله: «طلع بين السَّعْدَين»، يعني: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وكانا نقيبين، وقوله: «قد أنعمت» يعني: الآلهة، "فَعالِ عنها"، أي: لا تَذكُرْها بسوء.

قال أهل العلم بالتفسير والسير: إن رسول الله ﷺ حين نزل بالشِّعْب من أُحُد قال للرماة: «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، فإنَّا لن نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم»، فلما استباح المسلمون عسكر المشركين انكبَّ الرماة، فدخلوا العسكر ينهبون، وثبت عبد الله بن جبير في نفر دون العشرة، وكان على ميمنة قريش خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عِكرمة بن أبي جهل، ومعهم النساء يضربن بالدفوف، ويقلن الشعر، وكانت هند تقول:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

إن تُقْبلوا نُعانِق أو تُدْبروا نُفارِق

فراق غير وامق

وقال رسول الله ﷺ يومئذ: «من يأخذ هذا السيف بحقه»؟، فقال من رضي الله عنه -أبو دجانة سِماك بن خرشة-: أنا يا رسول الله، وكان رجلاً شجاعاً، يختال في الحرب سجية، ما يستطيع غير ذلك، فتعمّم بعمامة حمراء، وبرز يتبختر، ويقول:

---

(١) زيادة من المسند (١/ ٢٨٧).

ومعنى قوله: «أنعمت عينها»، أي: قرّت، من الإنعام، يعني: آلهته.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٨٧ ح٢٦٠٩).

أَنَــا الــــذي عَاهَـــدَنِي خَلِـــيلي وَنَحْـــنُ بالـــسَّفْحِ لَــدَى النَّخِيـــلِ
أَنْ لاَ أَقُـــومَ الـــدَّهْرَ في الكَيُّـــولِ[1] أَضْرِبْ بِـــسَيْفِ الله والرَّسُـــولِ

فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمِشْيَةٌ يُبغضها الله إلا في هذا الموضع»[2]، ثـم حمـل رسول الله على المشركين فاستباحهم، وقَتَلَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه طلحةَ بن أبي طلحة حامل لواء قريش، وأنزل الله نصره، فلما رأت الرماة المشركين قـد انهزموا، والرسول والمسلمون يغنمونهم، مالوا إلى الدنيا وطلبـوا الغنيمـة، فقـال أميرهم عبد الله بن جبير: أمّا أنا فلا أفارق مكاناً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، فثبت في نفر دون العشرة، وانكبَّ أكثرهم، فدخلوا العسكر، فلما رأى خالد قِلَّة الرمـاة وانشغال المسلمين بالغنيمة صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على المسلمين من خلفهم فهزموهم، وقتلوهم، وشُجَّ رسول الله في وجهه وكُسِرت رباعيته، وتفرّق عنه أصحابه، وأقبل عبد الله بن قَمِئَة يريد قتل رسول الله ﷺ، فذبَّ عنه مـصعب بن عمير صاحب راية رسول الله ﷺ حتى قُتِل دونه، فظن الخبيـث أنـه قـد قتـل رسول الله، فقال: قتلت محمداً، وصرخ الشيطان: ألا إن محمـداً قـد قُتِـل! ألا إن محمداً قد قُتِل! فقال أنس بن النضر، عم أنس بن مالك: يا قوم! إن كان محمد قـد قُتِل فإن ربّ محمد لم يقتل، ما تصنعون بالحياة بعده، موتوا على ما مات عليه، ثم حمل على المشركين، فقاتل حتى قُتِل، وانكفأ الناس، فجعل رسول الله ﷺ يقـول: «إليّ عباد الله، إليّ عباد الله»، فاجتمع إليه ثلاثون من أصحابه، فذبُّوا عنه، فأُصيبت

---

(١) الكيُّول: آخر الصفوف في الحرب (اللسان، مادة: كيل).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٣-١٦).

يد طلحة بن عبيد الله، وسالت عين قتادة بن النعمان، فردَّها رسول الله ﷺ بيده في مكانها، فعادت أحسن ما كانت، وفي ذلك يقول ابنه يفتخر:

أَنَا ابنُ الذي سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ

فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لأَحْسَنِ حَالِها فَيَا حُسْنَ ما عَيْنٍ ويَا حُسْنَ مَا يَدِ[(١)]

وقال سعد بن الربيع وهو في آخر رمق: يا قوم! لا عذر لكم عند الله إن وُصِل إلى رسول الله وفيكم عينٌ تطرف.

ولما انهزم المسلمون، وصرخ الشيطان: قُتِل محمد. قال قوم من المنافقين: الحقوا بدينكم الأول.

وقال بعض المسلمين: ليت عبد الله بن أُبَيّ أخذ لنا أماناً من أبي سفيان، ثم انطلق رسول الله ﷺ إلى الصخرة، فكان أولَ مَن عرفه كعبُ بن مالك، فقال: عرفت عينيه تُزهران تحت المِغْفَر، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين؛ أبشروا هذا رسول الله، فتراجع المسلمون إليه، فلامهم على الفرار، فقالوا: يا نبي الله؛ فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قد قتلت، فرعبت قلوبنا فولّيْنا مدبرين»[(٢)]، فأنزل الله: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾[(٣)].

هذا اسمٌ أكرم الله به رسوله، واشتقاقُه من الحمد، سمي بذلك لأنه محمود عند الله، وعند الملائكة، وعند الناس، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

---

(١) البيتان في: صفة الصفوة (١/ ٤٦٤)، والاستيعاب (٣/ ١٢٧٥).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٤/ ١٣-١٦)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٥-١٦)، والثعلبي (٣/ ١٧٦-١٧٧).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص:١٢٩) عن عطية العوفي.

وَشَقَّ لَهُ مِن اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ   فَذو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذا مُحَمَّدُ[(١)]

وقوله: ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ إشارة إلى أنه يتطرق إليه ما يتطرق إليهم من القتل والموت.

فصل

لما انتهيتُ مرة في تدريس تفسير الكتاب العزيز إلى هذه الآية أورد عليّ رجلٌ فاضل إشكالاً، فقال: لا شبهة أنَّ «قد» في أصل الوضع لتقريب الماضي من الحال[(٢)]، ومعلوم أن بين انقراض الرُّسُل وبين زمن نزول هذه الآية أمداً بعيداً ودهراً طويلاً، فكيف ساغ دخول «قد» ها هنا؟

فقلت: المقصودُ من سياق هذه الآية تقريع المنهزمين يوم أُحُد، وإبطالُ ما اعتصموا به من جهة الاعتذار للفرار من قولهم للرسول: أتانا الخبر بأنك قد قُتِلت، فقال سبحانه: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ فحكمُه حكمهم، يجوز عليه ما يجوز عليهم، ويتطرق إليه ما تطرق إليهم. ثم قرّب سبحانه زمان هؤلاء الرسل إلى المنهزمين المُواجَهين بالتوبيخ والتقريع بصيغة تُقرِّب الماضي من الحال فقال: ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾؛ ليكون ذلك في قربه منهم كالمشاهَد لهم لترسخ في أذهانهم، وليستحضروا في قلوبهم ما سيجري على رسولهم مماثلاً لما جرى على من قبله من الرسل، كأنه قال: ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ بالأمس ﴿أفإن مات﴾

---

(١) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:٥٤)، والقرطبي (١/ ١٣٣)، والاستيعاب (٩/ ١٥٤) ونسبه لعبد المطلب أو أبي طالب، والإصابة (٧/ ٢٣٥) ونسبه لأبي طالب. وهو في ديوان أبي طالب (ص:٣٣٢).

(٢) انظر: اللباب لأبي البقاء (١/ ٤٩)، والمغني لابن هشام (١/ ١٤٨).

محمد ﴿أو قُتِل﴾ اليوم، كما مات من قبله من الرسل وقُتِلوا ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾، فيكون ذلك توبيخاً على توبيخ، وبَّخهم أولاً لفرارهم، وثانياً لاعتذارهم؛ ليزدادوا بصيرة وإيماناً وثباتاً على دينهم، كيف تصرَّفتْ بهم الحال، كما كان أنس بن النضر حين قيل: قُتِل محمد، وكما كان الصِّدِّيق حين قال: مَن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومَن كان يعبد رب محمد فإن رب محمد حي لا يموت.

وقلّ أن يُذكر مثل هذا التحرير في تفسير، ولكن هذا من السرِّ المكنون الذي لا يَظهر إلا بالبحث والتقرير.

قوله[1] عز وجل: ﴿أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم﴾، أي: أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قُتِل؟

ويقال لكل مَن عاد إلى ما كان عليه، ورجع وراءه: انقلب على عقبيه. يُعَرِّضُ بهذا بالقائلين حين صرخ الشيطان: قُتِل محمد، ارجعوا إلى دينكم الأول.

﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ إنما يضر نفسه، ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾.

قال علي رضي الله عنه: يعني الثابتين على دينهم، وكان أبو بكر أمير الشاكرين[2].

---

(١) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً سابعاً، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السادس عشر، مرة ثانية.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١١٠-١١١) وفيه: «أمين الشاكرين». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٨) وعزاه لابن جرير.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن الصوفي، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن حمويه، أخبرنا الفربري، أخبرنا البخاري، أخبرنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة، أن عائشة أخبرته، «أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنُح[1]، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتَيمم رسولَ الله ﷺ، وهو مغشى بثوب حِبَرَة[2]، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه وقبَّله، وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتِبَت عليك فقد مِتَّها».

وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّاب يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله فَإِنَّ الله حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ -إِلَى قَوْلِهِ:- الشَّاكِرِينَ﴾.

قَالَ: وَالله لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَراً مِن النَّاسِ إِلا يَتْلُوهَا، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّب أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَالله مَا هُوَ إِلاّ أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاهَا، فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاهَا [عَلِمْتُ][3] أَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) السُّنُح: إحدى محال المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج، فيها منزل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه (معجم ما استعجم ٣/ ٧٦٠، ومعجم البلدان ٣/ ٢٦٥).

(٢) الحِبَرَة -كعِنَبَة-: ضربٌ من برود اليمن مُنَمَّر (اللسان، مادة: حبر).

(٣) زيادة من البخاري (٤/ ١٦١٨).

ﷺ قَدْ مَاتَ». انفرد بإخراجه البخاري[١].

قوله: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ قال الزجّاج[٢]: اللام في "النفس" معناها النقل، بتقدير: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

قال ابن عباس: يريد: بقضائه وقدره[٣].

﴿كتاباً مؤجلاً﴾ أي: كتب الله ذلك كتاباً إلى أجله في اللوح المحفوظ، لا يُقَدِّمُهُ اقتحام المهالك، ولا يُؤَخِّرُهُ الفرار من المعارك.

والمقصودُ من هذا حَضُّ المسلمين على الصبر عند لقاء العدو، والعتب على المنهزمين يوم أُحُد.

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ أي: مَن قصد بعمله الدنيا نعطه منها ما قدَّرنا له، ثم ينقطع، وفيه تعريض بالرماة الذين تركوا المركز، طلباً للغنيمة، وباقي الآية تعريض بالذين بقوا مع أميرهم عبد الله بن جبير لحفظ المركز.

قوله عز وجل: ﴿وكأين﴾ وقرأ ابن كثير: «وكَائِن»[٤]، مثل: وكَاعِن، والأول لغة أهل الحجاز، والثاني لغة بني تميم.

قال المَعْلُوط القُرَيْعِي:

وَكَائِنٍ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّم ... وَصُعْلُوك قَوْمٍ مَاتَ وَهوَ حَمِيدُ[٥]

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦١٨ ح٤١٨٧).

(٢) معاني الزجاج (١/ ٤٧٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٠٠).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٩)، والحجة لابن زنجلة (١٧٤-١٧٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٧٩-١٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٦).

(٥) انظر: ديوان الحماسة (٢/ ١٩).

قال ابن قتيبة[١]: وهذه اللغة أفصح، وأكثر، قال الشاعر:

وَكَائِنٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيادَتُهُ أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ[٢]

قال الفرّاء: وأنشدني الكسائي:

وَكَائِنٍ تَرَى يَسْعَى مِنَ النَّاسِ جَاهِداً ... عَلَى ابنٍ غَدَا مِنْهُ شُجَاع وَعَقْرَبُ[٣]

وقال آخر:

وَكَائِنٍ أَصَابَتْ مُؤْمِناً مِنْ مُصيبَةٍ ... عَلَى الله عُقْبَاهَا وَمِنْهُ ثوابُها[٤]

قال بعضُهم: أصلها «أي» دخلت عليها كاف التشبيه، فمن ثقَّل فعلى الأصل، ومَن خفَّف فلكراهة التضعيف، وكان أبو عمرو يقف على الياء نظراً إلى الأصل، والباقون على النون اتّباعاً للإمام.

ومعناها: وكم من نبي قُتِل.

وقرئ شاذاً: «قُتِّل» بالتشديد[٥].

وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «قاتَلَ»[٦]، والفاعل «ربيون»، والمعنى: كم من

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:٥١٩).

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني في معلقته إحدى المعلقات السبع. انظر: ديوانه (ص:٨٨)، وزاد المسير (١/ ٤٧١)، وشعب الإيمان (٤/ ٢٧٣).

(٣) لم أعرف قائله، وهو في زاد المسير (١/ ٤٧١).

(٤) البيت للفرزدق، وهو في زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) انظر: المحتسب (١/ ١٧٣).

(٦) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: "قُتِلَ". انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٧).

نبي قُتِل الرِّبيون معه، فما وهن مَن بقي منهم، ويؤيد هذا المعنى قراءة مَن شدَّد.

وقيل: القتل مسند إلى النبي ﷺ، فعلى هذا: «معه» في محل الحال[١]، المعنى: وكم من نبي قُتِل كائناً معه ربيون، فما وهنوا بعد قتل نبيهم. والقولان جاريان في قراءة أهل الكوفة أيضاً.

والرِّبيون -بالحركات الثلاثة على الراء-: الجماعات الكثيرة، وهذا قول الأكثرين من أهل التفسير واللغة[٢].

قال ابن مسعود: هم الألوف[٣]. اختاره الفرَّاء[٤].

وقال قتادة وعكرمة ومجاهد: الجماعات الكثيرة[٥]. واختاره ابن قتيبة[٦].

وقال الحسن: العلماء والفقهاء[٧]. اختاره الزجَّاج[٨].

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٥٢)، والدر المصون (٢/ ٢٢٧).

(٢) قال ابن عباس في تفسيره (ص:١٣١) عند تفسير هذه الآية: ربيون: جموع.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٥)، والطبري (٤/ ١١٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني.

(٤) معاني الفراء (١/ ٢٣٧).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ١١٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٠). وذكره الماوردي (١/ ٤٢٨). وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:١١٣).

(٧) أخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١٠٩٤)، والطبري (٤/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٨١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٠) وعزاه لسعيد بن منصور.

(٨) معاني الزجاج (١/ ٤٧٦).

وقال ابن فارس[1]: هم العارفون المتألِّهون.

﴿فما وهنوا﴾ أي: ما ضعفوا عند قَتْل نبيهم، أو قَتْل مَن قُتِل منهم، ﴿وما ضعفوا﴾ عن جهاد الأعداء بعد ما أصابهم في سبيل الله، ﴿وما استكانوا﴾، أي ما ذلُّوا للعدو، وفي هذا تعريضٌ بالمنهزمين الذين أظهروا الوهن والضعف والذل حين صرخ الشيطان: قُتِل محمد.

قوله: ﴿وما كان قولهم﴾ يعني: قول الرِّبيين إلا هذا القول، وهو الاعتراف بالذنوب. ﴿وإسرافنا في أمرنا﴾ وهو مجاوزة الحد في المعاصي.

فالمعنى: اغفر لنا الصغائر والكبائر.

﴿وثبّت أقدامنا﴾ كي لا نزول عن دينك، وحرب أعدائك.

المعنى: فهلاَّ كنتم أنتم يا أصحاب محمد كذلك.

﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ وهو النصر والغنيمة، ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ وهو الجنة.

وخصَّه بإضافة الحُسن إليه تمييزاً له عن ثواب الدنيا، وتفضيلاً له عليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ

(١) انظر: مجمل اللغة (٢/ ٣٦٦).

بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ قال علي رضي الله عنه: هم المنافقون الذين قالوا - حين صرخ الشيطان قُتِل محمد-: ارجعوا إلى دينكم الأول[١].

وقال ابن عباس: هم اليهود[٢].

وذاك أنهم كانوا يرومون إدخال الشبهة على المؤمنين ليفتنوهم، فلما كان يوم أُحُد قالوا: لو كان نبياً ما غلب.

وقيل: هو عامّ في جميع الكفار.

﴿بل الله مولاكم﴾: وليكم وناصركم.

وقرئ: «بل اللهَ» بالنصب[٣]، على معنى: بل أطيعوا الله مولاكم.

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ١٨٣)، والواحدي في الوسيط (١/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٥) كلاهما عن ابن جريج. وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٠٢) من قول ابن عباس، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٧٤) من قول ابن جريج، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤١-٣٤٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج.

(٣) مختصر شواذ القرآن (ص:٢٢).

قوله: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال السدي: لما ارتحل المشركون نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلنا أصحاب محمد حتى إذا لم يبق منهم إلا شرذمة تركناهم، فهمُّوا بالرجوع ليستأصلوهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية[1].

وقيل: كان ذلك يوم أُحُد، فإنهم انهزموا راجعين إلى مكة، ولهم القوة والغلبة.

والرعب -بإسكان العين وبضمها- لغتان.

وبضمها قرأ ابن عامر والكسائي[2] حيث جاء، وهو الخوف الذي يملأ القلب، من قولهم: رَعَبْتُ القربة، أي: ملأتها[3].

و «ما» في قوله: ﴿بما أشركوا﴾ مصدرية، المعنى: بإشراكهم ﴿بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حُجَّة ظاهرة.

لأن النِّد والشَّريك لا حُجَّة على صحته فتنزل.

﴿ومأواهم النار﴾ مكانهم الذي يأوون إليه النار.

ثم ذمَّه فقال: ﴿وبئس مثوى الظالمين﴾.

قوله: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ قال قوم من المسلمين: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر، فنزلت هذه الآية[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٢٤). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٢٩)، والوسيط (١/ ٥٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٢) وعزاه لابن جرير.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٦)، والكشف (١/ ٣٦٠)، والنشر (٢/ ٢١٥-٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٧).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (رعب).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٧٥).

والوعد بالنصر في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم»[١]، أو في قوله: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾، أو في قوله: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ... الآية﴾، إن قلنا هو يوم أُحُد.

﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً. يقال: سَنَةٌ حَسُوسٌ؛ إذا أَتَتْ على كل شيء، وجَرَادٌ مَحْسُوسٌ؛ إذا قَتَلَهُ البَرْد[٢].

وكان ذلك حين كان الرماة يرشقونهم بالنبل، وباقي المسلمين يضربونهم بالسيوف.

﴿حتى إذا فشلتم﴾ أي: جبنتم[٣] وضعف رأيكم، ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ وهو تجاذب الرماة فيما بينهم، بين قائل: لا نفارق المركز، وقائل: ما يمنعنا من الغنيمة، ﴿وعصيتم﴾ خالفتم الرسول في قوله: «لو رأيتم الطير تخطفنا لا تُفارقوا مكانكم»[٤].

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم وعصيتم فشلتم.

﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ وهو النصر والغنيمة.

وجواب «حتى إذا» محذوف تقديره: حتى إذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم منعتكم ما تحبون. ويجوز أن يكون متعلقاً بما قبله، التقدير: ولقد صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم.

---

(١) تقدم (ص:٣٢٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حسس).

(٣) انظر: الطبري (٤/ ١٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١١٠٥ ح٢٨٧٤).

﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم الذين فارقوا المركز، ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ كعبد الله بن جبير وأصحابه الذين ثبتوا معه.

قال ابن مسعود: ما كنت أظن أن أحداً من أصحاب محمد ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[1].

﴿ثم صرفكم عنهم﴾ ردَّ وجوهكم عن المشركين بالهزيمة.

وفي قوله: «صرفكم»، إبطال لمذهب القَدَرية، حيث أضاف الصرف إلى نفسه، وجعله من فعله.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله، غضابٌ لله، يُقاتلون أعداء الله، نُهوا عن شيء فصنعوه، فما تُرِكوا حتى غُمُّوا بهذا الغم. والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركبُ كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسيعلم[2].

قوله: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾[3] قوله: «إذ» نصب بـ«صَرَفَكُمْ»، أو بقوله: «لِيَبْتَلِيَكُمْ»، أو بـ«عَفَا»، أو بإضمار «اذكر»[4]، و«تُصْعِدُونَ» من الإِصْعَاد، وهو: الذهاب في الأرض، والإبعاد فيها، يقال: أَصْعَدَ في الأرض؛ إذا

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٣) بسند حسن، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٧١)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٠٦)، والطبري (٤/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٩) وعزاه لأحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والبيهقي بسند صحيح.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١٣١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٩) وعزاه لابن جرير.

(٣) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السادس عشر، مرة ثانية.

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٥٤)، والدر المصون (٢/ ٢٣٣).

أَمْعَنَ في الذهاب فيها[١].

وقرأ الحسن البصري: "تَصْعَدُونَ"[٢] -بفتح التاء والعين- من الصُّعُود، يريد: ارتفاعهم في الجبل، ويؤيده قراءة عائشة وأبي الجوزاء[٣] في آخرين، "ولا تَلْوونَ على أُحُد"[٤] -بضم الهمزة والحاء- أي: الجبل المعروف، وقيل: صَعِدَ وَأَصْعَدَ بمعنى واحد.

«ولا تلوون» أصله من لَيِّ العنق في الالتفات، ثم استعير في ترك التعريج.

﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ يقال: جاء فلان في آخر الناس وأُخْرَاهم؛ إذا جاء من خلفهم[٥]، كما يقال: جاء في أوَّلِهم وأُولاهم.

و«الأخرى» تأنيث الآخر، وهو في تأويل: يدعوكم في سَاقتكم، أو في جماعتكم المتأخرة، يقول: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، أنا رسول الله.

«فَأَثَابَكُمْ» عطف على «ثُمَّ صَرَفَكُمْ»[٦]، والمعنى: فجازاكم غمّاً حين صرفكم عنهم، «لِيَبْتَلِيَكُمْ» بسبب غم أدخلتموه على رسول الله ﷺ، بمخالفتكم له. وهذا اختيار الزجَّاج[٧].

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (صعد).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٠).

(٣) أوس بن عبد الله الربعي، أبو الجوزاء -بالجيم والزاي- بصري، تابعي، ثقة جليل، يرسل كثيراً، توفي سنة ثلاث وثمانين (التقريب ص:١١٦).

(٤) إعراب القراءات الشواذ (ق ٤٨/ ب).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (أخر).

(٦) وهو قول الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٥٤). وانظر: الدر المصون (٢/ ٢٣٤).

(٧) معاني الزجاج (١/ ٤٧٩).

وقال الحسن: بغَمٍّ أدخلتموه على الكفار يوم بدر.

وقيل: "غمّاً بغَمّ" أي: غمّاً على غَمّ. تقول: نزلت به؛ أي: عليه.

أو غمّاً مع غم، كما تقول: جاء زيد بعمرو، أي: معه، وهو ما أصابهم من القتل والهزيمة وما فاتهم من النصر والغنيمة، أو مع ما نالهم حين سمعوا قتل محمد ﷺ.

﴿لكي لا تحزنوا﴾ قيل: إن «لا» زائدة، كقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ﴾ [الحديد:٢٩].

فالمعنى: فأثابكم غمّاً، عقوبة لكم، لكي تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، وما نالكم من القتل والهزيمة.

فعلى هذا اللام في «لِكَيْ» متعلقة بقوله: «فَأَثَابَكُمْ».

والأظهر: أن «لا» على أصلها، ومعناها النفي.

ثم في توجيه الآية طرق:

أحدها: فأثابكم غمّاً عظيماً تضاءل عندَه الغَمُّ الأول، وهو: ما فاتكم وأصابكم عند سماع صوت الشيطان: قُتِل محمد، فبقي الغم الأول مغموراً كأن لم يكن له وجود، ومن هذا قول الشاعر:

.... إِذا تَجَدَّدَ حُزْنٌ هَوَّنَ المَاضِي[1]

الطريق الثاني: أن المعنى: فأثابكم غمّاً بغَمٍّ لتتمرَّنوا وتتعوّدوا، فلا تحزنوا على ما فاتكم من المسارّ، ولا على ما أصابكم من المضارّ[2]، كما قيل:

---

(١) عجز بيت لإبراهيم بن العباس الصولي، وصدره: (كم قد تجرعت من غيظ ومن حزن). وهو في: تاريخ بغداد (٦/ ١١٧).

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٥٤).

تَعَـوَّدْتُ مَـسَّ الـضُّرِّ حَتّـى أَلِفْتُـهُ   فَأَسْـلَمَنِي حُـسْنُ العَـزَاءِ إِلى الـصَّبْرِ

وَوَسَّعَ صَدْرِي بالأَذى كَثْرَةُ الأَذى   وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَاناً يَضِيقُ بِهِ صَـدْرِي[١]

ومنه البيت السائر:

أَنْكَرتُ طَارِقَةَ الحَوادِثَ مَرَّةً   ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا[٢]

الطريق الثالث: أن تكون لام «كي» متعلقة بقوله ﴿ولقد عفا عنكم﴾ أي: عفا عنكم لكي لا تحزنوا، فإن عفو الله يَذْهب بالحزن[٣].

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

---

(١) البيتان لأبي الأسود الدؤلي. انظر: جمهرة الأمثال (١/ ١٨٥).

(٢) البيت للمتنبي. انظر: شرح ديوان المتنبي (١/ ٢٥٢).

(٣) وفيه بُعد من جهة طول الفصل. انظر: الدر المصون (٢/ ٢٣٥-٢٣٦).

قوله: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ قال ابن قتيبة[١]: «الأمنة»: الأمن.

و«نعاساً» بدل من "أمنة"[٢].

وجائز أن يكون هو المفعول، و"أمنة" حالاً متقدمة عليه، نحو رأيت راكباً رجلاً. وجائز أن يكون مفعولاً له، أي: نعستم للأمنة[٣].

والنُّعَاس: الوَسَن، يقال: نَعَسَ يَنْعُسُ نُعَاساً فهو نَاعِس، وبعضهم يقول: نَعْسَان[٤].

قال الفرّاء[٥]: قد سمعتها، ولكن لا أشتهيها.

قال الزجّاج[٦]: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب بأن أمَّنكم أمناً تنامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام.

﴿يغشى﴾ يعني: النعاس.

وقرأ حمزة والكسائي: «تغشى»[٧] بالتاء والإمالة، يعني: الأمنة، ﴿طائفة منكم﴾، وهم المؤمنون، ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ وهم المنافقون، أهمّهم

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:١١٤).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٥٤)، والدر المصون (٢/ ٢٣٦).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (نعس).

(٥) لم أقف عليه في معاني الفراء، وهو في زاد المسير (١/ ٤٨٠).

(٦) معاني الزجاج (١/ ٤٧٩).

(٧) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٦)، والكشف (١/ ٣٦٠)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٧).

خلاص أنفسهم لا خلاص الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا الخلاص في الإسلام.

قال الزبير رضي الله عنه: أرسل الله تعالى علينا النوم، فما منا رجل إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: "لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا"، فحفظتها منه[(١)].

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي، وابن رُوْزَبَة البغداديان، قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبو يعقوب، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، قال: حدثنا أنس، أن أبا طلحة قال: «غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ في مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ وَمَا مِنْهُم أَحَد يَوْمئذ إِلاَّ يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ[(٢)] مِنَ النُّعَاس»[(٣)].

قوله: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ ظنوا أن عِقْد الإسلام قد انْحَلّ، وأن أمر النبي ﷺ قد اضْمَحَلّ.

قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه[(٤)].

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٣) وعزاه لابن إسحاق وابن راهويه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٢) الحَجَفة: التُّرْس (اللسان، مادة: حجف).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٢ ح٤٢٨٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٠٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨١).

﴿ظن الجاهلية﴾ بدل من «غير الحق»[١].

والمعنى: ظن المختص بالملة الجاهلية، أو كظن أهل الجاهلية، فشبه ظن أهل الشك بظن أهل الشرك.

وقوله: ﴿يقولون﴾ بدل من «يظنون»، والاستفهام بمعنى الجحد -كما سبق-، وتقديره: ما لنا من النصر والظفر شيء، كما وعدنا.

قال أبو سليمان الدمشقي: القائل: ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾: عبد الله بن أُبَيّ بن سلول[٢].

قل لهم يا محمد: ﴿إن الأمر كله لله﴾ قرأ الكل: «كُلَّهُ» بالنصب على توكيد الأمر، إلا أبا عمرو فإنه رفع على الابتداء[٣]. و«لله» الخبر، والجملة خبر «إنَّ»[٤].

وقوله: ﴿يخفون﴾ حال من «يقولون»[٥].

والذي أخفوه: الشك والنفاق، أو قولهم: ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾، وقولهم: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾.

﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ أي: لصاروا إلى بَرَازٍ من الأرض، وهو المكان المنكشف. والمضاجع: المصارع.

وهذا إعلامٌ من الله للبشر أنه لا وزر من القدر.

---

(١) انظر: الدر المصون (١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٤٨٢).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤)، ولابن زنجلة (ص:١٧٧)، والكشف (١/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٧).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٥٥)، والدر المصون (٢/ ٢٣٩).

(٥) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٣٩).

قوله: ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم﴾ أي: ما فيها من الإخلاص.

﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ من وساوس الشيطان.

قال قتادة: ليطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه، من الأمنة وإظهار سرائر المنافقين(١).

وقال غيره: أراد بالتمحيص: إبانة ما في القلوب، فيكون الخطاب بذلك للمنافقين(٢).

قوله عز وجل: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ يريد: جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أُحُد، والخطاب للمسلمين، ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أي: طلب منهم الزلل، ﴿ببعض ما كسبوا﴾ من الذنوب، وهو معصية الرسول بمفارقة المركز.

وذكر البعض مُشْعِرٌ بأن المعفو عنه من الذنوب أكثر.

﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ تولّيهم يومَ أُحُد.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي
ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ
حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ
أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٥٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٢).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٤٨٢).

غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى
ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ
ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ
رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ
دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

ثم نهى الله المؤمنين عن أن يكونوا كالمنافقين فقال: ﴿لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم﴾ أي: لأجل إخوانهم، كقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١]، والمعنى: لإخوانهم في السبب، وهو النفاق.

وقيل: في النسب.

﴿إذا ضربوا﴾ أي: سافروا، وساروا فيها.

قال الزجّاج[١]: إنما قال: ﴿إذا ضربوا﴾، ولم يقل: «إذ» لأنه هذا شأنهم أبداً، يقولون: فلان إذا حدَّث صدق، وإذا ضُرِب صبر، و«إذا» لما يُستقبل، إلا أنه لم

(١) لم أقف عليه في معاني الزجاج، وهو في زاد المسير منسوب إليه (١/ ٤٨٤).

يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خُبر منه فيما مضى.

وقال غيره: هو على حكاية الحال الماضية.

﴿أو كانوا غُزّى﴾ جمع غاز، مثل: صائم وصُوَّم، ونائم ونُوَّم، وفيه إضمار تقديره: قالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو غزوا فماتوا أو قُتِلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا.

﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾ قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم سلموا، «حسرة» أي: حزناً وأسفاً في قلوبهم[1].

واللام في «ليجعل»، متعلقة بـ«قالوا» على معنى: قالوا ذلك، واعتقدوه ليجعله الله حسرة في قلوبهم.

ويجوز أن تكون متعلقة بالنهي، أي لا تكونوا كالذين كفروا في هذا القول والاعتقاد ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة.

﴿والله يحيي ويميت﴾ فهو الفاعل للإحياء والإماتة في الحضر والسفر، وكلاهما سببان بالنسبة إلى القدر.

﴿والله بما تعملون بصير﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: «يعملون» بالياء، حملاً على لفظ الغيبة في الآية. وقرأ الباقون بالتاء[2]، رداً على قوله: ﴿لا تكونوا﴾.

فالخطاب على هذا للمؤمنين، وعلى تلك للكافرين.

قوله تعالى: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة إلا أبا

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٤).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥)، ولابن زنجلة (ص:١٧٧)، والكشف (١/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٧).

بكر: «مِتُّم» «ومِتْنا» بكسر الميم حيث وقع، وقرأ الباقون بضم الميم[(١)]، غير أن حفصاً ضم الميم في هذه السورة خاصة.

فمَن ضَمَّ فلأنه من مَاتَ يَمُوتُ؛ كَقَالَ يَقُولُ. ومَن كَسَرَ فعلى لغة مَن قال: مَاتَ يَماتُ، مثل: دَامَ يَدَامُ. والقراءة الأولى أوجه.

واللام في «ولئن»، لام القسم، تقديره: والله لئن قُتلتم أيها المؤمنون في سبيل الله أو مُتُّم، "لمغفرة من الله" جواب القسم، وهذا الجواب سدّ مسد جواب الشرط، ومثله: ﴿لإلى الله تحشرون﴾.

والمعنى: لمغفرة من الله لذنوبكم بسبب الجهاد، ورحمة منه لكم، ﴿خير مما يجمعون﴾ من عرض الدنيا.

وقرأ حفص: «يجمعون» بالياء[(٢)]، على معنى: خير مما يجمع غيركم من الدنيا.

﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله﴾ الموصوف بالمغفرة والرحمة، ﴿تحشرون﴾.

قوله: ﴿فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم﴾ «ما» صلة؛ كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ [النساء:١٥٥]، والتقدير: فبرحمة من الله أنعم بها عليك وعليهم، لِنْتَ لهم فشملتهم لطفاً، ووسعتهم عطفاً، ﴿ولو كنت فَظّاً﴾ يعني: جافياً غليظاً سيء الخُلُق[(٣)]، ﴿لانفضوا من حولك﴾ أي: لتفرَّقوا عنك، ونفروا منك ﴿فاعْفُ عنهم﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥-٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص: ١٧٨)، والكشف (١/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٨).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٧)، والكشف (١/ ٣٦٢)، والنشر (٢/ ٢٤٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٨).

(٣) انظر: الطبري (٤/ ١٥١)، وزاد المسير (١/ ٤٨٦).

ما يخصك، ﴿واستغفر لهم﴾ تفريطهم في حقي عليهم، ﴿وشاورهم في الأمر﴾ استخرج ما عندهم فيما لم يأتك فيه وحي.

وفي قراءة ابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر»[١]، واشتقاقه من شُرْتُ العسل، وأنشدوا:

.... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوى إِذا مَا نَشُورُها[٢]

وقال الزجّاج[٣]: يقال: شَاوَرْتُ الرَّجُلَ مُشَاوَرَةً وشِوَاراً، وما يكون من ذلك اسمه: المَشُورَة، وبعضهم يقول: المَشْوَرة على وزن قَسْوَرة، ومعنى قولهم: شَاوَرْتُ فلاناً: أظهرت ما عندي وما عنده، وشُرْتُ الدابة؛ إذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها، وشُرْتُ العسل؛ إذا أخذته من مواضع النحل، وعسل مُشَار[٤].

قال الأعشى:

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبيلَ بَاتَا بِفِيها وأَرْياً مُشَارَا[٥]

(١) انظر: المحتسب (١/ ١٧٥)، والمصاحف (ص:٨٥)، وهي قراءة شاذة.

(٢) عجز بيت لخالد بن زهير، وصدره: (وَقَاسَمَها بالله حَقاً لأَنْتُمُ). انظر: ديوان الهذليين (١/ ١٥٨)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٢١٥)، واللسان، مادة: (سلا)، والقرطبي (١/ ٤٠٧، ٧/ ١٧٩)، والطبري (٨/ ١٤١)، وزاد المسير (١/ ٨٤، ٤٨٧)، والدر المصون (١/ ٢٣٠)، وروح المعاني (١/ ٢٦٤).

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤٨٥).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (شور).

(٥) البيت للأعشى، انظر: ديوانه (ص:٨٥) واللسان، مادة: (زنجبيل، شور)، وزاد المسير (١/ ٤٨٧، ٨/ ٤٣٨)، والدر المصون (٦/ ٤٤٦)، وروح المعاني (٢٩/ ١٦٠).

ولفظ الديوان:

كأنه جَنِياً من الزنجبيل خالط فاها وأرياً مشورا

والأَرْيُ: العسل.

فإن قيل: ما الحكمة في كون مَن لم يخلق الله في بني آدم أكمل منه، وأكثر علماً، وأصوب رأياً، وأثقب فهماً، يؤمر بمشاورة مَن هو دونه؟

قلت: فيه حكم؛ منها: تطييب قلوب أصحابه، وتشريفهم بذلك، وإرشادهم إلى الاستنان به.

قال علي رضي الله عنه: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر مَن استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم[1].

وقال بعض الحكماء: ما استُنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصِّنَتِ النعم بمثل المواساة، ولا اكتُسِبَت البغضاء بمثل الكبر[2].

قرأت على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود[3]، حدثنا المطهر بن علي، أخبرنا أبو ذر الصالحاني[4]، حدثنا أبو الشيخ بن حيان الحافظ[5]، حدثنا علي بن العباس المقانعي، حدثنا أحمد بن محمد بن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحسين بن مسعود، أبو محمد، البغوي الفراء، الملقب بمحيي السنة، صاحب كتاب "شرح السنة"، و"التفسير"، وكتاب "المصابيح". توفي سنة ست عشرة وخمسمائة (التقييد ١/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩).

(٤) محمد بن إبراهيم بن علي الصالحاني، أبو ذر الأصبهاني الواعظ. توفي سنة أربعين وأربعمائة (العبر ٢/ ٢٧٧، وشذرات الذهب ٣/ ٢٦٤).

(٥) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبو محمد الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ، محدِّث أصبهان. توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧٦، وشذرات الذهب ٣/ ٦٩).

ماهان، أخبرني أبي، حدثنا طلحة بن زيد، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ»(١).

وقرأت على أبي القاسم، علي بن أبي منصور الموصلي، أخبركم أبو زكريا، يحيى بن أسعد بن بَوْش(٢)، فأقرّ به، أخبرنا أبو العز بن كَادِش(٣)، أخبرنا أبو علي الجازري(٤)، أخبرنا أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري(٥)، حدثنا محمد بن القاسم الأنباري(٦)، حدثنا أبي(٧)، عن أبي جعفر محمد بن عمران، قال: يُقال: توأمُ الرأي خير من الفَذّ، ورأيُ الثلاثة لا يُنْقَض.

قال محمد: ويقال: نصفُ عقلك مع أخيك. يعني: في المشاورة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢١٦)، وأحمد (٤/ ٣٢٨) كلاهما من رواية أبي هريرة، وعبد الرزاق (٥/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٠١).

(٢) يحيى بن أسعد بن بَوْش البغدادي الأزجي، حدَّث بالسند، وكان عامياً. توفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (التقييد لابن نقطة ٢/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٤٣).

(٣) أحمد بن عبيد الله بن محمد السلمي، أبو العز العكبري، المعروف بابن كادش. توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٨، والشذرات ٤/ ٧٨).

(٤) محمد بن الحسين الجازري، لم أجد ترجمته، ولكنه ورد في سياق ترجمة ابن كادش (ت٥٢٦هـ) على أنه من مشايخ ابن كادش المذكور (انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٨).

(٥) المعافى بن زكريا بن يحيى، أبو الفرج النهراوني الجريري. توفي سنة تسعين وثلاثمائة. (تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، أبو محمد، علاَّمة بالأدب والأخبار. توفي سنة أربع وثلاثمائة (الأعلام للزركلي ٥/ ١٨١).

قال محمد: ويقال: ما هلك امرؤ عن مشورة، ولا سعد امرؤ استغنى برأيه[1].

وقال الشاعر:

خليليَّ ليس الرأيُ في صَدر واحدٍ أشيرا عليَّ اليوم ما تَرَيان[2]

واعلم أن المراد من الآية: وشاور ذوي الرأي، والعقولِ من أصحابك.

وقد روى عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ قال: يريد: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[3].

﴿فإذا عزمتَ﴾ وقرئ شاذاً: «عزمتُ» بضم التاء[4]، على معنى: عزمتُ لـك على أمر، وقضيته وأمضيته، ﴿فتوكل على الله﴾ لا على المشورة.

قوله: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾[5] قال ابن السائب: إن ينصركم الله كما فعل يوم بدر، فلا غالب لكم، ﴿وإن يخذلكم﴾ كما فعل يوم أُحُد[6].

﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ أي: من بعد الله.

وقيل: من بعد خذلانه.

والأظهر: الأول، بتقدير حذف المضاف، أي: من بعد خذلان الله.

قوله: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ أخرج أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه،

---

(١) أخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح والأنيس الناصح (ص: ٣٧٩).

(٢) البيت لعطارد بن قران، انظر: جمهرة الأمثال (١/ ١٢٦)، والمستطرف (١/ ١٦٨).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٩) وعزاه للحاكم وصححه، والبيهقي في سننه.

(٤) انظر: المحتسب (١/ ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٥) وهي قراءة شاذة.

(٥) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثامن عشر، مرة ثانية.

(٦) انظر: تفسير أبي السعود (٢/ ١٠٥-١٠٦) بلا نسبة.

عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ في قطيفة حمراء فُقِدت يوم بدر، فقال بعض القوم: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله هذه الآية إلى آخرها[١].

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن رجلاً غَلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية[٢].

ونقل عنه أيضاً: أن قوماً من أشراف الناس طلبوا من رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من المغانم، فنزلت[٣].

وقال قتادة: غلَّ قوم يوم بدر، فنزلت[٤].

وقال ابن السائب ومقاتل[٥]: نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أُحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئاً فهو له، فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم أن لا تبرحوا، أظننتم أنَّا نغل»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١)، والترمذي (٥/ ٢٣٠).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٩٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ١٥٥-١٥٦). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٣١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٥٧). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٠)، والسيوطي في الدر (٢/ ٣٦٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٢٠٠).

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٠).

وقال ابن إسحاق: نزلت في غلول الوحي[(١)].

وقد اختلف القراء في هذا الحرف، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: «يَغُلَّ» بفتح الياء وضم الغين. وقرأ الباقون بالعكس من ذلك[(٢)].

وأصلُ الباب: الاختفاء، يقال: غَلَّ من المغنم غُلُولاً، وأَغَلَّ إِغْلالاً؛ إذا أخذه في خفية، وأَغَلَّ الجازر؛ إذا سَرَقَ من اللحم شيئاً مع الجلد. والغِلّ: الحقد الكامن في الصدر. والغِلالة: ثوب يُلبس تحت الثياب، والغَلَل: الماء الذي يجري تحت الشجر[(٣)].

والمعنى: ما ينبغي لنبي ولا يصح له أن يَغُلّ؛ لأن النبوة تنافي الغُلول.

ومن قرأ: "يُغَلَّ" -بضم الياء وفتح الغين-، فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى، أي: ما كان لنبي أن يوجد غالاً، ولا يوجد غالاً إلا إذا كان غالاً.

وقال الحسن -في معنى هذه القراءة-: «أن يُغَلَّ» أي: يُخَانَ[(٤)]. وهو الذي يقتضيه سبب نزول الآية على ما رواه الضحاك، وقاله قتادة، وهو اختيار ابن قتيبة[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٥٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٠).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٧٩)، والكشف (١/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٢٤٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٨).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٧٥- ٣٧٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦/ ٩٤)، واللسان، مادة: (غلل).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:١١٤).

وقال الفرَّاء: يُخَوَّن، واختاره الزجّاج[١].

وردَّه ابن قتيبة، فقال[٢]: لو أراد «يُخَوَّن» لقال: يُغَلَّل، كما [يقال][٣]: يُفَسَّق.

﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ صرفه قوم عن ظاهره، وقالوا: يأتي يوم القيامة بإثم ما غلّ.

والصحيح: أنه يأتي به يوم القيامة يحمله على عنقه، لما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً، فذكر الغلول فعظَّمه، وعظَّم أمره، ثم قال: لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغَاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغَاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حَمْحَمَة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رِقَاعٌ تَخْفِق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله

---

(١) معاني الفراء (١/ ٢٤٦)، ومعاني الزجاج (١/ ٤٨٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:١١٥).

(٣) في الأصل: قال. والتصويب من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك»[1].

الرُّغاء: صوت البعير، والثُّغاء: صوت الشاة.

والنفس: ما يغلّه من السبي. والرِّقاع: الثياب.

والصَّامت: الذهب والفضة.

ومعنى: "لا ألفينّ": لا أجدنّ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة:١٧٠]، أي: وجدنا.

أخبرنا أبو علي بن سعادة في كتابه، أخبرنا أبو القاسم بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا همام، وأبان، قالا: حدثنا قتادة، عن سالم، عن معدان، عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاثٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: الكِبْرُ، وَالدَّيْنِ، وَالغُلُولِ»[2]. هكذا رواه الأكثرون، وجوَّده الدارقطني، فقال: إنما هو الكنز، بالنون والزاي.

فصل

ذهب جماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم؛ إلى أن الغَالّ من الغنيمة يُحَرَّق متاعه كله، إلا الحيوان، والمصحف، والسلاح.

وبه قال الإمام أحمد[3]، لما روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، حَرَّقُوا مَتَاعَ الغَالِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١١٨ ح٢٩٠٨)، ومسلم (٣/ ١٤٦١ ح١٨٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٣٨ ح١٥٧٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٦ ح٢٢٤٢٣).

(٣) انظر: المغني (٩/ ٢٤٥).

وَضَرَبُوهُ»(١).

وصح أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَجَدْتُمْ الرَّجُلَ قَدْ غَلَّ فَاحْرِقُوا مَتَاعَهُ، وَاضْرِبُوهُ»(٢).

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: ولا يصلي الإمام على الغالّ من الغنيمة، لأن رجلاً من أصحاب رسول ﷺ توفي يوم حنين، فقالَ النبيُّ ﷺ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبكُمْ. فَتَغيَّرَتْ وُجُوهُ النَّاسِ لِذلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ، فَفَتَّشْنَا مَتَاعَهُ فَوَجَدْنَا خَرَزاً مِنْ خَرَزِ يَهُودَ لا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ»(٣).

قوله: ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ تعالى الله أن يُنْسب الظلم إليه، لاستحالته عليه، فعقابه عدل، وثوابه فضل.

قوله: ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ فعمل بطاعة الله وطاعة الرسول، ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ أي: رجع ﴿بسخط من الله﴾.

قوله: ﴿هم درجات عند الله﴾ أي: ذوو درجات، أو أهل درجات، على حذف المضاف.

يعني: أن مَن اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله تتفاوت منازلهم عنده، فأهل الجنة يتفاوتون في الدرجات النفيسة الرفيعة، وأهل النار يتفاوتون في المنازل الخسيسة الوضيعة. هذا معنى قول ابن عباس، والأكثرين(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٩ ح٢٧١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٩ ح٢٧١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٨ ح٢٧١٠).

(٤) الوسيط (١/ ٥١٦)، وزاد المسير (١/ ٤٩٣). وانظر: الطبري (٤/ ١٦٢).

وقال سعيد بن جبير: "هم درجات" أي: أهل الجنة الـذين اتبعـوا رضـوان الله[1].

﴿والله بصير بما يعملون﴾، فيجازي كلاً بعمله.

قوله: ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين﴾ أي: أنعم عليهم ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ أي: من نسبهم، فحازوا به فخراً مؤبداً، وذخراً مخلداً، ومنه قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤].

قالت عائشة: هذه الآية للعرب خاصة[2].

وقد روي أن النبي ﷺ كان يقرأ: «مِنْ أَنْفَسِهِمْ» بفتح الفاء، وهي قراءة فاطمة رضي الله عنها، والضحّاك، وأبي الجوزاء[3]، على معنى: بعث فيهم رسولاً من أشرفهم نسباً وأكرمهم محتداً، لأنه صفوةُ بني هاشم، وبنو هاشم صفوةُ قريش، وقريش صفوةُ كنانة، وكنانة صفوةُ ولد إسماعيل.

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُوراً وَمِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ عَمُودَا

وهذا معنى قول ابن عباس، والأكثرين[4].

واختار الزجّاج[5] القول بعمومها في جميع المؤمنين، على معنى: بعث في المؤمنين رسولاً من أنفسهم: من نسل آدم، ليس بملك من الملائكة، ولا خلق لا

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٨).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) مختصر ابن خالويه في الشواذ (ص:٢٣).

(٤) زاد المسير (١/ ٤٩٤).

(٥) معاني الزجاج (١/ ٤٨٧).

يعرفونه.

ووجهُ الامتنان عليهم بكونه من العرب -على القول الأول-: أنهم يألفونه، ويعرفونه، ويفهمون عنه ما يصدر منه، ويَعلمـون صـدقه وأمانتـه، ويَـدأبون في نصره، ويَرغبون في إظهار أمره، مراعاة لأحسابهم، وحفظاً لأنسابهم.

وعلى القول الثاني -الذي اختاره الزجّاج- يتوجه الامتنان عليهم حيث جعل الرسول منهم آدمياً يلابسهم، ويخالطهم، فإن الشكل يميل إلى شـكله، والجـنس يميل إلى جنسه؛ لأنسه به.

وباقي الآية مفسَّر في البقرة إلى قوله: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبـين﴾ هذه «إنْ» هي الخفيفة من الثقيلة، واللام: هي الفارقة بينها وبين النافية، والتقدير: وإن الشأن والحديث، ﴿كانوا من قبل﴾ بعثة محمد إليهم، ﴿لفي ضلال﴾ عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر لمن له أدنى مسكة من دراية وهدايـة، يـأكلون الخبائـث والحـرام، ويعبدون الطواغيت والأصنام، فَمَنَّ عليهم بإنزال الكتاب وإرسالِ محمد إليهم، وتزكيتهم بالعلم والحكمة، بعد أن كانوا أجهلَ شيء وأضلَّه.

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ

عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

قوله: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ هذه واو العطف إما على قصة أُحُد، وإما على محذوف، تقديره: أفعلتم كذا؟ وقلتم حينئذ كذا؟ دخلت عليها همزة الاستفهام، وهو بمعنى التوبيخ والتقريع، و«لَمَّا» في موضع نصب بـ«قُلْتُمْ»، "أَصَابَتْكُمْ" في موضع جر، على معنى: قلتم وقت إصابتكم[1]، والمصيبة: قتلُهم يوم أُحُد، ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يوم بدرٍ قتلاً وأسراً.

﴿قلتم أنّى هذا﴾ أي: كيف أصابنا هذا، ونحن مسلمون موعودون بالنصر والغلبة؟

﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ لأنكم خالفتم أمر رسولي، وفارقتكم المركز ميلاً إلى الغنيمة، وذهاباً مع الطمع. هذا معنى قول ابن عباس[2] ومقاتل[3].

وقيل: «هو من عند أنفسكم» حيث أكثرتم على رسول الله ﷺ وأشرتم عليه بالخروج من المدينة، وعكستم رأيه وخالفتم أغراضه التي يُجريها على وفق الحكمة والمصلحة. وهذا معنى قول قتادة[4].

وقد روي عن علي رضي الله عنه قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر،

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٥١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥١٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٦). وذكره السيوطي بمعناه في الدر المنثور (٢/ ٣٦٨) وعزاه لابن المنذر.

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٢٠١).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٦٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

فقال: إن الله تعالى قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى وبين أن يأخذوا الفداء، على أن يُقتل منهم عِدَّتهُم. فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشائرنا وإخواننا، نأخذ منهم الفداء ويُستشهد منا عدتهم. فقُتِل منهم يوم أُحُد سبعون، عدد أسارى بدر»[1].

فعلى هذا يكون المعنى: «قل هو من عند أنفسكم» بأخذكم الفداء، واختياركم حين خُيِّرتم يوم بدر القتل.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على نصركم، وإدالتكم من عدوكم.

قوله: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ النبي ﷺ وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه.

﴿فبإذن الله﴾ بقضائه وقدره، ﴿وليعلم المؤمنين﴾.

﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ معناه: ليميز بينهم، فيُظهر إيمان المؤمنين، وحُسن نِيَّاتهم، بصبرهم وثباتهم، ويظهر نفاق المنافقين، بفشلهم وقلة صبرهم.

قال ابن عباس: يُريد بالذين نافقوا: عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه الذين انصرفوا عن رسول الله يوم أُحُد، فلحقهم عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال لهم: أُذكِّركُمُ الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم، ودعاهم إلى القتال في سبيل الله، فذلك قوله: ﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾[2]، أي: ذُبُّوا عن حُرَمِكُم، وحسبكم، ونسبكم، أو كَثِّروا السواد إن لم يكن لكم نية في الجهاد ﴿قالوا لو نعلم قتالاً

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ١٣٥ ح١٥٦٧)، وابن حبان (١١/ ١١٨ ح٤٧٩٥).

(٢) ذكره الطبري (٤/ ١٦٨)، والماوردي (١/ ٤٣٥) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (١/ ٥١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٧).

لاتبعناكم﴾ كلامٌ يلوح منه اللوم على ترك القوم ما اقتضاه رأي عبد الله بن أُبَيّ من الاعتصام بحدود المدينة.

المعنى: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم، وإنما أنتم على شفا من استئصال شأفتكم، فعلام نجعل أنفسنا فرائس الفوارس، وأغراض الحُتُوف[1]، وجزر السيوف.

وهذا هو التأويل الذي يشهد العلم بصحته، لا ما ذكره الماوردي[2] من أن المعنى: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم[3]، ولا ما ذكره ابن إسحاق أن المعنى: لو نعلم قتالاً يجري اليوم لقاتلنا معكم[4]، وهذا الذي ذكره الواحدي[5]، وجمهور المفسِّرين. والقول الذي ذكره الماوردي رديء جداً.

والذي قاله ابن إسحاق قولٌ تشهد العقول الرصينة بتفاهته، لأن أهل النفاق رجعوا حين تراءت الفئتان، وقامت الحرب على ساق، فكيف يقولون ذلك بهذا الاعتبار في معرض الاعتذار، والكفار قد أقبلوا بقَضِّهم وقَضِيضِهم[6]، يطلبون الأخذ بالثأر، من المهاجرين والأنصار.

---

(١) الحَتْف: الموت، وجمعه: حُتُوف (اللسان، مادة: حتف).

(٢) علي بن محمد بن حبيب، الماوردي، أبو الحسن البصري، نسبته إلى بيع ماء الورد، له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، ولقب بقاضي القضاة في سنة ٤٢٩هـ. توفي سنة خمسين وأربعمائة (تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢، والأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٧).

(٣) لم أقف عليه. وقد نسب هذا القول للماوردي ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٨).

(٤) زاد المسير (١/ ٤٩٨).

(٥) الوسيط (١/ ٥١٨).

(٦) القَضُّ: الحصى، والقَضِيض: ما تكسّر منه ودَقّ. والمراد: بأجمعهم (اللسان، مادة: قضض).

﴿هم﴾ يعني: المنافقين ﴿للكفر﴾ الذي كانوا يتباعدون عنه بألسنهم ﴿يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾، لأنهم كانوا ينطقون بالإيمان، ويقولون: نحن أنصار الله، وأنصار رسوله، ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ من الشقاق والنفاق.

قوله: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا﴾: «الذين» إما أن يكون نصباً على الذم، أو على البدل من «الذين نافقوا»، أو رفعاً، على معنى: هم الذين، أو على الإبدال من واو «يكتمون»، أو جراً على البدل من الضمير في «أفواههم»، أو من الضمير في «قلوبهم»[١]، كما في قوله:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي القَوْمِ حَاتِماً عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالمَاءِ حَاتِمِ[٢]

والمعنى: قالوا لإخوانهم في النفاق، أو في النسب، على معنى: قال بعضهم لبعض ﴿لو أطاعونا﴾، فيما أشرنا به عليهم، يعنون: الذين ثبتوا مع النبي ﷺ حتى استشهدوا ﴿ما قتلوا﴾. وقيل: المعنى: قالوا لأجل إخوانهم المقتولين: "لو أطاعونا ما قتلوا".

"وقعدوا" يعني: ابن أُبَيّ وأصحابه قعدوا عن الجهاد، وعن نصر الرسول والمؤمنين.

﴿قل﴾ لهم -يا محمد مظهراً فساد هذا الاعتقاد-: ﴿فادرءوا عن أنفسكم الموت﴾ أي: ادفعوه، ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الحذر يدفع القدر.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٥٧)، والدر المصون (٢/ ٢٥٥).

(٢) البيت للفرزدق، انظر: ديوانه (٢/ ٢٩٧)، وابن يعيش (٣/ ٦٩)، وشرح الشذور (ص:٢٤٥)، ومشاهد الإنصاف (١/ ٣٣٧)، والبحر (٦/ ٢٠٦)، والدر المصون (٤/ ٥٢٩).

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾
فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ
مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا
وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ
يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى[1]: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ وقرأ ابن عامر: «قُتِّلوا» بالتشديد[2].

أخرج مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾. قال: أمَا إنَّا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحُهم في جوف طير خُضر، لها قناديل معلَّقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلع عليهم ربُّهم اطّلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن

(١) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس التاسع عشر، مرة ثانية.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٩)، والكشف (١/ ٣٦٤)، والنشر (٢/ ٢٤٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٩).

نسرح في الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتْركوا من أن يَسْألوا، قالوا: يا رب! نريد أن تَـرُدّ أرواحنـا في أجـسادنا، حتـى نُقتـل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكوا»[(١)].

وأخرج الترمذي من حديث جابر بن عبد الله، قـال: «لَقِيَنِـي رَسُـولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ؛ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِراً؟ قُلْتُ: يَا رَسُـولَ الله، اسْتُـشْهِدَ أَبِي، وَتَـرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً. قَالَ: أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: مَا كَلَّمَ الله أَحَداً قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً[(٢)] وَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ، أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَب تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ تبارك وتعالى: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ [إِلَيْهَا][(٣)] لا يُرْجَعُونَ. قَالَ: أُنزِلَتْ فيه هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً ... الآيَةَ﴾»[(٤)]. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْـوَانُكُمْ بِأُحُـدٍ جَعَـلَ الله أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وتَأْكُـلُ مِـنْ ثِمَارِهَـا، وَتَـأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَـمَّا وَجَـدُوا طِيـبَ مَـأْكَلِهِمْ وَمَـشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّنا فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ لِـئَلا يَزْهَـدُوا فِي الجِهَـادِ، فَقَالَ الله عَزَّ وجل: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ الله هذه الآية»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٢ ح١٨٨٧).

(٢) كفاحاً: أي: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول (اللسان، مادة: كفح).

(٣) زيادة من الترمذي (٥/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٠ ح٣٠١٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ١٥ ح٢٥٢٠)، وأحمد (١/ ٢٦٥ ح٢٣٨٨).

وقال جابر بن عبد الله: كَتَبَ معاوية إلى عامله بالمدينة أن يُجْرِيَ عَيْناً إلى أُحُد، فكتب عامله: إنها لا تجري إلا على قبور الشهداء، فكتب إليه: أن أنفذها. قال جابر: فرأيتُهم يُخرجون على رقاب الرجال، كأنهم رجالٌ نُوَّم، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دماً[1].

وفي حديث عائشة بنت طلحة: أنها رأت أباها في المنام، فقال لها: يا بُنَيَّة! حوِّليني من هذا المكان فقد أضرّ بي الندا، فأخرجته بعد ثلاثين سنة أو نحوها، وهو طري لم يتغير منه شيء[2].

ومما خُصَّ به الشهداء: ما رواه المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للشهيد عند الله ستُّ خصال: يُغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار؛ الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفَّع في سبعين من أقاربه»[3]. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

قُرئ على العلامة أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وأنا أسمع، أخبركم أبو القاسم إسماعيل بن أبي بكر بن أحمد السمرقندي[4]، حدثنا أبو الحسين أحمد بن

(١) أخرج عبد الرزاق في مصنفه نحوه (٥/ ٢٧٧)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١١). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٠٧)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٣٧٧).

(٢) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (١/ ١٥١).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ١٨٧ ح١٦٦٣)، وابن ماجه (٢/ ٩٣٥ ح٢٧٩٩).

(٤) إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أبو القاسم الدمشقي البغدادي، صاحب المجالس الكثيرة، مسند خراسان والعراق. كان ثقة مكثراً صاحب أصول، دلالاً في الكتب. توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ١١٢).

محمد بن النقور البزّاز[1]، حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق ابن أخي ميمي[2]، حدثنا عبد الله بن محمد[3]، حدثنا عبد الله بن عون[4]، حدثنا يوسف بن عطية[5]، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله ﷺ يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: كيف أصبحتَ يا حارث؟ قال: أصبحتُ مؤمناً بالله عز وجل، قال: انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، قال: يا رسول الله؛ عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأني بعرش ربي عز وجل بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها، قال: أبصرتَ فالزم، عبدٌ نَوَّرَ الله الإيمان في قلبه، فقال: يا رسول الله؛ ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ، فنودي يوماً في الخيل، فكان أولَ فارس ركب، وأولَ فارس استشهد، فبلغ ذلك أمه، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله؛ إن يكن في الجنة لم أبكه، ولم أحزن، وإن يكن في النار

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله بن النقور البزّاز، أبو الحسين البغدادي، مسند العراق. توفي سنة سبعين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٥).

(٢) له أجزاء مشهورة، توفي سنة تسعين وثلاثمائة (العبر ٢/ ١٧٩، وشذرات الذهب ٣/ ١٣٤).

(٣) عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي مولاهم، أبو بكر البغدادي، المشهور بابن أبي الدنيا، حافظ للحديث، مكثر من التصنيف. توفي سنة إحدى وثمانين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٧، والأعلام ٤/ ١١٨).

(٤) عبد الله بن عون الهلالي، الخرّاز، أبو محمد البغدادي، ثقة عابد، حدث عنه مسلم في الصحيح. توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٧٥، والتقريب ص:٣١٧).

(٥) يوسف بن عطية بن ثابت الصفار، أبو سهل البصري، مولاهم، ضعيف الحديث (معرفة الثقات ٢/ ٣٧٥، ولسان الميزان ٧/ ٤٤٧).

بكيتُ ما عشتُ في دار الدنيا، فقال: يا أم حارث -أو يا أم حارثة- إنها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان، والحارث في الفردوس الأعلى، قال: فرجعتْ وهي تضحك وتقول: بَخٍ بَخٍ لك يا حارثة!!»[١].

والخِطابُ بقوله: "ولا تحسبن" للنبي ﷺ، ويجوز أن يكون لكل أحد.

وقرئ "أحياءً" بالنصب[٢]، على معنى: أحسبهم أحياء.

﴿عند ربهم﴾ في دار كرامته مقرّبون عنده ﴿يرزقون﴾ من ثمار الجنة، على ما ذكرناه في الحديث[٣].

﴿فرحين﴾ حال من الضمير في "يُرزقون"[٤]، يريد: مسرورين بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا تُكَيِّفُهُ العقول فتصفه، ﴿ويستبشرون﴾ يعني: الشهداء ﴿بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ يعني: المسلمين الذين تخلّفوا في الدنيا.

وقيل: «لم يلحقوا بهم»: لم يدركوهم في الفضل، رجوا حرصهم على الشهادة حين أبلغهم الله ما أفضوا إليه من الكرامة والسعادة.

وقال السدي: يُؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر مَن تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدومه، كما يستبشر أهل الغائب به[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعبه (٧/ ٣٦٢ ح١٠٥٩٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦ ح٣٣٦٧).

(٢) وهي قراءة ابن أبي عبلة. انظر: البحر المحيط (٣/ ١١٨).

(٣) تقدم (ص: ٣٦٠).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٥٧)، والدر المصون (٢/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٧٥-٢٧٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

﴿ألاَّ خوف عليهم﴾ في محل الجر بدل من «الذين»[١]، والضمير في «عليهم» للذين لم يلحقوا.

قال الفراء[٢]: معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ﴿ولا هم يحزنون﴾.

قوله: ﴿وأن الله﴾ قرأ جمهور القراء: «وَأَنَّ» بفتح الهمزة، وقرأ الكسائي بكسرها[٣].

فمن فَتَحَ: عطف على النعمة والفضل. ومَن كَسَرَ: فعلى الاستئناف.

قوله: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ سبب نزول هذه الآية: أنه لما انصرف المشركون يوم أُحُد ندب النبي ﷺ أصحابه لاتباعهم، خوفاً من رجوعهم، وقصداً لإرهابهم وإظهاراً للجلد، وقال: لا يخرج معنا إلا مَن كان حضر يومنا بالأمس، فخرج ﷺ في سبعين من أصحابه منهم الخلفاء الأربعة من بعده، حتى بلغوا حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال[٤]، وكان بأصحابه القرح، فتحاملوا على أنفسهم رغبة في ثواب الله، وتصديقاً بموعوده، وكان أخوان من بني عبد الأشهل أصابتهما جراحات أثخنتهما، فلما أذّن مؤذّنُ رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قالا: لا يفوتنا غزاة مع رسول الله ﷺ،

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٥٩).

(٢) معاني الفراء (١/ ٢٤٧).

(٣) الحجّة للفارسي (٢/ ٤٩)، ولابن زنجلة (ص:١٨١)، والكشف (١/ ٣٦٤)، والنشر (٢/ ٢٤٤)، وإتحاف فضلاء البشر (١٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٩).

(٤) حمراء الأسد: تأنيث أحمر مضافة إلى الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة (معجم ما استعجم ١/ ٤٦٨).

فخرجا وليست لهما دابة، فكان أحدهما أيسر جرحاً من أخيه، قال: فكنتُ إذا غُلب حملته، فوافى رسولَ الله معبدُ الخزاعي -وكان كافراً- فقال: يا محمد؛ والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك.

ثم خرج من عند رسول الله ﷺ حتى أتى أبا سفيان وهو بالروحاء[1]، قد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: قتلنا أشراف أصحاب محمد وقادتهم، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، لَنكرَّنَّ على بقيتهم، فلنفرغنّ منهم.

فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراك يا معبد؟ قال: إن محمداً قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرَّقون عليكم تحرُّقاً، وقد اجتمع معه مَن كان تخلَّف عنه، وبهم من الحَنَق[2] عليكم ما لم أر مثله قط. قال: ويلك! ما تقول؟ فقال: والله ما أراك ترتحل من هاهنا حتى ترى نواصي الخيل، فألقى الله في قلبه وقلوب أصحابه الرعب، وطلبوا مكة خائفين، ورسول الله ﷺ في أثرهم، فمرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا: المدينة، نريد الميرة[3]، قال: فهل أنتم مبلِّغون محمداً عني رسالة أرسلكم بها، وأُحمِّل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم. قال: إذا لقيتموه فأخبروه أني في جمع كثير، وخوّفوه.

فمرُّوا برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه الخبر، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) الروحاء: بفتح أوله وبالحاء المهملة ممدود، قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون مثلا (معجم ما استعجم ٢/ ٣٥٥).

(٢) الحنق: شدّة الاغتياظ (اللسان، مادة: حنق).

(٣) الميرة: جلب الطعام (اللسان، مادة: مير).

«حسبنا الله ونعم الوكيل»، ثم إنه ﷺ أظهر الجلد، وجدَّ في الطلب، فسبقه أبو سفيان، فدخل مكة ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد ظفر في وجهه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن العاص، وأبي عزة الجمحي، وأنزل الله هذه الآية(١). هذا قول ابن عباس وأكثر المفسِّرين.

أخبرنا الشيخان أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق العطار قراءةً عليه وأنا أسمع، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوْزَبة البغداديان بقراءتي عليه، قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾. قالت لعروة: «يا ابن أختي! كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب نبيّ الله ما أصاب يوم أُحُد، فانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، فقال: مَن يذهب في أثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير». هذا حديث صحيح(٢).

وقال مجاهد وعكرمة: نزلت في غزوة بدر الصغرى، وكان من حديثها: «أن أبا سفيان حين أراد الانصراف من أُحُد، قال: يا محمد؛ موعد بيننا وبينك بدر

---

(١) انظر: الاكتفاء للكلاعي (٢/ ٨٥-٨٧)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٥٢-٥٥)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٤٩)، والطبري (٤/ ١٧٦)، والدر المنثور (٢/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٩٧ ح٣٨٤٩).

الصغرى نتقابل، قال رسول الله ﷺ: إن شاء الله، فلما كان العام القابل خرج أبو سفيان بأهل مكة، حتى نزل مرّ الظهران، فقذف الله في قلبه الرعب، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي، وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: يا نعيم؛ إني وعدتُ محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وإن هذا عام جدب، فالحقهم وثبطهم عنا، وأعلمهم أنَّا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل، أضعها على يدي سهيل بن عمرو، ويضمنها، فجاء سهيل فضمنها له، فقدم المدينة، فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان، فقال لهم: بئس الرأي رأيتم، وخوَّفهم، وقال: إنهم قد جمعوا لكم، فكرهوا الخروج، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجنَّ ولو وحدي، فخرج رسول الله ﷺ في ذوي البصائر والثبات من أصحابه، حتى وافى بدراً الصغرى، فجعلوا يَلقون المشركين ويسألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يقصدون بذلك إرهاب المسلمين، فيقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى بلغوا بدراً -وهو ماء لبني كنانة، موضع سوق لهم في الجاهلية، يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام-، فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون ينتظرون أبا سفيان، فرجع أبو سفيان إلى مكة، فسماهم أهل مكة: جيش السويق: أي أنهم خرجوا فشربوا السويق ثم رجعوا، وكان مع المسلمين تجارات، فباعوا فربحوا، وانصرفوا إلى المدينة سالمين. فذلك قوله: ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾»[1].

---

(١) ذكره الطبري (٤/ ١٨١)، والثعلبي (٣/ ٢٠٩-٢١٠)، والواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٩).

«الذين» صفة للمؤمنين، أو مبتدأ، خبره «للذين أحسنوا»[١]، أو هو منصوب على المدح، «استجابوا» بمعنى: أجابوا -كما سبق-، ﴿للذين أحسنوا منهم﴾ بطاعة الرسول، ﴿واتقوا﴾ مخالفته، ﴿أجر عظيم﴾ ثواب جزيل لا يعلم كنهه إلا الله.

قوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ وهم الركب العبقسيون[٢] على قول الأكثرين، أو نعيم[٣] على القول الآخر، وعبر عنه بصيغة الجمع لأنه من الجنس، كما تقول: فلان يركب الخيل، وإن لم يكن له إلا فرس واحد، ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس يضامونه في هذا القول.

﴿فزادهم إيماناً﴾ أي: زادهم قول الناس إيماناً وتصديقاً، وثباتاً على دينهم وطاعة نبيهم.

وهذه الآية من جملة الهوادم لمذهب المانعين من القول بزيادة الإيمان ونقصانه، ولأنه لا يخلو إما أن يكون الإيمان يزيد عن التصديق فقط، أو عن التصديق مع انضمام الطاعة إليه، وأيّاً ما كان فهو يقبل الزيادة والنقصان، ولا إشكال في الثاني، أما الأول، فكل عاقل يجد في نفسه زيادة التصديق بتناصر الحُجَج، وتعاضد البراهين، لا سيما القلوب الصافية من الكدر، إذا تُليَت عليها آيات الكتاب العزيز، فإنه يتجدد لها إيمان وإيقان، لو وُزِنَ بالجبال الشوامخ لَرَبَا عليها، وإلى هذا القسم أشار النبي ﷺ بقوله في حديث الشفاعة، قال: «فيقال: انطلق فأخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان... -إلى أن قال:- مثقال ذرة أو خردلة من

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٥٨)، والدر المصون (٢/ ٢٦٠).

(٢) يعني: الركب الذين من عبد قيس، الماضية قصتهم.

(٣) يعني: نعيم بن مسعود.

إيمان... -إلى أن قال:- أدنى أدنى أدنى مثقال [حبة][1] خردلة من إيمان»[2].

وإليه أشار عمر بن الخطاب في قوله: «لو وُزِنَ إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح به»[3].

لم يُرِدِ الأعمال، لأن العقل يقطع باستحالته، وإنما أراد المعنى القائم بقلبه، من قوة إيمانه وصفاء بصيرته، وتحقيقه في تصديقه، وكان عمر رضي الله عنه يأخذ بيد الرجل، فيقول: قم بنا نزداد إيماناً[4].

﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي: كافينا الله، ﴿ونعم الوكيل﴾.

قال الخطابي[5]: الوكيل: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحقيقته: الذي يستقل بالأمر الموكول إليه[6].

وفي الحديث: «إذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»[7].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبد الله، وأبو الحسن علي بن أبي بكر

---

(١) زيادة من صحيح البخاري (٦/ ٢٧٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٢٧ ح٧٠٧٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٦٩)، وابن راهويه في مسنده (٣/ ٦٧١-٦٧٢).

(٤) لم أقف عليه عن عمر رضي الله عنه، ولكن أخرج ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٤ ح٣٠٣٦٣) في مصنفه عن معاذ رضي الله عنه أنه قال لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة، يعني: نذكر الله.

(٥) حمد بن محمد بن إبراهيم، الخطابي أبو سليمان البستي، فقيه محدث، من نسل زيد بن الخطاب رضي الله عنه أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه. توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (الأعلام ٢/ ٢٧٣).

(٦) شأن الدعاء للخطابي (ص:٧٧).

(٧) أخرجه أبو داود (٣/ ٣١٣ ح٣٦٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٦٠ ح١٠٤٦٢)، وأحمد (٦/ ٢٤ ح٢٤٠٢٩).

البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل»[1].

قوله: ﴿فانقلبوا﴾ أي: رجعوا، ﴿بنعمة من الله وفضل﴾ سالمين مأجورين قد بلغوا سؤلهم، وأطاعوا رسولهم.

وقال مقاتل[2]: أصابوا سريةً بالصفراء[3] فرزقوا منها.

وقال مجاهد: «الفضل» هاهنا هو الربح في التجارة[4].

وقوله: ﴿لم يمسسهم سوء﴾ في محل الحال، ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ في طلب القوم، ﴿والله ذو فضل عظيم﴾.

قوله[5]: ﴿إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّف أولياءه﴾: «ذلك» مبتدأ، «الشيطان» خبره، المعنى: ذلك المثبط، المخوِّف هو الشيطان، أو يقال: «الشيطان» صفة لاسم

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٢ ح٤٢٨٨).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٠٥).

(٣) الصفراء: واد كثير النخل والزرع، بينه وبين بدر مرحلة، ورضوى منها من ناحية المغرب على يوم، ويسكن الصفراء جهينة والأنصار (معجم ما استعجم ٣/ ٨٣٦، ومعجم البلدان ٣/ ٤١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ١٨٢-١٨٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً تاسعاً، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس العشرين، مرة ثانية.

الإشارة، و«يُخوِّف» الخبر[١]، والشيطان: الركب، أو نعيم على القول الآخر، أو هو على حذف المضاف، تقديره: إنما ذلكم فعل الشيطان، أو تخويف الشيطان، أو قول الشيطان، ﴿يُخوِّف أولياءه﴾ أي: يخوِّفكم أولياءه، وهكذا قرأها ابن مسعود، وابن عباس، وعطاء[٢]، فاقتصر على ذكر المفعول الثاني، كما تقول: أعطيتُ الأموال، وكسوتُ الثياب.

وقال الحسن: المعنى: يخوِّف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين[٣].

﴿فلا تخافوهم﴾ أي: لا تخافوا أولياء الشيطان، أبا سفيان وأصحابه، ﴿وخَافُون﴾ في ترك أمري.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي: مصدِّقين بما جاءكم به رسولي، وقد سبق القول في نظائر هذا الشرط.

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا
يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ
بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن

---

(١) انظر: التبيان (١/ ٣١١)، والدر المصون (٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر: المحتسب لابن جني (١/ ١٧٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥).

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٤٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٧).

﴿رُسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ
١٧٩ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ
هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ولا يحزنك﴾ وقرأ نافع «يُحْزِنك»، بضم الياء، وكسر الزاي، حيث جاء إلا قوله في الأنبياء: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، فإنه قرأها كالباقين[١]، إما اتباعاً لأثر، أو إيثاراً للجمع بين اللغتين[٢].

﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ أي: يقعون فيه سريعاً، رغبة فيه، وميلاً إليه.

قال ابن عباس: هم المنافقون، ورؤساء اليهود[٣].

وقال الضحّاك: كفار قريش[٤].

وقيل: قوم ارتدُّوا عن الإسلام[٥].

والمعنى: لا يحزنك تعاضدهم وتناصرهم، ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ بمسارعتهم في الكفر.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨١)، والكشف (١/ ٣٦٥)، والنشر (٢/ ٢٤٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٩).

(٢) ذكره الفارسي في الحجة (٢/ ٥٠).

(٣) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:١٣٩) قال: هم المنافقون. وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٤) بلا نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٨).

(٥) ذكره الماوردي (١/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٨).

المعنى: بل يضرون أنفسهم، ألا تراه يقول: ﴿وهم عذاب عظيم﴾.

وقال عطاء: لن يضروا أولياء الله شيئاً[(١)]، فهو على حذف المضاف.

﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة﴾ أي: نصيباً في الآخرة.

قوله: ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾ قال مجاهد: هم المنافقون[(٢)]، آمنوا، ثم كفروا.

قوله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾ قرأ الجمهور: «يَحْسَبَنَّ» بالياء وكذا التي بعدها: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾. وقرأهما حمزة بالتاء[(٣)].

فمَن قرأهما بالياء؛ أسند الفعل إلى «الذين كفروا»، أو إلى «الذين يبخلون» فهم الفاعلون. ومَن قرأهما بالتاء؛ فعلى الخطاب للنبي ﷺ، فهو الفاعل.

"الذين كفروا" منصوب، و"أنما نملي لهم خير لأنفسهم" بدل منه، أي: لا تحسبنَّ أنما نملي للكفار خير لهم، وقوله: «أَنَّ» مع "ما" في حيزه يسد مسد المفعولين، كقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان:٤٤]، و«ما» مصدرية بمعنى: ولا تحسبن أن إملاءَنا خير لهم[(٤)].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٥٠-٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٢)، والكشف (١/ ٣٦٥)، والنشر (٢/ ٢٤٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢١٩).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٥٨-١٥٩)، والدر المصون (٢/ ٢٦٤-٢٦٥).

قال ابن عباس: "الذين كفروا" هم اليهود، والنصارى، والمنافقون[١].

وقال غيره بعمومه في جميع الكفار[٢].

ومعنى «نملي لهم»: نُطيل لهم في العمر، ومثله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ [مريم:٤٦].

قال ابن الأنباري[٣]: واشتقاقه من المَلْوَة، وهي المدة من الزمان، يقال: مِلْـوة من الدهر، ومَلْوة، ومُلْوة، ومِلاَوة، ومَلاَوة، ومُلاَوة، ومنه قولهم: تَمَلَّ حبيباً، أي: لِتَطُلْ أيامك معه.

قال متمم بن نويرة:

بودِّي لَوْ أَنِّي تَمَلَّيْتُ عُمْرَهُ ... بمَالِيَ مِنْ مَالٍ طَرِيفٍ وَتَالِدِ[٤]

وقال غيره: الإملاء لهم تخليتهم وشأنهم، مستعار من أَمْلَى لِفَرَسِهِ؛ إذا أرخى له الطّول؛ ليرعى كيف شاء[٥].

والمعنى: لا تحسبنَّ الذين كفروا أن الإملاء لهم خير لهم من منعهم، وقطع آجالهم، ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ لأنهم كلما طالت أعمارهم كثرت معاصيهم، فازدادوا إثماً.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٤) وفيه: يعني: المنافقين وقريظة والنضير، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٩) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٥٠٩).

(٤) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعي. انظر البيت في: زاد المسير (١/ ٥٠٩)، ولسان العرب، مادة: (ملا).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (ملا).

وقد روى أبو بكرة -واسمه نفيع[1]- رضي الله عنه: «أن رجلاً قال لرسول الله: أي الناس خير؟ قال: مَن طال عمره وحَسُن عمله، قال: فأي الناس شر؟ قال: مَن طال عمره وساء عمله». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[2].

قوله: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه﴾ قال ابن عباس: الخطاب للكفار والمنافقين[3].

وقال أكثر المفسِّرين وأهل المعاني: الخطاب للمؤمنين، على معنى: ما كان الله ليَذَر المخلصين على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من التباس المنافق بالمخلص، ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ أي: حتى يتبين الكافر والمنافق من المؤمن.

وقرأ حمزة والكسائي: «يُميِّز» بضم الياء وفتح الميم، وتشديد الياء، وكسرها[4]. فميَّز الله بينهم بالهجرة، والجهاد، والإعلام بجهة الوحي.

﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ فلا تتوهموا عند إخبار الرسول إياكم بإيمان هذا، ونفاق هذا؛ أنه يَطَّلِعُ على ما في القلوب، ويعلم الغيوب، كما يعلمه الله تعالى، بل علم الرسول ذلك بجهة الوحي، وإخبار الله له، ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ أي: يَصْطَفِي مَن يشاء من رسله، فيطلعه على ما يشاء من الغيب،

---

(١) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صحابي جليل، من أهل الطائف، توفي سنة اثنان وخمسون من الهجرة (التقريب ص:٥٦٥، والأعلام ٨/ ٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٦ ح٢٣٣٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٢)، والكشف (١/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

كما قال -في موضع آخر-: ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وعلى قول ابن عباس يكون المعنى: وما كان الله ليطلعكم أيها الكفار على الغيب، لأنهم قالوا للنبي ﷺ: أخبرنا من يؤمن بك، ومن لا يؤمن؟

قوله عز وجل: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ قال ابن مسعود وابن عباس والأكثرون: نزلت في مانعي الزكاة[(١)].

وروي عن ابن عباس ومجاهد: أنها نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ[(٢)]. اختاره الزجّاج[(٣)].

والذي آتاهم الله -على القول الأول-: المال، وعلى القول الثاني: العلم.

والصحيح هو القول الأول؛ لما أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن آتاه مالاً فلم يُؤَدِّ زكاته مُثِّلَ له مالُه شُجاعاً أَقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ[(٤)]، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلَهْزِمَتَيْهِ -يعني: شِدْقَيْهِ- يقول: أنا مَالُك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٦) كلاهما عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩٤) وعزاه لابن جرير وابن ابي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (١/ ٤٩٢).

(٤) الشجاع: الحية، والأقرع: الذي تمرّط جلد رأسه، والزبيبتان: النُّكْتَتَانِ السَّوْداوان فوق عينيه (اللسان، مادة: زبب).

فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾»[١].

وفي حديث: أنه يستعيذ منه فيقول له مالُه: لِمَ تستعذ مني؟ أنا مالك الذي كنت تبخل به في الدنيا، فيطوقه في عنقه، فلا يزال في عنقه حتى يدخله الله جهنم[٢].

قوله: ﴿هو خيراً لهم﴾ يعني: البخل المدلول عليه بقوله: "يبخلون"، ومثله قول العرب: مَن كذب كان شراً له. أي: كان الكذب شراً له، فدلَّ قولهم: كذب، على الكذب. ومثله قول الشاعر:

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ ... وَخَالَفَ، والسَّفِيهُ إِلى خِلافِ[٣]

أراد: جرى إلى السفه، ودلّ قوله: السفيه، على السفه، وهذا باب واسع.

قوله: ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ تفسيره ما جاء في الحديث، وهو قول ابن مسعود ومقاتل[٤].

وقال إبراهيم النخعي: يصير في عنقه يوم القيامة طوقاً من نار[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٣ ح٤٢٨٩).

(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ٢٢٠)، بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٣) البيت لم أعرف قائله. انظر: المحتسب (١/ ١٧٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٢/ ٢٧٢، ٤/ ١٤٨)، والطبري (٤/ ١٨٩)، والقرطبي (٤/ ٢٩٠)، وزاد المسير (١/ ٥١٢)، وروح المعاني (١٢/ ١٦٤).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٢٠٦).

(٥) أخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١١٣٤)، والطبري (٤/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: يموت أهل السموات والأرض، ويبقى ربُّ العالَمين[1].

وقال ابن الأنباري[2]: معنى الميراث: انفراد الرجل بما كان لا ينفرد به، فلما مات الخلق وانفرد عز وجل صار ذلك وراثة.

وقال غيره: المعنى: له ما في السموات والأرض مما يتوارثه أهلها من مال وغيره، فما لَهُمْ يبخلون عليه بملكه[3].

﴿والله بما تعملون خبير﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالياء، رداً على قوله: ﴿سيطوقون﴾، ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾، ﴿ولا يحسبن الذين كفروا﴾. وقرأ الباقون «تعملون» بالتاء[4]، رداً على قوله: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥١٣).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٥١٣-٥١٤).

(٣) انظر: الطبري (٤/ ١٩٣).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٤)، والكشف (١/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٢٤٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٠).

صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قال ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسِّرين: السبب في نزول هذه الآية: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له: «فنحاص»، فقال له أبو بكر: اتق الله، وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، فقال: يا أبا بكر؛ والله ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنياً عنا ما استقرضنا، فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربتُ عنقك، فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فجحد فنحاص، فنزلت هذه الآية.

ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... الآية﴾[1].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٩) كلاهما عن ابن عباس، ومجاهد (ص:١٤٠) مختصراً. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩٦) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

ومقصودُ الخبيث في هذا الكلام: الاستهزاء والتهكم، حيث سمع قول الله: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً﴾ [البقرة:٢٤٥].

﴿سنكتب ما قالوا﴾ أي: سنأمر الحفظة بكتابته في صحائف أعمالهم وأقوالهم، ﴿وقتلَهم﴾ أي: نكتب قتلهم ﴿الأنبياء﴾.

وفي قوله: ﴿سنكتب﴾ وعيد شديد، وتهديد عظيم، ولا سيما وقد قرنه بقتلهم الأنبياء تنبيهاً على عظيم افترائهم، وشدة اجترائهم ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ يعني ذوقوا عذاب النار، كما أذقتم أنبيائي وأوليائي الغصص.

تقول العرب لمن انتقم منه: ذق أخس[1]، ومنه قول أبي سفيان لحمزة رضي الله عنه -وقد وقف عليه صريعاً-: ذق عُقَقْ[2].

وقرأ حمزة: «سَيُكْتَبُ»، على ما لم يُسَمَّ فاعله، «وقتلُهم» بالرفع، «ويقول» بالياء[3].

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من ذكر عقابهم، ﴿بما قدَّمت أيديكم﴾ من الكفر، والعناد، والاجتراء على قتل الأنبياء والأولياء، ﴿وأن الله﴾ أي: وبأن الله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾.

فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا المعطوف، وهو قوله: ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ بالمعطوف عليه، وهو ما قدَّمت أيديهم من المعاصي، ووجه التشريك بينهما

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٤/ ٤٢).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٥٨)، ولابن زنجلة (ص:١٨٤)، والكشف (١/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٢٤٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٠-٢٢١).

في استحقاق العذاب؟

قلت: نفي الظلم عن الله إثبات لوصفه بالعدل.

فالمعنى: ذلك العذاب سببه أمران:

أحدهما: ما قدمت أيديكم من المعاصي التي بعضها قتل الأنبياء.

والثاني: عدل الله في خلقه، والعادل لا بد وأن يأخذ للمظلوم من الظالم، فصار معنى الكلام: ذلك العذاب بما قدمت أيديكم من قتل الأنبياء وغيره وبأن الله عادل يقتصّ منكم.

قوله تعالى: ﴿إن الله عهد إلينا ... الآية﴾ نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحُيي بن أخطب، في جماعة من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إن الله عهد إلينا، يعنون في التوراة: ﴿ألا نؤمن لرسول﴾ أي: لا نصدقه، ﴿حتى يأتينا بقربان﴾ يتقرب به إلى الله، من ذبح أو غيره، ﴿تأكله النار﴾، وكان هذا من سنن المرسلين خلا عيسى بن مريم عليه السلام[1].

قال السدي: أمرهم الله في التوراة أن لا يصدِّقوا أحداً يزعم أنه رسول الله حتى يأتي بقربان تأكله النار، إلا المسيح، ومحمداً، وكان نزول النار لأكل القربان علامة لقبوله[2].

---

(١) أخرج نحوه الطبري (٤/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٣١) كلاهما عن ابن عباس. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٣٨) عن الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٨-٥٢٩).

﴿قل﴾ لهم يا محمد على وجه التبكيت لهم: ﴿قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ من القربان التي تنزل النار لأكله ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾.

قوله: ﴿فإن كذبوك فقد كُذِّبَ رسل من قبلك﴾ هذه تعزية للنبي ﷺ، وإعلام له أن ما قوبل به من التكذيب ليس ببدع، بل هي سُنَّةُ المردة الكفرة مع رسل الله إليهم، فسبيله أن يسلك مسلكهم في الصبر على الأذى والتكذيب، حتى يحكم الله فيه وفيهم، كما صبر أولوا العزم من قبله ﴿جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ الزُّبُر: جمع زَبُور، وهي الصُّحُف المَزْبُورة، أي: المكتوبة[1].

قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي ... كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي[2]

وقيل: هو من زَبَرَهُ؛ إذا زَجَرَهُ[3]، وسمي الزَّبُور؛ لكثرة زواجره.

وقرأ ابن عامر «وبالزُّبُرِ»[4] بزيادة باء، وقرأ هشام[5] «وبالكتاب»[6] بزيادة باء،

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (زبر).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٨٥)، واللسان، مادة: (صرع)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٥)، والدر المصون (٢/ ٢٧٦)، والطبري (٤/ ١٩٨)، والقرطبي (٤/ ٢٩٦).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (زبر).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٥)، والكشف (١/ ٣٧٠)، والنشر (٢/ ٢٤٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢١).

(٥) هشام بن عمار بن نصير السلمي، أبو الوليد الدمشقي، قاض من القراء المشهورين. توفي سنة خمس وأربعين ومائتين (طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٥٤، والأعلام ٨/ ٨٧).

(٦) النشر (٢/ ٢٤٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٣).

نظراً إلى الأصل، وللتأكيد، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام.

وقراءة الأكثرين أكثر استعمالاً في كلام العرب؛ طلباً للخفة، لأن حرف العطف أغنى عن إعادة حرف الجر، كما تقول: مررتُ بزيد وعمرو، ولو لزم تكرير العامل لوجب أن تقول: جاءني زيد وجاءني عمرو.

والكتاب المنير: المضيء بحُجَجه وبراهينه. وهو اسم جنس هاهنا.

قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بكُمْ﴾ [السجدة:١١]، قالوا: يا رسول الله؛ إنما نزل في بني آدم، فأين ذكر الموت في الجن والطير والأنعام، فأنزل: ﴿كل نفس ذائقة الموت ... الآية﴾[١]، أي: كل نفس حية ذائقة الموت.

﴿وإنما توفون أجوركم﴾ أي: جزاء أعمالكم ﴿يوم القيامة﴾.

فإن قيل: هذا يدل على أن الجزاء بالثواب والعقاب لا يكون إلا يوم القيامة، فكيف نصنع بالأحاديث المروية الصحيحة الصريحة في عذاب القبر ونعيمه؟

قلتُ: المراد بالآية أن تكميل الجزاء يكون يوم القيامة، ألا تراه يقول: ﴿توفون أجوركم﴾، وما يكون في القبر من خير وشر فبعض الجزاء، لا كله.

﴿فمن زُحْزِحَ﴾ أي: نُجِّيَ وأُبْعِدَ ﴿عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ يقال لكل مَن نجا من هلكة وظفر بما يغتبط به: فاز، أي: تباعد من المكروه[٢].

وقد صح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «لموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥١٧).

(٢) قاله الزجاج في معانيه (١/ ٤٩٥).

الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾»[١].

والمعنى: وما الحياة الدنيا لمن لهى عن طلب الآخرة إلا متاع يغتر به، ثم ينقطع، وأما من طلب الآخرة فحياة الدنيا له بلاغ يتوصل به إلى الآخرة.

قال قتادة: يوشك أن تضمحل بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم[٢].

وقال الحسن: كخضرة النبات، ولعب البنات، لا حاصل له[٣].

قوله: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ... الآية﴾[٤] نزلت في الذي جرى بين أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وبين فنحاص[٥].

وقال كعب بن مالك: نزلت حين استبَّ المسلمون، والمشركون واليهود، بسبب المنافق عبد الله بن أُبَيّ، وكان من قصته؛ ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم العطار السلمي، وأبو الحسن بن روزبة، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن أحمد الحموي، أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد أخبره، «أن رسول الله ﷺ ركب على

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٢ ح٣٠١٣)، وأحمد (٢/ ٤٣٨ ح٩٦٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٣). وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٢٥).

(٤) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادي والعشرين، مرة ثانية.

(٥) تقدم (ص:٣٧٩).

حمار على قطيفة فَدَكية[١]، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة، في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مَرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبَيّ، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ الدابة[٢] خَمَّرَ عبد الله بن أُبَيّ أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغبروا علينا، فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبَيّ بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإنَّا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ: ألم تسمع ما قال أبو حباب -يريد: عبد الله بن أُبَيّ-؟ قال: كذا وكذا، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله؛ اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرة[٣] على أن يتوِّجوه فيُعصِّبُونه بالعِصابَة[٤]، فلما أبى الله

(١) منسوبة إلى فَدَك، وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة (انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٣٨).

(٢) عَجاجة الدابة: الغبار التي تَوَّرَتْهُ الريح (اللسان، مادة: عجج).

(٣) البحيرة: مدينة الرسول ﷺ، وهو تصغير البحرة، والعرب تسمي المدن والقرى البحار. (النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٠).

(٤) أي: يُسوّدوه ويُملّكوه، وكانوا يُسمون بالسيد المطاع مُعَصَّباً لأنه يُعَصَّب بالتاج (النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٤٤).

ذلك بالحق الذي أعطاك شَرِقَ بذلك[١]، فذلك فَعَلَ به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى. قال الله: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ... الآية﴾. وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ... إلى آخر الآية﴾ [البقرة:١٠٩]. فكان النبي ﷺ يتأوّل في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله بدراً، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أُبَيّ بن سلول، ومن معه من المشركين، وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجَّه، فبايعوا رسول الله على الإسلام، فأسلموا»[٢].

وقال الزهري: نزلت هذه الآية في كعب بن الأشرف، وكان يُحرِّض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره[٣].

قال الزجّاج[٤]: ومعنى "لَتُبْلَوُنَّ": لَتُخْتَبَرُنَّ، أي: توقع عليكم المِحَن فيعلم المؤمن حقاً من غيره، والنون دخلت مؤكدة مع لام القسم.

﴿في أموالكم﴾ بالخسران والنقصان، ﴿وأنفسكم﴾ بالأمراض، وموت

---

(١) شرق بذلك: أي: لم يقدر على إساغته والصبر عليه لتعاظمه إياه (الفائق في غريب الحديث ١/ ٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٣ ح٤٢٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (١/ ٤٩٦).

الأولاد، والأقارب، ليتبين المخلص في إيمانه من المنافق.

قال عطاء: هم المهاجرون، أخذ المشركون أموالهم وباعوا رِبَاعهم[1].

﴿ولتسمعن من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم﴾ وهم اليهود، ﴿ومن الذين أشركوا﴾ عبدة الأصنام ﴿أذى كثيراً وإن تصبروا﴾ على أذاهم ﴿وتتقوا﴾ الشرك والمعاصي ﴿فإن ذلك﴾ يعني: الصبر والتقوى، ﴿من عزم الأُمور﴾ أي: مما يعزم عليه لظهور رشده. أو يكون المعنى: فإن ذلك مما عزم الله أن يكون، بمعنى: أن ذلك عزمة من عزمات الله، لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا[2].

فصل

اختلف العلماء في الأمر بالصبر؛ فذهب أكثرهم إلى أنه محكم، وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ بآية السيف[3].

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٢٧)، والواحدي في الوسيط (١/ ٥٣٠) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٠).

والرَّبْع: المنزل والدار بعينها، والوطن متى كان وبأي مكان كان، وجمعه: أربُع ورِباع ورُبوع وأَرْباع (اللسان، مادة: ربع).

(٢) انظر: الطبري (٤/ ٢٠١).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص:٦٣-٦٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٤٦).

تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ قال الحسن: هذا ميثاق الله على علماء أهل الكتاب أن يبينوا للناس ما في كتابهم، وفيه ذكر رسول الله ﷺ[1].

﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما[2]، فمَن قرأ بالياء حمله على لفظ الغيبة في أول الآية وآخرها، ومَن قرأها بالتاء فعلى الرجوع من المغايبة إلى المخاطبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم﴾ [آل عمران:٨١] أو على الحكاية، والضمير فيها يعود إلى الكتاب، وقيل: إلى محمد ﷺ.

والأول أظهر، وأصح.

وباقي الآية سبق تفسيره في البقرة.

والضمير في «فَنَبَذُوهُ» يعود إلى "الميثاق"، أو "الكتاب"، وفي هذه الآية دليل ظاهر على وجوب تبليغ العلم.

قال علي رضي الله عنه: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلِّموا[3].

قوله عز وجل: ﴿لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ وقرأ أهل الكوفة «لا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٣١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٥)، والكشف (١/ ٣٧١)، والنشر (٢/ ٢٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢١).

(٣) أخرجه الثعلبي (٣/ ٢٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢١).

تحسبن» بالتاء[١]، على الخطاب للنبي ﷺ، وإعرابه على نحو ما تقدَّم في نظائره[٢].

وقد اختلف العلماء في سبب نزولها على أقوال:

أحدها: ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم، وأبو الحسن البغداديان، قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: «أَنَّ رِجَالاً مِنَ المُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ [كَانُوا][٣] إذا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ الله، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا... الآية﴾»[٤].

القول الثاني: وبالإسناد قال محمد بن إسماعيل البخاري: حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن علقمة بن وقاص أخبره، «أن مروان[٥] قال لبوابه: اذهب يا رافع[٦] إلى ابن عباس

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٥٤)، ولابن زنجلة (ص:١٨٦)، والكشف (١/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٢٤٦).

(٢) تقدم (ص:٣٧٣).

(٣) في الأصل: كان. والتصويب من البخاري (٤/ ١٦٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٤ ح٤٢٩١).

(٥) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك الأموي، المدني، خليفة أموي. توفي سنة خمس وستين (الأعلام ٧/ ٢٠٧).

(٦) رافع، مولى مروان بن الحكم (التقريب ص:٢٠٥).

فقل: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا [أُوتِيَ][1] وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّباً، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ومَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ، إِنَّمَا دَعَا النَّبي ﷺ يَهُودَ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدْ اسْتَحْمِدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أتوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ كَذَلِكَ حَتَّى قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾»[2]. تابعه عبد الرزاق عن ابن جريج. وهذان الحديثان في الصحيحين.

القول الثالث: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومَن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها: أن محمداً ليس بنبي، فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر، ففرحوا بذلك، وقالوا. نحن أهل الصوم والصلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية. قاله الضحاك والسدي[3].

الرابع: أن يهود خيبر أتوا النبي ﷺ وأصحابه فقالوا: نحن على رأيكم، ونحن لكم ردء، وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية. قاله قتادة[4].

الخامس: أن قوماً من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ ثم خرجوا من عنده، فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها فحمدوهم، وأبطنوا خلاف

(١) في الأصل: أتى. والتصويب من البخاري (٤/ ١٦٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٥ ح٤٢٩٢).
(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٢٠٦) عن الضحاك. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٤٢) عن الضحاك، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك.
(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق.

ما أظهروا، فنزلت هذه الآية[١]. ذكره الزجاج[٢].

والذي أتوا -على القول الأول-: تخلفهم عن الغزاة.

وعلى القول الثاني: كتمانهم الحق الذي سُئلوا عنه.

وعلى القول الثالث: اجتماعهم على تكذيب النبي ﷺ.

وعلى الرابع والخامس: نفاقهم بإظهار ما ليس في قلوبهم.

وهي -على القول الأول- في المنافقين، وعلى سائر الأقوال: في اليهود[٣].

قوله: ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ قال أبو سعيد الخدري: كانوا يحلفون للمسلمين إذا نُصِروا أنّا قد سررنا بنصركم، وليس كذلك[٤]، وهذا على قوله: إنها نزلَت في المنافقين، وتنزيل المعنى على سائر الأقوال بحسبها، وهو ظاهر، فلا حاجة إلى تبيينه.

قوله: ﴿فلا تَحْسَبَنَّهُمْ بمفازة من العذاب﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «يَحْسَبُنَّهُمْ» بالياء وضم الباء. وقرأ الباقون بالتاء المعجمة من فوق بنقطتين، وفتح الباء[٥]، على الخطاب للنبي ﷺ.

وأما ابن كثير وأبو عمرو فانهما أضافا الفعل إلى «الذين يفرحون» لتقدم ذكرهم.

(١) ذكره مقاتل في تفسيره (١/ ٢٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٣).

(٢) معاني الزجاج (١/ ٤٩٧).

(٣) انظر: الطبري (٤/ ٢٠٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٥).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٧)، والكشف (١/ ٣٧١)، والنشر (٢/ ٢٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٠).

وقوله «بمفازة» هو المفعول الثاني على القراءتين، و«تحسبنهم» بدل من «لا تحسبن» إذا قرئ بالتاء على المخاطبة، و«يحسبنهم» -على قراءة أبي عمرو- بدل من «لا يحسبن» إذا قرئ بالياء، على المغايبة[1].

والمعنى: لا تحسبنهم بمفازة، أي: بمنجاة من العذاب، وسميت البيداء مفازة، على مذهب التفاؤل.

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ
إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا
سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ قال ابن عباس وغيره: كانوا يقترحون على رسول الله ﷺ الآيات، حتى قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، فأنزل الله هذه الآية[2]، يرشدهم إلى ما هو أعجب مما سألوا.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦١-١٦٢)، والدر المصون (٢/ ٢٧٩) وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤١)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

وفي الحديث: «أن ابن عمر قال لعائشة رضي الله عنهم أجمعين: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله، فبكت، فأطالت، ثم قالت: كلُّ أمر رسول الله عجب؛ أتاني في ليلتي، فدخل معي في لحافي، حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: يا عائشة؛ هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي؟ فقلت. يا رسول الله؛ والله إني لأحب قربك، وأهوى هواك، قد أذنتُ لك، فقام إلى قِرْبة من ماء في البيت فتوضأ، ولم يكثر صب الماء، ثم قام فصلَّى، فقرأ من القرآن وجعل يبكي، حتى بلغ الدموع حِقْوَيْه، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، وجعل يبكي حتى بلغ الدموع نحره، ثم رفع يديه، فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلَّت الأرض، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة الغداة فرآه يبكي، فقال: يا رسول الله؛ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر !! قال: يا بلال؛ أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ثم قال: وما لي لا أبكي وقد أنزلت عَلَيَّ هذه الليلة: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ... إلى آخرها﴾، ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[1].

قوله: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ ذهب قوم إلى عمومه في الصلاة وغيرها.

(٢/ ٤٠٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. وفي كل المصادر: فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... الآية﴾.

(١) أخرجه ابن حبان (٢/ ٣٨٦ ح٦٢٠)، والأصبهاني في الترغيب (٢/ ٢٤٣)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٣٠) عن عطاء. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في التفكر وابن حبان في صحيحه وابن مردويه والأصبهاني في الترغيب وابن عساكر عن عطاء.

وقال عليّ وابن مسعود وابن عباس وقتادة: المراد بالذكر هاهنا: الذكر في الصلاة[١]، كما قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[٢]. أخرجه البخاري.

وفي هذه الآية مستدل للإمامين أحمد والشافعي بأن المريض يُصلّي على حسب حاله[٣]، كما قال النبي ﷺ لعمران بن حصين.

وقال أبو حنيفة: يُصلِّي مستلقياً على ظهره إذا لم يستطع القعود.

ومحل قوله: "وعلى جنوبهم" من الإعراب: النصب على الحال، عطفاً على ما قبله[٤].

قوله: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ فيستدلون ببدائع صنعة الله، وعجائب قدرته على عظمة شأنه، وجلال سلطانه، فيستثمرون من ذلك علماً بالله، وخوفاً يبعثهم على مراقبة أمره ونهيه.

قال أبو الدرداء: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[٥].

ونظر سفيان الثوري إلى السماء، فلما رأى الكواكب غشي عليه[٦].

وقال بعض الحكماء: بترداد الفكر يَنْجاب العمى، وما اسْتَنَارَت القلوب بمثل

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٧٦ ح١٠٦٦).

(٣) المغني (١/ ٤٤٥).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٦٢)، والدر المصون (٢/ ٢٨٢).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٣٦)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠٩) وعزاه لابن سعد.

(٦) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣١)، والقرطبي (٤/ ٣١٤).

الفكر.

وقال أبو الأحوص[1]: بلغني أن عابداً تعبَّد في بني إسرائيل ثلاثين سنة، وكان الرجل إذا تعبَّد ثلاثين سنة أظلَّته غمامة، فلم ير شيئاً، فشكى ذلك إلى والدته. فقالت: يا بني؛ فكِّر هل أذنبتَ ذنباً منذُ أخذتَ في العبادة؟ قال: لا، ولا أعلم أني هممت به منذ ثلاثين سنة، فقالت: يا بني؛ بقيت واحدة، فإن نجوتَ منها رجوتُ لك أن تظللك الغمامة، قال: وما بقي هناك؟ قالت: هل رفعتَ طرفك إلى السماء، ثم رددته بغير فكر؟ قال: كثير. قالت: فمن هاهنا أُتيتَ[2].

وقال ابن عون: الفكرةُ تُذهبُ الغفلة، وتُحدثُ للقلب الخشية[3].

قوله: ﴿ربنا﴾ أي: قائلين ربنا.

﴿ما خلقت هذا﴾ الخلق ﴿باطلاً﴾ أي: عبثاً خالياً عن الفائدة والحكمة.

و«باطلاً» نصب على الحال من «هذا»، أو صفة مصدر محذوف، أي: خلقاً باطلاً، أو بنزع الحرف الخافض[4].

﴿سبحانك﴾ تنزَّهتَ عن العبث ﴿فقِنا عذاب النار﴾.

﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أي مَن تدخله دخول تخليد، فقد أَهَنْتَهُ وحَقَّرْتَهُ. وهذا قول أنس بن مالك، والسعيدين -المسيب وابن جبير- وقتادة

---

(١) سلاّم بن سُليم الحنفي، مولاهم، أبو الأحوص الكوفي، الحافظ الثقة، كان كثير الحديث صالحاً. توفي سنة تسع وسبعين ومائة (التقريب ص: ٢٦١، والطبقات الكبرى ٦/ ٣٧٩).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣٢).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣١).

(٤) وهو الباء، المعنى: ما خلقتهما بباطلٍ، بل بحق وقُدرة (انظر: التبيان ١/ ١٦٢، والدر المصون ٢/ ٢٨٣).

ومقاتل[١].

وقال جابر بن عبد الله: المعنى: "إنك مَن تدخل النار": على أي حال دخل من أحوال التعذيب[٢]. وبه قال محمد بن جرير الطبري[٣].

قوله: ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً﴾ قال ابن عباس: هو محمد ﷺ[٤].

وقال محمد بن كعب القرظي: هو القرآن[٥]. واختاره ابن جرير الطبري[٦].

﴿ينادي للإيمان﴾ قال الفرّاء[٧]: المعنى: ينادي إلى الإيمان، ومثله قوله تعالى: ﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة:٥].

وقال أبو عبيدة[٨]: فيه تقديم وتأخير، تقديره: سمعنا منادياً للإيمان ينادي.

﴿أن آمنوا﴾ أي: بأن آمنوا بربكم ﴿فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ يعنون: الكبائر ﴿وكفِّر عنا سيئاتنا﴾ يعنون: الصغائر.

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢١١). وذكره مقاتل (٢/ ٢٠٩)، والثعلبي (٣/ ٢٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢١١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٠) وعزاه لابن جرير والحاكم.

(٣) الطبري (٤/ ٢١١).

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣٣)، والواحدي في الوسيط (١/ ٥٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٨).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والخطيب في المتفق والمفترق.

(٦) الطبري (٤/ ٢١٢).

(٧) معاني الفراء (١/ ٢٥٠).

(٨) مجاز القرآن (١/ ١١١).

وقيل: إنما جمعوا بين طلب المغفرة وتكفير السيئات؛ لأن المغفرة لمجرد الفضل، والتكفير: بالطاعة[١].

﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ قال ابن عباس: هم الأنبياء والصالحون[٢].

والمعنى: توفنا في جملتهم، واحشرنا في زمرتهم.

والأبرار: جمع برّ، أو بَارّ، كَرَبّ، وأرباب، وصاحب، وأصحاب.

﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أي: على أَلْسِنَةِ رسلك، والذي وعدهم الجنة، فكأنهم سألوا الله تعالى الثبات على الحالة المفضية بهم إليها.

وقيل: ما وعدتنا على رسلك من النصر والاستعلاء، والظفر بالأعداء.

قال ابن جرير[٣]: هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم، فكأنهم قالوا: لا صبر لنا على حلمك على الأعداء، فَعَجِّلَ خزيهم، وظفرنا بهم.

﴿ولا تُخْزِنا﴾ أي: لا تُهِنَّا، وقيل: لا تَفْضَحْنا، ومنه: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [هود:٧٨].

وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: مَن قرأ في ليلة: ﴿إن في خلق السموات والأرض ... إلى آخرها﴾ كُتِبَتْ له قيام ليلة[٤].

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى

(١) زاد المسير (١/ ٥٢٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٥٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٢٩).

(٣) الطبري (٤/ ٢١٣).

(٤) أخرجه الثعلبي (٣/ ٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٤٢١) وعزاه للدارمي.

وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

قوله: ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ قال الحسن: ما زالوا يقولون: ربنا، ربنا، حتى استجاب لهم ربهم[١].

قال جعفر الصادق رحمه الله: مَن حَزَبه أمر فقال -خمس مرات-: ربنا، نجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل له: كيف؟ فقرأ: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً -إلى قوله:- إنك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم﴾[٢].

وفي الحديث: أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله؛ إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة، ولا يذكر النساء بشيء، فنزلت هذه الآية[٣].

يقال: استجابه، واستجاب له، بمعنى: أجابه. ومنه:

.... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجِيبُ[٤]

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٧)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٩٤)، وسعيد بن منصور (٣/ ١١٣٦)، والطبري (٤/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥١). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد الرزاق والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه. وذكره أيضاً في لباب النقول (ص:٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم.

(٤) عجز بيت لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار، وصدره: (وداع دعا يا من يجيب إلى الندى). انظر البيت في: اللسان، مادة: (جوب)، والأصمعيات (ص:٩٦)، ومعاني الأخفش =

﴿أني لا أضيع﴾ أي: بأني، أو لأني لا أضيع ﴿عمل عامل منكم﴾.

﴿بعضكم من بعض﴾ في الدين والإسلام. وقيل: ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، وهو آدم، فحكمكم حكم واحد، في الثواب والعقاب، ﴿فالذين هاجروا﴾ هجروا أوطانهم، وعشائرهم، ﴿وأخرجوا من ديارهم﴾ اضطروا إلى الخروج بالأذى، ﴿وأوذوا في سبيلي﴾ وهو دين الإسلام.

﴿وقاتلوا وقُتِلوا﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «وقُتِلُوا وقَاتَلُوا»، بتقديم المفعول على الفاعل هنا[1]، وفي براءة[2]، وكلهم خَفَّفَ إلا ابن كثير وابن عامر فإنهما شدّدا «وقتّلوا»[3]، والواو لا تفيد ترتيباً، فسواء التقديم والتأخير.

قوله: ﴿ثواباً من عند الله﴾ أي: ثواباً مختصاً بكونه من عند الله، لا يقدر أحد على وصفه، ولا على قطعه ومنعه. كما يقول الرجل العظيم المليء لما يراد منه لمن دونه إذا أراد تحقيق ما يؤمله منه وتطييب قلبه وطمأنينته: عندي ما تريد.

وهو مصدر مؤكد؛ لأن معنى «لأُكَفِّرن» و«لأُدْخِلنَّهم»: لأُثيبنَّهم.

وقيل: هو منصوب على القطع[4].

= (ص:٤٦)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٥٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص:٦٩٧)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢١٩)، والدر المصون (١/ ١٣٠).

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٧)، والكشف (١/ ٣٧٣)، والنشر (٢/ ٢٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٢).

(٢) سورة التوبة، آية رقم: ١١١.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٥٩)، ولابن زنجلة (ص:١٨٨)، والكشف (١/ ٣٧٣)، والنشر (٢/ ٢٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٢).

(٤) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٨٩-٢٩٠).

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

قوله: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ كان اليهود يضربون في الأرض، ويكتسبون الأموال، والمشركون في خَفْضٍ وَدَعَة[1]، والمسلمون في جهد شديد، فقال قائل من المؤمنين: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد، فأنزل الله هذه الآية[2].

والمعنى: لا يَغُرَّنك أيها القائل، أو السامع. أو هو خطاب للنبي ﷺ، والمراد: أتباعه؛ لأن خطاب مقدم القوم، ولسانهم بشيء يقوم مقام خطابهم جميعاً.

فكأنه قيل: لا يَغُرَّنكم، وهو بمعنى التثبيت له، والتأديب لغيره.

وهذا في النهي نظير قوله في الأمر: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

﴿تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ أي: ضربهم فيها، وتقلبهم في نعم الله.

﴿متاع قليل﴾ أي: تقلبهم متاع قليل، ثم ينقطع، ﴿ثم﴾ من بعد ذلك، ﴿مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾.

قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ وقرأت على شيخنا أبي البقاء اللغوي

---

(١) الخَفْضُ: الدَّعَة ولين العيش وسعته. يقال: عيشٌ خافِضٌ وخَفْضٌ ومخفوض وخفيض: أي خصيب (اللسان، مادة: خفض).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٣٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٣١).

وأبي عمرو الياسري[١] لأبي جعفر يزيد بن القعقاع: «لكنَّ»[٢]، بالتشديد هنا، وفي الزمر[٣].

قال مقاتل[٤]: «اتقوا» بمعنى: وحَّدُوا ربهم.

﴿نُزُلاً من عند الله﴾ وهو ما يُهَيَّأ للنَّزيل، وهو الضَّيْف. وانتصابه على المصدر، تقديره: أنزلوها نزلاً، أو على الحال من «جنات» لتخصيصها بالوصف[٥]، والعامل اللام.

وقال الفراء[٦]: على التفسير[٧]؛ كما تقول: هو لك صدقة، هو لك هَديَّة.

﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من بَرٍّ ولا فاجرٍ إلا والموت خير له، ثم تلا: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ [آل عمران:١٧٨]، وتلا: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾[٨].

---

(١) عثمان بن مقبل بن قاسم الياسري البغدادي، الفقيه الواعظ، صنّف كتاباً في طبقات الفقهاء. توفي سنة ست عشرة وستمائة (المقصد الأرشد ٢/ ٢٠٢، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ١٢٢، وشذرات الذهب ٥/ ٩٦).

(٢) النشر (٢/ ٢٤٧).

(٣) عند الآية رقم: ٢٠.

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٢١١).

(٥) انظر: التبيان (١/ ١٦٤)، والدر المصون (٢/ ٢٩٢).

(٦) معاني الفراء (١/ ٢٥١).

(٧) أي نصبه على التفسير، وهو التمييز.

(٨) أخرجه الطبري (٤/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، وابن ابي شيبة (٧/ ١٠٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٥١)، والحاكم (٢/ ٣٢٦)، كلهم عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر المنثور =

ومعنى الآية: وما عند الله من ثواب المتقين الأبرار خير لهم من متاع الكفار في هذه الدار.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

قوله: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم﴾ يعني: القرآن ﴿وما أنزل إليهم﴾ يعني: كتابهم، يعني بهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ؛ كعبد الله بن سلام من اليهود، والنجاشي من النصارى.

قال جابر بن عبد الله: لما مات النجاشي صلى النبي ﷺ عليه، فقال قائل: يصلي على هذا العلج النصراني، وهو في أرضه، فنزلت هذه الآية[1].

قوله: ﴿خاشعين لله﴾ حال من فاعل «يؤمن»[2].

﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ كما فعل مَن لم يؤمن منهم من الأحبار والكبراء.

= (٢/ ٣٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي بكر المروزي في الجنائز والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم عن ابن مسعود.

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢١٨-٢١٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦) عن أنس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٥) وعزاه لابن جرير.

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٦٤)، والدر المصون (٢/ ٢٩٣).

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾[(١)] قال ابن عباس: اصبروا على البلاء والجهاد[(٢)].

وقيل: اصبروا على دينكم وطاعة ربكم[(٣)].

﴿وصابروا﴾ عدوكم، ﴿ورابطوا﴾ في سبيل الله[(٤)]، وهو لزوم الثغر للجهاد، وأصله من ارتباط الخيل.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم، وأبو الحسن البغداديان، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(٥)].

وأخرج مسلم منه ذكر الغدوة والروحة فقط[(٦)].

---

(١) كتب في هامش الأصل: قوله: ﴿اصبروا﴾ على الدين وتكاليفه، ﴿وصابروا﴾ أعداء الله في الجهاد وغالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم ﴿ورابطوا﴾ أي: أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو، ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (كشاف ١/ ٤٨٨-٤٨٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٣٣).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:١٤١).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٨) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٥٩ ح٢٧٣٥).

(٦) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٠ ح١٨٨١).

وفي أفراد مسلم من حديث سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفَتَّان»(١).

وهذا الذي أشرتُ إليه ودللتُ عليه، قول ابن عباس، والحسن، وجمهور العلماء، وهو المتبادر إلى الأفهام.

وقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه قال -في هذه الآية-: «لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يُرابَط فيه، ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة»(٢).

ويوضح هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»(٣).

آخرها، والحمد لله(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٠ ح١٩١٣).
والفَتَّان: الشيطان (اللسان، مادة: فتن).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٢١-٢٢٢)، والحاكم (٢/ ٣٢٩ ح٣١٧٧)، والقائل هو أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢١٩ ح٢٥١).

(٤) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلساً عاشراً، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثاني والعشرين، مرة ثانية.

سورة النساء

وهي مائة وخمس وسبعون آية في المدني، وست في الكوفي[(١)].

فصل

اختلفت الرواية عن ابن عباس هل هي مكية أو مدنية. والصحيح: أنها مدنية، إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، فإنها نزلت بمكة، حين أراد النبي ﷺ أن ينزع مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي[(٢)] فيسلمها إلى العباس[(٣)].

وغيرُ بعيد أن تكون مشتملةً على آيات نزلت بمكة، لكن معظمها نزل على أسباب دل النقل والعقل على أن ذلك كان بالمدينة.

فما أدري ما وجه قول الحسن ومجاهد، وإحدى الروايتين عن ابن عباس: أنها مكية.

أتراه يشك أحد أن تحريم الخمر كان بالمدينة، وأن قصة طعمة بن أبيرق[(٤)] سارق الدرع، وقد نزلت فيه آيات كثيرة في هذه السورة كانت بالمدينة[(٥)].

وأن قصة الزبير مع الأنصاري، حين ترافعا إلى النبي ﷺ، فقال للزبير: «اسق

---

(١) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص:١٤٦).

(٢) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدار الحجبي، الصحابي المعروف. أسلم في هدنة الحديبية، توفي سنة اثنتين وأربعين (الإصابة ٤/ ٤٥٠، والتقريب ص:٣٨٤).

(٣) انظر تفصيل هذه القصة في ص: ٥٥٤ من هذا الجزء.

(٤) طعمة بن أبيرق بن عمير الأنصاري. انظر قصة الدرع في: المستدرك (٤/ ٤٢٦-٤٢٧ ح٨١٦٤). وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٥١٨): شهد المشاهد كلها إلا بدراً، وقد تُكلّم في إيمان طعمة.

(٥) انظر قصته في ص: ٦١٣.

ثم أرسل إلى جارك، فقال: إن كان ابن عمتك؟ ... الحديث، ونزل فيه: ﴿فَلاَ وَرَبِكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ كانت بالمدينة»[1].

وأن قصة المنافق الذي أراد أن يحاكم اليهودي إلى الطاغوت، واليهودي يريد رفعه إلى النبي ﷺ كانت بالمدينة[2].

وقوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ [النساء:٩٤]، وأن الآيات التي نزلت في الجهاد، والهجرة، وصلاة الخوف، كان ذلك كله بالمدينة.

وفي أفراد البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَ النبي ﷺ»[3]، وكان دخولُه بها في المدينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ أي: فرعكم من أصل واحد، وهو نفس آدم عليه السلام.

﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء عليها السلام.

و«مِنْ» للتبعيض، إن أريد بالنفس جملة آدم، وإلا فهي لبيان الجنس، أو

---

(١) انظر هذه القصة في ص: ٥٥١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في ص: ٥٤٦.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٠ ح٤٧٠٧).

لابتداء الغاية.

قال ابن عباس وابن مسعود: خلقت بعد دخوله الجنة[(١)].

وقال كعب[(٢)] ووهب[(٣)] وابن إسحاق[(٤)]: قبل دخوله الجنة[(٥)].

قال ابن عباس: خلقت من ضلع من أضلاعه اليسرى[(٦)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ مِنَ الضِّلَعِ أَعْلاهُ، [فَإِنْ][(٧)] ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَج»[(٨)].

﴿وبثّ منهما﴾ أي: فرّق ونشر في الأرض، من آدم وحواء ﴿رجالاً كثيراً ونساء﴾.

ولما ذكَّرهم سبحانه وتعالى ما دلهم على عظيم قدرته وحكمته، أمرهم بالتقوى

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢).

(٢) كعب بن ماتع الحميري، المشهور بكعب الأحبار، من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب. أسلم في زمن أبي بكر، وكان من أهل اليمن، فسكن الشام، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة أربع وثلاثين (تذكرة الحفاظ ١/ ٥٢، والتقريب ص:٤٦١).

(٣) وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبناوي، تابعي ثقة، كان عابداً فاضلاً. توفي سنة بضع عشرة ومائة (تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٠، والثقات ٥/ ٤٨٧).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبي المدني، مولى قيس بن مخرمة، صاحب المغازي، توفي سنة خمسين ومائة (الجرح والتعديل ٧/ ١٩١، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٧٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢).

(٦) ذكره الماوردي (١/ ٤٤٦)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٤) بلا نسبة.

(٧) في الأصل: وإن. والتصويب من البخاري (٣/ ١٢١٢).

(٨) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٢ ح٣١٥٣)، ومسلم (٢/ ١٠٩١ ح١٤٦٨).

رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه، فقال: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾.

قرأ أهل الكوفة: «تَسَاءَلُونَ» بالتخفيف، وشدَّده الباقون(١).

فمن شدَّد: فلأن أصلها تتساءلون - بتائين -، فأدغم التاء في السين؛ لأنها من طرف اللسان وأصول الثنايا.

ومَن خفَّف: حذف التاء الثانية.

والمعنى: تسألون به حوائجكم وحقوقكم، كقول الرجل لأخيه: سألتك بالله، ونشدتك بالله.

«والأرحام» أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو يكون عطفاً على محل الجار والمجرور، نحو: مررت بزيد وعَمْراً.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: «وبالأرحامِ»(٢).

وقرأ حمزة: «والأرحامِ» بالجرّ(٣)، فعطف المظهر على المضمر.

قال سيبويه(٤): لا يجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض من غير إعادة الخافض، إلا في ضرورة الشعر، وأنشد:

فَاليَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا ... فَاذهَبْ فَمَا بكَ وَالأَيَّامُ مِنْ عَجَب(٥)

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٨٨)، والكشف (١/ ٣٧٥)، والنشر (٢/ ٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٦).

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٤). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٦٥).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٨)، والكشف (١/ ٣٧٥)، والنشر (٢/ ٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٦).

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ٣٨٢).

(٥) البيت للأعشى، وينسب لعمرو بن معد يكرب، ولخفاف بن ندبة، ولغيرهم. والشاهد في البيت: =

وقال الزجاج[1]: إجماع النحويين أنه يَقْبحُ أن يُنْسَق باسْم مُظهر على اسم مضمر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض؛ كقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

وَيستقبحُ النحويون: مررت به وزيد، لأن المكني المخفوض حرف مُتَّصِلٌ غيرُ منفصل، فكأنه كالتنوين في الاسم، فَكُرِه أن يعطف اسم يَقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه.

وقال أيضاً[2]: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي ﷺ قال: «لا تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ»[3].

قال ابن الأنباري[4]: إنها أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت به عادتهم. فالمعنى: الذي كنتم تسألون به وبالأرحام في الجاهلية.

وقال مكي[5]: هو قليل في الاستعمال، بعيد في القياس، لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان، يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر، فكما لا يجوز: واتقوا الله الذي تسألون بالأرحام، و «هـ»،

= عطف "الأيام" على الكاف. انظر البيت في: الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٨٣)، وابن يعيش (٣/ ٧٩)، والخزانة (٢/ ٣٣٨)، والقرطبي (١٠/ ١٤)، ومعاني الزجاج (٢/ ٧)، والوسيط (٢/ ٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٦).

(١) معاني الزجاج (٢/ ٦).

(٢) أي: الزجاج في معانيه، الموضع السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٥٠ ح٦٢٧٢)، ومسلم (٣/ ١٢٦٧ ح١٦٤٦).

(٤) انظر: زاد المسير (٢/ ٣).

(٥) الكشف (١/ ٣٧٥-٣٧٦).

فكذلك لا يحسن: تسألون به والأرحام.

قوله: ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ أي: حفيظاً يرقب عليكم أعمالكم.

وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

قوله: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ قال سعيد بن جبير: نزلت في رجل من غطفان، كان معه مال كثير، لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه، فرفعه إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، فلما سمعها العم قال: سمعنا وأطعنا، نعوذ بالله من الحُوب الكبير(١).

والخطاب بقوله: «وآتوا» للأولياء والأوصياء.

وسَمَّاهم يتامى بطريق المجاز؛ لقرب عهدهم باليتم، ويجوز أن يكون المراد باليتامى: الصغار.

والمراد بإيتائهم أموالهم: حفظها وتنميتها، وكَفّ الأيدي الخاطفة من قضاة السوء وولاته عنها إلى أن يؤتوها سليمة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٤). وذكره الواحدي في أسباب النزول(ص:١٤٦) من قول مقاتل والكلبي، والثعلبي (٣/ ٢٤٢)، ومقاتل (١/ ٢١٣-٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٢٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدراهم الجياد [ويطرح][1] مكانها الزيوف[2].

وقال غيره: «ولا تتبدلوا الخبيث» وهو الحرام الذي يختزلونه من أموال الأيتام، «بالطيب» وهو الحلال من أموالكم[3].

﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أي: ضامِّين لها إلى أموالكم.

قال السدي: لا تخلطوها بأموالكم، ثم تأكلوها جميعاً[4].

﴿إنه﴾ يعني: أكل أموالهم، ﴿كان حوباً كبيراً﴾ أي: إثماً عظيماً.

وقرأ الحسن: «حَوباً» بفتح الحاء[5].

قال ابن قتيبة[6]: فيه ثلاث لغات: حُوب، وحَوب، وحاب.

قال الفرّاء[7]: أهل الحجاز يقولون: حُوب -بالضم-، وتميم يقولون بالفتح.

---

(١) زيادة من زاد المسير (٢/ ٥).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٦). وذكره الماوردي (١/ ٤٤٧)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٢٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:١٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٠) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٦) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٧).

(٥) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٦).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:١١٨).

(٧) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: زاد المسير (٢/ ٥).

قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ اختلفوا في تنزيلها وتأويلها، فقيل: لما نزلت هذه الآية في اليتامى، وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتحرجون من ولايتهم.

وكان الرجل ربما كان تحته العشر من الأزواج أو أكثر، أو أقل، فلا يقوم بحقوقهن، ولا يعدل بينهن، فقيل لهم: إن خفتم ترك العدل في أموال اليتامى فتحرجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل في النساء وقللوا عدد المنكوحات لأن مَن تحرّج من ذنب، أو تاب عنه وهو مرتكب مثله، فهو غير متحرّج ولا تارك لجنس ذلك الإثم.

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة[(١)]، والسدي، ومقاتل، والأكثرين[(٢)].

وقيل: كانوا لا يتحرجون من الزنا، وهم يتحرجون من ولاية اليتامى، فقيل لهم: إن خفتم الجَوْر في أموال اليتامى فخافوا الزنا، فانكحوا ما حلّ لكم من

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، الحافظ العلامة الضرير المفسر. توفي بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة (تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٣-٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧). وذكره مقاتل في تفسيره (١/ ٢١٤)، والماوردي (١/ ٤٤٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٢٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

النساء، ولا تحوموا حول المحرَّمات. وهذا المعنى مروي عن مجاهد[(١)].

وقيل: إنهم تحرَّجوا من نكاح اليتامى، كما تحرَّجوا من أموالهم، فرَخَّص الله لهم في ذلك، فقيل لهم: وإن خفتم يا أولياء اليتامى، أن لا تَعدلوا فيهن إذا تزوجتموهن، فانكحوا عدداً يمكنكم العدل فيه. وهذا مروي عن الحسن البصري[(٢)].

وقيل: المعنى: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن تجوروا في صَدُقاتهنّ، أو تسيئوا صحبتهنَّ لعدم مَن يغضب لهنَّ، ويقوم بنصرهنَّ، فانكحوا سِواهنَّ من الغرائب اللواتي أحلّ الله لكم. وهذا المعنى مروي عن عائشة رضي الله عنها[(٣)].

أخبرني الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، «أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا تُقْسِطُوا في اليَتَامَى﴾ [فَقَالَتْ][(٤)]: يَا ابْنَ أُخْتِي؛ هذه

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧)، ومجاهد (ص:١٤٤)، والثعلبي (٣/ ٢٤٥). وذكره الماوردي (١/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٤٩، ١٩٥٨، ١٩٧٥)، ومسلم (٤/ ٢٣١٣-٢٣١٤)، وأبو داود (٢/ ٢٢٤)، والنسائي (٣/ ٣١٥، ٦/ ٣١٩)، والبيهقي في سننه (٧/ ١٤١-١٤٢)، والطبري في تفسيره (٤/ ٢٣١-٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧).

(٤) زيادة من الصحيح (٤/ ١٦٦٨).

اليَتِيمَةُ تكُونُ في حَجْرِ وَلِيِّهَا تَشْرِكُهُ في مَالِهِ، وَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ في صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا أَنْ يُنْكِحُوهُنَّ إلاَّ أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ"[1].

وقال ابن عباس -في رواية عنه-: قصر الرجال على أربع من النساء من أجل أموال اليتامى[2]، لأن أولياء اليتامى مالوا على أموالهم بسبب كثرة النساء.

قوله: «وإن خفتم» أي: علمتم، «ألا تقسطوا» أي: لا تعدلوا. يقال: أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ؛ إذا عدل[3]، قال الله: ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، وقَسَطَ يَقْسُطُ فهو قاسِطٌ؛ إذا جَارَ[4]، قال الله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجن:١٥].

وقرأ إبراهيم النخعي[5]: "تَقسِطُوا" بفتح التاء[6]، وفيه وجهان:

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٨ ح٤٢٩٨)، ومسلم (٤/ ٢٣١٣ ح٣٠١٨).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٢٨) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: اللسان، مادة: (قسط).

(٤) مثل السابق.

(٥) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، ثقة فقيه، كان مفتي أهل الكوفة. توفي سنة ست وتسعين ومائة وهو مختف من الحجاج (تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٣-٢٤١، والتقريب ص:٩٥).

(٦) انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٢٤)، والمحتسب لابن جني (١/ ١٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٠).

أحدهما: أنه من العدل أيضاً.

قال الزجاج(١): قَسَطَ وأَقْسَطَ واحد، إلا أن الأفصح أَقْسَطَ؛ إذا عَدَلَ.

الوجه الثاني: أنه من الجَوْر، على أن «لا» مزيدة.

و"اليتامى": جمعٌ لذُكْران الأيتام وإناثهم، وهو جمع يتيمة على القَلْب، كما قيل: أَيَامَى، والأصل: أَيَائِم ويَتَائِم.

﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ أي: ما حلَّ، لأن منهن ما هو حرام.

وقرأ ابن أبي عبلة(٢): «مَنْ طَابَ»(٣) على الأصل، لأن «مَن» لمن يعقل، على أن العرب تضع «مَن» موضع «ما» و«ما» موضع «مَن». قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس:٥]، وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [النور:٤٥].

وحكى أبو عمرو بن العلاء: أن أهل مكة إذا سمعوا الرعد قالوا: سبحان ما يُسبح له الرعد(٤).

وقال ابن جرير(٥): أراد الفعل ولم يرد أعيان النساء، فلذلك قال: «ما» ولم يقل: «مَن».

وقال مجاهد: فانكحوا النكاح الذي طاب لكم(٦)، فـ«ما» على هذا عبارة عن

(١) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٢٣٥).

(٢) شمر بن يقظان بن المرتحل العقيلي الشامي المقدسي، شيخ فلسطين. توفي سنة اثنتين وخمسين ومائة (طبقات القراء لابن الجزري ١/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٣، والثقات ٤/ ١١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ١٧٠).

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٤٦).

(٥) ذكره الطبري (٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٨).

النكاح.

وقيل: الإناث يجرين مجرى غير العقلاء، ومنه: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ [النساء:٣].

وقيل: «ما» مصدرية، أي: نكاحاً طاب لكم.

﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ حال من «طاب»، أو بدل من «طاب»[(١)]، ومنعهنّ الصرف: العدل والوصف، أو العدل عن صيغها، والعدل عن تكريرها، التقدير: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، كما قال في وصف الملائكة: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر:١]، ولم يرد بشيء من ذاك العطف، إذ العدول إلى ذلك عن لفظ التسعة عِيٌّ تأباه فصاحة القرآن وبلاغته.

قال القاضي أبو يعلى[(٢)]: الواو هاهنا لإباحة أي الأعداد شاء، لا للجمع، وهذا العدد إنما هو للأحرار لا للعبيد، في قول الأئمة الثلاثة: أحمد، وأبي حنيفة، والشافعي.

وقال مالك: هم كالأحرار[(٣)].

وسباق الآية وسياقها يوجبان التقيد بالأحرار دون العبيد، ألا تراه يقول: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾، والعبد لا يملك.

قوله: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾[(٤)] يعني: بين الأربع، ﴿فواحدة﴾ أي: فانكحوا

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦٦)، والدر المصون (٢/ ٣٠١).

(٢) انظر: زاد المسير (٢/ ٨).

(٣) المغني (٧/ ٦٥)، والهداية (١/ ١٩٤)، والروضة (٧/ ١٦٣)، وبداية المجتهد (٢/ ٤٧).

(٤) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثالث والعشرين، مرة ثانية.

واحدة.

وقرأ الحسن البصري والأعمش: «فواحدةٌ»[١] بالرفع، على معنى: فواحدةٌ كافية، ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾، يعني: من السراري غير محصورات بعدد، إذ لا قَسْم لهنّ.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى نكاح الأربع، أو الواحدة عند خوف الجور في الأربع ﴿أدنى﴾ أقرب، ﴿ألا تعولوا﴾ أي: تميلوا فَتَجُوروا، ومنه: عَالَ الميزان؛ إذا مَالَ[٢].

قال الفرّاء[٣]: عَالَ الرَّجُلُ يَعُولُ عَوْلاً؛ إذا مَالَ وجَارَ.

وهذا قول ابن عباس، والحسن، وإبراهيم، وقتادة، والربيع، والسدي، والزجّاج[٤]، وابن الأنباري، وجمهور العلماء[٥].

وقال الشافعي رضي الله عنه: «تعولوا»: تكثر عيالكم[٦].

وردَّه الزجاج فقال[٧]: جميع أهل اللغة يقولون: هذا القول خطأ.

يريد الزجاج بذلك أنه إنما يقال: أَعَالَ الرَّجُلُ يُعيلُ؛ إذا كَثُرَ عِيالُه[٨]. وأفسده

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٦).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (عول).

(٣) انظر: معاني الفراء (١/ ٢٥٥).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ١١).

(٥) انظر: الطبري (٤/ ٢٣٩-٢٤٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٠)، والوسيط (٢/ ٩)، وزاد المسير (٢/ ٩).

(٦) ذكره الماوردي (١/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠).

(٧) معاني الزجاج (٢/ ١١).

(٨) انظر: اللسان، مادة: (عول).

أيضاً من حيث المعنى، فقال: إباحة ملك اليمين أَزْيَدُ في العيال من أربع.

وقد سلكوا في تصحيح قول الشافعي طُرقاً منها:

أنه لغة حمير، وأنشدوا:

وَإِنَّ المَوْتَ يَأْخُذُ كُلَّ حَيٍّ بلا شَكٍّ وَإِنْ أَمْشَى وَعَالا(١)

أي: كثرت ماشيته وعياله.

ومنها: أنه من عَالَتِ الفَريضةُ؛ إذا كَثُرت سهامها(٢).

ومنها: ما ذكره الزمخشري(٣): أنه من عَالَ الرّجلُ عياله يعولهم، مثل: مَانَهُم يَمُونُهم، لأن مَن كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع، وكسب الحلال.

وكلام مثل الشافعي من أعلام العلم، ورؤوس المجتهدين، وأئمة الشرع، حقيق بالحمل على الصحة والسداد، وأن لا يُظن به تحريف «تعيلوا» إلى «تعولوا»، -... إلى أن قال:- كان أعلى كعباً، وأطول باعاً في علم كلام العرب، من أن يخفى عليه [مثل](٤) هذا.

قوله: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ الخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء، على وجه الزجر لهم عما ألفوه من حيازة صدقات النساء دونهن، رَدْعاً لهم عن نكاح

---

(١) البيت لم أعرف قائله. وهو في: البحر المحيط (٣/ ١٧٣)، والدر المصون (٢/ ٣٠٤)، والقرطبي (٥/ ٢٢)، وروح المعاني (٤/ ١٩٧).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (عول).

(٣) الكشاف (١/ ٤٩٩-٥٠٠).

(٤) زيادة من الكشاف (١/ ٥٠٠).

الشِّغَار، وهو: جعل الأبضاع أعواضاً في النكاح. وواحد الصَّدُقات: صَدُقَة، وهي المُهُور.

«نِحْلَةَ» مصدر أو حال من المخاطبين، على معنى: آتوهن ناحلين[1].

قال ابن عباس: «نِحْلَةَ»: فريضة وموهبة من الله للنساء.

وقيل: مِلّة وديناً، يقال: فلان يَنْتَحِلُ كذا، أي: يَدِينُ بِهِ[2].

﴿فإن طِبْنَ لكم﴾ أيها الأزواج أو الأولياء، أو يكون الخطاب لجنس الرجال، ﴿عن شيء منه﴾ الضمير في «مِنْهُ» جار مجرى اسم الإشارة، كأنه قال: عن شيء من ذلك، كقوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥] بعد ذكر الشهوات، أو يرجع إلى معنى الصَّدُقات، وهو الصَّدَاق.

وقوله: ﴿نفساً﴾ تمييز[3]، وهو اسم جنس، ﴿فكُلُوهُ هنيئاً مريئاً﴾ وصفا مصدر محذوف، أي: أكلاً هنيئاً مريئاً، أو حال من الضمير في «كُلُوهُ»[4].

والهنيء: اللذيذ السائغ، الخالص من شوائب التنغيص[5]، والمريء: المحمود العاقبة التام الهَضْم[6].

والمقصود: المبالغة في الحِلّ، ونفي التبعة.

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦٦)، والدر المصون (٢/ ٣٠٥).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (نحل).

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٦٦)، والدر المصون (٢/ ٣٠٦).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٦٧)، والدر المصون (٢/ ٣٠٧).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (هنأ).

(٦) انظر: اللسان، مادة: (مرأ).

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

قوله: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ والسُّفَهَاء: الجَهَلَة، وهذا نهي للإنسان أن يدفع ماله الذي خوَّله الله إياه وجعله قِواماً لمعيشته، إلى من لا يقوم باستصلاحه من النساء والأطفال، والمُبَذِّرين من الأولاد.

وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن(١).

وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم، كان أول ما يأكل دينه(٢).

وكان سفيان الثوري يقلب بضاعته ويقول: لولاك لَتَمَنْدَلَ بي بنو العباس(٣).

وقيل: هو خطاب لأولياء الأيتام، والسفهاء المحجور عليهم، وأضاف الأموال إلى الأولياء لأنهم قُوَّامُها، أو لأنها الجنس الذي جعله الله أموالاً للناس؛ كقوله: ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء:٢٥].

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/ ٣٦٤).

(٢) ذكره الكتاني في التراتيب الإدارية (٢/ ٧٣).

(٣) انظر: الحلية (٦/ ٣٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤١)، وتفسير النسفي (١/ ٢٠٤)، وفيض القدير (٥/ ٣٦٤)، والتراتيب الإدارية (٢/ ٧٣).

﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ قرأ الحسن: «اللاتي»[١]، وهي بمعنى «التي».

وقرأ نافع وابن عامر: «قِيَماً» بغير ألف. وقرأ الباقون: بألف[٢].

وقرئ شاذاً: «قواماً»[٣] بفتح القاف وكسرها على الأصل، والأكثرون قلبوا الواو ياءاً لانكسار ما قبلها، مثل: صيام وقيام.

والمعنى في الجميع واحد، أي: تقوم بها أموركم ومعائشكم.

قال ابن قتيبة[٤]: يقال: هذا قُوَام أمرك وقِيَام أمرك، أي: ما يقوم به.

وقال الأخفش[٥]: قياماً وقُواماً وقِيَماً وقُوَماً: واحد، وجميعها مصادر[٦].

وقال قوم: القيم جمع قيمة كديمة وديم، فالدراهم والدنانير قيم الأشياء.

واختار الزجاج هذا القول فقال[٧]: مَن قرأ: «قيما»، فالمعنى: أموالكم التي جعلها الله قيماً للأشياء، فبها تقوم أموركم.

قال أبو علي: وليس هذا بشيء[٨].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٦).

(٢) الحُجّة للفارسي (٢/ ٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٠-١٩١)، والكشف (١/ ٣٧٦)، والنشر (٢/ ٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٦).

(٣) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٤)، والمحتسب (١/ ١٨٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٦).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:١٢٠).

(٥) سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، أبو الحسن البلخي المجاشعي مولاهم، إمام النحو، أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه. توفي سنة خمس عشرة ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠٦).

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٧٩)، والوسيط (٢/ ١٢).

(٧) معاني الزجاج (٢/ ١٤).

(٨) الحجة للفارسي (٢/ ٦٦).

وقال الضحاك[١] في معنى الآية بها: الحج، والجهاد، وأعمال البر، وفك الرقاب من النار[٢].

وهذا يندرج تحت عموم ما قاله غيره.

﴿وارزقوهم فيها﴾ أي: منها، والرزق من العباد هو: الإجراء الموظف.

﴿واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ أي: ليّناً تطيب به قلوبهم من عِدَةٍ جميلة، أو رَدٍ حسن.

قوله: ﴿وابتلوا اليتامى﴾[٣] سبب نزولها: أن رفاعة قال: يا رسول الله؛ إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله، ومتى أدفعه إليه؟ فأنزل الله هذه الآية[٤].

والمعنى: اختبروا عقول اليتامى بالنظر في تصرفهم قبل البلوغ.

﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي: وصلوا إلى حال النكاح من الاحتلام وإنزال الماء.

﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ أي: علمتم وأبصرتم، ومنه: ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ [القصص:٢٩] أي: أَبْصَرَ.

---

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم. توفي بعد المائة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٥٣).

(٣) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الحادي عشر.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٩) عن قتادة. وذكره الواحدي في أسباب النزول(ص:١٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

والرُّشْد: الصلاح في العقل، وحفظ المال، فمتى بلغ عاقلاً مصلحاً لماله، انْفَكَّ الحَجْر عنه، وهو مذهب إمامنا وأبي حنيفة وأصحابه.

وذهب قوم إلى أن الرشد: الصلاح في الدين والمال، منهم: الحسن، وربيعة، ومالك، والشافعي(١).

وعن ابن عباس: كالمذهبين.

فصل

قد دلت هذه الآية على أن لرفع الحَجْر عن اليتيم شرطين:

أحدهما: البُلُوغ.

الثاني: الرُّشْد.

فأما البلوغ فإنه يكون بواحد من خمسة أسباب: ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء.

أحدها: إنزال المني بجماع أو احتلام أو غيرهما، بدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ﴾ [النور:٥٩]، وقول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «خذ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا»(٢).

الثاني: بلوغ خمس عشرة سنة عندنا وعند الشافعي، خلافاً لأبي حنيفة في تحديده سن البلوغ بسبع عشرة سنة في المشهور من الروايتين عنه.

والأخرى بثماني عشرة سنة. وخلافاً لمالك في قوله: لا بلوغ بالسن وإن

---

(١) انظر: حاشية الدسوقي (٢/ ٥٢٩)، والمهذب (١/ ٣٣١)، والمغني (٤/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ١٠١ ح١٥٧٦)، والترمذي (٣/ ٢٠ ح٦٢٣).

طال[1].

الثالث: نبات الشعر الخشن حول الفرج، خلافاً لأبي حنيفة وأحد قولي الشافعي[2].

وشَذَّ مالك فجعل غلظ الصوت وانشقاق الأَرْنَبَة بلوغاً في حق الغلام.

وسببان يختصان بالنساء وهما: الحيض والحمل.

الشرط الثاني: الرُّشْد، وقد ذكرناه.

فإن اختلَّ أحد الشرطين لم يَنْفَكّ عنه الحَجْر أبداً.

وقال أبو حنيفة: ينفك عنه الحَجْر إذا بلغ خمساً وعشرين سنة، وإن كان مفسداً لماله، إني لأستحي أن أحجر على من يصلح أن يكون جَدّاً[3].

وقال مالك: إن كانت جارية، بقي الحَجْر عليها إلى أن تتزوج، فتكون تصرفاتها معلقة بإذن زوجها إلى أن تكبر وتجرب، فتصير مطلقة التصرف[4].

فصل

واتفق جماهير الأمة، ومشاهير الأئمة على شرعية الحَجْر على السفيه المبذِّر منهم: عليّ، وعثمان، والزبير، وعائشة، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر، وفقهاء المدينة، وفقهاء الشام، والأئمة الثلاثة، وصاحبا أبي حنيفة[5]، وإسحاق إمام

(١) انظر: الهداية (٣/ ٢٤٨)، وحاشية الدسوقي (٣/ ٢٩٣)، والمهذب (١/ ٣٣٠)، والمغني (٤/ ٢٩٧).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: الهداية (٣/ ٢٤٨).

(٤) انظر: بداية المجتهد (٢/ ٣٤٠).

(٥) وهما محمد بن الحسن الشيباني، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري.

خراسان[١]، وأبو ثور[٢].

وادَّعى بعضُ العلماء الإجماعَ في هذه المسالة، نظراً إلى قصة جرت بين أصحاب رسول الله ﷺ، وهي: أن عبد الله بن جعفر اشترى أرضاً سبخة بستين ألف درهم، فغُبن فيها، فأراد عَلِيّ أن يحجر عليه، فأتى ابن جعفر إلى الزبير، فقال: إني اشتريت كذا، وإن علياً يريد أن يأتي أمير المؤمنين عثمان، فيسأله أن يحجر عَلَيّ، فقال الزبير: أنا شريكك في البيع، فقال عليّ لعثمان: إن ابن جعفر اشترى كذا وكذا فاحْجر عليه، فقال الزبير: أنا شريكه، فقال عثمان: كيف أحجر على رجل شريكه الزبير[٣]؟.

وشذَّ أبو حنيفة فقال: لا حجر عليه، وإن كان أفسق الناس، وأشدهم تبذيراً، وتابعه على ذلك زُفَرْ[٤]، ويقال: هو مذهب إبراهيم النخعي[٥].

قوله تبارك وتعالى: ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ هما مصدران في

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، المعروف بابن راهويه المروزي، وهو من سادات زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً ونظراً، وممن صنف الكتب. توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين (التقييد ص:١٩٥، والثقات ٨/ ١١٥).

(٢) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور الفقيه، كان أحد الثقات المأمونين ومن الأئمة الأعلام في الدين. توفي سنة أربعين ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ٦٥).

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده (ص٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٦١). قال ابن الملقن في الخلاصة (٢/ ٨٤): رواه الشافعي والبيهقي بإسناد حسن.

(٤) زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، الفقيه، كان ثقة مأموناً، وتفقه بأبي حنيفة. توفي سنة ثمان وخمسين ومائة (سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨، والثقات ٦/ ٣٣٩).

(٥) انظر: الهداية (٣/ ٢٨١)، والمغني (٤/ ٣٠٣).

محل الحال، أي: مسرفين، مبادرين كِبَرهم. أو مفعولان، على معنى: لا تأكلوها لأجل إسرافكم ومبادرتكم كِبَرهم أكلاً ذريعاً[١].

﴿ومن كان غنيا فليستعفف﴾ عن مال اليتيم، ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ قال الحسن: أن يأكل بمقدار عمله وأجرته[٢].

وقالت عائشة: بمقدار حاجته[٣].

وعن ابن عباس: كالقولين[٤].

وقال الشعبي: لا يأكل إلا أن يُضْطَر إليه، كما يضطر إلى أكل الميتة[٥].

وحكم الكسوة حكم الأكل.

واختلفوا في القضاء عليه إذا أيسر: قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ألا إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت[٦].

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦٨)، والدر المصون (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩). وذكره الماوردي (١/ ٤٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٦/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠١٧)، والطبري (٤/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٣٥) وعزاه للبخاري وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٠)، والثعلبي (٣/ ٢٥٩).

(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٥٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٦٠)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص:٢٩٦)، والثعلبي (٣/ ٢٥٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

وأظهر الروايتين عن الإمام أحمد: عدم وجوب القضاء؛ تنزيلاً لما أكله بالمعروف في مقابلة عمله.

أخبرنا أحمد بن عبد الله، وعلي بن أبى بكر البغداديان، قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثني إسحاق، أخبرنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: «أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي وَالِي الْيَتِيمِ إِذَا كَانَ فَقِيراً، أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ مَكَانَ قِيَامِهِ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ»[1]. هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

قوله: ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ هذا أمر استحباب وإرشاد لأولياء الأيتام إلى الإشهاد عليهم عند تسليم أموالهم إليهم، إظهاراً للأمانة، ودفعاً للتهمة بالخيانة، وقطعاً لأسباب المخاصمة والتجاحد.

﴿وكفى بالله حسيباً﴾ قال ابن عباس: شهيداً[2].

وقيل: كافياً، من قولك: أحسبني كذا، أي: كفاني.

= (٢/ ٤٣٦) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير والنحاس في ناسخه وابن المنذر والبيهقي في سننه.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٩ ح٤٢٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٣١٥ ح٣٠١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٢) عن السدي، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧١) عن سعيد بن جبير. وذكره الماوردي (١/ ٤٥٥) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٣٨) وعزاه لابن جرير عن السدي. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾[1] قال ابن عباس وقتادة وجمهور المفسِّرين: كانوا لا يُورثون النساء في الجاهلية، ولا الصغار، وإنما يُورثون من حَاز الغنيمة، وحمى الذّمار[2]، فلما توفي أوس بن ثابت الأنصاري أخذ ابنا عمه ماله دون زوجته وبناته، فجاءت زوجته إلى النبي ﷺ فشكت إليه وذكرت له ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأرسل النبي ﷺ إلى ابني العم: لا تُفرِّقا من مال أوس شيئاً، فإن الله جعل لبناته نصيباً -ولم يُبيّن كم هو- حتى أنظر ما يُنْزِل الله فيهن، فأنزل الله: ﴿يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلَادِكُمْ -إلى قوله-: الفَوْزُ العَظِيم﴾ [النساء:١١-١٣]، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى ابني العم أن ادفعا إلى الزوجة الثمن، وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال[3].

---

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الرابع والعشرين، مرة ثانية.

(٢) الذِّمَار: ذمار الرجل: هو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه (اللسان، مادة: ذمر).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول

=

قوله تعالى: ﴿نصيباً مفروضاً﴾ منصوب على الاختصاص بإضمار "أعني"، أو حال[1].

وقال الأخفش[2]: هو نصب على [معنى][3]: جعل لهم نصيباً، والآية تدل عليه، لأن قوله: ﴿للرجال نصيب﴾، ﴿وللنساء نصيب﴾ يدل على معنى: جعل لهم نصيباً.

والمفروض: الذي فرضه الله، وهو آكد من الواجب.

قوله: ﴿وإذا حضر القسمة﴾ يعني: قسمة المواريث، ﴿أولوا القربى﴾ يريد: أقرباء الميت الذين لا يرثون.

﴿فارزقوهم منه﴾ خطاب للورثة، حَضَّهم الله على الرَّضْخ[4] لأقاربهم تطييباً لقلوبهم، والضمير في «منه» لما يقسم، أو يعود إلى قوله: «مما ترك الوالدان»، وغير مستبعد أن يعود الضمير إلى «نصيباً»، ولم أر أحداً ذكره.

والأكثرون على أنه أمر استحباب، إذ لو كان فريضة لَحُدَّ وقُدِّرَ، كما في سائر الحقوق.

وذهب قوم -منهم: مجاهد وابن سيرين-: إلى أنه أمر إيجاب[5].

ثم اختلف القائلون بالوجوب في والي اليتيم هل يرضخ من ماله؟

=

(ص:١٤٨)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٦٠-٢٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٨).

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦٨)، والدر المصون (٢/ ٣١٥).

(٢) انظر: معاني الأخفش (ص:١٥٣)، والوسيط (٢/ ١٥).

(٣) زيادة من الوسيط (٢/ ١٥).

(٤) رَضَخَ له من ماله: أعطاه. والرّضخ: العطاء القليل (اللسان، مادة: رضخ).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٤)، والثعلبي (٣/ ٢٦١) كلهم عن مجاهد.

فروي عن ابن سيرين عن عَبيدة السَّلْماني[١]: أنه فعله، وقال: لولا هذه الآية لفعلت ذلك من مالي، وفعل نحو ذلك ابن سيرين[٢].

وذهب قوم إلى أنها منسوخة بآية الميراث[٣].

والصحيح: أنها محكمة.

وفي الصحيحين عن ابن عباس، أنه قال: هي محكمة وليست بمنسوخة[٤]، ولكنها مما تهاون الناس بها.

وقال سعيد بن جبير: والله ما نُسِخت، ولكنها مما تهاون به الناس[٥].

﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات، والمساكين، واليتامى من العين -يريدان: الذهب والفضة- فإذا صارت القسمة إلى الأرض والرقيق، قالوا لهم قولاً معروفاً، كانوا يقولون لهم: بورك فيكم[٦].

---

(١) عَبيدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، تابعي كبير، مخضرم، فقيه. توفي قبل سنة سبعين (الثقات ٥/ ١٣٩، والتقريب ص:٣٧٩).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٤)، والثعلبي (٣/ ٢٦٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٢٢٤).

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٣٠٢)، والإيضاح لمكي (ص:٢١٠)، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص:٦٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٠١٤ ح٢٦٠٨). وهذا الحديث من أفراد البخاري، وليس في مسلم.

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٣)، والثعلبي (٣/ ٢٦٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠).

وقال سعيد بن جبير: إن كان الورثة كباراً دعوا لهم، وان كانوا صغاراً قال وليهم: لستُ أملك هذا المال، إنما هو لهؤلاء الصغار، فإذا بلغوا أمرناهم أن يعرفوا حقكم[1].

قوله: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً﴾ قال ابن عباس: كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: انظر لنفسك، فإن أولادك لا يغنون عنك من الله شيئاً، فيقدم جُلَّ ماله، وهذا قبل أن تكون الوصية بالثلث، فكره الله ذلك منهم، فأنزل هذه الآية[2].

والمعنى: ولْيَخَفِ الذين لو تركوا من خلفهم أولاداً صغاراً خافوا عليهم الفقر والضياع، فليتقوا الله إذا حضروا عند الميت، في ذريته وورثته، ﴿وليقولوا قولاً سديداً﴾ عَدْلاً بين الغلو والتقصير.

والسَدَاد والسَدَد والسديد بمعنى.

فانظر إلى هذا اللطف كيف هيَّج سبحانه وتعالى دواعي شفقة الحاضرين عند المُوصِي على ذُرِّيته وورثته، بتذكرهم موتهم، وتخليفهم ذُرِّية ضعافاً ليبعثهم على القول السديد بباعثَيْ الشرع والطبع.

وقيل: إن هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿ولا تأكلوها إسرافاً﴾، فيكون الخطاب لأولياء الأيتام، ذكَّرهم الله سبحانه ما يحبون لذُرِّيتهم الضِّعاف بعد موتهم، وما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٢٥)، والطبري (٤/ ٢٦٧). وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٦٢) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٦-٨٧٧)، والثعلبي (٣/ ٢٦٣). وذكره الواحدي في الوسيط (١/ ١٥).

يخافون عليهم، ليبعثهم على العدل في أموال الأيتام، الـذين هـم تحـت ولايـتهم، والنظر في مصالحهم، والقيام بواجب ما استرعاهم الله عليه.

فعلى هذا يكون المعنـى: وليقولـوا قـولاً سـديداً للأيتـام، لا يزجـروهم ولا ينهروهم ويخاطبونهم كما يخاطبون أولادهم بلطف وشفقة؛ جـبراً لكـسر يُتْمِهم وضعفهم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ قال مقاتل: نزلت في رجل من غطفان، يقال له: مرثد بن زيد، أكل مال ابن أخيه اليتيم[1].

﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ أي: ما يُفـضي بهـم إلى النـار. وخُـصَّ الأكـل بالذِّكْر، وإن كان غيره في معناه؛ لأنه معظم ما تذهب الأموال فيه. وذكر البطـون للتوكيد؛ كقوله: ﴿يطير بجناحيه﴾ [الأنعام:٣٨]، ﴿فويل لهم ممـا كتبـت أيـديهم﴾ [البقرة:٧٩].

قال السدي: يُبعث يوم القيامة ولهبُ النار يخرج من فيهِ وأُذنيه وعينيه، يعرفه مَن رآه بأكل مال اليتيم[2].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسْريَ بي قوماً لهـم مَـشَافر كمَـشَافر الإبل[3]، إحداهما قَالِصَة[4] عـلى منخريـه، والأخـرى عـلى بطنـه، وخزنـة النـار

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ٢٦٣). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٤٨).

(٢) أخرجـه الطـبري (٤/ ٢٧٣)، وابـن أبي حـاتم (٣/ ٨٧٩). وذكـره الـسيوطي في الـدر المنثـور (٢/ ٤٤٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) المشافر: جمع مِشْفَر، والمِشْفَر للبعير كالشَّفة للإنسان (اللسان، مادة: شفر).

(٤) قَلَصَتْ شفته: شَمَّرت ونقصت (اللسان، مادة: قلص).

يُلْقِمُونهم جَمْر جهنم وصخرها، ثم يخرج من أسافلهم، فقلت: يا جبريل؛ من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»(١).

وقوله: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر: «وَسَيُصْلَوْنَ»، بضم الياء(٢).

والسَّعير: النار المشتعلة، والمعنى: سَيُقَاسُونَ حَرَّ السَّعير.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾

قوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾؛ أخبرنا الشيخان أبو القاسم بن عبد الله العطار، وعلي بن رُوزبة الصوفي، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد بن حمويه، أخبرنا الفربري، أخبرنا البخاري، أخبرنا

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٩)، والثعلبي (٣/ ٢٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩١)، والكشف (١/ ٣٧٨)، والنشر (٢/ ٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٧).

إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم [قال][(١)]: أخبرني ابن المنكدر، عن جابر: قال: «عَادَنِي النبي ﷺ وأبو بكر في بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْن، فَوَجَدَنِي النبي ﷺ لا أَعْقِلُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْه، ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ الله؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يُوصِيكُمْ الله فِي أَوْلادِكُمْ﴾»[(٢)].

هذا حديث اتفق أئمة الإسلام على إخراجه في كتبهم، فأخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، وأبو داود في سننه، والترمذي في جامعه.

وقد أخرج أبو داود أيضاً، والترمذي من حديث جابر: «أَنَّ امْرَأَة سَعْدِ بْنِ الرَّبيعِ جَاءَتْ بِابْنَتَيْهَا إِلَى رَسُول الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله؛ هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخذ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مالاً، والله لاَ يُنْكَحَانِ أبداً إِلا وَلَهُمَا مَالٌ، فَمَا تَرَى يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: يَقْضِي الله فِي ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: ادْعُوا لِي المَرْأَةَ وَصَاحِبَهَا، فَقَالَ لِلعَمّ: أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْد الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ»[(٣)].

ومعنى «يوصيكم الله»: يعهد إليكم ويأمركم، "في أولادكم" أي: في شأن ميراثهم.

ثم فَصَّلَ ما أَجْمَلَ فقال: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

---

(١) زيادة من الصحيح (٤/ ١٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٦٩ ح٤٣٠١)، ومسلم (٣/ ١٢٣٥ ح١٦١٦)، وأبو داود (٣/ ١١٩ ح٢٨٨٦)، والترمذي (٤/ ٤١٧ ح٢٠٩٧)، وأحمد (٣/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ١٢١ ح٢٨٩٢)، والترمذي (٤/ ٤١٤ ح٢٠٩٢).

﴿فإن كُنَّ﴾ يعني: المتروكات، أو الوارثات، ﴿نساءً﴾ خُلَّصاً، لا ذَكَر معهن، ﴿فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ أجمعت الأُمَّة على أن لما فوق الثنتين الثلثين، وأما الثنتان فكذلك في قول عامة أهل العلم، إلا ابن عباس، فإنه اعتصم بظاهر الآية، ولم يعط الثُلُثين إلا لأكثر من ثنتين.

قال القاضي أبو يعلى[1]: إنما نص على ما فوق الاثنتين، والواحدة، ولم ينص على الاثنتين، لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثُلُث كان لها مع الأنثى الثُلُث أولى.

وقال غيره: ذكر الفوق زائد؛ كقوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ [الأنفال:١٢].

قوله: ﴿وإن كانت واحدة﴾ وقرأ نافع: «واحدةٌ» بالرفع[2].

فمَن نَصَبَ فعلى معنى: فإن كانت الوارثة أو المتروكة واحدة.

ومَن رَفَعَ فعلى معنى: فإن وقعت وحدثت واحدة ﴿فلها النصف﴾.

قوله: ﴿ولأبويه﴾ يعني: لأبوي الميت، فيكون كناية عن غير مذكور، والمراد: الأب والأم فغُلِّب أحدهما، كالقَمَرَيْن والعُمَرَيْن.

وقيل: القياس أن يقال: أب وأبة؛ كابن وابنة، لكنهم اكتفوا بلفظ الأم، فلما ثُنِّي، رجع إلى القياس، وغُلِّب الأب للتذكير، أو للخِفَّة.

---

(١) انظر: زاد المسير (٢/ ٢٦).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٢)، والكشف (١/ ٣٧٨)، والنشر (٢/ ٢٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٧).

فصل

اعلم أن للأب ثلاثة أحوال:

١ - حال: يرث فيها السُدُس بالفرض، وهي مع ذكور الولد[١]، وولد الابن.

٢- وحال: يرث فيها بالتعصيب، وهي مع عدم الولد.

٣- وحال: يجتمعان له، وهي مع إناث الولد، يرث السُدُس بالفرض، والباقي بالتعصيب.

فصل

وللأم أربعة أحوال:

١ - حال: ترث فيها السُدُس، وهي مع اثنين فصاعداً من الإخوة والأخوات، ومع الولد أو ولد الابن. وكان ابن عباس لا يحجبها من الثُلُث بأقل من ثلاثة من الإخوة والأخوات[٢]، وهو ظاهر القرآن.

٢- وحال: ترث فيها الثُلُث، وهو مع عدم هؤلاء.

٣- وحال: ترث فيها ثُلُث الباقي، وذلك في العمريتين، وهما: زوج وأبوان، وامرأة[٣] وأبوان، للأم ثُلُث الباقي بعد فرض الزوجين، وهو قول عامة أهل العلم، إلا ابن عباس، فإنه يجعل لها ثلث جميع المال[٤]، وتابعه

---

(١) الولد المراد به: الابن والبنت.

(٢) انظر: الطبري (٤/ ٢٧٨)، وسنن البيهقي (٦/ ٢٢٧).

(٣) أي: زوجة.

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٢٢٨ ح١٢٠٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٤٤٦) وعزاه للبيهقي وعبد الرزاق.

شريح[١] وداود[٢].

٤- وحال رابعة؛ وهي: إذا نفي ولدها باللعان، فإنه ينقطع نسبه من جهة مَن نفاه، فلا يرثه هو، ولا أحد من عصباته، وترث هي وذوو الفروض منه فروضهم، فما أبقت الفروض ورثته الأم بالتعصيب في قول ابن مسعود، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وهي اختيار[٣] صاحبنا أبي بكر عبد العزيز[٤].

وقال علي رضي الله عنه: عصبته عصبة أمه، وهي الرواية الأخرى عن الإمام أحمد، وهي اختيار[٥] الخرقي[٦].

---

(١) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم سنان، قاضي الكوفة، ويقال: شريح بن شراحيل، أو ابن شرحبيل، أبو أمية، ممن أسلم في حياة النبي ﷺ، وانتقل من اليمن زمن الصدّيق. توفي سنة ثمان وسبعين، وقيل: سنة ثمانين (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠).

(٢) داود بن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني. رئيس أهل الظاهر. ولد سنة مائتين، كان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً، وكان في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان. توفي سنة سبعين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧، وطبقات الحفاظ ١/ ٢٥٧).

(٣) انظر: المغني (٦/ ٢٢٥)، والتمهيد (١٥/ ٤٥)، والمهذب (٢/ ٣٠)، وكشاف القناع (٤/ ٤١٨).

(٤) عبد العزيز بن بن جعفر بن أحمد البغدادي، أبو بكر، المعروف بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان، صنَّف وجمع وناظر. توفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ١١٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٩).

(٥) انظر: مختصر الخرقي (ص:٧٧)، والتمهيد (١٥/ ٤٥)، والمغني (٦/ ٢٢٥)، والإنصاف (٧/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٦) عمر بن الحسين بن عبدالله الخرقي البغدادي، أبو القاسم، صاحب المصنفات الكثيرة، وصاحب المختصر المشهور في مذهب الإمام أحمد. توفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٥).

فإن قيل: أي فائدة في قوله: ﴿وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾ وهَلاَّ قال: "فإن لم يكن له ولد فلأمه الثُلُث"؟

قلت: المعنى: وورثه أبواه فحسب، لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثُلُث الباقي، كما ذكرته آنفاً.

قوله: ﴿فلأمه الثُلُث﴾ قرأ حمزة والكسائي: «فَلإِمِّهِ» بكسر الهمزة، ومثله: ﴿فِي أُمِّهَا﴾ [القصص:٥٩]، و﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل:٧٨]، حيث جاء، إذا كان قبل الهمزة كسرة، أو ياء، اتباعاً لما قبلها، وتفرد حمزة بكسر الميم أيضاً مع الهمزة في الجمع. وقرأ الباقون بضم الهمزة، واتفقوا على ضم الهمزة في الابتداء[1].

ومعنى الكلام: فلأمه الثُلُث، والباقي للأب بالتعصيب.

قوله: ﴿فإن كان له إخوة﴾ يريد من أي جهة كانوا ذكوراً أو إناثاً، وقد ذكرنا اختلافهم في حجب الأم من الثُلُث إلى السُدُس بالأخوين آنفاً.

قوله: ﴿من بعد وصية﴾ أي: قسم الميراث على الوجه المذكور إنما يكون بعد تنفيذ وصية الميت وقضاء دَيْنه.

قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: «يوصَى» بفتح الصاد في الموضعين، إلا حفصاً، فإنه قرأ «يوصِي» الأول بالكسر، وقرأ الباقون بالكسر فيهما[2].

قوله: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ المعنى: لا تعلمون

---

(١) الحُجّة للفارسي (٢/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٢)، والكشف (١/ ٣٧٩)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٧-٢٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٣)، والكشف (١/ ٣٨٠)، والنشر وإتحاف فضلاء البشر، الموضعان السابقان، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٨).

أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، فتقسموا أموالكم فيهم على حسب علمكم بمقادير نفعهم لكم، ففرض الله مقادير الأنصباء للأقرباء بحكمته وعلمه.

﴿فريضةً من الله﴾ نَصْبٌ على المصدر[1].

﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ فيما فرض لكم.

قال سيبويه: كأن القوم شاهدوا علماً وحكمة، فقيل لهم: إن الله كان كذلك، أي: لم يزل على ما شاهدتم، ليس ذلك بحادث[2].

حكى الزجاج[3]: أن لفظة «كان»، في الخبر عن الله يتساوى ماضيها ومستقبلها، لأن الأشياءَ عنده على حالة واحدة.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦٩)، والدر المصون (٢/ ٣٢٣).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٢/ ٢٥)، وزاد المسير (٢/ ٢٩-٣٠).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٢٥).

قوله[١]: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ هذا فرض الزوج من تركة زوجته عند عدم ولدها، وولد ابنها منه، أو من غيره. وفرضه: الربع مع وجود ولدها، أو ولد ابنها منه أو من غيره، وفرض الزوجة من الزوج على النصف من ذلك في الحالين، وللزوجات من الزوج الواحد إذا اجتمعن ما للزوجة إذا انفردت من الربع أو الثُّمُن.

قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ اعلم أن هذه الآية في شرح توريث الكلالة، وهم الذين يُنسبون إلى الميت بواسطة، وللعلماء في الكلالة اختلاف، ومقصود الكلام فيها يحصره فصول نظمها بعضهم فقال:

الفصل الأول:

كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة:

فاختيار أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه: أنها عبارة عمَّن سوى الوالد والولد، وهو الصحيح. وبه قال عليّ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وقتادة، والفرَّاء[٢].

وأما عمر رضي الله عنه فكان يقول: الكلالة: مَن سوى الولد. وهو قول طاوس.

وقال الحكم: الكلالة: ما عدا الولد، وقيل: بنو العم الأباعد.

وقال عطية: الإخوة من الأم.

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الخامس والعشرين، مرة ثانية.

(٢) معاني الفراء (١/ ٢٥٧).

وروي عن عمر: أنه قال -لما طُعِنَ-: كنت أرى أن الكلالة: مَن لا ولد له، وأنا أستحي أن أخالف أبا بكر، الكلالة: مَن عدا الوالد والولد.

وروي عن عمر أيضاً: التوقف، وكان يقول: ثلاثة لأن يكون بيَّنهن رسول الله لنا أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، والربا[١].

والدليل على صحة قول أبي بكر وجوه:

الأول: التمسك باشتقاق لفظ الكلالة، وفيه وجوه:

الأول: يقال: كَلَّت الرحم بين فلان وفلان؛ إذا تباعدت القرابة، وحمل فلان عن فلان، ثم كَلَّ عنه؛ إذا تباعد، فسمِّيت القرابة البعيدة: كلالة من هذا الوجه.

الثاني: يقال: كَلَّ الرَّجُلُ كَلالَةً وكَلالاً؛ إذا أَعْيا وذهبت قوّته[٢]، ثم جعلوا هذا اللفظ استعارة من القرابة الحاصلة، لا من جهة الولاد، وذلك لأنَّا بيّنا أن هذه القرابة حاصلة بواسطة الغير، فيكون فيها ضعف، وبهذا يظهر أنه يبعد إدخال الوالد في الكلالة، لأن انتسابه إلى الميت بغير واسطة.

الثالث: الكلالة في أصل اللغة: عبارة عن الإحاطة، ومنه: الإكليل[٣] لإحاطته بالرأس، ومنه: الكلّ، لإحاطته بما يدخل فيه، ويقال: تكَلَّلَ السحاب؛ إذا صار محيطاً بالجوانب[٤].

---

(١) انظر ما سبق في: تفسير الطبري (٤/ ٢٨٣) وما بعدها، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧)، وسنن البيهقي الكبرى (٦/ ٢٢٤) وما بعدها.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (كلل).

(٣) الإكليل: شبه عصابة تزين بالجوهر، ويسمى التاج إكليلاً، وكلله تكليلاً: ألبسه الإكليل (مختار الصحاح، مادة: كلل).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (كلل).

إذا عرفت هذا فنقول: مَن عدا الوالد والولد، إنما سمُّوا بالكلالة؛ لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان، وكالإكليل المحيط برأسه، أما قرابة الولاد فليست كذلك، فإن فيها يتفرع البعض عن البعض، ويتولد البعض من البعض؛ كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد، ولهذا قال الشاعر:

نسب تتابع كابراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب(١)

فأما القرابة المغايرة لقرابة الولاد، وهي كالإخوة والأخوات والأعمام والعمّات، فإنما يحصل لنسبهم اتّصال، وإحاطة بالمنسوب إليه. فثبت بهذه الوجوه الاشتقاقية: أن الكلالة عبارة عمّن عدا الوالد والولد.

الحُجَّة الثانية: أنه تعالى ما ذكر لفظ الكلالة في كتابه إلا في هذه السورة في موضعين: أحدهما في هذه الآية، والثاني في آخر السورة، وهو قوله: ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ [النساء:١٧٦]، واحتج عمر بن الخطاب بهذه الآية على أن الكلالة: مَن لا ولد له فقط، قال: لأن المذكور هنا في تفسير الكلالة هو: أنه ليس له ولد، إلا أنَّا نقول: هذه الآية تدل على أن الكلالة من لا والد له ولا ولد، وذلك لأن الله حكم بتوريث الإخوة والأخوات حال كون الميت كَلالة، ولا شك أن الإخوة والأخوات لا يرثون حال وجود الأبوين، فوجب أن لا يكون الميت كلالة، حال وجود الأبوين.

الحُجَّة الثالثة: أنه تعالى ذكر حكم الولد والوالد في الآيات المتقدمة، ثم أتبعها

(١) البيت للبحتري، وهو في: خزانة الأدب، الشاهد الثالث والعشرون، والمنتحل للثعالبي، باب التهاني والتهادي وما يجري مجراهما.

بذكر الكلالة. وهذا الترتيب يقتضي أن تكون الكلالة: مَن عدا الوالد والولد.

الحُجّة الرابعة: قول الفرزدق[١]:

وَرِثْتُم قَنَاةَ المَجدِ، لاَ عَنْ كَلالَةٍ ... عَنِ ابْنَيْ مَنَافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ[٢]

دَلَّ هذا البيت على أنهم ما ورثوا المُلك عن الكلالة، ودَلَّ على أنهم ورثوه عن آبائهم. وهذا يوجب أن لا يكون الأب داخلاً في الكلالة.

الفصل الثاني:

اعلم أن الكلالة قد تُجعل وصفاً للوارث، وللموروث، فإذا جعلناها وصفاً للوارث، فالمراد: مَن سوى الولد والوالد. وإذا جعلناها وصفاً للموروث، فالمراد: الذي يرثه مَن سوى الوالد والولد.

أما بيان أن هذا اللفظ مستعمل في الوارث. فالدليل عليه: ما روى جابر بن عبد الله قال: «مرضت مرضاً أشفيت[٣] منه على الموت، فأتاني النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله؛ إني رجل لا يرثني إلا كلالة»[٤]، وأراد به: أنه ليس له لا والد ولا ولد.

---

(١) همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس البصري، الشهير بالفرزدق، شاعر، من النبلاء، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. توفي سنة عشر ومائة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠، والأعلام ٨/ ٩٣).

(٢) البيت للفرزدق من قصيدته في قتل مسلم بن قتيبة. انظر: ديوانه (ص:٦٢) وروايته: (ورثتم قناة المُلك غير كلالة). وانظر البيت في: اللسان، مادة: (كلل)، والقرطبي (٥/ ٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٧)، والدر المصون (٢/ ٣٢٤).

(٣) أشفيت: أي: أشرفت (اللسان، مادة: شفي).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٤٨ ح٥٣٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢٣٥ ح١٦١٦).

وقال بعض الأعراب: مالي كثير ويرثني كلالة متراخي نسبهم[١].

وأما أنه مستعمل في الموروث، فالبيت الذي رُوِّيناه عن الفرزدق، فإن معناه: إنكم ما ورثتم المُلك عن الأعمام، بل عن الآباء فسمِّي العمّ كلالة، وهو هاهنا موروث لا وارث.

إذا عرفت هذا فنقول: المراد من الكلالة في هذه الآية: الميت الذي لا يخلِّف الوالد والولد، لأن هذا الوصف إنما كان معتبراً في الميت الذي هو الموروث، لا في الوارث الذي لا تختلف حاله بسبب أن له ولداً أو والداً أو لا[٢].

الفصل الثالث:

يقال: رجل كلالة، وامرأة كلالة، وقوم كلالة، لا يثنى ولا يجمع، لأنه مصدر كالدلالة، والوكالة.

إذا عرفت هذا فنقول: إذا جعلناها صفة للوارث أو الموروث كان بمعنى ذي كلالة، كما تقول: فلان من قرابتي، تريد من ذوي قرابتي.

وقيل: يجوز أن يكون صفة؛ كالهَجاجة والفَقَاقَة للأحمق[٣].

الفصل الرابع:

قوله: «يُورَثُ» فيه احتمالان:

---

(١) انظر: الطبري (٤/ ٢٨٦)، وزاد المسير (٢/ ٣٢).

(٢) أي: لا والد ولا ولد.

(٣) الهَجاجةُ: الهَبْوَةُ التي تَدْفِنُ كلَّ شيءٍ بالتراب (اللسان، مادة: هجج).
والفقاقة والفَقْفاق: الكثير الكلام الذي لا غَنَاء عنده (اللسان، مادة: فقق).

(الأول): أن يكون ذلك مأخوذاً من وَرِثَ الرَّجُل يُورَثُ، وعلى هذا التقدير يكون الرجل هو الموروث منه.

وفي انتصاب «كلالةً» وجوه:

أحدها: النصب على الحال، والتقدير: يُورَثُ حال كونه كلالة، فالكلالة مصدر وقع موقع الحال، والتقدير: يورث متكلل النسب.

وثانيها: أن يكون قوله: «يُورَثُ» صفة لـ"رَجُل" و"كَلالةً" خبر كان، والتقدير: وإن كان رجل موروث منه كلالة.

والثالث: أن يكون مفعولاً له، أي: يورث لأجل كونه كلالة[1].

(والاحتمال الثاني): قوله: «يُورَثُ» يحتمل أن يكون مأخوذاً من وَرِثَ يَرِثُ، وعلى هذا التقدير يكون الرجل هو الوارث.

وانتصاب «كلالة» على هذا التقدير أيضاً يكون على الوجوه المذكورة.

الفصل الخامس:

قرأ الحسن البصري وأبو رجاء العطاردي[2]: «يورّث» بالتخفيف والتشديد، على البناء للفاعل[3].

قوله تعالى: ﴿وله أخ أو أخت﴾ يعني: من الأم بالإجماع، وقد صرحت بذلك

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٦٩-١٧٠)، والدر المصون (٢/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٢) عمران بن مِلْحان البصري، أبو رجاء العطاردي، من كبار المخضرمين، أسلم بعد فتح مكة. توفي سنة خمس ومائة، وله مائة وعشرون سنة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٣، والتقريب ص:٤٣٠).

(٣) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٧)، والقراءات الشواذ للقاضي (ص:٣٨).

قراءة سعد بن أبي وقاص، وأُبَيّ بن كعب[١].

﴿فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ ذكَرهم وأنثاهم فيه سواء، ولا يسقط ولد الأم[٢] أخاً كان أو أُختاً إلا بأربعة: الأب، والجد وإن علا، والولد، وولد الابن وإن نزل.

قوله: ﴿غير مُضارٍّ﴾ حال[٣]، والمعنى: غير مُدْخِل للضرر على ورثته بوصية لم يأذن الشرع فيها، أو إقرار بدَيْن لا يلزم، ﴿والله عليم﴾ بالعادل في وصيته، ﴿حليم﴾ عن الجائر، إذ لم يعاجله بالعقوبة.

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

قوله: ﴿تلك﴾[٤] إشارة إلى ما شرع من الأحكام في اليتامى، والميراث، والوصايا، ﴿حدود الله﴾ سبق تفسيرها.

﴿ومن يُطِعِ الله ورسوله﴾ فيما أمر به ونهى عنه من هذه الأحكام وغيرها.

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٨)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٢٣).

(٢) المراد به: الأخ لأم.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٧٠)، والدر المصون (٢/ ٣٢٦).

(٤) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثاني عشر.

﴿يدخله جنات﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «نُدْخِلْهُ» بالنون في الموضعين[١].

وانتصب "خالدين"، و"خالداً" على الحال من الهاء في «يُدْخِلْهُ»، والتقدير: نُدْخِلْهُ مقدِّرين الخلود فيها، تقول: مررتُ برجل معه بازي[٢] صائداً به غداً، أي: مقدِّراً للصيد غداً.

وإنما جمع «خالدين» حملاً على معنى «مَن»، ووحَّد «خالداً» حملاً على لفظها.

وإنما أوجب له الخلود لتعدِّيه الحدود بالجحود.

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذا أَوْصَى حَافَ في وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بشَرِّ عَمَلِهِ، [فَيَدْخُلُ النَّارَ][٣]، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً، فَيَعْدِلُ في وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بخَيْرِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ. قال: ثم يقول أبو هريرة: وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ الله ... -إِلَى قَوْلِهِ-: عَذَابٌ مُهِينٌ﴾»[٤].

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ۝١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٣)، والكشف (١/ ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٨).

(٢) البازي: طائر من فصيلة الصقر، وهو من أشد الحيوانات تكبراً وأضيقها خلقاً (حياة الحيوان للدميري ١/ ١٢٨).

(٣) زيادة من المسند (٢/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٨ ح٧٧٢٨).

فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ قال الزجاج[١]: «التي» تُجْمَع اللاتي، واللواتي. قال الشاعر:

من اللَّواتي والتي واللاَّتي زَعَمْنَ أَنِّي كَبرْتُ لِدَاتِي[٢]

ويجمع «اللاتي» بإثبات الياء وحذفها.

قال الشاعر:

من اللاتي لم يحججن يبغينَ حِسْبَةً ولكن ليقتلن البريء المغفّلا[٣]

والفاحشة: الزنا، سُمِّيَ بذلك؛ لظهور قبحه.

﴿فاستشهدوا عليهن﴾ خطاب للحُكَّام ﴿أربعة منكم﴾ يعني: من المسلمين.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما جَعَلَ الله الشهود أربعة سِتراً ستركم به دون فواحشكم[٤].

﴿فأمسكوهن في البيوت﴾ أي: احبسوهن ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾.

فإن قيل: التوفي والموت واحد، فكيف نسب الفعل إليه؟

قلت: فيه إضمار، تقديره: حتى يتوفاهن مَلَك الموت، أو يكون المعنى: حتى

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٢٨).

(٢) البيت لم أعرف قائله. وانظره في: اللسان (مادة: لتا)، ومجاز القرآن (١/ ١١٩)، وخزانة الأدب (٦/ ٨٠)، والقرطبي (١/ ٢٣٥)، وزاد المسير (٢/ ٣٤).

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة، ولم أجده في ديوانه. وانظره في: مجاز القرآن (١/ ١٢٠)، وزاد المسير (٢/ ٣٤)، والقرطبي (٥/ ١٠٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٧/ ٣٧٤)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٣٠).

يأخذهن الموت ﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾.

قوله[١]: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ "اللذان" تثنية: الذي، ويريد: الزاني والزانية.

وابن كثير يُشَدِّد النون هنا، وفي «هـذان» في طـه[٢]، والحـج[٣]، و"هـاتين" في القصص[٤]، «فَذانِكَ»[٥] في القصص أيضاً، و"اللَّذيْن" في السجدة[٦]. وافقـه أبـو عمرو في «فَذانِكَ». وقرأ الباقي كالباقين بالتخفيف على الأصل[٧].

وحُجَّةُ مَن شدَّد النون في هذه المواضع: الفرق بالتشديد بين النون التي تُحذف للإضافة، وبين النون التي لا تُحذف للإضافة، لأن المبهم معرفة؛ فهـو لا يُـضاف ألبتة.

وقيل: التشديد لهذه النون؛ للفرق بين النـون التـي هـي عـوض مـن تنـوين ملفوظ به في الواحد، نحو: زيد وعمرو، والتي لا تنـوين في الواحـد ملفـوظ بـه

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس السادس والعشرين، مرة ثانية.

(٢) طه: ٦٣، في قوله تعالى: ﴿إنْ هذان لساحران﴾.

(٣) الحج: ١٩، في قوله تعالى: ﴿هذان خصمان﴾.

(٤) القصص: ٢٧، في قوله تعالى: ﴿إحدى ابنتيّ هاتين﴾.

(٥) القصص: ٣٢، في قوله تعالى: ﴿فذانك برهانان من ربك﴾.

(٦) يريد سورة فصلت الآية: ٢٩، في قوله تعالى: ﴿أرنا اللذين أضلانا﴾، وتسمى سورة السجدة.

(٧) الحجة للفارسي (٢/ ٧١)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:١٩٣-١٩٥)، والكشف (١/ ٣٨١-٣٨٢)، والنـشر (٢/ ٢٤٨)، وإتحـاف فـضلاء البـشر (ص:١٨٧)، والـسبعة في القـراءات (ص:٢٢٩).

تكون النون عوضاً منه.

وقيل: جعل التشديد عوضاً من الحذف الذي لحق الكلمة، ألا ترى أن قولهم: «ذا» قد حذف لامها، وقد حذفت الياء من «اللذان» و"هذان"، وكان حقهما في التثنية: "اللذيان" و"هاذيان"، فجعل التشديد فيه عوضاً من المحذوف عنه في التثنية.

"فآذوهما": قال ابن عباس: بالتوبيخ، والتعيير، والضرب بالنعال[1].

﴿فإن تابا﴾ من الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ العمل بعد ذلك ﴿فأعرضوا عنهما﴾ أي: عن أذاهما.

فصل

كان حكمُ الزانية في صدر الإسلام أن تُحْبَس في البيت حتى تموت، وحكم الزاني أن يُؤذى، كما قال ابن عباس، فنُسخ الحكمان في حقهما.

واختلفوا في الناسخ:

فذهب جماعة من المفسِّرين إلى أنه نسخ بحديث عبادة بن الصامت،

وهو ما أخبرنا به الشيخان، شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن[2] ببغداد، قال كل واحد منهما: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢٩٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٥-٨٩٦)، والثعلبي (٣/ ٢٧٢).

(٢) محمد بن سعيد بن أبي البقاء الموفق الخازن النيسابوري البغدادي، من رواة مسند الشافعي، كان من جلة الصوفية. توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢٦).

المقدسي[١]، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكَرْجي[٢]، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري[٣]، أخبرنا أبو العباس الأصم[٤]، أخبرنا الربيع[٥]، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب[٦]، عن يونس[٧]، عن الحسن، عن عبادة بن الصامت، أن النبي ﷺ قال: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنَّ سبيلاً، البِكْر بالبِكْر جلد مائة وتغريب عام، والثيِّبُ بالثيِّب جلد مائة والرَّجم»[٨].

---

(١) طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي الرازي، أبو زرعة الشيباني. المحدث، تفرد بالكتب والأجزاء. توفي سنة ست وستين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٣، والشذرات ٤/ ٢١٧).

(٢) مكي بن منصور بن محمد بن علان، أبو الحسن الكرجي، المعروف بالسلار، كان جليل القدر نافذ الأمر محبوباً. توفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٧١، والتقييد ص:٤٥١).

(٣) تقدمت ترجمته (ص:٢٥٩).

(٤) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل النيسابوري، أبو العباس الورَّاق، المعروف بالأصم، الإمام المحدث مسند العصر رحلة الوقت. توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٨٦٠).

(٥) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار، أبو محمد المرادي، المؤذن بجامع الفسطاط، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه. توفي سنة سبعين ومائتين (طبقات الشافعية للأسنوي ١/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧).

(٦) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي، أبو محمد البصري، يروي عن يحيى بن سعيد الأنصاري وحميد الطويل. توفي سنة أربع وتسعين ومائة (سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٣٧، والثقات ٧/ ١٣٢).

(٧) يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبدالله البصري، مولاهم، من صغار التابعين وفضلائهم. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨٨، والثقات ٧/ ٦٤٧).

(٨) أخرجه الشافعي في مسنده (ص:١٦٤).

قال الشافعي[١]: وقد حدثني الثقة[٢]: أن الحسن كان يُدخل بينه وبين عبادة، حطان الرقاشي[٣]، ولا أدري أدخله عبد الوهاب فزلَّ كتابي أو لا.

قلت: الحديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه[٤]، عن يحيى بن يحيى، عن هشيم، عن منصور، عن الحسن، عن حِطَّان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة.

وهذا القول ليس بسديد؛ لأن أخبارَ الآحاد لا تنسخ القرآن الثابت بالتواتر[٥].

وقد اختلفوا في خبر التواتر هل ينسخ القرآن؟

فذهب أكثر الفقهاء من الشافعية والحنابلة وأهل الظاهر إلى امتناع ذلك[٦].

قال الإمام أحمد: لا ينسخ القرآن إلا قرآن يجيء بعده[٧].

وإلى هذا أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت»، وكانت روت عن النبي ﷺ حديثاً يخالف ظاهر القرآن[٨].

---

(١) مسند الشافعي (ص:١٦٤).

(٢) هو: يحيى بن حسان.

(٣) حطان بن عبد الله الرقاشي، بصري تابعي ثقة (معرفة الثقات ١/ ٣٠٨، والجرح والتعديل ٣/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦ ح١٦٩٠).

(٥) البرهان للجويني (٢/ ٨٤٣)، والتبصرة للشيرازي (ص:١٤٠).

(٦) انظر: الرسالة للشافعي (ص:١٠٨)، والبرهان للجويني (٢/ ٨٥١)، والأحكام للآمدي (٣/ ١٦٨)، والتبصرة (ص:٢٦٤).

(٧) انظر: العدة لأبي يعلى (٢/ ٦٨١)، والتمهيد لأبي الخطاب (٢/ ٣٦٩).

(٨) وهو حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها طلاقاً بائناً، فذهبت إلى النبي ﷺ تطالب زوجها بالنفقة، فقال لها النبي ﷺ: «ليس لكِ عليه نفقة» (أخرجه مسلم ٢/ ١١١٤ ح١٤٨٠).

وذهب أبو حنيفة ومالك إلى جواز ذلك[1].

والصحيح: أن حديث عبادة مبيِّن للسبيل لا ناسخ.

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾: البكران، ثم نُسِخَ بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾[2] [النور:٢].

والذي يقتضيه البحث الصحيح: ظهور العموم في الثيِّب والأبكار، فنُسِخ في حق البكر بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾، ونُسِخ في حق الثيِّب بوحي رفع رسمه، وبقي حكمه.

وإلى هذا أشار عمر بن الخطاب بقوله على المنبر يوم الجمعة مع توافر المهاجرين والأنصار: «إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلُّوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على مَن زنا، إذا أُحصن من الرجال والنساء»[3].

والذي يدُلُّك على أن هذا هو الصحيح، وأن الحبس والأذى كان حكماً للبكْر والثيِّب، قوله عليه السلام: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنَّ

(١) انظر: اللمع للشيرازي (١/ ٥٩)، والفصول في الأصول (٢/ ٣٢١)، والأحكام للآمدي (٣/ ١٥٩)، وروضة الناظر (ص:٨٤).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٣٠٦) وما بعدها، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٦٨-٦٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٦٢-٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٠٣ ح٦٤٤٢)، ومسلم (٣/ ١٣١٧ ح١٦٩١).

سبيلاً...»[١]، فبيَّن السبيل في حق البكْر والثيِّب، فدلَّ على أن الحكم المنسوخ كان متناولاً لهما.

فصل

وقد دلَّ قوله: ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ أن التوبة تُسقط ما كان واجباً عليهما بسبب الفاحشة، وهذا كان مخصوصاً بذلك الحكم وفرعاً عليه، فزال بزوال أصله.

وأما الحكم اليوم: فإن الزاني لا يسقط عنه الحد إذا وجب عليه بالتوبة على الصحيح، من أقاويل العلماء.

فصل

قال صاحب الكشاف[٢]: يجوز أن تكون الآية غير منسوخة، بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوماً بالكتاب والسُّنَّة، ويوصي بإمساكهنَّ في البيوت بعد أن يحددن، صيانة لهنَّ عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت [والتعرض للرجال][٣]، ﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ هو النكاح الذي يستعففن به عن السفاح.

قلت: وهذا قول ظاهر البطلان لوجهين:

أحدهما: أنه على خلاف ما عليه علماء التفسير من الصحابة فمن بعدهم.

الثاني: أنه فسَّر السبيل بالنكاح، وهذا مصادم لتفسير النبي ﷺ في حديث عبادة، فيكون مُطَّرَحاً؛ لمناقضته تفسير النبي ﷺ.

---

(١) سبق تخريجه (ص:٤٥١).

(٢) الكشاف (١/ ٥١٨).

(٣) زيادة من الكشاف (١/ ٥١٨).

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله﴾ أي: إنما قبول التوبة على الله، أو يكون المعنى: إنما التوبة المقبولة عند الله.

﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ ليس المراد بالجهالة هاهنا عدم العلم بكون ما أتى به من المعصية ذنباً، فإن مَن كان بهذه المثابة معذور بسبب جهله.

وإنما المعنى: يعملون السوء جاهلين سفهاء، فيكون موضع قول: «بجَهَالَـةٍ» النصب على الحال[1].

قال مجاهد: كل عاص فهو جاهل حين معصيته[2].

وقال الزجاج[3]: آثروا العاجل بالآجل فَسُمُّوا جُهَّالاً.

﴿ثم يتوبون من قريب﴾ قال ابن عباس: قبل أن ينزل به سلطان الموت[4]،

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٧)، ومجاهد (ص:١٤٩)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٠٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٢٨).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٨).

وذلك بمعاينة المَلَك.

وقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده، بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال: «تُقْبَلُ تَوْبَةُ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ بنفَسِه»[١].

﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ وعدٌ من الله الكريم بقبول التوبة.

قوله: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ قال ابن عباس: يريد: الشرك[٢].

وقال أبو العالية[٣] وسعيد بن جبير: النفاق[٤].

والأظهر في نظري: أنها سيئات المسلمين، لأن الكلامَ في الزانيين والإعراض عنهما. وهو قول سفيان الثوري[٥]، واحتج بقوله: ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾.

قوله: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ أي: نزل به سلطانه، وعاين الملائكة، ﴿قال إني تبت الآن﴾ فحينئذ لا تُقبل توبته، لأنه يصير مضطراً. والقبول يتوقف على الإيمان الاختياري، والتوبة الاختيارية.

وقد روي أن لقمان عليه السلام قال لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة، فإن مَلَك

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٣ ح٦٤٠٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٠١). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦١) وعزاه لابن جرير.

(٣) رُفَيع بن مهران، أبو العالية الرِّياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، من كبار التابعين. توفي سنة تسعين (سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، والإصابة ٢/ ٥١٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٨).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٣٠٣-٣٠٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٨).

الموت يأتي بغتة(١).

﴿أولئك أعتدنا﴾ قال أبو عبيدة(٢): أَفْعَلْنا، مِنَ العَتاد.

وقيل: إن التاء بدل من الدال. والمعنى: هَيَّأْنا لهم ﴿عذاباً أليماً﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ
قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ
تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: «كُرْهاً» بضم الكاف، هنا وفي التوبة(٣)، والأحقاف(٤)، وفتحه

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٤٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٦) وعزاه لعبد الله في زوائده والبيهقي.

(٢) مجاز القرآن (١/ ١٢٠).

(٣) التوبة: ٥٣، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾.

(٤) الأحقاف: ١٥، في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾.

الباقون، غير أن ابن ذكوان وعاصماً وافقاهما على الضم في الأحقاف خاصة[1]، وهما لغتان مشهورتان كالفَقْر والفُقْر، الضَّعْف والضُّعْف.

وقد أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن ابن عباس في قوله: «﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ قَالَ: كَانُوا إِذا مَاتَ الرَّجُلُ، كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة»[2].

قال السدي: إنما كان ذلك للأولياء، ما لم تسبق المرأة فتذهب إلى أهلها، فإن ذهبت فهي أحق بنفسها[3].

فعلى هذا القول، المعنى: لا يحل لكم أن ترثوا نكاح النساء، وهو قول جمهور العلماء والمفسِّرين.

وقد روي عن ابن عباس أيضاً، قال: كان يُلْقِي حميمُ الميت على الجارية ثوباً، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها، فأنزل الله هذه الآية[4].

فيكون المعنى: لا يحل لكم أن ترثوا أموال النساء كرهاً.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٧٣-٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٥-١٩٦)، والكشف (١/ ٣٨٢)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٠ ح٤٣٠٣).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٣٠٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٢).

﴿ولا تعضلوهن﴾ نهيٌ للأزواج عن إمساك النساء على وجه الإضرار بهن، ليفتدين أنفسهن.

وإعراب «ولا تعضلوهن» النصب، أي: ولا أن تعضلوهن، أو الجزم على النهي(١).

﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر: "مبيَّنة" بفتح الياء، وكَسَرها الباقون(٢).

والفاحشة هي: النشوز، وسوء الخُلُق.

وقيل: الزنا. فأيها وُجِد، فللزوج عضلها، والتضييق عليها حتى تفتدي.

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي: صاحبوهن بالنصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في المقال، والفعال.

﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ قال ابن عباس: هو الولد يرزقه الله منها، فيجعل الله فيه خيراً كثيراً(٣).

قال: الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه(٤): فقد ندبت الآية إلى إمساك الزوجة مع الكراهة، ونبّهت على معنيين:

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٧٢)، والدر المصون (٢/ ٣٣٤).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:١١٩)، والكشف (١/ ٣٨٣) والنشر (٢/ ٢٤٨-٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٢٩-٢٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) زاد المسير (٢/ ٤٢).

أحدهما: أن الإنسانَ لا يعلم وجوه الصلاح، فرُبَّ مكروه عاد محموداً، ومحمودٍ عاد مذموماً.

والثاني: أن الإنسانَ لا يكاد يجد محبوباً، ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يحب، وأنشدوا في هذا المعنى:

وَمَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْها وَلاَ يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ[1]

قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أي: امرأة مكان امرأة، ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا﴾: سبق بيانه في أوائل آل عمران[2]، ﴿فلا تأخذوا منه﴾ أي: من القنطار ﴿شيئاً﴾.

وإنما خص حال الاستبدال بالنهي، لئلا يُتوهم جواز الاسترجاع فيما بذل في مقابلة الأبضاع، عند انقطاع الانتفاع، وهذا في حق المدخول بها، والتي خلا بها تتنزل منزلة المدخول بها، في تكميل المهر وإيجاب العِدَّة، قضى به الخلفاء الراشدون الأربعة، وذهب إليه الأئمة الأربعة، خَلا الشافعي في قوله الجديد[3].

وفي هذا دليلٌ على جواز استكثار الصَّداق.

وقد روي: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام خطيباً، فقال: أيها الناس! لا تغالوا بصُدُقِ النساء، فلو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة

---

(١) انظر البيتين في: البحر المحيط (٣/ ٢١٤).

(٢) عند تفسير الآية رقم: ١٤.

(٣) انظر: الهداية (١/ ٢٠٦)، وبداية المجتهد (٢/ ٢٦)، والمغني (٧/ ١٩١).

أوقية، فقامت إليه امرأة، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ لِمَ تمنعنا حقاً جعله الله لنا، والله يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾، فقال عمر: كلُّ أحدٍ أعلم من عمر[١].

قولُه تعالى: ﴿أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ "البُهتان": الباطل الذي يُبْهَت منه، وهو مصدر في موضع الحال[٢].

و"المُبين": الظاهر.

﴿وكيف تأخذونه﴾ استفهام في معنى التعجب والإنكار.

﴿وقد أفضى﴾ أي: وصل ﴿بعضكم إلى بعض﴾ ولابسه.

وقال الفرَّاء[٣]: هو الخلوة.

﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ قال ابن عباس: هو الميثاق الذي أخذه الله للنساء على الرجال من الإمساك بالمعروف والتسريح بالإحسان[٤].

وقال الربيع: هو أمانة الله[٥].

قال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان في أيديكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٣٥ ح٢١٠٦)، والترمذي (٣/ ٤٢٢ ح١١١٤)، والنسائي (٦/ ١١٧-١١٩).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٧٣)، والدر المصون (٢/ ٣٣٨).

(٣) معاني الفراء (١/ ٢٥٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٦٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر. وهو اختيار الطبري (٤/ ٣١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٣١٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٩ ح١٢١٨).

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، من حديث صهيب بن سنان قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّما رَجُلٍ أَصْدَقَ امْرَأَةً صَدَاقاً، وَالله يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُرِيدُ أَدَاءَهُ إِلَيْهَا، فَغَرَّهَا بالله، وَاسْتَحَلَّ فَرْجَهَا بالبَاطِلِ، لَقِيَ الله يَوْمَ يَلْقَاهُ وَهُوَ زَانٍ، وَأَيُّما رَجُلٍ ادَّانَ مِنْ رَجُلٍ دَيْناً، وَالله يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُرِيدُ أَدَاءَهُ إِلَيْهِ، فَغَرَّهُ بالله، وَاسْتَحَلَّ مَالَهُ بالبَاطِلِ، لَقِيَ الله يَوْمَ يَلْقَاهُ وَهُوَ سَارِق»[1].

قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾[2] نزلت ناهيةً عما كانوا يفعلونه من نكاح الأبناء حلائل الآباء، وذهب به مذهب الجنس ثم فسره بـ«مِن».

وسواء في التحريم من دخل بها الأب أو لم يدخل بها إذا عقد عليها.

وقال القاضي أبو يعلى[3]: قد يُطلق النكاح على العقد، قال الله تعالى: ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلَّقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ [الأحزاب:٤٩]، وهو حقيقةٌ في الوطء مجاز في العقد، لأنه اسم للجمع، والجمع إنما يكون بالوطء، فسمّي العقد نكاحاً لأنه سبب إليه.

قوله تعالى: ﴿إلا ما قد سلف﴾ قال الأخفش[4]: المعنى: فإنكم تُعذَّبون به، إلا ما قد سَلَف فإن الله وضعه عنكم.

وقال قطرب[5]: لكن ما قد سَلَف فدعوه.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢).

(٢) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثالث عشر، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس السابع والعشرين، مرة ثانية.

(٣) انظر: زاد المسير (٢/ ٤٤).

(٤) انظر: معاني الأخفش (ص:١٥٥).

(٥) انظر: زاد المسير (٢/ ٤٥).

قال الزمخشري[١]: إن قلت: كيف استثنى: "ما قد سلف" من "ما نكح آباؤكم"؟

قلت: كما استثنى «غير أن سيوفهم» من قوله:

ولا عيب فيهم ....[٢]

يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف، فانكحوه، فلا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن.

والغرض: المبالغة في تحريمه، وسدّ الطريق إلى إباحته، كما يعلَّق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم: حتى يَبْيَضّ القار، وحتى يلج الجمل في سَمّ الخياط.

وقال بعض أهل المعاني: «إلا» بمعنى الواو، فالتقدير: ولا ما قد سلف، فيكون المعنى: اقطعوا ما أنتم عليه من نكاح حلائل الآباء ولا تبتدأوا نكاحهن.

ومنه قول الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاَّ الفَرْقَدَانِ[٣]

---

(١) الكشاف (١/ ٥٢٥).

(٢) البيت للنابغة الذبياني. وتمامه:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراع الكتائب

انظر: ديوانه: (ص:١١)، والخزانة (٣/ ٣٢٧)، والهمع (١/ ٢٣٢)، ومعاهد التنصيص (٣/ ١٠٧)، والبحر المحيط (٦/ ١٩١)، والدر المصون (٢/ ٣٣٩، ٤/ ٥١٤)، وروح المعاني (١٦/ ١١٢).

(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقيل: لسوار بن المضرب، وقيل: لحضرمي بن عامر. انظر: ديوانه (ص:١٧٨)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٤)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٢١)، والإنصاف (١/ ٢٦٨)، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ص:٥)، ومعاني الأخفش (ص:٩١)، والأشباه والنظائر =

أي: والفرقدان أيضاً.

وعدل ابن جرير الطبري بها عن ظاهرها، فقال[1]: المعنى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم﴾ أي: مثل ما نكحوا في الجاهلية على الوجه الفاسد الذي لا يجوز مثله في الإسلام، إلا ما قد سلف في جاهليتكم من نكاح، لا يجوز ابتداؤه في الإسلام، فإنه معفو لكم عنه. وهذا كقول القائل: لا تفعل ما فعلت، يريد: مثل ما فعلت.

﴿إنه كان فاحشةً ومقتاً﴾ يعني: نكاح حلائل الآباء.

والمَقْت هو: أشد البُغْض، فالمعنى: إن هذا النكاح يوجب المقت لفاعله عند الله.

وقال الزجاج[2]: كانوا يُسَمُّون نكاح امرأة الأب في الجاهلية مَقْتاً، ويُسَمُّون الولد منه: المَقْتِيُّ، فأُعلموا أن هذا الذي حُرِّم عليهم لم يزل منكراً عندهم ممقوتاً.

﴿وساء سبيلاً﴾ أي: قَبُحَ هذا الفعل طريقاً.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ =

(٨/ ١٨٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٣٤)، وشرح المفصل (٢/ ٨٩)، ومغني اللبيب (١/ ٧٢)، والمقتضب (٤/ ٤٠٩).

والشاهد في البيت: وصف "كل" بقوله: "إلا الفرقدان" أي: غير الفرقدين.

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣١٨-٣١٩).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٢).

عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ قال الزجاج[1]: الأصل في أُمَّهَاتٍ: أُمَّاتٌ، ولكن الهاء زيدت مؤكدة، كما زادوا هاء في: أَهْرَقْتُ الماء، وإنما أصله: أَرَقْتُ.

وقيل: الأصل في أُمّ: أُمَّهَة. قال قصي بن كلاب:

.... أُمَّهَتِي خِنْدِفُ وَإِليَاسُ أَبِي[2]

والمراد: تحريم نكاحهن، لأنه المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق خصوصاً، وقد احتفت به قرائن في سباق الآية وسياقها، ومن له أنسٌ بعُرف اللغة يعلم أنهم يريدون بقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة:٣]: أكلها، وحُرِّم الطعام، أي: أكله، دون لمسه [وتقليبه][3] وحُرِّمت عليكم الجارية، أي: وطؤها، فيذهبون في تحريم كل عَيْن إلى ما هي مُعدَّة له.

وذهب جماعة من الأصوليين إلى أنها مجملة؛ لأن الأعيان لا تتصف بالتحريم حقيقة، وإنما يحرم فعلٌ يتعلق بها، فلا يدرى ما ذلك الفعل في الأمهات مثلاً، أو في

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢١٤).

(٢) عجز بيت لقصي بن كلاب، وصدره: (عَبْدُ يُنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِي). انظر: اللسان، مادة: (أمم، أمه)، والمحتسب (٢/ ٢٣٤)، والهمع (١/ ٢٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (١٠/ ٣)، والخزانة (٣/ ٣٠٦)، والقرطبي (٥/ ١٠٧)، والدر المصون (٢/ ٣٤١)، والأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٣٠١)، وروح المعاني (١٤/ ٢٠٠).

(٣) في الأصل: وتقبيله. وقد صححت في الهامش إلى: وتقليبه.

الميتة، هل هو نظر أو لمس أو وطئ؟ وقد أشرنا إلى إبطال هـذا مـن الوجـه الـذي ذكرناه.

ولأن المجملَ: ما تَرَدَّدَ بين أمرين لا مزية لأحدهما عـلى الآخـر، كالألفـاظ المشتركة، كالقُرء للحيض والطُهْر، والشفق للبياض والحُمرة، واعتقاد الإجمال في هذه الآية بالمعنى المذكور المحدود فرية بلا مرية.

وأمهاتُ الرجل: النساء الـلاتي يُنـسب إلـيهن بجهـة الـولاد، مـن الـذكور والإناث؛ كأم الأم، وأم الأب، وأم أبي الأب، وأم أبي الأب.

وبناتُه: كل أنثى ترجع إليه بالولادة من جهة الذكور والإناث؛ كبنت البنت، وبنت الابن، وبنت ابن البنت، وأخواته من جميع الجهات محرَّمات عليه، والعمَّات، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخت على نحو ما ذكرناه من الانتساب بجهـة الذكور، والإناث، فهؤلاء المحرَّمات بالنسب.

ثم إن الله ذكـر المحرَّمـات بالـسبب فقـال: ﴿وأمهـاتكم الـلاتي أرضـعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾.

اتفق العلماء على أن الرضاع ينعقد سبباً لتحريم النكاح لهذه الآية ولقوله ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[(١)].

وهذا الضابط لا ينخرم إلا في مسألتين:

إحداهما: يحرم على الرجل أختُ ابنه من النسب؛ لأنها بنت حليلته التي دخل بها، ولا تحرم عليه من الرضاع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٣٥ ح٢٥٠٢)، ومسلم (٢/ ١٠٧١ ح١٤٤٧).

المسألة الثانية: تحرم عليه أمُّ أخيه من النسب، لأنها موطوءة أبيه، ولا تحرم عليه من الرضاع.

فصل

اختلفت الرواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه في مقدار الرضاع المحرّم، فنقل عنه حنبل[(١)]: أنها رضعة واحدة، وهو قول عمر، وعليّ، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، والنخعي، والزهري، والثوري، وأبي حنيفة[(٢)]، ومالك[(٣)] لعموم الأدلة.

ونقل عنه محمد بن العباس: أنه ثلاثُ رضعات، لما أخرج مسلم في صحيحه بإسناده عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «لا تحرِّم المَصَّةُ ولا المَصَّتَانِ»[(٤)]، فمدلوله تحريم ما فوقهما.

ونقل عنه أبو الحارث[(٥)]: أنه خمسُ رضعات متفرقات. وهو المنصور في المذهب[(٦)]، وبه قال الشافعي[(٧)] رضي الله عنه؛ لما أخرج مسلم في صحيحه من

(١) حنبل بن إسحاق بن حنبل، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. من حفاظ الحديث. له عن أحمد سؤالات يأتي فيها بغرائب ويخالف رفاقه. توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين (طبقات الحنابلة ١/ ١٤٣، وطبقات الحفاظ ص:٢٧٢).

(٢) انظر: الهداية (١/ ٢٢٣).

(٣) انظر: التمهيد (٨/ ٢٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٧٣ ح١٤٥٠).

(٥) أحمد بن محمد، أبو الحارث الصائغ. كان الإمام أحمد يقدمه ويكرمه، وكان عنده بموضع جليل (طبقات الحنابلة ١/ ٧٤).

(٦) المغني (٨/ ١٣٧)، والإقناع (٤/ ١٢٦)، والمنتهى (٢/ ٣٦٢).

(٧) مغني المحتاج (٣/ ٤٢٥)، والمنهاج (ص:١١٧).

حديث عائشة، قالت: «أُنْزِلَ في القُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ يُحَرِّمْنَ، فَنُسِخَ مِنْ ذلِكَ خَمْس، وَصَارَ إلى خَمْس رَضَعَات يُحَرِّمْنَ، فَتُوُفي رَسُولُ الله والأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ»(١).

وهذا الحديث أدلُّ من الذي قبله، لأن هذا دَلَّ بمنطوقه، ودَلَّ ذاك بمفهومه.

قوله تعالى: ﴿وأمهاتُ نسائكم﴾ ذهب الأئمة الأربعة، وجمهور العلماء إلى تحريم أمهات النساء بمجرد العقد.

ونُقل عن علي رضي الله عنه، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير: أنه يتوقف تحريم نكاحهن على الدخول ببناتهن(٢).

وكان ابن عباس يقرأ: «وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن»، ويقول: والله ما أُنزلت إلا هكذا(٣).

والذي يُثبت كونه قرآناً، ما نُقِل على لسان التواتر. وذلك مبهم في أُمهات النساء.

قال مسروق(٤): هي مرسلة، فأرسلوا ما أرسل الله(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٧٥ ح١٤٥٢).

(٢) المغني (٧/ ٨٥)، والطبري (٤/ ٣٢١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٧٤)، والطبري (٤/ ٣٢٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٧٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن جرير.

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، فقيه، من كبار التابعين، توفي سنة اثنتين وستين (سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣، والتقريب ص:٥٢٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٧٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ٤٨٤)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٦٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٧٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي.

وسواءٌ في التحريم أمهات النساء من النسب والرضاع.

قوله: ﴿وربائبكم﴾ وهنَّ بنات الزوجات، وذكرُ الحجور خارجٌ مخرج الغالب، لا مخرج الشرط في تحريمهن، حتى لو كانت ربيبته في بلدة أخرى لم يرها، ولم يحضنها في حجره، فإنها تحرم عليه، إلا ما روي عن علي رضي الله عنه أنه شرط في تحريم الربائب كونهن في الحجور[1]، وبه قال داود[2].

قوله: ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ متعلق بـ«ربائبكم»، ومعناه: أن الربيبة من المرأة المدخول بها، مُحرَّمة على الرجل، حلال له إذا لم يدخل بها.

قال صاحب الكشاف[3]: فإن قلت: هل يصح أن يتعلق بقوله: «وأمهات نسائكم»؟

قلت: لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب، فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مُبهمتين جميعاً. وإما أن يتعلق بهن دون الربائب، فتكون حرمتهن غير مبهمة، وحرمة الربائب مبهمة.

فلا يجوز الأول؛ لأن معنى «مِنْ»، مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر. ألا تراك إذا قلت: وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فقد جعلت «مِنْ» لبيان النساء، وتمييز المدخول بهن [من غير المدخول بهن][4]، وإذا قلت: وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فإنك جاعل «مِنْ» لابتداء الغاية، كما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٧٨-٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩١٢).

(٢) انظر: المحلى (٩/ ٥٣١)، والمغني (٧/ ٨٥).

(٣) الكشاف (١/ ٥٢٦-٥٢٨).

(٤) زيادة من الكشاف (١/ ٥٢٦).

تقول: بنات رسول الله ﷺ من خديجة، وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان.

ولا يجوز الثاني؛ لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به.

فإن قلت: ما فائدة قوله: "في حجوركم"؟

قلتُ: فائدة التعليل للتحريم، وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن، وتمكن بدخولكم حكم الزواج، وثبتت الخُلطة والألفة، وجعل الله بينكم المودّة والرحمة، وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم.

فإن قلت: ما معنى: "دخلتم بهن"؟

قلت: هي كناية عن الجماع؛ كقولهم: بنى عليها وضرب عليها الحجاب، يعني: أدخلتموهن الستر. والباء للتعدية. واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول [عند أبي حنيفة][1].

وعن عمر رضي الله عنه: أنه خلا بجارية فجردها، فاستوهبها ابن له، فقال: إنها لا تحل لك.

وعن مسروق: أنه أمر أن تباع جاريته [بعد موته][2]، وقال: أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر.

وهذا مذهب الحسن البصري، وعطاء، وحماد، والأوزاعي، وأبي حنيفة[3]،

---

(١) زيادة من الكشاف (١/ ٥٢٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: مصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٧٧)، والطبري (٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

وأحمد.

وذهب ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار إلى أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده، وهو مذهب الشافعي.

قوله: ﴿وحلائلُ أبنائكم الذين من أصلابكم﴾، الحلائل: الزوجات، اشتقاقهن من الحل أو من الحلول، كأنها تحل مع الزوج أين حَلّ.

وفي قوله: «من أصلابكم» بيان لحل زوجات الأدعياء. وقد تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش امرأة دعيِّه زيد بن حارثة.

﴿وأن تجمعوا﴾ في موضع رفع(١)، أي: وحرّم الجمع ﴿بين الأختين﴾، وحكم الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين كالنكاح، في مذهب الأئمة الأربعة، وأكثر العلماء.

وقد روي عن أمير المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا: أحلتهما آية وحرّمتهما آية(٢)، يشيران إلى هذه الآية، وإلى قوله: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ [النساء:٣] فرجَّح عثمان التحليل، وعَلِيّ التحريم(٣).

والقول على قوله: «إلا ما قد سلف» كما قد سلف، إلا أن قول ابن جرير ثَمَّ لا

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٧٤)، والدر المصون (٢/ ٣٤٣).

(٢) أثر عثمان أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٥٣٨)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٦٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٤٨٣). وأما أثر علي فأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٨٣)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢٨١).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص:٤١): أما عثمان فلم أجد عنه التصريح بالتحليل، وإنما توقف، وأما علي ففي رواية الموطأ (٢/ ٥٣٨): « فخرج من عنده -يعني عثمان- فلقي رجلاً من الصحابة -قال الزهري: أُرَاه علياً- فسأله، فقال: لو كان لي من الأمر شيء، ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً».

يصلح هاهنا.

﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ رحمكم وغفر لكم ما كان منكم قبل التحريم.

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾[١] سبب نزولها: «أن رسول الله ﷺ سبى أهل أوطاس[٢]، قيل له: يا رسول الله؛ كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن؟ فنزلت هذه الآية، ونادى منادي رسول الله: ألا لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تُسْتبرأ بحيضة»[٣].

واتفق القرّاءُ السبعة على فتح الصاد من «المحصَنات» هنا، وكسرها الكسائي فيما عدا هذا الموضع من "المحصنات" و"مُحصِنَات"، من أَحْصَنَّ أنفسهن بالعفاف، فهن مُحْصِنات.

ومَنْ فتح الصاد، أجرى الفعل على ما لم يُسمَّ فاعله، أي: أحصنهن غيرهن من زوج أو ولي. ولذلك فتح الكسائي الصاد هاهنا، لأن الآية نزلت في تحريم

---

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثامن والعشرين، مرة ثانية.

(٢) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين بين مكة والطائف (معجم البلدان ١/ ٢٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٨٠ ح١٤٥٦).

ذوات الأزواج[1].

وأصلُ الإِحْصَان: المَنْع، ومنه: الحِصْن، والحِصان، ويُطلق على ذوات الأزواج، والعَفَائِف، والحرائر، وكل ذلك مذكور في تفسير «المحصَنات» هاهنا.

فإن كان المراد: ذوات الأزواج -وهو الأظهر في التأويل لما ذكرناه من سبب التنزيل- فيكون المعنى: وحُرِّمت عليكم المحصنات إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب فإنهن بعد الوضع إن كنّ حوامل، أو بعد الاستبراء إن كن حوائل، وإن لم يُطلَّقن لاختلاف الدار، وإلى هذا المعنى نظر الفرزدق في قوله:

وَذاتُ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْها رِمَاحُنَا ... حَلالٌ لِمَنْ يَبْنِي بها لَمْ تُطَلَّقِ[2]

فإن اشترى أَمَة محصنة بزوج، ففي انقطاع النكاح بذلك اختلافٌ بين الصحابة. والصحيحُ المشهور: أنه لا ينقطع.

وإن كان المراد: العفائف، فالمعنى: هنَّ حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم منهن بالنكاح أو غيره.

وإن كان المراد: الحرائر، فالمعنى: وحُرِّمت عليكم الحرائر بعد الأربع إلا ما ملكت أيمانكم فإنهن غير محصورات بعدد.

قوله تعالى: ﴿كتاب الله عليكم﴾ قال الزجاج[3]: هو مصدر مؤكد، أي: كتب

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٦-١٩٧)، والكشف (١/ ٣٨٤)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٠).

(٢) البيت للفرزدق. انظر: ديوانه (ص:٣٩٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٢)، والدر المصون (٢/ ٣٤٥).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٦).

الله عليكم كتاباً.

وقال نحاة الكوفة: هو منصوب على الإغراء بـ«عليكم». وفيه ضعف؛ لأن ما انتصب بالإغراء لا يتقدم على ما قام مقام الفعل[1].

قوله: ﴿وأَحَلَّ لكم﴾ عطفه على الفعل المضمر الذي نَصَبَ «كتاب الله» تقديره: كتب الله عليكم تحريم ذلك، وأحل لكم.

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «وأُحِلَّ لكم» بضم الهمزة وكسر الحاء، عطفاً على قوله: «حُرِّمت عليكم»[2].

﴿ما وراء ذلكم﴾ أي: ما بعد هذه الأشياء المحرَّمة.

وعمومُ التحليل مخصوص بالسُّنَّة، فإنها حرّمت الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها[3].

﴿أن تبتغوا﴾ في موضع نصب، أو رفع على البدل من «ما» على حسب اختلاف القراءتين في «وَأُحِلَّ لَكُمْ»[4].

﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ إما نكاحاً بالصداق، وإما شراءً بالثمن.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٧٥)، والدر المصون (٢/ ٣٤٥).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٦٨)، والكشف (١/ ٣٨٥)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٨-١٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٠-٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٦٥)، ومسلم (٢/ ١٠٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها». ولهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه: «نهى رسول الله ﷺ أن تُنكح المرأة على عمتها أو خالتها».

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٧٥)، والدر المصون (٢/ ٣٤٦).

وقيل: هو مفعول له[١]، بتقدير: بيّن لكم ما يحل مما يحرم إرادة أن تبتغوا بأموالكم.

﴿محصنين﴾ عاقدين للتزويج، أو متعففين.

﴿غير مسافحينَ﴾ أي: زانين، وسُمِّيَ الزنا سفاحاً؛ لسفح الماء ضائعاً، لا في نكاح، ولا مِلْك.

وهما حالان من المضمر في «تَبْتَغُوا»[٢].

قوله: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ الضمير في «به» راجع إلى لفظ «ما»، والمعنى: فما تَلَذَّذْتُم وانتفعتم من النساء بالنكاح الصحيح.

﴿فآتوهن أجورهن﴾ أي: أعطوهن مهورهن، ﴿فريضةً﴾ حال، أو مصدر في موضع الحال[٣].

﴿ولا جناح عليكم﴾ أي: لا إثم عليكم ﴿فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ من وفاق أو افتراق، أو زيادة أو نقصان في الصداق.

فصل

قد ذهب جماعة إلى أن هذه الآية نزلت في المتعة وإباحتها ثم نُسِخت بعد[٤].

والصحيح: أنها محكمة، وأن المتعة إنما أبيحت بالسُّنَّة، ثم نُسِخت بالسُّنَّة،

---

(١) وهو قول الزمخشري في الكشاف (١/ ٥٢٩).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٧٥)، والدر المصون (٢/ ٣٤٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٣٢٥)، ومكي بن أبي طالب (ص:٢٢١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٦٩).

والأحاديث الناسخة لإباحتها مخرجة في الصحيحين[١].

وقد روي أن ابن عباس: كان يفتي بإباحتها، ويقرأ: «فما استمتعتم به منهن إلى أجلٍ مسمى»[٢]، فرجع عن ذلك عند موته، وقال: اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة، وقولي في الصرف[٣].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ أي: فضلاً وسعة، ﴿أن ينكح المؤمنات﴾ يريد: الحرائر المؤمنات، ﴿فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ أي: من إمائكم المؤمنات، واحدتهن: فتاة، والعبد: فتى، وقد يُطلق الفتى على الحُرِّ أيضاً، فيقال للجارية الشابة: فتاة، وللغلام: فتى، والكامل من الرجال: فتى، وإن لم يكن شاباً.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٦٦ ح٤٨٢٥)، ومسلم (٢/ ١٠٢٢ ح١٤٠٧).

(٢) المصاحف لابن أبي داود (ص:٨٧).

(٣) أما رجوعه عن المتعة؛ فرواه الترمذي (٣/ ٤٣٠ ح١١٢٢). وأما رجوعه عن الصرف؛ فرواه ابن ماجه (٢/ ٧٥٩ ح٢٢٥٨).

قال النابغة الجعدي[1]:

فَتىً تَمَّ فيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

فَتىً كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا[2]

فصل

ذهب الإمامان أحمد والشافعي إلى أن القادر على طَوْل الحُرّة لا يجوز له نكاح الأَمَة، لما يستلزم من استرقاق الولد تبعاً للأم.

وقال أبو حنيفة: يجوز له ذلك.

فأما العاجز عن طَوْل الحُرَّة فيُباح له نكاح الأَمَة المؤمنة للآية، وهو مذهب الأكثرين.

وقال أبو حنيفة وبعض فقهاء العراق: لا يُشترط كونها مؤمنة، وحملوا الآية على الفضيلة والاستحباب، ألا تراه قال في أول الآية: «المحصنات المؤمنات»، فوصف الحرائر بالإيمان، وليس بشرط في جواز نكاح الحرائر بالإجماع[3].

﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ أَعْلَمَ أنه لما كان نكاح الأَمَة مُقيَّداً بإيمانها إما إيجاباً أو

---

(١) قيس بن عبد الله بن عدس الجعدي العامري، أبو ليلى، شاعر زمانه، صحابي من المعمرين، وأنشد بين يدي النبي ﷺ، وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٧، والأعلام ٥/ ٢٠٧).

(٢) البيتان للنابغة الجعدي من قصيدة يرثي فيها أخاه وَحْوَح. انظر: ديوانه (ص:١٧٤-١٧٥)، والخزانة (٣/ ٣٣٦)، وهو في ديوان النابغة الذبياني (ص:١٢٧). وانظر البيت الثاني في: اللسان، مادة: (وحح).

(٣) الهداية (١/ ١٩٤)، والروضة (٧/ ١٢٩)، والمغني (٧/ ١٠٤).

استحباباً على اختلاف المذهبين، وكان مجردُ الاعتراف بـالإيمان كافيـاً في ترتيـب الأحكام الدنيوية عليه بالإجماع أشار بقوله: ﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ إلى أن الجـزاء على ما أضمره الجَنَان، لا على ما أظهره اللسان.

وفي قوله: ﴿بعضكم من بعض﴾ تأنيس لذوي النفرة عن نكاح الإماء تَشَرُّفاً وتَعَظُّماً عليهن، حيث ذكَّرهم الله ما بينهم من الاشتراك في السبب والاشـتباك في النسب.

قال ﷺ: «كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَـضْلٌ إلا بالتقوى»[1].

قوله: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ أي: بإذن سادتهنّ، ﴿وآتوهن أجـورهن﴾ أي: مُهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مماطلة وممانعة.

والأمر بإعطائهن المهور لا ينافي كونهـا مملوكـة لـمواليهن، وأضـيفت المهـور إليهن؛ لأنها من كَسبهن.

وقيل: هو على حذف المضاف، تقديره: فآتوا مواليهن أجورهن.

قولـه: ﴿محـصنات غـير مـسافحات﴾ حـالان مـن الـضمير المنـصوب في «فَانْكِحُوهُنَّ» على معنى: تزوجوهن عفائف غير زَوانٍ[2].

﴿ولا متخذات أخدان﴾ وهو جمع خِدْن، وهو الـصَّديق، وكانـت الواحـدة

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥).

ومعنى «طَفُّ الصَّاع»، أي: قريب بعضكم من بعض، لأن طف الصاع قريب من ملئه (تهـذيب اللغة، مادة: طف).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٧٦)، والدر المصون (٢/ ٣٥٠).

منهن تأخذ لها خَدْناً، تُزانيهِ سِرّاً، ولا يعتقدونه حراماً، فالمعنى: غير مجاهرات بالزنا، ولا مُسِرّات به.

وقوله: ﴿فإذا أُحْصِنَّ﴾ أي: زُوِّجن -يعني: الفتيات-.

وقرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: «أَحْصَنَّ»[1]، بفتح الهمزة والصاد.

وقال ابن جرير[2]: أَسْلَمْنَ.

وقيل: أُحْصِنَّ بالتزويج.

﴿فإن أَتَيْنَ بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ أي: نصف ما على الحرائر البالغات العاقلات الأبكار، «من العذاب» وهو الجَلْد؛ لأن القتل لا يتنصف، فيجب على الأَمَة إذا أتت بالفاحشة وهي الزنا؛ خمسون جلدة.

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى نكاح الفتيات عند عدم الطَوْل، ﴿لمن خشي العَنَتَ منكم﴾، أي: خاف الزنا بسبب ما عنده من الغُلْمَة وشدة الشبق، فأباح الله نكاح الإماء شرطين:

أحدهما: عدم طَوْل الحرة.

والثاني: خوف الزنا.

قال الخرقي رحمه الله[3]: وله أن ينكح من الإماء أربعاً، إذا كان الشرطان فيه قائمين.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٨)، والكشف (١/ ٣٨٥)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣١).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٢١).

(٣) مختصر الخرقي (ص:٨٥).

ونص عليه إمامنا أحمد رضي الله عنه، في إحدى الروايتين.

والرواية الأخرى[١]: ليس له أن يتزوج إلا أَمَة واحدة، لأن خوف العَنَت يزول بها، فيختل أحد شرطي الحِلّ، فينتفي الحِلّ.

﴿وأن تصبروا﴾ يعني: عن نكاح الفتيات تعففاً، ﴿خير لكم﴾ من التسبب إلى استرقاق أولادكم.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ قال الزمخشري[٢]: أصله: أن يُبين، فزيدت اللام للتوكيد، كما زيدت في «[لا][٣] أبا لك» لتأكيد إضافة الأب.

وقال الزجاج[٤]: قال الكوفيون: معنى اللام هاهنا معنى «أَنْ»، وهذا غلط أن تكون لام الخفض تقوم مقام «أَنْ» وتؤدي معناها، لأن ما كان في معنى «أن» إذا دخلت عليه اللام تقول: جئتك كي تفعل كذا وكذا، وجئتك لكي تفعل كذا وكذا، فاللام في قوله: «يريد الله ليبين لكم» كاللام في: «كَيْ».

---

(١) انظر: المغني (٧/ ١٠٦).

(٢) الكشاف (١/ ٥٣٣).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٢-٤٣).

أنشد محمد بن يزيد[1]:

أَرَدْتُ لِكَيْما يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّها   سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالوُفُودُ شُهودُ[2]

فأدخل هذه اللام على «كي»، ولو كانت بمعنى «أَنْ» لم يدخل اللام عليها.

والمعنى: يريد الله ليبين لكم شرائع دينكم، ومصالح دنياكم.

﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ من الأنبياء والأولياء، لتهتدوا بأنوارهم، وتقتدوا بآثارهم، ﴿ويتوب عليكم﴾ أي: يرشدكم إلى ما يكون سبباً لتوبتكم من أعمال الطاعات، ويُرجعكم عما كنتم فيه قبل هذا من السيئات.

﴿والله عليم﴾ بما يصلحكم، ﴿حكيم﴾ في تدبيره فيكم.

﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ أي: أن تفعلوا فعلاً يتوب به عليكم، ويُكفِّر عنكم تلك الآثام والفواحش.

﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ وهم الكَفَرة والفَجَرة، ﴿أن تميلوا﴾ عن الحق الذي جاءكم به نبي الرحمة، ﴿ميلاً عظيماً﴾ فالمجوس يدعونكم إلى ما يستحلونه من نكاح ذوات المحارم، ويجادلونكم في ذلك، واليهود والنصارى

---

(١) هو محمد بن يزيد بن الأزدي، أبو العباس، المبرد، صاحب الكامل. كان إماماً علاّمة فصيحاً مفوهاً، صاحب نوادر وطرف. توفي في أول سنة ست وثمانين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٦-٥٧٧).

(٢) البيت لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. كان ملك الروم قد أرسل إلى معاوية رجلاً طويلاً مسرف الطول، يتحداه أن يكون لديه مثله، فأرسل معاوية إلى قيس، فخلع قيس سراويله وقال للرومي ألبسه، فلبسه فبلغ ثدييه، وضحك منه الناس، ولام قيساً قومه في خلع سراويله، فأنشد هذا الشعر. انظر القصة والشعر كاملاً في الكامل للمبرد ١/ ٣١٨ ط التجارية. وانظر البيت في: اللسان، مادة: (سرل)، والقرطبي (٥/ ١٤٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢-١١٢).

يدعونكم إلى ضلالهم، وأهل الفجور إلى شهواتهم.

﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ أي: يُيَسِّرَ عليكم، فلذلك أرسل إليكم محمداً بالحنيفية السهلة السمحة، وأباح لكم نكاح الإماء عند عدم الطَّوْل إلى الحرائر من النساء.

﴿وخُلِق الإنسان ضعيفاً﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسِّرين: لا يصبر عن النساء، وعلى مشاق الطاعات[1].

قال سعيد بن المسيب: ما أيس الشيطان من بني آدم إلا أتاهم من قِبَل النساء، فقد أتى عليَّ ثمانون سنة، وذهبت إحدى عَينيّ، وأنا أعشو بالأخرى، وإنَّ أخوفَ ما أخاف عليّ فتنة النساء[2].

وقال معاذ بن جبل: أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوَّرن الذهب، ولَبِسْنَ رياط الشام، وعصب اليمن، فأتعبن الغني، وكلَّفن الفقير ما لا يجد[3].

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ فِي النَّاسِ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاء»[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٦) كلاهما عن طاووس. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦٠) من قول طاووس ومقاتل، والسيوطي في الدر (٢/ ٤٩٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن طاووس.

(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ٢٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٦-٢٣٧)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٩ ح٤٨٠٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٧-٢٠٩٨ ح٢٧٤٠).

وقال الحسن في قوله: ﴿وخُلِق الإنسان ضعيفاً﴾ قال: هو خَلْقُهُ من ماءٍ مهين[١].

وقال الزجاج[٢]: ضعيف العزم عن قهر الهوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ قرأ أهل الكوفة: «تجارةً» بالنصب، والباقون: بالرفع[٣]، وتعليلهما ما أسلفناه في آية الدَّيْن[٤].

فصل

أخرج أبو داود في سننه بإسناده، عن ابن عباس قال: «كَانَ الرَّجُلُ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَأْكُلَ عِنْدَ أَحَدٍ مِن النَّاسِ بَعْدَ مَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ﴾ فَنُسِخَ ذلِكَ بالآيَة الأخرى الَّتي في النُّورِ: فقَالَ: "لَيْسَ

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ٢٩١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦٠).

(٢) في معاني الزجاج (٢/ ٤٤) قال: "ضعيفاً" أي: يستميله هواه. وانظر: زاد المسير (٢/ ٦٠).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٩٩)، والكشف (١/ ٣٨٦)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣١).

(٤) في سورة البقرة، عند الآية رقم: ٢٨٢.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ"(١)»(٢).

وهذا عند الفقهاء ليس من باب الناسخ والمنسوخ كما قررناه فيما مضى.

قوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ قال ابن عباس: لا يقتل بعضكم بعضاً(٣)، وهذا مثل قوله: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ [البقرة:٥٤].

وقيل: هو على ظاهره، نهاهم سبحانه وتعالى أن يقتلوا أنفسهم بطريق المباشرة أو السبب، ويؤيد هذا حديث عمرو بن العاص قال: «احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غزوة ذات السلاسل(٤)، فَأَشْفَقْتُ إِن اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ، فَتيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحِ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: يَا عَمْرُو! صَلَّيْتَ بِأَصْحَابكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي سمعت الله يقول: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾، فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً»(٥).

---

(١) كذا في الأصل وسنن أبي داود، وصواب الآية في سورة النور: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ... الآية﴾ [النور:٦١].

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤٣ ح٣٧٥٣). وانظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٧٢-٧٣)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٣-٣٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٧١-٢٧٣).

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٤٧٥) من قول عطاء والسدي، والواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦١).

(٤) ذات السلاسل: موضع معروف بناحية الشام في أرض بني عذرة، قال ابن هشام: سار عمرو بن العاصي رضي الله عنه حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلسل، وقال: وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٠٧-١٠٨).

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٩٢ ح٣٣٤)، وأحمد (٤/ ٢٠٣).

وفي الحديث أحكام، منها: جواز التيمم في البرد في السَّفَر، وعدم وجوب القضاء في الحَضَر، وجواز اقتداء المتوضئ بالمتيمم، وأن التيمم لا يرفع الحدث؛ لقوله: «وأنت جُنُب».

وقال بعض أهل المعاني: «ولا تقتلوا أنفسكم» بارتكاب المعاصي.

وقال الفضيل بن عياض[1]: لا تغفلوا عن حظِّ أنفسكم، فإن مَن غفل عن حظ نفسه فقد قتلها[2].

﴿إن الله كان بكم﴾ يا أُمَّة محمد ﴿رحيماً﴾، حيث حرّم عليكم ما أوجبه على بني إسرائيل من قتل الأنفس، وغيره من الأعمال الشاقة والتكاليف الشديدة.

﴿ومَنْ يفعل ذلك﴾ إشارة إلى القتل، أو القتل مع انضمام أكل الأموال بالباطل.

وقال ابن عباس: الإشارة إلى جميع ما نهى عنه من أول السورة إلى هاهنا[3].

﴿عدواناً وظلماً﴾ مصدران في موضع الحال[4].

﴿فسوف نُصْليه﴾ وقرئ: «نَصْلِيهِ» بفتح النون[5]، وقرئ بالتشديد[6].

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، أبو علي، من أكابر العباد الزهاد الصلحاء، أصله من خراسان. توفي سنة سبع وثمانين ومائة (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١، والأعلام ٥/ ١٥٣).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٢٩٣)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦٢).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٧٧)، والدر المصون (٢/ ٣٥٤).

(٥) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٩)، والمحتسب (١/ ١٨٦).

(٦) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٤٣).

﴿ناراً﴾ يريد: ناراً مخصوصة شديدة العذاب.

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ هيّناً.

قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفِّر عنكم سيئاتكم﴾.

أخرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبقَاتِ، قالوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ الله إلاَّ بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذفُ المُحْصِنَاتِ الغَافِلات»[(١)].

وفي حديث آخر: «أن النبي ﷺ سُئِل عن الكَبَائِرُ، فَقَالَ: هي تِسْعٌ، فعدَّ السبع وزاد: عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ المُسْلِمَيْنِ، وَاسْتِحْلالُ البَيْتِ الحَرَام»[(٢)].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه عدَّ في الكبائر: «واليمين الغَمُوس»[(٣)].

وفيهما أيضاً من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، فقَالَ: الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، وَقَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وشهادة الزور، فَما زَالَ يُكَرّرها، حَتَّى قُلْنا: ليته سكت»[(٤)].

وفيهما أيضاً من حديث ابن مسعود، قال: «سألت رسول الله ﷺ: أَيُّ الذَّنب

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠١٧ ح٢٦١٥)، ومسلم (١/ ٩٢ ح٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ١١٥ ح٢٨٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٥٧ ح٦٢٩٨)، ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٣٩ ح٢٥١١)، ومسلم (١/ ٩١ ح٨٧).

أَكْبَرُ؟»(١)، وقد سبق الحديث في أوائل البقرة.

وروي عن ابن مسعود وابن عباس: «أن الكبائر مذكورة من أول سورة النساء إلى هاهنا»(٢).

وروي عن ابن عباس: «أنها كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب»(٣).

وفي رواية عنه: أنها كل ذنب أوجب الله عليه النار في الآخرة، والحد في الدنيا(٤).

وقال سعيد بن جبير: «قال رجل لابن عباس: كم الكبائر، سبع هي؟ قال: هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»(٥).

فهذا مجموع ما صحَّت به الأخبار والآثار في الكبائر، أعاذنا الله منها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥١٧ ح٦٤٦٨)، ومسلم (١/ ٩١ ح٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٧)، والثعلبي (٣/ ٢٩٥)، والحاكم (١/ ١٢٧) كلهم عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٧١)، والثعلبي (٣/ ٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٩٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٤٢)، والثعلبي (٣/ ٢٩٦) كلاهما عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٩٩) وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٤١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤)، والثعلبي (٣/ ٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

فإن قيل: لا شبهة أن ترك الصلاة أعظم جُرْماً من كثير من الكبائر المعدودة في الأحاديث، لا سيما وقد صار عَلَمُ العلماء أحمد رضي الله عنه إلى تكفير تاركها، وهو قول للشافعي[(١)] رضي الله عنه وكذلك منع الزكاة، وترك صوم رمضان، وترك الحج، فما بالها لم تُذكر في الكبائر؟!

قلت: هذه مباني الإسلام وأركانه، فتركها مؤثر في وهن الإسلام وضعفه، ومخرج للمتلبس بمجانبتها عن أن يكون راسخ القدم في الإسلام، فيدخل في حيز الكفر، وهو أعظم الكبائر المعدودة في الأحاديث، فكان ترك ذكرها في الكبائر مُشعِراً بكونها مضارعة للكفر.

ويحققُ هذا المعنى قولُه ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاة»[(٢)].

وقوله في تارك الحج: «فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً»[(٣)].

وقتال أبي بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، حتى ألحقوهم بالمرتدّين بذلك.

قال السدي: "نكفر عنكم سيئاتكم" يريد: الصغائر[(٤)].

﴿وندخلكم مُدْخَلاً كريماً﴾ قرأ نافع: «مَدْخَلاً» بفتح الميم، هنا وفي الحج[(٥)]:

---

(١) انظر: المجموع (٣/ ١٧)، والمغني (٢/ ١٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٨ ح٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣/ ١٧٦ ح٨١٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤ ح٨٤٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) الحج:٥٩، في قوله تعالى: ﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه﴾.

وضَمَّها الباقون[1].

واتفقوا على الضم في قوله: ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠]، لقوله: ﴿أَدْخِلْنِي﴾.

قال أبو علي[2]: يجوز أن يكون المَدْخَل مصدراً، ويجوز أن يكون مكاناً سواء ضَمَّ أو فتح.

قال الواحدي[3]: الأولى أن يكون مكاناً، لأن المفسِّرين قالوا: هو الجنة.

وقال مكي[4]: حُجَّةُ من فتَحَ الميم: أنه جعله مصدراً لفعل ثلاثي مضمر، دَلَّ عليه الرباعي الظاهر، وهو قوله: «يدخلكم» أي: يدخلكم فتدخلون مُدخلاً، أي: دخولاً، فدخول ومَدخل مصدران.

ويجوز أن يكون مكاناً، فيتعدى إليه «يدخلكم» على المفعول به، وحَسُنَ ذلك لأنه قد وُصِفَ بالكريم.

وحُجَّة مَنْ ضَمَّ الميم: أنه أجراه مصدراً على ما قبله وهو «يدخلكم»، ولم يحتج إلى إضمار ثلاثي، فالميم في حركتها كحرف المضارعة في حركته، إن كان مفتوحاً فَتَحْتَ الميم، وإن كان مضموماً ضَمَمْتَ الميم.

والكريم: الشريف.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٧٨-٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٩٩-٢٠٠)، والكشف (١/ ٣٨٦-٣٨٧)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٢).

(٢) الحُجّة للفارسي (٢/ ٧٩).

(٣) الوسيط (٢/ ٤٣).

(٤) الكشف (١/ ٣٨٦-٣٨٧).

وقيل: الحسن، ومنه: ﴿من كل زوج كريم﴾ [الشعراء:٧].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

قوله: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾[١] أخرج الترمذي من حديث أم سلمة قالت: «قلت: يا رسول الله؛ يغزو الرجال، ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث».

وفي رواية أخرى: «فياليتنا كنا رجالاً، فأنزل الله: ﴿ولا تتمنوا﴾».

قال مجاهد[٢]: وأُنزل فيها: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب:٣٥]. وكانت أمُّ سلمة أولَ ظَعِينَة[٣] قدمت المدينة مهاجرة[٤].

وهذا نهيٌ للإنسان أن يتمنى مال غيره، أو جاهه أو نعمة من النِعَم التي أنعم الله بها عليه، فإنه الحسد المذموم.

قال الحسن: لا تَتَمَنَّ مال فلان، ولا مال فلان، فلا تدري لعل هلاكك في ذلك المال[٥].

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الرابع عشر، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس التاسع والعشرين، مرة ثانية.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٤٧).

(٣) الظَّعينَة: المرأة (اللسان، مادة: ظعن).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٧ ح٣٠٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٥ ح٣١٩٥).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٥٠٧) وعزاه لابن جرير.

﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ قال قتادة ومقاتل[١]: يعني: من الثواب والعقاب، فالمرأة تُثاب كثواب الرجل، وتأثم كإثمه، فإن الرجال قالوا حين رأوا ما فُضِّلوا به، حين أُضعف لهم الميراث: إنا لنرجو أن نُفضَّل على النساء بحسناتنا كما فُضِّلنا في الميراث، وقال النساء: إنَّا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، كما لنا من الميراث على النصف من نصيبهم[٢].

﴿واسئلوا الله من فضله﴾ وقرأ ابن كثير والكسائي: «وسَلُوا» بطرح الهمز في كل موضع جاء الأمر مواجهاً به وقبله واو أو فاء[٣]، نحو: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ [الأنبياء:٧]، ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف:٤٥].

والمعنى: لا تتمنوا ما فضَّل الله به غيركم، واسألوا الله من فضله وأن يرزقكم كما رزق غيركم، فإنَّ خزائنَه لا تنفد.

وفي قوله: ﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ تنبيهٌ على أنه قَسَمَ نِعَمَهُ بين عباده على حسبما اقتضته الحكمة الإلهية.

وفيما يرويه النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه قال: «إني أُدَبر عبادي بعلمي فيهم، إني عليم خبير»[٤].

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٤٨)، والثعلبي (٣/ ٢٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٧٩-٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٠٠-٢٠١)، والكشف (١/ ٣٨٧)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٩) من حديث أنس مطولاً. وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٢٣٢) من حديث أنس أيضاً.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك ... الآية﴾ قال صاحب الكشاف[1]: «مما ترك» تبيين لـ«كل»، أي: ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون من المال، «جعلنا موالي»: وُرَّاثاً يلونه ويحرزونه. أو لكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، على أنَّ «جعلنا موالي» صفة لـ«كل»، والضمير الراجع إلى «كل» محذوف، والكلام مبتدأ وخبر، كما تقول: لكل مَن خلقه الله إنساناً من رزق الله، أي: حظ من رزق الله. أو ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك، أي: وُرَّاثاً مما ترك، على أن «من» صلة "موالي"، لأنهم في معنى الوُرَّاث، وفي «ترك» ضمير «كل»، ثم فسَّر الموالي بقوله: "الوالدان والأقربون"، كأنه قيل: مَنْ هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون.

قلت: فعلى الوجهين الأوّلين ارتفع "الوالدان" بإسناد الفعل إليه، و"الوالدان" هم الموروثون.

وعلى الوجه الثالث: ارتفع على معنى: هم الوالدان، كما ذكر، وهم الوُرَّاث.

﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ مبتدأ تضمن معنى الشرط، ولذلك وقع في خبره الفاء، ويجوز أن يكون معطوفاً على «الوالدان»[2].

---

(١) الكشاف (١/ ٥٣٥-٥٣٦).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٧٨)، والدر المصون (٢/ ٣٥٧).

قرأ أهلُ الكوفة: «عَقَدَت» بغير ألف، وقرأ الباقون بـالألف[1]. فمَـنْ أثبـت الألف فلوجود المعاقدة، فهو من باب المفاعلة، ومَنْ نفاها اكتفى بإسناد العقد إلى الأيمان، ولم يحتج إلى المفاعلة، المعنى: والذين عقدت أيمانكم حِلْفَهم. والمراد بهـم الحلفاء، وكان الرجل إذا عاقد الرجل قال: دمي دمـك، وثـأري ثـأرك، وحـربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتعقل عني وأعقـل عنـك، فـأقرَّهم الإسلام على ذلك، وجعل مـيراث الحليـف الـسُدُس، فـإن كـان المـراد بقولـه: ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ الميراث، فهو منـسوخ عنـد الأكثـرين، وإليـه ذهـب الأئمـة الثلاثة[2].

وقال أبو حنيفة وأصحابه: هذا الحكم باق.

غير أنهم جعلوا ذوي الأرحام أولى، بقوله: ﴿وأولوا الأرحـام بعـضهم أولى ببعض﴾ [الأنفال:٧٥].

وإن كان المراد به المعاضدة والمناصرة، فحكمه باق لم يُنـسخ، لقولـه ﷺ: «لا حِلْفَ في الإِسْلامِ، وَأَيُّما حِلْفٍ كَانَ في الجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلامُ إلا شِدَّة»[3].

وقيل: المراد بقوله: «الذين عقدت أيمانكم» الذين آخى رسول الله بينهم، وهم المهاجرون والأنصار، كانوا يتوارثون بالأُخوة دون ذوي أرحامهم، فنُـسخ عنـد

(١) "عَاقَدَتْ". انظـر: الحجـة للفـارسي (٢/ ٨٠)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٢٠١)، والكـشف (١/ ٣٨٨)، والنـشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحـاف فـضلاء البـشر (ص:١٨٩)، والـسبعة في القـراءات (ص:٢٣٣).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٣٣١-٣٣٥)، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص:٧٣)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٧٣-٢٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٩٦١ ح٢٥٣٠).

الأكثرين بالآية المذكورة.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

قوله: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ نزلت حين لَطَمَ سعد بن الربيع زوجته، فذهبت إلى النبي ﷺ تطلب القِصاص[١].

والمعنى: الرجالُ قائمون، مسيطرون، ومُسلَّطون على تأديب النساء وتهذيبهن بالحق.

روى هشام بن محمد[٢] عن أبيه في قوله: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ قال: إذا كانوا رجالاً.

وأنشد:

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥٨)، ومجاهد (ص:١٥٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٤٤-١٤٥). وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٣٠٢)، وأبو داود في مراسيله (ص:١٥٥).

(٢) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر، الأخباري، صاحب سمر ونسبة، متروك. توفي سنة أربع ومائتين (تاريخ بغداد ١٤/ ٤٥، والكامل في ضعفاء الرجال ٧/ ١١٠).

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَءاً وَنَارٍ تُوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا[١]

قوله: ﴿بما فضَّل الله﴾ أي: بسبب تفضيل الله ﴿بعضهم﴾ يعني: الرجال ﴿على بعض﴾ يعني: النساء، وذلك بزيادة العقل، والعلم، والفضل، والحزم، والجهاد، وحفظ الذمار، والصلاحية للخلافة، والقضاء، والإمامة، والشهادة.

﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ أي: بما أخرجوا من المهور والنفقات، ﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات لله، ﴿حافظات للغيب بما حفظ﴾ يعني: ما غاب عنه الأزواج من الفروج والأموال.

وفي الحديث: «خيرُ النساء امرأة إن نَظَرْتَ إليها سَرَّتْكَ، وإن أَمَرْتَها أَطَاعَتْكَ، وإذا غِبْتَ عنها حَفِظَتْكَ»[٢].

﴿بما حفظ الله﴾ أي: بحفظ الله إياهن حين أوصى الأزواج بهن في كتابه وعلى لسان رسوله، أو بما حفظ الله مهورهن.

وقرأت على الشيخين أبي البقاء النحوي وأبي عمرو الياسري لأبي جعفر ابن القعقاع: «بما حفظ اللهَ» بالنصب[٣]، على أن «ما» موصولة، أي: حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله، وأمانة الله، وهو التعفف، والتحصن، والنصيحة للرجال.

---

(١) البيت لأبي ذؤاد الإيادي، ونسب لحارثة بن الحجاج. انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٦٦)، والأصمعيات (ص:١٩١)، وخزانة الأدب (٩/ ٥٩٢)، وابن يعيش (٣/ ٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٨)، والقرطبي (١٥/ ٣١٣، ١٦/ ١٥٧)، وروح المعاني (١٠/ ٣٣، ١١/ ١٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ١٢٦ ح١٦٦٤) من حديث ابن عباس، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) النشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٨٩).

قوله: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ قال ابن عباس: الخوف هاهنا بمعنى العلم، وقيل: بمعنى الظن[١].

والنُّشُوز والنُّشُوص بمعنى واحد، وهو: تَرَفُّعُ المرأة عن طاعة زوجها، مأخوذ من النَّشْزُ؛ وهو ما ارتفع من الأرض[٢].

﴿فعظوهن﴾ أي: ذكِّروهن بما وجب عليهن لأزواجهن.

﴿واهجروهن في المضاجع﴾ أي: في الفُرُش، وقيل: في البيوت.

فإن قلنا: في الفُرُش، فيكون كناية عن ترك الجِماع، وهو قول سعيد بن جبير[٣] ومقاتل[٤].

أو يكون أمراً بهجر الفراش والمضاجعة فيه، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة[٥]. وهذان قولان عن ابن عباس[٦].

وإن قلنا: في البيوت، فالمعنى: لا تُبايتوهن في البيوت التي يضطجعن فيها.

وقيل: «في» للسببية لا للظرفية، فالمعنى: اهجروهن بسبب تخلفهن عن المضاجع إذا دعوتموهن إليها.

والأول أشهر وأظهر.

---

(١) ذكره الطبري (٥/ ٦١) عن ابن عباس، والماوردي (١/ ٤٨١-٤٨٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٥٧).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (نشز).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٦٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٧٦).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٢٢٨).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٦٤-٦٥)، ومجاهد (ص:١٥٥-١٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (٥/ ٦٣).

قال ابن عباس: تهجرها في المضجع، فإن أقبلتْ وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مُبَرِّح[١].

قوله: ﴿واضربوهن﴾ يعني: ضرباً غير شائن، ولا كاسر، ولا مُبَرِّح، لأن المقصود التأديب، لا الإتلاف والتعذيب.

قال جماعة من العلماء، منهم الإمام أحمد رضي الله عنه: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرره واللِّجاج فيه، ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز.

وقال الشافعي رضي الله عنه: يجوز.

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ قال ابن عباس: لا تتجنّوا عليهن العلل[٢].

وقال سفيان بن عيينة: لا تكلفها الحب، فإن قلبها ليس في يدها[٣].

والمعنى: لا تطلبوا سبيلاً إلى أذاهن بما ليس لكم عليهن، ولا يحملنكم على ذلك كونكم أكثر اقتداراً، وأكبر أقداراً.

﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾ يَصْغُرُ في جلاله كل كبيرة، وقيل: يَكْبُرُ عن شَبَهِ المخلوقين، والمعنى: إن الله كان كبيراً فاحذروه، أيها الأقوياء الأشداء المستطيلون

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

على مَن في قبضتهم، وتحت تصرفهم.

قوله تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ أي: علمتم شقاقاً بينهما، فأضيف ذلك إلى الظرف اتساعاً؛ كقوله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ:٣٣]. والشِّقَاق: الخلاف والعداوة(١).

والضمير في «بينهما» للزوجين، ﴿فابعثوا﴾ أيها الحكام وولاة الأحكام، ﴿حَكَماً من أهله وحكماً من أهلها﴾؛ لأنهما إذا كانا من أهلهما عرفا باطن أمرهما، وحرصا على صلاح حالهما.

والضميران في قوله: ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ للحَكَمين. وقيل: للزوجين.

فصل

إذا وقع الشقاقُ بين الزوجين، وادَّعى كل واحد منهما تعدِّي صاحبه عليه، أسكنهما الحاكم إلى جانب عدل يطلع على حالهما، فيرفع الأمر إليه، ليأخذ على يد الظالم، فإن التبس الأمر واتصل الشقاق بينهما، وأفضى إلى ما يحرم من القول والفعل، بعث الحاكم الحكمين ليفعلا ما رأيا المصلحة فيه من التفريق بعوض، أو غيره.

والأَوْلى أن يكونا من أهلهما، لما ذكرناه.

ويجوز أن يكونا أجنبيين، لأنهما إما حاكمان وإما وكيلان، وأيا كان فلا يُشترط له القرابة.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (شقق).

وقد اختلفت الرواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه في الحَكَمين، فروي عنه أنهما وكيلان، فعلى هذا يُعتبر رضا الزوجين فيما يحكمان به، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، ولأن بذل المال حق للزوجة، والطلاق حق للزوج، فاعتبر رضاهما فيه، كسائر حقوقهما.

وروي عنه: أنهما حَكَمان، وهو قول مالك، والشافعي، في أحد قوليه(١)، لأن الله سَمَّاهما حَكَمين، ولأن اعتبار رضاهما ربما أفضى إلى دوام الشقاق، فتنتفي الحكمة المطلوبة من شرعية التحكيم.

فعلى هذه الرواية: للحَكَمين أن يجمعا إن رأيا، أو يُفرِّقا، فما فعلا من ذلك لزمهما، وإن لم يرضيا.

وتُشترط عدالة الحَكَمين، على الروايتين معاً، لأن المقصود الإصلاح. والفاسق غير مأمون، فإنه بعرضية الإفساد، جرياً مع هواه وأغراضه الفاسدة.

ويجوز أن يكونا عبدين وعامّيين، إذا قلنا: هما وكيلان، وإن قلنا: هما حَكَمان، اشترط فيهما ما يُشترط في الحاكم من الحرية والعلم وغير ذلك.

﴿إن الله كان عليماً﴾ بتدبير الحَكَمين، ﴿خبيراً﴾ بأمر الزوجين.

۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

(١) انظر: بدائع الصنائع (٢/ ٣٣٤)، والتاج والإكليل (٤/ ١٧)، ومغني المحتاج (٣/ ٢٦١)، والمغني (٧/ ٢٤٣-٢٤٤).

مُخْتَالاً فَخُورًا ﴿٣٦﴾

قوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل قال: «بينا أنا رديف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، قال: يا معاذ، فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده، أن يعبدوه فلا يُشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم، فقلت: يا رسول الله؛ ألا أُبشِّر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتّكلوا، فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً»[1].

قوله: ﴿والجار ذي القربى﴾ الظاهر أنه يريد به قرابة النسب، وهو قول ابن عباس، والأكثرين[2].

أوصى سبحانه بذي القربى، ثم أكد الوصية به إذا كان جاراً لتأكيد حقه بالجوار منضماً إلى القرابة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٤ ح٥٦٢٢)، ومسلم (١/ ٥٨ ح٣٠).
وقوله: "فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً" عند البخاري (١/ ٥٩ ح١٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٨)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشُعَب.

وقيل: المراد به: الجار القريب، وقيل: الجار المسلم.

قوله: ﴿والجار الجنب﴾ وهو البعيد النسب، على قول ابن عباس[(١)].

أو الجار البعيد، أو غير المسلم، على القولين الآخرين[(٢)].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَا زَالَ جبريلُ يُوصِينِي بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنهُ سَيُوَرِّثُه»[(٣)].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر، أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا أَبَا ذرّ، إِذا طَبَخْتَ قدراً فَأَكْثِرْ المَرَقَة، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَك»[(٤)].

وفي صحيح البخاري: أن عائشة رضي الله عنها قالت: «يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَاباً»[(٥)].

قوله: ﴿والصاحب بالجنب﴾ قال علي رضي الله عنه: هو الزوجة[(٦)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرفيق[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٨). وانظر: الدر المنثور (٢/ ٥٢٩).

(٢) انظر: الماوردي (١/ ٤٨٥)، وزاد المسير (٢/ ٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٩ ح٥٦٦٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٥ح ٢٦٢٥).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٥ ح٢٦٢٥).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٧٨٨ ح ٢١٤٠).

(٦) أخرجه الطبري (٥/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري (٥/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٩)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

وقال ابن زيد: هو الذي يَلْصَقُ بك رجاءَ خيرك[١].

قوله: ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ يريد: من الأرقاء.

وقيل: يدخل فيه أيضاً الحيوان البهيم.

قال أنس بن مالك: «كانت وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[٢].

قوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ يَحمله اختيالُه وفخرُه على مجانبة مَن أوصى الله بهم في هذه الآية، والازدراء بهم إذا كانوا فقراء.

قال ابن عباس: المختال: البَطِرُ في مشيته، والفخور: المفتخر على الناس بكبره[٣].

وقال الزجاج[٤]: المختال: الصَّلِفُ التيَّاه الجهول.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «العزُّ إزاري، والكِبرياء ردائي، فمَن نازعني شيئاً منهما عذّبته»[٥].

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَنْظُرُ الله إلى مَنْ جَرَّ ثوْبَهُ خُيَلاء»[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٨٢). وذكره الماوردي (١/ ٤٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧ ح١٢١٩٠) من حديث أنس. وأخرجه أحمد أيضاً (٦/ ٣١٥ ح٢٦٧٢٦) من حديث أم سلمة، وابن ماجه (١/ ٥١٩ ح١٦٢٥) من حديث أم سلمة أيضاً.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٠).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٥١).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣ ح٢٦٢٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨١ ح٥٤٤٦)، ومسلم (٣/ ١٦٥١ ح٢٠٨٥) من حديث ابن عمر.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩﴾

قوله: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ «الذين» نصب على الذم، أو على البدل من قوله: "مَنْ كان مختالاً"، أو رفع بالابتداء، والخبر محذوف[1]، تقديره: الذين يبخلون ملومون أو مُعذَّبون، أو على معنى: هم الذين يبخلون.

قال المفسِّرون: نزلت في اليهود[2].

وفي الذي بخلوا به قولان:

أحدهما: أنه التصديقُ بمحمد ﷺ وإظهارُ صفته للناس حسداً، وبغياً، وتكبراً، ونفاسة عليه، حيث لم يكن منهم.

قال ابن السائب: بخلوا أن يصدِّقوه، فكتموه، وأمروا قومهم بكتمان أمره[3].

وبهذا الاعتبار يصح النصب على البدل.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٧٩)، والدر المصون (٢/ ٣٦١).

(٢) الطبري (٥/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥١)، ومجاهد (ص:١٥٨)، والوسيط (٢/ ٥٢)، وأسباب النزول للواحدي (ص:١٥٦)، والماوردي (١/ ٤٨٧)، وزاد المسير (٢/ ٨١)، ولباب النقول (ص:٦٨).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٥٦)، وفي الوسيط (٢/ ٥٢)، والماوردي (١/ ٤٨٧) بلا نسبة.

والقول الثاني: أنهم بخلوا بالأموال، وأمروا الناس أن يبخلوا بها[(١)].

قال ابن عباس: كان كردم بن زيد، ورفاعة بن زيد بن التابوت، ونافع بن أبي نافع، وحيي بن أخطب، في آخرين يأتون رجالاً من الأنصار من أصحاب رسول الله، وكانوا يخالطونهم، وينتصحون لهم، فيقولون: لا تُنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر، ولا تسارعوا فإنكم لا تدرون ما يكون، فنزلت هذه الآية[(٢)].

قرأ حمزة والكسائي: «بالبَخَل» بفتح الباء والخاء، هنا وفي الحديد[(٣)]. وقرأ الباقون: بضم الباء وسكون الخاء فيهما[(٤)]، وهما لغتان كالرُشْد والرَشَد.

﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ قال ابن عباس والأكثرون: يريد: العلم بما في التوراة مما عظَّم الله به أمر محمد ﷺ وأُمَّته[(٥)].

وإن قلنا: المراد به البخل بالأموال، فالأَليق أن يكون المعنى هاهنا: ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ أي: يُخفون نِعَم الله عليهم على ما هو المتعاهد من عادة البخلاء.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أنعم الله على عبده نعمة، أحب أن

---

(١) الماوردي (١/ ٤٨٧)، وزاد المسير (٢/ ٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٤)، والثعلبي (٣/ ٣٠٦-٣٠٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٨) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الحديد: ٢٤، في قوله تعالى: ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٠٣)، والكشف (١/ ٣٨٩)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٢).

تُرى»[(١)].

ويروى: أن بعض عُمَّال الرشيد بنى قصراً إلى جانب قصره، فنُمَّ به إليه فقال: يا أمير المؤمنين! إن الكريم يَسُرُّه أن يرى أثر نعمته، فأحببتُ أن أَسُرَّكَ بالنظر إلى آثار نعمتك، فأعجبه كلامه[(٢)].

وقال بعضهم: الشكرُ بإظهار حسن الحال أبلغُ من الشكر بالمقال.

ويروى: أن جعفر بن يحيى البرمكي[(٣)] -رحمهما الله- ركب لحاجة، وكان طريقه على بيت الأصمعي[(٤)]، فدفع إلى غلام له كيساً فيه ألف دينار، وقال: إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي، ثم سيحدثني، ويُضحكني، فإذا ضحكت، فضع الكيس بين يديه، فلما دخل جعفر على الأصمعي، رأى عنده حُبّاً[(٥)] مكسور الرأس، وجَرّةً مُلتوية العنق، وقَصْعة مشعَّبة، ورآه على مُصلّى بالٍ وعليه بَرّكان[(٦)] أجرد، فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأصمعي شيئاً مما

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٢٣ ح٢٨١٩)، وأحمد (٣/ ٤٧٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١/ ٥٤٢-٥٤٣).

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد، أبو الفضل البرمكي، وزير الرشيد العباسي وأحد مشهوري البرامكة، قُتِل مع البرامكة في وقعة الرشيد بهم سنة سبع وثمانين ومائة (تاريخ بغداد ٧/ ١٥٢، والأعلام ٢/ ١٣٠).

(٤) عبد الملك بن قُرَيب بن علي بن أصمع الأصمعي، أبو سعيد الباهلي البصري، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ونسبته إلى جده أصمع. توفي سنة ست عشرة ومائتين (الأعلام ٤/ ١٦٢).

(٥) الحُبُّ -بضم الحاء المهملة وتشديد الباء المعجمة وضمها-: الجَرَّة الضخمة (اللسان، مادة: حبب).

(٦) البرّكان -أو البَرْنكان-: هو ضرب من الثياب. قال الفرّاء: كساء من صوف له عَلَمان، وقيل: بَرْنكان على وزن زعفران (اللسان، مادة: برنك).

يضحك الثكلان إلا أورده عليه، فما تَبَسَّم، وخرج، فقال لرجل يسايره: مَن استرعى الذئب ظلم، ومَن زرع سبخة حصد الفقر، إني والله لو علمتُ أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حفلتُ بنشره باللسان، وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان، إن اللسان قد يكذب، والحال لا يكذب، لله در نُصَيْب[1] حيث يقول:

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيكَ الحَقَائِبُ[2]

قوله عز وجل: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس...﴾[3] قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في اليهود[4].

وقال السدي: نزلت في المنافقين[5].

وقيل: في مشركي مكة[6].

فإن قيل: كيف قال ابن عباس: نزلت في اليهود، وهم أهل كتاب يصدِّقون بالله وبالبعث.

---

(١) نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح (الأعلام ٨/ ٣١).

(٢) البيت في الشعر والشعراء (ص:٢٦٠)، وذيل أمالي القالي (ص:٤٠)، ومعجم الأدباء لياقوت (١٩/ ٢٣١).

(٣) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثلاثين، مرة ثانية.

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٣)، والثعلبي (٣/ ٣٠٧). وذكره الماوردي (١/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٠٧)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٣).

(٦) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٣).

قلت: المعنى: لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً كاملاً، فإنهم كفروا بالقرآن، وبما جاءت به الرسل من عند الله، وكذَّبوا بالبعث على الوجه الذي أخبرتْ به رسل الله، وجاءت به كتبه، وقالوا: لا تُبعث الأجساد، ولا يُنَعَّمُ أهلُ الجنة بالأكل، والشرب، والنكاح، فكأنهم لم يؤمنوا.

فإن قيل: قد نطقت الآية التي قبلها أنهم يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، فكيف وصفهم في هذه الآية بأنهم يُنفقون أموالهم؟

قلت: ليجمع لهم الذم بكل طريق، فأخبر عنهم بأنهم جمدوا في الحق حتى بخلوا، وأمروا بالبخل غيرهم، فكانوا كما قيل:

وإن امرءاً ضنَّت يداه على امرئٍ ... بنيل يدٍ من غيره لبخيل[1]

ودأبوا في الباطل حتى أنفقوا أموالهم فيه رياء وسمعة، واستمالةً للناس عن اتباع الهدى.

فإن قيل: ما إعراب قوله: «والذين ينفقون»؟

قلت: إن كان معطوفاً على «الذين يبخلون» فإعرابه النصب، أو الرفع، وإن كان معطوفاً على قوله: «وللكافرين» فإعرابه الجر[2]، وبهذا البيان يتضح لك مقاطع الكلام ومواضع الوقف، فتَفَهَّم ذلك.

قوله: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ هو من قولك: قَرَنْتُ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ؛ إذا وَصَلْته به[3].

---

(١) البيت لأبي تمام. انظر: الكشاف (١/ ٥٤٢).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (قرن).

فالقَرِينُ هو: المواصل، المؤالف.

والمعنى: مَن يكن الشيطان له قريناً في الفعل ﴿فساء قريناً﴾.

وقال ابن السائب: هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار، يقرن مع كل كافر شيطان، ويقول الله: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ يقول: بئس المصاحب الشيطان[1].

قوله: ﴿وماذا عليهم﴾ تقريع لهم؛ كما يقال للرجل الفاجر العاق: ما ضرّك لو أطعتَ ربك، وبررتَ أباك، وكما يقال للمنتقم: ما يضرّك لو عفوتَ.

ومنه قول قُتَيْلَة بنت النضر بن الحارث في أبياتها السائرة، حين قتل النبي ﷺ أباها بالصفراء مَقْفَلَه من بدر، وكان شديد الشكيمة في كفره وتكذيبه، وأذاه للنبي ﷺ ومعاداته له:

أَمُحَمَّــدٌ أَوَ لَــسْتَ ضِــنْءُ نَجِيبَــةٍ في قَوْمِهـا وَالفَحْـلُ فَحْـلٌ مُعْـرِقُ

مَــا كَــانَ ضَرَّكَ لَــوْ مَنَنْــتَ فَــرُبَّمَا مَنَّ الفَتـى وَهـوَ المَغِـيظُ المُحْنِـقُ[2]

فقال النبي ﷺ: «لو بلغني شِعْرها قبل أن أقتله لتركته لها».

والمعنى: أي شيء على هؤلاء الذين يُنفقون أموالهم رئاء النـاس ولا يؤمنـون ﴿لو آمنوا ...﴾ .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣).

(٢) انظر البيتان في: سيرة ابن هـشام (٣/ ٣٠٩)، والاستيعاب (٤/ ١٩٠٥)، والقرطبي (٨/ ٥٩)، والإصابة (٨/ ٨٠) باختلاف في بعض الألفاظ.

وانظر البيت الأول في: اللسان، مادة: (ضنأ، عرق)، والبيت الثاني في: اللسان، مادة: (غيظ).

والضِّنْءُ: الأصلُ والمَعْدِن. ومُعْرِق: أي عريق النسب أصيل.

﴿وأنفقوا﴾ قال ابن عباس: يعني: الصدقة[١].

وقيل: الزكاة[٢].

﴿وكان الله بهم عليماً﴾ فهو يعلم ما هم عليه من الكفر والنفاق، ويعلم قصدهم بالإنفاق.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾[٣] قال ابن عباس: لا ينقص مثقال ذرة من عمل منافق إلا جازاه بها[٤].

ومثقال كل شيء: وَزْنُه.

قال الأصمعي: إذا قلت للرجل: ناولني مثقالاً فأعطاك صنجة ألف أو [صنجة][٥] حبة، كان ممتثلاً[٦].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٣).

(٢) وهو قول أبي سليمان الدمشقي (انظر: زاد المسير ٢/ ٨٣).

(٣) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الخامس عشر.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣).

(٥) زيادة من زاد المسير (٢/ ٨٤).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٤).

والذَرَّة في اللغة: أصغر النَّمل[١].

وفي قراءة عبد الله: «مثقال نملة»[٢].

وروي عن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب، ثم رفعها، ثم نفخ فيه، ثم قال: كل واحد من هؤلاء ذَرَّة[٣].

وروي عنه: أنها رأس النملة[٤].

وقيل: الواحدة مما يتطاير من الهباء في ضوء الشمس.

وقيل: الخَرْدَلَة.

والمراد: أنه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً، لكنه ذكر الذَّرَّة لأنها غاية ما يُضرب به المثل في القِلَّة.

﴿وإن تَكُ حسنة يضاعفها﴾ أي: إن تك فعلته حسنة، أو مثقال الذَرَّة حسنة، وأنَّثه لكونه مضافاً إلى مؤنث.

قرأ ابن كثير ونافع: «حَسَنَةٌ» على معنى: إن تحدث أو توجد حسنة.

وقرأ ابن عامر وابن كثير: «يُضَعِّفْها» بالتشديد من غير ألف. وقرأ الباقون بألف، مع التخفيف[٥].

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (ذرر).

(٢) كتاب المصاحف لابن أبي داود (ص:٦٤)، ومختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٦).

(٣) أخرجه هناد في الزهد (١/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩٨) وعزاه لهناد.

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٨٨)، والثعلبي (٣/ ٣٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٠٣)، والكشف (١/ ٣٨٩-٣٩٠)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٣).

قال ابن عباس: وإن تَكُ حسنة من مؤمن يضاعفها بعشرة أضعافها[1].

قال السدي: هذا عند الحساب، والقِصاص، فمن بقي له من الحساب مثقال ذرة ضاعفها الله إلى سبعمائة ضعف، وإلى الأجر العظيم، وهو قوله: ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ يعني: يتفضل عليه بأكثر من العشرة الأضعاف[2].

وقال الكلبي: الأجر العظيم: الجنة[3].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك في قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بهَا في الدُّنْيَا وَيُجْزَى بهَا في الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بهَا لله في الدُّنْيَا، حَتَّى إِذا أَفْضَى إِلى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بهَا»[4].

قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ هذا استفهام في معنى التوبيخ، أي: كيف تكون حالهم يوم القيامة: ﴿إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ وهو نبيها يشهد لها، وعليها.

﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء﴾ المكذبين ﴿شهيداً﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٥) بلا نسبة. وانظر: الطبري (٥/ ٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٢ ح٢٨٠٨).

أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الصمد [بن](١) محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحِرِسْتاني، قراءةً عليه وأنا أسمع بجامع دمشق، أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي، أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيْع الغساني الصيداوي قراءةً عليه في داره بصيدا، سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الواعظ ببغداد، حدثنا حميد بن الربيع، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عَبيدة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ من سورة النساء، قال: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي [أن](٢) أسمعه من غيري، فقرأت عليه حتى انتهيت إلى قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ فسالت عيناه، فسَكَتُّ»(٣). هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه عن صدقة، عن يحيى، عن سفيان، عن سليمان الأعمش، فكأني سمعته من طريق البخاري، عن الداودي، شيخ شيخ شيخنا.

قوله تعالى: ﴿يومئذ يود الذين كفروا﴾ العامل في «يومئذ»: «يَوَدُّ»، وتنوين "إذ" عوض عن الجملة المحذوفة، تقديره: يوم إذ شهدت على هؤلاء، يود الذين كفروا.

﴿وعصوا الرسول لو تُسَوَّى﴾ قرأ نافع وابن عامر ﴿تَسَّوَّى﴾ بفتح التاء وتشديد السين، أصلها: تتسوى، فأدغمت التاء في السين. وكذلك قرأ حمزة

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة على الأصل. وانظر ترجمته في: التقييد (١/ ٣٨١)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٨٠).

(٢) زيادة من الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٧ ح٤٧٦٨)، ومسلم (١/ ٥٥١ ح٨٠٠).

والكسائي إلا أنهما حَقَّقا السين، وأمالا على أصلهما.

وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين[١]، على معنى: لو تسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى.

قال قتادة: وَدُّوا لو تخرّقت بهم الأرض فَسَاخُوا فيها[٢].

قال الزجاج[٣]: يودُّون أنهم كانوا والأرض سواء.

وقال ابن كيسان وغيره: ودُّوا أنهم لم يُبعثوا، وأنهم كانوا والأرض سواء[٤].

وقال الفرّاء[٥] وغيره: المعنى: ودُّوا لو جُعِلوا تراباً، وكانوا هم والأرض سواء.

قال أبو هريرة: إذا حَشَرَ الله الخلائقَ قال للبهائم والدواب والطير: كوني تراباً، فعندها يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً[٦].

﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ كلام مستأنف، على معنى: لا يقدرون على كتمانه؛

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٨٣)، ولابن زنجلة (ص:٣٠٣)، والكشف (١/ ٣٩٠-٣٩١)، والنشر (٢/ ٢٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٧)، والثعلبي (٣/ ٣١٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٤٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٥٤).

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ٣١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٧).

(٥) معاني الفراء (١/ ٢٦٩). وانظر: زاد المسير (٢/ ٨٦).

(٦) أخرجه الطبري (٧/ ١٨٩، ٣٠/ ٢٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٦، ١٠/ ٣٣٩٦)، والبيهقي في البعث والنشور (ص:٣٤١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور.

لأن جوارحهم تشهد عليهم، فتقول اليد: بطشتُ، وتقول الرِّجل: مشيتُ، وتقول العين: نظرتُ.

قال ابن عباس: هذا حين يُختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا يكتمون الله حديثاً(١).

وقيل: الواو في قوله: «ولا يكتمون» واو الحال، فيكون متعلقاً بـ«يَوَدُّ»، على معنى: يودون لو تُسَوَّى بهم الأرض، وأنهم لا يكتمون الله حديثاً، ولا يَكْذبون في قولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، إذا فضحتهم جوارحهم بالشهادة عليهم. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس(٢).

وقال عطاء: ودُّوا يوم القيامة لو تُسَوَّى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كتموا صفة محمد ﷺ في الدنيا(٣).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٩٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٧)، والثعلبي (٣/ ٣١١)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٦)، والحاكم (٢/ ٣٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٤٢-٥٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٧).

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ أخرج أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه -واللفظ له- بإسنادهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «صَنَعَ لَنَا ابْنُ عَوْفٍ طَعَاماً، فَدَعَانَا، فأكلنا وَسَقَانَا خمراً، قبل أن تُحَرَّم الخمر، فأخذت مِنَّا، وَحَضَرَتْ الصَّلاةُ، فَقَدَّمُونِي، فَقَرَأْتُ: "﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:١-٢]، وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"، قَالَ: فخلطتُ، فنزلت: ﴿لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُون﴾»[١].

والمراد من الآية: زجرهم عن الشرب في الأوقات القريبة من الصلوات، ثم نسخ ذلك بما ذكرناه في البقرة[٢].

وقيل: ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ أي: مواضع الصلاة، وهي المساجد، كأنه نَزَّه المساجد من السكارى، لأنه لا يؤمن تلويثهم للمساجد، كما قال عليه السلام: «جَنِّبوا مساجدكم الصبيان والمجانين»[٣].

وقيل: "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" من النعاس، فإنكم لا تعقلون ما تُصلُّون.

قال بعض أرباب الإشارات: "وأنتم سكارى" من حب الدنيا.

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢٥ ح٣٦٧١)، والترمذي (٥/ ٢٣٨ ح٣٠٢٦).

(٢) نُسخ حكم هذه الآية بآية المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة:٩٠]. (انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص:٧٤، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص:٢٧٩-٢٨٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٤٧ ح٧٥٠) عن واثلة بن الأسقع الليثي، والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٦) من حديث أبي أمامة وواثلة وأبي الدرداء، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٤) من حديث أبي هريرة.

قال يحيى بن معاذ الرازي[1]: الدنيا خمر الشيطان، مَن سَكِرَ منها لا يُفيق إلا في عسكر الموتى[2].

وكلُّ هذا محتمل، غير أن التفسيرَ الذي يُعتمد عليه ما اقتضاه سبب النـزول، وهو السُّكْر المعروف، وهو المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق.

والسّكارى جمع سكران: وهو الذي سُدَّ عليه طريق الإدراك، ومتى بلـغ إلى هذه الحالة، كان بيعه وشراؤه ملغي، وأُخِـذ بالقتـل وسـائر الاسـتهلاكات، وفي وقوع طلاقه وعتاقه اختلاف بين الصحابة، والأئمة الأربعة[3].

﴿ولا جُنُباً﴾ قال الزمخشري[4]: هو عطف على قوله: «وأنتم سـكارى»؛ لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جُنُباً.

والجُنُب يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث؛ لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب.

﴿إلا عابري سبيل﴾ استثناء من عامة أحوال المخاطبين، وانتصابه على الحال.

---

(١) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا، الواعظ الزاهد، مـن كبـار المشايخ، لـه كـلام جيـد، ومواعظ مشهورة. توفي سنة ثمان وخمـسين ومـائتين (سـير أعـلام النـبلاء ١٣/ ١٥، والأعـلام ٨/ ١٧٢).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٩٨)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص:٣٨٢).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٤) الكشاف (١/ ٥٤٦).

فإن قلت: كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها؟

قلت: كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تُعذرون فيها، وهي حال السفر، وعبور السبيل عبارة عنه.

ويجوز أن لا يكون حالاً، ولكن صفة لقوله: "جُنُباً"، أي: ولا تقربوا الصلاة جُنُباً غير عابري سبيل، أي: جُنُباً مقيمين غير معذورين.

قال(١): فإن قلت: كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر؟.

قلت: أريد بالجُنُب الذين لم يغتسلوا، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا، إلا أن تكونوا مسافرين.

وقال(٢): مَنْ فسَّر الصلاة بالمسجد: معناه: لا تقربوا المسجد جُنُباً إلا مجتازين فيه.

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر﴾(٣) نزل في رجل أنصاري أعجزه المرض القيام إلى الوضوء، ولم يكن له خادم(٤).

وقيل: في الجرحى حين شكوا إلى رسول الله ﷺ ما يصيبهم من الجنابة.

وظاهرُ الآية يقتضي جواز التيمم مع حصول المرض الذي يُستضَر معه باستعمال الماء، سواء أكان يخاف التلف أو لا يخاف، وهو مذهب إمامنا.

---

(١) أي: الزمخشري في الكشاف (١/ ٥٤٦).

(٢) أي: الزمخشري في الكشاف، الموضع السابق.

(٣) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس السادس عشر.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٤٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

وقال الشافعي رحمه الله -في أحد قوليه-: لا يجوز التيمم إلا إذا خاف التلف[١].

وكذلك السفر يجوز فيه التيمم عند عدم الماء، قصيراً كان أو طويلاً. والحضر كالسفر عند عدم الماء. وخصَّه بالذِّكر؛ لأن الماء لا يُعدم إلا فيه غالباً.

فإن حُبس في المصر ولم يقدر على الماء، وحضرت الصلاة، صلَّى بالتيمم، خلافاً لأبي حنيفة -في إحدى روايتيه- وداود، في قولها: لا يصلي. ولا إعادة عليه عندنا.

وقال الشافعي: يُعيد[٢].

﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه[٣]: «أو» بمعنى الواو؛ لأنها لو لم تكن كذلك، لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلق بالحَدَث.

والغائط أصله: المكان المطمئن من الأرض[٤]، كانوا يتوارون فيه عند الحَدَث، فاستُعير له.

وكذلك العَذِرَة، أصله: فِناء الدار[٥]، ثم غلب على الحَدَث لأنهم كانوا يلقونه بأفنيتهم.

---

(١) مغني المحتاج (١/ ٩٣)، والمغني (١/ ١٦١).

(٢) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٥٠)، والتمهيد (١٩/ ٢٧٧)، ومغني المحتاج (١/ ٨٩)، والمغني (١/ ١٤٩)، والمحلى (٢/ ١٥٩).

(٣) زاد المسير (٢/ ٩١-٩٢).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (غوط).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (عذر).

والرَّاوية: البعيرُ الذي يُستقى عليه(١).

والظَّعينَة: الهَوْدَجُ الذي تُحمل المرأة فيه(٢). فهذا وأمثاله مما صارت الحقيقة فيه مهجورة، والمجاز مشهوراً.

قوله: ﴿أو لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «لَمَسْتُم». وقرأ الباقون: «لاَمَسْتُم» بألف(٣)، وكذلك في المائدة [٦].

فمن قرأ: «لاَمَسْتُم» قال: الفعل من اثنين، فجرى على المفاعلة، ويتجه على هذه القراءة قول عليّ وابن عباس: إن المراد به الجِماع(٤).

ومَن قرأ «لَمَسْتُم» جعل الفعل من واحد، وهو الإفضاء باليد، أو ببعض الجسد إلى جسد المرأة، وهو قول ابن مسعود، وابن عمر، ومنصور، والشعبي، والنخعي(٥).

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (روي).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (ظعن).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٨٣-٨٤)، ولابن زنجلة (ص:٢٠٤)، والكشف (١/ ٣٩١)، والنشر (٢/ ٢٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٤).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ١٠٢-١٠٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١)، وابن أبي شيبة (١/ ١٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن علي بن أبي طالب. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ١٠٤-١٠٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١)، وعبد الرزاق (١/ ١٣٣)، وابن أبي شيبة (١/ ١٥٣)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٤٩)، والبيهقي في الكبرى (١/ ١٢٤)، والحاكم (١/ ٢٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٤٩-٥٥١) وعزاه لسعيد بن منصور من طريق النخعي. ومن طريق آخر عن الشعبي، وعزاه لابن أبي شيبة. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، =

وفي هذه الآية على هذا التفسير مستدلٌ لمن حكم بنقض الوضوء من لمس النساء، وقد اختلف العلماء في ذلك، وفيه عن الإمام أحمد ثلاث روايات:

أحدها: لا ينتقض بكل حال، وهو قول ابن عباس، والحسن البصري، ومحمد بن الحسن، وسفيان الثوري، في إحدى الروايتين عنه.

الثانية: ينقض بكل حال، وهو قول ابن مسعود، وابن عمر، والزهري، وربيعة، والشافعي.

الثالثة: التفصيل، إن كان لشهوة نقض، وإن كان لغير شهوة لم ينقض، وهو الصحيح من المذهب، واختيار عامة الأصحاب، وهو قول مالك، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه.

وقال الأوزاعي: إن كان اللمس باليد نقض، وإلا فلا[(١)].

وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: إن كانت ملامسة فاحشة تنشر الآلة نقضت، وإلا فلا.

﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾[(٢)] أخرجا في الصحيحين: «أن عائشة رضي الله عنها كانت مَعَ النبي ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فانْقَطَعَ عِقْدٌ لها، فَأَقَامَ النبي ﷺ

=

وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي.

(١) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٣٠)، ومغني المحتاج (١/ ١٥)، والمغني (١/ ١٢٣-١٢٤)، والتمهيد (٢١/ ١٧٥).

(٢) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الحادي، والثلاثين، مرة ثانية.

عَلَى التِمَاسِهِ [وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ][١] وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَنَزَلَتْ هذه الآية، فَقَالَ أُسَيْدُ بن حُضَيْر: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْر»[٢].

واختلف العلماءُ في وجوب طلب الماء: فذهب الإمام أحمد -في أصح الروايتين عنه- إلى أن طلب الماء شرط، لقوله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا﴾، ولا يقال: لم يجد إلا إذا طلب.

وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس بواجب ولا شرط، وهو الرواية الأخرى[٣].

والتَّيَمُّم: القَصْد[٤]، كما ذكرناه في البقرة.

والصَّعِيد: التراب، في قول عليّ، وابن مسعود، والفرَّاء، والزجَّاج[٥].

وقال الشافعي: لا يقع اسم الصَّعيد إلا على تراب ذي غبار، فلذلك قال: لا يجوز التيمم إلا بما كان بهذه الصفة، وهو الصحيح من مذهب إمامنا[٦].

وقال الزجَّاج[٧] وأبو حنيفة وأصحابه: الصَّعيدُ: وجهُ الأرض تراباً كان أو غيره، حتى لو ضربتَ عندهم على صخرة، لا غبار عليها، كان ذلك طهوراً[٨].

وفي قوله في المائدة: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [المائدة:٦] دليلٌ على

---

(١) زيادة من الصحيحين.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢٧ ح٣٢٧)، ومسلم (١/ ٢٧٩ ح٣٦٧).

(٣) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٤٧)، والمجموع (٢/ ٣٤٧)، والمغني (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (أمم).

(٥) ذكره الماوردي (١/ ٤٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٩٤).

(٦) انظر: مغني المحتاج (١/ ٩٦)، وكشاف القناع (١/ ١٧٢)، والمغني (١/ ١٥٥).

(٧) معاني الزجاج (٢/ ٥٦).

(٨) انظر: الهداية (١/ ٢٥).

صحة مذهبنا، لأن المعنى: امسحوا بوجوهكم، وأيديكم ببعضه، وهذا مستحيل في الصخر الذي لا تراب عليه.

قالوا: «مِن» لابتداء الغاية.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: قولهم: إنها لابتداء الغاية قول متعسف، ولا يَفهم أحد من العرب من قول القائل: مسحت برأسه من الدهن، ومن الماء، ومن التراب، إلا معنى التبعيض.

قلت: هو كما تقول، والإذعان للحق أحق من المراء.

فصل

ذهب الإمام أحمد إلى أن التيممَ ضربةٌ واحدة للوجه والكفين، وهو قول علي، وابن عباس، وعمار، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وعكرمة، والأوزاعي، وإسحاق، لأن اليد عند الإطلاق إلى الكوع؛ بدليل قوله: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [المائدة:٣٨]، والقطع من الكوع بالإجماع.

وفي الصحيحين من حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال: «يَكْفِيكَ الوَجْهَ وَالكَفَّيْنِ»[2].

ورواه أيضاً عمار عن النبي ﷺ فعلاً فقال: «فضرب النبيُّ ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفّيه»[3].

وذهب جماعة منهم ابن عمر، والحسن، وأبو حنيفة، والثوري، والشافعي إلى

---

(١) الكشاف (١/ ٥٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٣٠ ح٣٣٤)، ومسلم (١/ ٢٨٠ ح٣٦٨).

(٣) هو تكملة للحديث السابق.

أنه ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين[1].

وذهب ابن سيرين إلى أنه ثلاث ضربات: ضربة للوجه، وضربة للكفين، وضربة للذراعين.

وذهب الزهري إلى أنه يمسح إلى الآباط، لأن عماراً قال: ضربنا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب[2].

ولا حُجَّة فيه، لأنه حكى فعلهم، ولم يقل: إن النبي ﷺ فعله، ولا أمر به، ولا رآه، أو بلغه فسكت.

قوله: ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾ يصفح ويتجاوز عنكم، ويغفر لكم ما كان منكم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن
تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا
﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٦٧) كلاهما من حديث ابن عمر. وانظر: المغني (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١١٢)، والثعلبي (٣/ ٣٢٠-٣٢١)، والهداية (١/ ٢٥)، والتمهيد (١٩/ ٢٨٢)، والمجموع (٢/ ٢٤١)، والمغني (١/ ١٥٤).

مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ قال قتادة: هم اليهود[١].

والنصيبُ الذي أوتوه: علمُهم بما في كتابهم من نعت النبي ﷺ وغيره.

﴿يشترون الضلالة﴾ يؤثرونها، ويرفضون ما كانوا عليه من الهدى والإيمان بمحمد ﷺ قبل مبعثه.

قال الزجَّاج[٢]: يؤثرون التكذيب بالنبي عليه السلام، ليأخذوا على ذلك الرُّشا.

﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ أي: أن تخطئوا أيها المؤمنون طريق الهدى.

قوله تعالى: ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ أي هو أعرف بهم منكم، فهو يُطلعكم عليهم، فجانبوهم، ولا تناصحوهم، ولا تصاحبوهم، ﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾ فثقوا بولايته، ونصره لكم.

قوله تعالى: ﴿من الذين هادوا﴾ قال الزجّاج[٣]: «مِن» صلة «الذين أوتوا الكتاب»، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا. أو جملة مستأنفة، المعنى: من الذين هادوا قوم يُحرِّفون، فيكون قوله: «يُحرِّفون»

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١١٥-١١٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٩٧).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٥٧).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٥٧-٥٨).

صفة، ويكون الموصوف محذوفاً. وأنشد سيبويه:

وَمَا الدَّهْرُ إلا تَارَتَانِ، فَمِنْهُمَا   أَمُوتُ وَأُخْرى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ[١]

المعنى: فمنهما تارة أموت فيها.

وقال صاحب الكشاف هذا المعنى فأجاد، وزاد[٢]: «من الذين هادوا» بيانٌ للذين أوتوا نصيباً من الكتاب.

قوله: ﴿والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله﴾ «وكفى بالله» جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل [الاعتراض][٣]، أو بيان لـ"أعدائكم"، وما بينهما اعتراض، أو صلة لـ» نصيراً»، أي: ينصركم من الذين هادوا، كقوله: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ [الأنبياء:٧٧]. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، على أنّ «يُحَرِّفون» صفة مبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يُحَرِّفون[٤]، كقوله: -وأنشد البيت[٥]-:

وَمَا الدَّهْرُ ....

ومعنى: ﴿يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه﴾ يميلونه ويزيلونه عنها؛ كما كانوا

---

(١) البيت لتميم بن مقبل. انظر: ديوانه (ص:٢٤)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٤٦)، والمحتسب (١/ ١١٢)، والخزانة (٢/ ٣٠٨)، ومعاني الفرَّاء (٢/ ١٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٣)، والكامل للمبرد (ص:٥٣٨).

والتارة: الحين والمرة. والشاهد في البيت: حذف الاسم لدلالة الصفة عليه.

(٢) الكشاف (١/ ٥٤٨-٥٤٩).

(٣) في الأصل: الاعراض. والتصويب من الكشاف (١/ ٥٤٨).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٨٢)، والدر المصون (٢/ ٣٧١-٣٧٢).

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف (١/ ٥٤٩).

يقولون للنبي ﷺ: راعنا، والسَّام عليك، وما حرّفوه أيضاً من التوراة، وغيَّروه من صفة النبي ﷺ.

﴿ويقولون سمعنا وعصينا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وكانوا يجاهرون بالكفر، ويُعَرِّضون بالسبّ، فلذلك صرَّحوا بالعصيان ولوَّحوا بالسب في قولهم: ﴿واسمع غير مُسْمَعٍ وراعنا﴾، فقوله: «غير مسمع» حال من المخاطب.

قال ابن عباس: معناه: لا سمعت[1]. كأنهم قالوا: اسمع منا مَدْعُوّاً عليك بالصُّمّ.

وقال الحسن: المعنى: اسمع غير مقبول منك[2].

فهذا مقصودهم، وباطن كلامهم، وظاهره: اسمع غير مُسمَع مكروهاً، فهو كلام ذو وجهين.

وقيل: كانوا يقولون بألسنتهم: اسمع، وفي نفوسهم: لا سمعت. وهذا القول يأباه قوله: «لياً بألسنتهم»، وقولهم: "راعنا"، ودلالة الحال.

وقد سبق في البقرة الكلام على «رَاعِنا»[3].

قوله: ﴿لياً بألسنتهم﴾ مصدر، أصله: لَوْياً، فأدغمت الواو في الياء.

وقيل: إن رفاعة بن زيد كان إذا تكلم النبي ﷺ لوى لسانه، وطعن في

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني.

(٢) ذكره الطبري (٥/ ١١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٠).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ [البقرة:١٠٤].

الإسلام، فأنزل الله فيه هذه الآية[1].

والمعنى: تحريفاً للمدح إلى الذم.

﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ بدل قولهم: "سمعنا وعصينا"، ﴿واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم﴾ مما أظهروا وأضمروا، ﴿وأقوم﴾ أي: أعدل، ﴿ولكن لعنهم الله﴾ طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ أي: إيماناً قليلاً ضعيفاً[2].

والمنقول عن ابن عباس: فلا يؤمن منهم إلا قليل؛ كعبد الله بن سلام[3].

ثم إن الله أمرهم بالإيمان وهددهم فقال: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً﴾.

قال ابن عباس وقتادة وجمهور المفسِّرين: نطمس ما فيها من عين وحاجب وأنف، فنجعلها كخف البعير، وحافر الفرس، كما طمسنا أموال القبط، فجعلناها حجارة، ونحولها إلى الأدبار[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٢١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٠).

(٤) أخرج نحوه الطبري (٥/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠١). وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال قتادة: نُحوِّل وجوههم قِبَل ظهورهم ونطمس عيونهم[١].

وقيل: هو استعارة عن إعماء بصائرهم عن الحق، وردهم عن الهدى بكل وجه.

وروي أن كعباً لما سمع هذه الآية قال: يا رب آمنت، يا رب أسلمت، خشية أن يصيبه هذا الوعيد[٢].

﴿أو نلعنهم﴾ يعني: أصحاب الوجوه.

وقيل: «الذين أوتوا الكتاب» على طريقة الالتفات من المخاطبة إلى المغايبة.

والمراد بلعنهم: مسخهم قردة وخنازير، بدليل قوله: ﴿كما لَعَنَّا أصحاب السبت﴾.

وقيل: طردهم في التِّيه. وفيه بُعْد.

فإن قيل: لم يوجد فيهم طمس ولا مسخ.

قلت: هو مرتقب لهم، ألا تراه يقول: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾.

وجائز أن يراد بالطمس: إعماء قلوبهم عن الهدى، وباللعن: طردهم عن رحمة الله أو عن بلادهم، أو اللعن المتعارف، وكل ذلك قد وُجِد فيهم، فإنهم نُفوا إلى أَذرِعَات[٣]، وطُرِدوا عن رحمة الله، ولُعِنوا بكل لسان.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩)، والثعلبي (٣/ ٣٢٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢-٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٥-٥٥٦) وعزاه لابن جرير.

(٣) أذرعات: المعروفة اليوم بـ: درعا، من الأراضي السورية.

وجائزٌ أن يكون ذلك مشروطاً باتفاقهم على ترك الإيمان، فانتفى التعذيب عنهم في الدنيا لإيمان بعضهم، والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به﴾ قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... الآية﴾ [الزمر:٥٣]، قالوا: يا رسول الله، والشرك، فكره رسول الله ﷺ ذلك، فأنزل الله هذه الآية[١].

قال عليّ رضي الله عنه: ما في القرآن آية أرجى عندي من هذه الآية: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٢].

وقال ابن عمر: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا يقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٣].

وفي هذه الآية دليلٌ على أن مَن مات على الإيمان من أهل الكبائر لا يخلد في النار، وبرهان قاطع على بطلان ما انتحله القَدَرية[٤] من قولهم: لا يجوز أن يغفر الله الكبيرة، ولا أن يعفو عن المعاصي.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٠)، والثعلبي (٣/ ٣٢٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤٧)، والثعلبي (٣/ ٣٢٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٨) وعزاه للفريابي والترمذي.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٠٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ١٨٦)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥٧) وعزاه لابن الضريس وأبي يعلى وابن المنذر وابن عدي.

(٤) القَدَرية: لقبوا بذلك لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير الله، ولهذا سماهم رسول الله ﷺ: مجوس هذه الأمة.

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ثمَّ مَاتَ عَلَى ذلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، ثمَّ قَالَ في الرَّابعَةِ: عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبي ذرٍّ. فكَانَ أَبُو ذرّ يُحَدِّثُ بهَذا بَعْد وَيَقُول: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبي ذرٍّ»[1].

وفي تعليق المغفرة بالمشيئة، تعديل لخوف المؤمن ورجائه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ قال ابن عباس: نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد؛ هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا، فقالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم، وما عملناه بالنهار كُفِّر عنا بالليل، وما عملناه بالليل كُفِّر عنا بالنهار، فنزلت هذه الآية[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٩٣ ح٥٤٨٩)، ومسلم (١/ ٩٥ ح٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢) عن ابن عباس بمعناه. وذكره الثعلبي (٣/ ٣٢٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٥٩-١٦٠)، والوسيط (٢/ ٦٥) من طريق الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٤).

=

وقال غيره: كانت اليهود والنصارى يثنون على أنفسهم ويقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن يدخل الجنة إلا مَن كان هوداً أو نصارى[١]، ويُمنّون بأنهم أهل الكتاب وأوعية العلم، وأولاد الأنبياء، ووُرَّاث الحكمة إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة، والخدع، ويَركبون رؤوسهم في الجهل، والاجتراء على أنبياء الله وأوليائه، فيكذبون فريقاً ويقتلون فريقاً، فردّ الله عليهم وكذَّبهم فقال: ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾، فيجعله زاكياً، مرضياً، مطهراً من دنس الإثم والرذائل.

قال ابن عباس: هم أهل التوحيد[٢].

﴿ولا يظلمون﴾ يعني: لا ينقص من ثواب أعمالهم.

﴿فتيلاً﴾ قال مجاهد وعطاء، وجمهور المفسِّرين، وابن قتيبة[٣]، والزجَّاج[٤]: الفتيل: ما في شق النواة[٥].

وقال سعيد بن جبير والسدي: هو ما يخرج من بين الأصابع من الوسخ عند

= وأخرج مجاهد في تفسيره (ص:١٦١) في قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ قال: هم اليهود، كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة، فيؤمونهم ويزعمون أنه لا ذنوب لهم، فتلك التزكية.

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٢٦-١٢٧)، والثعلبي (٣/ ٣٢٦). وذكره مقاتل في تفسيره (١/ ٢٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٥).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٢٩).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣)، ومجاهد (ص:١٦٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

الدَّلْك. والقولان عن ابن عباس[(١)].

قال ابن السكِّيت[(٢)]: القِطْميرُ: القشرة الرقيقة على النواة. والفَتيل: ما في شق النواة. والنَّقير: النكتة في ظهر النواة[(٣)].

قال الأزهري[(٤)]: هذه الأشياء كلها تُضرب أمثالاً للشيء التافه، الحقير القدر[(٥)]، أي: لا يُظلمون قدرها[(٦)].

قال النابغة[(٧)]:

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوف وَيَغْزُو ثمَّ لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلا[(٨)]

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٢٨-١٢٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٢) يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي، أبو يوسف النحوي، المؤدب، شيخ العربية، صاحب كتاب إصلاح المنطق، كان موثوقاً بروايته. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين (تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٣، والأعلام ٨/ ١٩٥).

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٠).

(٤) محمد بن أحمد الأزهري، أبو منصور اللغوي، أحد الأئمة في اللغة والأدب، صاحب كتاب "تهذيب اللغة" المشهور. توفي سنة سبعين وثلاثمائة (طبقات الأدباء ص:٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٥، والأعلام ٥/ ٣١١).

(٥) في تهذيب اللغة: القليل.

(٦) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٠).

(٧) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني، أبو أمامة، شاعر جاهلي، وكان حظياً عند النعمان بن المنذر (الأعلام ٣/ ٥٤-٥٥).

(٨) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوانه (ص:٩٩)، والقرطبي (٥/ ٢٤٨).

﴿انظر﴾ يا محمد، ﴿كيف يفترون على الله الكذب﴾ وهو قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقولهم: لا ذنوب لنا.

﴿وكفى به﴾ أي: حسبهم بافترائهم على الله الكذب ﴿إثماً مبيناً﴾ أي: ظاهراً.

قوله[1] تعالى: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال المفسِّرون: خرج كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب في جماعة من اليهود إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ، فقالوا: أنتم أقرب إلى محمد منا، وأنتم وهو من أهل الكتاب، ونحن أُمِّيون، فلا نأمن مكركم بنا، فاسجدوا لصنمنا حتى نطمئن إليكم، فسجدوا، فعيّرهم الله بذلك[2].

قال ابن عباس: قالت لهم كفار قريش: أدين محمد خير، أم ديننا؟ فقالوا: بل دينكم[3].

قال أهلُ اللغة: كلُّ ما عُبد من دون الله من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جِبْت وطاغوت.

فعلى هذا إيمان اليهود بالجِبْت والطاغوت، سجودهم للصنم وطاعتهم للشيطان في ذلك.

---

(١) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثاني والثلاثين، مرة ثانية.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٣٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير.

قال ابن عباس: الجِبْت: الأصنام[١].

قال عمر بن الخطاب: الطاغوت: الشيطان[٢].

﴿ويقولون﴾ يعني: كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأصحابهما، ﴿للذين كفروا هؤلاء﴾ يعنون: كفار قريش ﴿أهدى من الذين آمنوا﴾ يعني: أصحاب محمد ﴿سبيلاً﴾ أي: طريقاً في الديانة والاعتقاد، وكان كفار قريش قالوا لهم: أنحن أهدى طريقاً أم محمد وأصحابه؟ فقالوا: أنتم.

﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ يعني: الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب.

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

قوله: ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾، «أم» منقطعة، والاستفهام بمعنى الإنكار، والتقدير: بل ألهم نصيب من الملك، أي: ليس لهم ذلك.

﴿فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾ قال الفرّاء[٣]: هذا جواب لجزاء مضمر، كأنك

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٣٠-١٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٥)، وسعيد بن منصور (٤/ ١٢٨٣)، ومجاهد (ص:١٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٤) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الفراء (١/ ٢٧٣).

قلت: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس [إذاً][(١)] نقيراً.

قال الزجاج[(٢)]: وتأويل «إذاً»: إن كان الأمر كما جرى، أو كما ذكرتَ. يقول القائل: زيدٌ يصيرُ إليكَ، فتقول: إذاً أُكرمه، أي: إن كان الأمر على ما تَصِفُ، وقع إكرامه.

﴿أم يحسدون﴾ أي: بل أيحسدون الناس، يعني: محمداً ﷺ، في قول ابن عباس وجمهور المفسِّرين[(٣)].

وقال علي رضي الله عنه في قوله: ﴿أم يحسدون الناس﴾ قال: يعني: النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر[(٤)].

وقال قتادة: يريد: العرب[(٥)].

﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ وهو النبوة، والحكمة، واستفحال أمر الإسلام.

﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ وهم سِنْخ محمد[(٦)] ﴿الكتاب﴾ يريد: جنس الكتب:

---

(١) زيادة من معاني الفراء (١/ ٢٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٣٨). وذكره الماوردي (١/ ٤٩٦)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٦٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة. ومن طريق آخر عن مجاهد.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٠).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ١٣٨)، والثعلبي (٣/ ٣٢٩). وذكره الماوردي (١/ ٤٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٧) وعزاه لابن جرير.

(٦) السِّنْخ من كل شيء: أصله، والجمع: أسناخ (اللسان، مادة: سنخ).

التوراة، والإنجيل، والزبور، ﴿والحكمة﴾ وهي النبوة.

وقيل: التفقه في الدين، فغير بدْعٍ أن يسلك بسَلِيلِهم[١] واضح سبيلهم.

﴿وآتيناهم مُلْكاً عظيماً﴾ قال ابن عباس: هو ملك يوسف، وداود، وسليمان[٢].

وقيل: الجمع بين سياسة الدنيا، وشرع الدين.

وقد أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[٣] بإسناده عن عمرو بن ميمون[٤] قال: «رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش، فغبطه بمكانه، فسأل عنه، فقيل: سأخبرك بعمله؛ لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشي بالنميمة، ولا يعق والديه».

قوله: ﴿فمنهم من آمن به﴾ أي فمن اليهود من آمن بمحمد ﷺ؛ كعبد الله بن سلام، ﴿ومنهم من صَدَّ﴾ أعرض ﴿عنه﴾. هذا قول ابن عباس والأكثرين[٥].

وقال مجاهد: «آمن به» أي: بالذي أنزل على محمد[٦]، فيكون الكلام مبنياً على قوله: ﴿ما آتاهم الله من فضله﴾.

---

(١) السَّلِيل: الولد (مختار الصحاح، مادة: سلل).

(٢) ذكره الماوردي (١/ ٤٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١١).

(٣) الزهد (ص:٨٥).

(٤) عمرو بن ميمون الأودي المذحجي، أبو عبد الله، أدرك الجاهلية وأسلم، وقدم الشام مع معاذ بن جبل ثم سكن الكوفة. توفي سنة أربع وسبعين، وقيل: بعدها (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٢).

(٦) أخرجه الطبري (٥/ ١٤١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨١)، ومجاهد (ص:١٦٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقيل: الضمير في قوله: «فمنهم» يعود إلى آل إبراهيم.

قال السدي: المعنى: فمن آل إبراهيم من آمن بإبراهيم[١].

وقال مقاتل[٢]: المعنى: فمن آل إبراهيم من آمن بالكتاب، ومنهم مَن صدّ عنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ قال الحسن: بلغنا أنها تأكلهم كل يوم سبعين ألف مرة، تأكل جلودهم ولحومهم، كلّما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فعادوا[٣].

واختلفوا هل تعود الجلود التي احترقت بأعيانها؟

فذهب قوم: إلى أنها تعود بأعيانها، كما أُعيدت يوم النشور، فتكون الغيرية عائدة إلى الصفات، لا إلى الذوات، كما تقول: صغت من خاتمي خاتماً آخر.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٢).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٣)، والثعلبي (٣/ ٣٣٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٢ ح٣٤١٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والمعنى: بدّلناهم جلوداً غير محترقة.

قال ابن عباس: يُبدَّلون جلوداً بيضاً كالقراطيس[١].

وذهب قوم: إلى أنهم يُجدَّد لهم جلود غير الجلود التي احترقت. قالوا: لا يلزم عليه أن يقال: كيف عُذِّبت مكان الجلود العاصية، جلود لم تعصي؛ لأن النعيم والعذاب إنما هو للجملة الحساسة، والجسد آلة موصلة لذلك إليها[٢].

﴿ليذوقوا العذاب﴾ أي: ليدوم لهم ذوقه.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ [في النَّارِ][٣]، حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذنِ أَحَدِهِمْ إلى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعمائَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ»[٤].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ضِرْسُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاث»[٥].

﴿إن الله كان عزيزاً﴾ لا يمتنع عليه الانتقام ممن عصاه، ﴿حكيماً﴾ فيما قدَّره وقضاه.

ثم ذكر الله مآل أهل الإيمان، وما أعد لهم في الجنان فقال: ﴿والذين آمنوا

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٢) كلاهما عن ابن عمر، والثعلبي (٣/ ٣٣٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٢) ذكره الطبري (٥/ ١٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٢-١١٣).

(٣) زيادة من مسند أحمد (٢/ ٢٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦ ح٤٨٠٠).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٩ ح٢٨٥١).

وعملوا الصالحات ... -إلى قوله-: ظلاً ظليلاً﴾ أي: دائماً، لا تنسخه الشمس، ومعتدلاً، لا حَرَّ فيه ولا قَرّ.

وقال الزجاج[1]: الظَّليل: الذي يظلّهم من الحر والريح، وليس كل ظل كذلك، فأعلم الله أن ظل الجنة ظليل لا حَرَّ معه ولا بَرْد.

فإن قيل: كيف سَمَّاه ظِلاً، وليس في الجنة شمس؟

قلت: نعيم الجنة لا تهتدي العقول إلى كُنْه معرفته.

قال ﷺ: «فيها مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَرٍ»[2].

وإنما يقرب إلى العقول عند الوصف للتعريف بذكر أمثاله في أسمائه مما يعرف كون مثله نعيماً في الدنيا مع فرط التفاوت، واختلاف الذوات والحقائق بين نعيم الدارين.

وقيل: خاطبهم بما يعقلون مثله؛ كقوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ [مريم:٦٢].

وقيل: هو إشارة إلى كمال وصفها وتمكين بنائها، فلو كان الحرّ، أو البرد يتسلط عليها لكان في أبنيتها وشجرها ظل ظليل.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ قال ابن عباس

(١) معاني الزجاج (٢/ ٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٥ ح٢٨٢٥).

ومجاهد والزهري ومقاتل[١] وجمهور العلماء: السبب في نزول هذه الآية: أنه لما فتح النبي ﷺ مكة، طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة الحجبي -وكانت له السدانة- فذهب ليعطيه إياه. فقال العباس: بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فَلَفَّ عثمان يده مخافة أن يعطيه، فقال النبي ﷺ هات المفتاح، فأعاد العباس قوله، فَلَفَّ عثمان، فقال النبي ﷺ: أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، فقال: هاكه يا رسول الله بأمانة الله، فأخذ المفتاح، ففتح البيت[٢].

وروي: أنه لما امتنع من تسليم المفتاح، لوى عليّ يده فأخذ المفتاح منه، وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ، فنزل جبريل بهذه الآية، فدعا النبي ﷺ عثمان فدفع إليه المفتاح، وقال: «خذوها يا بني طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم»[٣].

ويروى: أن جبريل قال للنبي ﷺ: إنه ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة، فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان[٤].

وروي عن ابن عباس والحسن: أنها عامة في كل أمانة[٥].

قال ابن مسعود: الأمانة في كل شيء، في الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحديث، والجنابة، وفي الوزن، والكيل، وأعظم من ذلك الودائع، ولا

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٣٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٧٠) وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٣٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٦١-١٦٢)، والوسيط (٢/ ٦٩-٧٠).

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٣٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٦٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٤).

إيمان لمن لا أمانة له[١].

وقال ابن عمر: الفرْجُ أمانة، والبصرُ أمانة[٢].

وقال أُبَيّ بن كعب: أمر الله الأمراء أن يؤدوا الأمانة في أموال المسلمين[٣].

ويؤيدُ هذا القول قوله: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾.

﴿إن الله نِعِمَّا يعظكم به﴾ من أداء الأمانة والحكم بالعدل.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ -وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا»[٤].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ طاعةُ الله: العمل بكتابه، وطاعة الرسول: امتثال أمره والعمل بسُنَّته،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٩)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٣٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠١)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٤) عن البراء. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٧١-٥٧٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٧٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٤).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٤٥٨ ح١٨٢٧).

وأولوا الأمر: الولاة كالخلفاء والملوك، والقضاة.

وفي أفراد مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَة»(١).

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله»(٢).

وقال جابر، والحسن، وأبو العالية، وعطاء: هم العلماء العاملون بعلمهم(٣)، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء:٨٣].

قال أبو الأسود الدِّيلي(٤): ليس شيء أعز من العلماء، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٢ ح١٨٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٨٠ ح٢٧٩٧)، ومسلم (٣/ ١٤٦٦ ح١٨٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٤٨-١٤٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٨-٩٨٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤١٨)، والحاكم (١/ ٢١١)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢٦٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٧٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن جابر، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن أبي العالية، وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير.

(٤) ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: عمرو بن ظالم، ويقال غير ذلك، مخضرم، ثقة، وهو أول من تكلم بالنحو. توفي سنة تسع وستين (تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧).

وقال عِكرمة: أُولوا الأمر: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[(١)].

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي[(٢)] في كتابه، أخبرنا جدي لأُمي أبو محمد العباس بن محمد بن العباس، المعروف بعبَّاسة الطوسي[(٣)]، ثنا أبو سعيد محمد بن سعيد بن فَرْخَزادا، ثنا الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر الجِمْشاذي، أخبرنا أبو ظهير العمري البلخي، حدثنا محمد بن منصور، حدثنا القعنبي، عن مالك بن أنس، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الكعبي، أن رسول الله ﷺ قال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر، وعمر، وإن لي وزيرين في السماء، ووزيرين في الأرض، فأما في السماء فجبريل وميكائيل، وأما في الأرض فأبو بكر وعمر، وهما عندي بمنزلة الرأس والجسد»[(٤)].

قرأت على أبي المجد محمد بن بهرام، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، أخبرنا

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٢) المؤيد بن محمد بن علي الطوسي، أبو الحسن النيسابوري، رضي الدين، الشيخ الإمام المقرئ المعمر، مسند خراسان. توفي سنة سبع عشرة وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠٤، والشذرات ٥/ ٧٨).

(٣) العباس بن محمد بن أبي منصور الطوسي، أبو محمد العصاري، كان شيخاً صالحاً، سكن نيسابور وكان يعظ في بعض الأوقات، وهو راوي الكشف والبيان في التفسير للثعلبي. توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨٨، والتحبير في المعجم الكبير ص:٦٠٢-٦٠٤).

(٤) أخرجه الترمذي مختصراً (٥/ ٦٠٩ ح٣٦٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٨٢ ح٢٣٢٩٣)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٢١٢ ح٩٨٣٦)، والحميدي في مسنده (١/ ٢١٤ ح٤٤٩) كلهم بلفظ: "اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر". والزيادة أخرجها الترمذي (٥/ ٦١٦ ح٣٦٨٠)، والحاكم (٢/ ٢٩٠ ح٣٠٤٧) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري.

أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان[١]، أخبرنا خيثمة بن سليمان[٢]، حدثنا أبو عمرو بن أبي غرزة بالكوفة[٣]، حدثنا ثابت بن موسى العابد[٤]، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اقْتَدُوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَر»[٥].

ورواه أيضاً خيثمة، عن يحيى بن أبي ميسرة، عن عبد الله بن الزبير الحميدي، عن سفيان، إلا أنه قال: حدثنا زائدة بن قدامة، عن عبد الملك بن عمير[٦].

قال الترمذي[٧]: كان سفيان يدلس في هذا الحديث، فربما يذكر عن زائدة عن عبد الملك، وربما لم يذكر زائدة.

قلت: وغيرُ ممتنع أن يكون سمعه من زائدة ومن [عبد الملك][٨]، على أن

---

(١) عبد الرحمن بن عثمان التيمي، أبو محمد الدمشقي، مسند الشام. توفي سنة عشرين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٦٦، وشذرات الذهب ٣/ ٢١٥).

(٢) خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي، أبو الحسن الشامي، محدث الشام، كان رحالاً جوالاً صاحب حديث، جمع فضائل الصحابة. توفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٢، وطبقات الحفاظ ص:٣٥٥).

(٣) أحمد بن حازم بن محمد بن أبي غرزة الكوفي، أبو عمرو الغفاري، صاحب المسند، محدث الكوفة. توفي سنة ست وسبعين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣٩).

(٤) ثابت بن موسى بن عبد الرحمن بن سلمة الضبي، أبو يزيد الكوفي، الضرير العابد. توفي سنة تسع وعشرين ومائتين (التقريب ص:١٣٣، وتهذيب الكمال ٤/ ٣٧٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٠٩ ح٣٦٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٨٢ ح٢٣٢٩٣).

(٦) مسند الحميدي (١/ ٢١٤).

(٧) سنن الترمذي (٥/ ٦١٠).

(٨) في الأصل: سفيان، وهو خطأ.

للراوي أن يرفع الحديث وأن يقفه، وأن يقطعه ويصله، وأن يسنده ويرسله. ورواه ابن مسعود كذلك عن النبي ﷺ[1].

وقال أبو بكر الوراق[2]: أُولوا الأمر الخلفاء الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله تعالى عنهم[3].

قوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء﴾ أي: اختلفت آراؤكم فيه، وأصله من النزع، كأن المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان، ومنه قيل للمناولة: منازعة.

قال الأعشى:

نَازَعْتُهُ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً ... وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِلُ[4]

﴿فردوه إلى الله والرسول﴾ أي: ردوا المتنازَع فيه إلى كتاب الله وإلى رسوله في حياته، وإلى سُنَّتِهِ بعد مماته نصاً واستدلالاً. والرد عند الجهل تفويض علم ذلك الشيء إلى الله وإلى رسوله.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى الرد إلى الله والرسول، ﴿خير وأحسن تأويلاً﴾ أي: أحمد عاقبة، وسُمِّيت العاقبة تأويلاً؛ لأنها مآل الأمر.

وقيل: المعنى: أحسن تأويلاً من تأويلكم.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٨٠ ح٤٤٥٦).

(٢) محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي، أبو بكر الوراق، محدث فاضل مكثر. توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٨٨، ولسان الميزان ٥/ ٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٣٣).

(٤) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٣٣)، واللسان، مادة: (مزز)، والقرطبي (٥/ ٢٦١).

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ
أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

قوله[1]: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون ... الآية﴾ قال ابن عباس: نزلت في منافق خاصم يهودياً، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، فقال المنافق: بل ننطلق إلى كعب بن الأشرف -وهو الذي سماه الله: الطاغوت-، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك رافعه إلى رسول الله، فقضى لليهودي، فلما خرجا من عنده، لزمه المنافق، وقال: انطلق بنا إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إليه، وقصا القصة عليه، فقال للمنافق: أكذلك هو؟ قال: نعم، فقال عمر: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، فاشتمل على سيفه، ثم خرج، فضرب به المنافق، حتى بَرَدَ[2]، فقال: هكذا أقضي لمن لم يَرْضَ بقضاء رسول الله ﷺ، وهرب اليهودي. فنزل جبريل بهذه الآية وقال: يا محمد؛ إن عمر فرّق بين الحق والباطل،

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد، قراءة بمسجد الرقي، المجلس السابع عشر.
(٢) بَرَدَ: أي: مات (اللسان، مادة: برد).

فقال رسول الله ﷺ: «أنت الفاروق»[1].

والزّعْم: بضم الزاي وفتحها لغتان، وأكثر ما يُستعمل فيما لا تتحقق صحته.

﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ وهو كعب بن الأشرف، سُمِّي بذلك؛ لإفراطه في الطغيان، وعداوة الإسلام.

﴿وقد أُمروا أن يكفروا به﴾ قال مقاتل[2]: أُمروا أن يتبرأوا من الكهنة.

قوله[3]: ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا أصابتهم عقوبة من الله.

قيل: هي قتل المنافق، ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من النفاق والتحاكم إلى الطاغوت، ﴿ثم جاءوك﴾ يعني: أولياء المنافق، وكانوا قد طلبوا القصاص من عمر رضي الله عنه، ﴿يحلفون بالله إن أردنا﴾ بطلب القصاص، ﴿إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ أي: خيراً وطلباً لما يوافق الحق.

وقيل: ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا إحساناً وتوفيقاً بين الخصمين، لا مخالفة حكمك، وعدم الرضا بقضائك، وذلك كذب منهم. ألا تراه يقول: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ يعني: من الكفر والنفاق وإضمارهم خلاف ما يقولون، ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: دع عقوبتهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٥٢)، ومجاهد (ص:١٦٣-١٦٤) كلاهما مختصراً. وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٣٣٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١٨-١١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٨٢) وعزاه للثعلبي.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٣٨).

(٣) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثالث والثلاثين، مرة ثانية.

ذهب جماعةٌ من المفسِّرين إلى أن الأمرَ بالإعراض منسوخ بآية السيف[١].

وهذا ليس بصحيح؛ لأن آية السيف اقتضت إباحة دم المشركين، وحضَّت على قتلهم، والمنافق معصوم الدم؛ لإظهاره كلمة الحق.

﴿وعظهم﴾ خَوِّفهم أن يعودوا لمثلها، وحذرهم من النفاق.

﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ أي: قل لهم وبالغ في وعظهم مبالغة تؤثر في نفوسهم وتبلغ كُنْه قلوبهم.

قال الحسن البصري رحمه الله: المعنى: قل لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قُتِلتم[٢].

وقيل: المعنى: قل لهم خالياً بهم، لأن القول في السر أنجع وأدخل في النصيحة.

وقد تكلم الفصحاء في البلاغة فأحسنوا:

قال الزجَّاج[٣]: يقال: بَلَغَ الرَّجُلُ يَبْلُغُ بَلاغَةً فهو بَلِيغٌ؛ إذا كان يُبلِّغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه.

وقد قيل: البلاغةُ: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

وقيل: حُسن العبارة مع صحة المعنى.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٧٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٨١).

(٢) ذكره الماوردي (١/ ٥٠٣)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٧٤).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٧٠).

وقال خالد بن صفوان[1]: إن أحسن الكلام: ما قلَّت ألفاظه وكثرت معانيه. وخير الكلام: ما شوَّق أوله إلى سماع آخره.

وقال غيره: إنما يستحق الكلام اسم البلاغة، إذا سابق لفظه معناه، ومعناه لفظه[2].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ دخلت «مِن» هاهنا للتوكيد، والمعنى: وما أرسلنا رسولاً قط إلا ليُطاع بتوفيق الله.

وقال الزجاج[3]: المعنى: إلا ليطاع بأن الله أذن له في ذلك.

﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بإيذائك والتحاكم إلى غيرك خوفاً من تجريعهم مُرّ الحق، وطمعاً في تحريفه على يد الطاغوت بما يبذلونه له من الرشوة، ﴿جاءوك﴾ تائبين نادمين، ﴿فاستغفروا الله﴾ بألسنة صادقة، وقلوب صافية من كدر النفاق.

ثم عَدَلَ عن المخاطبة إلى المغايبة، مُنوِّهاً باسم الرسالة، مُفخِّماً لشأن القائم

---

(١) خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري، أبو صفوان البصري، العلامة البليغ فصيح زمانه، وقد وفد على عمر بن عبد العزيز (سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦).

(٢) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير (٢/ ١٢٢).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٧٠).

بأعبائها، الناهض بأثقالها، فقال: ﴿واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾.

وقد روى الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه في مواضع من كتبه[١] بإسناده عن محمد بن حرب الهلالي، قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فَزارَهُ، ثم قال: يا خير الرسل! إن الله عز وجل أنزل عليك كتاباً صادقاً، قال فيه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾، وإني جئتك مستغفراً إلى ربك من ذنوبي، مستشفعاً بك، ثم بكى وأنشأ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ[٢]

ثم استغفر [الله][٣] وانصرف، فرقدت، فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: الحق الرَّجُل فبشِّره أن الله تعالى قد غَفَرَ له بشفاعتي.

قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم ابن عبد الرزاق العطار، قراءة عليه وأنا أسمع، في سنة ست وستمائة، والشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر الصوفي بقراءتي عليه، قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن أعين، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن

---

(١) ذكره في مثير الغرام الساكن (ص:٤٩٠).

(٢) انظر البيتين في: البحر المحيط (٣/ ٢٩٦). وانظر القصة في: الصارم المنكي (ص: ٣٣٧ - ٣٣٨).

(٣) زيادة من مثير الغرام (ص:٤٩٠).

إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، قال: «خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِن الأَنْصَارِ في شِراجٍ[1] مِن الحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَقَالَ الأَنصارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ﷺ، ثمَّ قَالَ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثمَّ احْبس المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، ثمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ، فاسْتَوْعَى النَّبيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ في صَرِيحِ الحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ الأَنصارِيُّ، وكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرٍ لهُمَا فِيهِ سَعَةٌ. قَالَ الزُّبَيْرُ: فَمَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَاتِ إلا نَزَلَتْ في ذَلِكَ ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾»[2]. هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في قصة المنافق واليهودي[3]. فعلى هذا هي متصلة بما قبلها.

قوله: ﴿فلا﴾ رد لزعمهم أنهم مؤمنون، أي: ليس الأمر كما زعمتم، ثم استأنف فقال: ﴿وربك لا يؤمنون﴾.

وقيل: إن «لا» توطئة للنفي الذي يأتي، فإنه إذا ذكر في صدر الكلام وآخره كان أوكد وأحسن.

وقيل: زيدت لتوكيد معنى القسم، كما تقول: لا والله لا أفعل كذا. والتقدير:

---

(١) الشراج: جمع شَرْجَة، وهي مسيل الماء من الحَرَّة إلى السهل (اللسان، مادة: شرج).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٤ ح٤٣٠٩)، ومسلم (٤/ ١٨٢٩ ح٢٣٥٧).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٥٩)، ومجاهد (ص:١٦٤)، والثعلبي (٣/ ٣٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٨٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر. وقد سبقت قصتها (ص:٥٤٦).

فوربك، و «لا يؤمنون» جواب القسم[١].

﴿فيما شَجَرَ بينهم﴾ أي: فيما اختلط، ومنه: الشَّجَر؛ لالتفاف أغصانه.

ويقال لعصى الهودج: شِجَار.

﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً﴾ أي: ضيقاً.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: شكاً[٢]. وهو يؤُول إلى معنى الضيق.

﴿ويسلموا تسليماً﴾ أي: يذعنون وينقادون لأحكامك المضية، وأقضيتك المرضية.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا
قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾
وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ
ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

قوله: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ أي: فرضنا عليهم، ﴿أن اقتلوا أنفسكم﴾ كما فرضنا على بني إسرائيل، ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾ كما فرضنا عليهم الخروج من

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٥٨)، والدر المصون (٢/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٥) كلاهما عن مجاهد. وأخرجه مجاهد في تفسيره (ص:١٦٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٨٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

مصر، أو كما فرضنا على المهاجرين.

﴿ما فعلوه إلا قليلٌ منهم﴾ وقرأ ابن عامر: «قليلاً»، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام[١].

فمَن رَفَعَ؛ فعلى البدل من الواو في «فَعَلُوهُ».

ومَن نَصَبَ؛ فعلى الاستثناء، وفيه ضعف، أو على معنى: ما فعلوه إلا فعلاً قليلاً.

ولما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب: والله لو أمرنا ربنا بذلك لفعلنا، والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك[٢].

وقال ثابت بن قيس: أما والله إنَّ الله ليعلم مني الصدق، والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا، ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها[٣].

وقال ابن مسعود وعمار بن ياسر مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن من أُمَّتي رجالاً، الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي»[٤].

﴿ولو أنهم﴾ يعني: المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا، وهم في غضون ذلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴿فعلوا ما يوعظون به﴾ أي: يُذَكَّرون به من طاعة الله وطاعة رسوله ﴿لكان خيراً لهم﴾ في الحال والمآل، ﴿وأشد تثبيتاً﴾ في

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٨٦)، ولابن زنجلة (ص:٢٠٦)، والكشف (١/ ٣٩٢)، والنشر (٢/ ٢٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٥).

(٢) ذكره أبو السعود في تفسيره (٢/ ١٩٨).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٤٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ١٦١)، والثعلبي (٣/ ٣٤١). وانظر: الدر المنثور (٢/ ٥٨٧).

إيمانهم وأمانهم.

﴿وإذاً لآتيناهم﴾ دخلت «إذاً» لتدل على الجزاء، كأنه قيل: ولو أنهم فعلوا إذاً لفعل بهم.

قوله: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ قال ابن عباس: كان ثوبانُ مولى رسول الله ﷺ شديدَ المحبة لرسول الله ﷺ، فعرف النبي في وجه ثوبان الحزن يوماً، فقال: يا ثوبان؛ ما غيرَّ وجهك؟ فقال: يا رسول الله؛ ما بي من وجع، غير أني إذا لم أَرَكَ اشتقت إليك، فأذكر الآخرة، فأخاف أن لا أراك، فنزلت هذه الآية(١).

وقال الشعبي: جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ والله الذي لا إله إلا هو، لأنت أحب إليّ من نفسي، وأهلي، ومالي، وولدي، وإني لأذكرك وأنا في أهلي، فيأخذني مثل الجنون حتى أراك، وذكرت موتي، وأنك تُرفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، فأنزل الله هذه الآية(٢).

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأبويه، وأهله، وولده، والناس أجمعين»(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٦٤) عن سعيد بن جبير. وذكره الثعلبي (٣/ ٣٤١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٦٨-١٦٩) من قول الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٢٦).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٤/ ١٣٠٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٨٨-٥٨٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٤٢). وأصله في الصحيحين، أخرجه البخاري (١/ ١٤ ح١٤)، ومسلم (١/ ٦٧ ح٤٤).

﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ كمحمد ﷺ، ﴿والصِّدِّيقين﴾ كأبي بكر، ﴿والشهداء﴾ كعمر، وعثمان، وعليّ، ﴿والصالحين﴾ من الصحابة وغيرهم.

فالصِّدِّيق: الكثير الصِّدق، ومثله: سِكِّيت، وسِكِّير، وشِرِّيب، وفِسِّيق، وضِلِّيل، وظِلِّيم، للذي يكثر منه ذلك، ولا يُطلق على مَن فعل شيئاً من ذلك مرة أو مرتين.

والشهيد: سُمِّي بذلك؛ لأن الله شهد له بالجنة، أو لأن ملائكة الرحمة تشهده، أو لقيامه بشهادة الحق حتى قُتِل، أو لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة في دار المقامة.

والصالح: مَن حسنت سيرته، وصلحت سريرته.

﴿وحَسُن أولئك رفيقاً﴾ قال الزجّاج[1]: «رفيقاً»: منصوب على التمييز، وهو ينوب عن رفقاء.

قال الشاعر:

بهَا جِيَفُ الحَسْرَى، فَأَمّا عِظَامُها ... فَبيضٌ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[2]

قوله: ﴿ذلك الفضل من الله﴾ «ذلك» مبتدأ، «الفضل» خبره، أو «ذلك»

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٧٣-٧٤).

(٢) البيت لعلقمة بن عَبَدَةَ المعروف بالفحل. انظر: ديوانه (ص:٤٠) والكتاب (١/ ٢٠٩)، والمفضليات (ص:٣٩٤)، والطبري (٤/ ٢٤٤، ١٧/ ١٢)، والقرطبي (١/ ١٩٠)، ومعاني الزجاج (١/ ٨٣، ٢/ ٧٤)، وزاد المسير (١/ ٣٠٧، ٤٠١، ٢/ ١٢٨، ٨/ ١٠٣)، والدر المصون (١/ ١٠٨، ٢/ ١٢٥).

مبتدأ، «الفضل» صفته، «من الله» خبره[١].

﴿وكفى بالله عليماً﴾ بمن أطاعه وأطاع رسوله.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾
وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ
أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْۢ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ الحِذْر والحَذَر لغتان؛ كالمِثْل والمَثَل، والشِبْه والشَبَه، والمعنى: خذوا حذركم من عدوكم، وذلك بالتيقظ وإعداد آلة الحرب، ونصب راية الجهاد، ألا تراه يقول:

﴿فانفروا ثبات﴾ أي: انفروا إلى الجهاد ثُبات، هو جمع ثُبَةٍ، وهي الجماعة[٢].

قال زهير[٣]:

وَقَدْ أَغْدُوا عَلَى ثبَةٍ كِرَامٍ نَشَاوى وَاجِدِينَ لَمَا نَشَاءُ[٤]

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٨٦)، والدر المصون (٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (ثبا).

(٣) زهير بن أبي سلمى ربيعة المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية، من أصحاب المعلقات (الأعلام ٣/ ٥٢).

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: ديوانه (ص:١١)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٢)، واللسان، مادة: =

والمعنى: انفروا للجهاد سريّة بعد سريّة.

﴿أو انفروا جميعاً﴾ على حسب ما يقتضيه الرأي، وتوجبه الحكمة.

﴿وإنَّ منكم لمن ليبطئن﴾ وهم المنافقون، وأُضيفوا إليهم لجريان أحكام الإسلام عليهم.

وقيل: هم الذين قلَّت بصائرهم من المؤمنين.

ومعنى: ﴿ليبطئن﴾ ليتثاقلنّ ويتخلّفن. مِنْ بطأ وأَبْطَأَ.

ويجوز أن يكون المعنى: ليبطئن غيره.

واللام في «لمن» للابتداء، وفي «ليبطئن» جواب قسم محذوف، والتقدير: وإن منكم لمن أقسم بالله «ليبطئن»، والقسم وجوابه صلة «مَن»، والعائد ما استكن في «ليبطئن»[1].

والمصيبة: قتل أو هزيمة، والفضل: فتح وغنيمة.

قال صاحب الكشاف[2]: ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مَودَّة﴾ اعتراض بين الفعل الذي هو «ليقولن» وبين مفعوله وهو «يا ليتني».

والظاهر: أنه تَهَكُّمٌ بالمنافقين، لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين، فكيف يوصفون بالمَودَّة، إلا على وجه العكس.

= (ثبا، ثوب، نشا)، والطبري (٥/ ١٦٤)، والماوردي (١/ ٥٠٥)، وزاد المسير (٢/ ١٢٩)، وروح المعاني (٢٩/ ٣١).

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٣٩٠).

(٢) الكشاف (١/ ٥٦٥).

وقال الواحدي[١]: قوله: ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مَودَّة﴾ متصل [في النظم][٢] بقوله: ﴿قال قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيداً﴾، كأن لم تكن بينكم وبينه مَودَّة.

قال ابن الأنباري[٣]: المعنى: كأن لم يعاقدكم على الإسلام، ولم يبايعكم على الصبر والثبات فيه، بما ساء وسرّ.

قرأ ابن كثير وحفص: «كأن لم تكن» بالتاء؛ لتأنيث المَودَّة. وقرأ الباقون: بالياء[٤]؛ للفصل، أو لأن المودَّة بمعنى الوُدّ، أو لأن التأنيث غير حقيقي.

﴿فأفوز﴾ جواب التمني بالفاء.

وقرئ شاذاً: «فأفوزُ» بالرفع[٥]، على معنى: فأنا أفوز.

تمنوا ذلك ميلاً إلى المال، لا رغبة في المآل.

قوله تعالى[٦]: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون﴾ أي: يبيعون ﴿الحياة الدنيا

(١) الوسيط (٢/ ٨٠).

(٢) زيادة من الوسيط (٢/ ٨٠).

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ٨٠).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٨٨)، ولابن زنجلة (ص:٢٠٨)، والكشف (١/ ٣٩٢)، والنشر (٢/ ٢٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٥).

(٥) قرأ بها الحسن ويزيد النحوي. انظر: مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٧)، والمحتسب (١/ ١٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠٣).

(٦) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الرابع والثلاثين، مرة ثانية.

بالآخرة﴾، كقول ابن مُفَرِّغ الحميري[(١)]:

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ[(٢)]

قوله: ﴿فيُقتل أو يَغلب﴾ خارج مخرج الغالب، إذ كل مجاهد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، له أجر عظيم وإن لم يُقتل ولم يغلب.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿والمستضعفين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مجروراً عطفاً على "سبيل الله"، أي: في سبيل الله وسبيل خلاص المستضعفين.

والثاني: أن يكون منصوباً على الاختصاص، بمعنى: وأختص من سبيل الله

---

(١) يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمُفَرِّغ الحميري، أبو عثمان، شاعر غزل، وكان هجاء مقذعاً، وله مديح، وفد على مروان بن الحكم فأكرمه. توفي سنة تسع وستين (الأعلام ٨/ ١٨٣).

(٢) البيت ليزيد بن مُفَرِّغ الحميري. انظر: ديوانه (ص:٢١٣)، والخزانة (٦/ ٤٧)، والأضداد لابن السكيت (ص:١٨٥)، واللسان، مادة: (برد، شري)، والدر المصون (١/ ٥٠٩، ٤/ ١٦٥)، والطبري (١/ ٤١٥، ١٢/ ١٧٠)، والقرطبي (٣/ ٢١، ٩/ ١٥٥)، وزاد المسير (٢/ ١٣١)، وروح المعاني (١٢/ ٢٠٤).

خلاص المستضعفين، لأن سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفرة من أعظم الخير وأخصه[١]. هذا قول صاحب الكشاف[٢].

﴿والمستضعفين﴾ قوم أسلموا بمكة وصدَّهم المشركون عن الهجرة فلم يستطيعوا الخروج.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: أنه تلا هذه الآية فقال: «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْ الْمُسْتَضْعَفِين»[٣].

وفي ذكر الولدان تسجيل على الكفرة بالإفراط في التعدي والبغي، حيث تعدى ظلمهم وأذاهم إلى الأطفال.

﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ يعنون: مكة ﴿الظالم أهلها﴾ بالشرك والعدوان.

قال الزجَّاج[٤]: ﴿الظالم أهلها﴾ نعت للقرية. ووَحَّدَ الظالم؛ لأنه صفة تقع موقع الفعل، يقال: مررت بالقرية الصالح أهلها، أي: التي صَلَحَ أَهلُها.

﴿واجعل لنا من لدنك ولياً﴾ أي: وَلِّ علينا رجلاً مؤمناً يتولى أمورنا.

﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ ينصرنا على عدونا، ويمنعنا منهم، فاستجاب الله دعاءهم، فهاجر مَن هاجر منهم، وأزال أذى الكفر عنهم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٣٩٤).

(٢) الكشاف (١/ ٥٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٥٥ ح١٢٩١، ٤/ ١٦٧٥ ح٤٣١١).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٧٧).

قال ابن عباس: فلما فتح رسول الله ﷺ مكة جعله الله وليهم، واستعمل عليهم عَتَّاب بن أَسِيد[1] فكان نصيراً لهم، ينصف الضعيف من القوي[2].

والمراد بقوله: ﴿يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾: الشيطان، وهو اسم جنس، ﴿إن كيد الشيطان﴾ يعني: مكره وتدبيره ﴿كان ضعيفاً﴾ بالنسبة إلى كيد الله ومكره.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا
كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً
وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ
ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ
مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ
أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ
لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

---

(١) عتاب بن أَسِيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو عبد الرحمن، أسلم يوم الفتح، واستعمله النبي ﷺ على مكة لما سار إلى حنين (الإصابة ٤/ ٤٢٩، وتهذيب الكمال ١٩/ ٢٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٨١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٣).

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ قال قتادة وجمهور المفسِّرين: نزلت في رجال من المؤمنين منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص كانوا يقولون: يا رسول الله! ائذن لنا في قتال المشركين، لِمَا يَلْقَوْن من الشدة والعناء، فيقول لهم: «كفوا أيديكم، فإني لم أومر بقتالهم»، فلما أُذن في القتال بعد الهجرة، وأمر رسول الله بالمسير إلى العير والنفير، فلما عرفوا أنه القتال كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

أخرجه أبو داود، والنسائي بمعناه من حديث ابن عباس(١).

وروى عطية عن ابن عباس: أنها نزلت واصفة حال أقوام كانوا في الزمان المتقدم، يُحذِّر هذه الأُمَّة مثل حالهم(٢).

قال أبو سليمان الدمشقي: كأنه يومئ إلى قصة الذين قالوا: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله(٣).

ومعنى: «كُفُّوا أيديكم»: امتنعوا من القتال.

﴿فلما كُتِبَ عليهم القتال إذا فريق منهم﴾ وهم قوم لم ترسخ أقدامهم في العلم.

﴿يخشون الناس كخشية الله﴾ قال الحسن البصري: هذا كان منهم لما في طبع

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٦)، والطبري (٥/ ١٧٠- ١٧١)، والثعلبي (٣/ ٣٤٥). ولم أقف عليه في سنن أبي داود.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٤).

(٣) مثل السابق.

البشر من المخافة، لا على كراهة أمر الله بالقتال[١].

وقيل: هم قوم نافقوا عند الأمر بالقتال، كأن ما رُكِّب في الطبع من حب الحياة وكراهية الموت، وما خامر قلوبهم من الخوف؛ حملهم على أقوال وأفعال سلبتهم الإيمان، وكسبتهم النفاق.

"يخشون الناس" أي: يخافون الكفار.

"كخشية الله": محله من الإعراب: النصب على الحال من الضمير في «يَخْشَوْنَ»، أي: يخشون الناس مشبهين أهل خشية الله.

﴿أو أشد خشية﴾ عطف على الحال، يعني: أو أشد خشية من أهل خشية الله[٢].

﴿وقالوا﴾ حرصاً على الحياة ﴿ربنا لِمَ كتبت علينا القتال لولا﴾ أي: هلاّ، ﴿أخَّرتنا إلى أجل قريب﴾، بحيث نتقوى ونكثر، ﴿قل متاع الدنيا﴾ أي: نفعها والبقاء فيها ﴿قليل، والآخرة خير لمن اتقى﴾ الشرك والشك، ﴿ولا تُظلمون﴾ من ثواب جهادكم لأعداء الله، ﴿فتيلاً﴾ سبق تفسيره آنفاً[٣].

قوله: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ «أين»: ظرف مكان فيه معنى الاستفهام والشرط[٤].

قال ابن عباس: نزلت في قول المنافقين يوم أُحُد: ﴿لَوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٨٢).

(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ٣٩٦).

(٣) عند تفسير الآية رقم: ٤٩.

(٤) انظر: الدر المصون (٢/ ٣٩٧).

قُتِلُواْ﴾[1] [آل عمران:١٥٦].

وغيرُ مستبعدٍ ارتباطها بما قبلها، فتكون من تمام ما أمر الله به رسوله أن يقوله لكارهي القتال حباً للحياة وحذراً من المات.

﴿ولو كنتم في بروج مشيَّدة﴾ أي: في حصون منيعة رفيعة، من قولهم: شَادَ بناءه وَأَشَادَهُ وَشَيَّدَهُ؛ إذا رَفَعَهُ.

وقيل: "المُشَيَّدة": المَبْنِيَّة بالشِّيد، وهو الجِصّ[2].

قال قتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري والسدي: هي بروج السماء الاثنا عشر[3].

قوله تعالى: ﴿وإن تصبهم﴾ يعني: اليهود والمنافقين ﴿حسنة﴾ أي: نعمة من خصب ورخاء وغير ذلك، ﴿يقولوا هذه من عند الله﴾.

﴿وإن تصبهم سيئة﴾ بَلِيَّة من قحط وشدة، ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ أي: بشؤمك، تطيراً بمقدم رسول الله إلى المدينة، كما قيل لموسى عليه السلام: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[4].

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٤٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٦٠).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (شيد).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي، ومن طريق آخر عن أبي العالية و سفيان.

(٤) الذي قيل لموسى عليه السلام هو قوله: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ [الأعراف:١٣١]، أما قوله تعالى: ﴿اطيرنا بك وبمن معك﴾ فإنما هي قول ثمود لرسولها صالح.

﴿قل كل عند الله﴾ قبض الأرزاق وبسطها، ورفع الأسعار وحطها، ﴿فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ أي: يفهمون حديثاً، فيعلموا أن الله الحكيم في تدبيره، هو القابض الباسط، بعلمه وتقديره.

قوله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ أي: ما أصابك أيها الإنسان أو أيها السامع، أو هو خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره.

قال ابن عباس: ما أصابك يوم بدر من نصر وغنيمة فمن الله، وما أصابك يوم أُحُد من قتل وهزيمة فمن نفسك، أي: بذنبك[1].

قال قتادة: عقوبة لذنبك يا ابن آدم[2].

فإن قيل: ظاهرُ هذا يناقض قوله: ﴿قل كل من عند الله﴾.

قلت: لا مناقضة لأوجه:

أحدها: أن المعنى كما ذكر ابن عباس وقتادة وغيرهما، أنه أضافه إليه إضافة الشيء إلى سببه، ومثله قوله عليه السلام فيما يحكيه عن ربه عز وجل أنه قال: «يَا عِبَادِي؛ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أحفظها عليكم[3]، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدْ اللهَ، وَمَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠). وذكره الماوردي (١/ ٥٠٩)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) في صحيح مسلم بلفظ: «أُحْصِيهَا لَكُمْ ثمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا». ولفظ: "أحفظها عليكم" هي رواية الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٩٣).

وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَه»[١].

فالمعنى على هذا: «فَمِنْ نَفْسِكَ»: بسبب خطيئتك، وأنا قضيتُها عليك.

الثاني: أن التقدير: أَفَمِنْ نفسك؟ وقد يُحذف حرف الاستفهام كثيراً، ومثله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ [الأنبياء:٨٧]، ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُون﴾ [الأنبياء:٣٤]، ﴿وتلك نعمة تمنها عليَّ﴾ [الشعراء:٢٢]، تقديره: أَفَظَنَّ؟ أَفَهُمْ؟ أَوَ تِلْكَ نعمة؟ فعلى هذا يكون الاستفهام بمعنى الإنكار عليهم، حيث نسبوا الفعل إلى غير فاعله، فإنه لا يقع في الكون أمر من رخص وغلاء، ونعمة وبلاء، إلا بقضاء الله وقدره.

الثالث: أن هذا من تمام ما حكاه الله عنهم منكراً عليهم، التقدير: ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾، يقولون: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾، والمضمر المقدَّر كثير في القرآن وكلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿أو على سفر فعدَّة﴾ [البقرة:١٨٤]، أي: فأفطر فعدَّة، وقوله: ﴿أو به أذى من رأسه ففدية﴾ [البقرة:١٩٦] أي: فحلق ففدية، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم﴾ [النور:٢٠]، أي: لولا فضل الله عليكم لعذَّبكم.

وقال النمر بن تولب[٢]:

فَإِنَّ المَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا ... فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا[٣]

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ح٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الطويل.

(٢) النمر بن تولب بن زهير العُكْلي، كان شاعراً مشهوراً فصيحاً، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكَيِّس؛ لجودة شعره، وكثرة أمثاله. وهو جاهلي أدرك الإسلام فأسلم (الإصابة ٦/ ٤٧٠).

(٣) البيت للنمر بن تولب. انظر البيت في: مشكل القرآن (ص:٢١٧)، والطبري (١/ ١٩٦)، والقرطبي (١/ ٢٦٢)، وزاد المسير (٢/ ١٤١).

أراد: أينما ذهب.

وقال غيره:

فَأَقْسَمَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفعَا[(١)]

قوله تعالى: ﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾ أي: لجميع الناس الموجودين في زمانك، والذين يوجدون إلى يوم القيامة، ومثله: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [سبأ:٢٨].

وقوله عليه السلام: «بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ»[(٢)]، أي: إلى العجم والعرب.

وقيل: إلى الإنس والجن.

قال الزجاج[(٣)]: ذكر الرسول توكيداً لقوله: «وأرسلناك».

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ الباء مؤكدة، و «شهيداً» نصب على التمييز، والمعنى: كفى الله شهيداً لك بالرسالة، وعليهم بالضلالة.

مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾

(١) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٢٤٢)، واللسان، مادة: (وحد)، والطبري (١٢/ ١٨، ١٣/ ١٥٢، ٢٣/ ٢٠١)، وزاد المسير (٢/ ١٤١، ٤/ ٨٧)، وروح المعاني (٧/ ١٢٨، ١٣/ ١٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٠ ح٥٢١)، وأحمد (١/ ٣٠١ ح٢٧٤٢).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٨٠).

قوله: ﴿مَن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ قال مقاتل(١): السبب في نزولها: أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني فقد أحب الله، فقال المنافقون: ألا تسمعون ما يقول، لقد قارب هذا الرجل الشرك. فنزلت هذه الآية».

﴿ومن تولى﴾ عن طاعتك، ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ أي: رقيباً تحفظ عليهم أعمالهم، وتحاسبهم عليها.

قال المفسِّرون: وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نُسِخ بآية السيف(٢).

قوله: ﴿ويقولون طاعة﴾ أي: ويقول المنافقون لك إذا أمرتهم أو نهيتهم: شأننا أو أمرنا طاعة.

﴿فإذا برزوا من عندك﴾ أي: خرجوا، ﴿بيَّتَ طائفة منهم غير الذي تقول﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة: «بَيَّتْ طَائِفَةٌ» بإدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من حيز واحد.

وقرأ الباقون: بالإظهار وفتح التاء(٣)؛ لانفصال الحرفين، واختلاف المخرجين.

والطائفة بمعنى: الفريق، والتأنيث فيه غير حقيقي، فلذلك ذَكَّر الفعل.

قال الزجَّاج(٤): وكل أمر فُكِّر فيه بليل فقد بُيِّت، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ﴾ [النساء:١٠٨]. والمعنى: زَوَّرت وسوَّت خلاف ما قُلْتَ

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٤٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٧٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٨٣).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٨٩)، والكشف (١/ ٣٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٥).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٨١).

وما أمرت به.

وقيل: المعنى: غير الذي تقول الطائفة، وتظهر من الطاعة.

﴿والله يكتب ما يُبيِّتون﴾ أي: يُثبته في صحائف أعمالهم، أو يكتبه فيما يوحيه إليك وينزله عليك، ليعلمك أسرارهم وإضْرارهم.

﴿فأعرض عنهم﴾ أي: عن الانتقام منهم.

قال ابن عباس: نسخ هذا بالأمر بقتالهم[1].

﴿وتوكل على الله﴾ فهو يكفيك شأنهم، وينتقم لك منهم إذا استفحل أمرك، وعظم سلطانك، وكثر أعوانك.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

قوله عز وجل: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يَتَأَمَّلُونَهُ ويتفكرون فيه، فيستدلوا برصانة مبانيه عن المناقضة، وصيانة معانيه عن المعارضة، وكثرة حكمه وأحكامه مع إيجازه وإعجازه، وتشويق هواديه إلى أعجازه. على أنه كلام مَن تنزَّهت ذاته عن مشاكلة الذوات، وصفاته عن مماثلة الصفات.

﴿ولو كان من عند غير الله﴾ كما زعم حاسدوك ومعاندوك، ﴿لوجدوا فيه

(١) ذكره ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ (ص:٧٦)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ (ص:٣٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص:٢٨٤).

اختلافاً كثيراً﴾ تفاوتاً في النظم والمعنى على نحو كلام البشر ما بين بديع مستحسَن، ومرذول مستهجَن، وكلام الله تعالى جار على سَنَنٍ واحد من البلاغة والبراعة وصحة اللفظ والمعنى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قوله: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: «أن النبي ﷺ لما اعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلَّقتَ نساءك؟ قال: لا، فخرج، فنادى: ألا إن رسول الله ﷺ لم يُطلِّق نساءه، فنزلت هذه الآية، فكان عمر هو الذي استنبط الأمر»[1].

وروى أبو صالح[2] عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا بعث سريّة فغَلبت أو غُلِبت، تحدَّثوا بذلك، وأذاعوه قبل النبي ﷺ وكبراء أصحابه وعلمائهم، فأنزل الله هذه الآية[3].

والمشار إليهم بقوله: ﴿وإذا جاءهم﴾: المنافقون.

وقيل: ضعفة المسلمين الذين لا اطلاع لهم على بواطن الأمور وجلايا القضايا.

والأمن: الظفر والغنيمة.

والخوف: القتل والهزيمة.

﴿أذاعوا به﴾ أظهروه وأشاعوه، يقال: أذاع السر وأذاع به،

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١١٠٥-١١٠٧ ح١٤٧٩).

(٢) باذام -ويقال: باذان- أبو صالح، مولى أم هانئ (الجرح والتعديل ١/ ١٣٥).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٥٠-٣٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤٥-١٤٦).

﴿ولو رَدُّوهُ﴾ يعني: الأمر ﴿إلى الرسول﴾ ليكون هو المُخْبر به، ﴿وإلى أولي الأمر منهم﴾ وهم أصحاب البصائر المضيئة بنور العلم والإيمان.

قال ابن عباس: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ رضي الله عنهم[١].

وقيل: هم ذوو الآراء من الأمراء.

﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أي: يستخرجونه من أولي الأمر.

وقال مجاهد: من المذيعين[٢].

فالمعنى على القول الأول: ولو ردوه إلى أرباب العلم، وكبراء الصحابة لاستنبطوه بآرائهم السليمة، وأفهامهم المستقيمة، فعلموا منهم صحة ذلك الأمر من بطلانه، وهل المصلحة في إذاعته، أو في كتمانه.

والمعنى على قول مجاهد: ولو ردُّوه إلى أُولي الأمر منهم، وهم الكبراء أو الأمراء لعلمه المستنبطون من المذيعين.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ قال ابن عباس: "فضل الله": الإسلام، "ورحمته": القرآن[٣].

﴿لاتبعتم الشيطان﴾ قال ابن عباس: هاهنا تم الكلام[٤]، ثم استثنى القليل من قوله: "أذاعوا به" تقديره: أذاعوا به ﴿إلا قليلاً﴾ ممن عصم الله منهم فإنهم لا

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٥١)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٨٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤٧). وأخرج مجاهد في تفسيره (ص:١٦٧) عند قوله: ﴿يستنبطونه منهم﴾ قال: وهو قوله: ماذا كان؟ وماذا سمعتم؟.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٥١)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٨٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٧).

يذيعون[١]. وهذا اختيار الكسائي، والفرَّاء[٢]، وابن جرير[٣].

وقال الحسن: الاستثناء من المستنبطين، تقديره: لعلمه الذين يستنبطونه إلا القليل[٤].

وهذا اختيار ابن قتيبة[٥].

وقال الضحاك وغيره: المعنى: لاتبعتم الشيطان فبقيتم على كفركم إلا قليلاً[٦]. اختاره الزجَّاج[٧].

وقال بعض العلماء: المعنى: ولولا فضل الله عليكم بإرسال محمد إليكم لضللتم إلا قليلاً منكم، وهم الذين اهتدوا بنور عقولهم إلى عبادة الرحمن، ورفض الأوثان؛ كقُس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ

(١) الوسيط (٢/ ٨٧).
(٢) معاني الفراء (١/ ٢٧٩).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٨٣-١٨٤).
(٤) ذكره الماوردي (١/ ٥١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤٨).
(٥) تفسير غريب القرآن (ص:١٣٢).
(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤٨).
(٧) معاني الزجاج (٢/ ٨٤).

رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ قال ابن عباس: لما ندب النبي ﷺ الناس لموعد أبي سفيان ببدر الصغرى(١) بعد أُحُد كره بعضهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية(٢).

والفاء في قوله: «فقاتل» متعلقة بقوله: ﴿ومن يقاتل﴾ [النساء:٧٤]، أو بقوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾ [النساء:٧٥]، على معنى: إن لم يقاتلوا في سبيل الله فقاتل أنت وإن بقيت وحدك.

﴿لا تُكلَّف إلا نفسك﴾ إلا الجهاد بنفسك.

﴿وحَرِّض المؤمنين﴾ أي: ليس عليك إلا تحريضهم، وحضَّهم على الجهاد، ﴿عسى الله أن يَكُفَّ بأس الذين كفروا﴾ أي: شدتهم.

قد سبق الكلام على «عسى». وفي الجملة إطماع الكريم واجب واقع، فحقق الله ذلك، فكف بأس الذين كفروا، أبو سفيان وأصحابه، كما ذكرناه في آل عمران.

﴿والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً﴾ عقوبة.

قوله: ﴿من يشفع شفاعة حسنة ... الآية﴾ قال الحسن: ما يجوز في الدين أن يُشفع فيه فهو شفاعة حسنة، وما لا يجوز أن يُشفع فيه فهو شفاعة سيئة(٣).

(١) وهي عندما خرج النبي ﷺ لأبي سفيان صبيحة أُحُد بحمراء الأسد، وقد تقدمت القصة في آل عمران عند قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ [١٧٢].

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٤٨-١٤٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٨٩).

فيدخل في الشفاعة الحسنة كل شفاعة جلبت للإنسان خيراً، ونَفَتْ عنه ضيراً، والإصلاح بين الناس والدعاء للمؤمنين.

والسيئة بخلاف ذلك.

وهذه الجملة تشتمل على تفاصيل أقوال المفسِّرين في الشفاعتين.

والنَّصيب والكِفْل بمعنى واحد.

والمعنى: أن لهذا نصيباً من الأجر، ولهذا كِفْلاً من الوِزْر.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى: أن رسول الله ﷺ قال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَليَقْضِ الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبّ»[1].

وثبت عنه ﷺ من حديث ابن عمر أنه قال: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله، فَقَدْ حَادَّ الله في ملكه»[2].

قوله: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ أي: مقتدراً. يقال: أَقَاتَ على الشيء يُقِيتُ إِقَاتَةً؛ إذا اقْتَدَرَ عليه[3]، وأنشدوا:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيتا[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٠ ح١٣٦٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦ ح٢٦٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٠٥ ح٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٧٠ ح٥٣٨٥).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (قوت).

(٤) البيت للزبير بن عبد المطلب بن هاشم، أكبر أعمام النبي ﷺ. انظر: اللسان، مادة: (قوت)، والصحاح (١/ ٢٦٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٦)، والدر المصون (٢/ ٤٠٥، ٦/ ١٥٦)، وتفسير غريب القرآن (ص:١٣٢)، والطبري (٥/ ١٨٨)، والقرطبي (٥/ ٢٩٦)، والماوردي (١/ ٥١٣). ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٥٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٠٤) لأحيحة بن الجلاح الأنصاري.

وقال قتادة: المُقِيت: الحفيظ[١].

قال الزجاج[٢]: هو بهذا أشبه، لأنه مشتق من القُوت. يقال: قُتُّ الرَّجُلَ أَقُوتُهُ قَوْتاً؛ إذا حَفِظْتَ عليه نَفْسَهُ بما يَقُوته، واسم الشيء الذي يَحْفَظُ نَفْسَهُ: القُوت، فمعنى المُقِيت: الحافظ[٣] الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ[٤].

قال الشاعر:

أَلِيَ الفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذا حُو سِبتُ، إِنِّي عَلَى الحِسَاب مُقِيتُ[٥]

والقولان عن ابن عباس[٦].

قوله: ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ التفسير المشهور الذي عليه الجمهور، أن التحية: السلام، ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ مثل أن يقول لك أخوك المسلم: السلام عليكم،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٥٠).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٨٥-٨٦).

(٣) في الزجاج واللسان: الحفيظ.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (قوت).

(٥) البيت للسموأل بن عادياء. انظر: ديوانه (ص:١٣)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٥)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٣٣)، والأصمعيات (ص:٨٦)، واللسان، مادة: (قوت)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٦)، والدر المصون (٢/ ٤٠٥)، والطبري (٥/ ١٨٨)، وزاد المسير (٢/ ١٥١)، والكشاف (١/ ٥٧٥).

(٦) أخرج القول الأول لابن عباس: الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٥٢) من حديث طويل. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٠٤) وعزاه لأبي بكر ابن الأنباري في الوقف والابتداء والطبراني في الكبير والطستي في مسائله.

وأخرج القول الثاني: الطبري (٥/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٠٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

فتقول: وعليكم السلام ورحمة الله، ﴿أو رُدُّوها﴾ قولوا مثلها، ندب سبحانه إلى الفضل في الرد، وأوجب العدل، ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من الفضل في الرد، والعدل فيه، ﴿حسيباً﴾ مجازياً مكافياً.

قوله: ﴿ليجمعنكم﴾ هذه لام القسم، تقديره: والله ليجمعنكم، يعني: في الموت، أو في القبور، ﴿إلى يوم القيامة﴾ ويُحتمل أن يكون المعنى: ليجمعنكم في يوم القيامة.

وهو يوم قيام الناس من قبورهم، فالقيامة والقيام بمعنى، كالطِلابة والطِلاب، ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ أي: قولاً ووعداً.

۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ

﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ۝٩١﴾

قوله: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾[١].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم، وأبو الحسن البغداديان، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثني محمد بن بشار، حدثنا غُنْدَر وعبد الرحمن، قالا: حدثنا شعبة، عن عدي، عن عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت: «﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أُحُد، وكان الناس فيهم فرقتين، فريق يقول: اقتلهم[٢]، وفريق يقول: لا، فنزلت: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾، وقال: إنها طيبة تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة»[٣]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وقال عبد الرحمن بن عوف: نزلت في قوم أسلموا فأصابهم وباء المدينة وحماها، فخرجوا، فاستقبلهم نفر من المسلمين، فقالوا: ما لكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة، فَاجْتَوَيْنَاهَا[٤]، فقالوا: أما لكم في رسول الله أُسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة مسجد الرقي، المجلس الثامن عشر، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الخامس والثلاثين، مرة ثانية.

(٢) في هامش الأصل: صوابه: تقتلهم به.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٦ ح٤٣١٣)، ومسلم (٤/ ٢١٤٢ ح٢٧٧٦).

(٤) اجْتَوَيْت البلد: إذا كرهت المُقام فيه. والاجْتِواء: النِّزاع إلى الوطن وكراهةُ المكان الذي أنت فيه وإن كنت في نعمة (اللسان، مادة: جوا).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٩٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٧٢). وذكره السيوطي في لباب النقول (ص:٧٥-٧٦)، وفي الدر المنثور (٢/ ٦١٠) وعزاه لأحمد.

وقيل: نزلت في العُرَنيين الذين أغاروا على سرح رسول الله ﷺ[١].

وقيل: نزلت في الذين لم يهاجروا من مكة[٢].

والمعنى: ما لكم اختلفتم في شأن قوم ظهر نفاقهم، وتفرقتم فيهم فئتين -أي: فرقتين، ونصبها على الحال[٣]-، وما لكم لم تجتمعوا على كفرهم.

﴿والله أركسهم﴾ رَدَّهُم إلى الشرك كما كانوا، يقال: أَرْكَسَ الشَّيْء ورَكَسَهُ، ﴿بما كسبوا﴾ من الفعل القبيح الدال على كفرهم ونفاقهم.

﴿أتريدون﴾ أيها المؤمنون، ﴿أن تهدوا مَن أضل الله﴾ لأنهم قالوا: هم إخواننا، وتكلموا بكلمتنا، فأنكر الله عليهم نسبة المنافقين إليهم.

﴿ومَن يُضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ إلى الحُجَّة، ولا دليلاً على المحجة.

ثم أخبر الله المؤمنين بما تنطوي عليه ضمائرهم لهم، لئلا يحسنوا الظن بهم، فقال: ﴿ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون﴾ عطف على «تكفرون»[٤]، إذ لو كان جواباً لحذفت النون، والمعنى: أحبوا كفركم وكونكم مثلهم.

﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ أي: يرجعوا إلى رسول الله بنِيَّةٍ خالصة من شوائب النفاق.

﴿فإن تولَّوا﴾ عن التوحيد والهجرة، ﴿فخذوهم﴾ أُسَراء، ﴿واقتلوهم حيث

---

(١) حديث العرنيين أخرجه البخاري (١/ ٩٢ ح٢٣١).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٠٩-٦١٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٨٩)، والدر المصون (٢/ ٤٠٧).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٨٩)، والدر المصون (٢/ ٤٠٩).

وجدتموهم﴾ في حِلٍّ أو حرم، ﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾.

قوله: ﴿إلا الذين يصلون﴾ استثناهم الله عز وجل من قوله: ﴿فخذوهم واقتلوهم﴾ التقدير: خذوهم واقتلوهم إلا الذين يتصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، فيكون بينهم رابطة حِلْف أو جوار، فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم.

قال ابن عباس: والمراد بالقوم: هلال بن عويمر الأسلمي وقومه، وكان وَادَعَ رسول الله ﷺ على أن [لا][1] يعينه، ولا يعين عليه، وكان مَن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم فلهم من الجوار مثل ما لهلال[2].

وقال الحسن: بنو مدلج[3].

وقال مقاتل[4]: خزاعة وبنو مدلج.

قال ابن عباس: والميثاق: العهد[5].

﴿أو جاءوكم﴾ معطوف على صفة «قوم»[6]، أي: يَصِلُون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن قتالكم.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة على الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٧-١٩٨) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٩٢)، والماوردي (١/ ٥١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٥٨).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٢٤٧).

(٥) زاد المسير (٢/ ١٥٨).

(٦) وفيه وجه آخر، وهو أنه عطف على الصلة، كأنه قيل: أو إلا الذين جاؤوكم حَصِرَتْ صدورهم (انظر: الدر المصون ٢/ ٤١٠).

وقال الزجَّاج[١]: المعنى: يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، أو يصلون إلى قوم جاءوكم.

وقرأ أُبَيّ: «بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم» بإسقاط «أو»[٢].

فعلى هذا: «جاءوكم» بيان لـ«يصلون»، أو بدل منه، أو استئناف، أو صفة بعد صفة لـ «قوم».

﴿حصِرت صدورهم﴾ أي: ضاقت صدورهم عن ﴿أن يقاتلوكم﴾ للعهد الذي بينكم وبينهم، ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ يعني: قريشاً.

قال مجاهد: هلال بن عويمر هو الذي حَصِر صدره أن يقاتلكم، أو يقاتل قومه[٣].

وقيل: أو يقاتلوا قومهم الذين آمنوا، وصاروا مع النبي ﷺ.

فإن قيل: ما إعراب: «حَصِرت صدورهم»؟

قلت: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه في محل الحال بإضمار "قد"، والدليل عليه قراءة الحسن، وبها قرأتُ على أبي البقاء اللغوي، وأبي عمرو الياسري ليعقوب، والمفضل عن عاصم: "حَصِرَةً صدورهم"[٤] على الحال، وهذا قول [الأخفش][٥].

---

(١) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قول الزجاج في: زاد المسير (٢/ ١٥٨).

(٢) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٩)، والدر المصون (٢/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٢-١٩٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٨)، ومجاهد (ص:١٦٨).

(٤) مختصر ابن خالويه (ص: ٢٧-٢٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ١٩٣).

(٥) معاني الأخفش (ص:١٦٢). وفي الأصل: وهذا قول الفش. وهو تصحيف.

الثاني: أنه صفة في موضع نصب، تقديره: أو جاءوكم قوماً حصرت صدورهم. قاله سيبويه.

الثالث: أنه دعاءٌ عليهم، لا موضع له من الإعراب، تقديره: ضيَّق الله صدورهم عن قتالكم. قاله المبرد[1].

وردَّه أبو علي لقوله: "أو يقاتلوا قومهم"، ونحن لا ندعوا عليهم بأن يُضيِّق الله صدورهم عن قتال قومهم.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله[2]: فلما أعزّ الله الإسلام أُمِروا أن لا يقبلوا من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف.

﴿ولو شاء الله لسلّطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ فيه إشارة إلى أنه هو الذي حَصَرَ صدورهم عن قتال المؤمنين بما قذف في قلوبهم من الرعب.

قوله: ﴿وألقوا إليكم السلم﴾ قال الحسن: يعني: الإسلام[3].

وقال غيره: الصلح[4].

﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ إلى القتل والأخذ، ثم نسخ بآية السيف[5].

قوله: ﴿ستجدون آخرين﴾ قال ابن عباس: هم أسد وغطفان، وكانوا

---

(١) المقتضب (٤/ ١٢٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٢/ ١٥٩).

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٥١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٥٩).

(٤) وهو قول الربيع ومقاتل. انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٤٧)، والماوردي (١/ ٥١٦)، وزاد المسير (٢/ ١٥٩).

(٥) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٧٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٨٥-٢٨٧).

حاضري المدينة[1].

وروي عنه: أنهم بنو عبد الدار[2]، أظهروا الإيمان ليأمنوا المؤمنين بما أظهروا، ﴿ويأمنوا قومهم﴾ الكفار بما أضمروا، فأعلم الله نبيه أن هذه الموافقة منافقة، وأن مقصودهم من إظهار الإيمان الأمان.

﴿كلما ردوا إلى الفتنة أُرْكِسوا فيها﴾ أي: كلما سنح لهم الشرك عادوا إليه، لما عندهم من الشك في الإسلام، ﴿فإن لم يعتزلوكم﴾ فيتركوا قتالكم ﴿ويلقوا إليكم السلم﴾، وهو الانقياد والاستسلام للصلح.

﴿ويكفوا أيديهم﴾ عنكم، ﴿فخذوهم﴾ أسرى، ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي: حيث وجدتموهم قسراً.

﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ أي: حُجَّة مضيئة بيِّنة في قتلهم لظهور مُحالهم في غدرهم، وانكشاف حالهم في كفرهم، ثم نُسِخ الكف عنهم بآية السيف[3].

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ

---

(١) ذكره مقاتل في تفسيره (١/ ٢٤٧)، والثعلبي (٣/ ٣٥٨)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٩٣) من قول الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٦٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٥٩).

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٧٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٤-٣٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٨٧).

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ
يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً﴾ السبب في نزول هذه الآية: أن عياش بن أبي ربيعة أسلم قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ، فخاف أن يُظهر إسلامه لقومه، فخرج إلى المدينة، فقالت أُمه لابنيها: أبي جهل والحارث ابني هشام -وكانا أخويه لأمه-: والله لا يظلني سقف، ولا أذوق طعاماً، ولا شراباً حتى تأتياني به، فخرجا في طلبه، ومعهما الحارث بن يزيد، حتى أتوا عياشاً وهو متحصن في أُطُم[1]، فقالوا له: انزل -وأخبروه خبر أُمه-، ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك، فنزل، فأوثقوه، وجلده كل واحد منهم مائة جلدة، فقدموا به على أمه، فقالت: والله لا أحلّك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، فطُرِح موثقاً في الشمس، حتى أعطاهم ما أرادوا، فقال له الحارث بن يزيد: يا عياش؛ إن كان ما كنت عليه هدىً لقد تركته، وإن كان ضلالاً لقد ركبته، فغضب وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك، ثم أفلت عياش بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم أسلم الحارث بعده، وهاجر، ولم يعلم عياش، فلقيه يوماً فقتله، فقيل له: إنه قد أسلم، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان، وقال: لم أشعر بإسلامه، فنزلت هذه

(١) الأُطُم: -بضمتين يُخفَّف ويُثقَّل-: هو كل بيت مُرَبَّع مُسَطَّح. وقيل: حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بحجارة. وقيل: هو البناء المرتفع، وهي حصون لأهل المدينة (اللسان، مادة: أطم).

الآية[١].

وقوله: ﴿وما كان لمؤمن﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق بحال مَن اتصف بالإيمان، ﴿أن يقتل مؤمناً﴾ ابتداءً من غير سبب يوجب قتله.

وقوله: ﴿إلا خطئاً﴾ حال، أو صفة مصدر محذوف، أو مفعول له، على معنى: ما ينبغي أن يقتله لعِلَّة من العلل إلا للخطأ وحده[٢].

والمعنى: إلا على وجه الخطأ بأن يظنه كافراً، أو يرمي كافراً فيصيبه.

وروى أبو عبيدة عن يونس[٣] أنه سأل رؤبة عن هذه الآية فقال: ليس لـه أن يقتله عمداً ولا خطأً، ولكنه أقام «إلا» مُقَام الواو[٤].

قال الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاَّ الفرْقَدانِ[٥]

أراد: والفرقدان.

وقيل: وقع الاستثناء على ما تضمنته الآية من استحقاق الإثم وإيجاب القتل.

وقيل: الاستثناء منقطع، التقدير: لكن قد يقتله خطأً.

﴿فتحرير رقبة﴾ أي: فعليه تحرير رقبة ﴿مؤمنة﴾، واشترط الإمام أحمد -في

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٠٣-٢٠٤)، ومجاهد (ص:١٦٩-١٧٠). وذكره الثعلبي (٣/ ٣٥٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٧٣-١٧٤) عن الكلبي، والدر المنثور (٢/ ٦١٦).

(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ٤١٣).

(٣) يونس بن حبيب، الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن المعروف بالنحوي، علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، كانت له حلقة بالبصرة. توفي سنة اثنين وثمانين ومائة (الأعلام ٨/ ٢٦١).

(٤) زاد المسير (٢/ ١٦٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، والدر المصون (٢/ ٤١٣).

(٥) تقدم (ص:٤٦٣).

إحدى الروايتين عنه- أن تكون قد صامت وصلَّت[١]، وهو قول ابن عباس في رواية عنه، والحسن وقتادة وعامة المفسِّرين[٢].

﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمة إلى أهله﴾ وهم ورثة المقتول، ﴿إلا أن يَصَّدَقوا﴾ أي: إلا أن يتصدق الورثة بالدِيَة على القاتل فتسقط.

فصل

لا نعلم خلافاً أن إعتاق الرقبة متعلق بمال القاتل، وأن الدية على عاقلته، تحملها عنه على طريق المواساة منجمة أثلاثاً في ثلاث سنين، ولا يلزم الجاني منها شيء. وعند أبي حنيفة: هو كأحدهم[٣].

وعاقلته: عصباته، وإن لم تكن له عاقلة ففي بيت المال.

فصل

ودِيَة الحر المسلم: مائة من الإبل أو ألف دينار، أو اثنا عشر ألف درهم من الوَرِق، أو ألفا شاة، أو مائتا بقرة.

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه في الحُلل هل هي أصل في الدِيَة؟ فإن قلنا: هي أصل -وبه قال أبو يوسف ومحمد- فقدرها مائتا حُلَّة[٤].

ودِيَة الحرة المسلمة: على النصف من ذلك.

---

(١) انظر: المغني (١٠/ ١٠).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦١٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: الهداية (٤/ ١٧٧)، والمغني (٨/ ٢٩٧).

(٤) انظر: المغني (٨/ ٢٨٩)، والهداية (٤/ ١٧٨)، والفروع (٦/ ١٦)، والإنصاف (١٠/ ٥٩).

ودِيَة الذِّمِّي إذا قتله مسلم عمداً: مثل دِيَة المسلم.

وإن قتله خطأ؛ ففيه عن الإمام أحمد روايتان، إحداهما: نصف دِيَة المسلم، والأخرى: ثلثها[١].

ودِيَة المجوسي: ثمانمائة درهم.

وقال أبو حنيفة: دِيَة الكافر مثل دِيَة المسلم في العمد والخطأ[٢].

وقال مالك: نصف دِيَة المسلم[٣].

وقال الشافعي: ثلث الدِيَة في الحالين، وقال في المجوسي كقولنا[٤].

قوله: ﴿فإن كان من قوم عدو لكم﴾ أي: إن كان المؤمن المقتول خطأ من أعدائكم الكفار مقيماً بين أظهرهم، أو ليس منهم، ولكنه مقيم بين أظهرهم، فقتله مَن لا يعلم بإيمانه، ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أي: فعليه عتق نسمة مؤمنة ولا دِيَة في قتله، لأنه ضيَّع نفسه بإقامته في دار الحرب، فإن عَلِمَ به أنه مسلم وجبت الدِيَة.

وقال أبو حنيفة: إن كان المسلم المقتول قد هاجر لزم القاتل الدِيَة والكفَّارة بكل حال، وإن لم يكن هاجر إلينا لم يلزمه غير الكفَّارة في العمد والخطأ.

قوله: ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي عهد، وهم أهل الذمة، ﴿فدِيَة مُسَلَّمة إلى أهله﴾ وقد ذكرنا مقدارها ﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾.

وقيل: هو المؤمن يُقتل خطأ، وقومه مشركون، ولهم عهد، فدِيَته لقومه

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٣١٢)، والفروع (٦/ ١٧).

(٢) انظر: الهداية (٤/ ١٧٨).

(٣) انظر: بداية المجتهد (٢/ ٥٠٦).

(٤) انظر: الروضة (٩/ ٢٥٨)، والمنهاج (ص:١٢٦).

وميراثه للمسلمين.

قوله: ﴿فمن لم يجد﴾ يعني: رقبة ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ بدلاً عن الرقبة في قول عامة أهل العلم، إلا ما يروى عن مسروق ومجاهد وابن سيرين، فإنهم قالوا: الصوم بدل عن التحرير والدِيَة[(١)]، ولا ينقطع التتابع بالحيض والمرض.

وقال أبو حنيفة: ينقطع بالمرض[(٢)]، وإن تخللهما الإفطار لغير عذر انقطع التتابع، ولزمه الابتداء.

﴿توبة من الله﴾ مصدر، أو مفعول لأجله[(٣)]، والمعنى: شرع الله ذلك توبة منه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً ... الآية﴾ السبب في نزولها: أن مقيس بن صُبابة كان قد أسلم هو وأخوه هشام، فوجد مقيس أخاه قتيلاً في بني النجار، فأتى رسول الله ﷺ، فذكر له ذلك، فأرسله، وأرسل معه زهير بن عياض الفِهْري[(٥)] -وكان من المهاجرين من أهل بدر- إلى بني النجار ليدفعوا إلى مقيس قاتل أخيه إن علموه، أو دِيَته إن لم يعلموه، فأبلغهم الفهري رسالة رسول الله ﷺ، فقالوا: والله ما نعلم قاتله، ولكنا نعطيه دِيَته، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٥).

(٢) انظر: الهداية (٢/ ٢١).

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٩٠)، والدر المصون (٢/ ٤١٥).

(٤) في هامش الأصل: أي: متعمداً لإيمانه أي: قصد قتله لأجل أنه مؤمن، ومن هذا قصده في القتل يكون كافراً، فأما من لم يقصد قتله لإيمانه فحكمه ما جاء في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾، فسمى قاتل النفس عمداً مؤمناً مع أنه كبيرة.

(٥) انظر: الإصابة (٢/ ٥٧٨).

راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيساً، فقال: تقبل دِيَة أخيك فتكون عليك سُبَّة ما بقيت، اقتل الفهري، وافضل بالدِيَة، فرمى الفهريَّ بصخرة، فشدخ رأسه فقتله ولحق بمكة مشركاً، وهو يقول:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْراً وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ

وَأَدْرَكْتُ ثأْرِي وَاضْطَجَعْتُ مُوَسَّداً ... وَكُنْتُ إِلى الأَوْثانِ أَوَّلَ رَاجِعِ[1]

فنزلت هذه الآية، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح[2].

فصل في حكم هذه الآية

ذهب أعلام الأئمة وجمهور الأمة: إلى أن المؤمن إذا قتل مؤمناً عمداً، لا يكفر بقتله، وأنه يُستتاب كما يُستتاب من سائر الذنوب، وناهيك بقبول التوبة من أكبر الكبائر، وهو الشرك، دليلاً على قبول التوبة من ذنب يتقاصر عنه في الجناية.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أنَّى له التوبة؟ ثم تلا هذه الآية[3].

---

(١) انظر البيتين في: البحر المحيط (٣/ ٣٣٨) وفيه: "حللت به وتري وأدركت ثورتي" بدل: "وأدركت ثأري واضطجعت موسداً".

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٧) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧-١٠٣٨) عن سعيد بن جبير، والثعلبي (٣/ ٣٦١-٣٦٢) عن أبي صالح عن ابن عباس، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٧٤) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤٠ ح٣٠٢٩)، والنسائي (٢/ ٢٨٨ ح٣٤٦٨)، وابن ماجه (٢/ ٨٧٤)، وأحمد (١/ ٢٤٠)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٠١)، والطبري (٥/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٦)، والنحاس في ناسخه (ص:٣٤٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٢٣-٦٢٤) وعزاه لأحمد وسعيد بن منصور والنسائي وابن ماجه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والطبراني.

وطريقُ الانفصال عنها بادعاء كونها منسوخة تارة، وبالتأويل أخرى.

أما نسخها: فذهب جماعة من المفسِّرين إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] [النساء:٤٨].

وأما التأويل فمن ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً لأجل إيمانه، فحينئذ يكفر باستحلاله دمه فيخلد. وهذا قول سعيد بن جبير[2].

الثاني: أن المعنى: فجزاؤه جهنم إن جازاه، وهذا التأويل قد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ[3]، وروي عن جماعة من العلماء[4]، منهم: أبو صالح وأبو مِجْلَز[5].

الثالث: أن المراد بتخليده في النار، طول مكثه، والعرب تسمي الجبال خوالد؛ لطول مكثها، وتقول: لأخلدن فلاناً في السجن.

على أننا نحمل كلام ابن عباس، وما شاكله من ذلك على التغليظ، فإن رجلاً سأله: ألقاتل المؤمن توبة؟ قال. لا، وسأله آخر، فقال: نعم، فقيل له في ذلك،

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٣٤٣)، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٧٧-٧٨)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٢٨٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٨)، والثعلبي (٣/ ٣٦٥).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٨).

(٥) أبو صالح هو: ذكوان السمان الزيات، المدني، من ثقات التابعين. توفي سنة إحدى ومائة (التقريب: ٢٠٣).

وأما أبو مجلز فهو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، مشهور بكنيته. توفي سنة تسع ومائة (التقريب: ٥٨٦).

فقال: جاءني ذلك ولم يكن قتل، فقلت: لا توبة لك، لكي لا يقتل، وجاءني هذا وقد قتل، فقلت له: لك توبة، لئلا يُلقي بيده إلى التهلكة[١].

وحكى سفيان الثوري هذا المعنى عن أهل العلم[٢].

وصح عن ابن عباس أيضاً: أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأُجيب، فغرتُ [عليها][٣] فقتلتها، فهل لي من توبة؟ فقال: أُمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله وتقرب إليه ما استطعت، فقيل: لم سألته عن حياة أُمِّه؟ فقال: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة[٤].

فصل

فإن مات من غير توبة، فمذهب أهل الحق: أنه تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له، وأرضى خصمه، وإن شاء عذَّبه على فعله ثم يُدخله الجنة بإيمانه فضلاً منه ورحمة.

وتحجّرتِ المعتزلة واسعاً، فقالت: لا يغفر الله لمن لم يتب من الكبائر.

قال الزمخشري[٥]: ما أبين الدليل في هذه الآية على خلود مَن لم يتب من أهل الكبائر، والعجب من قوم يقرأون هذه الآية، ويطمعون في العفو من غير توبة،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٩٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط، الموضع السابق.

(٣) زيادة من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٦٢) وعزاه للبخاري في الأدب المفرد والبيهقي.

(٥) الكشاف (١/ ٥٨٤).

أفلا يتدبرون القرآن[١] أم على قلوب أقفالها.

قلت: ولو تلا هذه الآية على طائفته، لكانت تلاوتها عليهم بهذا الاعتبار أليق، وبحالهم أشبه، وليته اعتبر بما جرى لطاغيتهم وقائدهم في الضلالة عمرو بن عبيد[٢] مع قريش بن أنس حين قال: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله تعالى فيقال: قلت: إن القاتل يخلد في النار. فأقول: أنت قلت، ثم تلا: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ...﴾ حتى فرغ من الآية.

قال قريش[٣]: فقلت له: -وما في البيت أصغر مني- أرأيت إن قال لك: فإني قلت: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟ قال: فما استطاع أن يرد عليّ شيئاً[٤].

ثم إنه أكثر ما يُقَدَّرُ أن الله توعَّد القاتل، وأصحاب الكبائر بالنار، والخلود فيها، غير أن الدلائل النقلية، والبراهين العقلية، توجب العلم بأن العفو بعد الوعيد والتهديد الشديد من نفائس المكارم، وغرائس الأكارم.

قال كعب بن زهير:

---

(١) في هامش الأصل: أي: يتأملونه ويتفكرون به.

(٢) عمرو بن عبيد بن باب التميمي، مولى بني تميم، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، كان من أصحاب الحسن، ثم عارضه في القَدَر فاعتزل مجلسه، وتبعه مَن تبعه، فسموا المعتزلة. مات في طريق مكة سنة اثنتين -أو ثلاث- وأربعين ومائة (البداية والنهاية ١٠/ ٧٨، وميزان الاعتدال ٥/ ٣٢٩، والأعلام ٥/ ٨١).

(٣) قريش بن أنس الأنصاري، مولاهم، أبو أنس البصري، توفي سنة ثمان ومائتين (التقريب ص:٤٥٥).

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (ص:٧٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ١٨٢).

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ الله أَوْعَدَنِي وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ(١)

وقال الأصمعي: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو! يُخلف الله ما وعد ؟ قال: لا، قال: أرأيت مَن أوعده على عمل عقاباً أيخلف الله وعيده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العُجْمَة أُتيتَ يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تَعُدُّ عاراً ولا خُلْفاً أن تَعِدَ شراً ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تَعِدَ خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت قول الأول:

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي(٢)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

---

(١) هذا البيت من قصيدة كعب -المشهورة- ومطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

شرح القصيدة للحموي (ص:٥٤)، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ص:٣٢).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ١٠٠-١٠١)، وميزان الاعتدال (٥/ ٣٣٣-٣٣٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦٣).

والبيت لعامر بن الطفيل. انظر: ديوانه (ص:٥٨)، واللسان، مادة: (ختأ، ختا)، والقرطبي (٤/ ٣١٨، ٥/ ٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٩)، وميزان الاعتدال (٥/ ٣٣٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦٣).

قوله تعالى[١]: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس قال: «لقي ناس من المسلمين رجلاً في غُنَيْمة له، فقال: السلام عليكم، فأخذوه فقتلوه، وأخذوا تلك الغنيمات، فنزلت: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾. وقرأها ابن عباس[٢]: السَّلَمَ»[٣].

وروي عن ابن عباس: أن قوماً من أهل مكة سمعوا بسرية لرسول الله ﷺ تريدهم، فهربوا، وأقام رجل منهم، يقال له: مرداس بن نُهيْك[٤]، من أهل فَدَك[٥]، ثقة بإسلامه، فلما رأى مرداس الخيل كبَّر وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقتله أسامة بن زيد ظناً منه أنه قالها تعوُّذاً، واستاق غنمه، فلما رجعوا إلى النبي ﷺ وأخبروه الخبر، وَجَدَ من ذلك وَجْداً شديداً، وقال: «قتلتموه إرادة ما معه»، فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، قال: «فكيف بلا إله إلا الله»؟ فما زال يقولها حتى وددتُ أني لم أكن أسلمتُ إلا يومئذ، ثم استغفر لي، وقال: «أعتق رقبة»، ونزلت هذه الآية[٦].

---

(١) في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس السادس والثلاثين، مرة ثانية.

(٢) انظر: الحجة لابن زنجلة (ص:٢٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٧ ح٤٣١٥)، ومسلم (٤/ ٢٣١٩ ح٣٠٢٥).

(٤) مرداس بن عمرو الضمري، وقيل: مرداس بن نُهيك (الإصابة ٦/ ٧٤).

(٥) فَدَك -بفتح أوله وثانيه-: قرية معروفة بينها وبين المدينة يومان (معجم البلدان ٤/ ٢٣٨).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٦) مختصراً.

وأصل القصة في صحيح البخاري (٤/ ١٥٥٥ ح١٠٢١). والقصة بكاملها في: الثعلبي (٣/ ٣٦٧)، وأسباب النزول للواحدي (ص:١٧٧).

ومعنى «ضربتم»: سرتم وغزوتم، «فتبينوا»: من البيان.

وقرأ حمزة والكسائي: "فَتَثَبَّتُوا" من الثبات، في الموضعين[١]، وكذلك في الحجرات[٢].

﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ وهو التحية المعروفة.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة: «السَّلَمَ» بغير ألف[٣]، وهو الانقياد والاستسلام.

﴿لست مُؤمِناً﴾ وقرأت على شيخنا أبي البقاء لأبي جعفر: «مُؤْمَناً» بفتح الميم[٤]، من الأمان، وهي قراءة علي وابن عباس رضي الله عنهم.

﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ وهو متاعها، يسير إلى غَنيمة: الغُنيمة، فهو الذي دعاكم إلى عدم التثبّت عن حال مَن تقتلونه.

﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ قال مقاتل[٥]: ثواب الجنة.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أبواب الرزق[٦].

وعندي: أن هذا الكلام خارجٌ مخرج البشارة بما سيُفتَح من البلاد عليهم، ويُجبَى من الأموال إليهم، فيكون المعنى: لا يحملنكم حب إحراز الغنائم على

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٠٩)، والكشف (١/ ٣٩٤)، والنشر (٢/ ٢٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٦).

(٢) في قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [٦].

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٠٩)، والكشف (١/ ٣٩٥)، والنشر (٢/ ٢٥١).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٣).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٢٥٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٢).

المسارعة إلى القتل من غير تثبت، فلكم عند الله مغانم كثيرة.

﴿كذلك كنتم من قبل﴾ تخفون إيمانكم بمكة، كما أن هذا يخفي إيمانه بين ظهراني قومه، فمَنَّ الله عليكم بالهجرة وإعلان الإيمان.

وقال قتادة: "كذلك كنتم من قبل": ضُلالاً، "فمَنَّ الله عليكم" بالإسلام(١).

ثم أكد الأمر بالتثبيت أو التبيين فقال: ﴿فتبينوا﴾.

لَا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى
ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى
ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟
كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن
يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ
مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٣٧) وعزاه لعبد بن حميد.

ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

ثم نفى المساواة بين المجاهدين والقاعدين مع اشتراكهم في وصف الإيمان، ليُحرِّك همم ذوي الأَنَفة، والنفوس الشريفة المتطلعة إلى معالي الأمور، كما نفى المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فقال عز وجل: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾.

قرأت على قاضي القضاة شرقاً وغرباً، أبي صالح عماد الدين، نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، الحنبلي[1]: أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الكاتبة[2] بقراءة والدك عليها، فأقرَّ به، أخبرنا أبو الفضل، محمد بن عبد السلام الأنصاري[3]، أخبرنا الحافظ أبو بكر البرقاني[4]، قرأت على أبي العباس بن

---

(١) نصر بن عبد الرزاق بن شيخ الإسلام عبد القادر الجيلي الأزجي، أبو صالح عماد الدين، تكلم في الوعظ وألّف في التصوف، وكان فقيهاً كريم النفس خيّراً. توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٩٦، وشذرات الذهب ٥/ ١٦١، والمقصد الأرشد ٣/ ٥٦).

(٢) شهدة بنت أحمد بن الفرج الدينوري البغدادي، مسندة العراق، فخر النساء. توفيت سنة أربع وسبعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٢، والتقييد ص:٥٠١).

(٣) محمد بن عبد السلام بن أحمد بن عمر الأنصاري، أبو الفضل، سمع علي أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني كتابه المصافحة (ذيل التقييد ١/ ١٥٩).

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد الخوارزمي البرقاني الشافعي، شيخ الفقهاء والمحدثين، شيخ بغداد، صاحب التصانيف. توفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة (تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦٤، وطبقات الحفاظ ص:٤١٨).

حمدان[١]، حدّثكم محمد بن أيوب[٢]، أخبرنا [عمرو][٣] بن مرزوق[٤]، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت البراء بن عازب يقول: «لما نزلت: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾، ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً، قال: فجاء بكتف فكتبها، قال: فجاء ابن أم مكتوم فشكى ضرارته إلى رسول الله ﷺ قال: فنزلت: ﴿غيرُ أُولي الضرر﴾»[٥]. أخرجه مسلم عن بُنْدار عن غُنْدر عن شعبة، فكأني سمعته من طريق مسلم على الفراوي.

وأخرجه البخاري عن حفص بن عمر، عن شعبة. وأخرجه أيضاً عن محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن أحمد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي: أنه رأى

---

(١) محمد بن أحمد بن حمدان الحيري النيسابوري، محدّث خوارزم. توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٣/ ٣٨).

(٢) محمد بن أيوب بن يحيى ابن الضُّرَيْس، أبو عبد الله البجلي الرازي، صاحب تصانيف، وهو صاحب كتاب فضائل القرآن. توفي سنة أربع وتسعين ومائتين بالري (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٩، والتدوين في أخبار قزوين ١/ ٢٢٩).

(٣) في الأصل: عمر، وهو خطأ. والتصويب من التقريب (ص:٤٢٦).

(٤) عمرو بن مرزوق الباهلي، أبو عثمان البصري، مولاهم، مسند البصرة، ثقة فاضل. توفي سنة أربع وعشرين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤١٧، والتقريب ص:٤٢٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٧ ح٤٣١٧ وَ ٤٣١٨)، ومسلم (٣/ ١٥٠٨ ح١٨٩٨).

مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلتُ حتى جلستُ إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره، «أن رسول الله ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ ﴿لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَالمُجَاهِدُونَ في سَبيلِ الله﴾ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِيهَا عَلَيَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، والله لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ -وَكَانَ أَعْمَى-، فَأَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ -وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي-، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْه، فَأَنْزَلَ الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾»[1].

وفي حديث آخر: فكان بعد ذلك ابن أم مكتوم يغزو ويقول: أعطوني اللواء وأقيموني بين الصفين، فإني لا أستطيع أن أفرّ[2].

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم. قال البخاري: وحدثني إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج، أخبرني عبد الكريم: أن مِقْسَماً -مولى عبد الله بن الحارث- أخبره، أن ابن عباس أخبره: «﴿لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنْ المُؤْمِنِينَ﴾ عَنْ بَدْرٍ وَالخَارِجُونَ إِلى بَدْرٍ»[3].

واعلم أن الآية على عمومها في جميع المجاهدين والقاعدين، وإن نزلت على سببٍ خاص.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٧ ح٤٣١٦).
(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ ٣٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٨ ح٤٣١٩).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو [وعاصم][1] وحمزة[2]: «غَيْرُ» بالرفع، صفة لـ«القاعدون».

وقرأ الباقون بالنصب[3] على الاستثناء من "القاعدين"، أو على الحال منهم.

وأُولوا الضرر: الأضرَّاء والزمنى والمرضى، ونحو ذلك.

قال ابن عباس: أُولوا العذر[4].

﴿فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾. قال ابن عباس ومقاتل[5]: على القاعدين بالضرر[6].

قال أبو سليمان الدمشقي: على القاعدين بغير عذر درجة[7]، كأنه -والله أعلم- لحظ المساواة بين المجاهد والقاعد المحبوس بالعذر،

نظراً إلى ما أخبرنا الشيخ المعتمد أبو بكر محمد بن مسعود بن بَهْرُوز[8] بقراءتي عليه، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد

---

(١) زيادة من السبعة في القراءات (ص:٢٣٧).

(٢) في هامش الأصل: صوابه: وعاصم. اهـ.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٩١-٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢١٠)، والكشف (١/ ٣٩٦)، والنشر (٢/ ٢٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٧).

(٤) أخرجه الثعلبي (٣/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٤).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٢٥١).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٤).

(٧) المرجع السابق.

(٨) محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي، المسند المعمر الطبيب. توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠، وشذرات الذهب ٥/ ١٧٣).

الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا إبراهيم بن خريم الشاشي[١]، أخبرنا أبو محمد عبد بن حميد بن نصر، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، قال: إِنَّ بالمَدِينَةِ لَقَوْماً، مَا سِرْتُمْ من مَسِيرٍ، وَلا قَطَعْتُمْ من وَادٍ، إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ فيهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهُمْ بالمَدِينَةِ؟ قَالَ: نعم، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[٢]. هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد، عن ابن أبي عدي، عن حميد.

وانفرد بإخراجه البخاري، فرواه عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن حميد.

﴿وَكُلاً وعد الله الحسنى﴾ يعني: الجنة.

﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين﴾ قال ابن عباس: يعني: على القاعدين بغير عذر[٣].

﴿أجراً عظيماً﴾ لا يعلمه إلا الله.

﴿درجات منه﴾ بدل من: «أجراً عظيماً»[٤].

والدرجات: منازل الجنة، وبعضها أعلى من بعض.

---

(١) إبراهيم بن خريم بن قمير بن خاقان، أبو إسحاق الشاشي، المروزي الأصل، المحدِّث، سمع من عبد بن حميد تفسيره ومسنده في سنة تسع وأربعين ومائتين وحدث بهما، وهو في عداد الثقات (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٦، والتقييد ص:١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٤ ح٢٦٨٤)، وأحمد (٣/ ١٠٣ ح١٢٠٢٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٤١٢ ح١٤٠٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٠٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٥).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٩٢)، والدر المصون (٢/ ٤١٨).

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِه، مَا بَيْنَ كِلِّ دَرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ»(١).

قوله عز وجل(٢): ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾.

وبالإسناد السالف حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حيوة بن شريح وغيره، قالا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، أبو الأسود قال: «قُطِعَ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ بَعْثٌ فَاكْتُتِبْتُ فيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فنهاني عَنْ ذلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاساً مِنْ المُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ عَلَى [عَهْدِ](٣) رَسُولِ الله ﷺ يَأْتِي السَّهْمُ يُرْمَى بِهِ، فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ... الآيَة﴾»(٤).

وقوله: «تَوَفَّاهُم» يصلح أن يكون ماضياً، ومستقبلاً، والمراد بتَوَفيهم: قبض أرواحهم. و"الملائكة": مَلَك الموت وأعوانه.

قال مقاتل(٥): وهم ستة: ثلاثة يَلُون أرواح المؤمنين، وثلاثة يَلُون أرواح الكافرين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٢٨ ح٢٦٣٧).

(٢) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس التاسع عشر.

(٣) زيادة من الصحيح (٤/ ١٦٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٨ ح٤٣٢٠).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٢٥١) وفيه: ملك الموت وحده.

﴿ظالمي أنفسهم﴾ بترك الهجرة مع القدرة.

وقيل: بالشك في دين الحق.

وهو نصب على الحال من الهاء والميم في «تَوَفَّاهُم»[١]، والتقدير: تتوفاهم في حال ظلمهم أنفسهم.

وقد روي: أنهم شَكُّوا يوم بدر في الدين، حين رأوا قلَّة المسلمين وقالوا: غرَّ هؤلاء دينهم، فانتقم الله منهم بما أخبر به عنهم[٢] في قوله: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ [الأنفال:٥٠].

﴿قالوا فيمَ كنتم﴾ أي: قالت الملائكة لهم توبخهم وتقرِّعهم: فيم كنتم، المعنى: في أي شيء كنتم من الدين إذ لم تهاجروا، فعرجوا عن سَنَن الجواب رجاء النفع بتوجيه العذر، فـ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ أي: مقهورين في أرض مكة، لا نستطيع إظهار الدين، ولا التخلف عن الخروج مع المشركين، فسدَّت عليهم الملائكة محجة الاعتذار بحُجَّة لا يمكن تلافيها، فـ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾.

ثم أخبر الله بمآلهم تحذيراً، لمن هو في مثل حالهم وتبصيراً، فقال: ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾.

ثم استثنى من هذا الإيعاد، العاجزين عن الإصعاد، جهلاً بالمسالك، وخوفاً من المهالك، فقال: ﴿إلا المستضعفين﴾ ثم نعتهم، ونصب لمن أراد معرفتهم دليلاً

---

(١) انظر: التبيان (١/ ١٩٢)، والدر المصون (٢/ ٤١٨).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٥٢)، والثعلبي (٣/ ٣٧١)، وزاد المسير (٢/ ١٧٧).

فقال: ﴿لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا﴾.

ولعَمري إن الولدان ليسوا من جملة المكلَّفين، ولكن حسن استثناؤهم لانتظامهم في سلك المستضعَفين.

وإن أريد بالولدان: العبيد، زال الإشكال في جواز استثنائهم من الوعيد.

وبالإسناد السالف حدثنا البخاري، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، «أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَلا: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ﴾ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ»(١).

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾.

قال ابن قتيبة(٢): المُرَاغَمُ والمُهاجَرُ واحد، وأصله: أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مُراغِماً لهم، أي: مُغاضِباً ومُهاجِراً، أي: مقاطعاً من الهجران، فقيل للمَذْهب(٣): مُراغَم، وللمصير إلى النبي ﷺ: هجرة، لأنها كانت بهجرة الرجل قومه.

وقال غيره: هو مأخوذ من الرَّغام، وهو التراب، فمعنى راغمته: هاجرته وإن رَغِمَ أنفه، أي: لصق بالتراب(٤).

وأما «السَّعة»، فقال ابن عباس والجمهور: يريد: سعة في الرزق(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٥ ح٤٣١٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:١٣٤).

(٣) المَذْهَب: الطريق (هامش الوسيط ٢/ ١٠٦).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (رغم).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٢٤١-٢٤٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٥٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال قتادة: سعةً وتمكناً من إظهار الدين[١].

قال ابن عباس: كان عبد الرحمن بن عوف يُخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن، فلما نزلت: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ... الآية﴾، كتب بها عبد الرحمن إليهم، فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي -وقيل اسمه: ضمرة، وقيل: سبرة- لبنيه -وكان شيخاً كبيراً-: احملوني فإني لستُ من المستضعَفين، وإني لأهتدي الطريق، فحملوه على سريره متوجهاً إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم، أشرف على الموت، فصفق بيمينه على شماله، وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك به رسول الله، فمات حميداً، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم له أجراً، فأنزل الله هذه الآية[٢].

قوله: ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ أي: وجب.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

قوله: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جُناح أن تقصروا من الصلاة﴾ سبب نزولها: ما روي عن أبي عياش الزرقي قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر بعُسْفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، فقالوا: لقد أصبنا منهم غِرَّة لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة العصر وهي أحب عليهم من

---

(١) ذكره الماوردي (١/ ٥٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠). وذكره الثعلبي (٣/ ٣٧٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٠-١٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٥٠-٦٥١).

آبائهم وأبنائهم، قال: فنزل جبريل بهؤلاء الآيات بين الظهر والعصر بعُسْفان»[1].

وظاهرُ الآية يدل على أن القصر رخصة، وهو مذهب جماعة منهم: مجاهد، وطاووس، وأحمد، والشافعي[2].

واحتجوا بما أخبرنا به الشيخان: شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي بدمشق، والشيخ النجيب محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري ببغداد قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكَرْجي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا مسلم بن خالد[3]، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد[4]، عن ابن جريج، حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار[5]، عن عبد الله بن باباه[6]، عن يعلى بن أمية قال: «قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّاب: فيم إقصار الناس الصلاة اليوم، وإنما قال الله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد ذهب ذلك اليوم،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١١ ح١٢٣٦)، والنسائي (١/ ٥٩٧ ح١٩٣٨).

(٢) انظر: المغني (٢/ ٥٤).

(٣) مسلم بن خالد المخزومي، مولاهم، أبو خالد، المعروف بالزنجي، فقيه مكة. توفي سنة تسع وسبعين ومائتين (سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٦، وطبقات الحفاظ ص: ١١٥).

(٤) عبد المجيد بن أبي رواد شيخ الحرم. توفي سنة ست ومائتين (سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٤).

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار المكي، حليف بني جمح، الملقب بالقَسّ لعبادته. (لسان الميزان ٧/ ٤٩٨).

(٦) عبد الله بن باباه المكي، مولى آل حجير بن أبي إهاب، وهو الذي يقال له: ابن بابي. (مشاهير علماء الأمصار ص:٨٦، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٠).

فَقَالَ عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ ذلِكَ لِرَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»[1]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم، عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الله بن إدريس، عن ابن جريج.

ففي هذا الحديث دليل على أن القصر رخصة، وأن الإتمام هو الأصل، ألا ترى أنهما قد تعجبا من القصر مع عدم الخوف. وقوله: «صدقة تصدَّق الله بها عليكم» دليل على أن القصر رخصة وإباحة، لا عزيمة.

وذهب أكثرُ أهل العلم من الصحابة والتابعين فمَن بعدهم: إلى أن القصر واجب، وهو قول عمر، وعليّ، وابن عمر، وجابر، وابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وقتادة، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة[2].

وقد تكافأت الأدلة في نظر الإمام أحمد رضي الله عنه يوماً فقال -وقد سُئل عن هذه المسألة-: أنا أحب العافية في هذه المسألة، وجزم مرة بالفتيا على ما حكيناه أوّلاً من مذهبه[3].

وذهب بعضُ أهل العلم إلى أن ركعتي المسافر ليس بقصر، إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة عند الخوف والقتال، يروى ذلك عن جابر[4]، وجعل شرط الخوف المذكور في الآية باقياً، وهذا محتمل لولا خبر عمر رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٧٨ ح٦٨٦)، والشافعي في مسنده (ص:٢٤، ٤٨).

(٢) انظر: الهداية (١/ ٨٠)، والمجموع (٤/ ٢٨٣)، والمغني (٢/ ٥٤)، وبداية المجتهد (١/ ١٩٩).

(٣) انظر: المغني (٢/ ٥٤).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٢٤٧).

قوله: ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾ يقال: قَصَرَ الصلاة، وأَقْصَرَها وقَصَّرَها[1].

﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: معناه: أن يقتلكم؛ كقوله: ﴿على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم﴾[2] [يونس:٨٣]، وهذا الكلام خارج مخرج الغالب لا مخرج الشرط، فإن الغالب من أسفار النبي ﷺ أنها لا تخلو من الخوف من العدو، فيكون القصر في حال الخوف، والأمن، مستفاداً من الآية بهذا التقرير المذكور.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

قوله: ﴿وإذا كنت فيهم﴾ خطابٌ للنبي ﷺ وكلُّ قائم بالأمر من بعده على أُمته بمنزلته، كقوله: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ [التوبة:١٠٣].

وكان الحسن وأبو يوسف لا يريان صلاة الخوف بعد النبي ﷺ تمسكاً بظاهر هذه الآية[3].

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (قصر).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: التمهيد (١٥/ ٢٧٩)، والمجموع (٤/ ٣٥٠)، والمغني (٢/ ١٣٠)، والماوردي (١/ ٥٢٤).

والضمير في «فيهم» يعود إلى الخائفين.

﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾، أي فرِّقهم طائفتين، «فلتقم طائفة منهم معك» في صف الصلاة، وطائفة بإزاء العدو تحرس، ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ يعني: الحارسين، وقيل: المصلين، فإنه يشرع لهم أن يحملوا من السلاح ما لا يُثْقِلُهُم كالسيف والسكين، ﴿فإذا سجدوا﴾ يعني: المصلين، ﴿فليكونوا﴾ يعني: الحارسين ﴿من ورائكم﴾، وقيل، «فليكونوا» يعني: المصلين أيضاً، على معنى: فإذا قضوا السجود فلينصرفوا إلى العدو.

واختلفوا في كيفية ذلك:

فقيل: إذا صلُّوا مع الإمام ركعة أتموا لأنفسهم أخرى، ثم سلَّموا وانصرفوا إلى الحرس، وقد تمت صلاتهم، ثم تأتي الطائفة الأخرى، فتُصلِّي الركعة الأخرى مع الإمام، ثم يركد الإمام في التشهد، حتى تأتي بالركعة الفائتة، ثم يُسلِّم بهم. وهذا اختيار الإمامين أحمد والشافعي -رضي الله عنهما- ويُروى نحوه عن مالك[1].

وقيل: يثبت الإمام قائماً إذا صلُّوا معه ركعة، ثم ينصرفون إلى الحرس، وتأتي الطائفة الأخرى التي كانت تحرس، فتُصلِّي مع الإمام ركعة، ويُسلِّم الإمام وحده، ثم ترجع إلى العدو ثم تجيء الأولى فتتم صلاتها، وتُسلِّم، ثم تنصرف إلى العدو، ثم تأتي الأخرى فتُتم صلاتها وتُسلِّم، وهذا اختيار أبي حنيفة[2].

فإن صلَّى على هذا الوجه الذي اختاره أبو حنيفة فصلاته صحيحة عند إمامنا،

---

(١) انظر: حاشية الدسوقي (١/ ٣٩٣)، والمغني (٢/ ١٣٠-١٣١).

(٢) انظر: المبسوط (٢/ ٤٧)، والهداية (١/ ٨٩)، والمغني (٢/ ١٣٢).

لأن النبي ﷺ صلاَّها على هذا النحو[1].

وقال الشافعي: لا تصح.

قال الإمام أحمد: صح عن النبي ﷺ صلاة الخوف من خمسة أوجه، أو ستة، كل ذلك جائز لمن فعله[2].

قوله: ﴿وليأخذوا﴾ يعني: الذين صلُّوا أوّلاً.

وقيل: الذين كانوا وجاه العدو.

وقيل: هو أمر للجميع بالتيقظ والتحرز، وحمل السلاح.

قوله: ﴿ولا جُناح﴾ أي: لا إثم ﴿عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾ في الصلاة وغيرها إذا لم تخافوا معرَّة العدو، ﴿وخذوا حذركم﴾ على كل حال في الصلاة وغيرها.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا
ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا
﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

قوله[3]: ﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ أي: فرغتم من صلاة الخوف، ﴿فاذكروا الله﴾ بألسنتكم وقلوبكم، في جميع أحوالكم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٦ ح١٢٤٤).

(٢) انظر: المغني (٢/ ١٣٧)، وكشاف القناع (٢/ ١١).

(٣) كتب في الهامش: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس السابع والثلاثين، مرة ثانية.

وقيل: الأمر بالذِكر كناية عن الصلاة، أي: صلُّوا أيها الأصحاء، ﴿قياماً و﴾ صلُّو أيها المرضى، والجرحى العاجزون عن القيام ﴿قعوداً وعلى جنوبكم﴾ إن لم تستطيعوا القعود.

﴿فإذا اطمأننتم﴾ أي: سكنتم بالرجوع إلى الوطن، ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أتموها وصلُّوا صلاة الأمن، ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ أي: فرضاً مؤقتاً لا يسقطها خوف ولا مرض، ولا حال من الأحوال ما دام الإنسان أهلاً للتكليف.

وفي هذه الآية حُجَّة على أبي حنيفة في قوله: يجوز تأخير الصلاة حالة المسايفة إلى زمان الطمأنينة[1].

قوله: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ أي: لا تضعفوا عن طلب أبي سفيان وأصحابه، وذلك أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أُحُد أمر أصحابه بالمسير في أثر القوم، فشكوا إليه ألم الجراح، فأنزل الله هذه الآية[2].

﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾ يقال: أَلِمَ الرَّجُلُ يَأْلَمُ فهو آلِمٌ.

ثم نبههم على أنهم أولى بالصبر لما يأملون من الأجر، فقال: ﴿وترجون من الله﴾ من النصر، وكون العاقبة لكم، ومن نعيم الجنة وما أعد الله فيها للمجاهدين في سبيله ﴿ما لا يرجون﴾.

﴿وكان الله عليماً﴾ يعلم ما بكم وبهم من ألم الجراح وغيره، ﴿حكيماً﴾ في

---

(١) انظر: الهداية (١/ ٨٩)، والمغني (٢/ ١٣٩).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٠)، والواحدي في الوسيط (٢/ ١١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٨٨).

تدبيره، وقد أمركم على لسان رسوله مع علمه وحكمته باتباعهم، فكان من
شأنكم أن تبادروا إلى امتثال أمره.

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن
لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا
تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾
يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا
﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا
﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾
وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ۞
لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ
ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

قوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ... الآيات﴾ ذهب ابن عباس وقتادة، وجمهور المفسِّرين إلى أنها نزلت في طعمة بن أبيرق، وكان من حديثه: على ما أخرجه الترمذي بإسناده عن قتادة بن النعمان(١)، قال: «كان أهل بيت منّا، يقال لهم بنو أُبيرق: بِشْر وبُشَيْر ومُبَشِّر، وكان بُشير رجلاً منافقاً، يقول الشعر ويهجو به أصحاب محمد ﷺ ثم ينحله بعض العرب يقول: قال فلان كذا وكذا.

قال قتادة: فنُقِبت مَشْربة(٢) عمي رفاعة بن زيد ليلاً، وذُهِبَ بطعامه وسلاحه، وقيل لنا: إن بني أبيرق استوقدوا ناراً في هذه الليلة، ولا نراه إلا لبعض طعامكم، قال: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهلَ جفاء، عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه.

فذهب قوم من بني أُبيرق إلى النبي ﷺ فقالوا: إن قتادة وعمّه، عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير ثبت، فقال رسول الله ﷺ لقتادة: عمدتَ إلى أهل بيت ذُكِر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة من غير ثبت؟ قال: فرجعتُ، ولوددتُ أني خرجت من بعض مالي، ولم أكلم رسول الله في ذلك، فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ... الآيات﴾، فأُتي رسول الله بالسلاح فرده إلى عمي، فلما أتيته به، وكان شيخاً قد عَشِيَ في الجاهلية، وكنت أُرَى إسلامه مدخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال لي: يا ابن أخي؛ هو في سبيل

---

(١) قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي الظَفَري، شهد بدراً، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه. توفي سنة ثلاث وعشرين (الإصابة ٥/ ٤١٦).

(٢) المَشْرَبَة -بالضم والفتح- الغرفة (اللسان، مادة: شرب).

الله، فعرفتُ أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بُشَيْر بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد[١]، فرماها حسان بن ثابت بأبيات من الشعر، فأخذتْ رحله فرمتْ به في الأبطح، وقالت: أهديتَ إليَّ شعر حسان، ما كنتَ تأتيني بخير»[٢].

قال ابن عبد البر[٣] في كتاب الاستيعاب[٤]: شهد بُشَيْر مع أخويه بشر ومبشر أُحُداً، وكانوا أهل حاجة، فسرق بشير من رفاعة بن زيد درعه، ثم ارتد في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة.

قلتُ: وجمهور المفسِّرين يقولون: طعمة بن أبيرق، ولعله لقبٌ لبشير، أو اسم آخر كان يُسمَّى به، والله أعلم.

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: كان الدرع في جراب فيه دقيق، فجَعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتُمستِ الدرع عند طُعمة، فلم تُوجَد، وحلف ما لي بها علم، فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إليَّ طُعمة. فقال قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله لنجادل عن صاحبنا، فأتوه فكلّموه في ذلك، وقالوا: إن لم تجادل عن صاحبنا هلك وافتضح، وبرئ اليهودي،

---

(١) سلافة بنت سعد الأنصارية والدة عثمان بن طلحة، أسلمت سلافة بعد فتح مكة.
وقد أوردها ابن الأثير: سلامة، وإنما هي سلافة بفاء بدل الميم (٧/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤٤ ح٣٠٣٦).

(٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، يقال له: حافظ المغرب. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣، والأعلام ٨/ ٢٤٠).

(٤) الاستيعاب (١/ ١٧١).

فهمَّ النبي ﷺ بذلك وأن يعاقب اليهودي، فنزلت الآيات[(١)].

قوله: ﴿بما أراك الله﴾ أي: علَّمك وأوحى إليك، ﴿ولا تكن للخائنين﴾ طُعمة وبني أبيرق، ﴿خصيماً﴾ مخاصماً مدافعاً عنهم.

قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره، وهو غير عالم بحقيقة أمره، لأن الله عاتب نبيه ﷺ على مثل ذلك.

﴿واستغفر الله﴾ من لومك لقتادة، ومخاصمتك عن الخائنين.

وقال ابن عباس: مِنْ هَمِّك بقطع اليهودي[(٢)].

﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ أي: يخونوها.

قوله: ﴿يستخفون من الناس﴾ يعني: يكتمون الخيانة منهم، ﴿ولا يستخفون﴾ أي: لا يقدرون على كتمانها، ﴿من الله﴾.

﴿وهو معهم﴾ قال ابن عباس: بالعلم[(٣)].

قال الثعلبي[(٤)]: استدلت الجهمية والمعتزلة بهذه الآية على أن الله في كل مكان. وهذا لا يوجب ذلك؛ لأنه قال: ﴿ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك:١٦]، ولم يرد بقوله: أنه في السماء معنى غير الذات، لأن القولَ: بأن زيداً في موضع كذا من غير أن يقيد بذكر فعل شيء من الأشياء، لا يكون إلا بالذات،

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٠-٣٨١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٣)، والوسيط (٢/ ١١١-١١٢) بلا نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٣) بلا نسبة.

(٤) تفسير الثعلبي (٣/ ٣٨٢).

وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة:٥]، فأخبر أنه يدبّر الأشياء من السماء، ولا يجوز أن يكون معهم بذاته، ثم يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، وإليه يصعد الكلم الطيب.

وهذه الآية تتضمن الحث على الحياء من الله تعالى، فإنه أحق أن يُستحى منه.

قال لقمان لابنه: يا بني كل أمر حدَّثتَ به نفسك مما لو أخرجته من قلبك، فإن الله أحق أن يُستحَى منه.

ومعنى الآية: ﴿وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ مما زوَّروه ليلاً، وتحدَّثوا به فيما بينهم؛ ليُروِّجوا به باطلهم عند النبي ﷺ من الأيمان الفاجرة، وغيرها.

ثم هددهم فقال: ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾.

قوله: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ سبق القول عليه في آل عمران[1].

﴿جادلتم عنهم﴾ أي: حاججتم عن بني أبيرق، ﴿في الحياة الدنيا﴾ ودافعتم، واشتقاقه من الجَدْل، وهو شدة الفَتْل، كأن كل واحد من المتجادلين يفتل صاحبه بالحُجَّة إليه. وقيل: من الجَدالة، وهو وجه الأرض، كأنه يروم عند المُحاججة صرع خصمه بالجدالة، ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ إذا ظهرت قبائحهم، وشهدت عليهم جوارحهم، ﴿أم من يكون عليهم﴾، أي: لهم ﴿وكيلاً﴾ قائماً بأمرهم في الجدال.

ثم إن الله الحليم الكريم عرض التوبة على طعمة وبني أبيرق فقال: ﴿ومن

---

(١) عند تفسير الآية رقم: ٦٦.

يعمل سوءاً﴾ أي: قبيحاً متعدياً يسوء به غيره، كما فعل طعمة باليهودي البريء من تلك الخيانة، ﴿أو يظلم نفسه﴾ ظلماً لا يتعدى ضرره وقبحه إلى غيره؛ كاليمين الفاجرة التي حلفوها.

وقيل: من يعمل سوءاً دون الشرك، أو يظلم نفسه بالشرك، ﴿ثم يستغفر الله﴾ يطلب منه المغفرة ﴿يجد الله غفوراً رحيماً﴾ .

أخبرنا العالم الثقة النبيل أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم الأثيري[(١)] وغيره، قالوا: أخبرنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي[(٢)]، أخبرنا الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج المقرئ[(٣)]، حدثنا عبيد الله بن عمر[(٤)]، أخبرنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب[(٥)]، حدثنا أبو مسلم، هو إبراهيم بن عبد الله[(٦)]، حدثنا حجاج بن [نصير][(٧)]، حدثنا شعبة، عن عثمان بن المغيرة الثقفي،

---

(١) هو ابن الأثير، تقدمت ترجمته (ص:٣٥).

(٢) عبد الله بن أحمد الطوسي البغدادي الموصلي، أبو الفضل الشافعي، خطيب الموصل، مسند العصر. توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٨٧).

(٣) جعفر بن أحمد بن الحسين البغدادي، أبو محمد السراج القارئ الأديب. توفي سنة خمسمائة (انظر: المنتظم ٩/ ١٥١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٨).

(٤) عبيد الله بن عمر بن شاهين، أبو الفتح البغدادي، الواعظ. توفي سنة أربعين وأربعمائة (تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠١).

(٥) عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي البغدادي، أبو محمد البزاز. توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٩/ ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٥٢).

(٦) إبراهيم بن عبد الله بن مسلم البصري، أبو مسلم الكجِّي، صاحب السنن. توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٣).

(٧) في الأصل: نصر، وهو خطأ. وهو: حجاج بن نُصير -بضم النون- الفَساطيطي القيسي، أبو محمد =

قال: سمعت عليّ بن ربيعة الأسدي، عن أبي أسماء -أو أسماء- عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، قال: «كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني، فحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يُذنب ذنباً فيتوضأ ويُحسن الوضوء، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ويستغفر الله من ذلك الذنب إلا غفر الله له، ثم تلا هذه الآية: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾، وهذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ... الآية﴾ [آل عمران:١٣٥]».

وهذا الحديث رواه عن عثمان بن المغيرة جماعة؛ منهم: شريك، وسفيان الثوري، وزاد فيه: وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف صدقته، وحدَّثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد مسلم ...» وساق الحديث[1]، ولم يشك أنه أسماء بن الحكم الفزاري.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال له ربه: بعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»[2].

= البصري. توفي سنة أربع عشرة ومائتين (ميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٥).

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٦ ح١٥٢١)، والترمذي (٢/ ٢٥٧ ح٤٠٦، ٥/ ٢٢٨ ح٣٠٠٦)، والطيالسي في مسنده (١/ ٢ ح١، ٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩ ح١١٢٥٥، ٣/ ٤١ ح١١٣٨٥).

وقال لقمان لابنه: يا بني؛ عوِّد لسانك: اللَّهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلاً[1].

قوله: ﴿فإنما يكسبه على نفسه﴾ أي: إنما يعود ضرر كسبه عليه.

والظاهر -والذي عليه أكثر المفسِّرين- أن قوله: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ متصل بقصة طُعمة، ومن تمام ما نزل فيه.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول حين رمى عائشة رضي الله عنها بالإفك[2].

و «الخطيئة»: الصغيرة، و «الإثم»: الكبيرة.

﴿ثم يَرْمِ به﴾ أي: بالكسب.

وقال ابن جرير[3]: بالإثم.

وقيل: أراد الخطيئة والإثم، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر؛ كما في قوله: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ [التوبة:٣٤].

والمعنى: يَرْمِ به بريئاً من ذلك الكسب أو الإثم، كما فعل طُعمة باليهودي، أو المنافق ابن أُبَيّ بن سلول بأم المؤمنين بنت الصِّدِّيق زوجة رسول الله ﷺ.

﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ كذباً يُبهت منه، أي: يتحير من عظمه ﴿وإثماً مبيناً﴾.

قال ابن السائب: «فقد احتمل بهتاناً» برميه البريء، «وإثماً مبيناً» بيمينه

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٢٩٤)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٢٠) وعزاه للحكيم الترمذي.

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٥).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٢٧٤).

الكاذبة[1].

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ قال ابن عباس: بالنبوة والعصمة[2].

﴿لهمَّت طائفة منهم أن يضلوك﴾ أي: لظهر تأثير ما هَمُّوا به من استزلالك عن الحق، واستنزالك عن العمل به، وهم قوم طُعمة على الأظهر في التفسير[3].

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن وفدَ ثقيف قالوا: يا رسول الله! نبايعك على أن تمتعنا بالعُزّى سنة[4].

﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾.

فإن كانوا قوم طعمة؛ فالذي هَمُّوا به: استنزاله عن طريق الصواب في القضاء.

وإن كانوا وفد ثقيف؛ فالذي هَمُّوا به: استنزاله عن التشديد في النكير عليهم إلى المساهلة والإغضاء.

﴿وما يضرونك من شيء﴾ لأنك مُؤَيَّدٌ بالنبوة والعصمة.

ومن نتائج هذا: أن الواو في قوله: «وأنزل الله» واو الحال، على معنى: وما يضرونك من شيء وقد أنزل الله عليك الكتاب والحكمة.

وكنت أعجب كيف لم أتنبه لمثل هذا الموضع، حتى أخبرني بعض العلماء أن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٦).

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٣)، والواحدي في الوسيط (٢/ ١١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٦).

(٣) انظر: الطبري (٥/ ٢٧٥).

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٦).

الواحدي ذكره في البسيط.

والمعنى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ وهو القرآن، ﴿والحكمة﴾ وهو إلهام الصواب وبيان معاني الكتاب.

﴿وعلَّمك ما لم تكن تعلم﴾ من شرائع الدين، وسنن المرسلين، ونبأ الأولين والآخرين، ﴿وكان فضل الله عليك﴾ بالنبوة والعصمة، والكتاب والحكمة ﴿عظيماً﴾.

قوله[1]: ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ الضمير يرجع إلى قوم طُعمة، في قول ابن عباس[2].

وقال مجاهد بعمومه في جميع الناس[3].

والمراد بنجواهم: ما يدبرونه بينهم من الكلام خُفية.

﴿إلا مَن أمر بصدقة﴾ «من» في محل الجر، تقديره: إلا نجوى الآمر بصدقة.

ويجوز أن يكون في محل النصب على الاستثناء المنقطع؛ كقول النابغة:

.... وَمَا بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

إلا أُوَارِي ....[4]

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثامن والثلاثين مرة ثانية.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٩٨).

(٤) جزء من بيتين للنابغة يصف سيلاً. وهما:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلاناً أُسَائِلُها عَيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَـد

إِلاَّ الأواريَ لأْياً ما أُبَيِّنُهـا والنُّؤْيُ كالحوضِ بالمظلومة الجَلَدِ

=

والتقدير: لكن مَن أمر بصدقة ففي نجواه خير.

وفي أفراد مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١).

﴿أو معروف﴾ وهو أعمال البر كلها، لأن العقول تعرف حسنها وصحتها.

قال ابن عباس. «أو معروف»: صلة الرحم(٢).

وقيل: القرض(٣). وقيل: إغاثة الملهوف.

وفي صحيح البخاري من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»، «ومِنْ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إِنَائه»(٤).

﴿أو إصلاح بين الناس﴾ قال النبي ﷺ لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حُمُر النعم!!، فقال: نعم يا رسول الله، قال: تُصلح بين =

انظر: ديوانه (ص:٣٠)، والكتاب (٢/ ٣٢١)، والمقتضب (٤/ ٤١٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٨٠)، وأوضح المسالك (٢/ ٣٨٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٢٨)، والتصريح (٢/ ٣٦٧)، والإنصاف (١/ ١٧٠)، والطبري (١/ ٧٨)، والقرطبي (٧/ ٣٥٦)، واللسان، مادة: (أصل).
والأواري: جمع آري، وهو مربط الدواب.

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٦ ح١٨٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٥) عن مقاتل بن حيان. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٧٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه قوله: «كل معروف صدقة» (٥/ ٢٢٤١ ح٥٦٧٥)، وبقية الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١١٤ ح٣٠٤)، والترمذي (٤/ ٣٤٧ ح١٩٧٠)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٤٤ ح١٤٧٥١، ٣/ ٣٦٠ ح١٤٩٢٠).

الناس إذا تفاسدوا، وتُقرِّب بينهم إذا تباعدوا»[(١)].

فصل

وقد أذن صاحب الشرع للساعي بين الناس بالإصلاح في قول ما يرفع به الأحقاد، ويدفع به الفساد، ولم يَعُدَّه كذباً مُؤَثِّماً. ففي الصحيحين من حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف[(٢)] أن أُمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فيُنْمِي خيراً، أو يقول خيراً. وقالت: لَمْ أَسْمَعْه يُرَخَّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ [كَذِبٌ][(٣)] إلاَّ في ثَلاثٍ: في الحَرْبُ، وَالإِصْلاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا»[(٤)]. وليس لأم كلثوم في الصحيح غيره.

ثم إن الله تعالى شرط في استحقاق الأجر العظيم طلب مرضاته بالفعل فقال: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾.

قال مالك بن دينار[(٥)]: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا يتعنى.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٣٨ ح٣٩٢٢).

(٢) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، من أعيان التابعين، توفي سنة خمس ومائة، على الصحيح (الثقات ٤/ ١٤٦، والتقريب ص:١٨٢).

(٣) زيادة من مسلم (٤/ ٢٠١١).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٨٢٥٤٦) دون قوله: "لم أسمعه يرخص... إلخ"، ومسلم (٤/ ٢٠١١ ح٢٦٠٥) بلفظه، وبيَّن أن آخره مدرج من قول الزهري ولم يرفعه. وانظر: فتح الباري (٥/ ٣٠٠).

(٥) مالك بن دينار البصري الزاهد، أبو يحيى، من ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف. توفي سنة ثلاثين ومائة أو نحوها (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢).

وقال الربيع بن صبيح[١]: كنا عند الحسن، فوعظ فانتحب رجل، فقال الحسن: أما والله ليسألنك الله يوم القيامة ما أردتَ بهذا[٢].

وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطب خطبة إلا والله عز وجل سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها. فكان مالك إذا حدَّث بهذا الحديث بكى، حتى ينقطع، ثم يقول: تحسبون أن عينيَّ تَقَرُّ بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردتُ به»[٣].

قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول ... الآية﴾ قال ابن عباس: لما نزل القرآن بتكذيب طُعمة، خاف من القطع، والفضيحة، فهرب إلى مكة فلحق بأهل الشرك، فنزلت هذه الآية[٤].

وفي كيفية هلاكه اختلاف:

قيل: إنه خرج مع تجار، فَسَرَقَ منهم شيئاً، فرموه بالحجارة حتى مات.

وقيل: ركب سفينة فَسَرَقَ منها مالاً، فعُلِمَ به، فأُلقي في البحر.

وقال مقاتل[٥]: لما قدم مكة نزل على الحجاج بن عِلاط السُلمي، فأحسن

---

(١) الربيع بن صَبيح السعدي البصري، العابد، مولى ابن سعد، من أعيان مشايخ البصرة. توفي سنة ستين ومائتين (سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٣٠).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٩١).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٦) عن قتادة، والثعلبي (٣/ ٣٨٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٠).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٢٥٧). وذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٥).

نُزُلَه، فبلغه أن في بيته ذهباً، فخرج بالليل، فنقب حائط البيت، فعلموا به، فأحاطوا بالبيت، فلما رأوه أرادوا أن يرجموه، فاستحى الحجاج لأنه ضيفه، فتركوه، فخرج، فلحق بحرة بني سليم(١) يعبد صنمهم حتى مات على الشرك.

والمعنى: ومن يخالف الرسول ويعاديه من بعد ما ظهر له الهدى وبان، ﴿ويَتَّبع غير سبيل المؤمنين﴾ غير دين الموحِّدين، وذلك أن طُعمة ترك دين الإسلام، وخالف سبيلهم.

وقد يُحتج بهذا على وجوب التمسك بالإجماع.

﴿نُوَلِّه ما تولَّى﴾ نَدَعُه وما اختار لنفسه، ﴿ونصله جهنم﴾ ندخله إياها، ﴿وساءت مصيراً﴾ موضعاً يُصار إليه.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

---

(١) حرة بني سليم: تقع جنوب المدينة في عالية نجد، وأقرب مكان لها مهد الذهب، فإنه معدن بني سليم المعروف (انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٤٦).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾

قوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ ذُكر سبب نزولها من قبل في هذه السورة(١).

وقد رُوي عن ابن عباس: أن شيخاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: إني منهمكٌ في الذنوب، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته، وإني لنادم مستغفر، فما حالي؟ فنزلت هذه الآية(٢).

وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول: إلَهي أطعتك في أحب الأشياء إليك -وهو التوحيد-، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك -وهو الشرك- فاغفر لي ما بينهما.

قوله: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ أي: ما يعبدون من دون الله إلا إناثاً، جمع أُنثى، كما قرأ ابن عباس(٣).

قال الحسن: لم يكن حي من أحياء العرب إلا لهم صنم يعبدونه، ويسمونه أُنثى بني فلان(٤).

---

(١) عند تفسير الآية رقم ٤٨ من هذه السورة.

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٦).

(٣) انظر: المحتسب (١/ ١٩٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٨).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٢٧٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٨٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

قال: وكل شيء لا روح فيه كالحجر والخشب فهو إناث[١].

وقال جماعة -منهم السدي-: الإناث: اللاَّت، والعُزَّى، ومناة[٢].

وقال الزجَّاج[٣]: المعنى: ما يدعون إلا ما يسمونه باسم الإناث.

وقال الضحاك: المراد: الملائكة، كانوا يزعمون أنها بنات الله[٤]. تعالى الله عن ذلك عُلُواً كبيراً.

وقرأ سعد بن أبي وقاص: «إلا وَثَناً».

وقرأت عائشة: «أوثاناً».

وقُرِئ: "أُثُناً" بالتثقيل والتخفيف[٥]، جمع وَثَن، كأَسَد وأُسُد، وقلب الواو ألفاً مثل: "أُجُوه" في وجوه. وكذلك "أُقِّتَتْ" أصلها: وُقِّتَتْ[٦].

﴿وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾ قال ابن عباس: في كل صنم شيطان يتراءى للسدنة فيكلمهم[٧].

---

(١) أخرجه الثعلبي (٣/ ٣٨٧)، والطبري (٥/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٧)، ومجاهد (ص:١٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٦٨٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٧٨)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٨٧) وعزاه لابن جرير.

(٣) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قول الزجاج في: زاد المسير (٢/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٦٧-١٠٦٨).

(٥) وهي قراءة ابن عباس أيضاً.

(٦) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص:٢٨-٢٩)، والمحتسب (١/ ١٩٨-١٩٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٣).

وقال أُبَيّ بن كعب: مع كل صنم جِنِّيَّة[(١)].

وقال الزجَّاج[(٢)]: يعني به إبليس، وهم إذا أطاعوه فيما سوَّل لهم فقد عبدوه.

و"المَرِيد": العاتي المتجرد عن الخير، الظاهرُ الشر، ومنه: الأَمْرَد، وشجرة مَرْدَاء: إذا تناثر ورقها وتجرَّدت، وصخرة مَرْدَاء: مَلْسَاء.

﴿لعنه الله وقال لأتخذن﴾ صفتان للشيطان، التقدير: إلا شيطاناً لعيناً قائلاً ذلك.

وقيل: هو دعاء عليه باللعن.

﴿نصيباً مفروضاً﴾ حظاً مقطوعاً، أقتطعتهم لنفسي، ومنه: فُرْضة النهر، وفُرْضة القوس، وهو الحز الذي يُشَد فيه الوتر. وفُرِض له في العطاء، وفرض للجند .. كل ذلك أصله القطع.

قال الحسن: مِن كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٧)، والضياء في المختارة (٣/ ٣٦٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٨٦) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن المنذر وابنْ أبي حاتم والضياء في المختارة.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ١٠٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٩) عن مقاتل. وذكره مقاتل بن سليمان (١/ ٢٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.
وقول الحسن أصله في الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم؛ فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ... الحديث». أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢١ ح٣١٧٠)، ومسلم (١/ ٢٠١ ح٢٢٢).

﴿ولأضلَّنهم﴾ يعني: عن سبيل الهدى إلى طريق الردى، ﴿ولأمنينهم﴾ الأماني الباطلة.

قال ابن عباس: أقول لهم: لا جنة ولا نار، وأسوّفهم بالتوبة[١].

ولقد عجبتُ من كشف صاحب الكشاف[٢] قِنَاع الحياء، ورفضه الأحاديث الصحيحة الصريحة لخيالات الآراء، وتحريفه كلام الله عن مواضعه، حتى إنه قال في قوله تعالى: «ولأمنينهم»: يعني: الأماني الباطلة، فعدّ منها: الخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة، فَرَدّ أحاديث الشفاعة، وقد رواها أئمةُ الإسلام، وحُفَّاظ الحديث والأحكام، وسمعها من النبي ﷺ جماعة من سادات الصحابة، ورُوِيت عنهم، وسُمِعت منهم؛ كأبي بكر، وعمر، وابنه، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري وغيرهم.

وخرَّجها الأئمة في مسانيدهم؛ كالإمام أحمد، والشيخين صاحبي الصحيحين. ففيهما من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ فساق حديث الشفاعة إلى أن قال: «ثم أعود الرابعة، فأقول: يا رب! ما بقي إلا مَن حبسه القرآن -إلى أن قال-: ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرَّة»[٣].

وفي صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) الكشاف (١/ ٥٩٩-٦٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٥-٢٦٩٦ ح٦٩٧٥)، ومسلم (١/ ١٨٠ ح١٩٣).

قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ [فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ][(١)] فيُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ»[(٢)].

فمَن أجهلُ جهلاً، وأسخفُ عقلاً، وأضلُ سبيلاً ممن يقابل القرآن بالتعطيل، والأحاديث النبوية بالتبطيل، وهو يدَّعي الاستسلام لدين الإسلام، ولكن هذه جناية الكلام عليهم، وشؤم البدعة لديهم.

اللهم اجعل نور إيماننا مؤنساً لنا في ظُلَم الإلحاد، وأنلنا شفاعة نبينا إذا حرمتها أهل الإلحاد.

قوله تعالى: ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ البَتْكُ: القَطْعُ.

قال المفسِّرون: هو شق أُذن البَحِيرة، وهي: الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكَراً، امتنعوا من الانتفاع بها؛ تسويلاً من إبليس بأن ذلك قُرْبة لهم إلى الله تعالى.

﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال ابن مسعود: هو الوَشْم[(٣)].

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: «لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ، وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَة مِنْ بَنِي أَسَد: بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ كَذا وَكَذا، وذكرته، فَقَال: مَالِي لا أَلعَنُ مَنْ لَعَنَ رسول الله»[(٤)].

---

(١) زيادة من الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٤٠١ ح٦١٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٧٠) عن الحسن. وذكره الماوردي (١/ ٥٣٠) من قول ابن مسعود والحسن، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١٨ ح٥٥٩٥)، ومسلم (٣/ ١٦٧٨ ح٢١٢٥).

=

وقال ابن عباس: هو تغيير دين الله(1)؛ كقوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم:٣٠]، أي لدين الله.

ومعنى تغيير الدين: جعلهم الحلال حراماً، والحرام حلالاً، ويدخل فيه قول مَن قال: هو تحريم ما حرَّموا من الأنعام.

وقال في رواية عكرمة: هو الخِصَاء(2). وقيل: التَّخَنُّث.

وصح عن النبي ﷺ: «أَنَّهُ لَعَنَ المُتَشَبِّهَاتِ من النِّسَاءِ بالرِّجَالِ، و[المُتَشَبِّهِينَ](3) من الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ»(4).

فإن قيل: من أين علم إبليس وقوع ما أخبر الله به عنه في قوله: ﴿لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلنهم ولأمنينهم ... الآية﴾، وفي قوله: ﴿لأحْتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٦٢]، وفي قوله: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾؟ [الأعراف:١٧].

= والواشمة: التي تفعل الوَشم، والمستوشمة: التي تطلب الوَشم، وهو: أن يُغرز الجلد بإبرة ثم يُحشى بكحل أو نيل فيَزْرَقّ أو يَخْضَرّ (اللسان، مادة: وشم).

والنَّمْصُ: هو نَتْفُ الشعر (اللسان، مادة: نمص).

والمتفلجات: اللاتي يفرجن ما بين الثنايا والرّباعيات (انظر: اللسان، مادة: فلج).

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٩٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٦٩)، ومجاهد (ص:١٧٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة.

(٣) زيادة من سنن أبي داود (٤/ ٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٧ ح٥٥٤٦)، وأبو داود (٤/ ٦٠ ح٤٠٩٧) كلاهما من حديث ابن عباس.

قلت: رأى الخبيث أسباباً، منها: خلق الجنة والنار، وكون الأب أجوف فعرف أنه خلقٌ لا يتمالك، واستزلاله إياه مع كماله، وما كان من حال الذين سكنوا الأرض من قبلهم، فأثارت هذه القضايا عنده غلبة الظن بتحقيق ما توعّدهم به. قال الله تعالى: ﴿ولقد صَدَّقَ عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [سبأ:٢٠].

قوله: ﴿يعدهم ويمنِّيهم﴾، أي: يعد أولياءه أنه لا بعث ولا نشور، ويمنيهم الباطل والغرور، ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ باطلاً وتمويهاً، فيُخْرِج لهم ما يضرهم في صورة ما يسرهم، ويَغُرُّهم بالعاجل عن الآجل، فبينا هم يترددون في أودية الأماني، اعترضتهم المنيّة دون بلوغ الأمنية، فتمنوا أن يُطلقوا ساعة من أسرها، ولو بالدنيا بأسرها.

الآنَ حِينَ تَعَلَّقَتْهُ حِبَالُنَا ... يَرْجُو الخَلَاصَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاص[1]

﴿ولا يجدون عنها﴾ إذا راموا الخلاص منها ﴿محيصاً﴾ أي: مذهباً ومهرباً.

قوله: ﴿وعد الله حقاً﴾ مصدران. وقيل: تمييز[2].

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

---

(١) انظر البيت في: تاريخ الطبري (٣/ ٣١١) ونسبه إلى عبيد الله بن زياد، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٠) باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٢٩).

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

قوله عز وجل[(١)]: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ قال ابن عباس وقتادة: اختصم أهل الأديان، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبيّنا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك. وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبيّنا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية[(٢)].

ثم خيَّر بين الأديان بقوله: ﴿ومن أحسن ديناً﴾.

وقال عكرمة: قالت اليهود والنصارى: لا يدخل الجنة غيرنا. وقال كفار قريش: لا نُبعث، فنزلت[(٣)].

قال الزجَّاج[(٤)]: اسم «ليس» مضمر، والمعنى: ليس ثواب الله بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب.

قال الحسن رحمه الله: ليس الإيمان بالتمني، ولا التحلي، ولكنه ما وقر في

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس العشرين.
(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٨٨) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٧٣) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٤).
(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٩٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٤) معاني الزجاج (٢/ ١١١).

الصدر، وصدَّقه العمل(١).

نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون ثوابه وجنته بالأماني الكاذبة والدعاوي الباطلة كما زعمته اليهود في قولهم: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ [البقرة:١١١]، وقولهم: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة:١٨]، ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ [البقرة:٨٠].

فلما أوضح لعباده خيبة الأماني الكاذبة أعلمهم أن الجزاء معقود بالأعمال لا بالأماني والآمال، فقال عز وجل: ﴿مَن يعمل سوءاً يُجْزَ به﴾.

قال ابن عباس: هو الشرك(٢).

والأظهر عمومه في جميع السيئات، يدل عليه ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغاً شَدِيداً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»(٣).

وفي الحديث: «أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال لما نزلت: يا رسول الله؛ كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿مَن يعمل سوءاً يُجْزَ به﴾، فقال: غفر الله لك يا أبا بكر ألستَ تمرض؟ ألستَ تحزن؟ ألستَ تصيبك اللأواء؟ فذلك مما تُجزون به»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٣، ٧/ ١٨٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٨٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٩٥) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٧٠٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٣ ح٢٥٧٤).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١١ ح٦٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٧٨ ح٤٤٥٠).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا»(١).

قال مسروق: لما نزلت: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾. قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت: ﴿ومن يعمل من الصالحات ... الآية﴾(٢).

هذه «مِنْ» للتبعيض، والتي في قوله: ﴿مِن ذكَرٍ﴾ لتبيين الإبهام في قوله: ﴿مَن يعمل﴾.

وفي قوله: ﴿وهو مؤمن﴾ إخراج لأهل الكتاب عن تناول الآية لهم؛ لكفرهم بما لا يتم الإيمان إلا به.

﴿ولا يُظلمون نقيراً﴾ يعني: أهل السوء، وأهل العمل الصالح.

وقد سبق تفسير(٣) ما بعده إلى قوله: ﴿حنيفاً﴾، وهو حال من الضمير المرفوع في «واتبع» أو حال من «إبراهيم»(٤).

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «يا جبرائيل؛ لِمَ اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام»(٥).

قال ابن عباس: كان إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان، يُضِيف من مرّ به مِنَ الناس، وكان منزله على ظهر الطريق، فأصابت الناسَ سنةٌ، فأقبلوا إلى باب

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٦ ح٢٣)، والطبري (٩/ ٢٤١).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٧٢-١٠٧٣)، والثعلبي (٣/ ٣٨٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) انظر: (ص:٢٠٥).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٩٥)، والدر المصون (٢/ ٤٣٠).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٩٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٤).

ابراهيم يطلبون الطعام، وكانت له مَيْرة من صَديق له بمصر في كل سنة، فبعث غلمانه بالإبل إلى صديقه، فلم يعطهم شيئاً، فقالوا: لو احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا جئنا بميرة، فملأوا الغرائر رملاً، ثم أتوا إلى إبراهيم، فأعلموه، فاهتم إبراهيم لأجل الخلق، فنام وجاءت سارة وهي لا تعلم ما كان، ففتحت الغرائر، فإذا دقيق حُوَّارَى[1]، فأمرت الخبّازين فخبزوا وأطعموا الناس، فاستيقظ إبراهيم عليه السلام فقال: من أين هذا الطعام؟ قالت: من عند خليلك المصري، فقال: بل من عند الله، خليلي الله، فيومئذ اتخذه الله خليلاً[2].

قال ابن عباس: الخليل: الصفي[3].

والمعنى: اصطفى إبراهيم واختصه بأسنى المواهب، وأقوم المذاهب، وأناله من الكرامة فوق ما رامه، وجعله جرثومة الرسالة، ودوحة الإمامة.

واشتقاق الخليل من الخَلَّة، وهي: الحاجة، فإبراهيم خليل الله، أي: فقيره الذي يُنْزِل به فقره وفاقته لا بغيره، أو من الخُلَّة -بضم الخاء- وهي: الصداقة، والخليل: المُحِبّ الذي ليس في محبته خلل، فسمي إبراهيم خليل الله؛ لأن الله أحبه محبة تامة، وأحبَّ الله محبة تامة لا خلل فيها.

﴿وكان الله بكل شيء﴾ أي: بكل شيء من خلقه، ﴿محيطاً﴾ بعلمه، ومضمون ذلك ترغيب الصالح، وترهيب الطالح.

---

(١) الحُوَّارَى: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه (اللسان، مادة: حور).

(٢) ذكره الطبري (٥/ ٢٩٨)، والثعلبي (٣/ ٣٩٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٥).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢١١).

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

قوله[١]: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ أي: يطلبون منك الفتوى في ميراثهن، وكانوا لا يورثون النساء والأطفال - كما ذكرناه[٢]-، فلما فرض الله المواريث شرقوا بتوريث النساء، والأطفال، فنزلت هذه الآية[٣].

﴿وما يتلى عليكم﴾ معطوف على اسم الله، أي: الله يفتيكم، والمتلوُّ في الكتاب يفتيكم أيضاً، وهو قوله: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ [النساء:٢].

وقيل: "ما يُتلى" مبتدأ، و"في الكتاب" خبره، على أنها جملة اعتراضية[٤].

والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، ﴿في يتامى النساء﴾ أي: في شأنهن.

والتقدير: وما يُتلى عليكم في شأن النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم؛ كقولهم: يوم الجمعة، هذا مذهب الكوفيين، والبصريون يقولون في هذا وأمثاله: الإضافة هاهنا بمعنى: «مِنْ».

وقيل: المراد بالنساء هاهنا: أمهات اليتامى، فأضيف أولادهن إليهن، وإعراب

---

(١) كتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس التاسع والثلاثين، مرة ثانية.

(٢) انظر: (ص:٤٣٨-٤٣٩).

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ١٢٣)، وزاد المسير (٢/ ٢١٣).

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٩٦)، والدر المصون (٢/ ٤٣١).

«يتامى النساء» ينبني على الوجهين في إعراب «وما يتلى». فإن قلنا: هو مبتدأ، فقوله: «في يتامى النساء» بدل من «فيهن». وإن قلنا: هو عطف، فجائز أن يكون قوله: «في يتامى النساء» بدلاً أيضاً. وجائز أن يكون من صلة «وما يتلى»، تقديره: وما يتلى عليكم في شأن يتامى النساء يفتيكم أيضاً[1].

﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ أي: ما فُرِض لهن من الميراث، وقيل: من الصداق.

واختلف الحسن ومحمد بن سيرين في قوله: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ فقال أحدهما: المعنى: وترغبون في أن تنكحوهن.

وقال الآخر: المعنى: وترغبون عن أن تنكحوهن، أي: عن أن تنكحوهن لدمامتهن[2].

وكان هذا من سُنَّة الجاهلية إذا كانت اليتيمة دميمة ولها مال عضلها وليها عن التزويج حتى تموت فيرثها، وإن كانت ذات مال وجمال تزوجها واستأثر بمالها، ولم يعدل في صداقها.

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة في قوله: «﴿ويستفتونك في النساء ... إلى قوله: وترغبون أن تنكحوهن﴾ قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة وهو وليها ووارثها، فأشركته في ماله حتى في العَذْق[3]، فيرغب أن ينكحها، ويكره أن

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٣٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٠٩) وعزاه لابن المنذر.

(٣) العَذْق بالفتح: النخلة، وبالكسر: عنقود العنب. (المعجم الوسيط ص: ٥٩٠).

يُزوِّجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها، فنزلت هذه الآية»[١].

قوله: ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ عطف على «يتامى النساء»، «وأن تقوموا» في محل الجر[٢]، أي: يفتيكم في يتامى النساء، وفي المستضعفين، وفي ﴿أن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ وهو العدل في ميراثهن ومهورهن، وأمورهن.

﴿وما تفعلوا من خير﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه، ﴿فإن الله كان به عليماً﴾ المعنى: وهو يجازي عليه.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

قوله: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ أي: خشيتْ من زوجها نشوزاً ترفعاً عليها، أو إعراضاً عنها لدمامة في خَلْقها، أو لذمامة في خُلُقها، أو لِكبَر، أو لملال وضجر، أو اشتغال بغيرها.

﴿فلا جُناحَ عليهما﴾ أي: لا إثم عليهما ﴿أن يَصَّالحَا﴾ أصله: يتصالحا،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧٩ ح٤٣٢٤).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٩٦)، والدر المصون (٢/ ٤٣٥).

فأدغمت التاء في الصاد.

وقرأ أهل الكوفة: «يُصْلِحَا» بضم الياء وسكون الصاد وتخفيفها وكسر اللام من غير ألف[١]، مِن أصلح يُصْلح.

والمعنى: لا بأس أن تطيب له نفساً ببعض صداقها، أو بإسقاط بعض حقوقها، أو بتخفيف نفقتها.

أخرج الترمذي من حديث ابن عباس قال: «خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَفَعَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ»[٢].

أخبرنا شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي رضي الله عنه قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، والشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق النيسابوري بقراءتي عليه ببغداد قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن عِلان الكَرْجي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، «أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج، فكره منها أمراً، إما

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢١٣-٢١٤)، والكشف (١/ ٣٩٨-٣٩٩)، والنشر (٢/ ٢٥٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤٩ ح٣٠٤٠).

كِبَراً، وإما غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تُطلِّقني، وأمسكني، واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ... الآية﴾»[1].

﴿والصلح خير﴾ أي: خير من الفُرْقة.

وقيل: خير من النشوز والإعراض.

قوله: ﴿وأُحْضِرَتِ الأنفس الشح﴾ أي: أُلزمته، والشُّحّ: البخل مع الحرص، فالمرأة تشح بحقها من زوجها، والزوج يشح بنفسه عليها لعدم ميله إليها.

﴿وإن تحسنوا﴾ أيها الأزواج بالصبر عليهن، والإحسان في العشرة إليهن، ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

قوله: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ يعني: في المحبة التي هي ميل القلب، ﴿ولو حرصتم﴾؛ لأن ذلك لا يدخل تحت كسبكم.

أخرج الإمام أحمد من حديث عائشة قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ، ثمَّ يَقُولُ: اللهمّ هَذا فِعْلِي فيمَا أَمْلِكُ، فَلا تَلُمْني فيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ»[2]، يريد بذلك ﷺ ميله إلى عائشة، وإفراطه في محبتها من بين نسائه.

﴿فلا تميلوا﴾ بالنفقة والقسم إلى التي تحبون ﴿كل الميل﴾، فتذروا المرغوب عنها ﴿كالمُعلَّقة﴾ وهي التي ليست بذات بعل ولا مُطلَّقة.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ إلى إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ يجرّ أحد شِقَّيْهِ ساقطاً أو

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (ص: ٢٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩٦ ح١٤٥٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٤٢ ح٢١٣٤)، والترمذي (٣/ ٤٤٦ ح١١٤٠)، والنسائي (٥/ ٢٨١ ح٨٨٩١)، وابن ماجه (١/ ٦٣٣ ح١٩٧١)، وأحمد (٦/ ١٤٤ ح٢٥١٥٤).

مائلاً»[1].

قوله: ﴿وإن تُصْلِحوا﴾ يعني: تعدلوا في النفقة والقسم، ﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ رحمكم وغفر لكم ميل قلوبكم.

وقيل: المعنى: "وإن تُصْلِحوا" ما أفسدتموه وحملكم الميل عليه بالتوبة والاستغفار "وتتقوا" الجَوْر فيما تستقبلون في صحبتهن.

﴿فإن الله كان غفوراً﴾ لما كان منكم، ﴿رحيماً﴾ بكم.

قوله تعالى: ﴿وإن يتفرقا﴾ يعني: الزوجين إذا لم يتفقا على الصلح، ﴿يُغْنِ الله كُلاً من سعته﴾ أي: يرزق كل واحد منهما من رزقه الواسع ما يغنيه، ومن الأزواج ما يرضيه، ﴿وكان الله واسعاً﴾ يسع رزقه جميع خلقه ﴿حكيماً﴾ فيما أمر به، ونهى عنه، وخوّف منه.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٤٢ ح٢١٣٣)، والترمذي (٣/ ٤٤٧ ح١١٤١)، وابن ماجه (١/ ٦٣٣ ح١٩٦٩)، وأحمد (٢/ ٢٩٥ ح٧٩٢٣).

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ فإليه فارغبوا، وإياه فاسألوا.

﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ قوله: «من قبلكم» متعلق بـ«وصينا» أو بـ«أُوتوا»، والمعنى: وصينا أهل الكتب من قبلكم، وإياكم يا أهل القرآن وصينا أيضاً أن تخافوا الله وتحذروه. ﴿وإن تكفروا﴾ عطف على «أن اتقوا»، أي: قلنا لهم ولكم: اتقوا، وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا[1]، ﴿فإن لله ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً. فإيمانكم لا يزيد في سلطانه، وكفركم لا ينقص منه.

﴿وكان الله غنياً﴾ عنكم، ﴿حميداً﴾ يستحق الحمد منكم.

ثم هَدَّدَ المنافقين والمشركين فقال: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾.

قوله: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ كالمقاتل مثلاً يطلب المدح والغنيمة بقتاله، ولا تخطر الآخرة بباله، فماله يعدل عن الأخص إلى الأخس، وإلى الأرذل عن الأفضل، ولكن هذا الحرمان أنتجه الخذلان، والا فلو نوى بقتاله الجهاد في سبيل الله والطاعة لفاز بالمُعَلَّى من قَدح الثواب في الدارين، والمدح بالشجاعة.

وقال الزجّاج[2]: كان مشركوا العرب يتقربون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا،

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (١/ ٦٠٧).

قال في الدر المصون (٢/ ٤٣٨): وفي كلامه نظر؛ لأن تقديره القول ينفي كون الجملة الشرطية مندرجة في حيز الوصية بالنسبة إلى الصناعة النحوية، وهو لم يقصد تفسير المعنى فقط، بل قصده هو وتفسير الإعراب، بدليل قوله: عطف على "اتقوا"، و"اتقوا" داخل في حيز الوصية، سواء أجعلت "أن" مصدرية أم مفسرة.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ١١٧).

ويصرف عنهم شرها، ولا يؤمنون بالبعث، فأعلم الله عز وجل أن خير الدنيا والآخرة عنده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ قيل: إنها متعلقة بقصة ابن أُبيرق.

قال السدي وغيره: اختصم رجلان إلى النبي ﷺ أحدهما فقير والآخر غني، فكان صِغْو[1] النبي ﷺ مع الفقير لكونه لا يظلم الغني في مستقر العادة، فنزلت هذه الآية[2].

والمعنى: كونوا مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شهداء لله﴾ أي: لوجهه ورضاه، لا تأخذكم فيه لومة لائم، ﴿ولو على أنفسكم﴾ ولو كان الحق عليكم ﴿أو﴾ على ﴿الوالدين والأقربين﴾ والشهادة على الأنفس مجاز عن الإقرار بما عليها من الحقوق.

﴿إن يكن﴾ يعني: المشهود عليه، أو له ﴿غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ أعلم بحالهما، فلا تصرفنكم عن شهادة الحق والقيام بالعدل، مسكنة الفقير، ولا نباهة

---

(١) الصِّغْو: الميل (اللسان، مادة: صغا).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٢١). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٢٢)، والسيوطي في الدر (٢/ ٧١٥) وعزاه لابن جرير.

الغني.

﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ كراهة أن تعدلوا عن الحق، أو لأن تعدلوا.

ولقد أحسن القائل:

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تَسُودَ وَلَنْ تَرَى سُبُلَ الرَّشَادِ إِذا اتَّبَعْتَ هَوَاكَا

﴿وإن تلووا﴾ ألسنتكم أيها الشهود عن الشهادة فتحرفوها، ﴿أو تعرضوا﴾ عنها، فلا تؤدوها.

وقيل: «وإن تلووا» وجوهكم أيها الحكام إلى بعض الخصوم، «أو تعرضوا» عن بعض.

وقرأ ابن عامر وحمزة: «وإن تَلُوا»[1] من الوِلاية، أي: تَلُوا إقامة الشهادة، أو أمور الناس، والحكم بينهم «أو تعرضوا» عن ذلك، ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فهو يتولى جزاء القاسطين والمقسطين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب للمسلمين، في قول الحسن[2].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢١٥)، والكشف (١/ ٣٩٩)، والنشر (٢/ ٢٥٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٨-٢٣٩).

(٢) ذكره الماوردي (١/ ٥٣٦)، والواحدي في الوسيط (٢/ ١٢٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٢٤).

ولأهل الكتابين، في قول الضحاك[١].

وللمنافقين، في قول مجاهد[٢].

فالمعنى على القول الأول: ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بـالله﴾ أي: دومـوا عـلى إيمانكم، كما تقول للقائم: قم حتى آتيك.

وعلى القول الثاني: ﴿يـا أيهـا الـذين آمَنـوا﴾ بـالتوراة وموسـى، والإنجيـل وعيسى، ﴿آمِنوا بالله ورسوله﴾ محمد وما جاء به من القرآن.

وعلى القول الثالث: ﴿يا أيهـا الـذين آمَنـوا﴾ بألـسنتهم، ﴿آمِنـوا﴾ بقلـوبكم بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ[٣].

---

(١) ذكره الماوردي (١/ ٥٣٦)، والواحـدي في الوسـيط (٢/ ١٢٨)، وابـن الجـوزي في زاد المـسير (٢/ ٢٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧١٦) وعزاه لابن المنذر.

(٢) مثل السابق.

(٣) قال الطبري (٥/ ٣٢٦): فإن قال قائل: وما وجه دعاء هؤلاء إلى الإيمان بالله ورسوله وكتبه، وقد سماهم مؤمنين؟

قيل: إنه جل ثناؤه لم يسمهم مؤمنين، وإنما وصفهم بأنهم آمنوا، وذلك وصف لهم بخصوص من التصديق، وذلك أنهم كانوا صنفين: أهل توراة مصدقين بهـا وبمـن جـاء بهـا، وهـم مكـذبون بالإنجيل والقرآن ومحمد ﷺ. وصنف أهل إنجيل وهـم مصدقون به وبالتوراة وسـائر الكتـب، مكذبون بمحمد ﷺ والفرقان، فقال جل ثناؤه لهم: يا أيها الذين آمنوا -يعني: بما هم به مؤمنـون من الكتب والرسل- آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ والكتاب الذين نزل على رسـوله، فـإنكم قـد علمتم أن محمداً رسول الله تجدون صفته في كتبكم، وبالكتاب الذين أنزل من قبل، الذي تزعمون أنكم به مؤمنون، فإنكم لن تكونوا به مـؤمنين وأنـتم بمحمـد مكـذبون؛ لأن كتـابكم يـأمركم بالتصديق به وبما جاءكم به، فآمنوا بكتابكم في اتباعكم محمداً، وإلا فأنتم به كافرون. فهذا وجـه أمرهم بالإيمان بما أمرهم بالإيمان به بعد أن وصفهم بما وصفهم بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾. اهـ.

﴿والكتاب الذي نزَّل على رسوله والكتاب الذي أَنْزَل من قبل﴾: يريد: جنس الكتب، وإنما قال: "نزل على رسوله" و"أَنْزل من قبل"؛ لأن القرآن نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة[١]، بخلاف سائر الكتب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

قوله: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا﴾ ذهب ابن عباس وجمهور المفسِّرين إلى أنهم اليهود، آمنوا بموسى ثم كفروا بعده، ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد[٢].

وقيل: ﴿إن الذين آمنوا﴾ بالتوراة وموسى، ﴿ثم كفروا﴾ بالإنجيل وعيسى، ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بمحمد والقرآن.

---

(١) قال السيوطي في الإتقان (١/ ١١٧): اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال: أحدها -وهو الأصح والأشهر-: أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة.

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٢٥).

وقال قتادة: آمنوا بموسى، ثم كفروا بعبادة العجل، ثم آمنوا به بعد عوده، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد[(١)].

وروي عنه: أنها في اليهود والنصارى؛ آمن اليهود بالتوراة ثم كفروا بالإنجيل، ثم آمن النصارى بالإنجيل، ثم تركوه، فكفروا به، ثم ازدادوا كفراً بالقرآن ومحمد ﷺ[(٢)].

وقال الحسن: هم قوم من أهل الكتاب قصدوا تشكيك المؤمنين، فكانوا يُظهرون الإيمان، ثم الكفر، ثم ازدادوا كفراً بموتهم على كفرهم[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]: آمنوا بالتوراة وموسى، ثم كفروا، ثم آمنوا بعيسى والإنجيل، ثم كفروا بعده، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن.

وقيل: هو نعت المنافقين، آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفراً بالثبات على النفاق حتى ماتوا عليه.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ ويمكن أن يُستدل بهذه الآية على عدم قبول توبة مَن تكررت ردّته، وهو مذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه، لأن الله أخبر عن الذين تكرر منهم الكفر بعد الإيمان أنه لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلاً، ومن كان بهذه المثابة لا يقبل الله له توبة[(٥)].

---

(١) ذكره الماوردي (١/ ٥٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٢٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧١٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) ذكره الماوردي (١/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٢٥).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٣).

(٥) انظر: المغني (٩/ ١٨).

قوله: ﴿بَشِّرِ المنافقين﴾ قال الزجَّاج[١]: المعنى: اجعل موضع بشارتهم العذاب، والعرب تقول: تحيتك الضرب، وعتابك السيف.

قال الشاعر:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بخَيْلٍ ... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[٢]

ثم وصف المنافقين فقال: ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ قال ابن عباس: كانوا يوالون اليهود[٣].

﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أي: الغلبة والاستعلاء على محمد وأصحابه، مأخوذ من قولهم: أرض عَزاز: وهي التي لا تنبت، كأن الشدة منعتها من ذلك، وعزَّ الشيء: أي صعب واشتد وجوده، ومنه مَنْ عزَّ بزَّ: أي: مَن اشتد وقوي، غلب وسلب.

قال الشاعر:

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حمىً يُتَّقى ... إِذِ النّاس إِذ ذاكَ مِنْ عَزَّ بزّا[٤]

﴿فإن العزة لله جميعاً﴾ فعنده تُبتغى، فالتمسوها بالإيمان والطاعة.

قال رجل -يريد سفراً- للإمام أحمد: أوصني، فقال: أعِزَّ أمر الله حيث ما

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ١٢٠).

(٢) البيت لعمرو بن معديكرب. انظر: ديوانه (ص:٣٤٣)، والكتاب (٢/ ٣٢٣)، وشرح المفصل (٢/ ٨٠)، والخزانة (٩/ ٢٦٣)، وشرح أبيات الكتاب للسيرافي (٢/ ٢٠٠)، والخصائص (١/ ٣٦٨)، والمقتضب (٢/ ٢٠، ٤/ ٤١٣)، ومعاني الأخفش (ص:٩٨)، والدر المصون (١/ ٥٠٨)، والطبري (١/ ٣٩١)، وزاد المسير (٢/ ٢٢٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٢٩) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٢٦).

(٤) البيت للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٥٩)، وزاد المسير (٢/ ٢٢٧، ٤/ ١٣).

كنت يعزّك الله[١].

قوله[٢]: ﴿وقد نُزِّلَ عليكم في الكتاب﴾ قرأ عاصم: «نَزَّلَ» بفتح النون والزاي[٣].

والذي نَزَّل هو: النهي عن مجالسة الخائضين في آيات الله، وذلك في سورة الأنعام في قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام:٦٨].

﴿أن إذا سمعتم آيات الله﴾ في موضع نصب، على قراءة عاصم، وفي موضع رفع، على قراءة الباقين.

وقوله: ﴿يُكفر بها ويُستهزأ بها﴾ يستلزم وجود كافرين مستهزئين، فيعود الضمير في قوله: ﴿معهم﴾ إليهم.

﴿إنكم إذاً مثلهم﴾ المماثلة واقعة بين الخائضين والقاعدين معهم في الكفر إذا كانوا راضين بحالهم، أو في المعصية إذا لم يكونوا راضين.

ويحتمل عندي: أن الخطاب بهذه الآية للمنافقين، فإنهم كانوا يقعدون مع اليهود خائضين في آيات الله بالتكذيب والاستهزاء، ألا تراه يقول عقيب ذلك: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ أي: كما اجتمعوا في الدنيا على

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٤٦) عن أبي بن كعب قال: أردت أن أخرج إلى الفتنة، قال: قلت للحسن: أوصني فقال: ...، وأخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٢٢) قال: قال رجل للحسن رحمه الله: إني أريد سفراً فزودني. قال: ابن أخي أعز أمر الله ...

(٢) كتب في الهامش: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الأربعين، مرة ثانية.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢١٧)، والكشف (١/ ٤٠٠-٤٠١)، والنشر (٢/ ٢٥٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٩).

التكذيب والاستهزاء، يجمعهم في الآخرة في العذاب.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

ثم وصف الله المنافقين فقال: ﴿الذين يتربصون بكم﴾ أي: ينتظرون، ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ وكانت الدولة لكم ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾ فأعطونا من الغنيمة، ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ حظ من الظفر والنصر ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾.

الاسْتِحْواذ في اللغة: الاستيلاء. يقال: حَاذ الحِمَارُ أُتُنَهُ؛ إذا استولى عليها وجمعها[1].

فالمعنى: ألم نغلب عليكم بالموالاة لكم، ونستولي عليكم بالمعونة، والذب عنكم.

﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ بالتثبيط تارة، وبنقل الأخبار إليكم أخرى، امتنوا بذلك عليهم ليدفعوا نصيبهم من الغنيمة إليهم.

﴿فالله يحكم بينكم﴾ أيها المؤمنون والمنافقون، وفي قوله: ﴿يوم القيامة﴾ إشعار بأن الحكم يقع على ما أضمروه لا على ما أظهروه، بخلاف أحكام الدنيا، ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾.

قال رجل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أرأيت قول الله:

(١) انظر: اللسان، مادة: (حوذ).

﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ وهم يقتلوننا؟! فقال: "ولن يجعل الله للكافرين" يوم القيامة "على المؤمنين سبيلاً"[(١)].

وقال ابن عباس في رواية عكرمة والضحاك: حُجَّة[(٢)].

وقال في رواية أبي صالح: «على المؤمنين» أصحاب محمد ﷺ[(٣)].

كأنه نفى ظهور كفار العرب على الصحابة، وأثبت أن الظفر للمسلمين والعاقبة لهم، فكان كذلك.

وقيل: هذا نفيٌ لاستيلاء الكفار على المسلمين بحيث يستأصلونهم، فإن العاقبة للمسلمين، وإن كانت الحرب سجالاً بين المسلمين والكافرين.

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

قوله: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ سبق تفسيره في البقرة.

﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ متثاقلين لعدم الدواعي الطبيعية

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧١٨) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٣٣-٣٣٤) عن ابن عباس والسدي، وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٩٥) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٠) عن ابن عباس والسدي، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧١٩) وعزاه لابن جرير عن السدي.

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٤٠٤).

والشرعية. وهو جمع «كَسْلان»، مثل: سَكْران وسُكَارى.

﴿يراءون الناس﴾ معنى المفاعلة هاهنا أن المرائي يريهم أعماله ويُرُوْنَه استحسانها، أو يكون من باب: عاقبت اللص، وطارقت النعل.

﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ أي: ذكراً قليلاً.

قال علي رضي الله عنه: إنما قلَّ لأنه غير مقبول(١).

قال ابن عباس: لو كان لله لكان كثيراً(٢).

قوله: ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ نصب على الحال من «يذكرون»، أو على الذم(٣).

والتَّذَبْذُبُ: التَّحَرُّكُ والاضطراب. فالمنافقون مترددون بين الإيمان والشرك والإيقان والشك، ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ أي: لا إلى المؤمنين بالاعتقاد الصحيح، ولا مع المشركين بالمجاهرة والتصريح.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ المُنَافِقِ مَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، لا تدري أيهما تتبع»(٤).

﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ أي: طريقاً إلى الهدى.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٣٣٥) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣١) من قول قتادة، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧١٩-٧٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٤٠٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ١٣١) من قول الحسن، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٣٢).

(٣) انظر: التبيان (١/ ١٩٩)، والدر المصون (٢/ ٤٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٦ ح٢٧٨٤).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

قوله: ﴿لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ أي: لا تجعلوا اليهود والمنافقين بطانتكم وخاصتكم، ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ أي: حُجَّة ظاهرة.

واشتقاقه من السَّليط: وهو ما يُستضاء به، والزَّيْت: سليط، والسَّلاطَة من التَّسَلُّط: وهو القَهْر والظهور، والسَّلِيطَة: المرأة الصَخَّابَة[1].

والسَّليط: الفصيح اللسان، ومنه: السُّلطان. كل ذلك يرجع إلى أصل واحد.

قوله: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ قرأ أهل الكوفة: «الدَّرْك» بسكون الراء. وقرأ الباقون: بفتحها[2].

قال ابن فارس[3]: الجنةُ درجات، والنار دركات.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (سلط).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢١٨)، والكشف (١/ ٤٠١)، والنشر (٢/ ٢٥٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٩).

وإنما كانوا أشد عذاباً من الكافر؛ لأنهم ساووهم في الكفر، وزادوا عليهم بالاستهزاء.

قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ يعني: رجعوا عن نفاقهم، ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم بعد التوبة، ﴿واعتصموا بالله﴾ استمسكوا بدينه، ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾، فلم يكدروه بشوائب الرياء، ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ في الولاية والدين.

قوله: ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ استفهام في معنى التقرير، أي: لا يعذبكم، ﴿إن شكرتم وآمنتم﴾ أي: إن شكرتم نعمه، فوحَّدتموه وأطعتموه.

﴿وكان الله شاكراً﴾ للقليل من أعمالكم، ﴿عليماً﴾ بمقاصدكم ونيَّاتكم.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾

قوله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم﴾ أي: إلا جهر مَن ظُلِم، وهو أن يدعو على الظالم، ويذكّره بما فيه من السوء، أو يبدأه إنسان بالشتيمة فيرد عليه.

قال ابن عباس: نزلت في الضيافة؛ ينزل الرجل بالرجل عنده سعة فلا يضيفه،

فإن تناوله بلسانه فقد عذره الله[١].

وقال مقاتل[٢]: نال رجل من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم ردّ عليه، فقام النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ شتمني فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددتُ عليه قمتَ، فقال: إن مَلَكاً كان يجيب عنك، فلما رددتَ عليه ذهب المَلَك، وجاء الشيطان، فنزلت هذه الآية.

وقرأ جماعة منهم عبد الله بن [عمر][٣]، والحسن، والسعيدان، وأبو رجاء، وقتادة والضحاك، وزيد بن أسلم: بفتح الظاء واللام[٤]، فيكون الاستثناء منقطعاً، على معنى: لكن الظالم قد يجهر بالسوء فاجهروا له بالسوء.

وقال الزمخشري[٥]: يجوز أن يكون «من ظلم» مرفوعاً، كأنه قيل: لا يحب الجهر بالسوء إلا الظالم، على لغة مَن يقول: ما جاءني زيد إلا عمرو، بمعنى: ما جاءني إلا عمرو. ومنه: ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل:٦٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٢)، والثعلبي (٣/ ٤٠٧) عن مجاهد. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:١٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٣٦) كلهم عن مجاهد، والواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٤) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٢٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٧).

(٣) في الأصل: عمرو. والتصويب من: البحر المحيط (٣/ ٣٩٨)، والدر المصون (٢/ ٤٥١).

(٤) مختصر ابن خالويه (ص:٣٠)، والمحتسب (١/ ٢٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٩٨).

(٥) الكشاف (١/ ٦١٦). وقال أبو حيان في البحر (٣/ ٣٩٩): وهذا الذي جوَّزه الزمخشري لا يجوز. وانظر: الدر المصون (٢/ ٤٥١).

وقال ثعلب: هي مردودة على قوله: ﴿ما يفعل الله بعذابكم ... إلا من ظُلِم﴾[(١)].

﴿وكان الله سميعاً﴾ لقول المظلوم ودعائه، ﴿عليماً﴾ بفعل الظالم، وقدر جزائه، فليحذر المظلوم من الحيف، فطالما صار بسببه ظالماً.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة: بلغني أن مَن قِبَلَك يَسُبُّون الحَجَّاج، فانههم عن ذلك، فإنه بلغني أنه لا يزال المظلوم يدعو على الظالم حتى يصير المظلومُ ظالماً، والظالِمُ مظلوماً.

ثم إن الله تعالى نبَّه المظلوم على فضيلة العفو، ورغَّبه فيه وأعلمه أنه من أوصافه، فقال: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء﴾. المعنى: إن تبدوا خيراً بدلاً من السوء الذي أطلق لكم الجهر به تفضلاً وكرماً وتقرُّباً إلى الله، واكتساباً للحمد والثناء، أو تُخفوا الخير في أنفسكم، فلا تجهروا به اكتفاء بعلم الله بما في قلوبكم، ورغبة في ثوابه، ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ فتتجاوزوا عنه إغضاءً وتسامحاً، وتركاً للانتصار مع الاقتدار، ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾.

قوله[(٢)]: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ قال المفسِّرون: هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، ومحمد والقرآن[(٣)].

﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ في الإيمان، ﴿ويقولون نؤمن ببعض

---

(١) انظر: زاد المسير (٢/ ٢٣٨).

(٢) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الحادي والأربعين، مرة ثانية.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٠).

ونكفر ببعض﴾، فأخبر الله أن الإيمان بالبعض كفر بالكل لما فيه من التكذيب فقال: ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾.

﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك﴾ أي: بين الكفر والإيمان ﴿سبيلاً﴾ مذهباً يدعون إليه ويحضون عليه.

﴿أولئك هم الكافرون﴾ ثم أكده فقال: ﴿حقاً﴾، فشهد عليهم بالكفر في أول الآية وأكّده ثانياً بقوله: ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ سلباً لوصف الإيمان عنهم، ونفياً لما توهَّموه من الانتفاع بالإيمان بالبعض.

قوله عز وجل: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ وهم المسلمون، ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ أي: من الرسل، كما فعلت اليهود والنصارى، ﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾ سبق الكلام على» سوف» وفائدة دخولها في مثل هذه المواضع فيما مضى.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: كيف جاز دخول «بين» على «أحد» وهو يقتضي شيئين فصاعداً؟

قلت: إن «أحداً» عام في الواحد المذكر والمؤنث، وتثنيتهما وجمعهما. تقول: ما رأيت أحداً، فتقصد العموم، ألا تراك تقول: إلا بني فلان، وإلا بنات فلان.

فالمعنى: ولم يُفَرِّقوا بين اثنين منهم، أو بين جماعة، ومنه قوله: ﴿لَسْتُنَّ كأحد من النساء﴾ [الأحزاب:٣٢].

---

(١) الكشاف (١/ ٦١٧).

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ قال أهل التفسير: قالت اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بن عمران(١).

وقال بعضهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من السماء من الله إلى فلان، وإلى فلان، أنّ محمداً رسولي أرسلته إليكم(٢).

﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ أي: أعظم، وهو جواب شرط مقدَّر تقديره: إن أكبرت ذلك وأعظمته ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾.

فإن قيل: «ثم» للترتيب، فكيف قال: ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ واتخاذهم العجل

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٣) كلاهما عن السدي ومحمد بن كعب القرظي. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٢٦) وعزاه لابن جرير عن السدي. ومن طريق آخر عن محمد بن كعب القرظي، وعزاه لابن جرير أيضاً.

(٢) ذكره ابن جرير (٦/ ٨) عن ابن جريج، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج.

إلهاً متقدم على سؤال الرؤية؟

قلتُ: هو خبر مستأنَف، كما تقول: زرتك اليوم، ثم إني زرتك أمس، أي: ثم أُخبرك أني زرتك أمس.

﴿فعفونا عن ذلك﴾ فلم نستأصلهم بالهلاك، ﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ وهي الآيات التسع[١].

ومعنى قوله: ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ بسبب نقض ميثاقهم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾
وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ
عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ
يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

قوله: ﴿فبما نقضهم﴾ «ما» زائدة، وقد ذكرناه في آل عمران[٢].

والجالب للباء محذوف، تقديره: فبنقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا.

وقيل: الجالب للباء: ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ [النساء:١٦٠] فيكون

---

(١) وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ [الإسراء:١٠١].

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران:١٥٩].

حينئذ قوله: ﴿فبظلم﴾ [النساء:١٦٠] بدلاً من قوله: «فبما نقضهم»[١].

قوله: ﴿وبكفرهم﴾ يعني: بمحمد. وقيل: بعيسى.

وهو عطف على: "فبما نقضهم" أو على: ﴿بل طبع﴾.

وجميع ما أغفلناه هاهنا مفسَّر في البقرة.

﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ وهو قذفها بالزنا.

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم﴾ قال الزجَّاج[٢]: يُعذَّبون عذاب مَن قتل لأنهم قتلوا الذي قتلوه على أنه نبي.

وقوله: ﴿رسول الله﴾ من كلام الله تعالى.

وقيل: من كلام اليهود على معنى تهكم به؛ كقول فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧]، أو رسول الله على زعمه.

قوله: ﴿ولكن شُبهَ لهم﴾ قال صاحب الكشاف[٣]: إن قلت: «شُبهَ» مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح، فالمسيح مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول، فالمقتول لم يَجْرِ له ذِكْرٌ؟

قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور، وهو «لهم»؛ كقولك: خُيِّل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يُسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله: «إنا قتلنا» يدل عليه.

اختلفت الرواية عن ابن عباس فيمن أُلقي عليه شبهه؛ فروى أبو صالح عنه:

---

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٥٥).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ١٢٨).

(٣) الكشاف (١/ ٦٢٠).

أن اليهود لما اجتمعت على قتل عيسى، أدخله جبريل خوخة لها رَوْزَنة[(١)]، فدخل، ورآه رجل منهم، فألقى الله شبه عيسى عليه، فلما خرج الرجل إلى أصحابه قتلوه ظناً منهم أنه عيسى، ثم صلبوه[(٢)].

وروى عنه سعيد بن جبير: أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: أيكم يُلقَى عليه شبهي، فيُقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد القول، فقال الشاب: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد القول، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى: نعم أنت ذلك، فأُلقي عليه شبه عيسى، ورُفِع عيسى، وجاء اليهود، فأخذوا الشاب فقتلوه، ثم صلبوه[(٣)].

﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ قيل: إنهم النصارى اختلفوا في عيسى، هل هو إله أو لا؟ وهل قُتِل أو لا؟

والصحيح: أن المختلفين اليهود[(٤)]، اختلفوا في عيسى، هل قُتِل أم لا؟ والسبب في ذلك أنهم قالوا: إن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟

وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى، والبدن بدن صاحبنا.

قوله: ﴿إلا اتباع الظن﴾ استثناء منقطع، ﴿وما قتلوه﴾ يعني: الظن، وقيل:

---

(١) الخوخة: مُخْتَرَقٌ ما بين كل دارين، لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز (اللسان، مادة: خوخ). والروزنة: الكوة (اللسان، مادة: رزن).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٤).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٨٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١١٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٢٧) وعزاه لعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) انظر: الطبري (٦/ ١٦).

العلم، فالمعنى: أنهم ما بالغوا في العلم به، حتى تحققوه، وعرفوه، ﴿يقيناً﴾ كما يقول: قتلت الشيء علماً(١).

وقيل: الضمير يرجع إلى عيسى.

قال الحسن: المعنى: وما قتلوا عيسى حقاً(٢).

وقال ابن الأنباري(٣): فيه تقديم وتأخير، التقدير: فما قتلوا عيسى، بل رفعه الله يقيناً. وقد ذكرنا رفعه في آل عمران(٤).

قوله: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به﴾ قال الزجَّاج(٥): المعنى: وما منهم [من](٦) أحد إلا ليؤمننّ به، ومثله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١].

أي: بعيسى، ﴿قبل موته﴾ فيؤمن أنه عبد الله ورسوله.

قال ابن عباس: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج نفس النصراني حتى يشهد أن عيسى عبد الله، قيل له: فإن خرَّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء(٧).

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٧) عن ابن عباس.

(٢) ذكره الماوردي (١/ ٥٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٦).

(٣) انظر: زاد المسير (٢/ ٢٤٦)، والدر المصون (٢/ ٤٥٩).

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إليّ﴾ [آل عمران:٥٥].

(٥) معاني الزجاج (٢/ ١٢٩).

(٦) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) أخرجه الطبري (٦/ ٢٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١١٣)، وسعيد بن منصور (٤/ ١٤٢٧-١٤٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٧٣٣) وعزاه للطيالسي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

وقال شهر بن حوشب: قال لي الحجاج: آيةٌ من كتاب الله ما قرأتها قط إلا تخالج في نفسي منها، قلت: أصلح الله الأمير، ما هي؟ فقرأ هذه الآية: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾، وإني لأوتى بالأسير من اليهود والنصارى، فآمر بضرب عنقه، فما أسمعه يتكلم شيئاً، قلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره، وقالوا له: يا عدو الله؛ أتاك عيسى عبداً نبياً فكذَّبتَ به؟ فيقول: إني آمنتُ أنه عبد نبي، فيؤمن به حيث لا ينفعه إيمانه، ويؤتى النصراني فيقال: يا عدو الله؛ أتاك عيسى عبداً نبياً، فقلتَ: إنه الله أو ابن الله؟ فيؤمن به أنه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه إيمانه.

قال شهر: فنظر إليَّ الحَجاج وقال: مَن حدَّثك بهذا الحديث، فقلت: حدَّثني محمد ابن الحنفية. قال: وكان متكئاً فجلس، ثم نكت بقضيبه الأرض ساعة، ثم رفع رأسه إليَّ فقال: أخذتها من عين صافية من معدنها[١].

قال عكرمة: لا تخرج نفس اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد ﷺ[٢].

فعلى هذا: يكون الضمير في قوله: «ليؤمنن به» يرجع إليه ﷺ.

وقيل: «ليؤمنن به» أي: بالله.

وقال جماعة منهم قتادة وابن قتيبة[٣]: الضمير في «موته» يعود إلى عيسى[٤].

قال ابن عباس: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي، ولا نصراني، ولا أحد

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٣٤) وعزاه لابن المنذر.

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ ٤١٣)، والماوردي (١/ ٥٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٧).

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٣٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٨).

يعبد غير الله إلا اتبعه وصدَّقه وشهد أنه روح الله وكلمته وعبده ونبيه[1].

﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ بالبلاغ، وعلى نفسه بالعبودية لله تعالى.

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ أي: ما حرَّمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه من أكل الربا، والرُشا وغير ذلك من العظائم.

والطيبات المحرَّمة عليهم: الألبان، وما اشتمل عليه قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ... الآية﴾ [الأنعام:١٤٦].

﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾ أي: صداً كثيراً، أو أناساً كثيراً.

﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ وهو ما كانوا يأخذونه من الرُشا في القضاء، وعلى تبديل أحكام الله تعالى.

قوله: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ وهم الثابتون فيه، المتقنون له، كعبد الله بن سلام.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٧-١٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٨).

و"الراسخون" مبتدأ، خبره «يؤمنون»[١].

و﴿المؤمنون﴾ مَن دخل معه في الإسلام من اليهود، وقيل: المهاجرون والأنصار.

قوله: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ نصب على المدح، والاختصاص، وهو باب واسع[٢]. وأنشدوا:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذينَ هُمُ ... سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزْرِ

النَّازِلِينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ[٣]

وهذا قول الخليل وسيبويه[٤] والزجَّاج وحُذَّاق البصريين.

وقيل: هو نسق على «ما»، المعنى: يؤمنون بما أُنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، وهم الملائكة والأنبياء.

وقيل: هو نسق على الهاء والميم في «منهم»، المعنى: منهم ومن المقيمين الصلاة.

قال الزجَّاج[٥]: وهذا رديء عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على

---

(١) انظر: التبيان (١/ ٢٠٢)، والدر المصون (٢/ ٤٦١).

(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٦١).

(٣) البيتان للخرنق بنت هفان القيسية. انظر: ديوانها (ص:٢٩) والكتاب لسيبويه (١/ ٢٠٢، ٢/ ٥٧-٥٨، ٦٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٥٣)، والخزانة (٢/ ٣٠١)، ومجاز القرآن (١/ ٦٥)، ومعاني الزجاج (٢/ ١٣٢)، والدر المصون (٢/ ٤٦٢)، والمحتسب (٢/ ١٩٨)، وأوضح المسالك (٢/ ٧٦).

(٤) الكتاب (٢/ ٥٧).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ١٣١).

المضمر المجرور إلا في الشعر.

وقد روي عن عائشة: أن ذلك خطأ من الكاتب[١].

وروي عن عثمان أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها[٢].

وهذا مستبعد جداً، لأن عائشة كانت من الفصاحة وحفظ أشعار العرب والاطلاع على افتنان أساليبها في خطابها بالمكانة التي لا تُدافَع عنها ولا تُمانَع منها، فكيف تحكم بخطأ الكاتب مع ظهور الصواب فيما ذكرناه من الإعراب.

وما نقل عن عثمان رضي الله عنه فقال ابن الأنباري[٣]: لا يصح؛ لأنه غير متصل.

قال: ومحال أن يُؤخِّر عثمان شيئاً فاسداً ليصلحه مَن بعده.

قال الزجَّاج[٤]: الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يُصلحه غيرهم، لا ينبغي أن يُنسب هذا إليهم.

وفي مصحف عبد الله: «والمقيمون»[٥]، وهي قراءة جماعة، منهم مالك بن دينار، والجُحْدَري.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٢٥)، وسعيد بن منصور (٤/ ١٥٠٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٤٤-٧٤٥) وعزاه لأبي عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي داود وابن المنذر.

(٢) كتاب المصاحف (ص:٤١).

(٣) انظر: زاد المسير (٢/ ٢٥٢).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ١٣١).

(٥) انظر مختصر ابن خالويه (ص:٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٤١١).

۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

قوله تعالى[1]: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ نزلت مُكذِّبة لليهود في قولهم: ما أوحى الله إليك يا محمد، ولا إلى أحد بعد موسى.

﴿كما أوحينا إلى نوح﴾ وقد ذكرنا اسمه في آل عمران[2]، وسبب تسميته نوحاً. وقُدِّم في الذكر على سائر الأنبياء عليهم السلام؛ لاختصاصه بشرف الأبوة، وامتيازه بامتداد زمن النبوة.

﴿والنبيين من بعده﴾ كصالح، وهود، ويونس، يُقرأ بالحركات الثلاث على النون[3]، وبالهمز وعدمه، إلا أن القراء العشرة أطبقوا على القراءة المشتهرة.

والزَّبُور: الكتاب، فَعُول بمعنى مفعول؛ كحَلُوب ورَكُوب.

---

(١) كتب في هامش الأصل: وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثاني والأربعين، مرة ثانية.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ...﴾ [آل عمران:٣٣].

(٣) إعراب القراءات الشواذ (ق/ ٥٨/ أ).

وقرأ حمزة: «زُبُوراً»، بضم الزاي[(١)]، جمع زَبْر.

قال أبو علي[(٢)]: كأنَّ حمزة جعل كتاب داود أنحاءً، وجعل كل نحو زَبْراً، ثم جمع فقال: "زبوراً".

قوله: ﴿ورُسُلاً﴾ منصوب بفعل مضمر يُفسِّره ما بعده[(٣)]. التقدير: قصصنا رسلاً عليك قد قصصناهم.

وجائزٌ أن يُحمل على معنى: أوحينا إليك، كأنه قال: أرسلناك والنبيين ورسلاً.

قوله: ﴿وكلَّم الله موسى تكليماً﴾ قال ثعلب: لولا أن الله أكد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلَّمتُ لك فلاناً، بمعنى كتبت إليه رُقْعة، وبعثت إليه رسولاً، فلما قال: «تكليماً» لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله عز وجل[(٤)].

قوله: ﴿رُسُلاً﴾ نصب على المدح أو التكرير، ﴿مبشرين ومنذرين﴾ نعت لـ«رسلاً»[(٥)].

وفي قوله: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ دليل على توقف وجوب الإيمان والطاعة على بعثة الرسل، كما قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء:١٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢١٩)، والكشف (١/ ٤٠٢)، والنشر (٢/ ٢٥٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:١٩٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٤٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٦٤).

(٣) انظر: التبيان (١/ ٢٠٣)، والدر المصون (٢/ ٤٦٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٢/ ٢٥٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٦٦).

﴿وكان الله عزيزاً﴾ في سلطانه ﴿حكيماً﴾ في بعثة رسله إلى خلقه.

ولما نزلت: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ قالت اليهود والنصارى: لا نشهد لك بهذا، فنزل: ﴿لكن الله يشهد﴾ أي يبين صدقك ورسالتك ﴿بما أنزل إليك﴾ من القرآن المعجز، ﴿أنزله بعلمه﴾ أي: ملتبساً بعلمه الذي لا يعلمه غيره، وهو ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والإخبار عما كان ويكون، والسلامة من المناقضة والمعارضة، إلى غير ذلك من العلوم التي يُقَوَّم إعجاز القرآن بها، والأسرار المودعة فيه.

قال سفيان بن عيينة: إنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلت خزانة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها[1].

وقيل: «أنزله» مشتملاً بما علم من مصالح العباد.

وقيل: «بعلمه»: أنك أهل لإنزاله عليك.

وقيل: «أنزله» وفيه علمه.

﴿والملائكة يشهدون﴾ بصدقك ورسالتك.

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ وإن لم يشهد غيره.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٩٨).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى
دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ
رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا
تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ
لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ وهم اليهود، ﴿وصدُّوا عن سبيل الله﴾ أي: منعوا الناس من الدخول في دين الإسلام بما كتموا من صفة محمد ﷺ.

ثم وصفهم بالظلم منضماً إلى الكفر فقال: ﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ أي: ظلموا محمداً بتكذيبه، وتبديل صفته ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ كفرهم وظلمهم.

وقيل: «لم يكن الله» ليستر عيوبهم، بل فضحهم في الدنيا بإبداء معايبهم، وعذَّبهم بالقتل والسبي، والنفي، وألزمهم الذلة، والمسكنة والجزية.

﴿ولا ليهديهم طريقاً﴾ إلى الإسلام.

﴿إلا طريق جهنم﴾ وهو دين اليهودية وغيره من الطرق التي تفضي بهم إلى جهنم.

قوله تعالى: ﴿فآمنوا خيراً لكم﴾ منصوب بفعل مضمر دلَّت عليه الحال، لأنه لما حضَّهم على الإيمان، علم أنه يحملهم على أمر، فقال: «خيراً لكم» أي: إئتوا، واقصدوا أمراً خيراً لكم[1] من الكفر والتثليث.

ثم أظهر لهم عظمته وغناه عن إيمانهم فقال: ﴿وإن تكفروا فإن لله ما في

(١) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٦٨).

السموات والأرض وكان الله عليماً﴾ بما يكون منهم من كفر وإيمان، ﴿حكيماً﴾ في تكليفه إياهم مع علمه بما يكون منهم.

قولُه تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ هذا نهي لليهود والنصارى عن الإفراط وتجاوز الحد في الدين، فإن اليهود غَلَتْ في عيسى حتى دفعته عن حقه ومرتبته، وغَلَتْ فيه النصارى حتى رفعته عن منزلته وادعته إلهاً، فقالت اليعقوبية: هو الله.

وقالت النسطورية: هو ابن الله.

وقالت المرقوسية[1]: هو ثالث ثلاثة.

﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ أي الصدق، فَتُنَزِّهوه عن الشريك والولد.

ثم نَزَّه عيسى عما رَمَتْهُ به اليهود، وادَّعته له النصارى فقال: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾، وقد سبق معنى كونه «كلمة» في آل عمران[2].

ومعنى كونه «روحاً منه»: أنه خلقه، وأوجده، واخترعه اختراعاً غير منوط

---

(١) اليعقوبية: هم أصحاب يعقوب البراذعي، قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده. ويعني بالأقانيم الثلاثة: الوجود والعلم والحياة.

والنسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه.

والمرقوسية: أتباع مرقس صاحب الإنجيل المعروف (الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢٤-٢٢٥، ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة ص:١٩١-١٩٤).

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح﴾ [آل عمران:٤٥].

بسبب، كسائر ولد آدم، وأضافه إليه إضافة تكريم وتشريف، كما قال عن آدم: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر:٢٩].

ويروى: أن الله لما أخرج الأرواح من ظهر آدم لأخذ الميثاق، ثم ردها إلى صلبه، أمسك عنده روح عيسى إلى أن أراد إيجاده، فأرسل ذلك الروح إلى مريم، فدخل فيها، فكان عيسى عليه السلام(١).

قرأت على الشيخ الزاهد أبي عبد الله محمد بن داود بن عثمان الدربندي الصوفي، بمسجد الخليل عليه السلام سنة سبع وستمائة، أخبركم الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِلفي الأصبهاني بالإسكندرية، فأقرَّ به، قال: أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي(٢) بأصبهان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي بنيسابور(٣)، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم(٤)، حدثنا بشر بن

---

(١) وهو قول أبي بن كعب. أخرجه الطبري (٦/ ٣٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٦١).

(٢) القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي، أبو عبد الله، الأصبهاني، صاحب الأربعين، مسند الوقت ورئيس أصبهان. توفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٣).

(٣) يحيى بن إبراهيم بن محمد، أبو زكريا النيسابوري، شيخ التزكية ببلده. توفي سنة أربع عشرة وأربعمائة (سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٥، والتقييد ص:٤٨٣).

(٤) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري، أبو عبدالله الفقيه، عالم الديار المصرية. توفي سنة ثمان وستين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٧).

بكر[1]، عن [ابن][2] جابر، عن عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أُمية، حدثني عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال: أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله وابن أَمَته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله تعالى في أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[3]. رواه مسلم عن داود بن رشيد.

ورواه البخاري عن صدقة بن الفضل، كلاهما عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فكأنني سمعته من طريق البخاري على أبي الوقت، ومن طريق مسلم على الفَرَاوي.

قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ خبر مبتدأ محذوف[4]، تقديره: لا تقولوا آلهتنا ثلاثة: أب، وابن، وروح القدس، ﴿إنما الله إله واحد﴾، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً، فكيف يكون خلقه جزء منه، ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ يكل الخلقُ أمرَهم إليه.

---

(١) بشر بن بكر التِنِّيسي، أبو عبد الله البجلي الدمشقي. توفي سنة خمس ومائتين (سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٧).

(٢) زيادة من الصحيحين. وابن جابر هو: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، أبو عتبة الدمشقي الداراني، من أئمة الشاميين وصلحائهم. توفي سنة ثلاث -أو أربع- وخمسين ومائة (تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٣، والتقريب ص:٣٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦٧ ح٣٢٥٢)، ومسلم (١/ ٥٧ ح٢٨).

(٤) انظر: التبيان (١/ ٢٠٤)، والدر المصون (٢/ ٤٧٠).

لن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: «أن يكون عُبَيْداً لله»[1] على التصغير.

والمعنى: لن يأنف، ولن يتنحى عن مقام العبودية لله، من قولك: نكَفْتُ الدَّمْعَ؛ إذا نحَّيْتَ بأصبعك عن خدِّكَ[2].

﴿ولا الملائكة المقربون﴾ قال ابن عباس: هم حَمَلة العرش[3].

وقيل: هم الكَرُّوبيُّون كجبريل وميكال وإسرافيل.

والحكمة في تخصيص الملائكة بالذِّكْر: كون بعض الناس اتخذوهم آلهة من دون الله.

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٤١٩).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (نكف).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٦٣).

وباقي الآية تهديد شديد.

قوله: ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ يعني: جزاء أعمالهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لا يعلم كُنْهه إلا الله.

وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ قال: يدخلون الجنة، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا[1].

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قال ابن عباس: هو محمد ﷺ وما جاء به من البيان[2].

﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾، وهو القرآن الكريم، سُمِّيَ بذلك؛ لإنارته للحق، واستنارة الخلق به.

قوله: ﴿واعتصموا به﴾ أي: استمسكوا بالنور المبين.

وقيل: بالله.

﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ وهي الجنة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٢٤-١١٢٥)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، والإسماعيلي في معجمه (٢/ ٥٦٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٥٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والإسماعيلي في معجمه، بسند ضعيف.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ١٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٦٤) من قول سفيان الثوري، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٥٣) وعزاه لابن عساكر عن سفيان الثوري عن أبيه عن رجل لا يحفظ اسمه. وانظر: تفسير سفيان الثوري (ص:٩٨).

﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ قال محمد ابن الحنفية: هو دين الإسلام[١].

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

قوله: ﴿يستفتونك﴾.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم، عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل القاضي الأنصاري، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد الصاعدي الفراوي، وأخبرنا المؤيَّد بن محمد الطوسي في كتابه، قال: أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي[٢]، أخبرنا محمد بن عيسى[٣]، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان[٤]، أخبرنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، سمع جابر بن عبد الله يقول: «مرضت، فأتاني

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٦٤).

(٢) عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي، أبو الحسن النيسابوري، الإمام الثقة المعمر الصالح. حدّث عن الجلُودي بصحيح مسلم، سمعه منه سنة خمس وستين وثلاثمائة. توفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٧).

(٣) محمد بن عيسى بن محمد، أبو أحمد النيسابوري الجلُودي، من كبار عبّاد الصوفية، وراوي صحيح مسلم. توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠١).

(٤) إبراهيم بن محمد بن سفيان، أبو إسحاق النيسابوري، كان من العبّاد المجتهدين الملازمين لمسلم بن الحجاج. توفي سنة ثمان وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١١، والتقييد ص:١٨٦).

رسول الله وأبو بكر يعودانني ماشيين، فأُغمي عليّ، فتوضأ ثم صب عليّ من وَضُوئه فأفقت، فقلت: يا رسول الله؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يَرُد عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾»[١]. هذا حديث صحيح.

وقد سبق تفسير الكلالة، واستقصينا الكلام في شرحها في موضعها[٢].

قوله: ﴿إن امرؤ﴾ مرفوع بمضمر يُفسِّره الظاهر، وقوله: ﴿ليس له ولد﴾ في محل نصب على الحال، أو في محل الرفع على الصفة[٣]، تقديره: إن هلك امرؤ غيرُ ذي ولد.

وقال صاحب الكشاف[٤]: المراد بالولد: الابن، لأن الأخت تسقط به، ولا تسقط بالبنت، وتابعه على ذلك صاحب «التقشير في التفسير»، وأبو السعادات ابن الأثير[٥] في تفسيره الذي سماه «الإنصاف»، وضمن فيه الجمع بين «الكشف» و«الكشاف»، ولم يُنَبها على فساد هذا الكلام، ولم يقفا على موضع الخطأ فيه.

ووجهُ فساده: أن الآية اقتضت فرض النصف للأخت من الأبوين، أو الأب، وهذا إنما يكون عند عدم الولد مطلقاً كما ذكر الله، لأنها تسقط بالابن، وترث مع البنت بالتعصيب، لا بالفرض.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٢٣٤ ح١٦١٦).

(٢) عند تفسير الآية رقم: ١٢.

(٣) انظر: الدر المصون (٢/ ٤٧٣).

(٤) الكشاف (١/ ٦٣٢).

(٥) المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري الموصلي، مجد الدين الشيباني المعروف بابن الأثير، صاحب جامع الأصول وغريب الحديث. توفي سنة ست وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٨).

والمراد: ليس له ولد ولا والد، لأن هذا تبيين للكلالة، وقد ذكرنا فيما مضى أن الكلالة: من لا والد له، ولا ولد.

﴿وهو يرثها﴾ أي: يستغرق ميراثها، ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ يريد: إن لم يكن لها ولد ذكر أو والد، فإن كان لها بنت أو بنت ابن فله ما تبقى بعد الفرض بالتعصيب.

﴿فإن كانتا اثنتين﴾ أنّث، وثنّى لتأنيث الخبر وتثنيته، والقول في جمع، «وإن كانوا» كالقول في تثنية «وإن كانتا».

قوله: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي: كراهة أن تضلوا، أو أن لا تضلوا، فأضمرت «لا»، أو: لئلا تضلوا.

﴿والله بكل شيء عليم﴾ فهو يعلم مقادير الأنصباء، وما فرض للأقرباء.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، سنة ست وستمائة، وأبو الحسن الصوفي بقراءتي عليه برأس عين، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا ابن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: «آخر سورة نزلت: «براءة»، وآخر آية نزلت: "يستفتونك"»[1].

وأخرجه أيضاً مسلم عن بُنْدار، عن غُنْدَر، عن شعبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٨١ ح٤٣٢٩)، ومسلم (٣/ ١٢٣٦ ح١٦١٨).

وقد سبق لهذا الحديث إسناد آخر في مقدمة الكتاب[١] .[٢].

*****

(١) وكتب في هامش الأصل: بلغ محمد بن أحمد، قراءة بمسجد الرقي، المجلس الحادي والعشرين، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي، المجلس الثالث والأربعين، مرة ثانية، ثم كتب: أنهاه مصنفه نظراً وتصحيحاً، ثم قوبل بالأصل.
نقله وما قبله: محمد بن إسماعيل بن الدنيسري حامداً الله ومصلياً على نبيه.

(٢) جاء في آخر هذا الجزء المخطوط: آخر المجلد الثاني بخط الفقير إلى رحمة ربه: أبي نصر بن عثمان الموصلي غفر الله له، ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.
وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة، ويتلوه في السِفْر الثالث سورة المائدة.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأكرمين وسلم.

السماع الموجود بآخر الأصل

سمع جميع هذا المجلد وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز، تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل، عز الدين عبد الرازق بن رزق الله بن أبي الهيجاء الرسعني -رضي الله عنه- من لفظ شيخنا الشيخ الإمام العالم الحافظ الصدر تقي الدين، أبي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي[١] -رحمه الله تعالى- وذلك بحق روايته له عن الشيخ الإمام العالم، مجد الدين أبي أحمد، عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ[٢] إجازة، بروايته له، إجازة عن المؤلف -رحمه الله تعالى- الشيخ الصالح، نور الدين أبو عبد الله، محمد بن محمود بن حامد المقرئ[٣]، والشيخ زين الدين، علي بن حسين بن محمد المؤذن، والشيخ أبو بكر بن علي بن ناصر الجراعي، وكاتب الأسماء يوسف بن محمد بن مسعود العبّادي السُّرَّمرِّي[٤]، في آخرين بأفوات مختلفة، وصح ذلك وثبت في يوم الجمعة، سابع ربيع الأول من

---

(١) محمود بن علي بن محمود الدقوقي البغدادي، أبو الثناء، تقي الدين، محدث بغداد شيخ المستنصرية بها. توفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة (ذيل التقييد ٢/ ٢٧٥، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٦).

(٢) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش البغدادي المقرئ، خطيب بغداد وشيخها. توفي سنة ست وسبعين وستمائة (المقصد الأرشد ٢/ ١٢٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٣).

(٣) محمد بن محمود بن حامد الحنبلي المقرئ، البغدادي، ولي الحديث بمسجد يانس. توفي سنة ست وستين وسبعمائة (شذرات الذهب ٦/ ٢٠٧).

(٤) يوسف بن محمد بن مسعود العبادي العقيلي، جمال الدين أبو المظفر السرمري الحنبلي. كان عمدة ثقة ذا فنون. توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة (شذرات الذهب ٦/ ٢٤٩، وذيل تذكرة الحفاظ ص: ١٦٠).

سنة ثلاث وسبعمائة بمسجد يانس بالريحانين، شرقي بغداد، والحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم.

فهرس المحتويات

رموز الكنوز

في

تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الثاني

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :


مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع


مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى ت - ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس - ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت - ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسرْ وأعنْ، إنكَ وليّ ذلك.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ قرأ حفص: ﴿يحشرهم﴾ بالياء، حملاً على لفظ الغيبة في قوله: ﴿لهم دار السلام﴾ [الأنعام:١٢٧]. وقرأ الباقون بالنون، على الإخبار من الله تعالى عن نفسه(١).

والمعنى: اذكر يوم نحشر الثقلين الإنس والجنّ جميعاً في موقف القيامة.

و«جميعاً» حالٌ من المفعول(٢).

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ فيه إضمارٌ تقديره: فيُقال لهم: يا معشر الجنِّ.

والمعْشَرُ: الجماعة أمرهم واحد، والجمع: مَعَاشِر(٣).

والمراد بشياطين الجنّ: مَرَدَتُهم.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٥٢)، والحجة لابن زنجلة (٥٠٩)، والكشف (١/ ٤٥١-٤٥٢)، والنشر (٢/ ٢٦٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٧)، والسبعة في القراءات (١/ ٢٦٩).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ١٧٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عشر).

﴿قد استكثرتم من الإنس﴾ أي: من إغوائهم واستهوائهم، حتى صاروا لكم أشياعاً وأتباعاً.

﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ أي: وقال أولياء الجن الذين أطاعوهم من الإنس: ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾، أي: انتفع بعضنا ببعض، واستمتاع الإنس بالجن ما حصل لهم من الشهوات بواسطة تسويلهم وتسهيلهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما زيّنوه لهم من الكفر والمعاصي.

فإن قيل: أي غرض لهم ونفع في كفر الإنس ومعصيتهم؟

قلت: هم قوم طبعوا على الشّر، فهم يرتاحون إلى اجتذاب الإنس إليه وإن لم يكن لهم فيه نفع، كما قيل[1]:

من الناسِ من يرتاحُ للشرِّ طبعُه وإن لم يكن فيه غِنىً وغِنَاء
كما يشرف الياقُوت والدُّرّ عقعق وليسَ له في ذا وذاكَ غِذاء

وقيل: استمتاع الإنس ما في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن:٦]، وكان الرجل إذا نزل وادياً أو أراد مبيتاً قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله.

واستمتاعُ الجن: فخرُهم بذلك على قومهم حيث اعترف لهم الجن والإنس بالسيادة. وهذان القولان مرويان عن ابن عباس[2].

وقيل: استمتاع الجن: إغواؤهم الإنس، واستمتاع الإنس: ما يتلقونه منهم

---

(١) لم أعرف قائل البيتين.

(٢) زاد المسير (٣/ ١٢٣).

من السحر والكهانة[١].

﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ وهو أجل البعث بعد الموت، وهذا الاعتراف خارج مخرج الاعتذار والندم والاستسلام لما يُراد بهم يوم القيامة.

﴿قال النار مثواكم﴾ قال ابن عباس: يريد: فيها مقامكم[٢].

﴿خالدين فيها﴾ منصوب على الحال[٣].

﴿إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ وهو قدر ما بين بعثهم إلى دخولهم النار، كأنه قيل: داخلين فيها منذ يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم وحسابهم، وهذا اختيار الزجَّاج[٤].

وقال ابن عباس: استثنى الله قوماً قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ[٥].

و«ما» على هذا القول بمعنى: «مَن»، ويكون الاستثناء من المضاف إليه في قوله: ﴿مثواكم﴾.

وقيل: «إلا ما شاء الله» من أنواع العذاب، فقد روي أنهم يعذبون بالزمهرير، فينقادون ويطلبون الرد إلى الجحيم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾

---

(١) زاد المسير (٣/ ١٢٣).

(٢) الوسيط (٢/ ٣٢٣)، وزاد المسير (٣/ ١٢٤).

(٣) انظر: التبيان (١/ ٢٦١)، والدر المصون (٣/ ١٧٩).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٢).

(٥) الوسيط (٢/ ٣٢٣).

قوله تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، «نولي بعض الظالمين بعضاً»: نُسلِّط بعضهم على بعض حتى كان منهم ما كان.

قال مالك بن دينار: قرأتُ في بعض كتب الله المنزلة أن الله يقول: أفني أعدائي بأعدائي ثم أفنيهم بأوليائي(١).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده، عن مالك بن دينار، قال: قرأت في التوراة: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، ملك الملوك، قلوبهم بيدي، ونواصيهم بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم»(٢).

وقال قتادة: يجعل بعضهم أولياء بعض(٣).

وقال في رواية أخرى: يجعل بعضهم يتبع بعضاً(٤).

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ. كلهم بلفظ: قال مالك: قرأت في الزبور: «إني أنتقم من المنافق بالمنافق، ثم أنتقم من المنافقين جميعاً». وذكره ابن كثير بهذا اللفظ (٢/ ١٧٧).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. والحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٧٨، ٦/ ١٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦١٨) وعزاه لأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٥٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم﴾ وقرأ الحسن: "تأتكم" بالتاء(١).

﴿رسل منكم﴾ تعلق الضحاك بظاهر الآية فقال: إن الله يبعث إلى الجن رسلاً منهم كما بعث إلى الإنس، وإليه ذهب مقاتل(٢) وأبو سليمان(٣). وهو الذي تقتضيه الحكمة الإلهية، لأن الجنس بالجنس آنس، وإليه أميل.

وقال مجاهد: الرّسل من الإنس، والنُّذُر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا وينذرونهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾(٤) [الأحقاف:٢٩].

وقال آخرون -منهم ابن جريج والزجّاج(٥)-: الرسل من الإنس خاصة، وإنما قال: «رسل منكم» لأنه لما جمع الإنس والجن في الخطاب صحّ ذلك، وإن كان من أحدهما؛ كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]، وإنما يخرج من

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٢٥).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٠) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٩).

وانظر: الطبري (٨/ ٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٢).

المِلْح وحده(١).

ولا خلاف بين أهل العلم أن محمداً ﷺ بُعث إلى الإنس والجن.

أخرج الإمام أحمد في المسند، عن الأعمش، عن مجاهد في قوله ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ. قَالَ: الأَحْمَرَ: الإِنْسُ، وَالأَسْوَدَ: الْجِنُّ»(٢).

وقال ابن عباس: كانت الرسل تُبعثُ إلى الإنس خاصة، ورسول الله ﷺ بُعث إلى الإنس والجن(٣).

قوله تعالى: ﴿يقصون عليكم آياتي﴾ أي: يقرؤون عليكم كتبي، ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أي: يُخوّفونكم بيوم القيامة، ﴿قالوا شهدنا﴾ أي: أقررنا ﴿على أنفسنا﴾ أو شهد بعضنا على بعض بإنذار الرسل.

ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

قال مقاتل(٤): حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر.

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى بعثة الرسل وإنذارهم سوء العاقبة، وهو خبر

---

(١) انظر: الطبري (٨/ ٣٦)، والماوردي (١/ ١٧٠)، وزاد المسير (٣/ ١٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٥ ح٢١٣٣٧).

(٣) زاد المسير (٣/ ١٢٥).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٣٧١).

مبتدأ محذوف[١]، أي: الأمر ذلك.

﴿أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ تعليل، أي: الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم.

فعلى هذا ﴿أن﴾ هي التي تنصب الأفعال. ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، على معنى: لأنَّ الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم. ولك أن تجعله بدلاً من «ذلك»؛ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ﴾[٢] [الحجر:٦٦].

وقوله: ﴿بظلم﴾ قال ابن عباس: بشرك[٣].

وقيل: بذنوبهم ومعاصيهم.

فعلى هذا: المعنى: بسبب ظلم.

ويجوز أن يكون حالاً، على معنى: لم يكن ربك مهلك القرى ظالماً لهم حتى يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

فإن قيل: قد ثبت بالبرهان القطعي أن الظلم مستحيلٌ على الله، وأنه لو أهلكهم قبل إنذارهم لم يكن ظالماً لهم، فكيف يصح هذا المعنى؟

قلتُ: لما كانت العقوبة قبل الإنذار ظلماً في عرف الناس بعضهم مع بعض وفيما يتوهمه الجاهلون مما يجوز على الله وما لا يجوز، خاطبهم بما يتعارفون وعلى ما يعتقده الجاهلون منهم ومن غيرهم.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ٢٦١)، والدر المصون (٣/ ١٨٢).

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٣).

(٣) الطبري (٨/ ٣٧) بلا نسبة، وزاد المسير (٣/ ١٢٦).

والواو في قوله: ﴿وأهلها غافلون﴾ واو الحال.

قوله تعالى: ﴿ولكل درجات﴾ أي: ولكل عامل بطاعة أو معصيته، ﴿درجات﴾ منازل ومراتب متفاوتة في الارتفاع والانحطاط، ﴿مما عملوا﴾ أي: من أجل ما عملوا.

﴿وما ربك بغافل عمّا يعملون﴾ قرأ ابن عامر: "تعملون" بالتاء، حملاً على ما بعده من المخاطبة. وقرأ الباقون: بالياء، حملاً على ما قبله ومن المغايبة(١).

والمعنى: وما ربك بغافل عما يعملون من الحسنات والسيئات، بل علم أجزاءها وأعدّ جزاءها.

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

﴿وربك الغني ذو الرحمة﴾ أي: الغني عن خلقه ذو الرحمة لهم، ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيها العتاة الكفرة، والعصاة الفجرة، ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ أي: يخلق خلقاً آخر خلفاً منكم، يكونون له أطوع وإلى مرضاته أسرع.

﴿كما أنشأكم﴾ أي: ابتدأ خلقكم من ذرية قوم آخرين.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٢)، والكشف (١/ ٤٥٢)، والنشر (٢/ ٢٦٢-٢٦٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٦٩).

قال الزجَّاج[(١)]: موضع الكاف نصب، المعنى: ويستخلف من بعدكم مثل ما أنشأكم. يقال: أنشأ الله الخلق؛ إذا خلقه وابتدأه، وكل من ابتدأ شيئاً فقد أنشأه. ومن ذلك قولنا: فأنشأ الشاعر يقول، أي: ابتدأ من نفسه.

والنَّشَأُ: الصِّغارُ من الأولاد. قال نُصيب:

وَلَوْلا أَنْ يُقَالَ صَبَا نُصَيْبٌ لَقُلْتُ بِنَفْسِيَ النَّشَأُ الصِّغَارُ[(٢)]

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ أي: إنما توعدون من مجيء الساعة والجزاء على الأعمال لآت.

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ قال أبو عبيدة[(٣)]: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني.

فالمعنى: وما أنتم بفائتين الله إذا طلبكم.

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ وقرأ [أبو بكر][(٤)] عن عاصم: «مكاناتكم» بالجمع حيث وقع[(٥)].

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٣).

(٢) البيت لنصيب بن رباح. من فحول الشعراء الإسلاميين. كان أسود اللون، عبداً لرجل من كنانة من آل ودان، ذو فصاحة، لم يشبب بغير امرأته، وكان عفيفاً كبير النفس. مدح عبد العزيز بن مروان فأعطاه ألف دينار فكَّ بها نفسه، واتصل بعده بسليمان بن عبد الملك. انظر البيت في: اللسان، مادة: (نشأ).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٤) في الأصل: أبو عمر. والصواب ما أثبتناه (انظر: الحجة للفارسي ٢/ ٢١٢، والإتحاف ص:٢١٧).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٢)، والكشف (١/ ٤٥٢)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٦٩).

قال الزجاج[١]: المعنى: اعملوا على تمكنكم.

ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرتَـه أن يَثْبُتَ على حال: على مكانتكَ يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يـأمرهم بالثبـات عـلى مـا هـم عليـه والله لا يـأمر بالفحشاء؟

قلتُ: هذا تهديد لهم؛ كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]. ألا تراه يقول: ﴿فسوف تعلمون﴾.

وقوله: ﴿إني عامل﴾ وقف حسن. المعنى: إني عامل على مكانتي، ثابتٌ على ما أنا عليه من دين الإسلام. وقوله: ﴿فسوف تعلمون﴾ لم يعده أحد رأس آية وليس بوقف؛ لأن قوله: ﴿من تكون له عاقبة الدار﴾ معمول «تعلمون».

قال مكي[٢]: إن جعلت "مَنْ" استفهاماً كانت في موضع رفع بالابتداء، ومـا بعده الخبر، والجملة في موضع نصب بـ«تعلمون». وإن جعلتها بمعنـى «الـذي» كانت في موضع نصب بـ«تعلمون».

قرأ حمزة والكسائي: ﴿من يكونُ﴾ بالياء، هنا وفي القصص[٣]. وقرأ البـاقون بالتاء فيهما؛ لتأنيث العاقبة[٤].

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٣).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٢٩١).

(٣) عند الآية رقم: ٣٧.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٢)، والكشف (١/ ٤٥٣)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٧)، والسبعة في القراءات (١/ ٢٧٠).

و«عاقبة الدار»: الجنَّة. و«الظالمون»: المشركون.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ قال ابن عباس: كان المشركون يجعلون لله من حرثهم وأنعامهم وثمارهم نصيباً، وللأوثان نصيباً، فما كان للأوثان أنفق على السدنة والقائمين بحفظها، وما كان لله أطعم الضيفان والمساكين ولا يأكلون من ذلك شيئاً، فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وما سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله ردوه إلى نصيب الأوثان وقالوا: إنها لفقيرة، فذلك قوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث﴾[1]. أي: خلق من الزرع والأنعام "نصيباً".

وفي الآية إضمار.

قال الزجاج[2]: المعنى: وجعلوا لله نصيباً وجعلوا لشركائهم نصيباً، يدل عليه قوله: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾. فدل بالإشارة إلى النصيبين.

﴿فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ قرأ الكسائي: ﴿بزُعْمِهِمْ﴾ بضم الزاي، وهي لغة

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٩٠-١٣٩١)، والبيهقي في سننه (١٠/ ١٠). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢١٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٢) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر: زاد المسير (٣/ ١٢٨).

بني أسد، وفتحها الباقون[(١)]، وبعض قيس يكسرون الزاي[(٢)].

والمعنى: قالوا هذا لله بزعمهم الكاذب واعتقادهم الباطل.

قال شريح القاضي[(٣)]: لكل شيء كنية، وكنية الكذب: زعموا[(٤)].

﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ قال الحسن: كانوا إذا هلك الذي لأوثانهم أخذوا بدلَهُ مما لله، ولا يفعلون ذلك في ما لله[(٥)].

وقيل: كانوا إذا حصدوا ما جعلوه لله فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم تركوه، وقالوا: هي إليه محتاجة، فإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم فوقع منه شيء فيما جعلوه لله أعادوه إلى موضعه. وهكذا كانوا يفعلون في البُدن إذا وقع من أحد النصيبين في الآخر. وفي السقي إذا انفجر ماء أحد النصيبين إلى الآخر.

﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: قبح الحكم حكمهم؛ حيث آثروا الأصنام على الله تعالى الذي ذرأ الحرث والأنعام.

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٣)، والكشف (١/ ٤٥٣)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٧)، والسبعة في القراءات (١/ ٢٧٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ١٢٨).

(٣) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم سنان، قاضي الكوفة، ويقال: شريح بن شراحيل، أو ابن شرحبيل، أبو أمية، ممن أسلم في حياة النبي ﷺ، وانتقل من اليمن زمن الصدّيق. مات سنة ثمان وسبعين، وقيل: سنة ثمانين (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠).

(٤) القرطبي (٧/ ٩٠، ١٨/ ١٣٥).

(٥) الماوردي (١/ ١٧٤)، والوسيط (٢/ ٣٢٦)، وزاد المسير (٣/ ١٢٩).

شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح.

﴿زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ قال الحسن ومجاهد: «شركاؤهم»: شياطينهم[١].

وقال قتادة: شركاؤهم في الشرك[٢].

وقال الزجاج[٣]: سدنة الأصنام، زيّنوا لهم قتل أولادهم بوأد البنات خشية الفقر والنحر للآلهة.

قال ابن السائب: كان أحدهم يحلف إن وُلِد له كذا وكذا غلاماً لينحرنّ أحدهم، كما حلف عبد المطلب[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٩٣)، ومجاهد (ص: ٢٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) الماوردي (١/ ١٧٤)، وزاد المسير (٣/ ١٣٠).

قال ابن الجوزي: وللمفسرين في المراد بـ"شركائهم" أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الشياطين، قاله الحسن ومجاهد والسدي.

والثاني: شركاؤهم في الشرك، قاله قتادة.

والثالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء والزجاج.

والرابع: أنهم الغواة من الناس، ذكره الماوردي.

وإنما أضيف الشركاء إليهم لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه.

(٣) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وقد عزا ابن الجوزي النص إليه في: زاد المسير (٣/ ١٣٠).

(٤) الماوردي (١/ ١٧٤-١٧٥)، وزاد المسير (٣/ ١٣٠).

وقد اختلف القرّاء في هذا الحرف، فقرأ الأكثرون «زَيَّنَ» بفتح الزاي على البناء للفاعل، الذي هو «شركاؤهم»، على معنى: زين لهم الشركاء قتل الأولاد، وهذا وجه ظاهر.

وقرأ ابن عامر: ﴿زُيِّنَ﴾ بضم الزاي، على البناء للمفعول الذي هو القتل، ﴿أَوْلادَهُمْ﴾ بالنصب، أعملوا فيه القتل، ﴿شركائهم﴾ بالجر، على إضافة القتل إليهم[(١)]، التقدير: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، فأضاف القتل إلى الشركاء وإن لم يباشروه؛ لأنهم زينوه لآبائهم ودعوهم إليه.

وقد ضعفوا هذه القراءة للفصل بين المضاف والمضاف إليه.

قال أبو علي الفارسي[(٢)]: وهذا قبيح قليل الاستعمال، ولكنه جاء في الشعر، كما أنشده أبو الحسن الأخفش[(٣)]:

فَزَجَجْتُها مُتَمَكِّناً زَجَّ القَلُوصَ أَبي مَزَادَهْ[(٤)]

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٣)، والكشف (١/ ٤٥٣)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٠).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٤، ٢١٥).

(٣) الأخفش، إمام النحو، أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، مولى بني مجاشع، كان قدرياً، أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه بل أكبر، وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعاني القرآن، مات الأخفش سنة نيف عشرة ومئتين وقيل سنة عشر. (السير ١٠/ ٢٠٦).

(٤) انظر البيت في: الكتاب (١/ ١٧٦)، وتخليص الشواهد (ص:٨٢)، والخزانة (٤/ ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣)، ومعاني الفراء (١/ ٣٥٨)، والخصائص (٢/ ٤٠٦)، والأشموني (٢/ ٣٢٧)، وشرح المفصل (٣/ ١٨٩)، ومجالس ثعلب (ص:١٥٢)، والحجة للفارسي (٢/ ٢١٥)، والدر المصون (٣/ ١٨٧)، والطبري (٨/ ٤٤)، والقرطبي (٨/ ٣٣).

=

أي: زجَّ أبي مزاده القلوص.

وقال الزمخشري(١): الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف شيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، كان سمجاً مردوداً، فكيف في الكلام المنثور؟ فكيف [به](٢) في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته.

والذي حمله على ذلك: أن رأى [في](٣) بعض المصاحف «شركائهم» مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجرّ «الأولاد» و«الشركاء»، لأن الأولاد شركاؤهم [في أموالهم](٤) لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب.

قلتُ: وقد روي عن(٥) ابن عامر أنه قرأ بجرّ «الأولاد» على الإضافة، وجرّ «الشركاء» على البدل من «الأولاد»، لأنهم يشاركون آباءهم في النسب والميراث والدين.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن البصري: «زُيّن» بضم الزاي، «قتلُ» بالرفع، كابن عامر، «أولادِهم» بالجرّ للإضافة، «شركاؤهم» بالرفع(٦).

قال سيبويه: كأنه قيل: من زيّنه؟ قال: شركاؤهم.

= والزج: الطعن، والقلوص: الناقة الشابة، وهو مفعول فاصل بين المضاف والمضاف إليه شذوذاً. يقول: فطعنت الناقة أو الجماعة برمح قصير، كطعن أبي مزادة القلوص في السير.

(١) الكشاف (٢/ ٦٦).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) قوله: «عن» مكرر في الأصل.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٣٠)، والدر المصون (٣/ ١٨٧).

قوله تعالى: ﴿ليردوهم﴾ أي: ليهلكوهم بالإغواء. واللام في "ليردوهم" و"ليلبسوا" -على قول الحسن ومجاهد أنَّ التزيين من الشياطين-: للتعليل والعرض، وعلى قول من قال: أنَّ التزيين من السدنة أو الشركاء في الشرك، فهي لام الضرورة.

﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ أي: ليخلطوه.

قال ابن عباس: ليُدخلوا عليهم الشك، وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزيين الشياطين(١).

﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ أي: ما فعل المشركون ما زيّن لهم من قتل الأولاد، أو ما فعل الشركاء أو الشياطين أو السدنة التزيين ولا الإرداء ولا اللبس.

ثم هددهم فقال: ﴿فذرهم وما يفترون﴾، أي: فدعهم وما يختلقون من الإفك وما يتقوّلون من الباطل، فأنا الذي أجازيهم على افترائهم.

قال ابن عباس: كانوا إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك(٢).

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ

(١) الوسيط (٢/ ٣٢٨)، وزاد المسير (٣/ ١٣١).

(٢) زاد المسير (٣/ ١٣١).

سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ والحِجْرُ: الحرام، وأصله من الحَجْر، وهو المنع، ومنه: فلان في حَجْر القاضي، أي: في منعه الصادّ له عن التصرف في ماله[1].

والحِجْر: العقل؛ لأنه يمنع من التورط في المهالك.

وضم الحاء لغة قرأ بها الحسن البصري وقتادة[2].

وقرأ ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وابن عباس في آخرين: «حِرْجٌ» بتقديم الراء على الجيم[3]، مثل: جَذَبَ وجَبَذَ.

"وحِجْر" فِعْل بمعنى مفعول؛ كالذِّبْح والطِّحْن، ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والواحد والجمع.

وأشاروا بقولهم: ﴿هذه حجر﴾ إلى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي. وقيل: إلى الذبائح التي كانوا يذبحونها لآلهتهم وإلى ما كانوا يجعلونه لها من زروعهم.

﴿لا يطعمها إلا من نشاء﴾ قال ابن السائب: هم الرجال دون النساء[4].

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (حجر).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٣١)، والدر المصون (٣/ ١٩٥).

(٤) الماوردي (٢/ ١٧٥)، وزاد المسير (٣/ ١٣١).

وقال ابن زيد: بالعكس من ذلك(١).

وقيل: سدنَةُ الأوثان.

وفي قوله: ﴿بزعمهم﴾ إشعار بأنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم.

﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ وهي البحائر والسوائب والحوامي حين تـذبح، ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ وإنما يذكرون عليها اسم الصنم.

وقيل: هي التي لا يحجّون عليها ولا يُلبّون على ظهورها.

والمعنى: أنهم قسموا أنعامهم فقالوا: هذه أنعام حِجْـرٌ، وهـذه أنعـام محرمـة الظهور، وهذه أنعام لا يذكرون اسم الله عليها، فنوّعوها على هذا التنويع، ونسبوا ذلك إليه افتراءً واجتراءً عليه.

و﴿افتراء﴾ نصب على [غير](٢) المصدر.

وقيل: على الحال، أو هو مفعول لأجله(٣).

﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ أي: يجزيهم بكـذبهم في قـولهم: "إن الله أمرنـا بذلك".

قوله تعالى: ﴿وقالوا ما في بطـون هـذه الأنعـام﴾ أي: مـا في بطـون البحـائر والسوائب والوصـائل مـن الأجنَّـة والألبـان، ﴿خالـصة لـذكورنا ومحـرم عـلى أزواجنا﴾ أي: ما انفصل عنها حياً خالص للذكور دون الإناث، وما ولد منها ميتاً اشترك في أكله الذكور والإناث.

---

(١) زاد المسير (٣/ ١٣٢).

(٢) زيادة على الأصل. وانظر: الدر المصون (٢/ ١٩٦).

(٣) وهو مذهب سيبويه. انظر: الكتاب (١/ ٣٦٧). وانظر: الدر المصون (٢/ ١٩٦).

وتأنيث «خالصةٌ» للمبالغة في الخلوص؛ كرَاوِيَة، وعلاَّمَة، ونسَّابَة، أو لأن ما في بطون الأنعام أنعام، فحمل التأنيث في «خالصة» على معنى «ما» والتذكير في «مُحَرَّمٌ» على لفظها.

وقال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون مصدراً وقع موقع الخالص؛ كالعاقبة. أي: ذو خالصة.

ويدل عليه قراءة من قرأ: «خالصةً» بالنصب، على أن قوله: «لذكورنا» هو الخبر، و«خالصة» مصدر مؤكد، ولا يجوز أن يكون حالاً متقدمة، لأن المجرور لا يتقدم عليه حالُه.

وقرأ ابن مسعود وأبو العالية[2] والأعمش: «خَالِصٌ» بالرفع من غير هاء[3].

وقرأ ابن عباس وأبو رزين[4]: «خَالِصه» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكر[5].

قال الزجاج[6]: هو عندي -والله أعلم- ما خَلصَ حَيّاً.

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٨).

(٢) رُفَيع -بالتصغير- ابن مهران، أبو العالية الرِّياحي -بكسر الراء والتحتانية-، مشهور بكنيته، توفي سنة تسعين (التقريب ص:٢١٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٣/ ١٩٧).

(٤) مسعود بن مالك، أبو رزين الأسدي الكوفي، ثقة فاضل، مات سنة خمس وثمانين (التقريب ص:٥٢٨).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٨).

وانظر: زاد المسير (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٣/ ١٩٧).

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٥).

وقرأ قتادة: «خالصةً» بالنصب[١]، كما تقدم.

﴿وإن يَكُنْ مَيْتَةً﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «تكُنْ» بالتاء؛ لتأنيث لفظ الميتة، وقرأ الباقون بالياء، حملاً على لفظ «ما».

وقرأ ابن كثير[٢] وابن عامر: "ميتةٌ" بالرفع، جعلا "كان" تامة لا تحتاج إلى خبر. وقرأ الباقون بالنصب، جعلوها ناقصة، وأضمروا فيها الاسم[٣].

﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم.

﴿إنه حكيم عليم﴾ فكيف يشرع هذه الأحكام التي لا ينقاد لها عقل سليم، ولا فهم مستقيم.

وقيل: إنه حكيم في مجازاتهم، عليم بمقادير جزائهم.

قوله تعالى: ﴿قد خسر الذين قَتَلُوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾ وقرأ ابن عامر وابن كثير: "قتّلوا" بالتشديد[٤].

قال قتادة: كان أحدهم يقتل بنته مخافة السبي عليها والفاقة، ويغذو كلبه[٥].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٣/ ١٩٧).

(٢) عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد، القارئ. مات سنة عشرين ومائة (التقريب ص:٣١٨).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٦-٢١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٤)، والكشف (١/ ٤٥٤)، والنشر (٢/ ٢٦٥-٢٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٠-٢٧١).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٥)، والكشف (١/ ٤٥٥)، والنشر (٢/ ٢٤٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧١).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٥١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٦) =

قال ابن عباس: نزلت في ربيعة ومضر والذين كانوا يئدون بناتهم أحياءً في الجاهلية[١].

قال الزجاج[٢]: «سفهاً» منصوب على معنى اللام، أي: للسفه، مثل: فعلت ذلك حذرَ الشر.

ويجوز أن يكون منصوباً على تأويل المصدر؛ لأن قتلهم أولادهم قد سفهوا فيه، فكأنه قال: قد سفهوا سفهاً.

وقرأ ابن السميفع[٣] والجحدري[٤]: «سُفَهَاءَ»، جمع سفيه[٥]. ونصبه على الحال[٦].

﴿وحرموا ما رزقهم الله﴾ من الحرث والأنعام.

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: «إِذا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ، فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلاثِينَ وَالْمِائَة مِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا =

وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٥١) عن عكرمة. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٦) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ عن عكرمة.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٥).

(٣) محمد بن السميفع اليماني، أحد القراء، له قراءة شاذة منقطعة السند، قاله أبو عمرو الداني وغيره، مات سنة تسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك (ميزان الاعتدال ٦/ ١٧٩، ولسان الميزان ٥/ ١٩٣).

(٤) أبو مجشر، عاصم الجحدري، صاحب القراءة، بصري، عن يحيى بن معين أنه قال: عاصم الجحدري، ثقة. (الجرح والتعديل ٦/ ٣٤٩، والمقتنى ٢/ ٦٤).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٣٤)، والدر المصون (٣/ ١٩٩).

(٦) انظر: الدر المصون (٢/ ١٩٩).

أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾»[١].

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ أي: أبدع وأظهر «جنات معروشات» أي: ممسوكات، «وغير معروشات» أي: ومتروكات على وجه الأرض.

وقال ابن عباس: «المعروشات»: ما انبسط على وجه الأرض وانتشر مما يعرش؛ كالكرم والقرع والبطيخ. «وغير معروشات»: ما قام على ساق وبسق؛ كالنخل وسائر الأشجار والزرع[٢].

وقال الضحاك: الكرم منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش[٣].

وقيل: «المعروشات»: ما أنبته الناس في الأرياف والعمران، «وغير

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٩٧ ح٣٣٣٤).

(٢) زاد المسير (٣/ ١٣٤).

وقال ابن عباس في تفسيره (ص:٢١٦) عند ذكر هذه الآية: المعروشات: ما عرش الناس، وغير معروشات: ما خرج في البر والجبال من الثمرات.

(٣) زاد المسير (٣/ ١٣٥).

معروشات»: مما نبت بنفسه في البراري، كأن الذي أنبته الناس اهتمّوا به فعرّشوه، والذي نبت بنفسه في البراري غير معروش[1]. تقول: عرشت الكَرْم؛ إذا جعلت له دعائم[2].

قرأ علي عليه السلام: «مغروسات وغير مغروسات»، بالغين المعجمة والسين المهملة فيهما[3].

﴿والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾ يعني: ثمر النخل وحب الزرع، لكلِّ شيء منه طعم يُخالفُ طعم الآخر.

و﴿مختلفاً﴾ حال مقدرة[4]؛ لأنها لم يكن لها وقت الإنشاء أُكُلٌ فيوصف بالاختلاف. ومثله قوله تعالى: ﴿فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣].

قال الزجاج[5]: هذه مسألة شديدة في النحو إلا على من عرف حقيقتها، لأن للقائل أن يقول: كيف أنشأه في حال اختلاف أُكله وهو قد نشأ من قبل وقوع أَكْلِه؟ وأُكُلُهُ ثمره.

فالجواب في ذلك: أنه عز وجل قد ذكر[6] إنشاءَهُ بقوله: ﴿هو خالق كل شيء﴾ [الأنعام:١٠٢].

---

(١) وهو قول ابن عباس. أخرجه الطبري (٨/ ٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٣٦٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وانظر: الماوردي (٢/ ١٧٨).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (عرش).

(٣) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٧/ ٩٨).

(٤) انظر: التبيان (١/ ٢٦٣)، والدر المصون (٢/ ١٩٩).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٦).

(٦) في معاني الزجاج: قدَّر.

فأعلم جل وعز أنه المنشئ له في حال اختلاف أُكُلِهِ، ويجوز أن يكـون أنـشأَهُ ولا أكل فيه مختلفاً أُكُلُه، لأن المعنى: مُقَدَّراً ذلك فيه، كما تقول: لَتَدْخُلُنَّ منزل زيد آكلين شاربين. فالمعنى: أنكم تدخلون مُقَدِّرِينَ ذلك. وسيبويه هو دلّ عـلى هـذا وبيّنه في قوله[1]: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ معه صَقْرٌ صائداً به غـداً، فنـصب "صـائداً" عـلى الحال. والمعنى: مُقَدِّراً به الصيد.

قوله تعالى: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ أمرُ إباحة.

﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وأبو عمرو: «حَصَادِهِ» بفتح الحاء -وهي لغة بني تميم وأهل نجد-، وكسرها البـاقون[2] -وهـي لغـة أهـل الحجاز-.

قال سيبويه[3]: وهو الأصل.

وفي المراد بهذا الحق قولان:

أحدهما: أنَّه الزكاة. قاله ابن عباس، وأنس بن مالك، وسعيد بـن المـسيب، والحسن البصري، ومحمد ابن الحنفية، وقتادة[4].

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٤٩).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٥١)، والكشف (١/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧١).

(٣) الكتاب (٤/ ١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٥٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٨)، وابـن أبي شـيبة (٢/ ٤٠٧ ح١٠٤٧٥)، والبيهقـي في سـننه (٤/ ١٣٢)، وابـن عـدي في الكامـل (٧/ ٢٧٨)، والنحـاس في ناسـخه (ص:٤٢١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٧٠) وعزاه لابن أبي حاتم والنحاس وابـن عـدي والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن المنذر وابن أبي

فعلى هذا القول: الآية مدنية، وهي محكمة(١).

والثاني: أنَّه حقٌّ غير الزكاة.

قال مجاهد: إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه، وإذا دسته وذَرَيْتَه فاطرح لهم منه، وإذا أكدسته فاطرح لهم منه، فإذا عرفت كيله فاعزل زكاته(٢).

وقال الربيع: هو لقاط السنبل(٣).

وقال [يزيد](٤) بن الأصم: كان أهل المدينة إذا صرموا يجيئون بالعذق

= حاتم. ومن طريق آخر عن طاوس، وعزاه لابن أبي شيبة وأبي داود في ناسخه والبيهقي.

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٤١٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٣١-٣٣٥).

قال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٦٩): وقد اختلف أهل العلم هل هذه الآية محكمة أو منسوخة، أو محمولة على الندب؟ فذهب ابن عمر وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير إلى أن الآية محكمة، وأنه يجب على المالك يوم الحصاد أن يعطي من حضر من المساكين القبضة والضغث ونحوهما، وذهب ابن عباس ومحمد ابن الحنفية والحسن والنخعي وطاوس وأبو الشعثاء وقتادة والضحاك وابن جريج أن هذه الآية منسوخة بالزكاة، واختاره ابن جرير، ويؤيده أن هذه الآية مكية، وآية الزكاة مدنية في السنة الثانية بعد الهجرة، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف. وقالت طائفة من العلماء: إن الآية محمولة على الندب لا على الوجوب. اهـ.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٨)، وسعيد بن منصور (٥/ ٩٥)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٠٧ ح١٠٤٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٨) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٧) وعزاه لابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قال: ما سقط من السنبل.

(٤) في الأصل: زيد. والصواب ما أثبتناه. وانظر: ترجمته في: تقريب التهذيب (ص:٥٩٩).

فيعلقونه في جانب المسجد، فيجيء المسكين فيضرب به بعصاه فيسقط منه فيأخذه[١].

فعلى هذا؛ قوله: ﴿وآتوا حقه﴾ أمر استحباب.

وقال سعيد بن جبير وعطية: كان هذا قبل الزكاة، فلما فرضت الزكاة نُسخ هذا[٢].

قال سفيان: سألت السدي عن هذه الآية فقال: نسخها العشر ونصف العشر. قلتُ: عن من؟ قال: عن العلماء[٣].

قال ابن عباس: نَسخت الزكاة كلّ نفقة في القرآن[٤].

فعلى هذا يكون قوله: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ أمر إيجاب، ويكون منسوخاً كما ذكروا[٥]. هذا حاصل ما ذكره المتقدمون من العلماء.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٥٧) عن يزيد بن الأصم، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٣٧ ح١٠٧٨٧) عن البراء. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ عن ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٥٨)، والنحاس في ناسخه (ص:٤١٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٨) وعزاه للنحاس وأبي الشيخ عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٠٨ ح١٠٤٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن المنذر.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٠٨ ح١٠٤٨٤)، والنحاس في ناسخه (١/ ٤٢٠) كلاهما عن الضحاك، وابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٨) عن عكرمة. وانظر: الماوردي (٢/ ١٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٨) وعزاه لأبي عبيد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن الضحاك. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٤١٩) وما بعدها، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٣١-٣٣٥).

وذهب أكثر متأخري العلماء إلى أن المراد بالحقِّ: الزكاة.

قال القاضي أبو يعلى ابن الفراء: فائدةُ ذكر الحصاد: أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، وإنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه، وقد كان يجوز أن يُتوهم أن الحق يَلْزَمُ بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد دون ما يتلف(١).

وقال أيضاً: «اليوم» ظرفٌ للحقّ لا للإيتاء، فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية(٢).

وقال الواحدي(٣): هذا في النخيل؛ لأن ثمارها إذا حصدت وجب إخراج ما يجب(٤) فيها من الصدقة، والزرع محمول عليه في وجوب الإخراج، إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخر إلى زمان التنقية.

وقال صاحب الكشاف(٥): معناه: اعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد، حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء.

وهذه الفوائد في نهاية ما يكون من الحسن.

ويجوز عندي -والله أعلم- أن يقال: العرب توقع اليوم على الزمان،

---

(١) انظر قول أبي يعلى في: زاد المسير (٣/ ١٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) الوسيط (٢/ ٣٣٠).

(٤) قوله: «يجب» مكرر في الأصل.

(٥) الكشاف (٢/ ٦٩).

فيقولون: كان ذلك يوم بُعاث[1]، ويوم صفين[2]، وقد قررنا ذلك فيما مضى.

والمعنى: فآتوا حقه زمان حصاده، وزمان الحصاد مظنة استقرار الوجوب، فلذلك أمر بالإيتاء فيه.

قوله تعالى: ﴿ولا تسرفوا﴾ أي: لا تتجاوزوا الحدّ في الإعطاء، كما فعل ثابت بن قيس بن شمّاس[3].

قال ابن عباس: [صرم][4] ثابت خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئاً، فكره الله له ذلك فنزلت: ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[5].

وقال الزهري في قوله: «ولا تسرفوا»: لا تنفقوا في المعصية[6].

قال مجاهد: لو كان أبو قبيس[7] ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً،

---

(١) يوم بُعاث: كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وهو يوم من مشاهير أيام العرب (انظر: اللسان، مادة: بعث). وكان الظهور فيه للأوس.

(٢) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما (معجم البلدان ٣/ ٤١٤)

(٣) ثابت بن قيس بن شماس -بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة-، أنصاري خزرجي، خطيب الأنصار، من كبار الصحابة، بشره النبي ﷺ بالجنة، واستشهد باليمامة بمنام رآه خالد بن الوليد رضي الله عنهما (التقريب ص:١٣٣).

(٤) في الأصل: صم. والتصويب من المصادر التالية.

(٥) ذكره القرطبي (٧/ ١١٠)، والبغوي (٢/ ١٣٦).

(٦) زاد المسير (٣/ ١٣٦).

(٧) أبو قبيس: اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان، ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها، قيل: سمي باسم رجل من مذحج؛ لأنه أول من بنى فيه قبة (معجم البلدان =

ولو أنفق درهماً واحداً أو مداً في معصية الله كان مسرفاً[١].

وقيل لحاتم الطائي: لا خير في السرف، فقال: لا سرف في الخير[٢].

وقال سعيد بن المسيب: لا تمنعوا الصدقة الواجبة[٣].

قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ هذا عطف على قوله: ﴿أنشأ جنات معروشات﴾[٤]، وأنشأ من الأنعام حمولة، وهي التي تحمل الأثقال.

قال عنترة:

مَا رَاعَنِي إِلاَّ حَمُولَةُ أَهْلِها ... وَسْطَ الرِّكَابِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ[٥]

قال ابن مسعود: هي ما حَمَل من الإبل[٦].

= ١/ ٨٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره القرطبي (٧/ ١١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٦١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: التبيان (١/ ٢٦٣)، والدر المصون (٢/ ٢٠٠).

(٥) البيت لعنترة. انظر: ديوانه (ص:١٧)، واللسان، مادة: (خمم)، وشرح القصائد (ص:٣٢٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ١٧)، والدر المصون (٢/ ٢٠١)، والطبري (١٢/ ٧٨)، والقرطبي (٧/ ١١٢)، وروح المعاني (١٢/ ١٠٢).

والخِمْخِم: -بكسر الخائين المعجمتين- نبات تُعْلَفُ حَبَّه الإبل. ويقال: هو بالحاء: «الحمحم» (اللسان، مادة: خمم).

(٦) أخرجه الطبري (٨/ ٦٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٠٠)، ومجاهد (ص:٢٢٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٨)، والحاكم (٢/ ٣٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٧٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني والحاكم وصححه.

وقال قتادة: الحَمُولَة: ما حمل من الإبل والبقر. والفرش: الغنم والفصلان والعجاجيل، سميت فرشاً؛ لأنها تفرش للذبح، أو لما ينسج من أصوافها وأوبارها وأشعارها من الفرش[1].

﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ في التحريم والتحليل.

وقد سبق تفسير ما لم نذكره هاهنا.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج﴾ بدلاً من «حمولةً وفرشاً»، أي: وأنشأ ثمانية أزواج، أو بدل مما بعد «كلوا» فإنه في موضع نصب، والأول أوجه[2].

والزوج: كل فرد معه آخر من جنسه[3].

ثم فسّر الأزواج فقال: ﴿من الضأن اثنين﴾ أي: زوجين اثنين؛ يريد: الذكر

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٠٠-١٤٠١).

(٢) التبيان (١/ ٢٦٣)، والدر المصون (٢/ ٢٠١).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (زوج).

والأنثى. والضأن: ذوات الصوف من الغنم(١). والمَعْز: ذوات الشعر منها(٢).

قال الزجاج(٣): والضَّأْنُ: جمع ضَائِن [وضأْن](٤)، مثل: تَاجِر وتَجْر.

قرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير: «المعَز» بفتح العين، وسكّنها الباقون(٥). وهو جمع ماعز؛ كحَارِس وحَرَس، وتَاجِر وتَجَر أيضاً.

﴿قل آلذكرين﴾ من الضأن والمعز، ﴿حرّم أم الأنثيين﴾ المعنى: فإن كان حرّم الذكرين فكلّ الذكور حرام، وإن كان حرّم الأنثيين فكلّ الإناث حرام، وإن كان حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الأجنة، فهي إما ذكور وإما إناث.

أو يقال: إن كان حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فقد حرّم الأولاد، وكلها أولاد، فيكون التحريم شاملاً للكل.

قال الزجاج(٦): وكذلك الاحتجاج في قوله: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾.

قل لهم يا محمد على وجه التبكيت لهم عند ظهور الحُجّة عليهم، ووضوح كون ما اختلقوه فرية بلا مرية: ﴿نبئوني بعلم﴾ أي: خبروني بعلم من جهة الله تعالى

---

(١) انظر: المعجم الوسيط (ص:٥٣٢).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (معز).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٩).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٢١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٥)، والكشف (١/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧١).

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٩).

يدلُّ على تحريم مَا حرمتم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في إضافة التحريم إليه.

ومضمون هذه الآية والتي بعدها: إبطال ما كانوا عليه من أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي[1]، وإبطال قولهم: ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا... الآية﴾.

قال الزجاج[2]: فأما الإعراب في «آلذكرين» فالنصب بـ«حَرَّمَ»، وتَثْبُتُ[3] ألف المعرفة مع ألف الاستفهام؛ لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر، لأنه لو قيل: «أَلذكرين حَرَّمَ» بألف واحدة، لالتبس الاستفهام بالخبر، وقد يجوز مع «أم» حذف الألف، لأن «أم» تدل على الاستفهام، ولكن القراءة بتبيين الألف الثانية.

قوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ قال الزجاج[4]: معناه: هل

(١) البحيرة: كانت العرب إذا نتجت الناقة عشرة أبطن شقوا أذنها نصفين، فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر، وتترك ترعى وترد الماء، ويُحَرَّم لحمها على النساء، ويُحَلَّل للرجال (اللسان، مادة: بحر).
والسَّائبة: كان الرجُل في الجاهلية إذا قدم من سَفَر أو برئ من مَرَض و غير ذلك قال: ناقِتي سائبة، فلا ينتفع بظهرها ولا تُحلأُ عن ماءٍ، ولا تُمنَع من كلأٍ ولا تُرْكَب (اللسان، مادة: سيب).
والوَصِيلة: كانت في الشاة خاصة، كانت الشاة إذا وَلَدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإذا ولدت ذَكَراً وأُنْثَى قَالوا: وَصَلت أَخاهَا، فلم يذبحوا الذَّكَر لآلهتهم. والوصيلة التي كانت في الجاهلية: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن، وهي من الشاء التي ولدت سبعة ابطن عناقين عناقين، فإن ولدت في السابع عناقاً قيل: وصلت أخاها، فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء، وتجري مجرى السائبة (اللسان، مادة: وصل).
والحَامِي: الفَحْلُ من الإبل يَضْرِبُ الضِّرَابَ المعدودَ (اللسان، مادة: حما).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٠٠-٣٠١).

(٣) تدغم وتندمج.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٢٩٩).

شاهدتم الله حرّم هذا[1]؛ إذ كنتم لا تؤمنون برسول.

ثم بيّن الله تعالى ظلمهم فقال: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾.

قال ابن عباس: يريد: عمرو بن لُحَي[2] الذي سَيَّبَ السوائب ومن جاء بعده[3].

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه﴾ هذه الآية تتضمن الإعلام أن التحليل والتحريم إنما يُتلقّى من جهة الوحي والتنزيل.

﴿إلا أن يكون ميتة﴾ قرأ ابن عامر وابن كثير وحمزة: «تكون» بالتاء، حملاً على المعنى، لأن المحرّم إما أن يكون عيناً، أو نفساً، أو جثة. وقرأ الباقون بالياء حملاً على اللفظ، لأن قوله: «لا أجد» يدل على نفي الوجود، والتقدير: إلا أن يكون الموجود ميتةً.

---

(١) بمعنى: قال لكم ذلك مشافهة وسمعتموه منه.

(٢) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، من قحطان، أول من غيّر دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان (الأعلام ٥/ ٨٤).

(٣) الوسيط (٢/ ٣٣١)، وزاد المسير (٣/ ١٣٩).

واتفقوا على نصب «ميتةً»، إلا ابن عامر، فإنه رفع[١]. وقد أشرنا إلى تعليل القراءتين آنفاً[٢].

﴿أو دماً مسفوحاً﴾ يعني: مصبوباً.

﴿أو فسقاً﴾ سمى سبحانه ما ذُبح باسم آلهتهم فسقاً؛ لتوغّله في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة.

وقوله: ﴿أُهِلَّ﴾ صفة منصوبة المحل[٣]. وما لم أذكره هاهنا فقد سبق ذكره فيما مضى.

فصل

ذهب قوم من المفسِّرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية المائدة المشتملة على تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكلّ السبع[٤]، وبالأحاديث التي وردت في تحريم الحُمر الأهلية وكلِّ ذي ناب من السباع، ومِخْلَب[٥] من الطير. وهو مذهبٌ بعيدٌ من التحقيق والصواب، لأن المنخنقة وما بعدها من جملة الميتة، وأخبار الآحاد لا تَنْسَخُ القرآن، وإنما المعنى: لا أجد فيما أوحي إليّ من القرآن، أو لا أجد فيما أوحي إليّ من القرآن وغيره محرّماً، إلا أن يكون ميتة[٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٦)، والكشف (١/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٢).

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن يكن ميتة﴾ [الأنعام: ١٣٩].

(٣) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٠٥).

(٤) كما جاء ذلك في الآية الثالثة من سورة المائدة.

(٥) المخلب: بكسر الميم، وهو للطائر والسباع بمنزلة الظفر للإنسان (اللسان، مادة: خلب).

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٤٣٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٣٥-٣٣٦).

وليس في هذا دلالة على إباحة ما عدا المحرمات في الآية، وإنما الآية اقتضت أمره ﷺ بإخبار الكفار أنه لم يجد محرّماً سوى ما عيّن في الآية، ثم بعد ذلك حرّم عليه ما حرّم من المطاعم.

أو يكون المعنى: لا أجد شيئاً محرّماً من المطاعم التي حرّمتموها، فيكون الاستثناء منقطعاً؛ لأنهم كانوا يستحلون الميتة والدم.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ يقال: ظُفُر بضمِّ الظاء والفاء، وبها قرأ الأكثرون، و «ظُفْر» بضم الظاء وإسكان الفاء.

قال الشاعر:

لَقَدْ كُنْتُ ذا نَابٍ وَظُفْرٍ عَلَى العِدَا ... فَأَصْبَحْتُ لا يَخْشَوْنَ نَابي وَلا ظُفْري [1]

و «ظِفْر» بكسر الظاء وسكون الفاء، وبها قرأ الحسن [2].

و «ظِفِر» [بكسرهما] [3]، وبها قرأ أبو السَّمَّال [4].

---

(١) انظر البيت في: زاد المسير (٣/ ١٤٢).

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٤١)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (ص:٥١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٠).

(٣) في الأصل: بسكونهما، والصواب ما أثبتناه، انظر الدر المصون (٣/ ٢٠٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٢٤٥).

و «أُظْفور»[١].

قال الشاعر:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُولى إِذا انْحَدَرَتْ وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قَيْدَ أُظْفُورِ[٢]

قال ابن عباس وجمهور المفسِّرين في هذه الآية: والظفر: ما ليس بمتفرج الأصابع؛ كالإبل والنعام والإوز والبط[٣].

وقال ابن زيد: يريد: الإبل فقط[٤]. ويأباه قوله: «كل».

وقال ابن الأنباري[٥]: الظفر هاهنا يجري مجرى الظفر للإنسان.

وقال صاحب الكشاف[٦]: ذو الظفر: ما له أصبع من دابة أو طائر، وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم، فلما ظلموا حُرِّم ذلك عليهم، فعمّ التحريم كل ذي ظفر، بدليل قوله: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أُحلّت لهم﴾ [النساء:١٦٠]، وقوله: ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾ كقولك: من

---

(١) وهذه لم يقرأ بها، ولكنها لغة في "الظُّفُر".

(٢) انظر البيت في: اللسان، مادة: (ظفر)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣٧٥)، وزاد المسير (٣/ ١٤٢)، وشرح الزرقاني (١/ ١٠٢).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٧٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٠)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٧٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٧٣).

(٥) انظر قول الأنباري في: زاد المسير (٣/ ١٤٢).

(٦) الكشاف (٢/ ٧١).

زيد أخذت ماله، يريد بالإضافة: زيادة الربط. والمعنى: أنه حرم عليهم لحم كلِّ ذي ظفر وشحمه وكل شيء بينه، وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم [الخالصة][1]، وهي الثروب وشحوم الكلى، وذلك قوله: ﴿حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما﴾ يريد: ما اشتمل بالظهر من الشحم.

﴿أو الحوايا﴾ قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والزجاج وابن قتيبة وجمهور المفسِّرين واللغويين: هي المَبَاعِرُ، واحدتها: حَوِيَّة وحَاوِيَة وحاوياء[2].

قال علي عليه السلام:

أَقْتُلُهُم وَلاَ أَرَى مُعَاوِيَهْ ... الجَاحِظَ العَيْنِ العَظِيمِ الحَاوِيَهْ[3]

وقال آخر:

كَأَنَّ نَقِيقَ الحَبِّ فِي حَاوِيَائِهِ ... فَحِيحُ الأَفَاعِي أَوْ نَقِيقُ العَقَارِبِ[4]

والمراد: ما حملت الحوايا من الشحم أو ما اختلط بعظم.

---

(١) في الأصل: الخاصة. والتصويب من الكشاف (٢/ ٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٧٥-٧٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤١١)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٨). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢١٨)، وتفسير مجاهد (ص:٢٢٦)، ومعاني الزجاج (٢/ ٣٠١)، وتفسير غريب القرآن (ص:١٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٧٨-٣٧٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) انظر البيت في: اللسان، مادة: (حوا)، وزاد المسير (٣/ ١٤٣).

(٤) البيت لجرير يصف الخنزير والحب في حاويائه. انظر: ديوانه (ص:٢٣٩)، واللسان، مادة: (نقق)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٣/ ١٤٣)، والدر المصون (٢/ ٢٠٩).

قال جمهور المفسِّرين: يريد: الألية[(١)].

وقال ابن جريج: كل شحم في القوائم والجنب والرأس وفي العينين والأذنين فهو ما اختلط بعظم، وهو حلال لهم، وإنما حرم عليهم الثرب وشحم الكِلية[(٢)].

وقيل: «الحوايا» عطف على «شُحُومَهُمَا»[(٣)].

والأول أكثر وأشهر وأوضح، و«أو» بمنزلتها، كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين[(٤)].

وقيل: بمعنى الواو -كما سبق-.

﴿ذلك﴾ إشارةٌ إلى التحريم، ﴿جزيناهم ببغيهم﴾ أي: بسبب ظلمهم الفاحش من قتل الأنبياء والأولياء وأخذهم الربا وغير ذلك، ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناكم عنهم من البغي والظلم والتحريم والجزاء وغير ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٧٦) عن ابن جريج. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٧٩) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٧٩) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٣) انظر: التبيان (١/ ٢٦٤)، والدر المصون (٢/ ٢٠٨).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٢/ ٧١). قال السمين الحلبي (٢/ ٢٠٨): والأحسن في هذه الآية إذا قلنا إن «الحوايا» معطوف على «شحومهما»؛ أن تكون «أو» فيه للتفصيل، فصل بها ما حرّم عليهم من البقر والغنم.

ثم قال -يعني: السمين-: وعبارة الزمخشري سبقه إليها أبو إسحاق -يعني: الزجاج- فإنه قال (٢/ ٣٠١-٣٠٢): وقال قوم: حرمت عليهم الثروب، وأحل لهم ما حملت الظهور، وصارت «الحوايا أو ما اختلط بعظم» نسقاً على ما حرم، لا على الاستثناء.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ
ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ
ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن
شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿فإن كذبوك﴾ قال ابن عباس: يريد: المشركين(١).

وقال مجاهد: اليهود(٢).

﴿فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ فغير بِدْع ولا بعيد أن لا يعاجلكم بالعقوبة

---

(١) زاد المسير (٣/ ١٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٢)، ومجاهد (ص:٢٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٣٧٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

لسعة رحمته، ولكنه أجّلكم إلى الوقت المقدر لعذابكم والانتقام منكم، ﴿ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾.

قوله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ هذا إخبار من الله تعالى لنبيّه بما سيقوله المشركون، فلما قالوه، قال: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ [النحل:٣٥].

والمعنى: سيقول المشركون من عُبّاد الأصنام وغيرهم ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ يريدون: البحائر والسوائب.

قال الزجاج[1]: زعم سيبويه أن العطف بالظاهر على المضمر المرفوع في الفعل قبيح، يستقبح: قمت وزيد، فإن جاءت «لا» حَسُنَ الكلام فقلت: ما قمتُ ولا زيد.

والمعنى: لو شاء لحال بيننا وبين ذلك، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأصنام وتحريم الحرث والأنعام. وهذه مجادلةٌ فاسدة؛ لأن لخصمِهم أن يقابل ما اعتلوا به من الشبه بمثله، ولا يلزم من ذلك كونه على الحق عندكم.

ثم إن الله أكذبهم فيما نسبوه إليه من الرضى بما هم عليه فقال: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ قال ابن عباس: قالوا لرسلهم مثل ما قال هؤلاء لك، ولو أن الله أكذبهم في نسبتهم المشيئة إليه لقال: ﴿كذلك كَذَب﴾ بالتخفيف[2].

﴿قل﴾ لهم يا محمد على وجه التهكم بهم، ﴿هل عندكم من علم﴾ جاءكم به رسول أو نزل عليكم به كتاب، ﴿فتخرجوه لنا إن تتبعون﴾ فيما أنتم عليه من الدين

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٠٢).

(٢) الطبري (٨/ ٧٩)، وزاد المسير (٣/ ١٤٥).

إلا الباطل، ﴿إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ أي: تكذبون.

﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ حيث أنزل الكتب وبعث الرسل، وأوضح الدلائل، لأنكم أيها المحتجون لصحة شركهم وباطلهم والمعتقدون رضى الله بما هم عليه، حيث لم يقهرهم على تركه، بل أرخى لهم أعنّة تماديهم في ميادين غيّهم.

﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ قال جويرية بن أسماء[1]: سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فنادى بأعلى صوته: انقطع والله هاهنا كلام القدرية[2].

قوله تعالى: ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾. «هَلُمّ»[3] كلمة يستوي في الدعاء بها الواحد والاثنان والجماعة، والمذكر والمؤنث. هذه لغة أهل الحجاز، وبها جاء القرآن.

وأما بنو تميم وأهل نجد فإنهم يقولون للواحد: هَلُمَّ، وللاثنين: هَلُمَّا، وللجماعة: هَلُمُّوا، وللأنثى: هَلُمِّي، وللثنتين: هَلُمَّا، وللنسوة: هَلْمُمْنَ.

والمعنى: هاتوا شهداءكم. والمراد بهذا: تبكيتُهم وإظهار انقطاع حجتهم.

﴿الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ يعني: ما ذَكَرَ من الحرث والأنعام مما

---

(١) جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي، بضم المعجمة وفتح الموحدة، البصري، صدوق، مات سنة ثلاث وسبعين . (التقريب:١٤٣).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٨٠) وعزاه لأبي الشيخ عن علي بن زيد.

والقدرية: قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء .

(٣) هلم: هو اسم فعل لا ينصرف عند أهل الحجاز، وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم. انظر: المفصل للزمخشري (ص:١٩٣)، واللباب للعكبري (٢/ ٨٩)، والتبيان (١/ ٢٦٤)، والدر المصون (٢/ ٢١٢).

حرمه المشركون.

﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ أي: لا توافقهم ولا تصدقهم، ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾ فحَرَّموا الحلال وحَلَّلوا الحرام، ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ سبق الكلام على «تعالوا» في آل عمران[1].

وقوله: ﴿ما حرّم﴾ منصوب بفعل التلاوة، تقديره: اتلوا الذي حرّمه ربكم عليكم[2].

ثم فسّره فقال: ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾، و«لا» للنهي، ويجوز أن تكون: «أنْ» هي الناصبة للفعل، و«لا» زائدة، والجملة في موضع نصب على البدل من «ما حرّم»، أو في موضع رفع، على معنى: هو «أَلا تشركوا به».

وقيل: تم الكلام عند قوله: «ما حرّم ربكم» ثم قال: «عليكم أَلا تشركوا به شيئاً»، كما قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] فيكون إغراءً[3].

وقال الزمخشري[4]: «أن» في «أن لا تشركوا» مفسِّرة، و«لا» للنهي.

فإن قلت: هلاَّ قلت هي التي تنصب الفعل، وجعلت «أن لا تشركوا» بدلاً

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا ...﴾ [الآية:٦١].

(٢) ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، أي: حرم ربكم أن تشركوا، و"لا" زائدة (انظر: التبيان ١/ ٢٦٥، والدر المصون ٢/ ٢١٣).

(٣) انظر: التبيان (١/ ٢٦٥)، والدر المصون (٢/ ٢١٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٧٥).

من «ما حرّم»؟

قلتُ: وجب أن تكون «ألا تشركوا»، «ولا تقربوا»، «ولا تقتلوا»، «ولا تتبعوا السُّبل» نواهي لانعطاف الأوامر عليها، وهي قوله: «وبالوالدين إحساناً»؛ لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، «وأوفوا»، «وإذا قلتم فاعدلوا»، «وبعهد الله أوفوا».

فإن قلت: فما تصنع بقوله: «وأن هذا صراطي مستقيماً» فيمن قرأ بالفتح، وإنما يستقيم عطفه على «أن لا تشركوا» إذا جعلت «أن» هي الناصبة للفعل، حتى يكون المعنى: أَتْلُ عليكم نفي الإشراك والتوحيد، وأَتْلُ عليكم أن هذا صراطي مستقيماً؟

قلتُ: أجعل قوله: «وأن هذا صراطي مستقيماً» علةً للاتباع بتقدير اللام؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] بمعنى: ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه. والدليل عليه القِراءة بالكسر، كأنه قيل: واتبعوا صراطي لأنه مستقيم، [أو: واتبعوا صراطي إنه مستقيم][(١)].

فإن قلت: إذا جعلت «أنْ» مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بـ«ما حرّم ربكم» وجب أن يكون ما بعده منهياً عنه محرماً كله؛ كالشرك، وما بعده مما دخل عليه حرف النهي، فما تصنع بالأوامر؟

قلتُ: لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعاً فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه، عُلِمَ أن التحريم راجع إلى أضدادها، وهي

(١) ما بين المعكوفين زيادة من الكشاف (٢/ ٧٥).

الإساءة إلى الوالدين، وبخس الكيل والميزان، وترك العدل في القول، ونكث عهد الله عز وجل. هذا تمام كلامه(١).

قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ قال ابن عباس: يريد: مخافة الفقر(٢).

يقال: أَمْلَقَ الرَّجُلُ فهو مُمْلِقٌ؛ إذا افْتَقَرَ(٣).

والمراد: نهيهم عما كانوا عليه من دفن البنات أحياءً خشية النفقة عليهن.

ثم ضمن الله تعالى الرزق للجميع فقال: ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾.

﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ سبق تفسيره في قوله: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ [الأنعام:١٢٠].

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ وهو أن يكفر بعد إيمانه، أو يزني بعد إحصانه، أو يقتل نفساً مؤمنة معصومة(٤).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «كان فيما أعطى الله موسى في الألواح: ولا تقتل النفس التي حرمت إلا بالحق فتضيق عليك الأرض برحبها، والسماء بأقطارها،

---

(١) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٤). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢١٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٨٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) انظر: اللسان، مادة: (ملق).

(٤) أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» (البخاري ٦/ ٢٥٢١ ح٦٤٨٤، ومسلم ٣/ ١٣٠٢ ح١٦٧٦).

وتبوء بسخطي والنار»[1].

﴿ذلكم﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية، ﴿وصاكم﴾ أي: أمركم به، ﴿لعلكم تعقلون﴾.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾.

أي: بالخصلة التي هي أحسن، وهي القيام بتثميره، وحسن تدبيره، وعدم تبذيره.

وقال ابن عباس: يريد: إن كنتَ له وصياً فأصلحتَ ماله أكلتَ بالمعروف إن احتجت إليه، وإن كنت غنياً عنه فعُفَّ عن أكله[2].

﴿حتى يبلغ أشده﴾ وهو استحكام قوة الشباب، والمراد به: أن يبلغ ويؤنس منه الرشد، وهو الصلاح في المال والدين، وقد ذكرناه في سورة النساء[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٦٥-٢٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٥١) وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق عن جابر بن عبد الله.

(٢) الوسيط (٢/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٣/ ١٤٩).

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ...﴾ [النساء:٦].

قال أبو عبيدة[١]: الأشدّ: لا واحد له.

وقال الفراء[٢]: واحده: «شدّ» في القياس، ولم نسمع لها بواحد.

وقال ابن قتيبة[٣]: لا واحد له، فإن أكرهوا على ذلك قالوا: شد بمنزلة «ضبّ وأضبَّ».

وقيل: واحد الأشد: شدّ، بفتح الشين وضمها[٤].

قال بعض البصريين: واحد الأشد: «شِدة»، كنعمة وأنعم[٥].

فإن قيل: لم خصَّ مال اليتيم بالذكر مع أن جميع الأموال لا يجوز قربانها إلا بالتي هي أحسن؟

قلتُ: خصه بالذِّكْر؛ لضعفه عن الانتصار لنفسه، وزيادة الطمع فيه لصغره.

قوله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ أتموها بالعدل والتسوية من غير بخس ولا شطط، على حسب اجتهاد المكلف في تحري العدل.

﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي: ما يسعها وتقدر عليه، ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ أي: إذا تكلمتم أو شهدتم فاعدلوا، ﴿ولو كان ذا قربى﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها ذا قرابتك.

﴿وبعهد الله أوفوا﴾ هو مثل قوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾ [المائدة:١]، وقد سبق

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٩).

(٢) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر: زاد المسير (٣/ ١٤٩)، واللسان، مادة: (شدد).

(٣) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٣/ ١٤٩).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ١٤٩).

(٥) انظر: زاد المسير (٣/ ١٤٩).

تفسيره. ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾.

﴿وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً﴾ اتفقوا على تشديد النون في «أَنَّ» إلا ابن عامر، فإنه خففها من الثقيلة، تقديره: وأنه، فحذف ضمير الشأن، وكسر حمزة والكسائي الهمزة على الاستئناف، وفتحها الباقون(١).

قال الفراء(٢): إن شئت جعلت «أَنَّ» مفتوحة بوقوع «أُتْلُ» عليها، وإن شئت جعلتها خفضاً على معنى: ذلكم وصاكم به وأنَّ هذا صراطي مستقيماً.

وسيبويه يقول(٣): التقدير: ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه؛ كقوله: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [المؤمنون:٥٢] والمشار إليه: القرآن ودين الإسلام.

﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ وهي: الضلالات والبدع.

أخبرنا أبو علي بن عبد الله بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله الشيباني، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، أخبرنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر، [عن](٤) عاصم، عن أبي وائل، عن عبدالله رضي الله عنه قال: «خَطَّ رَسُولُ الله ﷺ خَطّاً بيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ الله مُسْتَقِيماً، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إلاَّ وعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثمَّ

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٧)، والكشف (١/ ٤٥٧)، والنشر (٢/ ٢٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٣).

(٢) معاني الفراء (١/ ٣٦٤).

(٣) انظر: الكتاب (٢/ ١٢٦-١٢٧).

(٤) في الأصل: بن. والمثبت من مسند أحمد.

قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾»(١).

وأخرج الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هؤلاء الآيَاتِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»(٢).

وقال ابن عباس: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب(٣).

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٥ ح٤٤٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦٤ ح٣٠٧٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) الوسيط (٢/ ٣٣٩).

قوله تعالى: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن﴾ إن قيل: على أي شيء عطف قوله: «ثم آتينا»؟

قلتُ: قال الزجاج[١]: على معنى التلاوة[٢]، التقدير: قل تعالوا أَتْلُ ما حَرَّمَ ربكم عليكم ثم أَتْلُ عليكم ما آتاه الله موسى.

وقال الزمخشري[٣]: عطفه على «وصاكم».

فإن قلت: كيف [صَحَّ][٤] عطفه عليه بـ«ثم» وإيتاء موسى الكتاب قبل التوصية بدهر طويل؟

قلتُ: هذه التوصية قديمة، لم تزل [توصاها][٥] كلّ أمة على لسان نبيها، كما قال ابن عباس: [محكمات][٦] لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، كأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً.

ثم أعظم من ذلك أَنَّا آتينا موسى الكتاب [وأنزلنا هذا الكتاب][٧] المبارك.

وقيل: هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ [الأنعام:٨٤].

وقال غيره: تقديره: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب، ومثله قول الشاعر:

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٠٦).

(٢) أي: الانتقال من كلام لآخر بقطع النظر عن الزمن.

(٣) الكشاف (٢/ ٧٦-٧٧).

(٤) زيادة من الكشاف (٢/ ٧٦).

(٥) في الأصل: توصاتها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) ما بين المعكوفين زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثمّ سَادَ أَبُوهُ ثم قَدْ سَادَ قَبْلَ ذلِكَ جَدُّه[١]

قوله تعالى: ﴿تماماً﴾ مفعول له[٢]، المعنى: آتيناه الكتاب لأجل التمام على الذي أحسنه من كتب الله وشرائع دينه، وعلوم أنبيائه.

وقيل: تماماً للنعمة والكرامة على ما أحسن في طاعتي وتبليغ رسالتي، فتكون الذي بمعنى «ما».

وقيل: المعنى: آتيناه الكتاب تاماً جملة واحدة لم نفرق إنزاله، كالقرآن مضافاً إلى الذي أحسنه من العلم وزيادة عليه.

فعلى هذه [الأقوال][٣] المشار إليه: موسى ﷺ.

وقيل: المعنى: تماماً للنعمة والكرامة على من كان محسناً صالحاً، يريد: جنس المحسنين، وهو اختيار أبي عبيدة وكثير من المحققين[٤].

ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود: «على الذي أحسنوا»[٥].

---

(١) البيت لأبي نواس في مدح العباس بن عبيد الله. انظر البيت في: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٧٨). و(ثم) هنا لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب.

(٢) التبيان (١/ ٢٦٦)، والدر المصون (٢/ ٢٢٠).

قال العكبري: قوله تعالى: (تماماً) مفعول له، أو مصدر، أي: أتممناه إتماماً، ويجوز أن يكون في موضع الحال من الكتاب، (على الذي أحسن) يقرأ بفتح النون على أنه فعل ماض، وفي فاعله وجهان: أحدهما: ضمير اسم الله والهاء محذوفة، أي: على الذي أحسنه الله، أي: أحسن إليه وهو موسى، والثاني: هو ضمير موسى؛ لأنه أحسن في فعله، ويقرأ بضم النون على أنه اسم، والمبتدأ محذوف، وهو العائد على الذي، أي: على الذي هو أحسن، وهو ضعيف. اهـ.

(٣) في الأصل: إلا قول.

(٤) انظر: الماوردي (٢/ ١٨٩)، وزاد المسير (٣/ ١٥٣).

(٥) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٤١)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (ص:٥٢٢).

وقال ابن زيد: تماماً على إحسان الله على أنبيائه(١).

وفيه تعسف.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو رزين والحسن ويحيى بن يعمر(٢): «أحسنُ» بالرفع(٣)، على معنى: هو أحسن، فحذف المبتدأ.

وقرأ ابن عمرو وأبو المتوكل: «أُحسِن» بضم الهمزة وكسر السين(٤).

﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ تبياناً لكل شيء يحتاج إليه من شرائع الدين.

قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن، ووصفه بالبركة لما يأتي من قِبَلِه من الخير الكثير، ﴿فاتبعوه﴾ اعملوا بما فيه، ﴿واتقوا﴾ مخالفته، ﴿لعلكم ترحمون﴾.

قوله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ وهم اليهود والنصارى.

قال مقاتل(٥): كان كفار مكة يقولون: قاتل الله اليهود والنصارى كيف كذبوا

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٩١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) يحيى بن يعمر العدواني، أبو سليمان البصري، قاضي مرو. كان من فصحاء أهل زمانه، وأكثرهم علماً باللغة. روى عن ابن عباس وابن عمر وعائشة وأبا هريرة وغيرهم. أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي. قيل: هو أول من نقط المصحف. مات سنة تسع وثمانين (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٥٤)، والدر المصون (٣/ ٢٢١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٣٧٩).

أنبيائهم، فوالله لو جاءنا نذير وكتاب لكنا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية.

و«أَنْ» في محل النصب.

قال الكسائي والفراء[(١)]: معناه: اتقوا أن تقولوا.

والذي عليه حذاق النحاة من البصريين وغيرهم: أنه مفعول لأجله، تقديره: أنزلناه كراهة أن تقولوا يا أهل مكة: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا[(٢)].

﴿وإن كنا﴾ هي «إِنْ» المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والأصل: وإنه كنا ﴿عن دراستهم لغافلين﴾ على أن الهاء ضمير الشأن.

والمعنى: كنا عن قراءتهم غافلين لا نعلم ما هي إذا سمعناها أو نظرنا فيها؛ لأن لغتنا تنافيها.

﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ أرشدُ إلى الصواب وأدرى بمواقع الكلام وفصل الخطاب؛ لحدة أذهاننا، [ونقاوة][(٣)] أفهامنا.

﴿فقد جاءكم بينة من ربكم﴾ وهو محمد ﷺ، يخاطبكم بلسانكم العربي، ﴿وهدى ورحمة﴾ وهو القرآن.

﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ أي: فمن أشد ظلماً ممن جحد بالقرآن ومعجزات محمد ﷺ وأعرض عنها بعد أن عرفها.

وقيل: صدف الناس عنها، فهو أبلغ؛ لأنه صدف بنفسه وصدف الناس عنها.

ثم توعدهم فقال: ﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا

---

(١) معاني الفراء (١/ ٣٦٦).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ١٤٥)، ومعاني الزجاج (٢/ ٣٠٧).

(٣) في الأصل: وتقاية.

يصدفون﴾.

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون﴾ أي: هل ينتظرون.

﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يأتيهم الملائكة» بالياء، هنا وفي النحل(١)؛ لتذكير معنى الملائكة(٢).

قال مقاتل(٣): هو مَلَكُ الموت وحده.

وقال غيره: مَلَكُ الموت وأعوانه يأتيهم لقبض أرواحهم.

﴿أو يأتي ربك﴾ قال الثعلبي(٤): يأتي ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة.

وقال الحسن والضحاك: يأتي أمره(٥).

قوله تعالى: ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ قال عامة المفسرين: يعني: طلوع الشمس من مغربها(٦).

---

(١) عند الآية رقم: ٣٣.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٧)، والكشف (١/ ٤٥٨)، والنشر (٢/ ٢٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٣-٢٧٤).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٣٨٠).

(٤) الثعلبي (٤/ ٢٠٧).

(٥) زاد المسير (٣/ ١٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (٨/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٧)، ومجاهد (ص:٢٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٨٩).
فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٥٧): إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها: أن الملحدة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله قدرته ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق؛ ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عَنْ النبي ﷺ في قَوْلِه: «﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، قَالَ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

وروى مسروق عن ابن مسعود قال: طلوع الشمس والقمر من مغربهما[2].

قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها﴾.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد العطار، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذاكَ حِينَ ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾»[3].

وأخرجه مسلم عن أبي بكر، عن ابن فضيل، عن عمارة.

ويقع لنا عالياً من طريق المسند، فإن الإمام أحمد رحمه الله، يرويه عن محمد بن فضيل، عن عمارة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦٤ ح٣٠٧١) وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٩ ح٩٠١٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٨٩) وعزاه لسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٩٧ ح٤٣٥٩)، ومسلم (١/ ١٣٧ ح١٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٣١ ح٧١٦١).

وبه قال: حدثنا البخاري، حدثني إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طلعت ورَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أجمعون، وَذَلِكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا، ثم قرأ الآية»[1].

وأخبرنا الشريف أبو الفتوح محمد بن محمد البكري التيمي[2] برباطه بدمشق، حدثنا أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري[3]، حدثنا أبو عبد الله إسماعيل بن عبد الله القلانسي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل[4]، أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا أحمد بن أبي نعيم الفضل بن دكين، حدثنا عبد الله بن موسى، عن أبي سعيد البقال، عن عبد الله بن أبي أوفى

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٩٧ ح٤٣٦٠).

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن عمرو القرشي التيمي البكري النيسابوري الصوفي، ولد سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وحدث ببغداد وبمكة ومصر ودمشق، وجاور مدة. توفي في حادي عشر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٨٩-٩٠).

(٣) هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، أبو الأسعد القشيري النيسابوري، خطيب نيسابور، كان صاحب فضل ومعرفة بعلوم القوم، ولد في جمادى الأولى سنة ستين وأربعمائة، روى الكثير، وذاع صيته وارتحلوا إليه، وحدث عنه خلق كثير، وأملى مجالس كثيرة، وظهر به صمم في آخر حياته، توفي في ثالث عشر شوال سنة ست وأربعين وخمسمائة، وله ست وثمانون سنة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٠-١٨٢، ولسان الميزان ٦/ ١٨٧).

(٤) محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي النيسابوري، من أهل نيسابور، ثقة، كان والده مثرياً، وكان ينفق، فكان لا يحدث حتى يحضر محمد هذا، وإن غاب عن سماع جزء أعاده له، فأكثر عنه جداً، مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٠، والتقييد ص: ١١٠).

قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس ليلة قياس ثلاث ليال من لياليكم هـذه، لا يعرفها إلا المتهجدون، يقوم المتهجد فيقرأ أجزاءه، ثـم ينـام، ثـم يقـوم فيقـرأ أجزاءه، ثم ينام، فإذا كان ذلك فزعوا إلى المساجد، فبينـا هـم كـذلك إذ طلعـت الشمس من مغربها»(١).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي ذرّ قال: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَـلَى حِمَـارٍ وَعَلَيْهِ بَرْذَعَةٌ أَوْ قَطِيفَةٌ(٢)، قَالَ: وَذاكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ؛ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغِيبُ هذه الشمس؟ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِئَةٍ تَنْطَلِقُ حَتَّى تَخِرَّ لِرَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ سَاجِدَةً تَحْتَ الْعَرْشِ، فإذا حـان خروجهـا أذن الله لها فتخرج فتطلع، فَإِذا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُطْلِعَهَا مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ حَبَسَهَا، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ مَسِيرِي بَعِيدٌ، فَيَقُولُ لَهَا: اطْلِعِي مِنْ حَيْثُ غِبْتِ، فَذلِكَ حِـينَ لا يَنْفَـعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا»(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «ثَـلاثٌ إِذا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، طُلُـوعُ الـشَّمْسِ مِـنْ مَغْرِبِهَـا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ»(٤).

وفيه من حديث عبد الله بـن عمـرو: أن رسـول الله ﷺ قـال: «أَوَّلَ الآيَـاتِ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٥) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس هو في شيء من الكتب الستة (وانظر: فتح الباري ١١/ ٣٥٥).

(٢) البَرْذَعَة: الحِلس الذي يُلقى تحت الرحل (اللسان، مادة: برذع).
والقطيفة: كساء له خَمْل (اللسان، مادة: قطف).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٥ ح٢١٤٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٣٨ ح١٥٨).

خُرُوجاً: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى. قَالَ عَبْدُ الله بن عمرو: ويمكث الناس بعد طلوعها، فَأَيَّتُهُمَا خَرَجَتْ قبل فَالأُخْرَى مِنْهَا قَرِيبٌ»[١].

وقال عبد الله بن عمرو: يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة[٢].

قوله تعالى: ﴿لم تكن آمنت من قبل﴾ صفة لقوله: «نفساً»[٣].

وقوله: ﴿أو كسبت﴾ عطف على «آمنت»[٤]، وإنما لم ينفعها الإيمان؛ لأنها اضطرت إليه عند رؤية الآية الخارقة، وسقط معنى التكليف والإيمان الاختياري.

﴿قل انتظروا﴾ ما توعدكم الله به في هذه الآية وغيرها، ﴿إنا منتظرون﴾ ذلك لكم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين فارقوا دينهم﴾ قرأ عليّ عليه السلام وحمزة والكسائي: «فارقوا» بزيادة ألف. وقرأ باقي القُرَّاء السَّبعة: «فرّقوا» بتشديد الرَّاء من غير

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٦٠ ح٢٩٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٩١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) انظر: التبيان (١/ ٢٦٦)، والدر المصون (٢/ ٢٢٤).

(٤) انظر: الدر المصون (٢/ ٢٢٤).

ألف[١].

وفي المشار إليهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة. قاله أبو هريرة[٢].

فعلى هذا؛ معنى «فارقوا دينهم»: باينوه وتركوه جانباً واتبعوا أهواءهم.

ومعنى «فرقوا دينهم»: آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه؛ كالمعتزلة[٣] والرافضة[٤]، فإنهم آمنوا بكثير مما جاءهم به النبي ﷺ وكفروا بكثير منه، فإنهم لا يؤمنون بكثير من أحوال الآخرة، كعذاب القبر، وإخراج المؤمنين من النار بالشفاعة، والنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة.

ويجوز أن يكون معنى: «فرقوا دينهم»: صاروا أشياعاً وفرقاً.

القول الثاني: إنهم أهل الكتاب. قاله ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٨)، والكشف (١/ ٤٥٨)، والنشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٤).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٥)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٠٢) وعزاه للحكيم الترمذي وابن جرير والطبراني والشيرازي في الألقاب وابن مردويه.

(٣) المعتزلة: هم القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم، وبنفي الرؤية ، وبوجوب الثواب والعقاب، وهم عشرون فرقة (تحفة الأحوذي ٧/ ٣٣٤).

(٤) الرافضة: فرقة من فرق الشيعة، سميت بذلك؛ لأنها رفضت رأي زيد بن علي بن الحسين في صحة خلافة أبي بكر وعمر، وانشقوا عليه (انظر: ضحى الإسلام ٣/ ١٣٦).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٩). وأخرجه النحاس في ناسخه (ص:٤٤٢) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٠١، ٤٠٣) وعزاه للنحاس في ناسخه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ومن طريق آخر عن =

فالمعنى: فارقوا دينهم الذي جاءهم به موسى وعيسى.

ومعنى «فرّقوا دينهم»: صاروا فرقاً وشيعاً، أو هو إيمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض.

أخبرنا الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن ظفر بن أحمد النابلسي(١) سنة أربع وستمائة، أخبرنا القاضي أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد بن اللبان(٢) العدل بأصبهان، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد(٣)، أخبرنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني(٤)، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين =

السدي، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) إسماعيل بن ظفر بن أحمد النابلسي، ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة، مات رابع شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون (ذيل التقييد ١/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن النعمان بن عبد السلام، أبو المكارم اللبان التيمي الأصبهاني، ولد سنة سبع وخمسمائة، حدث عن أبي علي الحداد بجميع مسند الطيالسي وكتاب صفة الجنة لأبي نعيم وغير ذلك، وسماعه صحيح. توفي يوم الخميس سابع عشري ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٢-٣٦٣، والتقييد ص:١٨١).

(٣) الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن مهرة، أبو علي الحداد الأصبهاني المقرئ، كان شيخاً عالماً ثقة صدوقاً من أهل القرآن، حدث عن أبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ فأكثر عنه، ورحل إليه الناس، وكان خيراً ديّناً صالحاً، ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة، وتوفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمسمائة (التحبير ص:١٧٧-١٧٩، والتقييد ص:٢٣٧).

(٤) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني أبو نعيم الأصبهاني. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأجاز له مشايخ الدنيا وله ست سنين، وتفرد بهم، ورحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وضبطه وعلو إسناده. صنف "الحلية"، و"المستخرج على البخاري"، و"المستخرج على مسلم"، و"دلائل النبوة"، و"تاريخ أصبهان"، و"فضائل الصحابة"، و"صفة الجنة" وغيرها. مات =

الآجري[1]، قال: حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي[2]، حدثنا أبو بكر بن زنجويه[3]، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي[4]، حدثنا سفيان الثوري، عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم[5].

قال الآجري: وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي[6]، حدثنا الهيثم بن خارجة[7]، حدثنا إسماعيل بن

=

في سنة ثلاثين وأربعمائة (طبقات الحفاظ ص:٤٢٣).

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، مصنف كتاب الشريعة، كان مجاوراً بمكة، وكان عالماً عاملاً صاحب سنّة واتباع، ديّناً ثقة. توفي بمكة في المحرم سنة ستين وثلاثمائة (تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٦، وطبقات الحفاظ ص:٣٧٩).

(٢) جعفر بن محمد بن يعقوب، أبو الفضل الصندلي، كان ثقة صالحاً ديّناً يسكن باب الشعير. مات في ربيع الآخر من سنة ثمان عشرة وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٧/ ٢١١).

(٣) محمد بن عبد الملك بن زنجويه، أبو بكر البغدادي الغزال، صاحب الإمام أحمد، واسع الرحلة، وثقه النسائي وغيره، توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٦-٣٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٤).

(٤) محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي، أبو عبد الله الضبي، نزيل قيسارية من مدائن فلسطين، أخذ عن عمر بن ذر والأوزاعي والثوري وخلق. وكان رجلاً صالحاً ثقة، مات في أول سنة اثنتي عشرة ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٤-١١٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٦).

(٥) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، أبو أيوب الإفريقي الشعباني، قاضي إفريقية وعالمها ومحدّثها. قيل: كان أول مولود ولد في الإسلام بإفريقية، توفي سنة ست وخمسين ومائة (سير أعلام النبلاء ٦/ ٤١١-٤١٢).

(٦) أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، مشهور، وثقه الدارقطني، مات سنة ست وثلاثمائة (ميزان الاعتدال ١/ ٢٢٦، ولسان الميزان ١/ ١٥١-١٥٣).

(٧) الهيثم بن خارجة الخراساني، أبو أحمد المروزي البغدادي، أصله من خراسان، روى عن إسماعيل بن

=

عياش[١]، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل، تفرَّق بَنُو إسْرائيلَ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ، تزيد عليهم، كُلّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: مَنْ هذه الملة، قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[٢].

وهذا لفظ حديث الصوفي.

وبالإسناد، قال الآجري:

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا المسيب بن واضح قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: «أصول البدع أربع: الروافض[٣]، والخوارج[٤]، =

عياش وحفص بن ميسرة، وروى عنه الإمام أحمد وابنه، والبخاري وأبو حاتم وغيرهم، وثقه ابن معين، مات في ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٧-٤٧٩، وطبقات الحفاظ ص:٢٠٧).

(١) إسماعيل بن عياش بن سليم، أبو عتبة الحمصي العنسي، محدّث الشام، كان من بحور العلم، محتشماً نبيلاً جواداً، صادق اللهجة، متين الديانة، صاحب سنّة واتباع وجلال ووقار، ولد سنة ست ومائة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة (سير أعلام النبلاء ٨/ ٣١٢-٣٢٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣-٢٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦ ح٢٦٤١) وقال: هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٤٢)، والآجري في الشريعة (ص:٢١).

(٣) الروافض: من الشيعة، وهم الذين رفضوا زيد بن علي حين سألوه عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، فقالوا: إذاً نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة.

(٤) الخوارج: هم المفرطة المكفرة لسيدنا علي رضي الله عنه، ومن أذنب كبيرة، وهم عشرون فرقة (تحفة الأحوذي ٧/ ٣٣٤).

والقَدَرية[١]، والمرجئة[٢]، ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك ثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الناجية[٣] التي قال رسول الله ﷺ إنها الناجية»[٤].

القول الثالث: أنهم المشركون. قاله الحسن[٥].

ومعنى: «فارقوا دينهم»: أي: تركوا دين إبراهيم وإسماعيل وعبدوا الأصنام، وفارقوا دينهم الذي جاءهم به محمد ﷺ.

ومعنى فرّقوه: صاروا فرقاً وشِيعاً، وذهبوا إلى التكذيب به كل مذهب، فهؤلاء يقولون: كهانة، وهؤلاء يقولون: سحر، وهؤلاء يقولون: أساطير الأولين، إلى غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿لستَ منهم في شيء﴾ قال أبو الضحى: برئ نبيكم منهم[٦].

---

(١) القدرية: نسبة إلى القدر، وهي فرقة كلامية ذات مفاهيم خاطئة في مفهوم القدر، حيث زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته وليس لله في فعله مشيئة ولا خلق، وأول من أظهر القول بالقدر معبد الجهني.

(٢) المرجئة: هي القائلة بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهي خمس فرق (تحفة الأحوذي ٧/ ٣٣٤).

(٣) في الآجري: الجماعة.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٢١). وذكره الأحوذي في التحفة، في تعليقه على حديث افتراق الأمة (٧/ ٣٣٤). وأصل الحديث في الترمذي، وقد سبق تخريجه في الحديث السابق. وانظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢).

(٥) الماوردي (٢/ ١٩٢)، وزاد المسير (٣/ ١٥٨).

(٦) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣١) كلاهما عن أبي الأحوص. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٠٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي

وقيل: المعنى: لست من السؤال عنهم في شيء.

وقال السدي: لست من قتالهم في شيء[1].

فعلى هذا؛ تكون الآية في المشركين وفي أهل الكتاب، وتكون منسوخة بآية السيف.

﴿إنما أمرهم﴾ المجازاة والمكافأة ﴿إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ إذا وردوا القيامة.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾ وقرأت ليعقوب الحضرمي: «عَشْرٌ» بالتنوين، «أَمْثَالُها» بالرفع[2].

فمن قرأ بالإضافة؛ فعلى معنى: فله عشر حسنات أمثالها.

ومن رفعها؛ فعلى معنى: فله حسنات عشر أمثالها، وهذا أقلّ الجزاء، والله يضاعف لمن يشاء ما يشاء.

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ عن النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجل:

= الشيخ عن أبي الأحوص.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٥٩). والسيوطي في الدر (٣/ ٤٠٣) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وانظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٣٧).

(٢) النشر (٢/ ٢١٦-٢١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٠).

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ [فَجَزاؤُهُ][(١)] سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أغفر»[(٢)].

وقال سفيان الثوري: لما نزلت: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»، قال النبي ﷺ: «ربي زدني، فنزلت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ... الآية﴾ [البقرة:٢٦١]، قال: رب زد أمتي، فنزلت: ﴿مَنْ ذا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥]، قال: رب زد أمتي، فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]»[(٣)].

والظاهر: عموم الآية في كل حسنة وسيئة.

وقال ابن مسعود ومجاهد والنخعي: «الحسنة»: لا إله إلا الله، و«السيئة»: الشرك[(٤)].

---

(١) في الأصل: فجزاء. والمثبت من صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٨ ح٢٦٨٧).

قال النووي في شرحه على مسلم (١٧/ ١٢): قوله تعالى: «فله عشر أمثالها وأزيد» معناه: أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة، يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئته سبحانه وتعالى.

(٣) انظر: العجاب في بيان الأسباب (١/ ٦٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية عن ابن مسعود. وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٢١).

﴿وهم لا يظلمون﴾ بالنقصان من الثواب والزيادة على العقاب، فإنه سبحانه وتعالى قدَّرَ لكل حسنة وسيئة جزاءً معلوماً عنده.

قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾ وهو دين الإسلام.

﴿دِيناً﴾ بدل من محل «إلى صراط مستقيم»(١) لأن التقدير: هداني صراطاً مستقيماً، كما قال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢].

وقوله: ﴿قَيِّماً﴾ [فَيْعِل](٢)، من قَامَ، أصله: قَيْوِم، ثم أدغمت الياء في الواو؛ كسَيِّد ومَيِّت(٣).

وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «قِيَماً» بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها(٤).

فعلى هذا: هو مصدر بمعنى القيام وصف به.

﴿ملة إبراهيم﴾ عطف بيان، ﴿حنيفاً﴾: حال من «إبراهيم»(٥)، تقديره: هداني ربي ملة إبراهيم في حال حنيفته.

---

(١) انظر: التبيان (١/ ٢٦٧)، والدر المصون (٢/ ٢٢٧).

(٢) في الأصل: فعيل. وانظر: (اللسان، مادة: قوم).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (قوم).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٨-٢٧٩)، والكشف (١/ ٤٥٨)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٤).

(٥) انظر: التبيان (١/ ٢٦٧)، والدر المصون (١/ ٣٨٣).

قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ قال الزجاج[(١)]: النُّسك: كلُّ مَا يتقرب به إلى الله تعالى، إلا إنَّ الغالبَ عليه أمر الذَّبح.

﴿ومحياي ومماتي﴾ قرأ الأكثرون بتحريك الياء وبالفتح من «محيايَ»؛ لالتقاء الساكنين، وبإسكانها من «مماتيْ»؛ لنقل الحركة على الياء.

وقرأ نافع بإسكان الياء من «محيايْ» للعلة المذكورة في «مماتي» في جعل المَدَّة حائلة بين الساكنين، وقرأ بإسكانها في: «مماتي»[(٢)]؛ لأنَّ حقَّ الياء في مثل هذا أن تكون مفتوحةً، مثل الكاف من: رأسكَ، والتاء في: قمتَ.

والمعنى: إن صلاتي ونسكي من جميع ما أتقرب به إلى الله وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح.

﴿لله رب العالمين﴾ خالصاً لوجهه.

﴿وبذلك﴾ الإخلاص ﴿أمرت وأنا أول المسلمين﴾ من هذه الأمة.

قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣١١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٩)، والكشف (١/ ٤٥٩)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢١)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٤).

﴿قل أغير الله أبغي رباً﴾ أي: قل لهم يا محمد مجيباً لهم عن دعائهم إياك إلى عبادة آلهتهم: ﴿أغير الله أبغي رباً﴾ إلهاً وسيداً، ﴿وهو رب كل شيء﴾ فكيف أبغي سواه.

﴿ولا تكسب كل نفس﴾ من صالح وطالح، ﴿إلا عليها﴾ عقابه، ولها ثوابه.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى، وهو جواب لقولهم: ﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت:١٢].

قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ قال ابن مسعود: يخلف حكم بعضكم بعضاً[(١)].

وقال الزجاج[(٢)]: خلفتم سائر الأمم.

﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في العلم والرزق والشرف، وغير ذلك.

﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ أي: ليختبركم فيما أعطاكم، فيظهر منكم ما تستحقون الجزاء عليه.

﴿إن ربك سريع العقاب﴾ قال عطاء: سريع العقاب لأعدائه، ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لأوليائه[(٣)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن بن روزبة البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا ابن حمويه

---

(١) زاد المسير (٣/ ١٦٣) من قول ابن قتيبة.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣١٢).

(٣) الوسيط (٢/ ٣٤٦) بلا نسبة.

السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعة وَتِسْعِينَ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنْ [الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنْ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنْ](١) العذابَ لم يأمنْ مِن النَّارِ»(٢).

والحمد لله على إحسانه.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٤ ح ٦١٠٤).

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي مائتا آية وست آيات[1].

وعامة المفسرين يقولون: نزلت بمكة. واستثنى قوم من قوله: ﴿واسألهم عن القرية﴾ إلى قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾[2].

الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣

وقد ذكرنا أقوال العلماء في أول البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور.

وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس في قوله: ﴿المص﴾ قال: معناه أنا الله أعلم وأفصل[3].

قوله تعالى: ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف[4]، أي: هذا كتاب، ﴿أنزل إليك﴾ صفته، ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:١٥٥).

(٢) انظر: الماوردي (٢/ ١٩٨)، وزاد المسير (٣/ ١٦٤)، وتفسير مقاتل (١/ ٣٨٣).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤١٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٦٧)، والدر المصون (٣/ ٢٢٩).

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: الحرج هاهنا: الشك[(١)].

وقال الحسن والزجاج[(٢)]: الحرج: الضيق[(٣)]. وهذا هو الأصل، واستعماله بمعنى الشك لما يُخامر الشاكّ من الضيق والحرج.

والضمير في "منه" يعود إلى الكتاب. فعلى القول الأول معناه: فلا يكن عندك شك أن الكتاب منزل من عند الله، ويكون هذا مثل قوله: ﴿فلا تكونن من الممترين * ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ [يونس:٩٤-٩٥]، النهي للنبي ﷺ في ظاهر الأمر، والمراد غيره، وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في سورة البقرة.

وعلى القول الثاني معناه: لا يكن عندك ضيق وحرج من إبلاغ ما أُرسلتَ به، فإنه كان يخاف أذى قومه وإعراضهم عنه وتكذيبهم له.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «أي رب! إني أخاف أن يثلغوا[(٤)] رأسي فيجعلوه كالخبزة»[(٥)].

قوله تعالى: ﴿لتنذر به﴾ إما أن يتعلق بـ«أُنزِلَ»، فيكون معناه: أنزل إليك لكي تنذر به. وإما أن يتعلق بالنهي، فيكون معناه: لا يكن في صدرك حرج منه لتتمكن

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٨)، ومجاهد (ص:٢٣١). وانظر: الماوردي (٢/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤١٣) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن نفس الطريق عزاه أيضاً لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣١٥).

(٣) الماوردي (٢/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤١٣) وعزاه لأبي الشيخ عن الضحاك.

(٤) الثَّلْغ: الشَّدْخ (لسان العرب، مادة: ثلغ).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ ح٢٨٦٥).

من الإنذار[١].

قوله تعالى: ﴿وذكرى﴾ إما أن يكون مرفوعاً، عطفاً على "كتاب"، أو خبر مبتدأ محذوف. وإما أن يكون منصوباً بإضمار فعل، على معنى: لتنذر به وتُذَكِّر تذكيراً. وإما أن يكون مجروراً عطفاً على محل "لتنذر"، تقديره: للإنذار والذكرى[٢].

وإنما خص المؤمنين؛ لموضع انتفاعهم.

قوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ يعني: القرآن والسنة، وهذا دليل واضح على وجوب تعلم العلم، خصوصاً علم التفسير، فإن المراد بالاتباع: العمل، وذلك يستدعي العلم قبله.

قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم! أمرتَ باتباع كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما معناها[٣].

﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ أي: من دون الله. وقيل: من دون المُنَزَّل، ﴿أولياء﴾ يعني: شياطين الإنس والجن، فيحملوكم على عبادة الأوثان واتباع الأهواء والبدع.

﴿قليلاً ما تذكرون﴾ هو كقوله: ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ [الحاقة:٤١]، وقد سبق القول عليه في البقرة.

قرأ ابن عامر بياء وتاء. وقرأ الباقون بتاء واحدة، وخفف الذال أهل الكوفة

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٦٧)، والدر المصون (٣/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٦٨)، والدر المصون (٣/ ٢٣٠-٢٣١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٤٨).

إلا أبا بكر[(١)].

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾، قال الزجاج[(٢)]: المعنى: كم من أهل قرية، إلا أن [أهل][(٣)] حذفت؛ لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله: ﴿فجاءها بأسنا بياتاً﴾ محمولٌ على لفظ القرية.

قال الزمخشري[(٤)]: إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة، فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها، وإنما قدرناه قبل الضمير في "فجاءها" لقوله: ﴿أوْ هم قائلون﴾.

و"بياتاً" مصدر واقع موقع الحال[(٥)]، يعني: بائتين. يقال: بات بياتاً حسناً وبيتةً

---

(١) مَنْ خفّف حذف إحدى التاءين وهي الثانية، وهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال، والثانية إنما دخلت على معنى: (فعلت الشيء) على تمهل، نحو قولك: تفهمت الشيء، أي: أخذت على مهل. ومن شدد أدغم التاء في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه. انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٢٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٩)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٧٨).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣١٧).

(٣) في الأصل: أهلاً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) الكشاف (٢/ ٨٣).

(٥) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٦٨)، والدر المصون (٣/ ٢٣٣).

حسنة[١].

وقوله: "هم قائلون" حال معطوفة على "بياتاً"[٢]، كأنه قيل: فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين.

والبيتوتة بالليل، والقَيْلُولة: الاستراحة نصف النهار من اشتداد الحر وإن لم يكن معها نوم[٣]. والمعنى: جاءهم عذابنا غير متوقعين له في وقت الدّعة والغفلة؛ إما ليلاً؛ كقوم لوط، وإما نهاراً؛ كقوم شعيب.

فإن قيل: نظمُ الآية يدل على تقدم الهلاك على البأس، وهو العكس؟

قلت: المراد: أردنا إهلاكها؛ كقوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ [المائدة:٦]، وقوله: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾ [النحل:٩٨].

وقال الفراء[٤]: وقع الإهلاك والبأس معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت إليّ.

وذكر ابن الأنباري عن ذلك جوابين[٥]:

أحدهما: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها وكان بأسنا قد جاءها، كما أضمر في قوله: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة:١٠٢] أي: ما كانت تتلوه.

الثاني: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا [بياتاً][٦] أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إليّ﴾.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: بيت).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٦٨)، والدر المصون (٣/ ٢٣٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: قيل)، والصحاح (٥/ ١٨٠٨).

(٤) معاني الفراء (١/ ٣٧١).

(٥) ذكرهما ابن الجوزي في: زاد المسير (٣/ ١٦٨).

(٦) زيادة من زاد المسير (٣/ ١٦٨).

والأول هو الجواب الذي ينبغي أن يُعتمد عليه.

فإن قيل: لا يقال: جاءني زيد هو فارس، بغير واو، فكيف قال: "أو هم قائلون"؟

قلت: قال الفراء(١): الواو مضمرة، تقديره: أو وهم قائلون، فاستثقلوا نَسَقاً على نسق(٢).

وردّ هذا القول الزجاج فقال(٣): لو قلتَ: جاءني زيدٌ راجلاً أو هو فارس، أو جاءني زيد هو فارس، لم تحتج فيه إلى واو؛ لأن الذكر قد عاد [إلى](٤) الأول(٥).

قال الزمخشري(٦): والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالاً؛ لاجتماع حرفي عطف؛ لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، فقولك: جاءني زيد راجلاً أو هو فارس، كلام فصيح وارد على حده، وقولك: جاءني زيد هو فارس فخبيث.

قوله تعالى: ﴿فما كان دعواهم﴾ أي: تضرعهم ودعاهم ودعاؤهم.

---

(١) معاني الفراء (١/ ٣٧٢).

(٢) أي اجتماع عطفين متتاليين.

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣١٧).

(٤) في الأصل: على. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٢٣٤): أما امتناعها في المثال الأول ؛ فلأن النحويين نصُّوا على أن الجملة الحالية إذا دخل عليها حرف عطف امتنع دخول واو الحال عليها، والعلة فيه المشابهة اللفظية، ولأن واو الحال في الأصل عاطفة.

(٦) الكشاف (٢/ ٨٤).

حكى سيبويه[١]: اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين، أي: دعائهم، وأنشد على ذلك:

.... وَلَّت ودَعْواها كثيرٌ صَخَبُه[٢]

وأنشد ابن الأنباري:

إذا مَذِلَتْ رِجْلي دَعوتُكِ أَشْتفي بدَعْواكِ مِنْ مَذْلٍ بها فيَهُون[٣]

وقيل: المعنى: فما كان استغاثتهم، كقوله:

.... دَعَوا: يا لكَعْبٍ واعْتَزَيْنا لعامر[٤]

وقال الزجاج[٥]: المعنى -والله أعلم-: أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدّين ويدعونه إلا على الاعتراف بأنهم كانوا ظالمين. والدعوى: اسم لما ندّعيه.

وكل واحد من «دعواهم» و«أن قالوا» يصلح أن يكون اسماً لـ«كان» والآخر

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٠).

(٢) عجز بيت، لبشير بن النِّكْث. انظر: اللسان (مادة: دعا، نكث)، وتاج العروس (مادة: نكث).

(٣) البيت لكثير عزة. انظر: ديوانه (ص:١٧٦)، والطبري (٨/ ١٢٠)، واللسان (مادة: مذل)، وتاج العروس (مادة: مذل)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٤٣٥)، والدر المصون (٣/ ٢٣٥).
ومَذِلَتْ رِجْلُه مَذْلاً، بفتح وسكون، وأمذت: خَدِرَتْ (اللسان، مادة: مذل). وكانوا يزعمون أن المرء إذا خدرت رجله، ثم دعا باسم من أحب، زال خدرها.

(٤) عجز بيت، للراعي النميري وهو عبيد بن حصين، من قبيلة نمير التي هجاها جرير، سمي الراعي؛ لكثرة نعته الإبل وجودة وصفه إياها. وصدر البيت: (فَلَمَّا الْتَقَتْ فُرْسانُنا ورِجالُهم) وهو في: الطبري (١/ ١٦٧)، وزاد المسير (١/ ٥٠)، واللسان (مادة: عزا).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٣١٨).

خبراً.

قوله تعالى: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ أي: لنسألنهم هل بلَّغتكم الرسل، ﴿ولنسئلن المرسلين﴾ ماذا أجبتم؟ يسألهم سبحانه وتعالى مع أنه أعلم منهم بما قالوا، وقيل لهم: إظهاراً للعدل والنَّصَفَة، فإنهم ينكرون تبليغ الرسل ما أرسلوا به إليهم، فتشهد هذه الأمة أن الرسل بلغت رسالات ربهم، وفي ضمن ذلك توبيخهم وتقريعهم.

قوله تعالى: ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ أي: على المرسلين وأممهم ما كان منهم وبينهم.

قال ابن عباس: يوضع الكتاب فيتكلم بما كانوا يعملون[1].

﴿وما كنا غائبين﴾ عما جرى لهم.

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ "الوزن" مبتدأ، خبره: "يومئذ"، "الحق": صفته[2]، على معنى: الوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن "الحق"، أي: العدل.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤١٤) وعزاه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) التبيان للعكبري (١/ ٢٦٩)، والدر المصون (٣/ ٢٣٦).

فصل

ذهب قوم إلى أن نصب الميزان يوم القيامة مجاز عن إرصاد الحساب السوي، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، فمَثَّل ذلك بنصب الموازين تحقيقاً لمعنى العدل.

والصحيح الذي عليه علماء النقل وأئمة الحديث وأعلام الفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة فمن بعدهم: أنه ميزان ذو لسان وكفَّتين[(١)]؛

لما أخبرنا به الشيخان الحافظ عبدالقادر بن عبدالله الرهاوي[(٢)] قراءة عليه وأنا أسمع بحران، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الدُّنبلي[(٣)] بقراءتي عليه بالموصل غير مرة ولا مرتين، قالا: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني[(٤)] بثغر الإسكندرية، حدثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤١٨) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي، الإمام الحافظ الرحال، محدث الجزيرة. ولد بالرهاء سنة ست وثلاثين وخمسمائة، ونشأ بالموصل، وكان مملوكاً لبعض المواصلة السفارين فأعتقه، فطلب العلم وأقبل على الحديث. كان عالماً ثقةً مأموناً، صالحاً ناسكاً، خشن العيش، إلا أنه عسراً في الرواية لا يكثر عنه إلا من أقام عنده، توفي بحران في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وستمائة، وله ست وسبعون سنة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧١-٧٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٨).

(٣) علي بن أبي بكر بن سليمان، أبو الحسن الدنبلي الموصلي. قدم بغداد حاجاً، وحدّث بها عن الحافظ أبي طاهر السلفي. وكان مولده بالموصل سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (تكملة الإكمال ٢/ ٥٩٥).

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني، أبو طاهر السلفي، الإمام العلامة المحدث، الحافظ المفتي شيخ الإسلام، ولد في سنة خمس وسبعين وأربعمائة، وسمع الكثير، وكان أول سماع حضره مجلس رزق الله التميمي الحنبلي، وحدث عن الكثير أيضاً، ورحل، فدخل بغداد ثم الشام، ثم ارتحل منها إلى خراسان، وحج وسمع بمكة والمدينة، وارتحل إليه خلق كثير جداً، =

إبراهيم الرازي[1] المعدل بالإسكندرية، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحراني[2] بمصر، حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني[3] الحافظ إملاءً، أخبرنا عمران بن موسى الطبيب، حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير[4]، حدثني الليث بن سعد[5]، عن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبدالرحمن الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: «يُصاح برجل من

=

فارتحل إليه السلطان صلاح الدين وإخوته وأمراؤه فسمعوا منه. وتوفي صبيحة يوم الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥-٣٩).

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي الإسكندري، أبو عبد الله، المعروف بابن الحطاب، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، واعتنى به والده، فسمع الكثير في سنة أربعين وما بعدها، مات في سادس جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وله إحدى وتسعون سنة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٣-٥٨٤).

(٢) علي بن عمر بن حمصة الحراني الصواف، ما سمع شيئاً سوى مجلس البطاقة، وتفرد عن حمزة الكناني. ولد في رمضان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، ومات في ثالث رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة عن ثمان وتسعين سنة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠١-٦٠٢).

(٣) حمزة بن محمد بن علي بن العباس، أبو القاسم الكناني المصري، مملي مجلس البطاقة، كان حافظاً ثبتاً، مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (طبقات الحفاظ ص:٣٧٨).

(٤) يحيى بن عبد الله بن بكير، الإمام المحدث الحافظ الصدوق، أبو زكريا القرشي المخزومي. ولد سنة خمس وخمسين ومائة، وسمع من الإمام مالك والليث وابن لهيعة وحماد بن زيد، وعنه البخاري وابن معين وخلق، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦١٢-٦١٥، وطبقات الحفاظ ص:١٨٤).

(٥) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة كثير الحديث، مات في يوم الجمعة نصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٢-٤١٧، والتقريب ص:٤٦٤).

أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كُلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى له: أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول عز وجل: لك عذر أو حسنة؟! فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول عز وجل: بلى! إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظُلم عليك، فتُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السِّجِلاّت؟ فيقول عز وجل: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السِّجِلاَّت وثقلت البطاقة»[1].

قال حمزة: ولا نعلمه روى هذا الحديث غير الليث بن سعد، وهو من أحسن الحديث، وبالله التوفيق.

قال أبو الحسن الحراني: لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة [فاضت][2] نفسه معها، وأنا فيمن حضر جنازته وصَلَّى عليه، رحمه الله.

وقال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكِفَّتان، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته. وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه[3].

---

(١) وهو المشهور بحديث البطاقة. أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، وابن حبان (١/ ٤٦١)، والحاكم (١/ ٧١٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) في الأصل: فاظت.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٢٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٠) بأطول منه وعزاه إلى البيهقي في الشعب.

وقال حذيفة: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل، فيقول له ربه: زِن بينهم، ورُدّ من بعضهم على بعض، فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة، فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم فرد على سيئات الظالم[١].

ويروى: أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يُريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، ثم أفاق فقال: إلهي! من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي، ملأتها بتمرة[٢].

فصل

واختلفوا في كيفية الوزن وما الذي يوزن؟

فقال قوم: توزن صحائف الأعمال؛ لحديث عبدالله بن عمرو[٣].

وقال قوم: يوزن الإنسان؛ لما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [الكهف:١٠٥]»[٤].

وقال قوم: تجعل في كِفّة الحسنات جواهر بيض، وفي كِفّة السيئات جواهر سود مُظْلِمَة.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤١٨) وعزاه لابن أبي الدنيا وابن جرير واللالكائي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في: زاد المسير (٣/ ١٧١).

(٣) السابق قبل قليل.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٩ ح٤٤٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٥).

فإن قيل: ما الحكمة في نصب الميزان والله سبحانه وتعالى يعلم مقادير الأعمال؟

قلت: فيه حِكَم، منها: تأكيدُ الحجة وإظهارُ العدل وقطع المعذرة، ولأجل ذلك أثبتت أعمالهم في الصحائف، وشهدت عليهم الملائكة والأنبياء والجوارح[1].

قوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ هو من باب إطلاق الجمع على الواحد، كقوله: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال الواحدي[2] وأبو الفرج ابن الجوزي رحمهما الله[3]: إنما قال: ﴿موازينه﴾ على الجمع؛ لأن «من» في معنى الجمع، ألا ترى أنه قال: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾.

وقال الفراء[4]: المراد بموازينه: وزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك.

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ١٧١). وفيه ذكر ابن الجوزي خمس حكم في نصب الميزان:
أحدها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.
والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.
والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر.
والرابعة: إقامة الحجة عليهم.
والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم. ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه.

(٢) الوسيط (٢/ ٣٥٠).

(٣) زاد المسير (٣/ ١٦٩).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٨٧).

قال الشاعر:

.... عندي لكلِّ مُخاصِمٍ ميزانُه(١)

يعني: مثل كلامه ولفظه.

وقوله: ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ أي: يكذبون بها ظلماً.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفّت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف(٢).

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي: وطأناها لكم وسهلناها لكم قراراً.

وقال ابن عباس: ملكناكم في الأرض(٣)، على أن الخطاب لقريش.

﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أي: ما تعيشون به من المطاعم والمشارب، أو ما

---

(١) جاء في اللسان: الميزان: المقدار. وهو عجز بيت. وصدره: (قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرَّة) انظر: اللسان (مادة: وزن)، والطبري (٣٠/ ٢٨٢)، والقرطبي (١٠/ ١٣، ١٧/ ٨٦، ٢٠/ ١٦٦)، وزاد المسير (٣/ ١٧٠)، وتاج العروس (مادة: وزن).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨). وانظر: الوسيط (٢/ ٣٥١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٣) وعزاه لابن جرير عن مجاهد قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما فقال له: إني موصيك بوصية أن تحفظها ... إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه... فذكره.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٢).

تتوصَّلون به إلى ذلك من أنواع المكاسب.

واتفق القُرّاء على ترك الهمز في "معايش"، وروى خارجة عن نافع همزها[1].

قال الزجاج[2]: جميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ؛ لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة، مثل صحيفة وصحائف، فأما «معايش» فمن العَيْش، الياء أصلية، وصحيفة من الصُّحُف، فالياء زائدة، وإنما همزت الياء الزائدة؛ لأنه لا حَظَّ لها في الحركة، وقد قَرُبَتْ من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمز.

فأما ما رواه نافع من «معائش» بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أُسْكِنَ في معيشة، فصار على لفظ: صحيفة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القراءة بذلك.

وقوله: ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ مثل قوله: ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ [الحاقة:٤١] وقد سبق القول فيه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ
إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ
أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ
لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٢)، والسبعة (ص:٢٧٨).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: «خلقناكم» في الأصلاب، «ثم صورناكم» في الأرحام(١).

وقال في رواية أخرى: «خلقناكم» في ظهر آدم، «ثم صورناكم» في الأرحام(٢).

وقال في رواية العوفي: «ولقد خلقناكم» يعني: آدم، «ثم صورناكم» يعني: ذريته من بعده(٣).

وقال معمر: خلقناكم في بطون أمهاتكم، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر(٤).

وقال مجاهد: «خلقناكم» يعني: آدم، «ثم صورناكم» في ظهره(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٧) عن ابن عباس، من رواية عكرمة، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٤٩ ح٣٢٤٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٣٢ ح١٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٤) وعزاه للفريابي.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٢). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٧) عن معمر عن رجل لم يصرح باسمه. وانظر: الماوردي (٢/ ٢٠٣)، وزاد المسير (٣/ ١٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٢)، ومجاهد (ص:٢٣٢). وذكره السيوطي

وقيل: «خلقناكم» يعني: الأرواح، «ثم صورناكم» يعني: الأجساد[١]. حكاه القاضي أبو يعلى في كتاب المعتمد.

وقال الزجاج[٢]: زعم الأخفش[٣] أن «ثم» هاهنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل ولا سيبويه وجميع من يوثق بعلمه، إنما «ثم» للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولاً، فإنما المعنى: بدأنا خلق آدم عليه السلام ثم صورناه، فابتداء خلق آدم التراب، الدليل على ذلك قوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران:٥٩]، فبدأ الله خلق آدم تراباً، وبدأ خلق حواء من [ضلع][٤] من أضلاعه، ثم وقعت الصورة بعد ذلك، فهذا معنى: ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾، أي: هذا أصل خلقكم، ثم خلق ولده نطفاً ثم صُوِّرُوا. وهاهنا تمّ كلام الزجاج.

فإن قيل: فما تصنع بقوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ على الأقوال المروية عن ابن عباس وقول معمر؟

قلت: إما أن يقال بأن فيه تقديماً وتأخيراً، وإما أن يكون التقدير: ثم كنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم. ﴿فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ لآدم تعظماً وتكبراً عليه وحسداً له.

= في الدر (٣/ ٤٢٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) ذكره ابن الجوزي في: زاد المسير (٣/ ١٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٢١-٣٢٢).

(٣) معاني القرآن للأخفش (ص:١٨٩).

(٤) في الأصل: ظلع. والتصويب من معاني الزجاج (٢/ ٣٢١).

﴿قال ما منعك﴾ «ما» رفع بالابتداء وما بعده الخبر، و«أن» في موضع نصب بـ"منعك"، تقديره: أي شيء منعك السجود لآدم[١]، وإنما سأله -وهو أعلم بحاله منه-؛ توبيخاً له وإظهاراً لعناده وكفره وتعظمه في نفسه وكبره.

و«لا» في قوله: ﴿أن لا تسجد﴾ صلة، بدليل قوله في موضع آخر: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص:٧٥] ومثلها: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ [الحديد:٢٩] بمعنى: لِيَعْلَمَ. وفائدة زيادتها: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه، كأنه قيل: ما منعك أن تلزم نفسك السجود وتحققه لآدم. وكذا لـ"يعلم"، أي: يتحقق علم أهل الكتاب[٢].

﴿قال أنا خير منه﴾ كأنه قال: منعني فضلي عليه. ثم ذكر ما ظنه موجباً لفضله عليه فقال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

قال ابن عباس: كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس، فعصى ربه وقاس، وأول من قاس إبليس وكفر بقياسه. فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس[٣].

وقال ابن سيرين: ما عُبِدَتِ الشمس والقمر إلا بالمقاييس[٤].

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٤٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١٦).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٨٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٣)، والسيوطي في الدر (٣/ ٤٢٥) وعزاه لابن جرير عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٣١). قال ابن كثير (٢/ ٢٠٤): إسناده صحيح.

وحجة إبليس لعنه الله في قوله: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ هي باطلة؛ لأنه عارض النص بالقياس. قال الإمام القرطبي (٧/ ١٧١): الطين أفضل من النار من وجوه أربعة:
=

وقال جماعة من أهل العلم: وقع الخطأ من إبليس حيث قاس مع وجود النص(١).

﴿قال فاهبط منها﴾ أي: من السماء إلى الدار التي هي مقر العاصين والمتكبرين، ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ أي: ما يصلح لك أن تتكبر في السماء التي هي مقر ملائكتي الخاضعين لجلالي، الخاشعين من هيبتي، ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ الأذلاّء، جُوزي اللعين بالصَّغار والخلود في النار، حيث عصى ربه بالاستكبار.

قال سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في شهوة فارجُ له التوبة، فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له. وإذا كانت معصيته في كِبْر فاخْشَ على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلُعن(٢).

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

=

أحدها: أن جوهر الطين الرزانة والسكون، والوقار والأناة، والحلم، والحياء، والصبر. وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع، فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية. ومن جوهر النار الخفة، والطيش، والحدة، والارتفاع، والاضطراب. وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء. الثاني: إن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر، ولم ينطق الخبر بأن في الجنة ناراً وأن في النار تراباً. الثالث: أن النار سبب العذاب، وهي عذاب الله لأعدائه، وليس التراب سبباً للعذاب. الرابع: أن الطين مستغن عن النار، والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب.

قلت: ويحتمل قولاً خامساً وهو أن التراب مسجد وطهور، كما جاء في صحيح الحديث. والنار تخويف وعذاب، كما قال تعالى: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾. اهـ.

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٣٥٣)، وزاد المسير (٣/ ١٧٤).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٩٥ ح٨٢١٧). وأبي نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٢).

تواضع أحد لله إلا رفعه»[١].

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانها، فإن هو رفع نفسه جبذاها، ثم قالا: اللهم ضعه، وإن وضع نفسه جبذاها ثم قالا: اللهم ارفعه»[٢].

وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى: إني إنما أَقْبَلُ صلاةَ من تواضع لعظمتي، ولم يَعْظُمْ على خلقي، وأَلْزَمَ قلبَه خوفي[٣].

وقال عمر رضي الله عنه: من تواضع لله رفع الله حكمته، وقال: انتعش نعشك الله، ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض[٤].

﴿قال أنظرني﴾ أي: أمهلني، ﴿إلى يوم يبعثون﴾ سأل الإنظار إلى غاية رام ببلوغها النجاة من الممات، فأنظر المغرور إلى النفخة الأولى في الصور، فذلك قوله: ﴿قال إنك من المنظرين﴾، وقد بيّن ذلك في الحِجر بقوله: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر:٣٨].

﴿قال فبما أغويتني﴾ أي: فبسبب إغوائك لي إياي ﴿لأقعدن لهم﴾، وقيل: هي باء القسم[٥]، كأنه أقسم بسلطان الله عليه ونفاذ قدرته فيه حتى أغواه.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٠ ح٢٥٨٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص:٩٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص:١١٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٢٩ ح٢٦٥٨٣، ٧/ ٩٦ ح٣٤٤٦١)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٥ ح٨١٣٩).

(٥) للباء أربعة عشر معنى انظرها في: مغني اللبيب لابن هشام (ص:١٣٧) وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٨٢) وما بعدها.

ومعنى "أغويتني": أضللتني عن الهدى[١]. وقيل: أهلكتني[٢]، من قول العرب: غَوِيَ الفصيلُ يَغْوَى؛ إذا فَقَدَ اللبن فمات[٣].

فعلى هذا سمي التزيين إغواء؛ لإفضائه بصاحبه إلى الهلاك.

قال أبو [معاوية][٤] الضرير: حدثنا رجل ولم يُسَمِّه قال: كنت عند طاووس في المسجد الحرام، فجاء رجل ممن يُرْمَى بالقدر من كبار الفقهاء، فجلس إليه، فقال [له طاووس][٥]: تَقوم أو تُقام، فقام الرجل، فقلت لطاووس: تقول هذا لرجل فقيه؟! فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: رب بما أغويتني، ويقول هذا: أنا أغوي نفسي[٦].

فإن قيل: ما موقع «ما» في قوله: ﴿فبما أغويتني﴾؟

قلت: الجزاء؛ على المعنى الأول، ومصدرية في موضع القسم؛ على المعنى الثاني.

---

(١) وهو قول ابن عباس والجمهور. أخرجه الطبري (٨/ ١٣٣). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم واللالكائي في السنة.

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ١٧٥). وهو قول ابن الأنباري.

(٣) انظر: لسان العرب (مادة: غوى).

(٤) في الأصل: معواية. وهو خطأ. وأبو معاوية هو محمد بن خازم. انظر ترجمته في: التقريب (ص:٤٧٥).

(٥) زيادة من القرطبي (٧/ ١٧٥).

(٦) ذكره القرطبي (٧/ ١٧٥).

وقد قيل: إنها استفهامية[١]، المعنى: فبأي شيء أغويتني.

ثم ابتدأ فقال: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قال الزجاج[٢]: هو مثل قولهم: ضُرِبَ زيد الظَّهْرَ والبَطْن.

والصراط المستقيم: هو الطريق المفضي بسالكه إلى الجنة. ويدخل في هذا قول ابن مسعود والحسن: هو طريق مكة[٣].

وقول جابر ومحمد ابن الحنفية: هو دين الإسلام[٤].

وقول مجاهد: هو الحق[٥].

وفي الحديث: عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قَعَدَ لابن آدم بأَطْرُقِه، فَقَعَدَ له بطريق الإسلام، فقال له: أَتُسْلِمُ وَتَذرُ دينكَ ودينَ آبائك، فَعَصَاهُ فأَسْلَم. ثم قَعَدَ له بطريق الهِجْرة، ثم قال له: أَتُهاجِرُ وتَذَر أرضكَ وسماءك، وإنما مَثَلُ المُهاجِرِ مثل الفرس في الطِّوَل[٦]، فعَصَاهُ فَهَاجَر. ثم قَعَدَ له بطريق الجِهاد، قال: فهو جَهْدُ

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٤١).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٢٤).

(٣) الماوردي (٢/ ٢٠٦)، وزاد المسير (٣/ ١٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٦) وعزاه لأبي الشيخ عن ابن مسعود.

(٤) زاد المسير (٣/ ١٧٦).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ١٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٦) الطِّوَل والطِّيَل -بالكسر-: الحبل الطويل يُشَدُّ أحدُ طَرَفَيْه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى، ولا يذهب لوجهه. وطوَّل وأطال بمعنى: أي شدّها في الحبل (النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٤٥، ولسان العرب، مادة: طول).

النَّفْسِ والمال فتُقاتل فتُقْتَل وتنكَحُ المرأة ويُقَسَّمُ المال، فعَصاهُ فجَاهَد. قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»[١].

ومقصود الخبيث إبليس بهذا: إفساد بني آدم وإهلاكهم. المعنى: لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسد بسببي كما فسدت بسببهم.

ثم توعدهم بأنواع التحيل على [إضلالهم][٢] من جميع جهاتهم فقال: ﴿لآتينهم من بين أيديهم﴾ فأشككهم في الآخرة، وأقول: لا بعث ولا نشور، ﴿ومن خلفهم﴾ فأرغبهم في الدنيا وأعدهم وأمنيهم، ﴿وعن أيمانهم﴾ فأثبطهم عن الحسنات، ﴿وعن شمائلهم﴾ فأزين لهم السيئات[٣].

وقيل: ﴿لآتينهم من بين أيديهم﴾ أي: من قبل دنياهم، ﴿ومن خلفهم﴾: من قبل آخرتهم. رُويا عن ابن عباس[٤].

قال قتادة: أتاك يا ابن آدم من كل جهة، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله[٥].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٥ ح٤٣٤٢)، والصغرى (٦/ ٢١ ح٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣).

(٢) في الأصل: إظلالهم.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٤-١٤٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٦-٤٢٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس. وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٤-١٤٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٧) وعزاه لابن أبي حاتم. وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٢٣).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ١٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٧) وعزاه لأبي الشيخ عن عكرمة.

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ قال ابن عباس: يريد: أن أكثرهم لإبليس طائعون ولله عاصون[١].

وقال أيضاً: "شاكرين": مُوحِّدين[٢].

وقيل: لا تجد أكثرهم شاكرين لسوابغ نعمك وسوائغ منّتك[٣].

﴿قال اخرج منها مذءوماً﴾ أي: اخرج من الجنة أو من السماء مذءوماً.

قال الفراء[٤]: يقال: ذأَمْتُ الرّجلَ، أَذأَمُهُ ذأماً؛ وذممته، أذُمُّه ذمّاً، وذِمْتُهُ، أَذيمُه ذَيْماً[٥].

قال المبرد: المذءوم: المعيب.

قال امرؤ القيس:

وبدا له وجه يردُّ الليل منجاباً ظلامُه
شهدت محاسنه التي كانت تصون وغاب ذامه

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٤٦). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٢٦-٤٢٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) فائدة: قال الماوردي (٢/ ٢٠٧): فإن قيل: كيف علم إبليس ذلك؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه ظنّ ذلك فصدق ظنّه، كما قال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠]، وسبب ظنه: أنّه لما أغوى آدم واستزله قال: ذرية هذا أضعف منه. والثاني: أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله.

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: زاد المسير (٣/ ١٧٨).

(٥) انظر: لسان العرب (مادة: ذأم).

وقال الكسائي: الذّؤم: المقبوح.

وقيل: الذَّأْم والذَّيْم: أشد العيب، وهو أبلغ من الذمّ.

والدّحر: الطرد والإبعاد، فمعنى ﴿مدحوراً﴾: مبعداً من رحمة الله.

﴿لمن تبعك منهم﴾ هذه لام التوكيد دخلت موطئة للقسم[1]، ﴿لأملأن جهنم﴾ جواب القسم، وهو ساد مسد جواب الشرط[2]، والمعنى: لمن تبعك من أولاد آدم، ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾. جعله ابن الأنباري من باب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

وقال صاحب الكشاف[3]: المعنى منكم[4] ومنهم، فغلّب [ضمير][5] المخاطب.

ويجوز عندي أن يقال: صاروا باتباع إبليس ومشايعته وتلبسهم بطاعته كالجزء منه ومن ذريته، ولذلك شملهم اسم الشيطنة، فيسلم الكلام بهذا التقرير من الإضمار والتقدير.

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٤٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١٧).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٤٥).

(٣) الكشاف (٢/ ٩٠).

(٤) في الكشاف: منك.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾، الوَسْوَسَة: حديث النفس. يقال: وَسْوَسَتْ إليه نفسه وَسْوَسَة ووِسْواساً -بكسر الواو-. والوَسْواسُ -بفتح الواو-: الاسم، ووَسْوَسَ الرجل؛ إذا تكلم كلاماً خفياً، ووَسْوَسَ الحلي[1]، قال الشاعر:

تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْواساً إذا انْصَرَفَتْ كما اسْتَعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ[2]

وهو فعل غير متعد؛ كَوَلْوَلَت المرأة، وَوَعْوَع الذئب. والمعنى: ألقى الشيطان إليهما ذلك في خفية. وقد ذكرنا في البقرة كيفية توصله إليهما.

واللام في قوله: ﴿ليبدي لهما﴾ لام العاقبة[3]؛ لأن مراد الشيطان معصيتهما لا إبداء سوأتهما. ويجوز أن يكون إبداء سوأتهما غرضاً له ليسوؤهما إذا رأيا ما يواريان ستره، وقوله: ﴿ما ووري﴾ أي: ما ستر، من المواراة، ومنه: ﴿ليواري سوأة أخيه﴾ [المائدة:٣١].

وفي قراءة ابن مسعود: «ما أُوري» على قلب الواو المضمومة همزة[4].

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا﴾ وقرأت شاذاً: «هذي الشجرة» على الأصل، فإن الأصل: الياء، والهاء بدل منها.

---

(١) انظر: لسان العرب (مادة: وسس).

(٢) البيت للأعشى. انظر: القرطبي (٧/ ١٧٨)، واللسان، مادة: (وسس، عشرق، زجل).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٤٧).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٢٧٩)، والدر المصون (٣/ ٢٤٧).

﴿إلا أن تكونا﴾ أي: كراهة أن تكونا ﴿ملكين﴾ فلا تموتان إلى يوم القيامة.

وقرأ ابن عباس: «مَلِكين» بكسر اللام[١]، لقوله: ﴿وملك لا يبلى﴾ [طه:١٢٠].

﴿أو تكونا من الخالدين﴾ فلا تموتان أبداً.

﴿وقاسمهما﴾ أي: حلف لهما، ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾.

قال ابن عباس وقتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وإنما يخادع المؤمن بالله. قال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما[٢].

فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾

---

(١) وهي قراءة يحيى بن كثير، والضحاك، والحسن بن علي، والزهري، وابن حكيم أيضاً. وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء كسر اللام، قال: لم يكن قبل آدم ﷺ مُلك فيصيرا مَلِكين (انظر: الطبري ٨/ ١٤٠، والبحر المحيط ٤/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٤١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

﴿فدلاّهما﴾(١) هذا مجاز عن إلقائهما في هوة ﴿بغرور﴾ وكل واقع في مثل ذلك، فإنه نازل من علو إلى استفال، ومن كرامة إلى إذلال.

قال الأزهري(٢): أصله: تدلية العطشان في البئر ليَرْوى من الماء فلا يَجِد الماء، فيكون مُدَلًّى بالغرور، ثم وضعت التَّدْلِيَةُ موضع الإطماع فيما لا يُجْدي نفعاً، فيقال: دلَّاه إذا أطمعه في غير مطمع.

قال ابن عباس: غرّهما باليمين، وكان آدم يظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً(٣).

﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ أي: أكلا منها، قال الزجاج(٤): قوله: «ذاقا» يدل على أنهما لم يُبالِغَا في الأكل.

﴿بَدَتْ لهما سوآتهما﴾ قال وهب: كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر(٥).

﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ أي: أقبلا، يقال: طَفِقَا وطَفَقَا، بفتح الفاء وكسرها(٦). وبالفتح قرأ أبو [السَّمَّال](٧).

قال قتادة: أقبلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة، وهو ورق التين، حتى

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ﴿بغرور﴾. وستأتي بعد.

(٢) تهذيب اللغة (١٤/ ١٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٧)، وزاد المسير (٣/ ١٨٠).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٢٨).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٠) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٢٨١)، والدر المصون (٣/ ٢٥١).

(٧) في الأصل: السماك. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: لسان الميزان (٤/ ٤٧٥)، والمغني في الضعفاء (٢/ ٧٨٩).

صار كهيئة الثوب[١].

﴿وناداهما ربهما﴾ على وجه التوبيخ والعتاب: ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة... الآية﴾.

ويروى أنه قال: ألم يكن لك فيما أبحتك ومنحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ فبعزتي حلفتُ لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كداً. فأُهبط وعُلّم صنعة الحديد، وأمر الحرث فحرث وزرع، وسقى وحصد، وداس وذرى، وعجن وخبز[٢].

ومعنى قوله: ﴿فيها تحيون﴾ أي: في الأرض تعيشون، ﴿وفيها تموتون﴾ أي: فيها قبوركم، ﴿ومنها تخرجون﴾ للبعث. وما لم أذكره هاهنا مُفسّر في البقرة.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً﴾ سبب نزولها: أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت عراة؛ تنزهاً عن الطواف في ثياب تدنست بالمعاصي، وتفاؤلاً

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٢) من حديث ابن عباس.

بالتعري من الذنوب[١].

وقيل: إنه لما ذكر عري آدم امتنّ علينا فأنزل اللباس.

فإن قيل: اللباس غير منزل، فكيف أوقع عليه لفظ الإنزال؟

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: أنزلنا عليكم الحكم به، كما يقال: أنزل الله الصلاة.

الثاني: أنه لما كان اللباس متخذاً من النبات الذي سببه المطر أوقع عليه لفظ الإنزال.

ومثله: ﴿وريشاً﴾. وقرأتُ لعاصم من رواية أبان والمفضل: «ورياشاً» بزيادة ألف[٢]، قيل: هو جمع ريش؛ كشعب وشعاب.

قال سفيان: الريش: المال، والرياش: الثياب[٣].

والأكثرون على أنهما بمعنى واحد.

قال قطرب: هما واحد[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: الرِّيش والرِّياش: ما ظهر من اللباس.

---

(١) انظر: الماوردي (٢/ ٢١٣)، وزاد المسير (٣/ ١٨١).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٣)، والطبري (٨/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٤/ ٢٨٣)، وزاد المسير (٣/ ١٨١).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٨) عن ابن عباس ومجاهد والسدي وعروة والضحاك، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ من طرق عن ابن عباس.

(٤) انظر قول قطرب في: زاد المسير (٣/ ١٨٢).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:١٦٦).

وقيل: هو الجمال والزينة، استعير من ريش الطائر، فكأنه قيل: أنزلنا عليكم لباسين، لباساً يواري سوآتكم، ولباساً يزينكم.

وقال الزجاج[١]: الرِّيش: اللباس، والرياش: كل ما ستر الرجل في جِسْمِه ومعيشتِه. يقال: قد تريَّش فلان، أي: صار له ما يعيش به، أنشد سيبويه وغيره:

فَرِيشِي مِنْكُمُ وهَوَايَ مَعْكُمْ وإِنْ كَانَتْ زيارَتُكُمْ لِمَاما[٢]

قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾: مبتدأ، ﴿ذلك﴾: صفته، ﴿خير﴾: خبره[٣]، كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير.

وقيل: خبره الجملة، كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير.

ومعنى الكلام: ولباس التقوى خير لصاحبه عند الله من لباس الثياب.

وقيل: لباس التقوى هو اللباس الأول، فـ﴿لباس التقوى﴾ على هذا: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو لباس التقوى[٤].

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: "ولباسَ التقوى" بالنصب[٥]، عطفاً على

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٢٨).

(٢) البيت لجرير. انظر: ديوانه (ص:٤١٠)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٢٨٧) ونسبه للراعي، وانظر: شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ١٢٨)، والعيني (٣/ ٤٣٢)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٢٤٥)، والأشموني (٢/ ٢٥٦)، والتصريح (٢/ ٤٨)، والقرطبي (٧/ ١٨٤)، وزاد المسير (٣/ ١٨٢)، والدر المصون (٣/ ٢٥٣)، ولسان العرب (مادة: معع).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧١)، والدر المصون (٣/ ٢٥٣).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٠)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والنشر (٢/ ٢٦٨)، والإتحاف (ص:٢٢٣)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٠).

«لباساً» و«رياشاً» و«ريشاً».

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لباس التقوى: هو السمت الحسن(١).

وقيل: العمل الصالح(٢). رُويا عن ابن عباس.

وقال قتادة: الإيمان(٣).

وقال عروة بن الزبير: خشية الله(٤).

وقال معبد الجهني: الحياء(٥).

وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الهديَ الصالح والسمتَ

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٧).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٤) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٥) وعزاه لأبي عبيد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

قلت: ولا منافاة بين هذه الأقوال، فهي مندرجة تحت تقوى الله. ولهذا قال ابن جرير الطبري (٨/ ١٥١): وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ استشعار النفوس تقوى الله، في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه، والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع الإيمان، والعمل الصالح، والحياء، وخشية الله، والسمت الحسن، لأن مَنْ اتقى الله كان به مؤمناً، وبما أمره به عاملاً ومنه خائفاً، وله مراقباً، ومن أن يُرَى عند ما يكره من عباده مستحييًا. ومَنْ كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سَمْته وهَدْيه، ورُئِيَتْ عليه بهجة الإيمان ونوره. اهـ.

الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة»[١].

قال الخطابي: هديُ الرجل: حاله ومذهبه وكذلك سمته، والاقتصاد: سلوك القصد في الأمر والدخول فيه برفق[٢].

والمعنى: أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء فاقتدوا بهم فيها، وليس المعنى: النبوة تتجزأ، فإنها غير مكتسبة.

وفيه وجه آخر: أن يكون معنى النبوة هاهنا: ما جاءت به النبوة ودعت إليه الأنبياء عليهم السلام.

قال: ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن من اجتمعت له هذه الخصال لقيه الناس بالتعظيم وألبسه الله لباس التقوى الذي يلبسه الأنبياء، وكأنها جزء من النبوة.

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من إنزال اللباس والرياش ﴿من آيات الله﴾ الدالة على فضله ونعمته ورحمته لعباده، ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيعرفوا عظيم نعمته عليهم وإحسانه إليهم.

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ أي: لا يخدعنكم بغروره فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف، كما فتن أبويكم من قبل فخدعهما حتى أخرجهما من الجنة.

﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ وهو النور، في قول ابن عباس[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٤٧ ح٤٧٧٦)، وأحمد (١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: عون المعبود (١٣/ ٩٤).

(٣) زاد المسير (٣/ ١٨٤).

ولباس التقوى، في قول مجاهد[(١)].

وذكر القاضي أبو يعلى: أنه كان من ثياب الجنة[(٢)]. وأضيف الإخراج والنزع إلى الشيطان؛ لكونه السبب في ذلك.

وقوله: "ينزع" في محل الحال[(٣)]، ﴿ليريهما سوآتهما﴾ أي: يرى كل واحد منهما سوأة صاحبه.

ثم حذرهم كيده فقال: ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ يعني: جنوده من الشياطين، ﴿من حيث لا ترونهم﴾.

قال ابن عباس: جعلهم الله يجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم[(٤)].

قال قتادة: والله إن عدواً يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة، إلا من عصمه الله[(٥)].

وقال ذو النون المصري: إن كان هو يراك من حيث لا تراه، فإن الله يراه من حيث لا يرى الله، فاستعن بالله عليه، فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) زاد المسير (٣/ ١٨٤).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧١)، والدر المصون (٣/ ٢٥٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٠)، وزاد المسير (٣/ ١٨٤).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٠). وانظر: الوسيط (٢/ ٣٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٦) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٦) ذكره النسفي في تفسيره (٢/ ٨).

﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ قال الزجاج[(١)]: سلَّطناهم عليهم يزيدون في غَيِّهم.

وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ يعني: ما عظم قبحه من الذنوب.

وقال ابن عباس: يريد: طوافهم بالبيت عراة رجالاً ونساءً[(٢)].

وقال عطاء: يريد: الشرك[(٣)].

﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ فاعتذروا بتقليد آبائهم، وهو جهل محض، ونسبوا الأمر بها إلى الله، وهو كذب صراح براح؛ لأن الله عز وجل لا يأمر بالقبيح.

﴿قل﴾ لهم يا محمد راداً عليهم ما اختلقوه ونسبوه إلى الله، ﴿أمر ربي بالقسط﴾ وهو العدل المستحسن عند ذوي البصائر لا بالفاحشة القبيحة، ﴿وأقيموا

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٠)، وزاد المسير (٣/ ١٨٥).

وجوهكم عند كل مسجد﴾.

قال مجاهد والسدي وابن زيد: وجهوا وجوهكم حيث كنتم إلى الكعبة(١).

وفي هذا القول نظر؛ لأن الآية مكية، والأمر بالتوجه إلى الكعبة كان على رأس ستة عشر شهراً في المدينة، وقد ذكرنا ذلك في البقرة.

وقال الربيع: المعنى: اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة(٢).

﴿وادعوه﴾ أي: اعبدوه، ﴿مخلصين له الدين﴾ أي: مفردين له الطاعة والعبادة، ﴿كما بدأكم تعودون﴾.

قال ابن عباس: كما بدأكم سعداء وأشقياء، فكذلك تبعثون(٣).

وقال في رواية أخرى: كما خلقكم بقدرته كذلك يعيدكم(٤).

فيكون احتجاجاً على منكري الإعادة بابتداء الخلق. وهذا قول الحسن ومجاهد واختيار الزجاج(٥).

﴿فريقاً هدى﴾ أرشد إلى دينه، ﴿وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾ بالإرادة السابقة

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٢)، ومجاهد (ص:٢٣٤). وانظر: الوسيط (٢/ ٣٦١)، وزاد المسير (٣/ ١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٥). وانظر: الماوردي (٢/ ٢١٦)، وزاد المسير (٣/ ١٨٥).

(٣) أخرج نحوه الطبري (٨/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٢). وانظر: الماوردي (٢/ ٢١٧)، وزاد المسير (٣/ ١٨٥). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٥٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٨٦).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٣٣١)، والوسيط (٢/ ٣٦١).

والكلمة الأزلية.

وانتصاب "فريقاً" على الحال من الضمير في "تعودون"[(١)]، تقديره: تعودون مختلفين مهتدين وضالين.

ويؤيد ذلك قراءة أبي بن كعب: «تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة»[(٢)].

وجائز أن يكون "فريقاً" الأولى منصوباً بـ "هَدَى"، والثاني بفعل مضمر يدل عليه ما بعده[(٣)]، تقديره: وأضل فريقاً حَقَّ عليهم الضلالة.

فعلى هذا؛ يجوز الوقف على "تعودون". وعلى الأول؛ لا يجوز.

۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أخرج مسلم في صحيحه من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تطوف

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧١)، والدر المصون (٣/ ٢٥٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٢٩٠)، والدر المصون (٣/ ٢٥٩).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧١)، والدر المصون (٣/ ٢٥٩).

بالبيت عريانة فتقول: من يعيرني تطوافاً؟ تجعله على فرجها وتقول:

اليومَ يبدُو بعضُهُ أو كُلُّه ... وما بَدَا منْه فلا أُحِلُّه[(١)]

فنزلت: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾»[(٢)].

قال طاووس: لم يأمرهم بالحرير ولا بالديباج، ولكن كان أهل الجاهلية يطوف أحدهم بالبيت عرياناً، ففي ذلك قال: ﴿خذوا زينتكم﴾[(٣)].

قال مجاهد: ما وارى عورتك، ولو عباءة[(٤)].

والمعنى: استروا عوراتكم عند كل مسجد في الطواف والصلاة.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله العطار وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة الصوفي قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى بن شعيب، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني حميد بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة قال: «بعثني أبو بكر رضي الله عنه فيمن يؤذن

---

(١) انظر البيت في: البحر (٤/ ٢٩١)، والقرطبي (٧/ ١٨٩)، والطبري (٨/ ١٥٤، ١٦٠، ١٦١)، وزاد المسير (٨/ ١٨٦). والقائلة هي: ضباعة بنت عمرو بن محصن النجّارية.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٢٠ ح٣٠٢٨).

وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٢٨)، ولباب النقول (ص:١٠٥)، وتفسير الطبري (٨/ ١٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٣٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٦١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

يوم النحر بمنى: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»[١]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب.

قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا﴾ كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم دسماً، ولا يأكلون من الطعام إلا قوتاً، فقال المسلمون: نحن أحق بذلك، فأنزل الله: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ بتحريم ما أحل الله لكم[٢].

وقيل: لا تسرفوا بأكل الحلال فوق الحاجة[٣].

ويروى: أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن حسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء؟ فقال علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه، قال: وما هي؟ قال: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب؟ فقال علي: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟ قال: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعوّدوا كل بدن بما اعتاد». فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً[٤].

قوله تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ نزلت في إنكار المشركين على المسلمين لبس الثياب في الطواف، وأكل الطيبات من

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٦٠ ح٣٠٠٦)، ومسلم (٢/ ٩٨٢ ح١٣٤٧).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ٣٦٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٢٨)، وزاد المسير (٣/ ١٨٧).

(٣) وهو قول الزجاج. انظر: معاني الزجاج (٢/ ٣٣٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في: زاد المسير (٣/ ١٨٨).

اللحم والألبان والأدهان في زمن الإحرام، ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ يعني: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ولغيرهم.

وإنما اقتصر على ذكر المؤمنين؛ تنبيهاً على أنها خلقت لهم بطريق الأصالة، والكفار في حكم التبعية، ألا ترى إلى قوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ إلى قوله: ﴿إن الله هو الرزاق﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨]، يريد: أنه خلقهم للتوحيد ورزقهم.

وقال الزجاج[١]: المعنى: قل هي حلال للذين آمنوا.

قرأ نافع: "خالصةٌ" بالرفع، وقرأ الباقون: بالنصب[٢].

فمن رفع جعله خبراً بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب، فالمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة.

ومن نصب فعلى الحال، على أن العامل في قولك «في الحياة الدنيا» في تأويل الحال، كأنك قلت: قل هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. هذا كلام الزجاج.

وقال أبو علي[٣]: من قرأ «خالصةٌ» بالرفع، جعله خبراً للمبتدأ الذي هو «هي»، ويكون «للذين آمنوا» تثبيتاً للخلوص، واللام متعلقة بالخبر الذي هو "خالصة". ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، ويكون حينئذ في المجرور الذي هو خبر

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٣٣).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨١)، والكشف (١/ ٤٦١)، والنشر (٢/ ٢٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٣)، والسبعة في القراءات (١/ ٢٨٠).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٥).

ذكره يعود إلى المبتدأ[١].

ومن نصب «خالصةً» كان حالاً مما في قوله: "للذين آمنوا"؛ لأن فيه ذكراً يعود إلى المبتدأ الذي هو «هي»، فـ"خالصةً" حال عن ذلك الذكر، والعامل في الحال مافي اللام من معنى الفعل، واللام على هذا متعلقة بمحذوف، وفيها الذكر الذي كان يكون في المحذوف لو ذكر، وليست متعلقة بالخلوص، كما تعلقت به في قول من رفع.

وقال ابن الأنباري: «خالصةً» نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يلبس سقوطها[٢].

قال الشاعر:

تقولُ ابنتي لما رأتْنِي شَاحِباً كأنَّكَ يحميكَ الطعامَ طَبيب
تَتَابُعُ أحْداثٍ تَخَرَّمْنَ إخْوتي فشيَّبْن رأسي والخُطُوبُ تُشِيب[٣]

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيّنها ونوضحها، ﴿لقوم يعلمون﴾ يعقلون سرّ الله ما أحل وحرم، فأما من تولى الشيطان وأطاعه، فهو بمعزل عن هذا البيان الواضح.

قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾ هي جمع: فاحشة. وقد ذكرنا أن الفاحشة: ما اشتد قبحه من الذنوب، فيدخل في ذلك جميع ما ذكره المفسرون من

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٨٨).

(٢) انظر قول ابن الأنباري في: زاد المسير (٣/ ١٨٩)

(٣) البيتان لكعب بن سعد الغنوي، يرثي أخاه. وهما في: زاد المسير (٣/ ١٨٩).

الزنا، ونكاح ذوات المحارم، وكشف العورة في الطواف والصلاة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن بن روزبة قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي وائل، عن عبدالله قال: قلت: أنت سمعت هذا من عبدالله؟ قال: نعم، ورفعه قال: «لا أحد أغْير من الله، فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، فلذلك مدح نفسه»(١).

وأخبرنا به عالياً أبو علي بن عبدالله المذكر في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ فذكر الحديث إلا أنه قال: «أحب إليه المدح»(٢). أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

قوله تعالى: ﴿والإثم والبغي بغير الحق﴾ قال مجاهد: الإثم: المعاصي كلها(٣).

وقال الحسن وعطاء: الخمر(٤).

وأنشدوا قول الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٩٩ ح٤٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٢ ح٤٩٢٢)، ومسلم (٤/ ٢١١٤ ح٢٧٦٠)، وأحمد (١/ ٣٨١ ح٣٦١٦).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٦٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٩١).

(٤) الماوردي (٢/ ٢٢٠) بلا نسبة، والوسيط (٢/ ٣٦٤) عن عطاء، وزاد المسير (٣/ ١٩١) عن الحسن وعطاء.

نَشْرَبُ الإِثْمَ بالصُّواعِ جِهارا ... ونرى المُتْك بيننا مُسْتَعَارا[١]

وقول الآخر:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ[٢]

وأنكر ثعلب وابن الأنباري ذلك، وقالا[٣]: لم تسم العرب الخمر إثماً قط.

فإن قيل: هل بين قول الحسن وعطاء: الإثم الخمر، وبين قول ثعلب وابن الأنباري تناقض؟

قلت: إن صح قول ثعلب وابن الأنباري أن العرب لم تسم الخمر إثماً قط، فيكون قول الحسن وعطاء تفسيراً لما به حصل الإثم، لا تسميةً للخمر بالإثم، وحينئذ لا تناقض بين القولين، فإن المنكر إنما هو كون العرب وضعت لها الاسم، لا أنها يحصل بشربها الإثم[٤].

والبغي: الكبر والظلم.

---

(١) لم أهتد إلى قائله، وهو في: القرطبي (٧/ ٢٠١)، وزاد المسير (٣/ ١٩١)، وروح المعاني (١٢/ ٢٢٨)، ولسان العرب (مادة: أثم). والصواع: هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه (انظر: اللسان، مادة: أثم).
وأصل المتك: الزُّماوَرْد. وقيل: الأُتْرُجّ (اللسان، مادة: متك).

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٩١): قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفاً في شعر من يحتج بشعره. انظر: الغريبين (١/ ١٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، والدر المصون (١/ ٢٨٥)، والبغوي (٢/ ١٥٨)، والقرطبي (٧/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٣/ ١٩١)، وروح المعاني (٨/ ١١٢)، ولسان العرب (مادة: أثم)، والماوردي (٢/ ٢٢٠).

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ٣٦٤)، ولسان العرب (مادة: أثم).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ١٩١).

فإن قيل: إذا كان الفواحش ما اشتد قبحه من الذنوب كما ذكرت، والإثم جميع المعاصي كما حكيت عن مجاهد، فما باله خص البغي والشرك والقول على الله بغير علم بالذكر؟

قلت: خصَّ هذه الجنايات بالذِّكر وإن اندرجت تحت عموم اللفظ؛ لعظم إثمها وشدة قبحها وتضمنها فرط الاجتراء على الله وقبح الافتراء عليه، فصارت هذه الجنايات بسبب زيادة قبحها وضررها كأنها جنس آخر، فلذلك خصصت بالذكر.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولكل أمة أجل﴾ أي: وقت معلوم لهلاكهم، ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الذي لهم ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ المعنى: لا يستأخرون قليلاً ولا كثيراً، وإنما خصَّ الساعة بالذكر؛ لأنها أقل أسماء الأوقات في غالب استعمال الناس.

وقيل: إنها نزلت في استعجالهم العذاب.

قوله تعالى: ﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم﴾ سبق الكلام على «إما» وجواب الشرط في سورة البقرة عند قوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾[١].

وما بعده ظاهر ومفسر إلى قوله: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ أي: ما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الخير والشر والأرزاق والأعمار وغير ذلك، ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له، المعنى: أولئك ينالون نصيبهم ويستوفونه إلى وقت وفاتهم، وهذه «حتى» هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام هاهنا الجملة الشرطية، و«يتوفونهم» حال من «الرسل»[٢].

والمراد بالتوفي: الموت. وقيل: الحشر إلى النار.

فعلى الأول؛ المراد بالرسل: مَلَك الموت وأعوانه، وعلى الثاني: ملائكة العذاب.

﴿قالوا﴾ يعني: الرسل على وجه التوبيخ لهم، ﴿أينما كنتم تدعون من دون الله﴾ من الآلهة، ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أي: غابوا فلا نراهم، وبطل ما كنا نرجوه من النفع بهم، فاعترفوا بأنهم لم يكونوا على شيء حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ عند معاينة الموت. وقيل: لدى الحشر، ﴿أنهم كانوا كافرين﴾.

قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ

(١) عند الآية رقم: ٣٨.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٦٤-٢٦٥).

﴿لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قال ادخلوا في أمم﴾ أي قال الله للكفار: «ادخلوا في أمم» في محل الحال، أي: كائنين في جملة أمم أو مع أمم[(١)]، ﴿قد خلت﴾ أي: سبقتكم وتقدمتكم في الزمان، ﴿من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ التي اقتدت بها في الضلال. والمعنى: لعنت أختها في الدين لا في النسب، ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ أصله: «تَدَاركُوا» فأدغمت التاء في الدال، ثم اجتلب لها ألف الوصل توصلاً إلى النطق بالساكن، والمعنى: حتى إذا تلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿قالت أخراهم﴾ آخرهم دخولاً النار وهم الأتباع ﴿لأولاهم﴾ الرؤساء القادة الذين دخلوا النار قبلهم، والمعنى: لأجل أولاهم؛ لأن قولهم لله لا لأولاهم، ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾.

قال ابن عباس: لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً[(٢)].

﴿فآتهم عذاباً ضعفاً﴾ أي: مضاعفاً ﴿من النار﴾؛ لأنهم ضلوا وأضلوا، ﴿قال لكل ضعف﴾ أي: عذاب مضاعف[(٣)]، ﴿ولكن لا تعلمون﴾.

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٦٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٦)، وزاد المسير (٣/ ١٩٥).

(٣) الضعف على ما قال أبو عبيد، ونص عليه الشافعي في الوصايا: مِثْل الشيء مرة واحدة. وعن الأزهري: أن هذا المعنى عرفي، والضعف في كلام العرب وإليه يرد كلام الله تعالى: المثل إلى ما زاد، ولا يقتصر على مثلين، بل هو غير محصور، واختاره هنا غير واحد. وقال الراغب: الضعف بالفتح =

قرأ أبو بكر عن عاصم: «يعلمون» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة[1].

فمن قرأ بالتاء فعلى معنى: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب.

وقال الزجاج[2]: يجوز أن يكون -والله أعلم-: ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا [مقدار][3] ذلك.

ومن قرأ: «يعلمون» فعلى معنى: لا يعلم كل فريق منهم ما للآخر من العذاب.

﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ يقتضي في حقكم

= مصدر، وبالكسر اسم كالثني، والثني هو الذي يثنيه، ومتى أضيف إلى عدد اقتضى ذلك العدد مثله، نحو أن يقال: ضعف عشرة، وضعف مائة، فذلك عشرون ومائتان بلا خلاف، وعلى ذلك قول الشاعر:

جزيتك ضعف الود لما اشتكيته وما أن جزاك الضعف من أحد قبلي

وإنما قيل: اعطه ضعفي واحد، اقتضى ذلك الواحد ومثليه، وذلك ثلاثة، لأن معناه الواحد واللذان يزاوجانه. هذا إذا كان الضعف مضافاً، فإذا لم يكن مضافاً فقلت: الضعفين، فقد قيل: يجري مجرى الزوجين في أن كل واحد منهما يزاوج الآخر، فيقتضي ذلك اثنين، لأن كل واحد منهما يضاعف الآخر، فلا يخرجان منهما. (انظر: روح المعاني ٨/ ١١٦)، ولسان العرب (مادة: ضعف)، وترتيب القاموس (٣/ ٢٦-٢٧)، والصحاح (٤/ ١٣٩٠-١٣٩١)، ومفردات الراغب (ص:٤٣٨) وما بعدها، ومجاز القرآن (١/ ٢١٤).

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨١)، والكشف (١/ ٤٦٢)، والنشر (٢/ ٢٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٤)، والسبعة في القراءات (١/ ٢٨٠).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٣٧).

(٣) في الأصل: بمقدار. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

التخفيف بالنسبة إلينا والتضعيف علينا، كأنهم التمسوا التسوية في العذاب؛ لاشتراكهم في سببه.

قال الله تعالى: ﴿فذوقوا العذاب﴾ أيها القادة والأتباع، ﴿بما كنتم تكسبون﴾ من الكفر والتكذيب.

ويجوز أن يكون هذا من تمام قول القادة للأتباع.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ قرأ حمزة والكسائي: «يُفْتَحُ» بالياء والتخفيف(١)، وقرأ أبو عمرو: بالتاء، لتأنيث الأبواب، وبالتخفيف، ووافقه الباقون في القراءة بالتاء، لكنهم شددوا التاء. ومن قرأ بالياء؛ فلأن تأنيث الأبواب غير حقيقي(٢).

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٢)، والكشف (١/ ٤٦٢)، والنشر (٢/ ٢٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٠).

(٢) حجة من قرأ بالتاء: قوله تعالى: ﴿وفُتِحَتْ أبوابها﴾ ذهبوا إلى جماعة الأبواب. وحجة من قرأ بالياء: هي أنه لما فصل بين المؤنث وبين فعله بفاصل صار الفاصل كالعوض من التأنيث والتذكير، والتأنيث في هذا النوع قد جاء بهما التنزيل؛ فمن الأول قوله تعالى: ﴿لن ينالَ الله لحومُها ولا دماؤها﴾، ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه﴾ ولو ذكّر أو أنّث فعل اللحوم كان جائزاً حسناً، فأما التشديد فإنه من التفتح مرة بعد مرة أخرى، وهذا هو المختار لأنه =

والمعنى: لا يفتح لأعمالهم ولدعائهم ولأرواحهم، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ينتهى بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى الأرض»(١).

وقد قيل: المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة؛ لأن الجنة في السماء، ويدل عليه قوله: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾. وقرئ بالحركات الثلاث على السين، فالفتح قراءة الأكثرين، والضم قراءة ابن مسعود وأبي رزين وأبي مجلز وقتادة، والكسر قراءة أبي عمران وأبي نهيك، ورواه الأصمعي عن نافع(٢).

قال الزجاج(٣): الخِياط: الإبرة، وسُمُّها: ثقبها.

وقال الثعلبي(٤): الخياط والمخيط: الإبرة.

قلت: وقد قرأ «المِخْيَط» جماعة، منهم: ابن مسعود وأبو رزين وأبو مجلز(٥).

وقال الواحدي(٦): الخِيَاط: ما يُخاط به.

= عن جماعة، وحجتهم قوله: ﴿مُفَتَّحةً لهم الأبواب﴾ ولم يقل: (مفتوحة)، وقال: ﴿وغَلَّقت الأبواب﴾، ومن خفف دل على المرة الواحدة.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤ ح٨٧٥٤).

(٢) انظر هذه القراءات في: زاد المسير (٣/ ١٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٣٨).

(٤) الثعلبي (٤/ ٢٣٣).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٦) الوسيط (٢/ ٣٦٧).

والمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في ثقب الإبرة، أي: حتى يكون ما لا يكون من ولوج الجمل -الذي يضربون بـه المثـل في عظـم الأجـرام وامتـداد الأجسام، حتى قال الشاعر:

.... جِسْمُ الجِمَالِ وأَحْلامُ العَصَافِيرِ (١)

وسمّوا الرجل العظيم الخَلْق: جُمالياً- في خَرْت الإبرة الذي يضربون به المثل في ضيق المسلك، فيقولون: أضيق من خُرْت الإبـرة. وقـالوا للماهـر في الدلالـة: خِرِّيت؛ لاهتدائه في المضائق المشتبهة، المشبّهة بأخرات الإبر (٢).

وقرأت على الشيخين أبي البقـاء اللغـوي وأبي عمـرو اليـاسري رحمهـما الله لعاصم من رواية أبان عنه: «الجُمّل» بضم الجيم وتشديد الميم، وبها قـرأ جماعـة، منهم: ابن عباس في رواية شهر بن حوشب عنـه، وأبـو رزيـن، ومجاهـد، وابـن محيصن (٣)، وهو: القَلْس الغليظ. ورجح ابن عباس هذه القراءة؛ لما بـين الحبـل وسم الخياط من الارتباط.

وقرأ قتادة: «الجُمَل» بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها، وهي رواية مجاهد عن

---

(١) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت. ورواية الديوان:

لا عيب في القوم من طول ولا عظم جسم البغال وأحلام العصافير

انظر: الكتاب (٢/ ٧٤)، والخزانة (٤/ ٧٢)، والدر المصون (٣/ ٢٦٩).

(٢) حَرَت الشيء يَحْرُته حَرْتاً: قطعه قطعاً مستديرة. قال الأزهري: وأظنه تصحيفاً، والصواب: خَرَتَ الشيء يَخْرته، بالخاء. والخُرتة: هي الثقب المستدير (لسان العرب، مادة: حرت).

(٣) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البـشر (ص:٢٢٤)، وزاد المسير (٣/ ١٩٧-١٩٨)، والـدر المصون (٣/ ٢٧٠).

ابن عباس(١).

وقرأ سعيد بن جبير وعكرمة: «الجُمْل» بضم الجيم وسكون الميم(٢).

قال ابن الأنباري: الجُمَل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجَمَل، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجمال قيل في جمعها جمل، كما يقال حُجْرة وحُجَر، وظُلْمة وظُلَم. وكذلك من قرأ الجُمْل يسوغ له أن يقول: الجُمْل بمعنى الجَمَل، وأن يقول الجُمُلُ جمع جملةٍ، مثل: بسرة وبسر(٣).

وقرأ ابن عباس في رواية عطاء بن السائب(٤) والضحاك والجحدري: بضم الجيم والميم والتخفيف(٥).

وقال ابن جني(٦): الجُمَّلُ بالتثقيل، والجُمُل بالتخفيف، فكلاهما: الحَبْل الغليظ.

وأما الجُمْل فيجوز أن يكون جمع جَمَل كأَسَدٍ وأُسْد، وكذلك المضموم الميم أيضاً كأُسُد.

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء وأبو [السَّمَّال](٧): «الجَمْل» بفتح الجيم

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٩٧-١٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٣) زاد المسير (٣/ ١٩٨).

(٤) في زاد المسير: عطاء بن يسار.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٦) المحتسب (١/ ٢٤٩).

(٧) في الأصل: السماك. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: لسان الميزان (٤/ ٤٧٥)، والمغني في الضعفاء (٢/ ٧٨٩).

وبسكون الميم خفيفة[١].

قال ابن جني[٢]: بعيد أن يكون مخففاً من المفتوح؛ لخفة الفتحة، وإن كان قد جاء عنهم قولهم:

وما كلُّ مُبْتاعٍ ولو سَلْفَ صَفْقُهُ بِراجِعِ ما قد فاته بِرِدَادِ[٣]

وقال شيخنا أبو البقاء: الأحسن أن يكون لغة، والقراءة المشهورة أرجح في النقل وأوضح في نظر العقل.

قال الزجاج[٤]: سئل ابن مسعود عن الجَمَل؟ قال: هو زوج الناقة، كأنه استجهل من سأله عن الجَمَل.

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نجزي المجرمين﴾ الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها.

قوله تعالى: ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ أي: فراش، وهو ما يمهد، أي: يفرش ويبسط، ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أي: أغطية من النار، وهو جمع غاشية.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ١٩٧-١٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٢) المحتسب (١/ ٢٤٩).

(٣) البيت للأخطل. انظر: ديوانه (ص:١٨)، واللسان (مادة: سلف)، وشرح شواهد الشافية (ص:١٨-٢١).

والمبتاع: المشتري. والصفق: مصدر صفق البائع؛ إذا ضرب بيده على يد صاحبه عند المبايعة. والمراد: إيجاب البيع. وضمير (صفقه) للمبتاع أو المغبون. والرِّداد -بكسر الراء-: مصدر راد البائع صاحبه؛ إذا فاسخه البيع.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٣٨).

قال ابن عباس: هي اللحف[١].

وقال عكرمة: ما يغشاهم من فوقهم من الدخان[٢].

وقيل: غاشية فوق غاشية من النار[٣]. وفي هذا إشعار بإحاطة العذاب بهم.

وفي حديث طويل عن النبي ﷺ: «يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار وأطباق من نار فيطبقونها على من بقي فيها، فيسمرونها بتلك المسامير، ثم ينساهم الجبار عز وجل على عرشه من رحمته»[٤].

قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ يعني: المشركين.

قال الزجاج[٥]: وقوله: «غواش» يزعم سيبويه والخليل جميعاً: أن النون هاهنا عوض من الياء[٦]؛ لأن غواش لا ينصرف، والأصل فيها: «غواشيْ» [بإسكان الياء][٧] والضم، إلا أن الضمة تحذف لثقلها في الياء، فيبقى «غواشي» بسكون الياء، فإذا ذهبت الضمة أُدْخِلَتِ التنوينُ عوضاً منها، كذلك فسّر أصحاب سيبويه، وكأن سيبويه ذهب إلى أن النون عوَضٌ من ذهاب حركة الياء، والياءُ سقطت لسكونها وسكون النون، فإذا وقفت فالاختيار أن تقف بغير ياء فتقول:

---

(١) زاد المسير (٣/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٥٧) وعزاه لابن المنذر.

(٢) زاد المسير (٣/ ١٩٩).

(٣) وهو قول الزجاج. انظر: معاني الزجاج (٢/ ٣٣٨)، وزاد المسير (٣/ ١٩٩).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٤-٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة من حديث طويل عن علي بن أبي طالب.

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٦) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٣)، والدر المصون (٣/ ٢٧٠).

(٧) في الأصل: ياهذا بالياء. والتصويب من معاني الزجاج (٢/ ٣٣٨).

«غواشٍ»، لتدل أن الياء كانت تحذف في الوصْل، وبعض العرب إذا وقف على «غواش» وقف بإثبات الياء، ولا أرى ذلك في القرآن، لأن الياء محذوفة في المصحف.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ معناه: عملوا الصالحات بقدر طاقتهم؛ لأن معنى الوسع ما تقدر عليه.

قوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ «أولئك» رفع بالابتداء، و«أصحاب الجنة»: خبره[١]. والجملة خبر "الذين"، ويرجع على «الذين» اسم الإشارة، أعني: "أولئك".

قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ أي: أزلنا الأحقاد التي كانت كامنة في صدورهم. قيل: المراد بذلك أحقاد الجاهلية أذهبها الله بالإسلام.

والأظهر في التفسير: أن المراد بذلك: الإعلام بصفة أهل الجنة. وإليه أشار علي عليه السلام بقوله، فيما أخبرنا به الثقة العدل أبو القاسم عبدالله بن الحسين بن

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٣)، والدر المصون (٣/ ٢٧١).

رواحة [١] بالموصل، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني بثغر الإسكندرية، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن المهند بسلماس، أخبرنا جدي القاضي أبو بكر أحمد بن جرير بن خميس السلماسي، أخبرنا أبي -جرير بن أحمد-، حدثنا أبو سعيد عمران بن موسى بن هلال التميمي، حدثنا علي القصر، حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان، حدثنا عبثر، عن مفضل بن مهلهل، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال علي رضي الله عنه: «إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر:٤٧]» [٢].

وعلى هذا أيضاً أحمل قول علي عليه السلام: «فينا أهل بدر نزلت» [٣].

أخبر الله عنهم بما يؤول أمرهم إليه في الجنة، والصفة التي يكونون عليها، وأخبر عنه بصيغة الماضي لتحقق حصوله.

فإن قيل: على هذا القول جميع أهل الجنة بهذه الصفة، فما وجه اختصاصهم بالذكر؟

---

(١) عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة، أبو القاسم الأنصاري الحموي، سمع على الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي كتاب "السيرة النبوية" لابن إسحاق، وحدث، سمع منه الحافظ عبد العظيم المنذري، توفي سنة ست وأربعين وستمائة في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة، ومولده سنة ستين وخمسمائة بجزيرة مسينى بالمغرب (سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦١-٢٦٣، وذيل التقييد ٢/ ٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٤ ح٣٧٨٢١)، والبيهقي في سننه (٨/ ١٧٣).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٥٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

قلتُ: لئلا يظنّ ظانٌ أو يتوهّم متوهّم أن ما جرى بين هذه السادة الذين هم أفاضل الصحابة من الحروب والتنازع موهن لمراتب فضلهم في الآخرة، وموجب لاستنزالهم عن أعلى منازل الجنة، كما ظن الغواة الغلاة من الرافضة، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «وما يدريك أن الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١).

أنبأنا حنبل بن عبد الله بن الفرج، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا روح، عن [سعيد](٢)، عن قتادة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزلته في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»(٣). هذا حديث صحيح، انفرد بإخراجه البخاري.

واسم أبي الصديق: بكر بن عمرو.

قرأتُ على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي رحمه الله، أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج فأقرَّ به، حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد السلام الأنصاري، حدثنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٥ ح٢٨٤٥)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ح٢٤٩٤).

(٢) في الأصل: شعبة. والتصويب من مسند أحمد (٣/ ١٣)، وسعيد هذا هو ابن أبي عروبة.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٩٤ ح٦١٧٠)، وأحمد (٣/ ١٣ ح١١١١٠).

الخوارزمي البرقاني، سمعت أبا القاسم الأبندوني الجرجاني[١] يقول: أخبرني محمد بن سعيد بن هلال الرسعني[٢]، حدثنا المعافى بن سليمان[٣]، حدثنا فليح[٤]، عن هلال بن علي[٥]، عن عبدالرحمن بن أبي عمرة[٦]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة من أمتي تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثْرهم كأحسن كوكب درّي في السماء إضاءة، قلوبهم على قلبٍ واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يُرى مخّ سوقهما من

(١) عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الجرجاني، أبو القاسم الأبندوني، وآبندون من قرى جرجان، نزل بغداد وحدّث بها، وكان ثقةً ثبتاً، له تصانيف، وكان عسراً في الحديث، مات سنة ثمان وستين وثلاثمائة (تذكرة الحفاظ ٣/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) محمد بن سعيد بن هلال الرسعني ابن البناء، تُكُلِّم فيه لدخوله في أعمال الظَّلَمَة، وكان يعمل في المتقدم أعمال السلطان من البندر وغيرها، وإلى هذا أشار أبو عروبة بقوله: ليس بمؤتمن في نفسه (ميزان الاعتدال ٦/ ١٦٨، والمغني في الضعفاء ٢/ ٥٨٦).

(٣) المعافا بن سليمان الجزري، أبو محمد الرسعني، ثقة صدوق، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ١٢١-١٢٢، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٩، والتقريب ص:٥٣٧).

(٤) فليح بن سليمان بن أبي المغيرة الخزاعي أو الأسلمي، أبو يحيى المدني، مولى آل زيد بن الخطاب، ويقال: فليح لقب، واسمه عبد الملك، صدوق كثير الخطأ، مات سنة ثمان وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٢-٢٧٣، والتقريب ص:٤٤٨).

(٥) هو هلال بن علي بن أسامة، ويقال له: هلال بن أبي ميمونة، العامري المدني، مولى آل عامر بن لؤي، ثقة مشهور. قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: شيخ يكتب حديثه. مات سنة بضع وعشرين ومائة (سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٥-٢٦٦).

(٦) عبد الرحمن بن أبي عمرة عمرو بن محصن الأنصاري النجاري، من أهل المدينة، ثقة كثير الحديث، (تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٩، والثقات ٥/ ٩١).

وراء العظم»(١). هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن فليح، عن أبيه، وكأنني سمعته من طريق البخاري من أبي الوقت شيخ شيوخنا.

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غل وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم(٢).

قوله تعالى: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ في محل الحال من الضمير «في صدورهم». ويجوز أن يكون إخباراً عن صفة حالهم، فيكون كلاماً مستأنفاً(٣).

﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ قال سفيان الثوري: معناه: الحمد لله الذي هدانا لعملٍ هذا ثوابه(٤).

قال علي عليه السلام: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منثور، فيطوفون بهم كإطافتهم بالحميم جاء من الغَيْبة، ويُبشرونهم بما أَعَدّ الله تعالى لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهنّ فيستخفهن الفرح، فيقمن على أسكفة الباب فيقلن: أنت رأيته أنت رأيته!! قال: فيجيء إلى منزله فينظر إلى أساسه فإذا صخره من لؤلؤ، ثم يرجع بصره، فلولا أن الله ذللّه لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك فإذا هو

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٧ ح٣٠٨١).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٠٠).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٤)، والدر المصون (٣/ ٢٧١).

(٤) ذكره البغوي (٢/ ١٦١).

بالسُّرُر الموضوعة، والفرش المرفوعة، والزرابي المبثوثة، فعند ذلك قالوا: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[(١)].

وقرأ ابن عامر: «ما كنا» بغير واو[(٢)]؛ لالتباس القصة بما قبلها.

﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ كلامٌ حملهم عليه سرورهم بما صاروا إليه من الكرامة والنعيم، وإلا فقد كانوا يعلمون ذلك من قبل.

﴿ونودوا أن تلكم الجنة﴾ قال الزجاج[(٣)]: «أن» في موضع نصب، وهاهنا الهاء مضمرة، وهي مخففة من الثقيلة. والمعنى: نودوا بأنه تلكم الجنة[(٤)].

قال[(٥)]: والأجود عندي: أن تكون «أن» في معنى تفسير النداء[(٦)]، كأن المعنى: ونودوا أن تلكم الجنة، المعنى: قيل لهم: تلكم الجنة. وإنما قال: «تلكم»؛ لأنهم وُعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تلكم الجنة التي وعدتم بها. ويجوز أن يكونوا عاينوها فقيل لهم من قبل دخولها، إشارة إلى ما يرونه: تلكم الجنة، كما تقول لما تراه: ذلك الرجل أخوك، ولو قلت: هذا الرجل أخوك، جاز؛ لأن «هذا وهؤلاء» لما قَرُبَ منك، «وذاك وتلك» لما بَعُدَ عنك، رأيته أو لم تره.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٤-٣٥ ح٣٤٠٠٤) بأطول منه من حديث عاصم بن ضمرة، والطبري (٨/ ١٨٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٩)، والكشف (١/ ٤٦٤)، والنشر (٢/ ٢٦٩).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٤٠).

(٤) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٤)، والدر المصون (٣/ ٢٧٢).

(٥) أي: الزجاج.

(٦) وهو جيد؛ لأن "أن" المفسّرة تأتي بعد ما فيه معنى القول دون حروفه.

﴿أورثتموها﴾ قرأ ابن كثير ونافع وعاصم: بالإظهار، وأدغم الباقون[١]، وكذلك خلافهم في الزخرف[٢]. فمن أَظْهَرَ فعلى الأصل، وزاده قوةً؛ تباين مخرجي الثاء والتاء، ومن أدغم؛ فلتقارب المخرجين، وزاده جودةً؛ كونهما مهموسين، والثاني أقوى من الأول، فيزداد بالإدغام قوة.

والمعنى: أورثتموها من الكفار، يدل عليه ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد إلا وله منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار. فأما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة، فذلك قوله: ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾»[٣].

فصل

قال الزمخشري[٤]: ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة.

قلت[٥]: هذا كلام خبيث تقشعر منه الجلود، فإن النعم بأسرها وإن نيطت بأسبابها الظاهرة تفضلٌ من الله. قال الله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾

---

(١) فقرؤوا: «أورتموها» وهي قراءة أبي عمرو وابن ذكوان وهشام وحمزة والكسائي. انظر: النشر (٢/ ٢٦٩)، والحجة للفارسي (٢/ ٢٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨١).

(٢) في قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (آية رقم: ٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) الكشاف (٢/ ١٠١).

(٥) أي المصنف رحمه الله.

[النحل:٥٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «لن يُدخل أحداً منكم عملُه الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه»[١].

وأخرج الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه في كتاب الحدائق[٢] بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «خرج من عندي جبريل آنفاً فقال: يا محمد، والذي بعثني بالحق إن لله عبداً من عباده عَبَدَ الله خمسمائة سنة على رأس جبل عرضه [وطوله][٣] ثلاثون ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج الله له عيناً عذبة بعرض الأصبع تبضّ بماء عذب فتستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج في كل يوم رمانة فتغذيه يومه، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها، ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض [ولا][٤] لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد، ففعل، ونحن نمرّ به إذا هبطنا وإذا عرجنا، فنجده في العلم: يُبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل، فيقول له الرب: أَدخِلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: يا رب بل بعملي،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٤٧ ح٥٣٤٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٤/ ٢١٧١ ح٢٨١٨) من حديث عائشة.

(٢) الحدائق (٣/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٣) في الأصل: بطوله. والتصويب من الحدائق (٣/ ٢٥٩).

(٤) زيادة من الحدائق (٣/ ٢٥٩).

فيقول: أَدخِلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقـول: بـل بعمـلي. فيقـول الله للملائكـة: [قايسوا][(١)] عبدي بنعمتي عليه، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نِعَمُ الجسد كلها فضلاً عليه، فيقول: [أَدخِلوا][(٢)] عبدي النار، فيُجرّ إلى النار، فينادي: رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوا عبدي، فيوقـف بـين يديه فيقول: يا عبدي! من خلقك ولم تَكُ شيئاً؟ فيقول: أنت يا رب. فيقول: أكان ذلك من قبلك أم برحمتي؟ فيقول: بل برحمتك. فيقول: من قوّاك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب. فيقول: من أنزلك في جبل وسط اللُّجَّة[(٣)] وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك في كل يوم رمانة، وإنما تخرج في السنة مرة، وسألتني أن أقبضك ساجداً ففعلت [ذلك][(٤)] بك؟ فيقول: أنت يـا رب. قـال: ذلك برحمتي، أَدخِلوا عبدي الجنة برحمتي إياه، فنعْمَ العبدُ كنتَ يا عبدي، فأدخله الجنة. وقال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد»[(٥)].

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم

---

(١) في الأصل: ناقشوا. والتصويب من الحدائق، الموضع السابق.

(٢) في الأصل: أخدلوا. والتصويب من الحدائق (٣/ ٢٥٩).

(٣) قال في اللسان: لُجُّ البحر: الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه (لسان العرب، مادة: لجج).

(٤) زيادة من الحدائق (٣/ ٢٥٩).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٨ ح٧٦٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٥٠)، والحكيم الترمذي (١/ ٩٥).

بِٱلْأَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ أي: نادوهم اغتباطاً بما أفضوا إليه من النعيم وتقريعاً لأولئك بمسيرهم إلى الجحيم، ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا﴾ على الإيمان والطاعة ﴿حقاً﴾.

وأَنْ في قوله: «أَنْ قد» مخففة من الثقيلة[1]، كقول الشاعر:

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[2]

وقول الآخر:

أُكَاشِرُهُ وأَعْلَمُ أن كِلانَا ... على ما سَاءَ صَاحِبُه حَرِيص[3]

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٤)، والدر المصون (٣/ ٢٧٢).

(٢) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٠٩)، وتخليص الشواهد (ص:٣٨٢)، وخزانة الأدب (٥/ ٤٢٦، ٨/ ٣٩٠، ١٠/ ٣٩٣، ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٧٦)، والكتاب (٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤، ١٦٤، ٤٥٤)، والمحتسب (١/ ٣٠٨)، ومغني اللبيب (١/ ٣١٤)، والمقاصد النحوية (٢/ ٢٨٧)، ورصف المباني (ص:١١٥)، وشرح المفصل (٨/ ٧١)، والمقتضب (٣/ ٩)، وهمع الهوامع (١/ ١٤٢)، وشرح القصائد العشر (ص:٤٩٤)، والإنصاف (١/ ١٩٩)، وأوضح المسالك (١/ ١٧١).

(٣) البيت لعدي بن زيد، وليس في ديوانه. انظر: الكتاب (٣/ ٧٤)، ومعاني الأخفش (ص:١٩٢)، وشرح المفصل (١/ ٥٤)، والمقتضب (٣/ ٢٤١)، وحماسة البحتري (ص:١٨) ونسبه فيه لعمرو بن جابر الحنفي.

ويجوز أن تكون مفسرة، وكذلك «أن لعنة الله».

﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾ على الكفر والمعصية ﴿حقاً قالوا نَعَم﴾ وقرأ الكسائي وحده: «نَعِم» بكسر العين حيث جاء[1]، ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ وهو مَلَك يأمره الله تعالى فينادي نداء يسمع أهل الجنة والنار: ﴿أن لعنةُ الله﴾. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «أنّ» بالتشديد، «لعنةَ الله» بالنصب[2]. ﴿على الظالمين﴾ يعني: الكافرين.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله... الآية﴾ وقد سبق تفسيرها.

قوله تعالى: ﴿وبينهما حجاب﴾ أي: بين الجنة والنار، أو بين الفريقين حجاب، وهو السور المذكور في قوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ [الحديد:١٣].

﴿وعلى الأعراف﴾ أي: أعراف الحجاب، وهي أعاليه، واحدها: عُرف، ومنه عُرْف الديك والفرس[3]. قال الشاعر:

---

(١) وحجته في ذلك؛ ما رُوي في الحديث: أن رجلاً لقي النبي ﷺ بمنى، فقال: أنت الذي يزعم أنه نبي؟ فقال: نَعِمْ -بكسر العين-. وروي أيضاً أن عمر سأل رجلاً شيئاً فقال: نَعَمْ. فقال: قل: نَعِمْ، إنما النَّعَم الإبل. انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٢)، والكشف (١/ ٤٦٢)، والنشر (٢/ ٢٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٣)، والكشف (١/ ٤٦٣)، والنشر (٢/ ٢٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨١).

(٣) انظر: لسان العرب (مادة: عرف).

ورثت بناء آباء كرام   علوا بالمجد أعراف البناء[(١)]

وقال أبو هريرة: هي جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها[(٢)].

﴿رجال﴾ قال ابن مسعود وحذيفة وابن عباس وجمهور العلماء: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة[(٣)]. ويشهد بصحة هذا ما روي عن النبي ﷺ «أنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم»[(٤)].

ويندرج فيه قول إبراهيم: هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم[(٥)].

وروي عن ابن عباس: أنهم أولاد الزنا[(٦)].

وقيل: إنهم أولاد المشركين[(٧)].

وقيل: إنهم قوم عملوا لله لكنهم راؤوا في أعمالهم[(٨)].

وقال الحسن ومجاهد: أصحاب الأعراف رجال صالحون[(٩)].

---

(١) انظر البيت في: زاد المسير (٣/ ٢٠٥).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٥) كلاهما عن حذيفة. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٢) وعزاه لابن جرير عن حذيفة.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٤٣ ح٩٥٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣).

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٠٦).

(٦) زاد المسير (٣/ ٢٠٥).

(٧) زاد المسير (٣/ ٢٠٦).

(٨) مثل السابق.

(٩) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٦)، وهناد في الزهد (١/ ١٥٢ ح٢٠٣) كلهم عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وابن المنذر وابن =

فعلى هذا القول يكون الله تعالى قد أكرمهم بالإشراف على الأعراف ليعرفوا تفاوت ما بين المنزلتين ويتعجلوا السرور بالنجاة من العذاب والفوز بالثواب.

وقال أبو مجلز: هم ملائكة، فقيل له: إنهم رجال، فقال: إن الملائكة ذكور وليسوا بإناث[(١)].

وحكى ابن الأنباري والزجاج[(٢)]: أنهم أنبياء.

والأول أظهر وأكثر في التفسير.

قوله تعالى: ﴿يعرفون﴾ أي: يعرف أهل الأعراف ﴿كلاًّ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بسيماهم﴾ أي: بعلامتهم.

قال الحسن: علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون[(٣)].

﴿ونادوا﴾ يعني: أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم بالتسليم عليهم.

ثم أخبر الله عز وجل عن حالهم فقال: ﴿لم يدخلوها﴾ يعني: الجنة ﴿وهم

= أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في الأضداد وأبي الشيخ والبيهقي في البعث.

وردّ الطبري (٨/ ١٩٤) هذا القول بقوله: هو قول لا معنى له.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٧). وانظر: الماوردي (٢/ ٢٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٦) وعزاه لابن جرير.

يطمعون﴾ مبتدأ وخبر لا موضع له من الإعراب[١].

المعنى: لكنهم يطمعون في دخول الجنة.

قال الحسن: والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم[٢].

وقال سعيد بن جبير: الطمع في قلوبهم؛ لأن الله سلب نور المنافقين وهم على الصراط، وبقي نورهم فلم يطفأ.

وقيل: المبتدأ والخبر في محل الحال[٣]. المعنى: لم يدخلوها طامعين في دخولها بل على يأس من ذلك.

﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ يعني: حيالهم، وهو نصب على الظرف[٤].

﴿قالوا﴾ يعني: أصحاب الأعراف حين عاينوا قبح منظر أهل النار، تعوذاً بالله من مثل حالهم ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾.

فعلى هذا؛ يكون التسليم على أهل الجنة والدعاء بالنجاة من عذاب النار إذا نظروا إلى أهلها بعد دخول الفريقين إلى الجنة والنار.

وإن قلنا إن أصحاب الأعراف رجالٌ صالحون أو ملائكة أو أنبياء، فالحكمة

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٦) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٥)، والدر المصون (٣/ ٢٧٥).

(٤) مثل السابق.

في جعلهم على الأعراف؛ ليبشروا أهل الجنة ويوبخوا أهل النار.

وقال ابن عباس في رواية الضحاك: الأعراف: موضع عال من الصراط، عليه العباس، وحمزة، وعلي، وجعفر ذو الجناحين عليهم السلام، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه [ومبغضيهم][(١)] بسواد الوجوه[(٢)].

ويجوز على هذا القول أن تكون هذه السيماء لأهل الجنة والنار قبيل الدخول، ألا تراه يقول: ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ فلو كان ذلك بعد استقرار كل فريق في مستقره لم يحتاجوا إلى السيماء، فيكون ضمير الفاعل في قوله: "لم يدخلوها" راجعاً إلى جميع أهل الجنة وإلى الصالحين أو الأنبياء الذين هم على الأعراف، وهم جميعهم يطمعون في دخولها.

﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ في الصالحين الذين هم على الأعراف ينظرون إلى النار وما أعدّ فيها للكفار، ﴿قالوا﴾ خوفاً منها وخضوعاً لله عز وجل: ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ قال ابن عباس: ينادون يا وليد بن المغيرة! يا أبا جهل بن هشام! يا عاص بن وائل! يا أمية

---

(١) في الأصل: ومبغظيهم.

(٢) ذكره القرطبي (٧/ ٢١٢).

بن خلف! يا أُبيّ بن خلف! يا سائر رؤساء الكفار! ﴿ما أغنى عنكم﴾ اليوم ﴿جمعكم﴾ في الدنيا الأموال والأولاد والأتباع، ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ عن الإسلام والاستسلام لمحمد ﷺ(١).

ثم يشيرون إلى ضعفة المؤمنين؛ كصهيب، وبلال، وعمار، وخبّاب بن الأرتّ، فيقولون على وجه الإنكار والتوبيخ للكفار: ﴿أهؤلاء﴾ الضعفاء ﴿الذين أقسمتم﴾ في الدنيا ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ استهزاء بهم وازدراء بحالهم واستصغاراً لشأنهم.

ثم يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف محققاً لطمعهم: ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم﴾ حين يخاف أهل النار، ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك اطلع عليهم ربهم فقال لهم: ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم(٢).

وقال ابن عباس: أقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة(٣)، فذلك قوله: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم ... الآية﴾.

وقيل: هو خطاب لجميع أهل الجنة.

وقيل: هو من تمام كلام أصحاب الأعراف، على معنى: استديموا الدخول،

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٠)، والحاكم (٢/ ٣٥٠ ح٣٢٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٢-٤٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد بن السري وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في البعث.

(٣) زاد المسير (٣/ ٢٠٧).

أو على معنى: ادخلوا قصوركم ومنازلكم التي أعدت لكم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾

قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ قال ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار بفرج بعد اليأس فقالوا: يا رب، إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأْذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، قد اسودّت وجوههم، وصاروا خَلْقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وعرّفوهم قراباتهم[(١)]: ﴿أن أفيضوا علينا من الماء﴾ يعنون: الشراب ﴿أو مما رزقكم الله﴾.

قال السدي وابن زيد: يعنون: الطعام[(٢)].

فعلى هذا هو مثل قول الشاعر:

ورأيتُ زَوْجَكِ في الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحا[(٣)]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٧٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) البيت لعبدالله بن الزبعرى. انظر: الخصائص (٢/ ٤٣١)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٣٢١)، =

وقول الآخر:

وعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بَارِداً ....(١)

وقد سبق تقدير مثله.

ويجوز أن يكون المعنى: أفيضوا علينا من الماء، أو أفيضوا علينا مما رزقكم الله من سائر الأشربة غير الماء التي يحسن إطلاق الإفاضة عليها.

وقال الزجاج(٢): أَعْلَمَ اللهُ عز وجل أن ابن آدم غير مُستغنٍ عن الطعام والشراب وإن كان معذّباً، وهو قول عامة المفسرين.

فإن قيل: كيف سألوا الممتنع وهو تنعّمهم بما اختص به أهل الجنة؟

قلت: ما هذا بأول أطماعهم الكاذبة، وأمانيهم الخائبة، فإنهم مع إياسهم وقنوطهم يستغيثون من شدة عذابهم: ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف:٧٧] وينادون: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا

= والإنصاف (٢/ ٦١٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٥٠)، والكامل (١/ ٣٣٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٨)، وتأويل المشكل (ص:٢١٤)، وشرح القصائد العشر (ص:٢٤٧)، والمقتضب (٢/ ٥٠)، والطبري (١/ ٦١)، والقرطبي (٦/ ٩٥)، والبغوي (٣/ ٣٦٣)، وزاد المسير (٨/ ١٣٨).

(١) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها). انظر ملحقات ديوانه (٣/ ١٨٦٢)، ومعاني الفراء (١/ ١٤ و٣/ ١٢٤)، وتأويل المشكل (ص:٢١٣)، والخصائص (٢/ ٤٣١)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٨)، والإنصاف (٢/ ٦١٣)، وأوضح المسالك (١/ ٢٩٨)، والخزانة (١/ ٤٩٩)، والهمع (٢/ ١٣٠)، والعيني (٣/ ١٠١)، وشرح المفضليات (١/ ١٢٦)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٣٢١)، واللسان (مادة: قلد).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٤٤).

أخرجنا منها﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٧]، وهذا شأن المُتَجَنّ، يتعلَّل ما لا يجدي عليه نفعاً، ويستغيث بمن لا يستطيع عنه دفعاً.

﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ يعني: الطعام والشراب في الآخرة على الكافرين في الدنيا، وهذا تحريم منع(١) لا تحريم تعبد وتكليف.

ثم وصف الكافرين فقال: ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ يعني: دينهم الذي شرع لهم وأُمروا بالاعتصام به، ﴿لهواً ولعباً﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: المستهزئين(٢).

وقيل: اتخذوا دينهم الذي كانوا عليه من أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وغير ذلك من الخصال المنكرة شرعاً وعقلاً.

﴿فاليوم ننساهم﴾ أي: نتركهم في العذاب أو نفعل بهم فعل الناسين، ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ أهملوه ولم يستعدوا للقائه كفراً به واستخفافاً بشأنه.

وقد روى أبو هريرة وأبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟

---

(١) كقول القائل:

حَرامٌ على عَيْنَيّ أَنْ تَطْعَمَا الكَرَى ....

(انظر: البحر المحيط ٤/ ٣٠٧). وقال الآلوسي (٨/ ١٢٦): أي منع كلا منهما، أو منعهما منع المحرم عن المكلف، فلا سبيل إلى ذلك قطعاً ولا يحمل على معناه الشائع، لأن الدار ليست بدار تكليف.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٧٤)، وزاد المسير (٣/ ٢٠٩).

فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني»[1].

قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

و«ما» في قوله: ﴿وما كانوا﴾ في موضع جر عطفاً على «ما» التي قبلها[2].

والمعنى: وما كانوا بآياتنا التي ظهرت دلائل إعجازها وبهرت الفصحاء بدائع حقائقها وأساليب مجازها، ﴿يجحدون﴾ أي: ينكرونها مع العلم بصحتها.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ وهو القرآن، ﴿فصّلناه على علم﴾ أي: بينا أحكامه ومواعظه.

«على علم»: في محل الحال من ضمير الفاعل في «فصّلناه»[3].

والمعنى: على علم منا بما يصلحكم، أو على علم بما فصلناه، فجاء سليماً قوياً غير ذي عوج، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٩ ح٢٤٢٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٥)، والدر المصون (٣/ ٢٧٨).

وقرأ جماعة -منهم: ابن السميفع-: «فَضَّلْنَاه»[1]، على سائر الكتب.

﴿هدى ورحمة﴾ حالان من المفعول في «فَصَّلْنَاه»[2].

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ أي: هل ينظرون إلا عاقبة ما وعدهم به من العذاب والعقاب والحساب وبعث الأجساد يوم المعاد.

﴿يوم يأتي تأويله﴾ وهو يوم القيامة، ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ وهم الذين تقدم ذكرهم، ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أي: بالصحة والصدق، وهو اعترافٌ حملهم عليه فرط ما عندهم من الندامة، ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ قالوا ذلك حين رأوا انتفاع الموحدين الذين عذبوا بذنوبهم الذي كانت عليهم، ثم أخرجوا بالشفاعة، ﴿أو نرد﴾ أي: أو هل [نرد][3] إلى الدنيا ﴿فنعمل﴾ جواب الاستفهام بالفاء[4].

وقرأ ابن أبي إسحاق: «أو نُرِدَّ» بالنصب، عطفاً على "فيشفعوا لنا"[5]، أو تكون «أو» بمعنى حتى.

وقرأ الحسن: بنصب «نُردُّ»، ورفع «فنعملَ»[6]، أي: فنحن نعمل ﴿غير الذي كنا نعمل﴾.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣١٠)، والدر المصون (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٦)، والدر المصون (٣/ ٢٧٩).

(٣) في الأصل: ترد.

(٤) انظر التبيان (١/ ٢٧٦)، والدر المصون (٣/ ٢٧٩).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٠٨)، والدر المصون (٣/ ٢٧٩).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٥).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ في مقدار ستة أيام؛ لأن اليوم عبارة عن الزمان الكائن من طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن إذ ذاك شمس ولا سماء، ولا فلك دوار، ولا ليل ولا نهار.

وقد روي عن ابن عباس: أن مقدار كل يوم من الستة: ألف سنة. وإليه ذهب كعب ومجاهد والضحاك(١).

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه(٢): ولو قال قائل إنها كأيام الدنيا كان قوله بعيداً، من وجهين:

أحدهما: خلاف الآثار.

والثاني: الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [يس:٨٢].

قلت: وقد قيل أنها كأيام الدنيا، وهو الذي يقوى في نظري. ويدل على صحته وجوه:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٦١ ح٣٥٨٩٤)، والطبري (٨/ ٢٠٥) كلاهما عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٦) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢١١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٧٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد.

(٢) زاد المسير (٣/ ٢١١-٢١٢).

أحدها: ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[(١)].

وجه الحجة من الحديث: أنه ﷺ أخبر بأن الله تعالى خلق المخلوقات المذكورة في هذه الأيام، فإما أن يريد هذه الأيام التي نعرفها أو زماناً يماثلها في قدرها، على معنى: خلق الله التربة في مثل يوم السبت، وكذلك التقدير في سائر الأيام، وأياً ما كان فمقصودنا حاصل.

الثاني: أن الذي ذكرناه هو المتبادر إلى الأذهان والأفهام عند إطلاق الأيام، وهو الظاهر فيجب المصير إليه ما لم يُصرف عنه دليل نقلي أو عقلي. وقول بعض العلماء معارض بمثله.

الثالث: أن المقصود تعريف العباد مقدار زمن الخلق بما يتعارفونه من الأزمان المعبّر عنها بالأيام، فوجب صرف اللفظ إلى ما يعرفونه.

الرابع: أنه سبحانه وتعالى نبّه عباده بما ذكره على عظيم قدرته جلّت عظمته. ومعقولٌ أن حمل الأيام على ما نتعارفه أدل على القدرة العظيمة من حملها على ستة آلاف سنة.

الخامس: قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٩ ح٢٧٨٩).

بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ق:٣٨] أي: نصب وتعب، نفى سبحانه وتعالى عن نفسه اللغوب حين ذكر ما دلّ على عظيم اقتداره وبديع صنعته من خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولا مرية أن هذا المعنى بالأيام المعلومة أشبه.

فإن قيل: ما الحكمة في إنشاء الخلق في هذا الزمن المتطاول، والله تعالى قادر على إيجاده في أقرب الأزمان؟

قلت: فيه حِكَم؛ منها: إظهار عظمته للملائكة بما يبدي في كل يوم من عجائب قدرته وبدائع صنعته ولطائف حكمته، وتنبيههم على شرف من ابتدع هذه المخلوقات لأجلهم، واخترع هذه المصنوعات لمصالحهم، فإن إنشاء هذه الأشياء شيئاً فشيئاً أبلغ في الحكمة وأوقع في الصدور من وقوعها جملة واحدة.

ومنها: تعليم العباد الرفق والتثبت في الأمور؛ لأنه إذا تثبت من لا يجوز تطرق الزلل إليه، فتثبت من يجوز عليه أولى.

قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قال الخليل بن أحمد: العرش: السرير، وكل سرير لملك يسمى عرشاً[١].

قال مجاهد: ما السموات والأرض في العرش إلا مثل حلقةٍ بأرض فلاة[٢].

وقال كعب: إن السموات والأرض في العرش كالقنديل معلقاً بين السماء

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

والأرض[١].

وقيل: إن العرش ياقوتة حمراء[٢].

وضلّ قوم فقالوا: العرش بمعنى: المُلْك[٣]، وهو قول يشهد ببطلانه الكتاب والسنة والإجماع واللغة، وقد ذكر أمية بن أبي الصلت في شعره فقال:

احمدوا الله فهو للحمد أهلٌ ربُّنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا س، وسوَّى فوق السماء سريرا

شَرْجَعاً[٤] لا ينالُه ناظر العَيْـ ـن، ترى دونه الملائكُ صُورا[٥]

يشير إلى معنى قوله: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ [الزمر:٧٥].

فصل

مذهب أهل الحق في هذه الآية وأمثالها من آيات الصفات وأخبار الصفات: الإقرار والإيراد، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل. وإلى هذا وأمثاله أشار النبي ﷺ بقوله: «وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تبحثوا عنها»[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢١٢)، والسيوطي في الدر (٤/ ٣٣٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٧، ٦/ ١٩٢٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨١ ح٢٦) كلاهما من حديث سعد الطائي. وانظر: زاد المسير (٣/ ٢١٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٣٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن سعد الطائي.

(٣) انظر: الماوردي (٢/ ٢٣٠)، وزاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٤) الشَّرْجَعْ: الطويل (لسان العرب، مادة: شرجع).

(٥) انظر الأبيات في: تأويل مختلف الحديث (١/ ٦٧، ٢٧٣)، وزاد المسير (٣/ ٢١٢).

(٦) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢)، والدارقطني (٤/ ١٨٤).

وقيل للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: كيف استوى؟ فقال: الكيف مجهول، والاستواء معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة(١).

ولو استقصيت ما ورد في الزجر عن الخوض في آيات الصفات عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة الأربعة وغيرهم لطال ذلك، ويكفي الإنسان في هذا الثابت.

ولك قول الشافعي رضي الله عنه: آمنت بالله وما جاء من عند الله على مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ وما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ(٢).

فإن قيل: فما تقول فيما روي عن الفراء وأبي العباس والزجاج: أن المعنى: عمد إلى خلق العرش وأقبل إليه بعد خلق السموات والأرض، وقول قوم: أن استوى بمعنى: استقر، وقول بعضهم: أنه بمعنى: استولى(٣)، وأنشدوا فيما زعموا قول الشاعر:

حَتَّى اسْتَوى بشْرٌ عَلى العِرَاق ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودَمٍ مِهْرَاقِ(٤)

وقول الآخر:

---

(١) انظر: البغوي (٢/ ١٦٥)، والقرطبي (١/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٤/ ٣١٠-٣١١).

(٢) انظر: ذم التأويل (ص:١١، ٤٤).

(٣) وهو قول المعتزلة وجماعة من المتكلمين. انظر: الماوردي (٢/ ٢٢٩)، والبغوي (٢/ ١٦٥)، وزاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٤) البيت للبعيث، وهو خداش بن بشر. انظر البيت في: رصف المباني (ص:٤٣١)، والقرطبي (٧/ ٢٢٠)، والوسيط (٢/ ٣٧٦)، وزاد المسير (٣/ ٢١٣)، والدر المصون (١/ ١٧٢)، وروح المعاني (٨/ ١٣٥)، والماوردي (٢/ ٢٢٩).

هُمَا اسْتَوَيَا بِفَضْلِهِمَا جَمِيعاً عَلَى سُرُرِ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ زُورِ[(١)]

قلت: أما قول أهل اللغة؛ فغايته أن العرب تستعمل هذه الكلمة بالمعنى الذي ذكروه ثمّ، وهو مسلَّم، فلم قالوا بأنه هاهنا هو المراد مع تجويز غيره من المعاني، ولأن قالوا بأنه معنى جائز الإرادة فيكون مراداً فعارضهم بمثله.

وأما قول الذين قالوا أنه بمعنى: استقر، فنقول لهم: ما معنى الاستقرار هاهنا؟ فإن فَسَّره بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخفى ما في ذلك من المحذور، حيث أثبتوا لله صفة لم ينطق بها كتابٌ ولا سُنَّة، ولم يساعد عليها دليل العقل، وإن لم يُفَسِّروه بالمعنى المتبادر إلى الأفهام، فلا يخلو: إما أن يفسّروا الاستقرار بشيء معلوم أو لا، وإن فسروه بشيء معلوم وَرَدَ عليهم من الكلام ما ورد عليهم في تفسير الاستقرار بالمعنى المتبادر إلى الأفهام من كونهم أثبتوا لله صفة من غير كتاب ولا سُنَّة، وإن لم يفسروه بشيء فليقتصروا أولاً على تلاوة الآية، والإيمان بالاستواء على المعنى الذي أراده الله كما قلنا.

وأما قول الذين قالوا أنه بمعنى: استولى، فغير صحيح من جهة نقل اللغة ومن جهة المعنى.

قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم[(٢)].

وقال ابن فارس: البيتان لا يعرف قائلها[(٣)].

---

(١) البيت في: البحر المحيط (٤/ ٣١٠)، وزاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣١٠)، وزاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٢١٣).

وقال جماعة من حُذَّاق العلماء: إنما يقال: استولى فلان على كذا؛ إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، [ثم تمكن][1] منه، والله تعالى لم يزل مستولياً على الأشياء[2].

قال الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله[3]: قال أهل الحق من المتكلمين: أحدث الله فعلاً سمّاه: استواء، وهو كالإتيان والمجيء والنزول، كلها من صفات أفعاله.

سأل رجل الأوزاعي عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] فقال: هو على العرش كما وصف نفسه، وإني لأراك رجلاً ضالاً.

قال الثعلبي[4]: وبلغني أن رجلاً سأل إسحاق بن إبراهيم الحنظلي فقال: كيف استوى على العرش؟ أقائم هو أم قاعد؟ فقال: يا هذا إنما يقعد من يملّ القيام، ويقوم من يملّ القعود، وغير هذا أولى بك أن تسأل عنه.

قال الشريف القاضي أبو علي بن أبي موسى الهاشمي -من علمائنا- رضي الله عنه: اختلف أصحابنا هل الاستواء من صفات الذات أو من صفات الفعل؟ على طريقين:

منهم: من قال إنه من صفات الفعل، غير أنه لا يعلم كيفيته، ولا نقول أنه انتقال من مكان إلى مكان، ولكنا نسلمه ونقول فيه كما نقول في حديث النزول.

ومنهم من قال: إنه من صفات الذات، لم يزل مستوياً قبل خلق العرش من

---

(١) في الأصل: فلم يتمكن. والمثبت من زاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٢١٣).

(٣) الثعلبي (٤/ ٢٣٩).

(٤) الثعلبي، الموضع السابق.

غير تكييف.

ومن أصحابنا من تأول الاستواء على معنى الارتفاع.

قال الشريف رحمه الله: فأنا لا أقول في ذلك إلا ما قال أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه: استوى كما قال، بلا حَدٍّ ولا كيف.

قلت: وعلى هذا القول الذي قاله الشريف وارتضاه، وجدت علماءنا وأشياخنا الذين بالشام والعراق، وله نعتقد، وعليه نعتمد، وبه نقول.

وقد صنّف شيخنا الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي كتاباً سمعناه عليه، يخص هذه المسألة، وجمع فيه ما صح في الأخبار والآثار الدالة على أن الله تعالى مستوي على عرشه فوق سبع سماواته، وذكر فيه ما لا يجد المسلم المُتَّبع لشريعة محمد ﷺ بُدّاً من الانقياد إلى تسليمه والإيمان به، فمن أراد الوقوف على دلائلنا السمعية وبراهيننا القطعية فليقف عليه؛ ليستبين له الصواب، ويعرف المبتدع من المتبع للسنة والكتاب. نسأل الله أن يُعافينا مما ابتُلي به فرق الضلال من أمراض الشك في عقائدهم، وأن يُثبت قلوبنا على سنة نبيه، وأن يُلهمنا العمل بكتابه، إنه قريب مجيب.

قوله تعالى: ﴿يغشي الليل النهار﴾ وقرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: «يُغَشِّي» بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف[1]، وكذلك في الرعد[2].

والمعنى: يلبس الليل النهار حتى يذهب بضيائه، أو يلبس النهار الليل حتى

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٤)، والكشف (١/ ٤٦٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٥)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٢).

(٢) عند الآية رقم: ٣.

يذهب بظلامه، فإن اللفظ يحتمل المعنيين، والأول أكثر وأشهر عند علماء التفسير.

قال أبو علي الفارسي[(١)]: إنما لم يقل: يغشي النهار الليل؛ لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل:٨١].

﴿يطلبه حثيثاً﴾، سريعاً من غير فتور، ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ رفعهنَّ ابن عامر على الاستئناف، ونصبهنَّ الباقون على النسق[(٢)]، تقديره: خلق السموات وخلق هذه الأشياء، ونصب «مسخرات» على الحال[(٣)]، والمعنى: مُذلَّلات لما يراد منهن، ﴿بأمره ألا له الخلق﴾ فله تسخيره وتدبيره، ﴿والأمر﴾ فله قضاؤه وتقديره.

وقيل: المعنى: ألا إليه إعادة الخلق وعليه مجازاتهم.

﴿تبارك الله﴾ قال الضحاك: تَعَظَّمَ[(٤)].

وقال مجاهد: تَمَجَّدَ[(٥)].

وقال أبو العباس: «تبارك الله»: ارتفع، والمتبارك: المرتفع[(٦)].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٤)، والكشف (١/ ٤٦٥)، والنشر (٢/ ٢٦٩)، والإتحاف (ص:٢٢٥)، والسبعة (ص:٢٨٢-٢٨٣).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٨١).

(٤) ذكره البغوي (٣/ ٣٦٠).

(٥) ذكره الآلوسي في: روح المعاني (١٨/ ٢٣٠) من قول الخليل.

(٦) الوسيط (٢/ ٣٧٦)، وزاد المسير (٣/ ٢١٤). وقال الأزهري: تبارك: تعالى وتعاظم وارتفع (انظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٢٣٠).

وقال ابن قتيبة والزجاج[١]: تفاعلَ، من البَرَكَة.

واعلم أن أصل البركة: زيادة الخير وكثرته. فقوله: "تبارك الله" يحتمل معنيين:
أحدهما: تزايد خيره وتكاثر.

والثاني: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، وإلى هذين المعنيين تؤول أقوال المفسرين.

ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً﴾ انتصبا على المصدر أو الحال[٢]، بمعنى: ذوي تضرع وخفية، وكذلك ﴿خوفاً وطمعاً﴾.

والتضرع: التذلل والخضوع.

والمعنى: سلوا ربكم واطلبوا منه ما يصلحكم في الدنيا والآخرة متضرعين متملّقين محقين ذلك.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: إن الله يحب القلب التقي والدعاء الخفي، إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت إن كان، إلا همساً بينهم وبين

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٥٧).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٦)، والدر المصون (٣/ ٢٨٢).

ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً﴾، وأن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً ورضي فعله فقال تعالى: ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾[1] [مريم:٣].

أخبرنا حنبل بن عبدالله بن الفرج كتابة، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبدالوهاب الثقفي، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري قال: «كنا مع النبي ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفاً، ولا نهبط وادياً، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير. قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس! أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. يا عبدالله بن قيس: ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»[2]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري عن محمد بن المقاتل، عن ابن المبارك. وأخرجه مسلم عن ابن راهويه، عن عبدالوهاب، كلاهما عن خالد الحذاء.

قوله تعالى: ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ يعني: ذوي الاعتداء في الدعاء؛ كاللاعنين والداعين بالشر للمسلمين.

وقال ابن جريج: الاعتداء هاهنا: رفع الصوت[3].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٢٠٦-٢٠٧)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٧٦) وعزاه لابن المبارك وابن جرير وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٣٧ ح٦٢٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٧ ح٢٧٠٤)، وأحمد (٤/ ٤٠٢).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٧٦) وعزاه لابن جرير.

وقال أبو مجلز: هو أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١).

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه سمع ابناً له يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحواً من ذلك، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً، وتعوذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ هذه الآية: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ وإن بحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل»(٢).

قوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ يعني: بالكفر والمعاصي وسفك الدماء، ﴿بعد إصلاحها﴾ يعني: بعد إصلاح الله إياها بإرسال الأنبياء وبيان الشرائع. هذا قول جمهور المفسرين.

وقال عطية: لا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٧٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧٢ ح١٤٨٣).

(٣) الوسيط (٢/ ٣٧٧)، وزاد المسير (٣/ ٢١٥).

قال أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٣١٣): هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيّته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والديان. وقال: وما رُوي عن المفسرين من تعيين نوع الإفساد والإصلاح، ينبغي أن يحمل ذلك على =

فعلى هذا معنى قوله: "بعد إصلاحها": بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب.

﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ قال ابن عباس: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه[١].

﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ قال سعيد بن جبير: الرحمة هاهنا: الثواب[٢].

وقال الزجاج[٣]: إنما قيل «قريبٌ»؛ لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد.

وقال الأخفش[٤]: الرحمة بمعنى الإنعام، فلذلك ذَكَّر.

وقال النضر بن شميل[٥]: الرحمة مصدر، ومن حق المصادر التذكير، كقوله: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى﴾ [البقرة:٢٧٥].

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

التمثيل، إذ ادّعاء تخصيص شيء من ذلك لا دليل عليه.

(١) الوسيط (٢/ ٣٧٧) من قول ابن عباس، والطبري (٨/ ٢٠٧)، وزاد المسير (٣/ ٢١٦) بلا نسبة.

(٢) الوسيط (٢/ ٣٧٨).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٤٤).

(٤) انظر: معاني الأخفش (ص:١٩٣).

(٥) هذا قريب من قول الزجاج؛ لأن الموعظة بمعنى الوعظ. انظر: الوسيط (٢/ ٣٧٨).

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح نُشُراً بين يدي رحمته﴾ قرأ الحرميان وأبو عمرو: بضم النون والشين، وافقهم ابن عامر إلا أنه أسكن الشين، ومثله حمزة والكسائي، إلا أنهما فتحا النون. وقرأ عاصم: «بُشْراً» بالباء المضمومة وسكون الشين[١]، وهكذا اختلافهم في التي في الفرقان[٢] والنمل[٣]، فالقراءة الأولى والثانية جمع نشور، كرسول ورُسُل. والنَّشْر: الريح الطيبة الهبوب، تهب من كل جانب[٤].

قال أبو عبيدة[٥]: النَّشْر: المتفرقة من كل جانب.

وقيل: النشور بمعنى المنشور، كالركوب بمعنى المركوب. يقال: أنشر الله الريح فنشرت، أي: أحياها فحييت.

وأما ابن عامر فإنه خفف الشين، مثل: كُتْب ورُسْل.

وأما القراءة الثالثة فمصدر، أو مصدر في موضع الحال[٦].

قال أبو علي[٧]: يحتمل النشر أن يكون خلاف الطيّ، كأنها كانت بانقطاعها

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٢-٢٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٥-٢٨٦)، والكشف (١/ ٤٦٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٣).

(٢) عند الآية رقم: ٤٨.

(٣) عند الآية رقم: ٦٣.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نشر).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢١٧).

(٦) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٨٥).

(٧) الحجة (٢/ ٢٤٥-٢٤٦).

كالمطوية، ويحتمل أن يكون معناها المتفرقة في الوجوه، ويحتمل أن يكون من النشر الذي هو الحياة، كقول الشاعر:

.... يا عجباً للميِّت الناشر[(١)]

قال[(٢)]: وهذا هو الوجه.

وأما القراءة الرابعة فجمع بشير؛ كرغيف ورُغُف، وسكنت الشين تخفيفاً، والنصب فيها على الحال[(٣)]، والمعنى: أرسلها مبشرة ليجيء الغيث، وهو قوله: ﴿بين يدي رحمته حتى إذا أقلت﴾ يعني: حملت الريح.

﴿سحاباً﴾ قال الزجاج[(٤)]: جمع سحابة.

قال ابن فارس[(٥)]: سُمِّي بذلك؛ لانسحابه في الهواء.

﴿ثقالاً﴾ بما فيها من الماء، ﴿سقناه﴾ أي: سقنا السحاب، رد الكناية إلى لفظه وهو واحد، ﴿لبلد﴾ أي: إلى بلد أو لأجل بلد، ﴿ميت﴾ [بالجدب][(٦)]، ﴿فأنزلنا به﴾ أي: بالسحاب أو بالسوق أو بالبلد، ﴿فأخرجنا به﴾: يحتمل الوجوه المذكورة

---

(١) عجز بيت للأعشى، من قصيدة يهجو فيها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل، في المنافرة التي جرت بينهما. وصدر هذا البيت: (حتى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا). انظر: ديوانه (ص:١٩١)، ومعاني الفراء (١/ ١٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٠، ١٥٣، ٢٠٢، ٢٨٦)، والأمالي للزجاج (ص:٧٩)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٣٨)، والخصائص (٣/ ٣٢٥)، واللسان (مادة: نشر).

(٢) أي: أبو علي الفارسي.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٨٥).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٤٥).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٤٢).

(٦) في الأصل: بالجذب.

في الضمير الذي قبله.

والأحسن -والله أعلم- أن يكون المعنى: فأنزلنا بذلك البلد الماء، فأخرجنا بالماء ﴿من كل الثمرات كذلك﴾ أي: مثل ذلك الإخراج الذي أشرنا إليه ﴿نخرج الموتى﴾ من قبورهم أحياء، ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتستدلوا بأحد الإخراجين على الآخر.

قال ابن عباس: يرسل الله بين النفختين مطراً كمَنِيِّ الرجال، فينبت الناس في قبورهم كما نبتوا في بطون أمهاتهم[١].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو بكر الصوفي قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا ابن أعين، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثني محمد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون. قال: أربعون يوماً. قال: أبيت. قال: أربعون شهراً. قال: أبيت. قال: أربعون سنة. قال: أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عَجْب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[٢]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم عن محمد بن العلاء عن أبي معاوية أيضاً.

والعَجْب: العظم الذي في أسفل الصلب، وهو العَسِيب[٣].

قوله تعالى: ﴿والبلد الطيب﴾ أي: الأرض الطيبة التربة ﴿يخرج نباته بإذن

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢١٩، ٥/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨١ ح٤٦٥١)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ ح٢٩٥٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عجب).

ربه﴾ خروجاً حسناً سريعاً من غير كَدٍّ ولا تعب، ﴿والذي خبث﴾ وهو الأرض السبخة، ﴿لا يخرج إلا نكداً﴾ عسراً قليل النفع والخير، وأنشدوا:

لا تُنْجِز الوَعْدَ إنْ وَعَدْتَ وإنْ أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تافِهاً نَكِداً[١]

و«نكداً» حال من الضمير في «يخرج»[٢].

وقرأت لأبي جعفر[٣]: «نَكَداً»[٤] بفتح الكاف، على المصدر[٥]، أي: ذا نكد.

وقرأت لأبان عن عاصم: «لا يُخرِج» بضم الياء وكسر الراء[٦]، «نَكَداً» بفتح الكاف.

وفي الآية إضمار، تقديره: لا يخرج نباته إلا نكداً، أو نبات الذي خبث لا يخرج إلا نكداً.

فصل

وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب مثل قلب المؤمن،

(١) البيت لم أعرف قائله. وهو في: الطبري (٨/ ٢١١)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٧)، والبحر المحيط (٤/ ٣١٧)، ولباب التأويل (٢/ ٢٠١)، وحاشية الشهاب (٤/ ١٧٧)، وزاد المسير (٣/ ٢٢٠)، وروح المعاني (٨/ ١٤٧)، ولسان العرب (مادة: تفه).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٧)، والدر المصون (٣/ ٢٨٦).

(٣) هو يزيد بن القعقاع، أبو جعفر، القارئ المديني، مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وهو أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (الجرح والتعديل ٩/ ٢٨٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٧، والثقات ٥/ ٥٤٣-٥٤٤، ولسان الميزان ٧/ ٤٥٧، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٦١، وتقريب التهذيب ص:٦٢٩).

(٤) النشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦).

(٥) قال الزجاج (٢/ ٣٤٦): وهي قراءة أهل المدينة.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢١٩).

إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به، وظهرت بركته وأثره عليه، كالبلد الطيب إذا أصابه المطر، يمرع ويخصب ويحسن أثره. والبلد الخبيث مثل قلب الكافر، إذا وردت عليه المواعظ، أو سمع القرآن لا يعيه ولا يعقله، ولا ينتفع بـه ولا يظهـر عليه أثره، كالبلد الخبيث إذا أصابه المطر، لا يحسن أثره ولا يخرج نباته.

﴿كذلك نصرف الآيات﴾ أي: مثل ذلـك التـصريف، ﴿نـصرف الآيـات﴾ نرددها ونكررها أو نكونها ونوضحها فنخرج لهم المعلومات في صور المشاهدات، ﴿لقوم يشكرون﴾ نعم الله عليهم وإحسانه إليهم.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بـن أخنوخ -وهو إدريس عليه السلام- بن مهلائيل بن يرد بن قينان بن أنـوش بـن شيث بن آدم ﷺ. وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد إدريس، وولد بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة، وأبوه لمك ولد في حياة آدم.

﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحِّدُوه ﴿ما لكم من إلـه غـيره﴾ قـرأ الكـسائي:

«غَيْرِه» بالجرّ حيث وقع، وكذلك ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر:٣]، وافقه حمزة في «هل من خالق غير الله»، وقرأ الباقون بالرفع فيهما[١].

وقرأ محمد بن السميفع: «ما لكم من إله غيرَهُ» بالنصب[٢]. فالجر على اللفظ، فهو صفة لـ«إله»، والرفع على المحل؛ لأن موضع «من إله» الرفع، أو جَعَلَ «غير» بمعنى إلا، فأعربها بمثل إعراب ما يقع بعدها، وهو الرفع على البدل «من إله» على الموضع، والنصب على الاستثناء[٣].

قال الفراء[٤]: بعض بني أسد وقضاعة إذا كان معنى «غير»: إلا، نصبوها، تمّ الكلام قبلها أو لم يتم، فيقولون: ما جاءني غيرك، وما أتاني أحد غيرك. وأنشد المفضل:

لم يمنعِ الشُّرْبَ [منها][٥] غيرَ أنْ نطقتْ حمامةٌ في غُصُونٍ ذاتِ ألْوَان[٦]

وقال الزجاج[٧]: يكون النصب من وجهين:

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٦)، والكشف (١/ ٤٦٧)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٤).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٧)، والدر المصون (٣/ ٢٨٧).

(٤) معاني الفراء (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٥) في الأصل: مني. والتصويب من مصادر البيت.

(٦) من قصيدة لأبي قيس بن رفاعة الأنصاري، في وصف ناقته. انظر: اللسان (مادة: نطق)، والقرطبي (٧/ ٢٣٤)، ومعاني الزجاج (٢/ ٣٤٩)، وروح المعاني (١٢/ ١٢٢، ١٨/ ٢٤٠، ١٩/ ٤٦، ١٧١، ٢٣/ ١٦٥). وفي كل المصادر: «ذات أوْقال» بدل: «ذات ألوان».

وأوقال: جمع وقل، وهو المقل، أي: الدوم إذا يبس.

(٧) معاني الزجاج (٢/ ٣٤٨-٣٤٩).

أحدهما: الاستثناء من غير جنسه.

الثاني: الحال من قوله: "اعبدوا الله"؛ لأن «غيره» نكرة وإن أضيف إلى المعارف.

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة.

وقيل: يوم نزول العذاب عليهم في الدنيا إن أصرّوا على الكفر، وهو الطوفان الذي أخذهم.

﴿قال الملأ من قومه﴾ وهم أشراف رجاله، ﴿إنا لنراك في ضلال﴾ ذهاب عن طريق الصواب، ﴿مبين﴾ ظاهر لكل أحد.

﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ أي شيء من الضلالة، فهو أبلغ من قوله: ليس بي ضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر؟ فقلت: ما لي تمرة.

ثم بالغ في نفي الضلال عنه بالاستدراك بما لا يجوز أن يجاء معه الضلال بوجه من الوجوه، فقال: ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾.

﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ صفة لـ«رسول»، أو كلام مستأنف(١).

وكان أبو عمرو يقرأ: «أُبْلِغُكُمْ» بالتخفيف حيث وقع(٢)؛ كقوله: ﴿لقد أبلغتكم﴾ [الأعراف:٧٩] و﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ [الجن:٢٨].

ولأن كتب الأنبياء لم تنزل مفرقة كالقرآن، بل كان الكتاب ينزل جملة واحدة على الرسول عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٧)، والدر المصون (٣/ ٢٨٨).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٦-٢٨٧)، والكشف (١/ ٤٦٧)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٤).

وقرأت على شيخنا أبي البقاء اللغوي: "أَبْلِّغْكُم" بسكون الغين، من طريق الزهري عن أبي زيد عن أبي عمرو، وشدده الباقون؛ كقوله: ﴿بلِّغ ما أنزل إليك﴾ [المائدة:٦٧].

فإن قيل: الرسالة واحدة، فكيف جمع؟

قلت: أراد ما أوحي إليه في الأوقات المتطاولة والأزمان المختلفة، والمعاني المتكررة في الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنذائر، أو يريد رسالة الله إليه وإلى الأنبياء من قبله من صحف جده إدريس، وهي ثلاثون صحيفة، وصحف شيث، وهي خمسون صحيفة.

﴿وأنصح لكم﴾ بمعنى: أنصحكم، وزيدت اللام للمبالغة، ﴿وأعلم من الله﴾ من عظمته وجلاله وثوابه لمن أطاعه وعقابه لمن عصاه وانتقامه ممن خالفه ﴿ما لا تعلمون﴾.

وقيل: إنهم لم يسمعوا بقوم عذبوا قبلهم، فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح من نزول العذاب بمن عاند الرسل وأصر على معاداتهم وتكذيبهم.

قوله تعالى: ﴿أوَ عجبتم﴾ هذه واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم ﴿أن جاءكم﴾ أي: من أن جاءكم ﴿ذكر﴾ موعظة وبيان ﴿من ربكم على رجل﴾ أي: مع رجل، أو على لسان رجل ﴿منكم﴾ من البشر ﴿لينذركم﴾ ليعلمكم مخوفاً لكم من عاقبة كفركم ﴿ولتتقوا﴾ أي: ليوجد منكم الخشية بسبب الإنذار ﴿ولعلكم ترحمون﴾ إن اتقيتم.

﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه﴾ يريد: الذين آمنوا به واتبعوه على دينه ﴿في الفلك﴾ وهي السفينة.

ويجوز أن يكون قوله: «في الفلك» متعلقاً بـ«معه» كأنه قيل: والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك. ويجوز أن يكون متعلقاً بفعـل الإنجـاء، أي: أنجيناهم في السفينة[1]. ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين﴾ أي: جاهلين عُمْي البصائر. يقال: رجل عَميّ القلب، أي: جاهل، وامرأة عَمِيَة -على وزن فَعِلَة-، وقوم عَمُون، والنسبة إلى عَمٍ: عموي[2].

قال زهير:

وَأَعْلَمُ ما في اليومِ والأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ[3]

ونقول في ذهاب البصر: أَعْمَى، وقوم عُمْيٌ، والنسبة إليه: أَعْمَوِي[4].

۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ
وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى
رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ
﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٨٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: عمي).

(٣) البيت من قصيدة قالها في الصلح بين عبس وذبيان. انظر: ديوانه (ص:٢٩)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٤٥)، والدر المصون (٣/ ٢٨٩)، وشرح القصائد العشر للتبريزي (ص:١٥٣)، ومعاهد التنصيص (١/ ٣٢٥)، واللسان (مادة: عمي)، وشرح القصائد التسع لابن النحاس (١/ ٣٥٥)، والمعلقات العشر للشنقيطي (ص:٧٩)، وروح المعاني (٨/ ١٥٤).

(٤) انظر: اللسان (مادة: عمي).

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً
فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم
مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإلى عاد﴾ أي: وأرسلنا إلى أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا بالشِّحْر[1]، بوادٍ يقال له: مغيث، من أرض اليمن، فتجبّروا وعتوا وعبدوا الأوثان، فأرسل الله إليهم هود بن عبدالله بن رياح بن الخلود -بفتح الخاء المعجمة، ويروى بضمها، ويروى بالجيم المكسورة وبفتح اللام- بن عاد بن عوص بن إرم. ومن العلماء بالنسب من يقول: هو هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام.

(١) الشحر: إحدى كبريات مدن ساحل حضرموت، تقع على سطح متسع من الشاطئ الذي ينحدر تدريجياً إلى البحر، ولهذا ترسوا السفن بعيداً عنه لضحولته. وسميت الشحر بهذا الاسم؛ لأن سكانها كانوا جيلاً من المهرة يُسمون الشَّحْرَات، فحذفوا الألف وكسروا الشين. والشحر اليوم عاصمة لأكبر مديريات محافظة حضرموت، حيث تضم أربعة مراكز متباعدة مترامية الأطراف هي: الشحر، الديس والحامي، الريدة وقصيعر، غيل بن يُمَيْن (معجم البلدان والقبائل اليمنية ١/ ٨٥٢-٨٥٣).

قوله تعالى: ﴿أخاهم هوداً﴾ يريد: أخاهم في النسب. وقوله: «هوداً» عطف بيان[1].

﴿قال يا قوم﴾ إنما حذف العاطف هاهنا ولم يقل: «فقال يا قوم» كقصة نوح؛ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، ﴿أفلا تتقون﴾ أي: تخافون وتخشون بطش الله وانتقامه، وأن ينزل بكم من العذاب ما نزل بقوم نوح.

﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ إن قيل: لم وصف الملأ هاهنا بالكفر، ولم يصف ملأ قوم نوح به؟

قلت: عنه جوابان:

أحدهما: أنه خصَّهم بالوصف بالكفر ذمّاً لهم؛ لفرط عتوهم وشدة تجبّرهم وإصرارهم على كفرهم، مع أنهم قد علموا سُنَّةَ الله في المكذّبين قبلهم، وهم قوم نوح، فكانوا أجدر منهم بالتقوى، لعلمهم بما لم يعلموه واقعاً من عذاب المكذبين.

الثاني: أن الملأ من قوم نوح كانوا كلهم كفاراً لم يؤمن منهم أحد، بخلاف الملأ من قوم عاد فإنه آمن منهم مرثد بن سعد، فوصفهم بالكفر ليخرج المؤمنون منهم.

قوله تعالى: ﴿إنا لنراك في سفاهة﴾ أي: في جهلٍ وخفةِ حلم، نسبوه إلى ذلك حيث فارق دينهم، ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ في قولك: «ما لكم من إله غيره»، وفي نزول العذاب بنا.

﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة﴾ هذا من أحسن الآداب وألطف الأخلاق، فإنه

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٩٠).

-عليه السلام- لحلمه الراجح وحسن احتماله وجميل عشرته، لم يزدهم على نفي ما نسبوه إليه. وفي قصصه علينا إشارة إلينا بالاقتداء بأخلاق الأنبياء، والإغضاء عن مقابلة السفهاء، واسأل نيل العفو على ما عساه يصدر من جاهل يريد إنقاذه من هلكة وقع فيها.

﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ فيما أدعوكم إليه، أمين عليه.

وقال الكلبي: كنت فيكم قبل النبوة أميناً[(١)].

ثم ذكّرهم بنعم الله عليهم تصريحاً، وحذّرهم من انتقامه منه تلويحاً، فقال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ يعني: استخلفكم في الأرض من بعدهم. وخلفاء: جمع خليفة، على التذكير لا على اللفظ، مثل: طريف وطرفاء. وجائز أن يكون جمع خلائف على اللفظ، مثل: طريفة وطرائف، و «إذ» مفعول به لا ظرف[(٢)].

﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ اختلف القراء في «بسطة» هاهنا، وفي «يبسط» في البقرة[(٣)]، فقرأهما هشام وقُنْبُل وأبو عمرو وحمزة بالسين، وقرأهما الباقون بالصاد، غير أن حفصاً روي عنه الوجهان، وكلهم قرأ: «بسطة» في البقرة بالسين، وقد قرأت في «بسطة» في البقرة بالصاد لابن كثير ولحمزة من غير طرقهما المشهورة[(٤)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٢٢).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٩٠).

(٣) عند الآية رقم: ٢٤٧.

(٤) انظر: الحجة للفارسي (١/ ٤٥٢-٤٥٣)، والنشر (٢/ ٢٢٨-٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦)، والسبعة في القراءات (ص:١٨٥-١٨٦).

وحجة من قرأ ذلك كله بالسين: أنه الأصل؛ لأن ما كانت الصاد فيه أصلية لا ترد إلى السين، إذ لا ينقل الحرف إلى أضعف منه، والصاد أقوى من السين بكثير؛ لاستعلائها وإطباقها. وحجة من قرأ بالصاد أقوى مما بين الحرفين من الاتفاق في معنى الاستعلاء والإطباق، فيعمل اللسان عملاً واحداً متصعداً منطبقاً بالحرفين معاً، وأكثر القراء يختارون ما عليه خط المصحف، وهو الصاد.

والبَسْطة: الفضيلة في الجسم وامتداد القامة[١].

قال ابن عباس: كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستون ذراعاً[٢].

قال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة[٣].

ولقد رأيت مصداق ذلك وشاهدت صحته حين أرسل الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين رئيس الأصحاب محيي الدين أبا محمد يوسف بن أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي إلى صاحب مصر، فرجع في بعض سفراته ومعه ضرس جبار من الجبارة الأول قد استخرج من بعض مدافنهم، وزنه أربعة عشر رطلاً، وقد انكسرت منه فلقة، هذا مع ما نقصه تطاول الأزمان ومرّ السنين والأحقاب عليه.

قوله تعالى: ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ يعني: نعمه الجسام من الاستخلاف وبسط الأجسام. وواحد الآلاء: إِلاَ وأَلاَ، بفتح الهمزة وكسرها، مثل: مِعا وقَفا.

﴿قالوا أجئتنا﴾ استفهام في معنى الإنكار والاستبعاد لما أمرهم به من التوحيد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: بسط).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٢٢).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٨٥) وعزاه لابن عساكر.

ورفض الأنداد.

فإن قيل: كأنه لم يكن بينهم حتى قالوا: «أجئتنا»؟

قلتُ: ساغ ذلك وإن كان بين أظهرهم؛ لكونه أقبل عليهم يأمرهم بما لم يعرفوه، وينهاهم عما ألفوه، منفصلاً عمّا هم عليه من الضلالة، مُتّصلاً بعالم الرسالة، أو لعله قد كان مبايناً لهم يتحنّث[1]، كما كان رسول الله ﷺ، فلما أُمِرَ بالتبليغ وكلّف أداء الرسالة جاءهم فقالوا له ذلك.

﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب، ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تدعيه من إنزاله علينا وإرسالك إلينا.

﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾ جعل سبحانه وتعالى المتوقع واقعاً لتحقق حصوله وقرب نزوله.

قال أبو عمرو بن العلاء: الرجس والرجز واحد، قلبت السين زاياً[2].

قال الفراء[3]: لعل الرجس والرجز لغتان، أبدلت السين زاياً، كما قيل للأسد: أزد.

قال ابن عباس: «رجس وغضب»: عذاب وسخط[4].

﴿أتجادلونني في أسماء﴾ فارغة من المعاني ﴿سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ آلهة

---

(١) التحنّث: التَّعَبُّد الليالي ذوات العدد (انظر: اللسان، مادة: حنث).

(٢) انظر قول أبي عمرو هذا في: الطبري (٨/ ٢٢٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٢٣).

(٣) معاني الفراء (١/ ٤٨٠).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥١١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وعبدتموها من دون الله، ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ أي حجة وبرهان نيّر، ﴿فانتظروا﴾ أي: ارتقبوا نزول العذاب بكم، ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ ذلك لكم.

الإشارة إلى قصتهم

ذكر ابن إسحاق وغيره: أن عاداً لما تمادوا في طغيانهم وأصروا على عبادة أوثانهم، وقهروا أهل الأرض باستحكام قواهم واستفحال ملكهم وسلطانهم، بعث الله تعالى إليهم هوداً من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً، نبياً، فأمرهم بالتوحيد، ورفض الأنداد، والكفّ عن الظلم، ولم يأمرهم بشيء سوى ذلك، فكذبوه وقالوا له: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ [الشعراء:١٣٦] فحبس الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا، فبعثوا إلى مكة وفداً يستسقي، منهم: قَيْل، ولُقيم، وجلهمة -خال معاوية بن بكر-، ومرثد بن سعد -وكان يكتم إيمانه-، ولقمان بن عاد بن صد بن عاد الأكبر، فنزلوا على معاوية بن بكر سيد العمالقة، وكانت مكة شرفها الله تعالى إذ ذاك في قبضة العمالقة، وكان مع كل واحد من هؤلاء رهط من قومه، حتى بلغوا -فيما رُوي- سبعين رجلاً، فأكرمهم معاوية بن بكر -وكانوا أخواله وأصهاره-، وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر، وتغنيهم الجرادتان -قينتان لمعاوية بن بكر-، فلهوا عما جاؤوا له، فقال معاوية: هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه، وهم ضيفي وأكره أن أذكرهم بما جاؤوا له، فشكا ذلك إلى قينتيه الجرادتين، فقالتا: قل شعراً نغنيهم به، فقال:

ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ لعلَّ اللهَ يُسقينا غَماما
فيسْقِي أرضَ عادٍ إنَّ عاداً قدْ أمْسُوا ما يُبينون الكلاما

مِنَ العطش الشديد فليسَ نرجُوا ... بـه الـشيخَ الكبـيرَ ولا الغُلامـا
وقـد كانـتْ نـساؤهمُ بخـيرٍ ... فقـدْ أمـستْ نـساؤهمُ عَيَـامَى
وإنَّ الـوحشَ يـأتيهم جِهَـاراً ... ولا يخـشى لعَـادِي سِـهَاما
وأنـتم هاهنـا فـيما اشـتهيتُم ... نهـارُكُمُ ولـيلُكُمُ التَّمَامَـا
فقـبِّحْ وفْـدُكُم مـنْ وَفْـدِ قَـوْم ... ولا لُقُّـوا التحيـةَ والـسَّلاما

فلما سمعوا ذلك قال بعضهم لبعض -وكان منزل معاوية ظاهر مكة-: ويحكم ادخلوا الحرم فاستسقوا لقومكم، فقال مرثد: والله إنكم لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إليه سُقيتم، فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال [جلهمة](1) حين سمع كلامه وعرف أنه قد اتبع دين هود(2):

أَبـا سـعدٍ فإنـكَ مـن قَبِيـل ... ذَوِي كَـرَم وأمُّـكَ مـن ثمـود
أتـترُكَ ديـنَ آبـاءٍ كـرامٍ ... ذوي رأيٍ وتتبـعَ ديـنَ هُـود

ثم قال لمعاوية -وكان حياً شيخاً كبيراً-: احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا. ثم خرجوا يستسقون بمكة لعاد، فخرج مرثد بن سعد حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعو الله بشيء مما خرجوا له. فلما انتهى قام يدعو الله ويقول: اللهم أعطني سؤلي ولا تدخلني في شيء مما يدعونك به، فلما استسقوا نشأت سحائب، بيضاء وحمراء وسوداء، فنادى منادٍ: يا قَيْل -وكان قَيْل رأس الوفد-: اختر لنفسك ولقومك واحدة منها، فقال: اخترت

(١) في الأصل: جهلمة.
(٢) البيتان في: الطبري (٨/ ٢١٩).

السوداء، فإنها أكثر ماءً، فنادى:

اختـــرتَ رَمَـــاداً رمْـــدِدَا لا يبقـــي مـــن آل عَـــادٍ أحَـــدَا
لا والـــــداً ولا ولـــــدَا إلا جعلـــــتُهم هَمِـــــدَا

ثم ساق الله تعالى السحابة إليهم حتى خرجت عليهم من واديهم، فلما رأوها استبشروا بها وقالوا: هذا عارض ممطرنا، وكان أول من أبصر ما فيها امرأة منهم يقال لها: مَهْدَد، فصاحت وصعقت، فقيل لها: ما رأيت؟ قالت: رأيت ريحاً فيها شهب النار، أمامها رجال يقودونها، فسخّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حُسوماً، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم منها إلا ما تلين منه الجلود وتلتذ عليه النفوس، فكانت تقلع الشجر وتهدم البيوت، ومن لم يكن في بيته هبت به الريح حتى تقطعه بالجبال، وكانت ترفع الظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة، وخرج وفد عاد من مكة فنزلوا على معاوية بن بكر، فبينما هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر، فقالوا له: أين فارقت هوداً وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر، فكأنهم شكّوا فيما حدثهم به، فقالت هذيلة بنت بكر: صدق والله[1].

وذكروا: أن مرثد بن سعد، ولقمان بن عاد، وقَيْل بن عنز، حين دعوا قيل لهم: قد أُعْطيتُم مُناكم لدعائكم فاختاروا لأنفسكم، إلا أنه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت، فقال مرثد: يا رب أعطني براً وصدقاً، فأعطي ذلك. وقال قَيْل: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي، فقيل له: الهلاك، فقال: لا أبالي، لا حاجة لي في البقاء

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٨/ ٢١٨-٢٢٠)، وتاريخه (١/ ١٣٤-١٣٦).

بعدهم، فأصابه ما أصاب قومه فهلك. وأما لقمان فقال: أعطني يا رب عمراً، فقيل له: اختر لنفسك، فاختار عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته، فيأخذ الذَّكَر لقوته، حتى إذا مات أخذ غيره، فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع، فكان كل نسر يعيش ثمانين سنة، فلما لم يبق غير واحد قال له ابن أخيه: يا عم ما بقي من عمرك إلا هذا النسر، فقال لقمان: هذا لُبَد، ولُبَد بلسانهم: الدهر، فلما انقضى عمر النسر طارت النسور ولم ينهض فمات، ومات لقمان(١).

وقد ذكر ذلك النابغة في شعره فقال:

أَضْحَتْ خَلاءً وأَضْحَى قومها احْتُمِلُوا ... أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ(٢)

يريد: آخر نسور لقمان. وسنذكر إن شاء الله تعالى الريح التي أرسلت عليهم في موضعها وما جاء فيها.

ثم إن هوداً عليه السلام لحق بمكة فعبد الله بها هو وأصحابه حتى لحقوا بالله عز وجل.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) ذكره البغوي (٢/ ١٧٢-١٧٣)، والطبري في تاريخه (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في: ديوانه (ص:٣١)، والقرطبي (١٩/ ٢٥)، ولسان العرب (مادة: لبد)، والأغاني (١١/ ٣٣)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٣٧)، وتاج العروس (مادة: لبد).

تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟
ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟
ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ
عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا
تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمود، ﴿أخاهم صالحاً﴾، وثمود هاهنا: القبيلة، ولذلك لم يصرفه؛ لأنه اجتمع فيه سببان؛ وهما: التعريف والتأنيث.

وقرأ يحيى بن وثاب: «ثمودٍ» بالجر والتنوين(١)، يريد: وإلى بني ثمود. أو يريد الحي، وهو أجود، وكانوا يسكنون الحِجْر [إلى](٢) وادي القرى بين الحجاز والشام.

وصالح هو: ابن عبيد بن [آسف](٣) بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن حائر -ويقال: جاثر، بالثاء المثلثة- بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٣٠)، والدر المصون (٣/ ٢٩٢).

(٢) في الأصل: وإلى.

(٣) في الأصل: أنيف. والصواب ما أثبتناه. انظر: القرطبي (٧/ ٢٣٨)، والبغوي (٢/ ١٧٤).

وقيل: سميت ثمود؛ لقلة مائها، من الثَّمْد، وهو الماء القليل[١]، وهم من العرب العاربة.

﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ أي: علامة ظاهرة شاهدة بصدقي ونبوتي، فكأنه قيل له: ما هذه البينة؟ فقال: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ أضيفت الناقة إلى الله إضافة تكريم وتشريف؛ تفخيماً لشأنها وتعظيماً لأمرها، ولكونها جاءت من عنده تبارك وتعالى من غير فحل وطروقه.

و«آية» نصب على الحال، والعامل في الحال: ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل[٢]، كأنه قيل: أشير إليها آية.

فإن قيل: هي آية لهم ولغيرهم، فلم قال: ﴿لكم آية﴾؟

قلت: المعنى لكم ولسائر الناس آية، غير أنه غلّب المخاطبون، لأنهم هم المقصودون بتكوينها، وهم الذين [اقترحوها][٣].

وكان من حديثها قصة هلاكهم على ما نقله أهل العلم بالتواريخ والسير؛ كابن إسحاق، والسدي، ووهب، وغيرهم: أنه لما أهلكت عاد وتقَضَّى أمرها، استخلف الله ثمود في الأرض، وأطال أعمارهم، وأمدّ لهم بالأموال والبنين، وكان أحدهم يبني السكن من المدر فينهدم، وهو حي مراراً، فلما طال ذلك عليهم اتخذوا من الجبال بيوتاً، فجابوها ونحتوها وسكنوها، وكانوا في سعة من معايشهم، فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض، وكفروا نعمة الله، وعبدوا الأصنام،

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ثمد).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٨)، والدر المصون (٣/ ٢٩٢).

(٣) في الأصل: اقتروحها.

فبعث الله إليهم صالحاً عليه السلام شاباً، فدعاهم إلى التوحيد، وحذّرهم وأنذرهم، حتى كبر وشَمِط[١]، فلم يتبعه إلا قليل، وتمادوا في غيّهم، واقترحوا عليه أن يخرج معهم في يوم عيد لهم، وكانوا يخرجون فيه أصنامهم، وقالوا: ندعوا آلهتنا وتدعو إلهك، فإن استجيب لنا اتبعتنا، وإن استجيب لك اتبعناك. فقال لهم صالح: نعم، فخرجوا في ذلك اليوم وخرج صالح عليه السلام، فدعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة، فلم تجبهم إلى شيء، فاقترح جندع بن عمرو -وكان سيد قومه- على صالح أن يسأل ربه أن يخرج لهم من الكاثبة -وهي صخرة معروفة عندهم في ناحية الحِجْر- ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء، -والمخترجة: المشاكلة للبخت-، فأخذ صالح عليهم الميثاق إن فعل ليصدّقن، قالوا: نعم. فصلّى صالح ودعا ربه، فتمخضت الصخرة تمخض الحامل بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله، وهم ينظرون، ثم نتجت فصيلاً يناسبها في العِظَم، فآمن به جندع ورهطه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد، والحباب صاحب أوثانهم، ورباب -وكانوا من أشراف ثمود-، وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له: شهاب بن خليفة، فأراد أن يسلم، فنهاه أولئك الرهط، فأطاعهم، فقال رجل من ثمود[٢]:

وكانت عصبة من آل عمرو ... إلى دين النبي دعوا شهابا

عزيز ثمود كلهم جميعاً ... فهمّ بأن يجيب ولو أجابا

(١) الشَّمَط: الشيْب، وهو بياض شعر الرأس يُخالط سواده (انظر: اللسان، مادة: شمط).

(٢) يقال له: مهوس بن عنمة بن الدميل. انظر الأبيات في: الطبري (٨/ ٢٢٦).

لأصبح صالح فيهم عزيزاً   وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حِجْر   تولوا بعد رشدهم ربابا

فلما خرجت الناقة قال لهم صالح: هذه ناقة الله، لها شربٌ ولكم شربُ يوم معلوم، فمكثت الناقة ومعها فصيلها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء، فكانت تَرِدُ الماء غِبّاً[(١)]، فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحِجْر يقال لها: بئر الناقة، فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها، ويحتلبونها في يوم وِرْدها ما شاؤوا من لبن عوضاً عن الماء، فيشربون ويدّخرون حتى يملؤا [أوانيهم][(٢)] كلها، وكانت لا تصدر من حيث تَرِد منه لعظمها.

قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعاً[(٣)].

فَهُمْ في ذلك في رفاهية ودعة. وكانت الناقة في حمارَّة القيظ[(٤)] إذا تصيّفت بموضع هربت منه مواشيهم، فشقّ ذلك عليهم، فانتدّ لعقرها الشقي قدار بن سالف -وكان عزيزاً منيعاً، قصيراً، أحمر، أزرق- بتزيين امرأة منهم كثيرة المواشي، أطمعته في تزويج بنتها، -وقيل: إنه كان يهواها، فرضي ثمود أجمعين، حتى إنهم كانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أرضيت؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم-، وكَمَنَ لها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم

(١) الغِبُّ من وِرْدِ الماء: هو أن تشرب يوماً ويوماً لا (انظر: اللسان، مادة: غبب).

(٢) في الأصل: أوانهم.

(٣) قول أبي موسى هذا أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٠).

(٤) حمارّة القيظ: أي شدة الحرّ (انظر: اللسان، مادة: حمر).

شد عليها بسيف فقطع عُرْقُوبها[١]، فخَرَّتْ ورَغَتْ، ثم نحرها واقتسموا لحمها وطبخوه، فجاء الخبر إلى صالح فأقبل، فأخذوا يعتذرون إليه ويقولون: إنها عقرها فلان، فقال: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب، فوجدوه قد رقى رأس جبل اسمه: قارة، فذهبوا ليأخذوه، فمنعتهم القدرة الإلهية، وخالف بينهم وبينه بأن تطاول الجبل حتى لا تناله الطير، فأقبل صالح نحوه، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم رغا ثلاثاً، وانصدعت الصخرة فدخل فيها، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء، فقال صالح: تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام، لكل رغوة أجل يوم. وآية ذلك: أنكم تصبحون غداة «مُؤْنِس» ووجوهكم مصفرّة، ثم تصبحون غداة «عَروبة» ووجوهكم محمرّة، ثم تصبحون غداة «شِيار» ووجوهكم مسودّة، ثم يصبحكم العذاب غداة «أول»، فأصبحوا في غداة مؤنس كأن وجوههم طُليت بالخَلُوق[٢]، وفي يوم عَروبة كأنها خضبت بالحِنّاء، وفي يوم شِيار كأنها طُليت بالقَار[٣]، فأيقنوا بالعذاب. وخرج صالح بمن آمن معه من بين أظهرهم، وتحنطوا وتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، يلقون أبصارهم إلى السماء تارة، وإلى الأرض أخرى، فلما أصبحوا في اليوم الرابع وارتفع الضحى أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل

---

(١) العُرْقوب: هو ما ضمّ ملتقى الوظيفين والساقين من مآخرهما من العَصَب (اللسان، مادة: عرقب).

(٢) الخَلُوق: الزعفران (اللسان، مادة: خلق).

(٣) القارُ: هو صُعُدٌ يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل (اللسان، مادة: قير).

صاعقة، فتقطعت [قلوبهم][١] في صدورهم، فهلكوا[٢].

فصل

قلت لشيخنا [أبي][٣] البقاء إمام عصره في العلوم الشرعية والأدبية: قول الشاعر[٤]:

أُؤَمِّـلُ أَنْ أَعِيشَ وَإِنَّ يَوْمِي ... لأَوَّلَ أَوْ لأَهْوَنَ أو جُبارِ

أو التالي دُبَار فَإِنْ أَفُتْهُ ... فَمُؤْنِس أو عَروبة أو شِيارِ

ولا يبقى على الحدثان شخص ... ستطوينا الليالي والنهار

هل هذه الأبيات من شعر العرب؟ وما معناها؟

فقال لي: قال ابن دريد[٥]: هي مقولة في الجاهلية، ونظم فيها قائلها أسماء الأسبوع، ولا معنى للام هاهنا، وإنما هي «بأول» أو «بأهون» والباء بمعنى «في»، المعنى: وأن موتي في أول أو في أهون. وأراد «بأول»: الأحد، لأنه أول الأسبوع، و«أهون»: يوم الاثنين، وأهون بمعنى أقرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم:٢٧] أي: أقرب، فهو أقرب إلى اليوم الأول، و«جُبار»: يوم الثلاثاء؛ لأن به انجبر أول الجميع وهو العلامة، و«دُبار»: يوم الأربعاء؛ لأنه أول النصف الثاني

(١) في الأصل: قوبهم. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٢٢٥) وما بعدها. وانظر: البغوي (٢/ ١٧٥-١٧٨).

(٣) في الأصل: أبو، وهو لحن.

(٤) انظر البيت الأول والثاني في: الإنصاف (٢/ ٤٩٧)، والأغاني (٢/ ٣٩١)، واللسان وتاج العروس (مادة: جبر، دبر، شير، أنس، وأل، هون).

(٥) انظر: جمهرة اللغة (٣/ ٤٨٩).

من الأسبوع، ودُبُر الشيء: آخره، وأَدْبَر الشيء: تولى[١]، و«مؤنس»: يوم الخميس؛ لأنه فيه يحصل الأنس بقرب الجمعة، والجمعة عندهم عظيمة. ويجوز أن يكون من أنست الشيء، أي: أبصرته وعلمته[٢]، و«عَروبة»: يوم الجمعة، وأصله من قولهم: امرأة عَروب، أي: متحببة إلى زوجها[٣]، وكانوا يحبون يوم الجمعة؛ لاجتماعهم فيه. وأما «شِيار» -بالشين المعجمة والياء الواقعة آخر حروف التهجي-: فيوم السبت، واشتقاقه من شوار البيت، وهو نجده وزينته[٤]، فكأن هذا اليوم به تكمل الأحوال الواقعة في الأسبوع.

وأما البيت الثالث فغير معروف عند أهل اللغة.

قوله تعالى: ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ أي: دعوها ترعى في أرض الله، فليست مؤنتها عليكم، إنما تأكل من رزق الله، ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تنالوها بشيء من الأذى تكريماً لها وتعظيماً لحقها، لكونها آية ﴿فيأخذكم عذاب أليم﴾.

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض﴾ أعطاكم منها مساكن ومنازل، ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾.

قال ابن عباس: تبنون القصور بكل موضع[٥].

﴿وتَنْحِتُونَ الجبال بيوتاً﴾ وقرأ الحسن البصري: «وتَنْحَتُون» بفتح الحاء[٦]؛

(١) انظر: اللسان (مادة: دبر).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أنس).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عرب).

(٤) انظر: اللسان (مادة: شور).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨٣).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦).

لأن فيه حرفاً من حروف الحلق.

قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء[١].

قال وهب: كان أحدهم يبني البنيان فيمرّ عليه مائة سنة فيخرب، ثم يجدده، فيمرّ عليه مائة سنة فيخرب، ثم يجدده، فيمرّ عليه مائة سنة فيخرب، ثم يجدده، فأضجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتاً[٢].

وجائز أن يكون المراد بقوله: ﴿تتخذون من سهولها﴾ ما يُتّخذ من تراب أرضها ويُعمل لَبِناً وآجُرّاً.

و«بيوتاً» حال مقدّرة[٣]؛ لأن الجبل لا يكون بيتاً في حال النحت، فهو كقولهم: خطّ هذا الثوب قميصاً.

وباقي الآية تقدم تفسيره.

قوله تعالى: ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من قوله: «للذين استضعفوا»[٤]. والضمير في قوله: «منهم» عائد إلى «قومه»، فيكون الاستضعاف مقصوراً على المؤمنين، ويكون قوله: «من آمن» مفسر لمن استضعف منهم. وجائز أن يكون عائداً إلى «الذين استضعفوا»، فلا يكون الاستضعاف مقصوراً عليهم، فإن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨٣)، وزاد المسير (٣/ ٢٢٥).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٢٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٩٣).

(٤) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٩)، والدر المصون (٣/ ٢٩٤).

﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾ استفهام في معنى الهزء والطَّنْز[1]، كما تقول للمعتزلة: أتعلمون أن المؤمنين لا ينظرون إلى ربهم في الجنة!.

قوله تعالى: ﴿فعقروا الناقة﴾ أسند العقر إلى جميعهم وإن كان العاقر واحداً؛ لرضاهم به.

قال الأزهري[2]: العقر عند العرب: قطع عُرقوب البعير، ثم جُعِلَ العقر نحراً؛ لأن ناحر البعير يَعْقِره ثم ينحره.

﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ أي: جاوزوا الحد في كفرهم وغلوا في باطلهم.

والمعنى: عتوا عما أمرهُم به ربهم على لسان صالح من التوحيد وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم، ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من المرسلين﴾.

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهي [الزلزلة][3] الشديدة والحركة العنيفة. يقال: رَجَفَ الشيء يرجُف رَجْفاً ورجفَاناً[4]؛ إذا تحرك، ﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي: في أرضهم ﴿جاثمين﴾ هامدين لا يتحركون موتى. هذا قول ابن عباس وجمهور

---

(١) الطَّنْز: السخرية (اللسان، مادة: طنز).

(٢) تهذيب اللغة (١/ ٢١٥).

(٣) في الأصل: الزلزة.

(٤) أصل الرجف: حركة مع صوت، ومنه قول الله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ [النازعات:٦]. وقال الشاعر:

ولما رأيت الحج قد آن وقتُهُ ... وظلت مطايا القوم بالقوم تَرْجُفُ

(انظر: القرطبي ٧/ ٢٤٢).

المفسرين[١].

وقال أبو عبيدة[٢]: بعضهم على بعض جثوم.

والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل.

وقال ابن قتيبة[٣]: الجثوم: البروك على الركب.

وقال الزجاج[٤]: أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم.

قوله تعالى: ﴿فتولى عنهم﴾ أي: أعرض عنهم بعد نزول العذاب، وكره المُقام بأرض غضب الله تعالى على أهلها، فلحق بمكة، فأقام بها حتى توفاه الله تعالى، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحِجْر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين». ثم قنّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي[٥].

وفيهما أيضاً من حديث ابن عمر: «أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحِجْر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة»[٦].

(١) انظر: الطبري (٨/ ٢٣٣)، والوسيط (٢/ ٣٨٤)، والدر المنثور (٣/ ٤٩٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢١٨).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٦٩).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٥١).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣٧ ح٣٢٠٠)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٦ ح٢٩٨٠).

(٦) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣٧ ح٣١٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٦ ح٢٩٨١).

وروى جابر: «أن رسول الله ﷺ لما مَرَّ بالحِجْر قال: لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة، فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله. قالوا: من هو؟ قال: أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[١].

ويروى: «أن النبي ﷺ مرّ بقبره فقال: أتدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب، فابتدروه وبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن»[٢].

قوله تعالى: ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً أسمع قومه، وأن شعيباً أسمع قومه، كما أسمع نبيكم قومه[٣]. يشير بذلك إلى مناداة النبي ﷺ أهل القليب يوم بدر حين وقف على مصارعهم، فقال مُوبّخاً لهم: وجدنا ما وعد ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً!.

﴿ونصحت لكم﴾ قال ابن عباس: خوّفتكم بالله من عقابه[٤]، ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ لا تجيبونهم إلى ما يدعونكم إليه.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥١ ح٣٢٤٨)، وابن حبان (١٤/ ٧٧ ح٦١٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ١٨١ ح٣٠٨٨)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٥٦ ح٧٤٤١).

(٣) زاد المسير (٣/ ٢٢٧).

(٤) الوسيط (٢/ ٣٨٥).

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولوطاً﴾ أي: وأرسلنا لوطاً، أي: واذكر لوطاً.

قال بعض أهل اللغة: هو مشتق من لطتُ الحوضَ؛ إذا مَلَّسته بالطين[1].

قال الزجاج[2]: وهذا غلط؛ لأن لوطاً من الأسماء الأعجمية ليس من العربية. فأما لطت الحوض، وهذا ألوط بقلبي من هذا، فمعناه: ألصق بقلبي[3]، واللِّيط: القشر، فهذا صحيح في اللغة، ولكن الاسم أعجمي؛ كإبراهيم وإسحاق، لا تقول إنه مشتق من السُّحْق وهو البعد، وهو كتاب الله الذي لا ينبغي أن يقدم على تأويله إلا برواية صحيحة أو حجة واضحة.

وقد ذكرنا في آل عمران[4] أيضاً: أن نوحاً سمي بذلك؛ لنَوْحه، والظاهر أنهما اسمان أعجميان، ولزمهما الصرف مع العجمة والتعريف لخفتهما، وهو: لوط بن هاران -ويقال: هازان، بالزاي المعجمة- بن تارح، والد إبراهيم عليه السلام، وقد ذكرنا نسبه في الأنعام.

﴿إذ قال لقومه﴾ «إذ» ظرف لـ«أرسلنا»، أو بدل من «واذكر»[5]، أي: واذكر

---

(١) انظر: اللسان (مادة: لوط).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٥١-٣٥٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: لوط).

(٤) عند الآية رقم: ٣٣.

(٥) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٩)، والدر المصون (٣/ ٢٩٦).

وقت قال لوط لقومه. ﴿أتأتون الفاحشة﴾ أتفعلون السيئة القبيحة، وهي إتيان الرجال في الأدبار.

قال مجاهد: كان بعضهم يجامع بعضاً في المجلس[١].

﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط[٢].

و«مِنْ» في قوله: ﴿من أحد﴾ زائدة لتوكيد النفي وزيادة معنى الاستغراق، والتي تليها للتبعيض[٣].

﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ بيان لقوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾، والهمزة فيهما للإنكار والتوبيخ العظيم.

وقرأ نافع وحفص: «إنكم لتأتون» على لفظ الخبر[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦١) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٢٣٤، ٢٠/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥١٧)، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١/ ١٦٥ ح١٥٤)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٣٥٩ ح٥٤٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٤٩٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٢٩٧).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢٤٨-٢٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٧)، والكشف (١/ ٤٦٨)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٦-٢٢٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٥-٢٨٦).

﴿شهوة من دون النساء﴾ مفعول له[١]، أي: للاشتهاء فقط، لا حامل لكم على ذلك سوى مجرد الشهوة وميل الطبع، وهذا غاية ما يكون من الذم، حيث جُعلوا كالبهائم المنقادة مع الشهوة، لا يزجرها عقل، ولا يحملها على الفعل طلب مصلحة، ولا خوف مفسدة.

ويجوز أن يكون «شهوةً» نصباً على الحال[٢]، بمعنى: مشتهين تابعين للشهوة.

﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بما هم عليه من الإسراف في ارتكاب القبائح، وانتهاك المحارم، وتجاوز الحدود.

﴿وما كان جواب قومه﴾ حين زجرهم عن هذه الفاحشة الشنيعة ووبخهم على فعلها، ﴿إلا أن قالوا﴾ ضجراً وتهوراً ﴿أخرجوهم﴾ يعنون: لوطاً وأتباعه، ﴿من قريتكم﴾ سَدُوم ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أي: يتنزهون عن إتيان الرجال، قالوا ذلك استهزاءً وسخرية بلوط وأصحابه.

﴿فأنجيناه وأهله﴾ يريد: أهل دينه. وقيل: ابنتيه، واسم الكبرى: رمثا، والصغرى: زعرثا.

وقيل: الكبرى: رية، والصغرى: عروبة.

﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب، أو من الذين غبروا في ديارهم، أي: بقوا فهلكوا. وإنما قال: «الغابرين» ولم يقل «الغابرات»؛ تغليباً لمن هلك معها من الذكور، والفعل منه: غَبَرَ يَغْبُرُ غُبوراً[٣].

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٧٩)، والدر المصون (٣/ ٣٣٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: غبر).

قال الشاعر:

وأبي الذي فَتَحَ البلادَ بسيْفِهِ فأذَلَّهَا لبَنِي أبَانَ الغَابرِ[١]

يريد: الباقي[٢].

---

(١) البيت ليزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي. وكان شريفاً عزيزاً، وأبوه الحكم بن أبي العاص الثقفي، أحد أصحاب الفتوح الكثيرة في فارس وغيرها، وكذلك عمه عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ، دعاه الحجاج بن يوسف الثقفي فولاه فارس، فلما جاء يأخذ عهده، قال له الحجاج: يا يزيد أنشدني بعض شعرك، وإنما أراد أن ينشده مديحاً له، فأنشده قصيدة يفخر فيها يقول:

وأبي الذي فتح البلاد بسيفه فأذلها لبني أبان الغابر

وأبي الذي سلب ابن كسرى راية بيضاء تخفق كالعقاب الكاسر

وإذا فخرت فخرت غير مكذب فخراً أدقّ به فخار الفاخر

فنهض الحجاج مغضباً، وخرج يزيد من غير أن يودعه، فأرسل الحجاج حاجبه وراءه يرتجع منه العهد، ويقول له: أيهما خير لك؟ ما ورثك أبوك أم هذا؟ فقال يزيد: قل له:

ورثت جدي مجده وفعاله وورثتَ جدّك أعنزاً بالطائف

ثم سار ولحق بسليمان بن عبدالملك وهو ولي للعهد، فضمه إليه وجعله من خاصته. وانظر: البيت في: الطبري (٨/ ٢٣٦).

(٢) وقد أوضح هذا المعنى الطبري (٨/ ٢٣٦) فقال: فإن قال قائل: فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذي هلك به قوم لوط؟

قيل: لا بل كانت فيمن هلك.

فإن قال: فكيف قيل: ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾، وقد قلت إن معنى "الغابر" الباقي؟ فقد وجب أن تكون قد بقيت؟

قيل: إن معنى ذلك غير الذي ذهبتَ إليه، وإنما عنى بذلك، إلا امرأته كانت من الباقين قبلَ الهلاك، والمعمَّرين الذين قد أتى عليهم دهرٌ كبيرٌ ومرّ بهم زمن كثيرٌ، حتى هرِمت فيمن هرِم من الناس، فكانت ممن غبرَ الدهرَ الطويلَ قبل هلاك القوم، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم =

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُم بعَيْشٍ ناصِبٍ ... وإخَالُ أَنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ(١)

﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ يريد: الحجارة التي أرسلت عليهم.

قال مجاهد: نزل جبريل فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط ورفعها ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا الحجارة(٢). وسنذكر إن شاء الله تعالى قصتهم مستوفاة بكمالها في موضعها من سورة هود(٣).

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإلى مدين﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ أكثر العلماء

= العذاب.

(١) انظر البيت في: اللسان (مادة: نصب)، والدر المصون (٣/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٤٦٣) وعزاه لابن جرير.

(٣) عند الآية رقم: ٨٢.

بالنسب يقولون: إنه شعيب بن عيفاء بن يوبب بن مدين بن إبراهيم، ويقال: إنه ابن بنت لوط.

قال سعيد بن جبير: كان شعيب عليه الصلاة والسلام رجلاً أعمى[١].

وقال أبو روق: لم يبعث الله نبياً أعمى ولا به زمانة[٢].

قال أبو الحسين بن المنادي: وهذا القول أليط بالقلوب من قول سعيد.

قلت: والجمع بين القولين ممكن، بأن يكون عمي في آخر عمره، كما عمي يعقوب عليه السلام. وكان عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء؛ لحسن مراجعته قومه.

قال قتادة وغيره: وابتعثه الله إلى أُمّتين؛ إلى مدين -وهو ابن عشرين سنة- فعتوا وكفروا به فأخذهم عذاب يوم الظلة. -وقال قتادة: أخذتهم الصيحة والرجفة- وإلى أصحاب الأيكة[٣]، فمكث فيهم باقي عمره فكفروا به، فسلّط الله عليهم الحر سبعة أيام، ثم بعث الله عليهم ناراً فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلة، فتكون الأمّتان -على قول قتادة- قد اتفقتا في التعذيب.

واختلفوا في مدين؛ فقال قتادة: ماء كان عليه قوم شعيب[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٠٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٥٢)، والسيوطي في الدر (٤/ ٤٧٠) وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

(٢) زاد المسير (٤/ ١٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال مقاتل[١]: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه.

فعلى هذا هو اسم أعجمي، وإن كان عربياً فالياء فيه زائدة، من قولك: مَـدَنَ بالمكان؛ إذا أقام به[٢].

قال الزجاج[٣]: و«مدين» لا ينصرف؛ لأنه اسم للقبيلة أو للبلدة[٤]. وجـائز أن يكون أعجمياً.

﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ قال الفراء[٥]: لم تكن له آية إلا النبوة. وليس هذا القول بشيء؛ لأنه يستلزم إيجاب التصديق والانقياد إلى دعوى النبوة من غير بينة أو شاهد بصحة الدعوى.

ولأن ذلك يفضي إلى التباس الحق بالباطل.

ولأنه يفضي إلى محال، وما يفضي إلى المحال محال.

فبيان أنه يفضي إلى المحال: أنا لو فرضنا وجود شخصين كـل واحـد مـنهما يدعي النبوة، ويشهد بكذب الآخر، من غير أن يكون لكل واحدٍ منهما بينة، فـلا يخلو إما أن يجب تصديقهما، أو تكذيبهما، أو تصديق أحدهما دون الآخـر. الأول ممتنع؛ لأنه يلزم من تكذيبهما تصديقهما، الثالث ممتنع أيضاً؛ لأنه ترجيح من غـير مرجح، ولأن لفظ البينة يشعر بالمعجزة.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مدن).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٣).

(٤) في معاني الزجاج: البلدة.

(٥) معاني الفراء (١/ ٣٨٥).

قوله تعالى: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أي: آلة الكيل، أو سمي ما يكال به: بالكيل؛ كالعيش: اسم لما يُعاش به، وكانت عادتهم التطفيف في المكيال والميزان، فأُمروا بإيفاء الكيل والميزان ونُهوا عن البخس فقال: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾. يقال: بَخَسَهُ حَقَّه؛ إذا انتقصه[1].

وقيل: كانوا مكّاسين، فنهوا عن ذلك بقوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾.

﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والجور والمعاصي، ﴿بعد إصلاحها﴾ أي: بعدما أصلح فيها الأنبياء وأتباعهم القائمون مقامهم بإحياء العدل، وإماتة الجَوْر، ونشر ألوية الشرع.

والإضافة في قوله: "بعد إصلاحها" على الوجه المذكور كالإضافة في قوله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ:٣٣]، يريد: بل مكركم في الليل والنهار.

وقيل: المعنى: بعد إصلاح أهلها، على حذف المضاف.

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما ذكر من إيفاء الكيل والميزان، وترك البخس والإفساد في الأرض.

وقيل: إشارة إلى ما تقدم ذكره مما أمروا به من العبادة وغيرها ونهوا عنه.

﴿خير لكم﴾ لما يستلزم من صلاح دنياكم وآخرتكم.

وقيل: ذلكم الوفاء، وترك البخس والفساد، خير لكم؛ لأن من اتصف بهذا الوصف رزق ظاهراً وغالباً حسن الذِّكْر، وجميل الأحدوثة، فرغب في معاملته ثقة بأمانته. وهو قول محتمل، إلا أن قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يأْبَاهُ؛ لأن جميل

---

(١) انظر: اللسان (مادة: بخس).

الأحدوثة وما يترتب عليه من الرغبة في معاملة المتصف بالإنصاف والأمانة لا يتوقف على الإيمان.

ويحتمل أن يقال في دفع هذا الإشكال: المعنى: ذلكم خير لكم إن كنتم مصدقين لي في قولي: «ذلكم خير لكم»، ويكون ذلك خارج مخرج التهييج والإلهاب، والحض على إيفاء الكيل والميزان بما أرشدهم إليه من تحصيل مآربهم، ولا يكون ذلك على وجه الشك منه في علمهم وتصديقهم بذلك.

ومثاله: قول الرجل لابنه إذا رام منه امتثال ما يأمره به وينهاه عنه، وأراد ترغيبه في ذلك وتهييجه عليه: إن كنت ابني وتعلم أن الله فرض طاعتي عليك فأطعني، وهو لا يشك أنه ابنه، ولا يرتاب أن الله فرض عليه طاعته.

قوله تعالى: ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ قال قتادة وجمهور المفسرين: كانوا يقعدون على الطريق يحذرون الناس ويخوفونهم العذاب ويهدّدونهم إن اتبعوا شعيباً(١).

وقال السدي: كانوا عشّارين(٢).

فعلى هذا؛ يكون ذلك نهياً لهم عن أخذهم بمجامع الطرق المكس.

وقيل: هذا نهي لهم عن قعودهم على سبيل الحق يصدون الناس عنه.

فإن قيل: سبيل الحق واحد. قال الله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٢١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٢٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام:١٥٣] فكيف قال: ﴿بكل صراط﴾؟

قلت: السبيل المشار إليه واحد، لكنه يتشعّب إلى أنواع كثيرة من الفرائض والحدود والأحكام، فكانوا إذا رأوا أحداً يتمسك بشيء منها أو يسلك بعض شعبها توعدوه.

قوله تعالى: ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ قال صاحب الكشاف(١): الضمير في «آمن به» يعود إلى «كل صراط»، تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير؛ زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة [على](٢) عظم ما يصدون عنه.

ويجوز عندي -والله تعالى أعلم-: أن يعود الضمير إلى الله تعالى؛ لأنه أقرب المذكورين.

﴿وتبغونها عوجاً﴾ سبق تفسيره وتقريره في آل عمران(٣).

قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثَّركم﴾ أي: اذكروا على وجه الشكر لله إذ كنتم قليلاً عددكم، أذلاء فقراء، فكثّر عَدَدكم وعُدَدكم، وأعزكم وأغناكم.

قال ابن السائب: كان مدين بن إبراهيم وزوجتُه بنت لوط، فولدتْ له حتى كثر عدد أولادها(٤).

﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ قبلكم؛ كقوم نوح، وهود، وصالح،

---

(١) الكشاف (٢/ ١٢١).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) عند الآية رقم: ٩٩.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٨٧).

ولوط.

﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم طائفتين ﴿فاصبروا﴾ أيها المصدقون [والمكذبون][١] ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ بتعذيب أهل التكذيب والمعصية، وإنجاء أهل التصديق والطاعة، ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لأنه عدلٌ لا يجور في حكمه وقضائه.

وفي ضمن هذا بشارة للمؤمنين [ونذارة][٢] للكافرين.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي: الأشراف الذين تعظموا وانتفوا من متابعته، ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أي: لا نقرّكم على المخالفة ولا بد من أحد الأمرين؛ إما إخراجكم من القرية، أو عودكم إلى الملة.

فإن قيل: كيف خاطبوا شعيباً بالعود إلى ملّتهم، وكيف أجابهم بقوله: ﴿إن عدنا في ملتكم﴾ ولم يكن شعيب في ملتهم قط؟

(١) في الأصل: والمذبون.

(٢) في الأصل: نذارة.

قلت: عنه أجوبة:

أحدها: أن العود هاهنا بمعنى الصيرورة، تقول: عاد عَلَيَّ من فلان مكروه، وإن لم يكن له بذلك سابقة، وأنشدوا قول أمية بن أبي الصلت:

هذي الكرامُ لا قَعْبَانَ من لبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فَعَادَا بعدُ أَبْوَالا[١]

وقول الآخر:

فإن تكن الأيامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إليَّ فقد عادتْ إليَّ ذنوب[٢]

الثاني: أن العود على ظاهره، والمشار إليهم بالعَوْد: الذين آمنوا معه، لكنه أجري معهم في الخطاب ونظم نفسه في جملتهم في الجواب؛ إجراء للكلام على التغليب.

الثالث: أنه عليه الصلاة والسلام[٣] كان قبل أن يختصه الله بالنبوة ويشرفه بالرسالة، داخل في غمار قومه، مخالطاً لهم، وإن كان مبايناً لهم في الشرك والكبائر وما يوجب التنفير من الرذائل والصغائر مما لا يجوز على من أَهَّلَه الله لمنصب النبوة والرسالة، فخاطبوه وأجابهم على نحو ما كانوا يعتقدون، كما كانت كفار قريش تقول للنبي ﷺ، إذا عاتبتهُ: تركت دين آبائك ورغبتَ عن ملتهم، وأمثال ذلك من

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت. انظر: ديوانه (ص:٥٢)، وتاج العروس (مادة: قعب)، والعين (١/ ١٨٢)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٣٦٩)، وابن الشجري (١/ ١٧٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٨/ ١٠٤)، والقرطبي (٧/ ٤٠٣)، والدر المصون (٣/ ٣١٢)، وزاد المسير (١/ ٢٢٦)، والإصابة (٥/ ٤١٧)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٤٩)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٨٧)، والأغاني (٥/ ١٩، ٢٠، ١٧/ ٣٠٢، ٣١٣).

(٢) البيت لكعب الغنوي، يرثي أخاه.

(٣) في الأصل زيادة: أنه.

الألفاظ الموهمة ما لا يجوز وقوع مثله من الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿قال أو لو كنا كارهين﴾ معناه: أو تجبروننا على ملتكم وإن أكرهنا ذلك.

﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾ كلام مستأنف يتضمن معنى التعجب، تقديره: ما أكذبنا على الله إن عدنا في ملتكم، أو هو قسم بتقدير حذف اللام. المعنى: والله لقد افْتَرَيْنا[(١)].

﴿وما يكون لنا﴾ أي: ما ينبغي ولا يصلح لنا ﴿أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أي: إلا أن يريد ربنا إهلاكنا، ويكون ذلك في سابق علمه.

قال الزجاج[(٢)]: اختلف الناس في تأويل هذه الآية، وأولى التأويلات باللفظ أن يكون: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا بمشيئة الله؛ لأنه ما يكون غير ما يشاء الله، وهذا مذهب أهل السُّنَّة. قال الله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان:٣٠] والمشيئة في اللغة بيّنة لا تحتاج إلى تأويل.

والمعنى: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون الله تعالى قد سبق في علمه ومشيئته أن نعود فيها. وتصديق ذلك قوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾. ثم قال: ﴿على الله توكلنا﴾، وفي موضع آخر: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت﴾ [هود:٨٨].

وقال قوم: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أي: فالله لا يشاء الكفر، قالوا: وهذا مثل قولك: لا أكلِّمك حتى يَبْيَضَّ القار، ويَشِيب الغراب،

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٣).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٥-٣٥٦).

والقار لا يَبْيضّ، والغراب لا يشيب. قالوا: فكذلك تأويل الآية.

قال الزجاج[(١)]: وهذا خطأ؛ لمخالفته أقل من ألف موضع في القرآن لا يحتمل تأويلين؛ أنه لا يكون شيء ولا يحدث شيء إلا بمشيئة الله تعالى وعن علمه، وسُنَّة الرسل تشهد بذلك، ولكن الله تعالى غيب عن الخلق علمه فيهم، ومشيئته من أعمالهم، فأمرهم ونهاهم؛ لأن الحجة إنما ثبتت من جهة الأمر والنهي، وكل ذلك جَارٍ على ما سبق من العلم وجَرَتْ به المشيئة. هذا كله مختصر من كلام الزجاج، وهو اعتقادنا، وبه ندين الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ أي: علم ما كان ويكون. و«عِلْماً» منصوب على التمييز[(٢)].

﴿على الله توكلنا﴾ في الثبات على الإيمان وحصول الأمان مما تتوعدوننا به من الإخراج، ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾.

قال ابن عباس: كنت لا أدري ما معنى: «افتح بيننا وبين قومنا بالحق» حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك، تريد: أقاضيك[(٣)].

قال الفراء والزجاج[(٤)] وغيرهما[(٥)]: أهل عُمَان يُسمّون القاضي: الفاتح

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٦).

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٥٠)، والدر المصون (٣/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٢٣)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٠ ح٢٦٠٧٦، ٦/ ١٢٢ ح٢٩٩٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٣) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في الوقف والابتداء والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) معاني الفراء (١/ ٣٨٥)، ومعاني الزجاج (٢/ ٣٥٧).

(٥) وهي لغة حمير. وقيل: مراد.

والفتّاح. وأنشد أبو عبيدة(١):

أَلا أَبْلِغْ بَني عُصْمٍ رَسُولاً ... بأَنّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ(٢)

قال الزجاج(٣): وجائز أن يكون المعنى: أظهرْ أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف. فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾
فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ
فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ
ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ
فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٢٠).

(٢) البيت ينسب للأسعر الجعفي، ومحمد بن حمران بن أبي حمران. انظر: إصلاح المنطق (ص:١١٢)، وأمالي القالي (٢/ ٢٨١)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٩)، والصحاح (٤/ ١٧٠٩)، والبحر المحيط (٤/ ٣٤٦)، واللسان (مادة: فتح، رسل)، والدر المصون (٣/ ٣٠٤)، والماوردي (٢/ ٢٤٠)، والطبري (١/ ٣٧١، ٩/ ٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٣٢).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٨).

قوله تعالى: ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً﴾ هذه لام القسم.

وقوله: ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ سدّ مسدّه جوابي الشرط والقسم(١).

قال ابن عباس: إنكم إذاً لمغبونون(٢).

وقال عطاء: جاهلون(٣).

والمعنى متقارب؛ لأنهم باستبدال الضلالة بالهدى مغبونون جاهلون.

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ قد ذكرنا معناها في قصة صالح.

وقال ابن عباس وغيره: فتح الله تعالى عليهم باباً من أبواب جهنم، فأرسل عليهم ريحاً ومِدَّة وحراً شديداً فأخذ أنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت، فلم ينفعهم ظل ولا ماء، وأنضجهم الحر، فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة فيها ريح طيبة، فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة، فتنادوا: عليكم بها، فخرجوا إلى البرية، فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله تعالى عليهم، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، وصاروا رماداً(٤)، وهو عذاب يوم الظلة، فذلك قوله تعالى: ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ [هود:٩٤].

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٥).

(٢) انظر: الطبري (٩/ ٣)، والبغوي (٢/ ١٨٢) كلاهما بلا نسبة.

(٣) ذكره البغوي (٢/ ١٨٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١٤-٢٨١٥)، والحاكم (٢/ ٦٢٠ ح٤٠٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس.

قال أبو العالية: في منازلهم.

قال ابن إسحاق: بلغني أن رجلاً من أهل مدين يقال له: عمرو بن جلها، لما رأى الظلة فيها العذاب قال شعراً:

يَا قَوْمِ إِنَّ شُعَيْباً مُرْسَلٌ فَدَعُوا عَنْكُمْ سَمِيراً وعِمْرانَ بْنَ شَدَّادِ

إِنِّي أَرَى غَيْثَةً يَا قَوْمِ قَدْ طَلَعَتْ تَدْعُو بِصَوْتٍ عَلى صِمَّانَةِ الوادي

وَإِنَّهُ لَمْ يَرَوْا فِيهَا صِحَاءَ غَدٍ إِلاَّ الرَّقِيمَ يَمْشي بَيْنَ أَنْجادِ

وسَمِير وعِمْران: كاهنان، والرقيم: كلب لهم(١).

وقال أبو عبدالله [البجلي](٢): أبو جاد، وهَوَّز، وحُطِّي، وكَلَمُن، وصعْفَص، وقرشت، أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة: كَلَمُن، فقالت أخت كلمن تبكيه:

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨١٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٤-٥٠٥) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم.

(٢) في الأصل: البلخي. والتصويب من المصادر التالية. ولم أجد من يكنى بهذا، ولكن روى الطبري في تاريخه مثل هذا الخبر، في ذكر هؤلاء الملوك (١/ ١٢١)، وإسناده يفسّر هذا الإسناد، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن يحيى بن العلاء، عن القاسم بن سلمان، عن الشعبي قال: "أبجد، وهوز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشت، كانوا ملوكًا جبابرة".

ويحيى بن العلاء البجلي كنيته: أبو سلمة، ويقال: أبو عمرو. ولم أجد كنيته: أبو عبد الله، ولكن ظاهر هذا الإسناد يرجح أن: أبا عبد الله البجلي، هو نفسه: يحيى بن العلاء البجلي، والله أعلم.

كَلَمُـــــن هَــــدَّ رُكْنِــــي [هَلْكُــهُ][١] وَسْــطَ المُحَلَّــهْ
سَــيِّدُ الْقَــوْمِ أَتَــاهُ الحَتْــفُ نــار وَسْــطَ ظُلَّــهْ
جَعَلَــتْ نَــارٌ عَلَــيْهِمْ دَارُهُـــمْ كَالْمُــضْمَحِلَّهْ[٢]

قوله تعالى: ﴿الذين كذبوا شعيباً﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾[٣].

قال الأصمعي والزجاج[٤] وغيرهما: المغاني: المنازل، يقال: غَنينا بمكان كذا، أي: نزلناه[٥]. فالمعنى: كأن لم يقيموا بها ولم يسكنوا فيها.

وقال ابن عباس: كأن لم يعيشوا في ديارهم[٦].

قال الزجاج[٧]: يجوز أن يكون المعنى: كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، كما قال حاتم طيء[٨]:

---

(١) في الأصل: ملكه. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤). وانظر: البغوي (٢/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٤/ ٣٤٨).

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٠)، والدر المصون (٣/ ٣٠٥).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: غنا).

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٢). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٨).

(٨) البيت في ديوانه هكذا:

غنينا زماناً بالتصعلك والغنـــى كما الدهر في أيامه العسر واليسرُ
كسينا صُروف الدهر ليناً وغلظة وكلا سقاناه بكأسيها الدهـــرُ

انظر: ديوانه (ص:٥١)، والقرطبي (٧/ ٢٥٢)، والبحر المحيط (٤/ ٣٤٨)، وزاد المسير (٣/ ٢٣٢)، وروح المعاني (٩/ ٦)، واللسان (مادة: صعلك).

غَنِينا زَمَاناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنَـى فَكُلاًّ سَقاناهُ بكَأْسَـيْهِمَا الـدَّهْرُ
فَـمَا زَادَنَـا بَغْيـاً عَـلى ذِي قَرَابَـةٍ غِنانا وَلا أَزْرَى بأَحْسابنَا الفَقْرُ

قال: معنى غنينا: عشنا زماناً بالتصعلك، وهو الفقر، والعرب تقول للفقير: صُعْلُوك.

ثم استأنف الله تعالى ذكر شعيب وكرره، ولم يُكَنِّ عنه مبالغة في تفخيمه وتعظيمه وتضليل مكذّبيه فقال: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ أي: المخصوصين بالخسران العظيم.

قوله تعالى: ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ الأسى: شدة الحزن(١).

قال العَجَّاج:

وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ منْ فَرْطِ الأَسَى(٢)

قال الزجاج(٣): نقول: أَسِيتُ على الشيء آسَى أسىً؛ إذا اشتد حزنُك عليه.

قال ابن إسحاق: أصاب شعيباً على قومه حزن شديد، ثم عاتب نفسه فقال: ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾(٤). فيكون منكراً على نفسه فرط حزنه على قومه.

ويجوز أن يكون قوله: "فكيف آسى" خارجاً مخرج الاعتداد، كأن قائلاً قال له: أحزنتَ على قومك، أو هلا حزنتَ على قومك، فقال معتذراً: فكيف آسى على

---

(١) انظر: اللسان (مادة: أسا).

(٢) الرجز للعجاج، وقبله: (يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً * قال نعم أعرفه وأبلسا)
انظر: اللسان وتاج العروس (مادة: حلب، كرس).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٩). وانظر: مجاز القرآن (١/ ٢٢٢).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٣٣).

قوم بالغتُ في إنذارهم وبذلتُ جهدي في مناصحتهم فكذبوني وآذوني.

وقرأت لأبي عمرو من رواية القزاز عن عبدالوارث عنه: «أسى» بقصر الهمزة[1].

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ قال الزجاج[2]: يقال لكل مدينة قرية؛ لاجتماع الناس فيها.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج.

وفيه إضمار، تقديره: فكُذِّبَ النبي.

﴿إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء﴾ قال الزجاج[3]: قيل: البأساء كل ما نالهم من شدة في أموالهم، والضراء: ما نالهم من الأمراض. وقد سبق تفسيرهما في البقرة.

﴿لعلهم يضرعون﴾ أي: يستكينون ويخشعون لعظمتي، ويخضعون لعزتي، ويخلعون أردية الكبر والأنفة من اتباع رسلي.

قوله تعالى: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ أي: حولناهم من البأساء والضراء إلى الصحة والرخاء، ونزعنا عنهم لبوس البؤس ﴿حتى عَفَوْا﴾ أي: كثروا وكثرت أموالهم وحسنت حالهم.

قال الشاعر:

عفَوْا من بعد إقلالٍ وكانوا ... زماناً ليسَ عندهُمُ بعيرُ

---

(١) لم أجد هذه القراءة فيما تيسير لي من المراجع.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٩).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٥٩).

وقالوا جهلاً واغتراراً وأشراً وبطراً: ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ يريدون: أن الذي نزل بهم إنما هو من غير الدهر وتصاريف الزمان، فليست الضراء لعقوبة، ولا السراء لمثوبة ﴿فأخذناهم﴾ بعد أن بلوناهم بالخير والشر والنفع والضر، فلم يتعظوا ولم يرجعوا عن عنادهم وكفرهم، ﴿بغتة﴾ أي: فجأة، آمنَ ما كانوا، وذلك أشد الأخذ. ﴿وهم لا يشعرون﴾ في محل الحال من الضمير المنصوب في "أخذناهم"[1].

والمقصود: تحذير هذه الأمة من مثل ذلك، وتخويف العصاة المستدرجين بالنِّعَم من حلول النِّقَم.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ قال الزجاج[2]: المعنى: أتاهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكياً كثيراً.

وقيل: هو مجيء الخير، وتيسير أسباب الرزق من كل وجه.

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٨).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٠).

﴿ولكن كذبوا﴾ ما جاءت به رسلي وجحدوا وحدانيتي، ﴿فأخذناهم﴾ بقطع أسباب البركة في الرزق ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والفسق.

قوله تعالى: ﴿أفأمن أهل القرى﴾ هذه الفاء والواو التي بعدها في قوله: ﴿أو أمن﴾ حرفا عطف، والهمزة فيهما للإنكار، والمعطوف عليه: ﴿فأخذناهم بغتة﴾، وما بين المعطوف والمعطوف عليه اعتراض[1]، والمعنى: أفأمن أهل القرى الذين كذبوا الرسل، ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتاً﴾ ليلاً ﴿وهم نائمون﴾.

﴿أو أمن﴾ وقرأ الحرميان وابن عامر: «أوْ أمن» بإسكان الواو على العطف بـ«أو»[2].

المعنى: أفأمنوا أن يأتيهم بأسنا نائمين أو لاعبين وممكوراً بهم، فعلى العاقل أن يكون وجلاً دائم الحذر من الله.

قيل لابن عباس: أي رجل كان عمر بن الخطاب؟ فقال: كان كالطير الحذر، الذي كان له بكل طريق شَرَكاً[3].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[4] بإسناده عن جعفر قال: قالت بنت الربيع بن خثيم لأبيها: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام، فقال: يا بنتاه، إن أباك يخاف البيات.

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٨).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٩)، والكشف (١/ ٤٦٨)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٦).

(٣) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٢)، والمناوي في فيض القدير (٦/ ٢٥٧).
والشَّرَك: حبائل الصائد، وكذلك ما ينصب للطير (انظر: اللسان، مادة: شرك).

(٤) الزهد (ص:٤٠٦).

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يهد﴾ أي: يتّضح ويتبين، ولذلك عُدِّي باللام، ﴿للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ وهم كفار مكة ومن حولها الذين استُخلفوا في أثر من كان قبلهم.

وقوله: ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ في موضع رفع بإسناد «يهد» إليه، المعنى: أو لم يتبينوا أنا لو شئنا أصبناهم بذنوبهم وكفرهم، فأهلكناهم كما أهلكنا من كان قبلهم بذنوبهم وكفرهم.

وقال الزجاج[1]: المعنى: أو لم يبيّن الله لهم أنه لو يشاء.

وقرأت ليعقوب الحضرمي: «أو لم نَهْد» بالنون[2]، على معنى: أو لم نبين لهم.

قوله تعالى: ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ معطوف على ﴿يرثون الأرض﴾، أو على ما دلّ عليه معنى: «أو لم يهد»[3]، تقديره: يغفلون عن الهداية، ونطبع على قلوبهم، أو هو منقطع، على معنى: ونحن نطبع.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون معطوفاً على "أصبناهم"، على معنى: وطبعنا؟

قلت: لا يساعد عليه المعنى؛ لأنهم كانوا مطبوعاً على قلوبهم من قبل، وهذا التفسير يقتضي خلوّهم عن هذه الصفة.

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٦١).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢٣٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣١٠).

فإن قيل: فهل يجوز العطف على «أصبناهم» إذا جعلته في تأويل: نُصيبهم؟

قلت: نعم؛ لصحة المعنى وانتظامه، لا سيما ومعنى الاستقبال في الماضي هاهنا واضح، ونظيره قوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ [الفرقان:١٠]، ثم عطف عليه: ﴿ويجعل لك قصوراً﴾(١) [الفرقان:١٠]، وأنشد من ذلك قول الشاعر:

إن يسمَعُوا ريبةً طَارُوا بها فَرَحاً   عَني وما سَمِعُوا من صَالحٍ دَفَنُوا(٢)

أي: يدفنوا.

﴿فهم لا يسمعون﴾ نَفْيُ السماع عنهم هاهنا في معنى إثبات الصمم لهم في قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة:١٨] وقد سبق تأويله.

وقيل: المعنى فهم لا يقبلون، كقوله: «سمع الله لمن حمده»، وقد سبق تقديره فيما مضى.

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣١٠).

(٢) البيت لقعنب بن أم صاحب. وهو في: المثل السائر (١/ ١١٧)، وديوان الحماسة (٢/ ١٨٧)، وروضة العقلاء (ص:١٧٣)، وزاد المسير (٣/ ٢٣٥، ٦/ ٤٧٦)، وروح المعاني (١٠/ ١٢٦)، واللسان، مادة: (شور، أذن)، وتاج العروس (مادة: أذن).

قوله تعالى: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ قال الزمخشري[١]: هو كقوله: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾ [هود:٧٢] في أنه مبتدأ وخبر وحال. ويجوز أن يكون «القرى» صفة [لـ«تلك»][٢]، و«نقصّ» خبراً، وأن يكون «القرى نقصّ» خبراً بعد خبر[٣].

فإن قلت: ما معنى "تلك القرى" حتى تكون كلاماً مفيداً؟

قلت: هو كلام مفيد، لكن بشرط التقييد بالحال، كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك: هو الرجل الكريم.

فإن قلت: ما معنى الإخبار عن القرى بـ«نقص عليك»؟

قلت: معناه: أن تلك القرى المذكورة نقصّ عليك بعض أنبائها، ولها أنباء غيرها لم نقصّها عليك.

﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ وهي الدلائل والبراهين، ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيء الرسل إليهم، وظهور البينات والمعجزات، ﴿بما كذبوا من قبل﴾ ذلك.

وقيل: المراد بالقبليّة: ما سبق في العلم والمشيئة. وهو قول أبي بن كعب[٤].

وقيل: المعنى: ما كان الخلف ليؤمنوا بما كذب به السلف من قبل.

---

(١) الكشاف (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) في الأصل: لذلك. والتصويب من الكشاف (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وقال ابن عباس: المعنى: فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم، حين أخرجهم من صلب آدم، فآمنوا كرهاً، حيث أقروا بالألسنة وأضمروا التكذيب(١).

وقال مجاهد: المعنى: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، فهو نظير قوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾(٢) [الأنعام:٢٨].

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الطبع الشديد ﴿نطبع على قلوب الكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ أي: ما وجدنا لأكثر الناس من وفاء بالعهد الذي أخذناه عليهم حين أخرجناهم من ظهر آدم. هذا هو قول ابن عباس وأكثر المفسرين(٣).

وقال الحسن البصري: المراد بالعهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئاً(٤).

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٠)، ومجاهد (ص:٢٤١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٠-١٥٣١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٠٨-٥٠٩) وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن. ومن طريق آخر عن أبي العالية وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن أبي بن كعب، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) زاد المسير (٣/ ٢٣٦).

﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ قال أبو عبيدة[١]: المعنى: وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين.

والقاعدة التي راعيناها في هذا الباب من هذا الكتاب، ما عليه حذّاق البصريين: من أنّ «إنْ» هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية[٢]، على معنى: وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين مارقين من الطاعة.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ
جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ
ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٢٣).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣١٣).

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي: من بعد الرسل المذكورين ﴿موسى بآياتنا﴾ وهي المعجزات الخارقة التي أعطيها؛ كالعصا وانفلاق البحر، ﴿إلى فرعون وملأه فظلموا بها﴾ أي: جعلوا بدل الإيمان بها الكفر، فظلموا بذلك غاية الظلم، ﴿فانظر﴾ بعين قلبك ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾.

قوله تعالى: ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ قرأ نافع: بالتشديد، بمعنى: واجب عَلَيّ أن لا أقول إلا الحق.

وبها قرأتُ أيضاً لأبان عن عاصم.

وقرأ عبدالله: «حقيق أن لا» بإسقاط «على»[(١)].

وقرأ أُبيّ بن كعب: «حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق» بإسقاط «على» وإقامة الباء مقامها[(٢)].

وقرأ الأكثرون: «حقيق على أن لا أقول» بتخفيف وحذف الباء[(٣)].

قال الفراء[(٤)]: العرب تجعل الباء في موضع «على»، فتقول: رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت بحالٍ حسنة وعلى حالٍ حسنة.

وقال أبو عبيدة[(٥)]: «حقيق» بمعنى: حريص.

---

(١) وهذه القراءة شاذة؛ لمخالفتها الرسم العثماني. انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٠)، والدر المصون (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٤/ ٣٥٦)، والدر المصون (٣/ ٣١٥).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٥٤-٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٩)، والكشف (١/ ٤٦٩)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٧).

(٤) معاني الفراء (١/ ٣٨٦) وبه قال أبو الحسن والفارسي.

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٢٤).

﴿قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ قال ابن عباس: يعني: العصا[١].

﴿فأرسل معيَ بني إسرائيل﴾ أي: أطلق عنهم يدك العادية حتى يذهبوا إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم، وكان اللعين قد استعبدهم واستذلّهم بعزّ سلطانه، واستخدمهم في الأعمال الشاقة بعد موت يوسف عليه السلام، [وانقراض][٢] الأسباط، فاستنقذهم الله تعالى بموسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر وبين اليوم الذي دخلها فيه موسى رسولاً؛ أربعمائة سنة.

﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها﴾ أي: فأتني بها وأظهرها لي ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تقول.

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ ظاهر لا لبس فيه. والثعبان: الحية الضخم الذّكر.

قال ابن عباس والفراء[٣]: الثعبان: أعظم الحيات، وهو الذَّكَر[٤].

قال ابن السائب: [ملأت][٥] الحية دار فرعون، ثم فتحت فاها، فإذا شدقها ثمانون ذراعاً، ثم شدت على فرعون لتبتلعه، فوثب عن سريره وهرب، وقام به

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٣٧).

(٢) في الأصل: وانقراظ.

(٣) معاني الفراء (١/ ٣٨٧).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) في الأصل: ملأ. والتصويب من الوسيط (٢/ ٣٩٢).

بطنه ذلك اليوم أربعمائة مرة، ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك[١].

ويروى: أن الناس ازدحموا حين انهزموا منها، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً[٢].

﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ قال ابن عباس: أدخلها في جيبه ثم أخرجها فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فخروا على وجوههم، ثم أدخلها إلى جيبه فعادت كما كانت[٣].

فلما شاهدوا هذه الخوارق نسبوه إلى السحر، فذلك قوله حاكياً عنهم: ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾.

فإن قيل: القصة واحدة، فكيف عزا هذا القول هاهنا إلى الملأ، وعزاه في الشعراء إلى فرعون فقال: ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾؟

قلت: إما أن يكون القول صدر منه ومنهم، فحكاه سبحانه تعالى في أحد الموضعين عنه، وفي الآخر عنهم. وإما أن يكون ابتداء القول من فرعون، فتلقّاه الملأ فقالوه لمن دونهم في الرتبة على قبيل التبليغ.

والمعنى: إن هذا لساحر حاذق يعلم السحر، يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم حتى يخيل إليهم الشيء بخلاف ما هو عليه، ومنه: سحر المطر الأرض؛ إذا قلع

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٢).

(٢) انظر: الطبري (٩/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٢).

(٣) أخرج نحوه الطبري (٩/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٣). وانظر نص المصنف في: زاد المسير (٣/ ٢٣٨).

نباتها من أصوله، وقلب الأرض ظهراً لبطن[١].

﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ يعني: يريد أن يخرجكم أيها القبط من أرض مصر ﴿فماذا تأمرون﴾ أي: ماذا تشيرون به عليّ، من قولك: أمرته فأمرني بكذا، أي: استشرته فأشار عليّ بكذا. وهذا من تمام كلام فرعون.

وقيل: من تمام كلام الملأ لفرعون وخاصته، أو له وحده، على مذهب التعظيم، أو لمن دونه في الرتبة يستخرجون ما عندهم من الرأي.

والأول -وهو اعتقاد كونه من قول فرعون- أجود؛ توفيقاً ما بين هذا الموضع وبين ما في سورة الشعراء، ولقوله عقيبه: ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾.

قرأ نافع وأهل الكوفة: «أَرْجِهِ» بغير همز، هنا وفي الشعراء[٢]، غير أن عاصماً وحمزة سكّنا الهاء، وكسرها قالون. ووصلها بياء في الوصل: ورش والكسائي، وهمزها الباقون، غير أن أبا عمرو يضم الهاء، وابن ذكون يكسرها[٣]، وهشاماً وابن كثير يصلانها بواو في الوصل والهمز[٤]، وتركه لغتان صحيحتان. تقول: أَرْجَأْته وأَرْجَيْتُه، بمعنى: أَخَّرْته[٥].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سحر).

(٢) عند الآية رقم: ٣٦.

(٣) قال أبو بكر: وقول ابن ذكوان هذا وهم؛ لأن الهاء لا يجوز كسرها وقبلها همزة ساكنة، وإنما يجوز إذا كان قبلها ياء ساكنة أو كسرة، وأما الهمز فلا.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢٥٥-٢٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٨٩-٢٩١)، والكشف (١/ ٤٧٠)، والنشر (٢/ ١٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٧-٢٢٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٧-٢٨٩).

(٥) انظر: اللسان (مادة: رجأ).

قال الفراء[١]: بنو أسد يقولون: أرجيت الأمر بغير همز، وكذلك عامة قيس، وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر بالهمز، والقراء مولعون بهمزها، وترك الهمز أجود.

وجميع القراءات التي فيها جيدة، غير أن الزجاج قال[٢]: من قرأ: «أرجهْ» بإسكان الهاء فلا [يعرفها][٣] الحذاق بالنحو، ويزعمون أن هاء الإضمار اسمٌ لا يجوز إسكانها.

قال[٤]: وزعم بعض النحويين أن إسكانها جائز، وقد رُويت لعمري في القراءة، إلا أن التحريك أكثر وأجود.

ومعنى الكلام: أخِّرْهما عنك حتى ترى رأيك فيهما.

﴿وأرسل في المدائن﴾ أي: مدائن مصر، ﴿حاشرين﴾ رجالاً يحشرون حذّاق السحرة ويجمعونهم إليك، ألا تراه يقول: ﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴾.

قرأ حمزة والكسائي: «سحّار» بلفظ المبالغة هنا وفي يونس[٥]، على وزن [فعّال][٦]، وقرأهما الباقون: «ساحر» بوزن فاعل. واتفقوا على التي في الشعراء[٧]

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: زاد المسير (٣/ ٢٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٥).

(٣) في الأصل: يعرفه. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أي: الزجاج.

(٥) عند الآية رقم: ٧٩.

(٦) في الأصل: فاعل. وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه.

(٧) عند الآية رقم: ٣٧.

فقرؤوها: «سحّار» بتشديد الحاء بلفظ المبالغة[(١)].

قوله تعالى: ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ قال المفسرون: لم يترك في سلطانه ساحراً إلا أحضره، وكانوا إذ ذاك متوافرين.

وقد اختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون اختلافاً متنافراً؛ فروي عن ابن عباس ثلاث روايات:

إحداها: أنهم اثنان وسبعون. والثانية: سبعون. والثالثة: اثنان وسبعون ألفاً[(٢)].

وقال عطاء: سبعون ألفاً[(٣)]. وروي مثله عن وهب وقال: فاختار منهم سبعة آلاف[(٤)].

وقال الحسن: خمسة وعشرون ألفاً[(٥)].

وقال ابن إسحاق: خمسة عشر ألفاً[(٦)].

وقيل: غير ذلك. والله تعالى أعلم بعددهم.

قال ابن إسحاق: رؤوس السحرة: ساتور، وعاذور، وحُطْحُط، ومصفى،

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩١-٢٩٢)، والكشف (١/ ٤٧١)، والنشر (٢/ ٢٧٠-٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٩).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٤٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) زاد المسير (٣/ ٢٤١).

(٥) مثل السابق.

(٦) مثل السابق.

وهم الذين آمنوا[(١)]. كذا حكاه ابن ماكولا[(٢)].

قال مقاتل[(٣)]: واسم أكبرهم: شمعون.

﴿قالوا أئنّ لنا لأجراً﴾ قرأ الحرميان وحفص: «إن لنا» بهمزة واحدة مكسورة على الخبر[(٤)]. وقرأ الباقون بالاستفهام، على ما عرف من تفاصيل مذهبهم.

قال أبو علي الفارسي في هذه القراءة[(٥)]: هو أشبه بهذا الموضع؛ لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه.

﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ فضمن لهم الأجر عليه وزادهم قربهم إليه.

والمعنى: إنكم لمن المقربين عندي في المنزلة إن غلبتم موسى.

ويروى: أن السحرة قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر؛ [لأن الساحر][(٦)] إذا نام بطل سحره، [فأبى][(٧)] إلا أن يعارضوه[(٨)].

قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الإكمال (٤/ ٢٤٩).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٨).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٢)، والكشف (١/ ٤٧٢)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٨٩).

(٥) الحجة (٢/ ٢٥٨).

(٦) زيادة من الكشاف (٣/ ٧٨).

(٧) في الأصل: فأبوا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٧٨). وانظر: البغوي (٣/ ٢٢٥).

أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ
ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾
وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ حبالنا وعصينا، وهذا الإقدام منهم والاجتراء على التخيير في الابتداء بالإلقاء، يدل على وثوقهم من أنفسهم بإتقان صنعة السحر والمهارة فيه.

ويروى: أن رأس السحرة ومعلمهم قال لفرعون: لقد علمتُهم سحراً لا يطيقه أهل الأرض، إلا أن يكون أمراً من السماء، فإنه لا طاقة لهم به[1].

وقال السدي: قال أمير السحرة لموسى: لآتينك غداً بسحر لا يغلبه السحر، ولئن غلبتني لأؤمنن بك[2].

﴿قال ألقوا﴾[3] إن قيل: كيف استجاز موسى عليه السلام أن يأمرهم بالسحر؟

قلت: إن كان السحر محرماً في شريعته، فهذا كان في مبادئ رسالته قبل نزول التوراة عليه، وتفصيل الأحكام تبين الحلال والحرام، على أن أمرهم بالإلقاء ليس

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٩) عن ابن عباس. وانظر: البغوي (٢/ ١٨٧).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٤١).

(٣) في الأصل: "قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون". وهو خطأ.

مقصوداً لذاته، وإنما لم يستلزم من إظهار معجزته وإبطال سحرهم وإقامة الحجة عليهم، والحرام قد يصير حلالاً، بل واجباً في بعض الصور؛ إذا استلزم مصلحة عامة، أو أمداً مطلوباً في نظر الشرع. ألا ترى أن أكل الميتة حرام، ثم في حالة الاضطرار يصير واجباً؛ حفظاً للنفس من التلف، والكفار إذا تترسوا بالمسلمين ولم يكن لنا وصول إلى قتلهم إلا بهلاك الذين تترسوا بهم من المسلمين، فإنا نقاتلهم وننوي قتل الكفار، ويقع قتل المسلمين بطريق الضمن والتبع؛ نظراً إلى تحقيق المصلحة العامة.

وذكر الماوردي[1] عن هذا السؤال جوابين:

أحدهما: أن مضمون أمره: إن كنتم محقين فألقوا.

الثاني: ألقوا على ما يصح، لا على ما يفسد ويستحيل.

فإن قيل: ما الحكمة في اختيار موسى عليه السلام تقدمهم عليه في الإلقاء؟

قلت: عنه أجوبة:

أحدها: أنه رأى لهم حرصاً على التقدم ورغبة فيه، ألا ترى إلى قولهم: ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ فأكدوا الضمير وعرفوا الخبر، فسوغ موسى لهم ذلك استحالة لهم إلى الإيمان والإنصاف.

الثاني: أنهم خَيَّرُوه، وكان من تمام الأدب وحسن العشرة وكمال المروءة أن يجازيهم بالأحسن والأجمل، فقدَّمهم لذلك.

الثالث: أن في تثبته عليه السلام وكونه لم يعجل ويبادر إلى الإلقاء عقيب

---

(١) تفسير الماوردي (٢/ ٢٤٦).

التخيير احتقاراً وازدراء بشأنهم الذي قد حشدوا وحشروا الناس لأجله، وإظهاراً لقلة المبالاة به.

والرابع: أنه عليه السلام أراد دفع باطلهم بالحق الذي جاء به، وأن يقروا ذلك في نفوسهم. فلو ألقى قبلهم لخامر قلوبهم من الوجل الذي لزم منه اختلال النظر ما خامرهم أوّلاً حين ازدحموا حتى مات منهم خمسة وعشرون ألفاً، فأمرهم بالإلقاء قبله ليروا بأبصارهم الناظرة، وبصائرهم الحاضرة، أَثَرَ معجزته في سحرهم العظيم الذي جاؤوا به، فيكون ذلك أبلغ في تحقيق معجزته وتحصيل مقصوده وإقامة حجته.

قوله تعالى: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ قلبوها عن صحة إدراكها حتى رأوا الحبال والعصي حيات غلاظاً قد ملأت الأرض، ﴿واسترهبوهم﴾ قال الزجاج[١]: استدعوا رهبَتَهُم حتى رهبهم الناس.

ويجوز أن تكون السين زائدة كما سبق، على معنى: أرهبوهم[٢].

﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾ في بابه.

﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك﴾ فيه إضمار، تقديره: فألقاها، ﴿فإذا هي تلقف﴾. قرأ حفص: بإسكان اللام وتخفيف القاف حيث وقع. وقرأ الباقون: بفتح اللام وتشديد القاف[٣]. يقال: لَقِفْتُ الشيء وأَلْقَفه لَقْفاً وتَلَقَّفْته

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٦).

(٢) وهو قول المبرد.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٢)، والكشف (١/ ٤٧٣)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٠).

والْتَقَفْته[١]، والمعنى: فإذا هي تبتلع ﴿ما يأفكون﴾ أي: يكذبون ويزوّرون على الناس.

قال جماعة من المفسرين: كانوا جعلوا في حبالهم وعصيّهم الزئبق[٢] وصوروها على صور الحيات، فاضطرب الزئبق؛ لأنه لا يستقر[٣].

وفي هذا بُعد؛ لأن الله تعالى سماه سحراً، [ووصفه][٤] بكونه عظيماً وكونه كيداً.

قال ابن عباس: ألقى موسى عصاه فإذا هي أعظم من حبالهم وعصيّهم قد سدّت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً فابتلعت ما ألقوا، وجعلت تأكل جميع ما وردت عليه من صخرة وشجرة والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلداً، فأقبلت الحية نحو فرعون فصاح: يا موسى يا موسى، فأخذها، وعرفت السحرة أن هذا من السماء، فَخَرُّوا سُجَّداً[٥].

قوله تعالى: ﴿فوقع الحق﴾ أي: حصل وثبت، ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ من السحر لما فقدوا حبالهم وعصيّهم.

﴿فغلبوا هنالك﴾ في ذلك الجمع العظيم، ﴿وانقلبوا﴾ يعني: فرعون وملأه، ﴿صاغرين﴾ ذليلين.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: لقف).

(٢) الزئبق: عنصر فلزي سائل في درجة الحرارة العادية (المعجم الوسيط ١/ ٣٨٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٥).

(٤) في الأصل: ووصوفه.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٤١).

﴿وألقي السحرة﴾ لعظيم ما شاهدوه من المعجز الذي اضطرهم إلى الإيمان ﴿ساجدين﴾.

قال ابن عباس: خَرُّوا لله سامعين مطيعين(١).

وقال ابن عباس أيضاً: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل(٢).

﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ فقال لهم فرعون: إياي تعنون، فقالوا: ﴿رب موسى وهارون﴾.

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى
ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ
مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ
أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٧) وعزاه لابن جرير.

ﵟقَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﵞ ﴿١٢٩﴾

﴿قال فرعون آمنتم به﴾ قرأ حفص ووَرْش: «آمنتم» بهمزة واحدة على الخبر، والباقون بالاستفهام، على تفصيلٍ لهم[١]، وكذلك الذي في طه[٢] والشعراء[٣].

والمعنى: أصدقتم موسى ﴿قبل أن آذن لكم﴾.

ثم أخذ الخبيث عند ظهور الحق يموّه على الخلق فقال: ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾ أي: تصنيع صنعتموه في المدينة فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى الصحراء ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ يعني: القبط، وتسكنوها بني إسرائيل. ثم هدّدهم فقال: ﴿فسوف تعلمون﴾.

ثم فصّل ما أجمله من الوعيد فقال: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يريد: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

قال ابن عباس: أول من قطع ذلك وصلب فرعون[٤].

﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ فيجازى كلاًّ بعمله.

﴿وما تنقم منا﴾ أي: ما تعيب منا ﴿إلا أن آمنا بآيات ربنا﴾ التي جاء بها موسى

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٠-٢٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٣)، والكشف (١/ ٤٧٣)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٨)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٠).

(٢) عند الآية رقم: ٧١.

(٣) عند الآية رقم: ٤٩.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

من عند الله ﴿لما جاءتنا﴾ وهذا مثل قول الشاعر:

ولا عَيْبَ فِيهِم ....

وقد سبق.

ثم سألوا الله الصبر على ما توعدهم به والثبات على الدين، فقالوا: ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾.

قال مجاهد: أُصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً، ﴿وتوفنا مسلمين﴾ مخلصين على دين موسى[(١)].

قال ابن عباس: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء[(٢)].

﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ أي: أرض مصر، بإظهار تضليلك وتجهيلك، والدعاء إلى غير سبيلك، والاستيلاء على ملكك، والتسبب إلى هلكك.

﴿ويذرك وآلهتك﴾ عطف على «ليفسدوا»، وهو جواب للاستفهام بالواو[(٣)]. وهو قول ابن الأنباري والزجاج[(٤)].

وقرأ أنس بن مالك: «ونَذَرَكَ» بالنون والنصب[(٥)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٦)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤، ١٦/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٢)، والدر المصون (٣/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٦٧)، والدر المصون (٣/ ٣٢٥).

وقرأ الحسن: «ويذرُك» بالرفع[1]، على معنى: وهو يذرك، أو هو عطف على «أتذر موسى».

فإن قيل: هو في اعتقادهم ربهم الأعلى، فكيف قالوا: «وآلهتك»؟

قلت: قد روي عن ابن عباس أنه قال: صنع فرعون أصناماً لقومه وأمرهم بعبادتها وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[2] [النازعات:٢٤]، فيكون المعنى: ويذرك وآلهتك التي صنعتها ونصبتها للعبادة.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس والحسن في آخرين: «ويذرك وإلاهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وألف بعدها[3]. المعنى: ويذرك وربوبيتك وعبادة الناس إياك.

فحملته الحمية حين غرّوه وأغروه بموسى وقومه فقال: ﴿سنقتِّل أبناءهم﴾ وخفّفها ابن كثير ونافع، وشدّدها الباقون[4].

والمعنى: سنعيد عليهم قتل الأبناء، واستحياء النساء، أراد اللعين بذلك إيلام بني إسرائيل واستذلالهم، واجتثاث أصلهم، واستئصال نسلهم، وإيهام أغمار[5] القبط وطغامهم أن موسى ليس هو ذلك المولود الموعود به على ألسنة الكهنة، فإنه خاف انخزالهم عن عادتهم في عبادتهم إياه، فتداخلَ بني إسرائيل روعةُ الوعيد

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٩).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٤٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: الطبري (٩/ ٢٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٤).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٤)، والكشف (١/ ٤٧٤)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٢).

(٥) الغمر: الرجل الجاهل بالأمور، والجمع: أغمار (الغريب لابن سلام ١/ ٢٤٩).

والتهديد، فعادوا إلى صاحب الآية، فهداهم إلى الاعتصام بأوثق أسباب النصر، فقال: ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ أي: اصبروا على دينكم.

وقال الواحدي والإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمهما الله[1]: المعنى: اصبروا على ما يُفعل بكم، فإنه عليه السلام خاف عليهم الردة عند تفاقم الشدة.

﴿إن الأرض لله﴾ مُلْكاً وخَلْقاً، واللام في الأمرين للعهد أو للجنس، ﴿يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾.

قال ابن عباس: العاقبة: الجنة لمن اتقى[2].

وقيل: العاقبة هاهنا: النصر والظفر[3].

﴿قالوا﴾ يعني: قوم موسى له ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ بالرسالة بقتل الأبناء واستحياء النساء والاستعباد، والاستخدام في الأعمال الشاقة والمهن، وضرب الجزية، ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ بإعادة ذلك علينا، ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ فرعون وقومه.

﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ قال ابن عباس: أرض مصر[4].

وقيل: أرض الشام[5].

ويجوز عندي: أن يريد جنس الأرض، على معنى: يجعلكم أيها المؤمنون خلفاً

---

(١) الوسيط (٢/ ٣٩٧)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٩٧)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٥).

(٤) زاد المسير (٣/ ٢٤٦).

(٥) مثل السابق.

فيها، ﴿فينظر كيف تعملون﴾ أي: فيرى الكائنَ منكم من صالح وطالح.

وروي: أن بعض الزُّهَّاد[١] دخل على المنصور قبل أن يلي الخلافة وعلى مائدته رغيفان، فطلب زيادة لأجله فلم يجد، فقرأ الزاهد هذه الآية: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم... الآية﴾، ثم دخل عليه بعد الخلافة فذكر له ذلك، وقال: قد بقي ﴿فينظر كيف تعملون﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ أي: ابتلينا أهل دينه بالجدب.

قال الزجاج[٢]: يقال: مَسَّتهم السَّنَة، ومعناه: جدْب السنة.

وقال غيره: يقال منه: أسنت القوم؛ إذا أجدبوا[٣].

قال الشاعر:

عَمْرو العُلى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[٤]

---

(١) وهو عمرو بن عبيد بن باب، التميمي بالولاء، أبو عثمان البصري. أحد كبار المعتزلة وزهادهم وشيخهم في عصره، كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجاً، ثم شرطياً للحجاج في البصرة. مات سنة ١٤٤هـ (وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٠، وأخبار أصفهان ٢/ ٣٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٧٨، والأعلام ٥/ ٨١).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سنت).

(٤) البيت لعبدالله بن الزبعرى. وهو في: تاريخ الطبري (١/ ٥٠٤)، واللسان وتاج العروس (مادة: =

قال قتادة: أما السَّنَة: فكانت في بواديهم ومواشيهم. وأما نقص الثمرات: فكان في أمصارهم وقراهم[١].

وقال ابن عباس في رواية الضحاك: يبس لهم كل شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر، فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا: إن كنت رباً كما تزعم فاملأ لنا نيل مصر، فقال: [غدوة][٢] يصبحكم الماء. فلما خرجوا من عنده قال: أي شيء صنعت! أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر، أُصبحُ فيكذبوني. فلما كان جوف الليل اغتسل، ثم لبس مدرعة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى بطن نيل مصر، فقام في بطنه فقال: اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تقدر [أن][٣] تملأ نيل مصر، فاملأه، فما علم إلا بخرير الماء، لِمَا أراد الله به من الهلكة[٤].

قوله تعالى: ﴿لعلهم يذكرون﴾ أي: فعلنا بهم ذلك لعلهم يذكرون؛ لأن أحوال الشدة ترقق القلب وتوجب الخضوع والخشوع، وتكشف أغطية الغفلة.

قوله تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ وهي الغيث والخصب والعافية وسعة الأرزاق، ﴿قالوا لنا هذه﴾ يعنون بجهة الاستحقاق، نظراً إلى ما ألفوه من الرفاهية،

= هشم، سنت)، والعين (٣/ ٤٠٥)، والدر المصون (٣/ ٣٢٧)، والقرطبي (٧/ ٢٦٤، ٢٠/ ٢٠٥)، والإنصاف (٢/ ٦٦٣)، وصبح الأعشى (١/ ٤١٢).

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) في الأصل: غدة. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) زيادة من المصادر التالية.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٤٧)، والسيوطي في الدر (٣/ ٥١٨) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم.

فلم يشكروا مولاها، بل أصروا على كفرهم وتمادوا في غيّهم، ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ وهي نقيض الحسنة المذكورة ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ فيتشاءموا بهم.

قال الزجاج[1]: إنما قالت العرب الطيرة؛ لأنهم كانوا يزجرون الطائر، فإذا كان ذلك على جهة ما يكرهون على ما اصطلحوا عليه بينهم، جعلوا ذلك أمراً يتشاءمون به.

﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أي: شؤمهم الذي جاءهم من عند الله بسبب كفرهم، أو يكون المقصود من قوله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ تقليل ما تشاءموا به في الدنيا بالنسبة إلى ما ادخر لهم من الشؤم في الدار الآخرة. وهو قول الزجاج[2].

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الكل من عند الله.

وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ
مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ
قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ
لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٨).
(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٦٩).

كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ الذي عليه حذّاق النحاة: أن «مهما» كلمة تستعمل للشرط والجزاء، أصلها «ما ما» الأولى للجزاء، والثانية زيدت للتوكيد، كما في سائر حروف الجزاء، نحو: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ [الأنفال:٥٧]، ومتى ما، ثم إنهم قلبوا الألف في الأولى هاء؛ فراراً من تكرير المتجانسين، وهذا قول الخليل وسيبويه وسائر البصريين(١).

قال ابن زيد: معناه: ما تأتنا به، والثانية زائدة(٢).

وقال الكسائي: «مَهْ» للزجر، و«ما» للجزاء(٣).

قال الواحدي(٤): ومعنى الآية: أنهم قالوا لموسى: متى ما أتيتنا بآية، مثل: اليد والعصا، لتسحرنا بها فإنا لن نؤمن لك.

وهذا كلام مدخول فيه على الواحدي، فإن «مهما» ليست من أسماء الزمان.

---

(١) انظر: العين (٣/ ٣٥٨)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥٩). وانظر: المفصل لابن يعيش (٤/ ٨). وحكى الرازي في تفسيره عن الكسائي: أن الأصل (مه) التي بمعنى الكفّ؛ أي: اكفف، دخلت على (ما) التي للجزاء، كأنهم قالوا: اكفف ما تأتنا به من آية فهو كذا وكذا.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٢٩).

(٤) الوسيط (٢/ ٣٩٨).

وإلى هذا أشار صاحب الكشاف بقوله[١]: وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرّفها مَنْ لا يد له في العربية، فيضعها غير موضعها، ويحسب «مهما» بمعنى «متى ما»، ثم يذهب فيفسر ﴿مهما تأتنا به﴾ بمعنى الوقت، فيُلحد في آيات الله وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو[٢] بين يدي الناظر في كتاب سيبويه. وإنما سمّوها آية على طريق الاستهزاء.

قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ المشهور: أن ذلك كان بعد أن فرغ أمر السحرة.

وقال السدي: كان قبل أمر السحرة.

قال الأخفش[٣]: والطوفان: جمع طُوفَانة، وهو السيل الطاغي.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: أرسل الله عليهم المطر ليلاً ونهاراً ثمانية أيام، فكان الرجل لا يقدر على الخروج، وامتلأت بيوت القبط ماء دون بيوت بني إسرائيل حتى خافوا الغرق[٤].

وقيل: أرسل الله عليهم الطاعون والمَوْتان[٥].

وروي عن النبي ﷺ: «أنه الموت الذريع الجارف». وهو قول جماعة، منهم:

---

(١) الكشاف (٢/ ١٣٨).

(٢) في الأصل زيادة قوله: في. وانظر: الكشاف (٢/ ١٣٨).

(٣) معاني القرآن للأخفش (ص:١٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٥) الموتان: الموت الكثير الوقوع (اللسان، مادة: موت).

مجاهد، وعطاء[١].

قال ابن عباس وغيره: فاستغاثوا بموسى وقالوا: سل ربك أن يكشف عنا الطوفان ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه فكشفه عنهم، فنبت في ذلك العام من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأصروا على كفرهم وعنادهم، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم، ثم أكل كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه شيء، ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة، فدعا ربه عز وجل فكشفه عنهم، فلم يتوبوا، فسلّط الله على ما بقي عندهم من أقواتهم القمّل[٢].

قال سعيد بن جبير: فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب الرجل وجلده فيمصّه، وكان أحدهم يخرج عشرة أجربة إلى الرحى فلا يردّ منها إلا شيئاً يسيراً[٣].

واختلفوا في القُمّل؛ فقيل: هو السوس الذي يكون في الحنطة[٤]، وهو معنى

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ عن مجاهد. ومن طريق آخر عن عطاء، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٥-١٥٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٢٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التخريج السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧)، ومجاهد (ص:٢٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٢٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. وهذا هو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير.

قول الحسن وسعيد بن جبير: هو دواب سود صغار[(١)].

وقال مجاهد وعطاء وقتادة: هو الدَّبا، وهو الجراد إذا تحرك قبل نبات أجنحته[(٢)]. والقولان عن ابن عباس[(٣)].

وقيل: القُمَّل: الحمنان، والواحد حمنانة.

قال أبو عبيدة[(٤)]: هو ضرب من القِرْدان.

وقيل: القُمَّل: القَمْل. قاله جماعة، منهم: زيد بن أسلم[(٥)]، وكذا قرأها الحسن، بفتح القاف وسكون الميم.

قال المفسرون: فعجّوا من ذلك وشكوا إلى موسى وأعطوه عهد الله وميثاقه إن كشف عنهم هذا ليؤمنن وليرسلن معه بني إسرائيل، فدعا لهم موسى فكشف الله تعالى ما بهم، فقالوا: تحققنا الآن أنك ساحر. وقال فرعون: لا نصدقك أبداً، فأرسل الله عليهم الضفادع ولم يكن عليهم شيء أشدَّ منها[(٦)].

قال المفسرون: أوحى الله تعالى إلى موسى أن يقوم على ضفة النيل ويشير بعصاه إلى أدناه وأقصاه، ففعل ذلك موسى، فتداعت الضفادع بالنقيق من كل جانب، حتى أعلم بعضها بعضاً، ثم خرجت مثل الليل الدامس، حتى دخلت

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: الطبري (٩/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧)، ومجاهد (ص:٢٤٤).

(٣) انظر القول الثاني في: تفسير ابن عباس (ص:٢٣٣).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٢٦).

والقِرْدان: دُوَيْبَة تعضُّ الإبل، واحدته: قُراد (اللسان، مادة: قرد).

(٥) انظر: الطبري (٩/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧)، ومجاهد (ص:٢٤٤).

(٦) انظر: الطبري (٩/ ٣٩).

بيوتهم بغتة، وامتلأت منها آنيتهم وأفنيتهم وأطعمتهم، فكان لا يكشف أحد ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع. وكان الرجل إذا فتح فاه ليتكلم تثب الضفدع فيه، وكانت تلقي أنفسها في القدور وهي تفور، وفي التنور وهو يَسْجُرُ[(١)]، وفي العجين فيشدخ[(٢)] فيه، ومنعهم القرار والنوم، حتى إن الواحد منهم كان إذا نام فاستيقظ، وجد الضفادع قد ركبته ذراعاً بعضها فوق بعض، فاستغاثوا بموسى وأعطوه العهد المؤكد على الإيمان به وإرسال بني إسرائيل معه، فدعا الله عز وجل فكشفها عنهم، وأراحهم منها فلم يؤمنوا ولم يفوا له بالعهد، فأرسل الله عليهم الدّم فصارت أنهارهم وآبارهم ومياههم كلها دماً[(٣)].

قال قتادة: ذكر لنا أن فرعون كان يجمع بين الرجلين في إناء واحد، القبطي والإسرائيلي، وكان ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دماً[(٤)].

وقال مجاهد: كان يستقي الإسرائيلي من النيل ماء طيباً، ويستقي الفرعوني دماً[(٥)].

وقيل: كانت القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية: اجعلي الماء في فيك ثم مُجّيه[(٦)]

---

(١) سَجَرَ التنور يَسْجُرُه سَجْراً: أوقده وأحماه. وقيل: أشبع وقوده (اللسان، مادة: سجر).

(٢) الشّدخ: الكسر في شيء رطب. وقيل: هو التهشيم (اللسان، مادة: شدخ).

(٣) انظر: الطبري (٩/ ٣٩)، والوسيط (٢/ ٤٠١-٤٠٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٢٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) مَجَّ الماء من الفم: صبَّه من فمه قريباً أو بعيداً (انظر: اللسان، مادة: مجج).

في فيّ، فيصير الماء في فمها دماً[١].

فقال فرعون: يا موسى قسمٌ لئن [كشفت][٢] عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه قومه، فلذلك قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾.

قال ابن قتيبة[٣]: بين الآية والآية فصلٌ.

قال المفسرون: كانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت، ثم يبقون عقيب رفعها شهراً في عافية، ثم تأتيهم الآية الأخرى[٤].

قال وهب بن منبه: بين الآية والآية أربعون يوماً[٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مكث موسى عليه السلام في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات[٦].

وقيل: «آيات مفصلات» أي: مبيناتٍ واضحاتٍ لذوي العقول.

والنصب في «آيات» على الحال[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧-٣٨).

(٢) في الأصل: شكفت.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٧١).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٥١)، والسيوطي في الدر (٣/ ٥٢٤) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٥١).

(٦) مثل السابق.

(٧) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٣)، والدر المصون (٣/ ٣٣١).

﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان بموسى، ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾.

قوله تعالى: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ أي: وجب عليهم العذاب المذكور.

وقيل: هو طاعون أهلك منهم سبعين ألفاً.

وأصل الرَّجَز: تتابع الحركات، ومنه: ناقة رَجْزاء، وهي التي ترتعد قوائمها عند قيامها[1].

فسمي العذاب رجزاً؛ لما يوجب من شدة القلق.

﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ «ما» مصدرية، والباء في «بما» إما أن تتعلق بما قبلها أو بما بعدها، فإن تعلقت بما قبلها كان المعنى: ادع لنا ربك متوسلاً إليه بعهده عندك وبما أوصاك أن تدعو به، أو هو قسم، تقديره: ادع لنا ربك بحق عهده عندك.

وإن تعلقت بما بعدها فهي قسم، جوابه ما بعده وهو: ﴿لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ وهو أجل غرقهم.

وقوله: ﴿إذا هم ينكثون﴾ جواب «لمّا»[3]، والمعنى: إذا هم ينقضون العهد.

﴿فانتقمنا منهم﴾ أي: عاقبناهم، والاسم منه: النقمة، والجمع: نقمات ونقم، مثل: كلمة وكلمات وكلم.

ثم فسَّر العقوبة فقال: ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ وهو البحر الذي لا يدرك قعره.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: رجز).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٣١).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٣٢).

وقيل: لُجَّة البحر.

قال الزمخشري[١]: واشتقاقه من التيمم، وهو القصد؛ لأن المستنفعين به يقصدونه، وقد ذكرنا قصة إغراقهم في سورة البقرة.

﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ أي: بسبب تكذيبهم بها وغفلتهم عنها.

قوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ بقتل الأبناء والاستعباد والاستخدام في الأرض، يعني: أرض مصر، ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ يعني: أرض الشام ومصر.

وقال الزجاج[٢]: كان منهم داود وسليمان صلى الله عليهما، مَلكُوا الأرض.

يريد بذلك: أن الألف واللام في الأرض للاستغراق، والأول أظهر لقوله: ﴿التي باركنا فيها﴾ يعني: بالماء والشجر والزرع، وسعة الأرزاق، وهي أرض العمالقة والفراعنة، وليس كل موضع من الأرض قد بارك فيه بذلك، ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وهي قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ إلى قوله: ﴿يحذرون﴾ [القصص:٥-٦].

ثم وصف الكلمة فقال: ﴿الحسنى﴾ تأنيث الأحسن ﴿بما صبروا﴾ أي: بصبرهم على أذى فرعون وقومه، أو بصبرهم على الطاعة. وفي هذا أوضح دليل على اقتران النصر بالصبر.

﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ اسم «كان» مستكن فيها، وهو العائد

---

(١) الكشاف (٢/ ١٤٠).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٧١).

على «ما»، والجملة الخبر. وقيل: اسمها: «فرعون» وخبرها: «يَصْنَعُ»[(١)]. ولم يجزه بعضهم؛ لأن الفعل الثاني أولى برفع الاسم الذي بعده.

وقيل: «كان» زائدة[(٢)]، والمعنى: أهلكنا ما كانوا يصنعون من العمارات ﴿وما كانوا يعرشون﴾. وقرأ ابن عامر وأبو بكر: «يَعرُشون»[(٣)] بضم الراء هنا وفي النحل[(٤)]، أي: وما كانوا يبنون.

قال ابن عباس: أي: يسقفون من القصور والبيوت[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ ويعرُش؛ إذا بنى.

ويجوز أن يكون المعنى: وما كانوا يعرشون من الجنات. قال الله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ [الأنعام:١٤١].

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٣)، والدر المصون (٣/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٣)، والحجة لابن زنجلة (١/ ٢٩٤)، والكشف (١/ ٤٧٥)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٢).

(٤) عند الآية رقم: ٦٨.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٠٣).

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٣٧١).

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

ثم إن الله تعالى قصَّ علينا خبر بني إسرائيل وما قالوه وفعلوه من عبادة العجل، وسؤال الرؤية في الدنيا، وقولهم: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾، واعتداءهم في السبت، وغير ذلك من أقوالهم الشنيعة وأفعالهم المنكرة الفظيعة عقيب هذه النعم الذي اختصهم بها من إنقاذهم من رقّ العبودية، وذل الاستخدام، وجعلهم بعد أن كانوا مملوكين ملوكاً، واستعلائهم على أعدائهم ومشاهدتهم تلك الآيات المفصلات، ومعافاتهم من العذاب الذي نزل بالقبط، مع كونهم ملابسيهم في منازلهم ومآكلهم ومشاربهم، وفلق البحر لإنجائهم وإهلاك أعدائهم، ليعلم أن الإنسان كفور لنعم الله كنود، جحود ظلوم، وليسلّي رسوله ﷺ، لئلا يتعاظم ما لقي منهم من البهت والعناد والتكذيب، مع العلم الرصين بحقيقة حاله، وأنه الرسول الموعود به على لسان نبيهم موسى بن عمران وغيره من الأنبياء، فقال تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ أي: قطعناه بهم، وكان ذلك يوم عاشوراء، ﴿فأتوا على قوم يَعْكُفُونَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يَعْكِفُونَ» بكسر الكاف[1]، والمعنى: يلازمونها ويواظبون على عبادته، ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً﴾ يعنون صنماً نعكف عليه ﴿كما لهم آلهة﴾ يعكفون عليها.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٤)، والكشف (١/ ٤٧٥)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٢).

قال ابن جريج: كانت آلهتهم تماثيل البقر(١).

﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ حيث تطلبون معبوداً غير الله، وقد أراكم من تلك الآيات العظام، وأنعم عليكم بتلك النعم الجسام، وجعل أيديكم بنواصي الجبابرة آخذة، وأوامركم في صياصي الفراعنة نافذة.

قوله تعالى: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ يعني: الذين يعكفون على أصنامهم مهلك ما هم فيه من عبادتها؛ لأنها لا تجلب لهم ثواباً ولا تدفع عنهم عقاباً ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي: يذهب ضياعاً بغير نفع؛ لأنه لغير الله.

ويروى: أن يهودياً قال لعلي عليه السلام: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه. فقال له علي عليه السلام: اختلفنا في الدنيا، وأنتم لم تجف أقدامكم من البحر حتى قلتم: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾(٢).

﴿قال أغير الله أبغيكم إلهاً﴾ استفهام في معنى الإنكار، لعظيم ما قالوه من الكفر، والتعجب من طلبهم إلهاً لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، بعدما شاهدوا من آيات الله لديهم وآلائه عليهم، ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ بالنعم التي اختصكم بها.

قوله تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم﴾ قرأ ابن عامر: «أنجاكم»(٣).

فمن قرأ: «أنجيناكم» فهو على مذهب التعظيم، ومن قرأ: «أنجاكم» فعلى لفظ

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٣٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/ ١٤١).

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٤)، والنشر (٢/ ٢٧١)، والكشف (١/ ٤٧٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٢٩)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٣).

الواحد، حملاً على قوله: ﴿أغير الله أبغيكم إلهاً﴾، والمعنى: اذكروا إذ أنجاكم من آل فرعون.

وقوله: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ استئناف لا محل لـه. ويجـوز أن يكـون حـالاً مـن المخـاطبين، أو «مـن آل فرعـون»[1]، ﴿يقتلـون أبنـاءكم﴾ بـدل مـن «يسومونكم»، أو حال من الضمير المرفوع في «يـسومونكم»[2]. وقـد أسـلفنا في سورة البقرة ما تركنا ذكره هاهنا.

۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ أي: تمام أو انقضاء ثلاثين ليلة.

قال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه[3].

﴿وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾.

فإن قيل: هذا معلوم، فإن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع انـضمام عـشر إليهـا تصير أربعين، فما الفائدة في ذكره؟

---

(١) انظر: الدر المصون (١/ ٢١٨).

(٢) انظر: الدر المصون (١/ ٢١٩).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٢٨٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٧). وذكره السيوطي في الـدر (١/ ١٦٧-١٦٨، ٣/ ٥٣٥) وعزاه في الموضع الأول لابن جرير، وفي الموضع الثاني لابن أبي حاتم.

قلتُ: فائدته زوال اللبس ورفع الوهم، فإن من الجائز أن تكون العشر ساعات، أو تكون داخلة في الثلاثين، فلما قال: «أربعين ليلة» نفى هذين الجائزين، وعُلم أن العشر ليال، وأنها غير الثلاثين.

فإن قيل: «أربعين» نصب أو جرّ؟

قلتُ: نصب على الحال[1]، على معنى: تم ميقات ربه بالغاً هذا العدد.

﴿وقال موسى لأخيه هارون﴾ «هارون» عطف بيان[2]. وقرئ بالرفع على النداء[3]، والمعنى: وكان موسى قال لأخيه عند انطلاقه إلى الجبل: ﴿اخلفني في قومي﴾، أي: كن خليفتي فيهم، ﴿وأصلح﴾ في الخلافة، ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾.

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: للوقت الذي حددنا له، واللام للاختصاص، كأنه قيل: واختصّ مجيئه بميقاتنا.

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٤)، والدر المصون (٣/ ٣٣٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٧٩)، والدر المصون (٣/ ٣٣٨).

﴿وكلمه ربه﴾ أسمعه كلامه من غير واسطة، وإلا فأي مزية[١] كانت له بوصف التكليم.

قال المفسرون: لما أراد الله أن يكلمه أهبطه إلى الأرض ظلمة سبع فراسخ[٢]، فلما دنا موسى من الظلمة تنحى عنه ملكان، وطرد عنه شيطانه، وطرد هوام الأرض، ثم كلّمه الله وأدناه، فرأى الملائكة قياماً في الهواء، ورأى العرش بارزاً، وسمع صريف الأقلام[٣]، وتغشّاه نورٌ لم يزل على وجهه إلى أن مات ﷺ، وكان لا يزال متبرقعاً، وكان لا يستطيع أحد أن ينظر إلى وجهه لما غشيه من النور، فقالت له زوجته: أنا أَيِّم[٤] منك مذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخَرَّت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال: ذاك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام كلها وصايا، فكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى! لم يتصنَّع المتصنِّعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرَّب المتقرِّبون بمثل الورع عمّا حرّمت عليهم، ولم يتعبّد المتعبّدون بمثل البكاء من خيفتي. قال موسى: يا إله البرية كلها، ماذا أعددت لهم؟ قال: أما الزاهدون في

(١) في الأصل زيادة قوله: ميزة.
(٢) الوسيط (٢/ ٤٠٥).
(٣) صريف الأقلام: أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله ووحيه، وما يَنْسَخُونه من اللوح المحفوظ (اللسان، مادة: صرف).
(٤) الأيِّم في الأصل هي: التي لا زوج لها، بكراً كانت أم ثيباً، مطلقة كانت أو متوفى عنها (اللسان، مادة: أيم).

الدنيا فأُبيحهم جنتي يتبوؤا فيها حيث شاؤوا، وأما الورعون عما حرّمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشتُه الحساب، إلا الورعين فإني أجلّهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب. وأما البكّاؤون من خيفتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يُشارَكون فيه»[١].

قال المفسرون: طمع موسى حينئذ في الرؤية فقال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾. مفعول «أرني» الثاني محذوف[٢]. قال الزجاج[٣]: تقديره: أرني نفسك أنظر إليك.

والمعنى: مَكِّنِّي من الرؤية بتَجَلِّيكَ لي.

وفي هذا دليلٌ واضحٌ على أن رؤية الله تعالى غير مستحيلة؛ لأنها لو كانت مستحيلة لما سألها موسى، ولأنكر الله عليه سؤالها. وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم ورفضهم صريح الكتاب وصحيح الأحاديث وتكذيبهم بما تتقاصر عقولهم السخيفة عن إدراكه حتى نسبوا موسى عليه السلام في سؤاله الرؤية لله إلى أحد أمرين؛ إما جهله بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز، وأعظم بها فرية منهم. وإما إقدامه واجتراؤه على السؤال مع علمه بعدم الجواز على ظنهم الفاسد، فيالها جرأة على كليم الله وصفيّه. وزعم بعض غلاتهم أنه إنما سأل الرؤية لتبكيت السبعين الذين قالوا: ﴿أرنا الله جهرة﴾ حتى يشاهد، ولما عساه يحدث به فيعتبروا أو يسمعوا كلام الله لموسى بالنهي أو بالنفي فينزجروا، فما أحقهم وأولاهم بإنشاد ما

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٨٨-١٨٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٥-٢٩٦) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه جويبر بن سعيد، وهو ضعيف.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٣٨).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٧٣).

قيل:

وجواب مثلك أن يعامل   بالسكوت عن الجواب

فإنهم جعلوا موسى مرشداً لأولئك بإضلال نفسه، ومصلحاً لهم بإفساد دينه، اللهم فاجعل إيماننا بما أوجبته مشفوعاً بتحقيق الرجاء، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم إذا حجبته عن أهل الاعتزال والإرْجاء.

قوله تعالى: ﴿قال لن تراني﴾ قال ابن عباس: لن تراني في الدنيا(١).

وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: «أرني»، وهو عليه السلام لم يرد «أرني» في الآخرة، إنما أراد في الدنيا، فيجب أن يكون الجواب مطابقاً للسؤال.

فلئن قالوا «لن» لنفي الأبد؟

قلنا: وترد أيضاً لنفي الوقت والزمان المتطاول، كما في قوله تعالى مخبراً عن اليهود: ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [البقرة:٩٥] يعني: الموت، ثم أخبر أنهم يتمنونه في النار فقال: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف:٧٧].

قوله تعالى: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ وهو جبل بالشام، يقال اسمه: زَبِير، بفتح الزاي وكسر الباء.

﴿فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ قال مقاتل(٢): لما قال موسى: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾، قال له ربه: ﴿لن تراني﴾، ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك، وهو الجبل، ﴿فإن استقر مكانه﴾ أي: سكن وثبت ﴿فسوف تراني﴾، وإن لم يستقر مكانه، فإنك لا تطيق رؤيتي.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٠٦)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٦).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤١٣-٤١٤).

﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ قال الزجاج[١]: ظهر وبان.

﴿جعله دكاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: «دكّاء» بالمد وفتح الهمزة من غير تنوين[٢]، على معنى: جعله أرضاً دكّاء مستوية.

وقال المبرد: جعله أرضاً دكاء وهي التي لا تبلغ أن تكون تلاً[٣].

وقال غيره: هو على حذف المضاف، تقديره: جعله[٤]، مثل: دكّاء، وهي الناقة التي لا سنام لها.

وقرأ الباقون: «دكاً» بالقصر والتنوين، أي: جعله مدقوقاً. تقول: دككت الشيء أدكّه دكّاً؛ إذا دققته[٥].

قال ابن السائب: جعله أجبالاً صغاراً[٦].

ويروى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ «أنه قال في قوله: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾: صارت لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة: أُحُد[٧]،

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٧٣).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٥)، والكشف (١/ ٤٧٥)، والنشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٣).

(٣) انظر: معاني الزجاج (٢/ ٣٧٣)، والوسيط (٢/ ٤٠٧).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٣٩).

(٥) انظر: اللسان (مادة: دكك).

(٦) ذكره البغوي (٢/ ١٩٧).

(٧) أُحُد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحد، وهو جبل أحمر، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها، وعنده كانت الوقعة التي قُتل فيها حمزة عم النبي ﷺ وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعية النبي ﷺ، وشجّ وجهه الشريف (معجم البلدان ١/ ١٠٩).

ووَرِقان[١]، ورَضْوى[٢]. ووقع بمكة: ثَوْر[٣]، وثَبِير[٤]، وحِراء[٥]»[٦].

وقال ابن عباس: جعله تراباً[٧].

وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض[٨].

أخبرنا الشيخ أبو الفضل سليمان بن محمد بن علي الموصلي قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، قال: أخبرنا أبو محمد يحيى بن علي بن محمد بن الطرّاح، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد النقور، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن حبابة البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي،

---

(١) ورقان: جبل أسود بين العَرْج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، ينصب ماؤه إلى ريم (معجم البلدان ٥/ ٣٧٢).

(٢) رضوى: جبل بالمدينة، وهو من ينبع على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل، ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البريراء لمن كان مصعداً إلى مكة (معجم البلدان ٣/ ٥١).

(٣) ثور: اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ (معجم البلدان ٢/ ٨٦).

(٤) ثبير: جبل بمكة، وهي أربعة أثبرة بالحجاز، وهو الذي صعد فيه النبي ﷺ، فرجف به، فقال: اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد (معجم ما استعجم ١/ ٣٣٥-٣٣٦).

(٥) حراء: جبل من جبال مكة معروف، وهو على ثلاثة أميال منها، كان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل، وفيه أتاه جبريل عليه السلام (معجم البلدان ٢/ ٢٣٣).

(٦) أخرجه الأزرقي (٢/ ٢٨٠-٢٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٤)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٤٦) وقال: هذا حديث غريب، بل منكر.

(٧) أخرجه الطبري (٩/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الرؤية.

(٨) أخرجه الطبري (٩/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ.

حدثنا أبو خالد هُدبة بن خالد البصري، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ قال: وضع إبهامه على قريب من طرف أنملة خنصره، فساخ الجبل. فقال حميد لثابت: تقول هذا، فرفع ثابت يده فضرب بها صدر حميد وقال: يقوله رسول الله ﷺ ويقوله أنس وأنا أكتمه»(١). هذا حديث لا يطعن في إسناده، رواه عن هدبة جماعة، منهم: علي بن أحمد بن بسطام، ورجاله رجال الصحيحين.

والواجب فيه وفي أمثاله الإيمان والتسليم من غير تشبيه ولا تمثيل، وعلى هذا درج السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿وخرّ موسى صعقاً﴾ يعني: مغشياً عليه من هول ما رأى. قاله ابن عباس(٢).

وقال قتادة: خرّ ميتاً(٣).

والأول أصح؛ لقوله: ﴿فلما أفاق﴾ يعني: من غشيته، ﴿قال سبحانك تبت إليك﴾ يعني: من سؤال الرؤية في الدنيا، أو من سؤال الرؤية قبل الإذن في ذلك، ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أنك لا تُرى في الدنيا. هذا قول ابن عباس وأبو العالية وعامة

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦٥) من حديث عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب وعن عبدالوهاب بن الحكم عن معاذ بن معاذ كلاهما عن حماد بن سلمة.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الرؤية.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

المفسرين[١].

سمعت شيخنا أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه يقول: أخبرنا أحمد بن المبارك، أخبرنا جدي لأمي ثابت بن بندار[٢]، أخبرنا أبو علي بن دوما[٣]، أخبرنا مخلد بن جعفر[٤]، أخبرنا الحسن بن علوية، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، أخبرنا إسحاق بن بشر، أخبرنا أبو إلياس، عن وهب بن منبه، قال: لما سمع موسى كلام ربه تبارك وتعالى طمع في رؤيته، ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾.

قال محمد بن إسحاق: حدثني بعض من لا أتهم قال: قال الله تعالى: يا ابن

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٢). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن أبي العالية، وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٢) ثابت بن بندار بن إبراهيم، أبو المعالي الدينوري البغدادي البقال، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة، وطلب العلم في حداثته، توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٣) هو الحسن بن الحسين بن العباس بن الفضل بن المغيرة، أبو علي، المعروف بابن دوما النعالي، كان كثير السماع، إلا أنه أفسد أمره بأن ألحق لنفسه السماع في أشياء لم تكن سماعه ولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومات يوم السبت ودفن يوم الأحد الخامس من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة (تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٠، وتكملة الإكمال ٢/ ٥٦٦).

(٤) مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرحي الدقاق، كان ثقة صحيح، توفي في ذي الحجة سنة تسع وستين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٥٤-٢٥٥).

عمران إنه لا يراني أحد فيحيا، قال موسى: رب لا شريك لك، إني أن أراك وأموت أحبّ إلي من أن لا أراك وأحيا، رب أتمم عليّ نعماك وفضلك وإحسانك بهذا الذي أسألك، وأموت على إثر ذلك.

قال: وأخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: «لما رأى الله الرحيم بخلقه من حرص موسى على أن يعطيه سؤله، قال: انطلق فانظر الحجر الذي في رأس الجبل فاجلس عليه، فإني مهبط عليك جندي، ففعل. فلما استوى عليه عرض الله عليه جنود سبع سموات، فأمر ملائكة سماء الدنيا أن يعترضوا عليه، فمرّوا بموسى ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد، ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعترضوا عليه، ففعلوا، فمرّوا به على ألوانٍ شتى ذوو وجوه وأجنحة، منهم ألوان الأسد، رافعي أصواتهم بالتسبيح، ففزع موسى منهم، وقال: أي رب إني ندمت على مسألتي، رب هل أنت منجيّ من مكاني الذي أنا فيه؟ قال له رأس الملائكة: يا موسى اصبر على ما سألت، فقليل من كثير ما رأيت. ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فأقبل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتى ألوانهم كلهب النار، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، فاشتد فزع موسى وساء ظنه وأيس من الحياة، فقال له رأس الملائكة: يا ابن عمران، اصبر حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أوحى الله تعالى إلى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا إلى موسى [بالتسبيح][1]، فهبطوا ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج، لهم أصوات عالية بالتسبيح والتقديس، لا تشبه أصوات الذين

---

(١) زيادة من التوابين (ص: ١٤).

مروا به. فقال له رأس الملائكة: يا موسى اصبر على مَا سألت، فكذلك أهل كل سماء إلى السماء السابعة، ينزلون إليه بألوان مختلفة وأبدان مختلفة، وأقبلت ملائكة يخطف نورهم الأبصار ومعهم حراب، الحربة كالنخلة الطويلة العظيمة، [كأنها نار][1] أشد ضوءاً من الشمس، وموسى عليه السلام يبكي رافعاً صوته يقول: يا رب اذكرني ولا تنسني، أنا عبدك ما أظن أن أنجو مما أنا فيه، إن خرجت احترقت، وإن مكثت مُتّ. قال له رأس الملائكة: قد أوشكت أن تمتلئ خوفاً وينخلع قلبك، هذا الذي جلست لتنظر إليه. قال: ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في سبع سموات وحملة العرش والكرسي وأقبلوا عليه يقولون: يا خاطئ يا ابن الخاطئ، ما الذي رقاك إلى هاهنا؟ وكيف اجترأت أن تسأل ربك النظر إليه؟ وموسى عليه السلام يبكي وقد اصطكّت[2] ركبتاه وتخلعت مفاصله. فلما رأى الله عز وجل ذلك من عبده أراه قائمة عرشه، فتعلق بها فاطمأن قلبه، فقال له إسرافيل: يا موسى، والله لنحن رؤساء الملائكة ولم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خلقنا خوفاً وفرقاً، فما حملك أيها العبد الضعيف على هذا؟ فقال موسى: يا إسرافيل -وقد اطمأن-: أحببت أن أعرف من عظمة ربي ما عرفت، ثم أوحى الله عز وجل للسموات أنّي مُتَجَلٍّ للجبل، فارتعدت السموات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسحاب والجنة والنار والملائكة والبحار، وخرُّوا كلهم سُجَّداً، وموسى ينظر إلى الجبل. فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً، وخرَّ موسى صعقاً ميتاً من نور رب العزة جل وعلا، فوقع عن الحجر، وانقلب عليه، فصار عليه مثل القبة،

---

(١) في الأصل: كأنهار. والتصويب من التوابين (ص:١٤).

(٢) الصَّكَكُ: اضطراب الركبتين والعرقوبين من الإنسان وغيره (اللسان، مادة: صكك).

لئلا يحترق. -قال الحسن:- فبعث الله تعالى جبريل فقلب الحجر عن موسى وأقامه، فقام موسى فقال: سبحانك تبت إليك مما سألت، وأنا أول المؤمنين، أي: أنا أول من آمن أنه لا ينظر إليك أحد إلا مات. وقيل: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا(١). فهذا آخر الحديث الذي سمعت من شيخنا رحمه الله.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أي: اخترتك واجتبيتك على الناس، ﴿برسالاتي﴾ وقرأ الحرميان: «برسالتي» على التوحيد(٢)، ﴿وبكلامي﴾ قال الزجاج(٣): لو كان إنما سمع(٤) كلام غير الله لما قال: ﴿برسالتي وبكلامي﴾؛ لأن الملائكة تنزل على الأنبياء عليهم السلام بكلام الله تعالى.

﴿فخذ ما آتيتك﴾ أي: ما أعطيتك من النبوة والحكم والألواح، ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي.

---

(١) أخرجه ابن قدامة في: التوابين (ص:١٢-١٥).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٥)، والكشف (١/ ٤٧٦)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٣).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٧٥).

(٤) في معاني الزجاج: تبع.

قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ يعني: أسفار التوراة.

واختلفوا في جوهرها وعددها؛ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها سبعة ألواح[١].

وروى عنه أبو صالح: أنها لوحان[٢].

قال سعيد: من ياقوت[٣].

وقال مجاهد: من زمرد أخضر[٤].

وقال مقاتل[٥]: من زمرد وياقوت.

وقال ابن السائب: من زبرجد أخضر[٦].

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة، وكان طول اللوح اثني عشر ذراعاً»[٧].

وقوله: ﴿من كل شيء﴾ أي: من كل ما تحتاج إليه بنوا إسرائيل من تفاصيل الأحكام والحكم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٣).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٩) وعزاه لابن المنذر.

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٤١٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٠٩).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٠٨)، والسيوطي في الدر (٣/ ٥٤٨) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

قال ابن عباس: مما افترض وأحلَّ وحرَّم[1].

قوله تعالى: ﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ بدل من «كل شيء»[2]. والمعنى: وتفصيلاً لكل شيء من أمر الدين، ﴿فَخُذْهَا﴾ يعني: الألواح، ﴿بقوة﴾ بعزيمة وجد واجتهاد، وهو عطف على: ﴿وكتبنا له﴾، أي: وكتبنا له في الألواح فقلنا له: خذها بقوة.

ويجوز أن يكون قوله: «خذها» بدلاً من «فَخُذْ ما آتيتك»[3].

﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ أي: مُرهم يأخذوا بأحسن ما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم؛ كالصبر، فإنه أحسن من الانتصار، وإن كانا مشروعين، والعفو فإنه أفضل من جواز الانتقام بالقصاص وغيره مما أذن الشرع فيه، وفعل الواجبات والمندوبات فإنه أحسن من المباحات.

وقال قطرب وابن الأنباري[4]: ناب «أحسن» عن «حسن»، كما قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[5]

أي: دعائمه طويلة عزيزة.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٧) عن السدي.

(٢) الدر المصون (٣/ ٣٤٠).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٤٠).

(٤) انظر: الوسيط (٢/ ٤٠٩)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣١٨).

(٥) البيت من قصيدة يفتخر فيها على جرير ويهجوه. انظر: ديوانه (٢/ ١٥٥)، وشرح المفصل (٦/ ٩٧-٩٩)، ومعاهد التنصيص (١/ ١٠٣)، والعمدة لابن رشيد (١/ ٢٥٢، ٢/ ١٤٤)، والصاحب (ص:٥٣٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٢١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢١٥).

فالمعنى: وأمر قومك يأخذوا بها فإنها كلها حسنة.

ثم هدّد بني إسرائيل فقال: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾، قال الحسن ومجاهد: هي جهنم[١]، وهذا كقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١].

وقيل: سأريكم دار فرعون وقومه -وهي مصر- كيف أصبحت معطلة منهم خالية عنهم، فيكون ذلك خارجاً مخرج التذكير بالنعم، والتحذير من النقم.

وقال قتادة وغيره: «سأريكم دار الفاسقين» يعني: منازل الجبارين والعمالقة من أرض الشام[٢]، فيكون ذلك خارجاً مخرج البشارة باستفحال أمرهم وعز سلطانهم والرجوع إلى أوطانهم.

وقرأ الحسن البصري: «سَأُورِيكم» بزيادة واو[٣]، وهي لغة فاشية بالحجاز، يقولون: أَوْرِني كذا.

وقرئ: «سأورثكم» من الميراث[٤]، كقوله: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ [الأعراف:١٣٧].

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٢) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٨٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤١).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٨٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤٢).

سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آيتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ يريد به صرفهم عن الإيمان بآياته المنزلة، وعن التفكر في عجائب مصنوعاته ومخلوقاته، وذلك بالطبع على قلوبهم.

وقيل: سأصرفهم عن إبطال آياتي، وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال آيات موسى، فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل.

وقوله: «بغير الحق» في محل الحال، على معنى: يتكبرون غير محقين[1].

﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً﴾، قرأ حمزة والكسائي: «الرَّشَد» بفتح الراء والشين. وقرأ الباقون: بضم الراء وسكون الشين[2].

والمعنى: إن يروا سبيل الله لا يتخذوه سبيلاً، أي: لا يسلكوه تكبراً على رسلي وتعظماً عليهم.

﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ وهو طريق الشيطان، ﴿يتخذوه سبيلاً﴾ أي: فيسلكوه استسلاماً للشيطان، وذهاباً مع الهوى، ﴿ذلك﴾ الصرف، ﴿بأنهم كذبوا

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٤٢).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٥-٢٩٦)، والكشف (١/ ٤٧٦-٤٧٧)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٣).

بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ أي: بسبب تكذيبهم بها وغفلتهم عن التفكير فيها والتدبر لها.

وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل لإعطاء التوراة، ﴿من حُليّهم﴾ وهو جمع حَلْيٍ، كثَدْي وثُدِيّ.

وقرأ حمزة والكسائي: «حِليهم» بكسر الحاء[1].

[وقرأ يعقوب بفتحها][2] وسكون اللام وتخفيف الياء على التوحيد[3].

والحَلْيّ: اسم لما يتحسن به من النقدين والجواهر.

فإن قيل: كيف نسب الحلي إليهم وكان للقبط؟

قلت: الإضافة تكفي فيها أدنى ملابسة واختصاص، وقد حصل ذلك هاهنا بالعارية، لا سيما وقد هلك أصحابه وصار بيد بني إسرائيل على وجه الانفراد، على أنه قد قيل: إن الضمير في «حليهم» يعود إلى القبط. وقد تقدم ذكرهم في

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٦)، والكشف (١/ ٤٧٧)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٤).

(٢) زيادة من زاد المسير (٣/ ٢٦١).

(٣) النشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٠).

مواضع.

فإن قيل: المتخذ السامري وحده، فكيف نسب الفعل إلى الجميع؟

قلت: عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه نُسب إليهم لرضاهم به وإرادتهم له، فإن الفعل ينسب إلى الراضي به كما ينسب إلى فاعله، كما عيّر سبحانه اليهود الموجودين في عصر النبي ﷺ بقتل الأنبياء ونسب الفعل إليهم بقوله: ﴿ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ [البقرة:٨٧].

الثاني: أنه نسب إليهم لكون المتخذ منهم داخلاً في غمارهم، كما تقول: فعلت بنو تميم كذا، وإن كان الفاعل واحداً.

الثالث: أن المعنى: واتخذوه إلهاً وعبدوه، وهو الجواب المعتمد؛ لأنهم لم يصنعوا عجلاً جسداً خائراً؛ لأن هذا لا يدخل تحت وسعهم، إنما اتخذوه إلهاً.

وقوله: ﴿جسداً﴾ بدل من المفعول[١]. يريد: جسداً ذا لحم ودم، وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ووهب وعامة المفسرين[٢]. ويؤيده قوله تعالى: ﴿له خوار﴾ وهو صوت البقر.

وقرأ علي عليه السلام: «له جُؤَار» بالجيم مهموزاً[٣]، مِنْ جَأَرَ يَجْأَر؛ إذا صاح[٤].

---

(١) الدر المصون (٣/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٩٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤٤).

(٤) اللسان (مادة: جأر).

قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا[١].

ويروى عن ابن عباس: أنه خار خورة واحدة[٢].

وقال مجاهد: خواره: حفيف الريح فيه[٣]، يشير إلى أنه كان لا روح فيه.

قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح[٤].

وفي هذا بُعْد لوجوه:

أحدها: أنه خلاف الظاهر من قوله: "خوار"، أو "جؤار" على قراءة علي عليه السلام.

الثاني: افتتانهم إنما كان بانفعاله عجلاً خائراً من الحلي، ولو كان ذهباً مصوغاً تجري الريح في منافذه فيظهر له صوت لم يكن ذلك فتنة ولا عجباً.

الثالث: قوله: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها﴾ فإنه كان رأى جبريل حين أتى موسى عليه السلام فقال: إن لهذا شأناً، فقبض القبضة من أثر حافر فرسه فألقاها على الحلي، فظهر العجل، فلو لم يكن فيه روح وله خوار حقيقة لم يحتج في وجوده إلى القبضة؛ لأن كل أحد من الصاغة يقدر على ذلك.

قوله تعالى: ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ أي: لا يقدر على إجابة دعائهم، ﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ المعنى: فكيف اتخذوا إلهاً دون من لو كان ما في الأرض من شجرة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٩٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٦١-٢٦٢).

أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلماته، ولكن ما هذا بأول أضاليلهم وأباطيلهم وجهالاتهم وظلمهم، ألا تراه يقول: ﴿اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ أي: وكانوا قوماً عادتهم الظلم ووضع الأشياء في غير مواضعها.

قوله تعالى: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ كناية عن فرط الندم وشدة الحسرة.

قال الزجاج[1]: يقال للنادم على ما فَعَلَ، الحسير على ما فرط منه: قد سُقِطَ في يده وأُسْقِطَ.

قال الزمخشري[2]: لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده [غماً][3]، فتصير يده مسقوطاً فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها.

وقرأ ابن السميفع: «سَقَطَ في أيديهم»[4] على تسمية الفاعل، أي: وقع العض فيها.

وقال الزجاج[5]: معناه: سقط الندم في أيديهم، أي: في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال: حصل في يده مكروه، وإن كان محالاً أن يكون في اليد، تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد [ويرى][6] بالعين. وكان هذا حين رجع موسى إليهم.

﴿ورأو﴾ أي: وتبينوا ﴿أنهم قد ضلوا﴾ عن طريق الهدى وصاروا أسوأ حالاً

(١) معاني الزجاج (٢/ ٣٧٨).
(٢) الكشاف (٢/ ١٥١).
(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.
(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢٦٣)، والدر المصون (٣/ ٣٤٦).
(٥) معاني الزجاج (٢/ ٣٧٨).
(٦) في الأصل: ويروى. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

من القبط، ﴿قالوا لأن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ترحمنا» و«تغفر» بالتاء فيهما، «ربَّنا» بالنصب على النداء والاستعانة والدعاء[1]، ﴿لنكونن من الخاسرين﴾.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ الأسيف: الشديد الغضب[2]، ومنه: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف:٥٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٦)، والكشف (١/ ٤٧٧)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٠)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أسف).

وقيل: الحزين(١).

﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾ جائز أن تكون خطاباً للسامري وأشياعه الذين تلبسوا بعبادة العجل، وجائز أن تكون خطاباً لأخيه ووجوه بني إسرائيل.

والمعنى على الأول: بئسما خلفتموني من بعدي حيث اتخذتم العجل إلهاً.

والمعنى على الثاني: بئسما خلفتموني حيث لم تأخذوا على أيدي الكفرة الفجرة الذين عبدوا العجل وأعرضوا عن عبادة الله تعالى.

وفاعل «بئس» مضمر، يفسره: «ما خلفتموني»، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم(٢).

وفائدة قوله: "من بعدي" مع قوله: "خلفتموني" تذكيرهم ما شاهدوا من معجزاته الباهرة وآياته الظاهرة، كأنه قيل: بئسما خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من المعجزات الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته.

قوله تعالى: ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ تقول: [عجلت](٣) عن كذا؛ إذا تركته ناقصاً لم تتمه، ويتضمن معنى سبق، فيعدى تعديته، يقال: عجلت كذا. والمعنى: أعجلتم أمر ربكم وميقات الأربعين فلم تصبروا، وحدثتم أنفسكم بموتي، فعبدتم غير الله وغيّرتم كما غيّرت الأمم قبلكم.

---

(١) وهو قول ابن عباس والسدي والكلبي. أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٩). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، من طرق عن ابن عباس. وذكره من وجه آخر عن ابن عباس وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٤٧).

(٣) في الأصل: عجعلت. وكذا وردت في المواضع التالية.

وكان عليه [الصلاة والسلام][(١)] حديداً سريع الغضب، قوي البطش، عظيم الانتقام لله.

﴿وألقى الألواح﴾ التي فيها التوراة. قال ابن عباس: لما رمى الألواح فتحطمت رفع منها ستة أسباعها وبقي سُبع[(٢)].

قال المفسرون: وكان فيما رُفع تفصيل كل شيء، وفي ما بقي الهدى والرحمة[(٣)].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يُلْقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح فانكسرت»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ يعني: هارون عليه السلام وكان أكبر منه، وأحبّ إلى بني إسرائيل وألين عريكة[(٥)]، كما ذكرناه فيما مضى، ﴿يجرّه إليه﴾ بذؤابته[(٦)] ولحيته غضباً لله، وحميّة للدين، وظناً منه أنه أساء في خلافته وعصى

---

(١) في الأصل: السلام والصلاة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٩) وعزاه لابن أبي حاتم. وذكره أيضاً (٣/ ٥٦٤) وعزاه لأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٥) وعزاه لأبي نعيم في الحلية عن مجاهد وسعيد بن جبير.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٧١).

(٥) العريكة: الطبيعة، يقال: فلان لَيِّنُ العريكة: إذا كان سَلِساً مطاوعاً قليل الخلاف والنُّفور (اللسان، مادة: عرك).

(٦) الذؤابة: هو الشعر المضفور من شعر الرأس (اللسان، مادة: ذأب، وترتيب القاموس ١/ ٢٤٥).

بإقامته بين أظهرهم، ألا تراه يقول: ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني﴾، فقال له هارون معتذراً ومستعطفاً وباعثاً لدواعي شفقته ومرققاً له؛ بذكر من كان بطنها لهما وعاء، وثديها سقاء، وحجرها حواء، وممتّاً إليه بقرابة من لاقت الأهوال وقاست الشدائد في تربيته، ﴿ابن أمَّ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص: بفتح الميم، مِنْ أمَّ، هنا وفي طه، وكسرها الباقون[1].

فمن فتح جعل الاسمين اسماً واحداً لكثرة الاستعمال وبناه على الفتح؛ كخمسة عشر. ومن كسر فعلى حذف ياء الإضافة.

وقرأ ابن السميفع: بإثبات الياء على الأصل[2]. قال الشاعر:

يابنَ أُمِّي ويا شُقَيِّقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلفتني لدهرٍ شَدِيدِ[3]

قال ابن عباس: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال: ﴿يا بن أم﴾ ليرققه عليه[4].

وحكى الثعلبي[5]: أنه كان أخاه من أمه فقط.

وليس بصحيح ولا فرضي من القول.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٧)، والكشف (١/ ٤٧٨)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣١)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٩٤)، والدر المصون (٣/ ٣٤٨).

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي، من قصيدة يرثي بها أخاه. انظر: ديوانه (ص:٤٨)، وشرح التصريح (٢/ ١٧٩)، والكتاب (٢/ ٢١٣)، واللسان، مادة: (شقق)، والمقاصد النحوية (٤/ ٢٢٢)، وأوضح المسالك (٤/ ٤٠)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٥٧)، وشرح قطر الندى (ص:٢٠٧)، وشرح المفصل (٢/ ١٢)، والمقتضب (٤/ ٢٥٠)، وهمع الهوامع (٢/ ٥٤).

(٤) زاد المسير (٣/ ٢٦٥).

(٥) الثعلبي (٦/ ٢٥٨).

﴿إن القوم استضعفوني﴾ فقهروني ﴿وكادوا يقتلونني﴾ لهواني عليهم، والمعنى: لم يكن ذلك لسوء خلافتي فيهم وتفريطي فيما يجب عليّ حفظه من قوانين الدين والسياسة، ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ عبدة العجل فتفعل بي ما يتمنونه لي من الاستخفاف بي والانتهاك لحرمتي، ﴿ولا تجعلني﴾ في موجدتك[1] عليّ ونسبتك المعصية إليّ ﴿مع القوم الظالمين﴾ وأنا منهم بري وعنهم عري.

فلما استبان لموسى عليه السلام عذر أخيه وباينه غضبه ﴿قال رب اغفر لي ولأخي﴾ أي: اغفر لي ما صنعته بأخي مع براءته مما اتهمته به، ولأخي إن كان وجد منه تفريط خفي عليه أو عليّ ﴿وأدخلنا في رحمتك﴾ أي: في جنتك ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم﴾ وهو ما أمروا به من قتل أنفسهم، ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: هي الجزية[2].

وقال الزجاج[3]: هي قتلهم أنفسهم.

والذي يظهر لي أن المراد بالذلة: ما لابسهم من العار والشنار بسبب عبادة العجل، فإنه حين سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، ذلوا واستحيوا لقبيح ما ارتكبوه.

وجائز أن يراد بقوله: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ اليهود الموجودون في عصر النبي ﷺ، فيكون تعييراً لهم بصنيع أسلافهم، فيكون قوله: ﴿سينالهم غضب من

---

(١) الموجدة: الغضب (اللسان، مادة: وجد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤١٣) بلا نسبة، وزاد المسير (٣/ ٢٦٥).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٧٩).

ربهم﴾ متمحضاً للاستقبال، بمعنى: ينالهم غضب الله في الآخرة، ﴿وذلة في الحياة الـدنيا﴾ بالقتـل والـسبي والنفـي، وضرب الجزيـة علـيهم، ﴿وكـذلك نجـزي المفترين﴾.

قال ابن عباس: وكذلك أعاقب من اتخذ إلهاً دوني[١].

قال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فـوق رأسـه ذِلَّـة، وقـرأ هـذه الآية[٢].

وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذِلَّةً تغشاه، وهو في كتاب الله. قالوا: وأين هي في كتاب الله؟ قال: أما سمعتم قـول الله: ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم﴾ قالوا: يا أبا محمد! هذه لأصحاب العجل خاصة، فقال: اتلوا ما بعدها ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾، وهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة[٣].

قوله تعالى: ﴿والذين عملوا السيئات﴾ قال ابن عباس: الشرك[٤].

وقيل: الشرك وغيره من الذنوب، ﴿ثم تابوا﴾ رجعوا من بعد ذلك، يشير إلى السيئات، ﴿وآمنوا﴾ بالوحدانية وما يجد الإيمان به، ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد السيئات ﴿لغفور رحيم﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤١٤)، وزاد المسير (٣/ ٢٦٦).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٨٠). وذكره السيوطي في الـدر (٣/ ٥٦٥-٥٦٦) وعـزاه لأبي الشيخ.

(٤) الوسيط (٢/ ٤١٤)، وزاد المسير (٣/ ٢٦٦).

قوله تعالى: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي: [سكتت][(١)] فورته وخمدت ناره ﴿أخذ الألواح﴾ يريد: ما بقي منها ﴿وفي نسختها﴾ قال ابن قتيبة[(٢)]: أي: فيما نسخ فيها، ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ أي: يخافون، ودخلت اللام تقوية للفعل وجبراً لما كسبه تقديم معموله عليه من الضعف.

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ أي: من قومه، فلما سقط الحرف الجار تعدى الفعل فنصب[(٣)]، كقول الشاعر:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مَالٍ وذا نَشَبِ[(٤)]

تقديره: أمرتك بالخير.

والنَّشَبُ: المال والعقار.

اختلف العلماء في سبب هذا الإخبار، فقال السدي: أمره الله أن يأتي في ناس

---

(١) في الأصل: سكت. والصواب ما أثبتناه.

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: الرازي (١٥/ ١٥)، وروح المعاني (٩/ ٧١-٧٢).

(٤) البيت لعمرو بن معدي كرب، انظر: ديوانه (ص:٦٣)، وخزانة الأدب (٩/ ١٢٤)، ومغني اللبيب (ص:٣١٥)، والدر المصون (١/ ٢١٠).

من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار منهم سبعين رجلاً، فلـما سمعوا كلام الله قالوا أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفـة[١]. وقـد ذكرنـا ذلـك في البقرة عند قوله: ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ [البقرة:٥٥].

قال ابن إسحاق: اختارهم [ليتوبوا][٢] إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوه وراءهم من قومهم[٣].

وقال وهب بن منبه: قالت بنو إسرائيل لموسى: إن طائفة يزعمـون أن الله لا يكلمك، ولو كلمك ما قمت لكلامه، ألم تر أن طائفـة منـا سـألوا النظـر فماتـوا، فأوحى الله تعالى إليه أن اختر من خيارهم سبعين رجلاً، ثـم أرتـق بهـم الجبـل، ففعل[٤].

وقال ابن السائب: اختارهم فلم يصب إلا ستين شيخاً، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشباب عشرة، فاختار فأصبحوا شيوخاً، واختار من كل سبط ستة، فصاروا اثنين وسبعين، فقال موسى: إنما أمرت بسبعين فليتخلف مـنكم رجـلاً، فتشاحوا، فقال موسى: لمن قعد مثل أجر من خرج، فقعد رجلان؛ يوشع وكالب، وأمر موسى السبعين أن يصوموا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم لميقات ربه[٥].

واختلفوا في كيفية هذه الرجفة وسببها؛ فقال السدي وابن إسحاق: إنهم لـما

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٧٢).

(٢) في الأصل: ليتوا. والتصويب من الطبري (٩/ ٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٧٢).

(٤) زاد المسير (٣/ ٢٦٨).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/ ١٥٥).

سمعوا الكلام، قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة، فماتوا جميعاً[١].

وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله»، كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله تعالى موسى أن يختار منهم سبعين ليدعوا ربهم، فاعتدوا في الدعاء، فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك منهم، وأخذتهم الرجفة[٢].

قال وهب: لم تكن الرجفة موتاً، ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة، فسكنوا واطمأنوا[٣].

وقال علي عليه السلام: إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون كما ذكرناه في وفاة هارون عليه السلام في التيه، فاختاروا سبعين منهم لينطلق بهم موسى فيشاهدوه، فلما انتهوا إلى القبر قال موسى: يا هارون قتلت أم متّ؟ فقال: ما قتلت، ولكن الله تعالى توفاني. فقالوا: يا موسى، لن نعصي بعد اليوم، فأخذتهم الرجفة فصعقوا فماتوا. فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم؟ يقولون: أنت قتلتهم، فأحياهم الله له جميعاً، وجعلهم أنبياء كلهم[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٧٢). وانظر: الوسيط (٢/ ٤١٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٧٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٤). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره البغوي (٢/ ٢٠٣)، والقرطبي (٧/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي

قال المفسرون: خاف موسى عليه السلام أن يتهمه بنوا إسرائيل ولا يصدقوه إذا عاد إليهم فأخبرهم بالحال، وتضرع إلى الله وقال: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ يعني: من قبل خروجنا، أو من قبل هذا الميقات، أو من قبل أن تبتليهم بما استوجبوا به الرجفة، ﴿وإياي﴾ فكان بنوا إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهموني(١).

﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ قال المبرد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تهلكنا(٢)، وقد علم موسى أن الله أعدل من أن يؤاخذ بجريرة الجاني غيره، ولكن هذا كقول عيسى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ [المائدة:١١٨].

وقيل: استفهام في معنى الجحد، أي: لستَ تفعل ذلك(٣).

وقيل: أراد بالاستفهام: عبدة العجل، كأنه عليه السلام ظن أنهم إنما هلكوا باتخاذ أصحابهم العجل وإقامتهم بين أظهرهم، لم يزايلوهم ولم يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر.

﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي: إن الفتنة التي وقع فيها السفهاء "إلا فتنتك" امتحانك وابتلاؤك، ﴿تضل بها من تشاء﴾ وهم الذين أصابتهم الفتنة، ﴿وتهدي من تشاء﴾ وهم الذين اعتصموا بدينهم وأقاموا على طاعة ربهم، ﴿أنت ولينا﴾ القائم بأمرنا وحفظنا ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾.

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ

=

الشيخ.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤١٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٦٩).

(٢) انظر: البغوي (٢/ ٢٠٤)، والقرطبي (٧/ ٢٩٥).

(٣) وهو قول ابن الأنباري. انظر: الوسيط (٢/ ٤١٥).

عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ أي: أوجب لنا في هذه الدنيا الأعمال الصالحة المفضية إلى رضاك، ﴿وفي الآخرة﴾ يعني: المغفرة والجنة، ﴿إنا هُدْنا إليك﴾ مِنْ هَادَ يَهُودُ؛ إذا رجع[1]. قال الشاعر:

قَدْ عَلِمَتْ هِنْد وجَارَتُها ... أَنِّي مِنَ الناسِ لَهَا هَائِدُ[2]

والمعنى: رجعنا إليك.

ومنه قول الشاعر:

يَا رَاكِبَ الذَّنْبِ هُدْ هُدْ ... واسْجُدْ كَأنكَ هُدْهُدْ[3]

---

(١) انظر: اللسان (مادة: هود).

(٢) انظر البيت في: البحر المحيط (٤/ ٤٠٠)، والدر المصون (٣/ ٣٥٢) وفيهما: (سلمى) بدل: (هند)، و(الله) بدل: (الناس).

(٣) انظر البيت في: الكشاف (٢/ ١٥٦)، وروح المعاني (٩/ ٧٦)، والدر المصون (٣/ ٣٥٢).

وقرأ أبو وَجْزَة السعدي: «هِدنا» بكسر الهاء[١]، مِنْ هادَه يَهِيدُه؛ إذا حَرَّكَه[٢]، ويحتمل أمرين: أن يكون مبنياً للفاعل والمفعول، بمعنى: حرّكنا إليك أنفسنا وأملناها إليك، أو حركنا إليك، على تقدير: فعلنا.

﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ وقرأ الحسن وابن السميفع: «من أساء» من الإساءة[٣]، ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾، قال الحسن وقتادة: وسعت البرّ والفاجر في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة فهي للمتقين خاصة[٤].

قال ابن عباس وقتادة: لما نزلت: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فنزعها الله منه فقال: ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾. -قال ابن عباس: يتّقون الشرك[٥]. وقال قتادة: الشرك والمعاصي[٦]-، فلما نزلت قالت اليهود والنصارى: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات الله، فبرأها منهم وجعلها لهذه الأمة فقال: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ وهو محمد ﷺ[٧].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢٧٠)، والدر المصون (٣/ ٣٥٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: هيد).

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣١)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٠)، والدر المصون (٣/ ٣٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٧١) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٨١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٧٣) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٨٠).

(٧) أخرجه الطبري (٩/ ٧٩-٨٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٤٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٧٢)، والسيوطي في الدر (٣/ ٥٧٢-٥٧٣) وعزاه لعبد بن =

وسمي أمّياً؛ لما ذكرناه في البقرة.

وقيل: لأنه من أُمّ القرى[١].

﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ منعوتاً فيهما، موصوفاً بما يأمرهم به وينهاهم عنه ويحلّه لهم ويحرّمه عليهم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار، قال: «لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، [وحرزاً][٢] للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يتوفاه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: (لا إله إلا الله)، ويفتح بها أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً»[٣]. هذا حديث صحيح.

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا مالك -وكان من علماء اليهود- عن صفة النبي ﷺ في التوراة، فقال: صفته في كتاب بني هارون عليه السلام الذي لم

=

حميد وأبي الشيخ عن قتادة.

(١) الماوردي (٢/ ٢٦٨)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٢).

(٢) في الأصل: وحزاً. والتصويب من الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٤٧ ح٢٠١٨).

يغير ولم يبدل: أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي الذي يأتي بدين إبراهيم الحنيف، يتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة مثل زِرّ الحَجَلة، ليس بالقصير ولا بالطويل، ويلبس الشَّمْلَة[(١)]، ويجتزئ بالبُلْغَة[(٢)]، ويركب الحمار، ويمشي في الأسواق، معه حرب وقتل وسبي، سيفه على عاتقه، لا يبالي من لقي من الناس، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة، مولده بمكة، ومنشؤه بها، ودار هجرته يثرب، بين حرة ونخل وسبخة، وهو أُمِّيٌّ لا يكتب بيده، هو الحمّاد يحمد الله على كل شدة ورخاء، سلطانه بالشام، صاحبه من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شديداً، ثم يدال على قومه فيحصدهم حصد الجريد، تكون له وقعات بيثرب، منها له ومنها عليه، ثم تكون له العاقبة بعد، معه أقوام هم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم، قربانهم دماؤهم، ليوث[(٣)] النهار، رهبان الليل، يرعب منه عدوه مسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه حتى يُجرح ويُكْلَم، لا شرطة معه ولا حرس يحرسه، ﷺ تسليماً[(٤)].

قوله تعالى: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾. قال الزجاج[(٥)]: ويجوز

---

(١) الشَّمْلَة: مئزر من صوف أو شعر يُؤْتَزَرُ به، فإذا لُفِّق لِفْقَيْن فهي مِشْمَلة يَشْتَمِل بها الرجل إذا نام بالليل (اللسان، مادة: شمل).

(٢) البُلْغَة: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش (اللسان، مادة: بلغ).

(٣) جمع ليث، وهو الأسد (اللسان، مادة: ليث).

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ١٩٥).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٣٨١).

أن يكون مستأنفاً. ويجوز أن يكون يجدونه مكتوباً عندهم أنه يأمرهم بالمعروف.

قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، والمنكر: عبادة الأوثان وقطع الأرحام(١).

وقال مقاتل(٢): المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك.

وقيل: المعروف: الحق؛ لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل؛ لأن العقول تنكر صحته(٣).

﴿ويحل لهم الطيبات﴾ وهي ما حُرِّم عليهم من المستلذ؛ كالشحوم ولحم الإبل على اليهود، والبحائر والسوائب والوصائل والحوامي التي شرع تحريمها عمرو بن لحي.

وقيل: الطيبات: كل ما طاب في الشرع.

﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ كالميتة والدم ولحم الخنزير.

وقيل: كل ما خبث في حكم الشرع؛ كالزنا والرشوة وغيرهما من المكاسب المستخبثة.

﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ وقرأ ابن عامر: «آصارهم» على الجمع(٤).

والإِصْر: الثقل الذي يأصرهم، أي: يحبسهم عن الحركة. يقال: أَصَرَهُ يَأْصِرُهُ

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٧٢).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤١٨).

(٣) الماوردي (٢/ ٢٦٨)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٢).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٩٨)، والكشف (١/ ٤٧٩)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣١)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٥).

أَصْراً، والموضع مَأْصِرٌ ومَأْصَرْ، والجمع مآصير[١].

قال الزجاج[٢]: الإصر: ما عقدته من عَقْد ثقيل.

قال قتادة: يعني: التشديد الذي كان عليهم في الدين[٣].

وقال سعيد بن جبير: شدة العبادة[٤].

﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ وهي المشاق الشديدة؛ كقتل أنفسهم في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحتم القصاص. والإصر والأغلال متقارب في المعنى.

قال مسروق: ولقد كان الواحد من بني إسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته: إن كفارته أن تنزع عينيك فينزعها[٥].

قال الزجاج[٦]: الأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: قد جعلت هذا طوقاً في عُنُقِك، وليس هنالك طوق، وإنما جعلت لزومه كالطوق في عنقك.

قلت: وقد حمله قوم على ظاهره.

قال عطاء: كانت بنوا إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية

(١) انظر: اللسان (مادة: أصر).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٨١).

(٣) الماوردي (٢/ ٢٦٩)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٨٢-٥٨٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٧٣).

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٣٨١).

يحبس نفسه للعبادة[١].

قوله تعالى: ﴿فالذين آمنوا به﴾ أي: بالرسول النبي الأمي محمد ﷺ، ﴿وعزّروه﴾ أي: منعوه من أعدائه، وأصل التعزير: المنع، ومنه: التعزير الذي هو بمعنى التأديب[٢]؛ لأنه يمنع من معاودة القبائح.

وقال ابن قتيبة[٣]: عظّموه ووقروه.

﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهو القرآن الكريم، سمي نوراً؛ لأنه يُهتدى به ويُستضاء في طريق النجاة.

فإن قيل: القرآن نزل مع جبريل، فكيف قال «معه»؟

قلت: منهم من فسر المعيّة بالمقارنة في الزمان، أي: النور الذي أنزل في زمانه.

وقال صاحب الكشاف[٤]: المعنى أنزل مع نبوته؛ لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به. ويجوز أن يتعلق بـ«اتبعوا» أي: اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته، وبما أمر به ونهى عنه.

أو يكون المعنى: واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه.

وهذه الأوجه حسنة سديدة.

ويحتمل عندي إجراء اللفظ على ظاهره، وأن يكون المراد بالنور الذي أنزل معه: ما نزل به ليلة المعراج من القرآن، وهي خواتيم سورة البقرة -على ما ذكرناه

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/ ١٥٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: عزر).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٤) الكشاف (٢/ ١٥٧).

في آخرها-، وما أوحاه الله إلى عبده في تلك الحضرة المقدسة، فإن بعض القرآن يسمى نوراً، قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء:١٧٤].

ومعلوم أنه قد نزل بعد هذه الآية قرآن كثير.

إذا ثبت ذلك فنقول: إذا اتبع الإنسان خواتيم سورة البقرة واستضاء بنورها كان موافقاً لرسول الله ﷺ في الإيمان بما أنزل إليه من ربه، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله، وقارنه الفلاح والفوز الأبدي.

ويؤيد هذا: أن خواتيم سورة البقرة سميت نوراً؛ ففي صحيح مسلم من حديث ابن عباس، أن المَلَك قال للنبي ﷺ: «أبشر بنورين أوتيتهما: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة»[1]، وقد ذكرت الحديث في سورة الفاتحة.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يبلغ الناس أنه رسوله إليهم أجمعين، عربهم وعجمهم، ودانيهم وقاصيهم، فحين باداهم بذلك وناداهم آمراً وناهياً، شَرِقُوا بذلك، فكذبوه وآذوه، ولم يسارع إلى تصديقه واتباعه ومعاضدته ومناصرته إلا الصديق الأكبر، شيخ الإسلام وخليفة

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٤ ح٨٠٦).

رسول الله أبو بكر بن أبي قحافة، رضي الله عنه وأرضاه، وأحسن جزاءه عن الإسلام وأهله.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[(١)] بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلى أبو بكر رضي الله عنه، ثم تمثّل بأبيات حسان[(٢)]:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةٍ فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خيرُ البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس حقاً صدّق الرسلا

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، أخبركم عبد الأول.

أخبرنا أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبدالصمد العطار، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف [الفربري][(٣)]، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد[(٤)]، حدثنا زيد بن واقد[(٥)]، عن بسر بن

---

(١) الزهد (ص:١٣٩).

(٢) انظر الأبيات في: القرطبي (٨/ ٢٣٦)، والمستدرك (٣/ ٦٧)، ومجمع الزوائد (٩/ ٤٣)، وسنن البيهقي الكبرى (٦/ ٣٦٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤، ٣٣٦)، وتاريخ بغداد (١٤/ ٥١)، والاستيعاب (٣/ ٩٦٤)، وتاريخ الطبري (١/ ٥٣٩).

(٣) في الأصل: القريري. والصواب ما أثبتناه، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) صدقة بن خالد الأموي، أبو العباس الدمشقي، مولى أم البنين أخت معاوية بن يزيد بن معاوية، وقيل: أخت عمر بن عبد العزيز، ثقة، توفي سنة سبعين أو إحدى وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٤، والتقريب ص:٢٧٥).

(٥) زيد بن واقد القرشي، أبو عمر -ويقال: أبو عمرو- الدمشقي الفقيه، وثقه ابن معين وغيره، (سير

عبيدالله[١]، عن عائذ الله أبي إدريس[٢]، عن أبي الدرداء، قال: «كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر فسلم، فقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل أَثَمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يَتَمَعَّر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنتُ أظلم، مرتين. فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بماله ونفسه، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي، مرتين. فما أوذي بعدها»[٣]. انفرد بإخراجه البخاري.

قوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ حال من "إليكم"[٤]، ﴿الذي له ملك السموات

= أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٦-٢٩٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٦٧).

(١) بسر بن عبيد الله الحضرمي، شامي جليل ثقة، من علماء دمشق، وكان أحفظ أصحاب أبي إدريس الخولاني، يروي عن واثلة بن الأسقع ورويفع وطائفة، وعنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وثور بن يزيد وزيد بن واقد. توفي في خلافة هشام بن عبد الملك (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٢، والثقات ٦/ ١٠٩).

(٢) عائذ الله بن عبد الله ين إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة، أبو إدريس الخولاني، قاضي دمشق وعالمها، وواعظها، ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين، وحدّث عن أبي ذر وأبي الدرداء وحذيفة وأبي هريرة وغيرهم، وعنه أبو سلام الأسود ومكحول، وليس هو بالمكثر لكن له جلالة عجيبة، مات سنة ثمانين (سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٢-٢٧٦، والتقريب ص:٢٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في (٣/ ١٣٣٩ ح٣٤٦١).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٥٥).

والأرض﴾ في موضع نصب على المدح[1]، أو في موضع جر على الوصف[2].

والمراد بكلماته: كتبه ووحيه.

وقرأ شاذاً: «وكَلِمَتِهِ» على التوحيد[3].

وقال مجاهد: أراد: عيسى بن مريم[4].

وقيل: القرآن.

وقيل: اسم جنس.

ويجوز عندي والله أعلم: أن يراد بالكلمة: كلمة التقوى، وهي: (لا إله إلا الله).

﴿واتبعوه﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿لعلكم تهتدون﴾.

قوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق﴾ أي: يعلمون به ويدعون إليه، ﴿وبه يعدلون﴾ يحكمون، وهم الذين اعتصموا بالهدى من بني إسرائيل.

قال ابن السائب[5]: هم من آمن بالنبي ﷺ؛ كابن سلام وأصحابه.

وقال ابن عباس [و][6] أكثر أهل التفسير: هم قوم وراء الصين، آمنوا بالنبي

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٧).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٥٥).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٠٤)، والدر المصون (٣/ ٣٥٦).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤١٩)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٤).

(٦) زيادة على الأصل.

ﷺ وتركوا تحريم السبت يجمعون ولا يتظالمون[١].

قال ابن جريج: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفتح بينهم وبينهم، ففتح نفقاً في الأرض، فساروا فيه سنة ونصف سنة، حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا[٢].

قال الربيع والضحاك وعطاء: ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل [ويسقون][٣] بالنهار ويزرعون، ولا يصل إليهم منا أحد ولا منهم إلينا[٤].

وذكر عن النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة أسري به وكلّمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، قال: هذا محمد النبي الأمي، فآمنوا به، فقالوا: يا رسول الله، إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام، فردّ محمد ﷺ على موسى وعليهم السلام، ثم [أقرأهم][٥] عشر سور نزلت بمكة، ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يسبتون، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت[٦].

فإن قيل: الصلاة لم تفرض إلا ليلة المعراج، والزكاة فرضت بالمدينة، فكيف

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤١٨)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٨٧-٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٨٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) في الأصل: ويصحبون. والتصويب من البغوي (٢/ ٢٠٦).

(٤) ذكره البغوي (٢/ ٢٠٦).

(٥) في الأصل: أقرأ. والتصويب من البغوي، الموضع السابق.

(٦) ذكره البغوي (٢/ ٢٠٦). ولم يذكر مستنده في النقل من وجه صحيح.

يتجه هذا النقل؟

قلت: كان النبي ﷺ يأمر بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق قبل المعراج، وقبل أن يهاجر إلى المدينة، وكان مأموراً بذلك، فأراد بالزكاة هاهنا الصدقة التي كانت واجبة قبل شرعية الزكاة المعروفة المفروضة في المدينة، وأراد بالصلاة ما كان يتدين به قبل استقرار هذه الصلوات الخمس على الوجه المشروع الذي استقر الحكم عليه.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وقطعناهم﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ إن قيل: ما فوق العشرة من العدد لا يفسر بالجمع، فكيف قال: أسباطاً؟

قلت: جعله نعتاً لمحذوف، باعتباره وقع التأنيث في العدد، تقديره: اثنتي

عشرة فرقة أسباطاً. وقوله: "أمماً" بدل من "اثنتي عشرة"[١].

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾ يعني: في التيه ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ تقديره: فضرب، ﴿فانبجست﴾ أي: انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ وقد سبق تفسير ما لم أذكره هاهنا في البقرة.

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿واسألهم﴾ يعني: أحبار اليهود الموجودين في زمنك، سؤال تقرير وتقريع وتوبيخ ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ أي: مجاورته، وهي أيلة[٢]، في قول جمهور المفسرين[٣].

وقال الزهري: هي طبرية[٤].

﴿إذ يعدون في السبت﴾ بدل من "القرية"، والمراد أهلها، كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم، وهو من بدل الاشتمال[٥]. فعلى هذا محله من

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٧)، والدر المصون (٣/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام (مراصد الاطلاع ١/ ١٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٩٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٨٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٨٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٠).

الإعراب الجر.

ويجوز أن يكون محله من الإعراب: النصب بـ«كانت»، أو بـ«حاضرة». ومعنى عدوانهم فيه: تجاوزهم حدود الله وانتهاكهم حرمته بالتسبب إلى استحلال الصيد فيه.

وقرأ أبو نهيك: «يُعِدّون» بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال[١]، يعني: يتهيّؤون ويعدّون آلات الصيد.

﴿إذ تأتيهم حيتانهم﴾ بدل بعد بدل، أو هو في موضع نصب بـ «يعدون»[٢].

وقوله: "شُرَّعاً" نصب على الحال[٣]، والمعنى: تأتيهم الحيتان يوم السبت ابتلاء وامتحاناً، ﴿شُرَّعاً﴾ ظاهرة على وجه الماء، ﴿ويوم لا يسبتون﴾ نصب بقوله: ﴿لا تأتيهم﴾[٤]، وأفصح اللغات أن ينتصب الظرف مع السبت والجمعة، فتقول: اليومَ السبت، واليومَ الجمعة، ولأن السبت والجمعة بينهما معنى الفعل؛ لأن السبت بمعنى: القطع والراحة، والجمعة بمعنى: الاجتماع. وترفع سائر الأيام فتقول: اليومُ الأحد، واليومُ الاثنين.

وقرأت لعاصم من رواية المفضل عنه: «يُسْبِتُونَ» بضم الياء الواقعة آخر حروف التهجي، وهي قراءة علي عليه السلام[٥].

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٣٨٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤١).

وفي بعض الروايات عنه: أنها بفتح العين وتشديد الدال.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٠).

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٧٧)، والدر المصون (٣/ ٣٦٠).

والذي عليه أكثر العلماء: أن الوقف على قوله: ﴿لا تأتيهم﴾.

وقيل: الوقف على قوله: ﴿كذلك﴾، على معنى: لا تأتيهم الحيتان في غير يوم السبت شُرَّعاً كما تأتيهم في يوم السبت.

والأول أظهر وأشهر. على [معنى][(١)] مثل ذلك البلاء الشديد، ﴿نبلوهم﴾ أي: نختبرهم ﴿بما كانوا يفسقون﴾.

فإن قيل: ما الحكمة في سؤاله ﷺ إياهم؟

قلت: تقريرهم وتوبيخهم وتقريعهم وتذكيرهم وتحذيرهم من ارتكاب المعصية والمخالفة أن يصيبهم مثل ما أصاب أسلافهم.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قالت أمة منهم﴾ أي: جماعة من صالحيهم لم يتلبسوا بخطيئتهم، قالوا [للذين][(٢)] شمروا عن ساق الجد والاجتهاد في الإنكار على المعتدين، علماً منهم بأنهم لا يرعوون ولا ينتفعون بالموعظة، ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ مستأصل شأفتهم بالمحق ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةٌ﴾ أي:

(١) زيادة على الأصل.

(٢) في الأصل: الذين.

موعظتنا معذرة، أي: إبداء عـذر إلى الله؛ لـئلا ننـسب إلى التفـريط بـترك الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿معذرةً﴾ بالنصب على المصدر(١)، أي: وعظناهم معذرة، ﴿إلى ربكم﴾ أي: اعتذرنا معذرة، ﴿ولعلهم يتقون﴾ وطمعاً في تقواهم.

قوله تعالى: ﴿فلما نسوا﴾ أي: تركوا ﴿ما ذكروا به أنجينا الـذين ينهـون عـن السوء﴾ وهم الذين أمروهم ونهوهم، ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ قرأ نافع: «بِيسٍ» بكسر الباء من غير همز، وكذلك ابن عامر إلا أنه همز، وقرأ الباقون: بفتح الباء وكسر الهمزة وياء بعدها، على وزن فَعِيل(٢).

وروي عن أبي بكر عن عاصم: بفتح الباء وياء ساكنة بعدها وهمزة مفتوحـة بعد الياء(٣)، على وزن [فَيْعَل](٤). والمعنى: بعذاب شديد، وقـد ذكرنـا في البقـرة كيفية اعتدائهم وقصة مسخهم.

فإن قيل: ما صنع بالذين لم يعتدوا ولم ينهوا؟

قلت: قد روي عن ابن زيد أنه قال: نجت الناهية وهلكت الفرقتان(٥).

والصحيح: أنه لم يهلك إلا الفرقة الخاطئة الظالمة، وهـو قـول جماعـة، مـنهم

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٠)، والكشف (١/ ٤٨١)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٦).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧٦-٢٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٠)، والكشف (١/ ٤٨١)، والنشر (٢/ ٢٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢٧٨)، والدر المصون (٣/ ٣٦٢).

(٤) في الأصل: فعيل. والتصويب من زاد المسير (٣/ ٢٧٨).

(٥) الوسيط (٢/ ٤٢١).

الحسن البصري(١).

فإن قيل: الآية دلت على إنجاء الذين ينهون عن السوء فقط، وهذه الفرقة لم تنههم عن السوء؟

قلت: قد نهوهم عن السوء زماناً، ولم يسكتوا حتى يئسوا وعلموا أن الوعظ لا ينجع فيهم ولا ينفع، فسقط عنهم وجوبه، إذ لا فائدة فيه، ألا ترى أنك لو رأيت رجلاً مُصِرّاً على معصية قد خامرت عقله وأشربتها نفسه وصارت ديدناً له لا يراها عاراً وشناراً، بل ربما عدَّ تلبّسه بها شرفاً وفخاراً؛ لكونه يبسط ويقبض، ويرفع ويخفض، ويولي ويعزل، ويركب وينزل، على ما هي عادة الطغاة من الولاة الظلمة الفجرة المتلبسين بسخط الله المغمورين بغضبه، فأمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر مراراً فلم يعرج على عظتك، وأعارك أذناً صُماً، وعيناً عُمْياً، فإن عامة العقلاء يعدونك بمعاودته بعد اليأس من صلاحه عابثاً، واضعاً للمواعظ في غير مواضعها، معرضاً نفسك لما لا يحل من العذاب والهوان والأذى، فإن أحسن إليك ذلك المستهتر المتهالك ولم يودك بذلك انخذل بتقبيحك له ما لا مزيد على استحسانه عنده سفيهاً، كما قال قوم شعيب: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود:٨٧].

فإن قيل: هل تجد في الكتاب العزيز ما يدلك على أنهم لم يعذبوا؟

قلت: نعم، قوله عز وجل: ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه﴾ وهذه الفرقة لم تكن عاتية. وقوله عز وجل: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ وهؤلاء لم

---

(١) الوسيط (٢/ ٤٢١).

يكونوا معتدين؛ لأن المعتدي هو الذي يتجاوز الحدّ في الظلم والمعصية.

وقد روي: أن ابن عباس قال يوماً: ليت شعري ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾؟ فقال له عكرمة: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾، فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا، فكساني حلة[1].

وقد ذكرنا معنى العتو في قصة صالح.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ تفعّل من الإيذان، وهو الإعلام[2]، والمعنى: عزم ربك وحتم وكتب على نفسه، وجاء بلفظ الإيذان؛ لأن العازم على الشيء يؤذن به نفسه مرة بعد مرة.

وقيل: أعْلَمَ أبناء بني إسرائيل[3].

وقال الزجاج[4]: قال بعضهم: تألّى ربك.

﴿ليبعثن عليهم﴾ أي: ليسلطن على اليهود لفرط عتوّهم وعلوّهم وتماديهم في غيّهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) يقال: أَذِنَ يَأْذَنُ به إِذْناً، إذا علم، والأذان: الإعلام (اللسان، مادة: أذن).

(٣) زاد المسير (٣/ ٢٧٩).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٨٧).

وقال مجاهد: على اليهود والنصارى[(١)].

﴿إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ أشده وأقبحه، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة والجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن ضرب الإسلام بِجِرَانِهِ[(٢)] ورَسَتْ أوتاده، فاستنزلتهم سيوفهم من معاقلهم، فتفرق من أبقته منهم أيادي سبأ، وطوّقوا الصغار والمهانة طوق العمامة إلى يوم القيامة.

﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ لمن أراد الانتقام منه من الملحدين، ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن أراد التجاوز عنه من الموحدين.

وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وقطعناهم﴾ أي: مزّقناهم وفرقناهم، ﴿في الأرض أمماً﴾ قال ابن

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) أي: قوي الإسلام واستقر (لسان العرب، مادة: جرن).

عباس: ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة[١]، ﴿منهم الصالحون﴾ كالذين آمنوا بعيسى ومحمد والذين وراء الصين، ﴿ومنهم دون ذلك﴾ وهم الكفرة والفسقة.

و"دون ذلك" في محل الرفع صفة لموصوف محذوف، تقديره: ومنهم قوم منحطون عن الصلاح[٢].

﴿وبلوناهم بالحسنات﴾ كالعافية والخصب ترغيباً، ﴿والسيئات﴾ كالمرض [والجدب][٣] ترهيباً، ﴿لعلهم﴾ يتوبون إلى ربهم ويثوبون عن ذنبهم.

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم﴾ أي: من المذكورين الموصوفين، ﴿خَلْف﴾ وقرأ الجوني والجحدري: «خَلَف» بفتح اللام[٤].

قال أبو عبيدة[٥]: هما واحد.

وقوم يجعلون الخَلَف -بالتحريك-: الصالح، وبالتسكين: الطالح.

قال ابن الأنباري[٦]: وهو الأكثر في الاستعمال، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر. والمراد بالخَلْف هاهنا: الرديء. ومنه المثل السائر: «سَكَتَ أَلْفاً ونَطَقَ خَلْفاً»[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٧٩)، والسيوطي في الدر (٣/ ٥٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٥).

(٣) في الأصل: والجذب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢٨٠)، والدر المصون (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٣٢).

(٦) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٨٠).

(٧) قاله الأحنف لرجل أطال السكوت ثم نطق بالمحال (التمثيل والمحاضرة للثعالبي).

وقول لبيد:

ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[1]

والمراد بهم: اليهود [الموجودون][2] في زمن النبي ﷺ.

﴿ورثوا الكتاب﴾ التوراة، انتقلت إلى خلفهم من سلفهم كما ينتقل الميراث.

والخَلْف: إما جمع خالف؛ كراكب ورَكْب، وشارب وشَرْب، وإما مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، فلذلك قال: ﴿خَلْف﴾[3].

﴿ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ أي: ما عرض لهم من حطام الدنيا؛ كالرشوة في الحكم وأمثالها، وسمّاه عَرَضاً؛ لقلة بقائه، وسمّاه أدنى؛ لدناءته وخساسته بالنسبة إلى عالم الآخرة ونفاسته، أو لدنوّه وقربه.

﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ أي: لا نؤاخذ بما أخذنا. وفاعل «سيغفر» هو الجار والمجرور وهو «لنا»، أو مصدر «يأخذون»، أي: سيغفر الأخذ لنا[4].

﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ الواو للحال[5]، أي: يوجبون المغفرة على الله وهم مصرّون على الذنب، ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ وهو التوراة، ﴿أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ عطف بيان لـ«ميثاق الكتاب»[6]، والاستفهام تقرير

(١) البيت للبيد. انظر: ديوانه (ص:٣٦)، ، والطبري (٩/ ١٠٥)، والقرطبي (٧/ ٣١٠)، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣)، وروح المعاني (٩/ ٩٦).

(٢) في الأصل: موجودن.

(٣) وهو قول ابن الأنباري.

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٦).

(٥) مثل السابق.

(٦) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٧).

وإنكار. والمعنى: قد أخذ عليهم الميثاق بقول الحق، فما بالهم يقولون الباطل ويتمنون على الله الأماني.

ثم أخبرهم عنهم أنهم خالفوه على علم فقال: ﴿ودرسوا ما فيه﴾ المعنى: فلم فعلوا ما ينافيه، وهو عطف على «ألم يؤخذ»[١]؛ لأنه في معنى: أخذ [عليهم][٢] كما ذكرناه، ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ الشرك والمعاصي، ﴿أفلا يعقلون﴾. قرئ بالياء والتاء[٣]، وقد ذكرناه في الأنعام[٤]. والمعنى: أفلا تعقلون تفاوت ما بين الدارين فتؤثرون النفيس الباقي على الخسيس الفاني.

قوله تعالى: ﴿والذين يُمَسِّكُون بالكتاب﴾ في موضع جرّ عطفاً «على الذين يتقون»، أو في موضع رفع بالابتداء، وخبره: «إنا لا نضيع»[٥].

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يُمْسِكُون» بالتخفيف، من أمسك[٦].

وقرأه أُبيّ: «والذين تَمَسَّكوا» بالتشديد[٧]، وصيغة الماضي تقوّي قراءة الباقين.

قال المفسرون: نزلت في مؤمني أهل الكتاب؛ كابن سلام[٨]. ومعنى تمسّكهم

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٧).

(٢) في الأصل: غلبتهم.

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٠١)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٢).

(٤) عند الآية رقم: ٣٢.

(٥) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠١)، والكشف (١/ ٤٨٢)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٢)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٧).

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤١٦)، والدر المصون (٣/ ٣٦٨).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٢٣)، وزاد المسير (٣/ ٢٨٢).

به: عملهم بما فيه.

ثم خَصَّ الصلاة بالذكر مع دخولها في عموم التمسك بالكتاب؛ إظهاراً [لمنزلتها][1] وعظم شأنها، ولأنها عماد الإسلام، والفارقة بين الكفر والإيمان، فقال: ﴿وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾ أي: قلعناه من أصله. يقال: نَتَقَهُ يَنْتِقُهُ نَتْقاً[2]، وهو الجبل المذكور في قوله: ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ [النساء:١٥٤]، وكل ما أظل من سحاب أو سقف فهو ظُلَّة، وقد سبق ذكره.

﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ جائز أن يكون بمعنى العلم، وجائز أن يكون على أصله. وباقي الآية سبق تفسيره.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

---

(١) في الأصل: لمنزتها.

(٢) يقال: نَتَقَ الشيء يَنْتِقُهُ ويَنْتُقُه نَتْقاً: جذبه واقتلعه (اللسان، مادة: نتق).

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان -يعني عرفة-، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، ثم نثرهم بين يديه كالذرّ، ثم كلمهم قُبُلاً قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ إلى قوله: ﴿المبطلون﴾»[(١)].

وأخرج مالك في الموطأ: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئِل عن قوله: ﴿وإذ أخذ ربك ... الآية﴾ فقال: سُئِل عنها رسول الله ﷺ فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»[(٢)]. هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه، والحاكم في صحيحه.

قال ابن عباس: لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فنودي يومئذ: أن القلم

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢ ح٢٤٥٥).

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨ ح١٥٩٣)، وأبو داود (٤/ ٢٦٦ ح٤٧٠٣)، والحاكم (١/ ٨٠ ح٧٤، ٢/ ٣٥٤ ح٣٢٥٦، ٢/ ٥٩٤ ح٤٠٠١).

جفّ بما هو كائن بي إلى يوم القيامة[١].

قوله تعالى: ﴿من ظهورهم﴾ بدل من ﴿بني آدم﴾، وهو بدل البعض من الكل[٢]، وفيه دليل على أن الأبناء أخرجوا من ظهور الآباء على نحو توالدهم.

قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: «ذُرِّياتهم» على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بفتح التاء على التوحيد[٣].

قال أبو علي[٤]: الذرية تكون واحداً وتكون جمعاً.

﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ فأقرّوا جميعاً بربوبيته.

قال الزجاج[٥]: جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذَّر فهْماً يعقل به [أمره][٦]، كما قال: ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل:١٨]، وكما قال: ﴿وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير﴾ [الأنبياء:٧٩].

قال أبيّ بن كعب: جمعهم جميعاً فجعلهم أزواجاً، ثم صوّرهم ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ أنك إلهنا، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، ﴿أن تقولوا يوم

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١١١). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٩٨) وعزاه لابن المنذر.

(٢) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٩)، والدر المصون (٣/ ٣٦٩).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٧٩-٢٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠١)، والكشف (١/ ٤٨٣)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٨).

(٤) الحجة (٢/ ٢٨٠). وانظر: زاد المسير (٣/ ٢٨٤).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٠).

(٦) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ لم نعلم بهذا[١].

قال السدي: أجابت طائفة طائعين وطائفة كارهين تقية[٢].

وقوله: "شهدنا" جائز أن يكون من تمام كلام الذرية، فيكون قوله: ﴿أن تقولوا﴾ متعلقاً بفعل مضمر، تقديره: فعلنا ذلك، أو ذَكَّرناهم ذلك على ألسنة الرسل بعد أن أخرجناهم إلى الوجود، كراهة أن يقولوا أو لئلا يقولوا[٣]. ويجوز أن يكون الوقف على ﴿بلى﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن شهادته وشهادة ملائكته على إقرار عباده فقال: ﴿شهدنا﴾، ويكون قوله: ﴿أن تقولوا﴾ متعلقاً بـ«شهدنا»، وهو العامل فيه النصب[٤]، وهذا قول الكلبي والسدي وأكثر المفسرين[٥].

قرأ أبو عمرو: ﴿أن يقولوا﴾، ﴿أو يقولوا﴾ بالياء فيهما. وقرأهما الباقون بالتاء على المخاطبة[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٥٩-٥٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وعبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن منده في كتاب الرد على الجهمية واللالكائي وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر في تاريخه.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٩٩) وعزاه لابن عبد البر في التمهيد من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٧٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١١٨).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٢)، والكشف (١/ ٤٨٣-٤٨٤)، =

﴿إنا كنا عن هذا﴾ الإقرار ﴿غافلين﴾ لم نرشد إليه ولم ننبه عليه.

فإن قيل: قد خرجت الآية بأن أخذ الميثاق على الذرية إنما كان قطعاً لاحتجاجهم؛ لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ونحن ما فينا من يذكر ذلك؟

قلت: قام إخبار الصادق مقام الذكر، فالمعرض عنه عما أخبر به مقطوع الحجة والاعتذار بالغفلة.

فإن قيل: فأي فائدة فيه مع النسيان؟

قلت: تأكيد الحجة على الكافر الجاحد بعد الإشهاد عليه بإقراره على نفسه بأن الله تعالى ربه لا شريك له، فإن الجحد بعد الإقرار أقبح وأعظم جريمة منه غير مسبوق بإقرار.

فإن قيل: ما الحكمة في إنشاء الإنسان الإقرار الأول؟

قلت: لأنه لو ذكر يوم ﴿ألست بربكم﴾ وكلام الله له بذلك، لكان إيمانه [اضطرارياً][1] لا اختيارياً، ولزال معنى الابتلاء والامتحان والتكليف بالإيمان بالغيب، وما يترتب عليه من حسن الجزاء.

فإن قيل: فما تقول في قول الزمخشري[2] بأن هذا تخيل وتمثيل، وأن معنى ذلك: أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم؟

والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٨).

(١) في الأصل: اضطراياً.

(٢) الكشاف (٢/ ١٦٦).

قلت: هو قول يصادم صريح القرآن وصحيح السنة وآثار السلف وإجماع الأمة، وأخاف أن يزاحم الكفر؛ لأنه تكذيب وتعطيل في المعنى، فليت شعري، أي ضرورة تحمل على مثل هذا، وليس في المصير إلى مدلول اللفظ ما يخالف القضايا العقلية والدلائل النقلية، اللهم فاعصمنا من مخالفة كتابك، وألاّ تعرضنا لغضبك وعقابك.

قوله تعالى: ﴿أو تقولوا﴾ عطف على قوله: ﴿أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل﴾، ﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾ فاقتدينا بهم، لا يقدرون على الاحتجاج بذلك.

ولأن الله سدّ عليهم مسالك الاعتذار بما أخذه عليهم من الإقرار وأتتهم به الرسل من الإنذار.

والآية التي بعدها سبق تفسيرها.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ أي: اقصص على اليهود. وقيل: على قومك. والأول أظهر؛ لأن المقصود من تلاوة هذا الخبر

تحذيرهم وتقريعهم، وتشبيههم بالمنسلخ من آيات [الله][(١)]؛ لكونهم عرفوا الكتاب والعلم الأول، فانسلخوا من ذلك، كفراً بمحمد ﷺ وحسداً له.

ويجوز عندي -والله أعلم-: أن يراد بقوله: "واتل عليهم" جميع الناس، ويرجع الضمير في «عليهم» إلى بني آدم، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾.

وفي المشار إليه أربعة أقوال:

أحدها: أنه بلعام. واختلف في اسم أبيه، فالمشهور في التفسير والمنصوص عن ابن عباس: أنه ابن باعوراء[(٢)].

وروي عن ابن عباس: أنه من مدينة الجبارين، من الكنعانيين[(٣)].

وروى عنه عطية: أنه كان من بني إسرائيل[(٤)].

وروي عنه: أنه رجل من أهل اليمن[(٥)].

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٦-١٦١٧)، ومجاهد (ص:٢٥٠) وفيه: بلعام بن باعر. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٦-١٦١٧). وانظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٠٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٨) كلاهما عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٠).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٠٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وكان من حديثه على ما ذكره ابن عباس ونقله محمد بن إسحاق والسدي وغيرهم: أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام، وكان بلعام بقرية من قرى البلقاء، وكان أهلها كفاراً، وكان عنده الاسم الأعظم، فغزاهم نبي الله موسى عليه السلام، فأتاه قومه فقالوا: يا بلعام، هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا، وإنا قومك، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله عليهم، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما [لا](١) تعلمون؟ فما زالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه، فركب حماره متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، فسار قليلاً فَرَبَضَتْ أتانه(٢)، فنزل عنها فضربها، فأذن الله لها في كلامه فقالت: ويحك يا بلعام أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم يرتدع.

ويروى: أنه رجع، فقال ملكهم: إما أن تدعو عليهم وإما أن أصلبك، فدعا عليهم وعلى موسى بالاسم الأعظم أنهم لا يدخلوا المدينة، [فوقع](٣) موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب كما استجبت دعاءه عليّ فاستجب دعائي عليه، فدعا الله تعالى أن ينزع منه الاسم الأعظم فنزعه منه(٤).

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) ربضت الدابة: أي: بَرَكَتْ (اللسان، مادة: ربض). والأتان: الحمارة. والجمع: آتُن (اللسان، مادة: أتن).

(٣) في الأصل: قوع.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٥).

ويروى: أن موسى قتله بعد ذلك(١).

ويروى: أن بلعام لما أراد أن يدعو على بني إسرائيل، جعل لا يدعو عليهم بشيء إلا صرف لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بشيء إلا صُرف إلى بني إسرائيل، فقيل له في ذلك، فقال: هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، وسأحتال لكم، جمّلوا النساء وأرسلوهن في عسكر بني إسرائيل، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها، فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم، فوقع رجل منهم على امرأة، فأرسل الله على بني إسرائيل الطاعون فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة واحدة.

وكان فنحاص بن العيزار صاحب أمر موسى عليه السلام، وكان قد أعطي في الخلق، وقوة في البطش، فأخبر خبر الزانيين، فدخل عليهما مضطجعين فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، وقال: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك. وإلى هذا القول ذهب ابن مسعود وابن عباس وجمهور المفسرين(٢).

القول الثاني: أنه أمية بن أبي الصلت، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت، فلعبت به الأطماع الكاذبة ورجا أن يكون هو. فلما اصطفى الله تعالى محمداً ﷺ واختصه برسالته، حمله الحسد والبغي على الكفر به. فلما مات أمية أتت أخته الفارعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت: بينا

---

(١) انظر: الطبري (٩/ ١٢٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٥-١٢٦).

هو راقد أتاه اثنان [فكشفا][1] سقف البيت ونـزلا، فقعـد أحـدهما عنـد رجليـه والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: أوعى؟ قال: وعـى. قال: أزكى، قال: أبى، فسألته عن ذلك فقال: خير أريد بي فصرف عني، ثم غشي عليه فلما أفاق قال:

كـلُّ عـيش وإن تطـاول دهـراً صـائرٌ مـرةً إلى أن يَـزولا
ليتنـي كنـتُ قبـلُ مـا قـد بـدا لي في قـلال الجبـال أرعـى الوعـولا
إن يـومَ الحـساب يـومٌ عظـيم شـابَ فيـه الـصغيرُ يومـاً ثقـيلا

ثم قال لها رسول الله ﷺ: أنشديني شعر أخيك، فأنشدته:

لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربنـا ولا شيء أعلى منـك جـداً وأمجـد
مليكٌ عَلى عَرْشِ الـسَّماءِ مُهَـيْمِنٌ لِعِزَّتِـهِ تَعْنُـو الوُجُـوهُ وَتَـسْجُدُ

حتى أتت على آخر القصيد.

ثم أنشدته أيضاً:

عند ذي العرش تُعرضـون عليـه يعلـم الجهـر والـسرار الخفيـا
يـوم نـأتي الـرحمن وهـو رحـيم إنــه كــان وعــده مأتيــا
يـوم نأتيـه مثـلَ مـا قـال فـرداً ثــم لا بــد راشــداً وغَوِيّــا

إلى أن قال:

ربِّ إن تعـفُ والمعافـاة ظنـي أو تعاقـب فلـم تعاقـب بريّـا

---

(١) في الأصل: فكشطا. انظر: البغوي (٢/ ٢١٥).

فقال النبي ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه». وأنـزل الله فيـه: ﴿واتـل علـيهم ... الآيات﴾[١].

وهذا قول جماعة منهم عبدالله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب[٢].

الثالث: أنه أبو عامر الراهب، وكان رجلاً من الأنـصار قـد تـرهبن ولـبس المسوح في الجاهلية وبني له مسجد الضرار؛ على ما سنذكره في سورة براءة إن شاء الله تعالى[٣].

قال ابن عباس: الأنصار تقول في هذه الآية: هو أبو عامر الراهب[٤]، الـذي بني له مسجد الشقاق. وروي عن سعيد بن المسيب نحوه.

الرابع: أنه البَسُوس، وهو رجل من بني إسرائيل[٥].

وكان من حديثه:

ما قرأته على الشيخ أبي القاسم علي بن أبي الفـرج المعـروف بـابن الموصـلي، أخبركم يحيى بن أسعد بن بوش فأقرَّ به، أخبرنا أحمد بن عبيدالله بن كادش، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري، أخبرنا القاضي أبو الفـرج المعـافى بـن زكريـا

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٠-٢٣١).

(٢) أخرجـه الطـبري (٩/ ١٢١)، وابـن أبي حـاتم (٥/ ١٦١٦)، والنـسائي في الكـبرى (٦/ ٣٤٨ ح١١١٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٠٩) وعزاه لعبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني وابن مردويه.

(٣) عند الآية رقم: ١٠٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٦). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر: ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٧-١٦١٨)، والبغوي (٢/ ٢١٥)، والقرطبي (٧/ ٣٢٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٣١)، وزاد المسير (٣/ ٢٨٧)، والدر المنثور (٣/ ٦٠٨-٦٠٩).

الجريري، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي[١]، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا عبدالله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ قال: هو رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن ما يدعو به، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سَمِجة[٢] دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها. فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه دعا الله أن يجعلها كلبة نباحة، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أمنا كلبة نباحة يُعيّرنا الناس بها، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها أولاً، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث[٣].

قال أبو الفرج المعافى بن زكريا: سَمِجَة: بكسر الميم، مثل: بَطِرَة.

وحكى سيبويه عن العرب[٤]: رجل سَمْج، بتسكين الميم، مثل: سمح.

قال: وقالوا: سميج؛ كقبيح.

وقول الراوي [في][٥] هذا الخبر: «يعيرنا الناس بها»، الفصيح من كلام

---

(١) الحسين بن القاسم الكوكبي، أخباري مشهور، وفي أخباره مناكير كثيرة بأسانيد جياد (لسان الميزان ٢/ ٣٠٩).

(٢) سَمُجَ الشيء: قَبُحَ، يَسْمُجُ سَماجةً: إذا لم يكن فيه ملاحة. وسميج: قبيح (اللسان، مادة: سمج).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٧-١٦١٨). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٠٨-٦٠٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) انظر: الكتاب (٤/ ٣٠).

(٥) زيادة على الأصل.

العرب: عيرت فلاناً كذا وكذا. وأما عيرته بكذا فلغة مقصرة عن الأولى في الاستشهاد والفصاحة، وإن كانت هي الجارية على ألسنة العامة.

ومن اللغة الأولى قول النابغة:

وعيرتني بنو[ذبيان][1] وهبته ... وهل عليّ بأن أخشاك من عار؟[2]

وقال المُتَلَمِّس:

تُعيّرني أمي رجالٌ ولا أرى ... أخا كَرَمٍ إلا بأن يتكرّمـــــا[3]

وقال المقنع الكندي في اللغة الأخرى:

يُعيّرني بالدَّيْن قومي وإنما ... تديّنت في أشياء تُكسبهم مجـدا[4]

والمشهور في التفسير: القول الأول، ومن أضاف نزولها إلى غيره، فلدخوله في عمومها وإن وردت على السبب الخاص. وإلى هذا أشار عكرمة بقوله: هو كل من انسلخ عن الحق بعد أن أعطيه[5].

وفي بعض الألفاظ: أن النبي ﷺ قال لفارعة حين أنشدت شعر أخيها أمية: «كان مَثَلُ أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها»[6]، وإن الآية مكية، وقصة أبي عامر الراهب في المدينة، فدل مجموع ذلك على صحة القول الأول، وأن

---

(١) في الأصل: ذبان. والتصويب من الديوان (ص:٥٧).

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في: ديوانه (ص:٥٧)، واللسان (مادة: عير).

(٣) انظر البيت في: أدب الكاتب لابن قتيبة (١/ ٣٢٤).

(٤) انظر البيت في: جمهرة الأمثال (٢/ ٢٠٦).

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٨٨).

(٦) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٨٩٠)، والسيوطي في الدر (٣/ ٦٠٩) وعزاه لابن عساكر عن سعيد بن المسيب.

إضافتها إلى غيره لدخوله في عمومها.

قوله تعالى: ﴿فانسلخ منها﴾ أي: خرج من الآيات -وهي كتب الله ودلائل توحيده، أو اسمه الأعظم- كما تخرج الحية من جلدها.

﴿فأتبعه الشيطان﴾ قال ابن قتيبة[١]: لحقه وأدركه.

وقال الأخفش[٢]: تبعته وأتبعته بمعنى، مثل: ردفته وأردفته، ومنه: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ [الصافات:١٠].

قال الزجاج[٣]: هما [بمعنى واحد][٤]، ومنه قوله: ﴿فمن تبع هداي﴾ [البقرة:٣٨]، وقال: ﴿فأتبعهم فرعون﴾ [يونس:٩٠].

وقرأ طلحة بن مصرف: «فاتّبعه الشيطان» بتشديد التاء ووصل الهمزة[٥].

قال اليزيدي: هما لغتان، وكأن أتبعه -خفيفة- بمعنى: قفاه، واتّبعه -مشدّدة-: حذا حذوه[٦].

قوله تعالى: ﴿فكان من الغاوين﴾ أي: فصار من الفاسدين الهالكين.

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي: لو شئنا [لرفعنا][٧] منزلته بالآيات وشرفناه بها.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:١٧٤).

(٢) انظر قول الأخفش في: القرطبي (١١/ ٤٨).

(٣) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قول الزجاج في: زاد المسير (٣/ ٢٨٩).

(٤) في الأصل: معنى. والتصويب والزيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٢٨٩)، والدر المصون (٣/ ٣٧٢).

(٦) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٨٩).

(٧) زيادة من زاد المسير (٣/ ٢٩٠).

وقال مجاهد وعطاء: المعنى: ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا[(١)].

﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ قال الزجاج[(٢)]: يقال: أَخْلَدَ وخَلَدَ. والمعنى: رَكَنَ إلى الدنيا وأهلها، ﴿واتبع هواه﴾ معرضاً عن آياتنا وزواجرنا، وكأن المخذول زجر في منامه وقيل له: لا تدعُ على موسى وبني إسرائيل، فلم ينزجر، وكلّمته أتانه فلم ينته.

وقيل في قوله: "واتبع هواه": أرضى امرأته بذلك، وكانت زَيَّنَتْ له الدّعاء على موسى وقومه.

﴿فمثله كمثل الكلب﴾ يريد: الكلب اللاهث، ﴿إن تحمل عليه يلهث﴾ يقال: لَهَثَ الكلب يَلْهَثُ لَهَثاً؛ إذا دَلَعَ لسانه[(٣)].

والمعنى: إن تحمل عليه زاجراً أو ضارباً يلهث، وإن تتركه يلهث، فهو في حالتيه لم يزل لاهثاً، كذلك بلعام إن زجر أو وعظ فهو ضال، وإن ترك لا يزجر ولا يوعظ، فهو ضال.

وقيل: المعنى ولكنه أخلد إلى الدنيا فوضعنا منزلته، فمثله في الخِسَّة والضَّعَة[(٤)] كمثل الكلب في أخسّ أحواله، وهي حالة لهثه.

وقيل: مثله حين خرج لسانه وتدلى على صدره -كما ذكرناه في قصته- كمثل الكلب اللاهث.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٧)، ومجاهد (ص:٢٥١) وفيه: «لدفعنا عنه».

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٩١).

(٣) انظر: اللسان (مادة: لهث).

(٤) الضَّعَة والضِّعَة: خلاف الرِّفعة في القَدْر. والوضيع: الدنيء (انظر: اللسان، مادة: وضع).

﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ بلعام وغيره من الكفار، ﴿فاقصص القصص﴾ يا محمد ﴿لعلهم يتفكرون﴾، فيحدثُ لهم التفكر في قصص المكذبين المعذبين اعتباراً وانزجاراً وخوفاً من سوء العاقبة وزوال العافية، ويستدلوا بقصصك على صحة رسالتك؛ لأن العلم بذلك لا يتلقّى إلا من جهة الوحي أو التعليم، وقد علموا عدم القسم الثاني، وتحققوا أنك أُمِّيٌّ مِنْ أُمَّة أُمِّيَّة، وطائفة جاهليةٍ لم تتشاغل بعلم، ولم تعاشر أهل كتاب، ولم تخرج من بين أظهر قومك؛ فيتعين القسم الأول.

قوله تعالى: ﴿ساء مثلاً القوم﴾ هو على حذف المضاف، أي: ساء مَثَلاً مَثَلُ القوم[١].

وقرأ الجحدري: «سَاءَ مَثَلُ القومِ»[٢].

و"مثلاً" منصوب على التمييز[٣]، ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ معطوف على ﴿كذبوا بآياتنا﴾[٤]، أي: جمعوا بين التكذيب والظلم، فيكون الظلم داخلاً في حيز الصلة. ويجوز أن يكون منقطعاً عن الصلة، بمعنى: وما ظلموا إلا أنفسهم، وتقديم المفعول للاختصاص[٥]، كأنه قيل: خَصُّوا أنفسهم بالظلم.

قوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ أي: من يتولى الله هدايته فهو المهتدي،

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٨٩)، والدر المصون (٣/ ٣٧٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٢٤)، والدر المصون (٣/ ٣٧٣).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٧٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٧٤).

(٥) مثل السابق.

﴿ومن يضلل﴾ أي: ومن يخذله ويضلّه ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا﴾ أي: خلقنا ﴿لجهنم كثيراً﴾ خلقنا كثيراً ﴿من الجن والإنس﴾ وهم الذين حقّت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاء الذين خلقوا للنار.

قرأتُ علي أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم الإمام أبو منصور محمد بن أسعد المعروف بحفدة العطاري فأقرَّ به، قال: حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد الصيرفي[(١)]، حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي، أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي، حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوي، حدثنا حفص بن غياث، عن طلحة [بن][(٢)] يحيى[(٣)]، عن عائشة بنت طلحة[(٤)]، عن عائشة أم المؤمنين رضي

(١) يعقوب بن أحمد بن محمد أبو بكر الصيرفي، حدث بنيسابور عن الحسن بن أحمد المخلدي وأحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الخفاف، وغيرهم، توفي في سنة ست وستين وأربعمائة (التقييد ص:٤٩٥).

(٢) في الأصل: عن. وهو خطأ، والتصويب من البغوي (٢/ ٢١٧). انظر ترجمته في المصادر التالية.

(٣) هو طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني، نزيل الكوفة، صدوق يخطئ، مات سنة ثمان وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥، وتقريب التهذيب ص:٢٨٣).

(٤) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية، أم عمران، تابعية ثقة، أمها أم كلثوم بنت أبي بكر، روت عن خالتها عائشة، وعنها ابنها طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن وابن أخيها طلحة بن يحيى بن طلحة وغيرهم (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥، وتقريب التهذيب ص:٢٨٣).

الله عنها قالت: أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة رضي الله عنها: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم»(١). هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن طلحة بن يحيى، عن عمته عائشة بنت طلحة.

ومنه أيضاً: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ وقد سبق آنفاً.

قوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ أي: لا يفهمون ولا يعقلون بها الحق، ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ العجائب [الدالّة](٢) على وحدانية خالقها وقدرته وعظمته، ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ مواعظ القرآن ودلائل التوحيد، ﴿أولئك كالأنعام﴾ في عدم التفكر والاعتبار، وما يُدرك بالأسماع والأبصار.

وقال مقاتل(٣): ﴿أولئك كالأنعام﴾ يأكلون ويشربون ولا يلتفتون إلى الآخر﴿بل هم أضل﴾ من الأنعام؛ لأنها تجتلب منافعها وتجتنب مضارّها، والكفار يقتحمون النار معرضين عن مصالحهم، ﴿أولئك هم الغافلون﴾ الكاملون الغفلة.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٠ ح٢٦٦٢). وانظر: تفسير البغوي (٢/ ٢١٧).

(٢) في الأصل: الدلة. والصواب ما أثبتناه.

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٤٢٦).

قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، سبب نزولها: أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فقال الأحمق الجاهل أبو جهل: أليس يزعم محمداً وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فنزلت هذه الآية[(١)].

والحسنى: تأنيث الأحسن، وقد سبق ذكره.

والمعنى: ولله الأسماء الدالة على المعاني الحسنة، والأوصاف الجميلة، من الرحمة والمغفرة والحلم والعفو والرزق والتعظيم والتحميد والتقديس، ﴿فادعوه بها﴾ أي: اسألوه بأسمائه الحسنى وتوسلوا إليه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، يا حليم[(٢)].

قرأتُ على الشيخ عماد الدين أبي محمد عبدالله بن الحسن بن الحسين بن أبي السنان بالموصل في المحرم سنة أربع وعشرين وستمائة، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، أخبركم الشيخ الحافظ أبو سعيد عبداللطيف بن أبي سعد البغدادي سنة خمس وخمسين وخمسمائة فأقرَّ به، أخبرنا أبو القاسم غانم بن أبي نصير محمد بن عبيد الله البرجي[(٣)]، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن فاذشاه[(٤)]،

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٩٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٣٣).

(٣) غانم بن محمد بن عبيد الله بن عمر بن أيوب الخرقي البرجي الأصبهاني، أبو القاسم، ولد في ذي القعدة سنة سبع عشرة وأربعمائة، وتوفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٠-٣٢٢، والتقييد ص:٤٢١).

(٤) أحمد بن محمد بن الحسين ابن محمد بن فاذشاه الأصبهاني. سمع الكثير من أبي القاسم الطبراني، وكان سماعه مع جده الحسين في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، روى المعجم الكبير كله عن الطبراني وغير ذلك. مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥١٥-٥١٦).

حدثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني[١]، حدثنا أسلم بن سهل[٢]، حدثنا محمد بن أبان الواسطي[٣]، حدثنا عمران بن خالد الخزاعي[٤]، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من [أحصاها][٥] دخل الجنة»[٦].

قال: هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم عن محمد بن رافع، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة.

فإن قيل: أسماء الله كثيرة جداً، فما وجه الحديث؟

قلت: ليس المراد حصر أسماء الله تعالى في هذا العدد، وإنما المعنى: أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، كما تقول: لزيد مائة درهم أَعَدَّها للصدقة، ولا يدل على أنه ليس عنده أكثر من ذلك؛ وإنما يدل على أن الذي عنده للصدقة هذا

(١) سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، أبو القاسم الطبراني، من طبرية الشام، كان ثقة حافظاً، استوطن أصبهان، وحدّث بها إلى أن مات، ولد سنة ستين ومائتين، وتوفي يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة (التقييد ص:٢٨٣-٢٨٤).

(٢) أسلم بن سهل بن سلم بن زياد بن حبيب الواسطي الرزاز، ويعرف ببحشل، وهو ثقة ثبت إمام، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٥٣).

(٣) محمد بن أبان بن عمران بن زياد بن ناصح، أبو عمران الواسطي الطحان، صدوق تكلم فيه، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وعاش تسعين سنة (تهذيب التهذيب ٩/ ٣، والتقريب ص:٤٦٥).

(٤) عمران بن خالد الخزاعي البصري، روى عن ابن سيرين والحسن وثابت البناني. روى عنه بشر بن معاذ العقدي. قال أبو حاتم: ضعيف. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به (الجرح والتعديل ٦/ ٢٩٧، ولسان الميزان ٤/ ٣٤٥).

(٥) في الأصل: أحصا. والمثبت من صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٣).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٣ ح٢٦٧٧).

القدر.

فإن قيل: ما معنى: «أحصاها»؟

قلت: عنه أجوبة: أحدها: أن معناه: حفظها. وفي بعض ألفاظ الحديث: «من حفظها»[1].

الثاني: أن المعنى: من أطاقها، كقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله عليه السلام: «استقيموا ولن تحصوا»[2].

والمعنى: من أطاق العمل بها؛ كالسميع والعليم، فالعمل بهما أن يكفّ لسانه عن قول ما لا يجوز، ويجتنب في خلواته ما يكره اطلاع الناس عليه، ولا يركن ويعزم على ما يحرم، وعلى هذا سائر الأسماء.

الثالث: أن المعنى: من عقلها وآمن بها دخل الجنة، مأخوذ من الحَصَاة، وهو العَقْل.

قال طرفة:

وإنَّ لسانَ المرْءِ ما لم يَكُنْ له ... حَصَاةٌ على عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ[3]

قال بعض العلماء: من قرأ القرآن وجمعه أتى على هذه الأسماء وعلى غيرها من أسماء الله تعالى المنزلة في كتابه، فأشار بذلك إلى أنّ من قرأ القرآن دخل الجنة.

والصحيح: أن معنى الإحصاء: الحفظ، لما ذكرناه أولاً، ولما كان في بعض

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٦٩ ح٣٨٦١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠١ ح٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٦)، والحاكم (١/ ٢٢٠ ح٤٤٧).

(٣) البيت لطرفة، وهو في: اللسان، (مادة: حصي)، وديوان الحماسة (٢/ ١٨١)، وشرح كتاب الأمثال (١/ ٢٦٢).

طرق الصحيح: «من حفظها دخل الجنة» ذكرتها لتحفظ، وهي ما قرأته على الشيخ أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد فأقرَّ به، قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الضحالي الطوسي بها، أخبرنا أبو منصور محمد بن نصر بن أحمد الطوسي، أخبرنا الحاكم أبو أحمد الحافظ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، حدثنا صفوان بن صالح بن عبد الملك الدمشقي -واللفظ له-:

وأخبرنا به عالياً أبو محمد عبدالله بن الحسن بن أبي السنان بقراءتي عليه، أخبرنا عبداللطيف بن أبي سعد البغدادي، أخبرنا أبو القاسم البرجي، أخبرنا ابن فاذشاه، حدثنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي[(١)] وورد بن أحمد بن لبيد البيروتي قالا: حدثنا صفوان بن صالح[(٢)]، حدثنا الوليد بن مسلم[(٣)]،

---

(١) أحمد بن المعلى بن يزيد الأسدي، أبو بكر الدمشقي، نائب أبي زرعة في قضائها. صدوق، مات في شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٧٠، وتهذيب الكمال ١/ ٤٨٥-١٨٧).

(٢) صفوان بن صالح بن صفوان بن دينار، أبو عبد الملك الثقفي الدمشقي، مؤذن جامع دمشق، ثقة عند أهل الحديث. ولد سنة ثمان أو تسع وستين ومائة، ومات في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٥، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٧٤).

(٣) الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، مولى بني أمية، وقيل: مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ثقة كثير الحديث، لكنه كثير التدليس والتسوية، وكان من أوعية العلم، ولد سنة تسع عشرة ومائة، ومات سنة أربع وتسعين ومائة (تهذيب الكمال ٣١/ ٨٦-٩٨، والتقريب ص:٥٨٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢١١-٢٢٠).

حدثنا شعيب بن أبي حمزة[١]، عن أبي الزناد[٢]، عن الأعرج[٣]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدي، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو

(١) شعيب بن أبي حمزة، أبو بشر الأموي الحمصي الكاتب، واسم أبيه دينار، الإمام الحجة المتقن. كان مليح الضبط، أنيق الخط، مات سنة اثنتين –أو ثلاث– وستين ومائة (تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢١-٢٢٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٧-١٩٢).

(٢) هو عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد، مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة، وقيل: مولى عائشة بنت عثمان بن عفان، ثقة فقيه، وثقه أحمد وابن معين، ولد سنة خمس وستين في حياة ابن عباس، ومات سنة ثلاثين ومائة. وقيل بعدها (تهذيب التهذيب ٥/ ١٧٨-١٧٩، والتقريب ص:٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٤٥-٤٥١).

(٣) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان ثقة كثير الحديث، مات بالإسكندرية سنة سبع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٦٠، والتقريب ص:٣٥٢).

الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[(١)].

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، حدث غير واحد عن صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

ويعلو لي هذا الحديث من طريق ابن أبي السنان برجلين، فكأنني سمعته من أبي محمد البغوي.

فصل

يتضمن شرح ما أشكل من هذه الأسماء وإن كان معظمها قد مضى في كتابنا، ويأتي فيما بقي إن شاء الله تعالى، إلا أنا نشير إليه بطريق الاختصار ليكون مجموعاً هاهنا.

أما اسم الله الرحمن الرحيم فقد ذكرناه في أول الكتاب.

«القدوس»: الطاهر من العيوب.

و«السلام»: الذي يسلم من كل عيب ونقص.

«المؤمن»: الذي أمن المؤمنين من عذابه.

«المهيمن»: الشهيد.

«المتكبر»: البليغ الكبرياء والعظمة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٣٠ ح٣٥٠٧).

قال ابن الأنباري: المتكبر: ذو الكبرياء، وهو الملك.

وقال أهل المعاني: المتكبر في صفة الله: الكبير، والعرب تضع نفعل في موضع فعل، مثل: نظلم في موضع ظلم.

«الفتاح»: الحاكم.

و«الحكم»: الحاكم أيضاً.

«العدل»: الذي لا يجور.

«اللطيف»: البر بعباده.

«الشكور»: الذي يشكر القليل من الطاعة فيثيب عليه.

«المقيت»: المقتدر.

و«الحسيب»: الكافي.

و«الجليل»: العظيم.

و«الرقيب»: الحافظ.

«الودود»: المحب عباده الصالحين.

«المجيد»: الواسع الكرم.

«الوكيل»: الكافي.

و«المتين»: الشديد القوة.

«الولي»: الناصر.

«الحميد»: المحمود.

و«القيوم»: الدائم بلا زوال.

«الواجد»: الغني.

و«الماجد»: بمعنى المجيد.

و«الأحد»: المنفرد بالمعنى الذي لا يشاركه فيه أحد.

و«الواحد»: المنفرد بالذات.

و«الصمد»: السيد الظاهر بالحجج.

«الباطن»: المحتجب عن الأبصار.

«الوالي»: المتولي للأشياء.

و«البر»: العطوف.

ومعنى «ذو الجلال والإكرام»: أنه أهلٌ أن يُجَلّ ويكرم.

و«المقسط»: العادل.

و«المانع»: الناصر.

ومعنى «النور»: الذي بنوره يبصر ذو نعمائه.

و«البديع»: المبتدع الأشياء.

و«الوارث»: الباقي بعد فناء خلقه.

و«الرشيد»: بمعنى المرشد.

و«الصبور»: الذي لا يعاجل بالعقوبة.

فإن قيل: هل جاء في الاسم الأعظم بخصوصه حديث يعتمد عليه؟

قلت: نعم. وهو:

ما أخبرنا به محمد بن أبي عبدالله بن أبي المكارم فيما قرأته عليه، قال: أخبرنا أبو منصور بن أسعد، أخبرنا الحسين بن مسعود، أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي

الكشميهني، أخبرنا القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني[(١)]، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص[(٢)]، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد[(٣)]، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي[(٤)]، حدثنا نوح بن الهيثم[(٥)]، حدثنا خلف بن خليفة[(٦)]، حدثنا حفص ابن أخي أنس بن مالك، عن أنس قال: «كنت جالساً مع

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السمناني الحنفي، أبو جعفر. حدث عن نصر المرجي، وعلي بن عمر الحربي، وأبي الحسن الدارقطني، وجماعة، ولازم ابن الباقلاني حتى برع في علم الكلام، وكان صدوقاً، فاضلاً، حنفياً يعتقد مذهب الأشعري، وله تصانيف، وكان من أذكياء العالم. توفي بالموصل سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وله ثلاث وثمانون سنة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥١-٦٥٢).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا، أبو طاهر المخلص، شيخ صالح ثقة، ولد ليلة الاثنين لسبع ليال خلون من شوال سنة خمس وثلاثمائة، وأول سماعه كان في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة من ابن بنت منيع، مات في شهر رمضان من سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة (تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٣) يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، مولى أبي جعفر المنصور، الحافظ الامام الثقة، أبو محمد الهاشمي البغدادي. ولد سنة ثمان وعشرين ومائتين، وله تصانيف في السنن والأحكام، مات في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاثمائة بالكوفة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٠١-٥٠٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٧٦-٧٧٨).

(٤) الحسين بن الحسن بن حرب السلمي، أبو عبد الله المروزي، صاحب ابن المبارك، نزيل مكة، ثقة صدوق. مات سنة ست وأربعين ومائتين (تهذيب الكمال ٦/ ٣٦١-٣٦٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٩، والتقريب ص:١٦٦).

(٥) نوح بن الهيثم الخراساني، صهر آدم بن أبي إياس العسقلاني (الجرح والتعديل ٨/ ٤٨٥، ولسان الميزان ٦/ ١٧٥).

(٦) خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي، مولاهم، أبو أحمد الكوفي. صدوق اختلط في الآخر، كان =

النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي، فقال: اللهم! إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم أسألك، فقال النبي ﷺ: هل تدرون ما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[(١)].

وقرأت على أبي المجد محمد بن الحسين، أخبركم أبو منصور حفدة العطاري، حدثنا أبو محمد البغوي، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا أبو القاسم إبراهيم [بن][(٢)] محمد بن علي بن الشاه، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله النيسابوري، أخبرنا أبو عمرو عثمان بن عمر الضبي، حدثنا عمرو بن مرزوق[(٣)]، أخبرنا مالك بن مِغْوَل[(٤)]، حدثنا عبدالله بن بريدة[(٥)]، عن أبيه[(٦)] قال: «دخلت مع

= بالكوفة، ثم انتقل إلى واسط فسكنها مدة، ثم تحول إلى بغداد فأقام بها إلى حين وفاته، مات سنة إحدى وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٣٠، والتقريب ص:١٩٤).

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٩ ح١٤٩٣)، والترمذي (٥/ ٥١٥ ح٣٤٧٥)، وأحمد (٣/ ١٥٨ ح١٢٦٣٢)، والحاكم (١/ ٦٨٣ ح١٨٥٦).

(٢) زيادة على الأصل. انظر: تكملة الإكمال (٢/ ٥٩٠).

(٣) عمرو بن مرزوق الباهلي، مولاهم، أبو عثمان البصري، ثقة مأمون فاضل، له أوهام، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٨٧-٨٨، والتقريب ص:٤٢٦).

(٤) مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن حارثة بن حديج بن بجيلة البجلي، أبو عبد الله الكوفي. ثقة ثبت، مات سنة سبع -أو ثمان أو تسع- وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠، والتقريب ص:٥١٨).

(٥) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضي مرو. مات سنة خمس ومائة. وقيل: خمس عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ١٣٧-١٣٨، والتقريب ص:٢٩٧).

(٦) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أبو عبد الله، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، =

رسول الله ﷺ المسجد ويدي في يده، وإذا رجلٌ يصلي يقول: اللهم! إني أسألك فإنك أنت الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فقال رسول الله ﷺ: دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»[1].

والرجل المذكور في هذا الحديث: عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿وذروا الذين يُلْحِدون في أسمائه﴾ قرأ حمزة: «يَلحَدون» بفتح الياء والحاء، هنا وفي النحل[2] والسجدة[3]، وافقه الكسائي في النحل، من لَحَدَ يَلْحَدُ[4]. وقرأ الباقون: بضم الياء وكسر الحاء، من أَلْحَدَ يُلْحِدُ[5].

وقال الأخفش[6]: أَلْحَدَ ولَحَدَ لغتان.

وقال ابن السكيت: المُلْحِد: العادل عن الحق المُدْخِل فيه ما ليس منه. يقال: قد

= وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وسكن المدينة ثم انتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية (تهذيب التهذيب ١/ ٣٧٨، والتقريب ص:١٢١).

(١) أخرجه ابن حبان (٣/ ١٧٤ ح٨٩٢)، والحاكم (١/ ٦٨٣ ح١٨٥٨).

(٢) عند الآية رقم: ١٠٣.

(٣) أي: سورة فصلت، عند الآية رقم: ٤٠.

(٤) انظر: اللسان (مادة: لحد).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٣)، والكشف (١/ ٤٨٤)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٨).

(٦) معاني الأخفش (ص:٢٠١).

أَلْحَدَ في الدِّين ولَحَدَ به[(١)].

والمُلْحِدون: أبو جهل وأصحابه الذين عَدَلُوا بأسماء الله وسمّوا بها آلهتهم وزادوا ونقصوا، فاشتقّوا اللات من اسم الله، والعزّى من العزيز، ومناة من المنان.

وكل من سمّى الله تعالى بما لم ينزل به كتاب ناطق أو سُنَّة دالّة فقد ألحد في أسمائه.

سمع ابن عباس رجلاً يقول: يا رب القرآن، فأنكر عليه[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسمّ به نفسه، فيقول: يا قوي، ولا يقول: يا جَلْد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق؛ لأنه لم يصف نفسه بذلك.

فصل

ذهب ابن زيد في آخرين إلى أن قوله: ﴿وذروا الذين يلحدون﴾ منسوخ بآية السيف[(٤)].

والذي عليه [المحققون][(٥)] من المفسّرين والبُصراء بالعربية: أن ذلك خارج مخرج التهديد، فهو كقوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر:١١].

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

---

(١) انظر: البغوي (٢/ ٢١٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٩٣).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٢).

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٣٩).

(٥) في الأصل: المحقون.

قوله تعالى: ﴿ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه﴾ وهم الهداة الدعاة إلى الحق.

قال ابن عباس: يريد: أمة محمد ﷺ[(١)].

قال ابن جريج: ذكر لنا أن النبي ﷺ [قال][(٢)]: «هذه أمتي، بالحق يأخذون ويعطون ويقضون، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾»[(٣)]. وروي نحوه عن قتادة[(٤)].

وقال الربيع بن أنس: «قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال: إن من أمتي [قوماً][(٥)] على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم»[(٦)].

وفي الصحيحين من حديث معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»[(٧)].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٩٤).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٥) بأقصر منه. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) زيادة من المصادر التالية.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣١ ح٣٤٤٢)، ومسلم (٣/ ١٥٢٤ ح١٠٣٧).

قوله تعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ قال ابن السائب: يريد: أهل مكة، كذبوا بمحمد ﷺ والقرآن[١].

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ قال ابن عباس: سنمكرُ بهم[٢].

قال أبو عبيدة[٣]: الاستدراج: أن تتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً، وأصله من الدرجة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة، ومنه: دَرَجَ الكتاب، إذا طواه شيئاً بعد شيء[٤].

قال الخليل بن أحمد في قوله ﴿سنستدرجهم﴾: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم[٥].

قال الضحاك: كلما جدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة[٦].

قوله تعالى: ﴿وأملي لهم﴾ أي: أطيل أعمارهم في المعاصي، ﴿إن كيدي متين﴾.

قال ابن عباس: إن مكري شديد[٧].

قال الحسن البصري رحمه الله: كم من مستدرَج بالإحسان إليه، وكم من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣١).

(٢) الوسيط (٢/ ٤٣١).

(٣) ذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٣٣) عند ذكره هذه الآية: والاستدراج: أن تأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث تلطُف له حتى تغترّه. وانظر قول أبي عبيدة في: زاد المسير (٣/ ٢٩٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: درج).

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٢٨)، وزاد المسير (٣/ ٢٩٤).

(٦) الوسيط (٢/ ٤٣١)، وزاد المسير (٣/ ٢٩٥).

(٧) الوسيط (٢/ ٤٣٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٩٥).

مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه[1].

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم﴾ قال الحسن البصري رحمه الله: قام النبي ﷺ ليلاً على الصفا يدعو قريشاً فخذاً فخذاً، فيقول: يا بني فلان! يا بني فلان! يحذرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبهم هذا لمجنون، بات يُصوِّتُ حتى الصباح، فأنزل الله تعالى هذه الآية يحضهم على التفكر في أمر النبي ﷺ والنظر فيما دعاهم إليه[2].

والوقف على قوله: "أو لم يتفكروا" وقف تام.

ثم نفى عن رسوله ﷺ ما اقترفوه، فقال: ﴿ما بصاحبهم من جنّة﴾ أي: جنون، ﴿إن هو إلا نذير﴾ للحق، ﴿مبين﴾ للباطل من الحق.

فإن قيل: لم عدل عن اسمه العَلَم، وهو محمد، أو صفته العالية، وهي الرسول، ولم يضيفه إلى نفسه، فلم يقل: ما بمحمد، ما برسولي من جِنَّة، وإنما

---

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥١).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٤) كلاهما عن قتادة. وانظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص:١٠٥)، وزاد المسير (٣/ ٢٩٦) عن الحسن وقتادة. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة.

أضافه إليهم باسم الصحبة فقال: "ما بصاحبهم"؟

قلت: ليُبقي عليهم قبيح ما أقدموا عليه من نسبتهم الجنون إلى من صاحبوه دهراً طويلاً ولازموه عمراً مديداً، وعلموا ما طُبع عليه من الأخلاق الكريمة والأوصاف الجميلة، والفطرة السليمة؛ [وخلوّه][1] من النقائص الظاهرة والباطنة، فأفاد قوله: "ما بصاحبهم" ذمّهم على كذبهم وظلمهم بنسبتهم الجنون إلى من صحبوه وعرفوا راجح عقله، وتذكيرهم باسم الصحبة ما يجب للصاحب على صاحبه من المعاضدة والمناصرة، وترقيقهم عليه، وتهييج طباعهم على الإحسان إليه، وهذا من الرموز التي لا يهتدي لها إلا غوير غوّاص على معاني كتاب الله تعالى، بحّاث عن غوامضه وأسراره.

قوله تعالى: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ حثّهم الله تعالى على النظر في ملكوت السموات وما فيها من الآيات الباهرة والأنجم الزاهرة، وملكوت الأرض وما فيها من عجائب المخلوقات، ﴿وما خلق الله﴾ أي: وفيما خلق الله ﴿من شيء﴾ قال ابن عباس: من جليل وصغير[2].

والمعنى: أو لم ينظروا فيستدلوا بهذه المصنوعات العجيبة على عظمة صانعها ومخترعها، وحكمة مبتدعها ومفترعها.

﴿وأن عسى﴾ خفيفة من [الثقيلة][3]، بإضمار الشأن، والتقدير: أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وفي أن الحديث والشأن ﴿عسى أن يكون قد اقترب

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣٢).

(٣) في الأصل: الثقلية.

أجلهم﴾ أي: لعل آجالهم قريبة فيستدركوا الفارط بالتوبة والإيمان، خوفاً أن يهلكوا على الكفر، فيصيروا إلى النار، ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي: بعد القرآن وحججه البالغة، ومواعظه الشافية، واشتماله على علم ما كان ويكون ﴿يؤمنون﴾.

ثم ذكر سبب توغلهم في مهالك الردى مع إثارة مسالك الهدى، فقال: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة: «ويذرهم» بالياء، لكنه رفع الفعل على الاستئناف، وجزمه الكوفيون عطفاً على موضع الفاء، وقرأ الباقون: بالنون والرفع[١].

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن يحيى، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد الزيادي، حدثنا عبيدالله بن محمد بن عائشة[٢]، حدثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذّاء، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن عبدالله بن الحارث قال: «خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية[٣]، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من يهده الله فلا مضل له، ومن

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٣)، والكشف (١/ ٤٨٥)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٨).

(٢) عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري، المعروف بالعيشي وبالعائشي وبابن عائشة؛ لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، ثقة جواد، رمي بالقدر ولم يثبت (تهذيب الكمال ١٩/ ١٤٧-١٥١، والتقريب ص:٣٧٤).

(٣) الجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور، من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وفي هذا الموضع خطب عمر خطبته المشهورة (معجم البلدان ٢/ ٩١).

يضلل فلا هادي له، فقال نصراني: تركس تركس[١]، فقال عمر: ما يقول؟ قالوا: قال: إن الله يهدي ولا يضل، فقال: كذبت يا عدو الله، الله خلقك وهو أضلك، وهو يدخلك النار إن شاء الله، لولا وَلْثُ عهد برسول الله ﷺ لضربت عنقك»[٢].

قال ابن الأعرابي: والوَلْثُ: بقية العهد[٣].

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿يسألونك﴾ قال ابن عباس: يعني: اليهود[٤].

وقال الحسن وقتادة: يعني: كفار قريش[٥].

﴿عن الساعة﴾ أي: القيامة، سميت ساعة؛ لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لأنها مع طولها عند الله كساعة.

وقال الزجاج[٦]: الساعة هاهنا: الساعة التي يموت فيها الخلق.

---

(١) عند ابن أبي حاتم: بركست بركست.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٥). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر: اللسان (مادة: ولث).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٧). وانظر: الماوردي (٢/ ٢٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٧) عن قتادة. وانظر: الماوردي (٢/ ٢٨٤) عن الحسن وقتادة. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٣).

﴿أيان﴾ ظرف مبني على الفتح، لتضمنه معنى الاستفهام[(١)].

قال أبو عبيدة[(٢)]: المعنى: متى منتهاها.

و﴿مرساها﴾ السفينة حيث تنتهي.

وقيل: المعنى: متى ثبوتها واستقرارها، ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: أَرْسى السفينة[(٣)].

﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ أي: هو المستأثر بعلمها، ﴿لا يجلّيها لوقتها﴾ أي: لا يوضحها ويظهرها في وقتها ﴿إلا هو﴾، ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ أي: ثَقُلَ وقوعها وعَظُمَ على أهل السموات والأرض محسنهم ومسيئهم، ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ فجأة، وهو مصدر في محل الحال[(٤)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبدالصمد العطار وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة الصوفي البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب السجزي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن المظفر الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر [الفربري][(٥)] حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبدالرحمن، [عن][(٦)] أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا

(١) انظر: التبيان للعكبري (١/ ٢٩٠)، والدر المصون (٣/ ٣٧٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٣٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رسا).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٣).

(٥) في الأصل: القريري. والصواب ما أثبتناه، وقد تقدمت ترجمته.

(٦) في الأصل: بن. والتصويب من الصحيحين.

تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، [وتكثر][1] الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرْج -وهو القتل-، وحتى يكثر فيهم المال فيفيض، حتى يهم ربُّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه لا أَرَبَ لي فيه، وحتى يتطاول الناس بالبنيان، وحتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومنّ الساعة وقد نَشَرَ الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[2]. وأخرجه مسلم أيضاً.

قوله تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ أي: كأنك استحفيت في السؤال واستقصيت حتى علمتها.

وقال الزجاج[3]: المعنى -والله أعلم-: كأنك فرح بسؤالهم. يقال: قد تحفيت بفلان في المسألة، إذا سألت به سؤالاً أظهرت فيه المحبّة والبرّ به، وأحفى فلان بفلان في المسألة، وإنما تأويله الكثرة، يقال: حفى[4] الدابة تَحْفَى حفىً -مقصور-

(١) في الأصل: ويكثر. والتصويب من البخاري (٦/ ٢٦٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٠٥ ح٦٧٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢١٤ ح١٥٧).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٤) كذا في الأصل، وأصول معاني الزجاج، ولكن محقق الكتاب عدلها في صلب الكتاب إلى: حَفت.
=

إذا كثر عليه ألم المشي حتى يؤلمه[1].

﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: أهل مكة، ﴿لا يعلمون﴾ أن الساعة كائنة، وأن الله مستأثر بعلمها.

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً﴾ فأتلقاه ﴿ولا ضراً﴾ فأتوقاه.

قال الكلبي: نزلت حين قال أهل مكة: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري من الرخيص لتربح عليه عند الغلاء؟ والأرض التي تريد أن تجدب فترتحل منها؟[2].

﴿إلا ما شاء الله﴾ أن أملكه. والمعنى: إذا كنت هكذا، فكيف أعلم متى تقوم الساعة؟ ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ قبل وقوعه ﴿لاستكثرت من الخير﴾ من أسباب الرزق والنصر على الأعداء ﴿وما مسني السوء﴾ الفقر وغيره مما يسوء النفس ويؤلمها، ﴿إن أنا إلا نذير﴾ فيه إضمار، تقديره: إن أنا إلا نذير للكفار من

= وقال: في الأصول: حفى. وقال الجوهري في الصحاح (٦/ ٢٣١٦): حَفِيَ يَحْفى حَفاءً، وهو أن يمشي بلا خُف ولا نعلٍ. فأما الذي حَفِيَ من كثرة المشْي، أي رَقَّتْ قدمه أو حافره، فإنه حَفٍ بيّن الحَفى مقصورٌ.

(١) انظر: اللسان (مادة: حفا).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٢)، والوسيط (٢/ ٤٣٤)، وزاد المسير (٣/ ٢٩٩).

عذاب النار، ﴿وبشير﴾ للمؤمنين بالجنة، وقيل: النذارة والبشارة للمؤمنين؛ لمكان انتفاعهم بها.

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿ليسكن إليها﴾ أي: ليأنس بها لما بينهما من [حسية][(١)] الإنسية ومشاكلة البعضية.

﴿فلما تغشاها﴾ كناية عن الجماع، ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ يعني: النطفة، وقيل: خفيفاً لم تلق منه ثقلاً ولا مشقّة، كما يجد بعض [الحوامل][(٢)].

قوله: ﴿فمرّت به﴾ تحقيق لمعنى خِفَّتِه، وأنه لم يمنعها من القيام والقعود والنزول والصعود.

وقرأ سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود وابن عباس: «فاستمرّت به»[(٣)].

وقرأ أبي بن كعب والجوني: «فاستمارّت به» بزيادة ألف مع تشديد الراء في الجميع[(٤)]، والمعنى واحد وهو ما ذكرناه.

---

(١) في الأصل: خسية.

(٢) في الأصل: الحومل.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣٠١)، والدر المصون (٣/ ٣٨٢).

(٤) مثل السابق.

وقال قتادة: المعنى: تبيّن حملها[١].

وقرأ أبو العالية ويحيى بن يعمر: «فَمَرَتْ بـه» خفيفـة الـراء[٢]، أي: شكّت وتمارت هل حملت أم لا؟

قال الزجاج[٣]: الحَمْل -بفتح الحاء-: ما كان في بطن، أو أخرجته شجرة، والحِمْل -بكسر الحاء-: ما يُحْمَل[٤].

﴿فلما أثقلت﴾ صارت ذات ثقل، ﴿دعوا الله ربهما﴾ أي: دعى آدم وحواء ربهما، ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ بشراً سوياً، فإنهما خافا أن تلد ولداً لا يشاكلهما ويجانسهما. هذا قول الأكثرين.

وقال الحسن وقتادة: المعنى: لئن آتيتنا غلاماً صالحاً[٥]، ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك على نعمك.

﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ أي: أعطاهما ما سألاه، ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: «شِرْكاً» بكسر الشين وسكون الراء والقصر، على المصدر[٦]، أي: جعلا لله ذا شرك. والمراد به على القراءتين: إبليس، وأوقع الجمع

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣١).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣٠١)، والدر المصون (٣/ ٣٨٢).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: حمل).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٤) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٢٦) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٤)، والكشف (١/ ٤٨٥-٤٨٦)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٩).

على القراءة المشهورة موقع الواحد.

ومعنى جعلهما إبليس شريكاً لله: طاعتهما له، وكان السبب في ذلك[1]: ما أخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سَمِّيه عبد الحارث فسَمَّته، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»[2].

ونقل العلماء بالتفسير: أن إبليس جاء إلى حواء في غير الصورة التي كانت تعرفه فيها، فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. فقال لها: إني أخاف أن يكون كلباً أو خنزيراً أو بهيمة، وما يدريك من أين يخرج؟ أيشق بطنك؟ أو يخرج من فِيكِ؟ أو من منخريك؟ فأحزنها ذلك وذكرته لآدم، فدعوا الله حينئذ وهما مع ذلك في همّ وغمّ وخوف، فأتاها إبليس فقال: كيف تجدينك؟ قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله أن يسهل خروجه وأن يجعله إنساناً مثلك ومثل آدم، أتسميه عبد الحارث؟ -وكان اسم إبليس بين الملائكة: الحارث-

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦٧ ح٣٠٧٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٥) وصححه، ووافقه الذهبي.

قلت: في إسناده عند الترمذي وعند الحاكم: عمر بن إبراهيم، قال الحافظ في التقريب: في حديثه عن قتادة ضعف، والحسن البصري مدلس.

والحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٤٦).

وقد تكلم على هذا الحديث الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة في كتابه: (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) فانظره هناك (ص:٢٠٩-٢١٥).

قالت: نعم. فلما وضعته صالحاً سمّته برضا آدم عبد الحارث[1]. ولم يريدا عليهما السلام أن الحارث ربه ومالكه، وإنما ظنّا أنه كان السبب في نجاته، فأضافاه إليه إضافة طاعة وخضوع، كقول الشاعر:

وإنّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ من غير ذلة وما فيّ إلا ذاك من شيم العبد[2]

وإلى هذا أشار قتادة بقوله: جعلا له شركاً في الاسم لا في العبادة[3]، وهاهنا تم الكلام.

ثم نزّه نفسه عما يقوله الكافرون، فقال جل وعز: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾.

وقيل: التقدير: فلما آتاهما صالحاً جعل أولادُهما له شركاء، على حذف المضاف، وكذلك ﴿فيما آتاهما﴾، ودلّ على هذا التأويل قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾.

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٢٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) البيت لقيس بن عاصم المنقري، وهو في: القرطبي (٧/ ٣٣٩)، وزاد المسير (٣/ ٣٠٣)، والوسيط (٢/ ٤٣٥)، وروح المعاني (٩/ ١٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٢٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿أيشركون﴾ يعني: الذين اتخذوا الأوثان آلهة، ﴿ما لا يخلق شيئاً﴾ لأنه جمادٌ لا يقدر على شيء فيجعلونها شركاء لله، الذي خلق ورزق ويعبدونها من دونه، ﴿وهم يخلقون﴾ يعني: الأصنام. وإنما أجريت مجرى من يعقل؛ لأن عابديها اعتقدوا فيها أنها تعقل وتميز.

﴿ولا يستطيعون﴾ يعني: الأصنام ﴿لهم نصراً﴾ يعني: لعابديها، ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ فيدفعوا عنها ما يؤذيها ويرديها.

﴿وإن تدعوهم﴾ يعني: الأصنام. وقيل: الكفار.

فإن قلنا: هم الأصنام، فالمعنى: إن تدعوهم إلى ما هو هدى ليهدوكم إليه ويدلوكم عليه، كما تطلبون من الله الخير والهدى، لا يتبعونكم إلى ما تريدون منهم.

وإن قلنا: هم المشركون، فالمعنى: وإن تدعو أيها الرسول والمؤمنون المشركين إلى الهدى لا يتّبعوكم.

وقرأ نافع: «يَتْبَعُوكُمْ» بالتخفيف(١)، وهما لغتان بمعنى واحد.

﴿سواء عليكم﴾ أي: متعادل عندكم، ﴿أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ عن

(١) وقرأ الباقون: "يَتَّبِعُوكُم". انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٢٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٥)، والكشف (١/ ٤٨٦)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٤)، والسبعة في القراءات (ص:٢٩٩).

ذلك الدعاء؛ لأنه لا يرجى منهم الإجابة.

﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأصنام، ﴿عباد أمثالكم﴾ قال ابن السائب: مملوكون أمثالكم[١].

وقال الأخفش: عباد أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مسخرون مذللون لأمر الله[٢].

وقال صاحب الكشاف[٣]: قوله: "عباد أمثالكم" استهزاء، أي: قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء، فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم، لا تفاضل بينكم، ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾.

وقرأ سعيد بن جبير: «إنِ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم» بتخفيف: «إنْ»، ونصب «عباداً أمثالكم»[٤]. والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله [إلا][٥] عباداً أمثالكم، على إعمال «إن» النافية عمل «ما» الحجازية.

ثم إن الله تعالى بيّن نقصان الآلهة بالنسبة إلى عابديها توبيخاً لهم، وتضليلاً لآرائهم، وتجهيلاً لأحلامهم؛ فذلك قوله: ﴿ألهم أرجل يمشون بها ... الآية﴾، المعنى: فكيف عبدتموها وأنتم أفضل منها بالأرجل الماشية، والأيدي الباطشة، والأعين الباصرة، والآذان السامعة، ﴿قل﴾ لهم يا محمد مجيباً لهم عن تخويفهم إياك

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣٦).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ٤٣٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٠٦) بلا نسبة.

(٣) الكشاف (٢/ ١٧٨).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٤٠)، والدر المصون (٣/ ٣٨٤).

(٥) زيادة على الأصل.

بآلهتهم، ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي: استعينوا بهم في معاداتي، ﴿ثم كيدوني﴾ أنتم وهم، ﴿فلا تنظرون﴾ أي: لا تمهلون.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

ثم بيّن السبب الموجب لعدم اكتراثه فقال: ﴿إن وليي الله﴾ إن الذي يتولى نصري وحفظي الله، ﴿الذي نزّل الكتاب﴾ دليلاً على صدقي ومعجزةً شاهدةً برسالتي، ﴿وهو يتولى الصالحين﴾.

قال ابن عباس: هم الذين لا يعدلون بالله شيئاً[1].

والمعنى: هو يتولاهم بالنصر على أعدائهم.

قوله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ أي: كأنهم ينظرون إليك بالأعين المصورة، ﴿وهم لا يبصرون﴾ على الحقيقة.

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿خذ العفو﴾ أخرج البخاري في صحيحه: «أن عبد الله بن الزبير قال في هذه الآية: أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»[2]، أي: الميسور

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في (٤/ ١٧٠٢ ح٤٣٦٧).

من أخلاقهم، ولا يستقصي عليهم فينفرهم.

وقيل: المعنى: خذ ما تيسر من صدقاتهم، ثم نسخ بالزكاة المفروضة.

وقيل: هو أمر بمساهلة الكفار، فيكون منسوخاً بآية السيف[١].

قوله تعالى: ﴿وأمر بالعرف﴾ قال عطاء: لا إله إلا الله[٢].

والمشهور في التفسير: عمومه في كل ما تعرف العقول حُسنه من مكارم الأخلاق.

﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ يعني: المشركين.

فعلى هذا: تكون منسوخة بآية السيف.

وقد يمتحن بهذه الآية فيقال: ما آية نسخ طرفاها وبقي وسطها؟ فيجاب بهذه.

والصحيح: أنها كلها محكمة، والمعنى: لا تكافئ الجاهلين بسفههم إكراماً لنفسك النفيسة عن الأخلاق الخسيسة.

وقال الربيع بن أنس: الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فأما المؤمن فلا تؤذه، وأما الجاهل فلا تجاهله[٣].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٩٠-٩١)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٤٠-٣٤٢).

قلتُ: هذه الآية من عجيب المنسوخ؛ لأن أولها منسوخ -وهو قوله تعالى: ﴿خذ العفو﴾- وآخرها منسوخ -وهو قوله تعالى: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾-، وأوسطها محكم -وهو قوله تعالى: ﴿وأمر بالعرف﴾-. (انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ولابن حزم، الموضعان السابقان).

(٢) ذكره القرطبي (٧/ ٣٤٦)، والبغوي (٢/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١١) كلاهما من حديث =

ويدل على إحكامها بالمعنى الذي ذكرت، ما أخرج البخاري بإسناده عن ابن عباس قال: «قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير [فتستأذن عليه. فاستأذن][١] الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: ها يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا [الجزل][٢]، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ أن يقع به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله»[٣].

ويروى: «أن النبي ﷺ سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع فقال: يا محمد! إن ربك يأمرك أن تصِل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»[٤].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً، ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٥].

= الربيع بن خثيم.

(١) في الأصل: فتستان عليه فاستان. والتصويب من الصحيح.

(٢) في الأصل: الجزيل. والتصويب من الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٠٢ ح٤٣٦٦).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٥). وذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٣٠٦) وعزاه للطبري مرسلاً، وابن مردويه موصولاً.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ ح٢٥٨٨).

وقال جعفر الصادق عليه السلام: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[١].

وقال عبدالرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «كيف يا رب؟ والغضب». فنزل: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾[٢].

النَّزْغُ في اللغة: الحركة اليسيرة[٣]. والمعنى: وإما يعرضن لك الشيطان بوسوسة يستميلك بها أو غضب يستفزك به، إلى خلاف ما اقتضته هذه الآية.

﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ معتصماً به من كيده.

وفي الصحيحين من حديث سليمان [بن][٤] صُرَد قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبّان، وأحدهما قد احمرّ وجهه وانتفخت أَوْداجُه[٥]، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب ما يجد»[٦].

إنه سميع لدعائك، عليم بذاتك ودوائك.

فإن قيل: ما الحكمة في الاستعاذة عند الغضب؟

قلت: لأنها حالة يضعف عنها عقل الإنسان، ويقوى عليه الشيطان.

---

(١) ذكره القرطبي (٧/ ٣٤٥)، والبغوي (٢/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٦-١٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٣١) وعزاه لابن جرير.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نزغ).

(٤) زيادة على الأصل. وانظر ترجمته في: تقريب التهذيب (ص:٢٥٢).

(٥) الأوداج: هما وَدَجان، وهما عرقان غليظان عريضان عن يمين ثُغْرَةِ النحر ويسارها (اللسان، مادة: ودج).

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٨ ح٥٧٠١)، ومسلم (٤/ ٢٠١٥ ح٢٦١٠).

قال بعض الحكماء: أول الغضب جنون، وآخره ندم.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: الغضب عدو العقل، فلذلك يحول بينه وبين السمع والفهم، فإذا ثبت ذلك فأحب أن يعتصم المقهور بالغضب بقوة الله وعز سلطانه من شر الشيطان.

ومن جملة أدوية الغضب: ما أخرجه الإمام أحمد رضي الله عنه في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم فليسكت»(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»(٢).

وأنزل الله في بعض كتبه: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبتَ أذكرك إذا غضبتُ، فلا أمحقك مع من أمحق، وإذا ظُلِمْتَ [فارض](٣) بنصرتي، فإن نُصرتي لك خير من نصرتك لنفسك(٤).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا﴾ قال ابن عباس: يعني: الشرك والفواحش(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٩ ح٢١٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٤٩ ح٤٧٨٢).

(٣) في الأصل: فأعرض. والتصويب من الدر المنثور (٣/ ٥٥٩).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٩) وعزاه لأحمد عن وهيب المكي.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٣٨).

﴿إذا مسهم طيف من الشيطان﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «طَيْفٌ»[(١)]، وهو إما مصدر من قولهم: طَافَ يَطِيفُ طَيْفاً، وإما تخفيف طيف، فعيل، من طَافَ يَطيفُ، كَلانَ يَلينُ، أو طاف يَطوفُ، كَهَانَ يَهونُ، فهو طَيِّف منهما، كَلَيِّن وهَيِّن.

ويؤيد هذا قراءة ابن عباس في آخرين: «طيّف» بالتشديد[(٢)]. وقرأ الباقون "طائف"، وهما بمعنى واحد[(٣)].

المعنى: إذا مسّهم لَمَمٌ من الشيطان؛ وسوسة أو غضب أو همّ بمعصية، ﴿تذكروا﴾ حجج الله وزواجره، وتفكروا في اطلاعه عليهم وعظمته وقدرته، فاستحيوا وخافوا غضبه وعقابه، ﴿فإذا هم مبصرون﴾ بأعين قلوبهم آثار قبح المعاصي وسوء عاقبتها، فاستتروا من ذلك، خوفاً يردعهم، وحياء يقرعهم.

قال محمد بن كعب القرظي: ما عُبِدَ الله بشيء أحب إليه من ترك المعاصي[(٤)].

فصل

يتضمن نبذة زاجرة عن ارتكاب المعاصي:

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أذنب الرجل كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٥)، والكشف (١/ ٤٨٦-٤٨٧)، والنشر (٢/ ٢٧٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠١).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣٠٩).

(٣) انظر مصادر التعليق ما قبل السابق.

(٤) ذكره ابن الجوزي في ذم الهوى (ص:١٨٤).

واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾»(١). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال أبو الدرداء: إن العبد يخلو بمعاصي الله، فيُلقي الله بغْضَه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر(٢).

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاماً(٣).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق قد هيء له بالذنب يصيبه»(٤).

وقال وهب بن منبه: يقول الله عز وجل: «إني إذا أُطعتُ رضيتُ، وإذا رَضيتُ باركتُ، وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصيتُ غَضبتُ، وإذا غضبتُ لعنتُ، ولعنتي تبلغ السابع من الولد»(٥).

وروي: أن الله تعالى أوحى إلى موسى: يا موسى! أول من مات إبليس، وذاك

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٤ ح٣٣٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٧ ح٧٩٣٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٩٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٤ ح٤٠٢٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٧ ح٢٢٤٤٠)، وابن حبان (٣/ ١٥٣ ح٨٧٢).

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٩-٤٣٠) وعزاه لأحمد في الزهد.

لأنه عصاني، وإنما أُعِدُّ من عصاني من الأموات[1].

قوله تعالى: ﴿وإخوانهم﴾ جائز عود الضمير إلى «الذين اتقوا»، وهو قول جماعة، منهم: ابن الأنباري. والمعنى: وإخوان الذين اتقوا من المشركين، أو كونهم من بني آدم، ﴿يمدونهم في الغي﴾ بما يزينون لهم من الاقتداء بالآباء.

والمشهور في التفسير: أن الضمير يعود إلى «الجاهلين»، التقدير: وإخوان الجاهلين وهم الشياطين.

وقيل: يرجع الضمير إلى الشيطان، وهو اسم جنس، تقديره: وإخوان الشياطين وهم الكفار[2].

﴿يمدونهم﴾ يعني: الشياطين يمدون الكفار.

وقرأ نافع: «يُمِدُّونَهُم» بضم الياء وكسر الميم[3]، من الإمداد، وقد سبق ذكره فيما مضى.

قال المفسّرون: المعنى: يمدونهم بالتزيين والإغواء.

﴿ثم لا يقصرون﴾ وقرأ الزهري: «يُقَصِّرُون» بالتشديد[4]، أي: لا يقصّرون في إغوائهم.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى ۚ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٠٤)، وابن الجوزي في: صفة الصفوة (٢/ ٢٣٣).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٣٨٩).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٦)، والكشف (١/ ٤٨٧)، والنشر (٢/ ٢٧٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣١١).

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا لم تأتهم﴾ يعني: المشركين ﴿بآية﴾ يتعنتونك بسؤالها أو يتأخر عنك إنزالها، ﴿قالوا لولا﴾ أي: هلاَّ ﴿اجتبيتها﴾ افتعلتها من قبل نفسك، لأنهم كانوا يقولون: إنْ هذا إلا إفك افتراه. فأَمَرَ الله رسوله أن يخبرهم أنه مُتَّبِعٌ لا مُبْتَدِع، فقال: ﴿قل إنما أَتَّبعُ ما يوحى إليّ من ربي هذا﴾ يعني: القرآن، ﴿بصائر من ربكم﴾، أي: حُجَجٌ نيِّرة، ﴿وهدى﴾ من الضلالة، ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يقرؤون ويرفعون أصواتهم فيما يجهر فيه النبي ﷺ[1].

وقال قتادة: كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت: ﴿فاستمعوا له﴾[2]، أي: فاصغوا ﴿وأنصتوا﴾ اسكتوا. يقال: أنصتوه وأنصتوا له. قال الشاعر:

إذا قالت حَذامِ فأَنْصِتوها فإن القولَ ما قَالَتْ حَذامِ[3]

ويروى: فصدّقوها.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٤٥). وانظر: الدر المنثور (٣/ ٦٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٤) من حديث أبي هريرة. وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٣٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) البيت لِلُجَيْم بن صعب. انظر: القرطبي (٧/ ٣٥٤)، واللسان (مادة: نصت).

عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة﴾ هذا عام في أنواع الأذكار من قراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والدعاء، وغير ذلك تضرعاً في طلب ثوابه، وخيفة من عقابه، ﴿ودون الجهر﴾ أي: متكلماً كلاماً دون الجهر، ﴿من القول﴾؛ لأن الإخفاء أقعد في الإخلاص، وأبعد من شوائب الرياء وأقرب إلى [الإخلاص][1]، ﴿بالغدو﴾.

وقال الواحدي والإمام أبو الفرج ابن الجوزي[2]: الغُدُوّ: جمع غَدْوَة.

والمعروف في اللغة: غُدْوة وغدىً، وقولهم: غَدَوات: جمع غَداة، مثل: قَطَاة وقَطَوات[3].

[وقولهم][4]: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، هو الازدواج [في][5] الكلام، كما قالوا: هَنَأَني الطعام ومَرَأَني، وإنما هو أَمْرَأَني، والغدو نقيض [الرواح][6]، تقول: غَدَا يَغْدُو غَدْواً[7]، فمعنى الآية: اذكر ربك بأوقات الغدو، وهي الغَدَوات، فعبّر بالفعل عن الوقت، كما يقال: أتيتك طلوع الشمس، أي: وقت طلوعها.

---

(١) في الأصل: الخلاص.

(٢) الوسيط (٢/ ٤٤١)، وزاد المسير (٣/ ٣١٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: غدا).

(٤) في الأصل: وقلهم.

(٥) زيادة على الأصل.

(٦) في الأصل: الرواج.

(٧) انظر: اللسان (مادة: غدا).

﴿والآصال﴾ جمع أُصُل، وأُصُل جمع أصيل، وهي العشيات[١].

قال أبو عبيدة[٢]: هي ما بين صلاة العصر إلى المغرب.

ويجمع أيضاً أَصِيل على أُصَيْلان، مثل: بعير وبِعران، ثم صَغَّروا الجمع فقالوا: أُصْلان، ثم أبدلوا من النون لاماً فقالوا: أُصَيْلال[٣]، ومنه قول النابغة:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسَائِلُها عَيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ[٤]

ويروى عن ابن عباس: أن المراد بالذِّكر: القراءة في الصلاة[٥]، صلاة الفجر وصلاة العصر.

﴿ولا تكن من الغافلين﴾ اللاَّهين عن الذِّكر.

قوله تعالى: ﴿إن الذين عند ربك﴾ يريد: الملائكة، ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي: طاعته والخضوع لجلاله في الصلاة وغيرها.

﴿ويسبحونه﴾ قال عبدالله بن عمرو بن العاص: الملائكة عشرة أجزاء، الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون تسعة أجزاء، وجزء واحد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: أصل).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٣٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: أصل).

(٤) البيت للنابغة. انظر: ديوانه (ص:٣٠)، والكتاب (٢/ ٣٢١)، والمقتضب (٤/ ٤١٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٨٠)، وأوضح المسالك (٢/ ٣٨٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٢٨)، والتصريح (٢/ ٣٦٧)، والإنصاف (١/ ١٧٠)، والطبري (١/ ٧٨)، والقرطبي (٧/ ٣٥٦)، واللسان (مادة: أصل).

(٥) زاد المسير (٣/ ٣١٣).

الذين وكلوا بخزانة كل شيء[(١)].

وقال هارون بن رئاب [الأُسَيِّدي][(٢)]: حملة العرش ثمانية، يتجاوبون بصوت رخيم، تقول أربعة: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، وتقول الأربعة الأخرى: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك[(٣)].

وقال سعيد بن جبير: يقال: أن أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان ذي العز والجبروت، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت[(٤)].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله أذن لي أن أحدث عن ملك قد خرقت[(٥)] رجلاه الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٩) من طريق عمرو البكالي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٧٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طريق البكالي عن عبد الله بن عمر.

(٢) في الأصل: الأسدي. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٣٠/ ٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٧) من طريق هارون بن رئاب عن شهر بن حوشب، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٥) وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٥٤ ح٤٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٧٤) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧٧-٢٧٨). وذكره السيوطي في الدر (١/ ١١٤) وعزاه لابن جرير وأبي نعيم في الحلية.

(٥) في مصادر تخريج الحديث: مرقت.

أعظمك ربنا. قال: فيرد عليه ما يعلم بذلك الذي يحلف به كاذباً»[١].

وقال علي عليه السلام في المَلَك المسمى [بالرُّوح][٢]: هو مَلَك من الملائكة له سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف لسان، في كل لسان سبعون ألف لغة، يسبح الله بتلك اللغات كلها، ويخلق من كل تسبيحة مَلَك يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة[٣].

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّت السماء وحق لها أن تَئِطّ، ما فيها موضع أربع -يعني: أصابع- إلا عليه ملك ساجد»[٤].

﴿وله يسجدون﴾ أي: يصلّون، وهذا تعريض بالمكلف من بني آدم وتحريضٌ له على الطاعة؛ لأن الملائكة الكروبيين مع قربهم وفضلهم وعصمتهم بهذه المثابة، فالمتلوثُ بأنجاس المعاصي أولى بتطهير نفسه لله وتزكيتها بفعل العبادة والطاعة لرب العالمين.

وقيل: إنها نزلت حين قال الكفار: ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان:٦٠].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٤٩٦)، والحاكم (٤/ ٣٣٠ ح٧٨١٣) وصححه. وقال الهيتمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٥٣): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٤) من حديث أنس بن مالك.

(٢) في الأصل: بالجروح. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٨ ح٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٣١-٣٣٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣ ح٢١٥٥٥).

فصل

وهذه أول سجدات القرآن، وهي أربع عشرة سجدة، في الحج منها اثنتان.

وسجود التلاوة مستحب عند جمهور العلماء، ويشترط له ما يشترط للصلاة من الطهارة وغيرها.

قرأتُ على الشيخ ثابت بن مشرف بن أبي سعد البناء البغدادي برأس عين على عين بانورا، أخبركم أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي فأقرَّ به، أخبرنا أبو عاصم بن أبي منصور الفضيلي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح الأنصاري، حدثنا أحمد بن علي الجرجاني، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال أو عن أبي سعيد -شَكَّ الأعمش-، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم سجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، ويقول: يا ويله! أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرتُ بالسجود فعصيتُ فلي النار»[1] هذا حديث صحيح، انفرد مسلم بإخراجه، فرواه عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش.

آخرها ولله الحمد.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٧ ح٨١).

سورة الأنفال

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي [خمس و][1] سبعون آية مدنية، استثني منها آيات نذكرها إن شاء الله في موضعها.

وفي الصحيحين: «أن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال، [قال][2]: نزلت في بدر»[3].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾، سبب نزول هذه الآية: أن أهل بدر اختلفوا في الغنيمة وتَشاحُّوا[4] فيها، فقال الشُّبَّان: هي لنا؛ لأنهم سارعوا إلى القتل

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) زيادة من الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٠٣ ح٤٣٦٨)، ومسلم (٤/ ٢٣٢٢ ح٣٠٣١).

(٤) تَشاحُّوا في الأمر وعليه: شحَّ به بعضهم على بعض وتبادروا إليه حَذَرَ فَوْته (اللسان، مادة: شحح).

والأسر وأبلوا بلاءً حسناً، وكان رسول الله ﷺ قال يومئذ: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا». وقال الشيوخ والوجوه الذين ثبتوا تحت الرايات: كنا ردءاً لكم، ولو انهزمتم لانحزتم إلينا. وقالوا لرسول الله ﷺ: المغنم قليل والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم خرجت أصحابك، فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾[1]. رواه عكرمة عن ابن عباس.

فعلى هذا يكون المعنى: يسألونك عن حكم الأنفال سؤال استفتاء.

قال الزجاج[2]: إنما سألوا عنها؛ لأنها كانت حراماً على من كان قبلهم.

وقال صاحب النظم: المعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ يدل عليه قوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ يحكمان فيها ما أرادا، ويضعانها حيث شاءا، فلما نزلت هذه الآية قسمها رسول الله ﷺ بين أهل بدر على السواء.

والأنفال: جمع نَفْل، وهي الغنيمة[3]، في قول الحسن ومجاهد وعطاء وعكرمة والضحاك والزجاج[4] وجمهور العلماء[5].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٧٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٩)، وابن حبان (١١/ ٤٩٠)، والحاكم (٢/ ١٤٣) وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٤)، والطبري (٩/ ١٧٢)، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٩١). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٥)، ولباب النقول (ص:١٠٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦) وعزاه لابن أبي شيبة وأبي داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (نفل).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٣٩٩).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٨-١٦٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٤٩)، ومجاهد (ص:٢٥٧).

وقيل: الأنفال: ما نفّله رسول الله ﷺ القاتل بقوله: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا».

وأخرج أبو داود في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: «لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت: يا رسول الله، قد شفي صدري من المشركين أو نحو هذا، هب لي هذا السيف. فقال: هذا ليس لي ولا لك، فقلت: عسى أن يُعطى هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول [فقال][1]: إنك سألتني [هذا السيف][2] وليس لي، وإنه قد صار لي وهذا لك. قال: ونزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال ... الآية﴾»[3]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم طرفاً من حديث طويل.

وقيل: إن "عن" زائدة، على معنى: يسألونك الأنفال، وهي قراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأبيّ بن كعب في آخرين، على نحو ما سأله إنسان وتعدى.

﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ قال عبادة بن الصامت: «اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله عز وجل من أيدينا فجعله لرسول الله، يقسمه بين المسلمين على السواء، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين»[4].

---

(١) زيادة من السنن.

(٢) زيادة من سنن أبي داود (٣/ ٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧٧ ح١٧٨٤)، وأبو داود (٣/ ٧٧ ح٢٧٤٠).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٢)، والبيهقي في سننه (٩/ ٥٧)، والحاكم (٢/ ٣٥٦)، والطبري (٩/ ١٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه.

والمعنى: هي مختصة بالله وبالرسول، يقضي فيها بأمر الله على ما تقتضيه حكمته من المساواة والمواساة بين الشباب الذين شرط لهم الأنفال، وبين الشيوخ الذين كانوا ردءاً لهم؛ لما فيه من [انتظام](١) أمرهم، وإصلاح ذات بينهم، وإلفة قلوبهم.

وزعم بعضهم أنها منسوخة بقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من ... الآية﴾(٢).

﴿فاتقوا الله﴾ بامتثال أمره واجتناب نهيه، وترك المنازعة والاختلاف بينكم، وفعل ما يفضي إلى المصافاة والموافقة والتوادد.

﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ بالتواسي والتراحم والتساعد.

قال الزجاج(٣): البَيْنُ: الوَصْل، والمعنى: حقيقة وصْلِكُم(٤).

وقال صاحب الكشاف(٥): حقيقته أصلحوا أحوال بينكم، يعني: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال إلفة ومحبة واتفاق، كقوله: ﴿بذات الصدور﴾ [الأنفال:٤٣] وهي مضمراتها، لما كانت الأحوال ملابسة للبَيْن قيل لها: ذات البَيْن، كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريد ما في الإناء من الشراب.

﴿وأطيعوا الله﴾ في حكمه وقضائه، ﴿ورسوله﴾ في إنفاذ ما أمر به وأمضى به، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ كاملي الإيمان.

---

(١) في الأصل: انتضام.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٩٢-٩٣)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٤٣-٣٤٤).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٠).

(٤) الصِّلات والروابط التي بينكم.

(٥) الكشاف (٢/ ١٨٥).

ثم وصف المؤمنين الكاملي الإيمان فقال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: ذكرت عظمته وقدرته وعز سلطانه وشدة عقابه وبطشه بالعصاة من خلقه قرعت قلوبهم.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر:٢٣]؟

قلتُ: الذِّكر الذي نيط به الوجل هاهنا: هو ذكر الصفات الدالة على العظمة والجبروت على ما ذكرناه. والذِّكر الذي نيط به لين الجلود والقلوب: الرحمة والرأفة والعفو، ونحو ذلك.

فصل يتضمن الإشارة إلى ذكر جماعة من الخائفين

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن الحسن البصري رحمه الله قال: صحبتُ أقواماً كانوا بحسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أخوفَ منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها[١].

وبإسناده عن إبراهيم التيمي: أنه كان يذكر في منزل أبي وائل، فكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطير[٢].

وبإسناده عن مالك بن دينار أنه قال: لو استطعتُ أن لا أنام لم أنم، مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدتُ أعواناً لفرَّقتهم يُنادون في منار الدنيا كلِّها: يا أيها الناس! النار النار[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣١٨-٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٨٧).

وبإسناده عن بشر بن منصور قال: كنت أوقد بين يدي عطاء السلمي في غداة باردة، فقلت له: يا عطاء! أيسرّكَ الساعة لو أنك أمرتَ أن تلقيَ نفسك في هذه النار ولا تبعث إلى الحساب؟ قال: فقال لي: إي ورب الكعبة. قال: ثم قال: والله لو أمرت بذلك لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها[١].

وبإسناده عن أبي خباب القصاب -قلت: واسمه عون بن ذكوان البصري- قال: صلّى بنا زرارة بن أوفى صلاة الصبح فقرأ: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر:١] حتى إذا بلغ: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ [المدثر:٨] خَرَّ مَيتاً[٢].

سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي يقول: أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصبهاني في كتابه، قال: أخبرنا عبدالرزاق بن محمد بن الشرابي، [أخبرنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أخبرنا علي بن أحمد بن علي الواقدي][٣]، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى يقول: سمعت محمد بن إسحاق السراج يقول: [سمعت][٤] محمد بن خلف يقول: حدثني يعقوب بن يوسف قال: كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه -يعني:

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الزهد. والحديث أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٥٢٢-٥٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١٦). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٠٢).

(٣) زيادة من التوابين (ص:٢٠٩).

(٤) زيادة من التوابين، الموضع السابق.

في الصلاة- مرّ ولم يقف ولم يخوف، وإذا علم أنه ليس خلفه تنوّق[(١)] في القرآن وحزّن وخوّف، فظن يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين﴾ [المؤمنون:١٠٦]، فخرّ عليٌّ مغشياً [عليه][(٢)]، فلما علم أنه خلفه وأنه قد سقط تَجَوَّزَ في القراءة، فذهبوا إلى أمه، فقالوا: أدركيه، فجاءت فرشّت عليه ماء فأفاق، فقالت لفضيل: أنت قاتلُ هذا الغلام عليّ، فمكث ما شاء الله، فظن أنه ليس خلفه فقرأ: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر:٤٧]، فخرّ ميتاً، وتَجَوَّزَ [أبوه][(٣)] في القراءة، وأتيت أمه فقيل لها: أدركيه، فجاءت فرشَّت عليه ماء فإذا هو ميت، رحمه الله[(٤)].

وقال أبو طارق: شهدتُ ثلاثين رجلاً ماتوا في مجالس الذِّكر يمشون بأرجلهم صحاحاً إلى المجلس وأجوافهم والله قرحة، فإذا سمعوا الموعظة انصدعت قلوبهم، فماتوا[(٥)].

وقال إبراهيم بن عيسى: ما رأينا أطول حزناً من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة[(٦)].

---

(١) تَنَوَّق: من التنوّق في الشيء إذا عُمل على استحسان وإعجاب به، يقال: تنوَّقَ وتأنَّق (اللسان، مادة: توق).

(٢) زيادة من التوابين (ص:٢٠٩).

(٣) في الأصل: أبو. والتصويب من التوابين، الموضع السابق.

(٤) أخرجه ابن قدامة في التوابين (ص:٢٠٩).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٣٢).

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٣٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب، فما أشتهيه[(١)].

قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾، قال ابن عباس: تصديقاً ويقيناً[(٢)]، يريد -والله أعلم- أن بسماع القرآن تتظاهر الأدلة عند المؤمنين، فتزداد نفوسهم إيقاناً وإيماناً وطمأنينة.

وقيل: المعنى أنه كلما تجدد نزول القرآن فتلي عليهم تجدد إيمانهم به، فازدادوا إيماناً على إيمانهم.

وقيل: المراد به زيادة العمل، كما جاء في الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[(٣)].

﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال ابن عباس: بالله يتقون لا يرجون غيره[(٤)].

ثم وصفهم ونعتهم بمواطأة الجوارح للقلوب في العبادة والطاعة فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ أي: إيماناً حقاً.

---

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٥)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٤٧)، وابن رجب في كتاب التخويف من النار (١/ ١١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٦٣ ح٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقيل: هو مصدر مؤكد للجملة التي هي ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾، كقولك: هو عبد الله حقاً، أي: حق ذلك حقاً.

قال ابن عباس: نقول: برئوا من الكفر[١].

وقال مقاتل[٢]: أولئك هم المؤمنون لا شكَّ في إيمانهم كَشَكِّ المنافقين.

فصل

قال الزمخشري[٣]: كان أبو حنيفة ممن لا يستثني في الإيمان.

قلت: والذي عليه جمهور السلف شرعية الاستثناء في الإيمان، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لا على معنى الشك في إيمانه واعتقاده من حيث علمه بنفسه، فإنه فيه على يقين وبصيرة، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة وخفاء علم الله فيه عليه. فإنَّ أمر السعادة والشقاوة ينبني على ما يعلم الله من عبده، لا على ما يعلمه العبد من نفسه، والاستثناء يكون في المستقبل وفيما خفي عليه أمره، لا فيما مضى وظهر، فإنه لا يسوغ في اللغة لمن يتيقن أنه أكل وشرب، أكلت إن شاء الله، وشربت إن شاء الله. ويصح أن يقول: آكلُ إن شاء الله، وأشربُ إن شاء الله. ولو قال: أنا مؤمن، من غير استثناء، يريد أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فجائز. ولو أراد أنه مؤمن عند الله لم يجز.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٨٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤).

(٣) الكشاف (٢/ ١٨٦).

قال سفيان الثوري: من كره أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فهو عندنا مرجئ.

قوله تعالى: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ قال عطاء: درجات الجنة يرقونها بأعمالهم، ﴿ومغفرة﴾ لذنوبهم، ﴿ورزق كريم﴾ وهو ما أُعدّ لهم من النعيم[(١)].

قال سفيان الثوري رحمه الله: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة، فقد آمن بنصف هذه الآية[(٢)].

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ الكاف[(٣)] في "كما" جائز أن يكون في موضع رفع خبر مبتدأ تقديره: هذه الحال التي كرهوها يوم بدر مما يتعلق بالغنائم مثلُ إخراجك، وجائز أن يكون في موضع نصب نعتاً لحقاً، تقديره: أولئك هم المؤمنون حقاً مثلَ إخراجك، أو صفة لمصدر الفعل المقدر تقديره: قل

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٤٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٢١).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٢٢٩).

(٣) اختلف المفسرون في الكاف على عشرين قولاً. انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٥٦)، والدر المصون (٣/ ٣٩٤-٣٩٦).

الأنفال استقرّت وثبتت لله والرسول ثباتاً مثلَ ثبات إخراجك من بيتك وهم كارهون[١].

وقيل: الكاف متعلقة بقوله: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا﴾ تقديره: فاتقوا الله وأصلحوا فإنه خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه خيراً لكم وأنتم كارهون.

وقوله: ﴿من بيتك﴾ يحتمل وجوهاً:

أحدها: مكة، فيراد بالإخراج: الهجرة إلى المدينة.

الثاني: المدينة؛ لأنها مهاجره ومسكنه، فهي لاختصاصها به كبيته الذي يسكنه.

الثالث: بيته بالمدينة، وهذان الوجهان أصح من الأول.

قوله تعالى: ﴿بالحق﴾ أي: إخراجاً ملتبساً بالحق والحكمة.

﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ في موضع الحال[٢]، أي: [أخرجك][٣] في حال كراهتك. وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً، منهم أبو سفيان، وعمرو بن العاص، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ، فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقي العير؛ لكثرة الخير وقلة الرجال، فلما خرجوا بلغ أبا سفيان، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري سريعاً إلى مكة ليُشعر قريشاً، فرقى أبو جهل فوق الكعبة ونادى: يا أهل مكة النجا النجا على كل صعب

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٣)، والدر المصون (٣/ ٣٩٤-٣٩٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٣)، والدر المصون (٣/ ٣٩٦).

(٣) في الأصل: أخرك.

وذلول، عيركم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً، فغضبوا وانتدبوا وتنادوا: لا يتخلف منا أحد إلا هدمنا داره.

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبر بهم، وبعث ﷺ عيناً له من جهته يدعى ابن أريقط، فأتاه بخبر القوم، وطلب أبو سفيان سِيفَ[1] البحر ونجا بالعير، وكتب إلى أبي جهل: إن كنتم لِتحرزوا عيركم فقد أحرزتها لكم، فارجعوا. فقال أبو جهل: لا والله لا نرجع حتى ننزل بدر فننحر الجزور، ونشرب الخمور، ونقيم القَيْنات[2] والمعازف، فتتسامع العرب بخروجنا، وأن محمداً لم يُصب عيرنا.

ونزل جبريل فقال: يا محمد إن الله وعدك إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشاً، فكان العير أحبَّ إليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن العير قد مضت إلى ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل على كل صعب وذلول، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير، فإنا لم نخرج لقتال ولم نتهيأ له، فغضب رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا فأحسنا، وقام المقداد فقال: امض لما أمرك الله، فإنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف، والله لو سرتَ بنا إلى برك الغماد -يعني: مدينة الحبشة- لجالدنا معك حتى تبلغه، فضحك رسول الله ﷺ، ثم استشار أصحابه فقال: أشيروا عَلَيَّ أيها الناس -كأنه يريد الأنصار-، فقام سعد بن معاذ فقال:

---

(١) في هامش الأصل: قال في الصحاح: السِّيف -بكسر السين-: هو ساحل البحر.
(٢) القَيْنة: الأَمَة المُغنّية (اللسان، مادة: قين).

لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال: أجل، فقال: والذي بعثك بالحق، لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضّته لخضناه معك، وإنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فَسِرْ بنا على بركة الله.

وقال سعد بن عبادة: والله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار، فحينئذ قال رسول الله ﷺ: سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم[1].

فكان أوَّل مشهدٍ أعزّ الله فيه الإسلام، وقُتل من صناديد قريش سبعون، وأُسِرَ منهم سبعون.

في ذلك تقول عاتكة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ صاحبة الرؤيا، وكانت رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث، كأن راكباً أقبل على بعير ينادي: انفروا لمصارعكم يا آل رعل[2] "ثلاث"، ثم مثل بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بمثلها، ثم علا على أبي قبيس فأخذ صخرة فرمى بها فارفضّت، فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا دخلته فلقةٌ منها، فقصت رؤياها على العباس، فحدّث بها العباس الوليد بن عتبة وكان صديقاً له، فنمى الحديث إلى أبي جهل، فمرَّ به العباس وهو في ناديه فقال: يا أبا الفضل! إذا قضيتَ طوافك فمر بنا. فلما قضى طوافه أتاهم، فقال له أبو جهل: يا أبا الفضل! متى حدثت هذه النبيّة فيكم؟ أما ترضون أن تتنبّأ رجالكم

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٨٥-١٨٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦-١٧) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) في بعض الروايات: آل غدر.

حتى تنبّأت نساؤكم، والله لنعدنّ ثلاثاً، ثـم لنكتبنّ عليكم كتاباً أنكم أكذب العرب.

قال العباس: فلما أمسيتُ لم يبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أقبلت تلومني وتقول: ما يرضى هذا الخبيث أن يقع في رجالكم حتى وقع في نسائكم، وليس عندكم كبير غيرة، فقلت لهن: والله لا تعرضن له، ولئن عاد لأكفينكُنّه، فخرجتُ في اليوم الثالث فدخلت المسجد، فلما رآني أقبل خارجاً يشتد فقلتُ: ما له لعنه الله، وإذا بالخبيث قد سمع ما لم أسمع، سمع ضمضم بن عمرو الغفاري قد جدع بعيره، وَحَوَّلَ رداءه يصرخ ويقول: يا معشر قريش! اللطمة اللطمة، قد عرض لها محمد وأصحابه وما أراكم تدركونها، العرب العرب، فجمعوا وحشدوا ولم يتخلفْ أحد من عظمائهم إلا لعذر فيستنيب من يقومُ مقامه، وكانت وقعةُ بدر[1].

فقالت عاتكة[2]:

ألم تكن رؤياي حقاً ويأتكم ... بتأولها فل من القوم هارب

رأى فأتاكم باليقين الذي رأى ... بعينيه ما يفري السيوفَ القواضب

فقلتم ولم أكذب كذبت وإنما ... يُكذبني بالصدق من هو كاذب

وما جاء إلا رهبة الموت هارباً ... حكيم وقد أعيت عليه المذاهب

إلى أن قالت:

---

(١) ذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧-١٨).

(٢) انظر الأبيات في: مجمع الزوائد (٦/ ٧٢)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ٣٤٨).

فما بال قتلى في القليب ومثلهم لدى ابن أخي أسرى له ما تضارب
أكانوا نساء أم أتى لنفوسهم من الله حين ساق فالحين جالب
فكيف رأى يوم اللقاء محمداً بنو عمه والحرب فيها التجارب
ألم يغشهم ضرباً يحار لوقعه الجَنان وتبدو بالنهار الكواكب
حَلَفْتُ لئن عادوا لنَصْطَلِمَنَّهُمْ بِجَأْواءَ[1] تُرْدِي حجرتيها المَقَانِبُ

قوله تعالى: ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ إن قلنا: "من بيتك": يريد به مكة، فالذي كرهوه فراق الأولاد والأهل والأموال.

وإن قلنا: يريد ببيته المدينة أو بيته منها: فالذي كرهوه؛ ما فاتهم من العير وابتلوا به من جهاد النفير، وهذه الكراهية طَبَعِيَّة لا شرعية؛ لأنها لو كانت شرعية لسلبتهم وصف الإيمان.

﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾ أي: بعدما ظهر وصحّ لهم من أنهم ينصرون على أعدائهم، وأن العاقبة لهم، وكانت مجادلتهم أنهم قالوا للنبي ﷺ: إنما خرجنا للعير ولم نتأهب للنفير.

﴿كأنما يساقون﴾ وأنت سائر بهم إلى النصر والظفر والغنيمة والاستعلاء على أعدائهم ﴿إلى الموت﴾ لما لابسهم من الرعب، ﴿وهم ينظرون﴾ أسبابه، فإن من يُساق إلى الموت عالماً به أسوأُ حالاً وأعظم قلقاً وأكثر ألماً ممن يفاجأ به. هذا قول جمهور العلماء.

---

(١) يقال: كتيبة جَأْواء: وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع. والمعنى: أي: بجيش عظيم تجتمع مقانِبُه من أطرافه ونواحيه (اللسان، مادة: جأي، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٢٣٣).

ويجوز عندي: أن يكون قوله: ﴿وهم ينظرون﴾ حالاً من الضمير المرفوع في "يجادلونك"، على معنى: يجادلونك وحالهم أنهم ينظرون براهين صدقك ودلائل نصرك.

وشذّ ابن زيد فقال: ﴿يجادلونك﴾ يعني: المشركين، ﴿في الحق﴾ يريد: التوحيد، ﴿بعدما تبين كأنما يساقون﴾ إذا دعوتهم إلى التوحيد ﴿إلى الموت﴾ لكراهتهم إياه(١).

قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله﴾ "إذ" نصب بإضمار "اذكروا"(٢)، ﴿إحدى الطائفتين﴾ العير أو النفير.

قوله: ﴿أنها لكم﴾ بدل من "إحدى"، وهو بدل الاشتمال(٣).

﴿وتودون أن غير ذات الشوكة﴾ أي: غير ذات السلاح، تقول: فلان شاكِ السلاح، بالتخفيف، كقوله: شاكي السلاح؛ بطل مجرِّب، وشائك وشاكٌّ في السلاح، بتشديد الكاف.

قال أبو عبيدة وغيره(٤): مجازُ الشوكة: [الحدّ](٥)، مستعار من واحدة الشوك. يقال: ما أشدَّ شوكةَ بني فلان، أي: حدَّهم.

والمعنى: تحبون وتتمنون أن العير لكم، رغبة في المال ورهبة من القتال.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٨٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٢٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٤)، والدر المصون (٣/ ٣٩٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٤١).

(٥) في الأصل: الحدة. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق.

﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ فيعلي مناره ويظهر أنواره ﴿بكلماته﴾ أي: بِعِدَاته السابقة بنصر أوليائه وقهر أعدائه، ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ مُفَسَّرٌ في الأنعام.

قوله تعالى: ﴿ليحق الحق﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق، ﴿ويبطل الباطل﴾ فعل ذلك، وقيل: هو متعلق بقوله: ﴿ويقطع﴾.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ بدل من قوله: ﴿إذ يعدكم الله﴾[1]. ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾.

والمعنى: إذ تجأرون إلى الله طالبين منه النصر والغوث على عدوكم لقلة عَدَدِكُم وعُدَدِكُم.

صَحَّ عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبيُّ الله القبلة، ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه، يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبدُ في الأرض، فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبِيه، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله

(١) انظر: التبيان (٢/ ٤)، والدر المصون (٣/ ٣٩٧).

كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجزُ لك ما وعدك. فأنزل الله: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ فأمده الله تعالى بالملائكة»[١].

قوله: «وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر» قول يخالف أكثر ما عليه أهل العلم على اختلافهم في العدد.

قال ابن إسحاق: كانوا ثلثمائة وأربعة عشر.

وقال أبو معشر والواقدي: ثلثمائة وثلاثة عشر.

وقال موسى بن قتيبة: ثلثمائة وستة عشر[٢].

وقوله عليه السلام: «أنجز لي ما وعدتني» قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله[٣]: لم يكن حَدَّ له وقتاً معيناً في النصر، فسأل تعجيل ما وعد به.

والذي يظهر لي أنه ﷺ استنجز ما وُعد به من النصر في قوله: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم﴾ مقروناً بسلامة أصحابه الذين وعوا عنه ما جاء به، وقاموا بنصر دينه، وترشَّحوا للنيابة عنه في دعائه الخلق إلى الله، ألا تراه يقول: «إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض» أي: لا تُطاع حق طاعتك؛ لأن العبادة تستلزم العلم، وهؤلاء حملة العلم ودعاة عبادك إليك، فيذهب دينك أو يقل بذهابهم.

وفي إلحاحه أيضاً في الدعاء حكمة بالغة، وهو تقوية قلوب أصحابه؛ لعلمهم واعتقادهم أن الله تعالى لا يرد سؤال رسوله لكرامته عليه.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٣-١٣٨٤ ح١٧٦٣).

(٢) ذكره ابن سعد في طبقاته (٣/ ٦٠١).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٢٥).

وقول أبي بكر وفعله لم يكن لأن حاله في الثقة بالله أقوى من حال المؤيد بالوحي والعصمة رسول الله ﷺ، كَلاَّ ولما، لا يجوز أن يتوهم ذلك متوهّم أو يظنّه ظانّ، وإنما كان الصدّيق واسطة عقد الصحابة سناً وقدراً وحلماً وسناء وفضلاً وعلماً، وكان أقدَمهم سبقاً وأعظمهم حقاً، فبادر بإيمانه الراجح، وعلمه الواضح، وثقته بصدق ما وُعدوا به من الظَّفَر وبإجابة الله دعاء رسوله إلى تذكير النبي ﷺ بما يوجب إراحة قلبه الكريم، وإراحة أفكاره المؤملة التي أوجبها فرط شفقته على أمته، وما ينطوي عليه من الحرص على إعلاء كلمة الإيمان، وإعدام عبدة الأوثان، وتسكين قلوب أصحابه في ذلك الوقت الذي هو مظنة تقلقل القلوب وتزلزل [الأقدام][(١)]، فرضي الله عن أبي بكر ما كان أكثر توفيقه وأعظم تحقيقه وتصديقه وأكرم طباعه وأطول في الفضائل باعه.

قوله تعالى: ﴿فاستجاب لكم أني﴾ بأني، فلما سقطت الباء وتسلط الفعل فنصب.

وقرأ عيسى بن عمر: "إني" بالكسر[(٢)]، على إضمار القول، أو أن الاستجابة ضرب من القول.

﴿ممدكم بألف﴾ وقرأ الضحاك وأبو رجاء: "بآلاف" على الجمع[(٣)].

وقرأ أبو العالية وأبو المتوكل: "بألوف" على صيغة الجمع أيضاً[(٤)].

---

(١) في الأصل: الأقام.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٦٠)، والدر المصون (٣/ ٣٩٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣٢٦).

(٤) مثل السابق.

وقرأ الجحدري: "بأُلُف" بضم الألف واللام من غير واو[١].

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران الجوني: "بيلف" بياء مفتوحة، على قلب الهمزة إلى جنس ما قبلها[٢].

وقد ذكرنا عددهم وما قيل فيه في آل عمران[٣].

﴿من الملائكة مردفين﴾ قرأ نافع: "مُرْدَفين" بفتح الدال، أي: متبعين بآخرين، أو أردف الله المسلمين بهم[٤]، وهو معنى قول مجاهد[٥].

وقرأ الباقون بكسر الدال[٦].

قال ابن عباس: متتابعين[٧].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٣/ ٣٢٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم ...﴾ [الآية:١٢٥].

(٤) قال الطبري (٩/ ١٩٢): وهو قول لا معنى له، إذا الذكر الذي في "مردفين" من الملائكة دون المؤمنين، وإنما معنى الكلام: أن يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض، ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمى فاعله، فقيل: مردفين، بمعنى: مردف بعض الملائكة ببعض، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في المردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٩١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٢٩٠)، و الحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٧)، والكشف (١/ ٤٨٩)، والنشر (٢/ ٢٧٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٤).

(٧) أخرجه الطبري (٩/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٢٦).

يعني: يتبع بعضهم بعضاً، أو أنهم جاؤوا بعد المؤمنين. يقال: رَدَفَهُ وأَرْدَفَهُ، إذا جاء بعده[١]. قال الله تعالى: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ [النمل:٧٢]، أي: ردفكم. قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا[٢]

أي: جاءت طالعةً بعدها.

وقرأ معاذ القارئ وأبو المتوكل وأبو مجلز: "مُرَدَّفِين" بفتح الراء وتشديد الدال وفتحها[٣]، بصيغة التكثير، على معنى: مُتْبَعِينَ بأمثالهم.

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران بالتشديد مع ضم الراء وكسر الدال[٤].

وقرئ بكسر الراء والدال مع التشديد، أصلها: مرتدفين، فأدغمت تاء الافتعال في الدال، فاجتمع ساكنان الراء والدال، فمن ضم الراء فعلى الاتباع لضمة الميم، ومن كسرها فعلى الأصل، أو لاتباع كسرة الدال.

وقال الزجاج[٥]: يجوز في الراء مع تشديد الدال: كسرها وفتحها وضمها، والدال مُشدَّدَة مكسورة على كل حال. والراء يجوز فيها الفتح والكسر والضم.

---

(١) اللسان، مادة: (ردف).

(٢) البيت لخزيمة بن مالك بن نهد. انظر البيت في: الطبري (٩/ ١٩١)، والقرطبي (١٣/ ٢٣٠)، واللسان، مادة: (ردف).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٢٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٣).

قال الزجاج[(١)]: قال سيبويه[(٢)]: الأصل: مُرْتَدِفِينَ، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُرُدِّفين؛ لأنك طرحت حركة التاء على الراء، وعَلَّل ضم الراء بالاتباع، وكسرها على أصل التقاء الساكنين.

والآية التي بعدها مفسرة في آل عمران[(٣)].

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إذ يغشاكم النعاسُ﴾ بدل ثان من ﴿وإذ يعدكم الله﴾، أو منصوب بـ"النصر"، أو بإضمار "اذكروا"، أو على معنى: ما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت[(٤)].

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٣).

(٢) انظر: الكتاب (٤/ ٤٤٤).

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾ [آل عمران:١٢٦].

(٤) انظر: التبيان (١/ ١٥٤)، والدر المصون (٣/ ٤٠١).

قرأ أهل الكوفة وابن عامر: "يُغَشِّيكم" بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين وتشديدها وبياء بعدها، و"النعاسَ": بالنصب. ومثلهم قرأ نافع، إلا أنه خفف الشين.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يَغْشَاكم" بفتح الياء وسكون الغين وتخفيف الشين وألف بعدها بدل الياء، "النعاسُ" بالرفع[1].

﴿أَمَنَةً﴾ مفعول لأجله[2]، وهو مصدر أَمِنَ يَأْمَنُ أَمْناً، و"أَمَنَة" بفتح الميم وسكونها[3].

﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ وذاك أن المسلمين نزلوا على كثيب أخضر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب على غير ماء، فاحتلم أكثرهم وصلوا مُحْدِثين، وأصابهم العطش، فوسوس لهم الشيطان وقال: تزعمون أنكم أولياء الله [وفيكم][4] رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء، وما ينتظرون بكم إلى أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم وثبوا عليكم قتلاً وأسراً، [فحزن][5] المسلمون حزناً شديداً، فأرسل الله عز وجل مطراً سال منه الوادي، فشربوا وتطهروا، واتخذ رسول الله ﷺ وأصحابُه الحياض على عُدْوة الوادي[6]،

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٨)، والكشف (١/ ٤٨٩)، والنشر (٢/ ٢٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٤).

(٢) انظر: التبيان (١/ ١٥٤)، والدر المصون (٣/ ٤٠٢).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (أمن).

(٤) في الأصل: فيكم.

(٥) في الأصل: فحز.

(٦) عُدْوةُ الوادي: جانبه وحافّته (انظر: اللسان، مادة: عدا).

وذهب عنهم وسواس الشيطان، فذلك قوله: ﴿ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ يعني: كيده وما خامر نفوسهم من القلق حين خوفهم بالعطش [والقتل][(١)].

﴿وليربط على قلوبكم﴾ الربط: الشدّ، وهو هاهنا مجاز عن استحكام الصبر وقوة اليقين.

﴿ويثبت به﴾ أي: بالماء النازل من السماء ﴿الأقدام﴾ كيلا تسوخ في الرمل، فإن الأرض تلبدت به.

وقيل: الضمير في قوله: "به" يعود إلى الربط، التقدير: ويثبت أقدامكم بالربط على قلوبكم.

قوله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك﴾ بدل ثالث من ﴿وإذ يعدكم الله﴾، أو هو منصوب بـ"يثبت"، أو بـ"يربط" أو بإضمار "اذكروا"[(٢)].

والمعنى: إذ يوحي ربك إلى الملائكة الذين أمدّ الله بهم المؤمنين وأيدهم بهم. قال ابن عباس: ألهمهم ذلك[(٣)].

"أني" مفعول "يوحي"[(٤)]، والمعنى: أني معكم بالنصر والتثبيت.

﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ قال الحسن: بالقتال معهم[(٥)].

---

(١) في الأصل: والتقل. انظر: زاد المسير (٣/ ٣٢٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٠٣).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٢٩).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٠٣).

(٥) الماوردي (٢/ ٣٠١)، والوسيط (٢/ ٤٤٨)، وزاد المسير (٣/ ٣٢٩).

وقال مقاتل[١]: بشروهم بالنصر، فكان المَلَك يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا، فإن الله ناصرُكم.

وقال الزجاج[٢]: جائز أن يكونوا يثبتونهم بأشياء يلقُونها في قلوبهم تقْوَى بها، وجائز أن يكونوا يروْنهم مدَداً، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا.

وقوله: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ بيان لمعنى قوله: ﴿أني معكم﴾.

قال ابن السائب: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السوائي عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم كيف كان، [كان][٣] يأخذُ الحصا فيرمي به الطشت فيطنّ، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا[٤].

قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين يُقصدُ بالضرب من الناس، فعلّمهم الله تعالى ذلك، فقال: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾[٥].

فعلى هذا هو خطاب للملائكة، وقيل: هو خطاب للمؤمنين. والمعنى: اضربوا الهامَ والوُجوهَ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٨).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٤).

(٣) زيادة من المصادر التالية.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٣٧ ح٦٢٣)، والطبري (١٠/ ١٠٣)، وعبد بن حميد (١/ ١٦٣).

قال الهيتمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٨٣): ورجاله ثقات.

(٥) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٢٩).

وقال جماعة منهم الضحاك والأخفش وابن قتيبة: "فوق" صلة، تقديره: فاضربوا الأعناق[١].

وقال أبو عبيدة[٢]: "فوق" بمعنى: على، تقول: ضربته فوق الرأس وعلى الرأس بمعنى.

﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ قال ابن الأنباري: البنان: أطراف الأصابع، فاكتفى به عن ذكر الأيدي والأرجل[٣].

وقال الزجاج[٤]: أباحهم الله قتلهم بكل نوع يكون في الحرب. واحِدُ البنان: بنانَة، ومعناه هاهنا: الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء. واشتقاقه من قولهم: أَبَنَّ بالمكان؛ إذا أقام به، [فالبناء][٥] به يعْتَمل كل ما يكون للإقامة والحياة.

فصل

الذي ذهب إليه جمهور العلماء وشهدت الأخبار والآثار بصحته: أن الملائكة قاتلت يوم بدر، ففي الصحيحين من حديث سماك الحنفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ -يعني: يوم بدر- يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم

---

(١) معاني الأخفش (ص:٢٠٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٧٧). وانظر: زاد المسير (٣/ ٣٣٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٤٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٣٠).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٥).

(٥) في الأصل: فالبنان. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه خرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد [خطم][(١)] أنفه، وشق وجهه بضربة كضربة السوط، فاخضرّ ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدّث بذاك رسول الله ﷺ. فقال: صدقتَ، ذاك من مدد السماء الثالثة»[(٢)].

وفي أفراد البخاري عنه أيضاً: «أن النبي ﷺ قال يوم بدر: هـذا جبريـل آخـذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب»[(٣)].

وقد ذكرنا في سورة آل عمران قول أبي واقد الليثي[(٤)].

وقال سهل بن حنيف: لقد رأيت يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف[(٥)].

وقال أبو جهل لابن مسعود: من أين كان يأتينا الضرب ولا ندري الشخص؟ فقال: من قبل الملائكة، فقال: هم غلبونا لا أنتم.

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «كنتُ غلاماً للعباس بـن عبـد المطلـب، وكان الإسلام قد دخلنا، وأسلمت أمُّ الفضل وأسلمت، وكـان العبـاس يهـاب قومه ويكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير فنفر مع قومه، وكان عدوُّ الله أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاء الخبر بمصاب أهل بـدر مـن قـريش كبتـه الله وأخـزاه، ووجدنا نحن في أنفسنا قوة وعزاً، فبينا أنا أنحـتُ القِـداح في حجـرة زمـزم وأمُّ

(١) في الأصل: حطم. والتصويب من الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٤-١٣٨٥ ح١٧٦٣). ولم أقف عليه عند البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦٨ ح٣٧٧٣).

(٤) عند تفسير الآية رقم: (١٢٥).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٧٤ ح٥٥٥٦)، والحاكم (٣/ ٤٦٣ ح٥٧٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣) وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه.

الفضل جالسة عندي، أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس وظهرُه إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبو لهب: هلم يا ابن أخي، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ فقال: والله ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وايم الله! مع ذلك ما لمتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: تلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته[1] فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فضربتْه أم الفضل بعمودٍ ضربة فلقت رأسه شجة منكرة، وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده، فقام مُوَلِّياً ذليلاً، فالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[2] فقتلته. ولقد تركه أبناؤه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن، وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان، إن أباكما قد أنتن في بيته ولا تُغَيِّبانه، فقالا: نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فأنا معكما، فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه، ثم حملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار قذفوا عليه الحجارة حتى واروه»[3].

---

(١) ثار إليه ثوراً وثوراناً: وثب. والمُثاورة: المواثبة (اللسان، مادة: ثور).

(٢) العدسة: بَثْرة تشبه العَدَسة تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالباً (اللسان، مادة: عدس).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٣ ح٥٤٠٣)، والطبراني في الكبير (١/ ٣٠٨ ح٩١٢).

وروى مقسم عن ابن عباس قال: «كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ: كيف أسرتَ العباس يا أبا اليسر؟ فقال: يا رسول الله أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا. قال رسول الله ﷺ: لقد أعانك عليه ملك كريم»[1].

قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي: ذلك الضرب بأنهم حاربوا الله ورسوله، ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾.

قال الزجاج[2]: يشاقّ ويشاقِق جميعاً، إلا أنها هاهنا بإظهار التضعيف مع الجزم لغة أهل الحجاز، وغيرهم يدغم، فإذا أدغمت قلت: من يشاقّ زيداً أُهِنْه، بفتح القاف، لأن القافين [ساكنتان][3] فحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين، ولأن قبلها ألفاً. وإن شئت كسرت قلت: ومن يشاقِّ زيداً، كسرت القاف؛ لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، فإذا استقبلَتْها ألف ولام اخترت الكسر، فقلت: ومن يشاقِّ الله، ويجوز: ومن يشاقَّ الله، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

قوله تعالى: ﴿ذلكم فذوقوه﴾ "ذلكم" في محل الرفع، على معنى: ذلكم العقاب، أو العقاب ذلكم، أو في محل نصب، كقولك: زيداً فاضْرِبْهُ[4].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٥٣ ح٣٣١٠)، والطبري (٤/ ٧٨). وذكره الهيثمي في مجمعه (٦/ ٨٥) وعزاه لأحمد.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٥).

(٣) في الأصل: ساكنان. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٥)، والدر المصون (٣/ ٤٠٥-٤٠٦).

﴿وأن للكافرين عذاب النار﴾ في فتح "أنَّ" وجهان، أحدهما: الرفع، على معنى: ذلكم فذوقوه وذلكم أن للكافرين عذاب النار. والآخر: النصب؛ إما بفعل مضمر تقديره: واعلموا أن للكافرين. وإما أن يكون التقدير: وبأن للكافرين، فلما حذفت الياء انتصب، وإما أن تكون الواو بمعنى: مع، تقديره: ذوقوا هذا العذاب العاجل، مع أن لكم في الآجل عذاب النار. فوُضع الظاهر موضع المضمر[1].

وقرأ الحسن البصري: "وإنّ" بالكسر على الاستئناف[2].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً﴾ أي: متزاحفين، فهو نصب على الحال، إما من "الذين كفروا" أو من الفئتين[3]، أي: لقيتموهم متزاحفين أنتم وهم.

والزحف: الجيش الذي يبين لكثرته كأنه يدب ويزحف قليلاً قليلاً، سمي بالمصدر، والجمع: زحوف.

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٠٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٦٧).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٥)، والدر المصون (٣/ ٤٠٧).

﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي: لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم، فهو نهي للمؤمنين عن الهزيمة إذا لقوا الكفار، فإنها من الكبائر، على ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ في النساء[١].

﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ يعني: منهزماً، بدليل قوله: ﴿إلا متحرفاً لقتال﴾، و"متحرفاً" نصب على الحال من الضمير المرفوع في ["يولّهم"][٢]، ومثله: ﴿أو متحيزاً﴾ ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء[٣]، على معنى: إلا رجلاً متحرفاً.

والمعنى: إلا متعطفاً لانتهاز فرصة يبادرها فَيَفِرّ ثم يكرّ، وهو ضرب من خدع الحرب لا تعده الأبطال عاراً ولا شناراً، وكذلك المتحيز وهو الذي ينضم إلى فئة، أي جماعة يعتصم بهم لا يكون توليه عن القتال عند العجز إثماً ولا عاراً أيضاً، بل ربما عَدُّوا الثابت في مركز القتال عند تيقن الهلكة وعدم النكاية في العدو سفهاً وخبلاً في العقل. والمعيّر حسان بن ثابت رضي الله عنه الحارث بن هشام رضي الله عنه حين فرّ يوم بدر وهو على دين قومه هزيمته وتركه نصر قومه فقال[٤]:

أنت كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجا الحارث بن هشام
ترك الأحبة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

أجابه الحارث معتذراً فقال:

---

(١) الآية رقم: (٣١).

(٢) في الأصل: توليهم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٥)، والدر المصون (٣/ ٤٠٨).

(٤) انظر الأبيات في: المستدرك (٣/ ٣١٣)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٩٧)، والإصابة (١/ ٦٠٦)، والاستيعاب (١/ ٣٠١-٣٠٢).

القوم أعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
ووجدت ريح الموت من تلقائهم في مأزق والخيل لم تتبدد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً أُقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدفت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

وكان الأصمعي يقول: ما قيل في الاعتذار من الفرار أحسن من هذه الأبيات.

وقال خلف الأحمر: أبيات عمير بن وهب[١] أحسن منها[٢]:

لعمرك ما وليت ظهري محمداً وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي
وقفتُ فلما خفت ضيعة موقفي رجعت لعودٍ كالهزبر أبي الشبل

أخبرنا الشيخان شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري بقراءتي عليه ببغداد قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان [الكرجي][٣]، أخبرنا القاضي أبو بكر [أحمد][٤] بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب

---

(١) في السيرة النبوية والاستيعاب: هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ.
(٢) انظر الأبيات في: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٢٩)، والاستيعاب (٤/ ١٩٦٣).
(٣) في الأصل: الكرخي. والصواب ما أثبتناه. وقد سبقت ترجمته.
(٤) في الأصل: أحمد. والصواب ما أثبتناه. وقد سبقت ترجمته.

الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان المرادي، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسول الله ﷺ، فحاص المسلمون حيصة، فأتينا المدينة فقلنا: يا رسول الله، نحن الفرّارون. قال: بل أنتم العَكّارون، وأنا فيئتكم»(١). قال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث [يزيد](٢) بن أبي زياد.

قوله: "فحاص الناس حيصة" أي: حادوا. والعَكّارون: العائدون إلى القتال. يقال: عكر على الشيء؛ إذا عطف عليه(٣).

فصل

اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فذهب قوم -منهم أبو سعيد الخدري، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك-: إلى أنها خاصة في أهل بدر(٤)، أوجب الله عليهم أن يثبتوا ذلك اليوم للكفار، وتوعدهم على توليهم

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢١٥ ح١٧١٦).

(٢) في الأصل: زيد. وانظر: ترجمته في: تقريب التهذيب (ص:٦٠١).

(٣) انظر: لسان العرب، مادة: (عكر).

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ٤٦)، والنسائي في سننه الكبرى (٥/ ١٩٨)، والطبري (٩/ ٢٠١-٢٠٢) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٠) من حديث أبي سعيد، وابن أبي شيبة (٦/ ٥٤٢)، والنحاس في ناسخه (ص:٤٦٠-٤٦١) كلاهما من حديث الحسن، وعبد الرزاق (٥/ ٢٥١) من حديث قتادة والضحاك. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦-٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وأبي داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم عن أبي سعيد الخدري. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن =

فقال: ﴿ومن يولهم﴾ إلى قوله: ﴿فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ولم يكن لهم يومئذ إلا رسول الله ﷺ.

قال أبو سعيد: فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة بعض[1].

وذهب قوم إلى عمومها في كل منهزم غير متخوف ولا متحيز، قلّ العدد أو كثر، وهما مرويان عن ابن عباس[2].

قال عطاء بن أبي رباح: ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾[3]، وهذا عند الفقهاء تخصيص لا نسخ[4].

قال الإمام أحمد: لا يفرّ رجل مؤمن من رجلين كافرين، فإن كانوا ثلاثة فلا بأس[5].

= طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لعبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة وابن جرير.

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٢). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٤٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٣١).

(٣) في الأصل: فإن تكن مائة صابرة.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٣١-٣٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ. وانظر دعوى النسخ ورده في: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٤٥٩) وما بعدها، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٤٤-٣٤٦).

(٥) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٣٢).

وقال محمد بن الحسن: إذا بلغ الجيش اثنا عشر ألفاً فليس لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثروا(١). وروي نحوه عن مالك.

ووجهه: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما هزم قوم إذا بلغوا اثنا عشر ألفاً من قلة إذا صبروا وصدقوا»(٢).

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم﴾ اعلم أن هذا ليس على وجه النفي؛ لحُسن بلاء الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر، فإن الله تعالى جعلهم بذلك المشهد الذي شهدوه والبلاء الذي أبلوه أفضل أتباع رسول الله ﷺ، ولكنه على وجه التنبيه لهم بموضع النعمة عليهم بنصرهم مع ضعفهم على أضعافهم؛ لينهضوا بواجب الشكر، وليتحفظوا من خواطر العجب.

﴿ولكن الله قتلهم﴾ بإنزال الملائكة لقتالهم وإلقاء الرعب في قلوبهم، والربط على قلوبكم، وما فعل من التقليل والتكثير منكم ومنهم في أعينكم وأعينهم.

---

(١) انظر: رد المحتار، كتاب الجهاد.

(٢) أخرج نحوه أبو داود (٣/ ٣٦ ح٢٦١١)، والترمذي (٤/ ١٢٥ ح١٥٥٥)، وابن ماجه (٢/ ٩٤٤ ح٢٨٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦١١ ح١٦٢١، ٢/ ١١٠ ح٢٤٨٩)، وابن حبان (١١/ ١٧ ح٤٧١٧).

﴿وما رميت إذ رميت﴾ كان النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «ناولني كفاً من حصباء الوادي، فناوله، فرمى به في وجوه القوم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا»[(١)]، وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، فذلك قوله: ﴿وما رميت إذ رميت﴾، أي: ما بلغ رميك كفاً من حصباء الوادي أن يملأ عيون ألف رجل، فإن ذلك غير داخل في قوة البشر[(٢)]. هذا قول أكثر المفسرين.

وروى سعيد بن المسيب عن أبيه: أن المراد بذلك طعنة النبي ﷺ لأُبيّ بن خلف حين أقبل عليه يريد قتله، فلم يخرج منها دم، فأقبل عليه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان ما بي بأهل الحجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يقدم مكة، وذلك يوم أُحد[(٣)].

وذهب جماعة من المفسرين: إلى أن ذلك في قتل النبي ﷺ لابن أبي الحقيق، فرووا أنه ﷺ رمى يوم خيبر بسهم، فقتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه في حصنه[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٨٥ ح١١٧٥٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٤/ ٤٠) وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه عن جابر.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٥-٢٠٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣-١٦٧٤). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٦-٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ أي: لينعم عليهم نعمة عظيمة بالأجر والغنيمة والاستيلاء على أعدائهم.

فإن قيل: على أي شيء عطف: "وليبلي"؟

قلت: على محذوف تقديره: فَعَلَ ذلك[1]، ليكرم المؤمنين وليبليهم، أو ظهر قدرته للكافرين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً.

﴿إن الله سميع عليم﴾ سميع لأقوال الطائفتين، عليم بأعمال الفئتين.

قوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى البلاء الحسن، ومحله الرفع، ﴿وأن الله موهن﴾ معطوف على "ذلكم"[2]. والمعنى: مرادنا البلاء للمؤمنين وتوهين كيد الكافرين.

قرأ الحرميان وأبو عمرو: "مُوَهِّن" بتشديد الهاء، وخفّفها الباقون، واتفقوا على التنوين ونصب ﴿كيد﴾، إلا حفصاً فإنه قرأ بغير تنوين، والجرّ في "كيد" على الإضافة[3].

إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين:

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٠٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٢٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٠٩-٣١٠)، والكشف (١/ ٤٩٠)، والنشر (٢/ ٢٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٤-٣٠٥).

أحدهما: أنهم المسلمون، وقد استنصروا الله تعالى على كفار قريش وسألوه الفتح. قاله أُبيّ بن كعب(١).

والثاني -وهو الأظهر-: أنهم المشركون(٢).

قال ابن عباس: قال أبو جهل يوم بدر قبل القتال: اللهم أيهم كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية(٣).

وقال السدي: أخذ المشركون بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين(٤).

وقال عكرمة: قالوا: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه بالحق(٥).

﴿وإن تنتهوا﴾ أيها الكفار عن الكفر ومعاداة رسولي والمؤمنين ﴿فهو خير لكم﴾ في الدنيا والآخرة، وقيل: وإن تنتهوا عن الاستفتاح، ﴿وإن تعودوا﴾ إلى قتال محمد ﷺ والمؤمنين ﴿نعد﴾ إلى نصرهم. وقيل: وإن تعودوا إلى الاستفتاح نعد إلى الفتح لمحمد ﷺ وأصحابه.

﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾ لأنهم حزب الشيطان، والله مع المؤمنين بالنصر والمعونة؛ لأنهم حزب الرحمن.

---

(١) زاد المسير (٣/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ٤٥٠)، وزاد المسير (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥).

(٥) أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٨)، وزاد المسير (٣/ ٣٣٥).

قرأ نافع وابن عامر وحفص: "وأن الله" بفتح الهمزة، وكسرها الباقون(١).

فمن فتح فعلى معنى: ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك.

ومن كسر فعلى الاستئناف؛ وهو الأظهر. ويعضده قراءة ابن مسعود: "واللهُ مع المؤمنين"(٢).

وفي هذه [الآيات](٣) توهين للكفار وإعلام لهم أن كثرتهم ومعاضدتهم مظاهرتهم على النبي ﷺ والمؤمنين مع قلة عَدَدِهم وعُدَدهم لا ينفعهم شيئاً، وتقويةٌ لقلوب المؤمنين [ليثبتوا](٤) عند لقاء عدوهم لكونهم على ثقة بموعد الله بنصرهم واستيلائهم.

وكان ذوو البصائر والأقدام الراسخة في الإيمان يعلمون أن العاقبة لهم، وأن الله مظهرٌ رسوله وناصرٌ دينه، وهم إذ ذاك قليل عددهم، ضعيف مددهم، بهذه الآية وما أشبهها من الآيات والأحاديث المبشرة بإظهار الإسلام واستفحال أمر محمد ﷺ.

قرأتُ على الشيخ الثقة أبي عبدالله محمد بن داود بن عثمان الدرابندي الصوفي بمسجد الخليل صلوات الله عليه، أخبركم الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد

---

(١) وحجتهم في ذلك: أنها مردودة على قوله قبلها: ﴿وأن للكافرين﴾، ﴿وأن الله موهن﴾، ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾ فيكون الكلام واحداً يتبع بعضه بعضاً. انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٢٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٠)، والكشف (١/ ٤٩١)، والنشر (٢/ ٢٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٧٣).

(٣) في الأصل: الآياية.

(٤) في الأصل: لثبتوا.

الأصبهاني بثغر الإسكندرية فأقرّ به، أخبرنا الرئيس أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي الأصبهاني، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي النيسابوري، أخبرنا عبدالله بن إسحاق بن الخراساني ببغداد، حدثنا أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد بن منصور[(١)]، حدثنا يحيى بن سعيد القطان[(٢)]، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد[(٣)]، حدثنا قيس[(٤)]، عن خباب[(٥)]، قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو [متوسدٌ][(٦)] بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر الله لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: قد كان من كان قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري، أبو سعيد، يعرف بكريزان، نزيل سامراء، مات سنة إحدى وسبعين ومائتين (الجرح والتعديل ٥/ ٢٨٣، والثقات ٨/ ٣٨٣، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٣).

(٢) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد البصري الأحول، ثقة متقن، حافظ إمام قدوة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٠-١٩٢، والتقريب ص:٥٩١).

(٣) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي، كان رجلاً صالحاً ثقةً ثبتاً، وكان طحاناً، مات سنة ست وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٢٥٤-٢٥٥، والتقريب ص:١٠٧، وطبقات الحفاظ ص:٧٤).

(٤) قيس بن أبي حازم، واسمه: حصين بن عوف، ويقال: عوف بن عبد الحارث، ويقال: عبد عوف بن الحارث بن عوف البجلي الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي. ثقة، أدرك الجاهلية، ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه، فقبض وهو في الطريق، مات سنة سبع أو ثمان وتسعين (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٤٦-٣٤٧، والتقريب ص:٤٥٦).

(٥) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، كنيته: أبو عبد الله، شهد بدراً ثم نزل الكوفة، وكان من المهاجرين الأولين، وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة، مات سنة سبع وثلاثين (تهذيب التهذيب ٣/ ١١٥، والتقريب ص:١٩٢).

(٦) في الأصل: متوسداً. والمثبت من الصحيح.

فيها، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فينشر باثنين، فما يصده ذلك عن دينه، [ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه][(١)]. والله ليتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[(٢)]. هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن سعيد، وكأنني سمعته من طريق البخاري عن أبي الوقت.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ
ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تولوا عنه﴾ أي: ولا تعرضوا عن الرسول ولا تخالفوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، ﴿وأنتم تسمعون﴾ ما قرأه عليكم من الكتاب الذي شهد إعجازه بصدقه، وما يشتمل عليه من المواعظ والزواجر والبشارة لكم في هذه الدنيا بالظهور والغلبة وفتح البلاد، وفي الآخرة بالمصير إلى رضوان الله وجنته.

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا﴾ أي: قالوا بألسنتهم سمعنا ﴿وهم لا يسمعون﴾ سماع قبول.

---

(١) زيادة من الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢٢ ح٣٤١٦).

قال الزجاج[١]: لم يتفكروا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: هم بنو عبد الدار بن قصي[٢].

وقال في رواية أخرى: هم بنو قريظة والنضير[٣].

وقال ابن إسحاق والواقدي: هم المنافقون[٤].

قال الزجاج[٥]: يعني به الذين قالوا: ﴿قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾.

قوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ نزلت في بني عبد الدار[٦]، وكانوا شديدي الكفر والعناد، لم يسلم منهم سوى رجلين، أحدهما: مصعب بن عمير، والآخر: سويد بن حرملة، وكانوا يقولون لفرط غلوّهم وعتوّهم: نحن صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عما جاء به محمد.

والمعنى: إن شر من دبّ ودرج على وجه الأرض، أو أن شرّ البهائم الصم عن سماع الحق، البكم عن النطق به، العمي عن النظر إليه، الذين لا يعقلون، فجعلهم سبحانه وتعالى من جنس البهائم، جعلهم شرّ البهائم، تحقيقاً لمعنى صممهم وبكمهم وعماهم، وعدم عقلهم الموجب لشدة إعراضهم عن الحق الواضح.

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٥١)، وزاد المسير (٣/ ٣٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢١١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٧).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤٠٨).

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٠٣)، والطبري (٩/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

ثم أخبر سبحانه وتعالى بما طُبعوا عليه من الشقاء في سابق العلم والقضاء، فقال جل وعز: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ يعني: لأسمعهم سماع تفهّم وقبول، ﴿ولو أسمعهم﴾ بعد أن علم أنهم لا خير فيهم ﴿لتولوا﴾ لرجعوا القهقرى ناكصين على أعقابهم ارتداداً وعناداً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ يريد: إذا دعاكم الرسول، فوحَّد الضمير؛ لأن دعاء الرسول دعاء مرسله، وإجابته إجابته. قال الله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء:٨٠]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تولوا عنه﴾ بعد قوله: ﴿أطيعوا الله ورسوله﴾ والمعنى: إذا دعاكم لما فيه حياتكم. وفيه أقوال:

أحدها: أنه الإيمان، وهذا قول السدي ومجاهد في رواية عنه(١).

الثاني: أنه القرآن. قاله قتادة، وهو أعم الأقوال وأجمعها(٢).

والثالث: أنه الجهاد، وهو قول الأكثرين(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٠)، ومجاهد (ص:٢٦٠).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤) وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير.

وقد صح من حديث أبي هريرة: «أن النبي ﷺ مَرَّ على أُبيّ بن كعب وهو قائم يصلي، فصاح به فقال: تعال يا أُبيّ، فعجّل أُبيّ في صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: يا أُبيّ، ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟! أليس الله يقول: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾. قال أُبيّ: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت مصلياً»(١).

ففي هذا الحديث دليلٌ على وجوب إجابته ﷺ إلى ما يدعو إليه، وأن إجابته في الصلاة لا تبطلها، كما أنك تخاطبه بقولك: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله، ومثله تبطل الصلاة مع غيره.

فإن قيل: لماذا سمّى ما يدعوهم إليه حياة؟

قلتُ: إن كان [ما يدعوهم إليه الإيمان والقرآن](٢) فهو حياة، باعتبار ما يستثمره المؤمن والقارئ لكتاب الله العامل به من سعادة الدنيا والآخرة والثناء الجميل الباقي على مرّ الأحقاب، كما قال علي عليه السلام: «العلماء باقون ما بقي الدهر»(٣).

وقال المتنبي:

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وفُضُولِ العَيْشِ أَشْغَالُ(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٥ ح٢٨٧٥)، وأحمد (٢/ ٤١٢ ح٩٣٣٤)، والبيهقي (٢/ ٣٧٥)، والطبري (٩/ ٢١٤).

(٢) في الأصل: أو الإقران. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٩).

(٤) البيت للمتنبي. وهو في: قرى الضيف (١/ ٢٥٨).

ولأجل ما فات من ذلك؛ سُمّي الكافر ميتاً، وسُمّي الجاهل ميتاً. قال الله تعالى في حق الكفار: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ [الروم:٥٢].

وقال بعضهم:

لا تعجبنَّ الجَهُولَ حلتهُ فَذَاكَ مَيْتٌ وَثَوْبُهُ كَفَنُ[١]

وإن كان الذي يدعوهم إليه الجهاد فهو حياة؛ لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهو حياة لهم لما يستلزم من حياة أمرهم ونفوسهم؛ لأنهم لو تخاذلوا عن الجهاد وتقاعدوا عنه تسلط العدو على قتلهم وأسرهم وإماتة أمرهم وكسرهم.

قال علي عليه السلام: إن الجهاد بابٌ من أبوابٌ الدِّين، من تركه رغبة عنه ألبسه الله سيما الذل وديَّثَه[٢] بالصَّغار[٣].

قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ فهو الذي حال بين قلوب الكفار والأمن، وبين قلوبكم أيها المؤمنون وبين الخوف، حتى دلفتم مع ضعفكم وقلة عَددكم وعُددكم إلى صناديد قريش واجترأتم عليهم تقتلون وتأسرون.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: المعنى: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان[٤].

---

(١) انظر البيت في: البحر المحيط (٤/ ٤٧٦)، والكشاف (٢/ ٢٠٠)، وروح المعاني (٩/ ١٩١).

(٢) ديثه: أي: ذلّله (اللسان، مادة: ديث).

(٣) أخرج نحوه الضياء في الأحاديث المختارة مرفوعاً من حديث عبادة بن الصامت (٨/ ٢٨٠ ح٣٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٠)، والحاكم موقوفاً (٢/ ٣٥٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وحشيش بن أصرم في الاستقامة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس.

وقيل: إن ذلك استعارة من قربه سبحانه وتعالى من عباده بعلمه، كما قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق:١٦]. وقال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد:٤].

وقيل: هو تقليب قلوب العباد ما بين خوف وأمن، وحل وعزم، وذكر ونسيان، وكفر وإيمان، وغير ذلك من الأحوال المتناقضة.

ثم حرّضهم على الإجابة معلماً لهم أنهم يموتون ثم ينشرون فقال: ﴿وأنه إليه تحشرون﴾.

وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة﴾ أي: احذروا ما ينشأ عن الخلاف وافتراق الكلمة من القتل وغيره.

قال الزبير رضي الله عنه: لقد قرأناها زماناً وما ندري أنا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها[١].

وقال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير[٢].

قال السدي: أصابتهم الفتنة يوم الجمل[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٨).

(٣) مثل السابق.

﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ بل تشمل الصالح والطالح، وكأن المراد قتل الذين ظلموا وأفسدوا في الأرض بقتل الإمام العادل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعظمت البلوى وعمّت الفتنة، وأفضت الحال إلى قتل خيار المسلمين والملأ من أصحاب رسول الله ﷺ كطلحة والزبير ومحمد بن طلحة المعروف بالسَّجاد(١).

وكان علي عليه السلام يقول في ذلك اليوم: إياكم وصاحب البرنس -يريد السَّجاد-. فكان إذا حمل عليه أحد يقول: نشدتك بحم، فيرجع، حتى حمل عليه بعضهم فناشده فلم يرجع، وأنفذه بالرمح، وأنشد(٢):

وأشعثُ قوَّام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
يناشدني حم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم
ضممت إليه بالقناة ثيابه ... فخرَّ صريعاً لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً ... علياً ومن لم يتبع الحق يظلم

---

(١) محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، أبو سليمان، المعروف بالسَّجَّاد؛ لكثرة تعبّده، ولد في حياة النبي ﷺ وسماه باسمه، قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين (الإصابة ٦/ ١٨، والأعلام ٦/ ١٧٥).

(٢) يقال: أن قاتل محمد بن طلحة رجل من بني أسد بن خزيمة، ويقال إن الذي قتله ابن مكيس الأزدي، وقال بعضهم: معاوية بن شداد العبسي، وقال بعضهم: عصام بن المقشعر النصري (انظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١/ ٣١٣).
وانظر الأبيات في: الاستيعاب (٣/ ١٣٧٢)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٥٤)، والمغني (٩/ ٦)، وتاريخ الطبري (٣/ ٥١).

فلما وقف علي عليه السلام عليه صريعاً بكى واسترجع، وقال: والله هذا فزع قريش[١].

فإن قيل: هل تجد في قوله: ﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ معنًى اقتضاه التعيين بقوله: "منكم"؟

قلت: نعم. وهو التعريض بتعظيم ما عساه أن يصدر من السادة القادة، بُدور الهدى وبحور الندى رضي الله عنهم، فإنهم لموضع اختصاصهم وظهور فضلهم وشرفهم يُستعظم منهم ما يصدر عنهم.

كفوفة الطرف تخفي من حقارتها ... ومثلها في سواد العين منظور[٢]

وقال ابن عباس: في هذه الآية أمرٌ للمؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم الله بالعذاب[٣].

وفي مسند الإمام أحمد والصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بُعثوا على أعمالهم»[٤].

فعلى هذا القول؛ يكون المراد بالفتنة: العذاب.

---

(١) انظر: المستدرك (٣/ ٤٢٣ ح٥٦٠٩)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٢).

(٢) البيت لطاهر بن الحسين المخزومي البصري. وهو في: قرى الضيف (٥/ ٢٩)، ويتيمة الدهر للثعالبي، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، وفيهم: كفوفة الظفر.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٠٢ ح٦٦٩١)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٦ ح٢٨٧٩)، وأحمد (٢/ ٤٠ ح٤٩٨٥، ٢/ ١١٠ ح٥٨٩٠).

فإن قيل: كيف دخلت النون المؤكدة في جواب الأمر؟

قلت: لتضمن الجواب معنى النهي.

قال الفراء[١]: هو جزاء فيه طرف من النهي، كما تقول: انـزل عـن الدابـة لا تطرحك ولا تطرحنك.

وقال جماعة من نحاة الكوفة: أمرهم ثم نهاهم، وفيه طرفٌ من الجزاء وإن كان نهياً، مثل قوله: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾ [النمل:١٨][٢].

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾

ثم إن الله تعالى ذَكَّرَهُم نِعَمَهُ عليهم ليبعثهم على شكره باجتناب نهيه وامتثال أمره فقال: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾ "إذ أنتم" مفعـول بـه لا ظـرف[٣]، تقـديره: واذكروا وقت كونكم أقلّة. والمعنى: قليل عـددكم، ﴿مستـضعفون في الأرض﴾ يعني: أرض مكة، ﴿تخافون﴾ لقلّتكم وضعفكم ﴿أن يـتخطفكم النـاس﴾ كفـار قريش وغيرهم، ﴿فآواكم﴾ إلى المدينة، ﴿وأيدكم بنصره﴾ في يوم بدر وغيره، حتى خضعت لكم رقاب الفراعنة والجبابرة، وعنت لكم وجوه الأكاسرة والأقاصرة، ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أحلّ لكم الغنائم وبسط لكم في الملاذّ.

---

(١) معاني الفراء (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: الطبري (٩/ ٢١٩)، وزاد المسير (٣/ ٣٤١).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٤١٣).

قال قتادة: كان هذا الحي من العرب أذلّ الناس وأشقاهم عيشاً، وأعراهم جلداً، وأجوعهم بطناً، وأبينهم ضلالاً، يُؤكلون ولا يَأكلون، ومَكَّنَ لهم في البلاد، ووَسَّعَ لهم الرزق والغنائم، وجعلهم ملوكاً[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تخونوا الله والرسول... الآية﴾ ذهب ابن عباس والأكثرون إلى أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر. وكان من قصته على ما حدثنيه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي -قدّس الله روحه- بإسناده، عن السائب بن أبي لبابة، عن أبيه قال: «لما أرسلت قريظة إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يرسلني إليهم حين اشتدّ عليهم الحصر، فقال رسول الله ﷺ: اذهب إلى حلفائكم، فإنهم أرسلوا إليك من بين الأوس. قال: فدخلتُ عليهم فَبَهَشُوا إليّ[2] وقالوا: يا أبا لبابة، نحن مواليك دون الناس كلهم، ومحمد يأبى أن يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نُكَثِّر عليه جمعاً أبداً، فما ترى في النزول على حكمه؟ قال: نعم فانزلوا، وأومأ إلى حلقه هو الذبح. قال: فندمت واسترجعت، وقلت: خنت الله ورسوله، فنزلت

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧) وعزاه لابن المنذر وابن جرير وأبي الشيخ.

(٢) بَهَشُوا: أي: أقبلوا (اللسان، مادة: بهش).

وإن لحيتي مبتلة بالدموع، والناس [ينتظرون][1] رجوعي، فأخذت من وراء الحصن طريقاً آخر حتى أتيت المسجد [فارتبطت][2]، وقال: لا أزال هكذا أو يتوب الله عليّ. قال: فمكث سبعاً في حرّ شديد لا يأكل ولا يشرب حتى لا يسمع الصوت من الجهد. فلما تاب الله عليه أمر رسول الله ﷺ بإطلاقه، فقال: لا والله حتى أفارق الدنيا أو يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقه بيده.

قال: قالت أم سلمة زوج رسول الله ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يحلّ رباطه ويرفع صوته يخبره بتوبته، وما يدري كثيراً مما يقول من الجهد والضعف، وكان الرباط حزَّ في ذراعيه -وكان من شَعْر- فكان يداويه بعد ذلك دهراً»[3].

وقال جابر بن عبدالله: نزلت في رجل من المنافقين كتب إلى أبي سفيان: أن محمداً يريدكم فخذوا حذركم، وكان النبي ﷺ سمع أنه في مكان، فأمر أصحابه بالخروج إليه[4].

وقال السدي: نزلت في قوم كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ فيفشونه حتى يبلغ إلى المشركين[5].

---

(١) في الأصل: ينظرون. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: فأرتبط.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٤). وانظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٩٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٨-٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٨) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٤٤).

وقال المغيرة بن شعبة: نزلت في قتل عثمان بن عفان[1].

والمعنى: لا تخونوا الله والرسول بقتله.

﴿وتخونوا أماناتكم﴾ داخلٌ في جملة النهي، فهو مجزوم لا منصوب[2].

وقيل: هو منصوب بإضمار "أَنْ"، كقوله: ﴿وتكتموا الحق﴾[3] [البقرة:٤٢]، والمعنى: لا تخونوا الله فيما ائتمنكم عليه من دين الحق، ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها خيانة، أو تعلمون قبح ذلك. فيكون الإثم أعظم. والواو في "وأنتم" للحال[4].

﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي: بلاء ومحنة، وكان أهل أبي لبابة وولده في بني قريظة، فلذلك تورّط في الخيانة التي كادت تورده المهالك، لولا أن تداركته رحمة الله تعالى، [فاستنقذته][5] بالتوبة والندم.

﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ في الحال والمآل، فلا يصدنكم عنه حب المال والآل.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله﴾ يعني: بترك معاصيه، ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ نوراً وهدى في قلوبكم تفرّقون به بين الحق والباطل.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠) وعزاه لابن جرير.

(٢) التبيان (٢/ ٦)، والدر المصون (٣/ ٤١٤).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٤١٤).

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: فاستنقذه.

قال ابن عباس ومجاهد: نجاة ومخرجاً من الضلال[١]. وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت:٦٩].

فمتى كان مقصود الإنسان طلب الهدى ومجانبة الهوى أتته الألطاف الخفية، وفاضت عليه الأسرار الإلهية، وضاءت له الأنوار الربانية، فجلت عن مرار قلبه الظلمة الصادّة عن إدراك الأشياء على حقائقها.

حدثنا شيخنا الإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد قال: قرأت على الشيخ أبي عبدالله مظفر بن أبي نصر البواب وابنه أبي محمد عبدالله بن مظفر ببغداد قلت لهما: حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي[٢] قال: كنت أسمع الفقهاء بالنظامية[٣] يقولون: إن القرآن معنى قائم بالذات والحروف، والأصوات

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٦)، ومجاهد في تفسيره (ص:٢٦١) ولفظه: مخرجاً في الدنيا والآخرة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٤٦)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر، الحافظ الإمام، محدث العراق، أبو الفضل السلامي. ولد سنة سبع وستين وأربعمائة، وبرع في اللغة، وحصل الفقه والنحو، وكان ثقةً حافظاً ضابطاً، ثبتاً متقناً، من أهل السنة، رأساً في اللغة، أخذ عنه ابن الجوزي علم الحديث، وكان شافعياً ثم تحنبل، وهو مقدم أصحاب الحديث في بغداد في وقته. مات في ثاني عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة (طبقات الحفاظ ص:٤٦٧).

(٣) المدرسة النظامية: أنشأها ببغداد أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس، الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسي وزير السلطانين ألب أرسلان وولده ملكشاه السلجوقيين سنة ٤٥٧هـ وفي سنة ٤٦٢هـ أوقف عليها أوقافاً جليلة، وكانت مفخرة للإسلام، درّس فيها أعيان العلماء والأئمة =

عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات، فحصل في قلبي شيء من ذلك، حتى صرت أقول بقولهم موافقة، وكنت إذا صليت أدعو الله عز وجل أن يوفقني لأحب المذاهب والاعتقادات إليه، وبقيت على ذلك مدة طويلة [أقول: اللهم وفقني لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك][1]. فلما كان في أول ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة، رأيت في المنام كأني قد جئت إلى مسجد الشيخ أبي منصور الخياط[2] المقرئ في مسجد ابن جردة، والناس على باب المسجد مجتمعون وهم يقولون: النبي ﷺ عند الشيخ أبي منصور، فدخلت المسجد وقصدت الزاوية التي كان يجلس فيها الشيخ أبو منصور، فرأيت الشيخ أبا منصور قد خرج من زاويته وجلس بين يدي شخص، فما رأيت شخصاً أحسن منه، على نعت النبي ﷺ الذي وصف لنا، وعليه ثياب ما رأيت أشد بياضاً منها، وعلى رأسه عمامة بيضاء، والشيخ أبو منصور مقبل عليه بوجهه، فدخلت فسلمت [فرد عليّ السلام، ولم أتحقق من الرادّ عليّ لدهشتي برؤية النبي ﷺ][3]، وجلست بين أيديهما،

= من رجال المذهب الشافعي (هامش العقد الثمين ٧/ ٣٠، وهامش إتحاف الورى ٢/ ٤٩٧، وهامش غاية المرام ١/ ٥١٨).

(١) زيادة من التوابين (ص:٢٣١).

(٢) محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الشيرازي الأصل المقرئ، المعروف بأبي منصور الخياط. كان يؤم بمسجد ابن جردة ببغداد، اعتكف فيه مدة يعلم العميان القرآن، وختم خلقاً كثيراً، حتى بلغ عدد من أقرأهم القرآن سبعين ألفاً. كان من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين، شيخاً صالحاً زاهداً، صائماً أكثر وقته، ولد سنة إحدى وأربعمائة، وتوفي يوم الأربعاء وقت الظهر السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة (المقصد الأرشد ٢/ ٣٤٤-٣٤٥، والتقييد ص:٥٤).

(٣) زيادة من التوابين (ص:٢٣٢).

فالتفت إليّ رسول الله ﷺ من غير أن أسأله عن شيء أو أستفتحه بكلام أصلاً وقال لي: عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ -ثلاثاً-.

قال الحافظ أبو الفضل: وأنا أقسم بالله ثلاثاً وأشهد بالله لقد قال لي ذلك رسول الله ﷺ ثلاثاً، ويشير في كل مرة بيده اليمنى إلى الشيخ أبي منصور.

قال: فانتبهت وأعضائي ترعد، فناديت والدتي رابعة بنت الشيخ أبي حكيم [الخبري][(١)] وحكيت لها ما رأيت، فقالت: يا بني هذا منام وحي، فاعتمد عليه. فلما أصبحت بكرت إلى الصلاة خلف الشيخ أبي منصور، فلما صلينا الصبح قصصت عليه المنام، فدمعت عيناه وخشع قلبه [وقال لي: يا بني مذهب الشافعي حسن، فتكون على مذهب الشافعي في الفروع وعلى مذهب أحمد وأصحاب الحديث في الأصول][(٢)]، فقلت: يا سيدي! أنا أُشهد الله وملائكته وأنبياءه وأشهدك على أني منذ اليوم لا أعتقد ولا أدين الله ولا أعتمد إلا على مذهب أحمد رضي الله [عنه][(٣)] في الأصول والفروع، فقبّل الشيخ أبو منصور رأسي وقال: وفقك الله، فقبّلت يده.

وقال لي الشيخ أبو منصور: وأنا كنت في ابتدائي شافعياً، وكنت أتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري وأسمع الخلاف عليه، فحضرت يوماً عند الشيخ أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن، فابتدأت أقرأ

---

(١) في الأصل: الخيري. والتصويب من التوابين (ص:٢٣٢).

(٢) زيادة من التوابين (ص:٢٣٣).

(٣) زيادة على الأصل.

عليه، فقطع عليّ القراءة مرة أو مرتين ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا، فلا هم يرجعون إلينا في قولنا ولا نحن نرجع إليهم، فأي فائدة في هذا. ثم كرر عليّ الكلام، فقلت في نفسي: والله ما عنى الشيخ بهذا أحداً غيري. فتركت الاشتغال بالخلاف، وقرأت مختصر أبي القاسم الخرقي.

قال الحافظ: ورأيت بعد ذلك ما زادني يقيناً وعلمت أن ذلك [تثبيت][1] من الله عز وجل لي وتعليم؛ لأعرف حق نعمة الله عليّ وأشكره، إذ أنقذني من اعتقاد البدعة إلى اعتقاد السنة، والله المسؤول الخاتمة بالموت على الإسلام والسنة[2].

حدثنا الشيخ الصالح أبو حفص عمر بن أبي الرضي المعروف بابن زريق الشحام قال: سمعت الشيخ أبا أحمد عبدالله بن المثنى، المعروف بابن الحداد -وكان من خيار عباد الله علماً وعملاً وزهداً وورعاً، وكان في عنفوان شبابه من غلاة الأشاعرة والدعاة إلى مذهبهم مصنفاً فيه-، يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله، كثرت البدع والأهواء، فبمن نقتدي؟ فقال: عليك بأحمد، عليك بأحمد، فأصبح تائباً إلى الله مما كان عليه، معتقداً مذهب الإمام أحمد، داعياً إليه، واتخذ الفضيلة مسكناً، وانقطع إلى العبادة، وعزفت نفسه عن الدنيا وأهلها، وصنَّف في السُّنَّة كُتباً، وكان ذا كرامات ظاهرة.

وكتب إلى المستضيء بأمر الله كتاباً بالغاً يَعِظُهُ فيه وخوّفه، قال: فبلغنا أن المستضيء قرأ منه أسطراً ثم طواه، فقيل له في ذلك فقال: رأيت كلام رجل صادق، فخفت أن أقف منه على ما أعجز عن العمل به، فتتأكد حجة الله عليّ، فتركته.

---

(١) في الأصل: تثبت. والتصويب من التوابين (ص:٢٣٥).

(٢) أخرجه ابن قدامة في التوابين (ص:٢٣١-٢٣٥).

وكان ملوك الموصل وأمراؤها وكبراؤها يغشونه ويترددون إليه، فكان عامة ما يكلم الناس به؛ الأمر بعقيدة الإمام أحمد، والنهي عن مذهب الأشعري. وحاله مشهورة بذلك.

ولما فرغ من عمارة الجامع النوري بالموصل ضُرِعَ إليه في الخطابة به فلم يفعل، فسألوه أن يخطب به جمعة واحدة، فرقى المنبر وخطب وأحسن، فلما انتهى إلى الدعاء قال: اللهم أصلح الإمام والأمة، والراعي والرعية، ثم نزل.

قال الشيخ عمر: فسمعته يوماً يقول: رأيت بعد ذلك النبي ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله! ألست على الحق؟ أليس الذي أدعو إليه الحق؟ فقال: بلى، بلى، بلى.

وسمعت عماد الدين عبدالرحمن بن الشيخ شهاب الدين محمود بن بلدحي مدرس الحنفية بالموصل وابن مدرّسها يقول: سمعت أبي رحمه الله يقول -وكان متمسكاً بعقيدة الإمام أحمد متنسكاً بها، وكان من أصحاب الفقه والحديث رحمه الله، وكان مبايناً لما عليه عامة المتفقهة في هذا الزمان-: حججت فلما زرت النبي ﷺ نمتُ في الروضة، فرأيته ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! دلني على عقيدة أهل الحق؟ قال: هي ما أنت عليه من عقيدة أصحاب الحديث. فكان بعد ذلك يفتي الناس بها ويدعوهم إليها.

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رأى الحق»[1].

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦٨ ح٦٥٩٥)، ومسلم (٤/ ١٧٧٦ ح٢٢٦٧).

وصح من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي»(١).

فصل

وكم من كافر أفضى به حسن القصد في الطلب إلى دين الحق، ولقد كنتُ أعرف رجلاً من أهل ماردين غالياً في دين النصرانية، شديد الشكيمة في التمسك به، ثم رأيته بعد ذلك في دمشق حافظاً لكتاب الله وكثير من سُنَّة رسوله ﷺ، فسألته عن حاله، فقال: إني سكنت منزلاً قريباً من جامع دمشق، فكنت أسمع المؤذنين وقراءتهم القرآن بالأسحار، فنوّر الله الإيمان في قلبي، وكرّه إليّ الكفر ذات ليلة، فأسلمت من حيث لا يشعر بي أحد سوى الله تعالى. فلما أصبحت قصدت موضعاً من المواضع التي يتطهر المسلمون فيها للصلاة فتوضأت مثل ما رأيتهم يتوضؤون، ثم دخلت الجامع فصليت الصبح مع المسلمين، ثم خرجت إلى زيارة بيت المقدس، فقيّض لي رجل مغربي فقذف في قلبي شيء من البدعة وأنا حديث عهد بالإسلام لا علم لي بذلك، وكان يحذرني من أصحاب الإمام أحمد.

ثم اختار الله لي ثانياً كما اختار لي أولاً، فألهمني زيارة الحافظ أبي موسى عبدالله بن الحافظ عبدالغني المقدسي -وكان إذ ذاك يصلي إماماً بمهد عيسى بالمسجد الأقصى شرفه الله-، فلما رأيت هديه وسَمْتَهُ وسمعت قراءته للحديث، ألقى الله حبه في قلبي فلزمته، وقرأت عليه طرفاً من حديث رسول الله ﷺ، وفارقت تلك البدعة، ودنت الله بمذهب الإمام أحمد وأصحاب الحديث ولله الحمد. فقلت له:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦٨ ح٦٥٩٣)، ومسلم (٤/ ١٧٧٥ ح٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة.

ألا قد تم هلال العلا وصار في مطلعه بدرا

فسبحان من إذا أنعم أمعن وأنعم، بَيْنَا هذا يدين بالتثليث أصبح من أهل القرآن والحديث.

سمعت شيخنا السعيد شيخ الإسلام موفق الدين المقدسي يقول: أنبأنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أخبرنا أبو الحسين بن [الطيوري](1)، أخبرنا عبدالعزيز بن علي، أخبرنا علي بن عبدالله الصوفي، حدثنا محمد بن داود، حدثني حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص، قال: كان إبراهيم إذا أراد سفراً لم يحدث به أحداً ولم يذكره، وإنما يأخذ رَكْوَته(2) ويمشي، فبينا نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى فاتبعته، فلم يكلمني حتى وافينا الكوفة، فأقام بها يومه وليلته، ثم خرج نحو القادسية، فلما وافاها قال لي: يا حامد! إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت لخروجك، قال: أنا أريد مكة. قلت: وأنا إن شاء الله أريد مكة، فمشينا يومنا وليلتنا. فلما كان بعد أيام إذا شابٌّ قد انضم إلينا في بعض الطريق، فمشى معي يوماً وليلة لا يسجد لله سجدة، فعرّفت إبراهيم وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي، فجلس وقال له: يا غلام ما لك لا تصلي، والصلاة أوجب عليك من الحج، فقال: يا شيخ ما عليّ صلاة. قال: ألست برجل مسلم؟ قال: لا. قال: فأي شيء أنت؟ قال: نصراني، ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل، وادّعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل، فلم أصدقها [فيما ادعت](3) حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة

(١) في الأصل: الطوري. والتصويب من التوابين (ص:٢٩٨).

(٢) الرَّكْوَة: إناء صغير من جِلْد يُشرب فيه الماء. والجمع: رَكَوات (اللسان، مادة: ركا).

(٣) زيادة من التوابين (ص:٢٩٩).

التي ليس فيها موجود غير المعبود، أثير ساكني وأمتحن خاطري، فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك، فلم يزل يسايرنا إلى بطن مَرّ، فقام إبراهيم ونزع خلقانه وطهرها بالماء، ثم جلس، وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح، فقال: يا عبد المسيح، هذا دهليز مكة، وقد حرّم الله على أمثالك الدخول إليه، وقرأ: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ [التوبة:٢٨]، والذي أردتَ أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، فاحذر أن تدخل مكة، فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك.

قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف، فبينا نحن جلوس بعرفات إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو محرم يتصفّح الوجوه، حتى وقف علينا، فأكبّ على إبراهيم يقبّل رأسه، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: هيهات، أنا اليوم عبدُ مَنِ المسيحُ عبده، فقال له إبراهيم: حدثني حديثك. فقال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج، فقمت وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم، فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحلّ عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت، وها أنا أطلبك يومي. فالتفت إلينا إبراهيم وقال: يا حامد، انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام، وصحبنا حتى مات بين الفقراء، رحمه الله(١).

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

---

(١) أخرجه ابن قدامة في التوابين (ص:٢٩٨-٣٠٠).

قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ قد روي عن ابن عباس: أن من هاهنا إلى رأس الآية السابعة مما نزل بمكة، وغيره لم يستثن شيئاً وجعلها كلها مدنية[1].

على معنى: اذكر يا محمد اليوم إذ يمكر بك كفار قريش وأنت بمكة خائفاً. والمراد من ذلك: تنبيهه ﷺ على ما أتاح له بعد ذلك من النصر والاستيلاء على الذين مكروا به، حتى صار من أبقت سيوفه منهم في قبضته وأسره، وتحت حكمه وسلطانه.

الإشارة إلى قصتهم:

قال ابن عباس وغيره: لما بويع رسول الله ﷺ ليلة العقبة وأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، خافت قريش من استفحال أمره وحدة شوكته، وقال بعضهم لبعض: والله لكأنكم به وقد كرّ عليكم بالرجال. واجتمعوا للمشورة في دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير فقالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد، بلغني ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقالوا: ادخل. فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال أبو البختري: رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدّوا وثاقه وتسدّوا بابه غير كوة تلقون منها إليه طعامه وشرابه وتتربصون به ريب المنون. قال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال هشام بن عمرو -من بني عامر بن لؤي-: أما أنا فأرى أن تحملوه من بين أظهركم، فلا يضرّكم ما صنع ولا أين وقع. فقال

(١) الماوردي (٢/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٣١٦).

إبليس: بئس الرأي، تعمدون إلى رجل أفسد سفهاءكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم كما أفسدكم، ألم تروا حلاوة منطقه وطلاقة لسانه، فوالله لئن فعلتم ليجمعنّ عليكم ثم ليسيرنّ إليكم. قالوا: صدق والله الشيخ. فقال أبو جهل لعنه الله: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره، إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش غلاماً وتعطوه سيفاً، ثم تضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا أظن هذا الحي من قريش -يعني بني هاشم- يقوى على حرب قريش كلها، فيقبلون العقْل(١) ونستريح. فقال إبليس: صدق هذا الفتى، وهو أجودكم رأياً، فتفرقوا على هذا الرأي. وأتى جبريل النبي ﷺ فأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأذن الله له بالخروج إلى المدينة، وأمر علياً بالمبيت في مضجعه، وخلفه بمكة ليؤدي عنه الودائع التي توضع عنده لصدقه وأمانته، وخرج ﷺ مهاجراً هو وأبو بكر رضي الله عنه، وبات المشركون يحرسون علياً ظناً منهم أنه رسول الله ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ليقتلوه. فلما رأوا علياً قالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره حين سمعوا الهاتف يقول(٢):

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلاّ خيمتي أم معبد

هما نزلا بالهدى واهتدت به لقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجارى وسؤدد

---

(١) أي: الدية.

(٢) انظر الأبيات في: المستدرك (٣/ ١١)، ومجمع الزوائد (٦/ ٥٧)، وصفة الصفوة (١/ ١٤١)، والاستيعاب (٤/ ١٩٦٠)، وطبقات ابن سعد (١/ ٢٣١).

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكموا إن تسألوا الشاة تشهد
دَعاها بشاةٍ حَائلٍ فَتَحَلَّبَتْ لهُ بِصَريحِ ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ
فغادرها رهناً لديها لحالب يرددها في مصدرٍ ثم مورد

فلما أتوا على أم معبد قالوا: مَرَّ بك الصابئ؟ قالت: الصابئ ما مرّ بي. وكانت قد أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ حين رأت معجزاته ﷺ، ولو قدر لهم أن يسألوا الشاة لشهدت، ولكن الله عمى عليهم وأضلهم عن طريق الرسول ﷺ والوصول إلى رسوله. فلما أتوا الجبل مرّوا بالغار الذي فيه رسول الله ﷺ وقد نسج عليه العنكبوت، فقال أبو بكر: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا. قال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. فلما رأوا نسج العنكبوت قالوا: هذا قبل أن يخلق محمد، فرجعوا عنه(١).

قال ابن عباس: ليثبتوك في الوثاق(٢).

وقال عطاء: في السجن(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٤٨)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٨٩-٣٩٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٤٠٧)، والطبري (٩/ ٢٢٧-٢٢٨)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٩١). وانظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٦-٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠-٥١) وعزاه لعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٤٨).

وقرأ إبراهيم النخعي: "لِيُبَيِّتوك"(١)، من البيَات، أي: ليأخذوك ليلاً.

﴿ويمكرون﴾ يخفون المكائد لك. وقد سبق تفسيره في آل عمران(٢).

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي: إذا قرأت على قريش آيات القرآن ﴿قالوا قد سمعنا﴾؛ ذكر الماوردي والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي(٣) في معناها قولين:

أحدهما: سمعنا قولك ولا نطيعك.

والثاني: سمعنا قبل هذا مثله.

ويظهر عندي: أن مقصودهم بهذا القول: إظهار التبرم بسماع القرآن إيهاماً للطغام الأغمار أنه إفك مفترى وحديث مختلق، وتحقيراً لشأنه عندهم. وكذلك قالوا: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ وهو كلام يستخفون به أحلام السفهاء بينهم، وإلا فما بال الفصحاء الخطباء من العرب العرباء مع فرط أنفتهم، وشدة حميتهم،

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٨١).

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [الآية: ٥٤].

(٣) الماوردي (٢/ ٣١٣)، وزاد المسير (٣/ ٣٤٨).

وحرصهم على إطفاء نور المبعوث بتضليل آبائهم، وتسفيه أحلامهم وآرائهم، وسبِّ آلهتهم، يتحداهم باقتضاب سورة مثله، ويسجل عليهم بالعجز في قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء:٨٨]، ثم يضربون عن ذلك صفحاً، هذا مع قدرتهم على المعارضة والمناقضة، لا والله ما ذاك إلا القصور الناسوتي أو العرف اللاهوتي.

هذا الوليد بن المغيرة المخزومي مع براعته وشجاعته وإبائه بأبنائه وآبائه [لم](١) يجد بداً من الاستسلام لأمر الرسول ﷺ، حتى قال وهو من أشد العرب شكيمة في عداوة الرسول ﷺ: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما رأيته يلتئم بها، والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه يَعلو ولا يُعلى.

وشمائل شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

والمشهور في التفسير أن القائل: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ النضر بن الحارث، المقتول صبراً بالصفراء(٢) يوم بدر، وكان كثير الاختلاف إلى فارس والحيرة، وكان يتبع أخبار رستم واسفنديار، وكان يسمع قراءة أهل الكتاب ويرى صلاتهم، واشترى كليلة ودِمنة، وكان يقعد مع المستهزئين ويقرأ عليهم من ذلك. فلما سمع

(١) زيادة على الأصل.

(٢) الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة (معجم البلدان ٣/ ٤١٢).

اقتصاص الله أخبار القرون الماضية قال: لو شئت لقلت مثل هـذا، فنزلـت هـذه الآية[١].

وهو القائل أيضاً: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر ... الآية﴾ في قول ابن عباس وأكثر المفسرين[٢].

ولا منافاة بين هذا القول وبين ما أخرج في الصحيحين من حديث أنس بـن مالك قال: قال أبو جهل: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ... الآية﴾ فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ... الآية﴾، فلما أخرجوه نزلت: ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله ... الآية﴾[٣] لجواز نزولها بسبب قولهما.

والإشارة بقولهم: ﴿إن كان هذا﴾ إلى القـرآن، وهـو كـلام ينبـئ باسـتحكام الجحود واستيلائه على قلوب قائليه.

﴿فأمطر علينا حجارة﴾ يعنون: كما أمطرت عـلى أصـحاب الفيـل، ولـذلك قالوا: ﴿من السماء﴾، ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ أي: بنـوع آخـر مـن العـذاب غـير الحجارة.

قال صاحب الكشاف[٤]: هذا أسلوب مـن الجحـود بليـغ، يعنـي: إن كـان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسِّجِّيل، كـما فعلـت بأصـحاب الفيـل، أو

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٩). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٠٤-١٧٠٥ ح٤٣٧١ وح٤٣٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٥٤ ح٢٧٩٦).
(٤) الكشاف (٢/ ٢٠٥-٢٠٦).

بعذاب آخر. ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً [لم يستوجب منكره عذاباً، فكان تعليق العذاب بكونه حقاً][(١)] مع اعتقاد أنه ليس بحق، كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة.

وقوله: ﴿الحق﴾ تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق.

وقرأ الأعمش: "هو الحقُّ" بالرفع[(٢)]، على أن "هو" مبتدأ غير منفصل، وهي في القراءة الأولى فصل[(٣)].

يقال: [أمطرت][(٤)] السماء؛ كقولك: أسبلت، وأنجمت. ومطرت؛ كقولك: هتنت وهتلت، وقد كثر الإمطار بمعنى العذاب.

ومن الأجوبة السَّادَّة المسكتة ما يروى: أن معاوية قال لرجل من سبأ: ما كان أجهل قومك حيث قالوا: ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ [سبأ:١٩]، وحيث ملكوا أمرهم امرأة[(٥)]، فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم النبي ﷺ: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ... الآية﴾ ألا قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهْدِنا له[(٦)].

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٤/ ٤٨٢)، والدر المصون (٣/ ٤١٤).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٦)، والدر المصون (٣/ ٤١٤).

(٤) في الأصل: أطرت.

(٥) وهي بلقيس.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٥٦).

قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ يعني: المشركين الذين قالوا: ﴿أمطر علينا حجارة﴾، ﴿وأنت فيهم﴾ مقيم بين أظهرهم.

قال ابن عباس: لم تعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا[١].

وفي قوله: ﴿وأنت فيهم﴾ تخويف لهم من انفصاله عنهم وإعلام لهم أنهم بعَرَضِيّة العذاب.

﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ الواو في "وهم" واو الحال[٢].

ومعنى الكلام: ليسوا بمستغفرين فيستحقون العذاب. هذا قول قتادة واختيار أكثر اللغويين[٣].

والمشهور في التفسير أن المراد بالعذاب هاهنا: ما يجتاحهم ويستأصلهم، أي: ما كان الله ليفعل ذلك بهم وفي علمه أن فيهم من يؤول إلى الإسلام؛ كالحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وأن فيهم من سيلد مؤمناً مستغفراً.

وقال ابن الأنباري: المعنى: وما كان الله معذبهم والمؤمنون بين أظهرهم يستغفرون، فأوقع العموم على الخصوص، ووصفوا بصفة بعضهم. وهذان القولان مرويان عن ابن عباس[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٢)، والنحاس في ناسخه (ص:٤٦٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٤١٦).

(٣) انظر: الطبري (٩/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٥١).

(٤) انظر: الطبري (٩/ ٢٣٥)، وزاد المسير (٣/ ٣٥٠-٣٥١).

والمراد بالاستغفار هاهنا: المعهود. وقيل: الصلاة. رويا عن ابن عباس[١].

وقيل: الإسلام. روي عن مجاهد[٢]، وبه قال عكرمة[٣].

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله﴾ أي: لم لا يعذبهم الله بالسيف.

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: أي شيء لهم من انتفاء العذاب عنهم. يعني: لا حظ لهم في ذلك، ﴿وهم﴾ [معذبون][٥] لا محالة، وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم ﴿يصدون﴾ المؤمنين ﴿عن المسجد الحرام﴾ ويمنعونهم زيارته والطواف به، ﴿وما كانوا أولياءه﴾ تكذيبٌ لهم في قولهم: نحن ولاة البيت، ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٢)، والنحاس في ناسخه (ص:٤٦٥) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٢٦٢).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٦-٢٣٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ عن مجاهد. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) الكشاف (٢/ ٢٠٦).

(٥) في الأصل: يعذبون. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

الذين يتقون الشرك والفواحش، ﴿ولكن أكثرهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ ذلك.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنهم بما يوجب نزع الولاية منهم فقال: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ يقال: مَكا يَمْكُو مَكْواً ومُكاء. ومكاء -بالمد والقصر-: إذا جمع يديه وصَفَّرَ فيهما(١)، والتصدية: التصفيق، وهو ضرب اليد على اليد(٢).

قال ابن عمر: كانوا يطوفون بالبيت ويُصَفِّقُونَ ويُصَفِّرُونُ، ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية(٣).

وقال مقاتل(٤): كان النبي ﷺ إذا صلى في المسجد الحرام، قام رَجُلان من بني عبد الدار عن يمينه يُصَفِّران، ورَجُلان عن شماله يُصَفِّقان، [ليخلطا](٥) على النبي ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر. فذلك قوله: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

فإن قيل: فما موقع قوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾؟

قلت: موقع قول الفرزدق:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: مكا).

(٢) انظر: اللسان (مادة: صدي).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٦). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن سعيد بن جبير.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ١٦).

(٥) في الأصل: فتختط. والتصويب من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

أَخَافُ زِياداً أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرا[١]

وقد سبق إنشاده في موضع آخر.

والأداهم: القيود، والمحدرجة: السياط. أي: أخاف أن يضع الأداهم والمحدرجة موضع العطاء.

وموقع الآخر:

قلت [له][٢] أطعمني عميم تمراً فكان تمري كهرةً وزيراً[٣]

أي: أقام الصياح على مقام التمر.

قال ابن الأنباري[٤]: المكاء والتصدية ليست بصلاة، ولكن الله أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية، فألزمهم ذلك أعظم الأوزار.

قوله: ﴿فذوقوا العذاب﴾ يريد عذاب السيف وفقد الأحبة، فإنه لم يبق يوم بدر بمكة دار إلا دخلتها مصيبة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

---

(١) البيت للفرزدق، من قصيدة قالها عندما أشاع زياد ابن أبيه أن الفرزدق لو أتاه لحباه وأكرمه. انظر: ديوانه (١/ ١٨٨)، والطبري (٤/ ١٣٤)، واللسان، مادة: (حدرج).

(٢) زيادة من زاد المسير (٣/ ٣٥٤).

(٣) انظر البيت في: زاد المسير (٣/ ٣٥٤).

(٤) انظر: الوسيط (٢/ ٤٥٨)، وزاد المسير (٣/ ٣٥٤).

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين: نزلت في المُطْعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً: عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، ومُنَبِّه ونُبَيْه ابنا الحجاج، وأبو جهل والحارث ابنا هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشيان المخزوميان، [والنضر][(١)] بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار القرشي، [وزمعة][(٢)] بن الأسود، وأبو البختري بن هشام، وأبيّ بن خلف بن وهب الجمحي القرشي، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ، والعباس بن عبدالمطلب[(٣)].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وكان استأجر يوم أُحُد [ألفين][(٤)] من الأحابيش لقتال رسول الله ﷺ، سوى من استجاش من العرب[(٥)].

قال ابن إسحاق، عن رجاله: لما رجع الموتورون يوم بدر كلّموا أبا سفيان وأرباب الأموال والتجارات التي كانت في العير، فقالوا: يا معشر قريش! إن

---

(١) في الأصل: والنظر.

(٢) في الأصل: وزعمة.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٥٨-٤٥٩)، وفي أسباب النزول (ص:٢٤٠)، وزاد المسير (٣/ ٣٥٥).

(٤) زيادة من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٧). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٣) وعزاه لابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر عن سعيد بن جبير.

محمداً قد وَتَرَكُم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال الذي أفْلَتَ، لعلنا ندرك منه ثأراً، ففعلوا، فنزلت هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿ليصدوا عن سبيل الله﴾ يعني: اتباع محمد ﷺ، ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾ ندامة وأسفاً حيث لم يظفروا بالسؤل في اضمحلال أمر الرسول ﷺ.

ثم أخبر الله رسوله ﷺ والمؤمنين أن العاقبة لهم فقال: ﴿ثم يغلبون﴾.

ولما كان في كفار قريش والموتورين منهم ممن قام يطلب الثأر من عَلِمَ الله أنه سيؤمن ويحسُن عمله؛ كالحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما، أخرجهم من الوعيد اللاحق بالمنافقين فقال: ﴿والذين كفروا﴾ أي: داموا وثبتوا على كفرهم، ﴿إلى جهنم يحشرون﴾.

﴿ليميز الله﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "لِيُمَيِّزَ الله" بالتشديد[٢]. تقول: مِزْتُ الشيء أَمِيزُهُ مَيْزاً؛ إذا عزلته وفرزته، وكذلك مَيَّزْتُهُ تَمْييزاً فانْمازَ وامْتازَ وتَمَيَّزَ واسْتَمازَ، كل ذلك بمعنى[٣].

واختلفوا في متعلق اللام فقال قوم: ["يحشرون"][٤]، أي: والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الفريق الخبيث من الفريق الطيب.

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:١٨٢)، والنشر (٢/ ٢٤٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٦).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (ميز).

(٤) في الأصل: يخشون. وهو خطأ. انظر: الدر المصون (٣/ ٤١٨).

وقال قوم: ["فسينفقونها"][1] ثم تكون عليهم حسرة"، ليميز الله المال الخبيث الذي أنفقه المشركون للصدّ عن سبيل الله من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون؛ كأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما في نصر النبي ﷺ.

﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ وهو معنى: ﴿فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم﴾، إن قلنا هو الفريق الخبيث، فجعله في جهنم لتعذيبه، وإن قلنا هو مال الكفار فجعله في جهنم لتعذيبهم به، كما قال: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ [التوبة:٣٥].

﴿أولئك هم الخاسرون﴾ لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الله لهم.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان وأصحابه[2].

﴿إن ينتهوا﴾ عن الشرك والتكذيب والمحاربة، ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من ذلك ومن غيره، حتى أن الحربي إذا أسلم لا يُتْبَعُ بحقوق الله ولا بحقوق الآدميين، وأما الذمي إذا أسلم فيُتْبَعُ بحقوق الآدميين دون حقوق الله.

---

(١) في الأصل: فينفقونها.

(٢) الوسيط (٢/ ٤٥٩)، وزاد المسير (٣/ ٣٥٦).

وفي وجوب قضاء العبادات المتروكة زمن الردة خلاف بين الفقهاء.

قال يحيى بن معاذ: إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب[١].

﴿وإن تعودوا﴾ يعني: إلى المحاربة، ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ بنصر الله رسوله والمؤمنين على الكافرين، وشاهدوا ما صنع يوم بدر بصناديدهم، وسمعوا بوقائع الله مع الذين تحزّبوا على أنبيائهم من الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي: شرك، ﴿ويكون الدين كله لله﴾ فلا يُعْبَدُ غيرُه، ﴿فإن انتهوا﴾ عن كفرهم ﴿فإن الله بما يعملون﴾ من فعل الحسنات وترك السيئات ﴿بصير﴾ وعليه مُجاز.

﴿وإن تولوا﴾ يعني: عن الإيمان ولم [ينتهوا][٢] عن عبادة الأوثان وأصرّوا على حربك، ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم ومعينكم، فيه فثقوا وعليه فتوكلوا، ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾.

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧ ح١٠٧٣).

(٢) في الأصل: تنتهوا.

قوله تعالى: ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء﴾ "ما" بمعنى الذي، والهاء محذوفة من الصلة، أصله: غنمتموه، والخبر ﴿فأن لله خُمُسه﴾[١].

قال الزجاج[٢]: الأموال ثلاثة أصناف: فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب فقد سمّاه الله أنفالاً وغنائم. وما صار من المشركين في خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب فقد سمّاه الله فَيْئاً. وما خرج من أموال المسلمين؛ كالزكاة والنذر والقُرَب فقد سمّاه الله صدقة.

ومعنى الآية: اعلموا أن ما غنمتم من المشركين قسراً وقهراً، من شيء قليل أو كثير.

قال مجاهد رحمه الله: المَخِيطُ من الشيء[٣].

﴿فأن لله خُمُسه﴾ وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث: "خُمْسَه" بتسكين الميم[٤].

فصل

لا نعلم خلافاً بين العلماء: أن أربعة أخماس الغنيمة لمن شهد الوقعة على قصد الجهاد وإن لم يقاتل، للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٦-٧)، والدر المصون (٣/ ٤١٩).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤١٣-٤١٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٢٤٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٥٠٢)، والطبري (١٠/ ٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٥) وعزاه لعبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) زاد المسير (٣/ ٣٥٨).

وقال أبو حنيفة: للفارس سهمان[(١)]. فأما من حضر بعد انقضاء الحرب فلا حق له فيها.

قال أبو حنيفة: إذا لحق المدد بعد انقضاء الحرب أسهم لهم[(٢)]. واحتجوا بحديث أبي موسى قال: «قدمنا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم»[(٣)]. وهو حديث مخرج في الصحيحين.

وأجاب عنه الآخرون، فقالوا: إنما أعطاهم من الجنس الذي هو حقه دون حقوق من شهد الوقعة، وإن كان قد أعطاهم من الغنيمة فلموضع حاجتهم بإذن الغانمين.

فإن قيل: قد أسهم النبي ﷺ لعثمان وطلحة من غنائم بدر ولم يشهداها؟

قلت: كان ذلك في وقت كانت الغنيمة خالصة للنبي ﷺ قبل نزول هذه الآية.

وأما السهم الخامس؛ فقال مالك: هو مفوّض إلى اجتهاد الإمام يضعه حيث يرى[(٤)].

المشهور من قول مشاهير الأئمة وجماهير الأمة: أنه يقسم على ما نطقت به هذه الآية على خمسة أسهم.

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٢٣٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٨٣)، والمغني (٦/ ٣٢٢).

(٢) انظر: جواهر العقود (١/ ٣٨٢)، ومغني المحتاج (٤/ ٢٢٧)، وروضة الطالبين (١٠/ ٢٧٥)، وحاشية ابن عابدين (٤/ ١٣٧)، والكافي (١/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٤٢ ح٢٩٦٧)، ومسلم (٤/ ١٩٤٦ ح٢٥٠٢).

(٤) انظر: المغني (٦/ ٣٢٠).

وشذّ أبو العالية فقال: يقسم على ستة أسهم، وجعل السهم المضاف إلى الله للكعبة، والجمهور على خلافه.

والمعنى: فأن للرسول خُمُسه، وذكر اسم الله للتبرّك به، أو لإظهار شرف المكسبة وطيبها حيث أضيفت إلى الله تعالى.

فصل

وأما سهم الرسول ﷺ فكان يصنع فيه ما شاء مدة حياته.

واختلفوا: هل سقط بموته؟

فقال أبو حنيفة: سقط بموته كالصَّفِيّ.

وقال الأكثرون: لا يسقط بموته.

ثم اختلفوا في ماذا [يُصنع][1] به؟ فقال قتادة: هو للخليفة بعده.

وقال أحمد والشافعي: يصرف في المصالح[2].

وعن أحمد رواية أخرى: أنه يصرف إلى أهل الديوان الذين نصبوا أنفسهم للجهاد[3].

وقال بعضهم: يرد في الخمس ثم يقسم على أربعة أسهم، سهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل.

---

(١) في الأصل: يوضع.

(٢) زاد المسير (٣/ ٣٦٠).

(٣) جواهر العقود (١/ ٣٨١).

فصل

وأما سهم ذوي القربى فاختلفوا في مصرفه، فقال مجاهد وعلي بن الحسين وأبو حنيفة: يصرف إلى بني هاشم فقط. وقيل: إلى قريش.

قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم، فأبى علينا قومنا وقالوا: قريش كلها ذوو قربى[١].

وقال الإمامان أحمد والشافعي: يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب[٢].

والدليل على صحته: ما أخبرنا به الشيخان أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق بن الخازن النيسابوري قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان [الكرجي][٣]، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا الثقة، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن جبير بن مطعم قال: «لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، أتيته أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك [الله به][٤] منهم، أرأيت إخواننا [من][٥] بني المطلب أعطيتهم وتركتنا

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٦). وانظر: الماوردي (٢/ ٣٢٠)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٠).

(٢) زاد المسير (٣/ ٣٦٠).

(٣) في الأصل: الكرخي. والصواب ما أثبتناه. وقد سبقت ترجمته.

(٤) زيادة من مسند الشافعي (ص:٣٢٤).

(٥) مثل السابق.

[أو منعتنا][(١)]، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة؟! فقال رسول الله ﷺ: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا، وشبك بين أصابعه»[(٢)].

وفي رواية: «لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام»[(٣)]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وكان يحيى بن معين يرويه: "سيء واحد" بالسين المهملة، أي مثلٌ واحد، تقول: هذا سيء هذا، أي: مثله ونظيره. قال الخطابي: وهو أجود.

قال الحافظ أبو الفضل بن ناصر رحمه الله: بنو المطلب دخلوا مع بني هاشم إلى الشِّعْب لما حاصروهم المشركون، دون غيرهم.

فصل

واختلفوا في سهم ذوي القربى بعد رسول الله ﷺ؛ فذهب الإمامان أحمد والشافعي إلى أنه لهم أبداً؛ لأنهم استحقوه عوضاً عن الصدقة أو بالقرابة وهي باقية، وكذلك سوينا فيه بين الغني والفقير.

قال الإمام أحمد: يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين[(٤)].

وقال أبو حنيفة: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى بعد موت الرسول ﷺ مردود على باقي السهام الثلاثة، وجعلهم أسوة الفقراء.

---

(١) زيادة من مسند الشافعي (ص:٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٤٣ ح٢٩٧١)، وأبو داود (٣/ ١٤٦ ح٢٩٨٠)، والنسائي (٣/ ٤٥ ح٤٤٣٩)، والشافعي في مسنده (ص:٣٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ١٤٦)، والنسائي (٣/ ٤٥)، وأحمد (٤/ ٨١).

(٤) المغني (٦/ ٣١٧).

فصل

وتصرف الأخماس الثلاثة إلى فقراء يتامى المسلمين ومساكينهم، وأبناء السبيل، لكل صنف خُمْس. وقد ذكرناهم فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: إن كنتم آمنتم بالله فاقبلوا وأطيعوا[1]، ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾ يعني: محمداً ﷺ.

فإن قيل: لم قال: "على عبدنا" دون أن يذكره باسمه أو بوصفه الغالب وهو الرسالة؟

قلت: يُعَلِّمُهُم أنه لم يُخرجه وصفُ الرسالة وشرف النبوة وإنزال الكتاب عليه ورَفْعِه ليلة المعراج إليه؛ عن أن يكون عبداً لله. وقلَّ أن يُطلق عليه هذه اللفظة إلا مقترنة بأمر عظيم وشرفٍ منيف، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده... الآية﴾ [الإسراء:١]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده... الآية﴾ [الفرقان:١]، وليشرفه باسم العبودية المضافة إليه جلّت عظمته، ألا ترى أن الملك العظيم من ملوك الدنيا إذا أضاف شخصاً إليه بلفظ العبودية فقال: فلان عبدي وغلامي، فإنه يجد لذلك لذاذة وسروراً، ويكسب به شرفاً وفخراً؛ لأن ذلك دليل على أنه رضيه لنفسه واختاره لقربه وموالاته. كأنّ المعنى: على عبدنا الذي هو عبدنا على الحقيقة، كما جاء في الحديث: «أولئك عبادي حقاً».

ولأن زيادة الخضوع لله والتواضع لعظمته مما يوجب زيادة الشرف وارتفاع الدرجات للعبد، ومما تتلذذ به نفوس المحبين لله والعارفين به، كما قيل:

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٧)، والدر المصون (٣/ ٤٢٠).

ذُلُّ الفتى في الحبّ مكرمة   وخضوعه لحبيبه شرف[١]

وقال بعضهم:

لا تدعني إلا بيا عبدها   فإنه أشرف أسمائي[٢]

والمراد بيوم الفرقان: يوم بدر؛ لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل.

﴿يوم التقى الجمعان﴾ جمع الموحدين وجمع المشركين.

والذي أنزل عليه ذلك اليوم: وجوب التفويض إلى الله ورسوله، والأمر بالتقوى، وإصلاح ذات البين، والطاعة. وذلك في قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال... الآية﴾.

والمعنى: إن كنتم آمنتم بالله والمنزل على عبده يوم بدر، وهو أول هذه السورة فاعملوا بموجب ما شرع لكم وبيّن في هذه الآية، من أمر الغنيمة.

﴿والله على كل شيء قدير﴾ قال ابن عباس: يقدر على نصركم وأنتم أقلّة أذلة[٣].

إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ

(١) انظر البيت في: المدهش لابن الجوزي، الفصل السادس والسبعون.

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١/ ٢٣٢)، وروح المعاني (٩/ ٨٥)، وكشف الخفاء (١/ ١٦)، وفتح القدير (٣/ ٢٠٦).

(٣) الوسيط (٢/ ٤٦٢).

مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر العين في الموضعين، وقرأهما الباقون بالضم(١).

قال ابن السكيت(٢): عُدْوةُ الوادي وعِدْوتُه: جانبُه وحافَّتُه، والجمع عِدًى وعُدًى(٣). والدنيا تأنيث الأدنى، والقصوى تأنيث الأقصى، وهو الأبعد.

وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو، فإن العرب تحوله إلى الياء، نحو: الدنيا مِنْ دنوت، والعليا مِنْ علوت؛ لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول، وليس في هذا اختلاف، إلا أن أهل الحجاز قالوا: القُصْوَى، فأظهروا الواو وهو نادر، وغيرهم يقول: القُصْيا(٤).

وكان نزول المسلمين على شفير الوادي الأدنى من المدينة، والمشركون على شفيره الأقصى مما يلي مكة.

﴿والركب﴾ أبو سفيان وأصحابه ﴿أسفل منكم﴾ نصبه على الظرف(٥)، يعني: أنهم قد أخذوا مكاناً أسفل من مكانكم، فطلبوا ساحل البحر، ﴿ولو تواعدتم﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٠-٣١١)، والكشف (١/ ٤٩١)، والنشر (٢/ ٢٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٦).

(٢) إصلاح المنطق (ص:١١٥).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (عدا).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (قصا).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٧)، والدر المصون (٣/ ٤٢٢).

أنتم وأهل مكة للقتال والنزول بعدوتي الوادي على تلك الهيئة ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ بالتقدم [والتأخر][(١)]، ولتثبطتم لقلّتكم وكثرتهم، ولكنه سبحانه مهّد للفريقين أسباب الانقياد وَجَمَعَهُم على غير ميعاد، ﴿ليقضي الله أمراً كان﴾ في سابق علمه ﴿مفعولاً﴾ وهو إعزاز دينه [وأوليائه][(٢)] وإذلال أعدائه.

واللام في "ليقضي" تتعلق بمحذوف تقديره: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً دبّر ذلك وهيأ أسبابه[(٣)]، يدل عليه قوله: ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ أي: ليهلك من هلك في ذلك اليوم بالقتل أو بالدوام على الكفر، ﴿عن بينة﴾ أي: دلالة واضحة، فإنهم شاهدوا آيات؛ منها نزول الملائكة، حتى أن اللعين -فرعون هذه الأمة- أبا جهل قال لابن مسعود حين جاءه يُذَفِّف[(٤)] عليه: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة، فقال: هم غلبونا لا أنتم.

﴿ويحيى من حَيَّ﴾ وقرأت لنافع والبزي والقزاز عن عبدالوارث، وأبي بكر عن عاصم، ونصير عن الكسائي وأبي جعفر وخلف في اختياره ويعقوب: "حَيِيَ" بياءين، الأولى مكسورة والثانية مفتوحة بإظهار التضعيف[(٥)].

﴿وإن الله لسميع عليم﴾ يسمعُ تَضَرُّعَكُم ودعاءَكم، ويعلمُ كيف يُدَبِّرُ أمورَكم ويصلحُ أحوالكم.

---

(١) في الأصل: وتأخر.

(٢) في الأصل: وأولائه.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٢٣).

(٤) الذَّفُّ: الإجهاز على الجريح وتحريرُ قتله (اللسان، مادة: ذفف).

(٥) النشر (٢/ ٢٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٧).

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إذ يريكهم الله﴾ نُصِبَ بإضمار "اذكر"، أو هو بدل ثان من "يوم الفرقان"، أو متعلِّق بقوله: "لسميع عليم"[1]، أي: يعلم المصالح، إذ يقللهم في عينك في منامك، أو سميع لما يقول أصحابك، عليم بما يضمرون إذ حدثتهم بما رأيت في منامك، وذلك أن الله تعالى أراه إياهم في منامه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه.

قال مجاهد: كان ذلك تثبيتاً للصحابة[2].

وقال الحسن: ﴿في منامك﴾ أي: بعينك التي تنام بها[3]؛ لأنها مكان النوم[4].

قال الزجاج[5]: وكثير من النحويين[6] يذهبون إلى هذا المذهب.

---

(١) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) قال ابن كثير (٢/ ٣١٦): وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٩). وانظر: الطبري (١٠/ ١٢) والوسيط (٢/ ٤٦٣).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤١٩).

(٦) كأبي عبيدة. انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٤٧).

قال الزمخشري[١]: وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية فيه عن الحسن صحيحة، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته.

قال ابن عباس: المعنى: إذ يريكهم الله يا محمد في منامك قليلاً لتحتقرهم فتجترئ عليهم[٢].

﴿ولو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾ لجبُنتم وتأخرتم عن حربهم، ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي: ولاختلفت آراؤكم وتفرقت كلمتكم، ﴿ولكن الله سلم﴾ من الفشل والتنازع، ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾.

قال ابن عباس: عَلِمَ ما في صدوركم من الحب لله[٣].

وقيل: عَلِمَ ما فيها من الجرأة والجبن، والصبر والجزع.

قوله تعالى: ﴿وإذ يريكموهم﴾ الضميران مفعولان، و﴿قليلاً﴾ نصب على الحال[٤].

والمعنى: إذ يبصركم أيها المؤمنون إياهم قليلاً تصديقاً لقول رسول الله ﷺ، وتحقيقاً لرؤياه، ولتزدادوا جرأة عليهم.

قال ابن مسعود: لقد قُلِّلُوا في أعيننا، حتى قلتُ لرجل إلى جانبي: أتراهم

---

(١) الكشاف (٢/ ٢١٣).

(٢) انظر: الطبري (١٠/ ١٣)، والوسيط (٢/ ٤٦٣)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٤).

(٣) الوسيط (٢/ ٤٦٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٢٤).

سبعين؟ فقال: أراهم مائة، حتى أخذنا رجلاً منهم قلنا: كم كنتم؟ قال: كنا ألفاً[(١)].

﴿ويقللكم في أعينهم﴾ لئلا يُحجموا عنكم فلا تظفروا فيهم بالمقصود.

قال الكلبي: استقل المؤمنون بالمشركين والمشركون المؤمنين ليجترئ بعضهم على بعض[(٢)].

وقد حررتُ القول في هذا المعنى في سورة آل عمران عند قوله: ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ [آل عمران:١٣].

﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور﴾ سبق تفسيره.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي: بعد هذا مصيركم إليّ، فأُكرمُ أوليائي وأعاقب أعدائي[(٣)].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ أي: جماعة كافرة. وترَكَ وصفَهم بالكفر لانحصار القتال إذ ذاك لهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٠)، والطبري (١٠/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) الوسيط (٢/ ٤٦٣).

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ٤٦٣).

والمعنى: فاثبُتوا لقتالهم.

﴿واذكروا الله كثيراً﴾ في ذلك الموطن، بالدعاء والثناء والاستنصار على الأعداء، فإن الله ذَاكِرٌ مَنْ ذَكَرَهُ، ونَاصِرٌ مَنْ نَصَرَه.

﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون بمقصودكم ورضا معبودكم.

ثم حذّرهم من اختلاف الآراء فقال: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ قوله: "فتفشلوا" نصب بإضمار "أَنْ"، ويجوز أن يكون داخلاً في جملة النهي، فيكون مجزوماً[(١)]. ويؤيده ما قرأته على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي: "وَيَذْهَبْ" بالياء وسكون الباء[(٢)]. ويؤيد الأول قراءة الباقين.

ومعنى قوله: ﴿وتذهب ريحكم﴾: دولتكم. قاله أبو عبيدة[(٣)].

قال الزمخشري[(٤)]: شُبِّهَتْ في نفوذ أمرها وتمشيته[(٥)] بالريح وهبوبها. يقال: هَبَّتْ رياح فلان؛ إذا دالت له الدولة ونفذ أمره[(٦)].

وقيل: لم يكن نصرٌ قط إلا بريح يبعثها الله[(٧)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٨)، والدر المصون (٣/ ٤٢٥).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٦٥).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٤٧). وهو قول الأخفش أيضاً. انظر: الوسيط (٢/ ٤٦٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٥).

(٤) الكشاف (٢/ ٢١٥).

(٥) في الكشاف: وتمشيه.

(٦) انظر: اللسان، مادة: (روح).

(٧) وهو قول قتادة وابن زيد. أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٦) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»[١].

قلت: وإلى قول أبي عبيدة تؤول أقوال المفسرين؛ من أن الريح: الصولة أو الحدّة أو الشدة أو النصر.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم﴾ يعني: النفير، ﴿بطراً ورئاء الناس﴾.

قال الزجاج[٢]: البطرُ: الطغيان في النعمة وترك شكرها، والرياء: إظهار الجميل ليُرى مع إبطان القبيح.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٠ ح٩٨٨)، ومسلم (٢/ ٦١٧ ح ٩٠٠).

والدَّبُور: هي الريح التي تقابل الصبا والقَبول، وهي ريح تهبُّ من نحو المغرب، والصبا تقابلها من نحو المشرق (اللسان، مادة: دبر).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٥٠).

قال قتادة: هؤلاء أهل مكة خرجوا ولهم بغي وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادك ورسولك». فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصرة الدين[1].

وقد ذكرنا فيما مضى: أن أبا سفيان أرسل إليهم يُؤذنهم بسلامة العير، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نقدم بدراً فنشرب الخمور، وننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونُقيم القِيان[2] والمعازف، فتسمع بنا العرب فتهابنا[3]، فانعكس عليهم الأمر، فنَحروا أنفسهم بدل الجزور، وشَربوا المنايا عوضاً عن الخمور، وناحت عليهم النوائح مكان القيان والمعازف.

قوله تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي: واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداتك وإبطال ما جئت به، ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ وذلك أنهم لما أجمعوا المسير خافوا بني كنانة، فتبدّا لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك -وكان من أشراف بني كنانة- فقال: لا غالب لكم اليوم من الناس، ﴿وإني جار لكم﴾ أي: حافظ ومجير من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً، ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ التقى الجمعان؛ المسلمون والمشركون ﴿نكص على عقبيه﴾ أي: رجع القَهْقَهرى وذلك أن إبليس رأى جبريل عليه

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) وهنّ الإماء المغنيات (انظر: اللسان، مادة: قين).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٤). وانظر: الماوردي (٢/ ٣٢٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٦).

السلام ومعه الملائكة، وكان إبليس آخذاً بيد الحارث بن هشام على صورة سراقة، فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾، فانهزم وانهزم المشركون، فقال الناس: هزمهم سراقة. فلما بلغ ذلك سراقة قال: والله ما شعرت بمسيركم حتى تلقّتني هزيمتكم.

وقيل: إن قول الشيطان كان بطريق الوسوسة، وأن نكوصه مجاز عن بطلان كيده.

والأول هو التفسير الصحيح.

﴿إني أخاف الله﴾ قال قتادة: صدق عدو الله في قوله: "إني أرى ما لا ترون"، [ذُكِرَ لنا](١) أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: "إني أخاف الله" والله ما به مخافة الله، ولكنه علم أنه لا قوة له بهم(٢).

وقال عطاء: المعنى: إني أخاف الله أن يهلكني(٣).

قال ابن الأنباري(٤): لما رأى نزول الملائكة خاف أن تكون القيامة، فيكون انتهاء إنظاره، فيقع به العذاب.

---

(١) في الأصل: ذكرنا. والتصويب من زاد المسير (٣/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٦). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٦٥-٤٦٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٦٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٦٧).

﴿والله شديد العقاب﴾ من تمام الحكاية عن إبليس. وجائز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى.

أخرج مالك في الموطأ من حديث طلحة بن عبيدالله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام، إلا ما كان من يوم بدر. فقيل: ما رأى من يوم بدر؟ قال: رأى جبريل يَزَعُ الملائكة»[1]. هذا حديث مرسل.

قوله تعالى: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ قال ابن عباس: هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج[2].

﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شكٌّ، وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا، فأخرجهم المشركون يوم بدر كرهاً، فلما رأوا قلة المسلمين ارتابوا في الدين وقالوا: ﴿غرّ هؤلاء دينهم﴾.

وعدّهم مقاتل فقال[3]: [هم][4] قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس[5] بن

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٤٢٢ ح٩٤٤).

ويَزَعُ الملائكة: أي يُرَتِّبهم ويُسَوِّيهم ويَصُفُّهم للحرب (اللسان، مادة: وزع).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٦٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٧).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢)، وليس فيه الحارث بن زمعة والعاص بن منبه، بل ذكر عمرو بن أمية بن سفيان بن أمية.

(٤) في الأصل: لهم. والتصويب من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٥) كذا في الأصل وزاد المسير. وفي تفسير مقاتل: قيس بن الفاكه.

الفاكه بن المغيرة، والوليد بن الوليد[١] بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعلي[٢] بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، والوليد بن عتبة بن ربيعة.

وروي عن ابن عباس والحسن أن الذين قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾: هم المشركون[٣].

وفي قوله عقيب ذلك جواباً لقولهم: ﴿غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ إيذان بحسن نيات المسلمين في ذلك الموطن، وثقتهم بالاعتماد عليه في ذلك اليوم، وأن توكلهم على الله كان السبب الأقوى في استعلائهم على أعدائهم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من سرّه أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله»[٤].

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ

---

(١) في الأصل زيادة: والوليد. انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٨).

(٢) كذا في الأصل وزاد المسير. وفي تفسير مقاتل: والعلاء.

(٣) انظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٥٥)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٨).

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٩٦٧ ح١٠٧٠)، والبيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٣٦٤ ح٩٨٦). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ١٩٠)، والجرجاني في الكامل (٧/ ١٠٦).

يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولو ترى﴾ أي: لو شاهدت؛ لأن "لو" تَرُدُّ الفعل المضارع إلى معنى الماضي، كما تَرُدُّ "إن" الماضي إلى معنى الاستقبال.

﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ قرأ ابن عامر: "تتوفى" بتاءين، لتأنيث لفظ الملائكة، وقرأ الباقون بالياء والتاء[1]؛ لأن التأنيث غير حقيقي، وللفصل بين الفعل والفاعل.

والمراد بالملائكة: مَلَكُ الموت وأعوانه، في قول مقاتل[2].

وملائكة العذاب، في قول أبي سليمان الدمشقي[3].

وحكى الماوردي[4]: أنهم الملائكة الذين نزلوا لنصر المسلمين يوم بدر.

والمراد بالتوفي على القول الأول: قبض أرواحهم.

وعلى القول الثاني: الاستيفاء والقبض، كما تقول: توفيتُ حقي واسْتوفيتُه؛ إذا قبضته[5].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١١)، والكشف (١/ ٤٩٣)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣).

(٣) زاد المسير (٣/ ٣٦٨).

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٣٢٦).

(٥) انظر: اللسان (مادة: وفى).

وعلى القول الثالث: قبض الأرواح أيضاً، لكنه إضافة الشيء إلى نفسه.

وقوله: ﴿يضربون﴾ حال من "الملائكة"[١].

فإن قلنا: هم مَلَكُ الموت وأعوانه؛ فقد ورد في الأثر: أنهم يضربون الكافر عند الموت بسياط من نار[٢].

وإن قلنا: ملائكة العذاب، فقد ورد أنهم يَضربون وجوهَهم حين يتلقونهم يوم القيامة، وأدبارَهم حين يسوقونهم إلى النار[٣].

وإن قلنا: هم ملائكة النصر، فالمعنى: يضربون وجوه بعضهم يوم بدر وأدبار بعضهم[٤].

وقيل: يضربون وجوههم إذا أقبلوا للقتال، وأدبارهم إذا انهزموا[٥].

وقال ابن جريج: يضربون ما أقبل منهم وأدبر، يريد أجسادهم كلها[٦].

قال الحسن: قال رجل: يا رسول الله إني رأيت ظهر أبي جهل مثل الشراك. قال: ذلك ضرب الملائكة[٧].

﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ عطف على "يضربون"، على إرادة القول، أي: ويقولون ذوقوا عذاب.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٨)، والدر المصون (٣/ ٤٢٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في: زاد المسير (٣/ ٣٦٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٦٩).

(٤) الماوردي (٢/ ٣٢٦)، وزاد المسير (٣/ ٣٦٩).

(٥) زاد المسير (٣/ ٣٦٨).

(٦) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٦٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢).

وقال الحسن: هذا يوم القيامة، يقول لهم خَزَنَةُ جهنم: ذوقوا عذاب الحريق[١].

وقيل: كان مع الملائكة الذين نزلوا للنصر مَقَامِعُ[٢] من حديد، كلما ضربوا التهبتْ في الجراحات، فذلك قوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾[٣].

وجواب "لو" محذوف، تقديره: لو ترى يا محمد ذلك لرأيت منظراً فظيعاً هائلاً[٤].

﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ جائز أن يكون من تمام الحكاية عن كلام الملائكة لهم، وجائز أن يكون من كلام الله تعالى.

والمعنى: ذلك العذاب بما قدمت أيديكم، الآية سبق تفسيرها في أواخر آل عمران[٥]، والتي بعدها سبق تفسيرها في أوائل آل عمران[٦].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الذي حلّ بالكفار من الانتقام والأخذ، ﴿بأن الله﴾ أي: بسبب أن الله ﴿لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم﴾ فيُحوِّلهم مما يحبون إلى ما يكرهون ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فينتقلون من الحال الجميلة إلى الحال القبيحة، أو من الحال المرضية إلى الحال المسخوطة.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٦٩) من قول مقاتل.

(٢) المَقَامِعُ: سِياط من حديد رؤوسها معْوَجَّة (اللسان، مادة: قمع).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٦٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٢٧).

(٥) الآية رقم: (١٨٢).

(٦) الآية رقم: (١١).

قال مقاتل[1]: هم أهل مكة أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ثم بَعَـثَ فيهم محمداً ﷺ، فلم يعرفوا المنعم عليهم، فغيّر الله ما بهم [من النِّعَم][2].

قال السدي: كذبوا بمحمد ﷺ فنقله إلى الأنصار[3].

فإن قيل: ليت شعري من أين للقبط أو لمشركي مكة حال جميلـة أو مرضـية فغيروها؟

قلت: لعمري إنهم ما زالوا على حال سيئة مسخوطة، لكـن ببعثـة الرسـول إليهم تبين لهم بطلان ما كانوا عليه، ووضح لهم صحة ما يدعوهم إليه، ولأجـل ذلك وجب عليهم اتباعه، وهذه حالة جميلة ونعمة جليلة، فلما غيروها بملازمة ما كانوا عليه من الضلالة ومعاندة صاحب الرسالة، غيّر الله ما بهـم، ونقلهـم مـن النعم إلى النقم.

وقال الزمخشري[4]: كـما تغـير الحـال المرضـية إلى المـسخوطة، تغـير الحـال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسل إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزَّبوا عليه، سـاعين في إراقـة دمه، غيّروا حالهم إلى أسوأ مما كانت، فغيّر الله ما أنعـم بـه علـيهم مـن الإمهـال وعاجلهم بالعذاب.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣).

(٢) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٤)، وابـن أبي حـاتم (٥/ ١٧١٨). وذكـره السيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٨١) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) الكشاف (٢/ ٢١٨).

قوله تعالى: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يعني: الأمم المكذبة، ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ يعني: قتلى قريش وآل فرعون والذين من قبلهم.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿الذين عاهدت منهم﴾ وهو بدل من قوله: ﴿الذين كفروا﴾ وهو بدل البعض من الكل[١].

والمعنى: الذين عاهدت من الذين كفروا، فـ"مِنْ" على هذا للتبعيض[٢].

﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ قال ابن عباس وغيره: هم بنو قريظة، [عاهدوا][٣] رسول الله ﷺ أن لا يحاربوه ولا يعينوا عليه، فنقضوا العهد، وأعانوا مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه الثانية فنكثوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق[٤]، ومنهم كعب بن الأشرف الذي كان يحرض أهل مكة ويبكي قتلى بدر[٥].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٨)، والدر المصون (٣/ ٤٢٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٢٨).

(٣) في الأصل: عاهد.

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٠/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٩)، ومجاهد (ص:٢٦٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٧٢).

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٥٠٣): قال البغوي: من روى أنه كعب بن الأشرف أخطأ ووهم، بل يحتمل أنه كعب بن أسد فإنه كان سيد قريظة.

﴿وهم لا يتقون﴾ نقض العهد، ولا يخشون ما في ذلك من العار وعذاب النار.

﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ تصادفنهم وتظفرنّ بهم في الحرب، وقد سبق في ﴿فإما﴾ في أوائل البقرة[١].

﴿فشرّد بهم من خلفهم﴾ أي: فرّق بما تفعل بهم من التنكيل والعقوبة جَمْعَ مَنْ [وراءهم][٢] من أعدائك وناقضي عهدك[٣] حتى لا يجسروا عليك.

وقرأ ابن مسعود: "فشرّذ" بالذال المعجمة[٤]. قيل: هما بمعنى واحد.

وقال الزمخشري[٥]: كأنه مقلوب "شذر"، من قولهم: شذر مذر.

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾

قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى: العلم[٦]، ويحتمل أن يجرى الخوف على أصله.

---

(١) الآية: ٣٨.

(٢) في الأصل: وائهم.

(٣) في هامش الأصل: عهودك.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨).

(٥) الكشاف (٢/ ٢١٩).

(٦) زاد المسير (٣/ ٣٧٣).

المعنى: ﴿وإما تخافن من قوم﴾ بينك وبينهم عهد ﴿خيانة﴾ تَبْدُ لك أمارتها وتظهر آياتها، ﴿فانبذ﴾ أي: فاطرح إليهم العهد ناقضاً له، ﴿على سواء﴾ والجار والمجرور في محل الحال[1].

والمعنى: على عدل واستواء واتفاق منك ومنهم في العلم [بالنقض][2]، فلا تأخذهمْ غرة من غير أن تشعرهم بالنقض، فإن ذلك خيانة يأباها منصب الرسالة، وغدر لا يليق بسياسة الإيالة.

﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ بنقض العهد وغيره من أنواع الخيانات.

قال ابن مسعود: كلُّ الخلال يطوف عليها المؤمن، إلا الخيانة والكذب[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[4].

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٩)، والدر المصون (٣/ ٤٢٩).

(٢) في الأصل: باتقض.

(٣) أخرج نحوه البيهقي في سننه (١٠/ ١٩٧)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٠٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٦) كلهم عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٢١ ح٣٣)، ومسلم (١/ ٧٨ ح٥٩).

قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة: "يحسبن" بالياء، لما اكتنف ذلك من ألفاظ الغيبة، فيكون المفعول الأول محذوفاً تقديره: لا يحسبن الكافرون أنفسهم سبقوا.

أو يكون المعنى: لا تحسبن محمد والسامع أن ﴿الذين كفروا سبقوا﴾.

أو يكون التقدير: أن سبقوا، فحذف "أَنْ" كما في قوله: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ [الروم:٢٤] فتسدّ "أَنْ" مسدّ [المفعولين](١)؛ كقوله: ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾ [العنكبوت:٢].

وقيل: التقدير: لا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا، فحذف الضمير لكونه مفهوماً.

وقيل: وقع الفعل على "إنهم لا يعجزون" على أنّ "لا" صلة، و"سبقوا" في محل الحال(٢)، يعني: سابقين أي: [مفلتين](٣) هاربين.

وقرأ الباقون: "تحسبن" بالتاء(٤)، على الخطاب للنبي ﷺ.

وقوله: "الذين كفروا سبقوا" مفعولا "حسب"، وهو الوجه الظاهر النير الذي لا تعسف فيه ولا تمحل. وحيث جاء هذا الحرف في القرآن: تحسبن، وتحسبهم،

---

(١) في الأصل: المفعلولين.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٢٩).

(٣) في الأصل: مفلتتن. انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٠٥).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٢)، والكشف (١/ ٤٩٣)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٧).

وتحسب، ويحسبون، وما جاء منه على صيغة الاستقبال، قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين، والباقون بكسرها[١].

قال شيخنا أبو البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي رحمه الله: فَعِلَ مثل عَلِمَ، فمستقبله يفعَل، بفتح العين، إلا أربعة أحرف: حَسِبَ يَحْسِب، ويَئِس يَيْئِس، وبَئِس يَبْئِس، والفتح في كلها جائز.

ومعنى ﴿سبقوا﴾: فاتوا.

ثم استأنف فقال: ﴿إنهم لا يعجزون﴾ وفتح ابن عامر الهمزة على إضمار اللام وحذفها[٢]، أي: لأنهم لا يعجزون.

وقرأ ابن محيصن: "يُعْجِزُونِ" بكسر النون[٣].

قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ قال السدي وابن قتيبة[٤]: هو كل ما يتقوى به من سلاح وكُراع[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٧).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٢)، والكشف (١/ ٤٩٤)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٨).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:١٨٠). وانظر: زاد المسير (٣/ ٣٧٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٠).

والكراع: اسم يجمع الخيل (اللسان، مادة: كرع).

وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن الحارث بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي "ثلاثاً"»(١).

واعلم أن هذا ليس على وجه حصر القوة في الرمي، إنما هو إعلام بها في الرمي من شدة النكاية في الحرب وحثٌّ على تعاطيه، ولهذا قال عليه السلام: «ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا»(٢).

وقال ﷺ: «من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة، ومن رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر»(٣).

قوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل﴾ أي: ما يُربط منها في سبيل الله، ويجوز أن يكون جمع ربيط؛ كفصيل [وفِصَال](٤).

وقرئ "ومن رُبُط" بضم الراء والباء(٥)، وسكون الباء أيضاً(٦)، جمع رباط.

فإن قيل: الخيل من جملة القوة، فلم خُصَّتْ بالذِّكْر؟

قلت: للمعنى الذي ذكرته في الرمي، ألا ترى إلى قول الشاعر:

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٢ ح١٩١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٧٤ ح١٦٣٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ١٣٢ ح٢٥٦٠).

(٤) في الأصل: وفصائل. انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٠٧).

(٥) وهي قراءة الحسن وعمرو بن دينار وأبي حيوة. انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والبحر المحيط (٤/ ٥٠٧).

(٦) وهي قراءة الحسن وأبي حيوة أيضاً. انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٠٧)، والدر المصون (٣/ ٤٣٢).

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَها رِمَاحاً طِوَالاً وخَيْلاً ذُكُورا(١)

وسُئِلَ ابن سيرين عن رجل أوصى بثلث ماله في الحصون، فقال: يُشترى به الخيل ويغزى عليها. فقيل له: إنما أوصى في الحصون؟ فقال: ألم تسمع قول الشاعر:

.... أَنّ الحُصونَ الخَيْلُ لا مَدَرُ القُرى(٢)

قوله تعالى: ﴿ترهبون به﴾ وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه، وليعقوب من رواية [رويس](٣) عنه: "تُرَهِّبُون" بتشديد الهاء وفتح الراء(٤). والمعنى: تخيفون به.

﴿عدو الله وعدوكم﴾ يعني: أهل مكة وكفار العرب.

﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ روي عن النبي ﷺ: أنهم كفرة الجن(٥)، فيكون الضمير في قوله: "ترهبون به" عائداً [على](٦) "رباط الخيل".

---

(١) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٧١)، ومشاهد الإنصاف (١/ ٢٥١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٤٤)، والقرطبي (١٦/ ٢٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ٧٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٧).

(٢) عجز بيت للجعفي، وصدره: (ولقد عَلِمْتُ على توقّي الرَّدى). انظر: اللسان، مادة: (حصن)، وروح المعاني (١٠/ ٢٥).

(٣) في الأصل: ريس. انظر: زاد المسير (٣/ ٣٧٥).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٤٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٧) وعزاه لأبي الشيخ. وقد رجح هذا القول الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢).

(٦) زيادة على الأصل.

وجاء في الحديث: «إن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فرس عتيق»[(١)].

ويروى: أن صهيل الخيل يطرد الجن[(٢)].

وقال مجاهد ومقاتل[(٣)]: يعني: قريظة[(٤)].

وقال السدي: هم فارس[(٥)].

وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون لا تعلمونهم[(٦)]، لأنهم معكم يقولـون: "لا إله إلا الله"[(٧)].

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٦٧٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٤٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٧) وعزاه لسعد والحارث بن أبي أسامة وأبي يعلى وغيرهم.

(٢) انظر: الطبري (١٠/ ٣٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) قال الطبري (١٠/ ٣٢): فإن قال قائل: فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون؛ فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون؟

قيل: إن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم، وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستسرون من الكفر، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو، فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون وقيل: "لا تعلمونهم"، فاكتفى للعلم بمنصوب واحد في هذا الموضع؛ لأنه أريد: لا تعرفونهم.

(٧) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

فإن قيل: نَفْيُ العلم عن المؤمنين بالعداوة في حق الجن والمنافقين ظاهر، فما وجه نفيه عنهم بالنسبة إلى اليهود وأهل فارس؟

قلت: أما اليهود فإنهم كانوا يخادعون المؤمنين ويظهرون لهم الموادة ويعاهدونهم، وكان همّ المسلمين منحصراً في مكافحة العرب ومحاربتهم ومناهدتهم.

وأما فارس فإنهم وإن كانوا أعداء لهم، غير أن بُعْد المسافة والاشتغال بالعدو المجاور، أغفل المؤمنين عن أن يتهيؤوا لهم، فأمر الله المؤمنين بالاستعداد لأعدائهم؛ إرهاباً لهم، ولمن في علمه سبحانه وتعالى أنهم بعَرَضِية أن يقاتلوا المؤمنين ويظهروا لهم المعاداة[1].

ولما كانت النفوس في مظنة الشحّ حباً لاقتناء الأموال، وَعَدَهُمُ الله الخلف في العاجل والثواب في الآجل، فقال: ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون﴾.

---

(١) قال الطبري (١٠/ ٣٢): قول من قال: عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب؛ لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم. ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم؛ لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب، ولا معنى لأن يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾، ولكن معنى ذلك: إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم، الله يعلمهم دونكم؛ لأن بني آدم لا يرونهم.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بإصبعه، وهو يقول: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة»(١).

وفي أفراد البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شِبَعَه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»(٢).

ومات عقبة بن عامر عن سبعين فرساً في سبيل الله.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾، وقرأ أبو بكر عن عاصم: "للسِّلْم" بكسر السين(٣).

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٩٣ ح١٨٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٨ ح٢٦٩٨).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٢)، والكشف (١/ ٤٩٤)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٨).

قال الزجاج[١]: يقال: سَلَمٌ وسِلْمٌ وسَلَم، وهي تؤنث وتذكر، بفتح السين واللام بمعنى واحد.

والمعنى: إن مالوا إلى الصلح ﴿فاجنح لها﴾ كناية عن السِّلْم، وهي تؤنث وتذكر.

وقيل: كناية عن الفعلة.

فصل

اختلف المفسرون في المشار إليهم بقوله: ﴿وإن جنحوا﴾ فقال الحسن والأكثرون: هم المشركون[٢]، وهي منسوخة بآية السيف[٣].

وقال ابن السائب: هم قريظة[٤]، فتكون مُحْكَمة، إلا أن يراد الموادعة بغير جزية، فتكون منسوخة بآية الجزية[٥].

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٢٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٦٩)، وزاد المسير (٣/ ٣٧٦).

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم ...﴾ [التوبة:٥]. انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٩٣-٩٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٤٧-٣٤٨).

وذكر النحاس في ناسخه (ص:٤٦٨) عن ابن عباس أن الناسخ لها: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم﴾ [محمد:٣٥]. وذكره أيضاً عن قتادة وقال أنها نسخت بآية السيف. ثم قال: والقول في أنها منسوخة لا يمتنع؛ لأنه أمر بالإجابة إلى الصلح والهدنة بغير شرط، فلما قال الله: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾ حظر الصلح والهدنة مع قوة اليد والاستعلاء على المشركين.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٦٩).

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...﴾ [التوبة:٢٩].

=

وقيل: إنها محكمة، وأن ذلك مَوْكُول إلى اجتهاد الإمام، فيعمل ما يراه من المصلحة لأهل الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وإن يريدوا﴾[1] يريد: بني قريظة ﴿أن يخدعوك﴾ بطلب الصلح حتى إذا أمكنتهم الفرصة وثبوا، ﴿فإن حسبك الله﴾ فهو يكفيك أمرهم ومكرهم، ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ أي: قوّاك بأسباب النصر من إنزال الملائكة وتثبيت قلوب أصحابك، وإلقاء الوهن في قلوب أعدائك وغير ذلك من الأسباب، ﴿وألّف بين قلوبهم﴾ أي: بين قلوب الأوس والخزرج بعد انطوائهم على الأحقاد والضغائن وإيقاد نَائِرَة[2] الحرب والفساد بينهم مائة وعشرين سنة، فَنَظَمَ الله تعالى لنصر نبيه ألفتهم وجَمَعَ لأجله كلمتهم، وما ذاك إلا بعض معجزاته الباهرة وآياته الظاهرة.

﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم﴾ ولا كان ذلك في طوقك ولا في طوق بشر، ولكن الله تعالى الذي لا رادّ لما قضاه، ولا ضادّ لما أمضاه، ألّف بين قلوبهم حتى اتفقوا على كلمة الإسلام ومعاداة من يخالفك من أهل الكتاب وعَبَدَة الأصنام.

= انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٩٣-٩٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٣٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٤٨-٣٤٩).

(١) في الأصل زيادة قوله: خيانتك. وهو خطأ.

(٢) نائرة الحرب: شرّها وهَيْجها (اللسان، مادة: نور).

قال الزجاج[(١)]: وهذا من الآيات العظام، وذلك أن النبي ﷺ بُعث إلى قوم أنفتُهم شديدة، ونصرة بعضهم لبعض، بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته حتى يُدركوا ثأره، فألّف الإيمان بين قلوبهم، حتى قاتل الرجل أخاه وابنه وأباه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ المعنى: توكل عليه وثِقْ به، فهو يكفيك أمر أعدائك.

قوله: ﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾ جائز أن يكون في موضع نصب عطفاً على تأويل الكاف من "حَسْبُكَ"[(٢)]، على معنى: يكفيك ويكفي أتباعك المؤمنين. قال الشاعر:

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٢٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٠)، والدر المصون (٣/ ٤٣٣).

إذا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ العَصَا فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكُ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[(١)]

وجائز أن يكون في موضع رفع، على معنى: حسبك الله وأتباعك المؤمنون. والأول قول ابن عباس والأكثرين. والثاني قول مجاهد[(٢)].

وقال الثعلبي[(٣)]: كل من خفض، عطفاً على الكاف في قوله: "حسبك الله".

قلت: وهذا قبيح عند النحاة؛ لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع، وقد ذكرنا علته فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال﴾ أي: بالغ في حَثِّهم عليه، حتى تعلم من تخلَّف منهم عنه أنه حارض، أي: مقارب للهلاك، ومنه: ﴿حتى تكون حَرَضاً﴾ [يوسف:٨٥]. هذا قول الزجاج[(٤)].

قال ابن عباس: حَرِّضهم على نصر دين الله[(٥)].

﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ هذا خارج مخرج البشارة، والإعلام بأن النصر [مقرونٌ][(٦)] بالصبر.

---

(١) البيت لم أعرف قائله. ونسبه في ذيل الأمالي (ص:١٤٠) لجرير. وقال في السمط (ص:٨٩٩) نسبه القالي لجرير، وعليه العهدة. وانظر: شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٤٨)، ومعاني الفراء (١/ ٤١٧)، والقرطبي (٨/ ٤٢)، والرازي (١٥/ ١٩١)، والبحر المحيط (٤/ ٥١١)، ولسان العرب، مادة: (حسب).

(٢) انظر قول ابن عباس ومجاهد في: زاد المسير (٣/ ٣٧٧).

(٣) الثعلبي (٤/ ٣٧٠).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٧٠).

(٦) في الأصل: مقروناً.

قال أكثر المحققين: صورته صورة الخبر، ومعناه: الأمر.

﴿وإن يكن منكم مائة﴾ قرأ أهل الكوفة: "يكن منكم" بالياء على الموضعين؛ نظراً إلى معنى المائة، ولتذكير المخاطبين، وافقهم أبو عمرو في الأولى[1]، وقرأهما الباقون بالتاء؛ لتأنيث لفظ المائة[2].

ولله [درّ][3] أبي عمرو البصري ما كان أبصره بالعربية وأدراه بالمعاني وأحذقه في الدراية، وأصدقه في الرواية. ومن تلمّح سرّ اختياره التذكير في الموضع الأول لقوله: "يغلبوا" ولم يقل: "تغلب"، والتأنيث في الموضع الثاني لتأنيث الصفة وهي "صابرة" ولم يقل: "صابرون"، علم فوز ابن العلاء بالمعلّى من بين العلماء.

قوله تعالى: ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أن المشركين قومٌ جهلة، لا يُقاتلون رغبةً في الثواب ولا رهبةً من العقاب.

قال مجاهد: كان هذا التشديد يوم بدر[4].

وقال ابن عباس: أمر الله الرجل من المسلمين أن يقاتل عشرة من الكفار، فلما شقّ ذلك عليهم رحمهم فأنزل: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعْفاً﴾[5].

---

(١) في الأصل زيادة: وقرأ.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٧-٣٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٣)، والكشف (١/ ٤٩٤)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٨).

(٣) زيادة على الأصل. وقد ورد لفظ "أبي" مرفوعاً في الأصل.

(٤) انظر: الطبري (٨/ ٤٤)، ومجاهد (ص:٢٦٧)، والماوردي (٢/ ٣٣٢)، وزاد المسير (٣/ ٣٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٠٧)، والنحاس في ناسخه (ص:٤٧٠)، والبيهقي في سننه (٩/ ٧٦)، والطبري (١٠/ ٣٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٢) وعزاه للبخاري والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في سننه.

قرأ عاصم وحمزة: "ضَعْفاً" بفتح الضاد، وضمها الباقون[١]، وهما لغتان بمعنى. وقد ذكرنا نظائرها فيما سبق.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء لأبي جعفر يزيد بن القعقاع: "ضُعَفاءَ" بضم الضاد وفتح العين والمد والهمز، جمع ضعيف[٢].

وقرأتُ على أبي [عمرو][٣] عثمان بن مقبل الياسري للمُفَضَّل عن عاصم: "وعُلم" بضم العين، "ضُعفاء" مثل أبي جعفر، إلا أنه يرفع الهمزة على ما لم يُسمَّ فاعله[٤].

ثم بيّن ما به وقع التخفيف عنهم فقال: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله﴾. أي: بإرادته ومشيئته، ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب الهروي، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر بن محمد بن الداودي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن حمويه بن أحمد بن يوسف بن أعين السرخسي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري،

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٣)، والكشف (١/ ٤٩٥)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٨-٣٠٩).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٨-٢٣٩).

(٣) زيادة على الأصل. انظر ترجمته في: المقصد الأرشد (٢/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٧٨).

حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جرير بن حازم[(١)]، أخبرني الزبير [بن][(٢)] خِرِّيت[(٣)]، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «لما نزلت: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ شقّ ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾. قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم»[(٤)]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال:

---

(١) جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي ثم العتكي، وقيل: الجهضمي، أبو النضر البصري. كان ثقة، إلا أنه اختلط في آخر عمره، مات سنة سبعين (تهذيب التهذيب ٢/ ٦٠-٦٢، والتقريب ص:١٣٨).

(٢) زيادة من الصحيح (٤/ ١٧٠٧).

(٣) الزبير بن خِرِّيت البصري، من أهل البصرة، وثقه ابن معين وغيره، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٠، والتقريب ص:٢١٤، والثقات ٦/ ٣٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٠٧ح٤٣٧٦).

«لما كان يوم بدر التقوا فهزم الله المشركين، وقُتل منهم سبعون رجلاً وأُسر سبعون رجلاً، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله! هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يهوَ ما قلتُ، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر بن الخطاب: غدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وإذا هما يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من الفداء، عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن تكون له أسرى﴾ إلى قوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق ...الآية﴾»[1]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه.

وفي حديث آخر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لَيُلَيِّنُ قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدّد قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم، قال: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٥ ح١٧٦٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠).

غفور رحيم﴾ [إبراهيم:٣٦]. وإن مثلك يا عمر كمثل نوح، قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح:٢٦]»[١].

قرأ أبو عمرو: "أن تكون" بالتاء، لتأنيث لفظ "الأسرى"، وقرأ الباقون بالياء[٢]، لتذكير معناه كما سبق.

قرأ أبو جعفر [والمُفَضَّل][٣] عن عاصم فيما قرأته لهما: "له أُسَارى" بضم الهمزة فيهما وإثبات ألف بعد السين، وافقهما أبو عمرو وأبان عن عاصم في الموضع الثاني، الباقون بفتح الهمزة من غير ألف[٤].

قال الزجاج[٥]: والإِثْخَانُ في كل شيء: قوة الشيء وشدته. يقال: قد أَثْخَنَهُ المرض؛ إذا اشتدت قوته عليه[٦].

والمعنى: ما يصلح وما ينبغي لنبي أن يحبس أعداء الله وأعداء دينه للمنّ والفداء والاسترقاق حتى يبالغ في قتلهم وإذلالهم وإيقاع الرهب في قلوبهم بالفتك فيهم.

﴿تريدون عَرَضَ الدنيا﴾ وهو الفداء.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٣).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٣)، والكشف (١/ ٤٩٥)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٩).

(٣) في الأصل: والفضل. وقد سبق صوابه قبل قليل كما أثبتناه.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٤)، والكشف (١/ ٤٩٥)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٩).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤٢٥).

(٦) انظر: اللسان، مادة: (ثخن).

قال قتادة: كان هذا يوم بدر، فاداهم رسول الله ﷺ بأربعة آلاف أربعة آلاف[١].

﴿والله يريد الآخرة﴾ قال ابن عباس: يريد لكم الجنة[٢]. فالمعنى: يريد لكم ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام وإذلال الأصنام، ﴿والله عزيز﴾ فاحذروا انتقامه ﴿حكيم﴾ فاتبعوا أحكامه، وهذا كان يوم بدر كما ذكرناه.

فلما استفحل سلطان الإسلام وظهر أمر الله وضرب الدين بجِرانه[٣] أذن الله لهم في المنّ والفداء فقال: ﴿فإما مناً بعد وإما فداء﴾ [محمد:٤].

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، وإنما كانت تنزل نار من السماء فتأكلها. فلما كانت يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم، فأنزل الله: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾»[٤].

وفي معنى الكلام أقوال:

أحدها: لولا ما سبق في اللوح المحفوظ من إحلال الغنائم لكم، لَمَسَّكُم فيما تعجلتم وأخذتم يوم بدر قبل الإذن لكم في ذلك عذاب عظيم. وهذا قول ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة[٥]، وإليه ذهب مقاتل[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٩) وعزاه لابن المنذر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٧٢)، وزاد المسير (٣/ ٣٨١).

(٣) أي: قَوِيَ الدِّينُ واسْتَقَرَّ (انظر: اللسان، مادة: جرن).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٧١ ح٣٠٨٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٤). وانظر: الطبري (١٠/ ٤٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٨١).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨).

الثاني: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنباً على جهالة، لَمَسَّكُم فيما أخذتم عذاب عظيم. رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد[(١)].

الثالث: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أنه لا يعذبهم، -وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(٢)]-. قاله الحسن وسعيد بن جبير[(٣)].

الرابع: لولا كتاب من الله سبق، وهو ما اشتمل عليه القرآن من التجاوز عن الصغائر. حكاه الماوردي[(٤)].

أنبأنا أبو علي بن عبدالله بن الفرج أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا علي بن عاصم، عن حميد، عن أنس قال: «استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس، فقام [عمر][(٥)]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٥). وانظر: الطبري (١٠/ ٤٧)، وزاد المسير (٣/ ٣٨١-٣٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٠) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٥ ح٢٨٤٥)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ح٢٤٩٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٥). وانظر: الطبري (١٠/ ٤٦)، والماوردي (٢/ ٣٣٢)، وزاد المسير (٣/ ٣٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٠) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن سعيد بن جبير.

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٣٣٣).

(٥) زيادة من مسند أحمد (٣/ ٢٤٣).

فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم عاد النبي ﷺ مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، نرى أن تعفوَ عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان عليه من الغمّ، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿لولا كتاب من الله سبق... الآية﴾»[١].

قال المفسرون: لم يكن أحد يوم بدر إلا أحبَّ الغنائم، إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسعد بن معاذ. أما عمر فكان لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، وقال: يا رسول الله، ما لنا وللغنائم؟! نحن قوم نجاهد في سبيل الله[٢].

وأما سعد بن معاذ؛ فقال ابن إسحاق: «لما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار رضي الله عنهم يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من كَرَّة العدو، فرأى رسول الله ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهية، فقال: يا سعد، لكأنك تكره ما يصنع الناس؟ فقال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، وكان الإثخان في القتل أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٣ ح١٣٥٨٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٨) عن ابن زيد. وانظر: الوسيط (٢/ ٤٧٢).

(٣) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٣٤)، وابن هشام في سيرته (٣/ ١٧٦).

قال مجاهد: وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب: «كاد يصيبنا في خلافك بلاء»[١].

قال أهل التفسير: فلما نزل هذا تحرجوا حينئذ من الغنائم، فأنزل الله: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾[٢].

قال الزجاج[٣]: الفاء للجزاء، والمعنى: قد أحللت لكم الغنائم فكلوا. وقد سبق في البقرة "حلالاً طيباً".

وصح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «لم تحل الغنائم لمن كان قبلنا، ذلك بأن الله عز وجل رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا»[٤].

﴿واتقوا الله﴾ فلا تجترؤوا على ما لم يأذن لكم فيه، ﴿إن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس: غفر لكم ما أخذتم من الفداء، ورحمكم لأنكم أولياؤه[٥].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٩ ح٣٢٧٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٧٣).

(٣) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر: زاد المسير (٣/ ٣٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٦٦ ح١٧٤٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٧٣).

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ قال أهل التفسير: لما انطلق رسول الله ﷺ بالأسارى المدينة، وفيهم العباس بن عبدالمطلب وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب، ولم يبلغه النَّوْبَة في الإطعام، فأخذت منه في الحرب، فكلّم النبي ﷺ أن يحتسب بها من فدائه، فأبى وقال: شيء خرجت تستعين به علينا لا أتركه لك، وألزمه بفداء ابني أخيه عقيل ونوفل ثمانين أوقية من ذهب، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية[(١)].

وقال محمد بن سيرين: كان فداء كل أسير مائة أوقية، والأوقية أربعون درهماً[(٢)].

وقال العباس لرسول الله ﷺ: تركت عمك يتكفف قريشاً ما عاش، فقال رسول الله ﷺ: «وأين الذهب الذي تركته عند أم الفضل، فقلت لها: ما أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهذا لك ولعبدالله والفضل ولقثم» يعني: بنيه، فقال: يا ابن أخي وما يدريك؟ فقال: «أخبرني به ربي عز وجل». فقال العباس: أشهد أنك صادق وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، والله لم يطلع على هذا أحد سوى الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل. فأسلم، وأمر ابني أخيه فأسلما. وأنزل الله تعالى هذه الآية[(٣)].

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٤٥)، وفي الوسيط (٢/ ٤٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٦) من طريق ابن سيرين عن عبيدة.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٨٣).

وروي عن ابن عباس: أنها نزلت في جميع من أُسِرَ يوم بدر[١].

وقال ابن زيد: لما بُعث رسول الله ﷺ أتاه رجال فقالوا: [لولا][٢] أنا نخاف القوم لأسلمنا، ولكنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فلما كان يوم بدر قالوا: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره، واستحللنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقتلت طائفة وأسرت طائفة. فأما الذين قتلوا فهم الذين قال الله فيهم: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [النساء:٩٧]، وأما الذين أُسِروا فقالوا: يا رسول الله، أنت تعلم أنا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفاً منهم، فذلك: ﴿قل لمن في أيديكم من الأسارى﴾ إلى قوله: ﴿عليم حكيم﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ يعني: صدقاً وإيماناً ﴿يؤتكم خيراً مما أُخِذَ منكم﴾.

وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة: "أَخَذ" بفتح الهمزة والخاء[٤]، يعني: أكثر مما أخذ منكم من الفداء وأحل وأطيب.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٩)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٣) وعزاه لابن سعد وابن عساكر.

(٢) في الأصل: لا. والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٢٣٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٤٨) وعزاه لابن جرير.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٩).

قال العباس رضي الله عنه: فأعطاني الله عز وجل خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كثير، وأدناهم من يضرب بعشرين ألف درهم، وأنا أرجو المغفرة من ربي[١].

أخرج البخاري في صحيحه تعليقاً من حديث أنس بن مالك قال: «أُتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال: انثروه في المسجد، فكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله! إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، فقال: خذ. فحثا في ثوبه، ثم ذهب لِيُقِلَّهُ[٢] فلم يستطع. فقال: مُرْ بعضهم يرفعه عليّ، قال: لا. قال: فارفعه أنت عليّ، قال: لا، فنثر منه، ثم ذهب ليقله فلم يستطع، فقال: مُرْ بعضهم يرفعه عليّ، قال: لا. قال: فارفعه أنت عليّ، قال: لا، فنثر منه، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق، فما زال يُتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثَمّ منه درهم واحد»[٣].

قوله تعالى: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ يعني: نكث ما عاهدوك عليه من الإسلام بالعود إلى الكفر ﴿فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم﴾ يوم بدر قتلاً وأسراً.

وعلى قول ابن زيد: يكون المعنى: فقد خانوا الله من قبل بخروجهم مع المشركين[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٤٥)، والوسيط (٢/ ٤٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٢) وعزاه لأبي نعيم في الدلائل.

(٢) أَقَلَّ الشيء يُقِلُّه واستقلَّه يستقلُّه: إذا رفعه وحمله (اللسان، مادة: قلل).

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً (١/ ١٦٢ ح٤١١).

(٤) زاد المسير (٣/ ٣٨٤).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ أي: هجروا أوطانهم وأهلهم وأموالهم ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ ونصرة دينه، ﴿والذين آووا ونصروا﴾ يعني: الأنصار آووا المهاجرين وأسكنوهم في منازلهم ونصروهم على أعدائهم، ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ في المعاضدة والمناصرة.

وقيل: في الميراث.

قال المفسرون: فكان المهاجرون يتوارثون بالهجرة دون القرابة، وهو معنى قوله: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[1].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٥١-٥٢). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٧٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٤) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. وانظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٤٧٤-٤٧٥)، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٩٥)، ونواسخ القرآن (ص:٣٥٣-٣٥٦).

قرأ حمزة: "من وِلايتهم من شيء" بكسر الواو، وافقه الكسائي في الكهف، وفتحها الباقون[١].

قال ابن الأنباري[٢]: الوَلاية -بالفتح-: مصدر الوَليّ، وبالكسر: مصدر الوالي، يقال: وَلِيٌّ بَيِّن الوَلاية، ووالٍ بَيِّن الوِلاية، ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا.

وقال أبو عبيدة[٣]: الوَلاية للخالق، والوِلاية -بالكسر- للمخلوق.

وقال يونس النحوي: الوَلاية -بالفتح- لله عز وجل، والوِلاية: من وليت الأمر[٤].

وقيل: هما بمعنى واحد كالوَكالة والوِكالة.

﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ يعني: الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿فعليكم النصر﴾ أي: فواجب عليكم نصرهم والذبّ عنهم لكونهم مؤمنين، ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي: عهد، فلا تنصروهم عليهم لما في ذلك من الغدر والنقض.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٤)، والكشف (١/ ٤٩٧)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٣٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٠٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٨٥).

(٣) ذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٥١) عند قوله: ﴿من ولايتهم﴾: إذا فتحتها فهي مصدر المَوْلى، وإذا كسرتها فهي مصدر الوالي الذي يلي الأمر، والمَوْلَى والمُوْلَى واحد. وانظر نص المصنف في: زاد المسير (٣/ ٣٨٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٨٥).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ قال ابن عباس: في الميراث(١).

وقال قتادة: في النصرة(٢).

وليس هذا على وجه الحكم عليهم بذلك، كما في الآية التي قبلها، وإنما هو نهي للمؤمنين عن موالاتهم ومناصرتهم.

﴿إلا تفعلوه﴾ أي: تفعلوا ما أمرتكم به من الموالاة والمعاضدة والميراث ومصارمة الكفار، وقطع ما بينكم وبينهم من المودة والقرابة، وغير ذلك من أسباب الوصل، ﴿تكن فتنة في الأرض﴾ أي: ضلال وشرك، ﴿وفساد كبير﴾ أي: عظيم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٤٠). وانظر: تفسير الماوردي (٢/ ٣٣٥)، وزاد المسير (٣/ ٣٨٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٥). وانظر: الماوردي (٢/ ٣٣٥)، وزاد المسير (٣/ ٣٨٦).

وهذا القول هو الذي اختاره الطبري (١٠/ ٥٦) وقال: وأولى التأويلين بتأويل الآية قول من قال: معناه: أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب وترك الهجرة؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الولي أنه النصير والمعين، أو ابن العم والنسيب. فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده، وذلك معنى بعيد؛ وإن كان قد يحتمله الكلام. وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك.

وقرأ أبو هريرة وابن سيرين وابن السميفع: "كثير" بالثاء[1]، وبها قرأت على شيخنا أبي البقاء للكسائي من رواية الشيزري عنه.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ أي: حققوا إيمانهم وصدقوه بالعمل بمقتضاه وفعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه، والرزق الكريم: الحسن. وهذه الآية ثناء عليهم، والتي قبلها أمر لهم بالتواصل والتناصر، فلا تكرار.

قوله: ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ يريد اللاحقين بالسابقين إلى الهجرة.

قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية[2].

﴿فأولئك منكم﴾ في الموالاة وغيرها، ﴿وأولوا الأرحام﴾ يعني: القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الميراث.

قال المفسرون: وهذا نسخ لما كانوا يتوارثون به من الهجرة والمؤاخاة[3].

وقد استدل علماؤنا بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام، وبه قال أبو حنيفة.

وقال مالك والشافعي: لا يرثون.

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٨٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٧٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٨٧).

(٣) مثل السابق.

وقد روى الإمام أحمد بإسناده: «أن أبا عبيدة كتب إلى عمر رضي الله عنه في رجل قتل ولا وارث له إلا خال، فكتب إليه عمر أن النبي ﷺ قال: إن الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له»[1].

ولأن ذوي الأرحام ساووا المسلمين في الإسلام وامتازوا بقرابة الرّحم فوجب تقديمهم.

فصل

وميراثهم عند الإمام أحمد رضي الله عنه بالتنزيل، فإذا مات عن بنت بنت وبنت أخت، فلكل واحد منهما النصف، ويرث الأبعد مع الأقرب إذا كانا من جهتين.

مثاله: (خالة وبنت عمة): للخالة الثلث، والباقي لبنت العمة.

وقال أكثر المنزلين: المال للأقرب، وهي الخالة، كما لو كانا من جهة واحدة.

وهل يستوي بين الذكور والإناث في الميراث؟ فيه عن إمامنا روايتان:

إحداهما: يسوّى بينهم؛ لأنهم يرثون بالرحم المحض، فلا يفضل الذكر على الأنثى كالإخوة من الأم.

والأخرى: يفضل الذكر على الأنثى، وبها قال أبو حنيفة وأصحابه.

والمراد بقوله ﴿في كتاب الله﴾: اللوح المحفوظ. وقيل: القرآن، فأتى فيه قسمة الموارث، وقيل: في حكمه وقسمته.

﴿إن الله بكل شيء﴾ مما خلق وفرض وحدّ ﴿عليم﴾.

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٢١ ح٢١٠٣)، وابن ماجه (٢/ ٩١٤ ح٢٧٣٧)، وأحمد (١/ ٢٨ ح١٨٩).

سورة براءة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة وثلاثون آية، وقيل: مائة وتسعة وعشرون آية. والكلام عليها تحصره فصول:

الأول: في أسمائها:

وهي تسعة أسماء: براءة والتوبة، وهما مشهوران.

الثالث: سورة العذاب. قاله حذيفة[١].

الرابع: سورة البَحوث؛ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين. قاله المقداد[٢].

الخامس: المُقَشْقِشَة؛ لأنها تبرئ من مرض الشك والنفاق، من قولك: تَقَشْقَشَ المريض؛ إذا برأ[٣].

قال الأصمعي: وكان يقال لـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ المقشقشتان؛ لأنها تبرئان من النفاق[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٦١)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٥٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٨٥-٨٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) وعزاه لابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ١٢٩)، والبيهقي في سننه (٩/ ٢١).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (قشش).

(٤) انظر: القرطبي (٢٠/ ٢٢٥).

قال أبو عبيدة[(١)]: كما يُقَشْقِشُ الهِنَاءُ[(٢)] الجَرَبُ فَيُبْرِئُه. قاله ابن عمر[(٣)].

السادس: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين. قاله ابن عباس[(٤)].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «هي الفاضحة، ما زالت تقول: ومنهم [ومنهم][(٥)]، حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها»[(٦)].

السابع: المثيرة. قاله قتادة[(٧)]؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين.

الثامن: المبعثرة. قاله ابن إسحاق[(٨)]. ومعناه قريب من الذي قبله.

التاسع: الحافرة؛ لأنها حفرت عما في ضمائرهم[(٩)].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٦).

(٢) الهِنَاءُ: ضَرْبٌ من القَطِران (اللسان، مادة: هنأ).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٤/ ١٢١) وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) وعزاه لأبي عبيد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه. وذكره السيوطي أيضاً (٤/ ٢٢٩) من طريق قتادة، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) زيادة من الصحيحين.

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٢ ح٤٦٠٠)، ومسلم (٤/ ٢٣٢٢ ح٣٠٣١).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٢٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٨) الماوردي (٢/ ٣٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ١٢١) وعزاه لابن المنذر.

(٩) زاد المسير (٣/ ٣٨٩).

الفصل الثاني:

ذهب عامة أهل العلم إلى أنها مدنية، وأنها من أواخر ما نزل من القرآن[١]، نزلت في سنة تسع.

ويروى: أن أعرابياً سمع قارئاً يقرؤها فقال: أحسبها من آخر ما نزل. فقيل له: من أين علمت هذا؟ فقال: أسمع عهوداً تنبذ، ووصايا تنفذ.

وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب حديثاً مسنداً صحيحاً في بيان صحة هذا المعنى.

الفصل الثالث: في سبب نزولها

ذكر محمد بن إسحاق وغيره من أهل العلم بالتفسير والسير: أنه لما انتظم الصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو عام الحديبية كتبوا: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع [الحرب][٢] عشر سنين[٣] [يأمن فيها الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه لا إِسْلال ولا

(١) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٨): قال ابن الغرس: مدنية إلا آيتين: ﴿لقد جاءكم رسول ...﴾ إلى آخرها.

قلت -يعني السيوطي-: غريب، كيف ورد أنها آخر ما نزل واستثنى بعضهم ﴿ما كان للنبي ... الآية﴾ لما ورد أنها نزلت في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك».

(٢) زيادة من زاد المسير (٣/ ٤٠٠).

(٣) من هنا سقط عدة لوحات من الأصل وذلك إلى قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ... الآية﴾. وقد استدركنا بقية الأثر من زاد المسير (٣/ ٤٠٠).

إِغْلال[١]، وأن بيننا عَيْبَةٌ مَكفوفة[٢]، وأنه من أحبَّ أن يدخل في عهد محمد وعقده فَعَل، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فَعَل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليّه رَدَّه إليه، وأنّه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يَرُدُّوه، وأنّ محمداً يرجع عنا عامه هذا وأصحابه، ويدخل علينا في قابل في أصحابه، فيقيم بها ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القُرُب[٣]، فوثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إن قريشاً أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح، فبيتوا خزاعة ليلاً فقتلوا منهم عشرين رجلاً، ثم إن قريشاً ندمت على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم، وكانت غزاة الفتح][٤].

---

(١) الإسلال: السرقة الخفية (اللسان، مادة: سلل).
والإغلال: الخيانة (اللسان، مادة: غلل).

(٢) العيبة: ما يجعل فيه الثياب. والعيبة المكفوفة: قال ابن الأعرابي: معناه: أن بيننا وبينهم في هذا الصلح صَدْراً مَعْقُوداً على الوفاءِ بما في الكتاب، نَقِيّاً من الغِلِّ والغَدْرِ والخِداع. والمَكْفُوفةُ: المُشرَجَة المَعْقُودة. والعربُ تكني عن الصُّدُور والقُلُوب التي تَحْتوي على الضمائر المُخْفاةِ: بالعِيابِ. وذلك أن الرجلَ إنما يَضَعُ في عَيْبَته حُرَّ مَتاعِه، وصَوْنَ ثيابه، ويَكتُم في صَدْرِه أَخَصَّ أسراره التي لا يُحِبُّ شُيوعَها، فسُمِّيت الصدور والقلوبُ عِياباً؛ تشبيهاً بعِياب الثياب (اللسان، مادة: عيب).

(٣) القُرُب: جمع، واحده: قِراب، وهو: غِمْدُ السيف والسكين (اللسان، مادة: قرب).

(٤) ما بين المعكوفين استدرك من زاد المسير (٣/ ٤٠٠).

[عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم قال: خرجت مع شداد بن أوس فنزلنا مرج الصفر، فقال: ائتوني بالسفرة نبعث بها، فكان القوم يحفظونها منه، فقال: يا بني أخي، لا تحفظوها عني، ولكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله ﷺ: «إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد](١) وأسألك شكر نعمتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»(٢).

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ قال الزجاج(٣): أعلم الله عز وجل أن عدة شهور المسلمين التي تُعُبِّدُوا بأن يجعلوها لسَنَتِهم اثنا عشر شهراً على منازل القمر، واستهلال الأهلة.

﴿في كتاب الله﴾ وهو اللوح المحفوظ.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من صحيح ابن حبان (٣/ ٢١٥-٢١٦).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣/ ٢١٥-٢١٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٨).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٤٤٥-٤٤٦).

قال ابن عباس: هو الإمام، الذي عند الله كتبه[١].

﴿يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم﴾ وقد ذكرناها عند قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾.

﴿ذلك الدين القيم﴾ قال ابن عباس: القضاء المستقيم[٢].

وقال ابن قتيبة[٣]: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي.

﴿فلا تظلموا فيهن﴾ أي: في الأشهر الحرم ﴿أنفسكم﴾.

قال قتادة: الظلم في الأشهر الحرم أعظم وزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً[٤].

وقال ابن إسحاق: المراد بالظلم فيهن: فعل النسيء، وهو تحليل شهرٍ محرّم وتحريم شهرٍ محلّل[٥].

وقال مقاتل[٦]: المعنى: لا تظلموا أحداً بالقتال في الشهر الحرام إلا أن يبدؤوكم بالقتل.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٩٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٤) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) أخرج نحوه الطبري (١٠/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٣). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٩٤).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦).

وقد ذكرنا في البقرة أن تحريم بداية مشركي العرب بالقتال في الشهر الحرام منسوخ عند أكثر العلماء.

وقيل: المعنى: لا تظلموا فيهن أنفسكم بترك قتال الكفار[١].

وقد روي عن ابن عباس: أن الضمير في قوله: ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ يعود إلى قوله: ﴿اثنا عشر شهراً﴾[٢].

والأول اختيار أكثر اللغويين والمفسرين.

وقال ابن الأنباري[٣]: العرب تعد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه، والقلة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة ما جاوز العشرة. يقولون: وجهت إليك أكبشاً فاذبحهن، وكباشاً فاذبحها، فلذلك قال: ﴿منها أربعة حُرُم﴾، وقال: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ لأنه يعني بقوله: "فيهن": الأربعة الأشهر[٤].

ومن قال أن الضمير في "فيهن" يعود إلى قوله: "اثنا عشر" فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل.

---

(١) وهو قول ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل. انظر: الماوردي (٣/ ٣٦٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٨٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٣٣).

(٤) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٣٤): السرّ في أنّ الله تعالى عظّم بعض الشهور على بعض؛ ليكون الكفّ عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها، تدريجاً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعاً.

قوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ يعني: جميعاً، ونصبه على الحال من الفاعل، أو المفعول[١]. والأول أظهر.

ثم ضمن لهم النصر بشرط التقوى فقال: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ قرأتُ لأبي جعفر ولأبي عمرو من رواية فرج عن اليزيدي: "النَّسِيُّ" بالتشديد من غير همز[٢].

قال الزمخشري[٣]: النسيء مصدر نسأه؛ إذا أخّره[٤]، يقال: نَسَأَهُ نَسْأً ونَساءً ونسيئاً؛ كقولك: مَسَّهُ مَسّاً ومِسَاساً ومَسِيساً[٥].

وقال الجوهري[٦] وغيره: هو فعيل بمعنى مفعول، من قولك: نَسَأْتُ الشَّيْءَ فهو مَنْسُوءٌ؛ إذا أَخَّرْتَهُ، ثم صرفوا منسوءاً إلى نَسِيءٍ، كما صرفوا مقتولاً ومجروحاً إلى قتيل وجريح.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٦٢).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٢٣)، والنشر (١/ ٤٠٥)، والكشف (١/ ٥٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٤).

(٣) الكشاف (٢/ ٢٥٨).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (نسأ).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (مسس).

(٦) الصحاح (١/ ٧٧).

وقيل: نَسَأْتُ الشَّيْءَ نَسْأً؛ إذا أَخَّرته، وكذلك أَنْسَأْتُهُ(١).

واختلفوا في أصل الكلمة؛ فذهب الأكثرون إلى أنها من التأخير.

قال الأخفش(٢): ومنه: النسيء في البيع، ويُقال: أَنْسَأَ الله في أَجَلك.

وقال قطرب: هو من الزيادة، فكل زيادة حدثت في شيء فهو نسيء، وقال: ومنه: قد نَسَأْتُ الناقة وَأَنْسَأْتُها؛ إذا زَجَرْتَها ليزداد سَيْرُها.

والأول أظهر وأشهر.

قال ابن عباس وقتادة وعامة المفسرين واللغويين: كانت العرب تحرم الشهور الأربعة، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم وإسماعيل، وكانوا ربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم، فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر فيؤخرونه إلى الشهر الذي بعده، ثم كذلك حتى يستدير التحريم على السنة كلها(٣).

فأعلم الله عز وجل أن ذلك زيادة في كفرهم؛ لأنهم أحلوا الحرام وحرموا الحلال.

وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»(٤)، أي: رجع التحريم إلى الشهور الأربعة، وبطل أمر النسيء، وكانوا لا يفعلون ذلك إلا في الموسم.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (نسأ).

(٢) انظر: معاني الأخفش (ص:٢١٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٩٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١١٦٨ ح٣٠٢٥)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ح١٦٧٩).

قال الفراء[١]: كانت العرب في الجاهلية إذا [أرادوا][٢] الصَّدر عن منى، قام رجل من بني كنانة يقال له: نُعيم بن ثعلبة -وكان رئيس الموسم-، يقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، ولا يُردّ لي قضاء، فيقولون: [صدقت][٣]، أَنْسِئْنا شهراً، يريدون: أخِّر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، [وأحِلَّ المحرم][٤]، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي الأشهر الثلاثة، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، وكانت عامة معيشتهم من الغارات.

قوله تعالى: ﴿يضل به الذين كفروا﴾ أي: بالنسيء.

واختلف القراء في "يُضَلُّ" فقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأتُ لجماعة، منهم يعقوب الحضرمي: بضم الياء وكسر الضاد[٥].

وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الضاد[٦].

فعلى القراءة الأولى والثالثة: "الذين كفروا" في موضع رفع. وعلى القراءة الثانية: جائز أن يكون في موضع رفع، على معنى: يضلون به أتباعهم. وجائز أن يكون في موضع نصب، على معنى: يضل الله، أو يضل الشيطان به الكفار.

---

(١) معاني الفراء (١/ ٤٣٦-٤٣٧).

(٢) في الأصل: أراد. والتصويب من معاني الفراء (١/ ٤٣٦).

(٣) زيادة من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٤) زيادة من معاني الفراء (١/ ٤٣٧).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٣٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٨-٣١٩)، والكشف (١/ ٥٠٢-٥٠٣)، والنشر (٢/ ٢٧٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢)، والسبعة في القراءات (٣١٤).

﴿يحلونه عاماً﴾ قال ابن عباس: إذا قاتلوا فيه أحلّوه وحرّموا مكانه صَفَر، وإذا لم يقاتلوا فيه حرَّموه[١].

﴿ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾ المواطأة: المماثلة والموافقة على الشيء. يقال: أوطأت فلاناً على كذا؛ إذا وافقته عليه[٢]، فالمعنى: ليوافقوا عدة ما حرَّم الله، فلا يخرجون من تحريم أربعة أشهر، ويقولون: هي بمنزلة الحرم.

﴿فيحلوا﴾ بهذه المواطأة ﴿ما حرم الله﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك -وكان زمن عسرة

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٩٥).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (وطأ).

وجدب وحَرّ شديد- كرهوا ذلك إيثاراً للثمر والظلال، وفراراً من السفر والقتال، وكان زمنَ طيب الثمار واستوائها، فنزلت هذه الآية[١].

والاستفهام في معنى التوبيخ. وأصل النَّفْر: مفارقة مكان إلى مكان لا هاج على ذلك، يقال: نفَرَ فلان إلى ثغر كذا يَنْفِرُ نفْراً ونفِيراً[٢]، ومنه: نُفُور الدابّة ونِفَارها.

[والأصل][٣] في "اثَّاقَلْتُم": تثاقلتم، ومنه على الأصل قرأ ابن مسعود والأعمش[٤]، فأدغمت التاء في الثاء؛ لاشتراكهما في الهمس، وتقاربهما في المخرج، ثم اجتلبت الهمزة توصلاً إلى النطق بالساكن. والمعنى: تثاقلتم وتقاعستم ذهاباً مع طلب الراحة والدَّعَة.

﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ المُنَغَّصَةُ بالفناء ﴿من الآخرة﴾ المُخَصَّصَةُ بالبقاء، ﴿فما متاع الحياة الدنيا﴾ وهو نعيمها الذي مِلْتُمْ إليه بالنسبة إلى نعيم الآخرة ﴿إلا قليل﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٦) كلاهما عن مجاهد، ومجاهد في تفسيره (ص:٢٧٨-٢٧٩). وانظر: الوسيط (٢/ ٤٩٥)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٥٠-٢٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٠) وعزاه لسنيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (نفر).

(٣) في الأصل: والأ.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢).

أخبرنا الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني بقراءتي عليه في رأس عين[١] بالجامع، أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود[٢]، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال[٣]، حدثنا عبدالله بن المبارك.

وأخبرنا عالياً أبو حفص عمر بن طبرزد إذناً، أخبرنا الشيخ أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر محمد بن إسماعيل الوراق قالا: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا عبدالله بن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المستورد بن شداد[٤]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله

---

(١) رأس عين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، بينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً، وقريب من ذلك بينها وبين حران، وهي إلى دنيسر أقرب، بينهما نحو عشرة فراسخ، وفيها عيون كثيرة عجيبة صافية، تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور (معجم البلدان ٣/ ١٤).

(٢) عبدالله بن محمود المروزي، أبو عبد الرحمن، روى عن حبان بن موسى، وعلى بن حجر، وعبدالوارث بن عبيد الله صاحب ابن المبارك، وإبراهيم بن عبدالله الخلال صاحب ابن المبارك (الجرح والتعديل ٥/ ١٨٣).

(٣) إبراهيم بن عبد الله بن أحمد المروزي الخلال، أبو إسحاق، صدوق، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١١٥، والتقريب ص: ٩٠).

(٤) المستورد بن شداد بن عمرو بن حنبل بن الأحنف بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن دثار القرشي الفهري الحجازي، سكن الكوفة، وتوفي بالإسكندرية سنة خمس وأربعين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٩٧، والتقريب ص: ٥٢٧).

ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فليـنظر بم ترجع»[١].

هذا حديث صحيح، انفرد مسلم بإخراجه في صحيحه، فرواه عن محمد بن حاتم، عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿إلا تنفروا﴾ أي: تخرجوا من بيوتكم مع نبيكم لجهاد أعـداء الله وإعلاء كلمة الإسلام ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، فأمسك الله المطر عنهم فكان عذابهم[٢].

﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ خيراً منكم وأطوع.

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه غني عنهم، وأن تثاقلهم غير قادح في إظهار دينـه فقال: ﴿ولا تضروه شيئاً﴾ والضمير في "تـضرّوه" يرجـع إلى الله تعـالى، في قـول الحسن[٣].

وقيل: يرجع إلى ما يرجع إليه قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه﴾ وهو محمد ﷺ.

والمعنى: إلا تنصروه أيها المتثاقلون عن النفير معه المتثبطون عن طاعته ﴿فقـد نصره الله﴾ ولستم معه حين كان بمكة وأجمعوا على المكر به، ﴿إذ أخرجـه الـذين كفروا﴾ أي: اضطروه إلى الخروج بأنواع الأذى، وما تمالؤوا عليه من الفتك به يوم اجتمعوا بدار الندوة.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٣ ح٢٨٥٨).

(٢) أخرجـه أبـو داود (٣/ ١١)، والبيهقـي في سـننه (٩/ ٤٨)، والحـاكم (٢/ ١١٤)، والطـبري (١٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٧). وذكره السيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٩٣-١٩٤) وعزاه لأبي داود وابن المنذر وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٣) الماوردي (٢/ ٣٦٣)، وزاد المسير (٣/ ٤٣٨).

وقوله: ﴿ثاني اثنين﴾ كقوله: ﴿ثالث ثلاثة﴾ [المائدة:٧٣]، ونصبه على الحال[١]، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ويروى: أن النبي ﷺ قال لجبريل لما أمره بالخروج: «من يخرج معي؟ قال: أبو بكر»[٢].

وقوله: ﴿إذ هما في الغار﴾ بدل من ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾[٣]. والغار في جبل قريب من مكة يقال له: ثور.

قال مجاهد: مكثا فيه ثلاثاً[٤].

قال عروة: وكان لأبي بكر منيحة من غنم، وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على رسول الله ﷺ بالغار[٥].

قال قتادة: وكان عبدالرحمن بن أبي بكر يختلف إليهما، فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج جاءهم بناقتين فانطلقوا[٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٥)، والزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٥٩). ولم يتعرض له الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٦٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٤٥)، والطبري (١٠/ ١٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٢) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٤) من حديث طويل، وعزاه لعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة.

(٦) ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٠٤) بلا نسبة.

قال الزهري: لما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجاً من حمام حتى باضا في أسفل النقب، والعنكبوت حتى نسج بيتاً. فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما قال: لو دخلاه لتكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس: «أن أبا بكر رضي الله عنه قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وعلى رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه!! فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»(٢).

وقال محمد بن سيرين: «ذُكِرَ رجالٌ في عهد عمر، فكأنهم فَضَّلُوهُ على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر. لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله ﷺ. فقال له: يا أبا بكر! ما لك تمشي ساعة بين يديّ وساعة خلفي؟ فقال: يا رسول الله! أذكر الطلب فأمشي خلفك، وأذكر الرصد فأمشي أمامك. فقال: يا أبا بكر! لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني، فقال: نعم والذي بعثك بالحق. فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الغار. ثم قال: انزل يا رسول الله فنزل. فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر»(٣).

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٢٩٦). قال الماوردي في تفسيره (٢/ ٣٦٤): وذهب بعض المتعمقة في غوامض المعاني إلى أن قوله تعالى: ﴿إذ هما في الغار﴾ أي: في غيرة على ما كانوا يرونه من ظهور الكفر فغار على دين ربه. وهو خلاف ما عليه الجمهور.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣٧ ح٣٤٥٣)، ومسلم (٤/ ١٨٥٤ ح٢٣٨١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧ ح٤٢٦٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه.

قال الشعبي: لقد عاتب الله أهل الأرض جميعاً غير أبي بكر في هذه الآية[١].

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت: قلتَ في أبي بكر شيئاً؟ [قال: نعم. قال][٢]: قل حتى أسمع. قال: قلت:

وَثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ ... طَافَ العَدُوُّ بِهِ إِذْ صَاعَدَ الجَبَلا

وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ الله قَدْ عَلِمُوا ... مِنَ الخَلائِقِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ بَدَلا

الثَّانِي التَّالِي المَحْمُود مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّل النَّاس مِنْهُم صَدَّقَ الرُّسُلا

فتبسم رسول الله ﷺ»[٣].

قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ بدلٌ ثانٍ من "إذ أخرجه الذين كفروا"[٤].

قال أهل العلم: من أنكر أن يكون عمر أو علي أو عثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ، فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر؛ لأنه ردّ نص القرآن[٥].

ويروى: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوم السقيفة حين تنازع المهاجرون والأنصار فقال الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير، وأخذ بيد أبي

---

(١) الوسيط (٢/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٣/ ٤٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٩-٢٠٠) وعزاه لابن عساكر عن سفيان بن عيينة.

(٢) زيادة من المستدرك (٣/ ٦٧).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٧ ح٤٤١٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٩) وعزاه لابن عدي وابن عساكر من طريق الزهري عن أنس.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٦٥).

(٥) الوسيط (٢/ ٤٩٩).

بكر، سيفان في غمد لا يصطلحان فقال: من الذي له هـذه الثلاثـة؟ ﴿إذ همـا في الغار﴾ من هما؟ ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ من صاحبه؟ ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ مع من؟ قال: فبسط يد أبي بكر وضرب عليها، ثم قال للناس: بايعوا، فبايع الناس أحسن بيعة[١].

أخبرنا حنبل بن عبدالله بن الفرج في كتابه، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي قال: حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم[٢]، حدثنا المبارك بن فضالة[٣]، حدثنا أبو عمران الجوني، عن ربيعة الأسلمي[٤] قال: «كان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم، فقال لي: يا ربيعة، ردّ عليّ مثلها حتى تكون قصاصاً، قال: قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر: لتقولنّ أو لأستعْدينّ عليـك رسـول الله ﷺ. فقلت: ما أنا بفاعل. قال: فانطلق أبو بكر إلى النبي ﷺ وانطلقت أتلوه. فجاء ناس من أسلم فقالوا لي: رحم الله أبا بكر، في أي [شيء][٥] يستعدي عليك رسول الله ﷺ، وهو الذي قال لك ما قال. فقلت: أتدرون ما هذا؟! هذا أبو بكـر الـصديق،

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٤٥).

(٢) هاشم بن القاسم بن مسلم بن مقسم الليثي، أبو النضر البغدادي، خراساني الأصل، ولقبه قيصر، توفي سنة سبع ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١٨، والتقريب ص:٥٧٠).

(٣) مبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة البصري، مولى زيد بن الخطاب. صدوق، توفي سنة خمس وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧-٢٨، والتقريب ص:٥١٩).

(٤) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، أبو فراس المدني، كان من أهل الصفة، خدم النبـي ﷺ، مـات سنة ثلاث وستين بعد الحرة (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٦، والتقريب ص:٢٠٨).

(٥) زيادة من المسند (٤/ ٥٨).

هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما، فيهلك ربيعة. قالوا: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا. قال: فانطلق أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فتبعته وحدي، حتى أتى النبي ﷺ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إليّ رأسه فقال: يا ربيعة! ما لك والصدّيق؟ قلت: يا رسول الله، كان كذا كان كذا، قال لي كلمة كرهها، فقال لي: قل كما قلت لك حتى تكون قصاصاً، فأبيت. فقال رسول الله ﷺ: أجل فلا تردّ عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر، فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر. وقال: فولّى أبو بكر وهو يبكي»[1].

قوله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ أي: على أبي بكر، في قول علي بن أبي طالب -كرّم الله وجهه- وابن عباس وعامة المفسرين[2]؛ لأن النبي ﷺ كان ساكناً مطمئناً.

وقال مقاتل[3]: "عليه" أي: على النبي ﷺ.

﴿وأيده﴾ يعني: الرسول ﷺ ﴿بجنود لم تروها﴾ يعني: الملائكة، وذلك يوم بدر والأحزاب وحُنين.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠١) عن ابن عباس وحبيب بن أبي ثابت، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٤٩) عن حبيب. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٧) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن حبيب بن أبي ثابت، وعزاه للخطيب في تاريخه.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨).

وقال الزجاج[1]: ذلك في الغار حين صَرَفَتِ الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته.

﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ وهي كلمة الشرك، ﴿وكلمة الله﴾ وهي كلمة التوحيد ﴿هي العليا﴾.

وقرأت ليعقوب الحضرمي: "وكلمةَ الله" بالنصب[2].

﴿والله عزيز حكيم﴾.

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ قال أكثر المفسرين: شباباً وكهولاً[3].

وروى عطاء عن ابن عباس: رجالة وركباناً[4].

وروي عنه أيضاً: "خفافاً": أهل اليسرة من المال، "وثقالاً": أهل العسرة[5].

وهو اختيار الزجاج، قال[6]: مُوسرين ومُعْسرين.

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٤٩).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) الوسيط (٢/ ٤٩٩)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٢).

(٥) مثل السابق.

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٤٤٩).

وبعكس هذا القول قال أبو صالح والفراء، قال الفراء[١]: "الخفاف": ذوو العسرة وقلّة العيال، و"الثقال": ذوو العيال والميسرة.

وقال جويبر: أصحّاء ومرضى[٢].

قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو قد ذهبت إحدى عينيه، فقيل: إنك عليل صاحب ضرر. فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع[٣].

وقال صفوان بن عمرو: كنت والياً على حمص، فلقيت شيخاً كبيراً من أهل دمشق، قد سقط حاجباه على عينيه وهو على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عم، لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه وقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً[٤].

وقال أهل المعاني: هذا عامٌّ في كل أحد؛ لأنه ما من أحد إلا وتخف عليه الحركة أو تثقل، فهو ممن أمر الله في هذه الآية بالنفير[٥].

ويؤيد ذلك قول ابن عباس: نسخت بقوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾[٦].

---

(١) معاني الفراء (١/ ٤٣٩).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٤٣).

(٣) ذكره البغوي (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)، والقرطبي (٨/ ١٥١).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٩٩).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٩٩)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٣).

وقول السدي: هي منسوخة بقوله: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾[(١)].

وعند الفقهاء: أن هذا تخصيص لا نسخ.

﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ قال القاضي أبو يعلى: أوجب الله الجهاد بالمال والنفس جميعاً، فمن كان له مالٌ وهو مريض أو مقعد أو ضعيف [لا يصلح للقتال][(٢)] فعليه الجهاد بماله بأن يعطيه غيره فيغزو به، [كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قوياً][(٣)]. وإن كان له مال وقوة فعليه الجهاد بهما، ومن كان معدماً عاجزاً فعليه الجهاد بالنصح لله ولرسوله؛ لقوله تعالى: ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾[(٤)].

﴿ذلكم خير لكم﴾ من التثاقل إلى الأرض ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما في ذلك من الثواب يوم المآب.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٣-١٨٠٤). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وانظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٠٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٦٦).

(٢) زيادة من زاد المسير (٣/ ٤٤٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) زاد المسير (٣/ ٤٤٣).

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ نزلت في المنافقين. والمعنى: لو كان الذي دُعوا إليه غنيمة قريبة، ﴿وسفراً قاصداً﴾ وسطاً سهلاً ﴿لاتبعوك﴾ طمعاً في اكتساب المال، وخوفاً من انكشاف الحال، ﴿ولكن بعدت عليهم الشُّقَّة﴾ وهي المسافة الشاقة، ﴿وسيحلفون بالله﴾ عند رجوعكم إليهم اعتذاراً من تخلفهم عنكم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ أي: لو قدرنا وكان لنا سعة في المال وما يتوصل به إلى الجهاد لخرجنا معكم، ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب والأيمان الفاجرة والنفاق، ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ فما يغني عنهم الاعتذار والكذب.

عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

وكان النبي ﷺ أذن لجماعة منهم في التخلف حين خرج إلى تبوك، فأنزل الله عز وجل: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾.

قال عمرو بن ميمون الأودي: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فعاتبه الله كما تسمعون[١].

قال مورق: عاتبه ربه بهذا[٢].

قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يُعيِّره بالذنب[٣].

وهذا أسلوب لطيف من أساليب العتاب. وقريب منه قول قيس فيما بعث به إلى ليلى العامرية:

عَفَا اللهُ عَنْها أَنَّها كُلَّ لَيْلَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ قَدْ يَدْنُوا إِليَّ خيَالُهَا

فأجابته:

وَعَنْهُ عَفَى رَبِّي وَأَصْلَحَ حَالَهُ ... فَعَزَّ عَلَيْنا حَاجَة لاَ يَنَالُها

قال الزمخشري عند تفسير هذه الآية[٤]: ﴿عفا الله عنك﴾ هذا كناية عن الجناية؛ لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت[٥].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (٥/ ٢١٠)، والطبري (١٠/ ١٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٠) وعزاه لعبد الرزاق في المصنف وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٠) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٠٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٥).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٦١).

(٥) قلتُ: هذا قولٌ خبيثٌ، يستدل به على خبث طويته وفساد عقيدته. وقد أجاد المؤلف في الرد عليه.

وهذا تغفيل من الزمخشري عن اللطيفة المودعة في تصدير هـذه الآيـة بـذكر العفو، وعبارة جافية لا يليق إطلاقها على آحاد ذوي الأقدار، فكيف بسيد ولـد آدم؟ الذي جعل الله تعالى تعظيمه فرضاً، فقال: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [النور:٦٣].

ولقد أجاد محمد بن الحنفية في قوله: البلاغة قول مفقه في لطف.

وأَحْسَنَ الحسن بن سهل في قوله: البلاغة ما فهمه العامة، ورضيته الخاصة. والعبارة المنكرة هاهنا لا يرضاها والله الخاصة ولا العامة.

وقال بعضهم: البلاغة: وضوح الدلالة وحسن الإشارة.

وقال أعرابي: البلاغة: حسن الاستعارة.

ولستُ أجهل أن لهذا الرجل المشار إليه[1] بالرد عليه أقواماً ترعد أنفسهم غضباً وحمية له، ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾.

ولله درّ حسان حيث يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء[2]

قوله تعالى: ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم [الكاذبين][3]﴾ أي: حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم من الذين كذبوا فيه.

---

(١) أي: الزمخشري.

(٢) انظر البيت في: لسان العرب، مادة: (عرض)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٥)، وسيرة ابن هشام (٥/ ٨٧)، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٥)، والطبري (١٨/ ٨٨).

(٣) زيادة على الأصل.

قال قتادة: نُسختْ بقوله: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾[1] [النور:٦٢].

قوله تعالى: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ قال الزجاج[2]: أَعْلَمَ اللهُ عز وجل أن علامة المنافق في ذلك الوقت: الاستئذان في التخلُّف عن الجهاد.

قال ابن عباس: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾[3] [النور:٦٢].

وأنكر أبو سليمان الدمشقي دعوى النسخ هاهنا؛ لإمكان العمل بالآيتين، فإنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لحاجة[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٢)، والبيهقي (٩/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٥). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢١٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢١١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ.
قال أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٩): وهذا غلط؛ لأن النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق، في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بقائهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى.

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٦)، والبيهقي (٩/ ١٧٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٤٦)، والسيوطي في الدر (٤/ ٢١١) وعزاه لأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٤٦). وانظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٠٠)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٠)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٥٠٥-٥٠٦)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٦٧-٣٦٨).

قال الزجاج[1] في قوله ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾: موضع "أن" النصب. المعنى: لا يستأذنك هؤلاء في أن يجاهدوا، ولكن "في" حذفت، فأفضى الفعل فنصبت "أَنْ".

قال سيبويه: ويجوز أن يكون موضعها جراً؛ لأن حذفها هاهنا إنما جاز مع ظهور "أَنْ"، ولو أظهرت المصدر لم تحذف "في"، لا يجوز: (لا يستأذنك القوم الجهاد) حتى تقول: في الجهاد، ويجوز: (لا يستأذنك القوم أن يجاهدوا).

﴿إنما يستأذنك﴾ يعني: في القعود عن الجهاد ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم﴾ أي: شكُّوا في دينهم ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ متحيرين.

قال مقاتل[2]: كانوا تسعة وثلاثين رجلاً.

﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾ قال ابن عباس: لأعدوا له النية وما يصلح للخروج من السلاح والمركوب[3].

﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ انطلاقهم بسرعة ونشاط، ﴿فثبطهم﴾ بما قذف في قلوبهم من كراهية الخروج.

قال صاحب الكشاف[4]: لما كان قوله: "ولو أرادوا الخروج" معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل: "ولكن كره الله انبعاثهم"، كأنه قيل: ما خرجوا ولكن تثبطوا.

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩).

(٣) زاد المسير (٣/ ٤٤٦).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٦٣).

قوله تعالى: ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ إما أن يكون القول هاهنا مجازاً عن إلهامهم أسباب الخذلان، أو عن وسوسة الشيطان لهم، أو هو قول بعضهم لبعض.

وحكى الماوردي[1]: أن النبي ﷺ قال ذلك لهم غضباً عليهم.

قال ابن السائب: يعني: مع القاعدين بغير عذر[2].

وقيل: مع القاعدين بعذر؛ كالنساء والصبيان، وهو أظهر، لقوله تعالى: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾، ولأنه أبلغ في ذمهم.

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾ أي: شراً وفساداً.

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه[3]: فإن قيل: كأن الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ما زادوكم إلا خبالاً؟

فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع. والمعنى: ما زادوكم قوة، لكن أوقعوا بينكم خبالاً.

قلت: والذي يظهر في نظري: أن هذا ليس من الاستثناء المنقطع؛ لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، والمستثنى منه هاهنا غير مذكور، فيقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء، كأنه قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، فيكون استثناء متصلاً.

---

(١) تفسير الماوردي (٢/ ٣٦٨).

(٢) الماوردي (٢/ ٣٦٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٧).

(٣) زاد المسير (٣/ ٤٤٧).

﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ الإيضاع: الإسراع في السير. يقال: وضع البعير وغيره؛ إذا أسرع، وأوضعه: ركبه[١]. وخلال الشيء: وسطه[٢].

والمعنى: ولأوضعوا ركابهم بينكم بالتضريب والنميمة والإفساد.

﴿يبغونكم الفتنة﴾ أي: يحاولون إيقاع الخلاف بينكم وتشتيت كلمتكم وافتراق جماعتكم، ﴿وفيكم سمّاعون لهم﴾ أي: قوم ينقلون إلى المنافقين أخباركم.

وقيل: المعنى: وفيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم.

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ أي: لقد طلبوا لك العنت والشر من قبل غزوة تبوك، ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ نصبوا لك الغوائل[٣] تارة بالسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك، وتارة بالعزم على الفتك بك.

قال المفسرون: وقف اثنا عشر رجلاً من المنافقين على طريقه ليلاً ليغتالوه وليفتكوا به فسلمه منهم[٤].

وتارة بالانخزال عنك في مضايق الحروب والكروب، كما انسلّ ابن سلول يوم أحد بالصحابة.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (وضع).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (خلل).

(٣) الغوائل: الغَوْل: المشقّة. والغول: الخيانة (انظر: اللسان، مادة: غول).

(٤) الوسيط (٢/ ٥٠١-٥٠٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٤٨).

﴿حتى جاء الحق﴾ وهو استعلاؤك على أعدائك، ﴿وظهر أمر الله﴾ أي: غلب دينه وعلا شرعه، ﴿وهم﴾ يعني: المنافقين ﴿كارهون﴾.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ أي: ائذن لي في القعود ولا تفتني بالخروج، وذلك «أن النبي ﷺ قال للجَدّ بن قيس الأنصاري السلمي: هل لك في جلاد بني الأصفر -يعني: الروم- لعلك تغنم بعض بناتهم؟ فقال: يا رسول الله! ائذن لي ولا تفتني بذكر النساء، فقد علم قومي أنني مغرم بهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك»(١).

قال ابن عباس: اعتلّ، لم تكن له عِلَّة إلا النفاق(٢).

﴿ألا في الفتنة﴾ يعني: فتنة التخلف عنك.

قال ابن عباس: هي الكفر(٣).

﴿سقطوا﴾ وقعوا.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٩)، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٧٥)، والأوسط (٥/ ٣٧٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٣) وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن جابر، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٠٢).

(٣) زاد المسير (٣/ ٤٤٩).

ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة: «من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا: جد بن قيس على بخل فيه. فقال رسول الله ﷺ: أي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور»(١). هكذا ذكره ابن إسحاق والزهري.

وقال الشعبي وابن عائشة: قال رسول الله ﷺ: «بل سيدكم عمرو بن الجموح»(٢).

والأول أكثر عند أهل العقل. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت(٣):

وقال رسول الله والحق لاحق ... بمن قال منا: مَنْ تعدّون سيدا

فقلنا له: جد بن قيس على الذي ... نبخله فينا وإن كان أنكدا

فقال: وأيّ الداء أدوى من الذي ... رميتم بها جداً وغلّ بها يدا

وسوَّد بشر بن البراء لجوده ... وحُقَّ لبشر ذي الندا أن يُسوَّدا

إذا ما أتاه الوفد أنهب ماله ... وقال: خذوه إنه عائد غدا

قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ أي: محدقة بهم يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٩)، والحاكم (٣/ ٢٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٣٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٣). وانظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٢٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٩٧ ح١٢١١٦)، والأوسط (٤/ ٧٤ ح٣٦٥٠)، والصغير (١/ ١٩٩ ح٣١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٣٠) كلهم عن ابن عباس. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣١٤) وعزاه للطبراني في الأوسط والكبير عن أبي هريرة.

(٣) انظر الأبيات في: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٥٢-٢٥٣).

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿إن تصبك حسنة﴾ أي: نصر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ تحزنهم، ﴿وإن تصبك مصيبة﴾ قتل أو هزيمة ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي: علمنا بالحزم من قبل فلم نخرج، ﴿ويتولوا﴾ عن مقامهم الذي قالوا فيه: قد أخذنا أمرنا من قبل إلى أهلهم ﴿وهم فرحون﴾ مسرورون.

وقيل: "يتولوا": يعرضوا عن رسول الله ﷺ وعن الإيمان به.

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ قال ابن عباس: قضى علينا[(١)].

وقال الزجاج[(٢)]: ما بيّن لنا في كتابه من أنّا نظفَر، فيكون ذلك حسنى لنا، أو نُقتل فتكون الشهادة حسنى لنا أيضاً.

﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ومعيننا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ سبق تفسيره في آل عمران[(٣)].

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم

---

(١) انظر: الطبري (١٠/ ١٥٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٥٠).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٢).

(٣) عند تفسير الآية رقم: (٢٢).

مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿قل هل تربصون﴾ أي: تنتظرون ﴿بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ النصر أو الشهادة، ﴿ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ قال ابن عباس: الصواعق[١].

وقيل: الموت[٢].

وقيل: ما أصاب الأمم الخالية.

﴿أو بأيدينا﴾ يعني: القتل، ﴿فتربصوا﴾ إحدى الحسنيين لنا ﴿إنا معكم متربصون﴾ إحدى السوأيين لكم.

﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم﴾ نزلت في الجد بن قيس، فإنه قال للنبي ﷺ لما عرض عليه الغزو: هذا مالي أعينك به[٣].

قال الزجاج[٤]: وهذا لفظ أمر، ومعناه: الشرط والجزاء، تقديره: إن أنفقتم طائعين أو كارهين لن يتقبل منكم. ومثله في الشعر قول كثيّر:

---

(١) زاد المسير (٣/ ٤٥١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٢). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٧) وعزاه لابن جرير.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٣).

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلاَ مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ[1]

وقال الزمخشري[2]: هو أمر في معنى الخبر، كقوله: ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ [مريم:٧٥]، وهذا إنما يجوز إذا دل الكلام عليه، كما جاز عكسه في قولك: رحم الله زيداً وغفر له.

ومعنى قوله: ﴿طوعاً﴾: تبرعاً ونفلاً، ﴿أو كرهاً﴾: إلزاماً من الله، ﴿لن يتقبل منكم﴾ لتوقف القبول على الإيمان والإخلاص.

﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ مارقين من الدين، فلا يُتقبل منكم الإنفاق ما دمتم على النفاق.

﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم﴾ قرأ حمزة والكسائي: "يُقْبَلَ" بالياء الواقعة آخر حروف التهجي؛ لأن النفقة في معنى الإنفاق. وقد أشرنا إلى تعليل مثل ذلك فيما سبق.

و"أَنْ" في قوله: "[أَنْ][3] تقبل منهم نفقاتهم" في موضع نصب، وفي "أنهم كفروا" في موضع رفع بـ"مَنَعَهُمْ"[4]، وتقديره: وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله وبرسوله.

---

(١) البيت لكثيّر. انظر: ديوانه (ص:١٠١)، واللسان، مادة: (حسن)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٤٩)، ومعاني الفراء (١/ ٤٤١)، وتهذيب اللغة (٤/ ٨١٣)، والبحر المحيط (٥/ ٥٤)، والدر المصون (٣/ ٤٧٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٢٦٦).

(٣) في الأصل: لن. وهو خطأ.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٦)، والدر المصون (٣/ ٤٧٣).

﴿ولا يأتون الصلاة﴾ التي هي عماد الإسلام ﴿إلا وهم كسالى﴾ لأنهم لا يرجون ثواب فعلها، ولا يخافون عقاب تركها، ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ لأنهم يَعُدُّون الإنفاق مَغْرماً.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ معنى الإعجاب: السرور [بها][(١)] يتعجب منه.

والمعنى: لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد، كما قال في موضع آخر: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ [الحجر:٨٨].

﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها﴾ أي: بالأموال، وذلك بالتعب في جمعها وحفظها وتثميرها، والخوف عليها والمصائب فيها، وأخذ الزكوات والنفقات منها في الغزاة وغير ذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة[(٢)].

---

(١) في الأصل: وربما. انظر: الوسيط (٢/ ٥٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨١٣) كلاهما عن قتادة.

=

﴿وتزهق أنفسهم﴾ يقال: زهقت الخيل: خرجت عن الحلبة، وزهق السهم؛ إذا جاوز الهدف[١]. فالمعنى: وتخرج أرواحهم وهم على الكفر.

قوله تعالى: ﴿ويحلفون بالله﴾ يعني: المنافقين، ﴿إنهم لمنكم﴾ يعني: في الدين، ﴿وما هم منكم﴾ لأنهم يضمرون من الكفر خلاف ما يظهرون من الإيمان، ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ أي: يخافون القتل، فلذلك يحلفون لكم إنهم لمنكم وما هم منكم.

﴿لو يجدون ملجأً﴾ مكاناً يلجؤون إليه، ﴿أو مغارات﴾ وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، ومنه: غَارَ الماء[٢].

قال ابن عباس: يعني: سراديب[٣].

﴿أو مُدّخلاً﴾ يعني: مكاناً يدخلون فيه، أو قوماً يدخلون في غمارهم. وأصله: "مدتخلاً" فأبدلوا من التاء دالاً وأدغموا فيه الأولى.

وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: "مَدْخلاً" بفتح الميم والتخفيف[٤].

﴿لولّوا إليه وهم يجمحون﴾ يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء، ومنه: الفرس الجَمُوح، وهو الذي إذا حَمَلَ لم يَرُدُّه اللجام[٥].

= وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٥٢)، والسيوطي في الدر (٤/ ٢١٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة.

(١) انظر: اللسان، مادة: (زهق).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٩٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٠٤).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٣).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (جمح).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ وهو ذو الخويصرة التميمي، ويقال: ابن ذي الخويصرة، ويقال: أبو الخواصر، وهو أصل الخوارج[1]، قال للنبي ﷺ وهو يقسم قسماً: «اعدل فإنك لم تعدل، فقال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! فنزلت هذه الآية»[2].

قرأ الأكثرون: "يَلْمِزُكَ" بكسر الميم. وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين ليعقوب الحضرمي ولابن كثير من رواية نظيف عن قنبل عنه، ولعاصم من رواية أبان عنه، ولأبي عمرو من رواية القزاز عن عبدالوارث عنه: "يَلْمُزُكَ" بضم الميم[3]، و"يلمُزون" [التوبة: ٧٩] ولا ["تلمُزوا"][4] [الحجرات:١١] بضم الميم فيهن.

والمعنى: ومنهم من يُعَنِّيكَ ويطعن عليك. يقال: لمزت فلاناً وهمزته بمعنى. قال الشاعر:

---

(١) الخوارج: سُمُّوا بذلك؛ لخروجهم عن البَيْضة وشقّهم العصا، ولذلك سُمُّوا المارقين، والمُروق: الخروج (الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٤٠ ح٦٥٣٤)، ومسلم (٢/ ٧٤٠ ح١٠٦٣).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٢٥)، والنشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٥).

(٤) في الأصل: تلمز.

إِذا لَقِيتُكَ تُبْدِي لي مُكَاشَرَةً وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَهْ[١]

قال الضحاك: كان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه، وأما المنافقون فإن أُعطوا كثيراً فرحوا، وإن أعطوا قليلاً سخطوا، فذلك قوله: ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[٢].

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي: قنعوا بما أعطاهم الله قضاء وتقديراً، ورسوله قسماً، ﴿وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ ما نحتاج إليه، ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ في الزيادة وسعة الرزق، التقدير: لكان خيراً لهم وأعود عليهم، فحذف الجواب للعلم به.

۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ اختلف العلماء في هذين الصفتين أيهما أشد حاجة، فذهب الإمامان أحمد والشافعي إلى أن الفقراء أشد

(١) البيت لزياد الأعجم. انظر: ديوانه (ص:٧٨)، ولسان العرب، مادة: (همز)، والطبري (١٠/ ١٥٦)، وزاد المسير (٣/ ٤٥٥)، وجمهرة اللغة (ص:٧٢٧)، ومقاييس اللغة (٦/ ٦٦)، ومجمل اللغة (٤/ ٤٨٨)، وأساس البلاغة (ص:٤١٤)، وإصلاح المنطق (ص:٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨١٦). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٥).

حاجة من المساكين؛ لأن النبي ﷺ استعاذ من الفقر، وقال ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[١]. أخرجه الترمذي.

قال أحمد بن عبيد: المسكين أحسن حالاً من الفقير[٢]؛ لأن الفقير أصله في اللغة: المَفْقُور الذي نُزِعَتْ فِقْرة من فقر ظهره، فكأنه انقطع ظهره من شدة الفقر[٣]، فصرف عن مفقور إلى فقير، كما قالوا في مجروح جريح، ومطبوخ طبيخ. قال الشاعر:

لَمَّا رَأَى لُبَدُ النُّسُورَ تَطَايَرَتْ رَفَعَ القَوادِمَ كَالفَقِيرِ الأَعْزَلِ[٤]

قال: ومن الحجة لهذا القول، قوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ [الكهف:٧٩]، فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً[٥].

وذهب الأصمعي وأبو حنيفة إلى أن المسكين أشد حاجة[٦]، واحتج كذلك ابن السكيت[٧] بقول الراعي[٨]:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٧ ح٢٣٥٢).

(٢) انظر: القرطبي (٨/ ١٦٩)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٥١).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (فقر).

(٤) البيت للبيد وهو يصف لُبَداً، (وهو السابع من نُسور لقمان بن عاد). انظر: ديوانه (ص:٢٧٤)، واللسان، مادة: (فقر)، والقرطبي (٨/ ١٦٩)، والتمهيد (١٨/ ٥١)، والمغني (٦/ ٣٢٣)، ومعجم البلدان (٤/ ١٩٤)، والماوردي (٢/ ٢٧٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٩٠).

(٥) زاد المسير (٣/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٦) انظر: المغني (٦/ ٣٢٣).

(٧) إصلاح المنطق (ص:٣٢٦).

(٨) البيت للراعي. وهو في: القرطبي (٨/ ١٦٩)، والتمهيد (١٨/ ٥٠)، والمحلى (٦/ ١٤٩)، والمغني (٦/ ٣٢٣)، وزاد المسير (٣/ ٤٥٦).

أما الفقير الذي كانت حَلُوبَتُه   وفْق العيال فلم يُترك له سَبَدُ

فَسَمَّاهُ فقيراً وله حلوبة تكفيه وعياله.

وقال يونس بن حبيب(١): قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله بل مسكين(٢). يريد: أنا أسوأ حالاً من الفقير.

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: الفقير: المتعفف عن السؤال، والمسكين: الذي يسأل(٣).

وقال قتادة: الفقير: المحتاج الذي به زَمَانة، والمسكين: المحتاج الذي لا زَمَانة به(٤).

ويجوز أن يعطيا من الزكاة ما يصير بهما إلى الغنى.

قوله تعالى: ﴿والعاملين عليها﴾ يعني: السُّعاة لجبايتها، فيُعْطَوْنَ منها بقدر أجورهم عندنا. وعند الشافعي وعند مالك وفقهاء العراق: هو مفوّض إلى اجتهاد الإمام.

---

(١) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي، علاّمة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة، من كتبه: "معاني القرآن"، و"اللغات"، و"النوادر". توفي سنة ١٨٢ هـ (الأعلام ٨/ ٢٦١).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٨). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٦)، وزاد المسير (٣/ ٤٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة عن جابر بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨١٩، ١٨٢٠)، والنحاس في ناسخه (١/ ٥٠٧-٥٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٢١) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ.

قوله تعالى: ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ يُعطون بقدر ما يحصل به التأليف. وهم قسمان؛ مسلمون وكافرون.

فأما المسلمون فقسمان؛ قسم دخلوا في الإسلام ونياتهم ضعيفة، فيعطون من الصدقات ما يثبتهم على الإسلام، كما أعطى النبي ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس[(١)].

وقسم دخلوا فيه على بصيرة وهدى لا تزلزل عندهم، إلا أنهم شرفاء في قومهم، فيعطون منها ما يرغب أمثالهم في الإسلام، كما أعطى النبي ﷺ عدي بن حاتم، والزبرقان بن بدر، وأعطى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عدي بن حاتم ثلاثين فريضة من الصدقة[(٢)].

وأما الكافرون: فيعطى منهم من الزكاة من يُرجى إسلامه، أو يخاف شره؛ لأن النبي ﷺ أعطى صفوان بن أمية يوم حنين قبل إسلامه[(٣)]؛ ترغيباً له واستمالة إلى الإسلام حتى أسلم.

---

(١) أخرج البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمها بين الأربعة؛ الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: إنما أتألفهم ..." (٣/ ١٢١٩ ح٣١٦٦).

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٤٠/ ٨٠).

(٣) عن صفوان بن أمية قال: «أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الخلق إليّ فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ». أخرجه الترمذي (٣/ ٥٣ ح٦٦٦).

فصل

اختلف العلماء في انقطاع حكم المؤلفة الكفار؛ فذهب الأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعي والثوري وإسحاق إلى أن حكمهم انقطع؛ لأن الله تعالى أعزّ الإسلام وأغناه عن أن يتألف له الرجال.

وذهب الإمام أحمد رضي الله عنه إلى بقاء حكمهم. وهو الصحيح؛ لأن سهمهم ثابت بكتاب الله وسنة رسوله، فلا يزول إلا بناسخ، ولا ناسخ، فيجب بقاء حكمهم، ولا [نزاع](١) في المقدمة الأولى.

وأما المقدمة [الثانية](٢) فبيانها من وجهين:

أحدهما: أن الأصل عدم الناسخ، فيحتاج مدعيه إلى وجوده، وأنى له ذلك.

الثاني: أن الإمام أحمد كان أقومَ الناس بكتاب الله وأجمعَهم لحديث رسول الله ﷺ، فلو كان ثَمَّ آية ناسخة أو حديث ناسخ لِحُكْمهم لظفر به. ويؤيد ذلك قول الزهري: لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفة(٣).

قوله تعالى: ﴿وفي الرقاب﴾ وهم المكاتَبون، فيعطون من الزكاة ما يؤدونه في كتابتهم.

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله هل يجوز الإعتاق من الزكاة؟

---

(١) في الأصل: نزاغ.

(٢) في الأصل: البانية.

(٣) انظر: المغني (٢/ ٢٨٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٥٧)، والتحقيق في أحاديث الخلاف (٢/ ٦٢).

وقال مالك: يُشترى بسهم الرقاب عبيد يعتقون. ويجوز أن [يفكّ][1] منها أسيراً مسلماً.

قوله تعالى: ﴿والغارمين﴾ وهم ضربان، ضربٌ غَرِمَ لإصلاح ذات البين، فإنهم يُعطون بقدر حَمَالَتهم، وإن كانوا أغنياء.

والضرب الثاني: من غَرِمَ لإصلاح نفسه أو عياله في مباح، فيعطى مع الحاجة ما يقضي دينه.

وإن غَرِمَ في معصية لم يدفع إليه قبل التوبة؛ لأنه لا يؤمن أن يعاود المعصية.

وفيما بعد الموت خلاف بين العلماء.

قوله تعالى: ﴿وفي سبيل الله﴾ يعني: الغُزاة والمرابطين الذين لا حَقَّ لهم في الديوان، فيعطون ما يحتاجون إليه لغزوهم، من النفقة، والسلاح، والخيل، وإن كانوا أغنياء؛ لأنهم في مصلحة الإسلام وأهله.

وقال أبو حنيفة: لا يعطون مع الغنى.

ولا يجوز صرف الزكاة في الحج، في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وبها قال أكثر العلماء[2].

وكان ابن عباس وابن عمر يجيزان ذلك، وإليه ذهب الحسن وإسحاق، وهي رواية أخرى.

---

(١) في الأصل: يفتك.

(٢) انظر: المغني (٦/ ٣٣٤).

قال أبو لاس[(١)]: حَمَلَنا النبي ﷺ على إبل الصدقة للحج[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾ وهو المسافر المنقطع بـه كـما ذكرنـاه في البقـرة، فيعطى من الزكاة -وإن كان له مال في بلده- ما يبلغـه إلى بلـده، وإن أراد إنـشاء السفر فليس بابن سبيل.

وقال الشافعي: هو كالمنقطع به، وعن [الإمام][(٣)] أحمد نحوه.

قوله تعالى: ﴿فريضة من الله﴾ سبق القول عليه في النساء[(٤)].

﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ فيما فرض وشرع.

فصل

اتفق أهل العلم على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى غير هذه الأصناف الثمانية، من بناء مسجد، أو إصلاح طريق، أو كفن ميت؛ لأن الله تعالى خصّهم بها بقوله: ﴿إنما الصدقات﴾، ولفظة: "إنما" تُثبتُ المذكور، وتنفي ما عداه.

واختلفوا هل يجب تعميم الأصناف الثمانية؛ فذهب [الإمامان][(٥)] أحمد وأبو حنيفة إلى أنه لا يجب تعميمهم، وأنه لو اقتصر على واحد من أحد الأصناف الثمانية

---

(١) أبو لاس الخزاعي المزني، ويقال له: ابن لاس، صحابي. قيل: هو عبد الله بن عنمة، والصواب أنه غيره، روى عن النبي ﷺ حديثين (تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٠١، والتقريب ص:٦٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢١)، والحاكم (١/ ٦١٢ ح١٦٢٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح. وقد ذكره البخاري تعليقاً (٢/ ٥٣٤).

(٣) في الأصل: إمام.

(٤) عند الآية رقم: (١١).

(٥) في الأصل: الإمامان.

جاز؛ لأن النبي ﷺ قال لمعاذ: «أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»[١]، فأمر بردها في صنف واحد.

وقال الشافعي: يجب التعميم والدفع إلى ثلاثة من كل صنف؛ تمسكاً بما اقتضته الآية من التشريك بينهم، وأصحابنا يقولون: هذه الآية بيّنت أصناف المستحقين للزكاة على وجه لا تخرج عنهم، وهذا كما تقول: الخلافة في بني هاشم، وبني عبد شمس، وبني تيم، وبني عدي، يريد: أنها فيهم لا تتعداهم إلى غيرهم.

فصل

وأربعة من هؤلاء يأخذون[٢] أخذاً مستقراً وهم: الفقراء، والمساكين، والعاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، والباقون يأخذون أخذاً مراعاً. فإن صرفوه فيما أخذوه له، وإلا رُجع عليهم به، ومن فَضَلَ منه شيء أُخِذَ منه[٣].

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ أي: ومن المنافقين الذين يؤذون النبي.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠٥ ح١٣٣١)، ومسلم (١/ ٥٠ ح١٩).

(٢) في الأصل زيادة لفظة: مع.

(٣) انظر: المغني (٢/ ٢٨٢)، والكافي (١/ ٣٣٦).

قال مقاتل[١] وغيره: منهم الجلاس بن سويد، وشاس[٢] بن قيس، ومخشي[٣] بن الحمير، ورفاعة بن زيد، ورفاعة بن عبدالمنذر، وعبيدة بن الحارث، قالوا ما لا ينبغي، فقال رجل منهم: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغ محمداً فيقع بنا. فقال جلاس: نقول ما شئنا، فإنما محمد أذن سامعة، فنأتيه فيصدقنا بما نقول، فنزل في الجلاس: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ... الآية﴾[٤].

فائدة ينبغي أن تلاحظ:

اعلم أنه يجب على العاقل أن لا يبادر إلى سبّ كل من سمع عنه النفاق والوقيعة فيهم، فإن جماعة من المنافقين بل أكثرهم راجعوا رشدهم حين اطلعوا على محاسن الإسلام وظهرت لهم براهين صحته، وشاهدوا معجزات المبعوث به ﷺ. هذا مخشي بن الحمير كان يُلْمَز بالنفاق، ثم تاب وحسنت توبته، وسمي عبدالرحمن، وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً، ولا يُعلم مكانه، فقُتل يوم اليمامة شهيداً، ولم يُرَ له أثر[٥].

وأما الجلاس فحَسُنَتْ توبته، على ما سنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥).

(٢) في تفسير مقاتل: وشماس.

(٣) في تفسير مقاتل: والمخش.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٦) عن السدي. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٥٤)، والماوردي (٢/ ٣٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٢٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) انظر: الإصابة (٦/ ٧١)، ولباب النقول (ص:١١٩)، والدر المنثور (٤/ ٢٣١).

ورفاعة حَسُنَ إسلامه أيضاً. ورفاعة بن عبد المنذر هو أبو لبابة، ولا مغمز فيه، شهد بدراً والعقبة.

ومعنى قوله: ﴿هو أذن﴾ يُصَدِّقُ كل ما يسمع، فسماه بالجارحة التي هي آلة السماع، مبالغة في استعداده لقبول كل ما يسمعه، وانحلال عزيمته عن ظنهم الفاسد.

وكان نافع يُسَكِّن الذال حيث وقع[1].

﴿قل أذن خير لكم﴾ أي: هو أذن خير لا أذن شَرّ، يسمع الخير وينقاد إليه، وإذا سمع الشر أعرض عنه تنزهاً منه.

وقرأت لعاصم من طريقي الأعشى والبرجمي عن أبي بكر عنه: "قل أذنٌ" بالتنوين، "خيرٌ" بالرفع[2]. وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد، على معنى: قل هو أذن كما تقولون يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يحاققكم ويكذبكم.

﴿يؤمن بالله﴾ يصدق بوحدانيته وتنزيله، ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ يصدقهم فيما يخبرونه به. فأما أنتم أيها المنافقون فإنه يجري معكم على وفق طباعه المستقيمة وأغراضه السليمة فيعيركم أذناً سامعة، يتغابى عن فضائحكم وقبائحكم، وهو أعلم بكم منكم كرماً ووقاراً. كما قيل:

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣١٩)، والكشف (١/ ٥٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٥).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٢٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٣).

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي[(١)]

﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ أي: هو رحمة لهم؛ لأنه أوضح لهم مسالك النجاة.

وقيل: ورحمة للذين أظهروا الإيمان من المنافقين، حيث لم يُنقب عن ضمائرهم ويستكشف عن سرائرهم.

وقرأ حمزة: "رحمةٍ" بالجر، عطفاً على قوله: "أذن خير"[(٢)].

وقرأ ابن أبي عبلة: "ورحمةً" بالنصب[(٣)].

قال الزمخشري[(٤)]: هي عِلَّة معلَّلُها محذوف، تقديره: ورحمة لكم يأذن لكم، فحذف؛ لأن قوله: "أُذُن خير لكم" يدل عليه.

ثم توعد الذين يؤذون النبي ﷺ من المنافقين فقال: ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

---

(١) البيت للمتنبي. وهو في: كشف الخفاء (٢/ ٧٨)، وروح المعاني (٢٨/ ١٥٠).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٠)، والكشف (١/ ٥٠٣)، والنشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٥).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٥/ ٦٥)، والدر المصون (٣/ ٤٧٧).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٧٢).

قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزاة تبوك، فلما رجع النبي ﷺ أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم ويحلفون، فنزلت هذه الآية[1].

قال مقاتل[2]: منهم عبدالله بن أبيّ، حلف [ألاّ][3] يتخلف عن رسول الله ﷺ وليكونن معه على عدوه.

وقيل: حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم من قولهم: "هو أذن" وغير ذلك مما يبلغ الرسول والمؤمنين عنهم من الطعن والأذى.

﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ قال الزمخشري[4]: وَحَّد الضمير لاتحاد رضى الله ورضى رسوله، فكانا في حكم مرضي واحد.

وقال الزجاج[5]: لم يقل: يُرْضوهما؛ لأن المعنى يدل عليه، فحذف استخفافاً. والمعنى: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه. كما قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[6]

---

(١) زاد المسير (٣/ ٤٦١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥).

(٣) في الأصل: لا. والمثبت من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) الكشاف (٢/ ٢٧٢).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٨).

(٦) البيت نُسب لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي، ونُسب أيضاً لقيس بن الخطيم، ولدرهم بن زيد. انظر: الكتاب (١/ ٧٥)، ومعاني الفراء (١/ ٤٣٤)، وملحقات ديوان قيس (ص:١٧٣)، والمقتضب (٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣١٠)، والهمع (٢/ ١٠٩)، والأشموني (٣/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٥/ ٦٥)، والدر المصون (٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٧٨).

والمعنى: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض.

﴿إن كانوا مؤمنين﴾ إيماناً حقيقياً.

قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية أبي زيد عن المُفَضَّل عنه: "تعلموا" بالتاء[١]، على الخطاب للمنافقين ﴿أنه من يحادد الله ورسوله﴾ بالمخالفة والمعاداة، ﴿فأن له نار جهنم﴾ قرأ الأكثرون: "فأن له" بفتح الهمزة. وقرأ أبو رزين وأبو عمران وابن أبي عبلة: "فإن له" بالكسر[٢].

قال الزجاج[٣]: من كسر فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم، ودخلت "إن" مؤكدة. ومن قال: "فأن له" فإنما أعاد "أن" الأولى توكيداً؛ لأنه لما أطال الكلام كانت إعادتها أوكد.

وقال غيره: التقدير: فحق أن له نار جهنم.

قال الزمخشري[٤]: ويجوز أن يكون "فأن له" معطوفاً على "أنه"، على أن جواب "مَنْ" تقديره: ألم تعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك، فأن له نار جهنم.

يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٦١).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٦٢).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٧٢).

قوله: ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ قال الحسن وقتادة: هذا إخبار من الله عن حالهم[١].

وقال الزجاج[٢] وغيره: هو أمر من الله لهم بالتحذر. المعنى: ليحذر المنافقون.

قال ابن الأنباري: العرب ربما أخرجت الأمر إلى لفظ الخبر، فيقولون: يرحم الله المؤمن ويعذب الكافر[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: والضمير في "عليهم" و"تنبئهم" للمؤمنين، و"في قلوبهم" للمنافقين. وصح ذلك؛ لأن المعنى يقود إليه.

ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين؛ لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم.

ومعنى: "تنبئهم بما في قلوبهم" كأنها تقول لهم: في قلوبكم كيت وكيت، يعني: أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى [يسمعوها][٥] مذاعة، وكأنها تخبرهم بها.

قال مجاهد: كانوا يعيبون رسول الله ﷺ ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا، فنزلت هذه الآية[٦].

---

(١) الماوردي (٢/ ٣٧٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٣).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٦٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٥) في الأصل: سمعوها. والتصويب من الكشاف (٢/ ٢٧٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩)، ومجاهد (ص:٢٨٣). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٧)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٥٥)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٢٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

قال السدي: قال بعض المنافقين: وددت أني جلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء فيفضحنا، فنزلت هذه الآية[١].

وقال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة ليفتكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر يقود برسول الله ﷺ، وحذيفة يسوق به، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتى [نحاها][٢]. فلما نزل قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: فإنهم فلان وفلان، حتى عدهم كلهم. فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم الله بالدبيلة. قيل: يا رسول الله، ما الدبيلة؟ قال: شهاب من جهنم يضعه الله على نياط فؤاد أحدهم حتى تزهق نفسه، فكان كذلك، ونزلت هذه الآية[٣].

﴿قل استهزؤا﴾ وعيد وتهديد لهم، ﴿إن الله مخرج﴾ أي: مظهر ومبين لرسوله وللمؤمنين ﴿ما تحذرون﴾ إظهاره من نفاقكم.

---

(١) انظر: ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٥٥)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٣).

(٢) في الأصل: نحاهم. والتصويب من زاد المسير (٣/ ٤٦٣).

(٣) زاد المسير (٣/ ٤٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٤٣-٢٤٤) وعزاه للبيهقي في الدلائل عن عروة.

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن
نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ
وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ قال ابن عباس: كان الجد بن قيس ووديعة بن خذام والجهير بن خمير يسيرون بين يدي رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، فجعل رجلان منهم يستهزئان برسول الله ﷺ، والثالث يضحك ولا يتكلم بشيء، فنزل جبريل فأخبره، فقال لعمار: اذهب فاسألهم مِمَّ يضحكون؟ وقل لهم: أحرقكم الله، فلما سألهم وقال لهم: أحرقكم الله، علموا أنه قد نزل فيهم قرآن، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ. قال [الجهير][(١)]: والله ما تكلمت بشيء، وإنما ضحكت تعجباً من قولهم، فأنزل الله: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ يعني: جد بن قيس ووديعة[(٢)].

---

(١) في الأصل: الجمهور. والتصويب من زاد المسير (٣/ ٤٦٤).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٦٤).

﴿إن نَعْفُ عن طائفة منكم﴾ يعني: الجهير، ﴿نعذب طائفة﴾ يعني: الجد ووديعة.

وقال ابن عمر: قال رجل من المنافقين: ما رأيت مثل قرّاءنا هؤلاء لا أرغب بطوناً، ولا [أكذب ألسناً](١)، ولا أجبن عند اللقاء -يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه-، فقال له عوف بن مالك: كذبت، لكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فذهب ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب(٢).

وقال قتادة: بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وركبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات. فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: احبسوا عَلَيَّ الرَّكْب، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا. قالوا: يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب، وحلفوا على ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣).

---

(١) في الأصل: أكذ. والتصويب والزيادة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٦٤-٤٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (٢/ ٢٥٥). والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه، وفي لباب النقول (ص:١١٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٠). وذكره الماوردي (٢/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (٢/ ٢٥٥). والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وفي لباب النقول (ص:١١٩).

﴿ولئن سألتهم﴾ المنافقين عما صدر منهم وبلغك عنهم فـ﴿ليقولن إنما كنا نخوض﴾ ونلهو بالحديث ﴿ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن﴾ فلم يعبأ باعتذارهم؛ لأنهم كانوا كاذبين فيه.

وفي قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ دليل على استواء الجد واللعب في الكفر.

حدثني بعض فقهاء الحنابلة: أن رجلاً قال -وقد سمع أن رسول الله ﷺ قد جمع بين نسائه بغسل واحد- على سبيل اللعب: كان قد ثار برسول الله ﷺ [جماعه][1]، فبلغ الإمام أبا الوفاء بن عقيل، فأفتى بكفره وبإباحة دمه، واحتجّ بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إن يُعْفَ عن طائفة منكم﴾ يعني: بإحداثهم التوبة وإخلاصهم في الإيمان ﴿تُعَذَّبْ طائفةٌ بأنهم كانوا مجرمين﴾ بإصرارهم على النفاق.

وقرأ عاصم: "[إن][2] نَعْفُ" بالنون المفتوحة وضم الفاء، "نُعَذِّبْ" بنون مضمومة وكسر الذال، "طائفةً" بالنصب[3].

وقد ذكرنا عن ابن عباس: أن الطائفة المعفو عنها: جهير بن خمير[4].

---

(١) في الأصل: جما. والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: وإن. وهو خطأ.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٠)، والكشف (١/ ٥٠٤)، والنشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٦).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٦٤، ٤٦٦).

وقال محمد بن إسحاق: مخشي بن حمير[١]. وكأنه والله أعلم أشبه بالصواب؛ لأن مخشياً معروف بحسن التوبة وصلاح السريرة، وجهير غير معروف بذلك.

وقد ذكرنا فيما مضى تسمية الواحد باسم الجماعة.

وقال ابن الأنباري[٢]: إذا أريد بالطائفة الواحد كان أصلها: طائف، فدخلت الهاء للمبالغة، كما قيل: رَاوِيَة، وعَلاَّمَة، ونَسَّابَة.

قوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ قال ابن عباس: بعضهم على دين بعض[٣].

وفيه تكذيب لقولهم فيما أضربه عنهم في قوله: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾، وتقرير لقوله: ﴿وما هم منكم﴾.

ثم أوضح أمرهم وبيّن كفرهم فقال: ﴿يأمرون بالمنكر﴾ وهو الكفر والنفاق، ﴿وينهون عن المعروف﴾ وهو الإيمان والإخلاص، ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن الإنفاق في سبيل الله أو عن جهاد أعدائه، ﴿نسوا الله فنسيهم﴾.

قال الزجاج[٤]: تركوا أمر الله فتركهم من رحمته وتوفيقه.

﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ الكاملون في فسقهم وتمرّدهم، المُخْرِج لهم من الإيمان إلى الكفر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٣). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٠٨)، وسيرة ابن هشام (٥/ ٢٠٥).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٦٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٠٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٧).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٠).

﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم﴾ قال الزجاج[١]: كفاية ذنوبهم، كما تقول: عذبتك حسب فعلك، وحَسْبُ فُلان ما نَزَل به، أي: ذلك على قدر فعله.

﴿ولعنهم الله﴾ سبق تفسيره.

﴿ولهم عذاب مقيم﴾ لا انقطاع له، ففي الدنيا الخوف والعار، وفي الآخرة عذاب النار.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿كالذين من قبلكم﴾ قال الزجاج[٢]: الكاف في موضع نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم.

وقال غيره: في موضع رفع، على معنى: اسم مثل الذين من قبلكم[٣].

﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ فلم تدفع عنهم قوتهم أمر الله لما نزل بهم، ﴿وأكثر

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٠).
(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٠).
(٣) الدر المصون (٣/ ٤٨٢).

أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم﴾ قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا(١).

وقال الزجاج(٢): استمتعوا بنصيبهم وحظهم من الدنيا.

﴿وخضتم﴾ يعني: في اللهو واللعب والباطل وتكذيب الرسل، ﴿كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾، فاحذروا أنتم أيها المشابهون لهم أن يَحِلَّ بكم من غضب الله وعقابه مثلَ ما حَلَّ بهم.

فإن قيل: لم خَصَّ المشيئة بهم بما ذكر من حبط الأعمال والخسران مع اشتراك الجميع في الموجب لذلك؟

قلت: أولئك استقر حكمهم وتبين حالهم بالموت على كفرهم، وهؤلاء بعرضية التوبة والإنابة، وقد وجد ذلك من بعضهم. ألا تراه يقول في معرض التخويف لهم مما نزل بأمثالهم من أهل الكفر والتكذيب والنفاق: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ يعني: خبر هلاكهم.

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

(١) انظر: الطبري (١٠/ ١٧٥)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٧).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٠).

ثم بيّنهم فقال: ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم﴾ قال ابن عباس: يعني: [نمرود][(١)] بن كنعان، وما نزل به من انتقام الله منه، وسلب النعمة عنه[(٢)].

﴿وأصحاب مدين﴾ قوم شعيب، ﴿والمؤتفكات﴾ جمع مُؤْتَفِكَة، وهي المُنْقَلِبَة، يريد: مدائن قوم لوط، أو جميع من أهلك، فانقلبت حاله من الخير إلى الشر، ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ التقدير: فكذبوهم.

﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ قال ابن عباس: ما كان الله ليهلكهم حتى يبعث إليهم نبياً ينذرهم[(٣)].

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ قال الزجاج[(٤)]: أخبر سبحانه وتعالى أن تعذيبهم كان باستحقاقهم.

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

---

(١) في الأصل: ثمود. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٠٩)، وزاد المسير (٣/ ٤٦٨).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٦١).

قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ في المعاضدة والمناصرة والرحمة والمودة.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، ثم شبّك بين أصابعه»(١).

[وفيهما](٢) أيضاً من حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»(٣).

﴿يأمرون بالمعروف﴾ وهو التوحيد، ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو الشرك والشك، ﴿ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾ فيعملون بالكتاب والسنة، ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾.

قال صاحب الكشاف(٤): السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً، يعني: أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك، ونحوه: ﴿سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ [مريم:٩٦]، ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى:٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٢ ح٥٦٨٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ح٢٥٨٥).

(٢) في الأصل: وفيها.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٨ ح٥٦٦٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ح٢٥٨٦).

(٤) الكشاف (٢/ ٢٧٥).

قوله تعالى: ﴿ومساكن طيبة﴾ قال ابن عباس: قصور الزبرجد والدرّ والياقوت، يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام[١].

﴿في جنات عدن﴾ قال ابن عباس: هي بطنان الجنة، وبطنانها وهي وسطها، وهي أعلا درجة في الجنة، وهي دار الرحمن، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها[٢].

واشتقاقه من عَدَنَ بالمكان؛ إذا أقام به[٣].

قال الأعشى:

وَإِنْ يَسْتَضِيفُوا إلى حِلْمِهِ يُضَافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[٤]

أي: إلى رزين ثابت لا يستخفه الغضب.

قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أي: وشيء من رضوان الله أكبر، أعظم من ذلك النعيم كله؛ لأن رضاه سبحانه أصل كل خير، وبتمامه يتم النعيم ويتكامل السرور.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٠٩).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٦٩).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (عدن).

(٤) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٦٩)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٤)، واللسان، مادة: (وزن)، والقرطبي (٢٠/ ١٤٦)، والماوردي (٢/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٥/ ٦٣)، والدر المصون (٣/ ٤٨٤). ورواية الديوان:

وإن يستضافوا إلى حكمه يضافوا إلى هادن قد رَزَنْ

أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟! فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»[1].

قوله تعالى: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ أي: ذلك الذي وعدتم به أيها المؤمنون والمؤمنات، من الجنات والمساكن الطيبة في جنات عدن، ورضوان من الله، الفوز العظيم الذي يتضاءل بالنسبة إليه كل ما يُعَدُّ فوزاً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿جاهد الكفار والمنافقين﴾ قال ابن عباس: جاهد الكفار بالسيف، وجاهد المنافقين باللسان[2].

﴿واغلظ عليهم﴾ أي: على الكفار والمنافقين في الجهادين.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٩٨ ح٦١٨٣)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦ ح٢٨٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤١-١٨٤٢)، والبيهقي في سننه (٩/ ١١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٣٩-٢٤٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

قال ابن مسعود: هو أن [يكفهرّ](١) في وجوههم(٢).

وقال ابن عباس: يريد: شدة الانتهار والنظر بالبغضة والمقت(٣).

قال عطاء: وهذه الآية نسخت كل شيء في القرآن من العفو والصفح(٤).

قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ ذهب جمهور العلماء بالتفسير والسير إلى أن هذه الآية نزلت في الجلاس بن سويد بن صامت الأنصاري، وكان متهماً بالنفاق، وممن تخلف عن تبوك وثبط عن الخروج، وكان قال يوماً: إن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير، فسمعه ربيبه عمير بن سعد الأنصاري -من بني عمرو بن عوف، رضي الله عنه، وكان يقال له: نسيج وحده، وهو الذي ولاّه عمر رضي الله عنه على حمص، وقصته مشهورة معروفة عند أهل العلم- يقول هذه الكلمة، -وكان يتيماً في حجره، وكان ينفق عليه ويحسن إليه-، فقال: يا جلاس، والله لقد كنت أحبَّ الناس إليّ وأحسنهم عندي يداً، وأعزهم عليّ أن يدخل عليه شيء يكرهه، ولقد قلتَ مقالة لئن قلتُها لأفضحنك، ولئن كتمتُها لأهلكنّ، ولكن إحداهما أهون عليّ من الأخرى، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فبعث إليه فسأله عما قال عمير، فحلف بالله ما تكلم به قط، وأن عميراً لكاذب، فقام عمير من عند النبي ﷺ

---

(١) في الأصل: يكفرّ. والمثبت من مصادر التخريج.

والمُكْفَهِرّ: العابس. واكْفَهَرَّ الرَّجُلُ؛ إذا عبس (اللسان، مادة: كفهر).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤١). وانظر: الوسيط (٢/ ٥١٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٣) الوسيط (٢/ ٥١٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٧٠).

(٤) ذكره القرطبي (٨/ ٢٠٥).

وهو يقول: اللهم أنزل على رسولك بيان ما تكلمت به، فأنزل الله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ فتاب بعد ذلك الجلاس واعترف بذنبه، وحسنت توبته، ولم ينزع عن خير كان يصنعه إلى عمير رضي الله عنه[1].

وقال قتادة: نزلت في قول عبدالله بن أبيّ: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾[2] [المنافقون:٨].

قوله تعالى: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ وهو سبّ الرسول ﷺ والطعن في الدين، وغير ذلك مما يوجب كفرهم ونفاقهم، ﴿وكفروا بعد إسلامهم﴾ بعد أن أظهروا الإسلام، ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ وهو الفتك برسول الله ﷺ ليلة العقبة مرجعه من تبوك، حين توافقوا على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي؛ إذا تَسَنَّمَ[3]

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٥) عن عروة، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٣، ١٨٤٦) عن كعب بن مالك وابن عباس وعروة. وانظر: الاستيعاب (١/ ٢٦٤-٢٦٥)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٥٢-٥٣)، والماوردي (٢/ ٣٨٣)، وزاد المسير (٣/ ٤٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٤٠، ٢٤١) وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن عروة، وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٣-١٨٤٤). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٥٦-٢٥٧)، والماوردي (٢/ ٣٨٣)، وزاد المسير (٣/ ٤٧١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) سَنَّمَ الشيء تَسَنَّمَهُ: عَلاهُ (اللسان، مادة: سنم).

العقبة، فسمع حذيفة قعقعة السلاح وَوَقْعَ أخفاف الإبل، فالتفت إليهم، فقال: إليكم إليكم أعداء الله، فهربوا[١]. وقد ذكرنا قصتهم آنفاً[٢].

وقيل: هموا بما لم ينالوا من توبيخ عبدالله بن أُبيّ.

وقيل: قولهم: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ [المنافقون:٨].

قوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة في ضيق وضنك معيشة، فركبوا الخيل وأَثْرَوا بالغنائم، وقتل مولى الجلاس، فقضى له النبي ﷺ بديته اثني عشر ألفاً، فاستغنى.

فإن قيل: ما موقع قوله: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله﴾؟

قلت: موقع قول النابغة:

ولا عيب فيهم ....

وقد سبق.

ومثله قول ابن قيس الرقيات:

مَا نَقَمَ النَّاسُ مِنْ أُمَيَّةَ إِلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ المُلُوكِ وَلاَ تَصْلُحُ إِلاَّ عَلَيْهِمُ العَرَبُ[٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) ص: ٥٣٥.

(٣) البيتان لابن قيس الرقيات. انظر: ديوانه (ص:٤)، والخزانة (٧/ ٢٨٨)، والبحر المحيط (٥/ ٧٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٧١-٤٧٢).

=

قوله تعالى: ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم﴾ قال ابن السائب: فقام الجلاس حين نزلت هذه الآية فقال: أسمع الله قد عرض عليّ التوبة، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما قلته، فقبل رسول الله توبته[1].

﴿وإن يتولوا﴾ يعرضوا عن التوبة، كما أعرض [المخذول][2] عبدالله بن أبي بن سلول، ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة﴾.

قال جمهور المفسرين: في الدنيا بالخزي والقتل[3].

وهذا إنما يكون عند المجاهرة بالتولي والإعراض والكفر. أما إذا نافقوا وداهنوا، فالعذاب اللاحق بهم في الدنيا تقلقلهم واضطرابهم، كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ [المنافقون:٤].

﴿وما لهم في الأرض من ولي﴾ نافع ﴿ولا نصير﴾ دافع.

۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ

=

وانظر البيت الأول في: تهذيب اللغة (٩/ ٢٠٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٧٠)، والقرطبي (٨/ ٢٠٧)، والطبري (٦/ ٢٩٢)، وروح المعاني (٦/ ١٧٣، ١٠/ ١٣٩).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٢).

(٢) في الأصل: المخذلول.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٧٢).

مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله... الآية﴾ ذهب عامة المفسرين إلى أنه ثعلبة بن حاطب الأنصاري.

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزي رضي الله عنه قولاً آخر[1]: أنه رجل من بني عمرو بن عوف، وقال: قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس.

قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف.

وقول ابن السائب: هو حاطب بن أبي بلتعة، إن أراد به أن الرجل الذي من بني عمرو بن عوف هو حاطب بن أبي بلتعة، فهو قول باطل، لأن حاطباً من ولد نجم بن عدي، وقيل: إنه من مذحج، وقيل: بل كان عبداً لعبيد الله بن حميد من ولد أسد بن عبدالعزى.

والأكثرون قالوا: هو حليف لبني أسد بن عبد العزى.

وإن لم يرد هذا؛ بل قال قولاً مستأنفاً أن الآية نزلت فيه، فهو قول فاسد لا محالة؛ لأن حاطباً كان مؤمناً مخلصاً لا [مغمز][2] فيه، وقد شهد الله له بالإيمان في

---

(١) زاد المسير (٣/ ٤٧٤).

(٢) في الأصل: تغمز.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة:١]. وستأتي إن شاء الله قصته وما قاله النبي ﷺ فيه عند تفسير هذه الآية[١].

وهذه الآية التي في هذه السورة شاهدة للذي أنزلت فيه بالنفاق إلى يوم التلاق. وكان من حديث ثعلبة على ما أخبرنا به أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه، قال: أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري البيهقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل، حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، أخبرنا أبو عمران موسى بن سهل الجوني، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن شعيب، حدثنا [معان][٢] بن رفاعة السلامي، عن أبي عبدالملك علي بن يزيد، أنه أخبره عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه: «أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال رسول الله ﷺ: ويحك يا ثعلبة! قليلٌ تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه، ثم قال مرة أخرى، فقال: ألا ترضى أن تكون مثل نبي الله، فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال ذهباً لسالت. فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، لئن دعوتَ الله أن يرزقني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالاً، فاتخذ غنماً فَنَمَتْ كما ينمو الدُّود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نَمَتْ

(١) وذكر القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٠٩-٢١٠) أن آية الممتحنة نزلت في ثعلبة.

(٢) في الأصل: عمان. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨١)، والتقريب (ص:٥٣٧).

وكثُرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الـدُّود، حتـى تـرك الجمعة. فسأل رسولُ الله ﷺ فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله اتخـذ غـنماً وضاقت عليه المدينة، وأخبروه بخبره. فقال: يا ويح ثعلبة، ثلاثاً، وأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ... الآية﴾، وأنزل الله تعالى عليهم فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين عـلى الـصدقة، رجـلاً مـن جهينـة ورجلاً من بني سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين. قال لهما: مُرَّا بثعلبة وبفلان -رجل من بني سليم- فَخُذَا صدقتهما، فخرجـا حتـى أتيـا ثعلبـة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية، مـا هـذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا، ثم تعودان إليّ، فانطلقا وأخبرا السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهم بها، فلـما رأوهـا قالا: ما يجب هذا عليك، وما نريد أن نأخذها منك، قال: بلى خذوه، فـإن نفـسي بذلك طيبة، فأخذوها منه، فلما فرغا مَرَّا على ثعلبة فقال: أروني كتابكما أنظر فيـه، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي. فانطلقا حتى أتيا النبـي ﷺ فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة، قبل أن يكلمهما، ودعا للـسلمي بالبركـة، وأخـبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل الله تعالى: ﴿ومنهم مـن عاهـد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ -إلى قوله-: ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج إلى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله منعني أن أقبل صدقتك، فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني، فلما أبى أن يقبل منـه شـيئاً رجـع إلى

منزله، وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي في الأنصار، فاقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ فأنا أقبلها؟! فقبض أبو بكر، وأبى أن يقبلها. فلما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، فأنا لا أقبلها منك، فلم يقبلها، وقبض عمر رضي الله عنه. ثم ولي عثمان رضي الله عنه، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، فأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه عثمان، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان»[1].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٧-١٨٤٩)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٧٩-٨٠)، والدلائل (٣/ ٢٦٠)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٨-٢١٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١) وقال: فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٦) وعزاه للحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والباوردي وأبي نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي.
والحديث إسناده ضعيف جداً، فيه معان بن رفاعة السلامي. قال الجوزجاني: ليس بحجة. وقال الأزدي: لا يحتج به (انظر: الكامل لابن عدي ٦/ ٣٢٨، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٨١، والمجروحين ٣/ ٣٦).
وفيه أيضاً: علي بن يزيد الألهاني، قال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم ضعيف الحديث، حديثه منكر. وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال النسائي: ليس بثقة (التاريخ الكبير ٦/ ٣٠١، والمجروحين ٢/ ١١٠، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٦، وتقريب التهذيب ص:٤٠٦).
وقال الحافظ ابن عبدالبر: ولعل قول من قال ثعلبة إنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم. (انظر: الإصابة ١/ ٤٠٠).

وقال الضحاك: نزلت في ثعلبة بن حاطب، ونبتل بن الحارث، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير[(١)].

قوله: ﴿ومنهم﴾ أي: ومن المنافقين ﴿من عاهد الله﴾ قال: عليّ عهد الله، وقيل: هو شيء نَوَوْهُ في أنفسهم استدلالاً بقوله: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾، وليس هذا القول بشيء. ﴿لئن آتانا من فضله﴾ أي: لئن أعطانا من فضله مالاً ﴿لنصَّدقن﴾، لنعطين الصدقة، ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ لنعملن فيه عمل أهل الصلاح بالإنفاق منه في سبيل الله وصلة الرحم.

﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ فنقضوا العهد وهو قوله: ﴿وتولوا وهم معرضون﴾.

﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ أي: فأعقبهم الله. وقيل: فأعقبهم البخل[(٢)].

والأول قول ابن عباس ومجاهد، والثاني قول الحسن وقتادة.

والمعنى: صير عاقبة أمرهم نفاقاً متمكناً في قلوبهم لا ينفك عنهم ﴿إلى يوم يلقونه﴾ فيموتون على نفاقهم؛ لإخلافهم وعد الله وكذبهم في عهده، فذلك قوله: ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾.

وقد صح عن النبي ﷺ من حديث ابن [عمرو][(٣)] أنه قال: «أربعٌ من كُنَّ فيه

---

(١) زاد المسير (٣/ ٤٧٤).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٧٥).

(٣) في الأصل: عمر. والتصويب من الصحيحين.

كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخْلَف، وإذا عَاهَدَ غَدَر، وإذا خَاصَمَ فَجَر»[1].

وروى الحسن أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخْلَف، وإذا اؤْتُمِنَ خَان»[2].

وقال عبدالله بن مسعود: «اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر. وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله -إلى قوله-: وبما كانوا يكذبون﴾»[3].

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة عند قوله في الأنفال: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ [الأنفال:٥٨].

وقالت عائشة: «ما كان خُلُقٌ أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب عند رسول الله ﷺ الكذبة، فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه أحدث منها توبة»[4].

الإشارة إلى تأويل هذه الأحاديث:

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٦٠ ح٣٠٠٧)، ومسلم (١/ ٧٨ ح٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٤٩٠) عن الحسن. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (١/ ٧٨-٧٩ ح٥٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩١)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٧ ح٢٥٦١١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٢). وذكره الهيثمي في مجمعه (١/ ١٠٨) وعزاه للطبراني في الكبير وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٢ ح٢٥٢٢٤)، والبيهقي (١٠/ ١٩٦).

قال مقاتل بن حيان: كنت على قضاء سمرقند، فقرأت يوماً حديث المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، فتوزع فلذي، وتقسم قلبي، وخفت على نفسي وعلى جميع الناس. فقلت: من ينجو من هذه الخصال؟ فأخللت بالقضاء وأتيت بخارى وسألت علماءها، فلم أجد فرجاً، فأتيت مرو فلم أجد فرجاً، فأتيت نيسابور فلم أجد عند علمائها فرجاً، فبلغني أن شهر بن حوشب بجرجان، فأتيته وعرضت عليه قصتي وسألته عن الخبر، فقال: يا أخي، أنا منذ سمعت هذا الحديث كالحية على المقلى خوفاً، فعليك بسعيد بن جبير فإنه مُتَوارٍ بالرّي[1]، فاطلبه واسأله فلعلك تجد لي ولك وللمسلمين فرجاً، فأتيت الري وطلبت سعيد بن جبير، وأتيته فعرضت عليه قصتي، وسألته عن معنى الخبر، فقال: أنا كديدان الحل في الخل منذ سمعت هذا الحديث، وإني خائف عليك وعلى نفسي من هذه الخصال، ولقد قاسيت وعانيت سفراً طويلاً وبلاءاً، فعليك بالحسن البصري، فإني أرجو أنك تجد لي ولك عنده وللمسلمين فرجاً، فأتيت البصرة وطلبت الحسن، وقصصت عليه القصة بطولها، قال: رحم الله شهراً وسعيداً، بلغهما نصف الخبر ولم يبلغهما النصف، إن رسول الله ﷺ لما قال هذا الخبر شغل قلوب أصحابه ملياً وهابوه أن يسألوه، فأتوا فاطمة عليها السلام وذكروا لها شغل قلوبهم بالخبر، فأتت فاطمة رسول الله ﷺ فأخبرته بشغل قلوب أصحابه، فأمر سلمان فنادى: الصلاة جامعة. فلما اجتمعوا صعد المنبر وقال: يا أيها الناس، إني كنت قلت لكم:

---

(١) الري: مدينة مشهورة، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً (معجم البلدان ٣/ ١١٦).

«ثلاث من كنّ فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف»، ما عنيتكم بهنّ، إنما عنيت المنافقين. أما قولي: «إذا حدث كذب»، فإن المنافقين أتوني فقالوا: والله إن إيماننا كإيمانك، وتصديق قلوبنا كتصديق قلبك، فأنزل الله: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون:١].

وأما قولي: «وإذا ائتمن خان»، فإن الأمانة الصلاة، والدين كله أمانة، قال الله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ [النساء:١٤٢]، وفيهم قال: ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون﴾ [الماعون:٤-٦].

وأما قولي: «[وإذا][1] وعد أخلف»، فإن ثعلبة أتاني فقال: إني مولع بالسائمة، ولي غنيمات، فادْعُ الله أن يبارك فيهن، فدعوت الله فَنَمَتْ وزادت حتى ضاقت الفجاج بها، فسألته الصدقة، فأبى عليّ وبخل بها، فأنزل الله فيه: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ -إلى قوله-: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾، فَسُرِّيَ عن أصحاب رسول الله ﷺ وبرّوا وتصدقوا بمال عظيم[2].

(١) في الأصل: إذا.

(٢) انظر: القرطبي (٨/ ٢١٣-٢١٤).

وقال عطاء بن أبي رباح: حدثني جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة، الذين حدثوا النبي ﷺ فكذبوه، وائتمنهم على سرّه فخانوه، ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه[1].

قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم﴾ وهو ما أضمروه في أنفسهم من النفاق والتكذيب، والعزم على إخلاف ما وعدوه، ﴿ونجواهم﴾ ما يتناجون به في الطعن في الدين وتكذيب سيد المرسلين.

ﭐلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مُراءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿الذين يلمزون المُطّوعين ... الآية﴾»[2].

قال أهل التفسير: حض النبي ﷺ يوماً على الصدقة، فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب، وقيل: بنصف ماله وكان ثمانية آلاف، فقال: يا رسول الله، كان لي ثمانية آلاف أقرضت ربي نصفها، وتركت لعيالي نصفه، فقال

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥١٣ ح١٣٤٩)، ومسلم (٢/ ٧٠٦ ح١٠١٨).

رسول الله ﷺ: بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت، فبارك الله له حتى صولحت زوجته تماضر عن ربع الثُّمُن، وكان خلف أربع زوجات، على ثمانين ألفاً.

وجاء عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر، واعتذر إلى النبي ﷺ من قلّته.

وجاء رجل من -الأنصار قيل: هو أبو خيثمة، وقيل: أبو عقيل بن قيس- بصاع واحد، وقال: يا رسول الله تركت لعيالي مثله، فلمزهم المنافقون قالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم بن عدي إلا رياء وسمعة، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحب أن يُذَكِّرَ بنفسه ليعطى من الصدقات، فأنزل الله: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ... الآية﴾[1].

قوله تعالى: ﴿الذين﴾ نصب على الذم، أو رفع، على معنى: هم الذين، أو جر على البدل من الضمير في "سرهم ونجواهم"[2].

﴿والذين لا يجدون إلا جُهدهم﴾ يعني: طاقتهم، والجَهْد -بالفتح-: المشقة. وقيل: هما لغتان بمعنى واحد.

﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم على سخريتهم بهم حيث صاروا إلى النار، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ بما أضمروا من النفاق وأظهروا من لمز المؤمنين على الإنفاق.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٩) وعزاه للبزار وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٨٥-٤٨٦).

وفي الحديث: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت. قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل. قال: فأي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً»(١).

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ قال ابن عباس: لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله، استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: سوف أزيد على السبعين لعل الله يغفر لهم، فنزلت: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾(٢) [المنافقون:٦].

فإن قيل: النبي صلوات الله عليه وسلامه أفصح العرب لساناً، وأعلمهم بمواقع البيان ومقاصد الخطاب، فكيف قال: سوف أزيد على السبعين، مع

---

(١) هذا الحديث روي مجزءاً، فالشطر الأول منه إلى قوله: "طول القنوت" أخرجه مسلم (١/ ٥٢٠ ح٧٥٦). والشطر الثاني إلى قوله: "جهد المقل" أخرجه أبو داود (٢/ ١٢٩ ح١٦٧٧)، والحاكم (١/ ٥٧٤ ح١٥٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والشطر الأخير أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٠ ح٤٦٨٢)، والترمذي (٥/ ٩ ح٢٦١٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣ ح٤٢٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٤) كلاهما عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٣-٢٥٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن عروة.

وضوح المعنى وظهوره بنفي المغفرة، لا سيما وقد ختم الآية بقوله: ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾؟

قلت: لما احتمل الكلام ذلك -وإن كان في غاية البعد- صار إليه النبي ﷺ، جرياً مع طباعه الكريمة، وأعرافه المستقيمة، وانقياداً مع دواعي شفقته ورحمته لأمته.

فإن قيل: ما معنى حصر العدد في سبعين؟

قلت: لظهوره في كلام العرب وجريانها مجرى المثل للتكثير.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لأُصَبِّحَنَّ العَاصَ وابْنَ العَاصِ   سَبْعِينَ أَلْفاً عَاقِدِي النَّوَاصِي (١)

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ وهم الذين تخلفوا بالمدينة عن غزاة تبوك.

فإن قيل: اللفظ مشعر بمخلِّف، فمن هو؟

---

(١) انظر البيت في: تاريخ الطبري (٣/ ٧١)، والبحر المحيط (٥/ ٧٩).

قلت: هو الله الذي خذلهم وسلبهم التوفيق، أو الرسول حين أذن لهم في التَّخَلُّفِ أو الفشل والكسل، والشيطان بوسوسته وتزيينه.

قوله: "بمقعدهم" مصدر كالقعود، "خلاف رسول الله" أي: خلفه.

وفي قراءة ابن مسعود: "خَلْفَ رسول الله"[1]، ومثله: "ثم لا يلبثون خَلْفَكَ" و"خِلاَفَكَ"، والمعنى واحد. قال الشاعر:

فَقُلْ لِلَّذي يَبْغِي خِلافَ الَّذِي مَضَى ... تَهَيَّأْ لأُخْرَى مِثْلَها فَكَأَنْ قَدِ[2]

وقيل: هو بمعنى المخالفة، فانتصابه على هذا على الحال، أو هو مفعول له[3]. أي: فرحوا بمقعدهم مخالفين أو للمخالفة.

﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ لأنهم لا يرجون بالجهاد ثواباً، ولا يخافون بتركه عقاباً، ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ أي: قال بعضهم لبعض. ويجوز أن يكونوا قالوا ذلك للنبي ﷺ وللمؤمنين على معنى إظهار الشفقة والإرشاد إلى المصلحة.

﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿نار جهنم أشد حراً﴾ من حر الدنيا.

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٧٨).

(٢) البيت منسوب للشافعي، انظر: معجم الشعراء للمرزباني (ص:٦)، واللسان، مادة: (خلف)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٥٤)، وحلية الأولياء (٩/ ١٥٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٢)، والكامل (٢/ ٤٦٠)، وتهذيب الكمال (٣/ ٢٩٨)، والبحر المحيط (٥/ ٨٠)، والدر المصون (٣/ ٤٨٧)، وروح المعاني (١٧/ ٤٤).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٩)، والدر المصون (٣/ ٤٨٧).

وفي قوله: ﴿لو كانوا يفقهون﴾ استجهال لهم، حيث آثروا لذة حائلة، [وراحة][١] زائلة، يستلزم إيثارها الاشتمال في الدنيا بالعار، والاصطلاء في الآخرة بالنار.

قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾ خبر جاء بلفظ الأمر، إشعاراً بتحتمه وكونه لا محالة، والتقدير: يضحكون قليلاً في الدنيا، ويبكون كثيراً في النار.

وقال ابن عباس: إن أهل النفاق ليبكون في النار عُمر الدنيا لا يَرْقَأ[٢] لهم دمع[٣].

وقال أبو موسى: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أُجْرِيَتْ السفن في دموعهم لجَرَتْ، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليبكى[٤].

قرأتُ على الشيخ أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم الإمام أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي فأقرَّ به، قال: حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن

---

(١) في الأصل: وراحلة. وفي هامش الأصل: لعلها: راحة.

(٢) رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ تَرْقَأُ رَقْأً ورُقُوءاً: جَفَّتْ وانْقَطَعَتْ (اللسان، مادة: رقأ).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٦).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٤٧)، والحاكم (٤/ ٦٤٨)، وأبو يعلى (٧/ ١٦١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٠)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١١٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٧) وعزاه لابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد.

عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن عمران بن زيد[١]، حدثنا يزيد الرقاشي[٢]، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تستطيعوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع، فتسيل الدماء مثل العيون، فلو أن سُفُناً أُجْرِيَتْ فيها لجَرَتْ»[٣].

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿فإن رجعك الله﴾ أي: ردك إلى المدينة ﴿إلى طائفة منهم﴾ أي: من المخلَّفين، والمراد بالطائفة المنافقون، فإن المخلَّفين لم يكونوا كلهم منافقين.

ويجوز أن يكون المعنى: فإن رجعك الله إلى طائفة من المنافقين، وهم الذين أصروا على النفاق ولم يتوبوا، ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ في غزاة، فقل معاقباً لهم

---

(١) عمران بن زيد التغلبي، أبو يحيى البصري ويقال: الكوفي الملائي الطويل، قال ابن معين: ليس يحتج بحديثه، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه وليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٨/ ١١٧، والتقريب ص:٤٢٩).

(٢) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص، زاهد صالح، إلا أنه منكر الحديث ضعيف (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٧٠-٢٧١، والتقريب ص:٥٩٩).

(٣) أخرج نحوه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٦ ح٤٣٢٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٠ ح٣٤١٣٠). وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٨٥ ح٢٩٥)، والبغوي في التفسير (٢/ ٣١٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٦-٢٥٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن ماجه وأبو يعلى.

بتخلفهم ونفاقهم، ومُسْقِطاً لهم من ديوان الغُزاة، ومُلْحِقاً بهم عاراً وشَناراً لا يفارقهم: ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾.

قال عامة المفسرين: هي غزاة تبوك(١).

فإن قيل: تبوك آخر غزوة غزاها النبي ﷺ، فكيف قال: "أول مرة"؟

قلت: قد أجاب عنه الماوردي فقال(٢): أول مرة دعيتم أو رضيتم به أول مرة قبل استئذانكم.

ويجوز عندي أن يقال: المراد بالأولية هاهنا: مبادئ الغزوات، وتبوك وإن تأخرت يصدق عليها كونها أولاً، كما يقال: كان هذا في أول الإسلام.

فإن قيل: قد علم الله تعالى أنها آخر غزوات رسوله ﷺ، فكيف أمره أن يقول لهم: ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي﴾؟

قلت: المراد بها: إسقاطهم من ديوان الغُزاة -كما أشرت إليه قبل-، وقطع الموالاة والنصرة بينهم وبين المسلمين، وأنهم لا يخرجون مع أهل دينه ولا يقاتلون معهم عدواً.

قوله تعالى: ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ قال ابن عباس: هم ذووا الأعذار من الرجال(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٧٩).

(٢) تفسير الماوردي (٢/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال الحسن وقتادة: النساء والصبيان[١].

وقيل: المعنى: فاقعدوا مع أهل الفساد[٢]، ومنه: نَبِيذٌ خَالِف، أي: فاسد، وخَلَفَ اللَّبن؛ إذا حَمُضَ من طول لبثه في السقاء، وخَلَفَ فَمُ الصَّائم؛ إذا تغيَّرت ريحه[٣].

ويجوز أن يكون المعنى: فاقعدوا مع الخالفين.

قال الفراء[٤]: يقال: عبد خَالِف، وصاحب خَالِف؛ إذا كان مخالفاً.

وقيل: المعنى: فاقعدوا مع الخساس من الناس. يقال: فلان خالفه أهله؛ إذا كان دونهم[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٦).

(٢) واختار الطبري هذا القول ورجحه، قال (١٠/ ٢٠٤): والصواب من التأويل في قوله: ﴿الخالفين﴾ ما قال ابن عباس. وأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء؛ فقول لا معنى له؛ لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون، ولا بالواو والنون. ولو كان معنياً بذلك النساء لقيل: فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات، ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به: فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء. وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث، ولذلك قيل: فاقعدوا مع الخالفين، والمعنى ما ذكرنا.

ولو وجه معنى ذلك إلى فاقعدوا مع أهل الفساد، من قولهم: خلف الرجال عن أهله يخلف خلوفاً؛ إذا فسد، ومن قولهم: هو خلف سوء، كان مذهباً، وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم: خلف اللبن يخلف خلوفاً؛ إذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد، ومن قولهم: خلف الصائم؛ إذا تغيرت ريحه.

(٣) انظر: اللسان، مادة: (خلف).

(٤) معاني الفراء (١/ ٤٤٧).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (خلف).

فإن قيل: كيف أمرهم بما لا يجوز فعله، وهو القعود والتخلف عن نصر الرسول والإسلام؟

قلت: هذا خارج مخرج التهديد؛ كقوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾، أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد العطاري قراءة عليه وأنا أسمع، والشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة بقراءتي عليه قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الصوفي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثني إبراهيم بن المنذر، حدثنا أنس بن عياض، عن عبيد الله -يعني: ابن عمر-، عن نافع، عن ابن عمر قال: «لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟! فقال: إنما خيرني الله أو أخبرني الله فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فقال: سأزيده على سبعين. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا

معه، فأنزل الله: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾»[١].

وفي الصحيح من رواية ابن عباس عن عمر رضي الله عنهما قال: «فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسول لله، أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا كذا وكذا، قال: أَعُدُّ عليه. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني يا عمر، فلما أكثرتُ عليه قال: إني خيرت فاخترت، فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم»[٢].

وفي هذا الحديث الصحيح إبطال لقول من زعم أنه لم يصل عليه، فإن الزمخشري[٣] حكى: أن جبريل جذبه حين أراد أن يصلي عليه.

فإن قيل: كيف أكرمه النبي ﷺ بقميصه؟

قلت: عنه أجوبة:

أحدها: أنه رامَ مكافأته على يد كانت له على عمه العباس عليه السلام، فإنه كان رجلاً جسيماً طويلاً، ولم يجدوا يوم بدر له قميصاً، فكساه عبدالله بن أبيّ قميصه. وهذا الجواب ذكره جماعة من العلماء، ويَرِدُ عليه إشكال وهو: أن عبدالله بن أبيّ لم يحضر بدراً، ولم يكن أسلم يومئذ؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧١٦ ح٤٣٩٥)، ومسلم (٤/ ١٨٦٥ ح٢٤٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٥٩ ح١٣٠٠).
(٣) الكشاف (٢/ ٢٨٣).

ويجاب عنه بأن يقال: المراد بيوم بدر الذي كسى فيه ابن أبيّ العباس قميصه، الزمان المقارب للوقعة، كما تقول: يوم صفين ويوم بُعاث، كأنهم -والله أعلم- التمسوا له قميصاً يوم ورودهم المدينة، فتعذر في ذلك الوقت، فأعطاه ابن أبيّ قميصه؛ لأنه كان نظيره في الجسامة وامتداد القامة.

والجواب الثاني: أنه ﷺ كان لا يرد سائلاً، وكان أرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب أحد ثوبيه ليكفن فيه، فأرسل إليه الدِّثار[١] فأرسل يقول: أريد ثوبك الذي يلي جلدك، فأرسله له.

الثالث: أنه أكرم بذلك ابنه عبدالله، وكان رجلاً صالحاً.

الرابع: أنه رام بذلك استعطاف غيره واستمالتهم إلى الإسلام.

فإن قيل: هل ناله بركة القميص؟

قلت: كلا.

قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «ما يغني عنه قميصي من عذاب الله من شيء»[٢].

فإن قيل: تضمَّن دفع القميص لتكفينه فائدة وحكمة ظهر أثرها.

قلت: نعم، فإنه روي عن النبي ﷺ قال: «والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه»[٣]، فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج حين رأوا استشفاءه بقميص رسول

---

(١) الدثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشِّعار (اللسان، مادة: دثر).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٠٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٢٦٢). والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٩) وعزاه لأبي الشيخ.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

الله ﷺ. حكى هذا جماعة؛ منهم الزجاج[١] والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي[٢]، ثم إن في ذلك [حضاً][٣] للمؤمنين على المعاطفة والمراحمة؛ لأنهم إذا رأوا نبيهم ﷺ يفعل ذلك مع رجل معروف بالنفاق لكونه نطق بكلمة الإسلام، حرّك دواعيهم وهيّج شفقة بعضهم على بعض.

قوله تعالى: ﴿ولا تَقُمْ على قبره﴾ قال أهل التفسير: كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له[٤]، فنهي عن ذلك في حق المنافقين.

قال ابن جرير[٥]: المعنى: لا تتولى دفنه، وهو من قولك: قام فلان بأمر فلان؛ [إذا كفاه أمره][٦].

وقد سبق تفسير الآية التي بعدها.

وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا أنزلت سورة﴾ يجوز أن يراد السورة بتمامها، ويجوز أن يراد بعضها. والمعنى: وإذا أنزلت سورة تأمرهم بالإيمان والجهاد.

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٣).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٨٠-٤٨١).

(٣) في الأصل: حظاً.

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٥ ح٣٢٢١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨١).

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٤).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من الطبري، الموضع السابق.

قال مقاتل[١]: هي براءة.

والأظهر: إطلاقها في كل سورة تشمل على الأمر بالإيمان والجهاد.

﴿أَنْ آمنوا﴾ هي "أَنْ" المفسِّرة، ثم إن كان الخطاب للمنافقين، فالمعنى: آمنوا بقلوبكم، وإلا فالمراد: اثبتوا على الإيمان، أو افعلوا فعل المؤمنين ﴿استأذنك أولوا الطول منهم﴾ وهم ذوو اليسار الذين لا عذر لهم في التخلف، ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ من ذوي الأعذار.

فوبخهم الله تعالى بقوله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ وهي النساء، أو الخساس الأدنياء.

قال ابن الأنباري[٢]: العرب تجمع فاعلة فواعل فيقولون: ضاربة وضوارب، وشاتمة وشواتم، ولا يجمعون فاعلاً فواعل إلا في حرفين، فوارس وهوالك.

وقال غيره: لا يجمع فاعل على فواعل إلا في الشعر أو قليل من الكلام.

﴿وطبع على قلوبهم﴾ قال ابن عباس: بالنفاق[٣].

﴿فهم لا يفقهون﴾ ما في الجهاد من المثوبة، وفي التخلف عنه من العقوبة.

لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٦٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٧).

ثم أثنى الله على رسوله ﷺ والمؤمنين فقال: ﴿لكن الرسول ... الآية﴾ أي: إن تخلف المنافقون فقد نَهَدَ[1] إلى الجهاد الرسول، ﴿والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾.

﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ قال الأخفش والمبرد: هو جمع خيرة، وهن الجواري الفاضلات الحسان[2]، ومنه قوله: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ [الرحمن: ٧٠].

وقيل: "الخيرات": منافع الدنيا والآخرة.

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

---

(١) نَهَدَ إليه: قام (اللسان، مادة: نهد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٧)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٣).

قوله تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ قال أبو عبيدة[١]: المعذرون من تعذر وليس بجاد، إنما يُعَرِّضُ بما لا يفعله ويُظهر غير ما في نفسه.

وقال [ابن][٢] قتيبة[٣]: يقال: عَذَّرت في الأمر؛ إذا قصّرت[٤].

وقال الفراء[٥] والزجاج[٦] وابن الأنباري[٧]: المُعَذِّرون هم المعتذرون، فأدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود[٨].

قال مجاهد: هم نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله[٩].

وقيل: هم أسد وغطفان، قالوا: إن لنا عيالاً وإن بنا جَهْداً فأْذن لنا في التخلف.

وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: إن غزونا معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا، فقال رسول الله ﷺ: سيغنيني الله عنكم.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٦٧).

(٢) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٣/ ٤٨٣).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٩١).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (عذر).

(٥) معاني الفراء (١/ ٤٤٧).

(٦) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٤).

(٧) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٨٢).

(٨) مثل السابق.

(٩) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٠) عن ابن إسحاق. وانظر: الوسيط (٢/ ٥١٧) من قول ابن إسحاق. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن إسحاق.

قال قتادة: اعتذروا بالكذب[١].

وقال الزجاج[٢]: المتعذرون هم الذين يعتذرون، كان لهم عذر أو لم يكن، وهم هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر، وأنشدوا:

إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَد اعْتَذَرْ[٣]

المعنى: فقد جاء بعذر.

قال الزجاج[٤] وغيره: ويجوز المُعِذّرون -بكسر العين- لالتقاء الساكنين، ويجوز المُعُذَّرون -بضم العين- لاتباع ضمة الميم، ولم يُقرأ بهذين الوجهين.

وقرأ ابن عباس بسكون العين وتخفيف الذال[٥]، وهم الذين يأتوا بالعذر الصحيح، وكان يقول: هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بإذنه، وهذا يؤيد قول الزجاج.

﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ وهم المنافقون المخلفون بغير عذر، ومعنى: "كذبوا الله": لم يَصْدُقُوا في إيمانهم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٠).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٤).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة، يوصي ابنتيه بزيارة قبره حولاً بعد موته، ويقول: إن هذا كاف. انظر: ديوان حاتم (٢/ ٢١)، ومجاز القرآن (١/ ١٦)، واللسان، مادة: (عذر)، ومعاني الزجاج (٢/ ٤٦٤)، والطبري (١/ ٥٢، ١٠/ ٢١٠)، والقرطبي (١/ ٩٨، ٨/ ٢٢٤، ١٠/ ٢٣١)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٣، ٩/ ٨٧)، وروح المعاني (١٢/ ٥٧).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٤).

(٥) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٢١)، والنشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤).

وقرأ أُبيّ بن كعب: "كَذَّبُوا" بالتشديد[١].

﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ أي: داموا على كفرهم ﴿عذاب أليم﴾.

قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء﴾ قال الضحاك: نزلت في ابن أم مكتوم - وكان ضرير البصر -، قال: يا نبي الله، إني شيخ ضرير البصر، خفيف الحال، نحيف الجسم، وليس لي قائد، فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد، فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قال ابن عباس: "الضعفاء": الزَّمْنَى[٣] والمشايخ والعَجَزَة[٤].

والمرضى: جمع مريض.

﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ وهم الفقراء ﴿حرج﴾ أي: ضيق بسبب الإثم، ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ بالإخلاص في إيمانهم وطاعتهم، وحفظ ذراري المجاهدين، وحسن الخلافة عليهم في أموالهم ونسائهم.

وفي قوله: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ نفي لما عساه يتوهم من عتاب أو عقاب يلحقهم بسبب تخلفهم مع عذرهم ونصحهم، ﴿والله غفور رحيم﴾ للمحسنين.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤).
(٢) زاد المسير (٣/ ٤٨٤).
(٣) الزَّمانة: العاهة. وجل زَمِنٌ: أي مُبْتَلى بَيِّنُ الزَّمانة (اللسان، مادة: زمن).
(٤) الوسيط (٢/ ٥١٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٤).

قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ قال الحسن البصري: هم أبو موسى وأصحابه[١].

وقال مجاهد: هم بنو مُقَرِّن، وكانوا سبعة[٢].

وقال ابن إسحاق: كانوا سبعة من الأنصار[٣]. وهؤلاء قوم عدموا آلة الجهاد فسألوا رسول الله ﷺ المعونة.

قال ابن عباس: سألوه الدواب[٤].

وقال أنس بن مالك: سألوه الزاد[٥].

وقال الحسن: سألوه النعال[٦].

ولا تَنافي بين هذه الأقوال؛ لجواز أن يكون كل واحد سأل ما يحتاج إليه، ويتوقف خروجه عليه.

﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ فانصرفوا باكين، فذلك قوله: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾.

---

(١) الماوردي (٢/ ٣٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٢). وانظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١٦٥)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٢)، والماوردي (٢/ ٣٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٦٤) وعزاه لابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٦)، والسيوطي في الدر (٤/ ٢٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

والجار والمجرور في موضع نصب على التمييز[١].

وقوله: ﴿حزناً﴾ مفعول له[٢]، ﴿أن لا يجدوا ما ينفقون﴾ معناه: لئلا يجدوا ما يخرجون في جهاز الغزو.

وقوله: "أن لا يجدوا" في محل النصب على أنه مفعول له أيضاً، وناصبه المفعول له الذي هو "حَزَناً"[٣].

ثم عاب الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون بالنفاق ويستأذنون في القعود مع القدرة على الخروج والإنفاق، فقال: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ... الآية﴾.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ
قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ
لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

(١) الدر المصون (٣/ ٤٩٣).

(٢) التبيان (٢/ ٢٠)، والدر المصون (٣/ ٤٩٣).

(٣) الدر المصون (٣/ ٤٩٣).

قوله تعالى: ﴿لن نؤمن لكم﴾ أي: لن نصدقكم في اعتذاركم، ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ فأطلعنا على نيط ما انطوت عليه ضمائركم من النفاق والفساد، ﴿وسيرى الله عملكم﴾ فيما تستأنفون، هل تتوبون إليه أو تقيمون على النفاق وتثبتون عليه، ﴿ورسوله﴾ يرى عملكم أيضاً فيشهد عليكم يوم القيامة، ﴿ثم تردون﴾ بعد الموت ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ يعني: السر والعلانية، ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ المعنى: يجازيكم عليه.

قوله تعالى: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ أي: إذا رجعتم إليهم من تبوك.

قال ابن عباس: نزلت في جد بن قيس ومعتب [بن][1] قشير وأصحابهما، وكانوا ثمانين رجلاً من المنافقين[2].

﴿لتعرضوا عنهم﴾ أي: لتعرضوا عن توبيخهم وتعنيفهم وتصفحوا عنهم، ﴿فأعرضوا عنهم﴾ أي: دعوهم وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، وهو كلام يلوح منه الوعيد والتهديد.

﴿إنهم رجس﴾ قال عطاء: إن عملهم رجس[3].

وهذا تعليل للأمر بالإعراض عنهم؛ لأن من كان عمله رجساً لا ينفع تلافيه، ولا ينجع الوعظ فيه.

---

(١) زيادة من زاد المسير (٣/ ٤٨٧).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٨٧) من قول مقاتل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٨) بلا نسبة.

قوله تعالى: ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ وذلك أن عبدالله بن أبيّ حلف للنبي ﷺ أنه لا يتخلف عنه، وليكونن معه على عدوه، وسأله الرضى عنه طلباً لنفع العاجلة، فأخبر الله أن ذلك غير مغن عنه شيئاً مع سخطه عليه، وكونه عرّض نفسه للعقوبة في الآجلة فقال: ﴿فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾.

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾ قال ابن عباس: نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب حول المدينة[(١)].

والمعنى: أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر ممن هو على مثل رأيهم؛ لأنهم أقسى قلوباً وأجفى طباعاً.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦٦) وعزاه لأبي الشيخ عن الكلبي.

ومن الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفَدَّادِين[١] عند أصول أذناب الإبل»[٢].

﴿وأجدر أن لا يعلموا حدود﴾ أي: أحق وأولى أن لا يعلموا حدود ﴿ما أنزل الله على رسوله﴾ لأنهم [أبعد عن][٣] العلم والحكمة، ولذلك شبهوا بالموتى. ومنه قول معاوية: "أهل الكُفُور هم أهل القبور"[٤]. والكُفُور: جمع، واحده: كَفْر، وهو القرية[٥]. يقول: إن أهل القرى الذين لا يسكنون المدن هم الموتى؛ لأنهم لم يستضيئوا بنور العلم وسماع القرآن والحديث، فهم موتى من هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً﴾ يعني: في الصدقة والغزو وغيرهما مما ينفق في جهة القربة إلى الله، "مغرماً" يعني: غرامة وخسراناً، والغرامة: التزام ما لا يلزم، ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ يعني: دوائر الزمان من ظهور أعدائكم عليكم، أو قتل نبيكم، أو موته ليتخلصوا من الإنفاق والنفاق.

---

(١) الفدّادون: جمع فدّاد، من الفديد، وهو الصوت الشديد، وهم أصحاب الوبر أو الفلاّحون؛ لغلظ أصواتهم وجفائهم (اللسان، مادة: فدد).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٠٢ ح٣١٢٦)، ومسلم (١/ ٧١ ح٥١).

(٣) في الأصل: بعدا من.

(٤) ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم (٨/ ٢٠٤) عن عمر رضي الله عنه. وذكره ابن منظور في اللسان، مادة: (كفر)، وياقوت في معجم البلدان (٤/ ٤٦٨).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (كفر).

﴿عليهم دائرة السَّوْء﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "السُّوء" بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها[١].

قال الفراء[٢]: من فتَحَ أراد المصدر، من سُؤْتُهُ [سُوْءاً][٣] ومَسَاءَةً. ومن رَفَعَ السين جعله اسماً؛ كقولك: دائرة السّوء: البلاء والعذاب. ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿ما كان أبوكِ امرأ سَوْء﴾ [مريم:٢٨]، ولا في قوله: ﴿وظننتم ظن السَّوْء﴾ [الفتح:١٢]، [لأنه][٤] ضد؛ كقولك: رجل صدق. وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء فيُضَمّ.

وهذا إخبار من الله تعالى.

المعنى: عليهم تدور الدوائر بما يكرهونه.

وقيل: هو دعاء معترض؛ كقوله: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم﴾ [المائدة:٦٤].

﴿والله سميع﴾ لأقوالهم، ﴿عليم﴾ بنياتهم وأفعالهم.

قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ قال ابن عباس: هم من أسلم من الأعراب، مثل: جهينة وأسلم وغفار[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٣٠-٣٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢١-٣٢٢)، والكشف (١/ ٥٠٥)، والنشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٦).

(٢) معاني الفراء (١/ ٤٥٠).

(٣) في الأصل: سوءة. والتصويب من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: لأ. والتصويب من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٩)، وزاد المسير (٣/ ٤٨٩).

﴿ويتخذ ما ينفق﴾ في الجهاد والصدقة وغيرهما من النفقات التي يرجى بها نفع المثوبة ودفع العقوبة، ﴿قُرُبات عند الله﴾ يتوصل بها إلى مرضاته، ويتوسل بها إلى جناته.

و"قُرُبات": مفعول ثان لـ"يَتَّخِذُ"(١)، وهو جمع قُربة، بسكون الراء وضمها.

﴿وصلوات الرسول﴾ استغفاره ودعاؤه؛ كقوله ﷺ: «اللهم صَلِّ على آل أبي أوفى»(٢).

﴿ألا إنها﴾ صلوات الرسول. وقيل: النفقة ﴿قُرْبَة لهم﴾.

وقرأتُ على شيخي أبي البقاء اللغوي للمُفَضَّل وأبان عن عاصم وإسماعيل بن جعفر وورْش عن نافع: "قُرُبة"، بضم الراء على الأصل(٣).

قال ابن عباس: المعنى: ألا إنها نور لهم ومكرمة عند الله تعالى(٤).

﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ أي: في جنته.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٠)، والدر المصون (٣/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٤ ح١٤٢٦)، ومسلم (٢/ ٧٥٦ ح١٠٧٨).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٢)، والكشف (١/ ٥٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٩).

قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ اختلف العلماء في السابقين الأولين من المهاجرين، فقال أبو موسى وسعيد بن المسيب وقتادة: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ[1].

وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر[2].

وقال الشعبي: أهل بيعة الرضوان[3].

ونقل عن محمد بن كعب القرظي ما يدل على أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، فروى أبو صخر حميد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب يوماً: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان من رأيهم، وإنما أريد الفتن، فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب محمد ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم. قلت: في أي موضع أوجب لهم الجنة في كتابه؟ فقال: سبحان الله، ألا تقرأ قوله: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ... الآية﴾، فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطاً لم يشرط عليهم.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وأبي نعيم في المعرفة عن أبي موسى. ومن طريق آخر عن سعيد بن المسيب، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة. ومن طريق آخر عن الحسن ومحمد بن سيرين، وعزاه لابن المنذر وأبي نعيم.

(٢) ذكره الماوردي (٢/ ٣٩٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي الشيخ وأبي نعيم في المعرفة.

قلت وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعونهم بإحسان، يقول: يقتدون بأعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك. قال أبو صخر: فوالله لكأني لم أقرأها، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها عليّ محمد بن كعب(١).

وقال القاضي أبو يعلى: هم الذين أسلموا قبل الهجرة(٢).

واختلف القراء في قوله: ﴿والأنصار﴾؛ فقرأ القراء السبعة والأكثرون: "والأنصارِ" بالجر، نسقاً على "المهاجرين"(٣)، وهم أهل العقبة الأولى، وكانوا سبعة، وأهل العقبة الثانية، وكانوا سبعين. والذين بادروا إلى الإيمان حين قدم إليهم مصعب بن عمير وأبو زرارة، وتجيء فيهم الأقوال التي في المهاجرين.

وقرأ جماعة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه والحسن البصري: "والأنصارُ" بالرفع، وبها قرأت على الشيخين أبي بقاء النحوي وأبي عمرو الياسري ليعقوب الحضرمي نسقاً على "والسابقون"(٤).

قوله تعالى: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ قال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء، ويذكرون محاسنهم(٥)، فيسألون الله أن يجمع بينهم، فأحسنوا.

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٥٢٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٧٢) وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٩١).

(٣) النشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢١)، وزاد المسير (٣/ ٤٩١).

وطائفة جعلت مكان الصلاة عليهم [والدعاء](١) لهم: اللعنة والتنفير عنهم، فتراهم [مجاهرين في سبّ](٢) السابقين الأولين من المهاجرين.

ولقد سمعتُ عظيماً من عظمائهم وطاغية من طغاتهم يذكر الزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ وابن عمته، وأول من سلّ سيفاً في سبيل الله، ويقول: هو من أهل النار. فقلت للطاغي الباغي: رسول الله قد شهد له بالجنة، فشهادة رسول الله ﷺ أقوم من شهادتك وأعدل، ولو استطعت لزدت في الرد والنكير عليه، ولكني خفت حَيْفَه وسيفه، ثم إني نهضتُ كمداً وأنشدت مستشهداً:

لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَقُولا   لَشفيتُ مِنْ قَلْبِي غَلِيلا

لَكِنَّ لِسَانِي صَارِمٌ   مُلِئَتْ مَضَارِبُهُ فُلُولا

اللهم فإليك المشتكى، وأنت المستغاث، وبك المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وهذه الآية تنعي على الطائفة الخسيسة الخبيثة الذين رفضوا دين الإسلام، وتدينوا بسب أصحاب الرسول ﷺ سوء حالهم، وتخرجهم عن أن يكونوا ممن رضي الله عنهم وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وقد ثبت بالدلائل القطعية والبراهين العقلية والسمعية أن من تنسك بِسَبّ السابقين الأولين من المهاجرين وبغضهم وتمسك بالبراءة منهم ورفضهم لم يتبعهم بإحسان.

---

(١) في الأصل: الدعاء.

(٢) في الأصل: مجاهدين في بسبب. والصواب ما أثبتناه.

قوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ قال الزجاج[١]: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به.

﴿وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار﴾ وقرأ ابن كثير: "من تحتها" بزيادة "مِنْ"، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة[٢].

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾ وهم من جهينة ومزينة وأسلم وغفار، وكانوا نازلين حول المدينة، ﴿ومن أهل المدينة﴾ من الأوس والخزرج، ﴿مردوا﴾ صفة موصوف محذوف، تقديره: قوم مردوا، أو هو صفة "منافقون" على الفصل بالمعطوف أو بإضمار "مِنْ". التقدير: ومن أهل المدينة من مردوا على النفاق[٣].

قال ابن الأنباري[٤]: وهو كقوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات:١٦٤].

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٦).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٢)، والنشر (٢/ ٢٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٧).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١)، والدر المصون (٣/ ٤٩٨).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٤٩٢).

ومعنى قوله: "مردوا" أي: مرنوا على النفاق وتمهروا فيه.

وفي قوله تعالى: ﴿لا تعلمهم﴾ تحقيق لمعنى مرودهم في النفاق وتوغلهم فيه، بحيث خفي على أنور الناس بصيرة وأدقهم نظراً وأصدقهم قرآنية.

وفي قوله: ﴿نحن نعلمهم﴾ تهديد لهم وتخويف من سوء عاقبة نفاقهم.

﴿سنعذبهم مرتين﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: المرة الأولى: فضيحتهم، «فإن رسول الله ﷺ قام خطيباً يوم جمعة فقال: اخرج يا فلان فإنك منافق، فأخرج ناساً ففضحهم»[١].

والمرة الثانية: عذاب القبر[٢].

وقال الحسن: سنعذبهم مرة بأخذ الزكاة من أموالهم، ومرة بنهك أبدانهم في الجهاد[٣].

وقال مقاتل بن سليمان[٤]: سنعذبهم عند الموت بضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وفي القبر بمنكر ونكير.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٠)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٤١ ح٧٩٢).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤): فيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٩٢).

قلت: ولابن عباس قول آخر هو: أن إحدى المرتين: الحدود، والأخرى: عذاب القبر. لكن الطبري عقب على هذا القول (١١/ ١١) بقوله: ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضي.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١١). وذكره الماوردي (٢/ ٣٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٩٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٦٨).

وقال ابن زيد: نعذبهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار[(١)]. وفيه بعد؛ لقوله: ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ وهو عذاب جهنم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وآخرون﴾ يعني: من المؤمنين ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ نزلت في أبي لبابة ونفر معه تخلفوا عن تبوك ثم ندموا، فقاموا وربطوا أنفسهم في السواري، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقهم. فلما قدم رسول الله قال: ما هؤلاء؟ فذكر له شأنهم، فقال: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ويعذرهم، رغبوا عني وتخلفوا عن المسلمين. فلما أنزل الله هذه الآية أطلقهم رسول الله ﷺ وعذرهم[(٢)].

قال الإمام أحمد ويحيى بن معين: اسم أبي لبابة: رفاعة بن عبد المنذر.

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: اسمه: بشير بن عبد المنذر.

وقال مقاتل[(٣)]: اسمه: مروان بن عبد المنذر.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٤) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٦٣)، والسيوطي في الدر (٤/ ٢٧٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٦٨).

والمعول على القول الأول، وهو قول الإمام، وهو الأكثر والأشهر عند علماء النقل.

وقلّ أن ترى قضية نقلية أو عقلية اضطربت فيها العقول، واختلف فيها أهل المنقول، إلا وجدت برهانه أنور وأوضح [ونقله][(١)] أصح وأرجح.

إذا قالت حَذام فصدِّقوها فإن القولَ ما قالت حذام[(٢)]

اللهم فارزقنا لزوم الاقتداء به [بمآثره][(٣)] والاهتداء بأنواره.

قوله تعالى: ﴿خلطوا عملاً صالحاً﴾ وهو توبتهم، ﴿وآخر سيئاً﴾ وهو تخلفهم عن رسول الله ﷺ.

وقيل: العمل الصالح: ما سبق لهم من الجهاد، والعمل السيء: تخلفهم عن غزوة تبوك.

وقال ابن جرير[(٤)]: وضع الواو مكان الباء كما يقال: خُلط الماء واللبن.

وهذا تعسف وعدول عن حقيقة اللفظ، فإن الواو جعلت كل واحد من العملين مخلوطاً [ومخلوطاً][(٥)] به، وكذلك في النظير الذي ذكره، فإنه جعل الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما، كأنك قلت: خلط الماء باللبن واللبن بالماء.

﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ سبق القول في "عسى".

---

(١) في الأصل: نقله.

(٢) البيت للُجَيم بن صعب. انظر: لسان العرب مادة: (حذم).

(٣) في الأصل: بماره.

(٤) تفسير الطبري (١١/ ١٢).

(٥) في الأصل: ومخوطاً.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا مؤمل[١]، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، ثنا عوف[٢]، حدثنا أبو رجاء، حدثنا سمرة بن جندب[٣] قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة [مبنية][٤] بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه

---

(١) مؤمل بن هشام اليشكري، أبو هشام البصري، ثقة صدوق، ذكره ابن حبان في الثقات، مات في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٤٢، والتقريب ص:٥٥٥).

(٢) عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر والتشيع، مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ١٤٨، والتقريب ص:٤٣٣).

(٣) سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مرة بن حزم بن عمرو بن جابر بن ذي الرياستين الفزاري، أبو سعيد، كان حليف الأنصار، سكن البصرة، وكان زياد يستحلفه عليها، فلما مات زياد أقرّه معاوية عاماً أو نحوه، ثم عزله، وكان شديداً على الحرورية، فهم ومن قاربهم يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين وفضلاء أهل البصرة يثنون عليه، مات سنة ثمان وخمسين (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٧، والتقريب ص:٢٥٦).

(٤) زيادة من الصحيح.

جنة عدن، وهذاك منزلك. قالا: أما القوم الذين كانوا [شطر][1] منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم»[2].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قال أهل التفسير: لما تاب الله على أبي لبابة وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خَلَّفَتْنا عنك فتصدق بها عنا. فقال رسول الله ﷺ: ما أُمِرْتُ أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم[3].

قال الحسن البصري رحمه الله: هذه الصدقة كفارة الذنوب التي أصابوها، وليست الزكاة المفروضة[4].

---

(١) في الأصل: شطراً. والتصويب من الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧١٧ ح٤٣٩٧).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٤-١٨٧٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) ذكره الماوردي (٢/ ٣٩٨)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٩٦) كلهم من قول ابن زيد.

وقال عكرمة: هي الزكاة[١].

قوله تعالى: ﴿تطهرهم﴾ في موضع نصب صفة لـ"صَدَقَةً"[٢].

وقرأ الحسن: "تُطْهِرْهُمْ" بالجزم جواباً للأمر[٣]. والمعنى: تطهرهم بها من دنس الذنوب.

﴿وتزكيهم بها﴾ تصلحهم وترفع منازلهم.

وقيل: تزكي أموالهم وتُنَمِّيها.

﴿وصلِّ عليهم﴾ ادع لهم واستغفر لذنوبهم.

﴿إن صلواتك﴾ وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "صَلاَتَكَ" بالتوحيد[٤].

﴿سكن لهم﴾ تثبيت وطمأنينة لهم أن الله قبلها منهم، ﴿والله سميع﴾ لاعترافهم ﴿عليم﴾ بندمهم على اقترافهم.

قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا﴾ وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: "ألم تعلموا" بالتاء على المخاطبة لهم[٥].

---

(١) ذكره الماوردي (٢/ ٣٩٨)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٩٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١)، والدر المصون (٣/ ٥٠٠).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٢)، والكشف (١/ ٥٠٥)، والنشر (٢/ ٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٧).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤).

المعنى: ألم يعلم المتوب عليهم قبل أن يُتاب عليهم ﴿أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا صَحَّتْ عن عقيدة صالحة، ﴿ويأخذ الصدقات﴾ إذا صدرت عن نية خالصة.

وقال المفسرون: لما نزلت توبة هؤلاء، قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء بالأمس كانوا معنا لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم؟ فأنزل الله هذه الآية[1].

ومعنى التخصيص في قوله: "هو يقبل" إعلامهم أن القبول ليس إلى الرسول، وإنما هو إلى الله تعالى.

أخبرنا شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق، والشيخ أبو بكر بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري برباط دار الذهب ببغداد قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ببغداد، قال: أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان[2]، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٦)، والطبري (١١/ ١٩).

(٢) محمد بن عجلان المدني القرشي، مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، أبو عبد الله، أحد العلماء العاملين، صدوق كثير الحديث، مات بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٣-٣٠٤، والتقريب ص:٤٩٦).

كَسْبٍ طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً، [ولا يصعد إلى السماء إلا طيب](١)، إلا كأنما يضعها في يد الرحمن، فيربيها له كما يربي أحدكم فُلُوَّه، حتى أن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها لمثل الجبل العظيم، ثم قرأ: ﴿أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾»(٢).

وقرأتُ على الشيخ الصالح أبي المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني، أخبركم الإمام أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي فأقرَّ به، قال: حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي(٣)، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن [زنجويه](٤)، حدثنا النضر بن شميل، أخبرنا عباد بن منصور، سمعت القاسم بن محمد، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً: «إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب، يأخذها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله، حتى تصير

---

(١) زيادة من مسند الشافعي (ص:١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥١١ ح١٣٤٤)، ومسلم (٢/ ٧٠٢ ح١٠١٤)، والشافعي في مسنده (ص:١٠٠) واللفظ له.
والفُلُوُّ: المُهْر الصغير (اللسان، مادة: فلا).

(٣) عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن داود بن أبي حاتم المليحي الهروي، أبو عمر، مسند هراة، كان ثقةً صالحاً، توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وله ست وتسعون سنة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٥٥).

(٤) في الأصل: زجوية. وهو خطأ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩)، والجرح والتعديل (٣/ ٢٢٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٠).

اللقمة مثل أُحُد. وتصديق ذلك في كتاب الله المنزل: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ [البقرة:٢٧٦]، و﴿أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾»[1]. هذا حديث صحيح.

وقال ابن مسعود: الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل[2].

قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا﴾ خطاب للتائبين وغيرهم، ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ يريد: أن الله يُطلع المؤمنين على ما في الضمائر من صالح وطالح، وذلك بما يقذفه في القلوب من المحبة والبغض.

أخبرنا أبو علي بن سعادة المذكر إذناً، قال: أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا أبي، حدثنا حسن بن موسى[3]، حدثنا [ابن][4] لَهِيعَة، حدثنا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٥٠ ح٦٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧١ ح١٠٠٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٠٩)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٣٥٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٢) وعزاه لعبد الرزاق والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم والطبراني.

(٣) الحسن بن موسى الأشيب، أبو علي البغدادي، قاضي طبرستان والموصل وحمص، كان صدوقاً في الحديث، وثقه ابن معين وغيره، مات سنة تسع -أو عشر- ومائتين (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٩، والتقريب ص:١٦٤).

(٤) زيادة على الأصل. وابن لهيعة هو: عبد الله بن عقبة بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان الحضرمي الأعدولي، ويقال: الغافقي، أبو عبد الرحمن المصري، صدوق ثقة، لكنه خلط بعد احتراق كتبه سنة تسع وستين ومائة، ومات سنة أربع وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ٣٢٧-٣٣١، والتقريب ص:٣١٩).

درّاج[(١)]، عن أبي الهيثم[(٢)]، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان»[(٣)].

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وآخرون مُرْجَئُون﴾ وقرأ نافع وأهل الكوفة إلا أبا بكر: "مُرْجَوْنَ" بغير همز[(٤)].

والأولى من أَرْجَأْتُهُ، والثانية من أَرْجَيْتُهُ، وهما بمعنى التأخير -كما سبق-.

والمعنى: وآخرون من المتخلفين مرجون لأمر الله ليقضي الله فيهم ما هو قاض، وهم الثلاثة الذين خُلِّفُوا.

---

(١) دراج بن سمعان، يقال: اسمه عبد الرحمن، ودرّاج لقب، أبو السمح القرشي السهمي مولاهم المصري، القاص، مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق ثقة، مات سنة ست وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٠، والتقريب ص:٢٠١).

(٢) سليمان بن عمرو بن عبدة -ويقال: عبيد- الليثي العتواري، أبو الهيثم المصري، تابعي ثقة (تهذيب التهذيب ٤/ ١٨٦، والتقريب ص:٢٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٨ ح١١٢٤٦)، والحاكم (٤/ ٣٤٩ ح٧٨٧٧).

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٣)، والكشف (١/ ٥٠٦)، والنشر (١/ ٤٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤).

﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ قال الزجاج[(١)]: "إما" لأحد الشيئين، والله عالم بما يكون وبما يصير إليه أمرهم، إلا أن هذا لأولئك الذين خوطبوا بما يعلمون. فالمعنى: ليكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء.

والمعنى: إما يعذبهم إن بقوا على الإصرار، وإما يتوب عليهم إن تداركوا دينهم بالتوبة والاستغفار.

﴿والله عليم﴾ بمآلهم ﴿حكيم﴾ في إرجائهم وإمهالهم.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ قرأ نافع وابن عامر بغير واو، كذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام على إضمار المبتدأ وإضمار الخبر. وقرأ الباقون بالواو عطفاً على ما قبله[(٢)]، أي: ومنهم الذين اتخذوا. ويجوز أن يكون

---

(١) معاني الزجاج (٢/ ٤٦٨).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٣)، والكشف (١/ ٥٠٧)، والنشر (٢/ ٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٨).

محل "والذين اتخذوا" النصب على الاختصاص؛ كقوله: ﴿والمقيمين الصلاة﴾[1] [النساء:١٦٢].

"ضراراً" مفعول له[2]، المعنى: اتخذوه لضرار المؤمنين.

﴿وكفراً﴾ بالله ورسوله، ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء فأرادوا تفريق جماعتهم.

﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي: إعداداً لأجل أبي عامر الراهب ليصلي فيه.

وقوله: "من قبل" يتعلق بـ"اتخذوا مسجداً" من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف.

وقيل: يتعلق بـ"حَارَبَ"، أي: حارب الله ورسوله، من قبل بناء مسجد الضرار.

﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ أي: إن أردنا ببناء المسجد إلا الخصلة أو الإرادة الحسنى، وهي الرفق بالمسلمين، والتوسعة على المصلين، وإظهار منار الدين.

وقيل: الحسنى: الطاعة. وقيل: الجنة.

﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في قولهم وحلفهم أنهم أرادوا الحسنى.

---

(١) الدر المصون (٣/ ٥٠٢).

(٢) التبيان (٢/ ٢٢)، والدر المصون (٣/ ٥٠٢).

الإشارة إلى قصتهم:

ذكر أهل العلم بالتفسير والسير: أن بني عمرو بن عوف لما اتخذوا مسجد قباء وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه، حسدهم إخوتهم بنو غنم بن عوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله ﷺ فيصلي فيه، ونرصده لأبي عامر الراهب ليصلي فيه إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر الراهب رجلاً منهم تَنَصَّرَ في الجاهلية وترهَّب ولبس المُسوح. فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الذي جئتَ به؟ قال: جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم. قال أبو عامر: فأنا عليها. فقال النبي ﷺ: لستَ عليها. فقال: بلى ولكنك أدخلتَ فيها ما ليس [منها][1]. فقال النبي ﷺ: ما فعلتُ، ولكن جئتُ بها بيضاء نقية. قال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً. فقال النبي ﷺ: آمين. وسمّاه رسول الله ﷺ أبو عامر الفاسق. فلما كان يوم أُحُد قال أبو عامر لرسول الله ﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتُك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين. فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين: أن أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجنود الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا له هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء. فلما أتموا بناءه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد ابتنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تصلي فيه، فدعى بقميصه ليلبسه، فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبرهم، فدعا معن بن عدي ومالك بن الدخشم في آخرين، فقال: انطلقوا إلى هذا المسجد

---

(١) زيادة من البغوي (٢/ ٣٢٦).

الظالم أهله فاهدموه وحرقوه، فاستنفروا رهط مالك بن الدخشم فهدموا المسجد وحرقوه، فتفرق عنه أهله. وأمر النبي ﷺ أن يُتَّخَذَ كُناسة تُلقى فيها الجِيَف والنتن والقُمامة. ومات أبو عامر الفاسق بقنّسرين بالشام طريداً وحيداً غريباً[1]. وفيه يقول كعب بن مالك:

مَعَاذ اللهِ مِنْ فِعْلٍ قَبِيح ... كَسَعْيِكَ في العَشِيرَةِ بَعْدَ[2] عَمْرو
وَقُلْتَ بأَنَّ لي شَرَفاً وَذِكْراً ... فقد تابعت إِيماناً بكُفْرِ[3]

الإشارة إلى الذين اتخذوا مسجد الضرار:

كانوا اثني عشر رجلاً وهم: خذام بن خالد -ومن داره أخرج المسجد-، وثعلبة بن حاطب، ومعتّب بن قشير، ووديعة بن ثابت، وعباد بن حنيف -أخو سهل بن حنيف-، وأبو [حبيبة][4] بن الأزعر، ونبتل بن الحارث، وبجاد بن عثمان، وجارية بن عامر -وكان يلقب: حمار الدار-، وابناه: زيد ومجمع، ومجمع هو الذي كان يؤمهم، وبحزج -جدّ عبد الله بن حنيف-، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «ما أردتَ بما أرى؟ فقال: والله ما أردتُ إلا الحسنى، وهو كاذب»[5].

---

(١) أخرج جزءاً منه الطبري (١١/ ٢٣) عن الزهري وغيره. وانظر: البغوي (٢/ ٣٢٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٩٨-٤٩٩)، وسيرة ابن هشام (٥/ ٢١٢).

(٢) في مصادر البيت: عبد.

(٣) انظر البيتين في: سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٥/ ١٠٢).

(٤) في الأصل: حيثمة. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨١).
وانظر: سيرة ابن هشام (٥/ ٢١٢)، والماوردي (٢/ ٤٠٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٩٩).

=

قال عكرمة: سأل عمر بن الخطاب رجلاً منهم: ماذا أعنتَ في هذا المسجد؟ قال: أعنتُ فيه بسارية، فقال له عمر: أبشر بها في عنقك في نار جهنم[(١)].

ولا خلاف بين العلماء أن مجمعاً صلحت حاله وصح إيمانه.

وروي: أن بني عمرو بن عوف سألوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لهم في الائتمام بمجمع بن جارية بمسجد قباء، فقال: لا ولا نعمة عين، أليس بإمام مسجد الضرار؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، فوالله لقد صليتُ بهم وإني لا أعلم ما أضمروا عليه، ولو علمتُ ما صليت معهم فيه، كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا شيوخاً قد عشوا[(٢)]، وكانوا لا يقرؤون من القرآن شيئاً، فصلّيت، ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله تعالى، فعذره عمر رضي الله عنه وصدقه، وأمره بالصلاة في مسجد قباء[(٣)].

قوله تعالى: ﴿لا تَقُمْ فيه أبداً﴾ أي: لا تُصَلِّ في مسجد الضرار ولا تتخذه معبداً، ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ أي: على الطاعة، وهو المسجد الذي فيه القبر والمنبر على صاحبهما أفضل الصلاة والسلام. هذا قول ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وسعيد بن المسيب[(٤)].

= وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٥) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(١) القرطبي (٨/ ٢٥٤).

(٢) في القرطبي: وكانوا شيوخاً قد عاشوا على جاهليتهم.

(٣) القرطبي (٨/ ٢٥٥). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٠١).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨١). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٢٤)، وزاد المسير (٣/ ٥٠١).

وقد روى سهل بن سعد: «أن رجلين اختلفا في عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد الرسول ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قباء. فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: هو مسجدي هذا»(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: «سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى، فأخذ الحصباء فضرب بها الأرض وقال: هو مسجدكم هذا، مسجد المدينة»(٢).

وأنبأنا حنبل بن عبدالله بن الفرج، أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، أخبرنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى، حدثني أبي، سمعت أبا سعيد الخدري قال: «اختلف رجلان، رجل من بني عمرو بن عوف ورجل من بني خدرة في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال العمري: هو مسجد قباء. فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: هو هذا المسجد -لمسجد رسول الله ﷺ- وقال: في ذلك خير كثير، -يعني: مسجد قباء-»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٤٨ ح٧٥٢٢)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٧ ح٦٠٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠١٥ ح١٣٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠١٥)، والترمذي (٢/ ١٤٤)، والنسائي (١/ ٢٥٧)، وأحمد (٣/ ٢٣)، وابن حبان (٤/ ٤٨٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٤٨)، وأبو يعلى (٢/ ٢٧٢)، والطبري (١١/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٧) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي سعيد الخدري.

وقيل: هو مسجد قباء. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[(١)]، وبه قال سعيد بن جبير وقتادة وعروة وأبو سلمة بن عبدالرحمن والضحاك ومقاتل[(٢)].

قال صاحب الكشاف[(٣)]: هو أولى؛ لأن الموازنة بين مسجدي قباء أوقع.

وقيل: كل مسجد بالمدينة بُنِيَ على الطاعة[(٤)].

﴿من أول يوم﴾ أي: منذ أول يوم.

قال الزجاج[(٥)]: دخلت "مِنْ" في الزمان، والأصل مُنْذُ ومُذْ، وهو الأكثر في الاستعمال. وجائز دخول "من"؛ لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض، ومثله قول زهير[(٦)]:

لمن الديار [بقنة][(٧)] الحجر ... أقوين من حجج ومن دهر

قيل: معناه: من مَرِّ حِجج ومن دهر.

---

(١) انظر: تفسير ابن عباس (ص:٢٧٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٢). وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ٧١)، والماوردي (٢/ ٤٠٢)، والوسيط (٢/ ٥٢٤)، وزاد المسير (٣/ ٥٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

(٣) الكشاف (٢/ ٢٩٦).

(٤) وهو قول محمد بن كعب. انظر: الماوردي (٢/ ٤٠٣)، وزاد المسير (٣/ ٥٠١).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤٧٨). وانظر: زاد المسير (٣/ ٥٠٠).

(٦) البيت لزهير. انظر: ديوانه (ص:٨٩)، والقرطبي (٨/ ٢٦٠)، وزاد المسير (٣/ ٥٠٠، ٤/ ٤٣٣).
ويروى البيت: (أقوين مذ حجج ومذ دهر).

(٧) في الأصل: بقية. والتصويب من مصادر البيت.

قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم»(١).

وقيل: لما نزلت هذه الآية مشى رسول الله ﷺ إليهم فقال: ما الذي أثنى الله به عليكم؟ فقالوا: يا رسول الله نُتْبِعُ الغائط الأحجار الثلاثة، ثم نُتْبِعُ الأحجار الماء(٢).

وقيل: يحبون أن يتطهروا من الذنوب.

﴿والله يحب المطهرين﴾ من الشرك والمعاصي والأنجاس والأقذار.

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أفمن أسس بنيانه﴾، قرأ نافع وابن عامر: "أُسِّسَ بُنْيَانُهُ" بضم الهمزة وكسر السين ورفع "البنيان"، على ما لم يُسَمَّ فاعله في الموضعين، وقرأها الباقون بفتح الهمزة وفتح السين ونصب "البنيان"(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ١١ ح٤٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٢٧ ح٣٥٥) بنحوه.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٣-٣٢٤)، والكشف (١/ ٥٠٧)، والنشر (٢/ ٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٨).

والتأسيس: إحكام أُسّ البناء، وهو أصله، والبنيان: مصدر، يراد به: المبني.

﴿على تقوى من الله﴾ في محل الحال[١]، التقدير: أسس بنيانه متقياً لله يرجو ثوابه ويخاف عقابه.

﴿خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ قال الزجاج[٢]: شفا الشيء: [حرفه][٣] وحدُّه، والشَّفا مقصور، يكتب بالألف، ويثنى: شَفَوان[٤].

وقال الزمخشري[٥]: الشَّفا: الحرف والشفير، وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً، والهار: الهائر، وهو المُتَصَدّع الذي أشفى على التهدم والسقوط.

قال ابن قتيبة وغيره[٦]: ومنه تهوَّرَ البناء وانهار؛ إذا تداعى للسقوط.

قال صاحب الكشاف[٧]: المعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة، وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أمن أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد [وأرخاها وأقلها بقاء][٨] وهو الباطل والنفاق، الذي مَثَلُه مَثَلُ

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢)، والدر المصون (٣/ ٥٠٥).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٧٠).

(٣) في الأصل: جرفه. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (شفي).

(٥) الكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:١٩٢).

(٧) الكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٨) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

شفا جُرُفٍ هارٍ في قلة الثَّبات والاستمساك. وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى؛ لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿فَانْهَارَ به في نار جهنم﴾؟

قلتُ: لما جعل الجرف الهائر [مجازاً عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم، على معنى][(١)]: فطاح به الباطل في نار جهنم، إلا أنه رشح المجاز، فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف.

قال الزجاج[(٢)]: وهذا مَثَلٌ. المعنى: أن بناء هذا المسجد الذي بني ضراراً وكفْراً كبناء على جَرْف جهنم يتهور بأهله فيها.

قال قتادة: ذُكر لنا أنهم حفروا حفرة في مسجد الضرار فرؤي فيها الدخان[(٣)].

قال جابر: رأيت الدخان يخرج منه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ قال ابن عباس: شكاً ونفاقاً في قلوبهم؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بنائه[(٥)].

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٢) معاني الزجاج (٢/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٤)، والحاكم (٤/ ٦٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٣) وعزاه لمسدد في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٥). وانظر: الطبري (١١/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

وقيل: المعنى: لا يزالُ هدْمُ بنيانهم حزازة وغيظاً[١]، وسبباً لتصميمهم على الشك والنفاق لا يضمحل أثره ولا يزول رسمه عن قلوبهم.

﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم: "تَقَطَّعَ" بفتح التاء، وقرأ الباقون بضم التاء[٢].

وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: "إلى أن"، جعله حرف جرّ[٣].

فمن قرأ "إلا" بحرف الاستثناء معناه: إلا أن تقطع قلوبهم قطعاً، وتفرق أجزاؤهم بالموت أو بالقتل، فحينئذ ينمحي آثار الريبة من قلوبهم. فأما ما دامت سالمة فالريبة لازمة لهم. هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين[٤].

وقال الزجاج[٥]: قال بعضهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم.

فصل

قال بعض العلماء: كل مسجد بني مباهاة ورياء وسمعة، أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله تعالى، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٣).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٤)، والكشف (١/ ٥٠٨)، والنشر (٢/ ٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٥).

(٤) انظر: الطبري (١١/ ٣٣).

(٥) معاني الزجاج (٢/ ٤٧١).

(٦) الطبري (١١/ ٢٦). وانظر: القرطبي (٨/ ٢٥٤).

وروي: أن شقيقاً فاتته الصلاة في مسجد بني عامر، فقيل له: مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد، قال: لا أحب أن أصلي فيه، فإنه بني على ضرار(١).

وقال عطاء: لما فتح الله الأمصار على عمر رضي الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١١﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ سبب نزولها: «أن الأنصار لما بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة -وكانوا سبعين-. قال عبد الله بن رواحة: اشترط يا رسول الله لربك ولنفسك. فقال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نُقيل ولا نَستقيل»(٣).

---

(١) الطبري (١١/ ٢٦). وانظر: القرطبي (٨/ ٢٥٤).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٣٢٧).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥-٣٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٦). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٦)، والوسيط (٢/ ٥٢٦)، وزاد المسير (٣/ ٥٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٤) وعزاه لابن جرير.

ويروى: أن أعرابياً مر بالنبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية فقال: كلام مَنْ هذا؟ فقال: كلام الله. فقال: بيعٌ والله مُربح، لا نُقيله ولا نستقيله، فخرج إلى الغزو فاستشهد[1].

وقال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيحة، بايع الله بها كل مؤمن[2].

وقال قتادة: ثامَنهم الله فأغلى لهم[3].

وكان جعفر الصادق عليه السلام يقول: يا من ليست له همة، إنه ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها[4].

وأنشد الأصمعي لجعفر الصادق[5]:

أُثَامِنُ بالنَّفْسِ النَّفِيسَة رَبَّها ... فَلَيْسَ لَهَا فِي الخَلْقِ كُلِّهُم ثمَن
بهَا تُشْتَرَى الجَنَّات إِنْ أَنَا بعْتها ... بشَيء سِواها إِنّ ذلِكُم غَبَن
إِذا ذهَبَتْ نَفْسِي بدُنْيا أَصَبْتها ... فَقَدْ ذهَبَتْ نفْسِي وَقَدْ ذهَبَ الثَّمَن

وأنشد بعضهم:

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٦). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٢٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٥) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١١/ ٣٠).

(٥) انظر الأبيات في: القرطبي (٨/ ٢٦٨)، وروح المعاني (١١/ ٣٠)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٢١).

مَنْ يَشْتَرِي قُبَّة في العَـدن عَاليـة   في ظِلِّ طُوبى رَفيعـاتٌ مَبَانيهـا
دَلاَّلهـا المـصطفى واللهُ بائعُهـا   مِمَّـنْ أَرَادَ، وَجبْريـلُ مُنَادِيهـا

وذِكْرُ الاشتراء مجازٌ عن إثابتهم الجنة في مقابلة ما بذلوا من الأنفس والأموال لله في جهاد أعدائه به، اللهم فلك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعظمة جلالك، وعزتك يا رب ما بذلوا لك إلا أنفساً أنت خلقتها وأموالاً أنت رزقتها، فماذا يستحقون عليك وقد تقربوا بنعمتك إليك، فما أحق المتلبس بهذه القضية والموفق لهذه البيعة المرضية بإنشاد ما قيل:

أُزَاهِدُ نَفْسي فَهوَ مَالِكُهـا   وَلَهُ أَصُونُ كَـرائمَ الـذُّخْرِ
أَوْ أَهْـدِ مَـالاً فَهوَ وَاهبُـهُ   وَأَنا الحَقِيقُ عَلَيْـهِ بالـشُّكْرِ

قوله تعالى: ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ قرأ حمزة والكسائي: "فيُقتلون" بضم الياء، "ويَقتلون" بفتح الياء، وقرأ الباقون بالعكس من ذلك(١).

ومعنى الكلام: منهم من يَقْتِل، ومنهم من يُقْتَل في سبيل الله.

ثم أخبر الله عز وجل أن هذا الوعد المذكور مثبت في كتبه المنزلة فقال: ﴿وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾.

وفي قوله: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ ترغيب للمؤمنين في الجهاد بأبلغ الطرق، ضرورة الانقياد إلى اعتقاد تحقق الوفاء بوعد مالك الأشياء.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٥)، والكشف (١/ ٥٠٩)، والنشر (٢/ ٢٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٩).

﴿فاستبشروا﴾ أي: افرحوا أيها المؤمنون الباذلون أنفسهم وأموالهم ﴿ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿التائبون﴾ [رفعٌ][(١)] على المدح، أي: هم التائبون.

قال الزمخشري[(٢)]: وتدل عليه قراءة ابن مسعود وأبيّ: "التائبين" و"الحافظين" نصباً على المدح. ويجوز أن يكون صفة للمؤمنين.

وقال الزجاج[(٣)]: هو رفع بالابتداء، وخبره مضمر تقديره: التائبون العابدون لهم الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا.

وقيل: "التائبون" بدل من الضمير في "يقاتلون"[(٤)].

ويجوز أن يكون مبتدأ، خبره "العابدون"، وما بعده خبر بعد خبر[(٥)].

قال ابن عباس: التائبون: الرّاجعون عن الشرك[(٦)].

---

(١) في الأصل: وقع. والصواب ما أثبتناه.

(٢) الكشاف (٢/ ٢٩٩).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٤٧١).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٥٠٨).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٣)، والدر المصون (٣/ ٥٠٧).

(٦) الوسيط (٢/ ٥٢٧)، وزاد المسير (٣/ ٥٠٥).

و ﴿العابدون﴾ المطيعون لله بالعبادة[١].

وقال سعيد بن جبير: العابدون: الموحدون[٢].

﴿الحامدون﴾ لله على كل حال.

قال الزجاج[٣]: ﴿السائحون﴾ في قول أهل التفسير واللغة جميعاً: الصائمون، قال: مذهب الحسن أنهم الذين يصومون الفرض[٤]. وقد قيل: إنهم الذين يديمون الصيام[٥].

قال[٦]: وقول الحسن في هذا أبْيَن.

فإن قيل: لم سُمِّيَ الصائم سائحاً؟

قلت: لتشبيهه بالسائح في امتناعه من شهواته.

فإن قيل: هل قيل في السائحين غير ذلك؟

قلت: قد روي عن عطاء: أنهم الغزاة[٧].

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥٠٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٩). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٠٧)، وزاد المسير (٣/ ٥٠٥).

(٣) معاني الزجاج (٢/ ٤٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٠٧)، والوسيط (٢/ ٥٢٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٠)، والطبري (١١/ ٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٢٩٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عمر والعبدي.

(٦) أي: الزجاج.

(٧) زاد المسير (٣/ ٥٠٦).

وعن عكرمة: أنهم طلاب العلم[1].

وعن ابن زيد: أنهم المهاجرون[2].

قوله تعالى: ﴿الراكعون الساجدون﴾ يريد: المصلين، ﴿الآمرون بالمعروف﴾ وهو الإيمان. وقيل: كل معروف.

﴿والناهون عن المنكر﴾ الكفر. وقيل: كل منكر.

﴿والحافظون لحدود الله﴾ وهم القائمون بأمره.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ... الآية﴾.
اختلفوا في سبب نزولها على أقوال؛ أثبتُها: ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبدالأول، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال النبي ﷺ: أي عم قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك، فنزلت: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾»(١).

هذا حديث متفق على صحته.

وأخرجه مسلم عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري.

وفي بعض طرق الصحيح: «فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا ... الآية﴾، وأنزل في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ [القصص:٥٦]»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧١٧ ح٤٣٩٨)، ومسلم (١/ ٥٤ ح٢٤).

قال القرطبي (٨/ ٢٧٣): فالآية على هذا ناسخة لاستغفار النبي ﷺ لعمه، فإنه استغفر له بعد موته، على ما روي في غير الصحيح.

وقال الحسين بن الفضل: وهذا بعيد؛ لأن السورة من آخر ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان الإسلام والنبي ﷺ بمكة.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٤ ح٢٤).

وقال محمد بن كعب: دخل النبي ﷺ البيت فوجده مملوءاً، فقال: خلّوا بيني وبين عمّي، فجلس إليه فقال: يا عم، جزيت عني خيراً، كفلتني صغيراً، وحفظتني كبيراً، فجزيت عني خيراً، يا عماه! أعنّي على نفسك بكلمة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة. قال: ما هي يا ابن أخي؟ قال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. قال: إنك لي لناصح، والله لولا أن تُعيّر بها بعدي يقال: جَزِعَ عمّك عند الموت، لأقررت بها عينك. قال: فصاح القوم: يا أبا طالب أنت رأس الحنيفية ملة الأشياخ، فقال: على ملة الأشياخ، لا تحدّث نساء قريش أني جزعت عند الموت. فقال رسول الله ﷺ: لا أزال أستغفر لك ربي حتى ينهاني، فاستغفر له بعد [ما][1] مات. فقال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذي قرابتنا؟ وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه. فاستغفر المسلمون للمشركين، فنزلت هذه الآية[2].

قال أبو الحسن بن المنادي: إنما قال النبي ﷺ لعمه: «لأستغفرنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ» قبل أن يموت وهو في السياق. وأما أن يكون استغفر له بعد الموت فلا، وانقلب ذلك على الرواة.

(١) زيادة من أسباب النزول (ص:٢٦٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٧-٢٦٨). وإسناده ضعيف: موسى بن عبيدة، ضعيف (المجروحين ٢/ ٢٣٤، والتاريخ الصغير ٢/ ٩٣، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣/ ١٤٧، والكامل ٦/ ٣٣٣).

وقال أبو هريرة [وبريدة][(١)]: لما مَرَّ النبي ﷺ بقبر أمه وقف عليه حتى حميت عليه الشمس، رجاء أن يؤذن له في الاستغفار لها، فلم يؤذن له، فقام ونزلت هذه الآية، فبكى وأبكى من حوله[(٢)].

قال الزمخشري[(٣)]: وهذا أصح؛ لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة.

وأخرج الترمذي والنسائي من حديث علي رضي الله عنه قال: «سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان. فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك. قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾»[(٤)].

قلتُ: والذي ذكره الزمخشري غير مُرْض؛ لأن الحديث صحيح، على أنه غير ممتنع أن ينزل بالمدينة ما كان سببه بمكة، وأن يكون المجموع سبباً لنزول الآية. هذا ما جاء في سبب النزول.

وأما التفسير فقوله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا﴾ أي: ما ينبغي ولا يصح لهم أن يسألوا الله المغفرة لمن مات على الشرك ولو كانوا أقرب الناس إليهم.

﴿من بعد ما تبين لهم﴾ بموتهم على الشرك ﴿أنهم أصحاب الجحيم﴾.

---

(١) في الأصل: وأبو بريدة. والتصويب من البغوي (٢/ ٣٣١).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٣٣١).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٠٠-٣٠١).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٨١ ح٣١٠١)، والنسائي (٤/ ٩١ ح٢٠٣٦).

﴿وما كان استغفار إبراهيم إلا عن موعدة وعدها إياه﴾، وهي قوله: ﴿سأستغفر لك ربي﴾ [مريم:٤٧]، وقوله: ﴿لأستغفرنَّ لك﴾ [الممتحنة:٤].

فعلى هذا يكون ضمير الفاعل في "وعدها": "إبراهيم"، والضمير في "إياه" يعود إلى الأب. ويؤيده قراءة الحسن وابن السميفع ومعاذ القارئ: "وعدها أباه" بالباء المعجمة من تحت بنقطة واحدة[1].

وقيل: أباه وعده بالإيمان وخلع الأنداد إن استغفر له، فيكون ضمير الفاعل للأب، وضمير "إياه" يعود إلى إبراهيم، والهاء في "وعدها" نصب على المصدر لا تعود إلى الموعدة، والموعدة مصدر، فكذلك ما يعود إليه.

﴿فلما تبين له﴾ أي: لإبراهيم بطريق الوحي، أو بموت أبيه على الشرك ﴿أنه عدو لله تبرأ منه﴾ فقطع الاستغفار له ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾.

قال صاحب الصحاح[2]: قولهم عند الشكاية: أَوْهِ من كذا، ساكنة الواو، إنما هو تَوَجُّعٌ.

قال [الشاعر][3]:

فَأَوْهِ لِذِكْرَاهَا إِذا مَا ذَكَرْتُهَا ... وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءِ[4]

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٥٠٩).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٢٢٥).

(٣) زيادة من الصحاح (٦/ ٢٢٢٥).

(٤) انظر: البيت في: لسان العرب، مادة: (أوه)، والطبري (١١/ ٥٢)، والقرطبي (٨/ ٢٧٦)، وروح المعاني (١١/ ٣٥).

وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: آهِ، وربما شدَّدوا الواو وكسروها وسكّنوا الهاء، فقالوا: أَوِّهْ من كذا، وربما مع التشديد حذفوا الهاء [فقالوا: أَوِّ من كذا، بلا مدٍّ][١].

وبعضهم يقول: آوَّه، بالمد والتشديد وفتح الواو ساكنة الهاء؛ لتطويل الصوت بالشكاية. وربما أدخلوا فيه التاء فقالوا: أَوَّتاهُ، يُمَدُّ ولا يُمَدُّ. وقد أَوَّهَ الرَّجُلُ تَأْوِيهاً [وَتَأَوَّهَ][٢] تَأَوُّهاً؛ إذا قال: أَوَّهْ. والاسم منه: الآهَةُ، بالمد. قال المُثَقَّب:

إِذا مَا قُمْتُ أَرْحَلُها بلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ[٣]

ويروى: أَهَّةَ، من قولهم: أَهَّ؛ إذا تَوَجَّعَ.

وقال أبو عبيدة[٤]: هو فَعَّال من التأوه، [ومعناه][٥]: متضرع شفقاً وفَرَقاً ولزوماً لطاعة ربه.

وقال الفراء[٦]: هو الذي يتأوّه من الذنوب.

ويروى عن النبي ﷺ في تفسير الأوّاه: «أنه الخاشع الدّعّاء المتضرّع»[٧].

---

(١) زيادة من الصحاح (٦/ ٢٢٢٥).

(٢) في الأصل: وتأوها. والتصويب من الصحاح، الموضع السابق.

(٣) البيت للمثقب العبدي، وهو العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبد القيس من ربيعة: شاعر جاهلي من أهل البحرين. انظر البيت في: ديوانه (ص:١٩٤)، واللسان، مادة: (رحل)، والطبري (١١/ ٥٢)، والقرطبي (٨/ ٢٧٦)، والوسيط (٢/ ٥٢٩)، والماوردي (٢/ ٤١١)، وزاد المسير (٣/ ٥١٠)، وطبقات فحول الشعراء (ص:٢٣١).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٧٠).

(٥) في الأصل: ومعنى. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٦) معاني الفراء (٢/ ٢٣).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٥١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٥)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

قال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر الصديق يسمى الأوّاه؛ لرأفته ورحمته[1].

وقال أبو سريحة: سمعت علياً على المنبر يقول: ألا إن أبا بكر أوّاه منيب القلب، ألا إن عمر نَاصَحَ الله فنصحه[2].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

ثم أعلم الله تعالى نبيه والمؤمنين أنه لا إثم عليهم بما صدر منهم من الاستغفار قبل النهي فقال: ﴿وما كان الله ليضل قوماً﴾ أي: ليحكم عليهم بالضلالة ﴿بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾، وفيه إضمار تقديره: فلا يتقونه.

---

(١) ذكره القرطبي (٨/ ٢٧٦) بلا نسبة. وانظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٧٠)، والإصابة (٤/ ١٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ١٣٨، ١٧٦، ٤٠٦)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٧٠)، والترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢٢٩)، وعلل الدارقطني (٤/ ٩٧). وذكره الطبري في الرياض النضرة (١/ ٣٨٠). وقوله: "ألا إن عمر ..." أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦ ح٣١٩٩٧).

وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ قال المفسرون: تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف، كقوله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾(١).

وقيل: هو إشعار بأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار، ألا تراه يقول: ﴿واستغفر لذنبك﴾ [محمد:١٩]، وفيه تنبيه على فضل التوبة وإعلام بأنها بالمنزلة التي يفتقر إليها الأنبياء.

وقال أهل المعاني: ذِكْرُ النبي في التوبة مفتاح كلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين ذكر معهم، كقوله: ﴿فأن لله خمسه وللرسول﴾(٢) [الأنفال:٤١].

﴿والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي: في وقت العسرة.

قال الزمخشري وغيره(٣): الساعة تستعمل في معنى الزمان، كما يستعمل اليوم.

والمراد: غزوة تبوك، وكانوا في عسرة من الظَّهْر، يعقب العشرة على بعير واحد، وكانوا في عسرة من الزاد، حتى اقتسم التمرة الواحدة اثنان، وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وكانوا في عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فُرُوثها وشربوها، وجعلوا ما بقي منها على أكبادهم، وكانوا في عسرة وشدة من حَمَّارَة القيظ(٤) والقحط.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢٩)، وزاد المسير (٣/ ٥١١).

(٢) زاد المسير (٣/ ٥١١).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٠٣).

(٤) حَمَّارة القيظ: أي شدّة حرّه (اللسان، مادة: حمر).

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدثنا عن ساعة العسرة فقال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، ونزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع، حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عَوَّدَكَ في الدعاء خيراً، فادْعُ لنا. قال: تحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع يديه، فلم يُرْجعهما حتى قالت السماء، فأظلت فسكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر»[1].

قوله تعالى: ﴿من بعد ما كاد تزيغ﴾ وقرأ حفص وحمزة: "يزيغ" بالياء على تذكير الجمع[2]، كقوله: ﴿وقال نسوة﴾ [يوسف:٣٠] وفي "كاد" ضمير الشأن، أي: من بعد ما كاد الشأن والأمر يزيغ قلوب فريق منهم، فالفعل والفاعل تفسير الأمر والشأن.

وقال محمد بن يزيد: التقدير: من بعد ما كاد القبيل؛ لتقدم ذكر المهاجرين والأنصار.

والمعنى: من بعد ما كاد تميل قلوب فريق منهم عن اتباع رسول الله ﷺ، فإن جماعة هَمُّوا بالتخلّف عنه ثم لحقوه. هذا قول ابن عباس[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤/ ٢٢٣ ح١٣٨٣)، والحاكم (١/ ٢٦٣ ح٥٦٦)، والبيهقي في سننه (٩/ ٣٥٧)، والطبري (١١/ ٥٥).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٥)، والكشف (١/ ٥١٠)، والنشر (٢/ ٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣١٩).

(٣) زاد المسير (٣/ ٥١٢).

وقال الزجاج[١]: لم تزغ عن الإيمان، ولكن مالت إلى الرجوع؛ للشدة التي لقوها.

وحكى الماوردي[٢]: أن المعنى: من بعد ما كاد تزيغ قلوبهم تلفاً بالجهد والشدة.

وهذا القول ليس بشيء، لقوله: ثم تاب عليهم.

وإنما أعاد سبحانه وتعالى ذكر التوبة عليهم لأجل ذكر الذَّنْب.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب على الثلاثة ﴿الذين خُلّفوا﴾ وقرأ جماعة منهم جعفر الصادق والشعبي: "خالفوا"[٣].

وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: "خَلَفُوا" بالتخفيف[٤]، أي: خلفوا الغازين بالمدينة، أو بمعنى: فسدوا، ومنه: خَلُوفُ[٥] فَم الصائم.

---

(١) انظر: معاني الزجاج (٢/ ٤٧٤).

(٢) تفسير الماوردي (٢/ ٤١٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ٥١٢).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٥١٢-٥١٣).

(٥) خَلَفَ فَمُ الصائم خُلُوفاً: أي تغيَّرت رائحته (اللسان، مادة: خلف).

ومن قرأ: "خالفوا"؛ فمعناه ظاهر.

والمعنى على القراءات المشهورة: خُلِّفُوا عن التوبة، وقيل: عن الغزوة. وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع -ويقال: ابن ربيعة-، وهلال بن أمية.

﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي: بسعتها ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ بالهمّ والغمّ.

سئل بعض المحققين عن التوبة النصوح، فقال: أن تضيق على التائب الأرض وتضيق عليه نفسه؛ كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه[(١)].

﴿وظنوا﴾ أي علموا وأيقنوا ﴿أن لا ملجأ من الله﴾ أي: لا وزر ولا معتصم من عذابه وسخطه، ﴿إلا إليه﴾. وجواب ["إذا"][(٢)] محذوف، تقديره: ندموا.

﴿ثم تاب عليهم﴾ فـ"ثم" عاطفة ما بعدها على "ندموا"، أو بمعنى: "ثم تاب عليهم" رجع عليهم بالرحمة والمغفرة والقبول، ﴿ليتوبوا﴾ ليستقيموا على التوبة بتوفيقه ورحمته إياهم.

وقيل: ليتوبوا فيما يستقبلون إن فرطت منهم خطيئة.

﴿إن الله هو التواب﴾ الرَّجَّاع بالرحمة والقبول ولو عاد في اليوم مائة مرة، ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين.

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥١٣).

(٢) في الأصل: إذ.

ذكر حديث كعب بن مالك وصاحبيه وما كان من توبتهم:

وقع لي من طرق كثيرة أعلاها سنداً وأحسنها سياقة ومتناً، ما حدثنا به شيخنا الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه في ذي القعدة سنة خمس وستمائة بجامع دمشق، قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبدالباقي، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن يحيى المكي، أخبرنا محمد بن الحسين بن يوسف الأصبهاني، أخبرنا محمد بن أحمد النقوي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَري، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: «لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدراً، ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلّف عن بدر، إنما خرج يريد العير، فخرجت قريش مغوثين لعيرهم، فالتقوا على غير موعد، كما قال الله تعالى[(١)]، لعمري إن أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لبدر، وما أحب أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث تواثقنا على الإسلام، ثم لم أتخلف بعد عن النبي ﷺ في غزاة غزاها، حتى إذا كان غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها، وآذن النبي ﷺ الناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم، وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار، وكان قلما أراد غزوة إلا ورّى بغيرها، وكان يقول: «الحرب خُدْعَة» -يعني: إلا غزوة تبوك فإنه جلا للناس أمرهم-، فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبتهم، وأنا أيسر ما كنت، قد جمعت راحلتين، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة [الحاذ][(٢)] وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال وطيب الثمار.

(١) في سورة الأنفال: ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ [الأنفال:٤٢].

(٢) في الأصل: الجاذ. والتصويب من التوابين (ص:٩٥). والحاذ: خفيف الظهر.

فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله ﷺ غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس، فأصبح غادياً، فقلت: أنطلق غداً إلى السوق فأشتري جهازي ثم ألحق بهم، فانطلقت إلى السوق من الغد فعسر عليّ بعض شأني، فرجعت فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم، فعسر عليّ بعض شأني، فقلت: أرجع غداً إن شاء الله، فلم أزل كذلك حتى التبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله ﷺ، وجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة، فيحزنني أنني لا أرى أحداً تخلّف إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، وكان ليس أحد تخلف إلا يرى أن ذلك سيخفى له، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان، وكان جميع من تخلف عن النبي ﷺ بضعة وثمانين رجلاً، ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوكاً، فلما بلغ تبوكاً قال: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من قومي: خلفه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا نبي الله ما نعلم إلا خيراً.

قال: فبينا هم كذلك إذا هم برجل يزول به السراب، فقال النبي ﷺ: كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة. فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك وقفل ودنا من المدينة، جعلت أتذكر بماذا أخرج من سخط النبي ﷺ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، حتى إذا قيل النبي ﷺ هو مصبحكم غداً [بالغداة][1] زاح عني الباطل، وعرفت أني لا أنجو إلا بالصدق، فدخل النبي ﷺ ضحى فصلّى في المسجد، وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك، دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس، فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه فيستغفر لهم، ويقبل علانيتهم، ويَكِلُ

(١) في الأصل: بالغداء. والتصويب من التوابين (ص:٩٦).

سرائرهم إلى الله تعالى، فدخلت المسجد فإذا هو جالس، فلما رآني تبسم تبسم المغضب، فجئت فجلست بين يديه فقال: ألم تكن ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى يا نبي الله. قال: فما خلفك؟ فقلت: والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطته عَلَيَّ بعذر، لقد أوتيت جدلاً، ولكن قد علمت يا نبي الله أني إن أخبرك اليوم بقول تجد عليّ فيه وهو حق، فإني أرجو فيه عقبى الله، وإن حدثتك اليوم [حديثاً][(١)] ترضى عني فيه وهو كذب، أوشك أن يطلعك الله عليّ، والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخفّ حاذاً مني حين تخلفت عنك. قال: أما هذا فقد صدقكم الحديث، فقم حتى يقضي الله فيك، فقمت فثار على أثري أناس من قومي يؤنبونني، فقالوا: والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا، فهلا اعتذرت إلى النبي ﷺ بعذر يرضى عنك به؟ وكان استغفار رسول الله ﷺ سيأتي من وراء ذنبك، ولم تقف نفسك موقفاً لا تدري ماذا يقضى لك فيه، فلم يزالوا يؤنبوني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي، فقلت: هل قال هذا القول أحد غيري؟ قالوا: نعم، قاله هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة، فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبداً ولا أكذب نفسي، قال: ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيُّها الثلاثة، قال: فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلمني أحد، وتنكر [لنا الناس][(٢)] حتى ما هم بالذين نعرف، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف، وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف، وكنت أقوى أصحابي، فكنت أخرج وأطوف في السوق وآتي إلى المسجد

(١) زيادة من التوابين (ص:٩٧).

(٢) في الأصل: وتنكر لناس. والمثبت من التوابين (ص:٩٨).

فأدخل، وآتي النبي ﷺ فأُسلِّم عليه فأقول: هل حرّك شفتيه بالسلام؟ فإذا قمت أصلي إلى السارية، فأقبلت قبل صلاتي نظر إليّ بمؤخر عينيه، فإذا نظرت إليه أعرض عني، قال: واستكان صاحباي، فجعلا يبكيان الليل والنهار لا يُطلعان رؤوسهما، فبينا أنا أطوف في السوق إذا رجل نصراني قد جاء بطعام له يبيعه يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له إليّ، فأتاني وأتاني بصحيفة من ملك غسان، فإذا فيها:

أما بعد! فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك، ولست بدار مضيعة ولا هوان، فالحق بنا نواسك، فقلت: هذا أيضاً من البلاء والشر، فَأَسْجَرْتُ لها التنور وأحرقتها. فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي ﷺ قد أتاني فقال: اعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ قال: لا، ولكن لا تقربنّها[١]، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف، فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم، ولكن لا يقربنك، قالت: يا نبي الله! والله ما به من حركة لشيء، ما زال مكتئباً يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان.

قال كعب: فلما طال عليّ البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه -وهو ابن عمي- فسلّمت عليه، فلم يرد عليّ، فقلت: أنشدك الله يا أبا قتادة، أتعلم[٢] أني أحب الله ورسوله؟ قال: الله ورسوله أعلم.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: تعني.

(٢) قوله: "أتعلم" مكرر في الأصل.

قال: فلم أملك نفسي أن بكيت، ثم اقتحمت الحائط خارجاً، حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ عن كلامنا صليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر، ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله تعالى، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا، إذ سمعت نداءً من ذروة سلع: أبشر يا كعب بن مالك، فخررت ساجداً، وعرفت أن الله تعالى قد جاء بالفرج، ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني، فكان الصوت أسرع من فرسه، يعني: فلما جاءني الذي سمعت صوته، فأعطيته ثوبي بشارة، ولبست ثوبين آخرين.

قال: وكانت توبتنا نزلت على رسول الله ﷺ ثلث الليل، فقالت أم سلمة: يا نبي الله! ألا نبشر كعب بن مالك؟ قال: إذاً يحطمكم الناس ويمنعونكم من النوم من سائر الليلة.

قال: وكانت أم سلمة رضي الله عنها محسنة في شأني تحزن بأمري، فانطلقتُ إلى النبي ﷺ فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون، وهو يستنير كاستنارة القمر، وكان إذا سرّ استنار، فجئت فجلست بين يديه فقال: أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: يا نبي الله، أمن عند الله أم من عندك؟ قال: بل من عند الله، ثم تلا عليهم: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ حتى بلغ: ﴿التواب الرحيم﴾، قال: وفينا نزلت: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

قال: فقلت: يا نبي الله، إن من توبتي أن لا أحدِّث إلا صدقاً، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك، فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قال: فما أنعم الله عليّ نعمة بعد الإسلام

أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ حين صدقته أنا وصاحباي أن لا نكون كذبناه فهلكنا كما هلكوا، وإني لأرجو أن لا يكون الله أبلى أحداً في الصدق مثل الذي أبلاني، ما تعمدت لكذبة بعد، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي»[1]. هذا حديث اتفق الأئمة الإسلام على إخراجه وتدوينه، فرواه الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده عن يعقوب [بن][2] إبراهيم، عن ابن أخي الزهري، عن عمه الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب -وكان قائد كعب بن مالك من [بنيه][3] حين عَمِيَ- قال: سمعت كعب بن مالك، وساق الحديث.

وأخرجه مسلم عن غندر، عن يعقوب بن إبراهيم. وأخرجه البخاري عن يحيى بن بكير، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري.

وفي جميع الروايات يقول الزهري: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله، عن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك حدثه عن كعب، إلا عبدالرزاق، فإنه رواه عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، وعبدالرحمن سمع من أبيه ومن جده كعب بن مالك.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٠٣-١٦٠٨ ح٤١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠-٢١٢٧ ح٢٧٦٩)، وأحمد (٦/ ٣٨٧-٣٨٩ ح٢٧٢١٩)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٩٧-٤٠٥ ح٩٧٤٤)، وابن قدامة في التوابين (ص:٩٤-١٠١).

(٢) في الأصل: عن. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١١/ ٣٣٣)، والتقريب (ص:٦٠٧).

(٣) في الأصل: بيته. والتصويب من الصحيحين.

وقد أخرج البخاري وغيره من الحفاظ من حديث الزهري عن عبدالرحمن، عن جده كعب بن مالك، فكأن عبدالرحمن سمع هذا الحديث من أبيه ومن جده، فرواه عن كل واحد منهما.

وفي بعض ألفاظ الصحيح: «فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر، وما من شيء أهم إليّ من أن أموت ولا يصلي عَلَيَّ رسول الله ﷺ، أو يموت [رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة](١) ولا يكلمني أحد منهم ولا يسلم عَلَيَّ ولا يصلي عَلَيَّ»(٢).

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ جاء في أثناء حديث كعب بن مالك أنها نزلت فيهم، فيكون أمراً لجميع المؤمنين بأن يَنْظُمُوا أنفسهم في سلك الثلاثة ومن ضاهاهم من الصادقين الذين استثمروا من الإخلاص في إيمانهم والصدق في مقالهم وإيمانهم مقالاً جميلاً وثواباً جزيلاً.

قال ابن عمر: "الصادقين": محمد وأصحابه(٣).

وقال سعيد بن جبير: أبو بكر وعمر(٤).

---

(١) زيادة من البخاري (٤/ ١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧١٨ ح ٤٤٠٠).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣) عن نافع، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٦) عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

ويؤيده قراءة ابن السميفع وأبي المتوكل ومعاذ القارئ: "الصَّادِقَيْنِ" بفتح القاف وكسر النون على التثنية[١].

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله: "مع الصادقين": مع علي وأصحابه[٢].

وقال ابن جريج: "مع الصادقين" أي: المهاجرين[٣].

ويروى: أن أبا بكر احتج بهذه الآية يوم السقيفة فقال: يا معشر الأنصار! إن الله يقول في كتابه: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ [الحشر:٨] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله يقول: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء[٤].

وقال السدي: "الصادقين": الثلاثة الذين خلفوا[٥].

والصحيح: ما ذكرته أولاً من القول بعمومه في جميع الصادقين، وهو قول قتادة[٦].

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٥١٤).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وعزاه لابن مردويه. ومن طريق آخر عن أبي جعفر، وعزاه لابن عساكر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣). وانظر: الماوردي (٢/ ٤١٤)، وزاد المسير (٣/ ٥١٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/ ٥١٤).

(٥) أخرجه ابن حاتم (٦/ ١٩٠٧). وانظر: الماوردي (٢/ ٤١٤)، وزاد المسير (٣/ ٥١٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٧). وانظر: الماوردي (٢/ ٤١٤)، وزاد المسير (٣/ ٥١٤).

وسائر الأقوال المذكورة لا تنافي ما ذكرته؛ لأنه ليس مقصود القائل حصر الصادقين فيما خصه بالذكر، بل مقصوده بيان الصادقين وتعريفهم بذكر الأشهر منهم والأظهر في نظره.

وقيل: إن الخطاب بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لأهل الكتاب. المعنى: "يا أيها الذين آمنوا" بموسى والذين آمنوا بعيسى "اتقوا الله" في إيمانكم بمحمد "وكونوا مع الصادقين" من المهاجرين والأنصار ومن سلك سبيلهم(١).

ويجوز عندي أن يكون الخطاب بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ للمنافقين؛ لأن هذه السورة كثيرة اللهج بذكرهم والإلمام بحديثهم، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم اتقوا الله بترك النفاق وكونوا مع الصادقين في إيمانهم من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

قال ابن مسعود: لا يصلح الكذب في جدٍّ ولا هَزْل، اقرؤوا إن شئتم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(٢).

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ

---

(١) وهو قول مقاتل بن حيان. انظر: الماوردي (٢/ ٤١٣)، وزاد المسير (٣/ ٥١٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٩٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٦)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٠٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣١٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ
مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب﴾ وقد ذكرناهم عند قوله: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾(١).

﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ يعني: في الجهاد، ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي: ولا يترفَّعوا بأنفسهم عن نفسه الكريمة إيثاراً للخفض والدَّعة والرفاهية، ورسول الله ﷺ يخوض غمرات الشدائد والأهوال.

سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبد الله بن أحمد يقول: أخبرنا عبدالله بن منصور بن هبة الله الموصلي، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، أخبرنا محمد بن عبدالواحد، أخبرنا أبو بكر بن شاذان، أخبرنا أبو عبدالله بن المغلس، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي، حدثني أبي قال: قال ابن إسحاق: تخلف أبو خيثمة -أحد بني سالم- عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، حتى إذا سار رسول الله ﷺ رجع أبو خيثمة ذات يوم إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريش لهما في حائط

---

(١) الآية: ١٠١.

لهما، قد رَشَّتْ كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء، وهيأت له طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر فقال: رسول الله ﷺ في الضَّح[1] والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء، ما هذا بالنَّصَف!! والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى أَلْحَقَ برسول الله ﷺ، ثم قَدَّمَ ناضِحَهُ[2] فأرحلها، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ فأدركه حين نزل تبوكاً، فلما طلع قال الناس: هذا راكب مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة، فلما دنا قال الناس: يا رسول الله، هذا والله أبو خيثمة، فلما أناخ سلم على رسول الله ﷺ ثم أخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ له خيراً ودعا له[3].

وقال الحسن: بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم، فقال: يا حائطاه! ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك، اذهب فأنت في سبيل الله[4].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما دل عليه قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ كأنه قيل: ذلك النهي عن التخلف، أو ذلك الوجوب بسبب أنهم ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ أي: عطش ﴿ولا نصب﴾ أي: تعب ﴿ولا مخمصة﴾ أي: مجاعة ﴿في سبيل الله ولا يطؤون﴾ أي: يدوسون بحوافر خيولهم أو خفائف [رواحلهم][5] وأرجلهم ﴿موطئاً يغيظ

(١) الضَّحُّ: الشمس (اللسان، مادة: ضحح).

(٢) النَّاضِحُ: البعير (اللسان مادة: نضح).

(٣) أخرجه ابن قدامة في التوابين (ص:٩٢-٩٣). وذكره الطبري في تاريخه (٢/ ١٨٣)، وابن هشام في السيرة (٥/ ٢٠٠-٢٠١).

(٤) ذكره أبو السعود في تفسيره (٤/ ١٠٩).

(٥) في الأصل: رواهم. والتصويب من تفسير أبي السعود (٤/ ١١١).

الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً﴾ أي: يرزؤونهم شيئاً من غنيمة أو قتل أو هزيمة ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ يزلفهم إليه، ويجازيهم عليه.

وقد دلَّت هذه الآية والتي قبلها: على أن الساعي في طاعة الله تعالى يُثاب على جميع حركاته وسَكَناته ونفقته وعلف دابته وغير ذلك.

قال عطية العوفي: ما أعظم بركة الطاعة[1].

وفي أفراد البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»[2].

قوله تعالى: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ قال ابن عباس: تمرة فما فوقها[3].

﴿ولا يقطعون وادياً﴾ أي: يجاوزونه في مسيرهم طالبين العدو أو آيبين إلى أوطانهم ﴿إلا كتب لهم﴾ آثارهم ونفقتهم وخُطاهم ﴿ليجزيهم الله﴾ اللام متعلقة بـ"كُتِبَ لهم"، أي: كتب لهم في صحائف أعمالهم لأجل الجزاء، ﴿أحسن﴾ أي: أحسن ﴿ما كانوا يعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ السبب في نزول هذه الآية: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما أَنْزَلَ الله عيوبَ المنافقين في غَزاة تبوك، قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة ولا سَرِيَّة أبداً. فلما أمر

(١) الوسيط (٢/ ٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٨ ح٢٦٩٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٤)، وزاد المسير (٣/ ٥١٥).

رسول الله ﷺ [بالسرايا][١] إلى العدو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله ﷺ وحده، فنزلت هذه الآية»[٢].

والمعنى: ما ينبغي للمؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد جميعاً، بل تبقى طائفة منهم مع الرسول ﷺ؛ ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ فإن قَوَامَ الإسلام الجهاد، وعماد الدين الفقه، ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ فعلموهم ما أنزل الله بعدهم من القرآن والسنة ﴿لعلهم يحذرون﴾ أي: إرادة أن يحذروا.

وهذا مقصودٌ قد عَزَّ وجوده، واستدل به عامة المتفقهين الأغراض الدنيوية والأغراض الدنيّة، فأصبحوا مجانين بالدنيا، مخمورين بحبها، يتنافسون في طلبها، ويتهالكون في نيل زينتها، دأبهم السياسة لقوانين الرئاسة.

ولله در شيخنا الإمام عماد الدين إبراهيم بن عبدالواحد بن علي المقدسي رضي الله عنه ما كان أقومه بشرائط العلم وأقوله للحق. ولقد كتب إلى بعض فقهاء أهله حين بلغه أنه انتحل سبباً يجتلب[٣] به الرئاسة والمناصب يقول كلاماً، منه: ما لهذا أريدُ العلم لأدل عليه، وإنما ذكر الله نعيم الجنة ثم قال: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين:٢٦].

---

(١) في الأصل: بالسايا. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٩)، وزاد المسير (٣/ ٥١٦).

(٣) يجتلب: أي: يطلب.

وقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد[1] بإسناده عن مالك بن دينار قال: إذا طلبتَ العلم لتعمل به سرّك العلم، وإذا طلبته لغير العمل لم يزدك إلا فخراً».

وأخرج الإمام أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[2].

وقال عبدالرزاق بن همام في قوله: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ... الآية﴾: هم أصحاب الحديث[3].

فصل

أخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾، و ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ قال: نسخها قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾[4].

---

(١) الزهد (ص:٣٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨ ح٨٤٣٨)، والحاكم (١/ ١٦٠ ح٢٨٨)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٥ ح٢٦١٢٧)، وابن حبان (١/ ٢٧٩ ح٧٨).

(٣) انظر: القرطبي (٨/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ١١ ح٢٥٠٥).

انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٥٢٧)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٧٠).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ قال ابن عمر: هم الروم[١].

وقال ابن عباس: قريظة والنضير وخيبر [وفدك][٢].

قال قتادة: هو عام في قتال الأقرب فالأقرب[٣].

قال الزجاج[٤]: فيه دليل على أنه ينبغي أن يُقاتِل أهلُ كُلِّ ثَغْر[٥] الذين يلونهم.

﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ أي: شدة ونكاية وصبراً على الجهاد، وعتناً وعنفاً في القتل والأسر.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء العكبري وأبي عمرو الياسري لعاصم: "غَلْظَة"[٦] بالحركات الثلاث على الغين، ومثله: الجذوة، والرغوة، والربوة.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٧١). وانظر: الماوردي (٢/ ٤١٥)، وزاد المسير (٣/ ٥١٨).

(٢) في الأصل: فدك. والتصويب من زاد المسير (٣/ ٥١٨). انظر: الوسيط (٢/ ٥٣٥)، وزاد المسير (٣/ ٥١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٤). وانظر: الماوردي (٢/ ٤١٦)، وزاد المسير (٣/ ٥١٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٧٦).

(٥) الثَّغْر: الموضع الذي يكون حدّاً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد (اللسان مادة: ثغر).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٠).

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ
﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا
يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم﴾ أي: فمن المنافقين ﴿من يقول﴾ أي: يقول بعضهم لبعض إنكاراً واستهزاءً وتهكماً بالمؤمنين ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ يعني: صدقوا تصديقاً لا مرية فيه ولا فرية تعتريه ﴿فزادتهم إيماناً﴾؟ تصديقاً ويقيناً.

وقيل: المعنى: فزادتهم عملاً ازدادوا به إيماناً ﴿وهم يستبشرون﴾ بنزولها.

﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ شرك وشكّ ﴿فزادتهم رِجْساً إلى رِجْسِهم﴾ أي: كُفْراً منضماً إلى كفرهم ﴿وماتوا وهم كافرون﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَ لا يرون﴾ يعني: المنافقين.

وقرأ حمزة ويعقوب: "تَرَوْنَ" بالتاء على المخاطبة للمؤمنين[1].

﴿أنهم﴾ يعني المنافقين ﴿يُفْتَنُونَ﴾ بالمرض والقحط وغيرهما من أنواع البلاء.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٦)، والكشف (١/ ٥٠٩)، والنشر (٢/ ٢٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٥-٢٤٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٠).

وقال ابن عباس: "يفتنون" أي: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون[١].

وقال قتادة: يفتنون بالجهاد[٢].

﴿في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ أي: يتعظون بذلك.

قوله تعالى: ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ قال ابن عباس: كانت إذا نزلت السورة فيها عيب المنافقين خطبهم رسول الله ﷺ، فعرّض بهم في خطبته؛ شق ذلك عليهم، ونظر بعضهم إلى بعض يودّون الهرب من عند رسول الله ﷺ قائلين: ﴿هل يراكم من أحد﴾ من المؤمنين إن تسللتم، فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد، فذلك قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ على عزم التكذيب بمحمد ﷺ وما جاء به[٣].

قال الزجاج[٤]: وجائز أن يكونوا ينصرفون عن المكان الذي استمعوا فيه.

﴿صرف الله قلوبهم﴾ قال الفراء[٥]: هو دعاء عليهم.

ويجوز عندي: أن يكون ذلك إخباراً عنهم أن الله جازاهم على انصرافهم بالإضلال عن الهدى.

﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ أي: لا يفهمون الحق ولا يتدبرونه.

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٧٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٥)، وزاد المسير (٣/ ٥٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٢/ ٤٧٧).

(٥) معاني الفراء (١/ ٤٥٥).

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم ونسبكم لتفهموا عنه.

قال ابن عباس: يريد محمداً ﷺ، وليس في العرب قبيلة إلا [وقد ولدته][1] وله فيهم نسب[2].

وقرأ جماعة منهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وعائشة أم المؤمنين وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو: "مِنْ أَنْفَسِكُم" بفتح الفاء[3]، أي: من أشرفكم وأفضلكم وأجملكم خَلقاً وأحسنكم خُلقاً.

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ "ما" مع الفعل بتأويل المصدر، وهو مرفوع بـ"عزيز". ويجوز أن يكون مبتدأ، "عزيز" خبره، والجملة نعت لرسول الله ﷺ[4].

---

(١) زيادة من الوسيط (٢/ ٥٣٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٥-٥٣٦)، وزاد المسير (٣/ ٥٢٠).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٦).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٣)، والدر المصون (٣/ ٥١٤).

والمعنى: شديد عليه عنتكم؛ لكونه منكم حسباً ونسباً، فهو يخاف عليكم ويشق عليه ما يلحقكم من الضرر والعَنَت بترك الإيمان، يقال: عَنِتَ الرجل يَعْنَتُ عَنَتاً؛ إذا وقع في مَشَقَّة(١).

ثم أثنى الله تعالى على رسوله ﷺ فقال: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ قال ابن عباس: سَمَّاه باسمين من أسمائه(٢).

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان بك بغياً وحسداً وعناداً ﴿فقل﴾ لائذاً بالله عائذاً به ﴿حسبي الله﴾ فهو يكفيني ويتولى نصرتي عليكم، ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ في الانتقام منكم والانتصار عليكم، ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ وقد ذكرناه في الأعراف(٣).

ووَصَفَ العرش بالعِظَم؛ لتضاؤل جميع المخلوقات بالنسبة إليه.

قال ابن عباس: لا يقدر أحد قدره(٤).

وقرأ ابن محيصن: "العظيمُ" بالرفع، على نعت الرب عز وجل(٥).

هذا آخر سورة [براءة](٦)، وهي التي فضحت المنافقين وبحثت عما في قلوبهم، حتى خشي المؤمنون أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ أن ينزل فيهم قرآن.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (عنت).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٦)، وزاد المسير (٣/ ٥٢١).

(٣) عند الآية رقم: ٥٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٥) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٦).

(٦) في الأصل: براء.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا سينزل فيه شيء[١].

وقد ذكر في مقدمة الكتاب ما يدل على أنها من أواخر ما نزل من القرآن.

قال قتادة: إن آخر القرآن عهداً بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾[٢].

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥٢١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢١) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١١٧)، والطبري (١١/ ٧٨)، والحاكم (٢/ ٣٦٨) كلهم عن أبي بن كعب.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣١) وعزاه لابن الضريس في فضائل القرآن ولابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن الحسن عن أبي بن كعب.

فهرس المحتويات

رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الثالث

أ.د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع


مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١
فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا خلاف بين القارئين أنها مائة آية وتسع آيات، وهي مكية.

وروي عن ابن عباس: أن فيها من المدني: ﴿ومنهم من يؤمن به ... الآية﴾[(١)]، وقوله: ﴿فإن كنت في شك ...﴾ إلى آخر الثلاث آيات[(٢)].

واستثنى أيضاً قوم: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ والتي تليها فقالوا: هو من المدني[(٣)].

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

قال الله تعالى: ﴿ألر﴾ قرأ ابن كثير وقالون وحفص: «ألر» بتفخيم الراء حيث وقع، وقرأ وَرْش بين اللفظين، والباقون بالإمالة[(٤)].

وقد سبق القول على الحروف المقطعة في أول البقرة.

وقد اختلفت الرواية عن ابن عباس في معنى: «ألر» فقال في رواية عطاء:

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣).

(٢) الإتقان (١/ ٤٨).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٧)، والكشف (١/ ١٨٦)، والنشر (٢/ ٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٢).

معناه: أنا الله الرحمن(١).

وقال في رواية الضحاك: أنا الله أرى(٢).

وقال في رواية عكرمة: (ألر حم نون) اسم الرحمن على الهجاء.

وقال في رواية [ابن](٣) أبي طلحة: هو قسم أقسم الله به(٤).

وقال مجاهد وقتادة: اسم من أسماء القرآن(٥).

وقال ابن زيد: اسم السورة(٦).

قوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ قال ابن عباس: «تلك» بمعنى: هذه(٧).

وقال غيره: هي على أصلها(٨).

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٧٩). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٣٧)، وزاد المسير (٤/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٤٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٣٧)، وزاد المسير (٤/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٣٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات وابن النجار في تاريخه.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٨٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٨٧، ١١/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤).

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٨٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٢) عن أنس بن مالك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن أنس بن مالك.

(٨) زاد المسير (٤/ ٤).

قال مجاهد وقتادة: الإشارة إلى الكتب المتقدمة[(١)]. فيكون المعنى: هذه الآيات التي أنزلت على محمد تلك الآيات التي وصفت ووعدتم بإنزالها في الكتب المتقدمة.

وقال الزجاج[(٢)]: الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها من القرآن.

وقال ابن الأنباري[(٣)]: الإشارة إلى «الر» وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتتحة بها السور هي آيات الكتاب؛ لأنه بها يتلى، وألفاظه إليها ترجع.

وقيل: تلك إشارة إلى ما [تضمنته][(٤)] السورة من الآيات[(٥)].

و «الكتاب»: السورة، و «الحكيم»: قيل معناه: ذو الحكمة؛ لاشتماله عليها ونطقه بها.

والمشهور في التفسير وعند أرباب اللغة والمعاني: أنه المحكم المبيّن الواضح، الذي لا يتطرق إليه الباطل ولا الاختلاف بوجه من الوجوه.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١١/ ٥٩): وأما حمل الكتاب على الكتب التي خلت قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما؛ فهو في غاية البُعد، فتأمل.

وبنحوه قال الطبري، قال: لأنه لم يجيء للتوراة والإنجيل قبل ذِكر ولا تلاوة بعده فيوجه إليه الخبر.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٥).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٤).

(٤) في الأصل: تضمنه. والتصويب من البحر المحيط (٥/ ١٢٦).

(٥) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٢٦).

فعيل بمعنى: مفعول؛ كقول الأعشى:

وَغَرِيبَةٍ تَأْتِي المُلُوكَ حَكِيمَةٍ قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذا قَالَهَا[١]

قوله تعالى: ﴿أكان للناس عجباً﴾ استفهام في معنى التوضيح لأهل مكة والإنكار عليهم، والتعجب من تعجبهم أن أرسل الله محمداً منذراً ومبشراً، ﴿أن أوحينا﴾ في موضع رفع على أنه اسم «كان»، و «عجباً» خبره، واللام في «للناس» متعلق بمحذوف «كان» صفة تعجب، فلما تقدم صار حالاً[٢]؛ كقوله:

لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ ....[٣]

وإن شئت كان ظرفاً لـ«كان».

قوله تعالى: ﴿إلى رجل منهم﴾ يريد: محمداً ﷺ.

قال ابن عباس: لما بعث الله محمداً ﷺ أنكرت الكفار وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) البيت للأعشى. وهو في: اللسان، مادة: (حكم)، والقرطبي (٨/ ٣٠٥)، والدر المصون (٤/ ٣)، وروح المعاني (٢١/ ٦٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٤)، والدر المصون (٤/ ٣).

(٣) صدر بيت، وعجزه: (يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ). انظر البيت في: اللسان، مادة: (وحش، خلل)، والصحاح (٣/ ١٠٢٥)، والدر المصون (٥/ ٨٣).

قال ابن بري: البيت لكثيّر، وصواب إنشاده: (لعَزَّة موحشاً). ويروى: (لسلمى موحشاً)؛ كما في اللسان.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٢). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٢١)، وزاد المسير (٤/ ٥)، ولباب النقول (ص:١٢٨)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٤٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

ويروى أنهم قالوا: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، فأنزل الله: ﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾[١] يعرفونه ويألفونه.

و «أن» في قوله: ﴿أَنْ أنذر الناس﴾ في محل النصب بـ «أوحينا».

وقال الزمخشري[٢]: هي أَنْ المفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول، ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، وأصله: أنه أنذر الناس، على معنى: أن الشأن قولنا: أنذر الناس.

﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ أي: بشرهم بأن لهم سابقة وفضلاً ومنزلة ورفعة عند ربهم.

فإن قلت: لم سُمِّيت السابقة قَدَماً؟

قلتُ: لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المِسْعَاة الجميلة والسابقة قَدَماً، كما سُمِّيت النعمةُ يداً؛ لأنها تعطى باليد، وإضافته إلى «صدق» دلالة على زيادة فضل، وأنه من السوابق العظيمة.

وقال ابن الجوزي رحمه الله[٣]: العرب تجعل القدم كناية عن العمل [الذي][٤] يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخير.

قال ذو الرمة:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٨).

(٢) الكشاف (٢/ ٣١٣).

(٣) زاد المسير (٤/ ٦).

(٤) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

لَكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ[(١)]

وهذه الجملة المقولة في تفسير قوله: ﴿قدم صدق﴾ إليها ترجع أقوال المفسرين وأهل المعاني وأرباب اللسان[(٢)].

قال الحسن: «قدم صدق»: هو محمد ﷺ يشفع لهم يوم القيامة[(٣)].

وفي الكلام إضمار تقديره: فلما أنذر وبشر.

﴿قال الكافرون إن هذا﴾ يعنون: الذي جاء به محمد ﷺ من الكتاب المعجز الدال على صحة ما دعا إليه ﴿لسحر مبين﴾.

وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: «لساحر»، إشارة إلى الرسول ﷺ[(٤)].

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) البيت لذي الرمة. انظر: ديوانه (ص:٣٦١)، والطبري (١١/ ٨٢)، والقرطبي (٨/ ٣٠٦)، وزاد المسير (٤/ ٦)، والبحر المحيط (٥/ ١٢٧)، والدر المصون (٤/ ٤)، وروح المعاني (١١/ ٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٤١) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٧)، والكشف (١/ ٤٢١)، والنشر (٢/ ٢٥٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٢).

كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

وما بعده سبق تفسيره[١] إلى قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي: يقضيه ويمضيه.

﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ قال ابن السائب: ما من شفيع من الملائكة والنبيين إلا من بعد أمره في الشفاعة[٢].

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى الله الخالق الموصوف بالاستواء على العرش وتدبير الأمر، هو ﴿الله ربكم﴾ لا الأصنام التي لا تعقل ولا تقدر على شيء ﴿فاعبدوه﴾ وَحِّدوه ﴿أفلا تذكرون﴾ تذكراً ينبهكم من رقدة غفلتكم ويرشدكم إلى قبح ما سوَّلت لكم أنفسكم وزيَّنت لكم شياطينكم من عبادة أحجار تنحتونها بأيدكم، وتماثلون بينها وبين ربكم العظيم الذي خلق ورزق ودبَّر، وقضى وقَدَّر.

ثم خَوَّفهم البعث فقال تعالى: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ «مرجعكم»: مبتدأ، خبره: «إليه». «جميعاً» حال من الكاف والميم، ﴿وعد الله حقاً﴾ مصدران[٣].

قوله تعالى: ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ استئناف خارج مخرج التعليل لما ذكره من الوعيد بالرجوع إليه ليجازيهم على الأعمال التي أسلفوها.

وقرأتُ لأبي جعفر: «حقاً أنه» بفتح الهمزة، على معنى: لأنه أو بأنه، أو هو منصوب بالفعل الذي نصب «وعد الله»، أي: وعد الله[٤].

قوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ أي: بالعدل، وهو

---

(١) عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٨)، والماوردي (٢/ ٤٢٢) بلا نسبة.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤)، والدر المصون (٤/ ٥).

(٤) النشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٧).

متعلق بـ«يجزي»، على معنى: ليجزيهم بقسطه وعدله. ويجوز أن يكون المعنى: ليجزيهم بقسطهم وبما عدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات.

ورجَّح بعض المحققين هذا المعنى لمقابلة قوله: ﴿بما كانوا يكفرون﴾.

والحَمِيمُ: الماء الحارّ[١].

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ وقرأ قُنْبُل عن ابن كثير: «ضِئَاءً» بهمزتين بينهما ألف في جميع القرآن[٢].

قال صاحب الكشاف[٣]: الياء في «ضياء» منقلبة عن واو ضوء؛ لكسرة ما قبلها. وقرئ: «ضئاءً» بهمزتين بينهما ألف على القلب، بتقديم اللام على العين، كما قيل في عاق: عقاً، والضياء أقوى من النور، وقد ذكرته في أول البقرة.

والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور.

﴿وقَدَّرَهُ﴾ أي: وقَدَّر القمر، والمعنى: قَدَّرَ مسيره ﴿منازل﴾، أو قدره ذا منازل؛

---

(١) انظر: اللسان، مادة: حمم.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٨)، والكشف (١/ ٥١٢)، والنشر (١/ ٤٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٣).

(٣) الكشاف (٢/ ٣١٤).

كقوله: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يس:٣٩] وهي ثمانية وعشرون منزلاً في كل شهر، وهي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء.

قال ابن قتيبة[(١)]: وأسماؤها عندهم: الشَّرَطان[(٢)]، والبَطَيْن، والثُّرَيَّا، والدَّبَران[(٣)]، والهَقْعَة، والهَنْعَة، والذِّرَاع، والنَّثْرَة، والطَّرْف، والجَبْهَة، والزُّبْرَة[(٤)]، والصَّرْفَة، والعَوَّاء، والسِّماك، والغَفْر، والزُّبَانى، والإِكْليل، والقَلْب، والشَّوْلَة، والنَّعائِم، والبَلْدَة، وسَعْدُ الذَّابح، وسَعْدُ بُلَع، وسَعْدُ السُّعُود، وسَعْدُ الأَخْبِيَة، وفَرْغُ الدَّلْوِ المقدَّم، وفَرْغُ الدَّلْوِ المؤخَّر، والرِّشاء وهو الحُوت[(٥)].

وقد جمع أسماءها شيخنا موفق الدين عبدالله بن أحمد رضي الله عنه وأرضاه نظماً لنفسه فأنشدني:

فَنَطْح وبَطْن والثُّرَيَّا ومِجْدَح ... وهَقْع وهَنْع والذِّراع وَنَثْره
وطَرْف [وجَبْهَة][(٦)] والخراة وصَرْفَة ... وعَوَّاء يتلوها السماك وغفره
زُبانا وإكليل وقَلْب وشَوْلَة ... نَعَائم بَلْدات وسَعْد ونحره
وسَعْد وسَعْد ثم سَعْد وفرعه ... وفرع وحوت ناضب عنه بحره

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:٣١٧).

(٢) الشرطان: وتسمَّى أيضاً: النّطْح، والناطح؛ لأنها عند أصحاب الصور قَرْنا الحَمَل (صبح الأعشى ٢/ ١٧٣).

(٣) وتسمى أيضاً: المجْدَح، وتالي النجم، وعين الثور (صبح الأعشى ٢/ ١٧٤).

(٤) وتسمى أيضاً: الخراتان، وعُرف الأسد، والزبرتين (صبح الأعشى ٢/ ١٧٦).

(٥) انظر: صبح الأعشى (٢/ ١٧٣-١٨١). وانظر أسماء المنازل في كتاب الأنواء لابن قتيبة من (ص:١٦)، واللسان، مادة: (نوأ).

(٦) في الأصل: وجبة.

﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ يعني: حساب الأوقات والساعات والأيام والليالي والشهور.

﴿ما خلق الله ذلك﴾ الإشارة إلى الخلق المذكور، ولم يُرد الأعيان، إذ لو أرادها لقال: «تلك»، ﴿إلا بالحق﴾ أي: إلا خلقاً متلبساً بالحق، الخالي عن العبث، الجاري على وفق الحكمة والمصلحة.

﴿نُفَصِّلُ الآيات﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: «يُفَصِّلُ» بالياء، وقرأ الباقون بالنون(١).

والمعنى: يبيّن الآيات ويوضحها ﴿لقوم يعلمون﴾ فيدلّهم علمهم وعقلهم على صحة الاستدلال بالصنعة على الصانع، وبالقدور على القادر.

قوله تعالى: ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ أي: في تعاقبهما ومجيئهما وذهابهما، ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾ من عجائب مبتدعاته وغرائب مصنوعاته، ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ الشرك والمعاصي، فتبعثهم تقواهم على التفكر، ويدعوهم الحذر إلى النظر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ قال ابن عباس: لا يخافون البعث؛

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٨)، والكشف (١/ ٥١٣)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٣).

لأنهم لا يؤمنون به[(١)].

فالرجاء هاهنا بمعنى: الخوف؛ كقوله: ﴿لا ترجون لله وقاراً﴾ [نوح:١٣].

وقيل: المعنى: لا تأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء.

وقيل: المعنى: لا تخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف.

﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ وآثروها على الآخرة ذهاباً مع الأمل والغرور، ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ يعني: آيات القرآن وما فيها من الحكم والأحكام.

وقيل: عن آياتنا المذكورة في هذه السورة من خلق السماء والأرض والشمس والقمر.

وقال ابن عباس: «عن آياتنا»: القرآن ومحمد ﷺ[(٢)].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ أي: يسدّدهم ويرشدهم ويوفقهم للاستقامة على سلوك النجاة بسبب إيمانهم.

وقال مجاهد: جعل لهم نوراً يمشون به[(٣)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٩)، وزاد المسير (٤/ ١٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٠).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٨٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٩)، ومجاهد (ص:٢٩٢). وذكره السيوطي

وقال مقاتل[(١)]: يهديهم بالنور على الصراط إلى الجنة.

﴿تجري من تحتها الأنهار في جنات النعيم﴾ بيان وتفسير لمفضى الهداية.

﴿دعواهم فيها﴾ أي: دعواهم في جنات النعيم، ﴿سبحانك اللهم﴾ قال ابن عباس: كلما اشتهى أهل الجنة شيئاً قالوا: سبحانك اللهم، فجاءهم ما يشتهون، فإذا طعموا قالوا: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: أَعْلَمَ الله أنهم يبتدؤون بتعظيمه وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه.

وقال صاحب الكشاف[(٤)]: يجوز أن يراد بالدعاء هاهنا: العبادة؛ كقوله: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾ [مريم:٤٨] على معنى: أن لا تكليف في الجنة ولا عبادة، وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه، وذلك ليس بعبادة، وإنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة؛ كقوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ [الأنفال:٣٥].

قوله تعالى: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ أي: تحية بعضهم لبعض، وتحية الله لهم،

=

في الدر (٤/ ٣٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٨٢).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١١/ ٨٩) عن ابن جريج. وانظر: الوسيط (٢/ ٥٣٩)، وزاد المسير (٤/ ١٠). وذكر نحوه السيوطي الدر المنثور (٤/ ٣٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ عن ابن جريج.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٨).

(٤) الكشاف (٢/ ٣١٦).

وتحية الملائكة إياهم: سلام.

والنون في قوله: «أن الحمد لله» هي المخففة من الثقيلة. وأصله: أنه الحمد، على إضمار الشأن، كقول الشاعر:

.... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ [(١)]

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري وأبي عمرو عثمان بن القاسم الياسري رحمهما الله تعالى ليعقوب [الحضرمي] [(٢)] من رواية أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني عنه: «أَنَّ» [بالتشديد] [(٣)]، «الحمدَ» بالنصب [(٤)].

۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر... الآية﴾ قيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك... الآية﴾ [(٥)] [الأنفال:٣٢].

والمعنى: لو يعجل الله للناس العذاب والشر إذا دعوا به على أنفسهم وقت الغضب والضجر ﴿لَقُضِيَ إليهم أجلهم﴾.

---

(١) عجز بيت للأعشى، وقد تقدم.

(٢) في الأصل: الحرمي.

(٣) في الأصل: بالتشدد.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٠)، وزاد المسير (٤/ ١١).

قال عامة المفسرين: لماتوا وهلكوا جميعاً وفرغ من هلاكهم[(١)].

قال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وولده وماله بما يكره أن يستجاب له[(٢)].

وقال مجاهد: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تُبـارِك فيـه، والْعَنْهُ[(٣)].

وحكى الماوردي[(٤)] أن المعنى: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم، كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة. ويقوي هذا تمام الآية، وسبب نزولها.

وقرأ ابن عامر: «لقَضَى» بفتح القاف والضاد، «أجلَهم» بالنصب[(٥)].

﴿فَنَذَرُ الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ أي: نُمْهلهم ونُمْلي لهـم ونمدهم بالنعم [إلزاماً][(٦)] للحجة عليهم واستدراجاً لهم. وقد سبق ذكر الطُّغيان

---

(١) انظر: الطبري (١١/ ٩١)، والوسيط (٢/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٩٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٢). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٩٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٢)، ومجاهد (ص:٢٩٢). وذكره البخاري تعليقاً (٤/ ١٧٢١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٤٢٥).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٨)، والكشف (١/ ٥١٥)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٣).

(٦) في الأصل: ألزماً.

والعَمَه.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً﴾ الإنسان هاهنا: اسم جنس.

قال ابن عباس: هو الكافر إذا أصابه ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة أخلص في الدعاء، مضطجعاً كان أو قائماً أو قاعداً[(١)].

فعلى هذا؛ قوله: «لجنبه» وما عطف عليه، أحوال من الضمير المرفوع في «دعانا». ويجوز أن يكون الحال من «الإنسان»[(٢)].

المعنى: وإذا مس الإنسان الضر في حال اضطجاعه أو قعوده أو قيامه دعانا، فإن المضرورين على ضروب: منهم المضطجع وهو صاحب الفراش، ومنهم القاعد، ومنهم القادر على القيام، وكلهم مفتقرون إلى استدفاع البلايا بالإخلاص والدعاء.

﴿فلما كشفنا عنه ضرّه مرّ﴾ أي: مضى مستمراً على طريقته الأولى مغروراً بالعافية، ناسياً ضرره، راكباً رأسه في طغيانه، متّبعاً هواه.

وقيل: «مرّ» هي موقف الضراعة والدعاء.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥)، والدر المصون (٤/ ١٢).

﴿كأن لم﴾ أي: كأنه لم يدْعُنا، فخَفَّفَ وحذف ضمير الشأن؛ كقولِ الخنساء:

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمىً يُتَّقى   إِذِ النّاس إِذ ذاكَ مِنْ عَزَّ بزّا[1]

وقول الآخر:

....   كَأَنْ ثَدْيَاهُ حُقَّـــــانِ[2]

﴿كذلك﴾ أي: كما زين للكافرين الابتهال والتضرع عند البلاء والإعراض عند الرخاء ﴿زين للمسرفين﴾ وهم الطغاة ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الكفر والسيئات.

قال ابن عباس: نزلت في أبي حذيفة هاشم بن المغيرة المخزومي[3].

وقال عطاء: في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة[4].

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) البيت للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٥٩)، وزاد المسير (٢/ ٢٢٧، ٤/ ١٣).

(٢) عجز بيت، وصدره: (وَوَجْهٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ). ويروى:

وصدر مشرق النحر   كأن ثدييه حقان

انظر البيت في: الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٥)، والمحتسب (١/ ٩)، واللسان، مادة: (أنن)، والطبري (١٢/ ١٢٥)، وزاد المسير (٤/ ١٦٣)، وتهذيب اللغة، مادة: (أنن)، والدر المصون (٢/ ٣٩٠، ٤/ ١٢)، وروح المعاني (١١/ ٨٠).

(٣) زاد المسير (٤/ ١٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٠)، وزاد المسير (٤/ ١٢).

قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ «لما» ظرف لـ«أهلكنا»[١].

والظلم هنا: الشرك.

والواو في: ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ واو الحال[٢]. والبينات: المعجزات الظاهرة والبراهين الباهرة.

﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ قال مقاتل[٣]: معناه: وما كان كفار مكة ليؤمنوا بنزول العذاب بهم في الدنيا.

وقال أبو سليمان الدمشقي: الضمير في قوله: ﴿وما كانوا﴾ يعود إلى القرون المهلكة[٤]، وهو إما عطف على «ظلموا»، أو اعتراض[٥]. واللام في «ليؤمنوا» توكيد لنفي إيمانهم. يعني: وما كانوا يؤمنون حقاً، وإشعار أنهم يموتون على كفرهم.

قال ابن الأنباري[٦]: ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق، وإيثارهم الباطل.

وقال الزجاج[٧]: جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم، وجائز أن

---

(١) انظر: الدر المصون (٤/ ١٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٦)، والدر المصون (٤/ ١٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٨٥).

(٤) زاد المسير (٤/ ١٣).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٦)، والدر المصون (٤/ ١٣).

(٦) انظر: زاد المسير (٤/ ١٣).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ١٠).

يكون أعلم ما قد عَلِمَ منهم. والدليل على أنه طبع على قلوبهم [جزاء][(١)] لهم قوله: ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾.

وقوله: «كذلك» معناه: مثل ذلك الجزاء الذي جوزي به المهلكون من القرون الماضية، نجزي المجرمين المكذبين من هذه الأمة.

وفي هذه الآية تخويف شديد لأهل مكة.

قوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم﴾ خطاب لهذه الأمة.

قال ابن عباس: جعلناكم يا أمة محمد ﷺ ﴿خلائف﴾[(٢)].

قال قتادة: ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله تعالى من أعمالكم خيراً بالليل والنهار[(٣)].

﴿لننظر كيف تعملون﴾ أي: لنختبركم ونختبر أعمالكم. و «كيف» في محل النصب بـ«تَعْمَلُون» لا بـ«نَنْظُرَ»[(٤)]؛ لتضمنه معنى الاستفهام المانع من تقدم عامله عليه في الكلام.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ

---

(١) في الأصل: جازاء. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ١٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٣).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) انظر: الدر المصون (٤/ ١٣).

شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن
قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ وهم مشركوا أهل مكة، وقد فسرناه آنفاً.

﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ يعنون: بقرآن ليس فيه ما يَعِظُنا يؤذينا، من سبّ آلهتنا، وتضليل آبائنا، وتسفيه آرائنا، ﴿أو بَدِّلْهُ﴾ من قبل نفسك، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وأسقط عيب الآلهة وما يؤذينا، ﴿قل ما يكون لي﴾ أي: ما ينبغي ولا يصلح ولا يصح لي ﴿أن أبدّله من تلقاء نفسي﴾ أي: من قِبَلها، ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ ليس إليّ تبديل ولا نسخ ولا تصرف بزيادة ولا نقصان، ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بالتبديل وغيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾.

فإن قيل: لأي حكمة أجابهم عن سؤال التبديل دون سؤالهم الإتيان بقرآن غير هذا؟

قلت: لأن التبديل المشار إليه مقدور عليه، والإتيان بقرآن غير هذا ليس في وسعه، لأنه إما أن يأتي به من عند الله أو من عند نفسه، الأول ليس إليه، والثاني محال لا يقدر عليه بحال، فاقتراحهم إياه بعد تحديهم بالإتيان بسورة مثله وظهور عجز القوى البشرية عن مماثلته عناد وعدول عن سنن الإنصاف في شرع الجدال، فيجب الإضراب عنه والإعراض عن جوابه.

﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ أي: ما قرأت عليكم القرآن، ﴿ولا أدراكم

به﴾ أي: ولا أعلمكم الله به.

وقرأ ابن كثير في رواية قُنْبُل: «ولأدراكم به» من غير ألف قبل الهمزة[(١)]، جعلها لام الابتداء دخلت على «أدرى».

والمعنى على هذه القراءة: لو شاء الله لأعلمكم به على لسان غيري، لكنه يختص بنبوته ويجتبي لرسالته من يشاء من عباده.

﴿فقد لبثتُ فيكم عمراً من قبله﴾ يعني: مكثتُ بين أظهركم أيتها الأمة الأمية أربعين سنة، تعرفون صدقي وأمانتي، لا أشتغل بعلم ولا أجالس عالماً، ثم أتيتكم بكتابٍ فُصِّلَتْ آياته، وبهرت العقول بيّناته، وأعجز الفصحاء والبلغاء والخطباء، فلم يقدروا على معارضته ولا مناقضته، ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعلموا أن مثلي لا يكذب على الله تعالى ولا يقدر على الإتيان بقرآن غيره ولا يستجيز التبديل.

قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فجعل له أنداداً وأولاداً، ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ أي: لا يسعد المشركون.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٨-٣٢٩)، والكشف (١/ ٥١٤)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٦).

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم﴾ إن أضاعوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن أطاعوه، وهذا عجز ظاهر يوجب اختلال الإلهية، فإن من حق المعبود أن يكون قادراً على ثواب أهل طاعته، وعقاب أهل معصيته.

وفي هذا تنبيه على أن الاقتدار على النفع والإضرار أكمل الأحوال وأتمها.

ولهذا قيل[1] في البرامكة[2]:

عند الملوك مضرةٌ ومنافعٌ ... وأرى البرامك لا تَضُرُّ وتنفَع

إن كان شراً كان غيركم له ... أو كان خيراً كان فيكم أجمع

فلا يُعْرَف أهجاهم أم مدحهم.

وباعتبار هذا؛ جعلوا قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل[3]

هجواً عظيماً.

وجعلوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي، وقد سبق إنشاد البيت وأخيه في سورة [النساء][4] عند قوله تعالى: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ [٢٥].

وقال الآخر[5]:

---

(١) في الأصل زيادة قوله: في قال.

(٢) البيتان لنصيب الأصغر، المعروف بأبي الحجناء، وهو في: الأغاني (٥/ ٤٠٥).

(٣) البيت من قول النجاشي. وهو في: الإصابة (٦/ ٤٩٣)، والمغني لابن قدامة (٧/ ٢٩٧).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) الأبيات في: الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ٥٦)، وديوان المعاني، باب المديح، والتذكرة السعدية، باب الحماسة والافتخار.

متى تهزز بني قطن تجدهم سيوفاً في عواقبهم(١) سيوف
جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألمّ فهم وقوف
إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فإنهم حتوف

وقال آخر(٢):

تذلل أعناق الصعاب بباسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل

وهذا باب واسع، وما قيل فيه أكثر [من](٣) أن يحصر.

قوله تعالى: ﴿ويقولون﴾ يعني: عبدة الأوثان ﴿هؤلاء﴾ إشارة إلى "ما" من قوله: «ما لا يضرهم»، يعنون: الأصنام ﴿شفعاؤنا عند الله﴾ تُقَرِّبُنا إليه في إصلاح معايشنا، وإنجاح حوائجنا، وتسهيل مآربنا، وتذليل مطالبنا، قل لهم يا محمد على وجه الرزء عليهم: ﴿أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ أي: أتخبرونه أنه له شركاً شفيعاً، وهو لا يعلم لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض.

وفي قوله: «بما لا يعلم» إعلام بأن هذا الحال محال، إذ لو كان صحيحاً لتعلق به علمه.

ثم نزّه نفسه عما يأفكون فقال: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

---

(١) في مصادر تخريج البيت: عواتقهم.

(٢) البيتان في: ديوان المعاني، باب المديح، والتذكرة الفخرية، باب التهاني وما يضاف إليها، والتذكرة السعدية، باب الحماسة والافتخار.

(٣) زيادة على الأصل.

وقرأ حمزة والكسائي: «تشركون» بالتاء[1]، على الخطاب هنا، وفي النحل في موضعين، وفي الروم.

و «ما» هاهنا موصولة أو مصدرية.

قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة، واختلاف العلماء في تأويله.

والأظهر في معناه أن يقال: وما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على كلمة التوحيد في زمن آدم فاختالتهم الشياطين، وقتل قابيل هابيل، وانتشر الشر والشرك، وعُبدتِ الطواغيت، فاختلفوا، فبعث إليهم نوحاً عليه الصلاة والسلام.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير هذه الأمة، وأنه لا يعاجلهم بالعذاب، كما فعل بمن قبلهم، ﴿لقُضِيَ بينهم﴾ بإنزال العذاب بالمكذبين، وإظهار المحِقّ من المبْطِل، وهو قوله: ﴿فيما فيه يختلفون﴾.

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٩)، والكشف (١/ ٥١٥)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٤).

لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية﴾ خارقة كالعصا واليد والناقة، وهذا عناد وتمرّد وجُرأة، أوجبها الانهماك في الغي، والاغترار بتجاوز الله عنهم، وإلا وأي معجز أعظم سلطاناً وأنور برهاناً من القرآن المجيد.

﴿فقل إنما الغيب لله﴾ فهو المستأثر بعلم الحِكَم المودعة في منع إجابتكم إلى ما تقترحون من الآيات، ﴿فانتظروا﴾ نزول الآية وكل ما أنتم بصدد انتظاره لي ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ ما يفعل بكم جزاءً على عتوكم وتمردكم واقتراحكم.

قوله تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ من عافية في أبدانهم وسعة في معايشهم وأرزاقهم ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ وهي القحط والجدب، فإن أهل مكة قحطوا سبع سنين بدعاء رسول الله ﷺ عليهم حين قال: «اللهم سلط عليهم سنين كسنيّ يوسف، فأكلوا العظام والجلود، حتى جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد! ادعُ لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدّقناك، فدعا لهم فَسُقوا ولم يؤمنوا»[1].

﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ أي: سعي في دفع القرآن والتكذيب به، ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أخفى كيداً وأقدر على مجازاتكم، ﴿إن رسلنا﴾ الحفظة الكرام ﴿يكتبون﴾ في صحائف أعمالكم ﴿ما تمكرون﴾.

وقُرِئ على شيخنا أبي البقاء ليعقوب إلا من رواية أبي حاتم ورويس،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٣ ح٤٥٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٦ ح٢٧٩٨).

ولعاصم من رواية أبان: «يمكرون» بالياء، لقوله: ﴿إذا لهم مكر﴾، وهي قراءة الحسن ومجاهد في آخرين[(١)].

قال صاحب الكشاف[(٢)]: «إذا» الأولى للشرط، والآخرة جوابها، وهي للمفاجأة.

فإن قلت: ما وَصَفَهُم بسرعة المكر، فكيف صَحَّ قوله: ﴿أسرع مكراً﴾؟

قلتُ: بل دلَّت على ذلك كله المفاجأة، كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم، وسارعوا إليه [قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء][(٣)]، ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصّتهم.

والمعنى: أن الله دَبَّرَ عقابكم، وهو مُوقِعه بكم قبل أن تدبِّروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام.

«إن رسلنا يكتبون» إعلامٌ بأن ما يظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله، وهو منتقم منكم.

قوله تعالى: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ وقرأتُ لابن عامر وأبي جعفر: «يَنْشُرُكُمْ»، من النَّشْر بعد الطَّيْ، وهي قراءة زيد بن ثابت[(٤)]. ومنه: ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [الروم:٢٠].

---

(١) النشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٢١).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٩)، والكشف (١/ ٥١٦)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٥).

والمعنى: هو الذي يسيركم في البر على الدواب، وفي البحر على السُّفُن.

وقوله: ﴿حتى إذا كنتم في الفُلْك﴾ ليس غايةً للتسيير، وإنما هو مرتبط بما بعده، ﴿وَجَرَيْنَ بهم﴾ عدول عن خطابهم إلى الإخبار عنهم، تذكيراً لغيرهم وتعجيباً له من مثل حالهم، والضمير في «وَجَرَيْنَ»: للفُلْك، وقد ذكرناه في البقرة، وهو هاهنا جمع.

﴿بريح طيبة﴾ أي: لَيِّنَة لا عاصف ولا قاصف، ﴿وفرحوا بها﴾ أي: بالريح، ﴿جاءتها﴾ يعني: جاءت الفُلْك.

وقال الفراء[١]: وإن شئتَ جعلتها للريح، كأنه قيل: جاءت الريح الطيبة.

﴿ريح عاصف﴾ وهي الشديدة الهبوب، يقال: عَصَفَتِ الرِّيحُ فهي عاصِف وعاصِفَةٌ، وأَعْصَفَت فهي مُعْصِف ومُعْصِفَة[٢].

﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ أي: من جميع أمكنة الموج، أو من كل مكان في البحر، ﴿وظنوا﴾ أي: وتيقنوا، وقيل: توهموا ﴿أنهم أحيط بهم﴾ أي: دنوا من الهلكة.

قال ابن قتيبة[٣]: وأصله: أن العدو إذا أحاط ببلد، فقد دنا أهله من الهلكة.

﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ قال ابن عباس: تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية[٤].

---

(١) معاني الفراء (١/ ٤٦٠).

(٢) انظر: اللسان، مادة: عصف.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٩٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٣)، وزاد المسير (٤/ ٢٠).

﴿لئن أنجيتنا﴾ على إرادة القول، أو لأنّ «دعوا» من جملة القول.

والمعنى: لئن أنجيتنا من هذه الريح العاصف القاصف، ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لأَنْعُمِكَ بتوحيدك وطاعتك.

﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض﴾ يترمون إلى الفساد، وقد سبق ذكر اشتقاقه.

قال ابن عباس: يبغون في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله تعالى والعمل بالمعاصي والفساد[1].

ولما كان بعض البغي مشروعاً، كما فعل المسلمون ببني قريظة والنضير، قال: ﴿يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾ أي: إنما بغي بعضكم على بعض وما تنالونه به، إنما تتمتعون به في الحياة الدنيا ويزول عنكم ويسلب منكم.

واختلف القراء في قوله: «متاع»؛ فقرأ حفص عن عاصم «متاعَ» بالنصب. وقرأ الباقون بالرفع[2].

فمن رَفَعَ قال: «بغيكم» مبتدأ، «متاع» خبره. وقيل: خبره: «على أنفسكم»، على معنى: بغيكم عائد على أنفسكم راجع إليها، و «متاع» خبر بعد خبر، أو هو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو متاع الحياة الدنيا.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٠). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٤٣).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٩-٣٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٠)، والكشف (١/ ٥١٦)، والنشر (٢/ ٢٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٥).

ومن نَصَبَ فعلى المصدر[(١)]. المعنى: يتمتعون متاع الحياة الدنيا.

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[(٢)]. وقال: هذا حديث صحيح.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: لو بغى جبل على جبل، لجعل الله الباغي منهما دكاء[(٣)].

وكان المأمون ينشد في أخيه حين رام نقل الخلافة إلى ابنه ونقض ما أخذ عليهما أبوهما من العَهْد المؤكد والأيمان المغلظة[(٤)]:

فَلَوْ بَغَى جَبَلٌ [يَوْماً][(٥)] عَلَى جَبَلٍ ... لانْدَكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلَه[(٦)]

وقال الحسن رحمه الله: ما من ذنب أعجل عقوبة من كلمة بغي أو عقوق والد.

وقال محمد بن كعب: ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي، والنكث، والمكر. قال الله تعالى: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾[(٧)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦)، والدر المصون (٤/ ١٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٤ ح٢٥١١).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٣) وعزاه لابن مردويه.

(٤) قلت: بل كان المأمون يبغي نقل الخلافة إلى نفسه، وسلبها من أخيه الأمين. وانظر نص العهود المؤكدة والأيمان المغلظة في: تاريخ الأزرقي (١/ ٣٣٤-٣٤٣).

(٥) في الأصل: يوم. والتصويب من مصادر البيت.

(٦) انظر البيت في: فيض القدير (٥/ ٣١٤)، وكشف الخفاء (٢/ ٢٠١)، وروح المعاني (١١/ ١٠٠).

(٧) أخرج نحوه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨١) عن مكحول بأطول منه، بلفظ: «أربع من كُنّ فيه كُنّ =

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

ثم إن الله سبحانه وتعالى شبّه حال الدنيا في سرعة تَقَضِّيها وزوال نضارتها، بالنبات في تفرّقه وجفافه، بعد تكاثفه والتفافه، فقال: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ وهو المطر، ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ أي: التفّ بسبب الماء نبات الأرض واشتبك بعضه ببعض.

وقيل: المعنى: اختلط وتداخل النبات بذلك الماء.

﴿مما يأكل الناس﴾ من الحبوب والثمار وغيرها ﴿والأنعام﴾ من الرعي والكلأ، ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني: زينتها وكمال حسنها بالنبات من النور والزهر المستحسن في النظر، ما بين أبيض يَقَق، وأحمر قانٍ، وأخضر [ناضر][(١)]، وأصفر فاقع، وأسود حالك، إلى غير ذلك من المسمّيات والألوان الحسان.

= له، وثلاث من كُنّ فيه كُنّ عليه ...». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٣) وعزاه لأبي الشيخ عن مكحول.

(١) في الأصل: ياصع. انظر: زاد المسير (١/ ٩٨).

قال الزمخشري[١]: هذا كلام فصيح، جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس، إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكْتستها.

قوله تعالى: ﴿وازَّينت﴾ أصلها: «وَتَزَيَّنَتْ»، فأدغمت التاء في الزاي واجتلبت لها ألف الوصل.

وعلى الأصل قرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود[٢].

وقرأ جماعة منهم سعد بن أبي وقاص والحسن: «وَأَزْيَنَتْ» مقطوعة مفتوحة وإسكان الزاي وتخفيفها وتخفيف الياء، أي: صارت ذات زينة[٣].

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ متمكنون من منفعتها، آمنون من علتها، متسلطون على غلتها، ﴿أتاها أمرنا﴾ قضاؤنا بإهلاكها ببعض العاهات، ﴿فجعلناها حصيداً﴾ شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله، ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ كأن لم تكن ولم تقم على الصفة التي كانت من قبل، من قولهم: غَنِيَ القوم بالمكان؛ إذا أقاموا به[٤].

قال الزجاج[٥]: كأن لم تَعْمَر، والمغاني: المنازل التي يعمرها الناس بالنزول بها.

وقال الزمخشري[٦]: «كأن لم تغن» أي: لم يغن زرعها، أي: لم يلبث، على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه، وإلا لم يستقم المعنى.

(١) الكشاف (٢/ ٣٢٥).
(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨).
(٣) مثل السابق.
(٤) انظر: اللسان، مادة: غنا.
(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٥).
(٦) الكشاف (٢/ ٣٢٥).

وقرأ الحسن: «كأن لم يغن» بالياء(١)، على أن الضمير للمضاف المحذوف، الذي هو الزرع.

وعن مروان: أنه قرأ على المنبر: «كأن لم [تتغنّ](٢) بالأمس»(٣)، من قول الأعشى:

.... طَوِيلُ الثَّوَاءِ طَوِيلُ التَّغَنِّ(٤)

والأمس: مَثَلٌ في الوقت القريب، كأنه قيل: كأن لم تغن آنفاً.

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي: نُبَيِّنُها بضرب الأمثال والتقريب إلى الأفهام، ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيستثمرون من ذلك علماً يبعثهم إلى الزهد في الدار الفانية، والرغبة في الدار الباقية.

قال يحيى بن معاذ الرازي: لا يزال دينك متمزقاً، ما دام قلبك بحب الدنيا متعلقاً(٥).

وكان بشر الحافي يقول: مساكين أهل الدنيا هم والله في موضع رحمة(٦).

قوله تعالى: ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾ وهي الجنة، وقد ذكرنا تفسير دار السلام في سورة الأنعام [١٢٧]، والصراط المستقيم في سورة الفاتحة [٦].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨).

(٢) في الأصل: يتغن. والتصويب من البحر المحيط (٥/ ١٤٦).

(٣) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٤٦).

(٤) البيت للأعشى، وصدره: (وَكُنْتُ امْرءاً زَمَناً بالعراق). وهو في: تهذيب اللغة، مادة: (غنا)، والقرطبي (١/ ١٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٤٦)، والدر المصون (٤/ ٢١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٥٢)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٩٣).

(٦) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٨٢).

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا﴾ قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله، ﴿الحسنى﴾ هي الجنة[١]، ﴿وزيادة﴾ قال ابن عباس وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وعامة المفسرين: الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى.

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي فأقرَّ به، قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو سعد الحميدي[٢]، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة.

وأنبأنا حنبل بن عبدالله بن الفرج قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، قال: حدثني أبي رضي الله عنه، حدثنا يزيد بن هارون[٣]، حدثنا حماد بن

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) في البغوي: أحمد بن العباس الحميدي.

(٣) يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي، أحد الاعلام الحفاظ المشاهير، كان ثقة كثير الحديث، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، ومات سنة ست ومائتين (تهذيب =

سلمة، عن ثابت البناني، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً لن تروه؟ قالوا: وما هو؟ ألم يبيّض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة. قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم منه، ثم قرأ: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾))[1].

أخبرنا أبو الحسن علي بن الأثير[2] بقراءتي عليه غير مرة وغيره، قالوا: أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب، أخبرنا السرّاج، أخبرنا أبو القاسم بن علي بن الحسين بن محمد بمكة، أخبرنا أبو القاسم عبيدالله بن محمد بن إسحاق بن حبابة، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا هدبة.

وأخبرنا به عالياً أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم المعبر الخاتوني[3] قراءةً عليه وأنا أسمع في شوال سنة ست وستمائة، أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبدالله[4] =

التهذيب ١١/ ٣٢١-٣٢٢، والتقريب ص:٦٠٦).

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٦٣ ح١٨١)، والترمذي (٥/ ٢٨٦ ح٣١٠٥).

(٢) علي بن الأثير أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين، المحدث اللغوي، صاحب "التايخ" و"معرفة الصحابة" و"الأنساب" وغير ذلك. ولد بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكانت داره مجمع الفضلاء، وكان مكملاً في الفضائل، نسابةً أخبارياً، عارفاً بالرجال وأنسابهم، ولا سيما الصحابة، وله "تاريخ الموصل" لم يتم، مات في شعبان سنة ثلاثين وستمائة (طبقات الحفاظ ص:٤٩٥-٤٩٦).

(٣) الخضر بن كامل بن سالم بن سبيع الدمشقي السروجي الدلال المعبر. سمع من الفقيه نصر الله المصيصي، وأبي الدر ياقوت الرومي، وببغداد من الحسين بن علي سبط الخياط، وروى الكثير. مات في شوال سنة ثمان وستمائة وهو في عشر التسعين (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١).

(٤) ياقوت بن عبد الله الرومي، أبو الدر، الملقب مهذب الدين، من أهل بغداد، كان مولى لأبي منصور =

مولى ابن البخاري التاجر، حدثنا أبو محمد عبدالله ابن هزارمرد الصريفيني[١]، حدثنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، حدثنا أبو القاسم البغوي عبدالله بن محمد، حدثنا [هدبة][٢] بن خالد القيسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويُبيِّض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويُجِرْنا من النار، فيكشف الحجاب، فينظرون إلى الله، وما شيء أعطوه أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»[٣]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن عبيد الله بن عمر القواريري، عن عبدالرحمن بن مهدي، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، كلاهما عن حماد بن سلمة.

وكأنني سمعته من طريق الإمام أحمد من ابن الحصين، ومن طريق مسلم عن عبد الغافر شيخ شيخنا، ومن طريق أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

= الجيلي التاجر، وتعلم في المدرسة النظامية (الأعلام ٨/ ١٣١).

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن أحمد بن مجيب بن المجمع بن بحر بن معبد بن هزارمرد الصريفيني، أبو محمد، خطيب صريفين، كان صدوقاً، ولد ليلة الجمعة لخمس خلون من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وتوفي في ثالث جمادى الآخرة سنة تسع وستين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٠-٣٣٢).

(٢) في الأصل: هبة. وهو خطأ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٧)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٦٣ ح١٨١)، وأحمد (٦/ ١٥ ح٢٣٩٧٠)، والبغوي في تفسيره (٢/ ٣٥١).

صاحب «شرح السنة» منه، ومن طريق السرّاج من الخطيب أبي الفضل الطوسي.

وقال الزمخشري(١): وزعمت المشبّهة والمجبّرة(٢): أن الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وجاءت بحديث [موضوع](٣). ثم ساق هذا الحديث، ولم يقل عليه شيئاً سوى إيمائه إلى أنه موضوع بقوله: وجاءت.

وما هذه بأول جنايتهم على هذا الدين وتعطيلهم الأحاديث الصحيحة الصريحة؛ بناء على خيالاتهم الفاسدة أنها مصادمةٌ للعقل.

وقد أخرج البخاري ومسلم أيضاً في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الناس لرسول الله ﷺ: ((هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك))(٤).

وأخرجا أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه(٥).

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٢٦).

(٢) المشبهة: قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات (التعريفات ص:٢٧٤)، والمجبرة أو الجبرية: الذين يقولون: أجبر الله العباد على الذنوب أي: أكرههم، ومعاذ الله أن يكره أحداً على معصية (تاج العروس ١/ ٢٥٨٣).

(٣) في الأصل والكشاف: مرفوع. وهو خطأ، وهو ما أكده ابن حيان في البحر المحيط بقوله تعليقاً على ذلك: وأما قوله: وجاءت بحديث موضوع، فليس بموضوع، فقد خرجه مسلم في صحيحه عن صهيب ... (انظر: البحر المحيط لابن حيان ٥/ ١٤٦-١٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٤٠٣ ح٦٢٠٤)، ومسلم (١/ ١٦٣-١٦٤ ح١٨٢).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧١-١٦٧٢ ح٤٣٠٥)، ومسلم (١/ ١٦٧ ح١٨٣).

قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ يقال: رَهِقَهُ ما يَكْرَه رَهَقاً؛ إذا غَشِيَهُ[١].

قال الزجاج[٢]: القَتَرُ: الغَبَرة معها سواد.

قال ابن عباس: سواد الوجوه مع الكآبة[٣].

وقال عطاء: دخان جهنم[٤].

وقرأ جماعة منهم الحسن: «قَتْر» بإسكان التاء[٥].

والذِّلّة: الهوان.

قوله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ قال ابن عباس: عملوا الشرك[٦].

﴿جزاء سيئة بمثلها﴾ فيه إضمار تقديره: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها لا يزاد عليها.

وقال الفراء[٧]: التقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها.

وأنشد ثعلب:

---

(١) انظر: اللسان، مادة: رهق.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والكآبة: هي سوء الحال والانكسار من الحزن (اللسان، مادة: كأب).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٥)، وزاد المسير (٤/ ٢٥).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٥)، وزاد المسير (٤/ ٢٥).

(٧) معاني الفراء (١/ ٤٦١).

فَإِنْ سَأَلَ الوَاشُونَ عَنْهُ فَقُلْ لَهُمْ وَذَاكَ عَطَاءٌ لِلْوُشَاةِ جَزِيلُ
مُلِمٌّ بلَيْلَى لَمَّةً ثمَّ إِنَّهُ لَهَاجِرُ لَيْلَى بَعْدَهَا فَمُطِيلُ (١)

أراد: هو مُلِمّ.

والباء في قوله: «بمثلها» زائدة.

﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ أي: مانع فمنعهم من عذابه، ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً﴾ قرأ الأكثرون: «قِطَعاً» بفتح الطاء، جمع قِطْعَة؛ كدِمْنَةٌ ودِمَن. وقرأ ابن كثير والكسائي: «قِطْعاً» بإسكان الطاء (٢).

وقوله: «من الليل» صفة لـ«قِطَعاً» (٣).

وقوله: «مُظْلِماً» حال من الجار والمجرور، والعامل فيها «أغشيت»، أو ما في الجار والمجرور من معنى الفعل (٤).

ومن أسكن الطاء جعل «مُظْلِماً» صفة لـ«قِطَعاً».

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ

---

(١) انظر البيتين في: زاد المسير (٤/ ٢٥-٢٦).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٣٣٠)، والكشف (١/ ٥١٧)، والنشر (٢/ ٢٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٤٨)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٢٥).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٧-٢٨)، والدر المصون (٤/ ٢٥).

(٤) مثل السابق.

أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن
يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ
ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ يعني: الكفار وآلهتهم، ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ أي: الزموا مكانكم حتى يفصل بينكم.

قال الزجاج(١): هي كلمة [جَرَتْ](٢) على الوعيد.

وقوله: ﴿أنتم﴾ توكيد للضمير في «مكانكم»، ﴿وشركاؤكم﴾ عطف عليه(٣)؛ كقوله: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة:٣٥].

﴿أنتم وشركاؤكم﴾ بمعنى: آلهتهم، ﴿فزيَّلْنا بينهم﴾ فرَّقنا بينهم، من قولك: أَزَلْتُ الشَّيْءَ عن مكانه أُزِيلُه، وَزَيَّلْنا للتكثير. والمعنى: قطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا، وتبرَّأَ كل معبود من دون الله ممن عبده، وذلك قوله: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٦).

(٢) في الأصل: وجرت. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨)، والدر المصون (٤/ ٢٧).

قال ابن عباس: أنكروا عبادتهم[١].

وذلك أن الله تعالى يُنطق الأوثان، فتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون، فتبرؤا منهم قطعاً لأطماعهم الكاذبة، وآمالهم الخائبة في قولهم: تُقرِّبنا إلى الله وتَشْفَع لنا عنده، فيقول المشركون: بلى عبدناكم، فتقول الأصنام: ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم﴾.

قال ابن الأنباري[٢]: الباء في «بالله» دخلت توكيداً للكلام، إذ سقوطها ممكن، كما يقال: خذ بالخطام، [وخذ][٣] الخطام.

﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ هذه «إِنْ» المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة.

وقال الزجاج وكثير من النُّحَاة البصراء بالعربية[٤]: المعنى: ما كنا عن عبادتكم إيانا إلا غافلين؛ لأنه لم يكن فينا أرواح، ولم يكن لنا قلوب نعقل بها هنالك، أي: في ذلك المقام، أو في ذلك الوقت، على استعارة اسم المكان للزمان.

قال الزجاج[٥]: ﴿هنالك﴾ ظرف، المعنى: في ذلك الوقت تبلوا، وهو منصوب [بـ«تَبْلُوا»][٦]، والأصل: «هناك»، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٦)، وزاد المسير (٤/ ٢٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٧).

(٣) في الأصل: وجد. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ١٦).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ١٧).

(٦) في الأصل: بتلو. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

﴿تبْلُوا﴾ أي: تختبر وتذوق ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ في الدنيا من خير وشر.

وقرأ حمزة والكسائي: «تتلوا» بتائين[1]، بمعنى: تقرأ كتاب أعمالها، ودليله قوله تعالى: ﴿اقرأ كتابك﴾ [الإسراء:١٤]، وقوله: ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف:٤٩]، وقوله: ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾ [الإسراء:٧١].

وقيل: معنى «تَتْلُوا»: تَتْبَع، فالمعنى: هنالك تتبع كل نفس صالحة أو طالحة ما قدمت من العمل؛ لأن العمل يهدي صاحبه إلى مستقره من الجنة والنار.

﴿ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق﴾ الثابت الربوبية الصادق فيها، ﴿وضل عنهم﴾ بطل وزال ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي: يختلقون لله من الأنداد والأولاد.

ثم ألزمهم الحجة باضطرارهم إلا ما لا يجدون بداً من الإقرار به، فقال: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ أي: من السماء المطر، ومن الأرض الحبوب والثمر، ﴿أم من يملك السمع والأبصار﴾ أي: من يقدر على خلقهما وتسويتهما على الهيئة القابلة لما هو المقصود منهما والمراد بهما، ومن يقدر على حمايتهما وحفظهما من الآفات المتكاثرة في الأزمان المتطاولة المتقاطرة، مع لطف مغانيهما وجواهرهما.

﴿ومن يدبر الأمر﴾ يريد: أمر الكون الكلي من الهيكل العلوي والمركز السفلي، ﴿فسيقولون الله﴾ قل لهم عند إقرارهم بذلك منكراً وموبخاً: ﴿أفلا تتقون﴾ الذي خلق ورزق وقدر ودبَّر فلا تشركوا به شيئاً.

﴿فذلكم الله﴾ الذي فعل هذه الأشياء ﴿ربكم الحق﴾ الثابت الربوبية لا

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣١)، والكشف (١/ ٥١٧)، والنشر (٢/ ٢٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٨-٢٤٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٥).

الأصنام، ﴿فماذا بعد الحق﴾ الذي ظهر دليله ووضح سبيله ﴿إلا الضلال﴾ لحصول القطع والجزم بأن لا واسطة بينهما، ﴿فأنى تصرفون﴾ أي: كيف تصرفون عقولكم عن الحق الواضح إلى الضلال الفاضح.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الحق أو مثل ذلك الصرف، ﴿حقت كلمة ربك﴾ حق عليهم ﴿أنهم لا يؤمنون﴾.

قال الزجاج(١): «أنهم لا يؤمنون» بدل من «كلمة ربك»، أَعْلَمَ الله أنهم بأعمالهم قد امتنعوا من الإيمان. وجائز أن تكون الكلمة: حقَّت عليهم لأنهم لا يؤمنون، وتكون الكلمة: ما وُعدوا به من العقاب.

ومن قرأ: «كلمات» على الجمع هاهنا، وفي الموضع الثاني، وفي حم المؤمن - وهو نافع وابن عامر-؛ فلِتعدد الوعيد(٢).

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق﴾ أي: من يقدر على أن

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٨).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣١)، والكشف (١/ ٤٤٧)، والنشر (٢/ ٢٦٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٦).

يوجده ابتداء ﴿ثم يعيده﴾ تلاشية، ﴿قل﴾ لهم يا محمد إذا بُهِتوا وانسدَّت عليهم مسالك المبادرة إلى المكابرة: ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يوم القيامة ﴿فأنى تؤفكون﴾.

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ أي: يدل عليه ويوضح طريق الوصول إليه، ﴿قل الله يهدي للحق﴾ يقال: هدى للحق وهدى إليه، ﴿أفمن يهدي إلى الحق﴾ وهو الله الذي هدى الخلق إلى الحق وأوضحه لهم على ألْسِنَةِ الرسل، وجعل لهم برهاناً فاصلاً وسبباً موصلاً مميزاً بين الحق والباطل يسمى العقل، فهذا الله الذي هدى الخلق إلى الحق ﴿أحق أن يتبع﴾ فيما أمر ونهى وشَرَّع.

﴿أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي﴾ وهو الصنم ﴿إلا أن يُهْدَى﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ووَرْش عن نافع: «[أَمَّنْ][1] لا يَهَدِّي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال[2].

وروي عن أبي عمرو اختلاس فتحة الهاء[3]، وبالوجهين قرأت على أشياخي له.

وقرأ قالون عن نافع بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال، وروي عنه اختلاس فتحة الهاء كأبي عمرو[4].

وقرأ حفص عن عاصم بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، ومثله أبو بكر

---

(١) في الأصل: أم.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣١)، والكشف (١/ ٥١٨)، والنشر (٢/ ٢٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٦).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) مثل السابق.

إلا أنه زاد كسر الياء[١].

وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال[٢].

فمن شَدَّدَ بناه على اهتدى يهتدي، ثم أدغم التاء في الدال؛ لاتفاقهما في المخرج. فابن كثير ومن وافقه نقل حركة الياء إلى الهاء. ومن اختلس الفتحة أشار بالاختلاس إلى الفتحة إلى عدم أصالتها، وأنه جيء بالاختلاس لتخليص الهاء من السكون. ومن كَسَرَ الهاء؛ فلالتقاء الساكنين.

ومن كَسَرَ الياء والهاء فَعِلَّته الاتباع. ومن سَكَّنَ الهاء بقّاها على أصلها. ومن خَفَّفَ جعله من هدى يهدي.

فالمعنى: لا يهدي غيره إلا إن هداه الله، أو لا يهتدي في نفسه ولا يصح منه الاهتداء، إلا أن ينقله الله من حاله فيجعله حيواناً فاهماً.

﴿فما لكم﴾ «ما» مبتدأ، و «لكم» خبره[٣].

قال الزجاج[٤]: قوله: «فما لكم» كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان، ثم قيل لهم: ﴿كيف تحكمون﴾ على أي حال تحكمون. فموضع «كيف» نصب بـ«تحكمون».

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٤)، والكشف (١/ ٥١٨)، والنشر (٢/ ٢٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٦).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٢)، والكشف (١/ ٥١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٩).

(٣) التبيان (٢/ ٢٨)، والدر المصون (٤/ ٣٢).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠).

قال مقاتل[1]: المعنى: كيف تقضون بالجَوْر؟

قوله تعالى: ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ قال الثعلبي والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي وكثير من العلماء[2]: المراد بالأكثر: الكل، وقالوا: المعنى: وما يتبعون إلا الظن في قولهم أنها آلهة.

وقال صاحب الكشاف[3]: المعنى: وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظناً؛ لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم.

والقولان بعيدان، فإن إطلاق الأكثر على الكل في غاية الشذوذ إن ثبت جواز استعماله.

وقول صاحب الكشاف بعيد أيضاً؛ لأن البراهين على معرفة الله والاستدلال بالصنعة على الصانع أمر ظاهر لمن له أدنى مُسْكة من عقل، ولذلك احتجّ الله تعالى عليهم مُلزماً لهم باعترافهم وإقرارهم بالله، وأنه الذي خلقهم ورزقهم، ولم يجدوا بُدّاً من الانقياد إلى تسليم ما ألزموا به، مع استلزام تسليم ذلك بطلان ما انتحلوه ديناً، ولو كان منشأ إقرارهم -كما زعم صاحب الكشاف- لكانوا بسبيل من الإنكار على ما هو المتعارف المتعاهد من ذوي الخصام.

والذي يظهر في نظري: أن المعنى: «وما يتبع أكثرهم» وهم الهمج الرعاع، والاتباع في قولهم أن الأصنام آلهة، «إلا ظناً»؛ لأنه قول لا يقوم بصحته دليل نقلي ولا برهان عقلي.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٩٢).

(٢) الثعلبي (٥/ ١٣٢)، وزاد المسير (٤/ ٣١).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٣٠).

وأما ذووا البصائر من قادتهم وسادتهم كلهم أو أكثرهم فكانوا على يقين من ضلالهم وبطلان ما هم عليه، لكن حملهم عليه البغي والحسد وحب الاقتداء بالآباء. هذا أبو جهل مع شِدَّة تَمَرُّده وكُفْره يقول لرسول الله ﷺ وقد خلا به يوماً: والله إني لأعلم أنك على الحق، ولكن إذا ذهبتْ قصيٌّ بالسقاية والحجابة واللواء والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله فيه: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ... الآية﴾[1].

والوليد بن المغيرة همّ بالدخول في [الإسلام][2] فمنعه أبو جهل، وقد ذكرنا كلامه في الأنفال[3].

وأبو طالب يقول[4]:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِي عَلَى ذاتِ بَيْنِنا　　لُؤَيّاً وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ
بِأَنَّا وَجَدْنَا فِي الكِتَابِ مُحَمَّداً　　نبيّاً كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الكُتْبِ
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي العِبَادِ مَحَبَّةً　　وَلاَ خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بالحُبِّ

واضطره حب الاقتداء بالسلف، حتى قال عند موته: على ملة الأشياخ.

قوله تعالى: ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ «شيئاً» مفعول «يغني»[5]،

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص:٢١٨).

(٢) في الأصل: إسلام.

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ...﴾ [الأنفال:٣١].

(٤) انظر: ديوانه (ص:٢١١)، وسيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧)، ومعجم البلدان (٤/ ٣٤٥).

(٥) التبيان (٢/ ٢٨)، والدر المصون (٤/ ٣٢).

[وجائز][(١)] أن يكون في موضع المصدر، أي: لا يغني غناء، وكذا قالوا في قوله: ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ [البقرة:٤٨]، وفي قوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [النساء:٣٦]، وفي قوله: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ [النور:٥٥]. والمعنى: أن ظنهم أنها آلهة وأنها تنفعهم وتشفع لهم عند الله، لا يقوم مقام الحق ولا يسدّ مسدّه.

وقال مقاتل[(٢)]: المعنى: لا تدفع عنهم من العذاب شيئاً.

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ جواب لقولهم: ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدّله﴾، وجواب لقولهم: ﴿افتراه﴾ و «أَنْ» مع «يفترى» بمنزلة المصدر، يعني: وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله[(٣)].

ويجوز أن تكون «كان» تامة، فيكون التقدير: وما نزل هذا القرآن وظهر لأن

---

(١) في الأصل: ويز. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٩٢).

(٣) التبيان (٢/ ٢٨)، والدر المصون (٤/ ٣٣).

يفترى، أو بأن يفترى.

وقال الفراء[١]: معنى الآية: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى، فجاءت «أن» على معنى: ينبغي.

﴿ولكن تصديق﴾ التقدير: ولكن كان تصديق ﴿الذي بين يديه﴾ الكتب المنزلة، فهو مصدق لها وشاهد بصحتها.

وقيل: تصديق الذي بين يديه من البعث وأمر الآخرة.

وقيل: تصديق للنبي الذي بين يديه؛ لأنهم شاهدوا النبي وعرفوه قبل سماعهم القرآن.

﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي: تبين ما كتب وفرض من الأحكام.

قال الزمخشري[٢]: ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ جائز أن يكون داخلاً في [حيز][٣] الاستدراك، كأنه قيل: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً [منتفياً][٤] عنه الريب كائناً من رب العالمين.

وجائز أن يكون «من رب العالمين» متعلقاً بـ«تصديق» و «تفصيل»، كأنه قيل: ولكن تصديقاً وتفصيلاً من رب العالمين، ويكون «لا ريب فيه» اعتراضاً.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ قال أبو عبيدة[٥]: «أم» بمعنى الواو.

---

(١) معاني الفراء (١/ ٤٦٤).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٣٠).

(٣) في الأصل: خبر. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: فمنتفياً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٧٨).

وقال الزجاج[١]: بمعنى: بل.

﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ شبيهة به في البلاغة وحسن النظم، فإنكم مثلي نسباً ولساناً ومنشأً، إن كان الأمر على ما تزعمونه من كوني افتريته، ﴿وادعوا﴾ أي: واستعينوا بمن ﴿استطعتم من دون الله﴾ على الإتيان بسورةٍ مثله، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، ﴿إن كنتم صادقين﴾ أني افتريته.

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ أي: سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في أول وهلة، قبل الوقوف والنظر في معجزه وتدبر ألفاظه الرصينة، ومعانيه الرزينة، فراراً منه، ونفوراً عنه؛ لما استقر في أنفسهم من حب الاقتداء بالآباء، وحسداً وعناداً للمخصوص من بينهم بمنصب الرسالة.

قال صاحب الكشاف[٢]: وقيل: هم الذين كذبوا وهم شاكّون.

وقيل: معنى قوله: «ولما يأتهم تأويله»: ولم يأتهم بَعْدُ تَأْوِيلُ ما فيه من الإخبار بالغيوب، أي: عاقبته، حتى يتبين لهم أكذب هو أم صدق، يعني: أنه كتاب معجز من جهتين: من [جهة][٣] إعجاز نظمه، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب، فيسرعوا إلى التكذيب [به][٤] قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغ حدّ الإعجاز، وقبل أن يَخْبُرُوا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه.

قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: الناس يقولون: كلُّ إنسان عدو ما جهل.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢١).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٣١).

(٣) في الأصل: وجهة. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

فقال: هذا في كتاب الله. قال الله: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾[(١)].

وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ قال: نعم في موضعين؛ قوله: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾، وقوله: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾[(٢)].

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالكريم، المعروف بابن الأثير الجزري وغيره، قالوا: أخبرنا الخطيب أبو الفضل عبدالله بن أحمد الطوسي، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج، حدثنا عبدالوهاب بن علي، أخبرنا المعافا بن زكريا، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثنا جرير بن أحمد بن أبي [داود][(٣)]، قال: سمعت العباس بن المأمون قال: سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول: قال لي ابن موسى الرضا عليهما السلام: ثلاثة موكل بها ثلاثة: تحامل الأيام على ذوي [الآداب][(٤)] الكاملة، واستيلاء الحِرْمان على المتقدم في صنعته، ومعاداة العوام لأهل المعرفة[(٥)].

وقد ذكرت هذا في أوائل البقرة بإسناد آخر.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ قال ابن عباس: يعني: ومن اليهود[(٦)].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: رواد. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٥، ١٣/ ١٢٨). وانظر ترجمة والده في: لسان الميزان (١/ ١٧١).

(٤) في الأصل: الأدوات. والتصويب من التدوين (١/ ٤٣٩).

(٥) ذكره القزويني في كتابه: التدوين في أخبار قزوين (١/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٦) زاد المسير (٤/ ٣٤).

وقال مقاتل[١]: ومن قريش.

﴿من يؤمن به﴾ أي: بمحمد.

وقيل: بالقرآن، ويعلم بأنه حق، لكنه يعاند بالتكذيب.

﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ أي: منهم من يشك ولا يُصدِّق. هذا قول الزجاج[٢].

وقال غيره: المعنى: ومنهم من يؤمن به، ومنهم من يصر على التكذيب ولا يؤمن به، فأخبر الله بما سبق من علمه فيهم، ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ أي: المعاندين والمكذبين. وهذا تهديد لهم.

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وإن كذبوك﴾ أصروا على تكذيبك فتبرأ منهم، ﴿فقل لي عملي ولكم عملكم﴾، وهذا كقوله: ﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾ [الشعراء:٢١٦].

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي وجمهور سلف المفسرين: نسختها آية

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٢).

السيف[١].

والصحيح: أنها محكمة؛ لإمكان العمل بالآيتين.

﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ أي: ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ونطقت بالحكم ولكنهم لا يعون ولا يقبلون.

﴿أفأنت تسمع الصم﴾ قال الزجاج[٢]: هم لشدة عداوتهم وبغضهم للنبي ﷺ وسوء استماعهم بمنزلة الصم، ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي: ولو كانوا مع ذلك جهالاً، وهذا مثل قول الشاعر:

.... أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ[٣]

قال صاحب الكشاف[٤]: المعنى: أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم؛ لأن الأصم العاقل ربما تَفَرَّس، واستدل إذا وقع في صِمَاخِهِ[٥] دَوِيّ الصوت، فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر.

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي: يعاينون أدلة صدقك، وأعلام نبوتك، ولكنهم لنفرتهم عنك وكراهتهم لما جئت به كالعُمْي.

---

(١) الطبري (١١/ ١١٩)، والوسيط (٢/ ٥٤٨)، وزاد المسير (٤/ ٣٤). وانظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٠٣)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٧٢-٣٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٢).

(٣) لا يعرف قائله.

(٤) الكشاف (٢/ ٣٣٢).

(٥) الصِّماخ: الخرقُ الباطن الذي يُفضي إلى الرأس. ويقال: هو الأُذن نفسها (اللسان،مادة: صمخ).

﴿أفأنت تهدي العمي﴾ أي: أفأنت [تقدر][١] على هداية العُمْي، ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي: ولو انضمّ إلى فقد أبصارهم؛ لأن الأعمى الألمعي يهتدي بنور بصيرته إلى عِلْمِ ما يهتدي البصير إليه بضوء بصره.

والمعنى: أن هؤلاء في الناس من أن يقبلوا ويصدقوا، كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر.

قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ لأنه المالك على الحقيقة، فيستحيل نسبة الظلم إليه بوجه من الوجوه.

﴿ولكنّ الناس﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ولكنْ» بتخفيف النون وكسرها في الوصل، ورفع «الناس»[٢].

﴿أنفسهم يظلمون﴾ بما اكتسبوا من الكفر والمعاصي، فإن الفعل منسوب إليهم وإن كان القضاء جرى به عليهم.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نَحْشُرُهُمْ﴾ وقرأ حفص: «يَحْشُرُهُمْ» بالياء[٣].

﴿كأن لم يلبثوا﴾ قال ابن عباس: يعني: في قبورهم[٤].

(١) في الأصل: يقدر.

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٠).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٢)، والكشف (١/ ٤٥١-٤٥٢)، والنشر (٢/ ٢٦٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٩)، وزاد المسير (٤/ ٣٦).

﴿إلا ساعة من النهار﴾ قال الضحاك: قَصُرَ عندهم مقدار الوقتُ الذي بين موتهم وبعثهم، فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من القيامة[١].

وقال مقاتل[٢]: «كأن لم يلبثوا» يعني: في الدنيا.

والكاف في «كأن» في موضع الحال[٣]، تقديره: مشابهين قوماً لم يلبثوا إلا ساعة.

﴿يتعارفون بينهم﴾ أي: يعرف بعضهم بعضاً، كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً.

قال ابن عباس: إذا بعثوا من قبورهم تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة[٤].

قال الزجاج[٥]: في معرفة بعضهم بعضاً وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخ لهم وإثبات الحجة عليهم.

وقيل: إذا تعارفوا وَبَّخَ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني وكسبتني دخول النار[٦].

وقوله: «يتعارفون» حال بعد حال، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «يلبثوا».

ويجوز أن يكون مستأنفاً، على معنى: هم يتعارفون بينهم، ويجوز أن يكون

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٩)، وزاد المسير (٤/ ٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٩٤).

(٣) التبيان (٢/ ٢٩)، والدر المصون (٤/ ٣٧).

(٤) الماوردي (٢/ ٤٣٧) من قول الكلبي، وزاد المسير (٤/ ٣٦).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢٢).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٩)، وزاد المسير (٤/ ٣٦).

العامل في «يوم نحشرهم»: «يتعارفون»[(١)].

﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ على إرادة القول، تقديره: يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادة من الله على خسرانهم.

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ مثل قوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ [البقرة:٣٨]، وقد سبق القول فيه.

قال المفسرون: وكانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته[(٢)].

﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن نريك.

قال الزجاج[(٣)]: أَعْلَمَ الله عز وجل النبي ﷺ أنه ينتقم من بعض هذه الأمة، ولم يُعلِمْه أيكون ذلك قبل وفاته أو بعدها.

والذي تدل عليه الآية: أن الله -عز وجل- أعلمه أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل.

---

(١) التبيان (٢/ ٢٩)، والدر المصون (٤/ ٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٩)، وزاد المسير (٤/ ٣٦).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٣).

قال الزمخشري[١]: جواب «نتوفينك» و «نرينك» [محذوف][٢]، كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذلك، أو نتوفينك [قبل][٣] أن نريكه هو، فنحن نريكه في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ قال الفراء[٤]: «ثم» هاهنا عطف.

قال الزمخشري[٥]: فإن قلت: الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثُمَّ؟

قلتُ: ذكرت الشهادة، والمراد: مقتضاها ونتيجتها، وهو العقاب، فكأنه قال: ثم الله معاقب على ما يفعلون.

وقرأ ابن أبي عبلة: «ثَمَّ الله» بفتح الثاء[٦]، أي: هنالك الله شهيد عليهم باستنطاق جوارحهم وإظهار فضائحهم.

قوله تعالى: ﴿ولكل أمة رسول﴾ قد سبق معنى الآية فيما مضى[٧].

والمعنى: لكل أمة من الأمم رسول أرسله الله إليهم، مبشراً لمن أطاعه بثوابه، ومحذراً لمن عصاه بعقابه، وآمراً لهم بعبادة الله وتوحيده، ومبيناً لهم أحكام شريعته في عبيده.

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٣٣).

(٢) في الأصل: محذف. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (١/ ٤٦٦).

(٥) الكشاف (٢/ ٣٣٣).

(٦) زاد المسير (٤/ ٣٧).

(٧) عند تفسير الآية (٣٤) من سورة الأعراف.

﴿فإذا جاء رسولهم﴾ أي: فإذا أتاهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه ﴿قضي بينهم﴾ وبينه ﴿بالقسط﴾ أي: بالعدل، فأنجى الرسول ومن وافقه، وأهلك من شاققه أو نافقه. وهذا معنى قول الحسن(١).

ويجوز أن يكون المعنى: فإذا جاء رسولهم الموقف شاهداً عليهم ولهم، قضي بينهم بالقسط.

قوله تعالى: ﴿ويقولون﴾ يعني: مكذبي كل أمة، في قول ابن عباس(٢). أو مكذبي هذه الأمة، في قول غيره(٣).

والمعنى: ويقولون للنبي وأتباعه على وجه الاستبعاد لما توعدوا به من العذاب والمعاد: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾.

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً﴾ المعنى: فكيف أملكه عليكم وأجلب العذاب إليكم. وقد سبق تفسير الآية في سورة الأعراف(٤).

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) عند تفسير الآية (١٨٨) من سورة الأعراف.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً﴾ المعنى: أخبروني إن أتاكم عذاب الله «بياتاً» ليلاً وأنتم ساهون نائمون، «أو نهاراً» وأنتم متشاغلون بطلب معايشكم.

وجواب الشرط محذوف، تقديره: تندموا، أو يكون الجواب: «ماذا يستعجل»؛ كقولك: إن أتيتك [ماذا][1] تُطْعِمُني؟. أو يكون الجواب ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾، ويكون «ماذا يستعجل» اعتراضاً.

والمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه، حين لا ينفعكم الإيمان.

وقوله: «ما» في موضع رفع، و «ذا» بمعنى الذي في موضع خبره، أي: ما الذي يستعجله. ويجوز أن تكون «ماذا» اسماً واحداً منصوباً بـ«يستعجل»، والهاء في «منه» تعود إلى العذاب[2].

قال أهل التفسير: كانوا يقولون: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا ما وقع آمنا به، فقال الله تعالى موبخاً لهم: ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾[3]؟.

قال الزمخشري[4]: ودخول حرف الاستفهام على ثم، كدخوله على الواو والفاء في قوله: ﴿أفأمن أهل القرى﴾ [الأعراف:٩٧]، ﴿أو أمن أهل القرى﴾ [الأعراف:٩٨].

﴿آلآن﴾ على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: الآن آمنتم

---

(١) في الأصل: فإذاً. والتصويب من الكشاف (٢/ ٣٣٤).

(٢) التبيان (١/ ٩١، ٢/ ٢٩)، والدر المصون (٤/ ٤٠-٤١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٠)، وزاد المسير (٤/ ٣٨).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٣٤).

به، ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي: وقد كنتم تكذبون؛ لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري لأبي جعفر من طريق النهرواني، ولنافع من رواية وَرْش «آلاَن» بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام حيث وقع(١). وقد سبق القول على معناه في سورة البقرة عند قوله: ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ [٧١].

﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ زيادة في عذابهم، وقَطْعاً لأطماعهم، وما عساه يتوهمونه من احتمال مزايلة العذاب، ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ وهو الدوام ﴿هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾ من الكفر والآثام.

قوله تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ أي: ويستخبرونك على وجه الاستهزاء فيقولون: أحق هو؟ يعنون: العذاب والبعث، ﴿قل إي وربي﴾ أي: نعم وربي.

وفتَحَ الياء من «ربي» نافع وأبو عمرو، وأسكنها الخمسة الباقون(٢).

﴿إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين العذاب، وهو لاحق بكم لا محالة.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٤-٣٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٣)، والكشف (١/ ٩١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٧).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٢).

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أي: أشركت. وقوله: «ظلمت» في موضع جر صفة لـ«نفس»(١).

﴿ما في الأرض﴾ يعني: ما فيها من ذهب وفضة وغيرهما من أصناف الأموال وما ينتفع به، ﴿لافتدت به﴾ لبذلته مفتدية به من العذاب، ﴿وأسرُّوا الندامة﴾ أخفوها وكتموها عجزاً عن إظهارها لما لابسهم وخامر قلوبهم من خوف أهوال القيامة.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: إخفاء الرؤساء الندامة من الذين أضلوهم، حياء منهم، وخوفاً من تقريعهم وتوبيخهم(٢).

وقال جماعة، منهم أبو عبيدة(٣) [والمفضل](٤): «أسرُّوا الندامة» بمعنى: [أظهروا](٥)؛ لأنه ليس بيوم تصنّع ولا تصبّر، والإسرار من الأضداد، يقال: أسررت الشيء، بمعنى: أخفيته وأظهرته، وأنشدوا قول الفرزدق:

وَلَمَّا رَأَى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَهُ ... أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الذِي كَانَ أَضْمَرَا(٦)

---

(١) الدر المصون (٤/ ٤٣).

(٢) الطبري (١١/ ١٢٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٩).

(٣) لم أقف عليه في مجاز القرآن. وانظر: زاد المسير (٤/ ٣٩).

(٤) في الأصل: والفضل. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: أظهوها. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٦) لم أقف عليه في ديوانه. وهو في: اللسان، مادة: (سرر)، والطبري (١٦/ ١٥٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٩)، والبحر المحيط (٥/ ١٦٧) وفيه: «أظهرا» بدل: «أضمرا»، والدر المصون (٤/ ٤٣)، وروح المعاني (١٧/ ٧).

﴿وقضي بينهم بالقسط﴾ أي: بين الظالمين والمظلومين، ودلّ على ذلك ذكر الظلم.

قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق﴾ قال ابن عباس: يريد ما وعد أولياءه من الثواب وأعداءه من العقاب[1].

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يريد: المشركين.

﴿هو يحيي ويميت﴾ فأنى يعجزه ما يريد بكم من عذاب وغيره.

ثم تهددهم فقال: ﴿وإليه يرجعون﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ يعني: القرآن،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٠)، وزاد المسير (٤/ ٤٠).

﴿وشفاء لما في الصدور﴾ أي: ودواء لما في القلوب من أمراض الشك والشرك والجهل، ﴿وهدى﴾ بيان ﴿ورحمة للمؤمنين﴾.

﴿قل بفضل الله﴾ وهو الإسلام، ﴿وبرحمته﴾ وهي القرآن. هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين[١].

وقال أبو سعيد الخدري: «فضل الله»: القرآن، «ورحمته»: أن جعلكم من أهله[٢].

وقيل: «فضل الله»: القرآن، «ورحمته»: السُّنَّة[٣].

﴿فبذلك فليفرحوا﴾ قال الزمخشري[٤]: الفاء داخلة لمعنى الشرط، كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما.

وقرأ أُبيّ بن كعب ورويس عن يعقوب: «فَلْتَفْرَحُوا» بالتاء[٥]، وكذلك الحسن، إلا أنه كسر اللام[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٨)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣١٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٣٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٢٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٧) وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس.

(٣) وهو قول خالد بن معدان. انظر: زاد المسير (٤/ ٤١).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٣٦).

(٥) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٣)، والكشف (١/ ٥٢٠)، والنشر (٢/ ٢٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٢).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٢).

وقرأ ابن مسعود: «فَافْرَحُوا»[١].

﴿هو خير مما يجمعون﴾ من متاع الدنيا.

وقرأتُ لأبي جعفر وابن عامر ورويس: «مما تجمعون» بتاء المخاطبة[٢].

﴿قل﴾ يا محمد لكفار قريش: ﴿أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ أي: خلق لكم من زرع وضرع. وعَبَّرَ عن الخلق بالإنزال؛ لأنه بسببه. و «ما» في قوله: «ما أنزل الله» في محل النصب بـ«أنزل» أو بـ«أرأيتم»، في معنى: أخبرونيه[٣].

﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ وهو قولهم: ﴿هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾ [الأنعام:١٣٨]، وقولهم: ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ [الأنعام:١٣٩] وأمثال ذلك.

﴿قل آلله أذن لكم﴾ في التحليل والتحريم ﴿أم على الله تفترون﴾ في نسبة ذلك إليه.

ويجوز أن تكون الهمز للإنكار، و «أم» منقطعة، بمعنى: بل.

﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ قال صاحب الكشاف[٤]: «يوم القيامة» منصوب بالظن، وهو ظن واقع فيه.

وقيل: في الكلام إضمار، تقديره: ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة جزاء

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٧).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٣-٣٣٤)، والكشف (١٠/ ٥٢٠)، والنشر (٢/ ٢٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٧-٣٢٨).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٦).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٣٧).

لهم على افترائهم وكفرهم.

﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ حيث أنعم عليهم بإرسال الرسل إليهم.

وقيل: «إن الله لذو فضل على الناس» حيث لم يعجل عليهم بالعقوبة، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ نعمة تأخير العذاب عنهم.

قوله تعالى: ﴿وما تكون في شأن﴾ «ما» نافية[1]، والمعنى: ما تكون يا محمد في عمل من الأعمال، ﴿وما تتلو منه﴾ أي: من الشأن؛ لأن تلاوة القرآن شأن من شؤون الرسول ﷺ.

وقيل: «وما تتلو منه» أي: من الله ﴿من قرآن﴾، وقيل: الضمير للتنزيل، أي: وما تتلو من التنزيل من قرآن؛ لأن كل جزء من التنزيل قرآن، والإضمار قبل المذكر تفخيم له، والخطاب للنبي ﷺ، وأمته داخلون في خطابه، ولذلك قال: ﴿ولا تعملون من عمل﴾.

قال ابن الأنباري[2]: جَمَعَ في هذا ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.

﴿إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ أي: تندفعون فيه.

وقال ابن قتيبة[3]: تأخذون.

وقال الزجاج[4]: تنشرون[5] فيه. يقال: أفاض القوم في الحديث؛ إذا انتشروا

---

(١) التبيان (٢/ ٣٠)، والدر المصون (٤/ ٤٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٢).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:١٩٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٦).

(٥) في معاني الزجاج: تنتشرون.

فيه وخاضوه[١].

﴿وما يَعْزُبُ عن ربك﴾ وقرأ الكسائي: «يَعْزِبُ» بكسر الزاي هنا وفي سبأ، وهما لغتان[٢].

والمعنى: وما يغيب عن ربك، والعازب: البعيد، ومنه العَزَبُ، كأنه [بَعُدَ][٣] عن الأهل، وتقول: امرأة عَزَبٌ وعَزَبَةٌ، وكلاهما فصيح.

﴿من مثقال ذرة﴾ يعني: زنة ذرة. وقد سبق الكلام على "المثقال" و"الذَّرَّة" في سورة النساء عند قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء:٤٠].

قوله تعالى: ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ إن قيل: لم قَدَّمَ في الذِّكْر الأرض على السماء، ومن حَقِّ السماء أن تُقَدَّمَ على الأرض لشرفها، وكذلك قَدَّمَها في سورة سبأ[٤] في قوله: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ [سبأ:٣].

قلتُ: الأمر على ما ذكرت، لكن لما كان المقصود من هذه السياقة إعلام العباد باطلاع الله على خفايا أعمالهم وأسرارهم، وتنبيههم على تعلق الجزاء بالقليل والكثير، والنقير والفتيل والقطمير من أقوالهم وأفعالهم، قَدَّمَ ذِكْر الأرض؛ لأن الإشارة إلى العِلْم بما فيها أقرب وأدخل في المقصود الذي هو إعلام المكلَّفين وتنبيههم على مجازاتهم، وأوغل في إثبات صفة العلم لله تعالى، على أن العطف

---

(١) انظر: اللسان، مادة: فيض.

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٤)، والكشف (١/ ٥٢٠)، والنشر (٢/ ٢٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٨).

(٣) في الأصل: معد. والصواب ما أثبتناه. انظر: اللسان، مادة: عزب.

(٤) يلاحظ أن ذكر السماء قُدّم على ذكر الأرض في سورة سبأ.

بالواو حكمه حكم التنبيه عند البصراء بالعربية.

قوله تعالى: ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ قرأ حمزة برفع الراء فيهما. وقرأ الستة الباقون بنصب الراء فيهما[١].

فمن رَفَعَ حمله على موضع «مِنْ»، على تقدير: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر، كما أن الجماعة حملوا غيره من قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ على موضع «مِنْ»، أي ما لكم إله غيره.

وقال الزجاج وغيره[٢]: الفتح على معنى: ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقالٍ أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع خفض، إلا أنه فَتَحَ لأنه لا ينصرف.

والاستثناء على هذين الوجهين منقطع أو متصل على التقديم والتأخير، تقديره: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا في كتاب مبين إلا كنا عليكم شهوداً.

وقيل: الوقف على قوله: «ولا في السماء»، والفتح في «أصغر» و «أكبر» لنفي الجنس، والرفع على الابتداء، وما بعده الخبر. والكتاب المبين: [اللوح][٣] المحفوظ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٤)، والكشف (١/ ٥٢١)، والنشر (٢/ ٢٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٨).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٦).

(٣) زيادة على الأصل.

ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا
يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾
هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ
أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ
ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ وهم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة.

قال ابن عباس: « قال رجل: يا رسول الله، مَنْ أولياء الله؟ قال: الذين إذا رُؤوا [ذُكِرَ][1] الله عز وجل »[2]. يشير بذلك إلى سَمْتِهم وهَدْيِهم وخُشُوعهم.

---

(١) في الأصل: ذكروا. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٣١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٩). وذكره الضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ١٠٧-١٠٨)، والحكيم الترمذي في

قال علي عليه السلام: ((أولياء الله صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من العبر، خمص البطون من الطوى، يبس الشفاه من الذوى))[(١)].

وقيل: هم المتحابون في الله عز وجل[(٢)].

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، لمكانهم من الله عز وجل. قالوا: يا رسول الله! من هم؟ وما أعمالهم لعلنا نحبهم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾))[(٣)].

فصل

وفي هذه الآية -على هذا التأويل- دليل واضح على فضل المحبة في الله عز وجل.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله تعالى يوم القيامة يقول: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا

= نوادر الأصول (٢/ ٣٩)، والديلمي في الفردوس (١/ ١٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٠) وعزاه للطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء في الأحاديث المختارة.

(١) ذكره القرطبي في التفسير (٨/ ٣٥٨)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٣) وعزاه لابن مردويه عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٨٨ ح٣٥٢٧)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٨٦ ح٨٩٩٨).

ظلي»[١].

وفيه من حديث أبي هريرة أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له ملكاً على مَدْرَجَته[٢]، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أخاً لي في هذه القرية، فقال: فهل له عليك من نعمة تَرُبُّها[٣]؟ قال: لا، إلا إني أحببته لله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك أن الله أحبّك كما أحببت له»[٤].

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني رحمه الله، أخبركم الإمام أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي فأقرَّ به، قال: حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرزي[٥]، أبنا زاهر بن أحمد السرخسي[٦]، أبنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي[٧]، أبنا أبو

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨ ح٢٥٦٦).

(٢) المَدْرَجَة: الطريق (اللسان، مادة: درج).

(٣) تربّها: أي تحفظها وتراعيها وتُرَبّيها (اللسان، مادة: ربب).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨ ح٢٥٦٧).

(٥) محمد بن محمد الشيرزي، أبو الحسن، من قرية شير من سرخس، حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي، حدث عنه الحسين بن مسعود الفراء في كتاب "شرح السنة" له (تكملة الإكمال ٣/ ٥٦٠).

(٦) زاهر بن أحمد بن محمد عيسى، أبو علي السرخسي، الفقيه الشافعي، دخل نيسابور سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن ست وتسعين سنة (التقييد ص: ٢٧١-٢٧٢).

(٧) إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو إسحاق الهاشمي، سمع من أبي مصعب الزهري كتاب الموطأ، مات بسامراء سنة خمس وعشرين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧١-٧٣، والتقييد ص: ١٩٠-١٩١).

مصعب[١]، عن مالك، عن أبي حازم بن دينار[٢]، عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى برّاق الثنايا، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان الغد هَجَّرْتُ فوجدته قد سبقني بالتَّهْجِير[٣] ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله، فقال: آلله، فقلت: آلله، فقال: آلله، فقلت: آلله. وأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: وجبتْ محبتي للمتحابين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ[٤].

قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ مبتدأ، خبره: «لهم البشرى»، أو في موضع نصب على المدح، أو صفة لـ«أولياء»[٥].

قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده

---

(١) أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف المدني، أبو مصعب الزهري، قاضي المدينة، صدوق احتج به أصحاب الصحاح، ولد سنة خمسين ومائة، ولازم الإمام مالك، وسمع منه الموطأ وأتقنه عنه، مات سنة اثنين وأربعين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣٦-٤٤٠، والأعلام ١/ ١٩٧).

(٢) سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج الأفزر التمار المدني القاص، مولى الأسود بن سفيان المخزومي، ويقال: مولى بني شجع من بني ليث، كان ثقة كثير الحديث، مات في خلافة أبي جعفر بعد سنة أربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ١٢٦، والتقريب ص:٢٤٧).

(٣) التهجير: التبكير والمبادرة إلى كل شيء (اللسان، مادة: هجر).

(٤) أخرجه ابن حبان (٢/ ٣٣٥ ح٥٧٥)، والحاكم (٤/ ١٨٦ ح٧٣١٤).

(٥) التبيان (٢/ ٣٠)، والدر المصون (٤/ ٤٩).

والترمذي من حديث عبادة بن الصامت قال: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»[١].

ويؤيد ذلك ما أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة »[٢].

وقال قتادة والضحاك والزهري: هي بشارة الملائكة لهم عند الموت[٣].

وقال الحسن: ما بشر الله به في كتابه من جنته وكريم ثوابه؛ كقوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ [التوبة:١١٢]، ﴿وأبشروا بالجنة﴾ [فصلت:٣٠]. وهذا اختيار الفراء والزجاج[٤].

والصحيح: أن جميع ما ذكروه مع ما يصدق عليه اسم البشارة داخل في الآية ومرادٌ منها.

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي بقراءتي عليه بالموصل، قال: أبنا الحافظ أبو طاهر السلفي بثغر الاسكندرية، أبنا الرئيس أبو

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٣٤ ح٢٢٧٥)، وأحمد (٥/ ٣١٥ ح٢٢٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦٤ ح٦٥٨٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٥-١٩٦٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وأبي القاسم بن منده في كتاب سؤال القبر عن الضحاك. ومن طريق آخر عن الزهري وقتادة، وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الفراء (١/ ٤٧١)، ومعاني الزجاج (٣/ ٢٦).

عبدالله الثقفي رئيس أصبهان، ثنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم النيسابوري المزكي، أبنا أبو بكر أحمد بن سلمان، ثنا عبدالملك بن محمد[١]، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث [٢]، ثنا شعبة، عن أبي عمران، عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر، أنهم قالوا: «يا رسول الله! الرجل يعمل لآخرته ويحبه الناس؟ قال: ذاك عاجل بشرى المؤمن»[٣]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن محمد بن المثنى، عن عبدالصمد، عن شعبة. وأخرجه أيضاً عن بندار -واسمه محمد بن بشار-، عن غندر -واسمه محمد بن جعفر-، عن شعبة. وكأنني سمعته من طريق مسلم من الفراوي.

وأما البشرى في الآخرة فبأنواع؛ منها: تلقي الملائكة إياهم مسلمين ومبشرين بالفوز والبشارة برضوان الله.

ومنها: بياض وجوههم، وإعطاؤهم صحائف أعمالهم بأيمانهم.

﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده، ﴿ذلك﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدنيا والآخرة ﴿هو الفوز العظيم﴾.

---

(١) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم، أبو قلابة الرقاشي الضرير، كنيته أبو محمد، فغلب عليه أبو قلابة، رجل مأمون صدوق، سكن بغداد إلى أن مات، وكان موصوفاً بالخير والصلاح، مات في شوال سنة ست وسبعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٧١، والتقريب ص:٣٦٥).

(٢) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو سهل التميمي مولاهم البصري، محدث البصرة، كان ثقة مأمون، مات سنة سبع ومائتين (تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٤، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤-٢٠٣٥ ح٢٦٤٢).

قولـه تعـالى: ﴿ولا يحزنـك قـولهم﴾ أي: ولا يحزنـك تكـذيبهم وإنكـارهم وحرصهم على إطفاء نورك وإخفاء أمرك، ولا يهمنـك مـا يتوعـدونك بـه، ثـم استأنف فقال: ﴿إن العزة لله﴾ أي: الغلبة والقهر لله ﴿جميعاً﴾ فهو ناصرك ومظهر دينك إنه ﴿هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بما تنطوي عليه ضمائرهم.

قوله تعالى: ﴿ألا إن لله من في السموات﴾ وهم الملائكة ﴿ومـن في الأرض﴾ وهم الإنس والجن، لاختصاص «مَنْ» بمن يعقـل. المعنـى: فـإذا كـان العقـلاء المميِّزون مع اختصاصهم بوصف الإنافة[1] على كافة الحق عبيداً لله عز وجل، ولا يصلحون أن يكونوا شركاءه، فما لا يعقل من حجر وشجر أحرى أن يكون مملوكاً وأن لا يتخذ له شريكاً.

قوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ جائز أن تكون «ما» نافية، وجائز أن تكون بمعنى «الذي»، وجائز أن تكون استفهامية.

فإن كانت نافية، كان المعنى: وما يتبعـون شركـاء عـلى الحقيقـة، وإن كـانوا يسمونها شركاء لاستحالة الاشتراك في الإلهية، ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي: ظنهم بأنها شركاء ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ أي: يحزُرون ويقدرون تقديراً باطلاً.

فعلى هذا: «شركاء» نصب «يَتَّبع».

ويجوز أن يكون المعنى -على قولنا أنها نافية-: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن، وتكون «شُرَكاء» منصوباً بـ«يَدْعُونَ»، والعائـد إلى «الـذين» الواو في «يَدْعُونَ»، ويكون قوله: «إِنْ يَتَّبِعُونَ» مكرراً؛ لطول الكلام.

---

(١) الإنافة: أي الرِّفْعَة والشَّرَف (اللسان، مادة: نوف).

وإن كانت بمعنى «الذي»: فمحلها النصب عطفاً على «مَنْ»(١)، ويكون التقدير: ولله ما يتبعه الذين يدعونهم(٢) من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، فحذف العائد من الصلة، و «شُرَكَاء» على هذا؛ حال من ذلك المحذوف.

وإن كانت استفهامية كان المعنى: وأي شيء تتبعون، و «شُرَكَاء» على هذا نصب بـ«يَدْعُونَ»(٣).

ثم ذكَّرهم ونبَّههم على أنه هو المستحق للعبادة بما يدل على كمال قدرته ونعمته على عباده، فقال: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ فتستريحوا من تعب التردد نهاراً في طلب المعايش، ﴿والنهار مبصراً﴾ مضيئاً تُبصرون فيه مذاهب المكاسب ومطالب الأرزاق، ﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل وجعل ﴿لآيات﴾ لدلالات على وحدانيته وانفراده باستحقاق العبادة والطاعة ﴿لقوم يسمعون﴾ سماع اعتبار.

قوله تعالى: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ قال ابن عباس: هم أهل مكة، قالوا: الملائكة بنات الله(٤).

ثم نزّه نفسه عن اتخاذ الولد فقال: ﴿سبحانه﴾، ثم نَبَّه على العِلَّة فقال: ﴿هو الغني﴾ لأن الباعث على طلب الولد؛ الحاجة إما إليه، أو إلى السبب المفضي إليه،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ألا إن لله مَنْ في السماوات﴾.

(٢) في الكشاف: يدعون.

(٣) التبيان (٢/ ٣٠)، والدر المصون (٤/ ٥١).

(٤) ذكره الطبري (١١/ ١٤٠)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧).

والله سبحانه غني مُنَزَّهٌ عن ذلك، ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ عبيداً وملكاً، فهو مستغن باتخاذهم عباداً عن اتخاذهم أولاداً، ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: ما عندكم من حجة ظاهرة مضيئة بهذا الذي تقولونه.

ثم وبَّخهم فقال: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾. وكفى بهذه الآية ذماً للمقلِّدين في الدين، وشهادةً لهم بالجهل في انتحال ما لا يشهد بصحته كتاب ناطق، ولا سنة عادلة، ولا برهان عقلي.

﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب﴾ بإضافة الولد إليه وغير ذلك مما لا يجوز عليه، ﴿لا يفلحون﴾ أي: لا يفوزون ولا يسعدون في العاقبة. وهاهنا تم الكلام.

ثم قال: ﴿متاع في الدنيا﴾ يتمتعون به قليلاً وينقطع عنهم، ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ بعد الموت، ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ الفظيع الذي لا ينقطع ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بوحدانيتي وتكذيب رسلي.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ أي: قُصَّ عليهم خبره مع قومه، عساه أن

يُحدثَ لهم خوفاً يزجرهم عن تكذيبك، ﴿إذ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم﴾ أي: ثَقُلَ عليكم وشَقَّ ﴿مقامي﴾ أي: طول مكثي بين أظهركم.

وقيل: المعنى: إن كان كَبُرَ عليكم قيامي مُذَكِّراً لكم؛ لأنهم كانوا إذا وعظوا قاموا على أرجلهم، كما يحكى عن عيسى ﷺ: أنه كان يَعِظُ الحواريين قائماً وهم قعود.

﴿وتذكيري بآيات الله﴾ قال ابن عباس: وعظي وتخويفي إياكم عقوبة الله[1].

﴿فعلى الله توكلت﴾ في دفع كيدكم وأذاكم ونصرتي عليكم، ﴿فأجمعوا أمركم﴾ أي: اعزموا عليه، مِنْ أَجْمَعَ الأمر؛ إذا نَوَاهُ وَعَزَمَ عليه[2].

وقرأ جماعة، منهم الأعرج [و][3] الجحدري والأصمعي عن نافع: «فاجْمَعُوا» بوصل الهمزة وفتح الميم[4]، من جَمَعَ يجمَع.

قال المؤرج[5]: [أَجْمَعْتُ الأَمْرَ أَفْصَحُ مِنْ أَجْمَعْتُ][6] عليه[7]، وأنشد:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٥).

(٢) انظر: اللسان، مادة: جمع.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٢٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٨).

(٥) هو: أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي النحوي البصري، من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد، كان له اتصال بالمأمون العباسي، توفي سنة ١٩٥هـ (وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٧، والأعلام ٧/ ٣١٨).

(٦) في الأصل: اجتمعت الأمراء فصحَّ ما اجتمعت. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٤٧).

(٧) زاد المسير (٤/ ٤٧).

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالمُنَى لاَ تَنْفَعُ　　هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْماً وَأَمْرِي مُجْمَعُ(١)

قرأ الحسن البصري ويعقوب: «وَشُرَكَاؤُكُمْ» بالرَّفع، ونصبه الباقون(٢).

فمن رَفَعَ عَطَفَ على الضمير في «فَأَجْمِعُوا» وجاز من غير توكيد كالمنفصل؛ لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام، كما تقول: أطرب زيداً وعمرو.

ومن نَصَبَ فعلى معنى: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف أُبيّ بن كعب. والعرب تضمر مثل هذا الفعل إذا كان في الكلام دليل عليه؛ كقوله:

وَعَلَفْتُها تِبْناً [وَمَاءً](٣) بَارِداً　　......................(٤)

نصب «الماء» لمحذوف دل الكلام عليه، وهو ما بين العلف والسقي من الرابطة، التقدير: وسقيتها ماء بارداً.

وقال الزجاج(٥): الواو في «وشركاءكم» بمعنى: مع، أي: فأجمعوا أمركم مع شركاءكم، كما تقول: لو تُركت الناقةُ وفصيلَها لَرَضعها، أي: لو تركتها مع فصيلها.

ويجوز أن يكون نصب «شركاءكم» على قراءة من وصل الهمزة في «فأجمعوا» على العطف؛ على الأمر، المعنى: أجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم.

---

(١) البيت لا يعرف قائله. وهو في: الخصائص (٣/ ١٣٦)، والنوادر (ص:١٣٣)، ومعاني الفراء (١/ ٤٧٣)، والبحر المحيط (٥/ ١٧٧)، والدر المصون (٤/ ٥٣)، والطبري (١١/ ١٤١، ١٦/ ١٨٣)، والقرطبي (١١/ ٢٢١)، وزاد المسير (٤/ ٤٨، ٥/ ٣٠٠).

(٢) النشر (٢/ ٢٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣).

(٣) في الأصل: ماء. انظر: مصادر تخريج البيت.

(٤) صدر بيت لذي الرمة، وقد تقدم.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢٨).

﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ قال الزجاج[١]: المعنى: ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً، ويجوز «ثم لا يكن أمركم عليكم غُمة» أي: غَمّاً.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: ما معنى الأمرين؟ أمرهم الذي يجمعونه، وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة؟

قلت: أما الأمر الأول: فالقصد إلى إهلاكه، يعني: فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه، وابذلوا وسعكم في كيدي، وإنما قال ذلك؛ إظهاراً لقلة مبالاته [وثقته][٣] بما وعده ربه من كلاءته وعصمته [إياه][٤]، وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً.

وأما الثاني ففيه وجهان:

أحدهما: أن يراد: أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة، أي: غَمّاً وهَمّاً، [والغَمّ][٥] والغُمَّة كالكَرْب والكُرْبة، وأنشد قول الخنساء:

وَذِي كُرْبَةٍ أَرْخَى ابن عَمْرو خِنَاقَهُ ... وَغُمَّته عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّت[٦]

والثاني: أن يراد به ما أريد بالأمر الأول.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٨).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٤٢).

(٣) في الأصل: وثقة. والتصويب من الكشاف (٢/ ٣٤٢).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) البيت للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٢٦) وفيه: "ومختنق راخى" بدل: "وذي كربة أرخى"، والطبري (١١/ ١٤٣).

والغُمَّة: السترة، مِنْ غَمَّهُ؛ إذا ستره[١]. ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «ولا غمة في فرائض الله»[٢]، أي: لا سترة، ولكن يجاهر بها، يعني: لا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستوراً عليكم، ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهرونني به.

﴿ثم اقضوا إليّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي، أي: أدّوا إليّ قطعه وتصحيحه، كقوله: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ [الحجر:٦٦]، أو أدُّوا إليّ ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي، كما يقضي الرجل غريمه، ﴿ولا تنظرون﴾ ولا تمهلون.

وقيل: امضوا ما في أنفسكم واحكموه وافرغوا منه، يقال: قضى فلان؛ إذا مات ومضى، وقضى دَيْنه؛ إذا أدَّاه وفرغ منه.

وقرئ شاذاً: «ثم افضوا إليّ» بالفاء[٣]، أي: انتهوا إليّ بشرِّكم.

وقيل: هو مِنْ أَفْضَى الرّجلُ؛ إذا خرج [إلى][٤] الفضاء[٥]، أي: أصحروا به إليّ وأبرزوه لي.

﴿فإن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن تذكيري بآيات الله ﴿فما سألتكم من أجر﴾ على تذكيري ونصيحتي وإبلاغي رسالة ربي، فيكون ذلك سبباً لتولِّيكم عنّي ونفرتكم مني، ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي: ما ثوابي إلا عليه، ﴿وأُمرت أن أكون من المسلمين﴾ الذي من شأنهم الاستسلام لله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه.

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (غمم).

(٢) ذكره القرطبي (٢٠/ ٢١٣).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٧٩).

(٤) زيادة من الكشاف (٢/ ٣٤٢).

(٥) انظر: اللسان، مادة: فضا.

﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف﴾ يَخْلُفون الهالكين بالغرق، كما قال: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات:٧٧]، وذلك أن الناس بعد الغرق صاروا من ذرية نوح، وهلك أهل الأرض جميعاً بتكذيبهم لنوح سوى ذريته الذين نجوا معه، وذلك قوله: ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي: آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِۦ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أي: من بعد نوح.

﴿رسلاً إلى قومهم﴾ قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهوداً ولوطاً وصالحاً وشعيباً[(١)].

﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ بالحجج البالغة الشاهدة بصدق دعواهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ أي: فما كان أولئك الأقوام ليؤمنوا ﴿بما كذبوا به﴾ أي: بما كذب به قوم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩).

نوح ﴿من قبل﴾ بعثة الرسل، يشير إلى تشابه قلوبهم في الكفر وتماثلهم في العناد.

وقيل: الضميران مُتَّحِدان، فما كان أولئك الأقوام ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل بعثة الرسل إليهم حين كانوا أهل جاهلية، يشير إلى تصميمهم على الكفر، وأن النذارة لم تؤثر فيهم خيراً، ولم تُثْنِهم شيئاً عن غيّهم وجهلهم.

وقال مقاتل[1]: المعنى: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من العذاب قبل نزوله.

فإن قيل: لم أدخل «به» هاهنا في قوله: ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ ولم يدخل في الأعراف في قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾؟

قلتُ: لما صدر الكلام هاهنا بقوله: ﴿فكذبوه فنجيناه﴾ فذكر لـ«كذبوا» مفعولاً وقيّده، جاء بـ«كذبوا به» في سياق الكلام مقيّداً لما أطلق هناك في صدر الكلام، ولكن «كذبوا» ولم يقيده قال: «بما كذبوا من قبل» في سياق الكلام.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الصنع المحكم ﴿نطبع على قلوب المعتدين﴾.

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي: من بعد الرسل الذين أرسلوا من بعد نوح ﴿موسى وهارون إلى فرعون وملئه﴾ أشراف قومه ﴿بآياتنا﴾ يريد الآيات التسع ﴿فاستكبروا﴾ أنفوا وتعظموا عن قبولها ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ كافرين ذوي آثام عظام.

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ أي: عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهارون، ﴿قالوا﴾ بهتاناً وعناداً وتمويهاً على الأغبياء منهم: ﴿إن هذا لسحر مبين﴾.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٠٠).

﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ قال الزجاج[١]: المعنى: أتقولون للحق لما جاءكم هذا اللفظ؟ أي: «إن هذا لسحر مبين».

ثم قَرَّرهم فقال: ﴿أسحر هذا﴾؟

قال ابن الأنباري[٢]: إنما أدخلوا الألف على جهة تفظيع الأمر، كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أَكِسْوَةٌ هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها، وتأتي الرجل جائزة، فيقول: أَحَقٌّ ما أرى؟ مُعَظِّماً لما وَرَدَ عليه.

فعلى قول الزجاج: مفعول «أتقولون» محذوف، وهو ما دلَّ عليه قولهم: «إن هذا لسحر مبين».

وعلى قول ابن الأنباري: يكون قوله: «أسحر هذا» حكاية لكلامهم.

﴿ولا يفلح الساحرون﴾ جائز أن يكون من تمام ما حكاه عنهم، وجائز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى خارج مخرج الاحتجاج عليهم، معناه: كيف يكون هذا سحر وقد أفلح به موسى وفاز بمقصوده، والساحر لا يفلح.

﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ أي: لتصرفنا وتصدنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ والكبرياءُ وصفٌ غالبٌ على الملوك، ولذلك استحسن نفيه عنهم في المدح. قال ابن الرّقيات في مصعب:

مُلْكُهُ مُلْكُ رَأْفَةٍ لَيْسَ فيهِ ... جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلاَ كِبْرِيَاءُ[٣]

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٠).

(٣) البيت يُنسب لقيس بن الرقيات. ورواية الديوان:

ملكه ملك قوة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

=

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وقال فرعون﴾ مموهاً على أغمار القبط بنسبة السحر إلى موسى وهارون ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: «بكل سحّار» بتقديم الحاء وتشديدها للمبالغة(١)، وأماله الكسائي على أصله.

﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى﴾ بقصد إظهار الحق وإعلاء كلمة التوحيد باستعلاء معجزته ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ من الحبال والعصي.

﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾ أي: الذي جئتم به السحر، لا الذي سَمّاه فرعون وقومه من آيات الله سحراً.

= انظر: ديوانه (ص:٩١)، والكامل (٢/ ٢٦٩)، والخزانة (٣/ ٢٦٩)، والشعر والشعراء (١/ ٥٢٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٨١)، والدر المصون (٤/ ٥٨).

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٥)، والكشف (١/ ٤٧١)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣).

فعلى هذا «ما» موصولة واقعة مبتدأ، و «السحر» خبر[١].

ويؤيد هذه القراءة قراءة ابن مسعود: «ما جئتم به سحرٌ»[٢]، وقراءة أُبيّ بن كعب: «ما أتيتم به سحرٌ»[٣].

وقرأ أبو عمرو: «آلسحر» بقطع الهمزة والمد على الاستفهام[٤]، ووافقه أبان عن عاصم وأبو جعفر وأبو حاتم عن يعقوب.

والتقدير: أي شيء جئتم به، أهو السحر؟.

قال الزجاج[٥]: هذا الاستفهام على جهة التوبيخ.

وقال ابن الأنباري[٦]: هذا الاستفهام لتعظيم ما جاؤوا به من السحر، والعرب تستفهم عما هو معلوم عندها. قال امرؤ القيس:

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ[٧]

وقال قيس بن ذريح:

أَرَاجِعَةٌ يا لُبْنُ أَيَّامُنا الأُولى ... بِذِي الطَّلْحِ أَمْ لاَ مَا لَهُنَّ رُجُوعُ[٨]

---

(١) التبيان (٢/ ٣٢)، والدر المصون (٤/ ٥٩).
(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٢).
(٣) البحر المحيط (٥/ ١٨١).
(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٥)، والكشف (١/ ٥٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٨).
(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠).
(٦) زاد المسير (٤/ ٥١).
(٧) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٣)، والقرطبي (١٧/ ٢٣)، وزاد المسير (٤/ ٥١).
(٨) البيت لقيس بن ذريح. وهو في: زاد المسير (٤/ ٥١).

فاستفهمَ وهو يعلم أنهن لا يرجعن.

﴿إن الله سيبطله﴾ أي: [سيظهر][(١)] بُطلانه، ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لا يثبته ولا يديمه، ولكن يزيله ويمحقه.

﴿ويحق الله الحق﴾ أي: يظهره ويثبته ﴿بكلماته﴾ أي: بِعِداته السابقة بذلك.

قوله تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ أي: ما صدقه إلا طائفة من ذرية بني إسرائيل.

قال مجاهد: هم أولاد الذين أُرسل إليهم موسى، مات آباؤهم لطول الزمان وآمنوا هم[(٢)].

وقيل: الضمير في «قومه» يعود إلى «فرعون». والمعنى: ما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون، أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط. وآمنت به آسية امرأة فرعون، وماشطته، وامرأة خازنه. والقولان عن ابن عباس[(٣)].

والضمير في قوله: ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ يعود إلى «فرعون»، أي: آمنوا به خائفين من فرعون وملأ آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضراً، وجمع لما يذهب الوهم إليه عند ذكره من أتباعه، كما تقول: قدم الخليفة فكثر الناس.

ويجوز أن يعود الضمير إلى «الذرية»، أي: على خوف من فرعون وملأ الذرية. ثم إن كانت الذرية من بني إسرائيل؛ فالمراد: على خوف من ملأ بني إسرائيل

---

(١) في الأصل: سيهر. والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٩)، ومجاهد (ص:٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٢) وعزاه لابن جرير.

الذين كانوا على رأي فرعون، أو الذين كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم.

وإن كانت الذرية من القبط؛ فالمعنى: على خوف من فرعون ومن ملأهم أشراف القبط وعظمائهم، ﴿أن يفتنهم﴾ بالقتل والتعذيب. ونسبت الفتنة إلى فرعون وحده؛ لأنه الأصل فيها.

﴿وإن فرعون لَعَالٍ في الأرض﴾ لَمتطاول قاهر غالب في أرض مصر، ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ بادعائه الربوبية.

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

﴿وقال موسى﴾ لبني إسرائيل حين شكوا إليه ما توعدهم به اللعين من إعادة ذبح أبنائهم واستحياء نسائهم ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ على الحقيقة ﴿فعليه توكلوا﴾ معتصمين بسلطانه وعظمته وكبريائه من بغي فرعون وطغيانه عليكم ﴿إن كنتم مسلمين﴾.

﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ موضع فتنة ﴿للقوم الظالمين﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يفتنون بنا فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما سُلِّطنا عليهم، ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾، سألوا النجاة من ذُلِّ الاستعباد واستحياء النساء وذبح الأولاد، فاستجاب الله منهم دعاءهم وأهلك أعداءهم.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ﴾ أي: اتخذا ﴿لقومكما بمصر بيوتاً﴾ للعبادة والصلاة مستقبلة الكعبة.

قال ابن عباس: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه[1].

قال الزجاج[2]: المعنى: صَلُّوا في بيوتكم.

وكان السبب في ذلك: أن الطاغية فرعون هدم مساجدهم ومنعهم من الصلاة فيها حنقاً على موسى وأخيه، فأمرهم الله عز وجل أن يجعلوا بيوتهم مساجدهم ويعبدوه فيها خِفْيَة، كما كان المسلمون بمكة في أول الإسلام.

﴿وأقيموا الصلوة﴾ قال ابن عباس: أتموا الصلاة. وهذا وقف التمام[3].

ثم خاطب نبيه ﷺ آمراً له بتبشير المؤمنين بالنصر والاستيلاء في الدنيا، والفوز

---

(١) القرطبي (٨/ ٣٧١). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٤٧)، وزاد المسير (٤/ ٥٤).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٠).

(٣) زاد المسير (٤/ ٥٥).

بالجنة في الأخرى، فقال: ﴿وبشر المؤمنين﴾ هذا قول جمهور المفسرين[(١)].

وقال صاحب الكشاف[(٢)]: إن قلت كيف نَوَّعَ الخطاب، فثَنَّى أولاً، ثم جَمَعَ، ثم وَحَّد؟

قلتُ: خوطب موسى وهارون أن يتبوآ لقومهما بيوتاً، ويختاراها للعبادة، وذلك مما [يفوض إلى][(٣)] الأنبياء، ثم خاطبهما وقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خصَّ موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض؛ تعظيماً لها وللمبشر بها.

قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحيوة الدنيا﴾ أي: ما يتزينون به من ثياب وحُلي وفرش وأثاث وغير ذلك.

قال ابن عباس: كان لهم من [لدن][(٤)] فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت[(٥)].

﴿ربنا لِيَضلوا عن سبيلك﴾ وقرأ أهل الكوفة: «لِيُضلوا» بضم الياء[(٦)].

وقال ابن الأنباري[(٧)]: هي لام الدعاء، فالمعنى: ابتلهم بالضلال، فيكون دعاء

---

(١) الماوردي (٢/ ٤٤٧)، وزاد المسير (٤/ ٥٥) كلاهما من قول سعيد بن جبير.

(٢) الكشاف (٢/ ٣٤٦).

(٣) في الأصل: يفرض على. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الزين. والمثبت من الوسيط (٢/ ٥٥٧)، وزاد المسير (٤/ ٥٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٧)، وزاد المسير (٤/ ٥٥).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٢٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٥)، والنشر (٢/ ٢٦٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣)، والسبعة في القراءات (ص:٢٦٧).

(٧) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٦).

بلفظ الأمر؛ كقوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾.

وقيل: المعنى: آتيتهم ذلك لكي يضلوا، وهذا قول الفراء[١].

وقيل: هي لام العاقبة والصيرورة[٢]، المعنى: آتيتهم زينة وأموالاً، فأصارهم ذلك إلى الضلال. وسأكشف ذلك إن شاء الله تعالى عن وجه المعنى في الخلاف بين الكوفيين والبصريين في هذه اللام عند قوله تعالى في القصص: ﴿ليكون لهم عدواً وحَزَناً﴾ [القصص:٨].

﴿ربنا اطمِس﴾ وقرأتُ لأبي عمرو من رواية الحلبي عن عبد الوارث عنه: «اطمُس» بضم الميم[٣].

قال ابن عباس: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً[٤].

قال عطاء: لم يبق لهم معدن إلا طمس [الله عليه][٥]، فلم ينتفع به أحد بعد[٦].

وقال ابن زيد: صار ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء لهم أحجاراً[٧].

قال قتادة: وبلغنا أن حروثاً لهم صارت حجارة[٨].

---

(١) انظر: معاني الفراء (١/ ٤٧٧).

(٢) وهو قول الخليل وسيبويه.

(٣) زاد المسير (٤/ ٥٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٦).

(٥) زيادة من الوسيط (٢/ ٥٥٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٧).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٦).

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

وقال السدي: مسخ الله أموالهم؛ النخل والثمار والدقيق والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات التسع[١].

﴿واشدد على قلوبهم﴾ اطبع عليها وقسِّها، حتى لا تَلين ولا تنشرح للإيمان.

﴿فلا يؤمنوا﴾ عطف على «ليضلوا»[٢].

وقيل: هو دعاء عليهم[٣]؛ كقول الأعشى:

فَلاَ يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلاَ تَلْقَنِي إِلاَّ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ[٤]

﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾ قال المفسرون: كان موسى يدعو وهارون يُؤَمِّن[٥].

ويجوز أن يكون الدعاء صدر منهما، وكان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة، ﴿فاستقيما﴾ على ما أنتما عليه من الدعوة إلى توحيدي وإبلاغ رسالتي، والصبر على ديني.

= (٤/ ٣٨٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) زاد المسير (٤/ ٥٦). وهو قول مجاهد.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٣٣)، والدر المصون (٤/ ٦٥).

(٣) وهو قول الفراء والكسائي وأبي عبيدة والزجاج. انظر: زاد المسير (٤/ ٥٧).

(٤) انظر: ديوانه (ص:١١٥)، واللسان، مادة: (زوي)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٧٦)، والطبري (١١/ ١٥٩)، والقرطبي (٨/ ١٢٩، ٣٧٥)، وزاد المسير (٤/ ٥٧)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٦)، والدر المصون (٤/ ٦٥).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ١٦٠-١٦١)، وسعيد بن منصور (٥/ ٣٣١)، ومجاهد (ص:٢٩٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٥) وعزاه لأبي الشيخ عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن محمد بن كعب، وعزاه لسعيد بن منصور. ومن طريق آخر عن أبي صالح وأبي العالية والربيع، وعزاه لابن جرير.

﴿ولا تَتْبَعانِ﴾ وخفف النون ابن ذكوان عن ابن عامر استثقالاً؛ لتشديدها مع التشديد في أول الكلمة[١].

وروى الداجوني عن هشام عن ابن عامر: التخيير بين تشديد النون وتخفيفها، وروي عنه أيضاً سكون التاء وتخفيفها[٢].

وقرأ الباقون: «تتَّبعانِّ» بتشديد التاء والنون[٣]، نهي، بالنون [الثقيلة][٤]، ويقال في الواحد: لا تَتْبَعَنَّ، فتفتح النون لالتقاء الساكنين، وتُكسر في التثنية لهذه العلة.

قال الزجاج[٥]: موضع «تتبعان» جزم، إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة، وكُسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها، واختير لها الكسر؛ لأنها بعد الألف تشبه نون الاثنين.

وقال أبو علي[٦]: إن شئت كان على لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، كقوله: ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة:٢٢٨]، و﴿لا تضار والدة﴾ [البقرة:٢٣٣]. وإن شئت

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٦)، والكشف (١/ ٥٢٢)، والنشر (٢/ ٢٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٩).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٢٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٢٩).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٦)، والكشف (١/ ٥٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٤).

(٤) في الأصل: الثقلية.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣١).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٣).

جعلته حالاً من قوله: [«استقيما»، وتقديره][1]: استقيما غير متبعين.

وقال أبو الحسن الأصبهاني صاحب كشف المشكلات[2]: من شَدَّدَ النون كان نهياً بعد أمر، ومن خَفَّفَ النون كان قوله: «ولا تتبعان» في موضع الحال، أي: استقيما غير متبعين، وأنشدوا قول الفرزدق:

بأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ   وَلَمْ تَكْثُرِ القَتْلَى بهَا حِينَ سُلَّتِ[3]

أي: لم يشيموا غير كاثرة بها القتلى، والمعنى: لم يشيموا سيوفهم إلا في تلك الحالة.

قوله تعالى: ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ معناه: لا تتبعان طريق الجهلة فرعون وقومه ومن شابههم، وهذا كما قال لنوح: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود:٤٦]، وكما قال لنبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية:١٨].

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ

---

(١) زيادة من الحجة (٢/ ٣٧٣).

(٢) كشف المشكلات (١/ ٢٠٤، ٥١٧).

(٣) البيت للفرزدق. انظر: ديوانه (ص:١٣٩) "طبعة الصاوي"، واللسان، مادة: (خرر، شيم)، والحجة للفارسي (٢/ ٣٧٣)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص:١٢٢)، وشرح شواهد المغني (ص:٧٧٨)، وتذكرة النحاة (ص:٦٢٠)، وشرح المفصل (٢/ ٦٧)، ومغني اللبيب (ص:٣٦٠).

ﭐلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده﴾ «جاوزنا»: عبرنا بهم البحر.

قال أبو عبيدة(١): أتبعهم [وتبعهم](٢) سواء.

والمعنى: لحقهم فرعون وجنوده. وقد ذكرنا قصتهم في البقرة.

﴿بغياً وعدواً﴾ أي: ظلماً وعدواناً، ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه﴾ قرأ حمزة والكسائي: «إنه» بكسر الهمزة على الاستئناف، بدلاً من «آمنت»، وفتحها الباقون على تقدير: بأنه(٣)، فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب.

قال الزمخشري(٤): كَرَّرَ المخذولُ المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته.

وقال ابن الأنباري(٥): جنح فرعون إلى التوبة حين أُغلق بابُها؛ بحضور الموت ومعاينته الملائكة، فقيل له: ﴿آلآن﴾ أي: في هذا الوقت وقت الاضطرار تؤمن ﴿وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ باستعبادك خلقي، وجحدك حقي،

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٢) في الأصل: واتبعهم. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٦)، والكشف (١/ ٥٢٢)، والنشر (٢/ ٢٨٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٠).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٤٩).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٩-٦٠).

وادّعائك ما لا ينبغي لبشر أن يدّعيه.

قرأتُ على ابن بهروز، أخبركم عبد الأول بن عيسى فأقرَّ به، قال: ثنا عبد الرحمن الداودي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حمويه، أبنا إبراهيم بن خريم الشاشي، ثنا عبد بن حميد، ثنا حجاج بن منهال، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن [زيد](١)، عن يوسف بن مهران(٢)، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «لما أغرق الله تعالى فرعون قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾. قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسّه في فيه، مخافة أن [تدركه](٣) الرحمة»(٤).

قال كعب الأحبار: أتى جبريل إلى فرعون بفُتْيا: ما يقول الأمير لعبد في مُلْك رجل نشأ في ماله ونعمته، ولا سيد له غيره، فكَفَرَ نعمته، وجَحَدَ حَقَّهُ، وادَّعى السِّيادة دونه؟

فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان: جزاء العبد الخارج على سيده أن يغرق في البحر، فأخذه جبريل ومَرّ، فلما ألجمه الغرق وأيقن بالهلاك ناوله جبريل خَطَّهُ وغرّقه(٥).

وقال الضحاك بن قيس: اذكر الله في الرخاء يذكرك عند الشدة، إن يونس كان

---

(١) في الأصل: يزيد. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ٢٨٣-٢٨٤)، والتقريب (ص:٤٠١).

(٢) يوسف بن مهران البصري، ثقة قليل الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٣، والتقريب ص:٦١٢).

(٣) في الأصل: تدكره. والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٨٧ ح٣١٠٧)، وأحمد (١/ ٣٠٩ ح٢٨٢١).

(٥) تفسير النسفي (٢/ ١٤٠-١٤١).

عبداً صالحاً تقياً، وإنه كان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤]. وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾[١].

قوله تعالى: ﴿فاليوم ننجّيك ببدنك﴾ وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: «نُنْجِيك» بالتخفيف[٢].

والمعنى: نُلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض، وهو المكان المرتفع[٣].

قال كعب: رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور[٤].

ويجوز أن يكون المعنى: نعيذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر.

قال ابن عباس: لم يكن البحر يلفظ غريقاً، فصار لا يقبل غريقاً إلى يوم القيامة[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٣٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٦) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٢) النشر (٢/ ٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢١٠).

(٣) انظر: اللسان، مادة: نجا.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٦٦) عن ابن جريج. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٤) بأطول منه. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

وقرأ عبدالله: «نُنَحِّيكَ» بالحاء المهملة(١)، أي: نلقيك بناحية مما يلي البحر.

وقوله تعالى: ﴿ببدنك﴾ في محل الحال(٢)، أي: في الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن(٣).

وهذا قول مجاهد(٤).

وقيل: المعنى: ننجيك عرياناً لست إلا بدناً لا لباس عليك(٥).

وقيل: «ننجيك ببدنك»: أي: بدرعك(٦).

قال ابن عباس: كان عليه درع من ذهب، وقيل: من لؤلؤ، فعرفوه بها(٧).

وقال ابن قتيبة(٨): المعنى: ننجيك وحدك. وهو قول طائفة من أهل العلم(٩)،

---

(١) زاد المسير (٤/ ٦٠).

(٢) التبيان (٢/ ٣٣).

(٣) قال الطبري (١١/ ١١٤): فإن قال قائل: ما وجه قوله: "ببدنك"؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه: "ببدنك"؟
قيل: كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حياً كما دخل البحر، فلما كان جائزاً ذلك قيل: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح، ولكن ميتاً.

(٤) قال مجاهد في تفسيره (ص:٢٩٧): ((يعني: بجسدك)). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٥٨)، وزاد المسير (٤/ ٦١).

(٥) وهو قول الزجاج في معانيه (٣/ ٣٢). وانظر: زاد المسير (٤/ ٦١).

(٦) وهو قول أبي صخر. أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٤). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٤٩)، وزاد المسير (٤/ ٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٧) زاد المسير (٤/ ٦١).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص:١٩٩).

(٩) انظر: الوسيط (٢/ ٥٥٨)، وزاد المسير (٤/ ٦١)، والدر المنثور (٤/ ٣٨٨).

قالوا: لم يقذف البحر سواه.

وقال السدي: دعا موسى حين قال بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، فخرج في ستمائة ألف وعشرين ألفاً عليهم الحديد(١).

ثم نَبَّه على علّة تنجيته ببدنه فقال: ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ أي: لتكون لمن خلفك من الناس عبرة ونكالاً إلى يوم القيامة، أو لتكون لمن خلفك من الناس علامة على هلاكك ومهانتك وبطلان إلاهيتك، مع ما في ضمن ذلك من تطييب قلوب بني إسرائيل وتَشَفِّيهم منه برؤيتهم إياه غريقاً مَهيناً، ودفعِ ما عساه يتوهمه أغمارهم وأغباؤهم من خيانة بعد إخبار موسى بهلاكه، وتكذيب من قال منهم: هو أعظم شأناً من أن يموت أو يغرق، وترغيم مُتَّخذيه إلهاً.

وقرأ علي عليه السلام وابن السميفع وأبو المتوكل وأبو الجوزاء: «لمن خَلَقَكَ» بفتح اللام والقاف(٢)، على معنى: لتكون لخالقك آية على قدرته وعظمته وانتقامه من [المنتهكين](٣) حِماه، وإظهار تصرفاته فيك ما بين إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، أيها الطاغي الباغي بِادِّعائه الربوبية.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

(١) زاد المسير (٤/ ٦١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٦٢).

(٣) في الأصل: المتهكين. والصواب ما أثبتناه.

قوله تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق﴾ أي: أنزلناهم منزلاً كريماً مرضياً.

واختلف فيهم؛ فقيل: هم أصحاب موسى[(١)].

وقيل: قريظة والنضير[(٢)].

فالمبوّأ الصدق على القول الأول: مصر والشام.

وعلى القول الثاني: ما بين الشام والمدينة من أرض يثرب.

﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ المآكل المستلذّة، ﴿فما اختلفوا﴾ وتشعبوا فرقاً في دينهم وكتابهم ﴿حتى جاءهم العلم﴾ واتضحت لهم البراهين واستنارت لهم أعلام الهدى، وذلك بالتوراة والعلم الذي اكتسبوه من شريعتهم -على القول الأول-، وبمحمد ﷺ والقرآن -على القول الثاني-، كأنه قيل: فما اختلفوا في رسالة محمد وصفته حتى جاءهم العلم، وهو البيان الذي لا يجامعه ريب بأنه هو النبي الموعود به المنعوت في كتابهم، ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة﴾ قضاء فصل ومجازاة، ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ في الدين.

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ

---

(١) وهو قول الضحاك. أخرجه الطبري (١١/ ١٦٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في: الوسيط (٢/ ٥٥٩)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٤/ ٦٢).

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾ اختلفوا في تأويل هذه الآية؛ فذهب الأكثرون إلى أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره من أهل الشك، وهو أسلوب من أساليب العرب، يخاطبون الرجل ويريدون غيره(١).

قال الزجاج(٢): والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني... الآية﴾، فأعلم الله تعالى أن نبيه ﷺ ليس في شك، وأمره أن يتلو عليهم ذلك.

ويروى عن الحسن رحمه الله تعالى أنه قال: لم يشكَّ ولم يسأل(٣)، فهذا بَيِّنٌ جداً.

والدليل على أن المخاطبة للنبي ﷺ مخاطبةٌ للناس، قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق:١] فقال: «طلقتم» ولفظ أول الخطاب للنبي ﷺ وحده، فهذا أحسن الأقوال.

قال(٤): وفيها قولان آخران.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٥٩)، وزاد المسير (٤/ ٦٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٢-٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٦٨). وأخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة عن ابن عباس.

(٤) أي: الزجاج.

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل﴾ كما يقول الرجل للرجل: إن كنت أبي فتعطف عليّ، أي: [إن كنت][1] أبي فواجب أن تتعطف عليّ، ليس أنه يشك أنه أبوه.

وفيها وجه ثالث[2]: أَنْ تكون «إِنْ» في معنى «ما»، فيكون المعنى: ما كنت في شك مما أنزلنا إليك.

﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ أي: لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك، ولكن لتزداد [بصيرة][3]، كما قال إبراهيم ﷺ، قال: ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة:٢٦٠]، فالزيادة في التثبت ليست مما يبطل صحة العقد.

وقال ابن قتيبة[4]: كان الناس على عهد رسول الله ﷺ أصنافاً، منهم كافر مكذب، ومؤمن مصدق، وشاكّ في الأمر لا يدري كيف هو، يُقَدِّمُ رِجْلاً ويُؤَخِّرُ أخرى. فخاطب الله تعالى هذا الصنف من الناس فقال: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ فاسأل.

وقال الزمخشري[5]: هذا بمعنى الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شكّ مثلاً وخيّل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً، ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب

(١) في الأصل: فأنت. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٣٣).
(٢) ذكره الزجاج (٣/ ٣٣).
(٣) زيادة من زاد المسير (٤/ ٦٣).
(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٢٧٢).
(٥) الكشاف (٢/ ٣٥٢).

من قبلك﴾؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه، فإنهم من الرسوخ في العلم والإحاطة بصحة رسالتك وتحقيق معرفتك، بالمنزلة التي تصلح لمن تَدَاخَلَهُ شَكٌّ وامْتِراء أن يراجعهم ويستوضح ما الْتَبَسَ عليه من جهتهم.

﴿لقد جاءك الحق من ربك﴾ أي: أتاك الحق الذي لا مرية فيه، ﴿فلا تكونن من الممترين﴾.

﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ أي: دُمْ واثبت على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك وانتفاء التكذيب بآيات الله.

ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإِلْهاب، كقوله: ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين * ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ [القصص:٨٦-٨٧].

وقيل: هو نهي للنبي ﷺ، والمراد غيره.

أو: فلا تكونن أيها الإنسان أو السامع الذي يتطرق إلى مثله الامتراء والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿إن الذين حَقَّتْ عليهم كلمة ربك﴾ أي: ثبتت ووجبت عليهم كلمة ربك السابقة في اللوح المحفوظ بأنهم يموتون كفاراً، وأنهم قوم مُعَذَّبون مسخوط عليهم ﴿لا يؤمنون﴾.

﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ خارقة سألوك الإتيان بها ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ فحينئذ لا ينفعهم الإيمان الاضطراري، كما لم ينفع فرعون إيمانه.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلولا﴾ أي: فَهَلاَّ، وكذا قرأها عبدالله بن مسعود وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما[١].

﴿كانت قرية آمنت﴾ أي: قرية واحدة من القرى التي أهلكناها آمنت. والمراد: آمن أهلها قبل معاينة العذاب، ولم تُؤَخَّر كما أُخِّرَ فرعون إلى أن أَلْجَمَهُ الغرق وعاين الملك ﴿فنفعها إيمانها﴾.

قوله تعالى: ﴿إلا قوم يونس﴾ قال صاحب الكشاف[٢]: «إلا قوم يونس» استثناء من «القرى»؛ لأن المراد أهاليها، وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس.

ويجوز أن يكون متصلاً، والجملة في معنى النفي، كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء.

وقرئ [بالرفع][٣] على البدل[٤].

وقال الزجاج[٥]: وأما النصب في قوله: ﴿إلا قومَ يونس﴾ مثله في الشعر:

---

(١) البحر المحيط (٥/ ١٩٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٥٣).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) رُوي ذلك عن الجرمي والكسائي. انظر: البحر المحيط (٥/ ١٩٢).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤-٣٥).

.... ومـــا بـــالربع مـــن أحـــد

إلا أواري ....[(١)]

ويجوز الرفع على أن يكون على معنى: فَهَلاَّ كانت قرية آمنت، فيكون «إلا قوم يونس» صفة. ويجوز أن تكون بدلاً من الأول؛ لأن معنى «إلا قومَ يونس» محمول على معنى هلاَّ كان قوم قرية، أو قوم نبي آمنوا إلا قوم يونس.

وفي الرفع وجه آخر: وهو البدل، وإن لم يكن الثاني من جنس الأول[(٢)]، كما قال الشاعر:

وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بها أَنِيسُ إلاَّ اليَعَافِيرُ وَإلاَّ العِيسُ[(٣)]

﴿ومَتَّعناهم إلى حين﴾ أي: إلى زمن انقضاء آجالهم.

---

(١) جزء من بيتين للنابغة. وهما:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلاً لاُ أُسَائِلُها عَيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَـدِ

إِلاَّ الأواريَ لأْياً ما أُبَيِّنُهـــا والنُّؤْيُ كالحوضِ بالمظلومة الجَلَدِ

انظر: ديوانه (ص:٣٠)، والكتاب (٢/ ٣٢١)، والمقتضب (٤/ ٤١٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٨٠)، وأوضح المسالك (٢/ ٣٨٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٢٨)، والتصريح (٢/ ٣٦٧)، والإنصاف (١/ ١٧٠)، والطبري (١/ ٧٨)، والقرطبي (٧/ ٣٥٦)، واللسان، مادة: (أصل).

والأواري: جمع آري، وهو مربط الدواب.

(٢) أي هو استثناء منقطع.

(٣) البيت لجران العود النميري، وهو عامر بن الحرث. والشاهد: أن الاستثناء منقطع، ومع ذلك رفع. انظر البيت في: الطبري (٥/ ٢٧٧، ١٢/ ٤٥، ٢٧/ ٦٥)، والقرطبي (٥/ ٣١٢، ٦/ ١٠، ١٠/ ٢٦، ٢٠/ ٨٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/ ١٤٥)، وابن يعيش (٢/ ٨٠)، والخزانة (٤/ ١٩٧)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٥)، وروح المعاني (١٤/ ١٧٣، ٣٠/ ١٥٢).

الإشارة إلى قصتهم:

ذكر أهل العلم بالتفسير والسِّيَر: أن يونس بن متّى عليه السلام بُعث إلى نينوى من أرض الموصل يدعوهم إلى [الله][1] ورفض الأصنام، فأَبَوْا عليه ولم ينقادوا إليه، فأخبرهم أن العذاب نازل بهم ومصبِّحُهم بعد ثلاث، ثم خرج -عليه السلام- من بين أظهرهم، فلما تغشّاهم العذاب للوقت الذي توعدهم بنزول العذاب فيه، قال ابن عباس: وجدوا حَرَّهُ على أكتافهم، ولم يبق بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل[2].

قال وهب: أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى تغشَّى مدينتهم[3]. فلما أيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه، فتداركهم الله تعالى برحمته، وألقى في قلوبهم الندم والتوبة، فلبسوا المسوح، وحثوا على رؤوسهم الرماد، وبرزوا إلى الصعيد بنسائهم وصبيانهم ودوابهم، وفرّقوا بين النساء والصبيان، والدواب وأولادها، فحنّ بعضهم إلى بعض، وتضرعوا إلى الله، وعَلَتِ الأصوات، وارتفع الضجيج والعجيج، وأظهروا التوبة والإيمان وأخلصوا نياتهم وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وكان ذلك يوم عاشوراء ووافق يوم الجمعة[4].

(١) في الأصل: الإسلام. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٦٥).
(٢) انظر قول ابن عباس في: زاد المسير (٤/ ٦٥).
(٣) زاد المسير (٤/ ٦٥).
(٤) زاد المسير (٤/ ٦٥-٦٦).

قال مقاتل[(١)]: عجّوا إلى الله تعالى أربعين ليلة.

قال ابن مسعود: بلغ من توبة أهل نينوى: أن ترادّوا المظالم بينهم، حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيردّه[(٢)].

وقال أبو الجلد[(٣)]: لما غشيهم العذاب مشوا إلى شيخٍ من بقية علمائهم فقالوا: ما ترى؟ قال: قولوا: يا حي حين لا حي، يا حي يا قيوم، يا محيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت[(٤)]. فقالوها فكشف عنهم العذاب.

وسنذكر قصة يونس في موضعها إن شاء الله تعالى.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٠٥).

(٢) زاد المسير (٤/ ٦٦).

(٣) هو جيلان بن فروة، أبو الجلد الأسدي البصري، صاحب كتب التوراة ونحوها، كان ثقة (الجرح والتعديل ٢/ ٥٤٧).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٩)، وأحمد في الزهد (ص:٤٤-٤٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٣) وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك﴾ أي: ولو شاء مشيئة قسر وقهر ﴿لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ أي: مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة(١).

قال الأخفش(٢): جاء بقوله: «جميعاً» مع «كل» [تأكيداً](٣)؛ كقوله: ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ [النحل:٥١].

﴿أفأنت﴾ يا محمد ﴿تكره الناس﴾ تلجئهم إلى الإيمان وتضطرهم إليه ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي: لا تقدر على ذلك ولا هو في وسعك.

وزعم قوم أن هذا منسوخ بآية السيف(٤).

ولا يصح؛ لأن المقصود من الآية: الإعلام بأنه لا يوقعُ في القلوب ما يضطرها إلى الإيمان إلا الله وحده، ألا تراه يقول عقيب ذلك: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ قال ابن عباس: بقضائه وقدره(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٣). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٦٠)، وزاد المسير (٤/ ٦٧).

(٢) معاني الأخفش (ص:٢١٩). وانظر: زاد المسير (٤/ ٦٧).

(٣) في الأصل: تأكيد. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) ذكر دعوى النسخ هنا ابن سلامة في: الناسخ والمنسوخ (ص:١٠٤). وورد هذا ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص:٣٧٣). ولم يتعرض لدعوى النسخ هنا معظم من ألّف في النسخ.

(٥) الوسيط (٢/ ٥٦٠)، وزاد المسير (٤/ ٦٧).

وقال الزجاج[1]: بتوفيقه.

وقال غيره: بتيسيره وتسهيله وما يمنحهم من ألطافه.

﴿ويجعل الرجس على الذين﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: «ونجعل» بالنون[2].

وقرأ الأعمش: «الرجز» بالزاي[3].

قال الحسن والزجاج[4]: «الرجس»: العذاب[5].

﴿على الذين لا يعقلون﴾ قال ابن عباس: هم الذين لا يؤمنون. يشير إلى أنهم لا يعقلون دلائل التوحيد ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام[6].

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ من الآيات والعبر [الدالة][7] على القدرة والوحدانية؛ كالشمس والقمر والنجوم وغيرها من العجائب، المقتضية صانعاً حكيماً ومدبراً لا يشبهه شيء.

﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ يعني: الرسل، و «ما» استفهامية أو نافية، ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ أي: فهل

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٧٩)، والكشف (١/ ٥٢٣)، والنشر (٢/ ٢٨٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٠).

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٩٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٦٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) في الأصل: الدلة.

ينتظرون بعد الإعراض عن النذير في آياتي، والتفكر في عجائب مخلوقاتي، وبعد تكذيب رسولي الذي أيدته بالبراهين القاطعة، والحجج المنيرة الساطعة، والمعجزات الخارقة مثل وقائع الله تعالى بأمثالهم مثل مكذبي الأمم الخالية.

قال ابن الأنباري(١): العرب تُكنّي بالأيام عن الشرور والحروب، وقد يُقصدُ بها أيام [السرور](٢) والأفراح إذا قام دليل بذلك.

والمعنى هاهنا: يجب أن لا تنتظروا إلا أياماً مثل أيام المكذبين من الأمم الماضية في وقوع العذاب بهم.

﴿قل فانتظروا﴾ قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه(٣): المعنى: قل فانتظروا هلاكي.

والأظهر عندي: أنه تهديد لهم، على معنى: انتظروا ما يجب أن تنتظروه من وقائع الله بكم، ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لكم.

﴿ثم ننجّي رسلنا والذين آمنوا﴾ من العذاب الواقع بالمكذبين من الأمم، ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء ﴿نُنْجِ المؤمنين﴾ منكم أيتها الأمة المحمدية من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

وقوله: ﴿حقاً علينا﴾ يعني: حق ذلك علينا حقاً.

قرأ يعقوب وحفص والكسائي في روايته عن أبي بكر عن عاصم: «نُنْجِ

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٦٩).

(٢) في الأصل: الشرور. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) زاد المسير (٤/ ٦٩).

المؤمنين» بتخفيف الجيم، وقرأ الباقون بالتشديد[١].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي: يا أهل مكة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ بما خامر قلوبكم من الفواحش المُضِلَّة، والوساوس المُزِلَّة، فإني أحاكمكم إلى عقولكم، بشرط الإنصاف بالإنصاف، فليت شعري! من أي وجه يتطرق الشك إليك في ديني، وقد جاء آمراً لكم بتوحيد الذي أنعم عليكم بالإيجاد، وتنزيهه عن الشركاء والأولاد، وزاجراً لكم عما أنتم عليه من عبادة أحجار لا تقدر على مثوبة عابديها، ولا على عقوبة جاحديها، فإذا نظرتم في ذلك علمتم أن ديني لا مدخل للشك فيه وجزمتم بتضليل القائل بما ينافيه.

﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ فهو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويخشى،

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٧)، والكشف (١/ ٥٢٣)، والنشر (٢/ ٢٥٨-٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٠).

﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فإن قيل: لأي معنى قال هاهنا: ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾؟ وقال في آخر النمل: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [٩١]؟.

قلت: تقدمها قوله تعالى: ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين﴾، ثم قال بعده: ﴿وأمرت أن أكون﴾ منهم، فأقام المُظْهَر موضع المُضْمَر. وفي النمل تقدمها قوله: ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ [النمل:٨١]، فكأنه قال: وأمرت أن أكون ممن إذا سمع آيات الله آمن بها وكان من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وأن أقم وجهك﴾ عطف على ما قبله بتأويل المصدر[١]، التقدير: أمرت بالكون من المؤمنين، وبإقامة الوجه للدين، والمعنى: استقم ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً.

قال ابن عباس: أَقِمْ عملك[٢].

﴿حنيفاً﴾ حال من «الوجه» أو «الدين»[٣].

قوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ يعني: لا ينفعك إن دعوته ﴿ولا يضرك﴾ إن تركت دعاءه، ﴿فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ الواضعين الدعاء في غير موضعه.

---

(١) التبيان (١/ ٢٤٧)، والدر المصون (٤/ ٧٢-٧٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ٧٠).

(٣) الدر المصون (٤/ ٧٣).

﴿وإن يمسسك الله بِضُرّ﴾ من فقر أو مرض وغيرهما ﴿فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير﴾ نعمة من مال أو عافية وغيرهما ﴿فلا راد لفضله﴾ يشير إلى أنه لا كاشف للضر والبلاء، ولا صارف لما يريده من العافية والرخاء إلا هو، فهو الحقيق بالعبادة والدعاء، لا الأصنام التي لا تقدر على شيء من الأشياء، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ لمن استغفره من كفره ومعاصيه.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو محمد ﷺ والقرآن، فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة، ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ أي: فلها نفع هداها، وعليها وَبال ضلالها، ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ موكول إلى حملكم على ما أريد، وإنما أنا بشير ونذير. وقد سبق القول على أمثالها في النسخ والإحكام.

﴿واصبر﴾ على دعائهم غيري وأذاهم إياك من أجلي ﴿حتى يحكم الله﴾ لك بإعزازك وإظهار دينك وإذلال أعدائك ﴿وهو خير الحاكمين﴾ والأمر بالصبر منسوخ بآية القتال عند ابن عباس وأكثر المفسرين[1].

---

(١) الوسيط (٢/ ٥٦٢)، وزاد المسير (٤/ ٧١). وانظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٥٢٩) عن ابن زيد، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٠٤). وردّ قول النسخ ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص:٣٧٤).

وأنكر قوم ذلك. وقد تكلمت عليه في البقرة عند قوله: ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [١٠٩].

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة وإحدى وعشرون آية في المدني، وثلاث وعشرون في الكوفي، وهي مكية. واستثنى قوم قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار ... الآية﴾ فقالوا: هي مدنية[1].

واستثنى قوم: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾.

قرأتُ على الشيخ أبي محمد عبد المجير بن محمد بن عشائر القبيصي بمنزله بحلب، أخبركم أبو الفضل عبدالله بن أحمد بن محمد الخطيب الطوسي بالموصل، ثنا أبو الخطاب نصر بن أحمد البطر[2]، ثنا دَعْلَج[3]، ثنا جعفر الحسيني وأبو جعفر

---

(١) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٨): ودليله ما صح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر.

(٢) نصر بن أحمد بن عبدالله بن البطر البغدادي البزاز القارئ، أبو الخطاب، مسند العراق. ولد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، كان يسكن باب الغربة ثم المشرعة مما يلي البدرية، وكان صالحاً صدوقاً، صحيح السماع، مات في سادس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وله ست وتسعون سنة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦-٤٩).

(٣) دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن، أبو محمد السجستاني المعدل، كان من ذوي اليسار والأحوال، وأحد المشهورين بالبر والأفضال، وله صدقات جارية ووقوف محبسة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان، جاور بمكة زماناً ثم سكن بغداد واستوطنها، وكان ثقةً ثبتاً، توفي يوم الجمعة في جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٣٨٧-٣٩١، =

بن حسان التمار قالا: ثنا أبو كريب، ثنا معاوية بن هشام، عن شيبان.

وقرأتُ على شيخ الإسلام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي في شعبان سنة تسع وستمائة واللفظ له، أخبركم شيخ الإسلام أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي فأقرَّ به، أبنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار(١)، أبنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان(٢)، أبنا أبو بكر(٣) محمد بن العباس بن نجيح البزار من لفظه، ثنا محمد بن الفرج أبو بكر الأزرق(٤)، ثنا عبيد الله بن موسى، أبنا شيبان، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن أبا بكر رضي الله عنه قال: «يا رسول الله أراك قد شِبْت؟ قال: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخواتُها، وعَمَّ

= والأعلام ٢/ ٣٤٠).

(١) أحمد بن المظفر بن الحسين بن عبدالله بن سوسن، أبو بكر التمار، سمع من أبي علي الحسن بن أحمد بن شاذان، وأبي القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي وغيرهما، حدث عنه محمد بن ناصر السلامي وعبد القادر بن أبي صالح الجيلي وغيرهما، مات في سنة ثلاث وخمسمائة، وله اثنتان وتسعون سنة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٤١-٢٤٢، وتكملة الإكمال ٣/ ٢٥٤).

(٢) الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي، أبو علي البزاز، ولد في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، له كتب منها: "المشيخة الصغيرة"، و"الأفراد"، و"فوائد ابن قانع"، وغيرها، وكان صحيح السماع صدوقاً، توفي سلخ عام خمسة وعشرين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١٦-٤١٨، والأعلام ٢/ ١٨٠).

(٣) في الأصل زيادة: بن. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ١١٨).

(٤) محمد بن الفرج بن محمود البغدادي، أبو بكر الأزرق، صدوق، ربما وهم، مات في آخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٤، والتقريب ص:٥٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٤-٣٩٥).

يتساءلون، والواقعة، والمرسلات، وإذا الشمس كُوِّرَتْ»[١].

وأخبرنا به عالياً الشيخ أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست وستمائة، قال: أبنا أبو الدر ياقوت بن عبدالله التاجر، أبنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن هزارمرد الصريفيني، حدثنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن بن العباس المخلص سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ثنا أبو بكر أحمد بن عبدالله بن سيف السجستاني، أبنا يونس بن عبد الأعلى، أبنا ابن وهب، أبنا طلحة بن عمرو[٢]، عن عطاء، عن ابن عباس: «أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشَّيْب!! قال: أجل، شَيَّبَتْنِي هودٌ وأخواتها. قال عطاء: أخواتها: اقتربت الساعة، والمرسلات عرفاً، وإذا الشمس كورت»[٣]. هذا حديث صحيح.

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٍ فَضۡلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ ۖ وَهُوَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢ ح٣٢٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٧٤ ح٣٣١٤).

(٢) طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي، متروك الحديث، مات سنة اثنتين وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ٢١، والتقريب ص:٢٨٣).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٧) وعزاه لابن عساكر، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٣٥).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت نظماً رصيناً سليماً عن الخلل والتناقض والنسخ.

قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع(١).

«أحكمت» منعت من الفساد، من قولهم: أَحْكَمْتَ الدَّابَّةَ؛ إِذَا وَضَعْتَ عليها الحكمة لتمنعها من الجماح(٢).

قال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا(٣)

قال قتادة: أحكمت من الباطل(٤).

﴿ثم فصلت﴾ بفرائد الفوائد، كما تفصل القلائد [بالفرائد](٥)، ما بين حرام وحلال، ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب، وغير ذلك.

وقيل: فصلت في النزول شيئاً بعد شيء(٦).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٣) من قول الكلبي، وزاد المسير (٤/ ٧٣).

(٢) انظر: اللسان، مادة: حكم.

(٣) البيت لجرير. انظر: ديوانه (ص:٧٢)، والعمدة (٢/ ١٦٨)، والكامل (٣/ ٢٦)، والقرطبي (١/ ٢٨٨)، وأمثال الحديث (١/ ٩٣، ١٠٠)، والكشاف (٢/ ٣٥٨)، والبحر المحيط (٥/ ٢٠١)، والدر المصون (٤/ ٧٥).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٩-١٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٩٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) زيادة من تفسير النسفي (٢/ ١٤٥). وفي البحر المحيط: بالدلائل.

(٦) زاد المسير (٤/ ٧٤). وهذا القول ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص:٢٠١).

و «ثم» للتراخي في الحال لا في الوقت، كما تقول: وهو حسن الوجه ثم كريم الفعل.

﴿من لدن﴾ أي: من عند ﴿حكيم﴾ في إحكام كتابه، ﴿خبير﴾ في تفصيله.

﴿أن لا تعبدوا﴾ مفعول له، على معنى: لا تعبدوا[١]، وتكون «أَنْ» مفسرة. كأنه قيل: قال: لا تعبدوا، وأمركم أن لا تعبدوا ﴿إلا الله إنني لكم منه﴾ أي: من جهته؛ كقوله: ﴿رسول من الله﴾ [البينة:٢]، أو هي صلة لـ«نذير»، أي: أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم[٢].

﴿وأن استغفروا﴾ معطوف على «أن لا تعبدوا»[٣]، أي: أمركم بالتوحيد والاستغفار.

والمعنى: استغفروا ربكم من الذنوب المستأنفة، ﴿يمتعكم﴾ جواب «وأن استغفروا».

ومعنى: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية. قال ابن عباس: يتفضل عليكم بالرزق والسعة[٤].

﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو الموت، وهذا كقوله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل:٩٧].

قرأتُ على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن أبي

---

(١) الدر المصون (٤/ ٧٥).

(٢) الدر المصون (٤/ ٧٦).

(٣) التبيان (٢/ ٣٤)، والدر المصون (٤/ ٧٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٣)، وزاد المسير (٤/ ٧٥).

صالح بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، وعلى أبي عبدالله محمد بن أبي البدر بن فتيان الفقيه الحنبلي[1]، قلت لكل واحد منهما على إفراده: أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الكاتبة فأقرَّ به، قالت: أبنا أبو الفرج محمد بن محمود بن الحسن القزويني في سنة سبع وثمانين وأربعمائة، أبنا أبو علي إبراهيم بن محمد الهاني، أبنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد النجمي السيوردي، أبنا أبو القاسم منصور بن الحكم الأشغارياني[2] -قرية من قرى الفرغانة (مرغينان)- في مسجد الجامع قال: سمعت جعفر بن نسطور الرومي[3] صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً في الآخرة، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب))[4].

قوله تعالى: ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ أي: يعطي كل ذي فضل في الطاعة والعمل الصالح فضله من الثواب والدرجات على حسب تفاضلهم في

---

(١) محمد بن أبي البدر بن فتيان الفقيه العدل، أبو عبد الله، سمع من شهدة ومن بعدها الكثير، وسماعه صحيح، وهو رجل حسن (تكملة الإكمال ٤/ ٤٦٢).

(٢) منصور بن الحكم، متهم بالكذب (ميزان الاعتدال ٦/ ٥١٧، ولسان الميزان ٦/ ٩٣).

(٣) جعفر بن نسطور الرومي، أحد الكذابين الذين ادّعوا الصحبة بعد النبي ﷺ بمئين من السنين، ذكره ابن حجر في التجريد فقال: الإسناد إليه ظلمات، والمتون باطلة، وهو دجال أو لا وجود له (الإصابة ١/ ٥٥١، ولسان الميزان ٢/ ١٣٠). والحديث بهذا الإسناد مكذوب. وصح بعضه من طرق أخرى. انظر: التخريج.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٥ ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤ ح٣٨١٩)، وأحمد (١/ ٢٤٨ ح٢٢٣٤)، والحاكم (٤/ ٢٩١ ح٧٦٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٥١ ح٦٢١٤) كلهم من حديث ابن عباس.

الطاعات.

وقيل: هو على حذف المضاف، تقديره: ويؤت كل ذي فضل جزاء فضله.

وقال ابن مسعود وابن عباس: يؤت كل من فضلت حسناته على سيئاته فضله، يعني: الجنة[١].

﴿وإن تولوا﴾ تقديره: وإن تتولوا، فحذف إحدى التائين، وابن كثير شَدَّدَ التاء، وقدم ذكر ذلك.

والمعنى: وإن تُعرضوا عن الإيمان.

﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وهو يوم القيامة.

﴿إلى الله مرجعكم﴾ تهديد شديد، ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ إعلام بأنه لا يمتنع عليه ما أراد من ثواب وعقاب.

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ نزلت في الأخنس بن شريق، كان حلو المنطق حبيب القلوب، وكان هو وأحزابه من المنافقين[٢] ﴿يُثْنُونَ صدورهم﴾ يعطفونها ازوراراً وانحرافاً عن الحق، ويطوونها على عداوة محمد ﷺ، ﴿ليستخفوا منه﴾ أي: من الله تعالى. ويدل عليه تمام الآية.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٣)، وزاد المسير (٤/ ٧٥).

(٢) ذكره الماوردي (٢/ ٤٥٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٢٧١) وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٧٦).

وقيل: ليستخفوا من محمد ﷺ. وكان طائفة من المشركين يقولون: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم بنا؟ فأخبر الله تعالى عما كتموه.

﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ قال ابن زيد: يستترون بها إذا ناجى بعضهم بعضاً في أمر رسول الله ﷺ(١).

وقيل: يستغشونها لئلا يسمعوا القرآن، كما قال مخبراً عن قوم نوح: ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم﴾ [نوح:٧].

قال قتادة: أخفى ما يكون ابن آدم: إذا حنى صدره، واستغشى ثيابه، وأضمر هَمَّهُ في نفسه(٢).

﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ فأي فائدة في تثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم.

وقرأ ابن عباس: «تَثْنَوْنِي صدورهم»(٣)، جعل الفعل للصدور، وجاء على بناء تفعوعل للمبالغة في الشيء، مثل: تَحْلَوْلِي، مِن الحلاوة.

وفَسَّرها ابن عباس فقال: إن ناساً كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء(٤). فتكون على هذا في حق المؤمنين.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٠-٤٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٨٤)، وزاد المسير (٤/ ٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٣)، والطبري (١١/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٠) وعزاه للبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ «مِنْ» زائدة. والدَّابَّة: اسم لكل حيوان دَبَّ ودَرَجَ، ذَكَراً كان أو أنثى، مميزاً أو غير مميز[1]. والمعنى: على الله رزقها تفضلاً منه.

ولما ضمنه سبحانه وتعالى -وكان ما ضمنه الله متحتم الوجود- أتى بلفظ الوجوب فقال: ﴿على الله رزقها﴾، ولهذه الآية وأمثالها قلّ حرص ذوي الألباب في طلب الرزق.

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[2] بإسناده عن مسروق قال: «أكونُ بالرزق أوثق مني حين[3] يقول الخادم: ليس عندنا قفيز ولا درهم»، يشير بذلك إلى ثقته بموعد الله تعالى وطمأنينته وسكونه إليه.

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ سبق تفسيره في الأنعام[4]، و «الكتاب المبين»: اللوح المحفوظ.

الشيخ وابن مردويه.

(١) انظر: اللسان، مادة: دبب.

(٢) الزهد (ص:٤١٩).

(٣) في الزهد: ما أكون أوثق مني بالرزق حين.

(٤) عند تفسير الآية رقم (٩٨).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فيه دليل على أن العرش والماء مخلوقان قبل الأرض والسماء.

قال وهب بن منبه: أول شيء خلق العرش.

والصحيح: أن العرش مسبوق بخلق القلم.

قال ﷺ: ((أول ما خلق الله القلم))[1]، وهو قول ابن عباس ومجاهد.

وقيل لابن عباس: على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[2].

قوله تعالى: ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بـ«خَلَقَ»، أي: خلق السموات والأرض وجعلهما مساكن عباده، وكلفهم الأمر والنهي لمعنى الابتلاء والاختبار الذي يناط به الجزاء.

وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أنه قال:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٢ ح٣٦٩٣)، والبيهقي في سننه (٩/ ٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠٥)، وعبد الرزاق (٥/ ٩٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٣-٤٠٤) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

((أيكم أحسنُ عقلاً، وأوْرَعُ عن محارم الله عز وجل، وأسرعُ في طاعة الله))[١].

قال الحسن وسفيان: أيكم أزهد في الدنيا[٢].

﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا﴾ من أهل مكة وغيرهم الذين هم على مثل رأيهم، استبعاداً لبعثهم بعد تمزق لحومهم وتفرق أوصالهم، واعتقادهم استحالة ذلك. إن هذا القول أو إن هذا القرآن الذي تقول فتجلب به العقول، وتفرق به بين الآباء والأبناء والرجال والنساء، ﴿إلا سحر مبين﴾.

قال الزجاج[٣]: السحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إن هذا إلا باطل بيّن.

قوله تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم﴾ أي: عن المشركين ﴿العذاب﴾ يعني: عذاب الآخرة، وقيل: عذاب الدنيا ﴿إلى أمّة معدودة﴾ الأُمَّة: الجماعة. فالمعنى: إلى انقضاء جماعة من الأوقات، أو إلى مجيء أمة، أو انقراض أمة.

---

(١) وهو حديث موضوع، وهو من الأحاديث التي تتحدث عن فضل العقل ولم يصح في فضله حديث، فرواه الطبري (١٢/ ٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠٦)، وفي سنده داود بن المحبر وهو ضعيف جداً صاحب مناكير. قال الدارقطني: كتاب العقل وضعه أربعة، أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر... إلخ. وقال الحاكم: حدثوا عن الحارث بن أبي أسامة عنه -أي: عن داود بن المحبر- بكتاب العقل وأكثر ما أودع في ذلك الكتاب عن الحديث الموضوع على رسول الله ﷺ. ونسب السيوطي الحديث في الدر (٤/ ٤٠٤) لداود بن المحبر في كتاب العقل وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في كتاب التاريخ وابن مردويه. وانظر: تفسير الماوردي (٢/ ٤٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٠٦) عن سفيان. وذكره الماوردي (٢/ ٤٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن سفيان.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٠).

فإن قيل: قوله: «معدودة» مُشْعِرٌ بالقِلَّة، ولهذا قال: ﴿دراهم معدودة﴾ [يوسف:٢٠]، والأوقات والذوات التي يقترن العذاب بانقضائها متكثرة؟

قلت: الأوقات قليلة كسرعة زوالها وقرب تَقَضِّيها وفنائها. قال الله تعالى: ﴿إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾ [المعارج:٦-٧]، وكذلك الذوات وإن تعددت، فهي قليلة بالنسبة إلى سائر الذوات المخلوقة.

﴿ليقولن﴾ استهزاء وتكذيباً ﴿ما يحبسه﴾. قال الله تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ قال الزجاج[1]: «يوم يأتيهم» منصوب بـ«مصروفاً»، المعنى: ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم.

من قال: أنه عذاب الدنيا قال: المعنى إذا أخذتهم سيوف النبي ﷺ لم تغمد عنهم حتى يُبادوا وتعلوا كلمة الإسلام.

﴿وحاق بهم﴾ أحدق بهم وأحاط ﴿ما كانوا به يستهزؤون﴾ وهو العذاب الذي كانوا يستعجلون به.

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٠).

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ قال الزجاج[١]: «الإنسان» اسم جنس. والمنصوص عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة[٢].

وقال غيره: عبد الله بن [أبي][٣] أمية المخزومي.

و «الرحمة»: النعمة من صحة، أو أمن، أو مال، أو ولد، أو غير ذلك.

﴿ثم نزعناها منه﴾ أي: سلبناه تلك الرحمة ﴿إنه ليؤوس﴾ من عود مثل تلك النعمة التي كنا أنعمنا بها عليه إليه ﴿كفور﴾ بقنوطه من الرحمة. قال الله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧].

وقال مقاتل[٤]: إنه ليؤوس عند الشدة من الخير، كفورٌ لله في نعمه في الرخاء.

فصل

اللام في «لئن» لتوطئة القسم، والتقدير: والله لئن.

وقوله: «إنه ليؤوس كفور» جواب القسم لا جواب «إنْ»؛ لأن جواب «إنْ» مجزوم، أو الفاء؛ كقولك: إنْ تَأْتِنِي آتِكَ، وَإِنْ تَأْتِنِي فَزَيْدٌ يُكْرِمك، وإذا قلت: لئن تأتني، لم يجز أن تقول: آتك، وإنما تقول: لآتينك. والدليل على هذا قوله: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن -إلى قوله-: لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء:٨٨] فأغنى عن

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٨٠).

(٣) زيادة من المصدرين السابقين. وانظر ترجمته في: الإصابة (٤/ ١١-١٣)، وتعجيل المنفعة (١/ ٢١١).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ١١٠).

جواب الشرط.

ومثله قول كثيّر:

لَئِنْ عَادَلي عَبد العَزيز بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إِذاً لا أُقِيلُها[١]

أي: والله لا أقيلها.

ولو كان جواب «إن» لقال: أقلها، بالجزم.

إذا ثبت ذلك فقول بعض المفسرين: التقدير: فإنه ليؤوس كفور.

وقوله: ﴿ولئن أطعتموهم إنكم﴾ أي: فإنكم ﴿لمشركون﴾ [الأنعام:١٢١]، فأضمر الفاء: قول فاسد. ويؤيد ذلك قوله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء:٨٦]، ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار﴾ [الحشر:١٢]، فهذا كله جواب القسم لا جواب الشرط.

قوله تعالى: ﴿ولئن أذقناه نعماء﴾ صحّة وسعة في الرزق، ﴿بعد ضراء مسته﴾ من مرض أو فقر ﴿ليقولن﴾ جهلاً واغتراراً ﴿ذهب السيئات عني﴾ يريد: الضر والفقر، ﴿إنه لفَرِحٌ﴾ أَشِرٌ بَطِرٌ غيرُ صابر على الضَّرَّاء، ولا شاكر على السَّرَّاء، ﴿فخور﴾ على عبادي وأوليائي بما أذقته من نعمي ورزقته من كرمي، شامخاً عليهم يظن أنني فعلت به وبهم ذلك لكرامته وهوانهم، هيهات بل يستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً.

حدثنا شيخنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد رحمه الله، أبنا أبو الحسن علي

---

(١) البيت لكثيّر. وهو في: روح المعاني (١٢/ ١٦).

بن عساكر المقرئ البطائحي[(١)]، أبنا أبو طالب اليوسفي[(٢)]، أبنا أبو علي التميمي[(٣)]، أبنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، ثنا يزيد، أبنا أبو الأشهب[(٤)]، حدثني سعيد بن أيمن مولى كعب بن سور[(٥)] قال: « بينما رسول الله ﷺ يحدّث أصحابه، إذ جاء رجل من الفقراء فجلس إلى جنب رجل من الأغنياء، فكأنه قبض من ثيابه عنه، وتَغَيَّر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا فلان، [أخشيت][(٦)] أن يعدو غناك عليه، أو أن يعدو فقره عليك؟! قال: يا رسول

(١) علي بن عساكر بن المرحب البطائحي الضرير، أبو الحسن، مقرئ العراق، كان عالماً بالعربية، إماماً في السنة. ولد سنة تسعين وأربعمائة، وتوفي في شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٨-٥٥٠).

(٢) عبدالقادر بن محمد ابن عبدالقادر بن محمد بن يوسف البغدادي، أبو طالب اليوسفي. شيخ صالح ثقة، متحرّ في الرواية، ولد سنة نيف وثلاثين وأربعمائة، وتوفي في آخر يوم الجمعة ثامن عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٨٦-٣٨٧).

(٣) الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبيل بن فروة بن واقد، أبو علي التميمي الواعظ، المعروف بابن المُذْهب، راوي مسند الإمام أحمد، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وكان مسكنه بدار القطن، مات في ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب (تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠-٣٩١، والأعلام ٢/ ٢٠١-٢٠٢).

(٤) جعفر بن حيان السعدي، أبو الأشهب العطاردي البصري الخراز الأعمى، ثقة، ولد سنة سبعين أو إحدى وسبعين، ومات سنة خمس وستين ومائة، وله خمس وتسعون سنة (تهذيب التهذيب ٢/ ٧٥-٧٦، والتقريب ص:١٤٠).

(٥) سعيد بن أيمن مولى كعب بن سور. يروي عن أنس، وروى عنه أبو الأشهب وحماد بن زيد (التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٤٥٥، والثقات ٤/ ٢٧٧).

(٦) في الأصل: أحسبت. والتصويب من الزهد (ص:٤٩).

الله، وشر الغنى؟ قال: نعم، [إن غناك][1] يدعوك إلى النار، وإن فقره يدعوه إلى الجنة. قال: فما ينجيني منه؟ قال: تواسيه منه، قال: إذاً أفعل، فقال الآخر: لا إرب لي فيه[2]. قال: فاستغفر لأخيك وادْعُ له))[3].

قال ابن عباس في قوله: «إنه لفرح فخور»: يفاخر أوليائي بما وسعت عليه[4].

قوله تعالى: ﴿إلا الذين صبروا﴾ قال الزجاج[5]: هذا استثناء ليس من الأول. المعنى: لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات، وهم المؤمنون صبروا على البلاء، ﴿وعملوا الصالحات﴾ في العافية والرخاء فحازوا فضيلتي الصبر والشكر، ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾.

قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ أي: فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك من سَبِّ آلهتهم وعيبها، ﴿وضائق به﴾ أي: بتبليغه ﴿صدرك﴾ كراهة ﴿أن يقولوا لولا﴾ أي: هلا ﴿أنزل عليه كنز﴾ يستغني به ويغني به أصحابه ﴿أو جاء معه ملك﴾ يعضده ويشهد له، ﴿إنما أنت نذير﴾ليس عليك إلا البلاغ، ثم نسخ بآية السيف.

وقيل: المعنى ليس عليك أن تأتيهم بمقترحاتهم، إنما أنت منذر لهم، فلا يتوجه النسخ على هذا[6].

---

(١) زيادة من الزهد (ص:٤٩).

(٢) أي: لا حاجة لي فيه.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٩).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٨١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤١).

(٦) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٠٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٧٥).

=

﴿والله على كل شيء﴾ من اقتراحهم وتهاونهم بك وردّهم قولك وغيره ﴿وكيل﴾ أي: حافظ لذلك وعليه مجاز، وَكِّل أمرك إليه.

قال الزمخشري[(1)]: إن قلت: لِمَ عَدَلَ عن «ضيق» إلى «ضائق»؟

قلتُ: ليدل على أنه ضِيقٌ عارض غير ثابت؛ لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً. ومثله قولك: زيد سيد وجواد، تريد: السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ «أم» منقطعة، ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ في

=

قلت: لم يتعرض لدعوى النسخ في هذه الآية أصحاب أمهات كتب النسخ.

(١) الكشاف (٢/ ٣٦٣).

حسن النظم ورصانة اللفظ وصحة المعنى ﴿مفتريات﴾ بزعمكم ودعواكم.

فإن قيل: كيف تحداهم بالإتيان بسورة مثله؟

قلتُ: إما أن يكون التحدي وقع بالكثير أولاً، فلما عجزوا عدل إلى التحدي بالقليل، وإما أن يكون التحدي وقع أولاً بالقليل، فلما ضاق عليهم الخناق ولم يقدروا على إتيان المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وسع عليهم مجال المعارضة فقال: ايتوا بعشر سور. وباقي الآية سبق تفسيره.

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ خطاب للنبي ﷺ، والجمع للتعظيم، أو الخطاب له ولأصحابه.

وقيل: الخطاب للمشركين. المعنى: إن لم يستجيبوا لكم مَنْ تدعونه إلهاً إلى الإعانة على المعارضة ﴿فاعلموا﴾ حينئذ ﴿أنما أنزل بعلم الله﴾ سبق تفسيره في النساء عند قوله: ﴿أنزله بعلمه﴾ [١٦٦]. وإن كان الخطاب بقوله: «فإن لم يستجيبوا لكم» للمسلمين، فالمعنى: دوموا على عملكم، إنما أنزل بعلم الله، ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أمر لهم بالإسلام بألطف عبارة، وهو مثل قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩١].

قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ قال مجاهد: نزلت في المرائين بأعمالهم[1].

وقال غيره: في الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث، وهو الأظهر؛ لقوله: ﴿ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٨٤).

﴿نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها﴾ أي: نوصلهم أجور أعمالهم في الدنيا فنمدّهم بالأموال والبنين وسعة الأرزاق والرفاهية والأمن وبلوغ الأماني، حتى يوافوا القيامة وليست لهم حسنة يجزون بها.

أخبرنا حنبل بن عبدالله بن الفرج إذناً قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أبنا ابن المذهب، أبنا أبو بكر القطيعي، أبنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي قال: ثنا عبد الصمد، ثنا همام، ثنا قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا، فإذا لقي الله يوم القيامة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً»[1]. انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن زهير، عن يزيد بن هارون، عن همام.

﴿وهم فيها﴾ أي: في الدنيا ﴿لا يبخسون﴾ أي: لا يُنقصون من أجور أعمالهم شيئاً.

وزعم مقاتل[2] أن قوله: ﴿نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها ... الآية﴾ نسخ بقوله: ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ [الإسراء:١٨].

وهذا ليس بصحيح؛ لأن الأخبار لا تنسخ.

﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها﴾ أي: بطل في الآخرة ثواب ما عملوا في الدنيا من حسنة؛ لأنهم أُطْعموا بها كما ذكرناه، أو تكون الكناية في قوله: «فيها» تعود إلى «الآخرة» وهو أقرب المذكورين، على معنى: وحبط في الآخرة ثواب ما صنعوا، ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ من الخير؛ لأنهم لم

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٢ ح٢٨٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١١٢).

يأتوا به على الوجه الصحيح.

وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه: «وبطل ما كانوا» على نظم الماضي[(١)].

قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ وهو محمد ﷺ. وقيل: محمد ومن تبعه على برهان من الله وبيان واضح من دين الإسلام وصحته.

وقيل: «البينة»: القرآن. والمعنى: أفمن كان على بينة كمن لم يكن، فحذف لظهور المعنى، كما قال الشاعر:

فَأُقْسِمَ لَوْ شَيْءٍ أَتَانَا رَسُولَه ... سِواكَ وَلَكِنْ لم نجدْ لَكَ مَدْفَعَا[(٢)]

وقد دَلَّ على المحذوف قوله: ﴿مثل الفريقين﴾.

﴿ويتلوه﴾ أي: يتبعه ﴿شاهد منه﴾ أي: شاهد من الله عز وجل، وهو جبريل عليه السلام ليؤيده ويسدده، وهذا قول أكثر المفسرين[(٣)].

وقال جماعة، منهم: محمد بن علي وزيد بن علي: المعنى: ويتبع محمداً ﷺ شاهد منه، وهو علي عليه السلام[(٤)].

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢١١).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: اللسان، مادة: (وحد)، والطبري (١٢/ ١٨، ١٣/ ١٥٢، ٢٣/ ٢٠١، ٢٩/ ١٠٦)، والبغوي (٣/ ٢٠)، وزاد المسير (٢/ ١٤١، ٤/ ٨٧)، وروح المعاني (٧/ ١٢٨، ١٣/ ١٥٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٧٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه من طريق عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٥). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٦١)، وزاد المسير (٤/ ٨٥).

قال علي عليه السلام: رسول الله ﷺ على بينة من ربه، وأنا شاهد منه[1].

وقيل: الضمير في قوله: «ويتلوه» يعود إلى «البينة»، فإنها بمعنى البيان.

المعنى: ويتبع البينة، أو يقرأ البينة؛ إن أريد بها القرآن. «شاهد منه» أي: من الله، وهو جبريل عليه السلام، أو من محمد ﷺ، وهو لسانه في قول الحسن وقتادة[2]. ويروى مثله عن علي عليه السلام أو ابن عمه، على ما حكيناه.

قوله تعالى: ﴿ومن قبله﴾ أي: ويتلو محمداً ﷺ بالتصديق له من قبله، أي: من قبل بعثه، أو من قبل نزول البينة إن قلنا هي القرآن.

﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة، فإنها تشهد برسالة محمد ﷺ وصدقه.

وقال الزجاج[3]: المعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلاً على أمر النبي ﷺ، ويكون «كتاب موسى» على العطف على قوله: «ويتلوه شاهد منه».

«ومن قبله كتاب موسى»: أي: وكان يتلوه كتاب موسى؛ لأن النبي ﷺ بشَّر به موسى وعيسى في التوراة والإنجيل. قال الله تعالى: ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ [الأعراف:١٥٧]. ونصب ﴿إماماً﴾ على الحال[4]؛ لأن «كتاب موسى» معرفة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٠) وعزاه لابن مردويه وابن عساكر.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤-١٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٠) وعزاه لأبي الشيخ عن محمد بن علي ابن الحنفية.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٤).

(٤) التبيان (٢/ ٣٦)، والدر المصون (٤/ ٨٦).

وقال ابن الأنباري[1]: «كتابُ موسى» مفعول في المعنى؛ لأن جبريل تلاه على موسى فارتفع الكتاب، وهو مفعول بمضمر بعده تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذلك، أي: تلاه جبريل أيضاً.

قلت: ويؤيد هذا المعنى قراءة من قرأ «كتابَ موسى» بالنصب[2].

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ أصحاب موسى. وقيل: أصحاب محمد. وقيل: أولئك الذين هم على بينة، ﴿يؤمنون به﴾ أي: بكتاب موسى. وقيل: بالقرآن. وقيل: بمحمد ﷺ.

﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ فإن قلنا: أن الضمير يرجع إلى «كتاب موسى»؛ فالمراد بالأحزاب: الذين تَحَزَّبُوا على الرسل من جميع الأمم. وهو قول سعيد بن جبير[3].

وإن قلنا: الضمير يرجع إلى محمد ﷺ، أو إلى القرآن؛ فالمراد بالأحزاب: أهل مكة ومن ضامّهم من المُتَحَزِّبين على الرسول ﷺ.

﴿فالنار موعده فلا تَكُ في مرية منه﴾ إن قيل: لم حذفت النون؟

قلتُ: لشبهها إذا أسكنت بحروف المد واللين، وكثرة دورها في الكلام، فإن تحركت اختل أحد السببين، فلا يجوز: لم يك الرجل منطلقاً، ألا ترى أنه لا يجوز: لم يَهُ زيد ولم يَصُ، في لم يهن ولم يصن، فإن تحرك ما بعدها وسكنت النون جاز إثبات النون وحذفها.

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٨٧).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٥). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٦٢).

فإن قيل: فما المختار عندهم؛ الحذف -كما جاء هاهنا-؟ أم إثبات النون كما جاء في قوله تعالى: ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ [السجدة:٢٣]؟

قلت: الحذف إذا تعلقت بالجمل الكثيرة؛ لأن الكثرة أحد سببي جواز حذفها، وهذه الكثرة نعني بها في أمر الأفعال التي هي كان، ونعبر بها عن كل فعل، وكثرة الجمل هي التي تثقلها تعلقت بها من قبلها أو من بعدها. فقوله هاهنا: «فَلاَ تَكُ» جاء بعد أن تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته وهي: ﴿أفمن كان على بينة ... الآية﴾، وكذلك قوله: ﴿ولم تك شيئاً﴾ في مريم جاء بعد قوله: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ إلى قوله: ﴿ولم تك شيئاً﴾ [مريم:٨-٩].

وأما قوله تعالى: ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ [السجدة:٢٣] فإنه لم يتقدمه من الجُمل ما يثقله.

وأما قوله تعالى: ﴿فلا تَكُ في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ فإنها تعلقت بما بعدها إلى آخر الآية.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء: «مُرية» بضم الميم حيث جاء في القرآن، وهي قراءة الحسن وقتادة(١). أي: لا تَكُ في شك من أن موعد الكفار من الأحزاب النار.

وقيل: فلا تك في مرية من القرآن. وقد سبق الكلام على نظائر هذا.

ثم استأنف فقال: ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة لا يؤمنون أنه الحق(٢).

---

(١) زاد المسير (٤/ ٨٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٨٩).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَٰخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَٰخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي: ومن أشدّ ظلماً ممن اختلق على الله كذباً، فزعم أن له ولداً أو شريكاً، ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ يحبسون في الموقف وتعرض قبائحهم على ربهم، ﴿ويقول الأشهاد﴾ وهم الرسل والملائكة.

وقال مقاتل(١): الناس، وهو جمع شاهد أو شهيد، كناصر وأنصار، وشريف وأشراف.

قال ابن الأنباري(٢): وفائدة الإخبار بما يعلمه الله: تعظيم الأمر المشهود عليه، ودفع المجاحدة فيه.

﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ بما نسبوا إليه مما لا يجوز عليه من اتخاذ الأنداد والأولاد.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٨٩).

والظاهر أن قوله: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ من تمام كلام الأشهاد، يدل عليه ما أخبرنا به أبو المجد محمد بن الحسين القزويني، أبنا أبو منصور محمد بن أسعد، حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أبنا أبو طاهر محمد بن علي، أبنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي(١)، أبنا أبو سعيد الشاشي(٢)، ثنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أبنا يزيد بن هارون، أبنا همام.

وقرأتُ على أبي بكر بن بهروز، أخبركم عبد الأول، أبنا عبدالرحمن بن محمد، أبنا عبدالله بن أحمد، أبنا إبراهيم بن خريم، ثنا عبد بن حميد، أبنا أبو الوليد، ثنا همام.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان، أبنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أبنا السرخسي، أبنا الفربري، ثنا البخاري، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا همام.

أنبأنا أبو علي بن عبدالله بن سعادة واللفظ له، أبنا أبو القاسم هبة الله بن محمد، أبنا الحسن بن علي، [أبنا](٣) أحمد بن جعفر بن مالك، حدثنا أبو عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي رضي الله عنه، ثنا عفان، ثنا همام -والمعنى واحد-، ثنا قتادة، عن صفوان بن محرز قال: «كنت آخذاً بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل

---

(١) علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، أبو القاسم، حدث بمسند الهيثم بن كليب الشاشي عنه، وبكتاب "شمائل النبي ﷺ" للترمذي، وبكتاب "غريب الحديث" لابن قتيبة كلاهما عن الهيثم عنهما، كان ثقة مكثر من الحديث، ولد ببلخ سنة عشرين وثلاثمائة، ومات ببخارى سنة إحدى عشرة وأربعمائة (التقييد ص:٤٠٢-٤٠٣).

(٢) الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي، أبو سعيد، صاحب المسند الكبير، مات بالشاش سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (التقييد ص:٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٣) زيادة على الأصل.

فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ قال في النجوى يوم القيامة؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. قال: ثم يعطى كتاب حسناته. وأما [الكفار][1] والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[2]. وأخرجه مسلم أيضاً عن زهير بن حرب، عن إسماعيل بن علية، عن هشام الدستوائي، عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً .. الآية﴾ سبق تفسيرها فيما مضى[3].

﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ أي: لم يكونوا بالذين يُعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم.

وقال ابن عباس: يريد: لم يعجزوني أن آمر الأرض فتخسف بهم[4].

﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ يمنعونهم من عقابه ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ لضلالهم وإضلالهم.

---

(١) في الأصل: الكافر. والتصويب من صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٠)، وأحمد (٢/ ٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢ ح٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠ ح٢٧٦٨)، وأحمد (٢/ ٧٤ ح٥٤٣٦).

(٣) عند تفسير الآية رقم (٤٥) من سورة الأعراف.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٩٠).

﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ قال ابن عباس: أخبر الله تعالى أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة. فأما في الدنيا فإنه قال: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾. وأما في الآخرة فإنه قال: ﴿فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم﴾[1] [القلم:٤٢-٤٣].

وقال قتادة: صُمٌّ عن سماع الحق فلا يسمعونه، وما كانوا يبصرون الهدى[2].

وقيل: المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، وبما كانوا يبصرون الهدى فلا ينظرون[3] ولا يعتبرون، فحذف الباء، كما في قولهم: لأجزينك ما عملت وبما عملت. ذكره الفراء[4]، وأنشد:

تُغَالِي اللَّحْمَ لِلأَضْيَافِ نِيّاً ... وَتُرْخِصُهُ إِذا نضِجَ القُدُورُ[5]

أراد: تُغالي باللحم.

وقيل: الضمير في قوله: «ما كانوا» يعود إلى قوله: «من أولياء»، وهي الأصنام التي اتخذوها آلهة، فنفى صلاحيتهم للولاية بقوله: «ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون»، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس[6].

فعلى هذا يكون قوله: «يضاعف لهم العذاب» اعتراضاً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٤١٣) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وأبي الشيخ.

(٣) قوله: «ينظرون» مكرر في الأصل.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٨).

(٥) انظر البيت في: اللسان، مادة: (رخص، سفه، غلا)، وزاد المسير (١/ ١٤٨، ٣/ ٣٩٨، ٤/ ٩١).

(٦) الطبري (١٢/ ٢٣)، وزاد المسير (٤/ ٩١).

﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ لأنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى، فخسروا في صفقتهم وغُبنوا غبناً عظيماً، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي: بطل عنهم ما كانوا يكذبون ويختلقون من الآلهة وشفاعتها.

قوله تعالى: ﴿لا جَرَمَ﴾ قال الزجاج[١]: «لا» نفيٌ لما ظنوا أنه ينفعهم، كأنه قيل: لا ينفعهم ذلك.

وقال سيبويه[٢] عن الخليل: «لا» رَدٌّ لقولهم، و «جَرَمَ»: فعل ماض، بمعنى: كسب، المعنى: كسب لهم ذلك الفعل الخسران، تقول: جرم فلان ذنباً، مثل: كسبه، وجرمته: كسبه إياه، ويقال أيضاً: أجرمته ذنباً.

وفي قراءة ابن مسعود: «لا يُجرمنكم شنآن» في المائدة[٣] بضم الياء، وكذلك: أكسبته ذنباً، وأنشد ابن الأعرابي:

.... وأكسبني مالاً وأكسبته أجرا

والأول أشهر وأكثر، ويقال: فلان جارم أهله، أي: كاسبهم. قال الشاعر:

جَرِيمَةُ ناهِضٍ في رَأْسِ نيق ... تَرى لِعِظَامِ مَا جَمَعَتْ صَلِيبَا[٤]

قال الأزهري: وهذا من أحسن ما قيل فيه.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٦).

(٢) انظر: الكتاب (٣/ ١٣٨).

(٣) الآية رقم: ٢.

(٤) البيت لأبي خراش الهذلي. انظر: ديوان الهذليين (٢/ ١٣٣)، وتهذيب اللغة (١١/ ٦٧)، واللسان، مادة: (صلب، جرم)، وشرح أشعار الهذليين (٣/ ١٢٠٥)، والبحر المحيط (٥/ ٢١٣)، والدر المصون (٤/ ٨٨).

قال الزجاج[١]: وزعم سيبويه[٢] أَنَّ جَرَمَ بمعنى: حق.

قال[٣]: وقول الشاعر:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً   جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[٤]

معناه: أحقَّت الطعنة فزارة بالغضب.

وقال الفراء[٥]: «لا جرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة: «لا بُدَّ» و «لا محالة»، فكَثُرَ استعمالها حتى صارت بمنزلة: «حقاً». ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتينك، [فتراها][٦] بمنزلة اليمين، فكذلك فسرها المفسرون.

قال ابن عباس: يريد: حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون[٧].

فإن قيل: لأي معنى قال هاهنا: ﴿الأخسرون﴾، وفي النحل: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ [النحل:١٠٩]؟

قلت: هذه إخبار عن قوم ضوعف العذاب لهم، حيث ضلوا وأضلوا وصدوا

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٥-٤٦).

(٢) انظر: الكتاب (٣/ ١٣٨).

(٣) أي: الزجاج.

(٤) البيت لأبي أسماء بن الضَّريبة، أو عطية بن عفيف، يرثي كرز ابن عامر، وكان طعن حصين بن حذيفة الفزاري طعنة مميتة يوم بني عقيل وهو يوم الحاجر. انظر البيت في: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٨)، واللسان، مادة: (جرم)، وأمالي المرتضى (٤/ ١٦٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٤٧)، والخزانة (٤/ ٣١٠)، والمقتضب (٢/ ٣٥٢)، والطبري (٦/ ٦٣)، والماوردي (٢/ ٤٦٤)، وزاد المسير (٤/ ٩٢)، ومعاني الفراء (٢/ ٩)، وروح المعاني (٦/ ٥٥، ١٢/ ١٢١، ٢٤/ ٧١).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٨). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٦٩)، وزاد المسير (٤/ ٩١).

(٦) في الأصل: فترها. والتصويب من الوسيط وزاد المسير، الموضعان السابقان.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٩١).

عن سبيل الله، فهم أخسرون لمضاعفة العذاب لهم. وفي النحل أخبر عن قوم كافرين فقال: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل:١٠٧] ولم يذكر مضاعفة العذاب لهم فقال: ﴿هم الخاسرون﴾. هذا مع ما فيه من مراعاة الفواصل، فإن ما قبلها هاهنا «يبصرون» و «يفترون»، والتي في النحل فعلى وزان الكافرين والغافلين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي: اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع، من الخبت، وهي الأرض المطمئنة[(١)].

قال ابن عباس: خافوا ربهم وأنابوا إليه[(٢)].

قوله تعالى: ﴿مثل الفريقين﴾ يعني الكافرين والمؤمنين ﴿كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ قال صاحب الكشاف[(٣)]: هو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبه الفريق [تشبيهين][(٤)] اثنين، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خبت).

(٢) زاد المسير (٤/ ٩٢).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٦٧).

(٤) في الأصل: بشبهين. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

قلتُ: وذلك في قوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابساً   لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي(١)

قال: وأن يشبّه بالذي جمع بين العمى والصمم، أو الذي جمع بين البصر والسمع، على أن تكون الواو في «الأصم» وفي «السميع» لعطف الصفة على الصفة.

﴿هل يستويان﴾ يعني الفريقين ﴿مثلاً﴾ تشبيهاً ﴿أفلا تذكرون﴾ أيها الكفار الأغمار.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «أني» بفتح الهمزة، بتقدير حرف الجار، وكأن وجه الكلام: بأنه لهم نذير، لكنه من باب الالتفات وخطاب التكوين.

وقرأ الباقون: «إني» بكسر الهمزة، على إضمار القول(٢).

---

(١) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٣٨)، واللسان، مادة: (أدب)، والتصريح (١/ ٣٨٢)، والمنصف (٢/ ١١٧)، ودلائل الإعجاز (ص:٦٦)، والدر المصون (٤/ ٩٠)، وروح المعاني (١٢/ ٣٤، ٢٢/ ١٤٠).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٧)، والكشف (١/ ٥٢٥)، والنشر =

﴿أن لا تعبدوا﴾ بدل من «إني لكم نذير مبين»[١]، أي: أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله، أو تكون مفسرة متعلقة بـ«أرسلنا» أو بـ«نذير».

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ وصفُ اليوم بالأليم، ووصفُ العذاب بالأليم من الإسناد المجازي؛ لوقوع الألم فيه، ومثله قولهم: نهارك صائم وليلك قائم.

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ يعنون إنساناً مثلنا، لا فضل لك علينا يوجب اختصاصك بالرسالة.

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ قال ابن عباس: يريد: المساكين الذين لا عقول لهم ولا شرف ولا مال[٢].

والرّذل: الدُّون من كل شيء[٣]، والجمع أَرْذَل، ثم يجمع على أَراذِل، مثل: كلب وأَكْلَب وأَكَالِب.

قوله تعالى: «نرى» فعل مستقبل، والكاف للمفعول.

وقوله: «اتّبعك» فعل، فاعله: «الذين هم أراذلنا»، والفعل والفاعل في موضع النصب مفعول ثان لـ«نراك» إن كان بمعنى: نعلم، وفي محل الحال إن كان من رؤية العين[٤].

= (٢/ ٢٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٢).

(١) انظر: الدر المصون (٤/ ٩١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رذل).

(٤) التبيان (٢/ ٣٧)، والدر المصون (٤/ ٩١).

﴿بادي الرأي﴾ اتفقوا على ترك الهمز من «بادي» وعلى إثباته في «الرأي»، إلا أبا عمرو فإنه قرأهما بالعكس من ذلك[1].

ومعنى الكلام: اتبعوك في الظاهر وخالفوك في الباطن، أو اتبعوك في ظاهر الرأي ولم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا فيه، فهو من بدا يبدو. ومن هَمَزَ فهو من الابتداء، أي: اتبعوك حين ابتدؤوا ينظرون.

قال بعض البصراء بالعربية: قوله: «بادي الرأي»، نصب على الظرف، أي: ظاهر الرأي. والعامل فيه «نراك».

فإن قلت: فما قبل «إلاَّ» لا يعمل فيما بعده إلا إذا تم الكلام قبل «إلاَّ». لا يجوز: ما أعطيت أحداً إلا زيداً درهماً.

فإن أبا علي قد كفاك جواب هذا السؤال، وحمل «بادي الرأي» على أنه ظرف لما قبله، ثم رجع عنه في قوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى:٥١]، فحمله على إضمار فعل آخر دَلَّ عليه «يكلم»، على تقدير: أو يكلمهم من وراء حجاب.

وقال: والظرف عندنا في الاثنين على الفعل قبل «إلا»؛ لأن الظرف يُكتفى فيه برائحة الفعل.

قوله تعالى: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ ازدراءٌ منهم لنوح وأتباعه، ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ في دعوى نوح الرسالة إلينا.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٨)، والكشف (١/ ٥٢٦)، والنشر (١/ ٤٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٢).

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قال يا قوم أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن كنت على بينة من ربي﴾ أي: يقين وبصيرة.

قال ابن الأنباري[1]: «إن كنتُ» شرط لا يوجب شكاً يلحقه، لكن الشك يلحق المخاطَبين من أهل الزيغ.

﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ وهي النبوة.

فإن قيل: هل بين هذا الموضع وبين قول صالح: ﴿وآتاني منه رحمة﴾ فرق في المعنى؟

قلت: كلا، لكن هاهنا تقدمها قوله: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾، وقوله: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾، وقوله: ﴿بل نظنكم كاذبين﴾، فلما تقدمتها أفعال ثلاثة متعدية إلى مفعولين لا يحجز بينهما معمول فيه، أُجري هذا الفعل مجراها. وفي قصة صالح تقدمه: ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً﴾ فوقع خبر «كان» الذي هو كالمفعول لـ«كان»، وقد تقدمه الجار والمجرور، وجرى جواب صالح في تقديم الجار والمجرور مجرى قولهم.

قوله تعالى: ﴿فعَمِيَتْ عليكم﴾ أي: خَفِيَتْ عليكم. وقيل: عميتم عنها، فهو من المقلوب، كقولك: أدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت القبر زيداً.

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٩٦-٩٧).

قال الفراء[1]: وهذا مما حوّلت العرب الفعل إليه، وهو في الأصل لغيره، كقولهم: دخل الخاتم في يدي، والخُفّ في رجْلي، وإنما الإصبع تدخل في الخاتم والرِّجْل في الخُفّ. واستجازوا ذلك إذا كان المعنى معروفاً.

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «فَعُمِّيَتْ» بتشديد الميم وضم العين[2]، بمعنى: أُخْفيت عليكم. ويؤيدها قراءة أبي بن كعب: «فَعَمَّاها عليكم»[3].

﴿أنلزمكموها﴾ أي: أنكرهكم على قبولها، ﴿وأنتم لها كارهون﴾.

قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله ألزمها قومه، ولكن لم يملك ذلك[4].

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين النحوي لأبي عمرو من رواية

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٢).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٨)، والكشف (١/ ٥٢٧)، والنشر (٢/ ٢٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٩٧).

قال الزمخشري في الكشاف (٢/ ٣٦٩): فإن قلت: فما حقيقته؟ قلت: حقيقته: أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة، جعلت عمياء؛ لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنى ﴿فعميت عليكم﴾: البينة، فلم تهدكم، كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد.

فإن قلت: فما معنى قراءة أُبيّ؟ قلت: المعنى: أنهم صمموا على الإعراض عنها، فخلاهم الله وتصميمهم، فجعلت تلك التخلية تعمية منه، والدليل عليه قوله: ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ يعني: أنكرهكم على قبولها، ونقسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين.

قال أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢١٧): وتوجيهه في قراءة أُبيّ هو على طريقة المعتزلة.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٦) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

عبدالله بن عمر الزهري، عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي عنه: «أَنُلْزِمْكُمُوهَا» بجزم الميم، وهو لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين. وبعضهم يقول: كان أبو عمرو يختلسها، وظن الراوي أنه أسكنها.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿مالاً﴾ فيوجب ذلك التهمة في حقي، ﴿إن أجري إلا على الله﴾ لا عليكم ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾.

قال ابن جريج: سألوه طردهم أنفة وحمية من أن يكونوا معهم على سواء[(١)].

﴿إنهم ملاقوا ربهم﴾ فمعاقب من ظلمهم وطردهم وحقرهم.

﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ قال ابن عباس: تجهلون ربوبية ربكم وعظمته[(٢)].

وقيل: تجهلون لأمركم إياي بطرد المؤمنين[(٣)].

ويجوز أن يكون المعنى: تجهلون أنهم خير منكم، أو تجهلون على المؤمنين وتدعونهم أراذل سفهاً منكم وحمقاً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩-٣٠).؟ وانظر: الوسيط (٢/ ٥٧١)، وزاد المسير (٤/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٦) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧١).

(٣) زاد المسير (٤/ ٩٨).

﴿ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم﴾ أي: من يمنعني من عذابه إن طردت المؤمنين ذهاباً مع أنفتكم وكبركم ﴿أفلا تذكرون﴾.

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ فأدعي فضلاً عليكم في الملك والغنى حتى تقولوا: ما نرى لكم علينا من فضل، ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأطلع على الضمائر فأعلم المخلص من المنافق، فإنهم نسبوا المؤمنين إلى النفاق.

وقيل: نزل ذلك بهم؛ لأنهم قالوا له: متى يجيء العذاب؟

وقيل: أجدبت أرضهم فسألوه: متى يجيء المطر؟.

﴿ولا أقول إني مَلَك﴾ حتى تقولوا: ما نراك إلا بشراً مثلنا.

﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ تحتقر وتستصغر، حتى قلتم: هم أراذلنا، ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ هوانهم عليه، ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ فهو مجازيهم بعلمه فيهم، ﴿إني إذاً لمن الظالمين﴾ إن صدر مني ما نفيته عني.

﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ أي: بالغت في خصومتنا ﴿فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ في وعد العذاب.

فنفى عن نفسه وعنهم القدرة وأثبتها لله، فقال: ﴿إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم﴾ وجزاء الشرط في قوله: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ ما دل عليه قوله: «ولا ينفعكم نصحي».

ومعنى «يُغْوِيَكُم»: يُضِلّكم ويهلككم.

قال ابن السكيت[1]: من قولك: غوى الفصيل يغوي غوىً؛ إذا لم يرو من لبأ أمه حتى يموت هزالاً[2].

وقال غيره: هو أن يكثر من شرب اللبن حتى يهلك[3].

﴿هو ربكم﴾ يتصرف فيكم كيف شاء بالإغواء والإرشاد ﴿وإليه ترجعون﴾ يوم المعاد.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿افتراه﴾ اختلق الوحي وأتى به من عند نفسه، ﴿قل إن افتريته فَعَلَيَّ إجرامي﴾ إثم إجرامي، والإجرام: اكتساب السيئة.

وقرأت لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «أجرامي» بفتح الهمزة، وهي قراءة أبي المتوكل وابن السميفع[4]، وهو جمع جرم.

قال صاحب الكشاف[5]: المعنى: إن صح وثبت أني افتريته فعليّ عقوبة

---

(١) إصلاح المنطق (ص:١٨٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: غوى).

(٣) مثل السابق.

(٤) زاد المسير (٤/ ١٠٠).

(٥) الكشاف (٢/ ٣٧١).

إجرامي، أي: افترائي، وكان حقي حينئذ أن تُعرضوا عني وتتألّبوا عليّ.

﴿وأنا بريء﴾ يعني: ولم يثبت ذلك، وأنا بريء منه.

ومعنى: ﴿مما تجرمون﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ، فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ قال المفسرون: حينئذ استجاز نوح الدعاء عليهم فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾[1] [نوح:٢٦].

﴿فلا تبتئس﴾ تحزن حزن بائس مستكين بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك، فقد حان حين الانتقام منهم.

﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ قال ابن عباس: بمرأى منا[2].

وقال الربيع: بحفظنا[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٤). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٧٢)، وزاد المسير (٤/ ١٠٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٠١).

(٣) مثل السابق.

وهو في محل الحال، بمعنى: اصنعها محفوظاً آمناً من أعدائك.

﴿ووحينا﴾ أي: بوحينا إليك أن تصنعها وكيف تصنعها، ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي: لا تسألني الصفح عنهم ولا إمهالهم، ﴿إنهم مغرقون﴾ محكوم عليهم بذلك في سابق علمي وقضائي.

الإشارة إلى كيفية عمل السفينة:

قال ابن عباس: كان نوح عليه السلام يُضربُ، ثم يُلَفُّ في لبد فيلقى في بيته يرون أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم، حتى جاء رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا، فقال: يا بني، انظر هذا الشيخ لا يغررك. قال: يا أبت أمكني من العصا، فأخذها فضربه ضربة شجة موضحة، وسالت الدماء على وجهه فقال: رب [قد][1] ترى ما يفعل بي عبادك، فإن[2] يكن لك فيهم حاجة [فاهْدهم][3]، وإلا فصبرني إلى أن تحكم، فأوحى الله تعالى إليه ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ إلى قوله: ﴿واصنع الفُلْك﴾، قال: يا رب، وما الفُلْك؟ قال: بيت من خشب يجري على وجه الماء، أُنجي فيه أهل طاعتي، وأُغرق أهل معصيتي. قال: يا رب! وأين الماء؟ قال: إني على ما أشاء قدير. قال: يا رب! كيف أتخذ هذا البيت؟ فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فعلّمه، وأوحى الله تعالى إليه أن عَجِّل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني، فاستأجر نجّارين يعملون معه، وسام وحام ويافث ينحتون السفينة، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاث بطون،

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ١٠٢).

(٢) في الأصل زيادة: لم. انظر: زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

وجعل طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمائة [وثلاثون][(١)] ذراعاً، وعلوها ثلاثة وثلاثين ذراعاً، وفجّر الله تعالى له عين القار تغلي غلياً فأطلاها، وحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوامّ، وفي الوسط الثاني الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى[(٢)].

وزعم مقاتل[(٣)]: أنه صنع السفينة في أربعمائة سنة. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ويصنع الفلك﴾ حكاية حال ماضية، ﴿وكلما مرّ عليه ملأ من قومه﴾ وهو يصنعها ﴿سخروا منه﴾ تضاحكوا استهزاء به.

قال ابن عباس: لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، وإنما مياه البحار بقية الطوفان[(٤)].

قال ابن إسحاق: كانوا يسخرون ويقولون: صرتَ بعد النبوة نجاراً[(٥)].

وقال مقاتل[(٦)]: كانوا إذا قالوا له: ما تصنع؟ يقول: أصنع بيتاً يمشي على وجه الماء، فيسخرون من قوله.

﴿قال إن تسخروا منا﴾ في هذه الحال ﴿فإنا نسخر منكم﴾ في المآل، وقيل:

---

(١) في الأصل: وثلاثون. والتصويب من زاد المسير (٤/ ١٠٢).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٠١-١٠٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١١٧).

(٤) الماوردي (٢/ ٤٧١)، وزاد المسير (٤/ ١٠٣).

(٥) الطبري (١٢/ ٣٦)، والوسيط (٢/ ٥٧٣)، والماوردي (٢/ ٤٧١) بلا نسبة، وزاد المسير (٤/ ١٠٣). وانظر: الدر المنثور (٤/ ٤٢١).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ١١٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٧٣)، والماوردي (٢/ ٤٧١) بلا نسبة، وزاد المسير (٤/ ١٠٣).

المعنى إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم لاستجهالكم إيانا، وهذه اللغة الغالبة.

وروى أبو زيد والخليل: سخرت به أيضاً.

ثم هددهم فقال: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يذله ويهينه وهو الغرق في الدنيا.

وقوله: «من يأتيه» منصوب: بـ«تعلمون» أي: فسوف الذي يأتيه عذاب يخزيه، ﴿ويحل عليه﴾ في الآخرة ﴿عذاب مقيم﴾ دائم.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾

﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ قال الزمخشري[1]: هذه «حتى» التي يبتدئ بعدها الكلام، دخلت على الجملة من الشرط والجزاء.

فإن قلت: وقعت غاية لماذا؟

قلت: لقوله: «ويصنع الفلك»، أي: وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد.

فإن قلت: فإذا اتصلت «حتى» بـ«يصنع»، فما تصنع بما بينهما من الكلام؟

قلتُ: هو حال من «يصنع»، كأنه قال: يصنعها. والحال أنه لما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه.

فإن قلت: فما جواب «كلّما»؟

قلت: أنت بين أمرين؛ إما أن تجعل «سخروا» جواباً و «قال» استئنافاً على تقدير سؤال سائل، أو تجعل «سخروا» بدلاً من «مرّ»، أو صفة لـ«ملأ» و «قال»

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٧٣).

جواباً. والمعنى: حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم.

﴿وفار التنور﴾ قال علي عليه السلام: هو وجه الأرض[١].

قال ابن عباس: قيل له: إذا رأيت الماء قد علا وجه الأرض فاركب أنت وأصحابك[٢].

ونقل عن علي عليه السلام أيضاً: أنه طلوع الفجر ونور الصبح[٣].

وقال الحسن ومجاهد: كان تنُّوراً من حجارة[٤].

قال ابن عباس: هو تنُّور آدم، وهبه الله تعالى لنوح عليهما السلام، وقيل له: إذا فار الماء منه فاحمل ما أُمرتَ به، فإنه هلاك قومك[٥].

واختلفوا في المكان الذي فار منه الماء؛ فقال علي عليه السلام: فار من مسجد

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨) عن ابن عباس وعكرمة، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٢) وعزاه لأبي الشيخ عن عكرمة.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨، ٣٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٣) مجزءاً، وعزا الجزء الأول من الأثر لابن جرير وابن المنذر. وعزا الجزء الثاني لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٢) وعزاه لابن جرير عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الكوفة، وهو قول الأكثرين[(١)].

وروي عن ابن عباس: أنه فار بالهند[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: فار من دار نوح، وكانت بالشام في موضع يقال له: عين وردة.

﴿قلنا احمل فيها﴾ أي في السفينة ﴿من كُلِّ زوجين اثنين﴾ وقرأ حفص: «من كُلٍّ»[(٤)] بالتنوين هنا وفي المؤمنين[(٥)]، أي: من كل شيء، أو من كل صنف، زوجين اثنين، فنصب «زوجين» بالفعل، وجعل «اثنين» نعتاً لـ«زوجين». وفيه معنى التوكيد كقوله: ﴿إلهين اثنين﴾ [النحل:٥١]، وقوله: ﴿ولي نعجة واحدة﴾ [ص:٢٣]، والباقون عدّوا الفعل إلى «اثنين» وجرّوا «زوجين» لإضافة «كل» إليها.

قال ابن قتيبة[(٦)]: الزوج يكون واحداً ويكون اثنين، وهو هاهنا واحد.

قال مجاهد: من كل صنف ذكراً وأنثى[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٨). وانظر: الطبري (١٢/ ٤٠)، والماوردي (٢/ ٤٧٢)، وزاد المسير (٤/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٠٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١١٨).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٣٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٣٩)، والكشف (١/ ٥٢٨)، والنشر (٢/ ٢٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٣).

(٥) الآية رقم (٢٧).

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٩٨).

(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٠)، ومجاهد (ص:٣٠٣).

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[(١)] عن وهب بن منبه قال: «لما أُمر نوح عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين، قال: كيف أصنع بالأسد والبقر، وكيف أصنع بالعناق والذئب، وكيف أصنع بالحمام والهرّ، قال: مَن ألقى بينهم العداوة؟ قال: أنت. قال: فإني أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا».

قوله تعالى: ﴿وأهلك﴾ معطوف على قوله: «اثنين»، أي: واحمل أهلك.

ومن الأقوال الشاذة قول بعضهم: أَنَّ «أهلك» فعل ماض مسند إلى الله تعالى، أي: أهلك الله تعالى كلهم إلا من سبق عليه القول.

والصحيح الأول.

والمعنى: إلا من سبق عليه القول أنه من أهل النار، يعني: امرأته واعلة، وابنه كنعان.

﴿ومن آمن﴾ أي: واحمل المؤمنين.

﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كانوا ثمانين إنساناً[(٢)].

قال مقاتل[(٣)]: أربعين رجلاً وأربعين امرأة.

قال ابن عباس: ونجا معه بنوه الثلاثة وكنائنه -نساء بنيه-[(٤)].

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١١٨).

(٤) زاد المسير (٤/ ١٠٧).

وقال قتادة: ذُكر لنا أنه لم ينجُ في السفينة إلا نوح، [وامرأته][(١)]، وثلاث بنين له ونساؤهم، فجماعتهم ثمانية، وهذا قول [القرظي][(٢)] وابن جريج [(٣)].

۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

﴿وقال اركبوا فيها﴾ أي: قال نوح للذين أمر بحملهم في السفينة: اركبوا فيها.

قال ابن عباس: ركبوا لعشر مضين من رجب، وخرجوا منها يوم عاشوراء[(٤)].

قال ابن جريج: دفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضين من رجب، فأتت موضع البيت، وكان البيت قد رفع في ذلك الوقت، ورَسَتْ بباقردى على الجودي [يوم عاشوراء][(٥)].

---

(١) في الأصل: وامرأتيه. والمثبت من زاد المسير (٤/ ١٠٧).

(٢) في الأصل: القرضي. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢) عن قتادة وابن جريج، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣١) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ عن ابن جريج.

(٤) الماوردي (٢/ ٤٧٣) من قول قتادة، وزاد المسير (٤/ ١٠٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٧). وأخرج نحوه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٢). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٧٥)، وزاد المسير (٤/ ١٠٧-١٠٨). وما بين المعكوفين زيادة من زاد المسير (٤/ ١٠٨).

﴿بسم الله مُجْراها ومرساها﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: «مجراها» بفتح الميم والإمالة، وقرأ الباقون بضم الميم وبالتفخيم، إلا أبا عمرو فإنه أمال[١].

وأمال «مرساها» حمزة والكسائي، وأجمعوا على ضم الميم في «مُرساها»[٢].

قال الشيخ أبو علي ابن البناء رحمه الله: من فتح الميم أراد المصدر من قولك: جرت مجرى، ومن ضم أراد المصدر أيضاً، لكن من قولك: أجرى يجري مجرى.

قال: وذكر الزجاج[٣] الوجهين، فقال: من فتح الميم كان المعنى: بالله يكون جريها وإرساؤها. ومن ضمّ فمعناه: بالله إجراؤها وإرساؤها. يقال: أجريته مُجرى وإجراءً في معنى واحد.

وقال صاحب الكشاف[٤]: يجوز أن يكون كلاماً واحداً وكلامين، فالكلام الواحد: أن يتصل «بسم الله» بـ«اركبوا» حالاً من الواو، بمعنى: اركبوا فيها مسمّين الله، أو قائلين: باسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها؛ إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء، فحذف منهما الوقت المضاف كقولهم: خفوق النجم، ومقدم الحاج.

والكلامان: أن يكون «بسم الله مجراها ومرساها» جملة مقتضية من مبتدأ وخبر، أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٠)، والكشف (١/ ٥٢٨)، والنشر (٢/ ٢٨٨-٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٣).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٥٢).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٧٣).

ومعنى كونها مقتضية: أن نوحاً عليه السلام أمرهم بالركوب، ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله تعالى، أو بأمره وقدرته.

قال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فَجَرَتْ، وإذا أراد أن ترسوا قال: بسم الله [فَرَسَتْ][1].[2].

ويجوز أن يفخم الاسم، كقوله: ثم اسم السلام عليكما.

ويراد: بالله إجراؤها وإرساؤها، أي: بقدرته وأمره، وقد ذكرنا نحوه عن الزجاج[3].

وقرأ الحسن وقتادة وحميد الأعرج في آخرين: «مُجْريها ومُرْسيها»[4] على وزان: مبديها ومنشيها، جعلوه نعتاً لله تعالى.

أبنا أبو حفص عمر بن طبرزد، أبنا أبو غالب أحمد بن البناء، أبنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، أبنا أبو حفص عمر بن محمد بن علي الزيات، ثنا محمد بن صالح، حدثنا جبارة بن المغلس، ثنا يحيى بن العلاء الرازي، حدثني مروان بن سالم، عن طلحة بن عبيدالله العقيلي، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا: ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾، ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ١٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤-٤٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٥٢).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٦).

يوم القيامة ... إلى آخر الآية﴾»[١].

أخبرنا أبو المجد الكرابيسي قال: أخبرنا الشيخان عبد الرزاق بن إسماعيل وابن عمه المطهر بن عبد الكريم قالا: أخبرنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أبنا القاضي أبو نصر الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني الحافظ، أبنا أبو يعلى، ثنا جبارة بن المغلس. وأخبرنا به عالياً أبو حفص واللفظ له.

قوله تعالى: ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ شبَّه سبحانه وتعالى كل موجة بالجبل في عظمها وارتفاعها، يشير إلى شدّة اضطراب الماء وتلاطم أمواجه، ﴿ونادى نوح ابنه﴾ كنعان، وكان كافراً ﴿وكان في معزل﴾ أي: في مكان منقطع بعيد من السفينة، أو في معزل عن دين أبيه. ومعنى العزل: التنحية والإبعاد[٢].

﴿يا بني اركب معنا﴾ روى حفص: «يا بنيَ» بفتح الياء في جميع القرآن[٣]، ووافقه أبو بكر هاهنا حسب، والأصل فيه: بنيي، بثلاث ياءات، ياء التصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي [ياء][٤] الإضافة.

فمن كَسَرَ حذف ياء الإضافة وأبقى الكسرة دليلاً عليها. ومن فَتَحَ أبدل من كسرة لام الفعل فتحة، استثقالاً لاجتماع الياءات في الكسر، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، فبقيت: بنيا، ثم حذفت الألف كما تحذف الياء في النداء وبقيت الفتحة دليلاً

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ١٥٢ ح٦٧٨١)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٤ ح١٢٦٦١)، والأوسط (٦/ ١٨٤ ح٦١٣٦) كلاهما عن ابن عباس.

(٢) انظر: اللسان (مادة: عزل).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٠)، والكشف (١/ ٥٢٩)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٤).

(٤) في الأصل: لام. والمثبت من زاد المسير (٤/ ١١٠).

عليها.

وإن شئت قلت: سقطت الياء والألف في القراءتين لالتقاء الساكنين؛ لأن الراء في «اركب» ساكنة.

قوله تعالى: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ قال الزجاج وغيره(١): هذا استثناء ليس من الأول، وموضع «مَنْ» النصب. والمعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم، وهذا كقوله: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ [النساء:١٥٧].

وقيل: لا مانع اليوم إلا الراحم وهو الله تعالى.

وقيل: المعنى: لا عصمة إلا من رحمه الله تعالى، مثل: ﴿ماء دافق﴾ [الطارق:٦]، و﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة:٢١].

قال الزجاج(٢): فتكون «مَنْ» -[على](٣) هذا التفسير- في موضع رفع، ويكون المعنى: لا معصوم إلا المرحوم.

﴿وحال بينهما الموج﴾ أي: بين نوح وابنه.

وقيل: بين ابن نوح وبين جبل يعصمه من الماء، ﴿فكان من المغرقين﴾.

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ يقال: بَلِعَ الشيء يَبْلعه، والبلاع: اسم لما يبلع

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٥٤).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٥٥).

(٣) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

كالطعام، والشراب: اسم لما يطعم ويشرب. قال الزاجر:

لَقَدْ تَجَشَّأْت وَقُلْت عَاع   مَا ذُقت مُذْ خَرجت مِنْ بِلاع[١]

ومثله: شرطته أشرطه، وزردته أزرده، شرطاً وشرطاناً، وزرداً وزرداناً.

والمعنى: وقيل بعد تغريقهم وإهلاكهم: يا أرض ابلعي ماءك الذي نبع منك، وأما ماء السماء فصار بحراً وأنهاراً. روي هذا المعنى عن ابن عباس[٢].

وقال غيره: المعنى: ابلعي ماءك الذي عليك مما نزل من السماء أو نبع منك.

ويروى: أن الماء ارتفع على أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعاً.

﴿ويا سماء أقلعي﴾ أمسكي عن المطر، ﴿وغيض الماء﴾ مِنْ غَاضَهُ؛ إذا نَقَصَهُ[٣].

قال الزجاج[٤]: غاب في الأرض.

وربما اشتبهت هذه اللفظة على من لا بصيرة له بلغة العرب من القراء فظنها من الغيظ، وليس كذلك.

وفي الكتاب العزيز موضع آخر من هذا المعنى[٥]، وهو قوله تعالى: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ [الرعد:٨]. وقد أوضحت الفرق بين الضاد والظاء وبينت ما عساه يشتبه على بعض الناس مما في ذلك من كتاب الله في تقييده تكون نحواً من

---

(١) لم أعرف قائله.

(٢) زاد المسير (٤/ ١١١).

(٣) انظر: اللسان (مادة: غيض).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٥٥).

(٥) أي: قريب من هذا المعنى.

ثلاثين بيتاً، سميتها: «درة القاري»، والذي يخص هذا الموضع منها قولي:

والغيظ بالظاء إلا ما تغيض غيض الماء في هود الهادي إلى السنن

﴿وقضي الأمر﴾ فُرِغ منه، فهلك من هلك، ونجا من نجا[1]، ﴿واستوت على الجوديّ﴾ أي: استقرت السفينة على الجوديّ[2]، وهو جبل معروف مشهور بناحية الموصل.

وقال مجاهد: تشامختِ الجبال يومئذ، وتواضع الجودي فلم يغرق، فأرْست عليه[3].

﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ قال ابن عباس: بعداً من رحمة الله للقوم الكافرين[4].

قال صاحب الكشاف[5]: ومجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول؛ للدلالة على الجلال والكبرياء، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر،

---

(١) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١١٣): فإن قيل: ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال؟

فالجواب: أن آجالهم حضرت فأميتوا بالغرق. قاله الضحاك وابن جريج.

(٢) الجوديّ: هو جبل مطلّ على جزيرة ابن عمر في الجاني الشرقي من دجلة من أعمال الموصل (معجم البلدان ٢/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٧)، ومجاهد (ص:٣٠٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧١٩-١٧٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١١٢).

(٥) الكشاف (٢/ ٣٧٦).

وتكوين مكون قاهر.

ويروى: أن نوحاً عليه السلام صام يوم عاشوراء، وأمر من معه بالصيام شكراً لله تعالى على نعمة الخلاص من الأعداء، والنجاة من تلك الأهوال الشديدة.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه﴾ أي: أراد النداء، لئلا يكون عاطفاً ﴿فقال رب﴾ بالفاء، وهو هو، ولو أريد النداء بنفسه لجاء كما في قوله: ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً * قال رب﴾ [مريم:٣-٤].

﴿وإن وعدك الحق﴾ أي: الثابت الذي لا شك فيه، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي، ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أعلمهم وأعدلهم(١).

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ تَعَلَّقَ جماعة -منهم الحسن البصري وابن

(١) قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٢/ ٧١): وزعم الواحدي أن السؤال قبل الغرق ومع العلم بكفره، وذلك أن نوحاً عليه السلام لم يعلم أن سؤاله ربه نجاة والده محظور عليه مع إصراره على الكفر، حتى أعلمه الله تعالى ذلك، واعترض بأنه إذا كان عالماً بكفره مع التصريح بأن في أهله من يستحق العذاب، كان طلب النجاة منكراً من المناكير، فتدبر.

جريج والشعبي- بظاهر هذه الآية وقالوا: لم يكن ابنه، وإنما فَجَرَتْ به أمه وولدته على فراش نوح، والأكثرون على خلافه؛ لقوله: ﴿ونادى نوح ابنه﴾[(١)].

قال ابن عباس وابن مسعود: ما بَغَتْ امرأة نبي قط[(٢)].

فإن قيل: ما الحكمة في جواز أن تكون امرأة النبي كافرة ولا تكون فاجرة؟

قلت: لأن فجور المرأة يُلبس زوجها ثوب عار وشنار، تنفر النفوس الأبية عن الانقياد للمشتمل به، بخلاف كفرها، والأنبياء مُنَزَّهون معصومون من الكبائر والرذائل والنقائص المنفرة.

فإن قيل: فما تصنع بقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾؟

قلت: المعنى: ليس من أهلك الذي وعدتك بإنجائهم؛ لأنه إنما وعده بإنجاء من لم يسبق عليه القول، أو ليس من أهل دينك.

﴿إنه عَمَلٌ غير صالح﴾ قال ابن عباس وقتادة: المعنى: أن سؤالك فيه عملٌ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٧٥)، وزاد المسير (٤/ ١١٣).
قال الحافظ ابن كثير (٢/ ٤٤٩): وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية.
ويحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته؛ عن مجاهد، والحسن، وعبيد بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥١). وبنحوه عند ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣٨) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر عن ابن عباس.
قال ابن كثير (٢/ ٤٤٩): وكذا روي عن مجاهد أيضاً وعكرمة والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج، وهو اختيار أبي جعفر بن جرير الطبري، وهو الصواب الذي لا شك فيه.

غير صالح[(١)].

وقال الزجاج[(٢)] وابن الأنباري[(٣)]: إنه ذو عمل غير صالح، كما قالت الخنساء:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذا ادَّكَرَتْ فَإِنَّما هيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[(٤)]

أي: ذات إقبال وإدبار.

وقرأ الكسائي: «إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح»، جعله فعلاً ماضياً[(٥)]، «غير صالح» صفته مصدر محذوف تقديره: إن ابنك عَمِلَ عملاً غير صالح.

﴿فلا تسألني﴾ قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «تَسْأَلَنَّ» بفتح اللام وتشديد النون لتوكيد النهي، غير أن ابن كثير يفتح النون ويعدّي الفعل إلى مفعول واحد وهو «ما»، والآخران يكسرانها، ووَرْش يثبت الياء في الوصل كأبي عمرو، وقرأ الباقون بسكون اللام وتخفيف النون وكسرها[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٠). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٧٦)، وزاد المسير (٤/ ١١٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٥٥).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ١١٤).

(٤) البيت للخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها. انظر البيت في: اللسان، مادة: (قبعر، قبل، سوا)، والقرطبي (٩/ ٤٦)، وروح المعاني (١٢/ ٦٩).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٣٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤١)، والكشف (١/ ٥٣٠)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٤).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٤٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٣)، والكشف (١/ ٥٣٢)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٤).

فمن أثبت الياء فعلى الأصل، ومن حذفها اجتزأ بلكسرة الدالة عليها عنها كالياء للخفة.

قال أبو علي[١]: من كسر النون فقد عدّى السؤال إلى مفعولين؛ أحدهما: اسم المتكلم، والآخر: الاسم الموصول، وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات.

والمعنى: لا تلتمس مني ملتمساً لا تعلم أصواب هو أو غير صواب.

﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ قال ابن عباس: يعني: من الآثمين[٢].

وقيل: من المباهلين بحقيقة ما وعدتك به من إنجاء أهلك، مستثنى مَنْ سبق عليه القول، فما بالك تسألني إنجاءه متمسكاً بوعدي غير ناظر إلى استثنائي، فكان يجب عليك حين رأيت العذاب قد أحاط به والغرق قد أَلْجَمَه، أن تراجع رشدك، لتعلم أنه ليس من أهلك الذين وعدتك إنجاءهم.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[٣] بإسناده عن وهيب بن الورد قال: «لما عاتب الله تعالى نوحاً في ابنه فقال: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ بكى ثلاثمائة عام، حتى صارت تحت عينيه مثل الجداول من البكاء».

﴿قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ أي: أعوذ بك إن طلبت منك ما لا علم لي بجوازه وصحته، ﴿وإلا تغفر لي﴾ ما فرط مني ﴿وترحمني﴾ بالتوبة عليّ ﴿أكن من الخاسرين﴾.

---

(١) الحجة (٢/ ٤٠٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٦).

(٣) الزهد (ص:٦٦).

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا﴾ يعني: من السفينة، «بسلام منا» أي: مسلماً محفوظاً من جهتنا.

﴿وبركات عليك﴾ خيرات نامية.

قال المفسرون: البركات عليه أن صار أبا البشر، فجميعهم من نسله[١].

﴿وعلى أمم ممن معك﴾ قال ابن الأنباري[٢]: من ذراري من معك.

قال محمد بن كعب: دخل في ذلك السلام والبركات كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة[٣].

﴿وأمم﴾: مبتدأ ﴿سنمتعهم﴾: صفة، والخبر محذوف، تقديره: وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا، وحذف لدلالة قوله: «ممن معك» عليه[٤].

﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ شيء في الآخرة، «عذاب أليم» وهو عذاب النار.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٦)، وزاد المسير (٤/ ١١٥).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ٥٧٦)، وزاد المسير (٤/ ١١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) انظر: الدر المصون (٤/ ١٠٥).

قوله تعالى: ﴿تلك﴾: مبتدأ ﴿من أنباء الغيب﴾: خبره ﴿نوحيها إليك﴾: خبر ثان. وإن شئت كان في موضع الحال، أي: تلك كائنة من أنباء الغيب موحاة إليك. وإن شئت كان «تلك» مبتدأ، «نوحيها» الخبر، والجار من صلة «نوحيها»[(١)].

والمشار إليه بقوله «تلك»: قصة نوح، وقيل: آيات القرآن.

«من أنباء الغيب» أي: من بعض أخبار الغيب.

﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ إلا بإيحاء؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، ولا متشاغلين بطلب العلم.

﴿فاصبر﴾ على تبليغ رسالتي وما تَلْقَى في غضون ذلك من الأذى، كما صبر نوح، وتوقع لنفسك ولأتباعك من حسن العاقبة ولمن كفر بك من العقوبة نحو ما قصصنا عليك، ﴿إن العاقبة﴾ آخر الأمر والظفر والتمكين ﴿للمتقين﴾ لك ولأصحابك، كما كانت لنوح ولأصحابه.

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿إن أنتم إلا مفترون﴾ أي: ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان.

---

(١) التبيان (١/ ١٣٤)، والدر المصون (٢/ ٩١-٩٢).

﴿يا قوم لا أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني﴾ ابتدأ خلقي ﴿أفلا تعقلون﴾ إذ تردّون نصيحةَ من لا يلتمسُ أجراً إلا من الله.

﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ سَبق تفسيره في أول السورة[١].

﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ سبق تفسيره في أول الأنعام[٢]، وعدهم هود عليه السلام بإرسال السماء عليهم استمالة لهم إلى الإسلام، وترغيباً لهم في الإيمان؛ لأن الغيث حُبِسَ عنهم ثلاث سنين، وكانوا أهل ضرع وزرع.

﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ بطشاً وشدة إلى ما أُتيتموه من القوة والبأس، زيادة على سائر الناس.

وروي عن ابن عباس: أن القوة: الولد وولد الولد[٣]، فإن أرحام نسائهم عقمت حين عاندوا هوداً وكذبوه، فوعدهم هود بإحياء بلادهم وزيادة أولادهم.

وروي: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما وفد على معاوية رضي الله عنه، فلما خرج من عنده تبعه بعض حجابه، فقال له: إني رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً. فقال له الحسن: عليك بالاستغفار، وكان ذلك الرجل بعدُ يكثِرُ الاستغفار، فولد له عشر بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلاَّ سألته مما كان ذلك؟ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل، فقال: ألم تسمع قول هود عليه السلام: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى

---

(١) عند تفسير الآية رقم (٣).

(٢) عند تفسير الآية رقم (٦).

(٣) زاد المسير (٤/ ١١٧).

قوتكم﴾، وقول نوح عليه السلام: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين﴾ [نوح:١٠-١٢].

قوله تعالى: ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ أي: لا تُعرضوا عني، أو عما جئتكم به من الحق الواضح مُصرّين على إجرامكم وآثامكم.

قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

﴿قالوا﴾ جحوداً وعناداً ﴿يا هود ما جئتنا ببينة﴾ بدلالة واضحة، ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا﴾ يعنون: الأصنام ﴿عن قولك﴾ أي: بقولك، والباء و «عن» يتعاقبان.

قال الزمخشري[1]: «عن قولك» حال من الضمير في «تاركي آلهتنا»، كأنه قيل: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك.

قوله تعالى: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ «إن» حرف نفي لَحِق

(١) الكشاف (٢/ ٣٨١).

«نقول»، فنفى جميع القول إلا قولاً واحداً، وقوله: «اعتراك بعض آلهتنا بسوء» والتقدير: ما نقول قولاً إلا هذه المقالة، أي: إلا مقالتنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال، فيجوز أن يذكر الفعل، ثم يستثنى من مدلوله ما دَلَّ عليه من المصادر والظروف والأقوال، فقوله: «اعتراك» مستثنى من المصدر الذي دل عليه «نقول»؛ كقوله عز وجل: ﴿أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى﴾ [الصافات:٥٨-٥٩] فنصب «موتتنا» على الاستثناء؛ لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دلّ عليه قوله: «بميتين». ومما جاء من ذلك في الظرف قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ [يونس:٤٥]، ومثله: ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ [طه:١٠٤]، و ﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾ [طه:١٠٣]. ومما جاء من ذلك في الحال قوله: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله﴾ [آل عمران:١١٢]، والتقدير: ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما ثقفوا إلا متمسكين بحبل من الله، وهذا أصل كبير لا بد للعالم النحرير من رعايته، فافْهمه وقِسْ عليه.

قال ابن قتيبة[(١)]: عَرَاني كذا واعْتَرَاني؛ إذا ألَمّ بي. ومنه قيل لمن أتاك يطلب نائلك: عار. ومنه قول النابغة:

أَتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ[(٢)]

ومعنى الكلام: ما نقول إلا أن بعض آلهتنا خَبَلَك ومسَّك بجنون لسبّك إياها وعداوتك لها، فأظهر لهم قلّة المبالاة بها وبهم،﴿قال إني أشهد الله واشهدوا أني

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٠٤-٢٠٥).

(٢) البيت للنابغة. انظر: ديوانه (ص:١٢٦)، واللسان: مادة: (عرا)، وزاد المسير (٤/ ١١٨).

بريء مما تشركون﴾.

﴿من دونه فكيدوني جميعاً﴾ احتالوا على ضُرِّي أنتم وآلهتكم، ﴿ثم لا تنظرون﴾ أي: لا تُمهلون، وهذا شبيه بقول نوح عليه السلام: ﴿ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون﴾ [يونس:٧١]، وقول نبينا ﷺ: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ [المرسلات:٣٩].

وهذا من أعظم آيات الرسل وأعجبها أن يواجه الرجل الواحد منهم بهذا الكلام وأمثاله أمة عظيمة كثيرة العدد والعُدد، شديدة الشكيمة في عداوته، حرصاً على استئصال شأفته، وإسكان نأمته، عطاشاً إلى إراقة دمه، ما ذاك إلا لرسوخ قدمهم في التوكل والاعتماد على الله، وقلة المبالاة بحزب الشيطان، ألا ترى إلى قوله: ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ فهي في قبضته وتحت قهره وسلطانه، والعرب إذا وصفت إنساناً بالذلة والخضوع قالوا: ما ناصيته إلا بيد فلان، أي: أنه مطيع له يُصَرِّفُهُ كيف شاء؛ لأن من أخذ بناصية شخص فقد ملكه، فصار تحت قهره وفي قبضته، ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ أي: طريق واضح من العدل.

قال الزجاج[(١)] وابن الأنباري[(٢)]: المعنى: أنه وإن كان قادراً عليهم فهو لا يظلمهم، ولا يُلحقهم بقدرته عليهم إلا ما يوجب الحقُّ وقوعَه بهم.

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ ذهب مقاتل[(٣)] في جماعة من العلماء إلى أنه فعل

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٥٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ١١٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٢).

[ماض][1] المعنى: فإن أعرضوا فقل لهم قد أبلغتكم.

وقال الزجاج وأكثر المحققين[2]: هو خطاب لهم، أصله: فإن تتولوا، فحذف إحدى التائين تحقيقاً.

والمعنى: فإن تُعرضوا عما دعوتكم إليه من الإيمان وترك عبادة الأوثان لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ، وكنتم محجوجين بأن ما أرسلتُ به إليكم قد بَلَّغْتُكُمُوه، فأبيتم إلا التكذيب والعناد والعدوان.

قوله تعالى: ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾ هو كلام مستأنف مؤذنٌ بهلاكهم ومجيء قوم آخرين يخلفونهم في ديارهم وأموالهم.

قال ابن عباس: المعنى: ويخلق بعدكم مَنْ هو أطوعُ لله منكم[3].

﴿ولا تضرونه﴾ بتوليتكم ﴿شيئاً﴾ إنما تضرون أنفسكم ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ فهو يحفظني منكم ويحفظ عليكم أعمالكم فيجازيكم بها.

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

---

(١) في الأصل: ناقص. والمثبت من زاد المسير (٤/ ١١٩). وفي هامش الأصل: لعله: ماضي.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٥٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٨).

قوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا﴾ قال ابن عباس: عذابنا[١].

وقال غيره: جاء أمرنا بهلاكهم، ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي: بسبب رحمة منا، وهو ما أنعم به عليهم من التوفيق للهدى والإيمان، ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ ليس هذا على وجه التكرار للتنجية، وإنما المعنى: وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ.

وقيل: أراد بالتنجية الثانية: التنجية من عذاب الآخرة.

﴿وتلك عاد﴾ يريد: القبيلة.

قال الزمخشري[٢]: «تلك عاد» إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا.

ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: ﴿جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله﴾ وإنما وصفهم بمعصية جميع الرسل؛ لأنهم عصوا رسوله، ومعصية رسول واحد معصية لجميع الرسل؛ لأن الرسل يشهد بعضها لبعض بالصدق، ويأمر بعضها بطاعة بعض، ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ أما الجبار فهو المسلَّطُ الذي يَقهر الناس على ما يريد. تقول: أَجْبَرَ يُجْبِرُ فهو مُجْبِر.

وذكر الفراء[٣] أنه سمع العرب تقول: جبرته، بمعنى: الإجبار، وعلى هذه اللغة قولهم: جَبَّار؛ لأن فَعّالاً لا يكاد يجيء إلا من الثلاثي.

وقيل: جَبَّار مِنْ أَجْبَرَ، على غير قياس، ومثله: دَرَّاك من أَدْرَكَ، وحَسَّاس من

(١) زاد المسير (٤/ ١٢٠).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٨٣).

(٣) لم أقف عليه في معاني الفراء.

أَحَسَّ، وسَارَّ من أَسَارّ بمعنى، أبقى.

والعنيد من قولك: عَنَدَ يَعْنِدُ -بكسر النون- عُنُوداً، أي: خالف وَرَدَّ الحق وهو يعرفه، فهو عَنِيدٌ وعَانِدٌ، والجمع: عُنُدٌ وعُنَّدٌ[١].

﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾ أي: أردفوها.

فإن قيل: لم حَذَفَ الصفة في قصة موسى في هذه السورة فقال: ﴿وأتبعوا في هذه لعنة﴾؟

قلتُ: اكتفاء بالبيان الواضح في التي قبلها، حيث أسبغ القول فيها بذكر الصفة والموصوف.

﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ أي: بربهم، فحذف الباء، كما في قول الشاعر[٢]:

أمرتك الخير ....

وقد سبق[٣].

﴿ألا بُعْداً لعاد﴾ من رحمة الله ﴿قوم هود﴾ عطف بيان.

قال الزمخشري[٤]: فإن قلت: «بُعْداً» دعاء بهلاك، فما معنى الدعاء به عليهم بَعْدَ هلاكهم؟

قلتُ: معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له، ألا ترى إلى قوله:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عند).

(٢) البيت لعمرو بن معدي كرب، ديوانه (ص:٦٣)، وخزانة الأدب (٩/ ١٢٤)، ومغني اللبيب (ص:٣١٥)، والدر المصون (١/ ٢١٠). والبيت هو:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مَالٍ وذا نَشَب

(٣) في سورة الأعراف.

(٤) الكشاف (٢/ ٣٨٣-٣٨٤).

إِخْوَتي لا تَبْعُدُوا أبداً وَبَلى وَالله قَدْ بَعُدُوا[(١)]

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ أي: خلقكم من آدم، وكان خلق آدم في قبضة قبضها من جميع الأرض.

وقيل: المعنى أنشأكم من الأرض.

﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم عُمَّارها.

وقال مجاهد: جعلكم ساكنيها مدة أعماركم، ومنه: العُمْرى[(٢)].

وقال الضحاك: أطال أعماركم، وكانت أعمارهم من [ألف][(٣)] إلى ثلاثمائة[(٤)].

﴿إن ربي قريب﴾ بالرحمة إلى من ناداه ﴿مجيب﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن

---

(١) انظر البيت في: روح المعاني (٢٩/ ١٧٨).

(٢) الماوردي (٢/ ٤٧٩)، وزاد المسير (٤/ ١٢٣).

قال الآلوسي في روح المعاني (١٢/ ٨٨): العُمْرى: بضم فسكون، مقصور، وهي -كما قال الراغب الأصفهاني في العطية-: أن تجعل له شيئاً مدة عمرك أو عمره.

(٣) في الأصل: آلاف. والتصويب من الماوردي (٢/ ٤٧٩)، وزاد المسير (٤/ ١٢٣).

(٤) الماوردي (٢/ ٤٧٩)، وزاد المسير (٤/ ١٢٣).

كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ نرْجو أن تَدْخُلَ في ديننا وتوافقَنا على ما نحنُ عليه، وهذا معنى قول مقاتل[١].

وقيل: معناه كنتَ فينا مَرْجُوّاً لما يلوح فيك من مخايل الرشد ودلائل النجابة، فكنا نرجو أن تكون ردءاً لنا، مقدماً فينا، مملكاً علينا، معاذاً لنا في المعضلات إذا ادلهمَّتْ، وملاذاً لنا في العظائم إذا أَلَمَّتْ، فانقطع منك حبل رجائنا، وآل بك الخلاف إلى تضليل آبائنا، وتسفيه آرائنا. وهذا معنى قول كعب، قال: لأنه كان فيهم ذا حسب وثروة[٢].

﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ استفهام في معنى التوبيخ والإنكار، ﴿وإننا﴾ وفي سورة إبراهيم[٣] ﴿وإنا﴾، وهما لغتان، وكذلك إني وإنني، وليتي وليتني، ولعلي ولعلني. قال الله تعالى: ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ [غافر:٣٦]. وقال الشاعر:

أَرِيني جَواداً مَاتَ هَزْلاً لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخيلاً مُخَلَّدا[٤]

وقال تعالى: ﴿يا ليتني كنت معهم﴾ [النساء:٧٣].

وقال الشاعر:

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٢٣).

(٣) الآية رقم: (٩).

(٤) البيت لدريد بن الصمة. وهو في: اللسان، مادة: (أنن، علل)، والطبري (١/ ٥٥٤) ونسبه لحطائط بن يعفر، والقرطبي (٧/ ٦٤)، وزاد المسير (٤/ ١٢٤).

كَمُنْيَةِ جَابِرٍ إذ قَالَ لَيْتَني أُصَادِفُهُ وَأُتْلِفُ بَعْضَ مَالي[(١)]

قال الفراء[(٢)]: من قال «إننا» أخرج الحرف عن أصله؛ لأن كناية المتكلمين «نا»، فاجتمعت ثلاث نونات: نونا «إن» والنون المضمومة إلى الألف. ومن قال: «إنّا» استثقل الجمع بين الثلاث نونات، فأسقط الثالثة وأبقى الأولين.

والمعنى: إننا ﴿لفي شك مما تدعونا إليه﴾ من التوصل ورفض آلهتنا ﴿مريب﴾ مُوقِعٌ في الريبة، وهي قلق النفس بانتفاء الطمأنينة.

فإن قيل: لم قال هنا ﴿تدعونا﴾، وفي إبراهيم: ﴿تدعوننا﴾؟

قلت: هاهنا الرسول واحد، والنون مع الألف ضمير المتكلمين، وفي «إبراهيم» الخطاب للرسل، والنون الأولى لا تسقط إلا بناصب أو جازم.

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ أي: برهان بيّن ودليل واضح ﴿وآتاني منه رحمة﴾ وهي النبوة ﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾ أي: من يمنعني من عذابه إن عصيته بعد البينة ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ لكم لا لي.

قال ابن عباس: فما تزيدونني غير بصارة في خسارتكم[(٣)].

وقيل: فيه إضمار، تقديره: فما تزيدونني غير تخسير إن رجعت إلى دينكم، وهذا الاستثناء بمنزلته في قوله: ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ [التوبة:٤٧]، وقد سبق تفسيره والكشف عن معناه.

---

(١) انظر البيت في: اللسان، مادة: (ليت)، وزاد المسير (٤/ ١٢٤).

(٢) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر: زاد المسير (٤/ ١٢٤).

(٣) زاد المسير (٤/ ١٢٤).

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى
دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ جائز أن يكون النصب في «آية» على التمييز، على معنى: هذه ناقة الله لكم من جملة الآيات.

وقال الزمخشري[1]: «آية» نصب على الحال، وقد عَمِلَ فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل.

فإن قلت: فبِمَ يتعلق «لكم»؟

قلت: بـ«آية» حالاً منها متقدمة؛ لأنها لو تأخرت كانت صفة، فلما تقدمت انتصبت على الحال.

﴿فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ سبق تفسيره[2].

﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ عاجل لا يستأخر عنكم إن مسستموها بسوء إلا يسيراً، وهو ثلاثة أيام.

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٨٥).

(٢) عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف.

﴿فعقروها فقال تمتعوا﴾ أي: استمتعوا بالعيش ﴿في داركم﴾ أي: في بلدكم، وتسمى البلاد: الديار؛ لأنه يدار فيها، ومنها ديار بكر[1]، لبلادهم.

وقيل: «في داركم»: في دار الدنيا.

﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ أتى غير كذب، فناب مناب المصدر، كالصدوقة في معنى الصدق.

وقيل: المعنى: غير مكذوب فيه، فاتسع إلى الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به، كقولك: يوم مشهود.

﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ إن قيل: لم عطف هذا بالفاء، وفي قصة لوط، وعطف في قصة هود وشعيب بالواو؟

قلتُ: لأن ما قبل الفاء في القصتين اقتضى تعليقه به وتعقيبه عليه، وهو قوله هنا: ﴿فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ ... ﴿فلما جاء أمرنا﴾، وكذا في قصة لوط قال: ﴿إن موعدكم الصبح أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا﴾ بخلاف قصة هود فإنه لم يتقدم العطف ما يوجب اتصاله وتعلقه بما قبله، وإنما جاءت جامعة بين الخبرين، وكذلك في قصة شعيب.

فإن قيل: أليس يقول في قصة شعيب: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ إلى قوله: ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾؟

قلتُ: لم يتوعدهم بارتقاب العذاب كما في قصتي هود ولوط، وإنما دعاهم إلى

---

(١) ديار بكر: هي بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن سعد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وحدُّها ما غرب من دجلة على بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة (معجم البلدان ٢/ ٤٩٤).

ارتقاب العذاب، فلم يكن الثاني متصلاً بالأول، ولا تحقق فيه معنى التعقيب.

قوله تعالى: ﴿ومن خزي يومِئذ﴾ قال ابن الأنباري[(١)]: هو معطوف على محذوف، تقديره: نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ.

ويجوز أن تكون الواو دخلت لفعل مضمر، تأويله: نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذ.

قرأ نافع والكسائي: «يومَئذ» بفتح الميم، ومثله في النمل، وسأل سائل؛ ووافقهما عاصم وحمزة في النمل، والباقون بكسر الميم للإضافة[(٢)]، ومن فتَحَ بنى «يوماً» على الفتح؛ لأن ظروف الزمان إذا أضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف إليه، كما قال النابغة:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشيبَ عَلى الصِّبَا   فَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ؟[(٣)]

فبنى «حين» على الفتح؛ لأنه أضاف الماضي، والمضاف يكتسي من المضاف إليه البقاء، كما يكتسى منه التعريف والتنكير والعموم وغيره، وجاء التنوين في «إذ» من قوله: «يومئذ»؛ لأن «إذ» مضاف إلى الجملة؛ كقولك: حينئذ إذ الخليفة

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٥٨٠)، وزاد المسير (٤/ ١٢٣)، والبيان (٢٩).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٤)، والكشف (١/ ٥٣٢-٥٣٣)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٧)، والسبعة في القراءات (ص:٢٣٦).

(٣) البيت للنابغة. انظر: ديوانه (ص:٧٩)، والكتاب (٢/ ٣٣٠)، واللسان، مادة: (بهر، وزع)، وابن الشجري (١/ ٤٦)، وابن يعيش (٣/ ١٦)، والخزانة (٣/ ١٥١)، والعين (٢/ ٤٠٦)، والمنصف (١/ ٥٨)، واللمع (١/ ٢١٨)، وشرح شواهد المغني (ص:٢٩٨)، والطبري (٧/ ١٤١، ١٩/ ١٤٢، ٣٠-٩٠)، والقرطبي (٦/ ٣٨٠، ١٣/ ١٦٨)، والوسيط (٢/ ٥٨٠)، وروح المعاني (١٢/ ٩٢).

عبدالملك، فلما حذف منه المضاف إليه نوّن، ليكون التنوين دليلاً على ذلك المعنى. فلما دخله التنوين كسر الدال لالتقاء الساكنين.

وكان الأخفش يقول: من نصب «يومئذ» جعله اسماً واحداً، وجعل الإعراب في الآخر.

﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ قال ابن الأنباري[1]: محمولة على الصياح، وأنشد غيره:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ   سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ[2]

حمله على المعنى، إذ الصوت بمعنى الصيحة.

﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ سبق تفسيره[3]، وذكر القصة في الأعراف.

﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم﴾ قرأ حمزة وحفص: ﴿ألا إن ثمودَ﴾، وفي الفرقان: ﴿وعاداً وثمودَ﴾[4]، وفي العنكبوت: ﴿وثمودَ وقد تبين لكم﴾[5]، وفي النجم: ﴿وثمودَ فما أبقى﴾[6] بغير تنوين فيهن، والباقون بالتنوين[7].

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٥٨٠)، وزاد المسير (٤/ ١٢٣)، والبيان (٢/ ٢٠).

(٢) البيت لِرُوَيْشِد بن كثير الطائي. انظر البيت في: اللسان، مادة: (صوت)، والقرطبي (٢/ ٢٥٨، ٧/ ٣٤٠، ١٠/ ٢٩١).

(٣) عند تفسير الآية (٩٢) من سورة الأعراف.

(٤) الآية: ٣٨.

(٥) الآية: ٣٨.

(٦) الآية: ٥١.

(٧) الحجة للفارسي (٢/ ٤٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٤-٣٤٥)، والكشف (١/ ٥٣٣)، =

وقرأ الكسائي وحده: «ألا بعداً لثمودٍ» بالخفض والتنوين(١).

فمن صرف ذهب إلى الحي أو الأب، ومن لم يصرف ذهب إلى القبيلة، فيجتمع التعريف والتأنيث، والقراءتان متكافئتان في الجودة.

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ قال ابن عباس: جاءه جبريل وميكائيل وإسرافيل(٢).

وفي رواية عنه: كانوا اثني عشر مَلَكاً(٣).

قال السدي: كانوا على صور الغلمان الوضاء(٤).

= والنشر (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٧).

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٥)، والكشف (١/ ٥٣٣)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٧).

(٢) ذكره الماوردي (٢/ ٤٨٢)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٢٧).

(٣) الماوردي (٢/ ٤٨٢)، وزاد المسير (٤/ ١٢٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٢٨).

والبشرى: البشارة بالولد، في قول الحسن[١] ومقاتل[٢].

أو بهلاك قوم لوط، في قول قتادة[٣].

أو بنبوته، في قول عكرمة[٤].

﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾ نصب الأول بنفس القول، ورفع الثاني بإضمار المبتدأ، أي: أمرنا سلام، أو أمركم سلام، أو إنا ذو سلام.

وقال الفراء[٥]: أضمر «عليكم»، كما قال الشاعر:

فَقُلْنا السَّلامُ فَاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِها ... فَمَا كَانَ إلا [وَمْؤُها][٦] بالحَواجِبِ[٧]

والعرب تقول: التقينا فقلنا: سلامٌ سلام.

وقرأ حمزة والكسائي: «قال سِلْم» بكسر السين هنا وفي الذاريات[٨].

قال الفراء[٩]: هو في معنى سلام، كما قالوا: حِلّ وحَلال، وحِرْم وحَرَام، والتفسير ورد بأنهم سَلَّمُوا عليه فردَّ عليهم، وأنشد الفراء:

---

(١) الماوردي (٢/ ٤٨٢) من قول الحسن، وزاد المسير (٤/ ١٢٧). وهذا القول أقوى الأقوال؛ لدلالة سياق الآية عليه؛ لأن الله تعالى قال في سورة الصافات: ﴿وبشروه بغلام حليم﴾.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٥).

(٣) الماوردي (٢/ ٤٨٢)، وزاد المسير (٤/ ١٢٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٣). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٨٢)، وزاد المسير (٤/ ١٢٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢١).

(٦) في الأصل: ماؤها. والتصويب من مصادر البيت.

(٧) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان، مادة: (ومأ، سلم)، وزاد المسير (٤/ ١٢٧).

(٨) الحجة للفارسي (٢/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٦)، والكشف (١/ ٥٣٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٨).

(٩) معاني الفراء (٢/ ٢٠-٢١).

مَرَرْنَا فَقُلْنا إِيهِ سِلْم فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بالبَرْقِ الغَمَامُ اللَّوائِحُ[(١)]

وقيل: هو من المسالمة، على معنى: نحن سلم وصلح، لا حرب بيننا وبينكم.

﴿فما لبث أن جاء﴾ قال الزجاج[(٢)]: أي: ما أقام حتى جاء، ﴿بعجل حنيذ﴾ قيل: هو المشوي بالحجارة.

وقيل: هو المشويّ حتى يقْطُر[(٣)]. والعرب تقول: احْنِذ هذا الفرس، [أي][(٤)]: اجعل عليه الحِمْلَ حتى يقطر عَرَقاً.

وقيل: الحنيذ: المشوي فقط.

وقيل: الحنيذ: السَّمِيط[(٥)].

قال عبدالله[(٦)] بن عمير: مكث إبراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف، فاغتمّ لذلك، فلما جاءته الملائكة رأى أضيافاً لم ير مثلهم، فجاءهم بعجل حنيذ[(٧)].

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ أي: إلى العجل؛ لأنهم كانوا ملائكة

---

(١) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان، مادة: (كلل، طلح)، ومعاني الفراء (٢/ ٢١)، والطبري (١٢/ ٦٩)، والبحر المحيط (٥/ ٢٤٢)، والدر المصون (٤/ ١١٢)، والماوردي (٢/ ٤٨٢)، وروح المعاني (١٢/ ٩٤).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٦١).

(٣) أي: يسيل منه الدهن.

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) السميط: الذي نُتِفَ عنه الصوف ونُظِّفَ من الشعر بالماء الحار للشوي (اللسان، مادة: سمط).

(٦) في الوسيط: عبيد بن عمير.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨١).

﴿نكرهم﴾ وأنكرهم واستنكرهم واحد. قال الأعشى:

وأَنْكَرَتْني وَمَا كَانَ الذي نَكِرَتْ مِنَ الحَوادِثَ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا[١]

﴿وأوجس منهم خيفة﴾ أي: أضمر في نفسه خوفاً منهم؛ لأنه لم يأمن أن يكون مجيئهم لبلاء أو شرّ، حيث لم يتحرموا بطعامه.

قال بعض أهل العلم: الظاهر أنه أحسَّ بأنهم ملائكة ونكِرهُم؛ لأنه تَخَوَّفَ أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه، أو لتعذيب قومه، ألا ترى إلى قولهم: ﴿لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾، وإنما يُقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا، وإنما قالوا له: "لا تخف"؛ لأنهم رأوا أثر الخوف والتغيير في وجهه، أو عرفوه بتعريف الله: "إنا أرسلنا"[٢] أي: بالعذاب "إلى قوم لوط".

﴿وامرأته﴾ أي: وامرأة إبراهيم، وهي سارة عليها السلام ﴿قائمة﴾ من وراء الستر تسمع تحاورهم. وقيل: قائمة على رؤوسهم تخدمهم.

وقال ابن إسحاق: قائمة تصلي[٣].

﴿فضحكت﴾ قال قتادة: ضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب منهم[٤].

---

(١) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٣٧)، والمحتسب (٢/ ٢٩٨)، والخصائص (٣/ ٣١٠)، واللسان، مادة: (نكر)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٩١)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٣)، والطبري (١٢/ ٧١، ٢٩/ ٢٣٦)، والقرطبي (٩/ ٦٦، ١٧/ ٤٥، ١٩/ ١٦٠)، والماوردي (٢/ ٤٨٣)، وزاد المسير (٤/ ١٢٩، ٨/ ٤٤٩)، والبحر المحيط (٥/ ٢٤٢)، والدر المصون (٤/ ١١٣).

(٢) في الأصل زيادة قوله: إلى قوم.

(٣) الماوردي (٢/ ٤٨٤)، وزاد المسير (٤/ ١٢٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

وقال مقاتل[1]: ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه مع كونه في مَنَعَةٍ من أهله وغلمانه. وهو مروي عن ابن عباس[2].

وقال السدي: ضحكتْ تعجباً من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت: عجباً لهؤلاء، نخدمهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا[3].

وقيل: ضحكت سروراً بالأمن؛ لأنها كانت خافت كما خاف إبراهيم.

وقيل: ضحكت سروراً بموافقتها الصواب، فإنها كانت أشارت على إبراهيم أن يضم إليه لوطاً، وقالت: إن العذاب سينزل بقومه.

وقيل: ضحكت سروراً بالبشارة بالولد. وهذا مروي عن ابن عباس ووهب بن منبه[4].

فعلى هذا: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق فضحكت. اختاره ابن قتيبة.

وقال مجاهد وعكرمة: «ضحكت» بمعنى: حاضت[5]. تقول العرب:

= (٤/ ٤٥١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٥).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥٠-٤٥١) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ٧٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٣٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٣) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٥) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥١-٤٥٢) وعزاه لابن جرير عن مجاهد. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لأبي الشيخ.

ضَحِكَت الأرنبُ؛ إذا حاضت[١].

وأنشد ابن الأنباري:

تَضْحَكُ الضَّبعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ[٢]

فعلى هذا: يكون حيضها حينئذ تأكيداً للبشارة بالولد؛ لأن من لا تحيض لا تحمل.

قال ابن الأنباري[٣]: أنكر الفراء[٤] وأبو عبيدة[٥] وأبو عبيد: أن يكون «ضحكت» بمعنى حاضت.

وعرّفه غيرهم، وأنشد:

تضحك الضبع ....

ثم قال بعض أهل اللغة: معناه: تحيض.

قلت: قد ذكر المرزوقي في «شرح الحماسة» هذا المعنى فأنكره وقال: قول من قال: تضحك الضبع: تحيض، ليس بشيء.

قوله تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ قال أهل التفسير: كان إبراهيم عليه السلام قد ولد له من هاجر إسماعيل، فكبر وشَبَّ، وتمنَّت سارة أن يكون لها ابن، وأَيِسَتْ من ذلك لكبر سنها، فبشرت بولد يكون نبياً ويلد نبياً[٦].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ضحك).

(٢) البيت لتأبط شراً. وهو في: زاد المسير (٤/ ١٣٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ١٣٠).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٢).

(٥) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨١-٥٨٢).

قال الزجاج[١]: بشروها بأنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولده. قال جبريل لسارة: أبشري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق[٢].

﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ أي: ومن بعد إسحاق يعقوب، هذا هو الأظهر، وعليه الأكثر.

ورُوي عن ابن عباس والشعبي أن «الوراء»: وَلَدُ الوَلَد[٣]. واختاره أبو عبيدة.

ويرد عليه أن يقال: يعقوب ولد إسحاق لصلبه، فكيف يكون وراءه بالمعنى المذكور؟

وأجاب ابن الأنباري عنه فقال[٤]: المعنى: ومن وراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب؛ لأنه قد كان الوراء لإبراهيم من جهة إسحاق. فلو قال: «من وراء يعقوب» لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى إسماعيل. فأضيف إلى

(١) معاني الزجاج (٣/ ٦٢).

(٢) فائدة: قال الماوردي (٢/ ٤٨٥-٤٥٦): فإن قيل: فلم خُصَّت سارة بالبشرى من دون إبراهيم؟
قيل: عن هذا ثلاثة أجوبة:
أحدها: أنها لما اختصت بالضحك اختصت بالبشرى.
الثاني: أنهم كافأوها بالبشرى مقابلة على استعظام خدمتها
الثالث: لأن النساء في البشرى بالولد أعظم سروراً وأكثر فرحاً.
قال ابن عباس: سمي إسحاق؛ لأن سارة سحقت بالضحك حين بشّرت به.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٦). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٨٥)، وزاد المسير (٤/ ١٣١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الشعبي، وعزاه لابن الأنباري.

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ١٣٠-١٣١).

إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس.

ويجوز أن ينسب ولد إبراهيم من غير إسحاق إلى سارة على جهة المجاز، فكان تأويل الآية: من الوراء المنسوب إلى سارة وإلى إبراهيم من جهة إسحاق يعقوب.

واختلف القراء السبعة في «يعقوب»: فقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بنصب الباء، وقرأه الباقون بالرفع(١).

فمن نصب حمله على المعنى، كأنه قال: وهبنا لها إسحاق، ووهبنا لها يعقوب.

ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع قوله: «بإسحاق»؛ لأن موضع الجار والمجرور نصب، كما تقول: مررت بزيد وعمراً، وَخَشَّنْتُ(٢) بصدره وصدر زيد.

ويجوز أن يكون قوله: «يعقوب» جرّاً، عطفاً على قوله: «إسحاق»، أي: بشرناها بإسحاق ويعقوب من وراء إسحاق، كقول الأعشى:

يَوْماً تَراها كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ العَصْبِ   وَيَوْماً أَدِيمُها نغِلا(٣)

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٧)، والكشف (١/ ٥٣٤)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٨).

(٢) خَشَّنْتُ صدره تخشيناً: أَوْغَرْتُ (اللسان، مادة: خشن).

(٣) البيت للأعشى يذكر نبات الأرض. انظر: ديوانه (ص:٢٨٣)، واللسان، مادة: (نغل، أدم)، والحجة للفارسي (٢/ ٤١٣)، وشرح شواهد الإيضاح (ص:١٢٤)، وتاج العروس (١٦/ ٢٥)، والخصائص (٢/ ٣٩٥)، وشرح عمدة الحافظ (ص:٦٣٦).

ونَغِلَ الأديم: فسد في الدباغ. ونغل الأديم: إذا عفن وتهرّى في الدباغ فيفسد ويهلك. واستشهد الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ١٣٤) بهذا البيت على قوله: نغل وجه الأرض؛ إذا تهشّم من الجدوبة (اللسان، مادة: نغل).

والعَصْبُ: ضَرْبٌ من برود اليمن، سُمِّي عَصْباً؛ لأن غزلهُ يُعْصَب، أي يُدرج، ثم يُصبغُ، ثم يُحاك، وليس من برود الرَّقم، ولا يُجمع (اللسان، مادة: عصب).

أي: وأديمها يوماً، ففصل بالظرف بين الجار والمجرور، وهذا الوجه ضعيف.

قال الزجاج[١]: من زعم أن «يعقوب» في موضع خفض، فخطأ زعمه ذلك؛ لأن الجار لا يفصل بينه وبين المجرور، ولا بينه وبين الواو العاطفة، لا يجوز: مررت بزيد في الدار والبيت عمرو، ولا في البيت عمرو، حتى تقول: وعمرو في البيت.

ومن رفع فعلى الابتداء، والعطف المقدم خبره، كما تقول: في الدار زيد.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

﴿قالت يا ويلتى﴾ الأصل فيها: «وَيْلَتِي» بالياء، وهي قراءة الحسن[٢]، فأبدلوا من ياء الإضافة ألفاً؛ لأنها أخف من الياء والكسرة، وكذلك «يا لهفا» و «يا عجبا». وهي كلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم عند التفجع والحسر.

﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ تقول: شيخٌ بَيِّنُ الشَّيْخُوخَة، والشيخوخة والشيخ والتشييخ، كل ذلك مصدر للشيخ. فأما الشيخ والشيخوخة فمبنيان على مصدر، وهو شَاخَ يَشيخُ، ويجمع شيخ على شيوخ وأشياخ وشِيْخَة، مثل: عود وعودة، وثور وثورة، ويجمع على مَشْيَخَة. فأما المشايخ فليس بجمع شيخ، ويصلح أن يكون جمع الجميع.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٦٢-٦٣).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٤٤).

قال قتادة: كان لكل واحد منهما تسعون سنة[١].

وقال مجاهد: كان إبراهيم ابن مائة سنة، وكانت هي بنت تسع وتسعين سنة[٢].

وقيل: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة[٣].

وقوله: «هذا» مبتدأ، خبره «بعلي شيخاً»، ونصب على الحال، والعامل فيه: معنى الإشارة التي دلت عليها «ذا»، أو معنى التنبيه الذي دلت عليه «ها»[٤].

وقرئ شاذاً: «شيخٌ» بالرفع خبر بعد خبر[٥]، أو بدل من «بعلي»، أو يكون «بعلي» بدلاً، و «شيخ» خبر «هذا»، أو يكون «شيخ» خبر ابتداء آخر، على تقدير: وهذا بعلي وهذا شيخ.

ذكر هذه الوجوه الأربعة سيبويه في الكتاب[٦]، وروى القراءة عن ابن مسعود، ثم إنه استشهد ببيت الراعي وهو قوله:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٦) وفيه: أنها كانت يومئذ بنت سبعين. وانظر: الماوردي (٢/ ٤٨٦)، وزاد المسير (٤/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥٣) وعزاه لابن الأنباري وأبي الشيخ، وفيه أنها كانت بنت سبعين.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥١) وعزاه لابن جرير.

(٣) وهو قول عبيد بن عمير وابن إسحاق. أخرجه الطبري (١٢/ ٧٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٥٦). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٢)، والماوردي (٢/ ٤٨٦)، وزاد المسير (٤/ ١٣٣).

(٤) التبيان (٢/ ٤٢)، والدر المصون (٤/ ١١٥).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٩).

(٦) الكتاب (٢/ ٨٣) وما بعدها.

مَــنْ يَـكُ ذا بَـتٌّ [فَهَـذا][١] بَتِّـي مُقَـــيِّظٌ مُـــصَيِّفٌ مُـــشَتِّي
اتَّخَذْتُـــهُ مِـــنَ النِّعَـــاجِ الـــسِّتّ سُودٌ جِعادٌ مِـنْ نِعـاجِ الدَّشْـتِ[٢]

والبَتُّ: الكساء.

وقوله: «اتخذته من النعاج الست» أي: من صوف ست نعجات، والدَّشْت: الصَّحراء[٣]، وهو مُعَرَّب. ومثـل [هـذا][٤] قولـه: ﴿ذلـك جـزاؤهم جهـنم﴾ [الكهف:١٠٦] فيه [الوجوه][٥] الأربعة المذكورة في قوله: «وهذا بعلي شيخاً».

﴿إن هذا﴾ يعني الذي تذكرونه من وجود مولود بين شيخ وعجوز[٦] هرمين ﴿لشيء عجيب﴾ مُسْتَبْعَدٌ في العادة.

﴿قالوا﴾ يعني: الملائكة لسارة حين ازدهتها البشارة، فاستبعدت الولادة من حيث العادة، ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ أي: من قضائه وقـدره وخرقـه للعـادات، وأنت حليلة الخليل تشاهدين معجزاته وتعاينين آياته، ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾، جائز أن يكون دعاء لهم، وجائز أن يكون إخباراً عن ثبـوت ذلـك لهم، ومن آثار تلك البركات كون الأنبياء من نسلهما.

﴿إنه حميد مجيد﴾ أي: محمود يستوجب الحمد من عباده مجيد.

---

(١) في الأصل: فهذ. والتصويب من مصادر البيت.

(٢) البيتان للراعي. انظر: الكتاب (٢/ ٨٣ وما بعدها)، واللسان، مادة: (قيظ، بتت).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (دشت).

(٤) في الأصل: هذاه.

(٥) في الأصل: الوجه.

(٦) في الأصل زيادة قوله: همين.

قال ابن قتيبة[١]: مجيد بمعنى: ماجد، وهو الشريف.

وقال الخطابي[٢]: هو الواسع الكرم. يقال: رَجُلٌ مَاجِدٌ؛ إذا كان سَخِيّاً واسع العطاء.

وفي بعض الأمثال: «في كُلِّ شَجَرٍ نارٌ، [واسْتَمْجَدَ المَرْخُ وَالعَفَارْ][٣]، أي: استكثرا منها.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ وهو ما أوجس في نفسه حين نكر أضيافه، ﴿وجاءته البشرى﴾ فامتلأ سروراً بها بدل الخوف، وجوابُ «لَمَّا» محذوف تقديره: أخذ أو أقبل.

وقوله: ﴿يجادلنا﴾[٤] في موضع الحال من الضمير في أخذ أو أقبل[٥].

وفيه وجه آخر: وهو أن قوله: «يجادلنا» جواب «لما». وكأن حَقَّ الكلام «جادلنا»، كما تقول: لما قمت قمت، وأنت لا تقول: لما قمت أقوم، ولكن جاء

(١) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٤/ ١٣٣).

(٢) شأن الدعاء (ص:٧٤-٧٥).

(٣) في الأصل: واستجمد المرج والعقار. والتصويب من شأن الدعاء، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: يجادلنا وقوله.

(٥) التبيان (٢/ ٤٣)، والدر المصون (٤/ ١١٦).

«يجادلنا» على لفظ المضارع؛ لأنه حكاية الحال[١].

والمعنى: يجادل رسلنا ﴿في قوم لوط﴾ حين قالوا له: ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ [العنكبوت:٣١]، فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمناً أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فحينئذ قال: ﴿إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ [العنكبوت:٣١].

قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ تنبيه على أن هذه الأوصاف هي التي حملته على المجادلة في قوم لوط، وهي التي حملته على الاستغفار لأبيه في موضعه[٢]، وقد سبق تفسير «الحليم» في البقرة، و «الأوّاه» في براءة[٣].

﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ الجدال ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ عذابه، أو أمره بإهلاكهم، ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ عنهم بجدال ولا سؤال. و «عذاب» مرتفع باسم الفاعل وهو قوله: «آتيهم».

قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً﴾ قال المفسرون: خرجت الملائكة من عند إبراهيم فأتوا قرية لوط عليه السلام عشاء[٤].

وقال السدي: أتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا بنت لوط تستقي الماء لأهلها، فقالوا لها: يا جارية! هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم، لا تدخلوا حتى آتيكم، فَرَقاً عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه! أدرك فتياناً على

(١) التبيان (٢/ ٤٣)، والدر المصون (٤/ ١١٦).
(٢) سورة التوبة الآية: (١١٤).
(٣) عند تفسير الآية: (١١٤).
(٤) زاد المسير (٤/ ١٣٥).

باب المدينة ما رأيت أحسن من وجوههم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلاً، فجاء بهم ولم يعلم بهم أحداً إلا أهل بيت لوط، فأخبرت امرأته قومها، فجاؤوا يهرعون إليه[١].

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ
يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ
مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ
لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾
قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ
وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿سيء بهم﴾ أصله سوئ، فعل من السوء، إلا أن الواو أسكنت وأنقلت[٢] كسرتها إلى السين فقلبت ياء. والمعنى: ساءه مجيئهم خوفاً عليهم من قومه، وأن يعجز عن المدافعة عنهم.

﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ قال الزجاج[٣]: يقال: ضاق فلان بأمره ذَرْعاً؛ إذا لم يجد

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٨١-٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٣٥).

(٢) في زاد المسير: ونقلت.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٦٦).

من المكروه في ذلك الأمر مَخْلَصاً.

قال صاحب الصحاح[(١)]: يقال: ضِقْتُ بالأَمْرِ ذَرْعاً؛ إذا لم [تُطِقْهُ][(٢)] وَلَمْ تَقْوَ عَليه. وأَصْلُ الذَّرْعِ إنما هو بَسْطُ اليد، فكأنك تريد: مددتُ يدي إليه فلم تَنَلْه، وربما قالوا: ضِقْتُ به ذِراعاً.

و «ذرعاً» نصب على التمييز[(٣)].

﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ أي: شديد، وأنشدوا:

فَإِنَّكَ إلاَّ تَرْضَ بَكْرَ بن وائل يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بالعِراقِ عَصِيبُ[(٤)]

ويقال: يوم عَصِيبٌ وعَصَبْصَب، واعْصَوْصَبَ اليوم: اشْتَدَّ[(٥)].

قال أبو عبيدة[(٦)]: العصيب: الشديد الذي يعصب الناس بالشر.

قوله تعالى: ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ قال أبو عبيدة[(٧)]: يستحثون. كأنه يحث بعضهم بعضاً. وقيل: يسرعون، يقال: أهرع الرجل، على ما لم يسم فاعله، كما يقال: أرعد وأولع، وسهى الرجل من السهو.

---

(١) الصحاح للجوهري (٣/ ١٢١٠).

(٢) في الأصل: يطقه. والتصويب من الصحاح، الموضع السابق.

(٣) التبيان (٢/ ٤٣)، والدر المصون (٤/ ١١٧).

(٤) انظر البيت في: الطبري (١٢/ ٨٢)، والقرطبي (٩/ ٧٤)، والماوردي (٢/ ٤٨٨)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: عصب).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٩٣).

(٧) مجاز القرآن (١/ ٢٩٤).

قال ابن الأنباري[١]: كل واحد من هذه الأفاعيل خرج الاسم معه مقدراً تقدير المفعول، وهو صاحب الفعل لا يعرف له فاعل غيره.

قال: وقال بعض النحويين: تأويل أولع زيد أولعه: طبعه، وأرعد [الرجل][٢] أرعده: غضبه، وسهى [عمرو][٣] جعله ساهياً ماله أو جهله، وأهرع معناه: أهرعه خوفه ورعبه، فلهذه العلة خرج هؤلاء الأسماء مخرج المفعول به.

قوله تعالى: ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ أي: ومن قبل مجيئهم إلى لوط، أي: ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات من إتيان الذكور وغيرها من أنواع الفواحش مجاهرة، حتى صارت لهم دَيْدناً وعادة، لا يردعهم حياء، ولا يزجرهم زاجر، وكذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين.

﴿قال﴾ لوط عليه السلام: ﴿يا قوم هؤلاء بناتي﴾ المعنى: فتزوجوهن، وأراد ابنتيه -في قول ابن عباس[٤]- فأوقع الجمع على الاثنين، كما في قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ [الأنبياء:٧٨]، أراد ابنتيه منضمتين إلى نساء أمته، -وهو قول أكثر المفسرين[٥]-، إذ كل نبي أبو أُمَّتِه.

قال الحسن: كان تزويج المسلمات من الكفار جائز[٦].

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٣٧).

(٢) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) الماوردي (٢/ ٤٨٨)، وزاد المسير (٤/ ١٣٧).

(٥) مثل السابق.

(٦) الماوردي (٢/ ٤٨٨)، وزاد المسير (٤/ ١٣٨).

قال الزمخشري[١]: وقد زَوَّجَ النبي ﷺ قبل الوحي ابنتيه من أبي العاص بن وائل وعتبة بن أبي لهب.

وهذا خطأ فاحش؛ لأن ابن وائل هو العاص، وزوج بنت رسول الله ﷺ إنما هو أبو العاص بن الربيع.

وقال الزجاج[٢]: عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم.

﴿هن أطهر لكم﴾ قال مقاتل[٣]: أحل لكم من إتيان الرجال.

وقوله: «هؤلاء» مبتدأ، و «بناتي» عطف بيان، «وهن» فصل، و «أطهر» خبر للمبتدأ[٤].

ولم يجز النصب في «أطهر»، وقد قرأ به محمد بن مروان وعيسى بن عمر[٥].

وقال الزجاج[٦]: لا يجيز هذا أحد من البصريين، ويجيزه غيرهم.

وقال غيره في توجيه هذه القراءة: «هؤلاء» مبتدأ، و «بناتي» ابتداء ثان، «وهن» خبره. والجملة خبر المبتدأ الأول، و «أطهر» نصب على الحال، والعامل في الحال معنى الإشارة[٧]، كما تقول: هذا زيد قائماً.

﴿فاتقوا الله﴾ بإيثارهن عليهم ﴿ولا تُخْزُونِ﴾ أي: تفضحوني، ولا تفعلوا فعلاً

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٩٠).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٦٧).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٦).

(٤) التبيان (٢/ ٤٣)، والدر المصون (٤/ ١١٧).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٢٤٧).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٦٧).

(٧) الدر المصون (٤/ ١١٨).

أستحيي منه، والعرب تقول: قد خَزِيَ الرّجل يَخْزى خِزَايـة؛ إذا اسـتحيى، فهـو خَزْيان، وامرأة خَزْيا[١]، ومنه الحديث: «غير خزايا»[٢]. ونقلتُ تصريف اللغة في «الخزي» في البقرة، والجمع: خزايا. قال الشاعر:

مِنَ البيض لا تخزي إذا الريح ألصقت　　　بها مرطها أو زايل الحلي جيدها[٣]

﴿في ضيفي﴾ أي: في حق ضيفي، وهو اسم يقع على الواحد والجمع، تقول: رجل ضيف، ورجلان ضيف، وقوم ضيف، وكذلك المؤنـث، ويقـال أيـضاً في الجمع: أضياف، وضيوف، وضيفان، والأول أصح. قال الشاعر:

إِذا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيفِ ضَيْفَنٌ　　　فَأَوْدَى بِمَا يُقْرِى الضُّيُوفُ الضَّيَافِنُ[٤]

الضَّيْفَن: ضَيْفُ الضَّيْف.

﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ في نفسه يهتدي إلى فعل الجميل وترك القبيح، أو رشيد يهديكم ويأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ قال ابن عباس: من حاجة[٥].

وقال ابن إسحاق وابن قتيبة[٦]: المعنى: لسن لنا بأزواج فنستحقَّهن[٧].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خزا).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٤٣) من حديث طويل.

(٣) انظر البيت في: القرطبي (٩/ ٧٧)، وزاد المسير (٤/ ١٣٩).

(٤) انظر البيت في: اللسان، مادة: (ضيف، ضفن).

(٥) الماوردي (٢/ ٤٨٩) من قول الكلبي، وزاد المسير (٤/ ١٣٧).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٢٠٧).

(٧) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ٨٦)، وابـن أبي حـاتم (٦/ ٢٠٦٣). وانظـر: الوسـيط (٢/ ٥٨٣)، والماوردي (٢/ ٤٨٩)، وزاد المسير (٤/ ١٣٩).

وقيل: لما اتخذوا إتيان الذكور مذهباً وتوطؤا عليه، كان عندهم هو الحق، ونكاح الإناث هو الباطل، فلذلك قالوا: «ما لنا في بناتك من حق». أو يكون ذلك منهم على مذهب الخلاعة، ألا ترى إلى قولهم: ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ إشارة إلى عملهم الخبيث.

﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ جوابه محذوف، تقديره: لو أن لي بكم قوة بنفسي أو بجماعة ينصرونني ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ عشيرة عزيزة منيعة لَحُلْتُ بينكم وبين ما اجترأتم عليه من الجرائم.

قال قتادة: ذكر لنا أنه لم يبعث الله تعالى نبياً قط بعد لوط إلا في عزّ من قومه[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد))[2].

وفي رواية للبخاري: ((يغفر الله تعالى للوط))[3].

ويروى أن الملائكة قالت له: إن ربك لشديد، فافتح الباب ودعنا وإياهم.

قال ابن عباس: كان لوط عليه السلام قد أغلق بابه وقومه يعالجونه،

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٨٨) عن قتادة. وأخرجه البخاري في الأدب (٦/ ٢١٢)، والترمذي (٥/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٤)، والحاكم (٢/ ٦١١) كلهم عن أبي هريرة. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٧) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٥٩) وعزاه لابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لسعيد بن منصور وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن أبي هريرة، وعزاه للبخاري في الأدب والترمذي وحسّنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣١ ح٤٤١٧)، ومسلم (١/ ١٣٣ ح١٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣٥ ح٣١٩٥).

ويتسوّرون عليه الجدار، ولوط يجادلهم ويعظهم، فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا، فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم، فأذن له، فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم، وذلك قوله: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم﴾ [القمر:٣٧]، فانصرفوا يقولون: النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى نصبح، وجعلوا يهددونه ويتوعدونه، فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم، قالوا: الصبح، قال: لو أهلكتموهم الآن. قالوا: أليس الصبح بقريب[(١)]؟.

قوله تعالى: ﴿فأسر بأهلك﴾ قرأ الحرميان: «فَاسْرِ» بوصل الهمزة حيث وقع، من سرى.

قال الشاعر:

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُم وَحَتَّى الجِيادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ[(٢)]

وقرأ الباقون بقطع الهمزة، مِنْ أَسْرى[(٣)].

قال النابغة:

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦١) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات.

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٩٣)، واللسان، مادة: (غزا، مطا)، والطبري (٢/ ٣٤٢)، وزاد المسير (٤/ ١٤١)، وروح المعاني (٤/ ٢٠٥).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٤١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٧)، والكشف (١/ ٥٣٥)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٨).

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ [تُزْجِي][1] الشّمالُ عَلَيْهِ جَامِدَ البَرَدِ[2]

قال أبو مالك[3]: لم يُؤْمِنْ بلوط إلا ابنتاه[4].

﴿بقطع من الليل﴾ أي: بطائفة منه.

قال ابن الأنباري[5]: ذِكْرُ القِطَع بمعنى القطعة مختص بالليل، لا يقال: عندي قِطَع من الثوب بمعنى قطعة.

﴿ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «امرأتُك» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب[6].

فمن نَصَبَ فعلى معنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك. ويؤيده تفسير ابن عباس، فإنه قال: المعنى: لا يتخلف منكم أحد[7].

---

(١) في الأصل: ترخي. والتصويب من مصادر البيت.

(٢) البيت للنابغة. انظر: ديوانه (ص:٣١)، واللسان، مادة: (زجا، سرا)، ومجمل اللغة (٣/ ٤٧٩)، والحجة للفارسي (٢/ ٤١٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٦/ ٣٩٠)، والقرطبي (٩/ ٧٩، ١٠/ ٢٠٥، ١٢/ ٢٨٨)، وزاد المسير (٤/ ١٤١).
والسارية: السحابة التي تسري ليلاً، وجمعها: السواري.
وزجى الشيء وأزجاه: ساقه ودفعه.
والجوزاء: أحد بروج السماء.

(٣) في الوسيط: ابن مالك.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨٤).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ١٤٢).

(٦) الحجة للفارسي (٢/ ٤١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٧-٣٤٨)، والكشف (١/ ٥٣٦)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٨).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٤٢)، والسيوطي في

وهو قول جماعة من أهل العلم، فإنهم قالوا: لم تخرج معه، أو يكون على أصل الباب في الاستثناء.

ومن رَفَعَ فعلى البدل مِنْ «أَحَد».

وقال ابن الأنباري[(١)]: يكون الاستثناء على قراءة من رفع منقطعاً، معناه: لكن امرأتك فإنها تلتفت، فيصيبها ما أصابهم.

قال مجاهد ومقاتل[(٢)]: هو الالتفات المعروف[(٣)].

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت هَدَّةَ العذاب الْتَفَتَتْ، فقالت: وا قوماه! فأصابها حَجَرٌ فأهلكها، وهو قوله: ﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾[(٤)].

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ يعني: المؤتفكات قرى قوم لوط، وكانت من خمس قرى، أعظمها: سدوم.

قال ابن عباس وغيره: أمر جبريلُ لوطاً بالخروج، فقال: اخرج وأخرج

= الدر المنثور (٢/ ٢٦٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٤٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٧).

(٣) زاد المسير (٤/ ١٤٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٦). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٤)، وزاد المسير (٤/ ١٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦٢) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

غنمك وبقرك، فقال: كيف لي بذلك وقد أُغْلِقَتْ أبوابُ المدينـة، فبسط جناحـه فحمله وبنتيه وما لهم من شيء فأخرجهم من المدينة، وسأل جبريل ربه أن يولّيـه إهلاكهم، فولاّه ذلك، فلما بدا الصبح غدا عليهم جبريل فاقتلع أرضهم من سبع أرضين، فاحتملها حتى بلغ بها السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة، ثم قَلَبَها عليهم، وجعل يتبعُ مسافرتهم ومن تحول عـن قـراهم، فرماهم بالحجارة(١).

قوله تعالى: ﴿وأمطرنا عليها حجـارة مـن سـجيل﴾ قـال الـضحاك: يعنـي الآجر(٢).

قال ابن عباس: هي معرّبة من (سَنْك) و(كِلْ). الـسَّنْك: الحجـر، والكِـلْ: الطين. وهذا قول أكثر العلماء(٣).

وقال عكرمة: «سِجِّيل»: بحر معلق في الهواء(٤). مِنْ أَسْـجَلْته؛ إذا أَرْسَـلْته، وكأنها مُرْسَلَة عليهم(٥).

---

(١) أخرجه الطبري مجزءاً (١٢/ ٩٧-٩٨). وكذلك عند ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٦-٢٠٦٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٤)، وابن أبي حـاتم (٦/ ٢٠٦٨)، وابـن أبي شـيبة (٦/ ١٢٢). وانظـر: الوسيط (٢/ ٥٨٤)، وزاد المسير (٤/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٣-٤٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) زاد المسير (٤/ ١٤٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: سجل).

وقال بعضهم: مِنْ أَسْجَلْت؛ إذا أَعْطَيت، وجعله من السَّجْل، وهو الدَّلْو[١]، وأنشد بيت الفضل بن العباس:

مَنْ يُسَاجِلْني يُسَاجِلْ مَاجِداً يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلى عَقْدِ الكَرَب[٢]

وقيل: «من سجيل»: أي: من سِجِلّ، بما كُتِبَ لهم[٣]، وهذا القول إذا فُسِّر فهو أثبتها[٤]؛ لأن في كتاب الله دليلاً عليه. قال الله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾[٥] [المطففين:٧].

قال الزجاج[٦]: وسجيل في معنى سجين، وهذا أحسن ما مَرَّ فيها عندي.

وقال ابن عباس وغيره في قوله: ﴿منضود﴾: يَتْبَعُ بعضُها بعضاً كالمطر[٧].

﴿مسوّمة﴾ أي: مُعَلَّمَة بعلامة تُعرف بها أنها ليست من حجارة الدنيا.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: كانت مخططة بالسواد والحمرة[٨].

قال قتادة: كان بها نضحٌ من حمرة فيها خطوط حمر على هيأة الجزع[٩].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سجل).

(٢) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. وهو في: اللسان، مادة: (سجل)، والطبري (١٢/ ٩٤)، والقرطبي (٩/ ٨٢، ١١/ ٣٤٧)، وفتح القدير (٢/ ٥١٦).

(٣) في اللسان: من سجيل: كقولك: من سِجِلٍّ، أي: ما كتب لهم.

(٤) في اللسان: أبينها.

(٥) انظر: اللسان، (مادة: سجل).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٧٢).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨٤)، وزاد المسير (٤/ ١٤٥).

(٨) زاد المسير (٤/ ١٤٥).

(٩) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وأبي الشيخ.

قال الربيع بن أنس: كان على كل حجر منها اسم صاحبه[(١)].

وحكي عن بعض من رآها قال: كانت مثل رأس الإبل، ومثل مبارك الإبل، ومثل قبضة الرجل.

قوله تعالى: ﴿عند ربك﴾ أي: في خزائنه التي لا يُتصرف فيها إلا بإذنه.

﴿وما هي﴾ يعني: الحجارة ﴿من الظالمين ببعيد﴾ قال قتادة: والله ما أجار الله تعالى منها ظالماً بعد قوم لوط[(٢)].

وفي هذا تهديد وتخويف لكفار قريش وغيرهم.

وقيل: الضمير في قوله: «هي» لقرى قوم لوط. أي: وما القرى من ظالمي أهل مكة بمكان أو بشيء بعيد، فإنهم يمرون عليها في أسفارهم وينظرون إلى آثارهم.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ كان من شأنهم التطفيف في الكيل والبخس في الميزان، فنهاهم شعيب عليه السلام عن ذلك مذكراً لهم بنعم الله

(١) زاد المسير (٤/ ١٤٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

عليهم ومخوفاً لهم من عقابه فقال: ﴿إني أراكم بخير﴾ يريد كثرة الأموال وسعة الأرزاق. والمعنى: فأي ضرورة بكم إلى التطفيف والبخس.

﴿وإني أخاف عليكم﴾ إن أصررتم على ذلك ﴿عذاب يوم محيط﴾ أي: مهلك. من قوله تعالى: ﴿وأحيط بثمره﴾ [الكهف:٤٢] وأصله من إحاطة العدو.

قال ابن عباس ومجاهد: المراد بالعذاب: القحط وغلاء الأسعار[١].

وقال مقاتل[٢]: المراد به: اليوم الذي أصابهم فيه العذاب.

وقيل: يوم القيامة.

﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أتموها بالعدل.

قال صاحب الكشاف[٣]: إن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء، فما فائدة قوله: «أوفوا»؟

قلت: نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان؛ لأن في التصريح بالقبيح نعياً على المنهي وتعييراً له، ثم ورد الأمر [بالإيفاء][٤] الذي هو حسن في العقول مصرحاً بلفظه، لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه، وجيء به مقيداً بالقسط، أي: ليكن [الإيفاء][٥] على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٦) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٢٨).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٩٤).

(٤) في الأصل: بالأفاء. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: الإفاء. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بنقص المكيال والميزان. وقد سبق ذكر «العُثُو» في البقرة.

وهذا إشارة إلى أن نقص المكيال والميزان والبخس من العثو في الأرض، وهو شدة الفساد. والتقدير: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم.

قوله تعالى: ﴿بقيت الله خير لكم﴾ قال ابن عباس: يعني: ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد تمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف[1].

وقال مجاهد: «بقيّت الله»: طاعة الله خير لكم[2]، وهذا كقوله: ﴿والباقيات الصالحات﴾ [الكهف:٤٦].

وقرأ الحسن: «تقية الله» بالتاء المعجمة من فوق بنقطتين[3].

قوله تعالى: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ إعلام بأن الطاعة -على قول مجاهد-، والتقوى -على قراءة الحسن- لا تنفع ولا تجدي خيراً إلا بشرط الإيمان.

فإن قيل: فما معنى اشتراطه -على قول ابن عباس- مع العلم أن الحلال خير لهم، ولو كانوا كفاراً؛ لما يستلزم من خلاصهم من إثم الحرام؟

قلت: شرط الإيمان في كونه خيراً لهم؛ لأنهم به يَعرفون كونه خيراً لهم، أو لأن بالإيمان تمام الخير، وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ويجوز أن يكون المعنى: إن كنتم مصدقين بما أقول لكم.

---

(١) الطبري (١٢/ ١٠٠)، والوسيط (٢/ ٥٨٦)، وزاد المسير (٤/ ١٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٢)، ومجاهد (ص:٣٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٩).

﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها، وإنما بعثت مبلغاً ومنذراً لا مكرهاً مجبراً.

قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

﴿قالوا يا شعيب أصلواتك﴾ وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «أصلاتك» على التوحيد[1].

﴿تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ قال عطاء: يريد: أدينك يأمرك[2]، فكَنَّى عن الدين بالصلوات؛ لاشتماله عليها، وكونها أعظم شعائره وأظهر أعلامه، وكان شعيب عليه السلام كثير الصلاة.

قال صاحب الكشاف[3]: ساقوا الكلام مساق الطَّنْز[4]، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته، وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته.

والمعنى: تأمرك بتكليف أن [نترك][5] ما يعبد آباؤنا، فحذف المضاف الذي هو التكليف؛ لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره.

﴿أو أن نفعل﴾ عطف على ما بعد التعذيب أن نترك عبادة آباءنا وفعل ما نشاء

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٨)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٤٩).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٤) الطَّنْز: السخرية (اللسان، مادة: طنز).

(٥) في الأصل: تترك.

﴿في أموالنا﴾ من البخس والتطفيف والتصرف في الدراهم بالكسر.

ولأن قوله: «أو أن نفعل» معطوفاً على «أن نترك»؛ لأنه لو كان معطوفاً عليه لكان المعنى: أصلواتك تأمرك بأخذ هذين، وليس هو وجه الكلام، وإنما وجهه ومعناه: أصلواتك تأمرك بتركنا هذين. و «أو» هاهنا بمنزلتها في قوله: ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ [النساء:١٣٥] ولم يقل: به، كما قال: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً﴾ [النساء:١١٢] وقال: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ [النساء:١٢] ولم يقل: ولهما.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وابن أبي عبلة والضحاك: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء» بتاء الخطاب فيهما[١].

وقرأ الضحاك بن قيس الفهري: «نفعل» بالنون «تشاء» بالتاء[٢].

قال سفيان الثوري في تفسير هذه القراءة: أمرهم بالزكاة فامتنعوا[٣].

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ قال الزمخشري[٤]: نسبوه إلى غاية السفه والغي، فعكسوا ليتهكموا به، كما يُتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره، فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس وجمهور المفسرين وأرباب المعاني.

وقال ابن كيسان: هو على الصحة، أي: يا شعيب إنك فينا حليم رشيد، فليس

(١) زاد المسير (٤/ ١٥٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٣). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٤/ ١٥٠).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٩٦).

يجمل بك شقك عصا قومك ولا مخالفتهم، كقول ثمود: ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾[١].

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ سبق تفسيره[٢].

﴿ورزقني منه﴾ أي: من عنده، ﴿رزقاً حسناً﴾ وهو الحكم والنبوة.

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: هو كثرة المال من الوجه الحلال[٣].

وجوابه محذوف لدلالة الكلام عليه.

المعنى: أخبروني إن كنتُ على حجة واضحة من ربي وكنت نبياً؛ أيصح ألاَّ آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عما لا يجوز؟ والأنبياء إنما يبعثوا لذلك.

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ من التطفيف وغيره، فأستبدُّ به وأنفردُ بنيل لذّته. تقول: خَالَفْتُ فلاناً إلى كذا؛ إذا قَصَدْته وهو مُعْرِضٌ عنه، وخَالَفْتُهُ عن كذا؛ إذا أَعْرَضْتَ عنه وهو قاصِده.

﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾ ما أريد بما أمرتكم به ونهيتكم عنه إلا إصلاحكم.

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٥٠).

(٢) عند تفسير الآية رقم (٢٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٣) عن الضحاك. وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٦)، وزاد المسير (٤/ ١٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

قوله تعالى: ﴿ما استطعت﴾ ظرف، أي: في مدة استطاعتي لإصلاحكم، أو بدل من الإصلاح. أي: المقدار الذي استطعته منه. ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على معنى: إن أريد إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت.

﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ أي: ما توفيقي في إصابة الحق وإرادة الإصلاح إلا بالله، أي: بعونه وتأييده.

﴿عليه توكلت﴾ في دفع أذاكم وما توعدوني به من قولكم: «لنخرجنك يا شعيب»، ﴿وإليه أنيب﴾ أرجع يوم المعاد.

ويجوز عندي أن يكون المعنى: وإليه أنيب في أموري كلها، واتقاء بنصرته وتدبيره، راضياً بقضائه وتقديره.

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي .. الآية﴾ قال الزجاج[1]: لا تكسبنَّكُم عداوتكم إيَّايَ، ﴿أن يصيبكم﴾ عذاب العاجلة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح﴾.

قال الزمخشري[2]: وقرأ ابن كثير: «يُجرمنكم» بضم الياء، مِنْ أجرمته ذنباً؛ إذا

(١) معاني الزجاج (٣/ ٧٤).
(٢) الكشاف (٢/ ٣٩٨).

جعلته جارماً له، أي: كاسباً، وكما لا فرق بين كسبته [مالاً][1] وأكسبته إياه، فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته إياه، والقراءتان مستويتان في المعنى، إلا أن [المشهورة][2] أفصح لفظاً، كما أن: كسبته مالاً أفصح مِنْ أكسبته.

والمراد بالفصاحة: أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أَدْوَر، وهم له أكثر استعمالاً.

﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ أي: بمكان أو بشيء أو زمان بعيد.

قال الزجاج[3]: كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها، فكأنه قال لهم: العظةُ في قوم لوط قريبةٌ منكم.

قال صاحب الكشاف[4]: ويجوز أن يسوى في بعيد وقريب، وقليل وكثير، بين المذكر والمؤنث؛ لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما.

﴿إن ربي رحيم﴾ بمن تاب وأناب إليه، ﴿ودود﴾ من قولك: وددت فلاناً أوده وداً، بضم الواو وفتحها وكسرها، وِداداً بكسر الواو وفتحها، ووَدادة بفتح الواو.

وقال الخطابي[5]: هو اسم مأخوذ من الوُدّ، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون فَعُولاً في محلّ مَفْعُول، كما قيل: رَجُلٌ هَيُوبٌ، بمعنى:

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٣٩٨).

(٢) في الأصل: المشهور. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٧٤).

(٤) الكشاف (٢/ ٣٩٨).

(٥) شأن الدعاء (ص:٧٤).

مَهِيْب، وفَرَسٌ رَكُوبٌ، بمعنى: مَرْكُوب. فالله تعالى مَوْدُودٌ في قلوب أوليائه، لما يَتَعَرَّفُونَهُ من إحسانه إليهم.

والوجه الثاني: أن يكون بمعنى: الوادّ، أي: أنه يَوَدُّ عباده الصالحين، بمعنى: أنه يرضى عنهم ويتقبل أعمالهم. ويكون معناه: أنه سبحانه وتعالى يُودِّدُهُم إلى خلقه، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾ [مريم:٩٦].

قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ جائز أن يكون هذا على ظاهره، وأنهم لا يفقهون كثيراً من قوله؛ لنفرتهم عنه ومباينتهم له، فأعاروه آذاناً صماً، وقلوباً عمياً قد طبع الله تعالى عليها، ومنع من وصول الخير إليها، فلم تفقه صحة قوله.

وجائز أن يكون فهموه، لكنهم نفوا الفهم لإعراضهم عنه، فكأنهم لذلك لم يفهموه، وقالوا له ذلك على وجه الاستهانة به، كما يقول الرجل لمن يخاطبه وهو لا يريد خطابه ولا يعبأ به: ما أدري ما تقول.

وجائز أن يكون ذلك منهم على وجه النكت له بالتخليط في كلامه، والإيذان بأنه هذيان لا يفهم، كما يقول الرجل اللوذعي الألمعي ذو القلب الأصمعي للبليد البعيد الفهم إذا حدثه بشيء: أنا لا أفهم هذا.

﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ قال ابن عباس وقتادة: كان أعمى[١].

وقال الزجاج[٢]: ويقال: إن حِمْير تُسمي المكفوف ضعيفاً.

وقال الحسن: «ضعيفاً»: مهيناً ذليلاً[٣].

وهذا هو التفسير الذي تشهد بلاغة القرآن بصحته؛ لأنهم لو أرادوا نعيه بالعمى ورميه به، لم يقل: «فينا»؛ لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم[٤].

قال الزمخشري[٥]: ولذلك قللوا قومه فقالوا: ﴿ولولا رهطك﴾ أي: عشيرتك. والرَّهْطُ: من الثلاثة إلى العشرة. وقيل: إلى السبعة. وإنما قالوا: لولاهم احتراماً لهم واعتداداً بهم؛ لأنهم كانوا على ملتهم، لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم، ﴿لرجمناك﴾ أي: لقتلناك بالحجارة شر قتلة.

وذكر بعضهم: أن المعنى: لشتمناك وآذيناك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦) كلاهما عن سعيد بن جبير.
وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق آخر عن ابن عباس بلفظ: "كان ضرير البصر".
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠) عن ابن عباس. وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٧)، وزاد المسير (٤/ ١٥٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٠) وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم وصححه والخطيب وابن عساكر.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٧٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦). وانظر: الماوردي (٢/ ٤٩٩)، وزاد المسير (٤/ ١٥٢).

(٤) الأصل سلامة الأنبياء من العيوب التي تقلل من عملهم في أداء الرسالة، ولا شك أن العمى من تلك العيوب، ورجح المؤلف رواية الحسن البصري لأن ذلك التفسير تشهد بلاغة القرآن الكريم بصحته، وهو مقتضى كمال رسل الله صلوات الله عليهم خلقاً وخلقاً.

(٥) الكشاف (٢/ ٣٩٩).

والأول أظهر وأشهر.

﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي: بممتنع علينا.

وقيل: ما أنت علينا بكريم فنُعِزّ فعلك ونحترمك عن أن نرجمك، وإنما يعز علينا رهطك.

﴿قال يا قوم أرهطي أعزّ عليكم من الله﴾ المعنى: أتراعون رهطي إكراماً[1] لهم واحتراماً، ولا تراعون الله تعالى في رسوله المبعوث إليكم بأمره ونهيه[2].

﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ قال الفراء[3]: المعنى: رميتم بأمر الله وراء ظهوركم.

قال الزجاج[4]: والعرب تقول لكلّ من لا يعبأ بأمرٍ: قد جعل فلانٌ هذا الأمر [بظهره][5].

[قال الشاعر:

(١) في الأصل زيادة قوله: أكرماً.

(٢) فائدة: قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٢٠): إنما قال «أعز عليكم من الله» ولم يقل: أعز عليكم مني؛ لأن نفي العزة عنه وإثباتها لقومه كما يدل عليه إيلاء الضمير حرف النفي استهانة به، والاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله عز وجل، فقد تضمن كلامهم أن رهطه أعزّ عليه من الله، فاستنكر ذلك عليهم وتعجب منه، وألزمهم ما لا مخلص لهم عنه ولا مخرج لهم منه بصورة الاستفهام. وفي هذا من قوة المحاجة، ووضوح المجادلة، وإلقام الخصم الحجر، ما لا يخفى، ولأمر ما سمى شعيب خطيب الأنبياء.

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٧٥).

(٥) في الأصل وزاد المسير: بظهر. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

تميمَ ابن قيس لا تكُونَنَّ حَاجَتي بظَهْرٍ](١) فلا يَعْيَا عَلَيَّ جَوابُها(٢)

قال ابن عباس: ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي والله أعز وأكبر من جميع خلقه(٣).

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿سوف تعلمون﴾.

إن قيل: لم أسقط الفاء هاهنا وأثبتها في موضع آخر؟

قلت: قال ابن الأنباري وغيره(٤): كلا الأمرين حسن عند العرب، إن أدخلوا الفاء دلوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله، وإن أسقطوها بنوا الكلام الأول على أنه قد تم، وما بعده مستأنف، كقوله: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزءاً﴾ [البقرة:٦٧] والمعنى: فقالوا، فحذفت الفاء لتمام ما قبلها. قال امرؤ القيس:

فقالت يمين الله ما لكَ حيلةٌ وما إن أرى عنك الغواية تنجلي

خرجتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا على إثرنا أذيال مرْطٍ مُرَحَّل(٥)

أراد: فخرجت، فأسقط الفاء لتمام ما قبلها.

ويروى: فقمت بها أمشي.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٧٥).

(٢) البيت للفرزدق. وهو في: اللسان، مادة: (حوب)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩١)، وذيل الأمالي (ص:٧٧)، وزاد المسير (١/ ٥٢١، ٤/ ١٥٣)، وروح المعاني (١/ ٣٣٧).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ١٥٣-١٥٤).

(٥) البيتان لامرئ القيس. انظر ديوانه (ص:١٤)، وزاد المسير (٤/ ١٥٤). وانظر البيت الثاني في: تأويل مختلف الحديث (١/ ١٧٧)، وتنوير الحوالك (١/ ١٨)، وروح المعاني (٢/ ٩٨).
ومَرْطٌ مُرَحَّل: إزار خز فيه عَلَم، سمي مُرَحّلاً؛ لأن عليه تصاوير الرّحال (اللسان، مادة: رحل).

وكشف صاحب الكشاف النقاب عن وجه المعنى ببراعته قرطين في البلاغة بسهم إصابته، فقال[(١)]: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت، فقال: [سوف][(٢)] تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه.

﴿وارتقبوا﴾ انتظروا ما أعول لكم، ﴿إني معكم رقيب﴾ منتظر نزول العذاب المخزي بكم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ارتقبوا العذاب، إني مرتقب من الله الرحمة والثواب[(٣)].

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ قال محمد بن كعب: عذّب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب؛ أخذتهم رجفة في ديارهم حتى خافوا أن

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٠٠).

(٢) في الأصل: فسوف. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٥٤).

تسقط عليهم، فخرجوا منها فأصابهم حرّ شديد، فبعث الله تعالى الظلّة [فتنادوا][1]: هلمّوا إلى الظلّ، فدخلوا جميعاً إلى الظلّة، فَصِيحَ بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم[2].

فإن قيل: لم جاء هاهنا ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ وجاء في الأخرى قبلها: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾؟

قلت: قد سبق في مواضع أن الفعل إذا حَصَلَ فجائز التذكير والتأنيث، والتذكير عندهم أحسن طلباً للخفة، غير أنك إذا تدبرت هذا الجائز لا تراه منفكاً عن مطابقة ومشاكلة تزيده حسناً ومذهباً مقصوداً في باب البلاغة والفصاحة، فقال سبحانه وتعالى هاهنا: ﴿وأخذت﴾؛ لأن بعدها ﴿كما بعدت ثمود﴾. وقال: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ [الحج:٤٦] ولم يقل: فيكون، لقوله: «بها». وقوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج:٤٦] فكل ذلك مؤنث، فلذلك كان التأنيث في قوله: «فتكون» أحسن. وقال تعالى: ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ [إبراهيم:٥٠] فجاء بالتاء مع الفعل لقوله: ﴿يوم تبدل الأرض﴾ [إبراهيم:٤٨]، فاعتبرْ بهذا التقدير ما يرد عليك في كتاب الله تعالى من هذا النوع، فإنه كثير الوقوع، وتدبرْه على الوجه المذكور من طلب المطابقة والمشاكلة، تجده إن شاء الله على ما بيّنته وذكرته.

وقيل: إنما اختير في قصة شعيب التأنيث؛ لأن الله تعالى أخبر عن هلاك قوم شعيب بثلاثة ألفاظ منها: «الرجفة» في قوله تعالى في قصته في الأعراف:

---

(١) في الأصل: فنادوا. والتصويب من زاد المسير (٤/ ١٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٥٤).

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ [٧٨]، ومنها «الصيحة» هاهنا، ومنها «الظلّة» في الشعراء: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ [١٨٩].

وجاء في التفسير أن الثلاث جمعت لهم، بدأت بهم الرجفة فأضجروا، فنالهم حرّ الشمس فرأوا الظلّة فبادروا إليها، فجاءتهم الصيحة فَهَمَدوا. فلهذا المعنى اختير التأنيث في قصته دون قصة صالح.

وما لم أفسّره هاهنا فهو مفسّر فيما سبق.

قوله تعالى: ﴿كما بعدت ثمود﴾ يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ مثل: عَهِدَ يَعْهَدُ، وبَعُدَ يَبْعُدُ بضم العين فيهما، وبها قرأ أبو عبدالرحمن السلمي[١]، والمعنى واحد.

وقال ابن الأنباري[٢]: العرب تقول: بَعُدَ الطريق يَبْعُدُ، وبَعِدَ الميت يَبْعَدُ؛ إذا هَلَكَ، والمصدر فيهما: البُعد.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: بعلاماتنا الشاهدة بنُبُوَّته ﴿وسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة، وهي العصا، وكانت أظهرَ حجة وأبهرها، وأوضحَ معجزاته وأشهرها.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٥٧).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ٥٨٧).

﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ حين دعاهم إلى اتخاذه إلهاً، ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ بل هو ضلال مكشوف ظاهر لمن له أدنى مُسْكَة من عقل، فهذا تجهيل للذين شايعوه وتابعوه على أمره مع وضوح بطلانه، وبعدما شاهدوا تلك الآيات وذلك السلطان المبين.

﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ أي: يمشي أمامهم إذا سيقوا إلى جهنم، كما كان يَقْدُمهم في الضلال. يقال: قَدَمَه يَقْدُمُهُ قداماً وقُدُوماً؛ إذا تَقَدَّمَهُ[1].

﴿فأوردهم النار﴾ جاء به على نظم الماضي للقطع بكونه، كأنه قيل: فيوردهم النار لا محالة، ﴿وبئس الورد المورود﴾ الموضع أو الشيء الذي ترده.

قال ابن الأنباري: تلخيصه: بئس الشيء الذي يورد النار.

وقال الزمخشري[2]: «الوِرْد»: المورود، و[«المورود»][3]: الذي وردوه، [شبه][4] بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء، وشبه أتباعه بالواردة، ثم قيل: بئس الورد الذي يردونه النار؛ لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، والنار ضده.

﴿وأتبعوا في هذه لعنة﴾ أي: في هذه الدنيا لعنة، وهي الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ عذاب النار. هذا قول ابن السائب ومقاتل[5].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قدم).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٠٢).

(٣) في الأصل: المورد. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وشبه. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ١٣١). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٩)، والماوردي (٢/ ٥٠٢)، وزاد المسير (٤/ ١٥٦).

وقيل: هي لعنة المؤمنين لهم في الدنيا، ولعنة الملائكة لهم في الآخرة[١].

﴿بئس الرفد المرفود﴾ أي: بئس العون المعان، أو بئس العطاء المعطى.

قال ابن قتيبة[٢]: الرِّفْد: العطية. يقال: رَفَدْتُهُ أَرْفِدُهُ؛ إذا أَعْطَيْتُهُ وَأَعَنْتُهُ. والمرفود: المعطى.

قال قتادة: ترادفت عليهم لعنتان؛ لعنة الدنيا، ولعنة الآخرة[٣].

وقال مجاهد: [رفدوا][٤] يوم القيامة بلعنة أخرى زيدوها، فتانك لعنتان[٥].

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى﴾ «ذلك» مبتدأ، «من أنباء القرى» خبره ﴿نقصه عليك﴾ خبر ثان[٦]، على معنى: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك ﴿منها﴾ أي: من القرى ﴿قائم﴾ أي: ما هو باق على ساق ترى جدره، ﴿وحصيد﴾ أي: ومنها ما هو حصيد مُنْدَرِسٌ قد انمحى وعفا أثره،

---

(١) الماوردي (٢/ ٥٠٢)، وزاد المسير (٤/ ١٥٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١١١)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨١). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٨٩).

(٤) في الأصل: وفدوا. والتصويب من الوسيط (٢/ ٥٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٠-١١١)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨١)، ومجاهد (ص:٣٠٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) التبيان (٢/ ٤٥)، والدر المصون (٤/ ١٢٩).

كالزرع الذي حُصد بعضُه وبقي بعضُه قائماً على ساقه لم يحصد.

﴿وما ظلمناهم﴾ بالعذاب ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب ما أوجبه من الكفر والمعاصي، ﴿فما أغنت﴾ أي: ما نفعتهم ولا دفعت ﴿عنهم آلهتهم التي يدعون﴾ أي: يعبدون، وهي حكاية حال ماضية، ﴿من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك﴾ بالهلاك والعذاب، و «لما» منصوب بـ«ما أَغْنَتْ»، ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ أي: تخسير. يقال: تَبَّ؛ إذا خَسِرَ، وتبَّبَه غيره؛ أوقعه في الخُسران[1].

فإن قيل: «آلهتهم» جماد، فكيف نسب الزيادة إليها؟

قلت: المعنى: وما زادتهم عبادتهم لها. أو ما زادوهم يوم القيامة حين ينطقها الله الذي لا يعجزه شيء للبراءة منهم غير تتبيب.

وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ الكاف في محل الرفع، أي: ومثل ذلك الأخذ ﴿أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ الواو للحال من «القرى»، وصف القرى بالظلم، والمراد: أهلها.

﴿إن أخذه أليم﴾ وجيع ﴿شديد﴾ صعب على المأخوذ. وفي ذلك تخويف

---

(١) انظر: اللسان (مادة: تبب).

لكفار مكة، وتهديدٌ لكل ظالم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبدالصمد العطار، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة الصوفي البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أبنا عبدالرحمن بن محمد، أبنا عبدالله بن أحمد، أبنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا صدقة بن الفضل، أبنا أبو معاوية، ثنا [بريد][١] بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يُمْلي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ. ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾»[٢].

وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن عبدالله بن نمير، عن أبي معاوية.

قوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ إشارة إلى ما قص الله تعالى من قصص الأمم الهالكة وأخذهم ﴿لآية﴾ لعبرة وعظة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ لأنه ينظر إلى الأخذ الشديد الذي أخذهم الله تعالى به، فيستدل بعظمه على عظم ما توعدهم به من العذاب في الآخرة، فيكون له عبرة وتذكرة، وباعثاً على خشية الله، ونحوه: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [النازعات:٢٦].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم القيامة، المدلول عليه بقوله: ﴿عذاب الآخرة﴾.

﴿يوم مجموعٌ له الناس﴾ رفع «الناس» باسم المفعول الذي هو «مجموع» برفع

---

(١) في الأصل: سفيان. والمثبت من الصحيحين. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٦ ح٤٤٠٩)، ومسلم (٤/ ١٩٩٧ ح٢٥٨٣).

فعله، إذا قلت: يجمع له الناس.

قال الزمخشري(١): فإن قلت: لأي فائدة [أوثر](٢) اسم المفعول على فعله؟

قلت: لما في اسم المفعول من الدلالة على ثبات معنى الجمع [لليوم](٣)، وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعاداً مضروباً يجمع له الناس، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة. ونظيره قولك لمن تُهَدِّده: إنك لمنهوب مالك، محروب قومك، ففيه من تمكن الوصف [وثباته](٤) ما ليس في الفعل، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ [التغابن:٩] تعثر على صحة ما قلت لك.

والمعنى: مجموع فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض.

﴿وذلك يوم مشهود﴾ يشهد فيه الخلائق الموقف للفصل والقضاء والجزاء.

قال صاحب الكشاف(٥): التقدير: مشهود فيه، فاتّسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به. [والمراد](٦) بالمشهود: الذي كثر شاهدوه. ومنه قولهم: لفلان مجلس مشهود، وطعام محضور. قال:

.... في مَحْفَلٍ مِنْ نَوَاصِي الخيلِ مَشْهُودُ(٧)

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٠٣).

(٢) في الأصل: أثر. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: ليوم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: في ثباته. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) الكشاف (٢/ ٤٠٣).

(٦) في الأصل: أو المراد. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) عجز بيت لأم قيس الضَّبيّة، وصدره: (وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الغائِبينَ بِهِ). انظر: اللسان، مادة: (نصا)، =

﴿وما نؤخره﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: «يُؤَخِّرُهُ»[١].

﴿إلا لأجل معدود﴾ أي: لانقضاء مدة معلومة تفردْنا بعلمها، ولم نُطْلِعْ عليها مَلَكاً مُقَرّباً، ولا نبياً مُرْسَلاً.

﴿يوم يأت﴾ قرأ نافع وأبو عمرو والكسائي: «يأتي» بإثبات الياء في الوصل فقط، وقرأ ابن كثير بإثباتها في الحالين[٢].

قال الزجاج[٣]: الذي يختاره النحويون: إثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القرّاء[٤]: «يَأْتِ» بكسر التاء.

وقد حكى سيبويه والخليل: أن العرب تقول: لا أدْرِ، فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو: إثبات الياء، والذي أرى اتباع المصحف مع إجماع القرّاء؛ لأن القراءة سُنَّة، فقد جاء مثله في كلام العرب.

وقال الفراء[٥]: كل ياء ساكنة وما قبلها مكسور، أو واو ساكنة وما قبلها مضموم، فإن العرب تحذفها، وتجتزئ بالكسرة من الياء، وبالضمة من الواو. وأنشد لي بعضهم:

= وروح المعاني (١٢/ ١٣٨).

(١) زاد المسير (٤/ ١٥٧).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٨-٣٤٩)، والكشف (١/ ٥٤٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٨-٣٣٩).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٧٧).

(٤) في زاد المسير: وعليه أكثر القراءات.

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٧).

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهما جُوداً وَأُخْرى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا(١)

قال الزمخشري(٢): فإن قلت: فاعل «يأتي» ما هو؟

قلت: الله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿أو يأتي ربك﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:٢٢]. ويعضده قراءة من قرأ: «وما يؤخره» بالياء، وقوله: ﴿بإذنه﴾، ويجوز أن يكون الفاعل ضمير «اليوم»، كقوله: ﴿أو تأتيهم الساعة﴾ [يوسف:١٠٧].

فإن قلت: بم انتصب الظرف؟

قلتُ: إما أن يكون ينتصب بـ«لا تكلم»، [وإما بإضمار «اذكر»، وإما بالانتهاء المحذوف في قوله: ﴿إلا لأجل معدود﴾، أي ينتهي الأجل](٣) يوم يأتي.

فإن قلت: فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم، فقد جعلت اليوم وقتاً لإتيان اليوم، وحددت الشيء بنفسه؟

قلت: المراد إتيان هوله وشدائده.

﴿لا تكلم﴾ لا تتكلم، وهو نظير قوله: ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ [النبأ:٣٨].

فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن

---

(١) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان، مادة: (ليق)، ومعاني الفراء (٢/ ٢٧)، والخصائص (٣/ ٩٠)، والمنصف (٢/ ٧٢)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٧٢)، والطبري (١٢/ ١١٦)، والقرطبي (٢٠/ ٤٢)، وزاد المسير (٤/ ١٥٨)، وتاريخ بغداد (١٤/ ٩)، والبحر المحيط (٥/ ٢٦٢)، والدر المصون (٤/ ١٣٠)، وروح المعاني (١٢/ ١٣٩).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٠٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

نفسها﴾ [النحل:١١١]، وقوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦]؟

قلت: ذلك يوم طويل له مواقف [ومواطن](١)، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يُكَفُّون عن الكلام فلا يؤذن لهم، وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون، وفي بعضها يُختم على أفواههم وتَكَلَّمُ أيديهم وتشهد أرجلهم.

﴿فمنهم﴾ الضمير لأهل الموقف، ولم [يذكروا](٢)؛ لأن ذلك معلوم، ولأن قوله: «لا تكلم نفس» يدل عليه.

﴿شقي وسعيد﴾ قال ابن عباس: منهم من كتبت عليه الشقاوة، ومنهم من كتبت له السعادة(٣).

قرأتُ على أبي بكر بن بهروز، أخبركم أبو الوقت فَأَقَرَّ به، أبنا أبو الحسن الداودي، أبنا ابن حمويه السرخسي، [أبنا إبراهيم بن خريم الشاشي](٤)، ثنا عبد بن حميد، ثنا عبد الملك بن عمرو العقدي، ثنا سليمان بن سفيان، ثنا عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنه قال: «لما نزلت: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ سألت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله، ما نعمل على شيء قد فرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟ قال: بل على شيء قد فرغ منه يا عمر، وجرت به الأقلام، ولكن كل

---

(١) في الأصل: وموطن. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤٠٤).

(٢) في الأصل: يذكر. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٥٨).

(٤) زيادة على الأصل. وقد سبق هذا السند مراراً بهذه الزيادة.

يعمل لما خلق له ››[1].

ويروى عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال: ‹‹ أغمي على عبد الرحمن بن عوف، ثم أفاق، فقال: إنه أتاني مَلَكان فَظَّان غليظان، فقالا: انطلق بنا نحاكمك إلى العزيز الأمين، قال: فلقيهما مَلَك، وقال: إلى أين تذهبان؟ فقالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. قال: خليا عنه، فإنه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه ››[2].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن علي بن أبي بكر الصوفي قالا: أخبرنا أبو الوقت، أبنا الداودي، أبنا ابن حمويه، أبنا الفربري، ثنا البخاري، حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد، عن عبيد الله بن أبي بكر، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ‹‹وكّل الله عز وجل [بالرَّحم][3] مَلَكاً فيقول: أي ربّ نطفة، أي رب عَلَقة، أي رب مضغة. وإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: يا رب! أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق، فما الأجل، فيكتب ذلك وهو في بطن أمه››[4]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم من حديث أبي كامل الجحدري، عن حماد بن زيد.

وأخبرنا أبو المجد محمد بن الحسين بقراءتي عليه قال: أبنا الإمام أبو منصور الطوسي محمد بن أسعد، حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أبنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أبنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد المعروف بابن أبي

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٨٩ ح٣١١١)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٣٦ ح٢٠).

(٢) ذكره اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٦٨-٦٦٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٨٩).

(٣) زيادة من الصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٣٣ ح٦٢٢٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٨ ح٢٦٤٦).

شريح الأنصاري، أبنا أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي، ثنا علي بن الجعد، أبنا أبو خيثمة زهير بن معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه المَلَك -أو قال: يبعث إليه المَلَك- بأربع كلمات، فيكتب رزقه وعمله وأجله، وشقي أو سعيد. قال: وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[(١)]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري عن أبي الوليد هشام بن عبد الملك. وأخرجه مسلم عن عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، كلاهما عن شعبة [بن][(٢)] الحجاج، عن الأعمش.

قال الأعمش: حدثني خيثمة قال: قال عبد الله: إن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعرة، ثم تمكث أربعين ليلة، ثم تنزل دماً في الرحم، فذلك جَمْعُها[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٣٣ ح٦٢٢١)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ ح٢٦٤٣).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من مسلم (٤/ ٢٠٣٦). وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٧-٣٠٢).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٤٨٠، ١٢/ ٧)، وابن حجر في الفتح (١١/ ٤٨٠)، والمناوي في فيض القدير (٢/ ٤١٤). وذكر السيوطي نحوه (٦/ ٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ قال الزجاج[(١)]: هما من [أصوات][(٢)] المكروبين المحزونين.

وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين: أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق.

قال ابن فارس[(٣)]: الزَّفير ضد الشَّهيق؛ لأن الزَّفير إخراج النَّفَس، والشَّهيق رَدُّ النَّفَس.

﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ أي: سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل على أن لها سماوات وأرضاً قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ [إبراهيم:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ [الزمر:٧٤].

ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلّهم ويظلّهم. هذا قول صاحب الكشاف[(٤)].

وهو معنى قول الضحاك: ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما[(٥)].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٧٩). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٩).

(٢) في الأصل: الأصوات. والتصويب من الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٠٥).

(٥) ذكره الماوردي (٢/ ٥٠٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٠).

والأكثرون على أنها السموات المعروفة والأرض المعهودة، وأن ذلك عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع؛ كقول العرب: ما أقام ثبير وما لاح كوكب.

قال ابن الأنباري وابن قتيبة[(١)]: للعرب في معنى الأبد ألفاظ، تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما دامت السماوات والأرض، وما [اختلفت][(٢)] الجِرَّةُ [والدِّرَّةُ][(٣)]، وما أَطَّت الإبل[(٤)]، في أشباه كثيرة لهذا، ظناً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، فخاطبهم الله بما يستعملون في كلامهم.

قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء؛ فقال ابن عباس: هذا الاستثناء في حَقِّ الموحِّدين الذين يخرجون بالشفاعة[(٥)].

وفي رواية عنه قال: قد شاء أن يخلدوا فيها[(٦)]. وهذا معنى قول الفراء[(٧)]:

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:٧٦). وانظر قول ابن الأنباري وابن قتيبة في: الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٩).

(٢) في الأصل: اختلف. والتصويب من الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٩)، واللسان، مادة: (درر).

(٣) في الأصل: والذرة. والتصويب من الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٥٩).

(٤) الجِرَّة: ما يخرجه كل ذي كرش. قال ابن سيده: والجِرَّة: ما يُفِيضُ به البعير من كَرِشِه فيأكله ثانية، وقد اجْتَرَّت الناقة والشاة وأَجَرَّتْ (اللسان، مادة: جرر).
والدِّرَّة: كثرة اللبن وسيلانه (اللسان، مادة: درر).
وأطَّت الإبل: أَنَّتْ تعباً أو حنيناً (اللسان، مادة: أطط).

(٥) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٠)، وبنحوه السيوطي في الدر (٤/ ٤٧٥-٤٧٦) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٦) زاد المسير (٤/ ١٦٠).

(٧) معاني الفراء (٢/ ٢٨).

[استثناء][1] استثناه الله ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنّك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتُك على ضربه.

قال الزجاج[2]: ففائدة هذا أنه لو شاء [أن][3] يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا أنهم خالدون أبداً.

وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ [والوقوف][4] للحساب[5].

وذكر الزجاج أيضاً[6]: أن الاستثناء من الزفير والشهيق. والمعنى: إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر.

﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ قال ابن عباس: يعني: من إخراج أهل التوحيد من النار[7].

۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٨﴾

---

(١) زيادة من معاني الفراء (٢/ ٢٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٧٩). وانظر: زاد المسير (٤/ ١٦٠).

(٣) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: والموقف. والتصويب من الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٦٠).

(٥) الوسيط (٢/ ٥٩١)، وزاد المسير (٤/ ١٦٠).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٨٠).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩١).

قوله تعالى: ﴿وأما الذين سَعدوا﴾ قرأ أهل [الكوفة][(١)] إلا أبا بكر: «سُعِدُوا» بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها[(٢)]؛ وهو أوجَه؛ لأن «سعد» فعل لا يتعدى إلى مفعول، فلا ترد إلى ما لم يُسَمَّ فاعله، إذ لا مفعول في الكلام يقوم مقام الفاعل. ومن ضم السين حمله على لغةٍ حُكِيَتْ عن العرب خارجة عن القياس: سعده الله بمعنى أسعده. ويدل عليه قولهم: مسعود.

قال الفراء[(٣)]: كلام العرب: سعد الرجل وأسعده الله، إلا هذيلاً فإنهم يقولون: سُعد الرجل -بالضم-، وبذلك قرأ أصحاب عبدالله[(٤)].

قال الكسائي: سعد وأسعد لغتان[(٥)].

والقول في ﴿ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ نحو التي قبلها.

قال ابن عباس: يرجع الاستثناء إلى لبث من لبث في النار من الموحدين ثم أدخل الجنة[(٦)].

---

(١) زيادة من الوسيط (٢/ ٥٩١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٩)، والكشف (١/ ٥٣٦)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٩).

(٣) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر: الوسيط (٢/ ٥٩١).

(٤) ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٤١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٤٩)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٩).

(٥) الوسيط (٢/ ٥٩١)، وتهذيب اللغة (٢/ ٧٠).

(٦) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ٢٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٨) كلاهما عن الضحاك. وانظر: الماوردي (٢/ ٥٠٥)، وزاد المسير (٤/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٦-٤٧٧) وعزاه لابن جرير.

وقول الفراء وابن كيسان هاهنا في الاستثناء على حسب ما تقدم.

فصل

قال الزمخشري[١]: هو استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنة، وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار، وبما هو أغلظ منها، وهو سخط الله عليهم وإهانته لهم، وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجلّ موقعاً [منهم][٢]، وهو رضوان الله تعالى، كما قال: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة:٧٢]، ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة، فهو المراد بالاستثناء ... إلى أن قال: فتأمله، فإن القرآن يُصَدِّقُ بعضه بعضاً. ولا يخدعنك قول الجبرية: أن المراد بالاستثناء: خروج أهل [الكبائر][٣] من النار بالشفاعة، فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم، ويسجل بافترائهم. وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله؛ لما روي لهم [بعض الثوابت][٤].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً».

ثم قال[٥]: ما كان لابن عمرو في سيفه ومقاتلته علي بن أبي طالب ما يشغله

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) في الأصل: منها. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤٠٥).

(٣) في الأصل: النار. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) أي: الزمخشري.

عن تسيير هذا الحديث.

قلتُ[١]: لولا خوف اغترار من لا بصيرة له بالعلم، لأعرضت حكاية عن مثل هذا ونزهت كتابي منه، لكني أشير إلى فساده، وفاء بما أخذه الله تعالى على العلماء من البيان، إرشاداً للناس، وكشفاً لغمة الالتباس، فأقول:

أما ما ذكره على الاستثناء: فهو كلام محتمل، إلا أنه لا يثبت على محكّ التحقيق؛ لأن الدار هي الدار المعدة لتعذيب الكفرة والفجرة في الآخرة، والجنة هي الدار المعدة لنعيم المؤمنين في الآخرة، [فجميع][٢] ما يعذب به أهل النار على اختلاف أنواعه منسوب إليها، وجميع ما ينعّم به أهل الجنة على اختلاف أصنافه مضاف إليها.

وأما قوله: «لا يخدعنك قول المجبرة: أن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة»: فهو قول حبر الأمة وابن عمّ رسول الله ﷺ عبدالله بن العباس وجمهور المفسرين من التابعين فمن بعدهم، وعليه إجماع أئمة الإسلام، ولم يخالف في إثبات منصب الشفاعة يوم القيامة لسيد الرسل محمد ﷺ إلا هذه الطائفة الزائغة المنبوذة بالاعتزال، ولو شرعتُ في إيراد ما جاء في ذلك من الدلائل لطال الفصل، وقد أشرت إلى شيء من ذلك فيما مضى.

وأما قوله: «بأن الاستثناء الثاني ينادي بتكذيبهم»: فهذيانٌ محض، وقد أشرنا إلى معناه وتفسيره آنفاً.

وأما قوله: «نبذوا كتاب الله»: فدعوى هو مقابل بمثلها، وهذا الوصف بهم

---

(١) أي: المصنف رحمه الله.

(٢) في الأصل: فجمع.

أليق، وبطائفتهم أعبق.

وأما الأثر الذي ذكره ونسبه إلى عبدالله بن عمرو؛ فغير ثابت عند أهل العلم بالحديث، ولا احتجّ علماء السنة به على إخراج المذنبين من أهل التوحيد من النار، ونسبته ذلك إلينا فرية بلا مرية، وإنما احتجوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ الصريحة الواردة على ألسنة الثقاة الأثبات، وإجماع الأمة قبل انخزال طواغيتهم في الاعتزال عن مجلس الحسن البصري.

وأما ما زعمه [عن](١) صاحب رسول الله ﷺ ومن له القدم الراسخ في العلم والدين، عبدالله بن عمرو، فنفْثَةُ مصدور، تدل على خُبث طويته، وسوء عقيدته، في أصحاب رسول الله ﷺ الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده لصحبة نبيه ﷺ.

أخبرنا أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست وستمائة بظاهر دمشق، أبنا أبو الدر ياقوت بن عبدالله مولى ابن البخاري التاجر، أبنا أبو محمد عبدالله بن محمد [الصريفيني](٢)، أبنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، أبنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا عبدالله بن عمران العابدي المخزومي، ثنا إبراهيم بن سعد، عن عبيدة بن أبي رائطة، عن عبدالرحمن بن عبدالله(٣)، عن عبدالله بن [مغفل](٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي

(١) زيادة على الأصل.

(٢) في الأصل: الريفيني. وهو خطأ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٠).

(٣) وقيل: عبد الرحمن بن زياد. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٢)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦٠).

(٤) في الأصل: عقيل. والمثبت من الترمذي (٥/ ٦٩٦). وانظر ترجمته في: الإصابة (٤/ ٢٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٣-٤٨٥)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٨).

لا تتخذوهم غرضاً من بعدي. فمن أحبهم فقد أحبني، ومن بغضهم فقد بغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه))[١]. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه))[٢].

وأما قوله: «ما كان لابن عمرو في سيفه ومقاتلته علي بن أبي طالب ما يشغله عن تسيير هذا الحديث»: فكذب وافتراء، وبهت صراح، لا والله ما سلّ سيفاً في وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولا قاتله.

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث حنظلة بن خويلد قال: ((بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهم: أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل))[٣].

وذكر الحافظ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب[٤] بإسناده: أن ابن عمرو كان يقول: ((ما لي ولصفّين!! أما والله ما ضربتُ فيها بسيف، ولا طعنتُ فيها برمح،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٩٦ ح٣٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٣ ح٣٤٧٠)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧ ح٢٥٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٤ ح٦٥٣٨).

(٤) الاستيعاب (٣/ ٩٥٨).

ولا رميتُ بسهم، ولوددت أني لم أحضر شيئاً [منها][1]، وأستغفر الله من ذلك وأتوب إليه)).

قوله تعالى: ﴿عطاء﴾ انتصب بما دل عليه الكلام، كأنه قيل: أعطاهم عطاء، ﴿غير مجذوذ﴾ أي: غير مقطوع.

والجذّ -بالذال المعجمة والدال المهملة-: القطع.

قال النابغة:

تَجُذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... يُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ[2]

يصف السيوف أنها تقطع الدروع.

والسَّلُوقي: درع منسوب إلى سَلُوق؛ موضع باليمن، والصُّفَّاح: الحَجَر العريض، وحُباحِب: رجل كان لا ينتفع بناره؛ لبخله، فنسب إليه كل نار لا ينتفع بها، فقيل: نارُ الحُبَاحِب، لما يَقْدَحُه الفَرس بحافره، والسيف وغيرهما.

وقال الآخر في اللغة الأخرى:

أبى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدا ... وَأَمْسَى [حَبْلُها][3] خَلْقاً جَدِيدَا[4]

---

(١) زيادة من الاستيعاب (٣/ ٩٥٨).

(٢) البيت للنابغة يصف السيوف. انظر: ديوانه (ص:١١)، واللسان، مادة: (حبحب، سلق) وفيهما: «تقدّ» بدل: «تجذّ»، والشعر والشعراء (١/ ١٢٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥٧، ٨/ ٤٠٤)، والجمهرة (١/ ١٢٥، ٣/ ٤١)، والطبري (١٢/ ١٢١)، والقرطبي (٩/ ١٠٣، ١٧١، ٢٠/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٥/ ٢٥٢).

(٣) في الأصل: حبها. والتصويب من مصادر البيت.

(٤) انظر البيت في: اللسان، مادة: (جدد)، ومختار الصحاح (١/ ٤٠).

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلا تك في مرية﴾ أي: لا تك في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ أنه [ضلال][(١)] وباطل. وقد سبق القول في مثل هذا المعنى.

﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ أي: هم على مثل طريقهم وباطلهم في تقليد أسلافهم، وقد بلغك ما نزل بآبائهم فاستان بهم منتظراً سنتي في مُكذّبي رسلي، و «ما» في قوله: «مما»، وفي قوله: «كما» يجوز أن تكون مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، أي: من عبادتهم وكعبادتهم، أو مما يعبدون من الأوثان، ومثل ما يعبدون منها.

﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ قال ابن زيد وغيره: حظهم من العذاب، كما وفينا آباءهم[(٢)].

وقال ابن عباس: يريد: نوفيهم ما وعدوا به من خير وشر[(٣)].

---

(١) في الأصل: ظلال.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

وقال أبو العالية: يعني: من الرزق(١).

﴿غير منقوص﴾ يريد: نوفيهم نصيبهم تاماً كاملاً.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، وإعلام له أن كتاب موسى آمن به قوم وكفر به آخرون، واختلفوا فيه كما اختلفوا في هذا الكتاب.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ قال ابن جرير(٢): سبقت من ربك أنه لا يعجل على خلقه بالعذاب، لقضي بين المصدِّق منهم والمكذِّب بإهلاك المكذِّب وإنجاء المصدِّق.

والضمير في قوله: ﴿بينهم﴾ يعود إلى قوم موسى. وقيل: إلى هذه الأمة.

قال ابن عباس: يريد: أني أخّرت أمتك إلى يوم القيامة، ولولا ذلك لعجلتُ عقاب من كذّبك(٣).

﴿وإنهم لفي شك منه﴾ أي: من القرآن. وإن كان الضمير في قوله: «وإنهم» عائد إلى قوم موسى، فيكون الضمير في «منه» عائداً إلى كتاب موسى، ويكون ذلك حكاية حال ماضية.

ومعنى ﴿مريب﴾: موقع للريبة.

= (٤/ ٤٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٩). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٩٢)، والماوردي (٢/ ٥٠٧)، وزاد المسير (٤/ ١٦٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ١٢٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٢)، وزاد المسير (٤/ ١٦٢).

قوله تعالى: ﴿وإنَّ كلاً لمَا﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر: «وإنْ» بالتخفيف. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة «لمَّا» بالتشديد[1].

فَمَنْ شَدَّدَ «إِنَّ» فعلى الأصل، ومن خَفَّفَها أَعْمَلَها عَمَل الثَّقيلة.

قال سيبويه[2]: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب: إِنْ عَمْراً لمنطلق، فيخفّفون ويُعْمِلُونها، وأنشد:

وَوَجْه حَسَنُ النَّحْرِ كَأَنْ ثدْيَيْهِ حُقَّانِ[3]

والتنوين في «كلاًّ» عوض من المضاف إليه، التقدير: وإن كل الحق من قصصنا ومن لم نقصص. فَمَن شَدَّدَ «إِنَّ» وخَفَّفَ «لمـَّا» جعل «ما» زائدة، واصلة بين لام «إن» ولام «ليوفينهم»، ولو لم يأت بها لكان «ليوفينهم» جواب قسم محذوف، واللام في «لما» موطئة للقسم و «ما» مؤيدة. والمعنى: وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح، وإيمان وجحود.

ومن خَفَّفَ «إن» و «لما» قال: هي مخففة من الثقيلة على الوجه المذكور. فأما من شَدَّدَ «لما» فهو مشكل عندهم.

قال بعضهم: ليس يراد بـ«لمـَّا» هاهنا معنى الحين، ولا معنى «إلاَّ»، ولا معنى «لِمَ»، وأحسن ما تصرف إليه أنه أراد: «لمـًّا»، من قوله: «كلا لمـًّا»، ثم وقف فصار

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٠)، والكشف (١/ ٥٣٦-٥٣٧)، والنشر (٢/ ٢٩٠-٢٩١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٣٩-٣٤٠).

(٢) الكتاب (٢/ ١٤٠).

(٣) تقدم في بداية الجزء.

«لمـَّا»، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

ويجوز أن تكون «لما» مثل الدعوى والثروى، وهو المثل، وما فيه ألف التأنيث من المصادر فلم يصرف. وتمحَّل لها بعض من النحويين لها وجهاً فقال: الأصل في «لمـَّا» «لِمَنْ مَا» أدغم النون في الميم، فاجتمع ثلاث ميمات، حذفت الوسطى لاجتماع الأمثال.

قال الزجاج[1]: وهذا ليس بشيء؛ لأن «مَنْ» لا يجوز حذفها؛ لأنها اسم على حرفين، وأخذ ما قيل فيه.

[واختار][2] الزجاج[3] وغيره: أن «لمـَّا» في معنى «إلاَّ»[4]، كما تقول: سَأَلْتُكَ لمـَّا فَعَلْتَ كذا وإلاَّ فَعَلْتَ كذا، ومثله ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لمـَّا عليها حافظ﴾ [الطارق:٤] معناه: إلا عليها حافظ.

وفي قراءة أُبيّ: «وإِنْ كُلٌّ» بالرفع، أَنَّ «إِنْ» نافية، و «لمـَّا» بمعنى «إلاَّ»، كما ذكرناه[5]، وقراءة ابن مسعود مفسرة لها: «وإِنْ كُلُّ لما ليوفينهم».

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٨١).

(٢) في الأصل: واختاره.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٨١).

(٤) وأنكر الفراء وأبو عبيد مجيء «لمَّا» بمعنى «إلاَّ». قال الفراء (٢/ ٢٩): أما من جعل «لمَّا» بمعنى «إلاَّ»، فإنه وجه لا نعرفه.
وقال أبو عبيد: لم نجد هذا في كلام العرب.
قال أبو حيان في البحر (٥/ ٢٦٨): ولا التفات إلى قول أبي عبيد والفراء من إنكارهما أن «لمَّا» تكون بمعنى «إلاَّ».

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٠).

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ أي: استقم على العمل بأمر ربك والدعاء إليه. وهو معنى قول عائشة رضي الله عنها: استقم على القرآن كما أمرت[1].

﴿ومن تاب معك﴾ عطف على المستكنّ في «استقم»، وتقديره: استقم أنت ومن تاب، وجاز ذلك لقيام الفاصل مقام «أنت».

ويجوز أن يكون «وَمَنْ» في موضع نصب على أنه مفعول معه، والمعنى: استقم يا محمد أنت والتائبون أو مع التائبين معك من الشرك والشك.

قال ابن عباس: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية: ﴿فاستقم كما أمرت﴾، وباعتبار هذه الآية وأمثالها قال ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»[2].

﴿ولا تطغوا﴾ لا تخرجوا عن حدود الله.

قال ابن عباس: لا تطغوا في القرآن فتُحَلِّلوا وتُحَرِّموا ما لم آمركم به[3].

أخبرنا الشيخ أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي المقرئ في كتابه، أبنا عبدالجبار

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٦) عن سفيان بن عيينة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٤) من قول سفيان أيضاً. والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٨٠) وعزاه لأبي الشيخ عن سفيان.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢ ح٣٢٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٧٤ ح٣٣١٤).

(٣) زاد المسير (٤/ ١٦٤).

بن أحمد الخواري البيهقي، أبنا علي بن أحمد النيسابوري، أبنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي، أبنا محمد بن إسحاق بن يحيى الحافظ، أبنا عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الرازي، ثنا محمد بن فارس البلخي، حدثنا حاتم الأصم، عن شقيق، عن إبراهيم بن أدهم، عن مالك بن دينار، عن أبي مسلم الخولاني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لو صَلَّيْتُم حتى تكونوا كالحنايا، وصُمْتُم حتى تكونوا كالأوتار، ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة))[1].

قال علي بن أحمد: هذا حديث عزيز[2] شريف، قد اجتمع في إسناده زهّاد الأمة، حدث به الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي عن شيخ له عن أبي عبدالله محمد بن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ قرأ الأكثرون: «تَرْكَنُوا» بفتح الكاف، مِنْ رَكِنَ -بكسر الكاف- يَرْكَنُ.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه بضم الكاف، مِنْ رَكَنَ -بفتح الكاف- يَرْكُنُ، وهي قراءة قتادة.

وروى هارون عن أبي عمرو: بفتح التاء وكسر الكاف.

(١) حديث باطل، أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣١١) وقال: رواه ابن منده عن محمد بن فارس البلخي. وذكره الديلمي في الفردوس (٣/ ٣٧٠)، والقزويني في التدوين (٢/ ١٦١).

(٢) الحديث العزيز: هو ما انفرد بروايته اثنان أو ثلاثة، ولو رواه بعد ذلك عن هذين الاثنين أو الثلاثة مائة، فقد يكون الحديث عزيزاً مشهوراً، وينفرد عن الغريب بكونه لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين، بخلاف الغريب. سُمِّي عزيزاً؛ لقلة وجوده، أو لكونه قوي بمجيئه من طريق أخرى (انظر: التقييد والإيضاح ص:٢٢٩).

وروى محبوب عنه بالعكس من ذلك.

وقرأ ابن أبي عبلة: بضم التاء وفتح الكاف، على ما لم يُسَمَّ فاعله(١).

قال ابن عباس: لا تميلوا إلى المشركين(٢).

وقال قتادة: لا تلحقوا بالمشركين(٣).

وقال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم(٤).

وقال السدي: لا تداهنوا الظلمة(٥).

قال سفيان الثوري: في جهنم واد لا يسكنه إلا القرّاء الزائرون الملوك(٦).

وقال بعض السلف: الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء(٧).

وكتب سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج رحمه الله إلى الزهري حين خالط

---

(١) انظر هذه القراءات في: زاد المسير (٤/ ١٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٨٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٠). وذكره الماوردي (٢/ ٥٠٨)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٥). والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٨٠) وعزاه لأبي الشيخ.

(٥) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٠) كلاهما عن ابن زيد. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٦٥).

(٦) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (١/ ٨٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٦٩).

(٧) ذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٢/ ١٥٥)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٦/ ١٩٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٠).

الخلفاء: عافانا الله وإياك من الفتن، فقد أصبحتَ بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله [ويرحمك][(١)] أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله بما فهّمك من كتابه، وعلّمك من سنة نبيه ﷺ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران:١٨٧]، واعلمْ أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت، أنك آنست وحشة الظالم، وسهّلت سبيل الغي بدنوّك ممن لم يؤد حقاً، ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسُلَّماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، فما أيسر ما عَمَّروا لك في جنب ما خربوا عليك، [فَدَاوِ][(٢)] دينك فقد دخله سقم، وهيِّء زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، والسلام[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فتمسكم النار﴾ أي: فتصبكم لفحها بركونكم إليهم. وهذه الآية من أشد الآيات النازلة في زجر الظلمة وردعهم.

وقد روي أن الموفق[(٤)] صلّى خلف إمام فقرأ بها، فخرّ الموفق مغشياً عليه، فلما أفاق قال: هذا بمن رَكَنَ إلى من ظَلَم، فكيف بالظالم[(٥)]؟.

---

(١) في الأصل: يرحمك إذا أصبحت. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤٠٩)، وروح المعاني (١٢/ ١٥٥).

(٢) في الأصل: فدو. والمثبت من فيض القدير (٢/ ٤٠٧).

(٣) انظر هذا الكتاب في: فيض القدير (٢/ ٤٠٧)، والكشاف (٢/ ٤٠٩)، وروح المعاني (١٢/ ١٥٤-١٥٥)، وحلية الأولياء (٣/ ٢٤٦-٢٤٩)، وصفة الصفوة (٢/ ١٦٠-١٦٣).

(٤) يعني: ابن قدامة المقدسي، صاحب المغني.

(٥) انظر: الكشاف (٢/ ٤٠٨)، وروح المعاني (١٢/ ١٥٥).

قوله تعالى: ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾ في محل الحال من «تمسكم النار»، ﴿ثم لا تنصرون﴾ أي: لا تمتنعون من عذابه.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ قرأتُ لأبي جعفر ولأبي عمرو من بعض طرقه: «وزلُفاً» بضم اللام[١].

والسبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث ابن مسعود: ((أن رجلاً أصاب من امرأة قُبْلَة، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار... الآية﴾ فقال الرجل: يا رسول الله: ألي هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتي))[٢].

وفي لفظ لمسلم: ((قال: يا رسول الله أصبت منها ما دون أن أمسها))[٣].

قال الخطيب أبو بكر بن ثابت: واسم الرجل: أبو اليسر الأنصاري[٤].

وقال مقاتل[٥]: أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري.

والأول أثبت.

قرأتُ على أبي جعفر السدي محمد بن عبدالكريم، أخبركم عبد الحق بن عبد

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٧ ح٤٤١٠)، ومسلم (٤/ ٢١١٥ ح٢٧٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١١٦ ح٢٧٦٣).

(٤) الماوردي (٢/ ٥١٠)، وزاد المسير (٤/ ١٦٧).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ١٣٤).

الخالق والحسن بن أحمد المعمر فأقرَّ به قالا: أبنا أبو القاسم علي بن أحمد بن [محمد بن بيان](١)، أبنا أبو القاسم طلحة بن علي بن الصقر، أخبرنا أحمد بن عثمان، ثنا عباس الدوري، ثنا أحمد بن جميل المروزي، ثنا [ابن](٢) المبارك، أبنا شريك، ثنا عثمان بن [موهب](٣)، عن موسى بن طلحة، عن أبي اليسر بن عمرو قال: ((أتتني امرأة بدرهم، وزوجها بعثه النبي ﷺ في بعث، فقالت: بِعْني بدرهم تمراً. قال: وأعجبتني، فقلت لها: إن في بيتي تمراً هو أطيب من هذا فالحقيني، فغمزتها وقبّلتها، فأتيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقلت: هلكت، فقال: ما شأنك؟ فقصصت عليه الأمر، فقلت: هل لي من توبة؟ قال: نعم، تُبْ ولا تَعُدْ، ولا تخبرن به أحداً، فأتيت النبي ﷺ فقصصت عليه الأمر، فقال: خلفت رجلاً في سبيل الله عز وجل في أهله بهذا؟! قال: فأطرق عني، فظننت أني من أهل النار، وأن الله لا يغفر لي أبداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ قال: فأرسل إليّ النبي ﷺ فتلاهن عليّ))(٤).

وقد أخرج الترمذي عن أبي اليسر قال: ((أتتني امرأة تبتاع تمراً، فقلت: إن في البيت تمراً أطيب منه، فدخلتْ معي إلى البيت، فأهويت إليها فقبّلتها ... ثم ساق

(١) في الأصل: مسهر بن سنان. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) زيادة على الأصل. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٤).

(٣) في الأصل: وهب. والتصويب من مصادر تخريج الحديث. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ١٢١).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٢ ح٣١١٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٦٦ ح١١٢٤٨)، والطبراني في الكبير (١٩/ ١٦٥ ح٣٧١).

الحديث)).

وأراد بالصلاة: المكتوبات الخمس عند عامة أهل العلم. وصلاة طرفي النهار: الفجر والظهر والعصر. وزُلَف الليل: ساعاته القريبة من آخر النهار، واحدها: زُلْفَة، مثل: ظُلْمَة وظُلَم، من أَزْلَفَهُ فَازْدَلَفَ، أي: قَرَّبَهُ فقرب إليه، وصلاة الزُّلَف من الليل: المغرب والعشاء.

ومن قرأ: «زلُف» بضم اللام؛ فقال الزجاج(١): هو واحد، مثل: حُلُم. وجائز أن يكون جمْعاً على زَلِيف من الليل، فيكون مثل: القريب والقُرُب، ولكن الزُّلَف [أجود](٢) في الجمع، وما علمت أن زَليفاً يستعملُ في الليل.

وقال المبرد: من ضَمَّ فله وجهان: أحدهما: أن يكون واحداً، وجائز أن يكون جمع زَلِيف وهو مستعمل، فيكون مثل: [قُضُب](٣) وقَضِيب، وكُتُب [وكَثِيب](٤).

﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ قال ابن عباس وعامة المفسرين: يريد: أن الصلوات الخمس يكفّرن ما بينها من الذنوب(٥).

قرأتُ على محمد بن الحسين بن أحمد، المكنى بالقاضي أبي المجد، أخبركم أبو

(١) معاني الزجاج (٣/ ٨٢).

(٢) في الأصل: أوجد. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: قضيب. والصواب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: وكثب. والصواب ما أثبتناه.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٨١) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

منصور محمد بن أسعد العطاري، ثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أبنا أبو عبدالله الخرقي، أبنا أبو الحسن الطيسفوني، أبنا عبدالله بن عمر الجوهري، أبنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تُغْشَ الكبائر»[1]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن علي بن حجر وغيره، عن إسماعيل بن جعفر. وزاد إسحاق مولى زائدة عن أبي هريرة: «ورمضان إلى رمضان».

أخبرنا الشيخ خضر بن كامل المعبر الخاتوني قراءة عليه وأنا أسمع بجبل الصالحين بظاهر دمشق في سنة ست وستمائة، أخبرنا أبو الدر ياقوت مولى ابن البخاري التاجر، أبنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن هزارمرد الصريفيني، ثنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص إملاءً، ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن محمد بن صاعد، ثنا [جميل][2] بن الحسن الجهضمي، ثنا أبو همام محمد بن الزبرقان[3]، ثنا يونس بن يزيد، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان قال: «صلى بنا سلمان صلاة، ثم قام إلى غصن شجرة يابسة فَحَرَّكَها فحاتّ ورقها، ثم قال: أتدرون لم فعلت هذا؟ قالوا: لا؟ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، ثم قام إلى

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩ ح٢٣٣).

(٢) في الأصل: حميد. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٢/ ٩٧)، وتهذيب الكمال (٥/ ١٢٨).

(٣) محمد بن الزبرقان، أبو همام الأهوازي، ثقة صالح صدوق، (تهذيب التهذيب ٩/ ١٤٦، والتقريب ص:٤٧٨).

غصن شجرة يابسة فحرّكها، فتحاتّ ورقها، فقال: إن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى فأحسن الصلاة، تحاتّ عنه ذنوبه كما تتحاتّ ورق هذه الشجرة»[١]. هذا حديث حسن أخرجه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، وزاد وقال: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ... الآية﴾.

قرأت على ابن بهروز، أبنا أبو الوقت، أبنا أبو الحسن الداودي، أبنا ابن حمويه، أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن خريم الشاشي، أبنا عبد بن حميد، أبنا [عبيد الله][٢] بن موسى، عن إسرائيل[٣]، عن عثمان بن [موهب][٤] قال: قال حُمران بن أبان[٥]: «كنت مع عثمان إذ أتاه مؤذنه يؤذنه بالصلاة، فقال: كنا عند النبي ﷺ فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة، ثم قال نبي الله ﷺ: لقد أردت أن أحدثكم أمراً، ثم بدا لي أن أسكت. فقلنا: يا رسول الله حدثنا، فإن يك خيراً سارعنا فيه، وإن يك غير ذلك

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٧ ح٢٣٧٥٨).

(٢) في الأصل: عبد الله. والتصويب من مسند عبد بن حميد (١/ ٥٠). وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦)، والتقريب (ص:٣٧٥).

(٣) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني، أبو يوسف الكوفي، ثقة تكلم فيه، مات سنة ستين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٩-٢٣٠، والتقريب ص:١٠٤).

(٤) في الأصل: موهوب. والتصويب من مسند عبد بن حميد (١/ ٥٠). وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ١٢١)، والتقريب (ص:٣٨٥).

(٥) حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان، ثقة من تابعي أهل المدينة، كان من النمر بن قاسط، سبي بعين التمر فابتاعه عثمان من المسيب بن نجبة فأعتقه، مات سنة خمس وسبعين (تهذيب التهذيب ٣/ ٢١، والتقريب ص:١٧٩).

نتتهي عنه، فقال: ما من رجل مسلم يتوضأ كما أمره الله ثم يصلي كما أمره الله يتم الركوع والسجود إلا كفرت ما قبلها من ذنب»[1].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ يريد: القرآن، في قول أكثر المفسرين. وقيل: الصلاة. وقيل: ما تقدم ذكره من قوله: ﴿فاستقم﴾ فما بعده، والمعنى: ذلك عظة، ﴿للذاكرين﴾ المتعظين.

قوله: ﴿واصبر﴾ يعني: عن الصلاة، كما قال: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ [طه:١٣٢]. وقيل: اصبر على الاستقامة والعمل بما أمرت به ونهيت عنه، ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ في أعمالهم.

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ ذهب عامة المفسرين إلى أن «لولا» هاهنا نفي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كان[2].

قال الفراء[3]: المعنى: لم يكن منهم أحد.

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/ ٥٠ ح٦١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٧)، وزاد المسير (٤/ ١٧٠).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٠).

وقال ابن قتيبة والزمخشري[1]: «لولا» بمعنى: هلاَّ كان. وتكون الفائدة على هذا القول في مخاطبة هؤلاء بتوبيخ القرون الماضية، زجرهم عن ارتكاب ما به استوجبوا التوبيخ.

قال ابن عباس: «أولو بقية»: أولو دين[2].

وقال الزجاج[3]: أولو طاعة.

قال ابن قتيبة[4]: يقال: قوم لهم بقية وفيهم بقية؛ إذا كانت فيهم مُسْكَةٌ وخير.

وقال الزجاج[5]: معنى البقية: إذا قلت: في فلان بقية، فمعناه: فيه فَضْلٌ فيما يُمْدَحُ به.

قال صاحب الكشاف[6]: سُمِّيَ الفضل والجودة بَقِيَّة؛ لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل. ويقال: فلان مِنْ بَقِيَّة القوم، أي: مِنْ خِيارهم، وبه فُسِّر بيت الحماسة:

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأتيني بَقِيَّتُكُمْ ....[7]

ومنه قوله: في الزوايا خبايا، وفي الرجالِ بقايا.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢١٠)، والكشاف (٢/ ٤١١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٧)، وزاد المسير (٤/ ١٧٠).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٨٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢١٠).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٨٣).

(٦) الكشاف (٢/ ٤١١-٤١٢).

(٧) صدر بيت، وعجزه: (فَمَا عَلَيَّ بذَنْبٍ مِنكُمُ فَوْتُ). وهو في: اللسان، مادة: (بقي)، والدر المصون (٤/ ١٤٦)، وروح المعاني (١٢/ ١٦١).

ويجوز أن تكون البقية بمعنى: البقْوى.

المعنى: فهلاَّ كان منهم ذووا بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله عز وجل وعقابه.

وقرئ: «أولوا بَقْيَة» بوزن لَقْيَة[١]، مِنْ بَقَاهُ يُبْقِيه؛ إذا راقبه وانتظره، ومنه: «بَقَيْنا رسول الله ﷺ».

والمعنى: فلولا كان منهم أولوا مراقبة وخشية من انتقام الله عز وجل، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم.

قوله تعالى: ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد. و «مِنْ» في قوله: ﴿ممن أنجينا﴾ للبيان لا للتبعيض؛ لأن الذين نهوا نجوا من العذاب، بدليل قوله: ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ [الأعراف:١٦٥].

قوله تعالى: ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ قال ابن فارس[٢]: التَّرْفَة: النِّعْمَة.

قال الفراء[٣]: تقول: اتبعوا في دنياهم ما عُوِّدوا من النعيم وإيثار اللذّات على أمر الآخرة.

وقرأ أبو عمرو في رواية عنه: «وأُتْبِعَ» بضم الهمزة وسكون التاء وكسر

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٧١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٤٥).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣١).

الباء[١]، على معنى: اتبعوا جزاء ما أترفوا فيه.

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة: اتبعوا جزاء إترافهم. وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء، كأنه قيل: إلا قليلاً ممن أنجيناهم وهلك السائر.

فإن قلت: عَلامَ عَطَفَ قوله: ﴿واتبع الذين ظلموا﴾؟

قلت: إن كان معناه: واتبعوا الشهوات، كان معطوفاً على مضمر؛ لأن المعنى: إلا قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد، واتبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على «نهوا». وإن كان معناه[٣]: واتبعوا الإتراف، فالواو للحال، كأنه قال: أنجينا القليل، وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم.

فإن قلت: فقوله: ﴿وكانوا مجرمين﴾؟

قلت: على «أترفوا» أي: اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين؛ لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام. وأريد بالإجرام: إغفالهم للشكر.

أو على «اتبعوا»، أي: اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك. ويجوز أن يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بأنهم قوم مجرمون.

قوله تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ اللام في «ليهلك» لتوكيد النفي.

قال عبد القاهر الجرجاني: هذه اللام تسمى لام الجحود، وهي تخالف لام كي

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٧١-٢٧٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٤١٢-٤١٣).

(٣) في الأصل زيادة قوله: وإنه. انظر: الكشاف (٢/ ٤١٣).

بأشياء:

منها: أن لام كي يصح إظهار «أَنْ» بعدها، تقول: جئت لتكرمني، وجئت لأَنْ تكرمني، وهذه لا يصح إظهار «أَنْ» معها، لا تقول: ما كنت لأَنْ أفعل.

ومنها: أن المصدر الواقع موقعه أو مع الفعل يصح اللفظ به، تقول: جئت للإكرام.

ومنها: أن اللام يصح حذفها والإتيان بـ«أَنْ» مكانها، تقول: جئت أَنْ تكرمني، ولا يجوز ذلك في لام الجحود.

والواو في: «وأهلها» حالية[1].

والمعنى: ما كان ربك ليهلك أهل القرى ظالماً لهم وأهلها قوم مصلحون مؤمنون مطيعون. وهذا معنى قول ابن عباس[2].

وقيل: الظلم: [الشرك][3]. فالمعنى: ما كان ليهلكها بسبب الشرك وأهلها مصلحون يتناصفون ويتعاطون الحق فيما بينهم، ولا يضمون إلى شركهم العتو والتمرد والعثو كما فعل قوم لوط. وهذا معنى قول ابن جرير وأبي سليمان الدمشقي[4].

---

(١) الدر المصون (٤/ ١٤٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٩/ ١١٤).

(٣) في الأصل: والشرك. والصواب ما أثبتناه.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ١٤٠)، والوسيط (٢/ ٥٩٧)، وزاد المسير (٤/ ١٧١).

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ لاضطرهم إلى الإيمان، ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ ما بين يهودي ونصراني، ومجوسي ووثني، وسني وبدعي.

﴿إلا من رحم ربك﴾ أي: إلا أناساً رحمهم ربك فهداهم إلى الحق ووفّقهم لسلوك سبيله وجمْع كلمتهم عليه، وهم المتمسكون بالعروة الوثقى المتمسكون بشرائع المرسلين، والمشار إليه بقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ الرحمة، أو الاختلاف، أو كلاهما.

والأول قول مجاهد وقتادة وابن عباس في رواية عكرمة[١].

والثاني قول الحسن[٢].

والثالث اختيار الفراء والزجاج[٣] وابن عباس في رواية عطاء[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٣-١٤٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩١-٤٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣١)، ومعاني الزجاج (٣/ ٨٣).

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٥). وانظر: الوسيط (٢/ ٥٩٧)، وزاد المسير (٤/ ١٧٢). وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

﴿وتمت كلمة ربك﴾ وهي قوله للملائكة: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يريد: كفار الفريقين.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وكلاً نَقُصُّ﴾ التنوين عِوَض من المضاف إليه، تقديره: وكل نبأ نَقُصُّ، ﴿عليك من أنباء الرسل﴾ بيان لـ«كُلاًّ».

و﴿ما نثبت به فؤادك﴾ بدل من «كُلاًّ»، و «كُلاًّ» منصوب بـ«نَقُصُّ»، والتقدير: نَقُصُّ عليك ما نثبت.

قال ابن عباس: لنزيدك يقيناً ويقوي قلبك[1]، وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه بسبب تعاضد الدلائل والتأسي بإخوانه المرسلين.

﴿وجاءك في هذه﴾ السورة[2]. وقيل: في هذه الأقاصيص المذكورة[3]. وقيل:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٥-١٤٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٣) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه من طرق عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي موسى الأشعري، وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لأبي الشيخ وابن جرير.

(٣) الماوردي (٢/ ٥١٢)، وزاد المسير (٤/ ١٧٣).

في هذه الدنيا[(١)]. والأول قول ابن عباس والأكثرون من المفسرين.

فعلى هذا المعنى: جاءك في هذه السورة البيان الواضح بما اشتملت عليه من أخبار الأمم الخالية.

وعلى القول الثاني: المراد بالحق: الصدق في القصص والأنباء.

وعلى القول الثالث: يكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة.

وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ وعيد وتهديد.

وقول من قال أنها منسوخة ليس بصحيح[(٢)]؛ لما ذكرناه من قبل.

﴿وانتظروا﴾ مواعيد الشيطان ﴿إنا منتظرون﴾ ما وعدنا ربنا من ظهور الإيمان واستفحال أمر الإسلام.

وقيل: المعنى: وانتظروا الدوائر بنا، إنا منتظرون أن يفعل بكم نحو ما فعل بأشياعكم وأشباهكم في الكفر من الدين، اقتص الله تعالى أخبارهم وأراكم

---

(١) وهو قول الحسن وقتادة. أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٠٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٧٦).

آثارهم.

وزعم بعضهم أن هذا أيضاً منسوخ بآية السيف[1].

والصحيح: أنه تهديد، فلا نسخ.

قوله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما. وقيل: المعنى: لا يخفى عليه ما جرى فيهما، وهو مطلع على أعمالكم، ﴿وإليه يَرجِع الأمر كله﴾ وقرأ نافع وحفص: «يُرجَع» بضم الياء وفتح الجيم[2]، وقد سبق الكلام على معناه في البقرة.

﴿فاعبده﴾ وَحِّدْهُ، ﴿وتوكل عليه﴾ ثِقْ به وَفَوِّضْ أمركَ إليه، فهو ينتقم لك من أعدائك.

﴿وما ربك بغافل عما يَعْمَلُون﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص: «تَعْمَلُون» بالتاء، على معنى: أنت وهم، على تغليب المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء[3]، وكذلك اختلافهم في آخر سورة النمل.

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد ﷺ.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٣)، والكشف (١/ ٥٣٨)، والنشر (٢/ ٢٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٠).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٣)، والكشف (١/ ٥٣٨)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٠).

سورة يوسف عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي مائة وإحدى عشرة آية مكية.

وكان السبب في نزولها: ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: «أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله! لو قصصتَ علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿ألر -إلى قوله-: نحن نقص عليك أحسن القصص﴾»[1].

وقال ابن عباس: سألتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله تعالى: ﴿ألر﴾[2].

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

وقد سبق في أول البقرة وأول يونس تفسير: ﴿ألر﴾.

﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ قال ابن الأنباري[3]: لما لحق أصحابَ رسول الله

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٦)، والطبري (١٢/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٠٩٩-٢١٠٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٧٥)، والسيوطي في الدر (٤/ ٤٩٦) وعزاه لإسحاق بن راهويه والبزار وأبي يعلى وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٢) زاد المسير (٤/ ١٧٧).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ١٧٧).

ﷺ مللٌ وسآمة، قالوا: حدثنا ما يُزيل عنا هذا الملل، فقال: ﴿تلك آيات الكتاب﴾، أي: تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع [بها] (١) وزوال الملل هي آيات الكتاب.

ومعنى ﴿المبين﴾: المظهرُ للحق من الباطل، والحلالِ من الحرام. هذا قول ابن عباس ومجاهد (٢).

وقال معاذ بن جبل: المبين للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم (٣).

وقيل: المبينُ لِمَا سألتْ عنه اليهودُ من قصة يوسف ويعقوب وأولاده وانتقالهم إلى مصر.

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني: الكتاب المشتمل على قصة يوسف، ﴿قرآناً عربياً﴾ حالان من الضمير المنصوب في أنزلناه (٤).

قال أبو عبيدة (٥): من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله تعالى القول.

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في آخرين: أن فيه من غير لسان العرب، مثل: سجِّيل، والمشكاة، واليمّ، والطور، وأباريق، وإستبرق، وغير ذلك (٦).

---

(١) قوله: «بها» ذُكرت بعد قوله: الملل. وانظر: زاد المسير (٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٩) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٥) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٧٧).

(٤) التبيان (٢/ ٤٨)، والدر المصون (٤/ ١٥٠).

(٥) مجاز القرآن (١/ ١٧).

(٦) زاد المسير (٤/ ١٧٨).

قال أبو عبيد[١]: وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة، وجمع بين المذهبين فقال: هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال: أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب [بألسنتها][٢]، فعرّبته فصار عربياً بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية في الأصل.

﴿لعلكم تعقلون﴾ أراد أن تفهموه.

وقال ابن عباس: لكي تفهموا[٣].

قوله: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ قال الزجاج[٤]: المعنى: نحن نبين لك أحسن البيان.

قال صاحب الكشاف[٥]: والقصص: مصدر، بمعنى: الاقتصاص. تقول: قَصَّ الحديث يقُصُّه قَصَصاً، مثل: شلَّهُ يشُلُّهُ شَللاً.

ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول؛ كالحسب، ونحوه الخبر في معنى المخبر به.

ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر؛ كالخلق والصيد.

فإن أريد المصدر؛ فمعناه: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بإيحائنا إليك هذا القرآن، على أن يكون «أحسن» منصوباً نصب المصدر؛ لإضافته إليه، ويكون

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٧٨).

(٢) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٩).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٨٨).

(٥) الكشاف (٢/ ٤١٥-٤١٦).

المقصوص محذوفاً؛ لأن قوله: ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ مغن عنه.

وإن أريد بالقصص: المقصوص؛ فمعناه: نحن نقصّ عليك أحسن ما نقصّ من الأحاديث، وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب.

والظاهر: أنه أحسن ما نقصّ في بابه، كما يقال في الرجل: هو أعلم الناس وأفضلهم. يراد: في فنّه.

فإن قلت: مما اشتق القصص؟

قلت: من قَصَّ أَثَرَهُ؛ إذا اتبعه؛ لأن الذي [يقص][1] الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً، كما يقال: تلا القرآن؛ إذا قرأه، لأنه يتلو، أي: يتبع ما حفظ منه آية بعد آية.

﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ هذه: إنْ المخففة من الثقيلة، واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية. والضمير في «قبله» راجع إلى قوله: ﴿بما أوحينا إليك﴾.

والمعنى: وإن الشأن والحديث كنتَ من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه، أي: من الجاهلين به، ما كنت تعلمه ولا طَرَقَ سمعك.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ بدل من «أحسن القصص» وهو من بدل

(١) في الأصل: يقتص. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤١٦).

الاشتمال؛ لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص[١]، فإذا قصّ وقته فقد قصّه، أو بإضمار «اذكر».

«يوسف» اسم عبراني. وقيل: عربي. وليس بصحيح؛ لأنه لو كان عربياً لانصرف؛ لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف.

فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ: «يوسِف» بكسر السين، أو «يوسَف» بفتحها، هل يجوز على قراءته أن يقال: هو عربي؛ لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل والمفعول من آسف، وإنما منع الصرف من التعريف ووزن الفعل؟

قلت: لا؛ لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية، فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى، ونحو يوسف: يونس، رويت فيه اللغات الثلاث، ولا يقال: هو عربي؛ لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنِس وأونس.

﴿يا أبت﴾ قرأ ابن عامر: «يا أبتَ» بفتح التاء في جميع القرآن ووقف بالهاء، ووافقه ابن كثير في الوقف. وقرأ الباقون بكسر التاء في جميع القرآن، ولم يبدلوها في الوقف هاء[٢].

والتقدير: يا أبتي، فاجتزأ بالكسرة عن الياء، وهذه التاء تاء التأنيث، وهي عِوَض عن ياء الإضافة، إذ لا يقال: يا أبتي، وإنما يقال: يا أبي أو يا أبت، وساغ بعوضها منها؛ لأنهما يتناسبان في كون كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره.

---

(١) الدر المصون (٤/ ١٥١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٣-٣٥٤)، والكشف (٢/ ٣)، والنشر (٢/ ٢٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٤).

ومن قال: «يا أبتَ» بفتح التاء؛ فلأن أبا عثمان حمله على أن أصله «يـا أبتـي» فأبدلت من الكسرة فتحة، ومن الياء ألف، فصار «يا أبتـا»، ثـم حـذفت الألـف فصار «يا أبتَ».

وقال الفراء[١]: التاء في «يا أبت» هاء، أصل دخولها للسكت، وهو قولهم: «يا أباه»، ثم سقطت الألف لدلالة فتحة الباء عليها، [وانـصرفت][٢] الهـاء إلى لفـظ التاء؛ لكثرة الاستعمال، تـشبيهاً بتـاء التأنيـث، وكـسرت تقـديراً أن بعـدها يـاء الإضافة، ولم تستعمل في غير النداء؛ لأن هاء السكت مع الألف لا يـدخلان إلا في النداء والاختيار، كسر التاء على معنى: «يا أبتـي»، ثـم حـذفت اليـاء لأن يـاء الإضافة تحذف في النداء. ومن فتح التاء أبدل [الياء بالألف][٣]، فقال: «يا أبتا» ثم حذف الألف وأبقى الفتحة دليلاً عليها، كقول الأعشى:

يا أبتا لم تَرُم عندنـــــا فَإنَّا بخيرٍ إذا لم تُـــرَم[٤]

وقيل: فتحت التاء كما أقحموا تيماً في قوله:

يا تَيْمُ تَيْمَ عَديٍّ لا أبا لكُمُ لا يلقينَّكُم في سوْأةٍ عُمَرُ[٥]

---

(١) انظر: معاني الفراء (٢/ ٣٢)، والوسيط (٢/ ٦٠٠).

(٢) في الأصل: وانصرف. والتصويب من الوسيط، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: التاء الألف. والتصويب من الوسيط، الموضع السابق.

(٤) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٧٧)، والوسيط (٢/ ٦٠٠)، والدر المصون (٤/ ١٥١)، والحجة للفارسي (٢/ ٤٢٧). ورواية الديوان والمصادر:

ويا أبتا لا تَزَل عندنا فإنا نخافُ بأن تُخْتَرم

(٥) البيت لجرير وهو في: اللسان، مادة: (أبي).

وقرأ ابن أبي عبلة: «يا أبتُ» بضم التاء[١]. ومثله ما قرأته على شيخنا أبي البقاء: «يا قومُ» بضم الميم حيث وقع، وهي لغة يضم فيها الحرف الأخير بعد حذف ياء المتكلم.

قال بعض حذاق النحاة: أعضل مثل هذا العلماء بهذه الصناعة كما يعضل المريض الأطباء بعلته.

وقال الزجاج[٢]: لا يجوز الرفع إلا على ضعف؛ لأن الهاء جُعلت بدلاً من ياء الإضافة.

وقال الزمخشري[٣]: أما من ضم؛ فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث، فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة، فقال: «يا أبتُ»، كما يقال: «يا ثبة» من غير اعتبار بكونها عوضاً من ياء الإضافة.

قوله تعالى: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ قرأ جمهور القراء: «أحد عَشر» بفتح العين، وقرأتُ لأبي جعفر بسكون العين[٤]، ومثله: تِسْعَةَ عَشَر، ويجوز في بقية العدد من أحد عشر إلى تسعة عشر تسكين العين.

قال أبو الفتح ابن جني[٥]: إلا اثنا عشر واثني عشر؛ لسكون ما قبلها.

وقد قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لأبي جعفر يزيد بن القعقاع: «اثنا عشر شهراً»

---

(١) انظر: الدر المصون (٤/ ١٥٢).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٩٠).

(٣) الكشاف (٢/ ٤١٧).

(٤) النشر (٢/ ٢٧٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢، ٢٦٢).

(٥) المحتسب (١/ ٣٣٢).

بسكون العين[١].

وقرأتُ له من طريق النهرواني: «اثنعشر» بحذف الألف، تحرزاً من التقاء الساكنين. والعلة في ذلك كله: طلب الخفة لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد.

«كوكباً» نصب على التمييز.

﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ قال بعضهم: كرر «رأيتهم» لطول الكلام.

وقال بعض المحققين: «رأيتهم لي ساجدين» كلام مستأنف، وقع جواباً لسؤال مُقدَّر، كأن يعقوب قال له: كيف رأيتها؟ فقال: رأيتهم لي ساجدين.

وإنما كَنّى عن الكواكب والشمس والقمر بما يكني به عن العقلاء، وجمعها جمعهم بقوله: «ساجدين»؛ لأنه لما وصفها بالسجود -والسجود من أفعال العقلاء- استجاز الكناية عنها بكناية العقلاء.

فإن قيل: لم عَدَلَ عن الأصل؟

قلتُ: ليوافق الفواصل، وهو أسلوب مرعي في اللغة القدمى واللسان الفصيح.

قال المفسرون: كانت الكواكب في عبارة الرؤيا: إخوته، والشمس: أمه -وقيل: خالته، وهو قول من قال أن أمه كانت ماتت- والقمر: أباه[٢].

---

(١) النشر (٢/ ٢٧٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٩) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وابن =

وقال السدي: الشمس: أبوه، والقمر: خالته[١].

واختلفوا في [مقدار][٢] سِنِّه يوم رآها؛ فقال وهب بن منبه: كان ابن سبع سنين[٣].

وقيل: اثنا عشر سنة. وقيل: سبع عشرة.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ قرأ أبو جعفر: «روياك» والرويا ورياه بتخفيف الهمز وإدغام الواو في الياء، فتصير ياء مشددة. وخفف الهمزة من غير إدغام وَرْش وأبو عمرو في حال ترك الهمز، وأماله وما تصرف منه حيث كان الكسائي[٤].

وإنما نهاه عن قصص رؤياه على إخوته؛ لأنه عليه السلام عرف ما دلّت عليه الرؤيا من شرف يوسف وعلوّ مكانه وعظيم شأنه، وعرف أن إخوته من ذوي المهارة في العبارة، فخاف عليه أن يحملهم الحسد على اغتياله، فنهاه عن إعلامهم برؤياه، محذراً له من كيدهم، وهو قوله: ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾ أي: فيحتالوا في

=

جرير وأبي الشيخ.

(١) زاد المسير (٤/ ١٨٠).

(٢) في الأصل: مقار.

(٣) زاد المسير (٤/ ١٨٠).

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٤٣١)، والنشر (١/ ٣٩١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٤).

هلاكك ويبغوك الغوائل.

﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ فتحمله عداوته على إهلاكهم وإهلاكك، فيحتالوا لك في كل شر فيهلكوك، ويتورطوا في معصية الله، وقطع الرحم، وعقوق الوالد.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ أي: ومثل ذلك الاجتباء، يعني: كما اجتباك ربك لمثل هذه الرؤيا الدالة على ارتفاع مكانك وكبرياء شأنك، كذلك يجتبيك ويصطفيك لأمور عظام.

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ قال ابن عباس: تعبير الرؤيا[1].

والرؤيا إما أن تكون حديث النفس، أو الملك، أو الشيطان. وتأويلها: تفسيرها وعبارتها.

وقيل: معاني كتب الله وحكم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة، واستحكام الملك في الدنيا، وارتفاع المنازل في الجنة.

﴿وعلى آل يعقوب﴾ أولاده وأهله المختصين بالنبوة، ﴿كما أتمها على أبويك من

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٣)، والطبري (١٢/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٣) كلهم من طريق مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٤٩٩) وعزاه لأبي الشيخ عن مجاهد.

قبل إبراهيم﴾ بالنبوة والخلة والإنجاء من النار ﴿وإسحاق﴾ بالنبوة أيضاً، وبأن جعل الأنبياء من نسله، ﴿إن ربك عليم﴾ بمن يصلح للنبوة والاصطفاء ﴿حكيم﴾ في تصاريف الأشياء.

۞ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ قرأ ابن كثير: «آية». وقرأ الباقون «آيات» على الجمع[(١)].

والمعنى: لقد كان في خبر يوسف وإخوته عبرٌ وعجائب للسائلين عن قصتهم، فقُصَّها عليهم أحسن القصص من غير قراءة كتاب ولا سابقة اشتغال بعلم.

﴿إذ قالوا﴾ يعني: الإخوة فيما بينهم ﴿ليوسف﴾ هذه لام الابتداء، وهي متضمنة معنى التوكيد، ﴿وأخوه﴾ بنيامين، وكان أخاه من أبويه، والباقون لأبيه، ﴿أحب إلى أبينا منا﴾ وذلك أن يعقوب ﷺ كان يؤثره بزيادة المحبة، لصغره وفرط حسنه، وما يظهر عنه ويلوح من المخايل الدالة على نجابته واصطفائه، وتأهله

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٥)، والكشف (٢/ ٥)، والنشر (٢/ ٢٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢).

لمنصبي الرسالة والسياسة، ﴿ونحن عصبة﴾ هذه واو الحال.

قال الفراء[١]: العُصْبة: عشرة فما زاد.

قال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين[٢].

وقال الزجاج[٣] وابن قتيبة: هم الجماعة الذين أمرهم واحد، يتعصب بعضهم لبعض.

والمعنى: ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا، وهما اثنان صغيران لا يقومان بأمره، ونحن جماعة رجال كفاة، نقوم بمرافقه وننهض بأعبائه، فنحن أحق بزيادة المحبة منهما.

﴿إن أبانا لفي ضلال﴾ أي: ذهاب عن الصواب، ووجوب التعديل بيننا في المحبة ﴿مبين﴾ ظاهر.

قال الزجاج[٤]: لو أرادوا لفي ضلال في الدين لكانوا كفاراً.

وقرئ شاذاً: «ونحن عصبةً» بالنصب على المدح والافتخار.

قال:

أنا شيخُ العشيرةِ فاعرفوني ... حَميداً قد تذرَّيْتُ السَّنَاما[٥]

﴿اقتلوا يوسف﴾ قيل: إنهم أطبقوا على ذلك إلا الذي نهاهم. وقيل: قائل

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٨٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٩٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٩٣).

(٥) انظر: اللسان، مادة: (أنن)، والقرطبي (٣/ ٢٨٧)، والطبري (١٥/ ٢٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٤٤).

ذلك: شمعون، ورضي الباقون به، فنسب إليهم.

﴿أو اطرحوه أرضاً﴾ يريد: أرضاً مجهولة بعيدة من العمارة.

قال الزمخشري[(١)]: وهو معنى [تنكيرها][(٢)] وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه [نُصبت][(٣)] نَصب الظروف المبهمة.

وقال الزجاج[(٤)]: «أرضاً» منصوبة على إسقاط «في»، وإفضاء الفعل إليها؛ لأن «أرضاً» ليست من الظروف المبهمة.

﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ يتفرغ لكم ويُقبل بكُلِّيَتِه عليكم، فلا يلتفت إلى غيركم.

﴿وتكونوا من بعده﴾ أي: من بعد كفايته بالقتل أو التغريب. أو يرجع الضمير إلى مصدر «اقتلوا» أو «اطرحوا».

﴿قوماً صالحين﴾ تائبين إلى الله تعالى من جنايتكم. هذا معنى قول ابن عباس[(٥)].

وقال مقاتل[(٦)]: يصلح حالكم عند أبيكم.

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٢١).

(٢) في الأصل: تنكرها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: نصب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٩٣).

(٥) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٥) كلاهما من طريق السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٨٤).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ١٣٩).

﴿قال قائل منهم﴾ وهو يهوذا في قول ابن عباس[١]. وشمعون في قول مجاهد[٢]، وروبيل في قول قتادة[٣].

﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب﴾ قرأ نافع: «غيابات» على الجمع، وقرأ الباقون: «غيابة»[٤].

والجُبّ: الرَّكِيَّة التي لم تُطْوَ بعد، فإذا طُوِيت فهي بئر، وسُمّي بذلك؛ لأنه يوجب جباً، أي: يقطع، وغَيابته: غوره وما غاب منه فأظلم من أسفله.

قال الحسن: في قعره[٥].

ومن قرأ على الجمع، جعل كل ناحية من نواحيه غيابة.

قال الزجاج[٦]: الغيابة: كل ما غاب عنك أو غَيَّب شيئاً عنك. قال المنخل:

فإن [أنا][٧] يوماً غيَّبَتْنِي غَيَابتي ... فَسِيروا بسَيْرِي في العشيرة والأهْل[٨]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٦) عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٦).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) الحجة للفارسي (٢/ ٤٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٥)، والكشف (٢/ ٥)، والنشر (٢/ ٢٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٢).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٩٣-٩٤).

(٧) في الأصل: أتا. والتصويب من المصادر التالية.

(٨) البيت للمنخل، وهو: ابن سُبيع بن معاوية، روى له الآمدي في (المؤتلف) أبياتاً قالها في أخويه حين هاجرا من حلّته. (انظر: المؤتلف ص:٢٧١-٢٧٢). وانظر البيت في: مجاز القرآن (١/ ٣٠٢)، والقرطبي (٩/ ١٣٢)، وزاد المسير (٤/ ١٨٥)، والبحر المحيط (٥/ ٢٨٥).

واختلفوا في موضع الجبّ؛ فقال وهب: هو بأرض الأردن[١].

وقال قتادة: ببيت المقدس[٢].

وقال [مقاتل][٣]: هو ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام[٤].

﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ يعني: المارَّة.

وقرأ الحسن: «تلتقطه» بالتاء، حملاً على المعنى[٥]؛ لأن بعض السَيَّارة سَيَّارة، وأنشدوا:

وتَشْرَقُ بالقول الذي قد أذعْتَه ... كما شَرِقَت صَدْرُ القناةِ من الدَّم[٦]

﴿إن كنتم فاعلين﴾ ما يحصل به غرضكم، فهذا هو الرأي.

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

ثم أخذوا في الاحتيال لذلك فقالوا ليوسف: أما تشتاق إلى الخروج معنا فنلعب ونتصيد؟ قال: بلى، قالوا: فسلْ أباك أن يرسلك معنا، فقال: أفعلُ. فدخلوا

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠٩) وعزاه لعبدالرزاق وأبي الشيخ.

(٣) في الأصل: قتادة. والمثبت من زاد المسير (٤/ ١٨٥). وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ١٤٠).

(٤) زاد المسير (٤/ ١٨٥).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢).

(٦) البيت للأعشى. وهو في: اللسان (مادة: شرق)، والقرطبي (٩/ ١٣٣)، والطبري (٢١/ ٧١)، وزاد المسير (٤/ ١٨٦).

بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحبَّ أن يخرج معنا، فقال: ما تقول يا بُني؟ قال: نعم يا أبة، قد أرى من إخوتي اللين والعطف، فأنا أحب أن تأذن لي وأن ترسلني معهم، فحينئذ ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف﴾ أصلها: تأمننا، وبه قرأ ابن مقسم(١)، فأدغمت النون الأولى في الثانية، وبقي الإشمام بعد الإدغام دليلاً على ضم النون الأولى.

والإِشْمَامُ هو: ضَمّك شفتيك من غير صوت يسمع.

وقرأت لأبي جعفر: «تأمَنَّا» بفتح النون والإدغام من غير إشمام(٢).

وقرأ الحسن البصري بضم الميم والإدغام من غير إشمام(٣).

﴿وإنا له لناصحون﴾ استنزل لأبيه عن رأيه في رعايته [بعضهم](٤) وحفظه عنهم بما أظهروا له من آثار مصلحته والشفقة عليه والمحبة له.

المعنى: لِمَ تخافنا عليه ونحن نؤثر مصلحته وننصح له.

﴿أرسله معنا غداً﴾ إلى الصحراء ﴿نرتع ونلعب﴾ اختلف القراء في هذا الحرف، فقرأ ابن عامر وأبو عمرو بالنون فيهما، ومثله ابن كثير إلا أنه كسر العين من «نرتع»، وزادها ياء في الوصل والوقف ابن شنبوذ ونظيف عن قُنْبُل عنه. وقرأ الباقون: «يرتعْ ويلعبْ» بالياء فيهما، إلا أن نافعاً كسر العين من «يرتع»(٥).

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٨٦).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ١٨٦).

(٤) في الأصل: بضهم. وفي الكشاف: استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم.

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٤٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٥-٣٥٦)، والكشف (٢/ ٥-٦)، والنشر (٢/ ٢٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٢-٢٦٣)، والسبعة في القراءات =

وقرأتُ ليعقوب الحضرمي من رواية زيد عنه: «نرتع» بالنون، «ويلعب» بالياء[١].

فمن قرأ: «نرتعْ» بسكون العين، فمعناه: يلْهُو وينْعَم ويتسع في أكل الفواكه وغيرها، من رَتَعَ البعير يرْتَعُ؛ إذا أَكَلَ ورَعَى كيف شاء[٢]. قال النابغة:

وكلَّفتْني ذنْبَ امرئ وترَكْتَهُ كذي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتِعُ[٣]

وهذا من جهل العرب، يزعمون أن الإبل إذا أصابها العُرّ، وهو الجَرَبُ، فكَووا الصحيح برَأَ السقيم.

قال المبرد: وكذلك الإنسان في الطعام، وأنشدوا:

وَحَبيبٌ لي إِذا لاقَيتُهُ وَإِذا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ[٤]

ومن قرأ «يرتِع» بالكسر، فهو يفتعل من الرعي، على معنى: يرتعي ماشيتنا، أو على معنى: نرعى ويحرس بعضنا بعضاً، من الرعاية، وهي الحفظ، على قراءة ابن كثير.

والجزم على جواب الأمر، وهو حذف حركة العين، أو حذف الياء على القراءة الأخرى، فإن أصلها: ترتعي. وحجة من قرأ وأثبت الياء: أن من العرب من يجري الفعل المعتل مجرى الصحيح، فتقول: لم يأتي زيد، وأنشدوا:

= (ص:٣٤٥-٣٤٦).

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٨٦).

(٢) انظر: اللسان، مادة: رتع.

(٣) البيت للنابغة. وهو في: ديوانه (ص:٨١)، واللسان، مادة: (عرر).

(٤) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ١٨٧)، واللسان، مادة: (رتع).

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ[(١)]

قال ابن مقسم العطار في كتاب المختار: هي لغة لبعض العرب، لا يحذفون لام الفعل إذا كانت واواً ساكنة أو ياء ساكنة، ذهاباً إلى أن الجزم تسكين الحرف، فإذا كان ساكناً في نفسه تركوه بحاله.

ومنهم من قال: أُشبعتْ كسرةُ العين فصارت منها الياء، كما قال:

أقولُ إن خَرَّتْ على الكَلْكَالِ يا ناقتي ما جُلْتِ من مَجَالِ[(٢)]

وقرأ أبو رجاء: «يُرتع» بياء مضمومة على حذف المفعول[(٣)]، كما في قوله في القصص: ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي﴾ [القصص:٢٣]. والمعنى: يُرتِع ماشيته.

وقرئ شاذاً: «يرتعِ» بكسر العين، «ويلعبُ» بالرفع على الاستئناف[(٤)].

فإن قيل: كيف استجاز لهم يعقوب اللعب وأقرَّهم عليه؟

---

(١) البيت لقيس بن زهير من قصيدة يقولها فيما كان قد شجر بينه وبين الربيع بن زياد العبسي من أجل درع أخذها الربيع من قيس، فأغار قيس على إبل الربيع وباعها في مكة. انظر البيت في: الكتاب (٣/ ٣١٦)، واللسان، مادة: (قدر، أتى، رضي، شظي)، وابن يعيش (٨/ ٢٤)، والخصائص (١/ ٣٣٣)، والمحتسب (١/ ٦٧)، وشرح القصائد العشر للتبريزي (ص:١٠٢)، والبحر المحيط (٥/ ٢٨٦)، والدر المصون (٤/ ١٦٠، ٢١٢)، والحجة للفارسي (٣/ ١٤٨)، ومعاني الفراء (١/ ١٦١، ٢/ ١٨٨).

(٢) انظر البيت في: الطبري (١/ ٩١)، واللسان، مادة: (كلل).
والكَلْكَال: هو ما بين الترقوتين (اللسان، مادة: كلل).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٢٨٦).

(٤) مثل السابق.

قلت: ليس المراد هاهنا اللعب المكروه الصادّ عن ذكر الله تعالى؛ لأنهم لو أرادوا ذلك لبادر ﷺ إلى إنكاره عليهم، وإنما أرادوا اللعب المباح من المسابقة على الأقدام والمناضلة بالسهام والمفاوضة فيما يشرع من ملح الكلام.

وقد روي [عن][(١)] أبي عمرو ابن العلاء أنه قال في جواب هذا: لم يكونوا إذا ذاك أنبياء. وليس بشيء، لأن الإشكال في إقرار يعقوب لهم على ذلك، وهذا لا يدفعه، وقراءة يعقوب فيما رواه زيد عنه حسنة، على معنى: نرتع ماشيتنا ويلعب هو، وحَسُن إضافة اللعب إليه؛ لصغر سنه.

﴿وإنا له لحافظون﴾ مما تخافه عليه.

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾ شوقاً إليه وخوفاً عليه. ثم قال في جهة الاعتذار عن حبسه عنهم: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ فلقنهم العلة، ونبههم على ما يصلح أن يعتذر به، كما قيل: «البلاء موكل بالمنطق»[(٢)].

قرأ وَرْش والكسائي: «الذيب» بغير همز، وهَمَزَه الباقون في المواضع الثلاثة

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) أخرجه القضاعي في مسنده (١/ ١٦١ ح٢٢٧) من حديث حذيفة، وأيضاً (١/ ١٦٢ ح٢٢٨) من حديث علي. وأخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٤٤ ح٤٩٤٨) بلفظ: «البلاء موكل بالقول» من حديث أنس بن مالك. وكذلك ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣١ ح٢٥٥٤٧) كلفظ البيهقي من حديث ابن مسعود.

على الأصل[١].

أخبرنا الإمام أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي[٢] قراءة عليه وأنا أسمع، أبنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، أبنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أبنا محمد بن علي الصوري[٣]، أبنا أبو الحسن عبيد الله بن القاسم القاضي، ثنا علي بن محمد الحراني، ثنا أبو بكر محمد بن يحيى المروزي[٤]، قال: سألت خلف بن هشام: لم سُمِّيَ الكسائي كسائياً؟ فقال: دخل الكسائي الكوفة، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر فجلس وهو ملتف بكساء، فرمقه القوم بأبصارهم، فقالوا: إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه،

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٧)، والكشف (١/ ٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٦).

(٢) زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير سنان، أبو اليمن البغدادي. ولد في شعبان سنة عشرين وخمسمائة، وحفظ القرآن وهو صغير، وأجاز له عدد كثير، وتردد إلى البلاد وإلى مصر والشام يتّجر، ثم استوطن دمشق ورأى عزاً وجاهاً، وكثرت أمواله، وازدحم عليه الفضلاء، وعمّر دهراً، وكان حنبلياً فانتقل حنفياً، وبرع في الفقه وفي النحو، وأفتى ودرّس وصنّف، وله النظم والنثر، وكان صحيح السماع ثقة في نقله، ظريفاً كيّساً ذا دعابة وانطباع، توفي يوم الاثنين سادس شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة (سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤-٤١).

(٣) محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن رحيم الشامي الساحلي، أبو عبد الله الصوري. ولد سنة ست أو سبع وسبعين وثلاثمائة، كان من أحرص الناس على الحديث وأكثرهم كتباً له وأحسنهم معرفة به، صحيح النقل، صدوقاً، مات في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٧-٦٣١).

(٤) محمد بن يحيى بن سليمان، أبو بكر المروزي البغدادي، صدوق، مات في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨-٤٩).

فسمعهم، فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ: «فأكله الذيب» بغير همز. قال له حمزة: الذئب بالهمز، فقال له الكسائي: وكذلك أهمز الحوت في «فالتقمه الحؤت» قال: لا. قال: فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ فرفع حمزة بصره إلى خلاد وكان [أجمل][(١)] غلمانه، فتقدم إليه في جماعة [من][(٢)] أهل المجلس فناظروه، فلم يصنعوا شيئاً. فقالوا: أفدنا يرحمك الله! فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحائك. تقول: إذا نسبت الرجل إلى الذئب: قد استذأب الرجل، فلو قلت: قد استذاب بغير همز، لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: قد استذأب الرجل؛ إذا استذاب شحمه، بغير همز، وإذا نسبته إلى الحوت قلت: قد استحات الرجل، أي: كثر أكله؛ لأن الحوت يأكل كثيراً، لا يجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت. وفيه معنى آخر: لا يسقط الهمز من مفرده ولا من مجموعه. وأنشدهم:

أيها الذئب وابنه وأبوه ... أنت عندي من أذأب ضاريات

فسمي الكسائي من ذلك اليوم[(٣)].

فإن قيل: ما الحكمة في تخصيصه الذئب من بين سائر المخاوف؟

قلت: قد روي عن ابن عباس: أن يعقوب عليه السلام كان رأى في منامه أن ذئباً شدَّ على يوسف، فكان يَحْذَرُه[(٤)].

---

(١) في الأصل: أحمد. والتصويب من تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٥).

(٢) زيادة من تاريخ بغداد، الموضع السابق.

(٣) انظر هذه القصة في: تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٨٨).

وقال مقاتل[1]: كانت أرضهم كثيرة الذئاب.

وقال الماوردي[2]: خافهم عليه فكنى بذكر الذئب. ويَرُدُّ قولَه تمامُ الآية وهو قوله: ﴿وأنتم عنه غافلون﴾ أي: برعيكم ولعبكم.

﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ القسم محذوف، واللام في «لئن أكله» موطئة للقسم. وقوله: ﴿إنا إذاً لخاسرون﴾ يسُدّ مسَدّ جواب القسم وجواب الشرط. والواو في «ونحن عصبة» واو الحال.

قال ابن الأنباري[3]: ومن قرأ «عصبةً» فعلى معنى: ونحن نجتمع عصبة.

والمعنى: إنا إذاً لهالكون ضعفاً وعجزاً إن أكل أخانا الذئب ونحن معه.

قال صاحب الكشاف[4]: إن قلت: قد اعْتَذَرَ إليهم بعذرين، قوله: ﴿ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب﴾ فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر؟

قلت: هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرَّين، فأعاروه [آذاناً][5] صماً ولم يعبأوا به.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به﴾ فيه إضمار تقديره: فأرسَلَهُ معهم، فلما ذهبوا به،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٤٠).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ١٣).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ١٨٨).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٢٣).

(٥) في الأصل: أذناً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

﴿وأجمعوا﴾ أي: عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجُبّ.

قال أهل التفسير: خرجوا بيوسف فلما أصحروا به أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، فجعل يلجأ إلى هذا فيضربه وإلى هذا فيؤذيه، فلما فطن لما قد أجمعوا عليه جعل ينادي: يا أبتاه يا يعقوب، لو تعلم ما يُصنع بابنك وما قد نزل به من إخوته لأحزنك ذلك يا أبتاه، ما أعجل ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك، وجعل يبكي بكاءاً شديداً[1].

قال ابن عباس: فأخذه روبيل فجلد به الأرض، ثم جثم على صدره وأراد قتله، فقال له يوسف: مهلاً يا أخي لا تقتلني، فقال: يا ابن راحيل يا صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه لكسرها، فنادى يوسف: يا يهوذا، اتق الله وخلّ بيني وبين من يريد قتلي. فقال يهوذا -وأدركته له رحمة-: يا إخوتي! ألا أدلكم على أمر هو خير لكم وأرفق به؟ [قالوا: وما ذاك؟ قال][2]: تلقونه في هذا الجب فتلتقطه بعض السيارة. قالوا: نفعل. فانطلقوا به إلى الجب، فلما أرادوا تدليته تعلق بثياب بعضهم، فنزعوها من يديه، فجعل يتشبث بحائط الجب، فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليحتالوا به على يعقوب، فقال: يا إخوتاه، ردّوا عليّ قميصي أستتر به، فلم يفعلوا ودلّوه في الجب.

قال السدي: فلما بلغ نصفه ألقوه إرادة أن يموت، وكان في البئر ماء فسقط، ثم أوى إلى صخرة فيه فقام عليها وهو يبكي، فنادوه، فظنّ أنها رحمة أدركتهم،

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٨-٢١٠٩) كلاهما من حديث السدي. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٤/ ٥٠١) وعزاه لهما.

(٢) زيادة من زاد المسير (٤/ ١٨٩).

فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه، فمنعهم يهوذا. وقالوا له: ادعُ الشمس والقمر والكواكب لتؤنسك. قال: وكان يهوذا يأتيه بالطعام(١).

وقال كعب: جمعوا يديه إلى عنقه، ونزعوا قميصه، فبعث الله [إليه](٢) مَلَكاً فحلّ عنه. وكان يعقوب قد أدرج قميصَ إبراهيم الذي كساه الله يوم ألقي في النار في قصبة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه إياه المَلَكُ حينئذ، فأضاء له الجُبّ(٣).

قال الحسن: ألقي في الجبّ فَعَذُبَ ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل فأنس به، فلما أمسى نهض جبريل عليه السلام ليذهب، فقال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشت، فقال: إذا هِبْتَ شيئاً فقل: يا صريخ المستصرخين! ويا غوث المستغيثين! ويا مفرج كرب المكروبين! قد ترى مكاني وتعلم حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري. فلما قالها حفّته الملائكة، فاستأنس في الجبّ، ومكث فيه ثلاثة أيام، وكان إخوته يرعون حول الجب(٤).

قال الحسن: ألقي في الجب وهو ابن أربع عشرة سنة(٥).

وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما ألقي يوسف في الجب قال: يا شاهداً غير غائب! ويا قريباً غير بعيد! ويا غالباً غير مغلوب! اجعل لي فرجاً مما أنا فيه. قال:

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠١) وعزاه لهما.

(٢) زيادة من زاد المسير (٤/ ١٩٠).

(٣) زاد المسير (٤/ ١٩٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩١). وفيهما: أنه ابن اثنتا عشرة سنة.

فلما بات به[١].

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إليه﴾ قيل: إنه وحي إلهام، وهو مروي عن ابن عباس[٢].

وقيل: إنه على حقيقته، وأن الله تعالى أوحى إليه صغيراً كما أوحى إلى يحيى وعيسى.

قال المفسرون: أوحى الله تعالى إليه لتخبرن إخوتك بأمرهم وبما صنعوا بك، وأنت عالٍ عليهم[٣].

والمعنى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنك يوسف؛ لعظمة شأنك وعز سلطانك، وبُعد هيئتك عن أوهامهم الكاذبة وظنونهم الباطلة.

وقيل: وهم لا يشعرون بالوحي. وهو قول مجاهد وقتادة[٤].

فعلى هذا القول الأول يكون قوله: «وهم لا يشعرون» متعلقاً بقوله: «لتنبئنهم».

وعلى الثاني بقوله: «وأوحينا إليه». والأول أصح، وهو قول ابن عباس.

قال حميد: قلت للحسن: أيَحسد المؤمن المؤمن؟ فقال: لا أبا لك! ما نسّاك بني يعقوب[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٩١).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ١٦٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩١).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦١-١٦٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٩).

(٥) زاد المسير (٤/ ١٩١).

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وجاؤوا أباهم عشاءً يبكون﴾ «عشاءً» نصب على الظرف[١].

وقرئ شاذاً: «عُشَيّاً» على تصغير عشي[٢].

وذكر أبو الفتح ابن جني في كتاب المحتسب[٣]: أن الحسن قرأ: «عُشَا» بضم العين والقصر[٤]، أي: عُشْواً من البكاء[٥].

وطريق ذلك: أنه أراد جمع عَاشٍ، وكان قياسه عُشَاةً، كَماشٍ ومُشَاة، إلا أنه حذف الهاء تخفيفاً وهو يريدها، كقوله:

أَبْلِغِ [النعمان][٦] عني مَأْلُكاً ... أنه قد طَالَ حَبْسِي وانتظاري[٧]

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٥٠)، والدر المصون (٤/ ١٦٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٨٨).

(٣) المحتسب (١/ ٣٣٥).

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٣).

(٥) أي: صار كل واحد منهم أعشى، والأعشى: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل (انظر: اللسان، مادة: عشا).

(٦) في الأصل: العثمان. والتصويب من مصادر التخريج.

(٧) البيت لعدي بن زيد. انظر: اللسان، مادة: (ألك)، وزاد المسير (١/ ٥٩)، والمنصف (٢/ ١٠٤)، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص:٢٦٦).

أراد: مألُكَة، فحذف الهاء.

ثم قال[١]: وفيه بُعد، هذا ضعيف؛ لأن القوم ما بَكَوا في ذلك اليوم قدر ما يعشو الإنسان منه.

قال ابن عباس: ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف[٢].

﴿وجاؤوا أباهم عشاءً يبكون﴾ قال المفسرون: جاؤوا وقت العتمة ليكونوا في الظُّلمة أجرأ على الاعتذار بالكذب[٣].

قال بعضهم: لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتلجلج في الاعتذار، فلا تقدر على إتمامه[٤].

وقيل: أخَّروا المجيء إلى وقت العشاء ليدلّسوا على أبيهم بتأخيرهم عن وقت العادة.

قال السدي: فلما سمع أصواتهم فزع، فقال: ما لكم! أين يوسف؟ ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ قال ابن عباس: نَنْتَضِل[٥].

وقال السدي: نشْتَدّ على الأقدام[٦].

وقال مقاتل[٧]: نستبق إلى الصيد.

---

(١) أي: ابن جني في المحتسب (١/ ٣٣٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩١).

(٤) القرطبي (٩/ ١٤٤)، والبحر المحيط (٥/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٣) عن مقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩٢).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ١٤٢).

﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ أي: ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي: بمصدق لنا، ﴿ولو كنا صادقين﴾.

قال الزجاج(١): ليس يريدون أن يعقوب ﷺ لا يُصَدِّقُ من يعلم أنه صادق، هذا مُحال، لا يوصف الأنبياء صلوات الله عليهم بذلك، ولكن المعنى: لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتَّهمتَنا بيوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبْناك.

﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب﴾ أي: بدم ذي كذب، والمعنى: بدم مكذوب فيه.

قال اللغويون(٢): العرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون: للعقل معقول، وللكذب مكذوب. قال الشاعر:

حتى إذا لم يترُكُوا لعظامه لحماً ولا لفؤادِهِ معْقُولا(٣)

ويقولون: هذا ماء سكب، وشراب صب، وماء غور، أي: مسكوب ومصبوب وغائر.

وقيل: وُصف بالمصدر مبالغةً، كأنه نفسُ الكذب وعينُه، كما يقال للكذّاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته، ونحوه: فهُنَّ به جُودٌ وأنتَ به بُخل.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٩٦).

(٢) انظر: معاني الفراء (٢/ ٣٨).

(٣) البيت: للراعي. وهو في: الطبري (١٢/ ١٦٥)، والقرطبي (١٨/ ٢٢٩)، وزاد المسير (٤/ ١٩٢)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٨).

وقرأ ابن أبي عبلة: «كذباً» بالنصب على الحال[١]، بمعنى: جاؤوا به كاذبين، أو مفعول له.

وقرأتْ عائشة وابن عباس والحسن وأبو العالية: «كَدِبٍ» بالدال المهملة[٢]، أي: طري.

قال ابن فارس[٣]: وفيه نظر.

وقال الزمخشري[٤]: هو الكدر.

وقال أبو الفتح عثمان ابن جني في كتاب المحتسب[٥]: أصل هذا من [الكَدَب][٦]. وهو الفُوفُ[٧]: أعني: البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث، فكأنه دم قد أَثَّرَ في قميصه.

وقد روي: أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته: أروني قميصه، فوضعه على وجهه وبكى، ثم قال: كذبتم، لو أكله الذئب لخرق القميص!.

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩٣).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٦٨).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٢٥).

(٥) المحتسب (١/ ٣٣٥).

(٦) في الأصل: الكذب. والمثبت من المحتسب، الموضع السابق.

(٧) الفُوف: البياض الذي يكون في أظفار الأحداث، وكذلك الفَوْفُ، واحدته: فُوفَة، يعني بواحده، الطائفة منه. ومنه قيل: بُرْدٌ مُفَوَّفٌ. وقال الجوهري: الفُوف: الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة (اللسان، مادة: فوف).

﴿قال بل سوّلت لكم﴾ أي: بل زيَّنَتْ لكم ﴿أنفسكم أمراً﴾ غير ما تقولون ﴿فصبر جميل﴾ وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى.

قال الخليل: تقديره: فشأني صبر جميل، فحذف المبتدأ.

وقال قطرب: المعنى: فصبري صبر جميل.

وقدّره قوم: فصبر جميل أمثل وأحسن، على حذف الخبر.

وقرأ ابن مسعود وأُبيّ بن كعب: «فصبراً جميلاً» بالنصب على المصدر (١).

﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي: على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف، والصبر على الرزية.

أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي منصور الموصلي، أبنا ابن بَوْش قراءة عليه، أبنا أبو العز بن كادش، أبنا أبو علي الجازري، أبنا المعافى بن زكريا الجريري، ثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن المنادي، ثنا محمد بن إسماعيل بن يونس إملاءً، ثنا أبو صالح سهل بن خاقان -وكان من خيار المسلمين- قال: سمعت أبا المورِّع يقول: أول من قال بيت شعر: يعقوب النبي عليه الصلاة والسلام لما جاؤوا فأخبروه عن يوسف بالذي أخبروه به، فقال:

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ بالذي جِئْتُمُوا بهِ ... وَحَسْبي إِلهي في المُهِمّات كَافِيَا (٢)

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩٣).

(٢) ذكره البيهقي في الشعب (٢/ ٢٤٧). والمعروف: أن يعقوب عليه السلام إنما كان يتكلم اللغة العبرية، ولم يؤثر عنه أنه تكلم العربية.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة﴾ أي رُفقة تسير من قبل مدين إلى مصر، فأخطؤوا الطريق، فنزلوا قريباً من الجبّ، ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يَرِدُ الماء ليستقي للقوم.

قال ابن عباس: واسمه: مالك بن ذعر بن [يؤيب بن عيفا][1] بن مدين بن إبراهيم[2]. ﴿فأدلى دلوه﴾ أرسلها ليملأها. قال الزجاج[3]: يقال: أدْلَيْتَ الدَّلْوَ؛ إذا أرسلتها لتملأها، ودَلَوْتَها؛ إذا أخرجْتَها[4].

قال ابن السكيت[5]: الدَّلْو: الغالب عليها التأنيث، وتصغيرها: دُلَيَّة وقد [تذكَّر][6].

قال عدي:

---

(١) في الأصل: عيفا بن يؤيب. والتصويب من زاد المسير (٤/ ١٩٤). وانظر: الطبري (١٢/ ١٧٥) وفيه: ثويب بن عنقاء.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٩٧).

(٤) انظر: اللسان (مادة: دلا).

(٥) إصلاح المنطق (ص:٣٥٩).

(٦) في الأصل: ذكر. والتصويب من إصلاح المنطق، الموضع السابق.

فَهِيَ كَالدَّلْوِ بكَفِّ المُسْتَقِي خَذَلَتْ مِنْها العَرَاقي فَانْجَذَمْ[١]

وقال أبو عبيدة وأبو زيد: أدليت ودلوت بمعنى واحد، إذا أرسلتها. واحتجا بقول الشاعر:

يَكْشِفُ عن جَمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّال ....[٢]

وذلك أنَّ من أرسل الدلو فإنه يُخرجها، فلهذا قيم أحدهما مقام الآخر.

﴿قال يا بشراي﴾ قرأ أهل الكوفة «بُشْرى» غير مضاف، وأماله حمزة والكسائي، وقرأ الباقون «بُشْرَاي» على الإضافة، ووَرْش يُسَكِّن الياء[٣]، وفيه بُعْد؛ لما فيه من التقاء الساكنين، ومن أجازه فلحيلولة المَدَّة بينهما، وأماله بين اللفظين ورش من طريق المصريين.

وقرأ جماعة منهم الجحدري والحسن: «بُشْرَيَّ» بتشديد الياء وفتحها من غير ألف[٤].

قال الجحدري: بنوا [فزارة][٥] وقوم من قيس يقولون: بُشْرَيَّ، وهذه عَصَيّ، وهذا قَفَيّ، إذا أضافوا إلى أنفسهم؛ لخفاء الألف، فيبدلون منها ياء ويدغمونها في ياء الإضافة، ومن تابعهم كثير.

---

(١) البيت لعدي بن زيد يصف فرساً. انظر البيت في: اللسان، مادة: (عرق، خذل).
والعَرَاقي: هما الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب (اللسان، مادة: عرق).

(٢) صدر بيت للعجاج، وعجزه: (غَباءةً غَبْراء من أجْنٍ طال). انظر: اللسان (مادة: دلا).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٤٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٧)، والكشف (٢/ ٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩٤).

(٥) في الأصل: فزاة.

وقال ابن جني[(١)]: هي لغة فاشية فيهم، منها ما رويناه عن قطرب من قول الشاعر:

يُطَوِّفُ بي [عِكَبٌّ][(٢)] في مَعَدٍّ ... وَيَطْعُنُ بالصُّمُلَّةِ في قَفَيَّا

فَإِنْ لم [تَثْأَرا][(٣)] لي مِنْ عِكَبٍّ ... فلا [أَرَوَيْتُما][(٤)] أبداً صَدَيَّا[(٥)]

قال الزمخشري[(٦)]: هي لغة للعرب مشهورة. سمعتُ أهل السروات يقولون: يا سيديَّ وموليَّ.

ومن قرأ: «بشرايَ» أضاف البشرى إلى نفسه، كقوله: يا سروري ويا فرحي، على الاستيثار لما رأى.

ومن قرأ: «يا بشرى» بغير إضافة، أمكن أن يكون أراد: يا أيتها البشرى، أو: يا مَنْ حضر هذه البشرى.

---

(١) المحتسب (١/ ٣٣٦).

(٢) في الأصل: كعب. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: تثأروا. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: رويتما. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) البيتان للمنخل اليشكري، وهما في: اللسان، مادة: (عكب، حرر)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٩)، والخصائص (١/ ١٧٧)، وشرح الحماسة للتبريزي (٢/ ٤٨).

وسبب هذا الشعر: أن المتجردة امرأة النعمان كانت تهوى المنخل اليشكري، وكان يأتيها إذا ركب النعمان، فلاعبته يوماً بقيد جعلته في رجله ورجلها، فدخل عليهما النعمان وهما على تلك الحال، فأخذ المنخل ودفعه إلى عِكَب اللخمي صاحب سجنه، فتسلمه فجعل يطعن في قفاه بالصُمُلَّة، وهي حربة كانت في يده (اللسان مادة: حرر).

(٦) الكشاف (٢/ ٤٢٦).

قال الزجاج[(١)]: معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل؛ إنما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة. إذا قلت: يا [عجباه][(٢)]، فكأنك قلت: اعجبوا، [ويا][(٣)] أيها العجبُ هذا من حِينِكَ. وكذلك إذا قال: يا بشرايَ، فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال: يا أيها البشرى هذا من إبَّانِكِ وزمانِكِ.

وذكر السدي: أنه نادى بذلك صاحبه، وكان اسمه: بُشْرى[(٤)].

وقال ابن الأنباري[(٥)]: يجوز أن يكون اسم امرأة.

والأول هو وجه الكلام. وقول السدي وابن الأنباري في غاية البُعد؛ لأن طريق ثبوته النقل، ولا سبيل لهما إليه.

قال ابن عباس وغيره: لما أدلى دَلْوه تَعَلَّقَ يوسف بالحَبْل، فأخرجه مالك[(٦)]، فلما نظر إليه رأى غلاماً أحسن ما يكون من الغلمان، فقال لأصحابه: البشرى؟ قالوا: ما [وراءك][(٧)]؟ قال: هذا غلام في البئر، فأقبلوا يسألونه الشركة فيه.

وقال بعضهم لبعض: اكتموه عن أصحابكم لئلا يسألونكم الشركة فيه. فإن قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استبضعناه أهلَ الماء لنبيعه لهم بمصر، فجاء إخوة يوسف،

(١) معاني الزجاج (٣/ ٩٧).

(٢) في الأصل: عجباً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: يا. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٥) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩٤).

(٦) هو: مالك بن ذعر، وسيأتي ذكره في نهاية الأثر.

(٧) في الأصل: رآك. والتصويب من زاد المسير (٤/ ١٩٤).

فقالوا لهم: هذا غلام أبَقَ منا. فقال مالك بـن ذعِـر: أنـا أشـتريه مـنكم، فبـاعوه بعشرين درهماً وحلّة ونعلين، فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه[١].

قال أبو علي الجرجاني في شرح الفصيح: تقول غلام بين الغُلُومِيَّة والغُلُومَة. والغُلام: الصغير إلى حدّ الالْتِحَاء.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض أراجيزه:

أنا الغلام الهاشمي المكي

قال بعضهم: يستحق هذا الاسم إذا ترعرع وبلغ الاحتلام واشتهى النكاح، وتسميته قبل ذلك غلاماً للتفاؤل، وبعد ذلك تسميته غلاماً بطريق المجاز، ويقال للجارية: غلامة. وجمع الغلام: غِلْمَة، للقليل، وغِلْمَان للكثير؛ كعِقَاب وعِقْبـان، وتصغير غِلْمان: أُغَيْلِمَة، ومثله مما تزاد الألف في تصغيره: أصْبِيَة في تصغير: صِبْيَة، وأبْنون في تصغير: بَنِين قال:

زَعَمَتْ تُمَاضِرُ أَنَّني إمّا أَمُتْ يَسْدُدْ بُنَيُّوها الأصاغِرُ خَلَّتي[٢]

وفي الحديث: «كان النبي ﷺ يلْطَحُ أُغَيْلِمَة بنـي عبـد المطلـب ليلـة المزدلفـة ويقول: أبيني لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس»[٣].

اللَّطْحُ: الضرب الخفيف بالكف[٤].

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٩٤-١٩٥).

(٢) البيت لسلمى بنت ربيعة. انظر: اللسان، مادة: (خلل).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ١٩٤ ح١٩٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٧ ح٣٠٢٥).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (لطح).

وإنما قلت في تصغير غِلْمَان أُغَيْلَمة؛ لأنك[1] نقلته إلى العدد اليسير، لأن التصغير يفيد التحقير، والكثير يخالف ذلك. وتقول في تصغير حمير: أُحَيْمِرة، صغَّرت أحْمِرة، وفي تصغير فُلُوس: أفيْلِس، صغَّرت أفْلُس، ويقال للغلام: وصِيف، وللجارية: وصيفة، ويقال: أوْصَفَ الغلام وأوْصَفَتِ الجارية.

قوله تعالى: ﴿وأسرّوه بضاعة﴾ قال الزجاج[2]: «بضاعةً» منصوب على الحال، كأنه قال: وأسرُّوه جاعِلِيه بضاعة.

وقال غيره: البضاعة: ما بُضِعَ من مال التجارة، أي: قُطِعَ، وضمير الفاعل في قوله: «وَأَسَرُّوهُ» عن باقي أصحابهم، على ما حكيناه عن ابن عباس.

وقيل: يعود الضمير إلى إخوة يوسف[3]، والقولان عن ابن عباس.

والأول أظهر.

﴿والله عليم بما يعملون﴾ من سوء الصنيع بأبيهم وأخيهم.

﴿وشَرَوْه﴾ هو من الأضداد، بمعنى البيع وبمعنى الشراء. فإن أريد الأول -وهو الأظهر في التفسير- فضمير الفاعل يعود إلى إخوة يوسف.

وإن أريد الثاني؛ فالضمير للوارد ولأصحابه.

﴿بثمن بخس﴾ مبخوس عن القيمة نقصاناً ظاهراً.

قال أبو سليمان: كانت عشرين في العدد، وهي ناقصة في الميزان[4].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "لا".

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٩٨).

(٣) أخرج هذا القول: الطبري (١٢/ ١٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٥) وعزاه له.

(٤) زاد المسير (٤/ ١٩٦).

وقال ابن عباس: «بخس»: حرام[١].

﴿دراهم معدودة﴾ لا توزن لِقلَّتها.

قال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يَزِنُون أقل من أربعين درهماً[٢].

وقد ذكرنا عددها عن ابن عباس.

وفي رواية عنه: كانت اثنين وعشرين درهماً[٣].

وقال عكرمة: أربعين درهماً[٤].

وقيل: ثلاثين.

قال بعض أرباب الإشارات: والله ما يوسف -وإن باعه أعداؤه- بأعجب منك في بيع نفسك بشهوة ساعة من معاصيك[٥].

قوله تعالى: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ قال بعضهم: «فيه» ليست من صلة «الزاهدين»؛ لأن الصلة لا يتقدم على الموصول، ألا تراك لا تقول: كانوا زيداً من الضاربين؛ لأن زيداً من صلة الضاربين.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧١-١٧٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٥) كلاهما من طريق الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٥) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ عن الضحاك.

(٢) انظر: الطبري (١٢/ ١٧٢)، وزاد المسير (٤/ ١٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٦)، ومجاهد (ص:٣١٣) كلهم عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٦) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩٧).

وقال الزجاج[(١)]: هذا في الظروف جائز، فأما المفعولات فلا.

قال الزمخشري[(٢)]: هو بيان، كأنه قيل: في أي شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

والضمير في «كانوا» يعود إلى الإخوة، في قول ابن عباس[(٣)]، وإلى مالك بن ذعر ورفقته، في قول غيره.

فإن أريد الأول؛ والضمير في «فيه» يعود إلى يوسف، في قول الضحاك[(٤)]، وإلى «الثمن» في قول غيره، على معنى: لم يكن قصدهم الثمن ولا كانوا راغبين فيه، إنما كان قصدهم بُعده عن أبيه؛ لما اشتملوا عليه من الحقد والحسد.

وإن أريد الثاني؛ فالعلة في زهدهم في يوسف: ما خامرهم من الريبة في أمره بسبب قلّة ثمنه وزهد بائعيه فيه.

وقيل: زهدوا فيه لما نُبِزَ[(٥)] به من الإبَاق[(٦)] والخيانة، وذاك أن إخوته قالوا للسيارة: استوثقوا منه، فإنه أبّاق سرّاق كذّاب، وقد برئنا إليكم من عيوبه، فحملوه على ناقة، وكان طريقهم على قبر أمه، فلما حاذاه أسقط نفسه على القبر

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٩٨).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٢٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٧) كلاهما عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٧) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ عن الضحاك.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٧). ومن طريق آخر أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٧) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٥) النَبَزُ: بالتحريك: اللَّقَبُ (اللسان، مادة: نبز).

(٦) الإباق: هَرَبُ العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدٍّ عمل (اللسان، مادة: أبق).

يبكي، ويقول: يا أماه! لو رأيت ضعفي وذلّي لرحمتِني، يا [أماه](١) لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدوني، وفي الجب ألقوني، وعلى خدّ وجهي لطموني. فحملوه وذهبوا به إلى مصر وعرضوه للبيع.

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

قال وهب: فاشتراه قطفير خازن فرعون، وكان مؤمناً، واسم فرعون: الوليد بن الريان بن الوليد، من العمالقة.

وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، اشتراه بوزنه مسكاً، وبوزنه ورقاً، وبوزنه حريراً(٢)، وقال لامرأته أزليخا بنت تمليخا -وقيل: راعيل بنت رعائيل-: ﴿أكرمي مثواه﴾ أحسني إليه ما دام ثاوياً فينا، ﴿عسى أن ينفعنا﴾ إما بالربح في ثمنه، أو بقيامه بأمورنا إذا حنكته التجارب واضطلع بالأثقال، ﴿أو نتخذه ولداً﴾ نقيمه مقام الولد، وكان لا يولد له.

قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرّس في يوسف فقال لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا﴾، وابنة شعيب حين قالت: ﴿يا أبت

---

(١) في الأصل: أما.

(٢) الطبري (١٢/ ١٧٥)، وزاد المسير (٤/ ١٩٨).

استأجره﴾ [القصص:٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما[(١)].

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: ومثلُ ذلك الذي وصفناه وتقدم ذكره من إنجاء يوسف [و][(٢)] عطف العزيز عليه ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ أرض مصر فجعلناه ملكاً متصرفاً تنفعل الأمور عن أمره ونهيه، ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ كان ذلك الإنجاء والتمكين، ﴿والله غالب على أمره﴾ أي: على أمر يوسف، لا يكلُه إلى غيره حتى يُبَلِّغه ما أراده له من الملك والحكمة والاجتباء والانتظام في سلك آبائه الكرام الأنبياء.

وقال ابن عباس وغيره: ﴿والله غالب على أمره﴾ أي: على ما أراده سبحانه من تصاريف القضاء، لا ينازَع ولا يمانَع[(٣)].

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ما في تصاريف القدر من الحِكم والعبِر.

﴿ولما بلغ أشده﴾ يعني: استحكام قوة الشباب. وقد سبق في أواخر سورة الأنعام[(٤)].

قال ابن عباس: ثلاث وثلاثون[(٥)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٦، ٣/ ٩٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٦٧)، وسعيد بن منصور (٥/ ٣٧٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٧٣)، والطبري (١٢/ ١٧٥-١٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٧) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٩٩).

(٤) عند تفسير الآية رقم: (١٥٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٨)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٥٣). =

وقال الحسن: أربعون[١].

﴿آتيناه حُكْماً﴾ وهو النبوة. وقيل: العلم والعمل. وقيل: حُكْماً بين الناس، ﴿وعلماً﴾ بعبارة الرؤيا.

قال اللغويون: الحُكم عند العرب: ما يَصرفُ عن الجهل والخطأ ويمنع منهما، ويَرُدُّ النفس عما يَشينها ويعود عليها.

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ تنبيه على أن يوسف ما زال متصفاً بالإحسان، وإعلام أن [الله][٢] مع المحسنين بنصره وإعانته وتخليصه من الشدائد.

قال الحسن البصري رحمه الله: من أَحْسَنَ [عبادة الله][٣] في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله[٤].

فإن قيل: لأي معنى زاد في شبيهتها في القصص في قصة موسى ﷺ: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ [القصص:١٤]؟.

قلتُ: لأن موسى عليه السلام لم يُؤْتَ شيئاً من الحكم والعلم والنبوة حتى بلغ أشده واستوى وتكامل، وذلك بعد تزويجه بابنة شعيب، وبعد أن قضى الأجل سار بأهله، بخلاف يوسف؛ فإن الله تعالى أوحى إليه وهو في سنّ البلوغ لتنبيههم =

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٨) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد والطبراني في الأوسط وابن مردويه.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٨).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) زيادة من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع (٢/ ٢٨١). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٩٣).

بأمرهم هذا.

﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ أي: خادعته إلى مواقعتها محتالة عليه بأنواع الحيل، وأصله: من رَادَ يَرُودُ؛ إذا جَاءَ وَذَهَب[١].

﴿وغلّقت الأبواب﴾ يقال: أغلقت الباب وغلّقت الأبـواب -بالتـشديد-، وغلقتُها.

قال: ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها.

والعامة تقول: غلقْتُ الباب، وهي لغة رذيلة.

قيل: كانت سبعة أبواب.

﴿وقالت هيت لك﴾ قرأ نافع وابن عامر: «هِيْتَ لكَ» بكسر الهاء وفتح التاء، غير أن هشاماً همز. وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز، إلا ابن كثير فإنه ضم التاء[٢]، وروي عن ابن عباس إلا أنه كسر الهاء، ومثله أبو العالية.

وقرأ أبو الدرداء بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء[٣].

---

(١) اللسان (مادة: رود).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٧)، والكشف (٢/ ٨)، والنشر (٢/ ٢٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٧).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٠١-٢٠٢).

وقرأ ابن مسعود: «هُيِّئتُ لك» بضم الهاء والتاء وياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة على صيغة الفعل الصريح، على معنى: أُصلحت وصُنعت لك[١].

وقرأ أبي بن كعب: «ها أنا لك»[٢]، وهذه وقراءة ابن مسعود ظاهرتان. وقراءة أبي الدرداء في معنى قراءة ابن مسعود.

قال الزجاج[٣]: هو من الهَيْئةِ، كأنها قالت: تَهَيَّأْتُ لك. وقرأ الباقون بمعنى.

قال أهل اللغة والتفسير: معنى «هيْتَ لك»: هَلُمّ.

قال الفراء وابن الأنباري[٤]: لا مصدر له ولا تصرف ولا تثنية ولا جمع ولا تأنيث.

قال ابن جني[٥]: كلها أسماء [سمي][٦] بها الفعل، بمنزلة: صَهْ ومَهْ وإيهْ. ومعنى: هيتَ وبقية أخواتها: أسرع وبادر.

قال الزجاج[٧]: أجود اللغات وأكثرها: «هَيْتَ» بفتح التاء والهاء. قال الشاعر:

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٠٢).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٠٠).

(٤) انظر: البيان (٢/ ٣٧)، والوسيط (٢/ ٦٠٧).

(٥) المحتسب (١/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٦) في الأصل: مسمى. والمثبت من المحتسب (١/ ٣٣٨).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ١٠٠).

أبلــغْ أمــيرَ المــؤمنينَ   أخَــا العِــراقِ إذا أتَيْتَــا
أنَّ العِـــراقَ وأهلَـــهُ   عُنُقٌ إليكَ فهيْتَ هَيْتَـا[1]

أي: أقبل وتعال.

وحكى قطرب: أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة بن العبد[2]:

لَيْسَ قَوْمِي بالأَبْعَدين إذا ما   قال داعٍ من العشيرة: هَيْتُ

قال أبو الفتح ابن جني[3]: الحركات في آخرها لالتقاء الساكنين.

واختلفوا في أصل هذه اللغة؛ فقال الحسن: هي بالسريانية[4].

وقال مجاهد: هي عربية[5].

وقال الفراء[6]: يقال: إنها لغة لأهل حَوْران، سَقَطَتْ إلى أهل مكة فتكلموا بها.

---

(١) مما وجه إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه استحثاثاً له أن يسرع نحو العراق، ولم يعين قائله. وعنق إليك: مائلون إليك ومنتظروك. انظر البيتان في: الخصائص (١/ ٢٧٦)، والقرطبي (٩/ ١٦٤)،، ومعاني الفراء (٢/ ٤٠)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٠٥)، والطبري (١٢/ ١٧٩)، وزاد المسير (٤/ ٢٠٢).

(٢) البيت لطرفة بن العبد، وهو ليس في ديوانه. انظر: المحتسب (١/ ٣٣٧)، والقرطبي (٩/ ١٦٣-١٦٤)، والطبري (١٢/ ١٨١).

(٣) المحتسب (١/ ٣٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢١)، ومجاهد (ص:٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٢٠) وعزاه لأبي الشيخ.

(٦) معاني الفراء (٢/ ٤٠).

وقال ابن الأنباري(١): قد قيل إنها من كلام قريش، إلا أنها مما دُرِسَ وقلّ في أفواههم آخراً.

﴿قال معاذ الله﴾ قال الزجاج(٢): هو مصدر. المعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا، تقول: عُذْتُ عِياذاً ومَعَاذاً ومعاذة.

﴿إنه ربي﴾ أي: إن العزيز صاحبي الذي يربني ﴿أحسن مثواي﴾. وقيل: الضمير لله تعالى، وقيل: ضمير الشأن، أي: أن الشأن والحديث ربي العزيز أو ربي الله تعالى، على اختلاف القولين، ﴿أحسن مثواي﴾ أي: أكرمني ووصَّاك عَلَيّ، فما جزاؤه أن أخلفه بسوء في أهله، ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الذي يجازون عن الحسن الجميل السيء القبيح.

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد همّت به وهمّ بها﴾ الهَمُّ بالشيء: العزم عليه والقصد إليه. قال الشاعر(٣):

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٠١).

(٣) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي، من شعر قاله حين اعتقله عثمان بن عفان وحبسه لفرية افتراها، وذلك أنه استعار كلباً من بعض بني نهشل يقال له: قرحان، فطال مكثه عنده، وطلبوه فامتنع عليهم فعرَضُوا له وأخذوه منه، فغضب فرمى أمهم بالكلب، فاعتقله عثمان في حبسه إلى أن مات عثمان، وكان همَّ بعثمان لما أمر بحبسه.

وانظر البيت في: اللسان، مادة: (قير)، والإصابة (٣/ ٤٩٨) في ترجمته، وتاريخ الطبري

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي   تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلائِلُهْ

قال ابن عباس والحسن وجمهور المفسرين: كان هَمُّهُ من جنس هَمِّها[١].

قال ابن قتيبة: لا يجوز هممت بفلان وهمّ بي، وأنت تريد اختلاف الهمّين.

قال الزجاج[٢]: الذي عليه المفسرون: أنه همَّ بها، وأنه جلس منها مجلس الرجل من المرأة، إلا أن الله تعالى تفضل بأن أراه البرهان، ألا تراه قال: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾[٣].

وقال ابن الأنباري[٤]: الذي نذهب إليه في هذا ما روي عن [الصحابة][٥] والتابعين من إثبات الهم ليوسف غير عائبين له، بل نقول: إن انصرافه بعد إثبات الهمّ، ونهيه نفسه عن هواها تعظيماً لله تعالى، ومعرفةً لحقه أدلُّ على وفور الثواب وتكامل الأجر. والذين أثبتوا الهمّ ليوسف من علي وابن عباس ووهب وغيرهم كانوا أعرفَ بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا الهمّ عنه. وقد قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييراً [لهم][٦] ولكنه قصّها عليكم لئلا تقنطوا من رحمته[٧].

= (٣/ ٥٤٩)، والقرطبي (٩/ ١٦٦، ١١/ ١٨٣)، وزاد المسير (٥/ ٢٧٦).

(١) زاد المسير (٤/ ٢٠٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٠١).

(٣) وهو قول باطل منافي للعصمة.

(٤) انظر: الوسيط (٢/ ٦٠٨).

(٥) في الأصل: الضحاك. والتصويب من الوسيط، الموضع السابق.

(٦) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

(٧) وقول الحسن هو قول باطل؛ لأن سيدنا يوسف عليه السلام لم يصدر منه ذنب. وقد ذكر هذا الأثر =

قال أبو عبيد: يذهب الحسن إلى أن الحجة من الله تعالى على أنبيائه أوكد، وهي لهم ألزم، فإذا كان يقبل التوبة منهم كان قبولها منكم أسرع[١].

وذهب أكثر المتأخرين إلى افتراق الهمّين، وأن همّها كان من جهة العزم والاضطرار، وهمّ يوسف من جهة دواعي الشهوة وحديث النفس؛ تنزيهاً للأنبياء عن العزم على المعصية.

واحتج القاضي أبو يعلى رحمه الله بقوله: ﴿معاذ الله إنه ربي﴾ وقوله: ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾، فكل ذلك إخبارٌ ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية.

وقال صاحب الكشاف[٢]: لو كان همّه كهمّها عن عزيمة لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين.

وقد سلكوا في تأويله أيضاً طرقاً لا تصح، منها: ما رووه عن ابن عباس أنه قال: ﴿وهمّ بها﴾ أي: تمناها أن تكون زوجته[٣].

وذكر ابن الأنباري عن بعضهم[٤]: همّ بها أن يضربها ويدفعها عن نفسه.

وحكى الثعلبي[٥]: همّ بالفرار منها.

وتمام الآية يفسد هذه التأويلات ويعكس عليها بالإبطال.

وذهب قطرب إلى أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ولقد همّت به ولولا

=

ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٠٧).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٠٧).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٣٠).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٠٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٠٦).

(٥) تفسير الثعلبي (٥/ ٢١٠).

أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فقدم الجواب. وأنشدوا:

فلا يدعني قومي صريحاً لحرة لئن كنت مقتولاً وتسلم عامر(١)

ورد هذا القول ابن الأنباري وغيره؛ لأن لولا في حكم الشرط، والشرط له صدر الكلام، وهو وما في حَيِّزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، وما أنشدوه فمن ضرورة الشعر، فلا يحمل عليه كلام الله النازل بالفصاحة(٢).

قوله تعالى: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ فيه إضمار، تقديره: لفعل ما هَمَّ به.

قال ابن عباس وجمهور المفسرين: رأى جبريلَ في صورة يعقوب عاضّاً على أصبعه، يقول: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء، فاستحيا منه(٣).

وقال علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين عليهما السلام: قامت إلى صنم لها في البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه السوأة. فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، فهو البرهان الذي رأى(٤).

والذي عليه جمهور أهل المعاني والنظر الصحيح: أن البرهان الذي رآه زواجر العقل والدين والحجج المأخوذة على المكلفين من اجتناب المحارم. وقد نقلوا في

(١) انظر البيت في: خزانة الأدب، الشاهد الثالث والثلاثون بعد التسعمائة، وزاد المسير (٤/ ٢٠٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٣) أخرج هذا القول: الطبري (١٢/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٤) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٢٢) وعزاه لأبي الشيخ عن قتادة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٠٨)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٢١) وعزاه لأبي نعيم في الحلية.

تفسير البرهان أقوالاً يقطع العقل بفسادها:

منها: أنه بدت بينهما كفٌّ ليس لها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [الإسراء:٣٢]، فقام هارباً وقامت، فلما ذهب عنهما الروع عادا، فلما قعدا إذا بكفٍّ قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ... الآية﴾ [البقرة:٢٨١] فقاما ثم عادا، فقال الله تعالى لجبريل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحطّ جبريل عاضاً على كفه أو أصبعه يقول: أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء(١).

ورووا عن وهب أنه قال: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد:٣٣]، فانصرفا، ثم عادا فظهرت وعليها مكتوب: ﴿وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين﴾ [الإنفطار: ١١-١٢] فانصرفا، ثم عادا وظهر عليها مكتوب: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة:٢٨١].

وهذه الوجوه وأمثالها لا تثبت على محك النقل ولا عند حاكم العقل، وإنما هي مما يروج بها القصَّاص مجالسهم ويجتلبون بها عقول العامة، وليست من الصحة والتحقيق في شيء.

والذي يصحح ما ذكرناه ويفسد قولهم: قول امرأة العزيز حين أفصحت بسرها: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ وهذا النبأ موضوع للمبالغة، ومثله: استمسك، واستفحل الخطب، واستوسع الفتق.

---

(١) وقد جزم المؤلف رحمه الله بفساد هذه الأقوال؛ لعدم صحتها نقلاً وعقلاً.

قال بعض العلماء: لو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدَّهم حدقة وأصلبَهم وجهاً لقي بأدنى من هذا، لم يبق له عرق ينبض، ولا عضو يتحرك، خوفاً وفرقاً، فكيف بنبي الله تعالى ابن نبي الله ابن نبي الله تعالى، فيا لَهُ من قول ما أَفْحَشَه، وضلالٍ ما أَبْيَنَه.

﴿كذلك﴾ الكاف في محل النصب، تقديره: ثَبَّتناه مثل ذلك التثبيت، ﴿لنصرف عنه السوء﴾ من خيانة صاحبه ﴿والفحشاء﴾ من الزنا ﴿إنه من عبادنا المخلِصين﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة: «المخلَصين» بفتح اللام حيث وقع، والباقون بكسرها[1].

فمن كسرها فعلى معنى: أخلصوا دينهم[2] لله تعالى. ومن فتحها أراد: من الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، واجتباهم لرسالته، وحباهم بكرامته.

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٨-٣٥٩)، والكشف (٢/ ٩)، والنشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٨).

(٢) قوله: "دينهم" مكررة في الأصل.

قوله تعالى: ﴿واستبقا الباب﴾ أي: تبادرا إليه، وهو على قصد الفرار بدينه، والخلاص من حبائل الفتنة التي نصبتها لهم، وهي على قصد [الحيلولة][١] بينه وبين الباب لتمنعه من الخروج. والمراد: الباب الذي منه المخرج والمخلص من الدار.

وقد روي عن كعب أنه قال: لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب[٢].

﴿وقدت قميصه من دبر﴾ فيه إضمار، تقديره: فأدركته فجذبت قميصه فَقَدَّتْهُ من خلفه، أي: قطعتْه.

قرأ ابن يعمر ونوح القارئ وأبو رجاء: «دُبُرُ»[٣]، بثلاث ضمات من غير تنوين[٤].

قال أبو الفتح ابن جني[٥]: [ينبغي][٦] أن يكونا غايتين، كقول الله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ [الروم:٤]، كأنه يريد: قَدَّتْ قميصه من دُبُره، وإن كان قميصه قُدَّ من قُبُلِه، فلما حذف المضاف إليه -أعني الهاء وهي مرادة- صار المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف إليه غاية له، وهذا حديث مفهوم في قوله: ﴿من قبل ومن بعد﴾، فبُني هنا كما بُني هناك على الضم، ووَكَّد البناء أن «قبل» و «بعد»

(١) في الأصل: الحلولة.

(٢) ذكره أبو السعود في تفسيره (٤/ ٢٦٧)، وأبو حيان في البحر (٥/ ٢٩٦).

(٣) في الأصل زيادة: وقيل.

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢٩٧)، والدر المصون (٤/ ١٧١).

(٥) المحتسب (١/ ٣٣٨).

(٦) في الأصل: ينفي. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

يكونان ظرفين، ألا ترى إلى قول الفرزدق:

يُطَاعِنُ قُبْلَ الخَيْلِ وهو أَمامَها   وَيطعنُ عَنْ أَدْبَارِها إِنْ تَوَلَّتِ[(١)]

وقال تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ [الطور:٤٩] فنصبه على الظرف، وهو جمع دُبُر.

﴿وألفيا سيدها﴾ أي: صادفا بعلها قطفير عند الباب يريد الدخول، فاستقبلته ودهته بكيد جمعت فيه بين أغراضها، وهي براءتها من الريبة، وتهييج زوجها على يوسف، حيث لم يواقعها، وتخويفه من مخالفتها في تأتّي الحال، فقالت: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ تريد: الزنى، ﴿إلا أن يسجن﴾ أي: ما جزاؤه إلا السجن. وقيل: إن «ما» استفهامية، على معنى: أيُّ شيء جزاؤه إلا السجن.

والعذاب الأليم: الضرب بالسياط، في قول عامة المفسرين[(٢)].

فلما أغرت زوجها بيوسف وعرضته للعذاب، قرّعه بسياط التوبيخ والتعنيف، فقال له: يا يوسف، أَخُنتني وغدرت بي، وغررتني بصلاحك؟ فقال مبرئاً لنفسه الشريفة من وصمة الفاحشة، دافعاً عنها عار الخيانة، ومنزهاً لها عن التلوث بما رَمَتْهُ به من الإساءة إلى من أَحْسَنَ إليه وأوصى به خيراً: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾، ولولا ذلك لزجرتْه طباعُه الكريمة وأغراضه المستقيمة وأعراقه الزكية عن إظهار سرّها وهتك سترها، ولكن تُلجئ الضرورات في الأمور إلى سلوك ما لا يليق بالأدب.

فإن قيل: هل تضمن هذا الاعتذار حكمة وفائدة غير عائدة إلى يوسف بالمعنى

---

(١) البيت للفرزدق، وهو ليس في ديوانه. وانظر: المحتسب (١/ ٣٣٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢١١).

الذي أشرت إليه؟

قلتُ: نعم، تضمن حِكَماً؛ منها: أنه عَلِمَ منها أن محبته قد أخذتْ بمجامع قلبها، وخاف أن يُطمعها بإخفاء أمرها وكتمان سرها، فَرَامَ قطع طمعها بإطلاع حليلها على حالها، فأذاعه رجاء أن يقذعها، ويردّ عليها الخوف من بعلها والحياء من الناس.

الحكمة الثانية: أنه عليه السلام كان من سِنْخ[1] إبراهيم وسلالة النبوة وبيت الرسالة، وكانت دلائل النبوة لائحة على صفحات وجهه الكريم، وكان في مظنة أن يرسله الله تعالى إليهم، فنزّه منصب الرسالة وبيت النبوة عن أن يزنّ بمثل هذه الفاحشة الشنعاء التي تنفر الناس عن المتابعة، وتمنعهم من المشايعة. وهذه سُنَّة الله تعالى فيمن اختصهم لرسالته وجعلهم دعاة إلى طاعته، أن يطهّرهم من الكبائر الموبقة، والرذائل المنفِّرة، والنقائص الشائنة للحق والخلق.

الثالثة: أن العزيز أوصى زوجته بأن تُكرم مثواه رجاء أن ينفعه، ولا شبهة في أن في إفساد فراشه عليه ضرراً وعاراً، فلو أغضى عن هذه القضية وأعاره في زوجته أذناً صمّاء وعيناء عمياء، لخيّب فيه أمله الذي ارتجاه، فكشف له عن خلقها الذميم؛ ليحترز عليها ولا يركن إليها؛ حفظاً لعرضه فيما يستقبل من الزمان.

الرابعة: أنه عليه السلام علم أن مرض المحبة قد تمكن من قلبها، فلو أحسن إليها بالسكوت عنها لتضاعف مرضها بسبب انضمام إحسانه إلى حسنه، فداواها بالأذى رجاء نفعها، كما قيل:

---

(١) السِّنْخ: الأصل من كل شيء (اللسان، مادة: سنخ).

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

قوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ إنما كان من أهلها؛ ليكون ألزم للحجة عليها، وآكد لبراءة يوسف عليه السلام.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه: كان ابن عمها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شقُ القميص من قدّامه فأنت صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة[1].

وذهب أكثر المفسرين: أن الشاهد كان صبياً في المهد، وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة[2].

وإنما سمي هذا القول شهادة وليس بلفظ الشهادة؛ لقيامه مقامها في إثبات قول يوسف وإبطال قولها.

قوله تعالى: ﴿إن كان قميصُه﴾ تقديره: يشهد، فقال: إن كان قميصه، ويقال: بأن الشهادة من القول، فلذلك ساغت حكاية الجملة الشرطية بعد فعلها ﴿قُدَّ من قُبُل﴾ أي: شُقَّ من قُدَّامه، ﴿فصدقت﴾ لأن ذلك من آثار مُمَانَعَتها له ودفْعِها إياه، ﴿وإن كان قميصُه قُدَّ من دُبُر﴾ أي: شُقَّ مِنْ خلفه ﴿فكذبت﴾ لأن ذلك يدلُّ دلالة ظاهرة على هربه منها وطلبها له، ﴿وهو من الصادقين﴾.

﴿فلما رأى﴾ يعني: سيدها قطفير، وقيل: الشاهد ﴿قميصَه قد من دُبر﴾ تبين له الحق واتضحت له براءة يوسف ﴿قال إنه﴾ أي: إن قولك: «ما جزاء من أراد

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٠٩) من قول الكلبي، وزاد المسير (٤/ ٢١١).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٢٥) وعزاه لأبي الشيخ.

بأهلك سوءاً» أو أن هذا الأمر.

وقيل: إن السوء.

وقال مقاتل[١]: إن شق القميص.

﴿من كيدكنَّ﴾ الخطاب لها ولجماعة النساء، ﴿إن كيدكن عظيم﴾ قال ابن عباس: يخلطن البريء والسقيم[٢].

قال صاحب الكشاف[٣]: إنما استعظم كيد النساء وإن كان في الرجال؛ لأن النساء ألطف كيداً وأنفذ حيلة، ولهن في ذلك نيقة ورفق، وبذلك يغلبن الرجال.

قال بعضهم: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ [النساء:٧٦]، وقال للنساء: ﴿إن كيدكن عظيم﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ حذف حرف النداء؛ لأنه منادى قريب فَطِن.

والمنادي: الشاهد، في قول ابن عباس[٥]، وسيدها قطفير، في قول غيره.

والمعنى: أعرض عن هذا الأمر فلا تذكره ولا تُحدث به أحداً.

وقرأت على الشيخين أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي وأبي عمرو عثمان

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٤٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢١٣).

(٣) الكشاف (٢/ ٤٣٥).

(٤) ذكره أبو السعود في تفسيره (٤/ ٢٧٠).

(٥) الطبري (١٢/ ١٩٧)، وزاد المسير (٤/ ٢١٣).

بن مقبل الياسري لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «أعْرَضَ عن هذا» على صيغة الخبر(١).

﴿واستغفري لذنبك﴾ قال ابن عباس: استعفي زوجك لئلا يعاقبك(٢).

وقيل: توبي من ذنبك فقد أثمت.

﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ أي: من جملة المتعمدين للذنب، يقال منه: خَطِئَ يَخْطَأُ خِطْأً [وخِطْأَةً](٣) على فِعْلة، فهو خاطئ، والاسم: الخطيئة، ويقال: أخْطَأَ فلان ويُخْطِأُ خَطَأً وخِطْئاً فهو مُخْطِئ؛ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره(٤).

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾

ثم ظهر الحديث واشتهر وشاع في مصر، وذاع حتى تحدثت بذلك النساء وخُضْنَ فيه، وهو قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ وهُنَّ: امرأة ساقي الملك،

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢١٣).

(٢) الطبري (١٢/ ١٩٧)، وزاد المسير (٤/ ٢١٣).

(٣) في الأصل: وخطاء. وانظر: اللسان (مادة: خطأ).

(٤) انظر: اللسان (مادة: خطأ).

وامرأة خازنه، وامرأة صاحب دواته، وامرأة سجّانه، وامرأة حاجبه.

وأراد بالنسوة: الجمع، وكذلك ذَكَّرَ فعلهن حملاً على المعنى، وإذا أنّث حمل على اللفظ.

﴿امرأة العزيز تراود فتاها﴾ غلامها ﴿عن نفسه قد شغفها حباً﴾ أي: خرق حبه شَغَافَ قلبها، حتى وصل إلى فؤادها.

والشُّغَاف: حجاب القلب[1].

وحكى الزجاج[2]: أنه سُوَيْداؤُه. وقيل: هو داء يكون في الجوف في الشَّراسِيف[3]. وأنشدوا في معنى ذلك:

وقد حال هَمٌّ دون ذلك داخلٌ دُخولَ الشُّغَافِ تبتغيهِ الأصابع[4]

وقال الأصمعي: الشُّغَاف عند العرب: داء يكون تحت الشَّراسيف في الجانب الأيمن من البطن، والشراسيف: مَقَاطُّ رؤوس الأضلاع[5].

وقرأ جماعة، منهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلي بن الحسين ومحمد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شغف).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٠٥).

(٣) الشراسيف: جمع شُرسُوف؛ كعصفور: غُضْروف مُعلَّق بكل ضِلْع، أو الطرف المشرف على البطن (اللسان، مادة: شرسف).

(٤) البيت للنابغة من قصيدته: عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع.
والقصيدة في الديوان (ص:٧٩)، ومن مشهور الشعر. وانظر البيت في: اللسان، مادة: (شغف)، والدر المصون (٤/ ١٧٣) وفيهما: «والج» بدل «داخل»، و «مكان» بدل «دخول»، وزاد المسير (٤/ ٢١٤)، والقرطبي (٩/ ١٧٦)، والطبري (١٢/ ١٩٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: شرسف).

بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام والحسن وقتادة وثابت البناني والأعرج في آخرين: «قد شَعَفَها» بالعين المهملة[١].

قال الفراء[٢]: كأنه ذَهَب بها كل مَذهب. والشَعَف: رؤوس الجبال[٣].

قال الزجاج[٤]: هو مشتق من شَعَفَاتِ الجبال، أي: رؤوس الجبال، فإذا قلت: فلان مَشعوفٌ بكذا، فمعناه: أنه ذَهَبَ به الحُبُّ أقصى المذاهب.

وقال ابن جني[٥] والزمخشري[٦]: هو مأخوذ من شَعَفَ البعير؛ إذا هنأه [فأحرقه][٧] بالقطران. قال:

.... كَما شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[٨]

فالمعنى: أن حبه وصل إلى قلبها فأحرقه.

ويجوز عندي -والله تعالى أعلم- أن يكون معنى هذه القراءة: مِنْ قولهم:

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٤).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٤٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: شعف).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ١٠٥).

(٥) المحتسب (١/ ٣٣٩).

(٦) الكشاف (٢/ ٤٣٦).

(٧) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره: (أَيَقْتُلُني وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤادَها). انظر: ديوانه (ص:٣٣)، والمحتسب (١/ ٣٣٩)، والدر المصون (٤/ ١٧٣)، وشرح ديوان الحماسة (٤/ ١٦٢٤)، والطبري (١٢/ ٢٠٠)، والقرطبي (٩/ ١٧٧).

والمهنوءة: من هنأت الناقة؛ إذا طليتها بالقطران، وهي تستلذه حتى تكاد يغشى عليها.

شَعَفَهُ الحُبّ، كأنه غشى قلبه، وشَعَفَةُ القلب: رأسه عند مُعَلَّقِ النِّياط[١]، فيكـون ذلك إشارة إلى تمكن حبه من قلبها [وسلطته][٢] عليه.

و «حباً» نصب على التمييز.

﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ أي: ذهاب عن طريق الصواب ظاهر.

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ وهو ما لَمْزُنَها به من نسبتها إلى ما دَهَاها مـن حُـبّ فتاها، ومراودتها إياه استرسالاً مع هواها.

وسُمِّي الاغتياب مكْراً؛ لأنه يكون في خِفْية.

وقيل: أنها أفشت إليهنّ سِرَّها، واشتكت إليهنَّ ما خامرهـا مـن داء المحبـة، واستكْتَمتْهُنَّ ذلك، فمَكَرْنَ بها وتحدَّثْنَ به، ﴿أرسلت إليهن﴾ دعت أربعين امرأة، منهن اللواتي قلن: «امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه»، ﴿وأعتدت لهـن متكئـاً﴾ أي: أعَدَّتْ وهَيَّأتْ لهن مجلساً يتكئن عليه من النَّمارق[٣] والفرش كعادة المترفين. هذا قول ابن عباس والأكثرين[٤].

وقال الحسن ومجاهد: المُتَّكَأ: الطعام[٥].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شعف). والنياط: ككتاب: الفؤاد، ومُعلَّقُ كل شيء، أو عرف غليظ ينيط بـه القلب (القاموس المحيط، مادة: نيط).

(٢) في الأصل: وسلطه.

(٣) النمارق: واحدها: نُمْرُقة، والنُّمْرُق والنُّمْرُوقة: الوسادة (اللسان، مادة: نمرق).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠١-٢٠٢)، وابن أبي حـاتم (٧/ ٢١٣٢). وذكـره السيوطي في الـدر (٤/ ٥٢٩) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٣)، ومجاهد (ص: ٣١٤).

قال ابن قتيبة(١): يقال: اتَّكَأْنا عند فلان؛ إذا طَعِمْنا.

والأصل في هذا: أن من دعوته ليطعَم أعددت له التُّكَأَة للمُقام والطمأنينة، فَسُمِّيَ الطعام مُتَّكأً على الاستعارة.

وقرأت لأبي جعفر: «مُتَّكَا» بغير همز(٢)، وهي قراءة جماعة منهم الزهري وهي ضعيفة عندهم.

وقرأ ابن عباس وابن عمر والجحدري وقتادة ومجاهد في آخرين: «متكاً» بإسكان التاء وتخفيفها غير مهموز، وقالوا: هو الأُتْرُجُّ(٣)، ومنه قول الشاعر:

.... وترى المتك بيننا مستعارا(٤)

وقال الآخر:

فَأَهْدَتْ مُتْكَةً لِبَني أَبيها ... تَخُبُّ بها العَثَمْثَمَةُ الوِقاحُ(٥)

والعثمثمة من النوق: الشديدة، والوِقَاح: الصلبة.

وكانت أهدت أترجة عظيمة على ناقة.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:١٨٠-١٨١).

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٩٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٤).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٣١٤).

والأترج: واحدته تُرُنْجَة وأُتْرُجَّة. ويسمى تفاح ميديا، أو تفاح فارس، من الفصيلة الساذابية التي تضم الحمضيات (انظر: اللسان، مادة: ترج، والموسوعة العربية الميسرة ص:٤٩).

(٤) عجز بيت، وصدره: (نشرب الإثم بالصواع جهاراً). وهو في: البحر المحيط (٥/ ٣٠٠)، والدر المصون (٤/ ١٧٤).

(٥) البيت من شواهد الكشاف (٢/ ٤٣٨)، والدر المصون (٤/ ١٧٤).

وقال [وهب][(١)]: أعتدتْ لهن أترجاً وموزاً وبطيخاً[(٢)].

قال ابن جريج وأبو زيد الأنصاري: المُتْك: الأترج، وكل ما يُحَزُّ بالسكاكين[(٣)].

﴿وآتت كل واحدة منهن سكيناً﴾ ليُعالِجْنَ بالسكاكين ما قَدَّمَتْهُ لَهُنَّ من المُتْك. ومقصودها الأصلي: إقامة عذرها عندهنّ، وإظهار فضيحتهنّ بما عساه يحدث منهنّ ويصدر عنهنّ؛ من تجريح أيديهنّ عند دهشتهنّ بمشاهدتهنّ ذلك الجمال الفائق والحسن الرائق.

﴿وقالت اخرج عليهن﴾ فإن قيل: كيف استجاز الخروج على النسوة اللاتي من طبعهن الافتتان برؤية مثله على تلك الهيئة المخصوصة؟

قلتُ: يجوز أن تكون خدعته، وأمرته بالخروج غير مُعْلِمَة له بمكان النسوة، لكن الله تعالى أخبر بما أضمرته في نفسها.

ويجوز أن يكون ذلك مباحاً في شريعة آبائه عليهم السلام.

ويجوز أن يكون مُكْرَهاً؛ لكونه تحت قهر العبودية.

﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أعظمنه[(٤)]. وهو قول

---

(١) في الأصل: وهوب. والصواب ما أثبتناه.

(٢) روح المعاني (١٢/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٣-٢٠٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٣) كلاهما من طريق الضحاك. ونحوه أيضاً عند ابن أبي حاتم من طريق عكرمة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٤) تفسير ابن عباس (ص:٢٩٢).

قتادة وابن زيد[(١)].

قال أبو العالية: هَالَهُنَّ أمره وبُهِتْنَ[(٢)].

قال ابن عباس في رواية الضحاك: «أكبرنه» أي: حِضْنَ[(٣)].

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه، أبنا جدي لأمي أبو محمد العباس بن محمد بن العباس المعروف بعباسة[(٤)]، أبنا أبو سعيد محمد بن سعيد بن فرخزاذ، أبنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرني ابن فنجويه، ثنا هارون بن محمد بن هارون القطان، ثنا عبدالله بن محمد بن سنان، ثنا العلاء بن الفضل، ثنا عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه «في قوله تعالى: ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ قال: حِضْنَ مِنَ الفرح»[(٥)]. ثم قال:

يَأتي النساءَ لَدَى أطهارِهِنَّ ولا ... يأتي النساء إذا أكبرنَ إكبارا[(٦)]

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٠) بلا نسبة، والبغوي (٢/ ٤٢٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٥) كلاهما من طريق عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن جده. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣١) وعزاه لابن المنذر.

(٤) العباس بن محمد ابن أبي منصور ابن أبي القاسم الطابراني الطوسي العصاري، أبو محمد، راوي الكشف والبيان في التفسير للثعلبي، كان شيخاً صالحاً، سكن نيسابور، وكان يعظ في بعض الأوقات، ولد سنة ستين وأربعمائة بطوس، وهلك في دخول الغز نيسابور سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨٨-٢٨٩، والتحبير في المعجم الكبير ص:٦٠٢-٦٠٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٥).

(٦) البيت لم أعرف قائله. وهو في: تهذيب اللغة (١٠/ ٢١١)، واللسان مادة: (كبر)، والبحر =

قال الثعلبي[١]: فعلى هذا التأويل يكون «أكبرنه» بمعنى: أكبرن لأجله من جماله. ومثله قول عنترة:

وَلَقَدْ أَبِيتُ على الطَّوى وَأَظَلُّه حتى أَبِيتُ على كَرِيم المطْعَمِ[٢]

أرادوا: أظَلُّ عليه.

قال الأصمعي: أُنشد هذا البيت بين يدي النبي ﷺ فقال: «ما من شاعر جاهلي أحببت أن أراه دون عنترة لهذا البيت»[٣].

وهذا القول اختيار ابن الأنباري.

وأنكر ذلك أبو عبيدة وقال[٤]: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى: حِضْن، ولكن عسى أن يَكُنَّ من شدّة ما أعظمْنَه حِضْن.

وقال الزمخشري[٥]: قيل: «أكبرن» بمعنى: حضن، والهاء للسكت، يقال: أكبرت المرأة؛ إذا حاضت. وحقيقته دخلت في الكِبَر؛ لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر، وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله[٦]:

= (٥/ ٣٠٣)، والدر المصون (٤/ ١٧٥)، والقرطبي (٩/ ١٨٠)، والطبري (١٢/ ٢٠٥)، وزاد المسير (٤/ ٢١٨).

(١) تفسير الثعلبي (٥/ ٢١٨).

(٢) البيت لعنترة. وهو في: اللسان، مادة: ظلل. والطوى: الجوع (اللسان، مادة: طوى).

(٣) اختيارات الأعلم الشنتمري، من أشعار الشعراء الستة (ص:٤٦١)، ولم يسنده.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩).

(٥) الكشاف (٢/ ٤٣٨).

(٦) البيت لأبي الطيب المتنبي. انظر: ديوانه (٢/ ٣٤٩)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٣)، والدر المصون (٤/ ١٧٥)، والكشاف (٢/ ٤٣٨).

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجَمالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ في الخُدُورِ العَوَاتِقُ

﴿وقطعن أيديهن﴾ قال وهب: كَلَمْنَ الأكُفَّ وأَبَنَّ الأنامل[(١)].

قال قتادة: أَبَنَّ أيديهن[(٢)].

قال مجاهد: لم يحسسن إلا بالدم، لم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف[(٣)].

قال ابن عباس: كُنَّ يحسبن أنهن يقطعن طعاماً[(٤)].

﴿وقلن حاش لله﴾ اتفقوا على حذف الألف من حاشا إلا أبا عمرو فإنه أثبتها في الوصل على الأصل[(٥)]، وهي كلمة تفيد معنى: التنزيه من السوء. واشتقاقها من قولك: كنت في حشا فلان، أي: في ناحيته[(٦)]. وأنشدوا في معنى ذلك:

.... بأَيِّ الحَشَا أَمْسَى الخَلِيطُ المُبَاينُ[(٧)]

أي: بأي النواحي.

فالمعنى على هذا: هو في ناحية مما قَرَفَتْه[(٨)] به امرأة العزيز، أو هو في ناحية من

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢١٨).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ٢٠٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٦١٠).

(٣) الطبري (١٢/ ٢٠٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٦١٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٦).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٩)، والكشف (٢/ ١٠)، والنشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٤).

(٦) انظر: اللسان (مادة: حشا).

(٧) عجز بيت للمعطل الهذلي، وصدره: (يقول الذي أمسى إلى الحَزْن أهله). وهو في: اللسان (مادة: حشا).

(٨) أي: رَمَتْه، يقال: قَرَفْتُ الرجلَ بالذنب قَرْفاً؛ إذا رَمَيْتَه (اللسان، مادة: قرف).

من مشابهة البشر. ألا ترى إلى قوله: ﴿ما هذا بشراً﴾.

قال الزجاج[١]: إذا قلت: حاشا لزيد، معناه: قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه، كما أنك تقول: قد تنحَّى، من الناحية، كذلك قد تحاشا من هذا الفعل.

وقال بعض المحققين من أهل العربية: «حاشى لله» بحذف الألف وإثباتها، والأصل إثباتها؛ لأنه فعل، بدليل قوله:

ولا أرَى فَاعِلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ[٢]

وحذفُ الألف للتخفيف، كحذف النون في قوله: «لم يك»، والياء في قوله: «ولا أدر».

وحاشا هاهنا فعل فاعله مضمر، وهو ضمير «يوسف»، أي: حاشا يوسف لله، أي: لخوف الله، فحذف المضاف. ولا يجوز أن يكون «حاشا» هاهنا حرفاً، كقوله:

حَاشَى أَبِي ثَوْبَانَ إنَّ أبا ثَوْبَانَ لَيْسَ بِبُكْمَةٍ فَدْم
عَمْرو بْنُ عَبْدِالله إنَّ بِهِ ضَناً عَلَى المَلْحَاةِ وَالشَّتْمْ[٣]

لأنه يصير «حاشا» داخلاً على لام الجر، وحرفا جر لا يجتمعان.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٠٧).

(٢) البيت للنابغة. انظر: ديوانه (ص:٣٣)، واللسان (مادة: حشا)، وابن يعيش (٢/ ٨٥)، والأشموني (٢/ ١٦٧)، والهمع (١/ ٢٣٣)، وشواهد المغني (ص:١٢٧)، والخزانة (٣/ ٤٠٣)، والدر المصون (٤/ ١٧٧)، وروح المعاني (١٢/ ٢٣١).

(٣) البيتان للجميح الأسدي. انظر: اللسان، مادة: (حشا) ونسبه لسَبْرة بن عمرو الأسدي، والمحتسب (١/ ٣٤١)، والمفضليات (ص:٣٦٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٠)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٠)، والدر المصون (٤/ ١٧٦).

وقال الزمخشري[1]: هي حرف من حروف الجر، وضعت موضع التنزيه والبراءة. فمعنى «حاشا [الله][2]»: براءة الله وتنزيه الله، وهي قراءة ابن مسعود[3]، على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة. ومن قرأ «حاشاً لله»، فنحو قولك: سَقْياً لك؛ كأنه قال: براءة، ثم قال: لله؛ لبيان من يبرأ.

والدليل على تنزيل «حاشا» منزلة المصدر: قراءة أبي [السَّمَّال][4]: «حاشاً لله» بالتنوين[5].

فإن قلت: لم جاز في «حاشا لله» أن لا ينوّن بعد إجرائه مجرى «براءة الله»؟

قلتُ: مراعاة للأصل الذي هو الحرفية، ألا ترى إلى قولهم: جلست مِنْ عَنْ يمينه، كيف تركوا «عن» غير معرب على أصله؟ [وعلى قوله: غدت من عليه، فتقلب الألف إلى الياء مع الضمير][6] والمعنى: ننزه الله من صفات العجز، والتعجب من قدرته على خلق [جميل][7] مثله.

وقوله: مِنْ [عَنْ يمينه][8]، وقوله: غدت من عليه، «عن وعلى» اسمان، فلا

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٣٩).

(٢) في الأصل: لله. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) البحر (٥/ ٣٠٣)، والدر المصون (٤/ ١٧٨).

(٤) في الأصل: السماك. وهو خطأ. وأبو السمال هو: قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري (المقتنى في سرد الكنى ١/ ٢٩٣، والإكمال لابن ماكولا ٤/ ٣٥٤).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٣٠٣).

(٦) زيادة من الكشاف (٢/ ٤٣٩).

(٧) مثل السابق.

(٨) في الأصل: غير يمين. وقد سبقت على الصواب كما أثبتناها.

يلزمان.

وأما قوله: ﴿حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء﴾ فالتعجبُ من قدرته على خَلْقِ عفيفٍ مثلِه.

قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾ قال الزجاج وسيبويه(١) والخليل وجميع النحويين القدماء: يزعمون أن «بشراً» منصوب خبر «ما»، ويجعلونه بمنزلة «ليس»، و «ما» معناها معنى ليس [في النفي](٢)، وهذه لغة أهل الحجاز، وهي اللغة القُدْمَى الجيدة.

وزعم بعضهم: أن الرفع في قولك: «ما هذا بشرٌ» أقوى الوجهين. وهذا غلط؛ لأن كتاب الله ولغة رسول الله ﷺ أقوى اللغات.

ولغة تميم: «ما هذا بشرٌ»، ولا تجوز القراءة بها ولا قرأ بها أحد؛ لأنها خلاف المصحف. والدليل على ذلك: إجماعهم على ﴿ما هن أمهاتِهم﴾ [المجادلة:٢]. هذا كله كلام الزجاج.

وقد قرأ «بشرٌ» بالرفع جماعة منهم: أبو المتوكل وأبو نهيك وعكرمة ومعاذ القارئ(٣).

قال جمهور المفسرين: نَفَيْنَ عنه البشريةَ وأثبتن له المَلَكية؛ لِما رأيْنَ من غرابة جماله(٤).

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٠٧-١٠٨). وانظر: الكتاب (١/ ٥٩).

(٢) في الأصل: بالنفي. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ١٠٨).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢١٩).

(٤) ذكره أبو السعود في تفسيره (٤/ ٢٧٢).

فإن قيل: من أين عَلِمْنَ حُسْنَ الملائكة حتى قُلْنَ: ﴿إن هذا إلا مَلَكٌ كريم﴾؟

قلتُ: حُسْن الملائكة أمرٌ مستقرٌ في النفوس، مركوز في الطباع، كما أن قبح الشيطان مستقر في النفوس، وضُرب بهما المثل في الحسن والقبح.

والذي يظهر في نظري: أن قولهن: «ما هذا بشراً» ليس على وجه السلب لنوع الإنسانية عن يوسف وإثبات الملكية له، وإنما هو على مذهب الاستعظام؛ لما خُصَّ به من النضارة والجمال من بين ولد آدم.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «ما هذا بِشِرىً» بكسر الباء والشين، «إن هذا إلا مَلِك» بكسر اللام، وهي قراءة أبي بن كعب[1].

وفي قراءة ابن مسعود: «ما هذا بشراء» بالمد والهمز، على معنى: ما هذا بعبد مملوك.

﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ تقول: هذا بشرى، أي: حاصل بشرى، وبمعنى: هذا مشترى، على وضع المصدر موضع المفعول، كقوله: ﴿هذا خلق الله﴾ [لقمان:١١]، وقوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ [الروم:٢٧].

روي: أن يوسف عليه السلام كان يشبه آدم عليه السلام يوم خَلَقَهُ ربُّه، وكان إذا سار في أزقة مصر يُرى تلألؤ وجهه على الجدران، كما يُرى نور الشمس.

وفي حديث أنس أن النبي ﷺ قال: ((أعطي يوسف شطر الحسن))[2].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: ((سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية: رأيتُ رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر،

(١) زاد المسير (٤/ ٢١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٤٥-١٤٦ ح١٦٢)، وأحمد (٣/ ٢٨٦ ح١٤٠٨٢).

قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف»[١].

﴿قالت فذلكن الذي لمتنّني فيه﴾ إن كان فارقهن في ذلك الوقت؛ فالكلام على وجهه، وإلا فالتقدير: هذا ذلكن الذي لمتنني في حبه.

فلما ظهر أمرها ولاح عذرها، أطارت عن وجهها رداء المداجاة والحياء، واعترفت أنها الفاعلة لما اقترفت ورَمَتْه به، فقالت: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أبى وامتنع. ثم هَدَّدَتْهُ بقولها: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ «ما» موصولة، والتقدير: الذي آمره به، فحذف الجارّ، كقوله:

أمرتك الخير ....[٢]

فعلى هذا؛ الضمير في «آمره» يرجع إلى الموصول لا إلى يوسف. أو هي مصدرية، فيرجع الضمير في «آمره» إلى يوسف، على معنى: لئن لم يفعل أمري، أي: موجب أمري ﴿ليسجنن وليكوناً﴾ وقرئ شاذاً: «وليكونن» بالتشديد[٣].

والقراءة الأولى أولى؛ لأن جمهور القراء عليها.

ولأن النون مكتوبة في المصحف ألفاً على حكم الوقف؛ لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضربن زيداً، فإذا وقفت قلت: اضربا، وعليه حمل قول أبي الطيب[٤]:

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٢٣ ح٤٠٨٧).

(٢) تقدم.

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٢٠).

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبي، وتكملة البيت: (وبُكاكَ إن لم يجر دمعكَ أوْ جَرَى)، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب، باب جملة من ألفاظ أهل العصر في صفة الكتب...، ومعجز أحمد للمعري، العميديات، وشرح ديوان المتنبي للواحدي.

باد هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا ....

ومثل هذا قوله: ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ [العلق:١٥].

وفي هذا القصص أقوى شاهد على صحة ما نقل في التفسير: أن العزيز قطفير كان قليل الغَيْرة.

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿قال رب السِّجن أحبُّ إليّ﴾ أي: نزول السجن.

وقرأت ليعقوب: «السَّجن» بفتح السين، على المصدر(١).

والمعنى: السجن وإن استلزم الشدائد والمشاق العظيمة أحبُّ إليّ وآثر عندي من ارتكاب ما يدعونني إليه، هي بالاقتضاء، وصواحبها بالتزيين والإغواء.

ثم عاذ ولاذ بقوة الله وعصمته معترفاً بضعفه عن مقاومة سلطان الشيطان، فقال: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ الذين لا يعملون بما يعلمون. وقيل: من السفهاء.

وقال ابن عباس: يريد: من المذنبين الآثمين(٢).

فإن قيل: أين الدعاء حتى قال: ﴿فاستجاب له ربه﴾ ؟

قلتُ: تضمنه قوله: ﴿وإلا تصرف﴾، فإنه طلبٌ وسؤالٌ لصرف كيدهنَّ عنه،

---

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٢).

بألطف أسلوب من أساليب الدعاء.

والمعنى: أجابه ربه إلى ما التمسه منه من العصمة.

﴿إنه هو السميع﴾ لسؤاله ﴿العليم﴾ بحاله.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بدا لهم... الآية﴾ قال وهب والسدي: إن امرأة العزيز قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني فضحني في الناس، يخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أقدر [أن أعتذر][1] بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستني. فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف. فذلك قوله: ﴿ثم بدا لهم﴾[2].

«بدا» فعلٌ، وفاعلُه مصدر مضمر، على تقدير: ثم بدا لهم بَدَاءٌ.

ولا يكون قوله: «ليسجننه» في موضع الفاعل؛ لأن الجمل نكرات، ولا تكون فاعلات. هذا قول المبرد.

وقال سيبويه[3]: فاعله ما دَلَّ عليه «ليسجننه» وقام مقامه.

وقيل: فاعله محذوف، تقديره: ثم بدا لهم رأي.

﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾ وهي الشواهد الدَّالَّة على براءته ونزاهته؛ من شَقّ القميص، وقضاء الشاهد.

---

(١) زيادة من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٩). وانظر: الدر المنثور (٤/ ٥٠٣).

(٣) انظر: الكتاب (٣/ ١١٠).

﴿ليسجننه﴾ قَطْعاً لِقَالة الناس، وإيهاماً لإغمارهم أنها بريئة مما نسبها إليه من المُراودة، ﴿حتى حين﴾ أي: زمان يخمد فيه نار العار والشنار.

قال بعض العلماء: طلبتْ سجنَه حنقاً عليه حين آيسها من نفسه، ورجاء استنزاله مما نعتها، بتذليل السجن له.

وفي قراءة ابن مسعود: «عتى حين»، وهي لغة هذيل(١).

ويروى: أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقرأ: «عتى حين» فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، فأنزله بلغة قريش، فلا تُقرئهم بلغة هذيل، والسلام(٢).

قال أبو الفتح عثمان ابن جني(٣): العرب تُبْدل أحد هذين الحرفين من صاحبه؛ لتقاربهما في المخرج، [كقولهم](٤): بُحْثِرَ ما في القبور، أي: بُعْثِرَ، وضَبَعَت الخيل وضَبَحَت(٥).

---

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٠٧).

(٢) ذكره ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٧٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٣٥) وعزاه لابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، والخطيب في تاريخه عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.

(٣) المحتسب (١/ ٣٤٣).

(٤) في الأصل: كنقلهم. والمثبت من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) ضَبَحَت الخيل في عَدْوها تَضْبَحُ ضَبْحاً: أَسْمَعَتْ من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة، وهو عَدْوٌ دون التقريب (اللسان، مادة: ضبح).

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

قال السدي: ثم إن الملك غضب على خبازه، وبلغه أنه يريد أن يسمّه بسُمّ، وأن صاحب شرابه قد مالأه على ذلك، فحبسهما جميعاً، فذلك قوله: ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾[1]. أي: دخلا مصاحبين له، وهما: الساقي والخباز، وكانا مملوكين للملك، والعرب تسمي المملوك: فتى، شاباً كان أو شيخاً، وكان يوسف قال لهما حين تفاوضوا الحديث: أنا أُعبِّر الأحلام، فقال أحدهما -وهو الساقي-: ﴿إني أراني﴾ يعني: في المنام، وهي حكاية حال ماضية ﴿أعصر خمراً﴾ يعني: عنباً، فسماه بما يؤول إليه.

قال ابن جني[2]: هو كقول الآخر:

إِذا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيم ... فَسَرَّكَ أَن يَعيش فَجِئْ بزاد[3]

أي: إذا مات حيّ فصار مَيْتاً كان كذا.

وقال الزجاج[4] وابن الأنباري: العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه إذا انكشف المعنى، يقولون: فلان يطبخ الآجر، ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللبن

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠٣).
(٢) المحتسب (١/ ٣٤٤).
(٣) البيت لأبي المهوش الأسدي. وينسب أيضاً ليزيد بن عمرو بن الصعق. انظر: سمط اللآلئ (ص:٨٦٣)، والخزانة (٣/ ١٤٢)، والمحتسب (١/ ٣٤٤).
(٤) معاني الزجاج (٣/ ١٠٩).

والعصير.

وقيل: إن أهل عُمان يسمون العنب خمراً. أو يكون التقدير: أعصر عنب خمر، فحذف المضاف.

﴿وقال الآخر﴾ يعني: الخبّاز ﴿إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ قال ابن عباس: رآهما يوسف عليه السلام ذات يوم مهمومين، فقال: ما شأنكما؟ فقالا: رأينا رؤيا، فقال: قُصَّاها عَلَيَّ، فقال الساقي: إني رأيت كأني دخلت كَرْماً فجنيت ثلاث عناقيد عنب فعصرتهن في الكأس، ثم أتيت به الملك فشَرِبَه. وقال الخبّاز: رأيت كأني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلاهن فأكل منها[١].

قال ابن مسعود: كانا كاذبين، وإنما قصدا تجربته[٢].

وقال مجاهد: كانا صادقين[٣].

وقال أبو مجلز: كان الذي صُلِبَ منهما كاذباً[٤].

﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ قال ابن عباس: كان يعود المرضى ويداويهم، ويعزّي الحزين[٥].

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٢/ ٢١٥) عن عكرمة. وانظر: الوسيط (٢/ ٦١٣)، وزاد المسير (٤/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٢٢).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٢٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٢٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٣) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣٧).

وقال الضحاك: كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع عليه، وإن احتاج جمع له، وإن مرض قام عليه(١).

وقيل: كان يعين المظلوم وينصر الضعيف.

وقال الفراء(٢): «من المحسنين» أي: ممن يحسن التأويل.

فإن قيل: كيف ينتظم قوله: «نبئنا بتأويله» بقوله: «إنا نراك من المحسنين» على الأقوال الأولة؟

قلت: المعنى أنك من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بعبارة الرؤيا، فلما وصفاه بالإحسان ورأى منهما ميلاً إليه ووثاقاً به، أخذ في استدراجهما في التوحيد الذي هو المقصود الكلي من أصل التخليق، قبل الشروع في عبارة الرؤيا.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٥/ ٣٩٣)، والبيهقي في شعبه (٧/ ٨٨)، والطبري (١٢/ ٢١٥- ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣٧) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) قلتُ: هذا قول الزجاج وليس قول الفراء. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ١١٠).

وقول الفراء في تفسير هذه الآية: من العالِمين (معاني الفراء ٢/ ٤٥).

وأوضح أمره وبرهن على صدقه بما ادعاه من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله أو من ارتضاه من رسول فـ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ يعني: في اليقظة ﴿إلا نبأتكما﴾ ببيان كميته وكيفيته وعاقبة أمره ﴿قبل أن يأتيكما﴾ وكان هذا من جنس ما أعطي عيسى بن مريم، وهذا قول الحسن(١).

وقال السدي: المعنى: لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام إلا نبأتكما بتأويله في اليقظة قبل أن يأتيكما التأويل(٢).

قال ابن عباس: فقالا له: كيف تعلم ذلك ولست بساحر ولا عرّاف ولا صاحب نجوم؟ فقال: ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾(٣)، إشارة إلى إخباره بالمغيبات، أو إلى العلم بالتأويل وعبارة الرؤيا، على قول السدي(٤).

﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله﴾ يعرّض بأهل مصر وبالفتيين، ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ تكرير «هم» للتوكيد أو للاستعار باختصاص الكفر والإيمان بغيرهم ممن كان على منهاج إبراهيم المبعوث بالملة الحنيفية.

ثم عرفهما إياه وأعلمهما أنه من سلالة النبوة، بعد أن أخبرهما بما خصه الله تعالى به وأكرمه من العلم والوحي؛ لتقوى رغبتهما في اتباعه واستماع قوله، قال: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا﴾ أي: ما صح لنا معشر الأنبياء وأهل الرسالة ﴿أن نشرك بالله من شيء ذلك﴾ الاتباع التوحيد ﴿من فضل

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٢٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

الله علينا وعلى الناس﴾ حيث اجتبانا لرسالته ومَنَّ عليهم بالهدى الذي بعثنا به، ﴿ولكن أكثر الناس﴾ من أهل مصر وغيرهم ممن لم يهتد بنا ﴿لا يشكرون﴾ فضل الله عليهم باتباع ما أرسلنا به إليهم.

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

ثم أخذ في الدلالة على أنهما على الضلالة، فقال: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أي: يا ساكني السجن. وقال صاحب الكشاف(١): أراد يا صاحبيّ في السجن، فأضافهما إلى السجن، كما تقول: يا سارق الليلة، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنما المصحوب غيره، وهو يوسف عليه السلام، ونحوه قولك لصاحبيك: يا صاحبي الصدق، فتضيفهما إلى الصدق، ولا تريد أنهما [صحبا](٢) الصدق، ولكن كما تقول: رجلا صدق،

(١) الكشاف (٢/ ٤٤٤).

(٢) في الأصل: صاحبا. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك.

﴿أأرباب متفرقون﴾ يعني: الأصنام متفرقون في العدد والصغير والكبير ﴿خير﴾ لكما في الاستعباد والتذلل والانقياد لكل واحد منهم، أم يكون لكما رب واحد وهو الواحد القهار، الذي قهر[1] الجبابرة بعز سلطانه، وعَنَتِ الوجوه لعظمة شأنه.

وقيل: «خير» أعظم وأبلغ في المدح أم الله.

﴿ما تعبدون من دونه﴾ خطاب لهما ولمن هو على مثل حالهما ﴿إلا أسماء﴾ فارغة لا معنى تحتها، وهي أسماء آلهتهم، ﴿سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ آلهة، وعبدتموها ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي: بتسميتها ﴿من سلطان﴾ أي: حجة، ﴿إن الحكم﴾ في أمر العباد والدين ﴿إلا لله﴾ لا للأصنام، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ القيم ولا يفرقون بين الحق والباطل.

وقد نبهنا على الحكمة في اعتراض هذا الكلام من السؤال والجواب.

وقال قتادة: لما علم أن أحدهما مقتول دعاه إلى نصيبه من الآخرة[2].

وقال ابن جريج: عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما[3].

وقيل: ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما، فلما ألحّا أجابهما؛ فقال: ﴿أما أحدكما﴾ وهو الساقي ﴿فيسقي ربه﴾ سيده الملك ﴿خمراً﴾ قال ابن عباس:

---

(١) قوله: "قهر" مكررة في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣٩) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٢٥).

قال للساقي: ما أحسن ما رأيت! أما الأغصان الثلاثة فثلاثة أيام يبعث إليك الملك عند انقضائها فيردّك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت. وقال للخباز: بئس ما رأيت، أما السلال فثلاثة أيام، ثم يبعث الملك إليك فيقتلك ويصلبك، وتأكل الطير من رأسك. فقالا: ما رأينا شيئاً؟ فقال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي: فُرِغ منه، وسيقع بكما ما أخبرتكما به، صدقتما أو كذبتما[1].

وفي قوله: ﴿قضي الأمر﴾ دليل على أن ما قضى به عليهما كان بطريق الوحي.

وقيل: لم يكن وحْياً، بدليل قوله: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما﴾.

وأجيب عنه: بأن الظن هاهنا بمعنى: العلم، وهو قول ابن عباس[2]، أو يكون على أصله، والظان هو الساقي لا يوسف عليه السلام.

﴿اذكرني عند ربك﴾ أي: عند صاحبك الذي يربّك، وهو الملك الأكبر، وقل له: إن في الحبس غلاماً مظلوماً وقُصَّ عليه قِصَّتي، ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ أي: أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه المَلِك.

وقال مجاهد ومقاتل[3]: الضمير يعود إلى يوسف، المعنى: فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين وكل أمره إلى غيره[4]. وهذا اختيار الزجاج[5].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٣-٦١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٢٦) كلاهما من قول ابن السائب الكلبي.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٢٧).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١٥٠). وانظر: تفسير مجاهد (ص:٣١٦).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٩)، وبنحوه في الطبري (١٢/ ٢٢٢) وما بعدها. وانظر: الوسيط (٢/ ٦١٤)، وزاد المسير (٤/ ٢٢٧).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ١١٢).

﴿فلبث في السجن﴾ عقوبة له على ذلك ﴿بضع سنين﴾ قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقي: «اذكرني عند ربك» قيل له: يا يوسف، اتخذتَ من دوني وكيلاً؟ لأطيلنَّ حبسك. فبكى وقال: يا رب! أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلتُ كلمة، فويل لإخوتي[1].

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ قال: ((رحم الله يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث)). قال: ثم يبكي الحسن، ويقول: نحنُ إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس[2].

ويروى: ((أن جبريل دخل على يوسف، فلما رآه عرفه، فقال: يا أخا المنذِرين، ما لي أراك بين الخاطئين؟ فقال له جبريل: يا طاهر الطاهرين، يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك: أما استحييت مني إذ استشفعت بالآدميين؟ فَوَعِزَّتي لألبثنّك في السجن بضع سنين. قال يوسف: وهو في ذلك عني راض؟ قال: نعم. قال: إذاً لا أبالي))[3].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٩) عن مالك بن دينار عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن الحسن.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٠٣)، والطبري (١٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤١) وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره القرطبي (٩/ ١٩٥-١٩٦)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٤-٦١٥).

وأما «البضع» بكسر الباء وفتحها، فقد روي عن رسول الله ﷺ: ((أنه ما بين [الثلاث][(١)] إلى التسع))[(٢)].

قال الفراء[(٣)]: هو ما دون العشرة.

وقال الأخفش: هو من واحد إلى عشرة.

وقال الأصمعي: ما بين الثلاث إلى التسع. قال الزجاج[(٤)]: هو الصحيح.

واشتقاق البَضْع والبَضْعة؛ مِنْ قَطَعْتُ الشي، فمعناه: القطعة من العدد[(٥)].

وجمهور المفسرين على أن المراد بالبضع هاهنا: سبع سنين[(٦)].

وروي عن ابن عباس: أنه لبث فيه اثنتي عشرة سنة[(٧)].

والجمع بين القولين ممكن. المعنى: لبث في السجن بعد قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ سبع سنين.

قال ابن السائب: هذه السبع سوى الخمس التي كانت قبل ذلك[(٨)].

---

(١) في الأصل: السبع. والتصويب من جامع الترمذي (٥/ ٣٤٢).

(٢) أخرج الترمذي في جامعه عن ابن عباس مرفوعاً: ((... ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع)) (٥/ ٣٤٢ ح ٣١٩١).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٤٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ١١٢).

(٥) انظر: اللسان (مادة: بضع).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٤) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٢) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٤٢٨).

فإن قيل[١]: معاطاة الأسباب لا تنافي التوكل على المسبب، فإن سيد ولد آدم ﷺ خرج إلى الطائف مستجيراً بعبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجره، ورجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث جابر ((أن النبي ﷺ مكث بمكة عشر سنين يَتْبَعُ الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم، يقول: من يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة))[٢].

وصح عنه أنه قال: ((ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعتني أن أبلغ كلام ربي))[٣].

وقال للأنصار حين قالوا له: ((اشترط لربك ولنفسك. فقال: أشترط لنفسي أن تنصروني وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم))[٤]. فما وجه الإنكار على يوسف عليه السلام؟

قلت: تعاطي الأسباب لا بأس به، بشرط اعتماد القلب على الله تعالى، وتوجه العتاب على يوسف عليه السلام ما كان -والله تعالى أعلم- إلا عن غفلة عرضت له حين قال: ﴿اذكرني عند ربك﴾، ألا ترى إلى قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾، وقول يوسف: أنسى قلبي كثرة البلوى.

---

(١) في الأصل زيادة: ما.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢ ح١٤٤٩٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٤ ح٤٧٣٤)، والترمذي (٥/ ١٨٤ ح٢٩٢٥)، وابن ماجه (١/ ٧٣ ح٢٠١).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢ ح١٤٤٩٦).

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وَقَّتَها الله تعالى ليوسف في حبسه، دخل عليه جبريل السجن، فبشّره بالخروج ومُلْك مصر ولقاء أبيه، فلما أمسى الملك ليلتئذ رأى في منامه سبع بقرات سِمان خرجن [من][1] البحر في آثارهن سبع عجاف، [فأقبلت][2] العجاف على السِّمان، فأخذن بأذنابهن [فأكلنهن][3] إلى القرنين ولم يزد في العجاف شيء، ورأى سبع سنبلات خضر قد أقبل عليهن سبع سنبلات يابسات، فأكلنهنّ حتى أتين عليهن، ولم يزد في اليابسات شيء، فدعى أشرافَ قومه، فقصّها عليهم، فقالوا: أضغاث أحلام[4]، فذلك قوله: ﴿وقال الملك﴾ وهو الملك الأكبر ﴿إني أرى﴾ حكاية حال ماضية في المنام ﴿سبع بقرات سمان﴾ جمع سمين وسمينة، مثل: رجال ونسوة كِرام.

وعِجاف: جمع، واحده: أعْجَف وعَجْفَاء. ولما كان نقيض سِمان حُمل على لفظه وسُلِكَ به في الجمع غير قياسه، فإنهم لا يجمعون أفعل وفعلاء على فعال،

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٢٩).

(٢) في الأصل: فأقبلن. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: فأكلهن. والمثبت من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٢٩).

ويراعون حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض.

قال الزجاج[١]: والعِجاف: اللاتي قد بلغت في الهُزَال الغاية والنهاية.

﴿وأخر يابسات﴾ أي: وسبعاً أخر يابسات قد استحصدن يأكلن الخضر، فحذف اكتفاء بدلالة الأول عليه.

﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ قال الخليل بن أحمد: لا تُجمع الرؤيا؛ لأنها مصدر، كالرجعى والذكرى.

وقال غيره: جمع الرؤيا: الرُّؤَى، مثل: الكُبرى والكُبَر، والصُّغرى والصُغَر.

ومعنى «تَعْبُرون»: تُفَسِّرون، تقول: عَبَرْت الرؤيا -بالتخفيف- أعْبُرها عَبْراً وعِبارة وعَبَّرتها -بالتشديد- تَعْبيراً. وقد أنكرها قوم.

قال الزمخشري[٢]: وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في الكامل[٣] لبعض الأعراب:

رَأَيْتُ رُؤْيا ثُمَّ عَبَّرْتُها وَكُنْتُ للأَحْلامِ عَبَّارا[٤]

وحقيقة عبَرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرتُ النهر.

فإن قيل: ما هذه اللام؟

قلت: هي اللام التي تزاد في المفعول به إذا تقدم على الفعل، تقويةً له وجَبْراً، حيث قدّم عليه معموله. تقول: عبَرت الرؤيا وللرؤيا عبَرت، ومثله: ﴿للذين هم

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١١٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٤٧).

(٣) الكامل (٢/ ٤٨).

(٤) انظر البيت في: البحر (٥/ ٣١١)، والكشاف (٢/ ٤٤٧)، والدر المصون (٤/ ١٨٧).

لربهم يرهبون﴾ [الأعراف:١٥٤]، وقد جاء في المفعول وليس بمقدم، كقوله: ﴿ردف لكم﴾ [النمل:٧٢].

وقال الزمخشري[١]: اللام إما أن تكون للبيان، كقوله: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾، وإما أن تدخل؛ لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه؛ فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل، إذا قلت: هو عابر للرؤيا؛ لانحطاطه عن الفعل في القوة. ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان، كما تقول: كان فلان لهذا الأمر؛ إذا كان مستقلاً به [متمكناً][٢] [منه][٣].

و «تعبرون» خبر آخر أو حال، وأن يُضَمَّنَ «تعبرون» معنى فعل يتعدى باللام، كأنه قيل: إن كنتم [تنتدبون][٤] لعبارة الرؤيا.

﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ واحد الأضْغَاث: ضِغْث، وهو ما جمع من أخلاط النبات[٥].

وواحد الأحلام: حُلْم، صحيحاً كان أو باطلاً، والجمع هاهنا بمنزلة قولهم: فلان يركب الخيل، ويلبس العمائم، لمن لا يركب إلا فرساً، ولا يلبس إلا عمامة واحدة. فالمعنى: هذه أخاليط لا تأويل لها.

﴿وما نحن بتأويل الأحلام﴾ التي هذا شأنها ﴿بعالمين﴾ هذا قول عامة

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٤٧).

(٢) في الأصل: ممكناً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: تنتبهون. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: ضغث).

المفسرين[١].

ويجوز أن يكونوا نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا على الإطلاق. وهذا هو الأظهر عندي؛ لأن الأخاليط لا تأويل لها، فتُعلم، ولأنهم لم يكونوا من أولي المهارة في العبارة ولا معروفين بالعلم بالتأويل، ولهذا قال: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾.

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ من الفتيين، وهو الساقي ﴿وادّكر﴾ أصلها: «اذتكر» فأبدلوا من التاء دالاً وأدغموا فيها الذال. والمعنى: قال وقد تذكر شأن يوسف وما وصّاه به ﴿بعد أمّة﴾ أي: بعد مُدَّة طويلة. وقد بيّنا معنى الأُمَّة.

وقرأ أبو الأشهب العقيلي: «بعد إِمّة» بكسر الهمزة، أي: بعد نعمة الله عليه بالإنجاء[٢]. ومنه قول عدي بن زيد[٣]:

ثُمَّ بَعْدَ الفَلاَحِ والمُلْكِ والإِمَّـ ـةِ وَارَتْهُمْ هُنَاكَ القُبُورُ

وقرأ ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك: «بعد أَمَهٍ»[٤]، أي: نسيان. يقال: أَمِهَ يَأْمَهُ أَمَهاً؛ إذا نَسِيَ[٥]. قال الشاعر:

---

(١) الوسيط (٢/ ٦١٥)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٠).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣١٣).

(٣) البيت لعدي بن زيد. انظر: ديوانه (ص:٨٩)، واللسان، مادة: (أمم، فلح)، وتهذيب اللغة (٥/ ٦٣٤)، والطبري (٢٥/ ٦٠)، والقرطبي (١٦/ ٧٤)، والكشاف (٢/ ٤٨٨)، والدر المصون (٤/ ١٨٨).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٥).

(٥) انظر: اللسان (مادة: أمه).

أَمِهْتُ وَكُنْتُ لا أَنْسَى حَديثاً كَذاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالعُقُولِ[(١)]

قال الكلبي: لما سأل الملك عن رؤياه، جثا الساقي بين يديه بعد انقضاء جواب الملأ، فقال للمَلِك: إني قصصتُ أنا والخبّاز على رجل في السجن منامين، فخبرنا بتأويلهما، فصدق في جميع ما وصف، ولم يسقط من تأويله شيء، فإن أذنتَ مضيتُ إليه وأتيتك من قِبَلِه بتفسير هذه الرؤيا، فأذن له[(٢)].

والمعنى: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ من قبل يوسف ﴿فأرسلون﴾ إليه.

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

قال ابن عباس: لم يكن السجن بالمدينة، فلما أتاه قال له: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ أي: الكثير الصدق، وقصّ عليه رؤيا الملك إلى آخرها[(٣)].

ثم قال: ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ الملك والملأ الذين جمعهم لعبارة رؤياه

---

(١) انظر البيت في: اللسان (مادة: أمه)، والقرطبي (٩/ ٢٠١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٩-٢٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠٤).

﴿لعلهم يعلمون﴾ عبارة هذه الرؤيا، أو لعلهم يعلمون فضلك ومكانتك من العلم، فيخلصون من معرة اللبس ومضرة الحبس.

و «لعل» في موضعين بمعنى: كي، أو على أصلها، إذ ليس هو على يقين من الرجوع إلى الناس، ولا على ثقة من علمهم.

﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ قال صاحب الكشاف[1]: هو خبر في معنى الأمر. والدليل قوله: ﴿فذروه في سنبله﴾.

وهو تأويل محتمل، إلا أن اللفظ لا يُصرف عن حقيقته إلى مجازه إلا بدليل يوجب صرفه.

وما ذكره لا دلالة فيه لأنه أخبرهم بتأويل الرؤيا، وأمرهم في غضون ذلك بأن يذروه في سنبله هادياً لهم إلى المصلحة.

وقرأ حفص: «دَأَباً» بفتح الهمزة[2]، وهما مصدران.

قال الزجاج[3]: المعنى: تَدْأَبُون دَأَباً، ودل على تدأَبُون «تزرعون»، والدَّأْبُ: الملازمة للشيء.

قال أبو علي[4]: الأكثر في «دَأْبٍ» الإسكان، ولعل الفتح لغة.

﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ لئلا يُسَوِّسَ ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾.

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٤٩).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٩)، والكشف (٢/ ١١)، والنشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٩).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١١٤).

(٤) الحجة (٢/ ٤٤٧).

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ صِعَابٌ مجدبات، ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ يُذهبنه ويُفنينه، ومنه: أَكَلَتْهُمُ الضَّبُع، وهي السَّنَة الشديدة. قال خفاف بن ندبة:

أبا خُراشَةَ أمَّا كُنْتَ ذا نفرٍ   فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ[1]

وقيل: هو من الإسناد المجازي، جعل أكل أهلهن مُسْنَداً إليهن.

﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ تُحرزون وتَدَّخرون.

﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾ الجدب ﴿عام فيه يغاث الناس﴾ يأتيهم الغيث أو الغوث. والأول قول ابن عباس[2].

﴿وفيه يعصرون﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «تَعْصِرون» بالتاء على الخطاب[3].

والمعنى: يَعْصِرون العنب والزيتون والسمسم. هذا قول ابن عباس والأكثرين[4].

وروي عنه: يعصرون، بمعنى: يحلبون، وأنشدوا:

فَمَا عِصْمَةُ الأعرابِ إِن لم يَكُن لَهُمْ   طُعَامٌ وَلا درّ مِنَ المَالِ يُعْصَرُ[5]

أي: يحلب.

(١) انظر البيت في اللسان (مادة: خرش)، والإصابة (٢/ ٣٣٦) ونسباه للعباس بن مرداس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٥٩)، والكشف (٢/ ١١)، والنشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٢٣٤).

قال الزجاج[(١)]: من قرأ: «تعصرون» يعني: بالتاء على المخاطبة، فإن شاء على تأويل يعصرون، وإن شاء على تأويل ينجون من البلاء، وتعتصمون بالخصب. قال عدي بن زيد[(٢)]:

لو بغَيرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالغَصَّانِ بالمَاءِ اعْتِصَارِي[(٣)]

ويقال: فلان في عَصَرٍ وفي عُصْرةٍ؛ إذا كان [في][(٤)] حصن لا يُقْدَر عليه.

وقرأ سعيد بن جبير وجعفر بن محمد: «يُعصَرون» بفتح الصاد وبياء مضمومة[(٥)].

قال قطرب والزجاج[(٦)]: «يُعصَرون» أي: يُمْطَرُون، من قوله: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً﴾ [النبأ:١٤].

وقال أبو الفتح ابن جني[(٧)]: إن شئت أخذته من العصرة وهي

(١) معاني الزجاج (٣/ ١١٤).

(٢) هو عدي بن زيد العبادي، من شعراء الحيرة، خالط نصاراهم من صغره، فكان متألهاً، وهو شاعر غير مكثر، قالوا إنه كسهيل من النجوم يجري معها ولا يعارضها. كان النعمان بن المنذر قد حبسه فكتب له عدي عدة قصائد يستعطفه بها، وسُجن طويلاً لديه ثم قتل . وهذا البيت من إحدى القصائد التي وجهها إليه. وأخبار عدي بالأغاني (٢/ ١١٤).

(٣) البيت لعدي بن زيد، انظر : ديوانه (ص:٩٣)، والكتاب (٣/ ١٢١)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٥)، واللسان (مادة: عصر)، والهمع (٢/ ٦٦)، والتصريح (٢/ ٢٥٩)، والخزانة (٨/ ٥٠٨)، والأشموني (٤/ ٤٠)، والبحر المحيط (٥/ ٣١٥)، والدر المصون (٤/ ١٩١).

(٤) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ١١٤).

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٣٥)، والبحر (٥/ ٣١٥).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١١٤).

(٧) المحتسب (١/ ٣٤٥).

النجاة(١)، وإن شئت أخذته من عَصَرَتِ السحابُ ماءَها عليهم.

[وعليه](٢) قراءة الجماعة: «وَفِيهِ يَعْصِرُون» [فهذا من النجاة.

وروينا عن ابن عباس: أي يعصرون من](٣) الكرْم والأدهان(٤)، فهذا تفسير النَجاة، كيف يقع بهم وإليهم؟

قال أبو زُبيد:

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المنجُودِ(٥)

قال قتادة: زاده الله تعالى علم عَامٍ لم يسألوه عنه(٦).

فإن قيل: معلوم أن السبع الشداد إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب، فلم قال قتادة: أن علم ذلك بالوحي؟

قلتُ: يجوز أن يكون انتهاؤها باستئصال شأفتهم وإهلاكهم، أو بتقليل الشدة عليهم.

---

(١) في المحتسب: من العُصْرة والعَصَر لِلْمَنْجَاةِ.

(٢) في الأصل: وعلة. والتصويب من المحتسب (١/ ٣٤٥).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) تفسير ابن عباس (ص:٢٩٣) وفيه قال: قوله: ﴿يعصرون﴾: الأعناب والدهن. والأدهان: جمع دهن، مما يعصرون من الزيتون والسمسم.

(٥) البيت لأبي زبيد الطائي يقوله في رثاء ابن أخته، وكان مات عطشان في طريق مكة. وقيل: بل في عثمان رضي الله عنه. والمنجود: المكروب. انظر البيت في: مجاز القرآن (١/ ٣١٣)، واللسان، مادة: (عصر، نجد)، والطبري (١٢/ ٢٣٣)، والقرطبي (٩/ ٢٠٥، ١٩/ ١٧٤)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٥)، والبحر المحيط (٥/ ٣١٤)، وروح المعاني (١٢/ ٢٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٦) وعزاه لأبي الشيخ.

وأما العلم بالغوث والاعتصار وانقلاب الشدة إلى الرخاء على الوجه الـذي قاله لهم فلا يكون إلا بطريق الوحي.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ لما علم بمكانه من العلم بالتأويل، وسمع من عبارة الرؤيا ما يدل على براعته ومهارته في ذلك أحبّ رؤيته، فقـال: «ائتـوني به»، ﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال: أجب الملك. فأبى أن يخرج معه حتى يتبرأ مما قُذف به؛ ليُنظر إليه بعين الإجلال والإكرام، ولا يُنظر إليه مَرْمِيّاً بفاحشة، مُتَّهَماً بخيانة، فقال: ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي قال [للرسول][1]: ارجع إلى صاحبك الملك ﴿فاسأله ما بال النسوة﴾، وقرأتُ لعاصم من طريق الشموني والبرجمـي: «النُّـسوة» بـضم النون[2].

قال الزجاج[3]: يقال: نِسوة ونُسوة، والكسر أكثر. والمعنى: ما حال النسوة.

---

(١) في الأصل: الرسول.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٣٦)، والبحر (٥/ ٣١٦).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٠٤).

﴿اللاتي قَطَّعْنَ أيديهنَّ﴾ وهذا من أدبه وحسن عشرته وكرم أخلاقه، فإنه صان امرأة العزيز عن التصريح بذكرها، وتَعَلَّقَ بما يستلزم حصولَ مقصوده.

قال صاحب [الكشاف][1]: إنما قال: سل الملك عن شأن النسوة، ولم يقل: سله أن يفتش عن شأنهن؛ لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سُئل عنه، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجدّ في التفتيش عن حقيقة القصة.

وفي تثبته ﷺ مع اشتداد البلاء عليه وامتداد زمان مكثه في السجن؛ دليلٌ ظاهر على حسن ثباته وحزمه وقوة عزمه وكمال صبره. ولقد عجب سيد ولد آدم محمد ﷺ معترفاً بالعجز عن مثل حاله، فقال: «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»[2].

﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ أي: إن الله.

وقال ابن جرير[3]: المعنى: إن سيدي العزيز بكيدهن عليم.

والأول أظهر. ومراده: أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبُعْدِ غَوْرِه.

وفي ضمن هذا القول تحريضٌ للملك على البحث عن حاله، غير ضجر ولا مُغْتَرٍّ بما عساه يسنح له أو يزين له حاسد أو ناصر لامرأة العزيز محتجاً بتطاول أيامه في السجن، وأن ذلك في جاري العادة لا يكون إلا بجرم عظيم، فآثر عليه السلام إظهار براءته للملك، واستعظم ما كيد به بتفويض علمه إلى الله، ليجمع الملك همّه ويبذل وسعه في الوقوف على حقيقة الأمر وجليّة الحال.

---

(١) زيادة على الأصل. وانظر: الكشاف (٢/ ٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦٧ ح٦٥٩١)، ومسلم (١/ ١٣٣ ح١٥١).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٣٦).

ويجوز أن يكون المراد: إن ربي بكيدهن عليم وعليه مُجاز.

قال المفسرون: فجمعهن الملك وفيهن إزليخا فقال: ﴿ما خطبكن﴾ أي: ما شأنكن ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾[١].

إن قيل: المراوِدة واحدة، فلم جمعهنّ في السؤال؟

قلتُ: قال ابن الأنباري[٢]: جمعهن ليعلم عين المراوِدة.

وليس هذا بشيء؛ لأنه من المستحيل في العادة أن تكون مثل هذه القصة خفيت على الملك مع اشتهارِها، وسجن يوسف لأجلها هذا الزمان الطويل.

وإنما الجواب الصحيح في نظري: هو أن يقال: كلهن مراودات، هي راودته لنفسها، وهُنَّ راودنه لأجلها؛ بتحسين ذلك له وتسهيله عليه، وكذلك جمعهن يوسف في قوله: ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾.

﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾ فضاق على أزليخا حينئذ الخناق عند اعتراف النسوة بنزاهته، وعلمتْ أنها لا وزر لها إلا الصدق، فقالت: ﴿الآن حصحص الحق﴾ أي: ثبت واستقر، من قولك: حصحصَ البعير؛ إذا ألقى ثَفِنَاتِه[٣] للإناخَة[٤]، ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ في قوله، فقال يوسف حينئذ: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾.

---

(١) الطبري (١٢/ ٢٣٦)، والوسيط (٢/ ٦١٧)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ٦١٧)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٧).

(٣) الثَّفِنَة من البعير والناقة: ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغَلُظ؛ كالركبتين وغيرهما (اللسان، مادة: ثفن).

(٤) انظر: اللسان (مادة: حصص).

إن قيل: من أين عُلِمَ أن هذا من كلام يوسف؟

قلتُ: لوضوح المعنى فيه، وهو أسلوب غامض من أساليب الخطاب؛ أن تحكي عن شخص كلاماً ثم تصله بالحكاية عن آخر من غير فصل. ونظيره: ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ [الأعراف:١٠٩-١١٠] هذا قول الملأ، وقوله: ﴿فماذا تأمرون﴾ من قول فرعون.

ومثله: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس:٥٢] هو من قول الكفار، ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ من قول الملائكة.

والمعنى: ذلك التثبت وردّي الرسول حين قال: أجب الملك، ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته. هذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح عنه ومجاهد وقتادة والجمهور[١].

وقيل: المعنى: ذلك ليعلم الله أني لم أخنه بالمعصية. قاله مجاهد[٢].

قال ابن الأنباري[٣]: نسب العلم إلى الله في الظاهر، وهو في المعنى للمخلوقين، كقوله: ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [محمد:٣١].

وقيل: ليعلم المَلِك أني لم أَخُنْهُ في أزليخا.

قال أبو سليمان الدمشقي: كانت بنت أخت الملك[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣٨)، وابن ابي حاتم (٧/ ٢١٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ عن أبي صالح. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٤٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٤٠).

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٣٩).

أو جعله خيانة له؛ [لكونها][(١)] زوجة وزيره ومدبر أمر مملكته وقطب رحى دولته.

فإن قيل -على هذا القول-: لم جاء بلفظ الغيبة في قوله: «ليعلم» ؟

قلتُ: قد روي عن ابن عباس: أنه قال هذا وهو في السجن حين بُشِّرَ باعتراف امرأة العزيز قبل وصوله إلى المَلِك[(٢)].

وروي عنه: أنه قال في مجلس الملك[(٣)]. فإن كان الثاني فهو على مذهب التوقير والتعظيم.

ويجوز أن يكون المعنى: ذلك ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيب، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً[(٤)].

قوله تعالى: ﴿بالغيب﴾ في محل الحال، إما من المفعول، أي: لم أخنه وهو غائب. وإما من الفاعل، على معنى: لم أخنه وأنا غائب عنه[(٥)].

ويجوز أن يكون ظرفاً[(٦)]، أي: لم أخنه بمكان الغيب وراء سبعة أقفال، ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ أي: لا يرشده ولا يسدده. وفيه تعريض بخيانتها لبعلها في فعلها، وبخيانة العزيز أمانة الله في حقه، حيث سجنه ظالماً له بعد أن نارت براهين براءته وصدقه.

---

(١) في الأصل: لكونه.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٤٠).

(٣) مثل السابق.

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٣٩).

(٥) الدر المصون (٤/ ١٩٢).

(٦) انظر: الدر المصون، الموضع السابق.

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

قال ابن عباس وجمهور العلماء: غمزه جبريل حين قال: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ فقال له: ولا حين هممت فقال: ﴿وما أبرئ نفسي﴾[1].

وقد حكى الماوردي[2]: أن القائل «ذلك ليعلم»: العزيز[3].

والمعنى: ذلك الذي قلته وأقررت به على نفسي ليعلم يوسف أني لم أخنه بالكذب عليه بالغيب، وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني راودته وآذيته.

والمعنى: ما أبعد نفسي من التقصير، من قولك: بَرِئْتُ من الرَّجُل والدِّين بَرَاءَةً وبَرَّأْتُهُ وأَبْرَأْتُهُ، بمعنى واحد. تقول: بَرِئْتُ من المرض، وبَرَأْتُ أيضاً بَرَاء وبُرُوءاً وبَرْءاً، والمستقبل منهما: يبرأ، وبَرَيْتُ القلم والسَّهم، والبُرَة غير مهموز، وهذه اللغة الفصيحة، والباري الذي يبري، والجمع: البُراة والبارون. قال الشاعر:

يَا بَارِيَ القوس بَرْياً لَيْسَ يُحْسِنُهُ   لا تُفسدنها، وأَعْطِ القَوْسَ بَارِيها[4]

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٨)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٤٦١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٤٨) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الشعب.

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٤٧).

(٣) قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٥٠) عنه: وهو بعيد جداً.

(٤) انظر البيت في: روح المعاني (١٧/ ١٥٦).

أراد: بارينها، فحذف النون للإضافة، والبُراية: ما سقط من البَرْي، كالنُّحاتَة؛ اسم لما سقط من النحت.

قوله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ أي: بالقبيح الذي تسوء عاقبته وظهوره.

قوله: ﴿إلا ما رحم ربي﴾ أي: إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة.

وقيل: «ما» هاهنا بمعنى «مَنْ»؛ كقوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ [النساء:٣].

وقيل: يجوز أن يكون «ما رحم» في معنى الزمان، أي: إلا وقت رحمة ربي، أي: إنها أمّارة بالسوء في كل وقت إلا وقت العصمة.

ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء.

قوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ يروى: أنه لما جاءه الرسول في هذه المرة خرج وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. ودعا للمسجونين فقال: اللهم عَطِّفْ عليهم قلوب الأخيار، ولا تُعْمِ عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار، ثم اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جدداً.

قال وهب: لما دخل يوسف على الملك -وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً- جعل لا يكلمه بلسان إلا أجابه بذلك اللسان، فعجب منه، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فقال له: إني أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاهاً،

[فذكرها][١] له. قال: فما ترى أيها الصِّدِّيق؟ قال: أرى أن تزرع كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجمع الطعام فيأتيك الناس، فيمتارُون[٢]، وتجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لأحد، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾[٣].

قال ابن عباس: ومعنى قوله: «مكين»: أمين ممكن في ملكي مؤتمن عليه[٤].

وقيل: «مكين»: ذو مكانة ومنزلة رفيعة.

والمراد «خزائن الأرض»: مصر.

عَلِمَ صلوات الله عليه أن غيره لا يقوم مقامه في السياسة وانتظام مصالح العالم، فطلب ذلك ابتغاء وجه الله، وسعياً في إعلاء كلمة الإيمان، وإعدام الكفر عند تمكن سلطانه في الأرض.

وقوله ترغيب للملك في ولايته.

والمعنى: ﴿حفيظ﴾ لما يستحفظني، ﴿عليم﴾ بوجوه التصرف، وهذان الوصفان هما طِلْبَةُ الملوك فيمن يُوَلّونه، وهذا معنى قول قتادة.

وقال السدي: إني حفيظ للحساب، عليمٌ بالألْسُن[٥].

---

(١) في الأصل: فذكر. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٢٤٢).

(٢) الميرة: هي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع (اللسان، مادة: مير).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٣).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٥) عن الأشجعي، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٠) عن سفيان. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٥٢) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ من طريق الأشجعي، ومن طريق آخر عن سفيان وعزاه لابن أبي حاتم.

فصل

وفي هذا دليل على جواز وصف الإنسان نفسه بالأوصاف الجميلة؛ إما على وجه التحدث بنعمة الله، أو لتحصيل خير، أو لدفع ضرر، إنما المذموم من ذلك ما كان على مذهب التكبّر وتعظيم النفس، فإذا خلص من هذا فلا بأس به، فقد قال علي عليه السلام: «ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار»[١].

وقال ابن مسعود: «لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته»[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك التمكين الظاهر ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ [يريد][٣]: أرض مصر.

قال وهب: سَلَّمَ الملكُ الأمرَ إليه من وقته[٤].

وقال مجاهد: أسلم الملك على يده فأقام في بيته سنة، فلما انصرمت دعاه الملك فتوجه، ورداه بسيفه، وأمر له بسرير من ذهب، وضرب عليه كِلَّة[٥] من إستبرق،

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تالي تلخيص المتشابه (١/ ٦٢ ح١٢). وذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٥٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٢ ح٤٧١٦)، ومسلم (٤/ ١٩١٣ ح٢٤٦٣).

(٣) في الأصل: يرد.

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٤٤).

(٥) الكِلَّة والكِلّ: الستر الرقيق (اللسان، مادة: كلل).

فجلس على السرير كالقمر، ودانت له الملوك، ولزم الملك بيته وفوض إليه أمـره، وعزل العزيز قطفير، وجعل يوسف مكانه. ثم إن العزيز هلـك في تلـك الليـالي، فزوّج الملك يوسف بامرأة العزيز، فلما دخل بها، قال: أليس هذا خيراً مما تريدين؟ قالت: أيها الصديق لا تَلُمني، فإني كنـت امـرأة حـسناء في ملـك ودنيـا، وكـان صاحبي لا يأتي النساء، فغلبتني نفسي. فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فولدت له ابنين إفراييم وميشا، ووُلد لإفراييم نون ورحمة امرأة أيوب، وولد لنون يوشـع فتى موسى بن عمران، واستوسق[1] ليوسف ملك مصر[2].

وجمهور المفسرين ذهبوا إلى قول مجاهد وأن ملكه بعد سنة[3]. وقـد جـاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلنـي عـلى خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنه أخّر ذلك سنة»[4].

قوله تعالى: ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ إشارةٌ إلى استفحال سلطانه واستحكام قربه، بحيث ينزل من أرض مصر حيث يشاء، آمناً لا ينازع ولا يمانع.

وقرأ ابن كثير: «نشاء»[5].

﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ أي: نتفضل عـلى مـن نـشاء بنعمتنـا مـن النبـوة والملك، ﴿ولا نضيع﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿أجر المحسنين﴾ الصابرين.

---

(١) استوسق: أي: استقر له الملك (اللسان، مادة: وسق).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٤).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٤٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٣).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٤٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٠)، والكشف (٢/ ١١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٩).

قال سفيان بن عيينة: المؤمن يُثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يُعجَّل له الخير في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية[١].

وفي هذا إشارةٌ إلى أن يوسف أعطي هذا في الدنيا بإحسانه وصبره على ما ابتلي به من أمر إخوته، وإلقائه في الجبّ، والسجن، وما عاناه مع امرأة العزيز، وصبره على الرق، ولقد أجاد البحتري في قوله:

أَمَا في رَسُولِ اللهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ لِمِثْلِكَ مَحْبُوساً عَلَى الظُّلْمِ وَالإِفْكِ

أَقَامَ جَمِيلَ الصَّبْرِ في الحَبْسِ بُرْهَةً فَآلَ بِهِ الصَّبْرُ الجَمِيلُ إِلى المُلْكِ[٢]

قوله تعالى: ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي: ما يعطيهم في الآخرة من الثواب الجزيل خير مما أعطاهم في الدنيا.

أخرج الحافظ أبو موسى في كتاب الترغيب والترهيب بإسناده عن عكرمة قال: كان رجل فقير صالح وله جار غني، فإذا خرج الفقير من بيته فسلّم عليه لم يُجبه الغني، ثم إنه كان من أمر الفقير أنه خرج بدرهم يشتري لعياله شيئاً، فإذا هو باثنين قد لزم أحدهما صاحبه بدرهم عليه ويشكو الحاجة، والمطلوب يشكو الحاجة، فأعطاه الدرهم، فقال له: فرج الله عنك، ثم بقي ساعة لا يدري ما يصنع، فألهمه الله تعالى أن يأخذ نحو البحر، فإذا هو بصائد قد جاء بحيتان له إلى الساحل، فباع منه وأطعم من حضره من الفقراء، والفقير قائم لا يذهب إليه حتى فرغ الصائد وأقبل يريد البيت ومعه حوتان، فمرَّ بالفقير، فقال له الصائد: يا عبد الله، ما منعك أن تأتينا؟ قال: استحييت، فأعطاه الصائد أحد الحوتين، وذهب بالحوت

(١) البحر (٥/ ٣١٨)، وروح المعاني (١٣/ ٧).

(٢) انظر البيتان في: القرطبي (٩/ ٢٢٠).

إلى أهله، فقال لأهله: كلوا هذا الحوت، فإن الله عز وجل سيأتيكم بخير منه، ثم أوى إلى فراشه ووضع رأسه، وفرغت المرأة من حاجتها، ثم أخذت الحوت فشقت بطنه فرأت لؤلؤة، فألقت السكين من يدها وذهبت باللؤلؤة إلى زوجها، فَخَرَّ ساجداً. ثم أخذ اللؤلؤة وخرج، فمرَّ بجاره الغني فَسَلَّمَ عليه فلم يُجِبْهُ وعنده جماعة، ثم قال له الفقير: إني جئتك في حاجة، ولي عليك حق، وقد احتجت تسلفني ثلاثمائة درهم. قال الغني لمن عنده: ألا تعجبون من هذا! إنه يمرّ بي ويسلم عليّ ولا أجيبه، وهو يستسلفني ولا يجد ما يأكل، فأخرج الفقير اللؤلؤة فوضعها في كفه، ثم دنا منه ففتح كفه، فأضاءت اللؤلؤة المجلس، فأقبل إليه الغني فقال: حباك الله، عافاك الله، والله إني لمسيء في أمرك، وإن حقك لعظيم، وإن الذي كان مني لمن الشيطان، ولكني أزوجك ابنتي، فزوجه ابنته، ثم إنه ذهب باللؤلؤة إلى ملك أعظم منه شأناً، فقال: اشتر مني هذه اللؤلؤة، فأعطاه بها مالاً كثيراً، فقال: ما لهذه اللؤلؤة ثمن إلا ما أعطيتني، فقال: لو خرجت من جميع ما أملك ما أعطيت إذاً ثمنها، ولكن أزوّجك ابنتي -أو قال: أختي- فزوجه. فلما كان في الليل أبصر في النوم: أنك تصدقت بدرهم، والدرهم أربعة وعشرون قيراطاً، فجزاك الله تعالى بقيراط منها هذه اللؤلؤة، وذخر لك ثلاثة وعشرين قيراطاً في الآخرة.

قال أهل العلم بالتفسير والسير[1]: لما اطمأن يوسف في ملكه، وخلت السنون الخصبة، ودخلت السنون المجدبة، جاءت بهول شديد لم يعهد الناس مثله، وأصاب الناس الجوع، باعهم يوسف أول سنة بالنقود، حتى لم يبق لأهل مصر

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢١٩)، والبغوي (٤/ ٢٥٣).

دينار ولا درهم إلا في خزائن يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر، وفي السنة الثالثة بالمواشي والدواب، وفي السنة الرابعة بالعبيد والإماء، وفي السنة الخامسة بالضياع والعقار، وفي السنة السادسة بالأولاد، وفي السنة السابعة [برقابهم](١)، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنع ربي، فما ترى أن تصنع؟ فقال له الملك: إنما الرأي رأيك ونحن لك تبع. فقال يوسف: إني أشهد الله أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم وأموالهم، فكان يوسف لا يشبع في تلك [الأيام](٢)، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن أنسى الجائع.

وأمر يوسفُ طباخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار، أراد بذلك أن يذوق الملك [طعم](٣) الجوع فلا ينسى الجائعين ويحسن إلى المحتاجين، ففعل الطهاة ذلك.

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

(١) في الأصل: بأرقابهم. والتصويب من القرطبي (٩/ ٢١٩)، والبغوي (٤/ ٢٥٣).

(٢) في الأصل: أيام. والتصويب من القرطبي والبغوي، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: طع. والتصويب من القرطبي والبغوي، الموضعان السابقان.

وأصاب أرضَ كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب مصر، ونزل بيعقوب ما نزل بالناس، فقال لبنيه: يا بني، إن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأبلغوه مني السلام، وانتسبوا له، لعله يعرفكم، وامْتَارُوا لنا، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة، وأمسك بنيامين عنده، فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف عليه السلام وأنكروه، فذلك قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم﴾ حين رآهم[(١)].

وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه[(٢)].

قال ابن عباس: كان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة[(٣)]. فقال لهم: من أين أقبلتم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه، وقال: لعلكم جواسيس، فقالوا: لا والله، ولكنا من كنعان، أصابنا الجَهْد، فأمَرَنا أبونا أن نأتيك، فإنه قد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر أخاً، وكنا اثني عشر أخاً لأب، فأكل أحدَنا الذئبُ وكان أحبنا إلى أبينا، فقال يوسف: فإلى من سَكَنَ بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منا، تركناه عنده يتسلى به، وهو أخو الهالك لأمّه، فقال: إن كنتم صادقين فخلفوا عندي بعضكم رهناً وأتوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون[(٤)].

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٧)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٣-٢١٦٤) كلاهما عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٠) عن السدي، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٦-٢٤٧).

قوله: ﴿وهم له منكرون﴾ هذه واو الحال، وإنما أنكروه لما بين حاليه يوم ألقوه وحين لقوه من المغايرة.

قال ابن عباس وغيره: كان عليه ثياب حرير، وعلى رأسه التاج، وفي عنقه طوق من ذهب[١].

وقيل: إنهم وقفوا منه موقف طلاب الحوائج، فلم يعرفوه لبعد المسافة.

وقيل: كان بينهم وبينه سرير.

﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي: هيأ لهم متاع السفر وما يحتاجون إليه، وحمل لكل واحد منهم بعيراً. ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ يعني: بنيامين يحمل إليّ رسالة أبيكم ويظهر به صدقكم عندي وبراءتكم من التجسس، ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ أتمه ولا أبخسه ﴿وأنا خير المنزلين﴾ يعني: المضيفين، وكان أحسن ضيافتهم.

﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ بعد هذه المرة ﴿ولا تقربون﴾ جائز أن يكون نهياً، وجائز أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً عطفاً على محل قوله: «فلا كيل لكم»، كأنه قيل: فإن لم تأتوني به تُحرموا ولا تقربون.

﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ أي: سنخادعه ونحتال عليه حتى نأتيك به ﴿وإنا لفاعلون﴾ ما أمرتنا به.

وقال الزجاج[٢]: هو توكيد.

فعلى قوله يكون المعنى: وإنا لفاعلون ما ضمناه لك من المراودة لأبيه.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٤٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١١٧).

والظاهر: أن يوسف عليه السلام ما اجترأ على ما يسلتزم طلبه لأخيه من حزن أبيه إلا بطريق الوحي.

وقيل: قَصَدَ تنبيه يعقوب عليه السلام بطلبه بنيامين.

قوله تعالى: ﴿وقال لِفِتْيَتِهِ﴾ وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «لفتيانه»[١] وهما جمع فتى، إلا أن «الفتية» جمع القلّة، و «فتيان» جمع الكثرة، ونظيره: إِخْوَة وإِخْوان، وغِلْمَة وغِلْمَان، وصِبْيَة وصِبْيَان.

قال الزجاج[٢]: الفِتْيَة والفِتْيان في هذا الوضع: المماليك.

﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ البضاعة: جمعها بضائع، سُمِّيت بذلك؛ لأنها قُطعت من مال، ومنه: بَضعة لحم[٣].

والمعنى: اجعلوا بضاعتهم التي امتاروا بها.

قال عطاء: يريد: الدراهم والدنانير[٤].

وقيل: كانت بضاعتهم النعال والأدم.

﴿في رحالهم﴾ في أوعيتهم، ﴿لعلهم يعرفونها﴾ أي: يعرفون أعيانها.

وقيل: يعرفون حق التكرم بها.

﴿إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ وشاهدوا عندهم فتح أوعيتهم بضاعتهم ﴿لعلهم

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦١)، والكشف (٢/ ١٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٤٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١١٧).

(٣) انظر: اللسان (مادة: بضع).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٠).

يرجعون﴾.

وقد ذكروا في رَدّ بضاعتهم حِكَماً:

الأولى: ما روي عن ابن عباس: أنه خاف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به[(١)].

الثانية: ما روي عن أبي صالح قال: عَلِمَ أنهم إذا عرفوها لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها[(٢)].

الثالثة: قال ابن جرير[(٣)]: استقبح أَخْذَ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه، فرده إليهم من حيث لا يعلمون [سبب][(٤)] ردّه؛ تكرّماً وتفضّلاً[(٥)].

الرابعة: أنه ردّها عليهم لئلا يتوهّموا أن مقصوده بطلب رجوعهم التجارة عليهم وتحصيل ما لهم[(٦)].

الخامسة: ليرغبهم في الرجوع إليه بما أظهر لهم من الكرامة والكرم[(٧)].

ويحتمل عندي، أن يكون مقصوده: تنبيه أبيه على حاله ومكانه، تارةً بطلب أخيه، وتارةً بالسؤال عنه وعن أحوالهم، وتارةً بردّ البضاعة وتوفية الكيل، إلى غير

---

(١) الطبري (١٣/ ٩)، والوسيط (٢/ ٦٢٠) من قول الكلبي، وزاد المسير (٤/ ٢٤٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٠) من قول الفراء، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٥٠) من قول الضحاك.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٩).

(٤) زيادة من الطبري، الموضع السابق.

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٥٠).

(٦) مثل السابق.

(٧) مثل السابق.

ذلك من اللوائح الدالّة على أمره.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فلما رجعوا إلى أبيهم﴾ شكروا إحسان يوسف، وقالوا: يا أبانا قدمنا على رجل لو كان من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته.

﴿قالوا يا أبانا مُنع منا الكيل﴾ أي: حُكم علينا بمنعه، وهو قول يوسف: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾.

﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ وقرأ حمزة والكسائي «يكتل» بالياء[1]. والمعنى: أرسل معنا أخانا يرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه.

وعلى قراءة حمزة والكسائي يكون المعنى: يكتل أخونا، فينضم اكتياله إلى اكتيالنا، أو يكون سبباً للاكتيال، فإن امتناعه بسببه، ﴿وإنا له لحافظون﴾.

﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ قال الزجاج[2]: أي: كذلك قلتم لي في يوسف: ﴿أرسله معنا غداً نرتع ونلعب وإنا له لحافظون﴾، فقد ضمنتم لي حفظ يوسف، فكذلك ضمانكم هذا عندي.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦١)، والكشف (٢/ ١٢)، والنشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٠).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١١٨).

قال الواحدي[١]: يقول: لا آمنكم على بنيامين إلا كأمني على يوسف. يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن وأنهم خانوه، فهو وإن أمنهم في هذا خائف من خيانتهم أيضاً.

ثم قال: ﴿فالله خير حِفْظاً﴾ وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «حافظاً»[٢]، والنصب فيهما على التمييز[٣].

ويجوز أن يكون النصب في حافظاً على الحال[٤].

ومقصوده بهذا الكلام: الإلتجاء إلى الله تعالى والوثوق بحفظه لا بحفظهم.

﴿وهو أرحم الراحمين﴾ فهو أرحم لي منكم، فأرجو من رحمة الله أن ينعم عليّ بحفظه ويرحم ضعفي، فلا يجمع عليّ مصيبتين.

قرأتُ على ابن الطيب المارستاني يعرف بابن بهروز، أخبركم أبو [الوقت][٥] فأقرَّ به، أبنا أبو الحسن الداودي، ثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، ثنا إبراهيم بن خريم الشاشي، ثنا عبد بن حميد، ثنا قبيصة، ثنا سفيان، عن نهشل الضبي[٦]، عن أبي غالب[٧]، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الوسيط (٢/ ٦٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٢-٣٦٣)، والكشف (٢/ ١٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٥-٢٩٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٠).

(٣) التبيان (٢/ ٥٥)، والدر المصون (٤/ ١٩٤).

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: أبو قت. وهو خطأ. انظر ترجمته في: التقييد (١/ ٣٨٦-٣٨٧).

(٦) نهشل بن مجمع الضبي الكوفي، ثقة صدوق، (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢٨، والتقريب ص:٥٦٦).

(٧) أبو غالب، يروي عن ابن عمر في الوداع، وعنه ضرار بن مرة ونهشل الضبي. قال ابن معين: لا

«إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله عز وجل إذا استُودع شيئاً حفظه»[١].

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما تبغي﴾ يجوز أن تكون «ما» نافية، ويجوز أن تكون استفهامية. فإن كانت استفهامية -وهو الأظهر في التفسير- كان المعنى: أي شيء نبغيه ونطلبه وراء هذا الإحسان. ويؤيده قراءة ابن مسعود: «تبغي» بالتاء على الخطاب ليعقوب[٢].

وإن كانت نافية؛ كان المعنى: ما نطلب منك شيئاً نرجع به إلى مصر، أو يكون المعنى: ما نبغي في القول ولا نتزيد فيه[٣].

فعلى هذا يكون قولهم: ﴿هذه بضاعتنا رُدت إلينا﴾ خارجاً مخرج البيان لصدقهم.

وقرأ علقمة: «رِدت» بكسر الراء، على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء،

= أعرفه (تهذيب التهذيب ١٢/ ٢١٦، والتقريب ص: ٦٦٤).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨٧ ح٥٦٠٥)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٧٠ ح٨٥٥).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٥٢).

(٣) التبيان (٢/ ٥٥)، والدر المصون (٤/ ١٩٥).

كما في «قِيَل» و «بِيَع»[١].

وحكى قطرب وغيره: ضِرب زيد وقِتل عمرو، على نقل كسرة العين إذا سكنت إلى الفاء.

قوله تعالى: ﴿ونمير أهلنا﴾ أي: نجلب لهم الطعام، ﴿ونحفظ أخانا﴾ بنيامين، وقيل: شمعون. والأول أكثر وأظهر ﴿ونزداد كيل بعير﴾. وفي المشار إليه بقوله: ﴿ذلك كيل يسير﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كيل بعير، فالمعنى: ذلك كيل يسير سهل على الملك الذي نقصده لسخائه. قاله الزجاج[٢].

الثاني: أن المشار إليه ما جاؤوا به، فالمعنى: ذلك الذي جئناك به كيل يسير لا يكفينا.

الثالث: أن معناه: ذلك كيل يسير سريع لا حبس فيه إذا كان أخونا معنا؛ كأنهم يستنزلون أباهم ويسهلون عليه إرسال أخيهم بسرعة الأَوْبَة[٣]. وهذا معنى قول مقاتل[٤].

﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون﴾ أي: حتى تعطوني ﴿موثقاً من الله﴾ أي: عهداً أتوثق به من عند الله ﴿لتأتنني به﴾ قال ابن الأنباري[٥]: هذه اللام في «لتأتنني

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١١٩).

(٣) الأَوْبة: الرجوع (اللسان، مادة: أوب).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ١٥٦). وانظر: زاد المسير (٤/ ٢٥٣).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٥٣).

به» جواب المضمر، تلخيصه: [وتقولوا][(١)] والله لتأتنني به.

﴿إلا أن يحاط بكم﴾ يُحال بينكم وبينه بموت أو غيره.

قال مجاهد: إلا أن تموتوا كلكم[(٢)].

قال ابن إسحاق: إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعاً، فيكون ذلك عذراً لكم عندي[(٣)].

﴿فلما آتوه موثقهم﴾ حلفوا له.

قال ابن عباس: حلفوا بحق محمد ﷺ ومنزلته من ربه[(٤)].

وقال السدي: حلفوا بالله[(٥)].

﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي: شهيد ورقيب ومطلع.

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٧). وفي تفسير مجاهد (ص:٣١٧): إلا أن تهلكوا جميعاً.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٦٢١).

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٥٣).

(٥) مثل السابق.

فلما أزمعوا[١] على المسير وتجهزوا للخروج، قال لبنيه: ﴿لا تدخلوا﴾ يعني: مصر ﴿من باب واحد﴾ قال ابن عباس والأكثرون: خاف عليهم العين[٢]؛ لأنهم كانوا أحد عشر رجلاً إخوة شباناً وساماً، ذوي شارة حسنة وبهاء رائع، وكانوا بذلك مظنة لطموح الأبصار إليهم، مع انضمام اهتمام الملك بهم من بين الواردين إليه والوافدين عليه، واشتهار حالهم بمصر، ولفوات هذا المعنى في السفرة الأولى لم يأمرهم بذلك.

وقال وهب: نهاهم عن الدخول من باب واحد خوفاً عليهم أن يُغتالوا؛ لما اتهموا به من التجسس[٣].

وفي قوله: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله﴾ اعتراف بأن الحذر لا يدفع القدر، وأنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله، وإن أضيفت الأشياء إلى أسبابها فبطريق المجاز.

﴿عليه توكلت﴾ لا على السبب المذكور، وفيه إشعار بأن تعاطي الأسباب المأذون فيها لا يقدح في صحة التوكل.

قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم﴾ من أبواب متفرقة، ما كان ذلك الدخول أو ما كان أمر يعقوب ورأيه يغني عنهم من الله من شيء قضاه عليهم،

---

(١) أزمعوا: أجمعوا (اللسان، مادة: زمع).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٥٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن محمد بن كعب، وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٥٤).

وهذا موافق لقول يعقوب: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾.

﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ استثناء منقطع، على معنى: ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها، وهي دخولهم متفرقين شفقةً عليهم، وحذراً من العين.

ثم مدحه الله تعالى وأثنى عليه بالعلم، حيث فوّض الأمر إليه واعتمد عليه، فقال: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ قال الفراء والزجاج[1]: لتعليمنا إياه.

وقيل: اللام في «لما علمناه» كاللام في ﴿للرؤيا تعبرون﴾، أي: يعلم ما علمناه فيعمل به؛ لأن من علم شيئاً ولا يعمل به كان كمن لا يعلم.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ علم يعقوب من جواز مراعاة الأسباب وإيجاب التفويض إلى المسبب وغير ذلك.

قال ابن عباس: لا يعلم المشركون ما ألهم الله تعالى أولياءه[2].

وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ قال ابن قتيبة[3]: تقول: آويتُ فلاناً إليّ -بمد الألف-؛ إذا ضممتَه إليك، وأَويْتُ إلى بني فلان -بقصر الألف-؛ إذا التجأت إليهم[4].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٥٠)، ومعاني الزجاج (٣/ ١١٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٢).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢١٩).

(٤) انظر: اللسان (مادة: أوا).

قال أهل التفسير: لما قدموا عليه قالوا له: قد امتثلنا أيها الملك أمرك، وأتيناك بأخينا الذي أحببت حضوره فأكرمهم وأحسن نُزُلَهم، وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فقال: لو كان يوسف حياً لأجلسني معه. فقال يوسف: قد بقي أخوكم هذا وحيداً، فضمه إليه وأجلسه على مائدته، فجعل يؤاكله، وقال: أنتم عشرة، فلينزل كل اثنين منكم بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي.

فلما خلا به ضَمَّهُ إليه وشَمَّ ريحه، وقال له: ما اسمك؟ قال: بنيامين. قال: وما اسم أمك؟ قال: راحيل. قال: هل لك من أخ من أمك؟ قال: كان لي أخ من أمي فهلك. فقال: أتحب أن أكون أخاك بدله؟ فقال: أيها الملك! ومن يجد أخاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف وقام إليه فاعتنقه، وقال: ﴿إني أنا أخوك فلا تبتئس﴾ أي: لا تحزن.

قال ابن الأنباري[1]: هو تفتعل مِنَ البؤس، وهو الضرّ والشدة.

﴿بما كانوا يعملون﴾ بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا ولا تعلمهم بما أعلمتك[2].

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

ثم إن يوسف عليه السلام أخذ في الاحتيال على انقطاع أخيه منهم على وجه

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٠-٢١٧١).

يُعذر فيه عند إخوته وأبيه، فجهزهم وجعل السقاية؛ وهي الصاع الذي كان يشرب به [الملك في رحل أخيه][١].

قال ابن عباس: كان قدحاً من زبرجد[٢].

وقال عكرمة: كان شربة من فضة مرصعة بالجوهر[٣]، جعلها يوسف مكيالاً لئلا يكال بغيرها.

وقال ابن زيد: كان كأساً من ذهب[٤].

فَدَسَّهُ في رحل أخيه.

قال المفسرون: أوفى لهم الكيل، وحمل لبنيامين بعيراً باسمه، وجعل السقاية في رحله، ثم ارتحلوا فأمعنوا، فأمر بهم يوسف فأُدركوا وحُبسوا[٥].

﴿ثم أذّن مؤذن﴾ قال الزجاج[٦]: أعْلَمَ معلم، يقال: آذنته بالشيء فهو مُؤْذَنٌ به، أي: أعلمته، وآذنت: أكثرت الإعلام بالشيء.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٣). وما بين المعكوفين زيادة منه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٥٨).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧١). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٥٨)، وبنحوه السيوطي في الدر (٤/ ٥٥٩) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٥٩) وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٥٧).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٢٠).

والمعنى: نادى مناد: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ قال الزجاج[1]: معناه: يا أصحاب العير.

وكلُّ ما امْتِير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير.

قال بعضهم: سُمِّيت عيراً؛ لأنها تعير، أي: تذهب وتجيء.

قال الفراء[2]: لا يقال عير إلا لأصحاب الإبل.

وقال أبو عبيدة[3]: العير: الإبل المرحولة المركوبة.

وقال ابن قتيبة[4]: العير: القومُ على الإبل.

إن قيل: لم يسرقوا، فكيف نسب السرقة إليهم؟

قلت: إن كان قول المؤذن: «إنكم لسارقون» صدر عن أمر يوسف، فالمعنى: والله يعلم إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعرف حقيقة الحال.

وقيل: المعنى: إنكم لسارقون، سرقتم يوسف حين اقتطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الجب.

﴿قالوا﴾ يعني: أصحاب العير ﴿وأقبلوا عليهم﴾ الواو للحال بإضمار «قد» ﴿ماذا تفقدون﴾.

وقيل: الضمير في «وأقبلوا» يعود إلى المؤذن وأصحابه.

﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ قرئ: «صَوْعَ الملك»، و «صَاعَ» و «صِيَاع»

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٢٠).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من معاني الفراء. وانظر: زاد المسير (٤/ ٢٥٧).

(٣) لم أقف عليه في مجاز القرآن. وانظر: زاد المسير (٤/ ٢٥٧).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢١٩).

و«صوْع» بفتح الصاد وضمها[١]، وكلها لغات في المكيال، ويُذكّر ويُؤنّث.

وقرأ يحيى بن يعمر: «صَوغ» بفتح الصاد والغين المعجمة[٢].

قال ابن جني[٣]: هو مصدر وُضع موضع اسم المفعول، يراد به المَصُوغُ، [كالخلق][٤] في معنى المخلوق، والصيد في معنى المَصِيد.

﴿ولمن جاء به﴾ أي: بالصواع ﴿حمل بعير﴾ من الطعام، يقول المؤذن: ﴿وأنا به زعيم﴾ أي أنا بالحمل كفيل.

قال ابن السكيت: الكَفيل والقَبيل والضَّمِين والزَّعِيم بمعنىً. قال الله تعالى: ﴿وأنا به زعيم﴾ وأنشدوا:

تُعَاتبُني في الرّزْقِ عرسي وإنما   على الله أرزاقُ العباد كما زَعَم[٥]

أي: كما كفل وضمن.

قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ

(١) زاد المسير (٤/ ٢٥٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) المحتسب (١/ ٣٤٦).

(٤) في الأصل: كالحق. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) انظر البيت في: اللسان، مادة: (زعم)، وروح المعاني (٧/ ٢٢٥) وهو فيهما:

تقول هلكنا إن هلكت وإنما   على الله أرزاق العباد كما زعم

لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿قالوا تالله﴾ قَسَمٌ يتضمن معنى التعجب ﴿لقد علمتم﴾ بما شاهدتم من القرائن الدالة على أمانتنا وديننا من ردنا البضاعة، وكَعْمِنا[1] أفواه إبلنا وحميرنا كراهة أن ترعى زرعاً أو تأكل طعاماً تَمُرُّ به في السوق: ﴿ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾.

﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ قال الأخفش[2]: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت إلى المسروق.

وقال صاحب الكشاف[3]: الضمير للصواع.

أي: فما جزاء سرقته، قالوا: يعني إخوة يوسف: ﴿جزاؤه من وُجد في رحله فهو﴾ يعني: [السرق][4] السارق ﴿جزاؤه﴾ أي: يؤخذ رقيقاً جزاء له على سرقته، وهذه كانت سُنّة آل يعقوب أن يسترق المسروق منه [السارق][5] سنة.

قوله: «مَنْ» نكرة، وهو مبتدأ ثاني، ويكون قوله: «وُجِدَ في رحله» في موضع الرفع صفة لـ«مَنْ». وقوله: «فهو جزاؤه» خبر «مَنْ»[6]. والجملة خبر قوله: جزاؤه

---

(١) كَعَمَ البعير يَكْعَمُه كَعْماً: شَدَّ فاه في هياجه لئلا يعضّ أو يأكل (اللسان، مادة: كعم).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٦٠).

(٣) الكشاف (٢/ ٤٦٢).

(٤) في الأصل: السارق. والتصويب من الوسيط (٢/ ٦٢٤).

(٥) زيادة على الأصل.

(٦) التبيان (٢/ ٥٦)، والدر المصون (٤/ ٢٠٠).

إنسان وجد في رحله الصاع فهو هو، وإنما قلنا فهو هو ليعود إلى المبتدأ ذكر من الجملة التي هي خبر، إلا أنه وضع الظاهر موضع المضمر، كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه.

قال: وليس في التنزيل من نكرة إلا في هذا الموضع.

وقال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون «جزاؤه» مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو، كما تقول لصاحبك: من أخو زيد؟ فيقول: أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو، [يرجع][2] الضمير الأول إلى «مَنْ»، والثاني إلى الأخ، ثم تقول: «فهو أخوه» مقيماً للمظهر مقام المضمر.

وقال الزجاج[3]: يكون «جزاؤه» مبتدأ، ويكون «مَنْ وجد في رحله» الخبر. ويكون المعنى: جزاء السَّرَق الإنسان الموجود في رحله المسروق، ويكون قوله: ﴿فهو جزاؤه﴾ زيادة في الإبانة، كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ما ذكرنا من الجزاء ﴿نجزي الظالمين﴾. فقال لهم المؤذن: لا بد من تفتيش أوعيتكم، وانصرف بهم إلى يوسف ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ دفعاً للتهمة، فلما وصل إلى وعاء أخيه قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، قالوا: والله لا نبرح حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصواع منه، فالتفت إليه إخوته، وقالوا: ماذا صنعت؟ فضحتَنا

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٢) في الأصل: يرفع. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٢١).

وسوَّدت وجوهنا، وأزريت بأبيك الصدّيق؟ فقال: وَضَعَ الصاع في رحلي الذي وَضَعَ الدراهم في رحالكم.

والكناية في قوله: ﴿ثم استخرجها﴾ تعود إلى السقاية أو إلى الصواع، فإنه -كما سبق- تُذكّر وتُؤنّث، أو إلى السرقة.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الكيد العظيم ﴿كِدْنا ليوسف﴾ علّمناه إما بطريق الإلهام أو بطريق الوحي ليتوصل إلى مقصوده بألطف حيلة.

وقوله: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ تفسير الكيد وبيانٌ لأنه كان في دين الملك، وحكمه: أن يضرب السارق ويغرم ضعفي ما سرق، فأجرى الله على ألسنة إخوته ما يُجزى به السارق في حكمهم وقضائهم، لطفاً منه بيوسف، ليتوصل إلى مراده من اجتماعه بأخيه.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ قال الزجاج[1]: موضع «أنْ» نصب، لما سقطت الباء أفضى إلى الفعل فنصب. المعنى: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة الله.

﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بالعلم والحلم وقهر الهوى والتوفيق للهدى كما فعلنا بيوسف، وقرأت ليعقوب: «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما[2]، عائداً إلى اسم الله تعالى.

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٢٢).

(٢) النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٦).

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قالوا﴾ يعني: إخوة يوسف: ﴿إن يسرق﴾ بنيامين ﴿فقد سرق أخٌ له من قبل﴾ يعنون: يوسف.

قال الحسن: كذبوا عليه فيما نسبوه إليه[1].

قال ابن عباس: كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في زمن المجاعة ويطعمه المساكين[2].

وقال سعيد بن جبير وقتادة: سَرَقَ صنماً كان يعبده أبو أمه، فكسره وألقاه في الطريق[3].

وقال مجاهد: كانت عمة يوسف أكبر أولاد إسحاق تحب يوسف حباً شديداً، وكانت تحضنه، فلما ترعرع طلبه يعقوب فقالت: ما [أقدر][4] أن يغيب عني، فقال: لست بتاركه، فعمدت إلى مِنطقة إسحاق فربطتها على يوسف تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، [فانظروا من أخذها][5] فوجدوها مع يوسف، فأخبرت يعقوب بذلك وقالت: والله إنه لي أصنع به ما أشاء، فقال: أنت وذاك، فما

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٨-٢٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٤) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لابن جرير.

(٤) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٦٣).

(٥) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فذلك الذي عيّره [به][(١)] إخوته[(٢)].

﴿فَأَسَرَّها﴾ إضمار على شريطة التفسير، تفسيره: أنتم شر مكاناً. وإنما أنث لأنها جملة أو كلمة.

وقيل: المعنى: فأسرّ كلمتهم وقولهم ﴿سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه﴾. [القولان][(٣)] عن ابن عباس[(٤)].

وقال ابن الأنباري[(٥)]: المعنى: فأسرّ الحجة عليهم في [ادّعائهم][(٦)] عليه السرقة في نفسه.

﴿ولم يُبْدِها لهم﴾ أي: لم يظهرها لهم، ﴿قال أنتم شر مكاناً﴾ أي: منزلة في السرقة، لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم.

وقيل: صنعاً أقدمتم عليه من العقوق والفسق.

﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أي: أعلم بحقيقة ما تقولون وجلّيته.

قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٦٣)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٦٣) وعزاه لابن إسحاق.

(٣) في الأصل: الوقولان. والصواب ما أثبتناه.

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٦٤).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: الدعائهم. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾ في سِنِّه، وقيل: كبيراً في قدره. والأول أشبه؛ لأن مقصودهم استعطافه وترقيقه.

﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ في الاستعباد، ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ من عادته الإحسان، وقد أحسنت إلينا فأتمم إحسانك.

﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ فكيف نأخذ البريء بالسقيم ﴿إنا إذاً لظالمون﴾ إن فعلنا ذلك.

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فلما استيئسوا منه﴾ أي: أيسوا، وزيادة السين والتاء للمبالغة، كما سبق في: «استعصم»، ﴿خلصوا نجياً﴾ اعتزلوا خالصين ليس معهم أحد، متناجين يدبرون ما يصنعون.

قال الزمخشري[1]: والنَّجِي: بمعنيين؛ يكون بمعنى: المناجي، كالعشير

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٦٥-٤٦٦).

والسمير بمعنى: المعاشر[(١)] والمسامر، ومنه: ﴿وقربناه نجياً﴾ [مريم:٥٢]. وبمعنى المصدر الذي هو التناجي، كقوله: النجوى بمعناه. ومنه قيل: قوم نَجِيّ، كما قيل: ﴿وإذ هم نجوى﴾ تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال: هم نجى، كما يقال: هم صديق؛ لأنه بزنة المصادر وجمع أَنْجِيَة. قال:

إني إذا ما القومُ كانوا أَنجيَه[(٢)]

والمعنى: كانوا ذوي نجوى، أو فوجاً نجياً، أي: مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً.

﴿قال كبيرهم﴾ إن أريد كبيرهم في السن: فهو روبيل، وإليه ذهب قتادة وكعب والسدي[(٣)].

---

(١) في الأصل زيادة: والمعاشر. وانظر: الكشاف (٢/ ٤٦٥).

(٢) البيت من الرجز، وهو لسحيم بن وثيل اليربوعي، انظر: النوادر لأبي زيد (ص:١١)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٢٥)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٩٩)، واللسان (مادة: روي، نجا)، والقرطبي (٩/ ٢٤١)، وزاد المسير (٤/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٣١)، والدر المصون (٤/ ٢٠٥)، وروح المعاني (١٣/ ٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٥) وعزاه لأبي الشيخ.

وهذا القول هو اختيار ابن جرير قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال عنى بقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ روبيل لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سناً، ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم: فلان كبير القوم مطلقاً بغير وصل إلا أحد معنيين إما في الرياسة عليهم والسؤدد وإما في السن. فأما في العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه فقالوا: هو كبيرهم في العقل، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم إلا ما ذكرت. وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشمعون وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به على إخوته رياسة وسؤدد فيعلم بذلك أنه عنى بقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا الوجه الآخر وهو الكبر في السن، وقد قال الذين =

وإلا فالمراد كبيرهم في العقل والرأي والعلم، وهو يهوذا، في قول ابن عباس[١].

أو شمعون، في قول مجاهد[٢].

أو لاوي، في قول [ابن][٣] إسحاق[٤].

﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ في حفظ أخيكم ورده إلى أبيكم، ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ «ما» صلة أو مصدرية أو موصولة.

فإن كانت صلة؛ فالمعنى: ومن قبل هذا فرطتم وتصرفتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه.

وإن كانت مصدرية ففيه وجهان:

أحدهما: أن يكون محل المصدر الرفع على الابتداء، وخبره الظرف، وهو «من قبل»، ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم في يوسف.

وإن كانت موصولة؛ فالمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدمتوه في حق يوسف من الخيانة العظيمة. ومحلّه الرفع أو النصب على الوجهين.

﴿فلن أبرح الأرض﴾ أي: لن أفارق أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ في الانصراف إليه، ﴿أو يحكم الله لي﴾ بالانصراف والانتصار على من أخذ أخي، أو =

ذكرنا جميعاً روبيل كان أكبر القوم سناً فصح بذلك القول الذي اخترناه.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٣-٣٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨١)، ومجاهد (ص:٣١٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) زيادة من القرطبي (٩/ ٢٤١).

(٤) القرطبي (٩/ ٢٤١)، وروح المعاني (١٣/ ٣٥).

يحكم الله لي، أي: يقضي في أمري ما شاء.

قال الزجاج[(١)]: «أو يحكم الله لي» نسق على «[حتى][(٢)] يأذن»، ويجوز أن يكون «أو يحكم» على جواب [لن][(٣)]، المعنى: لن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله لي.

﴿وهو خير الحاكمين﴾ أي: أعدلهم وأفضلهم.

﴿ارجعوا﴾ أنتم ﴿إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك﴾ بنيامين ﴿سرق﴾ صواع الملك.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء من طريق ابن أبي سريج عن الكسائي: «سُرِّق» بضم السين وتشديد الراء وكسرها، على معنى: نُسب إلى السرقة، وهي قراءة ابن عباس والضحاك[(٤)].

﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ لأنا رأينا المسروق في رحله، ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ يحتمل وجوهاً من التأويل:

أحدها: أن المعنى: كنا نحفظه في حضره، فإذا غاب عنا لا ندري ما يصنع، ولا نقدر على حفظه. وهذا معنى قول ابن عباس[(٥)].

الثاني: ما كنا نشعر أن ابنك سيسرق ويصير الأمر إلى هذا، ولو علمنا ذلك ما

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٢٥).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) الطبري (١٣/ ٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٢٦٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٦٨).

ذهبنا به ولا أعطيناك العهد والميثاق على أن نأتيك به. وهـذا معنـى قـول مجاهـد والحسن وقتادة[١].

الثالث: أن المعنى: قد رأينا الصواع.

الرابع: أن المعنى: لو نعلم أنك تصاب بهـذه المـصيبة، وتفقـده كـما فقـدت يوسف، ما ذهبنا به. قاله ابن كيسان[٢].

ومن قرأ: «سُرِّق» فالمعنى: ما شهدنا إلا بقدر ما علمنا وتحققنا من التسريق، وما كنا للغيب وهو الأمر المخفي من كونه ظلم بالسرق، أو ظلم بالتسريق بريئـاً حافظين.

﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: قولوا لأبيكم إن شك في قـولكم: اسـأل أهل مصر، فإن هذه القصة اشتهرت فيهم وانتشرت بينهم، ﴿والعير التـي أقبلنـا فيها﴾ أي: واسأل أهل العير التي أقبلنا فيها، وكانوا قوماً من كنعـان مـن جـيران يعقوب عليه السلام.

وقال ابن الأنباري[٣]: يجوز أن يكون المعنى: واسأل القرية والعير، فإنها تعقل عنك [لأنك][٤] نبي، والأنبياء تخاطبهم الأحجار والبهائم.

والأول أصح.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٣). وذكره السيوطي في الـدر (٤/ ٥٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتـادة، وعـزاه لعبـد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٦٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٦٨).

(٤) في الأصل: أنك. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

﴿وإنا لصادقون﴾ فيما قلناه.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً﴾ قال ابن الأنباري(١): يعني: خروجهم بأخيهم بنيامين إلى مصر رجاء منفعة، فعاد من ذلك شر وضرر.

وقال غيره: «سوّلت»: خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق(٢).

وقيل: ارتاب فيهم.

قال وهب: ظن أن الذي تخلّف منهم إنما تخلّف حيلة ومكراً [ليُصَدِّقَهُم](٣).

قال صاحب الكشاف(٤): المعنى: سوَّلت لكم أنفسكم أمراً أردتموه، وإلا فما أدرى الرجل أن السارق يُؤخذُ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم.

﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يوسف، وبنيامين. والقائل: ﴿فلن أبرح الأرض﴾، ﴿إنه هو العليم﴾ بحالي وشدة حزني، ﴿الحكيم﴾ فيما ابتلاني به من

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٦٢٦)، وزاد المسير (٤/ ٢٦٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٦٩).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٦٩). وما بين المعكوفين في الأصل: لصدقهم. والتصويب منه.

(٤) الكشاف (٢/ ٤٦٧).

المصيبة بابنٍ بعد ابن.

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض عنهم وعن مخاطبتهم، ﴿وقال﴾ -وقد هاج ذلك وجده بيوسف-: ﴿يا أسفى على يوسف﴾ قال ابن قتيبة[1]: الأسفُ: أشدُّ الحسرة.

قال ابن عباس: يا طول حزني على يوسف[2].

وأصله: يا أسفي، فأبدلوا من الكسرة فتحة، ومن الياء ألفاً، ونداءُ مضاف منصوب.

وقوله: «على يوسف» من صلة المصدر.

﴿وابيضّت عيناه من الحزن﴾ أي: انقلبت إلى حال البياض، وذلك لفرط بكائه من شدة حزنه.

قال مجاهد: ذهب بصره[3].

وقال مقاتل[4]: لم يبصر بعينيه ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف.

وقد قيل: إنه كان يدرك إدراكاً ضعيفاً.

قال ثابت البناني: دخل جبريل عليه السلام على يوسف فقال: أيها الملك! الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال:

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٢١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٧٠).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ١٦١).

ما فعل؟ قال: ابيضت عيناه. قال: ما بلغ من حزنه؟ قال: حُزْن سبعين ثكلى. قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد عند الله[(١)].

قال الحسن: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة، وما جفت عينه وما أحد يومئذ أكرم على الله تعالى منه [حين ذهب بصره][(٢)].

قوله تعالى: ﴿فهو كظيم﴾ فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، كما في قوله: ﴿وهو مكظوم﴾ [القلم:٤٨] وقد سبق بيانه في آل عمران عند قوله: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [١٣٤].

﴿قالوا تالله تفتأ﴾ أراد: لا تَفْتَأ، فحذف حرف النفي، كقول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينَ الله أَبْرَحُ قَاعِداً ... وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي[(٣)]

وقول الخنساء:

فأقسمت آسى على هالك ... أو اسأل نائحة ما لها[(٤)]

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٦-٤٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٦) كلاهما عن ليث بن أبي سليم. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٩) وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن ليث بن أبي سليم، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨)، وانظر: الوسيط (٢/ ٦٢٧)، وزاد المسير (٤/ ٢٧١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٨) وعزاه لعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وأبي الشيخ. وما بين المعكوفين زيادة من الوسيط وزاد المسير، الموضعان السابقان.

(٣) البيت لامرئ القيس، انظر ديوانه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: يمن)، والطبري (٢/ ٤٠٣، ١٣/ ٤٢)، والقرطبي (٩/ ٢٤٩)، وزاد المسير (٢/ ٣٣٦، ٤/ ٢٧٢)، وروح المعاني (١٣/ ٤١).

(٤) البيت للخنساء. وهو في: زاد المسير (٤/ ٢٧٢).

قال ابن عباس ومجاهد والحسن: المعنى: لا تزال[١].

﴿تذكر يوسف حتى تكون حرضاً﴾ مشفياً على الهلاك. من قولهم: أَحْرَضَه المرض والحب؛ إذا أذابه[٢]. وأنشدوا:

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي حَتّى بَلِيتُ وَحَتّى شَفَّنِي السَّقَمُ[٣]

قال الفراء[٤]: يقال: رجل حَرَض وحَارِض، وهو الفاسد في جسمه وعقله.

قال الضحاك: حتى تكون كالشَّنّ البالي[٥].

﴿أو تكون من الهالكين﴾ الموتى.

﴿قال إنما أشكوا بثي﴾ وهو أشد الحزن، سُمّي بذلك؛ لأن صاحبه لا يقدر على كتمانه فيبثه ويظهره.

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب! ما الذي

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٧)، ومجاهد (ص: ٣٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٧١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: حرض).

(٣) البيت للعرجي. وهو في: اللسان (مادة: حرض)، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٩٦)، والدر المصون (٤/ ٢٠٩)، والطبري (١٣/ ٤٢)، والقرطبي (٩/ ٢٥٠)، وزاد المسير (٤/ ٢٧٣)، وروح المعاني (١٣/ ٤٣).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٥٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٧١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
والشَّنُّ: الخَلَقُ من كل آنية صنعت من جلد (اللسان، مادة: شنن).

أذهب بصرك؟ وما الذي قوّس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف. وأما الذي قوّس ظهري فالحزن على بنيامين. فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب! إن الله تعالى يقرئك السلام، ويقول لك: أما تستحيي أن تشكوا إلى غيري؟ فقال يعقوب: إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله. فقال جبريل: الله أعلم بما تشكوا يا يعقوب. ثم قال يعقوب: أي رب: أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبتَ بصري وقوّستَ ظهري، فاردد عليّ ريحانتي، أشمه شمةً قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب! إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: أبشر [وليفرح](١) قلبك، فوعزتي وجلالي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، اصنع طعاماً للمساكين، فإن أحبّ عبادي إليّ المساكين، تدري لم أذهبت بصرك وقوّست ظهرك، وصنع إخوة يوسف [به](٢) ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها. فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً ينادي: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغدّ مع يعقوب، وإذا كان صائماً أمر منادياً فنادى: من كان صائماً [من المساكين](٣) فليفطر مع يعقوب))(٤).

وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا. قال: لأنك شويت عَنَاقاً وقتّرت(٥) على جارك

(١) في الأصل: ولفرح. والتصويب من المستدرك (٢/ ٣٧٨).
(٢) زيادة من المستدرك، الموضع السابق.
(٣) مثل السابق.
(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٧٨ ح٣٣٢٨). وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٨٩) نقلاً عن ابن أبي حاتم وقال: هذا حديث غريب فيه نكارة.
(٥) العَنَاق: الأنثى من المعز (اللسان، مادة: عنق).

=

وأكلت ولم تطعمه(١).

وذكر بعضهم: أن السبب في ذلك: أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديها وهي تخور فلم يرحمها(٢).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث قرة المزني: ((أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال النبي ﷺ: إن رحمتَها رحمك الله))(٣).

وقيل: اشترى جاريةً وولدها فباعه دونها، فبكيت عليه حتى عَمِيت، فجوزي بذلك.

وقال وهب بن منبه: لما جمع الله تعالى بين يوسف ويعقوب، قال له: يا بني! بيني وبينك هذه المسافة القريبة ولم تكتب إليّ تعرفني، فقال: إن جبريل أمرني أن لا أعرفك، فقال له: سل جبريل، فسأله فقال: إن الله تعالى أمرني بذلك، فقال: سل ربك، فسأله، فقال: قل ليعقوب خفتَ عليه الذئب ولم تأمنّي(٤).

وقال ذو النون المصري رحمة الله عليه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: يا يعقوب تَمَلَّقْني، قال: وكيف أتملقك يا رب؟ قال: قل: يا قديم الإحسان، يا دائم المعروف، يا كثير الخير، فقالها، فأوحى الله إليه: يا يعقوب، لو كان يوسف ميتاً لأحييته لك.

قوله تعالى: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قال ابن عباس: عَلِمَ يعقوب أن

ومعنى قترت: أي: خرجت ريح القِدْر، وقد يكون من الشواء والعظم المحرق وريح اللحم المشوي (اللسان، مادة: قتر).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٦).

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٤٩).

رؤيا يوسف صادقة، وأنهم سيسجدون له[(١)].

قال عطاء: وأعلم من الله وقدرته ما لا تعلمون[(٢)].

وقيل: المعنى: أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به ما لا تعلمون، وأنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب.

وقد روي: أن مَلَك الموت أتى يعقوب عليه السلام، فقال له: هل قبضتَ روح ابني يوسف؟ قال: لا يا نبي الله، فاستبشر حينئذ، وقال:

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾

﴿يا بني اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه﴾ أي: تعرفوا من أخبارهما وتطلبوا ذلك من مظانّه.

وقرئ شاذاً: «فتجَسَّسُوا» بالجيم، تفعّلٌ من الجس، وهو الطلب[(٣)]، ومعناهما متقارب.

وقد قيل: التحسُّس بالحاء المهملة في الخير، وبالجيم في الشر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٧٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧٥).

(٣) تفسير أبي السعود (٤/ ٣٠٢)، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٤).

﴿ولا تيأسوا من رَوْح الله﴾ من فرجه وتنجيته.

قال الأصمعي: الرَّوْح: الاستراحة من غمّ القلب[١].

وقرأ الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز: «رُوح» بضم الراء[٢]، أي: من رحمته التي يجيء بها عباده.

﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ لإنكارهم الرسالة التي هي منشأ العلم بالله وبصفاته وسعة رحمته وروحه، أو يراد يأسهم من روح الله في الدار الآخرة.

قال ابن عباس: يريد: أن المؤمن [من الله][٣] على خير، يرجوه في الشدائد ويشكره ويحمده في الرخاء، وأن الكافر ليس كذلك[٤].

فلما أمرهم بالذهاب ليتحسسوا من يوسف وأخيه خرجوا إلى مصر.

﴿فلما دخلوا عليه﴾ أي: على يوسف ﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ الفقر والحاجة، ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ حقيرة كاسدة، واشتقاقه مِنْ قولك: أزْجَيْتُه؛ إذا دفَعْتُه[٥]، كأنها لحقارتها وكسادها تتدافعها أيدي التجار رغبة عنها.

قال ابن عباس: كانت متاعاً رثّاً كالحبل والغرارة، ودراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضعة[٦].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٢١٦).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٧).

(٣) في الأصل: لله. والتصويب والزيادة من الوسيط (٢/ ٦٢٩).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧٦).

(٥) انظر: اللسان (مادة: زجا).

(٦) أخرج الجزء الأول منه سعيد بن منصور (٥/ ٤٠٧)، والطبري (١٣/ ٥٠)، وابن أبي حاتم =

وقال الضحاك: كانت نعالاً[١].

وقال الحسن: كانت أقطاً[٢].

وقال أبو صالح: الصنوبر وحبة الخضراء[٣].

﴿فأوف لنا الكيل﴾ أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا، ﴿وتصدق علينا﴾ بالإعفاء عن رداءة البضاعة، فكأنهم سألوه المسامحة لا حقيقة الصدقة.

وقال سفيان بن عيينة: كانت الصدقة حلالاً للأنبياء عليهم السلام، وتلا هذه الآية[٤].

قال صاحب الكشاف[٥]: الظاهر أنهم تَمَسْكَنُوا له، وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم، ومن ثم رَقَّ لهم.

والذي يظهر في نظري: المعنى الأول، وهو قول الأكثرين؛ لأن شرف النبوة ومنصب الرسالة ينافي ذل سؤال الصدقة التي هي أوساخ الناس، لا سيما وهم

=

(٧/ ٢١٩١) مجزءاً. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٧٥) وعزا الجزء الأول منه لعبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وعزا الجزء الثاني منه لأبي عبيد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١) زاد المسير (٤/ ٢٧٧)، والقرطبي (٩/ ٢٥٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٧٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
وحبة الخضراء: هي الفُسْتُق.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣-٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٧٦) وعزاه لابن جرير.

(٥) الكشاف (٢/ ٤٧١).

حَفَدة إبراهيم الخليل وفروع دوحته، وما زالت النفوس الشريفة الأبية التي تتقاصر عن منزلة شرف النبوة تستنكف من ذلّ السؤال، حتى قال بعضهم:

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنّا يَعِشْ بحُسَامِهِ وَمَنْ يفْتَقِرْ من سَائرِ الناسِ يَسْأَلِ

وفي وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه: وإياكم والسؤال، فإنه آخر الكسب.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مكسبة فيها بعض الريبة، خير من صدقات الناس(١).

قال المفسرون: لم يتمالك يوسف عليه السلام حين قالوا: ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾ عرّفهم نفسه، فقال معرّضاً بذلك: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾(٢).

وقيل: كان السبب في تعريفهم نفسه: أن يعقوب عليه السلام كتب إليه كتاباً يقول: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر، أما بعد:

فإنا أهلُ بيت موكلٌ بنا البلاء، أما جدي فشُدّت يداه ورجلاه وألقيَ في النار ليُحْرَقَ فأنجاه الله، وجعلت النار عليه برداً وسلاماً. وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليُقتل ففداه الله(٣). وأما أنا فكان لي ابن وكان أحبَّ أولادي إليَّ، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنتُ أتسلى به، فذهبوا

---

(١) ذكره ابن عبدالبر في التمهيد (١٨/ ٣٢٩).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ٥٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٣).

(٣) قلت: هذا على القول بأن الذبيح هو إسحاق، والصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

به، ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وإنك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ [وإلا][(١)] دعوتُ عليك دعوة تُدرك السابع من ولدك، والسلام.

فلما قرأ بكى، وكتب إليه: اصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا[(٢)]. ثم قال لهم ذلك.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

وقد روي عن ابن عباس: أن يوسف عليه السلام أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه على أنفسهم ببيعه من مالك بن ذعر، وفي آخره: (وكتب يهوذا). فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: هذا كتاب كتبناه [على][(٣)] أنفسنا عند بيع عبد كان لنا، فقال يوسف عند ذلك: إنكم لتستحقون العقوبة، وأمر بهم ليُقْتَلُوا، فقالوا: إن كنتَ فاعلاً فاذهب بأمتعتنا إلى يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض

---

(١) في الأصل: إلا. والتصويب من الوسيط (٢/ ٦٢٧)، وتفسير أبي السعود (٤/ ٣٠٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٦-٦٢٧)، وأبي السعود في تفسيره (٤/ ٣٠٣-٣٠٤).
قال الحافظ ابن كثير (٢/ ٤٨٩): لا يصح.

(٣) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٧٩).

إخوته، فقال: قد كان أبونا متّصلَ الحزن لفقد واحد من ولده، فكيف به إذا أُخبر بهلكنا أجمعين، فَرَقَّ يوسف عند ذلك وكشف لهم عن أمره، وقال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾(١).

وهذا استفهام يتضمن معنى التوبيخ والتقريع بعظيم ما فعلوا بيوسف وأخيه من أنواع الأذى.

فإن قيل: الذي فعلوه بيوسف معلوم، فما الذي فعلوه بأخيه؟

قلتُ: فعلوا به ضروباً من الأذى، منها: إدخال الغم عليه بإفراده عنه، وحزنُه لفراقه وجزعه عليه، وما واجهوه به يوم الصُّواع وإخرجه من رحله من الكلام السيء، إلى غير ذلك من أنواع الأذى، ذهاباً مع الحسد لهما بسبب ميل أبيهما إليهما.

فإن قيل: الذي فعلوه بالأب ﷺ أعظم، فلم لم يوبّخهم بذكره؟

قلت: قد أجاب عنه الواحدي فقال(٢): لم يذكر أباه تعظيماً ورَفْعاً من قدره، وعلماً أن ذلك كان بلاء له من الله ليزيد في درجته عنده.

ويحتمل عندي وجهاً آخر: وهو أن يقال: وبّخهم على ما كان مقصوداً لهم، وهو أذى يوسف وأذى أخيه، بسبب ما اشتملوا عليه من الحسد لهما، وأذى أبيهما لم يكن مقصوداً لهم، وإنما وقع ضمناً وتبعاً، وفي ضمن هذا التوبيخ الاعتداد عليهم بما آل أمرهما إليه من الرفعة والسناء والمُلك، ألا ترى إلى قوله عقيب ذلك: ﴿قد منّ الله علينا ... الآية﴾.

﴿إذ أنتم جاهلون﴾ بقبح معصية الله، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالد.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٧٩).

(٢) الوسيط (٢/ ٦٣٠).

وقال ابن عباس: «إذ أنتم جاهلون»: صبيان[1].

وقال الحسن: شَبَاب، يريدان جهالة الصبي[2].

وقال مقاتل[3]: مذنبون.

﴿قالوا أئنك لأنت يوسف﴾ هذه لام الابتداء، و «أنت» مبتدأ، و «يوسف» خبره، والجملة: خبر إنَّ[4].

قرأ ابن كثير: «إنك» بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام، غير أن وَرْشاً يلين الهمزة الثانية ولا يمد، وقالون وأبو عمرو مثله، إلا أنهما فصلا بألف، والباقون بتحقيق الهمزتين، وفصل بينهما بالألف الحلواني عن هشام[5].

قال الضحاك: لما قال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ تبسم، فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف، فقالوا: ﴿أئنك لأنت يوسف﴾[6].

والصحيح: أنهم حققوه معرفة قبل قولهم: ﴿أئنك لأنت يوسف﴾، والاستفهام للتقرير؛ بدليل قراءة ابن كثير، والتوكيد في «لأنت يوسف» بلام

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ١٦٢).

(٤) الدر المصون (٤/ ٢١١).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٣)، والكشف (٢/ ١٤)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨١).

الابتداء.

قال ابن عباس: كانت له علامة كالشامة في قرنه، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق [مثلها][1]، ولسارة مثلها، فلما وَضَعَ التاج عن رأسه عرفوه بها[2].

وقال ابن إسحاق: كشفَ الحجابَ فعرفوه[3].

وقال صاحب الكشاف[4]: [رأوا][5] في شمائله وروائه حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سِنْخ[6] إبراهيم.

﴿قال أنا يوسف﴾ قال ابن الأنباري[7]: إنما لم يقل: أنا هو؛ تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته له، فكأنه قال: أنا المظلوم المستحَلُّ منه، المرادُ قتله، فكفى ظهورُ الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿وهذا أخي﴾ وهم يعرفونه، وإنما قصد: وهذا المظلوم كظُلمي.

﴿قد منَّ الله علينا﴾ بالسلامة والكرامة، والاجتماع بعد اليأس، والامتياز برئاسة الملك وسياسة الناس.

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٨١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٨١).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨١).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٧٣).

(٥) في الأصل: رأوه. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) السِّنْخ: الأصل من كل شيء (اللسان، مادة: سنخ).

(٧) انظر: الوسيط (٢/ ٦٣١)، وزاد المسير (٤/ ٢٨١).

﴿إنه من يتّق ويصبر﴾ أي: يتق الله ويصبر على طاعته وعن معاصيه، وعلى تصاريف قدره فيه، ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي: لا يضيع أجرهم، فوضع المحسنين موضع الضمير؛ لاشتماله على المتقين الصابرين.

فإن قيل: هل قوله: ﴿إنه من يتّق ويصبر﴾ من تمام كلام يوسف أو ابتداء كلام من الله تعالى؟

قلت: كلاهما جائز. والذي يظهر لي: أنه من تمام كلام يوسف ومحاورته لإخوته، ألا ترى إلى قولهم: ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ فقابلوا ما ذكر من التقوى والصبر بما اشتملوا عليه من الخطأ والإثم.

والمعنى: ﴿لقد آثرك الله علينا﴾ وفَضَّلَكَ بما امْتَنَّ به عليك بالتقوى والصبر، ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ آثمين في أمرك لم نتق ولم نصبر، لا جرم أن الله تعالى أَعَزَّكَ بِالْمُلْكِ وَأَذَلَّنا بالتَّمَسْكُنِ بين يديك.

﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ.

قال ثعلب[١]: قد ثَرَّبَ فلان على فلان؛ إذا عَدَّدَ عليه ذنوبه[٢].

وقال ابن قتيبة[٣]: أصل التَّثْريب: الإفساد. يقال: ثَرَّب علينا؛ إذا أفسد[٤].

وقال الزمخشري[٥]: أصل التَّثْريب من الثَّرْبُ؛ وهو الشَّحْم الذي هو غاشية

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٦٣١)، وزاد المسير (٤/ ٢٨٢-٢٨٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: ثرب).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٢٢).

(٤) انظر: اللسان (مادة: ثرب).

(٥) الكشاف (٢/ ٤٧٣-٤٧٤).

الكَرِش. ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعَجَف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب ماء الوجوه.

فإن قلت: [بم][(١)] تعلق «اليومَ»؟

قلت: بالتثريب، أو بالمقدر في «عليكم» من معنى الاستقرار، أو بـ«يغفر»[(٢)].

قلت: والأول أظهر، وعليه عامة المفسرين. وأراد: لا تثريب عليكم أبداً، لكنه خَصَّ ذلك اليوم؛ لأنه الوقتُ الذي ينفث فيه المصدور، والمقام الذي تحمى في مثله الصدور، فإذا نفى عنهم التثريب فيه فهو له عنهم في غيره أبقى. فلله حكم يوسف ما أرزنه، ولله عقله ما أرصنه.

ولقد روي أن إخوته قالوا له: إنك [لتدعونا][(٣)] إلى طعامك بكرة وعشياً،

---

(١) في الأصل: بما. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤٧٣).

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٣٨): أما قوله: إن «اليوم» يتعلق بالتثريب، فهذا لا يجوز؛ لأن التثريب مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله: «عليكم»، و «عليكم» إما أن يكون خبراً، أو صفة لـ«تثريب»، ولا يجوز الفصل بينهما؛ لأن معمول المصدر من تمامه. وأيضاً لو كان «اليوم» متعلقاً بـ «تثريب» لم يجز بناؤه، وكان يكون من قبيل المشبه بالمضاف، وهو الذي يسمى المطول ويسمى الممطول، فكان يكون معرباً منوناً.

وأما تقديره الثاني فتقدير حسن، ولذلك وقف على قوله «اليوم» أكثر القراء، وابتدؤوا بـ «يغفر الله لكم» على جهة الدعاء، وهو تأويل ابن إسحاق والطبري.

وأما تقديره الثالث: وهو أن يكون «اليوم» متعلقاً بـ «يغفر» فمقبول، وقد وقف بعض القراء على «عليكم» وابتدأ «اليوم يغفر الله لكم»، قال ابن عطية: والوقف على «اليوم» أرجح في المعنى، لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله، اللهم إلا أن يكون ذلك بوحي.

(٣) في الأصل: لتدعوا. والتصويب من تفسير أبي السعود (٤/ ٣٠٥).

ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك. فقال يوسف: إن أهل مصر وإن ملكتُ فيهم فإنهم ينظرون إليّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شَرُفْتُ الآن بكم، وعظمتُ في العيون؛ حيث علم الناس أنكم إخوتي وأنّي من حَفَدة إبراهيم ﷺ[1].

ثم دعا لهم بالمغفرة ليُتمّ النعمة عليهم فقال: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.

قال ابن عباس: جعلهم في حِلّ، وسأل الله لهم المغفرة[2]، وأخبر أن الله تعالى أرحم بأوليائه من الوالدين بولدهما.

ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

قال السدي: فلما عَرَّفهم نفسَه سألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه، وقال: ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾[3]، وهو قميص إبراهيم الذي جيء به إليه من الجنة، وقد ذكرناه فيما مضى من هذه السورة[4].

---

(١) ذكره أبو السعود في تفسيره (٤/ ٣٠٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٣).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ٥٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠٧).

(٤) تقدم عند قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيبت الجب﴾.

﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾ قال مجاهد: أمره جبريل أن أرْسِلْ إليه قميصك، فإن فيه ريح الجنة، لا يقع على مُبْتَلٍ ولا سقيم إلا صحّ وعوفي[١].

وقال الحسن: لولا أن الله تعالى أعلمه لم يَدْرِ أنه يرجع إليه بصره[٢].

فقوله: «يأت» بمعنى: يصير، مِنْ قولهم: جاء إلينا، بمعنى: صار، ويشهد له: ﴿فارتدّ بصيراً﴾، أو يأت إليّ بصيراً، بدليل قوله: ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾ قال ابن السائب: كانوا نحواً من سبعين إنساناً[٣].

قوله تعالى: ﴿ولما فصلت العير﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان. يقال: فَصَلَ فلان من عند فلان؛ إذا خرج من عنده، فُصولاً[٤]. وكان الذي حمل القميص يهوذا، فإنه قال لهم: يا إخوتي! أنا الذي حملتُ القميص إلى يعقوب بدمٍ كذب فأحزنته، فدعوني أحمل قميص يوسف لأسرّه.

وقال الضحاك: شمعون[٥].

والأول أكثر عند أهل العلم بالتفسير.

قال ابن عباس: فخرج حافياً حاسراً يعدو، معه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها[٦].

﴿قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف﴾ أي: لأشمّ ريحه. ومنه قول الشاعر:

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٢).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: فصل).

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٨٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٣).

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنها أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ما تجدونه[١] ولكنه ذاك الثناء المخلف[٢]

قال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب ﷺ، فعُلِمَ أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثَمَّ قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾[٣].

وقيل: إن ريح الصبَا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير، فأذن لها، فلذلك يستريح كل محزون إلى ريح الصبا، وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق.

قال أبو صخر الهذلي[٤]:

---

(١) في سير أعلام النبلاء: نسيم الملك ريح حنوطه.

(٢) البيتان في رثاء ابن أبي دؤاد (عدو الإمام أحمد بن حنبل)، وكان داعية إلى خَلْق القرآن . انظر البيتين في: سير أعلام النبلاء في ترجمة ابن أبي دؤاد (١١/ ١٧٠) وأيضاً (١٣/ ٤٩٨) ولكنه من قول ابن المعتز في عبدالله بن سليمان وزير المعتضد، وتاريخ بغداد (٤/ ١٥١) في ابن أبي دؤاد، وزاد المسير (٤/ ٢٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٤).

(٤) أبو صخر الهذلي عبدالله بن سلمة السهمي من بني هذيل بن مدركة، شاعر من الفصحاء، كان في العصر الموي موالياً لبني مروان متعصباً لهم، وله في عبدالملك وأخيه عبدالعزيز مدائح. وكان قد حبسه عبدالله بن الزبير عاماً وأطلقه بشفاعة رجال من قريش، وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

انظر: الأعلام (٤/ ٩٠-٩١).

إِذَا قُلْتُ هَذا حِينَ أَسْلُو يُهَيِّجُنِي نَسِيمُ الصَّبا مِنْ حَيْثُ يَطْلَعُ الفَجْرُ[(١)]

وقال يحيى بن سعيد الأموي: تزوج رجل من أهل تهامة امرأة من أهل نجد، فأخرجها إلى تهامة، فلما أصابها حرّها قالت: ما فعلت ريحٌ كانت تأتينا وتجيء بنجد يقال لها: الصَّبا، فقيل لها: يحبُسها هذان الجبلان، فقالت:

أَيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ بِاللهِ خَلِّيَا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا

أجد بردها أو تشفِ مني حرارة على [كبدي][(٢)] لم يبق إلا صميمها

فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إذا مَا تَنَفَّسَتْ عَلَى نَفَس مَهْمُوم تَوَلَّتْ هُمُومُهَا

ويا ريح ترى بالدّبار فخبري أيأتيه أم قد تعفّت رسومها[(٣)]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما هبّت الصَّبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد، يعني: أخاه زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وكان قُتل باليمامة شهيداً، فَوَجَدَ عليه عمر رضي الله عنه وَجْداً شديداً، وكان عمر يقول: رحم الله أخي، سبقني إلى الحُسْنيَيْن، أَسْلَمَ قبلي واستشهد قبلي[(٤)].

فإن قيل: ما باله وَجَدَ ريح القميص من مسيرة ثماني ليالي مسيرة ثمانين فرسخاً، ولم يجده وهو في الجب فرسخاً منه؟

---

(١) انظر البيت في: الوسيط (٢/ ٦٣٣)، وأشعار الهذليين (٢/ ٩٥٧)، وزاد المسير (٤/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: لبدي.

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ٦٣٣) ونسب الأبيات فيه إلى قيس بن الملوح. انظر: ديوانه (ص:٨٢)، روح المعاني (١٣/ ٨٢، ٢٧/ ٢٥).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٨، والاستيعاب (٢/ ٥٥٠)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٠٠) كلهم في ترجمة زيد بن الخطاب.

قلتُ: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وهو ما وجد من الابتلاء والامتحان في حق يعقوب ويوسف، وما أفضت إليه الحال على ما جاءت به قصتهم.

ولأنه كان مُدْرجاً في قَصَبَة من فضة، فلما نشره فَاحَتْ رائحته.

وفي قوله: ﴿لولا أن تفنّدون﴾ إضمار، تقديره: أي لأخبرتكم أنه حي.

وقيل: المعنى: لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني، والتفنيد: النسبة إلى الفَنَد، وهو الخَرَف. يقال: شيخ مُفَنَّد(١). وإلى هذا المعنى تؤؤول أقوال المفسرين.

قال ابن عباس: لولا أن تقولوا ذهب عقلك(٢).

وقال في رواية: لولا أن تُجَهِّلُون(٣).

وقال الحسن: لولا أن تُهَرِّمُون(٤).

﴿قالوا﴾ يعني: أولاد بنيه ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي: لفي ضلالك عن الصواب من إفراطك في حبّ يوسف ولهجك بذكره، وكانوا يعتقدون موت يوسف.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: فند).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٠) عن مجاهد، ونحوه في ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٨) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٥)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٨١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨١) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٦١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٨) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

﴿فلما أن جاء البشير﴾ يهوذا ﴿ألقاه﴾ يعني: القميص، ﴿على وجهه﴾ أبيه يعقوب ﴿فارتدّ بصيراً﴾ أي: رجع بصيراً ﴿قال ألم أقل لكم﴾ أي: أقل لكم إني أجد ريح يوسف، أو قوله: «ولا تيأسوا من روح الله».

وقوله: «إني أعلم» كلام مبتدأ لا تعلق له بالقول. ويجوز أن يكون متعلقاً به، فيكون إشارة إلى قوله: و﴿أعلم من الله ما لا تعلمون﴾.

قال سفيان: لما جاء البشير إلى يعقوب عليه السلام قال: على أيّ دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام. قال: الآن تمت النعمة[1].

﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ آثمين بما أتينا إليك من إدخال الحزن عليك.

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ أخرّهم إلى وقت هو مظنة الإجابة.

روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه أخّرهم إلى السحر من ليلة الجمعة[2].

وقال أكثر المفسرين: أخّرهم إلى السحر[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٤٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٩) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٧)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٨٤) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير =

قال محارب بن دثار: كان عم لي يأتي المسجد، قال: فمررتُ بدار عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول: اللهم إنك قد دعوتني فأجبت، وأمرتني فأطعت، وهذا سحرٌ فاغفر لي، فسألته عن ذلك فقال: إن يعقوب أخَّر بنيه إلى السحر بقوله: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾[١].

قال وهب بن منبه: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة، نيفاً وعشرين سنة[٢].

قال أنس بن مالك: قالوا يا أبانا إن عفا الله عنا، وإلا فلا قرة عين لنا في الدنيا، فدعا يعقوب وأمّن يوسف، فلم يُجَبْ فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل، فقال: إن الله تعالى قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا عما صنعوا، واعتقد من بعد مواثيقهم[٣] على النبوة[٤].

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

= (٤/ ٢٨٧).

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٨٧).

(٣) في زاد المسير: مواثيقهم من بعدهم، وفي الطبري: مواثيقهم من بعدك.

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ٧٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٧-٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ قال المفسرون: كان يوسف عليه السلام قد بعث إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة، ليتجهز إليه بمن معه من أهله، فلما دنوا من أرض مصر استأذن يوسف الملك الذي فوقه في تلقي يعقوب فأذن له، وأمر الملأ من أصحابه بالركوب معه، فركبوا في أربعة آلاف، وخرج معهم أهل مصر -وقيل: إن الملك خرج أيضاً- فلما أقبلت الخيل قال يعقوب -وكان في ذلك الوقت ماشياً [يتوكأ][1] على يهوذا-: يا بني! هذا فرعون مصر، قالوا: لا، هذا ابنك، فلما دنا كلٌّ واحد منهما من صاحبه بكيا، فقال يعقوب: السلام عليكم يا مُذهبَ الأحزان[2].

قال ابن عباس: أقبل عليه يوسف فقال: يا أبت حزنتَ عليّ حتى انحنيت؟ قال: نعم، قال: بكيتَ عليّ حتى ذهب بصرك؟ قال: نعم، قال: أما علمتَ أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني! إني خشيتُ أن تُسلب دينك، فلا نجتمع[3].

(١) في الأصل: يتواكأ. والتصويب من الطبري (١٣/ ٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٦). وانظر: الوسيط (٢/ ٦٣٤)، وزاد المسير (٤/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٤٧) عن سفيان الثوري بنحوه. وذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٠) وعزاه لأبي الشيخ عن سفيان الثوري.

والحديث موضوع، وآفته علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر، ومحمد بن يزيد المستملي، والأول هو الهكاري روى عن أبي عبدالله بن نظيف، قال أبو القاسم بن عساكر: لم يكن موثقاً، وقال ابن النجار: متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد. قاله في ترجمة عبدالسلام بن محمد (انظر: ميزان الاعتدال ٥/ ١٣٨).

وأما محمد بن يزيد المستملي أبو بكر الطرسوسي لا النيسابوري، قال ابن عدي: يسرق الحديث ويزيد فيه ويضع (انظر: ميزان الاعتدال ٦/ ٣٦٨).

والمعنى: فلما دخلوا على يوسف أرض مصر، ﴿آوى إليه﴾ ضم إليه ﴿أبويه﴾ أباه وخالته، فإن أمه كانت قد ماتت في نفاسها ببنيامين، إلا ما حكي عن الحسن أنه كانت تحيى، وهو قول ابن إسحاق[1].

والأول أكثر، قد سبق ذلك.

﴿وقال ادخلوا مصر﴾ قيل: إن الدخول الأول دخول أرض مصر، كما ذكرناه.

قال الزمخشري[2]: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت [ثَمَّ، فدخلوا عليه][3]، وضمّ إليه أبويه، ثم قال لهم: ادخلوا مصر.

ويجوز أن يكون [قد][4] خرج في قبة من قباب [الملوك][5] التي تُحمل على البغال، فأمر أن يُرفع إليه أبواه، فدخلا عليه القبة، فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه. وقال بعد ذلك:

﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾، المشيئة متعلقة بالدخول موصوفاً بالأمن، مُكَيّفاً به؛ لأنهم كانوا فيما خلا من الزمان يخافون ملوك مصر ولا يدخلون إلا بجوارهم.

قال ابن عباس: دخلوا وهم نيف وسبعون من ذكر وأنثى[6].

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٨٨).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٧٦).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: الملك. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) زاد المسير (٤/ ٢٨٩).

قال ابن مسعود: [دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، و][١] خرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً[٢].

قوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: أجلسهما على سرير الملك، ﴿وخرّوا له سجداً﴾ يعني: أبويه وإخوته.

قال الحسن: أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا[٣].

قال ابن عباس: كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم[٤].

قال ابن الأنباري[٥]: سجدوا له على جهة التحية، لا على جهة العبادة، وكان أهل ذلك الدهر يحيّي بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء، فحظره رسول الله ﷺ.

روى أنس بن مالك قال: قال رجل: «يا رسول الله! أحدنا يلقى صديقه أينحني له؟ قال: لا»[٦].

وقال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟

قلت: كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، كالقيام، والمصافحة، وتقبيل اليد، ونحوها مما جرت عليه عادة الناس، من أفعال اشتهرت

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٢٨٩).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٨٩). وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٢٥) وفيه: وكان أهله حين أرسل إليهم وهم بمصر ثلاثمائة وتسعين إنساناً.

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٨٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٨٩).

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٥ ح٢٧٢٨)، وأحمد (٣/ ١٩٨).

(٧) الكشاف (٢/ ٤٧٧).

في التعظيم والتوقير.

وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه. وخُرورهم سُجَّداً يأباه.

وقيل: معناه: وخرّوا لأجل يوسف سُجَّداً لله شكراً. وهذا أيضاً فيه نَبْوَة[1].

قلت: وقد روي عن ابن عباس أن الضمير في: «له» يرجع إلى الله تعالى، أي: خرّوا لله سجداً شكراً له على نعمة الاجتماع[2].

ويُبطلُ هذا التأويل قوله: ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾، وهي الرؤيا التي قصها على أبيه، فقال له: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾.

واختلفوا في مقدار الزمن الكائن بين الرؤيا والتأويل، فقال سلمان الفارسي: أربعون سنة[3].

وروي عن ابن عباس: اثنان وعشرون سنة[4].

وقال الحسن: ثمانون سنة[5]، كما سبق. وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) أي: بُعد.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٨٣)، والحاكم (٤/ ٤٣٨)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨٨) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم والبيهقي في الشعب.

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٩٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨٩) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد. ومن رواية أخرى عن الحسن عزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿وقد أحسن بي﴾ يقال: أحسن إليه وأحسن به، وكذلك أساءا إليه وآساءا به. قال كثيّر:

أَسِيئِي بنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةٌ لَدَيْنَا ولا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ[(١)]

﴿إذ أخرجني من السجن﴾ وقد ذكرنا مدة لبثه فيه، ﴿وجاء بكم من البدو﴾ البادية. قال ابن عباس: كانوا أهل عمود وماشية[(٢)].

وإنما اقتصر على ذكر السجن دون الجب؛ تكرّماً وحسن عشرة مع إخوته، كراهة أن يواجههم [ويذكّرهم][(٣)] بقبيح صنعهم به وفاء لهم بما وعدهم به في قوله: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾.

﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ أي: أفسد ﴿بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء﴾ سبق تفسير «اللطيف» في الأنعام[(٤)].

وقال المفسرون: معناه: إن ربي عالم بدقائق الأمور[(٥)].

﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ قال العلماء بالسير: أقام يعقوب عليه السلام بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة، ثم مات، وأوصى أن يدفن بالشام إلى جانب أبيه إسحاق عليه السلام، وكان عمره يوم مات مائة وسبعاً وأربعين سنة[(٦)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٩١).

(٣) في الأصل: وذكرهم. والصواب ما أثبتناه.

(٤) آية رقم: ١٠٢.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٩١).

(٦) انظر: تهذيب الأسماء للنووي (٢/ ٤٦٠)، والوسيط للواحدي (٢/ ٦٣٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٩١-٢٩٢).

قال سعيد بن جبير: نُقل يعقوب في تابوت [من](١) ساج إلى بيت المقـدس، فمن ثم تَنقلُ اليهود موتاهم إلى بيت المقدس، مِنْ فعل ذلك منهم(٢).

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

فلما تم أمره واستفحل ملكه وقرّت عينه وجمع شمله، طمحت نفسه الأبيـة وهمته الشريفة النبوية إلى النعمة الدائمة والملك الذي لا يبلى، فتمنى الموت، فقال: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ وقد سبق تفسيرها.

و «من» فيها للتبعيض.

﴿فاطر السموات والأرض أنت وليي﴾ الذي يتـولاني في الـدارين بنعمتـه، وتُوصلُ المُلك الفاني بالمُلك الباقي ﴿توفني مسلماً﴾ قال ابن عباس: لم يتمنَّ الموت نبي قبله(٣).

وقال ابن عقيل: لم يتمنَّ الموت، وإنما سأل الله أن يموت على صفة(٤).

فالمعنى: توفني إذا توفيتني مسلماً(٥)، وهذا هـو مـدلول الآيـة، اللهـم إلا أن

---

(١) زيادة من المصدرين التاليين.

(٢) ذكره البغوي (٢/ ٤٥١)، والقرطبي (٩/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٤). وذكره السيوطي في الـدر (٤/ ٥٩١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٩٢).

(٥) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٩٢): قال الشيخ: وهذا الصحيح.

يكون ما قاله ابن عباس وغيره مقولاً مستنبطاً من الآية.

﴿وألحقني بالصالحين﴾ من آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فتوفاه الله تعالى طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر [وتشاحّوا](١) في دفنه، حتى هموا بأن يقتتلوا، كل يحبّ أن يدفن في [محلته](٢) رجاء بركته، فأجمعوا على دفنه في النيل ليمر عليه الماء فتصل بركته إلى الجميع، فجعلوه في صندوق مَرْمَرٍ ودفنوه في النيل؛ ليكونوا فيه شَرْعاً واحداً(٣)، فلم يبرح في موضعه حتى أخرجه موسى ﷺ حين خرج ببني إسرائيل من مصر، فدفنه عند آبائه بأرض كنعان(٤).

قال الحسن: مات وهو ابن مائة وعشرين سنة(٥)، ويقال: في التوراة: وهو ابن مائة وستين.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، خبره ﴿من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾(٦)، أي:

---

(١) في الأصل: وتشاحنوا. وانظر: الوسيط (٢/ ٦٣٦)، وزاد المسير (٤/ ٢٩٢).
وتشاحوا: أي: تنازعوا. انظر: اللسان مادة: (شحح).

(٢) في الأصل: مجلسه. والتصويب من الوسيط وزاد المسير، الموضعان السابقان.

(٣) أي: سواء ومتساوون لا فضل لأحدهم فيه على الآخر (انظر: اللسان، مادة: شرع).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٩٢).

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٩٢).

(٦) الدر المصون (٤/ ٢١٧).

ذلك الذي قصصنا عليك يا محمد من أنباء الغيب الذي لا يعلمه إلا بالوحي، ألا تراه يقول: ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ عزموا عليه، ﴿وهم يمكرون﴾ بيوسف ويبغونه الغوائل.

﴿وما أكثر الناس﴾ يريد: العموم. وقيل: أهل مكة ﴿ولو حرصت بمؤمنين﴾.

﴿وما تسألهم عليه من أجر﴾ أي: على القرآن. وقيل: على ما نذكره لهم ونحدثهم به.

والمعنى: ما تسألهم جزاء على التبليغ والتذكير فيتّهموك.

﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي: ما هو إلا تذكرة وعظة لهم.

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وكأين﴾ سبق القول عليه في آل عمران(١).

قرأ عكرمة وعمرو بن فائد: «والأرضُ» بالرفع، وقرئ: «الأرضَ» بالنصب(٢)، وقراءة السبعة والأكثرين: ﴿والأرضِ﴾ بالجر. فمن رفع أو نصب وَقَفَ على «السموات». فأما الرفع فعلى الابتداء، والجملة بعدها الخبر.

وأما النصب فبفعل مضمر تفسيره ما بعده، تقديره: يطؤون أو يدوسون الأرض.

---

(١) الآية رقم: ١٤٦.

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٤٤).

وأما الجر فظاهر، والمعنى: وكم من آية في السموات والأرض دالة على وحدانية الله وقدرته ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ لا يتدبرون ولا يتفكرون في عظمة خالقها وقدرته وسلطانه فينزهوه عن مشاركة الأصنام.

ويلوح لي: أن في هذا تسليةٌ للرسول ﷺ، حيث أعرضوا عنه ونفروا منه مع وضوح آياته ودلائل صدقه، وقَصَصِه عليهم أحاديث الأمم قبله.

المعنى: كم لي من آية في ملكي شاهدة بوحدانيتي يرونها فلا يعتبرون ولا يتدبرون، فلا تعجبْ أنت يا محمد من إعراضهم عن التفكر في دلائل صدقك وبراهين نبوتك.

قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ أي: ما يصدق أكثرهم فيقولون: الله خالقنا ورازقنا ﴿إلا وهم مشركون﴾ بعبادة الأوثان واعتقادهم إلهية عيسى.

قال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك[١].

وقال الحسن: نزلت في المنافقين[٢].

ثم خَوَّفهم فقال: ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ أي: ما يَغُمُّهم ويجللهم من العذاب ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانها.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٧٨) عن الضحاك. وانظر: ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٨)، وزاد المسير (٤/ ٢٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٩٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن الضحاك.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٧-٢٢٠٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٩٤)، والسيوطي في الدر (٤/ ٥٩٣) وعزاه لأبي الشيخ.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قل هذه سبيلي﴾ أي: هذه الطريق التي أنا عليها والشريعة التي أدعو إليها سنتي ومنهاجي، ﴿أدعوا إلى الله على بصيرة﴾ أي: على يقين وأمر واضح.

وقوله: ﴿أنا﴾ توكيد للمُسْتكِنّ في «أدعو» ﴿ومن اتبعني﴾ عطف عليه، وكل متبع للنبي ﷺ لا يخلو من الدعاء إلى الله.

ويجوز أن يكون الكلام تاماً عند قوله: ﴿أدعوا إلى الله﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾. وهذا قول ابن عباس[١].

يعني: أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة.

فقوله [«أنا»][٢] مبتدأ، «على بصيرة» خبره، «ومن اتبعني» عطف على المبتدأ[٣].

﴿وسبحان الله﴾ أي: وقل سبحان الله تنزيهاً له عما أشركوا، ﴿وما أنا من المشركين﴾ الذين اتخذوا مع الله نِداً وكفؤاً وولداً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٩٥).

(٢) في الأصل: أما. وهو خطأ. والتصويب من الدر المصون (٤/ ٢١٧).

(٣) الدر المصون (٤/ ٢١٧)، والتبيان (٢/ ٥٩).

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ إن قيل: قد تكرر هذا في مواضع من القرآن، وجاء في موضعين بغير «مِنْ» وهما في الأنبياء: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ [٧]، وفي الفرقان: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين﴾ [٢٠] فهل بين إثبات «مِنْ» وحذفها فَرْق؟

قلت: «مِنْ» لابتداء الغاية، وذلك الزمان الذي تقدم زمانك، فإذا قال: «مِنْ قبلك» فكأنه قال مِن ابتداء الزمان الذي تقدم زمانك، فيشمله بِحَدَّيْه، ويتناول طرفيه، وإذا حذفت «مِنْ» فهو في الاستيعاب كالأول، إلا أن الأول أوكد لضبطه بذكر الطرفين، وإنما حذفت من «الأنبياء» بناء على ما تقدم من قوله: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ [٦]، وحذفت في «الفرقان» ولم تؤكد بـ«مَنْ»؛ لأن المعتمد إنما هو حال المرسلين وأنهم يأكلون الطعام وليسوا بملائكة، وهذا رد لقولهم: ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ [فصلت:١٤].

والمعنى: ما بعثنا في الأمم الخالية إلا رجالاً كانوا على مثل حالك، فما وجه تعجبهم من إرسالك؟

﴿يوحي إليهم﴾ وقرأ حفص: «نوحي إليهم» بالنون هنا وفي النحل(١). ﴿من أهل القرى﴾ قال ابن عباس: يريد أهل المدائن؛ لأن الله تعالى لم يبعث نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء(٢).

والسرّ فيه: أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء، وأهل المدن أعلم

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٥)، والكشف (٢/ ١٤-١٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥١).
(٢) وهو قول الحسن أيضاً. انظر: الوسيط (٢/ ٦٣٨)، وزاد المسير (٤/ ٢٩٥) من قول الحسن.

وأحلم.

ثم خوّف المكذبين فقال: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ ببصائرهم وأبصارهم، وهو استفهام في معنى التقرير والتوبيخ لهم، بمعنى أنهم قد ساروا في آثارهم ونظروا عاقبة أمرهم وما جُوزوا به على جناية كفرهم وتكذيبهم، فهلاّ اعتبروا وازدجروا.

﴿ولدار الآخرة خير﴾ أي: ولدار الساعة الآخرة.

وقال الفراء[1]: أضيفت «الدار» إلى «الآخرة»؛ لأن العرب تُضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كقوله تعالى: ﴿لَهُوَ حق اليقين﴾ [الواقعة:٩٦].

﴿أفلا يعقلون﴾ قرئ بالياء والتاء على المخاطبة والغيبة.

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ «حتى» متعلقة بمحذوف دلّ عليه الكلام، كأنه قال: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فتراخى نصرهم وتطاولت عليهم المدة، حتى استشعروا القنوط وتوهموا أنهم لا ينصرون، فجاءهم نصرنا فجأة.

قال ابن عباس: استيأسوا من إيمان قومهم[2].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٥٥-٥٦).

(٢) قال ابن عباس في تفسيره (ص:٢٩٥): يعني: أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم... وقد أخرج نحوه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٠)، والطبري (١٣/ ٨٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢١٢)، وسعيد =

وقال مجاهد: أيسوا من تعذيبهم(١).

قوله تعالى: ﴿وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا﴾ قرأ أهل الكوفة: «كُذِبُوا» بالتخفيف(٢)، إذا قلت له الكذب. قال لبيد:

وَأَكْذِبِ النَّفْسَ إِذا حَدَّثْتَها إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأَمَلْ(٣)

وهي قراءة صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، وبها قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته عليهم السلام، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وكثير من التابعين منهم: سعيد بن جبير، وأبو عبدالرحمن السلمي، في خلق يطول ذكرهم.

وقد روي: أن عائشة رضي الله عنها أنكرت هذه القراءة، وقالت: معاذ الله لم يكن الرسل لتظن ذلك بربها. ولهذه القراءة تأويلان(٤):

أحدهما: أَنْ يكون الضمير في قوله: «وظنوا» يعود إلى المرسل إليهم، فإن ذكر «الرسل» يدل عليهم، والضمير في «أنهم» للمرسل إليهم أيضاً، فيكون المعنى: فظن المرسل إليهم أنهم قد كذبوا، أي: أن الرسل قد كذبوهم فيما توعدوهم به من نزول العذاب بهم والنصر عليهم، وهذا تأويل جماعة؛ منهم: سعيد بن جبير، ولقد

= ابن منصور (٥/ ٤١٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٩٦) وعزاه لأبي عبيد وسعيد بن منصور والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٩٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٦)، والكشف (٢/ ١٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٢).

(٣) انظر البيت في: اللسان، مادة: (خزا)، والإصابة (٥/ ٦٧٩)، وروح المعاني (٢٦/ ١٧٨).

(٤) ذكر لهذه القراءة ثلاث تأويلات.

قال له الضحاك حين سمعه منه: لو رحلتُ في هذه إلى اليمن كان قليلاً[١].

التأويل الثاني: كذلك، إلا أَنَّ الضمير في «أنهم» للرسل، على معنى: ظن المرسل إليهم أن الرسل قد لبس عليهم وكذبوا فيما قيل لهم.

الثالث: أن يكون الضمير في قوله: «وظنوا» للرسل، وهو مروي عن ابن عباس[٢].

قال في رواية ابن أبي مليكة: كانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم أُخْلِفوا، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾[٣] [البقرة:٢١٤].

وهذا التأويل مزلة الأقدام ومدحضة الأفهام، وفيه سر لا يفهمه إلا غوّاصٌ على المعاني، بحّاثٌ عنها، فإنه لا يجوز أن يُظَنَّ بابن عباس أنه أراد بتأويله تطريق الشك الذي هو تغليب أحد الجانبين على الآخر أو تساويهما على رُسُلِ الله المعصومين عن مثل ذلك، بل أراد ما يَرِدُ على القلب ويهْجِسُ[٤] فيه من حديث

(١) قول الضحاك هذا أخرجه الطبري (١٣/ ٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٨٦) وقال: هذا تأويل، وقول غيره من أهل التأويل أولى عندي بالصواب وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ويشكوا في حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسل إليهم، فيعذروا في ذلك أن المرسل إليهم أولى في ذلك منهم بالعذر، وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره، وقد ذكر هذا التأويل الذي ذكرناه أخيراً عن ابن عباس لعائشة فأنكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٤)، والطبري (١٣/ ٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٩٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤) الهَجْسُ: ما وقع في خَلَدك، والهاجِسُ: الخاطر (اللسان، مادة: هجس).

النفس وعوارض الوساوس، الذي لا يسلم منه أحد من البشر، فتفهمْ ذلك.

وقرأ مجاهد: كَذَبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة(١)، على ما تأولناه من قول ابن عباس، أو على معنى: أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثراً قاله لهم إنكم قد كذبتمونا، فيكونون كاذبين عند قومهم، أو ظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والأكثرون: «كُذِّبوا» بالتشديد مع ضم الكاف(٢)، فيكون الظن بمعنى: اليقين.

المعنى: وتيقنوا أن قومهم كذبوهم.

﴿جاءهم نصرنا فَنُنْجِي من نشاء﴾ وقرأ ابن عامر وعاصم: «فَنُجِّيَ» بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، جعلاه فعلاً ماضياً(٣)، واختار هذه القراءة أبو عبيد، ولعله راعى مضي القصة ومطابقة ما عطفه عليه، وهو قوله: ﴿ولا يرد بأسنا﴾، فجاء بالمعطوف والمعطوف عليه على ما لم يسم فاعله.

والمراد بـ«من نشاء»: المؤمنون؛ لأنهم أهل النجاة، ويدل عليه قوله: ﴿ولا يرد

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٩٧) وعزاه لابن جرير.

قال الطبري (١٣/ ٨٩): وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها؛ لإجماع الحجة من قراء الأمصار على خلافها، ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجهاً من التأويل، وهو أحسن مما تأوله مجاهد، وهو حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها، ويكون الظن موجهاً حينئذ إلى معنى العلم على ما تأوله الحسن وقتادة.

(٢) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٦)، والكشف (٢/ ١٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥١).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٤٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٧)، والكشف (٢/ ١٧)، والنشر وإتحاف فضلاء البشر، الموضعان السابقان، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٢).

بأسنا عن القوم المجرمين﴾.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان في قَصصهم﴾ أي: في قصص يعقوب وأولاده. وقيل: في قصص الرسل. ويؤيده قراءة من قرأ: «قِصَصِهم» بكسر القاف، وهي قراءة قتادة وأبي الجوزاء، وقرأتُ بها لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه(١).

﴿عبرة لأولي الألباب﴾ أي: عِظَة لأصحاب العقول، ودلالة لهم على قدرة الله تعالى وحكمته في تصاريف قضائه وقدره، وبرهان على رسالة محمد ﷺ، حيث قص عليهم قصة يوسف وإخوته على الوجه الذي تشهد له التوراة والكتب القديمة بصحته، مع كونه أُمِّيّاً من أمّة أمّيّة، بعيداً من علماء أهل الكتاب.

﴿ما كان﴾ القصص الذي جاء به ﴿حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب المتقدمة، ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يحتاج إليه من أمر الدين ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بما جاء به محمد ﷺ وجميع ما بعد، لكن عطف على خبر كان.

وقرئ شاذاً: «تصديقُ وتفصيلُ ورحمةُ» بالرفع فيهن، على معنى: هو تصديق(٢). والله تعالى أعلم.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٩٧).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٣٤٩).

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وأربعون آية في المدني، وثلاث في الكوفي، وهي مكية في قول الأكثرين. واستثنى القائلون بأنها مدنية آيتين وهما: ﴿ولو أن قرآناً ... إلى آخرهما﴾[1].

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿ألمر﴾ قال ابن عباس في رواية أبي الضحى: معناه: أنا [الله][2] أعلم وأرى[3].

وقال في رواية عطاء: أنا الله الملك الرحمن[4].

﴿تلك آيات الكتاب﴾ مفسر في أول يونس.

---

(١) أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: سورة الرعد مدنية، إلا آية قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾، وعلى القول بأنها مكية؛ يستثنى قوله: ﴿الله يعلم ...﴾ إلى قوله: ﴿شديد المحال﴾ (الإتقان ١/ ٤٩).

(٢) زيادة من المصادر التالية.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٩٩) وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) تقدم تخريجه في أول سورة يونس.

وقوله: «تلك»: مبتدأ، و «آيات الكتاب»: خبره[(١)].

وقولـه: ﴿والـذي أنـزل إليـك﴾ يجـوز أن يكـون في موضـع الجـر وصـفاً للكتاب[(٢)]، وإن كانت الواو دخلت فيه؛ لأن الواو يجوز دخولها في الصفة، تقول: مررتُ بزيد وصاحبك، فيكون الصاحب هو زيـد، [والتقـدير][(٣)]: تلـك آيـات الكتاب المنزل إليك من ربك.

فعلى هذا: «الحق» مرتفع بإضمار هو، أو يكـون خـبراً بعـد خـبر، أو يكـون «تلك»: مبتدأ، «آيات الكتاب»: نعتاً لـ«تلك».

«والذي أنزل» في موضع رفع عطفاً على «آيات»، أو في موضع جر عطفاً على «الكتاب»، والمراد بالكتاب: السورة، أي: تلك آيات السورة والذي أنزل إليـك، وهو القرآن كله.

فعلى هذا: خبر المبتدأ: «الحق»[(٤)].

وقال الفراء[(٥)]: «الذي»: رفع بالاستئناف، خبره: «الحق»، وهذا هو المشهور في التفسير.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم

(١) التبيان (٢/ ٦٠)، والدر المصون (٤/ ٢٢٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٤٩).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) في الأصل: والتقدر. والصواب ما أثبتناه.

(٤) التبيان (٢/ ٦٠)، والدر المصون (٤/ ٢٢٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٤٩).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٥٧).

بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ إن جعلت الباء من صلة «ترونها» لم تقف على «عَمَد»، وإن جعلتها من صلة «رَفَعَ» وقفت على «عَمَد».

فعلى الأول هاء الكناية ترجع إلى «عمد» و «ترونها» صفة لها، التقدير: بغير عمد مرأية.

ويعضده قراءة أبيّ: «تَرَوْنَه»(١)، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والضحاك، قال: لها عمد على قاف ولكنكم لا ترون العمد. وهذا قول مجاهد وعكرمة وعلي(٢).

الثاني: «ترونها» كلام مستأنف، استشهاد برؤيتهم لها كذلك، وهاء الكناية ترجع إلى «السموات»، وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وبه قال الحسن

(١) البحر المحيط (٥/ ٣٥٣)، والدر المصون (٤/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٩٣-٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢١٦)، ومجاهد (ص:٣٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٠-٦٠١) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن مجاهد.

وقتادة وجمهور العلماء[١]. وهو الصحيح؛ لأنها لو احتاجت إلى عمد لافتقر العمد إلى دعامة أيضاً وتسلسل إلى ما لا نهاية له.

قال الضحاك: ليس من دونها دعامة، ولا فوقها علاقة[٢].

وقال إياس بن معاوية: السماء مُقبّبة على الأرض مثل القُبّة[٣].

والعَمَد: الأساطين، جمع [عماد][٤].

وقد روي شاذاً: «عُمُد» بضمتين، وهو القياس[٥].

قال أبو عبيدة[٦]: كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف والثالث منها ألف أو ياء أو واو، فجميعه مضموم الحروف؛ نحو: رسول ورُسُل، وحمار وحُمُر. غير أنه قد جاءت أسامي استعملوها جميعاً بالحركة والفتحة، نحو: عمود وأديم وإهاب، قالوا: عَمَد وأَدَم وأَهَب.

﴿ثم استوى على العرش﴾ قال الثعلبي[٧]: علا عليه. وقد أسلفتُ القول على هذا في سورة الأعراف.

﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذلّلَهُما لما يراد منهما ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٩٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٠١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٠١) وعزاه للطبري.

(٤) في الأصل: عامد. وهو خطأ. انظر: اللسان (مادة: عمد).

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٠١)، والدر المصون (٤/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٢٠).

(٧) تفسير الثعلبي (٥/ ٢٦٩).

وقيل: لوقت معلوم على ما يقتضيه الحساب والمنازل.

﴿يدبّر الأمر﴾ أي: يُصَرِّفُ أمر مملكته بحكمته، ﴿يفصل الآيات﴾ يبين الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث وغيره ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ قال ابن عباس: كي توقنون بالبعث، وتعلمون أنه لا إله غيري[١].

فإن قيل: ما محل الذي رفع من الإعراب؟

قلت: الرفع خبر المبتدأ، أو صفة.

فإن قيل: إذا جعلته صفة، فأين الخبر؟

قلت: «يدبر الأمر»، وقوله: «يفصل الآيات» خبر بعد خبر.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وهو الذي مدّ الأرض﴾ قال ابن عباس: بسطها على الماء[٢]، ﴿وجعل فيها رواسي وأنهاراً﴾ قال: أَوْتَدها بالجبال. والرواسي: الجبال، سمّيت بذلك؛ لثباتها. يقال: رَسَا الشَّيْء يرْسُوا رُسُوّاً؛ إذا ثَبَت[٣].

﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين﴾ ثم تكاثرت بعد ذلك.

قال المفسرون: يعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود[٤]. وقد سبق معنى الزوجين.

ومعنى: ﴿يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ تفكّراً يفضي بهم إلى معرفة الله تعالى وقدرته ووحدانيته.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٠٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رسا).

(٤) زاد المسير (٤/ ٣٠٢).

قوله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي: بقاع متدانية متقاربة، وهي مع [انتظامها][(١)] في جنس الأرضية، وكونها متجاورة متلاصقة؛ مختلفة الطباع، هذه سبخة لا تنبت، وهذه طيبة صالحة للأشجار، وصلبة إلى جنب رخوة، ما ذاك إلا بقدرة قادر، وحكمة صانع حكيم.

﴿وجنات من أعناب﴾ وقرئ شاذاً: «وجناتٍ» إما بالنصب عطفاً على «زوجين» وإما بالجر عطفاً على «كل الثمرات»[(٢)].

﴿وزرعٍ ونخيلٍ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بالرفع، عطفاً على «قِطَعٌ»، وقرأ الباقون بالجر عطفاً على «أعنابٍ»[(٣)]، وكذلك اختلافهم في ﴿صنوان وغير﴾، ومنهم من يقول: «وزرع» مجرور بالمجاورة.

وقرأ أبو رزين وأبو عبد الرحمن السلمي وقتادة: «صُنوان» بضم الصاد، وهي لغةٌ لتميم[(٤)]. والصِّنْوان: جمع صِنْو، ومعنى الصنوان: النخلات يجمعها أصل واحد[(٥)]. ومنه قوله: «عَمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه»[(٦)]، وهذا قول جميع أهل التفسير واللغة.

قال ابن عباس: «صنوان» ما كان من نخلتين أو ثلاث أو أكثر، وأصل واحد،

---

(١) في الأصل: انتضامها.

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٩)، والكشف (٢/ ١٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٦).

(٤) زاد المسير (٤/ ٣٠٣).

(٥) انظر: اللسان (مادة: صنا).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٦ ح٩٨٣).

«وغير صنوان» يريد: المتفرق الذي لا يجمعه أصل واحد[١].

قال الزجاج[٢]: ويجوز في [جمع صنو: أَصْنَاء][٣]، مثل: عِدْل وأَعْدَال، وقنو وأقناء، وكذلك صنو، فإذا كثرت فهي الصُّنيُّ والصِّنيِّ.

قال غيره: ولا فرق بين التثنية والجمع إلا في الإعراب، فإن نون التثنية مكسورة أبداً، ونون الجمع فيه منونة تجري بجريان الإعراب، ومنه: قِنْو وقِنْوان.

﴿تُسقى بماء واحد﴾ قرأ ابن عامر وعاصم: «يسقى بماء واحد» بالياء[٤]، أي: يسقى هذا المذكور. وقرأ الباقون بالتاء حملاً على تأنيث الأشياء المذكورة، ألا تراه يقول: ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾، وقرأ حمزة والكسائي: «ويُفَضِّل» بالياء[٥]، على معنى: ويفضل الله.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه من طريق الحلبي؛ بالياء وفتح الضاد.

«بعضُها» بالرفع، وقرأ نافع وابن كثير: «في الأكْل» بتسكين الكاف، وقرأ

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٩٩-١٠٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٠) وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٤) وعزاه لابن المنذر.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٣٨).

(٣) في الأصل: الجمع صنو وأصناء. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٦٩)، والكشف (٢/ ١٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٠)، والكشف (٢/ ١٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٧).

الباقون بضم الكاف[1].

والمعنى: يفضل بعضها على بعض في الطَّعْم، هذا حلو، وهذا حامض، وهذا بينهما، وفي هذا دلالة على بطلان قول الطَّبائعيين[2]؛ لأنه لو كان انفعال هذه الأشياء بطبع الهواء والأرض والماء لوجب أن تتفق الاتفاق الموجِب، فلما وقع الافتراق مع اتفاق الموجب دلَّ على مدبّر قادر حكيم.

﴿إن في ذلك لآيات﴾ لعلاماتٍ ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وحكمته ﴿لقوم يعقلون﴾ قدّم التفكّر في الآية التي قبل هذه على العقل؛ لأن التفكر في الرتبة الأولى، ثم ختم هذه بالعقل؛ لأنه إذا تفكّر استثمر من تفكّره العقل وطمأنينة النفس وسكونها إلى ما دلَّت عليه الآيات.

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ أي: إن تعجب من تكذيبهم وعبادتهم الأوثان بعدما رأوا وعلموا من عجائب قدرة الله، فتعجب إنكارهم البعث.

وقيل: وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجب حقيق بأن تعجب منه؛ لأن من قدر على إيجاد الأشياء العجيبة واختراعها فكيف يعجز عن

---

(١) النشر لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩).

(٢) أهل الطبيعة.

إعادتها بعد إبادتها.

وقوله: ﴿أإذا كنا تراباً﴾ وما بعده في محل الرفع بدلاً من «قولهم»، أو في محل النصب بالقول[١].

قرأ ابن عامر: «إذا» بهمزة واحدة على الخبر، الباقون بهمزتين على الاستفهام، وحققهما أهل الكوفة. وليَّن الثانية مع الفصل بألف أبو عمرو وقالون، وبغير فَصْل ابن كثير ووَرْش[٢].

وقرأ نافع والكسائي: ﴿إنا لفي﴾ بهمزة واحدة على الخبر، الباقون بهمزتين، وحققهما ابن عامر وعاصم وحمزة، إلا أن هشاماً يفصل بألف، وليّن الثانية ابن كثير بغير فصل وأبو عمرو مع الفصل[٣]، وكذلك خلفهم في الموضعين من: «سبحان»[٤]، و «قد أفلح»[٥]، و «تنزيل» السجدة[٦]، والثاني من الصافات[٧]؛ ستة مواضع، وما في قصة لوط من الاستفهامين نذكره في موضعه إن شاء الله

(١) التبيان (٢/ ٦١)، والدر المصون (٤/ ٢٢٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٠)، والكشف (٢/ ٢٠)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩-٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٠-٣٧١)، والكشف (٢/ ٢٠)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٩-٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٧-٣٥٨).

(٤) الإسراء الآيتان (٤٩ و ٩٨).

(٥) المؤمنون الآية (٨٢).

(٦) السجدة الآية (١٠).

(٧) الصافات الآيتان (١٦ و ٥٣).

تعالى.

"إذاً" هاهنا نصب بفعل مضمر، دل عليه قوله: ﴿لفي خلق جديد﴾ على تقدير: أإذا كنا تراباً نبعث، وأضمر نبعث لأن قوله: «لفي خلق جديد» يدل عليه، ولا يجوز أن يعمل ما بعد «إن» فيما قبله، فلهذا لم يجز أن يعمل «جديد» في «إذاً»، ومن جمع بين الاستفهامين فللحرص على البيان وشدة العناية بالكلام، ومن اكتفى بأحد الاستفهامين فقرأ: «أإذا» «إنا»، أو قرأ: «إذا» «أئنا»، فإن فيما بقي دليلاً على النفي.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾؛ لأنهم أنكروا البعث بعد بيانه ووضوح برهانه، والأغلال: جمع غُل، وهو طوق تقيد به اليد إلى العنق[1]، بدليل قوله: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم﴾ [غافر:٧١-٧٢].

قال الزجاج[2]: وقيل: ﴿أولئك الأغلال في أعناقهم﴾، أي: الأغلال التي هي [الأعمال][3]، وهي مؤدية إلى كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة؛ لأن قولك للرجل: هذا غُلٌّ في عنقك للعمل السيء، معناه: أنه لازم لك وأنت مجازى عليه بالعذاب.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: غلل).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٣٩).

(٣) في الأصل: أغلال . والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي: بالعقوبة قبل العافية، وهم الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ استعجال العذاب تكذيباً واستهزاء، كقول النضر: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢].

﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ جمع مَثُلَة، مثل: صَدُقَة وصَدُقات.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء رحمه الله: «المُثُلات» بضم الميم والثاء، وهي قراءة الحسن وقتادة[١]. وهو جمع مُثْلَة، نحو: غُرْفَة وغُرُفات، وعلّتها إتباع الفاء العين، بسكون الثاء مع ضم الميم للتخفيف ومع فتح الميم.

قال ابن عباس وقتادة: هي العقوبات، وما مثل الله تعالى بالمكذبين قبلهم[٢].

قال ابن الأنباري[٣]: المَثُلَة العقوبة التي تُبقي في المعاقب شَيْناً[٤] بتغيير بعض خَلْقه، من قولهم: مَثَّلَ فلان بفلان؛ إذا شان خَلْقَه بقطع أنفه أو أذنه[٥].

وقال الزمخشري[٦]: المَثُلات: عقوبات أمثالهم من المكذبين.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٠٥) عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٠٥)، والدر المنثور (٤/ ٦٠٧).

(٣) انظر: الوسيط (٣/ ٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٠٦).

(٤) الشَّيْن: العيب (اللسان، مادة: شين).

(٥) انظر: اللسان (مادة: مثل).

(٦) الكشاف (٢/ ٤٨٤).

وقال مجاهد وأبو عبيدة[١]: المَثُلات: الأمثال التي ضربها الله تعالى لهم.

﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ للمُصرّين على الشرك.

ويروى أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «لولا عفو الله تعالى وتجاوزه ما هنأ أحد العيش، ولولا وعيد الله تعالى وعقابه لاتّكل كل أحد»[٢].

وقوله: ﴿على ظلمهم﴾ في محل الحال[٣].

وقال الزمخشري[٤]: يريد بالمغفرة: الستر والإمهال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ أي: هَلاّ ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ خارقة، كعصا موسى ويده، وناقة صالح، وإحياء الموتى.

﴿إنما أنت منذر﴾ رسولٌ مخوفٌ من عذاب الله الكفرة والفجرة، وليست الآيات إليك، ولا لهم أن يقترحوا عليك.

﴿ولكل قوم هاد﴾ يهديهم إليه بما يجري من المعجِز على يديه. هذا معنى قول

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣). وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٠٦)، والسيوطي في الدر (٤/ ٦٠٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٤) عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ولم أقف عليه عند ابن جرير.

(٣) التبيان (٢/ ٦١)، والدر المصون (٤/ ٢٢٩).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٨٤).

ابن عباس وجمهور المفسرين[١].

وروي عنه: أن الهادي هو الله تعالى[٢].

والمعنى: إنما أنت منذر لا تُكَلَّفُ سوى الإنذار، ولكل قوم هاد قادر على هدايته وتنوير قلوبهم، وهو الله تعالى، فهو يهدي من يشاء منهم. وهذا معنى قول سعيد بن جبير وعطية[٣].

وقال الثعلبي[٤]: وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: أنت الهادي يا علي، يهتدي بك المهتدون من بعدي))[٥].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ١٠٧-١٠٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٥) عن مجاهد قال: ﴿ولكل قوم هاد﴾: نبي، ومن طريق آخر أخرجه الطبري عن قتادة، قال: نبي يدعوهم إلى الله. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٧) وعزاه لابن المنذر.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) تفسير الثعلبي (٥/ ٢٧٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١٠٨).

قوله تعالى: ﴿يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ كلام مستأنف. ويجوز أن يكون مرتبطاً بما قبله، على معنى: ولكل قوم هاد، فسَّره فقال: ﴿الله﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من علقة أو مضغة، ذكر أو أنثى، تام أو ناقص، حسن أو قبيح، إلى غير ذلك من أحوال الحمل.

﴿وما تغيض الأرحام﴾ تقول: غَاضَ الماء وغِضْتُه أنا[1]، ومنه: ﴿وغيض الماء﴾ [هود:٤٤] ولا ثالث لهما في القرآن.

فعلى هذا: يجوز أن يكون الفعل متعدياً.

والمعنى: وما تغيضه الأرحام، أي: تنقصه، ﴿وما تزداد﴾ـهُ من عدد الولد، فإن الأرحام تشتمل على واحد، وتشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة.

قال الزمخشري[2]: روي أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن أمه.

قلت: وقد رأيت بالموصل شاباً تام الخلقة رابع أربعة في بطن أمه، وكان أبوه رجلاً مشهوراً في الموصل بعلم الأدب [يقال][3] له: عمر العنسيفي، رأيته أيضاً ولم أجالسه.

وذكر الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب رحمه الله في فرائض كتابه[4] قال: أخبرني رجلٌ وَرَدَ عَلَيَّ من اليمن طالباً للعلم -وكان من أهل الدين والفضل-: أن امرأة باليمن وضعتْ حَمْلاً كالكرش، فظُنَّ أن لا ولد فيه، فأُلقي

---

(١) انظر: اللسان (مادة: غيض).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٨٥).

(٣) في الأصل: يقا. والصواب ما أثبتناه.

(٤) الحاوي الكبير للماوردي (٨/ ٤٧٢-٤٧٣).

على قارعة الطريق، فلما طلعت عليه الشمس وحمي بها تحرّك، فأُخذ وشُقَّ، فخرج منه سبعة أولاد ذكور، عاشوا جميعاً، وكانوا خَلْقاً سوياً، إلا أنه كان في أعضادهم قِصَر. قال: وصارعني رجل منهم فصرعني، فكنت أُعَيَّر فيُقال لي: صرعك سُبُعُ رجل.

ومنه جسد الولد، فإنه يكون تاماً ومخدجاً(١) وزائداً.

ولقد شاهدت برأس عين(٢) وهي مولدي [ومنشئي](٣) جارية ولدتها يهودية في سنة تسع عشرة وستمائة، ولها وجهان في رأس واحد، وأربعة أيْدٍ، وأربعة أرجُل، وأربعة آذان، وردفان، وفرجان، كأنهما جاريتان ألصق ظهر إحداهما بظهر الأخرى.

وكذا زمن الحمل ينقص عن تسعة أشهر، فإن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر.

ويزداد إلى أن يبلغ سنتين في قول أبي حنيفة، وأربعاً في قول الشافعي. وعن الإمام أحمد رحمه الله كالمذهبين.

---

(١) الخِداج: النقصان، وأصل ذلك من خِداج الناقة إذا ولدت ولداً ناقص الخَلْق أو لغير تمام (اللسان، مادة: خدج).

(٢) رأس عين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، بينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً، وقريب من ذلك بينها وبين حران، وهي إلى دنيسر أقرب، بينهما نحو عشرة فراسخ، وفيها عيون كثيرة عجيبة تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور (معجم البلدان ٣/ ١٣-١٤).

(٣) في الأصل: منشئي. والصواب ما أثبتناه.

قال الضحاك: ولدتُ لسنتين وقد نبتت ثناياي[١].

وقال حماد بن سلمة: إنما سمي هرم بن حيان هرماً؛ لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين[٢]، ويقال: إن أم مالك بن أنس حملت به ثلاث سنين[٣].

وكذلك الدم، فإن الأرحام تغيضه فيقِلّ، وتزداد فيكثُر.

ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام، وهي لما اشتملت عليه، فيكون الفعل لازماً.

ويجوز أن [تكون «ما»][٤] مصدرية، على معنى: يعلم حملها وغيضها وازديادها[٥].

﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي: بقدْرٍ وحدٍّ لا يجوزه.

قال ابن عباس: عَلِمَ كُلَّ شيء فقدَّره تقديراً، مما يكون قبل أن يكون، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة[٦].

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ مفسرٌ في الأنعام[٧]. ﴿الكبير﴾ العظيم الشأن. وقيل: الذي كبر عن مشابهة المخلوقين. ﴿المتعال﴾ المستعلي على كل شيء بعظمته وقدرته.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١١١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٩).

(٢) البغوي (٣/ ٨)، والقرطبي (٩/ ٢٨٨).

(٣) انظر: القرطبي (٩/ ٢٨٨).

(٤) في الأصل: يكون الماات. والمثبت من الدر المصون (٤/ ٢٢٩). وانظر: البحر (٥/ ٣٦٢).

(٥) الدر المصون (٤/ ٢٢٩).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٠٨).

(٧) عند آية رقم: ٦.

وقال الحسن: المتعال عما يقوله المشركون(١).

قرأ ابن كثير: «المتعالي» بياء في الحالين على الأصل، وحذفها الباقون على اختلاف بينهم في الوصل والوقف(٢).

قال سيبويه: من العرب من يحذف هذا في الوقف، شَبَّهوه بما ليس فيه ألف ولام، إذ كانت تذهب الياء في الوصل مع التنوين لو لم تكن ألف ولام، ومن حذفها في الوصل فلمراعاة الفواصل.

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿سواء منكم﴾ أي: مستوٍ منكم في علم الله ﴿من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مُسْتَخْفٍ بالليل﴾ أي: مستتر مُتَوَارٍ، ﴿وسارب بالنهار﴾ ظاهر باد. يقال: سَرِبت الإبلُ تَسْرُبُ سُرُوباً إذا مضت في الأرض ظاهرة(٣). ومنه يقال: اذْهَب فلا أَنْدَهُ سَرْبَكَ، أي: لا [أردُّ](٤) إبلك [حتى](٥) تذهب حيث شاءت.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٠٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٢)، والكشف (٢/ ٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سرب).

(٤) في الأصل: أرود. والتصويب من اللسان، الموضع السابق.

(٥) زيادة من اللسان (مادة: سرب).

ويقولون في الطلاق: اذهَبي فلا أَنْدَهُ سَرْبَكِ[١].

قال الزجاج[٢]: معنى الآية: الجاهرُ بنطْقِه، والمضمِر في نفسه، والظاهر في الطرقات، والمستخفي في الظلمات، علم الله تعالى فيهم جميعاً سواء.

[والضمير][٣] في: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه﴾ يعود إلى «مِنْ» كأنه قيل: لمنْ أَسَرَّ وجَهَرَ معقبات من الملائكة يتعاقبون لحفظه.

قال أكثر المفسرين: هم الحفَظَة؛ اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق خلفه فريق[٤].

﴿يحفظونه من أمر الله﴾ أي: بأمْر الله، وكذلك هي في قراءة علي وابن عباس[٥].

وقيل: المعنى: يحفظونه من أجل أمر الله لهم بذلك.

وقيل: المعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، وهو قول أبي صالح والفراء[٦].

فعلى هذا القول: «من أمر الله» في موضع رفع؛ لأنها صفة المرفوع الذي هو «معقبات».

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سرب).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٤٢).

(٣) في الأصل: والطمير. والصواب ما أثبتناه.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٥) وما بعدها، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١٠-٣١١)، والسيوطي في الدر (٤/ ٦١٢) وما بعدها.

(٥) البحر (٥/ ٣٦٤)، والدر المصون (٤/ ٢٣٣).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٠).

وقال مجاهد والنخعي: يحفظونه من الجن[١].

فعلى هذا: «من أمر الله» في موضع نصب.

قال كعب الأحبار: لولا أن الله تعالى وكّل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذاً لتخطفتكم الجن[٢].

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فإذا أراده شيء قال: وراءك وراءك إلا شيئاً قد قضي له أن يصيبه[٣].

وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام فقال: احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك. فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدّر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة[٤].

قال ابن جريج: المعنى: يحفظون عليه الحسنات والسيئات[٥].

ويروى عن ابن عباس: أن المعنى: للملك من ملوك الدنيا معقبات[٦]، أي: حُرَّاس يتعاقبون حراسته وحفظه من أمر الله، ولا يقدرون على ذلك إلا بإرادته.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٩). وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦١٣) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦١٤) وعزاه للطبري.

(٣) انظر التخريج السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦١٤) وعزاه للطبري.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٦-١١٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٩-٢٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦١٣) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

ويروى عن ابن عباس: أن الضمير في قوله: «معقبات» لرسول الله ﷺ(١).

قال عبدالرحمن بن زيد: نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة(٢).

قال الأستاذ أبو إسحاق: وكان من قصتهما على ما رواه السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة العامريان يريدان رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد! ما لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. قال: تجعل لي الأمر بعدك؟ قال: ليس ذلك لي، إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث شاء. قال: أفتجعلني على الوبر وأنت على المدر؟ قال: لا. قال: فماذا تجعل لي؟ قال: أجعل لك أعنّة الخيل تغزو عليها. قال: أو ليس ذلك إليّ اليوم؟ ثم قال: قم يا محمد معي أكلمك، فقام معه رسول الله ﷺ، وكان أومأ إلى أربد إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه، فدار أربد من خلف رسول الله ﷺ ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبراً، ثم منعه الله تعالى فلم يقدر على سَلِّه، وجعل عامر يومئ إليه، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع بسيفه، فقال: اللهم اكفنيهما بما شئت، فأرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته، وولى عامر هارباً يقول: والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداً. فقال رسول الله ﷺ: يمنعك الله وأبناء قيلة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١٠)، والسيوطي في الدر (٤/ ٦١٢) وعزاه لابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١١٩) وما بعدها، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١١).

-يعني: الأوس والخزرج- فنزل عامر بيت امرأة سلُولية، فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغيّر لونه، فجعل يركض في الصحراء يقول: أبرز يا ملك الموت، واللات والعزى إن أصحرا لي محمد وصاحبه -يعني: ملك الموت- لأنفذتهما برمحي، فبعث الله تعالى إليه ملكاً فلَطَمَه بجناحه فأرداهُ في التراب، وخرجت على ركبته غُدَّة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: أغُدَّة كغُدَّةِ البعير[1] وموتاً في بيت السلولية، ثم ركب فرسه وأجراه حتى مات على ظهره»[2].

فقتل الله تعالى عامراً وأربد بدعوة النبي ﷺ، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة في أخيه أربد:

أيا أربد الخير الكريم جدوده   أفردتني أمشي بقرن أعضب
إن الرزية [لا رزية][3] مثلها   فقدان كل أخ كضوء الكوكب[4]

وفيه يقول:

أخشى على أربد الحُتُوفَ ولا   أرهَبُ نوءَ السِّماك والأسد
فجَّعَنِي الرعدُ والصواعقُ بالفَا   رس يوم الكريهة النَّجِد[5]

---

(١) الغدة: طاعون يأخذ في المَراقّ، أي: في أسفل البطن، وهو طاعون الإبل (اللسان، مادة: غدد).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٦) عن ابن جريج، وأخرجه أيضاً (١٣/ ١١٩-١٢٠) عن ابن زيد، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٠-٢٢٣١) عن ابن زيد. وذكره الهيثمي في مجمعه (٧/ ٤١-٤٢).

(٣) زيادة من تفسير القرطبي (٩/ ٢٩٨).

(٤) انظر البيتين في: القرطبي (٩/ ٢٩٨).

(٥) انظر البيتين في: الطبري (١٣/ ١٢٠، ١٢٦)، والقرطبي (٩/ ٢٩٧)، والبحر (٥/ ٣٦٧)، وروح المعاني (١٣/ ١٢١).

ويقال: كان أربد أخا ربيعة لأمه فقط.

قوله: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ أي: لا يسلبهم عوائده الجميلة ونعمه الجزيلة، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته ويوغلوا في العمل بمعصيته. وقد سبق تفسيره في الأنفال.

﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ أي: عذاباً أو بلاءً، ﴿فلا مردّ له﴾ أي: لا يدفع عنه معقبات ولا غيرها، ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ يلي أمورهم فيدفع عنهم السوء.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ قال الزمخشري[1]: «خوفاً وطمعاً» لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما؛ لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى إخافة وإطماعاً. ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من «البرق»، كأنه في نفسه خوف وطمع. أو على معنى: ذا خوف وذا طمع. أو من المخاطبين، أي: خائفين وطامعين.

ومعنى الخوف والطمع: أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق، ويطمع في الغيث. قال أبو الطيب[2]:

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٨٧-٤٨٨).

(٢) انظر: ديوانه (ص:٦٩)، والعمدة (١/ ٣٨)، والبحر (٥/ ٣٦٦)، والكشاف (٢/ ٤٨٨)، والدر المصون (٤/ ٣٣٤).

فتًى كالسحاب الجَوْنِ يُخشى ويُرتجى يُرجَّى الحيا منها وتُخشى الصَّواعق

قال ابن عباس وقتادة: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم(١).

وقيل: «خوفاً» لمن يتأذى بالمطر؛ كالمسافر، ومن له بيت يكف، ومن آوى تمره أو زبيبه إلى جرينه(٢) ومن لا نفع له فيه، إذ ليس كل البقاع ولا في كل وقت تحتاج إليه وأمثال ذلك، فـ«طمعاً»: يطمع فيه من له نفع.

والمعنى الأول الذي حكيته عن الزمخشري هو معنى ما رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول الحسن(٣).

﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ قال الفراء(٤): السحاب وإن كان لفظه واحداً فإنه جمع، واحدته: سحابة، جعل نعته على الجمع، كما قال: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ [الرحمن:٧٦]، ولم يقل: أخضرٍ ولا حسنٍ.

وقال الزمخشري(٥): السحاب اسم الجنس، والواحد سحابة. والثقال: جمع ثقيلة؛ لأنك تقول: سَحابة ثقيلة، وسحاب ثقال، كما تقول: امرأة كريمة، ونساء كِرَام، وهي الثقال بالماء.

﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أي: ينزّه الله تعالى بالثناء عليه. وقد سبق ذكر الرعد في أوائل البقرة، وأنه صوت ملك يزْجُر السحاب.

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٣، ٢١/ ٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦١٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) الجَرين: موضع التمر الذي يُجفّف فيه، والجمع أجْرِنة وجُرُن (اللسان، مادة: جرن).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣١٣).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٦٠).

(٥) الكشاف (٢/ ٤٨٨).

وقد روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ: ((أنه ملك موكّل بالسحاب))(١).

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الرعد مَلَكٌ يسوق السحاب، وإن بخر الماء لفي نقرة إبهامه، وأنه يسبح الله تعالى، فإذا سبح الرعد لا يبق مَلَكٌ في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح، فعندها ينزل المطر(٢).

فإن كان مَلَكاً فلا إشكال في إضافة التسبيح إليه.

قال الزجاج(٣): جائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه.

وإن كان الرعد اسماً لصوت المَلَك، فقال ابن الأنباري(٤): إخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غَمَّنِي كلامك.

وإن كان الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب أو الريح التي تخنق -كما سبق في البقرة-؛ فقال الزمخشري(٥): المعنى: ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين المطر حامدين له، أي: يضجّون بسبحان الله والحمد لله.

والأول هو التفسير الصحيح الذي أطبق عليه أهل العلم بالمنقولات.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان الذي سبّحت له(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير (٥/ ٢٩٤ ح٣١١٧) وقال: حسن غريب.

(٢) القرطبي (٩/ ٢٩٦)، والبغوي (٣/ ١١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٤٣).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٣١٤).

(٥) الكشاف (٢/ ٤٨٨).

(٦) أخرجه الطبري (١/ ١٥١، ١٣/ ١٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢١) وعزاه للبخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا في المطر.

ويروى عن النبي ﷺ «أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان مَن يسبح الرعد بحمده»[١].

وقال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير، فإن أصابته صاعقة فعليّ ديته[٢].

ومعنى قوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾ من هيبة الله تعالى وعظمته. قال ابن عباس: يخافون الله تعالى لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله تعالى شيء[٣].

وذكر الماوردي[٤]: أن الضمير في: «خيفته» يرجع إلى الرعد.

وليس بشيء.

﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ كما أصاب أربد بن ربيعة.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: وفيه نزلت هذه الآية[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٤) عن أبي هريرة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٣) وعزاه لابن مردويه.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١٤).

(٤) تفسير الماوردي (٣/ ١٠١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١٤). وقد سبق قبل قليل قصة نزولها.

وقال علي عليه السلام: نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حدثني يا محمد عن إلاهك، أياقوت هو أو ذهب؟ فنزلت عليه صاعقة فأحرقته(١).

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم، ولا تصيب ذاكراً(٢).

وفي حديث ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم الرعد فـاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً»(٣).

﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني: الكفار يجادلون في الله شكّاً في وحدانيته وجهلاً بعظمته.

﴿وهو شديد المحال﴾ قال علي عليه السلام: شديد الأخذ(٤).

وقال ابن عباس: شديد العقوبة(٥).

قال أبو عبيدة(٦): شديد العقوبة والمكر والنكال.

وأنشد الأعشى:

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٦) وعزاه للطبري.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٤) وعزاه لابن مردويه وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٧) وعزاه للطبري.

(٥) زاد المسير (٤/ ٣١٦).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٢٥).

فَرْعُ نبْع يهتزُّ في غُصن المجـ ـد غزيرُ النَّدَى شديدُ المِحال

إنْ يُعاقبْ يكن غَراماً وإن يُعطِ جزيلاً فإنه لا يُبالي[١]

وقال مجاهد: شديد القوة[٢].

قال الزجاج[٣]: يقال: ماحَلْتُه مِحَالاً؛ إذا قاويتُه، حتى يتبين [له][٤] أيكما أشد[٥]، والمَحْل: الشدة.

وقرأ الأعرج: «المَحال» بفتح الميم[٦].

قال ابن جني[٧]: هو مَفْعَل من الحِيلة.

قال أبو زيد: يقال: ما له حيلة ولا محالة، فيكون تقديره: شديد الحيلة عليهم، تفسيره قوله: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[الأعراف:١٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران:٥٤].

---

(١) انظر البيت الأول في: ديوانه (ص:١٤١) واللسان، (مادة: محل)، والدر المصون (٤/ ٣٣٤)، والطبري (١٣/ ١٢٧)، والبحر (٥/ ٣٥٢)، والبيت الثاني في: الطبري (٢٧/ ٢٠٠)، وروح المعاني (٢٧/ ١٤٩)، واللسان (مادة: غرم). وانظر: البيتين في : زاد المسير (٤/ ٣١٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٧) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٤٣).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: محل).

(٦) البحر (٥/ ٣٦٧)، والدر المصون (٤/ ٢٣٥).

(٧) المحتسب (١/ ٣٥٦).

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ قال علي عليه السلام: له كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله[1].

قال الزمخشري[2]: أضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل، كما تضاف الكلمة إليه في قولك: كلمة الحق، للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به، وأنها بمعزل من الباطل.

وقال الحسن: الحق هو الله تعالى، وكل دعاء إليه دعوة الحق[3].

﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي: والأصنام الذين يدعونهم من دون الله ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ من طلباتهم ﴿إلا كباسط كفّيه إلى الماء﴾ أي: إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي: كاستجابة الماء من يبسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء لا يستجيب ولا يعقل ولا يشعر بشيء، كذلك آلهتهم جماد لا تحسّ بدعائهم ولا تشعر بعبادتهم.

قال علي عليه السلام وعطاء: هو الرجل العطشان الذي يجلس على شفير بئر

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٨) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) الكشاف (٢/ ٤٩٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣١٧).

يَمُدُّ يديه إلى البئر فلا تبلغ قعر البئر، والماء لا يرتفع إلى يده[(١)].

وقيل: شبّهوا في عدم نفعهم بدعائهم آلهتهم بشخص يريد أن يقبض الماء ناشراً أصابعه ليوصله إلى فيه.

والعرب تقول لمن خاب مسعاه ولم ينل ما رجاه: هو كالقابض على الماء، وأنشدوا:

فأصبحتُ مما كان بيني وبينَها من الوُدِّ مثلَ القابضِ الماءَ باليدِ[(٢)]

وهذا قول أبي عبيدة وابن قتيبة[(٣)].

فإن قيل: اللام من «ليبلغ» بما يتعلق؟

قلت: بـ«باسط كفيه».

﴿وما هو ببالغه﴾ أي: ما الماء ببالغ فاه.

وقيل: وما فوه ببالغ الماء.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون التقدير: وما فوهُ ببالغِه الماء، فيكون فاعل «بالغِه» ضمير «الماء»؟

قلت: لا يجوز؛ لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له ظهر فيه ما يتضمنه من الضمير. فإذا قلت: «وما هو ببالغه» ويكون «هو» ضمير «فيه»،

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٢٩) عن علي رضي الله عنه. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٨-٦٢٩) وعزاه للطبري. ومن طريق آخر عن عطاء.

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي. وانظر البيت في: البحر (٥/ ٣٦٨)، وروح المعاني (١٣/ ١٢٥)، والقرطبي (٩/ ٣٠٠)، والطبري (١٣/ ١٢٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٢٧)، وتفسير غريب القرآن (ص:٢٢٦).

ويكون «ببالغه»، أي: ببالغ إياه الماء، كان حق الكلام وما هو ببالغه هو، فيظهر «هو» كما ظهر «أنتَ» في قولك: يا ذا الجارية الواطئها أنتَ، بجر الواطئ، ولا يجوز: يا ذا الجارية الواطئها، بالجر بغير إظهار أنت.

قوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي: في ضياع؛ لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم؛ لهوانهم عليه، وإن دعوا أصنامهم لم يستطع إجابتهم، فدعاؤهم لا يزال ضائعاً.

قال ابن عباس: أصواتهم محجوبة عن الله[1].

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً﴾ يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وكرهاً﴾ يعني: من أكره على السجود من الكافرين والمنافقين. هذا قول المفسرين[2].

وأما أهل المعاني فإنهم يقولون: سجود الكاره لله: خضوعه وانقياده لما يريده الله تعالى به من عافية ومرض، وغنى وفقر، وعز وذل، وقوة وضعف، إلى غير ذلك، قَبِلَ ذلك أم أبى[3].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣١٨).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ١٣١) عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ١١). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٤/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) الوسيط (٣/ ١١)، وزاد المسير (٤/ ٣١٩).

﴿وظلالهم﴾ أي: وتسجد ظلالهم لله.

قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد وهو كاره[(١)].

وقال أهل المعاني: سجودها: تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطُّول والقِصَر[(٢)].

قال اللغويون: الظل: ما كان بالغدوات قبل انقباض الشمس، والفيء ما كان بعد انصرافها. سمي فيئاً؛ لرجوعه إلى الحال التي كان عليها[(٣)].

وأنشدوا لحُمَيد بن ثور:

فلا الظلُّ من برْدِ الضُّحَى تستطيعُه ... ولا الفيءُ من بَرْد العشيِّ تذُوق[(٤)]

وقال آخر:

أيا أثلات القاع من بطْن تُوضِح ... حَنيني إلى أظلالِكُن طويـــل[(٥)]

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٣١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٣٠) وعزاه لابن المنذر.

(٢) الوسيط (٣/ ١١)، وزاد المسير (٤/ ٣١٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ظلل، فيأ).

(٤) البيت لحميد بن ثور يصف سَرْحة (دوحة) وكنى بها عن امرأة. وانظر البيت في: اللسان (مادة: فيأ)، والقرطبي (١٣/ ٣٧)، والطبري (٣/ ٢٦٢)، وزاد المسير (٤/ ٣١٩)، وروح المعاني (١٤/ ١٥٣).

(٥) البيت ليحيى بن طالب الحنفي. وانظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٣١٩)، ومعجم البلدان (٢/ ٥٩).

وأثلات: جمع، واحدته: أثلة، والأثْل: شجر يشبه الطَّرْفاء، إلا إنه أعظم منه وأكرم وأجود عوداً تسوّى به الأقداح الصُّفْر الجياد، ومنه اتُّخِذَ منبر سيدنا محمد ﷺ (اللسان، مادة: أثل).

وتوضح: من قرى قرقرى باليمامة، وهي زروع ليس لها نخل (معجم البلدان ٢/ ٥٩).

وقد سبق ذكر الغدو والآصال في آخر الأعراف.

وقرأ أبو مجلز: «والإيصال» جعله مصدر آصلْنا[1]، أي: دخلنا في وقت الأصيل ونحن مؤْصِلُون[2].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾﴾

ثم إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بمجادلة الكافر، وعلّمه كيفية مجادلتهم فقال: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ كانوا لا ينكرون أنه الله تعالى، بدليل قوله في موضع آخر: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون الله﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧].

ولما كان الجواب متفقاً عليه أمر نبيه بالمبادرة إليه فقال: ﴿قل الله﴾.

وقيل: هو حكاية لقولهم تقريراً لهم عليه واستيثاقاً منهم.

ويجوز أن يكون المعنى: قل لهم من رب السموات والأرض، فإن توقفوا عن الجواب خيفة من مضايق الإلزام، فلقّنهم مقرراً لهم بما لا يجدون بُداً من الاعتراف به، وقل لهم: الله رب السموات والأرض، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ يعني: الأصنام توليتموها وعبدتموها واتخذتموها آلهة من دونه، مع

(١) البحر (٥/ ٣٦٩-٣٧٠)، والدر المصون (٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أصل).

إقراركم أن الله تعالى هو رب السموات والأرض.

وقوله: ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾ في موضع نصب. المعنى: فاتخذتم أولياء عجزة لا يقدرون أن ينفعوا أنفسهم ولا يدفعوا عنها ضراً.

فإن قيل: لم قَدَّمَ النفع على الضرّ، وأخَّرَه في الفرقان فقال: ﴿لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ [الفرقان:٣]؟

قلت: قَدَّمَ هنا الأفضل على الأنقص، فإن اجتلاب النفع أشرف وأفضل من رفع الضرر وهو رتبة فوقه، فالكلام على رتبته، وفي الفرقان بناه على ما قبله من قوله: ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ [الفرقان:٣]، فقوله: «لا يخلقون» نفي، «وهم يخلقون» إثبات، فقدَّم الضر لأنه نفى المفاسد على النفع؛ لأنه إثبات المصالح حملاً على ما قبله من تقديم النفي على الإثبات.

ثم ضرب الله تعالى مثلاً للمؤمنين في الإيمان والكفر فقال: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ سبق تفسيره.

وقرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: «يستوي الظلمات» بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[1].

فمن قرأ بالتاء؛ فلأنه فعل مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله شيء. ومن قرأ بالياء؛ فلأنه تأنيث غير حقيقي، والفعل مقدم فالتذكير سائغ.

﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ بل أجعلوا لله شركاء[2]، الاستفهام للإنكار،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٢-٣٧٣)، والكشف (٢/ ١٩-٢٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٨).

(٢) في الأصل زيادة: من.

و ﴿خلقوا﴾ في محل النصب صفة لـ«شركاء»[1].

يعني: لم يتخذوا شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله، فتشابه خلق الله وخلق الشركاء عليهم؛ لكونهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه المخلوق، فضلاً عن الخالق.

﴿قل الله خالق كل شيء﴾ أي: كل شيء يصح أن يكون مخلوقاً لا خالق سواه، ﴿وهو الواحد﴾ المتفرد بالربوبية ﴿القهار﴾ وغيره المقهور.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ هذا من مجاز الكلام؛ لأن الأودية لا تسيل، وإنما تسيل مياهها.

والمعنى: سالت أودية بقدرها على حسب مجاريها، إن صغر الوادي قلَّ الماء، وإن اتَّسع كَثُرَ الماء. هذا قول أكثر المفسرين[2].

وقال صاحب الكشاف[3]: المعنى: فسالت أودية بقدرها الذي عرف الله تعالى أنه نافع للمُمْطَر عليهم غير ضار لهم، ألا ترى إلى قوله: ﴿وأما ما ينفع

(١) الدر المصون (٤/ ٢٣٧).
(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢١).
(٣) الكشاف (٢/ ٤٩٣).

الناس﴾ لأنه ضرب [المطر][١] مثلاً للحق، فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع، ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف.

وقرأت ليعقوب من رواية أبي حاتم عنه: «بقدْرها» بسكون الدال، وهي قراءة الحسن وأبي العالية وسعيد بن جبير في آخرين[٢].

﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ عالياً طافياً على وجه الماء. وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى أيضاً للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثلُ الحق هو القرآن وغيره من أسباب الهدى بالماء النازل من السماء، ومثّل قلوب الناس بالأودية، فكلُّ قلب يحمل بقدر ما فيه من اليقين والعقل، والشك والجهل.

قال ابن عباس: الزبد الرابي: هو الشك والكفر[٣].

ثم ضرب كذلك مثلاً آخر فقال: ﴿ومما توقدون عليه في النار﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «يوقدون» بالياء على الغيبة، حملاً على قوله: «أم جعلوا»، وقرأ الباقون بالتاء، حملاً على قوله: «أفاتخذتم»[٤].

وقوله: ﴿في النار﴾ متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله: «على»، أي ما توقدون عليه ثابتاً في النار[٥]، ﴿ابتغاء حلية﴾ أي: مبتغين

---

(١) في الأصل: للمطر. والتصويب من الكشاف (٢/ ٤٩٣).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٠).

(٣) قال ابن عباس في تفسيره (ص:٢٩٨): وهو الشك. وانظر: الوسيط (٣/ ١٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٣)، والكشف (٢/ ٢٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٨-٣٥٩).

(٥) التبيان (٢/ ٦٣)، والدر المصون (٤/ ٢٣٨).

حلية، فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في «توقدون». ولا يجوز أن يكون «في النار» من صلة «توقدون»؛ لأن المعنى ليس على ذلك، ليس المعنى: أنهم يوقدون في النار، وإنما المعنى: أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه ثابتاً في النار. وهذا التدقيق والتحقيق مأخوذ عن أبي علي الفارسي(١)، وقد قيل: أنه لم يسبق إليه.

والمعنى: ومما توقدون عليه من الذهب والفضة وأنواع الفِلِزّ(٢) الذي يذاب مثله في النار ابتغاء حلية صوغ حلية من النقدين، ﴿أو متاع﴾ أي: وابتغاء متاع باتخاذ الأواني والآلات المختلفة من الحديد والصُّفْر(٣) والرصاص ﴿زبد مثله﴾ أي: مثل زبد الماء.

وقوله: «زبد» مبتدأ مثله نعت، والظرف الذي هو قوله: «ومما توقدون» خبر له.

و «من» في «مما توقدون» لابتداء الغاية أو للتبعيض، وتقديره الأول: ومنه ينشأ زبد مثله، وتقدير الثاني: وبعضه زبد مثل زبد الماء.

﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ قال أبو عبيدة(٤): يمثِّل الله الحق والباطل.

﴿فأما الزبد﴾ مِنَ السيل والفِلِز المضروب مثلاً للباطل وحزبه ﴿فيذهب جفاء﴾ لا ينتفع به.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩).

(٢) الفلز: النحاس الأبيض تُجعل منه القدور العِظَام المفرَغَة والهاوُنات (اللسان، مادة: فلز).

(٣) الصُّفْر: النحاس الأصفر (اللسان، مادة: صفر).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٨).

قال ابن الأنباري[(١)]: «جفاء»: بالياً متفرقاً.

قال الزجاج[(٢)]: الجفاء: ما جفاه الوادي، أي: رمى به.

وقال ابن فارس[(٣)]: الجُفَاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجَفَاء.

وقال غيره: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، ومنه: أَجْفَأَتِ القِدْر بزبدها، إذا ألقته عنها[(٤)].

﴿وأما ما ينفع الناس﴾ من الماء وجوهر الفلز الذي ذهب عنه خبثه وزبده، وهو المضروب مثلاً للحق وأهله ﴿فيمكث في الأرض﴾ يستقر فيها لنفع الناس.

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ كلام مستأنف. «الحسنى» مبتدأ، والظرف الذي هو «للذين» الخبر[(٥)].

والحسنى: الجنة وكل خير.

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٢٢).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٤٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٦٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: جفأ).

(٥) التبيان (٢/ ٦٣)، والدر المصون (٤/ ٢٣٨).

﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ مبتدأ، خبره: «لو» مع ما في حيزه[(١)]، وهذا المعنى هو المشهور في التفسير.

ويجوز أن يتعلق اللام مِنْ «للذين استجابوا» بما قبلها، وهو يضرب على معنى: يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين الذين لم يستجيبوا.

و «الحسنى» على هذا: صفة مصدر محذوف، تقديره: الاستجابة والحسنى.

وقوله: ﴿لو أن لهم﴾ كلام مبتدأ مبين لما أعد الله لغير المستجيبين، وهو مع ما في حيزه مفسر في المائدة.

﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ قال ابن عباس: المناقشة بالأعمال[(٢)].

وقال النخعي: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء[(٣)].

وقيل: هو أن لا تقبل منهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة.

قوله تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين: نزلت في حمزة وأبي جهل[(٤)].

﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ أي: إنما يتفكر ويتدبر في هذه الحكم المنوطة بالأمثال المضروبة أرباب العقول.

---

(١) الدر المصون (٤/ ٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٣٨)، والطبري (١٣/ ١٤٠) كلاهما من طريق أبي الجوزاء. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٣٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٥/ ٤٣٣) من طريق فرقد السبخي، والطبري (١٣/ ١٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٣٥) وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢٣).

ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ
بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

قال الواحدي[١]: ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾، وتقديره على قوله: إنما يتذكر العقلاء الموفون.

وقال غيره: «الذين يوفون بعهد الله» مبتدأ، خبره: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾[٢]، وهو أجود.

وقوله: «والذين يصلون» «والذين [صبروا]»[٣] عطف على المبتدأ أو الصفة على اختلاف الوجهين. وعهد الله تعالى: ما أخذه على ذرية آدم حين استخرجهم من صُلْبه بعرفة، فقال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف:١٧٢] هو ما أخذه عليهم مما أمرهم به ونهاهم عنه على ألسنة رسله صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قال ابن عباس: الإيمان بجميع

(١) الوسيط (٣/ ١٣).
(٢) الدر المصون (٤/ ٢٣٩).
(٣) في الأصل: صبر.

الرسل[(١)].

فالمعنى: يصلون بينهم بالإيمان، كما قال: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة:٢٨٥].

وجمهور المفسرين على أن المراد: صلة الرحم[(٢)].

ويدخل في عموم قوله: «ما أمر الله به أن يوصل» وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات:١٠]. والمراد بصلتهم: العطف عليهم، والإحسان إليهم، والذبّ عنهم بالحق، وإفشاء السلام عليهم، وزيارتهم، والنصيحة لهم. وقد ذكرنا فيما مضى من كتابنا نبذة من الأحاديث المتعلقة بصلة الأرحام.

وقد أخبرنا الإمام أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، أبنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد القزاز، أبنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني عبد العزيز بن علي الوراق، ثنا أبو موسى هارون الخطيب، ثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام، وكان يجلس لولده وولده[(٣)] في كل يوم خميس يعظهم ويحدثهم قال: أرسل إليّ المنصور بكرة واستعجلني الرسول، فدخلنا فإذا الربيع واقف عند الستر، وإذا المهدي ولي العهد

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣)، والسيوطي في الدر (٤/ ٦٣٦-٦٣٧) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ١٨٥) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٧)، والسيوطي في الدر (١/ ١٠٥) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) في تاريخ بغداد: لولده وولد ولده.

في الدهليز جالس، وإذا عبد الصمد بن علي، وداود بن علي، وإسماعيل بن علي، [وسليمان][(١)] بن علي، وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وعبدالله بن حسن بن حسن، والعباس بن محمد، فقال الربيع: اجلسوا مع بني عمكم، فجلسنا، ثم دخل الربيع وخرج، وقال للمهدي: أدخل أصلحك الله، ثم خرج فقال: ادخلوا جميعاً، فدخلنا فسلمنا وأخذنا مجالسنا. فقال للربيع: هات دوياً[(٢)] وما يكتبون فيه، فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورقاً، ثم التفت إلى عبد الصمد وقال: يا عم حدث ولدك وإخوتك وبني أخيك بحديث البر والصلة، فقال عبد الصمد: حدثني أبي عن جدي عبد الله بن العباس[(٣)] عن النبي ﷺ أنه قال: «إن البر والصلة ليطيلان الأعمار، ويعمّران الديار، ويثريان الأموال، ولو كان القوم فجاراً».

ثم قال: يا عمّ، الحديث الآخر، فقال عبد الصمد: حدثني أبي عن جدي عبد الله بن العباس قال: قال النبي ﷺ: «إن البر والصلة ليخففان سوء الحساب يوم القيامة، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾» فقال المنصور: يا عم، الحديث الآخر، فقال عبد الصمد: حدثني أبي عن جدي ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «كان في بني إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين، وكان أحدهما بارٌّ[(٤)] برحمه، عادلاً على رعيته، وكان الآخر عاقاً لرحمه، جائراً على رعيته، وكان في عصرهما نبي، فأوحى الله تعالى

(١) في الأصل: وسلمان. والتصويب من تاريخ بغداد (١/ ٣٨٥).
(٢) في تاريخ بغداد: دوي.
(٣) قوله: «بن العباس» كرر في الأصل.
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٦): براً.

إلى ذلك النبي أنه قد بقي من عمر البارّ ثلاث سنين، وبقي من عمر العاقّ ثلاثون سنة. قال: فأخبر النبي رعية هذا ورعية هذا، فأحزن ذلك رعية العادل، وأحزن ذلك رعية الجائر. قال: ففرقوا بين الأطفال والأمهات، وتركوا الطعام والشراب، وخرجوا الى الصحراء يدعون الله عز وجل أن يمتعهم بالعادل، ويزيل عنهم أمر الجائر، فأقاموا ثلاثاً، فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبي أن أخبر عبادي أني قد رحمتهم وأجبت دعاءهم، فجعلت ما بقي من عمر هذا البارّ لذلك الجائر، وما بقي من عمر الجائر لهذا البارّ. قال: فرجعوا إلى بيوتهم، ومات العاقّ لتمام ثلاث سنين، وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ [فاطر:١١]».

ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمد فقال: يا أبا عبد الله! حدث إخوتك وبني عمك بحديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في البر، فقال جعفر بن محمد: حدثني أبي [عن جدي][(١)] عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ملكٍ يصل رحمه وذا قرابته ويعدل على رعيته إلا شدّ الله [له][(٢)] ملكه وأجزل له ثوابه، وأكرم مآبه، وخفف حسابه »[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ويخشون ربهم﴾ يخافون وعيده، ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ خوفاً يحملهم على الطاعة ويزحزحهم عن المعصية.

قوله تعالى: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ أي: صبروا على طاعة ربهم

---

(١) زيادة من تاريخ بغداد (١/ ٣٨٧).

(٢) زيادة من تاريخ بغداد، الموضع السابق.

(٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٨٥-٣٨٧).

وطاعة رسولهم.

وقيل: صبروا على المصائب في الأنفس والأولاد والأموال ابتغاء وجه ربهم طلباً [لمرضاته](١) وثوابه، لا ليقال: ما أصبره، وما أحمله وأكمله وأجمله، ولا لئلا يشمت به حساده وأعداؤه، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

وتجلُّدِي للشامِتِينَ أُريهمُ أَنِّي لريْبِ الدهرِ لا أتضَعْضَعُ(٢)

بل يصبروا لوجه الله تعالى، فإن الصبر حينئذ يكون عبادةً وقربةً إلى الله تعالى، فيثيبه عليه.

﴿وأقاموا الصلاة﴾ على الوجه المأمور به، ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ من الأموال المكتسبة من الوجه الحلال، ﴿سراً وعلانية﴾، قال ابن عباس: يريد: الصلوات الخمس والزكاة(٣).

والأظهر في نظري: القول بالعموم في نفل الإنفاق وفرضه، فقوله: «سراً» يتقيد بالنفل، فإنه أفضل، وقوله: «علانية» يتقيد بالفرض لشرعية إظهاره؛ نفياً للتهمة.

﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس: يدفعون بالعمل الصالح السيءَ من العمل(٤)؛ كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها

(١) في الأصل: لمرضاتهم. والصواب ما أثبتناه.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، من عينيته المشهورة في رثاء أبنائه، انظر البيت في: البحر (٥/ ٣٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦١)، وفيض القدير (٤/ ٢٣٣)، والاستيعاب (٤/ ١٦٥٢)، والإصابة (٧/ ١٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤١) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٣٨) وعزاه له.

حسنة تمحها»[١].

وقال ابن كيسان: كلما أذنبوا تابوا، ليدفعوا بالتوبة معرّة الذنب[٢].

وقال جويبر: يدفعون بالعفو الظلم[٣].

وقال ابن قتيبة[٤]: يدفعون بالحِلم السَّفَه.

قال الحسن: إذا حرموا أعطوا، وإذا ظُلموا عفوا، وإذا قُطعوا وصلوا[٥].

﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي: عاقبة الدنيا وهي الجنة.

وقال ابن عباس: يريد: عقباهم الجنة[٦]، أي: تصير الجنة آخر أمرهم.

قوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ بدل من «عقبى الدار»[٧]، و «عقبى الدار» مرتفعة بالظرف، وهو قوله: «لهم» أي: أولئك ثابتة لهم عقبى الدار.

قوله تعالى: ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ يجوز أن يكون رفعاً بالعطف على الضمير في «يدخلونها» أي: يدخلونها هم ومن صلح، ويجوز أن يكون نصباً على [أنه][٨] مفعول [معه][٩].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٢٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٢٧).

(٥) تفسير أبي السعود (٥/ ١٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢٥).

(٧) التبيان (٢/ ٦٣)، والدر المصون (٤/ ٢٣٩).

(٨) في الأصل: أنهم. والصواب ما أثبتناه.

(٩) في الأصل: معهم. وانظر: التبيان (٢/ ٦٣-٦٤)، والدر المصون (٤/ ٢٣٩).

فإن قيل: هل يجوز أن يكون: «ومن صلح» في موضع جر عطفاً على المجرور من قوله: «لهم»؟

قلت: لا يجوز؛ لأنه لم يُعد اللام.

والمعنى: ومن آمن من آبائهم.

﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾ جمع الله تعالى بينهم ليتضاعف لهم السرور بمرافقة آبائهم وأزواجهم وأولادهم في الجنة.

﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ قال ابن عباس: يدخلون عليهم بالتحية من الله تعالى والتحفة والهدايا[1].

﴿سلام عليكم﴾ فيه إضمار تقديره: قائلين سلام عليكم، أكرمهم الله عز وجل بهذه التحية على ألسنة الملائكة الكرام. جاز الابتداء بالنكرة؛ لأن المعنى: سلّم الله عليكم، وهذا من وقوع الاسم موقع الفعل، ونحوه: ليت شعري، خبر ليت محذوف، تقديره: ليت شعري واقع، وجاز حذفه؛ لأن معنى الكلام: ليتني أشعر، فقد حصل معنى الخبر من لفظ الاسم.

والمعنى: سلمكم الله من أهوال القيامة وشدائدها وشرها بصبركم في الدنيا على طاعته.

وقوله: ﴿بما صبرتم﴾ يتعلق بالثواب والنعيم الذي هم فيه، أي: هذا الذي أنتم فيه بما صبرتم.

ويجوز أن يتعلق بـ«سلام عليكم»، أي: هذا السلام بما صبرتم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢٥).

﴿فنِعْم عقبى الدار﴾ وقرأ يحيى بن وثاب: «فنَعْم» بفتح النون وسكون العين[١]، أصلها نَعِمَ، وكل ما كان على فَعِل، وثانيه حرف من حروف الحلق مثل: فَخِذ، فلهم فيه أربع لغات، فتح الأول وكسر الثاني وهو الأصل، وفتح الأول وإسكان الثاني، وكسر الأول وإسكان الثاني نقلوا كسرة الثاني إلى الأول، وكسرهما جميعاً.

وكذلك الفعل مثل: ضحك، إن شئت قلت: ضحْك بإسكان الحاء مع فتح الضاد وكسرها، وكسرهما جميعاً. ومثله: نعم الرجل.

وقرأتُ على ابن بهروز، أخبركم عبد الأول، أبنا عبد الرحمن الداودي، أبنا عبدالله بن أحمد، أبنا إبراهيم بن خريم، ثنا [عبد][٢] بن حميد، ثنا عبدالله بن يزيد، ثنا سعيد بن أبي أيوب[٣]، حدثني معروف بن سويد الجذامي[٤]، عن أبي عُشَّانة المعافري[٥]، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين، الذين تُسَدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت

(١) الدر المصون (٤/ ٢٤٠).

(٢) في الأصل: عبد الله. وقد سبقت ترجمته.

(٣) سعيد بن أبي أيوب واسمه مقلاص الخزاعي مولاهم، أبو يحيى المصري، ثقة ثبت، ولد سنة مائة، ومات سنة إحدى وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٧، والتقريب ص:٢٣٣).

(٤) معروف بن سويد الجذامي، أبو سلمة المصري، توفي قبل الخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٨، والتقريب ص:٥٤٠).

(٥) هو حَيّ بن يُؤْمِن بن حجيل بن جريج، أبو عُشَّانة المعافري المصري، ثقة، مشهور بكنيته، مات سنة ثماني عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٦٣، والتقريب ص:١٨٥).

أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن شاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكانُ سمائك وخيرتك من خلقك، فتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم! قال: إنهم كانوا عباداً لي، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، وتُسدُّ بهم الثغور، وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[1].

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ سبق تفسيره في أوائل البقرة[2].

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ وقد ذكرته. وسيأتي إن شاء الله في سورة محمد ﷺ بعض ما صح عن النبي ﷺ في إثم قطيعة الرحم.

وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ قال المفسرون: أي: عليهم اللعنة.

وعندي: أن هذا مثل قوله:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨ ح٦٥٧٠).

(٢) البقرة آية رقم:٢٧.

أَخَافُ زِياداً أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرا

وقد سبق إنشاده في الأنفال(١).

قوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسعه لمن يشاء ﴿ويقدر﴾ أي: يضيق على من يشاء، على ما تقتضيه حكمته وعلمه في خلقه جلّت عظمته، ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: يريد: مشركي مكة فرحوا بما نالوا من الدنيا، فطَغَوْا وكذبوا الرسل(٢).

﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة﴾ أي: بالنسبة إليها ﴿إلا متاع﴾ أي: قليل ذاهب؛ كالشيء الذي يتمتع به ثم ينقضي.

وقد سبق الكلام عليه في آخر آل عمران(٣).

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ وهم الذين كانوا يقترحون الآيات على رسول الله ﷺ تعنتاً وعناداً، مع أنهم قد شاهدوا من سَمْته وهديه وأخباره بما كان ويكون، فكان انشقاق القمر له، وكفى بالقرآن آية باهرة، ومعجزة ظاهرة على صدقه.

﴿لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء﴾ وهم الذين غلبت عليهم الشقوة وكانوا ضلالاً في علم الله.

﴿ويهدي إليه من أناب﴾ أي: رجع إلى الحق ولم يعاند، فليس منشأ الضلال فواتُ الآيات، ولا موجَبُ الهدى الإتيانُ بالمقترحات.

---

(١) ص:٤٢٦.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢٦).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [١٨٥].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾

﴿الذين آمنوا﴾ في محل النصب بدلاً مِن «مَن أناب»[1]، ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ أي: تسكن ﴿بذكر الله﴾ قال مقاتل[2]: هو القرآن.

وقيل: هو عام في ذكر الله تعالى.

وقيل: تطمئن قلوبهم بذكر وعد الله ورحمته.

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ يعني: قلوب المؤمنين.

﴿الذين آمنوا﴾ مبتدأ، خبره ﴿طوبى لهم﴾، أو هو بدل من «القلوب»، على حذف المضاف، تقديره: تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات[3].

﴿طوبى لهم﴾ قال الزمخشري[4]: هو مصدر مِنْ طَاب، كبُشْرى وزُلْفى.

ومعنى: طوبى لك: أصبت خيراً وطيباً، ومحلها النصب أو الرفع[5]، كقولك: طيباً لك، وطيب لك، وسلاماً لك، وسلام لك.

والقراءة في قوله: ﴿وحسن مآب﴾ بالرفع والنصب يدلك على محلَّيْها، والواو في طوبى منقلبةٌ عن ياء لضمه ما قبلها، كمُوقِن ومُوسِر.

---

(١) التبيان (٢/ ٦٤)، والدر المصون (٤/ ٢٤١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٧٥).

(٣) التبيان (٢/ ٦٤)، والدر المصون (٤/ ٢٤١).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٩٧).

(٥) التبيان (٢/ ٦٤)، والدر المصون (٤/ ٢٤١).

قال أبو عبيدة والزجاج وكثير من أهل اللغة[١]: طوبى فُعْلَى من الطِّيب.

قال ابن الأنباري[٢]: تأويلها: الحال المستطابة.

قلت: إلى هذا المعنى ترجع أقوال المفسرين.

قال ابن عباس: «طوبى لهم» أي: فرحٌ وقرة عين[٣].

وقال الحسن: حسنى لهم[٤].

وقال سعيد بن جبير: غبطة لهم[٥].

وقال النخعي: خير لهم[٦].

وقيل: «طوبى» اسم الجنة بالحبشية[٧].

والذي عليه جمهور المفسرين: أن «طوبى» شجرة في الجنة[٨].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٤٨).

(٢) انظر: الوسيط (٣/ ١٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٤٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٦) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٤٣) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٦) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٤٢) وعزاه لأبي الشيخ.

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٤٣) وعزاه لأبي الشيخ.

(٧) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٤٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٤٣) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ عن ابن عباس.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري «أن رجلاً قال: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني. قال له رجل: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[1].

وقال أبو هريرة: «طوبى شجرة في الجنة، يقول الله: تفتقي لعبدي عما شاء، فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأزمتها، وعما شاء من الكسوة»[2].

وقرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني رحمه الله، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي، [أخبركم][3] الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أبنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي، أبنا أبو بكر[4] أحمد بن [الحسن][5] الحيري، أبنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا محمد بن يحيى، ثنا يزيد بن هارون، أبنا محمد بن [عمرو][6]، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧١ح١١٦٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٤٧).

(٣) في الأصل: حدكم. والصواب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل زيادة: "بن"، وهو خطأ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٢١٧).

(٥) في الأصل: الحسين. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٦) في الأصل: عمر. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٣٣)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٢١٢-٢١٧).

سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ »[1] [السجدة:١٧]. و«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾»[2] [الواقعة:٣٠]. هذا حديث صحيح.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿كذلك أرسلناك﴾ أي: مثل ذلك الإرسال أرسلناك، يعني: أرسلناك إرسالاً له شأن عظيم ونبأ جليل.

ثم بينه فقال: ﴿في أمة قد خلت من قبلها أمم﴾ أي: تقدمتها أمم كثيرة ﴿لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك﴾ أي: لتقرأ عليهم القرآن العظيم الذي أوحينا إليك.

﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ بالبليغ الرحمة، الذي وسعت رحمته كل شيء.

وقد روي عن ابن عباس قال: «نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت: ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي﴾»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٥ ح٣٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤ ح٢٨٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٧ ح٣٠٨٠)، ومسلم (٤/ ٢١٧٥ ح٢٨٢٦).
(٣) زاد المسير (٤/ ٣٢٩)، وأسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٢٧٩).

وقال قتادة ومقاتل[١]: لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية كتب عليٌّ عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية[٢].

وقيل: «كان رسول الله ﷺ يوماً في الحِجْر يدعو، وأبو جهل يسمع، وهو يقول: يا الله يا رحمن! فولى مدبراً إلى المشركين، فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين، فنزلت هذه الآية»[٣].

﴿قل هو ربي لا إله إلا هو﴾ أي: قل لهم يا محمد: إن الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتموه هو ربي لا إله إلا هو.

﴿عليه توكلت﴾ في نصرتي عليكم ﴿وإليه متاب﴾ مرجعي.

قال أبو عبيدة[٤]: هو مصدر تبتُ إليه.

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٧٦).

(٢) أخرج نحوه النسائي (٦/ ٤٦٤)، وأحمد (٤/ ٨٦)، والطبري (٢٦/ ٩٣) كلهم عن عبدالله بن مغفل. وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٢٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٢٩).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٢٩).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٣٠).

قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال﴾ قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: قال مشركوا مكة للنبي ﷺ: ادع الله عز وجل أن يزيل عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنزرع، أو يحيي لنا موتانا فنكلمهم، أو تصير لنا هذه الصخرة ذهباً فتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآية[1].

والمعنى: لو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال عن مواضعها.

﴿أو قطعت به الأرض﴾ أي: شُقِّقَتْ فجُعلت أنهاراً وعيوناً، ﴿أو كلم به الموتى﴾ فتسمع وتجيب.

وهذه الجملة -أعني: سيرت وقطعت وكلم- في موضع النصب، وصفاً للقرآن.

واختُلف في جواب «لو» فقال الأكثرون: هو مضمر، تقديره: لكان هذا القرآن لعظمته وكرامته.

أو يكون المعنى: لو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعاً، لكان هذا القرآن؛ لما يشتمل عليه من الإنذار والتهديد والتخويف.

وقيل: التقدير: لو أن قرآناً كان بهذه المثابة لما آمنوا به؛ كقوله تعالى: ﴿ولو أننا

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٠). وانظر: زاد المسير (٤/ ٣٣٠)، وأسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٢٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٥٢) وعزاه لأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه.

نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا﴾ [الأنعام:١١١].

وذكر الفراء[١]: أن جواب «لو» مقدّم، تقديره: وهم يكفرون بالرحمن ولو أننا نزلنا عليهم ما سألوه.

﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ فلو شاء لهداهم اختياراً واضطراراً.

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ قال ابن عباس: أفلم يتبين[٢]، وكذا كان يقرأها علي وابن مسعود في آخرين، وهو قول مجاهد[٣].

وروي عن ابن عباس أنه قال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس[٤].

قال بعض العلماء: هذا ونحوه مما لا يُصَدَّقُ في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متغلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه، هذه والله فرية ما فيها مرية.

وقال في رواية ابن أبي طلحة: أفلم يعلم[٥]. وبه قال قتادة والحسن.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٥٣) وعزاه لابن الأنباري في المصاحف عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٥٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٥٣) وعزاه لابن الأنباري في المصاحف.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٥٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال ابن قتيبة[١]: يقال: هي لغة للنَّخْع. قال سحيم بن وثيل[٢]:

أقولُ لهم بالشِّعْب إذ ييْسِرُونَني ألم تَيْأَسُوا أني ابنُ فارِسِ زَهْدَم

وقال آخر:

ألم يَيأسِ الأقوامُ أني أنا ابنُه وإن كنتُ عن أرضِ العشيرة نائيا[٣]

ومعنى القولين واحد.

وإنما وقع اليأس موقع العلم؛ لأن في علمك الشيء وتيقنك به يأسك من غيره، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك.

وقال صاحب الكشاف[٤]: ويجوز أن يتعلق «أن لو يشاء» بـ«آمنوا» على أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم.

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم ونازلة شديدة تنزل بهم. قال ابن عباس: عذاب من السماء[٥].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٢٧-٢٢٨).

(٢) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، ونسب لابنه جابر أيضاً بدليل قوله فيه: ... أني ابن فارس زهدم، وزهدم فرس سحيم. وانظر: مجاز القرآن (١/ ٣٣٢)، والطبري (١٣/ ١٥٣)، و اللسان، (مادة: يأس)، والبحر (٥/ ٣٨٢)، والدر المصون (٤/ ٢٤٣)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٦٠، ١٤٢).

(٣) البيت لرباح بن عدي. وانظر: المحتسب (١/ ٣٥٧)، والبحر (٥/ ٣٨٢)، والدر المصون (٤/ ٢٤٣)، والطبري (١٣/ ١٥٣)، والقرطبي (٩/ ٣٢٠)، وروح المعاني (١٣/ ١٥٦).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٩٩).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٥٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

﴿أو تحلّ﴾ القارعة ﴿قريباً من دارهم﴾ فتقلقلهم وتزعجهم، ويتطاير إليهم شررها، ويتعدى إليهم ضررها، ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ وهو فتح مكة، وهذا قول [أبي](١) سعيد الخدري(٢).

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ هذه تعزية للنبي ﷺ عن اقتراحهم الآيات تكذيباً واستهزاء، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أطَلْتُ لهم المدة بتأخير العذاب عنهم ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿فكيف كان عقاب﴾ قال ابن عباس: يريد كيف رأيت ما صنعتُ بهم، كذلك أصنع بمشركي قومك(٣).

قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ هذا احتجاج على كفار قريش وغيرهم من الذين اتخذوا مع الله تعالى آلهة.

والمعنى: أفمن هو قائم على كل نفس صالحة وطالحة بما كسبت من خير وشر ومجاز لها عليه. التقدير: كمن ليس كذلك من الأصنام التي اتخذتموها آلهة. ودلّ

(١) زيادة على الأصل.
(٢) زاد المسير (٤/ ٣٣٢).
(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧).

على المحذوف قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ وانظروا بشرط تحكيم العقل وعزل الهوى: هل تصدق الأسماء عليهم أو تصح إضافة مدلولاتها إليهم.

﴿أم تنبئونه﴾ تخبرونه ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ فإنه لا يعلم لنفسه شريكاً ولا إلهاً في الأرض، وإذا لم يعلمه لم يكن شيئاً، لاستحالة موجود لا يتعلق به علم الله تعالى.

﴿أم بظاهر من القول﴾ أي: بل أتسمونهم شركاء بقول ظاهر لا باطن له ولا حقيقة، وإنما هو كلام فارغ لا معنى تحته، وهذا شبيه بقوله: ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ [التوبة:٣٠]، وقوله: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء﴾ [يوسف:٤٠] وهذا من الاحتجاج البديع الذي يقرطس في إصابته، والكلام البليغ الذي يأنس به الأسماع مع غرابته.

﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أي: دع ذكر ما كنا فيه، زُين للذين كفروا كيدهم للإسلام وأهله.

﴿وصدوا عن السبيل﴾ قرأ أهل الكوفة: «وصُدوا»، وفي المؤمن ﴿وصُدَّ عن السبيل﴾ [غافر:٣٧] بضم الصاد فيهما، وقرأ الباقون بالفتح(١).

فمن ضَمَّ بنى الفعل على المفعول به، فإن فاعل الصد غواتهم وقادتهم، أو هو الله تعالى بالطبع على قلوبهم، أو هو الشيطان بالتزيين.

ومن فتح أسند الفعل إلى الفاعل، على معنى: منعوا الناس عن اتباع محمد ﷺ، واعتبره بنظائره في كتاب الله تعالى كقوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٣-٣٧٤)، والكشف (٢/ ٢٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٩).

[محمد:١]، وقوله: ﴿إن الذين كفروا ويصدون﴾ [الحج:٢٥]، وقوله: ﴿هم الـذين كفروا وصدوكم﴾ [الفتح:٢٥].

﴿ومن يضلل الله في له من هاد﴾ يقدر على هدايته، كما قال: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ [الجاثية:٢٣].

لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ وهو ما نـالهم مـن القتـل والأسر، والمصائب في الأنفس والأولاد والأموال، فإنها عذاب عليهم؛ لأنهم لا يرجون أن تجلب لهم ثواباً، ولا أن تدفع عنهم عقاباً.

﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأغلظ وأبقى ﴿ومـا لهـم مـن الله مـن واق﴾ يقيهم ويحفظهم من عقابه.

قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ قال ابن قتيبة(١): المَثَل: الـشَّبَه، في أصل اللغة، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته، تقول: مَثَّلْتُ لك كذا، أي: صوَّرْته ووصَفْته، ورفعه على الابتداء.

قال ثعلب(٢): خبره مضمر قبله. المعنى: فيما نقُصّه عليكم مثل الجنة.

قال غيره: الخبر: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾، وأفسد بعضهم هذا الوجه؛ لما فيه

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٩٦).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٣٤).

من إلغاء المضاف والإخبار عن المضاف إليه، وإن جُعل المثل بمعنى الصفة -كما قال ابن قتيبة[١]- زال هذا الإشكال، إلا أن أبا علي الفارسي أنكره إنكاراً شديداً.

وقال الزجاج[٢]: المعنى: مثل الجنة جنةٌ تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف، تمثيلاً لما غاب عنا عما نشاهد.

﴿أكلها دائم﴾ قال الحسن: يريد: أن ثمارها لا تنقطع [كثمار الدنيا][٣]، وظلها دائم لا تنسخه الشمس كظل الدنيا[٤].

﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ الشرك، بدليل قوله: ﴿وعقبى الكافرين النار﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم بالإسلام من اليهود والنصارى.

قال مقاتل[٥]: هم عبد الله بن سلام وأصحابه.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٩٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٥٠).

(٣) زيادة من زاد المسير (٤/ ٣٣٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٣٤).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ١٧٩).

وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ(١).

فيكون المراد بالكتاب: القرآن.

﴿يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب﴾ الذين بالغوا في عنادهم وكفرهم حتى تحزبوا على رسول الله ﷺ؛ كعب بن الأشرف من اليهود، والسيد والعاقب من أساقفة نصارى نجران، وصناديد قريش كأبي جهل وأحزابه.

﴿من ينكر بعضه﴾ فأهل الكتاب أنكروا ما في الكتابين من نعت الإسلام ووصف النبي ﷺ، وصناديد قريش أنكروا إنكاراً شديداً ذكر الرحمن في القرآن.

وروي: أن عبد الله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن لما كانوا ألفوا من كثرة ذكره في التوراة، فلما نزل ذكره في مواضع متعددة فرحوا وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية(٢).

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي: ومثل ذلك أنزلنا القرآن ﴿حكماً عربياً﴾ أي: حكمة مترجمة بلسان العرب. وانتصابه على الحال.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعني: ضلالاتهم ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ وهو البيان الواضح، ﴿ما لك من الله﴾ أي: من عذابه ﴿ولي﴾ نافع ﴿ولا واق﴾ دافع.

قال الزمخشري(٣): وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٣٥)، والبغوي (٣/ ٢١)، والسيوطي في الدر (٤/ ٦٥٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٣٥)، والقرطبي في تفسيره (٩/ ٣٢٦).

(٣) الكشاف (٢/ ٥٠٢).

الثبات في الدين [والتصلب][(١)] فيه، وأن لا يزلّ زالٌّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا [فكان][(٢)] رسول الله ﷺ من شدة الشكيمة بمكان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ نساءً وأولاداً.

قال ابن عباس: عيرت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: ما نرى لهذا الرجل همةً إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً لشغلته النبوّة عن التزويج بالنساء، فأنزل الله هذه الآية[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ لا بما يقترح عليه، ﴿لكل أجل﴾ قدَّره الله وقضاه ﴿كتاب﴾ مثبت عند الله تعالى، فلا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب. هذا قول ابن جرير[(٤)].

وقال الحسن: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله[(٥)].

---

(١) في الأصل: بالتصلب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٢) في الأصل: فكأنّ. والصواب ما أثبتناه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٣٦).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٦٥).

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٣٦).

قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ذهب جماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى القول بعمومها في كل شيء، حتى في الرزق، والأجل، والسعادة والشقاوة، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت عليّ الذنب والشقاوة فامحني، وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب(١).

وروي نحوه عن ابن مسعود(٢).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها على عمومها، إلا في الشقاوة والسعادة والحياة والموت(٣).

قرأت على القاضي أبي محمد عبد المجير بن محمد بن عشائر الموصلي بحلب، أخبركم الخطيب أبو الفضل عبدالله بن أحمد بن محمد الطوسي فأقر به، ثنا أبو الخطاب نصر بن أحمد بن [البطر](٤)، ثنا عمر بن محمد بن عبد الواحد الزاهد، ثنا أحمد بن عبدالله، ثنا [عبيدالله](٥) بن موسى، ثنا ابن أبي ليلى(٦)، عن المنهال بن

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٤) وعزاه لابن المنذر والطبراني.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٥) وعزاه له.

(٤) في الأصل: النطر. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٦).

(٥) في الأصل: عبدالله. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦-٤٧)، والتقريب (ص:٣٧٥).

(٦) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، أبو عبد الرحمن الكوفي، قاضي الكوفة، كان فقيهاً صدوقاً، عالماً بالقرآن، مات سنة ثمان وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٦٨-٢٦٩، والتقريب =

عمرو[١]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى السماء الدنيا في شهر رمضان فيدبر أمر السماء فيمحو ما يشاء، غير الشقاء والسعادة والموت والحياة[٢].

ويدل على صحته ما روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة يقول الملك الموكل: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ويكتب الملك، فيقول: أشقي أم سعيد فيقضي الله ويكتب الملك، [فيقول][٣]: عمله وأجله فيقضي الله ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها»[٤].

وقال سعيد بن جبير وقتادة وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: «يمحو الله ما يشاء» وهو المنسوخ[٥]. وهذا اختيار جماعة من أهل المعاني.

قال أبو علي الفارسي[٦]: هذا والله أعلم فيما يحتمل النَّسخ والتبديل من

= ص:٤٩٣).

(١) المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة صدوق (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٣، والتقريب ص:٥٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٦)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٥٩) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٣) زيادة على الأصل. وانظر: صحيح مسلم.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٧ ح٢٦٤٤).

(٥) الوسيط (٣/ ٢٠)، وزاد المسير (٤/ ٣٣٧).

(٦) الحجة (٣/ ١١-١٢).

الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات.

وقال الحسن: يمحو من جاء أجله ويُثبت من لم يجيء أجله[١].

وقال الضحاك: يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء مما ليس فيه ثواب ولا عقاب؛ كقوله: أكلت، شربت، خرجت، ولجت، وأمثال ذلك إذا كان صادقاً، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب[٢].

وقيل: يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها[٣].

﴿وعنده أمّ الكتاب﴾ أي: أصل كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ؛ لأن كل كائن مكتوب فيه.

قال ابن عباس: هما كتابان؛ كتاب سوى أم الكتاب يمحو فيه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء[٤].

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٣٨).

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٦٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ أي: من العذاب فتراه وأنت حي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك، ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أي: بلاغ ما أرسلت به فحسب. ثم فرض عليه بعد ذلك القتال.

ومن قال: المعنى: ليس عليك أن تُدخِل الإيمان في قلوبهم، فهي محكمة.

﴿وعلينا الحساب﴾ الجزاء، فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم.

قال الزجاج[1]: «إن» إذا دخلت عليها «ما» لتوكيد الشرط، دخلت النون مؤكدة للفعل.

وقوله: «أو نتوفينك» عطف على «نرينك»، وجواب الجزاء: «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب».

قوله تعالى: ﴿أولم يروا﴾ يعني: الكفار ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ بما نفتح على المسلمين بلادهم، ونمنح المؤمنين من أزواجهم وأولادهم.

﴿والله يحكم﴾ لك بغلبتك واستغلابك، واستيلائك على أعدائك ﴿لا معقّب لحكمه﴾ أي: لا ناقض لما أمضاه، ولا رادّ لما قضاه، للعقب الذي يكرّ على الشيء ويتبعه.

وقوله: «لا معقب لحكمه» في محل الحال، كأنه قيل: والله تعالى يحكم نافذاً حكمه.

﴿وهو سريع الحساب﴾ مفسر في البقرة[2].

وقد روي عن ابن عباس: أن المراد بنقص الأرض: ذهاب الأخيار والعلماء،

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٥٠).

(٢) آية رقم: ٢٠٢.

وموت الأحبار والفقهاء(١).

قال ابن مسعود: موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار(٢).

وقيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك علمائهم(٣).

قال سفيان بن عيينة: أي عقوبة أشد على أهل الجهل من أن يذهب أهلُ العلم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد بن عبدالرزاق السلمي العطار وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة الصوفي البغداديان قالا: أبنا عبد الأول بن عيسى، أبنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي، أبنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أبنا محمد بن يوسف الفربري، أبنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا إسماعيل بن أبي [أويس](٤)، حدثني مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسُئلوا، فأفتوا بغير

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨١)، والطبري (١٣/ ١٧٤)، ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٥) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٦٨)، والدارمي (١/ ١٠٦) عن الحسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٨)، والبيهقي في شعبه (٢/ ٢٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧٦).

(٤) في الأصل: أنيس. والتصويب من صحيح البخاري (١/ ٥٠). وانظر: ترجمته في: تهذيب التهذيب (١/ ٢٧١-٢٧٣)، والتقريب (ص:١٠٨).

علم، فضَلُّوا وأضَلُّوا »[١]. هذا حديث متفق على صحته، وأخرجه مسلم عن قتيبة عن جرير عن هشام.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وقد مكرَ الذين من قبلهم﴾ يعني: كفار الأمم الخالية مكروا بأنبيائهم كما مكرتْ قريش بك يا محمد.

ثم أخبر أن المكر كله لله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿فلله المكر جميعاً﴾ فلا يقدر أحد على شيء منه إلا بإرادته وإقداره عليه.

ثم فسر فقال: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر، ونفع وضر، ومن عَلِمَ ذلك فله المكر كله.

﴿وسيعلم الكافر﴾ قال الزجاج[٢]: هو اسم جنس.

وعن ابن عباس: أنه أبو جهل[٣].

وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «وسيعلم الكفار» على الجمع[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٠ ح١٠٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٨ ح٢٦٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٥١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٤١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٥)، والكشف (٢/ ٢٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٥٩).

قال ابن جرير الطبري (١٣/ ١٧٥): والصواب من القراءة في ذلك القراءة على الجمع، لأن الخبر =

﴿لمن عقبى الدار﴾ أي: لمن آخر الأمر ولمن الجنة.

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ وهم اليهود والنصارى، في قول أكثر المفسرين[(١)].

وقيل: كفار قريش.

﴿لست مرسلاً﴾ إلينا بالنبوة. ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ بما أنار من دلالاتي وأبان من آياتي.

﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ «مَنْ» [في][(٢)] موضع جر عطفاً على اسم الله.

ويجوز أن يكون في موضع رفع عطفاً على موضع الجار والمجرور[(٣)]، كقراءة من قرأ في: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر:٣]، وقراءة من قرأ: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف:٥٩].

وقوله: «عِلْمُ الكتاب» مرتفع بالظرف على المذهبين؛ لأن الظرف جرى صلة لِمَنْ[(٤)]، «ومَنْ» هاهنا بمعنى الذي.

والتقدير: من ثبت عنده علم الكتاب.

قال جمهور المفسرين: الذي عنده علم الكتاب؛ عبد الله بن سلام[(٥)].

= جرى قبل ذلك عن جماعتهم وأتبع بعده الخبر عنهم، وذلك قوله: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ وبعده قوله: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾.

(١) زاد المسير (٤/ ٣٤١).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) التبيان (٢/ ٦٥)، والدر المصون (٤/ ٢٤٨).

(٤) التبيان (٢/ ٦٥)، والدر المصون (٤/ ٢٤٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١٧٦-١٧٧)، ومجاهد (ص:٣٣١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٨) =

قال قتادة: عبد الله بن سلام، وسلمان، وتميم الـداري[1]. وهـذا يجـيء عـلى القول الأول أن المراد بالذين كفروا: أهل الكتاب.

وقال الحسن ومجاهد: الذي عنده علم الكتاب؛ هو الله عز وجل[2].

واختاره الزجاج[3] معللاً أن الله تعالى لا يَستشهد على خلقه غيرَه.

وهو تعليل فاسد. قال الله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء:٤١]. وقال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم ... الآية﴾ [النور:٢٤]، وفي القرآن والحديث من هذا كثير، فيكون المراد بالكتاب على هذا القول: اللوح المحفوظ.

وقال سعيد بن جبير: هو جبريل عليه السلام[4].

وقال ابن الحنفية: هو علي عليه السلام[5].

وقيل: المعنى من عنده علم القرآن، وهم الراسـخون في العلـم المـدركون في بلاغة القرآن وفصاحته وافتنان أساليب خطابه.

وقرأتُ للكسائي من رواية ابن أبي سريج: «ومِن عندِه» بكسر الميم والـدال.

=

وعزاه لابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد.

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٥٢).

(٤) زاد المسير (٤/ ٣٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٤٢).

«عُلِمَ» على البناء للمفعول. «الكتاب» بالرفع، وهي قراءة ابن السميفع وابـن أبي عبلة[١].

وقرأ الحسن: «ومِن عندِه»[٢]، كـابن أبي سريـج «علـم الكتـاب» كالبـاقين، يجعلها جملة مستأنفة لا ارتباط لها بما قبلها.

(١) زاد المسير (٤/ ٣٤٢)، والدر المصون (٤/ ٢٤٨).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٧٠).

سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وخمسون آية في المدني، واثنتان في الكوفي، وهي مكية.

واستثنى ابن عباس: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ والتي [بعدها][1].

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ «كتاب» خبر مبتدأ مضمر، أي: هذا كتاب، والجملة التي هي أنزلناه في موضع الرفع صفة للنكرة[2].

﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ قال ابن عباس: من الشرك إلى الإيمان[3].

﴿بإذن ربهم﴾ بلطفه وتوفيقه إياهم. وقال الزجاج[4]: بما أذن لك من تعليمهم.

---

(١) في الأصل: قبلها. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٣٤٣).

(٢) التبيان (٢/ ٦٥)، والدر المصون (٤/ ٢٤٩)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٦٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٤٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ١٥٣).

﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ بدل من «النور» بتكرير العامل[١]، كقوله: ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف:٧٥].

وقال الزجاج[٢]: ثم بيّن ما النور فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾.

قال ابن الأنباري[٣]: وهذا مثل قول العرب: جلست إلى زيد إلى العاقل الفاضل. وإنما تعاد «إلى» لمعنى التعظيم للأمر. قال الشاعر[٤]:

إذا خدرتْ رجلي تذكرتُ من لها   فناديتُ لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو أن نفسي تُطيعني   لألقيتها في حبها وقضيتُ

فأعاد «دعوت» لتفخيم الأمر.

قوله تعالى: ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ قرأ نافع وابن عامر: «اللهُ» بالرفع، وقرأتُ به لأبي عمرو من رواية عبد الوارث، ولعاصم من رواية أبان، ورواية المفضل. وقرأ الباقون: «الله» بالجر[٥]. فمن رفع فعلى الابتداء وما بعده الخبر، أو على معنى: هو الله. ومن جر جعله عطف بيان للـ«عزيز الحميد»؛ لأن اسم الله تعالى جرى مجرى أسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود، كما غلب للنجم الثريا أو هو بدل[٦].

---

(١) التبيان (٢/ ٦٥)، والدر المصون (٤/ ٢٤٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٥٣).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٤٤).

(٤) البيتان لقيس بن ذريح، وهما في: الأغاني (٩/ ٢٢٥)، وزاد المسير (٤/ ٣٤٤).

(٥) الحجة للفارسي (٢/ ١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٦)، والكشف (٢/ ٢٥)، والنشر (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٢).

(٦) التبيان (٢/ ٦٥)، والدر المصون (٤/ ٢٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٦٣).

ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾[1].

ويجوز أن يكون في موضع الجر وصفاً للكافرين[2].

ومعنى «يستحبون»: يحبون ويؤثرون، يقال: أَحَبَّ واستَحَبَّ، مثل: أجاب واستجاب، وأوقد واستوقد.

قال ابن عباس: يأخذون ما تعجل لهم منها تهاوناً بأمر الآخرة واستبعاداً لها، كقوله: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾[3] [الإنسان:٢٧].

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي: بلغتهم ﴿ليبين لهم﴾ فيفقهوا عنه ما بُعث به، فإذا ظهر واشتهر وقويت شوكته بهم بث دعاته يترجمون للأمم بألسنتهم.

وقد روي عن الضحاك: أن الضمير في «قومه» لمحمد ﷺ، وأن الكتب كلها نزلت بالعربية، ثم أداها كل نبي بلسان قومه. وليس هذا شيء، لأن قوله: ﴿ليبين

---

(١) الدر المصون (٤/ ٢٥١).

(٢) التبيان (٢/ ٦٦)، والدر المصون (٤/ ٢٥١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٤٥).

لهم﴾ يفسده.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾.

قال الزجاج[1]: المعنى: أرسلناه بأن يخرج قومه.

ويجوز أن تكون مفسرة. المعنى: أرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج، كأن المعنى قلنا له: أخرج قومك، ومثله: ﴿أن امشوا﴾ [ص:٦] أي: قالوا لهم امشوا واصبروا على آلهتكم.

﴿وذكرهم بأيام الله﴾ قال مجاهد وقتادة وابن قتيبة[2]: بنعم الله[3]. يشيرون إلى ما خصّهم به من التظليل بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم، وإهلاك عدوهم، وفَلْق البحر لهم.

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي في كتابه، أبنا عبد الجبار بن محمد الخواري، أبنا علي بن أحمد النيسابوري، ثنا عبد القاهر بن طاهر، أبنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، أبنا محمد بن عبدالله الحضرمي، ثنا عبد الحميد بن صالح، ثنا محمد بن أبان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٥٥).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٣-١٨٤)، ومجاهد (ص:٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦) وعزاه للطبري عن مجاهد.

﴿وذكرهم بأيام الله﴾ قال: ((أيامه: نِعَمه))[١].

فإن صح الحديث فهو التفسير لا غير.

ومحمد بن أبان ضعيف عند أهل النقل. قال ابن معين: ضعيف الحديث لا يكتب حديثه[٢].

وقال البخاري: محمد بن أبان يتكلمون في حفظه، حديثه ليس بالقوي[٣].

وقال جماعة؛ منهم ابن زيد وابن السائب ومقاتل[٤]: «ذكرهم بأيام الله»: بوقائعه في الأمم[٥].

وقال الزجاج[٦]: ذكرهم بأيام الله التي [انتقم][٧] فيها من قوم نوح وعاد وثمود. أي: ذكِّرْهُم بالأيام التي سلفت لمن كفر وما نزل بهم فيها، وذكرهم بنعم الله.

وهذا قول شديد؛ لأن المراد: ذكّرهم مُرَغِّباً ومُرَهِّباً بما كان في أيام الله من النِّعم

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٢)، والطبري (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦) وعزاه للنسائي وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٢) الجرح والتعديل (٧/ ١٩٩).

(٣) ميزان الاعتدال (٦/ ٤١).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٤) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٤٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن الربيع.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٥٥).

(٧) في الأصل: أنقذهم. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

والنِّقم، فاجتزأ عنها بذكر الأيام؛ لاشتمالها عليها، ومبادرةِ الأفهام إليها.

﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات﴾ لعبراً ودلالات ﴿لكل صبَّار﴾ على البلاء ﴿شكور﴾ للنعماء.

وإنما خص الصَبَّارَ الشَّكُورَ بالذِّكْر؛ لموضع انتفاعه بالتذكير، وتنبيهه على ما يجب عليه من الصبر والشكر، وإلا ففيه آيات لكل فاهم شكور أو كفور جزوع أو صبور.

وقيل: أراد لكل مؤمن؛ لأن الصبر والشكر من سجايا المؤمنين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

وما بعده مفسر في البقرة والأعراف إلى قوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾.

فإن قيل: ما موضع قوله: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ من الإعراب؟

قلت: هو من جملة ما قاله موسى لقومه، بدليل قوله فيما بعده: ﴿وقال موسى﴾ فإذا ثبت ذلك فموضعه النصب عطفاً على قوله: ﴿نعمة الله عليكم﴾.

واذكروا حين تأذن ربكم فقال: لئن شكرتم لأزيدنكم، وأجرى «تأذن» مجرى قال؛ لأنه ضربٌ من القول.

وفي قراءة ابن مسعود: «وإذ قال ربكم»[١].

والمعنى: لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولت لكم من نعمة الإنجاء وغيرها بالتوحيد والطاعة لأزيدنكم من النعم.

وقال سفيان بن عيينة: لأزيدنكم من طاعتي التي تقود إلى جنتي[٢].

وفي هذا إيذان أن الشكر والحمد مثبت لدوام النعمة وزيادتها.

قرأتُ على ابن بهروز، أخبركم أبو الوقت، أبنا أبو الحسن الداودي، أبنا ابن حمويه، أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن خريم الشاشي، أبنا عبد بن حميد، أبنا محمد بن الفضل، أبنا حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، عن سالم بن عبدالله [بن][٣] عمر عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ قال: «من رأى عبداً به بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان»[٤].

﴿ولئن كفرتم﴾ عصيتم نعمتي وجحدتموها بالكفر والمعصية، ﴿إن عذابي لشديد﴾ لمن كفر نعمتي.

﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني﴾ عن طاعتكم لم يأمركم بها لحاجة به إليها، فإنه مُنَزّه عن النفع والضر، وإنما نفع الطاعة

(١) البحر المحيط (٥/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٦). وانظر: الوسيط (٣/ ٢٤) من قول ابن عباس، وزاد المسير (٤/ ٣٤٧) من قول الحسن.

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من مسند عبد بن حميد (١/ ٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٩٣ ح٣٤٣١)، وابن ماجه (٢/ ١٢٨١ ح٣٨٩٢)، ومسند عبد بن حميد (١/ ٤٣ ح٣٨).

راجع إليكم، ووبال المعصية عائد إليكم، ﴿حميد﴾ مستوجب للحمد؛ لكثرة خيره وإحسانه إلى خلقه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ اعتراض، والمعنى: أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله.

وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: كذب النسّابون[١].

وقال ابن الأنباري[٢]: إن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم، فليس يعرفهم أحد إلا الله تعالى.

قال ابن عباس: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون[٣].

﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم﴾ قال ابن مسعود: عضّوا أصابعهم غيظاً وحنقاً على الرسل[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الوسيط (٣/ ٢٤)، وزاد المسير (٤/ ٣٤٨).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٠) وعزاه لأبي عبيد وابن المنذر. وذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ٣٧)، وأبو السعود في تفسيره (٥/ ٣٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٩)، والطبري (١٣/ ١٨٨)، وابن أبي

وقال الحسن: وضعوا أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم وتسكيتاً لهم[(١)].

وقيل: «ردوا أيديهم في أفواههم»: أومأوا [إليهم][(٢)] بأن اسكتوا. وهذا مروي عن ابن عباس وغيره[(٣)].

﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أي: على زعمكم؛ لأنهم لم يكونوا يُقرّون برسالاتهم.

﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ الريب: الشك، تقول: رَابَني هذا الأمر؛ إذا أدخل عليك شكّاً وخوفاً، وأَرَابَ الرجُل: صار ذا ريبة، وأرابه غيره: أوقعه في الريبة[(٤)]. فقوله: «مريب» يجوز أن يكون معناه: موقع للريبة، ويجوز أن يكون معناه: ذي ريبة.

۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ

حاتم (٧/ ٢٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٠) وعزاه لعبدالرزاق والفريابي وأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) الطبري (١٣/ ١٨٩) بلا نسبة، وزاد المسير (٤/ ٣٤٩).

(٢) في الأصل: إلي. والصواب ما أثبتناه.

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٤٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: ريب).

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ استفهام في معنى الإنكار. والمعنى: أفي وحدانية الله الواضحة والدلائل شكٌّ؟.

﴿فاطر السموات والأرض﴾ بيان لوحدانيته، ﴿يدعوكم ليغفر لكم﴾ أي: يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم ﴿من ذنوبكم﴾ قال أبو عبيدة[١]: «مِنْ» زائدة؛ كقوله: ﴿فما منكم منْ أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة:٤٧] قال أبو [ذؤيب][٢]:

جَزيتُكِ ضِعْفَ الحبّ لما شكوتُه وما إنْ جزاكِ الضِّعفَ من أحدٍ قبْلي[٣]

وقال الزمخشري[٤]: إن قلت: ما معنى التبعيض في قوله: ﴿من ذنوبكم﴾؟

قلت: ما علمتُه جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين، كقوله: ﴿واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم﴾ [نوح:٣-٤]، ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ [الأحقاف:٣١]. وقال في خطاب المؤمنين: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ إلى قوله: ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ [الصف:١٠-١٢] وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك بين الخطابين، ولئلا يسوّي بين

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٣٦).

(٢) في الأصل: ذئب. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٣٥٠)، وروح المعاني (٨/ ١١٦)، واللسان (مادة: ضعف، وفيه «الود» بدل: «الحب»، و «استبنته» بدل «شكوته»).

(٤) الكشاف (٢/ ٥١٠).

الفريقين في الميعاد.

﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى وقت قد سمّاه وبيّن مقداره، وهو المـوت. والمعنى: يدعوكم ليغفر لكم ويمتعَكم بالحياة، آمنين من العذاب إلى وقت انقضاء أجلكم بالموت، ﴿قالوا إن أنتم﴾ أي: ما أنتم ﴿إلا بشر مثلنا﴾ لا فضل لكم علينـا [فلماذا][(١)] خصكم بالنبوة دوننا؟.

﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبـين﴾ مفـسر فـيما مضى.

ولعمري إن الله تعالى لم يبعث رسولاً إلا مؤيَّداً بـسلطان دالّ عـلى رسـالته، ولكن سألوهم الإتيان بآيات اقترحوها تعنتاً عليهم ولجاجاً في كفرهم، فاعترفت لهم رسلهم بمساواتهم إياهم في وصف البشرية، فقالوا: ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة من غير اكتساب ولا سعي.

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي، أخبرنـا أبـو منـصور عبـد الرحمن بن محمد القزاز، أبنا الحافظ أبو بكر أحمـد بـن عـلي الخطيـب، وثنـا عبـد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسـود بـن سفيان بن يزيد بن أكينة بن عبد الله التميمي[(٢)] قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي

---

(١) في الأصل: فماذا. والصواب ما أثبتناه.

(٢) عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد، أبو الفرج التميمي، كان له في جامع المنصور حلقة للوعظ والفتوى على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولد في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، ومات في ليلة الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وأربعمائة عند قبر الإمام أحمد بن حنبل (تاريخ بغداد ١١/ ٣٢).

يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد سئل عن الحنان المنان فقال: « الحنان الذي يُقبِل على من أعرض عنه، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال »(١).

قال الخطيب(٢): بين أبي الفرج عبد الوهاب وبين علي تسعة آباء آخرهم أكينة، وهو السامع علياً عليه السلام.

﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان﴾ أي: بحجة من الحجج اللواتي يقترحون علينا الإتيان بها ﴿إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أمر من الرسل للمؤمنين كافة بالتوكل على الله.

﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ أي: أيّ عذر لنا في أن لا نتوكل على الله، ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ أي: بيّن لنا طريق الوصول إليه ومذهب التوكل عليه.

وفي قولهم: ﴿لنصبرن على ما آذيتمونا﴾ إيذان بانتظار الفرج من الله، فإن النصر مع الصبر.

﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ قال صاحب الكشاف(٣): الأمر الأول لاستحداث التوكل. وقوله: «فليتوكل المتوكلون» معناه: فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم.

قال المفسرون: وإنما قصّ الله تعالى هذا وأمثاله على رسول الله ﷺ ليقتدي بهم

(١) ذكره القرطبي (١٦/ ٩٣-٩٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٢).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣٢).

(٣) الكشاف (٢/ ٥١١).

في الصبر على الأذى ويهتدي بهم[(١)].

قرأتُ على القاضي أبي الفرج يحيى بن سعد الله بن أبي تمام التكريتي بها في سنة عشر وستمائة، أخبركم أبو المكارم بن محمد بن معمر البادرائي[(٢)] فأقرَّ به.

وقرأتُ على أبي محمد عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد الفقيه الحنبلي بدمشق، أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الكاتبة فأقرَّ به قالا: أخبرنا أبو الخطاب نصر بن البطر، أبنا أبو الحسين علي بن بشران المعدل، ثنا أبو علي الحسين بن صفوان، ثنا ابن أبي الدنيا، ثنا محمد بن إدريس، ثنا موسى بن أيوب، ثنا بقية، عن زرعة بن عبدالله بن كريز قال: كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو الهوامّ والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله... الآية﴾[(٣)].

قال زرعة: وهي [تنفع][(٤)] من البراغيث.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

(١) زاد المسير (٤/ ٣٥٠).

(٢) المبارك بن محمد بن المعمر، أبو المكارم البادرائي، توفي في تاسع عشر جمادى الآخرة، ودفن يوم الخميس من سنة سبع وستين وخمسمائة (تكملة الإكمال ١/ ٣٤٤).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٧٣).

(٤) في الأصل: تنفرع. وانظر: كشف الخفاء، الموضع السابق.

يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

وما بعده سبق تفسيره في قصة شعيب في الأعراف إلى قوله تعالى: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ أو لأن في الإيحاء معنى القول.

﴿ولنسكننكم الأرض﴾ يعني: أرض الظالمين ﴿من بعدهم﴾ أي: من بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ إشارة إلى إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ﴿لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ قال ابن عباس: خاف مقامه بين يديّ[1]، وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

قال الفراء[2]: العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها وإلى ما أُوقعت عليه، فيقولون: قد ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك، فهذا من ذاك، ومثله: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ [الواقعة:٨٢] أي: رزقي إياكم.

وقال بعضهم: «خاف مقامي» أي: موقفي، وهو موقف الحساب.

وقيل: خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله.

﴿وخاف وعيد﴾ بالعذاب، وأثبت الياء في الحالين يعقوب، تابعه وَرْش في الوصل، وحذفها الباقون[3]. وقد نبّهنا على علّة ذلك فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿واستفتحوا﴾ يعني: الرسل عليهم الصلاة والسلام، استنصروا

---

(١) الطبري (١٣/ ١٩٢)، والوسيط (٣/ ٢٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٥٠).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٧١).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧١).

الله على أعدائهم.

وقيل: «استفتحوا»: استحكموا الله تعالى وسألوه القضاء بينهم؛ كقوله: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف:٨٩].

وقد ذكرنا فيما مضى أن أهل عُمان يسمون القاضي فاتحاً وفتاحاً. وأنشدني بعض الفضلاء من أهل العربية:

خوفني اليمين فارتعت منها عند باب الفتاح أيّ ارتياع
ثم أرسلتها كما انحدر السيل تهادى من المكان اليَفَاع[1]

وقيل: الضمير في قوله: «واستفتحوا» يعود إلى الكفار، كقولهم: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢]، وقولهم: ﴿ربنا عجل لنا قطّنا﴾ [ص:١٦] أي: نصيبنا من العذاب.

وقوله: ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ أي: خسر حظه من الآخرة.

وقد سبق معنى الجبار والعنيد في هود[2].

قرأت على الشيخ أبي بكر بن مسعود، أخبركم عبد الأول فأقرّ به، أخبرنا عبدالرحمن، أبنا عبدالله، أبنا إبراهيم، ثنا عبد بن حميد، ثنا عبيد الله بن موسى، أبنا ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عنقٌ من النار يوم القيامة فيقول: إني وُكِلْتُ اليوم بكل جبار عنيد، [ومن][3] جعل مع الله إلهاً آخر. قال: فينطوي عليهم فيطرحهم في غمرات

(١) اليَفَاع: ما ارتفع من الأرض (اللسان، مادة: يفع).
(٢) ص: ١٧٧.
(٣) في الأصل: من. والتصويب من مسند عبد بن حميد (١/ ٢٨٢).

جهنم))[١].

قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يريد: أمامه جهنم[٢].

وقال أبو عبيدة[٣]: تقول: الموت وراءك، أي: قدّامك. وأنشدوا:

عسى الهمّ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءه فَرَجٌ قريب[٤]

وأصرح من هذا في الدلالة قول ابن أبي عروبة[٥]:

إني وإن كان ابن عمي غائباً لمزاحم من خلفه وورائه

ومفيده نصري وإن كان امرءاً متزحزحاً في أرضه وسمائه

وقيل: «من ورائه جهنم» أي: من بعده جهنم.

قال الزجاج[٦]: الوراء يكون بمعنى الخَلْف والقُدَّام؛ لأن ما بين يديك وما [قدامك][٧] إذا توارى عنك فقد صار وراءك. قال الشاعر:

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠ ح١١٣٧٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥١ ح٣٤١٤١)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٨٢ ح٨٩٦).

(٢) الطبري (١٣/ ١٩٥)، والوسيط (٣/ ٢٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٥١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٣٧).

(٤) البيت لهدبة بن الخشرم راوية الحطيئة. انظر البيت في: الكتاب (٣/ ١٥٩)، والمقتضب (٣/ ٧٠)، وأمالي القالي (١/ ٧١، ٧٢)، وابن يعيش (٧/ ١١٧، ٢١٢)، وأوضح المسالك (١/ ١٤٣)، والدر المصون (٤/ ٢٥٧).

(٥) انظر البيتان في: الأغاني (١٦/ ٢٢٨).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٥٦). وانظر: زاد المسير (٤/ ٣٥٢).

(٧) في الأصل: خلفك. والمثبت من زاد المسير، الموضع السابق.

أَليسَ ورائي إن تراخَتْ مَنيَّتي لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابع[(١)]

قال[(٢)]: وليس الوراء من الأضداد، كما يقول بعض أهل اللغة.

وقال علي بن عيسى: يجوز في الأجسام التي لا وجه لها؛ كحجرين متقابلين، كل واحد وراء الآخر، ولا يجوز في غيرها[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ويسقى﴾ عطف على محذوف، تقديره: من ورائه جهنم يُلقى فيها ويُسقى[(٤)] ﴿من ماء صديد﴾ و «صديد» عطف بيان لـ«ماء»[(٥)].

قال الزمخشري[(٦)]: قال: «من ماء» فأبهم إبهاماً، ثم بينه بقوله: «ماء صديد».

قال المفسرون: يريد: صديد القيْح والدم الذي يخرج من فروج الزناة[(٧)].

وقال مجاهد وعكرمة واللغويون: الصديد: القيح والدم[(٨)].

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرَّ به قال: سمعت أبا محمد الحسين بن مسعود يقول: أبنا أبو بكر بن أبي توبة، أبنا أبو طاهر

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري. انظر: ديوانه (ص:٨٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٠٤)، والدر المصون (٤/ ٢٥٧)، والبحر (٥/ ٤٠٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٥٢).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٥٧).

(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٣٦).

(٤) الدر المصون (٤/ ٢٥٧).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) الكشاف (٢/ ٥١٣).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٥٣).

(٨) أخرجه الطبري (١٣/ ١٩٥)، ومجاهد (ص:٣٣٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة، ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور.

الحارثي، أبنا محمد بن يعقوب الكسائي، أبنا عبدالله بن محمود، أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن صفوان [بن][1] عمرو، عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ويسقى من ماء صديد * يتجرعه﴾ قال: «يُقَرَّبُ إليه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءهم﴾، ويقول: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾ »[2]. أخرجه الإمام أحمد في المسند عن علي بن إسحاق عن ابن المبارك.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا يعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يتجرّعه﴾ أي: يتحسّاه بتكلف ومشقة جرعة جرعة، ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ لشدة كراهيته وفرط مرارته وحرارته إلا بعد عناء وإبطاء، تقول: جَرعتُ الماء أجْرعه جَرْعاً وجَرّعْته؛ إذا [احتسيته][3]، وتجرَّع الغُصَص. والجَرْعَة: اسم لما يجرع مرة واحدة، وجمعه: جُرَع.

قال صاحب الكشاف[4]: دخل «كاد» للمبالغة. يعني: ولا يقارب أن يسيغه،

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من مصادر التخريج. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٦، والتقريب ص:٢٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٥ ح٢٥٨٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٥).

(٣) في الأصل: امتسيته. والصواب ما أثبتناه.

(٤) الكشاف (٢/ ٥١٣).

فكيف تكون الإساغة، كقوله تعالى: ﴿لم يكد يراها﴾ [النور: ٤٠] أي: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها.

﴿ويأتيه الموت﴾ أي: أسبابه وآلامه ﴿من كل مكان﴾ قال ابن عباس: من كل شعرة في جسده(١).

وقال في رواية عنه: من جميع جهاته، من فوقه وتحته، وعن يمينه وشماله، وخلفه وقدّامه(٢).

وقال سفيان الثوري: من كل عرق في جسده(٣).

﴿وما هو بميت﴾ موتاً يقطع الحياة. قال ابن جريج: تَعْلَقُ نفسُه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة(٤).

﴿ومن ورائه﴾ أي: ومن بعد هذا العذاب، أو من بعد الصديد، أو من بين يديه ﴿عذاب غليظ﴾ متصل الآلام.

قال إبراهيم التيمي: يعني: الخلود في النار(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٦٠)، والطبري (١٣/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٩) كلهم عن إبراهيم التيمي. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي.

(٢) الطبري (١٣/ ١٩٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٥٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ١٩٦) من طريق ابن جريج عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦) وعزاه للطبري عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٩).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم﴾ أي: فيما يتلى عليكم مثل الذي كفروا بربهم، فأضمر الخبر.

والفراء يزعم أن «مثلا» ملغى، وجاء الخبر بقوله: ﴿أعمالهم كرماد اشتدت﴾ عن المضاف إليه.

قال الزجاج[1]: وجائز أن يكون والله تعالى أعلم المعنى: صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم، كما تقول: صفة زيد أسمر، أي: زيد أسمر.

وقال غيره: المثل مستعار للصفة التي فيها [غرابة][2].

وقوله: «أعمالهم كرماد» جملة مستأنفة على تقدير سؤال السائل، تقول: كيف مَثَلُهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد.

ويجوز أن يكون «مثل أعمال الذين كفروا بربهم» أو هذه الجملة خبر للمبتدأ، أي: صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد؛ كقولك: صفةُ زيدٍ عِرْضُه مَصُونٌ، ومالُه مبذولٌ. أو يكون «أعمالهم» بدلاً من «مثل الذين كفروا» على تقدير: مثل أعمالهم، «كرماد» الخبر[3].

﴿اشتدت به الريح في يومٍ عاصف﴾ جعل العصف لليوم، والمراد: ما اشتمل

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٥٧).

(٢) في الأصل: عذابه. وانظر: الدر المصون (٤/ ٢٥٨).

(٣) التبيان (٢/ ٦٧)، والدر المصون (٤/ ٢٥٧-٢٥٨).

اليوم عليه من الريح.

وقرأ النخعي والجحدري: «في يومٍ» بغير تنوين[١]، على إضافته إلى «عاصف»، وهو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي: في يوم ريح عاصف.

﴿لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾ أي: لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء في الدنيا من الأعمال الصالحة؛ كالصدقة، والنفقة، وإغاثة الملهوف، وبذل المعروف، وعتق الرقاب، وفكّ الأسراء، لا يقدرون من ثوابه على شيء ولا يرون له أثراً [لكفرهم][٢]، بل يذهب كذهاب الرماد في اليوم الرايح، ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن طريق الحق أو عن الثواب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: بالحكمة، لم يخلقهما عبثاً ولا باطلاً.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٥٥).

(٢) في الأصل: كفرهم. والصواب ما أثبتناه.

وقرأ حمزة والكسائي: «خالق السموات والأرض» على الإضافة[1]، واسم الفاعل بمعنى المضيّ، الإضافة محضة، بخلافها في قوله تعالى: ﴿بالغ الكعبة﴾ [المائدة:٩٥]، و﴿ثاني عطفه﴾ [الحج:٩].

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يميتكم يا معشر الكفار، ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أطوع له منكم، ﴿وما ذلك على الله﴾ القادر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود ﴿بعزيز﴾ متعذر عليه.

قوله تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي: يبرزون لله، وجاء بصيغة الماضي لتحقق كونه، ومثله: ﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ [الأعراف:٤٨] وأمثاله.

فإن قيل: الله لا يخفى عليه خافية، فكيف قال: ﴿وبرزوا لله﴾؟

قلت: كانوا يتسترون في الدنيا من فضائحهم. ومنهم من يظن أنه يخفى على الله ما يستره، منه قول أحد ذينك الرجلين لصاحبه: أترى الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا. فإذا ظهرتْ فضائحُهم وشهدت عليهم جوارحُهم يوم القيامة علموا حينئذ وتيقنوا أنهم برزوا لله جميعاً، وأنه لا يخفى شيء من أعمالهم وأحوالهم.

وقيل: إذا خرجوا من قبورهم برزوا لموقف الحساب.

﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ للمتبوعين الذين أَنِفُوا عن الخضوع لعظمة الله والاعتراف بوحدانيته والاستسلام لرسله: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٦)، والكشف (٢/ ٢٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٢).

قال الزجاج[١]: هو جمع تابع، مثل غائب وغَيَبٌ.

وقال غيره: يجوز أن يكون مصدراً، أي: ذوي تبع.

﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ كلامٌ يلوح منه لوم القوم، حيث كانوا السبب في استهوائهم واستغوائهم، وليس كما يزعمه المفسرون من أنهم سألوهم الدفع عنهم؛ لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على نصر أنفسهم ولا على الدفع عنها، فكيف يدفعون عن غيرهم، فوبخوهم وبكتوهم [بقولهم][٢]: هل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء.

ويحقق هذا المعنى قولهم في الجواب: ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾.

و «مِنْ» في قوله: ﴿من عذاب الله﴾ للتبيين، وفي قوله: ﴿من شيء﴾ للتبعيض. ولا يجوز أن يكونا للتبعيض.

فإن قيل: كيف انتظم قولهم: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ بما قبله؟

قلت: كأنّ المتبوعين علموا أن الحامل للتابعين على توبيخهم الهلع والجزع، فأعلموهم أنه لا يجدي لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضرراً، ونظموهم في سلكهم لاشتراكهم في الضلال، فقالوا: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ من مهرب ومنجى من العذاب.

قال ابن زيد: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نبكي ونتضرع، فإنما أدرك أهل الجنةِ الجنةَ ببكائهم وتضرعهم، فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا أن ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا نصبر، فإنما أدرك أهل الجنةِ الجنةَ بالصبر، فصبروا صبراً لم يُر

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٥٨).

(٢) في الأصل: بقلهم. والصواب ما أثبتناه.

مثله قط، فلم ينفعهم ذلك، فعندها قـالوا: ﴿سـواء علينـا أجزعنـا أم صـبرنا... الآية﴾[(١)].

وروى مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال: جزعوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة[(٢)].

وقوله: «سواء» رفع بالابتداء، «أجزعنا» في موضع الخبر[(٣)].

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ أي: قال إبليس لما فرغ من الأمر واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

قال مقاتل[(٤)]: يوضع له منبر من نار في النار فيرقـاه، ويجتمـع الكفـار عليـه

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧) وعزاه للطبري.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) التبيان (١/ ١٤).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٨).

باللائمة، فيقول: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ فوفى لكم به ﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾ موعدي[(١)].

﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي: حجة ظاهرة توجب استجابتكم.

وقيل: ما كان لي عليكم من تسلط ولاية أقهركم بها وأجبركم على ما أريد بسببها.

﴿إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ استثناء منقطع، فإن الدعاء ليس من جنس السلطان، ولكنه كقولك: ما تحيتكم إلا الضرب.

﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ حيث استجبتم لي من غير برهان ولا سلطان، ﴿ما أنا بمصرخكم﴾ أي: بمغيثكم ﴿وما أنتم بمصرخيَّ﴾ قرأ جمهور القرّاء: «بمصرخيَّ» بفتح الياء، وقرأ حمزة: «بمصرخيِّ» بكسر الياء[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: هي عند جميع البصريين رديئة لا وجه لها إلا [وجه][(٤)] ضعيف، وهو ما أجازه الفراء[(٥)] من الكسر على أصل التقاء الساكنين.

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤١) كلاهما عن الحسن. وانظر: البغوي (٣/ ٣١)، والقرطبي (٩/ ٣٥٦) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٧)، والكشف (٢/ ٢٦)، والنشر (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٢).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ١٥٩).

(٤) في الأصل: وجيه. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) معاني الفراء (٢/ ٧٦).

قال الزمخشري[١]: هو غير صحيح؛ لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف، نحو: [عصاي، فما بالها][٢] وقبلها ياء.

فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف [الصحيح][٣] لأجل الإدغام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحركت بالكسر على الأصل.

قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات.

وقال أبو علي[٤]: لما أدغم الياء التي على الجمع في ياء المتكلم حرك ياء المتكلم؛ لئلا يلتقي ساكنان، وحركها بالفتح لأن الفتحة هي حركتها التي تستحقها في الأصل، نحو: غلامي، كما أن الكاف في غلامك كذلك، فلما احتيج إلى تحريك ياء الإضافة حركت بحركتها التي كانت لها في الأصل، ومثل ذلك: هداي، ومثواي، حركت الياء فيه بالفتح لالتقاء الساكنين؛ لما ذكرنا.

وأما من قرأ بكسر الياء؛ فإن الفراء قال في كتابه في التصريف[٥]: هو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب.

وزعم قطرب أنه لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء[٦]، وأنشد:

---

(١) الكشاف (٢/ ٥١٧).

(٢) في الأصل: عصاً مما بالهاء. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) الحجة (٣/ ١٦-١٧).

(٥) انظر: معاني الفراء (٢/ ٧٥).

(٦) قال أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٠٨): طعن كثير من النحاة في هذه القراءة، قال الفراء: لعلها من وهم القراء، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم. ولعله ظن أن الباء في «بمصرخي» خافضة للفظ =

ماضٍ إذا ما همَّ بالمُضِيِّ قال [لها][1] هلْ لكِ يا تافِيِّ[2]

ووجه ذلك من القياس: أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر، فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما، وكالكاف في: أكرمتُك، وهذا لك، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في: هذا لهُو وضَرَبَهو، [ولحقت][3] الكاف أيضاً في قول من قال: أعطيْتُكاه وأعطيتُكه، فيما حكاه سيبويه[4]، وهما أختا الياء، [كذلك][5] ألحقوا الياء الزيادة من المد، فقالوا: فِيِّي، ثم حُذفت الياء الزائدة على الياء، كما حُذفت الزيادة من الهاء في قول من قال:

.... له أرْقَان[6]

=

كله، والياء للمتكلم خارجة من ذلك.

وقال أبو عبيد: نراهم غلطوا، ظنوا أن الياء تكسر لما بعدها.

وقال الأخفش: ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين.

وقال ابن البناء في إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٢): هي متواترة صحيحة، والطاعن فيها غالط قاصر، ونفي النافي لسماعها لا يدل على عدمها، فمن سمعها مقدم عليه إذ هو مثبت.

(١) زيادة من مصادر تخريج البيت.

(٢) البيت للأغلب العجلي. انظر: إبراز المعاني (ص:٥٥٠)، ومعاني الفراء (٢/ ٧٦)، والدر المصون (٤/ ٢٦٢)، والحجة (٣/ ١٦).

(٣) في الأصل: وحلقت. والتصويب من الحجة (٣/ ١٧).

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ٣٦٤).

(٥) في الأصل: كقولك. والتصويب من الحجة (٣/ ١٧).

(٦) البيت ليعلى بن الأحول الأزدي. انظر: خزانة الأدب (٥/ ٢٦٩، ٢٧٥)، واللسان، مادة: (مطا)، والخصائص (١/ ١٢٨، ٣٧٠)، ورصف المباني (ص:١٦)، والمحتسب (١/ ٢٤٤)، والمقتضب (١/ ٣٩، ٢٦٧)، ومعاني الأخفش (ص:٣٠).

وكما حذفت من الكاف أيضاً، فقالوا: أعطيتكه [وأعطيتُكِيه](١)، فلما حذفوا الزيادة من الياء والكاف كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء، كما حذفت من أختيها، وأُقِرَّت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة، فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة، وكذلك ألحقت التاء الزائدة أيضاً في نحو قول الشاعر:

رميْتِيه فأصْمَيْتِ فما أخطأتِ الرَّمْيَه(٢)

فإذا كانت الكسرة في ياء «مصرخي» على هذه اللغة، وإن كان غيرها أفشى منها، وعضده من القياس ما ذكرنا؛ لم يجز لقائل أن يقول: إن القراءة بذلك لحنٌ؛ لاستفاضة ذلك في السماع والقياس، وما كان كذلك لا يكون لحناً.

وقال غيره: ليس قراءة حمزة بردیئة؛ لأنه كسر الياء لتكون طبقاً لكسرة همزة قوله: «إني كفرت» لأنه أراد الوصل دون الوقف، والابتداء بقوله: «إني»؛ لأن الابتداء بـ«إني كفرت» محال، فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدلّ على هذا من فتحها.

وذكر ابن البناء في كتاب الحجة: قال ابن مقسم: قد وافق حمزة جماعة؛ السلمي، ويحيى بن وثاب، وابن أبي ليلى، وإبراهيم النخعي، والقاسم بن معن، وحمران بن أعين، والأعمش.

قال خلف: سمعت حسين الجعفي يروي عن أبي عمرو بن العلاء قال: إنها

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ١٧).

(٢) انظر: البيت في: الخزانة (٥/ ٢٦٨)، وإبراز المعاني (ص:٥٥١)، والدر المصون (٤/ ٢٦٣)، والحجة (٣/ ١٧).

بالخفض لحسنة[1].

ويروى عن حمزة أنه لما قيل له: قد لحَنَكَ أهل العربية في ذلك؟ فقال: ما يدْرون ما هذا، قرأت على ابن أبي ليلى أربع مرات بالكسر، وإسناده إلى علي بن أبي طالب وغيره.

وفي لفظ آخر: ذكر جميع الإسناد ثم قال: من أين لهم هذا؟ غلب الزيّاتون.

قال صاحب الكشاف[2]: و «ما» في قوله: «بما أشركتموني» مصدرية، و ﴿من قبل﴾ متعلق بما أشركتموني، يعني: كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم، أي: في الدنيا كقوله: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ [فاطر:١٤]، ومعنى كفره بإشراكهم إياه: تبرؤه منه واستنكاره له، كقوله: ﴿إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ [الممتحنة:٤].

وقيل: «من قبل» متعلق بـ«كفرت»، وما موصولة. أي: كفرتُ من قبل حين أبيتُ السجود لآدم عليه السلام بالذي أشركتمونيه، وهو الله عز وجل.

ومعنى إشراكهم الشيطان بالله عز وجل: طاعتهم له فيما يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها.

قوله: ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ كلام مستأنف من الله تعالى، ويحتمل أن يكون من تمام الحكاية عن قول إبليس.

---

(١) وقد أنكر أبو حاتم على أبي عمرو تحسينها ولا التفات لإنكاره. قال أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٠٩): ولا التفات إلى إنكار أبي حاتم على أبي عمرو تحسينها؛ فأبو عمرو إمام لغة، وإمام نحو، وإمام قراءة، وعربي صريح، وقد أجازها وحسنها.

(٢) الكشاف (٢/ ٥١٧-٥١٨).

وما بعده سبق تفسيره.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا
فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ قرأ السلمي: «ألم ترْ» ساكنة الراء[1]، وفيها ضعف؛ لأنه إذا حذف الألف للجزم وجب إبقاء الحركة فيها دليلاً عليها، لا سيما وهي خفيفة، إلا أنه شبه الفتحة بالكسرة المحذوفة في نحو هذا استخفافاً، أنشد أبو زيد:

قالت [سُلَيمى][2] اشْتَرْ لنا دقيقا[3]

﴿كيف ضرب الله مثلاً﴾ أي: بين شبهاً ﴿كلمة طيبة﴾ قال ابن عباس [وعامة][4] المفسرين: الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله[5].

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٤٠٦)، والدر المصون (٤/ ٢٥٩).

(٢) في الأصل: سلمى. وانظر: مصادر تخريج البيت.

(٣) الرجز للعذافر الكندي، وهو في شرح المفصل (١١/ ١٩٤): (قالت سليمى اشتر لنا دقيقا وهات خبز البُرّ أو سَويقا). وانظر: شرح شواهد الإيضاح (ص:٢٥٨)، وشرح شواهد الشافية (ص:٢٠٤، ٢٠٥)، وملحق نوادر أبي زيد (ص:٣٠٩)، وتاج العروس (١٥/ ٤٣٨)، والحجة للفارسي (١/ ٦٣، ٢٥٢)، وبلا نسبة في: الأشباه والنظائر (١/ ٦٦)، وجمهرة اللغة (ص:١٣٢٧)، والخصائص (٢/ ٢٤٠، ٣/ ٩٦)، والمحتسب (١/ ٣٦١).

(٤) في الأصل: عامة. والصواب ما أثبتناه.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر =

قال الزمخشري[١]: نصبَ «كلمةً» بمضمر تقديره: جعل كلمة، وهو تفسير لقوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ كقولك: شرّف الأمير زيداً: كساه حلة، وحمله على فرس، ونحو ذلك.

ويجوز أن ينتصب «مثلاً» و «كلمةً» بِضَرَبَ، أي: ضرب كلمةً طيبةً مثلاً، بمعنى: جعلها مثلاً، ثم قال: ﴿كشجرة طيبة﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: هي كشجرة طيبة، وهي النخلة. والمعنى: طيبة الثمرة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال ذات يوم: ((إن الله ضرب مثل المؤمن بشجرة، فأخبروني ما هي؟ [فوقع][٢] الناس في شجر البوادي، وكنت صبياً، فوقع في نفسي أنها النخلة، فهبت رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا أصغر القوم))[٣].

وفي رواية: ((فمنعني مكان عمر واستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة. قال عبدالله بن [عمر][٤]: فذكرت ذلك لعمر، فقال: لأن تكون قلت هي النخلة أحبُّ إليَّ من كذا وكذا))[٥].

﴿أصلها ثابت﴾ أي أصل الشجرة ضارب بعروقه في الأرض ﴿وفرعها﴾ أعلاها ﴿في السماء﴾ أي: في جهة العلو، يشير بذلك إلى ارتفاعها في الهواء.

= وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(١) الكشاف (٢/ ٥١٩).

(٢) في الأصل: قوع. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٤ ح٦٢).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٥ ح٥٧٩٢)، ومسلم (٤/ ٢١٦٤ ح٢٨١١).

﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ أي: تعطي ثمرتها كل زمان.

قال علي عليه السلام: ثمانية أشهر[١].

وقال ابن عباس: ستة أشهر[٢].

وفي رواية عنه: بكرة وعشية[٣].

وفي رواية عنه: سنة[٤].

وقال سعيد بن المسيب: شهران. قال: لا يكون في النخلة أكلها إلا شهرين[٥].

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي[٦]: فمن قال ثمانية أشهر، أشار إلى مدة حملها باطناً وظاهراً. ومن قال: ستة أشهر؛ فهو مدة حملها إلى حين صرامها. ومن قال: بكرةً وعشيةً؛ أشار إلى الاجتناء منها. ومن قال: سنة؛ أشار إلى أنها لا تحمل في السنة إلا مرة واحدة. ومن قال: شهران؛ فهو مدة صلاحها[٧].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤) وعزاه للطبري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٣) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤) وعزاه لأبي عبيد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) زاد المسير (٤/ ٣٥٩).

(٧) قال ابن جرير الطبري (١٣/ ٢١٠): وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب؛ قول من قال: عنى بالحين في هذا الموضع: غدوة وعشية وكل ساعة؛ لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتي هذه الشجرة =

قال المفسرون: شبَّه الله تعالى الإيمان بالنخلة، لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في الهواء، وشبَّه ما يكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرة هذه الشجرة، فإن ثمرتها يُنتفع بها رطبة ويابسة في كل حين من أحيان السنة، بإذن ربها بتيسيره وتسهيله.

قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ وهي الشرك ﴿كشجرة خبيثة﴾ روي عن النبي ﷺ: أنها الحنظلة(١).

وروي عن ابن عباس: أنها الثوم(٢).

﴿اجتثت من فوق الأرض﴾ استؤصلت واقتطعت.

قال ابن عباس: يريد ليس لها أصل تام، فهي فوق الأرض لم تضرب فيها بعرق(٣)، وهو قوله: ﴿ما لها من قرار﴾ أي: ما لها من أصل ثابت في الأرض، كذلك الشرك في خبثه ونتنه وتزلزله لكونه لا يعضده نقل ولا عقل.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ أي: بالدلائل الواضحة

=

كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول لا في كل سنة أو في كل ستة أشهر أو في كل شهرين؛ فإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافاً للمثل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك كان بيّناً صحة ما قلنا.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٥ ح٣١١٩)، والطبري (١٣/ ٢١٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦١).

(٣) مثل السابق.

والبراهين القاطعة ﴿في الحياة الدنيا﴾ حتى يكونوا فيه أثبت من الجبال الرواسي؛ بحيث لا تقلقلهم رهبة ولا تنقلهم رغبة؛ كأصحاب الأخدود، والراهب، والغلام، وماشطة بنت فرعون، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن بعدهم من الأمة المقتدى بطرقهم والمهتدى بتحقيقهم؛ كالإمام المعظم أبي عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه، بما ابتلي به من الحبس والضرب وامتحن به من التهديد بالقتل، فصبر واحتسب، حتى أعلى الله تعالى كلمته وأوقع في القلوب هيبته ومحبته إلى أوليائه، ونصره بالرعب على أعدائه.

قال بشر الحافي رحمه الله: أحمد بن حنبل دخل في الكير فخرج ذهبة حمراء[(١)].

ولقد أخذه المعتصم بأنواع العذاب فلم يجبه، ووعده إن هو أجابه أن يشاطره ملكه ويطأ عقبه بخيله ورجله فلم يتابعه، وفي مدحه أقول من قصيدة:

فكم أرغبوه بالنضار وباللهى وكم أرهبوه بالسيوف القواصل

فلم يُلْفَ يوماً مذعناً [لشبههم][(٢)] ولا مكفهراً عند قرع النوازل

وكذلك أحمد بن صالح ضُربت عنقه ولم يرجع عن السُّنَّة أيام المحنة، وكان الإمام أحمد إذا ذكره ترحّم عليه، وقال: ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وفي الآخرة﴾ فيثبتهم في الآخرة إذا سُئلوا عن معتقداتهم وأديانهم في القبور، وفي تلك المواطن الهائلة.

---

(١) الزهد لابن أبي عاصم (ص:١٠٤)، والمقصد الأرشد (١/ ٦٩).

(٢) في الأصل: لسيبهم. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) تهذيب الكمال (١/ ٥١٠)، وتاريخ بغداد (٥/ ١٧٧)، وصفة الصفوة (٢/ ٣٦٤).

وفي الصحيحين من حديث البراء عن النبي ﷺ قال: « المؤمن إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ »(١).

وفي رواية قال: « ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: الله ربي، ونبيي محمد ﷺ »(٢).

قوله تعالى: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ أي: الكافرين. قال الفراء(٣): يضلهم عن هذه الكلمة.

﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من هداية المؤمنين وضلالة الظالمين وغير ذلك.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: « هم والله كفار قريش »(٤).

وأخرج أيضاً عن عمر رضي الله عنه قال: « هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣٥ ح٤٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠١ ح٢٨٧١).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣٥ ح٤٤٢٣).

﴿وأحلّوا قومهم دار البوار﴾ النار يوم بدر »[(١)].

[وقيل: نزلت في الأفجرين من قريش؛ بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر][(٢)]، وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين[(٣)].

والمعنى: ألم تر إلى الذين وضعوا الكفر موضع ما كان يجب عليهم من الشكر لنعمة الله؛ حيث أكرمهم بمحمد ﷺ وجعلهم سُكَّان حرمه، وقُوَّام بيته، وساسة العرب، وغرّة الحسب. ونظيره: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ [الواقعة:٨٢] أي: شكر رزقكم ﴿أنكم تكذبون﴾ [الواقعة:٨٢].

ويجوز أن يكون التبديل لنفس النعمة، فإنهم حين أسروا وقتلوا ببدر، سلبوا النعمة، وبقي الكفر طوقاً في أعناقهم بدلاً من تلك النعمة وعوضاً منها، وأحلوا قومهم التابعين لهم على الكفر دار البوار.

ثم فسر الدار فقال: ﴿جهنم يصلونها﴾ يقاسون حرّها.

وقوله: «يصلونها» حال من «قومهم»، وإن شئت من «جهنم»، وإن شئت منهما[(٤)]، كقوله تعالى: ﴿تحمله﴾ بعد ﴿فأتت به قومها﴾، وهو حال مقدرة.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ قال ابن عباس: من الحجارة والخشب وغير ذلك[(٥)]، ﴿ليُضلوا عن سبيله﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ليَضلوا» بفتح الياء، وقرأ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦٢ ح٣٧٥٨).

(٢) زيادة من الطبري (١٣/ ٢١٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٢١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٤) وعزاه للبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطاب.

(٤) التبيان (٢/ ٦٨)، والدر المصون (٤/ ٢٦٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١).

الباقون: «ليُضلوا» بضم الياء[(١)]، وكذلك اختلافهم في التي في الحج[(٢)] والزمر[(٣)] ولقمان[(٤)]: ﴿ليُضِلّ﴾، وهذه لام العاقبة، وقد سبق نظيرها في مواضع.

﴿قل تمتعوا﴾ وعيد شديد، أي: انتفعوا مدة حياتكم بالعيش، ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ قال ابن عباس: لو صار الكافر مريضاً سقيماً لا ينام ليلاً ولا نهاراً، جائعاً لا يجد ما يأكل ويشرب، لكان هذا كله نعيماً يتمتع به، بالإضافة إلى ما يصير إليه من شدة العذاب، ولو كان المؤمن في أنعم عيش لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة[(٥)].

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ قال الزجاج رحمه الله[(٦)]: «يقيموا» فيه غير وجه؛ أجودها: أن يكون مبنياً؛ لأنه في موضع الأمر. وجائز أن يكون مجزوماً بمعنى اللام، إلا أنها أُسقِطَت؛ لأن الأمر قد دل على الغائب بـ«قُل»، تقول: قل لزيد ليضْربْ عمراً، وإن شئت قلت: قل لزيد يضْربْ عَمْراً، ولا يجوز:

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٨)، والنشر (٢/ ٢٩٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٢).

(٢) آية رقم: ٩.

(٣) آية رقم: ٨.

(٤) آية رقم: ٦.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٣).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٦٢-١٦٣).

يضْربْ زيدٌ عَمْراً، بالجزم حتى تقول: ليَضْربْ زيد عَمْراً[(١)]؛ لأن لام الغائب ليس هاهنا عوض منها إذا حذفتها.

وفيها وجه ثالث على جواب الأمر، على معنى: قل لعبادي الذي آمنوا [أقيموا][(٢)] الصلاة، يقيموا الصلاة؛ لأنهم إذا آمنوا وصدّقوا، [فإن][(٣)] تصديقهم [بقبولهم][(٤)] أمر الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿سراً وعلانية﴾ قال الزمخشري[(٥)]: نصب على الحال، أي: ذوي سر وعلانية، بمعنى: مسرين ومعلنين، أو على الظرف، أي: وقتي سر وعلانية، أو على المصدر، أي: إنفاق سر وعلانية.

﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيعٌ فيه ولا خلال﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «لا بيعَ

---

(١) قال أبو حيان في البحر (٥/ ٤١٥): هو فاسد لوجهين: أحدهما: أن جواب الشرط يخالف الشرط، إما في الفعل، أو في الفاعل، أو فيهما. فأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطأ؛ كقولك: قُمْ يَقُم، والتقدير على هذا الوجه: أن يقيموا يقيموا.
والوجه الثاني: أن الأمر المقدر للمواجهة، و «يقيموا» على لفظ الغيبة، وهو خطأ إذا كان الفاعل واحداً.
ذكر السمين الحلبي قول أبي حيان؛ ثم قال: قلت: أما الإفساد الأول فقريب، وأما الثاني فليس بشيء؛ لأنه يجوز أن يقول: قل لعبدي أطعني يطعك، وإن كان للغيبة بعد المواجهة باعتبار حكاية الحال (انظر: الدر المصون ٤/ ٢٧٠).

(٢) في الأصل: يقيموا. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ١٦٣).

(٣) في الأصل: بأن. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: بقولهم. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) الكشاف (٢/ ٥٢٢).

فيه ولا خلالَ» بالفتح من غير تنوين، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين فيهما[١]. وقد أشرنا إلى ذلك في البقرة[٢].

قال ابن قتيبة[٣]: الخلال: مصدر خالَلْتُ فلاناً خِلالاً ومُخالَّة، والاسم: الخِلَّة، وهي الصَّداقة.

وقال أبو علي الفارسي[٤]: يجوز أن يكون جمع خُلَّة، مثل: بُرْمَةٌ[٥] وبِرامٌ، وعُلْبَةٌ وعِلابٌ[٦].

قال مقاتل[٧]: ذاك يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة، إنما هي أعمال يثاب عليها قوم ويعاقب عليها آخرون.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٢).

(٢) عند آية: ﴿فلا خوف عليهم﴾.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٣٣).

(٤) الحجة (١/ ٤٥٧).

(٥) البُرْمَة: قدر من حجارة، والجمع بُرَمٌ وبِرامٌ وبُرْم (لسان العرب، مادة: برم).

(٦) العلبة: قدح ضخم من جلود الإبل، وقيل: من خشب، كالقدح الضخم يحلب فيها، وقيل: إنها كهيئة القصعة من جلد، ولها طوق من خشب. والجمع عُلَب وعِلاب (لسان العرب، مادة: علب).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ١٩١).

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿الله﴾: مبتدأ، ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾: خبره، ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به﴾ أي: بالماء ﴿من الثمرات رزقاً لكم﴾ «مِنْ» بيان، «رزقاً» مفعول «أخرج»، التقدير: أخرج به رزقاً هو ثمرات. ويجوز أن يكون «من الثمرات» مفعول «أخرج»، «رزقاً» حالاً من المفعول، أو مصدراً من «أخرج»؛ لأنه في معنى رزق.

فإن قيل: لأي معنى قال في النمل: ﴿أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم﴾ [النحل:٦٠]؟

قلت: حذفها هاهنا اكتفاء بقوله عقيبها: «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم».

قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾ أي: ذلّلها لتجري في البحر لمصالحكم، بأمره، أي: بقوله: «كن»، ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ يريد: مياهها تركبونها وتجرونها حيث شئتم.

﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ في سيرهما واستنارتهما وإصلاحهما للأبدان والنبات وغير ذلك، ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان، هذا للسياحة في الطلب، وهذا للاستراحة من التعب.

﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ «مِنْ» للتبعيض، وقيل: زائدة. فإن كانت للتبعيض؛ فالمعنى: وآتاكم بعض جميع ما سألتموه نظراً لكم لعلمه بمصالحكم. وإن كانت زائدة؛ فالمعنى: وآتاكم كل ما سألتموه مما تحتاجون إليه ويتوقف صلاحكم عليه.

وقيل: فيه إضمار، تقديره: وآتاكم من كل ما سألتموه من ذلك وما لم تسألوه، فإنهم لم يسألوه شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعم الله عليهم. هذا معنى قول ابن الأنباري(١).

وقال الأخفش(٢): وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، فأضمر الشيء، كقوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل:٢٣] في زمانها.

وقيل: هذا على التكثير، كقولك: فلان يعلمُ كُلَّ شيء.

وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه: «من كلٍ» بالتنوين، وبها قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب والحسن في آخرين(٣)، فتكون «ما» نافية في محل النصب على الحال، تقديره: آتاكم من كل [ذلك](٤) غير سائليه.

قال الضحاك: صدق الله! كم من شيء أعطانا الله ما سألناه إياه، ولا خطر لنا ببال(٥). وهذا معنى قول قتادة.

وقال الزجاج(٦): من قرأ: «من كلِ ما سألتموه»، فموضع «ما» الخفض بالإضافة، والمعنى: من كل الذي سألتموه. ومن قرأ: «من كلٍ» بالتنوين، فموضع «ما» النصب، والمعنى: وآتاكم من كل الأشياء الذي سألتموه.

ويجوز أن يكون ما يُبتغى، ويكون وآتاكم من كل ما لم تسألوه، أي: آتاكم من

---

(١) انظر: الوسيط (٣/ ٣٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٢) معاني الأخفش (ص:٢٣٣).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٢).

(٤) زيادة على الأصل. انظر: الكشاف (٢/ ٥٢٣)، والدر المصون (٤/ ٢٧٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٥).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٦٣).

كل الشيء الذي لم تسألوه.

قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ أي: لا تحصروها ولا تُطيقوا عدّها لكثرتها.

﴿إن الإنسان﴾ قال الزجاج[1]: هو اسم جنس، يقصد به الكافر.

وقال ابن عباس: يريد: أبا جهل[2].

﴿لظلوم﴾ لنفسه ﴿كفّار﴾ بنعم ربه.

وقيل: ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كَفَّارٌ في النعمة يجمع ويمنع.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ
عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى
زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا
نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾ يقال: جَنَّبَه الشرَّ -بالتشديد- وجَنبَه -بالتخفيف- وأجْنبَه[3]، والأولى لغة أهل الحجاز.

والمعنى: ثبّتني وبَنيّ على اجتناب عبادة الأصنام؛ لأنه كان مجانباً لها، وأراد بنيه

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: جنب).

لصلبه؛ لأن من ذريته من عَبَدَ الأصنام.

﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ وقع الضلال بسببهن، فنُسب إليهن ﴿فمن تبعني﴾ يعني: على ديني ﴿فإنه مني﴾ من أهل ديني ومِلَّتي.

وقال صاحب الكشاف[١]: «فإنه مني» أي: بعضي؛ لفرط اختصاصه بي وملابسته لي.

﴿ومن عصاني﴾ قال مقاتل[٢]: فيما دون الشرك، ﴿فإنك غفور رحيم﴾.

وقال السدي: ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم[٣].

قال ابن الأنباري[٤]: ويحتمل أنَّ هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك، كما استغفر لأبيه.

﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ أي: من بعض أولادي، وهم إسماعيل ومن ولد منه ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ يعني: مكة شرفها الله تعالى وعظمها، ﴿عند بيتك المحرم﴾ أي: عند بيتك الذي كان قبل الطوفان، أو عند بيتك الكائن في سابق علمك.

وسُمِّي محرّماً؛ لأن الله تعالى حَرَّم انتهاكه والتهاون بحقه.

وقيل: لأنه حرمَ على الطوفان، أي: مُنِعَ منه.

قال مجاهد: جاء إبراهيم بابنه إسماعيل وبأمه هاجر ومعهم جبريل، حتى قدم

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٢٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٩٢). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٥).

(٤) انظر: الوسيط (٣/ ٣٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٥).

مكة وهي إذ ذاك عِضَاه[١] من سلَم وسمُر، والبيت يومئذ [ربوة][٢] حمراء [مدرة][٣]، فقال إبراهيم لجبريل: أهاهنا أمرتُ أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل تتخذ فيه عريشاً[٤].

قرأتُ على أبي المحاسن فضل الله بن عبد الرزاق بن عبدالقادر الجيلي، أخبركم أبو السعادات المبارك ويدعى نصر الله بن عبدالرحمن بن رزين البزاز، حدثنا الشريف أبو الغنائم محمد ابن أحمد ابن المهتدي بالله[٥]، ثنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد القزويني إملاءً في شهر رمضان سنة أربعين وأربعمائة، ثنا عمر بن أحمد الآجري، ثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل المقري، ثنا أبو العباس بن الليث بن الفرج، ثنا أبو عامر[٦]، ثنا رباح بن أبي معروف المكي[٧]، عن سعيد بن

---

(١) العضاه: كل شجر له شوك صَغُر أم كَبُر (المعجم الوسيط ص:٦٢٩).

(٢) في الأصل: ربة. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) في الأصل: مدورة. والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه الأزرقي (١/ ٩٧-٩٨)، والطبري (١/ ٥٤٨). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٤)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٥) محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهتدي بالله الهاشمي العباسي، أبو الغنائم البغدادي، من بقايا المسندين ببغداد. ولد سنة ست وثلاثين وأربعمائة، سمع أبا القاسم بن لؤلؤ، وأبا الحسن القزويني، وأبا إسحاق البرمكي، وأبا محمد الجوهري، حدّث عنه ابن ناصر، والسلفي، وذاكر بن كامل، وأبو طاهر المبارك بن المعطوش، وآخرون، وأجاز للخشوعي (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٩).

(٦) عبد الملك بن عمرو القيسي، أبو عامر العقدي البصري، صدوق ثقة مأمون، مات سنة أربع ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٣، والتقريب ص:٣٦٤).

(٧) رباح بن أبي معروف بن أبي سارة المكي، صدوق له أوهام (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٣، والتقريب ص:٢٠٥).

عجلان[1]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: ألا أخبركما بمثلكما في الملائكة ومثلكما في الأنبياء، مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة والرأفة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم إذ كذبه قومه وصنعوا به ما صنعوا قال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالبأس والنقمة على أعداء الله عز وجل، ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذا قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً»[2].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد العطار وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، أبنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن مظفر الداودي، أبنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أبنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا عبد الرزاق، أبنا معمر، عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة[3] -يزيد أحدهما على الآخر-، عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: «أول ما اتخذ النساء المِنْطَق[4]

---

(١) سعيد بن عجلان. يروي عن سعيد بن جبير. قال الأزدي: فيه نظر. وقال ابن حبان في الثقات: يخطىء ويخالف. روى عنه رباح بن أبي معروف (لسان الميزان ٣/ ٣٨، والثقات ٦/ ٣٦٠).

(٢) ذكره الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ١٧١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٤)، والسيوطي في الدر (٤/ ١٠٧) وعزاه لابن مردويه عن ابن عمر.

(٣) كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة بن هبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي المكي، كان شاعراً، قليل الحديث، ثقة (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٨١، والتقريب ص: ٤٦٠).

(٤) المنطق: هو أن تلبس المرأة ثوبها، ثم تشدّ وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند =

من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماءً، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفتُ إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا الله، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند ثنية البيت حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع -حتى بلغ-: يشكرون﴾، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، -أو قال: يتلبط- فالتفتت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فلذلك سعى الناس بينهما.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت

= معاناة الأشغال، لئلا تعثر في ذيلها (اللسان، مادة: نطق).

أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه -أو قال: بجناحه- حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه[(١)] وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم -أو قال: لو لم تغرف من الماء- لكانت زمزم عيناً معيناً.

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها المَلَك: لا تخافوا الضَّيْعَة، فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله تعالى لا يضيّع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرّت بهم رفقة من جُرْهم[(٢)] مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائِفاً[(٣)] فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيّاً[(٤)] أو جَرِيَّين فإذا هم بالماء، فقالوا: أتأذنين أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء؟ قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تُحب الأُنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان [بها][(٥)] أهل أبيات منهم وشبّ الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسَهم وأعجبَهم حين شبّ، فلما أدرك

(١) أي: تجعله حَوْضاً يجتمع فيه الماء (اللسان، مادة: حوض).

(٢) جرهم: بطن من القحطانية، جاؤوا من اليمن فنزلوا مكة واستوطنوها (معجم قبائل الحجاز ص:٨٣).

(٣) عائفاً: أي: حائماً ليجد فرصة فيشرب (اللسان، مادة: عيف).

(٤) الجَرِيُّ: الرسول (اللسان، مادة: جرا).

(٥) زيادة من صحيح البخاري (٣/ ١٢٢٨).

زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل عليهما السلام، وسأل امرأته عنه فقالت: [خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت][1]: نحن بِشَرّ، [نحن][2] في ضيق وشدة، وشكت إليه. قال: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغيّر عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا سألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة. فقال: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيّر عتبة بابك. قال: ذلك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. فقال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه. قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبّت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنّا بخير. قال: وأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تُثبّت عتبة بابك. قال: ذاك أبي وأنتِ العتبة، أمرني أن أمسكك.

---

(١) زيادة من صحيح البخاري (٣/ ١٢٢٩).

(٢) مثل السابق.

ثم لبث ما شاء الله تعالى أن يلبث، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر؟ قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله تعالى أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه [له][1] فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ »[2]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

قوله تعالى: ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ أي: أسكنتهم ليقيموا الصلاة، ويجوز أن تكون اللام متعلقة بقوله: ﴿واجنبني وبَنِيّ أن نعبد الأصنام﴾ أي: أجنبهم ليقيموا الصلاة.

﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ الأفئدة جمع فؤاد الأفئدة كغراب وأغْرِبَة، والفؤاد: مسكن القلب.

قال ابن الأنباري[3]: إنما عبّر عن القلوب بالأفئدة؛ لقرب القلب من الفؤاد ومجاورته. قال امرؤ القيس:

---

(١) زيادة من صحيح البخاري (٣/ ١٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢٧-١٢٢٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٦٧).

رمتني بسهمٍ أصابَ الفؤادَ غَداةَ الرحيلِ فلم أَنْتَصِرْ[١]

وقال الآخر:

كأن فؤادي كلما مر راكب جناح غراب رام نهضاً إلى وكر[٢]

وقال الآخر:

وإن فؤاداً قادني لصبابة إليك على طول الهوى لصبور[٣]

يعنون بالفؤاد: القلب.

«من الناس» للتبعيض، أي: من أفئدة الناس.

قال مجاهد: لو قال: «أفئدة الناس» لـزحمتكم عليـه فـارس والـروم والـترك والهند[٤].

ويجوز أن يكون «مِن» لابتداء الغاية، كقولك: القلب مني سقيم.

﴿تهوي﴾ أي: تحنّ ﴿إليهم﴾ نظير نحوهم شوقاً ونزاعاً، مَيْلاً إلى الحجّ وحُبـاً لمكة.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومحمد بن علي وجعفر بن محمد: «تهوَى إليهم» بفتح الواو[٥]، من هَوِيَ يَهْوَى؛ إذا [أحبّ][٦].

---

(١) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥٥)، وزاد المسير (١/ ٣٥٢، ٤/ ٣٦٧).

(٢) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٣٦٧)، ومعجم البلدان (٤/ ٣٢٦).

(٣) انظر البيت في: القرطبي (٩/ ٣٧٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩). وذكره السيوطي في الـدر (٥/ ٤٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٦٨).

(٦) في الأصل: حب. وانظر: اللسان (مادة: هوا).

قال أبو الفتح ابن جني[(١)]: لا تقول: هَوِيت إلى فلان، ولكنك تقول: هويت فلاناً، [لأنه عليه السلام][(٢)] حمله على المعنى، ألا ترى أن معنى هَويت الشيء: مِلْت إليه؟ فقال: «تهوي إليهم»؛ لأنه لاحظ [معنى][(٣)] تميل إليهم. وهذا بابٌ من العربية ذو غَور. ومنه: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ عدّاه بإلى، وأَنْتَ لا تقول: رَفَثْتُ إلى المرأَة، إنما تقول: رَفَثْتُ بها [أو][(٤)] معها، لكنه لما كان معنى الرَّفَث معنى الإفضاء، عدّاه بإلى، [ملاحظة لمعنى][(٥)] ما هو مثله.

وهذا الدعاء المتقبل أحد الأسباب الموجبة لحنين المؤمنين إلى مكة.

والسبب الثاني: كونها الوطن الأول، فإن الله تعالى حين استخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره وكلمهم فقال: «ألست بربكم»؟ كان ذلك بنَعْمَان، يعني: عرفة.

السبب الثالث: نَظَرُ الحقِّ عز وجل إلى البيت، فإنه ينظر إليه ليلة النصف من شعبان، فتحِنُّ القلوب إليه لاطلاع الحقِّ إليه.

قوله تعالى: ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ النعمة: وهي ما يرزقهم من أنواع الثمرات وهم بواد غير ذي ذرع ولا شجر، فأجاب الله تعالى دعوته؛ فجعله حراماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء.

---

(١) المحتسب (١/ ٣٦٤).

(٢) في الأصل: إلا أنه حمله. والمثبت من المحتسب (١/ ٣٦٤).

(٣) في الأصل: أن. والمثبت من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: و. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: فلاحظه بمعنى. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ كان هذا القول منه حين أعرض عن هاجر، وإسماعيل طفل صغير رضيع بوادٍ لا أنيس فيه ولا ماء ولا طعام، والمعنى: إنك تعلم ما نخفي من الوجد وكآبة فراق الولد، وما نعلن من البكاء والدعاء.

وقال ابن عباس: ما نخفي من الوجد بمفارقة إسماعيل، وما نعلن [من الحب له](١).

وقيل: «ما نعلن» وهو ما جرى بينه وبين هاجر [حين](٢) قالت له عند انصرافه عنهما تاركاً لهما بفلاة من الأرض: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله. قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا.

وقال صاحب الكشاف(٣): المعنى: أنك تعلم السر كما تعلم العلن علماً [لا تفاوت فيه، لأن غيباً من الغيوب لا يحتجب عنك. والمعنى: أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا](٤) منا، وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا [ولها](٥)، فلا حاجة إلى الدعاء والطلب، وإنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وتخشعاً لعصمتك، وتذللاً لعزتك، وافتقاراً إلى ما عندك، واستعجالاً لنيل أياديك، وولهاً إلى رحمتك، وكما يتملق العبد بين يدي سيده، رغبة في إصابة معروفه، مع توفر

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٣٦٨).

(٢) في الأصل: حتى. والتصويب من البحر المحيط (٥/ ٤٢٢).

(٣) الكشاف (٢/ ٥٢٥-٥٢٦).

(٤) زيادة من الكشاف (٢/ ٥٢٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

السيد على حسن الملكة.

وعن بعضهم: أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح، فأراد أن يـذكّره، فقال: مِثْلُك لا يُذَكَّر استقصاراً، ولا توهماً للغفلة عن حوائج[١] السائلين، ولكن ذا الحاجة لا [تدعه][٢] حاجته أن لا يتكلم فيها.

وقوله: ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ جائز أن يكون ابتداء كلام من الله، تصديقاً لإبراهيم عليه السلام. وجائز أن يكون من تمام كلام إبراهيم.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق﴾ «على» بمعنى «مَعَ»، كقول الشاعر:

إني على ما ترينَ من كِبَري أعلمُ من حيثُ تُؤكلُ الكَتِفُ[٣]

وهذا في محل الحال.

أي: وهب لي وأنا كبير إسماعيل وإسحاق.

---

(١) في الكشاف: جواب.

(٢) في الأصل: تدعوه. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٢٦).

(٣) البيت لقيس بن الخطيم. وهو في: الكشاف (٢/ ٥٢٦)، والبحر (٥/ ٤٢٣)، والدر المصون (٤/ ٢٧٥)، وحاشية الشهاب (٥/ ٢٧٤)، وروح المعاني (١٣/ ٢٤٢).

قال ابن عباس: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة[١].

﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ لقائله، كقولهم: سمع الله لمن حمده.وقد سبق.

وكان إبراهيم سأل ربه عز وجل الولد فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ [الصافات:١٠٠].

﴿رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي﴾ قال الزمخشري[٢]: أي: وبعض ذريتي، عطفاً على المنصوب في «اجعلني». وإنما بعّض؛ لأنه عَلِمَ بإعلام الله تعالى أنه يكون في ذريته كفار، وذلك قوله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة:١٢٤].

﴿ربنا وتقبل دعائي﴾[٣]، قال ابن عباس: يريد: عبادتي[٤].

﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ قيل: أراد آدم وحواء.

والأظهر ما تتبادر إليه الأفهام، وكان ذلك منه قبل النهي عنه.

وقال ابن الأنباري[٥]: استغفر لأبويه وهما حيّان طمعاً [في][٦] أن يهديا إلى

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٨).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٢٧).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وهبيرة عن حفص عن عاصم: ﴿وتقبل دعائي﴾ بياء في الوصل. وقال البزي عن ابن كثير: يصل ويقف بياء. وقال قنبل عن ابن كثير: يُشم الياء في الوصل ولا يُثبتُها، ويقف عليها بالألف. وقرأ الباقون: ﴿دعاء﴾ بغير ياء في الحالين. قال أبو علي: الوقف والوصل بياء هو القياس، والإشمام جائز لدلالة الكسرة على الياء (الحجة ٣/ ١٩).

(٤) الطبري (١٣/ ٢٣٥)، والوسيط (٣/ ٣٤).

(٥) انظر: الوسيط (٣/ ٣٤)، وزاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٦) زيادة من المصدرين السابقين.

الإسلام ويسعدا بالدين.

ويعضد قولَه؛ قولُه: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعـدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ [التوبة:١١٤].

وقرأ جماعة منهم ابن مسعود وأبي بـن كعـب والحسين بـن عـلي وإبـراهيم النخعي والزهري: «ولولديَّ» يعني: إسماعيل وإسحاق[١].

وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير: «[ولوالِدِي][٢]» على التوحيد[٣].

قال الحسن البصري: بلغني أن أمه كانت مسلمة على دينه[٤].

وقرأ عاصم الجحدري: «ولوُلدي» بضم الواو[٥].

وقيل: هو بمعنى الوَلَد، [كالعُدم][٦] والعَدَم.

وقيل: هو جمع وُلْد؛ كالأَسَد وأُسْد، وخشبة وخُشْب.

قال الشاعر في المعنى الأول:

فَليتَ فلاناً كان في بطْنِ أمه ... وليتَ فلاناً [كان][٧] ولد حمار[٨]

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٢) في الأصل: ولولدي. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٤) زاد المسير (٦/ ١٣٠).

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٦) في الأصل: كالعدوة. وانظر: البحر المحيط (٥/ ٤٢٣)، والدر المصون (٤/ ٢٧٦).

(٧) زيادة من مصادر تخريج البيت.

(٨) البيت لم أعرف قائله. وانظره في: تهـذيب اللغـة (١٤/ ١٧٨)، والمحتسب (١/ ٣٦٥)، ومعـاني الفراء (٢/ ١٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٥٨)، والبحر (٥/ ٤٢٣)، والدر المصون (٤/ ٢٧٦)، =

وقرأ يحيى بن يعمر: «ولوَلدي» بفتح الواو [وكسر الدال][1] على التوحيد[2].

﴿يوم يقوم الحساب﴾ فقيل معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب عن ذكر الناس، إذ كان المعنى مفهوماً.

وقيل: «يقوم الحساب» أي: يثبت، هو مستعار من قيام القائم على الرِّجل. والدليل عليه قولهم: قامت الحربُ على ساقها، كأنها قامت على رِجْل، ومنه قولهم: ترجَّلتِ الشمس؛ إذا أشرقت وثبت ضوؤها.

ويجوز أن تسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازياً، ويكون مثل: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف:٨٢].

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ إن كان الخطاب لغير الرسول ﷺ يجوز أن يكون جاهلاً بالله تعالى وصفاته، ويَحْسِبُ بجهله [أنه][3] تعالى يتطرق إليه السهو والغفلة في إشكال في الآية. وإن كان الخطاب للرسول ﷺ فالمراد التثبت على ما كان عليه، كقوله: ﴿وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين﴾

= واللسان (مادة: ولد)، وروح المعاني (١٣/ ٢٤٤)، والقرطبي (١٦/ ١٣٠).

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٦٩).

(٣) في الأصل: أن. والصواب ما أثبتناه.

ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ [القصص:٨٧-٨٨]، وكقوله: ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله﴾ [النساء:١٣٦].

ويجوز أن يكون: ولا تحسبن الله يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن يعاملهم معاملة الرقيب المحاسب على النَّقير والقِطْمير[١].

قال ابن عباس: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم[٢].

﴿إنما يؤخرهم﴾ أي: يؤخر جزاءهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي: تزل فيه أبصار الخلائق عن مقارّها من هول ما ترى، من قولك: شَخَصَ فلان منْ بلده، أي: انتقل منه إلى غيره، وأشْخَصَ الرامي؛ إذا جاز سهمه الغَرَضَ منْ أعلاه[٣]، ويقال للرجل إذا ورد عليه أمر أفاقه: شخص به.

﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين إلى الداعي، وقيل: إلى النار، منْ قولك: أهْطَعَ البعير؛ إذا أسرع[٤].

وقال ابن عباس: الإهْطاع: إطالة النظر من غير أن يطرف الناظر[٥].

---

(١) النقير: النُكْتَة في النواة، كأنّ ذلك الموضع نُقِرَ منها (اللسان، مادة: نقر).

والقطمير: شَقُّ النواة . وفي الصحاح (٢/ ٧٩٧): القطمير: الفُوفَة التي فوق النواة، وهي القشرة الرقيقة التي على النواة بين النواة والتمر (اللسان، مادة: قطمر).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥١) كلاهما عن ميمون بن مهران. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق عن ميمون بن مهران.

(٣) انظر: اللسان (مادة: شخص).

(٤) انظر: اللسان (مادة: هطع).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

﴿مقنعي رؤوسهم﴾ رافعيها.

قال ابن قتيبة[(١)]: المقنِع رأسه: الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه. وهذا قول جمهور المفسرين[(٢)]. وأنشد أبو عبيدة[(٣)]:

أنغض نحوي رأسه وأقْنعا كأنما أبْصر شيئاً أطمعا[(٤)]

قال الحسن البصري: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد[(٥)].

﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ أي: لا يطرقون ولا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وشخوص البصر.

﴿وأفئدتهم هواء﴾ أي: فارغة، ومنه الهواء؛ وهو الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ما بين السماء والأرض، والعرب تُسمِّي كل أجوف خاو: هواء. قال حسان بن ثابت[(٦)]:

= (٥/ ٥٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٣٣).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، وزاد المسير (٤/ ٣٧٠)، والوسيط (٣/ ٣٥)، والدر المنثور (٥/ ٥٠-٥١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).

(٤) انظر البيت في: القرطبي (٩/ ٣٧٧)، والطبري (١٣/ ٢٣٨)، وزاد المسير (٤/ ٣٧٠)، وروح المعاني (١٥/ ٩٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٣٩). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٣٧١).

(٦) البيت لحسان بن ثابت. وهو في: مجاز القرآن (١/ ٣٤٤)، واللسان مادة: (جوف، هوا)، والدر المصون (٤/ ٢٧٨).

ألا أبلغْ أبا سفيان عني فأنت مجوَّفٌ نخبٌ هواء

والنَّخِب: الذي لا فؤاد له.

وقد ذكرنا آنفاً أن الأفئدة مساكن القلوب، وأنه يعبر بها عنها. فإن أريد الأول؛ فالمعنى: أفئدتهم فارغة من قلوبهم، فإن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف وتراكم تلك الأهوال، فصارت أفئدتهم خالية منها، وهذا قول ابن عباس وقتادة(١)، ويوضحه قوله تعالى: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ [غافر:١٨].

وإن أريد الثاني؛ فالمعنى: قلوبهم صفر من العقل لما يلامسها من الخوف(٢).

وقال ابن جريج: أفئدتهم صفر من الخير خاوية(٣).

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

﴿وأنذر الناس﴾ خوّفهم ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ وهو يوم القيامة. ويوم مفعول الظرف.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٤١). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٣٧١).

(٢) قال ابن جرير الطبري (١٣/ ٢٤١): وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل ذلك؛ قول من قال: معناه أنها خالية ليس فيها شيء من الخير ولا تعقل شيئاً.

(٣) البحر المحيط (٥/ ٤٢٤)، وروح المعاني (١٣/ ٢٤٧).

﴿فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ قال مقاتل[١]: سألوا الرجوع إلى الدنيا، وسألوا الإمهال إلى أمد قريب [حتى][٢] يتداركوا ما فرطوا في جنب الله.

ويجوز أن يراد باليوم: يوم نزول العذاب بهم، أو يوم موتهم ولقاء الملائكة لهم يضربون وجوههم وأدبارهم.

﴿نجب دعوتك﴾ إلى التوحيد ﴿ونتبع الرسل أو لم تكونوا﴾، فيه إضمار، تقديره: فيقال لهم أو لم تكونوا ﴿أقسمتم من قبل﴾ أي: حلفتم في الدنيا ﴿ما لكم من زوال﴾ أي: انتقال إلى دار أخرى.

﴿وسكنتم﴾ أي: نزلتم ﴿في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ فرأيتم أثر كفرهم وعاقبة مكرهم؛ كالحجر ومدين وقرى قوم لوط، ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ فهلا زجركم ذلك عن ظلمكم وكفركم، ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ فيما فَعِلوا وفُعل بهم.

﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أي: مكروا مكرهم العظيم. قيل: هو مكرهم برسول الله ﷺ حين همّوا بقتله وإخراجه.

﴿وعند الله مكرهم﴾ أي: مكتوب عنده مكرهم، وهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه. هذا معنى قول الحسن[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٩٤).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

وقال قتادة: المعنى: وعند الله جزاء مكرهم[(١)].

﴿وإن كان مكرهم﴾ مع عظمه وتفاقمه، ﴿لتزول منه الجبال﴾ «وإن» هاهنا نافية، واللام مؤكدة لها، كقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣].

والمعنى: ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد ﷺ وأمر دين الإسلام. وضرب الجبال مثلاً للحق الذي جاء به محمد ﷺ؛ لأنه بمنزلتها في التمكن والثبات. ويؤيده قراءة ابن مسعود: «وما كان مكرهم لتزول منه الجبال»، وهذا معنى قول الحسن والزجاج[(٢)] وجمهور المفسرين وأهل المعاني واللغة[(٣)].

وقرأ الكسائي: «لَتزولُ» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية[(٤)].

قال أبو علي الفارسي[(٥)]: من قرأ «لتزولُ» كانت «إنْ» المخففة من الثقيلة، واسمها مضمر، بمعنى: الأمر والشأن، والجملة خبر «إن»، واللام في قوله: «لتزول» هي لام التوكيد، وهذا على تعظيم أمر مكرهم خلاف القراءة الأولى، وهو تعظيم مكرهم كقوله: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ [نوح:٢٢]. أي: قد كان مكرهم من عِظَمِه وكِبَرِه يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في [الامتناع][(٦)] على من أراد إزالته. يعني: أمر النبي ﷺ.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٦٧-١٦٨).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٧٥).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٧٩)، والكشف (٢/ ٢٧)، والنشر (٢/ ٣٠٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٣).

(٥) الحجة (٣/ ١٨-١٩).

(٦) في الأصل: الاتساع. والتصويب من الحجة (٣/ ١٨).

يدل على ذلك قوله تعالى بعدُ: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ أي: فقد وعدك الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ [التوبة:٣٣].

وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا في تعظيم الشيء وتفخيمه، قال ابن مقبل[١]:

إذا مِتُّ عن ذكْر القوافي فلن تَرى لها شاعراً مثلي أطَبَّ وأشْعَرَا

وأكثَرَ بيتاً شاعراً ضُربت به بُطونُ جِبال الشعر حتى تيسَّرا

وقرأ عمر وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب: «وإن كاد» بالدال[٢]، «لَتزولُ» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية.

قال ابن جني[٣]: هذه [إنْ][٤] المخففة من الثقيلة، واللام في قوله: «لتزول» [هي التي][٥] تدخل بعد «إنْ» هذه المخففة من الثقيلة؛ فصلاً بينها وبين «إنْ» التي للنفي، في قوله: ﴿إنِ الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك:٢٠]، أي: ما الكافرون إلا في غرور، فكأنه وإنه كاد مكرهم تزول منه الجبال.

قال[٦]: ودخلتُ يوماً على أبي عليّ بُعيد عوده من شيراز سنة تسع وستين، فقال لي: ألا أُحدّثك؟ فقلت: قلْ. فقال: دخل عليّ هذا الأندلسي وظننته قد تعلّم،

(١) البيتان في: الشعر والشعراء (ص:٢٩٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٣) المحتسب (١/ ٣٦٦).

(٤) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) أي: ابن جني في المحتسب (١/ ٣٦٦).

فإذا هو يظن أَنَّ اللام التي تصحب «إِنْ» المخففة من الثقيلة هي لام الابتداء. قلت: لا تعجب، فأكثر من ترى هكذا.

وروي عن علي وغيره: أن المشار إليهم بقوله: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ نمرود الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه، وكان من قصته أنه قال: إن كان ما يقول إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أعلم ما في السماء، فأمر بفرخي نسر -وروي عنه أيضاً وعن ابن عباس: أربعة أفراخ- وعلفها اللحم حتى استفحلت، ثم أمر بتابوت فنحت وجعل في وسطه خشبة وجعل على رأسها لحماً، ثم جوعها وربط أرجلها إلى أوتار إلى قوائم التابوت، ودخل هو وصاحب له في التابوت، وجعل له بابين أعلا وأسفل وأغلقهما، ثم أرسلها فجعلت تريد اللحم، فصعدت ما شاء الله، ثم قال لصاحبه: افتح الباب الأعلى وانظر ماذا ترى، وهل قربنا من السماء؟ ففتح ونظر فقال: إن السماء كهيئتها، ثم قال: افتح الباب الأسفل فانظر كيف ترى الأرض؟ ففعل فقال: أرى الأرض مثل اللجة البيضاء، والجبال مثل الدخان، فقال: أغلق الباب، ثم صعد ما شاء الله، ثم قال له: افتح فانظر، ففتح فقال: أرى السماء كهيئتها، والأرض سوداء مظلمة، ونودي: أيتها الطاغية! أين تريد؟(1).

قال السدي عن أشياخه: ما زال يصعد حتى رأى الأرض يحيط بها بحر فكأنها فلكة في ماء، ثم صعد حتى وقع في ظلمة فلم يدر ما فوقه وما تحته(2).

قال عكرمة: كان معه غلام قد حمل القوس والنشاب، فرمى بسهم، فأعادته

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري.

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٧٣).

القدرة الإلهية إليه ملطخاً بالدم فقال: كُفيتُ إله السماء. فلما هاله الارتفاع قال لصاحبه: صوب الخشبة، فصوبها فانحطت النسور، فظنت الجبال أنه أمرٌ نزل من السماء [فزالت عن مواضعها][١].

وقيل: [ظنت][٢] أنه قيام الساعة.

قال علي عليه السلام: فسمعت الجبال هدّتها، فكادت أن تزول عن مراتبها[٣].

ويروى عن مجاهد: أن هذه القصة لبختنصر[٤].

والله تعالى أعلم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ قال ابن عباس: يريد: الفتح والنصر وإظهار الدين[٥].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٧٣-٣٧٤). وما بين المعكوفين زيادة منه (٤/ ٣٧٤).

(٢) في الأصل: ضنت. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٧٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٤٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٧٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٥) وعزاه لابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٧٥).

قال صاحب الكشاف[١]: إن قلت: هلا قيل: مخلف رسله وعده؟ ولم قُدِّمَ المفعول الثاني على الأول؟

قلت: قَدَّمَ الوعدَ ليعلم أنه لا يُخلف الوعدَ أصلاً؛ كقوله: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران:٩]، ثم قال: «رسله» ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً كيف يخلفُه رسله الذين هم خيرته وصفوته[٢].

وقرئ شاذاً: «وعدَه» بالنصب، «رسلِه» بالجر[٣].

قال الزجاج[٤]: هي شاذة رديئة؛ لأنه لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه.

﴿إن الله عزيز﴾ لا يغالب ﴿ذو انتقام﴾ لأوليائه من أعدائه.

قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ وقرأت لعاصم من رواية أبان عنه: «نُبدِّل» بالنون، و «الأرضَ» بالنصب، «والسمواتِ» بكسر التاء نصباً، عطفاً على الأرض[٥].

قال الزجاج[٦]: إن شئت نصبت «يوماً» على النعت لقوله: «يوم يقومُ

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٣٠).

(٢) قال أبو حيان في البحر (٥/ ٤٢٧) بعد أن ذكر قول الزمخشري: وهو جواب على طريقة الاعتزال في أن وعد الله واقع لا محالة، فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلاً. ومذهب أهل السنة أن كل ما وعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط إنفاذه بالمشيئة.

(٣) البحر (٥/ ٤٢٧)، والدر المصون (٤/ ٢٨١).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ١٦٨).

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٧٥).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٦٩).

الحساب»، وإن شئت أن يكون منصوباً بقوله: «ذو انتقام». المعنى: إن الله عزيز ذو انتقام، أي: ينتقم. «يوم تبدل الأرضُ» مرفوعة على اسم ما لم يسم فاعله، و «غيرَ» منصوبة على مفعول ما لم يسم فاعله.

والمراد بتبديل الأرض: تغييرها بذهاب آكامها وجبالها وأشجارها ومدرها. قاله ابن عباس[1]. وأنشد:

ومَا النَّاسُ بالنَّاسِ الذين عهدتَهم ولا الدارُ بالدار الذي كنتُ أعرف[2]

وفي معناه قول عمران بن حِطَّان الخارجي[3] يرثي أبا بلال مرداساً الخارجي[4] أمير الصفريّة، قتل في أيام يزيد بن معاوية:

أنكرتُ بعدكَ ما قد كنتُ أعرفهُ ما الناسُ بعدكَ يا مرداسُ بالناسِ

وقال ابن مسعود ومجاهد وابن عباس في رواية عطاء عنه وأكثر المفسرين:

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٥٧). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٦)، والبغوي (٣/ ٤١)، وزاد المسير (٤/ ٣٧٥)، والقرطبي (٥/ ٢٥٤).

(٢) لم أعرف قائله. وانظره في: الكشاف (٢/ ٥٣١)، والفريد (٢/ ١٤٨)، ومجالس ثعلب (١/ ٤٩)، والبحر (٥/ ٤٢٧)، والدر المصون (٤/ ٢٨١)، وأبو السعود (٥/ ٦٠)، وروح المعاني (١٣/ ٢٥٤).

(٣) عمران بن حطّان بن ظبيان السدوسي البصري؛ من رؤوس الخوارج من القَعَدية، وهم الذين يحسنون لغيرهم الخروج على المسلمين ولا يباشرون القتال (انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٤-٢١٦)، والإصابة (٥/ ٣٠٢-٣٠٥).

(٤) مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي التميمي، أبو بلال، ويقال له: مرداس بن أدية من الشراة، شهد صفين وأنكر التحكيم، وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة، قتله عباد بن علقمة المازني. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٦/ ٣٩٤)، ولسان الميزان (٦/ ١٤)، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٠٢).

تبدل الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة[١].

وقال علي وأنس بن مالك: تبدل بأرض من فضة[٢].

وقال أبي بن كعب: تبدل ناراً[٣].

وقال أبو هريرة: تبدل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه[٤].

وأما تبديل السموات فقال علي عليه السلام: تجعل من ذهب[٥].

وقال أبي بن كعب: تصير جناناً[٦].

وقال ابن عباس: تبديلها تكور شمسها وتناثر نجومها[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٤٩-٢٥٠)، والبزار في مسنده (٥/ ٢٤٦-٢٤٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١٦٤)، والكبير (١٠/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٦-٥٧) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن مسعود، ومن نفس الطريق من رواية أخرى عزاه لعبدالرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٠) عن أنس بن مالك. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٧) وعزاه لابن مردويه عن علي، ومن طريق آخر عن أنس بن مالك وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٣/ ٢٥١) عن ابن مسعود. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٧٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٨) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥١-٢٥٢) عن سعيد بن جبير، ومن طريق آخر عن محمد بن كعب القرظي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٧٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٨) وعزاه لابن جرير.

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٧٦).

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

وقال ابن الأنباري[١]: تبديلها اختلاف أحوالها، فمرةً كالمهل ومرةً كالدِّهان.

وقيل: تبديلها طَيِّها كطي السجل للكتاب[٢].

والذي يقوى عندي ويدل العلم: أن مثل هذا لا يصدر عن الصحابة، مع شدة احتياطهم في الدين وورعهم الشافي إلا بتوقيف سمعوه من النبي ﷺ، فيتعين حينئذ حمله أن يقال: جميع ما قالوه كائن يوم القيامة، فإنه يوم تتقلب فيه الأعيان، وتنتقل فيه من حال إلى حال. وهذا أمر يظهر باستقراء ما جاء في القرآن والأحاديث من أحوال القيامة واختلاف مواطنها.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن [سعد][٣] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء [كقُرْصَة][٤] نقي[٥]. قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد»[٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة»[٧].

---

(١) انظر: الوسيط (٣/ ٣٦-٣٧)، وزاد المسير (٤/ ٣٧٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٧٦).

(٣) بياض في الأصل قدر كلمة. والمثبت من الصحيحين.

(٤) في الأصل: لوصة. والتصويب من الصحيحين.

والقُرْصَة: القِطْعة (اللسان، مادة: قرص).

(٥) النَّقِيّ: الخبز الحوَّاري (اللسان، مادة: نقا).

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٩٠ ح٦١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٠ ح٢٧٩٠).

(٧) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٩ ح٦١٥٥)، ومسلم (٤/ ٢١٥١ ح٢٧٩٢).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ قلت: أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على الصراط »[1].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ « في قوله: ﴿يوم تبدل الأرض﴾ قال: يبسطها ويمدّها مد الأديم »[2].

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

وما بعده مفسر إلى قوله: ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الأصفاد﴾ تقول: قَرَنْتُ الشيءَ بالشَّيء؛ إذا وصَلْتَه به[3].

قال ابن العباس: [يقرنون][4] مع الشياطين[5].

قال ابن السائب: كل كافر مع شيطان في غل[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٠ ح٢٧٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٢).

(٣) انظر: (اللسان، مادة: قرن).

(٤) في الأصل: يقرون. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٣٧٧).

(٥) زاد المسير (٤/ ٣٧٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧).

وقال ابن زيد: تقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم[(١)].

وقال ابن قتيبة[(٢)]: [يُقرن][(٣)] بعضُهم إلى بعض.

والأصْفَاد: جمع صَفَد، وهو القَيْد، وقيل: الغُلّ، تقول: صَفَدْتُه وصَفَّدْتُه، والصَّفَاد والصَّفَد والصَّفْد: ما قيّدته به من أي شيء كان. وتقول: أصْفَدت الرجل؛ إذا أعطيته إصفاداً، واسم العطية: الصَّفَد.

قال عطاء: يريد: سلاسل الحديد والأغلال[(٤)].

﴿سرابيلهم﴾ جمع سِرْبال وهو القميص، ﴿من قَطِرَان﴾ ويقال: «قطْران» بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء فيهما، وهو شيء يتحلب من شجر يهنأ[(٥)] به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحدّته وحرّه، فجعلت قُمُص أهل النار منه لنَتَنِه وسواده ولَذْغِه، وشدة اشتعال النار فيه.

وروي عن ابن عباس: أن القطران: النحاس المذاب[(٦)].

ويؤيده: ما قرأتُ به على شيخنا أبي البقاء وشيخنا أبي عمرو الياسري ليعقوب: «من قِطْرٍ» بكسر القاف وسكون الطاء وكسر الراء وتنوينها، «آن»: أي

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٥). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٧)، وزاد المسير (٤/ ٣٧٧).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٣٤).

(٣) في الأصل: يقرون. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٣٧٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧).

(٥) في هامش الأصل: يُدهن.

وهَنَأَ الإبل: طلاها بالهِناء، وهو القَطِران (اللسان، مادة: هنأ).

(٦) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

نحاس مذاب متناهي الحرارة[1]. ومنه قوله: ﴿آتوني أفرغ عليه قِطْرا﴾ [الكهف:٩٦].

﴿وتغشى﴾ أي: تعلو ﴿وجوههم النار﴾ لا يتّقونها بشيء، كما قال الله تعالى: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ [الزمر:٢٤]، وقال: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ [القمر:٤٨].

ولما كانت عادة الإنسان أن يتّقي بيده، أخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل النار يُصفّدون وتُغَلّ أيديهم ليُمنعوا هذا القدر من الراحة، نعوذ بالله من سخطه وعذابه.

قوله تعالى: ﴿ليجزي الله﴾ اللام متعلقة بقوله: «وبرزوا»، والمعنى: ليجزي الله ﴿كل نفس﴾ صالحة وطالحة ﴿ما كسبت﴾ من خير وشر.

﴿إن الله سريع الحساب﴾ سبق تفسيره.

وقيل: المعنى حسابه واقع لا محالة، وكل ما هو واقع فهو سريع.

قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ يعني: القرآن، وقيل: ما أشار إليه من قوله: «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون» إلى قوله: «هذا بلاغ للناس».

ومعنى قوله: «بلاغ»: كفاية في التذكير والتحذير.

﴿ولينذروا به﴾ عطف على محذوف، تقديره: لِيُنْصَحُوا ولِيُنْذَرُوا به.

﴿وليعلموا﴾ أنما فيه من الحجج البالغة ﴿أنما هو إله واحد﴾ وعلى القول الآخر: المعنى: وليعلموا إذا أنذروا واستثمروا من ذلك خوفاً يبعثهم على النظر في

---

(١) زاد المسير (٤/ ٣٧٧).

الحق والسعي في خلاص أنفسهم من العذاب بمجانبة أسبابه؛ أنما هو إله واحد.

﴿وليذكر أولوا الألباب﴾ أصحاب العقول.

سورة الحجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي مائة آية إلا آية، وهي مكية بغير خلاف.

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وقرآن مبين﴾ نكرة للتفخيم والتعظيم، والكتاب والقرآن واحد. وقيل: الكتاب: التوراة والإنجيل والقرآن كتابنا. وفيه بُعد.

وقال صاحب الكشاف[1]: ﴿تلك﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب والقرآن المبين: السورة.

والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل [في كونه كتاباً][2]، وآي كتاب مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان.

قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قرأ نافع وعاصم: «ربما» بالتخفيف، وافقهما أبو عمرو في رواية عبد الوارث عنه. وقرأت لعاصم من طريق

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٣٣).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

الشموني بضم الباء، وقرأ الباقون بالتشديد[١]، وهما لغتان مشهورتان[٢].

قال أبو كبير الهذلي:

أزهيرُ إنْ يَشِبَ القَذَالُ[٣] فإنَّني رُبَّ هَيْضَلٍ لجَبٍ لَفَفْتُ بهيْضَل[٤]

والهَيْضَل: جمع هَيْضَلة، وهي الجماعة يُغْزى بهم[٥]، يقول: لففتهم بأعدائهم في القتال.

وقال الآخر في اللغة الأخرى:

رُبَّ نارٍ بتُّ أرْمُقُها تَقْضِمُ الهنديَّ[٦] والغَارَا[٧]

قال الزجاج[٨]: إنما زيدت «ما» مع «رُبَّ» لِيَلِيها الفعل، تقول: رُبَّ رجلٍ جاءني، وربما جاءني رجل.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٦).

(٢) قال الطبري (١٤/ ١): والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال إنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب.

(٣) القذال: جِمَاعُ مؤخَّر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا، والجمع أقذلة وقُذُل.اللسان (مادة: قذل).

(٤) البيت لأبي كبير الهذلي من قصيدة قالها في تأبط شراً، وكان أبو كبير قد تزوج أمه وأراد قتله، ولكنه خافه. انظر: ديوان الهذليين (ص:٨٩)، والخزانة (٤/ ١٦٥)، وشواهد المغني (ص:٨١)، ومعاني الزجاج (٣/ ١٧٢)، واللسان (مادة: هضل)، وزاد المسير (٤/ ٣٨٠).

(٥) انظر: اللسان (مادة: هضل).

(٦) يقصد: العود الطيب الذي من بلاد الهند.

(٧) البيت لعدي بن زيد بن الرَّقاع. انظر البيت في: اللسان (مادة: هند، قضم).

(٨) معاني الزجاج (٣/ ١٧٣).

وقال أبو علي [الفارسي](١): رُبَّ حرف جر، و «ما» كافَّة لـ«رُبَّ» عن عملها، ألا ترى أنها دخلت على الفعل، وحرف الجر لا يدخل على الأفعال، فدخول «ما» عليها نفتها عن عملها وهيّأتها [للدخول](٢) على الفعل.

فمن قرأ «رُبَّما» بالتشديد؛ فعلى الأصلين؛ لأن رب على ثلاثة أحرف، مثل: ثُمَّ.

ومن قرأ بالتخفيف؛ فلأن رُبَّ حرف مضاعَف، والحروف المضاعفة قد تحذف مثل: إنّ وأنّ ولكنّ، وليس كل المضاعف يُحذف، لم أعلم الحذف في ثُمَّ.

فإن قيل: كيف وَليها الفعل المضارع وقد أبَوْا دخولها إلا على الماضي؟ كقول الشاعر:

رُبَّمَا أوْفيتُ في عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثوبي شَمالاتُ(٣)

قلت: حمله أبو إسحاق على إضمار كان، على تقدير: رُبَّما كان يودّ، وأجود منه أن يكون على حكاية الحال. وقد حكى الكسائي عن العرب ربما يندم فلان، قال الشاعر:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠، ٢٢، ٢٤). وما بين المعكوفين في الأصل: الفاسي.

(٢) زيادة من الحجة (٣/ ٢٢).

(٣) البيت لجذيمة الأبرش. انظر: الأزهية (ص:٩٤، ٢٦٥)، وخزانة الأدب (١١/ ٤٠٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٨١)، وشرح التصريح (٢/ ٢٢)، وشرح شواهد الإيضاح (ص:٢١٩)، وشرح شواهد المغني (ص:٣٩٣)، والكتاب (٣/ ٥١٨)، والمقتضب (٣/ ١٥).

وشمالات: جمع شمال، والشَّمال من الرياح: ما استقبلك عن يمينك إذا وقفت في القبلة. وقيل: مهبّ الشمال من بنات نعش إلى مقْسَطِ النسر الطائر (اللسان، مادة: شمل).

رُبَّما تجْزَعُ النفوسُ من الأمْـ ـرِ له فُرجَةٌ كحَلِّ العُقالِ[1]

وقال الزمخشري[2]: جاز ذلك؛ لأن المُتَرَقَّبَ في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه، وكأنه قيل: رُبَّما وَدّ.

فإن قيل: ربما وجد في كلامهم للتقليل، ألا ترى إلى قوله:

ألا رُبَّ مَولودٍ وليسَ له أبٌ وذي وَلَدٍ لم يَلدهُ أبوانِ[3]

وإذا كانت للتقليل فشأن ما توعدوا به لا يناسب التقليل، بل التكثير.

قلت: قد سلك بها ابن الأنباري[4] في بعض أجوبته مسلك الأضداد، وأنها تقال على التقليل [والتكثير][5]، كالناهل والجون. ومنه في حديث سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «يا علي! ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتهن؟ قلت: بلى يا رسول الله، جعلني الله فداك، فربما خير قد علمتنيه. قال: إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، انظر: ديوانه (ص:٥٠)، والأزهية (ص:٨٢، ٩٥)، وخزانة الأدب (٦/ ١٠٨، ١١٣، ١٠/ ٩)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٣)، والكتاب (٢/ ١٠٩)، والأشباه والنظائر (٣/ ١٨٦)، وشرح الأشموني (١/ ٧٠)، ومغني اللبيب (٢/ ٢٩٧)، والمقتضب (١/ ٤٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٨٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٣٣).

(٣) البيت لرجل من أزد السراة. انظر البيت في: شرح التصريح (٢/ ١٨)، والحجة للفارسي (١/ ٢٥١)، وشرح شواهد الشافية (ص:٢٢)، والكتاب (٢/ ٢٦٦، ٤/ ١١٥)، والمقاصد النحوية (٣/ ٣٥٤)، والأشباه والنظائر (١/ ١٩)، وأوضح المسالك (٣/ ٥١)، والخصائص (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٨١).

(٥) في الأصل: والكثير. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء»[١].

وهذا موضع تكثير لا تقليل، وأنشدوا:

فإنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِناءِ فرُبَّما أقامَ به بعدَ الوفودِ وُفودُ[٢]

وقال صاحب الكشاف[٣]: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك [ستندم][٤] على فعلك، ولا يَشُكُّون في [تندمه][٥]، ولا يقصدون تقليله، ولكنهم أرادوا: لو كان [الندم][٦] مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحقّ عليك أن لا تفعل هذا الفعل؛ لأن العقلاء يتحرزون [من التعرض للغم المظنون، كما يتحرزون][٧] من المتيقن ومن القليل منه، كما يتحرزون من الكثير، وكذلك المعنى في الآية: ولو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة، [فبالحري][٨] أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه في كل ساعة.

والقول الجزل في نظري: إجراؤها على ظاهرها وما وُضِعَتْ له، وما ذاك لقلة

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٥/ ٣٢٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٥١٧).

(٢) البيت لأبي عطاء السندي يرثي ابن هبيرة. وانظر البيت في: تفسير أبي السعود (٣/ ١٢٦)، واللسان (مادة: عهد)، وفيض القدير (٢/ ٢٣٩).

(٣) الكشاف (٢/ ٥٣٣-٥٣٤).

(٤) في الأصل: تندم. والمثبت من الكشاف (٢/ ٥٣٣).

(٥) في الأصل: تقدمه. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: التقدم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) زيادة من الكشاف (٢/ ٥٣٤).

(٨) في الأصل: بالحري. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

ما توعدوا به، وإنما هم لعِظَمِ ما دهمهُم من أهوال الطامة، وتراكَمَ عليهم من شدائد القيامة، وشدة ما يعانونه من عذاب النار في شغل شاغل، فربما حانت منهم حالة إفاقة [فيتمنون](١) إذ ذاك أنهم كانوا مسلمين، وهذا بالإضافة إلى ذلك الشغل الشاغل قليل.

فإن قيل: متى يودُّون لو كانوا مسلمين؟

قلت: إذا عاينوا الموت وتحققوا الفوت، وظهرت لهم أسباب العذاب، وشاهدوا فوز أهل التوحيد يوم القيامة بالثواب.

وقد روى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر الله بمن كان في النار من أهل القبلة فأُخرجوا. فلما رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا. قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾»(٢).

قال ابن عباس: ما يزال الله يشفع ويُدخل الجنة ويَرحم حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذاك حين يقول: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا

---

(١) في الأصل: فيمنون. والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٥ ح٢٩٥٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه ووافقه الذهبي، والطبري في تفسيره (١٤/ ٢).

مسلمين﴾[1].

وقوله: ﴿لو كانوا مسلمين﴾ حكاية ودادتهم، وإنما جيء بها على لفظ الغيبة؛ لأنهم مخبر عنهم، كقولك: حلف بالله ليفعل، ولو قال: لأفعلن، أو كنا مسلمين؛ لكان حسناً.

قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ تلويح للرسول ﷺ بخذلانهم وانتظامهم في سلك من لا يجدي معهم تحذير ولا تخويف وتذكير، كأنه قيل: اقطع طمعك من ارعوائهم، ودعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم مدة حياتهم.

﴿ويلههم الأمل﴾ يشغلهم عن الاستعداد للمعاد، ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم وما جَنَتْ عليهم غفلتهم، وهذا وعيد وتهديد شديد.

وقد ذكرنا مذهب أكثر المفسرين في هذا وأمثاله، وأنه عندهم منسوخ بآية السيف[2].

والوجه الصحيح ما ذكرته أولاً. ومثله قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر:١١]، فتفهم ذلك.

وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٤ ح٣٣٤٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبري (١٤/ ٣). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٩).

(٢) أعرض النحاس عن ذكر النسخ في هذه الآية. وذكره ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ (ص:١١١)، وابن حزم (ص:٤٢) ولم يستندوا كعادتهم إلى أي دليل نقلي أو عقلي. وردّ دعوى النسخ ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص:٣٧٩) بما ردّ به هنا، وهي أنها وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ أي: أجل مؤقت لا يتأخر عنه ولا يتقدمه.

قال الزمخشري[١]: «لها كتاب» جملة واقعة صفة لـ«قرية». والقياس: أن لا تتوسط الواو بينهما، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ [الشعراء:٢٠٨]، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد وعليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب.

قوله تعالى: ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ «مِنْ» زائدة، وإنما أنّث الأمَّة فقال: «أجلها»، ثم ذكَّرها فقال: «يستأخرون» حملاً على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى، وحذف عنه لأنه معلوم.

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني: المشركين على مذهبهم في التهكم بالرسول ﷺ ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي: القرآن ﴿إنك لمجنون﴾ قال أبو علي الفارسي[٢]: جواب هذه الآية في سورة أخرى ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [القلم:٢].

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٣٤).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من كتابه الحجة.

فصل

قلت يوماً لولدي محمد ..[1] وهو قد أربى على عشر سنين بقليل، وكان يتلو عَلَيَّ هذه السورة، فلما جاء إلى هذه الآية قلت له ممتحناً لخاطره: هؤلاء قوم كفار، فكيف قالوا: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾؟

فقال: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنه استهزاء منهم به ﷺ، كما قال قوم فرعون لموسى: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧]، فحمدت الله تعالى على توفيقه للصواب. وما أعرف للآية وجهاً سوى هذا.

فقلت: والوجه الثاني، ما هو؟

فقال: الوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ نداء من الله له، لا مما حكاه عنهم، يشير إلى أنه كلام معترض، ينعي به عليهم سوء حالهم في نسبتهم من اختصه الله تعالى لإنزال الذكر عليه إلى الجنون.

وهذا وجه سديد لا يتقاصر في الجودة عن الذي قبله، بل ربما زاد عليه.

قوله تعالى: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ قال أبو عبيدة[2]: لولا ولوما لغتان بمعنى واحد، وأنشد لابن مقبل:

لَوْمَا الحياءُ ولوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُما ... ببعضِ ما فيكُما إذْ عِبْتُما عَوَرِي[3]

(١) كلمة غير مقروءة في مصورة الأصل.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٦).

(٣) البيت لابن مقبل يخاطب ابنتي عَصَر. وانظر: البحر (٥/ ٤٣١)، والدر المصون (٤/ ٢٨٩)، والطبري (١٤/ ٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٨٣)، واللسان(مادة: بعض)، والكشاف (٢/ ٥٣٥).

وقال الفراء[١]: لولا ولوما لغتان، معناهما هلا.

ومعنى الآية: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك.

﴿إن كنت من الصادقين﴾ أو يكون المعنى: هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً.

﴿ما تُنَزِّلُ الملائكةُ إلا بالحق﴾ قرأ أهل الكوفة: «ننزل» بنون العظمة وكسر الزاي، «الملائكةَ» بالنصب، إلا أبا بكر فإنه قرأ: «تُنَزَّلُ» بالتاء المضمومة على ما لم يُسَمَّ فاعله، «الملائكةُ» بالرفع. وقرأ الباقون بفتح التاء[٢]، أي: تتنزل الملائكة.

﴿إلا بالحق﴾ أي: بالأمر الثابت الملجئ إلى التصديق أو العذاب من غير تأخير.

قال ابن عباس: إذا نزلت الملائكة لم ينظروا ولم يمتهلوا، وهو قوله: ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: «إذاً» جواب وجزاء؛ لأنه جواب لهم، وجزاء [الشرط][٥] مقدر، تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ ردّ لإنكارهم واستهزائهم [في قولهم][٦]:

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٨٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨١)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠).

(٤) الكشاف (٢/ ٥٣٥-٥٣٦).

(٥) في الأصل: الشرط. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٣٥).

(٦) في الأصل: وقولهم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾، ولذلك قال: «إنا نحن»، فأكّد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبَتّ، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ.

﴿وإنا له لحافظون﴾ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتولّ سبحانه وتعالى حفظها، بل وَكَلها إلى الأحبار واستَحْفَظَهُم إياها، فأضاعوها وبدّلوها وحرّفوها.

قال قتادة: أنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً[1].

وقال [الكلبي][2]: «وإنا له» أي: لمحمد ﷺ حافظون من شياطين الإنس والجن[3].

والأول أصح وأكثر. وأن المراد بذلك حفظ القرآن العزيز. وقد ظهر أثر ذلك والحمد لله، فلو تمالأ الثقلان على تحريفه وتبديله وزيادته ونقصانه لم يقدروا على ذلك.

ولقد احتدت شوكة الرافضة[4] في زماننا بالموصل واشتدت شكيمتهم، وظنوا أن الوثب تهزهم، ولات حين ما يطلبون، وأنّى وكلمة الله هي العليا، والله مظهر دينه، وناصر من نصره، وخاذل من خذله، وطمعوا اعتزازاً منهم وجهلاً بما

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: الكبي. والصواب ما أثبتناه.

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٨٤).

(٤) انظر في هذه القصة إلى تحريف الشيعة الرافضة خذلهم الله للقرآن الكريم.

كتبه الله تعالى على نفسه من حفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين [يديه][(1)] ولا من خلفه، أن يحرفوا مواضع من القرآن ويُنزلوها على وفق أهوائهم؛ فقرأ قارئ منهم في محفل من محافلهم آيات من سور شتى انتخبتها طواغيتهم، ولفقوها تلفيقاً متناقضاً، ونظموها نظماً تشهد رصانة القرآن وفصاحته بتهافتها وافترائها، وأنا أستحيي من حكايتها، وأستغفر الله تعالى من جريان قلمي بكتابتها، فقرأ آيات كثيرة منها: «إنما وليكم الله ورسوله وعلي الذين يقيمون الصلاة»، وقرأ: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كعلي آمن بالله» وفساد هذا في العربية أكثر وأظهر من أن يذكر، وقرأ: «إن الله وملائكته يَصِلونَ علياً بالنبي»، وقرأ: «فأما عليٌّ فأعطى واتقى وصدق بالحسنى»، وزاد آية في كتاب الله فقرأ في سورة الشعراء عند قوله: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾: «وإن علياً وشيعته لهم الفائزون»، في آيات كثيرة اقترؤوها ثم افتروها.

فلما شاع ذلك وذاع، وحدثني به رجل صالح من فضلاء القُرَّاء ممن حضر وسمع، لزمتني حجة الله الذي اتخذها على الذين أوتوا الكتاب ليبيّننه للناس ولا يكتمونه، وطوّقت القول في ذلك طوق الحمامة، فرفعت حديثه إلى والي الأمر بالموصل، فنفى ذلك القارئ من البلاد، وأراح منه العباد.

ومن أعجب ما بلغني عن بعض عظمائهم أنه قال: إنما أنكروا ذلك لكونه في فضائل علي عليه السلام، فقلت: لو أن شخصاً استحل الزيادة في كتاب الله أو التحريف فيه بتوحيد الله وتمجيده والثناء عليه، مضيفاً ذلك إلى القرآن، معتقداً

---

(١) زيادة على الأصل.

نزوله فيه، كان كافراً بإجماع أهل العلم، ولكن هذا دأبهم وديدنهم عند إنكار أهل الحق عليهم ما يختلقونه في المناقب والمثالب، ونحن بحمد الله تعالى بفضائل أمير المؤمنين علي وآله أدرى، وبمحبته وولايته أولى وأحرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ التقدير: أرسلنا رسلاً، فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه، ﴿في شيع الأولين﴾ يعني: فرقهم. والشِّيعة: الفرقة على مذهب واحد.

ثم عزّى رسوله ﷺ فقال: ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾ فليس ببِدْعٍ منهم أن يقرفوك[1] بالجنون ويستهزؤا بك، فإنها سُنَّة شيعتهم في الضلالة.

﴿كذلك نسلكه﴾ أي: ندخله. والسَّلْكُ: إدخال الشيء في الشيء، يعني: الكفر والاستهزاء. وهذا قول ابن عباس والحسن وعامة المفسرين[2].

والمعنى: كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب الشيع السالفة نسلكه في قلوب هؤلاء.

---

(١) أي: يتهموك، يقال: قَرَفَه بكذا: أي: أضافه إليه واتّهمه به (اللسان، مادة: قرف).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٩). وانظر: الوسيط (٣/ ٤٠)، وزاد المسير (٤/ ٣٨٥).

وقال الزمخشري[١]: «نسلكه» يعني: الذِّكْر، ﴿في قلوب المجرمين﴾ على معنى: [يلقيه][٢] في قلوبهم مكذباً مستهزءاً به غير مقبول، كما لو أنزلتُ بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام، أي: مثل هذا الإنزال [أنزلناها][٣] بهم مردودة غير مقضية.

والحامل له على هذا التمحل الشديد والتأويل البعيد ومفارقة من قبله من المفسرين؛ ما يستلزم التفسير المشهور من إبطال ما يتتحله من الاعتزال[٤].

﴿لا يؤمنون به﴾ أي: بالذِّكْر. وقيل: بالرسول ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أي: طريقتهم التي سَنَّها الله في إهلاكهم. وهذا تهديد لأهل مكة.

وقيل: المعنى: وقد خلت سنة الأولين بتكذيب المرسلين.

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ يقال: ظَلَّ يفعل كذا، إذا فعله بالنهار[٥]، وبَاتَ يفعل كذا ليلاً. قال:

عَزَّ على عَمَّكِ أن تَأَوَّقي ... أوْ لَمْ تبيتي ليلةً لم تُغْبَقِي[٦]

(١) الكشاف (٢/ ٥٣٦-٥٣٧).

(٢) في الأصل: يقليه. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٣٦).

(٣) في الأصل: أنزلها. والمثبت من الكشاف (٢/ ٥٣٧).

(٤) المقصود به: صاحب الكشاف الزمخشري.

(٥) انظر: اللسان (مادة: ظلل).

(٦) البيت لجندل بن المثنى الطّهوي. انظر البيت في: اللسان (مادة: كأب، أوق).

قال أبو عمرو: وأَوَّقْتُهُ، وهو أن تُقَلِّل طعامه.

والعروج: الصعود.

والمعنى: لو فتحنا لهم باباً من أبواب السماء وأقدرناهم على العروج في الهواء فشاهدوا بأعينهم ما يوعدون ﴿لقالوا﴾ عناداً وتعنتاً: ﴿إنما سُكِّرت أبصارنا﴾ هذا قول الحسن وقتادة[1].

وقال ابن عباس: الضمير في «فظلوا» للملائكة[2]، على معنى: لو فتحنا لهم باباً في السماء وشاهدوا الملائكة يصعدون فيه لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا.

وقرأ ابن كثير: «سُكِرَت» بالتخفيف[3].

قال المبرد وغيره: والمعنى واحد، إلا أن التشديد للتكثير.

وقال أبو عمرو بن العلاء: سُكِرت بالتخفيف؛ مأخوذ من سُكْر الشراب، يعني: أن الأبصار حارت كما يحار السَّكْران.

وقال الزجاج[4]: سُكِّرت بالتشديد: أُغشيت، وبالتخفيف: [تحيَّرَت][5]، أي: جرت مجرى السكران في عدم تحصيله.

﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ سَحَرَنَا محمد ﷺ، فنحن نشاهد ما لا حقيقة له.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٨٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ١٧٥).

(٥) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

والمقصود من هذا: الإعلام بأنهم قوم شأنهم العناد، وأنهم لفرط توغلهم فيه لو فتحت عليهم أبواب السماء وشاهدوا ما يضطرهم إلى التصديق، لكابروا أنفسهم وأنكروا الحقائق، وأصرُّوا على تكذيبهم وعنادهم.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ قال ابن عباس: بروج الشمس والقمر، يعني: منازلهما[١].

قال ابن قتيبة[٢]: وأسماؤها عندهم: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.

﴿وزيناها للناظرين﴾ بالشمس والقمر والكواكب.

﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ فلا يصل إليها ولا يتلقى من جهتها شيئاً.

﴿إلا من استرق السمع﴾ «مَنْ» في موضع النصب على الاستثناء وليس بجر، بدلاً من «شيطان»؛ لأنه استثناء موجب[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٨٧).

(٢) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٤/ ٣٨٧).

(٣) التبيان (٢/ ٧٢-٧٣)، والدر المصون (٤/ ٢٩٢).

﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ أي: لحقه كوكب مضيء.

قال ابن عباس: يحرق ويجرح ويخبل ولا يقتل[(١)].

وقال الحسن: يقتل[(٢)].

وعندي: أنه لا تنافي بين القولين، فإنه عذاب يرمون به، فمنهم من يستأصله ويهلكه، ومنهم من يعذبه ولا يهلكه بالكلية.

فصل

اختلفوا هل كان يرمى بالنجوم قبل مبعث نبينا محمد ﷺ؟ فقال عامر الشعبي: لم يقذف بالنجوم حتى كان مبعث رسول الله ﷺ[(٣)]. واحتجوا لهذا القول بما أخرج الإمام [أحمد][(٤)] في مسنده عن ابن عباس قال: «كانت النجوم لا يرمى بها، فلما بُعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمي بشهاب يحرق ما أصابه، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبعث جنده، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»[(٥)]. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وقال الزجاج[(٦)]: الدليل على أنها كانت بعد مولد النبي ﷺ؛ أن شعراء العرب

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٩٠).

(٣) القرطبي (١٠/ ١٢).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٧ ح٣٣٢٤)، وأحمد (١/ ٣٢٣ ح٢٩٧٩).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٧٦).

الذين يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحد فيه ذكر الكواكب المنقضَّة، فلما [حدثت][1] بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها، قال ذو الرمة[2]:

كأنه كوكب في إثر عِفرِيَةٍ[3] مسوَّمٌ في سواد الليل مُنْقَضِب

والصحيح عندي: أنه كان يرمى بها، وقول ابن عباس محمول على نفي الكثرة لا على نفي أصل الرمي، جمعاً بينه وبين قوله في الرواية الأخرى: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، فلما ولد عيسى منعت من ثلاث سماوات، فلما وُلد رسول الله ﷺ مُنعوا من السماوات كلها[4].

وقال الزهري: قد كان يرمى بها قبل ذلك، ولكنها غُلِّظَت حين بعث النبي ﷺ، وهذا مذهب ابن قتيبة، قال: وعليه وجدنا الشعر القديم[5].

قال أوس بن حجر، وهو جاهلي:

---

(١) في الأصل: حدث. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ١٧٦).

(٢) البيت لذي الرمة يصف ثوراً وحشياً. انظر: ديوانه (ص:٢٧)، واللسان (مادة: قضب، عفر)، والقرطبي (١٠/ ١١)، وزاد المسير (٤/ ٣٨٨).

(٣) العِفْر والعِفْرية -بالكسر- وعُفَارية -بالضم-، والعِفْرية: الداهية، يريد كأنه في سرعته كوكب ينقض في إثر عفريت.

ومسوّم: أي: واضح ظاهر كالذي به علامة تميزه، ومنقضب: أي: منقض.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٨٩).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٣٠).

فانقضَّ كالدُّرِّي[١] يتبَعُهُ نقْعٌ يَثورُ تَخالُهُ طُنُبَا[٢]

والذي يزيد ذلك إيضاحاً، ويُفصح بصحة ما اخترتُه إفصاحاً: ما أخبرنا به أبو بكر ابن بهروز قال: [أخبركم عبد الأول قال][٣]: أبنا الداودي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، ثنا إبراهيم بن خريم الشاشي، ثنا عبد بن حميد، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس قال: «بينا النبي ﷺ [جالس][٤] في نفر من أصحابه من الأنصار، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم. قال: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى الأمر في السماء سَبَّحَ حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء، وسبح كل أهل سماء، حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر حملةُ العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبر [أهل][٥] كل [سماء][٦] أهل سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن ويرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»[٧].

---

(١) الدُّرّي: الكوكب المنقضُّ يُدْرَأ على الشيطان (اللسان، مادة: درأ).

(٢) البيت لأوس بن حجر. انظر: ديوانه (ص:٣)، والحجة للفارسي (٣/ ٢٢٩)، والمعجم المفصل (١/ ١٣٤)، واللسان (مادة: درأ)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٥٨)، وتاج العروس (١/ ٢٢٤).

(٣) زيادة على الأصل. وقد سبق هذا السند مراراً بهذه الزيادة.

(٤) زيادة من مسند عبد بن حميد (١/ ٢٢٨).

(٥) مثل السابق.

(٦) مثل السابق.

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ح٢٢٢٩)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٢٨).

قال: قلت للزهري: أَوَ كان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أقرأت قوله: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ... الآية﴾ قال: غُلِّظت وشدّد أمرها حين بُعث النبي ﷺ. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه.

قوله تعالى: ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ وهي الجبال الثوابت لتُسكنها ﴿وأنبتنا فيها﴾ أي: في الأرض. وقال الفراء[١]: في الجبال.

والأول هو القول[٢]؛ لاندراج الثاني فيه، ولقوله بَعْدُ: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾.

﴿من كل شيء موزون﴾ بميزان الحكمة مقدر بمقدار تقتضيه المصلحة.

وقال ابن عباس: يريد: الثمار مما يكال ويوزن[٣].

وقيل: ما يوزن، نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد والكحل، وأشباه ذلك مما يوزن وزناً، وهذا اختيار الفراء[٤]، وهو يجيء على ردّه الضمير إلى الجبال.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ وأرزاقاً من الحبوب والثمار.

قوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾ «مَنْ» في موضع النصب بفعل مضمر، والتقدير: وجعلنا لكم معايش وأعشنا من لستم له برازقين[٥]، فأضمر «أعشنا»؛

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٨٦).

(٢) أي: الراجح. وفي زاد المسير: قاله الأكثرون.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٩١).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٨٦).

(٥) التبيان (٢/ ٧٣)، والدر المصون (٤/ ٢٩٣).

لأن ما تقدم تفسير له.

وقال الزجاج[1]: موضع «مَنْ» نصب من جهتين؛ إحداهما: العطف على «معايش». المعنى: وجعلنا لكم من لستم له برازقين. وجائز أن يكون عطفاً على تأويل «لكم»، المعنى في قوله: وجعلنا لكم فيها معايش أعشناكم ومن لستم له برازقين.

قال غير الزجاج: وزعم قوم أن قوله: «ومن لستم له برازقين» في موضع الابتداء، والخبر مضمر، ولا يجوز أن يكون «مَنْ» في موضع الجر بالعطف على الكاف والميم[2]؛ لأنه لم يعد [لللام][3]، والمراد بقوله: ومن لستم له برازقين من العيال والعبيد والإماء والأنعام والدواب والوحوش.

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ «مِنْ» زائدة، و «شيء» متبدأ،

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٧٧).

(٢) قلت: وجاز ذلك من غير إعادة الجار، على رأي الكوفيين وبعض البصريين (انظر: التبيان ٢/ ٧٣، والدر المصون ٤/ ٢٩٣).

(٣) في الأصل: اللام. والصواب ما أثبتناه.

و«عندنا» خبر له، و «خزائنه» ترتفع بالظرف، فجرى الظرف خبراً عن المبتدأ(١).

والمعنى: وما من شيء ينتفعون به من المطر وغيره إلا عندنا خزائنه تتصرف فيه بحكمنا وإرادتنا.

﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ وجمهور المفسرين اقتطعوا ذلك في المطر، قالوا: المعنى وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، وما ننزله من السماء في كل عام إلا بقدر معلوم لا ينقص ولا يزيد(٢).

وروي عن ابن مسعود أنه قال: ما عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه ويقدره في الأرض كيف شاء، عاماً هاهنا وعاماً هاهنا، ثم قرأ هذه الآية(٣).

قوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ وقرأ حمزة: «الريح» على إفراده الجنس(٤).

وفي معنى لواقح اختلاف بين اللغويين، فمن ذاهب إلى أنها بمعنى ملاقح جمع ملقحة، فحذفت الميم وردت إلى أصل الثلاثي كما يقال: أبقل النبت فهو باقل، يجعلونه بدلاً من مبقل، ومنه الحديث: « ومن كل عين لامّة »(٥) أي: مُلِمَّة.

وقال النابغة:

كِليني لِهَمٍّ يا أميمةَ نَاصبِ وليلٌ أقاسيهِ بَطيء الكواكب(٦)

(١) التبيان (٢/ ٧٣)، والدر المصون (٤/ ٢٩٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٩٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩).

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٢٧٤)، والنشر (٢/ ٢٢٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣٣ ح٣١٩١).

(٦) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوانه (ص:٩)، والطبري (١٣/ ١٨٣)، وزاد المسير (٤/ ٤٥٦)، =

أي: منصب.

وهذا قول أبي عبيدة[١]. فالمعنى: أنها ملقحة للسحاب.

قال ابن مسعود: يبعث الله تعالى الرياح لتلقح السحاب. قال ابن مسعود: فتحمل الماء[٢].

وقال الحسن: تلقح السحاب والشجر[٣]. أي: تلقح السحاب فتمطر، والشجر فتثمر.

وقال الضحاك: يبعث الله تعالى الرياح على السحاب فتلقحه فتمتلئ ماء[٤].

وقال أبو بكر بن عياش: لا يقطر من السماء قطرة إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع، فالصَّبا[٥] تُهيِّجه، والدَّبور[٦] تُلقِّحه، والجَنُوب[٧] تُدرّه،

= وتاريخ بغداد (٨/ ٣١٢).

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٠)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٢١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦١).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) الصَّبا: هي الريح التي تأتي من المشرق، وتُسمى القَبُول أيضاً، لأنها في مقابلة مُستَقْبِل المشرق (صبح الأعشى ٢/ ١٨٥).

(٦) الدَّبور: ومهبُّها من مغرب الشمس إلى حدّ القطب الجنوبي، وسميت الدبور؛ لأن مستقبل المشرق يستدبرها، وتسمَّى الغربية لهبوبها من جهة المغرب، وبها هلكت عاد (صبح الأعشى ٢/ ١٨٥).

(٧) الجنوب ومهبها من حدّ القطب الأسفل إلى مطلع الشمس، وتسمى بالديار المصرية: القِبْلِيَّة؛ لأنها =

والشَّمال[1] تُفرِّقُه[2].

ومن ذاهب إلى أنها جمع لاقحة، أي: حاملة، كما تقول: ناقة لاقحة؛ إذا حملت الولد، فالمعنى: حوامل للسحاب وما فيها من الماء. ويدل عليه قوله: ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً﴾ [الأعراف:٥٧] أي: حملت، ولهذا قالوا: ريح عقيم؛ للتي لم تحمل ماء ولا خيراً. وهذا قول الفراء[3] وابن الأنباري واختيار الأزهري[4].

﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه﴾ أي: جعلناه سقياً لكم. قال الفراء[5]: العرب مجمعون على أن يقولوا: سقيتُ الرجل فأنا أسقيه؛ إذا سَقَيْته [لـشَفَتِه][6]، فإذا أجروا للرجل نهراً قالوا: أسقيتُه وسقيتُه، وكذلك السقيا من الغيث قالوا فيها: سقيت وأسقيت.

وقال أبو عبيدة[7]: كل ما كان من السماء ففيه لغتان: أسقاه [الله][8]

= تأتي من القبلة فيها، وتسمّى بها أيضاً المَرِيسية لأن في الجهة القبلية بلاد المريس، وهي أردأ الرياح عند أهل مصر (صبح الأعشى ٢/ ١٨٦).

(١) الشمال: ومهبها من حد القطب الشمالي إلى مغرب الشمس، وسميت شَمالاً لأنها على شمال من استقبل المشرق (صبح الأعشى ٢/ ١٨٥).

(٢) القرطبي (١٠/ ١٦).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٨٧).

(٤) تهذيب اللغة (٤/ ٥٥، ٥٦).

(٥) معاني الفراء (٢/ ١٠٨)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٤).

(٦) في الأصل: بشفته. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٧) مجاز القرآن (١/ ٣٤٩-٣٥٠).

(٨) زيادة من زاد المسير (٤/ ٣٩٤).

وسقاه الله[١]. قال لبيد:

سَقَى قومي بني مَجْدٍ وأسقى   نُميراً والقبائلَ من هِلال

فجاء باللغتين.

وتقول: سَقيت الرجل ماءً أو شراباً من لبن أو غيره، فليس فيه إلا لغة واحدة [بغير ألف][٢] إذا كان في الشَّفة، وإذا جعلت له شرباً فهو أسقيته، وأسقيتُ أرضهُ وإبله، ولا يكون غير هذا، وكذلك إذا استسقيت له، يعني: قلت له: أسقاك الله، تقول: قد أسقيته. قال ذو الرمة:

وقفتُ على رَسْمٍ لميَّةَ ناقتي   فما زلتُ أبكي عنده وأُخاطبُه

وأُسْقيهِ حتى كاد مما أَبُثُّهُ   تُكلّمُني أحجارُهُ وملاعِبُه[٣]

قوله تعالى: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ نفى عنهم سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه في قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾.

قال مقاتل[٤]: ما أنتم له بحافظين، أي: [ليست خزائنه][٥] بأيديكم.

وقال سفيان الثوري: «ما أنتم له بخازنين» أي: بمانعين[٦].

---

(١) في الأصل زيادة: وسقاه. وانظر: مجاز القرآن (١/ ٣٤٩).

(٢) في الأصل: بألف. والتصويب من مجاز القرآن (١/ ٣٥٠). وانظر: زاد المسير (٤/ ٣٩٥).

(٣) انظر: البيتين في: اللسان (مادة: سقي)، والقرطبي (٩/ ٢٥١)، والطبري (١٤/ ٢٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٥)، وروح المعاني (٢٢/ ١٨٣). وانظر البيت الثاني في: اللسان، مادة شكا، وفيه: «وأشكيه» بدل «وأسقيه»، وروح المعاني (١٤/ ٣١).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٠١). وانظر: الوسيط (٣/ ٤٢)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٥).

(٥) في الأصل: لستم خزانه. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٣٩٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٣)
=

قوله تعالى: ﴿ونحن الوارثون﴾ أي: الباقون بعد فناء الخلق، كقوله: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ [مريم:٤٠].

وقيل: للباقي وارث؛ استعارة من وارث الميت، ومنه قوله عليه السلام: «واجعله الوارث منّا»[(١)]، وقد حققنا هذا المعنى فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ أخرج الترمذي والنسائي من حديث ابن عباس قال: «كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن النساء، وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون بالصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾»[(٢)] هذا حديث صحيح أخرجه الحاكم في صحيحه.

روى أبو صالح عن ابن عباس «أن النبي ﷺ حرض على الصف الأول، فازدحموا عليه، حتى قال قوم بيوتهم قاصية عن المدينة: لنبيعنّ دورنا ولنشترين دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم، فنزلت هذه الآية»[(٣)].

وقريب منه قول الحسن وعطاء، يعني: المتقدمين في طاعة الله والمتأخرين عنها[(٤)].

=

وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ١٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٦ ح٣١٢٢)، والنسائي في الكبرى (١/ ٣٠٢ ح٩٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٨٤ ح٣٣٤٦).

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٩٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٢).

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٢) كلاهما عن الحسن. وانظر: الوسيط =

وقال ابن عباس في رواية عنه: المستقدمين من خرج من الخلق، والمستأخرين من هو حي لم يمت[١].

وقال قتادة ومجاهد: المستقدمين من مضى من الأمم، والمستأخرين من بقي، وهم أمة محمد ﷺ[٢]. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ مع إفراط كثرتهم ﴿إنه حكيم عليم﴾ باهر الحكمة واسع العلم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني: آدم ﴿من صلصال﴾ وهو الطين اليابس الذي لم يُطْبخ، فإذا نقرته صَلْصَلَ، أي: صُوِّت.

وقيل: هو تضعيف صَلّ؛ إذا أنتن، تقول: صَلَّ اللحم وأصَلَّ؛ إذا تغيَّرت رائحته[٣].

= (٣/ ٤٣)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن.

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٤) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٩٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٧٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٢)، ومجاهد (ص: ٣٤٠-٣٤١) ولفظه: ﴿المستقدمين﴾: القرون الأول، ﴿والمستأخرين﴾ أمة محمد ﷺ. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٩٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: اللسان (مادة: صلل).

ومثله: نتن وأنتن، وخمّ وأخمّ، وفي معنى ذلك: خَنِزَ اللحم ويَخْنَـز، وخَـزِن يَخْزَن. قال طرفة:

ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر

قال أبو عمرو: يقال: ثَعِطَ اللحمُ يَثْعَطُ ثَعَطاً؛ إذا أنتن[1].

قال أبو عبيدة: من قال: نَتَنَ، قال: فهو مِنْتِن، [ومن قال][2]: أَنْتَنَ، قال: فهو مُنْتِن[3]. وهذا اختيار مجاهد والكسائي[4].

﴿من حمأ مسنون﴾ صفة لـ«صلصال» أي: خلقه من صلصال كائن من حمـأ مسنون.

قال أبو عبيدة[5]: وهو جمع حَمْأَة.

قال ابن الأنباري[6]: لا خلاف أن الحَمَأْ: الطين الأسود المتغير الريح.

وقد روى السدي عن أشياخه قال: بَلَّ التراب حتى عاد طيناً، ثم ترك حتـى أَنْتَنَ وتَغَيَّر[7].

والمسنون: المتغير الرائحة، ومنـه قولـه: ﴿لم يتسنَّه﴾ [البقرة:٢٥٩]، وسُـمّي بذلك: لتقادم السنين عليه. وهو قول ابن عباس في رواية مجاهد عنه، وإليه ذهب

(١) انظر: اللسان (مادة: ثعط).

(٢) في الأصل: وقال. والتصويب من اللسان (مادة: نتن).

(٣) انظر: اللسان (مادة: نتن).

(٤) زاد المسير (٤/ ٣٩٧).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٥١).

(٦) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٩٧).

(٧) زاد المسير (٤/ ٣٩٧).

قتادة وابن قتيبة[(١)].

وقال في رواية ابن أبي طلحة: هو الطين الرطب[(٢)]، سمي بذلك لأنه يسيل وينبسط، فيكون كالماء المسنون، أي: المصبوب.

وقال أبو عمرو بن العلاء: المسنون: المصبوب[(٣)]، مِنْ قول العرب: سَنَنْتُ الماءَ على الوجه وغيره؛ إذا صببته[(٤)].

وقيل: المسنون: المصوَّر، من سُنَّة الوجه؛ وهي صورته[(٥)]، وهي اختيار سيبويه.

قوله تعالى: ﴿والجان﴾ منصوب بفعل مضمر، يفسره ما بعده. قال ابن عباس: هو أبو الجن، كآدم للناس[(٦)].

وقال الحسن وعطاء: هو إبليس[(٧)].

﴿خلقناه من قبل﴾ أي: من قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ وهو معنى قول

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٣٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٤/ ٣٩٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: سنن).

(٥) مثل السابق.

(٦) الطبري (١٤/ ٣٠)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٠) عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ٤٤)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

مجاهد وقتادة[١].

قال ابن مسعود: من نار الريح الحارة، قال: وهي جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان، وتلا: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾[٢].

وقال ابن السائب: هي نار لا دخان لها، والصواعق [تكون][٣] منها[٤].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا سويته﴾ أي: عدلته وصورته ﴿ونفخت﴾ أجريت ﴿فيه من

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٠) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٧)، والطبري (١٤/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٣). وانظر: الوسيط (٣/ ٤٤-٤٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٨) وعزاه للطيالسي والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٠٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٠٠).

روحي﴾ التي تقوم بها الحياة، وأضافها إليه إضافة ملك أو تشريف، كقوله: ﴿ناقة الله﴾ [الشمس:١٣].

﴿فقعوا له﴾ أمر من الوقوع ﴿ساجدين﴾ سجود تكريم لا سجود عبادة. وقد سبق ذكره في البقرة.

﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ قال سيبويه[١]: هذا توكيد بعد توكيد.

وحكي عن الزجاج[٢] أنه [لو][٣] اقتصر على «كلهم» لم يكن السجود قد حصل منهم دفعة واحدة، فلما قال: «أجمعون» أذن بذلك.

﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ سبق تفسيره.

﴿قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين﴾ «ما» مبتدأ، و «لك» في موضع الخبر، أي: أيّ شيء ثابت لك.

وقوله: «أن [لا][٤] تكون» في تقدير: في أن لا تكون، فحذفت في، وهي متعلقة بالخبر أيضاً، فلما حذفت «في» انتصب موضع «أنْ» على قول سيبويه، وبقي على الجر في قول الخليل.

وحمل أبو الحسن «أن» على الزيادة، ويكون قوله: «لا تكون» في موضع الحال، والتقدير: ما لك خارجاً عن الساجدين.

واللام في قوله: «لأسجد» لتوكيد النفي.

---

(١) انظر: الكتاب (١/ ١٥٠).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٧٩).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) زيادة على الأصل.

وما لم أذكره مفسراً إلى قوله: ﴿وإن عليك اللعنة إلى يـوم الـدين﴾ قـال ابـن السائب: يلعنك أهل السموات وأهل الأرض إلى الحساب؛ لأنه أول من عـصى الله[1].

قال ابن الأنباري[2]: إنما قال: «إلى يوم الدين» لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى. فالمعنى: عليك اللعنة أبداً.

وقيل: المعنى: وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين من غير أن تعذب، فإذا جاء يوم الدين عذبت بما يُنسى اللعن معه.

فإن قيل: فما وجه مجيء قوله هاهنا: ﴿وإن عليك اللعنة﴾ بالألف واللام، وفي موضع آخر: ﴿وإن عليك لعنتي﴾ [ص:٧٨] بالإضافة؟

قلت: لما جاء هناك: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص:٧٥] مضافاً، جاء: ﴿وإن عليك لعنتي﴾ على المطابقة والمشاكلة. وجاء هاهنـا: ﴿مـا لـك أن لا تكون مع الساجدين﴾. وسياق الآية على اللام في قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾، وفي قوله: ﴿والجان﴾ فجيء باللام أيضاً في قوله: ﴿وإن عليك اللعنة﴾.

﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ رام الخبيث أن يعبر قنطرة الموت، فقيـل له: إنك ﴿من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهي النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٠١).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٠١).

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾ الباء للقَسَم، و «ما» مصدرية، واللام في «لأزينن» جواب الباء[1].

والمعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم، ونحوه في القسم: ﴿فبعزتك لأغوينهم﴾ [ص:٨٢].

وقيل: الباء في قوله: «بما» للسببية، والقَسَم مُقدّر، أي: بسبب كوني غاوياً أقسم لأزينن لهم، ومفعول التزيين محذوف، تقديره: لأزينن لهم المعاصي والباطل.

﴿ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصوا دينهم وعملَهم من الشوائب المفسدة للطاعة والعبادة، واستثناهم اللعين لعلمه أن سهام كيده لا تنفذ في دروع توحيدهم وتقواهم.

﴿قال هذا﴾ أي: قال الله تعالى هذا الإخلاص ﴿صراط عليّ مستقيم﴾ أي: طريق إليّ مستقيم يفضي إلى كرامتي.

وقال الزمخشري[2]: التقدير: هذا طريق حق عليّ أن أراعيه، وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي.

---

(١) الدر المصون (٣/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٤٢).

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي وأبي عمرو عثمان بن مقبل الياسري ليعقوب الحضرمي: «صراط عَلِيٌّ مستقيم» بكسر اللام ورفع الياء وتنوينها، صفة لـ«صراط»، على معنى: هذا صراط عال، من علوّ الشرف والفضل(١).

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أن تلقيهم في ذنب يضيق عفوي عنه، ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾.

﴿وإن جهنم لموعدهم﴾ أي: لموعد الكافرين ﴿أجمعين﴾

﴿لها سبعة أبواب﴾ هي دركاتها.

قال ابن عباس: سبعة أطباق طبق فوق طبق(٢).

قال أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه: أبواب جهنم ليست كأبوابكم هذه، ولكنها هكذا وهكذا وهكذا، بعضها فوق بعض، ووصف الراوي بيده وفتح أصابعه(٣).

قال ابن جريج: لها سبعة أبواب؛ أولها: جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية(٤).

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٤)، والنشر (٢/ ٣٠١).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٥) كلاهما عن عكرمة. وانظر: الوسيط (٣/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٨١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٥). وانظر: الوسيط (٣/ ٤٦)، وزاد المسير (٤/ ٤٠٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ٨١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

قال الضحاك: هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض، وأعلاها فيه أهل التوحيد يعذّبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني فيه النصارى، والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركوا العرب، والسابع فيه المنافقون[1].

﴿لكل باب منهم﴾ أي: من أتباع إبليس ﴿جزء مقسوم﴾.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ يعني: عيون الماء والخمر والسلسبيل والتسنيم، وغير ذلك من شراب الجنة.

﴿ادخلوها﴾ على إرادة القول، تقديره: يقال لهم: ادخلوها ﴿بسلام﴾ أي: بتحية. وقيل: بسلام من الآفات.

قال ابن عباس: سلموا من سخط الله[2].

﴿آمنين﴾ من الكذب وشوائب النغص والموت والخروج والخوف، وكل ما ينافي اللذة.

وقرأتُ ليعقوب الحضرمي من رواية رويس عنه: «وعيون أُدْخِلوها» بضم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٨٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦).

الألف وكسر الخاء على ما لم يسم فاعله[(١)]، فلا يحتاج في هذه القراءة إلى إضمار القول.

قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ مفسر في الأعراف[(٢)].

﴿إخواناً﴾ نصب على الحال، أو على المدح[(٣)] ﴿على سرر متقابلين﴾ في محل الحال[(٤)].

والسُّرر: جمع سرير. قال ابن عباس: على سرر من ذهب مُكَلَّلة بالزبرجد والدر والياقيت، السرير مثل ما بين أيلة إلى عدن[(٥)]، «متقابلين» لا يرى بعضهم أقفاء بعض.

قال مجاهد: تدور بهم الأسرَّة حيثما داروا، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين[(٦)].

﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ أي تعب ﴿وما هم منها بمخرجين﴾.

قوله تعالى: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ أي: خبرهم أني أنا الغفور لأوليائي، الرحيم بهم.

﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لأعدائي.

وقد روى ابن المبارك بإسناده، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «اطلع

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٥).
(٢) (٢/ ١٢٤).
(٣) التبيان (٢/ ٧٥)، والدر المصون (٤/ ٢٩٨).
(٤) مثل السابق.
(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٠٤).
(٦) القرطبي (١٠/ ٣٣).

علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك، فقال: لا أراكم تضحكون، ثم أدبر حتى إذا كان عند الحِجْر رجع إلينا القهقرى، فقال: إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! يقول الله تعالى: لِمَ تُقَنِّطُ عبادي؟ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم»[١].

أخبرنا الشيخ أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق سنة ست وستمائة، والشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان بقراءتي عليه قالا: أنبأ أبو الوقت، أبنا الداودي، أبنا السرخسي، أبنا الفربري، ثنا البخاري، ثنا قتيبة[٢]، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن[٣]، عن عمرو بن أبي عمرو[٤]، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري[٥]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٩)، وابن المبارك في الزهد (ص:٣١٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٨٣).

(٢) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي مولاهم، أبو رجاء البلخي البغلاني، ثقة ثبت صدوق، مات سنة أربعين ومائتين عن تسعين سنة (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٢١-٣٢٢، والتقريب ص:٤٥٤).

(٣) يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري المدني، حليف بني زهرة، سكن الإسكندرية، وثقه ابن معين وغيره، مات سنة إحدى وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٤٣، والتقريب ص:٦٠٨).

(٤) عمرو بن أبي عمرو، اسمه ميسرة، مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي، أبو عثمان المدني، ثقة ربما وهم، مات بعد الخمسين (تهذيب التهذيب ٨/ ٧٢، والتقريب ص:٤٢٥).

(٥) سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان المقبري، أبو سعد المدني، كان أبوه مكاتباً لامرأة من بني ليث، والمقبري: نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها، كان ثقة جليل، اختلط قبل موته بأربع سنين، مات في آخر خلافة هشام سنة ثلاث وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٤، والتقريب ص:٢٣٦).

يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك [عنده][١] تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله [من الرحمة][٢] لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[٣]. هذا حديث صحيح انفرد البخاري بإخراجه.

وبالإسناد قال البخاري: ثنا ابن أبي مريم، ثنا أبو غسان، حدثني زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته بطنها وأرضعته. فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: [لا][٤]، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٥]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن الحسن بن علي الحلواني عن ابن أبي مريم.

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

(١) زيادة من صحيح البخاري (٥/ ٢٣٧٤).
(٢) مثل السابق.
(٣) أخرجه البخاري في (٥/ ٢٣٧٤ ح٦١٠٤).
(٤) زيادة من الصحيحين.
(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٥ ح٥٦٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٠٩ ح٢٧٥٤).

قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ أي: أخبرهم ليتعظوا أو يعتبروا إذا قصصت عليهم عظيم انتقامي من المجرمين، وقد مضت القصة مفسرة في هود[(١)]، وذكرنا في قصة إبراهيم نصب: «سلاماً».

﴿قال إنا منكم وجلون﴾ خائفون.

﴿قالوا لا تَوْجل﴾ وقرأ الحسن: «لا تُوجَل» بضم التاء[(٢)]، من أوْجَلَه يُوجِلُه، إذا [أخافه][(٣)].

﴿إنا نُبّشرك بغلام عليم﴾ وهو إسحاق عليه السلام، وهو كلام مستأنف خارج مخرج التعليل للنهي عن الوَجَل.

وقرأ حمزة: «نَبشُرك» بفتح النون وضم الشين مع التخفيف[(٤)].

﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ أي: على حالة الكبر والهرم، ﴿فبم تبشرون﴾ استفهام في معنى التعجب.

قرأ نافع: «تبشرونِ» بكسر النون، ومثله ابن كثير إلا أنه شَدَّد النون، وفتحها الباقون من غير تشديد[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: وهو أجود في القراءة.

---

(١) عند الآية رقم: ٦٩.

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٥).

(٣) في الأصل: أضافه. انظر: اللسان (مادة: وجل).

(٤) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٢-٣٨٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٧).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ١٨١).

قال أبو علي الفارسي[١]: من كَسَرَ النون وشدّد، أراد: تبشرونَني، فأدغم النون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء، وحذف الياء اكتفاء بالكسرة منها.

[وأما][٢] قراءة نافع فإنه أراد «تبشرونَني» أيضاً، فحذف النون الثانية؛ لأن التكرير بها وقع، ولم يحذف الأولى التي هي علامة الرفع؛ لأن العلامة لا تنحذف، وأثبت الكسرة لتدل على الياء المحذوفة التي هي ضمير المفعول، وقد حذفوا هذه النون في كلامهم؛ لأنها زائدة. قال الشاعر:

أبالموتِ الذي لا بُدَّ أني مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفيني[٣]

ومن قرأ: «تُبَشِّرونَ» بفتح النون، فالنون علامة الرفع، ولم يُعَدِّ الفعل فتجتمع نونان، وحذف المفعول كثير.

﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ وهو الأمر الثابت الذي قضاه الله ووعدك به من الولد، ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين من الخير.

﴿قال ومن يقنط﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: «يقنِط» بكسر النون[٤]، وكذلك: ﴿يقنطون﴾ حيث كان.

قال الزجاج[٥]: يقال: قَنَط يقنِطُ، وقنِطَ يقنَطُ.

---

(١) الحجة (٣/ ٢٦-٢٧).

(٢) في الأصل: فأما. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٦).

(٣) البيت لأبي حية النميري. انظر البيت في: اللسان (مادة: خعل، أبي، فلا).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٧).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ١٨١).

وكلهم قرأ: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قَنَطُوا﴾ [الشورى:٢٨] بفتح النون.

والمعنى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ عن طريق الصواب.

وقال ابن عباس: إلا المكذبون(١). وهذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام ما كان قانطاً، لكنه استبعد ذلك في العادة، فظنت الملائكة أنه قانط، فنفى ذلك عن نفسه، وأخبر أن القانط من رحمة الله ضالّ.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿قال فما خطبكم﴾ أي: ما شأنكم وما أمركم ﴿أيها المرسلون﴾.

﴿قالوا إنا أرسلنا﴾ يعنون بالعذاب ﴿إلى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط.

﴿إلا آل لوط﴾ استثناء منقطع، والمراد: أهله وأتباعه على دينه ﴿إنا لمنجُّوهم﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «لمنجُوهم» بالتخفيف(٢).

﴿إلا امرأته﴾ اعلم أنهم جعلوا هذه الآية دليلاً على «إلا» أن الاستثناء من الإثبات نفي، ومن النفي إثبات. فلو قال: لكَ عليَّ عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهماً، فلك عليه سبعة، لأنه لما قال: إلا أربعة كان لك ستة، فلما قال: إلا درهماً،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٧).

كان هذا الاستثناء من الأربعة، فعاد إلى الستة، فصارت سبعة.

ولو قلت: لكَ عليَّ عشرة إلا ثلاثة إلا درهماً كنت مقرّاً بثمانية.

وإن قلت: لكَ عليَّ سبعة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً كنت مقرّاً بخمسة.

قالوا: في هذه الآية استثنى الله آل لوط عن المجرمين فلم يدخلوا في الإهلاك، ثم استثنى عن آل لوط امرأته فدخلت في الهلكى على ما ذكرناه.

وقيل: «إلا امرأته» استثناء من الضمير المجرور في: «لمنجّوهم»، وهذا هو الصحيح. وليس[1] الاستثناء في شيء؛ لأن ذلك إنما يكون عند اتحاد الحكم على ما سبق من المسائل، والحكم هاهنا مختلف؛ لأن «آل لوط» متعلق بـ«أرسلنا» أو بـ«مجرمين»، و «إلا امرأته» متعلق بـ«منجوهم».

﴿قدّرنا﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «قَدَرْنا» بالتخفيف[2]، ومثله في النمل، والمعنى: قضينا ﴿إنها لمن الغابرين﴾ الباقين في العذاب.

أضافت الملائكة التقدير إلى نفسها، والمُقَدِّرُ إنما هو الله تعالى؛ إظهاراً لاختصاصهم وقرب منزلتهم من الله، كما يقول الواحد من خواص الملك: نحن فعلنا كذا، ونحن أمرنا بكذا، وما الفاعل والآمر سوى الملك.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ

---

(١) في الأصل زيادة قوله: في.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٦٧).

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ﴿٦٤﴾

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون﴾ لا نعرفُكم.

وقد أشرنا فيما مضى إلى المعنى الذي أوجب استنكاره إياهم.

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ وهو العذاب الذي كانوا يشكون فيه ويكذبون به. ﴿وأتيناك بالحق﴾ أي: باليقين والأمر الثابت من عذابهم، ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به من هلاكهم.

﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم﴾ سِرْ في عقبهم، ولا تترك أحداً منهم وراءك فيصيبه ما أصابهم، ويكون ذلك سبباً لاشتغال بالك وتشعث أحوالك.

﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ مفسر في هود(١). ويجوز أن يكون كناية عن الإمعان في السير.

﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ قال ابن عباس: إلى الشام(٢).

والمعنى: سيروا ممتثلين ما أُمرتم به غير ملتفتين؛ لئلا تشاهدوا ما نزل بقومكم من العذاب، فتأخذكم بهم رأفة ورقة، وهم قوم مسخوط عليهم معذبون.

---

(١) عند الآية رقم: ٨١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٩) عن السدي. وانظر: الوسيط (٣/ ٤٨)، وزاد المسير (٤/ ٤٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٨٩) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

﴿وقضينا إليه﴾ أوحينا، ولذلك عداه بإلى، ﴿ذلك الأمر﴾ ثم فسره بقوله: ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ و «أن» في موضع نصب بدلاً من موضع «ذلك»[1].

والمعنى: أنهم يستأصلون بالهلاك وقت الصبح.

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

﴿وجاء أهل المدينة﴾ يعني: سَدوم[2] ﴿يستبشرون﴾ بأضياف لوط طمعاً في ركوب الفاحشة، ظناً منهم أنهم من بني آدم.

﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ بالإشارة إليهم، فإن الكريم يفتضح بانتهاك حرمة ضيفه.

﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ مفسرٌ فيما مضى.

﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ أي: عن أن تجير منهم أحداً وتضيفه، أو تحول بيننا وبينه.

﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ مريدين قضاء الشهوة، أو أنه قال ذلك لكونه شك في قبولهم.

---

(١) التبيان (٢/ ٧٦)، والدر المصون (٤/ ٣٠٣).

(٢) سَدوم: مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يقال له: سدوم، ويضرب به المثل في الجَوْر، فيقال: أجْور من قاضي سدوم (معجم البلدان ٣/ ٢٠٠).

قوله تعالى: ﴿لعمرك﴾ فيه ثلاث لغات، فتح العين وضمها، وضم العين والميم.

قال الخليل وسيبويه: المعنى واحد.

قال الزجاج[١]: إذا استعمل في القَسَم فتح [أوله][٢] لا غير؛ لأن الفتح أخف [عليهم][٣]، يشير إلى كثرة دور الحلف على ألسنتهم.

قال ابن عباس: وعيشك يا محمد[٤].

وقال ابن الأنباري[٥]: معناها: وحقك يا محمد على أمتك. تقول العرب: لعَمْرو الله لا أقوم، يعنون: وحقّ الله، وبهذا الاعتبار انعقد قوله: لعمرو الله؛ يميناً عند الإمام أحمد.

وقال الشافعي: لا تنعقد يميناً، وكذا الخلاف بينهما في قوله: وايم الله. ووجه انعقاد اليمين بها أنه قد ثبت لهما عرف الشرع والاستعمال، قال الله تعالى: ﴿لعمرك﴾. وقال الشاعر:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه لعمْر أبيك إلا الفرقدان[٦]

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ١٨٣).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أخرجه البخاري معلقاً (٤/ ١٧٣٦) باب تفسير سورة الحجر، والطبري (١٤/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٠). وانظر: الوسيط (٣/ ٤٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٨٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٠٨).

(٦) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقيل: لسوار بن المضرب، وقيل: لحضرمي بن عامر. انظر: ديوانه =

وقال النبي ﷺ في أسامة بن زيد: « وايم الله إنه لخليقٌ بالإمارة »[1].

قال الزجاج[2]: «لعمرك» مرفوع بالابتداء، والخبر مضمر، والتقدير: لعمرك ما أقسم به، أو لعمرك قسمي، وحذف الخبر؛ لأن في الكلام دليلاً عليه.

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه، أبنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد، أبنا علي بن أحمد، أبنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ، ثنا عبدالله بن حامد، ثنا عبد الرحمن بن محمد الزهري، ثنا العباس الدوري، حدثني أبو عتاب سهل بن حماد[3]، حدثنا سعيد بن زيد[4]، حدثني عمرو بن مالك[5]، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ما خلق الله عز وجل ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته، قال: ﴿لعمرك إنهم

= (ص:١٧٨)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٤)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٢١)، والإنصاف (١/ ٢٦٨)، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ص:٥)، ومعاني الأخفش (ص:٩١)، والأشباه والنظائر (٨/ ١٨٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٣٤)، وشرح المفصل (٢/ ٨٩)، ومغني اللبيب (١/ ٧٢)، والمقتضب (٤/ ٤٠٩).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٤ ح٢٤٢٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٨٤).

(٣) سهل بن حماد العنقزي، أبو عتاب الدلال البصري، ثقة صدوق، مات سنة ثمان ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٢١٩، والتقريب ص:٢٥٧).

(٤) سعيد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو الحسن البصري، أخو حماد بن زيد، صدوق له أوهام، مات سنة سبع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩، والتقريب ص:٢٣٦).

(٥) عمرو بن مالك النكري، أبو يحيى، ويقال: أبو مالك البصري، صدوق له أوهام، مات سنة تسع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٨٤، والتقريب ص:٤٢٦).

لفي سكرتهم يعمهون﴾))[١].

والضمير في قوله: «إنهم لفي سكرتهم يعمهون» لقوم لوط.

وقال عطاء: لقوم نبينا ﷺ[٢].

وشكّ صاحب الكشاف فقال[٣]: «لعمرك» على إرادة القول، أي: قالت الملائكة للوط: لعمرك «إنهم لفي سكرتهم[٤]»، أي: لفي غوايتهم التي أذهبت عقولهم «يعمهون» يتحيرون، فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ وهي صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ داخلين في شروق الشمس، وهو طلوعها. تقول: شَرَقَت الشمس تَشْرُق شَرْقاً وشُرُوقاً، والشارق: الطالع. ومنه قولهم: لا أفعل ذاك ما ذَرَّ شارقٌ، وتقول: أَشْرَقَ؛ إذا دخل في الشروق، ومنه هذه الآية، وأَشْرَقَ وجه الرجل إذا تلألأ حُسْناً، وأشرقتِ الشمسُ؛ أضاءتْ وصَفَتْ، وأَشْرَقَها الله[٥]، اللازم والمتعدي بلفظ واحد.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٤)، والحارث في مسنده (٢/ ٨٧١ ح٩٣٤).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٠٩).

(٣) الكشاف (٢/ ٥٤٧).

(٤) في الأصل زيادة قوله: يعمهون. وانظر: الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: شرق).

وقيل: شرقت الشمس وأشرقت بمعنى واحد، كقولهم: ضَاءَ وأَضَاءَ، ونَارَ وأَنَارَ، وفي ضده: دَجَى وأَدْجَى، وغَشَى وأغْشَى.

وما بعده مفسر في هود[١] إلى قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي: للمتفرّسين.

قال الزجاج[٢]: يقال: توَسَّمْت في فلان [كذا وكذا][٣]، أي: عرفت وَسْمَ ذلك فيه[٤].

وقال غيره: المُتَوسِّم: الناظر في السمة الدالة على الشيء[٥].

أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: ((اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾))[٦].

قوله تعالى: ﴿وإنها﴾ يعني: مدينة قوم لوط ﴿لبسبيل﴾ أي: بطريق مقيم ثابت واضح، يمر به الناس في أسفارهم، وينظرون آثار هلاكهم، وفي ذلك تنبيه لقريش، كما في قوله: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨].

فإن قيل: لم قال [هنا][٧]: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ فوحد وجمع في التي

(١) عند الآية رقم: ٨٢.
(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٨٤).
(٣) في الأصل: وفلان كذا. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.
(٤) انظر: اللسان (مادة: وسم).
(٥) مثل السابق.
(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٨ ح٣١٢٧).
(٧) في الأصل: هناك. والصواب ما أثبتناه.

قبلها «آيات للمتوسمين»؟

قلت: لأن المشار إليه أولاً آيات [متعددة][1]، وهو حديث لوط، ووصف إبراهيم، والبشارة له ولزوجته بالولد، وقلب المدينة على مَنْ فيها، وإمطار الحجارة على مَنْ غاب عنها منهم، وهذه آيات متعددة؛ والمشار إليه في هذه الآية: المدينة المقلوبة، وهي آية واحدة من تلك الآيات.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ «إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وقد ذكرنا نظائر هذا في مواضع.

ونحاة الكوفة يقولون: التقدير: وما كان أصحاب الأيكة إلا ظالمين.

قال المفسرون: قوم شعيب كانوا أصحاب غياض وشجر[2].

﴿فانتقمنا منهم﴾ قال المفسرون: أَخَذَهُمُ الحرُّ أياماً، ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا[3]، وقد أشرنا إلى ذلك في سورة الأعراف[4].

﴿وإنهما﴾ قال أكثر المفسرين: يعني: الأيكة ومدينة قوم لوط[5].

وقيل: الأيكة ومدين؛ لأن شعيباً أرسل إليهما، فلما ذكر الأيكة دلّ بذكرها على

---

(١) في الأصل: متعدة. والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٤٨). وانظر: الوسيط (٣/ ٥٠)، وزاد المسير (٤/ ٤١٠).

(٣) الطبري (١٤/ ٤٨)، والوسيط (٣/ ٥٠).

(٤) عند الآية رقم: ١٣٦.

(٥) الطبري (١٤/ ٤٩)، والوسيط (٣/ ٥٠)، وزاد المسير (٤/ ٤١٠).

مدين فجاء بضمير هما[١].

﴿لبإمام مبين﴾ أي: بطريق واضح غير منطمس ولا مندرس، وسُمِّيَ الطريق إماماً؛ لأنه يُؤتمّ به، أي: يتبع.

وقال ابن الأنباري[٢]: «وإنهما» يعني: لوطاً وشعيباً، «لبإمام مبين» بطريق من الحق يؤتم به.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني: ثمود.

قال ابن عباس: كانت منازلهم بالحِجْر بين المدينة والشام[٣]، والحِجْر: واديهم.

وقيل: اسم مدينتهم. والمراد بالمرسلين: صالح. وإنما جمع؛ لأن تكذيب الواحد من الرسل تكذيب الكل.

﴿وآتيناهم آياتنا﴾ قال ابن عباس: يريد: الناقة[٤]، وكان فيها آيات: خروجها من صخرة صَمَّاء، ودنو نتاجها عند إخراجها، وعظم خلقها، وغزارة لبنها.

﴿فكانوا عنها﴾ أي: عن التفكر والاعتبار بما اشتملت عليه من الآيات

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٨٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤١١).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤١١).

(٤) مثل السابق.

والمعجزة لصالح ﴿معرضين﴾.

﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ من تهدم أرجائها وتداعي بنائها.

وقيل: آمنين من العذاب، ظناً منهم أنها تعصمهم من الله إن أراد بهم سوءاً.

﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من إحكام مساكنهم، والاعتصام بأماكنهم، والاستظهار بالعدو، والاستكثار من العُدَد.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: خَلْقاً مُلْتَبِساً بالحق والحكمة، منزهاً عن العبث والباطل.

﴿وإن الساعة لآتية﴾ فتجازيك على صبرك ودعائك، وينتقم لك من أعدائك.

﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهو الإعراض الخالي عن الهلع والجزع.

وقد قيل: إنه منسوخ بآية السيف[1].

﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ الذي خلقك وخلقهم، العليم، وهو أعلم بحالك وحالهم، فسيجازيك ويجازيهم.

(١) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص:٥٣٩)، ومكي بن أبي طالب في الإيضاح (ص:٢٨٥) عن سعيد عن قتادة، وابن سلامة في ناسخه (ص:١١١) ولم يناقشوا قضية النسخ، كأن وقوع النسخ هنا مسلّم لديهم. وانظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٧٩-٣٨٠).

قال ابن كثير بعد عزو قول النسخ إلى مجاهد وقتادة: وهو كما قالا: فإن هذه مكية، والقتال إنما شرع بعد الهجرة (انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٧).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الفاتحة. قاله عمر وعلي وابن مسعود في رواية، وابن عباس في أكثر الروايات عنه، وجمهور المفسرين[(١)].

ويدل على صحته ما أخبرنا به المؤيد بن محمد الطوسي إذناً، أبنا عبد الجبار بن محمد الخواري، أبنا علي بن أحمد النيسابوري، أبنا إبراهيم بن أبي القاسم الصوفي، أبنا محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي[(٢)]، ثنا الحسين بن موسى بن خلف الرسعني، ثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي[(٣)].

وأبنا به عالياً الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أبنا أبو

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٤-٥٥)، والحاكم (١/ ٧٣٧)، والبيهقي في سننه (٢/ ٤٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٩) كلهم عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٤-٩٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب، ومن طريق آخر عن علي، ومن طريق آخر عن ابن مسعود، ومن طريق آخر عن ابن عباس.

(٢) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي، أبو بكر القفال الكبير، إمام وقته بما وراء النهر وصاحب التصانيف، كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول وأكثرهم رحلة في طلب الحديث. ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين، وتوفي سنة خمس وستين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٣-٢٨٥).

(٣) إبراهيم بن الهيثم بن المهلب، أبو إسحاق البلدي، ثقة ثبت، سكن بغداد، ومات في يوم الخميس ودفن يوم الجمعة لثمان بقين من شهر جمادى الآخرة سنة سبع -أو ثمان- وسبعين ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ٢٠٦-٢٠٨).

الوقت، أبنا الداودي، أبنا السرخسي، أبنا الفربري، ثنا البخاري -واللفظ له- قالا: أبنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب، ثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم))(١).

ولفظ حديث الرسعني عن [البلدي](٢): ((الحمد لله رب العالمين، السبع من المثاني))(٣).

وفي تسميتها بالمثاني ستة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى استثناها لهذه الأمة، فلم يعطها أمةٌ قبلهم.

الثاني: أنها تثنى في كل ركعة. رويا عن ابن عباس(٤).

الثالث: لاشتمالها على الثناء على الله.

الرابع: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين العبد، بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ... الحديث))(٥).

الخامس: لنزولها مرتين.

السادس: لأن كلماتها مثنّاة، مثل: الرحمن الرحيم، إياك وإياك، الصراط المستقيم صراط الذين، عليهم عليهم.

والقول الثاني: أنها السبع الطُّوَل، بضم الطاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣٨ ح٤٤٢٧).

(٢) في الأصل: البلد. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١١-٤١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣٨ ح٤٤٢٦).

(٤) الطبري (١٤/ ٥٤)، وزاد المسير (٤/ ٤١٣).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٩٦ ح٣٩٥).

أخرج النسائي عن ابن عباس «أنه قال في قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾: هي السبع الطُّول، وهي من أول البقرة إلى آخر الأعراف»[١].

واختلف في السابعة، فقيل: الأنفال وبراءة.

قال ابن قتيبة: كانوا يرونهما سورة واحدة. وقيل: يونس.

قال ابن عباس: وإنما سميت السبع الطُّوَل مثاني؛ لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر تثنَّت فيها[٢].

وقيل: لأن كل سورة تجاوز المائة إلى المائة الثانية.

القول الثالث: أن السبع المثاني القرآن كله. قاله طاووس[٣].

قال ابن قتيبة: سمي بذلك؛ لأن الأنباء والقصص تُثنّى فيه.

قال الثعلبي[٤]: فعلى هذا القول؛ المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن، ويكون فيه إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم.

وقال بعض أهل المعاني: الواو في قوله: ﴿والقرآن﴾ مقحمة، مجازه: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني [القرآن][٥] العظيم، واحتج بقول الشاعر:

إلى الملكِ القَرْم[٦] وابنِ الهُمام ... وليثِ الكتيبةِ في المزدحَمْ[٧]

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٥ ح١١٢٧٦).

(٢) الطبري (١٤/ ٥١)، وزاد المسير (٤/ ٤١٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤١٤).

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥/ ٣٥٢).

(٥) في الأصل: والقرآن. والتصويب من القرطبي (١٠/ ٥٥)، وروح المعاني (١٤/ ٧٩).

(٦) القَرْم: السيد العظيم (اللسان، مادة: قرم).

(٧) لم أعرف قائله. وانظر البيت في: القرطبي (١/ ٣٨٥، ٣٩٩، ٨/ ٣٥٣، ٩/ ٢٧٨، ١٤/ ٢٤٥)، =

و «مِن» في قوله: «من المثاني» للبيان أو للتبعيض.

﴿والعظيم﴾ يعني: العظيم القدر؛ لأنه كلام الله ووحيه وتنزيله.

قال صاحب الكشاف[1]: فإن قلت: كيف عطف القرآن العظيم على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟

قلت: إذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطُّوَل، فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل.

وإذا عنيت الأسباع؛ فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم، أي: الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعِظَم.

﴿لا تمدنّ عينيك﴾ أي: لا تطمح [ببصرك][2] طموح راغب فيه مُتَمَنٍّ له ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أصنافاً من الكفار.

فإن قلت: كيف وصل هذا بما قبله؟

قلت: بقوله لرسوله ﷺ: قد [أوتيت][3] النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة، وهي القرآن العظيم؛ فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا، ومنه الحديث: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»[4]، وحديث أبي بكر رضي الله عنه: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا

والطبري (٢/ ١٠٠، ١٣/ ٩٢)، والخزانة (١/ ٤٥١)، والكشاف (١/ ٨٢)، والبحر (٥/ ٢١٤)، والدر المصون (١/ ٩٨).

(١) الكشاف (٢/ ٥٤٩-٥٥٠).

(٢) في الأصل: بصرك. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٤٩).

(٣) في الأصل: أتيت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣٧ ح٧٠٨٩).

أفضل ما أوتي، فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً»[١].

وقيل: وافت من أذْرِعات[٢] وبُصْرَى سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير، فيها أنواع البز والطيب، والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه لنا لتقوّينا بها، ولأنفقناها في سبيل الله، فقال الله: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ... الآيتين﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على الكفار إن لم يؤمنوا، ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي: ليّن جانبك لهم وخُذْهم بالرفق والمداراة.

أنبأنا ابن طبرزد قال: أبنا [أبو][٤] القاسم السمرقندي، أبنا أبو القاسم الإسماعيلي، أبنا أبو القاسم السهمي، ثنا أبو أحمد بن عدي الحافظ الجرجاني قال: أخبرنا الحسين بن سفيان، والقاسم بن الليث الرسعني، وأبو خولة ميمون بن سلمة، وسعيد بن محمد العكي بعكّة، ومحمد بن بشر القزاز، والحسين بن محمد السكوني، ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي[٥]، وإبراهيم بن يوسف الرازي،

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٠).

(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر (معجم البلدان ١/ ١٣٠).

(٣) الكشاف (١/ ٦٤٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٣).

(٤) زيادة على الأصل. وانظر ترجمته في: ذيل تذكرة الحفاظ (١/ ٧٢).

(٥) محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث الأزدي الواسطي، أبو بكر الباغندي، أحد أئمة بغداد، ولد سنة بضع عشرة ومائتين، جمع وصنّف وعمّر وتفرّد، كان ثقة كثير الحديث، مات في يوم الجمعة في عشرين شهر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨٣-٣٨٨).

والفضل بن عبدالله بن مخلد، قالوا: أبنا المسيب بن واضح[١]، حدثنا يوسف بن أسباط[٢]، عن سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «مداراة الناس صدقة»[٣].

﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ قال ابن عباس: أنذركم سخط الله وعذابه، وأبيّن لكم ما يقرّبكم إليه[٤].

قوله تعالى: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى[٥].

وقال قتادة: هم كفار قريش[٦].

---

(١) المسيب بن واضح السلمي التلمسي الحمصي، صدوق، كثير الخطأ والوهم، وضعفه الدارقطني، مات في آخر سنة ست وأربعين ومائتين وقد نيف على التسعين (لسان الميزان ٦/ ٤٠).

(٢) يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، نزل قرية بين حلب وأنطاكية، كان صالحاً عابداً، من عُبّاد أهل الشام وقرّائهم، مات سنة خمس وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٤٦ ح٤٦٣)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٤٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٠٧ ح٦٢٠٤)، والطبري (١٤/ ٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٨) وعزاه للطبراني في الأوسط.

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤١٧).

وقال ابن زيد: هم قوم صالح[(١)].

فإن أريد اليهود والنصارى؛ خرج في قوله: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قولان:

أحدهما: آية الكتاب العزيز المنزل على محمد ﷺ، عَضَوا القول فيه وفرقوه وقسموه إلى حق وباطل، فآمنوا ببعضه وقالوا: هذا موافق لكتابنا، وكفروا ببعضه فقالوا: هذا مخالف لكتابنا. وهذا معنى قول ابن عباس[(٢)].

وقيل: اقتسموا سور القرآن استهزاء وخلاعة، وكان أحدهم يقول: سورة البقرة لي، [و][(٣)] يقول الآخر: سورة آل عمران لي. قاله عكرمة[(٤)].

الثاني: أن يراد ما يقرؤونه من كتبهم، وكل فريق منهم آمن ببعض كتابه وكفر ببعض.

وإن أريد كفار قريش؛ ففي معنى كونهم مقتسمين قولان:

أحدهما: أنهم اقتسموا طريق مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ والإيمان به.

قال ابن السائب: هم رهط من أهل مكة اقتسموا عقاب مكة حين حضر الموسم، قال لهم الوليد بن المغيرة: تفرقوا على عقاب مكة حيث يمر بكم أهل

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٣٥، ٤/ ١٧٣٨)، والحاكم (٢/ ٣٨٧)، والطبري (١٤/ ٦١-٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٨) وعزاه للبخاري وسعيد بن منصور والحاكم والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤١٧).

الموسم، فإذا سألوكم عنه -يعني: رسول الله ﷺ- فليقل: بعضكم كاهن، وبعضكم ساحر، وبعضكم شاعر، وبعضكم غاو، فإذا انتهوا إليّ صدقتكم[(١)].

القول الثاني: أن أقوالهم تقسمت في القرآن، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: شعر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين اكتتبها.

وإن أريد بهم قوم صالح؛ فهم التسعة الذين تقاسموا لنبيّتنه وأهله، فكفاه الله تعالى أمرهم.

ويكون المراد بالقرآن على هذا القول: ما جاءهم صالح ومن قبله من الأنبياء من كتب الله تعالى.

وقوله: ﴿عضين﴾ جمع عِضَة، مثل: عِزَة وعِزِين، وأصلها: [عِضْوة][(٢)]، من عَضَّى الشاة؛ إذا جعلها أعضاء. قال رؤبة:

وليس دين الله بالمُعَضَّى[(٣)]

فالمعنى عضوا القول فيه وفرقوه على نحو ما ذكرناه من اختلاف أقوالهم.

وقال عكرمة: العضة: السحر، بلسان قريش، يقولون للساحرة: عاضهة[(٤)].

وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ لعنَ العاضِهَة والمستعْضِهَة»[(٥)] فيكون المعنى:

---

(١) الطبري (١٤/ ٦٣) بلا نسبة، وزاد المسير (٤/ ٤١٨).

(٢) في الأصل: واضوة. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٥١). وانظر: اللسان، مادة: عضه.

(٣) الرجز لرؤبة، انظر: ديوانه (ص:٨١)، والأشموني (١/ ٨٤)، والتصريح (١/ ٧٣)، ومجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، والكشاف (٢/ ٥٥١)، واللسان (مادة: عضا)، والدر المصون (٤/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن جرير.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ١٤١-١٤٢ ح٥٠٩٠). وذكره الجرجاني في الكامل (٣/ ٣٣٩).

جعلوا القرآن سحراً.

وفي قصيدتي الفارقة بين الضاد والظاء قولي:

والوعظُ أين أتى بالظاء غير عِضين الحجْر فاقرأْها ولا تَهِن

فصل

اختلفوا في متعلق الكاف في قوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾؛ فقال قوم: هي متعلقة بقوله: ﴿ولقد آتيناك﴾ فإن أريد بالمقتسمين اليهود والنصارى، فالمعنى: ولقد أنزلنا عليك سبعاً من المثاني، مثل ما أنزلنا على المقتسمين أهل الكتاب. وهذا معنى قول مقاتل(١).

وإن أريد به كفار قريش؛ فالمعنى: ولقد شرفناك وكرمناك وأنعمنا عليك بالسبع المثاني والقرآن العظيم، مثل ما شرفناك وأنعمنا عليك بما أنزلنا على أعدائك المقتسمين من العذاب حيث انتقمنا لك منهم(٢).

وإن أريد بهم قوم صالح؛ كان المعنى: ولقد كرمناك وأيدناك بإنزال السبع والقرآن عليك، كما كرمنا صالحاً بإنزال العذاب على المقتسمين عليه.

وقال قوم: هي متعلقة بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ فإن أريد بالمقتسمين أهل الكتاب أو قوم صالح؛ فالمعنى: قل لكفار قريش: إني أنا النذير أنذركم عذاباً مثل ما أنزل على المقتسمين.

وقال بعضهم: هو ما جرى على قريظة والنضير، فجَعَل المتوقع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز؛ لأنه إخبار بما سيكون، وقد كان، وعذاب قريش هو ما أصاب

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢١٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤١٧).

المستهزئين -على ما سنذكره عن قريب- وما أصابهم يوم بدر وغيره، وعذاب قوم صالح مذكور في سورة النمل[(١)].

وقال الواحدي[(٢)]: يجوز أن يكون المعنى: أني أنذركم ما أنزلنا، فتكون الكاف زائدة.

وقد فصّلت لك القول في هذه المواضع تفصيلاً كشفت لك به عن وجه المقصود، ورتبته لك ترتيباً جامعاً لأشتات ما ذكره المفسرون، ورددت لك الفروع إلى أصولها، فإذا نظرت فيه فقل: رحم الله قائله.

قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ يعني: سؤال تقريع وتوبيخ.

قال أبو العالية: يسأل العباد عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين[(٣)].

وأخرج الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ « في قوله: ﴿لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ قال: عن قول: لا إله لا الله »[(٤)].

فإن قيل: ما تصنع بقوله: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ [الرحمن:٣٩]؟

قلت: إما أن يراد به في بعض مواطن القيامة، أو يراد به: لا يسأل هل عملت؟

---

(١) من آية رقم: (٤٥) إلى آية رقم: (٥٣).

(٢) الوسيط (٣/ ٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٤). وانظر: الوسيط (٣/ ٥٢-٥٣)، وزاد المسير (٤/ ٤١٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٩) وعزاه للترمذي وابن جرير وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس عن النبي ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٨ ح٣١٢٦).

وإنما يقال له: لم عملت كذا؟ وهذان المعنيان مرويان عن ابن عباس(١).

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي: أَظْهِرْهُ واجْهَرْ به، واشتقاقه من الصَّدِيعُ، وهو الصبح. قال الشاعر:

.... كأنَّ بياضَ غُرَّته صَدِيع(٢)

و«ما» مصدرية، تقديره: فاصدع بأمرك. أو بمعنى: الذي، التقدير: فاصدع بالذي تؤمر به من الشرائع.

ويروى: أن النبي ﷺ ما زال مستخفياً حتى نزلت هذه الآية(٣).

﴿وأعرض عن المشركين﴾ إن أريد به الإعراض عن حربهم، فهي منسوخة بآية السيف(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٩٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) عجز بيت للشماخ، وصدره: (تَرَى السِّرْحَانَ مُفْتَرِشاً يديه). انظر: ملحق ديوانه (ص:٤٤٧)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٢٤٠)، والدر المصون (٤/ ٣٠٩)، واللسان (مادة: فرش)، وهو في معاني الزجاج (٣/ ١٨٦)، واللسان (مادة: صدع) لعمرو بن معديكرب يصف ذئباً.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٢٠).

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١١٢)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٣)، ونواسخ

قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال ابن عباس: كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة الأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس[1].

وزاد سعيد بن جبير: الحارث بن غيطلة[2].

قال الزهري: غيطلة اسم أمه، وقيس أبوه[3].

قال ابن عباس: ماتوا كلهم قبل بدر[4].

وقال ابن السائب: هلكوا جميعاً في يوم وليلة[5].

قال العلماء بالتفسير والسير: أتى جبريل رسول الله ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمرّ الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد، كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبد الله، فقال: كفيت، وأومأ إلى ساق الوليد، فمرّ برجل يَرِيشُ نَبْلاً[6] له، فتعلقت بثوبه شظية، فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها، وجعلت تضرب ساقه،

= القرآن لابن الجوزي (ص:٣٨١-٣٨٢).

(١) أخرجه الطبري في الأوسط (٥/ ١٧٣)، والبيهقي في سننه (٩/ ٨)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ٩٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٢١)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٠١) وعزاه لأبي نعيم وابن مردويه بسند حسن.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٢١).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٧١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٢١).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٠١) وعزاه لابن جرير والطبراني وابن مردويه.

(٥) زاد المسير (٤/ ٤٢٣).

(٦) يريش نبلاً: أي: يركب عليه الريش (انظر: اللسان مادة: ريش).

فخدشته فمرض منها حتى مات.

وقيل: قطعت عرقاً في عقبه فهلك به.

ومرّ به أبو زمعة فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: عبد سوء، فأشار بيده إلى عينيه فعمي، وجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك، وكان يستغيث فيقال له: تفعل هذا بنفسك، فيقول: قتلني ربّ محمد.

ومرّ الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبدالله، فقال: قد كفيت، وأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه حتى مات حَبَناً[1].

ومرّ به العاص فقال: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: بئس عبد الله، فأشار جبريل إلى أخمص رجله وقال: قد كفيت، فدخلت في أخمصه شِبْرَقة[2]، فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعير، فمات مكانه.

ومرّ به الحارث بن قيس فقال له جبريل: يا محمد! كيف تجد هذا؟ فقال: عبد سوء، فأومأ بيده إلى رأسه وقال: قد كفيت، فانتفخ رأسه فمات. وقال ابن عباس: أصابه عطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقدّ[3] بطنه[4].

ثم وصفهم بالشرك فقال: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾. ثم هدّدهم

---

(١) الحَبَن: داء يأخذ في البطن فيعظم منه ويَرِمُ، وهو أن يكون السّقْي في شحم البطن فيعظم البطن لذلك (اللسان، مادة: حبن).

(٢) الشِّبْرِق: نبات غض، وقيل: شجر منبته نجد وتهامة، وثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ والقيعان (اللسان، مادة: شبرق).

(٣) انقدّ: الانقداد: الانشقاق أو القطع (اللسان، مادة: قدد).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٠)، والبيهقي (٩/ ٨)، والطبراني في الأوسط (٥/ ١٧٣-١٧٤ ح٤٩٨٦)، والمقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ٩٦-٩٨).

فقال: ﴿فسوف يعلمون﴾.

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني: من الشرك والتكذيب والاستهزاء، ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده. ﴿وكن من الساجدين﴾ يعني: المصلين.

وفي هذا دليل واضح وبرهان بيّن على أن في ذكر الله تعالى والصلاة شفاء من داء الغمّ والهمّ. وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»(١).

﴿واعبد ربك﴾ دُم على عبادته ﴿حتى يأتيك اليقين﴾ قال قتادة: هو الموت، وعند الموت والله يقين من الخير والشر(٢).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أوحي إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إليّ أن ﴿سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾»(٣).

وأخبرنا أبو العز يوسف بن رافع بن [تميم](٤) وأبو محمد عبد المجير بن محمد

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٥ ح١٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨ ح٢٣٣٤٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٠/ ٦٤)، والأصبهاني في حلية الأولياء (٢/ ١٣١)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٠٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم في التاريخ وابن مردويه والديلمي عن أبي مسلم الخولاني. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لابن مردويه، ومن طريق آخر عن أبي الدرداء، وعزاه لابن مردويه والديلمي.

(٤) في الأصل: تيم. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٨٣-٣٨٧)، وذيل التقييد (٢/ ٣٢١).

بن عشائر القبيصي الموصليان بحلب، قلت لكل واحد منهما منفرداً: أخبرك أبو الفضل عبدالله بن أحمد بن محمد الخطيب الطوسي بالموصل فأقرَّ به قال: أبنا أبو الخطاب بن أحمد بن البطر، أبنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أبو عمرو أنيس الدلال، ثنا داود بن رشيد، ثنا الربيع بن بدر، عن يونس [بن][1] عبيد، عن الحسن، عن عمار قال: كان النبي ﷺ يقول: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً»[2].

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من شعب الإيمان (٧/ ٣٥٣). وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨٨-٢٩٦)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٥٣ ح١٠٥٥٦). وذكره الهيثمي في مجمعه (١٠/ ٣٠٨) وعزاه للطبراني.

فهرس المحتويات

رموز الكنوز

في

تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الرابع

أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م


مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع


مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة النِّعَم؛ لكثرة تعداد النعم فيها.

وهي مائة وثماني وعشرون آية.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: هي مكية، واستثنى ابن عباس في رواية عنه قوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ فقال: نزلت بعد مقتل حمزة، وكذلك قال الشعبي، وزاد: إلى آخر السورة(١).

واستثنى في رواية أخرى عنه ثلاث آيات: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ إلى قوله: ﴿يعملون﴾(٢) وكذلك قال قتادة منضماً إلى ما قاله الشعبي.

واستثنى مقاتل(٣): ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا﴾، وقوله: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾، وقوله: ﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ وقوله: ﴿والذين هاجروا في الله﴾، وقوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم إلى آخرها﴾ فقال: نزلن بالمدينة.

وقال جابر بن زيد: من أول النحل إلى آخر أربعين آية مكي، والباقي مدني(٤).

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

---

(١) أخرج أبو الشيخ عن الشعبي قال: نزلت النحل كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات ﴿وإن عاقبتم...﴾ إلى آخرها (الإتقان ١/ ٤٩).

(٢) في الأصل: يعلمون.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢١٣).

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٢٦).

قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ قال ابن عباس: « لما نزلت قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر:١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء:١] فأشفقوا من قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد! ما نرى شيئاً مما تُخَوِّفُنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾(١) فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: ﴿فلا تستعجلوه﴾، فاطمأنوا »(٢).

والمعنى: قَرُبَ ما تستعجلون به استهزاء وتكذيباً؛ من قيام الساعة أو نزول العذاب.

﴿فلا تستعجلوه﴾ أي: لا تطلبوه قبل حينه.

ولما كان استعجالهم بذلك استهزاءً وكفراً قال: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: «تشركون» بالتاء على الخطاب في الموضعين(٣).

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

---

(١) في الأصل زيادة: «فلا تستعجلوه» وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٧٥) عن ابن جريج. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٢٦).

(٣) الحجة للفارسي (٢/ ٣٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٢٩)، والكشف (١/ ٥١٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧).

قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، والباقون بالتشديد[(١)]. يريد جبريل عليه السلام.

﴿بالروح من أمره﴾ وهو الوحي؛ سُمِّي روحاً؛ لما فيه من حياة القلوب.

﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم الأنبياء عليهم السلام، ﴿أن أنذروا﴾ قال الزمخشري[(٢)]: هو بدل من «الروح»، أي: ينزلهم بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا، أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا، المعنى: اعلموا ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

ثم دلّهم على قدرته وعظمته ووحدانيته فقال: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾، ثم نَزَّه نفسه عما يقولون فقال: ﴿تعالى عما يشركون﴾.

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ سبب نزولها: أن أبي بن خلف أخذ عظماً نَخِراً فجعلَ يفتُّهُ بيده، ويقول: يا محمد! كيف يبعثُ الله هذا بعدما رَمّ[(٣)].

والمعنى: خلق الإنسان من مني غير حساس ولا متحرك.

﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ أي: مخاصم منطيق، مظهر للحجة بعدما كان نطفة، فكيف يُنكر قدرتي أو يستبعدها وهو يعلم هذه الحالة من نفسه؟ فلا يستدل بها

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٥)، والنشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٥٤).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٢٨-٤٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في البعث عن أبي مالك.

يعرفه على ما ينكره.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

ثم ذكَّرهم نعمه عليهم حضّاً لهم على الشكر وترك الشرك والكفر فقال: ﴿والأنعام﴾ وهي الأزواج الثمانية، وانتصابها [بمضمر][1]، فَسَّره الظاهر وهو ﴿خلقها﴾، ثم يبتدئ ﴿لكم فيها دفء﴾، أو يعطف على الإنسان، ثم يبتدئ: ﴿خلقها لكم﴾، أي: لأجلكم ولمصالحكم.

والدِّفْء: ما يُستدفأ به من الأكسية والأخبية المتخذة من الصوف والشعر والوبر[2].

قال الفراء[3]: يقال: دفيت تدفأ دِفاءً ودَفأً بفتح الدال وكسرها.

﴿ومنافع﴾ سوى الدِّفْء من نسلها ودرّها وركوبها والعمل عليها، ﴿ومنها تأكلون﴾، فإن قيل: تقديم [«ومنها»][4] مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غير بهيمة الأنعام؟

---

(١) في الأصل: بمضر. والتصويب من الكشاف (٢/ ٥٥٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: دفأ).

(٣) انظر قول الفراء في: الوسيط (٣/ ٥٦).

(٤) في الأصل: وهو منها.

قلت: المقصود من ذلك الامتنان عليهم [وتذكيرهم][(١)] بنعمة الله عليهم بما به قوام معيشتهم، ولا شك أن بهيمة الأنعام أصلٌ في ذلك، وما عداها من الدجاج والأوز والبط وغير ذلك في حكم التابع، لشذوذ الانتفاع به.

قوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال﴾ أي تجمل وزينة ﴿حين تريحون﴾ أي: تردونها إلى مراحها، وهو المكان الذي تأوي إليه ﴿وحين تسرحون﴾ أي: ترسلونها إلى مراعيها. يقال: سَرَحَ القوم إبلهم سَرْحاً[(٢)]، وإنما قدّم الإراحَة على السَّرْح؛ لأن الجمال والزينة فيها أظهرُ إذا أقبلت بِطاناً حُفَّلاً[(٣)] ممتدات الأسنام تتناوح بالثغاء [وتتجاوب][(٤)] بالرغاء.

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يريد الحمولة من الإبل ﴿إلى﴾ كل بعيد ﴿بلد لم تكونوا بالِغيه﴾ لولا الإبل، بأنفسكم فضلاً عن الأثقال وحملها على ظهوركم، ﴿إلا بشق الأنفس﴾ قرأت لأبي جعفر: «إلا بشَق» بفتح الشين، وهما لغتان في معنى المشقة[(٥)].

وقيل: الشَّق -بفتح الشين-: مصدر شَقَّ عليه الأمر شَقاً، والشِّق -بالكسر-: النِّصف[(٦)].

---

(١) في الأصل: وتذكرهم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: سرح).

(٣) حَفَلَ اللَّبَنُ في الضَّرْع: اجتمع. وضَرْع حافل، أي: ممتلئ لبناً، والجمع: حُفَّل (اللسان، مادة: حفل) والمقصود: رجعت ضُروعها ملأى.

(٤) في الأصل: وتتجواب.

(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧).

(٦) انظر: (اللسان، مادة: شقق).

قال الفراء[1]: فكأن الجَهْد يُنْقِصُ من قوّة الرّجل ونفسه، كأنه قد ذهب نصفه.

وقيل: المعنى: «وتحمل أثقالكم» ذنوبكم التي أثقلتكم «إلى بلد» وهو مكة كرمها الله تعالى وشرفها.

﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ رحمكم وخلق لكم ما تنتفعون به وتأكلون منه، وترتفقون بالركوب والحمل عليه.

فإن قيل: الهاء من «بالغيه» ما هو موضعها من الإعراب؟

قلت: مذهب سيبويه: أن موضعها الجر بإضافة «بالغي» إليه.

وكان الأخفش يقول: موضعها من الإعراب: النصب[2]، ويحتج بقوله: ﴿إنا منجّوك وأهلك﴾ [العنكبوت:٣٣]، ومثله: ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ [هود:١٠٩].

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾

﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ مفعول لأجله[3]، أي: خلقها لأجل الركوب والزينة.

فصل

سُئل سعيد بن جبير عن أكل لحوم الخيل فكرهها، وتلا هذه الآية: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾ وقال: هذه للركوب، وتلا التي قبلها: ﴿والأنعام

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٩٧).

(٢) التبيان (٢/ ٧٨).

(٣) التبيان (٢/ ٧٨)، والدر المصون (٤/ ٣١٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٩٢).

خلقها لكم فيها دفء ... الآية﴾ فقال: هذه للأكل[1].

وقال الحكم: لحوم الخيل حرام في كتاب الله، وتلا هذه الآية[2]. وإلى هذا ذهب مالك وأبو حنيفة.

واحتجوا أيضاً بما أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث خالد بن الوليد قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير»[3].

وذهب الإمامان أحمد والشافعي إلى جواز أكل لحوم الخيل؛ لما أخرج الإمام أحمد في مسنده والشيخان في صحيحيهما من حديث جابر: «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحُمُر وأذن في لحوم الخيل»[4].

وأخرجوا أيضاً من حديث أسماء قالت: «نحرنا في عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه»[5].

وأما الآية فلا حجة لهم فيها؛ لأنها سيقت في معرض الامتنان على الناس، والمقصود الأعظم منها الركوب لا أكلها، فلذلك لم يذكره. أو نقول: [لو][6] ترك

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١١٢) وزاد نسبته لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١١٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٤٤ ح٣٩٨٢)، ومسلم (٣/ ١٥٤١ ح١٩٤١)، وأحمد (٣/ ٣٦١ ح١٤٩٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٩٩ ح٥١٩١)، ومسلم (٣/ ١٥٤١ ح١٩٤٢)، وأحمد (٦/ ٣٤٥ ح٢٦٩٦٤).

(٦) زيادة على الأصل.

ذكر الأكل [لانضم][١] في سلكها والذكر معها ما لم يؤكل، [والحديث][٢] الذي احتجوا به لا يثبت، فلا يقاوم أحاديثنا الصحيحة الصريحة[٣].

قال الإمام أحمد: هو حديث منكر. وقال الدارقطني: هو حديث ضعيف؛ لأنه لو صح لكان النهي محمولاً على الإشفاق عليها لأجل الجهاد والاستظهار على العدو؛ لأن الخيل كانت قليلة عندهم جداً.

قوله تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ قال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن[٤].

وقال أبو سليمان الدمشقي: من الناس من كره تفسير هذا الحرف في الجملة.

والمقصود من ذلك: إعلام العباد بأن له من المخلوقات ما لا يعلمونه، [ليزدادوا][٥] علماً بقدرة الله وعظمته وسَعَة ملكه.

وقيل: ويخلق ما لا تعلمون تفاصيله وكنهه وإن [علمتم][٦] جملته كنعيم الجنة وعذاب النار، فإنه لا يبلغه وصف واصف، ولا يخطر على قلب بشر.

---

(١) في الأصل: لأنظم.

(٢) في الأصل: الحديث.

(٣) قال الطبري (١٤/ ٨٣): والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى: ﴿لتركبوها﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للركوب للأكل لكان في قوله: ﴿فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب.

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٣٢).

(٥) في الأصل: لزدادوا.

(٦) في الأصل: علتم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي: تبيين الطريق الموصل إلى الحق بإقامة الحجج وإيضاح البراهين. والقصد: مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد. يقال: سَبيلٌ قَصَدَ وقاصِد أي: مستقيم[1]. فالمعنى: على الله هداية الطريق، كقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل:١٢] والمراد: جنس السبيل، فلذلك قال: ﴿ومنها جائر﴾ أي: عادل عن الحق.

قال ابن المبارك: يعني: الأهواء والبدع[2].

وفي قراءة ابن مسعود: «ومنكم جائر»[3].

﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ قهراً وقسراً، ولكنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء على ما تقتضيه الحكمة الإلهية.

---

(١) انظر: (اللسان، مادة: قصد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٣٣).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٤٦٣)، والدر المصون (٤/ ٣١٥).

قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿لكم﴾ متعلق بـ«أنزل» وبـ«شراب» فيكون خبراً له[1]، والشراب: ما يشرب، ﴿ومنه شجر﴾ على حذف المضاف، أي: ومنه شرب شجر، أو يكون المعنى: ومنه ينشأ الشجر ويتكوّن.

فعلى المعنى الأول: «من» للتبعيض، وعلى الثاني: لابتداء الغاية. والمراد به: الشجر الذي ترعاه المواشي، لقوله: ﴿فيه تسيمون﴾ أي: ترعون. يقال: أسَمْتُ الماشية وسَامَت هي فهي سائمة[2]، واشتقاقه من السِّمَة، وهي العلامة، فكأنها تؤثر برعيها في الأرض علامات وآثاراً.

قوله تعالى: ﴿ينبت لكم﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «نُنْبِتُ» بالنون[3]، ﴿لكم به الزرع﴾ يعني: الحبوب ﴿والزيتون﴾ جمع، واحدته: زيتونة ﴿والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ «مِنْ» للتبعيض؛ لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ ذلّلهما لمصالحكم ومنافعكم، ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ قال الأخفش[4]: المعنى: وجعل لكم النجوم مسخراتٍ. وجاز إضمار فعل غير الأول؛ لأن هذا المضمر في المعنى مثل المظهر، وقد تفعل العرب أشدَّ من هذا. قال الراجز:

---

(١) الدر المصون (٤/ ٣١٥-٣١٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سوم).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٦)، والكشف (٢/ ٣٤)، والنشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٣٦).

تسمعُ في أجوافهنَّ صَرَداً وفي اليدين جُسْأَةً وبَدَدا[١]

المعنى: وترى في اليدين. الجُسْأَة: اليَبَس، والبَدَد: السَّعَة.

وقال غيره: «مسخرات» حال مؤكدة[٢]؛ لأن تسخيرها قد عُرف بقوله: ﴿وسخر﴾.

وقرأ ابن عامر: «والشمسُ» بالرفع على الابتداء «والقمرُ والنجومُ»[٣] عطفاً على الشمس، «مسخرات» خبر الابتداء[٤].

قال الواحدي[٥]: قرأ حفص: «مسخراتٌ» بالرفع وحدها، وجعلها خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: هي مسخرات.

وهذا سهو، فإن حفصاً قرأ: «والنجومُ» بالرفع على الابتداء، «مسخرات» خبره[٦].

﴿إن في ذلك﴾ التسخير ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ قال الزمخشري[٧]: جَمَعَ الآية

---

(١) يروى الرجز بلفظ:

تسمع للأحشاء منه لغطا ولليدين جسأة وبددا

وهو في أمالي المرتضى (٢/ ٢٥٩)، وشرح عمدة الحافظ (ص:٦٣٦).

(٢) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٣/ ٢٨١-٢٨٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٦)، والكشف (٢/ ٣٥)، والنشر (٢/ ٣٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٦)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٢)، والكشف (٢/ ٣٥)، والنشر (٢/ ٣٠٢-٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٠).

(٥) الوسيط (٣/ ٥٨).

(٦) انظر: التخريج ما قبل السابق.

(٧) الكشاف (٢/ ٥٥٩).

هاهنا وذكر العقل؛ لأن الآية العُلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبْيَنُ شهادة للكبرياء والعظمة.

قوله تعالى: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض﴾ أي: وسخر لكم ما خلق لأجلكم في الأرض من دابة وشجرة وثمرة وغيرها. ويجوز أن يكون في موضع الجر عطفاً على موضع «ذلك»، أي: إن في ذلك وفيما ذرأ لكم.

﴿مختلفاً ألوانه﴾ نصب على الحال[1]، والمعنى: مختلف المناظر والهيئات.

﴿إن في ذلك لآية﴾ دالّة على القدرة [والوحدانية][2] والعَظَمة ﴿لقوم يذكرون﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلّله للركوب فيه والاصطياد منه والغوص فيه لإخراج لآلِئه ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني: السَّمَك،

---

(١) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣١٦).

(٢) في الأصل: والوحدنية.

﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يريد: الدر واللؤلؤ والمرجان.

فإن قيل: لبس الحلية مخصوص بالنسوة، فما وجه الامتنان على الرجال؟

قلت: أضيف إليهم في معرض الامتنان عليهم؛ لأن التزيُّن به من أجلهم، أو نقول: الامتنان واقع على جنس بني آدم، والنساء من جملتهم.

فإن قيل: قد سمّى الله تعالى السمك لحماً، فهل يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحماً؟

قلت: لأصحابنا رضي الله عنهم فيه وجهان:

أحدهما: يحنث، وهو اختيار الخرقي؛ نظراً في اللفظ.

والثاني: لا يحنث، وهو اختيار الشريف ابن أبي موسى الهاشمي؛ نظراً إلى العرف.

فصل

وفي قوله: «حلية» دليل واضح على أن من حلف لا يلبس حلياً فلبس لؤلؤاً؛ يحنث، وهو قول إمامنا وجمهور العلماء.

وقال أبو حنيفة: لا يحنث.

قوله تعالى: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ قال ابن عباس: جَوارِيَ[1]. يقال: مَخَرَتِ السفينةُ مَخْراً إذا شَقَّت الماءَ في جريانها[2].

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالركوب فيه للتجارة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١١٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: مخر).

وقيل: باستخراج الحلية والاصطياد منه.

ودخول الواو في: «ولتبتغوا من فضله» للعطف على لام مضمرة، لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا، أو بفعل مضمر تقديره: وفعل ذلك لتبتغوا من فضله[١].

﴿ولعلكم تشكرون﴾ مَنْ أسبغ عليكم هذه النعم الجسيمة، فتُوحِّدوه وتُمجِّدوه.

قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ وهي الجبال ﴿أن تميد﴾ أي: كراهة أن تميد، أي: تميل وتضطرب ﴿بكم﴾ فكان نصب كراهة على مفعول له، فلما حذف انتصب ما قام مقامه على أنه مفعول له.

وقال قوم: المعنى: لئلا تميد بكم، وحذف المضاف أكثر من حذف لا.

﴿وأنهاراً﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً، ﴿وسبلاً﴾ طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وعلامات﴾ يريد: معالم الطرق من جبل أو أكَمة أو سهل أو وادٍ وغير ذلك، ﴿وبالنجم﴾ قال الزجاج: يريد: الجنس.

وقال السدي[٢]: يريد: الثريا[٣] والفرقدين[٤] وبنات

---

(١) الدر المصون (٤/ ٣١٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٣٦).

(٣) الثريا: ويسمى النجم علماً عليها، وهي ستة أنجم صغار يظنها الناظر سبعة أنجم، وهي في شكل مثلث متساوي الساقين، وبين نجومها نجوم صغار جداً كالرشاش، ومطلعها إلى الشمال على مطلع الشَّرَطَيْن والبُطَيْن، وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب العريض دون الأفخاذ منها (صبح الأعشى ٢/ ١٧٤).

(٤) الفَرْقَدان: هما كوكبان متقاربان معدودان في بنات نعش (صبح الأعشى ٢/ ١٨١).

نعش[١] والجدي[٢].

وقرأ الحسن: «وبالنُّجْم» بضم النون وسكون الجيم[٣]، وقرأ الجحدري بضمتين[٤]، وهو جمع نَجْم، كرَهْن ورُهُن.

﴿هم يهتدون﴾ في ظلمات البر والبحر وإلى القِبْلَة.

﴿أفمن يخلق﴾ هذه العجائب السمائية والأرضية، وهو الله تعالى، ﴿كمن لا يخلق﴾ وهو الصَّنَم، وجاء بصيغة «مَنْ» مع اختصاصه بمن يفعل للمشاكلة، أو لما نَحَلوها من العقل والتمييز ﴿أفلا تذكرون﴾.

ولما عدّد لهم هذه النعم العظيمة نبههم على أن وراءها نعماً لا تحصر فقال: ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ أراد: الجنس ﴿لا تحصوها﴾ مفسر فيما مضى.

﴿إن الله لغفور﴾ يغفر ما كان منكم من التقصير عن شُكْر نعمه ﴿رحيم﴾ بكم حيث لم يكلفكم القيام بواجبها، فإن القوى البشرية تعجز وتضعف عن ذلك.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ

---

(١) بنات نَعْش: هي سبعة أنجم على القرب من القطب الشمالي، منها أربعة في صورة نعش وثلاثة أمامه مستطيلة، وهي المعبَّر عنها بالبنات، وتعرف هذه ببنات نعش الكبرى، وبالقرب منها سبعة أنجم على شكلها (صبح الأعشى ٢/ ١٨١).

(٢) الجدْي: وهو الذي تُعرف به القبلة، وهو نجم صغير على القرب من القطب الشمالي يستدل به على موضع القطب، ويقال له: جدي بنات نعش الصغرى (صبح الأعشى ٢/ ١٨١).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٧).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٤٦٦)، والدر المصون (٤/ ٣١٨).

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ
رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ تهديد وتخويف وإشعار بالمجازاة.

﴿والذين يدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ أي: لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء ﴿وهم يخلقون﴾ «هم»: مبتدأ، «يخلقون»: خبره[1].

﴿أموات﴾: خبر ثان، أو يقال: «أموات» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هم أموات لا أرواح فيها، ﴿غير أحياء﴾ توكيد[2]، أو يكون المعنى: غير قابلي الحياة، فإن بعض الجمادات تقبل الحياة؛ [كالنطف][3] والبَيْض.

قوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ «يبعثون» اختلف العلماء في تأويلها؛ فقال قوم: الضميران للأصنام متى تبعث، فكيف تكون آلهة ومُجازية.

قال ابن عباس: تُبعث الأصنام يوم القيامة لها أرواح ومعها شياطينها

---

(١) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣١٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: كالنظف.

فيتبرؤون من عابديهم، ثم يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار[١].

وقال قوم: الضميران للكفار، فيكون ذلك خارجاً مخرج التهديد لهم.

وقال قوم: الضمير الأول للأصنام، والثاني: للكفار.

المعنى: وما تشعر الأصنام متى يبعث عابدوها، كأنه تهكم بهم حيث عبدوا من لا يعلم وقت بعثهم ومجازاتهم على عبادتهم.

و«أيان» نصب بـ«يبعثون»[٢]، وهو مبني لتضمّنه معنى همزة الاستفهام، وبُني على الفتح؛ لالتقاء الساكنين.

ولما أوضح بطلان إلهية غيره قال: ﴿إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ جاحدة للوحدانية، ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الإيمان بها.

﴿لا جرم﴾ سبق القول عليها في هود[٣]، والمعنى: حقاً.

﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين﴾ عن التوحيد. ويجوز أن يراد عموم المستكبرين بالكفر وغيره.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لهؤلاء المتكبرين ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ على محمد ﷺ، وهذا قول بعضهم لبعض على طريقتهم في التهكم والسخرية بالقرآن والرسول ﷺ والمؤمنين، كما قالوا: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ [الحجر:٦]، وقولهم: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧]. ويجوز أن يكون من قول المسلمين لهم، فيكون خارجاً مخرج التعجب من بركته وحسنه،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٣٨).

(٢) التبيان (٢/ ٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣١٩).

(٣) آية رقم: ٢٢.

والتنبيه لهم على ما حُرموا من الانتفاع به.

وقيل: نزلت في الذين اقتسموا مداخل مكة لتنفير السائلين لهم عن أمر محمد ﷺ، على ما تقدم ذكره.

﴿ماذا أنزل ربكم﴾ «ماذا» في موضع نصب بـ«أنزل»، تقديره: أي: شيء أنزل ربكم، أو في موضع رفع على الابتداء، على معنى: أيّ شيء أنزله ربكم[١].

﴿قالوا أساطير الأولين﴾ مُفسر في الأنعام. وهذه الجملة إما في موضع نصب، أو رفع حملاً على «ماذا أنزل».

قوله تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ هذه لام العاقبة، والمعنى: ليحملوا آثامهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ لم يكفَّر منها وزر بحسنة مُتَقَبَّلَة، ولا بمصيبة في نفس أو ولد أو مال كما تُكفَّر آثام المؤمنين بذلك.

﴿ومن أوزار﴾ أي: ويحملوا بعض أوزار ﴿الذين يضلونهم﴾ لأنهم لا يحملون وزراً لم يُزَيِّنُوه لهم ولم يكونوا السبب فيه.

وقيل: ﴿بغير علم﴾ في محل الحال من المفعول أو الفاعل[٢]. وقد ذكرنا في سورة الأنعام معنى حمل الأوزار على الظهور[٣].

قوله تعالى: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بئس ما يحملون على ظهورهم.

أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبد الغافر، أخبرنا

---

(١) قال أبو حيان في البحر (٥/ ٤٧٠): أجاز الزمخشري أن يكون «ماذا» مرفوعاً بالابتداء، وهذا لا يجوز عند البصريين إلا في ضرورة الشعر.

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢١).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [٣١].

محمد بن عيسى، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، حدثنا مسلم، حدثنا علي بن حجر.

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد فأقرّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حدثنا محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(١).

انفرد بإخراجه مسلم.

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ وهو نمرود بن كنعان، بنى قصراً طويلاً ببابل(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٠ ح٢٦٧٤)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٦٦).

(٢) بابل: اسم ناحية في العراق، أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها عقب الطوفان (معجم البلدان ١/ ٣٠٩).

قال ابن عباس: كان طوله خمسة آلاف ذراع، ورام بجهله الصعود إلى السماء لقتال أهلها على زعمه(١).

﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ وهي أساطين البناء، فتضعضعت فسقط ﴿عليهم السقف من فوقهم﴾ فهلكوا.

قال المفسرون: أرسل الله تعالى الريح فاقتلع رأس الصرح فألقاه في البحر، وخرّ عليهم الباقي(٢).

﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي: من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

قال السدي: أُخِذوا من مَأْمَنِهم(٣).

فإن قيل: ما وجه قوله تعالى: «من فوقهم» وهو معلوم؟

قلت: التوكيد والإشعار بأنهم كانوا تحته. تقول العرب: تَدَاعَتْ عليهم الدار، وسقط عليهم الحانوت، وإن لم يكونوا تحته، فلو لم يقُل: «من فوقهم» لجاز تَوَهُّم مثل هذا المعنى.

﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يُذلّهم ويُهينهم بأنواع العذاب جزاء لهم على استكبارهم، ويقول موبخاً لهم: ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقّون فيهم﴾ أي: تخالفون المؤمنين فيهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٠).

(٢)مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٩٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤١)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقرأتُ لنافع: «تشاقونِ» بكسر النون(١)، وعلّته ما أشرنا إليه عند قوله: ﴿فَبِمَ تبشرون﴾(٢) [الحجر:٥٤].

قال ابن عباس: هم الملائكة(٣).

وقيل: هم الأنبياء والعلماء الذين خلفوا الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى، قالوا على وجه الشماتة بالمستكبرين: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾.

فإن قيل: ما الفائدة في حكاية هذه المقالة؟

قلت: التنفير والتحذير عن سلوك سبيل يفضي إلى هذه الحالة.

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

ثم وصف الكافرين فقال: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ مُفَسَّر في النساء(٤).

وقرأ حمزة: «يتوفاهم» بالياء في الموضعين(٥)؛ لتقدم الفعل، ولأن التأنيث غير

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٨)، والكشف (٢/ ٣٦)، والنشر (٢/ ٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧١).

(٢) (٣/ ٦١٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤١).

(٤) عند الآية رقم: ٩٧.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٨)، والكشف (٢/ ٣٦)، والنشر (٢/ ٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٢).

حقيقي.

﴿فألقوا السلم﴾ استسلموا وانقادوا، وقالوا طمعاً منهم أن ذلك يجري عليهم نفعاً، أو يدفع عنهم مكروهاً.

﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فجحدوا ما كانوا فيه من الشرك والفجور وشقاق المؤمنين، فردَّت الملائكة عليهم ذلك فقالت: ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ عن توحيد الله تعالى وعبادته.

فإن قيل: ما بال اللام في «لبئس» لم تدخل على التي في الزُّمَر والمؤمن؟

قلت: لأن الكلام هاهنا أخرج إلى التأكيد من حيث كان سياق الآية في التابع والمتبوع جميعاً، ألا تراه قال: ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾.

ولأنه قال من بعد: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ فأدخل اللام لتطابق اللام الذي بعده.

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿للذين اتقوا﴾ وكان هذا أيضاً أيام الموسم، كان الوافد يسأل الذين أرصدوا لتكذيب رسول الله ﷺ، فيُنَفِّرُون عنه، ويسألون المؤمنين عنه

فيقولون: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي: أنزل خيراً.

ثم فسره فقال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ بقول: لا إله إلا الله ﴿حسنة﴾ وهي الجنة. هذا قول أكثر المفسرين[١].

ويجوز عندي أن يكون المعنى: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، وهو ما جوزوا به من عز الإسلام وعلو سلطانه، وخضوع الأمم لهم، وفتح البلاد عليهم، وجباية الأموال إليهم، ألا تراه قال: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ يعني: الجنة خير ما جوزوا به في الدنيا.

وهذه الجملة وهي قوله: «للذين أحسنوا» وما في خبرها مفسر للجملة التي قبلها، فهي بدل منها[٢]. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عِدَةً للقائلين.

ثم مدح الله تعالى دار الآخرة فقال: ﴿ولنعم دار المتقين﴾، وفيه إضمار تقديره: ولنعم دار المتقين دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح؛ لظهور الدلالة عليه[٣].

قوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من المخصوص بالمدح[٤].

وما بعده ظاهر مفسر إلى قوله: ﴿طيبين﴾ وهو حال من المفعول[٥]. التقدير: تتوفاهم الملائكة طاهرين من دَنَسِ الشرك، أو طيبة أنفسهم بالموت لما بشروا به

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٤٣)، والقرطبي (١٠/ ١٠٠).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢٤).

(٣) قوله: «عليه»: مكرر في الأصل.

(٤) التبيان (٢/ ٨٠)، والدر المصون (٤/ ٣٢٤).

(٥) التبيان (٢/ ٨٠)، والدر المصون (٤/ ٣٢٥).

عند نزوله بهم من ثواب الله تعالى ورضوانه.

﴿يقولون﴾ حال من الفاعل[١].

قال البراء بن عازب: يُسَلِّمُ ملكُ الموت على المؤمن إذا دخل عليه[٢].

قال القرظي: يقول له الملك: السلام عليك ولي الله، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة[٣].

قال مقاتل[٤]: هذا قول خزنة الجنة في الآخرة، يقولون: ﴿سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ
ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

(١) التبيان (٢/ ٨٠)، والدر المصون (٤/ ٣٢٥).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ١٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٢٨) وعزاه لابن مالك وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة، وأبي القاسم بن منده في كتاب الأحوال، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢١).

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ وهو العذاب، أو يوم القيامة.

﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ وهم كفار الأمم السالفة، أي: كذبوا كما كذب هؤلاء. ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والمعاصي.

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ من الشرك، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ من العذاب.

﴿وقال الذين أشركوا ... الآية﴾ مفسرة في سورة الأنعام[١].

قال الزجاج[٢]: قالوا هذا على جهة الهزء، ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين. وقد اتفقت الأمة على أن الله تعالى لو شاء أن لا يعبدوا غيره مشيئة اضطرار إلى ذلك؛ لم يقدر أحد على غير ذلك، ولكن الله تعالى جلَّ اسمه تَعَبَّد العباد، ووفَّق من أَحَبَّ توفيقه، وأضلَّ من أَحَبَّ إضلاله.

وما بعده ظاهر ومفسر إلى قوله تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا

(١) عند الآية رقم: ١٤٨.
(٢) معاني الزجاج (٣/ ١٩٧).

يهدي من يضل﴾ قرأ أهل الكوفة: «يَهدِي» بفتح الياء وكسر الدال[١] على إضافة الفعل إلى الله، وفيه ضمير يعود إلى المنصوب بـ«إنْ».

أي: لا يهدي الله من يضل، و«مَنْ» في موضع نصب بـ«يهدي».

وقرأ الباقون: «يُهدَى» بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول[٢].

وفي «يضل» ضمير يعود إلى اسم «إن»، ومفعول «يضل» محذوف، وهو العائد إلى «مَنْ»، أي: من يضله.

وهذه الآية في المعنى كقوله: ﴿منْ يضلل الله فلا هادي له﴾ [الأعراف:١٨٦].

وقيل: في قراءة الكوفيين: «يهدي» في معنى: يهْتَدي. تقول العرب: قد هدي فلان الطريق، يريدون: اهتدى[٣]، فتكون «مَنْ» في موضع رفع بفعلها، والتقدير: فإن الله لا [يهدي][٤] من يضله.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ من عذابه.

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٨-٣٨٩)، والكشف (٢/ ٣٧)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٢).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر: اللسان (مادة: هدي).

(٤) في الأصل: يهتدي.

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ قال أبو العالية: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دَيْن، فتقاضاه، فقال المسلم: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت، فأقسم لا يبعث الله من يموت، فنزلت هذه الآية(١).

﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفي ﴿وعداً عليه حقاً﴾ أي: ليبعثنهم، ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون﴾.

أخرج البخاري في صحيحه من أفراده من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: « قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهون عَلَيَّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد »(٢).

قوله تعالى: ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ اللام في «ليبين» متعلقة بما دل عليه قوله: «بلى»، أي: يبعثهم ليبين لهم، أو تكون متعلقة بقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وليعلم الذين كفروا﴾، وذلك عند معاينة ما

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٥). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٣ ح٤٦٩٠).

وُعدوا به من العذاب الكائن بعد البعث، ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ فيما أقسموا عليه من نفي البعث.

وإن قلنا: اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا﴾ فالمعنى: وليعلم الذين كفروا إذا شاهدوا معجزات الرسل، وبراهينهم الساطعة، ودلائلهم القاطعة، أنهم كانوا كاذبين على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ أي: أُحْدِثُ فيَحْدُث عقيب ذلك من غير توقف، فماذا تستبعدون من إعادة الأجساد البالية.

وقرأ ابن عامر والكسائي: «فيكونَ» بالنصب عطفاً على «نقولَ»(١). وقد سبق الكلام على هذه الآية في سورة البقرة(٢).

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ نزلت في الذين عُذِّبُوا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ كبلال، [وعمار](٣)، وصهيب، وخباب بن الأرتّ، وأمثالهم من الذين هاجروا من بعد ما ظلموا وعذبوا(٤).

أخرج الإمام أحمد من حديث عبدالله بن مسعود قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٨٩)، والكشف (١/ ٢٦٠)، والنشر (٢/ ٢٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٣).

(٢) آية رقم: ١١٧.

(٣) في الأصل: عمار. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٤٤٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٣)، وأسباب النزول (ص:٢٨٥).

تعالى بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه، وأعطوه الولدان، فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد))[1].

وقيل: نزلت في جميع المهاجرين الذين ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم، فمنهم من هاجر الهجرتين؛ كعثمان بن عفان، وجعفر بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومنهم من هاجر إلى المدينة فقط.

ومعنى قوله: ﴿في الله﴾ في طلب مرضاته وثوابه.

﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ أي: بلدة أو داراً حسنة، وهي المدينة، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والأكثرين[2].

ويجوز أن يكون صفة، التقدير: لنبوئنهم تبوئة حسنة[3].

وقيل: المعنى: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة والنصر على الأعداء، وجميل الذكر والثناء.

قال عمر بن الخطاب: ((أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا بلالاً))[4].

وقال أيضاً: ((نعم الرجل صهيب، لو لم يَخَفِ الله لم يَعْصِه))[5].

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤ ح٣٨٣٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٨).

(٣) التبيان (٢/ ٨١)، والدر المصون (٤/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧١ ح٣٥٤٤).

(٥) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٢٨ ح٢٨٣١) وقال: اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر، وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ. وذكر البهاء السبكي: أنه لم

يريد: لو أَمِنَ عذاب الله لأطاعه؛ لما طُبِعَ عليه من صفات الخير، فكيف وهو يرجوه ويخافه.

﴿ولأجر الآخرة أكبر﴾ قال ابن عباس: يريد: أمر الجنة أعظم وأكبر من أن يعلمه أحد ويقدر على صفته أحد(١).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أعطى الرجل من المهاجرين العطاء قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أكبر، ثم تلا هذه الآية(٢).

قوله تعالى: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ اختلفوا في الضمير في «كانوا» فقال قوم: هو للكفار، على معنى: لو علموا ما يجمع الله لهؤلاء المستضعفين في أيديهم من خير الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم وانتظموا في سلكهم.

وقال قوم: الضمير للمهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك على حقيقة ما هو عليه لزادوا في اجتهادهم وصبرهم.

ثم مدحهم فقال: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وهو في موضع نصب أو رفع، وكلاهما على المدح(٣).

والمعنى: صبروا على مفارقة الأهل والأزواج والأولاد والأوطان وعلى

= يظفر به بعد البحث، وكذا كثير من أهل اللغة، لكن نقل في المقاصد عن الحافظ ابن حجر: أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) التبيان (٢/ ٨١)، والدر المصون (٤/ ٣٢٧).

العذاب وعلى ربهم يتوكلون.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ نزلت جواباً لقول الكفار: الله أعظم أن يكون رسوله بشراً[1].

﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ وهم العلماء من اليهود والنصارى ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ أن الرسل بشر.

وقيل: إن كنتم لا تعلمون أن محمداً ﷺ رسول الله.

فعلى هذا؛ يراد بأهل الذكر: المؤمنون من أهل الكتاب؛ كسلمان، وعبد الله بن سلام.

قوله تعالى: ﴿بالبينات والزبر﴾ في متعلق الباء أوجه:

أحدها: قوله: ﴿وما أرسلنا﴾ مع ما في خبره من الاستثناء، تقديره: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات والزبر، كما تقول: ما ضربت إلا زيداً بالسوط.

الثاني: أنه «أرسلنا»، وفيه إضمار، كأنه قيل: بم أرسلوا؟ فقال: بالبينات.

الثالث: أنه «رجالاً»، أي: رجالاً ملتبسين بالبينات والزبر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٣٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الرابع: أنه «يوحِي» على معنى: يوحي إليهم بالبينات[١].

فعلى هذه الأوجه: «فاسألوا أهل الذكر» اعتراض.

الخامس: أنه «لا تعلمون»، ويكون معنى الشرط إلزامهم وتبكيتهم؛ كقولهم: إن كنت ابني فأطعني[٢]. وقد سبق تفسير البينات والزبر في آل عمران.

﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ وهو القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ من الحلال والحرام والوعد والوعيد ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيأخذوا في الاستعداد للمعاد.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ وهم أهل مكة ومن والاهم ممن كاد الإسلام، وبذلوا الجهد في إطفاء نور محمد ﷺ.

﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما فعل بقارون، ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث

---

(١) التبيان (٢/ ٨١).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٢٧-٣٢٨). وقد ذكر السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٢٨) ثلاث وجوه أخرى عند هذه الأوجه في متعلق الباء، قال:
يمكن أن يتعلق بـ«أرسلنا» أيضاً، إلا أنه على نية التقديم قبل أداة الاستثناء، تقديره: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً، حتى لا يكون ما بعد «إلا» معمولين متأخرين لفظاً ورتبة، داخلين تحت الحصر لما قبل «إلا».
أن الباء مزيدة، وعلى هذا فتكون «البينات» هو القائم مقام الفاعل؛ لأنها هي الموحاة.
أن الجار متعلق بمحذوف على أنه حال من القائم مقام الفاعل، وهو «إليهم».

لا يشعرون﴾ قال ابن عباس: يعني: يوم بدر[١].

﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في أسفارهم، أو في منامهم، وليلهم ونهارهم، ﴿فما هم بمعجزين﴾.

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ يعني: متخوفين متوقعين ما أصاب أشباههم من الكفار، وهو خلاف «من حيث لا يشعرون».

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: «على تخوف» أي: تخوّن وتنقّص في الأنفس، إما بقتل أو موت، وفي الأموال، فينقصهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا[٢]. يقال: تخوفه الدهر وتخوَّنه؛ إذا نقصه[٣].

ويروى «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقى المنبر فقال: أيها الناس! ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾؟ فسكت الناس. فقام إليه شيخ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه لغتنا بني هذيل، التخوُّف: التنقُّص، قال عمر: هل تعرفُ العربُ ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم. شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة:

تخوَّفَ الرَّجْلُ منها تامِكاً[٤] قَرِداً ... كما تخوَّفَ عودُ النبعةِ السَّفَنُ[٥]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٥١).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خوف، خون).

(٤) التامك: المرتفع من السنام (اللسان، مادة: تمك). والقرد: المتلبد بعضه على بعض (اللسان، مادة: قرد). والسفن: المِبْرَد (اللسان، مادة: سفن).

(٥) البيت لأبي كبير الهذلي. ونسبه الزمخشري في الكشاف (٢/ ٥٦٨) لزهير وليس في ديوانه، وابن منظور في اللسان، مادة: (خوف) لابن عقيل، وفي مادة: (سفن) نسبه لذي الرمة وليس في ديوانه، =

فقال عمر: أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»[١].

﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿أولم يروا﴾ قرأ حمزة والكسائي: «تروا» بالتاء على المخاطبة[٢]، على معنى: أو لم تروا أيها الناس.

وقرأ الباقون بالياء على المغايبة، حملاً على ما تقدم من قوله: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله﴾ وما في خبرها.

﴿إلى ما خلق الله من شيء﴾ من جِرْم له ظل من جبل أو شجر أو بناء، ﴿يتفيأ ظلاله﴾ قرأ أبو عمرو: «تتفيأ» بتائين، لتأنيث الظلال. وقرأ الباقون: «يتفيأ» بتاء[٣]؛

=

والجوهري في الصحاح كذلك (٤/ ١٣٥٩).

انظر: الطبري (١٤/ ١١٣)، والقرطبي (١٠/ ١١٠)، والبحر المحيط (٥/ ٤٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣٢٩).

(١) القرطبي (١٠/ ١١٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٠)، والكشف (٢/ ٣٧)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٣).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩١)، والكشف (٢/ ٣٧)، والنشر =

لأن التأنيث غير حقيقي، أو حملاً على المعنى؛ لأن الظلال في معنى الظل. وقد أشرنا إلى علة ذلك في مواضع.

قال ابن قتيبة[1]: «يتفيأ ظلاله»: يدور ويرجع من جانب إلى جانب.

﴿عن اليمين والشمائل﴾ أراد الأيمان، فوحَّد طلباً للإيجاز، كقوله: ﴿ويولّون الدبر﴾ [القمر:٤٥].

﴿سجداً لله﴾ حال من الظلال.

والمعنى: منقادة مستسلمة مسخرة لما يراد منها، من طول وقصر، وانتقال من جانب إلى جانب، ﴿وهم داخرون﴾ أي: صاغرون، وهو حال من الضمير في «ظلاله»، وجمع جمع مَنْ يعقل؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل.

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أما مَنْ يعقل فسجوده عبادته وخضوعه لله تعالى.

وأما ما لا يعقل فسجوده انقياده لتسخير الله تعالى ونفاذ أمره فيه، وظهور أثر صنعته عليه. هذا قول جمهور المفسرين[2].

والصحيح عندي والذي يدل عليه العلم: أنه سجود على الحقيقة، كما قلنا في تسبيح ما لا يعقل، ويكون منشأ ذلك معنىً يخلقه الله فيه، كما أفهم السماوات والأرض والجبال خطابه، حيث عَرَضَ عليها الأمانة فأبَتْ.

= (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٤).

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٥٣)، والوسيط (٣/ ٦٥).

وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّمُ عليّ بمكة قبل أن أُبعث»[١].

وصح: «أن الجذع حَنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت»[٢].

فإذا كان هذا في الجماد فأولى أن يكون في الدواب الموصوفة بالحياة والإحساس والعلم ببعض المعلومات.

والذي يؤيد ما ذكرناه؛ ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي ذر قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال: يا أبا ذر! تدري أين ذهبت الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع إلى مطلعها، فذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾»[٣] [يس:٣٨].

ومما يوضح ما ذكرته ويحققه: أن الله تعالى جمع بين مَنْ يعقل وما لا يعقل في الإخبار بالسجود، فلو تغاير سجودهما لكان معبِّراً عن النوعين بلفظ واحد، وهذا لا يسوغ.

فإن قيل: أي فائدة في قوله: ﴿والملائكة﴾ مع دخولهم في العموم؟

قلت: التنبيه على فضلهم وشرفهم، أو لتدخل ملائكة الأرض فيهم، فإنهم ليسوا مما في السماوات ولا من دواب الأرض، خصوصاً أولي أجنحة منهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٢ ح٢٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٥٤ ح١٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٠ ح٣٠٢٧)، ومسلم (١/ ١٣٩ ح١٥٩).

قوله تعالى: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: هو عام في جميع المذكورات[١].

والصحيح: أنهم الملائكة؛ لقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ فإن قوله: «يخافون» إما حال من الضمير في «يستكبرون»، على معنى: فهم لا يستكبرون خائفين، وإما بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له[٢]. وأياً ما كان فهو بالملائكة أشبه.

فإن قيل: «من فوقهم» بما يتعلق؟

قلت: بـ«ربهم» على معنى: يخافونه عالياً عليهم، قاهراً لهم، كما قال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨]. ويجوز أن يكون متعلقاً بـ«يخافون»، على معنى: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم[٣].

وفي الآية دليل على أن الملائكة يخافون بالأمر والنهي، مخاطبون بالوعد والوعيد، وأنهم بين الخوف والرجاء.

۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ

(١) زاد المسير (٤/ ٤٥٤).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٣٣).

(٣) التبيان (٢/ ٨٢)، والدر المصون (٤/ ٣٣٣).

فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي: لا تعبدوا معه غيره.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلتَ إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا: عندي رجال ثلاثة، وأفراس أربعة؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص. [وأما][2] رجل ورجلان، وفرس وفرسان، فمعدودان فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال: رجل واحد، ورجلان اثنان، فما وجه قوله: «إلهين اثنين»؟

قلت: الاسم [الحامل لمعنى][3] الإفراد والتثنية [دال][4] على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله، ولم تؤكد بواحد: لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية.

﴿فإياي فارهبون﴾ نقل [للكلام][5] عن الغيبة إلى التكلم، وجاز؛ لأن الغائب هو المتكلم.

قوله تعالى: ﴿وله الدين واصباً﴾ الدين: الطاعة، والوُصُوب: الدوام. يقال:

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٧٠).

(٢) في الأصل: فأما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: الجائي بمعنى. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ذال. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: الكلام. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وَصَبَ الشيء يَصِبُ وُصُوباً فهو واصِب؛ إذا دام[١].

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا أبتغي الحمدَ القليلَ بقاؤهُ   يوماً بذمِّ الدهر أجمعَ واصِبَا[٢]

قال ابن قتيبة[٣]: فالمعنى: ليس من أحدٍ يُدَانُ له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوالٍ أو هلكة، غير الله تعالى، فإن الطاعة تدوم له.

وقال الزجاج[٤]: «واصباً» دائماً، أي: طاعته واجبة أبداً.

ويجوز -والله تعالى أعلم- أن يكون «وله الدين واصباً»: أي: له الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض، وسَهُلَ ذلك عليه أو لم يَسْهل، فله الدين وإن كان فيه الوَصَبُ، والوَصَبُ شدّة التعب.

وقال ابن الأنباري وغيره[٥]: ويجوز أن يكون «واصباً» مُوصباً: متعباً؛ لأن الحق ثقيل، كما تقول العرب: هَمٌّ ناصب، أي: منصوب، وأنشدوا:

كِليني لِهَمٍّ يا أميمةَ نَاصبِ   ....

وقد سبق ذكر البيت[٦].

---

(١) انظر: اللسان، (مادة: وصب).

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو واضع علم النحو. وانظر البيت في: مجاز القرآن (١/ ٣٦٣)، والطبري (١٤/ ١١٨، ٢٣/ ٤٠)، والبحر (٥/ ٤٨٣)، والدر المصون (٤/ ٣٣٤)، وروح المعاني (١٤/ ١٦٤).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٣).

(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٦).

(٦) (٣/ ٥٩٨).

قوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ قال الزجاج[١]: أفغير الله الذي أبان لكم أنه واحد، وأنه خالق كل شيء، وأنّ ما بكم من نعمة فمن عنده، وأنه لو أراد هلاككم حين كفرتم وأن لا يُنْظِرَكُم إلى التوبة لفعل.

قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ دخلت الباء هاهنا بتقدير الفعل، المعنى: وما حَلَّ بكم من نعمة؛ [من][٢] صحة في جسم، أو سعة في رزق، أو متاع من مال أو ولد، فمن الله.

وقرأ ابن أبي عبلة: «فمَنٌّ الله» بفتح الميم وتشديد النون وضمها[٣].

﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ في أبدانكم وأولادكم ﴿فإليه تجأرون﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء.

قال الزجاج[٤]: يقال: جأر يَجأر جُؤاراً، والأصوات مبنية على فُعَال وفَعِيل. فأما فُعال؛ فنحو: الصُّراخ والجؤار والبُكاء. وأما الفَعِيل؛ فنحو: العويل والزئير، والفُعَالُ أكثر.

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم﴾ وهم الكفار والمنافقون ﴿بربهم يشركون﴾.

﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي: أعطيناهم من نعمة كشف الضر عنهم. واللام في «ليكفروا» هي لام العاقبة، ويجوز أن تكون لام الأمر في معنى التهديد؛ كقوله:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٣).
(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.
(٣) زاد المسير (٤/ ٤٥٦).
(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٤).

﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت:٤٠].

قوله تعالى: ﴿فتمتعوا﴾ أي: انتفعوا بدنياكم هذه الفانية ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة ما تعملون.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ جائز أن يكون الضمير في «يعلمون» لهم[1]، وجائز أن يكون للأصنام. فإن كان الأول؛ فالمعنى: أنهم جعلوا للأوثان نصيباً من الحرث والأنعام تقرباً إليهم، و«هم» أعني: الكفار لا يعلمون للأوثان ضراً ولا نفعاً؛ لأنها جمادٌ لا تعقل، فضلاً عن أن تضرّ وتنفع، ومفعول العلم محذوف، وهو ما ذكرناه. وهذا قول مجاهد وقتادة[2].

أو يكون التقدير: ويجعلون لما لا يعلمونه إلهاً، فحذف المفعولين.

وإن كان الثاني؛ فالمعنى: فيجعلون للأوثان نصيباً وهم لا يعلمون شيئاً ولا

(١) أي: للكفار.

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ١٢٢) عن مجاهد. وانظر: الوسيط (٣/ ٦٦-٦٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٥٨). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ١٣٨) وعزاه لابن جرير عن مجاهد.

يعرفون من يتقرّب إليهم.

﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾ تكذبون على الله في قولكم أنه أمركم بذلك.

﴿ويجعلون لله البنات﴾ وهم خزاعة وكنانة، كانوا يقولون: الملائكة بنات الله. ثم نَزَّهَ نفسه فقال: ﴿سبحانه﴾.

قوله: ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني: البنين، وهذا كقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ [الطور:٣٩].

فإن قيل: ما موضع «ما» في قوله: «ما يشتهون» من الإعراب؟

قلت: النصب عطفاً على «البنات»، على معنى: ويجعلون لهم ما يشتهون، و«سبحانه» اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقال الزجاج[1]: «ما» في موضع رفع لا غير. والمعنى: سبحانه ولهم الشيء الذي يشتهون.

قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ قد ذكرنا البشارة في أوائل البقرة. والمعنى: إذا بُشر أحدهم بالأنثى أنها قد وُلدت له ﴿ظل وجهه﴾ أي: صار وجهه ﴿مسوداً﴾، وهذا الموضع أحد المواضع السبعة التي جاءت في القرآن في هذا الباب، وقد ذكرتها في قصيدتي المسماة: «درّة القاري» أفرق فيها بين الضاد والظاء فقلت فيها مما يختص بهذا الموضع:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٦).

ثُـم الـضَّلال وفيـه الأمـر مُـشتبه فافقـهْ تفاصـيل تُـدْعَ بـالفَطِن
بالـضاد تُقـرأ إلا تـسعة قـرأت بالظـاء إجمـاع أهـل العلـم واللُّسُن
مـن الـسماء فظلُّـوا الحجـر أولهـا ووجهـه ظـلَّ مـسوداً مـن الـسِّجْن
لـسوء مـا حكمـوا تـتلى مـذمَّتهم في النحل والزخرف احذر كل مفتتن
طـه الـذي ظَلَّـتْ بعـد العنكبـوت لظَلّوا من وفي الشُّعرا حرفان ياسكني
إذا تلوتَ فظلَّتْ بعدها فنظَلُّ أعـرف فلـيظللنَ في الـشورى اهتـد اسـتبن
قبـل الحديـد فظلـتمْ وهـو آخرهـا اقتلـه علـماً فليـتَ الجهـل لم يكـن

والمعنى: تغيَّر وجههُ تغيُّر مُغْتَم.

قال الزجاج وغيره(١): العرب تقول لمن لقي مكروهاً: قد اسودَّ وجهـه غـماً وحُزناً، ومنه: سوَّدْت وجه فلان؛ إذا سُؤْته.

﴿وهو كظيم﴾ ممتلئ غيظاً.

قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب، أخبر الله خبث صنيعهم. فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله للمرء خير من قـضاء المـرء لنفسه، وما قضي لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قـضى لـك ممـا تحـب، فـاتق الله وارض بقضائه، فإنه رُبَّ جارية خير لأهلها من غُلام، ورُبَّ غلام لا يأتي أهلـه بخير(٢).

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٦). وانظر: الوسيط (٣/ ٦٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي: يتخفَّى أياماً يدبر كيف يصنع في أمرها، هل يقتلها أم لا؟ وهو قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ أي: أيمسك ما بشر به على هون، أي: هوان، وكذا قرأ ابن مسعود[(١)]، ﴿أم يدسّه﴾ يخفيه ﴿في التراب﴾ بالوَأدِ خوفاً من الفضيحة والعار، وحذاراً من الفقر عليها، فيطمع فيها غيرُ الأكْفاء.

وكان صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم جد الفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية الشاعر إذا أحسَّ بشيء من ذلك، وجّه إلى والد البنت إبلاً ليستَبقيها، فقال الفرزدق يفتخر:

ومنّا الذي مَنَعَ الوائداتِ فأحيا الوئيدَ فلم يُوأَدِ[(٢)]

ويروى: وجدِّي الذي مَنَعَ الوائدات.

وقال الثعلبي[(٣)]: صعصعة عم الفرزدق، وهو شيء قد قيل، لكنه وهمٌ عندهم.

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه حين استشهد ببيت الفرزدق في سورة التكوير[(٤)]: يعني: صعصعة [بن][(٥)] صُوحان، وهو جدّ الفرزدق.

وهذا وهم؛ لأن صعصعة بن صوحان من عبد القيس، والأمر كما حققته

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٤/ ٤٥٨-٤٥٩).

(٢) البيت للفرزدق، انظر: اللسان (مادة: وأد)، والقرطبي (١٠/ ١١٧، ١٩/ ٢٣٣)، والبغوي (٣/ ٧٣)، وزاد المسير (٩/ ٤٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٥٣).

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ٢٣).

(٤) زاد المسير (٩/ ٤٠).

(٥) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

لك، فتعرف ذلك.

﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ أي: بئس ما يقضون من جعلهم لله الولد الذي يكرهونه لأنفسهم -وهو عندهم في هذا المحل-، وجعلهم البنين لأنفسهم، ونظيره: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ [النجم:٢١-٢٢].

قوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أي: صفة السوء من احتياجهم إلى الولد الذكور وكراهيتهم للإناث، وقتلهم إياهم خشية الفاقة والعار، وإقرارهم على أنفسهم بالشُّحّ الهالع.

﴿ولله المثل الأعلى﴾ الصفة العليا من تنزهه عن الولد وسائر ما لا يليق بجلاله، ﴿وهو العزيز﴾ فلا يحتاج إلى ولد ينصره ﴿الحكيم﴾ فيما يقتضيه ويدبره.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ أي: بشركهم ومعاصيهم وافترائهم عليه ﴿ما ترك عليها﴾ أي: على الأرض ﴿من دابة﴾ قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام[1].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد قرأ هذه الآية: كاد أن يَهلك الجُعَل[١] في حجره بذنب ابن آدم[٢].

وسمع أبو هريرة رجلاً يقول: إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه، فقال: بلى والله حتى إن الحُبَارى[٣] لتموت في وكرها بظلم الظالم[٤].

قال السدي: لأقحط المطر فلم تبق دابة إلا هلكت[٥].

وقيل: المعنى: ما ترك عليها من دابة ظالمة.

قال ابن عباس: ما ترك عليها من مشرك يدبّ عليها.

وباقي الآية سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ أي: ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركة في الرئاسة والعظمة، ويجعلون له أرذل أموالهم.

وهذه الآية تنعي على ذي الثَّرْوة سوء فعلهم، من إهداء نفائس أموالهم

---

(١) الجُعَل: دابة سوداء من دواب الأرض، وجمعه: جِعْلان، وقيل: هو أبو جَعْران (اللسان، مادة: جعل).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٨)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥٤)، والطبري (١٤/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٣) الحبارى: طائر، وهو ذكر الخَرَب (اللسان، مادة: حبر).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٥٤)، والطبري (١٤/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير والبيهقي في الشعب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٧). وانظر: الوسيط (٣/ ٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

وأطايب طعامهم إلى أمرائهم وكبرائهم دون مساكينهم وفقرائهم.

قال بعضهم: كيف بك يوم القيامة إذا نودي: هاتوا ما دُفع إلى السلاطين وأعوانهم، فيؤتى فيه بالدواب والثياب وأنواع المال الفاخرة، وإذا نودي هاتوا ما دُفع إليّ، فيؤتى بالكِسر والخرق وما لا يُؤبه له، أما تستحي من ذلك؟.

قوله تعالى: ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ أي: تقول الكذب. وقرأ معاذ: «الكُذُبُ» بضم الكاف والذال والباء، على نعت الألسنة[١].

قال ابن جني[٢]: هو جمع كاذب أو كَذوب. ومفعول «تصف»: «أن لهم الحسنى» وعلى قراءة الجماعة: «الكَذِبَ» مفعول «تَصِفُ»، و«أن لهم الحسنى» بدل من «الكذب»؛ لأنه في المعنى كذب.

قال مجاهد: «أن لهم الحسنى» هو قول قريش: لنا البنون[٣].

وقال غيره: الجنة.

وقال الزجاج[٤]: يصفون أن لهم -مع قبيح فعلهم- من الله الجزاء الحسن.

وقوله: ﴿لا﴾ رد لقولهم وتكذيب لهم، أي: ليس ذلك كما وصفوا، ﴿جرم﴾ أي: كسب فعلهم ﴿أن لهم النار﴾ والمفسرون يقولون: حقاً أن لهم النار.

﴿وأنهم مفرطون﴾ أي: معجلون إلى النار، من قولهم: أفْرَطَ القوم الفارط، إذا

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٦٠).

(٢) المحتسب (٢/ ١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٧)، ومجاهد (ص:٣٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٧).

قدموه إلى الماء ليُصْلِح لهم شأنهم[١]. وهذا قول قتادة[٢] والزجاج[٣].

وقرأ نافع: «مفرِطون» بكسر الراء[٤]، بمعنى: مفْرِطُون في الافتراء على الله وفي معاصيه، ومثله أبو جعفر، إلا أنه شدد الراء من التفريط، بمعنى: مُفَرِّطُون في أمر الله مُضَيِّعون حقوقه.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ أي: أرسلنا إليهم رسلاً كما أرسلناك إلى هذه الأمة، ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ الخبيثة ﴿فهو وليهم اليوم﴾ يعني: في الدنيا، وجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا. والمعنى: فهو وليهم وناصرهم في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

وقيل: فهو وليهم يوم القيامة، فيكون حكاية عن الحال الآتية، ويكون الواو في: «ولهم عذاب» واو الحال، على معنى: فهو وليهم حال كونهم معذبين في النار.

قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ من

---

(١) انظر: اللسان (مادة: فرط).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٨-١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٧-٢٠٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩١)، والكشف (٢/ ٣٨)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٤).

الدين والأحكام والبعث والجزاء، ﴿وهدى ورحمة﴾ معطوف «أن» على محل «لتبين» التقدير: إلا بياناً وهدى ورحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

وما بعده ظاهر مفسَّر إلى قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ لدلالة موصلة إلى العلم بعظمة الله وقدرته ووحدانيته.

ثم بيَّنها فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: «نَسْقِيكُم» بفتح النون[1]، وضمها الباقون هنا وفي المؤمنين[2]، وقد ذكرناه في الحجْر[3]، وإنما ذَكَّرَ فقال: ﴿في بطونه﴾ لأن الأنعام من الأسماء المفردة. هكذا ذكره سيبويه في باب ما لا ينصرف[4].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩١)، والكشف (٢/ ٣٨-٣٩)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٤).

(٢) آية رقم: ٢١.

(٣) آية رقم: ٢٢.

(٤) انظر: الكتاب (٣/ ٢٣٠).

وقال الزجاج[١]: الأنعام لفظ [جمع][٢] اسم للجنس، يذكر ويؤنث، يقال: هي أنعام وهو الأنعام.

وقال الفراء[٣]: النَّعَم والأنعام شيء واحد، فرجع التذكير إلى النَّعَم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام، أنشدني بعضهم:

.... وطابَ ألبانُ اللِّقاحِ[٤] وبَرَدْ[٥]

فرجع إلى اللبن؛ لأن اللبن والألبان في معنى واحد.

قال[٦]: وقال الكسائي: أراد: نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا، وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مثلُ الفِراخِ نُتِفَتْ[٧] حواصِلُه[٨]

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: جميع. والتصويب من الزجاج، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٠٨-١٠٩).

(٤) اللقاح: النوق إلى أن يفصل عنها ولدها (انظر: اللسان، مادة: لقح).

(٥) عجز بيت، وصدره:

بالَ سُهيلٌ في الفضيخِ فَفَسَد ....

انظر: اللسان مادة: (خرت، كتد)، والدر المصون (٤/ ٣٤٣)، والطبري (١٤/ ١٣١)، والفراء (١/ ١٢٩).

(٦) أي: الفراء.

(٧) في معاني الفراء (١/ ١٣٠، ٢/ ١٠٩): نَتَقَتْ، أي: سَمِنَت.

(٨) من الرجز، انظر: اللسان، مادة (نعم، خلف)، والدر المصون (٤/ ٣٤٣)، والبحر (٥/ ٤٩٢) وفيه «نبَقَت» بدل «نتفت»، والطبري (١٤/ ١٣٢)، والقرطبي (١٠/ ١٢٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٣)، وروح المعاني (١٤/ ١٧٧، ٢٠/ ١١١).

وقال المبرد[(١)]: هذا فاشٍ في القرآن، مثل قوله للشمس: ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام:٧٨] بمعنى: هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ [النمل:٣٥] ثم قال: ﴿فلما جاء سليمان﴾ [النمل:٣٦] ولم يقل: جاءت؛ لأن المعنى: [جاء][(٢)] الشيء الذي ذكرناه.

وقال أبو عبيدة[(٣)]: الهاء في «بطونه» للبعض.

المعنى: نسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن؛ لأنه ليس لكل الأنعام لبن.

قوله تعالى: ﴿من بين فرث ودم﴾ قال ابن عباس: إذا استقر العلف في الكَرِش طَحَنَه فصار أسفله فرثاً، وأعلاه دماً، وأوسطه لبناً، والكَبِد مُسلَّطة على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفَرْث[(٤)] في الكرش[(٥)].

و«من» في قوله: «مما في بطونه» للتبعيض، وفي قوله: «من بين فرث ودم» لابتداء الغاية.

﴿لبناً﴾ أي: نسقيكم لبناً، ﴿خالصاً﴾ لا يشوبه الدم ولا الفرث، سليماً من رائحتهما وطعمهما ولونهما، مع اشتراك الأصناف الثلاثة في العنصر والمستقر.

﴿سائغاً للشاربين﴾ سَلِساً سَهْلاً في حُلوقهم، مُستطاباً عندهم، لا تَعافُه

---

(١) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٧٠)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٣).

(٢) زيادة من المراجع السابقة.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٢).

(٤) الفَرْث: بقايا الطعام في الكرش (المعجم الوسيط ص:٦٧٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٤).

نفوسهم، مع اقترانه بها ينفرون منه طبعاً وشرعاً، ما ذاك إلا بقدرة قادر عظيم وفعل حكيم.

قال الزمخشري(١): قوله: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرها، وحذف لدلالة «نسقيكم» قبله عليه.

وقوله: ﴿تتخذون منه سكراً﴾ بيان وكشف عن كُنْه الإسقاء، أو تعلق بـ«تتخذون». ويجوز أن يكون «تتخذون» صفة موصوف محذوف، تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً؛ لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر.

وفي السَّكَر أربعة أقوال:

أحدها: أنه الخمْر. [قاله](٢) ابن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وأكثر المفسرين، وهؤلاء يقولون: كان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر(٣).

الثاني: أنه الخلّ بلغة الحبشة. رواه العوفي عن ابن عباس(٤).

---

(١) الكشاف (٢/ ٥٧٥).

(٢) في الأصل: قال. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٦)، ومجاهد (ص:٣٤٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٤٢-١٤٣) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر، ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) الطبري (١٤/ ١٣٦)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٤)، والدر المنثور (٥/ ١٤٢).

الثالث: أنه الطَّعْم[(١)]، يقال: هذا سَكَرٌ لك، أي: طَعْمٌ لك. قاله أبو عبيدة[(٢)]، [وأنشدوا][(٣)]:

جعلتَ أعراضَ الكِرَامِ سَكَرا[(٤)]

يريد: تنقَّلْت بأعراضهم وجعلتها طعماً لك.

الرابع: أنه العصير إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد. قاله الضحاك والشعبي[(٥)]، وهو النبيذ، الذي صار أبو حنيفة إلى القول بحلّه ما لم يسكر منه.

وله رحمه الله أحاديث وآثار، لكنها لا تترقى في الصحة إلى أحاديثنا وآثارنا، ولو شرعت في إقامة الحجة على ذلك وذكر الأدلة من الجانبين لَطَالَ الفصل.

ويكفي في الاعتبار على صحة ما صار إليه إمامنا وأكثر الفقهاء؛ ما أخرج رضي الله عنه في مسنده وأخرجه الشيخان في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «كل شراب أسكر فهو حرام»[(٦)].

---

(١) وهو اختيار الطبري.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٣).

(٣) في الأصل: وأنشد وجعلت...، والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٦٤).

(٤) من الرجز، لم أعرف قائله. انظر: اللسان (مادة: سكر)، والكشاف (٢/ ٥٧٦)، والدر المصون (٤/ ٣٤٥)، والبحر المحيط (٥/ ٤٩٥)، وروح المعاني (١٤/ ١٨٠).
وروي الرجز: جعلت عيب الأكرمين سكرا. انظر: الطبري (١٤/ ١٣٨)، والقرطبي (١٠/ ١٢٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٤).

(٥) أخرج نحوه الطبري (١٤/ ١٣٧). وانظر: البغوي (٣/ ٧٥).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٩٥ ح٢٣٩)، ومسلم (٣/ ١٥٨٥ ح٢٠٠١)، وأحمد (٦/ ٩٦ ح٢٤٦٩٦).

وأخرج الإمام أيضاً من حديث سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وما أسكر كثيره فقليله حرام»[١].

وأما الرزق الحسن: فهو الخَلّ والرُّبُّ[٢] والزّبيب والتمر وغير ذلك.

ويجوز أن يكونا وَصْفَيْ موصوف واحد، المعنى: تتخذون منه ما يسمى سكراً ورزقاً حسناً.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ قال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: ألهَمَها وقَذَفَ في أنفسها[٣].

وقال مجاهد في رواية: أرسل إليها[٤].

﴿أن اتخذي﴾ هي المفسرة؛ لأن في الإيحاء معنى القول، ﴿من الجبال﴾ أي: اتخذي بعض الجبال ﴿بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ أي: مما يرفع بنو آدم من

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩١ ح٥٦٤٨).

(٢) الرُّبُّ: دِبْس كل ثمرة، وهو سُلافة خُثَارَتها بعد الاعتصار والطبخ (اللسان، مادة: ربب).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٩). وانظر: الوسيط (٣/ ٧١)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٦٥).

الأبنية والكروم وغيرها.

وقيل: المراد: ما يبنون لها من الأماكن.

﴿ثم كلي من كلِّ الثمرات﴾ قال ابن قتيبة[1]: أي: من الثمرات. و«كلّ» هاهنا ليست على العموم، ومثله: ﴿تدمر كلَّ شيء﴾ [الأحقاف:٢٥].

وقال الزمخشري[2]: هذا إحاطة بالثمرات التي تَجْرُسُها[3] النحل وتعتاد أكلها، أي: كلي كل ثمرة تشتهينها.

قوله تعالى: ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ وهي الطرق التي تسلكها طلباً للرعي. هذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين[4].

وقال صاحب الكشاف[5]: المعنى: فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك، أي: الطرق [التي][6] ألهمك وأفهمك في عَمَل العسل. أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، في مسالكه التي يُحيل فيها النَّوْرُ[7] المرُّ عَسَلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك. أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سُبُل ربك، لا تتوعَّر عليك ولا تضلّين فيها.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٦).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٧٧).

(٣) الجَرْسُ: الأكل (اللسان، مادة: جرس).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧١).

(٥) الكشاف (٢/ ٥٧٧).

(٦) في الأصل: الذي. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) النَّوْر: الزَّهْر (اللسان، مادة: نور).

والذي حمله[١] على هذه التأويلات وصَدَّه عما عليه جمهور المفسرين؛ ما يقتضيه قوله: «فاسلكي» من الترتيب.

والذُّلل: جمع ذلول، ونصبه على الحال، إما من المفعول، وهو السبل[٢]، على معنى: اسلكيها مذللة لا تتوعر عليك. وهذا قول مجاهد[٣] واختيار الزجاج[٤].

أو حال من الفاعل، وهو الضمير في «فاسلكي»[٥]، أي: اسلكي وأنت مذلَّلةٌ منقادةٌ لما أُمرتِ به. وهو قول قتادة[٦] واختيار ابن قتيبة[٧]. فسبحان من ألهَمَها تلك الصنعة العجيبة [المنتظمة][٨] على قانون بديع من الحكمة، يعجز ذوو الأفهام الثاقبة والبصائر النافذة عن تصوير شكله وتقدير مثله، وسخَّرها حيث استوطنت لمصالح بني آدم مضايق البناء مع اقتدارها على ملازمة فسيح الفضاء، ما ذاك إلا لتستدلوا يا ذوي العقول بما تشاهدون بأبصاركم، وتعلمون ببصائركم على وحدانية الله وقدرته وعظمته وحكمته، وتشكروا ما أفاض عليكم من سوابغ

---

(١) أي: الزمخشري صاحب الكشاف.

(٢) التبيان (٢/ ٨٣)، والدر المصون (٤/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٠)، ومجاهد (ص:٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢١٠).

(٥) التبيان (٢/ ٨٣)، والدر المصون (٤/ ٣٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٦).

(٨) في الأصل: المنتضمة.

مِنَّتِهِ، سبحانك اللهم وبحمدك.

لقد وضح الطريق إليك قصداً   فما خلقٌ أرادك يستدل

قوله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ وهو العسل ﴿مختلف ألوانه﴾ قال ابن عباس: منه أبيض وأحمر وأصفر[1].

قال الزجاج[2]: هي تأكل الحامض والمرّ وما لا يُوصف طعمه، فيُحيلُ الله تعالى من ذلك عسلاً يخرج من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق [الدائم][3] الذي يخرج من فم ابن آدم.

قوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ قال مجاهد: أي في القرآن[4].

وقال الضحاك: المعنى: في الاعتبار شفاء، أي: هدى للناس[5].

والذي عليه الجمهور من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء: أن الضمير في «فيه» يعود إلى الشراب الذي هو العسل، وهو الصواب والأشبه بظاهر السنة والكتاب.

قال ابن مسعود: في العسل شفاء من [كل][6] داء[7].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢١٠).

(٣) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٢١٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

(٦) زيادة من المصادر التالية.

(٧) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في الدر =

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلقَ بطنه[1] فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: اسقه عسلاً، إلى أن قال: فشُفي إما في الثالثة وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطنُ أخيك»[2].

يشير عليه السلام إلى هذه الآية. وبعضهم يقول بعموم الآية في كل داء.

والصحيح: أنه محمول على الغالب، فإنه قلّ معجون من المعاجين إلا يذكر الأطباء فيه العسل.

قال الزمخشري[3]: ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل علي وقومه.

وعن بعضهم، أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي وحدّث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وهو أردؤه، وأوضعه. قال علي عليه السلام: خمس وسبعون سنة[4].

= (٥/ ١٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير.

(١) استطلق بطنه: أي كثر خروج ما فيه. يريد الإسهال (اللسان، مادة: طلق).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٦١ ح٥٣٨٦)، ومسلم (٤/ ١٧٣٦ ح٢٢١٧).

(٣) الكشاف (٢/ ٥٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٦) وعزاه للطبري.

وقال قتادة: تسعون سنة[١].

وقال قطرب: ثمانون سنة[٢].

وليس هذا منهم على سبيل التحديد، وإنما ذكر كلٌّ واحد منهم شيئاً هو في نظره مظنة انحلال القوى، واختلال الصحة، وزمن الهرم والخَرَف.

﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ قال ابن عباس: لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له[٣].

وقال الزجاج[٤]: المعنى: أن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خَرَفاً، فيصير بعد أن كان عَالماً جاهلاً.

وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفةً[٥].

وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر[٦].

﴿إن الله عليم﴾ لا يعزب عن علمه الأشياء ﴿قدير﴾ على ما يشاء.

فإن قيل: بما نصبت «شيئاً»؟

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢١١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٦٨).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٠ ح٢٩٩٥٧)، والبيهقي في شعبه (٢/ ٥٥٦ ح٢٧٠٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٦ ح٣٩٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قلتُ: قد اختلف فيه سيبويه والفراء؛ فسيبويه نصبه بـ«علم» فأعمل العامل الثاني وأضمر المفعول في «يعلم» شريطة التفسير. والفراء نصبه بـ«يعلم» وأضمر «لعلم» مفعولاً، وفصل بين المعمول والعامل.

ومذهب سيبويه أجود؛ لسلامته عن الفصل، وخبر الإضمار فيه بتفسير مفعول علم له.

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فكثَّر وقلّل، وبسط وقبض، ورجح السادة على العبيد، ﴿فما الذين فضّلوا﴾ وهم السادة ﴿برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ حتى يكون الموالي والعبيد في المال سواء.

المعنى: فإذا لم تفعلوا ذلك ولم ترضوه لأنفسكم وأنتم على الحقيقة سواء في الجنسية والنوعية، كلكم بنو آدم، فكيف ترضون لي مع عظمة شأني وعلو سلطاني، وأنا الذي خلقتُ ورزقتُ؛ أن تجعلوا لي أنداداً من الحجارة أنتم تنحتونها بأيديكم الفانية.

﴿أفبنعمة الله﴾ التي من جملتها هذا البيان الواضح ﴿يجحدون﴾ فتجعلون له أنداداً وأولاداً.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في نصارى نجران. وهو مروي عن ابن عباس[1].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٦٨)، والقرطبي (١٠/ ١٤١).

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ أي: جعل لكم من جنسكم أشكالاً، يعني: النساء.

وقال قتادة وأكثر المفسرين: هو خلق حوّاء -من آدم- عليها السلام(١).

﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ وهم جمع حافد، وهو الذي يحفِد، أي: يسرع في الخدمة والطاعة.

ومنه قوله في دعاء القنوت: « وإليك نسعَى ونحفِد »(٢).

قال الزجاج(٣): وحقيقة هذا الكلام: أن الله تعالى جعل لكم من الأزواج بنين وَمَنْ يعاونُ على ما يُحتاج إليه بسرعة.

واختلفوا في الحَفَدَة؛ فقيل: هم الأصهار(٤)، أختان الرجل على بناته.

وقيل: هم الخدم(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩١). وانظر: الوسيط (٣/ ٧٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢١٢-٢١٣).

(٤) تفسير ابن عباس (ص:٣١٣).

(٥) وهو اختيار ابن جرير.

وقيل: بنو امرأة الرجل من غيره.

وقيل: ولد الولد. رويت هذه الأقوال عن ابن عباس[١]. والأول قول ابن مسعود وسعيد بن جبير[٢]، وأنشدوا:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحتْ لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثير

ولكنها نفسٌ عليَّ أبيةٌ عَيوفٌ لأصْهَار اللئام قَذُور[٣]

وقال ابن السائب ومقاتل[٤]: هم كبار الأولاد، والبنون: صغارهم.

ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم، كأنه قيل: جعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حَفَدة. قاله ابن قتيبة[٥].

قوله تعالى: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار

---

(١) أخرج الطبري هذه الأقوال في تفسيره (١٤/ ١٤٤-١٤٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩١-٢٢٩٢). وذكرها السيوطي في الدر (٥/ ١٤٨-١٤٩)، وعزا القول الأول والثالث والرابع لابن جرير وابن أبي حاتم. وعزا القول الثاني لابن جرير.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في سننه (٧/ ٧٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٤-٢٢٥)، والطبري (١٤/ ١٤٣، ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٤٨) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن مسعود.

(٣) البيتان لجميل، انظرهما في: البحر المحيط (٥/ ٤٨٤)، والدر المصون (٤/ ٣٤٧-٣٤٨)، والقرطبي (١٠/ ١٤٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٦٩)، وروح المعاني (١٤/ ١٩٠). وانظر البيت الأول في: اللسان، (مادة: حفد).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٦).

والحبوب والحيوان[1].

و«من» للتبعيض؛ لأن طيبات الدنيا بعضُ ما نسبه إلى جملة الطيبات الدنيوية والأخروية، وهي أنموذج لطيبات الجنة.

﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها والتقرب إليها بالذبائح وغيرها ﴿وبنعمة الله﴾ من القرآن ونبوة محمد ﷺ ﴿هم يكفرون﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً﴾ قال قتادة: يريد: الأصنام[2].

وقال مقاتل[3]: يريد: الملائكة.

وقوله: ﴿رزقاً من السموات والأرض﴾ يريد: المطر والأرض، ويريد الثمرات وأنواع الحبوب والنبات.

وقوله: ﴿شيئاً﴾ مفعول «رزقاً» إن جعلته مصدراً، ومثله: ﴿أو إطعام في يوم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧١).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

ذي مسغبة * يتيماً﴾ [البلد:١٤-١٥]. وإن أريد به المرزوق كان «شيئاً» بدلاً منه[1].

والمعنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً.

﴿ولا يستطيعون﴾ أي: لا يملكون ولا يستطيعون أن يملكوا؛ لأنهم جماد، وإنما وحّد «يملك» وجمع «يستطيعون»؛ نظراً إلى لفظ «ما» تارة، وإلى معناها أخرى.

قوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أي تُشَبِّهُوه بخلقه، فإن من ضرب المثل لشيء لا بد له من تشبيه حال بحال وقضية بقضية.

﴿إن الله يعلم﴾ ما يصح من ضرب الأمثال وما لا يصح ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

وقال ابن عباس: يعلم ما يكون قبل أن يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركْتُم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه[2].

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ أي: ضرب لكم في إشراككم به الأوثان مثل من سوَّى بين عبد مملوك لا يقدر على شيء من التصرف، وبين حر مالكٍ قد رزقه الله تعالى رزقاً حسناً فهو يتصرف فيه وينفق منه سراً وجهراً لا يخاف أحداً ولا يداجيه، ﴿هل يستوون﴾ يعني جنس العبيد والأحرار.

وقد روي عن ابن عباس: أن هذا مَثَل للمؤمن والكافر، فالذي لا يقدر على شيء هو الكافر؛ لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق الحسن هو المؤمن لما عنده من

(١) التبيان (٢/ ٨٤)، والدر المصون (٤/ ٣٤٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧١).

الخير[1].

وقال عطاء: «عبداً مملوكاً» هو: أبو جهل بن هشام، ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ أبو بكر الصديق[2].

فإن قيل: بماذا نصبت «عَبْداً»؟

قلت: بـ«ضرب»، فإنه بمعنى: جعل، ويكون مفعولاً ثانياً. ويجوز أن يكون عطف بيان.

فإن قيل: هلا اكتفى بقوله: «عبداً»؟

قلت: لتميزه من الأحرار، فإنهم عبيد الله تعالى.

فإن قيل: ما فائدةُ قوله: «لا يقدر على شيء»؟

قلت: إخراجُ المكاتب والمأذون له في التصرف.

فصل

وذهب جمهور العلماء إلى أن العبد لا يملك وإن مُلِّك؛ [احتجاجاً][3] بهذه الآية، وهو الصحيح من مذهب الأئمة الأربعة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٥٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧٢).

(٣) في الأصل: احتجا.

بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ ثم بيّنهما فقال: ﴿أحدهما أبكم﴾ قد ولد أخرس، فلا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ، ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الأوصاف التي سُلِبَها، ﴿وهو كلٌّ على مولاه﴾ ثِقَلٌ على وليه القائم بأموره ﴿أينما يوجهه﴾ لعجزه واختلاله.

وقرأ ابن مسعود: «يُوجِّهْ» على معنى: يُوجِّه وجهه[1].

وقرأ علقمة: بفتح الجيم، على معنى: أين ما يُرسَل[2].

﴿هل يستوي﴾ هذا الأبكم، ومن هو صحيح سليم الحواس، ذو رشد وأمانة وديانة ﴿يأمر بالعدل﴾ أي: بالسواء من الفعل والقول ﴿وهو﴾ مع ذلك ﴿على صراط مستقيم﴾. وهذا مثلٌ مضروب للصَّنَم العاجز والرب القادر.

وقيل: للمؤمن والكافر.

قال ابن عباس: نزلت في رجلين، فالأبكم: أسيد بن أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أسيد ينهاه عن النفقة في سبيل الله[3].

وقال عطاء: الأبكم: أبيّ بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٥٠٤)، والدر المصون (٤/ ٣٥٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥١-١٥٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

عفان، وعثمان بن مظعون، رضي الله عنهم[1].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة﴾ يعني القيامة ﴿إلا كلمح البصر﴾ وهو النظر بسرعة ﴿أو هو أقرب﴾ أي: هو في قدرة الله تعالى أقرب من لمح البصر.

قال الزجاج[2]: ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها.

﴿إن الله على كل شيء﴾ من الساعة وغيره ﴿قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ قد أشرنا إلى اختلاف القراء وتعليله في مثل هذا في سورة النساء[3].

وقوله: ﴿لا تعلمون شيئاً﴾ في محل الحال[4]، على معنى: أخرجكم جاهلين، ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ سبق الكلام على إفراد «السمع» وجمع

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢١٤).

(٣) آية رقم: ٢٣.

(٤) التبيان (٢/ ٨٤)، والدر المصون (٤/ ٣٥٠).

«الأبصار» في البقرة، وعلى «الأفئدة» في إبراهيم، ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمته حيث أوجدكم من العدم وخلقكم في أحسن الصور، وأخرجكم من ضيق الرحم إلى سعة الأرض.

قوله تعالى: ﴿ألم تروا[1] إلى الطير مسخرات﴾ مذلّلات للطيران ﴿في جو السماء﴾ وهو الهواء البعيد من الأرض، وفي معناه اللوح، ﴿ما يمسكهن﴾ قابضات وباسطات ﴿إلا الله﴾.

وقال ابن السائب: معناه: ما يمسكهن[2] أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة كما فعل بغيرهم إلا الله[3].

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ موضعاً تسكنون فيه من

(١) وهي قراءة حمزة وابن عامر، وقرأ الباقون بالياء.

(٢) في الأصل زيادة قوله: «إلا الله». وانظر: زاد المسير (٤/ ٤٧٦).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٧٦).

الحَجَر والمَدَر، ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ وهي القباب والخيم المتخذة من الأَدم[١]، ﴿تستخفونها يوم ظعنكم﴾ أي: سفركم.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «ظعْنكم» بإسكان العين، وفتحها الباقون[٢]، وهما لغتان كالشَّعْر والشَّعَر، والنَّهْر والنَّهَر.

قال أبو علي[٣]: ولا يجوز أن يكون الظَّعْنُ مخففاً من الظَّعَن، كما أن عَضْداً مخفف من عَضُد، وكتْفاً مخفف من كَتِف؛ لأن الفتحة لا تُستثقل كما تُستثقل الضمة والكسرة، كما أن الذي يقول: ﴿والليل إذا يسر﴾ [الفجر:٤] فحذف الياء استخفافاً، لا يقول إلا: ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل:١] بإثبات الألف؛ لأن الألف غير مستثقلة؛ لسهولة مخرجها، فكذلك الفتحة.

والمعنى: تستخفونها زمان سفركم وزمان إقامتكم.

﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً﴾ الأصواف للضأن، والأوبار للإبل، والشعر للمَعز.

قال ابن قتيبة[٤]: والأثاث: متاع البيت من الفُرِش والأَكْسِية.

قال الفراء[٥]: الأثاث: المتاع لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له.

---

(١) الأدم أو الأديم: الجلد ما كان، وقيل: المدبوغ (اللسان، مادة: أدم).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٣)، والكشف (٢/ ٤٠)، والنشر (٢/ ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٧٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٥).

(٣) الحجة (٣/ ٤٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ١٧١).

وقال أبو زيد: واحد الأثاث: أثاثة[١].

قال الخليل: أصله من الكثرة، ومنه: شعر أَثِيث[٢].

﴿ومتاعاً﴾ أي: وشيئاً ينتفعون به ﴿إلى حين﴾ انقضاء أعماركم أو انقضاء أوطاركم، أو إلى أن يبلى.

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال ابن عباس: ظلال الغمام[٣].

وقال قتادة: ظلال الشجر[٤]. واختاره الزجاج[٥].

وقال ابن السائب: ظلال البيوت[٦].

وقال أبو سليمان الدمشقي: هو عام في كل شيء له ظل[٧].

﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ وهي الكُهُفُ والغِيران والبيوت المنحوتة فيها، واحدها: كِنٌّ.

---

(١) الطبري (١٤/ ١٥٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢١٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

(٧) زاد المسير (٤/ ٤٧٧).

قال الزجاج[١]: ولا يجوز أن يكون واحدها [كناناً][٢]؛ لأن جمع الكِنان: أكِنَّة.

والمعنى: وجعل لكم ما يُكنكُم ويسترُكم ويقيكم الحر والبرد. وكلُّ شيء وقَى شيئاً وستَره فهو كِنّ.

﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ السرابيل: القُمُص المتخذة من القطن والكتان والصوف وغير ذلك، واحدها: سِرْبال. قال الشاعر:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي   حتى اكتسيتُ من الإسلام سِرْبَالا[٣]

قال أبو عبيدة[٤]: لم يقل لبيد في الإسلام غير هذا البيت، وكان قد عمّر مائة وخمسين سنة.

قال الحافظ ابن عبد البر[٥]: وقيل: إن هذا الشعر لقردة بن نفاثة السلولي. وهو الصواب.

قال[٦]: وكان قردة شاعراً قدم على النبي ﷺ في جماعة من بني سلول، فأمَّره عليهم بعد أن أسلم وأسلموا، وأنشأ يقول:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢١٥).

(٢) في الأصل: كناً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: القرطبي (١/ ١٥٣)، والطبري (٣/ ٤٥)، ونسبه للنابغة الجعدي، والإصابة (٥/ ٦٧٥).

(٤) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٣٣٥).

(٦) أي: الحافظ ابن عبدالبر في: الاستيعاب (٣/ ١٣٠٥-١٣٠٦).

بانَ الشبابُ فلم [أحْفَل][1] به بالا ... وأقبلَ الشيبُ والإسلامُ إقبالا
وقد أروي نديمي من مُشَعْشِعَة ... وقد أُقلِّبُ أوراكاً وأكفالا
الحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسيتُ من الإسلام سِرْبالا[2]

وهو الذي يقول:

أصبحتُ شيخاً أرى الشخصينِ أربعةً ... والشخصُ شخصينِ لما مسَّني الكبر
وكنتُ أمشي على الساقين مُعتدلاً ... فصرتُ أمشي على ما تُنبتُ الشجر[3]
إذا أقومُ عَجَنْتُ الأرضَ متكئاً ... على البراجِم[4] حتى يذهبَ النَّفَر

وقال الزجاج[5]: كل ما لَبِسْتَه فهو سِرْبال، من قميص أو دِرْع أو جَوْشَن[6] أو غيره، ولم يقل: وتَقِيكم البرد؛ لأن ما وَقَى الحر فهو يقِي البرد.

وقيل: إنما خص الحر؛ لأنهم كانوا في مكاناتهم [أكثر][7] معاناة للحرِّ من البرد.

﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يريد: الدروع، تقيكم شدة الطَّعْن والضرب والرمي، ﴿كذلك﴾ مثل ما أنعم به عليكم من هذه الأشياء ﴿يتم نعمته عليكم﴾ في

---

(١) في الأصل: أجعل. والتصويب من الاستيعاب (٣/ ١٣٠٥)، وانظر مصادر تخريج البيت.
(٢) انظر الأبيات في: كتاب الزهد الكبير للبيهقي (٢/ ٢٤٧)، والإصابة (٥/ ٤٣٠).
(٣) يقصد أنه صار مسناً يتوكأ على عصا.
(٤) البراجم: هي مفاصل الأصابع (اللسان، مادة: برجم).
(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢١٥).
(٦) الجوشن: اسم الحديد الذي يُلبس من السلاح (اللسان، مادة: جشن).
(٧) زيادة من زاد المسير (٤/ ٤٧٨).

الدنيا ﴿لعلكم تسلمون﴾.

قال ابن عباس: لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره، فَتُوَحِّدُوه وتصدقوا رسوله ﷺ[١].

قال الشيخ أبو الفرج[٢] رحمه [الله][٣]: ولو قيل إنه خطاب للمسلمين جاز، فالمعنى: لعلكم تدومون على إسلامكم.

والأول أرجح؛ للآية التي تليها.

وقرأ ابن عباس: «لعلكم تَسْلَمُون» بفتح التاء واللام[٤]، على معنى: لعلكم تَسْلَمُون من الجِراح بلبْس الدروع، أو تَسْلَمُون من العذاب، أو من الشرك المُفْضي إليه.

قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال مجاهد والسدي والزجاج[٥]: يعرفون أن أمر محمد ﷺ حق، ثم ينكرون ذلك[٦].

وقال ابن السائب: يعرفون ما ذكر من النعم في هذه السورة وأنها كلها من الله

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٧٨).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٧٨). وردّ هذه القراءة ابن جرير (١٤/ ١٥٦) وقال: والقراءة التي أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله: ﴿لعلكم تسلمون﴾ وكسر اللام، مِنْ أسلمت، تُسلِم يا هذا؛ لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليها.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢١٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٥٧) عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٥٥-١٥٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن السدي.

عز وجل، ثم ينكرونها بقولهم بشفاعة آلهتنا[١].

وقيل: إنكارهم لها، قولهم: ورثناها عن آبائنا.

وقيل: قولهم: لولا فلان ما أصبتُ النعمة الفلانية، وأمثال ذلك[٢].

﴿وأكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون بقلوبهم.

وقال الحسن: المعنى: وجميعهم الكافرون[٣].

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ

(١) زاد المسير (٤/ ٤٧٩).

(٢) والقول الأول هو أولى الأقوال بالصواب عند ابن جرير.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٩).

قال الرازي: فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ مع أنه كان كلهم كافرين؟ قلنا: الجواب من وجوه:

الأول: إنما قال: ﴿وأكثرهم﴾ لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف، أو كان ناقص العقل معتوهاً، فأراد بالأكثر: البالغين الأصحاء.

الثاني: أن يكون المراد بالكافر: الجاحد المعاند، وحينئذ تقول: إنما قال: ﴿وأكثرهم﴾ لأنه كان فيهم من لم يكن معانداً، بل كان جاهلاً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله.

الثالث: أنه ذكر الأكثر، والمراد: الجميع؛ لأن أكثر الشيء يقوم مقام الكُلّ، فذكر الأكثر كذكر الجميع، وهذا كقوله: ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [النحل:٧٥]. انظر: الرازي (٢٠/ ٧٧).

لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ نبياً يشهد لها وعليها بالإيمان والتصديق، والكفر والتكذيب.

﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار، لأنهم لا عذر لهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم، أي: يرضوه. وسنذكر إن شاء الله تصاريف هذه الكلمة عند قوله: ﴿وإن يستعتبوا﴾ في حم السجدة[1].

قوله تعالى: ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ يعني المشركين إذا رأوا النار ﴿فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾ أي: يُمْهَلُون ويُؤَخَّرُون.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله عز وجل وعبدوها من دونه، فإن الله يبعث يوم القيامة كل معبود في الدنيا.

وقيل: المراد بشركائهم: شياطينهم وشركاؤهم في الكفر.

﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك﴾ أي: نعبد، ﴿فألقوا إليهم القول﴾ أجابوهم وقالوا لهم متبرئين من عبادتهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ فأنطقهم الله تعالى بإنكار عبادتهم إياهم ترغيماً وتصغيراً، وإظهاراً لفضيحتهم، ونظيرُه: ﴿سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم:٨٣].

قال الزمخشري[2]: إن قلت: قد عبدوهم على الصِّحَّة، فلم قالوا: «إنكم

---

(١) الآية رقم: ٢٤، في سورة فصلت.

(٢) الكشاف (٢/ ٥٨٥).

لكاذبون»؟

قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة. والدليل عليه قول الملائكة: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ [سبأ:٤١] يعنون: أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا. أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله عز وجل عن الشَّريك.

وإن أريد بالشركاء: الشياطين، جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم: «إنكم لكاذبون»، كما يقول الشيطان: ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ [إبراهيم:٢٢].

﴿وألقوا إلى الله﴾ يعني: المشركين ﴿يومئذ السلم﴾ استسلموا لأمر الله يوم القيامة وانقادوا له خاضعين بعد إبائهم واستكبارهم في الدنيا.

﴿وضل عنهم﴾ زال وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن لله شركاء وأنها تشفع لهم عنده وتنصرهم.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ[1].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨١).

﴿زدناهم عذاباً﴾ مضاعفاً عليهم بسبب ضلالهم وإضلالهم ﴿فوق العذاب﴾ المعدّ لأهل الضلال ﴿بما كانوا يفسدون﴾ في الدنيا بالكفر والفجور والصد عن سبيل الله.

قال ابن مسعود: زيدوا حيات كأمثال الفيلة، وعقارب كأمثال البغال[1].

وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى الزَّمْهَرير[2]، [فيتبادرون][3] من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ يريد: الأنبياء، كما سبق آنفاً.

﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ الأمة. وهذا وقف التمام.

وقد تكلمنا على هذا المعنى فيما سبق.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ يعني: لكل شيء من أمر الدين، إما نصاً وإما دلالة وإحالة على السُّنَّة، فإن الكتاب العزيز اشتمل على الأمر بالانتهاء إليهما والاعتماد عليهما. قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر:٧].

قال الزجاج[4]: التبيان: اسم في معنى البيان. ويجوز فتحه في غير القرآن،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٨١).

(٢) الزمهرير: شدة البرد (اللسان، مادة: زمهر).

(٣) في الأصل: فيبادون. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٨٢).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢١٧).

ونظيره كسر أوله: «تِلْقَاء».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ قال ابن عباس: «العدل»: شهادة أن لا إله إلا الله، و«الإحسان»: أداء الفرائض(١).

وقال في رواية أخرى: «العدل»: الحق، و«الإحسان»: العفو(٢).

وقال سفيان بن عيينة: «العدل»: استواء السر والعلانية في العمل لله. و«الإحسان»: أن تكون السريرة أحسن من العلانية، و«الفحشاء والمنكر»: أن يكون علانيته أحسن من سريرته(٣).

﴿وإيتاء ذي القربى﴾ صلة الأرحام، ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ وهو ما قَبُحَ من الأفعال والأقوال.

قال ابن عباس: هو الزنا(٤).

﴿والمنكر﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سُنَّة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٨٣).

(٣) الطبري (١٤/ ١٦٣)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٣-٤٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩). وانظر: الوسيط (٣/ ٧٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

وقال مقاتل[١]: هو الشرك.

وقال [ابن السائب][٢]: هو ما وعد الله عليه النار[٣].

﴿والبغي﴾ الظلم. وقد ذكرنا ما ورد في الزواجر عنه في يونس[٤].

﴿يعظكم﴾ قال ابن عباس: يؤدبكم[٥]، ﴿لعلكم تذكرون﴾قال ابن مسعود: هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير ولشر[٦].

ولما سمع الوليد بن المغيرة هذه الآية مع شدة كفره ونفرته عن اتباع محمد ﷺ، وأنفته من الانقياد لرجل من بني هاشم، قال: ما هذا بقول البشر.

ولله درّ عمر بن عبد العزيز ما أرجحه، ودليل توقيفه ما أوضحه، حيث سَنَّ قراءة هذه الآية مُسْقطاً بها ما مرن عليه بنو مروان من الفحشاء والمنكر والبغي بسبِّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبهم، ومقيماً لها مقام لعنتهم إياه على الأعواد في الجُمَع والأعياد.

قرأتُ على الشيخ أبي العز يوسف بن سوار بن عبيد البلوي الصعيدي برأس

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٥).

(٢) في الأصل: مقاتل. والمثبت من زاد المسير (٤/ ٤٨٤). وانظر: البحر المحيط (٥/ ٥١٣).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٨٤).

(٤) آية رقم: ٢٣ و ٩٠.

(٥) زاد المسير (٤/ ٤٨٤).

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٣)، والحاكم (٢/ ٣٨٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٠) وعزاه لسعيد بن منصور والبخاري في الأدب ومحمد بن نصر في الصلاة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

عين سنة ثلاث عشرة وستمائة، أخبركم أبو الفتح أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الحنبلي المدرّس بالمدرسة النورية بحرّان[١] سنة سبعين وخمسمائة فأقرَّ به، أخبرنا أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني[٢] سنة تسع وخمسمائة، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بباب المراتب[٣]، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حمويه سنة خمسين وسبعين وثلاثمائة قال: قرأ عَلَيَّ [أبو][٤] بكر محمد بن خلف بن المرزبان وأنا أسمع في صفر سنة ثمان وثلاثمائة بباب المحول[٥]، حدثني محمد بن إسحاق المديني، حدثنا أبو عبد الرحمن العايشي، عن أبيه قال: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، ما المروءة؟ فقال: قد فرغ الله عز وجل لك منها اقرأ: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن

(١) حران: مدينة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة أخذها مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها، فعربت فقيل: حران (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).

(٢) محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني، أبو الخطاب البغدادي، كان حسن الأخلاق، مليح النادرة، سريع الجواب، حادّ الخاطر، غزير العقل، جميل السيرة، مرضيّ الفعال، محمود الطريقة، وحدّث بالكثير، توفى يوم الأربعاء ثالث عشري جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة، وترك يوم الخميس وصُلّي عليه يوم الجمعة فى جامع القصر، ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضى الله عنه (المقصد الأرشد ٣/ ٢٠-٢٣).

(٣) باب المراتب: هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجلّ أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر (معجم البلدان ١/ ٣١٢).

(٤) في الأصل: أبي.

(٥) باب المحول: محلة كبيرة منفردة بجنب الكرخ، وكانت متصلة بالكرخ أولاً (معجم البلدان ٥/ ٦٦).

الفحشاء والمنكر والبغي﴾، هذه المروءة.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عثمان بن أبي العاص قال: « كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره، ثم صوبه حتى كاد يلزقه بـالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إن الله يأمر بالعدل ... الآية﴾ »[1].

وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ قال مجاهد: نزلت في حلف الجاهلية[2].

والمعنى: أوفوا بما عاهدتم الله عليه مما يلزم الوفاء به؛ كبيعة النبي ﷺ وبكل ما يحسن فعله.

قال ابن عباس: والوعد من العهد[3].

﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم على

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٨).

(٢) الطبري (١٤/ ١٦٤)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨٤).

اليمين. يقال وَكَّدْتُ الشيء وأَكَّدْتُه تَوْكِيداً وتَأْكيداً[١]، والأصل الواو، والهمزة بدل منها، ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ شهيداً ورقيباً، والواو للحال ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ من النقض والوفاء وغيرهما من الأشياء.

﴿ولا تكونوا﴾ في نقض الأيمان بعد التوكيد ﴿كالتي نقضت غزلها﴾ وهي امرأة من قريش. وقيل: من بني مُرَّة اسمها: ريطة، وقيل: رائطة، وكانت حمقاء خرقاء، معروفة بذلك عند أهل مكة، وكانت اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وصنارة مثل الإصبع، وكانت تغزل الغزل من القطن والصوف والشعر والوبر، وتأمر جواريها بذلك إلى نصف النهار، ثم تأمرهنّ بنقض ما غزلْن، فكان ذلك دأبها، فضربت مَثَلاً لناقض العهد.

﴿من بعد قوة﴾ أي: إحكام وإبرام ﴿أنكاثاً﴾ جمع نِكْث، وهو ما نكث، أي: نقض بعد فتله غزلاً أو حبلاً.

﴿تتخذون أيمانكم﴾ حال، ﴿دخلاً بينكم﴾ ثاني مفعولي «تتخذون»، التقدير: ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلاً بينكم خديعة بينكم.

﴿أن تكون أمة هي أربى﴾ قال الزجاج[٢]: موضع «أربى» رفع. وزعم الفراء[٣] أن موضع «أربى» النصب [و«هي» عماد][٤]. وهذا خطأ، [«هي» لا

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وكد).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢١٨).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١١٣).

(٤) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٢١٨).

تدخل][1] عماداً[2] [ولا فصْلاً][3] مع النكرات، وشبه بقوله: ﴿تجدوه عند الله هو خيراً﴾ [المزمل:٢٠]، و ﴿تجدوه﴾ الهاء فيه معرفة، وأمَّة نكرة.

قال ابن قتيبة: المعنى: لا تكون أمة هي أربى، أي: أزيد عَدداً وعُدداً ومالاً ورجالاً من أمة.

قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثرَ منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنُهوا عن ذلك[4].

﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي: يختبركم بكونهم أربى وأكثر، ليعلم أتتمسكون بحبل العهد فتمضونه، أم ترفضونه فتنقضونه.

﴿وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون﴾ من البعث وغيره.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن
يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ

---

(١) في الأصل: هو لا يدخل، والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٢١٨).

(٢) العماد: هو ضمير الفصل عند البصريين.

(٣) في الأصل: وفضلاً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٦٧)، ومجاهد (ص:٣٥١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أمة حنيفية مسلمة. قال ابن عباس: على دين واحد[١].

﴿ولكن يضل من يشاء﴾ قال الواحدي[٢]: هذا صريح في تكذيب القَدَرية، حيث أضاف الضلالة والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن يشاء من خلقه بالمشيئة الأزلية.

﴿ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ المعنى: وتُجازُون عليه.

ثم إنه سبحانه وتعالى كرر النهي عن أيْمان الخديعة والمكر فقال: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم﴾ عن طريق العهدى ﴿بعد ثبوتها﴾ عليها.

قال أبو عبيدة[٣]: يقال لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في وَرْطة بعد سلامة: زَلَّتْ به قدمه.

﴿وتذوقوا السوء بما صددتم﴾ أي: بصدكم ﴿عن سبيل الله﴾ وخروجكم عن الدين، أو بصدكم غيركم من المقتدين بكم المرتدين بسببكم.

قال المفسرون: وهذا نهي للذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة أن ينقضوا بيعتهم[٤].

ولما كانت الرغبة في الدنيا والمنافسة في الاستكثار منها والطلب لِلَذَّاتِها، من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٨٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٨٧).

أعظم الأسباب الباعثة للإنسان على نقض الأيمان، زجرهم الله تعالى عنها ونبههم على ما هو خير لهم منها، فقال: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ أي: عَرَضاً يسيراً من الدنيا ﴿إنما عند الله﴾ من حسن الثواب والثناء والجزاء على الوفاء ﴿خير لكم﴾ من ثمن قليل سريع الزوال والفناء ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ذلك.

﴿ما عندكم ينفد﴾ أي: يفْنَى وينقطع، ﴿وما عند الله﴾ من خزائن رحمته ﴿باق﴾ دائم لا ينقطع ﴿وليجزين﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: «ولنجزين» بالنون(١).

والمعنى: وليجزين ﴿الذين صبروا﴾ على التمسك بالعهد ومشاق الإسلام ومضايق ما نيط به من الأحكام وأذى المشركين وغير ذلك ﴿أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ في الدنيا ويتجاوز عن سيئاتهم.

وقيل: إن قوله: «بأحسن ما كانوا يعملون» إشارة إلى مضاعفة الجزاء، كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام:١٦٠]، فهذا هو الأحسن.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال علي عليه السلام ومجاهد ووهب وعكرمة: هي القناعة(٢).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٣)، والكشف (٢/ ٤٠)، والنشر (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١) عن علي، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١)، والحاكم (٢/ ٣٨٨)، =

وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه»[١].

وقال الضحاك: هو أن يأكل حلالاً ويلبس حلالاً[٢].

وقيل: هي السعادة[٣]. والأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

وقيل: الجنة.

وقال الحسن: لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة[٤].

والأول أظهر[٥]؛ لقوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ كأنه

= والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٩١) كلهم عن ابن عباس. وانظر: الوسيط (٣/ ٨١)، وزاد المسير (٤/ ٤٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن عباس.

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٨ ح٣٣٦٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٠-١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير عن الضحاك. ومن طريق آخر عن ابن عباس؛ وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) وهو اختيار ابن جرير، قال: وأولى الأقوال بالصواب؛ قول من قال: تأويل ذلك: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ بالقناعة. وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على مالاً لعله لا يدركه فيها (الطبري ١٤/ ١٧٢).

وعدهم ثواب الدنيا وثواب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ [آل عمران:١٤٨].

فإن قيل: على هذا ما تصنع بقوله عليه السلام: ((نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل))[١]. فأين الحياة الطيبة مع شدة البلاء؟

قلت: المؤمن الصالح إما مُنْعَمٌ عليه فيشكر، وإما مُبْتَلى فيرضى ويصبر، ثقة منه بثواب الله وحسن جزائه، وعلماً منه بفناء الدنيا وهونها على الله.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[٢] بإسناده: « أن أبا الدرداء كان يقول: أحب الموت وتكرهونه، وأحب السقم وتكرهونه، وأحب الفقر وتكرهونه ».

وكان حذيفة يقول: «إن أقرّ أيامي لعيني يوم أدخل على أهلي وهم يشكون إليّ الحاجة»[٣].

ودخلوا على سويد بن شعبة وقد أضنى على فراشه، فلولا أن امرأته كلَّمَتْه ما علموا أن تحت الثوب أحداً، فقال: والله ما أحب أن الله نقصني منه قلامة ظفر[٤].

ودخلوا على عابد مبتلى، فقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وكل عرق مني يألم على حدة، وأحبه إليّ أحبه إلى الله[٥].

وأخبار الراضين بالقضاء يفوت حد العدد والإحصاء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ ح٢٣٩٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٤ ح٤٠٢٣).

(٢) الزهد (ص:١٧١).

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه (٧/ ٢٣١ ح١٠١٢١).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (ص:٣٥٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٨٧).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أي: إذا أردت قراءته، كقوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ [المائدة:٦]، و﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق:١]، ومثله: إذا أكلت فقل: بسم الله. وهذا قول جمهور العلماء.

ويروى عن أبي هريرة: أن الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة، أخذاً بظاهر اللفظ، وإليه ذهب داود[(١)].

وقد فسرنا الاستعاذة في مقدمة الكتاب.

قوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ أي: ليس للشيطان على المؤمنين سلطان وولاية، كما قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ وقد فسرناه في الحِجْر[(٢)].

﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ في حراستهم منه. جَعَلَ سبحانه الإيمان والتوكل عليه سبباً مانعاً من تسلط اللعين واستيلائه، ودفْعاً لشر إضلاله وإغوائه.

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ بطاعته ﴿والذين هم به﴾ أي: بالله

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٢-٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٠).

وداود هو: ابن علي بن خلف الفقيه الظاهري، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، توفي سنة ٢٧٠هـ (انظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧-١٠٨)، ولسان الميزان (٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) آية رقم: ٤٢.

﴿مشركون﴾. هذا قول مجاهد[(١)]. وهو من باب ما جاء في التنزيل من الضميرين المختلفين؛ كقوله: ﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده﴾ [التوبة:٤٠] فالهاء الأولى للصِّدِّيق، والثانية للرسول ﷺ، وكقوله: ﴿الشيطان سوّل لهم وأملى لهم﴾ [محمد:٢٥] فالضمير في «سوّل» للشيطان، وفي «أملى لهم» لله عز وجل، وكقوله: ﴿ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه﴾ [الفتح:٩][(٢)].

وقيل: المعنى: والذين هم به، أي: بسبب إغوائه وإضلاله مشركون، فيتّحد الضميران، وهو قول ابن قتيبة.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ قال ابن السائب وغيره: كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم [نزلت][(٣)] آية ألين منها ناسخة لها، قال كفار مكة: والله إن محمداً يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر ويأتيهم غداً بما هو أهون منه، فنزلت هذه الآية[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٥)، ومجاهد (ص:٣٥١) ولفظه: يعدلون بالله عز وجل. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩١)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بالتاء في أربعتهن.

(٣) في الأصل: نزل.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٤)، وأسباب نزول القرآن (ص:٢٨٨)، وابن الجوزي في زاد =

﴿والله أعلم بما ينزل﴾ من الناسخ والمنسوخ على حسب مصالح الناس على اختلاف الأوقات، فإنه قد يكون ما هو مصلحة اليوم مفسدة غداً، وبالعكس.

﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾ كاذب ﴿بل﴾ ردٌّ لقولهم ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله أنزله ولا يعلمون فائدته.

﴿قل نزله﴾ يعني: القرآن ﴿روح القدس﴾ مُفسر في البقرة[1] ﴿من ربك بالحق﴾ أي: ملتبساً بالحكمة فهو في محل الحال ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ بما فيه من الحجج والبراهين.

﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ مفعول لهما، ومحلهما النصب عطفاً على محل «ليثبت»[2]، تقديره: نزله تثبيتاً وهدى ورحمة.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ يعني: قريشاً، يقولون: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ قال ابن عباس: يريدون غلاماً لبني المغيرة، يقال له: يعيش[3].

= المسير (٤/ ٤٩١).

(١) آية رقم: ٨٧.

(٢) التبيان (٢/ ٨٥)، والدر المصون (٤/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٨) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٢)، =

وقال في رواية أخرى: أرادوا غلاماً نصرانياً يقال له: بلعام، كان يدخل بمكة على النبي ﷺ[١].

وقال مقاتل[٢]: عنوا غلاماً لعامر بن الحضرمي، يكنى: أبا فكيهة، كان يهودياً.

وقال ابن زيد: عنوا رجلاً حداداً يقال له: بحنس النصراني[٣].

وقال عبدالله بن مسلم: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، اسم أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا صَيْقَلَين[٤] يقرآن الإنجيل، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما ويسمع قراءتهما، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما[٥].

قلت: ولا منافاة بين هذه الأقوال؛ لجواز أن تكون أقوال قريش تقسمت هؤلاء، فأكذبهم الله تعالى فقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يَلْحَدُون» بفتح الياء والحاء؛ يقال: ألحَدَ ولحَدَ؛ إذا مال عن القصد[٦]. ومنه: الملحِد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها. ومنه: ألحَدَ القبرَ ولحَدَه؛ إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه[٧].

والسيوطي في الدر (٥/ ١٦٧) وعزاه لابن جرير عن عكرمة، وفيه: «مقيس» بدل «يعيش».

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٦٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨).

(٣) زاد المسير (٤/ ٤٩٣).

(٤) الصَّيْقَل: شَحَّاذُ السيوف وجَلاَّؤُها (اللسان، مادة: صقل).

(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ١٧٨). وانظر: الوسيط (٣/ ٨٤-٨٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٩٣).

(٦) انظر: اللسان (مادة: لحد).

(٧) مثل السابق.

وقال الزجاج[١]: المعنى: «لسان الذي يلحدون إليه» يميلون القول إليه أعجمي.

وقال ابن قتيبة[٢]: لا يكاد عوام الناس يفرّقون [بين][٣] العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، فالأعجمي الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً، والأعرابي هو البدوي، والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً.

﴿وهذا﴾ يعني: القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يكون مقتبساً من أعجمي لا يفقه؟

قوله تعالى: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ هذا ردٌّ لقولهم: ﴿إنما أنت مفتر﴾، حَصَرَ سبحانه وتعالى الكذب فيهم وجعله وصفاً لازماً لهم، ولا نجد على الكذبة آية أشد من هذه، وقد أسلفنا في غضون كتابنا في الزجر عن الكذب ما فيه مقنع.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إياكم والكذب فإنه مجانبٌ للإيمان»[٤].

وقد روى الثعلبي والواحدي بإسنادهما عن يعلى بن الأشدق، عن عبدالله بن جراد قال: «قلت: يا رسول الله! المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك. قال: قلت: يا رسول الله! المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قال: قلت: يا رسول الله! المؤمن

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢١٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٩٤).

(٣) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٥ ح١٦).

يكذب؟ قال: لا، ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾»[١].

وقلت: وهذا الحديث لا يصح. قال ابن عدي الحافظ: يعلى بن الأشدق وعمه عبد الله بن جراد غير معروفين، وعبدالله بن جراد لا تثبت صحبته[٢].

وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ[٣]: لقي يعلى عبدالله بن جراد، فلما كبر اجتمع عليه من لا دين له، فوضعوا له شبيهاً بمائتي حديث نسخه عن ابن جراد، فجعل يحدث بها وهو لا يدري، لا تحل الرواية عنه بحال.

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿من كفر﴾ بدل من قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾، ويكون قوله: ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله، أو بدل من المبتدأ، وهو قوله: «وأولئك»، أو بدل من الخبر،

(١) أخرجه الثعلبي (٦/ ٤٤-٤٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٦٨) وعزاه للخرائطي في مساوئ الأخلاق وابن عساكر في تاريخه.

(٢) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٢٨٧)، وميزان الاعتدال (٧/ ٢٨٤).

(٣) المجروحين (٣/ ١٤٢).

وهو قوله: «هم الكاذبون»[(١)]. ويجوز أن يكون شرطاً، والجواب محذوف؛ لأن جواب «من» شرح دالٌ عليه، تقديره: من كفر فعليهم غضب إلا من أكره[(٢)].

﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أقوام أكرههم أهل مكة على الارتداد عن الإسلام، وكان فيهم من نطق بالكفر معتقداً للإيمان؛ كعمار بن ياسر، عذّبه المشركون، ولم يزالوا به حتى سَبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم أتى رسول الله ﷺ [فقال][(٣)]: ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فقال له: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان، قال: فإن عادوا لك فعُد لهم لما قلت[(٤)].

ومنهم من صبر واحتسب حتى قتل كياسر وسمية أبوي عمار، وهما أول قتيلين في الإسلام.

فإن قيل: أيّ الفعلين أولى فعل عمار أو فعل أبويه؟

قلت: بل فعل أبويه. نص عليه الإمام أحمد في أسير خُيّر بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر فله الرخصة[(٥)].

ودليل الأولوية في جانب العزيمة ما يتضمن من إعزاز الإسلام وإظهار كلمة الحق وبذل النفس لله تعالى رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه.

---

(١) التبيان (٢/ ٨٦)، والدر المصون (٤/ ٣٦٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٩ ح٣٣٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٠٨).

(٥) القواعد والفوائد الأصولية (ص:٤٩)، والمدخل لابن بدران (ص:١٦٨).

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الغضب والعذاب العظيم.

وقيل: إشارة إلى الشرح والكفر.

﴿بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ آثروها عليها، ﴿وأن الله﴾ أي: وبأن الله ﴿لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يريد هدايتهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ وقد فسرناه في البقرة، ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي: هم الكاملون في غفلتهم.

قال ابن عباس: هم الغافلون عما يراد بهم[1].

والآية التي بعدها سبق تفسيرها[2].

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ أي: هو لهم بالنصر والمعونة والمغفرة. والمعنى: هاجروا إلى رسول الله ﷺ من بعد ما فتنوا في مكة بأنواع الأذى والعذاب والإكراه على الكفر، وهم المستضعفون من المؤمنين، كعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن [سهيل][3] بن عمرو، وعبدالله بن أسيد الثقفي.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٧).

(٢) سبق تفسيرها في سورة هود عليه السلام (٣/ ١٤١).

(٣) في الأصل: سهل. والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤٩٨). وانظر: ترجمته في: الثقات (٣/ ٤٥٢).

وقرأ ابن عامر: «من بعد ما فَتَنوا» بفتح الفاء والتاء[1]، أي: فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الكفر تقية، لأن الرخصة في ذاك لم تكن نزلت بعد.

وقيل: فتنوا غيرهم ليرتدوا.

﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ معك على الجهاد والدين ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد هذه الأفعال من الهجرة والجهاد والصبر ﴿لغفور رحيم﴾.

فإن قيل: أين خبر «إن» التي في أول الآية؟

قلت: «غفور رحيم»، وهذا من باب ما جاءت «إن» فيه مكررة في التنزيل، ومثله: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا ... الآية﴾، ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾ [الأنفال:٤١]، ومثله: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾ [التوبة:٦٣]، وقوله: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله﴾ [الحج:٤]، قوله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ [المؤمنون:٣٥].

قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ العامل في الظرف «غفور رحيم»، أو مضمر تقديره: اذكر يا محمد يوم تأتي كل نفس صالحة وطالحة تجادل عن نفسها لا يهمها غيرها[2].

وقد روي: «أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٥)، والكشف (٢/ ٤١)، والنشر (٢/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٠-٢٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٥-٣٧٦).

(٢) التبيان (٢/ ٨٦)، والدر المصون (٤/ ٣٦٢).

الأحبار: خوفنا؟ فقال: إن لجهنم زفرة ما يبقى ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ إلا وقع جاثياً على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ﷺ ليدلي بالخلة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي، وأن تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ »[١].

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ وهي مكة، في قول جمهور المفسرين[٢].

وقال الحسن: قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله تعالى عليهم الجوع حتى كانوا [يأكلون][٣] ما يقعدون[٤].

وقد تكلمنا على إعراب هذا فيما سبق من هذه السورة[٥].

﴿كانت آمنة﴾ ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم، كقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ [العنكبوت:٦٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٩، ٥٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٤) وعزاه لابن جرير.

(٣) زيادة من زاد المسير (٤/ ٤٩٩).

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٩٩).

(٥) عند قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً﴾ [آية رقم: ٧٥].

﴿مطمئنة﴾ أي: لا يزعجها خوف ولا ضيق، ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ واسعاً ﴿من كل مكان﴾؛ كقوله تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ [القصص:٥٧] وذلك كله بدعوة إبراهيم ﷺ، ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ قال أبو عبيدة[١]: هو جمع نُعم.

وقال الزجاج[٢]: جمع نعمة.

وقال ابن قتيبة[٣]: ليس هذا بشيء، لأن فِعْلَة لا تجمع على أفْعُل، وإنما هو جمع نِعَم يقال: يوم نِعَم ويوم بؤس، ويجمع [أنعماً وأبؤساً][٤].

﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوفَ» بالنصب، عطفاً على «لباس»[٥]، وذكر اللباس للإشعار باشتمال ما غشيهم من الجوع والخوف عليهم.

قال ابن قتيبة: لباس الجوع والخوف: ما ظهر عليهم من سوء آثارهما.

قال المفسرون: عذبهم الله تعالى بالجوع سبع سنين، حتى أكلوا الجِيَف والعظام المحْرَقة[٦].

وأشعر الله تعالى قلوبهم الخوف من رسوله والمؤمنين ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من الكفر بالله تعالى، وتكذيب رسوله ﷺ، والتضييق على المؤمنين القائمين بنصره،

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٢١).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٠).

(٤) في الأصل: أنعاماً وأبؤاساً. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠١).

حتى حرّموا مناكحة بني هاشم ومبايعتهم، وألجؤوهم إلى الشِّعب، وكتبوا تلك الصحيفة الظالمة القاطعة، إلى أن قام بنقضها ملأ من أشراف قريش، ولهم قصة معروفة عند أهل العلم.

وقد روى سليم بن نمير قال: «صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمانُ رضي الله عنه محصورٌ بالمدينة، فرأت راكبين فسألتهما عنه، فقالا: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إنها تعني المدينة للقرية التي قال الله تعالى فيها في كتابه: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة﴾»(١).

وقلت: وهذا من حفصة على سبيل التمثيل، لا على وجه التفسير للآية.

قال ابن الجوزي رحمه الله(٢): يعني: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ بقتل عثمان.

﴿ولقد جاءهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿رسول منهم﴾ وهو محمد ﷺ ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾ قال ابن عباس: يعني: الجوع(٣).

وقال مجاهد: ما أصابهم يوم بدر(٤).

﴿وهم ظالمون﴾ مبتدأ وخبر في محل الحال، أي: أخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٨٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠١).

(٤) مثل السابق.

فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا
تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ
قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن
قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ
مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ أي: كلوا يا معشر المسلمين مما رزقكم الله من الأنعام والزروع وغيرها، أو يكون ذلك صاداً لهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الباطلة في تحريم ما أحل الله تعالى من الأنعام والزروع.

ويدل على صحة هذا التأويل الآية التي بعدها(١)، والآيتان مفسرتان في سورة البقرة(٢).

قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ قال ابن الأنباري(٣): اللام في «لما» بمعنى: من أجل، [وتلخيص الكلام: ولا تقولوا هذه الميتة حلال

(١) وهي: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به...﴾.
(٢) عند الآية: رقم: ١٧٢ و ١٧٣.
(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٢).

وهذه البحيرة حرام من أجل][1] تكذيبكم وإقدامكم على الوصف والتخرص لما لا أصل له، فَجَرَتْ اللام هاهنا مجراها في قوله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات:٨]، أي: وإنه من أجل حب الخير لبخيل، و«ما» بمعنى المصدر، و«الكذب» منصوب بـ«تصف»، والتلخيص: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب.

وقال الزمخشري[2]: انتصاب «الكذب» بـ«لا تقولوا» على الله: ولا تقولوا الكذب لما تصف ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم: ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ [الأنعام:١٣٩]، [من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه][3].

[وقوله: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾][4] بدل من «الكذب».

وقرأ ابن عباس: الكُذُبُ، بضم الكاف والذال والباء، جعله نعتاً للألسنة[5].

وقرأ الحسن البصري: الكَذِبِ، بفتح الكاف وكسر الذال والباء، صفة لـ«ما» المصدرية[6]، كأنه قيل: لوصفها الكذب، يعني: الكاذب.

﴿لتفتروا﴾ لام العاقبة ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾؛ لأن

---

(١) زيادة من زاد المسير (٤/ ٥٠٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٩٨).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وقولكم: هذا حرام وهذا حلال. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) زاد المسير (٤/ ٥٠٢)، والبحر المحيط (٥/ ٥٢٧).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١).

ما هم فيه من النعيم [سيزول][(١)] وينقطع، وهو قوله: ﴿متاع قليل﴾ أي: منفعته متاع قليل، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ وذلك في سورة الأنعام في قوله: ﴿حرمنا كل ذي ظفر ... الآية﴾ [الأنعام:١٤٦].

وقوله: «بجهالة» في محل الحال[(٢)].

﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد التوبة أو الجهالة.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

وما لم أذكره سبق تفسيره إلى قوله: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ كان وحده أمّة من الأمم، اجتمع فيه ما تفرق في الأمم من صفات الخير ونعوت البركة، كما قيل:

وليسَ لله بمستنكرٍ ... أن يَجْمَعَ العالمَ في واحد[(٣)]

وكما قيل:

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٦٥).

(٣) ويروى البيت: (وليس على الله)، بدل: (وليس لله). انظر: الكشاف (٢/ ٥٩٩)، والبحر (٥/ ٥٢٩)، ومعاهد التنصيص (٢/ ١٣٩)، والتصريح (١/ ١٥)، وحاشية الشهاب (٥/ ٣٧٩)، والدر المصون (٤/ ٣٦٦)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٠).

.... وواحد كالألف إن أمر عنا[١]

وقال مجاهد: كان وحده مؤمناً، والناس كلهم كفار[٢].

وقيل: المعنى: كان مؤتماً به، فهو فُعْلَة في معنى: مفعول، كالنُّخْبَة والرُّحْلَة.

قال ابن مسعود: الأمّة: الذي يُعَلِّمُ الخير[٣].

﴿قانتاً﴾ مطيعاً ﴿لله حنيفاً﴾ مائلاً إلى التوحيد والطاعة. وقد سبق ذكر الحنيف في البقرة.

وفي قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ تكذيب لكفار قريش، فإنهم كانوا يقولون: إنهم على ملته.

﴿شاكراً لأنعمه﴾ بدل من «أمّة»، ﴿اجتباه﴾ اختصه للنبوة واصطفاه للخلّة، ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ وهو دين الإسلام.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ وهي التنويه بذكر الثناء عليه، حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويصلّون عليه. هذا معنى قول ابن عباس وقتادة[٤].

---

(١) عجز بيت، وصدره: (والناس ألف منهم كواحد) انظر البيت في: روح المعاني (١٩/ ١٠٥، ٢٨/ ٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٦)، والحاكم (٣/ ٣٠٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٥٩-٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٦) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٧) كلاهما عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ١٧٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن

وقال الحسن: هي النبوة[1].

وقيل: قول المصلِّي: «كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وكما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم».

ويحتمل عندي أن تكون الحسنة: ما كُرِّمَ به وشُرِّفَ من كون سيد بني آدم المبعوث إلى الأحمر والأسود مأموراً بمتابعته ومشايعته، وذلك قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾.

ويجوز عندي أيضاً أن تكون الحسنة: ما اختصه الله به من الخِلَّة التي لم يشاركه أحد قبله فيها.

وفي قوله: ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ دليل واضح على أن نبينا كان مأموراً بمتابعة دين إبراهيم فيما لم يأته فيه وحي.

وقال محمد بن جرير[2]: أمر باتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام.

وقال عبدالله بن عمرو: أمر باتباعه في مناسك الحج، كما عَلَّمَ جبريل إبراهيم عليهما السلام[3].

= المنذر وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠٤).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٣٢)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٦٤). وانظر: الوسيط (٣/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٧٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنما جعل السبت﴾ وقرأ الحسن: «جُعِلَ» على البناء للفاعل، «السبت» بالنصب[(١)]، والمعنى: إنما فرض تعظيمه وتحريمه ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ حين أمرهم موسى بالتفرغ لله في كل سبعة أيام يوماً يقطعون فيه أشغالهم ويتخلون لعبادة ربهم، وعيَّن لهم يوم الجمعة فقالوا: لا ينبغي أن يفعل ذلك إلا في يوم السبت؛ لأنه اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من الخلق، فقال لهم أحبارهم: انتهوا إلى أمر نبيكم، فخالَفوا وأبوا وقالوا: ما نريد إلا يوم السبت، فجعل ذلك لهم وشدد عليهم، حتى إن موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً يحمل فيه قصباً فضرب عنقه. هذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين[(٢)].

وقيل: «إنما جعل السبت» أي: وبال السبت، وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه، فأحَلُّوا الصيد فيه تارة وحرَّمُوه أخرى.

قال قتادة: استحله بعضهم وحرمه بعضهم[(٣)].

وذكر ابن قتيبة في مختلف الحديث[(٤)]: أن الله تعالى بعث موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٥). وانظر: الدر المنثور (٥/ ١٧٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٤). وانظر: الوسيط (٣/ ٩١)، وزاد المسير (٤/ ٥٠٥).

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص:١٩٥).

«أضل الله تعالى عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق»[١].

قوله تعالى: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ أي: يفصل بينهم بما يستوجبونه من الجزاء، ﴿فيما كانوا يختلفون﴾ فيه في الدنيا.

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ وهو دين الإسلام ﴿بالحكمة﴾ وهو الدليل الواضح المبين للحق المزيل للشبهة.

قال ابن عباس: «بالحكمة»: بالقرآن[٢].

﴿والموعظة الحسنة﴾ مواعظ القرآن وزواجره، أي: ناظرهم مُلَيِّناً لهم جانبك، كما قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ [طه:٤٤].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله»[٣].

وفي أفراد مسلم من حديثها أيضاً: أن النبي ﷺ قال: « إن الرفق لا يكون في

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٦ ح٨٥٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٢ ح٥٦٧٨)، ومسلم (٤/ ١٧٠٦ ح٢١٦٥).

شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[١].

وقد أحسن الشاعر في قوله:

لو سَارَ ألفُ مُدرَّعٍ في حَاجةٍ ... لم يقْضها إلا الذي يترفَقُّ

وقال بعض الحكماء: من عَذُبَ لسانُه كَثُرَ إخوانه.

وقال علي عليه السلام: من لانتْ كلمتُه وجبتْ محبَّتُه[٢].

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ وإنما يأمرك بإيضاح المحجة لئلا يكون للناس على الله حجة، وقد أعذر من أنذر.

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ السبب في نزولها: أنه لما كان يوم أحد وأصيب حمزة ومُثِّل به وبالقتلى، وقف النبي ﷺ على حمزة صريعاً قد مُثِّل به، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: والله لأقتلن سبعين رجلاً منهم، ولئن ظفرت بقاتلك لأمثلن به مُثْلة تتحدث بها العرب[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٤ ح٢٥٩٤).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٧٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٨ ح٤٨٩٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٤٣)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٢٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير

وقالت الأنصار: لئن أمكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فأنزل الله تعالى هذه الآية. هذا قول ابن عباس وأبي بن كعب وأبي هريرة وعامة المفسرين(١).

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي بن كعب قال: «لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم: حمزة بن عبدالمطلب، فمَثَّلُوا بهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُربينَّ عليهم في التمثيل. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ فقال النبي ﷺ: كفوا عن القوم إلا أربعة»(٢).

فإن قيل: قتلُ الكافرين للمؤمنين لم يكن عقوبة بل مثوبة، فكيف قال: ﴿بمثل ما عوقبتم به﴾؟

قلت: لازدواج الكلام، وقد سبقت نظائره.

﴿ولئن صبرتم﴾ رجاء الثواب ﴿لهو خير للصابرين﴾.

فإن قيل: ما وجه هذا الكلام وقد ثبت بالدليل الشرعي والبرهان العقلي أن النكاية في الكفار وبكل ما فيه استئصال شأفتهم أفضلُ من الصبر عليهم؟

قلت: المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، أو صبرتم عن التمثيل بالأحياء منهم، أو يكون ذلك ترغيباً لهم في الصبر عن الأخذ بالثأر على وجه التشفِّي والانتقام

= (٤/ ٥٠٧).

(١) أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٩ ح٣١٢٩).

نظراً إلى حظوظ أنفسهم. أما إذا كان الانتقام والتشفِّي لأجل الله تعالى، فإيقاع المكروه بهم أفضل من الصبر.

ثم عزم الله تعالى على نبيه بالصبر على ما أصابه وعلى ما كان عزم عليه فقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ أي: بتوفيقه ومعونته وربطه على قلبك، ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: لا تَأْسَ على إعراضهم عنك، أو لا تحزن على المؤمنين الذين استشهدوا يوم أحد، فإنهم أفضوا إلى كرامتي ورضواني، ﴿ولا تك في ضيق﴾، وقرأ ابن كثير: «في ضِيق» بكسر الضاد[1].

قال الأخفش[2]: يقال: ضَاقَ يَضيقُ ضَيْقاً وضِيقاً، لغتان بمعنى واحد.

وقال الفراء[3]: الضَّيْقُ: بالفتح ما ضاقَ عنه صدرُك، وبالكسر: ما يكون في الذي يَضيقُ ويتَّسِع كالدار والثوب.

﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الفواحش والكبائر بالتوفيق والمعونة والمناصرة ﴿والذين هم محسنون﴾ بالطاعة.

قيل لهرم بن حيان عند الوفاة: أَوْصِ فقال: أوصيكم بخواتيم سورة النحل[4].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٥-٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٥)، والكشف (٢/ ٤١)، والنشر (٢/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٦).

(٢) انظر: القرطبي (١٠/ ٢٠٣).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١١٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/ ١٩٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٢١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٣٢).

سورة بني إسرائيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي مائة آية وعشر آيات.

وهي مكية، وقد استثني منها آيات، ستجدها إن شاء الله تعالى مُبيَّنَةً في موضعها عند ذكر أسبابها.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ قال طلحة بن عبيدالله: «سألت رسول الله ﷺ عن تفسير: سبحان الله فقال: تنزيه الله عن كل سوء»[1].

قال سيبويه[2]: «سبحان» من جملة المصادر المتروك إظهار الأفعال العاملة فيها، الموضوعة موضعاً واحداً، وهو النصب، وترك الألف واللام، فإذا قلت: سبحان الله، فكأنك قلت: تسبيحاً، أي: أُسَبِّحُ تسبيحاً، لكن «أسبح» لا يظهر مع سبحان الله البتة.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٦٨٠ ح١٨٤٨).

(٢) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٢).

وقال الزمخشري(١): «سبحان» عَلَم للتسبيح كعثمان للرَّجُل، وانتصابه بفعل مضمر، أي: أسبح الله سبحان، ثم نُزِّلَ سبحان منزلة الفعل فَسَدَّ مسدَّه، ودلّ على التنزيه البليغ.

وأسرى وسرى لغتان، و«ليلاً» نصب على الظرف(٢).

فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟

قلت: أراد بقوله: «ليلاً» بلفظ التنكير: تقليل مدة الإسراء، [وأنه](٣) أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل [على](٤) معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبدالله وحذيفة: «من الليل»(٥) أي: بعض الليل، كقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء:٧٩]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل.

وقال الزجاج(٦): «أسرى بعبده»: سَيَّر عبدَه. يقال: أسريتُ وسريتُ؛ إذا سرْتُ ليلاً(٧)، وقد جاءت اللغتان في القرآن. قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يسري﴾ [الفجر:٤] والمراد «بعبده» محمد ﷺ، وفيه إشعار بأنه أُسْرِيَ بجسده.

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٠٤).

(٢) التبيان (٢/ ٨٧)، والدر المصون (٤/ ٣٦٨).

(٣) في الأصل: على أنه. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٠٤).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ٢).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٢٢٥).

(٧) انظر: اللسان (مادة: سرا).

قال الحسن وقتادة: أُسري به من نفس المسجد[١]، ويدل على قولهما حديث مالك بن صعصعة[٢].

وقال أكثر المفسرين: أسري به من بيت أم هانئ[٣].

فعلى هذا يريد بالمسجد الحرام: الحرم كله.

قال ابن عباس: الحرم كله مسجد[٤].

قال بعضهم: سمي به لإحاطته بالمسجد والتباسه به.

وفي الحديث: «أنه قص قصته على أم هانئ، وقام ليخرج إلى المسجد، فتشبثت به أم هانئ، فقال: ما لكِ؟ قالت: أخشى أن تذكر لهم ذلك فيكذبوك، فقال: وإن كذبوني»[٥].

قالت عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: « لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعتُ بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعد رسول الله ﷺ معتزلاً حزيناً، فمرَّ به أبو جهل فجلس إليه، فقال له كالمستهزئ به: هل استفدت من شيء؟ فقال: نعم، أسري [بي][٦] الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال: أتحدث قومك ما حدثتني؟

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢). وانظر: الوسيط (٣/ ٩٣)، وزاد المسير (٥/ ٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥)، ومسلم (١/ ١٤٩-١٥٠ ح١٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢). وانظر: الوسيط (٣/ ٩٣)، وزاد المسير (٥/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٠٩) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير عن أم هانئ.

(٤) الطبري (١٥/ ٢)، وزاد المسير (٥/ ٥)، والوسيط (٣/ ٩٤).

(٥) ذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ١٥٤).

(٦) زيادة من سنن النسائي (٦/ ٣٧٧).

قال: نعم، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلـم، فجـاؤوا فجلـسوا إليهما فقال: حَدِّثْ قومك ما حدثتني، قال: نعم، أُسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال: فمن بـين مُصفِّق وبين واضع يده على رأسه متعجباً للتكذيب، فارتدّ ناس ممن كان آمن بـه وصدقه، فسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لـك في صاحبك، يزعم أنه أسري به إلى البيت المقدس، فقال: أو قد قـال ذلـك؟ قـالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أُصَدِّقُه بخبر السماء في غدوة أو رَوحة، فلذلك سُمي الصدّيق صدّيقاً »(١).

وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما كذبني قريش [قمت](٢) في الحِجْر، فجلاّ الله لي بيت المقدس، فطفقت أقول أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»(٣).

وفي رواية أخرى: أنهم قالوا: «أما النعت فقد أصـاب، فقـالوا: خبرنـا عـن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: تقدم يوم كذا مع طلـوع الـشمس، يقدمها جمل أَوْرق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فقال قائل منهم: هذه

(١) أخرج هذا الحديث مجزءاً، فالطرف الأول منه أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧ ح١١٢٨٥)، وأحمد (١/ ٣٠٩ ح٢٨٢٠) عن ابن عباس. والطرف الآخر منه أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٥ ح٤٤٠٧) وَ (٣/ ٨١ ح٤٤٥٨) عن عائشة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) زيادة من الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٠٩ ح٣٦٧٣)، ومسلم (١/ ١٥٦ ح١٧٠).

الشمس والله قد أشرقت، فقال آخر: وهذه العير والله قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين»[١].

قالت عائشة وابن عباس: «كان الإسراء لسبع عشرة مضت من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة»[٢].

وقد روى حديث الإسراء والمعراج جماعة؛ منهم: علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وحذيفة، وسعيد، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، وأم هانئ.

فإن قيل: المعراج والإسراء في ليلة واحدة، فهلا أخبرهم بعروجه إلى السماء مقترناً بالإسراء؟

قلت: استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً، فلما ظهرت أمارات صدقه ووضحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدَّثَهم النبي ﷺ به، وأنزله الله تعالى في كتابه في سورة النجم.

سياق الأحاديث التي جاءت في المعراج:

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بقراءتي عليه برأس عين قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن

---

(١) ذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ١٥٥). وانظر: الدر المنثور (٥/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٠٩) وعزاه لابن سعد وابن عساكر عن عبدالله بن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانئ وابن عباس.

يحيى، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة الإسراء به: «بينما أنا في الحطيم -وربما قال: في الحجر- مضطجعاً، إذ أتاني آت فقدّ وقال: سمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصّه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطشت من ذهب مملوءٍ إيماناً فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة! قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلّم عليهما فسلّمت فردا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا أخوك يوسف فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ، ثم

قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثـم صـعد [بي][١] حتـى أتـى الـسماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال: هذا إدريس فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد [بي][٢] حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال: هـذا هارون فسلّم عليه، فسلمت عليه فردّ، ثم قـال: مرحبـاً بـالأخ الـصالح والنبـي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيـل: مـن هـذا؟ قـال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قـال: نعـم، قيـل مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلّم عليه، فسلّمت عليه فرد عليّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيـل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به ونعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ السلام، ثم قال: مرحبـاً بـالابن الـصالح والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرة المنتهى وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها

---

(١) زيادة من الصحيحين.

(٢) مثل السابق.

مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا بأربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور [يدخله كل يوم سبعون ألف ملك](١)، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمّتك، ثم فرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، [فرجعت](٢) فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، [فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم](٣)، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت

(١) زيادة من الصحيحين.
(٢) مثل السابق.
(٣) مثل السابق.

فريضتي وخففت عن عبادي»[1]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم، عن محمد بن المثنى، عن محمد بن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة.

الحطيم: الحِجْر، وسُمي حطيماً؛ لما حُطم من جداره فلم يسوّ ببناء البيت، والشعْرة: العانة، والقَصُّ: الصَّدْر.

وقيل في قول خُزَّان السماء: «أرسل إليه»، أي: هل أرسل إليه للعروج إلى السماء. وأما بعثه إلى الناس رسولاً؛ فقد كان شائعاً مستفيضاً بينهم قبل العروج.

قال الخطابي: لا يجوز أن يؤول بكاء موسى على الحسد؛ لأن ذلك لا يليق بصفات الأنبياء، وإنما بكى من ناحية الشفقة على أمته، إذ قصر عددهم عن مبلغ عدد أمة محمد ﷺ.

وقوله: « إن غلاماً بُعث بعدي » ليس على سبيل الازدراء به، لكنه على معنى تعظيم المنة لله عليه إذ قد أحقّه لذلك من غير غمز في عبادته.

والقِلال: الجِرار، وهي معروفة عند أهل هَجَر.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤١٠-١٤١١ ح٣٦٧٤)، ومسلم (١/ ١٤٩-١٥٠ ح١٦٤).

معي محمد ﷺ فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا وإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول [ففتح][1].

قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم [صلوات الله عليهم][2] ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة.

قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام.

قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي ﷺ: فرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع عني شطرها، قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فرجعت فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل

---

(١) زيادة من الصحيح (١/ ١٣٥).

(٢) مثل السابق.

القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين»[١]. هذا حديث صحيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مررتُ على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»[٢].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في إشارة هذه السورة في سورة النجم جملة من أحاديث المعراج أيضاً، وحديث ابن مسعود في ذلك سبق في كتابنا هذا.

قوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ يريد بركات الدين والدنيا؛ لأنه مهبط الوحي والملائكة من السماء، ومتعبّد الأنبياء، وهو محفوف بالأشجار المثمرة، والأنهار الجارية.

﴿لنريه من آياتنا﴾ أي: من عجائب ملكنا وعلامات قُدرتنا.

﴿إنه هو السميع﴾ لما قال محمد ﷺ وما قيل له، ﴿البصير﴾ بما فَعَلَ وفُعل به، وسيكرمه بإعلائه على أعدائه، وبتعذيبه لأهل تكذيبه.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿آتينا موسى الكتاب﴾ وهو التوراة، يشير تعالى إلى [ما][٣] أكرمه به من إنزال التوراة عليه، كما أكرم محمداً بالإسراء وإنزال القرآن إليه.

﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ أي: دَلَلْناهم به على الهدى.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٣٥-١٣٦ ح٣٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥ ح٢٣٧٥).

(٣) زيادة على الأصل.

﴿أن لا يتخذوا﴾ قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، على معنى: لئلا يتخذوا، وهكذا قرأها ابن عباس ومجاهد بزيادة اللام[١]. وقرأ الباقون: «تتخذوا» بالتاء[٢]، على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقال الزمخشري[٣] وغيره: «أن» بمعنى: أي، أي: جعلناه هدى لبني إسرائيل أي لا يتخذوا، كما تقول: كتبتُ إليه أن افعل كذا. وقيل: هو على إضمار القول، أي: قلنا لهم لا تتخذوا.

فعلى هذا؛ «أن» زائدة؛ لأنها مع الفعل بتأويل المصدر، فلا تصلح أن تكون مفعولاً لـ«قلنا»، ويجوز أن يكون التقدير: جعلناه هدى بأن لا تتخذوا.

قال الزجاج[٤]: المعنى: لا تتوكلوا على غيري، ولا تتخذوا من دوني رَباً.

قوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ قال مجاهد: هذا نداء، والناس كلهم ذرية نوح[٥].

وهذا معنى ظاهر على قراءة الأكثرين. وعلى قراءة أبي عمرو لا بد فيه من إضمار، تقديره: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا من دوني وكيلاً، فحذف اعتماداً على دلالة ما سبق. أو يكون المقصود بندائهم: إعلامهم مكانة نوح والثناء عليه، تقديره: يا ذرية من حملنا مع نوح اعلموا أنه كان عبداً شكوراً، فاشكروني

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٦)، والكشف (٢/ ٤٢)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٨).

(٣) الكشاف (٢/ ٦٠٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٢٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٦).

كشكره. ويجوز أن يكون «وكيلاً» و«ذرية» مفعولي «تتخذوا»، تلخيصه: لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً.

﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ قال سلمان: كان إذا أكل قال: الحمد لله، فإذا شرب قال: الحمد لله، فسماه الله عبداً شكوراً(١).

وروي: أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به، فإن وجده محتاجاً آثره به.

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أوحينا إليهم

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٠)، والحاكم (٢/ ٣٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٩)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٢٦-٢٢٧) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

وأعلمناهم في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ يعني: أرض مصر ﴿مرتين﴾ بالمعاصي وقتل الأنبياء ومخالفة أحكام التوراة، ﴿ولتعلن﴾ أي: لتعظمن عن الطاعة ولتبغن ﴿علواً كبيراً﴾ عظيماً.

قال مقاتل[١]: كان بين الفسادين مائتا سنة وعشر سنين.

قال بعضهم: وكان ممن قتلوا في الإفساد الأول زكريا وابنه يحيى.

فصل يتضمن الإشارة إلى سبب قتلهما

أما زكريا عليه السلام السلام فإنهم اتهموه بمريم، وقالوا: منه حملت، فطلبوه، فذهب منهم، فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ردائه هُدْب[٢]، فدلّهم الشيطان عليه، فنشروا الشجرة بالميشار[٣] وهو فيها. وقيل: إنه مات حتف أنفه.

وأما يحيى بن زكريا؛ فقال ابن عباس: أراد ملكهم نكاح ابنة أخيه، فنهاه عنها، فقتله[٤].

وروى السدي عن أشياخه: أن ملك بني إسرائيل [هوي][٥] بنت امرأته، فسأل يحيى بن زكريا عن نكاحها فنهاه، فحنقت أمها عليه حين منعه من التزويج بها، وعمدت [إلى][٦] بنتها فزينتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٩).

(٢) أي: طرفه (اللسان، مادة: هدب).

(٣) الميشار أو المنشار: هو الذي يقطع به الخشب (اللسان، مادة: أشر).

(٤) زاد المسير (٥/ ٨).

(٥) في الأصل: هو. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٨).

(٦) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له، فإن أرادها على نفسها أبـت حتـى [يـؤتى][١] برأس يحيى بن زكريا في طَسْت، ففعلت ذلك، فقال: ويحـك سـليني غـير هـذا، فقالت: ما أريد غير هذا، فأمر فأتي برأسه، والرأس يتكلم ويقول: لا تحلّ لك[٢].

قال العلماء بالتفسير والسير: لم يزل دم يحيى يغلي حتـى قتـل عليـه مـن بنـي إسرائيل سبعون ألفاً[٣].

وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله فقال: أنا قتلته، فقُتِل فسَكَن.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال فيما أوحى الله تعالى إليه: «إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[٤].

قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شـديد﴾ قال ابن عباس: هم جالوت وجنوده[٥].

وقال سعيد بن المسيب: بختنصر[٦].

---

(١) في الأصل: تؤتي. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٨).

(٢) زاد المسير (٥/ ٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٩ ح٣١٤٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٣٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٤٢) وعزاه لابن جرير.

وقال سعيد بن جبير: سنحاريب وجنوده[١].

﴿فجاسوا خلال الديار﴾ الجَوْس: طلب الشيء باستقصاء[٢]. والخِلال: جمع خَلل، وهو الفُرْجة بين الشيئين[٣].

قال ابن عباس: مشوا بين منازلهم وقتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وخربوا المسجد الأقصى، وسَبُوا منهم سبعين ألفاً[٤].

﴿وكان﴾ يعني عذابهم ﴿وعداً مفعولاً﴾ كائناً لا محالة.

﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ أي: أظفرناكم بهم وجعلنا الدولة والغلبة لكم عليهم.

قال ابن عباس: قتل داودُ جالوت، وعاد ملكهم كما كان[٥].

وقيل: غزوا ملك بابل فاستنقذوا ما في يده من الأسرى والأموال.

﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ أي: كثرنا أموالكم وأبناءكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ النفير: مَنْ ينفر مع الرجل مِنْ قومه.

والمعنى: جعلناكم أكثر عدة وأنصاراً من أعدائكم.

﴿إن أحسنتم﴾ فيه إضمار، تقديره: معناه وقلنا لكم إن أحسنتم بطاعة الله ﴿أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم﴾ بمعصية الله ﴿فلها﴾ لا يحمله أحد عنها.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: جوس).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خلل).

(٤) زاد المسير (٥/ ٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠).

وقيل: «لها» بمعنى: عليها.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي: عقاب المرة الآخرة من إفسادكم ﴿ليسوءوا﴾ فيه إضمار، تقديره: بعثناهم ليسوءوا، وجاز الحذف لدلالة ذكره أولاً عليه.

وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر: «ليسوء» بالياء وفتح الواو[١]، على معنى: ليسوء الله، أو الوعد، أو البعث.

وقرأ الكسائي: «لنسوء» بالنون وفتح الواو[٢]، على إخبار الله تعالى عن نفسه بصيغة الجمع على طريقة التعظيم. والمعنى: ليجعل وجوهكم بادية المَسَاءة، ظاهرة الكآبة.

قال مجاهد وقتادة: بعث الله تعالى عليهم في المرة الأخيرة بختنصر[٣]، وأبى أكثر الرواة ذلك.

قال الثعلبي[٤]: من روى أن بختنصر غزى بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، غلط عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين، وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزى بني إسرائيل عند قتلهم شعيا، وفي عهد [أرميا][٥] عليه السلام وهي الوقعة الأولى التي قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ يعني: بختنصر وجنوده، قالوا: ومن عهد أرميا

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٧-٣٩٨)، والكشف (٢/ ٤٢-٤٣)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير مجاهد (ص:٣٥٨)، وزاد المسير (٥/ ١١).

(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ٨٠-٨٢).

(٥) في الأصل: الرميا. والتصويب من تفسير الثعلبي (٦/ ٨١).

وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة سنة وأحد وستون سنة.

قال ابن إسحاق: فلما رفع الله تعالى عيسى وقتلوا يحيى بن زكريا -وبعض الناس يقول: لما قتلوا زكريا- ابتعث الله تعالى عليهم ملكاً من ملوك بابل، يقال له: خردوش، فسار إليهم بأهل بابل، ثم ساق الحديث إلى أن قال: ثم انصرف عنهم إلى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الأخيرة في قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾[1].

فصل يتضمن الإشارة إلى حديث أرميا عليه السلام

قال وهب بن منبه: لما عظمت الأحداث في بني إسرائيل وعملوا بالمعاصي وقتلوا الأنبياء، أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام أني مُهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم، فَقُمْ على صخرة بيت المقدس يأتك أمري، فقام وجعل الرماد على رأسه وخَرَّ ساجداً، وقال: يا رب! وددتُ أن أمي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل، فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجلي، فقيل له: ارفع رأسك، فرفع رأسه وبكى وقال: يا رب! من تُسلِّط عليهم؟ قال: عبدة النيران، لا يخافون عذابي، ولا يرجون ثوابي، قم يا أرميا فاسمع خبرك وخبر بني إسرائيل، من قبل أن أصورك قَدَّسْتُكَ، ومن قبل أن تخرج من بطن أمك طهَّرْتُك، ومن قبل أن تبلغ الأَشُدَّ اخترتك، ولأمر عظيم اجتبيتُك، قُمْ فقُصَّ عليهم ما آمرك به، وذكّرهم نعمتي عليهم، وعرّفهم أحداثهم، وقل لهم: يا معشر أبناء الأنبياء

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٤١-٤٢).

ونسلهم، كيف وجد آباؤهم مغبة طاعتي، وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي، وهل وجدوا أحداً عصاني فسعد بمعصيتي، وهل علموا أحداً أطاعني فشَقِي في طاعتي، إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها، وإن هؤلاء القوم رتعوا في مروج الهلكة، وتركوا الأمر الذي به أكرمت آباءهم، وابتغوا الكرامة من غير وجهها.

وأما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادتي خولاً، ويحكمون فيهم بغير كتابي حتى أنسوهم ذكري وسنّتي، فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي، فهم يطيعونهم في معصيتي.

وأما ملوكهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري. وأما فقراؤهم [وفقهاؤهم][1] فيدرسون ما يتخيرون، فينقادون للملوك فيبايعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني، ويطيعونهم في معصيتي، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي فسبحان جلالي وعلو مكانتي وعظمة سلطاني وشأني، هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي؟ وهل ينبغي لبشر أن يُطاع في معصيتي؟ وهل ينبغي لي أن أَخْلُقَ عباداً أجعلهم أرباباً من دوني.

وأما أولاد الأنبياء فمفتونون، يخوضون مع الخائضين، يتمنون [عَلَيَّ][2] مثل نصري آباءهم والكرامة التي أكرمتهم بها، [ويزعمون][3] أنه لا أحد أولى بذلك منهم، بغير صدق منهم ولا تفكر، ولا يذكرون كيف كان نصر آبائهم في أمري

---

(١) في الأصل: ووفقهاؤهم.

(٢) زيادة من الطبري (١٥/ ٣٧).

(٣) في الأصل: وزعمون. والتصويب من الطبري، الموضع السابق.

حين اغترّ المغترُّون فتأنَّيت بهؤلاء القوم لعلهم يستحيون مني ويرجعون، أُمطرُ عليهم السماء، وأُنبتُ لهم الأرض، وأُلبسهم العافية، وأُظهرهم على العدو، فلا يزدادون إلا طغياناً وبُعداً مني، فحتّى متى [هذا][١]، أَبِي يتمرّسون أم إياي يخادعون؟ فإني أُقسم بعزّتي لأتيحنّ[٢] لهم فتنة يتحيّر فيها الحليم، وتَضِلُّ فيها حكمة [الحكيم][٣]، لأُسلطنّ عليهم جباراً قاسياً عاتياً، أُلبسه الهيبة، وأنزعُ من صدره الرحمة، يتبعه عدد سواد مثل الليل المظلم، يعيدون العِرَان[٤] خراباً، والقرى وحشاً، ويتبّرون ما علو تتبيراً، قاسية قلوبهم، لا يرقّون ولا يرحمون، يجولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسْد، فوعزتي لأعطِّلنّ بيوتهم من كتبي وقدسي، ولأخلينَّ مجالسهم من حديثها ودرسها، ولأوحشنّ مساجدهم من عمارتها، ولأبدلنَّ ملوكها بالعزّ الذل، وبالأمن الخوف، وبالغنى الفقر، وبالأرواح الطيبة جيف القتلى، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال، ثم لأرسنّهم بأنواع العذاب، حتى لو كان الكائن منهم في حالِقٍ لوَصَلَ ذلك إليه، إني إنما أكرم من أكرمني، وإنما أُهين من أهان عليه أمري، ثم لآمرنَّ السماء خلال ذلك فلتكونن طريقاً من حديد، ولآمرنَّ الأرض فلتكونن سبيكة من نحاس، فإن أمطرت خلال ذلك شيئاً سلطتُ عليه الآفة، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة، وإن دعوني لم أجبهم، وإن سألوني لم أعطهم، وإن بكوا لم أرحمهم، وإن

---

(١) زيادة من الطبري (١٥/ ٣٨).

(٢) في الطبري: لأقيضن.

(٣) في الأصل: الحليم. والتصويب من الطبري (١٥/ ٣٨).

(٤) العِرَان: الفناء (اللسان، مادة: عرن).

تضرعوا إليّ صرفت وجهي عنهم.

قال كعب: فقال أرميا: برحمتك أصبحت أتكلم بين يديك، وهل ينبغي لي ذلك يا رب سبحانك وبحمدك، تباركت ربنا وتعاليت، إنك المهلك لهذه القرية وما حولها، وهي مساكن أنبيائك، ومنزل وحيك، يا رب سبحانك وبحمدك إنك أنت المخرب لهذا المسجد وما حوله من المساجد التي رُفِعَتْ لذكرك، يا رب وإنك لتعذب هذه الأمة وهم ولد إبراهيم خليلك، وأمة موسى نجيك، وقوم داود صفيك، يا رب أي القرى تأمن عقوبتك بعد أري شليم، وأي العباد يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك إبراهيم وأمَّة نجيك موسى، تُسلّط عليهم عَبَدة النيران، فقال الله تعالى: يا أرميا، من عصاني لا يستنكر نقمتي، فإني إنما أكرمتُ هؤلاء على طاعتي، ولو أنهم عصوني لأنزلتهم دار العاصين، إلا أن تدركهم رحمتي.

فلما بلّغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد عَصوه وكذبوه، وقالوا له: تزعم أن الله مُعطِّل أرضه ومساجده من كتابه وعبّاده وتوحيده، لقد أعظمتَ على الله الفرية، واعتراك الجنون، فأخذوه وقيدوه وسجنوه، فعند ذلك بعث الله تعالى عليهم بختنصّر (١).

قوله تعالى: ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني: المسجد الأقصى بالبيت المقدس ﴿كما دخلوه أول مرة وليتبروا﴾ أي: ليهلكوا ويدمروا ﴿ما علوا﴾ عليه ﴿تتبيراً﴾ وقيل: المعنى: ليتبروا مدة علوهم، فـ«ما» مع الفعل بتأويل المصدر.

قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ يعني: بعد المرة الأخيرة، فرحمهم بعد

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٦ وما بعدها).

سبعين سنة حين تابوا وأنابوا، وعمَّر بلادهم وكثر عددهم وأعلا كلمتهم، وأسبغ عليهم نعمته.

﴿وإن عدتم﴾ إلى معصيتنا مرة ثالثة ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم.

قال المفسرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصية، فعاد الله إلى الانتقام منهم، فسلَّط عليهم الأكاسرة والأقاصرة، فضربوا عليهم الجزية، وألبسوهم سيما الذل والصَّغار، ولم يزل ذلك ممتداً بهم إلى أن أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ فعاندوه وعادوه، فسلَّطَه الله عز وجل عليهم قتلاً وسبياً ونفياً، وضرب الجزية والصَّغار على من أبقته سيوفهم منهم[(١)].

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ قال ابن عباس وغيره: سجناً ومحبساً[(٢)].

قال مجاهد: يحصرون فيها[(٣)].

وقال الحسن: حصيراً: مهاداً وفراشاً، ذهب إلى الحصير الذي يفرش ويبسط[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٤)، وعبدالرزاق في مصنفه (٦/ ٢٢) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٥) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥)، ومجاهد (ص:٣٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٥) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي: للحالة التي هي أقوم الحالات، أو إلى الملة، أو للطريقة التي هي أقوم وأمثل، من توحيد الله تعالى وطاعته، وتصديق رسله، والعمل بالمعروف، ومكارم الأخلاق.

﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم﴾ أي: بأن لهم، فلما حذف الباء انتصب موضع «أن» عند سيبويه، وبقي على الجرّ عند الخليل.

﴿أجراً كبيراً﴾ وهو نعيم الجنة.

﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ معطوف على «أن لهم أجراً كبيراً». المعنى: يبشر المؤمنين ببشارتين، بحسن جزائهم، وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ الإنسان هاهنا: اسم جنس. والمعنى: أنه يدعو عند غضبه على نفسه وأولاده وماله [وأهله][١] بالشر كما يدعو بالخير[٢].

﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يتسرع إلى ما لم تحمله نفسه عليه وطمعه إليه، من

---

(١) في الأصل: وآلة. والتصويب من زاد المسير (٥/ ١٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٣).

غير نظر في العواقب.

والمعنى: أن الله تعالى يرحمهم فلا يستجيب لهم ما يدعونه في حالة الغضب، كما في قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر ... الآية﴾ [يونس:١١] وقد سبق تفسيرها.

وقيل: المراد بالإنسان: الكافر.

قال ابن عباس: هو النضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هو الحق من عندك ... الآية﴾(١) [الأنفال:٣٢].

وروي عن سلمان الفارسي قال: أول ما خلق من آدم رأسه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، قال: فبقيت رجلاه، فقال: يا رب عَجِّل، فذلك قوله: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾(٢).

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٦٣)، والطبري (١٥/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي: جعلناهما آيتين في أنفسهما يدلان على قدرة خالقهما وحكمته وعظمته، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار [للتبيين][1]، كإضافة العدد إلى المعدود، تقديره: فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة. ويجوز أن يراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، أي: الشمس والقمر.

﴿فمحونا آية الليل﴾ التي هي القمر. قال علي عليه السلام: السواد الذي في القمر أثر المحْو[2].

ويروى: أن الشمس والقمر كانا في الضوء سواء، فأرسل الله تعالى جبريل فأمرَّ جناحه على وجه القمر فطمس ضوءه[3].

قال قتادة: ﴿مبصرة﴾: منيرة[4].

وقال ابن قتيبة[5]: مبصرة: مُبصَر بها.

قال الكسائي: هو من قول العرب: أبصر النهار؛ إذا أضاء وصار بحالة يُبْصَرُ بها[6].

---

(١) في الأصل: لتبيين.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٤٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٩٨-٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٤).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٢).

(٦) القرطبي (١٠/ ٢٢٨)، والبغوي (٣/ ١٠٧-١٠٨).

وقال ابن الأنباري(١): المعنى: مُبصرة، فجرى مفعِل مجرى مفعل، والمعنى: يبصر الناس، أي: يريهم الأشياء.

﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ وهو طلب الرزق، فإن [النهار مظنة](٢) الاقتدار على الانتشار والتعاطي لأسباب الاكتساب، ﴿ولتعلموا﴾ بتغاير الآيتين ﴿عدد السنين والحساب﴾ لأن ذلك لا يعلم إلا باختلاف الجديدين، وكل شيء مما تحتاجون إليه من مصالح دينكم ودنياكم.

﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيناه تبييناً.

قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي: ما طار له عند القسمة الأزلية وصار له في علم الله من الخير والشر، وإلى هذا تؤول أقوال المفسرين.

قال ابن عباس: ألزمناه طائره: شقاوته وسعادته(٣).

وقال الحسن: عمله(٤).

وفي ذكر العُنُق إشعار بعدم الانفكاك. ومنه المَثَل: تقلدها طَوْق الحمامة، وقولهم: الموتُ في رقاب العباد. واستعير العُنُق لإلزام الخير والشر؛ لأنه محل

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤).

(٢) في الأصل: النها مضنة.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٥١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٤٩-٢٥٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٥١) عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة، وأخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٩٢) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٥٠) وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد، ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الطوق الزاين، والغِلّ الشاين.

قال الحسن: يا ابن آدم! بُسِطَتْ لك صحيفتك وجُعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة[(١)].

قوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ وقرأت لأبي جعفر: «ويُخْرَج لـه» بياء مضمومة مع فتح الراء[(٢)]. وقرأت ليعقوب وعبد الوارث عن أبي عمرو بفتح الياء وضم الراء[(٣)].

والطائر مضمر على هذين القراءتين، و﴿كتاباً﴾ منصوب على الحال فيهما.

وقرأت لرويس عن يعقوب: «كتابٌ» بالرفع[(٤)]، وهي قراءة ابن عباس.

﴿يَلْقَاه﴾ وقرأ ابن عامر: «يُلَقَّاه» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[(٥)]، وهو صفة «لكتاباً»[(٦)].

و﴿منشوراً﴾ صفة، أو حال من «يلقاه»[(٧)].

﴿اقرأ كتابك﴾ على إرادة القول، أي: يقال له: إقرأ كتابك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥١) وعزاه لابن جرير.

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٠٦).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٦).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٨)، والكشف (٢/ ٤٣)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٨).

(٦) التبيان (٢/ ٨٩)، والدر المصون (٤/ ٣٧٦).

(٧) مثل السابق.

قال الحسن: يقرؤه أمِّياً كان أو غير أمِّي [١].

﴿كفى بنفسك﴾ فعل وفاعل، ﴿حسيباً﴾ تمييز، أي: حاسِباً [٢].

قال سيبويه [٣]: هو كضريب القِداح، بمعنى: ضاربها، وصريمٌ بمعنى: صارمٌ. وقيل: محاسباً، كالشريك والجليس.

وقيل: هو بمعنى: الكافي، وضع موضع الشهيد، فعُدِّي بـ«على»؛ لأن الشاهدَ يكفي المدعي ما أهمَّه.

قال الحسن رحمه الله: عدل الله عليك من جعلك حسيب نفسك [٤].

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: كل حاملة وزراً فإنما تحمل وزر نفسها لا وِزْرَ نفس أخرى.

قال المفسرون: نزلت في قول الوليد بن المغيرة: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم [٥].

قوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ قال القاضي أبو يعلى: في هذه الآية دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع وهو بعثة الرسل،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦).

(٢) الدر المصون (٤/ ٣٧٧).

(٣) انظر: الكتاب (٤/ ٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٧).

وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك لم يقطع عليه بالنار[١].

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ قال سعيد بن جبير: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها[٢].

قال الزجاج[٣]: ومثله في الكلام: أمرتُكَ فعصَيتني، فقد علم أن المعصية مخالفة للأمر.

وقال مجاهد: «أمرنا مترفيها»: أكثرنا فُسّاقها[٤]، وجعله من باب فعلة ففعل، مثل: تبّرته فتبر، ومنه الحديث: «خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة»[٥] أي: كثيرة النتاج.

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩). وهذا القول هو اختيار ابن جرير، قال: أولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى «أمرنا» الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٥٦) عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن عكرمة، ومن طريق آخر عن الحسن، ومن طريق آخر عن قتادة، ومجاهد (ص:٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٨). وسكة مأبورة: السِّكَّة: الطريقة المصطفَّة من النخل، والمأبورة الملقَّحة (اللسان، مادة: أبر).

في قراءة ابن عباس وأبي الدرداء والحسن ويعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير وأوقية عن العباس عن أبي عمرو: «آمرْنا» بالمد[(١)].

قال ابن قتيبة[(٢)]: هي اللغة العالية، ومعناها: كَثَّرْنا[(٣)].

وقرأت لأبان عن عاصم ولعبد الوارث من طريق أبي معمر عن أبي عمرو: «أمَّرْنا» بتشديد الميم[(٤)].

قال ابن قتيبة[(٥)]: المعنى: جعلناهم أُمراء[(٦)].

وقال غيره: «أمّرنا» بالتشديد، بمعنى: كثَّرنا أيضاً.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٨)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٣).

(٣) قال الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٧): وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأه: «أمرنا مترفيها» بقصر الألف من «أمرنا» وتخفيف الميم منها؛ لإجماع الحجة من القُرّاء على تصويبها دون غيرها.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٥٣).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٣).

(٦) قال أبو علي الفارسي: لا يُحمل «أمّرنا» على المعنى: جعلناهم أمراء؛ لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة عدة أمراء، لأن رئاستهم لا تكون إلا لواحد بعد واحد، والإهلاك إنما يكون في مدة واحدة (الحجة ٣/ ٥٤).

قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٧٩-٣٨٠): وقد رُدَّ على الفارسي بأنا لا نسلم أن الأمير هو المَلِك، حتى يلزم ما قُلْتَ، بل الأمير عند العرب من يأمر ويُؤتمر به، ولئن سُلم ذلك، لا يلزم ما قال، لأن المترف إذا ملك ففسق، ثم آخر بعده ففسق، ثم كذلك كثر الفساد، ونزل بهم على الآخر من ملوكهم.

والمراد بالمترفين: المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وأطغتهم السعة.

قال المفسرون: هم الجبارون والمسلطون والملوك[(١)].

﴿ففسقوا فيها﴾ أي: تمردوا وخرجوا عن طاعة الله، ﴿فحق عليها القول﴾ أي: على أهلها.

قال ابن عباس: استوجبت العذاب[(٢)].

﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي: أهلكناها إهلاكاً.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

وفي قوله: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ... الآية﴾ تحذير لأهل مكة من ارتكاب أسباب العقاب.

قوله تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهي الدنيا، لا همة له سوى التشاغل بلذَّاته، والإقبال على حظوظ نفسه؛ كالكَفَرَة والفَسَقَة.

وقيل: المراد بذلك: من كان يريد الدنيا بعمل الآخرة؛ كالمنافق والمرائي.

﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾ مما جرتْ به أقدارنا ﴿لمن نريد﴾ بدل من له وهو بدل

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩) من قول مقاتل.

البعض من الكل[(١)].

والمعنى: عجلنا لمن يريد أن نعجل له.

وهذه الآية تنعي على المرائيين سوء حالهم؛ لأنهم فاتهم بسوء قصدهم الثواب، ولم يحصل لهم به في الدنيا سوى ما سبق به الكتاب.

﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها﴾ يُقاسي حَرَّها ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مُبْعَداً عن رحمة الله.

﴿ومن أراد الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿وسعى لها سعيها﴾ بامتثال ما أُمر به واجتناب ما نُهِيَ عنه، وهو مع الإرادة والسعي مؤمن مصدق بما جاءت به الرسل. ﴿فأولئك﴾ الذين استكملت فيهم هذه الشرائط الثلاثة ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ مُثنى عليه مُتقبلاً مُضاعفاً.

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

﴿كلاً﴾ منصوب بـ: ﴿نُمِدُّ﴾، والتنوين عوض من المضاف إليه، و﴿هؤلاء﴾ بدل من «كلاً»، والتقدير: كل واحد من الفريقين البر والفاجر نمده ونرزقه من عطائنا.

﴿وما كان عطاء ربك﴾ فضله ورزقه في الدنيا ﴿محظوراً﴾ ممنوعاً بكفر ولا معصية، كما قال إبراهيم: ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن﴾ [البقرة:١٢٦] قال

(١) التبيان (٢/ ٨٩)، والدر المصون (٤/ ٣٨٠).

الله: ﴿ومن كفر﴾.

وهذا الموضع -وهو قوله: «محظوراً»- من المواضع التي تشتبه فيها الضاد بالظاء في الكتاب، فإن الحظر بالظاء: من المنع، ومنه قولهم: هذا محظورٌ، أي: محرمٌ ممنوعٌ منه، وليس في القرآن لهذا مثل إلا قوله: ﴿كهشيم المحتظر﴾ [القمر:٣١] أي: الممتنع بالحظيرة التي أدارها على غنمه، خوفاً عليها من السباع، وهشيمها: ما اندقَّ بالوطء من جوانبها.

وقد نظمت هذا في قصيدتي فقلت:

والحضر بالضاد إلا موضعين ففي   سُبحان محظوراً انظر ثم قِسْ وزن

في سورة اقتربت بعد الهشيم لها   مثل وهذان في المعنى على سنن

قوله تعالى: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ هذا مقتَّرٌ عليه في الدنيا، وهذا موسَّع عليه، ﴿وللآخرة﴾ التي ينبغي أن يقع فيها التنافس ويحذر فيها من التغابن ﴿أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من أمر الدنيا.

قال ابن عباس: إذا دخلوا الجنات اقتسموا المنازل والدرجات على قدر أعمالهم(١).

قال الحسن: حضر الناس باب عمر بن الخطاب وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الأشياخ من قريش، فخرج آذنُه، فجعل يأذن لصهيب وبلال وأهل بدر، وكان يحبُّهم وكان قد أوصى بهم. فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يُلتفت إلينا. فقال سهيل بن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٢).

عمرو -قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله-: أيها القوم! إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون عليه. ثم قال: أيها القوم! إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله أن يرزقكم شهادة، ثم نفض ثوبه فقام ولحق بالشام. قال الحسن: صدق والله! لا يجعلُ الله عبداً أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأَ عنه[1].

ولقد صدق الحسن رضي الله عنه فيما وصف به سهيلاً من العقل، ولقد قام في الإسلام مقاماً عظيماً يوم توفي رسول الله ﷺ وماج أهل مكة، وارتد من ارتد من العرب، فقام خطيباً فقال: والله! إني لأعلم أن هذا الدين ممتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم، يعني: أبا سفيان، فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم، ولكنه قد جَثَمَ[2] على صدره حسدُ بني هاشم. فكان مقامه بمكة كمقام أبي بكر الصديق بالمدينة رضي الله عنهما.

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن نوفل بن عمارة: كان سهيل بن عمرو بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة، وخرج بجماعة أهله إلا بنته هنداً إلى الشام، فجاهدوا حتى ماتوا كلهم[3].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣١٨ ح٥٢٢٧)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١١ ح٦٠٣٨).

(٢) جثم: الجاثمُ: اللازمُ مكانه لا يبرح (اللسان، مادة: جثم).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٦٧٢).

قال المدائني[١]: قتل سهيل باليرموك[٢].

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد﴾ قال الزمخشري[٣]: هو من قولهم: شَحَذَ الشفْرة حتى قعدت كأنها حربة، أي: صارت، يعني: فتصير ﴿مذموماً مخذولاً﴾ لا ناصر لك.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين دُعي رسول الله ﷺ إلى دين آبائه[٤].

قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ قال ابن الأنباري[٥]: القضاء في اللغة: قطعُ الشيء بإحكام وإتقان. قال الشاعر يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

(١) في الاستيعاب: المديني.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٦٧٢).

(٣) الكشاف (٢/ ٦١٤).

(٤) زاد المسير (٥/ ٢١).

(٥) زاد المسير (٥/ ٢٢).

قضيتُ أموراً ثم غادرتُ بعدها بوائِقَ في إحكامها[١] لم تُفَتَّقِ[٢]

أراد: قطعتها محكماً لها.

قال ابن عباس: «وقضى ربك» وأمر ربك[٣].

والمعنى: أمر أمراً حتماً جزماً مقطوعاً به.

«أن لا تعبدوا» أنْ مُفَسِّرَة، و«لا تعبدوا» نهي، أو يكون التقدير: بأن لا تعبدوا إلا إياه.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ مفسر في البقرة[٤].

و﴿إما يبلغن﴾ سبق الكلام على «إما» في البقرة أيضاً عند قوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾. قرأ حمزة والكسائي: «يَبْلُغَانِّ»[٥] على تثنية الفعل، لتقدم ذكر الوالدين، «أحدهما» فاعل يَبْلُغَنَّ وبدل من ألف الضمير الراجع إلى «الوالدين»[٦] على قراءة حمزة والكسائي.

﴿أو كلاهما﴾ عطف على «أحدهما» بدلاً أو فاعلاً[٧]، وخَصَّ سبحانه حالة

---

(١) في مصادر البيت: أكمامها.

(٢) البيت للشماخ يرثي سيدنا عمر بن الخطاب. انظر: اللسان (مادة: بوج، كمم) وفيه: «بوائج» بدل «بوائق»، والقرطبي (٢/ ٨٧)، والطبري (١/ ٥٠٩)، وزاد المسير (٥/ ٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) الآية رقم: ٨٣.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٩)، والكشف (٢/ ٤٣)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩)

(٦) التبيان (٢/ ٩٠)، والدر المصون (٤/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٧) مثل السابق.

=

الكِبَر؛ لأنها زمان ضعفهما وعجزهما ومظنة التضجر بهما.

﴿فلا تقل لهما أُفٍّ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر: «أفَّ» بالفتح من غير تنوين. وقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين، وقرأ الباقون بالكسر من غير تنوين[1].

وكذلك خلفُهم في التي في الأنبياء والأحقاف.

وفي «أفّ» لغات: التنوين وعدمه مع الحركات الثلاث فيهما، و«أُفْ» بضم الهمزة وسكون الفاء وتخفيفها، و«أُفِّي» بضم الهمزة والتشديد مع زيادة ياء الإضافة.

قال الزجاج[2]: هي لغة، وقرئ جميع ذلك.

و«إِفِّ» بكسر الهمزة وتشديد الفاء وكسرها، ولم يقرأ بها. ويجوز أيضاً في اللغة: أُفَةً وأُفَّةٍ وأفتا.

قال مكي[3]: أصل «أُف» المصدر، من قولهم: أَفّه وتُفَّه، أي: نتناً ودَفراً، وهو

=

قال أبو علي الفارسي: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدُهما﴾ مرتفع بالفعل، وقوله: ﴿أو كلاهما﴾ معطوف عليه. والذكر الذي عاد من قوله: ﴿أحدهما﴾ يغني عن إثبات علامة الضمير في ﴿يبلغانِّ﴾. فلا وجه لمن قال: إن الوجه ثبات الألف لتقدم ذكر الوالدين.

ووجه ذلك: أنه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد، ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره إخلال (الحجة ٣/ ٥٦-٥٧).

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٣٩٩)، والكشف (٢/ ٤٤)، والنشر (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٤).

(٣) الكشف (٢/ ٤٤).

اسم [سمي][(١)] به الفعل، [فبني على فتح أو على كسر أو على ضم][(٢)] منوّن وغير منوّن، فمن نوّنه قدَّر فيه التنكير، ومن لم ينوّنه قدَّر فيه التعريف، وموضعه النصب بالقول، كما تقول: لا تقل لهما شتماً.

وقال غيره: «أُفٍّ» مبني على الكسر، فمن نوّن نكّره، كما ينكر «صَهٍ»، ومن فتح فلالتقاء الساكنين لخفة الفتحة، ومن ضمَّ أتبع الضم الضم، كما قالوا: منتن.

وقال ابن الأنباري[(٣)]: أصله من الأَفَف، وهو القلة.

وقال أبو عبيد[(٤)]: أصلَ الأُفّ والتُّفّ: الوسخُ على الأصابع إذا فتلته.

وقال الخليل[(٥)]: وَسَخُ الظفر.

وقال الأصمعي[(٦)]: وَسَخُ الأذن.

وقال ثعلب[(٧)]: قلامة الظفر. وكل ذلك يرجع إلى معنى القلة والاحتقار.

وقال بعض اللغويين: معنى الأفّ: النتن والتضجر.

قال ابن عباس: لا تقلّهما ما يكرهانه.

قال مجاهد: لا تتعذرهما ولا تقلّهما أفٍّ حين ترى الأذى وتميط عنهما الخلاء

---

(١) في الأصل: مسمى. والمثبت من الكشف (٢/ ٤٤).

(٢) في الأصل: مبني. والتصويب والزيادة من الكشف، الموضع السابق.

(٣) زاد المسير (٥/ ٢٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤).

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ٦٤)، وزاد المسير (٥/ ٢٤).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤).

(٧) مثل السابق.

والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً[١].

﴿ولا تنهرهما﴾ لا تزجرهما رافعاً صوتك عليهما.

وروي: أن ابن عون دعته أمه فأجابها، فعلا صوته عليها، فأعتق رقبتين.

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ ليناً لطيفاً.

قال سعيد بن المسيب: كما يقول العبد المذنب للسيد الفَظِّ[٢].

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ خفضُ الجناح مجازٌ عن غاية السكون واللين، وإضافته إلى الذل كإضافة حاتم إلى الجود، على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل خاشعاً خاضعاً لهما من رحمتك إياهما وعطفك عليهما.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن حفصة[٣] قالت: كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعاً[٤] لها[٥].

وأخرج أيضاً بإسناده عن ابن عون قال: دخل رجل على محمد وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمد أيشتكي [شيئاً][٦]؟ قالوا: لا، ولكنه هكذا يكون إذا كان عند

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) حفصة بنت سيرين، أخت محمد بن سيرين، أم الهذيل، الفقيهة الأنصارية. توفيت بعد المائة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٧).

(٤) في الزهد: تحشماً.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٧٢).

(٦) زيادة من الزهد (ص:٣٧٢).

أمه[1].

فانظر أيها المكلف إلى عظيم حق الوالدين، كيف لم يرض منك الله العظيم بما أمرك به من الإحسان إليهما واللطف بهما قولاً وفعلاً؟ ونهاك عنه من التأفف والنَّهْر لهما، حتى أمرك بالدعاء لهما بما يفضي بهما إلى السعادة الأبدية، فقال مُعلِّماً لك ما تقول: ﴿وقل رب ارحمهما﴾ أي: قل مجازياً لرحمتهما عليك وتربيتهما إياك في صغرك: ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾. وقيل: المعنى: ارحمهما مثل رحمتهما إياي في صغري حتى ربياني.

قال قتادة: هكذا علمتم وبهذا أمرتم، فخذوا بتعليم الله[2].

فصل

ذهب ابن عباس والحسن في جماعة من المفسرين إلى نَسْخ ما تناولته الآية من الدعاء للوالدين المشركين بقوله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[3] [التوبة:١١٣]، ومنع من النسخ قوم، وسلكوا في توجيه الآية طرقاً:

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٧٢).
(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٧). وانظر: الوسيط (٣/ ١٠٤).
(٣) أخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ إلى قوله: ﴿كما ربياني صغيرا﴾ فنسختها الآية في براءة: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين... إلخ الآية﴾ (ص:٢٢).
وأخرجه الطبري (١٥/ ٦٧-٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٦٠-٢٦١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن عباس وعزاه للبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لابن المنذر والنحاس وابن الأنباري في المصاحف.

أحدها: له أن يترحَّم عليهما بشرط إيمانهما، أو يدعو لهما برحمة الهداية والإرشاد، أو يكون المعنى: ارحمهما بتخفيف العذاب عنهما لا برفعه.

والذي عليه الفقهاء: أنه عام دخله التخصيص، وليس من النَّسْخ في شيء[(١)].

فصل يتضمن نبذة من الأحاديث الحاضّة على بر الوالدين

قرأت على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد فأقر به، حدثنا الحسين بن مسعود الفراء، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا بهز.

وأنبأنا به عالياً حنبل بن عبدالله بن الفرج، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا يزيد، حدثنا بهز بن حكيم بن معاوية[(٢)]، عن أبيه[(٣)]، عن جدّه [(٤)] قال: ((قلت: يا رسول الله! من أبر؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟

---

(١) وهو ما ذهب إليه الطبري. وانظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٥٤٥-٥٥٠)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٩٠-٣٩١).

(٢) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، أبو عبد الملك القشيري، ثقة صدوق، مات قبل الستين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٧، والتقريب ص:١٢٨).

(٣) حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، تابعي، صدوق ثقة (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٧، والتقريب ص:١٧٧).

(٤) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، صحابي نزل البصرة، ومات بخراسان (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٥، والتقريب ص:٥٣٧).

قال: ثم أمك. قال: قلت: [ثم][(١)] من؟ قال: ثم أمك. قلت: ثم من؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب))[(٢)].

وفي مسند الإمام أحمد والصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رجل: ((يا رسول الله! أي الناس أحق مني بحسن الصحبة؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك))[(٣)].

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: ((الوالد أوسطُ أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو ضَيِّع))[(٤)] معناه: خير أبواب الجنة. يقال: فلان مِنْ أوسَطِ قومه، أي: من خيارهم[(٥)].

وروى عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: ((رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين))[(٦)].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ((نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة

---

(١) زيادة من مسند أحمد (٥/ ٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٧ ح٥٦٢٦)، ومسلم (٤/ ١٩٧٤ ح٢٥٤٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٧ ح٨٣٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣١١ ح١٩٠٠)، وابن ماجه (١/ ٦٧٥ ح٢٠٨٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٥ ح٢٧٥٥١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: وسط).

(٦) أخرجه الترمذي (٤/ ٣١٠ ح١٨٩٩).

بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذاك البر، وكان مِنْ أبرِّ الناس بأمه»[(١)].

قالت عائشة: «كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ أبر من كان في هذه الأمة بأمهما؛ عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرتُ أن أتأمل أمي منذ أسلمت، وأما حارثة فإنه كان يفلّي رأس أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها قط كلاماً تأمره به حتى يسأل مَنْ عندها بعد أن تخرج، ماذا قالت أمي؟»[(٢)].

وقال مكحول: بِرُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر[(٣)].

وقال ابن عباس: لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة[(٤)].

وكان حِجْر بن عدي يلمس فراش أمه بيده، فيتهم غلظ يده، فيتقلب عليه على ظهره، فإذا أمن أن يكون عليه شيء أضجعها[(٥)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما بَرَّ والده من شَدَّدَ النظر إليه[(٦)].

وقال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار[(٧)].

وقال عروة: لا تمتنع من شيء أحباه[(٨)].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٥١ ح٢٥٢٢٣).

(٢) ذكره القرشي في مكارم الأخلاق (ص:٧٥ ح٢٢٣).

(٣) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٨٤٧ ح٨٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص:١٥ ح٤).

(٥) ذكره القرشي في مكارم الأخلاق (ص:٧٦ ح٢٢٦).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ١٩٧ ح٧٨٩١) ولفظه: «ما بر أباه من شد إليه الطرف». وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٠٨).

(٧) زاد المسير (١/ ١٠٨).

(٨) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص:١٧ ح٩)، وابن أبي حاتم =

ورأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً في الطواف يحمل أمه، ويقول:

إني لها مطيةٌ لا تـذْعَرُ إذا الركاب نفرتْ لا تنفر

ما حملتْ وأرضعتني أكثرُ الله ربي ذو الجلال الأكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر؟ قال: لا ولا زفرةً واحدة(١).

فإن قيل: هل من سبيل إلى تحصيل فضيلة بر الوالدين وتدارك ما فات من ذلك بعد موتهما؟

قلت: نعم، وهو ما أخرجه الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أبر البر صلة [المرء](٢) أهل ودّ أبيه بعد أن يولي))(٣).

وفي حديث أبي أسيد: ((أن رجلاً قال: يا رسول الله! هل بقي من بر أبويّ شيء بعد موتهما؟ قال: نعم، خصال أربع: الدعاء لهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما))(٤).

وقال مكحول: لا يزال الرجل قادراً على البرّ ما دام في فصيلته من هو أكبر

= (٧/ ٢٣٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٥٩) وعزاه للبخاري في الأدب المفرد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣١٢ ح٦٤٢). وذكره القرشي في مكارم الأخلاق (ص:٧٨ ح٢٣٥). وانظر: الكشاف (٢/ ٦١٧).

(٢) في الأصل: المراء. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٩ ح٢٥٥٢)، وأحمد (٢/ ٨٨ ح٥٦١٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣٦ ح٥١٤٢)، وأحمد (٣/ ٤٩٧).

منه(١).

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي: بما تضمرون من البِرّ والعقوق ﴿إن تكونوا صالحين﴾ طائعين لله بارّين، ثم بدَرَت منكم بادرة عند الغضب ثم تُبْتُم وأنبْتُم، ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ أي: للأوابين منكم، فحذف. ويجوز أن يكون التقدير: إنه كان لكم، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأن الأوابين الصالحون.

قال ابن قتيبة(٢): الأوَّاب: التائب مرة بعد مرة.

وقال الزجاج(٣): الأوَّاب: المقْلِعُ عن جميع ما نُهي عنه(٤). يقال: قد آبَ يؤُوبُ [أوْباً](٥)؛ إذا رجَع(٦).

قال عبيد بن عمير: الأواب: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها(٧).

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٨٤٧ ح٨٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٣).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٤) وهو نحو قول ابن جرير، قال: أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأواب هو التائب من الذنب الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه (الطبري ١٥/ ٧١).

(٥) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٦) انظر: اللسان (مادة: أوب).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٠)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٧١) =

وقال الحسن: هو المقبل على الله بقلبه وعمله[١].

وقال ابن المنكدر: هو الذي يتوب بين المغرب والعشاء[٢].

وقال السدي: هو الذي يذنب سراً ويتوب سراً[٣].

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ حسن معاشرته وما فرض الله تعالى له من النفقة إن كان معسراً عاجزاً عن الكسب على ذي القرابة الموسر.

والنفقة واجبة عندنا على كل شخصين جرى التوارث بينهما بفرض أو تعصيب. فأما إن جرى التوارث من أحد الطرفين؛ كالعمة مع ابن أخيها، والجدة مع ابن بنتها، فعلى الوارث منهما النفقة في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وقال مالك: يلزم كل واحد من الأب وابنه نفقة الأجر فقط.

وقال الشافعي: يلزم الوالدين وإن علوا، والولد وإن نزل، وإن كان القريب موسراً أو ممن لا تجب نفقتُه، فحقُّه الإحسان إليه والعطف عليه، ومعاضدتُه ومعاشرتُه بالمعروف وزيارته وموانتُه.

قال سراقة بن مالك بن جعشم: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: خيركم المدافع

= وعزاه لهناد.

(١) زاد المسير (٥/ ٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٦٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦).

(٣) زاد المسير (٥/ ٢٧).

عن عشيرته[١].

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: يعني به قرابة رسول الله ﷺ[٢]. فيكون المعنى: آتهم حقهم من الإكرام والاحترام.

أو يكون خطاباً للولاة، ويكون المعنى: آتوهم حقوقهم من الخمس.

قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾ المعنى: آتهم حقهم من الزكاة.

﴿ولا تبذر﴾ بالنفقة في غير طاعة الله ﴿تبذيراً﴾ قال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كله في حق ما كان مبذراً، ولو أنفق مُدّاً في غير حق كان مبذراً[٣].

﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي: إخوانهم في الشر؛ لأنهم يوافقونهم ويجيبونهم إلى ما يزينونه لهم ويدعونهم إليه، ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ جحوداً للنعمة.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ أي: وإن تعرض عن الذين تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل حياءً من ردهم لإعسارك ﴿فقل لهم﴾ مُطيِّباً لقلوبهم وجابراً لكسرهم وذُلِّ سؤالهم ﴿قولاً ميسوراً﴾ ليناً سهلاً. قال ابن عباس: هو العِدَة الحسنة[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣١ ح٥١٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٧١) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٥) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد =

وقوله: ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ مصدر في موضع الحال[١]، و«ترجوها» حال أيضاً[٢]. والتقدير: وإما تعرضن عنهم مبتغياً رحمة من ربك راجياً لها فقل لهم.

قوله: «فقل لهم» جواب «إما»، وهذا المصدر جائز أن يتعلق بالشرط، على معنى: إن تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك، وهي: طلب الرزق جائز أن يتعلق بجواب الشرط مقدماً عليه، على معنى: فقل لهم قولاً ميسوراً مبتغياً رحمة ربك برحمتك إياهم.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قال ابن مسعود: «جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا. فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، قال: فخلعه فدفعه إليه وجلس في بيته، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٣].

= المسير (٥/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٧٥-٢٧٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(١) التبيان (٢/ ٩٠)، والدر المصون (٤/ ٣٨٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٥)، وأسباب النزول (ص:٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٧٦) وعزاه لابن جرير. ولم أقف عليه في المطبوع من تفسير ابن جرير.

قال جابر بن عبد الله: «أذّن بلال للصلاة فلم يخرج رسول الله ﷺ، فشغل قلوب أصحابه، فدخل بعضهم فرآه عرياناً، فنزلت هذه الآية»[(١)].

والمعنى: اقتصد في النفقة والعطية، ولا تُمْسِك يدك عن البذل حتى كأنها مغلولة إلى عنقك.

﴿ولا تبسطها﴾ في البذل ﴿كل البسط فتقعد ملوماً﴾ عند الله؛ لأنها حالة غير مرضية عند الله وعند الناس. أما غنيّهم فينسبه إلى سوء التدبير في المعيشة. وأما فقيرهم فيقول: أعطى فلاناً وحَرَمني، وملوماً عند نفسه إذا أصبح محتاجاً إلى درهم غيره وفِلْسه.

﴿محسوراً﴾ منقطعاً بك.

قال الزجاج[(٢)]: المحسُور: الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء. فالمعنى: فتقعد وقد بالغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صرت بمنزلة من قد حَسِر.

قال القاضي أبو يعلى: هذا الخطاب أريد به غير رسول الله ﷺ، لأنه لم يكن يدَّخِر شيئاً لغد، وكان يجوعُ حتى يشدّ الحَجَر على بطنه، وقد كان كثيرٌ من فضلاء الصحابة يُنفقون جميعَ ما يملكون فلم ينههم الله؛ لصحة يقينهم، وإنما نهى من خِيفَ عليه التحسُّر على ما خرج من يده، فأما من وثق بوعد الله فهو غير مراد بالآية.

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٩٤-٢٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٦).

﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿إن قتلهم كان خِطْئاً كبيراً﴾ قرأ ابن كثير: «خِطاء» بكسر الخاء والمد.

وقرأ ابن ذكوان: بفتح الخاء والطاء من غير مد. وقرأ الباقون بكسر الخاء وسكون الطاء[1]. وكلهم نوّن وهمز، فالأول مصدر، مثل: قاتل قتالاً.

قال الواحدي[2]: هو بعيد لا وجه له.

قال أبو علي الفارسي[3]: قراءة ابن كثير «خِطَاء»، والثانية: مصدر خَطِئَ؛ إذا تعمد، والمشهور في مصدر خَطِئَ: خِطْأً، كما قرأه الأكثرون.

والمعنى: كان إثماً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ وقرأ الحسن: «الزناء» بالمد[4].

قال أبو عبيدة[5]: قد يُمد «الزناء» في كلام أهل نجد.

قال الفرزدق:

أبا حَاضرٍ من يَزنِ يظهرْ زناؤُه ... ومن يشربِ الخُرْطُوم[6] يُصبحْ مُسَكَّرَا[7]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٠-٤٠١)، والكشف (٢/ ٤٥)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٧٩-٣٨٠).

(٢) الوسيط (٣/ ١٠٦).

(٣) الحجة (٣/ ٥٨).

(٤) الدر المصون (٤/ ٣٨٨).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٧).

(٦) الخُرطوم: من أسماء الخمر. وقيل: هي الخمر السريعة الإسْكار (اللسان، مادة: خرطم).

(٧) البيت للفرزدق. انظر: اللسان (مادة: سكر، زنا)، والدر المصون (٤/ ٣٨٨)، والصحاح =

﴿إنه كان فاحشة﴾ قبيحة ظاهرة القبح.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو أمته تزني»[(١)].

وقد روى الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب بعد الشرك بالله العظيم أعظم عند الله من نطفة وضعها رجلٌ في رحم لا يحل له»[(٢)].

وقال ابن مسعود: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها»[(٣)].

﴿وساء سبيلاً﴾ مُفسّر في النساء[(٤)].

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ مُفسّر في الأنعام[(٥)].

﴿ومن قتل مظلوماً﴾ بغير خصلة من الخصال المبيحة لإراقة الدم، ﴿فقد

(٦/ ٢٣٦٨)، والجمهرة (٣/ ٢٥٥)، وزاد المسير (٥/ ٣١)، وروح المعاني (١٨/ ٧٨). وفي جميع المصادر ورد «يعرف» بدل «يظهر».

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٤ ح٩٩٧)، ومسلم (٢/ ٦١٨ ح٩٠١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٩، ٣٢٧)، والمناوي في فيض القدير (٥/ ٤٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٨١) وعزاه لأحمد وابن أبي الدنيا.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٧) من طريق سماك بن حرب عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٦) وعزاه لابن جرير من طريق سماك بن حرب عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود.

(٤) آية رقم: ٢٢.

(٥) آية رقم: ١٥١.

جعلنا لوليه سلطاناً﴾ أي: لوارثه الذي يستحق المطالبة بدمه، «سلطاناً»، ولاية يتسلط بها على القاتل.

قال ابن عباس: حُجّة[1].

وقال الضحاك: إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية[2].

وقال ابن زيد: المعنى: فقد جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه[3]. وفيه بُعْد.

﴿فلا يسرف﴾ نهى ولي المقتول عن الإسراف والمجاوزة إلى ما لا يستحق، على ما عليه عادة الجاهلية من قتل غير القاتل.

وقال مجاهد: الضمير للقاتل الأول[4]. المعنى: فلا يُسرف في القتل ظلماً.

وقرأ حمزة والكسائي: «فلا تسرف» بالتاء على الخطاب[5]، إما لقاتل المظلوم أو للولي.

﴿إنه﴾ يعني ولي الدم ﴿كان منصوراً﴾ معاناً بتمكينه وإيصاله إلى ما يستحقه من القَوَد.

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه (١٥/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢). وبنحوه السيوطي في الدر (٥/ ٢٨٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٨١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٦-١٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢). وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

(٣) زاد المسير (٥/ ٣٢).

(٤) زاد المسير (٥/ ٣٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٢)، والكشف (٢/ ٤٦)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٠).

وقيل: إنه يعني المقتول ظلماً، كان منصوراً في الآخرة على ظالمه، ومطلوباً في الدنيا بدمه.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

وما بعده سبق تفسيره في الأنعام إلى قوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال الزجاج[1]: كل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه، فهو من العهد.

﴿إن العهد كان مسؤلاً﴾ أي: مطلوباً، أي: يطلبُ من العاهد أن يفي به.

قوله تعالى: ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: بكسر القاف، وقرأ الباقون: بضمها، هنا وفي الشعراء[2].

قال ابن دريد[3]: القِسْطاس: الميزان، رومي مُعرّب.

قال الزجاج[4]: القسطاس المستقيم: ميزان العدل.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره، ﴿خير﴾ قال عطاء: أقرب إلى الله[5].

﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي: عاقبة.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٢)، والكشف (٢/ ٤٦)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٠).

(٣) جمهرة اللغة (٣/ ٢٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤).

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ يقال: قَفَاهُ يقْفُوه قفْواً قافةً يقوفُه؛ إذا اتّبَعَ أثره[١].

قال الزجاج[٢]: وتقرأ: «ولا تقُفْ» بضم القاف وسكون الفاء، من قولك: قاف يقوفُ وكأنه مقلوب من قَفَا يقْفُو؛ لأن المعنى واحد[٣].

قال ابن عباس: المعنى: لا ترْمِ أحداً بما ليس لك به علم[٤].

وقال محمد بن الحنفية: هو شهادة الزور[٥].

ويدخل في عمومه النهي عن التقليد وعن الكذب.

قال ابن عباس: لا تَقُلْ: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمع[٦].

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك﴾ إشارة إلى الجوارح المذكورة ﴿كان

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قوف).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٣) ذكر السمين الحلبي في ذلك قولين: أحدهما: ما قاله الزجاج من أنه مقلوب من قَفَا يقْفُو. والثاني -وهو الأظهر-: أنه لغة مستقلة كـ «جَبَذَ» و «جَذَبَ» لكثرة الاستعمالين. ومثله: قاعَ الفحْلُ الناقةَ وقَعَاهَا (الدر المصون ٤/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٨٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

عنه مسؤولاً﴾ فيقال للإنسان: لِمَ سمعتَ ما لا يحلُّ لك، ولِمَ نظرتَ إلى ما لا يحلُّ لك النظر إليه، ولِمَ عزمتَ على ما يحرُم عليك العزم عليه.

قال الزجاج[1]: إنما قال: «كل»، ثم قال: «كان»؛ لأن كلاً في لفظ الواحد.

قال الزجاج وغيره من أهل العربية[2]: «أولئك» كما تكون إشارة إلى العقلاء، تكون إشارة إلى غيرهم، وأنشدوا لجرير:

ذَمُّ المنازل بعد منزلةِ اللوَى والعيشَ بعدَ أولئكَ الأيام[3]

والهاء في «عنه» تعود إلى «كل»، وقدَّره أبو علي: أن أفعال السمع والبصر والفؤاد كل أفعال أولئك كان عنه مسؤولاً.

وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مَرَحاً﴾ وقرأ الضحاك: «مَرِحاً» بكسر [الراء][4].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٣) البيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق. انظر: ديوانه (ص:٩٩٠) وروايته فيه: «الأقوام» بدل «الأيام». وانظر: المقتضب (١/ ١٨٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٢٦)، وأوضح المسالك (١/ ٦٦)، والأشموني (١/ ١٣٩)، والتصريح (١/ ١٢٨)، والدر المصون (٤/ ٣٩٠)، ومعاني الأخفش (ص:٧٤، ٢٤٠)، وخزانة الأدب (٥/ ٤٣٠).

(٤) في الأصل: الحاء. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٣٦).

وجوّدها الأخفش[(١)]؛ لأن «مَرِحاً» اسمُ الفاعل، وهذا هو المصدر، وهو جيد بالغ[(٢)].

وقال الزجاج[(٣)]: وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيدٌ رَكْضاً وجاء زيدٌ رَاكِضاً[(٤)]، فـ«ركضاً» أوْكَد في الاستعمال؛ لأنه يدل على توكيد الفعل.

وتأويل الآية: ولا تمش في الأرض مختالاً فخوراً.

قال ابن فارس[(٥)]: المرح: شدة الفَرَح. والنصب فيه على الحال[(٦)].

قرأتُ على أبي الحسن علي بن أبي بكر البغدادي برأس عين، أخبركم عبد الأول فأقرّ به.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم بن عبدالله بن عبد الصمد البغدادي بدمشق سنة ست وستمائة قال: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا محمد بن زياد، عن أبي

---

(١) معاني الأخفش (ص:٢٤٠).

(٢) زاد المسير (٥/ ٣٦)، والدر المصون (٤/ ٣٩١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٠).

(٤) هذه العبارة ذكرت على الهامش وأشار لها بعد قوله: وهو جيد بالغ. ومكانها الصحيح هنا. وانظر: الزجاج وزاد المسير، الموضعان السابقان.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢١٦).

(٦) التبيان (٢/ ٩١)، والدر المصون (٤/ ٣٩١).

هريرة، عن النبي ﷺ قال: « بينما رجل يمشي في حُلّة تُعجبه نفسه، مُرَجَّلٌ جُمَّتُه[١]، خسفَ الله به، فهو يتجَلْجَلُ[٢] في الأرض إلى يوم القيامة »[٣].

وفي حديث سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يُكتب في الجبارين، فيصيبُه ما أصابهم »[٤].

وقال أبو بكر الهذلي: بينما نحن مع الحسن إذ مَرَّ عليه ابن [الأهتم][٥] يريد المقصورة وعليه جِبَابٌ[٦] خزّ قد نُضِّدَ[٧] بعضها على بعض على ساقه، [وانفرج عنها قباه][٨]، وهو يمشي يتبَخْتَرَ[٩]، فنظر إليه الحسن رحمه الله، فقال: أُفّ أُفّ [لك][١٠] شامخٌ بأنفه، ثانٍ عِطْفه، مصعِّرٌ خدّه، ينظر في عطفيه، أيّ حميق [أنت][١١] تنظر في عطفيك! في نعم غير مشكورة ولا مذكورة، غير مأخوذ بأمر الله فيها، ولا مُؤدّ حق الله منها، والله أن يمشي أحدهم طبيعته [يتخلج تخلج][١٢]

(١) الجُمَّة: مُجْتَمَعُ شعر الرأس وما سقط على المنكبين (اللسان، مادة: جمم).

(٢) الجَلْجَلَة: الحركة مع الصوت، أي: يَسُوخ فيها حين يُخسف به (اللسان، مادة: جلل).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨٢ ح٥٤٥٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٢ ح٢٠٠٠).

(٥) في الأصل: الأهثم بن. والتصويب من التواضع (١/ ٢٨٣).

(٦) جِباب: جمع: واحدها: جُبَّة. وهي ضَرْبٌ من مُقطَّعات الثياب تُلْبَس (اللسان، مادة: جبب).

(٧) نَضَدْتُ المتاع أَنْضِدُه نَضْداً نَضَّدْتُه: جعلتُ بعضه على بعض (اللسان، مادة: نضد).

(٨) زيادة من التواضع (١/ ٢٨٣).

(٩) المتبختر في مشيه: المتكبّر المعجب بنفسه (اللسان، مادة: بختر).

(١٠) زيادة من التواضع (١/ ٢٨٣).

(١١) في الأصل: أين. والتصويب من التواضع، الموضع السابق.

(١٢) في الأصل: أن يتجلج الأتجلج. والتصويب من التواضع، الموضع السابق.

المجنون، [في كل عضو من أعضائه لله نعمة، وللشيطان به لعنة][1] فسمع ابن الأهتم، فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إليّ، وتُبْ إلى ربك، أما سمعت قول الله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[2].

أخبرنا عبدالعزيز ابن منينا[3] قراءة عليه وأنا أسمع بباب البصرة، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري رحمه الله، حدثنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا علي بن المظفر الأصبهاني المقرئ، حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أحمد بن محمد الشطوي، حدثنا حسين بن جعفر الضبعي قال: سمعت[4] جعفر بن سليمان يقول: مَرَّ والي البصرة[5] بمالك بن دينار يَرْفُل[6]، فصاح به مالك: أقل من مشيتك هذه، فهمَّ خدمُه به، فقال: دعوه، ما أراك تعرفني، فقال له مالك: ومن أعرف بك مني؟! أما أوّلكَ فنطفةٌ مَذِرَة، وأما آخرك فجيفةٌ قَذِرَة، ثم أنت بين ذلك تحمل العَذِرَة، فنكس الوالي رأسه ومشى[7].

---

(١) زيادة من التواضع (١/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (١/ ٢٨٣ ح٢٣٧).

(٣) عبد العزيز بن معالي بن غنيمة، يعرف بابن منينا، أبو محمد، شيخ صالح صحيح السماع، ثقة، توفي في ذي الحجة من سنة اثنتي عشرة وستمائة (تكملة الإكمال ٤/ ١٢٦).

(٤) في الأصل زيادة قوله: أبي. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٢/ ٨١)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٧-٢٠٠).

(٥) سماه أبو نعيم: المهلب بن أبي صفرة.

(٦) يرْفُل: الرَّفْلُ: جَرُّ الذيل ورَكْضُه بالرِّجْل، ورَفَلَ في ثيابه يرفُلُ: إذا أطالها وجرّها متبختراً (اللسان، مادة: رفل).

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٨٤).

قوله تعالى: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي: لن تشقها بشدة وطأتك.

قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها(١).

﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ بعظمتك، وإنما أنت عبد مخلوق ذليل.

وقوله: «طولاً» مصدر في موضع الحال، إما من الفاعل أو من «الجبال»(٢).

﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره مما نهي عنه ﴿كان سَيِّئَةً﴾ قال صاحب الكشاف(٣): إن قلت: كيف قال: "سَيِّئَةً" مع قوله: «مكروهاً»؟

قلتُ: السيئة في حكم الأسماء، بمنزلة الذنب، والاسم زال عنه حكم الصفات، فلا اعتبار بتأنيثه.

وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «سيِّئُهُ» مضافاً غير منون(٤).

واختاره الزجاج فقال(٥): كان أبو عمرو لا يقرأ «سَيِّئُهُ»، وهذا غلط؛ لأن في هذه الأقاصيص سَيِّئاً وغير سيء، وذلك أن فيها: ﴿وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾، وفيها: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾، وفيها: ﴿وأوفوا بالعهد﴾، وفيها: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦).

(٢) التبيان (٢/ ٩٢)، والدر المصون (٤/ ٣٩١).

(٣) الكشاف (٢/ ٦٢٤).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٣)، والكشف (٢/ ٤٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٠).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٠).

أحسن﴾. قال: ففيما جرى في هذه الآيات والأخبار [سيء][(١)] وحسن، فسيئُهُ أحسن من سيئة.

قلتُ: ومن العجب قول الزجاج: هذا غلط، وهي قراءة أهل الحجاز وأهل البصرة بناء على ما ذكره من التعليل، مع أنه يعلم وجه القراءة وصحة تعليلها، وأن الإشارة بقوله: كل ذلك كان سيئة إلى ما تقدم ذكره مما نهى الله عنه.

قال بعض نحاة أهل البصرة على القراءة الراجحة عند الزجاج: «كل ذلك» مبتدأ، أي: كل هذه الأشياء سيئُه مكروه، فـ«سيئه» ترتفع بـ«كان»، و«عند ربك» خبر، على تقدير: سيئه ثابتاً عند ربك مكروهاً، فيكون «مكروهاً» على هذا حالاً من الضمير في الظرف. وإن شئت كان [الظرف][(٢)] حشواً، و«مكروهاً» هو الخبر، وهذا أحسن من الأول[(٣)].

ومن قرأ «سيئةً» بالتنوين ففي «كان» ضمير يعود إلى «كل»، «سيئة» خبره، و«مكروهاً» صفة لـ«سيئة»، ولم يقل مكروهة؛ لأن التأنيث غير حقيقي، وإن شئت كان على هذا «مكروهاً» خبراً آخر لـ«كان»، وذكّره لأن ضمير «كُلّ» مذكر، ويكون «عند ربك» من صلة «مكروهاً»، وإن شئت كان حشواً[(٤)].

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ

(١) في الأصل: شيء. والتصويب من الزجاج (٣/ ٢٤٠).
(٢) في الأصل: الظف.
(٣) الدر المصون (٤/ ٣٩١-٣٩٢).
(٤) انظر: المصدر السابق.

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى هاهنا ﴿مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي: من الآداب المحكمة الجامعة لكل خير.

قال ابن عباس: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى[١].

قال بعضهم: افتتحها سبحانه بالنهي عن الشرك، وختمها بالنهي عن الشرك، فقال: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾؛ لأن التوحيد هو رأس كل حكمة ومِلاكها، ومن عَدِمَه لم تنفعه حكمة، وعلومه وإن بَذَّ[٢] فيها العلماء، وحَكَّ بيافُوخِهِ[٣] السماء، وما أغنت [عن][٤] الفلاسفة أسفار الحِكم، وهم عن دين الله أضلّ من النَّعَم.

وقد سبق معنى الملوم والمدحور.

قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ قال مقاتل[٥]: نزلت في مشركي العرب، قالوا: الملائكة بنات الله.

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ١٧٣).

(٢) بَذَّ القومَ يبُذُّهم بَذّاً: سبقهم وغلبهم (اللسان، مادة: بذذ).

(٣) اليافوخ: ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخّره (اللسان، مادة: يفخ).

(٤) في الأصل: من. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٢٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٨).

والاستفهام في معنى الإنكار والتوبيخ. والمعنى: أفخصّكم واختار لكم صفوة الأولاد وهم البنون، ﴿واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ أولاداً، فرَضِيَ لنفسه بالأدْوَن، وهو على خلاف عادات السادات.

﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ قُبْحه وفساده وإثمه.

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي: بَيَّنَّا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار.

﴿ليذكروا﴾ أي: ليعتبروا ويتدبروا. وقرأ حمزة والكسائي: «لِيَذْكُرُوا» بالتخفيف[(١)]، من الذِّكْر.

﴿وما يزيدهم﴾ تصريف الآيات وتبيينها ﴿إلا نفوراً﴾ عن الحق وغلواً في الباطل.

كان سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً[(٢)].

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ وقرأ ابن كثير: «يقولون» بالياء[(٣)]، رداً على

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٣)، والكشف (٢/ ٤٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨١).

(٢) القرطبي (١٣/ ٦٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٤)، والكشف (٢/ ٤٧)، والنشر في

لفظ الغيبة في قوله: ﴿ليذكروا وما يزيدهم﴾.

﴿إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ بالممانعة والمدافعة، ولوقع الفساد واختلّ النظام، كما قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢]. وهذا معنى قول الحسن[١].

وقال قتادة: المعنى: لابتغوا سبيلاً إلى رضاه لأنهم دونه[٢].

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «عما تقولون» بالتاء على المخاطبة[٣].

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

ثم دلّهم على عظمته فقال: ﴿تسبح له السموات السبع﴾ وقرأ الحرميان وابن عامر وأبو بكر: «يسبح» بالياء[٤]؛ لأن التأنيث غير حقيقي.

= القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨١).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨).

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٥)، والكشف (٢/ ٤٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٤) السبعة في القراءات (ص:٣٨١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٥)، والكشف (٢/ ٤٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨١).

والمراد بتسبيحها: دلالتها على الصانع الحكيم وتنزيهها بظهور أثر صنعته فيها، حتى كأنها تنطق بذلك.

وعلى هذا المعنى أيضاً [حملوا][1] قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، وهذا قول جمهور العلماء.

وغير ممتنع أن لها تسبيح ولا يتعقل معناه. ويحقق ذلك: أنه عَطَفَ عليها تسبيح مَنْ في السماء -وهم الملائكة- ومن في الأرض -وهم الثقلان-، فلو وقع التغاير لكان جامعاً بين النوعين بلفظ واحد، وذلك لا يجوز. وهذا هو الصحيح عندي.

قال إبراهيم النخعي: كُلُّ شيء يسبّح بحمده، حتى الثوب والطعام وصرير الباب[2].

وقال عكرمة: الشجرة تُسَبِّح، والأسطوانة تُسَبِّح[3].

وقال الحسن -وقُدِّمَ إليه خِوَان-: أيسبِّحُ هذا الخوان؟ فقال: قد كان مرة يسبح[4]. وقال: [لا][5] يُسبِّح.

وقال المقدام بن معدي كرب: إن الترابَ يُسبِّح ما لم يبتلّ، وإن الورقة لتسبح

---

(١) في الأصل: حملوه.

(٢) زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩) وفيه: والأسطوانة لا تسبح. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٥) زيادة على الأصل. قال القرطبي تعليقاً على كلام الحسن هذا: يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح، وأما الآن فقد صار خواناً مدهوناً (تفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٦).

ما دامت على الشجرة[١].

يشيران إلى أن كل شيء يُسبِّح ما لم يتغير عن حاله، يؤيد ذلك قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أي: لا تفهمونه يا بني آدم.

وعلى القول الأول: الخطاب بقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ للكفار؛ لأنهم لا يستدلون على الخالق بآثار صنعته في خلقه.

﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم، بل أمهلكم وما أهملكم.

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾.

قال قتادة: يريد بالحجاب: الأَكِنَّة على قلوبهم[٢].

وقال الزجاج[٣]: هو منعُ الله إياهم عن أذى رسوله ﷺ.

وقال الكلبي: نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، وهم:

---

(١) زاد المسير (٥/ ٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠)، والسيوطي في الدر (٥/ ٢٩٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٣).

أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل امرأة أبي لهب، فحَجَبَ الله تعالى رسوله ﷺ عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يمرُّون به فلا يرونه[١].

وقد أخرج الحاكم في صحيحه بإسناده عن أسماء قالت: «لما نزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولْولة، وفي يدها فِهْرٌ[٢]، وهي تقول: مُذَمّماً أبَيْنا، ودينه قَلَيْنا، وأمره عَصَيْنا، ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلتْ هذه، وأنا أخاف أن تَراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر ولم تر النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر! بلغني أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذه البُنية ما هجاك، فانصرفتْ وهي تقول: قد علمتْ قريش أني بنتُ سيدها»[٣].

قلت: وأم جميل هي بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أخت أبي سفيان، وزوجة أبي لهب، عم النبي ﷺ.

وقوله: ﴿مستوراً﴾ محجوباً عن العيون بالقدرة الإلهية فلا تراه.

وقال الأخفش[٤]: أراد ساتراً، وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك لمشؤوم وميمُون، وإنما هو شائِمٌ ويامِنٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١).

(٢) الفِهْر: الحَجَر مِلْء الكَفّ (اللسان، مادة: فهر).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣ ح٣٣٧٦).

(٤) معاني الأخفش (ص: ٢٤٠).

قال الزجاج[(١)]: هذا قول أهل اللغة.

وقال بعضهم: مستوراً: إذا استتر، كقوله: ﴿عيشة راضية﴾ [القارعة:٧] أي: ذات رضى.

وقولهم: سَيْل مُفْعَم: أي: ذا فعام.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن.

قال الزمخشري[(٢)]: يقال: وَحَدَ يَحِدُ وَحْداً وَوَحِدَةً، نحو: وَعَدَ يَعِدُ وَعْداً ووعِدَةً، و«وَحْدَهُ» من باب: رجعَ عودَهُ على [بَدْئِهِ][(٣)]، وافْعَلْهُ جُهْدَكَ وطاقتَكَ، في أنه مصدر سَدَّ مسدَّ الحال.

﴿ولّوا﴾ يعني: الشياطين[(٤)]، في قول ابن عباس[(٥)]، والمشركين[(٦)]، في قول غيره.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٢٧).

(٣) في الأصل: بدله. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٤): وهذا غريب جداً في تفسيرها، وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٢٩٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٦) قال ابن جرير (١٥/ ٩٥): هو أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ فأن يكون ذلك خبراً عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلاً من أن يكون خبراً عمن لم يَجْرِ له ذِكْر.

﴿على أدبارهم نفوراً﴾ قال أبو عبيدة[١]: على أعقابهم. «نفوراً»: جمع نافر، كقَاعِدٍ وقُعُوداً، وهو مصدر بمعنى: التَّوْلية.

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قال المفسرون: أَمَرَ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل، ودخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، فكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية[٢].

وقوله: «به» في موضع الحال، كما تقول: [يستمعون][٣] بالهزء، أي: هازئين[٤].

﴿إذ يستمعون﴾ منصوب بـ«أعلم»، أي: أعلم وقت استماعهم بما يستمعون به، ﴿وإذ هم نجوى﴾ أي: وبما يتناجون به، إذ هم [ذوو][٥] نجوى، ﴿إذ يقول

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١).

(٣) في الأصل: يسمعون. والمثبت من الدر المصون (٤/ ٣٩٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٤/ ٣٩٦).

(٥) في الأصل: ذو. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٢٧).

الظالمون﴾ بدل مِنْ «إذ هـم»[(١)]، ﴿إن تتبعـون إلا رجـلاً مـسحوراً﴾ أي: سُـحِرَ فذَهَبَ عقلُه. هذا قول ابن عباس[(٢)]. وقال مجاهد: مغروراً مخدوعاً[(٣)].

وقال أبو عبيدة[(٤)]: المسحور: الذي له سَحْر، أي: رِئَة. قال[(٥)]: وكل دابـة أو طائر أو بشر يأكل فهو مَسْحُورٌ ومُسْتَحَرٌ؛ لأن له سَحْراً[(٦)]. قال لبيد:

فإنْ تَسألينا فيم نحن؟ فإننا ... عصافيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّر[(٧)]

وقال امرؤ القيس:

أرانَا مُرصِدين[(٨)] لأمْر غيبٍ ... ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشراب[(٩)]

---

(١) التبيان (٢/ ٩٢)، والدر المصون (٤/ ٣٩٦).

(٢) زاد المسير (٥/ ٤٢).

(٣) زاد المسير (٥/ ٤٢).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٨١-٣٨٢).

(٥) أي: أبي عبيدة في المجاز (١/ ٣٨١).

(٦) قال ابن جرير (١٥/ ٩٦): وهو غير بعيد من الصواب.
وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٣٩٧): وردّ الناس على أبي عبيـدة قولـه؛ لبُعـده لفظاً ومعنى. وقال ابن قتيبة في غريب القرآن (ص:٢٥٦): ولست أدري ما اضطر أبا عبيـدة إلى هـذا التفسير المستكره؟ وقد سبق التفسير من السلف بها لا استكراه فيه.

(٧) البيت للبيد. انظـر: ديوانـه (ص:٧١)، واللـسان (مـادة: سـحر)، والـدر المـصون (٤/ ٣٩٧)، والطـبري (١٥/ ٩٦، ١٩/ ١٠٣)، وزاد المـسير (٥/ ٤٢)، وروح المعـاني (١٥/ ٩٠)، وغريـب القرآن (ص:٢٥٦).

(٨) كذلك هي أيضاً في زاد المسير. وفي بقية المصادر: مُوضِعِين، أي: مسرعين. وقولـه: لأمـر غيـب، يريد الموت وأنه قد غيب عنا وقته ونحن نلهى بالطعام وبالشراب. والسحر: الخديعة.

(٩) البيت مطلع قصيدة لامرئ القيس. انظر: ديوانـه (ص:٩٧)، واللـسان (مـادة: سـحر)، والـدر المصون (١/ ٣٢٠، ٤/ ٣٩٦)، وزاد المسير (٥/ ٤٢)، وروح المعاني (١٥/ ٩٠)، وغريب القـرآن =

فالمعنى على قول أبي عبيدة: إن تتبعون إلا رجلاً محتاجاً إلى الطعام والشراب ضرورة أن كل حيوان له سَحْر يحتاج إليهما، ويكون هذا منهم تنبيهاً بقولهم: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ [الفرقان:٧] وأمثال ذلك.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ تارة بالشاعر، وتارة بالكاهن، وتارة بالمجنون، ﴿فضلوا﴾ في جميع ذلك ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ مَخْرجاً وطريقاً من نية الضلال.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٥٢﴾

ثم ذكر إنكارهم البعث واستبعادهم إياه فقال: ﴿وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً ... الآية﴾ قال الفراء[1]: الرُّفات: [التراب][2] لا واحد له، وهو مثل الدُّقَاق والحُطَام.

وقال الزجاج[3]: الرُّفَات: التراب، والرُّفاتُ كلُّ شيء حُطِمَ وكُسِرَ.

= (ص:٢٥٦).

(١) معاني الفراء (٢/ ١٢٥).

(٢) زيادة من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٤).

قال ابن عباس: قالوا: إذا ذهبَ اللحم والعروق [وبقيت][1] عظام قد بليت، فإذا مَسَسْتَهُ بين أصبعيك انْسَحَق[2].

﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ أنكروا وتعجبوا من الإعادة بعد الإبادة، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿كونوا حجارة﴾ أي: تصوَّرُوا أنفسكم حجارة ﴿أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ مما طبعه الجساوة[3] والصلابة [كالأرض][4] والجبال، ونحوها مما يكبر في صدوركم وينبو طبعه عن قبول الحياة.

﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ فإنه يعيدكم بالقدرة التي أنشأكم أولاً بها، فإذا قدر على ذلك؛ فما ظنُّكم بالعظام التي هي بعض أجزائكم، وأركان خلقكم، وأصل تركيبكم، وقد كانت لها حالة رطوبة وحياة.

وقال ابن عمر وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين في قوله: ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾: أنه الموت[5]. وقالوا: ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من

(١) في الأصل: وتفتت. والتصويب من الوسيط (٣/ ١١١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١١١).

(٣) جَسَا الرَّجلُ جَسْواً وجُسُوّاً: صَلُبَ (اللسان مادة: جسا).

(٤) في الأصل: كأرض.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٩٨) عن ابن عمر. ومن طريق آخر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن. وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣) كلاهما عن ابن عمر، والحاكم (٢/ ٣٩٤) عن ابن عباس، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٢٥) عن الحسن.
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لعبدالله بن =

الموت، أي: لو كنتم الموت لأميتنكم ولأبعثنكم.

قوله تعالى: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ أي: يحركونها تعجباً واستهزاء.

قال الشاعر:

لما رأتْني أنغَضَتْ ليَ الرأسا[١]

وقال آخر:

ونغَضَت مِنْ هرمٍ أسنانُها[٢]

﴿ويقولون﴾ على وجه السخرية والاستهزاء: ﴿متى هو قل عسى أن يكون قريباً﴾ أي: هو قريب؛ لأن «عسى» من الله واجب.

ثم بَيَّنَ متى يكون فقال: ﴿يوم يدعوكم﴾ وذلك بالنداء والنفخ في الصور للبعث، كما قال: ﴿يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ [ق:٤١].

و«يدعوكم» في محل الجر بإضافة «يوم» إليه، وقوله: ﴿فتستجيبون﴾ عطف عليه، وقوله: ﴿وتظنون﴾ وما في خبره في محل الحال، تقديره: وحالكم إذ ذاك إن تظنون إن لبثتم إلا قليلاً و«قليلاً» نصب على الظرف، أي: إلا زماناً قليلاً، فحذف الموصوف وأقيم الصفة مقامه.

قوله تعالى: ﴿فتستجيبون﴾ أي: تستجيبون طائعين منقادين ﴿بحمده﴾ في محل

= أحمد في زوائد الزهد وابن جرير والحاكم، ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

(١) الرجز في: الطبري (١٥/ ١٠٠)، والقرطبي (١٠/ ٢٧٥)، والدر المصون (٤/ ٣٩٨).

(٢) الرجز في: مجاز القرآن (١/ ٣٨٢)، والمصادر السابقة.

الحال[1]، أي: حامدين، وهو تقرير لمعنى [انقيادهم][2]، كأنهم ألجأهم القهرُ والقسرُ إلى الحمد والثناء على الله، إظهاراً للرغبة في إجابته حيث لا ينفعهم ذلك.

قال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم وهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك[3].

وقال ابن عباس: «بحمده»: بأمره[4].

وقال قتادة: بمعرفته وطاعته[5].

وقيل: يستجيبون بحمده لا بحمد أنفسكم.

﴿وتظنون﴾ لفظاعة منظر القيامة وشدة أهوالها وطول عذابكم فيها ﴿إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي: إن لبثتم في الدنيا.

وقيل: في القبور.

ومن المفسرين من يقول: إن الخطاب بقوله: «يوم يدعوكم» للمؤمنين،

---

(١) التبيان (٢/ ٩٣)، والدر المصون (٤/ ٣٩٩).

(٢) في الأصل: انقادهم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وهذا المعنى قريب من اختيار ابن جرير، قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ودعاءه إياكم، ولله الحمد في كل حال (الطبري ١٥/ ١٠١).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

استدلالاً بقوله: ﴿فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم﴾ في البرزخ إلا قليلاً؛ لأنهم منعمون في قبورهم، وأيام [السرور][1] قصار.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»[2].

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي﴾ قال ابن عباس: شكا أصحاب رسول الله ﷺ إليه ما يلقون من أذى المشركين قولاً وفعلاً، فنزلت هذه الآية[3].

وقال مقاتل[4]: شَتَمَ رجل من الكفار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فَهَمَّ به عمر، فنزلت هذه الآية.

والمعنى: وقل لعبادي يقولون الكلمة التي هي أحسن وألين.

قال الحسن: يقول له: يهديك الله، يرحمك الله[5].

قال بعض العلماء: أُمروا بمجاملة الكفار وتحسين خطابهم، ثم نُسخ ذلك بآية

---

(١) في الأصل: السور.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١١١)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٨١ ح٩٤٧٨).

(٣) زاد المسير (٥/ ٤٦)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥) من قول الكلبي.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٦١). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥)، وزاد المسير (٥/ ٤٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠١) وعزاه لابن جرير.

السيف[١].

قال الأخفش: وقوله: ﴿يقولوا﴾ مثل قوله: ﴿يقيموا الصلاة﴾[٢]. وقد سبق القول على إعرابه في إبراهيم[٣].

﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ يُحرّش بينهم ويُفسد ويُغري بعضهم ببعض.

﴿إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ سبق تفسيره[٤].

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم﴾ جائز أن يكون خطاباً للمؤمنين، وجائز أن يكون خطاباً للكافرين، وجائز أن يكون عاماً.

فإن كان الأول؛ فالمعنى: ربكم أعلم بمصالحكم.

﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بالنجاة من أهل مكة، ﴿وإن يشأ يعذبكم﴾ بتسليطهم عليكم. وهذا معنى قول ابن عباس[٥].

وقال الحسن: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، وإن يشأ يعذبكم بالإقامة على

---

(١) زاد المسير (٥/ ٤٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) آية رقم: ٣١.

(٤) في سورة النساء عند الآية رقم: ١٠١.

(٥) الوسيط (٣/ ١١٢)، وزاد المسير (٥/ ٤٧).

الذنوب[١].

وإن كان الثاني؛ فالمعنى: إن يشأ يرحمكم بالهداية إلى الإيمان، أو إن يشأ يعذبكم بالإقامة على الكفر[٢]، وهو قول مقاتل[٣].

وقيل: فَسَّر «التي هي أحسن» بقوله: «ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم»، أي: قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا تقولوا لهم: إنكم من أهل النار وأنكم معذبون، وما أشبه ذلك، مما يغيظهم ويُهيجهم على الشر.

وقوله: ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ اعتراض.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ أي: حافظاً ورباً موكلاً إليك أمرهم، تقهرهم على الإيمان وتضطرهم إليه، إنما أنت بشير ونذير، فمر أصحابك بالمجاملة واحتمال الأذى وترك المشاقة، وذلك قبل نزول آية السيف.

وقيل: المعنى: وكيلاً بهدايتهم، كفيلاً بها، وقادراً على إصلاح قلوبهم، فلا نسخ[٤].

قوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ أي: أعلم بمقاديرهم وأحوالهم وأهل الهداية والضلالة، ومن ينهض بأعباء الرسالة.

وفي هذا رد على استبعادهم وإنكارهم اختصاص يتيم أبي طالب بالنبوة

---

(١) زاد المسير (٥/ ٤٧).

(٢) بمعناه عند الطبري (١٥/ ١٠٢) عن ابن جريج، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٦١).

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١١٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٣٩٢).

والصفاء، والموالي؛ كصهيب، وخباب، وعمار، وبلال بالهدى، دون صناديدهم وقادتهم.

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ فخلق آدم بيده، ورفع إدريس مكاناً علياً، وجعل الذرية لنوح، ورفع محمداً ﷺ فوق السماوات السبع.

قال قتادة: اتَّخَذَ الله إبراهيم خليلاً، وكَلَّمَ موسى تكليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه، وآتى سليمان مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً. فكنا نحدث أنه تحميد وتمجيد الله، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود[1].

وفي قوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ تنبيه على تفضيل أصحاب الكتب.

قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ أي: قل يا محمد لكفار قريش: ادعوا الذين زعمتم من دونه أنها آلهة قد تكشف عنكم العذاب، وذلك أنهم شكوا إلى رسول الله ﷺ جهد القحط الذي أصابهم سبع سنين.

﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ أي: لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر الذي أصابكم، ولا يُحَوِّلُوهُ إلى غيركم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ قال ابن مسعود: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجن ولم يعلم الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ يعني: الجن الذين يعبدونهم[(١)].

فعلى هذا القول: يكون المشار إليهم بقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ هم الجن.

وقال ابن عباس في رواية مجاهد: «أولئك» إشارة إلى عيسى وأمه وعزير والملائكة[(٢)].

وقال في رواية أخرى: ثم ذكر الله أولياءه فقال: «أولئك الذين يدعون»، جعله مستقطعاً مما قبله.

وقوله: «أولئك» مبتدأ، «الذين يدعون» صفته، «يبتغون» خبره[(٣)].

والمعنى: يبتغون إلى ربهم الوسيلة، أي: القربة.

﴿أيهم﴾ بدل من واو «يبتغون»[(٤)]، أي: يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٧)، والنسائي في سننه (٦/ ٣٧٩)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، والطبري (١٥/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٥) وعزاه لعبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٥)، ومجاهد (ص:٣٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٥-٣٠٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) انظر: الدر المصون (٤/ ٤٠٠).

(٤) مثل السابق.

الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب؟.

وقيل: «أيهم» رفع بالابتداء، و«أقرب» خبره[١]. ويكون المعنى: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به.

﴿ويرجون رحمته﴾ أي: جنته ﴿ويخافون عذابه﴾ فكيف يكونُ وهُم بهذه المثابة آلهة؟.

﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ حقيقاً بأن تحذره الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون، فكيف بغيرهم؟.

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإن من قرية﴾ أي: وما من قرية ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ مستأصلوها بالفناء ﴿أو معذبوها﴾ بالقتل وأنواع البلاء.

وقيل: الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة.

﴿كان ذلك في الكتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ مكتوباً.

قال الضحاك: أما مكة فتخربها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، والجبال بالصواعق [والرواجف][٢].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٩٣)، والدر المصون (٤/ ٤٠٠).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ١٨٠). وما بين المعكوفين في الأصل: والراجف، والتصويب منه.

قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً، وسيِّر الجبال عنا، ونحن نؤمن بك، فأتاه جبريل فقال: إن شئتَ كان ما سأل قومك، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يُمْهَلُوا، وإن شئت استأنيت بهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ التي اقترحوها[1]، ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ فاستأصلناهم بالعذاب، وهذه سُنّتنا في مقترحي الآيات على رسلنا إذا قابلوها بالجحد والعناد.

قال الزجاج[2]: «أن» الأولى نصب، و«أن» الثانية رفع. المعنى: ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين.

﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ آية بينة واضحة [تبصرهم وتبين][3] لهم، ﴿فظلموا بها﴾ أي: فكفروا بها.

وقيل: ظَلَمُوا أنفسهم بتكذيبها.

وقال الأخفش[4]: بها كان ظلمهم.

﴿وما نرسل بالآيات﴾ الموجبة للعِبَر والعِظات.

قال الحسن: هو الموت الذريع[5].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٨). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥-٢٩٦)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، وأحمد في المسند (١/ ٢٥٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨٠)، والضياء في الأحاديث المختارة (١٠/ ٧٨-٧٩) كلهم عن ابن عباس.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٧).

(٣) في الأصل: نبصرهم ونبين.

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٤١).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٠٩)، وأحمد في الزهد (ص:٣٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٨) =

وقال الإمام أحمد: هي تَقَلُّب أحوال الإنسان من صغر إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب؛ ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره[(١)].

﴿إلا تخويفاً﴾ للعباد.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي: واذكر إذ قلنا لك وأنت بمكة مبشرين بوقعة بدر وبفتح مكة، وغير ذلك من أسباب نصرك وأمارات ظهورك، أن ربك أحاط بالناس أهل مكة، فهم في قبضتك وتظهر عليهم.

وقال ابن عباس: أحاط علمه بالناس[(٢)].

وقال مجاهد: أحاطت قدرته بالناس[(٣)].

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يعني: ليلة الإسراء.

قال ابن عباس: هي رؤيا عينٍ رآها ليلة أُسري به[(٤)]، وهذا قول الحسن

= وعزاه لسعيد بن منصور وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن جرير وابن المنذر.

(١) الماوردي (٣/ ٢٥٢)، وزاد المسير (٥/ ٥٢).

(٢) الماوردي (٣/ ٢٥٣) من قول الكلبي، وزاد المسير (٥/ ٥٢).

(٣) الماوردي (٣/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٥/ ٥٣).

(٤) وهذا القول هو الراجح، رجحه ابن جرير (١٥/ ١١٣) وغيره.

وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة ومسروق والنخعي وقتادة والأكثرين[(١)].

قال ابن الأنباري[(٢)]: المختار في هذه الرؤيا أن تكون يقظة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلاناً رؤية، ورأيته رؤيا.

وروي عن ابن عباس: أنها رؤياه التي رأى في منامه أنه يدخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة، فعجل قبل الأجل، فردَّهُ المشركون عام الحديبية، فاشرأبّ النفاق وقام على ساق، قالوا: أين رؤياه التي رأى[(٣)]؟.

قال أبو سليمان الدمشقي[(٤)]: إنما ذكر هذا ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتنوا برؤيا عينه، والمنافقين برؤيا نومه.

﴿إلا فتنة للناس﴾ بلاء واختباراً، وكانت تلك الرؤيا مزلَّةً للأقدام، [ومدحضة][(٥)] للأفهام، فارتدَّ ناس ممن أسلم، وتزلزل آخرون. وأما ذووا البصائر وأرباب الألباب، وأصحاب الأقدام الراسخة في الإيمان؛ -كأبي بكر الصديق رضي الله عنه- فلم يزدهم ذلك إلا ثباتاً في دينهم وتحقيقاً في يقينهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤١٢)، والترمذي (٥/ ٣٠٢)، والنسائي (٦/ ٣٨١)، وأحمد (١/ ٢٢١)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٥٠)، والطبري (١٥/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٨) وعزاه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٣).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٥/ ٥٣-٥٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٤).

(٥) في الأصل: ومدحظة.

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: هي شجرة الزقوم(١).

وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس.

وكان افتتانهم بالشجرة حين سمعوا قوله: ﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم﴾ [الدخان:٤٣-٤٤]، وقوله: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ [الصافات:٦٤] إذ قالوا: يزعم محمد أن الجحيم يحرق الحجارة، ثم يقول: تَنْبُتُ فيها شجرة.

وقال ابن الزِّبعرى(٢): ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد بلسان بَرْبَرْ، فقال أبو جهل: يا جارية، أبغينا تمراً وزبداً، فجاءته به، فقال لمن حوله: تزقّموا من هذا الذي يُخوِّفُكُم به محمد(٣).

وقد روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن المأمون، عن الرشيد، عن سفيان بن

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٣-١١٤)، ومجاهد (ص:٣٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس. وقد نقل الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٤٠) عن ابن كثير إجماع أهل التأويل على ذلك، فلا اعتبار بغيرهم معهم. قلت: وساق ابن جرير الإجماع فيه (١٥/ ١١٥).

(٢) عبدالله بن الزِّبَعْرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحُلّة (انظر: الأعلام ٤/ ٨٧).

(٣) الوسيط (٣/ ١١٤)، وزاد المسير (٥/ ٥٥).

عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان[1]، عن سعيد بن المسيب في قول الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: أريَ بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يعطونها، فسري عنه[2].

«إلا فتنة للناس»: قال: بلاء للناس.

وروى عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد[3]، عن أبيه[4]، عن جده[5] قال: «رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾»[6].

---

(١) علي بن زيد بن جدعان، أبو الحسن التيمي القرشي البصري الأعمى، عالم البصرة، مات سنة تسع وعشرين ومائة (تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٠-١٤١، وطبقات الحفاظ ص:٦٥).

(٢) أخرجه الثعلبي (٦/ ١١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٥٤) ثم قال: مثل هذا لا يصح، لكن ذكره عامة المفسرين.

(٣) عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري المدني. ضعيف، قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، مات بعد السبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٨٣، والتقريب ص:٣٦٦).

(٤) عباس بن سهل بن سعد بن مالك الساعدي. أدرك زمن عثمان، كان ثقة قليل الحديث، توفي بالمدينة في حدود العشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ١٠٤، والتقريب ص:٢٩٣).

(٥) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، أبو العباس، ويقال: أبو يحيى، مات سنة ثمان وثمانين، وقد جاز المائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢١، والتقريب ص:٢٥٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٢-١١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٠٩) وعزاه لابن جرير. ولم يصح هذا الأثر، وسنده ضعيف جداً، ففي سنده محمد بن الحسن بن زياد، وهو متروك، وكذا
=

وروى حديث سعيد بن المسيب؛ ابن الجوزي في زاد المسير[١].

وقال أيضاً[٢]: روى ابن الأنباري: أن سعيد بن المسيب قال: «رأى رسول الله ﷺ قوماً على منابر، فَشَقَّ عليه ذلك، وفيه نزل: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾»[٣].

والأول هو القول الصحيح.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس «في قوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال: والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم»[٤]. هذا حديث صحيح.

وقال صاحب الكشاف[٥]: قيل: رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان بالكرة. وذكر نحو ذلك الماوردي[٦] وغيره.

شيخه عبدالمهيمن بن عباس بن سهل ضعيف جداً، وضعّف الأثر الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٤٠).

(١) زاد المسير (٥/ ٥٤).

(٢) زاد المسير (٥/ ٥٤).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٥٤). والشجرة هنا كناية عن المرأة، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٣٩ ح٦٢٣٩).

(٥) الكشاف (٢/ ٦٣٢).

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٥٣).

قال ابن عباس: الملعونة: المذمومة[1]، وهو معنى قول الزجاج[2]: العرب تقول لكل طعام مكروه وضارٍ: ملْعُون.

وقيل: الملعونة لِمُوكِلها أو أهلها.

وقيل: الملعونة: المبعودة، وهي في أبعد مكان؛ لأنها تخرج في أصل الجحيم.

وقال ابن الأنباري[3]: الملعونة: المبعدة عن منازل أهل الفضل.

ومعنى قوله: ﴿في القرآن﴾ أنها ذكرت في القرآن.

﴿ونخوفهم﴾ مخاوف الدنيا والآخرة، ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾ فأنى ينفعهم ما يسألون ويقترحون من الآيات.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿أأسجد﴾ استفهام في معنى الاستبعاد، ﴿لمن خلقت طيناً﴾ قال الزجاج[4]: «طيناً» منصوب على وجهين:

أحدهما: التمييز، والمعنى: لمن خلقته من طين.

---

(١) الوسيط (٣/ ١١٥)، وزاد المسير (٥/ ٥٥).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٥).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٤٩).

والثاني: على الحال، المعنى: أنشأته في حال كونه من طين[١].

وقال الزمخشري[٢]: «طيناً» حال إما من الموصول، فالعامل فيه «أسجد»، على معنى أأسجد له وهو طين، أي: أصله طين، أو من الراجع إليه من الصلة على: أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً.

﴿قال أرأيتك﴾ الكاف للخطاب، و ﴿هذا﴾ مفعول به، والمعنى: قال أخبرني عن هذا ﴿الذي كرمت﴾ـه ﴿عَلَيَّ﴾ لم فعلت به هذا وأنا خير منه؟ فحذف اختصاراً لدلالة الكلام عليه.

ثم ابتدأ فقال: ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن﴾ أي: لأستأصلنّ ﴿ذريته﴾ بالإغواء، مِنْ قولهم: احتنكَ الجرادُ ما على الأرض؛ إذا جَرَدَهُ أكلاً، واحتنكَ فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه[٣].

﴿إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: هم أولياء الله الذين عَصَمَهُم[٤].

فإن قيل: من أين عَلِمَ إبليس أن ذلك [يتسهّل][٥] له؟

قلتُ: إما أن يكون سمعه من الملائكة، أو أخذه من قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة:٣٠]، أو لكونه رأى الأب أجوف، فعرف أنه خلقٌ لا يتمالك، أو ظَنَّ ظناً فتحقق. قال الله: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه﴾ [سبأ:٢٠].

(١) التبيان (٢/ ٩٣)، والدر المصون (٤/ ٤٠٣) وزاد فيه وجهاً ثالثاً: أنه منصوب على إسقاط الخافض، أي: من طين، كما صرح به في الآية الأخرى ﴿وخلقته من طين﴾.

(٢) الكشاف (٢/ ٦٣٢-٦٣٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حنك).

(٤) الوسيط (٣/ ١١٥)، وزاد المسير (٥/ ٥٧).

(٥) في الأصل: ينفَعِل. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٣٣).

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿قال اذهب﴾ أي: امْضِ لشأنك وما جرّه سوء اختيارك عليك ﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ أي: موفراً.

﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال ابن عباس: صوته: دعاء كل دَعِيٍّ إلى معصية الله تعالى[1].

وقال مجاهد: الغناء والمزامير[2].

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ أي: صِحْ عليهم، من الجَلَبَة؛ وهي الصِّياح بالخيالة والرجالة.

قال قتادة: إن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس[3].

والرَّجْل: جمع راجل؛ كَراكِبٍ ورَكْب، وتاجِرٍ وتَجْر، وصاحِبٍ وصَحْب.

وقرأ حفص عن عاصم: «ورجِلِكَ» بكسر الجيم[4]، على أن فَعِلاً بمعنى

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١١٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٥٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٥)، والكشف (٢/ ٤٨)، والنشر =

فاعل، كتَعِبَ وتاعِبٍ.

وقرأ ابن السميفع: «وَرُجَّالَكَ» بتشديد الجيم وألف بعدها(١).

وقرأ أبو المتوكل: «ورِجَالِكَ» بكسر الراء وتخفيف الجيم وألف بعدها أيضاً(٢).

قال الزجاج(٣): المعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر من مكايدك.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ أي: شاركهم في كل معصية تتعلق بالأموال من المكاسب المحرمة، والإنفاق في المعاصي، ومنع الزكاة والحقوق الواجبة في الأموال.

وقال ابن عباس: هو ما كانوا يحرمونه من أنعامهم(٤).

وأما المشاركة في الأولاد: فكل ولد يتوصل إليه بسبب حرام؛ كالزنا، ودعوى الولد بغير [نسب](٥) شرعي، والتسمية بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس، وما عساه يتسامح به غلاة الرافضة؛ كعبد علي، وأمثال ذلك.

وقال ابن عباس في رواية عنه: هو ما قتلوا من أولادهم(٦).

= (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٢).

(١) زاد المسير (٥/ ٥٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٥) في الأصل: سبب.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٢) =

وقال الحسن: قد شاركهم والله في أولادهم، فمَجَّسُوا وهوَّدُوا ونصَّرُوا وصبغوا غير صبغة الإسلام[(١)].

﴿وعِدْهم﴾ يعني: المواعد الكاذبة، مثل: لا يبعث ولا ينشر، ولا جنة ولا نار، ومثل شفاعة الآلهة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة.

﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ سبق تفسيره في النساء[(٢)].

وقوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ مُفَسّر في الحِجْر[(٣)].

﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ حافظاً لأوليائه وعاصماً لهم من الشيطان وأعوانه.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾ مبتدأ وخبر[(٤)].

وقيل: إنه متعلق بجواب قولهم: «من يُعيدنا»، فيكون صفة لقوله: «الذي فطركم» أي: يسيرها ويسوقها فيه.

﴿لتبتغوا من فضله﴾ «من» للتبعيض. وقيل: زائدة.

وقيل: التقدير: لتبتغوا مِنْ فضله الخير والرزق.

﴿إنه كان بكم﴾ أيها المؤمنون ﴿رحيماً﴾.

وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٥٩).

(٢) آية رقم: ١٢٠.

(٣) آية رقم: ٤٢.

(٤) التبيان (٢/ ٩٤).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

ثم خاطب المشركين ثم قال: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾ وهو خوف الغرق ﴿ضل﴾ أي: غاب عن أوهامكم وخواطركم ﴿مَنْ تدعون﴾ من الآلهة[1] ﴿إلا إياه﴾ علماً منكم أنه لا مُغيث غيره ولا مُنْجِي سواه.

﴿فلما نجاكم إلى البر﴾ ورأيتم مخايل[2] الخلاص ﴿أعرضتم﴾ عن التوحيد والإخلاص ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ لأنْعُمِ ربه بعد أن أنْعَمَ عليه [بالخروج][3] من كربه.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أفأمنتم﴾ الاستفهام للإنكار، والفاء للعطف على محذوف،

(١) من اللطائف: أن بعض الناس قال لبعض الأئمة: أثبت لي وجود الله، ولا تذكر لي الجوهر والعرض. فقال له: هل ركبت البحر؟ قال: نعم، قال: فهل عصفت الريح؟ قال: نعم، قال: فهل أشرفت بك السفينة على الغرق؟ قال: نعم، قال: فهل يئست مِن نفع مَن في السفينة ونحوهم من المخلوقين لك وإنجائهم مما أنت فيه إياك؟ قال: نعم. قال: فهل بقي قلبك متعلقاً بشيء غير أولئك؟ قال: نعم، قال: ذلك هو الله عز وجل. فاستحسن ذلك (انظر: روح المعاني ١٥/ ١١٥).

(٢) أي: علامات.

(٣) في الأصل: بالروح.

تقديره: أنجوْتُم فأمنتم فحملكُم ذلك على الإعراض ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ سمّاهُ جانباً؛ لأنه يصير بعد الخسف جانباً، أو لكونهم كانوا على ساحل البحر، فساحله جانب البر.

والمعنى: أفأمنتم بعد النجاة من البحر أن يخسف بكم جانب البر وأنتم عليه، فنغيّبكم في التراب، كما لو كنتم في البحر وأردنا [أن][1] نغيبكم في الماء، فإنهما في القدرة سواء.

وفيه تنبيه على أنه يجب على العاقل أن لا يزال خائفاً من الله تعالى حيث كان.

﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ وهي الريح التي تحصبُ، أي: ترمى بالحصباء، وهي الحصا الصِّغار. قال الفرزدق:

مُستقبلينَ شَمالَ الريحِ تَضْرِبُهُم بحاصِبٍ كَنَديفِ القطنِ منثور[2]

وقال قتادة: الحاصِب: حجارة من السماء[3].

﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ مانعاً ولا صارفاً يصرفه عنكم.

﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ أي: في قلوبكم ونهيج به دواعيكم ﴿تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ وهي الريح الشديدة التي لا تَمُرُّ على شيء إلا قصَفَتْه.

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) البيت للفرزدق. وهو في: الدر المصون (٤/ ٤٠٧)، واللسان (مادة: زحف)، والطبري (١٥/ ١٢٤، ٢٠/ ١٥١)، والقرطبي (١٠/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٥/ ٦١)، وروح المعاني (١٥/ ١١٦، ٢٧/ ٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقيل: هي التي لها قصف، أي: صوت شديد كأنها تقصف، [أي][(١)]: تتكسّر.

قال عبدالله بن عمرو: ريح العذاب أربع؛ اثنتان في البر واثنتان في البحر، فاللتان في البر: الصَّرْصَر، والعَقِيم، واللتان في البحر: العَاصِف، والقَاصِف[(٢)].

﴿فيغرقكم﴾ وقرأ أبو جعفر بالتاء[(٣)] يعني: الريح، ومثله أبو الجوزاء إلا أنه شدّد[(٤)].

وقد اختلف القُرّاء في هذه الآية، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «أن نخسف»، «أو نرسل»، «أن نعيدكم»، «فنرسل»، «فنغرقكم» بالنون في الخمسة. وقرأهن باقي القراء السبعة بالياء[(٥)]، ووجههما ظاهر.

والمعنى: فيغرقكم بكفركم المُنْعِم عليكم والمُحْسِن إليكم.

﴿ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ أي: تابعاً بإنكار ولا طالباً لثأر.

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٦٣٥).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (١/ ٣٩٧) وعزاه لأبي عبيد وابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٦٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٦)، والكشف (٢/ ٤٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥).

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فضّلناهم على سائر الخلق بالعقل، والنطق، والتمييز، وحُسن الصورة، وامتداد القامة وتعديلها، وتسليطهم على سائر المخلوقات وتسخيرها لهم. هذا خلاصة ما ذكره المفسرون[١].

وروي عن ابن عباس أنه قال: فُضِّلوا على سائر الخلائق غير طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم[٢].

يريد: تفضيل المؤمنين من بني آدم.

وروي عنه قال: ليس من دابة إلا وهي تأكل بفيها، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده[٣].

وروي نحو ذلك عن النبي ﷺ[٤].

﴿وحملناهم في البر﴾ على الأكباد الرطبة ﴿والبحر﴾ على الأعواد اليابسة، ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ المآكل المستلذة، والمشارب الهنية، من الثمار والحبوب

---

(١) الوسيط (٣/ ١١٧)، وزاد المسير (٥/ ٦٣).

(٢) زاد المسير (٥/ ٦٢).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٥/ ١٢٦) عن ابن جريج، والبيهقي في الشعب (٥/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩). وانظر: الوسيط (٣/ ١١٧)، وزاد المسير (٥/ ٦٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

واللحم والعسل والماء العَذْب.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ قال زيد بن أسلم في هذه الآية: قالت الملائكة: ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك، فأعطنا في الآخرة، قال: وعزتي وجلالي، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كُنْ فكان[1].

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»[2].

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا﴾ أي: اذكر يوم ندعوا، وقيل: انتصب «يوم» بمدلول الفاء من قوله: ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ أي: يعطى كل إنسان كتابه يوم ندعوا.

فإن قيل: هل يجوز أن يعمل فيه «كرّمنا» أو «فضّلناهم»؟

قلت: لا يجوز؛ لأنه فعل ماض، فلا يعمل في المستقبل، والباء في قوله: ﴿بإمامهم﴾ باء الحال[3]، تقديره: ندعوا كل أناس مختلطين بإمامهم أو فيهم

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٥) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٠١ ح٣٩٤٧).

(٣) التبيان (٢/ ٩٤)، والدر المصون (٤/ ٤٠٩).

إمامهم. وإن شئت كان متعلقاً بـ«ندعوا»؛ لأن كل إنسان يدعى بإمامه يوم القيامة، فيقال: يا آل فلان.

قال أنس بن مالك وقتادة: بـ«إمامهم» أي: بنَبيّهم[١]، فيقال: يا أُمّة موسى، يا أُمّة عيسى، يا أُمّة محمد.

وقال الضحاك وابن زيد: بكتابهم الذي أُنزل عليهم[٢].

وقال قتادة: بكتاب عَمَلِهم[٣].

وذهب جماعة إلى أن المعنى: يدعون بما كانوا يأتمون به في الخير والشر[٤].

قال ابن عباس: يدعى كل أناس برئيسهم[٥].

وقال سعيد بن جبير: إمام هدى وإمام ضلالة[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٦) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩) عن أنس، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣١٧) عن أنس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والخطيب في تاريخه عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٧). وانظر: الوسيط (٣/ ١١٨)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٢٥٨)، وزاد المسير (٥/ ٦٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٦-١٢٧). وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٥٨)، وزاد المسير (٥/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. وهذا القول الراجح عند ابن كثير (٣/ ٥٣) لقوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾.

(٤) وهذا القول هو الذي رجحه الطبري (١٥/ ١٢٧).

(٥) زاد المسير (٥/ ٦٤).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩). وانظر: الوسيط (٣/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣١٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ وهم أهل السعادة، يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم، ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾.

قال صاحب الكشاف[١]: إن قلت: لمَ خَصَّ أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم؟

قلت: بلى، ولكن إذا اطَّلعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساوئه [أمام][٢] التنكيل والانتقام منه، من الحياء والخجل والانخزال، وحبسة اللسان، والتتعتع، والعجز عن إقامة حروف الكلام، والذهاب عن تسوية القول، فكأنّ قراءتهم كَلاَ قراءة.

وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة [وأبينها][٣]، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم، حتى يقول القارئ لأهل المحشر: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ [الحاقة:١٩].

﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ أي: لا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء.

وقد سبق تفسير الفتيل والنقير والقطمير في سورة النساء[٤].

قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ أي: من كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة عن النظر في عجائب مخلوقات الله ودلائل قدرته وبراهين وحدانيته ومعجزات رسله، ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن طريق الثواب والنجاة من

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٣٧-٦٣٨).

(٢) في الأصل: أيام. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٣٧).

(٣) في الأصل: وأثبتها. والتصويب من الكشاف (٢/ ٦٣٨).

(٤) آية رقم: ٤٩.

العذاب؛ لأنه كان في الدنيا بسبيل من النظر والاستدلال وقبول التوبة من الضلال.

قال الزمخشري في هذا المعنى[١]: وقد جوّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالاً، والثاني [مفخماً][٢]؛ لأن أفعل التفضيل تمامُه بـ«من»، فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام، كقولك: أعمالكم. وأما الأول فلم يتعلق به شيء، فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة.

وقرأ أهل الكوفة بالإمالة فيهما. وقرأ الباقون بالتفخيم[٣] فيهما[٤]، وكلتاهما حسنة.

وقد قيل: المعنى من كان في هذه أعمى عن أنعم الله التي يراها ويشاهدها فهو في الآخرة التي لم يرها عياناً ولم يشاهدها أعمى[٥].

وروي عن ابن عباس أنه قال: فهو في الآخرة أعمى، أي: عما وصف له في

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٣٨).

(٢) في الأصل: مقحماً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أي: بالفتح.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٧)، والكشف (١/ ١٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٣).

(٥) فائدة: قال ابن الجوزي رحمه الله (٥/ ٦٦): فإن قيل: لِمَ قال: ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ ولم يقل: أشد عمى؛ لأن العمى خلقة بمنزلة الحمرة والزرقة، والعرب تقول: ما أشد سواد زيد، وما أبين زرقة عمرو، وقلّما يقولون: ما أسود زيداً، وما أزرق عمْراً.

الآخرة[١].

وقال أبو بكر الوراق: فهو في الآخرة أعمى عن الجنة[٢].

﴿وأضل سبيلاً﴾ لأنه في الآخرة، وضلال الآخرة لا سبيل إلى المخلص منه.

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ «إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، والمعنى: هَمُّوا وقاربوا أن يصرفوك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن، فإن إعطائهم ما سألوا مخالفة حكم القرآن.

قال ابن عباس: إن وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أمْتِعْنا باللات سنةً، وحَرِّم وادينا كما حرّمت مكة، فإنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فأبى ذلك، فأقبلوا يُكثرون المسألة ويقولون: إن خشيتَ أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تُعْطِنا، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية[٣].

﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي: لتختلق علينا غير القرآن، وهو قولهم: قل لهم: الله

---

(١) زاد المسير (٥/ ٦٦).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٢٥٩)، وزاد المسير (٥/ ٦٦).

(٣) الوسيط (٣/ ١١٩-١٢٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٧)، وزاد المسير (٥/ ٦٧).

أمرني بذلك.

﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ أي: لو أجبتهم إلى ما سألوا لاتخذوك ولياً ولأخرجت من ولايتي.

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بعصمتنا إياك.

«أن» في موضع رفع بالابتداء. أي: لولا تثبيتنا إياك.

وكان أبو سعيد السيرافي يُجوّز دخول «لولا» على الفعل، محتجاً بقول الشاعر:

.... لولا حُدِدْتُ ولا عُذْرِي لمحدُود[1]

قال بعضهم: خفي عليه إضمار «أن» في البيت، وأبطل مذهبه بهذه الآية.

والمعنى: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ أي: قاربت أن تميل إليهم ﴿شيئاً قليلاً﴾ وهذا من باب التهييج والإلهاب؛ ليزداد ﷺ ثباتاً ورسوخاً في الحق، ويتضمن أيضاً تحذير الأمة من الركون إلى الكفرة، لما نيط به من الوعيد الشديد لمن هو أقرب إلى الله وسيلة على تقدير وجود ذلك منه.

ويروى: أن النبي ﷺ [قال][2] بعد نزولها: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[3].

﴿إذاً لأذقناك﴾ لو ركنت إليهم أدنى ركون ﴿ضعف الحياة﴾ على حذف المضاف، تقديره: ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، فحذف المضاف

---

(١) عجز بيت للجموح الظفري، وصدره: (دَرَّكِ إني قد رميتُهُمُ لولا) انظر: اللسان (مادة: عذر).

(٢) في الأصل: كان.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٣١). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٦٠). وهذا الأثر مرسل من مرسلات قتادة.

كقول الشاعر:

.... واستبَّ بعدكَ يا كُليبُ المجلس[١]

والمعنى: ضِعْف ما يعذب به غيرك.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ معصوماً، ولكن هذا التخويف لأمته؛ لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه[٢].

وهذه الآية من أعظم الزواجر عن المداهنة في دين الله.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا﴾ يعني: أهل مكة، في قول الحسن ومجاهد[٣]، ﴿ليستفزونك﴾ ليزعجونك بعدوانهم ومكرهم من أرض مكة.

قال قتادة: لو فعلوا ذلك ما نوظروا، ولكن الله كَفَّهم عن إخراجه حتى أمره بالخروج[٤].

وقيل: المعنى: ليعدمونك ﴿من الأرض﴾ كلها، فإنهم هَمُّوا بقتله.

---

(١) عجز بيت للمهلهل في رثاء أخيه كليب، وصدره: (ذهب الخيار من المعاشر كلهم).

ويروى صدر البيت: (نبئت أن النار بعدك أوقدت). انظر: زاد المسير (٥/ ٦٩).

(٢) الوسيط (٣/ ١٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٦٩).

(٣) زاد المسير (٥/ ٧٠).

(٤) الوسيط (٣/ ١٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٧٠).

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: وإن كادوا يهود المدينة ليستفزونك من أرض المدينة حسداً لك وكراهية لما جئت به.

قال ابن عباس: قالوا له: لقد علمتَ ما هذه أرض الأنبياء، وإن أرض الأنبياء الشام، فإن كنت نبياً فائت الشام، فنزلت هذه الآية[(١)].

﴿وإذاً لا يلبثون خَلْفَكَ﴾ وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا أبا بكر: «خلافك»[(٢)]، وهما بمعنى واحد، وأنشدوا:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمُتْ ....

وقد سبق إنشاد البيتين.

والمعنى: لو أخرجوك لاستأصلناهم وأهلكناهم.

قال المفسرون: وقد فعل الله بهم ذلك فأهلك أهل مكة ببدر بعد إخراجه بزمان قليل[(٣)].

وقال ابن الأنباري[(٤)]: معنى: «لا يلبثون خلافك» على خلافك ومخالفتك، فسقط حرف الخفض.

---

(١) زاد المسير (٥/ ٦٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٨)، والكشف (٢/ ٥٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٣-٣٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤١) كلاهما عن قتادة. وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٦١)، وزاد المسير (٥/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٠) وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٧٠-٧١).

وقرأ أبو رزين: «خُلاّفُك» بضم الخاء وتشديد اللام ورفع الفاء[(١)].

قوله تعالى: ﴿سنَّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ قال الزمخشري[(٢)]: أي: نَعِدُهُم سُنَّة من قد أرسلنا، إشارة إلى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم، فسنَّة الله أن يهلكهم، ونصبت نصب المصدر المؤكد، أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّة، ﴿ولا تجد لسنّتنا تحويلاً﴾.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ قال الزجاج[(٣)]: ميلها وقت الظهيرة دلوك.

فإن أريد بالدلوك الأول، -وهو قول ابن عمر وأبي برزة وأبي هريرة والحسن ومجاهد وقتادة وجعفر بن محمد والأكثرين-، فتكون الآية جامعة للصلوات الخمس؛ لأن قوله: ﴿لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ يشمل الظهر والعصر والمغرب والعشاء[(٤)].

﴿وقرآن الفجر﴾ صلاة الفجر، على معنى: وأقم صلاة الفجر، وإن أريد الثاني

---

(١) زاد المسير (٥/ ٧١).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٤١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٥٥).

(٤) زاد المسير (٥/ ٧٢).

-وهو قول ابن مسعود والنخعي واختيار ابن قتيبة، وعن ابن عباس كـالقولين- فيكون المراد بذلك صلاة المغرب إلى غسق الليل، وهو ظلمته[(١)].

قال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن يكون المراد: بيان وقت المغرب أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل[(٢)].

وقال الحسن: يريد المغرب والعشاء[(٣)].

وقال الزجاج[(٤)] في قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ فائدة عظيمة، وهي: أن الصلاة لا تكون إلا [بقراءة][(٥)] حين سميت الصلاة قرآناً.

﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « فضل الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر. يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ »[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ قال مجاهد: التَّهَجُّدُ: القيام بعد النوم[(٧)].

---

(١) زاد المسير (٥/ ٧٢-٧٣).

(٢) زاد المسير (٥/ ٧٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٥) في الأصل: بقرآن. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٢٥٥).

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٨ ح٤٤٤٠)، ومسلم (١/ ٤٥٠ ح٦٤٩).

(٧) الوسيط (٣/ ١٢١)، وزاد المسير (٥/ ٧٤).

قال الأزهري[١]: قيل له: مُتَهَجِّد؛ لإلقائه [الهجود][٢] عن نفسه، كما يقال: تَحَرَّجَ، وتَأَثَّمَ، وتَحَوَّبَ.

وقال ابن الأنباري[٣]: المتهجد هاهنا بمعنى: التيقظ والسهر، واللغويون يقولون: هو من حروف الأضداد، يقال للنائم: هاجِدٌ ومُتَهجِّدٌ. قال النابغة:

[لو][٤] أنها عَرَضَتْ لأشْمَطَ راهبٍ   عَبَدَ الإلهَ صَرُورةٍ متهجِّدِ
لَرَنَا لبهْجَتِها وحُسْنِ حديثِها   ولخالَهُ رُشْداً وإن لم يَرْشَدِ[٥]

والمعنى: ومن الليل فَصَلِّ بالقرآن نافلة لك.

قال ابن عباس: فريضة [عليك][٦]، وقال: أُمِرَ النبي ﷺ بقيام الليل خاصة وكتب عليه[٧]، فيكون المعنى: عبادة مفترضة زائدة على الصلوات الخمس.

قال مجاهد: النافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٣٧).

(٢) في الأصل: المهجود. والتصويب من تهذيب اللغة، الموضع السابق.

(٣) انظر: الطبري (١٥/ ١٤١)، وزاد المسير (٥/ ٧٤).

(٤) في الأصل: ولولا. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٥) البيتان للنابغة. انظر: ديوانه (ص:٤١). وانظر البيت الأول في: اللسان، مادة: (صرر، بتل)، ونسبه في الموضع الثاني لربيعة بن مقروم الضبي.
وانظر البيت الثاني في: اللسان (مادة: تمر)، وهو فيه:
لدنا لبهجتها وحسن حديثها   ولَهَمَّ من تَامُوره يتنزَّل
وانظر البيتان في: القرطبي (٦/ ٢٥٨)، وزاد المسير (٥/ ٧٤).

(٦) في الأصل: ذلك. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٧٥).

(٧) زاد المسير (٥/ ٧٥).

تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة له[(١)].

وقيل: يشير بذلك إلى أنها شُرعت في حقه لرفع الدرجات لا [للكفارات][(٢)]، وفي حق غيره للكفارات ومحو السيئات.

و«نافلة» نصب على المصدر بتقدير وضعه موضع «تهجد»، أو بتقدير وضع «تَهجَّد به» موضع تنفّل.

و«نافلة» بمعنى: تنفل.

﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال الزمخشري[(٣)]: «مقاماً محموداً» نصب على الظرف، أي: عسى أن يبعثك فيقيمك مقاماً محموداً، أو ضمّن «يبعثك» معنى: يقيمك، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: أن يبعثك ذا مقام محمود.

والمعنى: مقاماً يحمده عليه جميع أهل الموقف، بما يظهر من علو منزلته وكرامته على ربه عز وجل.

وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: «يجلسه معه على العرش»[(٤)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: وعدني القعود على العرش».

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر ومحمد بن نصر والبيهقي في الدلائل.

(٢) في الأصل: لكفارات.

(٣) الكشاف (٢/ ٦٤٢).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٥). والديلمي في الفردوس (٣/ ٥٨) من حديث ابن عمر مرفوعاً.

وروى مثله أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وقال عبدالله بن سلام: إذا كان يوم القيامة يؤتى بنبيكم ﷺ فيقعد بين يدي ربه عز وجل على الكرسي(١).

وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد في تفسير هذه الآية: يقعده على العرش(٢).

قال ابن عمير: سمعت أحمد بن حنبل سُئِلَ عن حديث مجاهد: «يقعد محمداً على العرش» فقال: قد تلقّته العلماء بالقبول، نسلّم الخبر كما جاء.

وذكر أبو عبدالله ابن بطة في كتاب الإبانة: قال أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد: لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله تعالى يقعد محمداً معه على العرش واستفتاني في يمينه لقلت له: صدقتَ في قولك وبررتَ في يمينك، وامرأتك على حالها.

[قال](٣) الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره(٤): هذا تأويل غير مستحيل؛ لأن الله تعالى كان قبل خلقه الأشياء قائماً بذاته، ثم خلق الأشياء من غير حاجة له إليها، بل إظهاراً لقدرته وحكمته، وخلق لنفسه عرشاً استوى عليه كما شاء بلا كيف، وليس إقعاده محمداً على العرش موجباً له صفة الربوبية، ولا مُخرجاً له عن

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٨) وعزاه لابن جرير. وقد نقل الشوكاني في الفتح (٣/ ٢٥٢) عن النقاش قوله عن أبي داود السجستاني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث.

(٣) في الأصل: قا.

(٤) تفسير الثعلبي (٦/ ١٢٦). وانظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣١١-٣١٢).

صفة العبودية، بل هو لرفع محله وإظهار شرفه.

وقد روى القاضي أبو يعلى بإسناده عن ابن العلاف الضرير أنه أنشد لنفسه في وقت رد الترمذي الجلوس وقعود النبي ﷺ معه على العرش:

حديث الشفاعة في أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده

فأما حديث إقعاده ... على العرش يرى فلا ننكره

وقد قصد الناس في ذا الحديث ... إلى كل ما نحن لا نقصده

أمِرُّوا الحديثَ على ما أتى ... ولا تدخلوا فيه ما يفسده

فإن قيل: فقد روي عن ابن مسعود أيضاً وحذيفة وابن عمر وسلمان الفارسي وجابر بن عبدالله والحسن ومجاهد في رواية عنه: أن المقام المحمود: الشفاعة(١).

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، فقال: هو الشفاعة»(٢).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الشفاعة: «فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من وجب عليه الخلود أو حبسه القرآن، وهو المقام المحمود الذي وعده الله عز وجل. [ثم تلا هذه الآية](٣): ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٤)، ومجاهد (ص:٣٦٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٣ ح٣١٣٧).

(٣) زيادة من صحيح البخاري (٦/ ٢٧٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٠٨ ح٧٠٠٢)، ومسلم (١/ ١٨٠ ح١٩٣).

قلت: المقام المحمود مطلقٌ في كل ما يجب الحمد للنبي ﷺ من أنواع الكرامات والشفاعة، والقعود على العرش نوعان مما يتناوله الإطلاق، فحينئذ لا منافاة بين القولين، ولا مناقضة بين الروايتين.

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ قال ابن عباس: أدخلني القبر مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق[1].

كأنه يريد: أدخلني القبر إدخالاً مَرْضِيّاً مُطَهَّراً من السيئات، وأخرجني منه إخراجاً مرضياً، ويؤيد ذلك أنه ذكره على إثر البعث.

وروى ابن عباس أن المعنى: أدخلني المدينة مدخل صدق، وأخرجني من مكة مخرج صدق[2].

وقال الضحاك: أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق،

---

(١) الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٦٧)، وزاد المسير (٥/ ٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٤)، وأحمد (١/ ٢٢٣)، والحاكم (٣/ ٤)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٠٩)، والبيهقي في سننه (٩/ ٩)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩/ ٥٣٥)، والطبري (١٥/ ١٤٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٢٨) وعزاه لأحمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل والضياء في المختارة. وهذا القول هو الذي اختاره ابن جرير.

فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليهم يوم الفتح[١].

وقيل: هو عام في كل ما يلابسه ويدخل فيه.

قال الواحدي[٢]: المدخل والمخرج بمعنى المصدر، وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح، نحو قوله: ﴿قدم صدق﴾ [يونس:٢] و ﴿مقعد صدق﴾ [القمر:٥٥].

﴿واجعل لي من لدنك﴾ أي: من عندك ﴿سلطاناً﴾ قال الحسن: مُلْكاً قوياً تنصرني به على من ناوأني، وعِزّاً ظاهراً أقيمُ به دينك، قال: [فوعده][٣] الله عز وجل لينزعن مُلك فارس والروم وغيرهما فيجعله له[٤].

وقال مجاهد وغيره: حُجَّة ظاهرة بيِّنة تنصرني بها على من خالفني[٥].

قال ابن الأنباري[٦]: ﴿نصيراً﴾ يجوز أن يكون بمعنى: منصوراً، ويصلح أن يكون تأويله: ناصراً.

قال العلماء بالتفسير: فأجيبت دعوته بقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٦٧]، وبقوله: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة:٥٦]، ﴿ليظهره على

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٠). وذكره الماوردي (٣/ ٢٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧٧).

(٢) الوسيط (٣/ ١٢٢).

(٣) في الأصل: فعده. وانظر: الطبري (١٥/ ١٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥١)، ومجاهد (ص:٣٦٨) باختصار. وانظر: الوسيط (٣/ ١٢٢)، والماوردي (٣/ ٢٦٧)، وزاد المسير (٥/ ٧٨).

(٦) زاد المسير (٥/ ٧٨).

الدين كله﴾ [التوبة:٣٣]، ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾[1] [النور:٥٥].

قوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق﴾ وهو الإسلام، ﴿وزهق الباطل﴾ اضمحل الشرك وبطل وهلك.

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: «دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ »[2]. والمعنى: أن الباطل كان مضمحلاً غير ثابت.

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ «من» لبيان الجنس، كقوله: ﴿من الأوثان﴾، والمراد: ما هو شفاء للمؤمنين من مرض الشرك والشك، فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى.

﴿ورحمة للمؤمنين﴾ نعمة لهم يفضي بهم إلى السعادة الأبدية، وهي الجنة، ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ يعني: المشركين ﴿إلا خساراً﴾ نقصاناً لتكذيبهم وكفرهم.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يريد: الكفار.

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٦ ح٢٣٤٦)، ومسلم (٣/ ١٤٠٨ ح١٧٨١).

قال المفسرون: هو الوليد بن المغيرة[1] أنعمنا عليه بسعة الرزق وصحة البدن وكثرة البنين ﴿أعرض﴾ عن ذكر الله كأنه مُستغنٍ عنه، ﴿ونأى بجانبه﴾ تأكيد لمعنى الإعراض، أو يكون مجازاً عن الاستكبار.

وقرأ ابن ذكوان: «وَنَاءَ»[2] على وزن باع.

قال الثعلبي[3]: لها وجهان؛ أحدهما: أنها منقلبة عن ياء، كما يقال: رَأَى ورَاءٍ. والثاني: أنها من النَّوْء، وهو النهوض[4].

وقرأ الكسائي وحمزة في رواية العبسي والعجلي: «ونِإي» بإمالة النون والهمزة، وأمال الهمزة وحدها حمزة في رواية خلاد[5]، وكذلك خلفُهم في التي في السجدة.

﴿وإذا مسه الشر﴾ قال ابن عباس: أصابه مرض أو فقر[6].

﴿كان يؤوساً﴾ آيساً من رحمة الله وروحه. وعدل به إلى بناء فعول للمبالغة.

قوله تعالى: ﴿قل كُلٌّ يعمل على شاكلته﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكل

---

(١) الوسيط (٣/ ١٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٨٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٦٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٨)، والكشف (٢/ ٥٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٤).

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ١٢٩).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نوأ).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٠٩)، والكشف (١/ ١٨٨-١٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٦)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٤).

(٦) الوسيط (٣/ ١٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٨٠).

أخلاقه من الهدى أو الضلال، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والإعراض عند النعمة، واليأس عند الشدة.

﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أمثلُ طريقة وأسدُّ مذهباً.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا حدثنا عمر بن حفص بن غياث[1]، حدثنا أبي[2]، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عَسيب[3] إذ مرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم

(١) عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي، أبو حفص الكوفي، ثقة صدوق وربما وهم، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨١، والتقريب ص:٤١١).

(٢) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة النخعي، أبو عمر الكوفي، ثقة فقيه، تغير حفظه قليل في الآخر، ولاّه الرشيد قضاء الشرقية ببغداد، ثم عزله وولاه قضاء الكوفة، مات في عشر ذي الحجة سنة أربع أو خمس أو ست وتسعين، وقد قارب الثمانين (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٨-٣٥٩، والتقريب ص:١٧٣).

(٣) العَسِيب: جريد النخل إذا نُحِّيَ عنه خُوصه (اللسان، مادة: عسب).

يردّ عليهم شيئاً، فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمتُ مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ »[(١)].

وأخرجه أيضاً مسلم عن عمر بن حفص.

قال ابن عباس: قالت اليهود لقريش: سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سَلُوهُ عن فتية فُقِدُوا، وسَلُوهُ عن ذي القرنين، وسَلُوهُ عن الرُّوح، فسألوه عنها، ففسَّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسَّر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس في التوراة قصته، ونزلت هذه الآية[(٢)].

فعلى هذا؛ المراد بالروح: ما تقوم به حياة الحيوان.

وروي عن علي ...[(٣)].

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٩ ح٤٤٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٢ ح٢٧٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥٥) عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ١٢٥)، وزاد المسير (٥/ ٨١)، وأسباب النزول للواحدي (ص: ٣٠٠).

(٣) سقط من مصورة الأصل قدر لوحة.

وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

... [١] ابن عباس: السنون ونقص من الثمرات[٢].

وقال في رواية أخرى: البحر والجبل الذي نُتِقَ فوقهم[٣].

وقال سعيد بن جبير: الحجر والبحر[٤].

وقال محمد بن كعب: فلق البحر والطمسة[٥].

وقد أخرج أبو داود من حديث صفوان بن عسال: «أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل إنه نبي، فإنه لو سمع ذلك صارت له أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا بالبريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تَفِرُّوا من الزحف، وعليكم خاصة [يا معشر][٦] اليهود أن لا تعدوا في السبت، قال:

---

(١) الكلام هنا على آيات موسى التسع عند قوله: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾، وقد اتفق المفسرون على سبع منها، والآيتان الباقيتان اختلفوا فيها على أقوال.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٥/ ٩٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) زيادة من الترمذي (٥/ ٣٠٥).

فقبّلا يده وقالا: نشهد أنك نبي»[١].

وأخرج الإمام أحمد في المسند وزاد فيه: «فقبّلا يده ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكما أن تتبعاني؟ قالا: إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود»[٢].

﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس: يريد المؤمنين من قريظة والنضير[٣].

المعنى: اسألهم عن الآيات ليزدادوا طُمأنينة ويقيناً، وليظهر لعامة اليهود بقول علمائهم صدق ما أتيت به، فيكون حُجّة عليهم.

وقوله: ﴿إذ جاءهم﴾ متعلق بـ«آتينا»، أو بإضمار اذكُر، على معنى: «إذ جاءهم».

وقيل: المعنى: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلنا له: اسأل بني إسرائيل، أي: سلْهم من فرعون ليرسلهم معك، [واسألهم][٤] عن إيمانهم وحال دينهم، وهل هم على ما كان عليه آباؤهم الكرام من دين التوحيد، أو غيَّرهم الأمة الباغية والدولة الطاغية. أو يكون المعنى: سَلْ بني إسرائيل المعاضدة والمناصرة.

فعلى هذا يكون قوله: «إذ جاءهم» متعلقاً بالقول المحذوف.

وقرأ ابن عباس: «فَسَالَ» على صيغة الماضي من غير همز، وهي قراءة مروية

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٥ ح٣١٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٩).

(٣) الوسيط (٣/ ١٣١).

(٤) في الأصل: وسألهم.

عن النبي ﷺ[١]، على معنى: فسأل موسى بني إسرائيل إذ جاءهم أن يكونوا معه يداً واحدة على إظهار أمر الله تعالى. أو يكون المعنى: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه، فيكون «إذ جاءهم» متعلقاً بـ«سأل».

﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ سُحرت فخولط عقلك حتى تهجمت عليّ، مع عزّ سلطاني وكثرة أعواني، وأنت وحيدٌ ضعيفٌ مَهين، تسألني سؤال متسلط قاهر ظاهر.

وقال أبو عبيدة والفراء[٢]: المسحور بمعنى الساحر؛ كالمشؤوم والميمون.

ثم قال يعني موسى لفرعون: ﴿لقد عَلِمْتَ﴾ وقرأ الكسائي: «علمتُ» بضم التاء[٣]، وهي قراءة علي رضي الله عنه، واختيار ثعلب[٤].

قال علي عليه السلام: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[٥] [النحل:١٤].

---

(١) انظر: الطبري (١٥/ ١٧٣)، وزاد المسير (٥/ ٩٤) ولم يجز الطبري هذه القراءة؛ لإجماع الحجة من القراء على القراءة بلفظ الأمر في هذه الكلمة.

(٢) لم أقف عليه في مجاز القرآن ومعاني الفراء. وانظر: الوسيط (٣/ ١٣١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١١)، والكشف (٢/ ٥٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٧)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٥).

(٤) ولم يجز ابن جرير خلاف القراءة التي عليها قرّاء الأمصار؛ لأن القراءة بها مجمع عليها (تفسير الطبري ١٥/ ١٧٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٤). وانظر: الوسيط (٣/ ١٣١)، وزاد المسير (٥/ ٩٤).

واحتجوا لقراءة علي عليه السلام أنه لما نسبه فرعون إلى فساد العقل بقوله: ﴿وإني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ أعلمه موسى بصحة عقله فقال: ﴿لقد عَلِمْتُ﴾.

قال الزجاج[١]: الأجود في القراءة فتح التاء؛ لأن عِلْم فرعون بأنها أنزلت من عند الله أوكد في الحجة، فموسى عليه السلام يحتج بما علم هُوَ، لا بما علم [فرعون][٢].

والمعنى: ﴿لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء... [الآيات﴾][٣].

﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ عبراً ودلالات، ولكنك معاند مكابر.

﴿وإني لأظنك يا فرعون﴾ لفرط عُتُوّك وتمردك واغترارك ﴿مثبوراً﴾ هالكاً.

وقال ابن عباس: ملعوناً[٤].

وفي رواية عنه: ناقص العقل[٥].

قال الفراء[٦]: المثبور: الملعون والمحبوس عن الخير. تقول العرب: ما ثَبَرَك عن هذا؟ أي: ما منعك فيه وما صَرَفَك.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٣).

(٢) في الأصل: موسى. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: الآت. والمثبت من زاد المسير (٥/ ٩٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) زاد المسير (٥/ ٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٥) وعزاه للشيرازي في الألقاب وابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس.

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٣٢).

وقال أبو عبيدة(١): المعروف في الثبور: الهلاك. والملعون: الهالك.

قال أكثر المفسرين: الظن هاهنا بمعنى: العلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوّى بعضهم بين الظنين فقال: هما بمعنى العلم(٢).

والذي يظهر لي: أنهما سواء في المعنى: إني لأحسبك. أما الأول فظاهر. وأما الثاني فإن موسى عليه السلام حال تلبسه بمخاطبة فرعون ودعائه إلى عبادة الله وتوحيده لم يكن متيقناً عالماً بهلاك فرعون، وإنما كان ظاناً هلاكه، بسبب إصراره وجحوده، مع تجويزه رجوعه إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ أي: أراد فرعون أن يزعج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر.

قال الزجاج(٣): جائز أن يكون استفزازهم؛ إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية.

وقال ابن قتيبة(٤): أراد أن يستخِفَّهُم حتى يخرجوا.

والأظهر عندي: أنه أراد استفزازهم باستئصال شأفتهم وقتلهم لا بإخراجهم؛ لأن مضمون رسالة موسى إليه أن يرسل بني إسرائيل معه.

ولأنه لو كان مقصود فرعون إخراج موسى وبني إسرائيل من مصر لم يتبعهم

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٩٢).

(٢) زاد المسير (٥/ ٩٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٢).

حين خرج بهم موسى عليه السلام[١].

﴿فأغرقناه ومن معه﴾ من القِبْط ﴿جميعاً﴾، وقد ذكرنا قصة إغراقهم في سورة البقرة.

﴿وقلنا من بعده﴾ أي: من بعد إهلاكه ﴿لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ التي أراد فرعون أن يستفزكم منها.

وقال ابن عباس: أرض فلسطين والأردن[٢].

وقال غيره: أرض مصر والشام.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني: القيامة ﴿جئنا بكم﴾ من القبور إلى المحشر ﴿لفيفاً﴾ جميعاً مختلطين أنتم وهم، ثم يحكم بينكم فيميّز بين السعداء والأشقياء.

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿وبالحق نزل﴾ المعنى: وما أنزلناه إلا مُلتَبِساً بالحق مشتملاً عليه نازلاً به.

وقيل: المعنى وما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول ﷺ إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين.

---

(١) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩٥): قال العلماء: وفي هذه الآية تنبيه على نصرة رسول الله ﷺ؛ لأنه لما خرج موسى فطلبه فرعون هلك فرعون، وكذلك أظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع إليها ظاهراً عليها.

(٢) زاد المسير (٥/ ٩٥).

وقيل: الإشارة بقوله: «وبالحق أنزلناه» إلى ما تضمن من الأمر والنواهي، والوعد والوعيد، و«بالحق نزل» أي: وعلى الحق، يعني: الرسول ﷺ نزل.

وقيل: المعنى: وبوحينا نزل.

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة لمن أطاع ﴿ونذيراً﴾ بالنار لمن عصى.

قوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ انتصب «قرآناً» بفعل مضمر يفسره ما بعده.

قال ابن عباس: بيَّنّا حلاله وحرامه[1].

وقال الحسن: فرقنا فيه بين الحق والباطل[2].

وقال الفراء[3]: أحكمناه وفصَّلناه.

وقرأ جماعة منهم علي وسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس في آخرين: «فرَّقناه» بالتشديد[4]، وبها قرأتُ لأبان عن عاصم، أي: أنزلناه متفرقاً مُنَجَّماً.

﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ وقرأ أنس بن مالك وقتادة: «على مَكث» بفتح الميم[5]. وبها قرأت لأبان عن عاصم على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري.

أي: على تُؤدة ومهل، ليتدبروه ويفهموه.

(١) زاد المسير (٥/ ٩٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٩٦).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٣٣).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٧) ولم يجز هذه القراءة ابن جرير الطبري (١٥/ ١٧٨)؛ لأن القراءة بتخفيف الراء هي القراءة التي عليها الحجة مجمعة.

(٥) زاد المسير (٥/ ٩٧).

والجارّ في موضع الحال، أي: مترفقاً متمهلاً غير مستعجل ولا مسرع.

﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ على حسب الوقائع.

قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾

﴿قل﴾ لهم يا محمد مُعرضاً عنهم، مُزدرياً بشأنهم، مُظهراً لاحتقارهم، غيرُ مكترث بهم، استغناء بالله واكتفاء بأصحابك المؤمنين: ﴿آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ صَدِّقوا بالقرآن أو لا تُصَدِّقوا، ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أي: من قبل إنزال القرآن، وقيل: من قبل إرسال محمد ﷺ، فعلموا الشرائع، وكانوا يوقنون بالنبي العربي الذي نطقت بنبوته ﷺ الكتب السالفة، وشهدت برسالته معجزاته المستأنفة؛ مثل أبي ذر، وسلمان، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو.

وقيل: هم أمة محمد ﷺ.

وقيل: ناس من اليهود.

﴿إذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرّون للأذقان سجداً﴾ قال الزجاج[١]: الذَّقَنُ: مجتمع اللَّحْيَيْن، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يخرُّ فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقَن.

قال ابن عباس: «يخرّون للأذقان»: للوجوه[٢]. واللام بمعنى على، كقول

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

الشاعر:

ضَمَمْتُ إليه بالقَنَاةِ ثيابَه فخرَّ صريعاً لليدين وللفَم[١]

﴿ويقولون﴾ في سجودهم ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا﴾ بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ ﴿لمفعولاً﴾ و«إن» بمعنى: إنه، وجاءت مؤكدة للفعل، كما أن «إن» تؤكد الاسم، وكما أكدت «إن» باللام في نحو قوله تعالى: ﴿إنهم لمحضرون﴾ [الصافات:١٥٨] أكدت «إن» الخفيفة باللام في قوله: ﴿لمفعولاً﴾.

﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ كرر سبحانه الإخبار عنهم بالخرور؛ لتكرير الفعل منهم، وأنهم خَرُّوا ساجدين وخَرُّوا باكين.

﴿ويزيدهم﴾ يعني: البكاء والخُرور على الذَّقَن، ففاعل «يزيدهم» ضمير المصدر الذي دل عليه الفعل.

وقيل: يزيد بهم القرآن خضوعاً وتواضعاً.

قال عبد الأعلى التيمي: إن من [أوتيَ][٢] من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يبكون﴾[٣].

---

(١) انظر البيت في: الاستيعاب (٣/ ١٣٧٢)، ويروى البيت: هتكت له بالرمح جيب قميصه... وانظر هذا البيت بهذا اللفظ في: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤)، وتاريخ الطبري (٣/ ٥١).

(٢) في الأصل: أتي. وكذا وردت في الموضع التالي. وانظر: المصادر التالية.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨١-١٨٢)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٤١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٧) وعزاه لابن المبارك وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي: سَمُّوا الله بأيِّ الاسمين شئتم، فإنهما اسمان لمسمى واحد.

و﴿أياً﴾ منصوب بـ﴿تدعوا﴾، والتنوين فيها عوض من المضاف إليه، و ﴿ما﴾ صلة. والمعنى: أيّ هذين الاسمين سميتم فهو حسن، وناب عن هذا المحذوف قوله: ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ والضمير في «فله» لا يعود إلى أحد الاسمين، وإنما يعود إلى المسمى، وهو ذات الله عز وجل.

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ ليلة وهو ساجد: «يا الله يا رحمن! فسمعه أبو جهل، وهم لا يعرفون الرحمن، فقال: إن محمداً ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر مع الله، وما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

وقال الضحاك: قال أهل الكتاب لرسول الله ﷺ: إنك لتقل ذكر الرحمن في القرآن وقد أكثر الله تعالى في التوراة هذا الاسم، فنزلت هذه الآية[2].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨٢). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٠٢)، وزاد المسير (٥/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤٨) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٢) زاد المسير (٥/ ٩٩).

قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «أنزلت ورسول الله ﷺ مُتوارٍ بمكة، فكان إذا رفع صوته سمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عز وجل: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بقراءتك حتى يسمعها المشركون ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم»(١).

﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ طريقاً عدلاً بين الجهر والإخفات.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزل الله هذا في الدعاء: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾»(٢).

التقدير: لا تجهر بقراءة صلاتك، على حذف المضاف، ولا تخافت بها، والمخافَتَة: الإخْفَاء، يقال: خَفَتَ صوته يَخفِتُ خُفُوتاً؛ إذا ضعف، وصَوْتٌ خَفِيتٌ(٣).

وروى علي عليه السلام قال: «كان أبو بكر رضي الله عنه يُخافِتُ إذا قرأ، وكان عمر رضي الله عنه يجهر بقراءته، وكان عماراً يأخذ من هذه السورة ومن هذه، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال لأبي بكر: لم تُخافت؟ قال: أسمع من أناجي، وقال لعمر: لم تَجْهَر؟ فقال: أُفْزِعُ ...(٤) [الشيطان وأُوقِظُ الوَسْنان(٥). وقال لعمار: لم

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤٩ ح٤٤٤٥)، ومسلم (١/ ٣٢٩ ح٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٠ ح٤٤٤٦)، ومسلم (١/ ٣٢٩ ح٤٤٧).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خفت).

(٤) بياض في مصورة الأصل قدر نصف لوحة، وهي تكملة تفسير سورة الإسراء. وقد أكملت الحديث من المسند.

(٥) الوَسْنان: النائم الذي ليس بمستَغْرِقٍ في نومه (اللسان، مادة: وسن).

تأخذ من هذه السورة وهذه؟ قال: أتسمعني أخلط به ما ليس منه؟ قال: لا، قال: فكله طيب][(١)]»[(٢)].

---

(١) زيادة من المسند (١/ ١٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٠٩ ح٨٦٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن بمنّك وكرمك[1].

سورة الكهف

وهي مائة آية وإحدى عشرة آية مكية، واستثنى ابن عباس: ﴿واصبر نفسك﴾[2].

وقال مقاتل[3]: من أولها إلى ﴿صعيداً جرزاً﴾، ومن: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى آخر الآيتين مدني[4].

قرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور المعروف بحفدة فأقرَّ به، قال: حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا سالم بن أبي

---

(١) من هنا يبدأ الموجود من نسخة مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية، وقد رمزنا لهذه النسخة (ب)، وقد أثبتنا الفروق بين هذه النسخة ونسخة الأصل.

وقوله: «بمنك وكرمك» ليست في ب.

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ٥٠).

الجعد الغطفاني[١]، عن معدان بن أبي طلحة[٢]، عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أوائل[٣] سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٤]. هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم، عن محمد بن المثنى، عن معاذ بن هشام[٥]، عن أبيه[٦]، عن قتادة.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة، عن [زبان][٧]، عن سهل هو ابن معاذ[٨]، عن أبيه[٩]، عن النبي ﷺ

---

(١) سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي، ثقة، وكان يرسل كثيراً، مات سنة سبع أو ثمان وتسعين، وقيل: مائة، وقيل: بعد ذلك، ولم يثبت أنه جاوز المائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٣، والتقريب ص:٢٢٦).

(٢) معدان بن أبي طلحة، ويقال: بن طلحة الكناني اليعمري الشامي، ثقة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٥، والتقريب ص:٥٣٩).

(٣) في ب: أول.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٥ ح٨٠٩)، والبغوي في التفسير (٣/ ١٨٧).

(٥) معاذ بن هشام بن أبي عبد الله واسمه سنبر الدستوائي البصري، صدوق ربما وهم، سكن اليمن ثم البصرة، مات في ربيع الآخر سنة مائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٧، والتقريب ص:٥٣٦).

(٦) هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، أبو بكر البصري، واسم أبيه: سنبر الربعي، ثقة ثبت، وقد رمي بالقدر، كان يبيع الثياب التي تجلب من دستواء فنسب إليها، وربما قيل له: الدستوائي، مات سنة أربع وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٤١، والتقريب ص:٥٣٦).

(٧) في الأصل: أبان. والتصويب من مسند أحمد (٣/ ٤٣٩)، والمعجم الكبير (٢٠/ ١٩٧). وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٥)، والتقريب (ص:٢١٣).

(٨) سهل بن معاذ بن أنس الجهني، شامي نزل مصر، لا بأس به إلا في روايات زبان عنه (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٧، والتقريب ص:٢٥٨).

(٩) معاذ بن أنس الجهني الأنصاري، صحابي نزل مصر، وبقي إلى خلافة عبد الملك (تهذيب التهذيب =

قال(١): «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء»(٢).

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا
لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ هذا تعليمٌ للعباد كيف يثنون على المنعم عليهم بالإسلام، وإرسال محمد عليه الصلاة والسلام، وإنزال القرآن الذي هو سبب الفوز والسعادة الأبدية.

﴿ولم يجعل له عِوَجاً﴾ حال(٣)، على معنى: غير مجعول له عوجاً، وقد ذكرنا الفرق بين العِوج والعَوج في آل عمران(٤).

والعِوج في المعاني كالعوج في الأعيان.

المعنى: لم يجعل له ميلاً وزيغاً عن الإصابة. والحكمة تشير إلى سلامته عن

١٠/ ١٨٦، والتقريب ص: ٥٣٥).

(١) بياض في ب قدر ربع صفحة.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٩)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ١٩٧)، والبغوي في التفسير (٣/ ١٨٧).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٣٠).

(٤) آية رقم: ٩٩.

المناقضة والاختلال، وكونه في أعلا مراتب البلاغة.

﴿قيّماً﴾ مستقيماً عدلاً[١].

وقيل: قيماً على سائر الكتب، مصدّقاً لها، شاهداً بصحتها.

وقيل: قيماً بمصالح العباد.

وقيل: قيماً في نفسه بالحجة والإعجاز.

قال أكثر العلماء باللغة والتفسير: في هذه الآية تقديم وتأخير، التقدير أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً[٢].

فعلى هذا، هو نصب على الحال من «الكتاب»[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: الأحسن أن ينتصب [بمضمر][٥] ولا يجعل حالاً من «الكتاب»؛ لأن قوله: ﴿ولم يجعل﴾ معطوف على «أنزل»، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعلُه حالاً من «الكتاب» فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العِوَج فقد أثبت له

(١) نقل الرازي (٢١/ ٦٤) تفسير ﴿قيماً﴾ بـ«مستقيماً» عن ابن عباس وقال: وهذا عندي مشكل؛ لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وأنه باطل، وأن المراد من كونه (قيماً) أنه سبب لهداية الخلق، وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال، فالأرواح البشرية كالأطفال، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٥٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٠).

(٤) الكشاف (٢/ ٦٥٧).

(٥) في الأصل: بمظمر. والتصويب من ب.

الاستقامة.

فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟

قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود [له][(١)] بالاستقامة لا يخلو من أدنى عوج عند السَّبْر[(٢)] والتصفُّح.

قوله تعالى: ﴿لينذر﴾ أي: لينذركم، فحذف المفعول الأول واقتصر على الثاني، واللام متعلقة «بالله» أو «بعبده» أو «بالكتاب».

ويؤيد القول الأول قوله: ﴿بأساً شديداً من لدنه﴾ أي: عذاباً من عنده.

﴿ويبشر المؤمنين الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾ وهو الجنة.

﴿ماكثين﴾ أي: مقيمين في الأجر الحسن ﴿أبداً﴾.

﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهم الذين قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله.

﴿ما هم به﴾ أي بالولد، أو باتخاذه أو بقولهم ﴿من علم﴾ يشير إلى إفراط جهلهم وجهل آبائهم؛ حيث أثبتوا لله ما تقطع العقول السليمة باستحالته في نفسه.

﴿كبرت كلمةً﴾ نصب على التمييز، وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكْبرها كلمة[(٣)].

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٦٥٧).

(٢) السَّبْرُ: التجربة (اللسان، مادة: سبر).

(٣) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٣).

وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد: «كلمةٌ» بالرفع على الفاعلية[١]، والضمير في «كَبُرَت» راجع إلى قولهم: «اتخذ الله ولداً». وسُمي «كلمةً» على مذهب العرب في تسميتهم القصيدة كَلِمَة.

وفي قولهم: ﴿تخرج من أفواههم﴾ إشارة إلى تعظيم ما اجترؤوا عليه من المنكر الذي من شأن مثله أن لا يذكر، وأنه مجرد قول لا دليل على صحته، وهو في موضع نصب صفة لـ«كلمةً»[٢].

﴿إن يقولون﴾ أي: ما يقولون ﴿إلا كذباً﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ أي: قاتلها ومهلكها أسفاً وحسرة عليهم. و«لعل» للإشفاق.

والبَخْعُ: أن يبلغ بالذبح البخَاعُ، وهو عِرْقٌ مستبْطِنُ الفَقَار، وذلك أقْصَى حدّ [الذّبْح][٣].

وقوله: ﴿على آثارهم﴾ أي: من بعدهم.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٨).

(٢) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٠٥). وما بين المعكوفين في الأصل: الذابح. والتصويب من الكشاف.

﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفاً﴾ قال ابن عباس: حزناً[١].

وقال قتادة: غضباً[٢].

وقال السدي: ندماً[٣].

وهو مفعول له[٤]، أي: لفرط الحزن. ويجوز أن يكون حالاً[٥].

قوله [تعالى][٦]: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ أي: ما عليها من كل ما يستحسن من زخارف الدنيا.

وقال ابن عباس: هم العلماء[٧]. فرضي الله عن ابن عباس، فلقد كان والله زينة هذه الزينة، ولقد صدق في تأويله.

وبلغني أن نظام الملك كان شديد الاحترام كثير الإكرام لأهل العلم، فَلِيمَ في ذلك حتى قال له حاجبه: لقد أطمعتَ هذه الطائفة فيك [وبسطتهم][٨] عليك، حتى بلغ من أمرهم أنهم يَدخلون عليك بغير إذن، فقال له: ويحك هذه الطائفة

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٤) كلاهما عن قتادة. وانظر: الوسيط (٣/ ١٣٦)، وزاد المسير (٥/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٥). وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٨٥)، وزاد المسير (٥/ ١٠٥).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٠٥).

(٤) التبيان (٢/ ٩٨)، والدر المصون (٤/ ٤٣٤).

(٥) مثل السابق.

(٦) ساقط من ب.

(٧) زاد المسير (٥/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦١) وعزاه لأبي نصر السجزي في الإبانة.

(٨) في الأصل: وبسطهم. والمثبت من ب.

[هم](١) جمال الدنيا والآخرة، والله لو رفعتُ الواحدَ منهم على رأسي ما أديتُ حقَّه.

﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ قال الحسن: أيهم أزهد في الدنيا وأترك لها(٢).

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ أي: ما على الأرض من الزينة وغيرها ﴿صعيداً جرزاً﴾ فتصبح عامرة بعد أن كانت غامرة.

قال الزجاج(٣): الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه. والجُرُز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء، كأنها تأكل النبت.

قال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستويةً لا نبات فيها ولا ماء(٤).

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى
ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ
لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء:٨٥].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الوسيط (٣/ ١٣٦)، وزاد المسير (٥/ ١٠٦).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٤) الوسيط (٣/ ١٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٠٧).

والكهْف: الغار الواسع في الجبل[١].

وأما الرقيم؛ فقال الحسن: هو اسم الجبل[٢].

وقال قتادة: اسم القرية التي خرجوا منها[٣].

وجائز عندي: أن يكون اسم الرقيم شاملاً للجميع، فتتَّحِدَ الأقوال الثلاثة.

وقال سعيد بن جبير: هو اسم كلبهم[٤]، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت:

وليسَ لها إلا الرقيمُ مُجاوراً　　　وصيدَهُمُ والقَومُ في الكهْفِ هُمَّدُ[٥]

وقال أبو عبيدة وابن قتيبة[٦]: الرقيم: الكتاب، وهو فَعِيل بمعنى مَفْعول، ومنه: ﴿كتابٌ مرقوم﴾ [المطففين:٩] أي: مكتوب[٧].

قال مقاتل[٨]: الرَّقِيم: كتابٌ كتبه رجلان صالحان يكتمان إيمانهما من المَلِك الذي فَرَّ منه الفتية، [وكتبا أمر الفتية][٩] في لوح من رصاص، ثم جَعَلاه في تابوت من نحاس، ثم جَعَلاه في البناء الذي سَدُّوا به باب الكهف، فقالا: لعلَّ الله أن

(١) انظر: اللسان (مادة: كهف).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٩) عن ابن عباس. وانظر: الماوردي في التفسير (٣/ ٢٨٦)، وزاد المسير (٥/ ١٠٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٨) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٨)، كلاهما من قول كعب.

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٨).

(٥) انظر البيت في: الدر المصون (٤/ ٤٣٥).

(٦) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٩)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٦٣).

(٧) وهذا القول هو الذي اختاره ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٩٩).

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٠).

(٩) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

يُطْلِعَ على هؤلاء الفتية أحداً فيعلموا أمرهم إذا قرؤوا الكتاب. هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين.

ومعنى الآية: بل أحسبتَ أنهم كانوا أعجب آياتنا؟ قد كان في آياتنا من خلق السموات والأرض وما فيهما[1] من العجائب ما هو أعجب من ذلك.

وقال ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنة والعلم أفضل من شأنهم[2].

قوله تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي: صاروا إليه وجعلوه مأواهم ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي: مغفرة ورزقاً وأمناً من الأعداء، ﴿وهيء لنا من أمرنا﴾ أي: أصلح لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار وغيره ﴿رشداً﴾.

فصل

اختلف العلماء في سبب مصيرهم إلى الكهف؛ قال ابن عباس وغيره: كان لهم مَلِكٌ فدعاهم إلى عبادة الأصنام، وامتحنهم على ذلك، فَفَرُّوا بدينهم، فمَرُّوا بِرَاعٍ له كلب، فتبعهم، فأووا إلى الكهف يتعبَّدُون، ورجلٌ منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذُكروا، فبكوا وتعوَّذوا بالله من الفتنة، فَضَرَبَ الله على آذانهم، وأمَرَ المَلِك فَسَدَّ عليهم الكهف وهو يظنُّهم أيقاظاً، وقد توفَّى الله تعالى أرواحهم وفاة النوم، وكلبُهم قد غشيه ما غشيهم. ثم إن رجلين

---

(١) في ب: فيها.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان وقالا: لعلَّ الله يُطْلِعَ عليهم قوماً مؤمنين فيتعلمون خبرهم[١].

وقال وهب بن منبه: جاء أحد الحواريين إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحدٌ إلا سجد له، فكَرِهَ أن يدخلها، فأتى حمّاماً قريباً من المدينة كان يعمل فيه بالأجر، فعَلِقَه فتية من أهل المدينة، فجعل يُخبرهم عن خبر السماء والأرض وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدَّقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة فدخل معها الحمّام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبّه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمّام، فأتى الملك فقيل له[٢]: إنّ صاحب الحمام قَتَلَ ابنك، فالتُمس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسُمِّيَ له الفتية، فالتُمسوا، فخرجوا من المدينة، فمرُّوا على صاحب لهم في زرع وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب، حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، فقالوا: نبيت هاهنا ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم، فضرب الله تعالى على آذانهم فناموا، وخرج المَلِك وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم[٣] قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل أُرعب، فقال قائلٌ للملك: أليس قُلْتَ إن قدرتَ عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابْنِ عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعلوا ذلك[٤].

---

(١) ذكره الطبري (١٥/ ٢٠٢-٢٠٤) مطولاً. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٠٩).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ذلك.

(٣) في ب: فوجدهم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٠٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٤٢٣ ح٩٧٥٢). وذكره السيوطي في

قوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف﴾ أي: أنمناهم فيه إنامة ثقيلةً سدَّت منافذ أسماعهم. والتقدير: ضربنا على آذانهم حجاباً، فحذف المفعول، كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها قُبة، ومنه قوله تعالى: ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ [القصص:٢٣]، يريد: غنمهما ﴿قالتا لا نسقي﴾ [القصص:٢٣] تريدان: الغنم.

﴿سنين عدداً﴾ قال الزجاج[١]: «عدداً» منصوب على ضربين:

أحدهما: على المصدر، المعنى: تُعَدُّ عدداً.

ويجوز أن يكون نعتاً للسنين، المعنى: سنين ذات عَدَد.

والفائدة في قولك عددٌ في الأشياء المعدودة: أنك تريد توكيد كثرة الشيء؛ لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مقدار عدده، فلم يحتج إلى أن يُعَدَّ، وإذا كَثُرَ احتاج إلى أن يُعَدَّ.

قوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من نومهم ﴿لنعلم﴾ أي: لنرى.

وقال الزمخشري[٢]: الله عز وجل لم يزل عالماً بذلك، وإنما أراد ما تعلَّق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لُطفاً لمؤمني زمانهم، وآيةً بيّنةً لكُفَّاره.

وقرأ أبو الجوزاء والنخعي: «ليُعلم» بياء مضمومة[٣].

=

الدر (٥/ ٣٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر.

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٧١).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٦٠).

(٣) زاد المسير (٥/ ١١٤).

﴿أيُّ الحزبين﴾ «أيُّ» مبتدأ، و«الحزبين» خبر بالإضافة[١].

و﴿أحصى﴾ فعل ماض، و﴿أمداً﴾ ظرف «لأحصى»، وإن شئت كان ظرفاً لـ«لبثوا»، والفعل الماضي خبر المبتدأ، والمبتدأ مع خبره سَدَّ مَسَدَّ مفعولي «نعلم». و«ما» في «لما» مصدرية[٢]، يعني[٣]: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف، كأنهم اختلفوا في مُدّة لبثهم فيه بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليتبيَّن ذلك ويظهر.

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: أيّ الحزبين المختلفين فيهم في مدّة لبثهم؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك، فذلك قوله: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾.

قال[٥]: و«أحصى» فعل ماض، أي: أيهم ضبط «أمداً» لأوقات لبثهم.

فإن قلت: ما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟

قلتُ: ليس بالوجه السّديد، وذلك أنّ بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس، ونحو: «أعْدَى من الجَرَب»، و«أفلسَ من ابن المذلَّق» شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟

ولأن «أمداً» لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل، فأفعل لا تعمل. وإما أن ينصب

---

(١) التبيان (٢/ ٩٩)، والدر المصون (٤/ ٤٣٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) في ب: ويعني.

(٤) الكشاف (٢/ ٦٦٠).

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف.

بـ«لبثوا» فلا يساعد عليه المعنى، فإن زعمتَ أنها نصبه بإضمار فعل يدل عليه «أحصى»، كما أضمروا في قوله:

.... وأضْربَ منا بالسيوفِ القوانِسَا[1]

على: نضرب القوانس، فقد أبعدتَ المتناول، وهو قريب، حيث أبيتَ أن يكون «أحصى» فعلاً، ثم رجعتَ مضطراً إلى تقديره وإضماره.

قلتُ: وابن المذلَّق -بالذال[2] وتشديد اللام وفتحها-: رجل من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة، وهم أهل بيت يعرفون بالإفلاس. قال الشاعر في بعض آبائهم[3]:

وإني إذا[4] أرجو تميماً ونفعها كراجي الندى والعرف عند المذلق

والقَوْنَس: أعلى البيْضَة[5].

---

(١) عجز بيت للعباس بن مرداس. وصدره:

أكَرَّ وأحمى للحقيقة منهم ....

انظر: ديوانه (ص:٦٩)، والأصمعيات (ص:٢٠٥)، وخزانة الأدب (٨/ ٣١٩، ٣٢١)، ونوادر أبي زيد (ص:٥٩)، والأشباه والنظائر (١/ ٣٤٤، ٤/ ٧٩)، وأمالي ابن الحاجب (١/ ٤٦٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٩١)، ومغني اللبيب (٢/ ٦١٨)، والحجة للفارسي (١/ ٤١، ١١٤)، والدر المصون (٤/ ٤٣٧)، واللسان (مادة: قنس).

(٢) في ب: بالذال والذال.

(٣) في ب: آبائه.

(٤) في ب: إذ.

(٥) البيضة المقصود بها: الخوذة التي تلبس أيام الحرب وتوضع على الرأس، وتكون من الحديد.

فصل: يتضمن الإشارة إلى سبب بعثهم

قال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل المدينة اسمه إلياس، أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف، فيبني به حظيراً[١] لغنمه، فاستأجر رجلين فنزعا تلك الحجارة، فلما فتحا باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة للفتية أن يجلسوا، فجلسوا فرحين مستبشرين كهيئتهم حين رقدوا، فَسَلَّمَ بعضهم على بعض وهم يرون أن مَلِكَهم في طلبهم، فصَلُّوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاسمع ما نُذْكَر به، وابتغ لنا طعاماً، وتلطّف ولا تشعرنّ بنا أحداً، فوضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نُزعت عن باب الكهف، فعجب، ثم مرّ متخوفاً من أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك الذي فرُّوا منه، فلما رأى باب المدينة [رأى][٢] [عليه][٣] علامة أهل الإيمان فعَجِبَ، وخُيِّلَ إليه أنها ليست بالمدينة التي يَعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، ورأى قوماً يحلفون بعيسى، فقام مُسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشيةَ أمس لم يكن على الأرض من يذكر عيسى إلا قُتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعلّي حالم، لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، فقام كالحيران، وأخرج وَرِقاً فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجِب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم[٤] من رجل إلى رجل يتعجبون منه، ثم جعلوا يتشاورون

---

(١) في ب: حظيرة.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من زاد المسير (٥/ ١١١).

(٤) ساقط من ب.

ويقولون: إن هذا قد أصاب كنزاً، فَفَرِقَ[١] منهم فَرَقاً شديداً، وظنَّ أنهم قد فَطِنُوا به، وأنهم يريدون أن يذهبوا به إلى الملك دقيانوس. فقالوا له: يا فتى من أنت؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدتَ كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، فشاركنا فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فنسلمك إليه، فلم يدر ما يقول. فطرحوا كساءه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مُلبَّباً[٢] والناس يقولون: رجلٌ عنده كنز، واجتمع أهل المدينة عليه ينظرون إليه وهو يبكي ويقول: فُرِّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، فانطلقوا به حتى أتوا رجلين صالحين كانا يدبّران أمر المدينة، فنظرا إلى الوَرِق ثم قالا: أين الكنز الذي وجدتَ يا فتى؟ فقال: والله ما وجدتُ كنزاً، ولكن هذا الوَرِق وَرِق آبائي ونقش هذه المدينة وضَرْبها، ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم. فقال أحدهما: من أنت؟ وما اسمك واسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه. فقال بعضهم: هذا مجنون. وقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمّق نفسه عمداً حتى ينفلت منكم، فقال أحدهما -ونظر إليه نظراً شديداً-: تظن أنك تسخر منا وخزائن هذه البلدة بأيدينا وأمر تدبيرها إلينا، وإني سآمر بك فتُعذبَ عذاباً شديداً حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتُم صدقتُكم؟ قالوا: سَلْ؟ قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا يعرف اليوم على وجه الأرض ملك يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا مَلِكٌ هلك منذ زمان ودهر طويل، وقد هلكتْ بعده قرون كثيرة. فقال يمليخا: والله ما صَدَقني أحد فيما أقوله، لقد كنا فتية وأكرهنا الملك دقيانوس

---

(١) الفَرَقُ: الخوف (اللسان، مادة: فرق).

(٢) لَبَّبَ الرَّجُلَ: جعل ثيابه في عُنُقِه وصدره في الخصومة، ثم قَبَضَه وجَرَّه (اللسان، مادة: لبب).

على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجتُ أشتري لأصحابي طعاماً فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا أنه أُخِذَ [وذُهِبَ](١) به إلى الملك دقيانوس، فلم يَرُعْهُم إلا الأصوات وجلبة الخيل نحوهم، وظنوا أنهم رُسُل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة وودّع بعضهم بعضاً وتواصوا، فسبق يمليخا إليهم وهو يبكي، فبكوا معه وسألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره كله، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله، وإنما أُوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، ونظر الملك والناس إلى المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم فعجبوا، ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح والتهليل، وأقبل الملك عليهم واعتنقهم وبكى، فقالوا له: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، حفظك الله وحفظ مُلْكَك، فبينا الملك قائم رجعوا إلى أماكنهم ومضاجعهم(٢) وتوفى الله أنفسهم، فأَمَرَ الملك أن يجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب، فلما أمسوا رآهم في المنام فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب وفضة، ولكنا خُلقنا من تراب، فاتركنا كما كُنّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه، وحجبهم الله عز وجل بالرعب، فلم يقدر أحد بعد ذلك أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجُعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يُؤتى كل سنة(٣).

وقال عكرمة: جاءت أمّة مسلمة وكان ملكهم مُسْلماً فاختلفوا؛ فقائل يقول:

---

(١) في الأصل: ذهب.

(٢) في ب: رجعوا إلى مضاجعهم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢١٧-٢٢٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١١١-١١٣).

يبعث الروح والجسد، وقائل يقول: يبعث الروح وحده والجسد تأكله الأرض، فشقَّ اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوح وقعد على الرماد ودعا الله أن يبعث لهم آية، فبعث أصحاب الكهف[1].

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ أي: خبر الفتية بالأمر الثابت الذي لا ريب له.

﴿إنهم فتية﴾ أحداث وشباب، ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بصيرة في دينهم وطمأنينة لقلوبهم.

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ ألهمناها الصبر عن أوطانهم وأهلهم وما كانوا فيه من النعيم وجسّرناهم على القيام بكلمة الحق بين [يدي][2] الجبار دقيانوس.

﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ لا الأصنام التي تقهرنا على عبادتها

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢١٦-٢١٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم.

(٢) زيادة من ب.

والذبح لها، ثم آيسوه من العود[١] إلى دينه فقالوا: ﴿لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾ أي: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من قولهم: شَطَّ إذا بَعُدَ[٢].

ثم أنكروا على قومهم اتخاذهم الأصنام آلهة فقالوا: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾، فقوله: «هؤلاء» مبتدأ، «قومنا» عطف بيان، «اتخذوا» خبره[٣].

﴿لولا﴾ أي: هلاّ ﴿يأتون عليهم﴾ أي: على عبادتهم، أو على دعواهم أنها آلهة، فحذف المضاف.

﴿بسلطان بيّن﴾ بحجةٍ ظاهرة، وهذا تبكيتٌ لهم؛ لأن الإتيان بسُلطان بَيِّن على عبادة الأوثان ليس داخلاً في الإمكان.

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن له شريكاً.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ هذا خطاب بعضهم لبعض، ثقةً بموعد الله وفضله، وقوةً في يقينهم، وصدقاً في تَوَكُّلهم.

قال ابن عباس: هو من قول يمليخا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال

---

(١) في ب: عودهم.

(٢) انظر: اللسان (مادة: شطط).

(٣) التبيان (٢/ ٩٩)، والدر المصون (٤/ ٤٣٩).

لأصحابه: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾[١].

«ما» في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم.

والمعنى: [وإذ][٢] اعتزلتم الكفار واعتزلتم ما يعبدون من الآلهة إلا الله، فإن القوم كانوا على نحو ما كان عليه أهل مكة من عبادة الله وعبادة الأصنام، وكان الفتية قد جانبوا الأصنام وعبدوا الله وحده.

وقيل: هو كلام معترض، إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله تعالى.

﴿فأووا إلى الكهف﴾ صيروا إلى الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يبسطها لكم ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «مَرْفِقاً» بفتح الميم[٣]، وهما لغتان بمعنى واحد، وكذلك مِرْفَق اليد. والمعنى: ويهيئ لكم [من أمركم][٤] ما تَرْتَفِقُون به.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

---

(١) الوسيط (٣/ ١٣٨)، وزاد المسير (٥/ ١١٦).

(٢) في الأصل: وإذا. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٢)، والكشف (٢/ ٥٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٨).

(٤) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تَزَّاوَرُ﴾ أصلها: تَتَزَاور؛ فأدغموا التاء الثانية في الزاي.

وقرأ أهل الكوفة: «تَزَاوَرُ»(١) بالتخفيف على حذف التاء. وقرأ ابن عامر: «تَزْوَرُّ» مثل: تَحْمَرُّ(٢).

وقرأ أبي بن كعب: «تَزْوَارُّ» مثل: تَحْمَارُّ(٣).

وقرأ ابن مسعود: «تَزْوَئِرُّ»(٤) مثل: [تَزْوعِرُّ](٥)، وكلها ترجع إلى أصل واحد، وهو: الميل، ومنه: الأَزْوَر.

﴿ذات اليمين﴾ أي: ناحية اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي: تَعْدِلُ عنهم. وأصل القَرْض: القطع(٦)، فالشمس تقْطَعُهُم ولا تقربُهُم.

قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بَنَات نَعْش(٧) في أرض الروم، فكانت

---

(١) في الأصل: تزور. والتصويب من المراجع التالية.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٣)، والكشف (٢/ ٥٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٨)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٨).

(٣) زاد المسير (٥/ ١١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في الأصل: تزعور. والتصويب من ب.

(٦) انظر: اللسان (مادة: قرض).

(٧) بنات نعش: سبعة كواكب، أربعة منها نعشٌ، لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش، الواحد ابن نعش، لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بنات نعش الصغرى، واتفق سيبويه والفراء على ترك صرْف نعْش للمعرفة والتأنيث، وقيل: شبهت بحَمَلة النَّعْشِ في تَرْبيعها؛ وجاء في الشعر بَنُو نَعْش (اللسان ٦/ ٣٥٥).

الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بِحرِّها وتغيّر ألوانهم[(١)].

وقال الزجاج[(٢)]: صرفُ الشمس عنهم آية من الآيات، ولم يرضَ قول من قال: كان كهفهم بإزاء بَنَاتِ نَعْش.

وقوله: «إذا طلعت» و«إذا غربت» في موضع المفعول الثاني لـ«ترى» أو الحال[(٣)]. والجملة التي [هي][(٤)] ﴿وهم في فجوة منه﴾ في محل الحال أيضاً[(٥)].

ومعناه: وهم في مكان متَّسع من الكهف معرَّض لإصابة الشمس، لولا أن القدرة الإلهية صرفتها عنهم.

وقيل: في منفسح من الكهف ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ازْوِرَارِ الشمس عنهم[(٦)] طالعة وغاربة، والرُّعب الذي حُجِبُوا به، وما كان من حديثهم ﴿من آيات الله﴾ عجائب قدرته ولطفه.

وفي قوله: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ إشارة إلى أن الله هو الذي تولى هدايتهم، فهو المستحق للحمد والثناء على الحقيقة.

﴿ومن يضلل﴾ كدقيانوس وأصحابه ﴿فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ بعد إضلال الله إياه، منه دخول الريبة عليهم وتمكُّن الشبهة عندهم في مقدار لبثهم.

---

(١) الوسيط (٣/ ١٣٩)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٢٩٠) من قول مقاتل، وزاد المسير (٥/ ١١٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٤١).

(٤) زيادة من ب.

(٥) الدر المصون (٤/ ٤٤٢).

(٦) ساقط من ب.

وقيل: رأوا شُعورهم وأظفارهم قد طالتْ جداً فقالوا ذلك.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ
لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

ثم إنهم أضربُوا عن حديث المدة حيث لم يجدوا سبيلاً إلى تحقيقها، وأخذوا فيما يُهمّهم فقالوا: ﴿فابعثوا أحدكم[1] بوَرِقِكُم هذه إلى المدينة﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر: «بِوَرْقِكُم» بسكون الراء[2]، طلباً للتخفيف، كما قالوا: كِبْد في كَبِد، وكِتْف في كَتِف. وبعض العرب يكسرون الواو فيقولون: وِرْق. وبها قرأ ابن

(١) فائدة: قال ابن الأنباري: إنما قال: «أحدكم» ولم يقل: واحدكم؛ لئلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظَّم، فأراد بأحدهم بعضهم ولم يرد شريفهم (زاد المسير ٥/ ١٢٠-١٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٣)، والكشف (٢/ ٥٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٨٩).

محيصن(١). وقرأ الباقون: «بِوَرِقِكُم» بكسر الراء على الأصل.

والوَرِقُ: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة(٢). ومنه حديث عرفجة الذي أُصيب أنفه يوم الكُلاب(٣): «فاتخذ أنفاً من وَرِق فأنتن، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب»(٤).

قوله تعالى: ﴿إلى المدينة﴾ يعني: التي خرجوا منها، واسمها: دُقْسوس. ويقال: هي اليوم: طَرَسوس(٥)، ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ «أيها» مبتدأ، «أزكى» خبره، «طعاماً» نعت(٦) على التفسير، والجملة مفعول «فلينظر»(٧).

قال الزجاج(٨): المعنى: أيّ أهلها أزكى طعاماً أحلّ ذبيحة.

وقيل: أحلّ طعاماً؛ لأن عامة أموالهم كانت غُصُوباً. قاله الضحاك(٩).

﴿وليتلطف﴾ أي: ليُدقّق النظر وليَحْتَل حتى لا يطّلع عليه أحد.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: ورق).

(٣) يوم الكلاب: اسم ماء كانت فيه وقعة مشهورة من أيام العرب، وليس من غزواته ﷺ، بل كان في الجاهلية (حاشية السندي ٨/ ١٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٩٢ ح٤٢٣٢)، والترمذي (٤/ ٢٤٠ ح١٧٧٠)، والنسائي (٨/ ١٦٣ ح٥١٦١).

(٥) طرطوس: إحدى المحافظات السورية، وتقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط جنوبي مدينة اللاذقية، وهي ميناء سوري مهم.

(٦) في الأصل: نعت. والتصويب من ب.

(٧) الدر المصون (٤/ ٤٤٤).

(٨) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٩) زاد المسير (٥/ ١٢١).

ويجوز عندي: أن يكون ذلك أمراً له بالتلطُّف في تحصيل الأحلّ؛ زيادة في الورع وتحرُّزاً من الشبهة بأبلغ الطرق(١).

وقال الزمخشري(٢): المعنى: ليتكلَّف اللطف والنِّيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبن. وهذا تعجرف في التأويل وبعيد من تلك الأخلاق الزاكية الجميلة.

قوله تعالى: ﴿ولا يشعرن بكم أحداً﴾ قال ابن عباس: لا يخبرن بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة(٣).

﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم﴾ أي: إن يشرفوا عليكم يقتلوكم بالرجم، ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ بالإكراه ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ إن دخلتم في دينهم.

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: وكما أنمْنَاهُم وبعثناهم ﴿أعثرنا عليهم﴾ أطلعنا عليهم الملك الصالح تَنْدوسيس وأهل مدينته دُقْسوس، وكانوا على ملّته، ﴿ليعلموا﴾ يعني: أهل المدينة ﴿أن وعد الله﴾ تعالى ببعث الأرواح والأجساد وجزاء الصالح والطالح ﴿حق﴾ أمر ثابت، ﴿وأن الساعة﴾ التي هي مجمع ذلك ﴿لا ريب فيها﴾.

---

(١) والقول الأول أولى.

(٢) الكشاف (٢/ ٦٦٤).

(٣) الوسيط (٣/ ١٤١)، وزاد المسير (٥/ ١٢٢).

وقوله: ﴿إذ يتنازعون﴾ متعلق [بـ «أعثرنا»][1]. المعنى: أعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿بينهم أمرهم﴾ ويختلفون في حقيقة البعث، على ما سبق ذكره آنفاً.

وقيل: تنازُعُهُم: اختلافهم في مقدار لبثهم وفي عددهم.

وقال مقاتل[2]: تنازُعُهُم: اختلافهم فيما يصنعون بالفتية بعد أن أطلعهم الله تعالى عليهم.

فيكون «إذ» متعلقاً بمحذوف، تقديره: اذكر إذ يتنازعون بينهم أمرهم.

﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ أرادوا سترهم عن أعين الناس؛ حفظاً لهم وزيادة في الإكرام لهم[3] واحترامهم بتغييبهم عن الأبصار.

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ يعني: الملك وأصحابه الرؤساء المطاعين ﴿لنتخذنّ عليهم مسجداً﴾.

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ أي: هم ثلاثة، ﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ أي: قذفاً بالظن من غير علم ولا تثبت. قال زهير:

---

(١) في الأصل: بعثرنا. والتصويب من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٤).

(٣) في ب: في إكرامهم.

فما الحربُ إلا ما عَلِمْتُم وذُقْتُم وما هُوَ عنها بالحديث المُرَجَّم[(١)]

قال الواحدي[(٢)]: أخبر الله أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية[(٣)] منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقالت النسطورية[(٤)]: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم[(٥)] كلبهم.

وحكى الماوردي[(٦)]: أن القائلين لذلك أهل مدينتهم.

والأول أكثر.

---

(١) البيت لزهير. انظر: ديوانه (ص:١٨)، والدر المصون (٤/ ٣٩٩، ٤٤٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٩٧)، والقرطبي (١٠/ ٣٨٣)، وزاد المسير (٥/ ١٢٤)، وروح المعاني (١٥/ ٩٣، ٢٤١، ١٨/ ٣١).

(٢) الوسيط (٣/ ١٤٢).

(٣) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾. وانظر تفصيل ذلك في: الملل والنحل (٢/ ٣٠). ويسمون الآن: «الأرثوذكس».

(٤) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليه إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر تفصيل هذا الضلال المبين في: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٩).

(٥) في ب: وثامنهم.

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٢٩٧).

قال بعض النحاة: التقدير: ورابعهم كلبهم، وسادسهم كلبهم، فحذف العاطف. والدليل عليه قوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾، فكما أن الواو ظهرت هاهنا كانت مُقدَّرة في الجملتين.

وقال الزجاج[١]: دخول الواو وخروجها واحد.

وقال الثعلبي[٢]: هذا واو الحكم. والتحقيق: كأن الله تعالى حكى اختلافهم، فتمّ الكلام عند قوله: ﴿ويقولون سبعة﴾، ثم حكى أن ثامنهم كلبهم.

وقلت: ولهذا قال ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي: لم يبق بعدها عدَّةُ عادٍ يُلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم[٣].

وعلى هذا أكثر العلماء أن عِدَّة أصحاب الكهف سبعة، إلا ما يحكى عن ابن جريج وابن إسحاق: أنهم ثمانية[٤].

وقال[٥] ابن الأنباري[٦]: المعنى: وثامنهم صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشِّعْر زهير. أي: السخاء سخاء حاتم، والشِّعْر شعر زهير.

والقول الأول أصح.

قال علي رضي الله عنه[٧]: هم سبعة نفر.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٧).

(٢) تفسير الثعلبي (٦/ ١٦٣).

(٣) روح المعاني (١٥/ ٢٤٢).

(٤) الماوردي في تفسيره (٣/ ٢٩٧)، وزاد المسير (٥/ ١٢٥).

(٥) في ب: قال.

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٥).

(٧) في ب: عليه السلام.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾: أنا من ذلك القليل، ثم قال: وهم: مكسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وبينونس، وسارتبونس[١]، وذونونس، وكفيشيطينونس -وهو الراعي-، والكلب: اسمه قطمير[٢].

قال محمد بن المسيب الأرغياني: ما بقي بنيسابور محدّث إلا كَتَبَ عني هذا الحديث إلا من لم يقدّر له[٣] -يعني: قول ابن عباس في أسماء الكهف-.

وقال صاحب الكشاف في تصحيح قول من قال: كانوا سبعة[٤]: أتبع القولين الأولين قوله: ﴿رجماً بالغيب﴾، وأتبع القول الثالث قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾.

قوله تعالى: ﴿فلا تُمَارِ فيهم﴾ المراء في اللغة: الجدال، واشتقاقه مِنْ قولك: مَرَيْتُ الشاة؛ إذا استخرجت لبنها[٥]، كأن المجادل يستخرج غَضَبَ خصمه أو ما عنده.

والمعنى: لا تجادل فيهم وفي عددهم أحداً إلا بما أوحيتُ إليك وقصصت عليك؛ تحذيراً من التلبس بمثل حالهم في جدالهم بغير علم.

وقيل: المعنى: إلا جدالاً ظاهراً، وهو أن تقصّ عليهم ما أوحى الله إليك فحسب من غير تجهيل لهم ولا تعنيفٍ في الردّ عليهم، كما قال تعالى: ﴿وجادلهم

---

(١) في ب: وسارينونس.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٦) مختصراً. وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٢)، وزاد المسير (٥/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٦) وعزاه للطبراني في الأوسط بسند صحيح. قال ابن حجر (فتح الباري ٦/ ٥٠٥): وفي النطق بها اختلاف كثير.

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٦٦٧).

(٥) انظر: اللسان (مادة: مرا).

بالتي هي أحسن﴾ [النحل:١٢٥].

﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ أي: ولا تستفت في أصحاب الكهف من أهل الكتاب أحداً؛ لأن سؤالهم إما تعنت أو استرشاد.

والأول ليس من أخلاقك المرضية، والثاني لا حاجة بك إليه؛ لأنك قد علمته بإيحائنا إليك وقصصنا عليك.

قال الفراء[1]: أتى النبي ﷺ فريقاً من النصارى، [نسطوري][2] ويعقوبي، فسألهم عن عددهم، فنُهي عن ذلك.

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: « سألتْ قريش رسول الله ﷺ عن خبر الفتية فقال: غداً أخبركم، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية »[3].

قال الأخفش[4] والمبرد: المعنى: لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: إن شاء الله، فأضمر القول، ولما حذف «تقول» نقل «شيئاً» إلى لفظ

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٣٨).

(٢) في الأصل: يسطوري.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٩٢). وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٣)، وزاد المسير (٥/ ١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٧) وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٤٣).

الاستقبال[(١)].

قوله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي: تدارك ذكر ربك بالاستثناء إن فرط منك نسيان فتنبَّهت له.

قال ابن الأنباري[(٢)]: المعنى: اذكر ربك بعد تَقَضِّي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله إذا صلى حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة.

وحكى الماوردي[(٣)]: أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت الشيء ليذكرك إياه.

والأول هو التفسير.

فصل

والفائدة في الاستثناء: الخروج من الكذب والتخلُّص من حنث الحالف إذا لم يفعل المحلوف عليه، إلا أن تكون اليمين بالطلاق أو العتاق فإن فيها اختلاف بين العلماء، فذهب الإمامان أحمد ومالك [إلى][(٤)]: أنه لا يصح الاستثناء فيهما، وذهب الإمامان أبو حنيفة والشافعي إلى صحته، تسوية بينهما وبين اليمين بالله تعالى.

فصل

واختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء، فقال في رواية: لا يصح إلا موصولاً بالكلام، وهو قول الأكثرين.

وقال في رواية: يصح ما دام في المجلس، وهو قول الحسن البصري

---

(١) الوسيط (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٧).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٢٩٩).

(٤) زيادة من ب.

وطاووس[١].

وقال ابن عباس ومجاهد في آخرين: لو استثنى بعد سنة جاز[٢].

ويروى: أن المنصور حين بلغه أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل، استحضر أبا حنيفة لينكر عليه، فقال له أبو حنيفة: هذا يرجع عليك، إنك تأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك [فيستثنوا][٣] فيخرجوا عليك، فاستحسن كلامه ورضي عنه.

قال ابن جرير الطبري[٤]: الصواب للإنسان أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه فيقول: «إن شاء الله» ليخرج بذلك مما ألزمه الله تعالى في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه. ومن قال: له ثنياه ولو بعد سنة أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفارة[٥].

قوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ قال

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٢٩)، والقرطبي (١٠/ ٣٨٦)، والبغوي (٣/ ١٥٧) كلاهما عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٨) عن طاووس.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٩)، والطبراني في الأوسط (١/ ٤٤)، والكبير (١١/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) في الأصل: فيستثنون. والمثبت من ب.

(٤) الطبري (١٥/ ٢٢٩).

(٥) قال ابن كثير (٣/ ٨٠): وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح، وهو الأليق، يُحمل كلام ابن عباس عليه.

الزجاج[١]: المعنى: عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدَلَّ من قصة أصحاب الكهف.

ففعل الله تعالى ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين وخبرهم ما كان أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف.

وقال ابن الأنباري[٢]: المعنى: عسى أن يُعرّفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم.

وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةٍ سنين﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ثلاثمائةِ سنين» على الإضافة[٣]، والقراءة الأولى أوجه وأرجح.

قال أبو علي الفارسي[٤]: فمن نوَّن جعل «سنين» بدلاً من «ثلاثمائة». كما تقول: أعطيته ألفاً دراهم ومائةً أثواباً.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٤)، والكشف (٢/ ٥٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٠).

(٤) الحجة (٣/ ٨٣).

وقال الزمخشري[1]: «سنين» عطف بيان، ومن أضاف فالقياس أن يقال: ثلاثمائة سنة، لكنه وضع الجمع موضع الواحد في التمييز.

[وقال الضحاك: نزلت: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين، فنزلت ﴿سنين﴾[2].

قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يريد تسع سنين، فاستغنى عن ذكر السنين لتقدم ذكرها.

وحكى الماوردي[3]: أن التسع [تَفَاوِتُ][4] ما بين السنين الشمسية والقمرية][5].

وقد اختلف العلماء في توجيه هذه الآية؛ فقال مجاهد والضحاك في آخرين: هذا بيان لمدة لبثهم في كهفهم مضروباً على آذانهم إلى أن بعثهم الله وأطلع خلقه عليهم[6]. فيكون التقدير: قل الله أعلم بما لبثوا من أهل الكتاب المختلفين في مدة

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٧٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٠٠).

(٤) في الأصل: تقارب. والتصويب من (ب).

(٥) جاءت العبارة في الأصل و ب هكذا: وقال الضحاك: نزلت: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين، فاستغنى عن ذكر السنين لتقدم ذكرها. وحكى الماوردي: أن التسع قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يريد تسع سنين، فنزلت سنين تفَاوِتُ ما بين السنين الشمسية والقمرية.
وقد قدمنا وأخرنا فيها لاستقامة النص والمعنى، انظر: الماوردي (٣/ ٣٠٠)، وزاد المسير (٥/ ١٣٠-١٣١).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٣٠).

لبثهم.

وقيل: هذا ردٌّ من الله على القائلين من أهل الكتاب أن مدة لبثهم ثلاثمائة وتسع سنين.

المعنى: الله تعالى أعلم بما لبثوا بعد قبض أرواحهم إلى يومكم هذا لا يعلمه إلا الله تعالى(١) أو من أعلمه إياه.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم».

وقال ابن السائب: قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة فقد عرفناها، وأما التسع فلا علم لنا بها، فنزلت: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾(٢).

﴿له غيب السموات والأرض﴾ سبق تفسيره(٣).

﴿أبصر به وأسمع﴾ أي: ما أبصر الله وأسمعه، فهو أعلم بقصة أصحاب الكهف وعددهم ومُدَّة لبثهم، أو ما أبصره وأسمعه لما قالوا [﴿ما لهم﴾](٤) أي: ما لأهل السموات والأرض من ولي يتولى أمرهم ونصرهم.

﴿ولا يُشركُ في حكمه أحداً﴾ أي: لا يُشرك في قضائه أحداً من خلقه.

وقرأ ابن عامر: «ولا(٥) تُشْرِكْ» بالتاء والجزم(٦)، على الخطاب والنهي. أي: لا

---

(١) في ب: لا يعلمه سواه.

(٢) الوسيط (٣/ ١٤٤)، وزاد المسير (٥/ ١٣١).

(٣) في سورة هود عند الآية رقم: ١٢٣، وسورة النحل عند الآية رقم: ٧٧.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: لا. والمثبت من ب.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٥)، والكشف (٢/ ٥٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٨٩)، والسبعة في القراءات =

تُشرك أيها الإنسان، وهي قراءة الحسن.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿واتل ما أوحي إليك﴾ أي: اقرأ. وقيل: اتبع القرآن.

﴿لا مبدل لكلماته﴾ مفسر في الأنعام(١).

﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ ملجأً ومعدلاً تميل إليه.

وقد سبق اشتقاق الإلحاد واللحد، وأنه من الميل.

وقال الزجاج(٢): مَعْدِلاً عن أمره ونهيه.

قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك﴾ أي: احبسها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ مفسر في الأنعام(٣).

قال سلمان الفارسي: «جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله! إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيّت عنّا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون: سلمان وأبا ذر وفقراء

= (ص: ٣٩٠).

(١) الآية رقم: ١١٥.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٠).

(٣) الآية رقم: ٥٢.

المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم -حتى بلغ قوله-: إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ يتهددهم بالنار، فقام النبي ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»[1].

﴿ولا تَعْدُ عيناك عنهم﴾ أي: لا تنصرف عيناك عنهم لرثاثة هيئتهم وزيّهم، ﴿تريد زينة الحيوة الدنيا﴾ في محل الحال[2]. أي: مُريداً مُجالسة ذوي الشارة والنباهة من أشراف العرب.

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً عن القرآن والإسلام.

وقرأ أبو مجلز: «أغْفَلَنا» بفتح اللام «قَلْبُه» بالرفع[3]، على إسناد الفعل إليه. على معنى: لا تُطِعْ من حبسنا قلبه غافلين، حيث أمهلناه ولم يدْرِ أن ذلك استدراج منا له، وهو مِنْ أغفلته؛ إذا وجدته غافلاً[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٥). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٠) وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) الدر المصون (٤/ ٤٤٩).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٣٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: غفل).

قال ابن عباس: يريد عيينة بن حصن وأشباهه[(١)].

والمعنى: لا تُطِعْهُم في تنحية الفقراء عنك وتخصيص الكبراء بالدنو منك.

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وكان دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله منه؛ من طرد الفقراء عنه وتقريب صناديد قريش[(٢)].

﴿واتبع هواه﴾ نابذاً للحق وراء ظهره.

قرأت على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد أبو منصور، قال: سمعت البغوي وهو أبو محمد الحسين بن مسعود يقول: قال علي عليه السلام: «إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصدّ عن الحق»[(٣)]. وبه قال البغوي.

قال ابن عباس: ليأتين على الناس زمان يكون همة أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه[(٤)].

﴿وكان أمره فُرُطاً﴾ قال مجاهد: ضياعاً[(٥)].

وقال السدي: هلاكاً[(٦)].

---

(١) الوسيط (٣/ ١٤٥)، وزاد المسير (٥/ ١٣٣).

(٢) الوسيط (٣/ ١٤٦)، وزاد المسير (٥/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٢) وعزاه لابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٠ ح٣٤٤٩٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٦٩ ح١٠٦١٣).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٢١٧ ح٦١٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٦)، ومجاهد (ص:٣٧٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٧) من طريق السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب.
=

وأصله من التفريط، وهو تقديم العَجْز، فمن قـدَّم العَجْـز في أمـره أضـاعه وأهلكه.

قرأت على الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن ثابت الطالباني البغدادي[١] بمنزله برأس عين، أخبركم الشيخان عبد المغيث بن زهير[٢] ويعقوب بـن يوسـف بـن عمر[٣] الحربيان قالا: أخبرنا القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء، أخبرنا الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب، أخبرنا علي بن محمد بن عبدالله المعدل، أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي[٤]، حدثنا عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا[٥]، حـدثني =

وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٦).

(١) علي بن ثابت بن طالب، المعروف بابن الطالباني، أبو الحسن الأزجي، الشيخ الفقيه الواعظ، موفق الدين. سمع أبا محمد صالح بن المبارك الرحلة، وشهدة بنت أحمد. روى عنه الحافظ الضياء وابن أخيه الفخر. مات برأس عين في تاسع عشر شعبان سنة ثمان عشرة وستمائة (المقصد الأرشد ٢/ ٢١٧، وتكملة الإكمال ١/ ٥٢٥).

(٢) عبد المغيث بن زهير بن زهير بن علوي الحربي، أبو العز، كان صالحاً متديناً، صدوقاً أميناً، حسن الطريقة، جميل السيرة، حميد الأخلاق، مجتهداً في اتباع السنة والآثار، جمع وصنّف وحدّث، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته، له كتاب "الدليل الواضح في النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح" يشتمل على تحريم الغناء وآلات اللهو. توفي ليلة الأحد ثالث عشري المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وكانت جنازته مشهورة، ودفن بدكة قبر الإمام أحمد مع الشيوخ الكبار (المقصد الأرشد ٢/ ١٣٦).

(٣) يعقوب بن يوسف بن عمر بن الحسين بن المعمر المقرئ، أبو محمد الحربي، كان من أعيان القرّاء، مات في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة (لسان الميزان ٦/ ٣١١).

(٤) الحسين بن صفوان بن إسحاق بن إبراهيم، أبو علي البرذعي، صاحب ابن أبي الدنيا وراوي كتبه، كان صدوقاً، توفي في شعبان سنة أربعين وثلاثمائة ببغداد (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٤٢).

(٥) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، أبو بكر القرشي، مولى بني أمية المعروف بـابن أبي =

محمد بن الحسين، حدثنا إسحاق بن منصور، عن جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء: ﴿وكان أمره فرطاً﴾ قال: تسويفاً[١].

قال الحسن: إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدٍ[٢]، فإن يكن غدٌ لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدٌ لم تندم على ما فرطت في اليوم[٣].

وقال أبو الجلد: قرأتُ في بعض الكتب: أن «سوف» جُنْدٌ من جُنْد[٤] إبليس[٥].

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم﴾ المعنى: الذي أتيتكم به الحق من ربكم، أو جاء الحق من ربكم.

= الدنيا، صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق، صدوق حافظ، ولد سنة ثمان ومائتين، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائتين (تاريخ بغداد ١٠/ ٨٩).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص:١١٣).

(٢) في الزهد لهناد واقتضاء العلم: بغدك.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٤ ح٨)، وهناد في الزهد أيضاً (١/ ٢٨٩ ح٥٠٢)، والخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل (ص:١١٣).

(٤) في ب: جنود.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص:١١٤).

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [قال][1] ابن عباس: معناه: من[2] شاء الله فليؤمن، ومن شاء الله فليكفر[3].

والأظهر: تعليق المشيئة بالمكلفين.

قال الزجاج[4]: هذا وعيد وإنذار ليس بأمْر.

وقال غيره: هذا إظهار للغنى لا إطلاق في الكفر.

وقال الزمخشري[5]: المعنى: زاحت العلل ولم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مُكّن من اختيار أيهما شاء، فكأنه مخيّر مأمور بأن يتخير ما شاء من النَّجْدين.

﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ أي: أعتدنا وهيّأنا للكافرين ناراً، ﴿أحاط بهم سرادقها﴾.

قال اللغويون: السُّرادق: فارسي معرب، أصله بالفارسية: سرادار، وهو الدهليز.

قال ابن قتيبة[6]: السُّرَادِق: الحُجْرة التي تكون حول الفسطاط.

---

(١) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٢) في ب: فمن.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٧-٢٣٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٤) وعزاه لحنيش في الاستقامة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٨١).

(٥) الكشاف (٢/ ٦٧٢).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٧).

قال الزجاج(١): كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المِضْرَب، أو الحائط المشتمل على الشيء؛ سُرَادِق.

قال ابن عباس رضي الله عنه: هو حائط من نار(٢).

وقيل: هو دخانٌ يُحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظل ذو ثلاث شُعَب(٣)، المذكور في المرسلات(٤).

وقرأتُ(٥) على محمد بن بهرام، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، أخبرنا الحسين بن مسعود الفراء، أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج أبي [السمح](٦)، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ((سُرادق النار أربعة جُدُر، كُثف كل جدارٍ مثل مسيرة أربعين سنة))(٧).

قوله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا﴾ يعني: يطلبوا الغوث من شدة العطش والكرب ﴿يغاثوا بماء كالمُهْل﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٤) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٣٥).

(٤) الآية رقم: ٣٠.

(٥) في ب: قرأت.

(٦) في الأصل: أبي الشيخ. والتصويب من ب. وانظر: ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٠).

(٧) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٦ ح٢٥٨٤)، وأحمد (٣/ ٢٩ ح١١٢٥٢).

وبهذا الإسناد السالف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿بماء كالمهل﴾ كعَكَر الزيت، فإذا قُرِّب إليه سقطت فروة وجهه فيه»[١].

وبهذا الإسناد أيضاً قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غِسْلِين[٢] يُهْراق في الدنيا لأنْتَنَ أهل الدنيا»[٣].

قال أبو عبيدة والزجاج[٤]: كل شيءٍ أذبْته من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك فهو مُهْل.

وقال مجاهد: هو القيح والدم[٥].

وقيل: هو الصديد الذي يسيل من جلود أهل النار.

وقال: ﴿يشوي الوجوه﴾ لِفَرْط حرارته.

ثم بالغ في ذمِّه فقال: ﴿بئس الشراب وساءت﴾ يعني: النار ﴿مرتفقاً﴾.

قال الزجاج[٦]: «مُرْتَفَقاً» منصوبٌ على التمييز، ومعناه: مَنْزِلاً.

وقال أهل اللغة: «مرتفقاً»: مُتَّكأً.

وأنشدوا:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٤ ح٢٥٨١)، والحاكم (٢/ ٥٤٤ ح ٣٨٥٠).

(٢) الغِسْلِين: ما يَسيلُ من جلود أهل النار كالقيح وغيره كأنه يُغْسل عنهم (اللسان، مادة: غسل).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٤ ح ٣٨٥٠).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٤٠٠)، ومعاني الزجاج (٣/ ٢٨٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٠)، ومجاهد (ص:٣٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٨٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٢).

إنِّي أَرِقْتُ فبتُّ الليلَ مُرْتَفِقاً كأنَّ عيني فيها الصَّابُ[(١)] مذْبُوح[(٢)]

و«مرتفقاً» متكأً على المرفق.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جائز أن يكون الخبر: ﴿إنا لا نضيع﴾، والتقدير: لا نضيع ﴿أجر من أحسن عملاً﴾ منهم[(٣)]، فحذف العائد كما حذفه من قوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى:٤٣] أي: منه، وكما في قولهم: السمن مَنَوان بدرهم.

وجائز أن يكون الخبر: ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾، وما بينهما اعتراض[(٤)].

وجائز أن يكونا خبرين.

---

(١) الصاب: شجر لين يؤذي العين إذا أصابها. ومذبوح: أي: مشقوق.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يرثي صديقاً له. انظر: ديوان الهذليين (١/ ١١٤)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ١٢٠)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (١٠/ ١٢٤)، وشواهد المغني (ص:٧٢)، والكشاف (٢/ ٦٧٢)، والدر المصون (٤/ ٤٥١)، والطبري (١٥/ ٢٤١)، والقرطبي (١٠/ ٣٩٥)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٠٤)، وزاد المسير (٥/ ١٣٦)، وروح المعاني (١٥/ ٢٦٩).

(٣) التبيان (٢/ ١٠٢)، والدر المصون (٤/ ٤٥٢).

(٤) مثل السابق.

وقد سبق تفسير «جنات عدن»[(١)].

قوله تعالى: ﴿من أساور﴾ قال الزجاج[(٢)]: هو جمع: أَسْوِرة، وأَسْوِرَة جمع سِوار، بكسر السين.

وقد حكي: سُوار، بالضم. وحكى قطرب: إسْوَار.

وقال الفراء[(٣)]: واحد الأساور ثلاث لغات: [إسوار][(٤)] وسُوار وسِوار. فمن قال: إسوار جَمَعَهُ أَسَاوِر، ومن قال: سُوار أو سِوار جَمَعَهُ أَسْوِرَة.

قال سعيد بن جبير: يحلّى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحدٌ من فضة، وواحدٌ من ذهب، وواحدٌ من لؤلؤ ويواقيت[(٥)].

قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور في اليد، والتيجان على الرأس، جعل الله تعالى ذلك لأهل الجنة[(٦)].

﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾ قال ابن قتيبة[(٧)]: السُّنْدُس: رقيق الديباج، والإستبرق: ثخينه.

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الاتّكاء: التَّحَامُلُ على الشيء[(٨)]، والأرائك:

---

(١) في سورة النحل عند الآية رقم: ٣١.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٣).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٣٥). وانظر: زاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٤) في الأصل: أساور. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٥) الوسيط (٣/ ١٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٣٧).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٧).

(٨) انظر: اللسان (مادة: وكأ).

السُّرُر في الحِجَال[١].

قال ثعلب[٢]: لا تكون أريكة إلا سريراً في قبّة عليه شَوارُه ومتاعه.

والشَّوارُ -بفتح الشين-: متاع البيت.

﴿نعم الثواب﴾ قال ابن عباس: طاب ثوابُهم وعظُم[٣]، ﴿وحسنت مرتفقاً﴾.

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ قال ابن عباس وعطاء وعامة المفسرين: هما ابنا ملكٍ كان في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، وَرِثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها، فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وإني اشتريت منك أرضاً في الجنة بألف دينار، وتصدَّق[٤] بألف دينار. ثم إن الكافر بنى داراً بألف دينار، فقال المؤمن:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: أرك).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٣٨).

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٧).

(٤) في ب: فتصدق.

اللهم إن أخي بنى داراً بألف دينار، وإني أشتري منك داراً في الجنة بـألف دينـار، وتصدق بألف. ثم إن الكافر تزوج امرأةً فأنفق عليها ألف دينـار، فقـال المـؤمن: اللهم إن أخي تزوج امرأة فأنفق عليها ألف دينار، وإني أخطب إليـك مـن نـساء الجنة بألف دينار، وتصدَّق به. ثم إن الكافر اشترى خَدَماً ومتاعاً بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن فلاناً اشترى خَدَماً ومتاعاً بألف دينار، وأنا أشتري منك خَـدَماً ومتاعاً بألف دينار[1]، فتصدَّق به. ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيتُ أخـي لعله ينالُني منه بمعروف، فجلس في طريقه حتى مَرَّ بـه في حـشمه، فتعـرّض لـه فعَرَفه، فقال: ما حاجتك؟ فقال: أصابتني حاجةٌ شديدة، فأتيتك لتُصيبني منـك بخير، فقال: وأين ما ورثته من[2] أبيك؟ فقال: تصدقت بـه، فقـال: وإنـك لمـن المُصَدِّقين بهذا؟ اذهب فوالله لا أُعطيك شيئاً أبداً حتى تتبع دينـي، ثـم أخـذ بيـد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، وإليهما أشار الله تعـالى بقولـه في الـصافات: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أإنـك لمـن المـصدقين ... الآيـات﴾[3] [الصافات:٥١-٥٢].

والمعنى: مثل حال المؤمنين والكافرين بحال هذين الرجلين.

﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتـين مـن أعنـاب﴾ بـساتين مـن كـروم ﴿وحففناهما بنخل﴾ جعلنا النخل محيطاً بالجنَّتَيْن [مُطيفاً][4] بهما، ﴿وجعلنا بينهما

---

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب: عن.

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٨)، وزاد المسير (٥/ ١٣٨-١٣٩).

(٤) في الأصل: مطبقاً. والمثبت من ب.

زرعاً﴾ قال الزجاج[(١)]: أعلم الله سبحانه وتعالى أن عمارتهما كاملةً متصلةً لا يفصل بينهما إلا عمارة.

وقال غيره: جعلها أرضاً جامعةً للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلةً متشابكةً لم يتوسطها ما يقطعها أو يفصل[(٢)] بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أي: آتت كل واحدة منهما صاحبها أكلها ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي: لم تنقص من أكلها شيئاً ﴿وفجّرنا خلالهما نهراً﴾ أي: وسط الجنتين نهراً، فجعلنا شربهما سَيْحاً[(٣)]، فإنه من تمام حُسنهما وكمال بهجتهما ونضارتهما.

﴿وكان له﴾ أي: للكافر ﴿ثمر﴾ قرأ أبو عمرو: «ثُمْرٌ» بضم الثاء وسكون الميم. وقرأ عاصم بفتحهما. وقرأ الباقون بضمهما[(٤)].

فمن ضَمَّهُما جعله جمع ثمارٍ، وثمارٌ جمع ثمرٍ، وثمر جمع ثمرة، فهو جمع جمع الجمع. ويجوز أن يكون جمع ثمرة؛ كبَدَنَة وبُدْن، وخَشَبَة وخُشْب.

ويجوز أن يكون اسماً مفرداً لما يُجتنى؛ كعُنُقٍ وطُنُبٍ.

ومن سكَّن الميم فهو على ما ذكرناه، لكنه آثر التخفيف بإسكان الميم.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٤).

(٢) في ب: ويفصل.

(٣) السَّيْحُ: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض (اللسان، مادة: سيح).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٨٤-٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٦)، والكشف (٢/ ٥٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٠).

ومن فتحهما جعله جمع ثَمَرَة، كما ذكرناه.

وقال الفراء[(١)]: الثَّمُرُ -بفتح الميم والثاء[(٢)]-: المأكول، وبضمّهما: المال. وهذا التفصيل هو المشهور عند المفسرين.

قال ابن عباس: «وكان له ثمر» يعني: أنواع المال[(٣)].

وقال مجاهد: ذهب وفضة[(٤)].

وقال قتادة: يعني: من كل المال[(٥)].

وقال الوالبي: الثَّمر: المال[(٦)].

﴿فقال لصاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ يراجعه الكلام ويحادثه ﴿أنا أكثر منك مالاً﴾ ونافع في بعض الروايات عنه يقرأ: «أنا أكثر» بإثبات الألف[(٧)]، وعليه أنشدوا:

أنا شيخ العشيرة [فاعرفوني][(٨)] ....[(٩)]

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٤٤).

(٢) في ب: الثاء والميم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٠) وعزاه لأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٥)، ومجاهد (ص:٣٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٥). وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٨).

(٦) الوسيط (٣/ ١٤٨).

(٧) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠).

(٨) في الأصل: فاعرفيني. والمثبت من ب.

(٩) وتكملة البيت: حَميداً قد تذرَّيْتُ السَّنَاما. انظر: اللسان، مادة: (أنن)، والقرطبي (٣/ ٢٨٧)، =

و«مالاً» و«نفراً» منصوبان على التميز.

قال قتادة: تلك والله أمنية الكافر، كثرة المال وعزَّةُ النَّفَر [(١)].

والمعنى: وأعزُّ أنصاراً وحشماً.

وقيل: أراد الأولاد الذكور؛ لأنهم ينفرون معه.

﴿ودخل جنته﴾ يعني: الكافر أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنته يطوف [به][(٢)] فيها ويُعجبه منها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ حال، على معنى: دخل جنته التي لا جنة له غيرها، ظالماً لنفسه بالكُفر والعُجْب، مُغتراً بالغفلة والمهلة، غير معتبر بسُنّة الله تعالى في أمثاله من ذوي الطغيان الذين استُدرجوا بالنِّعَم حتى أُخذوا من مأمنهم.

﴿قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ أنكر المخذولُ فناءَ الدنيا وفناء جنته، وكذَّب بالبعث والجزاء فقال: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ وهذا شأن أكثر المترفين المغرورين بانغمارهم في نعم الله، حتى إن المسلمين منهم الموقنين بالبعث والحساب تنادي عليهم أفعالهم بالإنكار ذهاباً مع الغرور وميلاً إلى الآمال الخائبة والأماني الكاذبة.

﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها﴾ أي: من الجنة.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «منهما»[(٣)]، رداً إلى ما تقدم من ذكر الجنتين.

= والطبري (١٥/ ٢٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٤٤).

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٦). وانظر: الوسيط (٣/ ١٤٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٦)، والكشف (٢/ ٦٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٠).

﴿منقلباً﴾ مرجعاً، وانتصابه على التمييز.

أقسم المغرور أنه إن رُد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير ليجدن خيراً من جَنّته، ظناً منه أنه لم يُؤتها في الدنيا إلا لكرامته على الله واستحقاقه، كما قال المخذول الآخر: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت:٥٠]، وقول العاص بن وائل: ﴿لأوتين مالاً وولداً﴾ [مريم:٧٧].

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

﴿قال له صاحبه﴾ يعني: المؤمن ﴿وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ أي: خلق أصلك وهو آدم من تراب ﴿ثم من نطفة ثم سوّاك﴾ عدَّلك وكمَّلك ﴿رجلاً لكن هو الله ربي﴾ قرأ ابن عامر: «لكنا» بالألف في الوصل، وحذفه الباقون[1]، واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصلها: لكن أنا، وهي قراءة الحسن، فحُذفت الهمزة وألقيت حركتها على النون قبلها، فاجتمعت النونان

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٧)، والكشف (٢/ ٦١)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩١).

متحركتين، فكان الإدغام، وحذفت الألف في الوصل، ومثله قول الشاعر:

وترمينَني بالطرْفِ أيْ أنتَ مُذْنِبٌ وتَقْلِينني لكنَّ إياكِ لا أَقْلي [(١)]

قال الزجاج[(٢)]: ومن أثبت الألف فعلى لغة من يقول: أنا قمت، ومنه: أنا سيف العشيرة.

قال الزمخشري[(٣)]: وحسَّن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة.

قوله تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت﴾ حين أعجبك حُسنها وسَرَّك منظرُها ﴿ما شاء الله﴾ قال الزجاج[(٤)]: «ما» في موضع رفع، على معنى: الأمر ما شاء الله، أو ما شاء الله كان.

وقال غيره: «ما» موصولة، و«شاء» صلته، أي: شاءه الله، [والخبر][(٥)] مضمر، أي: ما شاء الله كائن. وإن شئت جعلت «ما» شرطاً منصوباً بـ«شاء»، وجواب الشرط مضمر، أي ما شاء الله كان، يعني: من عمارة [وخراب][(٦)].

﴿لا قوة﴾ على عمارتها واستثمار أشجارها وإجراء أنهارها ﴿إلا بالله﴾ بمعونته وتسهيله.

---

(١) انظر البيت في: شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ١٤٠)، وشواهد المغني (ص:٨٣)، والهمع (١/ ١٤٨)، ومعاني الفراء (٢/ ١٤٤)، والقرطبي (١٠/ ٤٠٥)، والطبري (١/ ٥٥)، وزاد المسير (٥/ ١٤٤)، وروح المعاني (١٥/ ٢٧٧)، والدر المصون (٤/ ٤٥٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) الكشاف (٢/ ٦٧٥).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٨).

(٥) في الأصل: خبر. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: وجواب. والتصويب من ب.

ثم رجع إلى نفسه فقال: ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «أنا أقلُّ» بالرفع[(١)]، فمن نصب جعله مفعولاً ثانياً لـ«ترن»، و«أنا» عماد. ومن رفع جعل «أنا» مبتدأ، و«أقل» خبره. والجملة مفعول ثان لـ«ترني».

قوله تعالى: ﴿فعسى﴾ الفاء جواب قوله: «إن ترن»، والمعنى: فعسى ﴿ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك﴾ يريد: في الآخرة ﴿ويرسل عليها﴾[(٢)] أي: على جنتك ﴿حسباناً من السماء﴾.

قال النضر بن شميل: الحُسْبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة، تنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة واحدة[(٣)].

والمعنى على هذا: يرمي ويرسل عليها مرامي من عذابه، إما حجارة، وإما برداً، وإما ناراً، إلى غير ذلك من أنواع العذاب، وهذا يجمع أقوال المفسرين.

قال ابن عباس: «حسباناً»: ناراً من السماء[(٤)].

وقال في رواية أخرى: عذاباً[(٥)].

وقال ابن زيد: قضاء يقضيه الله من السماء[(٦)].

قال الزجاج[(٧)]: هذا موضع فيه لُطف يحتاج إلى شرح، وهو أن الحسبان في

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٤٥).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿حسباناً﴾ وستأتي بعد.

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٩)، وزاد المسير (٥/ ١٤٥).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٤) وعزاه للطستي.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٤) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٤٥).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٢٨٩).

اللغة هو الحساب[١]. قال الله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[الرحمن:٥] يعني: بحساب. فالمعنى في هذه الآية: أو يرسل عليها عذاب حُسْبان، وذلك أن الحُسْبَان حِسَاب ما كسبت يداك[٢].

وقال الزمخشري[٣]: الحسبان مصدر؛ [كالغفران][٤] والبطلان، بمعنى: الحساب، أي: مقداراً قدّره الله تعالى وحسبه، وهو الحكم بتخريبها.

﴿فتصبح صعيداً﴾ لا [نبت][٥] فيها ﴿زلقاً﴾ تزلّ عنها الأقدام لَمَلاسَتها.

﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ قال ابن الأنباري[٦]: ذا غور، فسقط المضاف وخلفه المضاف إليه.

وقال الزمخشري[٧]: «زلقاً» و«غوراً» كلاهما وصفٌ بالمصدر.

والمعنى: أو يصبح ماؤها الجاري في خلالها غائراً ذاهباً في الأرض.

﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ أي: وُصُولاً.

قال ابن الأنباري[٨]: قام الطلب مقام الوصول لأنه سببه.

وقال غيره: المعنى لا يبقى له أثر تطلبه به.

---

(١) في الأصل: السحاب. وكتب في الهامش لعله: الحساب. والتصويب من ب.

(٢) المراد بالحسبان: الصاعقة، وسميت حساباً؛ لأنها جزاء على ما قدم.

(٣) الكشاف (٢/ ٦٧٦).

(٤) في الأصل: كالغفلان. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: ينبت. والتصويب من ب.

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٦).

(٧) الكشاف (٢/ ٦٧٦).

(٨) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٦).

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأحيط بثمره﴾ أي: أُهلك، وأصله مِنْ أَحَاطَ به العدو؛ لأنه إذا أحاط به فقد مَلَكَهُ واستولى عليه، ثم استُعمل في كل إهلاك. وقد أشرنا إلى هـذا فيما مضى.

﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ قال ابن عباس: يضرب يديه واحدة على أخرى[1].

وقيل: يُقلّبهما ظهراً لبطن، وهو كناية عـن النـدم والتحسّر؛ لأن هـذا شـأن النادم.

﴿على ما أنفق فيها﴾ أي على ما أخرج من الأموال في إصلاح الجنة وعمارتها، ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشـها﴾ أي: سـقوفها، ومـا عـرش لكرومهـا، [يريد][2] تساقطت العروش إلى الأرض وتساقطت فوقها الكروم.

ويروى: أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأكلتها.

﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ قال صاحب الكشاف[3]: تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أُتي من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك

---

(١) الوسيط (٣/ ١٤٩)، وزاد المسير (٥/ ١٤٦). وفي ب: واحدة على الأخرى.

(٢) في الأصل: يرد. وفي ب غير ظاهر. ولعل الصواب كما أثبتناه.

(٣) الكشاف (٢/ ٦٧٦).

الله تعالى بستانه. ويجوز أن يكون توبةً من الشرك وندماً على ما كان منه، [ودخولاً][1] في الإيمان.

وليس هذا بصحيح؛ فإنه مات على كفره؛ بدليل قوله: ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ [الصافات:٥٥].

وقيل: إنما يقول هذا ويتمنى هذا التمني يوم القيامة، بدليل قوله: ﴿ولم تكن له فئة﴾ والتي بعدها.

قرأ حمزة والكسائي: «يكن» بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[2]. وقد نبهنا على علّة مثل هذا فيما مضى.

﴿ينصرونه من دون الله﴾ أي: يمنعونه من عذابه.

ومعنى: «من دون الله» تعالى: أنه هو القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره، إلا أنه لم ينصره لكفره وطغيانه.

﴿وما كان منتصراً﴾ ممتنعاً من الله تعالى بماله ونفره.

قال ابن عباس: لم ينصره النَّفر الذين افتخر بهم في قوله: ﴿وأعز نفراً﴾[3].

قوله تعالى: ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ قرأ حمزة والكسائي: «الوِلاية» بكسر الواو[4]، كالخِيانة، والكِناية، والخِلافة، والإمارة، وقرأ الباقون بفتح الواو، وهي

---

(١) في الأصل: ودخلاً. والتصويب من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٨)، والكشف (٢/ ٦٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(٣) الوسيط (٣/ ١٤٩).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٨)، والكشف (٢/ ٦٢)، والنشر في

النصرة والتولي. وبكسر الواو: السلطان، وقد سبق ذكره في آخر الأنفال[١].

والمعنى: هنالك في ذلك المقام، وتلك الحال النصرة لله تعالى لا يملكها غيره ولا يستطيعها سواه. أو: هنالك السلطان والملك لله تعالى، وكنت أبداً أستحسن الوقف على قوله: «هنالك» وأجعله ظرفاً لقوله: «منتصراً»، وأبتدئ: «الولاية لله الحق»، حتى رأيت بعض الحذّاق قد سبق إليه.

قرأ أبو عمرو والكسائي «الحقُّ» بالرفع، وقرأ الباقون بالجر[٢]. فمن رفع جعله صفة للولاية.

قال ابن الأنباري[٣]: تأنيث الولاية غير حقيقي، فحملت على معنى النصر، والتقدير: هنالك النصر لله الحق.

وقيل: الحق مصدر يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والاثنان والجمع[٤]، فيقال: قولك حق، وكلمتك حق، وأقوالك[٥] حق[٦].

= القراءات العشر (٢/ ٢٧٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(١) آية رقم: ٧٢.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٩)، والكشف (٢/ ٦٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٠-٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٧).

(٤) في ب: والجميع.

(٥) في ب: وأقوالكم.

(٦) زاد المسير (٥/ ١٤٧).

وقال بعضهم: «الولاية» مبتدأ، خبره الظرف، و«الحق» خبر آخر[١]، قال: وهو أحسن من أن تجعله وصفاً للولاية؛ لأنك حينئذ تفصل بين الصفة والموصوف بالخبر، والصفة جزء من الموصوف، ولهذا يُعتبر تعريفه بتعريف الموصوف وتنكيره بتنكيره.

فأما من قرأ «الحقِّ» بالجر، فإنهم جعلوه صفةً لله تعالى.

﴿هو خير ثواباً﴾ لأهل ولايته وطاعته ﴿وخير عُقُباً﴾.

وقرأ عاصم وحمزة: «عُقْباً» بسكون القاف[٢]، وهما لغتان بمعنى واحد، فالمعنى: خير عاقبة.

قال أبو عبيدة[٣]: العُقُب والعُقْبُ والعُقْبى والعَاقِبَة بمعنى واحد[٤]، وهي: الآخرة.

و«ثواباً» و«عقباً» نصب على التمييز[٥].

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) التبيان (٢/ ١٠٣)، والدر المصون (٤/ ٤٦٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٩)، والكشف (٢/ ٦٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤٠٥).

(٤) ساقط من ب.

(٥) الدر المصون (٤/ ٤٦٠).

مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ أي: مَثِّل لهم الحياة الدنيا في بهجتها ونضرتها وحسن منظرها وسوء عاقبتها، ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ أي: التفَّ بسببه ﴿نبات الأرض﴾، وقيل: سرى الماء في النبات فاختلط به.

﴿فأصبح هشيماً﴾ متفتتاً [متحطماً][١]، مِنْ هشمت الشيء؛ إذا كسرته[٢].

قال الفراء[٣]: الهشيم: كلُّ ما كان رطباً فيبس.

وقال الزجاج[٤]: الهشيم: النبات الجاف.

﴿تذروه الرياح﴾ أي: تنسفه وتسفيه.

وقرأ ابن مسعود: «تذريه» بالياء بدل الواو[٥]، مِنْ ذَرَى يَذْري، وقرأ ابن عباس مثله، إلا أنه ضم التاء[٦]، من أذرى [يُذري][٧].

﴿وكان الله على كل شيء﴾ من [الإنشاء][٨] والإفناء ﴿مقتدراً﴾. وقد ذكرنا في

---

(١) في الأصل: منحطماً. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: هشم).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٠٩).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٩١).

(٥) زاد المسير (٥/ ١٤٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) زيادة من ب.

(٨) في الأصل: الأشياء. والتصويب من ب.

سورة النساء[١] قول سيبويه في هذا وأمثاله.

وقال الحسن: المعنى: وكان الله على كل شيء مقتدراً قبل كونه.

قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ المعنى: هما زينة الدنيا يتفاخرون ويتكاثرون بها، كما عليه عامة الكفار وجمهور مترفي المسلمين، إلا من عصم الله تعالى، وهما إلى فناء وانقضاء.

﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ أي: أفضل جزاء وخير أملاً من الآمال المتعلقة بالأموال والبنين.

واختلفت الرواية عن ابن عباس في الباقيات الصالحات؛ فروى ابن أبي طلحة عنه: أنها جميع أعمال الحسنات[٢]. وبه قال قتادة وابن زيد[٣].

وروى العوفي عنه: أنها الكلام الطيب[٤].

وروى سعيد بن جبير: أنها الصلوات الخمس[٥].

والمشهور في التفسير: أنها ما[٦] روى علي عليه السلام عن النبي ﷺ: « أنها لا

---

(١) آية رقم: ٨٥.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) وهذا القول هو الذي رجحه ابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٥) عن ابن عباس. وانظر: الوسيط (٣/ ١٥١)، وزاد المسير (٥/ ١٤٩).

(٦) في ب: مما.

إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله))[١].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: ((إن عجزتم عن الليل أن تُكابدوه، وعن العدو أن تُجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله، والحمد الله، ولا إلا الله والله أكبر، فقولوها فإنها الباقيات الصالحات))[٢].

وسُئل عنها عثمان بن عفان فقال هذه الكلمات وزادها: ((ولا حول ولا قوة إلا بالله))[٣].

وقد ذكرتُ فيما مضى أن هذا وأمثاله ليس على سبيل الحصر، وإنما هو لبيان جنس المراد بذكر بعض أنواعه.

ويدل على ذلك قول ابن عباس -وقد سُئل عنها-: هي الأعمال الصالحة، لا إله إلا الله، أستغفر الله، وصلى الله على محمد، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع الحسنات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض[٤].

والصالحات بمعنى: المصلحات، وقيل: النافعات، فعبّر عن النفع بالصلاح. ذكرهما الماوردي[٥].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٧) وعزاه لابن مردويه.

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) تفسير الماوردي (٣/ ٣١٠).

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم تُسَيَّرُ الجبالُ﴾ وقرأ أهل الكوفة ونافع: «نُسَيِّرُ» بالنون وكسر الياء، «الجبالَ» بالنصب[1].

قال الزجاج[2]: «ويومَ» منصوب على إضمار اذكر، ويجوز أن يكون منصوباً على «والباقيات الصالحات خير» يوم تسير الجبال، أي: خيرٌ في القيامة من الأعمال التي تبقى آثامها.

قال ابن عباس: تُسيّر عن وجه الأرض كما يُسيّر السحاب في الدنيا، ثم تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها[3]. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وبست الجبال بساً * فكانت هباء منبثاً﴾ [الواقعة:٥-٦].

﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة غير محجوبة بشيء، قد سارت جبالها، وغَارَتْ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤١٩)، والكشف (٢/ ٦٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٢).

(٣) الوسيط (٣/ ١٥٢)، وزاد المسير (٥/ ١٥١).

مياهها، واجتُثَّتْ أشجارها، وذهبت أبنيتها.

﴿وحشرناهم﴾ أي: جمعنا الإنس والجن مؤمنهم وكافرهم ﴿فلم نغادر﴾ أي: لم نترك ولم نخلّف ﴿منهم أحداً﴾.

وقرأتُ لأبان عن عاصم: «يُغَادِرْ» بالياء[(١)].

قال ابن قتيبة[(٢)]: يقال: غادرت كذا؛ إذا تركته[(٣)]، ومنه سُمي الغدير؛ لأنه ماءٌ تُخَلِّفُه السيول.

قوله تعالى: ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ يعني: مُصطفّين ظاهرين لا يَحجب بعضهم بعضاً.

﴿لقد جئتمونا﴾ على إضمار القول، أي: فيقال لهم: قد[(٤)] جئتمونا، والقول مع ما بعده في موضع النصب صفةً لـ«صفٍ»، أي: عُرضوا صَفاً مَقُولاً لهم.

قال الزمخشري[(٥)]: هذا المضمر هو العامل للنصب[(٦)] في ﴿يوم تُسيّر﴾.

﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ قال ابن عباس: حُفاةً عُراةً[(٧)].

قوله تعالى: ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾ خطابٌ لمنكري البعث. والمعنى: زعمتم في الدنيا أن لن نجعل لكم موعداً للبعث والجزاء.

---

(١) الدر المصون (٤/ ٤٦٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: غدر).

(٤) في ب: لقد.

(٥) الكشاف (٢/ ٦٧٨).

(٦) في ب: عامل النصب.

(٧) الوسيط (٣/ ١٥٢)، وزاد المسير (٣/ ٨٨) بلا نسبة.

قوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾ هو اسم جنس، يريد كُتُبَ الأعمال. المعنى: ووضع كتاب كل امرئ في يمينه أو في[1] شماله.

﴿فترى المجرمين مشفقين﴾ أي: خائفين ﴿مما فيه﴾ من الأعمال القبيحة، ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ سبق تفسيره فيما مضى.

﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ يريد: صغار الذنوب وكبارها.

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية قال: ضَجُّوا والله من الصغار قبل الكبار[2].

وقيل: المراد: ما صَغُر من الأمور وكَبُر. أي: ما لهذا الكتاب لا يتركُ قليلاً ولا كثيراً.

قال ابن عباس: الصغيرة: التَّبسُّم، والكبيرة: القَهْقَهَة[3].

والمعنى: حَصَرَها وأثْبَتَها.

﴿ووجدوا﴾ جزاء ﴿ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ بالنقص من حسناته، ولا بالزيادة على سيئاته.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ

---

(١) ساقط من ب.

(٢) القرطبي (١٠/ ٤١٩).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠١) وعزاه لابن مردويه.

لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿كان من الجن﴾ قال ابن عباس: هو من قبيلٍ من الملائكة، يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السَّمُوم[(١)].

قال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس[(٢)]. وقد ذكرنا قصته وما لم نُفسّره هاهنا في البقرة[(٣)].

قال صاحب الكشاف[(٤)]: قوله: ﴿كان من الجن﴾ كلام مستأنف جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ والفاء للتسبيب أيضاً، جَعَلَ كونه من الجن سبباً في فسقه.

والمعنى: خرج عن طاعة ربه.

وقال الزجاج[(٥)]: أتاه الفِسْق لما أُمِرَ فعصى، فكان [سبَبَ][(٦)] فِسْقه عن أمر ربه. قال: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا.

﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ الاستفهام في معنى التقريع والتوبيخ،

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٢) وعزاه لابن جرير وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) آية رقم: ٣٤.

(٤) الكشاف (٢/ ٦٧٩).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٤).

(٦) زيادة من ب.

والمراد بذريته: أولاده.

قال الحسن: إنهم ليتوالدون كما يتوالد بنو آدم[(١)].

والمعنى: أفتُوالونه يا أولاد آدم وتُوالون ذريته الشياطين فتطيعونهم من دوني وقد عرفتم عداوته لأبيكم آدم.

وقوله: ﴿وهم لكم عدو﴾ في محل الحال[(٢)].

﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ قال الحسن وقتادة: بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم إن أطاعوا إبليس، فبئس ذلك لهم بدلاً[(٣)].

قال بعض النحاة: اسم «بئس» مضمر، فسَّره بقوله: «بدلاً»، تقديره بئس البدل للظالمين بدلاً ذرية إبليس.

وقوله: «للظالمين» فصل بين «بئس» وبين ما انتصب على التمييز.

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾

قوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم﴾ أي: ما [أحضرت][(٤)] إبليس وجنوده[(٥)] ﴿خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض،

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٢٦، ١٥/ ٢٦٢). وانظر: الوسيط (٣/ ١٥٣)، وزاد المسير (٥/ ١٥٤).

(٢) الدر المصون (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: أحضرتهم. والتصويب من ب.

(٥) في ب: وذريته.

استغناءً عنهم وعن مُشاورتهم ومعاونتهم، لأني القادر الذي لا يعجزني شيء.

﴿وما كُنْتُ متخذَ المضلين عضداً﴾ قال قتادة: أعواناً[١]، والعضد يُستعمل كثيراً في معنى العون؛ لأنه قوام اليد، وبه قُوّتها وبطشها.

والمعنى: إذا لم أتخذهم أعواناً وشركاء في خلقي، فكيف تجعلونهم أنتم شركائي في الطاعة والعبادة، وكيف تتخذونهم مع عجزهم أولياء من دوني مع كمال قدرتي وعظمتي.

وقرأتُ لأبي جعفر: «وما كنتَ» بفتح التاء[٢]، على الخطاب للرسول ﷺ، على معنى: ما ينبغي لك أن تغترّ بهم وتتخذهم أعواناً.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يقول﴾ وقرأ حمزة: «نقول» بالنون[٣]، ووجههما ظاهر، ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة، يقول الله تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٠)، والكشف (٢/ ٦٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩١)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي[١]، ﴿فدعوهم﴾ للدفع عنهم وللنفع لهم، ﴿فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم﴾ أي: بين المشركين وآلهتهم.

وقيل: بين المشركين والمؤمنين.

﴿موبقاً﴾ أي: مهلكاً، يقال: وَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقاً. وحكى الكسائي: وَبِقَ يَوْبِقُ وُبُوقاً[٢].

وفي مجمل اللغة[٣]: قال ثعلب: كل شيء حَالَ بين شيء فهو مَوْبِق، مِنْ وَبَقَ يَبِقُ.

قال عبدالله بن عمرو: هو وادٍ في جهنم عميق[٤]، يُفرَقُ به يوم القيامة بين أهل لا إله إلا الله وبين من سواهم[٥].

وقال مجاهد: هو وادٍ من حميم[٦].

وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل ناراً، على حافتيه حيات مثل البغال الدهم[٧].

---

(١) الوسيط (٣/ ١٥٣)، وزاد المسير (٥/ ١٥٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وبق).

(٣) مجمل اللغة (٤/ ٥٠١).

(٤) في ب: عميق في جهنم.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٠٥) وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٥)، ومجاهد (ص:٣٧٧) ولفظه: الموبق: واد في جهنم. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٠٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) البغوي (٣/ ١٦٨)، والقرطبي (١١/ ٣).

فعلى[١] القول الأول؛ يكون المعنى: وجعلنا بين المشركين وشركائهم وادياً مشتركاً يَهلِكُون فيه جميعاً.

وعلى القول الثاني؛ يكون المعنى: وجعلنا بين المشركين وبين المؤمنين [حاجزاً][٢] يحجز بينهم.

وقال الفراء[٣] -على القول الأول-: البين هاهنا: الوصل. والمعنى: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة.

وقال الحسن: موبقاً: عداوة[٤].

قوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ قال ابن عباس: أي عاينوها وهي تتلظَّى عليهم[٥] ﴿فظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ قال مجاهد: مقتحموها. والمُواقعة: المُلابسة بشدة.

﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ معدلاً وموضعاً ينصرفون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال، وهم الملائكة والجن خصومة ومماراة.

(١) في الأصل زيادة قوله: هذا.

(٢) في الأصل: حجازاً. والتصويب من ب.

(٣) انظر: معاني الفراء (٢/ ١٤٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٥٦).

(٥) الوسيط (٣/ ١٥٤)، وزاد المسير (٥/ ١٥٦).

قال ابن عباس: يريد: النضر بن الحارث وجداله في القرآن[١].

وقال ابن السائب: يريد: أُبيّ بن خلف وجداله في البعث، حتى أتى بعظم قد رمَّ فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟[٢].

والظاهر: عمومها في جنس الإنسان، يدل عليه ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبدالرحمن [بن][٣] محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني علي بن الحسين، [أن حسين][٤] بن علي أخبره، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبره: «أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بَعَثَها، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، فسمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾»[٥]. هذا حديث صحيح. وأخرجه مسلم أيضاً.

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ

(١) الوسيط (٣/ ١٥٤)، وزاد المسير (٥/ ١٥٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب.

(٤) زيادة من البخاري (١/ ٣٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٧٩ ح١٠٧٥)، ومسلم (١/ ٥٣٧ ح٧٧٥).

﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وما منع الناس﴾ يعني أهل مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ بوحدانية الله ونبوة محمد ﷺ ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ وهو البيان الواضح على ذلك ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عطفٌ على «أن يؤمنوا»، ﴿إلا أن تأتيهم سُنّة الأولين﴾ [وهو][1] أنهم إذا لم يؤمنوا عُذّبوا، يقول: فقدّرت[2] على هؤلاء العذاب، فذلك الذي يمنعهم من الإيمان.

و«أنْ» الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع. التقدير: وما منع الناس الإيمان، إلا إنتظاراً وطلب، أو تقديري عليهم أن تأتيهم سُنَّة الأولين.

وقال ابن الأنباري[3]: المعنى: وما منع الشيطان الناس رشدهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين لكي يقع العذاب بهم.

﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ قرأ أهل الكوفة: «قُبُلاً» بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء[4].

قال أبو علي[5]: في القراءة الأولى يحتمل تأويلين: يجوز أن يكون قُبُلاً بمعنى قِبَلاً، كما حكاه أبو زيد؛ لأنه قال: لقيت فلاناً قِبَلاً ومقابلة [وقَبَلاً][6] وقُبُلاً وقَبَلِيّاً

(١) في الأصل: وهم. والمثبت من ب.

(٢) في ب: فقد قدرت.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٥٧).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٠)، والكشف (٢/ ٦٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

(٥) الحجة (٣/ ٩١).

(٦) زيادة من الحجة، الموضع السابق.

وقَبيلاً، كله واحد، فيكون معنى القولين واحد على ما فَسَّره[١]، اختلف اللفظ واتفق المعنى.

ويجوز أن يكون قُبُلاً جمع قبيل، كأنه: يأتيهم العذابُ قبيلاً قبيلاً، أي: صنفاً صنفاً، فجمع قبيلاً الذي هو فعيلاً على فُعُل، كَرغِيف ورُغُف، وقَضِيب وقُضُب.

ومن قرأ: «قِبَلاً» فمعناه: مقابلة، أي: يأتيهم العذاب مُقابلةً من حيث يرونه، وقد تقدم ذكره في الأنعام[٢].

قوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾: سبق تفسيره[٣].

﴿ويجادل الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم[٤]، وجدالهم ﴿بالباطل﴾ ألزموه أن يأتيهم بالآيات على ما يقترحونه ويهوونه.

وقيل: جدالهم قولهم: ﴿أإذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ [الإسراء:٤٩]، ﴿أإذا ضللنا في الأرض﴾ [السجدة:١٠] ونحو ذلك.

﴿ليدحضوا به الحق﴾ أي: ليبطلوا ويزيلوا به الأمر الثابت الذي جاء به محمد ﷺ، مِنْ إدْحَاض القَدَم، وهو إزالتها عن موضعها.

﴿واتخذوا آياتي﴾ يعني: القرآن ﴿وما أنذروا هزواً﴾ قال الزمخشري[٥]: ويجوز

---

(١) في ب: فيكون معنى القراءتين على ما فسره واحداً.

(٢) آية رقم: ١١١.

(٣) في سورة الأنعام عند آية رقم: ٤٨.

(٤) الوسيط (٣/ ١٥٤)، وزاد المسير (٥/ ١٥٩).

(٥) الكشاف (٢/ ٦٨١).

أن تكون «ما» [موصولة][١]، ويكون الراجع من الصلة محذوفاً، أي: ما[٢] أنذروه من العقاب. أو مصدرية بمعنى وإنذارهم هزؤاً.

وقرئ: «هُزْءًا» بسكون الزاي، أي: اتخذوها موضع استهزاء.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذُكِّرَ بآيات ربه﴾ يعني: القرآن، ﴿فأعرض عنها﴾ متهاوناً بها اشتملت عليه من الوعد والوعيد، ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصي، ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ سبق تفسير هذا كله فيما مضى[٣].

﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ قال الزجاج[٤]: أخبر الله تعالى أن هؤلاء من أهل الطَّبْع.

قوله تعالى: ﴿وربك الغفور﴾ الساتر على عباده ﴿ذو الرحمة﴾ بهم إذ لم

---

(١) في الأصل: موصلة. والتصويب من ب.

(٢) في ب: وما.

(٣) في سورة الأنعام عند الآية رقم: ٢٥، وسورة الإسراء عند الآية رقم: ٤٦.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٧).

يُعاجلهم بالعقوبة.

ثم استشهد على ذلك بما يشاهدونه عياناً فقال: ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ يعني: من الذنوب ﴿لعَجَّلَ لهم العذاب﴾ في الدنيا، ﴿بل لهم موعدٌ﴾ للبعث والحساب والجزاء ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ منجى وملجأً، يقال: وَأَلَ يَئِلُ وَأْلاً؛ إذا نجا[١]. قال الأعشى:

وَقدْ أُخالِسُ رَبَّ البيتِ مُقْلَتَهُ   وقد يُحاذِرُ مني ثم ما يَئِلُ[٢]

قوله تعالى: ﴿وتلك القرى﴾ يريد قرى ثمود ولوط وغيرهم من المهلكين بشرْكِهم ﴿أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه.

قرأ حفص: «لِمَهلِكهم» بفتح الميم وكسر اللام. وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه، ومن طريق الكسائي عن أبي بكر عنه، ومن طريق يحيى والعليمي أيضاً: «لَمَهلَكهم» بفتح الميم واللام الثانية، الباقون بضم الميم وفتح اللام[٣].

قال الزجاج[٤]: تأويل المُهْلَك -يريد ما قرأه الأكثرون- على ضربين؛ على المصدر وعلى الوقت. فمعنى المصدر: لإهلاكهم، ومعنى الوقت: لوَقْت

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وأل).

(٢) البيت للأعشى. وهو في: شرح القصائد العشر (ص:٤٩٣)، ومجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، والطبري (١٥/ ٢٦٩)، والقرطبي (١١/ ٨)، وروح المعاني (١٥/ ٣٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٦٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢١)، والكشف (٢/ ٦٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٢٩٧).

إهلاكهم، وكل فعل ماض على أفْعَل، فالمصدر منه مُفْعَل أو إفْعَال، واسم الزمان منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان.

وقال أبو علي الفارسي[١]: هو مصدر من أهْلَكَ يُهْلِكُ، مضاف إلى المفعول بهم، كأنه لإهلاكهم.

ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر، من هَلَكَ يَهْلِكُ مضافاً إلى الفاعل، كقولك: جعلنا لهلاكهم.

ومن قرأ بفتح الميم وكسر اللام فهو أيضاً مصدر هلك، إلا أن القياس في مصدر فَعَلَ يَفْعِلُ أن يُبنى على مَفْعَل، بفتح العين في الأمر الشائع، وقد جاء المصدر من باب فَعَل يَفْعِل بكسر العين. قال: ﴿إليّ مرجعكم﴾ [العنكبوت:٨]، وقال: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [البقرة:٢٢٢].

والأول أكثر وأوسع.

وقال الزمخشري[٢]: المُهلَك بضم الميم وفتح اللام: الإهلاك ووقته، وبفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها بمعنى: لهلاكهم أو لوقت هلاكهم، والموعد: وقت، أو مصدر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ
حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ
سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا

---

(١) الحجة (٣/ ٩٣-٩٤).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٨٢).

نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ أخبرنا شيخنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، والشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري بقراءتي عليه ببغداد قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال: أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن [الحسن](1) الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة.

وأخبرنا المؤيد بن محمد إذناً، أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبد [الغافر](2)، أخبرنا الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان بن عيينة.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم بن عبدالله بن عبد الصمد قراءة عليه وأنا أسمع، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بقراءتي عليه قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا الحميدي -واللفظ

---

(١) في الأصل: الحسين. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٢١٧).

(٢) في الأصل: عبد الغفار. والمثبت من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٧٧).

له- قال: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: «إن نوفاً البِكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله تعالى عليه إذ لم يَردَّ العلم إليه، فأوحى الله تعالى إليه أن لي عَبْداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: وكيف لي به؟ قال: أن تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَل[1] فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فَتَاهُ[2] يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، [واضطرب][3] الحوت في المكتل، فخرج [منه][4] فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيّة يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال: فكان

(١) المِكْتَل: الزَّبيل الذي يُحمل فيه التمر أو العنب (اللسان، مادة: كتل).

(٢) في ب: بفتاه.

(٣) في الأصل: واضطب. والتصويب من ب، وصحيح البخاري (٤/ ١٧٥٢).

(٤) زيادة من ب والبخاري، الموضع السابق.

للحوت سرباً، وكان لموسى وفتاه[1] عجباً. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصَصاً. قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجلٌ مُسَجًّى[2] ثوباً، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتُعلِّمني مما عُلِّمتَ رُشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على عِلْم من عِلْم الله تعالى عَلَّمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّتْ سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحُملوا بغير نَوْل[3]، فلما ركبا السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقَدُوم[4]، فقال له موسى: قومٌ قد حملونا بغير نَوْلٍ، عمدتَ إلى سفينتهم [فخرقتها][5] لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. قال: وقال رسول الله ﷺ: كانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوقع على حَرْف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نَقَصَ هذا العصفور من

---

(١) في ب: ولموسى ولفتاه.

(٢) مُسَجًّى: أي: مُغطّى (اللسان، مادة: سجا).

(٣) بغير نَوْل: أي: بغير أجر ولا جُعْل (اللسان، مادة: نول).

(٤) القَدُوم: آلة للنجر والنحت (المعجم الوسيط ٢/ ٧٢٠).

(٥) في الأصل: خرقتها. والتصويب من ب، والبخاري (٤/ ١٧٥٣).

هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر [رأسه بيده][(١)] فاقتلعه فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً، قال: وهذه أشد من الأولى. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، قال: مائلاً، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قومٌ أتيناهم فلم يُطعمونا ولم يُضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً؟ قال: هذا فراق بيني وبينك إلى قوله: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾، فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى عليه السلام كان صبر حتى يقصّ علينا من خبرهما. فقال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً»، وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»[(٢)]. هذا حديث متفق على صحته.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى﴾ أي: اذكر إذ قال موسى بن عمران.

وقال ابن إسحاق: هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران[(٣)].

وليس بشيء؛ للحديث الصحيح الذي ذكرناه.

﴿لفتاه﴾ يعني: يوشع بن نون، نُسِبَ إليه لملازمته وخدمته وأخذه عنه العلم.

---

(١) في الأصل: رأسه وبيده. وفي ب: برأسه بيده. والتصويب من البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٢ ح٤٤٤٨)، ومسلم (٤/ ١٨٤٧-١٨٤٩ ح٢٣٨٠).

(٣) الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٢١)، وزاد المسير (٥/ ١٦٤).

﴿لا أبرح﴾ أي: لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ يعني: الموضع الذي يلتقيان فيه.

قال أبي بن كعب: [يلتقيان بإفريقية][(١)].[(٢)]

وقال محمد بن كعب القرظي: بطنجة[(٣)].

قال قتادة: يعني: بحر فارس وبحر الروم نحو المغرب[(٤)].

﴿أو أمضي حقباً﴾ وقرأ الحسن: «حُقْباً» [بسكون][(٥)] القاف[(٦)].

والمعنى: أو أسير زماناً طويلاً.

وحكى الفراء[(٧)]: أن الحُقُب: سَنَة بلغة قيس.

وقال أبو عبيدة: الحقب عند العرب: وقت غير محدود. وهو معنى قول ابن عباس: أو أمضي دهراً[(٨)].

---

(١) في الأصل: يلتقيا بالفريقية. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: بكسر. والتصويب من ب.

(٦) زاد المسير (٥/ ١٦٤).

(٧) معاني الفراء (٢/ ١٥٤).

(٨) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وروي عن عبدالله بن عمرو وأبي هريرة: أن الحُقُب ثمانون سنة[١].

وعن مجاهد: أنه سبعون سنة[٢].

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما﴾ وكانت سمكة مملوحة في زَبيل[٣] معهما، تزوّدُوها[٤] فيما تزوداه، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر ناما فأصاب الحوت [من][٥] بلل البحر.

وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة، فأصاب الحوت من نضح الماء فعاش، فانساب في البحر، وكان موسى إذ ذاك قد ذهب في حاجة، فعزم يوشع أن يخبره إذا رجع فنسي[٦].

وإنما قال: ﴿نسيا حوتهما﴾ توسعاً في الكلام، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإن لم ينسه إلا واحد منهم.

وقيل: أضيف النسيان إلى موسى أيضاً؛ لكونه لم يتفقَّد الحوت، ولم يأمر فتاه فيه بشيء.

﴿فاتخذ سبيله﴾ أي: طريقه ﴿في البحر سرباً﴾ السَّرَب: ما حُفر في الأرض ولم ينفذ[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٢) عن عبدالله بن عمرو. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٢)، ومجاهد (ص:٣٧٨).

(٣) الزبيل: وعاءٌ يُحمل فيه (لسان العرب، مادة: زبل).

(٤) في ب: تزوَّداها.

(٥) زيادة من ب.

(٦) زاد المسير (٥/ ١٦٥).

(٧) انظر: اللسان (مادة: سرب).

قال الفراء[١]: لما وقع الحوت في الماء جَمُدَ مذهبُه[٢] في البحر، فكان كالسرب.

قال ابن [عباس][٣]: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة[٤].

وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً[٥].

وقال الربيع بن أنس: انْجَابَ الماء[٦] عن مسلك الحوت فصار كوة[٧] لم تلتئم[٨].

وقوله: «سرباً» ثاني مفعولي «اتخذ».

قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا﴾ يعني: ذلك الموضع[٩] الذي انساب الحوت عنده، ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة، ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا﴾ يشير إلى سفرهما بعد انسياب الحوت ﴿نصباً﴾ تعباً وإعياء.

وهذا دليل على جواز ذكر الإنسان ما يلحقه من المشقة والألم إذا لم يتضمن

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٥٤).

(٢) أي: طريقه.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٤).

(٦) انجاب الماء: أي: انشق (اللسان، مادة: جوب).

(٧) الكَوَّة: الخرق في الحائط (اللسان، مادة: كوي).

(٨) الوسيط (٣/ ١٥٧).

(٩) في ب: المكان.

معنى التسخط[١] والتكرّه بقضاء الله تعالى وقدره.

﴿قال﴾ يعني: يوشع مخاطباً لموسى عليهما السلام ﴿أرأيت﴾ أي: أخبرني ﴿إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ قال الزمخشري[٢]: إن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام، فإن كل واحد من «أرأيت» و «إذ أوينا» و«فإني نسيت الحوت» لا متعلق لها[٣].

قلت: لما طلب موسى [الحوت][٤] ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدُهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت، فحذف ذلك.

قال مقاتل[٥]: هي الصخرة التي دون نهر الزيت[٦].

والمعنى: فإني نسيت أن أحدثك حديث الحوت.

وقيل: المعنى: نسيت حمل الحوت.

﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ قرأ حفص: «أَنْسَانيهُ» بضم الهاء، وكسرها الباقون، ووصلها ابن كثير بياء في الوصل، وأمال الكسائي السين[٧].

---

(١) في ب: السخط.

(٢) الكشاف (٢/ ٦٨٤).

(٣) في ب: له.

(٤) في الأصل: الجواب. والمثبت من ب، والكشاف (٢/ ٦٨٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٥) عن محمد بن معقل عن أبيه. وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٤).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٩١-٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٢)، والكشف (٢/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٠٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات =

«أن أذكره» بدل من الهاء في «أنسانيه»[1]، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان.

﴿واتخذ سبيله﴾ الأظهر أن هذا من تمام كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت طريقه ومذهبه في البحر ﴿عجباً﴾ أي: سبيلاً عجباً، فهو ثاني مفعولي «اتخذ»[2].

ويجوز أن يكون يوشع قال في آخر كلامه: عجباً، أي: أعجب عجباً من تلك الآية العجيبة الخارقة ونسيانيها، مع كونها علامة على أمرٍ قد نهضنا[3] بسببه، وأنْشأ سفراً من أجله، أو أعجب من هاتين المعجزتين؛ وهما: حياة الحوت، وقيام الماء على هيئة الطاق.

ويجوز أن يكون هذا من قول موسى، قال له يوشع: واتخذ سبيله في البحر، فأجابه موسى: عجباً.

قال ابن زيد: أيّ شيء أعجب من حُوت كان دهراً من الدهور يُؤكل منه ثم صار حياً[4]. وكان شِقَّ حوت.

وقيل: إن كلام يوشع انقطع عند قوله: ﴿أن أذكره﴾، ثم أخبر الله تعالى عن الحوت فقال: ﴿واتخذ سبيله﴾.

وقيل: المعنى: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً.

قال ابن عباس: دخل موسى في المكان الذي مرَّ فيه الحوت حتى انتهى إلى

=
(ص:٣٩٣-٣٩٤).

(١) التبيان (٢/ ١٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٧١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في ب: نهضا.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٧٥).

جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر عليه السلام فقال[١]: ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ من العلامة الدالة على الظَّفْر بالمقصود[٢].

﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ أي: رجعا من حيث جاءا يتْبَعَان آثارهما. ومنه: ﴿وقالت لأخته قُصّيه﴾ [القصص:١١] أي: اتبعي أثره. والنَّصَب على معنى: يَقُصَّان قَصَصاً، أي: يتبعان اتّباعاً، أو على معنى: فارتدا مقتصّين.

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ كلامٌ مُشعر بتعظيمه وتفضيله.

واختلف في اسمه؛ فقال وهب ومقاتل[٣]: اليسع[٤].

وقيل: أُرميا بن حلقيا. ذكره ابن المنادي[٥].

وحكى الثعلبي والواحدي[٦]: أن اسمه بَليا بن ملكان.

وإنما سُمي الخضر؛ لما أخبرنا الشيخ الزاهد أبو محمد عبدالله بن عبد الجبار بن محمد بن غالب الطائي المعروف بالبدوي رحمه الله، قراءة عليه [وأنا][٧] أسمع بالمسجد الأقصى -شرَّفه الله تعالى- في سنة سبع وستمائة، أخبرنا أبو المعالي عبدالله

---

(١) في ب: قال.

(٢) زاد المسير (٥/ ١٦٧).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٦).

(٤) الماوردي (٣/ ٣٢٥)، وزاد المسير (٥/ ١٦٧).

(٥) زاد المسير (٥/ ١٦٧).

(٦) تفسير الثعلبي (٦/ ١٨٢)، والوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧).

(٧) زيادة من ب.

بن عبدالرحمن بن صابر السلمي، أخبرنا الشريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن يزداد المقرئ الأهوازي، حدثنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن ابن الخلال[(١)] بمصر، حدثنا علي بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني[(٢)]، حدثنا الطهراني[(٣)] - وهو محمد بن حمَّاد -، حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، أخبرنا همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنما سُمّي الخَضِرُ خَضِراً؛ لأنه قَعَدَ على فَرْوة بيضاء فاهتزّ ما حوله خضِراً»[(٤)]. هذا حديث صحيح، انفرد بإخراجه البخاري في صحيحه، فرواه عن محمد بن سعيد الأصبهاني، عن عبد الله بن المبارك، عن معمر.

والفَرْوة: الأرض اليابسة[(٥)].

وقال مجاهد: كان إذا صلَّى اخضرّ ما حوله[(٦)].

---

(١) منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير، أبو العباس المصري الخشاب المعدل. ثقة، حدث عن علي بن عبد الله بن أبي مطر، ومحمد بن أيوب بن الصموت، ومحمد بن أحمد بن أبي الأصبغ، وأحمد بن الضحاك. وعنه الصوري، وخلف الحوفي، وآخرون، مات في حادي عشر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٧).

(٢) علي بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني، صدوق مشهور، كان قاضي الإسكندرية، وهو ثقة فقيه، كان أعلم الناس بمذهب مالك، مات في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وهو ابن تسع وتسعين سنة (لسان الميزان ٤/ ٢٣٧).

(٣) محمد بن حماد، أبو عبد الله الرازي الطهراني، صدوق ثقة حافظ، توفي بعسقلان سنة إحدى وسبعين ومائتين في شهر ربيع الآخر، وله نيف وثمانون سنة (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٨-٦٢٩، وتهذيب التهذيب ٩/ ١٠٩، والتقريب ص:٤٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٨ ح٣٢٢١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: فرا).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٠) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر =

فصل

اختلف الناس في الخضر هل كان مَلَكاً أو بشراً؟ واختلفوا هل كان نبياً أو لا؟ فقال الأكثرون: نبياً، وفسروا قوله: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ بالنبوة والوحي.

وقال بعضهم: كان رجلاً صالحاً[١].

واختلفوا هل هو باق إلى اليوم؛ فحكى الماوردي[٢] في ذلك قولين.

وكان الحسن يذهب إلى أنه مات[٣].

قال ابن المنادي: لا يَثبتُ حديثٌ في بقائه[٤].

وسُئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»[٥]، والله تعالى أعلم.

والخلاف في هذا وأمثاله مما لا يُجدي فائدة ولا يجلُب نفعاً، ولكنا نذكر ما قيل.

قوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ قال مقاتل[٦]: يعني: النبوة.

= وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(١) زاد المسير (٥/ ١٦٨).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٥).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٦٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٥٥ ح١١٦)، ومسلم (٤/ ١٩٦٥ ح٢٥٣٧).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٥).

وقيل: الرّقة والحنو على من يستحقه[١].

﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ قال ابن عباس: علماً من علم الغيب[٢].

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رُشْداً﴾ قرأ أبو عمرو: «رَشَداً» بفتح الراء والشين. وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الشين[٣]، وهما لغتان؛ كالبُخْل والبَخَل.

قال مكي[٤]: إن أعملت «هل أتبعك» في «رشداً» كان مفعولاً من أجله، أي: هل أتبعك للرشد على أن تعلمني مما عُلمت، والعلم هاهنا بمعنى التعريف الذي يتعدّى إلى مفعول واحد، وإن نصبت بـ«تُعَلِّمَنِي» كان مفعولاً به[٥].

والمعنى: على أن تعلمني علماً ذا رشد مما عُلمته. وهذه القصة مشعرةٌ بشرعية

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٦٩).

(٢) الوسيط (٣/ ١٥٨)، وزاد المسير (٥/ ١٦٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٢)، والكشف (٢/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٤).

(٤) الكشف (٢/ ٦٦-٦٧).

(٥) التبيان (٢/ ١٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٧٢).

الرحلة في طلب العلم والازدياد منه، ولزوم قوانين الأدب مع العالم المأخوذ عنه.

قال قتادة: لو كان أحدٌ مكتفياً علماً لاكتفى نبي الله موسى، ولكنه قال: ﴿هل أتبعك ... الآية﴾[١].

﴿قال﴾ يعني الخضر لموسى: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ نفى استطاعته الصبر معه، علماً منه أنه لا يتمالك إذا رأى ما يوجب الاشمئزاز والنفور مما ظاهره موجبٌ للإنكار، وباعثٌ على السؤال.

قال ابن عباس: لن تصبر على صنيعي؛ لأني عَلمتُ من غيب علم ربي[٢].

ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال: ﴿وكيف تصبر﴾ «كيف» نصبٌ على الظرف، وهو منصوب بـ«تصبر».

﴿على ما لم تُحِطْ به خُبْراً﴾ أي: عِلْماً، و«خُبْراً» نصَبٌ على المصدر والتمييز[٣]، فالأول على معنى: ما لم تَخْبُرْه خُبْراً؛ لأن «لم تُحِطْ به» في معنى: لم تخبره.

والثاني على معنى: لم يُحط به خُبْرك.

﴿قال﴾ حرصاً على طلب الزيادة في العلم: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ عن الإنكار والسؤال، ﴿ولا أعْصِي﴾ في محل النصب عطفاً على «صابراً»[٤]. أي: ستجدني صابراً غير عاصٍ، وعلَّقه على المشيئة حين رأى ذلك العالم الكامل قد نفى عنه وصف الاستطاعة بقوله: ﴿لن تستطيع﴾.

---

(١) الوسيط (٣/ ١٥٨).

(٢) الوسيط (٣/ ١٥٨)، وزاد المسير (٥/ ١٦٩).

(٣) التبيان (٢/ ١٠٦)، والدر المصون (٤/ ٤٧٢).

(٤) الدر المصون (٤/ ٤٧٢).

﴿قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء﴾ مما تراني أصنعه مما ظاهره الإنكار ﴿حتى أُحدث لك منه ذكراً﴾ فأكون أنا الذي أفتح لك باب تأويله، وأوضح لك ما أشكل عليك منه.

قرأ نافع وابن عامر: «فلا تسألَنِّي» بفتح اللام وتشديد النون وإثبات الياء(١).

قال أبو علي الفارسي(٢): من أسْكَنَ اللام فلأن الفعل مجزوم بلا التي هي للنهي، فأسْكَن اللام للجزم. ومن فَتَحَ اللام فإنه ألحق الفعل النون الثقيلة، وبنى الفعل معها على الفتح. ومن أثبت الياء فهو الأصل، ومن حذفها فلأنّ الكسرة تدل عليها.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾

وقوله: ﴿فانطلقا﴾ أي: سارا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّتْ بهم سفينة فكلّموهم أن يحملوهم معهم، فحملوهم بغير أجر، ﴿حتى إذا ركبا﴾ ولججا في البحر، أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء، فجعل موسى يسدّ الخرق بثيابه ويقول منكراً عليه: ﴿أخرقتها لتُغرق أهلها﴾ وقرأ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٣)، والكشف (٢/ ٦٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٢-٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٤).

(٢) الحجة (٣/ ٩٤).

حمزة والكسائي: «لِيَغْرَقَ» بالياء مفتوحة مع فتح الراء، «أهلُها» بالرفع[(١)].

وقراءة الأكثرين أوجه؛ لكون المعطوف مثل المعطوف عليه في إسناد الفعل إلى المخاطب.

﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي: عظيماً، من قولك: أَمِرَ الأمْر؛ إذا عَظُمَ[(٢)].

قال مجاهد: منكراً[(٣)].

وقال ابن قتيبة[(٤)]: عجباً.

﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال الزجاج[(٥)]: فلما رأى موسى عليه السلام أن الخَرْق لم يدخل منه الماء، وأنه لم يضرر من في السفينة، ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾.

قال أبي بن كعب: لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام[(٦)].

فعلى هذا يكون النسيان بمعنى: الترك، وأراد موسى عليه السلام إيهامه أنه قد

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٣)، والكشف (٢/ ٦٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أمر).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨٤)، ومجاهد (ص:٣٧٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٦٩).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٥) وعزاه لابن جرير.

غَفَلَ ليبسط له في العذر، غير أن الحديث الصحيح الذي أسلفنا[1] يدفع هذا التأويل ويبطله من أصله، وهو قوله عليه السلام: «كانت الأولى من موسى نسياناً»[2]، فلو لم يرد به النسيان الذي [هو][3] بمعنى: الغفلة، لاتّحد المعنى في الجميع، ولما صَحَّ عنه الاعتذار بالنسيان في [المرة][4] الأولى.

﴿ولا ترهقني﴾ يقال: رَهِقَهُ الأمر؛ إذا غَشِيَه، وأرْهَقْتُه أمراً صعباً؛ كَلَّفْتُه إياه[5]. فالمعنى: لا تُكلّفني ولا تغشيني ﴿من أمري عسراً﴾ عسرة ومشقة، سأله عليهما السلام المسامحة والإغضاء والتثبت عليه.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ قال الزمخشري[6]: إن قلت: لم قيل: ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ بغير فاء، و﴿حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ بالفاء؟

قلت: جعل ﴿خَرَقَها﴾ جزاءً للشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً

---

(١) في ب: أسلفناه.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٢ ح٤٤٤٨)، ومسلم (٤/ ١٨٤٧-١٨٤٩ ح٢٣٨٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: مرة. والتصويب من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: رهق).

(٦) الكشاف (٢/ ٦٨٧).

عليه، والجزاء ﴿قال أقتلت﴾.

وإن قلت: فلم خُولف بينهما؟

قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتل لقاء الغلام.

والمعنى: خرجا من السفينة يمشيان على ساحل البحر فلقيا غلاماً يلعب مع الغلمان.

قال ابن عباس والأكثرون: [لم][(١)] يكن بالغاً بَعْدُ فقتله[(٢)].

واختلفوا في صفة قتله؛ فقال أبي بن كعب: اقتلع رأسه[(٣)].

وقال ابن عباس: كَسَرَ عنقه[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: أضجعه وذبحه بالسكين[(٥)].

وقال مقاتل[(٦)]: أخذ حجراً فقتله به.

فاستعظم موسى ذلك فقال: ﴿أقتلت نفساً زاكيةً﴾ وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «زَكِيَّةً» بتشديد الياء من غير ألف[(٧)].

قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الوسيط (٣/ ١٥٩)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٢٨)، وزاد المسير (٥/ ١٧٢).

(٣) سبق تخريجه من حديث أبي الطويل الذي سبق قريباً.

(٤) زاد المسير (٥/ ١٧٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٨٦). وانظر: الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٢٩)، وزاد المسير (٥/ ١٧٢).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٧). وانظر: الطبري (١٥/ ٢٨٠)، والماوردي (٣/ ٣٢٩).

(٧) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٤)، والكشف (٢/ ٦٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٥).

والمعنى: أقتلت نفساً مسلمةً طاهرةً من الذنوب ﴿بغير نفس﴾ أي: بغير قتل نفسٍ توجب القود، ﴿لقد جئت شيئاً نُكْراً﴾ أي: فظيعاً منكراً لا يُعرف في شريعة.

وقيل: معناه جئت شيئاً أَنْكَرَ من الأول؛ لأن خرق السفينة كان بسبيل من تداركه بالسَّدِّ والإصلاح.

وقيل: النُّكر أقل من الإمْر؛ لأن قتل نفسٍ واحدة أهون من إغراق أهل السفينة.

﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال الزمخشري(١): [إن قلت](٢): ما معنى زيادة: «لك»؟

قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصيّة، والوَسْم بقِلَّة الصبر عند الكَرَّة الثانية.

وقرأ نافع: «نُكُراً» بضم الكاف في الموضعين، وفي الطلاق. وعن ابن عامر وعاصم كالقراءتين(٣).

فقال له موسى: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها﴾ قيل معناه: إن سألتك سؤال توبيخ وإنكار بعد هذه المرة(٤) أو هذه المسألة، أو بعد هذه النفس المقتولة، ﴿فلا تصاحبني﴾ أي: لا تُقَارِنّي.

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٨٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٤)، والكشف (٢/ ٦٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٥-٣٩٦).

(٤) في ب: الكَرَّة.

وقرأ أبو المتوكل مثل قراءة الأكثرين، إلا أنه شَدَّدَ النون. وقرأ أبي بن كعب: «تَصْحَبَني» بفتح التاء بغير ألف[1]، [وبها][2] قرأتُ ليعقوب من بعض طرقه[3]، ومثله ابن مسعود إلا أنه شَدَّدَ النون. وقرئ: «فلا تُصحبني» بضم التاء.

قال الزجاج[4]: أي: لا تتابعني في شيء ألتمسه منك. ويجوز أن يكون معناه: فلا تُصحبني علماً من علمك.

﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ قرأ نافع: «لَدُنِي» بضم الدال وتخفيف النون، ومثله أبو بكر عن عاصم. وروي أيضاً عن أبي بكر اختلاس ضمة الدال، وقرأ الباقون بتشديد النون[5].

قال الزجاج[6]: أجودها تشديد النون؛ لأن أصله: «لَدُنْ»، فإذا أضفته إلى نفسك زدت نوناً ليسلَم سكون النون الأولى، ثم تُضيف إلى نفسك فتقول: لَدُنّي، مثل: مِنّي وعَنّي.

وقال مكي[7]: من خَفَّفَ النون لم يأت بنون مع الياء؛ لأنه ضمير مخفوض؛

---

(١) في ب: من غير ألف.

(٢) في الأصل: وبهد. والتصويب من ب.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٤)، والكشف (٢/ ٦٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣-٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٦).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٣).

(٧) الكشف (٢/ ٦٩).

كغلامي وداري، فاتَّصلت الياء بنون «لَدُن» فكَسَرَتْها.

قال ابن عباس: يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، وقد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبراً[1].

فإن قيل: كيف أنكر موسى على الخضر، مع علمه أن مثله لا يأتي منكراً من الفعل والقول، ويحققه أنه معصوم من ذلك، ومعرفته أن الله تعالى أرسله إليه ليُعلّمه مما علّمه، ولذلك قال له موسى: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾؟

قلت: لم يكن موسى عليه السلام في مِرْيَةٍ من أمر الخضر عليه السلام وأنه معصومٌ مُعلّم من جهة الله تعالى، مخصوصٌ بنوعٍ من العلم أوجب رحلته إليه، لكنه رأى أمراً منكراً في ظاهر الشرع، وفعلاً يوجب نفور الطبع، فانتهض باعث الشرع وداعي الطبع حاملَيْن لموسى على إنكار ما شاهده، عملاً بظاهر الشرع الذي بعثه الله تعالى به، مستفهماً عن وجه الحكمة والعلم المغيب المودع في غضون هذا الفعل، الصادر من[2] هذا المؤيد بالعلم اللَّدُنّي، فجمع بين المصلحتين وعَمِل بكلا الدليلين.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ۝٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ۝٧٨﴾

---

(١) الوسيط (٣/ ١٥٩)، وزاد المسير (٥/ ١٧٥).

(٢) في ب: عن.

قوله تعالى: ﴿فانطلقا﴾ فإن[١] قيل: ما بال يوشع لم يُذكر معهما؟

قلت: إن كان معهما فإنما اقتصر عن[٢] الإخبار عن الاثنين؛ لكونه تبعاً لموسى عليه السلام، فاقتصر على حكم المتبوع.

﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ قال ابن عباس: هي أنطاكية[٣].

وقال قتادة: [هي][٤] الأُبُلَّة[٥].

﴿استطعما أهلها﴾ طلبا منهم الضيافة ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ جاء في الحديث: عن النبي ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لئاماً»[٦].

قال ابن قتيبة: يقال: ضيَّفتُ الرجل؛ إذا أنزلته منزل الأضياف[٧]، ومنه هذه الآية.

وقال الزجاج[٨]: يقال: ضِفْتُ الرجلَ؛ إذا نزلت عليه، وأضفْتُه: إذا أنزلته

---

(١) في ب: إن.

(٢) في ب: على.

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٠)، وزاد المسير (٥/ ١٧٥).

وأنطاكية: مدينة تقع غربي مدينة حلب على نهر العاصي قريباً من مصبه في البحر المتوسط، كانت تابعة للأراضي السورية ثم سلخت عنها عام ١٩٣٨م وضمت إلى تركيا مع لواء اسكندرونة.

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ٢٨٨).

والأُبُلَّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة (معجم البلدان ١/ ٧٦-٧٧).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥١ ح ٢٣٨٠).

(٧) انظر: اللسان (مادة: ضيف).

(٨) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٦).

وقَرَيْتَه[١].

وقال الزمخشري[٢]: يقال: ضَافَه إذا كان له ضيفاً، وحقيقته: مَالَ إليه، من ضَافَ السهم عن الغرض.

وقرأتُ لعاصم من رواية المفضل عنه: «يُضِيفُوهما» بالتخفيف[٣].

﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ﴾ أي: يسقط بسرعة.

وقرأ ابن مسعود: «يَنْقَاصَ»[٤] بزيادة ألف وصاد مهملة[٥]، أي: ينشق طولاً، ونسبة الإرادة إلى الجدار مجاز واستعارة للمُداناة والمشارفة.

قال الشاعر:

يريدُ الرمحُ صدرَ أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل[٦]

وهذا الضرب من المجاز كثير الاستعمال. قال الله تعالى: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ [الأعراف:١٥٤] وقال: ﴿فإذا عزم الأمر﴾ [محمد:٢١]. وقال الشاعر:

---

(١) انظر: اللسان، (مادة: ضيف).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٨٨).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٣).

(٤) في الأصل: يتقاص.

(٥) زاد المسير (٥/ ١٧٦).

(٦) البيت للحارثي. وانظر: لسان العرب (مادة: رود)، والطبري (١٥/ ٢٨٩)، والقرطبي (١١/ ٢٦)، وزاد المسير (٥/ ١٧٧)، وروح المعاني (١٦/ ٦)، والتمهيد (٥/ ١٣، ٢٠/ ١٧٨)، ومجاز القرآن (١/ ٤١٠)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣١).

وإن[1] دهراً يلف شملي بسلمى   لزمانٌ يَهِمُّ بالإحسان[2]

وقال آخر:

ضحكوا والدهر عنهم ساكت   ثم أبكاهم دماً لما نطق[3]

وقال آخر:

شَكَا إليّ جَمَلي طُولَ السُّرى   ....[4]

وقال آخر:

إذا قالتِ الأنْسَاعُ للبَطْنِ الحَقِ   ....[5]

وقال آخر:

....   لا ينطق اللهو حتى ينطق العود[6]

وقوله: ﴿فأقامه﴾ أي: فَسَوَّاه[7] وعدَّله.

---

(١) في ب: إن.

(٢) البيت في: لسان العرب (مادة: دهر)، والطبري (١٥/ ٢٨٩)، والقرطبي (١١/ ٢٦)، وزاد المسير (٥/ ١٧٦)، وروح المعاني (١٦/ ٦).

(٣) انظر البيت في: زاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (صبراً جُمَيْلي فكلانا مبتلى). انظر: اللسان (مادة: شكا)، والقرطبي (٩/ ١٥٢)، والطبري (١٥/ ٢٨٩)، وزاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٥) صدر بيت، وعجزه: (قِدْماً فآضَتْ كالفَنِيق المُحْنِق). انظر: اللسان (مادة: حنق)، والطبري (١/ ٥١٠).

(٦) عجز بيت لأبي نواس، وصدره: (فاستنطق العود قد طال السكوت به). انظر: روح المعاني (١٦/ ٦).

(٧) في ب: سوّاه.

قال ابن عباس: دفعه بيده فقام[(١)].

وفي رواية عنه: نقضه وبناه[(٢)].

وقيل: دعمه بعمود.

قال وهب: كان جداراً طوله في السماء مائة ذراع[(٣)].

فقال له موسى حين وجد مِسَاس الحاجة: ﴿لو شئت لَتَخِذْتَ﴾ قرأ ابن كثير بإظهار الذال، ومثله أبو عمرو لكنه أدغم. وقرأ الباقون: «لاتَّخَذْتَ»[(٤)]، مثل: لافْتَعَلْتَ، وهما لغتان بمعنى، يقال: تَخِذَ يَتْخَذُ تَخَذاً، واتَّخَذَ يَتَّخِذُ اتِّخَاذاً، ومن أدغم فلتقارب مخرجي الذال والتاء، ومن لم يدغم فلاختلاف الحيزين؛ لأن الذال من حيز الظاء [والثاء][(٥)]، والتاء من حيز الطاء والدال، وهذا[(٦)] مع اختلاف الحرفين أيضاً في الجهر والهمس؛ لأن الذال مجهورة والتاء مهموسة.

فصل

الحروف كلها قسمان: مجهورة ومهموسة. فالمجهور: ما قوي فيه الصوت في الاعتماد عليه. والمهموس: ما خفي فيه الصوت في الاعتماد عليه. ويجمع الحروف

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٩٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٧٧).

(٣) القرطبي (١١/ ٣٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٥-٤٢٦)، والكشف (٢/ ٧٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٦).

(٥) زيادة من ب.

(٦) في ب: هذا.

المهموسة: سَتَشْحَثُكَ خَصَفَة، وما عدا هذه الحروف مجهورة، فإذا أردت أن تعرف المجهور من المهموس فأسكن الحرف الذي تريد أن تعرف جهْره من همْسه، وصِلْه بهمزة مكسورة ليتبين فيه ذلك، فقل في الزاي: «إز» ليخرج الصوت منه جهاراً، وقل في السين: «إس» ليبين الصوت فيه خفياً.

والمعنى: لو شئت لتخذت [على إقامته أجراً جزاءً][1] على عملك.

﴿قال﴾ يعني الخضر: ﴿هذا﴾ يعني: الإنكار أو هذا الإعراض ﴿فراق بيني وبينك﴾ قال الزجاج[2]: ذكر سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد[3]، ومثله قولهم: أخزى الله الكاذب مني ومنك. فذكر بيني وبينك توكيداً. والمعنى: هذا فراق بيننا، أي: هذا فراق اتصالنا.

وقرأ أبو رزين وابن السميفع: «فراقٌ» بالتنوين، «بيني وبينَك» بنصب النون على الظرف[4].

قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام لربه عز وجل، وكان قوله في الجدار لنفسه[5].

قال أهل التفسير[6]: لما قال الخضر هذا، أخذ موسى بطرف ثوبه فقال: حدثني تأويل ما صنعت؟ فقال: ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أي: لم

(١) زيادة من ب.
(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٤).
(٣) يريد تكرار كلمة «بين».
(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٨).
(٥) زاد المسير (٥/ ١٧٨).
(٦) الوسيط (٣/ ١٦٠).

تستطع الصبر على مشاهدته وعلى السكوت عنه.

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ قال كعب: كانت لعشرة إخوة، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر[(١)].

﴿فأردت أن أعيبها﴾ أجعلها ذات عيب، ﴿وكان وراءهم ملك﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: المعنى: وكان أمامهم[(٢)]. وهو اختيار أبي عبيدة وابن قتيبة[(٣)]، وأنشدوا:

أترجُو بنو مروان سمْعِي وطاعَتي وقومي تميمٌ والفَلاةُ وَرَائِيا[(٤)]

أي: أمامي.

وقيل: وراءهم بمعنى خلفهم.

قال الزجاج[(٥)]: هو أجود الوجهين. فيجوز أن يكون رجوعهم في

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١). وانظر: الدر المنثور (٥/ ٤١٢)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤١٢)، وتأويل مشكل القرآن (ص:١٨٩).

(٤) البيت لسوَّار بن المضرِّب السعدي. انظر البيت في: اللسان (مادة: وري)، والدر المصون (٤/ ٤٧٧)، والبحر (٦/ ١٤٥)، والجمهرة (١/ ١٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٣٧)، والطبري (١٦/ ١)، والقرطبي (٨/ ٣١١، ٩/ ٣٥٠، ١١/ ٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٣٥٢)، وروح المعاني (١٦/ ٩).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٥).

[طريقهم][(١)] كان عليه ولم يعلموا خبره، فأعلم الله تعالى الخضر الخبر.

وقد ذكرت في سورة إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ [إبراهيم:١٦] ما لا يستغنى عن معاودته والنظر فيه.

واسم الملك: هُدَد بن بُدَد.

وقال مقاتل[(٢)]: ابن جلندي بن سعيد الأزدي.

﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾ أي: كل سفينةٍ صحيحة.

وفي قراءة أبي بن كعب وابن مسعود: «كل سفينة صالحة صحيحة غصباً»[(٣)]، وقد سبق في الحديث قراءة ابن عباس.

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ وقرأ عاصم الجحدري: «مؤمنان»[(٤)] على أن في «كان» ضمير الشأن.

وفي قراءة أبي وابن عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»[(٥)].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الغلام

(١) في الأصل: طرقهم. والتصويب من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٤٦).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٩).

الذي قتله الخضر طُبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً))[١].

﴿فخشينا﴾ اختلفوا في القائل «فخشينا» فقال قوم: هو الخضر عليه السلام، ودلُّوا عليه بقوله: ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾.

وقال قوم: القائل لذلك: الله تعالى، ويدل عليه قراءة أُبيّ بن كعب: «فخاف ربك»[٢].

قال ابن عقيل: [فعملنا][٣] فعل الخاشي[٤].

وقال الأخفش والزجاج[٥]: «فخشينا»: فكرهنا.

﴿أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ سبق تفسيره آنفاً.

قال الربيع بن أنس: كان الغلام على الطريق لا يمر به أحدٌ إلا قتله أو غصبه، فيدعو ذلك عليه وعلى أبويه[٦].

وقال ابن السائب: كان لصاً، فإذا جاء من يطلبه حلف أبواه أنه لم يفعل[٧].

قال قتادة: فرحا به حين وُلد، وحزنا عليه حين قُتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله [للمؤمن][٨] فيما يكره خير له من

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٠ ح٢٦٦١).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤٦).

(٣) في الأصل و ب: فعلمنا. والصواب ما أثبتناه.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٥) معاني الأخفش (ص:٢٤٤)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٦) زاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٧) الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣٣)، وزاد المسير (٥/ ١٧٩).

(٨) في الأصل: للمؤمنين. والتصويب من ب، والمراجع الآتية.

قضائه فيما يحب[(١)].

﴿فأردنا أن يُبْدِلَهُما ربهما﴾ قرأ نافع وأبو عمرو: «يبدّلهما» بالتشديد، ومثله في التحريم، ونون والقلم، وخفَّفَ ذلك كله الباقون[(٢)]. وهما لغتان بمعنى واحد، بدّل وأبدل. وأكثر ما جاء في القرآن مشدداً، نحو قوله: ﴿فبدّل الذين ظلموا﴾ [البقرة:٥٩]، ﴿بدّلوا نعمت الله كفراً﴾ [إبراهيم:٢٨]، ﴿وبدّلناهم بجنتيهم﴾ [سبأ:١٦]، ﴿ومن يبدّل نعمة الله﴾ [البقرة:٢١١]، ﴿لا مبدّل لكلماته﴾ [الأنعام:١١٥]، ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ [يونس:٦٤].

قوله تعالى: ﴿خيراً منه زكاة﴾ قال ابن عباس: خيراً منه ديناً[(٣)].

والمعنى: خيراً منه صلاحاً وطهارةً من الذنوب والرذائل.

قال ابن عباس: أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبياً[(٤)].

وقال ابن جريج: ولدت غلاماً مسلماً[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٠). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٣)، وزاد المسير (٥/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٩) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٧)، والكشف (٢/ ٧٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٧).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦١)، وزاد المسير (٥/ ١٨٠) عن سعيد بن جبير وقتادة.

(٤) زاد المسير (٥/ ١٨١).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٤) عن الحجاج. وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٤)، وزاد المسير (٥/ ١٨١).

﴿وأقرب رُحْماً﴾ وقرأ ابن عامر: «رُحُماً» بضم الحاء[(١)].

وفي قراءة ابن عباس: «رَحِماً» [بفتح][(٢)] الراء وكسر الحاء[(٣)].

وكلُّ ذلك بمعنى الرحمة والعطف.

قال الزجاج[(٤)]: المعنى: أقرب عطفاً وأمسُّ بالقرابة.

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ قال مقاتل[(٥)]: اسمهما: أصرم وصريم.

والمدينة هي المذكورة في قوله: ﴿أتيا أهل قرية﴾.

﴿وكان تحته كنز لهما﴾ روى الحاكم في صحيحه، والترمذي في جامعه، من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال: «كان

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٧)، والكشف (٢/ ٧٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٧).

(٢) في الأصل: وفتح. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ١٨٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٠).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٩).

ذهباً وفضة »[(١)].

وروى عطاء عن ابن عباس: « كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجباً لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح؟ عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟ عجباً لمن يوقن بالحساب كيف يغفل؟ عجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي. وفي الشق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقتُ الجن والإنس، فطوبى لمن خلقتُه للخير وأجريتُه على يديه، والويل لمن خلقتُه للشر وأجريتُه على يديه »[(٢)].

وقد روي هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث أنس[(٣)].

وروى العوفي عن ابن عباس: أنه كنز علم[(٤)]. وهذا هو القول الذي قبله.

قال الزجاج[(٥)]: المعروف في اللغة: أن الكنز إذا أُفْرِدَ فمعناه: المال المدفون

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٣ ح٣١٥٢)، والحاكم (٢/ ٤٠١ ح٣٣٩٧).

(٢) روى نحوه ابن مردويه من حديث علي مرفوعاً كما في الدر (٥/ ٤٢١)، ونحوه من حديث أبي ذر مرفوعاً رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبزار كما في الدر (٥/ ٤٢١)، كما ورد نحوه موقوفاً من قول ابن عباس، أخرجه الخرائطي في قمع الحرص، وابن عساكر كما في الدر (٥/ ٤٢١). وأخرج نحوه البيهقي في الشعب (١/ ٢٢٣) من حديث علي بن أبي طالب. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢١) وعزاه للشيرازي في الألقاب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٢)، والماوردي في تفسيره (٣/ ٣٣٦).

قال الحافظ في الكاف الشاف: رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً، وأبان والسدي الصغير متروكان.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٨١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٧).

المدَّخَر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنزُ عِلْم، وله كنز فَهْم، والكنز هاهنا بالمال أشبه. قال: وجائز أن يكون الكنز كان مالاً، مكتوب فيه علم، [على ما روي][(١)]، فهو مالٌ وعلمٌ عظيم.

قوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قال ابن عباس: حُفِظَا بصلاح أبيهما، ولم يُذكر منهما صلاحاً[(٢)].

قال جعفر بن محمد عليهما السلام: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء[(٣)].

وقال محمد بن المنكدر: إن الله عز وجل ليُصلح بصلاح العبد ولده، وولد ولده، وأهل دويرته، وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم[(٤)].

وكان سعيد بن المسيب إذا رأى ابنه قال: أيْ بنيّ! لأزيدنَّ صلاتي من أجلك؛ رجاء أن أُحفظ فيك، ويتلو هذه الآية[(٥)].

وروى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل[(٦)]

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٠)، وابن المبارك في الزهد (١/ ١١٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٢) وعزاه لابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥-٦). وانظر: الوسيط (٣/ ١٦٣)، وزاد المسير (٥/ ١٨٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢١٠)، وابن المبارك في الزهد (١/ ١١١-١١٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٢) وعزاه لابن المبارك وابن أبي شيبة.

(٥) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (ص:١٨٧).

(٦) في الأصل: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل. ولم أجد أحداً بهذا الاسم، والذي

قال: «كانت لي أخت أسنّ مني، فاختلطتْ وذهب عقلها وتوحشتْ، فكانت في غرفة في أقصى سُطوحنا، فلبثت بذلك بضع عشرة سنة، وكانت[١] مع ذهاب عقلها تحرصُ على الصلوات والطهور. فبينا [أنا نائم][٢] ذات ليلة وإذا[٣] بابُ بيتي يُدَقُّ نصف الليل، فقلت: من هذا؟ فقال: بَخَّة، فقلت: أختي، قالت: أختك. فقلت: لبيك، وقمت ففتحت الباب، فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشرين سنة. فقلت لها: يا أخيّة! خير؟ قالت: خيرٌ، أُتيتُ الليلة في منامي فقيل لي: السلام عليك يا بَخَّة، فقلت: وعليكم السلام، فقيل: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدّك، وحفظك لأبيك إسماعيل، وإن شئتِ دعوتُ [الله][٤] فأذهبَ ما بك، وإن شئت صبرتِ ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر عليهما السلام قد شفعا لك لحُبِّ أبيك وجدك إياهما. فقلت: إن [الله][٥] لا يتعاظمه شيء، إن يشأ أن يجمعهما لي فعل، [قالت][٦]: فقيل: قد جمعهما الله لك [ورضي][٧] عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومي فانزلي، فأذهب الله ما

=

وجدته: إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، أخرج حديثه الترمذي، قال الدارقطني: متروك، كما في تهذيب الكمال (٣/ ٢١٢).

(١) في ب: فكانت.

(٢) في الأصل: أنائم. والمثبت من ب، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٩)، وصفة الصفوة (٣/ ١٩٧).

(٣) في ب: إذا.

(٤) زيادة من ب، وتفسير الثعلبي (٦/ ١٨٩)، وصفة الصفوة (٣/ ١٩٧).

(٥) زيادة من ب، والثعلبي، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٧) في الأصل: رضي الله. والمثبت من ب، ومصادر التخريج.

كان بها»[١].

قوله تعالى: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ قال ابن الأنباري[٢]: إنما قال: «فأردت، فأردنا، فأراد ربك» ؛ لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتفاقه مع تساوي المعاني ؛ لأنه أعذبُ على الألسن وأحسنُ موقعاً في الأسماع، فتقول للرجل: قال لي فلان كذا، وأنبأني فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبرني بما قال.

«أن يبلغا أشدهما» قال ابن عباس: يكبرا ويعقلا[٣].

﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ قال الزمخشري[٤]: «رحمة» مفعول له، أو مصدر منصوب بـ«أراد ربك»؛ لأنه في معنى رحمهما.

﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: ما فعلتُ ما رأيتَ عن أمري، أي: عن اجتهادي ورأيي، إنما فعلته بأمر الله.

﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ يقال: استطاع واسطاع[٥] بمعنى واحد.

فصل

في[٦] هذه القصة مستدل على ما إذا قال: والله لا أسكن هذه الدار، ثم أخذ في النُّقْلة لم يكن ليحنث؛ لأنه لما عزم على فراقه أخذ يقص عليه جميع ما سأل عنه، وما

---

(١) أخرجه الثعلبي (٦/ ١٨٩). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ١٩٦-١٩٧).
(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٢).
(٣) الوسيط (٣/ ١٦٣).
(٤) الكشاف (٢/ ٦٩٣).
(٥) في ب: اسطاع واستطاع.
(٦) في ب: وفي.

عنه، وما عدّ ذلك القدر من الاجتماع في ذلك الزمان وصلاً[١]، وقريبٌ منه قول الأحوص:

وإني أخوكَ الدائمُ العهدِ لمْ أَحُلْ إنْ أنْزاكَ[٢] خَصْمٌ أو نَبَا بكَ منزِلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظَنَّتي وبدَّلَ سُوءاً بالذي كنتُ أفْعَلُ
قلبتُ له ظهرَ المجنِّ فلمْ أدُمْ على ذاكَ إلا ريْثَما أتحوَّلُ

فاستثنى قدر النقلة عن الزمان الداخل تحت قوله: لم أدُمْ على ذاك.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ سبق ذكر سبب نزولها عند قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء:٨٥].

واختلف في اسمه؛ فقال علي عليه السلام: عبدالله[٣].

وقال ابن عباس: عبدالله بن الضحاك[٤].

وقال وهب: الاسكندر[٥].

واختلفوا في علة تسميته بذي القرنين؛ فقال علي عليه السلام: سُمّي لأنه دعا

---

(١) في ب: وصالاً.

(٢) في هامش ب: أنزاك ونزّاك: أي: أعابك.

(٣) زاد المسير (٥/ ١٨٣).

(٤) تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٣).

(٥) زاد المسير (٥/ ١٨٣).

قومه إلى الله فضربوه على قرنه فهلك، ثم بعثه الله فدعاهم إليه فضربوه على قرنه الآخر فهلك، ثم بعثه الله[١].

وقال ابن عباس: سُمّي ذا القرنين؛ لأنه بلغ مطلع الشمس ومغربها[٢].

قال وهب بن منبه: رأى في المنام كأنه امتد إلى السماء حتى أخذ بقرني الشمس، فقصّ رؤياه على قومه، فسَمُّوه ذا القرنين[٣].

وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب.

وروي عن وهب أيضاً: أنه سُمّي بذلك؛ لأنه مَلَكَ فارس والروم[٤].

وروي عنه أيضاً: أنه سُمّي بذلك؛ لأنه كان في رأسه شبه القرنين[٥]. وقال: كانت صفحتا رأسه من نحاس[٦].

وقال الحسن البصري: سُمّي بذلك؛ لغديرتين[٧] كانتا له[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٤٧) وعزاه لابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٣).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٨-٤٣٩) وعزاه لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٨-٤٣٩) وعزاه لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٩) وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والشيرازي في الألقاب وأبي الشيخ.

(٧) الغديرتان: الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر، وجمعها: غدائر (اللسان، مادة: غدر).

(٨) تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٣٩) وعزاه =

قال ابن الأنباري[١]: والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين وقرنين.

وقيل: لسلوكه الظلمة والنور.

وقيل: لأنه كان كريم الطرفين، من بيتٍ ذوي شرف من قبل أبيه وأمه.

وقيل: لأنه انقرض في زمنه قرنان من الناس.

واختلفوا: هل كان نبياً أو عبداً صالحاً؛ فقال علي عليه السلام: كان عبداً صالحاً، أَحَبَّ الله تعالى فأحبَّه، وناصَحَ الله تعالى فناصحه، ولم يكن نبياً ولا ملكاً[٢].

وقال عبدالله بن عمرو: كان نبياً[٣].

واختلف في زمانه؛ فقال الحسن: كان بعد ثمود[٤].

قال علي عليه السلام: كان من القرون الأُوَل من ولد يافث بن نوح[٥].

وقيل[٦]: عَمّر ألفاً وستمائة سنة.

قال محمد بن إسحاق: هو رجل من أهل مصر، اسمه: مرزبان[٧] بن مرزبة

= لابن عبد الحكم عن يونس بن عبيد.

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٤٧) وعزاه لابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) زاد المسير (٥/ ١٨٤).

(٤) مثل السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) في ب: ويقال.

(٧) في (ب) والطبري: مرزبا بن مردبة. وفي الدر المنثور: مرزيا بن مرزبة.

اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح(١).

وقال وهب: كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما(٢).

﴿قل سأتلو عليكم منه﴾ أي: من حديثه ﴿ذِكْراً﴾ خبراً يتضمن ذكره.

﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ سهلنا عليه كل ما يحتاج إليه. قال علي عليه السلام: سخّر الله تعالى له السحاب فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء(٣).

﴿وآتيناه من كل شيء﴾ يحتاج إليه ﴿سبباً﴾ طريقاً موصلاً من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب.

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

﴿فاتَّبع سبباً﴾ وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «فأتْبع» بقطع الهمزة وسكون التاء

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٧) وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٣٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٣٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٤).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٤٧) وعزاه لابن إسحاق والفريابي وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق.

وتخفيفها[(١)].

ومثله: ﴿ثم اتَّبَع﴾ ثم أَتْبع، فمن وصل فهو على معنى: سلك سبباً، فهو يتعدى إلى مفعول واحد، ومن قطع الهمزة تعدى إلى مفعولين، فهو على معنى: أَتْبع أمره وما هو عليه سبباً، فحذف أحد المفعولين.

قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن[(٢)].

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ قرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا حفصاً: «حامية»[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: من قرأ: «حمئة» أراد في عين ذات حمأة، يقال: حَمِأَت البئر إذا أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمأْتُها إذا ألقيت فيها الحَمْأَة، وحَمِئَتْ فهي حَمِئَة[(٥)]. ومن قرأ: «حامِيَة» من غير[(٦)] همز أراد: حارَّة، وقد تكون حارَّةً ذات حَمْأة.

قال الحسن: وجدها تغرب في ماء يغلي كغليان القدور[(٧)].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٨)، والكشف (٢/ ٧٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٨).

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٢٨)، والكشف (٢/ ٧٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٨).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: حمأ).

(٦) في ب: بغير.

(٧) زاد المسير (٥/ ١٨٥-١٨٦).

﴿ووجد عندها قوماً﴾ لباسهم جلود السباع، وليس لهم طعام [إلا][1] ما أحرقت الشمس من الدواب إذا غربت في بحرها، وما لفظتِ العين من الحيتان إذا وقعت فيها الشمس.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصرباذي[2]، أخبرنا محمد بن أحمد بن حامد العطار، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار، حدثنا محمد بن عباد، حدثنا سفيان، عن زياد بن سعد[3]، سمع ابن حاضر[4] يقول: اختلف ابن عباس وعمرو بن العاص عند معاوية، فقال ابن عباس: «في عين حمئة»، وقال عمرو: «في عين حامئة»، فسألوا كعباً فقال: إني أجدها في كتاب الله تغرب في طينة سوداء. فقال رجل لابن عباس: ألا أعينك؟ قال: بلى، قال: قال تُبَّع:

قَدْ كانَ ذو القرنين عُمِّرَ مُسْلِماً   مَلِكاً تدينُ له الملوكُ وتسجدُ
بَلَغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغي   أسبابَ أمرٍ منْ حكيم مُرْشِدِ

---

(١) زيادة من ب، وزاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٢) في ب: النصراباذي.

(٣) زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني، أبو عبد الرحمن، ثقة ثبت، من أهل خراسان، سكن مكة، ثم تحول إلى اليمن، وله هيئة وصلاح، وكان من الحفاظ المتقنين (تهذيب التهذيب ٣/ ٣١٨، والتقريب ص:٢١٩).

(٤) عثمان بن حاضر الحميري، ويقال: الأزدي، أبو حاضر القاص، صدوق (تهذيب التهذيب ٧/ ١٠١، والتقريب ص:٣٨٢).

فـرأى مـآبَ الـشمسِ عنـدَ مغيبهـا من عينِ ذي خُلُـبٍ وَثَـاطٍ حَرْمَـد[(١)]

قيل: الخُلُب: الطين، والثَّاطُ: الحمأة، والحَرْمَد: الأسود.

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في كتاب زاد المسير في علم التفسير[(٢)]: ربما توهم متوهم أن هذه الشمس على عظم قدرها تغوص بذاتها في عين ماء، وليس كذلك، فإنها أكبر من الدنيا مراراً فكيف تسعها عين [ماء][(٣)]؟ وإنما وجدها تغرب في العين كما يرى [راكب البحر][(٤)] الذي يرى طرفه أن الشمس تغرب[(٥)] في الماء، وذلك لأن ذا القرنين انتهى إلى آخر البنيان فوجد عيناً حمئة ليس بعدها أحد.

واختلف العلماء في مقدار الشمس؛ فقال بعضهم: هي كقدر[(٦)] الدنيا مائة وخمسون مرة.

وقال بعضهم: مائة وعشرون مرة، والقمر بمقدار الدنيا ثمانون مرة[(٧)].

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٣). وانظر الأبيات في: القرطبي (١١/ ٤٩)، والتهذيب (٥/ ٢٣٠، ١٤/ ٥، ٧/ ٤١٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٣٩)، واللسان (مادة: أوب، خلب، حرمد، ثأط) ونسبه إلى أمية بن أبي الصلت، والدر المصون (٤/ ٤٨٠)، والكشاف (٢/ ٦٩٤)، وروح المعاني (١٦/ ٢٧، ٣٢).

(٢) زاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٣) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الراكب في البحر. والمثبت من ب، وزاد المسير، الموضع السابق.

(٥) في (ب) وزاد المسير: تغيب.

(٦) في ب: بقدر.

(٧) الشمس: تبعد في المتوسط حوالي ٩٣٠٠٤٠٠٠ ميل عن الأرض، وهي المسافة المسماة بالوحدة الفلكية، ويبلغ قطر الشمس ٨٦٥٤٠٠ ميل تقريباً، وحجمها حوالي ١٣٠٠٠٠٠ ضعف حجم =

﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ من قال: إنه نبي؛ فالمعنى: قلنا له بطريق الوحي أو التكليم، ومن قال: عبد صالح؛ فالمعنى: قلنا له بطريق الإلهام، أو بطريق الإرسال إليه.

﴿إما أن تُعَذِّبَ﴾ أي[1]: تَقْتُلَ من لم يجب دعوتك ويتبع دينك، ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ أي: أمراً ذا حُسن، على حذف الموصوف والمضاف، كما في قوله: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً﴾ [النساء:٩٢]، أي: قتلاً ذا خطأ.

والمعنى: وإما أن تتخذ فيهم حُسْناً بأن [تأسرهم][2] فتبصّرهم وتوضح لهم منار الهدى.

واعلم أنّ «أنْ» مع الفعل بتأويل المصدر في موضع النصب بفعل مضمر، كما في قوله: ﴿فإما مناً بعد وإما فداءً﴾ [محمد:٤].

ويجوز أن تكون «أنْ» مع الفعل في موضع المبتدأ، والخبر مضمر. أي: إما العذاب واقع منك فيهم، وإما اتخاذ أمر ذي حسن واقع فيهم، فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة.

قال قتادة: فقضى فيهم بقضاء الله، وكان عالماً بالسياسة[3]، فقال: ﴿أما من

= الأرض (الموسوعة العربية الميسرة ص:١٠٩٤).

أما القمر فيبعد حوالي ٣٨٦٩٥٢ كم عن الأرض، ويبلغ قطره ٣٤٠٠ كم -أكبر قليلاً من ربع قطر الأرض- والقمر جسم مظلم كروي، ولكن تضيء أشعة الشمس نصفه المقابل لها (الموسوعة العربية الميسرة ص:١٣٩٤).

(١) في ب: يعني.

(٢) في الأصل: تستأسرهم. والتصويب من ب.

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٥).

ظلم﴾ بالإقامة على الشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ قال الحسن: كان يطبخهم في القدور[1].

﴿ثم يردّ إلى ربه﴾ يوم القيامة ﴿فيعذبه﴾ في النار ﴿عذاباً نكراً﴾ فظيعاً منكراً.

﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ قال الفراء[2]: الحسنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، وهي الجزاء؛ كقوله: ﴿لَحَقُّ اليقين﴾ [الحاقة:٥١]، و ﴿دين القيمة﴾ [البينة:٥]، ﴿ولدار الآخرة﴾ [النحل:٣٠].

وقال أبو علي[3]: المعنى: فله جزاءُ الخِلال الحسنى؛ لأن الإيمان والعمل الصالح خِلالٌ.

وقال غيره في معناه: الجزاء مضاف إلى الحسنى، و«الحسنى» صفة موصوف محذوف، والتقدير: فله جزاء الحالة الحسنى؛ كقوله:

فصِرْنا إلى الحسنى وَرَقَّ كَلامُنا ورُضْتُ فذلّتْ صَعْبَةً أيَّ إذلال[4]

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «فله جزاءً» بالنصب والتنوين[5].

قال الزجاج[6]: هو مصدر منصوب على الحال، التقدير: فله الحسنى مجزياً بها

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٨٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ١٥٩).

(٣) الحجة (٣/ ١٠٢).

(٤) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٣٢)، وزاد المسير (١/ ٣٧٨، ٤/ ٢٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٠)، والكشف (٢/ ٧٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٨-٣٩٩).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٠٩).

جزاءً.

وقال غيره: «الحسنى» مبتدأ، و«له» خبره[١]، والتقدير: فله الحسنى، «جزاءً» أي: مجزياً، مصدر في موضع الحال[٢]، والعامل فيه: له جازية[٣]، أي: ثبتت الحسنى له جزاء.

﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي: أمراً ذا يسر، كالذي قبله. والمعنى: وسنقول له من أمرنا قولاً جميلاً ونُولِيه معروفاً.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي: طريقاً يوصله إلى الشرق.

﴿حتى إذا بلغ مَطْلِعَ الشمس﴾ وقرأ الحسن: «مطْلَع» بفتح اللام[٤]، وكلاهما بمعنى واحد.

قال ابن الأنباري[٥]: لا خلاف بين أهل العربية في أن المطلِع والمطلَع كلاهما يعني بهما المكان الذي تطلع منه الشمس، ويقولون: [ما][٦] كان على فَعَل يَفْعُلُ، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المَفْعَل، كقولهم المَدْخَل للدخول، وللموضع

---

(١) التبيان (٢/ ١٠٨)، والدر المصون (٤/ ٤٨٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) ساقط من ب.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٧-١٨٨).

(٦) زيادة من زاد المسير (٥/ ١٨٧).

الذي يُدخل منه، إلا أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع، وهي: المطلِع، والمسكِن، والمنسِك، والمشرِق، والمغرِب، والمسجِد، والمنبِت، والمجزِر، والمفرِق، والمسقِط، والمهبِل؛ الموضعِ الذي تضع فيه الناقة، وخمسة من هؤلاء الأحد عشر [حرفاً][1] سُمع فيهن الكسر والفتح: المطلِع والمطلَع، والمنسِك والمنسَك، والمجزِر والمجزَر، والمسكِن والمسكَن، والمنبِت والمنبَت.

وقال أبو عمرو[2]: المطلِع -بالكسر-: الموضع الذي تطلع فيه، والمطلَع -بالفتح-: الطلوع.

﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قال الحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستراً[3]؛ لأنهم [كانوا][4] في مكان لا يثبت عليه البناء[5].

وقال الكلبي: كانوا حفاة عراة، يفرش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى[6].

وقيل: المعنى: لم نجعل لهم من دونها ستراً كما جعلنا لكم من الجبال والحصون والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف.

قال قتادة: أصاب قوماً في أسرابٍ عُراةً، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت

---

(١) زيادة من ب، وزاد المسير (٥/ ١٨٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٨٨).

(٣) في ب: ستر.

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٧١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٤) وعزاه للطيالسي والبزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) الوسيط (٣/ ١٦٥).

الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معايشهم مما أحرقته الشمس[١].

وبلغنا: أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنهم الزنج[٢].

وقال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يتراعون كما يتراعى الوحش، وإذا طلعت عليهم الشمس تهوّروا في الماء[٣].

وقال ابن جريج: جاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلع عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع علينا الشمس، قالوا: ما هذه العظام؟ قالوا: جيف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا، فذهبوا هاربين في الأرض[٤].

قال ابن السائب: وحدثني عمرو بن مالك بن أمية قال: وجدتُ رجلاً بسمرقند يُحَدِّثُ الناس وهم مجتمعون حوله، فسألتُ بعض من حدثه، فأخبرني أنه حدَّثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس، قال: خرجتُ حتى جاوزت الصين، ثم سألت عنهم فقالوا[٥]: إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرتُ رجلاً فسرتُ بقية عشيتي وليلتي حتى صَبَّحْتُهم، فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى، وكان صاحبي يُحسن لسانهم، فسألهم فقال: جئنا لننظر كيف تطلع الشمس، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة، فغُشي عليَّ، فأفقتُ وهم

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الطبري (١٦/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٧)، وزاد المسير (٥/ ١٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٧١-١٤٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٤) وعزاه للطيالسي والبزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤).

(٥) في ب: فقيل لي.

يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء فإذا[1] هي كهيئة الزيت، وإذا طرف الماء كهيئة الفسطاط، فلما ارتفعت أدخلوني سرباً لهم أنا وصاحبي، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج[2].

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها.

وقيل: المعنى اتَّبَع سبباً كما اتَّبع سبباً.

وقيل: المعنى: كما حَكَمَ في أولئك الذين وجدهم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين وجدهم عند مطلعها[3].

وقيل: المعنى: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما قصصناه عليك، وكما وصفناه، على مذهب التعظيم لأمره والتفخيم لشأنه.

قوله تعالى: ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ يعني: من الأموال والآلات والأسباب والجيوش والعَدَد والعُدد ﴿خُبْراً﴾.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

---

(١) في ب: إذا.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ٥٤).

(٣) وهذا أولى الأقوال.

رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

﴿ثم اتَّبَعَ سبباً﴾ طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب.

﴿حتى إذا بلغ بين السدَّين﴾ قال الزمخشري(١): انتصب «بين» على أنه مفعول مبلوغ، كما انجرّ على الإضافة في قوله: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾، وكما ارتفع في قوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام:٩٤] لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً.

وفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص، وضَمَّها الباقون(٢).

قال الكسائي وثعلب والزجاج(٣): هما لغتان بمعنى واحد.

قال ابن الأعرابي(٤): كل ما قابلك فسدَّ ما وراءه فهو سَدٌّ وسُدٌّ، نحو الضَّعف والضُّعف، والفَقر والفُقر.

وقال ابن عباس وعكرمة وأبو عبيدة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّد -بفتح السين-، وما كان من صُنع الله فهو السُّد -بضم السين-(٥).

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٩٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٠-٤٣١)، والكشف (٢/ ٧٥)، والنشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣١٠).

(٤) انظر: الوسيط (٣/ ١٦٦)، وزاد المسير (٥/ ١٨٩)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨) كلاهما عن عكرمة. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال الفراء[١]: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين.

وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق.

قال ابن عباس: هما جبلان سَدَّ ذو القرنين ما بينهما[٢].

قال وهب بن منبه: هما جبلان مُنيفان في السماء من ورائهما البحر[٣].

﴿وجد من دونهما﴾ يعني: أمام [السدين][٤] ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ أي: لا يفقهونه إلا بعد جُهد؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون غير لغتهم.

وقرأ حمزة والكسائي: «يُفْقِهون» بضم الياء وكسر القاف[٥]، أي: لا يكادون يُفقهون السامع؛ لغرابة لغتهم.

﴿قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج﴾ وقرأ عاصم بالهمز فيهما[٦]، والأول أوجه؛ لأنهما اسمان أعجميان، كجالوت وطالوت.

قال الليث[٧]: الهمز لغة رديئة.

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر: زاد المسير (٥/ ١٩٠).

(٢) انظر: الطبري (١٦/ ١٥-١٦)، والوسيط (٣/ ١٦٦).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٨٩).

(٤) في الأصل و ب: السد. والمثبت من زاد المسير (٥/ ١٩٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٢)، والكشف (٢/ ٧٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٤)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٢)، والكشف (٢/ ٧٦-٧٧)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

(٧) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩٠).

قال ابن الأنباري[(١)]: وجه هَمْزِه: أن العرب [قد][(٢)] همزت حروفاً لا يُعرف للهمز فيها أصل، كقولهم: استنشأتُ الريح[(٣)]، فإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب، كان مقبولاً في الألفاظ التي أصلها للعجم.

ومعنى قول ابن الأنباري: «استنشأتُ الريح»: تشمّمْتُها.

قال أبو علي[(٤)]: من همزهما جعلهما عربيين، فإن «يأجُوج» يفْعُول من أَجَّ، و«مأجوج» مفْعُول من أَجَّ أيضاً، والكلمتان على هذا من أصل واحد في الاشتقاق، وامتناع صرفهما على هذا للتأنيث والتعريف؛ لأن كل واحد منهما كأنه اسم للقبيلة؛ كَمَجُوس.

ومن قرأهما بغير همز أمكن أن يكون على قول من همز، لكنه خفف الهمزة فقلبها ألفاً، مثل: راسٍ[(٥)]، فهو على قوله أيضاً: يَفْعُول، منْ أَجَّ، وإن كان الألف في «يأجوج» فيمن لم يهمز ليس على التخفيف، فإنه فاعُول من: (ي ج ج)، فإن جعلتَ الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كالتي في: «سَأْقَ»، ونحو ذلك مما جاء مهموزاً ولم ينبغ أن يُهمز.

وأما «مأْجوج» فيمن لم يهمز فهو فاعول مِنْ مَجَّ، كما كان «ياجوج» يفعول مِنْ يَجَّ، فالكلمتان على هذا من أصلين، وليستا من أصل واحد، ويكون امتناعهما من

(١) انظر: الوسيط (٣/ ١٦٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) استنشأت لغة في استنشيت الريح، أي وجدت طيبها عند شمها (اللسان، مادة: نشأ).

(٤) الحجة (٣/ ١٠٣-١٠٤).

(٥) من هنا يوجد سقط لباقي سورة الكهف وأول سورة مريم في مصورة الأصل. وقد اعتمدنا فيها من نسخة ب.

الصرف أيضاً للتأنيث والتعريف.

ويجوز أن يكون «ماجوج» مفعول من أَجَّ، كما كان في قول من همز، إلا أنه خفف همزه. وإن جعل «ياجوج وماجوج» من العجمي، فهذه التمثيلات لا تصح فيهما، ويكون امتناعهما من الصرف للعجمة والتعريف.

وإنما تُمَثّل هذه التمثيلات في العجمية؛ ليعلم أنها لو كانت عربية لكانت على ما يذكر.

قال ابن عباس: يأجوج رجل ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح. فيأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولَدُ آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار[1].

وقال علي عليه السلام: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرطٌ في الطول، ولهم من الشَّعَر ما يُواريهم من الحرّ والبرد[2].

وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تُغير، فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجه[3].

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٢ ح٨٦٠٧) عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يأجوج ومأجوج شبر وشبرين وثلاثة وهم من ولد آدم.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن يأجوج ومأجوج شبر وشبران وأطولهم ثلاثة أشبار وهم من ولد آدم (الدر المنثور ٥/ ٤٥٧).

وانظر: زاد المسير (٥/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨).

(٢) الوسيط (٣/ ١٦٦)، وزاد المسير (٥/ ١٩٠).

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩٠).

وروى شقيق عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: «يأجوج أمّة، ومأجوج أمّة، كل أمة أربعمائة [ألف][1] أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذَكَرٍ بين يديه من صلبه، كلٌّ قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله، صفْهم لنا؟ قال: هم ثلاثة أصناف، صنفٌ منهم أمثال الأرز. قلت: يا رسول الله، وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طوال، الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف طوله وعرضه سواء، مائة وعشرون ذراعاً، وهذا الصنف لا يثبت لجبل ولا حديد. وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مُقدَّمتُهم بالشام وساقَتُهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية »[2].

قوله: ﴿مفسدون في الأرض﴾ قال ابن السائب: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع، فلا يَدَعُون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه إلى أرضهم[3].

---

(١) زيادة من المعجم الأوسط (٤/ ١٥٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١٥٥ ح٣٨٥٥).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. والسيوطي في الدر (٥/ ٤٥٧) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار.

قال الحافظ في الكاف الشاف: قال ابن عدي: هذا موضوع. وفي إسناده محمد بن إسحاق، وليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاشي.

(٣) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩١).

قال وهب بن منبه: كانوا يفعلون فعل قوم لوط(١).

وقيل: كانوا يأكلون الناس(٢).

﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «خَرَاجاً»(٣).

قال أبو عبيد: هما لغتان بمعنى واحد.

وقال أبو عمرو ابن العلاء(٤): الخَرْجُ: ما تبرعتَ به، والخَرَاجُ: ما لزمك أداؤه(٥).

قال المفسرون: المعنى: هل نُخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجُعْل لك؟(٦).

﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سَدّاً﴾ وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: «سُدّاً» بضم السين(٧)، وقد سبق ذكره.

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٩١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٨) عن حبيب الأرجاني. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٩١) عن سعيد بن عبد العزيز، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٥٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبيب الأرجاني.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٣)، والكشف (٢/ ٧٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: خرج).

(٦) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩١).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣١)، والكشف (٢/ ٧٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٣٩٩).

﴿قال ما مَكَّنِّي﴾ قرأ ابن كثير: «مكنني» بنونين ظاهرتين، وقرأ الباقون بالإدغام[(١)]، على أصلهم في التقاء المثلين.

والمعنى: ما مكني ﴿فيه ربي﴾ من كثرة المال والآلات وسائر ما يتوقَّف ما ندبتموني إليه عليه ﴿خير﴾ مما تجعلونه لي من أموالكم.

﴿فأعينوني بقوة﴾ أي: بعمل تعملونه معي بأبدانكم وفَعَلَةٍ[(٢)] وصُنَّاع يُحسنون البناء، ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ حاجزاً حصيناً متراكماً، والرَّدْم [أكبر][(٣)] من السَّدّ؛ لأن الردم ما جُعِلَ بعضه فوق بعض.

﴿آتوني زُبَرَ الحديد﴾ أي: أعطوني قطع الحديد.

قال ابن عباس: احملوها إليّ[(٤)].

وروى أبو بكر عن عاصم: «ردماً إيتوني» بكسر التنوين[(٥)]، والابتداء على هذه القراءة بكسر الهمزة، بمعنى: جيئوني بزبر الحديد، فلما حذف الحرف الجار تعدى الفعل فنصب، كما قال:

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٣)، والكشف (٢/ ٧٨)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٠٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٠).

(٢) الفَعَلَة: صفة غالبة على عَمَلَةِ الطين والحفر ونحوهما؛ لأنهم يَفْعَلُون (اللسان، مادة: فعل).

(٣) في ب: أكثر. والمثبت من زاد المسير (٥/ ١٩٢).

(٤) الوسيط (٣/ ١٦٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٤)، والكشف (٢/ ٧٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٠).

أمرتُكَ الخير فافعل ما أُمرت به ....[1]

﴿حتى إذا ساوى﴾ وقرأتُ لأبان عن عاصم: «سَوَّى» بتشديد الواو من غير ألف[2].

﴿بين الصَّدَفَيْن﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بضم الصاد والدال، وهي لغة حميَر. وقرأ أبو بكر عن عاصم بضم الصاد وإسكان الدال. وقرأ الباقون بفتحهما، وهي لغة بني تميم[3].

وقرأ أبو مجلز وأبو رجاء بفتح الصاد وضم الدال[4].

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران والزهري والجحدري بالعكس من ذلك[5].

وكلها لغات متَّفِقَة في المعنى.

قال الأزهري[6]: يقال لجانبي الجبل صَدَفان؛ إذا تحاذيا، لتصادفهما وتلاقيهما[7].

---

(١) سبق تخريجه في سورة الأعراف (٢/ ٢٩٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٤)، والكشف (٢/ ٧٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠١).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ١٩٣).

(٥) مثل السابق.

(٦) تهذيب اللغة (١٢/ ١٤٦).

(٧) في ب: وتلافيهما.

وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد: الصَّدَفان: جبلان[١].

وقال ابن عيسى: هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر، كأنه قد صدف عنه[٢].

وقد قيل: أنَّ بُعْدَ ما بين السَّدَّيْن مائة فرسخ.

قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم ووضع عليها المنافيخ، ثم قال: ﴿انفخوا﴾ فنفخوا[٣].

﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ أي: جعل الحديد حين ذاب كالنار.

﴿قال آتوني﴾ أي: ناولوني. وقرأ حمزة وأبو بكر: «قال أتوني» بقصر الهمزة[٤]، بمعنى: جيئوني.

﴿أُفرغ عليه قطراً﴾ وهو النحاس المذاب، سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يَقْطُر.

قال المفسرون: أذاب النحاس ثم أفرغه على زُبر الحديد، فاختلط والتصق بعضه ببعض، حتى صار جبلاً صلداً من حديد وقطر[٥].

قال قتادة: فهو كالبَرَدِ المُحَبَّر؛ طريقة سوداء وطريقة حمراء[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥)، ومجاهد (ص:٣٨١). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٣).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٣).

(٣) زاد المسير (٥/ ١٩٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٤)، والكشف (٢/ ٧٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠١).

(٥) الوسيط (٣/ ١٦٨)، وزاد المسير (٥/ ١٩٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٥٨) وعزاه لابن جرير وابن مردويه =

فإن قيل: بماذا انتصب «قِطْراً»؟

قلت: بأقرب الفعلين إليه وهو «أُفْرِغْ».

فإن قيل: ما منعك أن تقول العامل فيه «آتوني»؟

قلت: ما يفتقر إليه من إضمار مفعول آخر، تقديره: أُفرغه عليه.

فإن قيل: فقد أُلزمتَ مثل هذا الإضمار لأنك إذا نصبته بـ«أُفْرِغ» أضمرت «قِطْراً»، تقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فأي فرق بين الإضمارين؟

قلت: الفرق بينهما أنك التزمت مع الإضمار الفصل بين العامل والمعمول فيه وأنا سَالِمٌ من ذلك.

فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾

قوله: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أصلها: استطاعوا، فلما اجتمع الحرفان المتقاربان حذف الأكثرون التاء؛ طلباً للخِفَّة.

وقرأ حمزة بتشديد الطاء على إدغام التاء فيها[1]، وفيه بُعْدٌ؛ لما يستلزم من

= عن أبي بكر النسفي. وسنده ضعيف، فإنه مرسل، بل معضل، حيث قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله رأيت سد يأجوج ومأجوج. وانظر: الوسيط (٣/ ١٦٨)، وزاد المسير (٥/ ١٩٣).

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٥)، والكشف (٢/ ٨٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠١).

اجتماع الساكنين.

والمعنى: فما قدروا أن يعلوا عليه لملاسته وارتفاعه.

﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ لشدته وصلابته وتماسكه.

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا روح، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشّفون المياه، ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، ويرمون سهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نَغَفاً[1] في أقفائهم فيقتلهم بها. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده إن دوابّ الأرض لتسمن، وتشكر من لحومهم ودمائهم»[2].

وبالإسناد قال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد

---

(١) النَّغَف: الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدته: نَغَفة (اللسان، مادة: نغف).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٣ ح٣١٥٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٦٤ ح٤٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٥١٠ ح١٠٦٤٠).

بن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ [الأنبياء:٩٦]، فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحُصُونهم، ويضُمُّون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليَمُرّ بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى إن من بعدهم ليمرّ بذلك النهر فيقول: قد كان هاهنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا من في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء. ثم يهزّ أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليهم مختضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينا هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل دُوداً في أعناقهم [كنَغَف الجراد الذي يخرج في أعناقهم](١) فيصبحون موتى لا يُسمع لهم حِسّ، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرّد رجلٌ منهم محتسباً بنفسه قد وَطَّنَها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضُهُم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين أبشروا! فإن الله قد كفاكم عدوَّكم، فيخرجون من مدائنهم وحُصونهم ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتَشْكَر عنه كأحسن ما شَكَرت عن شيء من النبات أصابته قط))(٢).

«النَّغَف» في الحديث الأول: هو الدود، كما فُسِّر في الحديث الثاني.

وقوله: «تَشْكَر»: بفتح الكاف، تقول: شَكِرت الدابة -بكسر الكاف- تَشْكَرُ، فهي شَكُور، والشَّكُورُ من الدواب: ما كفاها العلف القليل. والشكرة: الناقة

(١) زيادة من مسند أحمد (٣/ ٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٧ ح١١٧٤٩).

تُصيب حَظّاً من بَقْلٍ أو مَرْعَى فتَغْزُر، ويقال: شَكر القوم، وهم يحلبون شَكِرَة. كل ذلك يرجع إلى أصل واحد(١).

وقال وهب بن منبه: يأكلون الحشيش والشجر والخشب وما ظفروا بـه مـن الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة ولا بيت المقدس(٢).

وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «ليُحَجَّنَ هذا البيتُ وليُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»(٣).

قوله تعالى: ﴿قال هذا رحمة من ربي﴾ يشير إلى الردم أو التمكين مـن تـسويته وعمله.

قال ابن عباس: المعنى: هذا معونة من ربي حيث ألهمني وقوّاني(٤).

﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ أي: دنـا مجـيء القيامـة، وقيـل: هـو خـروج يـأجوج ومأجوج. والمعنى متقارب.

﴿جعله دكاً﴾ وقرأ أهل الكوفة: «دَكَّاء» بالمد والهمز من غير تنـوين(٥). وقـد سبق ذكره في الأعراف(٦).

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شكر).

(٢) البغوي (٣/ ١٨٤)، وأبو السعود (٥/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٨ ح١٥١٦).

(٤) الوسيط (٣/ ١٦٩).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٠٩)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٤٣٥-٤٣٦)، والكـشف (٢/ ٨١)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٢).

(٦) آية رقم: ١٤٣.

﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ كائناً لا محالة.

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني: يوم القيامة، أو يوم خروجهم من السد على اختلاف القولين.

قوله تعالى: ﴿ونُفِخَ في الصور﴾ يريد نفخة البعث، ﴿فجمعناهم جمعاً﴾. وقد سبق الكلام على الصُّور في الأنعام(١).

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ وهذا مثل قوله: ﴿صم بكم عمي﴾ [البقرة:١٨] والمعنى: كانت في غشاوة وغفلة عن تدبر آيات القرآن. وكانوا لفرط عنادهم وعداوتهم للحق الذي بُعث به محمد ﷺ ﴿لا يستطيعون﴾ لا يُطيقون له سَمْعاً.

قوله تعالى: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ قال ابن عباس: هم الشياطين(٢).

وقال مقاتل(٣): الأصنام.

---

(١) آية رقم: ٧٣.

(٢) الوسيط (٣/ ١٦٩)، وزاد المسير (٥/ ١٩٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٢).

وقال أبو سليمان الدمشقي: الملائكة والمسيح وعزير، وكل ما عُبد من دون الله(١).

وفيه إضمار تقديره: أفحسبوا أنهم يتخذوهم أولياء من دوني ولا أعاقبهم ولا أغضب عليهم(٢).

وقيل: التقدير: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء، كَلاَّ بل هم أعداء لهم، يتبرؤون منهم يوم القيامة عند الحاجة(٣).

وقوله: «أن يتخذوا» مع ما في حيزه سَدّ مَسَدّ مفعولي «حسب»، و«عبادي» المفعول الأول لـ«يتخذوا»، و«أولياء» هو المفعول الثاني.

وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه وليعقوب من رواية زيد عنه: «أَفَحَسْبُ» بإسكان السين وضم الباء(٤)، وهي قراءة علي وابن عباس عليهم السلام في آخرين، على معنى: أَفَكَافيهم أن يتخذوهم أولياء من دوني.

﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ سبق تفسيره فيما مضى، وهذا شبيه بقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [الإنشقاق:٢٤].

وقول الشاعر:

.... تحيَّةُ بينهمْ ضَرْبٌ وَجِيع(٥)

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٩٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٦).

(٥) انظر البيت في: الدر المصون (٤/ ٤٨٥)، والبحر المحيط (٦/ ١٥٧).

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ قال علي عليه السلام: هم القسِّيسون والرُّهبان[1].

وفي رواية عنه قال: منهم أهل حروراء[2].

وقال سعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى[3]. وقد ذكرته عنه بإسناده في البقرة عند قوله: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ [البقرة:٢٧].

قوله: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ قال الزمخشري[4]: الأوجه: أن يكون في محل الرفع، على معنى: هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال،

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٣). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٧)، وزاد المسير (٥/ ١٩٧). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٤٦٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٤). وانظر: تفسير الماوردي (٣/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٨)، والنسائي (٦/ ٣٩٢)، والحاكم (٢/ ٤٠٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٦٠)، والطبري (١٦/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٦٥) وعزاه لعبد الرزاق والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه.

(٤) الكشاف (٢/ ٦٩٩).

ويجوز أن يكون نصباً على الذمّ، أو [جَرّ][1] على البدل.

والمعنى: ضاع وبطل يوم القيامة ما حَمَلُوا أنفسهم عليه في الدنيا من العبادة والزهادة، ودأبوا في التقرب به إلى الله ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

﴿أولئك الذين كفرو بآيات ربهم ولقائه﴾ أي: جحدوا بما جاء به محمد ﷺ من القرآن وغيره، وكذبوا بالبعث على الوجه الذي هو عليه.

﴿فحبطت أعمالهم﴾ بطل ثوابها لفوات شرط القبول، وهو الإيمان، ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ قال ابن الأعرابي في هذه الآية: العرب تقول: ما لفلان عندنا وزن، أي: قدر؛ لخسّته[2].

فعلى هذا؛ يكون المعنى: لا يُعتد بهم، ولا يكون لهم عند الله قدرٌ ولا منزلة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وَزْناً»[3].

وقيل: المعنى: لا نقيم لهم؛ لأن الوزن عليهم[4].

وقيل: هذا نفي لإقامة الميزان؛ لأنها إنما تُوضع لذوي الحسنات والسيئات من الموحّدين.

قوله: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ تقديره: الأمر ذلك الذي ذكرتُ من بطلان عملهم

---

(١) زيادة من الكشاف (٢/ ٦٩٩).

(٢) الوسيط (٣/ ١٧٠)، وزاد المسير (٥/ ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٥٩ ح٤٤٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٥).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٩٨) عن ابن الأنباري.

وخسّة قدرهم.

ثم ابتدأ فقال: ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾.

وقيل: «ذلك» مبتدأ، «جزاؤهم» خبره، «جهنم» خبر ثان. وقيل: «جهنم» بدل من «جزائهم»، أو عطف بيان. وإن شئت جعلت «جزاؤهم» بدلاً من «ذلك»[1].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

قوله تعالى: ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ «جنات» اسم كان، و«لهم» خبره، و«نزلاً» حال أو تمييز، وإن شئت كان «نزلاً» خبراً، و«لهم» ظرف حشو[2]، والتقدير: كان لهم دخول جنات الفردوس نزلاً. والنُّزُل: ما يُهيَّأ للضيف، كما سبق ذكره.

فيكون المعنى: كانت لهم ثمر جنات الفردوس.

وقيل: «نُزُلاً»: منزلاً، والتقدير كانت لهم في علم الله نزلاً.

﴿خالدين فيها﴾ نصبٌ على الحال من الضمير المجرور بـ«لَهُم»[3].

﴿لا يبغون عنها حِوَلاً﴾ أي: لا يريدون تحوُّلاً عنها إلى غيرها. والحول: اسم

---

(١) التبيان (٢/ ١٠٩)، والدر المصون (٤/ ٤٨٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

بمعنى التَّحْويل يقوم مقام المصدر، يقال: حُوِّل عنه تَحْويلاً وحِوَلاً[(١)]. قاله ابن قتيبة والأزهري وغيرهما[(٢)]. يشير بذلك إلى اجتماع أغراضهم وحصول منتهى أملهم.

وأخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: ((الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء إلى الأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس))[(٣)].

وقال أبو أمامة: ((الفردوس سُرَّة الجنة، والعرش فوقها))[(٤)].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ((جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهبٍ حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))[(٥)].

---

(١) انظر اللسان (مادة: حول).

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٧١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٦ ح٢٢٧٤٧).

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٢ ح٣٤٠٢) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة. وقال: هذا حديث لم نكتبه إلا من هذا الإسناد ولم نجد بداً من إخراجه. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٤٦ ح٧٩٦٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٨) وعزاه للطبراني وقال: فيه جعفر بن الزبير، وهو متروك.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٠ ح٧٠٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣ ح١٨٠).

فصل

قال المبرد: الفِرْدَوْسُ فيما سمعتُ من كلام العرب: الشَّجَرُ الملتفُّ، والأغلب عليه: العِنَب(١).

وقال الفراء(٢): العرب تسمي البستان الذي فيه الكَرْم: فردوساً.

وقال الزجاج(٣): اختلف الناس في تفسير الفردوس، فقال قوم: الفردوس: الأودية التي تُنبِتُ ضُروباً من النبت. قال: وقيل: الفردوس البستان. وقال: قالوا: هو بالرومية منقولٌ إلى لفظ العربية. قال: وقيل: الفردوس أيضاً بالسريانية، ولم نجده في أشعار العرب إلا في بيت لحسان(٤):

وإنَّ ثوابَ الله كُلَّ مُخلَّدٍ ... جِنانٌ من الفردوس فيها يُخَلَّدُ(٥)

وحقيقته: البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين؛ لأنه كذا عند أهل اللغة. ولهذا قال حسان: [جنانٌ من الفردوس](٦). هذا كلام الزجاج.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٥٠).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣١٤-٣١٥).

(٤) قال أبو حيان في البحر (٦/ ١٥٩): هذا لا يصح؛ لأنه سُمِعَ في شعر أمية بن أبي الصلت:

كانتْ منازلُهم إذ ذاكَ ظاهرةً ... منها الفَراديسُ ثم الثومُ والبصلُ

(٥) البيت لحسان؛ انظر ديوانه (ص:٣٣٩)، واللسان (مادة: فردس)، والدر المصون (٤/ ٤٨٨)، والبحر (٦/ ١٥٩)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٥١)، والأشموني (٣/ ٢٨٨)، والهمع (٢/ ٩٥)، وزاد المسير (٥/ ٢٠٠)، وروح المعاني (١٦/ ٥٠).

(٦) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٣١٥).

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده، قال ابن عباس: « لما نزل قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٨٥] قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية »[١].

والبحر: اسم جنس، والمِداد: ما تُمَدُّ به الدواة من الحِبر، وأصله: الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء[٢]، ومنه: المِداد للزيت الذي يُوقد به السراج، ومنه: المدَد.

﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: «قبل أن ينفد» بالياء[٣].

قال أبو علي[٤]: التأنيث أحسن؛ لأن المسند إليه الفعل مؤنث، والتذكير حسن؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي.

﴿ولو جئنا بمثله﴾ أي: بمثل البحر ﴿مَدَداً﴾ لنفد أيضاً.

وإنما لم تنفد كلمات الله؛ لأن كلامه صفة من صفاته فلا يتطرَّق إليها نفاد.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥ ح٢٣٠٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مدد).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٦)، والكشف (٢/ ٨١-٨٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٢).

(٤) الحجة (٣/ ١١٠).

وقرأ جماعة منهم ابن عباس ومجاهد وقتادة في آخرين: «ولو جئنا بمثله مِداداً»(١)، وهما بمعنى واحد.

والقراءة المشهورة أحسن؛ لاتفاق المقاطع عند أواخر الآي.

قال أبو الفتح(٢): «مِدَاداً» منصوبٌ على التمييز، أي: بمثله من المداد، فهو كقولك: لي مثله عبداً، أي من العبيد، وعلى التمرة مثلها زُبْداً.

وأما «مَدَداً» فمنصوب على الحال، كقولك: جئتك بزيدٍ عوناً لك ويداً معك.

وإن شئت نصبته على المصدر بفعل مضمر(٣)، يدل عليه قوله: ﴿جئنا بمثله﴾، كأنه قال: [أمددناه](٤) به إمداداً، ثم وضع ﴿مَدَداً﴾ موضع [إمداد](٥)، ولهذا نظائر كثيرة.

وقال الزجاج(٦): «مدداً» نصب على التمييز، تقول: لي ملء هذا عسلاً، ومثل هذا ذهباً.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قال ابن عباس: علّم الله رسوله التواضع؛ لئلا يُزْهي

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٢).

(٢) المحتسب (٢/ ٣٥).

(٣) الدر المصون (٤/ ٤٨٧).

(٤) في الأصل: أمددنا. والمثبت من المحتسب (٢/ ٣٥).

(٥) في الأصل: المداد. والمثبت من المحتسب، الموضع السابق.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣١٦).

على خلقه، فأمره أن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أُكرم بالوحي، وهو قوله: ﴿يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾[(١)].

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قال ابن عباس: قال جُندب بن زهير العامري لرسول الله ﷺ: إني أعملُ العملَ فإذا اطُّلِعَ عليه سَرَّني، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما روئي فيه، ونزلت هذه الآية»[(٢)].

قال ابن قتيبة[(٣)]: المعنى: فمن كان يخاف لقاء ربه.

وقال الزجاج[(٤)]: يأملُ لقاء ربه.

قال غيره: والرجاء يستعمل في الخوف والأمل. قال الشاعر:

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ... ولا كل ما ترجو من الشر واقع[(٥)]

﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ خالصاً لوجه الله، ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال سعيد بن جبير: لا يرائي[(٦)].

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الوسيط (٣/ ١٧٢)، وزاد المسير (٥/ ٢٠٢).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٣٥٠) عن الكلبي ومقاتل، وزاد المسير (٥/ ٢٠٢-٢٠٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٣٠٧).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧١).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣١٦).

(٥) انظر البيت في: البغوي (٣/ ١٨٧).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٣٤١ ح٦٨٥٥)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٣٥)، والطبري (١٦/ ٤٠) عن سفيان، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٦٩) وعزاه لهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[١].

وأخرج الإمام أيضاً في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: « أنا خيرُ الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك »[٢].

وأخرج الترمذي من حديث أبي سعد بن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه، نادى مُناد: من كان يُشركُ في عملٍ عمله لله أحداً فليطلب ثوابه منه، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك »[٣].

وقال أبو العالية: قال لي أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم: لا تعمل لغير الله فيكلك الله إلى من عملت له[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨ ح٢٣٦٨٠).

وفي هامش الأصل بخط مغاير: وأسند البزار: « كان عبد الرحمن بن غنم في نفر من أصحاب النبي ﷺ فيهم معاذ فقال عبدالرحمن: يا أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي. فقال معاذ: اللهم غفراً. فقال: يا معاذ! أما سمعت النبي ﷺ يقول: من صام رياء فقد أشرك، ومن تصدق رياء فقد أشرك، ومن صلى رياء فقد أشرك؟ فقال: بلى، ولكن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فشق ذلك عليهم واشتد، فقال: ألا أفرجها عنكم؟ قالوا: بلى فرج الله عنك الهم والأذى، قال: هي مثل الآية التي في الروم: ﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ... الآية﴾ [٣٩] من عمل عملاً رياء لم يكتب لا له ولا عليه». (مسند البزار: ٧/ ١٠٦-١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩ ح٢٩٨٥)، وأحمد (٢/ ٣٠١ ح٧٩٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي في (٥/ ٣١٤ ح٣١٥٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٧ ح٣٥٣٨٤)، وأحمد في الزهد (ص:٥٦). وذكره السيوطي في الدر =

وقال عمرو بن قيس الكندي: ((سمعت معاوية رضي الله عنه على المنبر تـلا هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه ... الآية﴾ فقال: إنهـا آخـر آيـةٍ نزلـت مـن القرآن))[1].

=

(٥/ ٤٧٥) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد.

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٧٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.
قال الحافظ ابن كثير (٣/ ١١١): وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهـف كلها مكية، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.
وقال الآلوسي (١٦/ ٥٥) على أثر معاوية: وفيه كلام، والحق خلافه، والله تعالى أعلم.

سورة مريم عليها السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ثمان وتسعون آية، وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى مقاتل سجدتها فقال[1]: هي مدنية.

وقيل: هي مكية إلا آيتين وهما: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ والتي تليها.

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ
بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿كهيعص﴾ قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة الهاء والياء. وقرأ أبو عمرو بإمالة الهاء وحدها. وقرأ ابن عامر وحمزة بإمالة الياء وحدها. وقرأ نافع بين اللفظين فيهما. وقرأ ابن كثير وحفص بالتفخيم فيهما. وقَطَعَ الحروف أبو جعفر على أصله مع التفخيم فيهما، وأظهر الدال من هجاء صاد عند الذال من ﴿ذكر﴾ نافع وابن كثير وعاصم[2].

قال أبو علي وغيره[3]: علة من أمال أن هذه الحروف ليست بحروف معان،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٧)، والكشف (١/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٦).

(٣) الحجة (٣/ ١١١).

وإنما هي أسماءٌ لهذه الأصوات.

قال سيبويه: قالوا: با، تا، لأنها أسماء ما يتهجّى بـه، فلـما كانـت أسـماءً غـير حروف جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء، والدليل على أنها أسماء: أنك إذا أخبرت عنها أعربتها، وإن كنت لا تُعربها قبل ذلك.

ومن فَخَّمَ فهو الأصل، ومن أدغم الدال في الذال فلتقارب مخرجيهما، ومـن أظهر فلتغاير حيزيهما. وقد سبق الكلام على الحروف المقطّعة في أول البقرة.

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: الكاف من كريم، والهـاء مـن هـادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق[١].

وقال في رواية عطاء: كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، ويده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده[٢].

وروي عن علي: أنه اسم من أسماء الله، وأنه كان يقول: يا كهيعص اغفر لي[٣].

وقال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: هو اسم مـن أسـماء الله، أقـسم الله تعالى به[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٣ ح٣٤٠٥)، والطبري (١٦/ ٤٢-٤٤)، وابن أبي حـاتم (٧/ ٢٣٩٦). وذكره الماوردي في تفسيره (٣/ ٣٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٧٨) وعزاه لعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس وعثمان بن سعيد الدارمي في التوحيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤). وذكره الماوردي (٣/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٦). وذكره ابـن الجـوزي في وزاد المـسير (٥/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال الزجاج[(١)]: القسم بهذا والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد؛ لأن الداعي إذا عَلِمَ أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها، فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم به فكأنه قال: والكافي والهادي [والعالم والصادق][(٢)].

وقال الحسن: هو اسم للسورة[(٣)].

وقال قتادة: اسم للقرآن[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك﴾ قال الزجاج[(٥)]: «ذِكْرُ» مرتفع بالمضمر. المعنى: هذا الذي نتلو عليك ذكر رحمة ربك.

﴿عبده زكريا﴾ يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد.

قال الفراء[(٦)]: في الكلام تقديم وتأخير. المعنى: ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة.

﴿إذ نادى ربه﴾ أي: دعاه ﴿نداء خفياً﴾ خافياً، والجهر والإخفات سواء بالنسبة إلى الله تعالى، وكأن الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء، وأقعد في الإخلاص.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣١٨).

(٢) في ب: العالم الصادق. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٧٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣١٨).

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٦١).

قال ابن جريج: أخفى دعاه ليبعد من الرياء[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر.

وقال أبو سليمان الدمشقي: لئلا يعاديه بنو عمه فيظنوا أنه كره أن يلوا مكانه بعده[(٣)].

﴿قال رب إني وَهَن العظم مني﴾ قال الفراء[(٤)]: يقال: وَهَنَ بفتح الهاء وكسرها، يَهِنُ بكسر الهاء في المضارع فيهما.

وقرأ معاذ القارئ والضحاك: «وَهُنَ» بضم الهاء[(٥)]. والمعنى: ضَعُفَ العظم مني.

وخَصَّ العَظْم؛ لأنه أصل التركيب وعماد البدن، فإذا وَهَنَ كان ما وراءه أوهَن.

وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه[(٦)].

﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ استعارة بليغة في انتشار الشيب وبياضه، حيث شبَّهه بشعاع النار وانتشارها.

قال لبيد:

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٤٥) وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٤٧٩) وعزاه لابن المنذر.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٦).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

إن ترى رأسي أمسى واضحاً سلّط الشيبُ عليه فاشتَعَل [(١)]

وقال آخر:

قالتِ الخنساءُ لما جِئْتُها شَابَ بعْدي رأسُ هذا واشْتَعَل [(٢)]

و«شيباً» نصب على التمييز [(٣)].

قوله تعالى: ﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي: بدعائي إياك، والمصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، وهذا كقوله: ﴿من دعاء الخير﴾ [فصلت:٤٩]، و﴿بسؤال نعجتك﴾ [ص:٢٤].

قال ابن عباس: المعنى: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك، يقال: شقي فلان بكذا؛ إذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه، يقول: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أُخيّب [(٤)].

وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦

قوله تعالى: ﴿وإني خِفْتُ الموالي من ورائي﴾ يعني: الذين يلونه في النسب، وهم ورثته من بني عمه وعصبته.

قال ابن عباس: خاف أن يرثوه [(٥)].

---

(١) انظر البيت في: الغريب للخطابي (٢/ ١٠٣).

(٢) البيت لامرئ القيس الكندي. انظر: العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين (ص:١١٢). وهو في: اللسان (مادة: شهب).

(٣) التبيان (٢/ ١١٠)، والدر المصون (٤/ ٤٩١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٠٧).

فإن قيل: أين هذا من قوله: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورّث))[1]؟

قلت: مُحال أن يُظن بنبي الله زكرياء عليه الصلاة والسلام أنه سأل ربه عز وجل الولد حرصاً على وصول مالٍ لو كان له إليه، وبُخلاً به على غيره من عصبته وبني عمه ونفاسةً عليهم بعرَضٍ من الدنيا الفانية يَصِلُ إليهم، فإن هذا من الأخلاق المذمومة البعيدة عن أخلاق العقلاء ذوي الحنكة والتجربة، البصيرين بعيوب الدنيا الناظرين إليها بعين الفناء، فكيف بمن اصطفاه الله لنبوته واجتباه لرسالته واختصه بولايته وأكرمه بسفارته، وإنما خاف ضياع الدين والعلم لما كان يُشاهد من بني إسرائيل من قتل الأنبياء وتضييع حدود الله تعالى وانتهاك محارمه، فسأل ربه ولداً من سِنْخه[2] يرثه حكمته وعلمه، ويُحسن الخلافة من بعده في قومه.

فمعنى قول ابن عباس «خاف أن يرثوه»: أي: خاف أن يرثوه فيسيؤوا خلافته فيما يرثونه منه من القيام بأمور الدين وحقوق الموحدين.

وقرأتُ للكسائي من طريق ابن أبي سريج عنه: «وإني خَفَّتِ الموالِيْ» بفتح الخاء وتشديد الفاء وفتحها وكسر التاء لالتقاء الساكنين، وسكون الياء من «الموالي»[3]، وهي قراءة عثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم، على معنى: قلَّت الموالي من ورائي. فكأنه خاف على علمه وحكمته ألا يكون لها وارث من شجرة نسبه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣ ح٩٩٧٣).

(٢) السِّنْخ: الأصل من كل شيء (اللسان، مادة: سنخ).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٠٨).

قرأ ابن كثير: «ورائيَ» بفتح الياء على الأصل، وسكّنها الباقون؛ طلباً للخفة[١].

﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ عقيماً لا تلد، ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ ابناً صالحاً يتولاني.

﴿يرثني ويرث﴾ جزمهما أبو عمرو والكسائي على الشرط والجزاء، ورفعهما الباقون على معنى الصفة[٢]، تقديره: هب لي ولياً وارثاً يرثني.

قال ابن عباس والحسن وقتادة: يرث نبوتي وعلمي[٣].

﴿ويرث من آل يعقوب﴾ ذلك أيضاً فيكون ﴿نبياً﴾ داعياً إليك دَالاًّ عليك كآبائه الأنبياء، ﴿واجعله رب رَضِيّاً﴾ أي: مَرْضِيّاً في أفعاله وأقواله وأحواله.

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

فأجاب الله دعاءه، فذلك قوله: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيّاً﴾ أي: لم نُسَمِّ أحداً قبله يحيى.

وفي هذا تنبيه على فضله، حيث تولى الله سبحانه وتعالى تسميته بنفسه ولم

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٨)، والكشف (٢/ ٩٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٨)، والكشف (٢/ ٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن.

يَكِلها إلى أبويه، وسمّاه باسم لم يُسبق إليه.

قال صاحب الكشاف(١): وهذا شاهد على أن الأسامي الشُّنُع جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه [وأنزه](٢) عن النَّبْز، حتى قال قائل في مدح قوم:

شُنْعُ الأسَامِي مُسْبِلي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدُبِ(٣)

وقال ابن عباس في رواية عطاء في معنى قوله: ﴿لم نجعل له من قبل سَمِيّاً﴾: لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبيه(٤)، يريد والله أعلم: لم يكن له شبيه في كونه لم يعص ولم يهمّ بمعصية.

وقال في رواية الوالبي: لم تلد العواقر مثله ولداً(٥).

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾

﴿قال رب أنّى يكون لي غلام﴾ سبق تفسيره في آل عمران إلى قوله: ﴿عتيـاً﴾ وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام.

---

(١) الكشاف (٣/ ٧).

(٢) في الأصل: وأمره. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: القرطبي (١١/ ٨٣)، والبحر (٦/ ١٦٦)، وروح المعاني (١٦/ ٦٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال ابن عباس: العُتِيّ: اليُبُوسُ من الكِبَرِ[١].

قال مجاهد: هو نحول العظم[٢].

قال الزجاج[٣]: كل شيء انتهى فقد عَتَا يَعْتُو عُتِيًّا وعُتُوًّا وعُسِيًّا وعُسُوًّا.

وفي قراءة ابن عباس ومجاهد: «عُسِيّاً» بالسين[٤].

قرأ الأكثرون: «عُتِياً وجُثِياً وبُكِياً وصُلِياً» بضم أوائلها، وقرأها حمزة والكسائي بكسر أوائلها، وافقهما حفص إلا في «بُكياً»[٥].

﴿قال كذلك﴾ الكاف في موضع رفع، أي: الأمر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر.

ثم ابتدأ فقال: ﴿قال ربك هو عليّ هينٌ﴾ أي: إيجاد الولد منك وأنت شيخ فَانٍ، ومن زوجتك وهي عاقر، عليّ سهلٌ لا يتعاظمني.

﴿وقد خلقتك﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «خلقناك»[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٨٢) وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء والحاكم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٥١)، ومجاهد (ص:٣٨٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١١).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١١٥-١١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٩)، والكشف (٢/ ٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٧).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٣٩)، والكشف (٢/ ٨٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات =

﴿من قبل ولم تَكُ شيئاً﴾ فأوجدتك بقدرتي وأخرجتُك من العدم إلى الوجود.

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ مُفسَّر في آل عمران[1].

و«سَوِيّاً» منصوب على الحال[2]. والمعنى: علامتك ألا تقدر على كلامهم ثلاث ليال، وحالك أنك سويٌّ سليم من آفة الخرس.

﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قال المفسرون: خرج عليهم في صبيحة الليلة التي حملت امرأته من مُصلاه[3].

﴿فأوحى إليهم﴾ أشار إليهم برأسه ويديه.

وقيل: كتب لهم في كتاب.

وقال ابن عباس: خطّ لهم على وجه الأرض.

﴿أن سَبِّحُوا﴾ صَلُّوا، وقيل: هو على ظاهره، و«أَنْ» هي المفسرة بمعنى: أي. ويجوز أن يكون التقدير: أنه سبحوا، فخفف وأضمر الاسم ولم يُعوّض من المضمر شيئاً.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا

= (ص:٤٠٨).

(١) آية رقم: ٣٩.

(٢) التبيان (٢/ ١١١)، والدر المصون (٤/ ٤٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٢).

﴿وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يا يحيى﴾ فيه إضمارٌ تقديره: فوهبنا له يحيى، ثم قلنا له: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ يعني: التوراة، وكان هو وغيره من أنبياء بني إسرائيل متعبّدين بالأخذ بها والاعتصام بأحكامها.

وقال ابن الأنباري[١]: «خذ الكتاب» أي: اقبل كُتُبَ الله كلها إيماناً بها واستعمالاً لحكمها وأحكامها.

﴿وآتيناه الحكم﴾ وهو الحكمة والفقه في الدين. وقيل: العقل.

﴿صبياً﴾ حال من الضمير المنصوب في «آتيناه»[٢].

قال معمر: جاء الصبيان إلى يحيى بن زكرياء فقالوا له: اخرج بنا نلعب؟ فقال: ما لِلّعب خُلقنا[٣].

قال ابن عباس: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً[٤].

واختُلف في سنّه يوم أُوتي الحكم؛ فقال ابن عباس: كان ابن سبع سنين، ورواه

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) الدر المصون (٤/ ٤٩٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٥)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:٧٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٤-٤٨٥) وعزاه لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي وابن عساكر.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٣٠ ح١٩٤٩) مرفوعاً. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٥) وعزاه لابن مردويه والبيهقي شعب الإيمان.

مرفوعاً إلى النبي ﷺ[١].

وقال قتادة: ثلاث سنين[٢].

﴿وحناناً﴾ قال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه[٣].

وقال الزجاج[٤]: أي: وآتيناه حناناً.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين واللغويين: الحنان: الرحمة[٥]. وأنشد أبو عبيدة[٦] قول الحطيئة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تَحَنَّنْ عليَّ هَداكَ المليكُ ... فإنَّ لِكُلِّ مقامٍ مَقَالا[٧]

قال[٨]: وأكثر ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين.

قال طرفة:

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٨٤) وعزاه لأبي نعيم وابن مردويه والديلمي.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٨٤) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٣).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٣).

(٧) البيت للحطيئة، انظر: ديوانه (ص:٨٢)، واللسان (مادة: حنن، قول)، والدر المصون (٤/ ٤٩٥)، والبحر المحيط (٦/ ١٦٨)، والطبري (١٦/ ٥٧)، والقرطبي (١١/ ٨٨)، وزاد المسير (٥/ ٢١٣).

(٨) أي: أبي عبيدة في مجازه.

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعْضَنا حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ مِنْ بَعْض [١]

قال ابن قتيبة[٢]: ومنه يقال: تحنَّن عليّ، أصله من حنين الناقة على ولدها.

قال صاحب الكشاف[٣]: المعنى: أوحي إليه حناناً رحمة لأبويه وغيرهما، وتعطُّفاً وشفقةً، أنشد سيبويه[٤]:

[وقالت][٥] حَنانٌ ما أتى بكَ هاهنا؟ أذو نسَبٍ أمْ أنتَ بالحيِّ عَارفُ[٦]

وحنَّ: في معنى: ارتاح واشتاق، ثم استُعمل في العطف والرأفة[٧].

وقيل لله: «حنّان»، كما قيل: «رحيم»، على سبيل الاستعارة.

---

(١) البيت لطرفة، انظر: ديوانه (ص:٦٦)، واللسان (مادة: حنن)، والكتاب (١/ ٣٤٨)، والمقتضب (٣/ ٢٢٤)، وشرح المفصل (١/ ١١٨)، والهمع (١/ ١٩٠)، والدر المصون (٤/ ٤٩٥)، والبحر (٦/ ١٦٨)، والطبري (١٦/ ٥٦)، والقرطبي (٤/ ٩٦، ١١/ ٨٧)، وروح المعاني (١٦/ ٧٢)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٦٠)، وزاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٣).

(٣) الكشاف (٣/ ١٠).

(٤) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٠).

(٥) في ب: وقال. والتصويب من الكشاف (٣/ ١٠)، ومصادر البيت.

(٦) البيت للمنذر بن درهم الكلبي. انظر: الكتاب (١/ ٣٢٠)، والمقتضب (٣/ ٢٢٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٨)، والصاحبي (ص:٤٢٨)، والهمع (١/ ١٨٩)، والتصريح (١/ ١٧٧)، واللسان (مادة: حنن)، والقرطبي (١١/ ٨٧، ٨٨)، وروح المعاني (١٦/ ٧٢)، والدر المصون (٤/ ٤٩٥).

والشاهد في البيت: رفع «حنان» بتقدير مبتدأ، أي: أمرنا حنان، وهو نائب عن المصدر الواقع بدلاً من الفعل.

(٧) انظر: اللسان (مادة: حنن).

﴿وزكاة﴾ أي: وآتيناه زكاة. قال ابن عباس: يعني بالزكاة: الطاعة والإخلاص[1].

وقال ابن السائب: «وزكاة»: صدقة على أبويه[2].

وقال الزجاج[3]: تطهيراً من لدنا، على معنى: وجعلناه تطهيراً للعباد بواسطة رسالته إليهم وحكمته.

وقال ابن الأنباري[4]: الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادة في الخير على ما وُصف وذُكر.

﴿وكان تقياً﴾ قال ابن عباس: جعلته يتّقيني ولا يعدل بي غيري[5].

﴿وبراً بوالديه﴾ أي: وجعلناه باراً لطيفاً بأبويه محسناً إليهما، ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي: عاصياً. وقد سبق معنى الجبار في هود[6].

﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن: يوم وُلد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره، فخصّ الله يحيى بالكرامة والسلام في هذه المواطن الثلاثة[7].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨).

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦١) من قول ابن قتيبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٢).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٤).

(٦) آية رقم: ٥٩.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٥).

قال الحسن البصري: التقَى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنتَ خيرٌ مني، فقال عيسى ليحيى: بل أنتَ خيرٌ مني، سَلَّم الله عليكَ، وأنا سَلَّمت على نفسي (١).

فصل: يتضمن نبذة من حال يحيى عليه السلام

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: دخل يحيى بن زكرياء عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج، فنظر إلى عُبَّاد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر وبرانس الصوف، ونظر إلى مُتَهَجِّدِيهم -أو قال: مجتهديهم- قد خرقوا التراقي، وسلكوا فيها السلاسل وشَدُّوها إلى جدار بيت المقدس، فَهَالَهُ ذلك، ورجع إلى أبويه فمرَّ بصبيان يلعبون فقالوا: يا يحيى هَلُمَّ نلعب! فقال: إني لم أخلق لِلَّعب، فذلك قول الله: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾، فأتى أبويه فسألهما أن يُدرِّعاه الشَّعْر، ففعلا، ثم رجع إلى بيت المقدس فكان يخدم نهاره ويأوي فيه ليلاً، حتى أتت له خمس عشرة حجة، فوافاه الخوف فخرج سائحاً، وأَمَّ أطراف الجبال وغيران الشعاب، وخرج أبواه في طلبه، فوجداه على بُحَيْرة الأردن وقد قعد على شفير البُحَيْرة وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك لا أذوق بَرِدَ الشراب حتى أعلم أين مكاني منك؟ فسأله أبواه أن يأكل قرصاً كان معهما من شعير ويشرب من الماء، فقَبِلَ وكفَّرَ عن يمينه، فمُدح بالبِرّ، قال الله: ﴿وبراً بوالديه ولم يكن جباراً

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٥٩)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:٧٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٥).

قال القرطبي (١١/ ٨٩): انتزع بعض العلماء من هذه الآية في التسليم فضل عيسى بأن قال: إدلاله في التسليم على نفسه ومكانته من الله تعالى التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل أعظم في المنزلة من أن يسلم عليه. قال ابن عطية: ولكل وجه.

عصياً﴾ وردّه أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام في الصلاة بكى، ويبكي زكرياء لبُكائه حتى يغشى عليه، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعه لحم خَدَّيْه وبدت أضراسه، فقالت له أمه: يا يحيى لو أذنت لي لاتخذت لك لبداً يواري أضراسك عن الناظرين؟ قال: أنت وذاك، فعمدت إلى قطعتي لبودٍ فألصقتهما على خَدَّيْه، فكان إذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين، فتقوم أمه فتعصرهما، فكان إذا نظر إلى دموعه تجري على ذراعي أمه قال: اللهم هذه أمي وهذه دموعي وأنا عبدك وأنت الرحمن[1].

ويروى: أن زكرياء عليه السلام لما طلب يحيى في الجبال أتعبه ذلك وكَدَّه، فقال: اللهم إني سألتك ولداً يخلفني في قومي ويرفّهني، وقد رزقتني ولداً يُتعبني، فأوحى الله إليه: يا زكرياء، أنسيت دعاءك لي وقولك: ﴿واجعله رب رضياً﴾.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ أي: قصّ حديثها ﴿إذ انتبذت﴾ قال

(١) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص:٣٠١-٣٠٢).

الزمخشري[١]: الظرف بدل من «مريم» بدل الاشتمال؛ لأن الأحيان مشتملة على ما فيها. وفيه: أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا، لوقوع هذه القصة العجيبة.

والانتباذ: الاعتزال والانفراد، من النبْذَة، بضم النون وفتحها، وهي الناحية، أي: تنحَّت واعتزلت[٢].

﴿من أهلها مكاناً شرقياً﴾ مما يلي الشرق من جانب دارها، أو من جانب المسجد تخلّت فيه لعبادة ربها عز وجل.

قال الحسن: لذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة[٣].

وقال عطاء: انتبذت لتفلي رأسها[٤].

وقال عكرمة: أرادت أن تغتسل من الحيض، فتحوّلت إلى مشرقة دارهم، فعرض لها جبريل وهي تغتسل في صورة شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سويّ الخلق، فذلك قوله: ﴿إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾[٥].

﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ يعني: ستراً وحاجزاً، ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ آدمياً سوياً لم تَفُتْهُ شيء من صورة ابن آدم؛ لطفاً من الله بها، إذ لو جاءها في الصورة الملكيّة لَنَفَرَتْ منه ولم تفهم ما جاء به.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: نبذ).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٢) كلاهما عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٣/ ٣٦١)، والسيوطي نحوه في الدر (٥/ ٤٩٤) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

وقيل: أتاها بعدما لبست ثيابها.

وقيل: المراد بالرُّوح: الرُّوح القائمة بعيسى عليه السلام.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: الروح الذي خاطبها هو الذي دخل من فيها[١]، والإضافة للتشريف.

قال ابن عباس: لما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد فقالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي: مطيعاً لله[٢].

والمعنى: إن كنت تقياً فستنتهي بتعوّذي منك بالله.

قال علي عليه السلام: علمت أن التقي ذو نهية[٣].

وفي قراءة علي وابن مسعود: «إلا أن تكون تقياً»[٤].

قال ابن الأنباري والماوردي[٥]: إن تقياً رجل كان معروفاً فيهم بالفجور، فظنته هو.

والأول هو التفسير الصحيح.

﴿قال إنما أنا رسول ربك ليَهَبَ لك﴾ قرأ أبو عمرو وورش: «لِيَهَبَ» بالياء،

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٩٩) وعزاه لابن أبي حاتم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٦٧، ٤/ ١٧٥٩) من قول أبي وائل، وأخرجه الطبري (١٦/ ٦١) عن ابن زيد، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٣) عن أبي وائل. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي وائل.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٧).

(٥) تفسير الماوردي (٣/ ٣٦٣)، وزاد المسير (٥/ ٢١٧).

وقرأ الباقون: «لأهب»[(١)]، على معنى: لأكون سبباً في هبة الغلام لك؛ بالنفخ في الدرع، أو هو على وجه الحكاية عن الله عز وجل.

﴿غلاماً زكياً﴾ طاهراً من الذنوب.

قال ابن عباس: يولد نبياً[(٢)].

﴿قالت أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ أي: لم يقربني زوج، ﴿ولم أكُ بغياً﴾ فاجرة زانية أبتغي الرجال.

قال ابن الأنباري وغيره[(٣)]: إنما لم يقل بَغِيَّة؛ لأنه وصفٌ يغلب على النساء، فقلّما تقول العرب: رجل بَغِيٌّ، فيجري مجرى عاقر، وهو عند المبرد فَعُولٌ بَغُويٌّ، فأدغمت الواو في الياء.

وقال أبو الفتح ابن جني[(٤)]: هي فعيل، ولو كانت فَعُولاً لقيل: بَغُوٌّ، كما قيل: فلان نَهُوٌّ عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ تعليل حُذف مُعلله، أي: ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليلٍ مضمر، تقديره: لنبين به قدرتنا، ولنجعله آية للناس، ونحوه: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ [الجاثية:٢٢]، وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٠)، والكشف (٢/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢١٧).

(٤) لم أقف عليه في المحتسب.

ولنعلمه﴾ [يوسف:٢١].

والمعنى: ولنجعله علامة للناس على قدرتنا على إيجاد ولد من غير أب.

﴿ورحمة منا﴾ لمن تبعه وصدقه، ﴿وكان أمراً مقضياً﴾ أي: وكان وجوده على هذا الوصف أمراً محكوماً به مفروغاً منه في سابق علمي.

۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿فحملته﴾ أي: فحملت عيسى.

قال ابن عباس: دنا جبريل منها فأخذ رُدْنَ[1] قميصها بأصبعه فنفخ فيه، فحملت من ساعتها بعيسى، ووجدت حسّ الحمل[2].

واختلفوا في مدة حملها؛ فقال ابن عباس: حين حملت وضعت[3]، يعني: لم تطل مدة حملها بل كانت ساعة واحدة.

وقال الحسن: حملت تسع ساعات ووضعت من يومها[4].

وقال مقاتل[5]: حملت ثلاث ساعات.

وهذا المعنى هو المشهور في التفسير.

---

(١) الرُّدْنُ: مقدّم كمّ القميص. وقيل: هو أسفله (اللسان، مادة: ردن).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٩٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٩)، والسيوطي في الدر (٥/ ٤٩٧) وعزاه لابن عساكر.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٠).

وروي عن سعيد بن جبير: أنها حملت تسعة أشهر. وقيل: ثمانية. وقيل: ستة أشهر[١].

واختلف في سِنّها يوم حملته؛ فقيل: ثلاث عشرة سنة.

وقيل: عشر سنين.

وقيل: خمس عشرة سنة.

﴿فانتبذت به﴾ أي: بالحمل ﴿مكاناً قصياً﴾ قاصياً بعيداً من أهلها؛ لما دهمها وخامر قلبها من هذه الآية الخارقة والحالة العجيبة.

قال ابن عباس: هو أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم[٢].

﴿فأجاءها المَخَاضُ﴾ قال أبو عبيدة[٣]: أفعَلَها، مِنْ جاءت هي وأجاءها غيرها.

وقال ابن قتيبة[٤]: المعنى: جاء بها وألجأها وهو من [حيث][٥] يقال: جاءت بي الحاجة إليك.

والمَخَاضُ: وَجَعُ الولادة، وقرئ بكسر الميم[٦]. يقال: مَخِضَتِ المرأةُ تَمْخَضُ مَخَاضاً ومِخَاضاً، وهو تمخُّض الولد في بطنها[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢١٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣-٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٣).

(٥) في ب: جئت. والتصويب من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٢١٩).

(٧) انظر: اللسان (مادة: مخض).

﴿إلى جذْع النخلة﴾ الجِذْع: ساق النخلة، كأنها عليها السلام قصدت الاسترواح من ألم الولادة بالاتكاء إليه والاعتماد عليه، والتعريف إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة؛ كتعريف النجم وابن الصَّعق، كأنَّ تلك الصحراء كان فيها جذع نخلةٍ متعارفٍ عند الناس، فإذا قيل: «جذع النخلة» فُهِمَ منه ذاك، وإما أن يكون تعريف الجنس.

قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة، وإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها رأس ولا سعف(١).

﴿قالت﴾ -من فرط الحياء وخوف الفضيحة قومها-: ﴿يا ليتني متُّ قبل هذا﴾ أي: قبل هذا اليوم أو هذا الأمر(٢)، ﴿وكنت نِسياً منسياً﴾ وقرأ حمزة وحفص: «نَسْياً» بفتح النون(٣)، وهما لغتان؛ مثل: الوِتر والوَتر، والحِج والحَج، والرِّطل والرَّطل.

قال أبو علي(٤): الكسر أعلى اللغتين.

قال الكسائي: المعنى: ليتني كنت ما إذا ذُكر لم يُطلب(٥).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٠).

(٢) قال ابن كثير (٣/ ١١٧-١١٨): فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤١)، والكشف (٢/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٨).

(٤) الحجة (٣/ ١١٨).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢١).

قال ابن عباس: المعنى: ليتني لم أك شيئاً[١].

وقال عكرمة ومجاهد: حيضة ملقاة[٢].

وقال الفراء[٣]: النّسْي: ما تلقيه المرأة من خِرَق اعتلالها.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

قال ابن عباس: فسمع جبريل كلامها وعرف جزعها[٤]، ﴿فناداها مِنْ تَحْتِها﴾.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر: «مَنْ تَحْتَها» بفتح الميم وفتح التاء الثانية[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٠١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٦٤-١٦٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤١)، والكشف (٢/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٨).

وكان أسفل تحت الأكمة.

وقيل: كان منها بمنزلة القابلة.

وقال قتادة: الضمير في «تحتها» للنخلة[1]، والمنادي هو: عيسى بن مريم ﷺ.

وقد قيل: إنه ناداها من بطنها.

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: المنادي: جبريل عليه السلام[2].

قال المفسرون: صاح بها: لا تحزني.

﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: السَّرِيّ: النهر الصغير[3].

وقال الحسن: هو عيسى عليه السلام[4].

والسَّرِيّ: هو الشريف الرفيع[5].

فإن قيل: ما وجه تسليتها بالنهر والرُّطب وهي لم تحزن لفقدهما، وإنما حزنت

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٧-٦٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الضحاك وعمرو بن ميمون وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر: اللسان (مادة: سرا).

لما خامرها من خوف الفضيحة بسبب ولادتها وليست بذات بَعْل؟

قلت: لم تقع التسلية بالسّري والرُّطب من حيث إنهما طعام وشراب، لكن من حيث إنهما آيتان عظيمتان شاهدتان لها بالعصمة والبراءة مما عساه يُتخيّل في حقها؛ من مقارفة الريبة. فإن من أجرى الله لها نهراً يبساً وأثمر لها جذعاً نخراً لا يبعد في حقها الولد من غير فحل.

قوله تعالى: ﴿وهزّي إليك بجذع النخلة﴾ الباء في «بجذع» زائدة مؤكدة[1].

قال الفراء[2]: العرب تقول: هزَّه وهزّ به، ومنه: ﴿فليَمْدُد بسبب﴾ [الحج:١٥]، معناه: فليمدد سبباً.

﴿تَسَّاقَط﴾ قرأ حفص بضم التاء وكسر القاف مخففاً، وفتحها الباقون، وكلهم شدّد السين إلا حمزة وحفصاً[3].

وقرأتُ لجماعة؛ منهم: يعقوب، والمفضل، والعليمي، ونصير: بالياء وفتحها وتشديد السين وفتح القاف[4]. فمن شَدَّدَ فالأصل تتساقط أو يتساقط، على القراءة الشاذة، فأدغم التاء في السين. ومن خَفَّفَ طرح التاء التي أدغمها غيره.

و﴿رُطباً﴾ مفعول؛ على قراءة حفص، وتمييز؛ على قراءة غيره[5].

---

(١) الدر المصون (٤/ ٤٩٩).

(٢) معاني الفراء (٢/ ١٦٥).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٢-٤٤٣)، والكشف (٢/ ٨٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٩).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٨-٢٩٩)، والنشر (٢/ ٣١٨).

(٥) التبيان (٢/ ١١٣)، والدر المصون (٤/ ٥٠١).

وقيل: مفعول «هُزِّي»، وليس بالقوي[(١)].
والتقدير على القراءة الشاذة: يساقط عليك الجذع رطباً.
﴿جنياً﴾ وقرأ طلحة بن سليمان: «جِنِيّاً» بكسر الجيم للاتباع[(٢)].
والجَنِيُّ: المجْنِي، من جَنَيْتُ الثَّمَرَة واجتَنَيْتُها[(٣)].
وفي قوله: ﴿فكُلِي واشرَبِي وقرِّي عيناً﴾ تنبيه على أن الله تعالى أجرى لها النهر وأخرج لها الرطب لفائدتين:
إحداهما: الأكل والشرب.
والثانية: التسلية عمّا لابَسَها من الحزن، كأنه قيل لها: تمتّعي بالأكل والشرب وقرّي عيناً، أي: طِيبي نفساً، ودعي ما أهمّك فلست ممن يُزَنُّ بريبة، إذ المنازع في ذلك مع وضوح آياتك وظهور معجزاتك كالمنازع للشمس في الشعاع والفلك في الارتفاع.
وقيل: المعنى: وقَرِّي عيناً بولادة عيسى.
قال الزجاج[(٤)]: يقال: قَرِرْتُ به عَيْناً أَقَرُّ، بفتح القاف في المستقبل، وقَرَرْتُ في المكان أَقِرُّ بكسر القاف.
و«عيناً» منصوب على التمييز[(٥)].

---

(١) التبيان (٢/ ١١٣)، والدر المصون (٤/ ٥٠١).
(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧٥).
(٣) انظر: اللسان (مادة: جني).
(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٦).
(٥) التبيان (٢/ ١١٣)، والدر المصون (٤/ ٥٠٢).

وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: المعنى: لتبرد دمعتك؛ لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة، واشتقاقه من القَرُور، وهو الماء البارد[١].

﴿فإما ترينَّ من البشر أحداً﴾ قال الواحدي[٢]: أصله: فإن ما ترى، ثم دخله نون التوكيد فكُسرت الياء لالتقاء الساكنين، كما تقول للمرأة: اخْشينَّ.

والمعنى: فإما ترين من البشر أحداً فسألك عن أمر ولدك ﴿فقولي إني نـذرت للرحمن صوماً﴾ أي: صَمْتاً. وهكذا هي في قراءة أبي بن كعب: «إني نذرت للرحمن صَمْتاً»[٣].

وقال قتادة: صوماً عن الطعام والشراب والكلام[٤].

قال السدي: أذن لها أن تتكلم بهذا العذر[٥] ثم تسكت[٦].

قال ابن مسعود وغيره: أمرها الله بالصمت اكتفاء بمجادلة ابنها عيسى عنها[٧]. فإن المجادِلَ في ذلك بعد إجراء السري وإخراج الرطب الجني وكلام الصبي سفيه أو معاند، فالسكوت عن مثلهما واجب، كما قيل:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨١).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٤). وذكره الماوردي (٣/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

(٥) في زاد المسير: القدر.

(٦) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

(٧) ذكره الطبري (١٦/ ٧٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٥).

عِلْمِـــي بأَنَّـــكَ نـــاقِصٌ   هـــو جُنَّـــةٌ لــك مِـــنْ عِقَـــابي
وجـــوابُ مثلـــكَ أنْ يُعامَـــلَ   بالـــسُّكوتِ عـــن الجـــواب

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ
هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ قال ابن عباس: أَتَتْهُم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نِفاسها[١]، وقيل: يوم ولدته.

قال ابن السائب: كلّمها عيسى في الطريق فقال: يا أماه أبشري! فإني عبدالله ومسيحه[٢]، فلما دخلت به على قومها بكوا -وكانوا قوماً صالحين- وقالوا: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي: عظيماً[٣].

وقال اليزيدي: «فرياً»: مصنوعاً، ومنه: فَرَيْتُ الكذب وافتريته[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٠٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن عساكر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٦).

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٦).

﴿يا أخت هارون﴾ لم تكن مريم عليها السلام أخت هارون أخي موسى، فإن بين مريم وموسى زماناً طويلاً، وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى.

واختلفوا في المراد بهارون؛ فقال ابن عباس في رواية الضحاك والسدي: هو هارون أخو موسى، نسبوها إليه؛ لأنها كانت من نسله[١].

وهذا المعنى مروي عن النبي ﷺ، وهذا كما تقول للتميمي: يا أخا تميم، تريد: يا واحداً منهم.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هارون أخ كان لمريم من أمها[٢].

وقال الضحاك: من أبيها وأمها، وكان من أمثل بني إسرائيل[٣].

وروي عن ابن عباس وقتادة: أنه رجل صالح من بني إسرائيل كان ينتسب إليه من عُرف بالصلاح[٤].

وهذا المعنى مرويٌّ عن النبي ﷺ. قال المغيرة بن شعبة: « بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرؤون: ﴿يا أخت هارون﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى، فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم »[٥]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٧) كلاهما عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٧).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٧). وذكره الماوردي (٣/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٥ ح٢١٣٥).

قال بعض العلماء: العرب تسمي شبه الشيء أخاه وأخته. قال الله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ [الزخرف:٤٨].

فكأنه قيل: يا شبيه هارون في الصلاح والعبادة والعفة: ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سَوْء﴾ يعنون: زانياً ﴿وما كانت أُمُّكِ﴾ حَنَّة ﴿بغياً﴾. ولم أر أحداً من أرباب المعاني تعرّض لمقصودهم بذكر الأبوين ونفي الزنا عنهما. ويلوح لي فيه معنيان:

أحدهما: أن يكون مقصودهم من ذلك التعجب من تلبّسها بالفجور على ظنّهم، مع طهارة أعراقها وطيب منبتها، ألا تراهم يقولون: ﴿يا أخت هارون﴾ أي: يا بنت النبي، أو يا أخت الرجل الصالح، ﴿ما كان أبوك﴾ ممن يُتَّهم بفاحشة، ولا أُمّك ممن يُزَنُّ(١) بريبة، بل أنت من سلالة الرسالة وسِنْخ النبوة، ومعدن العلم والحكمة، فمن أين تطرّق إليك ما ظهر عليك؟

وفي هذا تنبيه على أثرة المرأة ذات الأصل الطاهر والمنبت الطيب، واجتناب ذوات المنابت الخبيثة، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك في قوله: «إياكم وخضراء الدِّمَن»، ثم فسَّرها فقال: «المرأةُ الحسناء في مَنْبَت السُّوء»(٢).

حذَّر ﷺ منها منفِّراً عنها بما ذكر من خبث أصلها، مشبهاً لها في حسن منظرها

---

(١) زَنَّهُ زَنّاً وأَزَنَّه: ظَنَّهُ به أو اتَّهَمَه (اللسان، مادة: زنن).

(٢) ذكره القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٩٦ ح٩٥٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٤٥) وعزاه للرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب والخطيب في إيضاح الملتبس، عن أبي سعيد الخدري.

ونضارتها بالنابتة الخضراء في دمنة البعر. وإلى هذا المعنى أشار ﷺ[١]: «تخيروا لنطفكم»[٢].

الثاني: زيادة توبيخها والمبالغة في لومها باجتراحها السيئة التي لم تُلْفَ عليها أماً ولا أباً، فإن من فَعَل فِعْل أصله لم يُلَمْ، ومن أشبه أباه فما ظلم.

قوله تعالى: ﴿فأشارتْ إليه﴾ أي: أومَأَتْ إلى عيسى وهو يرضع أن كَلِّمُوه، فغضبوا وقالوا: لسخريتها منا أشدّ علينا من زناها.

﴿قالوا كيف نُكلِّمُ من كان في المهد صبياً﴾ قال أبو عبيدة[٣]: «كان» هاهنا حشو زائد. والمعنى: كيف نكلم صبياً في المهد؟.

وقال الزجاج[٤] وابن الأنباري: الأجود أن تكون «مَنْ» في معنى الشرط والجزاء. المعنى: من يكن في المهد صبياً فكيف نكلّمه. وهذا كما تقول: كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء.

وقال قطرب[٥]: «كان» بمعنى: صار.

وقيل: «كان» بمعنى: وقع وحدث.

قال ابن السائب: فلما سمع عيسى عليه السلام كلامهم لم يزد على أن ترك

---

(١) إلى هنا ينتهي السقط من النسخة أ، والذي اعتمدنا فيه نسخة ب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٣٣ ح١٩٦٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٨).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٢٨).

الرضاع وأقبل عليهم بوجهه فقال: ﴿إني عبد الله﴾[(١)]. أنطقه الله سبحانه وتعالى أولاً بالعبودية على نفسه وبالربوبية لربه، رداً لقول النصارى فيه.

﴿آتاني الكتاب﴾ قال ابن عباس: آتاه الكتاب وهو في بطن أمه[(٢)].

وقال عكرمة: المعنى: قضى أن يؤتيني الكتاب[(٣)].

قال صاحب الكشاف[(٤)]: جعل الآتي لا محالة، كأنه قال: وجد.

وقيل: أخبر كما كُتب له في اللوح المحفوظ، كما سُئل النبي ﷺ: «متى كُنتَ نبياً؟ قال[(٥)]: وآدم بين الروح والجسد»[(٦)].

﴿وجعلني نبياً﴾ محمول على قول: ﴿آتاني الكتاب﴾، والقول فيه كالقول في ذلك.

﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ قال رسول الله ﷺ: «وجعلني نفّاعاً حيثما توجهت»[(٧)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) الكشاف (٣/ ١٧).

(٥) في ب: فقال.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٨٥ ح٣٦٠٩).

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٩) وعزاه للإسماعيلي في معجمه وأبي نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق وابن مردويه وابن النجار في تاريخه. وقد أخرجه الطبري موقوفاً على مجاهد (١٦/ ٨٠)، وتابعه في ذلك ابن كثير.

﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ يريد: زكاة المال[١]. وقيل: الطهارة من الذنوب[٢].

وقال الماوردي[٣]: الاستكثار من الطاعة.

﴿وبراً بوالدتي﴾ قال ابن عباس: لما قال هذا ولم يقل: بوالديّ، علموا أنه [ولد][٤] من غير بشر[٥].

﴿ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ قال قتادة: ذُكر لنا أن امرأة رأت عيسى بن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات أُذن له فيهن، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أُرضعت به، فقال ابن مريم: طوبى لمن تلا كتاب الله، واتبع ما فيه، ولم يكن جباراً شقياً[٦].

قوله تعالى: ﴿والسلام عليّ﴾ أدْخَلَ لام التعريف هاهنا ليُعرّفه بالذّكر قبله، كما قال تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول﴾ [المزمل:١٥-١٦] كأنه قيل: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ

---

(١) انظر: الطبري (١٦/ ٨١).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٣٧١).

(٤) زيادة من زاد المسير (٥/ ٢٣٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٠).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٢).

﴿ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم قَوْلُ الحق الذي فيه يمترون﴾ «ذلك» مبتدأ و«عيسى بن مريم» خبر، «قول الحق» خبر ثان[1]، كما تقول: هذا حلوٌ حامضٌ. ويجوز أن يكون قوله: «قول الحق» خبر مبتدأ محذوف[2].

وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: «قولَ» بالنصب[3] على المدح، إن قلنا أن المراد بقول الحق: كلمة الله، أو على أنه مصدر إن قلنا أن المراد بالحق: الصدق، على معنى: أقول قول الحق هو ابن مريم، وليس بإلاهٍ كما تدعونه.

قال الزجاج[4]: المعنى: ذلك الذي قال إني عبد الله هو عيسى بن مريم، لا ما تقول النصارى: من أنه ابن الله وأنه إله، جلّ الله وعز وتبارك وتعالى.

قوله تعالى: ﴿الذي فيه يمترون﴾ «الذي» نعت لعيسى، و«يمترون» يشكّون فيختلفون، فقائل يقول: هو الله، وثالث ثلاثة، وقائل يقول: هو ساحر كذاب، فهو على هذا من المِرْية أو من التَّماري، وهو التلاحي.

قوله تعالى: ﴿ما كان لله﴾ أي: ما ينبغي له ولا يصح ﴿أن يتخذ من ولد﴾؛ لأن

(١) التبيان (٢/ ١١٤)، والدر المصون (٤/ ٥٠٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٣)، والكشف (٢/ ٨٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٠٩).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٩).

الولد جزء من الوالد ومجانس له، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك.

قال الزجاج[(١)]: «مِنْ» في قوله: ﴿من ولد﴾ مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة؛ لأن للقائل أن يقول: ما [اتَّخَذْتُ][(٢)] فرساً، يريد: [اتخذت][(٣)] أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذْتُ فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرساً واحداً. فإذا قال: ما اتخذت مِنْ فرس، فقد دلّ على نفْي الواحد والجميع.

ثم نَزَّه نفسه فقال: ﴿سبحانه﴾.

ثم أخبرهم بعظيم قدرته فقال: ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ وقد سبق تفسيره.

وفيه تقريبٌ لما استبعدوه من وجود ولدٍ من غير أب.

قوله تعالى: ﴿وأنَّ الله ربي وربكم﴾ قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «وإنَّ الله» بكسر الهمزة[(٤)]، على الاستئناف، أو عطفاً على قول عيسى: ﴿إني عبدالله﴾، وقرأ الباقون بفتح الهمزة[(٥)] حملاً على قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أي: أوصاني بالصلاة وبأن الله ربي وربكم.

أو يكون المعنى: ولأن الله ربي وربكم ﴿فاعبدوه﴾؛ كقوله: ﴿وأن المساجد لله

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) في الأصل: اتخذ. والمثبت من ب. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٢٩).

(٣) في الأصل: اتخاذ. والمثبت من ب. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٣٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٢-١٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٤)، والكشف (٢/ ٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٠).

(٥) انظر: المصادر السابقة.

فلا تدعو مع الله أحداً﴾ [الجن:١٨].

قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ قيل: «مِنْ» زائدة.

وقال ابن الأنباري[١]: لما تمسّك المؤمنون بالحق، كان اختلاف الأحزاب من بين المؤمنين مقصوراً عليهم.

والأحزاب: اليهود والنصارى، اختلفوا في عيسى الاختلاف المعروف.

﴿فويل للذين كفروا﴾ بقولهم في المسيح غلواً وتقصيراً. وقد سبق معنى الويل في البقرة[٢].

﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي: من شهودهم هول الحساب والجزاء يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه: الخبر والتعجب، تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم.

﴿يوم يأتوننا﴾ بعدما كانوا في الدنيا صُمّاً عُمْياً[٣] عن الحق.

قال الحسن البصري: لأن كانوا في الدنيا صُمّاً عُمْياً عن الحق، فما أسمعهم

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٣٢).

(٢) عند آية: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ [البقرة:٧٩].

(٣) في ب: وعمياً.

وأبصرهم يوم القيامة[١]. وهذا قول جمهور العلماء.

وقال أبو العالية: المعنى: أسمع بحديثهم اليوم [وأبصر][٢] كيف نصنع بهم يوم يأتوننا[٣].

﴿لكن الظالمون اليوم﴾ وهم المشركون الذين [أعرضوا][٤] عن الحق فلم يستمعوه ولم ينظروا إليه ببصائرهم اليوم في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾.

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ أي: خَوِّف الكفار يوم الحسرة، وهو يوم القيامة، يتحسر المسيء [إذ][٥] لم يُحسن، والمقصّر [إذ][٦] لم يزدد من الخير.

﴿إذ قضي الأمر﴾ فُرِغَ منه، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

وقال ابن جريج والسدي: «قضي الأمر»: ذَبْحُ الموت[٧].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أمْلَح، فينادي منادياً أهل الجنة، فيشرئبّون وينظرون،

---

(١) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٤).

(٢) في الأصل: أبصر. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٧). وذكره الماوردي (٣/ ٣٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٣).

(٤) في الأصل: أعضوا. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: إذا. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ٢٣٣).

(٦) في الأصل: إذا. والتصويب من ب.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٨٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٥).

فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، ثم ينادي منادياً أهل النار، فيشرئبّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذْبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت. ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ »[1]. وأخرجه مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش.

والأمْلَح: الذي في صوفه بياض وسواد، والبياض أكثر.

وقوله: «فيشرئبّون» أي: يرفعون رؤوسهم، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: « ارتدت العرب واشرأبّ النفاق »[2]، أي: ارتفع وعلا.

قوله تعالى: ﴿وهم في غفلة﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عما يُصنع بهم يوم القيامة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ بما بعد الموت.

وقد ذكرنا فيما مضى [معنى][3] تسمية ما يرجع إلى الله بعد فناء خلقه ميراثاً.

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٠ ح٤٤٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ح٢٨٤٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٠٠)، والطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٨ ح٤٩١٣).

(٣) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اذكر لقومك قصته ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ كثير الصدق والتصديق بالأنبياء وبما جاؤوا به من عند الله، وكان مع ذلك في نفسه نبياً.

﴿إذ قال لأبيه﴾ بدل من «إبراهيم»(١)، وما بينهما جملة اعتراضية.

ويجوز أن تكون «إذ» متعلقاً بـ«كان صديقاً نبياً»، أي: كان جامعاً بين هذين الوصفين حين جادل أباه(٢).

﴿يا أبتِ﴾ التاء عوض من ياء الإضافة، ولا يقال: يا أبتي؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه.

وفي قوله: «يا أبت» من الرفق واللطف والأدب الحسن والاستعطاف ما ليس بخَاف.

﴿لم تَعبُدُ﴾ تذلّ وتخضع لـ ﴿ما لا يسمع﴾ إن تضرعت إليه ﴿ولا يبصر﴾ إن تذللت بين يديه ﴿ولا يغني عنك شيئاً﴾ إذا اعتمدت عليه.

ولما وَبَّخَه بما هو عليه من الضلال الفاضح، دعاه إلى الحق الواضح فقال: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يَأْتِكَ﴾، وهذا أيضاً من أدبه الجميل، فإنه لم يَجْبَهْ(٣) أباه بما يأباه من وَصْم الوسم بالجهل.

﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أي: لا تُطِعْه. ثم أغراه به فقال: ﴿إن الشيطان كان

---

(١) انظر: الدر المصون (٤/ ٥٠٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) جَبَهَ الرجل يَجْبَهُه جَبْهاً: رَدَّه عن حاجته واستقبَله بما يكره، وجَبَهْتُ فلاناً: إذا استقبلته بكلام فيه غِلْظَة (اللسان، مادة: جبه).

للرحمن﴾ الذي خلقك ورزقك ﴿عَصِيّاً﴾ المعنى: كيف تتخذه ولياً.

ثم إنه كشف قناع مُدَاجَاته(١) طمعاً في نجاته فقال: ﴿يا أبت إني أخاف﴾ أحذر عليك إن أطعت الشيطان ﴿أن يمسَّكَ عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾ أي: قريناً في النار.

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

قال صاحب الكشاف(٢): لما أطلعه الله على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، وناداه باسمه، ولم يُقابل «يا أبت» بـ«يا بني». وقَدَّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾ لأنه كان أهمّ عنده [وهو عنده أعنى](٣)، وفيه ضرب من التعجّب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يَرغب عنها أحد. وفي هذا سلوان وثلجٌ لصدر الرسول ﷺ عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه.

---

(١) المُداجاة: المُدَارَاة (اللسان، مادة: دجا).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٢).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

وقال غيره: «أراغب» مبتدأ، و«أنت» مرفوع به؛ لأنه قد اعتمد على الهمزة[(١)].

وقيل: تمام الكلام قوله: «عن آلهتي»، وقيل: ﴿يا إبراهيم﴾.

﴿لئن لم تنته﴾ عن شَتْم آلهتي وعيبها ﴿لأرجمنَّك﴾ لأرمينّك بالقول القبيح.

وقيل: لأرجمنك بالحجارة.

والأول قول ابن عباس ومجاهد[(٢)]، والثاني قول الحسن[(٣)].

﴿واهجرني ملياً﴾ معطوف على محذوف، تقديره: فاحذرني واهجرني ملياً، أي: زماناً طويلاً، من الملاوة، وهذا قول الأكثرين[(٤)].

وقيل: هو من قولهم: فلان مليّ بكذا؛ إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به. فالمعنى: اذهب عني وحالك أنك ملي مطيق لذلك من قبل أن أثخنك بالعقوبة، فلا تقدر على الذهاب. وهذا المعنى يروى[(٥)] عن ابن عباس وقتادة وابن جرير[(٦)].

فلما قال له ذلك سَلَّمَ عليه إبراهيم استمالةً له فذلك قوله: ﴿قال سلام عليك﴾.

وقيل: هو تسليم متاركة وتوديع، كقوله: ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾

---

(١) التبيان (٢/ ١١٤)، والدر المصون (٤/ ٥٠٩).

(٢) ذكره الطبري (١٦/ ٩٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٧).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٩١).

(٥) في ب: مروي.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٩١-٩٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥١٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

[القصص:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان:٦٣].

﴿سأستغفر لك ربي﴾ قال أكثر المفسرين: وعده بالاستغفار بشرط الإيمان(١).

والأظهر في نظري: أنه وعده الاستغفار مطلقاً، ولم يكن ذلك محظوراً عليه بعد. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك﴾ [الممتحنة:٤] فلو كان ذلك مقروناً بشرط الإيمان لم يستثن عما وجبت فيه الأسوة.

وقيل: المعنى: سأسأل لك ربي توبة تنال بها مغفرة(٢).

﴿إنه كان بي حفياً﴾ رحيماً لطيفاً.

قوله تعالى: ﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾ أي: وما تعبدون، ﴿من دون الله﴾ وهي الأصنام. ﴿وأدعو ربي﴾ أخصّه بالعبادة.

وفي قوله: ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ تعريضٌ بشقاوتهم وتواضعٌ لله عز وجل [وهضمٌ لنفسه](٣) حيث أتى بصيغة الترجي.

فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٧).

(٢) في ب: مغفرته.

(٣) زيادة من ب.

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ قال المفسرون: هاجر إلى الشام[١]، ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ بعد إسماعيل، ﴿وكلاً﴾ من هذين، وقيل: من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جعلنا نبياً﴾.

﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ قال الحسن: النبوة[٢].

وقيل: المال والولد والعلم والعمل[٣].

﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ أي: ذكراً حسناً وثناء جميلاً شائعاً ذائعاً في الناس، فترى أهل الأديان على تنافرهم مطبقين على الثناء عليهم.

قال ابن قتيبة: وضع اللسان موضع القول؛ لأن القول يكون باللسان.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مُخْلِصاً﴾ وقرأ أهل الكوفة: «مُخْلَصاً» بفتح اللام[٤]. فمن كسر فعلى معنى: كان مخلِصاً في التوحيد والطاعة، ومن فتح فعلى معنى: أنه كان ممن أخلصه الله من الدنس.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦) بلا نسبة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٣٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٤)، والكشف (٢/ ٨٩-٩٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٠).

ويجوز عندي أن يكون المعنى: أنه كان ممن أخلصه الله واصطفاه للقيام بأثقال النبوة والنهوض بأعبائها.

وكأنّ الأول أظهر؛ لأن المعنى حاصل بقوله: ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ قال ابن الأنباري[(١)]: إنما أعاد «وكان»؛ لتفخيم شأن النبي المذكور.

قال المفسرون: كل نبي معه كتاب من عند الله إلى عباده فهو رسول. والنبي هو المخبر عن الله تعالى وإن لم يكن معه كتاب؛ كيوشع بن نون[(٢)].

﴿وناديناه﴾ هو قوله: ﴿يا موسى إني أنا الله﴾ [القصص:٣٠]، ﴿من جانب الطور الأيمن﴾ يعني: الذي يلي يمين موسى.

وقيل: «الأيمن» صفة للطور، من [اليُمْن][(٣)] وهو البَرَكَة، كأنه قيل: من جانب الطور المبارك.

﴿وقرَّبْناه نجياً﴾ قال الزجاج[(٤)]: قرّبه منه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله.

وقال ابن عباس: قرّبه حتى سمع صريف القلم[(٥)].

و«نجياً» منصوب على الحال[(٦)]، أو على المصدر؛ لأن «قربناه» في معنى:

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٣٩).

(٢) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥١٤-٥١٥).

(٣) في الأصل: اليمين. والتصويب من ب.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ٩٤)، والحاكم (٢/ ٤٠٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٥)، وهناد في الزهد (١/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥١٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة في المصنف وهناد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٦) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١٠).

رفعناه. ونجياً: من النَّجْوَة، وهو المكان المرتفع[(١)].

﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي: من نعمتنا ﴿أخاه هارون نبياً﴾ قال ابن عباس: حيث سألني فقال: ﴿اجعل لي وزيراً من أهلي﴾ [طه:٢٩] إليّ[(٢)].

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

قوله: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ وصفه بالمشهور من خصاله؛ تشريفاً له وتكريماً.

قال مجاهد: لم يَعِدْ شيئاً إلا وفّى به[(٣)].

قال ابن عباس: وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان، فانتظره سنة[(٤)].

قال بعضهم: وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به[(٥)]، حيث قال: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات:١٠٢].

﴿وكان رسولاً﴾ إلى قومه جُرْهُم ﴿نبياً﴾ فيهم.

﴿وكان يأمر أهله﴾ قال ابن عباس: يريد: قومه[(٦)]، كأنه عليه السلام أُمر أن

---

(١) انظر: اللسان، (مادة: نجا).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٠).

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٠).

(٥) ساقط من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٠) من قول مقاتل.

يبدأ بأهله في الأمر بالمعروف؛ لأنهم قادة الناس وأئمتهم، فكان الابتداء بهم أَهَـمُّ [وأولى][1]. قال الله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وقال الزجاج[2]: أهله: أمّته.

قال ابن عباس: كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة التي افترض الله تعالى عليهم، وهي الحنيفية التي افتُرِضت علينا[3].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ وهو أخنوخ جَدُّ أبي نوح عليهما السلام، وقد ذكرنا نسبه في الأعراف في قصة نوح. وكثير من المفسرين يقولون: سُمِّيَ إدريس؛ لدَرْسِه الكتب، وليس بصحيح؛ لأنه لو كان كذلك لكان إفعيلاً من الدَّرْس، ولو كان كذلك لكان مُنْصَرِفاً؛ لأنه ليس فيه مما يمنعُ الصَّرْفَ سوى سبب واحد، وهو العَلَمِيَّة.

قال ابن عباس: هو أول نبي بُعث في الأرض بعد آدم، وكان يصعد له من العمل في اليوم[4] ما لا يصعد لبني آدم في الشهر، فحسده إبليس وعصاه قومه، فرفعه الله تعالى إليه وأدخله الجنة وقال: لستُ بمخرجه منها[5].

قال المفسرون: وهو أول من خطّ بالقلم، ونظر في الحساب والنجوم، وخاط

---

(١) في الأصل: والأولى. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧).

(٤) في ب: في اليوم من العمل.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٠).

ولبس المخيط، وكانوا يلبسون الجلود[١].

﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ أخرج الترمذي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة»[٢].

وفي الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: «أنه رأى إدريس في السماء الرابعة»[٣].

وقال زيد بن أسلم: «ورفعناه مكاناً علياً» هو الجنة[٤].

وهو يرجع إلى معنى القول الأول؛ لأن الجنة في السماء الرابعة.

وكان السبب في رفعه إلى السماء ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «أن إدريس عليه السلام كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم، فأحبه ملك الموت، فاستأذن الله تعالى في خلّته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي فكان يصحبه، فلما عرفه قال له: إني أسألك حاجة؟ قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموت فلعلّي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعداداً، فأوحى الله تعالى إليه: اقبض روحه ساعة ثم أرسله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشدّ مما بلغني عنه، وإني أحبّ أن تريني النار، قال: فحمله فأراه إياها. قال: فإني أحب أن [تريني][٥] الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا

(١) ذكره القرطبي (١١/ ١١٧)، والبغوي (٣/ ١٩٩)، والمناوي في فيض القدير (٣/ ٩٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٦ ح٣١٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥)، وأخرجه مسلم (١/ ١٥٠ ح١٦٤).
(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤١).
(٥) في الأصل: ترني. والتصويب من ب.

أخرج حتى يكون الله تعالى يخرجني، فبعث الله تعالى إليه مَلَكاً يحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقصّ عليه ما جرى. فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥] وقد ذقته، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر:٤٨] فوالله لا أخرج حتى يكون الله عز وجل يخرجني، فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل وبأمري فعل، فخلّ سبيله»[١].

فإن قيل: من أين لإدريس هذه الآيات وهي في القرآن؟ فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء قال[٢]: كان الله تعالى قد علّم إدريس ما ذكر في القرآن من وجوب الورود وامتناع الخروج من الجنة وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء من لدن زكرياء إلى إدريس عليهم السلام ﴿الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾. قال الزمخشري[٣]: و«من» في ﴿من النبيين﴾ [للبيان][٤] مثل ما في قوله: ﴿وعد الله

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤٢).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٦).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة﴾ [الفتح:٢٩]؛ لأن جميع الأنبياء مُنْعَمٌ عليهم. و«مِن» الثانية التي في قوله: ﴿من ذرية آدم﴾ [للتبعيض][1] يريد به: إدريس ونوحاً؛ لقربهما من آدم عليه السلام.

﴿وممن حملنا مع نوح﴾ يريد: إبراهيم؛ لأنه من ولد سام بن نوح ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وإسرائيل﴾ أي ومن ذرية إسرائيل، يريد: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

ذكر سبحانه وتعالى مراتب نسبهم تنبيهاً على شرفهم.

قال الواحدي[2]: فكان لإدريس ونوح شرف القُرْب من آدم، ولإبراهيم شرف القُرْب من نوح، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب لمّا تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ جائز أن يكون عطفاً على «مِنَ النبيين». وجائز أن يكون عطفاً على «مِنْ ذرية آدم»[3].

قوله تعالى: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ كلام مستأنف، إن جعلت «الذين» وما في [حيّزها][4] خبر «أولئك»، وإن جعلتها صفة لـ«أولئك» كانت هذه الجملة خبر «أولئك»[5].

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٢٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧).

(٣) الدر المصون (٤/ ٥١١).

(٤) في الأصل: خبرها. والتصويب من ب.

(٥) الدر المصون (٤/ ٥١١).

وقرأت لحمزة من رواية العجلي: «يتلى» بالياء[1]؛ لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل.

﴿خَرُّوا سجداً وبكياً﴾ سُجَّداً: جمع ساجد، وهو حالٌ مُقَدَّرَة[2]. المعنى: خرّوا مقدّرين السجود؛ لأن الإنسان في حال خُروره لا يكون ساجداً. و«بُكياً» معطوف عليه، وهو جمع بَاكٍ.

أخبر الله سبحانه وتعالى أن أنبياءه عليهم السلام كانوا إذا سمعوا آية سجدوا وبكوا؛ تضرعاً إليه، وخضوعاً لجلاله، ورغبةً في ثوابه، ورهبةً من عقابه.

ومضمونها: تقريع الذين يسمعونها [فيُعيرونها][3] آذاناً صُمّاً وقلوباً عُمْياً، ويضربون عن التفكُّر فيها صفحاً.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه [إذا][4] الناس يضحكون[5].

قال صالح المري: قرأتُ على رسول الله ﷺ القرآن في المنام، فقال لي: يا صالح! هذه القراءة فأين البُكاء؟

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٩).

(٢) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١١).

(٣) في الأصل: فيغيّرونها. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: إلى. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١) وعزاه لابن أبي شيبة.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ﴾ سبق تفسيره في الأعراف[١].

قال ابن عباس: هم اليهود[٢].

وقال السدي: اليهود والنصارى[٣].

وقال مجاهد وقتادة: هم قومٌ يأتون عند ذهاب صالحي أمة محمد ﷺ يتبارون بالزنا، ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناة[٤].

وقال وهب: فخلف من بعدهم خلف شرّابون للقهوات، لعّابون بالكِعاب[٥]، ركّابون للشهوات، متّبعون للّذات، تاركون للجُمُعَات، مُضيِّعون للصلوات[٦].

وقال كعب: يظهر في آخر الزمان قوم بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون

(١) آية رقم: ١٦٩.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٩) من قول مقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٧)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٩٩)، ومجاهد (ص:٣٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٦) وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٥) الكِعاب: فصوص النَّرْد (اللسان، مادة: كعب).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢) عن كعب. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن كعب.

الناس، ثم قرأ: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾[١].

﴿أضاعوا الصلاة﴾ وقرأ ابن مسعود والحسن البصري: «الصلوات» على الجمع[٢].

قال ابن مسعود ومجاهد: أضاعوها بالتأخير عن أوقاتها[٣].

وقال القرظي: تركوها[٤]، وهو اختيار الزجاج[٥].

﴿واتبعوا الشهوات﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر، والزنا، واللهو، وما شاكل ذلك مما يقطع عن أداء فرائض الله[٦].

﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال ابن عباس: هو وادٍ في جهنم[٧]، ورفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن مسعود: الغي: نهر في جهنم، بعيد القعر، خبيث الطعم[٨].

---

(١) القرطبي (١١/ ١٢٥).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٢٩٩).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

(٧) ذكره الماوردي (٣/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٦)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٢٨) وعزاه لابن مردويه.

(٨) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٠)، والحاكم (٢/ ٤٠٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٣)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

وقال الزجاج[١]: المعنى: فسوف يلقون مُجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْـقَ أثاماً﴾ [الفرقان:٦٨] أي: مجازاة الآثام.

وقيل: كل شر عند العرب غيّ، وكل خير رشاد، ومنه قول الشاعر:

فمنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَهُ ... ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِما[٢]

قوله تعالى: ﴿إلا من تاب﴾ يعني: رجع عن إهمال الصلاة ﴿وآمن﴾ من اليهود والنصارى.

قال[٣] مقاتل[٤]: إلا من تاب من الشرك وآمن بمحمد ﷺ.

﴿وعمل صالحاً﴾: سبق تفسيره.

﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ أي: لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم الصالحة.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾﴾

﴿جنَّاتِ عدن﴾ وقرأ أبو رزين والضحاك وابن أبي عبلة: «جناتُ» بالرفع[٥].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٢) البيت للمرقش الأصغر: انظر: المفضليات (ص:١٨)، واللسان (مادة: غوى)، والطبري (١٦/ ١٠١)، والقرطبي (١١/ ١٢٥، ١٧/ ٨٤).

(٣) في ب: وقال.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٧).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤٦).

وقرأ الحسن البصري والشعبي: «جنةُ عدنٍ» بالرفع مع التوحيد[١].

وقرأ أبو مجلز وأبو المتوكل: «جنةَ» بالنصب[٢]. فمن نصب فعلى البدل من قوله: ﴿يدخلون الجنة﴾ وهو بدل اشتمال[٣]؛ لأن الجنة مشتملة على جنات عدن. ومن رفع فعلى الابتداء.

﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أي: وعدهم بها وهي غائبة عنهم، أو هم غائبون عنها.

﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ أي: آتياً. هذا قول الفراء[٤].

وقال الزجاج[٥]: بل هو على حقيقته؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، [فالوعد][٦] قد أتاك وأنت قد أتيت الوعد.

وقال ابن جريج: وعْدُه في هذه الآية: موعوده، وهو الجنة[٧].

و«مأتياً» يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ قال ابن الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطَّرح[٨].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٤٦).

(٣) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١٢).

(٤) معاني الفراء (٢/ ١٧٠).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٦) في الأصل: قالوا عدّ. والتصويب من ب.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

وقال مقاتل(١): هو التَّحَايُف(٢) عند شرب الخمر(٣).

قال صاحب الكشاف(٤): فيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتّقائه، حيث نزّه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها، وما أحسن قوله: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان:٧٢]. أي: أكرموا أنفسهم عنه ولم يخالطوا أهله.

قوله تعالى: ﴿إلا سلاماً﴾ استثناء منقطع، التقدير: لكن يسمعون سلاماً، وهو أن بعضهم يُحيّي بعضاً بالسلام، ويرسل الرب الملائكة إليهم بالسلام.

وقال ابن الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه. وفي ذلك توكيدٌ للمعنى المقصود؛ لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام فليس يسمعون لغواً البَتَّة(٥).

وقال صاحب الكشاف(٦): هو من وادي قوله:

ولا عيب فيهم......... ....(٧)

﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله تعالى لهم ذلك(٨).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٧).

(٢) في مقاتل: الحلف. -يعني: لا يحلفون كما يحلف أهل الدنيا-. وفي الماوردي: الخلف. وفي زاد المسير: التخالف.

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٩).

(٧) تقدم ذكره في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿إلا ما قد سلف﴾ [٢٢].

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٧).

قال زهير بن محمد: ليس في الجنة ليل ولا نهار، وهم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، [ومقدار][1] النهار برفع الحجب وفتح الأبواب[2].

وقيل: أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساءً وبكرةً وعشياً، يريد: الدَّيْمُومَة، ولا يقصد الوقتين المعلومين.

﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا﴾ وذلك أن الله يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا.

وقد ذكرنا معنى الميراث في سورة الأعراف[3].

والمعنى: نورث في الجنة ﴿من كان تقياً﴾ في الدنيا.

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا محمد بن علي القفال، أخبرنا إسحاق بن محمد بن إسحاق

---

(١) في الأصل: مقدار. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٨-٥٢٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) آية رقم: ٤٣.

الرسعني، حدثنا جدي، حدثنا المغيرة، حدثنا عمر بن ذر(١)، عن أبيه(٢)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك... الآية كلها﴾. قال: وكان هذا جواباً لمحمد ﷺ»(٣).

وأخبرني به أيضاً الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله، وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما يمنعك أن تزورنا؟ فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا»(٤). هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: لعلّي أبطأت، فقال(٥): قد فعلت، فقال: وما لي لا أفعل وأنتم لا تتسوّكون ولا تقصّون أظفاركم ولا

---

(١) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو ذر الكوفي، ثقة، رمي بالإرجاء، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٠، والتقريب ص:٤١٢).

(٢) ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو عمر الكوفي، ثقة عابد، رمي بالإرجاء، مات قبل المائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٩، والتقريب ص:٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٣ ح٧٠١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٠ ح٤٤٥٤).

(٥) في ب: قال.

تُنَقُّون براجمكم، فنزلت هذه الآية[١].

قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع تبدو إذا جمعت، وتُغمض إذا بسطت. والرَّوَاجِب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة[٢].

وفي مدة احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ أقوال:

أحدها: أربعون ليلة. قاله عكرمة ومقاتل[٣].

والثاني: اثنتا عشرة ليلة. قاله مجاهد[٤].

والثالث: أربعون يوماً.

والرابع: خمسة وعشرون يوماً[٥].

والذي أشرنا إليه من سبب النزول هو القول المعتمد عليه. وقد نقل جماعة - منهم الماوردي[٦]- أن قوله: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ حكاية قول أهل الجنة إذا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١٥٧ ح١٨٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٠٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٤٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٧). وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٥) في هامش ب: وقيل: خمسة عشر، وقيل: ثلاثة أيام.

(٦) تفسير الماوردي (٣/ ٣٨١).

دخلوها، أي: وما نَتَنَزَّلُ هذه الجنات[١] وما نتنزل موضعاً منها إلا بأمر الله.

﴿له ما بين أيدينا﴾ من أمر الآخرة، ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا، وقيل: بالعكس من ذلك. والأول قول ابن عباس[٢]، والثاني قول مجاهد[٣].

﴿وما بين ذلك﴾ قال سعيد بن جبير: ما بين الدنيا والآخرة[٤].

وقيل: ما بين النفختين.

﴿وما كان ربك نسياً﴾ قال ابن عباس: تارك[٥] لك بإبطاء الوحي عنك[٦].

وقال الزجاج[٧]: المعنى: قد علم [الله][٨] ما كان وما يكون وما هو كائن، وحافظ لذلك -جَلَّ ذِكْرُه- لا ينسى منه شيئاً.

﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ «رب» بدل من «ربك»[٩].

---

(١) في ب، وزاد المسير (٥/ ٢٥٠): الجنان.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٠).

وهذا القول هو الذي رجحه الطبري (١٦/ ١٠٥) ثم قال: وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به؛ لأن ذلك هو الظاهر الأغلب، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم به.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) في ب: تاركاً.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٠).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٧).

(٨) لفظ الجلالة زيادة من ب.

(٩) انظر: الدر المصون (٤/ ٥١٥).

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رب السموات[١]، ﴿فاعبده﴾ وحِّدْه، ﴿واصطبر لعبادته﴾ أي: اصبر على توحيده. وقيل: على أمره ونهيه.

﴿هل تعلم له سمياً﴾ أي: مِثْلاً وشبيهاً. وقيل: هل تعلم أحداً يُسمَّى الله غيره؟ والقولان عن ابن عباس[٢].

وقال الزجاج[٣]: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالقٌ وقادرٌ، إلا الله.

والاستفهام هاهنا بمعنى: النفي.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مِتُّ لسوف أخرج حياً﴾ الإنسان هاهنا: اسم جنس، يريد: الكافر.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: أخذ أُبيّ بن خلف عظماً بالياً فجعل يفتّه

---

(١) التبيان (٢/ ١١٥)، والدر المصون (٤/ ٥١٥).

(٢) أخرج القول الأول الطبري (١٦/ ١٠٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وأخرج القول الثاني الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٥) بلفظ: ((لا يسمى أحد الرحمن غيره))، والبيهقي في الشعب (١/ ١٤٤) بلفظ: ((ليس أحد يسمى الرحمن غيره)). وذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٣٨).

بيده ويذريه في الريح، ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية[١].

وروى عنه عطاء: أنه الوليد بن المغيرة[٢].

وجائز أن تكون القصة جرت لهما، قال المخذول ذلك استهزاءً وتكذيباً واستبعاداً.

و«ما» في قوله: «ما مِتُّ» للتوكيد.

والمعنى: لسوف أُخرج من القبر.

وقيل: هو مِنْ قولهم: خرج فلانٌ عالماً وخرج شُجاعاً، فأجابه الله تعالى فقال: ﴿أو لا يذّكّر الإنسان﴾ أي: يتدبَّر.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر: «يَذْكُر» بتخفيف الذال والكاف وضمها[٣]، من الذِّكْر بعد النسيان.

قال الزمخشري[٤]: الواو -يعني: في «أو لا يذكر الإنسان[٥]»- عَطَفَتْ «لا

---

(١) ذكر الواحدي نحوه في الوسيط (٣/ ١٩٠) عن الكلبي، وأسباب النزول (ص:٣٠٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٥)، والكشف (٢/ ٩٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٣-٣٤).

(٥) ليست في ب.

يذكر» على «يقول»، فتوسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وبين حرف[١] العطف.

يعني: أيقول ذلك[٢] ولا يذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى، فإن تلك أعجب وأغرب وأدلّ على قدرة الخالق، حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود، ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تَحَار الفطن فيها، من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف، ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جَلَّت قدرته ودَقَّت حكمته.

وأما الثانية فقد تقدَّمت نظيرتها فعادت لها كالمثال المحتذى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة [الباقية][٣] وتركيبها، وردّها إلى ما كانت عليه مجموعةً بعد التفكيك والتفريق.

وقوله: ﴿ولم يَكُ شيئاً﴾ دليل على هذا المعنى، وكذلك قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم:٢٧]، على أن رب العزة سواء عليه النشأتان، لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذاء [على][٤] مثال، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعاً لمعاندته، وكشفاً عن صفحة جهله.

قوله تعالى: ﴿فوربك﴾ أقسم سبحانه وتعالى باسمه مُفَخَّماً رسوله ﷺ بإضافته إليه، ﴿لنحشرنهم والشياطين﴾ أي: نجمع الكفرة مع شياطينهم، وذاك أن كل

---

(١) في ب: عليه وحرف.

(٢) في ب: ذاك.

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٣٤).

(٤) مثل السابق.

كافر يُقرن مع شيطانه في سلسلة.

وقيل: الواو في: «والشياطين» للعطف.

﴿ثم لنُحضرنهم حول جهنم﴾ قال مقاتل[١]: أي: في جهنم.

يقال: جلس القوم حول البيت؛ إذا جلسوا داخله مطيفين به[٢].

وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها[٣].

وقوله: ﴿جِثِيّاً﴾ نصب على الحال[٤]، وهو جمع جاثٍ، مثل: باكٍ وبكيّ، من قولهم: جَثَا على رُكبتيه يَجْثُو جُثُوّاً[٥].

وقيل: هو جمع جثو، بكسر الجيم وضمها، وهي ما جمع من التراب والحجارة، على معنى: يحشرون جماعات.

والمعنيان مرويان عن ابن عباس[٦].

والمعنى الأول أظهر وأشهر.

قال مجاهد: يحضرون مُسْتَوْفِزين[٧] على الرُّكَب[٨].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: اللسان مادة: (حول).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٤/ ٥١٦).

(٥) انظر: اللسان (مادة: جثا).

(٦) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣).

(٧) مستوفزين: اسْتَوْفَزَ في قِعْدَتِه إذا قَعَدَ قُعوداً منتصباً غير مطمئن (لسان العرب، مادة: وفز).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣).

وقال السدي: قياماً على الرُّكَب، وذلك لضيق المكان بهم(١).

قوله تعالى: ﴿ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ أي: لنأخذن من كل فرقة وطائفة أعتاهم وأعصاهم فنطرحهم في النار على ترتيب دركاتهم، ونبدأ بأولاهم بالعذاب فأولاهم.

قال الكسائي والأخفش: «مِنْ» زائدة، والتقدير: لننزعن كل شيعة، فـ«كل شيعة» مفعول لـ«ننزعن». ويكون قوله: «أيهم» مبتدأ لا تعلق له بالفعل(٢).

وقال الخليل: بل قوله: «أيهم» رفع على الحكاية، والتقدير: لننزعن من كل شيعة مَنْ يُقال له: «أيهم أشد على الرحمن عتياً»، فحذف القول وما اتصل به، كقول الشاعر:

ولقد أبيتُ على الفَتاةِ بمَنْزِل فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا مَحْرُومُ(٣)

المعنى: فأبيت بمنزلة الذي يقال: لا هو حرج ولا محروم.

وأنكر ذلك سيبويه(٤)، وزعم أن ذلك لا يجوز، فلا يقال: اضربِ الخبيثُ الفاسقُ، على تقدير من يقال له: الخبيثُ الفاسقُ.

قال: وأنا أقول: إنّ قوله: «أيهم أشد» مفعول لـ«ننزعن»، وكان حقه النصب،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٣٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١١٦)، والدر المصون (٤/ ٥١٧).

(٣) البيت للأخطل، انظر: ديوانه (ص:٨٤)، والكتاب (٢/ ٨٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٤٧)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٨٠)، والخزانة (٦/ ١٣٩)، والبحر (٦/ ١٩٦)، والدر المصون (٤/ ٥١٧)، والقرطبي (١١/ ١٣٣)، وزاد المسير (٥/ ٢٥٤).

والشاهد في البيت: رفع «حرج» و«محروم» وكان وجه الكلام نصبهما على الحال.

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ٤٠١).

وقد رواه هارون فيما حدثنا به أنه قُرئ: «أَيَّهُم» بالنصب بالفعل، ولكن الذين رفعوه بنوه على الضم؛ لأن «أيّهم» هاهنا بمعنى: الذي، ويقتضي عائداً يعود إليها من صلتها، والتقدير: أيهم هو أشد، فحذف هو، فوجب بناء «أيهم» عنده لما حذف من صلته العائد؛ لأن الصلة توضح الموصول وتُبيّنه، كما أن حذف المضاف إليه في: ﴿من قبل ومن بعد﴾ [الروم:٤] وابدأ بهذا أول يوجب بناء المضاف لما كان المضاف إليه مخصصاً ومُبيناً للمضاف ومُعرِّفاً له.

[والعُتيّ][(١)]: المتمرد في العصيان، وهو مصدر عَتَا يَعْتُو عُتُوّاً وعُتِيّاً[(٢)].

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صِلِيّاً﴾ يقال: صَلَى النار يَصْلاها صَلْياً؛ إذا قاسَى حَرَّها[(٣)].

ومعنى الكلام: أن الأولى بها صِلِيّاً الذين هم أشد على الرحمن عِتِيّاً.

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

ثم التفت فقال: ﴿وإن منكم﴾ أي: وما منكم أيها المؤمنون والكافرون من أحد ﴿إلا واردها﴾ أي: داخل النار. هذا قول الأكثرين.

ويروى عن ابن عباس: أن الخطاب للكفار[(٤)].

---

(١) في الأصل: والمعنى. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان، (مادة: عتا).

(٣) انظر: اللسان (مادة: صلا).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٤).

والأول أصح؛ لما أخبرنا أبو علي بن عبد الله بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر ابن مالك، حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا سليمان بن حرب(١)، حدثنا غالب بن سليمان(٢)، عن كثير بن زياد البرساني(٣)، عن أبي سمية قال: «اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلتُ له: إنا اختلفنا في الورود، [فأهوى](٤) بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بَرْداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، حتى قال(٥): إن للنار -أو قال: لجهنم- ضجيجاً من بردهم، ثم يُنَجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جِثِيّاً »(٦).

وروى يعلى بن مُنْيَة(٧) -وهذا اسم أمه، واسم أبيه: أمية- أن رسول الله ﷺ

---

(١) سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشحي، أبو أيوب البصري، سكن مكة وكان قاضيها، ثقة إمام حافظ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٧، والتقريب ص:٢٥٠).

(٢) غالب بن سليمان العتكي الجهضمي، أبو صالح، ويقال: أبو سلمة الخراساني البصري، ثقة (تهذيب التهذيب ٨/ ٢١٧، والتقريب ص:٤٤٢).

(٣) كثير بن زياد، أبو سهل البرساني الأزدي العتكي البصري، ثقة من أكابر أصحاب الحسن، سكن بلخ، وثقه ابن معين وغيره (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٧٠، والتقريب ص:٤٥٩).

(٤) في الأصل: فأهو. والتصويب من ب، ومن مسند أحمد (٣/ ٣٢٨).

(٥) ساقط من ب.

(٦) أخرجه أحمد في (٣/ ٣٢٨ ح١٤٥٦٠).

(٧) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة واسمه عبيد، ويقال: زيد بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، أبو خلف، ويقال: أبو خالد، ويقال: أبو صفوان المكي،=

قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جِزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[(١)].

وصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد فيدخل النار إلا تحلّة القسم، ثم قرأ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾»[(٢)].

وكان الحسن البصري يقول: كيف لا يحزن المؤمن وقد حُدّث عن الله أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها[(٣)].

وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أُخبرنا أنّا واردوها، ولم نُخبر أنّا صادرون عنها[(٤)].

وقال خالد بن معدان[(٥)]: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ فيقال: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة[(٦)].

وروي عن مجاهد أنه قال: الحمّى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وإن

=

حليف قريش، وهو يعلى بن منية وهي أمه، ويقال: جدته، صحابي مشهور، شهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي ﷺ، وكان عامل عمر بن الخطاب على نجران، مات سنة بضع وأربعين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٥٠، والتقريب ص:٦٠٩).

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٤٠ ح٣٧٥)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٥٨ ح٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٢١ ح١١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٢) ولفظه قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكاً حتى لحق بالله. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠).

(٥) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، تابعي ثقة عابد، مات سنة ثلاث ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٢، والتقريب ص:١٩٠).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٠٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٥).

منكم إلا واردها﴾[1].

فهذا يُشعر أنه من حُمَّ من المؤمنين فقد ورد النار؛ لأن الحمى من فيح جهنم، وأنه قد أخذ بحظه منها.

والتفسير الصحيح هو المدلول عليه بالأخبار والآثار.

فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢]، وبقوله: ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ [آل عمران:١٩٢] والمؤمنون آمنون من الخزي؟

قلت: لا يلزم من ورود النار على الوجه الذي ذكرناه سماع حسيسها ولا الدخول على وجه الخزي، فإن ذلك إنما يكون إذا دخلها دخول تعذيب وخُلود، لا دخول وُرود.

قوله تعالى: ﴿كان على ربك﴾ يعني: ورودهم النار ﴿حتماً مقضياً﴾ أمراً كائناً لازماً جازماً قضاه الله تعالى على نفسه وحتمه على خلقه.

قوله تعالى: ﴿ثم نُنَجّي الذين اتقوا﴾ وقرأ الكسائي ويعقوب: «نُنْجي» بالتخفيف[2].

وقرأ [ابن يعمر][3] وأبو مجلز وعاصم الجحدري: «ثَم» بفتح الثاء[4]، على

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٦)، والكشف (٢/ ٩١)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١١).

(٣) في الأصل: أبو عامر. والتصويب من زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

معنى: هناك ننجي الذين اتقوا الشرك.

وقرأ أبي بن كعب وابن السميفع: «نُنْحِي» بالحاء المهملة[١]، وفيه دليل واضح على ورود البرّ والفاجر.

﴿ونَذَرُ الظالمين﴾ المشركين والكفار ﴿فيها جثياً﴾ سبق آنفاً تفسيره.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: تُقرأ على المشركين ﴿آياتنا بينات﴾ ظاهرات الإعجاز، وهي حال مؤكدة، كقوله: ﴿وهو الحق مصدقاً﴾ [البقرة:٩١]، ﴿قال الذين كفرا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿للذين آمنوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين وضعفتهم، ظناً منهم بجهلهم وعتوهم أنهم أكرم على الله من اتباع محمد ﷺ لما كانوا فيه من الرفعة والدعة والسعة، ﴿أيّ الفريقين﴾ نحن أم أنتم ﴿خير مقاماً﴾ وقرأ ابن كثير: «مُقاماً» بضم الميم[٢]، وهما بمعنى واحد.

قال أبو علي الفارسي[٣]: من قرأ: «مَقاماً» بفتح الميم، احتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مصدراً من قامَ يَقُوم.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٦)، والكشف (٢/ ٩١)، والنشر (٢/ ٣١٨-٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١١).

(٣) الحجة (٣/ ١٢٤ و١٢٧).

والآخر: أن يكون اسم المكان منه.

ومن قرأ: «مُقاماً» -بضم الميم- احتمل أيضاً أن يكون مصدراً من أَقَامَ يُقِيمُ، وأن يكون اسم المكان منه، إلا أن اسم(1) المقام هاهنا فيمن ضم الميم وفيمن فتح على اسم المكان، وليس اسم الحدث، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾ فلا يراد بهذا الحدث، إنما يراد به حُسْنُ الشارة والمنظر، وهذا إنما يكون في الأماكن.

﴿وأحسن نَدِيّاً﴾ النَّدِيُّ والنَّادي: مجتمع القوم ومجلسهم(2). يريدون: أن ناديهم أعز رجالاً وأعظم أبّهة.

ويروى: أنهم كانوا [يدَّهِنُون](3) ويتطيّبون ويلبسون الثياب الفاخرة ثم يقولون ذلك للفقراء؛ افتخاراً عليهم.

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكّرهم حال من كان قبلهم من الأمم الخالية ممن كان أمتع(4) منهم وأنعم وأفْره وأرْفه فقال: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ سبق تفسيره.

﴿هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾ أي: متاعاً ومنظراً، وقد سبق تفسير الأثاث في النحل(5).

---

(١) ساقط من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: ندي).

(٣) في الأصل: يذهبون. والتصويب من ب.

(٤) في ب: أمنع.

(٥) آية رقم: ٨٠.

قال الواحدي[(١)]: الرِّئْيُ: فِعْلٌ من رأيْتُ، والمصدر: الرَّأْيُ والرُّؤْيَة، كالطَّحن والطِّحن، والرَّعي والرِّعي.

وقرأ [قالون][(٢)] وابن ذكوان: «وَرِيّاً» بتشديد الياء من غير همز[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: لها تفسيران، أحدهما: أنها بمعنى الأولى، والثاني أنها من الرِّي. فالمعنى: منظرهم مرتوٍ من النعمة، كأن النعيم بَيِّنٌ فيهم.

وقرأتُ للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: «وَزِيّاً» بالزاي المعجمة مع التشديد من غير همز، وهي قراءة ابن عباس وأبي المتوكل[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: معناه: أن زيّهم حسن، يعني: هيئتهم. قال الشاعر:

أَشَاقَتْكَ الظَّعائنُ يومَ بَانُوا ... بذي الزيِّ الجميلِ من الأثاث[(٧)]

ونصب «أحسن أثاثاً ورءياً» على التمييز، المعنى: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً منهم وأحسن زياً منهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٣).

(٢) في الأصل: قالقون. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٦)، والكشف (٢/ ٩١)، والنشر (١/ ٣٩٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤١١).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٢).

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٥٨).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٧) البيت هو لمحمد بن نمير الثقفي، الذي شبَّب بزينب أخت الحجاج. انظر البيت في: مجاز القرآن (١٠/ ٣٦٦)، واللسان (مادة: رأي)، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٨٦)، والقرطبي (١٠/ ١٥٣، ١٥٩، ١١/ ١٤٣)، والطبري (١٤/ ١٥٤، ١٦/ ٩٣)، وروح المعاني (١٦/ ١٢٦).

قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿قل من كان في الضلالة﴾ قال ابن عباس: في العماية عن التوحيد ودين الله[١]، ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ قال الزجاج[٢]: لفظه لفظ الأمر، ومعناه: الخبر. تأويله: أن الله تعالى جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها، كما قال تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ [الأعراف:١٨٦]، إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر، كأنّ لفظ الأمر يريد به المتكلم نفسه إلزاماً، كأنه يقول: أفعلُ ذلك وآمُرُ نفسي به.

قال الزمخشري[٣]: أُخرج على لفظ الأمر إيذاناً [بالوُجوب][٤]، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتَثَل.

قال غيره: ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء، على معنى: قل يا محمد من كان في الضلالة فاللهم مُدّ له من[٥] العمر مَدّاً.

والأول هو وجه الكلام.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٥٩) بلا نسبة.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٩).

(٤) في الأصل: بالجوب. والتصويب من ب.

(٥) في ب: في.

وبين آخر هذه الآية وأول التي تليها ارتباط، تقديره: إن الـذين في الـضلالة ممدود لهم في ضـلالتهم لا ينفكـون عنهـا إلى أن يعـاينوا مـا أعـد الله تعـالى لهـم وتوعدهم به، وهو قوله: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾، وهذه «حتى» التي تحكي بعدها الجمل، والجملة المحكية هاهنا: الجملة الشرطية، وهي قوله: ﴿إذا رأوا مـا يوعدون فسيعلمون﴾.

ثم بيّن الله تعالى ما يوعدون فقال: ﴿إما العذاب﴾ يعني: القتل والأسر ﴿وإما الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من هو شر مكاناً﴾ في الآخرة أهـم أم المؤمنون ﴿وأضعف جنداً﴾ وهذا مقابل لقـولهم: ﴿أيّ الفـريقين خـير مقامـاً وأحسن ندياً﴾.

قوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ قال الزجاج وغيره[(١)]: المعنى: أن الله تعالى يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً، كما جعل جزاء الكافرين أن يمدهم في ضلالتهم[(٢)].

﴿والباقيات الصالحات﴾ سبق تفسيرها في الكهف[(٣)].

﴿خير عند ربك ثواباً﴾ مما يفتخـر بـه الكـافر في الـدنيا ﴿وخـير مَـرَدّاً﴾ أي: مرجعاً.

وقيل: منفعة، مِنْ قولهم: ليس لهذا الأمر مَرَدّ.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٤).

(٢) في ب: الكافر أن يمده في ضلالته.

(٣) آية رقم: ٤٦.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خبّاب قال: « كنتُ رجلا قَيْناً[1]، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا قَضَيْتُكَ حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تُبعث، قال: فإني مبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعتُ إلى مال وولد. قال: فنزلت: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً -إلى قوله تعالى-: فرداً﴾ »[2]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم عن الأشج، عن وكيع، عن الأعمش.

قال صاحب الكشاف[3]: استعملوا «أرأيت» في معنى أخبر، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب، كأنه قال: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر، وأذكر حديثه عقيب حديث أولئك.

---

(١) القَيْنُ: الحدَّاد (اللسان، مادة: قين).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٢ ح٤٤٥٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٣ ح٢٧٩٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٠).

﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ووُلْداً» بضم الواو وسكون اللام[1].

قال الفراء[2]: هما لغتان كالعُدْم والعَدَم، وليس يُجْمَع، وقَيْسٌ تجعَل الوُلْد جَمْعاً، والوَلَد -بفتح الواو- واحداً.

فردّ الله عليه فقال: ﴿أطّلع الغيب﴾ قال ابن عباس: أعَلِمَ ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا[3]؟.

وقال في رواية أخرى: أَنظَرَ في اللوح المحفوظ[4]؟.

﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أم قال: لا إله إلا الله فأرحمه؟.

وقال قتادة: يعني: أَقَدَّمَ عملاً صالحاً فهو يرجوه؟[5].

وقال ابن السائب: المعنى: أم عهد اللهُ إليه أنه يُدخله الجنة[6]؟.

فإن قيل: أين مفعولاَ «أفرأيت»؟.

قلت: الموصول الأول، والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله: ﴿أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٧)، والكشف (٢/ ٩٢)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠١)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٢).

(٢) لم أقف عليه في معاني الفراء.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤) عن الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ لقوله، أي: ليس الأمر كذلك على ما قال من أنه يؤتى مالاً وولداً، ويكون[١] المعنى: كلا لم يطّلع الغيب ولم يتخذ عهداً.

﴿سنكتب ما يقول﴾ أي: سنأمر الحَفَظَة بكتابة قوله وإثباته في صحيفة عمله ليُجازى به في الآخرة.

قال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: كيف قيل: «سَنَكْتُبُ» بسين التسويف، وكما قاله كُتب من غير تأخير، قال الله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق:١٨]؟

قلت: المعنى: سنُظْهِر له ونُعلمه أنا كتبنا قوله، على طريقة قوله:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ....[٣]

أي: تَبَيَّنَ وعُلِمَ بالانتساب أني لست بابن لئيمة.

﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ أي: نطو له ونجعلُ بعضه تالياً لبعض، من غير أن [يتخلله][٤] إراحة.

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: سنسلبه ماله وولده ونجعله لغيره.

وقيل: نرثه ما يقول أنه له في الجنة فنجعله لغيره من المؤمنين، كما قررناه فيما مضى.

---

(١) في ب: أو يكون.

(٢) الكشاف (٣/ ٤١-٤٢).

(٣) صدر بيت وعجزه: (ولم تجدي من أن تقري به بدا). وانظر البيت في: الطبري (١/ ٣٢٨، ٤٢٠، ٣/ ٧٣)، وزاد المسير (٢/ ٢٧٦).

(٤) في الأصل: يتخله. والتصويب من ب.

والقولان عن ابن عباس[١]. والأول اختيار قتادة[٢]، والثاني اختيار الفراء[٣].

﴿ويأتينا فرداً﴾ أي: يجيئنا غداً بلا مال ولا ولد، كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ [الأنعام:٩٤].

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ۝٨٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ۝٨٣ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ۝٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني: المشركين عَبَدة الأصنام ﴿ليكونوا لهم عِزّاً﴾ قال ابن عباس: ليمنعوهم منّي[٤].

والمعنى: ليتعزَّزوا بهم اعتقاداً منهم أنها تشفع لهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿كلا﴾ قال ابن عباس: لا يمنعهم مني شيء[٥].

وقرأ أبو نهيك: «كلاً» بالتنوين[٦].

قال ابن جني[٧]: هو مصدر، على معنى: كَلَّ هذا القول والاعتقاد.

﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ أي: ستكفُر الآلهة يوم القيامة بما يُركِّب الله تعالى

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦١).

(٣) معاني الفراء (٢/ ١٧١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٥).

(٥) مثل السابق.

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٠٢).

(٧) المحتسب (٢/ ٤٥).

فيها من العلم بعبادة المشركين ويجحدونها ويتبرؤون منهم؛ لأنها جماد لا تَعْقِل مَنْ قصدها بالعبادة.

فعلى هذا القول؛ قوله: «بعبادتهم» مضاف إلى المفعول، ويكون هذا المعنى كقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ [القصص:٦٣]. ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل، والمفعول محذوف تقديره: سيكفر المشركون بعبادة الأصنام، يدل على صحته قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣].

﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أعداء لهم وأعواناً عليهم.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي: سَلَّطْناهم عليهم وقَيَّضْناهم لهم.

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ قال الزمخشري(١): الأزُّ والهزُّ والاستِفْزاز: أخوات، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج.

قال ابن عباس في قوله: «تؤزهم أزاً»: تُزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً(٢).

﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم، ﴿إنما نعدّ لهم عَدّاً﴾ أي: ليس بينك وبين هلاكهم إلا أنفاسٌ معدودة وأيامٌ محصورة.

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٥) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٢)، والسيوطي في الدر (٥/ ٥٣٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن﴾ انتصب الظرف بمصدر تقديره: اذكر، أو تقديره: يوم نحشر المتقين ونسوق المجرمين، يُفْعَلُ بالفريقين ما لا يعلم كُنْهَهُ إلا الله تعالى، أو ينتصب بقوله: ﴿لا يملكون﴾. ويجوز أن ينتصب بقوله: ﴿نعدّ لهم﴾ ذلك اليوم، وما يقع فيه للمتقين خيراً وللمجرمين شراً[(١)].

والمعنى: يوم نحشر الذين اتقوا الله تعالى بطاعته واجتناب معصيته إلى الرحمن.

﴿وَفْداً﴾ جمع وافد، مثل: رَكْبٍ ورَاكِبٍ، وصَحْبٍ وصَاحِبٍ، وهو في موضع الحال[(٢)]. أي: وافدين، على معنى: يَفِدُونَ إلى الله تعالى من قبورهم أو بعد الحساب، مُتطاولين إلى كرامته، مُرتقبين جميل عِدَاتِه، كما يَفِدُ الوُفَّاد على المُلُوك.

[أنبأنا][(٣)] أبو علي بن عبد الله، أخبرنا أبو القاسم بن عبد الواحد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن أحمد قال: حدثني سويد بن سعيد[(٤)]، أخبرنا علي بن مُسْهِر[(٥)]، عن عبدالرحمن بن إسحاق[(٦)]، حدثنا

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١١٧)، والدر المصون (٤/ ٥٢٦).

(٢) انظر: الدر المصون (٤/ ٥٢٦).

(٣) في الأصل: أنبأ. والمثبت من ب.

(٤) سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار الهروي الأنباري، أبو محمد الحدثاني، سكن الحديثة، وهي قرية تحت عانة وفوق الأنبار، مات سنة أربعين ومائتين أول شوال بالحديثة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٩-٢٤١، والتقريب ص:٢٦٠).

(٥) علي بن مسهر القرشي، أبو الحسن الكوفي الحافظ، قاضي الموصل، ثقة كثير الحديث، مات سنة تسع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٥، والتقريب ص:٤٠٥).

(٦) عبد الرحمن بن إسحاق بن سعد بن الحارث، أبو شيبة الواسطي الأنصاري الكوفي، ضعّفه ابن معين وغيره (تهذيب التهذيب ٦/ ١٢٤، والتقريب ص:٣٣٦).

النعمان بن سعد[١] قال: «كنا جلوساً عند علي عليه السلام فقرأ هذه الآية: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ فقال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يُؤْتَونَ بِنُوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رِحَالٌ من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»[٢].

قوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ قال ابن عباس وغيره: «وِرْدَاً»: عِطَاشاً[٣]، مُشاة على أرجلهم، قد تقطعت أعناقهم من العطش[٤].

وحقيقة الوِرْد[٥]: الجماعةُ التي تَرِدُ الماء، ولا يَرِدُ أحدٌ الماء إلا بعد العطش[٦].

﴿لا يملكون الشفاعة﴾ أي: لا يشفعون ولا يُشفع لهم ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال ابن عباس: العَهْد: شهادة أن لا إله إلا الله[٧].

وقيل: اتخاذ العهد: الاستظهار بالإيمان والعمل.

---

(١) النعمان بن سعد بن حبتة، وقيل: حبتر الأنصاري الكوفي، روى عن علي، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أرقم، روى عنه ابن أخته أبو شيبة عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، ولم يرو عنه غيره (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٤، والتقريب ص:٥٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧ ح٣٤٠١٤)، وأحمد (١/ ١٥٥ ح١٣٣٢)، والحاكم (٢/ ٤٠٩ ح٣٤٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤١) وعزاه لابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) في ب: الورود.

(٦) انظر: اللسان (مادة: ورد).

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

وفي الكلام إضمار، تقديره: إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة.

واختلفوا في محل «منِ اتَّخَذَ»، فقيل: محله الرفع على البدل من الواو والنون في «يملكون». وقيل: النصب على الاستثناء المنقطع، أو على معنى: إلا شفاعة من اتخذ[1].

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾
وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: اليهود والنصارى والعرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿لقد جئتم﴾ أيها القائلون باتخاذ الله الولد ﴿شيئاً [إداً][2]﴾ عظيماً منكراً من القول. هذا قول عامة المفسرين[3].

وقال ابن خالويه[4]: الإدُّ والأدُّ: العَجَبُ. وهو معنى قول المفسرين. كأن

(١) انظر: التبيان (٢/ ١١٧)، والدر المصون (٤/ ٥٢٧).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٢٩)، ومجاهد (ص:٣٩١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) المختصر في شواذ القرآن (ص:٨٩).

القائلين بذلك جاؤوا بشيء منكر عظيم من القول يتعجب منه.

﴿تكاد السموات يَنْفَطِرْنَ منه﴾ وقرأ نافع والكسائي: «يَكاد» بالياء[(١)]، ومثله في الشورى[(٢)].

وقرأ نافع وابن كثير والكسائي وحفص: «يَتَفَطَّرْن» بتاء مفتوحة وتشديد الطاء وفتحها[(٣)].

والمعنى: تُقَارِبُ السموات يَتَشَقَّقْنَ من عظيم قولهم: اتخذ الرحمن ولداً.

﴿وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هَدّاً﴾ أي: تسقط سقوطاً.

والهَدُّ: الكسر الشديد، يقالُ: هَدَّني هذا الأمرُ وهَدَّ رُكْني[(٤)].

قال المفسرون: لما قالوا: اتخذ الله ولداً اقشعرّت الأرض، وشاك الشجر، وغضبت الملائكة، واستعرت جهنم، وفزعت السموات والأرض والجبال[(٥)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٤٨)، والكشف (٢/ ٩٣)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠١)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٢-٤١٣).

(٢) آية رقم: ٥.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: اللسان (مادة: هدد).

(٥) أخرج جزءاً منه الطبري (١٦/ ١٣٠) عن مجاهد قال: ذكر لنا أن كعباً كان يقول: غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٦). وذكر السيوطي جزءاً منه (١/ ٢٦٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن غالب بن عجرد قال: حدثني رجل من أهل الشام قال: بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها ثمرة، حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم: ﴿اتخذ الله ولداً﴾ فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر.

﴿أن دعوا﴾ قال صاحب الكشاف[١]: في «أنْ دَعَوا» ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في «منه»، كقول الشاعر:

عَلَى حَالَةٍ لوْ أنَّ في القوم حاتماً ... على جُودِهِ لضَنَّ بالماء حاتم[٢]

ومنصوباً بتقدير [سقوط][٣] اللام وإفضاء الفعل، أي: هذا لأن دعوا.

ومرفوعاً بأنه فاعل «هدّاً»، أي: هدّها دُعاء الولد للرحمن.

﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ أي: ما يصح له ولا يليق به اتخاذ الولد، ولا يجوز عليه ذلك.

وقد أشرنا فيما مضى إلى الدليل الموجب لعدم جواز ذلك عليه.

﴿إن كل من في السموات﴾ من الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقين ﴿إلا آتي الرحمن عبداً﴾ أي: إلا يأتي الرحمن يوم القيامة عبداً ذليلاً، خاضعاً خاشعاً، راغباً راهباً.

وقوله: «كل» مبتدأ «مَنْ» في موضع جر، والجار من صلته.

وقوله: «آتي» في موضع رفع خبر «كُل»، ووحَّدَه على اللفظ، وهو مضاف إلى المفعول. و«عبداً» حال من الضمير في «آتي»[٤].

﴿لقد أحصاهم﴾ عَلِمَهُم وأحَاطَ بهم وبجُمَلِ[٥] أمورهم وتفاصيلها.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٧).

(٢) تقدم في سورة آل عمران، عند قوله تعالى: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا﴾ [١٦٨].

(٣) في الأصل: سقط. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٤٧).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١١٨)، والدر المصون (٤/ ٥٣٠-٥٣١).

(٥) في ب: وأحاط بجمل.

﴿وعَدَّهم عَدّاً﴾ مع كثرتهم واختلافهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم.

﴿وكُلُّهم﴾ أي: وكلّ واحد منهم ﴿آتيه﴾ أي: جاييه ﴿يوم القيامة فَرْداً﴾ ليس له مال ولا أهل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾ قال ابن عباس: يُحبهم ويُحبّبهم إلى المؤمنين[(١)].

قال هرم بن حيان[(٢)]: ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزُقه مودتهم ورحمتهم[(٣)].

وقال كعب: والله ما يستقر لعبد ثناء في الدنيا حتى يستقر له في السماء[(٤)].

وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلّد[(٥)]: سلامٌ عليك، أما بعد! فإن العبد إذا

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٦).

(٢) هرم بن حيان العبدي البصري، أحد العابدين. حدّث عن عمر، وروى عنه الحسن البصري وغيره، ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس، وكان عاملاً لعمر، ثقة له فضل وعبادة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨-٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٧ ح٣٥٢٩٤). وذكره الماوردي (٣/ ٣٩١).

(٥) مسلمة بن مخلد الأنصاري الزرقي، سكن مصر، وكان والياً عليها أيام معاوية، توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وستين، وله ستون سنة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٤، والتقريب ص:٥٣٢).

عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حبَّبَه إلى عباده. وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه [بَغَّضَهُ][(١)] إلى عباده[(٢)].

ومن هذا المعنى؛ الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل: قد أحببتُ فلاناً فأحبَّه، فيحبَّه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبَّه أهل السماء، ثم يوضع[(٣)] له القبول في الأرض. وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلاناً فأبغضْه، قال: فيبغضُه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يُبغض فلاناً فأبغِضُوه، قال: فيُبغضونه، ثم يوضع[(٤)] له البغضاء في الأرض»[(٥)].

وقد روى الضحاك عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، جعل الله له وُدّاً في قلوب المؤمنين[(٦)].

وصَدَقَ ابن عباس رضي الله عنه، فإن لعليّ رضي الله عنه في قلوب المؤمنين الذين اتبعوا الهدى وجانبوا الهوى وُدّاً راسخ الأوتاد، شامخ الأطواد، لا يُخامره ما

(١) في الأصل: ويبغضه. والتصويب من ب، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١١٣ ح٣٤٦٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٦) وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) في ب: يضع.

(٤) في ب: توضع.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٥ ح٣٠٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠ ح٢٦٣٧).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٤٨ ح٥٥١٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٤) وعزاه للطبراني وابن مردويه.

خامر قلوب الرّافضة(١) من الغل لأصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، ولا يَشينه ما شانهم من الإفراط في حالي مدحهم وقدْحهم.

قوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي: سهَّلنا القرآن وأنزلناه بلغتك، ﴿لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً﴾ قال ابن عباس: شداداً في الخصومة(٢).

وهو جمع ألَدّ. قال الشاعر:

وألَدَّ ذي حَنَقٍ عَلَيَّ كأنما ... تَغْلِي عداوةُ صدرِهِ في مِرْجَل(٣)

وقد ذكرنا اشتقاقه في البقرة.

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تُحِسُّ منهم﴾ أي هل ترى من المهلكين ﴿من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾

قال اللغويون والمفسرون: الرِّكْزُ: الصوت الخفي(٤)، ومنه: رَكَزَ الرُّمْح؛ إذا غيّب طرفه في الأرض(٥).

والرِّكازُ: المال المدفون.

قال قتادة: المعنى: هل ترى من عينٍ أو تسمعُ من صوتٍ(٦).

---

(١) الرافضة: فرقة من فرق الشيعة، سميت بذلك؛ لأنها رفضت رأي زيد بن علي بن الحسين في صحة خلافة أبي بكر وعمر، وانشقوا عليه (انظر: ضحى الإسلام ٣/ ١٣٦).

(٢) انظر: الطبري (١٦/ ١٣٣)، والقرطبي (١١/ ١٦٢).

(٣) انظر البيت في: تفسير الماوردي (٣/ ٣٩١)، والقرطبي (٣/ ١٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٧). وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٤٧).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ركز).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٤-١٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٧).

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة وخمس وثلاثون آية، وهي مكية بإجماعهم.

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾
تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ
ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ
﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

قال الله تعالى: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر: بتفخيم الطاء والهاء على الأصل. وقرأ الكوفيون إلا حفصاً: بالإمالة فيهما. وقرأ نافع بين اللفظين فيهما[1]. وقرأ أبو عمرو بتفخيم الطاء لاستعلائها وإمالة الهاء[2].

وقرأ ابن مسعود وسعيد بن المسيب على العكس من قراءة أبي عمرو[3]. وقد

---

(١) أي: بين الفتح والكسر.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٤٤٩-٤٥٠)، والكشف (١/ ١٨٧)، والنشر (٢/ ٧١-٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

ذكرنا علة هذه الإمالة في أول مريم.

وقرأ الحسن: "طَهْ" بفتح الطاء وسكون الهاء[١].

وقرأ الضحاك: بكسر الطاء وسكون الهاء[٢].

وقد اختلف المفسرون في تأويل هذا؛ فقال جماعة منهم: المعنى: يا رجل[٣].

ثم اختلف هؤلاء بأي لسان هي، فقال ابن عباس في رواية عكرمة: هي بالنبطية[٤].

وقال في رواية أبي صالح: [بلسان][٥] عَكّ[٦].

وقال قتادة: هي [بالسريانية][٧].

قال ابن الأنباري[٨]: ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى؛ لأن الله

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٠) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وهذا القول هو الذي اختاره الطبري ورجحه.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: بلسا. والتصويب من (ب).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

وعَكّ: بفتح أوله، قبيلة يضاف إليها مخلاف اليمن (معجم البلدان ٤/ ١٤٢).

(٧) في الأصل: بالسرانية. والتصويب من (ب). وقول قتادة أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

تعالى لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش.

وقال ابن أبي طلحة: هو قَسَمٌ أقسم الله تعالى به، وهو من أسمائه[١].

قال علي عليه السلام: كان رسول الله ﷺ يُراوح بين قدميه في الصلاة، فنزلت هذه الآية[٢].

قال مقاتل بن حيان: المعنى: طَإِ الأَرْضَ بقدميك[٣].

وقال قوم: هما حرفان من اسمين.

قال ابن مسعود: الطاء من لطيف، والهاء من هادي[٤]. وقيل غير ذلك تركتُ ذكره [لبُعْده][٥]؛ كقولهم: الطاء من طابة، والهاء من مكة.

وقولهم: الطاء طَرَبُ أهل الجنة، والهاء هوانُ أهل النار.

وقولهم: الطاء طُبول الغزاة، والهاء هيبتُهم في قلوب الكفار.

وقولهم: الطاء طوبى، والهاء هاوية. وأمثال ذلك من بدع التفاسير.

قال الزجاج[٦]: ومن قرأ "طَهْ" بإسكان الهاء ففيها وجهان:

أحدهما: أن يكون أصله "طَأْ" بالهمزة، فأبدلت منها الهاء، كما قالوا في أرقت الماء وهَرَقْتُ الماء. وجائز أن تكون من "وَطِيَ" على ترك الهمز، فيكون أصله "طَ" يا

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥١)، وعزاه لابن المنذر وابن مسعود عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٣/ ١٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٩) وعزاه للبزار.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٠).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٥) في الأصل: لعبده. والتصويب من ب.

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٤٩-٣٥٠).

رَجُل، ثم ثبتت فيه الهاء للوقف فقال: طَهْ(١).

قال المفسرون: قال النضر بن الحارث وأبو جهل للنبي ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما شاهدوا من شدة اجتهاده وطول عبادته، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

وقال مجاهد: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل، ثم نسخ ذلك بالفرض ونزلت هذه الآية(٣).

والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لِتَتَعَنَّى وتتعب.

قال ابن السائب: فكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية ينام ويصلي(٤).

وقيل: المعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى بفرط تأسُّفك عليهم، فيكون كقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ [الكهف:٦].

قوله تعالى: ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ قال الأخفش(٥): هو بدل من قوله: "لتشقى"(٦).

---

(١) أي: هي هاء السكت؛ لأن الفعل بقي على حرف واحد.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٧)، ومجاهد (ص:٣٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) ذكره القرطبي (١١/ ١٦٧).

(٥) معاني القرآن للأخفش (ص:٢٤٩).

(٦) وهذا رأي الزجاج وابن عطية أيضاً.

واستبعده أبو جعفر النحاس فقال: وهذا وجه بعيد، والقريب أنه منصوب على المصدر، أو مفعول من أجله (إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢).

=

وقال المبرد(١): المعنى: لكن أنزلناه تذكرة، أي: عظة.

وقد أبطلوا قول الأخفش من حيث إن التذكرة ليست من الـشِّقْوَة في شيء، ليست هي ولا بعضها ولا مشتملة عليها.

والمعنى: إلا تذكرة لمن يخشى الله ويخاف عقابه.

قوله تعالى: ﴿تنزيلاً﴾ أي: أنزلناه تنزيلاً.

وقيل: هو نصب على المدح والاختصاص. ويجوز أن يكون مفعول "يخشى"(٢).

وقرئ شاذاً: [تنزيلٌ](٣) بالرفع(٤)، على معنى: هذا تنزيل.

﴿ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ قال ابن عباس: أخبر بعظمته وجلاله(٥).

= ورَدّ هذا القول الفارسي (انظر رأيه في: البحر المحيط ٦/ ٢١٣).

وهو ردٌّ صحيح. وقد أوضح الزمخشري هذا فقال: فإن قلت: هل يجوز أن يكون "تذكرة" بدلاً من محل "لتشقى"؟ قلت: لا؛ لاختلاف الجنسين، ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي "إلا" فيه، بمعنى "لكن" (الكشاف ٣/ ٥٣).

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٢١٣): ويعني باختلاف الجنسين: أن نصب "تذكرة" نصبة صحيحة ليست بعارضة، والنصبة التي تكون في "لتشقى" بعد نزع الخافض نصبة عارضة، والذي يقول إنه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه.

(١) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١١٨)، والدر المصون (٥/ ٦).

(٣) في الأصل: تنزل. والتصويب من ب.

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢١٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٠).

قال الزجاج[(١)]: العلى: جمع العُلْيا، يقال: سَمَاءٌ عُلْيَا، وسماوات عُلًى، مثل: الكُبْرى والكُبَر.

﴿الرحمن على العرش استوى﴾: سبق القول عليه في الأعراف[(٢)].

قوله تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما﴾ يعني: الهواء، وهو الفضاء الخالي، ﴿وما تحت الثَّرى﴾ الثَّرَى في اللغة: التراب النَّدِيّ[(٣)].

قال المفسرون: المعنى: وما تحت الأرض السابعة[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي: ترفع صوتك به، ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال ابن عباس: يعلم السر الذي في نفسك، وأخفى منه ما ستُحدث به نفسك مما تعلم[(٥)] أنك تحدث به نفسك[(٦)].

وقال سعيد بن جبير: السِّرّ: ما حدثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به[(٧)].

وقال مجاهد: السِّرّ: العمل الذي يُسِرُّه الإنسان من الناس، وأخفى منه:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٠).

(٢) آية رقم: ٥٤.

(٣) انظر: اللسان، مادة: ثرا.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٦) كلاهما عن محمد بن كعب. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن محمد بن كعب.

(٥) في ب: مما لا تعلم.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٩-١٤٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

الوسوسة[١].

وقيل: السِّرُّ: ما أسرّه الإنسان إلى غيره، وأخفى منه: ما أخفاه في نفسه.

وقيل: "أخفى" فعل ماض، على معنى: يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم سره. وهذا المعنى قول زيد بن أسلم[٢].

ثم وَحَّدَ نفسه جَلّتْ عظمته فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾.

وقوله: ﴿له الأسماء الحسنى﴾ مفسر في أواخر الأعراف[٣].

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ قال ابن عباس: كان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً، لا يصحب الرفقة لئلا تُرى امرأته، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة[٤].

وقال وهب: استأذن موسى شُعيباً في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله فولد له ابنٌ في الطريق في ليلة شاتية مثلجة، فحاد عن الطريق، وقدح النار

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٣٩)، ومجاهد (ص:٣٩٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥١٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٤) وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

(٣) عند الآية رقم: ١٨٠.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠١).

فلم [تُورِ][(١)] المِقْدَحَة[(٢)] شيئاً، فبينا هو في [مزاولة][(٣)] ذلك أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق[(٤)].

وها أنا أسوق حديثه على ما أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه قال: «لما رأى موسى عليه السلام النار انطلق يسير حتى وقف منها قريباً، فإذا هو بنار عظيمة تفور من فرع[(٥)] شجرة خضراء شديدة الخضرة، لا تزداد النار فيما يرى إلا عِظَماً وتضرُّماً، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خُضرةً وحُسناً، فوقف ينظر لا يدري على ما يضع أمرها، إلا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق، أوقد إليها موقد فنالها فاحترقت، وأنه إنما يمنع النار شدّةُ خُضرتها، وكثرة مائها، وكثافة ورقها، وعظم جذعها، فوضع أمرها على هذا، فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه، فلما طال عليه ذلك أهوى إليها بضِغْثٍ[(٦)] في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها، فلما فعل ذلك موسى مَالَتْ نحوَه كأنها تريده، فاستأخر عنها وهاب، ثم عاد فطاف بها، فلم تزل تُطمعه ويطمع فيها فلم يكن بأوشك من خمودها، فاشتد عند ذلك عجبه، وفكّر موسى في أمرها وقال: هي نار ممتنعة لا

---

(١) في الأصل: تُرِ. والتصويب من ب.

(٢) المقدحة: الحديدة التي يُقْدَحُ بها. وقيل: الحجر الذي يقدح به النار (اللسان، مادة: قدح).

(٣) في الأصل: محاورة. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ٢٧٢).

(٤) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ١٤٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٢).

(٥) في ب: فروع.

(٦) الضِّغْث: الحُزمة من الحطب (انظر: اللسان، مادة: ضغث).

يقتبس منها ولكنها [تتضرّم][(١)] في جوف شجرة فلا تحرقها، ثم خُمودها على قدر عظمها في أوشك من طرفة عين. فلما رأى ذلك موسى قال: إن لهذه النار لشأناً، ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت، ولا من صنعها ولا لم صنعت، فوقف مُتحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم؟ فبينما هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا هو أشد ما كان خضرة، وإذا الخضرة ساطعة في السماء، ثم لم تزل الخضرة تُنَوَّرُ وتُسْفِرُ وتَبياضُّ حتى صارت نوراً ساطعاً عموداً ما بين السماء والأرض، عليه مثل شعاع الشمس تَكِلُّ[(٢)] دونه الأبصار، فكلما[(٣)] نظر إليه يكاد يخطف بصره، فعند ذلك اشتدّ خوفه، فردّ يده على عينه ولصق بالأرض وسمع الحسّ والوجس، إلا أنه [يسمع][(٤)] حينئذ شيئاً لم يسمع السامعون بمثله عظماً، فلما بلغ موسى ﷺ الكرب واشتدّ عليه الهول، وكاد يُخالط في عقله من شدة الخوف لما يسمع ويرى، نودي من الشجرة فقيل: يا موسى! فأجاب سريعاً وما يدري من دعاه، وما كانت سرعة إجابته إلا استئناساً بالأُنْس، فقال: لبيك "مراراً"، أسمع صوتك، وأُحسّ وَجْسَك[(٥)]، ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال[(٦)]: أنا فوقك ومعك وأمامك وأقرب إليك منك، فلما سمع هذا موسى علم أنه [لا][(٧)]

(١) في الأصل: تضرم. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨٠).
(٢) تكلّ: أي: تتعب وتعيا، يقال: كَلَّ الرجل: إذا تعِب (انظر: اللسان، مادة: كلل).
(٣) في ب: كلما.
(٤) زيادة من ب، ومن الزهد (ص:٨٠).
(٥) الوَجْسُ: الصوت الخفي (اللسان، مادة: وجس).
(٦) في ب: قال.
(٧) في الأصل: ما. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨٠).

ينبغي ذلك إلا لربه تبارك وتعالى، فأيقن به فقال: كذلك أنت يا إلهي، فكلامك أسمع أم رسولك؟ قال: بل أنا الذي أكلمك، فادن يا موسى، فجمع موسى يديه في العصا ثم تحامل حتى استقلّ قائماً، فرعدت فرائصه حتى اختلفت، واضطربت رجلاه، وانقطع لسانه، وانكسر قلبه، ولم يبق منه عَظْمٌ يحمل آخر، فهو بمنزلة الميت إلا أن روح الحياة تجري فيه، ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريباً من الشجرة التي نودي منها، قال له الرب تبارك وتعالى: إليّ، ما تلك بيمينك يا موسى؟ قال: هي عصاي، قال: وما تصنع بها -ولا أحد أعلم بذلك منه-؟ قال موسى: أتوكّأ عليها، وأهُشُّ بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، وكان لموسى عليه السلام في العصا مآرب؛ كانت لها شُعبتان ومِحْجَنٌ[1] تحت الشُّعْبَتَيْن، قال له الرَّبُّ تبارك وتعالى: أَلقِها يا موسى، فظنّ موسى أنه يقول له: ارفضها، فألقاها على وجه الرفض، ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، يدبّ يلتمس، كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه، يمرّ بالصخرة مثل الخَلِفَة[2] من الإبل فيقتلعها، ويطعن بالنَّابِ من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فَتَجْتَثُّها[3]، عيناه توقدان ناراً، وقد عاد المحجن عُرْفاً فيه شعر مثل النَّيَازِك[4]، وعادت الشُّعْبتان فَماً مثل القَليب[5] الواسع، وفيه أضراس وأنياب لها

(١) الشُّعْبة من الشجر: ما تفرق من أغصانها. وشُعَبُ الغصن: أطرافه المتفرقة (اللسان، مادة: شعب). والمحجن: عصاً مُعَقَّفة الرأس كالصولجان (اللسان، مادة: حجن).
(٢) في ب: الخلقة. والخَلِفَة: الناقة الحامل (اللسان، مادة: خلف).
(٣) الجَثُّ: القطع، وجَثَّه: قلعه، واجتثَّه: اقتلعه (اللسان، مادة: جثث).
(٤) في هامش ب: النيازك: الرماح الصغار (انظر: اللسان، مادة: نزك).
(٥) القليب: البئر (اللسان، مادة: قلب).

صَريف[١]، فلما عاين ذلك موسى عليه السلام ولّى مُدْبِراً، فذهب حتى أمعن، ورأى أنه قد أَعْجَزَ الحية، ثم ذَكَرَ رَبّه عز وجل فوقف استحياءً منه، ثم نودي: يا موسى! إليّ، ارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف، قال: خُذْها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى، وعلى موسى يومئذ مِدْرَعة[٢] من صوف قد خَلَّلَها بِخِلالٍ من عيدان، فلما أمره[٣] بأخذها ثنى طرف المدرعة على يده، فقال له مَلَكٌ: أرأيت لو أذن الله لما تُحاذر، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيف، ومن ضَعْفٍ خُلِقتُ، فكشف عن يده ثم وضعها في فِيّ الحية، حتى سمع حِسّ الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه [التي][٤] عهدها، وإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين. فقال له الله: ادن، فلم يزل يُدنيه حتى أسند ظهره بجذع الشجرة فاستقر، وذهبت عنه الرِّعْدَة وجمع يديه في العصا، وخضع برأسه وعنقه، ثم قال له: إني قد أقمتك اليوم مقاماً لا ينبغي لبشر بعدك أن يقوم مقامك[٥]، أدنيتك وقربتك حتى سمعت كلامي، وكنت بأقرب الأمكنة مني، فانطلق برسالتي، فإنك بعيني وسمعي، وإن معك يدي ونصري، وإني قد ألبستك [جُنَّةً][٦] من سلطاني تستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من

---

(١) الصريف: صوت الأنياب والأبواب (اللسان، مادة: صرف).

(٢) المِدْرَعَة: ضربٌ من الثياب التي تُلبس، وتكون من الصوف خاصة (اللسان، مادة: درع).

(٣) في ب: أُمِرَ.

(٤) في الأصل: الذي. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨١).

(٥) في الأصل زيادة: إذ. وانظر: الزهد (ص:٨٢).

(٦) في الأصل: محبة. والتصويب من ب، ومن الزهد، الموضع السابق.
والجُنّة: الدّرع (اللسان، مادة: جنن).

جندي[1]، بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بَطِرَ نعمتي وأَمِنَ مكري، وغرَّتْه الدنيا عني، حتى جَحَدَ حقي، وأنكر ربوبيتي، وعَبَدَ دوني، [وزعم][2] أنه لا يعرفني، وإني أقسم بعزتي لولا العذر والحجة اللذان وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار، تغْضَبُ لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرتُ السماء حَصَبَتْه، وإن أمرتُ الأرض ابتلعته، وإن أمرتُ الجبال دمّرته، وإن أمرتُ البحار غرّقته، ولكنه هان عَلَيَّ وسقط من عيني، ووسعه حِلْمي، [واستغنيت][3] بما عندي، وحُقَّ لي إني أنا الغَنِيُّ لا غَنِيَّ غيري، فَبَلِّغْهُ رسالاتي وادْعُهُ إلى عبادتي وتوحيدي وإخلاص اسمي، وذَكِّرْهُ أَيَّامي وحَذِّرْهُ نِقمَتي وبأسي، [وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى][4]، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يريعك[5] ما ألبستُه من لباس الدنيا، فإن ناصيتَه بيدي، ليس يَطرف ولا ينطق ولا يتنفس إلا بإذني، قل له: أجب ربك، فإنه واسع المغفرة، فإنه قد أمهلك أربعمائة سنة، وفي كلها أنت مُبارِزٌ لمحاربته، تشبّه وتمثّل به وتصدّ عباده عن سبيله، وهو يُمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض، لم تَسْقَمْ ولم تَهْرَمْ ولم تَفْتَقِرْ ولم تُغْلَبْ، ولو شاء أن يُعَجِّل ذلك [لك][6] أو يَسْلُبَكَهُ فَعَل،

(١) في ب: جنودي.

(٢) في الأصل: زعم. والتصويب من ب، ومن الزهد (ص:٨٢).

(٣) في الأصل: واستغيت. والتصويب من ب، ومن الزهد، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الزهد، الموضع السابق.

(٥) في ب: يرعبك. وفي الزهد: يرو عنك.

(٦) زيادة من الزهد (ص:٨٢).

[ولكنه](١) ذو أناةٍ وحلْمٍ عظيم، وجَاهِدْهُ بنفسك وأخيك وأنتما مُحْتَسِبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قِبَل له بها لَفَعَلْتُ، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة -ولا قليل مني- تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا تُعْجِبَنَّكُما زينته ولا ما مُتِّعَ به، ولا تَمُدَّان إلى ذلك أعينكما، فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، وإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن [مَقْدِرَتَهُ](٢) تَعْجِزُ عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأَزْوِيهِ عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً ما خِرْت لهم في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيقُ غَنَمَهُ عن مَراتِعِ الهلكة، وإني لأُجَنِّبُهُم سَلْوَتَها وعيشها كما يُجَنِّبُ الراعي الشفيقُ إبله عن مَبَارِكِ الغُرَّة، وما ذاك لهوانهم(٣) عَلَيَّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً مُوَفَّراً لم تَكْلِمْهُ الدنيا ولم يُطْغِهِ الهوى، واعلم أنه لم يتزين العباد بزينةٍ هي أبلغ من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يُعرفون به من الخشوع، سيماهم في وجوههم من آثار السجود، أولئك أوليائي حقاً، فإذا لقيتُهم فاخفض لهم جناحك، وذَلِّل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أَهَانَ لي وليّاً وأخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني، وعرّض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيئاً إلى نصرة أوليائي، [أيظن الذي يحاربني أن يقوم لي، أو يظن](٤) الذي يعاديني أنه يُعْجِزُني؟ أم يظن

---

(١) زيادة من الزهد (ص:٨٢).

(٢) في الأصل: قدرته. والتصويب من ب، والزهد، الموضع السابق.

(٣) في ب: إلا لهوانهم. وهو خطأ.

(٤) في الأصل: أفيظن. والتصويب والزيادة من الزهد (ص:٨٣).

الذي يبارزني أنه يسبقني أو يفوتني؟! [وكيف][1] وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نُصْرَتَهُمْ إلى غيري.

قال: فأقبل موسى ﷺ إلى فرعون في مدينة قد جعل حولها الأُسْد في غَيْضَةٍ[2] قد غرسها، فالأُسْد فيها مع سَاسَتِها[3] إذا أَشْلَتْها[4] على أحد أُكِلَ، وللمدينة أربعة أبواب في الغيضة، فأقبل موسى عليه السلام من الطريق الأعظم الذي يراه فرعون، فلما رأته الأُسْدُ صاحت صياح الثعالب، فأنكر ذلك السَّاسة وفَرِقُوا من فرعون، وأقبل موسى عليه السلام حتى انتهى إلى الباب الذي فيه فرعون، فقرعه بعصاه، وعليه جُبَّةُ صُوفٍ وسراويل، فلما رآه البَوَّاب عجب من جرأته، فتركه ولم يأذن له، وقال: هل تدري باب من أنت تَضْرِب؟ إنما تضرب باب سيدك، قال: أنت وأنا وفرعون عبيد لربي عز وجل فإني[5] ناصره، [فأعلمه البَوّاب السابق][6]، فأخبر البَوَّاب الذي يليه والبَوَّابين حتى بلغ ذلك أدناهم، ودونهم سبعون حاجباً، كل حاجب منهم تحت يده من الجنود ما شاء الله عز وجل، كأعظم أمير اليوم إمارة، حتى خلص الخبر إلى فرعون، فقال: أَدْخِلُوهُ عَلَيَّ، فَأُدْخِلَ، فقال له فرعون: أَعْرِفُكَ؟ قال: نعم، قال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وليداً؟ فردّ موسى عليه الذي ذكره الله عز وجل. قال فرعون: خذوه، فبادرهم موسى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين،

(١) في الأصل: فكيف. والتصويب من ب، والزهد (ص:٨٣).

(٢) الغَيْضَة: الأَجَمَة، وهي الشجر الكثير الملتفّ (اللسان، مادة: غيض). والمقصود هنا: الغابة.

(٣) الساسة: القادة (اللسان، مادة: سوس). والمقصود هنا: الذين كُلِّفوا برعايتها.

(٤) أشلتها: أي: أطلقتها (هامش الزهد ص:٨٣).

(٥) في ب: فأتى.

(٦) زيادة من الزهد (ص:٨٣).

فحملتْ على الناس فانهزموا منها، فمات منها[1] خمسة وعشرون ألفاً، قتَل بعضهم بعضاً، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت، فقال لموسى: اجعل بيننا وبينك أجلاً نَنْظُرُ فيه، فقال له موسى: لم أُومَرْ بذلك، وإنما أُمِرْتُ بمناجزتك، وإن أنت لم تخرج إليّ دخلتُ إليك، فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلاً ينظر فيه وقل له يجعله هو. قال فرعون: اجعله إلى أربعين يوماً، ففعل، وكان فرعون لا يأتي الخلاء إلا في أربعين يوماً مرة، فاختلف ذلك اليوم أربعين مرة.

قال: وخرج موسى من المدينة، فلما مرّ بالأُسْد مَصَعَتْ[2] بأذنابها، وسارت مع موسى تُشَيِّعُهُ ولا تُهَيِّجُهُ ولا أحداً من بني إسرائيل[3].

عُدْنا إلى تفسير الآية، قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿وهل أتاك﴾ أي: وقد أتاك، يشير إلى أنه استفهام في معنى الخبر[4].

قال ابن الأنباري[5]: هذا معروف عند اللغويين أن تأتي "هل" معبرة عن "قد"، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهم هل بلغت»[6].

قال المفسرون: رأى نوراً، ولكنْ أخبر بما كان في ظن موسى ﴿فقال لأهله

---

(١) في الزهد: منهم.

(٢) المَصْعُ: التحريك. ومَصَعَتِ الدابة بذنبها مَصْعاً: حرّكته من غير عَدْوٍ (اللسان، مادة: مصع).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٧٩-٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٤-٥٥٨) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧١-٢٧٢).

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٦١٩ ح١٦٥٢)، ومسلم (١/ ٢٠١ ح٢٢١).

امكثوا﴾ أي: أقيموا مكانكم[١].

﴿إني آنست ناراً﴾ أي: أبصرتُ ناراً.

وقال الفراء[٢]: وجدتُ.

قال صاحب الكشاف[٣]: لما كان مقطوعاً متيقناً حققه لهم بكلمة "إن" ليوطّن أنفسهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين، بُني الأمر فيهما على الرجاء والطمع، وقال: ﴿لعلّي﴾.

والقَبَس: ما أخذتَه من النار في رأس عُود أو في رأس فتيلة[٤].

قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ على النار هُدى﴾ قال ابن عباس: هادياً يهدي إلى الطريق[٥].

قال الفراء[٦]: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر.

[وقال][٧] صاحب الكشاف[٨]: المعنى [ذوي][٩] هدى، وإذا وجد الهُدَاة فقد

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ١٤٢) عن ابن عباس قال: كان في الشتاء ورفعت لهم نار، فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله ﴿قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٢).

(٢) معاني الفراء (٢/ ١٧٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٥).

(٤) انظر: اللسان، مادة: قبس.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٢) ولفظه: من يدل على الطريق. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم، وبنفس لفظ الطبري عزاه لابن المنذر.

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٧٥).

(٧) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٨) الكشاف (٣/ ٥٥).

(٩) في الأصل: ذو. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وجد الهُدَى. ومعنى الاستعلاء [في][(١)] "على النار": أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها.

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فلما أتاها﴾ يعني: النار ﴿نُودي﴾ قال المفسرون: جاءه النداء من الشجرة[(٢)]: ﴿يا موسى إني أنا ربك﴾ كرر الضمير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة، ومثله: ﴿إني أنا النذير المبين﴾ [الحجر:٨٩].

واختلف القُرّاء في قوله: "إني" ففتح الهمزة ابن كثير وأبو عمرو، وكسرها الباقون[(٣)].

فمن فتح فعلى معنى: نودي بأني أنا ربك. ومن كسر فعلى معنى: نودي، فقيل: يا موسى إني، أو لأن النداء ضربٌ من القول فعُومل معاملته.

قوله تعالى: ﴿فاخلع نعليك﴾ قال علي عليه السلام: كانا من جلد حمارٍ مَيِّت[(٤)].

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١)، والكشف (٢/ ٩٦)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٤) وقال: في إسناده نظر يجب التثبت منه، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٥٨) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

ورواه ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ(١).

وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: كانا من جلد بقرة ذكية، لكنه أُمر بخلعهما لبيان شرف(٢) الأرض المقدسة(٣) لينالَه(٤) بركتها(٥).

وقيل: أمر بخلعهما؛ لأن الحفوة من أمارات التواضع.

ويحتمل عندي أن يقال: أمر بخلع نعليه؛ [إجلالاً](٦) وإعظاماً واحتراماً لتلك الحضرة المقدَّسة، أو احتراماً للبقعة، ألا ترى إلى قوله: ﴿إنك بالواد المقدس﴾ أي: المُطَهَّر. وقيل: المُبَارك.

وقد سبق في المائدة عند قوله: ﴿الأرض المقدسة﴾(٧).

قال الواحدي(٨): و﴿طوى﴾ اسم للوادي(٩)، في قول جميع

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٢٤ ح١٧٣٤) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الكوفي، منكر الحديث.

(٢) في ب: ليباشر تراب.

(٣) وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري (١٦/ ١٤٤) قال: أمره الله تعالى بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان واديا مقدساً. وإنما قلنا ذلك؛ لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولأخبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: ﴿إنك بالواد المقدس﴾ بعقبه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا.

(٤) في ب: فيناله.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٢).

(٦) في الأصل: إجلاً. والتصويب من ب.

(٧) عند تفسير الآية: ٢١.

(٨) الوسيط (٣/ ٢٠٢).

(٩) في ب: الوادي.

المفسرين[١].

وقال الحسن وقتادة: معنى "طوى": أنه قُدِّسَ مرتين[٢].

قرأ أهل الكوفة وابن عامر: "طوىً" بالتنوين على أنه اسم الوادي، وهو مُذَكَّر. وقرأ الباقون بغير تنوين على أنه اسم للبقعة[٣]، أو هو معدول عن طاوٍ، فيصير مثل عُمَر المعدول عن عَامِر.

قوله تعالى: ﴿وأنا اخترتك﴾ وقرأ حمزة: "وَأَنَّـا اخْتَرْنَـاكَ"[٤] على الجمع في الكلمتين؛ للتعظيم والمبالغة في الإجلال.

﴿فاستمع لما يوحى﴾ أي: أَنْصِتْ للذي يوحى إليك، أو للوحي، اللام متعلقة بـ"استمع" أو بـ"اخترتك".

قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ وَحِّدْنِي.

﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ قال مجاهد: المعنى: لتذكرني فيها[٥]، يُشير إلى أن

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٦) عن ابن عباس ومجاهد، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٩-٥٦٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٥-١٤٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٠) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١)، والكشف (٢/ ٩٦)، والنشر (٢/ ٣١٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٧).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١-٤٥٢)، والكشف (٢/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٢-٣٠٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٨)، ومجاهد (ص:٣٩٤) ولفظه: "إذا صلى عبد ذكر ربه"، وابن أبي

الصلاة مشتملة على الأذكار[١]، فأضافه إلى المفعول وحذف الفاعل.

ويجوز أن يكون المعنى: لأذكرك، فحذف المفعول واقتصر على الفاعل.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، كنت في وقتها أو لم تكن[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك، ثم قرأ: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾»[٣].

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ قرأ أبو الدرداء وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير: "أَخفيها" بفتح الهمزة[٤].

= حاتم (٧/ ٢٤١٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري (١٦/ ١٤٨) وقال: لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكرها.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٤١٢) كلاهما عن إبراهيم. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١-٥٦٢) وعزاه لعبد بن حميد عن إبراهيم. ومن نفس الطريق عزاه أيضاً لابن أبي شيبة. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢١٥ ح٥٧٢)، ومسلم (١/ ٤٧٧ ح٦٨٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٧٦).

قال الزجاج[(١)]: معناه: أكاد أظهرها. قال امرؤ القيس:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نَخْفِهِ ... وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ[(٢)]

أراد: إن تدفنوا الداء لا نظهره.

وهذه القراءة أبين في المعنى؛ لأن معنى أكاد أظهرها: قد أخفيتُها.

وقرأ الأكثرون: "أُخفيها" بضم الهمزة.

قال أبو الفتح ابن جني[(٣)]: أَخْفَيْتُ الشَّيءَ: كَتَمْتُه وأَظْهَرْتُه جميعاً، وخَفَيْتُهُ: أَظْهرته البتة.

وفي قراءة ابن مسعود وأُبيّ بن كعب ومحمد بن علي: "أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي"[(٤)]. وبهذه القراءة جاء تفسير ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين، قالوا: المعنى: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أطلعكم عليها؟[(٥)].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٢-٣٥٣).

(٢) البيت لامرئ القيس يتوعد قتلة أبيه. انظر: ديوانه (ص:١٨٦)، واللسان، مادة: (خفا)، ومجاز القرآن (٢/ ١٧)، ومعاني الفراء (٢/ ١٧٧)، والطبري (١٣/ ١٢١، ١٦/ ١٥٠)، والقرطبي (١١/ ١٨٢، ١٨٣)، والماوردي (٣/ ٣٩٨)، وزاد المسير (٥/ ٢٧٦)، والبحر المحيط (٦/ ٢١٨)، والدر المصون (٥/ ١٢)، وروح المعاني (١٦/ ١٧٢).

(٣) المحتسب (٢/ ٤٧).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٧٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٩)، ومجاهد (ص:٣٩٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف.

قال المبرد[١]: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي: لم أُطْلِع عليه أحداً.

وقال قطرب: إن قيل: كيف يخفي الله تعالى من نفسه وهو خَلَقَ الإخفاء؟

قلنا: إن الله تعالى كلّم العرب بكلامهم الذي يعرفونه، ألا ترى أن الرجل يعذل أخاه يقول: أذعتَ سِرِّي. فيقول مجيباً له معتذراً إليه: والله لقد كتمتُ سرّك من نفسي فكيف أذيعه؟ معناه عندهم: أخفيتُه الإخفاء كله.

قال الشاعر:

أيام تُعجبني هندٌ وأخبرها ما ... أكتُمُ النفس من حاجي وأسراري[٢]

فكيف يخبرها بما يكتم من نفسه، فمَجاز الآية على هذا.

وقال الزمخشري[٣]: المعنى: أكاد أخفيها، فلا أقول هي آتية[٤] لفرط إرادتي إخفاءها.

وأنكر تفسيرَ الجمهور، فقال: لا دليل في هذا الكلام على هذا المحذوف، ومحذوفٌ لا دليل عليه مُطَّرَحٌ.

قال الزمخشري[٥]: والذي غَرَّهُمْ منه أَنَّ في مُصْحَفِ أُبيّ بن كعب: "أكاد أخفيها من نفسي".

---

(١) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٠٣)، وزاد المسير (٥/ ٢٧٦).

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١١/ ١٨٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٧-٥٨).

(٤) في الأصل: أيأتيه. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٥٧).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٨).

قلتُ(١): وهذا من المواضع [التي](٢) سُلِبَ هـذا الرَّجُـلُ التَّوفيـق فيهـا، وَلَمْ يُرْشِدْهُ عِلْمُهُ إلى فساد ما خَيَّلَهُ له ظَنُّه.

ومن العجائب: أنه اعترف أن هذا مُسَطَّراً في مصحف أُبيّ بن كعب وسَجَّل على نفسه به، وجعل بعد ذلك القائل به والذاهب إليه مغروراً، وهذا تغفيل عظيم؛ لأن أُبيّاً سَطَّرَهُ في مصحفه، وذلك دليل على أنه سمعه من النبي ﷺ، فإما أن يكون قرآناً أو حديثاً، [وأياً](٣) ما كان فالصائر إليه والمعتمد في التفسير [عليه](٤) مُصيبٌ غير مغرور؛ كما زعم.

وقال أبو علي الفارسي(٥): هذه همزة السَّلْب. المعنـى: أكـاد أَسْـلُبُ خَفاءهـا وأُظْهِرُها، كما تقول: أَشْكَيْتُ الرَّجُلَ؛ إذا أَزَلْتَ شَكْوَاهُ(٦).

وكان الأخفش يقف على قوله: ﴿أكاد﴾ وقفة يـسيرة، ثـم يبتـدئ ﴿أخفيهـا لتجزى﴾، يشير إلى أن اللام في "لتجزى" متعلقة بـ"أخفيها".

وهذا حَسَنٌ لطيف إذا كان "أخفيها" بمعنى: أظهرُها أو أزيل خفاءهـا، وإلا فهي متعلقة بـ"آتية" على معنى: أن الساعة جائية.

﴿لِتُجْزَى كل نفس﴾ في يوم الساعة بسعيها في الدنيا وما عملتْه من خير وشر.

﴿فلا يَصُدَّنَّكَ عنها﴾ أي: لا يَصْرِفَنَّكَ عن الإيمان بها والاستعداد لها ﴿من لا

---

(١) أي: المصنف رحمه الله.

(٢) في الأصل: الذي. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: وأ. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: إليه. والتصويب من ب.

(٥) لم أقف عليه في الحجة. وانظر قوله في: البحر المحيط (٦/ ٢١٨)، والقرطبي (١١/ ١٨٤).

(٦) انظر: اللسان (مادة: شكا).

يؤمن بها واتبع هواه﴾ معرضاً عن براهين التوحيد ودلائل البعث، ﴿فَتَرْدَى﴾ أي: فتهلك.

والمقصود من ذلك: تثبيت موسى عليه السلام على الإيمان بالبعث؛ ليزداد حرصاً على الاستعداد واجتهاداً في دعاء العباد إلى الله تعالى، ولتنحسم أطماع المكذبين عن صدّه عما هو بصدده.

فإن قيل: ما موضع "فَتَرْدَى" من الإعراب؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: النصب على جواب النهي بالفاء، كقوله عقيب هذا الموضع: ﴿لا تفتروا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ بعذاب﴾ [طه:٦١].

الثاني: الرفع، على معنى: فإذاً أنت تردى، ومثله: ﴿فَأَطَّلِعُ إلى إله موسى﴾ [غافر:٣٧]، و"أَطَّلِعَ" بالنصب أيضاً، وقوله عز وجل: ﴿فتنفعُه -وتنفعَه- الذكرى﴾ [عبس:٤].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ قال الزجاج[1]: "تلك" اسمٌ مُبْهَمٌ يجري مجرى "التي". والمعنى: وما التي بيمينك.

فإن قيل: ما الحكمة في سؤاله مع علم الله تعالى بحاله؟

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٣-٣٥٤).

قلتُ: لِيُرِيَهُ بعد التثبُّت في عصاهُ والتأمل لها، عجائبَ قدرته وبدائع صنعته من قلب الخشبة اليابسة حَيَّةً تسعى، وليُنَبِّهَهُ على هذه الآية الباهرة والمعجزة الظاهرة ليؤنسه[١] بسؤاله، مخففاً عنه ما خامره في ذلك المقام من ثقل الخوف وفرط الهيبة والإجلال.

﴿قال هي عَصَايَ﴾ وقرأ الحسن: "عصايِ" بكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين[٢]. وفيها ضعف؛ لأنهم يستثقلون الكسرة على الياء، ومنهم من سكن الياء لوقوع المدة حائلة بين الساكنين.

وقرأ ابن أبي إسحاق: "عَصَيَّ" على لغة هذيل[٣]، ومثلُه: "يا بشريّ"، أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه، فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة.

﴿أتوكأ عليها﴾ أعتمد عليها إذا وثبت أو تعبت، ﴿وأَهُشُّ بها على غنمي﴾ قال الفراء[٤]: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه الغنم.

يقال: هَشَّ يَهُشُّ هَشّاً؛ إذا خَبَطَ الشجر[٥].

وقرأ عكرمة: "وأَهُسُّ" بالسين المهملة[٦]، من الهَسّ، وهو زَجْرُ الغنم[٧]، يقال: رجل هَسَّاسٌ، أي: سَوَّاقٌ.

---

(١) في ب: وليؤنسه.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) معاني الفراء (٢/ ١٧٧).

(٥) انظر: اللسان (مادة: هشش).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٠).

(٧) انظر: اللسان (مادة: هسس).

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي: حاجات، واحدتها: مَأْرُبَة، بفتح الراء وضمّها(١).

قيل: كان إذا طال الغُصن حَنَاهُ بالمِحْجَن، وإذا أراد كسره لَوَاهُ بالشُّعْبَتَيْن، وإذا سار ألقاها على عاتقه وعلق بها إداوته وقَوْسه وكِنَانَتَه، وكان يُقاتل بها السباع ويدفعها بها عن غنمه، إلى غير ذلك من المنافع.

وقيل: كانت تُضيءُ له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتُثْمِرُ له إذا اشتهى الطعام.

فإن قيل: حصل الجواب بقوله: ﴿هي عَصَايَ﴾، فما الفائدة في ذكر ما بعده؟

قلتُ: روي عن ابن عباس: أنه لما أجاب بقوله: هي عَصَايَ، قيل له: فما تصنع بها؟ فأجاب بذلك عن السؤال الآخر(٢).

وقال سعيد بن جبير: أظهر فوائدها خوفاً أن يؤمر بإلقائها كالنعلين(٣).

وقال بعض العلماء: بيّن منافعها لئلا يُعدّ عابثاً [بحملها](٤).

فإن قيل: لم أَجْمَلَ بقوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ ولم يُفَصِّل بتعداد منافعها كلها؟

قلتُ: لعله تعرّض بذكر الإجمال إلى الزيادة في السؤال بأن يقال له: وما تلك المآرب، فيزداد بذلك كرامة وأُنساً، ولعله كره أن يشتغل عن كلام الله تعالى بتعداد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: أرب).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٨).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: بتحملها. والمثبت من زاد المسير (٥/ ٢٧٨). وهو قول الماوردي (٣/ ٣٩٩).

منافع عصاه(١).

فإن قيل: "المآرب" جمع، فكيف قال: "أخرى" ولم يقل: "أُخَر"؟

قلتُ: قال الزجاج(٢): المـآرب في معنـى: جماعـة، فكأنـه قـال: جماعـة مـن الحاجات أخرى.

﴿قال أَلقِها يا موسى * فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ قال المفسرون: أراد الله أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق؛ لئلا يفـزع منهـا إذا ألقاها عند فرعون(٣).

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿فإذا هي حَيَّـةٌ﴾ وبـين قولـه في الأعـراف: ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ [الأعراف:١٠٧]، وقوله(٤) في موضع آخر: ﴿كأنها جَـانٌّ﴾ [النمل:١٠] وبين هذه الأوصاف من حيث إن الثعبان أعظم الحيات، والجـانّ مـا دَقَّ منها؟

قلتُ: وجه الجمع أن يقال: الحية: اسم جـنس، يقـع عـلى الـذَّكَر والأنثـى، والصغير والكبير. ثم وَصْفُها بأنها ثعبان أو جَانّ لا يخلو إما أن يكون حال انقلابها حية كأنها جان، ثم يتزايد جِرْمها حتى يصير ثعباناً، فهي جانّ في الابتداء، ثعبان في الانتهاء. وإما أن تكون في شخص الثعبان وسرعة حركة الجـانّ. وإمـا أن يتنـوع

---

(١) وقد أبدى بعض المفسّرين نكتة في ذلك؛ وهي أن نبي الله موسى عليـه الـصلاة والـسلام أراد أن يتلذذ بطول المناجاة مع ربه تبارك وتعالى، ولهذا أطال الكلام عن العصا.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٧٩).

(٤) في ب: وبين قوله.

انقلابها، تارة تنقلب جانّاً وتارة ثعباناً.

﴿قال خُذْها ولا تَخَفْ سَنُعِيدُها سيرتها الأولى﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: سنعيدها إلى سيرتها الأولى، فلما حُذِفَتْ "إلى" وصل إليها الفعل فنصبها[2].

قال السدي: المعنى: سَنَرُدُّها عصا كما كانت[3].

والسِّيرَةُ: الهَيْئَةُ والحالة، يقال لمن كان على شيء فتركه ثم عاد إليه: عاد إلى سيرته[4].

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واضْمُمْ يدك إلى جناحك﴾ قال مجاهد: كَفَّكَ تحت عَضُدِك[5].

قال الفراء والزجاج[6]: جناح الإنسان: عَضُدُه إلى أصل إِبْطِه.

﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي: من غير بَرَص، وكان موسى شديد الأُدْمَة، فإذا أخرج يده غلب نورها شعاع الشمس.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

(٢) على إسقاط الخافق.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٥٧) عن وهب بن منبه. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٤).

(٤) انظر: اللسان، مادة: سير.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٥٧)، ومجاهد (ص:٣٩٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٧٨)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

﴿آية أخرى﴾ دلالة [أخرى][١] على صدقك ورسالتك سوى العصا. و"آية" نصب على الحال[٢].

وقال الزجاج[٣]: على معنى: آتيناك آية، أو نؤتيك آية أخرى.

﴿لِنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى﴾ أي: لنريك من آياتنا الآية الكبرى.

قال ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته[٤].

قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أي: جاوز الحد في العُتُوّ والعِصْيان.

قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قال أهل التفسير: علم موسى حين بُعث إلى الطاغية أنه قد كُلِّف أمراً عظيماً، وخَطْباً جسيماً، فسأل ربه عز وجل العون على فرعون فقال: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ أي: وَسِّع قلبي للحق حتى لا أخاف فرعون[٥].

﴿ويَسِّرْ لي أمري﴾ هَوِّن عَلَيَّ النهوض بأعباء الرسالة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٢٠)، والدر المصون (٥/ ١٦).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨١).

﴿واحلل عقدة من لساني﴾ قال ابن عباس: كانت في لسانه [رُتَّة][(١)]، وذلك أنه كان في حِجْرِ فرعون ذات يوم فَلَطَمَهُ لَطْمَةً وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوّي، فقالت آسية: على رِسْلِكَ، فإنه صبيّ لا يُفَرِّق بين الأشياء ولا يُمَيِّز، ثم جاءت بِطَشْتَيْن[(٢)]، فجعلت في أحدهما الجمر وفي الآخر الجوهر، ووضعتهما بين يدي موسى، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار، حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه[(٣)]، فتلك الرُّتَّة من ذلك[(٤)].

والرُّتَّة في اللغة: العَجَلةُ مع العُجْمَةِ[(٥)].

[ويروى][(٦)]: «أنه كانت في لسان الحسين عليه السلام رُتَّة[(٧)]، فقال النبي ﷺ: ورثها من عمّه موسى»[(٨)].

﴿يفقهوا قولي﴾ أي: يفقهوا كلامي.

واختلفوا هل زالت العقدة؟ فقال قوم: زالت[(٩)]؛ لقوله تعالى: ﴿قد أوتيت

---

(١) في الأصل: رتة. وكذا وردت في المواضع التالية، والتصويب من ب.

(٢) الطَّشْت -أو الطَّسْت-: من آنية الصُّفْر (اللسان، مادة: طست).

(٣) قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٦/ ١٨٢): وفي هذا دليل على فساد قول القائلين بأن النار تحرق بالطبيعة من غير مدخلية لإذن الله تعالى في ذلك، إذ لو كان الأمر كما زعموا لأحرقت يده.

(٤) ذكره القرطبي (١١/ ١٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: رتت).

(٦) في الأصل: ويرى. والتصويب من ب.

(٧) الرُّتَّة بالضم: العُجمة في الكلام (مختار الصحاح ص:٩٨).

(٨) ذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٦/ ١٨٣).

(٩) قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٢٤): وهو ضعيف؛ لأنه لم يقل: واحلل العقدة، بل قال: "عقدة"، فإذا حلّ عقدة فقد آتاه الله سؤله.

=

سؤلك يا موسى﴾.

وقيل: بقي بعضها؛ لقوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾، وقوله: ﴿ولا يكاد يُبين﴾ [الزخرف:٥٢].

﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ أي: عوناً وظهيراً منهم.

قال الزجاج[١]: اشتقاقه من الوَزَر، والوَزَرُ: الجبلُ الذي يُعتصَمُ به ليُنجي من الهلكة[٢]، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يَعتمد عليه في أموره ويَلتجئ إلى رأيه.

وقال ابن قتيبة[٣]: أصل الوزَارة: مِن الوِزْر، وهو الحِمْل، كأن الوزير يحمل[٤] عن السلطان الثِّقل.

"وزيراً" و"هارون" مفعولا "اجعل"، قدم الثاني منهما على الأول[٥]. التقدير: اجعل هارون أخي وزيري.

وقيل: المفعولان "وزيراً" و"هارون" عطف بيان للوزير، و"أخي" في الوجهين بدل من "هارون". ويجوز أن يكون عطف بيان آخر[٦].

= وقال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٣): إنه طلب حلّ بعضها إرادة أن يفهم عنه فهماً جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وزر).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٨).

(٤) في ب: قد حمل.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٢١)، والدر المصون (٥/ ١٧).

(٦) مثل السابق.

قوله تعالى: ﴿اشْدُدْ به أزري﴾ قرأ ابن عامر: "أَشْدُدْ" بفتح الهمزة وقطعها(١). جعلها ألف المُخْبِر عن نفسه، والفعل ثلاثي مجزوم؛ لأنه جواب الطلب.

وقرأ أيضاً: ﴿وأُشْرِكْهُ في أمري﴾ بضم الهمزة، جعلها ألف المتكلّم في فعل رباعي، وهو مجزوم عطفاً على قوله: "اشْدُدْ".

وقرأ الباقون: "اشْدُدْ" بوصل الألف، جعلوه طلباً وسؤالاً، حَمْلاً على ما قبله، والابتداء على هذه القراءة بضم الهمزة.

"وأَشْرِكْهُ" بفتح الهمزة، على الطلب أيضاً(٢).

والمعنى: قَوِّ به ظهري.

قال ابن قتيبة(٣): الأَزْرُ: الظَّهْرُ، وقيل: القُوَّة(٤).

أي: اشْدُدْ به قُوَّتي، ومنه: ﴿فآزره فاستغلظ﴾ [الفتح:٢٩].

ومعنى "أشركه في أمري": اجمع بيني وبينه في النبوة.

﴿كي نُسَبِّحَكَ كثيراً﴾ أي: نُصَلِّي لك، ﴿ونذكرك﴾ ذِكْراً ﴿كثيراً﴾ بألسنتنا مضافاً إلى طاعتنا بجوارحنا.

﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ ترى أحوالنا وتسمع دعاءنا فاستجب لنا.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٢)، والكشف (٢/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٧٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: أزر).

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿قال قد أوتيت سُؤْلَكَ يا موسى﴾ طلبتك وأمنيتك.

﴿ولقد مَنَنَّا عليك﴾ أنعمنا عليك ﴿مرة أخرى﴾ قبل هذه المرة.

ثم بيّن وقتها فقال: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ أي: ألهمناها.

وقيل: يجوز أن يكون ذلك على لسان نبيٍ في زمانها، أو على لسان مَلَكٍ، أو بطريق الرؤيا في المنام.

وفي قوله: "ما يوحى" تنبيه على فخامة ما امْتَنَّ به عليه، إذ كان سبباً في نجاته.

ثم فَسَّره فقال: ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أي: ضعيه فيه ﴿فاقذفيه في اليَمّ﴾.

قال ابن عباس: يريد: النيل[1].

﴿فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالساحل﴾ قال ابن الأنباري[2]: ظاهر هذا: الأمر، ومعناه:

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦١) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

الخبر، تأويله: [يلقيه][(١)] اليم.

ويجوز أن يكون البحر مأموراً بآلة رَكَّبها الله تعالى فيه فسَمِعَ وعَقَلَ، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار.

والسَّاحل: شَاطِئ البحر[(٢)].

قال صاحب الكشاف[(٣)]: الضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت[(٤)]: فيه هُجْنَة[(٥)]؛ لما يؤدي إليه من تنافر النظم.

قوله تعالى: ﴿يأخذه عَدُوٌّ لي وعَدُوٌّ له﴾ يعني: فرعون.

قال المفسرون: اتخذت أُمُّه تابوتاً وجعلت فيه قطناً مَحْلُوجاً[(٦)] ووضعت فيه موسى، وأحكمت شقوق التابوت بالقَارِ[(٧)]، ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينا هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذا هو بالتابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذه، فلما فتحوه رأوا صبياً من أحسن الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبَّه حُبّاً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

---

(١) في الأصل: ليلقه. والتصويب من ب، وزاد المسير (٥/ ٢٨٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سحل).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٤).

(٤) التابوت: الصندوق الذي يُحرز فيه المتاع، وعند قدماء المصريين: صندوق من حجر أو خشب توضع فيه الجثة (المعجم الوسيط ١/ ٨١).

(٥) الهُجْنَة من الكلام: ما يَعِيبُك (اللسان، مادة: هجن).

(٦) حَلَجَ القُطْنَ يَحْلِجُهُ حَلْجاً: نَدَفَه. وقطن حليج: مَنْدُوفٌ مُسْتَخْرَجُ الحَبِّ (اللسان، مادة: حلج).

(٧) القَارُ: هو صُعُدٌ يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسُّفُن، يمنع الماء أن يدخل. وقيل: هو الزِّفْت (اللسان، مادة: قير).

مِنِّي﴾[١].

قال ابن عباس: لا [يلقاك][٢] أحد إلا أحبك، لا مؤمن ولا كافر[٣].

وقال عطية العوفي: جعل عليه مسحة من جمال، لا يكاد يصبر عنه من رآه[٤].

وقال قتادة: ملاحة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا أحبه[٥].

﴿وَلِتُصْنَعَ على عيني﴾ أي: لتربى وتغذى بمرأى مني.

قال قتادة: لتغذّى على محبتي وإرادتي[٦].

قال ابن الأنباري[٧]: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار، من قول العرب: غُذّي فلان على عيني، أي: على المحبة مني.

والمعطوف عليه محذوف، تقديره: وألقيت عليك محبة مني، ليتعطَّف عليك ويُحسن إليك.

وقيل: حُذِفَ مُعَلَّلَهُ، تقديره: ولتصنع على عيني فعلت ذلك.

---

(١) ذكر القرطبي (١١/ ١٩٥) نحوه، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: يقاك. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١١/ ١٩٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٨) وعزاه لابن عساكر.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٢) ولفظه: ولتغذى على عيني. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٤).

وقرأ أبو جعفر: "ولْتُصْنَعْ" بجزم اللام والعين[١].

وقرأ أبو نهيك: بكسر اللام وفتح التاء والعين[٢].

قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك﴾ العامل في الظرف: "ألقيت"، أو "ولتصنع"[٣].

والمعنى: إذ تمشي أختك مُتعرِّفةً خبرك.

قال مقاتل[٤]: اسمها: مريم.

قال المفسرون: قالت لها أمها: قصّي أثره، فاتّبعته، فلما التقطه فرعون جعل لا يَقْبَلُ ثديَ امرأة، فقالت لهم أخته: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ لكم[٥]، أي: يرضعه ويضمّه إليه، فقيل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها﴾ بلقائك وبقائك، ﴿ولا تحزن﴾ بفراقك[٦].

﴿وقتلت نفساً﴾ يعني: القبطي الذي وَكَزَهُ فقضى عليه ﴿فنجيناك من الغم﴾ أي: خلصناك منه، وذلك أنه خاف الإثم والقَوَد، فغفر الله له حين قال: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصص:١٦]، ونجا من فرعون حين هرب إلى مَدْين.

﴿وفتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ قال بعض النُّحَاة: هذا من باب: ضَرَبْتُ ضَرْباً، فينتصب على

---

(١) النشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٧).

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٩).

(٥) ساقط من ب.

(٦) انظر: الطبري (١٦/ ١٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٥).

المصدر.

قال الزمخشري(١): يجوز أن يكون مصدراً على فُعُول في المتعدي؛ كالثُّبُور والشُّكُور والكُفُور، وجمع فُتَنٍ أو فَتْنَةٍ، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث؛ كحُجُورٍ وبُدُورٍ، في حُجْرَة وبَدْرَة، أي: فَتَنَّاكَ ضُروباً من الفِتَن.

قال ابن عباس: الفُتُون: وقوعه في محنة [بعد محنة](٢) خلصه الله تعالى منها، أولها: أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي [أمه](٣)، ثم جَرُّهُ لحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناولُه الجمرة بدل الدُّرَّة، ثم قتلُه القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفاً. وكان ابن عباس يقصّ هذه القصص على سعيد بن جبير ويقول له عند كل بلية: وهذا من الفُتُون يا ابن جبير(٤).

قوله تعالى: ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ فيه إضمار تقديره: وفَتَنَّاك فُتُوناً فخرجت إلى أهل مدين فلبثت سنين.

---

(١) الكشاف (٣/ ٦٥).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وزاد المسير (٥/ ٢٨٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦٤-١٦٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٩٦-٤٠٠)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٠-١٧) كلهم عن سعيد بن جبير قال: سألنا عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وفتناك فتونا﴾... وساقوا الحديث بطوله. وذكره الماوردي (٣/ ٤٠٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٥-٢٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٩-٥٧٢) وعزاه لابن أبي عمر العدني في مسنده وعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

ومَدْيَن: بلد شعيب، وهو على ثمان مراحل من مصر[(١)].

واختلفوا في مدة إقامة موسى به؛ فقال ابن عباس: عشر سنين[(٢)].

وقال وهب: ثمان وعشرون سنة، منها مهر امرأته عشر سنين، وأقام ثماني عشرة سنة حتى وُلد له[(٣)].

وقال مجاهد: عشرون سنة.

﴿ثم جئت على قَدَرٍ يا موسى﴾ أي: جئت لميقات قَدَّرته لك من غير نقصان ولا زيادة، وكان ذلك على رأس أربعين سنة من عمر موسى، وهو الوقت الذي يُوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام.

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أي: اتخذت عندك هذه الصنيعة، وأسديتُ إليك الخير، ونجيتك من مخاليب الطاغية.

"لنفسي" أي: لما أردت بك من الاختصاص بكلامي وتبليغ رسالتي، وإقامة حججي على خلقي.

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ وهي العصا، واليد، وحَلّ العُقْدة التي ما زال

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٧٧): مَدْيَن على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، سُمِّيت بمدين بن إبراهيم عليه السلام.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٣) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٧٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٦).

فرعون وقومه يعرفون موسى بها.

وقيل: هي الآيات التسع.

﴿ولا تَنِيَا في ذِكْري﴾ أي: لا تَفْتُرا. يقال: وَنَى يَنِي وَنْياً؛ إذا ضَعُفَ[١].

والمعنى: لا تنسياني، ولكن دأبكما وشعاركما ذِكْري.

وقيل: المعنى: لا تَنِيَا في تبليغ رسالتي، وهو يدخل في القول الأول؛ لأن تبليغ الرسالة من جملة ذكر الله تعالى.

﴿اذهبا إلى فرعون﴾ هذا خطاب لموسى وهارون عليهما السلام.

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: كان هارون بمصر، فأوحى الله تعالى إليه أن يتلقَّى موسى، فتلقَّاه على مرحلة، فقال له موسى: إن الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألته أن يجعلك معي[٢].

﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ لطيفاً رقيقاً، ولا تجبهاه بما يكره[٣]؛ لما له من حق التربية. ولأن الرفق بمثله أنجع في نفعه.

قال ابن عباس: هو قوله: ﴿هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى﴾[٤] [النازعات:١٨-١٩].

وقال في رواية أخرى: كنّياه[٥].

(١) انظر: اللسان (مادة: وني).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٩).

(٣) في ب: يكرهه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٦٩) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧)، وابن الجوزي زاد المسير (٥/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن =

واختلف في كنيته؛ فقيل: أبو العباس. وقيل: أبو الوليد. وقيل: أبو مرة. وقيل: أبو مصعب[١].

قال السدي: أتاه موسى فقال له: تُسلم وتُؤمن بما جئت به، وتعبُد رب العالمين على أن لك شبابك فلا تهرم، ولا ينزع منك ملكك حتى تموت، ولا تنزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت، فإذا مُتَّ دخلت الجنة، فأعجبه ذلك. وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً، فاستشاره حين جاء فقال: قد كنتُ أرى أن لك رأياً، أنت ربٌّ فتريد أن تكون مَرْبُوباً، فَقَلَبَهُ عن رأيه[٢].

أبنا[٣] المؤيد بن محمد قال: أخبرنا عبد الجبار الخواري، أخبرنا [علي بن أحمد][٤] النيسابوري قال: سمعت إسماعيل بن أبي القاسم النصرباذي[٥] يقول: سمعت والدي، سمعت أحمد بن محمد، سمعت محمد بن إبراهيم يقول: حضرت مجلس يحيى بن معاذ، وقرأ رجل هذه الآية: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ فبكى يحيى، ثم قال: إلهي هذا رِفْقُكَ بمن يقول: أنا إله، فكيف رِفْقُكَ بمن يقول: أنت إلهي[٦].

= ابن عباس.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧)، والقرطبي (١١/ ٢٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧-٢٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٨٨).

(٣) في ب: أنبأنا.

(٤) في الأصل و ب: أحمد بن علي. وهو خطأ. وهو علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، صاحب كتاب الوسيط، المتوفى سنة: ٤٦٨هـ.

(٥) في ب: النصراباذي.

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١٢١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٨)، وابن الجوزي في =

قوله تعالى: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ التَّرَجِّي لهما، أي: اذهبا على رجائكما، أو ادعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه. هذا مذهب سيبويه[(١)].

وقال الفراء وكثير من المفسرين والنحويين[(٢)]: "لعله" بمعنى: لكي[(٣)]. وقد سبق ذكره.

فإن قيل: ما الفائدة في إرسالهما إليه مع العلم بأنه لا يؤمن؟

قلتُ: إلزام الحجة وقطع المعذرة. قال الله تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ [طه:١٣٤].

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ قال الزجاج[(٤)]: يبادر بعقوبتنا. يقال: قد

= زاد المسير (٥/ ٢٨٨).

(١) انظر: الكتاب (١/ ٣٣١).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من معاني الفراء.

(٣) ولابن جرير الطبري هنا رأي أردت إضافته للمقام، قال: معنى "لعل" هاهنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولاً ليناً فانظرا هل يتذكر ويراجع، أو يخشى فيرتدع عن طغيانه (الطبري ١٦/ ١٦٩).

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٢٣٠): والصحيح أنها على بابها من الترجي، وذلك بالنسبة إلى البشر.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٨).

فَرَطَ منه أمرٌ، أي: قد بَدَر.

قال [الزمخشري][(١)]: "فَرَطَ" بمعنى: سَبَقَ وتَقَدَّمَ. ومنه الفَارِط: الذي يتقدم الوارد، وفَرَسٌ فَرط: يسبق الخيل.

﴿أو أن يطغى﴾ يتجاوز الحد في الإساءة بنا.

وقيل: يطغى بالتخطِّي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي؛ لجرأته عليك وقسوة قلبه.

﴿قال لا تخافا﴾ أي: لا تفزعا منه، ﴿إنني معكما﴾ بالنصرة والعون ﴿أسمع﴾ محاورتكم ﴿وأرى﴾ ما يجري بينكم، فأمنعكما منه بحفظي وكلايتي.

﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي: خَلِّ عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء، والاستخدام في الأعمال الشاقة من الحفر ونقل الحجارة والبناء.

﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ علامة دالة على صحة ما ادعيناه من الرسالة.

﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ قال مقاتل[(٢)]: من آمن بالله.

قال الزجاج[(٣)]: ليس يعني به التحية، وإنما معناه: أن من اتبع الهدى سَلِمَ من عذاب الله، يدل على هذا المعنى قوله: ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذّب وتولى﴾ أي: كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

وقد قيل: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن.

---

(١) في الأصل: الزامخشري. انظر: الكشاف (٣/ ٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٠).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٨).

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

فَأَتياه فبلغاه رسالة ربهما فقال: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ قال صاحب الكشاف[(١)]: خاطب الاثنين، فوجَّه النداء إلى أحدهما وهو موسى؛ لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه.

ويحتمل عندي: أن يكون إعراضه عن مخاطبة هارون؛ أَنَفَةً واستكباراً لموضع ادّعائه الربوبية، وتنزُّل هارون منه منزلة العبيد المتهنين المستخدمين في سفساف الأمور، وإقباله على مخاطبة موسى لموضع تربيته، وتنزُّله منه منزلة الولد.

﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَهُ﴾ جائز أن يكون "خَلْقَهُ" أول مفعولي "أَعْطَى" في المعنى[(٢)].

التقدير: أعطى كل شيء يحتاجون إليه، ويتوقَّف مصالحهم عليه. وهذا معنى قول قتادة[(٣)].

وجائز أن يكون ثاني مفعوليه[(٤)]، على معنى: أعطى كل شيء صورتَه وشكلَه المطابق للنَّفع المنوط به على ما اقتضته الحكمة الإلهية؛ كالعين والأذن واليد

(١) الكشاف (٣/ ٦٨).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٦).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ١٧٢). وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨١) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٥).

والرِّجْل، فإن كل واحد من هذه الأعضاء مركَّبٌ على هيئة لا ينوب غيرها عنها، وفيه دقائق من الحكمة لا يتنبه لها إلا حُذّاق الأطباء، ولهذا قال بعضهم:

وَلَقَارِئُ التَّشْرِيحِ أَجْدَرُ بالتُّقَى مِنْ عَابِدٍ فِي مَسْجِدٍ مُتَبَتِّلِ

ما ذاك إلا لاطلاعه على عجائب قدرة الله ودقائق حكمته في تشريح خلق الحيوان، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد رُوي عن ابن عباس معنيان:

أحدهما: أعطى كل حيوان شكله وصورته، فأعطى الرجل المرأة، وأعطى البعير[1] الناقة، وأمثال ذلك[2].

والثاني: أعطى كل نوع من أنواع الحيوان صورة مختصة به مغايرة لسائر أنواع الحيوان، فصورة الآدمي ليست كصورة الفَرَس، وليست كصورة الجَمَل[3]، ونحو ذلك[4].

وقرأتُ على الشيخ أبي البقاء وغيره للكسائي من رواية نصير عنه: "كل شيء خَلَقَهُ" بفتح اللام[5]، جعله فعلاً ماضياً صفة للمضاف والمضاف إليه، وهي قراءة عمر بن الخطاب وابن عباس والأعمش.

والمعنى: ربنا الذي أعطى كل مخلوق له، فلم يَخْلُ من عطائه وإنعامه أحدٌ من

---

(١) في ب: والبعير.

(٢) انظر: الطبري (١٦/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٢٩١). وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) في ب: وصورة الفرس ليست كصورة الجمل.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩١).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣).

خلقه.

﴿ثم هدى﴾ كل مخلوق إلى ما يصلحه من مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك.

فانظر إلى هذا الجواب ما أخصره وأحصره، فسبحان من لا شبيه له في ذاته وصفاته.

﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ "البال" بمعنى: الشأن والحال، و"القرون الأولى": الأمم المتقدمة، مثل قوم نوح وعاد وثمود.

وقد اختلفوا فيما سأل عنه من حالهم؛ فقال مقاتل(١): سأله عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم، إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، ﴿قال علمها عند ربي﴾.

وقال غيره: معنى الكلام: ما حال القرون الأولى، لا تعرف ما وَصَفْتَ، وإنما عبدت الأوثان، ولو كان ما ذكرت حقاً لصاروا إليه.

وهذه المجادلة تَنْعَى على اللعين جهله أو تجاهله؛ لأنه لما أجابه موسى عن قوله: ﴿من ربكما﴾ بذلك الجواب الباهر الظاهر، عَدَلَ عن سَنَن الجدال، ولجأ إلى السؤال عن أحاديث الأمم على التأويل الأول، أو إلى الاحتجاج بكثرة الهلكى على التأويل الثاني.

وهذا أحد أَفَانِينِ خُبْثِهِ وأساليب مكره عند انقطاع حجته. وإن أحببتَ زيادة علم ذلك فتَلَمَّحْ قوله لمن حوله: ﴿ألا تستمعون﴾ [الشعراء:٢٥]، حين سأل

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١).

موسى عن رب العالمين، فأجابه بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ [الشعراء:٢٤]، فلم يُعرّج موسى على هذا الإيهام فقال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء:٢٦]، فأجاب اللعين في السَّفَهِ حين تَغَلْصَمَ بالحق وشَرِقَ به فقال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧].

وقيل: المعنى: فما بال القرون الأولى لا تُبْعث.

﴿قال علمها﴾ أي: علم القرون الأولى المؤمن منهم والكافر، والشقي والسعيد، وما كان منهم من قول أو عمل ﴿عند ربي في كتاب لا يضل ربي﴾ لا يخطئ ﴿ولا ينسى﴾ ما كان من أمرهم.

تقول: ضَلَلْتُ الشَّيْءَ؛ إذا أخطأته[1].

وقيل: اشتقاق الضلال من الغيبوبة، ومنه: ضَلَّ الماء في اللَّبَن. فالمعنى: لا يغيبُ عن شيء، ولا يغيبُ عنه شيء.

ويلوح لي في قول موسى لفرعون: ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ أنه قصد [شَيْنَ][2] فرعون وَعَيْبَهُ بإثباته له تلويحاً، ما نَفَاهُ عن الرَّبِّ عز وجل من الضلال والنسيان تصريحاً، ولم يُصرح له بذلك عملاً بقوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾.

وقوله[3]: "علمها": مبتدأ، خبره: "في كتاب"، وقوله: "عند ربي" معمول الخبر[4]، التقدير: علمها ثابت في كتاب عند ربي.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ضلل).

(٢) في الأصل: شيئين. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل زيادة قوله: "علمها عند ربي في كتاب". وهو وهم من الناسخ.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٦).

[ويجوز أن يكون قوله: "في كتاب" بدلاً من قوله: "عند ربي" وعند ربي هو الخبر][١].

ويجوز أن يكون من باب: هذا حُلْوٌ حَامِضٌ[٢].

وقوله: "لا يضل ربي" يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يضل عن ربي، ففي "يَضِلُّ" ضمير يعود إلى "كتاب"، أي: في كتاب غير ضال عن ربي.

الثاني: لا يضل ربي عن الكتاب، فحذف الجار والمجرور[٣]، كما حذف في قوله: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾ [البقرة:٤٨]، أي: فيه، وفي قوله: ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات:٣٩] أي: له.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مِهَاداً﴾ "الذي" مرفوع صفة لـ"ربي"، أو خبر مبتدأ محذوف، أو منصوب على المدح[٤].

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٢٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧-٢٨).

وقد سبق معنى المهاد[١].

وقرأ أهل الكوفة: "مَهْداً" على معنى: مهّدها[٢].

﴿وسلك لكم فيها سُبُلاً﴾ قال ابن عباس: سَهَّلَ لكم فيها طُرُقاً[٣].

والسَّلْكُ: إدخال الشيء[٤] في الشيء[٥].

﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ يعني: المطر. وهذا تمام الإخبار عن موسى.

ثم أخبر الله تعالى عن نفسه متصلاً بالكلام الذي قبله فقال: ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾ أي: أصنافاً، ﴿من نبات شتى﴾ مختلفة الألوان والطعوم والأراييح والنفع والشكل.

قال الواحدي[٦]: ولا واحد لـ"شتى" من لفظه.

وقال الزمخشري[٧]: "شتى": جمع شتيت؛ كمَريض ومَرْضى، وهو صفة للأزواج. ويجوز أن يكون صفة للنبات، والنبات مصدر سُمِّيَ به النَّابِتُ، كما سُمِّيَ بالنَّبْتِ، فاستوى فيه الواحد والجمع.

---

(١) في سورة الأعراف عند تفسير الآية رقم (٤١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٣)، والكشف (٢/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٩).

(٤) ساقط من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: سلك).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٠).

(٧) الكشاف (٣/ ٧٠). وفي الأصل زيادة قوله: "في".

﴿كُلُوا وارْعَوْا أنعامكم﴾ على إضمار القول، تقديره: قائلين: كُلُوا وارْعَوْا[١]، فهو حال من الضمير [في][٢] ﴿فأخرجنا﴾، أي: أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع به.

يقال: رَعَتِ الماشية الكلأ رَعْياً، ورَعَاها صاحبها رِعَايةً؛ إذا سَرَحَها في المرعى[٣].

﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي: لذوي العقول.

قال الزجاج[٤]: واحد النُّهَى: نُهْيَة، يقال: فلان ذو نُهْيَة، أي: ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن.

قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم﴾ أي: من الأرض خلقنا أصلكم آدم، ﴿وفيها نعيدكم﴾ بعد الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ لفصل القضاء والجزاء ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾.

قوله تعالى: ﴿ولقد أريناه﴾ يعني: فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ يعني: الآيات التسع ﴿فكَذَّبَ﴾ أي: نسب الآيات ومن جاء بها إلى الكذب ﴿وأبى﴾ أن يؤمن.

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "أنعامكم".

(٢) زيادة من الكشاف (٣/ ٧٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رعي).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٥٩).

﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾

قال بعضهم: يلوح من قوله: ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ أن فرائص فرعون كانت ترعد خوفاً مما جاء به موسى؛ لعلمه وإيقانه أنه على الحق، وأن المُحِقَّ لو أراد قَوْدَ الجبال لانْقَادَتْ له، وأن مثله لا يُخْذَلُ.

وقوله: "بسحرك" [تعلُّل وتحيُّر][1]، وإلا فكيف يخفى عليه أَنَّ ساحراً لا يقدر أن يُخْرِجَ مَلِكاً مثله من أرضه بالسحر.

قوله تعالى حاكياً عن فرعون[2]: ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخْلِفُهُ﴾[3].

وقرأتُ لأبي جعفر: "لا نُخْلِفْهُ" بسكون الفاء وضم الهاء من غير بلوغ إلى الواو[4] ﴿نحن ولا أنت﴾، ثم بيّن الموعد فقال: ﴿مكاناً﴾ المعنى: اجعل بيننا وبينك مكاناً نتواعد لحضورنا فيه، ولا يقع منا خلاف في حضوره.

وقوله: ﴿سوى﴾ اختلف القُرَّاء فيه، فقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: "سُوىً" بضم السين، وكسرها الباقون من السبعة[5].

وقرأ أُبيّ بن كعب وأبو المتوكل وابن أبي عبلة: "سُواء" بالمد والهمز والتنوين

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٧١).

(٢) قوله: "تعالى حاكياً عن فرعون" ساقط من ب.

(٣) في الأصل زيادة قوله: "نحن ولا أنت". وستأتي لاحقاً.

(٤) النشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٣)، والكشف (٢/ ٩٨)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٨).

مع النصب، ومثلهم ابن مسعود إلا أنه كسر السين(١)، والمعنى واحد.

قال الزجاج(٢): ومعناه: مَنْصَفاً، أي: مكاناً يكون النَّصَفُ فيما بيننا وبينك.

وروي عن الحسن: "سُوَى" بغير تنوين(٣).

قال ابن جني(٤): تَرْكُ صَرْفِهِ مُشْكِلٌ، وذلك أنه وَصْفٌ على فُعَل، وذلك مَصْرُوفٌ عندهم؛ كَلُبَد وحُطَم، إلا أنه ينبغي أن يُحمل على الوقف.

﴿قال موعدكم يَوْمُ الزينة﴾ وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وابن أبي عبلة والأعمش: "يَوْمَ" بالنصب(٥). وبها قرأتُ على شيخنا أبي البقاء اللغوي لعاصم من رواية هبيرة عن حفص عنه، فمن رفع الميم جعل "اليوم" خبر "الموعد". ومن نصب فعلى معنى: موعدكم يقع يوم الزينة(٦).

﴿وأَنْ يُحشر الناس ضُحى﴾ "أَنْ" في محل الرفع، على معنى: موعدكم حشر الناس. أو في محل الجر عطفاً على "الزينة"(٧).

وقرأ عاصم الجحدري: "وأن تَحْشُر" بتاء مفتوحة وضم الشين، ونصب "الناس"(٨)، على معنى: وأن تَحْشُرَ يا فرعونُ الناسَ ضُحىً.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٩٤).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٠).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤).

(٤) المحتسب (٢/ ٥٢).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٢٣)، والدر المصون (٥/ ٣٢).

(٧) مثل السابق.

(٨) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٩٥).

فإن قيل: ما يوم الزينة؟

قلتُ: قال مجاهد وقتادة: يوم عيدٍ لهم يَتَزَيَّنُونَ فيه[(١)].

وقيل: هو يوم عاشوراء[(٢)].

وقيل: يوم النيروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة[(٣)]. وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس.

فإن قيل: لم جعل موسى موعدهم يوم الزينة ضُحىً؟

قلت: لما في ذلك من انتشار ما يظهر من الحق؛ لكثرة المشاهدين[(٤)] له من الخلق، مع ما في ضمن ذلك من كَبْتِ فرعون وغيظه وانحلال أمره، وإغراء الأغمار الذين استهواهم به إذا رأوه مع اقتداره وكثرة أنصاره قد خالفه موسى وعصاه، وفلَّ سيوفه بعصاه.

فصل

قال صاحب الكشاف[(٥)]: لا يخلو الموعد في قوله: ﴿اجعل بيننا وبينك موعداً﴾ من أن يُجْعَلَ زماناً أو مكاناً أو مصدراً.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٧٧)، ومجاهد (ص:٣٩٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٥).

(٤) في ب: المشاهد.

(٥) الكشاف (٣/ ٧١-٧٢).

فإن جعلته زماناً نظراً إلى[(١)] أن قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ مطابق له، لزمك شيئان؛ أن تجعل الثاني مُخْلِفاً، وأن يعضل عليك ناصب مكاناً.

وإن جعلته مكاناً لقوله: ﴿مكاناً سوى﴾ لزمك أيضاً أن تُوقِعَ الإِخْلافَ على المكان، وأن لا يطابق قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾، [وقراءة][(٢)] الحسن غير مطابقة له مكاناً وزماناً؛ لأنه قرأ "يومَ الزينة" بالنصب، فبقي أن يُجْعَلَ مَصْدراً [بمعنى الوعد][(٣)] ويُقَدَّرَ مُضَافَ محذوف، أي: مكان موعد، ويجعل الضمير في "نخلفه" للموعد، [و"مكاناً"][(٤)] بدل من المكان [المحذوف.

فإن قلت: فكيف طابقه قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ ولا بد من أن تجعله زماناً][(٥)]، والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان؟

قلتُ: هو مطابق معنىً وإن لم يطابق لفظاً؛ لأنه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه، مشتهرٌ باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذكر الزمان عُلِمَ المكان.

وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير. والمعنى: إنجاز وعدكم يوم الزينة، وطباق هذا أيضاً من طريق المعنى.

---

(١) في ب والكشاف: في.

(٢) في الأصل: وقرأ. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٧٢).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: مكاناً. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق. وفي الأصل زيادة قوله: أن نجعل مكاناً.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ
أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن
يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣ فَأَجۡمِعُواْ
كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ۝٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿فتولى فرعون﴾ أي: أعرض عن الحق الذي أمر به. وقيل: تولى إلى منزله مستعداً كيداً يلقى به موسى، ﴿فجمع كيده﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ثم أتى﴾ للموعد المجعول بينه وبينهم.

﴿قال لهم موسى﴾ أي: للسحرة منذراً ومحذراً، ﴿ويلكم﴾ قال الزجاج[1]: هو منصوب، على معنى: ألزمكم الله تعالى ويلاً. ويجوز أن يكون منصوباً على النداء، كما قال: ﴿يا ويلتى أألد وأنا عجوز﴾ [هود:٧٢]، ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس:٥٢].

﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحداً[2].

﴿فَيَسْحَتَكُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "فَيُسْحِتَكُمْ" بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء[3].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٤)، والكشف (٢/ ٩٨)، والنشر (٢/ ٣٢٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩).

قال الفراء[١]: العرب تقول: سَحَتَه الله وأسْحَتَه. والمعنى: فيستأصلكم.

﴿بعذاب وقد خاب من افترى﴾ قال قتادة: وقد خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً[٢].

قوله تعالى: ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم وتشاوروا.

قال قتادة: قال بعضهم لبعض: إن كان موسى ساحراً غلبناه، وإن كان أمره من السماء كما زعم فله أمره[٣].

وقال الضحاك ومقاتل[٤]: لما سمع السحرة كلام موسى قالوا: ما هذا بقول موسى، ولكنه كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحق، ثم نظروا إلى فرعون وعِزّ سلطانه، وموسى وعصاه، فَنُكِسُوا على رؤوسهم فقالوا: ﴿إن هذان لساحران﴾[٥].

وقال السدي: الذي أسرّوه قولهم: ﴿إن هذان لساحران﴾[٦].

واختلف القُرَّاء في هذا الحرف؛ فقرأ أبو عمرو: "إِنَّ هَذَينِ" على إعمال "إِنَّ"، وقال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ: "إِنَّ هَذَانِ". وقرأ ابن كثير "إِنْ" مخفَّفة، "هَذَانِّ"

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٧٩). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٣).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٧).

(٦) ذكره الماوردي (٣/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٧).

بتشديد النون، ومثله حفص إلا أنه خفف نون "هَذَانِ" أيضاً. وقرأ الباقون "إِنَّ" بالتشديد، "هَذَانِ" بالتخفيف والألف[(١)].

وأما أبو عمرو فإنه قرأ على ما تقتضيه العربية، غير أنه خالف الإمام.

قال الزجاج[(٢)]: لا أحب قراءته؛ لأنها خلاف المصحف، ولا أجيز مخالفة المصحف؛ لأن اتباعه سُنَّة.

قلتُ: وقد روي عن أبي عمرو أنه قال: هذا الحرف غلط من الكاتب.

وفي هذا بُعْدٌ؛ لما فيه من نسبة الأئمة والأُمَّة إلى تقرير الخطأ في الكتاب العزيز.

وأما ابن كثير فوجه قراءته أَنَّ "إِنْ" مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

ومنهم من يقول معناها: ما هذان إلا ساحران؛ كقوله: ﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ [الشعراء:١٨٦]، وأنشدوا:

ثكلتك أمك إن [قتلت][(٣)] لمسلماً   حَلَّتْ عليك عقوبة الرحمن[(٤)]

أي: ما قتلت إلا مسلماً.

قال الزجاج[(٥)]: ويشهد لهذه القراءة ما روي عن أُبيّ بن كعب أنه قرأ: "ما

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٤-٤٥٦)، والكشف (٢/ ٩٩)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٣) في الأصل: قلت. والتصويب من ب.

(٤) انظر البيت في: القرطبي (٢/ ٤٢٧)، وزاد المسير (٥/ ٢٩٨) وفيه: "عليه" بدل "عليك"، و"المتعمد" بدل "الرحمن".

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٦١).

هذان إلا ساحران". وروي عنه: "إنْ هذان إلا ساحران".

قال بعضهم: وقراءة ابن كثير جيدة، جمع فيها بين اتّباع المصحف وصحة الإعراب.

وأما الباقون؛ فلما قرأوا به وجوه:

أحدها: ما قاله ابن الأنباري: أنها لغة لبني الحارث بن كعب[(١)] وافقتها لغة قريش[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: وحكى أبو عبيدة[(٤)] عن أبي الخطاب -وهو رأس من رؤوس الرواة-: أنها لغة لكِنَانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد. تقول: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ... مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لصَمَّمَا[(٥)]

---

(١) بلحارث بن كعب: فخذ من القحطانية، وهم بنو بلحارث بن كعب، من مذحج (نهاية الأرب للنويري ٢/ ٣٠٣، ومعجم قبائل العرب ١/ ١٠٢).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٨).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٢).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢١).

(٥) البيت للمُتَلَمّس، وهو جرير بن عبد المسيح، وأخواله بنو يشكر، كان نديماً لعمرو بن هند مع ابن أخته طرفة، وقصة صحيفته مشهورة، وكان قد نشأ في أخواله بني يشكر، فسأل عمرو بن هند خاله الحارث، فتردد في نسبه، فقال عمرو: ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين، فلما بلغ ذلك المتلمس قال قصيدة يعاتب فيها خاله.

انظر البيت في: ابن يعيش (٣/ ١٢٨)، والأشموني (١/ ٧٩)، ومعاني الفراء (٢/ ١٨٤)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٢)، واللسان، مادة: (صمم)، والطبري (١٦/ ١٨٠)، والقرطبي (١١/ ٢١٧)، والماوردي (٣/ ٤١١)، وزاد المسير (٥/ ٢٩٨)، والاستيعاب (٣/ ١١٥٩)، وروح المعاني =

وقال الآخر:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ طَعْنَةً ....[1]

وقال الآخر:

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا في المَجْدِ غَايَتَاهَا[2]

الثاني: أن فيها هاء مضمرة، التقدير: إِنَّه هَاذان، ودخول [اللام][3] في "لساحران" لمراعاة اللفظ.

الثالث: ما قاله الزجاج[4]: الذي عندي وكنت عرضته على [عَالِمَيْنا][5] محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن [زيد][6] فقبلاه، وذكرا أنه أجود ما [سمعاه][7] في هذا، وهو أَنَّ "إِنَّ" قد وقعت موقع "نَعَمْ"، وأَنَّ اللام وقعت

= (١٦/ ٢٢٣).

ومعنى صَمَّمَ: عَضَّ في العظم. والشُّجاع: الذَّكر من الحيّات.

ومحل الشاهد في البيت: "لناباه" حيث أجراه بالألف مع وجود حرف الجر، وذلك كالمقصور، وكان من حق الكلام: "لنابيه".

(١) صدر بيت لهَوْبَر الحارثي، وعجزه: (دَعَتْهُ إلى هابي التُّرابِ عَقيمِ). انظر: اللسان، مادة: (صرع، شظي، هبا)، والقرطبي (١١/ ٢١٧).

(٢) البيت لرؤبة. انظر: ديوانه (ص:١٦٨)، والخزانة (٧/ ٤٥٥)، وأوضح المسالك (١/ ٤٦)، والشافية (١/ ١٨٤).

(٣) زيادة من ب.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٥) في الأصل و ب: عالمنا. والتصويب من معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٦) في الأصل: يزيد. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) في الأصل و ب: سمعنا. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

موقعها، وأَنَّ المعنى: نَعَمْ هذان لهما ساحران.

والذي يلي هذا في الجودة: مذهب بني كنانة في ترك ألف التثنية على هيئةٍ واحدة؛ لأن حق الألف أن تَدُلَّ على الاثنين، وكان حقُّها أن لا تتغير كما لا تتغير ألف (رحى) و(عصى)[1]، ولكن كان نقلها إلى الياء في الخفض والنصب أبينُ وأفضلُ [للتمييز][2] بين المرفوع والمنصوب والمجرور.

قال الزجاج[3]: قال النحويون القُدَمَاء: هاهنا هاء مضمرة. المعنى: إنه [هذان][4] لساحران، ويَحْتَجُّون بأن هذه اللام أصلها أن تقع في الابتداء، وأن وقوعها في الخبر جائز، وينشدون في ذلك:

خَالي لأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالُهُ ... يُنَلِ العُلَى وَيُكَرِّمِ الأَخْوَالا[5]

وأنشدوا أيضاً:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ ... تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بعَظْمِ الرَّقَبَهْ[6]

(١) أي يعامل المثنى معاملة المقصور.

(٢) زيادة من معاني الزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٤) في الأصل: لهذان. والتصويب من ب، ومن معاني الزجاج (٣/ ٣٦٢).

(٥) انظر البيت في: اللسان (مادة: شهرب)، والقرطبي (١١/ ٢١٩)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٦) البيت لرؤبة. انظر: ديوانه (ص:١٧٠)، واللسان (مادة: شهرب)، والخزانة (٣/ ١٣٠)، ومغني اللبيب (١/ ٢٣٠، ٢٣٣)، والهمع (١/ ١٤٠)، والتصريح (١/ ١٧٤)، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٣)، والدر المصون (٥/ ٣٥).

والحُلَيْس: كساء رقيق يكون تحت البَرْذَعَة (اللسان، مادة: حلس).

والشَّهْرَبة: العجوز الكبيرة الطاعنة في السن (اللسان، مادة: شهرب).

وقال الزمخشري[(١)]: قال بعضهم: "إِنَّ" بمعنى: "نَعَم"، و"سَاحِرانِ" خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة تقديره: لَهُما ساحران. وقد أُعْجِبَ به أبو إسحاق -يعني: الزجاج-[(٢)].

وأنشد الزجاج[(٣)] وغيره مستشهدين على وقوع "إِنَّ" موقع "نَعَم" قول الشاعر:

بَكَرَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي يَلْحَيْنَنِي وَأَلُومُهُنَّه
وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ[(٤)]

أي: نعم.

ويروى: أن أعرابياً[(٥)] سأل ابن الزبير شيئاً فَحَرَمَهُ، فقال: لَعَنَ الله ناقةً حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إِنَّ وصاحِبَها. أي: نَعَمْ[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ وقرأت لأبان عن عاصم: "ويُذْهِبا"

---

(١) الكشاف (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٤) البيت لعبدالله بن قيس الرُّقَيَّات العامري، من أهل الحجاز، مدح مصعب بن الزبير وعبدالملك، وسمي بالرّقيات؛ لأنه شَبَّبَ بثلاث نسوة كل تسمى رقية، وقيل: لأن له ثلاث جدات كل تسمى رقية. كان شعره يمتاز بالرقة. انظر: ديوانه (ص:٦٦)، والكتاب (٣/ ١٥١)، واللسان (مادة: أنن)، وابن يعيش (٣/ ١٣٠)، وابن الشجري (١/ ٣٢٢)، والقرطبي (٦/ ٢٤٧، ١١/ ٢١٨)، والماوردي (٣/ ٤١١)، والدر المصون (٢/ ٥٧٣، ٥/ ٣٥)، وروح المعاني (١٦/ ٢٢٢).

(٥) وهو عبد الله بن فضالة بن شريك. وقيل: إنه فضالة -والده- (انظر تخريج الرواية).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣)، والإصابة (٥/ ٣٨٩).

بضم الياء وكسر الهاء(١).

قال الزجاج(٢): معناه في قول النحويين: بجماعتكم الأشراف. والمُثْلى: تأنيث الأَمْثَل، ومعنى الأَمْثَل والمُثْلَى: أي: ذوو الفضل الذي يستحق [أن](٣) يقال [فيه](٤): هذا أمثل قومه.

وفي التفسير: ﴿بطريقتكم المثلى﴾ بأشرافكم، والعرب تقول للرجل الفاضل: هذا طَرِيقَةُ قومه، ونَظِيرة قومه، ونَظُورَة قومه، كلّ هذا للرجل الفاضل. وتأويله: أن هذا الذي ينبغي أن يجعله قومُه قدوةً ويسلكوا طريقته. والذين قالوا: هذا نظورة قومه، معناه: الذي ينظر إليه قومه ويتبعونه.

قال(٥): والذي عندي -والله أعلم- أن في الكلام محذوفاً يدل عليه ما بقي، إنما المعنى: ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى، وكذلك قول العرب: هذا طريقة قومه، أي: صاحب طريقة قومه.

قال قتادة: طريقتهم المثلى يومئذ: بنوا إسرائيل، فقالوا: إنما يريدان [أن](٦) يذهبا بهم لأنفسهما(٧).

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٩٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) أي: الزجاج.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٨٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣).

والمنقول عن ابن عباس: المعنى: ويذهبا بدينكم المستقيم(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم(٢)، مِنْ جَمَعْتُ، يريد: لا تدعوا شيئاً من ﴿كيدكم﴾ أي: سحركم ومكركم إلا جئتم به.

[ويؤيد](٣) هذه القراءة: ﴿فجمع كيده﴾(٤) [طه:٦٠]. وقرأ الباقون: "فَأَجْمِعُوا" بقطع الهمزة وكسر الميم، مِنْ أَجْمَعْتُ(٥).

قال الفراء(٦): الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء. تقول: أجمعتُ الخروج، مثل: أزمعتُ.

﴿ثم ائتوا صفاً﴾ مُصْطَفِّينَ مجتمعينَ ليكون أنظم لكم وأشدّ لهيبتكم. فنصب

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٩٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٦)، والكشف (٢/ ١٠٠)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩-٤٢٠).

(٣) في الأصل: يؤيد. والتصويب من ب.

(٤) قال الطبري (١٦/ ١٨٤): قوله: ﴿فجمع كيده﴾ غير شبيه المعنى بقوله: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾، وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: ﴿فتولى فرعون فجمع كيده﴾.

وقد رجَّح قراءة من قرأ بهمز الألف في قوله: ﴿فأجمعوا﴾، وعلَّل ذلك بأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون؛ لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرقاً عندهم فيجمعونه.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٦)، والكشف (٢/ ١٠٠)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٤)، والسبعة في القراءات (ص:٤١٩-٤٢٠).

(٦) معاني الفراء (٢/ ١٨٥).

"صفاً" على الحال. وقيل: هو مفعول به[١]، أي: إيتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم.

قال الزجاج[٢]: يقال: أتيتُ صَفّاً، بمعنى: أتيتُ المُصَلَّى.

والأول أجود.

قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صَفّاً[٣].

﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ قال ابن عباس: فاز من غلب، يريد: أنه علا بالغلبة[٤].

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ قال صاحب الكشاف[٥]: هذا التخيير منهم استعمالُ أدبٍ حسنٍ معه، وتواضعٌ له، وتنبيهٌ على

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٢٣)، والدر المصون (٥/ ٣٧).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠١).

(٥) الكشاف (٣/ ٧٤-٧٥).

إعطائهم النَّصَفَة من أنفسهم، وكَأَنَّ الله عز وجل أَلْهَمَهُمْ ذلك، وعَلَّمَ موسى عليه السلام اختيار إلقائهم أولاً، مع ما فيه من مقابلة أَدَبٍ بأَدَب، حتى يُبرزوا ما معهم من مكايد السحر، ويستنفذوا أقصى طَوْقِهِم ومجهودِهم، فإذا فعلوا أظهر الله تعالى سلطانه، وقذف بالحق على الباطل فَدَمَغَهُ، وسَلَّطَ المعجزة على السحر فَمَحَقَتْه، وكانت آية نَيِّرَةً للناظرين، وعبرة بَيِّنَةً للمعتبرين.

قوله تعالى: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ هذه التي يقال لها: "إذا" المفاجأة، المعنى: ففاجأ حبالهم وعصيهم.

قال الزجاج[١]: يجوز في عِصِي: عُصِيٌّ، والكسر أكثر، والأصل الضم[٢]، إلا أن الكسر يَثْقُلُ بعد الضم، فلذلك اختير كسر العين.

﴿يُخَيَّلُ إليه﴾ يشبّه إليه، ﴿من سحرهم أنها تسعى﴾.

قال الكلبي: خُيِّل إلى موسى أن الأرض حَيَّات كلها، وأنها تسعى على بطونها[٣].

والأكثرون قرأوا: "يُخَيَّلُ" بالياء.

وقرأتُ لروح عن يعقوب: "تُخَيَّلُ" بالتاء[٤].

وموضع "أَنَّ" على قراءة الأكثرين: الرفع، على معنى: يخيل إليه سعيها.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) لأنه فعول.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤). وفي ب: بطنها.

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٧)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٥). ولم يجوِّز الطبري في تفسيره (١٦/ ١٨٦) غير القراءة بالياء؛ لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه.

وموضعها على القراءة الأخرى: الرفع أيضاً على البدل، على معنى: يخيل إليه سعايتها، وأبدل "أنها تسعى" من المضمر؛ لاشتماله على المعنى. أو النصب، على معنى: يخيل إليه ذات سَعْي. هذا قول الزجاج(١).

قال بعض المفسرين: يروى أنهم لطّخوها بالزِّئْبق، فلما أصابها حَرّ الشمس اضطربت واهتزّت(٢).

وليس هذا القول بشيء ولا هو من باب السحر، وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف:١١٦].

قال المفسرون: وظن(٣) موسى أنها تقصده ﴿فأوجس﴾ أي: أضمر ﴿في نفسه خيفة موسى﴾ قيل: إنه خوف الطبع البشري. وقيل: خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعونه.

﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي: الأظهر بالظفر والغلبة.

﴿وأَلقِ ما في يمينك﴾ يريد: العصا ﴿تَلَقَّفْ﴾ وقرأ ابن ذكوان: "تَلَقَّفُ" بالرفع على الاستئناف أو الحال من "ما"، أو من الضمير في الظرف، وحفص يخفّفها(٤)، وقد سبق ذلك في الأعراف(٥).

﴿إنما صنعوا﴾ أي: زوّروا ﴿كَيْدُ ساحر﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٦).

(٢) ذكره أبو السعود في تفسيره (٦/ ٢٧).

(٣) في ب: فظن.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٧)، والكشف (٢/ ١٠١)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٠-٤٢١).

(٥) آية رقم: ١١٧.

وقرأ ابن مسعود: "كَيْدَ" بالنصب[1]. فمن رفع جعل "ما" موصولة.

قال الزجاج[2]: على معنى: أن الذي صنعوه كيد ساحر، على خبر "إِنَّ"، و"ما" اسم. ومن نصب جعلها "إِنَّما" الكافة.

قال الزجاج[3]: جعل "ما" تمنع "إِنَّ" العمل، ليسوغ للفعل أن يكون بعدها، وينصب "كَيْدَ ساحر" بـ"صَنَعُوا"، كما تقول: إنما ضربتُ زيداً.

وقرأ حمزة والكسائي: "كَيْدُ سِحْرٍ"[4]، على معنى: كيدٌ ذي سِحْرٍ، أو على معنى: [تبيين][5] الكيد؛ لأنه يكون سِحْراً وغير سِحْر، كما تَبِينُ المائة بدرهم.

وقيل: جعلهم لِتَوَغُّلِهِمْ في السِّحر كأنهم السِّحْرُ بعينه.

﴿ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حيث أتى﴾ أي: أَيَّةَ سَلَكَ وأينما كان.

وروى جندب بن عبدالله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه، ثم قرأ: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ قال: لا يَأْمَنُ حَيْثُ وُجِدَ»[6].

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٧).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٧).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٨)، والكشف (٢/ ١٠٢)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢١).

(٥) في الأصل: يتبين. والتصويب من ب.

(٦) أصل الحديث أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠) ولفظه: "حَدُّ الساحر ضربةٌ بالسيف"، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

﴿فألقي السحرة سجداً﴾ اضطرَّهم ما شاهدوه من المعجز إلى السجود بعد الجحود.

قال عكرمة: لما خَرُّوا سُجَّداً أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة(١).

﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ ذُكر في الأعراف(٢).

﴿إنه لكبيركم﴾ أي: لمُعَلِّمُكُم ﴿الذي علمكم السحر﴾ قال الكسائي: إذا جاء الصبي بالحجاز من عند مُعلِّمه يقول: جئت من عند كبيري(٣).

والمعنى: إنه لعظيمكم الذي ترجعون إليه في أمر السحر.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦-٥٨٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٦/ ٢٣٠) ثم قال: واستبعد ذلك القاضي بأنه كالإلجاء إلى الإيمان وأنه ينافي التكليف، وأجيب بأنه حين كان الإيمان مقدماً على هذا الكشف فلا منافاة ولا إلجاء.

(٢) عند تفسير الآيتين رقم: [١٢٢-١٢٣].

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٧).

قوله: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ قال الأكثرون: "في" بمعنى: "على"[(١)].

قال الزمخشري[(٢)]: شُبّه تمكُّنُ المصلوب في الجذع بتمكُّن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل: ﴿في جذوع النخل﴾.

وقال غيره: جعل [الجذوع ظروفاً][(٣)] لهم فصاروا هم فيها.

﴿ولتعلمنّ﴾ أيها السحرة ﴿أيُّنا أشد عذاباً وأبقى﴾.

قال جمهور المفسرين: المعنى: ولتعلمنّ أيها السحرة أينا أشد عذاباً لكم وأدوم، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على ترككم [الإيمان][(٤)] به[(٥)].

وقال صاحب الكشاف[(٦)]: "أيُّنا" يريد نفسه اللعينة وموسى ﷺ، بدليل قوله: "آمنتم له"، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله؛ كقوله: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة:٦١].

قال الزجاج[(٧)]: "أيّ" رُفِعَتْ؛ لأنها وُضعت موضع الاستفهام، ولا يعمل ما قبل "أيّ" فيها؛ لأن ما قبلها خبر وهو استفهام، فلو عمل فيها لجاز أن يعمل فيما بعد الألف في قولك: قد علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرو.

﴿قالوا لن نؤثرك﴾ أي: لن نختارك يا فرعون ﴿على ما جاءنا من البينات﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٧٨).

(٣) في الأصل: الجذع ظرفاً. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: إيمان. والتصويب من ب.

(٥) انظر: الطبري (١٦/ ١٨٩)، والوسيط (٣/ ٢١٤)، وزاد المسير (٥/ ٣٠٧).

(٦) الكشاف (٣/ ٧٨).

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٨).

وهي: اليد والعصا.

وقيل: هي ما شاهدوه حين سجدوا لرب العالمين من منازلهم في الجنة.

﴿والذي فَطَرنا﴾ أي: خَلَقَنا، وهو عطف على ما قبله، تقديره: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا.

وقيل: هو قسمٌ تقديره: وحقّ الذي فطرنا.

﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أي: اصنع ما أنت صانع، فـ"ما" هاهنا مفعول. ويجوز أن تكون ظرفاً، على معنى: فاقض مدة كونك قاضياً[1].

﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: إنما سلطانك وملكك في هذه الحياة الدنيا، فأما الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان[2].

﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ قال ابن عباس: يريد: الشرك[3].

﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال الزجاج[4]: موضع "ما" نصب، على معنى: ليغفر لنا خطايانا، وإكراهك إيانا على السحر.

وقال ابن الأنباري: التقدير: ليغفر لنا ربنا خطايانا من السحر وما أكرهتنا عليه، فيكون "مِنْ" تبييناً لـ"خطايانا"، [ويكون][5] "ما" نفياً، أي: السحر الذي لم تكرهنا عليه، فإنا معذورون فيما أكرهتنا عليه، فَقَدَّمَ كناية المجرور بـ"مَنْ" على

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٤)، والدر المصون (٥/ ٤١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٨).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٦٩).

(٥) في الأصل: ويكو. والتصويب من ب.

المجرور.

وقال أبو علي[(١)]: قوله: "وما أكرهتنا عليه من السحر" ليس معطوفاً على "خطايانا"، بل هو مرفوع بالابتداء، والخبر مضمر اسْتُغْنِيَ عن ذكره لطول الكلام بالصلة، أي: وما أكرهتنا عليه مَحْطُوطٌ عَنَّا مَغْفُورٌ لنا، فيكون الوقف -على قول أبي علي- على قوله: "خطايانا".

ومن قال: إن "ما" نافية لم يُجِز الوقف على "خطايانا"؛ لأنه يجعل قوله: "من السحر" تبييناً لـ"خطايانا".

قال ابن عباس: كان فرعون يُكره الناس على تعلّم السحر[(٢)].

قال مقاتل[(٣)]: كانت السحرة اثنين وسبعين ساحراً، اثنان من القبط -وهما رأسا القوم-، وسبعون من بني إسرائيل، وكان فرعون أكره السبعين على تعلم السحر[(٤)].

﴿والله خير وأبقى﴾ أي: خير منك ثواباً إذا أطيع، وأبقى منك عقاباً إذا عُصي، وهذا جواب لقوله: ﴿ولتعلمنّ أينا أشدّ عذاباً وأبقى﴾.

إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ

---

(١) لم أقف عليه في الحجة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٤) وفيه: أن السحرة كانوا ثلاثة وسبعين ساحراً.

(٤) ذكره البغوي (٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٢٥)، وأبو السعود (٦/ ٢٦) بلا نسبة.

عَدۡنٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ أي: مشركاً ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه.

والعرب تقول: فلان لا حي ولا ميت؛ إذا كان غير منتفع بحياته. وأنشد ابن [الأنباري](١) في هذا المعنى:

أَلاَ مَنْ لِنَفْسٍ لاَ تَمُوتُ فَيَنْقَضِي شَقَاهَا وَلاَ تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ(٢)

﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾ قال ابن عباس: أدّى الفرائض(٣).

﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ هي درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض.

والعُلى: جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى، وقد سبق ذكره.

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين بن بهرام، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، أخبرنا أبو القاسم الحنيفي، أخبرنا أبو بكر الحيري، أخبرنا عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنْعَمَا»(٤).

---

(١) في الأصل: ابن الأعرابي. والمثبت من زاد المسير (٥/ ٣٠٩)، ومن ب.

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: طعم)، والقرطبي (٢٠/ ٢١)، والماوردي (٣/ ٤١٥)، وزاد المسير (٥/ ٣٠٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٠٧ ح٣٦٥٨).

هذا حديث حسن.

ومعنى: أَنْعَمَا: زادا على ذلك.

يقال: أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَأَنْعَمْتَ، أي: زِدْتَ عَلَيَّ الإِحْسَان[١]. وقيل: أَنْعَما: أي: صارا على النعيم[٢].

قوله تعالى: ﴿جناتُ عدن﴾ بدل من "الدرجات العلى"[٣]، أي: أولئك لهم جنات عدن.

فإن قيل: هل يجوز الوقف على قوله: "العلى"، ويكون "جنات عدن" مرفوع بابتداء مضمر؟

قلتُ: لا يجوز؛ لأن قوله: ﴿خالدين فيها﴾ نصب على الحال مِنْ قوله: "لهم"، فالعامل في الحال: اللام، وصاحب الحال: الضمير المجرور باللام. فلو قطع "خالدين" من "لهم" لبقي الحال بلا عامل ولا صاحب.

﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أي: تَطَهَّرَ من الكفر والمعاصي.

قال ابن عباس: "تزكى": قال: لا إله إلا الله[٤].

فصل

اختلف العلماء في هذه الآيات الثلاث؛ فقال قوم: هي من تمام الحكاية عنهم. وقال آخرون: هي ابتداء خبر من الله تعالى. وهو الذي يقوى في نظري.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: نعم).

(٢) في ب: وقيل: أنعما صارا إلى النعيم.

(٣) التبيان (٢/ ١٢٤)، والدر المصون (٥/ ٤٣).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٢٢٦) من قول الكلبي.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ سبق تفسيره.

والمعنى: سِرْ بهم من أرض مصر.

﴿فاضرب لهم﴾ أي: فاجعل[1] لهم، مِنْ قولهم: ضَرَبَ لي في ماله سهماً.

﴿طريقاً في البحر يَبَساً﴾ أي: يابساً، وهكذا قرأها أبو رجاء وابن السميفع[2].

﴿لا تخاف﴾ حال من الضمير في "فَاضْرِبْ"[3].

وقرأ حمزة: "لا تَخَفْ"[4] على النهي، أو على الجواب.

﴿دَرَكاً﴾ وقرأ أبو حيوة: "دَرْكاً" بسكون الراء[5]. والدَّرك: بفتح الراء وسكونها اسمان من الإدراك.

والمعنى: لا تخاف أين يُدركك فرعون من خلفك.

﴿ولا تخشى﴾ غرقاً في البحر.

فإن قيل: ما وجه قوله: "ولا تخشى" على قراءة حمزة؟

---

(١) في ب: اجعل.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٣١٠).

(٣) التبيان (٢/ ١٢٥)، والدر المصون (٥/ ٤٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥٨-٤٥٩)، والكشف (٢/ ١٠٢)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ض:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢١).

(٥) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٤٥).

قلتُ: الاستئناف، مثل قوله: ﴿يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ [آل عمران:١١١].

وقال الفراء[1]: لو نوى حمزة بقوله: "ولا تخشى" الجزم لكان صواباً. قال الشاعر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ[2]

وقال الزمخشري[3]: يجوز أن يكون مثل قوله:

.... كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيا[4]

ويجوز أن [لا][5] تكون الألف المنقلبة عن الياء هي لام الفعل، ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة؛ كقوله: ﴿فأضلونا السبيلا﴾ [الأحزاب:٦٧]، ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ [الأحزاب:١٠].

قوله تعالى: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ قال ابن قتيبة[6]: لحقهم.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٨٧-١٨٨).

(٢) تقدم.

(٣) الكشاف (٣/ ٧٩).

(٤) عجز بيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، وصدره: (وَتَضْحَكُ مِنّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيةٌ). انظر البيت في: خزانة الأدب (٢/ ١٩٦، ٢٠٢)، وسرّ صناعة الإعراب (١/ ٧٦)، وشرح شواهد الإيضاح (ص:٤١٤)، واللسان، مادة: (هذذ، قدر، شمس)، ومغني اللبيب (١/ ٢٧٧)، وشرح المفصل (٥/ ٩٧، ١٠/ ١٠٧)، والمحتسب (١/ ٦٩).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٧٩).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٢٨١).

وقرأ أبو عمرو في رواية هارون عنه: "فَاتَّبَعَهُمْ" بالتشديد(١).

قال الزجاج(٢): يقال: تَبِعَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ واتَّبَعَهُ بمعنى واحد. ومن قرأ بالتشديد ففيه دليل على أنه اتَّبَعَهُم ومعه جنوده. ومن قرأ: "فَأَتْبَعَهُم" فمعناه: ألحق بهم جنوده. وجائز أن يكون معهم على ذا اللفظ. وجائز أن لا يكون معهم إلا أنه قد كان معهم.

﴿فغشيهم﴾ أي: غطّاهم ﴿من اليمّ ما غشيهم وأضل فرعون قومه﴾ حين دعاهم إلى عبادته، ﴿وما هدى﴾ تكذيبٌ له في قوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ [غافر:٢٩].

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

ثم ذكّر بني إسرائيل نِعَمَهُ فقال: ﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: قلنا يا بني إسرائيل.

وقيل: هو خطابٌ للموجودين في زمن النبي ﷺ منهم.

﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾ قرأ حمزة والكسائي: "قَد أَنْجَيْتُكُم"، "وَوَاعَدْتُكُم"، "مَا رَزَقْتُكُم" على لفظ الواحد. وقرأ الباقون بالنون والألف، على

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠).

لفظ الجمع[1]، على مذهب التفخيم للواحد العظيم المخبر عن نفسه.

﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ وذاك أن الله تعالى وعد موسى عليه الصلاة والسلام بعد أن أغرق فرعون أن يأتي جانب الطور الأيمن ليؤتيه التوراة، فيها بيان ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من مصالح دينهم ودنياهم.

﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعني: في التِّيه.

﴿كُلُوا﴾ أي: قلنا لهم كُلُوا ﴿من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه﴾ بالكفر ونسيان الشكر والتظالم فيما بينكم، والادّخار لأكثر[2] من يوم وليلة.

﴿فَيَحِلَّ عليكم غضبي﴾ أي: فتجب عليكم عقوبتي، مِنْ حَلَّ الدَّيْنُ يَحِلُّ؛ إذا وَجَبَ أَدَاؤُهُ[3]، ومنه: ﴿حتى يبلغ الهَدْيُ مَحِلَّه﴾ [البقرة:١٩٦].

﴿ومن يَحْلِلْ عليه غضبي فقد هوى﴾ أي: هَلَكَ.

قال الزجاج[4]: صار في الهاوية، وهي قَعْرُ نار جهنم.

وقرأ الكسائي: "فَيَحُلَّ عليكم" بضم الحاء، "ومن يَحْلُلْ" بضم اللام[5]، مِنْ حَلَّ في المكان يَحُلُّ؛ إذا نَزَلَ به[6].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٠)، والكشف (٢/ ١٠٣)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢).

(٢) في ب: أكثر.

(٣) انظر: اللسان (مادة: حلل).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٠)، والكشف (٢/ ١٠٣)، والنشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢).

(٦) انظر: اللسان (مادة: حلل).

قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن﴾ قال ابن عباس: "تاب" من الشرك، "وآمن": وَحَّدَ الله، ﴿وعمل صالحاً﴾: أدّى فرائض الله[١].

﴿ثم اهتدى﴾ علم أن ذلك بتوفيق الله.

وقال سعيد بن جبير: "اهتدى": لَزِمَ[٢] السُّنَّة والجماعة[٣].

وقال الضحاك: "اهتدى": استقام[٤].

وقال ثابت البناني: اهتدى لولاية بيت النبي ﷺ[٥].

وقال قتادة والزجاج[٦]: أقام على إيمانه حتى يموت[٧].

قال الزمخشري[٨]: كلمة التراخي دلّت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين، في "جاءني زيد ثم عمرو"، أعني: أن منزلة الاستقامة على الخير مباينةٌ لمنزلة

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) من هنا يوجد سقط في الأصل إلى قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [٩٧]. وقد استدركناه من نسخة ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الطبري (١٦/ ١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٥). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٢).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠).

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٢).

(٨) الكشاف (٣/ ٨١).

الخير نفسه؛ لأنها أعلى منها وأفضل.

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ أي: أيّ شيء عجل بك عنهم، وهذا على معنى الإنكار عليه.

وكان عليه السلام قد مضى مع السبعين إلى الطور لأجل الموعد، ثم إنه تقدمهم شوقاً إلى ربه عز وجل واستنجازاً لما وعده به من إعطائه التوراة.

﴿قال هم أولاء على أثري﴾ وقُرئ شاذاً: بسكون الثاء مع الحركات الثلاث على الهمزة[١]، وبكسر الهمزة مع سكون الثاء، قرأت لرويس عن يعقوب ولعبد الوارث عن أبي عمرو من طريق القزاز[٢].

والمعنى: هم بالقرب مني.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٢) النشر (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦).

قال الزجاج[١]: "أُولاءِ" مبني على الكسر، وقوله: "على أثري" من صلة "أولاء". ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، كأنه قال: هم على أثري، هؤلاء [هم][٢]. وأجود ذلك أن يكون صلة.

قال صاحب الكشاف[٣]: إن قلت: "ما أعجلك" سؤال عن سبب العجلة، فكان الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال: طلبُ زيادة رضاك والشوق إلى كلامك، وتَنَجُّزُ موعدك، فقوله: ﴿هم أولاء على أثري﴾ كما ترى غير منطبق عليه.

قلتُ: قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين؛ [أحدهما][٤]: إنكار العجلة في نفسها، والثاني: السؤال عن سبب المستنكَر والحامل عليه، فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه، فاعتلّ بأنه لم يوجد مني إلا تقدم [يسير][٥] مثله لا يُعْتَدُّ به في العادة [ولا يحتفل به][٦]، وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفدَ رأسُهم ومقدَّمُهم، ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾[٧].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٠-٣٧١).

(٢) زيادة من ب. وانظر: معاني الزجاج (٣/ ٣٧١).

(٣) الكشاف (٣/ ٨١-٨٢).

(٤) زيادة من الكشاف (٣/ ٨٢).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) ثم قال -أي: الزمخشري في الكشاف (٣/ ٨٢)-: ولقائل أن يقول: حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله، فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام.

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٢٤٨): وفيه سوء أدب على الأنبياء عليهم السلام.

قال المفسرون: لتزداد عني رضى[(١)].

﴿قال فإنا قد فتنّا قومك مـن بعـدك﴾ أي: أوقعنـاهم في فتنـة ومحنـة بخلـق العِجل.

وقال ابن الأنباري: صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل من بعد انطلاقك إلى الجبل[(٢)].

قال المفسرون: كانوا ستمائة ألف ففتنوا، غير اثني عشر ألفاً[(٣)].

﴿وأضلَّهم السامري﴾ أي: كان سبباً في ضلالهم.

وقرأ معاذ القارئ وأبو المتوكل وعاصم الجحدري وابن السميفع: "وأضلُّهم" برفع اللام[(٤)]، على معنى: وأشدُّهم ضلالاً السامري؛ لأنه ضَلّ وأَضَلّ.

قال ابن عباس: كان السامري من أهل باجرمى[(٥)].

وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كَرْمَان[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧-٢١٨).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

وباجرمى: قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة (معجم البلدان ١/ ٣١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وكَرْمَان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان (معجم البلدان ٤/ ٤٥٤).

وقيل: هو من قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: السَّامِرَة[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين.

قال وهب وغيره: واسمه: [موسى][(٣)] بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر[(٤)].

وقد سبق في البقرة[(٥)] سبب اتخاذه العجل[(٦)]، وفي الأعراف[(٧)] معنى: ﴿غضبان أسفاً﴾.

﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ وهو أن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور.

---

(١) السَّامِرَة: اسم عبراني معناه: مركز الحارس، وهي مدينة في وسط فلسطين، تقع بالقرب من جبل الجليل.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٧١).

(٣) في ب: وهب. وهو خطأ. والتصويب من تفسير الطبري (١/ ٢٨٣). وانظر: تاريخ الطبري (١/ ٢٥١).

(٤) أخرج الطبري (١/ ٢٨٢) عن ابن عباس قال: كان السامري رجلاً من أهل باجرمى، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٩٣) عن ابن عباس.

(٥) آية رقم: ٥٢.

(٦) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٨٠-٨١): وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً، قولان:
أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه.
والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم، أخرج السامري لهم في غيبته عجلاً؛ لما رأى من استحسانهم ذلك.

(٧) آية رقم: ١٥٠.

وقيل: الوعد الحسن قوله: ﴿وإني لغفار... الآية﴾[(١)].

وقيل: هو النصر والظفر[(٢)].

﴿أَفَطَالَ عليكم العهد﴾ أي: الزمان الذي فارقتكم فيه، ﴿أم أردتم أن يحلَّ عليكم غضب من ربكم﴾ أي: أردتم أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم عليكم، ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وذلك أنهم واعدوه إنِ اللهُ أنجاهم من فرعون وسوء مَلَكَتِه أن يُوَحِّدُوا الله ويطيعوا رسوله وينصروه.

وقيل: هو ما وعدوه من حُسن الخلافة بعده، بدليل قوله: ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾ [الأعراف:١٥٠].

فقال الذين لم يعبدوا العجل: ﴿ما أخلفنا موعدك بِمَلْكِنا﴾ قرئ بالحركات الثلاث على الميم في "مَلْكِنَا". فممن ضَمَّها من القُرَّاء السبعة: حمزة والكسائي، ومِمَّن فَتَحَها منهم: نافع وعاصم، والباقون منهم قرؤوا بكسرها[(٣)].

قال أبو علي[(٤)]: هي لغات.

وقال الزجاج[(٥)]: المُلْك -بالضم-: السُّلْطان والقدرة، وبالكسر: ما حَوَتْهُ

(١) ذكره الماوردي (٣/ ٤١٧-٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦١)، والكشف (٢/ ١٠٤)، والنشر (٢/ ٣٢١-٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٢-٤٢٣).

(٤) الحجة (٣/ ١٥١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٧١).

اليَدُ، وبالفتح: المصدر. يقال: مَلَكْتُ الشَّيْءَ أَمْلِكُهُ مَلْكاً[١].

وقال غيره: معنى الكلام على قراءة من كَسَرَ الميم: ما أخلفنا موعدك ونحن نَمْلِكُ أمرنا، ولكنا غُلبنا من جهة السامري وكيده. وقريب منه قراءة من ضَمَّ الميم، كأنهم اعتذروا بضعفهم وما فَاتَهُم من القُدرة والسلطان على الذين عبدوا العجل.

وقيل: المعنى: ما أخلفنا موعدك بِمُعاناة مُلْكِنا إن اشتغلنا بجهاده وإصلاحه. وهذا صحيح إن قلنا أنه اعتذار من لم يَتَلَبَّسْ بعبادة العجل منهم.

وإن كان اعتذاراً ممن عَبَدَ العجل؛ فالمعنى: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البَلِيَّة. وهذا قول ابن زيد[٢].

﴿ولكنا حَمَلْنا﴾ قرأ الحرميان وابن عامر وحفص: "حُمِّلْنا" بضم الحاء وتشديد الميم وكسرها، وقرأ الباقون بفتح الحاء والميم مخففة[٣].

﴿أوزاراً﴾ أثقالاً من الآثام والتَّبِعَات لموضع ائتمانهم ذلك.

﴿من زينة القوم﴾ قال قتادة: كانت حُلِيّاً تَعَوَّرُوها[٤] من آل فرعون، فساروا وهي معهم[٥].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ملك).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٨). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٢)، والكشف (٢/ ١٠٤)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٦)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٣).

(٤) أي: أخذوها عارية ثم يردونها.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٤) بلا نسبة.

﴿فقذفناها﴾ يعنون في الحفيرة، كما أمرهم هارون[1].

﴿فكذلك ألقى السامري﴾ أي: كما ألقينا ألقى، وكان الخبيث أراهم أنه يُلقي حلياً وإنما ألقى التربة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل، وكان شيطانه أوحى إليه أنها إذا خالطت مواتاً صار حيواناً.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ لما أراد الله بهم من الفتنة والابتلاء، ﴿فقالوا﴾ يعني: السامري ومن شايعه وتابعه، ﴿هذا﴾ إشارة إلى العجل ﴿إلهكم وإله موسى﴾ قال سعيد بن جبير: عكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوه شيئاً قط[2].

قوله: ﴿فنسي﴾ الظاهر في التفسير: أنه موسى[3]. وقيل: السامري[4]. رويا عن ابن عباس.

فإن قلنا: هو موسى؛ فالمعنى: فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، أو نسي أن يطلب إلهه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور.

---

(١) وهذا صحيح؛ لأن هارون هو الذي أمرهم أن يلقوا الزينة في الحفيرة ريثما يعود موسى.

(٢) انظر: الطبري (١/ ٢٨٣)، والوسيط (٣/ ٢١٨)، والدر المنثور (٥/ ٥٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٨٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٣).

والأول قول ابن عباس[١]، والثاني قول السدي[٢].

وإن قلنا: هو السامري؛ فالمعنى: فنسي السامري إيمانه وإسلامه. روي عن ابن عباس أيضاً[٣].

ثم وبَّخهم الله على عبادتهم العجل فقال: ﴿أفلا يرون ألا يَرْجِعُ﴾ أي: أنه لا يرجع.

قال الزجاج[٤]: ويجوز "أن لا يرجع" يُنْصَبُ بـ"أن".

قال: والأول هو الاختيار.

يكون المعنى: أنه لا يرجع إليهم، كما قال: ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ [الأعراف:١٤٨].

وقرأتُ ليعقوب من رواية الوليد عنه: "يَرْجِعْ" بإسكان العين للتخفيف، كما قال:

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْماً مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ[٥]

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠١). وانظر: الدر المنثور (٥/ ٥٨٨).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٦/ ٢٠١). وذكره الماوردي (٣/ ٤١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٣) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٣).

(٥) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٢٢) وروايته فيه: "فاليوم أسقى" بدل: "فاليوم أشرب". وهو في: الكتاب (٤/ ٢٠٤)، واللسان، مادة: (دلك، وغل)، والخصائص (١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧، ٣٤٠، ٣/ ٩٦)، والمحتسب (١/ ١٥، ١١٠)، والأصمعيات (ص:١٣٠)، والدر المصون =

والمعنى: أفلا يرون أنه لا يرد عليهم جواباً، ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ وهذا غاية العجز ونهاية النقص، فكيف اتخذتموه إلهاً؟.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾

قوله: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى حين وقعوا في الفتنة.

وقال الزمخشري[1]: من قبل أن يقول لهم السامري ما قال، كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه، فقبل أن ينطق السامري بادرهم هارون بقوله: ﴿إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن﴾ لا العجل، ﴿فاتبعوني﴾ في عبادته ﴿وأطيعوا أمري﴾ لا أمر السامري.

﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أي: لن نزال مقيمين على عبادته ﴿حتى يرجع

(١/ ٢٢٧)، والحجة للفارسي (١/ ٩١)، وجمهرة اللغة (ص:٩٦٢)، وخزانة الأدب (٤/ ١٠٦، ٨/ ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥).

ومعنى: "مستحقب": أصله الذي يجمع حاجاته في الحقيقة، والمراد: غير مكتسب.

و"واغل": هو الذي يدخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى إلى مشاركتهم.

(١) الكشاف (٣/ ٨٤).

إلينا موسى﴾ عليه السلام.

﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا * ألا تتبعني﴾ "لا" زائدة، أي: ما منعك أن تتبعني في الغضب لله والأخذ على أيديهم بالإنكار الشديد.

وعن ابن عباس روايتان:

إحداهما[١]: ما منعك أن تتبعني؟ أي: تسير إليّ بمن معك من المؤمنين[٢].

والثانية: أن لا تتبعني على عادتي في مناجزتهم القتال[٣].

﴿أفعصيت أمري﴾ وهو قوله له حين فارقهم: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف:١٤٢].

ثم أخذ بلحيته غضباً لله تعالى، وظناً منه أنه قد وجد منه نوع تفريط، فذلك قوله: ﴿يا ابْنَ أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾. ثم اعتذر إليه بقوله: ﴿إني خشيت﴾ أي: خفت إن قاتلتهم أو فارقتهم بمن معي من المؤمنين ﴿أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل﴾ وجعلتهم أحزاباً ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي: لم تنتظر حكمي فيهم، فاسْتأنيت بهم لتكون أنت المتدارك لذلك.

وقيل: لم ترقب قولي لك: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف:١٤٢].

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ

---

(١) وهي اختيار ابن جرير الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣١٦).

﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن
تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ
فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ
عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

فلما قام بعذره أقبل موسى على السامري فـ﴿قال فما خطبك يا سامريّ﴾ أي: ما شأنك؟ وما الذي دعاك إلى الضلال والإضلال؟.

﴿قال بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا به﴾ قال الزجاج(١): يقال: بَصُرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ؛ إذا صَارَ عَليماً بالشَّيْءِ، وأَبْصَرَ يُبْصِرُ؛ إذا نَظَرَ(٢).

وقرأ حمزة والكسائي: "تَبْصُروا به" على الخطاب لبني إسرائيل(٣).

قال له موسى: وما الذي أبصرت؟

قال: رأيت جبريل على فَرَس، فأُلقِيَ في نفسي أن أقبض من أثرها.

﴿فقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ قرأ جماعة منهم: ابن مسعود وابن الزبير وأبي بن كعب والحسن وقتادة: "فقَبَصْتُ قَبْصَةً" بالصاد المهملة فيهما(٤).

قال الزجاج(٥): القَبْضَة -يعني: بالضاد المعجمة-: بجملة

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: بصر).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٢)، والكشف (٢/ ١٠٥)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٤).

الكَفّ(١)، والقَبْصَة: بأطراف الأصابع(٢).

قال غيره: ونحوه: الخَضْمُ والقَضْمُ، فالخَضْمُ بالفَمِ كله(٣)، والقَضْمُ بأطراف الأسنان(٤)، وأنشدوا:

رَضُوا بِالشِّقَاقِ الأَكْلَ خَضْماً فَقَدْ رَضُوا

أخيراً مِنْ أَكْلِ الخَضْمِ أَنْ يَأْكُلُوا القَضْمَا(٥)

وقرأ ابن مسعود: "مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ"(٦).

﴿فنبذتها﴾ ألقيتها في العجل.

﴿وكذلك﴾ أي: وكما حدثتك يا موسى ﴿سوّلت لي نفسي﴾.

ويروى: أن موسى عليه السلام همّ بقتل السامري، فأوحى الله إليه لا تقتله فإنه سَخِيّ.

فقال له موسى: ﴿فاذهب﴾ أي: اخرج من بيننا ﴿فإن لك في الحياة﴾ أي: ما دمت حياً ﴿أن تقول لا مساس﴾ أي: تقول: لا أَمَسَّ ولا أُمَسَّ، فصار طريداً فريداً يهيم مع الوحوش والسِّباع، لا يَمَسُّ أحداً ولا يَمَسُّهُ أحد إلا حُمَّ(٧) في الوقت.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قبض).

(٢) انظر: اللسان (مادة: قبص).

(٣) انظر: اللسان (مادة: خضم).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قضم).

(٥) البيت لأيمن بن خُرَيْم الأسدي يذكر أهل العراق حين ظهر عبد الملك على مصعب. انظر البيت في: اللسان، مادة: (خضم، قضم) وفيه: "رجوا" بدل: "رضوا".

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٤).

(٧) أي: أصابته الحُمَّى.

وكان إذا لقي أحداً قال له: لا مساس، أي: لا تقربني ولا تمسني، فصار ذلك عقوبة له ولولده إلى اليوم.

ويقال: إن بقاياهم في الشام، وأنهم يقولون ذلك، وإلى هذا أشار الشاعر في قوله:

تَمِيمٌ كَرَهْطِ السَّامِرِيِّ وَقَوْلِهِ ... أَلاَ لاَ يُرِيدُ السَّامِرِيُّ مِسَاسَا[1]

أي: لا يُخَالِطُون ولا يُخَالَطُون، يرميهم -والله أعلم- بالانقباض والانزواء عن الناس بسبب البخل.

﴿وإن لك موعداً﴾ لعذابك، وهو يوم القيامة ﴿لن تُخْلَفَهُ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "تُخْلِفَهُ" بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها[2].

فمن كَسَرَ فالمعنى: سَتَأْتِيهِ، ولا مَذْهَبَ لَكَ عَنْهُ. ومن فَتَحَ فعلى معنى: لن يُخْلِفَكَهُ الله.

ثم أراه الله بعينه إضلال سعيه وإبطال مكره، مبالغة في تحقيره وتصغيره، فذلك قوله تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً﴾ يعني: العجل.

وقُرِئ شاذاً: "ظِلْتَ" بكسر الظاء[3].

قال الزجاج[4]: من فَتَحَ فالأصل فيه: ظَلِلْتَ، لكن اللام حُذفت لثِقَل

(١) انظر البيت في: مجاز القرآن (٢/ ٢٧)، والقرطبي (١١/ ٢٤٠)، والماوردي (٣/ ٤٢٤)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٦)، والدر المصون (٥/ ٥١)، وروح المعاني (١٦/ ٢٥٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٢-٤٦٣)، والكشف (٢/ ١٠٥)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٥).

التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على أصلها. ومن كَسَرَ حَوَّل كسرة اللام على الظاء.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ قال ابن عباس: حَرَّقَهُ بالنار ثم ذَرَّاهُ في اليَمّ، وهو قوله: ﴿ثم لَنَنْسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسْفاً﴾[1].

وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام: "لَنَحْرُقَنَّهُ"[2] بفتح النون وسكون الحاء وتخفيفها[3].

قال الزجاج[4]: تأويلها: لنَبْرُدَنَّه بالمِبْرَد. يقال: حَرَقْتُ أَحْرِق وأحْرُقُ؛ إذا بَرَدْتَ الشَّيْءَ[5].

وفي قراءة ابن مسعود: "لَنَذْبَحَنَّهُ ثم لَنُحْرِقَنَّهُ ثم لَنَنْسِفَنَّهُ"[6].

وجاء في التفسير: أن موسى عليه السلام أخذ العجل فذبحه فسال دمه، ثم أحرقه بالنار، ثم ذَرَّاهُ في البحر[7].

قوله تعالى: ﴿إنما إلهكم الله﴾ أي: إنما إلهكم الذي يستحق العبادة الله ﴿الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء عِلْماً﴾ أي: وسع علمه كل شيء.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٠٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٠).

(٢) في الأصل: لَنَحْرِقَنَّهُ. والصواب بضمّ الراء.

(٣) النشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٥).

(٥) انظر: اللسان (مادة: حرق).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٧).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٠).

و"عِلْماً" نَصْبٌ على التمييز(١).

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

قوله: ﴿كذلك﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وقومه ﴿نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي: من أخبار الأمم الخالية، ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني: القرآن.

ثم توعّد من كفر به فقال: ﴿من أعرض عنه﴾ أي: أعرض عن الإيمان بالقرآن ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حِمْلاً ثقيلاً من الإثم.

﴿خالدين فيه﴾ وَحَّدَ الضمير في "أَعْرَضَ" حَمْلاً على لفظ "مَنْ"، ثم جَمَعَ فقال: "خالدين" حَمْلاً على معناها. وقد مرّت نظائر هذا في مواضع.

والنصب في "خَالِدِينَ" على الحال من الضمير في "يَحْمِلُ"(٢)، والضمير في "فِيهِ" راجع إلى الوِزْرِ، على معنى: خالدين في عذاب ذلك الوزر.

﴿وَسَاءَ لهم يوم القيامة حِمْلاً﴾ و"حِمْلاً" مَنصوبٌ على التمييز(٣).

وقال الزمخشري(٤): "سَاءَ" في حكم بئس، والضمير الذي فيه يجب أن يكون

(١) التبيان (٢/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٥٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) التبيان (٢/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٥٤).

(٤) الكشاف (٣/ ٨٧).

مبهماً، يُفسره "حِمْلاً". والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه، تقديره: ساء حملاً وزرهم، كما حُذِفَ في قوله: ﴿نِعْمَ العبد إنه أوّاب﴾ [ص:٣٠]، وأيوب[1] هو المخصوص بالمدح، ومنه قوله: ﴿وساءت مصيراً﴾ [النساء:٩٧]، أي: وساءت مصيراً جهنم.

فإن قلت: مَا أَنْكَرْتَ أن يكون في "ساء" ضمير الوزر؟

قلتُ: لا يصح أن يكون في "سَاءَ" ضَميرٌ وحكمه حكم بئس شيء بعينه غير مُبْهَم.

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

قوله: ﴿يوم يُنْفَخُ في الصُّور﴾ قرأ أبو عمرو: "نَنْفُخُ" بالنون، على معنى إسناد النَّفْخ إلى الآمر به، ويؤيده قوله: ﴿ونَحْشُرُ﴾. وقرأ الباقون: "يُنْفَخُ" بالياء المضمومة، على ما لم يُسَمَّ فاعله[2].

وقرأ أبو عمران الجوني: "يَنفُخُ" بفتح الياء وضَمّ الفاء[3]، والضمير لله أو لإسرافيل.

---

(١) أدرج في هامش ب لفظة: "الذي".

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٣)، والكشف (٢/ ١٠٦)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٢٠-٣٢١).

واتفق جمهور القراء على: "ونَحْشُرُ" بالنون.

وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني والحسن البصري: "ويُحْشَرُ" بضم الياء وفتح الشين، ﴿المجرمون﴾ بالواو[١].

﴿يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿زُرْقاً﴾ يريد: زُرْق العيون، والزُّرْقَة: الخُضْرَة في سواد العين[٢]، والعَرَبُ تَتَشَاءَمُ بِزُرْقَةِ العيون؛ لأن الرُّوم أعداؤهم، وهم بهذه الصفة، يشير إلى تشويه خَلْقهم بزُرْقَةِ عيونهم وسَوَادِ وجوههم بسخط الله عليهم.

وقال الزهري: زُرْقُ العيون من شِدَّةِ العطش[٣].

وقال ابن عباس: "زُرْقاً": عُمْياً[٤]؛ لأن حَدَقَةَ من يذهبُ بصره تَزْرَاقُّ.

﴿يتخافتون بينهم﴾ يتسارَرُون بينهم ﴿إن لبثتم﴾ قال ابن عباس: يعني: في القبور[٥].

﴿إلا عشراً﴾ أي: عشر ليال، ومرادهم بذلك التقليل لا التحديد.

فإن قيل: كيف تقالّوا ذلك وقد كانوا في قبورهم معذَّبين وأيام العذاب طِوَالٌ؟

قلتُ: استقصروا مدة لبثهم في القبور وإن كانوا معذبين فيها؛ لما لابَسَهُم من أهوال ذلك اليوم وشدائده، حتى صار عذاب القبر بالنسبة إليه كَلاَ عذاب.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧). وانظر: زاد المسير (٥/ ٣٢٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: زرق).

(٣) ذكره الطبري (١٦/ ٢١٠)، والماوردي (٣/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٤) ذكره الطبري (١٦/ ٢١٠)، والماوردي (٣/ ٤٢٤) من قول الفراء، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٥)ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

وقال الحسن البصري: "إن لبثتم" يعني: في الدنيا[1]، كأنهم استذكروا أيام السرور فتأسّفوا عليها ووصفوها بالقِصَر.

وقيل: إن لبثتم بين النفختين، استقصروا ذلك؛ لأنه يُكَفُّ عنهم العذاب فيما بين النفختين، وذلك أربعون سنة.

فقال الله: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي: بما يتسارَرُون بينهم.

﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أعقلهم وأعدلهم، ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ قال المفسرون: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم[2].

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ قال ابن عباس: سأل رجال من ثقيف رسول الله ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية[3].

﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ قال المفسرون: يجعلها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فينسفها[4].

---

(١) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٨) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٢).

﴿فيذرها﴾ أي: فيدع أماكنها ﴿قاعاً صفصفاً﴾ قال الفراء[١]: القَاعُ: ما انبسط من الأرض، وجمعه قيعة[٢]، ومنه: ﴿كَسَرابٍ بِقِيعةٍ﴾ [النور:٣٩]، والصَّفْصَفُ: الأَمْلَسُ الذي لا نبات فيه[٣].

﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً﴾ قال ابن عباس: العِوَجُ: الأودية، والأَمْتُ: الرَّوابي[٤].

وقال الحسن: العِوَجُ: ما انخفض من الأرض، والأَمْتُ: ما نَشَزَ من الرَّوابي[٥].

﴿يومئذ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر، وهو إسرافيل، ﴿لا عِوَجَ له﴾ أي: لا يُعَوَّجُ له مَدْعُوٌّ، بل يتبعون صوته مستوين غير منحرفين عنه. وقد سبق في آل عمران[٦] الفرق بين العوج بكسر العين وفتحها.

﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي: خضعت وسكنت من الفزع، ﴿فلا تسمع إلا هَمْساً﴾ وهو الصوت الخفي.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٩١). وفيه: القاع: مستنقع الماء.

(٢) انظر: اللسان، مادة: (قوع).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (صفف).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٣).

(٦) آية رقم: ٩٩.

قال مجاهد: هو تخافُت الكلام وخفض الصوت(١).

ويدل عليه قراءة أُبيّ بن كعب: "فلا ينطقون إلا هَمْساً"(٢).

وقال أكثر المفسرين: هو من همس الإبل، وهو صوت أخفافها(٣). قال الراجز:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بها هَمِيسَا ....(٤)

فالمعنى: لا تسمع إلا صوت نقل الأقدام إلى المحشر.

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

قوله: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا مَنْ أذن له الرحمن﴾ "مَنْ" في محل الرفع على

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢١٥)، ومجاهد (ص:٤٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٦٠).

(٣) الطبري (١٦/ ٢١٤)، والماوردي (٣/ ٤٢٧)، والدر المنثور (٥/ ٦٠٠).

(٤) من الرجز، يروى عن ابن عباس أنه تمثل فأنشده. وبعده: (إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسا). انظر: اللسان، مادة: (رفث، همس)، وجمهرة اللغة (ص:٤٢٢، ٨٦٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤٣، ١٥/ ٧٨)، والعين (٤/ ١٠)، والطبري (٢/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٥/ ١٠٦، ١٦/ ٢١٤)، والقرطبي (٢/ ٤٠٧)، والماوردي (٣/ ٤٢٧)، والحجة للفارسي (١/ ٤١٩)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٢)، والدر المصون (٥/ ٥٦).

البدل من "الشفاعة"(١)، بتقدير حذف المضاف، تقديره: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع.

وقيل: "مَنْ" في محل النصب على المفعولية(٢)، على معنى: لا تنفع الشفاعة إلا عبداً أذن الله لمن يشاء من خلقه أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء:٢٨].

قال ابن عباس في قوله: ﴿ورضي له قولاً﴾ قال: لا إله إلا الله(٣).

قال الزمخشري(٤): "ورضي له": لأجله، أي: أذن للشافع ورضي قوله لأجله.

ونحو هذه اللام اللام في قوله: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ [الأحقاف:١١].

﴿ولا يحيطون به علماً﴾ أي: بما بين أيديهم وما خلفهم.

وقيل: لا يحيطون بالله علماً(٥).

وقيل: المعنى: لا يحيطون بمعلوماته علماً.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الوجوه﴾ أي: خضعت وذَلَّت، ومنه: العاني، وهو الأسير، ومنه: الفتح عَنْوَةً. يقال منه: عَنَا يَعْنُو(٦).

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٥٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٨٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٣).

(٦) انظر: اللسان (مادة: عنا).

وقد ذكر في آية الكرسي تفسير "الحي القيوم"[(١)].

﴿وقد خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله تعالى[(٢)].

قال صاحب الكشاف[(٣)]: المراد بالوجوه: وجوه العُصَاة، وأنهم إذا عاينوا -يوم القيامة- الخيبة والشقوة وسوء الحساب، صارت وجوههم عانية، أي: ذليلة خاشعة، مثل وجوه العُنَاة، وهم الأسارى، ونحوه قوله: ﴿فلما رأوه زُلْفَةً سِيئَتْ وجوه الذين كفروا﴾ [الملك:٢٧]، ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾[القيامة:٢٤].

"وقد خاب" وما بعده اعتراض[(٤)].

قوله: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ "مَنْ" للجنس. وشَرَطَ الإيمان؛ لتوقف قبول العمل عليه.

﴿فلا يخاف﴾ أي: فهو لا يخاف.

وقرأ ابن كثير: "فلا يَخَفْ" على النهي[(٥)].

﴿ظُلْماً ولا هَضْماً﴾ الظُّلْمُ: أن يُؤخذ من الشخص فوق حَقِّه[(٦)]. والهَضْمُ: أن

---

(١) قال ابن جرير الطبري (٣/ ٥): "الحي": يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يُحَدّ، ولا آخر له يؤمد، إذا كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر مأمود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها. و"القيوم": القائم برزق ما خلق وحفظه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٨٩).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٤)، والكشف (٢/ ١٠٧)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٧)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٦) انظر: اللسان (مادة: ظلم).

ينقص من حَقِّه[١]. يقال: فُلانٌ يَهْضِمُني حَقِّي، أي: يَنْقُصُني، ومنه قول امرئ القيس:

هَصَرتْ بفَوْدي رَأْسِها فتَمايَلَتْ   عَلَيَّ هَضِيم الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[٢]

قال ابن عباس: لا يخاف أن يظلم فيُزاد عليه في سيئاته، ولا أن يُهضم من حسناته[٣].

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

قوله: ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً﴾ عطف على قوله: ﴿كذلك نقص﴾. والمعنى: وكما أنزلنا من الآيات المتضمنة لأنواع الوعيد والتهديد، أنزلنا هذا الكتاب على هذه الوتيرة قرآناً عربياً، بيّنّا فيه ضروب التخويف.

﴿وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾ الشرك والمعاصي، ﴿أو يُحدث لهم ذكراً﴾ أي: يحدث لهم اعتباراً.

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي: جلّ وارتفع عن إلحاد

---

(١) انظر: اللسان (مادة: هضم).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥)، واللسان، مادة: (هضم) مع اختلاف في الشطر الأول، والقرطبي (١٣/ ١٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

الملحدين.

قال صاحب الكشاف(1): لما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أي: إذا لقَّنك جبريل ما نوحي إليك من القرآن فتَأَنَّ عليه ريثما يُسْمِعُك ويُفْهِمُك، ثم أقبل عليه بالتَّحَفُّظِ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مُساوِقَةً لقراءته، ونحوه قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة:١٦].

وقيل: معناه: لا تبلّغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان.

قال الحسن البصري: لَطَمَ رجل امرأته، فأتت النبي ﷺ تطلب القصاص، فجعل رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية، فوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾(2) [النساء:٣٤].

وقرأتُ ليعقوب: "نَقْضِيَ" بالنون المفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء، "وَحْيَهُ" بالنصب، وهي قراءة ابن مسعود والحسن(3).

﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي: فهماً في القرآن ومعانيه.

وقيل: زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك.

وقيل: زدني أدباً في دينك.

وقال ابن السائب ومقاتل(4): زدني قرآناً(5)؛ لأنه كلما ازداد قرآناً ازداد علماً.

---

(١) الكشاف (٣/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠٢) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) النشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٢).

(٥) ذكره الماوردي (٣/ ٤٢٩) من قول ابن السائب الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٧) =

وكان ابن مسعود إذا تلا هذه الآية قال: اللهم زدني إيماناً ويقيناً[(١)].

وفي ضمن أمره بسؤال الزيادة في العلم إيذان باستحباب المبالغة في طلب العلم والحكمة، وتنبيه على زيادة التواضع لله والاعتراف له بالإحاطة بالمعلومات.

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ
هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ
إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ
وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ أي: ولقد عزمنا عليه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وضيعوا وصيتي...[(٢)] وهم المشار إليهم بقوله: ﴿لعلهم يتقون﴾. والمعنى: أن...[(٣)] آدم عهدنا إليه من قبل فترك ما أمرته به.

=

من قول مقاتل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٥)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

(٢) بياض في ب قدر عدة كلمات.

(٣) بياض في ب قدر عدة كلمات.

ويجوز أن يراد به النسيان الذي هو نقيض الذُّكر.

﴿ولم نجد له عزماً﴾ قال الحسن البصري: صبراً عما نُهي عنه(١).

ومعنى العزم: توطئة النفس على الشيء وتطمينها عليه، وتصميمها على فعله.

قال الحسن: كانَ عقل آدم مثل عقل جميع ولده، فقال الله: ﴿ولم نجد له عزماً﴾(٢).

قال ابن الأنباري(٣): وهذا لا يُخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب.

وما بعده مفسر إلى قوله: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ قال عطاء: يريد: شقاء الدنيا ونَصَبَها(٤).

وقال السدي: يريد: الحرث والزرع والعجن والخبز(٥).

وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء؛ لأن الخطاب معه.

وقيل: أسنده إليه؛ لأنه في ضمن شقاء الرجل -وهو قَيِّم أهله وأميرهم-

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢١) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٠٣) وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٢٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٨) كلاهما عن الحسن. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٢٨) بلا نسبة.

شقاؤهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتُهم.

وقيل: أُريد بالشقاء: التعب في طلب القوت -كما رويناه عن عطاء والسدي-، وذلك معصوب برأس الرجل.

قوله: ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ أي: في الجنة ﴿ولا تعرى﴾.

﴿وأنك﴾ عطف على "أن لا تجوع"[(١)].

وقرأ نافع وأبو بكر: "وإنك" على الاستئناف[(٢)].

﴿لا تظمأُ فيها﴾ أي: لا تعطش فيها، ﴿ولا تضحى﴾ لا تبرز للشمس فيصيبك الحرُّ.

قال الزجاج[(٣)]: يقال: ضَحِيَ الرَّجُلُ [يَضْحَى][(٤)]؛ إذا بَرزَ إلى الشمس[(٥)].

قال الشاعر:

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا [إِذا][(٦)] الشَّمْس عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأَمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[(٧)]

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٨)، والدر المصون (٥/ ٦٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٤)، والكشف (٢/ ١٠٧)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٨).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: ضحا).

(٦) في ب: رأى. والمثبت من معاني الزجاج (٣/ ٣٧٨). وانظر: مصادر البيت.

(٧) البيت لعمر بن أبي ربيعة، من رائيته المعروفة. انظر: ديوانه (ص:١٢١)، ومعاني الفراء (٢/ ١٩٤)، والطبري (١٦/ ٢٢٣)، والقرطبي (١/ ٢٤٤، ١١/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٣)، والدر المصون (٥/ ٦١)، وروح المعاني (١٦/ ٢٧١).

ومعنى يَخْصَرُ: يُصيبه الخَصَرُ، وهو شدة البَرْدِ وبلوغه في الأطـراف[(١)]. قـال صاحب الكشاف[(٢)]: الشِّبَعُ والرِّيُّ والكِسْوَةُ والكِنُّ[(٣)]: هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان، فذكر استجماعها له في الجنة. وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجُوعُ والعُرْيُ والظَّمأُ والضَّحْوُ، لتطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حَذَّره منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها.

قوله: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ سبق تفسيره، ﴿قال يا آدم هـل أدلّـك عـلى شجرة الخلد﴾ على شجرةٍ منْ أكل منها لم يَمُتْ، ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يزال جديداً.

[وما بعده مُفَسَّرٌ في الأعراف[(٤)]][(٥)] إلى قوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أي: ضلّ عن طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية.

وقال ابن الأعرابي[(٦)]: الغَيُّ: الفَسَادُ، المعنى: فَسَدَ عليه عَيْشُهُ.

﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ أي: وَفَّقَهُ لحفظ التوبة.

وقيل: هداه إلى التوبة، فقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا... الآية﴾ [الأعراف:٢٣].

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خصر).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٢-٩٣).

(٣) الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ: وِقاء كل شيء. والكِنُّ: البيت (اللسان، مادة: كنن).

(٤) آية رقم: ٢٢.

(٥) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٦) انظر: الوسيط (٣/ ٢٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٣٢٩).

لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

وما بعده مُفَسَّرٌ في البقرة[1] إلى قوله: ﴿فمن اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ وهو الكتاب والرسول ﴿فلا يضل ولا يشقى﴾[2].

قال ابن عباس: لقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية[3].

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ وهو القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فإن له معيشةً ضَنْكاً﴾ قال الزجاج[4]: أصل الضَّنْك في اللغة: الضِّيقُ والشِّدَّة[5].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المعيشة الضَّنْك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه لَيُسلط

(١) آية رقم: ٣٨.

(٢) في هامش ب بخط مغاير: قال الطبراني: ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثني أبي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: ثنا عمران بن أبي عمران، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتبع كتاب الله هداه من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك أن الله يقول: ﴿فمن اتبع هداي...﴾ فذكر الآية». (المعجم الكبير ١٢/ ٤٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٧٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ضنك).

عليه تسعة وتسعون تِنِّيناً، [أتدرون ما التنِّين؟ تسعة وتسعون حيَّة، لكل حيَّة سبعة رؤوس][(١)] ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»[(٢)].[(٣)] وهذا قول جمهور المفسرين.

قال أبو سعيد الخدري: المعيشة الضنك: عذاب القبر، يلتئم على صاحبه، فلا يزال يعذب حتى يبعث[(٤)].

ويروى عن ابن عباس في قوله: ﴿معيشةً ضنكاً﴾ قال: شدة عطشه في النار[(٥)].

وروي عنه أيضاً في هذه الآية قال: يُضَيَّقُ عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٩)، وابن حبان (٧/ ٣٩٢ ح٣١٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٥٢١-٥٢٢)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٠١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠٨) وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه.

(٣) في هامش ب: خرجه ابن أبي حاتم والبزار، وعنده بسند جيد من حديثه أيضاً مرفوعاً: المعيشة الضنك: عذاب القبر. وعند ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد رفعه: هي ضَمَّةُ القبر. والموقوف أصح، وهو ما ذُكر عنه هنا.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٧)، والحاكم (٢/ ٤١٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٧) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

قال ابن كثير (٣/ ١٧٠): رفعه منكر جداً.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣١) وفيه: شدة عيشه في النار. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿معيشة ضنكاً﴾ قال: شدة عليه في النار.

منها، وله معيشة حرام يركُضُ فيها[١].

قال الزمخشري[٢]: الضَّنْكُ مصدر يستوي في الوصف به المُذَكَّر والمؤنَّث.

وقرئ: "ضَنْكَى"، على فَعْلَى.

قال[٣]: ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته؛ فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة، فيعيش عيشاً رائعاً[٤]، كما قال الله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل:٩٧]، والمُعْرِضُ عن الدِّينِ مُسْتَوْلٍ عليه الحِرْصُ الذي لا يزال يَطْمَحُ به إلى الازدياد من الدنيا، مُسَلَّطٍ عليه الشُّحُّ الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضَنْكٌ، وحَالُهُ مُظْلِمَةٌ، كما قال بعضهم: لا يُعْرِضُ أحد عن ذِكْرِ رَبِّهِ إلا أَظْلَمَ عليه وقته وتَشَوَّشَ عليه رزقه.

﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ابن عباس: إذا أُخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عَمِيَ[٥].

وقال مجاهد: أعمى عن الحجة[٦].

﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ أنظر بعيني.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣١-٣٣٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٥).

(٣) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٤) في الكشاف: رافعاً.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٩)، ومجاهد (ص:٤٠٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وهذا القول هو الذي اختاره الطبري ورجَّحه.

وقال مجاهد: عالماً بحجتي [١].

﴿قال كذلك﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت. ثم فَسَّره فقال: ﴿أَتَتْكَ آياتنا﴾ واضحة نَيِّرَة ﴿فَنَسِيتَها﴾ تركتها جانباً لم تتدبَّرها ولم تَعْتَبِرْها، ﴿وكذلك اليوم تُنْسى﴾ تُتْرَكُ في النار.

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عَشَرة إلا يُؤتى به يوم القيامة مَغْلُولاً لا يَفُكُّهُ منها إلا عدله، وما من رجل تعلّم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله تبارك وتعالى يوم القيامة أَجْذَم» [٢].

ومعنى أجذم: مقطوع اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ.

وقيل: مقطوع الحُجَّة.

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ أي: أشرك بالله ﴿ولم يؤمن بآيات

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٩)، ومجاهد (ص:٤٠٥) بلفظ: "بصيراً بحجتي".

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣ ح٢٢٨١٠).

ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ من المعيشة الضَّنْك والمحشر على العَمى.

قوله: ﴿أفلم يَهْدِ لهم﴾ قال علي بن الحسين النحوي الأصبهاني: فاعل "يَهْـدِ" مُضْمَرٌ دَلَّ عليه ﴿كم أهلكنا﴾، تقديره: أفلم يتبين لهم إهلاكنـا، ولا يكـون "كـم أهلكنا" فاعلاً ولا مفعولاً، على معنى: أفلم يُبين الله إهلاكه لهم؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، فلا يكون "كَمْ" معمولاً لـ"يَهْدِ"، ولكنه منصوبٌ بـ"أهلكنـا"، وهو مفعول مُقَدَّمٌ، وتفسيره محذوف، والتقدير: كم قرية أهلكنا[1].

وقال الزمخشري[2]: فاعل "لم يَهْدِ" الجملة بعده [بريد: ألم يهد لهم، هذا بمعناه ومضمونه][3]، ونظيره قوله: ﴿وتركنا عليه في الآخـرين * سـلام عـلى نـوح في العالمين﴾ [الصافات:٧٨-٧٩]. أي: وتركنا [عليه][4] هذا الكلام.

ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول، ويدل عليه القراءة بالنون.

قلتُ: وبها قرأتُ لزيد عن يعقوب[5].

وكانت قريش تمرّ بديار عاد وثمود وتشاهد آثار وقائع الله بهم، فذلك قوله: ﴿يمشون في مـساكنهم إن في ذلـك لآيـات لأولي النهـي﴾ أي: لَعِـبَراً ودلالات وعلامات على عظيم انتقام الله ممن أشرك به وكذب رسله لأرباب العقول.

قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي العِدَةُ بتأخير عقابهم إلى يوم

---

(١) التبيان (٢/ ١٢٨)، والدر المصون (٥/ ٦٣-٦٤).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٦).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٣٣).

القيامة ﴿لكان لزاماً﴾ أي: لكان العذاب لازماً لهم.

واللِّزام: مصدر لازَمَ، ثم وُصِفَ به.

﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ عطف على "كلمة"، التقدير: لولا كلمةٌ وأجلٌ مسمى لكان لزاماً. هذا قول الفراء وابن قتيبة والأكثرين[١].

وجوّز الزمخشري[٢] أن يكون عطفاً على الضمير في "كان"، أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين [لهم][٣]، كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل.

قوله: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ قال المفسرون: أمر الله نبيه أن يصبر على أذاهم، ثم نُسخ إطلاق الصبر بآية السيف[٤].

﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي: صَلِّ حامداً لربك إن وَفَّقَكَ للتسبيح وأعانك عليه.

﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعني: الفجر، ﴿وقبل غروبها﴾ يعني: العصر.

وفي الصحيحين من حديث جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾»[٥].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ١٩٥)، وتفسير غريب القرآن (ص:٢٨٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٦).

(٣) في ب: له. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٩)، ومسلم (١/ ٤٣٩ ح٦٣٣).

﴿ومن آناء الليل فسبح﴾ قال ابن عباس: يريد: المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ قال: يريد: الظُّهر[(١)] ....[(٢)].

وقال في رواية أخرى: "ومن آناء الليل": جوف الليل[(٣)].

أمره سبحانه بالصلاة فيه نَفْلاً؛ لأنه مظنة الفراغ عن الأشغال القاطعة والأسباب المانعة للقلب عن الاهتمام بالعبادة المختصة به، كما قال: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً﴾ [المزمل:٦].

وقرئ شاذاً: "وأطرافِ" بالجر، عطفاً على "آناء"[(٤)].

﴿لعلك ترضى﴾ أي: سبح بحمد ربك في هذه الأوقات طمعاً ورجاءً أن ترضى بما تنال من كرامته.

وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: "تُرْضَى" بضم التاء[(٥)]، على معنى: لعلك يرضيك ربك.

وقيل: المعنى: لعلك يرضاك ربك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤١) كلاهما عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦١١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) كلام غير ظاهر في مصورة ب.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٥)، والطبري (١٦/ ٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٧) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد وابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٤)، والكشف (٢/ ١٠٧)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٥).

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ قال أبو رافع: «نزل برسول الله ﷺ ضيف، فبعثني إلى يهودي فقال: قل له: إن رسول الله ﷺ يقول: بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب، فأتيته فقلت له ذلك، فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برَهْنٍ، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: والله لو باعني أو أسلفني لقضيته، وإني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض، اذهب بدِرْعِي الحديد إليه. فنزلت هذه الآية تعزيةً للنبي ﷺ عن الدنيا(١)»(٢).

وقال أُبيّ بن كعب في هذه الآية: فمن لم يتعز بعزاء الله تعالى تقطّعت نفسه حسرات على الدنيا، ومن يُتْبِعْ بصرَه ما في أيدي الناس يَطُل حزنه ولا يشفى

---

(١) كتب في الهامش الأيمن من ب بخط مغاير: قلت: أسند البزار هكذا من حديث أبي رافع، وفي سنده موسى بن عبيدة هو الربذي، ضعيف.

وفي الهامش الأيسر كتب: اعترضه ابن عطية قال: السورة مكية والقصة مدنية مشهورة.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤١-٢٤٤٢)، والبزار (٩/ ٣١٥)، والطبراني في الكبير (١/ ٣٣١). وانظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦١٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبي نعيم في المعرفة.

غيظه(١).

وقد سبق تفسير ما لم أتعرض له هاهنا في سورة الحِجْر(٢).

وقرأتُ ليعقوب: "زَهَرَةَ" بفتح الهاء، وهي قراءة ابن مسعود والحسن(٣)، وهما بمعنى واحد.

يريد: بهجة الحياة الدنيا وزينتها.

قال الفراء(٤): "زَهْرَةَ" منصوب على التمييز. وهو غلط؛ لأنه مضاف إلى المعرفة.

وقال الزجاج(٥): "زهرة" منصوب بمعنى "متَّعْنا"؛ لأن معنى مَتَّعْنا: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة.

وقال الزمخشري(٦): [انتصب "زهرة" على أحد أربعة أوجه: على الذَّمّ، وعلى تضمن "متعنا" معنى: أعطينا، وعلى إبداله من الجار والمجرور، وعلى إبداله من "أزواجاً"، على تقدير: ذوي زهرة.

ومعنى: ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم، واللام من صلة "مَتَّعْنا".

﴿ورزق ربك﴾ الذي ادَّخَرَهُ لك في الآخرة وأَعَدَّهُ لك في الجنة.

وقيل: هو ما أنعم به عليه من النبوة والإسلام.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٥).

(٢) آية رقم: ٨٨.

(٣) النشر (٢/ ٣٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٨).

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ١٩٦).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٠).

(٦) الكشاف (٣/ ٩٨).

﴿خير وأبقى﴾ أكثر وأدْوَم.

قوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ دُمْ عليها ولا يُضجرنّك تكرارها وتحمّل أعباءها.

﴿لا نسألك رزقاً﴾ لنفسك ولا لخلقنا، إنما نأمرك بالعبادة، ورزقك ورزقهم علينا، فذلك قوله: ﴿نحن نرزقك﴾.

﴿والعاقبة﴾ قال ابن عباس: هي الجنة(١).

﴿للتقوى﴾ قال الأخفش(٢): لأهل التقوى.

فصل

كان عروة بن الزبير إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقرأ: ﴿ولا تمدن عينيك... الآية﴾، ثم ينادي أهله: الصلاةَ يرحمكم الله(٣).

وقال مالك بن دينار: كان بكر بن عبدالله المزني إذا أصاب أهله خصاصة يقول: قوموا فَصَلُّوا، ثم يقول: بهذا أمر الله ورسوله، ويتلو هذه الآية(٤) (٥).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) معاني الأخفش (ص:٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٦-٢٣٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٤٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٦).

(٥) في هامش ب: كان عمر رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة وقال لهم: الصلاة، ويتلو هذه الآية. [أخرجه] مالك [في الموطأ] (١/ ١١٩ ح٢٥٩).
وكان النبي ﷺ بعد نزولها يذهب كل يوم إلى بيت فاطمة ويقول لها ولِعَلِيّ: الصلاة.

وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا
فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

قوله: ﴿وقالوا لو لا يأتينا بآية من ربه﴾ أي: بآية خارقة؛ كناقة صالح، وعصا موسى.

﴿أَوَ لَمْ تأتهم بَيِّنَةُ ما في الصُّحُفِ الأولى﴾ المعنى: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب السالفة من أخبار الأمم المهلكة، حين كفروا بما أتتهم به رسلهم من الآيات التي اقترحوها، أفأمنوا أن تكون حالهم كحال أولئك. هذا قول الأكثرين[(١)].

وقال الزمخشري[(٢)]: المعنى: أو لم يأتهم آية هي أُمُّ الآيات وأعظمها في باب الإعجاز -يعني القرآن-، من قبل أن القرآن برهانُ ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته؛ لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة عليه بقوله: أو لم يأتهم بينة.

﴿لقالوا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ يدعونا إليك ويدلنا عليك، ﴿فنتبع آياتك﴾ أي: نعمل بمقتضاها أعمالاً ترضاها ﴿من قبل أن نَذِلَّ ونَخْزَى﴾ بعذاب جهنم.

وقرأتُ ليعقوب من رواية أبي حاتم: "نُذَلَّ ونُخْزَى" بضم النون فيهما وفتح

---

(١) الطبري (١٦/ ٢٣٧)، والوسيط (٣/ ٢٢٨)، وزاد المسير (٥/ ٣٣٦).

(٢) الكشاف (٣/ ٩٩).

الذال على ما لم يُسَمَّ فاعله، وهي قراءة ابن عباس وابن السميفع[(١)].

﴿قل﴾ يا محمد للكفار ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر نصره وظفره، وحسن العاقبة له، والدوائر على خصمه، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ صيغة الأمر في معنى التهديد، أي: فتربصوا بنا الدوائر.

﴿فستعلمون﴾ إذا جاء أمر الله ﴿مَنْ أصحاب الصراط السوي﴾ أي: الدين المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة نحن أم أنتم.

وهذا من أحسن أساليب الاستعطاف مع إقامة الحجة؛ لما فيه من ملاينة الخصم، وثنيه عن المشاغبة، واستنزاله عن اللَّدَد[(٢)] بلطيف المخاطبة.

فإن قيل: هل يجوز أن تكون "مَنْ" هاهنا بمعنى: "الذي"؟

قلتُ: لا يجوز؛ لأنه لا عائد من صلته يعود إليه، وإنما هو استفهام، وهو مبتدأ، خبره: "أصحاب الصراط"، والجملة في موضع النصب بـ"تَعْلَمُونَ"[(٣)].

---

(١) زاد المسير (٥/ ٣٣٧).

(٢) اللَّدَد: الخصومة الشديدة (اللسان، مادة: لدد).

(٣) التبيان (٢/ ١٢٩)، والدر المصون (٥/ ٦٧-٦٨).

سورة الأنبياء عليهم السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي مائة واثنتا عشرة آية، وهي مكية بإجماعهم.

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾

قال الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: اقترب للناس وقت حسابهم، يعني: يوم القيامة، كما قال: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر:١].

فإن قيل: ما وجه وصفه بالقُرْبِ وقد مضى لهذا الوعيد أكثر من ستمائة عام وثلاثين عاماً إلى يومنا هذا[2] ولم يقع؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أنه قريب بالنسبة إلى ما بقي من الزمان، ومنه قوله عليه السلام في

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٣).

(٢) هذا إلى عهد المؤلف -رحمه الله-. وقد مضى على هذا الوعيد إلى اليوم أكثر من (١٤٢٨) سنة.

الخطبة: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى»[١].

ومنه الحديث: «ولّت الدنيا حَذَّاء[٢] ولم يبق إلا صُبَابةٌ[٣] كصُبابة الإناء»[٤].

الثاني: أنه وُصِفَ بالقُرْب؛ لأنه آتٍ، وكل آتٍ قريب وإن طالت مُدَّتُهُ.

الثالث: أنه قريب عند الله وإن كان بعيداً بالنسبة إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾ [المعارج:٦-٧].

واللام في: "للناس" بمعنى: "مِنْ"، وقيل: صلة لـ"اقْتَرَبَ".

﴿وهم في غفلة﴾ عن حسابهم وما يُراد بهم ﴿معرضون﴾ عن التفكّر والتأهّب له.

﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم﴾ قال ابن عباس: يريد: القرآن[٥].

﴿مُحْدَثٍ﴾، أي: محدث النزول، فإن القرآن نزل آية بعد آية، وسورة بعد سورة.

وقرأ ابن أبي عبلة: "مُحْدَثٌ" بالرفع، صفة على المحل[٦].

﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٣١ ح٤٩٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٦٩ ح٢٩٥١).

(٢) في هامش مصورة ب: حاشية: حَذَّاء بالحاء المهملة والذال المعجمة المشددة مع المد، أي: خفيفة سريعة، ومنه قيل للقطاة: حَذَّاء.

(٣) الصُّبابة: بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء (اللسان، مادة: صبب).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٨ ح٢٩٦٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٩).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٧٥).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٣٩).

وقوله: "وهم يلعبون" حال من ضمير الفاعل في "استمعوه"[(١)].

﴿لاهيةً﴾ حال ثانية من ضمير الفاعل أيضاً، ويجوز أن يكون حالاً من الحال الأولى[(٢)].

وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة وسعيد بن جبير: "لاهيةٌ قلوبُهم" بالرفع فيهما على الابتداء والخبر[(٣)].

﴿وأسرُّوا النجوى﴾ قيل: المعنى: أظهروا النجوى، فإنه من الأضداد؛ كما سبق.

والصحيح عندي: ما هو المتبادر إلى الأفهام.

فإن قيل: النجوى لا تكون إلا خفية، فما معنى قوله: "وأسروا"؟

قلت: المبالغة في إخفاء ما تناجوا به.

فإن قيل: ما الذي حملهم على المبالغة في إخفائه، وهم أشد شَكِيمة وأحدُّ شوكة؟

قلتُ: حملهم عليه الخوف من نقض ما أبرموه من المكايد لهدم الإسلام وإطفاء نور النبي عليه السلام على تقدير اطّلاعه عليه، على ما أُلِفَ وعُرِفَ من شأن ذوي الشأن.

فإن قيل: ما محل ﴿الذين ظلموا﴾ من الإعراب؟

قلت: الرفع بدلاً من الواو في "وأسروا النجوى".

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٧٠).

(٢) التبيان (٢/ ١٣٠)، والدر المصون (٥/ ٧٠).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٧٥).

ويجوز أن يكون...[1] مثلكم على إضمار القول، كأنه قيل: الذين ظلموا يقولون: هل هذا، فحذف القول، كقول الشاعر:

.... جاؤوا بمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطٌّ[2]

أي: بِمَذْقٍ يقال فيه هل رأيت الذئب قط.

أو هو على لغة من قال: "أكلوني البراغيث"، و"يَعْصِرُونَ[3] السَّلِيطَ أَقَارِبُه"[4]؛ لأنهم جردوا الواو للجمعية عن الضمير وجعلوه حرفاً، كما قالوا في الجمع؛ كقولهم: الزَّيْدُون والعَمْرُون.

ويجوز أن يكون محله النصب على الذمّ[5].

وقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ في آخر الآية بيان لما أَسَرُّوه. وهو في محل النصب على البدل من "النجوى"[6]، والمشار إليه بقولهم: "هذا"؛ محمد ﷺ، ومقصودهم استبعاد اختصاصه بالوحي من بينهم مع اشتراكهم في كونه من

---

(١) بياض عدة كلمات غير ظاهرة في ب.

(٢) عجز بيت للعجاج، وصدره: (حتى إذا جَنَّ الظلام واختلط). وهو ليس في ديوانه. انظر: المقرب (١/ ٢٢٠)، وأمالي الزجاجي (ص:٢٣٧)، والخزانة (٢/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٤/ ٤٧٨)، والدر المصون (٣/ ٤١١).

(٣) في المصادر: يعصرن.

(٤) جزء من بيت للفرزدق يهجو عمرو بن عفراء، وهو:

ولكنْ دِيافِيٌّ أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

انظر: اللسان، مادة: (سلط، دوف).

(٥) التبيان (٢/ ١٣٠)، والدر المصون (٥/ ٧١-٧٢).

(٦) انظر: الدر المصون (٥/ ٧٢).

جنسهم.

﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ إنكار وتوبيخ. والمعنى: أتقبلون وأنتم تعلمون أنه سحر وتشاهدونه.

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

﴿قُلْ ربي يعلم القول﴾ سراً كان أو جهراً ﴿في السماء والأرض﴾.

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "قَالَ ربي"(١) على الخبر عن النبي ﷺ.

﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم، فكيف يُسرّون منه النجوى.

قوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ قال الزمخشري(٢): أضربوا عن قولهم: هو سحر، إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وكذا الباطل مُلَجْلَج، والمُبْطِلُ مُتَحَيِّرٌ رَجَّاع غير ثابت على قول واحد.

ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد، وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث. وصحة التشبيه في قوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ من حيث إنه في [معنى](٣): كما أتى

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٥)، والكشف (٢/ ١١٠)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٨).

(٢) الكشاف (٣/ ١٠٤).

(٣) في الأصل: المعنى: والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

الأولون بالآيات؛ لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات.

قال ابن عباس: "فليأتنا بآية": مثل: الناقة والعصا[١].

قوله: ﴿ما آمنت قبلهم﴾ يعني: قبل أهل مكة ﴿من قرية﴾ أي: من أهل قرية، فحذف المضاف.

﴿أهلكناها﴾ صفة لـ"قرية"، تقديره: من قرية مهلكة[٢].

أخبر الله سبحانه وتعالى أن القرى المهلكة لم ينتفعوا بمقترحاتهم، ولم يكن سبباً في نجاتهم، حيث لم يشأ الله لهم الإيمان ولم يُرِدْه منهم.

﴿أفهم﴾ بقوّتهم ﴿يؤمنون﴾ حتى يجعلوا إيمانهم مَنوطاً بمجيء الآيات التي يقترحونها، ويلتزموا بذلك على أنفسهم.

وقيل: المعنى: ما آمنت قبلهم القرى المهلكة أفهم يؤمنون، وهم أعتى وأشد كفراً وتمرُّداً من أولئك.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٠) بلا نسبة.
والناقة: كانت معجزة لنبي الله صالح عندما أرسله الله لقومه ثمود.
والعصا: كانت معجزة من الله لسيدنا موسى عليه السلام.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٣٠).

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يُوحَى إليهم﴾ جواب لقولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾.

وقرأ حفص: "نُوحِي" بالنون وكسر الحاء[١].

﴿فاسألوا﴾ يا أهل مكة ﴿أهل الذِّكْرِ﴾ يعني: علماء أهل الكتاب الذين هم على مثل رأيكم في تكذيب رسولي ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ أن الله يَصْطَفِي من البشر رُسُلاً، فإنهم لا يكتمون ذلك ولا ينكرونه، فإنهم لو كتموا ذلك أو أنكروه أصيبت مَقَاتِلُهُم، ولزمتهم الحجة، وظهرت فضائحهم، وبَانَ كذبُهُم وباطلُهُم.

قوله: ﴿وما جعلناهم﴾ يعني: الرسل ﴿جَسَداً لا يأكلون الطعام﴾ قال الزجاج[٢]: هو واحد ينبئ عن جماعة، أي: وما جعلناهم ذوي أجساد لا يأكلون الطعام.

والمقصود من ذلك: الردّ عليهم، وإبطال ما كانوا يلمزون به الرسول ﷺ في قولهم: ﴿مَالِ هذا الرسول يأكل الطعام﴾ [الفرقان:٧].

وفي قوله أيضاً: ﴿وما كانوا خالدين﴾ رَدٌّ لما دلّ عليه قولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ من اعتقاد أنه ينبغي أن يكون الرسول مَلَكاً مُخَلَّداً لا يَطْعَم.

قوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ أي: أنجزنا المرسلين ما وعدناهم به من الإنجاء والظَّفَر بالأعداء، ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني: المؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ وفي هذا تخويف لكُفّار مكة.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٦)، والكشف (٢/ ١٤-١٥)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٩)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٥).

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن
قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا
إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

ثم ذَكَّرَهم نِعَمَهُ فقال: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ يعني: القرآن ﴿فيه ذِكْرُكُمْ﴾ شَرَفُكُم وَصِيتُكُم، كما قال في موضع آخر: ﴿وإنه لَذِكْرٌ لَكَ ولقومك﴾ [الزخرف:٤٤]. هذا قول ابن عباس[١] والأكثرين[٢].

وقال الزجاج[٣]: فيه تذكرة لكم.

﴿أفلا تعقلون﴾ ما فضلتكم به.

ثم خوفهم أيضاً فقال: ﴿وكم قَصَمْنا من قرية﴾ أي: وكم أهلكنا. وأصل القَصْمُ: كَسْرُ الشيءِ ودَقُّهُ، والقُصَمُ: الرَّجُلُ يَحْطِمُ كُلَّ مَا لَقِيَ[٤].

---

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٣٢)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٦). وذكره الطبري (١٧/ ٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قصم).

قال الزمخشري[1]: هذه الآية واردةٌ عن غضب شديد، ومناديةٌ على سخط عظيم؛ لأن القَصْمَ أَفْظَعُ الكَسْرِ، وهو الكَسْرُ الذي يُبِينُ تلاؤمَ الأجزاء، بخلاف الفَصْمِ[2].

وأراد بالقرية: أهلها، ولذلك وصفها بالظُّلم وقال: ﴿قوماً آخرين﴾.

ومعنى: ﴿كانت ظالمة﴾: كافرة، ﴿وأنشأنا﴾ أوجدنا ﴿بعدها قوماً آخرين﴾.

﴿فلما أَحَسُّوا بَأْسَنا﴾ رأوا عذابنا بحاسّة البصر ﴿إذا هم منها﴾ أي من القرية، أو من ديارهم ﴿يركضون﴾ أي: يَعْدُون. وأصل الرَّكْضِ: ضَرْبُ الدابة بالرِّجْل[3]، ومنه: ﴿اركض برجْلك﴾ [ص:٤٢].

قال المفسرون: فقالت لهم الملائكة على وجه التوبيخ والتهكّم: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ من العيش الرّافِهِ والحال الناعمة[4].

قال ابن قتيبة[5]: إلى نعمكم التي أَتْرَفَتْكُم. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿أمرنا مُتْرَفِيها﴾ [الإسراء:١٦].

﴿لعلكم تُسَأَلون﴾ المعنى: ارجعوا واجلسوا في مجالسكم ومراتبكم حتى يسألكم العبيدُ والحَشَمُ ويقولوا لكم: ماذا تأمرون؟ على ما هو المُتَعَارَفُ من عادات المترفين.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠٥-١٠٦).

(٢) الفَصْم: الكَسْر من غير بينونة (اللسان، مادة: فصم).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ركض).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٢).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٢٨٤).

أو يكون المعنى: لعلكم تُسْأَلُون المُعَاوِنَ في المهمات والنوازل، أو لعلكم تسألون عما جرى عليكم.

﴿قالوا﴾ حين أيقنوا بالعذاب ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ وقد بينا فيما مضى أن...[١] ما لا يعقل أسلوب من أساليب العرب، وذكرنا فائدته ومعناه.

ومقصودهم باعترافهم: إظهار الندم على اقترافهم وتكذيبهم رسل الله.

﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي: ما زالت تلك الكلمة -التي هي ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾- أو ما زالت تلك الدعوى دعواهم، أي: دعاؤهم يَدْعُونَ بها ويُرَدِّدُونها، ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ وهو الزرع المحصود، شَبَّهَهُم به في اصْطِلامِهِم[٢] واستئصالهم، ﴿خامدين﴾ كَخُمودِ النار إذا طُفئت.

و"حصيداً خامدين" منصوبان على المفعولية بـ"جَعَل"[٣].

قال الزمخشري[٤]: إن قلت: كيف يَنْصِبُ "جَعَلَ" ثلاثة مفاعيل؟

قلتُ: حكم الاثنين الأخيرين حكمُ الواحد؛ لأن معنى قولك: "جعلته حُلْواً حَامِضاً" جعلته جامعاً للطَّعْمَيْن، وكذلك معنى ذلك: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخُمود.

---

(١) كلمة غير ظاهرة في ب.

(٢) صَلَمَ الشيءَ صَلْماً: قطعه من أصله. والاصْطِلام: الاستئصال (اللسان، مادة: صلم).

(٣) التبيان (٢/ ١٣١)، والدر المصون (٥/ ٧٤).

(٤) الكشاف (٣/ ١٠٧).

فصل

روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وكم قصمنا من قرية...﴾ الآيات قال: القرية هي حَضُور[1]، قرية باليمن[2].

قال صاحب الكشاف[3]: هي وسَحُول[4] قريتان باليمن، تُنْسَبُ إليهما الثِّياب.

وفي الحديث: «كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين سَحُولِيَّيْن»[5]، وروي: «حَضُورِيَّيْن»[6].

بعث الله إليهم نبياً فقتلوه، فسلّط الله عليهم بُخْتَنَصَّر كما سَلَّطَهُ على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.

وروي: أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء[7].

وظاهر الآية على العموم.

---

(١) حَضُور: بلدة من أعمال زبيد، سميت بحضور بن عدي بن مالك بن زيد (معجم البلدان ٢/ ٢٧٢).

(٢) ذكره القرطبي (١١/ ٢٧٤) بلا نسبة. وذكره الآلوسي في تفسيره روح المعاني (١٧/ ١٥) وعزاه لابن المنذر وغيره عن الكلبي.

(٣) الكشاف (٣/ ١٠٦).

(٤) سَحُول: قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن تسمى: السحولية (معجم البلدان ٣/ ١٩٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٧٥ ح٦٩٦)، وابن حبان (٧/ ٣٠٧ ح٣٠٣٥).

(٦) ذكره البكري في معجم ما استعجم (١/ ٤٥٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٨-٦١٩) بأطول منه، وعزاه لابن أبي حاتم عن وهب.

ولعل ابن عباس ذكر "حضور" بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي: ما خلقناهما وما بينهما من سائر المخلوقات على هذا الوجه العجيب البديع المشحون بضروب الحكم عابثين بذلك، إنما خلقناهما وما بينهما دلالة على قدرتنا وحكمتنا ووحدانيتنا ومصالح عبادنا باطلاً؛ لأن العبادة لا تصلح إلا للخالق العظيم...[1].

قوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نَتَّخِذَ لَهْواً﴾ قيل: هو المرأة.

قال الحسن وقتادة: اللهو بلغة اليمن: المرأة[2].

وقيل: الولد[3].

---

(١) عدة كلمات غير ظاهرة في ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧-٢٤٤٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة.

وقيل: اللعب[١]. رويت عن ابن عباس.

قال الزجاج[٢]: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لَهْوٍ يُلْهَى به.

﴿لاتخذناه من لدنا﴾ قال ابن جريج: لاتخذنا نساءً وولداً من أهل السماء لا من أهل الأرض[٣]، ﴿إِنْ كُنَّا فاعلين﴾ ذلك، فـ"إنْ" شرطية[٤]. والمنصوص عن ابن عباس أَنَّ "إنْ" بمعنى: "ما"، وهو قول المفسرين[٥]، تقديره: ما كنا فاعلين.

قال الفراء[٦]: هو كقوله: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ [فاطر:٢٣]، ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك:٢٠].

وهذه الآية ردٌّ لقول كفار العرب: الملائكة بنات الله، ولقول النصارى: المسيح ابنُ الله.

قال الواحدي[٧]: وقد أحسن ابن قتيبة في تفسير هذه الآية فقال[٨]: المرأة والولد في اللَّهْوِ متقاربان؛ لأن امرأة الرَّجُلِ لَهْوُهُ، وَوَلَدُهُ لَهْوُهُ، وأصل اللَّهْوِ:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٠) وعزاه لابن المنذر.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٦).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٧/ ١٠). وذكره الماوردي (٣/ ٤٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٤).

(٤) وهو قول النحويين.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) معاني الفراء (٢/ ٢٠٠).

(٧) الوسيط (٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٨) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:١٦٣).

الجِمَاع، كُنِّي عنه باللَّهْوِ كما كُنِّي عنه بالسِّرّ. ثم قيل للمرأة لَهْوٌ؛ لأنها تُجَامَع. قال امرؤ القيس:

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّني ... كَبِرْتُ وَأَنْ لاَ يُحْسِنِ اللَّهْوَ أَمْثَالِي (١)

أي: النكاح.

وتأويل الآية: أن النصارى لما قالت في المسيح وأمه ما قالت، قال الله: لو أردنا أن نتخذ صاحبة وولداً كما يقولون، لاتخذنا ذلك من لدنا، أي: من عندنا ولم نتخذه من عندكم؛ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده لا عند غيره.

﴿بل﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لنفسه منه ﴿نقذف بالحق على الباطل﴾ أي: نسلطه عليه ﴿فيدمغه﴾ قال الزجاج (٢): يذهبُه ذهاب الصَّغَار والإذلال. وذلك أن أصله: إصابة الدماغ بالضرب، وهو مَقْتَل.

﴿فإذا هو زاهق﴾ ذاهب زائل.

ثم تَوَعَّدَهُم على كذبهم ووصفهم ربَّهم بما لا يجوز عليه فقال: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾.

﴿وله من في السموات والأرض﴾ خَلْقاً ومُلْكاً، ﴿ومن عنده﴾ يعني: الملائكة، وخَصَّهم بالذِّكْرِ؛ لامتيازهم بفضيلة القُرْبِ منه.

وقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون﴾ مبتدأ وخبر. ويجوز أن يكون "وَمَنْ عِنْدَهُ"

---

(١) البيت لامرئ القيس من قصيدة يتغزل ويصف مغامراته وصيده وسعيه إلى المجد. انظر: ديوانه (ص:٢٨)، واللسان، مادة: (لها)، والقرطبي (٣/ ١٩١، ٦/ ٢٤٨، ١١/ ٢٧٦)، وزاد المسير (١/ ٢٧٧)، وروح المعاني (١٧/ ١٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٧).

معطوفاً على "مَنْ في السموات"، فيكون قوله: "لا يستكبرون" في موضع الحال(١)، أي: غير مستكبرين. وكذلك: ﴿ولا يستحسرون﴾.

قال مجاهد: لا ينقطعون عن العبادة(٢).

قال ابن قتيبة(٣): لا يعيون. والحسير: المنقطع [به](٤) الواقف إعياءً وكَلالاً.

﴿يُسَبِّحون الليل والنهار﴾ قال الزجاج(٥): يجري التسبيح منهم كَمَجْرى النَّفَس مِنَّا.

﴿لا يَفْتُرون﴾ قال قتادة: لا يَسْأَمُون(٦).

وسُئل كعب: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي! جَعَلَ لهم التسبيح كما جَعَلَ لكم النَّفَس، ألستَ تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تَتَنَفَّس؟ فكذلك جعل لهم التسبيح(٧).

وكان العباس بن الفضل يقف على "الليل"، ويبتدئ: "والنهارَ لا يفترون" فنصب "النهارَ" بـ"لا يفتُرون" لا بقوله: "يسبحون".

---

(١) التبيان (٢/ ١٣١)، والدر المصون (٥/ ٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٨) عن السدي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٣)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٢١) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٨٥).

(٤) زيادة من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٧-٣٨٨).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهةً من الأرض هم يُنْشِرون﴾ قال الزمخشري[1]: هذه "أم" المنقطعة الكائنة بمعنى: بل، والهمزة قد آذنتْ بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها. والمنكَرُ: هو اتخاذهم آلهة من الأرض يُنْشِرون الموتى. ولعمري إنَّ مِنْ أَعْظَمِ المنكرات أن يُنْشِر الموتى بعض الموات.

فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتخاذَ آلهةٍ تُنْشِرُ وما كانوا يدَّعون ذلك لآلهتهم؟

قلتُ: الأمر كما ذَكَرْتَ، لكنهم بادّعائهم لها الإلهية، يلزمهم أن يَدَّعُو لها الإِنْشار؛ لأنه لا يستحقّ هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإِنْشَارُ من جملة المقدورات.

ومعنى نِسْبَتِهِ آلهتهم إلى الأرض: أنها تتخذ من الأرض أيّ جنس كانت.

ومعنى: "يُنْشِرُون" يُحيون الموتى.

قال: أنشر...[2].

وقرأ الحسن: "يَنْشُرون" بفتح الياء وضم الشين[3].

ومضمون الآية: توبيخهم على عبادتهم جماداً لا يقدر على شيء.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠٩).

(٢) بياض قدر نصف سطر في ب.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٠٩).

ثم بَرْهَنَ سبحانه وتعالى على الوحدانية فقال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ قال الزجاج[١]: أي: لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله.

قال الزمخشري[٢]: وُصفت آلهة بـ"إلا" كما توصف بـ"غير".

قال الواحدي[٣]: هذا قول جميع النحويين.

فإن قلت: ما [منعك][٤] من الرفع على البدل؟

قلتُ: لأن "لو" بمنزلة "إِن" في أَنَّ الكلام معه موجب، والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب.

ومعنى الآية: لو كان يتولاهما ويُدبّر أمرهما آلهة شتى [غير الواحد الذي هو فاطرهما][٥] لفسدتا؛ لوجود التمانع وطلب التغالب.

قال عبدالملك بن مروان حين قَتَلَ عمرو بن سعيد بن الأشدق: كان والله أعزّ عَلَيَّ من دَمِ ناظري، ولكن لا يجتمع فَحْلان في شَوْل[٦].

وفيها دلالة على أمرين:

أحدهما: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٨).

(٢) الكشاف (٣/ ١١٠-١١١).

(٣) الوسيط (٣/ ٢٣٣).

(٤) في الأصل: يبعد. والمثبت من الكشاف (٣/ ١١١).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ١١١).

(٦) انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٤)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٣٨) في ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق. والشَّوْلُ: بقية الماء في السِّقاء والدَّلْو. وقيل: هو الماء القليل يكون في أسفل القِرْبة والمَزادة (اللسان، مادة: شول).

والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده؛ لقوله: ﴿إلا الله﴾.

ثم نزَّه نفسه عما يقولون فقال: ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ خَصَّ العرش بالذِّكْرِ؛ لأنه أعظم المخلوقات.

﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفعَلُ﴾ أي: عَمَّا يَحْكُمُ في عباده من هُدًى وإضلالٍ، وعزٍّ وإذلالٍ، وسعادةٍ وشقاءٍ وغير ذلك؛ لأنه الرب المالك للخليقة على الحقيقة، ﴿وهم يسألون﴾ لأنهم عبيد يجب عليهم الامتثال، ويتطرّق عليهم الخطأ في الأقوال والأفعال.

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله: ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ توبيخ وإنكار، ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ما تقولون من جواز اتخاذ إلهٍ سوى الله.

﴿هذا﴾ يعني: القرآن ﴿ذِكْرُ من مَعِيَ﴾ على ديني بما لهم من الثواب وعليهم من العقاب، ﴿وذِكْرُ من قبلي﴾ أي: وهذا ذكر من قبلي، إشارة إلى الكتب المتقدمة. المعنى: فانظروا هل تجدون في شيء من هذه الكتب أَنَّ الله أمر باتخاذ إله سواه؟

﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ قال ابن عباس: القرآن[1].

وقال مقاتل[2]: التوحيد.

﴿فهم معرضون﴾ عما يجب عليهم الإقبال عليه والمصير إليه.

وقال الزجاج[3]: المعنى: هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله، فهل في ذكر مَنْ معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله.

يدل على صحة هذا المعنى: قوله بعد هذا: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

قوله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ نزلت في خزاعة، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سبحانه بل عباد﴾ أي: بل هم عباد، يعني: الملائكة ﴿مكرمون﴾ أكرمهم واصطفاهم.

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أي: لا يتكلمون قبل أن يأذن لهم في الكلام، ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أخبر الله عنهم في معرض الثناء عليهم وإثبات العبودية لهم، أن أقوالهم وأعمالهم منوطةٌ بإذن الله تعالى، وأنهم لا يستبدّون بأمر.

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي: ما قدّموا من الأعمال وما يعملون، وقد سبق تفسيره.

﴿ولا يشفعون﴾ يوم القيامة ﴿إلا لمن ارتضى﴾ أي: رضيه الله.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٨٩).

قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله(١).

وقيل: لا يشفعون في الدنيا، أي: لا يستغفرون إلا لمن ارتضى.

﴿وَهُمْ من خشيته﴾ أي: من خشيتهم الله، فأضاف المصدر إلى المفعول ﴿مشفقون﴾ خائفون لا يأمنون مكره.

﴿وَمَنْ يَقُلْ منهم﴾ أي: من الملائكة مع قرب منزلتهم مني ومكانتهم عندي ﴿إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ مبتدأ وخبر.

والإشارة إلى "مَنْ" في قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ منهم﴾ قال الضحاك وغيره: هذه خاصة لإبليس، لم يَدْعُ أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواه(٢).

ومن قال: لم يكن إبليس من الملائكة؛ فالكلام يكون على معنى الفَرْض والتهديد...(٣) عنهم ما كانوا يعلمون.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٠) عن الضحاك، والطبري (١٧/ ١٧) عن ابن جريج وقتادة. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) بياض في ب قدر عدة كلمات.

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يَرَ الذين كفروا﴾ وقرأ ابن كثير: "أَلَمْ يَرَ" بغير واو[1].

﴿أَنَّ السموات والأرض كانتا رَتْقاً﴾ أي: مَرْتُوقَتَيْنِ.

وقال الزجاج[2]: كانتا ذواتي رَتْق، فجعلناهما ذواتي فَتْق.

وقال غيره: لم يَقُلْ رَتْقَيْن؛ لأنه مصدر.

ومعنى الرَّتْق: السَّدُّ، يقال: رَتَقْتُ الشيءَ فَارْتَتَقَ[3].

فإن قيل: متى رأوهما رَتْقاً حتى قرَّرهم بذلك؟

قلت: قد روي عن ابن عباس، أن معناه: كانت السماء رَتْقاً لا تمطر، وكانت الأرض رَتْقاً لا تُنبت، فَفَتَقْنا هذه بالمطر، وهذه بالنبات[4]. وهذا قول عطاء وعكرمة والضحاك ومجاهد في رواية عنه[5]. وهذا مما رأوه وشاهدوه.

فإن قيل: فما نصنع بما روي عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٧)، والكشف (٢/ ١١٠)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: رتق).

(٤) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٩) عن عطية العوفي وعكرمة وابن زيد، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٠). وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦) عن ابن عباس. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية.

أن المعنى: كانتا رتقاً ملتصقتين ففتقهما الله عز وجل[(١)].

وروى السدي عن أشياخه قالوا: فَتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعاً، ومن السماء ست سماوات فصارت سبعاً[(٢)].

وهذا شيء لم يروه، فما وجه تقريرهم به؟

قلتُ: الرؤية هاهنا بمعنى: العلم.

فإن قيل: من أين علموا ذلك؟

قلتُ: بما قصَّ عليهم في القرآن الذي هو معجزٌ في نفسه. وجائز أن يكون العلم بذلك مما تناقلوه وبقي في أيديهم من الشريعة الحنيفية، أو مما سمعوه ووعوه من أهل الكتاب.

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي: جعلناه سبباً لحياة كل حي. و"مِن" على هذا مثل قوله: « ما أنا مِنْ دَدٍ ولا الدَّدُ مني »[(٣)].

وقال أبو العالية: يريد بالماء هاهنا: النطفة[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٥) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٢٦) كلاهما عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٨) عن السدي، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٢٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٣٢) من حديث أنس، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢١٧). وفيه: قال علي بن المديني: سألت أبا عبيدة صاحب العربية عن معنى هذا الحديث، فقال: يقول: لست من الباطل ولا الباطل مني.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٦) وعزاه لعبد بن =

وقرأ معاذ القارئ: "حياً"[١].

قال الزمخشري[٢]: هو المفعول الثاني لـ"جَعَلْنا"، والظرف لغو.

﴿أفلا يؤمنون﴾ بعد هذا البيان.

﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم﴾ مفسر في النحل[٣]. وقد سبق إعرابه أيضاً،

وأنَّ المعنى: كراهية أن تميد بهم، أو لئلا تميد بهم.

﴿وجعلنا فيها﴾ أي: في الرواسي ﴿فجاجاً﴾ قال الزجاج[٤]: الفِجَاج: جمع فَجّ، وهو كل مُنْخَرِقٍ بين جبلين[٥].

قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طرقاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار[٦].

فإن قيل: فهل تضمَّن قوله: "سُبُلاً" معنىً ليس في الفِجَاج؟

قلتُ: نعم، وهو كونها فجاجاً نافذة مسلوكة، فإن بعض الفجاج لا تنفذ.

قال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: في الفجاج معنى الوصف، فما لها قُدِّمت

= حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠).

(٢) الكشاف (٣/ ١١٥).

(٣) آية رقم: ١٥.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٠).

(٥) انظر: اللسان (مادة: فجج).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٤٩).

(٧) الكشاف (٣/ ١١٥-١١٦).

على السُّبُل ولم تؤخر كما في قوله تعالى: ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [نوح:٢٠]؟

قلتُ: لم تُقَدَّمْ وهي صفة، ولكن جُعلت حالاً، كقوله:

لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمُ .... (١)

قوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ لما كانت السماء كالسقف للأرض سُمِّيَتْ سَقْفاً. قال الله تعالى: ﴿والسقف المرفوع﴾ [الطور:٥].

والمعنى: جعلنا السماء سقفاً محفوظاً بالنجوم من الشياطين، أو محفوظاً أن يقع على الأرض إلا بإذن الله.

﴿وهم عن آياتها﴾ شمسها وقمرها ونجومها، وما لازمها من الطلوع والغروب على الحساب القويم، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة.

﴿معرضون﴾ لا يتفكرون ولا يعتبرون.

قوله: ﴿كلٌ﴾ التنوين فيه عِوَضٌ من المضاف إليه المحذوف، تقديره: كل الطوالع ﴿في فَلَكٍ﴾ يخصه، وهو كقولهم: كَسَاهُم الأمير حُلةً وقلّدهم سيفاً.

قال ابن قتيبة(٢): الفَلَكُ: مدار النجوم الذي يَضُمُّها، سُمِّيَ فَلَكاً؛ لاستدارته، ومنه: فَلْكَةُ المِغْزَل، وقد فَلَّكَ ثدي المرأة(٣).

قال الحسن البصري: الفَلَكُ طاحونة كهيئة فَلْكَةُ المِغْزَل، يريد: أنه مستدير

---

(١) لم أجد هذا البيت بهذه الصيغة إلا عند الزمخشري في الكشاف (٣/ ١١٥). وقد تقدم (ج٣/ ٦) بلفظ: (لميّة موحشاً...).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٤٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: فلك).

كاستدارة الطاحونة[1].

ومعنى: ﴿يسبحون﴾ يجرون بسرعة.

قال الفراء[2]: لما كانت السباحة من فعل الآدميين ذكرت بالنون؛ كقوله: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤].

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ وهو البقاء الدائم، ﴿أفإن مت﴾ يا محمد ﴿فهم الخالدون﴾ يعني: مشركي مكة، فإنهم كانوا يقولون:.....[3] فأذكرهم الله تعالى أَنَّ ما يرتقبون الشماتة به ويتربصونه لنبيه وَصْفٌ مشتركٌ بينهم وبينه، لا ينبغي لعاقلٍ أن يفرح به فإنه بسبيل منه.

وهذا المعنى أراد عبد الملك بن مروان بإنشاد هذا البيت عند موته:

وَمَا مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا ... وَهَلْ بالمَوْتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ[4]

ومن هذا قول الآخر:

فَقُلْ للشَّامِتِينَ بنَا أَفيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا[5]

(١) ذكره الطبري (١٧/ ٢٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٠١).

(٣) بياض في ب قدر عدة كلمات.

(٤) البيت لعدي بن زيد. وهو في: الدر (١/ ١٠٢)، والاستيعاب وفيهما: "فهل من خالد".

(٥) البيت لذي الأصبع العدواني. انظر: القرطبي (٧/ ٢٩١)، والكشاف (٣/ ١١٧)، والبحر المحيط (٦/ ٢٨٩)، وروح المعاني (١٧/ ٤٥).

وقد ذكرنا فيما مضى أن العرب تُسقط همزة الاستفهام، وتلونا في ذلك آيات من الكتاب، منها هذه الآية، وأبياتاً من أشعار العرب.

فصل

احتج سيبويه(١) بهذه الآية على أن همزة الاستفهام إذا دخلت على "إِن" الشرطية لا تُبطل عملها. تقول: إن تأتني آتك، كما لو لم تدخل الهمزة عليه.

وزعم يونس أن التقدير: آتيك إن تأتني، و"آتيك" معتمد الهمزة، وهو في نية التقديم، ولو كان قوله: "آتيك" في نية التقديم، لكان التقدير في الآية: أفهم الخالدون فإن مت. ولا يقال: أنت ظالم فإن فعلت، وإنما يقال: أنت ظالم إن فعلت.

فإن قيل: الفاء هاهنا زائدة، وهي نظيرة "ثُمَّ" في قوله: ﴿أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به﴾ [يونس:٥١]، فكما لا يجوز تقدير زيادة ثم، فكذا لا يجوز تقدير زيادة الفاء، ونحوه ما قاله الأخفش في قوله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة:١١٨]، قال: ثم هنا زائدة، والتقدير: حتى إذا ضاقت تاب عليهم.

قلنا: الزيادة على خلاف الأصل، فلا يُصار إليها إلا بدليل، ثم المواضع التي استشهدوا بها تارة تمنع الزيادة فيها على الوجه المذكور في مواضعها، وتارة نسلم ونقول: لا يلزم من القول بالزيادة في موضع قام الدليل على صحته القول بها هاهنا.

قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ من تمام ما نفاه الله على مشركي مكة من

---

(١) انظر: الكتاب (٣/ ٨٣).

الشماتة بما عساهم يظفرون به من إماتة محمد ﷺ.

ويروى عن عائشة: «أن أبا بكر الصديق رضي الله عنهما استأذن على رسول الله ﷺ يوم مات وقد سُجّي عليه بثوب، فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه وقال: وا نبيّاه وا خليلاه وا صفيّاه، صدق الله ورسوله، ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت﴾ ثم خرج إلى الناس فخطب»(١).

قوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ قال ابن زيد: نبلوكم بما تحبون وما تكرهون لننظر كيف شُكركم وكيف صبركم(٢).

﴿فتنة﴾ مصدر لـ"نبلوكم" من غير لفظه.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣١ ح٢٤٠٧٥) إلى قوله: وا صفيّاه. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٩) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٥). وذكره الماوردي (٣/ ٤٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٠).

قوله: ﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: نزلت في المستهزئين[١].

قال السدي: نزلت في أبي جهل، مرّ به رسول الله ﷺ فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف[٢].

﴿إن يتخذونك﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إلا هُزُوًا﴾ مهزوءاً به، ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ على إضمار القول، تقديره: يقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم، والذِّكْر يكون بالخير وبالشر، فإذا دلَّت الحال على أحدهما أُطْلِقَ ولم يُقَيَّد.

قال الزجاج[٣]: المعنى: أهذا الذي يعيب آلهتكم. يقال: فلان يذكر الناس، أي: يغتابُهُم ويذكُرُهُم بالعيوب. ويقال: فلان يذكر الله، أي: يصفه بالعظمة ويُثني عليه ويوحِّده، وإنما يحذف مع الذِّكْر ما عُقِلَ معناه. قال الشاعر:

لاَ تَذكُرِي فَرَسي وَمَا أَطْعَمْتُهُ ... فَيَكُونَ لَونُكِ مِثْلَ لَوْنِ الأَجْرَبِ[٤]

أي: لا تذكري فرسي وإحساني إليه فتَعِيبيني بإيثاري إياه عليكِ.

قوله: ﴿وهم بذِكْرِ الرحمن هم كافرون﴾ لأنهم قالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسان من عَجَل﴾ الظاهر أنه اسم جنس، فإن الآية

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٢).

(٤) البيت لعنترة يخاطب زوجه -ونُسب أيضاً لخُزَر بن لوذان السدوسي-، وكانت تلومه على عنايته بفرسه، وكان يسقيها لبن الإبل، ومثل جلد الأجرب كناية عن تهديدها بالضرب حتى يتغير جلدها، أو عن مفارقتها وتحاشيها كما يتحاشى الأجرب. انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٢٠٣)، واللسان، مادة: (عتق، نعم، ذكر)، والطبري (١٧/ ٢٥)، والقرطبي (١١/ ٢٨٨).

نزلت في...[(١)] كان المراد به آدم ففي قوله: "من عجل" ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: خُلق عجولاً فأورث أولاده العجلة.

قال عكرمة: لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه، فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه فوقع، فقيل: خُلق الإنسان من عَجَل. وهذا قول سعيد بن جبير والسدي والكلبي[(٢)].

الثاني: أن المعنى: استُعجل بخلق آدم قبل غروب الشمس من يوم الجمعة[(٣)]. وهذا قول مجاهد[(٤)].

الثالث: أن العَجَل: الطين، بلُغة حمْير، وأنشدوا:

النَّبْعُ في الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبَتُهُ والنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ المَاءِ وَالعَجَلِ[(٥)]

---

(١) بياض في ب قدر سطر.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦) عن سعيد والسدي. وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٧٢) عن سعيد بن جبير. وذكره الماوردي (٣/ ٤٤٧) من قول الكلبي، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧) من قول عكرمة، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٠) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري (١٧/ ٢٧)، قال: وإنما قلنا ذلك؛ لدلالة قوله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ على ذلك.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٦٤)، ومجاهد (ص: ٤١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٢-١٥٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان، مادة: (عجل)، والبحر المحيط (٦/ ٢٩١)، والدر المصون (٥/ ٨٦)، والقرطبي (١١/ ٢٨٩)، والماوردي (٣/ ٤٤٨)، وروح المعاني (١٧/ ٤٩).

وإن كان المراد به: النضر بن الحارث؛ فمعنى كونه خُلِقَ من عَجَل: استعجاله بالعذاب وقوله: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢].

قال الزجاج(١): خُوطبت العرب بما تَعْقِل، وهم يقولون للذي يَكْثُرُ منه الشيء: خُلِقَ منه، كما تقول: أنتَ مِنْ لَعِبٍ، وخُلقت من لَعِبٍ، تريد المبالغة في وصفه بذلك.

﴿سأريكم آياتي﴾ قال المفسرون: هو ما أصابهم من القتل والأسر يوم بدر(٢).

قال ابن السائب: المعنى: إنكم تسافرون فترون آثار الهلاك في الماضين(٣).

﴿ويقولون﴾ تكذيباً واستهزاءً ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يريدون يوم القيامة إن كنتم صادقين في الإخبار به.

﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ جوابه محذوف، تقديره: لو يعلمون ما يشتمل عليه ذلك اليوم من الأهوال والشدائد ما استعجلوا به.

وقوله: ﴿حين لا يَكُفُّونَ﴾ منصوب بمضمر، التقدير: حين لا يَكُفُّونَ ﴿عن وجوههم النار﴾ يعلمون بطلان ما كانوا عليه.

قال ابن عباس: يريد: ساعة يدخلون النار لا يدفعون عن وجوههم النار ﴿ولا عن ظهورهم﴾؛ لإحاطتها بهم، ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون ما نزل بهم(٤).

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٢).

﴿بل تأتيهم﴾ يعني: الساعة، أو النار، أو الحين، كأنه في مضي الساعة...[١]، وأنّث نظراً إلى أنهم وُعدوا بالنار أو بالساعة.

﴿بغتة﴾ فجأة، ﴿فتَبْهَتُهُم فلا يستطيعون ردّها﴾ صرفها عنهم، ﴿ولا هم ينظرون﴾ يُمْهَلون لتوبة أو معذرة.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

ثم عَزَّى الله رسوله بقوله: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي: أحاط بالذين سخروا من الرسل ﴿ما كانوا﴾ أي: الذي كانوا ﴿به يستهزؤون﴾ وهو العذاب الذي طلبوه استهزاء وتكذيباً.

﴿قل من يَكْلَؤُكُم﴾ أي: قل يا محمد للمستهزين من يحفظكم ويمنعكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي: من عذابه إن أراد أن يعذبكم. وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك. ﴿بل هم عن ذِكْرِ ربهم﴾ وهو القرآن ﴿معرضون﴾.

﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ قال الزمخشري[٢]: أَضْرَبَ عن ذلك بما في "أم" من معنى "بل"، وقال: "أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا". وفيه تقديم وتأخير تقديره: أم

(١) كلام غير ظاهر في ب.
(٢) الكشاف (٣/ ١٢٠).

لهم آلهة من دوننا تمنعهم، وهاهنا تم الكلام.

ثم وصف آلهتهم بالضَّعْفِ فقال: ﴿لا يستطيعون نَصْرَ أنفسهم ولا هم منا يُصْحَبُون﴾ قال قتادة: المعنى: ولا هم منا يُصْحَبُونَ بخير(١).

المعنى: إذا لم تَنْصُرْ نفسها ولم تُصْحَبْ بخير، فكيف تَنْصُرُ غيرها أو تُصْحِبُهُ خيراً؟

وقال ابن عباس: الضمير في قوله: "ولا هم" للكفار(٢).

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿بل متّعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العُمُر﴾ أي: أمهلناهم ومكنّاهم فاغتروا بذلك وظنوا أنهم لا يُسلبون ثوب عزّهم.

﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ أرض كفرهم ودار حربهم ﴿ننقصها من

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ٣١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٣).

أطرافها﴾ بتسليطك واستيلائك عليها، ﴿أفهم الغالبون﴾ أم أنت. وهذا تهديد لهم وإيذان بأن العاقبة للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ أي: أخوفكم بالقرآن وما آتاني من عند الله لا من قبل نفسي.

﴿ولا يسمع الصُّمُّ الدعاء إذا ما يُنذرون﴾ وقرأ ابن عامر: "ولا تُسْمِعُ" بتاء مضمومة وكسر الميم، "الصُّمَّ" بالنصب[١]، على معنى: لا تُسْمِعُ يا محمد الصُّمَّ الدعاء، جعلهم صُمّاً لعدم إِصَاخَتِهِم إلى الحق، وكونهم لم ينتفعوا بما سمعوا من القرآن.

قوله: ﴿ولئن مستهم نَفْحَةٌ﴾ قال ابن عباس: طَرَفٌ[٢] ﴿من عذاب ربك﴾.

وقال المبرد[٣]: النَّفْحَة: الدَّفْعَة من الشيء التي دُونَ مُعظمه. يقال: [نَفَحَهُ][٤] نَفْحَةٌ بالسيف: للضَّرْبَةِ الخفيفة.

وقال بعضهم: النَّفْحُ [كاللَّفْحِ][٥]. وأنشدوا قول الشاعر:

وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَواتِ النِّسَاءِ ... تَنْفَحُ بالمِسْكِ أَرْدَانُها[٦]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٧-٤٦٨)، والكشف (٢/ ١١٠)، والنشر (٢/ ٣٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٤).

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٣٩).

(٤) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: كالنفح. والصواب ما أثبتناه. انظر: اللسان (مادة: نفح).

(٦) البيت لقيس بن الخطيم الأنصاري من قصيدة شَبَّبَ بعَمْرة أم النعمان بن بشير. انظر البيت في: اللسان، مادة: (ردن)، والقرطبي (١١/ ٢٩٣)، والإصابة (٨/ ٣١)، وفتح الباري (٥/ ٢١٣).
=

قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾ قال الزمخشري[١]: وَصَفَ الموازين بالقسط -وهو العدل- مبالغة، كأنها في أَنْفُسِها قِسْط، أو على حذف المضاف، أي: ذوات القسط.

واللام في ﴿ليوم القيامة﴾ مثلُها في قول النابغة:

تَوَسَّمْتُ[٢] آياتٍ لها فعَرَفْتُها لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذا العَامُ سَابِعُ[٣]

وقد سبق ذكر "الميزان" في أول سورة الأعراف[٤].

﴿فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً﴾ بالنقص من الحسنات والزيادة في السيئات، ﴿وإن كان مِثْقَالَ حبة﴾ أي: زِنَةَ حَبَّةٍ ﴿من خَرْدَلٍ﴾.

وقرأ نافع: "مِثْقَالُ" بالرفع[٥]، على معنى: وإن وجد وحدث. والجمهور جعلوها "كان" الناقصة.

﴿أتينا بها﴾ جئنا بها. وقرأ ابن عباس: "آتينا" بالمد[٦]، على معنى: كافَيْنا وجازينا =

وعَمْرَة: هي بنت رواحة الأنصارية، امرأة بشير بن سعد والد النعمان، وأخت عبد الله بن رواحة (انظر ترجمتها في: الإصابة ٨/ ٣١، والاستيعاب ٤/ ١٨٨٧).

والأَرْدَن: ضَرْبٌ من الخزّ الأحمر. وقيل: الحرير (اللسان، مادة: ردن).

(١) الكشاف (٣/ ١٢١).

(٢) في الكشاف والبحر: ترسمت. وفي بقية المصادر: توهمت.

(٣) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوانه (ص:٧٩)، واللسان، مادة: (عشر)، والقرطبي (١/ ٦٦، ٤/ ١٢٦)، وزاد المسير (١/ ٧١)، والبحر المحيط (٦/ ٢٩٤)، والدر المصون (٥/ ٩٠).

(٤) آية رقم: ٨.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٨)، والكشف (٢/ ١١١)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٠)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٩).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٥).

بها.

﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال السدي: مُحْصِين[1].

قال الزجاج[2]: هو منصوب على وجهين:

أحدهما: التمييز.

والثاني: الحال.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ قال مجاهد وقتادة: هو التوراة[3]،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٣٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٤).

(٣) والذي اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره: أن المقصود بالفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون، فرّق بينهما وبين فرعون فقضى بينهم بالحق. وهو قول ابن زيد. وهذا القول أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: "ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء"؛ لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصّرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الأبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال: ﴿بزينة الكواكب * وحفظاً﴾ [الصافات:٦-٧]؟

قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا. والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب والأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب، ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب =

فرّق بها بين الحق والباطل[(١)].

﴿وضياء﴾ يستضيؤون بها في دينهم.

قال عكرمة: كان ابن عباس يرى الواو في "وضِياءً" زائدة[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: وكذلك قال بعض النحويين. وعند البصريين: أن الواو لا تُزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله: ﴿فيها هدى ونور﴾ [المائدة:٤٤].

وقرأ جماعة منهم ابن عباس وعكرمة والضحاك: "ضياء" بغير واو[(٤)]، فيكون حالاً.

ومعنى قوله: ﴿وذكراً للمتقين﴾ تذكرةً وعظةً لهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يخافونه ولم يروه.

وقال الزجاج[(٥)]: يخافونه من حيث لا يراهم أحد.

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أي: من أهوالها وعذابها خائفون قلقون.

ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال: ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ كثير الخير والنفع، ﴿أنزلناه أفأنتم﴾ أيها الكافرون ﴿له منكرون﴾ وهذا استفهام في معنى التقريع والتوبيخ.

= التسليم له من حجة خبر أو عقل (تفسير الطبري ١٧/ ٣٤-٣٥).

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٣٤) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٩٥).

(٥) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وقد نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٦).

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رُشده﴾ يعني: هُداهُ ﴿من قبل﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: من قبل بلوغه[1]. يعني: حين كان في السَّرْب[2].

وقال في رواية الضحاك: آتيناه رشده في العلم السابق[3].

وقال الضحاك: من قبل موسى وهارون[4].

﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا أنه موضع للإيتاء، فأهّلناه للخُلَّةِ[5] والاصْطِفَاء.

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ الظرف إما أن يتعلق بـ"آتينا"، أو بمحذوف تقديره: اذكر إذ قال لأبيه[6].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٦).

(٢) السَّرْب: الطريق أو المذهب (انظر: لسان العرب، والصحاح، مادة: سرب). والمعنى: آتيناه رشده وهو لم يزل في بداية الطريق حتى عرف الحق من الباطل.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٦).

(٤) ذكره القرطبي (١١/ ٢٩٦) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٧).

(٥) الخُلَّة: الصَّدَاقَة والمحبّة التي تخلّلت القلب فصارت خِلالَه، أي في باطنه. والخليل: المُحِبُّ الذي ليس في محبَّته خَلَل (اللسان، مادة: خلل).

(٦) التبيان (٢/ ١٣٤)، والدر المصون (٥/ ٩١).

ويجوز عندي أن يكون متعلقاً بقوله: "وكنا به عالمين"، فيكون الوقف التام على قوله: "من قبل".

فإن قيل: على هذا الله عالم به في كل وقت، فما فائدة تخصيص هذا الوقت بالذكر؟

قلت: فائدته: الإعلام برعاية الله له، وحسن تولّيه وقت زيادة حاجته إليه في جدال قومه.

المعنى: وكنا به عالمين وقت جداله لقومه، فألهمناه حُجّته وقُمْنا بنصره.

﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿وقومه﴾ منكراً عليهم وموبخاً لهم: ﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني: الأصنام المُمَثَّلَةَ المُشَبَّهَةَ بِخَلْقِ الله.

وقيل: تَجَاهَلَ لهم وتغابى عليهم؛ تصغيراً وتحقيراً لآلهتهم التي يُعَظِّمُونَهَا.

وقد سبق معنى العُكُوف في قوله: ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ [الأعراف:١٣٨].

﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾...[١] والحُمْق المُفْرِط حيث لم يجدوا مَلْجَأً للاعتذار عن عبادة الأحجار إلا تقليد الآباء الفُجَّار.

﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ سبق تفسيره[٢].

﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي: بالجِدِّ المحض، ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي: اللاَّهِينَ المُدَاعبين، وهو كلام يلوح منه استفظاع ما واجههم به من تضليل آبائهم وتسفيه آرائهم؛ أُنساً بالعوائد، وذهاباً مع التقليد. فأضرب عما نسبوه إليه من

---

(١) بياض في ب قدر نصف سطر.

(٢) (٢/ ١٦٤).

اللَّعب، وعَمَّا تقوّلوه من الكذب، فـ﴿قال بل﴾، ثم أوضح لهم سبيل الرشاد فقال: ﴿ربكم رب السموات والأرض الذي فَطَرَهُنَّ﴾: ابْتَدَعَهُنَّ على غير مِثالٍ سبق.

والأظهر: أن الضمير في "فَطَرَهُنَّ" للسماوات والأرض[1].

وجوّز صاحب الكشاف[2] أن تكون للتماثيل، قال: وهو أدخلُ في تضليلهم، وأثبتُ للاحتجاج عليهم.

﴿وأنا على ذلكم﴾ أي: على أن ربكم رب السموات والأرض ﴿من الشاهدين﴾ القائمين على تصحيحه بالحجج والبراهين.

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا

---

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٠٠): قال ابن عطية: "فطرهن" عبارة كأنها تعقل، وهذه من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل. وقال غيره: أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الأحوال التي تدل على أنها من قبيل من يعقل، فإن الله أخبر بقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:١١]، وقوله ﷺ: ((أطَّت السماء وحق لها أن تئط)).

ثم قال -يعني: أبو حيان-: وكأن ابن عطية وهذا القائل تخيَّلا أن "هُنَّ" من الضمائر التي تخص من يعقل من المؤنثات، وليس كذلك، بل هو لفظ مشترك بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع، كقوله: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [التوبة:٣٦]، والضمير عائد على الأربعة الحُرُم.

(٢) الكشاف (٣/ ١٢٣).

فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ أحتالُ لإفسادها ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾.

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: كان لهم عِيدٌ في كل سنة يخرجون إليه، ولا يتخلَّف منهم أحد بالمدينة، فقالوا لإبراهيم: لو خرجتَ معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سراً منهم: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم... الآية﴾ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ منهم، فأفشاه عليه، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام -قال مقاتل[١]: وكانت اثنين وسبعين صنماً من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب- فكسّرها، وعلّق الفأس في عُنُقِ أكبرها -وكان من ذهب، وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل-، فذلك قوله: ﴿فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم﴾[٢].

قرأ الأكثرون: "جُذاذاً" بضم الجيم، جمع جُذَاذَةٍ.

والجُذَاذُ: ما قُطِعَ وكُسِرَ، وهو مثل الحُطام والدُّقاق[٣].

وكذلك معاذ القارئ، إلا أنه أسقط الألف، جمع جُذَّةٍ[٤].

وقرأ الكسائي: "جِذاذاً" بكسر الجيم[٥]، جمع جَذيذٍ، مثل: ثَقيلٍ وثِقالٍ،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٢).

(٢) الطبري (١٧/ ٣٨)، والوسيط (٣/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٥٧)، والدر المنثور (٥/ ٦٣٦).

(٣) انظر: اللسان (مادة: جذذ).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٨).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٨)، والكشف (٢/ ١١٢)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١١)، والسبعة في القراءات (ص:٤٢٩).

وخَفيفٍ وخِفافٍ.

وقرأ جماعة، منهم عاصم الجحدري: "جَذاذاً" بفتح الجيم، ومثلهم الضحاك إلا أنه أسقط الألف[(١)].

قال أبو حاتم: فيه لغات: جُذاذاً وجَذاذاً وجِذاذاً، يعني: بالحركات الثلاث على الجيم.

قال: وأجودها ضَمُّ الجيم.

وقال الزجاج[(٢)] في قوله: "إلا كبيراً لهم": جائز أن يكون أكبرها في ذاته، وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه.

قوله: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾: الأظهر أن الضمير في "إليه" يرجع إلى إبراهيم، على معنى: لعلهم يرجعون إلى دينه حين تقوم عليهم الحُجَّة إذا علموا عَجْزَ آلهتهم وجهلها.

وقيل: يرجع الضمير إلى "كبيرهم"، على معنى: لعلهم إلى كبيرهم بالتُّهَمَة ذهاباً مع حُسن ظنهم به وتعظيمهم إياه.

ويكون مراد إبراهيم بذلك: استدراجهم إلى معرفة الحق بما يظهر لهم من عجز الإله الأكبر في نظرهم والأعظم عندهم.

فلما رجعوا وشاهدوا آلهتهم جُذاذاً استعظموا ذلك واسْتَفْظَعُوهُ، ونسبوا الفاعل بها ذلك إلى الظُّلْم، وأكَّدوه بِضُروبٍ من التوكيد، فذلك قوله: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴾.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٨).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٦).

﴿قالوا﴾ يريدُ ذلك الذي سَمِعَ إبراهيم يقول: ﴿وتالله لأَكِيدَنَّ... الآية﴾، -وإنما جَمَعَ؛ لأنه لا يكاد يَنْفَكُّ عن قوم هم على مثل رأيه يُضَامُّونَهُ في القول، أو يشهدون بصدقه، لما أَلِفُوا وعرفوا من عداوة إبراهيم لآلهتهم-: ﴿سمعنا فتىً يَذْكُرُهُم﴾ أي: يَعِيبُهُم. وقد ذكرنا هذا المعنى آنفاً.

﴿يُقالُ له إبراهيم﴾ كأنهم قالوا ذلك للملأ، منهم نمروذ وأصحابه، وكانوا لا يعرفون إبراهيم، فلذلك قالوا: "يقال له إبراهيم"، ويدلّك أيضاً على أن الخطاب للمَلِكِ وأتباعه.

قوله: ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ أي: بمرأى منهم، وهو في محل الحال[1]، بمعنى:...[2] ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه بما نُسب إليه.

قال الحسن: كرهوا أن يأخذوه بغير بَيِّنَة[3].

وقال ابن إسحاق: المعنى: لَعَلَّهم يَشْهدون عقابه[4].

فانطلقوا به إلى نمروذ فقال له: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾؟.

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ أي: فعله غضباً وحميّةً أن تعبدوا معه الآلهة الصغار، ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ نَسَبَ إبراهيم عليه السلام الفعل الصادر

---

(١) التبيان (٢/ ١٣٤)، والدر المصون (٥/ ٩٦).

(٢) بياض في ب قدر نصف سطر.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٥) كلاهما عن قتادة. وذكره الماوردي (٣/ ٤٥١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٠). وذكره الماوردي (٣/ ٤٥١) ونسبه لابن عباس، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٥٩).

عنه إلى الصنم؛ ليبلغ مقصوده من إلزامهم الحجة وتبكيتهم عند ظهور عجز آلهتهم.

فإن قيل: هل يُعدُّ مثل هذا كَذِباً؟

قلت: كلا، بل هو من معاريض الكلام، أي: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، ومثله قول المَلَك لداود: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ [ص:٢٣].

قال بعض العلماء: العرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً، فتبلغُ مرادها بوجه هو ألطف من الكشف وأحسن من التصريح، كما روي: أن قوماً من العرب خرجوا يَمْتَارُون، فلما صَدَرُوا خَالَفَ رَجُلٌ منهم في بعض الليالي إلى عِكْمِ[(١)] صاحبه، فأخذ منه بُرّاً وجعله في عِكْمِه، فلما أرادوا الرحلة وقاما يَتَعَاكَمَان رأى عِكْمَهُ يَشُولُ[(٢)]، وعِكْم صاحبه يَثْقُلُ، فأنشأ يقول:

عِكْماً تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ القَوْمِ لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ اليَوْمِ[(٣)]

فَخَوَّنَ صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله[(٤)]: قد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه وأنه من المعاريض، والمعاريض لا تُذَمُّ خُصوصاً إذا احتيج إليها.

روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعاريض لَمَنْدُوحَةً

---

(١) العِكْمُ: العِدْل ما دام فيه المتاع (اللسان، مادة: عكم).

(٢) أي: خفيفاً (انظر: اللسان، مادة: شول).

(٣) انظر هذه الرواية في: زاد المسير (٥/ ٣٦٠).

(٤) زاد المسير (٥/ ٣٦١).

عن الكَذِب))[١].

وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يَكْذِب ظريف[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: ((إن الجنة لا تدخلها العجائز))[٣] أراد قوله: ﴿إنا أنشأناهن إنشاءً﴾ [الواقعة:٣٥].

وقال ﷺ لامرأة: ((مَنْ زوْجُك؟ فَسَمَّتْهُ له، فقال: الذي في عينيه بياض!))[٤].

و((كان ابن رواحة قد رأته امرأته مع جاريةٍ له، فقالت له: وعلى فراشي أيضاً؟ فَجَحَدَ، فقالت له: فاقرأ القرآن، فقال:

وَفينَا رَسُولُ الله يَتْلُو كِتَابَهُ ... إذا انْشَقَّ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ طَالِعُ

يَبِيتُ يُجَافي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا اسْتَثْقَلَتْ بالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

فقالت: آمنتُ بالله وكذّبتُ بصري، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع))[٥].

وعرض شريح القاضي ناقةً ليبيعها، فقال له المشتري: كيف لبنها؟ فقال: احْلُبْ في أيِّ إناء شئت؟ قال: كيف الوِطاء؟ قال: افْرُشْ وَنَمْ. قال: كيف نجاؤُها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عَرَفْتَ مكانها، عَلِّقْ سَوْطَكَ وَسِرْ. قال: كيف

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٢ ح٢٦٠٩٦) موقوفاً.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٣٢ ح٤٨٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (١/ ١٩٩)، وذكره الهيثمي في مجمعه (١٠/ ٤١٩) وعزاه للطبراني في الأوسط.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٢).

(٥) أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٠ ح١٣).

قُوَّتُها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها فلم يَرَ شيئاً مما وَصَفَ، فرجع إليه فقال: لم أَرَ شيئاً مما وَصَفْتَها به. قال: مَا كَذَبْتُكَ، قال: أَقِلْنِي، قال: نعم[(١)].

وأخذ محمد بن يوسف حُجْراً المُدَرِيّ فقال: الْعَنْ عَلِياً، فقال: إن الأمير أمرني أن أَلْعَنَ عَلِيّاً محمد بن يوسف فالْعَنُوهُ لَعَنَهُ الله[(٢)].

وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صُوحَان بِلَعْنِ عَلِيٍّ، فقال: لَعَنَ الله من لَعَنَ الله ولَعَنَ عَلِيّ. ثم قال: إن الأمير قد أبى إلا أن أَلْعَنَ عَلِياً فالْعَنُوهُ لَعَنَهُ الله[(٣)].

وامتحَنت الخوارج رَجُلاً من الشِّيعَة فجعل يقول: أنا من عَلِيّ ومن عثمان بريء[(٤)].

وخَطَبَ رجلٌ امرأة وتحته أخرى فقالوا: لا نُزَوِّجُكَ حتى تُطَلِّقَ امرأتك، فقال: اشهدوا أني قد طَلَّقْتُ ثلاثاً، فَزَوَّجُوهُ، فأقام مع المرأة الأولى، فادَّعَوا أنه قد طَلَّق، فقال: أما تعلمون أنه كانت تحتي فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلّقتها، ثم فلانة فطلّقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طَلَّقْتُ ثلاثاً[(٥)].

ويروى: أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال:

أَنَا ابنُ الذِي لا ينزل الدهر قدره ... وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً عَلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُم قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

---

(١) ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٠ ح٣٣٦٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٣).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٣)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٤٢٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٧٧).

فَظَنَّ الطائفُ أَنَّهُ ابن بعضِ الأشرافِ بالبصرة، فلما أصبح سَأَلَ عنه، فإذا هو ابن باقِلاَوِيّ(١).

ومثل هذا كثير.

وقال ابن الأنباري(٢): كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث.

ومعنى قول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»(٣) قال: قولاً يُشبه الكذب في الظاهر وليس بكذب.

وروي عن الكسائي أنه كان يقف على قوله: ﴿بل فعله﴾ ويقول معناه: فَعَلَهُ من فَعَلَهُ، ثم يبتدئ ﴿كبيرهم هذا﴾(٤).

وقرأ محمد بن السميفع: "بَلْ فَعَلَّهُ كَبِيرُهُم هذا"(٥).

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾

قوله: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي: رجع كل واحد منهم إلى نفسه.

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٣-٣٦٤)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٤٤)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٤٢٢).
والمقصود بالباقلاوي: الذي يبيع الباقلاء.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢٥ ح٣١٧٩)، ومسلم (٤/ ١٨٤٠ ح٢٣٧١).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٦٠).

(٥) مثل السابق.

وقيل: رجع بعضهم إلى بعض.

﴿فقالوا﴾ معترفين على أنفسهم بالكفر والضلال ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي: الواضعون العبادة في غير موضعها، حيث عبدتم جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع. وهذا قول ابن عباس وعامة المفسرين[(١)].

ثم أدركتهم الشقاوة فعاودوا الكفر، فذلك قوله: ﴿ثم نُكسوا على رؤوسهم﴾.

وقال ابن إسحاق: إنكم أنتم الظالمون حين اتهمتموه وقد رأيتم الفأس في يد كبير الأصنام[(٢)].

وقيل: أنتم الظالمون بعبادة الأصاغر مع هذا الكبير.

وقيل: أنتم الظالمون بترككم آلهتكم وحدها. قالهما وهب بن منبه[(٣)].

والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ثم نُكِسُوا على رؤوسهم﴾ مجاز عن انقلابهم عن الإيمان إلى الكفر، ورجوعهم إلى المجادلة بالباطل بعد أن أقرُّوا لإبراهيم وعادوا على أنفسهم باللوم في تُهمته، فقالوا لإبراهيم: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فاعترفوا بعجزها عن النطق.

فلما توجهت عليهم الحجة بإقرارهم، أخذ إبراهيم في توبيخهم فقال: ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً﴾ إن عبدتموه ﴿ولا يضركم﴾ إن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٤).

(٣) مثل السابق.

نبذتموه.

﴿أُفٍّ لكم﴾ قال الزجاج[(١)]: [وتفسيرها][(٢)]: النَّتْنُ لكم، ﴿ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾.

قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

قال العلماء بالتفسير: فاستشار حينئذ نمروذ قومه، بأي عذاب يعذبه؟ فقال رجل منهم: ﴿حَرِّقُوهُ وانْصُروا آلهتكم﴾، فَخَسَفَ الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[(٣)].

والمعنى: انصروا آلهتكم بتحريقه، ﴿إن كنتم فاعلين﴾ ناصرين لها.

الإشارة إلى قصة تحريقه عليه السلام

ذكر العلماء بالتفسير والسير: أنهم حَبسوا إبراهيم في بيت، ثم بنوا له حَيْراً[(٤)] طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل مُنيف، وأمر نمروذ منادياً فنادى: أيها الناس، احتطبوا لإبراهيم ولا يتخلّفنّ أحد، ومن تخلّف أُلقِيَ في النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن المرأة لتقول: إن ظفرتُ بكذا أو عافاني الله لأحتطبنَّ

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٨).

(٢) زيادة من الزجاج، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٣) من طريق شعيب الجبئي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن شعيب الجبئي.

(٤) الحَيْر: شبه الحظيرة أو الحِمَى (اللسان، مادة: حير).

لإبراهيم، حتى إذا كاد الحطب يساوي رأس الجدار سدُّوا أبواب الحَيْر وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمرُّ بها فيحترق من شدة حرّها، وكانوا بنوا بيتاً شامخاً مساماتاً للحير، واتخذوا فوقه منجنيقاً[(١)]، فوضعوا إبراهيم في كفّة المنجنيق مقيَّداً مغلولاً ليرموه في النار، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحدٌ يعبدُك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فضجّت الملائكة والسماء والأرض والجبال وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة وقالت: أيْ ربنا، إبراهيم يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؟ فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه. فقال له خازن المياه: يا إبراهيم إن أردتَ أخمدت النار، فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئتَ طيرتُ النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكما، فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، -وقيل: ست وعشرين- فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم، أَلَكَ حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال له جبريل: فَسَلْ ربك؟ فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾، فلم يبق نار على وجه الأرض إلا بطل عملها يومئذ ظناً منها أنها قد عُنيت بذلك[(٢)]. فسبحان من نَزَعَ عنها طبع الحر والإحراق، وأبقى عليها وصف الضوء والإشراق.

---

(١) المنجنيق: القذاف التي ترمى بها الحجارة، لفظ أعجمي معرّب، وأصلها بالفارسية: (من جي نيك) أي: ما أجودني (لسان العرب، مادة: مجنق).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٤٧)، وزاد المسير (٥/ ٣٦٦-٣٦٧).

قال ابن عباس: لو لم يُتْبِعْ بَرْدَها سلاماً؛ لمات إبراهيم من بَرْدِها[١].

قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأجلسته على الأرض، فإذا عين من ماء عذب وورد أحمر ونرجس[٢].

قال كعب ووهب: ما أحرقت النار منه إلا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام[٣].

وقال غيرهما: أقام أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطُنْفُسَة[٤] من الجنة، فألبسه القميص وأجلسه على الطُّنْفُسَة، وقعد معه يحدثه[٥].

ثم إن نمروذ أشرف مِنْ صَرْحٍ له على إبراهيم -وهو لا يشك في هلاكه-، فرأى إبراهيمَ جالساً في روضة تهتزُّ وثيابه تندَّى، وعليه القميص وتحته الطنفسة، والمَلَكُ إلى جنبه، فناداه نمروذ: يا إبراهيم! إن إلهك الذي بلغتْ قدرتُه هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم. فقام إبراهيم يمشي حتى خرج. فقال: مَن الذي رأيتُ معك؟ قال: مَلَكٌ أرسله إليّ ربي ليؤنسني. فقال نمروذ: إني مُقرِّب لإلهك

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٠) كلاهما عن كعب. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٧)، و السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن كعب.

(٤) الطُّنْفُسَة: هي البِساط الذي له خَمْلٌ رقيق (اللسان، مادة: طنفس).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٧٩) وعزاه لأبي الشيخ عن الحسن.

قُرْباناً[1] لما رأيتُ من قدرته وعزته حين أبيتَ إلا عبادته وتوحيده، إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال: إذاً لا يقبل الله منك ما كنتَ على دينك. فقال: يا إبراهيم! لا أستطيع ترك مُلْكي، ولكن سوف أذبح له، فَذَبَحَ له القُرْبان وَكَفَّ عن إبراهيم عليه السلام[2].

قال المفسرون: ومعنى: ﴿كوني برداً﴾: ذات بَرْد، ﴿وسلاماً﴾ أي: سلامة.

﴿وأرادوا به كيداً﴾ وهو التحريق بالنار ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ المغلوبين، وذلك أن الله سَلَّطَ عليهم البَعُوض حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت بَعُوضَةٌ في دماغ نمروذ فأهلكته[3].

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً[4] إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي:

---

(١) القُرْبان: ما قُرِّبَ إلى الله عز وجل (اللسان، مادة: قرب).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٤٧)، وزاد المسير (٥/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

(٤) في هامش ب: هو لوط بن هاران بن تارح، فهو ابن أخي إبراهيم، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً، =

ونجيناه من نمروذ وكيده، فهاجرا من أرض العراق إلى أرض الشام.

قال وهب: كانت سارة[١] مع إبراهيم[٢].

وقال السدي: إنما هي بنت ملك حرّان، كانت تُنكر دين قومها، فتزوجت بإبراهيم وشرطت عليه أن لا يغيرها[٣].

وروى العوفي عن ابن عباس: أن الأرض: مكة[٤].

والصحيح الأول.

وبركتها: بَعْثُ الأنبياء فيها وكثرة ثمارها وغزارة أنهارها.

وقيل: ما من ماءٍ عذبٍ إلا وأصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[٥].

ويروى: أن إبراهيم نزل بفلسطين من أرض الشام[٦].

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ يعني: إسرائيل بن إسحاق أبا يوسف عليهم السلام، ﴿نافلة﴾ زيادة على الولد الذي سأله، و"نافلة" يتعلق =

فلذا هاجر به وسارة، صلى الله عليهم أجمعين.

(١) في هامش ب: سارة: هي بنت هاران الأكبر عمّ إبراهيم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

قال ابن كثير (٣/ ١٨٦): وهو غريب. والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٧). وذكره الماوردي (٣/ ٤٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٦) عن أبي بن كعب. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي حاتم عن أبي بن كعب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٦٩).

وفي هامش ب: قاله أبي بن كعب. وقال: وجدت في كتاب الله تعالى أن الشام كنز الله في أرضه، وفيه كنزه من عباده. ذكره...

بيعقوب وجدّه. والعرب تُسَمّي ولد الولد: نافلة.

﴿وكلاً﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء يُهتدى بأنوارهم ويُقتدى بمنارهم.

﴿وجعلناهم أئمة﴾ قادة في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ أي: بأمرنا إياهم بذلك، ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: الأعمال الصالحة.

﴿وإقام الصلاة﴾ قال الزجاج[(٣)]: حَذْفُ الهاء من إقامة الصلاة قليلٌ في اللغة، تقول: أقام إقامَةً. والحذف جائز؛ لأن الإضافة عِوَضٌ من الهاء.

﴿وإيتاء الزكاة﴾ إعطاء طائفة من المال على الوجه المشروع، تقرباً إلى الله تعالى.

﴿وكانوا لنا عابدين﴾ مُوَحِّدين مطيعين.

ولما ذكر ما أنعم به على إبراهيم جزاء له على هجرته ذكر أيضاً ما امتنّ به على صاحبه لوط، فذلك قوله تعالى: ﴿ولوطاً آتيناه حُكْماً وعلْماً﴾ وانتصب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

وقيل: بإضمار "اذكر"[(٤)].

والأول أجود.

والمعنى: آتيناه حُكْماً وهو النبوة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٣٩٨).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٣٥)، والدر المصون (٥/ ١٠٠-١٠١).

وقيل: الفصل بين الخصوم.

"وعِلْماً": فهماً وعقلاً.

﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ وهي سدوم، والمراد: أهلها. والخبائث: أفعالهم المنكرة.

﴿إنهم كانوا قوم سَوْءٍ فاسقين﴾ مارقين من طاعتنا.

﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ أي: في أهل رحمتنا، على معنى: نظمناه في سلكهم وجعلناه من جملتهم.

وقيل: المراد بالرحمة: الجنة، كما جاء في الحديث: «إنما أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي»[1].

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿ونوحاً﴾ المعنى: واذكر نوحاً، وكذلك جميع القصص المذكورة هاهنا، ﴿إذ نادى من قبل﴾ أي: دعا ربه من قبل إبراهيم ولوط، وهو قوله: ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح:٢٦].

﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ الذين نجوا معه في السفينة. وقد ذكرناهم في سورة هود[2]، ﴿من الكرب العظيم﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٦ ح٤٥٦٩)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧ ح٢٨٤٦).

(٢) الآية رقم: (٤٠).

قال ابن عباس: يريد: الغرق وتكذيب قومه[١].

﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ منعناه منهم أن ينالوه بسوء.

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾

قوله: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحَرْث﴾ أكثر المفسرين على أنه كان كَرْماً[٢] قد تدلَّتْ عناقيده، وهو قول ابن مسعود[٣].

وقال قتادة: كان زرعاً[٤].

﴿إذ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القوم﴾ أي: رَعَتْ ليلاً.

قال قتادة: النَّفْشُ بالليل، والهَمَلُ بالنهار[٥].

قال ابن السكيت[٦]: النفش: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٠).

(٢) الكَرْم: شجرة العنب، واحدتها: كَرْمة (اللسان، مادة: كرم).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (١٠/ ١١٨)، والحاكم (٢/ ٦٤٣ ح٤١٣٨)، والطبري (١٧/ ٥١). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٤٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠). وذكره الماوردي (٣/ ٤٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧١).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٦) وعزاه لابن جرير. والهَمَل: الإبل بلا راعٍ (اللسان، مادة: همل).

(٦) إصلاح المنطق (ص:٤١).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧١).

الإشارة إلى القصة

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: كان رجلان على عهد داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتفلّتَتْ الغنمُ فَرَعَتْ الحَرْث ليلاً، فلم تُبق منه شيئاً، فاختصما إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم. فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق صاحب الحرث بالغنم فيُصيب من ألبانها ومنافعها، ويقوم أصحاب الغنم على الكَرْم، حتى إذا كان كَلَيْلَةِ نفشت فيه، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء أرضهم. فقال داود: القضاء ما قضيت، وحكم داود بذلك، فذلك قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾[١]. أراد: داود وسليمان والخصمين.

وقال الفراء[٢]: أراد: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع؛ لأن الاثنين جمع.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "وكنا لحكمهما شاهدين"[٣].

﴿ففهمناها﴾ يريد: الحكومة أو القصَّة أو الفتوى ﴿سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا، ولكنه أثنى على سليمان لصوابه، وعذَرَ داود باجتهاده[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١-٥٢) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٥-٢٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٥-٦٤٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٠٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٧١).

(٤) ذكره الماوردي (٣/ ٤٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٢).

فصل

وفي هذه القصة بيان ظاهر وبرهان باهر على جواز كون النبي ﷺ وغيره من الأنبياء متعبدين بالاجتهاد فيما لا نص فيه، وأنكر ذلك قوم لكونهم قادرين على استكشاف ذلك بطريق الوحي.

ولأن قول النبي ﷺ نص قاطع، والظن يتطرق إليه احتمال الخطأ فيتضادَّان.

ونحن نقول في الجواب عن قولهم: "هم قادرون على استكشاف الحكم" ماذا تقولون لو استُكشف؟ فقيل له: حكمنا عليك أن تجتهد، أَلَهُ أن ينازع الله فيه، وعن قولهم: "قول النبي نص قاطع" أنه إذا قيل له: ظَنُّكَ علامةُ الحُكْم، فهو يَسْتَيْقِنُ الحُكْمَ والظَنَّ جميعاً، ولا يَحْتَمِلُ الخطأ.

واختلفوا هل وقع ذلك أم لا؟ فأثبته أكثر أصحابنا وبعض الشافعية لهذه القصة وأمثالها، وأنكره أكثر المتكلمين.

فصل

وفي هذه القصة أيضاً دليل على أن الحق في قول واحد من المجتهدين، وهو مذهبنا، وقول أكثر العلماء، وسواء كان ذلك في أصول الدين أو فروعه.

وقال بعض المتكلمين: كل مجتهد مصيب، وهو منقول عن أبي حنيفة والشافعي على خلاف فيه عنهم، وهذا في فروع الدين فقط.

وشذَّ الجاحظ وعبيد الله بن الحسن العنبري فقالا: كل مجتهد مصيب في الأصول والفروع، حتى قال الجاحظ: إن مخالف ملة الإسلام إذا نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم. وهذا كُفر صُراحٌ وإفكٌ مبين.

فصل

واختلف العلماء الإسلاميون في هذه المسألة؛ فذهب علماؤنا رحمهم الله إلى وجوب الضمان على صاحب الغنم؛ لتفريطه في الحفظ، وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا ضمان عليه، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، ليلاً كان أو نهاراً. والآية حجة لنا؛ لأن النبيَّيْن عليهما السلام اتفقا على وجوب الضمان، وإن اختلفا في كيفيته، وشَرْعُ من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يقم دليلُ النسخ.

وروي: «أن ناقةً للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل»[1].

قوله تعالى: ﴿وسَخَّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ قال أبو هريرة: كان إذا سبّح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذِّكْر[2].

وقُدّمت الجبالُ على الطير؛ لأن تسبيحها أعجبُ وأدلُّ على القدرة.

﴿وكنا فاعلين﴾ قادرين على ما نريد.

وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

﴿وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم﴾ يريد: الدروع، وكانت صفائح، فأول من

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٨ ح٣٥٦٩)، وأحمد (٥/ ٤٣٦ ح٢٣٧٤٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٣).

سرَدَها وحلّقها داود، فجَمعت الخفّة والتحصُّن واللَّبوس للناس.

وضَمَّ اللام: ابن السميفع[١].

﴿ليُحْصِنكُم﴾ قرأ ابن عامر وحفص: "لِتُحْصِنكُم" بالتاء[٢]، حملاً على المعنى. أي: لتُحصنكم الدروع أو الصنعة.

وقرأ أبو بكر: بالنون، حملاً على قوله: "وعَلَّمناه".

وقرأ الباقون: بالياء، على معنى: ليحصنكم الله، أو اللبوس، أو داود، أو التعليم.

﴿من بأسكم﴾ أي: من حربكم، ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ نعم الله تعالى.

قوله: ﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسَخَّرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب.

فإن قيل: فقد قال في موضع آخر: ﴿تجري بأمره رُخَاءً﴾ [ص:٣٦] أي: لَيِّنَةً؟

قلتُ: كانت تجري بتسخير الله لها على وفق إرادة سليمان وأمره، فإن أَمَرَها أن تجري عاصفة جَرَتْ، وإن أمرها أن تجري رُخَاءً جَرَتْ.

﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي: أرض الشام، فكانت تسير به حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشام.

﴿وكُنَّا بكل شيء عالمين﴾ فعلِمْنا أن سليمان أهلٌ لما أنعمنا به عليه، وأنه يدعوه إلى زيادة الخضوع لعزتنا وجلالنا.

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٧٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٥٩)، ولابن زنجلة (ص:٤٦٩)، والكشف (٢/ ١١٢)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١١)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٠).

﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ في البحر لاستخراج اللآلئ والجواهر ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي: سوى ذلك من بناء المدائن والقصور، ونقل الصخور، واختراع الصنائع العجيبة، ﴿وكنا لهم حافظين﴾ نحفظهم أن يَزيغوا عن أمره، أو يُفسدوا ما عملوه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني﴾ أي: ناداه بأني.

وقرأ أبو عمران الجوني: "إني" بكسر الهمزة[1]؛ لتَضَمُّن النداء معنى القول، أو على إضمار القول.

﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ وحمزة يسكّن الياء من "مَسَّنِيَ"[2]، والمعنى: أصابني الجَهْدُ، ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ تعريضٌ بالسؤال بألطَفِ الطُّرُق.

الإشارة إلى قصته عليه السلام

قال الليث بن سعد رحمه الله: كان مَلِكٌ يظلم الناس، فكَلَّمَهُ في ذلك جماعة من الأنبياء وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركتَ كلامه من أجل خيلك، لأُطيلنَّ بلاءك[3].

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٧٥).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٦).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[(١)] بإسناده عن ابن عباس قال: عَرَجَ الشيطان فقال: أيْ رب، سلّطني على أيوب، فقال: قد سَلَّطتك على ماله وولده، ولم أُسلطك على جسده، قال: فنزل فَجَمَعَ جنوده فقال: إني سُلِّطتُ على أيوب فأرُوني سُلطانكم؟ قال: فصاروا نيراناً، ثم صاروا ماءً. قال: فبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة إلى زَرْعِهِ، وطائفة إلى إبلِهِ، وطائفة إلى بَقَرِهِ، وطائفة إلى غَنَمِهِ، وقال: اعلموا أنه لا يعتصم منكم إلا [بالمعروف][(٢)]. فأْتُوه بالمصائب، بعضِها على إثر بعض.

قال: فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى ربك أرسل على زرعك ناراً فأحرقته؟ وجاء صاحب الإبل فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى ربك أرسل إلى إبلِكَ عَدُوّاً فذهب بها؟ وَجَاءَ صاحب البقر فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى ربك أرسل إلى بَقَرِكَ عَدُوّاً فذهب بها؟ ثم جاء صاحب الغنم فقال مثل ذلك.

قال: وَتَفَرَّدَ هُوَ لِبَنِيهِ فَجَمَعَهُم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون ويشربون جَمَعَ أركان البيت فَهَدَمَ عليهم البيت، فجاء إلى أيوب في هيئة الغلام وفي أذنيه قُرْطَان[(٣)]، فقال: يا أيوب، أَلَمْ تَرَ إلى بَنِيكَ اجتمعوا في بيت أكبرهم يأكلون ويشربون، فبينما هم كذلك إذ جاءت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم. فقال له أيوب:

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الزهد. وقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٤-٣٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٩٢-١٩٣) وعزاه لأحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٢) في الأصل: بمعرفة. والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٤).

(٣) القُرط: نوعٌ من حُلِيّ الأُذُن، يُعَلَّق في شحمة الأُذُن (اللسان، مادة: قرط).

فأين كنتَ أنت؟ قال: كنتُ معهم، قال: فكيف انْفَلَتَّ؟ قال: انْفَلَتُّ، قال: أنتَ الشيطان، ثم قال: أنا الآن مثلي يوم خرجتُ من بطن أمي، فقام فَحَلَقَ رأسه، ثم قام يصلي، فَأَرَنَّ الشيطان رَنَّةً سمعها أهل السموات وأهل الأرض.

ثم عَرَج فقال: أي رب إنه قد اعتصم، وإني لا أستطيعه إلا بتَسْلِيطِكَ، فَسَلِّطْنِي عليه، قال: قد سَلَّطْتُكَ على جسده ولم أُسَلِّطْكَ على قلبه. قال: فَنَزَلَ فَنَفَخَ تحت قَدَمِهِ نَفْخَةً فَقَرِحَ[1] من قَرْنِهِ إلى قَدَمِهِ، حتى بدا حجابُ بطنه، وألقي عليه الرَّماد قال: فقالت امرأته ذات يوم: يا أيوب قَدَّرَ الله، نَزَلَ بي من الجَهْدِ والفاقة ما بعْتُ قَرْناً من قروني برغيف فأطعمتُك، فادْعُ ربك فَلْيَشْفِكَ، فقال: ويحك! كُنّا في النَّعْماء سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضَّرَّاء سبعين عاماً.

قال: وكان في ذلك البلاء سبع سنين.

قال: وقعد الشيطان في الطريق فأخذ تابوتاً يَتَطَبَّبُ، فأتته امرأة أيوب فقالت: يا عبدالله! إن هاهنا إنساناً مبتلًى، فهل لك أن تداويه؟ قال: إن شاء فعلتُ على أن يقول لي كلمة واحدة إذا برأ، يقول: أنتَ شفيتني، فأتته فقالت: يا أيوب إن هاهنا رجلاً يزعم أنه يداويك على أن تقول له كلمة: أنتَ شفيتني، قال: ويلك ذاك الشيطان، لله عَلَيَّ إن شفاني الله تعالى أن أجلدك مائة جلدة.

فبينماهم كذلك إذ جاءه جبريل فأخذ بيده فقال له: قُمْ، فقام فقال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص:٤٢]، فَرَكَضَ فنبعت عَيْن، فقال: اغتسل، فاغتسل ثم جاءه، ثم قال له: ﴿اركض برجلك﴾، فركض فنبعت عين فقال: اشْرَبْ، فَشَرِبَ، قال:

---

(١) القَرْحُ: جَرَبٌ شديد يأخذ الفُصلان فلا تكاد تنجو (اللسان، مادة: قرح). وقد غلَّط هذا القول الأزهري فقال: هو داءٌ يأخذ البعير فَيَهْدَلُ مِشْفَره منه (تهذيب اللغة ٤/ ٣٨).

يقول الله: ﴿هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وشراب﴾ [ص:٤٢]، قال: ثم أَلبَسَهُ حُلَّةً من الجنة.

وجاءت امرأته فقالت: يا عبدالله، أين المُبْتَلَى الذي كان هاهنا، لعل الذئاب ذهبت به أو الكلاب؟ قال: فقال: ويحك أنا أيوب، قد ردّ الله إليّ نفسي، فقالت: يا عبدالله، اتَّقِ الله لا تَسْخَرْ بي، قال: ويحك أنا أيوب، فَرَدَّ الله إليه ماله وولده عَيَاناً ومثلَهُم معهم، وأمطر الله عليه جَرَاداً من ذهب، قال: فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعلُه في ثوبه، وينشر [كساءه][1] فيأخذ فَيَجْعَلُهُ فيه، فأوحى الله إليه: يا أيوب ما شَبِعْتَ؟ فقال أيوب: من ذا الذي يَشْبَعُ من فضلك ورحمتك.

قال: فأخذ ضِغْثاً[2] بيده فَجَلَدَها به.

قال: وكان الضِّغْثُ مائة شِمْرَاخ، فجلدها به جلدةً واحدة.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً في كتاب الزهد بإسناده عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب أَخوان، فأتياه ذات يوم فوجدا ريحاً، فقالا: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما بلغ به كل هذا. قال: فَمَا سَمِعَ شيئاً كان أشدّ عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كُنْتَ تعلم أني لم أَبِتْ ليلة شبعاناً، وأنا أعلم بمكان جائع فَصَدِّقْني، قال: فَصُدِّقَ وهما يسمعان. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم ألبس ثوباً قط، وأنا أعلم بمكان عَارٍ فَصَدِّقْنِي، قال: فَصُدِّقَ وهما يسمعان، ثم خَرَّ ساجداً ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله ما به[3].

---

(١) في الأصل: أثناءه. والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٥).

(٢) الضِّغْث: الحُزْمة من الحشيش والثُّدَّاء والضَّعَةِ والأَسَلِ، قدر القبضة ونحوها، مختلطة الرَّطب باليابس (اللسان، مادة: ضغث).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٥٤)، والطبري (١٧/ ٧١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٩)، وابن أبي

قال العلماء بالتفسير والسِّيَر: لما نزل به البلاء لم يَبْكِ مخافة الجزع، وبَقِيَ لِسَانُهُ للذِّكْرِ، وقلبه للشُّكْر، وكان يرى مِعَاهُ وعُروقه وعِظامه، وكان مَرَضُهُ أنه خرج في جميع جسده ثآليل[١] كأَلْياتِ الغنَم، ووقعت به حَكَّةٌ لا يملكها، فَحَكَّ بأظفاره حتى سقطت، ثم بالمُسُوح، ثم بالحجارة، فأنتن جسمه وتقطّع، وأخرجه أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كُنَاسَةٍ، ورفَضَه الخلق سوى زوجته رحمة بنت إفراييم[٢] بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، فكانت تختلف إليه بما يصلحه[٣].

واختلفوا في مدة لبثه في البلاء، فروي عن النبي ﷺ: أنها ثماني عشرة سنة[٤].

وقال ابن عباس: سبع سنين[٥].

وقال وهب: ثلاث سنين[٦].

واختلفوا في السبب الحامل له على قوله: ﴿مسني الضر﴾؛ فقال ابن عباس:

= شيبة (٧/ ٢٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٥٤) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية.

(١) الثآليل: جمع ثُؤلُول، وهو الحَبَّة تظهر في الجِلْد كالحِمَّصة فما دونها (اللسان، مادة: ثأل).

(٢) وفي الدر المنثور (٧/ ١٩٧) أن اسمها: رحمة بنت ميشا. وفي تفسير الماوردي (٣/ ٤٦٤): ماخيرا بنت ميشا.

(٣) انظر: الطبري (١٧/ ٥٩)، وزاد المسير (٥/ ٣٧٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٦).

(٥) مثل السابق.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٦٦).

قال ذلك حين قالت له امرأته: بِعْتُ قَرْناً من قُروني برغيفٍ فأطعمتك[١].

وقال نوف البكالي: حين مرّ به نَفَرٌ من بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا البلاء إلا لذَنْبٍ عظيم[٢]. وقد حكينا نحوه عن ابن عمير.

وقال الحسن: جاء إبليس إلى زوجته بِسَخْلَةٍ فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فأخبرته فقال: إن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة، أَمَرْتِنِي أن أذبح لغير الله، ثم طردها عنه فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً وقال: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[٣].

قيل لأبي عبدالله الساجي: «الراضي يسأل ربه؟ قال: يُعَرِّض. قيل: مثلُ أي شيء؟ قال: مثلُ قول أيوب: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾»[٤].

قال بعض العلماء: لم يكن هذا جَزَعاً من أيوب، وكيف وقد أثنى الله عليه فقال: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ [ص:٤٤]، إنما هو دُعاء، ألا تراه يقول: ﴿فاستجبنا له﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلْق.

قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكا إلى الناس وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قول النبي ﷺ لجبريل في مرضه: «أجدُني مغموماً وأجدُني مكروباً»[٥]، وقوله عليه السلام: «بل أنا وا رأساه»[٦].

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٣٥ ح٤١١٤)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٤٧ ح٩٧٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٥٥) وعزاه لأحمد.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢١٧ ح١٠٠٦٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٩).

(٦) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٤ ح٢٥١٥٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٧).

قوله تعالى: ﴿وآتيناه أهله﴾ يعني: أولاده الذين هلكوا.

قال ابن مسعود والحسن وقتادة: أحياهم الله له بأعيانهم وآتاه مثلهم في الدنيا(١).

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كانت امرأتُه وَلدت له سبع بنين وسبع بنات فنُشروا له، وولدت امرأتُه له سبع بنين وسبع بنات(٢).

وقال السدي: ردَّ الله عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءت بمثلهم في الدنيا.

وقال مجاهد: آتيناه ثواب أهله في الدنيا في الجنة، ومثلهم في الدنيا(٣).

والأول أصح.

﴿رحمة من عندنا﴾ أي: فعلْنا به ذلك رحمةً من عندنا، ﴿وذكرى للعابدين﴾ أي: عظة لهم.

قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب فليقل: إنه قد أصاب من هو خيرٌ مني(٤).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن مجاهد قال: يُجاء بالغني فيقول: ما مَنَعَكَ أن تكون عبدتني؟ فيقول: رب كَثَّرت لي من المال، فَيَذْكُرُ مَا ابْتُلِيَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٥٥) وعزاه لابن جرير عن الحسن وقتادة.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٤٦٤) من قول الفراء، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٥٦) وعزاه لابن جرير.

به. قال: فَيُجَاء بسليمان بن داود عليهما السلام في مُلْكِهِ فيقول: أَكُنْتَ أغنى أم هذا؟ فيقول: بل هذا، قال: فلم يمنعه ذلك أن عبدني. قال: ويُجَاء بالمريض فيقول: ما منعك أن تعبدني؟ فيقول: رب ابتليتني، فيُجَاء بأيوب في ضُرِّه، فيقول: أكنت أشد مرضاً أم هذا؟ فيقول: بل هذا، فيقول: لم يمنعه ذلك أن عبدني[1].

وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ قال عطاء رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أني أريد قبض روحك، فَاعْرِضْ مُلْكَكَ على بني إسرائيل، فمن يَكْفُل لك أنه يصلي الليل لا يَفْتُر، ويصوم النهار لا يُفْطِر، ويقضي بين الناس ولا يَغْضَب، فادفع مُلْكَكَ إليه، ففعل ذلك. فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتَكَفَّلَ به فوفى، فشكر الله له ذلك، ونَبَّأَهُ، وسُمِّيَ ذا الكِفْل[2].

قوله: ﴿كُلٌّ من الصابرين﴾ أي: على طاعة الله وعن معصيته.

﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ قال ابن عباس: يريد: الجنة[3].

وقال مقاتل[4]: النبوة.

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الزهد. وقد أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٢٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٦١) وعزاه لأحمد في الزهد والبيهقي في الشعب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٠).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٧).

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾

قوله: ﴿وذا النُّونِ﴾ يعني: صاحب الحوت، وهو يونس بن متّى عليه السلام.

﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ لقومه، مراغماً لهم حين تمادوا في غيّهم وضلالهم، وكان عليه السلام يظن أن ذلك سائغ له، وإنما كان عليه أن يصابرهم حتى يأذن الله له في المهاجرة عنهم، فلما عجل عُوقب بالحوت.

قال وهب بن منبه: كان يونس عليه السلام رجلاً فيه حدّة وضيقٌ وغضبٌ، فلما حُمِّلَت عليه أثقالُ النبوة تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخُ الرُّبَعِ[1] تحت الحِمْل، -يعني: الفصيل-، فقذفها من يده وخرج هارباً، فركب البحر فالْتَقَمَهُ الحوت[2].

وقال غيره: لما توعَّد قومَه بالعذاب ثم رُفِعَ عنهم بالتوبة، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً، فانصرف مُغاضباً لقومه، عاتباً على ربه[3].

قوله: ﴿فظَنَّ أن لن نقدر عليه﴾ جعله قوم من القُدْرَة، وقدَّرُوا همزة الاستفهام، تقديره: أَفَظَنَّ أن لن نقدر عليه. وله نظائر في القرآن والكلام الفصيح. قال ابن أبي ربيعة:

---

(١) الرُّبَع: الفصيل الذي يُنتَج في الربيع، وهو أول النتاج، سُمِّيَ رُبَعاً، لأنه إذا مشى ارْتَبَعَ. وَرَبَعَ: أي وَسَّعَ خطوه وعدا (اللسان، مادة: ربع).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٢).

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً عَدَدَ الرَّمْلِ وَالحَصَى وَالتُّرابِ[(١)]

أي: أتحبها.

وقال آخر:

وَقَوْلُهَا وَالرِّكَابُ سَائِرَةٌ تَتْرُكُنَا هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وزعم جماعة، منهم الأصمعي: أنه لا يجوز حذف حرف الاستفهام إلا إذا كان عليه دليل. وإلى هذا المعنى ذهب كثيرٌ من المفسرين[(٢)].

وروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة: أنه من القَدَر، الذي هو بمعنى: التقدير والقضاء، على معنى: فَظَنَّ أن لن نقضي عليه من العقوبة ما قضينا[(٣)].

يقال: قَدَرَ الله الشَّيْءَ يَقْدِرُ وَقَدَّرَهُ -بالتشديد- يُقَدِّرُهُ، بمعنى: قَضَاهُ[(٤)]، وهذا اختيار الفراء والزجاج[(٥)].

وأنشد الفراء لأبي صخر:

وَلاَ عَائِدٌ ذاكَ الزَّمَانُ الذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرُ يَكُنْ، وَلَكَ الشُّكْرُ[(٦)]

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة. وهو في: اللسان، مادة: (بهر)، وأخبار مكة للفاكهي (٣/ ٢٨٢)، ومعجم البلدان (١/ ٨٢)، وروح المعاني (٣٠/ ١٣٩).

وبَهْراً: أي: جَمّاً (انظر: اللسان، مادة: بهر).

(٢) انظر: الطبري (١٧/ ٧٩-٨٠)، والماوردي (٣/ ٤٦٦)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٣).

(٣) ذكره الماوردي (٣/ ٤٦٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٢).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قدر).

(٥) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٠٩)، ومعاني الزجاج (٣/ ٤٠٢).

(٦) البيت لأبي صخر. وهو في: القرطبي (١١/ ٢٣٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٢)، والتمهيد (١٨/ ٤٤).

وقال عطاء والحسن: هو من القَدْر الذي هو بمعنى: التضييق، على معنى: فَظَنَّ أن لن نضيّق عليه الحبس. ومنه قوله: ﴿ومن قُدِرَ عليه رزقه﴾ [الطلاق:٧]، أي: ضُيّق، وقوله: ﴿وقَدِّرْ في السَّرْدِ﴾ [سبأ:١١] أي: ضَيِّقْ في النَّسْج[١].

ويروى: أن ابن عباس دخل يوماً على معاوية فقال له: يا ابن عباس: لقد ضربتني البارحة أمواج القرآن، فغرقتُ فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك، فقال: وما هي؟ فقرأ هذه الآية، ثم قال: أَوَ يظن نبي الله أن الله لا يَقْدر عليه؟ فقال: هذا من القَدَر لا من القُدرة[٢].

قوله تعالى: ﴿فنادى في الظلمات﴾ قال أكثر المفسرين: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت[٣].

وقيل: ابتلع الحوتَ حوتٌ آخر، فحصل في ظلمتي بطني الحوتين، وظلمة البحر[٤].

﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ وحَّدَ الله ونزَّهه واعترف

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٦٦-٦٦٧) وعزاه للزبير بن بكار في الموفقيات.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٠) عن ابن عباس وغيره. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٦٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن مسعود وعزاه لأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه. ومن طريق آخر عن محمد بن كعب وعمرو بن ميمون وقتادة، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لأحمد في الزهد.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٤)، والطبري (١٧/ ٨٠) كلاهما عن سالم بن أبي الجعد. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٦٦) وعزاه لابن جرير عن سالم بن أبي الجعد.

على نفسه بالخطيئة.

قال الحسن: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته[(١)].

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ من تلك الظلمات، ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ إذا تابوا وأنابوا ودعونا.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "نُجِّي" بنون واحدة مشددة الجيم[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: الذي ثبت في المصحف بنون واحدة، ولأن النون الثانية تَخْفَى مع الجيم. فأما ما روي عن عاصم بنون واحدة فلحنٌ لا وجه له؛ لأن ما لم يُسَمَّ فاعله لا يكون بغير فاعل.

قال[(٤)]: وقد قال بعضهم: نُجّي النجاء المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرِبَ زيداً وأنت تريد ضُرِبَ الضَّرْبُ زيداً؛ لأنك إذا قلت: ضُرِبَ زيد فقد علم أن الذي ضُربَه ضَربٌ، فلا فائدة في إضماره وإقامته مقام الفاعل.

وقال أبو علي الفارسي[(٥)]: القول فيه أن عاصماً -ومن قال كقوله- ينبغي أن يكون قرأ بنونين وأخفى الثانية؛ لأن هذه النون تخفى مع حروف الفم، وتبيينها معها لَحْنٌ، فلما أخفى النون ظَنَّ السامع أنه مُدغم، والتبس عليه الإخفاء بالإدغام؛

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٨١) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٦٩-٤٧٠)، والكشف (٢/ ١١٣).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٣).

(٤) أي: الزجاج.

(٥) الحجة (٣/ ١٦٠-١٦١).

من حيث كان كل واحد منهما غير مبيّن، ويبين ذلك إسكانُه الياء من "نُجِّيْ"، ولو كان فعلاً ماضياً مبنيّاً للمفعول به، لكان "نجي" مفتوح الآخر، فإسكان الياء يدل على أنه فعل مضارع، وأنه يريد "نُنْجِي"، كما قرأه غيره. ومما يؤكد ذلك ويوضحه نصبُ "المؤمنينَ" ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعله لوجب أن يرتفع.

فإن قيل: إنه يُسندُ الفِعلَ إلى المصدر ويضمره؛ لأن الفعل دَلَّ عليه، كما قال الشاعر:

ولو وَلَدَتْ [قُفَيرةُ][1] جِرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بذَلِكَ الجِرْوِ الكِلابَا[2]

أراد: لسُبَّ السَبُّ، فأضمره لدلالة الفعل عليه، فإن ذلك مما يجوز في ضرورة الشعر لا في حال الاختيار والسَّعَة، والقراءة لا تُحْمَل على الضرورات.

فإن قيل: إنه في الخطّ بنونٍ واحدة؟

قلت: إنما حُذفت النون من الخطّ؛ كراهيةً لاجتماع صورتين مُتّفقتين، كما كتبوا: الدُّنْيا والعُلْيا بألفٍ؛ كراهة اجتماع ياءين، ولولا الياء التي قبل الألف لكتبوها بالياء، كما كتبوا: بُهْمى وحُبْلى وأُخْرى ونحو ذلك.

وهذا الذي ردَّه الزجاج وأبو علي من الإعراب هو الوجه الذي نَحَلَهُ القراء وأكثر النحويين الذين تغلغلوا في تصحيح هذه القراءة، وقد قالوا في تَعْليلها وجوهاً بعيدة، منها: أنهم قالوا: "نجّي" فعل مضارع أصله: ننجي، فحذفت النون الثانية كما تُحذف إحدى التاءين من "تتذكر"، وقيل: أبدلوا من النون جيماً، وقيل:

(١) في ب: ففيرة. والمثبت من المصادر التالية. وقُفَيْرَة: اسم أم الفرزدق.

(٢) البيت لجرير. ولم أقف عليه في ديوانه. انظر: خزانة الأدب (١/ ٣٣٧)، والخصائص (١/ ٣٩٧)، وشرح المفصل (٧/ ٧٥)، وهمع الهوامع (١/ ١٦٢)، والحجة للفارسي (٣/ ١٦٠).

أدغموا النون في الجيم، وهذا لا نظير له في كلام العرب.

وقيل: أخفوا النون في الجيم، وهذا بعيد أيضاً؛ لأن الرواية بتشديد الجيم، والإخفاء لا يكون معه تشديد.

قال مكي[1]: وإنما تعلّق مَنْ قرأ هذه القراءة: أن اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة. والله أعلم.

فصل

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث سعد بن أبي وقاص قال: «مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلَّمتُ عليه، فملأ عينيه مني ثم لم يرُدَّ عليَّ السلام. فأتيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين هل حدث في الإسلام شيء؟ مرتين، قال: لا، وما ذاك؟ قلت: لا، إلا أني مررت بعثمان آنفاً في المسجد فسلمتُ عليه فملأ عينيه مني ثم لم يردّ عليّ السلام. قال: فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه، فقال: ما منعك أن [لا][2] تكون رددت على أخيك السلام؟ قال عثمان: ما فعلت. قال سعد: قلت: بلى. قال: حتى حلف وحلفت. قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلى، أستغفر الله وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفاً وأنا أُحدّث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ، لا والله ما ذكرتها قط إلا تَغَشَّى بصري وقلبي غِشَاوَةٌ. قال سعد: فأنا أنبئك بها، إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة، ثم جاء أعرابي فَشَغَلَهُ، حتى قام رسول الله ﷺ فاتَّبَعْتُهُ، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدميَّ الأرض، فالتفتَ إليّ رسول الله ﷺ فقال: من هذا، أبو إسحاق؟ قال: قلت:

(١) الكشف (٢/ ١١٣).

(٢) زيادة من المسند (١/ ١٧٠).

نعم يا رسول الله، قال: فَمَهُ؟ قال: قلت: لا والله، إلا أنك ذَكَرْتَ لنا أول دعوة، ثم جاء هذا الأعرابي فَشَغَلَكَ، قال: نعم، دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بِها مُسْلِمٌ رَبَّهُ في شيء قط إلا استجاب له »[1].

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فَرْداً﴾ قال ابن عباس: وحيداً بلا ولد[2].

﴿وأنت خير الوارثين﴾ قال الواحدي[3]: هو ثناءٌ على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه، وأنه أفضل من [يبقى][4] حياً بعد ميت، وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو.

وقال غيره: سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه، ثم ردَّ أمره إلى الله مستسلماً فقال: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ أي: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي، فإنك خير وارث.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٧٠ ح١٤٦٢).

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ٨٣) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٤) بلا نسبة.

(٣) الوسيط (٣/ ٢٥٠).

(٤) في الأصل: بقي. والمثبت من الوسيط، الموضع السابق.

﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زَوْجَهُ﴾ أي: أصلحناها للولادة وَأَزَلْنَا عُقْرَها[١].

قال الكلبي: فولدت له وهي بنت تسع وتسعين سنة[٢]، وهذا قول الأكثرين.

وقال عطاء: كانت بذيئة طويلة اللسان، فَأُصْلِحَتْ له[٣].

وقال السدي: كانت سَلِيطَةً فكفَّ عنه لسانها[٤].

وقال محمد بن كعب: كان خُلُقُها سيئاً[٥].

﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ يعني: زكريا وزوجه وابنه يحيى.

وقيل: المراد: جميع الأنبياء المذكورين في هذه السورة.

﴿ويدعوننا رَغَباً ورهباً﴾ أي: رَغَباً فيما عندنا ورَهَباً مِنّا.

﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ قال الحسن: ذُلُلاً لأمر الله تعالى[٦].

وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

---

(١) وإلى هذا المعنى ذهب ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٣).

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٤٦٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٥). وذكره الماوردي (٣/ ٤٦٨)، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٧٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق وابن عساكر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٠) عن قتادة.

قوله: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ حفظته ومنعته من الحلال والحرام، كما قالت: ﴿ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً﴾ [مريم:٢٠].

وقال الفراء[١]: ذكر المفسرون: أنه جَيب دِرْعها[٢].

وهذا محتمل؛ لأن الفرج معناه في اللغة: كل فَرْجَةٍ بين شيئين[٣]، وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو فَرْج، وهذا أبلغ في الثناء عليها؛ لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع.

﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي: أمرنا جبريل فنفخ في درعها فأجرينا فيها روح عيسى، كما تجري الريح بالنفخ.

وإنما قال في موضع آخر: ﴿فنفخنا فيه﴾ [التحريم:١٢] حملاً على الجيب، وإضافة الروح إليه سبحانه إضافة تشريف، وقد قررنا ذلك في مواضع.

وقيل: المراد بالرُّوح: جبريل، كما قال: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]؛ لأن النفخ جاء من جهته.

﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ قال الزجاج[٤]: لما كان شأنهما واحداً، كانت الآية فيهما آية واحدة، وهي ولادة عيسى من غير فَحْلٍ.

وقيل: التقدير جعلناها آية وابنها آية، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٢١٠).

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ٨٤)، والماوردي (٣/ ٤٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: فرج).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٤).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ
أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾

قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم: المراد بالأُمَّةِ هاهنا: الدِّين[1]. ومنه: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢] أي: على دين أُمَّة واحدة غير مختلفة.

قال ابن عباس: ديناً واحداً[2]، والإشارة بقوله: "هذه" إلى مِلَّةِ الإسلام. والنَّصْبُ في "أمةً" على القَطْعِ أو الحال[3].

قال الزجاج[4]: المعنى: إن هذه أُمَّتُكُم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افْتَرَقَتْ فليس من خالَفَ الحق داخِلاً فيها.

وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق [وأبي الأشهب][5]: "أمةٌ واحدةٌ" بالرفع فيهما[6].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٣٦)، والدر المصون (٥/ ١٠٧).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٤).

(٥) في ب: والأشهب. والصواب ما أثبتناه.

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٣).

قال أبو الفتح[١]: يكون بدلاً من "أُمَّتُكُم"؛ كقولك: زيد أخوك رجل صالح، كأنه قال: أخوك رجل صالح.

وقرأ الحسن: "أُمَّتَكُم" بالنصب، بدلاً من "هذه"، "أمةٌ واحدةٌ" بالرفع، على أنه خبر "إن"[٢].

﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ وَحِّدُون. والخطاب لأُمَّة محمد ﷺ. وقيل: للأنبياء عليهم السلام.

ثم ذمّ اليهود على اختلافهم وعدم ائتلافهم فقال: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قِطَعاً، وصاروا فِرَقاً وأَحْزاباً.

ثم توعدّهم فقال: ﴿كُلٌّ إلينا راجعون﴾.

قوله: ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾ أي: شيئاً من أعمال البِرِّ، ﴿وهو مؤمن﴾ في محل الحال ﴿فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا جحود [لعمله][٣]، ﴿وإنا له كاتبون﴾ مثبتون في صحائف عمله.

وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

---

(١) المحتسب (٢/ ٦٥).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٣) في ب: لعلمه. والصواب ما أثبتناه.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "وحِرْمٌ" بكسر الحاء وسكون الراء من غير ألف، وبها قرأت أيضاً لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه. وقرأ الباقون: "وَحَرَامٌ"، وهما لغتان بمعنىً؛ كالحِلّ والحلال[1].

قال ابن عباس: المعنى: واجب ﴿على قرية أهلكناها﴾[2]، وأنشدوا قول الخنساء:

فَإِنَّ حَرَاماً لا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِياً ... عَلَى شَجْوِهِ إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَى عَمْرِو[3]

وقال عطاء: حَتْمٌ من الله[4].

وقال الزمخشري[5]: استُعير الحرام [للممتنع][6] وجوده، ومنه قوله: ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾ [الأعراف:٥٠] أي: منعهما.

والمراد بالقرية: أهلها.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٠)، والكشف (٢/ ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٢) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٣) البيت للخنساء. ولم أجده في ديوانها، وهو في: اللسان، مادة: (حرم) ونسبه لعبد الرحمن بن جُمانة المُحاربي، والقرطبي (٦/ ٢٩٩، ١١/ ٣٤٠)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٧)، والبحر المحيط (٦/ ٣١٤) وفيه: (حرام على أن لا أرى..)، والدر المصون (٥/ ١٠٩) وفيه: (وإني حرام لا أرى..)، وروح المعاني (١٧/ ٩١).

وفي كل المصادر عدا زاد المسير: "صخر" بدل "عمرو".

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١).

(٥) الكشاف (٣/ ١٣٥).

(٦) في الأصل: للمتنع. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

قال الكلبي: معنى الآية: وجب على أهل قرية أهلكناها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ إلى الدنيا[١]، وهذا قول قتادة[٢]، ويروى نحوه عن ابن عباس[٣].

وذهب ابن جريج وأبو عبيد وابن قتيبة[٤] إلى أن "لا" في قوله: "لا يرجعون" مزيدة[٥]، وقالوا: المعنى: وحرام على قرية مُهلكة رجوعهم إلى الدنيا.

وقيل: المعنى: حرام على قرية قضينا أو أردنا إهلاكها وعذابها أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى الإسلام؛ لأنه مطبوع على قلوبهم[٦].

قال الزجاج[٧]: لما قال: ﴿فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أعلمنا أنه قد حَرَّمَ قبولَ أعمال

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧). وانظر: الطبري (١٧/ ٨٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧٢) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٤) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص:٢٨٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٨).

(٥) وقيل: أن (لا) نافية، والمعنى: يمتنع عدم رجوعهم إلى الدنيا (انظر: الإتقان ١/ ٥٠٢).
وقال الزركشي في البرهان: قال ابن الشجري: قد تجيء مؤكدة للنفي في غير موضعها الذي تستحقه؛ كقوله: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ (انظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٥٧).

(٦) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٨٨): فإن قيل: كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟
فالجواب: أن المعنى منعوا من ذلك كما يمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه للحالتين من حيث المنع.

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٥).

الكفار، فالمعنى: حرام على قريةٍ أهلكناها أن يُتقبَّل منهم عملٌ؛ لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون، كما قال: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة:٧]، فأعلم أنهم لا يتوبون أبداً.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ﴾ سبق ذكر يأجوج ومأجوج في الكهف(١)، و"حتى" هذه هي التي يُحْكَى بعدها الكلام، والكلام المَحْكِيُّ هو: الجملة من الشرط والجزاء.

وفي الآية إضمار، تقديره: حتى إذا فُتح سُدُّ يأجوج ومأجوج.

﴿وهم﴾ يعني: يأجوج ومأجوج.

وقيل: الذين يُسْتاقُونَ إلى المحشر.

﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ أي: نَشَزٍ(٢) وَأَكَمَةٍ.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود: "جَدْثٍ" بالجيم والثاء(٣)، أي: من كل قبر.

والقول الثاني: في "وَهُم" يُعاضِدُ هذه القراءة.

﴿يَنْسِلُونَ﴾ من النَّسَلان، وهو مُقَارَبَةُ الخَطْوِ مَعَ الإِسْراع؛ كمشي الذئب إذا أسرع(٤)، والعَسَلان مثله(٥).

---

(١) آية رقم: ٩٤.

(٢) النَّشَزُ: المَتْنُ المرتفعُ من الأرض، وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض وليس بالغليظ (اللسان، مادة: نشز).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٤).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نسل).

(٥) انظر: اللسان (مادة: عسل).

وقرأ أبو رجاء وعاصم الجحدري: "يَنْسُلُون" بضم السين[(١)].

قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ قال الفراء[(٢)]: هذا جواب "حتى"، يريد قوله: ﴿حتى إذا فتحت﴾. قال: والواو زائدة، ومثله: ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر:٧٣]، وقوله: ﴿فلما أسلما وتلّه للجبين * وناديناه﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٤] أي: ناديناه.

قال الزجاج[(٣)]: الواو عند البصريين لا يجوز أن تُطرح، والجواب عند البصريين هاهنا قوله: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾، وهاهنا قولٌ محذوف، المعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا.

والمراد بالوعد الحق: يوم القيامة.

قال ابن مسعود: الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج كَالحَامِلِ المُتِمِّ، لا يدري أهلها متى تَفْجَؤُهُم بِوَلَدِهَا، ليلاً أو نهاراً[(٤)] [(٥)].

﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ اختلفوا في "هي"؛ فقيل: كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها؛ كقول الشاعر:

لَعَمْرُو أَبيها لاَ تَقُولُ ظَعِينَتِي ... إِلاَّ فَرَّ عَنِّي مَالكُ بنُ أَبي كَعْبِ[(٦)]

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٨٩).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢١١).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٥).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥ ح٣٥٥٦)، والحاكم (٢/ ٤١٦ ح٣٤٤٨).

(٥) إلى هنا ينتهي السقط من مصورة الأصل، والذي استدرك من ب. وقد أكملنا من مصورة الأصل مرة أخرى.

(٦) البيت لمالك بن أبي كعب، يقوله في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر. انظر البيت في:

فذكر الظَّعِينَةَ وقد كَنَّى عنها في لعمرو أبيها.

وقيل: أَنَّ "هي" عِمادٌ، ويصلح في موضعها "هو". ذكرهما الفراء(١).

وقيل: إنها كناية عن القصة والحالة في موضع الرفع بالابتداء.

وقوله: ﴿أبصار الذين كفروا﴾ مبتدأ، وخبره "شاخصة"(٢)، والجملة تفسير قوله: ﴿فإذا هي﴾، أي: القصة والحالة أَنَّ أبصار الذين كفروا شاخصة في ذلك اليوم، ولا(٣) تكاد تَطْرِفُ من هول ما ترى.

﴿يا ويلنا قد كُنَّا في غَفْلَةٍ من هذا﴾ أي: قد كُنّا في الدنيا في غَفْلَةٍ من هذا الخَطْب الجليل والأمر العظيم.

ولما كان ما شاهدوه من القيامة وأهوالها ما أنذرتهم به الرسل أضربوا عن ذكر الغَفْلة وأقرّوا على أنفسهم بالظُّلْم فقالوا: ﴿بل كنا ظالمين﴾.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم
مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي

=
الطبري (١٧/ ٩٢)، والقرطبي (١١/ ٣٤٢)، ومعاني الفراء (٢/ ٢١٢)، وزاد المسير (٥/ ٣٨٩)، والبحر المحيط (٦/ ٣١٥)، والدر المصون (٥/ ١١٢) وفيهما: (فلا وأبيها لا تقول خليلتي).
والظَّعِينَة: المرأة (اللسان، مادة: ظعن).

(١) معاني الفراء (٢/ ٢١٢).
(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٣٧)، والدر المصون (٥/ ١١٢).
(٣) في ب: لا.

مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصَبُ جهنم﴾ وهو ما رميت به في النار[١].

وقرأ أبو مجلز: "حَصْبُ" بسكون الصاد[٢]، على الوصف بالمصدر، أو يكون من باب الخَلْق والصَّيْد، في معنى: المخلوق والمصيد، وقد تقدَّم نظيره فيما مضى.

وقرأ ابن عباس: "حَضَبُ" بالضاد المعجمة المفتوحة، ومثله عروة وابن أبي عبلة إلا أنهما أسكنا الضاد[٣].

وقرأ أبو المتوكل ومعاذ القارئ: بكسر الحاء وسكون الضاد المعجمة[٤]، وهو ما تُذْكَى به النار.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأُبيّ بن كعب وعائشة وعكرمة وأبو العالية وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم: "حَطَبُ" بالطاء المهملة[٥].

قال الزجاج[٦]: قرئ هذا الحرف على ثلاثة أوجه: "حَصَبُ وحَطَبُ

(١) انظر: اللسان (مادة: حصب).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢). وانظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٠-٣٩١).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢). وانظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٠).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٦).

وحَضَبُ". فمن قرأ: "حَصَبُ" فمعناه: كل ما يُرمى به في جهنم[١]. ومن قرأ: "حَطَبُ" فمعناه: ما تُوقَدُ به جهنم[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُها الناس والحجارة﴾ [التحريم:٦]. ومن قرأ: "حَضَبُ" بالضاد المعجمة، فمعناه: ما تُهَيَّجُ به النار وتُذْكَى به[٣].

﴿أنتم﴾ أيها العابدون والمعبودون ﴿لها واردون﴾.

﴿لو كان هؤلاء﴾ يعني: الأصنام ﴿آلهة﴾ على الحقيقة ﴿ما وَرَدُوها﴾ أي: ما دخلوا النار.

وقيل: المشار إليهم بقوله: ﴿ما وَرَدُوها﴾: عابدوها[٤].

وقيل: العابدون والمعبودون؛ لقوله: ﴿وكلٌ فيها خالدون﴾[٥].

قال صاحب الكشاف[٦]: إن قلت: إذا عنيت "بما تعبدون" الأصنام، [فما][٧] معنى: ﴿لهم فيها زفير﴾؟

قلت: إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد، جاز أن يقال: لهم زفير، وإن لم يكن الزفير إلا لهم دون الأصنام للتغليب وعدم اللبس.

فإن قلت: لم قُرنوا بآلهتهم في النار؟

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حصب).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حطب).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حضب).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩١).

(٦) الكشاف (٣/ ١٣٧).

(٧) زيادة من ب والكشاف، الموضع السابق.

قلتُ: لأنهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة، حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم، والنظر إلى وجه العدو بابٌ من أبواب العذاب، ولأنهم قَدَّرُوا أنهم ينتفعون بشفاعتهم، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قَدَّرُوا لم يكن شيء أَبْغَضَ إليهم منهم.

وقد سبق تفسير "الزفير" في هود[1].

﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ روى أبو أمامة عن النبي ﷺ قال: «يُوضَعُ في مَسَامِعِهِم مسامير من نار، ثم يُقْذَفُونَ في توابيتَ من نار مُقْفَلَةٍ عليهم»[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا بقي في النار من يُخلد فيها جُعلوا في توابيت من نار، ثم جُعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحد منهم في النار أحداً يعذب غيره[3].

وقال أبو سليمان الدمشقي: "وهم فيها لا يسمعون"؛ لِشِدَّةِ غليان جهنم[4].

وقال: السَّماعُ أُنْس والله لا يُحِبُّ أَنْ يُؤْنِسَهُم[5].

وتحتمل الآية عندي تأويلين آخرين:

أحدهما: أن يكون المعنى: وهم فيها لا يسمعون كلاماً يسرّهم ولا شيئاً

---

(١) آية رقم: ١٠٦.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩١).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٤ ح٩٠٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في صفة النار والطبراني والبيهقي في البعث.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٢).

(٥) مثل السابق.

ينفعهم.

الثاني: أن يكونوا سُلبوا حاسّة السمع؛ ليُمنعوا راحة التأسي بالمشارك لهم في العذاب مبالغة في عذابهم، ويكون هذا كقوله عز وجل: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ [الزخرف:٣٩]، فإنهم حُرموا هذا القدر من الراحة. ولا شُبهة بأن التأسي يُهوّن المصيبة ويخفّفها. قالت الخنساء:

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي[1]

قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قال ابن عباس: هي الجنة[2].

وقيل: السعادة[3]. وقد ذكرنا فيما مضى أنها تأنيث الأحسن.

﴿أولئك عنها﴾ أي: عن جهنم ﴿مُبْعَدُون﴾ قال ابن عباس وغيره: السبب في نزول هذه الآية: أنه لما نزلت: ﴿إنكم وما تعبدون... الآية﴾ قال ابن الزبعرى لرسول الله ﷺ: يا محمد! هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل ما عُبِدَ من دون الله؟ قال: لا بل لكل ما عُبِدَ من دون الله، فقال ابن الزبعرى: خُصِمتَ [ورب][4] الكعبة، ألست تزعم أن الملائكة عبادٌ صالحون؟ وأن عيسى عبدٌ صالح؟ وأن عُزيراً عبدٌ

---

(١) البيتان للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٨٥)، والقرطبي (١٦/ ٩١)، وزاد المسير (٧/ ٣١٧)، والدر المصون (٦/ ٩٩)، وروح المعاني (٢٥/ ٨٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٨) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨١) وعزاه لابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٤) في الأصل: رب. والتصويب من ب.

صالح؟ فضجّ أهل مكة، فنزلت: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى... الآية﴾[(١)].

وقال الحسين بن الفضل: إنما أراد بقوله: "وما تعبدون" الأوثان؛ لأنه لو أراد الملائكة والناس لقال: ومن تعبدون[(٢)]، يشير إلى أن "مَنْ" لمن يعقل.

قال الثعلبي[(٣)]: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركوا مكة، وهم كانوا يعبدون الأصنام.

ويروى: أن علياً عليه السلام قرأ هذه الآية فقال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد[(٤)] وعبد الرحمن[(٥)].

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ وهو الصوت الذي يُحَسُّ.

قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة[(٦)].

قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٣). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣١٤-٣١٥). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٩-٦٨٠) وعزاه لأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن مردويه والطبراني من وجه آخر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٣).

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ٣١٠-٣١١).

(٤) في هامش الأصل بخط مغاير زيادة قوله: وسعيد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨١) وعزاه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه.

وفي هامش الأصل بخط مغاير زيادة قوله: بن عوف وعبيدة بن الجراح.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الفزع الأكبر: الإطباق على النار[١].

وقال في رواية أخرى: هو ذَبْحُ الموت بين الجنة والنار[٢].

وقال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار[٣].

وقال ابن عباس في رواية أيضاً: هو النفخة الأخيرة[٤] حين يقوم الناس من قبورهم[٥]. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ قال مقاتل[٦]: تتلقاهم إذا خرجوا من قبورهم.

وقال ابن السائب: تتلقاهم على أبواب الجنة، قائلين لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[٧].

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿يوم﴾ العامل فيه: "لا يحزنهم" أو "الفزع" أو "تتلقاهم"، ﴿نطوي

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن أبي الدنيا في صفة النار.

(٢) انظر: الطبري (١٧/ ٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) وهو الذي رجحه ابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٤).

السماء﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: "تُطْوى" بالتاء المضمومة على ما لم يُسَمَّ فاعله، ﴿السماءُ﴾ بالرفع، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ للكتاب﴾[١].

وقرأ الحسن وأبو المتوكل وأبو الجوزاء ومحبوب عن أبي عمرو: "السِّجْل" بكسر السين وتسكين الجيم خفيفة[٢].

وقرأ أبو السَّمَّال كذلك إلا أنه فَتَحَ السين[٣].

وقرأ أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبدالله البجلي -وكان قرأ على أبي هريرة-: "السُّجُّل" بضم السين والجيم مشددة[٤].

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "للكُتُبِ" على الجمع[٥].

قال علي عليه السلام: السِّجِلّ: مَلَكٌ[٦].

---

(١) النشر (٢/ ٣٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٦/ ٣١٧).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٠-٤٧١)، والكشف (٢/ ١١٤)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣١).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٩) عن ابن عمر. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والسيوطي في الدر (٥/ ٦٨٣) وعزاه لعبد بن حميد عن علي.
والذي رجحه ابن جرير الطبري (١٧/ ١٠٠): أن السجل في هذا الموضع: الصحيفة؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة مَلَكٌ ذلك اسمه.
ووافقه القرطبي (١١/ ٣٤٧) وقال: وليس بالقوي؛ لأن كُتّاب رسول الله ﷺ معروفون ليس هذا منهم، ولا في أصحابه من اسمه السّجل.

قال ابن عباس في رواية عطاء: هو الذي يطوي كُتب بني آدم إذا رُفعت إليه[١].

وقال السدي: السِّجل: مَلَكٌ مُوَكَّل بالصُّحف، فإذا مات الإنسان دفع كتابه إليه فطواه[٢].

وقال ابن عباس في رواية عنه: هو كاتب كان لرسول الله ﷺ[٣].

فعلى هذه الأقوال يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل، تقديره: كما يطوي المَلَكُ أو الرَّجُل الكتاب.

وقال في رواية: السِّجل: الصَّحِيفة[٤]، وهذا قول مجاهد وقتادة، واختيار الفراء وابن قتيبة[٥].

المعنى: يطوى كما يطوى الطُّومَارُ للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو لما يكتب فيه،

---

(١) ذكره القرطبي (١١/ ٣٤٧) عن ابن عباس وابن عمر والسدي.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ١٣٢)، والنسائي (٦/ ٤٠٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٠)، والطبري (١٧/ ١٠٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٤) وعزاه لأبي داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في المعرفة وابن مردويه والبيهقي في سننه وصححه.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٠)، ومجاهد (ص:٤١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢١٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٨٨).

والكتاب أصله مصدر؛ كالبناء، ثم تَوَقَّعَ[١] على المكتوب. ومن جمع فمعناه: [للمكتوبات][٢]، أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة.

وقال أبو علي[٣]: من قرأ: "للكتاب" فإنه واحد يراد به الكثرة، ومن قرأ: "للكُتُب" جَمَعَ اللفظ، كما أن المراد به في المعنى الجمع.

قوله تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ وإن كان متقدماً، ومثله قوله: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾ [البقرة:١٥١]، وقوله تعالى: ﴿كما علمه الله فليكتب﴾ [البقرة:٢٨٢]، فهذه الكافات الثلاث من صلة "ما" بعدها، "وَأَوَّلَ خَلْقٍ" مفعول "نُعِيدُهُ"[٤].

والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأناه.

قال صاحب الكشاف[٥]: إن قلت: ما أول الخَلْقِ حتى يعيده كما بدأه؟

قلتُ: أوله إيجادُه عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم، يعيدُه ثانياً عن عدم.

فإن قلت: ما بال "خَلْقٍ" منكَّراً؟

قلتُ: هو كقولك: هو أول رجل جاءني، تريد أول الرجال، [ولكنك وحَّدته][٦] ونكَّرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى "أَوَّلَ خَلْقٍ" بمعنى: أول الخلائق؛ لأن الخَلْق مصدر لا يجمع.

(١) في الكشاف: يوقع.

(٢) في الأصل: المكتوبات، والتصويب من الكشاف (٣/ ١٣٨).

(٣) الحجة (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ١١٦).

(٥) الكشاف (٣/ ١٣٨).

(٦) في الأصل: ولكنه وحد به. وفي ب: ولكنه وحدته. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

فإن قيل: فَبِمَ وقعت المشابهة؟

قلت: عنه أجوبة:

أحدها: في صفة الخَلْق، وذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر الناس يوم القيامة عُراةً حُفاةً غُرلاً كما خُلِقُوا، ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾»[١]، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد[٢].

الثاني: أن المشابهة وقعت في سبب وجود الخَلْق، فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: تُمطر السماء أربعين يوماً كَمَنِيِّ الرجال، فَيَنْبُتُونَ بالمطر في قبورهم كما يَنْبُتُونَ في بطون أمهاتهم[٣]. وقد أشرنا إلى هذا المعنى عند قوله: ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ [الأعراف:٥٧].

الثالث: أنه شَبَّه الإعادة بالابتداء[٤] في معنى دخولهما تحت القدرة على السواء، وهو قول الزجاج[٥].

﴿وعداً علينا﴾ قال الزجاج[٦]: هو منصوب على المصدر؛ لأن قوله: "نعيده" بمعنى: قد وعدنا هذا وعداً.

﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وعدناكم من ذلك وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢٢ ح٣١٧١)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ ح٢٨٦٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٠)، ومجاهد (ص:٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٨٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٦).

(٤) في ب: بالإبداء.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٦).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٦).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكْر﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: الزَّبُور: جميع الكتب المنزلة من السماء، والذِّكْر: أمُّ الكتاب الذي عند الله(١)، يعني: اللوح المحفوظ.

وقال سعيد بن جبير في رواية عنه: الزبور: القرآن، والذِّكْر: التوراة والإنجيل(٢).

وقال الشعبي: الزبور: زبور داود، والذِّكْر: [التوراة](٣)(٤).

﴿أن الأرض﴾ قال ابن عباس والجمهور: أرض الجنة(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن ابن زيد، وعزاه لابن جرير.
وهذا القول هو الذي رجحه الطبري.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٧).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧١)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٥٢)، والحاكم (٢/ ٦٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٥) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال في رواية أخرى: أرض الدنيا يورثها أمة محمد ﷺ بالفتوح[١].

وقال ابن السائب: الأرض المقدسة[٢].

﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ يعني: بنو[٣] إسرائيل.

ونظير هذا على القول الأول قوله تعالى: ﴿يرثون الفردوس﴾ [المؤمنون:١١]، وقوله: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم:٦٣].

وعلى القول الثاني: قوله تعالى: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها﴾ [الأحزاب:٢٧].

وعلى القول الثالث: قوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾ [الأعراف:١٣٧].

قوله تعالى: ﴿إن في هذا﴾ قال أكثر المفسرين: يعني: القرآن[٤].

وقيل: إن في هذا المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ.

﴿لبلاغاً﴾ لكفاية، يقال: في هذا الشيء بَلاَغٌ وَبُلْغَةٌ وَتَبْلِيغٌ، أي: كِفَاية.

﴿لقوم عابدين﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يُصلُّون الصلوات

---

(١) الطبري (١٧/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧١)، والماوردي (٣/ ٤٧٥)، وزاد المسير (٥/ ٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٣/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٧).

(٣) في ب: بني.

(٤) ذكره الطبري (١٧/ ١٠٥)، والماوردي (٣/ ٤٧٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٨).

الخمس، ويصُومون شهر رمضان[١].

والمعنى: أن من اتّبع القرآن من أمة محمد ﷺ كان بلاغه إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ قال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة[٢].

وقال ابن عباس والأكثرون: هو رحمة للبَرِّ والفاجر[٣]، ولهذا قال ﷺ حين قيل له: ادعُ على المشركين: « إني لم أُبْعَثُ لَعَّاناً، وإنما بُعِثْتُ رَحْمَةً »[٤]. هذا حديث صحيح، انفرد به مسلم من حديث أبي هريرة.

قال بعضهم: أرسل الله تعالى محمداً ﷺ رحمة للعالمين؛ لأنه جاء بما يُسعدهم إن تبعوه[٥]، ومن خالف [ولم][٦] يتبع فإنما أُتِيَ من عند نفسه، حيث ضَيَّعَ نصيبه منها، ومثاله: أن يُفجّر الله تعالى عيناً غَدِيقَةً[٧]، فيسقي ناس مواشيهم[٨] بمائها فيُفْلِحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيَضِيعُوا، فالعين المفجّرة في نفسها نعمة ورحمة للفريقين.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٨).

(٣) أخرج نحوه الطبري (١٧/ ١٠٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٦ ح٢٥٩٩).

(٥) في ب: اتبعوه.

(٦) في الأصل: ولمن. والتصويب من ب.

(٧) عين غديقة: كثيرة الماء (اللسان، مادة: غدق).

(٨) في ب: ومواشيهم.

وقيل: كونه رحمة للفُجَّار من حيث إن عقوبتهم أُخِّرَتْ بسببه.

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا
تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ قال ابن عباس: مخلصون له العبادة[1]. وهذا استفهام في معنى الأمر؛ كقوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩١]، أي: أسلموا وانتهوا.

﴿فإن تولوا﴾ عن الإسلام ﴿فقل آذنتكم على سواء﴾ أي: أعلمتكم بالحرب إعلاماً نستوي فيه نحن وأنتم. وهذا من الكلام البديع المختصر، ومثله: ﴿فَانْبِذْ إليهم على سواء﴾ [الأنفال:٥٨].

فعلى هذا الجار والمجرور في موضع الحال من الفريقين الفاعلين والمفعولين جميعاً في النظيرين.

وقال الزجاج[2]: المعنى: آذنتكم بما يوحى إليّ لتستووا في الإيمان به.

﴿وإن أدري أقريب﴾ سَكَّنَ الياء جمهور القُرَّاء. وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤٠٨).

رحمه الله لابن عامر من رواية الوليد عنه: "أَدْرِيَ" بفتح الياء[(١)]، ولحنه كثير من العلماء؛ لأن "إن" ليست من الحروف النواصب.

وقال بعضهم معتذراً له: هو من باب إلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها، وأخذ يَتَبَجَّحُ بهذا القول، وهو غَلَطٌ وَهَوَسٌ.

والمعنى: وما أدري أقريب ﴿أم بعيد ما توعدون﴾ من العذاب وأجل القيامة.

﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ وهو قولهم تكذيباً واستهزاءً: ﴿متى هذا الوعد﴾ [يس:٤٨]، وغير ذلك مما كانوا يُجاهرون به الرسول ﷺ والمؤمنين من التكذيب والطعن في الدين.

﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الإِحَنِ[(٢)] والأحقاد.

﴿وإن أدري لعله فتنة لكم﴾ أي: وما أدري لعل تأخير هذا الوعد[(٣)] ابتلاء [واختبار][(٤)] لكم ليرى كيف صنيعكم.

﴿ومتاع﴾ تمتيع لكم ﴿إلى حين﴾ أي: [إلى][(٥)] زمان تقتضي الحكمة الإلهية التأخير إليه.

قال المفسرون: إلى حين انقضاء آجالكم[(٦)].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣١٨).

(٢) الإِحَن: جمع، مفرده: إِحْنَة. والإِحْنَة: الحِقْدُ في الصدر (اللسان، مادة: أحن).

(٣) في ب: الموعد.

(٤) في الأصل: واختباراً. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٩).

﴿قُلْ رَبِّ احكم بالحق﴾ قرأ عاصم في رواية حفص: "قَالَ رَبِّ"[(١)]، على الخبر عن الرسول ﷺ.

وقرأ أبو جعفر: "ربُّ احْكُم" بضم الباء[(٢)]، على معنى: يا رب، فحذف حرف النداء، أو أنه ضَمَّ الباء تبعاً لضَمَّة الكاف، طلباً للمشاكلة والمطابقة.

والمعنى: احْكُم بعذاب الكفار الذي هو أمر ثابت وحق كائن لا محالة فيه نازل بهم.

قال الكلبي: فَحَكَمَ عليهم بالقتل يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين ويوم الخندق. والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع[(٣)].

وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: "قل ربيَ" بفتح الياء، "أَحْكَمُ" بقطع الهمزة وفتحها وفتح الكاف ورفع الميم، على أَفْعَل التفضيل[(٤)].

قال بعضهم: ولعله اختار هذا؛ نظراً إلى أن الله تعالى لا يحكم إلا بالحق. وليس هذا بطائل؛ لأن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ بهذه المقالة، وقد مضت بها سُنَّة الأنبياء، ومنه قول شعيب: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف:٨٩]، والمعنى: احكم بحكمك الذي هو حق، فهو خارج مخرج الوصف.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧١)، والكشف (٢/ ١١٥)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣١-٤٣٢).

(٢) النشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٥-٢٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٩٩-٤٠٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٩٩).

﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ وقرأتُ للمُفَضَّل عن عاصم: "يَصِفُون" بالياء[1].

والمعنى: على ما يصفون من الكذب والباطل. والله أعلم.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٣)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٢)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٢).

فهرس المحتويات

رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف
الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي
(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق
أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الخامس

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع



مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص . ب ٢٠٨٣

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس وسبعون آية في العدد البصري، وثمان وسبعون في العدد الكوفي.

قال ابن عباس: هي مكية غير آيات: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ والتي تليها، و﴿هذان خصمان﴾ واللتان بعدها[1].

قال الثعلبي[2]: مِنْ ﴿هذان خصمان﴾ إلى ﴿صراط الحميد﴾ مدني.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله: ﴿وبشر المحسنين﴾، وسائرها مكي[3].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾

أمر الله سبحانه وتعالى الناس بالتقوى، ثم عقَّبه بذكر الساعة [وأهوالها][4] مبالغة في إثارة دواعيهم إلى التمسك بأسباب التقوى، فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾.

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٤٢-٤٣).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٢).

(٤) في الأصل: وأهولها. والتصويب من ب.

اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة؛ فقال الحسن: يوم القيامة[١].

وقد روي عن[٢] عمران بن حصين: «أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وقال: تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرب عز وجل آدم [عليه السلام][٣]: ابعث بعثاً إلى النار ... فذكر الحديث»[٤]، وهو:

ما أخبرنا به الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين القزويني بقراءتي عليه قال: أخبرنا الإمام أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي قراءةً عليه، قال: حدثنا الإمام أبو محمد [الحسين][٥] بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي[٦]، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر التاجر، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الكوفي العبسي، أخبرنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم! قم فابعث بعث النار، قال: فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، وما بعث النار يا رب[٧]؟ قال: فيقول: من كل ألف، تسعمائة

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٧).

(٢) ساقط من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٣ ح٣١٦٩).

(٥) في الأصل: الحسن. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٦) محمد بن محمد بن محمش بن علي بن داود، أبو طاهر الزيادي، ولد سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وتوفي بعد سنة أربعمائة، وكان أبوه من أعيان العُبَّاد الذين يتبرّك بهم وبدعائهم (تهذيب الأسماء ٢/ ٥٢٥).

(٧) في ب: يا رب وما بعث النار.

وتسعة وتسعين، قال: فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قال: فيقولون: وأيّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد، قال: فقال الناس: الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، قال: فكبر الناس، فقال رسول الله ﷺ: ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، والشعرة السوداء في الثور الأبيض»(١). هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري عن إسحاق بن [نصر](٢)، عن أبي أسامة، عن الأعمش. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع وعن أبي كريب، عن [أبي](٣) معاوية، كلاهما عن الأعمش.

وقال علقمة والشعبي: هذه الزلزلة تكون قبل القيامة(٤)، وهي من أشراط الساعة(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٢١ ح٣١٧٠)، ومسلم (١/ ٢٠٢ ح٢٢٢).

(٢) في الأصل: منصور، والتصويب من البخاري (٣/ ١٢٢١). وانظر ترجمته في: التقريب (ص:٩٩)، وتهذيب الكمال (٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) قال الطبري (١٧/ ١١١): وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي، قول لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله، والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٠٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علقمة، ومن طريق آخر عن

وقد روى أبو العالية عن أبيّ بن كعب قال: ست آيات قبل القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير [والوحش][١]، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فماتوا[٢].

قوله تعالى: ﴿يوم ترونها﴾ منصوب بـ ﴿تذهل﴾، والضمير للزلزلة[٣]، يقال: ذَهَلَ عن كذا يَذْهَلُ ذُهُولاً؛ إذا تَرَكَه أو شَغَلَهُ عنه شَاغِل[٤]، ومنه قول عبدالله بن رواحة:

ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عنْ مَقيلِه ويُذْهِلُ الخليلَ عنْ خَليله[٥]

وقرأ أبو عمران الجوني: "تُذهِلُ" بضم التاء وكسر الهاء. ﴿كُلَّ﴾ بالنصب[٦].

الشعبي وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(١) في الأصل: والجن. والمثبت من الطبري (٣٠/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٣-٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢-٣٤٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في الأهوال وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٣٩)، والدر المصون (٥/ ١٢١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: ذهل).

(٥) انظر البيت في: القرطبي (١٢/ ٤، ١٣، ١٥١)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٥)، والاستيعاب (٣/ ١١٣٩)، والإصابة (٤/ ٨٥)، والماوردي (٤/ ٦).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٢٥)، والدر المصون (٥/ ١٢١).

قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فِطَام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهو قوله: ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾[1].

[قال صاحب الكشاف[2]][3]: فإن قلت: لم قيل: مُرضعة دون مُرضع؟

قلتُ: المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمَةٌ ثدْيَها الصبي، والمُرْضِعُ التي شأنها أن تُرْضِعَ وإن لم تُباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مُرْضِعةٌ، ليدل على أنّ ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من[4] فيه لما يَلْحَقُها من الدهشة.

قوله تعالى: ﴿عما أرضعت﴾ أي: عن إرضاعها، أو عن الذي أرْضَعَتْه، وهو الطفل.

قال المفسرون: وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن يوم البعث لا حُبْلَى فيه ولا مُرْضِعَة[5].

قلتُ: ومعنى الكلام على القول الآخر: يوم ترون أماراتها وتشاهدون علامتها، تَذْهَلُ المراضع وتضع الحوامل، أو يكون ذلك خارجاً مخرج التمثيل، على معنى: لو وُجِدَ في ذلك اليوم مُرْضِعةٌ لذَهَلَتْ، أو حاملٌ لوَضَعَتْ.

قوله تعالى: ﴿وترى الناس سُكارى﴾ أي: تراهم لِمَا عَرَاهم من أهوال القيامة

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) الكشاف (٣/ ١٤٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في ب: عن.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٤).

وشدائدها، كأنهم سُكارى لشدة اضطرابهم وقلقهم، ﴿وما هم بسكارى﴾ على التحقيق.

وقال ابن جريج: وترى الناس سُكارى من الخوف، وما هم بسُكارى من الشراب(١).

وقرأ عكرمة: "وتُرى الناس" بضم التاء(٢)، على معنى: تظنّهم.

قال الفراء(٣): لهذه القراءة وجه جيد.

وقرأ حمزة والكسائي: "سَكْرى وما هم بسَكْرى"(٤).

قال أبو علي(٥): يجوز أن تجمع سكران على "سَكْرى".

قال(٦): حكى سيبويه(٧): رجلٌ سَكِرٌ، وقد جمعوا هذا البناء على فَعْلَى، فقالوا: هَرِمٌ وهَرْمَى، وزَمِنٌ وزَمْنَى، وضَمِنٌ وضَمْنَى؛ لأنه من باب الأدواء والأمراض التي يُصاب بها، ففعْلى من هذا الجمع، وإن كان كعطْشى فليس يراد بها المفرد، إنما يراد بها تأنيث الجمع.

ومن قرأ: "سكَارى" فحجته: أنه لفظ يختص به الجمع، وليس بمشترك

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٢٥)، والدر المصون (٥/ ١٢٢).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢١٥).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٢)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٤).

(٥) الحجة (٣/ ١٦٤).

(٦) أي: أبو علي الفارسي، الموضع السابق.

(٧) انظر: الكتاب (٣/ ٦٤٩).

للجمع والواحد، كقولهم: سَكْرى، ونظيره قولهم: أُسَارَى وكُسَالى، فجاء الأول منه مضموماً، وإن كان الأكثر من هذا الجمع مفتوح الأول، نحو: حَذَارى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ قال ابن عباس وغيره: نزلت في النضر بن الحارث[1]، وكان جَدِلاً يكذب بالقرآن[2]، ويقول: الملائكة بنات الله[3]، ويزعم أن الله لا يقدر على إحياء الموتى[4].

وروى عطاء عن ابن عباس أيضاً: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة[5].

وفي قوله: ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ إشارة إلى أن جداله لا يستند إلى برهان عقلي، ولا بيان نقلي، وإنما هو جِدَالٌ شيطاني، فهو لعناده يَتَّبع ما تُسَوِّلُ له شياطينه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١١٥) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٤) عن أبي مالك. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي مالك، ومن طريق آخر عن ابن جريج وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) هو قول ابن عباس.

(٣) وهذا هو قول مقاتل.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٥) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٨).

وقد سبق ذكر المَرِيد في سورة النساء[١].

قوله تعالى: ﴿كُتب عليه﴾ أي: قُضِيَ على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ أي: جعله ولياً له، ﴿فأنه يضله﴾ عن طريق الجنة ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾، وهذه الآية وإن نزلت على سبب خاص فإنها عامة في كل مجادل في الله؛ في صفاته، وما يجوز عليه وما لا يجوز، بغير كتاب ناطق ولا سُنَّةٍ واضحة، بل يخبط بآرائه الغائلة [المختلّة][٢] وأهوائه المُرْدِيَة المُضِلَّة.

فإن قيل: الضمير في "أنه" "فأنه" إلى أي شيء يرجع؟

قلتُ: الظاهر اتحاد الضمائر، وأنّ الضمير فيهما يرجع إلى الشيطان. وقد جَوَّزَ بعضهم أن يكون ضمير الشأن، على معنى: كتب على الشيطان أن الأمر والشأن من تولى الشيطان، فالشأن أن الشيطان يُضِلُّه.

فإن قيل: ما وجه الفتح في "أنه" "فأنه"، ووجه قراءة أبي مجلز وأبي العالية بالكسر فيهما؟

قلتُ: من فتَحَهُما جعل الأولى فاعل "كُتِبَ"، والثاني عطف عليه[٣]. ومن كسرهما فعلى حكاية المكتوب، كما تقول: كتبتُ أن الله هو الغني الحميد، أو على تقدير: قيل له، أو على أن "كُتِبَ" فيه معنى القول[٤].

---

(١) عند آية رقم: ١١٧.

(٢) في الأصل: المختلفة. والتصويب من ب.

(٣) قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٢٦): وهذا لا يجوز؛ لأنك إذا جعلت "فأنه" عطفاً على "أنه" بقيت "أنه" بلا استيفاء خبر؛ لأن "من تولاه" مَنْ فيه مبتدأة، فإنه قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبر لأنه، وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها، إذ جعلت "فأنه" عطفاً على "أنه".

(٤) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٤٥).

فإن قيل: "من" هاهنا شرطية، أو [بمعنى][(١)] الذي؟

قلتُ: جائز أن تكون بمعنى الذي، وقوله: "تولاه" في صلة "مَنْ". وقوله: ﴿فأنه يضله﴾ مبتدأ، تقديره: الشأن أنه يضله، والمبتدأ مع أنَّ واسمه وخبره خبر "مَنْ"، ودخلت الفاء؛ لأن الموصول يتضمن معنى الشرط والجزاء. وجائز أن تكون شرطية، و"تولاه" في موضع الجزم بـ"مَنْ"، والفاء مع "أنَّ" وما بعده في موضع الجواب والشرط، والجواب خبر "أنّ" الأولى[(٢)].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ أي: إن كنتم في شَكٍّ من صحته وكونه، فانظروا ببصائركم في دلائل قدرتي ومبتدأ خلقكم لتستدلوا بالابتداء السابق على الإيجاد اللاحق.

وقوله: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ معناه: خلقنا أصلكم آدم من تراب، ﴿ثم

---

(١) في الأصل: معنى. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٣٩)، والدر المصون (٥/ ١٢٣-١٢٤).

من نطفة ثم من علقة﴾ وهي دم عبيط جامد، تنقلبُ عينُ النطفة إليه إذا استقرت في الرَّحم أربعين يوماً.

وفي طهارتها عن الإمام أحمد روايتان: مثارُهُما التردد بين كونها دماً وبَدْءُ خلق آدمي.

﴿ثم من مضغة﴾ وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، ﴿مخلّقة وغير مخلّقة﴾.

قال ابن مسعود: المخلّقة: ما خلق سوياً، وغير المخلّقة: ما أَلقَتْهُ الأرحام من النُّطَفِ قبل أن يكون خلقاً[١].

وقال الحسن: مُصَوَّرة وغير مُصَوَّرة[٢].

وقال ابن عباس: المُخَلَّقَة: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه، وهو الذي يولد حياً لِتَمام، وغير المخلَّقة: ما سقط غير حَيٍّ لم يكمل خلقُه بنفخ الروح فيه[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: المخلَّقَة: المُسَوَّاة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خَلَّقَ السواك والعود؛ إذا سوّاه [ومَلَّسَه][٥]، من قولهم: صخرة خَلْقَاء؛ إذا كانت مَلْسَاء[٦].

---

(١) ذكره الطبري (١٧/ ١١٦)، والماوردي (٤/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٦).

(٢) ذكره الطبري (١٧/ ١١٦)، والماوردي (٤/ ٧) من قول مجاهد، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ مقارب (٨/ ٢٤٧٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٠٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠) وعزاه لابن أبي حاتم وصححه.

(٤) الكشاف (٣/ ١٤٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) انظر: اللسان (مادة: خلق).

قوله تعالى: ﴿لنبين لكم﴾ أي: لنُظهر لكم ونُوضّح بهذا التدريج والتنقل من حال إلى حال كمال قدرتنا وبليغ حِكْمتنا، وأن من قَدَرَ على خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة، مع ما بين التراب والماء والدم من المُبَايَنَة، ثم جعل العَلَقَة مضغة والمضغة عظاماً، قادرٌ على إنشائكم بعد فنائكم.

قوله تعالى: ﴿ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء﴾ كلام مستأنف، أي: نُثْبِتُ فيها ما نشاء فلا يكون سقطاً، وما لم نشأ إقراره تَمُجُّهُ الأرحام وتُسْقِطُهُ.

والأجل المسمى: أجل الولادة والوضع.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي وأبي عمرو عثمان بن مقبل الياسري: "ونقرَّ" بالنصب[(١)]، عطفاً على "لنُبيِّنَ". وضعّفها الزجاج[(٢)].

﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ قال الزجاج[(٣)]: "طفلاً" في معنى أطفال، ودلّ عليه ذكر الجماعة.

وقال غيره: المعنى: ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نُعمِّركم لتبلغوا كمال قوتكم، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي: من قبل بلوغ الأشُدّ، ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أخسّه وأدْوَنه، وهو سِنّ الخَرَف والهَرَم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٢٥)، والبحر (٦/ ٣٢٧).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٣/ ٤١٢).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤١٢).

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ مُفسّرٌ في النحل[(١)].

ثم أوضح لهم طريق الاستدلال بذكر المثال ليعتبروا الغائب بالشاهد فقال: ﴿وترى الأرض هامدة﴾ أي: ميتة يابسة كالنار إذا طفئت، ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات ﴿ورَبَتْ﴾ انتفخت.

قال الزجاج[(٢)]: هو من رَبَا يَرْبُو؛ إذا زاد على أي الجهات زاد.

وقال المبرد: أراد: اهتزّ نباتُها ورَبَا، فحذف المضاف[(٣)].

وقرأتُ لأبي جعفر: "وربأت" بهمزة مفتوحة بعد الباء[(٤)].

قال الفراء[(٥)]: إن كان ذهب إلى الرَّبيئة الذي يحرس القوم [فهذا مذهب][(٦)]، أي: أنه يرتفع، وإلا فهو غلط.

وقال الزجاج[(٧)]: معنى [رَبَأَت][(٨)]: ارتفعت.

﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ قال ابن عباس: من كل صنف حَسَن[(٩)].

---

(١) عند الآية رقم: ٧٠.

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٦٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٠٨).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣)، والنشر (٢/ ٣٢٥).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢١٦).

(٦) زيادة من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٧) معاني الزجاج (٣/ ٤١٣).

(٨) في الأصل: رأيات. والتصويب من ب.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ١١) وعزاه لابن أبي حاتم.

والبهجة: حُسْنُ الشيء [ونضارَتُهُ](١).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض وما في ضمن ذلك من أنواع الحِكَم حاصل بهذا السبب، وهو أن الله تعالى ﴿هو الحق﴾ أي: الثابت [الوُجُود](٢) القادر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود، ﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿وأن الساعة﴾ أي: وليعلموا أن الساعة ﴿آتية لا ريب فيها﴾ في نفس الأمر، [أو هو](٣) نفي في معنى النهي.

وفي قوله: ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ دلالة على إنشاء الأجساد البالية يوم النشور.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب

(١) في الأصل: ونظارته. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: الموجود. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: وهو. والتصويب من ب.

منير﴾ سبق من قبل ذكر سبب نزولها.

قوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾ نصبٌ على الحال من الضمير في "يجادل"[(١)]، والتقدير: ثانياً عِطْفَهُ -بالتنوين-، لكنه أضاف اسم الفاعل وإن أراد به الحال؛ لأنه في تقدير الانفصال، ومثله: ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ [المائدة:٩٥]، و ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥]، و﴿مستقبل أوديتهم﴾ [الأحقاف:٢٤].

والعِطْف: الجانب، وعِطْفا الرَّجُل جانباه عن يمين وشمال[(٢)]، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان، أي: يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء.

قال الزجاج[(٣)]: وجاء في التفسير: لاَوِياً عُنُقَه.

وقال غيره: ثَنْيُ العِطْفِ مجازٌ عن الكِبْر والخُيَلاء، والتقدير: ومن الناس من يجادل في الله مُتكبراً آنفاً من اتّباع الحق.

﴿ليُضِلَّ﴾ وقرئ: "ليَضِلَّ" وقد سبق ذكره[(٤)]، واللام في "ليضل" -بفتح الياء وضمّها-: لام الصيرورة والعاقبة.

﴿له في الدنيا خزي﴾ ذُلٌّ وهوان، فإنه أُسر يوم بدر[(٥)] [وقُتِلَ][(٦)] صَبْراً

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٠)، والدر المصون (٥/ ١٢٨).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (عطف).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤١٤).

(٤) في سورة يونس عند الآية رقم: ٨٨.

(٥) العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولقد روى ابن جرير الطبري هذا الخبر عن ابن جريج بدون تحديد لشخص معين (١٧/ ١٢٢).

(٦) في الأصل: وقيل. والتصويب من ب.

بالصَّفْراء. وقد تقدم ذكره في الكتاب[(١)].

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل[(٢)]، ولقد شاهد اللعين يوم بدر من أنواع الهوان ما أسخن عينه، ولقد وطئ ابن مسعود بأَخْمَصِهِ صفحة عنُقِه يوم بدر وهو في آخر رَمَقٍ، فقال: لقد ارتقيتَ مُرتقى صَعْباً يا رُوَيْعِ الغَنَم[(٣)].

﴿ونذيقه يوم القيامة﴾ مُنْضَمّاً إلى الخزي الذي أصابه في الدنيا، ﴿عذاب الحريق﴾ وهو عذاب النار.

﴿ذلك﴾ الخزي والعذاب ﴿بما قدمت يداك﴾ من الكبر والكفر، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ سبق تفسيره.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال مجاهد وقتادة: على شَكٍّ[(٤)].

---

(١) في سورة الأنفال عند الآية رقم: ٣١.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦١).

(٣) ذكره ابن حبان في الثقات (١/ ١٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٣)، ومجاهد (ص:٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٤) وعزاه =

وأصله من حَرْفِ الشيء وهو طَرَفُه[١]، كأنه لشدة قلقه واضطرابه وعدم استقراره وتمكنه في الدين على حَرْفٍ منه.

﴿فإن أصابه خير﴾ رخاء وعافية ﴿اطمأن به﴾ وسكن وثبت على الدين بذلك الخير، ﴿وإن أصابته فتنة﴾ ابتلاء واختبار بقلَّةِ مالٍ وجدبٍ ومرضٍ، ﴿انقلب على وجهه﴾ ارتدّ إلى وجهه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خسر الدنيا﴾ حيث لم يظفر بسؤله، ﴿والآخرة﴾ بكفره بالله وبرسوله.

وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: "خاسر الدنيا" بألف والنصب على الحال، "والآخرة" بالجر[٢].

﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ الظاهر لمن له أدنى مُسْكَةٍ من دراية وهداية.

قال المفسرون: نزلت في أعاريب كانوا يقدمون المدينة على النبي ﷺ، فكان أحدهم إذا صَحَّ جسمه، ونُتِجَتْ فرسه، وكَثُرَتْ ماشيته، وولدت امرأته غلاماً سوياً، اطمأنّ وقال: ما أصبت منذ دخلت في دين هذا إلا خيراً، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبتُ إلا شراً، وانْقَلَبَ[٣].

قوله تعالى: ﴿يدعو﴾ أي: يعبد ﴿من دون الله﴾ هذا المرتد المنقلب على

= لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) انظر: اللسان، مادة: (حرف).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٣-٤١٤)، والنشر (٢/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦٨)، والطبري (١٧/ ١٢٢-١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٣-١٤) وعزاه للبخاري وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لعبد بن حميد.

وجهه[١] ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده، ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده، وهي الأصنام، ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن سنن الرشاد.

﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ قال السدي: المعنى: يدعو لمن ضره في الآخرة بعبادته أقرب من نفعه[٢].

قال المفسرون: هو الصنم لا [نفع][٣] عنده أصلاً، وإنما جاء هذا على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد[٤]. ومنه قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿ءإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾ [ق:٣]، فلهذا قال: ﴿أقرب من نفعه﴾، وهذا اختيار الزجاج[٥].

وقال صاحب الكشاف[٦]: إن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين، وهذا تناقض؟

قلتُ: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفَّه الكافر بأنه يَعْبُدُ جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به. ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصُرَاخٍ، حين يرى استضرارَهُ بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادّعاها: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ أو كرَّرَ يَدْعُو، كأنه قال:

---

(١) في ب: أخّر قوله: ﴿من دون الله﴾ إلى هنا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: ينفع. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٢).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤١٥).

(٦) الكشاف (٣/ ١٤٨).

يَدْعُو يَدْعُو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً: لبئس المولى.

[فإن][(١)] قيل: لا شبهة أنه لا يجوز: ضربت لزيداً، ولا دعوت لزيداً، فإنها لام الابتداء، ولا تسوغ هاهنا، فما وجه قوله: "يدعو لمن ضره"؟

قلتُ: هذه الآية كَثُرَ فيها نزاع الكوفيين والبصريين، وأنا أشيرُ لك إلى مقاصدهم بطريق الاختصار فأقول: زعم الفراء[(٢)] أن التقدير: مَنْ لَضَرُّهُ أقرب من نفعه، اللام داخلة على قوله: "ضَرُّهُ"؛ لأن ضَرُّهُ مبتدأ، قال: ولكن اللام قُدِّمَتْ كما يقدم أشياء في كلامهم، وأوردوا على الفراء إشكالاً لازماً، فقالوا: يلزم على هذا أن تكون اللام في صلة "مَنْ"، وقد عُلِمَ أن الصلة أو شيئاً منها لا يتقدم على الموصول؛ لأن الصلة مع الموصول كالكلمة الواحدة، ولا يجوز أن يتقدم بعض الكلمة على بعض [كالدال][(٣)] مثلاً على الزاي من زيد[(٤)].

وقال البصريون: الوجه في الآية: أن يكون في "يدعو" ضمير عائد "إلى ذلك"، تقديره: ذلك هو الضلال البعيد يدعو، والجملة في موضع النصب على الحال، أي: ذلك هو الضلال البعيد [مَدْعُوّاً][(٥)]، ويكون قوله: "لمن ضره" مبتدأ، والخبر قوله: "لبئس المولى ولبئس العشير"، فـ"ضره" مبتدأ و"أقرب" خبره، والجملة صلة "مَنْ"،

---

(١) في الأصل: فا. وهو تصحيف. والتصويب من ب.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢١٧).

(٣) في الأصل: كالذال. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ١٣٠).

(٥) في الأصل: يدعو. والتصويب من ب.

وتمام الصلة عند قوله: "نفعه"(١).

وفيه وجه آخر عندهم: وهو أن يكون قوله: "ذلك" بمعنى: الذي، والجملة التي هي قوله: "الضلال البعيد" صلة "ذلك" الذي بمعنى الذي، وذلك منصوب الموضع بـ"يدعو"، تقديره: يدعو الذي هو الضلال البعيد، ويكون قوله: "لمن ضره" مبتدأ(٢). وهذا الوجه ذكره الزجاج(٣)، وأظنه لم يُسْبَق إليه.

وقال الزجاج(٤): فيه وجه ثالث: يكون "يدعو" في معنى يقول، ويكون "مَنْ" في موضع رفع، وخبره محذوف(٥)، ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه: هو مولاي، ومثل "يدعو" في معنى يقول قول عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم(٦)

وقال قوم: اللام صلة.

وفي قراءة ابن مسعود: "يَدْعُو مَنْ ضَرُّهُ"(٧).

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٠)، والدر المصون (٥/ ١٣٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤١٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤١٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٤٠)، والدر المصون (٥/ ١٣٠).

(٦) من معلقته. انظر: شرح الزوزني (ص:٥٤). وانظر البيت في: اللسان، مادة: (شطن، دعا)، والقرطبي (١٢/ ١٩)، وروح المعاني (١٧/ ١٢٥).
ويدعون: ينادون باسم عنترة، والأَشْطَان: الحبال، ولبان الأدهم: صدره. يريد أن الأبطال يهتفون باسمه والرماح الطويلة تدق في صدر جواده.

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٦/ ٣٣٢)، والدر المصون (٥/ ١٣٠).

والمولى: الناصرُ أو الوليّ، والعشير: الصاحبُ والخليل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ المشهور في التفسير: أن الضمير في "يَنْصُرُهُ" لمحمد ﷺ[١].

قال ابن قتيبة[٢]: هذه كناية عن غير مذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حَنَقِهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله تعالى رسوله ﷺ من النصر، وقوم من المشركين يريدون اتباعه ويخافون أن لا يتم أمره، فنزلت هذه الآية للفريقين.

قال مقاتل[٣]: نزلت في نفر من أسد وغطفان قالوا: إنا نخاف أن [لا][٤] يُنصر محمد ﷺ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود، [فلا يجيرونا ولا يأوونا][٥].

فعلى هذا؛ المراد بالنصر: الغلبة والقهر للأعداء.

(١) ذكره الطبري (١٧/ ١٢٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٥٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٩).

(٤) في الأصل و ب: لن. والتصويب من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٥) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

وقال مجاهد: الضمير في "ينصره" يرجع على "مَنْ"[(١)].

والنصر بمعنى: الرزق، ومنه قول الأعشى:

أبوكَ الذي أجْدَى عَلَيَّ بنصره ... فأنْصَبَ عَنِّي بعْدَه كُلَّ قائل[(٢)]

أي: من كان يظن أن لن يرزقه.

قال أبو عبيدة[(٣)]: وقف علينا سائل من بني بكر فقال: من يَنْصُرُني نصره الله؟ أي: من يعطيني أعطاه الله.

ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها وأحياها.

قال الراعي:

إذا دَخَلَ الشهرُ الحرامُ فوَدِّعِي ... بلاد تميمٍ وانصُري أرضَ عامر[(٤)]

قوله تعالى: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ أي: فليشْدُد حبلاً في سقف بيته، ﴿ثم ليقطع﴾ قال الزجاج[(٥)]: أي: ثم ليمُدَّ الحبل حتى ينقطع فيموت [مُختَنِقاً][(٦)].

وحمل الزمخشري القَطْعَ على الخنْق فقال[(٧)]: سُمِّي [الاختناق][(٨)] قطعاً؛ لأن المخْتنق يقطعُ نَفَسَه بحبس مجاريه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٢).

(٢) انظر البيت في: اللسان، مادة: (نصت)، والماوردي (٤/ ١٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٤٦).

(٤) البيت للراعي يخاطب خيلاً، وهو في اللسان مادة: (نصر).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤١٧).

(٦) في الأصل: منخنقاً. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) الكشاف (٣/ ١٤٨).

(٨) في الأصل: الانخناق. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

ومعنى الآية: لِيُصَوِّرُ الظان المستبطئ النصر هذا الأمر في نفسه، بدليل قوله: "فلينظر"، ولا نظر بعد الاختناق.

وقال ابن زيد: المعنى: فليمدد بسبب إلى السماء المعروفة، ثم ليقطع عن محمد ﷺ الوحي إن قدر[1].

والمعنى: ليجهد جهده.

﴿هل يذهبن كيده﴾ أي: حيلته، ﴿ما يغيظ﴾ "ما" مصدرية، تقديره: هل يُذهبنَّ كيده غيظه.

وأكثر القراء قرأوا: "ثم لْيَقْطَعْ فلينظر" بجزم اللام فيهما.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش بكسر اللام من "ليقطع"[2].

وفَتَحَ اللام من "فلينظر": القزاز عن عبد الوارث عن أبي عمرو.

قال أبو علي[3]: أصل هذه اللام -[يعني][4] في "ليقطع"- الكسر، بدليل أنك إذا ابتدأت بها قلت: لِيقم [زيد، كسرتها لا غير][5]، فإذا ألحقتَ الكلمة التي فيها اللام الواو أو الفاء أو ثُمَّ جاز إسكان اللام؛ لأن الفاء والواو يصيران من نفس الكلمة؛ لأن كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه، فصار بمنزلة كَتِفٍ وفَخِذٍ، فإذا كان

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٣)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٤).

(٣) الحجة (٣/ ١٦٦).

(٤) في الأصل: بمعنى. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من الحجة (٣/ ١٦٦).

موضع الواو والفاء "ثَمَّ" لم يُسَكِّنْه أبو عمرو؛ لأن "ثُمَّ" ينفصل بنفسه ويُسْكَتُ عليه دون ما بعده، ومن أَسْكَنَ اللام عنده [شَبَّهَ][1] الميم من "ثمّ" بالفاء والواو.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الإنزال المتقدم ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آيات بينات وأن الله﴾ أي: وأنزلنا إليك أن الله ﴿يهدي من يريد﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿إن الله يفصل بينهم﴾، دخلت "إن" في المبتدأ، والخبر توكيداً[2]، ونحوه قول جرير:

إنَّ الخليفةَ إنَّ الله سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ به تُرْجَى الخواتيم[3]

﴿والذين هادوا﴾ يعني: اليهود ﴿والصابئين﴾ سبق ذكرهم واختلاف القرّاء فيه، ﴿والمجوس والذين أشركوا﴾ عبدة الأوثان.

قال قتادة: الأديان خمسة، أربعة للشيطان، وواحد للرحمن[4].

---

(١) في الأصل: أشبه. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٤١)، والدر المصون (٥/ ١٣٢).

(٣) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها بني مروان، انظر: ديوانه (ص:٤٣١) ط بيروت، وفيه: (يكفي الخليفة أن الله سربله)، واللسان مادة: (ختم)، ومعاني الفراء (٢/ ٢١٨)، والبحر المحيط (٦/ ٣٣٣)، والدر المصون (٥/ ١٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٢٩) بلفظ: والأديان ستة؛ خمسة للشيطان وواحد للرحمن. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦) بلفظ الطبري، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير =

فإن قيل: ما وجه قول قتادة: الأديان خمسة مع تصريح الآية بستة أديان؟

قلتُ: الصابئون نوع من النصارى، على ما ذكرناه في موضعه.

والمعنى: ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ بإدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إن الله﴾ تعالى ﴿على كل شيء﴾ من أعمالهم وأقوالهم ﴿شهيد﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي: ألم تعلم، ﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ قد سبق في سورة النحل[1] تفسير هذه الآية، وذكرنا أقوال المفسرين في معنى سجود ما لا يعقل، وبيّنّا ما هو المختار عندنا.

قال أبو العالية: ما في السماء نجمٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له[2].

= وابن أبي حاتم.

(١) آية رقم: ٤٩.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

فصل

قرأ الزهري: ﴿والدَّوَابُ﴾ بالتخفيف[١].

قال أبو الفتح[٢]: لا أعلم أحداً خَفَّفَها سواه. ولَعَمْري أنّ تخفيفها قليل وضعيف قياساً وسماعاً، لكن له بعد ذلك ضربٌ من العُذْر، وذلك أنهم إذا كرهوا تضعيف الحرف فقد [يُخَفِّفُون][٣] أحدهما، من قولهم: ظَلْتُ، ومَسْتُ، وأَحَسْتُ، يريدون: ظَلَلْتُ، ومَسِسْتُ، وأَحْسَسْتُ. قال أبو [زُبيد][٤]:

خَلا أنَّ العِتَاقَ من المطَايَا ... أَحَسْنَ به فَهُنَّ إليه شُوس[٥]

وقال عمران بن حطّان:

قد كنتُ عندكَ حولاً ما تُرَوِّعني ... فيه روائعُ من إنسٍ ولا جان[٦]

قوله تعالى: ﴿وكثير من الناس﴾ قال المفسرون: يعني: المؤمنين الذين يسجدون لله سجود طاعة[٧].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٣٣).

(٢) المحتسب (٢/ ٧٦).

(٣) في الأصل: يخفون. والتصويب من ب. وفي المحتسب: يحذفون.

(٤) في الأصل: زيد. والتصويب من ب، والمحتسب (٢/ ٧٦).

(٥) البيت لأبي زبيد الطائي، وهو في: القرطبي (١١/ ٢٤٢)، والطبري (١٦/ ٢٠٧)، وروح المعاني (٤/ ٢٠٥)، والدر المصون (٢/ ٣١٢).

(٦) انظر البيت في: اللسان، مادة: (جنن، ظلل)، والحجة للفارسي (٢/ ٣٩٧)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية (٨/ ١٥٣).

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٠) عن مجاهد. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

قال صاحب الكشاف[١]: فإن قلتَ: فما يصنع بقوله: ﴿وكثير من الناس﴾ بما فيه من الاعتراضين:

أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرتُه بـه، -[يعنـي][٢] مـن التسخير والخضوع لخالقها- لا يسجده بعض الناس دون بعض.

الثاني: أن السجود قد أُسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنـس والجن أولاً، فإسناده إلى كثير منهم آخراً[٣] مناقضة؟

قلتُ: لا أنظم كثيراً في المفردات [المتناسقة][٤] الداخلة تحت حكـم الفعـل، وإنما أرفَعُهُ بفعل مُضْمَر يدُلُّ عليه قوله: "يسجد"، أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة، ولم أفسر [يسجد][٥] الذي هو ظاهرٌ بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء؛ لأن اللفظ الواحد لا يَصِحُّ استعماله في حالة واحدة عـلى معنيـين مختلفين، أو أرفَعُهُ على الابتداء، والخبر محذوف وهو مُثَابٌ؛ لأن خبر مُقابِلِه يـدل عليه، وهو قوله: ﴿حق عليه العذاب﴾، ويجوز أن تجعل "من الناس" خبراً له، أي: من الناس الذين هم الناس على الحقيقة، وهم الصالحون والمتقون. ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقُوقين بالعذاب، فيُعْطَفَ "كثيرٌ" على "كثيرٍ"، ثم يخبر عـنهم بــ"حـق عليهم العذاب"، كأنه قيل: وكثيرٌ وكثيرٌ من الناس حق عليهم العذاب.

(١) الكشاف (٣/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: أجزاء.

(٤) في الأصل و ب: المناسقة. والتصويب من الكشاف (٣/ ١٥٠).

(٥) في الأصل: بسجود. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

وقرئ: "حُقَّ" بالضم. وقرئ: "حَقّاً" أي: حُقَّ عليهم العذاب حَقّاً.

﴿ومن يهن الله﴾ أي: من يُشْقِهِ الله ﴿فما له من مكرم﴾ أي: من مُسْعِد، ﴿إن الله يفعل﴾ في خلقه ﴿ما يشاء﴾ من الإهانة والإكرام.

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث قيس بن عباد قال: « سمعت أبا ذر رضي الله عنه يُقْسِمُ قَسَماً: إن ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة »(١).

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحنُ أولى بالله وأقدُم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله تعالى من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا ثم كفرتُم حَسَداً(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٥٩ ح٣٧٥١)، ومسلم (٤/ ٢٣٢٣ ح٣٠٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال الحسن ومجاهد: نزلت في جميع المؤمنين والكفار[(١)].

وقال عكرمة: نزلت في اختصام الجنة والنار، قالت النار: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقني الله تعالى لرحمته[(٢)].

والخصم يقع على الواحد والجمع، وهو هاهنا صفة وصف بها الفريق أو الجمع، ولهذا قال: "اختصموا"[(٣)].

وفي حرف ابن مسعود: "اختصما"[(٤)]. ووجهه ظاهر.

وقوله: "في ربهم" أي: في دين ربهم.

ثم بَيَّنَ حال الفريقين فقال: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ أي:

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) وعزاه لابن جرير. وهذا القول هو الذي رجحه الطبري. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٣): وهذا القول يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل. وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٢-١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) وعزاه لابن جرير.

(٣) فائدة: قال ابن جرير الطبري (١٧/ ١٣٣): فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر في قوله: إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟

قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له. فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه.

(٤) انظر: زاد المسير (٥/ ٤١٧).

سُوِّيَتْ لهم على مقادير جُثَثِهِم.

قال ابن عباس: قُمُصٌ من نار[١].

قال سعيد بن جبير: المراد بالنار هاهنا: النُّحاس[٢].

﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ وهو الماء الحار.

﴿يُصْهَرُ به﴾ وقرأ الحسن: "يصهَّر" بتشديد الهاء للمبالغة[٣].

والمعنى: يُذابُ به، يقال: صهرتُ الشحْم بالنار.

﴿ما في بطونهم﴾ من شحم ولحم ومعىً حتى يخرج من أدبارهم.

وفي قوله: ﴿والجلود﴾ دليل على أن تأثيره في الباطن كتأثيره في الظاهر، وذلك أبلغ من قوله: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ [محمد:١٥].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليُصَبُّ على رؤوسهم فينفُذُ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيَسْلُتُ ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهْر، ثم يُعاد كما كان»[٤]. قال الترمذي: هذا حديث [حسن][٥] غريب.

قوله تعالى: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾، وهي السِّياط، سُميت بذلك؛ لأنها تَقْمَعُ المضروب.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٥ ح٢٥٨٢).

(٥) زيادة من ب.

قال الضحاك: هي المطَارق[١].

أخبرنا حنبل بن عبدالله بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبدالواحد، أخبرنا أبو علي [الحسن][٢] بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا أبو عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن مِقْمَعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أَقَلُّوه من الأرض»[٣].

وقال الحسن: إن النار ترميهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها ضُربوا بمقامع من حديد فَهَوُوا فيها سبعين خريفاً، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربَهم زفيرُ لهبها فلا يستقرُّون ساعة[٤].

قال مقاتل[٥]: إذا جَاشَتْ جهنم ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتتلقاهم خَزَنَةُ جهنم بالمقامع فيضربونهم، فيَهْوي أحدهم من تلك الضربة إلى قعرها، فذلك [قوله][٦]: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤ ح٣٤١٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: الحسين. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٢)، ولسان الميزان (٢/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩ ح١١٢٥١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٤).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٦) زيادة من ب.

﴿من غمّ﴾ وهو الكرب الذي أخذ بأنفاسهم، ﴿أعيدوا فيها وذوقوا﴾ أي: وقيل لهم ذوقوا ﴿عذاب الحريق﴾.

قال الزجاج[١]: هذا لأحد الخصمين.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

وقال في الخصم الذين هم المؤمنون: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا... الآية﴾ وهي مفسرة في الكهف[٢] إلى قوله: ﴿ولؤلؤٍ﴾.

قرأ نافع وعاصم: "ولؤلؤاً" بالنصب. وقرأ الباقون بالجر[٣].

فمن نصب حمله على موضع الجار والمجرور، كما أجازوا: مررتُ بزيد وعمراً. ويجوز أن يكون النصب على معنى: ويؤتون لؤلؤاً، أو: ويحلّون لؤلؤاً؛ لأن اللؤلؤ حلية، بدليل قوله: ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ [النحل:١٤]. ومن جَرَّ عطفه على الذهب، على معنى: يُحلَّون فيها من أساور من ذهب ومن ولؤلؤٍ، أي: منهما، كأن أساور الذهب رُصِّعَتْ باللؤلؤ أو فُصِّلَتْ به.

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ قال أبو سعيد الخدري: من لبس الحرير في الدنيا لم

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤١٩).

(٢) عند تفسير الآية رقم: ٣١.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٤)، والكشف (٢/ ١١٧)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٥).

يَلْبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة كلهم غيره[١]. قال الله تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

وقال عبدالله بن الزبير: «لا تلبسوا الحرير، فإني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ[٢]: من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾»[٣].

قوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس وابن زيد: هُدوا إلى [لا][٤] إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر[٥].

وقال السدي: الطَّيِّبُ من القول: القرآن[٦].

﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ قال ابن عباس: هو دين الإسلام[٧].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٤٧٠ ح٩٦٠٧)، والحاكم (٤/ ٢١٢ ح٧٤٠٤)، وابن حبان (١٢/ ٢٥٣ ح٥٤٣٧) كلهم رفعه.

(٢) في الأصل زيادة: يقول.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٩٤ ح٥٤٩٦)، ومسلم (٣/ ١٦٤١ ح٢٠٦٩)، وأحمد (١/ ٣٧ ح٢٥١) أشار إلى أن قوله: «ومن لم يلبسه في الآخرة ... إلخ» من كلام ابن الزبير. ولفظ مسلم وأحمد: لا تلبسوا نساءكم الحرير...

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٣٦) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٤) عن إسماعيل بن أبي خالد وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٨).

فالمعنى: إلى صراط الدين الحميد، أو إلى صراط الله الحميد، أو هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ [يوسف:١٠٩].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ أي: يَمْنَعُون الناس عن الدخول في دين الإسلام.

قال الزجاج[(١)]: "يصدون" لفظ مستقبل عُطِفَ به على لفظ الماضي؛ لأن معنى "الذين كفروا": الذين هم كافرون، فكأنه قال: إن الكافرين والصّادّين.

وقال الزمخشري[(٢)]: يقال: فلان يُحسن إلى الفقراء ويُنْعش المضطهدين، لا يراد حالٌ ولا استقبالٌ، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه، والنَّعْشِ في جميع أزمنته، ومنه قوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي: الصدود منهم مستمر دائم.

وقال غيره: يجوز أن تكون الواو في "ويصدون" واو الحال، على معنى: إن الذين كفروا صادّين عن سبيل الله، وخبر "إن" محذوف، تقديره: إنّ الذين هذه صفتهم هالكون أو مُعذَّبون[(٣)].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٠).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥١).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٤٢)، والدر المصون (٥/ ١٣٩).

قوله تعالى: ﴿والمسجد الحرام﴾[(١)] قال ابن عباس: كانوا يرون الحرم كله مسجداً[(٢)].

وقيل: المراد به: نفس المسجد[(٣)]، كما قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ [آل عمران:٩٦] على معنى: خلقناه لهم حرماً آمناً، أو جعلناه لهم قبلة ومطافاً ومَنْسَكاً لحَجِّهِم.

﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ "العاكف" مبتدأ، و"البادي" عطف عليه، و"سواء" خبر مقدم، والجملة حال إن قلنا "للناس" هو الوقف، وإلا فهي مفعول ثان[(٤)].

وقرأ حفص: "سواءً" بالنصب[(٥)].

قال أبو علي[(٦)]: أبدل "العاكف" و"البادي" من "الناس" من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء.

وقال الزمخشري[(٧)]: وجه النصب: أنه ثاني مفعولي "جعلناه"، أي: جعلناه مستوياً العاكف فيه والبادي.

والعاكف: المقيم، والبادي: النازع إليه من غربة، من قولهم: بدا القوم؛ إذا

---

(١) قال ابن كثير (٣/ ٢١٤): وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) هو قول الماوردي (٤/ ١٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤١٩) عن الماوردي.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٤٢)، والدر المصون (٥/ ١٤٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٥)، والكشف (٢/ ١١٨)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٥).

(٦) الحجة (٣/ ١٦٨).

(٧) الكشاف (٣/ ١٥٢).

خرجوا إلى الصحراء[(١)].

ومعنى استوائهما فيه: تساويهما في سُكْنى مكة والنزول بها، فليس أحد أحق بالمنزل من أحد، إلا أنه ليس للّاحقِ إخراج السابق. هذا قول ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير[(٢)]. وهو مذهب الإمامين [أبي][(٣)] حنيفة وأحمد، وفيه مستدلٌّ لهما حيث ذهبا إلى الامتناع من بيع رباع مكة وإجارتها[(٤)].

وقال الحسن ومجاهد: معناه: تساويهما في تفضيله وتعظيم حرمته وإقامة المناسك به[(٥)]، وهو قول الذاهبين إلى جواز بيع رباع مكة.

قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ الباء في "بإلحاد" زائدة، كقوله: ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون:٢٠]، وقول الأعشى:

ضَمِنَتْ برزقِ عِيَالِنا أرماحُنا ....[(٦)]

وقال الآخر:

نحن بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجْ نضربُ بالسيفِ ونرجُوا بالفَرَجْ[(٧)]

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (بدا).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ١٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٥).

(٣) في الأصل: أبو. وهو لحن. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٠).

(٦) صدر بيت للأعشى، وعجزه: بين المراجل والصريح الأجردا، انظر: ديوانه (ص:١٥٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٩٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٩)، والبحر (٦/ ٣٣٧)، والدر المصون (٥/ ١٤١)، والطبري (١٧/ ١٣٩).

(٧) البيت للنابغة الجعدي، انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٢١، ٨/ ٣٢٩)، والخزانة =

أي: ضَمِنَتْ رزق، ونرجو الفرج.

وأنشدوا أيضاً:

بوادٍ يمانٍ يُنْبتُ الشَّثَّ صدرُه وأسفلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهَان[١]

أي: ويُنْبتُ أسفله المرخ والشَّبَهَان.

والشَّثُّ: شجر طيب الريح، مُرُّ الطعم. والمرخ: شجر سريع الوَرْي، ومنه قولهم: في كل شَجَرٍ نار، واستَمْجَدَ المَرْخَ والعَفَارْ[٢].

والشَّبَهان: النَّمام من الرياحين.

وقال الزجاج[٣]: الذي ذهب إليه أصحابنا: أن الباء ليست بمُلْغاةٍ، المعنى عندهم: ومَنْ إرادتُهُ فيه بأن يُلحِدَ بظُلْم، وهو مثل قوله:

أريدُ لأنْسَى ذكرَها فكأنما تمثَّلُ لي ليلى بكلِّ مكان[٤]

المعنى: أريد، وإرادتي لهذا.

وقال الزمخشري[٥]: "بإلحاد بظلم" حالان مترادفان، ومفعول "يُرِدْ" متروك

= (٤/ ٥٩)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٩٢)، والماوردي (٤/ ١٦).

(١) البيت لرجل من عبد القيس، وقيل: للأحول اليشكري، وهو في: اللسان (مادة: شثث، شبه)، والطبري (١٧/ ١٣٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٢٠)، والدر المصون (٤/ ٥٠٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٨)، والبحر (٦/ ١٧٤).

(٢) يضرب هذا المثل في تفضيل بعض الشيء على بعض (انظر: المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٨٣، وجمهرة الأمثال ٢/ ٩٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٧٤).

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٢١).

(٤) البيت لكثيّر، وهو في: اللسان (مادة: رود)، والقرطبي (٥/ ١٤٨)، وروح المعاني (٢٢/ ١٣).

(٥) الكشاف (٣/ ١٥٢).

ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً [ما][(١)]، عادلاً عن القصد ظالماً ﴿نذقه من عذاب أليم﴾.

وأصل الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد[(٢)]، وقد سبق ذكرُه.

قال ابن عباس في معناه هاهنا: هو الشرك وعبادة غير الله[(٣)].

وقال في رواية أخرى: هو الظلم[(٤)].

وقال عطاء: هو استحلال محظورات الإحرام[(٥)].

وقال ابن جريج: استحلال الحرم[(٦)].

والقول الشامل لهذه الأقوال: أن الإلحاد فيه ارتكاب كل شيء نُهِيَ عنه، وإلى عموم هذا نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: «لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم»[(٧)]. وفي هذا دليل ظاهر على اختصاص الحرم بمزيد مزية على سائر المواضع، حتى إن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى وجوب تنزيهه عن الهمَّة والإرادة في المعاصي.

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: لحد).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤١) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٢).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٠) من طريق ابن جريج عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٣/ ١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٢) كلاهما من قول ابن عباس.

(٧) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٥١ ح١٧٧٦) بإسناد حسن.

قال ابن مسعود: لو أن رجلاً هَمَّ بخطيئة لم تُكتب عليه ما لم يَعملْها، ولـو أن رجلاً هَمَّ بقتل مؤمن عند البيت وهو بعَدَنِ أَبْيَنَ(١) أذاقه الله في الدنيا من عـذاب أليم(٢).

وقال الضحاك: إن الرجل ليَهُمُّ بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخـرى فتكتـب عليه ولم يعملها(٣).

وقال مجاهد: تُضاعف السيئات بمكة كما تُضاعف الحسنات(٤).

وسُئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: هل تُكتب السيئة أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد(٥).

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

---

(١) عدن أبين: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن (معجم البلدان ٤/ ٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٨ ح٤٠٧١، ١/ ٤٥١ ح٤٣١٦)، والحاكم (٢/ ٤٢٠ ح٣٤٦٠)، والبزار (٥/ ٣٩٠-٣٩١ ح٢٠٢٤). وفي هامش ب: حديث ابن مسعود أخرجه الإمام أحمد والبزار من حديث شعبة عن السدي أنه سمع مُرّة أنه سمع عبدالله قال شعبة، ورفعه وأنا لا أرفعه لك. كذا وقع في المسندين.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٢٩)، وزاد المسير (٥/ ٤٢٢).

قوله تعالى: ﴿وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: واذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت، أي: مباءة، أي: مرجعاً يُرْجَعُ إليه للعمارة والعبادة.

وقال الزجاج[١]: أي: جعلنا مكان البيت مبوءاً لإبراهيم، والمُبَوَّأُ: المَنْزِلُ[٢].

فالمعنى: أن الله تعالى أعلم إبراهيم عليه السلام مكان البيت، فبنى البيت على أُسِّهِ القديم.

قال السدي: لما أمره الله تعالى ببناء البيت لم يَدْرِ أين يبني، فبعث الله تعالى ريحاً خَجُوجاً[٣] فكشفتْ له ما حول الكعبة من[٤] الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن يُرفع أيام الطوفان[٥].

وقد سبق ذكرُ بناء البيت وما قيل فيه في سورة البقرة[٦].

قوله تعالى: ﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ "أن" هي المفسِّرَة.

قال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوئة؟

قلتُ: كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة، فكأنه قيل: تَعَبَّدْنا إبراهيم، قلنا

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: بوأ).

(٣) الخجوج من الريح: الشديد المر (لسان العرب، مادة: خجج).

(٤) في ب: عن.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٦) عند الآية رقم: ١٢٩.

(٧) الكشاف (٣/ ١٥٣).

له: لا تشرك بنا شيئاً.

﴿وطهّر بيتي للطائفين﴾ حوله ﴿والقائمين﴾ في الصلاة متوجهين إليه. وقيل: المقيمين بمكة، ﴿والرّكّع السجود﴾، والآية مُفَسَّرة في البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ أي: نَادِ فيهم. والمشهور في التفسير: أن المأمور بالأذان: إبراهيم[٢].

وقال الحسن: محمد ﷺ[٣].

قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: وما يبلغ صوتي؟ فقال الله تعالى جل وعلا: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم عليه السلام على المقام، -وقيل: على أبي قبيس-، فنادى: يا[٤] أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً فحُجُّوهُ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيكَ اللهم لبيك[٥].

قوله تعالى: ﴿يأتوك رجالاً﴾ مشاة، وهو جمع رَاجل، مثل: صَاحِب

---

(١) عند الآية رقم: ١٢٥.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٤).

(٤) ساقط من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٩)، والحاكم (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٧٦)، والطبري (١٧/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٦) كلهم عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٢) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن عباس.

وصِحَاب.

وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وجعفر بن محمد: "رُجَّالاً" بضم الراء وتشديد الجيم، ومثلهم قرأ عكرمة إلا أنه خفَّفَ الجيم. وقُرِئ أيضاً "رُجالى" مثل: حُبارى[1].

قال أبو الفتح[2]: "رُجَّالاً" جمع راجل، [ككاتب][3] وكُتَّاب، وعالم وعُلاَّم. وأما "رُجَالاً" فجمع غريب. وأما "رُجَالى" فمثل حُبَارَى وسُكَارَى.

ويروى: أن إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما حَجَّا ماشِيَيْن[4].

وحج الحسن بن علي رضي الله عنهما خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة إلى مكة، والنجائب تُقَادُ معه[5].

وحج الإمام أحمد رضي الله عنه ماشياً مرتين أو ثلاثاً[6].

وحج علي بن شعيب على قدميه من نيسابور نيفاً وستين حجة.

قوله تعالى: ﴿وعلى كل ضامر﴾ حال معطوفة على الحال التي قبلها[7]، التقدير: رجالاً وركباناً على ما ضَمُرَ وأصابه الهزال من طول السُّرَى.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٦/ ٣٣٨)، والدر المصون (٥/ ١٤٣).

(٢) المحتسب (٢/ ٧٩).

(٣) في الأصل: ككتاب. والتصويب من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٣٧)، والطبري (١٧/ ١٤٦) كلاهما عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٣٧) عن جعفر عن أبيه. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٤).

(٦) زاد المسير (٥/ ٤٢٤)، ومناقب الإمام أحمد (ص:٢٩٠).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٤).

﴿يأتين﴾ صفة لكل ضامر[١]؛ لأنه في معنى الجمع.

قال الفراء[٢]: "يأتين" فعل للنُّوق.

وقرأ ابن مسعود: "يأتون" صفة للرجال والركبان[٣].

﴿من كل فج عميق﴾ أي: طريق بعيد. وبئرٌ عميقة: أي[٤]: بعيدة القعر.

وقرأ ابن مسعود: "معيق" يقال: بئر مَعِيقةٌ وعَمِيقةٌ[٥] بمعنى واحد. والأماعِقُ: أطرافُ المفازة[٦].

لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي: ليحصلوا منافع[٧].

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني: التجارة والأسواق[٨].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٣).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٢٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٢٤)، والبحر (٦/ ٣٣٨).

(٤) ساقط من ب.

(٥) في ب: عميقة ومعيقة.

(٦) انظر: اللسان (مادة: معق).

(٧) في ب: ﴿ليشهدوا﴾ أي: ليحضروا منافع لهم.

(٨) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: منافع الدنيا والآخرة[١]. وهو أصح.

﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين: هي أيام العشر[٢].

وقيل لها معلومات؛ للحرص على علمها بالحساب مُراعاة لوقت الحج.

وقيل: هي أيام الحج؛ يوم عرفة، ويوم الأضحى، وثلاثة أيام بعده. والقولان عن ابن عباس[٣].

وقيل: هي أيام النحر[٤].

قال الزجاج مُرَجِّحاً لهذا القول[٥]: الذِّكْر هاهنا يدل على التسمية على ما يُنْحَر؛ لقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾.

وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن يكون الذِّكْر المذكور هاهنا هو الذِّكْر على الهدايا الواجبة؛ كالدم الواجب لأجل التمتع والقِران، ويحتمل أن يكون الذِّكْر

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٧)، ومجاهد (ص:٤٢٢) ولفظه: ((يعني: الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا)). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٨) عن قتادة. وذكره الماوردي (٤/ ١٩) عن الحسن ومجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧-٣٨) وعزاه لأبي بكر المروزي في كتاب العيدين وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٤٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن الضحاك وعزاه لابن جرير.

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٣).

المفعول عند رمي الجمرات[١] وتكبير التشريق؛ لأن الآية عامة في ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿فكلوا منها﴾ أباح الله تعالى الأكل من بهيمة الأنعام التي تنحر قُرْبَةً وتطوعاً، فأما الدماء الواجبة فلا يأكُلُ منها صاحبها شيئاً، إلا أنّ إمامنا أحمد وأبا حنيفة رحمهما الله تعالى جَوَّزا الأكل من دم المتعة[٣] والقِران، وجوّز أيضاً إمامنا في رواية عنه الأكل من جميع الدماء الواجبة إلا النذر وجزاء الصيد، وهو قول مالك، إلا أنه استثنى أيضاً فدية الأذى.

﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البائس: الذي أصابه بُؤْسٌ، أي: شدة، والفقير تقدم ذكره.

قوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش: "ثم لِيَقْضُوا" بكسر اللام. وقرأ الباقون بسكونه[٤]، وقد أشرنا إلى علة ذلك في ﴿ثم ليقطع﴾[٥].

والتَّفَث: الوَسَخُ والقذارة[٦]، وقضاؤه: إزالته وإذهابه؛ كقصّ الشارب، والأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط.

---

(١) في ب: الجمار.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٥).

(٣) في ب: التمتع.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٣)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٤-٤٣٥).

(٥) عند الآية رقم: ١٥.

(٦) انظر: اللسان (مادة: تفث).

قال الزجاج[١]: أهل اللغة لا يعرفون التفث إلا من التفسير، وكأنه الخروج من الإِحْرام إلى الإِحْلال.

قوله تعالى: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ روى ابن ذكوان والمفسِّرُ عن ابن زيد عن الدّاجوني عن هشام: "وليوفوا وليطوفوا" بكسر اللام، وسكّنه الباقون[٢]، وعلته ما ذكرناه آنفاً في قوله: ﴿ثم ليقطع﴾.

قال ابن عباس: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ يعني: نحر ما نَذَرُوا من البدن[٣].

وقال غيره: نذروا من أعمال البِرِّ في أيام الحج[٤].

﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ قال المفسرون: هذا هو الطواف الواجب الذي هو ركن من أركان الحج، ويسمى طواف الإفاضة[٥].

فإن قيل: لم سُمِّيَ البيت العتيق؟

قلتُ: عنه أجوبة، أصحها: ما أخرجه الترمذي من حديث ابن الزبير قال:

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٣)، والكشف (٢/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٤)، والسبعة (ص:٤٣٤-٤٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٠) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٢) عن الحسن. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٠) وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد، ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

قال رسول الله ﷺ: « إنما سمي البيت [العتيق][(١)]؛ لأنه لم يظهر عليه جبار »[(٢)].

قال قتادة: كم من جَبَّار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى[(٣)].

وقال سعيد بن جبير: أقبل تُبَّع يريد هدم البيت، حتى إذا كان بقُدَيْد[(٤)] أصابه الفَالِج[(٥)]، فدعا الأحبار فقالوا: إن لهذا البيت رباً ما قصده قاصد بسوء إلا حجبه عنه بمكروه، فإن كنتَ تريد النجاة مما عرض لك فلا تتعرّضه بسوء، قال: فأهدى للبيت أنطاعاً وكسوة فألبسها، وكان أول من ألبسه، ونحر عنده ألف ناقة، وعفا عن أهله وبَرَّهُم ووصَلَهُم[(٦)].

فإن قيل: فما [نصنع][(٧)] بفعل الحَجَّاج؟

قلتُ: لم يكن قصده انتهاك حرمة البيت، إنما[(٨)] كان قصده ابنَ الزبير حين تَحَصَّن بالبيت، فكان هدمه ضِمْناً وتَبِعاً، لا أصلاً ومقصوداً.

الجواب الثاني: أنه سُمِّيَ عتيقاً؛ أنه لم يُملك قط. رواه سفيان بن عيينة عن

(١) في الأصل: العتق. والتصويب من ب، وجامع الترمذي (٥/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٤ ح٣١٧٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٠٢).

(٤) قديد: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٤/ ٣١٣)، وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز، وينقسم إلى قسمين: علوي وسفلي. فالعلوي يسمى ستارة، والسفلي يسمى قديداً، ويسكن النصف السفلي زبيد بن حرب، ويبعد عن مكة (١٣٠) كيلاً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٧/ ٩٦-٩٧). وما زال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن.

(٥) الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً (المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٩).

(٦) ذكره الآلوسي في تفسيره (١٧/ ١٤٧).

(٧) في الأصل: تصنع. والمثبت من ب.

(٨) في ب: وإنما.

مجاهد[١].

الثالث: أنه أعتق من الغرق زمن الطوفان. قاله ابن السائب[٢].

الرابع: لقدمه، وكونه أول بيت وضع للناس. قاله الحسن[٣].

الخامس: لكرمه على الله، ومنه: عِتاقُ الخيل والطير[٤].

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ، تقديره: الأمر أو الشأن ذلك الذي ذُكِرَ من أعمال الحج[٥].

﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ الحُرُمات: جمع حُرْمَة، وهي ما لا يَحِلُّ هتكُه[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥١) بلفظ: ((إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه ليس لأحد فيه شيء))، ومجاهد (ص:٤٢٣) بلفظ: ((أعتقه الله عز وجل من الجبابرة أن يدعيه أحد منهم))، والماوردي (٤/ ٢١).

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢١) من قول ابن زيد، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٨) من قول ابن السائب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٢٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٠٢).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ١٤٥).

(٦) انظر: اللسان (مادة: حرم).

قال الزجاج[١]: الحُرْمَة: ما وجب القيامُ به وحَرُمَ التفريط فيه.

وقال غيره: جميعُ ما كلَّفَه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج.

وقال ابن زيد: الحُرُمات هاهنا: البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام[٢].

﴿فهو﴾ يعني: التعظيم ﴿خير له عند ربه﴾ في الآخرة، ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ أي: إلا ما يُقرأ عليكم تحريمه، وهو ما ذَكَرَهُ في سورة المائدة[٣] في قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة... الآية﴾.

وقيل: المعنى: وأُحِلَّت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد فإنه حرام.

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الرِّجْس مُفسرٌ في المائدة[٤].

وقوله: "من الأوثان" بيان للرجس[٥]، كقولك: عندي عشرون من الدراهم.

وقال الزجاج[٦]: "مِنْ" هاهنا لتخليص جنس من أجناس. المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وَثَن.

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤) وعزاه لابن جرير.

(٣) آية رقم: ٣.

(٤) عند الآية رقم: ٩٠.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٦).

(٦) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٥).

﴿واجتنبوا قول الزور﴾ قال ابن مسعود: هو الكذب وشهادة الزور[١].

وقال الزجاج[٢]: هو قولهم: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ [النحل:١١٦].

وقال صاحب الكشاف[٣]: جمع [الشرك][٤] وقول الزور في قران واحد، وذلك أن الشرك من باب الزور؛ لأن المشرك زاعم أن الوثن تَحِقُّ له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله، لا تقربوا شيئاً منه لتماديه في القبح والسَّمَاجَة.

وقوله: ﴿حنفاء لله﴾ سبق تفسيره. وهو نصب على الحال[٥].

ولما كان المشركون يتسمّون حنفاء لمكان اعتصامهم بالحج والختان وتحريم الأمهات والبنات وغير ذلك من شريعة إبراهيم قال: ﴿غير مشركين به﴾.

ثم إن الله تعالى ضرب للمشرك مثلاً فقال: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير﴾ وقرأ نافع: "فتخَطَّفُه" بفتح الخاء وتشديد الطاء[٦]، أصله: تَتَخَطَّفُه، تَتَفَعَّلُ من الخطف، فحذفت تاء التفعل.

والمعنى: تأخذه بسرعة.

﴿أو تهوي به الريح﴾ أي: تُسْقِطُه ﴿في مكان سحيق﴾ أي: بعيد.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٥).

(٣) الكشاف (٣/ ١٥٥).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٤٣)، والدر المصون (٥/ ١٤٦).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٦)، والكشف (٢/ ١١٩)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة في القراءات (ص:٤٣٦).

قال بعضهم: شبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة، فهو هالك لا محالة؛ إما باستلاب الطير، وإما بسقوطه في المكان السحيق[١].

وقيل: شبّه الإيمان في علوّه بالسماء، والمشرك بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تردده[٢] في [أودية][٣] الضلالة بالريح التي تهوي بها عصفت به في بعض المهاوي المتلفة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ القول على ذلك هاهنا كالقول على التي قبلها، ومثله أيضاً ﴿ذلك ومن عاقب﴾، والشعائر مذكورة في سورة البقرة[٤].

والمراد بها هاهنا: الهدايا المُشْعَرَة بشَقِّ صفحة سنامها؛ ليُعلم أنها هدي.

ومعنى تعظيمها: استحسانها واستسمانها وتخيُّرها وترك المِكَاس فيها.

وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن أبيه: «أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة درهم، فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً، فنهاه عن ذلك، وقال: بل اهديها[٥]»[٦].

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٠) عن الزجاج.

(٢) في ب: والشيطان الذي يردده.

(٣) في الأصل: أردية. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ١٥٨.

(٥) في ب: أَهْدِهَا.

(٦) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٢٨٨).

و ((أهدى رسول الله ﷺ مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه بُرَةٌ من ذهب))[(١)].

وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي[(٢)] فيتصدق بلحمها[(٣)] وبجِلالها[(٤)].

﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ قال الزمخشري[(٥)]: المعنى: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه الإضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها؛ لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى "من" [ليرتبط][(٦)] به.

وإنما ذُكِرَت القلوب؛ لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

﴿لكم فيها منافع﴾ أي: لكم في الشعائر منافع بركوبها، وشُرْبِ لبنها الفاضل عن ولدها، ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو وقت نحرها. هذا قول عطاء[(٧)]، ومذهب الأئمة الثلاثة؛ أحمد، ومالك، والشافعي، ومنع من ذلك أبو حنيفة وكثير من

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٩ ح٢٤٢٨). والبُرَةُ: الحَلْقَة في أنف البعير (اللسان، مادة: بري).

(٢) القباطي: القبطية: ثياب من كتان بيض رقاق تنسج في مصر. وهي منسوبة إلى القِبط (المعجم الوسيط ٢/ ٧١١).

(٣) في ب: بلحومها.

(٤) أخرج البيهقي نحوه (٥/ ٢٣٣ ح٩٩٦٧).

(٥) الكشاف (٣/ ١٥٨).

(٦) في الأصل: يرتبط. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦-٤٧) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء.

المفسرين.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: "لكم فيها منافع" يعني: قبل أن يسميها صاحبها هدياً [أو يشعرها][١] ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء[٢].

والأول أصح؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: اركبها، فقال: يا رسول الله إنها بدنة[٣]، فقال رسول الله ﷺ: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة»[٤].

وأباح ذلك قوم عند الضرورة؛ لما أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: « اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها »[٥].

ولأن الله تعالى قال: ﴿لكم فيها منافع﴾ أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، وهذا الذي ذكرناه من تفسير الشعائر وفرّعنا عليه هو المشهور عند المفسرين والفقهاء.

وقد روي عن ابن عباس أيضاً: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة[٦]. فيكون المعنى: لكم فيها منافع بالتجارة، أو منافع الآخرة؛ وهو الأجر والثواب، أو مجموع ذلك، إلى أجل مسمى، وهو انقضاء الموسم.

(١) في الأصل: ويشعها. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٥٧-١٥٨)، ومجاهد (ص: ٤٢٤) بمعناه.

(٣) في هامش الأصل زيادة: هدي.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٦٠٦ ح١٦٠٤)، ومسلم (٢/ ٩٦٠ ح١٣٢٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٩٦١ ح١٣٢٤).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٠).

قوله تعالى: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ يتفرع القول فيه على القولين في الشعائر.

فعلى الأول؛ المعنى: ثم محل نحرها إلى البيت، أي: عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

وعلى الثاني: المعنى: ثم محل الناس من شعائر الحج ومناسكه إلى البيت العتيق، وهو الطواف به بعد قضاء المناسك.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسَكاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: "منسِكاً" بكسر السين في الموضعين، وفتحها الباقون(١).

فمن فتح أراد المصدر، ومن كسر أراد موضع النسك، كالمجْلِس والمطْلِع.

وقال أبو علي(٢): فتح السين أولى؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً، وكلاهما مفتوح العين، إذا كان الفعل [على فَعَلَ](٣): يَفْعُلُ، نحو: قَتَلَ يقْتُلُ مَقْتَلاً،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٦-٤٧٧)، والكشف (٢/ ١١٩)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة (ص:٤٣٦).

(٢) الحجة (٣/ ١٧١).

(٣) زيادة من ب.

وهذا مقْتَلُ القوم، وكذلك نَسَكَ ينْسُكُ مَنْسَكاً، وهذا منْسَكُ القوم.

ووجه الكسر: أنه قد يجيء اسم المكان من هذا النحو على المَفْعِل، نحو المَطْلِع، وهو من طَلَعَ يَطْلُعُ، والمسجد، وهو من سَجَدَ يسْجُدُ، فيمكن أن يكون هذا مما شذّ أيضاً عن قياس الجمهور، فجاء اسم المكان على غير القياس، ولا يقدم على هذا إلا بالسمع، ولعل الكسائي سمع ذلك.

ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبائح يتقربون بها إلينا، أو أمكنة يتقربون بالذبائح فيها إلينا.

﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ أي: [على][1] نحر ما رزقهم ﴿من بهيمة الأنعام﴾. وقد أفادت هذه [الآية][2] أمرين:

أحدهما: إعلامنا أن النسائك ليست من خصائص هذه الأمة.

والثاني: شرعية التسمية عليها أيضاً عند ذوي الهدي من الأمم الخالية.

﴿فإلهكم إله واحد﴾ فلا ينبغي أن تذكروا اسم غيره، على ما رزقكم وخلقه لكم، ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا ﴿وبشر المخبتين﴾ ذكرنا اشتقاقه فيما مضى وما قيل فيه.

وقال الخليل بن أحمد: هم الذين لا يَظلمون، [وإذا][3] ظُلموا لا ينتصرون[4].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: الآ. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: إذا. والتصويب من ب.

(٤) انظر قول الخليل هذا في: الماوردي (٤/ ٢٥).

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ سبق تفسير ذلك كله.

﴿والمقيمي الصلاة﴾ جمهور القراءة على جرّ "الصلاةِ" بالإضافة من غير احتفال بالألف واللام؛ لأنها بمعنى: الذين، بدليل قوله: ﴿وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾، فـ"الذين" نصب صفة "للمخبتين"[1]، ثم قال: "والصابرين"، تقديره: والذين صبروا. ثم قال: "والمقيمي الصلاة" أي: والذين أقاموا الصلاة.

ولما كانت بمعنى: الذي، وكان الاسم في صلته بمعنى الفعل، نَصَبَ الحسن البصري وأبو عمرو فيما قرأتُه على شيخنا أبي البقاء النحوي له من رواية عبد الوارث عنه، فقرأ: "والمقيمي الصلاةَ" بنصب التاء[2]، وعلى هذا أنشدوا:

الحافِظُوا عورةَ العشيرةِ لا يأتيهمُ مِنْ وَرائهمْ نَطَفُ[3]

والنَّطَفُ: التَّلَطُّخُ بالعَيْب.

وقرأ ابن مسعود: "والمقيمين الصلاة" بالنصب على الأصل[4].

وقال ابن جني[5]: أراد: والمقيمين، فحذف النون تخفيفاً، لا لِتُعَاقِبَها الإضافة،

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٤٤)، والدر المصون (٥/ ١٤٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٤٨)، والبحر (٦/ ٣٤٢).

(٣) البيت لقيس بن الخطيم، أو عمرو بن امرئ القيس الخزرجي. انظر: الكتاب (١/ ١٨٦)، والخزانة (٢/ ١٨٨)، والدرر اللوامع (١/ ٢٣)، والمحتسب (٢/ ٨٠)، والطبري (١/ ٢٦٣)، واللسان (مادة: وكف) وفيه: "وكف" بدل: "نطف".

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥).

(٥) المحتسب (٢/ ٨٠-٨١).

وشبّه ذلك باللَّذَيْن والذِين في قوله:

فَإِنَّ الذِي حَانَتْ بفَلْجٍ[(١)] دِمَاؤُهُمْ هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[(٢)]

حذف النون من "الذين"؛ تخفيفاً لطول الاسم، فأما الإضافة فساقطة، وعليه قول الأخطل:

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ اللَّـــــذا قَتَلا المُلُوكَ وفكّكا الأغلالا[(٣)]

فحذف النون من "اللّذان" لما ذكرنا.

لكن الغريب من ذلك؛ ما حكاه أبو زيد عن أبي السَّمَّال أو غيره: أنه قرأ: "غَيْرُ مُعْجِزِي اللهَ" [التوبة:٢] بالنصب[(٤)]، فهذا يكاد يكون لحناً؛ لأنه ليست معه لام التعريف [المشابهة][(٥)] للذي [ونحوه][(٦)]، غير أنه شبّه "معجزي" بالمعجزي، وسوغ له ذلك علمه أن "معجزي" هذه لا تنصرف[(٧)] بإضافتها إلى اسم الله، كما لا

(١) فَلْج: وادٍ بين البصرة وحمى ضرية (معجم البلدان ٤/ ٢٧٢).

(٢) البيت للأشهب بن رميلة. انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٧)، والمحتسب (١/ ١٨٥، ٢/ ٨٠)، والخزانة (٢/ ٥٠٧)، وشواهد المغني للسيوطي (ص:١٧٥)، وابن الشجري (٢/ ٣٠٧)، واللسان (مادة: فلج).

(٣) البيت للأخطل يهجو جريراً. وأحد عمّيه: عصم أو حنش قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب، والآخر: عمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند. وانظر البيت في: ديوانه (ص:٤٤)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٨٦)، والمحتسب (١/ ١٨٥، ٢/ ٨٠)، والخزانة (٢/ ٤٩٩)، وابن الشجري (٢/ ٣٠٦)، واللسان (مادة: فلج).

(٤) انظر: الدر المصون (٣/ ٤٤١).

(٥) في الأصل و ب: المشابه. والتصويب من المحتسب (٢/ ٨٠).

(٦) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٧) في ب: تتعرف. وكذا وردت في الموضع التالي.

تنصرف بها ما فيه الألف واللام، وهو "المُقِيمي الصلاة"، فَشُبّه به، ونحوه بيت الكتاب[١]:

الحَافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ ... .

وأنشده ثم قال: نصب "عورةَ" على ما ذكرتُ لك.

وقال آخر[٢]:

قَتَلْنَا نَافعاً[٣] بقَتِيلِ عَمْرٍو ... وَخَيْرُ الطَّالِبِي التِّرَةَ الغَشُومُ

ومثل: "غَيْرَ مُعجزي اللهِ" بالنصب، قول سويد[٤]:

وَمَسَامِيحُ بِمَا ضُنَّ بِهِ ... [حَابِسُوا][٥] الأَنْفُسَ [عَنْ][٦] سُوءِ الطَّمَعْ

وقرأ بعض الأعراب: ﴿إنكم لذائقوا العذابَ الأليم﴾ [الصافات:٣٨] بالنصب[٧].

أخبرنا أبو علي قال: أخبرنا أبو بكر عن أبي العباس قال: سمعت عُمارة يقرأ: ﴿ولا الليلُ سابق النهارَ﴾[٨] [يس:٤٠]، فقلت له: ما أردتَ؟ فقال: أردتُ سابقٌ النهارَ. فقلت له: فهلاّ قلتَه؟ فقال: لو قلتُهُ لكان أوْزَنَ.

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٦، ٢٠٢).

(٢) انظر البيت في: اللسان، مادة: (غشم)، والمحتسب (٢/ ٨٠).

(٣) في المحتسب: ناجياً.

(٤) انظر البيت في: المفضليات (ص:١٩٤)، والمحتسب (٢/ ٨٠).

(٥) في الأصل: حابس. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٦) في الأصل و ب: من. والتصويب من مصادر البيت.

(٧) انظر: البحر (٧/ ٣٤٣)، والدر المصون (٥/ ٥٠٠).

(٨) انظر: البحر (٧/ ٣٢٣)، والدر المصون (٥/ ٤٨٦).

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ البُدْن: جمع بَدَنَة، سُميت بذلك؛ لأنها تَبْدُنُ، أي: تَسْمَنُ، أو لعِظَم بدنها[(١)].

وقرأ الحسن: "والبدُن" بضم الدال[(٢)]، وهما لغتان، مثل: ثَمَرة وثُمُر.

قال جمهور المفسرين: البُدُن: الإبل والبقر[(٣)].

والصحيح ما قاله صاحبنا القاضي أبو يعلى بن الفراء رحمة الله عليه: أن البدنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم[(٤)]؛ لأن النبي ﷺ جعل البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة[(٥)].

والمعنى: جعلناها لكم من أعلام الدين وسُنَنِه المشروعة، فشرعنا لكم سَوْقَها إلى البيت وتقليدَها وإشعارَها ونحرَها والإطعام منها، وأضافها إلى اسمه تعظيماً

---

(١) انظر: اللسان (مادة: بدن).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٣) عن عطاء، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٣) عن ابن عمر. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: البدنة ذات البدن من الإبل والبقر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٢).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه (٢/ ٩٥٥ ح١٣١٨) عن جابر بن عبد الله قال: ((نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة)).

لها.

﴿لكم فيها خير﴾ قال ابن عباس: دنيا وآخرة[١].

قال إبراهيم النخعي: إن احتاج إلى ظهرها ركب، أو إلى لبنها شرب[٢].

﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ هو قوله عند نحرها: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم منك وإليك.

قرأ الأكثرون: "صَوَافَّ"، وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومحمد بن علي والأعمش وقتادة: "[صَوافِنَ][٣]"[٤]. وقرأ أبيّ بن كعب وأبو موسى والحسن: "صَوافِيَ"[٥].

فمن قرأ "صَوَافَّ" أراد: قائمات مُصْطَفَّةَ الأيدي والأرْجُل.

ومن قرأ "صوافن" فهو من صُفُون الفرس، وهو أن يقوم على ثلاث وينصبُ الرابعة على طرف سُنْبُكِه، وهكذا السنة في نحر الإبل.

قال مجاهد: إذا عُقِلَتْ إحدى يديها وقامت على ثلاث تُنْحَرُ كذلك، ويُسَوَّى

---

(١) ذكره الطبري (١٧/ ١٦٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٢) كلهم بلا نسبة.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: صوفن. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الطبري (١٧/ ١٦٣)، والدر المصون (٥/ ١٥٠).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥).

بين [أَوْظِفَتِها] (١) لئلا يتقدم بعضها على بعض (٢).

ومن قرأ "صَوَافِيَ" أراد: خوالص لله تعالى.

والنصب في القراءات الثلاث على الحال (٣).

﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض ميتة، ﴿فكلوا منها﴾ أمر إباحة أو استحباب، وذلك فيما يشرع له الأكل منه، ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ (٤).

قال ابن عباس وقتادة: القانع: المُتَعَفِّف، والمُعْتَرّ: السائل (٥).

وقال ابن عباس في رواية أخرى: القانع: السائل، والمعترُّ: المتعرِّض (٦).

---

(١) في الأصل: أوصفتها. والتصويب من ب. والأوظفة: جمع وظيف، وهو لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق (اللسان، مادة: وظف).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٤٤)، والدر المصون (٥/ ١٤٩).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٤): وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء، فثلث لصاحبها يأكله، وثلث يهديه لأصحابه، وثلث يتصدق به على الفقراء؛ لأنه تعالى قال: ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾.

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٦٨) من طريق الحسن. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٥) وعزاه لابن المنذر.

وهذا القول هو اختيار الطبري (١٧/ ١٧٠) قال: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بالقانع السائل؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعترّ، وفي إتباع ذلك قوله: "والمعتر" الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى: سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعاً، ومنه قول لبيد: وأعطاني المولى على حين فقره إذا قال أبصر خلتي يعرفوهم.

=

قال ابن قتيبة[١]: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً؛ إذا سَأل، وقَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعةً؛ إذا رضي[٢]. ويقال في المعتر: اعتَرَّني واعْتَرَاني وعَرَاني[٣].

وقال الزجاج[٤]: مذهب أهل اللغة: أن القانع: السائل، يقال: قَنَعَ يقْنَعُ قُنُوعاً؛ إذا سأل. قال الشمّاخ:

لمالُ المرء يُصلحُهُ فيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أعَفُّ من القُنُوع[٥]

أي: من السؤال، ويقال: قَنِعَ قناعةً؛ إذا رضِيَ، فهو قَنِعٌ.

﴿كذلك سخرناها لكم﴾ أي: مثل ما وصفنا لكم من نحرها صَوَافَّ، سخَّرْناها لكم، ذللناها لكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المشروع، ولولا تسخير الله تعالى لم يُقدر عليها، ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش الصغار الممتنعة، ﴿لعلكم تشكرون﴾ إحساني إليكم وإنعامي عليكم.

= وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنِعت به -بكسر النون- أقنع قناعة وقنعاً وقنعاناً.
وأما المعترّ فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه.

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: قنع).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عرر).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٨).

(٥) البيت للشماخ، انظر: ديوانه (ص:٢٢١)، والبحر (٦/ ٣٢٣)، والدر المصون (٥/ ١٥١)، والجمهرة (٣/ ١٣٢)، واللسان (مادة: فقر، قنع)، والطبري (١٧/ ١٦٨)، والقرطبي (١٢/ ٦٤)، والماوردي (٤/ ٢٤)، وزاد المسير (٥/ ٤٣٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٥١).
والمَفَاقِر: وجوه الفقر، وقيل: جمع فَقْر على غير قياس، مثل: مَشَابِه ومَلامِح. والقُنُوع: السؤال.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لن ينال الله﴾ أي: لن يصل إليه ﴿لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي: يرتفع إليه ويصل إليه التقوى منكم والأعمال الصالحة التي أريد بها وجه[1] الله تعالى.

قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية إذا نحروا الإبل نضحوا دماءها حول البيت قُرْبَةً إلى الله، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقرأتُ ليعقوب: "لن تنال الله"، "ولكن تناله التقوى منكم" بالتاء فيهما[3].

قال الزجاج[4]: من قرأ بالياء فلِجَمْع اللحوم، ومن قرأ بالتاء فلجماعة اللحوم. ومن قرأ: "تناله" بالتاء أنَّثَ للفظ التقوى. ومن قرأ بالياء ذكَّر؛ لأن معنى التقوى والتُّقَى واحد.

قوله تعالى: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي: على ما بيّن لكم من معالم الدين ومناسك الحج، ﴿وبشر المحسنين﴾.

---

(١) في ب: أريد بها وجهه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٥) عن ابن جريج. وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٨) ونسبه لابن عباس، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢) من قول ابن السائب الكلبي. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥-٥٦) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن جريج وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٥)، والنشر (٢/ ٣٢٦).

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٩).

قال ابن عباس: يريد: الموحدين[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ
ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ
فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ
﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟
بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله يَدْفَعُ عن الذين آمنوا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يَدْفَعُ". وقرأ الباقون: "يُدَافِعُ" من المفاعلة[٢]، والمعنى واحد.

والمراد: إعلام العباد بنصره سبحانه وتعالى للمؤمنين، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ [غافر:٥١]، ثم بيّن العلة في ذلك فقال: ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ وهم الذين خانوا الله والرسول وجعلوا لله شركاء.

[illegible] ﴿أذن﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم: "أُذن" [illegible] ها [illegible] الباقون.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٧-٤٧٨)، والكشف (٢/ ١١٩-١٢٠)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة (ص:٤٣٧).

وقرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يقاتَلون﴾ بفتح التاء، وكسرها الباقون[١]، والمعنى ظاهر.

قال المفسرون: كان المشركون بمكة يُؤْذُون أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا شَكَوْا إلى رسول الله ﷺ قال لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهي أول آية نزلت في إباحة القتال[٢].

ثم أشار إلى علة إباحته بقوله: ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ حيث أخرجوهم من ديارهم [وأموالهم][٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ ترغيب للمؤمنين في الالتجاء إليه والاعتماد عليه، وتعريض لهم بنصره إياهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ تقديره: أُذِنَ للمقاتلين المخرَجِين من ديارهم بغير حق. وما بين الصفة والموصوف جملة اعتراضية، كما في قوله تعالى: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة:٧٦]، ففصل بين الصفة والموصوف بقوله: "لو تعلمون".

﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيبويه[٤]: هذا من الاستثناء المنقطع. المعنى: لكن بأن قالوا ربنا الله، أي: أخرجوهم بسبب توحيدهم.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٢-١٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٨-٤٧٩)، والكشف (٢/ ١٢٠-١٢١)، والنشر (٢/ ٣٢٦)، والإتحاف (ص:٣١٥)، والسبعة (ص:٤٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٣)، وأسباب النزول (ص:٣١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٦).

(٣) في الأصل: وأموهم. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ٣٢٥).

وقال الزجاج والزمخشري[١]: "أن يقولوا" في محل الجرّ على الإبدال من "حق"، أي: بغير موجب سوى التوحيد.

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ مُفسّر في البقرة[٢].

﴿لهُدِّمَتْ صوامع﴾ قرأ ابن كثير ونافع: "لهُدِمَتْ" بالتخفيف، وشدّده الباقون[٣].

قال ابن عباس ومجاهد: يعني: صوامع الرهبان[٤].

﴿وبيع﴾ جمع بِيعَة، وهي مُتعبّدات النصارى.

﴿وصلوات﴾ على حذف المضاف، أي: مواضع صلوات.

قال اللغويون: هي بالعبرانية صلوثا، فعُرِّبَت[٥].

قال قتادة: هي كنائس اليهود[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٠)، والكشاف (٣/ ١٦١).

(٢) آية رقم: ٢٥١.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٩)، والكشف (٢/ ١٢١)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٥) عن مجاهد، ومجاهد (ص:٤٢٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩-٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن أبي العالية، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٣٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال أبو العالية: مساجد الصابئين(١).

وقيل: هي الصلوات حقيقة، على معنى: ولولا دفع الله عن المسلمين بالمجاهدين لانقطعت الصلوات(٢).

﴿ومساجد﴾ قال ابن عباس: يريد: مساجد المسلمين(٣).

قال الزجاج(٤): معنى الآية: لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبِيَع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد.

وقوله تعالى: ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ يجوز أن يكون مختصاً بالمساجد، ويجوز أن يكون شاملاً للأماكن المذكورة.

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي: ينصر دينه وشرعه، ﴿إن الله لقوي﴾ شديد لا يُغالب ﴿عزيز﴾ منيع في سلطانه.

قوله: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ قال الزجاج(٥): "الذين" في موضع نصب على تفسير مَنْ. المعنى: ولينصرن الله من ينصره.

ثم بيَّن عز وجل صفة ناصريه فقال: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٧) عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٧) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٧) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٣١).

(٥) معاني الزجاج (٣/ ٤٣١).

فصفة حزب الله الذين يُوحِّدونه: [إقامة][1] الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهما واجبان كوجوب الصلاة والزكاة، أعني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا كله كلام الزجاج.

قال قتادة في هذه الآية: هم أصحاب محمد ﷺ[2].

وقال كثير من المفسرين: هذا إخبار من الله تعالى وثناء على الخلفاء الراشدين من المهاجرين، ومدح لهم بما سيظهر منهم من السيرة العادلة، وإثبات لصحة أمرهم وخلافتهم؛ لأن الله تعالى لم يُعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم[3].

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: هذا والله ثناء قبل بلاء[4].

﴿ولله عاقبة الأمور﴾ ولما كانت الرهبة من القادر والرغبة إليه من أوكد الأسباب الصَّادَّةِ لغالب الناس عن الإقدام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخبر الله سبحانه وتعالى عباده أنه أحقُّ من خِيفَ منه، وأولى من توجهت الرغبة إليه؛ لأن جميع الأمور إليه تؤول، وكل مُلْك سوى مُلْكه يزول، فقال: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾.

---

(١) في الأصل: بإقامة. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٨) عن أبي العالية. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٤) عن قتادة، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٦٢)، والنسفي (٣/ ١٠٦).

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٠٢)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٦٢).

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذِّبَ موسى﴾ وقد ذكرنا قصصهم فيما مضى.

والمقصود من هذه السياقة تعزية النبي ﷺ.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلت: لم قيل: "وكذب موسى" ولم يقل: وقوم موسى؟

قلتُ: لأن موسى ما كذّبه قومه بنوا إسرائيل، وإنما كذّبه القبط. وفيه شيء آخر؛ كأنه قيل بعدما ذُكر تكذيب كل قوم رسولهم: وكُذِّب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعِظَم معجزاته، فما ظَنُّكَ بغيره.

﴿فأمليت للكافرين﴾ أخَّرتُ عقوبتهم وأمْهلتهم، ﴿ثم أخذتهم﴾ أي: بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام في معنى التقرير، والنكير بمعنى الإنكار

(١) الكشاف (٣/ ١٦٢).

والتعيير.

والمعنى: كيف أنكرتُ عليهم ما فعلوا من التكذيب، أبدلتهم بالنعمة العذاب، وبالعمارة الخراب.

قوله تعالى: ﴿فكأيٍّ من قرية أهلكتُها﴾ قرأ أبو عمرو: "أهلكْتُها" بالتاء على لفظ الواحد. وقرأ الباقون: "أهلكناها" بالنون على لفظ الجمع[١].

﴿وهي ظالمة﴾ في محال الحال[٢]. وَصَفَهَا بالظلم، والمراد: أهلها.

﴿فهي خاوية على عروشها﴾ ساقطة على سقوفها. وقد ذكرنا تفسيره فيما مضى، وهذا هو الظاهر من التفسير.

ويجوز أن يكون "على عروشها" خبراً بعد خبر[٣]، كأنه قيل: هي خاوية، وهي على عروشها، أي: هي قائمة مُطِلَّةٌ على عروشها، على معنى: أن السقوف تهدمت وبقيت الحيطان قائمة مطلة على السقوف المتهدمة.

قوله تعالى: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ معطوفان على "قرية"[٤]، تقديره: فكم من قرية وبئر معطلة، أي: متروكة معطلة من الاستقاء والعمل، وقصر مُجَصَّص.

واختلف القُرّاء في تحقيق الهمزة وتخفيفه في "بئر"، فخفَّفه الأكثرون[٥].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٧٩-٤٨٠)، والكشف (٢/ ١٢١)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٨).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٥٥).

(٣) هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٤٥)، والدر المصون (٥/ ١٥٦).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٤)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٨).

قال أبو علي[١]: كلاهما حسن، والتحقيق هو الأصل، والتخفيف دخيل عليه استثقالاً للهمزة، وتخفيف هذا النحو: أن تُقْلَبَ الهمزة فيه ياء بحسب الحركة التي قبلها، وكذلك "الذئب"[٢] وما أشبهه مما فيه همزة ساكنة قبلها كسر[٣].

وقال الزجاج[٤]: أصل الشِّيد: الجصُّ والنُّورَة، وكل ما بُنِيَ بهما أو بأحدهما فهو مَشِيد.

وقيل: مَشِيدٌ: مُحَصَّنٌ مُرتَفعٌ، من قولهم: شَادَ بناءه؛ إذا رفعه[٥].

وقد ذكرنا هذا المعنى في سورة النساء[٦]، وفيه إضمار تقديره: وكم قصر مشيد أخليناه من[٧] ساكنه، فتُرِك لدلالة معطلة عليه.

وقد قيل: إن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله تعالى من العذاب، وهي بحضرموت. وإنما سُميت بذلك؛ لأن صالحاً حين حضرها مات، وثَمَّ بلدة عند البئر اسمها: حاضوراء، بناها قوم صالح، وأمّروا عليهم رجلاً منهم، وأقاموا بها دهراً وتناسلوا حتى نَمَوْا، ثم إنهم عَبَدُوا الأصنام وكفروا، فأرسل الله تعالى إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، فكفروا

---

(١) الحجة (٣/ ١٧٤).

(٢) في سورة يوسف، آية رقم (١٣).

(٣) في ب: كسرة.

(٤) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٢).

(٥) انظر: اللسان (مادة: شيد).

(٦) عند الآية رقم: ٧٨.

(٧) في ب: عن.

به وقتلوه في السوق، فأهلكهم الله تعالى، وعُطِّلت بئرهم وخربت قصورهم[١].

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ قال صاحب الكشاف[٢]: يحتمل أنهم لم يسافروا، فحُثُّوا على السفر؛ ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، أو أن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا، فجُعلوا كأن لم يُسافروا ولم يَرَوْا.

والمعنى: يعقلون ما يجب أن [يُعقل][٣] من التوحيد، ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي.

وقال غيره: ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ إذا نظروا آثار من هلك، ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ أخبار الأمم المكذبة.

﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ قال الفراء[٤]: الهاء في "فإنها" عِماد[٥]. وقيل: ضمير الشأن.

والقصة والضمير يجيء مذكراً [ومؤنثاً][٦].

وقوله: ﴿التي في الصدور﴾ توكيد؛ لأن القلوب لا تكون إلا في الصدور، ومثله: ﴿يقولون بأفواههم﴾ [آل عمران:١٦٧].

---

(١) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٣/ ١٦٣). وفي ب: وخرب قصرهم.

(٢) الكشاف (٣/ ١٦٤).

(٣) في الأصل: يفعل. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٢٨).

(٥) العماد: هو ضمير الفصل عند البصريين.

(٦) في الأصل: مؤنثاً. والتصويب من ب.

وقال صاحب الكشاف(١): إن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟

قلتُ: الذي قد تعورف واعتقد: أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو [أن تصاب](٢) الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومَثَلٌ، فلما أريد [إثبات](٣) ما هو خلاف الحقيقة المعْتَقَد من نسبة العَمَى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل [تعريف، ليتقرر](٤) أن مكان العَمَى هو القلب لا الأبصار، كما تقول: ليس المَضَاءُ للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فَكَّيْكَ، فقولك: "الذي بين فكَّيْك" تقرير لما ادّعيته للسانه [وتثبيت، لأن محل المضاء هو هو لا غير](٥)، وكأنك قلت: ما نفيته عن السيف وأثبته للسانك قلته لا سهواً مني، ولكني تعمدته تعمداً.

أخبرنا الشيخ عبدالعزيز بن معالي بن غنيمة بن منينا قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري، أخبرنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا عبدالملك بن محمد بن بشران [الواعظ](٦)، أخبرنا دعلج بن أحمد، حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون المعوذي، حدثنا عمرو بن الحُبَاب(٧)، حدثنا

---

(١) الكشاف (٣/ ١٦٤).

(٢) في الأصل و ب: ارتكاب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وتعريف لتقرر. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ١٦٤).

(٦) في الأصل: الوعظ. والتصويب من ب.

(٧) عمرو بن الحباب البصري، أبو عثمان العلاف، ويقال: الصباغ، كان بالمربد، مقبول (تهذيب التهذيب ٨/ ١٥، والتقريب ص: ٤١٩).

يعلى بن الأشدق[١]، حدثنا عبدالله بن جراد[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الأعمى من يعمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته»[٣].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ نزلت في النضر بن الحارث وغيره[٤]، من المستعجلين بالعذاب العاجل [أو الآجل][٥]، تكذيباً واستهزاءً.

﴿ولن يخلف الله وعده﴾ في إنزال العذاب بهم.

قال ابن عباس: هو ما أصابهم يوم بدر[٦].

﴿وإن يوماً عند ربك﴾ يعني: من أيام الآخرة ﴿كألف سنة مما تعدون﴾.

---

(١) يعلى بن الأشدق، أبو الهيثم الجزري الحراني، كان حياً في دولة الرشيد، روى عن عمه عبد الله بن جراد، سكن الرقة مدة، وأصله من نواحي الطائف (لسان الميزان ٦/ ٣١٢).

(٢) عبد الله بن جراد بن المنتفق بن عامر بن عقيل العامري، روى عنه يعلى بن الأشدق، مات سنة أربع وستين ومائة (الثقات ٣/ ٢٤٤، والإصابة ٤/ ٣٩).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٢٧ ح١٣٧٢). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢١١)، والديلمي في الفردوس (٣/ ٤٠٣).

(٤) هو قول مقاتل. انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٦)، وزاد المسير (٥/ ٤٣٩).

(٥) في الأصل: والآجل. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٥).

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: "يعدون" بالياء، حملاً على قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ ليكون اللام من وجه واحد. والباقون قرأوا بالتاء؛ نظراً إلى كونه أعمّ(١).

والمعنى: مما تَعُدُّونَ من أيام الدنيا.

المعنى: فكيف تستعجلون بعذاب أيام هذا شأنها وطولها.

وقال الزجاج(٢): المعنى: أن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما استعجلوا به وبين تأخيره في القدرة، إلا أن الله تعالى تفضَّل عليهم بالإمهال.

قوله تعالى: ﴿وكأيٍّ من قرية أمليت لها وهي ظالمة﴾ قال الزمخشري(٣): إن قلت: لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو؟

قلت: الأولى وقعت بدلاً من(٤) قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾، وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين [المعطوفتين](٥) بالواو، أعني قوله: ﴿ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٠)، والكشف (٢/ ١٢٢)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٣).

(٣) الكشاف (٣/ ١٦٥).

(٤) في ب: عن.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

وما بعده ظاهر أو مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿والذين سعوا في آياتنا مُعجِّزين﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "مُعجِّزين" بتشديد الجيم من غير ألف، هنا، وفي الموضعين الآخرين بسبأ(١). وقرأها الباقون: "مُعَاجِزين" بالألف مع تخفيف الجيم(٢).

فمن قرأ: "مُعَجِّزين" فمعناه: ينسبون من تَبعَ النبي ﷺ إلى العجْز، كقولهم: جَهَّلْتُه، أي: نسبته إلى الجَهْل، وفَسَّقْتُه: نسبته إلى الفسق.

وقال مجاهد: "مُعَجِّزين": مثبّطين، أي: يثبّطون الناس عن النبي ﷺ(٣).

ومن قرأ: "مُعَاجزين" فمعناه: ظانّين ومُقدِّرين أنهم يُعَجِّزوننا؛ لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور، فيكون ثواب أو عقاب. وهذا المعنى كقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ [العنكبوت:٤].

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(١) الآية رقم: ٥ و ٣٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٤-١٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٠-٤٨١)، والكشف (٢/ ١٢٢)، والنشر (٢/ ٣٢٧)، والإتحاف (ص:٣١٦)، والسبعة (ص:٤٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٦)، ومجاهد (ص:٤٢٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كلهم بلفظ: "معجزين" مبطئين، يبطئون الناس عن اتباع النبي ﷺ.

حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ قال الواحدي[1]: الرسول: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته إياه شفاهاً، والنبي: الذي تكون نُبُوَّتُه إلهاماً أو مناماً.

وقال الزمخشري[2]: الرسول من الأنبياء، من جمع [إلى][3] المعجزة الكتاب المنْزَل عليه. والنبي غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أُمِرَ أن يدعو إلى شريعة من قبله.

قوله تعالى: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ قال محمد بن كعب القرظي وغيره: تمنى رسول الله ﷺ أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه قومه، لعله يتخذ ذلك سُلَّماً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيّهم، فاستمر به ما تمناه، حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم:٢٠] ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها على سبيل

---

(١) الوسيط (٣/ ٢٧٦).

(٢) الكشاف (٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٣) في الأصل: مع. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ١٦٥).

السهو والغلط فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى [(١)] [(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٨٦-١٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس.

(٢) إن هذه القصة والمعروفة بقصة الغرانيق قد ذكرها أكثر المفسرين دون تعليق فقد ذكرها الطبري وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٣٠-٢٣١) ثم قال: وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا كلها مرسلات ومنقطعات، والله أعلم. والذي يتتبع طرق هذه القصة يجد أن جميع طرقها مرسلة أو منقطعة أو معلة أو فيها جهالة، فالطرق مهما كثرت وكانت ضعيفة لا تزيد الرواية إلا ضعفاً. فإن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق لا تقبل على إطلاقها وهذا ما حققه الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح في مقدمته وغيره من علماء الحديث المحققين. لقد وقف على هذه القصة غير واحد من العلماء المحققين وبينوا زيف وبطلان هذه المرويات التي أوردها بعض المفسرين. فقد ذكر الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره: (٣/ ٤٦٢) عند قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج:٥٢] فقال: ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦] وقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم:٣] وقوله: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء:٧٤]. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتاباً. وللقاضي عياض في كتاب الشفاء (٢/ ٧٥٠) كلام حول نقض هذه القصة فيقول: فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: المأخذ الأول: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. المأخذ الثاني: فهو مبني على تسليم الحديث لو صح، وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة =

قال ابن عباس: قال ذلك الشيطان على لسان رسول الله ﷺ، ولم يكن لرسول الله ﷺ إحساس بذلك[(١)].

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ عند المقام، فنعس، فألقى الشيطان تلك الكلمات على لسانه وهو نائم، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بأحسن الذِّكْر، فأتاه جبريل فأخبره بما جرى على لسانه، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييباً لقلبه وإعلاماً له أن الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا[(٢)].

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: تمنّى [بمعنى][(٣)] تلا[(٤)]، وأنشدوا:

تمنّى كتابَ الله أوّل ليلِهِ ... تمنِّيَ داوُدَ الزبورَ على رِسْل[(٥)]

= منها الغث والسمين. ثم سرد أحاديث بين زيفها ورد العلماء عليها. ويقول الإمام القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٤) عند قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ بعد أن سرد بعض الروايات: ومما يدل على ضعفه أيضاً وتوهينه من الكتاب قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك... الآيتين﴾ [الإسراء:٧٣-٧٤]؛ فإنهما تردان الخبر الذي رووه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكان يركن إليهم. فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه في أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً؟

إن هذه الأقاويل يجب تنزيه رسول الله ﷺ منها، وقد ثبت بطلان هذه القصة سنداً ومتناً.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٢). وذكره الماوردي (٤/ ٣٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤١).

(٥) انظر البيت في: البحر (٦/ ٣٥٣)، واللسان (مادة: مني)، والقرطبي (٢/ ٦)، وزاد المسير =

﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي: يبطله ويذهبه[(١)].

﴿ثم يحكم الله آياته﴾ قال مقاتل[(٢)]: يحكمها من الباطل، ﴿والله عليم حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ليجعل﴾ اللام متعلقة بقوله: ﴿ما يلقي الشيطان﴾[(٣)] في أمنية رسوله ﴿فتنة﴾ ابتلاء وامتحاناً ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق، ﴿والقاسية قلوبهم﴾.

قال ابن عباس: يريد: المشركين، وهم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله[(٤)].

ثم حكم عليهم بالظلم فقال: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ يريد: وإن =

(١/ ١٠٥، ٥/ ٤٤٢)، وروح المعاني (١٧/ ١٧٣)، والدر المصون (١/ ٢٦٩).

(١) قال البغوي في تفسيره (٣/ ٢٩٣-٢٩٤): فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين؟ وقال جل ذكره في القرآن: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [فصلت:٤٢] يعني إبليس؟

قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه.

وقال قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاءة فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر.

والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه.

وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى يمتحن عباده بما يشاء.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٧).

(٣) قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٥٣): واللام في "ليجعل" متعلقة بـ"يحكم" وقيل: بـ"ينسخ". وقيل: بـ"ألقى"، والظاهر أنها للتعليل. وقيل: هي لام العاقبة. و"ما" في "ما يلقي" الظاهر أنها بمعنى الذي، ويجوز أن تكون مصدرية.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٧).

هؤلاء المنافقين والمشركين، فوضع الظاهر موضع المُضْمَر.

وقوله: ﴿لفي شقاق بعيد﴾ مفسّر في البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ أي: وليتيقن الذين أعطوا القرآن والتوحيد وكانوا على بصيرة من أمرهم ﴿أنه الحق﴾ أي: أن نسخ ذلك وإبطاله الحق ﴿من ربك﴾.

وقيل: وليعلم الذين أوتوا العلم أن تمكن الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة.

﴿فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ أي: تَذِلُّ وتخضع.

ثم بيّن سبحانه وتعالى أن الإيمان والإخبات إنما هو بلطفه وهدايته إياهم فقال: ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾.

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي: في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ، يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتدّ عنها. وهذا قول سعيد بن جبير والأكثرين[٢].

(١) عند آية رقم: ١٧٦.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤٤).

وقال ابن جريج: الكناية ترجع إلى القرآن[(١)].

وقيل: إلى الرسول ﷺ.

ويجوز عندي: أن يعود الضمير إلى "صراط مستقيم" لقربه وصحة المعنى في ردّه إليه، واشتماله على القولين المذكورين في القرآن والرسول ﷺ.

﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ يعني: القيامة[(٢)]، ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ وهو ما أصابهم يوم بدر[(٣)]. هذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين[(٤)].

وقال الواحدي[(٥)]: حتى تأتيهم ساعة موتهم، أي: حتى يموتوا أو يقتلوا، وهو قوله: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ١٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩-٧٠) وعزاه لابن المنذر.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٣٢): وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به، لكن هذا هو المراد، ولهذا قال: ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم﴾؛ كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة:٤]، وقوله: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ [الفرقان:٢٦].

(٣) وهو اختيار ابن جرير الطبري (١٧/ ١٩٣) قال: وهذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو تأتيهم الساعة، وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له.

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ١٩٣)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ٨٩) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧٠) وعزاه لابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) الوسيط (٣/ ٢٧٧).

فإن قيل: لم وصف يوم بدر بأنه عقيم؟

قلتُ: لأنه لم يُنْتِج [للكفار][١] خيراً، ولأنه لا مثل له؛ لقتال الملائكة فيه.

وقيل: أصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم: [لا تَلِد][٢]، ورجل عقيم: لا يُولد له[٣]. وأنشدوا:

عَقِمَ[٤] النساءُ فلا يَلِدْنَ شبيهَه إن النساءَ بمثلِهِ عُقْمُ[٥]

فوصفَ يوم الحرب بالعقيم؛ لأن النساء يقتُلْن أولادهن كأنهن عُقْمٌ لم يلدن.

قوله تعالى: ﴿الملك يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لله﴾ يعني: لله وحده لا شريك له ولا منازع.

﴿يحكم بينهم﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين.

ثم بيّن الحكم والفصل بينهم فقال: ﴿فالذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿عذاب مهين﴾.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ

---

(١) في الأصل: للكافر. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من زاد المسير (٥/ ٤٤٤).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٤) في الأصل: عقيم. والتصويب من ب، ومن مصادر البيت.

(٥) البيت لأبي دهبل يمدح عبدالله بن الأزرق المخزومي. وقيل: هو للحزين الليثي. انظر البيت في: اللسان (مادة: عقم)، والقرطبي (١٦/ ٤٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٤٤).

لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾. قال المفسرون: يعني: من مكة إلى المدينة[1].

ويندرج في عموم اللفظ كل من هاجر ابتغاء مرضاة الله من مكة وغيرها.

﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ وهو رزق الجنة.

وفي قوله: ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ تنبيه على عظمة ذلك الرزق وحُسْنه.

﴿ليُدخلنهم مُدْخَلاً يرضونه﴾ قد ذكرنا في سورة النساء[2] اختلاف القرّاء في "مُدْخَلاً"، وتعليل القراءتين.

﴿وإن الله لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ حيث تجاوز عن سيئاتهم.

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي: جازى الظالم بمثل ما ظلمه به.

قال الزجاج[3]: الأول لم يكن عقوبة، وإنما العقوبة الجزاء، ولكنه سُمي عقوبة؛ لأن الفِعلَ الذي هو عقوبة كان جزاء، فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة؛ لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كما قال: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها﴾ [الشورى:٤٠].

وقال علي بن الحسين النحوي: "مَنْ" بمعنى الذي، و"عاقب" صلته، وقوله:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤٥) كلاهما بلا نسبة.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٥).

﴿لينصرنه الله﴾ خبر المبتدأ[١]، ولا يكون قوله: "مَنْ عَاقَبَ" شرطاً؛ لأنه لا لام فيه، كما في قوله: ﴿لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ [الأعراف:١٨].

﴿ثم بُغِيَ عليه﴾ قال الحسن: قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بُغي عليه بإخراجه من منزله[٢].

فعلى هذا يكون التقدير: ثم كان قد بغي عليه.

﴿لينصرنه الله﴾ يعني: المظلوم بنصره على الباغي عليه.

وفي قوله: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ تنبيه للمجني عليه وتلويح له، ليتصف بما اتصف الله تعالى به من العفو والمغفرة.

وقال مقاتل[٣]: سبب نزول هذه الآية: أن مشركي مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرّم، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون الله أن لا[٤] يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبوا إلا القتال، فثبت المسلمون ونصرهم الله تعالى، ونزلت هذه الآية.

فالمعنى: إن الله لعفو عن المسلمين، غفور لهم قتالهم في الشهر الحرام.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٤٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٨). وانظر: الطبري (١٧/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١) وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٤) ساقط من ب.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك النصر بسبب أنه سبحانه وتعالى قادر على الانتقام من الباغي. ومن قدرته: أنه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وقد فسرنا ذلك في آل عمران[1].

﴿وأن الله﴾ تعالى ﴿سميع﴾ لأقوالهم، عليم[2] بنياتهم ومقادير جزائهم.

﴿ذلك﴾ الذي فعل من نصر المؤمنين وإيلاج أحد الجديدين في الآخر ﴿بأن الله﴾ أي: بسبب أن الله ﴿هو الحق﴾ الثابت الإلهية، ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾؛ لأنه لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء، ﴿وأن الله هو العلي﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿الكبير﴾ الذي يَصْغُرُ كل شيء بالنسبة إلى عظمته.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ يعني: بالنبات.

قال الخليل[3]: معنى الكلام: التنبيه، كأنه قال: أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا[4].

وقال ثعلب: لو كان استفهاماً والفاء شرطاً لَنَصَبْتَه[5].

---

(١) عند الآية رقم: ٢٧.

(٢) نص الآية القرآنية: ﴿سميع بصير﴾.

(٣) انظر قول الخليل في: الدر المصون (٥/ ١٦٣)، والبحر (٦/ ٣٥٥)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٠).

(٤) جملة: "كذا وكذا" هي كناية على الأحدوثة. حكاها سيبويه (٢/ ١٧٠).

(٥) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٥/ ٤٤٧).

وقال الزمخشري[(١)]: إن قلت: ما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام؟

قلتُ: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض؛ لأن معناه إثبات الاخضرار، فيقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار. مثاله: أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمتُ عليك فتشكر. إن نصبْتَه فأنت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه، وإن رفعْتَه فأنت مُثْبِتٌ للشكر.

﴿إن الله﴾ تعالى ﴿لطيف﴾ باستخراج أرزاق عباده من بلاده، موصول[(٢)] إليهم فضله من حيث لا يشعرون، ﴿خبير﴾ بمصالحهم ومنافعهم.

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ عبيداً وملكاً، ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عنهم، ﴿الحميد﴾: سبق تفسيره.

وحاصل القول فيه: أنه فَعِيلٌ بمعنى مفعول أو فاعل، بمعنى: الحامد لأوليائه وأهل طاعته.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ أي: ذَلَّل لكم ما فيها من البهائم، ﴿والفلك تجري﴾ أي: وسخر لكم السفن تجري ﴿في البحر﴾ لمعايشكم

(١) الكشاف (٣/ ١٧٠).

(٢) في ب: موصل.

ومصالحكم، ﴿بأمره ويمسك السماء أن تقع﴾ أي: كراهية أن تقع ﴿على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فيما سخر لهم وحبس عنهم.

والرؤوف مفسر فيما مضى.

﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم نطفاً ثم مضغاً ثم عَلَقاً لا حياة فيكم، ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث والحساب، ﴿إن الإنسان لكفور﴾ لجحود لنعم الله حيث لم يُوحِّدْه.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ سبق تفسيره في هذه السورة[1].

﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به.

﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾ قال المفسرون: يعني: في الذبائح، وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون: الميتة[2].

وقيل: هو نهي لرسول الله ﷺ، أي: لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكِّنهم من أن ينازعوك، أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله ﷺ بالمنازعة في الدين، وهم جُهّال لا علم عندهم.

---

(١) عند تفسير الآية رقم: ٣٤.

(٢) انظر: الطبري (١٧/ ١٩٩)، والوسيط (٣/ ٢٧٩).

وقال الزجاج[1]: هو نهي له عن منازعتهم، كما تقول: لا يُضَاربنَّكَ فلان، أي: لا تضاربه. وهذا جائز في القول الذي لا يكون إلا بين اثنين. ولا يجوز هذا في قولك: لا يَضربنَّكَ فلان وأنت تريد: لا تضْربَنَّه.

قوله تعالى: ﴿وادع إلى ربك﴾ أي: إلى دينه والإيمان به، ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾.

قال الزمخشري[2]: المراد: زيادة التثبيت لرسول الله ﷺ بما يهيج حميته ويُلْهِبُ غضبه لله تعالى ولدينه، ومنه قوله: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ [القصص:٨٧]، ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [الأنعام:١٤]، ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ [القصص:٨٦]. وهيهات أن ترتع همة رسول الله ﷺ حول ذلك الحمى، ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب.

قوله تعالى: ﴿وإن جادلوك﴾ أي: خاصموك في أمر الذبيحة والدين وأبوا إلا الإصرار على المكابرة والمعاندة ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ من التكذيب.

المعنى: وهو لكم مُجاز.

﴿الله يحكم بينكم﴾ أيها المسلمون والمشركون ﴿يوم القيامة﴾ حكم فصل وجزاء ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا من أحكام الدين.

فصل

أكثر المفسرين يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، وبعضهم يقول: هذا في حق المنافقين وكانت تظهر منهم فَلَتَاتٌ، فإذا عوتبوا أنكروا وحلفوا وجادلوا. فعلى

---

(١) معاني الزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٢) الكشاف (٣/ ١٧١).

هذا: لا نسخ[١].

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ استفهام في معنى التقرير. أي: قد علمت ذلك.

وقوله: ﴿إن ذلك في كتاب﴾ تحقيق لعلم الله تعالى، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿إن ذلك﴾ يعني: العلم بما في السماء والأرض ﴿على الله يسير﴾ لا يتعذر عليه.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حجة ظاهرة من دليل نقلي أو برهان عقلي، ﴿وما ليس لهم به علم﴾ يريد: الأصنام، فإنهم لا يعلمون أنها آلهة بوجه من الوجوه، ﴿وما للظالمين﴾ الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم الفظيع والجهل الشنيع ﴿من نصير﴾ ينصرهم ويُصوِّبُ مذهبهم، أو منيع يمنعهم

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٢٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٠٠).

من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ يعني: القرآن، ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي: أثر الإنكار من الكراهة والتعبيس والتقطيب، ﴿يكادون يسطون﴾ يَثِبُون ويبطشون ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ محمد وأصحابه كراهة لما جاؤوا به، ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أي: بأشد عليكم وأكره إليكم من هذا القرآن، ثم بيّنه فقال: ﴿النارُ﴾ أي: هو النار.

وقُرئ شاذاً: "النارَ" بالنصب على الاختصاص، وبالجر على البدل من "بِشَرٍّ"[1].

﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ كلام مستأنف. ويجوز أن يكون "النار" مبتدأ وما بعده الخبر[2]، ﴿وبئس المصير﴾ تفسيره.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ قال صاحب الكشاف[3]: إن قلت: الذي جاء به ليس بمَثَل، فكيف سمّاه مَثَلاً؟

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٧)، والتبيان (٢/ ١٤٦)، والبحر المحيط (٦/ ٣٥٩).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) الكشاف (٣/ ١٧٢).

قلتُ: قد سُمّيت الصفة أو القصة الرائعة المتلقّاة بالاستحسان والاستغراب: مَثَلاً؛ تشبيهاً لها ببعض الأمثال المُسَيَّرة، لكونها مستحسنة مستغربة عندهم.

﴿إن الذين تدعون﴾ وقرأ يعقوب: "يدعون" بالياء[١]. ووجه القراءتين ظاهر.

والمعنى: أن الأوثان الذين تدعونهم آلهة ﴿من دون الله لن يخلقوا ذباباً﴾ الذي هو أقلّ مخلوقات الله وأحقرها.

قوله تعالى: ﴿ولو اجتمعوا له﴾ في محل الحال[٢]، كأنه قيل: مُحالٌ أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه.

ثم بالغ في وصفهم بالعجز فقال: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ أي: وإن يسلبهم الذباب الذي هو أحقر المخلوقات وأضعفها من الآلهة التي عبدوها شيئاً من الأشياء ﴿لا يستنقذوه منه﴾ أي: لا يستخلصوه منه، فكيف اتخذوها آلهة. وهي النهاية في العجز المُنافي للإلهية.

قال ابن عباس: كانوا يَطْلُون أصنامهم بالزعفران فيجفّ، فيأتي الذباب فيختلسه فلا [يقدرون أن يَستردُّوه][٣] من الذباب ويستنقذوه منه[٤].

وقال السدي: كانوا يجعلون لآلهتهم طعاماً فيقع الذباب عليه فيأكل منه[٥].

﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أي: ضعف الصنم والذباب، فهو على معنى

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٧)، والنشر (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٩).

(٣) في الأصل: يقدون أن يستردونه. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٢).

(٥) مثل السابق.

التسوية بينهم في الضعف.

وعند التحقيق تجد الصنم أضعف من الذباب؛ لأنه جماد، والذباب حيوان.

وقال السدي: "الطالب": عابد الصنم، "والمطلوب": الصنم(١).

﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق عظمته، حيث جعلوا ما هو أعجز من الذباب وأحقر شركاءه في الإلهية.

﴿إن الله لقوي عزيز﴾ فكيف يعدلون به الضعيف الذليل.

ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً﴾ يعني: كجبريل وميكائيل، ﴿ومن الناس﴾ كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، ﴿إن الله سميع﴾ لما يجهر به العبد ويخفيه ﴿بصير﴾ [بمن](٢) يختصه [للرسالة](٣) ويصطفيه.

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله(٤): الإشارة إلى الذين تقدم ذكرهم من الملائكة والناس، ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ مفسر في البقرة(٥).

والمراد: الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بالأشياء، وأن إليه المرجع في الانتهاء،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: بالرسالة. والتصويب من ب.

(٤) زاد المسير (٥/ ٤٥٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢١٠.

والتنبيه على أن من كان بهذه المثابة لا يجوز أن يُعترض له في تدبيره وقضائه واختياره واصطفائه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ قال المفسرون: صلُّوا؛ لأن الصلاة تشتمل على الركوع والسجود[1].

﴿واعبدوا ربكم﴾ وحِّدُوه.

وقيل: اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجهه سبحانه وتعالى.

﴿وافعلوا الخير﴾ أبواب البرِّ كلها؛ من صلة الأرحام ومكارم الأخلاق.

أمرهم سبحانه وتعالى بالصلاة على سبيل التعيين؛ لعظم خطرها، ثم عقَّبَ ذلك بالأمر بغيرها من أفعال الخير على سبيل العموم.

﴿لعلكم تفلحون﴾ أي: افعلوا هذا وأنتم راجون الفلاح.

وقد قررنا هذا فيما مضى، وذكرنا أقوال العلماء في معنى "لعلَّ".

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٤).

فصل

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في السجدة الأولى من هذه السورة، واختلفوا في الثانية؛ فذهب عمر وابنه وعمار وأبو الدرداء وابن عباس في آخرين: إلى أنها سجدة وقالوا: فُضِّلَت على سائر السور بسجدتين[١]، وإليه ذهب إمامنا والشافعي[٢].

واحتج القائلون بهذا بما روي عن عقبة بن عامر قال: «قلت: يا رسول الله! في الحج سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»[٣].

وذهب الحسن وسعيد بن المسيب وإبرهيم النخعي وأبو حنيفة ومالك إلى أنها ليست بسجدة. وعلل بعضهم باقتران الركوع بها، فدل على أنها سجدة صلاة، لا سجدة تلاوة.

قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ وحمل أكثر المفسرين الجهاد هاهنا على جميع أفعال الطاعة، وقالوا: حق الجهاد: إخلاص العمل من شوائب الرياء.

وقال الضحاك: هو جهاد الكفار[٤]، وهو مُندرجٌ في القول الأول.

وقال ابن المبارك: هو جهاد النفس والهوى[٥]. ولعمري إنه أكبر الجهاد وأشَقُّه.

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٧٢ ح٤٢٨٧) عن ابن عمر عن عمر: «أنه سجد في الحج سجدتين ثم قال: إن هذه السورة فضلت على سائر السور بسجدتين».

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٨ ح١٤٠٢)، والترمذي (٢/ ٤٧٠ ح٥٧٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٥).

(٥) مثل السابق.

﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من ضيق، بل وسّع عليكم وسهّل لكم السُّبُل التي ضيّقها على بني إسرائيل، على ما ذكرناه في سورة الأعراف. وهذا معنى قول ابن عباس(١).

وقال مقاتل(٢): يعني: الرُّخَص عند الضرورة؛ كالقَصْر، والتيمم، وأكل الميتة، والإفطار في المرض والسفر.

وقيل: ما جعل عليكم في الدين من حرج بل فتح لكم باب التوبة.

﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ قال الأخفش والفراء والمبرد والزجاج(٣): المعنى: عليكم ملة أبيكم إبراهيم.

وقيل: النصب على الاختصاص، تقديره: أعني بالدين ملة أبيكم(٤).

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله(٥): إن قيل: هذا الخطاب للمسلمين وليس إبراهيم أباً لكلهم؟

فالجواب: أنه [إن](٦) كان خطاباً عاماً للمسلمين، فهو كالأب لهم؛ لأن حرمته وحقه عليهم كحق الوالد. وإن كان خطاباً للعرب خاصة؛ فإبراهيم أبو العرب قاطبة. هذا قول المفسرين.

قال: والذي يقع لي: أن الخطاب لرسول الله ﷺ؛ لأن إبراهيم أبوه، وأمّة

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٩١)، والوسيط (٣/ ٢٨٢)

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٣١)، ومعاني الزجاج (٣/ ٤٤٠).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ١٦٩).

(٥) زاد المسير (٥/ ٤٥٦).

(٦) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

رسول الله ﷺ داخلة فيما خوطب به رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قال ابن عباس: المعنى: الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة المتقدمة، ﴿وفي هذا﴾ الكتاب[1].

وقال ابن زيد: المعنى: إبراهيم سمّاكم المسلمين من قبل، حين قال: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾، وفي هذا وهو قوله: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾[2] [البقرة:١٢٨].

والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ليكون الرسول﴾ أي: اجتباكم وسمّاكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول محمد ﷺ ﴿شهيداً عليكم﴾ يوم القيامة بالتبليغ، ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بأن رسلهم بلّغتهم.

ولما ذكّرهم بالنعم أمرهم بالشكر فقال: ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ قال ابن عباس: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يُسْخِطُ ويَكْرَه[3].

---

(١) أخرجه الطبري مختصراً (١٧/ ٢٠٧)، وكذا ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٧)، والسيوطي مختصراً في الدر (٦/ ٨٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨١) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال ابن جرير الطبري بعدما ذكر رواية ابن زيد: ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك؛ لأن معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٧).

وقال الحسن: "واعتصموا بالله": تمسكوا بدينه[١].

﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومعينكم، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ مفسر فيما مضى[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٧).

(٢) في سورة الأنفال عند الآية رقم: ٤٠.

سورة [المؤمنون][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة وتسع عشرة آية بإجماعهم.

أخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه كدويّ النحل، فمكثنا ساعة واستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقُصنا، وأكرمنا ولا تُهنّا، [وأعطنا][2] ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا. ثم قال: لقد أُنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى عشر آيات »[3].

وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ [قال][4]: « إن الله حاط حائط الجنة لَبِنَة من ذهب ولَبِنَة من فضة، وغرس غرسها بيده، فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال لها: طُوبى لك منزل الملوك »[5].

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

---

(١) في الأصل و ب: المؤمنين.

(٢) زيادة من مسند أحمد ومستدرك الحاكم.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٤ ح٢٢٣)، والحاكم (٢/ ٤٢٥ ح٣٤٧٩).

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٩٩ ح٣٧٠١).

حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾

قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ قال الفراء(١): "قد" هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال؛ لأن "قد" تُقرّب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: "قد قامت الصلاة" قبل حال قيامها، فيكون المعنى في الآية: أن الفلاح قد حصل [لهم](٢) وأنهم عليه في الحال(٣).

وقال الزمخشري(٤): "أفلح" دخل في الفلاح، كأَبْشَرَ: دخل في البشارة، ويقال: أفلحه: أصاره إلى الفلاح، وعليه قراءة طلحة بن مصرّف: "أُفْلِحَ"، على البناء للمفعول(٥).

وقال ابن عباس: معناه: قد سَعِدَ المصدِّقون وبَقُوا في الجنة(٦).

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: الوسيط (٣/ ٢٨٤)، وزاد المسير (٥/ ٤٥٩).

(٢) زيادة من ب.

(٣) قال الزركشي في البرهان (٤/ ٣٠٥): واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقع، كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾؛ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله.

(٤) الكشاف (٣/ ١٧٧).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ١٧١)، والبحر (٦/ ٣٦٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤).

قوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قال أبو هريرة: «كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، فنكَّس رأسه»[١].

قال ابن عباس: خشع من خوف الله، فلا يعرف مَنْ على يمينه ولا مَنْ على يساره[٢].

وقال بعض أرباب الإشارات: يحتاج المصلي إلى أربع خلال حتى يكون خاشعاً: إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين التام، وجمع الهمّ[٣].

وقال عصام بن يوسف لحاتم الأصم: هل تُحسن تُصلي؟ قال: نعم، قال: ممن تعلمت؟ قال: من شقيق بن إبراهيم. قال: كيف تصلي؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت [الوضوء][٤]، ثم أستوي في الموضع الذي أُصلِّي فيه حتى يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين حاجِبيَّ، والمقام حيال صدري، والله فوقي، وكأنّ قدميَّ على الصراط، والجنة عن يميني والنار عن شمالي، ومَلَكُ الموت من خلفي، وأظن أنها آخر صلاتي، ثم أُكبِّرُ بإخبات، وأقرأ بالتفكُّر، وأركع بالتواضع، وأسجد بالتضرع، ثم أتشهد على الرجاء، وأُسلِّم بالإخلاص، وقد أدَّيتها بأكل

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٢٨٢ ح٣٣٥٧)، والحاكم (٢/ ٤٢٦ ح٣٤٨٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد بن سيرين، فقد قيل عنه مرسلاً، ولم يخرجاه. وعقب الذهبي بأن الصحيح أنه مرسل.

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨٤) وعزاه لابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١١٦) عن أبي الدرداء.

(٤) في الأصل: الضوء. والتصويب من ب.

الحلال، وأنا بين الخوف والرجاء، لا أدري قُبلت أم رُدّت. فقال: يا حاتم هكذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتي منذ ثلاثين سنة. فبكى عصام وعانقه طويلاً حتى ابتلّ رداؤه[1].

قوله تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال الزجاج[2]: "اللغو" كل باطل ولهو وهَزْل ومعصية، وما لا يجمل في القول والفعل. وهذا يشمل قول ابن عباس: هو الشرك[3]، وقول الحسن: المعاصي[4]، وقول السدي: الكذب[5].

وقال مقاتل[6]: اللغو: ما كانوا يسمعونه من الكفار من الشتم والأذى.

قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي: مُؤدُّون، فعبّر عن التأدية بالفعل؛ لأنه فِعْل.

قال صاحب الكشاف[7]: الزكاة: اسم مشترك بين عين ومعنى. فالعين: القدر الذي يخرجه المُزَكِّي من النصاب إلى الفقير. والمعنى: فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله تعالى، فجعل المزكِّين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره؛ لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدِّثه: فاعل، تقول للضارب: فَاعِلُ

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٨/ ٧٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٨٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٠).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٢).

(٧) الكشاف (٣/ ١٧٩-١٨٠).

الضَّرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكِّي: فاعل التزكية. والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث: مَنْ فاعل هذا؟ فيقال لك: فاعله الله تعالى أو بعض الخلق. ولم تمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون، لخروجها من صحة تناولها الفاعل، ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها. وقد أنشدوا لأمية بن أبي الصلت:

المطْعِمُون الطعام في السَّنة الأزْ مَةِ والفاعِلُون للزكوات[١]

ويجوز أن [يراد][٢] بالزكاة العين، ويُقدَّر مضاف محذوف وهو الأداء، وحَمْلُ البيت على هذا أصح؛ لأنها فيه مجموعة.

قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ قال ابن السائب: يَعُفُّون عما لا يحلّ لهم[٣].

﴿إلا على أزواجهم﴾ قال الفراء[٤]: "على" بمعنى "مِنْ".

وقال الزمخشري[٥]: "على أزواجهم" في موضع الحال، أي: إلاّ وَالِينَ على أزواجهم، أو [قوّامين][٦] عليهنّ، من قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في: البحر (٦/ ٣٦٦)، والدر المصون (٥/ ١٧٣)، والكشاف (٣/ ١٧٩)، والقرطبي (١٢/ ١٠٥)، وروح المعاني (١٨/ ٥).

والأزمة: يريد اشتد القحط وقلّ الخير، يقول: إنهم يطعمون الطعام للناس عند الحاجة ويؤدون زكاة أموالهم. والشاهد في قوله: "والفاعلون للزكوات" حيث أسند الأداء إليهم.

(٢) في الأصل: يرد. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٤).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٣١).

(٥) الكشاف (٣/ ١٨٠).

(٦) في الأصل: قومين. والتصويب من ب.

فخلف عليها فلان.

والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال، إلا في حال تَـزَوُّجهم أو تَسَرِّيهم، أو تعلق "على" بمحذوف يدل عليه ﴿غير ملومين﴾، كأنه قيل: يُلامـون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم مـن الأزواج والإماء المملوكات، ﴿فإنهم غير ملومين﴾. وهذا معنى قول الزجاج[(١)].

فإن قلت: فهلا قيل: مَنْ ملكت؟

قلتُ: لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث.

قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي: طلب سوى الأزواج والإماء المملوكات، ﴿فأولئك هم العادون﴾ في طلبهم وتجاوُزهم إلى ما لا يحلّ لهم.

قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ قرأ ابن كثير: "لأمانتهم" على التوحيد، على أنه مصدر أو اسم جنس، وهي عامة في جميع ما اؤتُمن عليه العبد فيما بينه وبين الله تعالى أو بين الناس، وكذلك العهد.

وقيل: سُمِّيَ الشيء المؤتمنُ عليه والعهد عليه: أمانةً وعهداً، ومنه قوله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء:٥٨]، وإنما تـؤدى العيـون لا المعاني.

وأصل الرَّعْي: القيام بحفظ الشيء وإصلاحه، ومنه: الرَّاعي.

قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "صلاتهم" على التوحيد[(٢)]، وهو اسم جنس. والمراد بالمحافظة عليها: أداؤُها في أوقاتها على

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٣)، والكشف (٢/ ١٢٥)، والنشر =

الوجه المشروع.

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ يعني: الجامعين لهذه الأوصاف ﴿هم الوارثون﴾.

ثم بيّن ما يرثونه فقال: ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ وقد سبق معنى الإرث[1] ومعنى الفردوس[2] فيما مضى.

﴿هم فيها خالدون﴾ أنّث الفردوس على تأويل الجنة.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة﴾ قال سلمان الفارسي: المراد بالإنسان: آدم عليه السلام[3].

وإنما قيل له سلالة؛ لأنه استُلَّ من جميع الأرض. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة[4].

= (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٧)، والسبعة (ص:٤٤٤).

(١) في سورة مريم، آية رقم: ٦.

(٢) في سورة الكهف، آية رقم: ١٠٧.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٢).

(٤) مثل السابق.

وقيل: المراد بالإنسان: ولد آدم، وهو اسم جنس يقع على الجميع[١].

فعلى هذا؛ "السلالة": النطفة، سُميّت بذلك؛ لأنها استُلَّتْ من الطين، وهو آدم عليه السلام[٢].

والقولان عن ابن عباس.

وقال عكرمة: "السلالة": الماء يُسَلُّ من الظهر سَلاًّ[٣].

﴿ثم جعلناه نطفة﴾ يعني: جعلنا جوهر الإنسان نطفة بعد أن كان طيناً، ﴿في قرار مكين﴾ وهو الرَّحم. والمَكِين: الحَرِيز.

وما بعده مُفسّر في الحج[٤] إلى قوله: ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "عظماً"[٥] على التوحيد في الموضعين، على إرادة الجمع بلفظ الواحد لزوال اللبس، فإن الإنسان ذو عظام كثيرة، كما قال:

.... في حلْقِكُم عظمٌ وقد شَجِينا[٦]

يريد: في حُلُوقِكُم.

---

(١) ذكره الطبري (١٨/ ٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٥).

(٢) ذكره الطبري، والواحدي في الموضعين السابقين، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ٩٠-٩١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) آية رقم: ٥.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٧-١٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٤)، والكشف (٢/ ١٢٦)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٤).

(٦) عجز بيت للمسيب بن زيد مناة، وصدره: (لا تُنكِروا القَتْلَ وقد سُبِينا). انظر البيت في: اللسان، (مادة: شجا)، والدر المصون (٥/ ١٧٧)، والقرطبي (١/ ١٩٠).

قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ هو استواء الشباب.

وقال الحسن: كونه ذكراً أو أنثى[١].

وقيل: ما [أودع][٢] فيه من العقل والفهم[٣].

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أي: المقدِّرين والمصوِّرين.

وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمر، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب»[٤].

فإن قيل: هل من [خالق][٥] غير الله حتى [قال][٦]: ﴿أحسن الخالقين﴾؟

قلتُ: قد سبق فيما مضى أن الخلق في اللغة: التقدير، ومنه:

ولأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القوم يخلُقُ ثم لا يَفْرِي[٧]

فالمعنى: أحسن المقدرين والصانعين للأشياء.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٣).

(٢) في الأصل: أدع. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٣).

(٥) زيادة من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) البيت لزهير يمدح رجلاً، انظر: ديوانه (ص:٩٤)، واللسان (مادة: خلق، فرا)، والبحر (٦/ ٣٦٩)، والدر المصون (١/ ١٤٦، ٥/ ١٧٧)، والطبري (١٨/ ١١)، والقرطبي (١/ ٢٢٦، ١٢/ ١١٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٦٤، ٨/ ٢٢٨)، وروح المعاني (١٨/ ١٦، ٢٣٤).

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ أي: بعد تمام الخلق ﴿لميتون﴾ عند انقضاء آجالكم.

وقرأ أبو رزين العقيلي وعكرمة: "لمايتون"[١].

قال الفراء[٢]: العرب تقول لمن لم يمت: إنك مائتٌ عن قليل وميّتٌ، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنما يقال في الاستقبال فقط.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ يعني: السموات السبع.

قال ابن قتيبة[٣]: سميت طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض. يقال: طارقت الشيء؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض[٤].

وقيل: سُميت بذلك؛ لأنها طرق الملائكة.

﴿وما كنا عن الخلق﴾ أي: عن مصالح الخلق وما يحتاجون إليه من الأرزاق وغيرها ﴿غافلين﴾.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٦٤)، والدر المصون (٥/ ١٧٨).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣٢).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: طرق).

لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ فسّرناه عند قوله في الحِجْر: ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[1].

وقوله: ﴿فأسكناه في الأرض﴾ مثل قوله: ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ [الزمر:٢١]، وقد جاء في حديث ليس إسناده بالقائم، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار: سَيْحُون وهو نهر الهند، وجَيْحُون نهر بلخ، ودجلة والفُرات وهما نهرا العراق، والنِّيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة [من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل][2]، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع في أصناف معايشهم، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى [بما فيه][3]، وهذه الأنهار الخمسة، يرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾، فإذا رُفعت هذه الأشياء من الأرض فَقَدَ أهلها خير الدين والدنيا»[4].

---

(١) الآية رقم: ٢١.

(٢) زيادة من مصادر التخريج.

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٦-٢٨٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٩٥) وعزاه لابن مردويه =

قوله تعالى: ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي: بالماء ﴿جنات﴾ بساتين ﴿من نخيل وأعناب﴾.

ثم بيَّنَ أن ثمرهما جامع بين أمرين:

أحدهما: أنه فاكهة يُتَفَكَّهُ بها.

والثاني: أنه طعام يؤكل، فذلك قوله تعالى: ﴿لكم فيها فواكه كثيرة﴾، يعني: تتفكَّهون بها رَطْبَة، ﴿ومنها تأكلون﴾ يعني: يابسة.

قوله تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ يريد: الزيتون.

خَصَّ الله سبحانه وتعالى هذه الأنواع الثلاثة، وهي النخيل والأعناب والزيتون بالذِّكْر في معرض الامتنان على عباده وتذكيرهم بنعمه؛ لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع.

واختلف القُرَّاء في "سيناء"؛ فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بفتح السين، والباقون بكسرها[1].

وقرأ الأعمش: "سِيْنى" بالقصر[2].

قال أبو علي[3]: لا تنصرف هذه الكلمة؛ لأنها جعلت اسماً لبقعة أو أرض، ولو كانت اسماً للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكّرة لصُرِفَت؛

= والخطيب بسند ضعيف.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٤)، والكشف (٢/ ١٢٦)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٤-٤٤٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ١٧٨).

(٣) الحجة (٣/ ١٧٩).

لأنك كنت قد سمّيت مذكراً بمذكر.

قال الضحاك: "الطور": الجبل بالسريانية، و"سَيْنَاء": الحَسَن بالنبطية[١].

وقال عطاء: يريد: الجبل الحَسَن[٢].

وقال ابن السائب: يريد: الجبل المُشْجِر[٣].

وقوله راجع إلى معنى الذي قبله؛ لأنه بالشجر صار حَسَناً.

قال ابن زيد: هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأَيْلَة[٤].

قوله تعالى: ﴿تُنبت بالدهن﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "تُنبِتُ" بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون بفتح التاء[٥].

قال الفراء[٦]: هما لغتان، يقال: نبتت وأنبتت، وأنشد الزجاج[٧] قول زهير:

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيوتهم قَطِيناً لهم حتى إذا أنبتَ البَقْل[٨]

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣) عن عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿من طور سيناء﴾ "الطور": الجبل بالنبطية، و"سيناء": حسنة بالنبطية.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٦٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٩٦) وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر، ولفظه: جبل ذو شجر.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٤-٤٨٥)، والكشف (٢/ ١٢٧)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٥).

(٦) معاني الفراء (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ١٠).

(٨) البيت لزهير من قصيدة في مدح هرم بن سنان وقومه. وقبله:

إذا السَّنَةُ الشَّهْباءُ بالناسِ أَجْحَفَتْ ونَالَ كِرامُ المال في السنةِ الأَكْل

=

وقيل: المفعول على قراءة أبي عمرو وابن كثير محذوف، أي: تنبت الزيتون وفيه الدهن.

وقال أبو عبيدة[1]: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدة؛ كقوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ [الحج:٢٥].

وقال الزجاج[2]: المعنى: تنبت وفيها الدهن، كما تقول: جاءني بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف.

فعلى قوله؛ الباء في محل الحال[3].

﴿وصبغٍ﴾ وقرأ ابن مسعود والأعمش: "وصِبْغاً" بالنصب[4].

وقرأ ابن السميفع: "وصِبَاغٍ" بألف مع الجر[5].

ووجه الجر والنصب ظاهر.

والمراد: الزيت؛ لأنه يُلوِّنُ الخبز إذا غُمِسَ فيه للإدام.

= انظر: ديوانه (ص:١١١)، والمحتسب (٢/ ٨٩)، ومعاني الفراء (٢/ ٢٣٣)، والدر المصون (٤/ ٣١٦، ٥/ ١٨٠)، والبحر (٦/ ٣٧١)، واللسان (مادة: نبت، قطن)، والطبري (١٨/ ١٤)، والقرطبي (١٠/ ٨٣، ١٢/ ١١٦)، وزاد المسير (٥/ ٤٦٧)، وروح المعاني (١٤/ ١٠٦، ١٨/ ٢٢)، وجمهرة اللغة (ص:٢٥٧، ٢٦٢)، وخزانة الأدب (١/ ٥٠).

وقوله: قطيناً، القطين: الحَشَمُ وسُكّان الدار.

(١) مجاز القرآن (٢/ ٥٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٤٨)، والدر المصون (٥/ ١٨٠).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٦٨)، والدر المصون (٥/ ١٨٠).

قوله تعالى: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يعني: من الحمل والركوب والأصواف والأشعار والجلود وغير ذلك.

﴿ومنها تأكلون﴾ أي: ومن لحومها وأولادها.

﴿وعليها﴾ يريد: الإبل خاصة، ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ هذه في البر وهذه في البحر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

ثم إن الله تعالى عزى رسوله ﷺ وأخبره أن تكذيب الأمم أنبياءهم ليس ببِدْع، فذلك قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقد سبق تفسير ذلك كله[(١)].

﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي: يطلب الفضل عليكم، ونظيره قولهم: ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ [يونس:٧٨].

﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد سواه ﴿لأنزل ملائكة﴾ تبلغ عنه ولم يرسل بشراً آدمياً، ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي تحضّنا عليه[(٢)] وتدعونا إليه من التوحيد ﴿في آبائنا

---

(١) في سورة الأعراف، عند الآية رقم: ٥٩.

(٢) في الأصل زيادة: في. وهو وهم.

الأولين﴾ يريدون: الأمم السالفة.

﴿إن هو إلا رجل به جِنَّة﴾ أي: جنون. وقيل: جِنٌّ يخبلونه.

﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: انتظروا به الموت.

وقيل: المعنى: احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره، فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه.

قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ
وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم
مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾

﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ أي: انصرني بسبب تكذيبهم إياي، أو انصرني بدل ما كذبونِ، كما تقول: هذا بذاك، أي: بدل ذلك(١).

المعنى: أَبۡدِلۡني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم.

وقيل: المعنى: انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الأعراف:٥٩].

---

(١) في ب: ذاك.

﴿فأوحينا إليه﴾ مفسرٌ في هود[١] إلى قولـه: ﴿فاسـلك فيهـا﴾ أي: أَدْخِـلْ في سفينتك، يقال: سَلَكَ فيه؛ إذا دخله، وسلك غيره وأَسْلَكَه[٢].

وما بعده ظاهر أو مفسر إلى قوله: ﴿وقل رب أنزلني مُنْزَلاً مباركاً﴾.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: "مَنزِلاً" بفتح الميم وكسر الزاي[٣]. فالأول مـصدر بمعنى الإنزال، تقول: أنزلته إنزالاً ومنزلاً. والثاني اسم لمكان النزول.

﴿إن في ذلك﴾ الذي جرى لنوح مع قومه وحديث السفينة ﴿لآيات﴾ لعِـبَراً ودلالات على عظمة الله تعالى وقدرته وشدة انتقامه من أعدائه ومكـذبي رسـله، ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي: وما كنا إلا مبتلين، أو هي المخففة من الثقيلة، على معنـى: وإنَّ الشأن كنا مبتلين. أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد.

وقيل: المعنى: "وإن كنا لمبتلين" لمختبرين بهذه الآيات عبادنا، لننظر من يعتبر ويذَّكَّر، كقوله تعالى: ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾ [القمر:١٥].

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم

(١) عند الآية رقم: ٣٧.

(٢) انظر: اللسان (مادة: سلك).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٦)، والكشف (٢/ ١٢٨)، والنـشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٨)، والسبعة (ص:٤٤٥).

بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا
وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ
إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا
كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ
بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ قال أكثر المفسرين: هم قوم عاد(١).

﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ وهو هود عليه السلام.

وقال أبو سليمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول: صالح(٢).

والأول أصح؛ لقوله تعالى في موضع آخر حكاية لقول هود: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ [الأعراف:٦٩]، وبدليل مجيء قصة هود عقيب قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء.

قوله تعالى: ﴿أن اعبدوا الله﴾ مفسرة لقوله: ﴿فأرسلنا فيهم﴾، أي: قلنا لهم على لسان الرسول: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ سبق تفسيره.

﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ أي جحدوا البعث، ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ أي: نَعَّمْنَاهم ووسَّعْنا عليهم ﴿ما هذا إلا بشر

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧١).
(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧١). وهو اختيار الطبري (١٨/ ١٩).

مثلكم﴾، ثم حققوا معنى البشرية والمثلية بقولهم: ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ أي: مما تشربون منه، فحذف لدلالة ما قبله عليه.

﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ لمغبونون في عقولكم وآراكم.

﴿أيعدكم﴾ استفهام في معنى الإنكار والاستبعاد ﴿أنكم إذا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ قال الزجاج(١): موضع "أنكم" منصوب، على معنى: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متّم، فلما طال الكلام أُعيد ذكر "أنَّ"، كقوله: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾ [التوبة:٦٣] المعنى: فله نار جهنم.

وقال بعض المحققين: التقدير فيه: أيعدكم أن [إخراجكم](٢) إذا متم، محذوف(٣) المضاف، ولا بد من تقديره؛ لأن "إذا" ظرف زمان، وظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة، ألا ترى أنهم قالوا: لو قلت: زيد يوم الجمعة، لم يصح، وباعتبار هذا قال سيبويه(٤) أن قوله: "أنكم مخرجون" بدل من "أنّ" الأولى.

وقال الزمخشري(٥): ثنى "أنكم" [للتوكيد](٦)، وحَسُنَ ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف، و"مخرجون" خبر عن الأول، أو جعل "أنكم مخرجون" مبتدأ، و "إذا متم" خبراً، على معنى: إخراجكم إذا متم، ثم أخبر بالجملة عن

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١١).

(٢) في الأصل: إخراكم. والتصويب من ب.

(٣) في ب: فحذف.

(٤) انظر: الكتاب (٤/ ١٣٣).

(٥) الكشاف (٣/ ١٨٨).

(٦) في الأصل: للتوحيد. والتصويب من ب.

أنكم(١).

وقرأتُ لعاصم من رواية الشموني عن الأعشى عن أبي بكر عنه: "إنكم مخرجون" بكسر الهمزة بتقدير القول، أو لتَضَمُّن "أيعدكم" معنى القول.

قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات﴾ قُرئ بالحركات الثلاث مُنوناً وغير مُنون.

وقرأ معاذ القارئ: "هيهاتْ هيهاتْ" بإسكان التاء فيهما(٢).

فهذه سبع لغات قرئ بهن، وفيها ثلاث لغات لم يقرأ بهن [وهي](٣): "أَيْهَاتَ"، قال الشاعر:

فأَيْهَاتَ أَيْهَاتَ العقيقُ وأهلُهُ ... وأَيْهَاتَ خِلٌّ بالعَقيقِ نُوَاصِلُه(٤)

و"أَيْهَانَ" بالنون، و"أيهاً"، وقد جمع الأحوص بين لغتين في بيت فقال:

تَذَكَّرَ أياماً مَضَيْنَ من الصِّبَا ... وهيهاتَ هَيْهَاتاً إليكَ رُجُوعُهَا(٥)

والقُرّاء السبعة مطبقون على "هيهاتَ هيهاتَ" بفتح التاء فيهما من غير تنوين، ووقف عليهما بالهاء ابن كثير والكسائي، والباقون بالتاء(٦).

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ١٨٢). قال أبو حيان في البحر بعد أن ذكر قول الزمخشري: وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه (انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٧٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٧٢)، والدر المصون (٥/ ١٨٤).

(٣) زيادة من ب.

(٤) البيت لجرير، انظر: ديوانه (ص:٤٧٩)، والخصائص (٣/ ٤٢)، والدر المصون (٥/ ١٨٣)، واللسان (مادة: هيه) وفيه: "نحاوله" بدل "نواصله"، والقرطبي (١٢/ ١٢٢)، والطبري (١٨/ ٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٧٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٣)، ومعاني الفراء (٢/ ٢٣٥).

(٥) البيت للأحوص، وهو في: القرطبي (١٢/ ١٢٢)، وزاد المسير (٥/ ٤٧٢).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٨-٣١٩)، والنشر (٢/ ٣٢٨).

وتأويل هيهات: البُعْد.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: "ما توعدون" هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بـ"هيهات"، كما ارتفع في قوله:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ وأهلُهُ ....

فما هذه اللام؟

قلت: قال الزجاج في تفسيره[٢]: البعد لما توعدون، أو بعدٌ لما توعدون فيمن نوّن فنزَّلَه منزلة المصدر[٣].

وفيه وجه آخر: وهو أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هيت لك﴾ [يوسف:٢٣] لبيان المُهيَّتِ به.

وقال غير الزجاج والزمخشري: هيهات اسم لبَعُدَ، وبَعُدَ فعل ماض يحتاج إلى الفاعل، وفاعله مضمر تقديره: هيهات إخراجكم لوعدكم. وأنكر قول الزجاج فقال: لو كان هيهات في معنى البُعْد لم يجب بناؤه؛ لأن البعد معْـرَب، وإنـما بُنِـي

---

(١) الكشاف (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: الإغفال (ص:١١٢٣).

(٣) قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٧٤): وقول الزمخشري: فمن نوّنه نزّله منزلة المصدر ليس بواضح؛ لأنهم قد نوّنوا أسماء الأفعال، ولا نقول: إنها إذا نوّنت تنزلت منزلة المصدر. اهـ.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ١٨٣): قلت: الزمخشري لم يقل كذا، إنما قال: "فمن نوّنه نزّله منزلة المصدر" لأجل قوله: أو بُعْدٌ. فالتنوين علة لتقـديره إيـاه نكـرة لا لكونـه منـزّلاً منزلـة المصدر، فإن أسماء الأفعال ما نوّن منها نكرة، وما لم ينوّن معرفة، نحو: صَـهْ وصَـهٍ، فقـدّر الأول بالسكون، والثاني بسكوت ما. اهـ.

هيهات؛ لأنه [بمعنى][(١)] بعد، مثل: شتان ووشكان وسرعان.

قوله تعالى: ﴿إن هي﴾ ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه، وأصله: إن الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ والمعنى: لا حياة إلا هذه الحياة، ﴿نموت ونحيا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، وينقرض قرن ويأتي قرن آخر.

وقيل: المعنى: نحيا ونموت؛ لأن الواو للجمع. ذكرهما الزجاج[(٢)].

والأول وجه الكلام.

﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي: ما هو إلا رجلٌ مفترٍ كاذبٌ على الله فيما يدّعيه من استنبائه له وفي دعوى البعث، ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدّقين فيما يقول.

﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ سبق تفسيره[(٣)].

﴿قال عما قليل﴾ قال الزجاج[(٤)]: معناه: عن قليل، و"ما" زائدة بمعنى التوكيد.

قال الزمخشري[(٥)]: "قليل" صفة للزمان، كقديم وحديث، في قولك: ما رأيته قديماً ولا حديثاً. وفي معناه: عن قريب، و"ما" توكيد لمعنى قلة المدة وقِصَرِها.

﴿ليصبحن نادمين﴾ على الكفر والتكذيب.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل عليه السلام، صاح عليهم صيحة

---

(١) زيادة من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٤).

(٣) في الآية رقم ٢٦ من هذه السورة.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٣).

(٥) الكشاف (٣/ ١٨٩).

فتصدعت قلوبهم ورجفت بهم الأرض فماتوا.

ومعنى قوله: ﴿بالحق﴾ بالاستحقاق أو بالعدل من الله، من قولك: فلان يقضي بالحق.

﴿فجعلناهم غثاء﴾ وهو ما يحمله السيل من الورق والعيدان. شبههم سبحانه وتعالى في دمارهم وتمزقهم وتفرق أوصالهم بالغُثَاء.

﴿فبعداً﴾ أي: بَعُدوا بُعْداً.

وقوله: ﴿للقوم الظالمين﴾ بيان لمن دُعِيَ عليه بالبُعْد.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ يريد: قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تَتْرَى﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "تترىً" بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين[1].

قال ابن قتيبة[2]: المعنى: تُتَابع بفتْرَةٍ بين كل رسولين، وهو من التواتر. والأصل: وَتْرَى، فقبلت الواو تاء.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٧-٤٨٨)، والكشف (٢/ ١٢٨)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٧).

قال الأصمعي: وَاتَرْتُ الخبر: أتْبَعْتُ بعضَه بعضاً، وبين الخبرين هُنَيَّة[١].

قال اللغويون: [ومما][٢] يضعه العامة غير موضعه قولهم: تَواتَرَتْ كُتبي إليك، يعنون: اتصلتْ من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه. ومنه قول أبي هريرة: "لا بأس بقضاء رمضان تَتْرَى"، أي: مُتقطّعاً[٣].

وحجّة من لم يصرف أنه جعل ألفها للتأنيث، كالعَدْوى والدَّعْوى والذِّكْرى، ومن صَرَفَ قال[٤] الزجاج[٥]: معناه: وَتْراً، فأبدل التاء من الواو.

وقال أبو علي[٦]: جعله فَعْلَى من المواترة.

وقال المبرد: من قرأ "تترى" فهو مثل سَكْرى، ومن قرأ تتراً فهو مثل: شكوت شكواً[٧].

قوله تعالى: ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ قال مقاتل[٨]: يعني في العقوبة والإهلاك.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٣١١).

(٢) في الأصل: ومن. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٤).

(٤) في ب: فقال.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٤).

(٦) الحجة (٣/ ١٨٢).

(٧) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٢٩٠).

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٧).

﴿وجعلناهم أحاديث﴾ قال أبو عبيدة[1]: يُتَمثّل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ وهي الدلائل الواضحة، ﴿وسلطان مبين﴾.

قال صاحب الكشاف[2]: يجوز أن يراد بقوله: "وسلطان مبين" العصا؛ لأنها أم آيات موسى، وقد تعلقت بها معجزات شتى: من انقلابها حية، وتلقُّفِها ما أفكته السَّحَرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحَجَر بضربهما بها، وكونها حارساً، وشمعة، وشجرة خضراء مُثمرة، ودَلْواً ورشاء، جُعلت كأنها ليست بعضها -يعني: بعض الآيات- لما استبدلت[3] به من الفضل، فلذلك عُطفت عليها؛ كقوله: ﴿وجبريل وميكال﴾ [البقرة:٩٨].

ويجوز أن تراد الآيات أنفسها، أي: هي آيات وحُجَّةٌ بينة.

﴿إلى فرعون وملإه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾ متطاولين على الناس،

(١) مجاز القرآن (٢/ ٥٩).

(٢) الكشاف (٣/ ١٩١).

(٣) في ب: استبدّت.

قاهرين لهم بالبغي والظلم.

﴿فقالوا﴾ تعظيماً وتكبراً عليهما ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ خاضعون مطيعون.

﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ بالغرق. وقد سبق ذكره في البقرة.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة، أعطيها دفعة واحدة بعد غرق فرعون.

قال الزمخشري[1]: المعنى: ولقد آتينا قوم موسى الكتاب، كما قال: ﴿على خوف من فرعون وملإهم﴾ [يونس:٨٣] يريد: آل فرعون، وكما يقولون: هاشم، وثقيف، وتميم.

ولا يجوز أن يرجع الضمير في ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى فرعون وملإه؛ لأن التوراة إنما أوتيها بنوا إسرائيل بعد إغراق فرعون وملإه.

قلتُ: ولا حاجة به إلى هذا التعسف؛ لأن الضمير في: "لعلهم يهتدون" يرجع إلى قوله: "وقومهما"، على أنه غير مُنْكَر في القرآن والكلام الفصيح الكناية عن غير مذكور؛ كقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر:١]، و ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [ص:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة:٢٦].

وقد سبق الكلام على قوله تعالى: ﴿على خوف من فرعون وملإهم﴾ [في][2] يونس[3].

---

(١) الكشاف (٣/ ١٩١).

(٢) في الأصل: وفي. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٨٣.

وهاشم وثقيف وتميم أسماء للقبائل؛ كعاد وثمود، ولذلك امتنعت من الصَّرْف.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ وقرأ ابن مسعود: "آيتين"[١]. وقد سبق القول عليه في آخر الأنبياء[٢].

﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ قرأ ابن عامر وعاصم: "رَبْوَةٍ" بفتح الراء، وضمَّها الباقون[٣]. وهكذا اختلافهم في قوله: ﴿كمثل جنة بربوة﴾ في البقرة [٢٦٥]، وقد ذكرنا اشتقاقها وما فيها من اللغات ثمَّة.

﴿ذات قرار ومعين﴾ أي: ذات موضع قرار.

قال قتادة: ذات ثمار وماء[٤].

والمعنى: أنها مستوية منبسطة يستقر عليها ساكنوها، "ومعين": وهو الماء الجاري على وجه الأرض الظاهر لعين الناظر، ومنه قول جرير:

إن الذين غَدَوْا بلبك غَادَرُوا   وَشَلاً بعينِكَ ما يَزالُ مَعينا[٥]

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٧٥).

(٢) آية رقم: ٩١.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٨)، والنشر (٢/ ٣٢٢)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن عساكر.

(٥) البيت لجرير من قصيدة يهجو بها الأخطل. انظر: ديوانه (ص:٤٧٦)، واللسان (مادة: وشل)، =

قال ابن قتيبة[١]: سُمي معيناً؛ لأنه جارٍ من العين.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون فعيلاً من [المَعْن][٢]، مشتقاً من الماعون. قال الزجاج[٣]: وهذا بعيد؛ لأن المَعْن في اللغة: الشيء القليل[٤]، والماعون هو الزكاة، وهو فاعول من المعْن. وإنما سميت الزكاة بالشيء القليل؛ لأنه يؤخذ من المال رُبْعَ عُشْرِه، فهو قليل من كثير. قال الراعي:

قوم على الإسلام لمَّا يَمْنَعُوا   مَاعُونَهم ويُبَدِلُّوا التنزيلا[٥]

واختلفوا في موضع هذه الربوة؛ فقال عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب ومقاتل[٦]: دمشق[٧].

وقال قتادة وكعب: بيت المقدس[٨].

= والبحر المحيط (٦/ ٣٦٤)، والدر المصون (٥/ ١٩٠)، والماوردي (٤/ ٥٦). وفيهم: غدوا بلُبِّكَ.

(١) انظر: تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٧).

(٢) في الأصل: المعين. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: معن).

(٥) البيت للراعي النميري من لاميته المطولة التي قدمها لعبدالملك، انظر البيت في: اللسان (مادة: هلل) وفيه: "ويضيعوا التهليلا" بدل: "ويبدلوا التنزيلا"، ومادة: (معن).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٨).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٩)، والطبري (١٨/ ٢٦) كلاهما عن سعيد بن المسيب. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠١) وعزاه لابن عساكر عن عبدالله بن سلام. ومن طريق آخر عن سعيد بن المسيب، وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني.

(٨) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد =

وعن ابن عباس والحسن كالقولين[١].

وقال أبو هريرة والسدي: أرض فلسطين[٢].

وقال وهب بن منبه وابن السائب: مصر[٣]. والله تعالى أعلم.

قال ابن عباس ووهب: كان الملك أراد قتل عيسى عليه السلام ففرّت به أمه[٤].

قال ابن عباس: ثم رجعت به إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة[٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين:

= وعبدالرزاق وابن جرير وابن عساكر عن قتادة.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦) عن أبي هريرة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي نعيم وابن عساكر عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٦) عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر عن وهب بن منبه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٦).

(٥) مثل السابق.

المراد بالرسل هاهنا: محمد ﷺ[(١)]، وهو على مذهب العرب في مخاطبة الجميع.

قال صاحب الكشاف[(٢)]: هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة. وإنما المعنى: الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به؛ ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ووُصُّوا به، حقيق أن يؤخذ به.

والمراد بالطيبات: ما حلَّ وطاب[(٣)].

وقيل: المراد بها: ما يُستطابُ ويُستلذُّ من المآكل. ويؤيد هذا القول مناسبته لقوله: ﴿إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.

قوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ قرأ أهل الكوفة: "وإن" بكسر الهمزة على الاستئناف، وفتحها الباقون، غير أن ابن عامر خفَّف النون على إرادة التشديد[(٤)]، كقوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله﴾ [يونس:١٠].

قال أبو علي[(٥)]: هو في قول الخليل وسيبويه[(٦)] محمول على الجار، والتقدير: ولأن هذه أمتكم أمة واحدة، ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ أي: اتّقون لهذا، ومثل ذلك

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٧).

(٢) الكشاف (٣/ ١٩٢).

(٣) في هامش ب: في مسند الإمام أحمد في حديث لأبي هريرة ذكر فيه الاحتطاب، وقال في آخره: ((ولأن يأخذ تراباً فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه حراماً)).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٨)، والكشف (٢/ ١٢٩)، والنشر (٢/ ٣٢٨)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٥) الحجة (٣/ ١٨٣).

(٦) انظر: الكتاب (٣/ ١٢٦-١٢٧).

عندهم قوله: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ [الجن:١٨] المعنى: ولأن المساجد لله.

وعلى هذا التقدير تحمل قراءة ابن عامر، ألا ترى أن "أن" إذا خففت اقتضت ما يتعلّق به اقتضاؤها، وهي غير مخفّفة[١]، والتخفيف حسن في هذا؛ لأنه لا فعل بعدها ولا شيء مما يلي "أن"، فإذا كان كذلك كان تخفيفها حسناً، ولو كان بعدها فعلٌ لم يحسُن حتى تُعوَّض السين أو "سوف" أو "قد" أو "لا" إذا كان في نفي.

والآية مفسرة في سورة الأنبياء[٢].

قوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً﴾ وقرأ ابن عباس: "زُبَراً" بفتح الباء[٣].

وقرأ ابن السميفع بإسكان الباء[٤].

قال الزجاج[٥]: من ضَمَّ الباء فتأويله: جعلوا دينهم كُتُباً مختلفة، وهذا جمع زَبُور [وزُبُر][٦]. ومن فتح الباء أراد: قِطَعاً.

قال الزمخشري[٧]: و"زُبْراً" مخففة الباء، كرُسْل في رسول[٨].

---

(١) في ب: محققة.

(٢) آية رقم: ٩٢.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٧٨).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٦).

(٦) في الأصل: وزبرة. والتصويب من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) الكشاف (٣/ ١٩٣).

(٨) في ب: رسل.

قال الكلبي: يعني: مشركي العرب واليهود والنصارى تفرقوا أحزاباً[(١)].

﴿كل حزب بما لديهم﴾ أي: بما عندهم من الدين ﴿فرحون﴾ راضـون، ظنـاً منهم أنه الحق.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ قال قتادة: في ضلالتهم[(٢)].

قال الكلبي: في جهلهم[(٣)].

وقال ابن شجرة: في حيرتهم[(٤)].

وكل ذلك في معنى واحد.

وأصله: الماء الذي يَغْمُرُ القامة، فضُربت مـثلاً لـما هـم مغمُـورون فيـه مـن الضلالة والجهالة والحيرة.

﴿حتى حين﴾ قال ابن عباس: يريد: نزول العدل بالسيف أو بالموت[(٥)].

قال الكلبي: هو خارج مخرج الوعيد، كما يقول المتوعّد: لك يوم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣١) عن مجاهد. وذكره الماوردي (٤/ ٥٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٥٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢) بلا نسبة.

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢).

وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال﴾ وقرأ عكرمة: "يُمِدُّهُم" بالياء[١]، أي: ما نعطيهم من مال ﴿وبنين﴾.

﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ بذلك الإمداد ونجعله مجازاة لهم وثواباً، لا ﴿بل﴾ هو استدراج لهم أو ﴿لا يشعرون﴾ أنه شر لهم أو اختبار لهم.

وقرأ عبدالرحمن بن أبي بكرة: "يُسَارِعُ لهم"[٢] إمدادنا في الخيرات، أو يسارع الله لهم في الخيرات.

وروي عنه: "يُسارَع" بالياء أيضاً وفتح الراء، على ما لم يُسَمَّ فاعله[٣]. والأولى قراءة ابن عباس وعكرمة، والرواية الثانية قراءة معاذ القارئ وأبي المتوكل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ خائفون وَجِلُون من عذابه.

﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس: يُصَدِّقُون بالقرآن أنه من

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٧٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ١٩٢)، والبحر (٦/ ٣٧٨)، وزاد المسير (٥/ ٤٧٩).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

عند الله[١].

﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، ولا يجعلون معه شريكاً.

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من نفقة أو صدقة، ﴿وقلوبهم وَجِلَة﴾ خائفة أن لا يُتقبل منهم.

قال مجاهد: المؤمن ينفق ماله وقلبه وَجِل[٢].

وقال الحسن: المؤمن جَمَعَ إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأَمْناً[٣].

وقرأ النبي ﷺ أيضاً: "يَأْتُونَ ما أَتَوْا" بالقصر، من المجيء، وهي قراءة عائشة وابن عباس وقتادة والأعمش[٤].

قال الزجاج[٥]: كلاهما جيد بالغ. فمن قرأ: "ما آتَوْا" فمعناه: يُعْطُون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم وقلوبهم خائفة؛ لأنهم ﴿إلى ربهم راجعون﴾ أي: إنهم يوقنون بالرجوع إلى الله تعالى.

ومن قرأ: "ما أَتَوْا" بالقَصْر، أي: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة يخافون أن يكونوا مع اجتهادهم مُقصِّرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن مردويه عن عائشة عن النبي ﷺ. وانظر: الدر المصون (٥/ ١٩٢).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٦-١٧).

وقد أخرج الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: « يا رسول الله! الذين يؤتون ما أتوا هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات »[١].

وفي هذا الحديث ترجيح لقراءة عائشة رضي الله عنها.

ومعنى قوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون إلى الأعمال الصالحة رغبة فيها لخوفهم وصحة علمهم برجوعهم إلى من يجازيهم على أعمالهم.

ويجوز أن يراد بمسارعتهم في الخيرات: ما أنعم به عليهم في عاجل الدنيا من الإعزاز والإكرام وحسن الثناء بين الناس، كما قال تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [العنكبوت:٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ [آل عمران:١٤٨].

قوله تعالى: ﴿وهم لها سابقون﴾ قال الفراء والزجاج[٢]: المعنى: وهم إليها سابقون.

وقال الزمخشري[٣]: المعنى: فاعلون السبق لأجلها، أو سابقون الناس لأجلها، أو إياها سابقون، أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عجّلت لهم في الدنيا، ويجوز أن يكون "لها سابقون" خبراً بعد خبر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٧ ح٣١٧٥).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣٨)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٧).

(٣) الكشاف (٣/ ١٩٥).

ومعنى: "وهم لها" كمعنى قوله: أنتَ لها أحمدُ من بين البَشَر [١].

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ
إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ الآية تتضمّن الإيـذان بـأن هـذا الذي وصف به عباده المؤمنين غير خارج عن حدّ الوُسع والطاقة، وأن ما عملوه من الأعمال الصالحة [محفوظ] [٢] عنده مُثبت في ﴿كتاب ينطق بالحق﴾ وهو اللوح المحفوظ.

وقيل: صحائف الأعمال.

﴿وهم لا يظلمون﴾ بالنقصان من حسناتهم ولا بالزيادة على سيئاتهم.

ثم عاد إلى الإخبار عن الكفار فقال: ﴿بل قلوبهم في غمرة من هـذا﴾ أي: في غفلة غامرة لها من هذا الذي وُصِفَ به المؤمنون من أعمال البِرِّ.

وقيل: هذا إشارة إلى الكتاب.

وقيل: إلى القرآن.

---

(١) لم أقف على قائله، واستشهد به اتحاد المعنى بين قوله تعالى: ﴿وهم لها﴾ وبين هذا القول. انظر: الدر المصون (٥/ ١٩٤).

(٢) في الأصل: يحفظ. والتصويب من ب.

﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ قال ابن عباس: أعمال سيئة دون الشرك[١].

وقال مجاهد: خطايا دون الحق[٢].

قال ابن جرير[٣]: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية.

﴿هم لها عاملون﴾ وقال الزجاج[٤]: أخبر الله تعالى عما سيكون منهم، فأعلم أنهم سيعملون أعمالاً تُباعِدُ من الله تعالى غير الأعمال التي ذكروا بها.

قال الواحدي[٥]: وعلى هذا القول إجماع المفسرين وأصحاب المعاني.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ قال الزمخشري[٦]: "حتى" هذه التي يبتدأ بها الكلام، والكلام: الجملة الشرطية، والعذاب: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[٧]، فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيفَ والكلابَ والعظام المحترقة والقِدَّ[٨] والأولاد.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨١)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦)، ومجاهد (ص:٤٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٨).

(٥) الوسيط (٣/ ٢٩٤).

(٦) الكشاف (٣/ ١٩٥-١٩٦).

(٧) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٧ ح٧٧١)، ومسلم (١/ ٤٦٦ ح٦٧٥).

(٨) القِدّ: جلد السخلة الماعزة (الغريب للخطابي ١/ ٦٨٦).

﴿إذا هم يجأرون﴾ أي: يضجّون[١] مستغيثين بالله.

﴿لا تجأروا اليوم﴾ على إضمار القول، أي: يقال لهم: لا تجأروا اليوم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أي: إنكم من عذابنا لا تُمنعون.

وقيل: المعنى: إنكم لا تُغاثون ولا تُنصرون من جهتنا.

ثم ذكر السبب المقتضي لذلك فقال: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ وهذا مَجازٌ عن تأخرهم عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿مستكبرين به﴾ نصب على الحال[٢]، والضمير في "به" كناية عن البيت الحرام شرفه الله تعالى في قول عامة المفسرين[٣]، وكانوا يفتخرون به ويقولون: نحن أهل الحرم وجوار الله تعالى وسَدَنَةُ بيته، فلا يظهر علينا أحد، فيكون كناية عن غير مذكور.

قال صاحب الكشاف[٤]: والذي سَوَّغَ هذا الإضمار: شهرتهم بالاستكبار بالبيت.

ويجوز أن يرجع الضمير إلى "آياتي"، إلا أنه ذكّر لأنها في معنى: كتابي.

ومعنى استكبارهم بالقرآن: تكذيبهم به استكباراً.

قوله تعالى: ﴿سامراً﴾: نصب على الحال[٥].

---

(١) في ب: يصيحون.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٥١)، والدر المصون (٥/ ١٩٥).

(٣) انظر: الطبري (١٨/ ٣٨-٣٩)، والوسيط (٣/ ٢٩٤)، والدر المنثور (٦/ ١٠٨).

(٤) الكشاف (٣/ ١٩٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٥١)، والدر المصون (٥/ ١٩٥).

قال ابن قتيبة[(١)]: أي: يتحدَّثُون ليلاً، والسَّمَرُ: حديث الليل[(٢)].

قال أبو عبيدة[(٣)]: معناه: تَهْجُرون سُمَّاراً، والسَّامِر بمعنى السُّمَّار، بمنزلة طفل في موضع أطفال.

وفي قراءة ابن مسعود: "سُمَّاراً تهجُرون"[(٤)].

وقرأ نافع: "تُهْجِرُون" بضم التاء وكسر الجيم[(٥)]، من أهْجَرَ يُهْجِرُ؛ إذا أفْحَشَ في منطقه وهَذَى[(٦)]. وهي قراءة ابن عباس.

وقرأ جماعة، منهم أبو العالية وعكرمة وعاصم [الجحدري][(٧)]: "تُهجِّرون" بضم التاء أيضاً وكسر الجيم وتشديدها مع فتح الهاء[(٨)]، على المبالغة في معنى الإهْجَار، والقراءة المشهورة إما أن تكون من الهِجْران، وهو قول ابن عباس في رواية العوفي[(٩)].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٨).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سمر).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٠).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والدر المصون (٥/ ١٩٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٩)، والكشف (٢/ ١٢٩)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣١٩)، والسبعة (ص:٤٤٦).

(٦) انظر: اللسان (مادة: هجر).

(٧) في الأصل: والجحدري. والتصويب من ب.

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والدر المصون (٥/ ١٩٦).

(٩) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣).

قال الحسن: تَهْجُرون كتاب الله ونبيه(١).

وقال أبو صالح: تَهْجُرون البيت(٢).

وقال سعيد بن جبير: كانت قريش تَسْمُرُ حول البيت وتفتخر به ولا تطوف به(٣).

وإما أن يكون من الهُجْر، وهو قول القبيح، يقال منه: هَجَرَ يَهْجُرُ هُجْراً وأهْجَرَ يُهْجِرُ إهْجَاراً، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكلبي(٤)، وكان عامة سَمَرِهِم ذكر القرآن والنبي ﷺ بالطعن فيهما.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٠-٤١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد.

﴿ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ۝٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني: القرآن، فيعرفوا ما فيه من البيان الدال على صدقه في نفسه وصدق المرْسَل به.

[وفي][1] قوله: ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ وجهان:

أحدهما: أنه استفهام في معنى التوبيخ والتقرير.

قال ابن عباس: يريد: أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم، فكذلك بعثنا محمداً إلى قومه[2].

فعلى هذا؛ المراد بآبائهم: إسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان.

ويروى عن النبي ﷺ: «لا تسبُّوا مُضَرَ ولا ربيعة، فإنهما كانا مُسْلِمَين»[3]، و«لا تَسُبُّوا الحارث بن كعب، ولا أسد بن خزيمة، ولا تميم بن مرة، فإنهم كانوا على الإسلام [وما شككتم فيه من شيء فلا تَشُكُّوا في أن تُبَّعاً كان على الإسلام][4]»[5].

الثاني: أن "أمْ" بمعنى: "بلْ"، تقديره: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فلذلك أنكروه وكذبوه، كقوله: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ [يس:٦].

---

(١) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٤).

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٢٩).

(٤) زيادة من ب، والكشاف (٣/ ١٩٧).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٩٧).

وقيل: معنى الآية: أفلم يدبروا القول فيخافوا عند تَدَبُّر أقاصيصه ومواعظه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين، أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم.

قوله تعالى: ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ معناه: أم لم يعرفوا رسولهم محمداً ﷺ وصحة نسبه وكرم عنصره ورجاحة عقله وظهور صدقه وأمانته ﴿فهم له منكرون﴾.

والمقصود من هذه الآية: تقريعهم وتوبيخهم بالإعراض عنه بعدما عرفوا ذلك منه.

﴿أم يقولون به جِنّة﴾ أي: جنون، وكانوا رموه بذلك بهتاناً وعناداً حين لم يجدوا للحق الذي جاءهم به مدفعاً، ﴿بل جاءهم بالحق﴾ الذي لا تخفى صحته، ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلت قوله: "وأكثرهم" فيه أن أقلّهم كانوا لا يكرهون الحق؟

قلت: كان فيهم من يترك الإيمان به أَنَفَةً واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا: صَبَأ وترك دين آبائه، لا كراهة للحق، كما يُحكى عن أبي طالب.

فإن قلت: يزعم بعض الناس أن أبا طالب صَحَّ إسلامه؟

قلتُ: يا سبحان الله! كأن أبا طالب كان [أخمل][2] أعمام رسول الله ﷺ، حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس، ويخفى إسلام أبي طالب.

قوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ قال مجاهد وأبو صالح وابن جريج:

---

(١) الكشاف (٣/ ١٩٧-١٩٨).

(٢) في الأصل: أجمل. والتصويب من ب، ومن الكشاف (٣/ ١٩٨).

الحق: هو الله تعالى[(١)].

والمعنى: لو جعل الله مع نفسه شريكاً كما يُحبّون ويهوون، ﴿لفسدت السموات والأرض﴾، وهذا المعنى ينظر إلى قوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢].

وقال الفراء والزجاج[(٢)]: يجوز أن يكون المراد بالحق: القرآن، على معنى: لو نزل ما يحبون لفسدت السموات والأرض ومن فيهن.

﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بالكتاب الذي هو ذكرهم وشرفهم.

وقيل: المعنى: أتيناهم بذكرهم الذي كانوا يتمنونه في قولهم: ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين * لكنا عباد الله المخلصين﴾ [الصافات:١٦٨-١٦٩].

﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ قال ابن عباس: يريد: تولّوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة[(٣)].

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير﴾ قرأ حمزة والكسائي: "خراجاً فخراج ربك" بالألف فيهما. وقرأهما ابن عامر بغير ألف. وقرأ الباقون: "خَرْجاً" بغير ألف "فخراج" بالألف[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٢-٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٣٩)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٤) بلا نسبة.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٨٩-٤٩٠)، والكشف (٢/ ١٣٠)، والنشر (٢/ ٣١٥)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٧).

قال أبو عبيدة[1]: العبد يؤدي إليك خَرْجه، أي: غلّته، والرعية تؤدي إلى الأمير الخرج، [والخرج][2] أيضاً من السحاب، ومنه [نُرى][3] اشتُقّ هذا أجمع، قال أبو ذؤيب:

إذا هَمَّ بالإقلاع هَبَّتْ له الصَّبا وأعقَبَ نُوءٌ بعدها وخُرُوج[4]

قال[5]: وزعم أبو عمرو الهذلي أنه سُمي خَرْجاً وخُروجاً؛ للماء الذي يخرج منه.

قال أبو علي الفارسي[6]: وفيما حكاه أبو عبيدة من قوله: الرعية تؤدي إلى الأمراء الخَرْج؛ دلالة على قراءة من قرأ: ﴿خَرْجاً [فخرْجُ][7] ربك﴾، فكأن الخَرْج يقع على الضريبة التي على الأرضين وعلى الجزية.

وحكى غير أبي عبيدة: أدّ خَرْج رأسك، والخَرْج: ما يَخْرُجُ إلى من يَخْرج ذلك إليه وإن لم يكن ضريبة. ويدل على ذلك قراءة: ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ [الكهف:٩٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٦١).

(٢) في الأصل: والخروج. والتصويب من ب، ومن مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: ترى. والمثبت من ب.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: ديوانه (ص:٥٢)، واللسان (مادة: خرج، نشأ)، وشرح أشعار الهذليين (ص:١٢٩)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٨، ١١/ ٤١٩)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية (٢/ ١٨)، وروايته فيه وفي اللسان: "فعاقب نشء" بدل: "وأعقب نوء".

(٥) أي: أبي عبيدة في المجاز.

(٦) الحجة (٣/ ١٨٤-١٨٥).

(٧) في الأصل و ب: فخراج. والمثبت من الحجة (٣/ ١٨٥).

وقد يقع على هذا [الخراج][1] بدلالة قول العجاج[2]:

يومُ خَرَاجٍ يُخْرِجُ السَّمَرَّجَا[3]

فهذا ليس على الضريبة، والاسم الأخص بالضريبة المضروبة على الأرضين الخراج، قال:

طَرَّحُوا الدُّورَ بالخَرَاجِ [فأضْحَتْ][4] مثلَ ما امتدَّ من عَمَايَةَ نِيقُ[5]

فمعنى هذا: بأموال الخراج، وإذا كان كذلك فقول ابن كثير ومن تبعه: "خرجاً فخراج ربك" معناه: أنك لا تسألهم شيئاً يُخرجونه إليك، كما قال: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ [الفرقان:٥٧]، ﴿فخراج ربك﴾ كأنه أضافه إلى الله تعالى؛ لأنه أوجبه وألزمه هذه الأشياء من الحقوق في الأرضين وجزى الرؤوس، فلهذا قال: ﴿فخراج ربك﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "خراجاً فخراج ربك خير"، قولهما: "فخراج ربك" بيّن على ما قد تقدم، و"خراج" الذي قرأه غيرهما "خَرْجاً" قد جاء فيه الخراج أيضاً، بدلالة قول العجاج. هذا آخر كلام أبي علي.

---

(١) زيادة من ب، والحجة (٣/ ١٨٥).

(٢) الرجز للعجَّاج، وبعده:

في ليلة تغشي الصوار المحرجا سحّاً أهاضيب وبرقاً مُرعِجا

انظر: ديوانه (٢/ ٢٥-٢٦)، واللسان (مادة: شمرج)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٦٤)، وديوان الأدب (٢/ ٢٨٧)، والعين (١/ ٢٢٤)، والحجة للفارسي (٣/ ١٨٥).

(٣) السّمرج: استخراج الخراج في ثلاث مرات، فارسي معرب. (انظر: اللسان، مادة: سمرج).

(٤) في الأصل: فأصبحت. والتصويب من ب، والحجة (٣/ ١٨٥). وانظر: مصادر البيت.

(٥) سيأتي معنى البيت قريباً.

قال الزمخشري(١): الوجه: أن الخَرْج أخص من الخَراج، كقولك: خراج القرية، وخَرْج الكَرْدَة، زيادة اللفظ لزيادة المعنى. ولذلك حسنت قراءة من قرأ: "خرجاً فخراج ربك" معنى: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير. قلت: والسَّمرّج: جباية الخراج(٢).

ومعنى قول الآخر: طَرْمَحُوا الدور: علّوا البناء وأطالوه(٣)، ومنه: الطرمّاح.

وعَمايَة: جبل من جبال هذيل. والنِّيق: أرفع موضع في الجبل(٤).

ومعنى الآية: أم تسألهم على تبليغ الرسالة والإنقاذ من الضلالة أجراً ومالاً. وقد سبق القول فيه في آخر الكهف(٥).

﴿وهو خير الرازقين﴾ أفضل من أعطى ورزق، لسلامة رزقه من الانقطاع والآفات المنغصة من المن والأذى، وكون التضرع إلى الله تعالى في طلب الرزق فضيلة، وإلى غيره رذيلة، ولقد أحسن أمية بن أبي الصلت في قوله:

عطاؤكَ زينٌ لامرئ إن حَبَوْتَه ... بسيْبٍ وما كُلُّ العَطَاء يَزين
وليسَ بِشَيْنٍ لامرئ بذلُ وجهه ... إليكَ كما بعْضَ السؤال يَشين(٦)

قوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ وهو كتاب الله تعالى، ودين

(١) الكشاف (٣/ ١٩٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سمرج).

(٣) انظر: اللسان (مادة: طرح).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نيق).

(٥) عند الآية رقم: ٩٤.

(٦) البيتان لأمية بن أبي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان، انظر: المثل السائر لابن الأثير (٢/ ٣٦٠)، وصبح الأعشى (٢/ ٢٠٥)، ومكارم الأخلاق للقرشي (١/ ١٤١).

الإسلام.

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ أي: عن هذا الصراط المستقيم ﴿لناكبون﴾ لعادلون عنه.

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ يريد: الجوع الذي أصاب أهل مكة سبع سنين بدعاء رسول الله ﷺ عليهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه ذلك، فنزلت هذه الآية والتي بعدها(١).

قوله تعالى: ﴿لَلَجُّوا في طغيانهم يعمهون﴾ أي: لتمادوا في تمرّدهم في كفرهم يتحيرون، ولذهب عنهم ترقُّقُهُم بين يديك وتملُّقُهم إليك.

قال صاحب الكشاف(٢): ثم استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولاً بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسْرِهم، [فما](٣) وُجِدَتْ منهم بعد

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤١٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٠)، والحاكم (٢/ ٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبري (١٨/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١١) وعزاه للنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٠٠).

(٣) في الأصل: فلما. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

ذلك استكانة ولا تَضَرُّع، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أَطَمُّ العذاب، فأُبلِسُوا وخضعت رقابهم، وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك.

وقال غيره: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ هو الجوع والضر الذي أصابهم، ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أي: ما تواضعوا لربهم وما انقادوا، ﴿وما يتضرعون﴾ يرغبون إليه في الدعاء.

واختلفوا في "استكانوا"؛ فقيل: هو استفعل من السُّكُون، والمعنى: ما طلبوا الكَوْن على صفة الخضوع.

وقيل: هو من السُّكُون، إلا أن الفتحة أُشْبِعَتْ، فنشأت منها ألف فصار: اسْتَكَانَ، وهو على هذا: افتعلوا. قال الشاعر في إشباع الفتحة:

فأنتَ من الغوائلِ حين تُرْمَى ... ومنْ كَرَم الرِّجال بمنْتَزَاح[1]

أي: بمُنْتَزَح.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ متعلق بما قبله، على معنى: ولقد أخذناهم بكل عذاب ومحنّاهم بكل محنة، فما [وُجد][2] منهم خضوع ولا رجوع، حتى إذا فتحنا عليه باباً ذا عذاب شديد، وهو عذاب جهنم، ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ آيِسُون من كل خير.

---

(١) البيت لابن هرمة يرثي ابنه، وهو في: اللسان (مادة: نزح، نجد)، وفيه: "ذم" بدل "كرم"، وروح المعاني (٩/ ١٩٤، ١٢/ ٢٢٨، ١٨/ ٥٦)، وفيه مثل اللسان "ذم" بدل "كرم".

(٢) في الأصل: وجدنا. والمثبت من ب.

وقد سبق ذكره في الأنعام[١].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: "مُبْلَسُون" بفتح اللام[٢].

وقال ابن عباس: العذاب الشديد: ما أصابهم من القتل والأسر يوم بدر[٣].

وقال مقاتل[٤]: هو الجوع الذي أصابهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي: خلق لكم هذه الآلات لتُعْمِلُوها في آياته وعجائب مخلوقاته، ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي: تشكرون شكراً قليلاً، و"ما" مزيدة للتوكيد.

وقيل: غير ذلك، وقد أشرنا إليه فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي: خلقكم وبثَّكم فيها

---

(١) عند الآية رقم: ٤٥.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٨٦)، والدر المصون (٥/ ١٩٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٤)، والطبري (١٨/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠١). وهذا القول هو اختيار الطبري.

للتناسل، ﴿وإليه تحشرون﴾ يوم القيامة فيجمعكم بعد فُرْقَتِكُم لفصل القضاء، ويرجعكم بعد تمزقكم لأجل الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي: هو المختص به خلْقاً وتَصَرُّفاً على مقتضى الحكمة والصواب ومصلحة العباد، ﴿أفلا تعقلون﴾ هذه الآيات الباهرة والعجائب الظاهرة لا تنفعل إلا عن قدرة قادر وحكمة حكيم.

﴿بل قالوا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿مثل ما قال الأولون﴾، ثم بين ذلك فقال: ﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون﴾ وقد ذكرنا في سورة الرعد[١] اختلاف القرّاء في لفظ الاستفهامين، وأشرنا إلى علل القراءات، فاطلبه ثمّة.

قوله تعالى: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ يعنون: البعث ﴿من قبل﴾ أي: من قبل محمد، ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ مفسر في الأنعام[٢].

ومقصودهم: أن ما وُعدوا به من البعث أمرٌ لا حقيقة له.

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ
فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

---

(١) عند الآية رقم: ٥.

(٢) عند الآية رقم: ٢٥.

قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ أي: قل يا محمد للمكذبين بالوحدانية والبعث: لمن الأرض ومن فيها من الخلق على تصاريف أجناسهم وأنواعهم خلقاً ومُلْكاً ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أن لها خالقاً ومالكاً ﴿سيقولون لله﴾ لا يجدون بُداً من الإقرار بذلك. ﴿قل أفلا تذكرون﴾ فتعلمون أن من فَطَرَ الأرض ومن فيها من الخلق قادر على إعادته، وحقيق أن لا يُشرك به.

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي: الكريم على الله، أو العظيم في الخلق، فإن السموات والأرض بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، ﴿سيقولون الله﴾.

قرأ أبو عمرو: "اللهُ" بألف في هذه والتي بعدها على ما يقتضيه اللفظ من جواب السؤال، وكذلك هو في مصحف أهل البصرة، وقرأهما الباقون: "سيقولون لله"[1].

وكذلك هو في سائر المصاحف نظراً إلى المعنى؛ لأن معنى من رب السموات: لمن السموات، فقال: لله، كما يقال: من مالك هذه الدار؟ فيقال: لزيد؛ لأن معناه: لمن هذه الدار، وكذلك: ﴿من بيده ملكوت﴾ معناه: لمن الأشياء كلها؟ فقيل: لله، وأنشدوا:

إذا قيلَ من رَبُّ المزالِفِ والقُرَى ... وربُّ الجياد الجرْد قيل لخالد[2]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٠)، والكشف (٢/ ١٣٠)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٧).

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١٢/ ١٤٦)، والنسفي (٣/ ١٢٩)، وروح المعاني (١٨/ ٥٨).
والمزالف: هي البلاد التي بين الريف والبرّ (اللسان، مادة: زلف).

ولا خلاف بين القراء السبعة في الموضع الأول أنه بغير ألف لاتفاق المصاحف على ذلك ومطابقة اللفظ له.

وقد قرأ[١] جماعة منهم سعيد بن جبير: "سيقولون الله" بألف أيضاً[٢]، وكذلك في الموضعين الآخرين نظراً إلى المعنى في الموضع الأول، وإلى اللفظ في [الآخرين][٣].

قال أبو علي الأهوازي: وهو في مصاحف أهل البصرة بألف فيهن، وأنشدوا في هذا المعنى قول الشاعر:

فقال السائلونَ لمنْ حَفَرْتُم ... فقالَ المُخْبِرُون لهمْ وزير[٤]

فنظروا في الجواب إلى المعنى؛ لأن المعنى: من الميت؟ فقالوا: وزير، أي: هو وزير.

﴿قل أفلا تتقون﴾ أي: قل لهم يا محمد إذا اعترفوا: أفلا تخشون الله وتخافون وتحذرون عقوبته.

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ ملكه وخزائنه، والتاء مزيدة للمبالغة؛ كالجَبَرُوت والرَّهَبُوت. وقد سبق ذلك.

﴿وهو يجير﴾ أي: يمنع ويغيث من يشاء ممن يشاء، ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: لا

---

(١) في ب: قرأه.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ٤٨٧).

(٣) في الأصل: الأخيرين. والمثبت من ب.

(٤) انظر البيت في: الطبري (١/ ٦١، ١٨، ٤٨)، والقرطبي (٨/ ١٣٦)، وروح المعاني (١٨/ ٥٨).

يمنع منه أحد، تقول: أجرتُ فلاناً؛ إذا حميتَه، وأجرتُ على فلان؛ إذا حميتَ عنه[١].

قوله: ﴿قل فأنى تسحرون﴾ قال ابن قتيبة[٢]: تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

قوله: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ وهو التوحيد، ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في دعواهم لله ولداً ومعه شريكاً، ثم نفاهما عنه فقال: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾. ثم أقام على ذلك برهاناً قاطعاً وقال: ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ أي: لاستبدَّ وانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه.

﴿ولَعَلا بعضهم على بعض﴾ بالقهر والغلبة والاستيلاء، كما تشاهدون حال ملوك الدنيا.

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: "إذاً" لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف وقع قوله: "لذهب" جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا [سؤال][٤] سائل؟

قلت: الشرط محذوف، تقديره: ولو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جور).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٢٩٩).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٠٣).

(٤) في الأصل: سؤا. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

"وما كان معه من إله" عليه.

ثم نزّه نفسه عما وصفوه به من الأنداد والأولاد فقال: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الغيب والشهادة﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة إلا حفصاً: "عَالِمُ" بالرفع، أي: هو عالم. وقرأ الباقون بالجر[1]، جعلوه صفة لله في قوله: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون * رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ الفاء في قوله: "فلا تجعلني" جواب الشرط. وقوله: "رب" اعتراض بين الشرط [والجزاء][2] بالنداء[3].

قال صاحب الكشاف[4]: "ما" والنون مؤكدتان، أي: إن كان لا بد من أن

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩١)، والكشف (٢/ ١٣١)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٧).

(٢) في الأصل: وجزاء. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٢)، والدر المصون (٥/ ١٩٩-٢٠٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٠٣).

تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة "فلا تجعلني" قريناً لهم ولا تعذبني[(١)] بعذابهم.

قال الحسن: أخبره الله تعالى أن له في أمته [نقمة][(٢)] ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء[(٣)].

فإن قلت: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين، حتى يطلب أن لا يجعله معهم؟

قلتُ: يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله؛ إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه وإخباتاً له، واستغفاره ﷺ إذا قام من مجلسه سبعين أو مائة مرة لذلك[(٤)]. وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر رضي الله عنه: ((وُلّيتكم ولست بخيركم))[(٥)]: كان يعلم أنه خيرهم، ولكن[(٦)] المؤمن يهضم نفسه[(٧)].

---

(١) في ب: تعدني.

(٢) في الأصل: نعمة. والتصويب من ب، ومن الكشاف (٣/ ٢٠٣).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٣٠) بلا نسبة، والآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٦١).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)) (٥/ ٢٣٢٤ ح٥٩٤٨).

وأخرج مسلم في صحيحه عن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: ((... وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)) (٤/ ٢٠٧٥ ح٢٧٠٢).

(٥) أخرجه معمر في جامعه (١١/ ٣٣٦).

(٦) في ب: لكن.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٥٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٠٤).

ثم أخبر أنه قادر على ذلك بقوله: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾.

ثم أمره بالصبر إلى انقضاء الأجل المضروب لعذابهم فقال: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ قال ابن عباس: ادفع بلا إله إلا الله الشرك[١].

وقال الحسن: ادفع إساءة المسيء بالصفح[٢].

وبعض المفسرين يقول: هذه منسوخة بآية السيف[٣]، كأنه أمره بالإعراض عن المشركين والصفح والتجاوز عن أذاهم حتى ينقضي الأجل المضروب لهم.

والصحيح: أنها محكمة؛ لأنها حضت على المداراة، والمداراة مشروعة ما لم تُفْضِ إلى ارتكاب محظور في الدين، أو إزراء بمروءة.

﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ من الكفر والتكذيب، وأقدر على مجازاتهم، ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة. فجدير بك سلوك سبيل المحاسنة.

قوله تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ الهمز في اللغة: الدفع[٤]. وهمزات الشياطين: دفعهم المكلفين بالإغواء إلى المعاصي وإغراؤهم بها بالتحسين والتزيين.

قال الزجاج[٥]: واحد الهمزات: هَمْزَة، وهو مسُّ الشيطان، ويجوز أن تكون نَزَغَات الشيطان.

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٣٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٨٧) بلا نسبة.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٨٩). وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٢٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٦)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٠٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: همز).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢١).

ونَزْغُ الشيطان: وسوسته حتى يشتغل عن أمر الله.

﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أي: يشهدون في شيء من أموري. كأنه أمر أن يسأل ربه العصمة من الشيطان أن يناله بسوء.

وقال ابن عباس: أن يحضرون عند تلاوة القرآن(١).

وقال عكرمة: عند النزع(٢). كأنه أمر بالاستعاذة منهم خوفاً من النـزغ عند النزع.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ قال الزمخشري(٣): "حتى" تتعلق بـ:"يصفون"، أي: لا يزالون على سوء الذِّكر إلى هذا الوقت.

والآية فاصلة بينهما على وجه الإعراض(٤) والتأكيد للإغضاء عنهم، مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم، أو على قولـه: ﴿وإنهم لكاذبون﴾ [الأنعام:٢٨].

﴿قال رب ارجعون﴾ أي: رُدُّوني إلى الدنيا. والخطاب لله بلفظ الجمع للتعظيم، كما قال:

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٦٦) من قول الكلبي، وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٨٧) من قول ابن عباس.

(٢) ذكره الآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٦٢)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٠٥).

(٤) في الكشاف: الاعتراض.

فإنْ شِئْتُ حرَّمتُ النساءَ سِواكُم ....[1]

وقيل: استغاث أولاً بالله، ثم رجع إلى مسألة الملائكة، وهذا مروي عن [ابن][2] جريج[3].

وقال المازني: جمع الضمير ليدل على التكرار، فكأنه قال: رب ارجعن رب ارجعن رب ارجعن.

والمعنى: أن الكافر إذا أيقن بالموت واطَّلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة والندامة على ما فرّط في جنب الله، وسأل ربه أن يرجعه ليستدرك ما فاته من الإيمان والأعمال الصالحة، فذلك قوله: ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾.

قال ابن عباس: لعلي أشهد أن لا إله إلا الله[4].

قال قتادة: أما والله ما تمنى أن يُرْجَعَ إلى أهل ولا عشيرة، ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أُمْنِيَةَ الكافر فاعملوا فيها[5].

---

(١) صدر بيت للعرجي، وعجزه: (وإن شئت لم أطْعَم نُقاخاً ولا بَرْداً). انظر: ديوانه (ص:١٠٩)، واللسان (مادة: نقخ، برد)، وزاد المسير (٢/ ٤٢٠، ٩/ ٨)، وروح المعاني (٢/ ١٧٠، ١٨/ ٦٣، ٣٠/ ١٦)، والدر المصون (١/ ٦٠٤، ٥/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٢/ ٢٧٣، ٦/ ٣٨٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٠٥).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٤٩)، وأبو حيان في البحر (٦/ ٣٨٨).

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية (ح ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٥) وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨).

وقوله: ﴿فيما تركت﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري[١].

وقال مقاتل[٢]: فيما تركت من العمل الصالح.

وقيل: فيما تركت من المال[٣].

﴿كلا﴾ أي: لا يرجع إلى الدنيا.

وقيل: هو رَدْعٌ عن طلب الرجعة.

﴿إنها﴾ يعني: مسألته الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي: كلمة هو يقولها ولا فائدة له فيها.

وقيل: المراد بالكلمة: الطائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض، وهي قوله: ﴿لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾، هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها؛ لاستيلاء الحسرة عليه، وتسليط الندم.

﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي: ومن أمامهم وبين أيديهم برزخ.

قال الزجاج[٤]: البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو هاهنا ما بين موت الميت وبعثه.

قال الزمخشري[٥]: أي: أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة ﴿إلى يوم يبعثون﴾، وليس المعنى: أنهم يُرجعون يوم البعث، إنما هو إقناط كُلِّي لما عُلم أنه لا رجعة يوم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٤).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٥٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٢).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٠٥).

البعث إلا إلى الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ سبق ذكر الصُّور في الأنعام[١].

واختلفت الرواية عن ابن عباس في هذه النفخة، هل هي الأولى التي هي نفخة الموت[٢]، أو نفخة البعث[٣].

فإن قلنا: هي النفخة الأولى؛ فلا إشكال حينئذ في قوله: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾؛ لأن الموت حال بينهم وبين التساؤل.

وإن قلنا: هي النفخة الثانية؛ كان المعنى: فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها، على ما عليه عادة العرب، لا يتساءلون كما يتساءل العرب في الدنيا: من أي قبيل أنت، وابنُ من أنت، وولوعهم بذلك أظهر من أن يُشْهر.

ومن أعجب ما طرق سمعي لهم في ذلك، ما روي: أن رجلاً من بني سعد دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ممن الرجل؟ فقال من الذين

---

(١) عند الآية رقم: ٧٣.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١١٦-١١٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وفيه من وجوه فانظره.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٠).

يقول لهم الشاعر:

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميم حسبتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

فقال[١]: من أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم القائل:

يزيدُ بنو سعدٍ على عَدَدِ الحَصَا وأثقَلُ من وزْنِ الجبالِ حُلُومُها

فقال[٢]: فمن أيّها أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

ثيابُ بني عوفٍ طَهَارَى نقيّة وأوجُهُهُم عند المَشَاهِدِ غُرَّان

قال: من[٣] أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول فيهم الشاعر:

فلا وأبيكَ ما ظَلَمتْ قُريعٌ بأنْ يَبْنُوا المكارمَ حيثُ شَاؤُوا

قال: فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُم ومن يُسوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنَبَا

فقال له عبد الملك: اجلس لا جلستَ، فوالله لقد خِفْتُ أن تفخر عَلَيَّ.

فعلى هذا المعنى: لا يتساءلون يوم القيامة؛ لأنهم في شغل عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس:٣٧].

وقيل: المعنى: فلا أنساب بينهم يومئذ يتعاطفون بها لتفرقهم في المثوبة والعقوبة، فإنه لا اعتداد في ذلك اليوم إلا بالأعمال الصالحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلا سببي ونسبي»[٤].

---

(١) في ب: قال.

(٢) مثل السابق.

(٣) في ب: فمن.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٤٥ ح٢٦٣٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٣): رجاله =

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ [الصافات:٢٧]؟

قلتُ: يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ففيه أزمنة مختلفة وأوقات متغايرة يتساءلون في وقت، ويشغلهم ما خامرهم من الأهوال والشدائد عن السؤال في وقت.

قرأت على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي، أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبَري فأقرّ به قالت: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد السلام الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني قال: قرأتُ على أبي العباس بن حمدان، حدَّثكم محمد بن إبراهيم بن [سعيد](1) البوشنجي(2)، حدثنا أبو يعقوب يوسف بن عدي(3)،

=

ثقات، والحاكم (٣/ ١٥٣ ح٤٦٨٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والمقدسي في الأحاديث المختارة (١/ ١٩٧ ح١٠١) وقال: إسناده حسن، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٦٤ ح١٣١٧٢).

(١) في الأصل: سعد. والصواب ما أثبتناه، انظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى العبدي، أبو عبد الله البوشنجي الفقيه المالكي، ولد سنة أربع ومائتين، ارتحل شرقاً وغرباً ولقي الكبار، وجمع وصنّف وسار ذكره وبَعُد صيته، مات في آخر يوم من سنة تسعين ومائتين بنيسابور (سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٨١-٥٨٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٧-٦٥٩).

(٣) يوسف بن عدي بن زريق بن إسماعيل، ويقال: بن الصلت بن بسطام التيمي مولاهم، أبو يعقوب الكوفي، ثقة، سكن مصر، وذهب إليها في التجارة ومات بها في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٧، والتقريب ص:٦١١).

حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي[1]، عن زيد بن أبي أنيسَة[2]، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: « جاء رجل فقال: يابا عباس، إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، وقد وقع ذلك في صدري، فقال ابن عباس: أتكذيب؟ فقال الرجل: ما هو بتكذيب ولكن اختلاف. قال: فهَلُمَّ ما وقع في نفسك؟ فقال له الرجل: أسْمَعُ الله يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وفي آية أخرى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾، وقال في آية أخرى: ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ [النساء:٤٢]، وقال في آية أخرى: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣]، فقد كتموه في هذه الآية. وفي قوله: ﴿أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات:٢٧-٣٠]، فذكر في هذه الآية خلق السماء قبل الأرض، وقال في الآية الأخرى: ﴿أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:٩-١١]، فذكر في هذه الآية[3] خلق الأرض قبل السماء، وقوله: ﴿كان الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء:٩٦]، ﴿وكان الله

---

(١) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي مولاهم، أبو وهب الجزري الرقي، ثقة صدوق، مات سنة ثمانين، وهو ابن ست وسبعين سنة (تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨، والتقريب ص:٣٧٣).

(٢) زيد بن أبي أنيسة واسمه زيد الجزري، أبو أسامة الرهاوي، كان يسكن الرها ومات بها، وكان ثقةً كثير الحديث، فقيهاً راويةً للعلم، مات سنة تسع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٤٣، والتقريب ص:٢٢٢).

(٣) ساقط من ب.

عزيزاً حكيماً﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ [النساء:١٣٤]، كأنه كان ثم تَقَضَّى؟ فقال ابن عباس: هات ما في نفسك من هذا؟ فقال السائل: إذا أنبأتني بهذا فحسبي. قال ابن عباس: قوله: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ فهذا في النفخة الأولى ينفخ في الصور، فصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فإذا كانت النفخة الأخرى قاموا فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأما قول الله تعالى: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقوله: ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ فإن الله تبارك وتعالى يغفر يوم القيامة لأهل الإخلاص ذنوبهم لا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره، ولا يغفر شِرْكاً، فلما رأى المشركون ذلك قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر شِرْكاً، تعالَوْا نقول: إنا كنا أهل ذنوب ولم نكن مشركين، فقال الله: أما إذا كتموا الشرك فاخْتموا على أفواههم، فيُخْتَمُ على أفواههم فتنطِقُ أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون. فعند ذلك عرف المشركون أن الله لا يكتم حديثاً(١)، فذلك قوله: ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فإنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم نزل إلى الأرض فدحاها، ودحْيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقّ فيها الأنهار، وجعل فيها

(١) في ب: ذنباً.

السبل، وخلق الجبال والرمال والأكوام وما فيها في يومين آخرين، فـذلك قولـه: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾، وقوله: ﴿أإنكم لتكفرون بالذي خلـق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وجعلت السماوات في يومين.

وأما قوله: ﴿كان الله غفوراً رحيماً﴾، ﴿وكان الله عزيزاً حكـيماً﴾، ﴿وكـان الله سميعاً بصيراً﴾ فإن الله جعل نفسه ذلك وسمَّى نفسه ذلك، ولم ينحله أحداً غيره، "وكان الله" أي: لم يزل كذلك.

ثم قال ابن عباس: احفظ عني ما حدّثتك، واعلم أن ما اختلف عليـك مـن القرآن أشباه ما حدّثتك به، فإن الله تعالى لم ينزل شيئاً إلا قد أصاب به الذي أراد، ولكن الناس لا يعلمون، فلا يختلفن عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله))[1]. هذا حديث ذكره البخاري في كتابه بأن قال: وقال المنهال بن عمرو فذكره.

وقد سبق ذكر الميزان في أول الأعراف[2].

قوله تعالى: ﴿في جهنم خالدون﴾ بدل من قوله: ﴿خسروا أنفسهم﴾، أو خبر بعد خبر لـ"أولئك"، أو خبر مبتدأ محذوف[3].

---

(١) أخرجـه البخـاري (٤/ ١٨١٥-١٨١٦ ح٤٥٣٧)، والطـبراني في الكبـير (١٠/ ٢٤٥-٢٤٦ ح١٠٥٩٤).

(٢) آية رقم: ٨.

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٦). وانظر: الدر المصون (٥/ ٢٠٢).

وقال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٨٨): جعل "في جَهَنَّمَ" بدلاً مِـنْ "خَسِرُوا" وهـذا بـدل غريـب، وحقيقته: أن يكون البدل الفعل الذي يتعلّق به "في جَهَنَّمَ"، أي: استقروا في جهنم، وهو بدل شيءٍ

قوله تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار﴾ أي: تَسْفَعُ وتُحْرِقُ، يقال: لَفَحَتْهُ النار؛ إذا أحرقتْه[1].

قال الزجاج[2]: اللَّفْحُ والنَّفْحُ واحد، إلا أن اللَّفْحُ أعظم تأثيراً.

﴿وهم فيها كالحون﴾ قال الزجاج[3]: الكالِحُ: الذي قد تَشَمَّرَتْ شفتاه عن أسنانه، نحو ما يُرى برُؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمَّرَت الشِّفَاه.

قال مالك بن دينار: كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مَرَّ في السوق برأس أُخرج من التنور، فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن.

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم محمد بن أسعد العطاري فأقرّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا ابن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: « ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه،

= من شيء؛ لأن من خسر نفسه استقر في جهنم. اهـ.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٢٠٢): جعل الشيخ -يعني أبو حيان- الجار والمجرور، البدل دون "خالدون"، والزمخشري جعل جميع ذلك بدلاً، بدليل قوله بعد ذلك: "أو خبراً بعد خبر لأولئك، أو خبر مبتدأ محذوف". وهذان إنما يلتقيان بـ"خالدون" وأما "في جهنم" فمتعلق به، فيحتاج كلام الزمخشري إلى جواب، وأيضاً فيصير "خالدون" مفلتاً. اهـ.

(١) انظر: اللسان (مادة: لفح).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٣).

(٣) معاني الزجاج، الموضع السابق.

وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرَّتَه »[١].

قال [الترمذي][٢]: هذا حديث حسن غريب.

قلتُ: وقد أخرجه الحاكم في صحيحه[٣].

وبهذا الإسناد قال: حدثنا ابن المبارك، عن حاجب بن [عمر][٤]، عن الحكم بن الأعرج قال: قال أبو هريرة: « يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، [فيصير][٥] ضرسه مثل أُحُد، وشفاههم عند [سُرَرِهم][٦]، سُودٌ زُرقٌ حُبْن مقبوحون »[٧].

قال البغوي: الحبن جمع الأحبن، وهو العظيم البطن، ويقال للذي به السقي: أحبن، وأم حبين: دويبة على خلقة الحرباء عريضة البطن[٨].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٨ ح٢٥٨٧)، وأحمد (٣/ ٨٨ ح١١٨٥٤)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٣١٨).

(٢) في الأصل و ب: البغوي. وهو خطأ. وانظر الترمذي، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٨ ح٣٤٩٠).

(٤) في الأصل و ب: عمرو. والتصويب من مصادر التخريج. وانظر ترجمته في: التقريب (ص:١٤٤)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٠٢).

(٥) زيادة من البغوي (٣/ ٣١٨).

(٦) في الأصل: رؤوسهم. والتصويب من ب، ومن البغوي، الموضع السابق.

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٨٤ ح٢٩٣)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٣١٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: حبن).

فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ قرأ حمزة: "شَقَاوتُنا" بـألف مـع فتح الشين، وكذلك قرأ الحسن وقتادة إلا أنهما كسرا الـشين[١]. وقـرأ البـاقون: "شِقْوَتُنا" بكسر الشين من غير ألف[٢]. وكذلك قرأ عمرو بن العاص وأبو رزين وأبو رجاء إلا أنهم فتحوا الشين[٣].

والمعنى في الجميع واحد، وهو سوء العاقبة.

ومعنى: "غلبت علينا": مَلَكَتْنا "شقوتنا" التي كتبت علينا في الدنيا.

﴿وكنا قوماً ضالين﴾ عن طريق الهدى.

﴿ربنا أخرجنا منها﴾ أي: من النار.

قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا[٤].

﴿فإن عدنا﴾ إلى الكفر والمعاصي ﴿فإنا ظالمون﴾.

قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ
رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا
حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٩٢)، والدر المصون (٥/ ٢٠٣).
(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩١)، والكشف (٢/ ١٣١)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢٠)، والسبعة (ص:٤٤٨).
(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٩٢).
(٤) ذكره القرطبي (١٢/ ١٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٢).

صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿قال اخسأوا فيها﴾ قال الزجاج[١]: "اخسأوا" تباعَدُوا تَبَاعُدَ سَخَط، يقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْسَؤُهُ؛ إذا زجرْته ليتباعد[٢].

[وبالإسناد][٣] السابق آنفاً قال: حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة يذكره، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يَرُدُّ عليهم: إنكم ماكثون، قال: هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون. قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق »[٤].

قوله: "ما نبس القوم بعدها"، أي: ما تكلموا بكلمة. ويجوز: نَبَّسَ بالتشديد.

قال الحسن البصري رحمه الله: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب، لا يَفْهَمُون

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: خسأ).

(٣) في الأصل: بالإسناد. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨ ح٣٤١٢٢)، وهناد في الزهد (١/ ١٥٨ ح٢١٤)، والطبري (٢٥/ ٩٩)، والحاكم (٢/ ٤٢٩ ح٣٤٩٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ولا يُفْهِمُون[١].

وقال القرظي: إذا قيل لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون، انقطع رجاؤهم ودعاؤهم، وأقبل بعضهم يصيح في وجه بعض، وأُطبقت عليهم[٢].

ثم بيّن السبب الموجب لذلك فقال: ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وفي حرف ابن مسعود وأبيّ: "أنه" بفتح الهمزة[٣]، على معنى: لأنه كان فريق من عبادي.

قال ابن عباس: يريد: المهاجرين[٤].

﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي: "سُخرياً" بضم السين هنا وفي صاد[٥]. وكسرها الباقون في الموضعين[٦]، وهو اختيار الفراء والزجاج[٧].

واتفقوا على ضم السين في الزخرف[٨]، يقال منه: سَخِرَ به وسَخِرَ منه يَسْخَرُ سُخْريةً وسُخْرياً وسِخْرياً؛ إذا هَزِئَ به، ومن السُّخْرَة التي هي بمعنى العبودية:

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣١٨) عن الحسن، وأبو حيان في البحر (٦/ ٣٨٩) بلا نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٩).

(٣) انظر قراءة ابن مسعود وأبيّ في: زاد المسير (٥/ ٤٩٣)، والدر المصون (٥/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٣).

(٥) عند الآية رقم: ٦٣.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩١-٤٩٢)، والكشف (٢/ ١٣١)، والنشر (٢/ ٣٢٩)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٨).

(٧) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٤٣)، ومعاني الزجاج (٤/ ٢٤).

(٨) آية رقم: ٣٢.

سُخْرِياً، بالضم لا غير، [ولذلك][1] اتفقوا على ضم السين في الزخرف؛ لأنه من السُّخْرَة[2].

قال الخليل وسيبويه في هذا الموضع وفي صاد: هما لغتان بمعنى واحد، ومثله: بحرٌ لِجّي ولُجي، وكوكب دِري ودُري[3].

وقال أبو عبيدة[4]: الكسرة بمعنى: الهزء، والضم بمعنى: السُّخرة والاستعباد. وهذا المعنى مروي عن الحسن وقتادة[5].

وقال أبو علي[6]: قراءة من كَسَرَ أرجح؛ لأنه من الهزء، والأكثر في الهزء؛ كسر السين.

قال مقاتل[7]: كان رؤوس الكفار من قريش؛ كأبي جهل، وعتبة، والوليد، قد اتخذوا فُقراء أصحاب رسول الله ﷺ؛ كعمار، وبلال، وخبّاب، وصهيب، سخرياً يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

﴿حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون﴾ أي: حتى نسيتم ذكري؛ لاشتغالكم [بالسخرية][8] منهم وبالضحك.

---

(١) في الأصل: وكذلك. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: سخر).

(٣) انظر قول الخليل وسيبويه في: زاد المسير (٥/ ٤٩٣).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٦٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩٣).

(٦) الحجة (٣/ ١٨٧).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٥).

(٨) في الأصل: بالسخرة. والتصويب من ب.

ونسب الإنساء إلى عباده المؤمنين وإن لم يفعلوه؛ لكنهم السبب في ذلك، كقوله تعالى: ﴿إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ [إبراهيم:٣٦].

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على أذاكم واستهزائكم ﴿أنهم هم الفائزون﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "إنهم" بكسر الهمزة على الاستئناف[1]. ومن فتَحَ الهمزة جعله المفعول الثاني لـ"جزيتهم"، أو هو على تقدير حذف اللام، أي: لأنهم هم الفائزون.

قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾

﴿قال كم لبثتم﴾ أي: قال الله تعالى، أو قال من أمره الله بسؤال الكافرين يوم البعث، وقيل: بعد حصولهم في النار.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: "قل" على الأمر[2]، على معنى: قل أيها الكافر المسؤول عن قدر لبثه، أو قل أيها المَلَكُ للكفار: كم لبثتم.

﴿في الأرض﴾ يعني: في الدنيا، وقيل: في القبور، ﴿عدد سنين﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٢)، والكشف (٢/ ١٣١-١٣٢)، والنشر (٢/ ٣٢٩-٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٨-٤٤٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٣)، والكشف (٢/ ١٣٢)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٩).

قال الزجاج[١]: "كم" في موضع نصب بقوله: "كم لبثتم"، و"عدد سنين" منصوب بـ"كَمْ".

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ استقصروا مدة لبثهم في القبور، وإن كانوا معذَّبين؛ لأن عذابهم فيها بالنسبة إلى عذاب الآخرة كلا عذاب.

أو نقول على القول الأول: استقصروا مدة الحياة؛ لأنها أيام راحتهم، وأيام السرور قِصَار. أو لأن ما تقضّى من الزمان كأن لم يكن.

﴿فاسأل العادّين﴾ قال مجاهد: هم الملائكة الذي يحفظون أعمال بني آدم ويُحْصُونها عليهم[٢].

وقال قتادة: هم الحُسَّاب[٣].

وقرأ الحسن البصري والزهري: "العَادِين" بالتخفيف[٤]، على معنى: سَلِ الظَّلَمَة الفَجَرَة فإنهم يقولون كما نقول.

وقُرِئ: "العاديِّين"[٥] القدماء المعمِّرين، فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم؟.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣)، ومجاهد (ص:٤٣٥) مختصراً، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥١٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥١١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٥/ ٤٩٥)، والدر المصون (٥/ ٢٠٥).

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٣/ ٢٠٨)، والبحر المحيط (٦/ ٣٩١) نقلاً عن الزمخشري.

﴿قال إن لبثتم﴾ أي: قال الله.

وقرأ حمزة: "قل" على الأمر[1]، أي: قل أيها المَلَكُ السائل، أو الكافر المسؤول إن لبثتم في الدنيا أو في القبور ﴿إلا قليلاً﴾ زمناً قليلاً، وسُمِّي قليلاً؛ لتناهيه، فإن كل متناه قليل وإن طال.

﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أي: لو علمتم مقدار لبثكم. وفي هذا دليل على جهلهم مقدار لبثهم.

قال ابن عباس: أنساهم الله تعالى قدر لبثهم، فَيُرَوْنَ أنهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم؛ لعظيم ما هم بصدده من العذاب نسوا ذلك[2].

قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ العَبَثُ: اللِعبُ وفعل الشيء لا لغرض صحيح. ونصبه على الحال، على معنى: عابثين، وهو اختيار سيبويه، أو هو مفعول لأجله، أي: للعبث[3].

قال ابن [عباس][4]: كما خُلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب [عليها][5].[6].

﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ الأظهر أنه معطوف على "أنما خلقناكم"، ويجوز أن

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٣)، والكشف (٢/ ١٣٢)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢١)، والسبعة (ص:٤٤٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٢)، والدر المصون (٥/ ٢٠٥).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: علينا. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٠).

يكون معطوفاً على "عبثاً"، على معنى: [للعبث][(١)] ولترككم غير مرجوعين[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي: تعظّم وارتفع عما يصفه الجاهلون عن الشريك والولد. "الملك الحق" أي: الملك الثابت الذي لا يزول مُلْكُه، أو الحق الذي يحق له الملك.

﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي: السرير الحسن، والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن.

وقيل: وصَفَ العرش بالكرم؛ لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة.

وقيل: لنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيت كريم؛ إذا كان ساكنوه كراماً.

وقرأ ابن محيصن: "الكريمُ" بالرفع[(٣)]، صفة للرب عز وجل، ونحوه: ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج:١٥].

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

ثم توعد المشركين وهددهم فقال: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر ... الآية﴾.

وقوله: ﴿لا برهان له به﴾ صفة لازمة، إذ ليس في الآلهة ما يقوم عليه برهان. ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء[(٤)].

---

(١) في الأصل: اللعب. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٢٠٨).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٨).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٠).

(٤) ذكر هذين الوجهين الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢٠٩). قال أبو حيان في البحر (٦/ ٣٩١): وكلاهما تخريج صحيح.

﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ المعنى: هو الذي يتولى حسابه وجزاؤه. ويا له من تهديد ما أعظمه، وتخويف ما أفخمه.

﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ افتتح سبحانه السورة ببشارة المؤمنين بالفلاح وختمها ببشارة الكافرين بعدم الفلاح، فشتّان ما بين البشارتين.

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب منه المغفرة والرحمة لنفسه وللمؤمنين فقال: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وستون آية، وهي مدنية بإجماعهم.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد [النيسابوري][1]، أخبرنا الأستاذ أبو [منصور][2] البغدادي، أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، حدثنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي، حدثنا شعيب [بن][3] إسحاق الدمشقي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلوهن الغُرَفَ، ولا تُعلموهن الكتابة، وعلموهن الغَزْلَ وسورة النور -يعني: النساء-»[4]. هذا حديث صحيح[5]، أخرجه الحاكم في

---

(١) في الأصل: النيسابري. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: منصر. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من ب. وكذا وردت في الموضع التالي. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٠٤)، والتقريب (ص:٢٦٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٠ ح٣٤٩٤).

(٥) في هامش مصورة ب: قوله: "صحيح"؛ ليس بصحيح. فإن الحاكم خرجه من حديث عبدالوهاب بن الضحاك، وهو كذاب، كما قال أبو حاتم وغيره ونُسب إلى الوضع، وقد تابعه محمد بن إبراهيم الدمشقي السائح، وهو أيضاً مثله كذاب، منسوب إلى الوضع. وإنما حمل المصنف على تصحيحه قول الحاكم: صحيح الإسناد، والأمر ليس كما قال كما قد عرفت.

قال الذهبي في مختصره للمستدرك: هو موضوع، والله أعلم.

صحيحه، عن أبي علي الحافظ، عن الباغندي، عن عبدالوهاب بن الضحاك[١]، عن شعيب بن إسحاق.

وأخرجه الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره[٢]، عن ابن فنجويه الدينوري[٣]، عن ابن شَنَبَة[٤]، عن محمد بن أحمد الكرابيسي، عن سلمان[٥] بن توبة، عن محمد بن إبراهيم الشامي[٦]. وكأنني رويته عن رجل عن الثعلبي.

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

قال الله تعالى: ﴿سورةٌ أنزلناها وفرضناها﴾ وقرأ جماعة، منهم: أبو رزين، ومحبوب، عن أبي عمرو: "سورةً" بالنصب[٧].

---

(١) كُتب فوق هذا الاسم بخط مغاير في مصورة ب: البلاء منه أو من الشامي.

(٢) أخرجه الثعلبي (٧/ ٦٢).

(٣) الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن فنجويه الدينوري، كان ثقةً صدوقاً، كثير الرواية للمناكير، حسن الخط، كثير التصانيف، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ومات بنيسابور في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٨٤، وتكملة الإكمال ٤/ ٤٩٧).

(٤) هو عبيد الله بن محمد بن شنبة.

(٥) ويقال: سليمان. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/ ١٥٥)، والتقريب (ص:٢٥٠).

(٦) كُتب فوق هذا الاسم بخط مغاير في مصورة ب: المصيبة منه أو من عبدالوهاب.

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٢).

فمن رَفَعَ فعلى معنى: هذه سورة. و"أنزلناها" صفة لـ"سورة"[١].

وقال الأخفش: "سورة" ابتداء وخبره في "أنزلناها"[٢].

وردَّ هذا القول الزجاج[٣] وغيره؛ لأن النكرة لا يُبتدأ بها إلا إذا وُصفت، وإن جعل "أنزلناها وفرَّضْنَاها" بقي المبتدأ بلا خبر. وجوّز بعضهم أن تكون "سورة" مبتدأ، والخبر مُضْمَر، تقديره: فيما يتلى عليكم سورة أنزلناها، ولا يجوز أن يُقدَّر هذا الخبر متأخراً؛ لأن خبر النكرة يتقدم عليها، نحو قولك: في الدار رجلٌ وله مالٌ، ولا يَحْسُن: رجلٌ في الدار ومالٌ له؛ لقلة الفائدة فيه.

ومن نصبَ فعلى معنى: أنزلنا سورة، أو: اقرأ سورة أنزلناها[٤].

﴿وفرَّضْنَاها﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "وفرَّضناها" بالتشديد، على معنى: كثَّرنا فرائضها، أو فصَّلنا وبيَّنا ما فيها من الفرائض[٥]. وقرأ الباقون بالتخفيف، على معنى: فَرَضْنَا ما فيها وألزَمْنا العمل بها.

قال أبو علي[٦]: التخفيف يصلح للقليل والكثير. ومن حجَّة التخفيف قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ [القصص:٨٥]، والمعنى: أحكام القرآن وفرائض القرآن، كما أن التي في سورة النور كذلك.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٠٧).

(٢) انظر قول الأخفش في: القرطبي (١٢/ ١٥٨).

(٣) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٢٧).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٠٧).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٤)، والكشف (٢/ ١٣٣)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٢).

(٦) الحجة (٣/ ١٩١).

وأصل الفَرْض في اللغة: التأثير والحزّ، ومنه: فُرْضَةُ النَّهر والقَوْس، ثم اتُّسع فيه حتى استعمل في معنى الواجب المقطوع به[١].

﴿وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ قرأ الأكثرون: "الزانيةُ" بالرفع على الابتداء. وقرأ جماعة منهم أبو رزين وعيسى بن عمر: "الزانيةَ" بالنصب[٢]، واختاره الخليل وسيبويه[٣]، على معنى: "اجلدوا الزانية".

وقال الزجاج[٤]: الرفع أقوى في العربية؛ لأن المعنى: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء.

فإن قيل: لم قَدَّم الزانية على الزاني، والمُذَكَّر أبداً يُقَدَّم، وباعتبار ذلك قُدِّمَ السارق على السارقة[٥]؟

قلتُ: العرب أبداً تُراعي الأهم فتبدأ به، وذكْرُ الزانية أهم من الزاني؛ لأن عارها بالزنا أكثر، وحرصها عليه أشد، وقبحه في حقها أغلظ، [وقدرتها][٦] عليه أتم، وباعتبار ذلك قُدِّمَ السارق؛ لأن العار والقبح في حقه أشد، وحرصه على السرقة أكثر، وقدرته عليها أتم.

قوله تعالى: ﴿فاجلدوا﴾ معنى الجَلْد: ضرب الجِلْد، يقال: جَلَدَهُ؛ إذا ضَرَبَ

(١) انظر: اللسان (مادة: فرض).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٥)، والدر المصون (٥/ ٢٠٨).

(٣) انظر: الكتاب (١/ ١٤٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٧-٢٨).

(٥) في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [٣٨].

(٦) في الأصل: قدرتها. والتصويب من ب.

جِلْدَهُ، مثل: رأسه، إذا ضرب رأسه وبطنه[١].

فصل

قال بعض [علمائنا][٢]: هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْد[٣] على البِكْر والثَّيِّب، وقد روي عن النبي ﷺ في حق البكر زيادةً على الجلد بتغريب عام، وفي حق الثيب زيادة على الجلد [بالرجم][٤] بالحجارة[٥]؛ فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم [بالحجارة][٦]»[٧].

قلتُ: وهذا الحديث صحيح، وقد ذكرته مُعَنْعَناً وتكلمت عليه في سورة النساء[٨].

وممن قال بوجوب النفي في حق البكر: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وعطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[٩].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جلد).

(٢) في الأصل: العلمائنا. والتصويب من ب.

(٣) في ب: الحد.

(٤) في الأصل: الرجم. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٩/ ٤٥).

(٦) في الأصل: الحجارة. والتصويب من ب.

(٧) أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦ ح١٦٩٠)، والنسائي (٦/ ٣٢٠ ح١١٠٩٣).

(٨) عند الآية رقم: ١٦.

(٩) زاد المسير (٦/ ٦).

[وممن][1] قال بالجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب: علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، والحسن بن صالح، وإمامنا أحمد -في إحدى الروايتين عنه-، وإسحاق[2].

وذهب قوم إلى أن الجلد المذكور في هذه الآية للبكر إذا زنا، فأما الثيب فلا يجب عليه إلا الرجم، وهو قول النخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وإحدى الروايتين عن إمامنا أحمد[3].

وقال أبو حنيفة: لا يُشرع النفي في حق البكر إذا زنا[4].

والصحيح: الأول؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد الجهني: «أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر -وهو أفقه منه-: نعم فاقض بيننا بكتاب الله، فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: إن ابني كان عسيفاً[5] على هذا، فزنى بامرأته، وإني أُخبرتُ أن على ابني الرّجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألتُ رجالاً من أهل العلم فأخبروني [أن على ابني][6] مائة جلدة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة

(١) في الأصل: ومن. والتصويب من ب.
(٢) زاد المسير (٦/ ٦).
(٣) زاد المسير (٦/ ٦-٧).
(٤) انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٢٥٩).
(٥) في هامش ب: أي: أجيراً.
(٦) زيادة من ب.

وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها. قال: فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرُجمت))[١].

قوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ قرأ الأكثرون: "رأْفَةٌ" بإسكان الهمزة. وقرأ جماعة؛ منهم سعيد بن جبير: "رآفة" بفتح الهمزة ومدّها[٢]، مثل النَّشْأة والنَّشَاءَة.

وقرأ ابن كثير: "رَأَفَة" بفتح الهمزة وقَصْرها[٣]، مثل: رَعَفَة.

قال أبو علي[٤]: يقال: رأفْتُ بالرجل أرْؤُفُ به، وأرْأَفُ رَأْفَةً، قال[٥]: ولعل "رأفة" التي قرأها ابن كثير لغة.

والمعنى: لا يأخذكم بهما رحمة وتحنُّن، فتُعطِّلوا الحدود، أو تُخَفِّفُوها.

فصل

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: يجرّد الزاني ويعطى كل عضو منه حقه من الضرب، ويُتَّقى الوجه والرأس والمذاكير، وهذا مذهب أبي حنيفة أيضاً[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٧١ ح٢٥٧٥)، ومسلم (٣/ ١٣٢٤ ح١٦٩٧).
وأنيس المذكور في الحديث هو: ابن الضحاك الأسلمي (انظر ترجمته في: الاستيعاب ١/ ١١٤، والإصابة ١/ ١٣٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٧)، والدر المصون (٥/ ٢٠٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٣)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٢).

(٤) الحجة (٣/ ١٩١).

(٥) أي: أبو علي الفارسي.

(٦) انظر: المغني لابن قدامة (٩/ ١٤١)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٧٢).

وقال مالك: لا يضرب إلا على الظَّهْر [١].

وقال الشافعي: يُتَّقَى الوجه والفرج [٢].

فصل

قال علماؤنا: ضرب الزنا أشد من القذف، والقذف أشد من الشُّرب، وضرب الشارب أشد من التعزير. وهذا قول الحسن البصري [٣].

وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنا أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف [٤].

وقال مالك: الضرب في الحدود كلها على السواء غير مبرِّح بين الضربين [٥].

قوله تعالى: ﴿في دين الله﴾ قال ابن عباس: في حُكْم الله [٦].

﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه.

﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾ أي: جماعة ﴿من المؤمنين﴾.

قال ابن عباس: أربعة إلى أربعين رجلاً من [المصَدِّقين] [٧] بالله [٨].

---

(١) انظر: المدونة الكبرى (١٦/ ٢٣٦).

(٢) انظر: روضة الطالبين (١٠/ ١٧٢).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبدالبر (٥/ ٣٢٨).

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (٩/ ٧١).

(٥) انظر: المدونة الكبرى (١٦/ ٢٤٨)، والتمهيد (٥/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨).

(٧) في الأصل: الصدقين. والتصويب من ب.

(٨) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٣٤)، وأبو حيان في البحر (٦/ ٣٩٥).

وقال الحسن: عشرة[١].

وقال سعيد بن جبير: اثنان فصاعداً[٢].

وقال قتادة والزهري: ثلاثة فصاعداً[٣].

قال الحسن: أُمِرَ أن يُعْلِنَ بذلك[٤].

وفي الحديث: عن أبي هريرة ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقد حصل لي من أربعين طريقاً عن النبي ﷺ أنه قال: «حَدٌّ يقام في الأرض خير من أن تُمطروا أربعين صباحاً أو أربعين ليلة»[٥].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٢٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٩) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨) عن سعيد بن جبير، والسيوطي في الدر (٦/ ١٢٦) وعزاه لابن جرير عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢٦) وعزاه لابن جرير عن الزهري.

والذي اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٧٠): أنه ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين الواحد فصاعداً، قال: وذلك أن الله عمّ بقوله: ﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾، والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً.

فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد، كان معلوماً أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ مما أمره الله به بقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا؛ لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك، وهم فيما دون ذلك مختلفون.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢ ح٨٧٢٣).

فصل يتضمن نبذة زاجرة عن الزنا

روي عن حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «يا معشر الناس! اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال؛ ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما اللاتي في الدنيا: فيُذْهِبُ البهاء، [ويورث][1] الفقر، وينقص العُمُر. وأما اللاتي في الآخرة: فيوجب السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار»[2].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أعمال أمتي تُعرض عليَّ في كل جمعة مرتين، فاشتد غضب [الله][3] على الزناة»[4].

وقال وهب: مكتوب في التوراة: الزاني لا يموت حتى يفتقر، والقَوَّاد لا يموت حتى يعمى.

ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ أخرج أبو داود في سننه بإسناده: «أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بَغِيٌّ يقال لها: عَنَاق، وكانت صديقته، قال: فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ فنزلت: ﴿الزانية لا ينكحها إلا

---

(١) في الأصل: ويوثر. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء (٤/ ١١١). وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٦٧).

(٣) لفظ الجلالة زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٤) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء (٦/ ١٧٩). وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٦٧).

زان أو مشرك﴾ فدعاني فقرأها وقال لي: لا تنكحها))[١].

وقال أكثر المفسرين: كان بالمدينة نساء بغايا، وكنّ يَكْرِين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فلما قدم المهاجرون المدينة رغب في كسبهن ناس من فقرائهم، وقالوا: لو أنا تزوجناهن لَعِشْنا معهن إلى أن يغنينا الله من فضله، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

وحرّم فيها نكاح الزانية؛ صيانة للمؤمنين من هذه الرذيلة، وحفظاً لأنسابهم، ومحاماة على أحسابهم، وأخبر أن من فعل ذلك وتزوج بواحدة منهن فهو زانٍ، وهذا الخبر في معنى النهي.

ومذهب إمامنا أحمد: أنه إذا زنا بامرأة لم يجز له أن يتزوجها حتى يتوبا[٣].

وذهب سعيد بن المسيب في آخرين: إلى أن هذه الآية منسوخة بعموم قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[٤] [النور:٣٢].

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا النكاح ولكن الجماع، ولا يزني بها

---

(١) أخرجه أبو داود في (٢/ ٢٢٠ ح٢٠٥١).

(٢) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ٧٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٢٧-١٢٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/ ٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٤٠ ح١٦٩٢٢)، والبيهقي في سننه (٣/ ١٥٤ ح١٣٦٤٦)، والطبري (١٨/ ٧٤-٧٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٣٠) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيد معاً في التاريخ وابن جريج وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

إلا زان أو مشرك[١].

يريد: أن هذه الآية حَكَتِ الحال، فإن الزاني لا يزني إلا بزانية من أهل القبلة أو مشرك.

قال عكرمة: كانت بيوتهن تسمى المواخير في الجاهلية، ولا يدخل عليهن إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان[٢].

﴿وحُرِّمَ ذلك﴾ قال مقاتل[٣]: نكاح الزواني.

وقال الفراء[٤]: يعني: الزنا ﴿على المؤمنين﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الرَّمي: القَذْف بالزنا، والإحصان المشترط في المقذوفة والمقذوف الذي يتوقف [وجوب][٥] الحدّ به على القاذف ما

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٢١١ ح٢٧٨٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه (٧/ ١٥٤ ح١٣٦٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٢٦-١٢٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي داود في ناسخه والبيهقي في سننه والضياء في المختارة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٢٤٥).

(٥) في الأصل: ووجوب. والتصويب من ب.

جمع خمسة أوصاف: الحرية، والإسلام، والعقل، والعفّة عن الزنا، وأن يكون المقذوف ممن يُجَامِعُ أو يُجَامَعُ مثله.

وقال مالك في الصَّبِيَّة؛ كقولنا.

واشترط أبو حنيفة والشافعي: البلوغ، وهو رواية عن إمامنا[١].

وقد ذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه في زاد المسير في تفسير هذه الآية[٢]: أن شرائط الإحصان عندنا أربعة: البلوغ، والحرية، والعقل، والوطء في نكاح صحيح.

فأما الإسلام فليس بشرط في الإحصان. وهذا [سهوٌ][٣] بلا شك، فإن هذه الأوصاف شرائط الإحصان الذي يتوقف وجوب الرجم على الزاني [أو الزانية][٤] عليه.

قوله تعالى: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أي: بأربعة رجال عُدُول أحرار يشهدون بالزنا، ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أي: اجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة عقوبة له على جنايته، وزجراً له عن ارتكاب مثلها، وإظهاراً لبراءة المقذوف مما رماه به.

ثم نهى الله عز وجل عن قبول شهادتهم، مُعَلِّلاً ذلك بما أكَّده من عظيم فِسْقِهِم فقال: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾.

---

(١) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢٠٥).

(٢) زاد المسير (٦/ ١٠).

(٣) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: والزانية. والتصويب من ب.

فصل

هذه الآية دالة على أن القاذف إذا لم تقم البينة بما قال؛ يجب عليه الجلد، وتُرَدُّ شهادته على الأبد، ويثبُتُ فِسْقُه.

واختلفوا: هل يثبت فسقه بمجرد القذف، أم يتوقف على وجود الحد؟

فذهب علماؤنا والشافعي إلى ثبوته إذا لم تَقُم[١] البينة وإن لم يُحَدّ[٢].

وقال أبو حنيفة ومالك: لا يثبت فسْقُه ولا تُرَدُّ شهادته حتى يقام عليه الحد[٣].

فصل

ألفاظ القذف تنقسم إلى صريح وكناية؛ فالصريح قوله: يا زاني، يا عاهر، ونحو ذلك مما لا يحتمل غير القذف. فمتى وجد ذلك فهو قاذف. ولا يقبل قوله بما يحيله، [وإن قال][٤]: يا لوطي، أو يا مَعْفُوج[٥]، فهو صريح[٦].

وقال الخرقي: إذا قال: أردت أنك من قوم لوط فلا حَدَّ عليه[٧].

قال شيخنا أبو محمد ابن قدامة رضي الله عنه[٨]: وهذا بعيد.

---

(١) في ب: يُقِم.

(٢) انظر: زاد المسير (٦/ ١٠).

(٣) انظر: زاد المسير (٦/ ١١).

(٤) في الأصل: وقال. والتصويب من ب.

(٥) العَفْجُ: أن يفعل الرّجُلُ بالغلام فعل قوم لوط (اللسان، مادة: عفج).

(٦) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٠).

(٧) انظر: المصدر السابق.

(٨) المغني (٩/ ٦٨).

وإن قال: أردت أنك تعمل عمل قوم لوط غير إتيان الرجال، احتمل وجهين[١].

وإن قال: لست بولد فلان، فقد قذف أمه، وله المطالبة إن كانت أمه ميتة، حُرَّةً كانت أو أمَة، مسلمة أو كافرة إذا كان هو حُرّاً مسلماً[٢].

وقال أبو بكر عبد العزيز: لا يحدّ بقذف ميتة[٣].

وإن قال: زَنَتْ يداك أو رجلاك، فهو صريح عند أبي بكر[٤].

وقال ابن حامد: ليس بصريح[٥]. وهو الصحيح.

وأما الكناية قوله للمرأة: قد فَضَحْتِ زوجَكِ ونكَّسْتِ رأسه، وجَعَلْتِ له قُرُوناً، وأَفْسَدْتِ فِرَاشَهُ، أو يا قَحْبَة، أو قوله لمن يخاصمه: يا حلال ابن الحلال، ما يعرفك الناس بالزنا. فهذا جميعه إن فسره بما يحتمله غير القذف قُبل قوله في أحد الوجهين، وفي الآخر صريح[٦].

فصل

والقذف حق [للآدمي][٧]، فيصح إبراؤُه منه، ويسقط بعفوه، ويتوقف على مطالبته.

---

(١) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٠).

(٢) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٢، ٢١٩).

(٣) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٩).

(٤) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٣).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢١٥).

(٧) في الأصل: الآدمي. والمثبت من ب.

فإن قذف جماعة بكلمة واحدة فَحَدٌّ واحد إذا طالبوا، [أو طالب][(١)] واحد منهم[(٢)].

وقيل: إن طالبوا متفرقين حُدَّ لكل واحد[(٣)].

وإن أفرد كل واحد بكلمة حُدَّ لكل واحد منهم.

وقال أبو حنيفة: عليه حدٌّ واحد للجميع[(٤)].

قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس: أظهروا التوبة[(٥)].

وقال غيره: لم يعودوا إلى قذف المحصنات[(٦)].

واختلف العلماء في هذا الاستثناء؛ فذهب بعضهم إلى أنه يعود إلى الفسق فقط، وأما الشهادة فلا تقبل أبداً، وهو قول الحسن وشريح والنخعي وقتادة وأبي حنيفة وأصحابه.

قال شريح: كل صاحب حدٍّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح، فشهادته جائزة إلا القاذف فإنه قضاءٌ من الله أن لا تقبل شهادته أبداً، وإنما توبته فيما بينه وبين ربه[(٧)].

---

(١) في الأصل: وطالب. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الإنصاف (١٠/ ٢٢٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٥١)، والمبسوط للسرخسي (٩/ ٧١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢).

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٨-٧٩).

وذهب بعضهم إلى أن الاستثناء يعود إلى مجموع الأمرين، فيرفَعُ الفسقُ وإسقاط الشهادة، وهو قول عكرمة والزهري والشعبي وطاووس ومجاهد والقاسم بن محمد والشافعي والإمام أحمد، وحملوا الأبد[١] المذكور في الآية على مدة كونه قاذفاً، وهي تنتهي بالتوبة[٢].

وعن ابن عباس كالقولين.

قال أبو عبيد: الذي لا يقبلها يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله: "أبداً"، ثم استأنف فقال: "أولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا"، فأوقع التوبة على الفسق خاصة دون الشهادة.

وأما الآخرون فذهبوا إلى أن الكلام معطوف بعضه على بعض، ثم أوقعوا الاستثناء في التوبة على كل الكلام.

قال[٣]: والذي نختار: هذا القول؛ لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راكبها، ولا خلاف في العاهر أنه مقبول الشهادة إذا تاب، فالرامي بها أيسر جُرْماً إذا نزع، وليس القاذف بأشد جُرْماً من الكافر، والكافر إذا أسلم وأصلح قُبلت شهادته[٤].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: على.

(٢) قال الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٠٥): فإن قيل: فما الفائدة في قوله: ﴿أبداً﴾؟

قيل: أبد كل إنسان مقدار مدته فيما يتصل بقضيته. تقول: الكافر لا تقبل منه شيئاً أبداً، معناه: ما دام كافراً، كذلك القاذف لا تقبل شهادته أبداً ما دام قاذفاً، فإذا زال عنه الكفر زال أبداً، وإذا زال عنه الفسق زال أبداً، لا فرق بينهما في ذلك.

(٣) أي: أبو عبيد.

(٤) انظر قول أبي عبيد في: الوسيط (٣/ ٣٠٥) ونسبه لأبي عبيدة، وزاد المسير (٦/ ١٢) بلا نسبة.

[قلتُ][(١)]: ومما يؤيد ذلك: ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي قدَّسَ الله روحه قراءة عليه بدمشق، والشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن، شيخ رباط الصوفية بدار الذهب ببغداد بقراءتي عليه، قالا: أخبرنا أبو زرعة [طاهر بن][(٢)] محمد بن طاهر المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت الزهري قال: « زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز، فأشهد لأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة: تُب تُقبل شهادتك، أو إن تُبْتَ قُبلت شهادتك »[(٣)].

فإن قيل: ما محل قوله: "إلا الذين تابوا" من الإعراب؟

قلتُ: إن كان الاستثناء من الفسق فقط فهو منصوب؛ لأنه استثناء عن موجب، وإن كان من مجموع الأمرين فهو مجرور على البدل من "هم" في قوله: ﴿ولا تقبلوا لهم﴾[(٤)].

فإن قيل: ما الفرق بين المسلم إذا قَذَفَ ثم تاب وأناب لا تقبل شهادته عند

---

(١) في الأصل: وقلت. والمثبت من ب.

(٢) زيادة على الأصل. وقد تقدم.

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ١٥١).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٢١٨). وانظر: التبيان (٢/ ١٥٣-١٥٤)، والدر المصون (٥/ ٢٠٩).

كثير من العلماء، وبين الكافر إذا أسلم وقد قَذَفَ تقبل شهادته إجماعاً؟

قلتُ: الحدّ في القذف وعدم قبول الشهادة إنما كان دفعاً للعار عن المقـذوف بهذه الفاحشة العظيمة، وسعياً في إعدامها بهذين الزاجرين، ولذلك لم يجب الحـدّ على من قذف جماعة أو أهل بلد[١] يَتَصَوَّرُ الزنا من جميعهم.

فإذا ثبت ذلك قلنا: المسلمون لا يلحقهم العار بقذف الكافر؛ لأنهم شُـهروا بعداوتهم والطعن عليهم بالباطل بخلاف المسلم إذا [قذف][٢] مسلماً [مثله][٣].

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ
أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ
عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ
شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن
كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ السبب في [نزولها][٤]: ما أخبرنا بـه الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عبد الصمد السلمي بدمشق، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي برأس عين قالا: أخبرنا أبو الوقت، [أخبرنـا

(١) في الأصل زيادة: لا. وهو خطأ. وانظر: ب.

(٢) في الأصل: قذ. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل و ب: قبله. والتصويب من الكشاف (٣/ ٢١٨).

(٤) في الأصل: نزلولها. والتصويب من ب.

الداودي][1]، أخبرنا السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس: «أن هلال بن أمية قذف [امرأته][2] عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: البينة أو [حدٌّ][3] في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً [ينطلق][4] يلتمس البينة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: البينة وإلا حدٌّ في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، والله إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحدّ، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ -فقرأ حتى بلغ: ﴿إن كان من الصادقين﴾ فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: إن الله يعلم أن أحدكما [كاذب][5] فهل منكما تائب، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكَّأتْ ونكَصَتْ حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، وقال النبي ﷺ: أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتَين، خَدَلَّجَ الساقين، فهو لشَريك بن سحماء، فجاءت به كذلك. فقال النبي ﷺ: [لولا][6] ما مضى من كتاب

---

(١) زيادة على الأصل. وقد سبق هذا السند كثيراً بهذه الزيادة.

(٢) في الأصل: امرأة. والتصويب من ب، والصحيح (٤/ ١٧٧٢).

(٣) في الأصل و ب: حداً. والمثبت من الصحيح، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الصحيح، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لكاذب. والتصويب من ب، ومن الصحيح، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: لو. والتصويب من ب، ومن الصحيح، الموضع السابق.

الله لكان لي ولها شأن»[1]. [هذا][2] حديث صحيح.

قوله ﷺ: "خدلَّج الساقين" أي: عظيمهما.

فصل يتضمن بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا لزمه الحد، وله التخلص منه بإقامة البينة أو باللعان. فإن أقام البينة لزمها الحد، وإن لاَعَنَها فقد حقق عليها الزنا، ولها التخلص منه باللعان. فإن نكَلَ عن اللعان فعليه حد القذف، وإن نَكَلَتْ لم تُحَدّ، وحُبست حتى تُلاعِنَ أو تُقِرَّ بالزنا، في إحدى الروايتين. وفي الأخرى: يخلى سبيلها.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يُحَدُّ واحد منهما ويُحبس حتى يُلاعن[3].

وقال الشافعي ومالك: يجب الحد على النَّاكل منهما[4].

فصل

واختلف العلماء في الزوجين [اللذَيْن][5] يجري بينهما اللعان. والمشهور عن إمامنا رضي الله عنه: أن كل زوج صَحَّ قذفُه صَحَّ لعانُه، فيشمل الكافر والمسلم[6]، والحر والعبد، وهذا مذهب مالك والشافعي أيضاً[7].

وذهب الزهري والأوزاعي وحماد بن سلمة وأبو حنيفة وأصحابه: إلى أنه لا

---

(١) أخرجه البخاري في (٤/ ١٧٧٢ ح٤٤٧٠).

(٢) في الأصل: وهذا. والمثبت من ب.

(٣) انظر: حاشية ابن عابدين (٣/ ٤٨٥)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٣٩).

(٤) انظر: الأم (٥/ ٢٩٥)، ومواهب الجليل (٤/ ١٣٢).

(٥) في الأصل: الذي. والتصويب من ب.

(٦) في ب: المسلم والكافر.

(٧) انظر: زاد المسير (٦/ ١٥).

يصح اللعان إلا ممن هو من أهل الشهادة.

فعلى هذا لو كان أحد الزوجين ذمياً أو رقيقاً أو محدوداً في قذف فلا لعان.

واتفقوا على جواز لعان الفاسق والأعمى.

فصل

وصفة اللعان: أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتُها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: وأن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رميتُها به من الزنا. ثم تقول هي: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، أربع مرات، ثم تقول في الخامسة: وأن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا(١).

فإن نقص أحدهما من الألفاظ الخمسة شيئاً، أو بدأت باللعان قبله، أو تلاعنا بغير حضرة الحاكم أو نائبه؛ لم يعتد به، وإن أبدل لفظة "أَشْهَدُ" [بأقسم](٢) أو أحلف، أو لفظة اللعنة بالإبعاد أو الغضب بالسخط فعلى وجهين(٣).

فصل

والسُّنَّةُ أن يتلاعنا قياماً بمحضر جماعة في الأماكن المعظّمة(٤)، فإذا بلغ كل واحد منهما إلى الخامسة وَعَظَهُ الحاكم، وقال له: اتق الله فإنها الموجبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

---

(١) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) في الأصل: أشهد بالله أو أحلف. والمثبت من ب.

(٣) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٣٧).

(٤) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٣٩-٢٤٠).

فصل

فإذا تَمَّ اللعان بينهما ثبت[١] أربعة أحكام:

أحدها: سقوط الحدّ عنه -كما ذكرناه-، ولو قذفها برجل بعينه: سقط الحدّ عنه لهما[٢]؛ لحديث هلال بن أمية.

الثاني: وقوع الفُرْقة بينهما عندنا وعند مالك وزفر[٣].

وقال الشافعي: تقع الفُرْقة بينهما بمجرد لعان الزوج[٤].

وقال أبو حنيفة: لا تقع الفُرْقة إلا بتفريق القاضي بينهما، وهي رواية عن إمامنا أيضاً[٥].

الثالث: التحريم المؤبَّد، عند إمامنا وأكثر العلماء[٦].

وروي عنه رواية أخرى: أنه إن أكذب نفسه فتحلُّ على الرواية المذكورة، وإذا قلنا: تحل له الزوجة بإكذاب نفسه، فإن لم يكن وُجِدَ منه طلاق فهي باقية على نكاحه[٧].

الرابع: انتفاء الولد عنه بمجرد اللعان[٨].

---

(١) في ب: ثبتت.

(٢) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥١).

(٣) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥١)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٤٣)، والتمهيد لابن عبد البر (١٥/ ٢٩).

(٤) انظر: الأم (٥/ ٢١).

(٥) انظر: المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٣)، والإنصاف (٩/ ٢٥١).

(٦) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥٢).

(٧) مثل السابق.

(٨) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥٣).

وقال الخرقي: لا ينتفي حتى يذكره في اللعان، فإذا قال: أشهد بالله لقد زنت، يقول: وما هذا الولد ولدي، وتقول هي: أشهد بالله لقد كذب، وهذا الولد ولده[١].

قوله تعالى: ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ أي: شهداء يشهدون بصحة ما رَمُوهُنَّ به، ﴿إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "أربعُ" برفع العين، ونصبها الباقون[٢].

قال الزجاج[٣]: من قرأ بالرفع فعلى خبر الابتداء، المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدَّ القذف أربع، ومن نصب فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات.

وقال الزمخشري[٤]: انتصب؛ لأنه في حكم المصدر، والعامل فيه المصدر الذي هو "فشهادة أحدهم"، وهو مبتدأ محذوف، تقديره: فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات.

وقال مكي[٥]: يجوز أن ينتصب على المصدر، كما تقول: شهدت مائة شهادة، وضربته مائة سوط.

﴿والخامسة أن لعنة الله عليه﴾ وقرأ نافع ويعقوب: "أنْ" بالتخفيف وسكونها،

---

(١) انظر: الإنصاف (٩/ ٢٥٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٤)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٢-٤٥٣).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٢١).

(٥) الكشف (٢/ ١٣٤).

"لَعْنَةُ" بالرفع[١].

قال سيبويه[٢]: لا تخفَّف "أَنَّ" في الكلام وبعدها الأسماء إلا وأنت تريد الثقيلة.

قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أي: يدفع عنها الحدّ.

قوله: ﴿والخامسةُ﴾ وقرأ حفص: "والخامسةَ" بالنصب[٣]، فمن رَفَعَ فعلى معنى: والشهادةُ الخامسة، فحذف الموصوف. ومن نَصَبَ حمله على المعنى، تقديره: وتشهدُ الخامسة.

ويجوز أن يكون عطفاً على قوله: "أن تشهد أربع شهادات بالله"[٤].

﴿والخامسةَ أنَّ غضب الله عليها﴾ وقرأ نافع "أَنْ" بالتخفيف والسكون، "غَضِبَ" بكسر الضاد وفتح الباء، على أنه فعل ماض، "اللهُ" بالرفع بإسناد الفعل إليه[٥].

وقرأ يعقوب: "أَنْ" بالتخفيف، "غَضَبُ" بالرفع، وعلته ما ذكرناه في التي قبلها من قول سيبويه.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٤)، والنشر (٢/ ٣٣٠)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٣).

(٢) انظر: الكتاب (٣/ ١٦٣-١٦٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٥)، والكشف (٢/ ١٣٥)، والنشر (٢/ ٣٣١)، والإتحاف (ص:٣٢٣)، والسبعة (ص:٤٥٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢١١).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٦)، والكشف (٢/ ١٣٤)، والنشر (٢/ ٣٣٠-٣٣١)، والإتحاف (ص:٣٢٢)، والسبعة (ص:٤٥٣).

فإن قيل: لم خُصَّت الملاعِنة بالغضب؟

قلتُ: لتفاقم جريمة الزنا بالنسبة إلى جريمة القذف، ولذلك كان عذابها أشدّ.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ جوابه محذوف، تقديره: لَبَيَّن الكاذب منكما وفضَحَه، أو لعذَّبَه.

وفي قوله: ﴿وأن الله تواب﴾ تعريض بتوبة الكاذب منهما، [وإخبار][1] أنه لا يتعاظمه غفران ما جَنَاهُ الجاني منهما، ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الأحكام والحدود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ أجمع علماء الإسلام على أن هذه الآية وما في حَيِّزها نزلت في قصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهري.

[وأخبرنا][2] حنبل بن عبدالله إذناً واللفظ له قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبد الله

---

(١) في الأصل: وإخباراً. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: أخبرنا. والتصويب من ب.

بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود من حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرَّأها الله عز وجل، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيتُ عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يُصَدِّقُ بعضاً، ذكروا: «أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أُنزل الحجاب وأنا أُحْمَلُ في هوْدَجي وأُنْزَلُ فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أَذِنَ ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنونا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرَّحْل، فلمست صدري فإذا عقد من جَزْع أظْفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هَوْدَجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يَهْبُلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلْقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم ثِقَلَ الهودَج حين رحلوه ورفعوه، وكنتُ جاريةً حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فتيمَّمتُ منزلي

الذي كنت فيه وظننتُ أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني[1] قد عَرَّسَ من وراء الجيش فادَّلَجَ، وأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يُضربَ عليَّ الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطِئَ على يدها فركبتُها، فانطلق يقودُ بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغرين في [نَحْرِ][2] الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كِبْرَه منهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يَريبني[3] في وجعي أني لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلّم ثم يقول: كيف تيكُم؟ فذاك يَريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجتُ بعدما نَقَهْتُ وخرجتْ معي أم مسطَح قِبَلَ المناصِعِ وهو مُتبرَّزُنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتَّخِذَ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، وأمْرُنا أمْرُ العرب الأول في التنزُّه، وكنا نتأذَّى بالكُنُف أن

---

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمي، أبو عمرو الذكواني، يقال: إنه أسلم قبل المريسيع، وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق والمشاهد كلها بعدها، قيل: إنه مات بالجزيرة في ناحية شمشاط ودفن هناك، ويقال: إنه غزا الروم في خلافة معاوية فاندقت ساقه، ولم يزل يطاعن حتى مات، وذلك سنة ثمان وخمسين، وكان خيراً فاضلاً شجاعاً بطلاً (الاستيعاب ٢/ ٧٢٥).

(٢) في الأصل: حر. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) في هامش ب: يريبني: بفتح الياء وضمها، لغتان، وهي بمعنى: يشككني.

نتّخذها عند بيوتنا، فانطلقنا أنا وأم مِسْطَح وهي بنت أبي رُهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أُثاثة بن عبّاد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت[(١)] أبي رُهم قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، تَسُبِّين رجلاً قد شهد بدراً؟ فقالت: أي هَنْتَاهُ أَوَ لَمْ تسمعي ما قال؟ قلتُ: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، [فازددتُ][(٢)] مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي فدخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فسلّم ثم قال: كيف تيكُم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقَّنَ الخبر من قِبَلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئتُ أبويّ فقلت لأمي: يا أمَّتاه، ما يتحدّث الناس؟ فقالت: أي بُنية هوِّني عليك، فوالله لَقَلَّ ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبُّها ولها ضرائر إلا أكثرنَ عليها، قالت: قلت: سبحان الله أوَ قد تحدَّث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقَأُ لي دمع ولا [أكتحلُ][(٣)] بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استَلْبَثَ[(٤)] الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يَعْلَمُ من براءة أهله[(٥)]، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود [فقال: يا رسول الله، هم

(١) في الأصل زيادة قوله: ابن. وانظر ب ومصادر التخريج.

(٢) في الأصل: فازدت. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) في الأصل: اكتحلت. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٤) استلبث: استفعل من اللبث، وهو الإبطاء والتأخير (النهاية ٤/ ٢٢٤).

(٥) في الأصل و ب: زيادة قوله: وبالذي يعلم من براءة أهله. وهو تكرار. وانظر: مصادر التخريج.

أهلك، ولا نعلم إلا خيراً][1] . وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يُضيِّق الله تعالى عليكَ والنساءُ سواها كثير، [وإن][2] تسأل الجارية [تَصْدُقك][3]. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة[4] فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبُكِ من عائشة؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصُهُ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجنُ فتأكله، فقام رسول الله ﷺ واستعذر من عبد الله بن أبيّ بن سلول فقال [وهو][5] على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاهُ في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة -وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية- فقال لسعد بن معاذ: لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنّه، فإنك مُنافق تُجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج، حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهُم حتى

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: ولأن. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) في الأصل: لتصدقنك. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٤) بريرة، مولاة السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٥) في الأصل: هو. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

سكتوا وسكتَ. قالت: وبكيتُ يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنَتْ عليّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهَّدَ رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد، يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرِّئُك الله عز وجل، وإن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ [مقالتَه][(١)] قلصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، قالت: فقلتُ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله قد عرفتُ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقرّ في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة -والله عز وجل يعلم أني بريئة- لا تُصدِّقُوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر -والله عز وجل يعلم أني بريئة- تُصدقوني، وإني والله لا أجد لي ولكم مَثَلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾، [قالت][(٢)]: ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مُبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنتُ أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يُتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى

---

(١) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٢) في الأصل: فقالت. والمثبت من ب.

في أمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئني الله عز وجل بها، قالت: والله ما رامَ رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من البيت أحدٌ حتى أنزل الله عز وجل على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برَّأك، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، هو الذي أنزل براءتي، قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم... عشر آيات﴾ فأنزل الله عز وجل هذه الآيات براءتي. قالت: فقال أبو بكر رضي الله عنه، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أُنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله عز وجل لي، فَرَجَعَ إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه وقال: لا أنْزِعُها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري وما علمت [أو ما](1) رأيتِ أو ما بلغكِ؟ قالت: يا رسول الله أُحْمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله تعالى [بالوَرَع](2)، وطفقت حمنة بنت جحش تُحارب لها، فهلكت فيمن هلك.

---

(١) في الأصل: وما. والتصويب من، ومصادر التخريج.
(٢) في الأصل: باورع. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط))[١]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن إسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق.

تفسير ما اشتمل عليه هذا الحديث من الغريب:

قولها: "من جَزْع أظْفَار" هكذا وقع في الرواية والصواب: ظَفَار. قال ابن قتيبة: هي مدينة باليمن يكون فيها هذا الجَزْع[٢].

قولها: "يَهْبَلْنَ" بفتح الياء والباء، أي: لم يكثر لحمهن، والمهبل: الكثير اللحم الثقيل الحركة من السِّمَن[٣].

و"العُلْقَة" البُلْغَة، وأصل ذلك شجر يبقى في الشتاء فتعْلِقُها الإبل وتجتزئ بها حتى تدرك الربيع[٤].

"فتيمَّمْتُ" قَصَدْتُ.

ومعنى قولها: "عرَّسَ": نزل وحطَّ رحْلَه من آخر الليل للراحة[٥].

وقولها: "فادّلَجَ" مشدد الدال: هو سيرُ آخر الليل، وأدْلَجَ -بالتخفيف-: سير الليل كله[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٤٢-٩٤٥ ح٢٥١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩-٢١٣٦ ح٢٧٧٠)، وأحمد (٦/ ١٩٤-١٩٦).

(٢) انظر: معجم البلدان (٤/ ٦٠).

(٣) انظر: اللسان (مادة: هبل).

(٤) انظر: اللسان (مادة: علق).

(٥) انظر: اللسان (مادة: عرس).

(٦) انظر: اللسان (مادة: دلج).

وقولها: "خَمَّرتُ وجهي": غطَّيْتُه. والجلباب: ما [تَسْتَتِرُ][(١)] به المرأة كالإزار ونحوه[(٢)].

قولها: "مُوغِرين": الوَغرَة: شدّة الحر، ويقال: وَغَرَت الهاجرة وغراً، وأوْغَرَ الرَّجُلُ: إذا صار في ذلك الوقت[(٣)]، كما يقال: أظهر وأصبح وأمسى.

و"المِرْط": كساء من صوف أو خزّ يُؤتزر به[(٤)].

"لا يَرْقَأُ لي دمع": أي: لا ينقطع.

"أغْمِصُهُ": أعيبُه.

و"الدَّاجِنُ": الشاة التي تحبس في البيت لدَرِّها، يقال: دَجَنَ بالمكان؛ إذا أقام به[(٥)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: "من يعذرُني" أي: من يقيمُ عذري إن عاقبته أو عاتبته، أو شكوتُ منه.

وقولها: "قَلَصَ دمعي" أي: انقطع، يقال: قَلَصَ الشيء وتقلّص؛ إذا تضامَّ ونَقَص[(٦)].

وقولها: "ما رَامَ مجلسه": أي: ما برح مكانه.

و"البُرَحَاء": أشد الكرب.

---

(١) في الأصل: تستر. والمثبت من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: جلب).

(٣) انظر: اللسان (مادة: وغر).

(٤) انظر: اللسان (مادة: مرط).

(٥) انظر: اللسان (مادة: دجن).

(٦) انظر: اللسان (مادة: قلص).

و"الجُمان": جمع جُمَانة، وهي اللؤلؤة المتَّخَذَة من الفضة[١].

و"ثِقَلُ القول": هيبتُه.

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ أي: بأقبح الكذب وأسوأه، واشتقاقه من أَفَكَ الشيء؛ إذا قُلِبَ عن وجهه[٢]، والإفك: هو الحديث المقلوب عن وجهه.

ومعنى القَلْب في هذا الحديث[٣]: أن عائشة رضي الله عنها كانت تستحق المدح والثناء بما كانت عليه من الحصانة والدين والمكانة من رسول الله ﷺ، وكونها أمّاً للمؤمنين، فلما رَمَوْها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه.

والعُصْبة: الجماعة.

قالت عائشة: هم أربعة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش[٤].

قال صاحب الكشاف[٥]: العُصْبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، وهم: عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، وزيد بن رفاعة، وحسان، ومسطح، وحمنة، ومن ساعدهم.

قوله تعالى: ﴿منكم﴾ أي: من المؤمنين، ﴿لا تحسبوه﴾ خطاب لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة وأمها وأختها، وسائر من تأذى بسبب قذفها.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جمن).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أفك).

(٣) في ب زيادة: هو.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٣٨ ح ٢٧٧٠).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٢١).

والمعنى: لا تحسبوا الإفك ﴿شراً لكم﴾ نظراً إلى ما لحقكم من الأذى في هذه الدار الفانية، ﴿بل هو خير لكم﴾ لإفضائه بكم إلى النعيم الأبدي في الآخرة وشرف المنزلة في الدنيا؛ بإظهار براءة الحَصَان الرَّزَان[١]، الكريمة الأخلاق، الطاهرة الأعراق، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وثناء الله تعالى عليها بوحْي يُتلى إلى يوم القيامة في مجامع العباد وجوامع العباد.

وفي هذه الآية مُستدلٌ لمن يعتقد أن المناسب ينخرم بالمعارض، وهي قضية مختلف فيها بين أرباب الجدل.

﴿لكل امرئ منهم﴾ أي: من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ أي: جزاء ما اجترح من الإثم على قدر خوضه فيه.

﴿والذي تولى كبره منهم﴾[٢] وقرأتُ ليعقوب: "كُبْرَهُ" بضم الكاف[٣].

قال الكسائي[٤]: وهما لغتان.

قال ابن قتيبة[٥]: كُبْرُ الشيء: مُعْظَمُه، وأنشدوا:

تنامُ عن كُبْرِ شأنِها فإذا ... قامتْ رُويداً تكادُ تَنْغَرِف[٦]

---

(١) الحصان: العفيفة (اللسان، مادة: حصن).

والرَّزَان: يقال: امرأة رزان: إذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف (اللسان، مادة: رزن).

(٢) في الأصل زيادة: له عذاب أليم. وهو خطأ.

(٣) النشر (٢/ ٣٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٣).

(٤) انظر قول الكسائي في: زاد المسير (٦/ ١٩).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠١).

(٦) البيت لقيس بن الخطيم، انظر: ديوانه (ص:١٧)، واللسان، (مادة: كبر)، والقرطبي (١٢/ ٢٣٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ٢٧٦) وفيهما: "تنقصف" بدل "تنغرف"، وزاد المسير (٦/ ١٩)، =

والمعنى: والذي استبدّ بمعظم الإفك وقام بإشاعة الحديث وبثّه، وهو رأس المنافقين والنفاق[١]: عبدالله بن أبيّ بن سلول، في قول ابن عباس وعائشة وجمهور المفسرين[٢].

قال الضحاك: هو الذي بدأ بذلك[٣].

ويروى: أن صفوان بن المعطل مَرَّ بعائشة [عليه][٤] وهو في ملأ من قومه فقال: من [هذه][٥]؟ فقالوا: عائشة، فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها[٦].

وقال: امرأة نبيكم باتتْ مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها[٧].

﴿له عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس: يريد: الجلد في الدنيا، جَلَدَهُ رسول الله ﷺ ثمانين جلدة، والصيرورة في الآخرة إلى النار[٨].

وروت عَمْرَة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل عُذْري، قام رسول الله

= وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

(١) في ب: رأس النفاق.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٩) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: هذا. والتصويب من ب.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٩٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٩).

(٨) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣٧ ح١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٠) وعزاه للطبراني.

ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فجُلدوا الحَدَّ»[(١)]. أخرجه الترمذي.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ جَلَدَ عبدالله بن أبيّ، ومِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جحش، فأما الثلاثة فتابوا، وأما عبدالله بن أبيّ فمات منافقاً»[(٢)].

وبعض العلماء يُنْكِرُ ذلك ويقول: لم يُجْلَد[(٣)] أحدٌ من أهل الإفك.

وقيل: الذي تولى كِبْره: حسان بن ثابت.

ويروى عن عائشة قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان، وما تمثَّلْتُ به إلا رجوتُ له الجنة، فقيل: يا أم المؤمنين أليس الله تعالى يقول: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره[(٤)]؟.

وروى عنها مسروق أنها قالت: [وأي][(٥)] عذاب أشد من العمى[(٦)]؟.

ويروى عن عائشة: أن الذي تولى كِبْره: عبدالله بن أبيّ، وحَمْنة بنت جحش[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٦ ح٣١٨١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢).

(٣) في ب: يحد.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٥٨) وعزاه لابن جرير.

(٥) في الأصل: أي. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٢٣ ح٣٩١٥، ٤/ ١٧٧٩ ح٤٤٧٨)، ومسلم (٤/ ١٩٣٤ ح٢٤٨٨).

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٣٨ ح٢٧٧٠).

وأنكر قومٌ أن يكون حسّان ممن خاض في الإفك أو جُلد فيه، قالت عائشة رضي الله عنها: لم يقل شيئاً ولكنه الذي يقول:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبة ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُوم الغَوافل

فإن كانَ ما قد قيل عني قلتُه ... فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ أَنَامِلِي

مُهَذَّبَةٌ قد طيَّبَ اللهُ خِيمَهَا ... وطَهَّرَهَا من كل بغي وباطل

وإنّ الذي قد قيلَ ليسَ بلائِطٍ ... بها الدّهر بلْ قولُ امرئ بي مَاحِل[1]

والصحيح: أنه من جملة من خاض في الإفك، لكنه حسنت توبته بعد.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ أي: هلا إذ سمعتموه[2] أيتها العصبة الكاذبة قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾[3].

---

(١) انظر الأبيات في: ديوان حسان (١٩٠-١٩١)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ١١٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٣)، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٣-١٨٨٤)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٢-٢٧٤)، والقرطبي (١٢/ ٢٠٠)، والبحر (٦/ ٤٠١).

(٢) في ب: سمعتم.

(٣) في الأصل جاء قوله: "خيراً" بعد قول الحسن. والمثبت من ب.

قال الحسن: بأهل دينهم[١]؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة.

قال المبرد[٢]: ومثله قوله تعالى: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ [البقرة:٥٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات:١١].

﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ كَذِبٌ ظاهر.

وروي: أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قالت له أمه: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: هذا إفك مبين، أكنتِ يا أماه فاعلته؟ قالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منك، فنزلت هذه الآية[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: فإن قلت: هلا قيل: لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم؟ ولم [عَدَلَ][٥] عن الخطاب إلى الغيبة [وعن الضمير إلى الظاهر][٦]؟

قلتُ: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليُصرّح بلفظ الإيمان، دلالةً على أن الاشتراك فيه مُقتَضٍ أن لا يُصدِّقَ مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قَالَةً على أخيه أن يبني

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١١).

(٢) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٣١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٩٦)، وابن راهويه في مسنده (٣/ ٩٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦٠) وعزاه للواحدي وابن عساكر والحاكم، والرواية فيهم عن امرأة أبي أيوب، عدا زاد المسير.

(٤) الكشاف (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٥) في الأصل: يعدل. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٢٢٢).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

الأمر فيها على الظن لا على الشك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن [من الخير][(١)]: "هذا إفك مبين". وهذا من الأدب الحسن الذي قلّ القائم به والحافظ له، وليْتَكَ تجد من يسمع فيسكت ولا يُشيع ما سمعه بأخواتٍ.

قوله تعالى: ﴿لولا جاؤوا عليه﴾ أي: هلاَّ جاؤوا على قذفهم عائشة ﴿بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ أي: في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾.

قلتُ: وما أوضح الدليل في هذه الآية وأبينه على وجوب تكذيب القاذف إذا لم يُقِم البيّنة ولو كان صادقاً في نفس الأمر؛ لأن الله تعالى قد جعل الفصل بين الرمي الصادق والكاذب إقامة البينة وعدم إقامتها.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي: لولا أن الله تفضَّل عليكم ورحمكم ﴿في الدنيا﴾ بالإمهال للتوبة، ﴿و﴾في ﴿الآخرة﴾ بالعفو والمغفرة، ﴿لمسكم﴾ أيتها العُصْبَة ﴿فيما أفضتم فيه﴾ أي: بسبب ما خضتم فيه من

---

(١) في الأصل: بالخير. والتصويب من ب، ومن الكشاف، الموضع السابق.

قذف الصدّيقة ﴿عذاب عظيم﴾.

ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله ورحمته لأصابهم فيه العذاب العظيم فقال: ﴿إذ تلقونه﴾.

ويحتمل عندي: أن يكون الظرف للإفاضة، على معنى: لمسّكم عذاب عظيم في العاجل والآجل فيما أفضتم فيه وقت تلقيكم الإفك [بالقبول][(١)] غير منكريه ولا مكذبيه.

قال الزجاج[(٢)]: المعنى: يُلقيه بعضكم إلى بعض.

وقرأ ابن مسعود: "تَتَلقونه" بزيادة تاء على الأصل.

وقرأ عمر بن الخطاب: "تُلْقُونَه" بضم التاء وإسكان اللام وضم القاف وتخفيفها، من الإلقاء.

وقرأ معاوية: "تَلْقَوْنَه" بفتح التاء والقاف، من اللِّقاء.

وقرأ أبيّ بن كعب وعائشة ومجاهد: "تَلِقُونَه" بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف مع التخفيف أيضاً، من الوَلَق، وهو الإسراع في الكذب[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: يقال: وَلَق يلِقُ؛ إذا أسرع في الكذب وغيره[(٥)]. وقال الشاعر:

.... جَاءَتْ به عَنْسٌ من الشام تَلِقْ[(٦)]

---

(١) في الأصل: بالقول. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٨).

(٣) انظر هذه القراءات جميعاً في: زاد المسير (٦/ ٢١)، والدر المصون (٥/ ٢١٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ولق).

(٦) الشطر من رجز قاله الشماخ يهجو به جُليداً الكلابي، وقبله: (إن الجُلَيد زَلِقٌ وَزُمَّلِقْ). انظر: اللسان =

أي: تُسرع. والعَنْسُ: الناقة.

﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ قال الزمخشري[١]: إن قلت: ما معنى قوله: ["بأفواهكم"][٢] والقول لا يكون إلا بالفم؟

قلتُ: معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب، فيُتَرجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم [من غير ترجمة عن علم به في القلب][٣].

﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً وصغيرة من الصغائر، ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الإثم وكبيرة من الكبائر.

جزع بعضهم عند الموت، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم.

من تلمَّحَ هذه القصة: علم أن الله تعالى وصف أهل الإفك وذمهم بارتكاب ثلاثة آثام:

أحدها: تلقِّي الإفك وإشاعته.

والثاني: القول بغير علم.

والثالث: استصغارهم لعظيم ما جاؤوا به من البَهْتِ والقذف لأم المؤمنين، وما في ضمن ذلك من أذى رسول الله ﷺ وأذى صِدِّيقه أبي بكر رضي الله عنه.

(مادة: ولق)، والطبري (١٨/ ٩٨)، والماوردي (٤/ ٨٢)، وزاد المسير (٦/ ٢١).

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) في الأصل: بأفوهكم.

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٢٢٤).

قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا﴾ أي: ما ينبغي لنا ﴿أن نتكلم بهذا سبحانك﴾ تعجب من عظيم هذا الأمر.

قال صاحب الكشاف[١]: الأصل في ذلك: أن يُسَبِّحَ الله تعالى عند رؤية العَجَبِ من صنائعه، ثم كَثُرَ حتى استُعمل في كل مُتعجَّبٍ منه، أو لتنزيه الله من أن تكون حُرْمَةُ[٢] نبيّه فاجرة.

ويروى أيضاً: أن امرأة أبي أيوب قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟ فقال: ما يكون لنا أن نتكلم [بهذا][٣]، سبحانك هذا بهتان عظيم، [فنزلت هذه الآية[٤]].

وقال سعيد بن جبير: لما سمع سعد بن معاذ ذلك قال: سبحانك هذا بهتان عظيم][٥]، فقيل للناس: هلا قلتم كما قال سعد بن معاذ[٦].

قوله تعالى: ﴿يعظكم الله﴾ قال مجاهد: نهاكم الله[٧]. ﴿أن تعودوا لمثله﴾ أي: لمثل هذا القذف ﴿أبداً﴾.

وقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ تهييج لهم وتنبيه على أن من شأن المتَّصِفِ بالإيمان

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) حُرْمَةُ الرَّجُل: أهله (مختار الصحاح، مادة: حرم).

(٣) في الأصل: بها. والتصويب من ب.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٣)، وزاد المسير (٦/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٠) وعزاه لابن مردويه.

(٥) زيادة من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦٠) وعزاه لسنيد في تفسيره.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٤٥ ح٢٠٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦١) وعزاه للفريابي والطبراني.

أن يهجر المعصية ويفعل الطاعة.

﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ وهي الدلالات على علمه [وحُكْمه][(١)] وحلمه بما نزّل من الشرائع والآداب الجميلة، ﴿والله عليم﴾ بالأشياء ﴿حكيم﴾ في تصاريف القضاء.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

ثم هدّد القاذفين فقال: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أي: [يَفْشُوا][(٢)] القذف بالزنا ﴿في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ يريد: الحدّ وعذاب النار، ﴿والله يعلم﴾ شرّ ما خُضتم فيه وما تضمن من استحقاق العذاب، ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

وقيل: يعلم الضمائر، فقد علِمَ من أحبَّ منكم إشاعة الفاحشة ومن لم يُحِبَّها.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ عَطْفٌ على الذي

(١) في الأصل: وحكمته. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: يفشون. والتصويب من ب.

قبله، وجواب "لولا" محذوف، تقديره: لعاجلكم بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ مُفسرٌ في البقرة[١].

والمعنى هاهنا: لا تتبعوه فيما زَيّنَ لكم من قذف عائشة.

﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ مُفسّر في النحل[٢].

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أيها القذفة ﴿ما زكى منكم من أحد﴾ أي: ما تطهّر.

وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة: "ما زَكّى" بتشديد الكاف[٣]، على معنى: ما طَهَّرَ منكم من إثم الإفك.

"مِنْ أحدٍ" في موضع الرفع بإسناد الفعل إليه على القراءة الأولى، وفي موضع نصب على القراءة الثانية.

قال ابن عباس: ما قَبِلَ توبة أحد منكم[٤] ﴿أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بضمائركم وأفعالكم.

وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ

(١) عند الآية رقم: ١٦٨.

(٢) عند الآية رقم: ٩٠.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٣).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣٢ ح١٦٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٣).

لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا﴾ وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري لأبي جعفر يزيد بن القعقاع: "ولا يَتَأَلَّ" على وزان: يَتَعَلَّ، وهي قراءة الحسن(١)، ومعناهما واحد. يقال: آلَى يُؤْلِي إيلاءً، وتألَّى يتألَّى تألِّياً، وأْتَلَى يأْتَلِي ائتِلاءً: إذا حَلَفَ(٢).

وقد ذكرنا سبب نزول هذه الآية في حديث الإفك.

وقال ابن عباس: أقسمَ ناس من الصحابة، منهم أبو بكر، أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعونهم، فأنزل الله هذه الآية(٣).

والمعنى: لا يحلف أرباب ﴿الفضل منكم والسعة﴾ في الدنيا، ﴿أن يؤتوا﴾.

قال ابن قتيبة(٤): معناه: أن لا يؤتوا، فحذف "لا".

﴿أولي القربى﴾ وهم مِسْطَح بن أثاثة، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً، فذلك قوله: ﴿والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا

(١) النشر (٢/ ٣٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: ألا).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٢-١٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٣) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠٢).

وليصفحوا﴾ أمرٌ لهم بالتجاوز عن هذه الجريمة القبيحة؛ شكراً لله على ما أنعم عليهم به من الثناء المؤبد والثواب المخلد.

وفي قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ إيذان بأن الحسنة تقابل في الجزاء بمثلها.

﴿والله غفور﴾ كثير المغفرة، فهو يقابل الغُفْران بأمثاله مضاعفاً إلى ما لا يعلمه إلا هو ﴿رحيم﴾ بالمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ أي: العفائف ﴿الغافلات﴾ عما قُذِفْنَ به من الفاحشة، التّقيات القلوب، الطاهرات الجيوب، كعائشة رضي الله عنها، ﴿المؤمنات﴾ المصدّقات بما يجب التصديق به، ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾.

فصل

اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية؛ فروى العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل قال: فَسَّرَ ابن عباس سورة النور، فلما أتى على هذه الآية قال: هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة، وهي مبهمة ليس[1] فيها توبة، ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة، ثم قرأ: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء -إلى قوله-: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة. قال: فَهَمَّ رجلٌ أن يقوم فيُقَبِّلَ رأسه من حُسْنِ ما فَسَّر[2].

---

(١) في ب: فليس.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٤)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٣ ح٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر =

وقال خصيف: قلتُ لسعيد بن جبير: من قذف مُحْصَنةً لعنه الله؟ قال: لا، إنها في عائشة خاصة(١).

وقال مقاتل(٢): هذه الآية في عبدالله بن أُبيّ بن سلول المنافق ورميه عائشة.

وقال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنها نزلت [في](٣) مشركي أهل مكة، بلغنا أن المرأة كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا: إنما خرجت تَفْجُر، فنزلت هذه الآية(٤).

وقال قتادة وابن زيد: هي عامة في أزواج النبي ﷺ وغيرهن(٥).

فعلى قول أبي حمزة ومقاتل؛ لا إشكال في الآية. وعلى قول ابن عباس وسعيد؛ تكون الآية محمولة على من قذف [عائشة بعد براءتها أو قذف](٦) أزواج النبي ﷺ بعد أن أثنى الله تعالى عليهن وأذهب عنهن الرجس وطهَّرَهُنَّ تطهيراً، وأخبر أنهن طيبات، فيكون القاذف لهن معانداً لله تعالى ولرسوله، فيكون ملعوناً في الدنيا والآخرة.

=

(٦/ ١٦٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير والطبراني وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٣)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥١ ح٢٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٤).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٤) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥). وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري.

(٦) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿يوم تشهد﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "يشهد" بالياء[١]، ﴿عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

قال ابن السائب: ما تكلموا به من الفِرْيَة في قذف عائشة[٢].

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ الدِّين: الحساب، والحق: صفة، على معنى: يوفيهم الله الحساب الواجب.

وقرأ مجاهد والأعمش: "الحقُّ" بالرفع[٣]، على الفصل بين الصفة والموصوف.

﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبيّ [بن سلول][٤] كان يشكّ في الدين، فإذا كانت القيامة عَلِمَ حيث لا ينفعه علمه[٥].

قال صاحب الكشاف[٦]: ولو فَلَيْتَ القرآن كله وفتّشت عما أوعد به العصاة لم تَرَ أن الله تعالى قد غَلَّظَ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مُفْتَنَّة، ولو لم يُنزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القَذَفَة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أَفِكُوا وبَهَتُوا،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٦)، والكشف (٢/ ١٣٥)، والنشر (٢/ ٣٣١)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٢٦)، والدر المصون (٥/ ٢١٥).

(٤) ساقط من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

وأنه يوفيهم جزاءهم الواجب الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك "أن الله هو الحق المبين"، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصَّل وأجْمَل، وأكَّدَ وكَرَّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان، وإنما هو دونه، وما ذاك إلا لأمر.

وعن ابن عباس: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يُسأل عن تفسير القرآن، حتى سُئل عن هذه الآيات، فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قُبلت توبته، إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها، وهذا [منه][(١)] مبالغة وتعظيم لأمر الإفك[(٢)].

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس، ﴿والخبيثون﴾ من الناس ﴿للخبيثات﴾ من القول، ﴿والطيبات﴾ من القول ﴿للطيبين﴾ من الناس، ﴿والطيبون﴾ من الناس ﴿للطيبات﴾ من القول[(٣)].

معناه: أن الخبيث من القول لا يليق ولا ينبغي أن يقال إلا للخبيث من الناس؛ لأنهم أهل له، وكذلك الطيب من القول، فكيف رميتم أيها القَذَفَة أم المؤمنين والمُفَضَّلَة على نساء العالمين ونسبتم إليها ما لا يجوز عليها.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٤١).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٦-١٠٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٦٠-٢٥٦١)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٧-١٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٦٧-١٦٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس، ومن عدة طرق.

وقال الزجاج[(١)]: معناه: لا يتكلم بالخبيثات إلا [الخبيث][(٢)] من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيّبات إلا الطيّب من الرجال والنساء.

وقال ابن زيد: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء؛ أمثال عبدالله بن أبيّ والشاكّين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، طيبها الله تعالى لرسوله ﷺ[(٣)].

﴿أولئك﴾ يعني: عائشة وصفوان. وقيل: "أولئك" إشارة إلى الطيبين والطيبات ﴿مبرؤون مما يقولون﴾ أي: مما يقول الخبيثون والخبيثات من الفرية، ﴿لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة.

قال بعض أهل المعاني: كل شيء وُصف بالكرم فهو مَرْضِيٌّ في بابه، كما يقال: فرس كريم وسيف كريم، ومنه: كتاب كريم، أي: مَرْضِيٌّ في جنسه من الكتب.

أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن عبد الله بن أبي مليكة، أنه حَدَّثه ذكوان [حاجب][(٤)] عائشة، قال: « جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة، فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبدالله بن عبدالرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكبّ عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا ابن عباس [يستأذن][(٥)]؟

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٧).

(٢) في الأصل: الخبيثين. والتصويب من ب، والزجاج، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٠٨)، والطبراني (٢٣/ ١٥٦ ح٢٤٠). وذكره الماوردي (٤/ ٨٤)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٦٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني.

(٤) في الأصل: صاحب. والتصويب من ب، والمسند (١/ ٢٧٦).

(٥) زيادة من المسند، الموضع السابق.

فقالت -وهي تموت-: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمَّتَاه، إن ابن عباس من صالحي بَنِيكِ يُسلِّمُ عليك ويُودِّعك، فقالت: ائذن له إن شئت، فأدْخَلته، فلما جلس قال: أبشري؟ فقالت: أيضاً، فقال: ما بينكِ وبين أن تَلْقَي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كُنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طَيِّباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء [فأنزل][1] الله تعالى أن يتيمموا صعيداً طيباً، وكان ذلك في سببك، وما أنزل الله تعالى لهذه الأمة في الرخصة، وأنزل براءتك من فوق سبع سماوات، جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيها[2] الله عز وجل إلا تُلِيَ فيه آناء الليل وآناء النهار، قالت: دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أني كنت نسياً منسياً »[3].

هذا حديث صحيح أخرج البخاري طرفاً منه في صحيحه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد أعطيتُ تسعاً ما أعطيتها[4] امرأة؛ نزل جبريل بصورتي حين أُمر النبي ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكْراً وما تزوج بكْراً غيري، ولقد قُبِضَ وإن رأسه لفي حجري، ولقد قُبر في بيتي، ولقد حَفَّتِ الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وأنا معه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصِدِّيقه، ولقد نزل عُذري من السماء، ولقد خُلقت طيبةً وعندي طيِّب، ولقد

---

(١) في الأصل: نزل. والتصويب من ب، والمسند (١/ ٢٧٦).

(٢) في ب: فيه.

(٣) أخرج البخاري طرفاً منه (٤/ ١٧٧٩ ح٤٤٧٦)، وأحمد (١/ ٢٧٦ ح٢٤٩٦).

(٤) في ب: أعطيها.

وُعدت مغفرةً ورزقاً كريماً(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ سبب نزولها: أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله! إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، فلا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي، فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر رضي الله عنه بعد نزولها: يا رسول الله! أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن؟ فنزلت: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم... الآية﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا﴾ جائز أن يكون من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره كالمستوحش لا يدري أيُؤذن له أم لا،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٩٠ ح٤٦٢٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤-٣١٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤١) وقال: رواه أبو يعلى وفي الصحيح وغيره بعضه. وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١١١) بأقصر منه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٧١) وعزاه للفريابي وابن جرير. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٤-٣٣٥).

فإذا أُذِنَ له استأنس.

فالمعنى: حتى يؤذن لكم، وهذا قول جمهور المفسرين.

وجائز أن يكون من الاستئناس الذي هو معنى الاستعلام، كما في قوله: ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ [النساء:٦]، وهو معنى قول الخليل: الاستئناس: الاستبصار، من قوله: ﴿آنست ناراً﴾ [طه:١٠].

وقال بعضهم: يجوز أن يكون من الإنس، وهو أن يتعرّف هل ثَمَّ إنسان يَأذنُ له.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "حتى تستأذنوا"(١).

﴿وتُسلموا على أهلها﴾ وهو أن يقول(٢): السلام عليكم أأدْخُل.

وقال قوم: يبدأ بالاستئذان فيقول: أأدخل سلامٌ عليكم.

وقال قوم: إن وقع بصره على إنسان قَدَّم السلام، وإلا قَدَّم الاستئذان.

وقال بعض العلماء: الاستئذان يكون بالسلام فقط.

والأول أظهر؛ لما روي عن كلدة بن حنبل: «أن صفوان بن أمية بعثه بِلَبن وجِدَايَةٍ وضَغَابيسَ إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ بأعلى الوادي. قال: فدخلت عليه ولم

---

(١) انظر هذه القراءة في: تفسير الطبري (١٨/ ١١٠).

قال أبو حيان في البحر (٦/ ٤١٠): روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿تستأنسوا﴾ معناه: تستأذنوا، ومن روى عن ابن عباس أنه قرأ: "حتى تستأذنوا"، فهو طاعن في الإسلام، ملحد في الدين، وابن عباس بريء من هذا القول.

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٢١٦): فسّره ابن عباس: حتى تستأذنوا، وليست قراءة.

(٢) في ب: تقول.

أُسَلِّم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: ارْجع فقل: السلام عليكم أأدخُل؟ »[(١)].

أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

والجِدَاية: الصَّغير من الظِّباء، والضَّغَابيس: صغار القِثَّاء، واحدها: ضغبوس.

قوله تعالى: ﴿ذلكم خير﴾ أي: أفضل من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ أن الاستئذان خير فتأخذوا به.

فصل

السُّنَّة أن يستأذن ثلاثاً؛ لما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع »[(٢)].

ولا يستقبل الباب الذي يطرقه؛ خشية أن يقع نظره على ما يكرهه صاحب الدار.

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن بسر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر»[(٣)].

فصل

قال عطاء: قلتُ لابن عباس: أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال: أيسرك أن ترى منهن عورة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٩٤ ح٢١٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٤٨ ح٥١٨٦).

(٤) أخرجه نحوه الطبري (١٨/ ١١١-١١٢)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٩٧) كلهم عن عطاء بن يسار. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨).

وقالت زينب امرأة عبدالله بن مسعود: كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تَنَحْنَحَ وبَزَقَ؛ كراهية أن يَهْجِمَ منا على أمر يكرهه[١].

قلت: وفي هذا دليل أنه يُكتفى في الاستئذان على المحارم في غير أوقات العورة بكل ما يقع الإعلام به؛ من نَحْنَحَةٍ وتسبيحٍ وتحميدٍ وتهليلٍ.

قوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ أي: إن وجدتموها خالية ممن يعتبر إذنه شرعاً ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ أي: حتى تجدوا من يأذن لكم، ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ أي: انصرفوا ولا تقفوا على الباب مُلازمين له، فإن ذلك مما يؤذي ويجلب الكراهة.

ويلتحق بهذه الآداب ما يكرهه ذوو الألباب: من قَرْعِ الباب بشدة، ورفع الصوت، ونحوهما.

﴿هو أزكى لكم﴾ وأفضل من ملازمة الباب والارتقاب للإذن والجواب، لما فيه من البُعْد من الريبة.

﴿والله بما تعملون﴾ من الدخول بإذن وبغير إذن ﴿عليم﴾ وعليه مُجاز.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ قال قتادة: هي الخانات والبيوت المبنية للسابلة[٢].

وقال ابن جريج: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها؛ لأن الاستئذان شرع لأجل الساكن[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١ ح٣٦١٥).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١١٤) عن قتادة قال: هي الخانات تكون لأهل الأسفار.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩).

﴿فيها متاع لكم﴾ أي: منفعة من الاستكان وإيواء الرَّحْل والمتاع.

وقال عطاء: هي البيوت الخَرِبَة، والمتاع: قضاء الحاجة فيها[١].

﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ أي: ما تُظهرون وما تُضمرون.

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ قيل: إنّ "مِنْ" صِلَة، وجوّزه الأخفش، وأباهُ سيبويه؛ لأنهم لم يُؤمروا بالغضّ مطلقاً، وإنما أمروا بالغض عما يحرم عليهم من الأجنبيات، ومن ذوات المحارم، وما[٢] لا يظهر غالباً.

ويجوز النظر منهن إلى الرقبة والرأس واليدين والقدمين والساقين.

ويروى عن الإمام أحمد رواية أخرى: أنه لا يجوز أن ينظر منهن إلا إلى الوجه والكفَّين[٣].

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغضّ بصره، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها))[٤].

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١١٤) عند قوله: ﴿فيها متاع لكم﴾ قال عطاء: الخلاء والبول. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩).

(٢) في ب: ما.

(٣) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٠).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤ ح٢٢٣٣٢).

وأخرج الإمام أيضاً في كتاب الزهد[١] بإسناده عن مالك قال: بلغنا أن سليمان عليه السلام قال لابنه: يا بني! امش وراء الأسد والأسْوَد[٢] ولا تمش وراء امرأة.

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ قال أكثر المفسرين: المعنى: يحفظونها من الإفضاء إلى ما لا يحل.

وقال أبو العالية وابن زيد: يحفظونها من[٣] أن تُرى، فيكون أمراً لهم[٤].

وجوّز بعضهم إرادة المجموع، وهو الحفظ عن الإفضاء والإبداء.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى غَضِّ أبصارهم وحِفْظِ فروجهم ﴿أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ في الأبصار والفروج وغيرها.

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا

---

(١) أخرجه أحمد في: الزهد (ص:٥٢).

(٢) الأسود: نوع من الأفاعي.

(٣) في ب: عن.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٩٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٥) كلاهما من قول أبي العالية، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠).

يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

ثم إن الله تعالى أمر النساء بما أمر به الرجال فقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ فلا يحلّ للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سُرّته وفوق ركبته.

وروي عن الإمام أحمد رضي الله عنه رواية أخرى: أنه لا يجوز لها النظر إلى الأجنبي حذراً من الافتتان(١).

و ((لأن النبي ﷺ أمر أمّ سلمة وميمونة بالاحتجاب من ابن أم مكتوم، فقالتا: يا رسول الله! أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعمياوان أنتما، ألستما تُبصرانه؟))(٢).

فإن قيل: لم قَدَّمَ الأمر بغضّ الأبصار على الأمر بحفظ الفروج وهو أهمّ؟

قلتُ: قدَّمه؛ لعموم البلوى فيه، وقلة التحرز منه، وكونه بريد الفجور، والوسيلة العظمى إلى ارتكاب المحظور.

قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ اعلم أن الزينة ما تتزين به

---

(١) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٣ ح٤١١٢)، والترمذي (٥/ ١٠٢ ح٢٧٧٨) وقال: حديث حسن صحيح.

قال أبو داود: هذا لأزواج النبي ﷺ خاصة، ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم، وقد قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: ((اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده)).

المرأة، وتنقسم إلى قسمين: زينةٍ خفيةٍ وزينةٍ ظاهرةٍ. فأما الزينة الخفية فلا يجوز إبداؤها للأجانب في حال التزين بها؛ كالسِّوَارين والدُّمْلُج والخَلْخَال[١] والقُرْط والقِلادَة.

وأما الزينة الظاهرة المستثناة في الآية فيجوز إبداؤها للأجانب.

وقد اختلف العلماء فيها؛ فذهب ابن مسعود من الصحابة والإمامان أحمد والشافعي من الفقهاء: إلى أنها الثياب[٢].

وقد سمَّاها الله تعالى زينة في موضع آخر فقال: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف:٣١]، فيجوز للأجنبي النظر إلى ثوب المرأة ما لم يكن رقيقاً يَصِفُ البشرة.

وقال ابن عباس: هي الكحل والخاتم[٣].

وزادها مجاهد: الخضاب[٤].

وقال ابن عباس في رواية أخرى: هي الكف والوجه[٥].

---

(١) في ب زيادة قوله: والدملج. وهو تكرار.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١١٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٧٩) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر. وانظر: الفروع لابن مفلح (١/ ٥٣٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢٢٥ ح٣٠٣١)، والطبري (١٨/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٧٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١١٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١).

(٥) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢٢٥ ح٣٠٣٠)، والطبري (١٨/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم =

فإن قيل: إذا فُسِّرت الزينة بالحلي، فما الحكمة في النهي عن إبدائه؟

قلتُ: مبالغة في الأمر بالتستر، وليعلم أن النظر إذا لم يحلّ إلى الزينة لملابستها تلك المواضع، كان النظر إلى تلك المواضع أكثر إثماً وأكبر جُرماً.

قوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخُمُر: جمع خِمَار، وهو: ما تُغطي به المرأة رأسها[1].

أمر الله سبحانه وتعالى النساء أن يَسْدُلْنَ مَقَانِعَهُنَّ[2] على جُيوبهن لِيَسْتُرْن قِرْطَتَهُنَّ وأعناقَهنَّ وصُدورَهنّ.

﴿ولا يبدين زينتهن﴾ يعني: الخَفِيَّة ﴿إلا لبعولتهن﴾ أي: أزواجهن، ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن﴾ يريد: إخوتهن، ﴿أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾ يعني: المسلمات.

قال الإمام أحمد: لا يحلّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة، واليهودية والنصرانية لا تقبّلان المسلمة[3].

وقيل: المراد بنسائهن وما ملكت أيمانهن: مَنْ صَحِبْنَهُنَّ وخَدَمْنَهُنَّ من الحرائر والإماء، فالنساء كلهن سواء في حِلّ نظر بعضهن إلى بعض.

وعلماؤنا يقولون: المراد بما ملكت أيمانهن: الإماء دون العبيد.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا ينظر العبد من مولاته غير الوجه

= والبيهقي في سننه.

(١) انظر: اللسان (مادة: خمر).

(٢) المِقْنَعَة: ما تَتَقَنَّعُ به المرأة من ثوب تُغطّي رأسها ومحاسنها (اللسان، مادة: قنع).

(٣) انظر: المغني (٨/ ١٥٥).

والكفين[١].

وقال أصحاب الشافعي: يجوز للمرأة أن تُظهر لمملوكها البالغ ما تُظهر لمحارمها[٢].

قال الشافعي: هو مَحْرَمٌ لها[٣]، وأبى ذلك إمامنا أحمد[٤]؛ لأنها بعرضيَّة أن يحل له نكاحها وهو أجنبي منها.

قال سعيد بن المسيب: لا تغُرَّنَّكُم آية النور، فإن المراد بها: الإماء[٥].

قوله تعالى: ﴿أو التابعين﴾ وهم الذين يتبعون القوم ويخدمونهم.

﴿غير أولي الإربة من الرجال﴾ قال قتادة: هو الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل[٦].

وقال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء[٧].

وقال عكرمة: هو العنّين[٨].

---

(١) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٠).

(٢) انظر: المهذب للشيرازي (٢/ ٣٤-٣٥).

(٣) انظر: المغني (٣/ ٩٨).

(٤) انظر: الإنصاف (٨/ ٢٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨٤) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٦) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ١٢٢) عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٤/ ٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ١٨٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٢). وذكره الماوردي (٤/ ٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣).

(٨) ذكره الماوردي (٤/ ٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣).

وقال [ابن](١) السائب: هو الشيخ الفاني(٢).

وقال أيضاً: هو الخادم(٣).

وقال ابن المنادي -من علمائنا-: هو الذي لا يكترث بالنساء؛ إما لكبرٍ أو لهرمٍ أو لصغرٍ(٤).

وأكثر القرّاء على خفض "غيرٍ" صفةً "للتابعين".

وقرأت لابن عامر وأبي بكر عن عاصم وأبي جعفر: "غيرَ" بالنصب على الاستثناء أو الحال(٥).

والإربة: الحاجة.

﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ أي: لم يعرفوها.

فإن قيل: ما الحكمة في ترك ذِكْر العم والخال في هذه الآية مع كونهما من جملة المحارم؟

قلتُ: قد سُئل الشعبي عن ذلك فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه، والخال كذلك، يريد: أن سائر من ذكر في هذه الآية من المحارم يشترك الأب وابنه في المحرمية إلا العم والخال، فربما وصفها لابنه حتى كأنه ينظر إليها. فلم يذكرهما مبالغة في تحقيق معنى الستر.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣-٣٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٦-١٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٦-٤٩٧)، والكشف (٢/ ١٣٦)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٤-٤٥٥).

قوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾ يعني: ولا يَرْكُضْنَ بأرجلهنّ الأرض إذا مَشَيْنَ.

وقيل: لا يضربن [بإحدى][1] الرِّجْلين على الأخرى.

﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ نهى سبحانه وتعالى عن إظهار وَسْوسة الخلخال بعد أن نهى عن إبدائه، ليُعلم أن إبداء الأبدان أَوْغَلُ في الإثم وأَدْخَلُ في التحريم.

﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ من إرسال أبصاركم وإبداء الزينة لغير ذوي المحارم، وغير ذلك [من][2] الآثام.

وقال ابن عباس: توبوا إلى الله مما كنتم تفعلونه في الجاهلية[3].

﴿أيها المؤمنون﴾ وقرأت لابن عامر: "أَيُّهُ المؤمنون" بضم الهاء، ومثله: ﴿يا أَيُّهُ الساحر﴾ [الزخرف:٤٩] و ﴿أَيُّهُ الثقلان﴾ [الرحمن:٣١]. واتفقوا على إسقاط الألف من "أيها" في الوقف اتباعاً [للإمام، إلا أبا عمرو والكسائي][4] فإنهما وقفا بالألف[5].

فمن فتح الهاء في الوصل فلمراعاة الأصل؛ لأنه لما حذف الألف لالتقاء الساكنين أبقى الفتحة لتدل على الألف المحذوفة. ومن ضَمَّ الهاء حذف الألف في

(١) في الأصل: إحدى. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٧) بلا نسبة.

(٤) في الأصل: للإمام أبي عمرو والكساي. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٧-٤٩٨)، والكشف (٢/ ١٣٦-١٣٧)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٥).

الوصل لالتقاء الساكنين، وأتبع حركة الهاء حركة الياء قبلها.

وقال أبو علي[(١)]: من قرأ: "أيها" بألف فلا نظير فيه؛ لأنها ها التي للتنبيه وُصلت بها "أيُّ". فأما ضَمُّ ابن عامر الهاء في هذه الثلاثة فلا يتّجه؛ لأن آخر الاسم هو الياء [الثانية][(٢)] من "أيُّ"، فينبغي أن يكون المضموم آخر الاسم. ولو جاز أن يُضَمَّ هذا من حيث كان مقترناً بالكلمة لجاز أن تُضَمَّ الميم من "اللهم".

وجوّد أبو علي قراءة من أثبت الألف في الوقف، وعلّته ما أشرنا إليه.

﴿لعلكم تفلحون﴾ تُسعدون في الدنيا والآخرة.

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ
فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا
مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ
ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ وهم: الذين لا أزواج لهم من الرجال

---

(١) الحجة (٣/ ١٩٨).

(٢) زيادة من الحجة (٣/ ١٩٨).

والنساء، أبكاراً كانوا أو ثيباً، يقال: رجل أَيِّمٌ وامرأة أَيِّم. وقد آمَ الرَّجُل وآمَتِ المرأة وتَأَيَّما أيضاً تَأَيُّماً. قال الشاعر:

فَأُبْنا وقد آمَتْ نساءٌ كثيرةٌ ونسوةُ سعدٍ ليسَ منهنّ أَيِّمُ(١)

وقال آخر:

فإن تَنْكِحِي أَنْكِحْ وإن تَتَأَيَّمِي وإن كنتُ أفتى منكمُ أَتَأَيَّمُ(٢)

والأمر للندب والاستحباب.

والمعنى: زَوِّجُوا من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم.

﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ أي: من عبيدكم، يقال: عَبْدٌ وعَبِيدٌ وعِبادٌ(٣)، مثل: كَلْبٍ وكِلابٍ وكُلَيب.

وفي قراءة الحسن: "وعَبيدِكُم"(٤).

والمعنى: زَوِّجوا الصالحين من عبيدكم وإمائكم مراعاة لصلاحهم وتحصيناً لدينهم.

---

(١) البيت لرجل يهجو سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، انظر: مجمع الزوائد (٩/ ١٥٤)، والمعجم الكبير للطبراني (١/ ١٤١)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٩/ ٧٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٣١، ٤٣٣).

(٢) البيت من شواهد الكشاف (٣/ ٢٣٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٥)، واللسان (مادة: أيم) والشطر الثاني فيه: (يدا الدهر ما تنكحي أتأيم)، والدر المصون (٥/ ٢١٨)، والطبري (١٨/ ١٢٥)، والقرطبي (١٢/ ٢٤٠)، وروح المعاني (١٨/ ١٤٧)، والتمهيد لابن عبد البر (١٩/ ٨٠، ٨٣)، والماوردي (٤/ ٩٧).

(٣) في ب: وعباد وعبيد.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٤).

وفي هذا تنبيه على أثرة ذوي الدين والصلاح في باب النكاح، كما قال عليه الصلاة والسلام: « اظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك »[١].

ومن استقرأ سير السلف وأخبارهم وقف على صفة [صفوة][٢] منهم من ذوي الزهادة والعبادة، آثروا الآجل على العاجل، وأعرضوا عن زهرة الدنيا وزخرفها، رغبة في ثواب الله تعالى ورهبة من عقابه، وقدَّمُوا أرباب الدين على أصحاب الدنيا؛ كأبي الدرداء وسعيد بن المسيب حين خطب إليهما ملوك بني أمية ابنتيهما.

وقيل: المراد بالصلاح هاهنا: القيام بحقوق النكاح.

ثم رجع إلى الإخبار عن الأحرار فقال: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾.

قال الزجاج[٣]: حثَّ الله تعالى على النكاح وأعلم أنه سببٌ لنفي الفقر.

قال قتادة: ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباه[٤]، والله تعالى يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[٥].

﴿والله واسع﴾ ذو سعة لا يرزأه إغناء خلقه، ﴿عليم﴾ يبسط الرزق لمن يشاء

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٨ ح٤٨٠٢)، ومسلم (٢/ ١٠٨٦ ح١٤٦٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٠).

(٤) الباه: لغة في الباءة، وهو هنا: النكاح (اللسان، مادة: بوه).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ١٧٣ ح١٠٣٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٨٨) وعزاه لعبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد.

ويقبض، على حسب علمه في خلقه.

قوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: ليجتهدوا في العِفَّة، وليحملوا أنفسهم عليها، وأنجع الأدوية المعينة على العفة: الصوم؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصُم، فإن الصوم له وِجاء»[1].

والباءة: كناية عن النكاح، وأصلها: المكان الذي يأوي إليه الإنسان. ومنه: مَبَاءَةُ الغنم، وهو الموضع الذي تأوي إليه بالليل، فسُمِّي النكاح بها؛ لأن من تزوج امرأة بوَّأها منزلاً وأوى إليها.

ومعنى استطاعتها: القدرة على الوصول إليها بالإنفاق والصِّداق وغيرهما.

والوِجَاء: دَقُّ الأُنْثَيَين[2]. والمعنى: أنه يقطع عنه غُلْمَةُ النكاح، كما يقطع الوِجاء.

﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ فيعطيهم ما [يتوسلون][3] به إليه من الصدقة والنفقة.

قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يعني: يطلبون الكتابة، فيسألون مواليهم أن يبيعوهم أنفسهم بمال في الذمة، ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء، ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٠ ح٤٧٧٩)، ومسلم (٢/ ١٠١٨ ح١٤٠٠).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وجأ).

(٣) في الأصل: يتوسلوا. والتصويب من ب.

قال ابن عمر وابن عباس: حيلة على الكسب، وقوةً على الاحتراف[1].

قال الشافعي رضي الله عنه: أظهر معنى في الخير: الاكتساب مع الأمانة[2].

وقال الحسن: دِيناً[3].

وقال سعيد بن جبير: إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير[4].

فصل

اختلف العلماء هل قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ أمر إيجاب أو أمر استحباب؟

فذهب الأكثرون: إلى أنه أمر استحباب، وبه قال إمامنا وأبو حنيفة والشافعي[5].

وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وعطاء وعمرو بن دينار: هو أمر إيجاب[6].

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٧) عن ابن عمر: أنه كره أن يكاتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة قال: تطعمني أوساخ الناس. وذكره الماوردي (٤/ ٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).
وأخرج عن ابن عباس قوله: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ يقول: إن علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين. وهذا القول هو اختيار الطبري (١٨/ ١٢٧).

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٠٠)، ونص عليه الشافعي في كتابه الأم (٨/ ٣١).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٥) انظر: المغني (١٠/ ٣٣٣)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٢٠٧)، والطبري (١٨/ ١٢٧)، والماوردي (٤/ ٩٩)، والوسيط (٣/ ٣١٩).

(٦) انظر: الطبري (١٨/ ١٢٦)، وهذا القول هو الذي اختاره، والمغني (١٠/ ٣٣٣)، والماوردي (٤/ ٩٩)، والوسيط (٣/ ٣١٩).

وروي نحوه عن إمامنا[١]؛ لما روي: أن[٢] سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه، فتلكأ عليه، فشكاه إلى عمر رضي الله عنه، فعلاه بالدرّة وأمره بالكتابة[٣]، وقال: هي عزمة من عزمات الله تعالى، من سأل الكتابة كُوتب.

فعلى هذا يجبر السيد على إجابته عند الطلب وتحقق الشرط.

قوله تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قال ابن عباس: هذا خطاب للأغنياء الذين تجب عليهم الزكاة، أمرهم الله عز وجل أن يعطوا المكاتبين من سهم الرقاب[٤].

وقال غيره: هذا أمر للسادة أن يعطوا مكاتبيهم أو [يحطّوهم][٥] من كتابتهم شيئاً[٦]. وقدّره إمامنا أحمد رضي الله عنه بالرُّبُع[٧]، وهو مروي عن علي رضي الله عنه ومجاهد[٨]. ولم يقدّره الشافعي رضي الله عنه.

واختلف الأئمة الأربعة رضي الله عنهم في الإيتاء؛ هل هو واجب أو

(١) انظر: المغني (١٠/ ٣٣٣).

(٢) في الأصل زيادة قوله: "ابن" بخط مغاير، وهو خطأ.

(٣) أخرجه عبدالرزاق (٨/ ٣٧٢)، والطبري (١٨/ ١٢٦). وقد ذكره البخاري معلقاً (٢/ ٩٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أنس بن مالك.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٥) في الأصل: يعطوهم. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧).

(٧) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٨) أخرجه الطبري (١٨/ ١٢٩)، ومجاهد (ص:٤٤١). وذكره الماوردي (٤/ ١٠٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩).

مستحب؟ فذهب إمامنا والشافعي إلى إيجابه، وذهب الآخران إلى استحبابه[١].

وقد روي: «أن عمر بن الخطاب كاتب غلاماً له يقال له: أبو أمية، فجاء بنجمه حين حَلَّ فقال: اذهب أبا أمية فاستعن به على مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو أخرته حتى يكون في آخر النجوم، فقال: يا أبا أمية إني أخاف أن لا أُدْرِكَ ذلك، ثم قرأ: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾. قال عكرمة: وكان ذلك أول نجم أُدِّيَ في الإسلام»[٢].

ويؤيد ذلك: ما ذكره المفسرون في سبب نزول هذه الآية: أن صبيحاً مولى حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فنزلت هذه الآية، فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً[٣].

فصل

ولا تصح الكتابة إلا من جائز التصرف، وإن كاتب المميز عبده بإذن وليه صَحَّ.

وقيل: لا يصح.

وإن كاتب السيد عبده المميز صَحّ عندنا[٤].

---

(١) انظر: المغني (١٠/ ٣٤٢)، والإنصاف (٧/ ٤٤٦)، والأم (٨/ ٣١)، والمبسوط للسرخسي (٧/ ٢٠٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ١٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٣٢٩ ح٢١٤٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٣٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ١٨٩) وعزاه لابن السكن في معرفة الصحابة.

(٤) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٤٨).

وعند أبي حنيفة وعند الشافعي: لا يصح. وعن مالك كالمذهبين.

وتنعقد الكتابة بقوله: كاتبتك على كذا، وإن لم يقل: فإذا أديت إليّ فأنت حُرّ.

وقيل: يشترط في حصول الحرّية قوله أو نيّته، وبه قال الشافعي.

ولا تصح إلا على عِوَضٍ معلوم مُنَجَّم نجمين فصاعداً.

وقال أبو حنيفة ومالك: تصح على نجم واحد، وروي نحوه عن إمامنا[١].

وإذا أدى ما كوتب عليه أو أبرئ منه عتق، وما فضل في يده فهو له[٢].

فإن وجد السيد بالعِوَض عيباً فله أرْشُه أو قيمته، ولا يرتفع العتق[٣].

فصل

اختلف العلماء في جواز بيع رقبة المُكَاتَب، فذهب الأكثرون إلى عدم الجواز، وهو قول إمامنا في رواية أبي طالب عنه.

والمشهور عنه: الجواز[٤]، وبه يُفتي أصحابنا؛ لحديث بريرة.

ولأنه عِتْقٌ معلق بصفة أشبه التدبير.

فإذا قلنا: يجوز[٥] البيع فالمشتري قائم مقام المكاتَب، فإن أدى إليه عَتَقَ وولاؤه له، وإن عجز عاد قِنّاً له.

---

(١) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٤٩).

(٢) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٥١).

(٣) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٥٤).

(٤) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٠).

(٥) في ب: بجواز.

فصل

والكتابة عقد لازم من الطرفين، فإن حل نَجْمٌ فلم يُؤده فللسيد الفسخ(١).

وعن إمامنا رواية أخرى: أنه لا يُعَجَّزُ إلا بحلول نجمين(٢).

فصل

وإن اختلفا في الكتابة فالقول قول من ينكرها، وإن اختلفا في قدر العِوَض فالقول قول المكاتَب مع يمينه؛ لأنه جاحد.

وعنه: القول قول السيد(٣).

وقال الشافعي: يتحالفان وينفسخ العقد، وهو اختيار صاحبنا أبي بكر، وحكاه عن إمامنا أحمد(٤).

قوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ يعني: إمائكم ﴿على البغاء﴾ وهو الزنا.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر قال: «كان عبد الله بن أبيّ يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فنزلت هذه الآية»(٥).

قال المفسرون: كان لعبد الله بن أبيّ جاريتان: مُعاذة ومُسَيْكَة، وكان يُكرههما على الزنا، ويأخذ منهما الضريبة، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم. فلما جاء الإسلام قالت معاذة لِمُسَيْكَة: إنّ هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان

---

(١) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٧٦).

(٣) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٤) انظر: الإنصاف (٧/ ٤٨٦).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٢٠ ح٣٠٢٩).

خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن نَدَعَهُ، فنزلت هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿إن أردن تحصناً﴾ أي: تَعَفُّفَاً عن الزنا. وإنما شرط إرادة التحصن؛ لأن الإكراه لا [يتأتّى][٢] إلا مع إرادة التحصن.

﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ وهو كسبهن وثمن أولادهن من الفجور.

﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ قال عامة المفسرين: المعنى: فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم للمُكْرَهَات[٣].

ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: "فإن الله من بعد إكراههن غفور للمكرَهين والمكرَهات إذا تابوا وأنابوا".

فإن قيل: المكْرَهَة غير آثمة، فما معنى مغفرة الله لها؟

قلتُ: الظاهر أن الإكراه في حَقِّهِنّ لم تتحقق شرائطه المخلِّصة من الإثم؛ لأن ما يَعْرِض لهنّ من اللذة في أثناء الوطء، وما ينشأ لهن من الشهوة والغُلْمة يستزلهن عن استمرار العصمة المانعة من الإثم.

قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير[٤] وأبو بكر: [بفتح الياء. وقرأ][٥] ابن[٦] عامر وحمزة والكسائي وحفص:

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨).

(٢) في الأصل: يأتي. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الطبري (١٨/ ١٣٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩).

(٤) في هامش ب: في الأصل هذا متروك، والصواب ما ألحقته.

(٥) زيادة من ب.

(٦) في الأصل: وابن. والتصويب من ب.

"مبيِّنات" [بكسر][1] الياء فيهن[2].

بمعنى: موضحات للأحكام والحدود.

﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي: شبهاً من حالهم بحالكم أيها المكذبون، ﴿وموعظة﴾ تذكرة وتخويفاً ﴿للمتقين﴾.

وما أحسن ما لمح بعضهم من أن المعنى: ومثلاً من أمثال من قبلكم، أي: قصة عجيبة من قصصهم [كقصة][3] يوسف ومريم.

يعني: [قصة][4] عائشة رضي الله عنها، وموعظة ما وعظ به في الآيات، والمثل من نحو قوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ [النور:٢]، ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ [النور:١٢] ولولا إذ سمعتموه﴾ [النور:١٦]، ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً﴾ [النور:١٧].

۞ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾

---

(١) زيادة من ب. وفي هامشها: في الأصل: بفتح الياء، وهو سهو.

(٢) أي في هذا الموضع، وفي الموضع الآتي وهو قوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ [٤٦].

(٣) في الأصل: كقصية. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: الله هـادي أهـل السموات والأرض[١].

ويحقق هذا المعنى: أن النور هو الضياء الذي تتبين به الأشـياء، والله سـبحانه نور باعتبار أن الهدى من عنده.

قال ابن قتيبة[٢]: معناه: بنوره يهتدي مَنْ في السموات والأرض.

وقيل: الله ذو نور وصاحب نور السموات والأرض.

وقرأ أبي بن كعب: "اللهُ نَوَّر"[٣] بالتشديد، وجعله فعلاً ماضياً، "الـسموات" مفعول، "والأرض" بالنصب عطف على المفعول[٤].

﴿مثل نوره﴾ قال ابن عباس: مثل نور الله في قلب المـؤمن[٥]، وهـو القـرآن والهدى الذي جاء به محمد ﷺ.

﴿كمشكاة﴾ وفي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب: "مثـل نـور مـن آمـن بـه كمشكاة"[٦]، وهي الكُوَّة التي لا تَنْفُذ.

﴿فيها مصباح﴾ أي: سِراج.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٢٨).

(٣) في الأصل زيادة: السموات.

(٤) انظر قراءة أبيّ في: زاد المسير (٦/ ٤٠)، والدر المصون (٥/ ٢١٩).

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) انظر قراءة ابن مسعود وأُبي في: زاد المسير (٦/ ٤٠).

﴿المصباح في زجاجة﴾ وقُرئ بالحركات الثلاث على [الزاي][(١)].

قال ابن جني[(٢)]: في الزجاجة ثلاث لغات: زُجاجة، وزِجاجة، وزَجاجة، [وفي][(٣)] الجميع: زُجاج، وزِجاج، [وزَجاج][(٤)].

قال الزجاج[(٥)]: النور في الزُّجاج وضوء النار فيه، أَبْيَنُ منه في كل شيء.

ثم وصف الزجاجة فقال: ﴿كأنها كوكب درّي﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: "دِرِّيء" بكسر الدال والمد والهمز. وقرأ حمزة وأبو بكر كذلك إلا أنهما ضمَّا الدال. وقرأ الباقون بضمّ الدال وتشديد الياء من غير مدّ ولا همز[(٦)].

قال أبو علي[(٧)]: تحتمل[(٨)] هذه القراءة أن تكون نسبة إلى [الدُّرِّ][(٩)]؛ لفرط ضيائه ونوره، كما أن الدُّرَّ كذلك.

قال[(١٠)]: ومن قرأ بكسر الدال والهمزة كان فِعِّيلاً من الدَّرْء، مثل: السِّكِّير[(١١)]

---

(١) في الأصل: الراء. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٢) المحتسب (٢/ ١٠٩).

(٣) في الأصل: في. والتصويب من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٤) زيادة من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٤٣-٤٤).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٩٩)، والكشف (٢/ ١٣٧)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٤)، والسبعة (ص:٤٥٥-٤٥٦).

(٧) الحجة (٣/ ٢٠٠).

(٨) في الأصل زيادة: أن تكون.

(٩) في الأصل: الدار. والتصويب من ب، والحجة (٣/ ٢٠٠).

(١٠) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٢٠٠).

(١١) في الأصل: الكسير. والتصويب من ب، والحجة، الموضع السابق.

والفِسِّيق. والمعنى: أن الخفاء يدفع [عنه][١] لتلألئه في ظهوره، فلم يَخْفَ كما خفي، نحو السُّها، وما لم يُضِيءْ من الكواكب.

قال[٢]: ومن قرأ: "دُرِّيءٌ" بضم الدال والهمز، كان فُعِّيلاً من الدَّرْء، وهو الدفع.

قلت: قد أنكر هذه القراءة الفراء والزجاج والمبرد وقالوا[٣]: ليس في كلام العرب فِعِّيل.

قوله تعالى: ﴿تَوَقَّد﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو والدال مع تشديد القاف، جعلاه فعلاً ماضياً على معنى: توقد المصباح.

وقرأ أهل الكوفة إلا حفصاً بضم التاء والدال مع التخفيف، جعلوه فعلاً مستقبلاً لم يُسم فاعله على معنى: تُوقَدُ الزجاجة.

قال الزجاج[٤]: المقصود: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف.

وقرأ الباقون: "يُوقَد" بياء مضمومة مع التخفيف وضَمِّ الدال[٥]، على معنى: يُوقَدُ المصباح.

﴿من شجرة﴾ أي: من زيت شجرة ﴿مباركة﴾ وهي شجرة الزيتون.

---

(١) زيادة من ب، والحجة (٣/ ٢٠٠).

(٢) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٢٠٠).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٥٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٠-٢٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٠)، والكشف (٢/ ١٣٨)، والنشر (٢/ ٣٢٥)، والإتحاف (ص:٣٣٢)، والسبعة (ص:٤٥٦).

والذي يدلك على [المضاف][(١)] المحذوف قوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾.

ومعنى بركتها: [كثرةُ][(٢)] منافعها؛ لأن الزيت إدامٌ ودهانٌ ودباغٌ وشفاءٌ من كثير من الأمراض، وثَفَلُها[(٣)] وحَطَبُها [وقودٌ][(٤)]، ويُغسل برماده الإبريسم، إلى غير ذلك من المنافع.

ثم وصفها فقال: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ أي: هي ضاحية للشمس لا يسترها شجر ولا جبل ولا كهف، فإذا طلعت الشمس أصابتها، وإذا غربت أصابتها، فزيتُها يكون أصفى. وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة وأكثر المفسرين[(٥)]، واختيار الزجاج[(٦)].

قال بعضهم: يريد: أن منبتها الشام، وأجود الزيت زيته.

قال ابن زيد: لأن الشام لا شرقي ولا غربي[(٧)].

وروي عن ابن عباس قال[(٨)]: هي معتدلة ليست من شرق فيلحقها الحر، ولا

---

(١) في الأصل: المصباح. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: كثيرة. والتصويب من ب.

(٣) الثفل: ثُفْل كل شيء وثافِلُه: ما استقر تحته من كَدَره (اللسان، مادة: ثفل).

(٤) في الأصل: ويوقد. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٠١) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن عكرمة والضحاك ومحمد بن سيرين، وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٤٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢).

(٨) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٤٦).

في غرب فيضرّ بها البرد.

وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا، ولو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية، وإنما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره[(١)].

ثم وصف صفاء زَيْتُها فقال: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ أي: يكاد زيت الزيتونة لصفائه وشدة لمعانه يضيء، ﴿ولو لم تمسسه نار نورٌ على نور﴾ أي: هذا الذي شُبِّه [به][(٢)] الحق نور متضاعف، بياضه فيه نور النار، والمصباح والزجاجة والمشكاة جامعة لهذا النور المضاعف مانعة من الانتشار الموجب للضعف.

﴿يهدي الله لنوره﴾ أي: لنوره المضيء في قلب المؤمن، ﴿من يشاء﴾ من عباده ممن وفقه لإصابة الحق.

﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: يبين الأشباه لهم تقريباً إلى أفهامهم وتسهيلاً لسبل الإدراك عليهم.

﴿والله بكل شيء عليم﴾ فهو أعلم[(٣)] حيث يضع نوره.

فصل

اختلف العلماء في هذا المثل والمُمَثَّل ومَنِ المعنِيُّ بالمشكاة والمصباح والزّجاجة؛ فقال ابن عمر: "المشكاة": جوف محمد ﷺ، و"الزجاجة": قلبه، و"المصباح": النور الذي جعل الله تعالى فيه، "لا شرقية ولا غربية": لا يهودي ولا نصراني، "توقد من

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠١-٢٦٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: يعلم.

شجرة مباركة": إبراهيم ﷺ، "نور على نور": جعل الله تعالى في قلب إبراهيم كما جعل في قلب محمد ﷺ(١).

قال كعب الأحبار: يكاد نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس، ولو لم يتكلم أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: "المشكاة": إبراهيم، و"الزجاجة": إسماعيل، و"المصباح": محمد صلوات(٣) الله عليهم أجمعين، "توقد من شجرة مباركة": وهي إبراهيم عليه السلام، "نور على نور": نبي من نسل نبي(٤).

وقال الضحاك: شبَّه عبد المطلب بالمِشْكَاة، وعبد الله بالزّجاجة، والنبي ﷺ بالمصْباح كان في صلبهما، فوَرَث النبوة من إبراهيم عليه السلام(٥).

وقال أكثر المفسرين: هذا مثلٌ للمؤمن، فـ"المشكاة": قلبه، و"الزجاجة": صدره، و"المصباح": هو الإيمان والقرآن، "توقد من شجرة مباركة": وهي الإخلاص، "لا شرقية ولا غربية": بل هي مسلّمة مما يوجب نقصاً فيها، كذلك المؤمن قد أُجير وحُرس من الفتن القادحة في نور إيمانه، فإن أُعطي شكر، وإن ابتُلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى ولو لم يأته

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣١٧ ح١٣٢٢٦)، والأوسط (٢/ ٢٣٥ ح١٨٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٨) وعزاه للطبراني وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ١٩٨-١٩٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) في ب: صلى.

(٤) انظر: زاد المسير (٦/ ٤٤)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٤٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤)، والقرطبي (١٢/ ٢٦٣).

العلم، فإذا أتاه العلم ازداد نوراً على نوره الذي جُبل عليه[١].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿في بيوت﴾ قال الزجاج[٢]: "في" صلة قوله: كمشكاة في بيوت.

ويجوز أن تكون متصلة بقوله: ﴿يسبح له فيها﴾، وفيها على هذا الوجه تكرير، كقولك: زيد في الدار جالس فيها.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني: المساجد[٣].

﴿أذن الله﴾ أي: أمر ﴿أن ترفع﴾.

قال الحسن: تُعَظَّم[٤].

وقال مجاهد وقتادة: تُبنى[٥]، كقوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤)، والبغوي (٣/ ٣٤٧).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢-٢٠٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٥)، ومجاهد (ص:٤٤٣). وذكره =

البيت﴾ [البقرة:١٢٧].

﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن عباس: يُتْلَى فيها كتابه[(١)].

والأظهر عمومه.

﴿يسبح له فيها﴾ يُصلَّى له فيها، ﴿بالغدو والآصال * رجال﴾.

اختلفت الرواية عن ابن عباس في صلاة الغدو؛ [فروى][(٢)] عنه ابن أبي طلحة: أنها صلاة الفجر[(٣)].

وروى [عنه][(٤)] ابن أبي مليكة أنه قال: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله وما يغوص عليها إلا غواص، ثم قرأ: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال﴾[(٥)].

واختلفوا في صلاة الآصال؛ فقال ابن السائب: صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء[(٦)].

وقال أبو سليمان: صلاة العصر[(٧)].

=

السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: فرى. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧).

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٧٣ ح٧٧٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٦)، وعزاه لابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الايمان.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧).

(٧) مثل السابق.

وقيل: هو التسبيح المعروف[١].

وقرأ ابن عامر وأبو بكر: "يُسَبَّحُ" بفتح الباء، على ما لم يُسمّ فاعله[٢].

ثم فسّر من [يُسبح][٣] فقال: ﴿رجال﴾ كأنه قيل: من يُسبِّحُ؟ فقال: رجالٌ، أي: يسبّح رجال.

فعلى هذا يَحسُن الوقف على "الآصال".

ويجوز أن يرتفع "رجالٌ" بالابتداء، والخبر "في بيوت"[٤].

فعلى هذا لا يجوز الوقف على الآصال.

﴿لا تلهيهم﴾ أي: لا تشغلهم ﴿تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ قيل: التجار الجلاّبون، يقال: تَجَرَ فلان في كذا؛ إذا جَلَبَه.

وقيل: التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح.

فإما أن يريد: لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة، ثم خصّ البيع؛ لأنه في الإلهاء أدْخَلُ من قِبَل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة ألهتْه ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني؛ لأن هذا يقين وذاك مظنون.

وإما أن يسمَّى الشراء تجارة؛ إطلاقاً لاسم الجنس على النوع، كما يقال: رُزق فلان تجارة رابحة؛ إذا اتجه له بيع صالح أو شراء.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠١)، والكشف (٢/ ١٣٩)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٥)، والسبعة (ص:٤٥٦).

(٣) في الأصل: فسر سبح. والتصويب من ب.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٥٦)، والدر المصون (٥/ ٢٢١).

قال ابن عباس في قوله: "عن ذكر الله" يريد: الصلوات الخمس[١].

وكان عمر رضي الله عنه في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال: فيهم نزلت: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[٢].

وقال أبو سليمان الدمشقي: "عن ذكر الله": باللسان[٣].

﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ سبق تفسيره.

فإن قيل: لم حذفوا التاء من إقام الصلاة، فإن أصلها: إقامة الصلاة؟

قلتُ: لأنها عوضٌ من العين الساقطة للإعْلال، وأصلها: إقوام، فلما أضيفت جعلوا الإضافة مقام حرف العِوَض فأُسقطت، ومثله:

إن الخليطَ أجَدُّوا البَيْنَ وانْجَرَدُوا   وأَخْلَفُوك عِدَ الأمْرِ الذي وَعَدُوا[٤]

أراد: عِدَةَ الأمر.

﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ جائز أن يراد بتقلُّبها: اضطرابها من الهول والفزع، فتبلغ القلوب الحناجر وتتقلب الأبصار إلى الزَّرَقِ بعد الكحل،

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم. كلهم بلفظ: ((الصلاة المكتوبة)).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٤٦) عن سالم بن عبدالله، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٠٧) عن ابن عمر. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٧-٢٠٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨).

(٤) البيت للفضل بن العباس بن عتبة اللهبي. وهو في: اللسان (مادة: غلب، وعد، خلط)، والطبري (١٨/ ١٤٧)، والقرطبي (١٢/ ٢٨٠)، وروح المعاني (١٠/ ١١١، ١٨/ ١٧٨).

والعَمَى بعد النظر.

وجائز أن يراد بذلك: تقلُّب أحوالها، فتفْقَهُ القلوب بعد أن كـان(١) مطبوعـاً عليها، وتُبْصِر الأبصار بعد أن كانت محجوبة.

وقيل: تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة، والخوف من الهـلاك، وتتقلـب الأبصار [فتنظُر](٢) من أين يُؤتون كتبهم وأيّ ناحية يُؤخذ بهم؟.

قوله تعالى: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ اللام متعلقة بـ "يـسبح" أو بـ "يخافون"(٣).

والمعنى: ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم.

﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿والله يرزق من يـشاء بغـير حساب﴾ مفسّر في البقرة(٤).

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

---

(١) في ب: كانت.

(٢) في الأصل: فينظرون. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٦)، والدر المصون (٥/ ٢٢١).

(٤) عند الآية رقم: ٢١٢.

ثم ضرب مثلاً لأعمال الكفار فقال: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ "الذين" مبتدأ "كفروا" صلة له، "أعمالهم" مبتدأ ثان، خبره "كسراب"، والجملة خبر الموصول.

والسراب: هو ما يُرى في الفَلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة على بُعدٍ، يتلألأ كأنه ماء[١].

قال ابن قتيبة[٢]: والآلُ: ما رأيتَه في أول النهار وآخره[٣]. والقِيعَة والقاع واحد.

وقال الزجاج[٤]: القِيعَة: جمع قاع، مثل: جَارٍ وجِيرَة، وهو ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، وفيه يكون السراب.

﴿يحسبه الظمآن﴾[٥] وهو العطشان الشديد العَطَش ﴿ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾. كذلك الكافر يُقدّم أعمالاً يعتقد نفعها عند الله، ثم يَخِيبُ في العاقبة أمله، ويرى خلاف ما حسب وقدّر.

﴿ووجد الله عنده فوفّاه حسابه﴾ أي: جزاء حسابه، أو موجب حسابه، ﴿والله سريع الحساب﴾ مُفسّر في البقرة عند قوله: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ [٢٠٢].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سرب).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: أول).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٧).

(٥) في الأصل زيادة قوله: ماء. وستأتي بعد.

قوله تعالى: ﴿أو كظلمات﴾ قال أكثر المفسرين: هذا المَثَل لأعمال الكفار أيضاً[١].

قال الزجاج[٢]: أعلم الله عز وجل أن أعمال الكفار إن مُثِّلَتْ بما يوجد فمَثَلُها كمَثَلِ السَّراب، وإن مُثِّلَتْ بما يُرَى فهو كهذه [الظلمات][٣] التي وَصَفَ.

وقيل: هذا مَثَلٌ لقلوب الكفار وتراكم الرَّينِ عليها.

﴿في بحر لجي﴾ عظيم اللُّجَّة.

قال ابن عباس والأكثرون: هو العميق الذي يبعد عُمْقُه[٤].

﴿يغشاه موج﴾ أي: يعلو ذلك البحر اللجي مَوْج، ﴿من فوقه﴾ أي: من فوق الموج ﴿موج﴾. والمعنى: أنه يتبع الموج موج، فهو لعظم هيجه واضطراب موجه كأنه فوقه، من فوق ذلك الموج ﴿سحاب﴾.

ثم ابتدأ فقال: ﴿ظلمات﴾ يعني: ظُلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الذي فوقه وظلمة السحاب.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء النحوي لابن كثير من رواية قنبل والشافعي عنه: "ظُلُماتٍ" بالجر، بدلاً من "ظلمات" الأولى.

وقرأتُ عليه له من رواية البزي وابن فليح: "سحابُ" بالرفع من غير تنوين،

---

(١) انظر: الطبري (١٨/ ١٥٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٨).

(٣) في الأصل: الظلما. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٢).

"ظلماتٍ" بالجر على الإضافة[١].

أضاف السحاب إلى الظلمات؛ لتكوّنها وظهورها عندها.

﴿إذا أخرج يده﴾ يعني: إذا أخرج الواقع في البحر اللجي الموصوف بهذه الأوصاف يده ﴿لم يكد يراها﴾.

وقيل: الضمير يعود إلى مضاف محذوف، تقديره: أو كذي ظلمات.

قوله تعالى: ﴿لم يكد يراها﴾ تأكيد لشدة الظلمة، ونفي لمقاربة الرؤية.

قال الحسن: لم يَراها ولم يقارب الرؤية[٢].

قال الفراء[٣]: لأن أقل من هذه الظلمات لا يرى فيه الناظر يده.

وقال المبرد[٤]: المعنى: لم يَرها إلا بعد الجهد.

قال الفراء[٥]: وهذا كما تقول العرب: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت. وهذا وجه العربية.

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ قال ابن عباس: دِيناً وإيماناً[٦]، ﴿فما له من نور﴾.

وزعم مقاتل[٧]: أن هذه الآية نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية، وكان يلتمس

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠١-٥٠٢)، والكشف (٢/ ١٣٩)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٥)، والسبعة (ص:٤٥٧).

(٢) ذكر الماوردي (٤/ ١١١) نحوه، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٥٥).

(٤) انظر قول المبرد في: زاد المسير (٦/ ٥٠).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٥٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥١).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢١). وفيه: أنها نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

=

الدين في الجاهلية، ولبس المسوح، ثم كَفَرَ بالإسلام لما بُعث محمد ﷺ.

فصل

قال بعض المفسرين: أراد بالظلمات: أعمال الكافر، وبالبحر اللُّجِّي: قلبه، وبالموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك، وبالسَّحاب: الختم والرَّين على قلبه[١].

وقيل: المراد بالظلمات: ظلمة الشرك وظلمة المعاصي[٢].

قال أبي بن كعب في هذه الآية: الكافر يتقلب في خمسةٍ من الظُّلَم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره في الظلمات يوم القيامة في النار[٣].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي: ألم تعلم بطريق الوحي إليك أو الإنزال[٤] عليك

= قال القرطبي (١٢/ ٢٨٦): وكلاهما مات كافراً، فلا يبعد أن يكونا هما المراد بالآية وغيرهما.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٤ ح٣٥١٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبري (١٨/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٤). وذكره السيوطي في الدر من حديث طويل (٦/ ١٩٧-١٩٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٤) في ب: والإنزال.

﴿أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ سبق تفسيره.

﴿والطير صافات﴾ عطف على موضع "مَنْ في السموات والأرض"[(١)]، تقديره: ويسبح له الطير صافات باسطات أجنحتها في الهواء.

ووجه اختصاصها بالذِّكْر من بين الأشياء؛ كونها بين الأرض والسماء.

﴿كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال أكثر المفسرين: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لما سواهم[(٢)].

والضمير في "عَلِمَ" لله، أي: كلٌ قد عَلِمَ الله صلاته وتسبيحه. وهذا اختيار الزجاج[(٣)].

وقيل: الضمير لـ"كل" على معنى: كلٌ قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه، وعرف ما قد كُلِّفَ من ذلك.

وقيل: المعنى: كلٌ قد عَلِمَ صلاة الله وتسبيحه.

﴿والله عليم بما يفعلون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ قال ابن السائب: يعني: خزائن المطر والرزق والنبات لا يملكها غيره[(٤)].

﴿وإلى الله المصير﴾ بعد الموت.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٥٨)، والدر المصون (٥/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧٣٨)، والطبري (١٨/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٦) كلهم عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن مجاهد.

(٣) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٤٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾: كالتي قبلها.

﴿أن الله يزجي سحاباً﴾ أي: يَسُوقه سَوْقاً رفيقاً، والسحاب يكون واحداً؛ كالعماء، ويكون جمعاً كالرّباب.

فإن قيل: إن كان واحداً فما وجه قوله: "بينه" فإنه لا يجوز أن يقول: زيدٌ المال بينه، حتى يقول: وبين عمرو؟

قلتُ: وجهه أن يقال معناه: ثم يؤلف ويضم بين أجزائه، كما في قول امرئ القيس:

.... بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ (١)

قوله تعالى: ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي: متراكماً بعضه فوقه بعض، ﴿فترى الودق يخرج﴾ وهو المطر ﴿من خلاله﴾ أي: من فوق(٢) السحاب ومخارجه، وهو جمع خَلَل، كَجَبَل وجبال.

---

(١) جزء من بيت لامرئ القيس، وأوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

انظر البيت في: ديوانه (ص:٨)، والمثل السائر (١/ ٢٣٧)، وخزانة الأدب (١/ ١٩)، وصبح الأعشى (٢/ ٣٠٧)، والقرطبي (١٧/ ١٦).

(٢) في ب: فتوق.

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "مِنْ خَلَلِه"[(١)].

﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ قال الزمخشري[(٢)]: "مِـن" الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثـة لبيـان الجـنس، أو الأولتـان للابتـداء، والثالثة للتبعيض.

ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها، وعلى الأولى مفعول "يُنزل": "مِنْ جبال"، أي: من بعض جبال.

وقال غيره: قوله تعالى: "فيها من برد" إن شئت كان التقدير: فيهـا شيء مـن برد، على قول سيبويه. وعلى قول الأخفش: فيها برد، فيكون "مِنْ" زائدة، ويكون موضع الجار [والمجرور][(٣)] رفعاً بالظرف.

ويجوز أن يكون "مِنْ بَرَد" تبييناً لـ"جبال"، التقدير: من جبال بَرَدٍ؛ لأن قولك جبال بَرَدٍ، وجبال من بَرَدٍ؛ كقولك: خَاتَمُ حديد، وخاتمٌ من حديد.

والمعنى على هذا: ينزل من السماء جبال برد.

ويجوز أن يكون قوله: "من جبال" بدلاً من "من السماء"، ويكون قوله: "مـن بَرَدٍ" مفعولاً، تقديره: وينزل من جبال في السماء برداً أو شيئاً من بَرَدٍ[(٤)].

قال ابن عباس: أخبر الله عز وجل أن في السماء جبالاً من بَرَدٍ[(٥)].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٥).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥١).

(٣) في الأصل: المجرور. والتصويب من ب.

(٤) انظر لما سبق: التبيان (٢/ ١٥٨)، والدر المصون (٥/ ٢٢٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٣).

﴿فيصيب به﴾ أي: بالبَرَد ﴿من يشاء﴾ فيضُرُّه في زرعه وثمره، ﴿ويصرفه عمّن يشاء﴾ فلا يضرّه.

﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: يقرُبُ ضوءُ بَرْقِ السحاب، ﴿يذهب بالأبصار﴾ أي: يخطفها لشدة لمعانه، ومثله: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [البقرة:٢٠].

وقرأت لأبي جعفر: "يُذهِبُ" بضم الياء وكسر الهاء[١]، فتكون الياء زائدة، تقديره: يُذهب الأبصار.

فإن قيل: ما وجه قراءة طلحة بن مصرف: "سناء برقه" بالمد[٢]، مع أن السناء هو الشرف؟

قلتُ: يجوز أن يكون المراد: المبالغة في صفاء ضوئه، فأطلق عليه لفظة الشَّرَف، كما تقول: هذا ضوء كريم.

وقد ذكرنا فيما مضى أن العرب توقع الكرم على كل مختار في جنسه[٣].

﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ قال المفسرون: يأتي بهذا ويذهَب بهذا[٤].

ويجوزّ عندي أن يكون المراد بتقلبهما: تغاير أحوال الخلق فيهما ما بين موت وحياة، وقبض وبسط، وعز وذل، وغير ذلك.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله ﷺ حاكياً عن ربه عز وجل أنه قال:

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٥)، والنشر (٢/ ٣٣٢).

(٢) انظر قراءة طلحة بن مصرف في: القرطبي (١٢/ ٢٩٠).

(٣) في سورة النور عند الآية رقم: ٢٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦١٩). وذكره الطبري (١٨/ ١٥٤-١٥٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢١٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

«يؤذيني ابن آدم يسُبُّ الدهر وأنا الدهر؛ بيدي الأمر، أقلّب الليل والنهار»[(١)].

أي: أنا الذي أقلب الليل والنهار بتصاريف أحوالهما الكائنة فيهما.

﴿إن في ذلك﴾ التقليب ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لدلالة لأرباب العقول على قدرة الله تعالى ووحدانيته وعظَمَته.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ قرأ حمزة والكسائي: "خالِقُ" بالألف وكسر اللام ورفع القاف، على اسم الفاعل، "كُلِّ" بالجر على الإضافة، كقوله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الرعد:١٦]، وقرأ الباقون: "خَلَقَ كلَّ" على صيغة الفعل الماضي[(٢)]، ونصبوا كلاً؛ لأنه مفعول "خَلَقَ"، وهذا كقوله: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض﴾ [إبراهيم:١٩]، وقوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ [الأنعام:١٠١]. والمعنى: كل دابة من الحيوان المشاهَد، فيخرج من ذلك الملائكة والجن، "مِنْ مَاء" يعني: النطفة.

ثم غَلَّبَ من يعقل فقال: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾؛ كالحيات والحيتان، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كابن آدم، ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالأنعام

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٥ ح٤٥٤٩)، ومسلم (٤/ ١٧٦٢ ح٢٢٤٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٣-٥٠٤)، والكشف (٢/ ١٤٠)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٧).

والبهائم. فانظر إلى هذا الترتيب البديع الدَّال على العلم والحكمة، كيف بدأ أولاً بما هو أدل على القدرة الإلهية، وأعجب في إتقان الحكمة، وهو الماشي بغير آلة مشاهدة، ثم بالماشي على رجلين، ثم بالماشي على أربع.

فإن قيل: لم سمي الزحف على البطن مَشْياً؟

قلت: على وجه الاستعارة، كقولهم: فلان لا يتمشّى له أمر، وقولهم للشيء المستمر: ماشٍ. وهذا معنى قول الزجاج[1].

قال أبو عبيدة[2]: جاز ذلك لكون الزاحف على بطنه خُلط بالماشي على قوائمه، فصار مثل قولهم: أكلتُ خُبْزاً ولَبَناً، ولا يقال: أكلت لبناً.

﴿يخلق الله ما يشاء﴾ من هذه الأنواع وغيرها، ﴿إن الله على كل شيء﴾ يعني: على إنشاء كل شيء من هذه الأشياء وغيرها ﴿قدير﴾.

لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

(١) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٥٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٦٨).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ ﴿٥٢﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾.

قال المفسرون: نزلت في رجلٍ من المنافقين يقال له: بِشْر، وكان بينه وبين يهودي حُكومة، فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافق: إن محمداً يحيف علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرف، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[1].

﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أي: من بعد قولهم: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا.

﴿وما أولئك﴾ الذين هذا شأنهم ﴿بالمؤمنين﴾.

﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ أي: إلى كتاب الله ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ الرسول.

وقال بعض أهل المعاني[2]: معنى: "إلى الله ورسوله": إلى رسول الله، كقولك: أعجبني زيد وكَرَمُه، يريد: كرم زيد، ومنه قول الشاعر:

ومَنْهَلٍ منَ الفَلا في أوسَطِهِ غَلَّسْتُهُ قَبْلَ القَطَا وفُرَّطِه[3]

أراد: قبل فرط القطا.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١١٥)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٧)، وزاد المسير (٦/ ٥٤).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٣) البيت من شواهد الكشاف (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٥/ ٢٢٨)، ومجالس ثعلب (ص:٣١٣)، والبحر (٦/ ٤٢٩).

قوله تعالى: ﴿مذعنين﴾ قال الزجاج[(١)]: الإذْعَان: الإسراعُ مع الطاعة.

قال الزمخشري[(٢)]: "إليه" صلة "يأتوا"؛ لأن ["أتى" و"جاء" قد جاءا][(٣)] مُعَدَّيَيْن بـ"إلى"، أو يتصل بـ"مذعنين"؛ لأنه في معنى: مسرعين في الطاعة.

وما أوضح الدليل في هذه القصة على اعتصام النبي ﷺ بالعدل البَحْتِ، ودورانه مع مُرِّ الحق، حيث استوى عنده فيه من يصافيه ومن ينافيه[(٤)].

﴿أفي قلوبهم مرض﴾ كفر ونفاق ﴿أم ارتابوا﴾ فيما جئتَ به من البيان الواضح، ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في القضاء.

وهذا الاستفهام في معنى التوبيخ مبالغة في ذمهم.

ثم أضرب عن خوف الحَيْفِ فقال: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي: لا يخافون حَيْفَه لعلمهم بعدله في قضائه، وإنما هم الموصوفون بالظلم المعروفون به، حيث صدفوا عن أحكامك المُضِيَّة وأقضيتك المرضِيَّة، أو هم الظالمون بالكفر والفسق والكذب وجحد الحقوق.

قوله تعالى: ﴿إنما كان قولَ المؤمنين﴾ قال الفراء[(٥)]: ليس هذا بخبر ماض، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين ﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله﴾.

وقرأ الحسن: "قولُ" بالرفع. والقراءة المشهورة أولى؛ لأنه إذا ولي كان

(١) معاني الزجاج (٤/ ٥٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥٣).

(٣) في الأصل: أتى وجاءا. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في ب: يصافيه وينافيه. قال القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٩٤): في هذه الآية دليل على وجوب إجاعة الداعي إلى الحاكم.

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٥٨).

اسمان[1]، فأولاهما بالاسمية أَوْغَلُهُما في التعريف، و"أن يقولوا" أَوْغَلُ من "قـول المؤمنين"؛ لأنه لا يتطرق التنكير إليه. هذا معنى قول الزمخشري[2].

﴿لِيَحْكُمَ بينهم﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: "لِيُحْكَمَ" بضم الياء وفتح الكاف، على ما لم يُسَمَّ فاعله[3].

﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، سواء كان الحق لهم أو عليهم.

﴿وأولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفة ﴿هم المفلحون﴾.

﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: فيما سَاءَه وسَرَّه[4].

وقال أيضاً: ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ﴿ويخش الله﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ويتقه﴾ فيما يستقبل، ﴿فأولئك هم الفائزون﴾[5].

قرأ الأكثرون: "ويتَّقْهِي" بكسر الهاء وصلتها بياء. وقرأ أبو جعفر وقالون عن نافع: بكسر الهاء من غير أن يبلغ بها ياء. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر: بسكون الهاء. وقرأ حفص بسكون القاف وكسر الهاء[6].

---

(١) كذا في الأصل و ب، ولعل الصواب: لأنه إذا كان اسمان، بحذف كلمة: ولي. وعبارة الكشاف: لأن أولى الاسمين بكونه اسماً لكان أوغلهما في التعريف.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥٤).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٦)، والنشر (٢/ ٢٢٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٥).

(٥) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٥٣) بلا نسبة.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٣)، والكشف (٢/ ١٤٠)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٧-٤٥٨).

فمن وصلها بياء فلحركة ما قبل الهاء.

قال أبو علي[١]: والوجه؛ لأن ما قبل الهاء مُتحركٌ، وحكمها إذا تحرك ما قبلها بالكسر أن تتبعها الياء في الوصل.

ومن قرأ بكسر الهاء فوجهه: أن الحركة ليست تلزم ما قبل الهاء، ألا ترى الفعل إذا رفع دخله الياء، وإذا دخلت الياء اختير حذف الياء بعد الهاء في الوصل، مثل: عليه وفيه.

ومن قرأ: "يتقْهِ" بسكون القاف وكسر الهاء؛ فقال ابن الأنباري: هي لغة من يقول: لم أرْ زيداً ولم أشترْ طعاماً، يسقطون الياء للجزم، ثم يُسكِّنُون الحرف الذي قبلها، ومنه قول الشاعر:

قالت سُليمَى اشترْ لنا دقيقاً[٢]

۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

(١) الحجة (٣/ ٢٠٣).

(٢) الرجز للعذافر الكندي، وهو في شرح المفصل (١١/ ١٩٤): قالت سليمى اشتر لنا دقيقاً وهات خبز البُرّ أو سَويقا. وانظر: شرح شواهد الإيضاح (ص:٢٥٨)، وشرح شواهد الشافية (ص:٢٠٤، ٢٠٥)، وتاج العروس (١٥/ ٤٣٨)، والحجة للفارسي (١/ ٦٣، ٢٥٢)، وبلا نسبة في: الأشباه والنظائر (١/ ٦٦)، وجمهرة اللغة (ص:١٣٢٧)، والخصائص (٢/ ٢٤٠، ٣/ ٩٦)، وشرح شافية ابن الحاجب (٢/ ٢٩٨)، والمحتسب (١/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ قال المفسرون: لما بيّن الله تعالى كراهتهم لحكم الرسول قالوا للنبي ﷺ: والله لو أمرتنا بالجهاد والخروج من ديارنا لخرجنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

وعند قوله: ﴿قل لا تقسموا﴾؛ تمَّ الكلام.

﴿طاعة معروفة﴾ قال الزجاج[٢]: تأويله: طاعة معروفة أفضل وأحسن من قَسَمِكُم بما لا تُصَدَّقُون فيه، فحذف خبر الابتداء للعلم به.

وقال غيره: يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: أمرُكُم والذي يُطلب منكم طاعة معروفة[٣].

﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ من صالح وطالح، وعليه مجاز.

ثم أمرهم الله تعالى بالطاعة فقال: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا﴾: هذا خطاب لهم. المعنى: فإن تتولوا، فحذف إحدى التاءين.

﴿فإنما عليه ما حمّل﴾ أي: ليس على الرسول ﷺ إلا ما حمّله الله والقيام بأعباء الرسالة، وأداء ما استودعه من تبليغها، وقد فعل ذلك فلا ضرر عليه، ﴿وعليكم ما حمّلتم﴾ أي: ما كُلِّفْتُم من الإيمان والطاعة.

﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ تُوَفَّقُوا لإصابة الحق.

قال بعض السلف: من أمَّرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوه

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٥١).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٥٨-١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣٠).

تهتدوا﴾[١].

﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ سبق الكلام عليه فيما مضى.

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ أخرج الحاكم في صحيحه من حديث أبي بن كعب قال: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتْهُم العرب عن قوسٍ واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمَتِهم. فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل، فنزلت هذه الآية»[٢].

قال أبو العالية: لما أظهر الله عز وجل رسوله ﷺ على قُرَى العرب وضعوا السلاح وأمِنُوا، ثم قبض الله تعالى نبيه ﷺ، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه، وكفروا النعمة -يعني:

(١) ذكره ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٥٧)، والآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٢٢٩)، ونسبه لأبي عثمان.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٥ ح٣٥١٢). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٨-٣٣٩).

بقتل عثمان- فأدخل الله تعالى عليهم الخوف، فغيَّروا فغيَّر الله تعالى ما بهم[(١)].

ومعنى: "ليستخلفنهم في الأرض": ليجعلنهم يخلفون مَنْ قَبلهم، واللام جواب قسم محذوف.

﴿كما استَخْلَفَ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: "استُخْلِفَ" على ما لم يُسَمَّ فاعله[(٢)].

والمعنى: كما استخلَف بني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة.

﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾: وهو دين الإسلام.

قال ابن عباس: يُوَسِّع لهم في البلاد حتى يملكوها، [ويُظْهر][(٣)] دينهم على جميع الأديان[(٤)].

﴿وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ قرأتُ على الشيخ [أبي][(٥)] عبدالله محمد بن داود بن عثمان الدرنبدي الصوفي خادم الخليل عليه السلام بمسجد الخليل صلوات الله عليه، أخبركم الحافظ أبو [طاهر][(٦)] السلفي فأقرّ به، أخبرنا أبو

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٥٩-١٦٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٢٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٤)، والكشف (٢/ ١٤٢)، والنشر (٢/ ٣٣٢)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٨).

(٣) في الأصل: ويظهروا. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٧).

(٥) زيادة على الأصل. وسيأتي ذكره في سورة القيامة.

(٦) في الأصل: الطاهر. والمثبت من ب.

عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي بأصبهان، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي النيسابوري، أخبرنا عبدالله بن إسحاق الخراساني ببغداد، حدثنا أبو سعيد عبدالرحمن -يعني: ابن محمد بن منصور- حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس، عن خباب قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو [مُتوسِّدٌ][(١)] بُردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستغفر الله لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: قد كان [من كان][(٢)] قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ويُجاء بالمنشار[(٣)] فيوضع على رأسه فينشر باثنين، فما يصدُّه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون »[(٤)]. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن محمد[(٥)]، [عن][(٦)] يحيى بن سعيد، فكأنني سمعته في طريقه من أبي الوقت.

وهكذا جاء في هذا الطريق: "ألا تستغفر الله لنا"، والمحفوظ: "ألا تستنصر الله لنا".

قوله تعالى: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ كلام مستأنف أثنى الله به

(١) في الأصل: متوسداً. والتصويب من ب، وصحيح البخاري (٣/ ١٣٢٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: بالميشار.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢٢ ح٣٤١٦).

(٥) هو محمد بن المثنى.

(٦) في الأصل: بن. والتصويب من ب، والصحيح.

عليهم، لا محل له من الإعراب. كأن قائلاً قال لهم: يستخلفون ويؤمنون فقال: يعبدونني.

ويجوز أن يكون في محل الحال "من وعدهم"[١]، أي: وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم.

قوله تعالى: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة: قَتَلَةُ عثمان رضي الله عنه. فلما قتلوه غيّر الله تعالى ما بهم وأدخل عليهم الخوف، حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً متحابّين[٢].

فصل

وهذه الآية من جملة الدلائل الواضحة على صحة القول بخلافة الصدّيق وعمر وعثمان، وهي من الآيات الهوادم لمذهب الرافضة، ولكنهم من الذين حقَّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين كفروا﴾ قرأ ابن عامر وحمزة: "لا يحسبنّ" بالياء، على معنى: لا يحسبن محمد الذين كفروا ﴿معجزين﴾، فحذف المفعول الأول.

وقرأ الباقون بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ[٣].

المعنى: لا تحسبن كفار مكة يعجزوننا ويفُوتُوننا هَرَباً.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٥٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٥)، والكشف (٢/ ١٤٢)، والنشر (٢/ ٢٧٧)، والإتحاف (ص:٣٢٦).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ السبب في نزول هذه الآية: ((أن رسول الله ﷺ وجّه غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فرأى عمر على حالٍ كَرِهَ عمر أن يُرى عليها، فقال عمر: يا رسول الله! وددت أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآية))[1].

والمعنى: ليستأذنكم في الدخول عليكم الذين ملكت أيمانكم من العبيد والإماء.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ١٢٠)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٩)، وزاد المسير (٦/ ٦٠).

قال عطاء: ذلك على كل كبير وصغير[١].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله: الأظهر أن يكون المراد: "العبيد": الصغار و"الإماء": الصغار؛ لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين[٢]؟.

﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ أي: من أحراركم من الرجال والنساء ﴿ثلاث مرات﴾ يريد: في اليوم والليلة.

ثم بيّنها فقال: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة، ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ لأنه مظنة حَلّ الأُزُر ووقت وضع الثياب للقائلة، ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لأنه وقت التجرد من الثياب المعدة لليقظة، والدخول في ثياب النوم، وإيواء الرجل إلى زوجته.

﴿ثلاث عورات لكم﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "ثلاثَ" بالنصب، بدلاً من "ثلاث مرات". وقرأ الباقون بالرفع[٣]، على معنى: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم.

وسُمّيت هذه الأوقات عورات؛ لأنها مظنة ظهور العورة فيها.

وأصل العورة: الخَلَل، ومنه: أعْوَرَ المكان، وأعْوَرَ الفارس. والأعور: المختلُّ

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٥)، والكشف (٢/ ١٤٣)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٦)، والسبعة (ص:٤٥٩).

العَيْن[١]، فسميت هذه عورات؛ لاختلال تَسَتُّرِ الناس وقلّة تحفُّظِهم فيها.

ثم عذَرَهم في ترك الاستئذان فيما عدا هذه الأوقات الثلاث فقال: ﴿ليس عليكم﴾ أيها المؤمنون الأحرار ﴿ولا عليهم جناح﴾ إثم ولا حرج ﴿بعدهن﴾ أي: بعد مُضِيِّ الأوقات الثلاث في ترك الاستئذان، وهذا تمام الكلام.

ثم قال: ﴿طوافون عليكم﴾ أي: هم طَوَّافون عليكم للخدْمة، أو أنتم طوافون، ﴿بعضكم﴾ بدل من الضمير الذي في "طوّافُون"[٢]، أي: يطوف بعضكم ﴿على بعض﴾، وهذا خارج مخرج التعليل لجواب ترك الاستئذان؛ لأن البعضية تُوجبُ المخالطة والتَّطْواف.

﴿كذلك يبين الله﴾ أي: مثل هذا البيان الواضح يبين الله ﴿لكم الآيات والله عليم﴾ بما يُصلحكم، فاتبعوا أمره وأطيعوه، ﴿حكيم﴾ فارْعَوُوا عما نهاكم عنه واجتنبوه.

فصل

ذهب أكثر العلماء إلى القول بإحكام هذه الآية، قيل للشعبي: أمنسوخة هي؟ قال: لا والله ما نُسخت؟ قلت: إن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان[٣].

وقال سعيد بن جبير: والله ما نُسخت، ولكنها مما يتهاونُ به الناس[٤].

---

(١) انظر: اللسان (مادة، عور).

(٢) التبيان (٢/ ١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٤٤)، والطبري (١٨/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١٨) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢١٨) وعزاه لعبد بن حميد.

وروي عن سعيد بن المسيب: أنها منسوخة بالآية التي بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾[(١)].

والأول أصح؛ [لأن معنى هذه][(٢)] الآية: "وإذا بلغ الأطفال منكم" أي: من الأحرار "الحلم فليستأذنوا" أي: في جميع الأوقات، ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: الرجال الكبار الأحرار الذين من قبلهم في الوجود أو في بلوغ الحلم، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ [النور:٢٧]، ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء﴾ وهُنَّ العُجز، وهو جمع قاعِد بغير هاء، سميت بذلك؛ لقُعودها عن الحيض والولد.

قال ابن قتيبة[(٣)]: حذفت الهاء ليدل على أنه قعودُ كِبَر، كما قالوا: "امرأة [حامل][(٤)]" ليدلوا بحذف الهاء على أنه حَمْلُ حَبَلٍ. وقالوا في غير ذلك: امرأة قاعدةٌ في بيتها، وحاملةٌ على ظهرها.

وقال الزجاج[(٥)]: القاعدة: التي قعدت عن الزوج[(٦)]، وهو معنى قوله: ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي: لا يَطْمَعْنَ فيه.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٣٤-١٣٥)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٤٨).

(٢) في الأصل: لأن المعنى في هذه. والمثبت من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٠٨).

(٤) في الأصل: حال. والتصويب من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٥٣).

(٦) في معاني الزجاج: الزواج.

﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ يعني: الثياب الظاهرة؛ كالملْحَفَة والجِلْباب، ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أي: غير [مُظْهِرَاتٍ][1] زينتهن الخفيَّة، ولا قاصدات بالوضع ذلك.

وأصل التبرج وحقيقته: تكلُّفُ إظهار ما يجب إخفاؤه، من قولهم: سفينةٌ بارجٌ لا غطاء عليها، والبَرَجُ: سعة العين يرى بياضها محيطاً بسوادها[2].

﴿وأن يستعففن﴾ فلا يضعن ثيابهن الظاهرة ﴿خير لهن﴾ أزكى وأفضل؛ لما فيه من المبالغة في التستر، ﴿والله سميع عليم﴾.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ قال ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

(١) في الأصل: مظهارات. والتصويب من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: برج).

بينكم بالباطل﴾ [النساء:٢٩] تحرّج المسلمون عن مُؤاكلة المرضى والعُمْي، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام، والأعرج والزَّمِن[١] لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت هذه الآية[٢].

فعلى هذا يكون المعنى: ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج.

وقال سعيد بن المسيب: كانوا -يعني: أصحاب النبي ﷺ- إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرونهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا، فكانوا يَتَّقُون أن يأكلوا منها ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فنزلت هذه الآية رُخصةً لهم[٣].

وقال مجاهد: كان قوم من أصحاب النبي ﷺ إذا لم يكن عندهم ما يُطعمون المريض والزَّمِن ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وبعض من سَمَّى الله عز وجل في هذه الآية، فتحرّج أهل الزَّمَانَة من ذلك وقالوا: إنما يذهبون بنا إلى غير بيوتهم[٤].

---

(١) الزّمِن: يقال: رجل زَمِن أي: مبتلًى بَيِّنُ الزَّمَانَة، وهي العاهة (اللسان، مادة: زمن).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٨). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٣٩-٣٤٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٩)، وأسباب النزول (ص:٣٤٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٢٧٥)، والطبري (١٨/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٥). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٣-٢٢٤) وعزاه =

وقال الحسن البصري: نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزّمانة المذكورين في الآية[1].

فعلى هذا تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ولا على المريض حرج﴾.

ثم ابتدأ كلاماً آخر لا تعلق له بالأول إلا فيما وقع فيه الاشتراك من نفي الحرج فقال: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي: من أموال عيالكم وأزواجكم.

وقيل: الخِطَاب للخَدَم والأولاد والزوجة ومن يشتمل عليه مَنزلُ الرَّجُل، أذنَ الله لهم في الأكل من مال صاحب البيت.

ونَسَبَ البيوت إليهم؛ لاختصاصهم بها.

وقيل: أراد: أن تأكلوا من بيوت أولادكم، فَنَسَبَ إلى الآباء؛ لأن الولد وماله لأبيه، كما قال النبي ﷺ: «أحَلُّ ما أكَلَ الرجل من كَسْبه، وإن ولده من كَسْبه»[2].

فإن قيل: هلاَّ ذكر الأولاد؟

قلتُ: إن لم يكن المراد بقوله: ﴿من بيوتكم﴾ بيوت الأولاد، أو يكون الكلام متضمناً لهم، [وإلا][3] فالإذن في الأكل من بيوت من عَدَّدَ من القرابة في الآية مع بُعْدِهِم إذنٌ في جواز الأكل من بيوت الأولاد مع قُربهم بطريق الأولى.

قوله تعالى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ يعني: خزائنه، وقد سبق ذكر المفاتح في

= لعبدالرزاق وابن أبي شيبة وإبراهيم وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٨٨ ح٣٥٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٧٢٣ ح٢١٣٧).

(٣) زيادة من ب.

الأنعام(١).

قال ابن عباس: هو وكيل الرجل وقَيِّمُه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه، ويشرب من لبن ماشيته(٢).

فعلى هذا؛ المراد بملك المفاتح: كونها في يده وحفظه وتحت تصرفه.

ويؤيد هذا المعنى قراءة سعيد بن جبير: "مُلِّكْتُم" بضم الميم وكسر اللام وتشديدها(٣).

وقال الضحاك: يعني: بيوت عبيدكم(٤)؛ لأن بيت العبد لمولاه.

وقرأ أنس بن مالك وقتادة: "مِفْتَاحَه"(٥)، واحد المفاتيح التي تُفْتَحُ بها الأغلاق.

﴿أو صديقكم﴾ الصَّدِيق يكون واحداً ويكون جَمْعاً، وكذلك الخليطُ والقَطِين، والتقدير: أو بيوت أصدقائكم.

وكان الحسن وقتادة يَرَيَان الأكل من طعام الصديق بغير إذنه جائزاً(٦).

ويروى: أن الحسن دخل يوماً إلى داره، فرأى حَلْقَةً من أصدقائه يأكلون من طعامه، فتهلّل وجهه سروراً بهم، وضحك وقال: هكذا وجدناهم -يعني: خير

---

(١) آية رقم: ٥٩.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٣٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٥).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٣٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٦).

الأمة وأشرف الناس همّة أكابر أصحاب رسول الله ﷺ-[١].

وكانوا يتعاشرون بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، حتى أن سعد بن الربيع الأنصاري قال لأخيه في الله وصديقه عبدالرحمن بن عوف: اختر إحدى زوجتيّ حتى أنزل لك عنها، وخذ شَطْرَ مالي، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، [دلّوني][٢] على السوق[٣].

وحسْبُك بالصديق منزلة وحُرْمة: أن جعله الله تعالى بمنزلة النفس والأب والأم والأخ والعم والأقارب.

وقال ابن عباس: الصديق أكثر من الوالدين، فإن الجهنّميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات وإنما قالوا: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾[٤] [الشعراء:١٠٠-١٠١].

وما أحسن ما قال بعضهم وقد قيل له: أيما أحب إليك صديقك أو أخوك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقي[٥].

قال قتادة وأكثر المفسرين: كان الرجل من بني ليث -حي من كنانة- يتحرَّج أن يأكل وحده، فربما قعد والطعام بين يديه ينتظر من يؤاكله نهاره إلى الليل، فإن لم يجد أَكَلَ ضرورة، فأنزل الله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو

(١) ذكره الآلوسي في روح المعاني (١٨/ ٢٢٠).

(٢) في الأصل: ودلوني. والتصويب من ب، وصحيح البخاري (٢/ ٧٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٢٢ ح١٩٤٤).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ١٢٤).

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٣١٦).

أشتاتاً﴾[1].

وقال عكرمة: كان قوم من الأنصار إذا نزل عليهم ضيف لم يأكلوا إلا معه، فنزلت هذه الآية[2].

وهذه كانت شيمة الكرماء من العرب. قال:

يا ابنةَ عبدالله وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُرْدَين والفَرس الوَرْد
إذا ما صنعتِ الزّاد فالتمسي له ... أكِيلاً فإني لستُ آكُلُهُ وحْدِي
أخاً طَارقاً أو جَارَ بيتٍ فإنني ... أخافُ مَلامَاتِ الأحاديث من بعدي
وإني لعبدُ الضيفِ من غير ذلّة ... وما فيَّ إلا تلك منْ شِيَم العَبْد[3]

ومعنى الآية: ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين.

والأشتات: جمع شَتَت.

﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾ من هذه البيوت وغيرها، ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: على أهل دينكم، وليسلم بعضكم على بعض.

قال قتادة: إذا دخلت إلى بيتك فسلِّم على أهلك، فهم أحق من سلّمت عليه،

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٩). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٤١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وأبي صالح.

(٣) الأبيات لحاتم الطائي. انظر: ديوان الحماسة (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، والأغاني (١٤/ ٧٣) ونسبه لقيس بن عاصم.

وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، حُدِّثنا أن الملائكة تردُّ عليه[(١)].

﴿تحية﴾ ثابتة ومشروعة ﴿من عند الله﴾.

قال الزجاج[(٢)]: "تحية" منصوبة على المصدر؛ لأن قوله: "فسلِّمُوا" يعني: فحيُّوا تحية من عند الله.

﴿مباركة﴾ [بالأجر][(٣)] والثواب، ﴿طيبة﴾ حسنة جميلة.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي: مثل هذا التفصيل والبيان يفصل لكم معالم دينكم، ﴿لعلكم تعقلون﴾ أوامره ونواهيه وآدابه.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ أي: على أمر من أمور الطاعة يجتمع له الناس؛ كالجمعة والعيد والجهاد، أو خطب جليل يفتقر انتظام المصلحة فيه إلى انضمام العلماء وذوي الرأي للمشورة وإرهاب العدو، ﴿لم يذهبوا حتى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٥٥).

(٣) في الأصل: الأجر. والتصويب من ب.

يستأذنوه﴾.

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا رقى المنبر يوم الجمعة وأراد رجل أن يخرج لحاجة، قام حيال رسول الله ﷺ ليأذن له إذا رآه، فكان يأذن لمن شاء منهم[1].

وقيل: نزلت في حفر الخندق، وكان قوم يتسللون بغير إذنه[2].

ثم زاد الله تعالى ذلك توكيداً بقوله: ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ على حسب ما تقتضيه أغراضك السليمة وآراؤك المستقيمة.

ثم أمره بالاستغفار لهم تعريضاً لهم بالمنع عن طلب الإذن إلا لأمر لا بد لهم منه، وجبراً لما فاتهم من جواهر أنفاسه النفيسة فقال: ﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾.

لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ فتجعلوا رجوعكم عن مجمعه بغير إذن كغيره من المجامع.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٧-٦٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

وقال ابن عباس: معناه: احذروا دعاء رسول الله عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجِب، ليس كدعاء غيره[١].

وقال مجاهد وقتادة: المعنى: لا تدْعُوه كما يدعوا بعضكم بعضاً: يا محمد، ولكن فخّموه وشرفوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لِين وتواضع[٢].

وقرأ الحسن: "لا تجعلوا دعاء الرسول نبيّكم"[٣]، أبدل "النبي" من "الرسول".

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ قال الزمخشري[٤]: أدخل "قد" ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة [عن الدين والنفاق][٥]، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أن "قد" إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى: "ربما" فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله:

فإنْ يُمْسِ مَهجُور الفِناءِ فربما ... أقامَ به بعدَ الوُفُود وفُود[٦]

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥). وذكره الماوردي (٤/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٨). وبنحوه ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بلفظ الطبري، وابن أبي حاتم. وهذا القول هو اختيار الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥)، ومجاهد (ص:٤٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٦٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) البيت لأبي عطاء السندي يرثي ابن هبيرة. انظر: أمالي القالي (١/ ٢٧٢)، والخزانة (٩/ ٥٣٩)، والدر المصون (٥/ ٢٣٩)، والبحر المحيط (٦/ ٤٣٧)، والنظائر للسيوطي في النحو (٢/ ٨٣)، =

ونحوه قول زهير:

أَخِي ثِقَةٍ لا تُهْلِكِ الخَمْرَ مالَه ولكنه قد تُهْلِكُ المالَ نائلُه[١]

والتَّسلُّل: الخروج في خفية[٢].

واللواذ: الملاوَذة، وهو أن يَلُوذ الواحد منهم بغيره ليستتر به عند تسلله[٣].

ونصبها على الحال[٤]، أي: يتسللون مُلاوذين.

قال المفسرون: كان المنافقون تثقل عليهم خطبة رسول الله ﷺ؛ لما تشتمل عليه من الطعن عليهم وذكر مثالبهم وما أعدّ لهم من العذاب، فإذا أمكنت الواحد منهم الفرصة والخروج في خفية فَعَل[٥].

﴿فليحذر الذي يخالفون عن أمره﴾ قال مجاهد[٦]: عن أمر الله[٧].

وقال قتادة: عن أمر الرسول ﷺ[٨].

قال الأخفش: "عن" زائدة.

= واللسان (مادة: عهد).

(١) البيت لزهير، وهو في: الدر المصون (٥/ ٢٣٩)، والبحر (٦/ ٤٣٧)، وروح المعاني (١٨/ ٢٢٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سلل).

(٣) انظر: اللسان (مادة: لوذ).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٦٠)، والدر المصون (٥/ ٢٣٨).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ١٢٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

(٦) في الأصل زيادة قوله: قال.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

(٨) ذكره الماوردي (٤/ ١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٦٩).

وقال غيره: المعنى: يعرضون عن أمر دينه وطاعته.

﴿أن تصيبهم فتنة﴾ كفر وضلالة.

وقال مجاهد: بلاء في الدنيا[١].

وقال جعفر بن محمد: سلطان جائر يُسلّط عليهم[٢].

﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

وقيل: القتل في الدنيا.

وقيل: زلازل وأهوال.

ثم عظّم سبحانه وتعالى نفسه فقال: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ يعني: خَلْقاً ومُلْكاً وعِلْماً، فكيف يخفى عليه تسلّلهم وأحوالهم.

﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ من الإيمان والنفاق وغيرهما، ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعني: القيامة، ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الخير والشر ويجازيهم عليه، ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٢).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ٣٢٣).

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي سبع وسبعون آية، وهي مكية[1].

واستثنى بعضهم منها ثلاث آيات من قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿غفوراً رحيماً﴾ فقالوا: نزلت بالمدينة[2].

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

قوله تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ "الفرقان": القرآن، وهو مصدر فَرَقَ بين الشيئين؛ إذا فَصَلَ بينهما[3]، فسُمِّي بذلك؛ لأنه فَرَّق بين الحق والباطل.

وقرأ ابن الزبير: «على عباده»، وهي قراءة صحيحة[4].

---

(١) البيان في عد آي القرآن (ص:١٩٤).

(٢) الماوردي (٤/ ١٣٠)، والبحر المحيط (٦/ ٤٣٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: فرق).

(٤) انظر قراءة ابن الزبير هذه في: البحر المحيط (٦/ ٤٤٠).

المعنى: لأن الفرقان وإن كان منزلاً على محمد ﷺ وحده، لكنه منزل على العباد باعتبار أنه نُزِّل عليهم لمصالحهم، كما قال: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ [الأنبياء:١٠].

﴿ليكون﴾ يعني: محمداً ﷺ.

وقيل: القرآن.

والأول أظهر، والقائلون به أكثر.

﴿للعالمين﴾ الجن والإنس ﴿نذيراً﴾ منذراً مخوفاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ جائز أن يكون في محل الرفع على البدل من ﴿الذي نزَّل﴾، وجائز أن يكون في محل النصب على المدح[١]، ولا يقال على وجه الرفع فُصِلَ بين البدل والمبدل منه؛ لأنا نقول: لم نفصل[٢] بينهما؛ لأن المبدل منه صلته "نزَّلَ".

وقوله: «ليكون» تعليل له، وكأن المبدل منه لم يتم إلا به.

﴿ولم يتخذ ولداً﴾ كما زعم أهل الكتابين والمشركون، ﴿ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء﴾ أحدثه وأوجده، ﴿فقدَّره تقديراً﴾ أي: هَيّأه وسَوّاه لما يصلح له.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: فقدَّر له تقديراً من الأجل والرزق[٣].

ثم ذكر ما صنعه المشركون بعد أن أنار لهم براهين وحدانيته وعظيم سلطانه

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٦٠)، والدر المصون (٥/ ٢٤١).

(٢) في ب: يفصل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٢) بلا نسبة.

فقال: ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ يعني: الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي: دفع ضر عنها ولا جلب نفع إليها.

﴿ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾ أي: لا تميت أحداً ولا تحييه ولا تنشره بعد موته.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى القرآن؛ ﴿إلا إفك افتراه﴾ كذبٌ اختلقه محمد، ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾.

قال مقاتل وغيره[1]: أشاروا إلى عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار، وجبر مولى عامر بن الحضرمي، وكانوا من أهل الكتاب.

وهذا عامر بن الحضرمي[2] أول قتيل قُتِلَ يوم بدر كافراً، وأخوه عمرو بن الحضرمي أول قتيل قتله مسلم، وكان ماله أول مال خُمِّس، قتل يوم نخلة، وهما أخوا العلاء بن الحضرمي[3] رضي الله عنه، وأختهم الصعبة بنت الحضرمي،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٠). وانظر: الوسيط (٣/ ٣٣٤)، وزاد المسير (٦/ ٧٢-٧٣).

(٢) انظر ترجمته في: الإصابة (٣/ ٥٧٩)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٥٩) في ترجمة أخيه العلاء.

(٣) انظر: ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٩).

كانت تحت أبي سفيان بن حرب وطلّقها، وخلف عليها [عبيد الله][(١)] بن عثمان التيمي، فولدت له طلحة بن عبيدالله. قال ذلك كله ابن الكلبي.

ولا يختلف أهل العلم أنهم من حضرموت، وكانوا حلفاء بني أمية.

قال الله تعالى: ﴿فقد جاؤوا﴾ يعني: النضر وأصحابه ﴿ظلماً وزوراً﴾.

قال الزجاج[(٢)]: المعنى: فقد جاؤوا بظُلْم وزُور، فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب. والزُّور: الكذب.

وقال صاحب الكشاف[(٣)]: «جاء وأتى» يستعملان في معنى فعل، فيُعَدَّيان تعْديته، وقد يكون على معنى: وردوا ظلماً، كما تقول: جئت المكان.

وظُلْمُهم: أنهم جعلوا العرب تتلقَّنُ من العجم كلاماً عربياً أعجز فصحاء العرب الإتيان بسورة مثله.

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي: ما سطّره المتقدمون من نحو أحاديث رستم، واسفنديار، ﴿اكتتبها﴾ أي: أمر أن تُكتب له؛ لأنه كان ﷺ أمياً لا يكتب ولا يقرأ.

*ويجوز أن يكون من الكَتْب، وهو الجمع. المعنى: جمعها وضمَّها إليه.

﴿فهي تُملى عليه﴾ أي: تُقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها ﴿بكرةً وأصيلاً﴾ أي: غدوةً وعشياً، يريد: طرفي النهار على ما هي عادة اللذين يتصدون لحفظ العلوم أول النهار ودراستها آخره.

---

(١) في الأصل: عبيد. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٥٨).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٦٩).

﴿قل﴾ يا محمد ﴿أنزله﴾ يعني: القرآن[1] ﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ فهو يجازيكم على ما تُسرُّون من الكيد لرسوله، مع علمكم ببطلان ما تُلقونه وتختلقونه، ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم إياها، لمكابرتكم وعنادكم.

وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ
جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا
﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾
تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ
بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟
ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

﴿وقالوا﴾ يعني: المشركين ﴿ما لهذا الرسول﴾ سَمُّوهُ رسولاً على وجه السخرية منهم والطَّنْز[2]، كقول فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧].

---

(١) في ب: الفرقان.

(٢) الطَّنْز: السخرية (اللسان، مادة: طنز).

﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعيشة.

يعنون: أنه يجب أن يكون مَلَكاً مستغنياً عن ذلك.

ثم تنزلوا إلى اقتراح كون الرسول بشراً مصحوباً بمَلَك يعينه ويشهد بصدقه، فذلك قولهم: ﴿لولا أنزل إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيراً﴾.

ثم تنزلوا إلى اقتراح رسول يُلقى إليه كنز من السماء يغنيه عن التردد في الأسواق.

ثم تنزلوا إلى اقتراح رسول له بستان يأكل منه يُغنيه عن المَشْي في الأسواق ابتغاء الرزق، فذلك قوله: ﴿أو يُلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾.

قال المفسرون: قالوا للنبي ﷺ: سَلْ ربك أن يبعث معك مَلَكاً يُصدِّقُكَ بما تقول حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً، ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً يغنيك بها عن طلب المعيشة، فنزلت هذه الآية[1].

وقرأ حمزة والكسائي: «نَأْكُلُ منها» بالنون[2].

قال أبو علي[3]: المعنى: يكون له علينا مزيَّة في الفضل بأكلنا من جنّته.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿ويجعل لك قصوراً﴾.

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر: «ويجعلُ» بالرفع على الاستئناف والإخبار

---

(١) انظر: الطبري (١٨/ ١٨٣-١٨٤)، والوسيط (٣/ ٣٣٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٧)، والكشف (٢/ ١٤٤)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٧)، والسبعة (ص:٤٦٢).

(٣) الحجة (٣/ ٢٠٧).

بأن الله يجعل ذلك لرسوله لا محالة. وقرأ الباقون بالجزم[(١)]، عطفاً على موضع "جعل".

﴿بل كذبوا بالساعة﴾ المعنى: بل أتَوْا بأعجب من ذلك، وهو تكذيبهم بالساعة مع وضوح آياتها وظهور [بيّناتها][(٢)]، ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾.

﴿إذا رأتهم﴾ أنَّثَ حملاً على المعنى؛ لأن السعير: النار المتلظّية، والرؤية هاهنا مَجاز، ومعناها: المقابلة، حتى كأنها تراهم، وقريب منه قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا تتراءا ناراهما))[(٣)].

ومنه قولهم: داري تنظر إلى دارك.

﴿من مكان بعيد﴾ قال السدي ومقاتل[(٤)]: من مسيرة خمسمائة عام[(٥)].

﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ أي: سمعوا صوت غليانها، وشبّه ذلك بصوت المتغيظ.

وقال الزجاج[(٦)]: غليان تَغَيُّظٍ.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٧-٢٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٨)، والكشف (٢/ ١٤٤)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٧)، والسبعة (ص:٤٦٢).

(٢) في الأصل: بيانها. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٤٥ ح٢٦٤٥)، والترمذي (٤/ ١٥٥ ح١٦٠٤).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٠) وفيه: مسيرة مائة سنة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم. ولفظها: من مسيرة مائة عام.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٥٩).

قال عبيد بن عمير[١]: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب إلا خرّ لوجهه[٢].

وقال بعض المفسرين: المعنى: سمعوا فيها تغيُّظَ المعذّبين وزفيرهم[٣].

وقيل: يجوز أن يكون المعنى: إذا رأتهم الزبانية تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم.

﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً﴾ قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزُّجُّ[٤] على الرمح[٥].

﴿مقرّنين﴾ موثّقين في السلاسل والأغلال، أو مقرّنين مع شياطينهم، ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ الثّبور: الهلاك، ودعواه أن يقال: وا ثُبوراه.

﴿لا تدعوا﴾ على إضمار القول، تقديره: فيقال لهم: لا تدعوا ﴿اليوم ثبوراً واحداً﴾ يشير إلى أن هلاكهم أكثر من أن يدعوه مرة واحدة.

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((أول من يُكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه، ويسحبها من خلفه ذريته من بعده وهو ينادي: وا ثبوراه، وهم ينادون:

---

(١) عبيد بن عمير: مولى سيدنا ابن عباس (تقريب التهذيب ص:٣٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٣٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٣١٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٥).

(٤) الزُّجُّ: الحديدة التي تُركَّبُ في أسفل الرمح، والجمع: زِجَجَة، بوزن عِنَبَة (اللسان: مادة: زجج).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٠) وزاد نسبته لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فيقول: يا ثبوراه، ويقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾))(١).

قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل أذلك خير﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من السعير، وصفة عذاب أهله خير ﴿أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ قال الزجاج(٢): قد يقع التساوي بين الجنة والنار في أنهما منزلان، فلذلك وقع التفضيل بينهما.

﴿كانت لهم جزاء ومصيراً﴾ أي: ثواباً ومصيراً يصيرون إليه يوم القيامة.

وإنما قال: «كانت» لأن ما [وعد](٣) الله وجوده فهو في تحققه كالذي [كان](٤) ووُجد، أو يكون المعنى: كانت لهم في اللوح المحفوظ، أو في علم الله تعالى.

﴿لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك﴾ أي: كان ذلك على ربك ﴿وعداً﴾ أي: موعوداً ﴿مسؤولاً﴾ مطلوباً سألوه لأنفسهم في الدنيا وسألَتْه لهم [الرسل](٥) والملائكة، مثل قولهم: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٩ ح١٣٦٢٨). وقال عنه الهيثمي في مجمعه (١٠/ ٣٩٢): رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٦٠).

(٣) في الأصل: عد. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: الرسول. والتصويب من ب.

[البقرة:٢٠١]، ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ [آل عمران:١٩٤]، وقول الملائكة: ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ [غافر:٨].

وقيل: مسؤولاً واجباً. تقول العرب: لأعطينَّك ألفاً وعداً مسؤولاً، بمعنى: أنه واجب لك فتسأله.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم﴾ قرأ ابن عامر: «نحشرهم»، ﴿وما يعبدون من دون الله فنقول﴾ بالنون فيهما. وقرأ ابن كثير وحفص: «يحشرهم... فيقول» بالياء فيهما. وقرأ الباقون: «نحشرهم» بالنون، «فيقول» بالياء[(١)].

فمن قرأهما بالياء حمله على قوله: ﴿كان على ربك﴾، ومن قرأ: «نحشرهم» بالنون «فيقول» بالياء، فقد أفرد بعد أن جمع. ومن قرأهما بالنون أجراهما على لفظ الجمع للواحد العظيم.

قال مجاهد: «وما يعبدون من دون الله» يعني: عيسى وعزيراً والملائكة[(٢)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٨-٥٠٩)، والنشر (٢/ ٣٣٣)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٢-٤٦٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٢)، ومجاهد (ص:٤٤٨). وذكره =

وقال عكرمة والضحاك: يعني: الأصنام(١).

قال ابن السائب: يُنطقها الله(٢).

ويجوز أن يكون عامّاً في الجميع.

قال صاحب الكشاف(٣): إن قلت [كيف](٤) صح استعمال «ما» في العقلاء؟

قلتُ: هو [موضوع](٥) على العموم للعقلاء وغيرهم، بدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ فإذا قيل لك: إنسان، قلت: مَنْ هو؟

﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ فأمرتموهم بعبادتكم ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ والمقصود من هذا السؤال: تبكيت العابدين وتوبيخهم، وإظهار فضيحتهم، وزيادة حسرتهم عند تبرُّئهم منهم.

﴿قالوا سبحانك﴾ نزَّهُوا الله تعالى أن تكون معه آلهة، أو هو خارج مخرج التعجب مما قيل لهم، ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ أي: ما يصحُّ ولا يصلح لنا ﴿أن نتخذ من دونك﴾ أولياء ونعبدهم.

المعنى: فكيف يصح لنا أن نُحمِّلَ غيرنا على أن يتولّونا دونك.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء العكبري وأبي عمرو الياسري لأبي جعفر: "أن

= السيوطي في الدر (٦/ ٢٤١) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٨).

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٦٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٧٣).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: موضع. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

نُتخَذ" بضم النون وفتح الخاء[(١)]، على البناء للمفعول، وهي قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد وأبي عبدالرحمن السلمي والحسن وقتادة.

ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان فقالوا: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أطلْتَ أعمارهم ووسّعت أرزاقهم، ﴿حتى نسوا الذكر﴾ تركوا القرآن فلم يؤمنوا به ولم ينزجروا بمواعظه، ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ قال ابن عباس: هلكى[(٢)].

قال أبو عبيدة[(٣)]: يقال: رجلٌ بورٌ وقومٌ بورٌ، لا يُجمع ولا يُثنّى، وأنشد قول ابن الزبعرى:

يا رسولَ المليكِ إنّ لساني رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُور[(٤)]

قال[(٥)]: وقد سمعنا برجل بَائِر، ورأيناهم ربما جمعوا فاعلاً على فُعْل، نحو: عائذٍ وعُوْذ.

قال المفسرون: فيقال حينئذ للكفار: ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أي: قد

---

(١) النشر (٢/ ٣٣٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٧٢-٧٣).

(٤) البيت لعبد الله بن الزبعرى السهمي، وقيل: لأبي سفيان بن الحارث، وهو في: اللسان (مادة: بور)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٣)، وغريب القرآن (ص:٣١١)، والطبري (١٣/ ٢١٩، ١٨/ ١٩١)، والقرطبي (١٣/ ١١، ١٦/ ٢٦٩)، وروح المعاني (١٨/ ٢٥٠، ٢٦/ ١٠٠)، والماوردي (٤/ ١٣٧)، وزاد المسير (٦/ ٧٩).

(٥) أي: أبو عبيدة.

كذبكم المعبودون في قولكم أنهم آلهة[١].

وقرأت لابن كثير من رواية ابن شنبوذ عن قنبل: «بما يقولون» بالياء[٢]، أي: كذبوكم بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾.

﴿فما يستطيعون﴾ أي: فما يستطيع المعبودون ﴿صرفاً﴾ للعذاب عنكم ﴿ولا نصراً﴾ لكم.

وقيل: المعنى: فلا يستطيع الكفار صرفاً للعذاب عنهم ولا نصراً لأنفسهم.

وقرأ حفص: «تستطيعون» بالتاء[٣]، على معنى: فما تستطيعون أيها الكفار صرفاً للعذاب عنهم.

وحكى ابن قتيبة[٤] عن يونس البصري أنه قال: الصَّرفُ: الحيلة، من قولهم: إنه يتصرَّف، أي: يحتال.

﴿ومن يظلم منكم﴾ بالشرك ﴿نذقه﴾ وقرأ عاصم الجحدري والضحاك وأبو الجوزاء: «يذقه» بالياء[٥]، على معنى: يذقه الله تعالى، أو يذقه الظلم، ﴿عذاباً كبيراً﴾ عظيماً شديداً.

---

(١) ذكره الطبري (١٨/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٧٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٠٩-٥١٠)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٣).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٠)، والكشف (٢/ ١٤٥)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣١١).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٧٩).

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين﴾ قال الزجاج(١): فيه محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك [رسلاً](٢) من المرسلين، فحذفت «رسلاً»؛ لأن قولك: "من المرسلين" يدل عليها.

﴿إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ قال الزجاج(٣): هذا احتجاج عليهم في قولهم: ﴿ما هٰذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾، فقيل لهم: كذلك كان مَنْ خَلا من الرسل، فكيف يكون محمدٌ ﷺ بِدْعاً منهم؟.

فإن قيل: لم كُسرت «إنّ» في قوله: ﴿إلا إنّهم﴾؟

قلتُ: قد أجاب عن ذلك ابن الأنباري بجوابين:

أحدهما: أن تكون فيها واو الحال مضمرة، فكُسرت بعدها «إنّ» للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإنّهم ليأكلون الطعام، فأُضمرت الواو كما أُضمرت في قوله: ﴿أو هم قائلون﴾ [الأعراف:٤]، والتأويل: أو وهم قائلون.

والثاني: أن تكون كُسرت لإضمار «مَنْ» قبلها، فيكون التقدير: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا من إنهم ليأكلون. قال الشاعر:

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٦٢).

(٢) في الأصل: مرسلاً. والتصويب من ب، والزجاج، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٦٢).

فظلُّوا ومنهُم دَمْعُهُ سابقٌ له ....[1]

أراد: مَنْ دَمْعُه.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي: ابتلاء واختباراً، فأبلينا الفقير بالغني، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح. هذا قول الحسن[2].

وقال غيره: هو ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أراد الشريف أن يُسْلِم ورأى الوضيع قد أَسْلَمَ قبله أَنِفَ وقال: أُسْلِم [فتكونُ][3] له السابقة والفضل عليَّ، فيقيم على كُفره. فذلك افتتان بعضهم ببعض، وهذا اختيار الفراء والزجاج[4].

وقال مقاتل[5]: هذا في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش، كانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من موالينا ورذالتنا، فقال الله تعالى [لهؤلاء][6] الفقراء الضعفاء: ﴿أتصبرون﴾ يعني: على الأذى والاستهزاء.

---

(١) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (وآخَرُ يَثني دمعة العين بالمهل). انظر: البيت في: ديوانه (١/ ١٤١)، والدر المصون (٢/ ٣٧٢)، والطبري (٥/ ١١٧)، وزاد المسير (٦/ ٨٠)، والبحر (٣/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

(٣) في الأصل: ليكون. والتصويب من ب.

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٦٥)، ومعاني الزجاج (٤/ ٦٢).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٣).

(٦) في الأصل: لهذا. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

وعلى قول الحسن: يكون الخطاب للفقير والأعمى والسقيم[١].

وعلى القول الآخر: الخطاب للرؤساء، على معنى: أتصبرون على سبق الموالي والأتْبَاع[٢].

وحقيقة هذا الاستفهام: الطلب واستدعاء الصبر منهم.

﴿وكان ربك بصيراً﴾ بمن يصبر ويجزع.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يخافون البعث، والرجاء: الخوف في لغة تهامة. وقد سبق ذكره[٣].

وقيل: المعنى: لا يأملون لقاءنا بالخير؛ لأنهم كَفَرَة.

﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلاً إلينا أو شاهدين بصدقك، ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا أنك رسوله.

قال الله تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ أضمروا الكبر فيها والعناد، كما

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في سورة يونس عند الآية رقم: ٧.

قال تعالى: ﴿إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾ [غافر:٥٦].

﴿وعتَوْا عتواً كبيراً﴾ أي: تجاوزوا الحدّ في الظلم وغَلَوا فيه.

قوله تعالى: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ العامل في الظرف مضمر، تقديره: اذكر، أو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿لا بشرى﴾، و﴿يومئذ﴾ على هذا [للتكرير][1]. وقوله تعالى: ﴿للمجرمين﴾ إما متناولٌ لهم بعمومه لانتظامهم في سلك المجرمين، وإما واقع موقع الضمير، تقديره: لا بشرى يومئذ لهم.

قوله تعالى: ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ اختلفوا في القائلين؛ فقال ابن عباس: هم الملائكة يقولون: حراماً محرّماً أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله[2].

وقال مقاتل[3]: إذا خرج الكفار من قبورهم [تقول][4] لهم الملائكة: حراماً محرّماً عليكم أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى، كما يبشر المؤمنون.

وقال قوم: القائلون هم المشركون إذا عاينوا العذاب[5].

قال ابن فارس[6]: كان الرجل إذا لقي من يخافُه في الشهر الحرام قال: حِجْراً، أي: حرام عليك إيذائي، فإذا رأى المشركون الملائكة يوم القيامة قالوا: حِجْراً

---

(١) في الأصل و ب: التكرير. والتصويب من الكشاف (٣/ ٢٧٨). وهو قول الزمخشري في الكشاف، الموضع السابق.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٨). وهذا القول هو اختيار الطبري (١٩/ ٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٤).

(٤) في الأصل: يقول. والتصويب من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٢).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٣٩).

محجوراً، [يظنون][(١)] أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ أي: قصدنا وعمدنا إلى ما عملوا من أعمال الخير، ﴿فجعلناه هباءً منثوراً﴾؛ لأن الشرك لا يُتقبَّلُ معه عمل.

واختلفوا في الهباء؛ فقال علي عليه السلام: هو ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل في الكوة مثل الغبار[(٢)]، وهذا قول أكثر المفسرين واللغويين.

وقال ابن عباس: هو ما تنسفه الرياح وتُذريه من التراب وحطام الشجر[(٣)].

وقال في رواية أخرى: هو الشرر الذي يطير من النار إذا أضرمت[(٤)].

وقال مقاتل[(٥)]: هو ما سطع من حوافر الدواب.

قال بعضهم: لم يَكْفِ أن شَبَّهَهُم بالهباء حتى جعله متناثراً متفرقاً.

قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ أفضل منزلاً في الجنة ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع قائلة.

قال الأزهري[(٦)]: القَيْلُولَة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحرّ، وإن لم يكن مع ذلك نوم. والدليل على ذلك: أن الجنة لا نوم فيها.

---

(١) في الأصل: يظنوا. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٤).

(٦) تهذيب اللغة (٩/ ٣٠٦).

قال ابن مسعود وابن عباس: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، ثم قرأ ابن مسعود: «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم»[١]. هكذا يقرؤها ابن مسعود.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ عطف على قوله: ﴿يوم يرون الملائكة﴾[٢].

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «تشّقق» بتشديد الشين، وقرأ الباقون بتخفيفها[٣].

فمن شدّد قال: الأصل: «تَتَشَقَّق»، ثم أدغم التاء في الشين. ومن خفّف

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٦ ح٣٥١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبري (٢٣/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٤٧) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٦٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٠)، والكشف (٢/ ١٤٥)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨)، والسبعة (ص:٤٦٤).

حذف التاء الثانية استخفافاً؛ لاجتماع المِثْلَين ولم يُدغِم.

قال ابن عباس وغيره: المعنى: أن السماء تتفتَّح بغمام يخرج منها تَنزلُ فيه الملائكة، وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب. ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وهو الذي قال الله عز وجل: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلل من الغمام والملائكة﴾[1] [البقرة:٢١٠].

قال الفراء[2]: المعنى: تَشَقَّقُ السماء [عن][3] الغمام، وعلى وعن والباء في هذا الموضع بمعنى واحد؛ لأن العرب تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، والمعنى واحد.

وقال أبو علي الفارسي[4]: المعنى: تشَقَّق السماء وعليها غمام. كما تقول: ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه. أي: وعليه سلاحه.

وقال الزمخشري[5]: لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذي تُشَقُّ به السماء.

﴿ونزل الملائكةُ﴾[6] لإظهار العدل وبأيديهم صحائف أعمال العباد ﴿تنزيلاً﴾.

وقرأ ابن كثير: «ونُنْـزِلُ» بنونين مع التخفيف، من الإنْزال، «الملائكةَ»

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٢) كلاهما عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (١/ ٥٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٦٧).

(٣) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٤) الحجة (٣/ ٢١٠).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٨٠).

(٦) في الأصل زيادة: تنزيلاً. وستأتي بعد.

بالنصب[(١)].

﴿الملك يومئذ﴾ قال الزجاج[(٢)]: المعنى: المُلْكُ الذي هو الملك حقاً للرحمن.

وقال غيره: ﴿الحق﴾: الثابت؛ لأن كل مُلْك يزول يومئذ ويبطل، ولا يبقى إلا مُلْكَه سبحانه وتعالى.

﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ صعباً شديداً عظيم المشقة.

وفي تخصيص ذلك بالكافرين بشارة ظاهرة بسهولة ذلك اليوم على المؤمنين. وفي الحديث[(٣)]: ((أن يوم القيامة يهون على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة صلاّها في دار الدنيا)).

قوله تعالى: ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه﴾ عطف على ما قبله[(٤)].

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: "الظالم": عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس[(٥)]. والألِفُ [واللام][(٦)] للعهد. ويجوز أن تكون للجنس، فيشمل عقبة

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٠-٥١١)، والكشف (٢/ ١٤٥-١٤٦)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٨-٣٢٩)، والسبعة (ص:٤٦٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٦٥).

(٣) في هامش ب: هو من حديث أبي سعيد، خرجه أحمد في المسند وغيره: قيل لرسول الله ﷺ: ((يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا)) (مسند أحمد ٣/ ٧٥ ح١١٧٣٥).

(٤) الدر المصون (٥/ ٢٥٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٣-٢٦٨٤)، ومجاهد (ص:٤٥١).

(٦) في الأصل: اللام. والتصويب من ب.

وغيره.

قال عطاء: يأكل يديه [حتى][(١)] يذهبا إلى المرفقين، ثم يَنْبُتان فلا يزال هكذا، كلما نبتت يداه أكلهما ندامة على ما فعل[(٢)].

وقيل: عضّ اليدين مَجاز عن نهاية الحسرة والندامة.

﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾[(٣)] يعني: محمداً ﷺ ﴿سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى والنجاة من الرَّدى.

﴿يا ويلتا﴾ وقُرئ: «يا ويلتي» بالياء على الأصل[(٤)].

﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ يعني: أمية بن خلف. وقيل: أُبيّ بن خلف.

﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ قال مجاهد وأكثر المفسرين: سبب نزول هذه الآية: ((أن عقبة بن أبي معيط دعا قوماً فيهم رسول الله ﷺ لطعام، فأكلوا، وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل، فقال: لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أُبيّ بن خلف، وكان خليلاً له، فقال: صَبَوْتَ يا عقبة؟ فقال: لا والله ما صبوت، ولكنه أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي، فاستحييتُ أن يخرج من منزلي لم يَطْعَم من طعامي، فقلت ذلك وليس من نفسي، فقال: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ قفاه وتبزُق في وجهه وتلطم عينه، فوجده يوماً ساجداً، فنالَ منه بعض ما أراد، فقال له رسول

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٦).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿سبيلا﴾ وستأتي.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

الله ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا قتلتك، فقتله رسول الله ﷺ يوم أُحُد))[١].

وأما أمية بن خلف أخوه فقتل يوم بدر، ويروى نحو ذلك عن الشعبي[٢]، إلا أنه جعل مكان أُبيّ أخاه أمية. والله أعلم.

﴿وكان الشيطان للإنسان﴾ يريد: الكافر ﴿خذولاً﴾ يخذله ويتبرأ منه في الآخرة.

والأكثرون على أن هذا ابتداء كلام من الله تعالى. ويجوز أن يكون من تمام كلام الظالم.

فإن قيل: لم كنّى عنهما؟

قلتُ: ليأتي بصيغة شاملة لهما ولمن هو في مثل حالهما.

فصل

ومن تلمّح هذه القصة ونظر بعين بصيرته وإيمانه ما آل إليه أمر هذا المخذول، ظهر له ضرر معاشرة الفَسَقَة والفَجَرَة.

قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خيرٌ لك من أن تأكل الخبيص مع الفُجّار[٣].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا عبد

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٣-٢٦٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٠-٢٥٣) وعزاه لأبي نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٨).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٧).

الأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: ((مثلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تَبْتَاعَ منه، وإما أن تجد ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة))[١]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن ابن العلاء أيضاً.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الرسول﴾ يعني: محمداً ﷺ، ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾.

قال ابن عباس: هجروا القرآن وهجروني وكذبوني[٢].

وقيل: هو من هَجَرَ؛ إذا هَذَى[٣]، أي: جعلوه مهجوراً فيه، كقولهم: هذا سحر وباطل، وأساطير الأولين.

قال مقاتل وأكثر المفسرين[٤]: قال النبي ﷺ ذلك شاكياً من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٠٤ ح٥٢١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦ ح٢٦٢٨).
(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٩).
(٣) انظر: اللسان (مادة: هجر).
(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٨٧).

فإن قيل: ما الحكمة في حكاية هذه الشكاية؟

قلتُ: تخويف المشْكُوِّ منه من سرعة انتقام المشْكُوِّ إليه، على ما أُلِفَ وعُرِفَ منه من نصر أوليائه وكسر أعدائه.

فعزّاه الله تعالى ووعده النصر فقال: ﴿وكذلك جعلنا﴾ أي: وكما جعلنا لك عدواً من قومك جعلنا ﴿لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً﴾ لك إلى طريق استئصالهم ﴿ونصيراً﴾ ناصراً لك عليهم.

وقيل: إن هذا يقوله يوم القيامة.

المعنى: ويقول الرسول.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ يريد: كفار قريش.

وقيل: اليهود.

﴿لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة﴾ كما نزّل التوراة والإنجيل، و"نزِّلَ" هاهنا بمعنى: "أنْزِل"؛ كخُبِّرَ بمعنى: أُخْبِر، وإلا كان متناقضاً، وهذا أيضاً من جملة اقتراحاتهم الدالة على عنتِهِم، وهو أحد الأسباب التي كانوا يتعللون بها إذا شَرِقُوا بالحق الواضح، وراموا معارضته بالشبهة الباطلة.

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ متعلق بفعل مضمر، أي: أنزلناه كذلك مُنجماً، ﴿لنثبت

به فؤادك﴾ أي: لنُقوِّي به قلبك حتى تَعيه وتحفظه، فاللام من صلة الفعل المضمر، والكاف صفة المقدَّر الذي دَلَّ عليه "أنزلناه". هذا قول أبي إسحاق الزجاج والأكثرين[1].

وقال الفراء[2]: التقدير: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك الكتاب، يريد: التوراة، فالكاف من صلة قوله: «لولا نُزِّلَ» أي: لولا نزل مثل ذلك التنزيل، فقال الله تعالى: ﴿لنثبت به فؤادك﴾.

قال أبو الحسن الأصبهاني صاحب كشف المشكلات على هذا القول[3]: اللام عنده في «لنثبت» لام القسم، والنون معها مقدّرة تظهرُ إذا فُتحت، وتسقط إذا كُسرت.

وعندي: أن اللام متعلقة بما دل عليه قولهم: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، معناه: لِمَ أُنزلَ متفرقاً؟ فقال: لنثبت به فؤادك.

﴿ورتّلناه﴾ عطف على محذوف، تقديره: فرقناه ورتبناه ورتلناه، ﴿ترتيلاً﴾ أي: جئنا به آية بعد آية، وطائفة بعد طائفة، على حسب الوقائع والحوادث على ما تقتضيه حكمتنا.

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي: يجيئونك بمثل يضربونه لك عند الخصام ليتوصَّلُوا به إلى إطفاء نور رسالتك، ﴿إلا جئناك بالحق﴾ بالأمر الثابت الصحيح الذي تَنْقَادُ

---

(١) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٦٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٦٧).

(٣) كشف المشكلات (٢/ ١٧١).

له العقول المطلقة من قيد الهوى لنردّ[1] به كذبهم، ﴿وأحسن تفسيراً﴾ بياناً وكشفاً.

قوله تعالى: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ قال مقاتل: هم كفار مكة قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه: هم شر خلق الله[2]، فقال الله تعالى: ﴿أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾ من سبيل المؤمنين وطريقهم.

ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة؛ ليكون مطابقاً لسبب النزول؛ لأن الحامل للكفار على قولهم احتقار المؤمنين.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، حدثنا محمد بن إبراهيم المحاملي، أخبرنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أخبرنا أحمد بن حنبل، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس: ((أن رجلاً قال: يا نبي الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة))[3] هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن عبدالله بن محمد، عن يونس بن محمد. وأخرجه مسلم أيضاً.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ

---

(١) في ب: لترُدَّ.

(٢) انظر قول مقاتل في: الوسيط (٣/ ٣٤٠)، وزاد المسير (٦/ ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٨٤ ح٤٤٨٢، ٥/ ٢٣٩٠ ح٦١٥٨)، ومسلم (٤/ ٢١٦١ ح٢٨٠٦)، وأحمد (٣/ ٢٢٩ ح١٣٤١٦).

لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ ظهيراً ومعيناً له على تبليغ الرسالة وشريكاً له في النهوض بأعبائها.

﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يريد: فرعون والقِبْط، ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً، وفيه إضمار تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً.

فإن قيل: كيف وصفهم بالتكذيب قبل التبليغ؟

قلتُ: لأنهم كذبوا أنبياء الله من قبل وكذبوا كُتُبَه.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾ قال الزجاج[1]: يجوز أن [يراد][2] به نوح وحده، وقد ذكر بلفظ الجنس، كما يقال: فلان يركب الدواب وإن لم يركب إلا دابة واحدة.

﴿وجعلناهم للناس آية﴾ عبرة لمن بعدهم، ﴿وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾ سوى ما أصابهم في الدنيا.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٦٧-٦٨).

(٢) في الأصل: يرد. والتصويب من ب، والزجاج (٤/ ٦٧).

﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس﴾ قال ابن قتيبة[١]: كل بئر لم تُطْوَ فهي رَسٌّ.

قال ابن عباس في رواية: هي بئر كانت بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار، فنُسبوا إليها[٢].

قال كعب: هم الذين قتلوا أصحاب يس الذي قال: «يا قوم اتبعوا المرسلين»، ورسُّوه في بئر لهم يقال له: الرَّسّ[٣].

قال الزجاج[٤]: رَسُّوه: أي: دَسُّوه فيها.

وقال قتادة: حُدثنا أن أصحاب الرَّسّ كانوا أهل فلج[٥] اليمامة، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى[٦]. قيل: إنهم كانوا بقية ثمود قوم صالح.

وقال سعيد بن جبير وغيره: [هم][٧] أصحاب النبي حنظلة بن صفوان، وكانوا مُبتلين بالعنقاء، وهي أكبر[٨] ما تكون من الطير، سُميت بذلك؛ لطول عُنُقِها، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له: فتح، وكانت تَنْقَضُّ على صبيانهم

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٠-٣٤١). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٦٨).

(٥) في هامش ب: فَلَج: بفتح أوله وثانيه وجيم: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقيس وكعب، وكل ماء يجري من عين سيحاً فهو فَلَج.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) زيادة من ب.

(٨) في ب: أعظم.

فتختطفهم إن [أعوزها][(١)] الصيد، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأُهلكوا[(٢)].

وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها، وكانت لهم مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، فوجّه الله إليهم شعيباً فتمادوا في طغيانهم، فانهارتْ البئر فخُسف بهم[(٣)].

وقيل: هم أصحاب الأخدود.

ويروى عن علي عليه السلام: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبياً من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئراً وألقوه فيها، فهلكوا[(٤)].

﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ المعنى: وأهلكنا قروناً بين ذلك المذكور كثيراً.

---

(١) في الأصل: أعزها. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠) بأقصر منه، وأبو حيان في البحر (٦/ ٤٥٧)، والآلوسي في روح المعاني (١٩/ ٢٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٠).

وقد ذكر الطبري بعض هذه الأخبار في تفسيره (١٩/ ١٤)، ثم عقب عليها بقوله: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

سبقت إلى فرط باهل ... تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: ﴿وأصحاب الرس﴾ فإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة.

﴿وكُلاً﴾ منصوب بفعل مضمر، أي: بيّنا كُلاً[١]، على معنى: بيّنا أحوالهم؛ لأن ضَرْبَ المثل يُبيّن أحوالهم.

﴿وكلاً تَبَّرْنا تَتْبيراً﴾ التَّتْبير: التكسير والتفتيت، ومنه: التِّبْر: وهو كُسَارُ الذهب والفضة[٢].

قوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ يعني: كفار مكة على القرية ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ وهي [سَدُوم][٣] -قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة-، ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في أسفارهم فتُحدث لهم رؤيتهم إياها اعتباراً وانزجاراً[٤].

ثم ذكر السبب الموجب لتمردهم واجتراءهم على التكذيب فقال: ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ أي: لا يخافون.

وقيل: لا يتوقّعون بعثاً بعد الموت.

وقال الزجاج[٥]: الذي عليه أهل اللغة: أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير فركبوا المعاصي.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٥٥).
(٢) انظر: اللسان (مادة: تبر).
(٣) في الأصل: سندوم. والتصويب من ب.
(٤) في ب: وازدجاراً.
(٥) معاني الزجاج (٤/ ٦٩).

أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هُزُءاً﴾[1] مهزوءاً به، أو موضع هزء، أو ذا هزء.

ثم ذكر ما يقولونه من الاستهزاء فقال: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ وهو على إضمار القول، تقديره: قائلين أهذا الذي بعثه الله رسولاً.

﴿إن كاد ليضلنا﴾ "إنْ" هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، ﴿عن آلهتنا﴾ أي: عن عبادة آلهتنا، فحذف المضاف ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أي: على عبادتها.

وفي هذه الآية دليل واضح على قوة اجتهاد النبي ﷺ وبذله غاية وسعه في استعطافهم واستمالتهم إلى الإسلام.

﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾ أهم أم المؤمنون. وهذا وعيد شديد لهم.

قوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ استفهام في معنى التعجب للنبي ﷺ من فرط جهلهم، حيث تركوا عبادة من خلقهم ورزقهم، وأطاعوا أهواءهم في عبادة أحجار لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تعلم من عَبَدَها وأطاعها ممن رفضها وأضاعها، يتنقَّلون عنها ذهاباً مع ميل أنفسهم في استحسان حَجَر.

---

(١) وقرأ حفص: "هُزُواً"، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

قال سعيد بن جبير: كان أهل الجاهلية يعبدون الحَجَر، فإذا رأوا أحسن أخذوه وتركوا الأول(١).

﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ المعنى: لست عليه وكيلاً ولا حفيظاً تحفظه من اتّباع هواه.

﴿أم تحسب أن أكثرهم﴾ [يعني: أهل مكة. و"أم" هاهنا منقطعة، المعنى: بل أتحسب أن أكثرهم](٢) ﴿يسمعون أو يعقلون﴾ سلبهم الله تعالى وصْفَي السمع والعقل؛ لعدم انتفاعهم بهما.

﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ ليس لهم [هَمٌّ](٣) إلا الأكل والشرب وركوب أهوائهم، أو يكون الجامع بينهم وبين الأنعام في الشَّبَه أنهم يسمعون الصوت ولا يفهمون المعنى.

﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ من الأنعام؛ لأنها تهتدي لمراعيها وتجتنب ما يؤذيها، وتنقاد لأربابها الذين يقومون بعَلَفِها وينهضون بكُلَفها.

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٩). وذكره الطبري (١٩/ ١٧) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ إلى صُنْع ربك وقدرته، ﴿كيف مد الظل﴾ أي: بسطه، والمراد بالظل هاهنا: ما كان منه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ مقيماً لا يزول ولا يتحرك بطلوع الشمس، ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾؛ لأن الأشياء تُعْرَف بأضدادها، فلولا الشمس ما عُرف الظل، ولولا النور ما عُرفت الظُّلْمَة.

وقيل: معنى كون الشمس دليلاً: أن الناس يستدلّون بها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان، وزائلاً ومتّسعاً ومتقلّصاً، فيبْنُون على حسب حاجاتهم إلى الظل.

﴿ثم قبضناه﴾ أي: قبضنا الظل بطلوع الشمس ﴿إلينا قبضاً يسيراً﴾ أي: خفياً على مهل، فتنسخه الشمس شيئاً فشيئاً لمصالح العباد، ولو قُبِضَ دفعة واحدة لتعطلت أكثر منافع الخلق بالظل والشمس جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ ساتراً بظلمته الأشياء مشتملاً عليها اشتمال اللباس على لابسه ﴿والنوم سباتاً﴾.

قال الزجاج[1]: السُّبَات: أن ينقطع عن الحركة والتروُّح في بدنه، أي: جعل نومكم راحةً لكم.

﴿وجعل النهار نشوراً﴾ قال ابن عباس: ينتشرون فيه لابتغاء الرزق[2].

وقال الزمخشري[3]: السُّبات: الموت، والمسْبُوت: الميت؛ لأنه مقطوع الحياة،

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٢٨٨-٢٨٩).

وهذا كقوله: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام:٦٠].

فإن قلت: هلاَّ فسرته بالراحة؟

قلتُ: النشور في مقابلته يأباه إباء العَيُوف الورد وهو مُرنّق.

قلتُ: والعَيُوف: الناقة الكارهة للماء، والمُرنّق: المكدّر. يقال: في عيشه ترنيق، أي: تكدير.

وعلى التحقيق: لم يأت الزمخشري بشيء؛ لأنه إن أراد حقيقة الموت فذاك محال، وإن أراد به الموت المجازي، فهو الذي قاله الزجاج وغيره، وإطلاق اسم الراحة عليه من باب تسمية الشيء بما يلازمه ويجاوره، والتفسير المذكور في النشور يعكر[1] على أصل مقصوده بالإبطال؛ لأنه [رام][2] المقابلة بين الموت والحياة، فإذا لم يفسر النشور بها انحلّت الرابطة بينهما، على أني أقول: المقصود من هذه السياقة امتنان الله تعالى على عباده بالنِّعَم المذكورة، فإذا فُسِّر السُّبات بالموت مع قطع النظر عما ذكرناه اختلَّ المعنى وبطل المقصود، فتفهَّم ذلك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) في هامش ب: أصل العكر: من الاعتكار، وهو الازدحام والكثرة. وقيل: هو العادة والدَّيْدَن، وكأنه هاهنا بمعنى الرجوع. (انظر: اللسان، مادة: عكر).

(٢) في الأصل: أصل. والتصويب من ب.

وما بعده مفسر في الأعراف[١] إلى قوله تعالى: ﴿ماءً طهوراً﴾.

قال الأزهري[٢]: الطَّهُور في اللغة: الطَّاهِر المطهِّر، والطَّهُور: ما يُتَطَهَّر به؛ كالوضوء الذي يُتوضأ به، والفُطور الذي يُفْطَرُ عليه.

﴿لنحيي به بلدةً ميتاً﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: «مَيِّتاً» بالتشديد[٣]، هنا وفي الزخرف[٤] وقاف[٥].

فإن قيل: فما بالُ الصفة غايرت الموصوف فجاءت بلفظ التذكير، والموصوفُ مؤنثٌ؟

قلتُ: البلدة في معنى البلد أو المكان، والمعنى: لنحيي به بلداً ميتاً بالجدب فيصير مُهْتَزاً بأنواع النبات.

قال كعب: المطر روح الأرض[٦].

﴿ونُسْقِيَه﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية المفضل عنه: «ونَسْقِيَه» بفتح النون[٧]، من سقى وأسقى.

وقد سبق القول عليه في الحِجْر[٨].

---

(١) آية رقم: ٥٧.

(٢) تهذيب اللغة (٦/ ١٧٢).

(٣) النشر (٢/ ٢٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

(٤) آية رقم: ١١.

(٥) آية رقم: ١١.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٥٦).

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٢٩).

(٨) آية رقم: ٢٢.

والمعنى: نُسقي من ذلك بعض الذي خلقنا.

ثم فسّر ذلك البعض فقال: ﴿أنعاماً وأناسي كثيراً﴾.

فإن قيل: لم خصَّ الأنعام من بين سائر الحيوانات بالذِّكْر؟

قلت: لأنها معظم أموالهم، ومتعلق آمالهم، ومادة متاعهم، وانتفاعهم في سهلهم وبقاعهم[1]، فكان الإنعام عليهم بسقي الأنعام التي لهم، كالإنعام عليهم بسقيهم.

فإن قيل: لم بدأ بذكر الأنعام وقدَّمه على الأناسي؟

قلت: لأنها السبب في بقائهم، فكان [لها][2] مرتبة التقديم في الذِّكْر، أو لأنها إذا سُقيت لأجلهم كانوا هم أولى وأجدر أن يُسْقَوا.

قال الزجاج[3]: الأناسي: جمع إنْسِي، مثل: كُرْسي وكَرَاسِي. ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الياء بدلاً من النون، الأصل: أَنَاسِين، مثل: سَرَاحين.

فعلى هذا الوجه الثاني الذي ذكره الزجاج؛ يكون قد أدغم الياء في الياء.

قال الزمخشري[4]: ونحوه: ظرابيّ في ظَرِبان، على قلب النون ياء، والأصل: ظَرَابِين.

قلتُ: الظَّرِبَان: دُويبةٌ شديدٌ نتنُ ريحها، وقد قيل: إنها إذا وصلت إلى معاطن الإبل تفرّقت الإبل من نَتْنِها، وإن مَرّ بها إنسان وقت إرسالها الريح عبقت الرائحة

---

(١) في ب: وبَقَاعِهِم.

(٢) زيادة من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٧١).

(٤) الكشاف (٣/ ٢٩٠).

بثوبه حتى يَخْلُق، وأنشدوا:

كأنَّ ريحَ دَبِراتٍ خَمْسِ   وظَرِبَانٌ بينهن يَفْسِي

ريحُ ثَنَاياها بُعيدَ النَّعْسِ (١)

وقد قرأ أبو مجلز: «وأناسِيَ»(٢)، بحذف ياء أفاعيل، كقولك: أناعم في أناعيم.

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾ أي: صرَّفنا المطر بين الأناسي مرة لهؤلاء [ومرة لهؤلاء](٣) ليتفكروا في قدرتي وعظمتي فيحذروا، وفي نعمتي عليهم وإحساني إليهم فيشكروا.

وقرأ حمزة والكسائي: «ليذكروا» بالتخفيف(٤)، ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾.

قال جمهور المفسرين: هم الذين يقولون: مُطِرْنا بنَوْء(٥) كذا وكذا(٦).

قال الزجاج(٧): جعلهم بذلك كافرين.

---

(١) في هامش ب: كأنه أراد هاهنا بالنعس: النوم.

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٩٤-٩٥).

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١١)، والكشف (٢/ ٤٧)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، والإتحاف (ص:٣٢٩).

(٥) النوء: النجم إذا مال للمغيب كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فتقول: مطرنا بنوء كذا (اللسان، مادة: نوء).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٣) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٦٤) وعزاه لسنيد وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج عن مجاهد.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٧١).

قال صاحب الكشاف[(١)]: إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي [والأنواء][(٢)] من خلق الله: فهو كافر، وإن كان يرى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها: لم يكفر.

وفي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني قال: ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))[(٣)].

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ يتضمن إعلام الرسول ﷺ بكرامته على ربه وتفضيله على سائر الرسل[(٤)]، حيث قَصَرَ الرسالة إلى الخلق كافة

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٩٢).

(٢) في الأصل: الأنواء. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٩٠ ح ٨١٠)، ومسلم (١/ ٨٣ ح ٧١).

(٤) في ب: رسله.

عليه؛ لتتوفر دواعيه ﷺ على الشكر، ويستشعر الصبر على ما حُمّل من أعباء الرسالة وأثقال النبوة.

﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يدعونك إليه [ويراودونك][١] عليه. وهذا من باب الإلهاب والتهييج، ﴿وجاهدهم به﴾ أي: بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ قال الزجاج[٢]: خلّى بينهما. تقول: مَرَجْتُ الدابةَ وأمْرَجْتُها؛ إذا خَلَّيْتُها تَرْعَى[٣]، ومنه الحديث: ((مَرَجَتْ عهودهم وأماناتهم))[٤].

[قال المفسرون: المعنى: أرسلهما في مجاريهما[٥].

﴿هذا عذب فرات﴾ مُفْرِطُ العذوبة][٦] حتى يضرب إلى الحلاوة، ﴿وهذا ملح أجاج﴾ مفرط في الملوحة.

﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً من قدرته يمنعهما التمازج مع التمازج، وهذا من عجائب قدرة الله تعالى.

﴿وحجراً محجوراً﴾ قال الفراء[٧]: أي حراماً محرّماً أن يغلب أحدُهما صاحبه.

---

(١) في الأصل: ويراودنك. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٧٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: مرج).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢٣ ح٤٣٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٧ ح٣٩٥٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٦).

(٦) زيادة من ب.

(٧) معاني الفراء (٢/ ٢٧٠).

وقال الزمخشري[١]: هي الكلمة التي يقولها المتعوّذ، وقد فسّرناها.

وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز، كأنَّ كل واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه ويقول: حجراً محجوراً، كما قال الله تعالى: ﴿لا يبغيان﴾ [الرحمن:٢٠]، فانتفاء البغي ثَمَّ كالتعوُّذ هاهنا، جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعوذ منه، وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ قال علي عليه السلام[٢]: «النسب»: ما لا يحلّ نكاحه، و«الصِّهْرُ»: ما يحلّ نكاحه[٣].

وقال الضحاك وقتادة ومقاتل[٤]: النَّسَب سبعة، والصِّهْر خمسة، وقرؤوا: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم -إلى قوله تعالى-: من أصلابكم﴾[٥] [النساء:٢٣].

قال طاووس: الرضاعة من الصِّهْر[٦].

وقال ابن قتيبة[٧]: «فجعله نسباً» أي: قَرابة النسب، «وصِهْراً» أي: قَرابة النكاح.

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) ساقط من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٧).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٦) عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٧).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٠). وذكره الماوردي (٤/ ١٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٧).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٤).

وقال صاحب الكشاف[١]: قَسَمَ البشر قسمين: ذوي نسب، أي: ذكوراً يَنْتَسِبُ إليهم، فيقال: فلان بن فلانة، وفلانة بنت فلان. وذوات صِهْر، أي: إناثاً يُصاهَرُ بهنّ، ونحوه: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة:٣٩].

وقال ابن سيرين: نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب زوج فاطمة، فهو ابن عمه وزوج ابنته، فكان نسباً وصِهْراً[٢].

﴿وكان ربك قديراً﴾ لا يمتنع عليه ما أراد.

فصل

قال أهل اللغة: كل شيء من قِبَل الزوج مثل: الأب والأخ، فهم الأَحْماء، واحدهم: حِمىً، مثل: قِفاً، وحَمُو مثل أبو. قال الشاعر:

.... هيَ ما كنَّتِي وتزعُمُ أني لها حَمُو[٣]

وحمؤ بسكون الميم والهمز، وحَمٌ مثل أبٌ، وحَمَاةُ المرأة: أمُّ زوجها، لا لغة فيها غير هذه، وكل شيء من قبل المرأة فهم الأختان، والصِّهْر يجمع ذلك كله[٤].

وحكى ابن فارس[٥] عن الخليل قال: لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أَخْتَان، ولأهل بيت المرأة إلا أَصْهار. ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم.

قال المعافى بن زكريا: ذهب قوم إلى التداخل والاشتراك، وهو أصح المذهبين

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٩٣).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٤٦٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حما).

(٤) مثل السابق.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣١٥).

عندي.

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: محمدٌ النبي أخي وصهري. والنبي ﷺ أبو زوجته. ويدلك على ذلك[1] قولهم: أصهرَ فلانٌ إلى فلانٍ، وبين القوم مُصاهرة.

قال غيره: فسمّيت المناكح صِهْراً؛ لاختلاط الأنساب بها، كما يختلط الشيء إذا صُهِرَ، والصَّهْرُ: إذابة الشيء[2].

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾: سبق تفسيره، ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي: معيناً للشيطان ومُظاهراً له على ربه بالعداوة.

وقيل: هو على حذف المضاف، أي: على أولياء ربه ظهيراً.

---

(١) في ب: هذا.

(٢) انظر: اللسان (مادة: صهر).

وقيل: «ظهيراً»: ذليلاً مهيناً، من قولك: ظهرتُ به؛ إذا جعلته وراء ظهركَ ولم تلتفت إليه[١].

وجمهور المفسرين يقولون: هو أبو جهل لعنه الله[٢].

وقيل: يجوز أن يريد بالظَّهير: الجماعة؛ كقوله: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم:٤]، [ويريد][٣] بالكافر: الجنس، وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾[٤] أي: مبشراً بالجنة لمن أطاعك، ﴿ونذيراً﴾ بالنار لمن عصاك.

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ أي: ما أطلب منكم على تبليغ ما أُرسلت به من جزاء فتتهموني [وتقولوا][٥]: إنما أراد ما عندنا من الأموال، ﴿إلا من شاء﴾ استثناء منقطع، على معنى: لكن من شاء، ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاق ماله في مرضاته فعل ذلك.

قال صاحب الكشاف[٦]: مثال: "إلا من شاء"، والمراد: إلا فعل من شاء،

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ظهر).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الشعبي وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن عطية وعزاه لابن المنذر.

(٣) في الأصل: أو يريد. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: ﴿ونذيراً﴾، وستأتي بعد.

(٥) في الأصل: وتقوا. والتصويب من ب.

(٦) الكشاف (٣/ ٢٩٣).

واستثنائه عن الأجر، قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت لك، إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه. فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب، ولكن صوَّره هو بصورة الثواب، وسماه باسمه، فأفاد فائدتين:

إحداهما: قَلْعُ شُبْهَةِ الطمع في الثواب من أصله، كأنه يقول لك: إن كان حفظك لمالك ثواباً فإني أطلب الثواب.

والثانية: إظهار الشفقة البالغة، وأنك إن حفظت مالك اعتدَّ بحفظك ثواباً.

قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يفوض أمره إليه، معتصماً به من كيد الكَفَرة ومكرهم، ومستكفياً به من شرهم، وعرّفه أن الحي الذي لا يموت، هو الذي ينبغي أن يُسْتَنَد إليه ويُعْتَمَد عليه.

قال بعض السلف: لا يصح لذي عقل أن يَثِقَ بعد هذه الآية بمخلوق، وصحبتُ شيخاً من العاملين لله [والمتنسّكين][1] بالعلم والمتمسكين بالورع في سفر بطريق الشام، فنزلنا قريةً فعرفه بها رجل من ذوي اليسار، فقال: أنتم الليلة أضيافي، فقال له الشيخ: وليلة غدٍ أضياف من نكون؟ يشير بذلك إلى نفي الاعتماد على من هو بعَرَضِيَّةِ الفناء والنفاد، ووجوب الاستناد في طلب القُوت إلى الحي الذي لا يموت.

وسمعتُ الشيخ أبا الخطاب بن هلال الرسعني -جدّ أولادي لأمهم- يقول:

---

(١) في الأصل: المتنسكين. والتصويب من ب.

عجبتُ لمن يرائي تراباً أن يطلب منه ثواباً.

وما بعده ظاهر مفسر إلى قوله تعالى: ﴿الرحمن فاسئل به خبيراً﴾، قرأ الأكثرون: «الرحمنُ» بالرفع، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مبتدأ، خبره ما بعده، بشرط أن يكون الضمير في «به» للرحمن.

الثاني: أنه خبر لقوله: ﴿الذي خلق السموات﴾.

الثالث: أنه بدلٌ من المستكنّ في "استوى"[1].

وقُرئ: «الرحمنِ» بالجر[2]، صفة "للحي الذي لا يموت".

واختلفوا في المعنى؛ فقال ابن السائب معناه: فاسأل الخبير بذلك، يعني: بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش[3].

وقيل: الباء بمعنى: «عن»، والضمير للرحمن، أي: فاسأل عن الرحمن خبيراً.

قال علقمة:

فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنني بصيرٌ بأدْوَاءِ النساءِ طَبِيبُ[4]

أي: عن النساء.

فعلى هذا؛ إما أن يراد بالخطاب رسول الله ﷺ أو غيره بخطابه، كقوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك﴾ [يونس:٩٤].

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٦٤)، والدر المصون (٥/ ٢٦٠).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٦٠)، والبحر (٦/ ٤٦٥)، وهي قراءة زيد بن علي.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٤) البيت لعلقمة بن عبدة. انظر: السبع الطوال (ص:٣٣٥)، والهمع (٢/ ٢٢)، والمفضليات (ص:٧٧٣)، واللسان (مادة: طبب)، والبحر (٦/ ٤٦٦)، والقرطبي (١٣/ ٦٣)، وزاد المسير (٦/ ٩٨، ٨/ ٣٥٨)، وروح المعاني (١٩/ ٣٨).

فإن كان المراد رسول الله ﷺ، فالخبير هو جبريل عليه السلام، في قول ابن عباس[١].

وقال مجاهد: هو الله عز وجل، على معنى: فسلني فإني الخبير[٢].

وإن أريد به غيره، فالمعنى: فاسأل رجلاً خبيراً، أي: عالماً بما تسأله عنه.

وقيل: الضمير في «به» يرجع إلى ما دلَّ عليه "فاسأل"، وهو السؤال، كما قال:

إِذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ ....[٣]

أي: إلى السفه، ودل عليه السفيه.

المعنى: فاسأل بسؤالك [خبيراً][٤] أيها الإنسان.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: لكفار مكة ﴿اسجدوا للرحمن﴾ لا للصنم، ﴿قالوا وما الرحمن﴾ فأنكروه وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون: مُسيلمة الكذاب.

قال الزجاج[٥]: «الرحمن»: اسم من أسماء الله تعالى، مذكور في الكتب الأولى،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٩٨-٩٩).

(٣) صدر بيت، وعجزه: (وخَالَفَ والسفيهُ إلى خِلاف). انظر: الخصائص (٣/ ٤٩)، والمحتسب (١/ ١٧٠)، ومجالس ثعلب (١/ ٦٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٦٨)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١/ ٢٤٤)، وأمالي المرتضى (١/ ١٤٥)، والهمع (١/ ٦٥)، والخزانة (٥/ ٢٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٢/ ٢٧٢، ٤/ ١٤٨)، والطبري (٤/ ١٨٩)، والقرطبي (٤/ ٢٩٠)، وزاد المسير (١/ ٥١٢)، وروح المعاني (١٢/ ١٦٤).

(٤) زيادة من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٧٣).

ولكنهم لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله تعالى، فلما سمعوه أنكروه، فقالوا: «وما الرحمن»؟

﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يأمرنا» بالياء(١)، على معنى: لما يأمرنا محمد ﷺ.

و"ما" إن كانت مصدرية فلا حاجة إلى إضمار، وإن كانت بمعنى: الذي، فالتقدير: لما يأمرنا به. والاستفهام في معنى الإنكار، أي: لا نفعل ذلك.

﴿وزادهم﴾ ذكر الرحمن ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان.

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء ثم يقول: إلهي زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً(٢).

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ قال ابن عباس: يريد: بروج النجوم، يعني: منازلها الاثني عشر(٣).

وقد ذكرناها في الحِجْر(٤).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٢-٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١١-٥١٢)، والكشف (٢/ ١٤٦)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٢٩)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٦٤)، والنسفي (٢/ ٢٨٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٦٩) وعزاه للخطيب في كتاب النجوم.

(٤) عند الآية رقم: ١٦.

وقال الحسن ومجاهد: هي النجوم الكبار(١).

وسميت بالبروج التي هي القصور العالية؛ لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسُكَّانِها، واشتقاق البرج من التبرُّج، وهو الظهور.

﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يعني: الشمس.

وقرأ حمزة والكسائي: «سُرُجاً» بضم السين والراء من غير ألف(٢)، وهي قراءة أصحاب ابن مسعود.

قال الزجاج(٣): أراد الشمس والكواكب العِظَام.

قال الماوردي(٤): لما اقترن بضوء الشمس وَهْجُ حرّها جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما عُدم ذلك في القمر جعله نوراً فقال: ﴿وقمراً منيراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ هو فِعْلَة، من المخالفة، أي: كل واحد منهما يخالف الآخر في اللونِ، فهذا أبيض وهذا أسود. وهذا قول ابن عباس وقتادة(٥).

وقال مجاهد -في رواية عنه- وأهل اللغة: المعنى: أن أحدهما يخالف

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٣)، والكشف (٢/ ١٤٦)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٧٤).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ١٥٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٣١) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

صاحبه[١]، ومنه: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ [البقرة:١٦٤]. وأنشدوا قول زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشينَ خِلْفَةً وأطلاؤُها ينهضنَ منْ كُلِّ مَجْثَمِ[٢]

﴿لمن أراد أن يذكّر﴾: يعتبر ويتّعِظ.

وقرأ حمزة: «يَذْكُرَ» بالتخفيف[٣]، من الذِّكْر.

﴿أو أراد شكوراً﴾ قال الحسن رحمه الله: من فاته عمله من التذكّر والشكر بالنهار كان له في الليل مُسْتَعْتَبٌ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مُسْتَعْتَبٌ[٤].

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) البيت لزهير، انظر: شرح ديوان زهير (ص:٥)، واللسان (مادة: خلف)، والقرطبي (٧/ ٢٤٢، ١٣/ ٦٥)، والطبري (٢/ ٦٣، ١٩/ ٣٢)، وزاد المسير (٦/ ١٠٠)، وروح المعاني (١٩/ ٤٢)، والماوردي (٤/ ١٥٤)، وغريب القرآن (ص:٣١٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٣)، والكشف (٢/ ١٤٧)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٩)، والطبري (١٩/ ٣١) بنحوه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧١) وعزاه لعبد بن حميد.

قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ، خبره: ﴿الـذين يمـشون عـلى الأرض هوناً﴾. ويجوز أن يكون "الذين يمشون" صفة لـ"عباد الرحمن"، والخبر: ﴿أولئـك يجزون الغرفة﴾(١).

قال ابن قتيبة(٢): نسبهم الله تعالى إليه لاصطفائه إياهم.

ومعنى: «هَوْناً» مشياً رويداً، فهو صفة مصدر أو حال(٣).

قال مجاهد: يمشون بالسكينة والوقار(٤).

وقال الحسن: يمشون علماء [حلماء](٥).(٦).

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قـالوا سـلاماً﴾ قـال عـلي بـن فـضال: لم ينتـصب "سلاماً" على أنه حكاية، إذ لو كان حكاية لكان مرفوعاً، كما في قوله: ﴿قال سلام﴾ [هود:٦٩].

وإنما المعنى: أنهم قالوا قولاً يسلمون به.

قال سيبويه(٧): المعنى: قالوا سداداً من القول.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٦٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٣)، وابـن أبي حـاتم (٨/ ٢٧٢١)، ومجاهـد (ص:٤٥٦)، والبيهقـي في الشعب (٦/ ٣٤٦ ح٨٤٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٢) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥) في الأصل: حكماء. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٠).

(٧) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٥).

قال سيبويه[(١)]: ولم يؤمر المسلمون في ذلك الوقت بالقتال، قال: وهي منسوخة بآية القتال.

قال علي بن فضال: لم يتكلم سيبويه في شيء من الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية.

قلتُ: والصحيح أنها محكمة.

قال الحسن: لا يجهلون، وإذا جُهل عليهم [حَلُمُوا][(٢)].[(٣)]

قوله تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ قال الزجاج[(٤)]: كل من أدركه الليل فقد باتَ يبيتُ، نَامَ أو لم يَنَمْ، يقال: باتَ فلانٌ قَلِقاً.

والمعنى: يبيتون لربهم سُجداً في الصلاة وقياماً فيها.

وقال[(٥)] ابن عباس: من صلّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء قد بَاتَ لله ساجداً وقائماً[(٦)].

قال الحسن البصري: هذا وصف نهارهم وليلهم[(٧)].

---

(١) انظر: الكتاب (١/ ٣٢٥).

(٢) في الأصل: حملوا. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٣)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٤٥ ح٨٤٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٧٥).

(٥) في ب: قال.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٥).

(٧) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٧٥).

قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ لازماً دائماً، ومنه: الغريم؛ لإلحاحه وملازمته.

وللمفسرين في معنى الغرام عبارات ترجع إلى معنى واحد، وهو الهلاك اللازم، وأنشد الزجاج(١):

ويومَ النِّسَارِ ويومَ الجِفَار   كانَا عَذَاباً وكانَا غَرَاما(٢)

النِّسَار والجِفَار: وقعتان من وقائع العرب، وأنشد غيره:

إنْ يُعاقِبْ يكنْ غَراماً وإن   يُعْطِ جَزيلاً فإنه لا يُبَالي(٣)

قال الحسن: كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم(٤).

﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ أي: بئست موضع قرار وموضع إقامة هي. وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إنَّ، وجعلها خبراً لها، ونَصَبَ «مستقراً ومقاماً» على الحال أو التمييز(٥).

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٧٥).

(٢) البيت للطرماح بن حكيم الخارجي. انظر البيت في: اللسان (مادة: غرم)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢)، والبحر المحيط (٦/ ٤٧٠)، والقرطبي (١٧/ ٢١٩)، والطبري (١٩/ ٣٦)، وزاد المسير (٦/ ٢٧٤)، وروح المعاني (١٩/ ٤٥).

(٣) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٦٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٠)، واللسان (مادة: جزل)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢)، والبحر (٦/ ٤٧٠)، والماوردي (٤/ ١٥٥)، والقرطبي (١٣/ ٧٢)، والطبري (١٩/ ٣٥، ٢٧/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٢/ ٣١٦)، وروح المعاني (١٩/ ٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٨ ح٣٤١٨٨، ٧/ ١٨٨ ح٣٥٢٠٤)، والطبري (١٩/ ٣٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٦٥)، والدر المصون (٥/ ٢٦٢).

وقوله: "إن عذابها" و"إنها ساءت" يجوز أن يكون حكاية لقولهم، وأن يكـون من كلام الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ قرأ نـافع وابـن عـامر: «يُقْتِروا» بضم الياء وكسر التاء، من أَقْتَرَ يُقْتِرُ[١].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ أهل الكوفة بفتح اليـاء وضم التاء[٢].

قال أبو عبيدة[٣]: هُنَّ ثلاث لغات، معناها: لم يُضَيِّقُوا في الإنفاق.

﴿وكان﴾ يعني: إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾ أي: بين الإسراف والإقتـار ﴿قوامـاً﴾ أي: عدلاً قصداً بين الغلو والتقصير، كما قال لرسوله ﷺ: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء:٢٩].

قال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآيـة: أولئـك أصـحاب محمـد ﷺ كـانوا لا يأكلون طعاماً للتنعّم واللذّة، ولا يلبسون ثوباً للجمال، ولكن كانوا يريـدون مـن الطعام ما يَسُدُّ عنهم الجوع ويُقَوِّيهم على عبادة ربهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويُكِنُّهُم من الحر والبرد[٤].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كفـى سرفـاً أن لا يـشتهي

---

(١) الحجـة للفـارسي (٣/ ٢١٣-٢١٤)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٥١٣-٥١٤)، والكـشف (٢/ ١٤٧)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٦).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٥). وذكره السيوطي في الـدر (٦/ ٢٧٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله[١].

قال[٢] ابن عباس رضي الله عنه والحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج: الإسراف: النفقة في معصية الله وإن قلّ، والإقتار: منع حق الله[٣].

وقرئ شاذاً: «قِواماً» بكسر القاف[٤].

قال ثعلب: القَوام -بفتح القاف-: الاستقامة والعدل، وبكسرها: ما يدوم عليه الأمر ويستقرُّ[٥].

قال الزمخشري[٦]: والمنصوبان -أعني: ﴿بين ذلك قواماً﴾-: جائز أن يكونا خبرين معاً، وأن يجعل "بين ذلك" لغواً، و"قواماً" مُسْتَقِراً، وأن يكون الظرف خبراً، و"قواماً" حال مؤكدة.

وقد تَبعَ الزمخشري عبارة سيبويه، فإنه كان يُسَمِّي الظرف إذا وقع خبراً: مُسْتَقِراً، وإذا لم يقع خبراً: لغواً.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٥) وعزاه لعبد الرزاق عن الحسن في قوله: ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ أن عمر بن الخطاب...

(٢) في ب: وقال.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٥) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٦/ ٤٧١)، والدر المصون (٥/ ٢٦٤).

(٥) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٦/ ١٠٣).

(٦) الكشاف (٣/ ٢٩٩).

ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ السبب في نزولها: ما أخرج الشيخان في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: ((سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خَلَقَكَ؟ قلتُ: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلتُ: ثم أي؟ قال: أن تُزَانِيَ [حليلة][1] جارك، فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾))[2].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: ((أن ناساً من أهل الشرك قَتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسنٌ، لو تخبرنا أنَّ لما عملناه كَفَّارةً، فنزلت: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر... الآية))[3].

﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل[4]: هذه الخصال، ﴿يلق أثاماً﴾.

قال الخليل وسيبويه: جزاء الأثام[5].

---

(١) في الأصل: بحليلة. والمثبت من الصحيحين، و ب.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣٩ ح٧٠٩٤)، ومسلم (١/ ٩١ ح٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١١ ح٤٥٣٢)، ومسلم (١/ ١١٣ ح١٢٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٢)، والوسيط (٣/ ٣٤٦).

(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ١٦٠).

قال ابن فارس[1]: الأَثَامُ -مقصورٌ-: الإثم، ويقال: العقوبة. وأنشد ابن قتيبة[2]:

جَزى اللهُ ابن عُروةَ حيثُ أمْسَى عَقُوقاً والعُقُوقُ له أَثَامُ[3]

وقال مجاهد وكثير من المفسرين: الأثام: واد في جهنم من دم وقَيْح[4].

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ بشركه ومعاصيه، ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ ذليلاً حقيراً.

قرأ الأكثرون: "يُضاعفْ ويخلُدْ" بالجزم على البدل من "يَلْقَ"، ومثله قول الشاعر:

متى تأْتِنَا تُلْمِمْ بنا في ديارنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تأَجَّجَا[5]

---

(١) مجمل اللغة (١/ ١٦٩).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٣) البيت لبلعاء بن قيس الكناني، ويقال: لشافع الليثي وهو في: تهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، والطبري (١٩/ ٤٠)، واللسان، (مادة: أثم)، والقرطبي (١٣/ ٧٦)، والبحر المحيط (٦/ ٤٧٢)، والدر المصون (٥/ ٢٦٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٨١)، والماوردي (٤/ ١٥٨)، وزاد المسير (٦/ ١٠٥)، والحجة للفارسي (٣/ ٢١٦).

(٤) أخرجه الطبري عن مجاهد (١٩/ ٤٤) ولفظه: وادياً في جهنم، وكذا في تفسير مجاهد (ص:٤٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) البيت لعبد الله بن الحر، وهو في: اللسان (مادة: نور)، والقرطبي (١/ ٣٨٤)، وزاد المسير (٦/ ١٠٥)، وروح المعاني (١٩/ ٤٨)، والدر المصون (٥/ ٤٨)، والبحر (٦/ ٤٧٢)، والحجة للفارسي (٣/ ٢١٦)، وخزانة الأدب (٩/ ٩٠)، وشرح الأشموني (ص:٤٤٠)، وشرح المفصل (١٠/ ٢٠)، والكتاب (٣/ ٨٦)، والمقتضب (٢/ ٦٣)، وجمع الهوامع (٢/ ١٢٨).

فأبدل: "تلمم" من "تأتنا".

وقرأ أبو بكر عن عاصم بالرفع على الاستئناف والقطع.

وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين وإسقاط الألف، غير أن ابن كثير جَزَمَ، وابن عامر رَفَعَ[١].

وقرأتُ لعاصم من رواية أبي زيد عن المفضل عنه: «ويُخْلَدْ»[٢] بضم الياء وفتح اللام والجزم[٣].

قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ قال ابن عباس: قرأناها على عهد النبي ﷺ سنتين: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ... الآية﴾، ثم نزلت: ﴿إلا من تاب ... الآية﴾، فما رأيت رسول الله ﷺ فَرِحَ بشيء فرحه بها، وبـ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[٤] [الفتح:١-٢].

وقال ابن عباس: لما نزلت: ﴿والذين لا يدعون... الآية﴾ قال المشركون: ما يغني عنا إسلامنا وقد عَدَلْنا بالله وقَتَلْنا النفس التي حرم الله وأتينا

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٤)، والكشف (٢/ ١٤٧)، والنشر (٢/ ٣٣٤)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٧).

(٢) في الأصل زيادة قوله: "فيه".

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٦/ ٤٧٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢١٧ ح١٢٩٣٥).

قال الهيثمي في مجمعه (٧/ ٨٤): رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران وقد وثقا وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٧٩) وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه.

[الفواحش][(١)]؟! فنزلت: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾[(٢)].

﴿فأولئك يبدل الله سيئآتهم حسنات﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه: «يُبْدِلُ» بسكون الباء والتخفيف.

واختلف العلماء في معنى التبديل ومتى يكون؛ فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير المعنى: فأولئك يُبدّل الله قبائح أعمالهم بمحاسنها، فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبالفجور إحصاناً، [وبِقَتْلِ][(٣)] المؤمنين المشركين[(٤)].

فعلى هذا: يكون التبديل واقعاً في الدنيا.

وقال سلمان الفارسي وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين: هذا التبديل كائن في الآخرة[(٥)].

قال عمرو بن ميمون: يُبدل الله تعالى سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي[(٦)].

وقال الحسن: ودَّ قومٌ يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب، فقيل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فأولئك يبدل الله سيئآتهم

---

(١) في الأصل: الفوحش. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٨٥ ح٤٤٨٧).

(٣) في الأصل: بقتل. والتصويب من ب.

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٥) عن علي بن الحسين، والطبري بنحوه (١٩/ ٤٧) عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٠) وعزاه لعبد بن حميد عن علي بن الحسين.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٨١) وعزاه لعبد بن حميد.

حسنات﴾(١).

ويدل على صحة هذا المذهب: ما أخبرنا به أبو علي بن عبدالله بن الفرج في كتابه، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا [أبو بكر القطيعي قال: أخبرنا](٢) عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد(٣)، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتُعرض عليه ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مُقرّ لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال: فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها، قال: فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتى بدتْ نواجذه))(٤). هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن نمير عن أبيه عن الأعمش.

قوله تعالى: ﴿ومن تاب﴾ أي: ترك الذنوب نادماً على ما سلف منها، ﴿وعمل صالحاً﴾ فيما يستقبله، ﴿فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ أي: متاباً مرضياً مُكَفِّراً لخطاياه.

وقيل: المعنى: فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً.

وقال ابن عباس: المعنى: «ومن تاب» ممن لم يقتل ولم يَزْنِ، «وعمل صالحاً» يريد: الفرائض، «فإنه يتوب إلى الله متاباً» [قال](٥): يريد: أني فضّلتهم وقدّمتهم

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٧).
(٢) زيادة من ب.
(٣) المعرور بن سويد الأسدي، أبو أمية الكوفي، تابعي ثقة، كثير الحديث، عاش مائة وعشرين سنة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٧، والتقريب ص: ٥٤٠).
(٤) أخرجه مسلم (١/ ١٧٧ ح ١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٥٧ ح ٢١٤٣٠).
(٥) زيادة من ب.

على من قاتل نبيي واستحلّ محارمي[١].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمًّا وَعُمۡيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ قال أكثر المفسرين: هو الشرك[٢].

قال الزجاج[٣]: الزور في اللغة: الكذب، ولا كذب فوق الشرك بالله.

وروي عن ابن عباس: أنه صنم كان للمشركين[٤].

وقال قتادة: مجالس الباطل بما يوهم أنه حق.

وقال علي بن أبي طلحة: يعني: شهادة الزور[٥].

فعلى هذا: هو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

وقال محمد بن الحنفية: اللهو والغناء[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٧-٣٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) معاني الزجاج (٣/ ٤٢٥، و ٤/ ٧٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٨٢) وعزاه لابن مردويه.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٠٩).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد.

وقال الربيع بن أنس: أعياد المشركين[١].

وعن مجاهد: كهذين القولين[٢].

وقال ابن جريج: هو الكذب[٣].

وقال عمرو بن قيس: مجالس الخنا[٤].

﴿وإذا مرّوا باللغو﴾ وهو ما يجب أن يُلْقَى ويُطْرَح.

قال الحسن: المعاصي كلها[٥].

وقال مجاهد ومقاتل[٦]: أذى المشركين وشتمهم[٧].

﴿مرّوا كراماً﴾ أي: مرّوا مرّ الكرماء مُعرضين عنهم، مُكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم؛ كقوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص:٥٥].

قال عيسى ﷺ: إياكم ومجالسة الخطّائين[٨].

قوله تعالى: ﴿والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم﴾ أي: وعظوا بالقرآن ﴿لم يخروا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٢) وعزاه للخطيب عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٤) وعزاه لابن جرير.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٣).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٠).

(٨) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٧٨).

عليها صماً وعمياناً﴾.

قال ابن قتيبة[1]: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها، عميٌ لم يَرَوْها.

وقال الزجاج[2]: تأويله: إذا تُليت عليهم خرُّوا سجداً وبكياً، سامعين مبصرين لما أُمروا به ونُهُوا عنه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً﴾ [مريم:٥٨]. ومثل هذا من الشِّعْر:

بأيدي رجالٍ لم يَشِيمُوا سُيُوفَهُم ولم يَكْثُرِ القتلى بها حينَ سُلَّتِ[3]

وتقديره: بأيدي رجال شَامُوا سُيوفهم وقد كثرت القتلى.

ومعنى "لم يشيموا سيوفهم": لم يَغْمِدُوها.

فالتأويل: والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم خرُّوا ساجدين سامعين مبصرين.

وقريب من قول الزجاج قول صاحب الكشاف[4]: ليس هو بنفي للخرور وإنما هو [إثبات][5] له، ونفي للصَّمَم والعَمَى، كما تقول: لا يلقاني زيد مُسَلِّماً، هو نفيٌ للسلام لا للِّقاء.

والمعنى: أنهم إذا ذُكّروا بها أَكَبُّوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذَكِّر بها وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية.

قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين﴾ قال

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٧٧-٧٨).

(٣) البيت للفرزدق. وهو في: اللسان (مادة: خرر، شيم)، وروح المعاني (١٨/ ١٦٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٠١).

(٥) في الأصل: إيثار. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

الزمخشري[١]: إن قلت: «مِنْ» في قوله: ﴿من أزواجنا﴾ ما هي؟

قلتُ: يحتمل أن تكون بيانيّة، كأنه قيل: هَبْ لنا قرة أعين، ثم بُينت القُرَّة وفُسِّرت بقوله: «من أزواجنا».

قرأ الحرميان وابن عامر وحفص: «وذرِّيَّاتِنا» على الجمع. وقرأ الباقون: «وذرِّيَّتِنَا» على التوحيد[٢].

فمن جَمَعَ حمله على لفظ الأزواج، ومن وَحَّدَ أراد الجمع أيضاً، فإن لفظ الذرية يصلح للواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿ذرية ضعافاً﴾ [النساء:٩] فاكتفى عن الجمع لما كان جمعاً.

قال الفراء[٣]: القُرَّة مصدر، تقول: قَرَّت عينُه قُرَّة.

والمعنى: هب لنا من أزواجنا وذرياتنا أعقاباً يعملون بطاعتك تقرُّ بهم نفوسنا.

قال محمد بن كعب القرظي: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله[٤].

وقال الحسن: والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتَقَرَّ أعينهم[٥].

وقيل: المعنى: سألوا الله أن يُلْحِقَ بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتمّ سرورهم.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٠٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٥)، والكشف (٢/ ١٤٨)، والنشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٧).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٧٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١١).

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث جبير بن نفير عن أبيه قال: ((جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمرَّ به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت. فاستغضب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كَبَّهم الله على مناخرهم في جهنم لم يُجيبوه ولم يُصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدّقين لما جاء به نبيكم، فقد كُفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بُعث النبي ﷺ على أشدّ حال بُعث عليها نبيٌّ من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرّق بين الحق والباطل، وفرّق بين الوالد وولده، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً، وقد فتح الله عليه قفْل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقرّ عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها لَلّتي قال الله عز وجل: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾))(١).

قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ قال ابن عباس: أئمة يقتدى بنا(٢).

فإن قيل: كيف وَحَّدَ وهو يرجع إلى جماعة؟

قلتُ: اكتفى بالواحد عن الجمع؛ لدلالته على الجنس وعدم اللبس، كقوله تعالى: ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ [غافر:٦٧].

ويجوز أن يكون التقدير: اجعل كل واحد منا إماماً. ويجوز أن يكون مصدراً،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢ ح٢٣٨٦١).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣).

من أَمَّ فلان فلاناً إماماً، كما تقول: قام قياماً، وصام صياماً. ذكر مجموع ذلك الزمخشري[١] وعلي بن فضال.

وقال مجاهد: المعنى: اجعلنا مؤتمّين بالمتقين مقتدين بهم[٢].

فعلى هذا يكون من مقلوب الكلام، أي: اجعل المتقين لنا إماماً.

والأول وجه الكلام.

أخبرنا الشيخ عبدالعزيز ابن منينا قراءة عليه وأنا أسمع بباب البصرة قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد، المعروف بقاضي المارستان الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن إبراهيم بن [مخلد][٣] البزاز، حدثنا جعفر بن محمد بن نصير[٤] إملاءً، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق[٥]، حدثنا محمد بن الحسين[٦]،

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٤-٢٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) في الأصل: خلد. والتصويب من ب، وتاريخ بغداد (١٤/ ٤١٠).

(٤) جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخلدي، حج ستين حجة، أسند جعفر الخلدي عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، وسمع الكثير من الحديث، ولقي جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره، وتوفي في يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة (صفة الصفوة ٢/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٥) أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس الصوفي، ويعرف بالطوسي، كان معروفاً بالخير والصلاح، توفي في يوم الأحد لعشر بقين من سنة تسع وتسعين ومائتين، وسنّه أربع وثمانون سنة -على ما ذكر-، ودفن في مقابر باب حرب (تاريخ بغداد ٥/ ١٠٠-١٠٢).

(٦) محمد بن الحسين بن شيخ، أبو جعفر البرجلاني، صاحب التواليف في الرقائق، من أهل بغداد، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ١١٢، وميزان الاعتدال ٦/ ١١٧).

حدثني إسماعيل بن إبراهيم الترجماني[١] قال: سمعت أبا جعفر المحوَّلي[٢]، وكان عابداً عالماً، يقول: حرام على قلب محبٍ للدنيا[٣] أن يسكنه الورع الخفي، وحرام على نفسٍ عليها زبانية الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كل عالمٍ لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماماً[٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفات من قوله: ﴿الذين يمشون﴾.. إلى هاهنا، ﴿يجزون الغرفة﴾ قال ابن عباس: الجنة[٥].

وقال غيره: يريد: غرف الجنة، وهي العلالي، فَوَحَّدَ لما ذكرناه أولاً في «إماماً».

﴿بما صبروا﴾ على أذى المشركين وجهادهم حين أمروا بالجهاد، وعلى طاعة

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البغدادي، أبو إبراهيم الترجماني، ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٣٧، والتقريب ص:١٠٥).

(٢) نسبة إلى باب المحول من بغداد، سكن به فنسب إليه.

(٣) في تاريخ بغداد: صحب الدنيا.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في: تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٠). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٩٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٣) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٢) عن ابن عباس.

الله وعن معصيته.

﴿ويَلْقَون فيها﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: «ويَلْقَوْن» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، من لَقَي يَلْقَى، فيتعدى إلى مفعول واحد وهو "تحيةً".

وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف(١)، حملاً على الفعل الذي قبله؛ ليقع اللفظ بهما على وزن واحد.

﴿تحيةً وسلاماً﴾ قال ابن عباس: يُحيّي بعضهم بعضاً بالسلام، ويرسل إليهم الربّ عز وجل بالسلام(٢).

﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ قال ابن عباس: ما يصنع بكم ربي(٣).

قال الزجاج وغيره من أهل اللغة(٤): تقول: ما عبَأتُ بفلان، أي: ما كان له عندي [وزن](٥) ولا عددته شيئاً.

﴿لولا دعاؤكم﴾ أي: لولا إيمانكم(٦)، المعنى: لولا دعاؤه [إياكم](٧).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٥)، والكشف (٢/ ١٤٨)، والنشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص:٣٣٠)، والسبعة (ص:٤٦٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٩) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٢).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٧٨).

(٥) في الأصل: رزق. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٧) في الأصل: إيمانكم. والتصويب من ب.

وقيل: لولا عبادتكم[(١)]. رويا عن ابن عباس.

فالمعنى على هذا: أي مقدار لكم عند الله، لولا أنه خلقكم لتوحدوه وتعبدوه.

وقال ابن قتيبة[(٢)]: في الآية إضمار، تقديره: ما يعبأ بعذابكم ربي لولا ما تدعونه [من دونه][(٣)] من الشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿فقد كذبتم﴾ خطابٌ لأهل مكة في قول جمهور المفسرين. والخطاب بقوله: «يعبأ بكم ربي» للمؤمنين، وقيل: للكافرين.

قال صاحب الكشاف[(٤)]: الخطاب يتوجه إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون، ومنهم مكذبون عاصون، فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب.

﴿فسوف يكون لزاماً﴾ أي: فسوف يكون العذاب لزاماً[(٥)] لكم.

قال ابن مسعود وأبي بن كعب في آخرين: هو يوم بدر[(٦)].

وهذا معنى قول ابن مسعود: خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٣٨).

(٣) زيادة من تأويل مشكل القرآن، الموضع السابق.

(٤) الكشاف (٣/ ٣٠٣).

(٥) في ب: لازماً.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٦-٥٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن السدي وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن ابن مسعود وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

والقمر والروم[1].

فالمعنى: أنهم قُتلوا في يوم بدر ولزمهم العذاب مُتَّصِلاً بعذاب الآخرة. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٨٥ ح٤٤٨٩)، ومسلم (٤/ ٢١٥٧ ح٢٧٩٨).

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائتا آية وست وعشرون في المدني وسبع في الكوفي.

قال ابن عباس وقتادة: هي مكية، إلا أربع آيات نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخرها[1].

طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ
مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا
خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ
۝٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى
ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩

قوله تعالى: ﴿طسم﴾ قرأ حمزة والكسائي بإمالة الطاء في أوائل السور الثلاث، وأظهر النون من هجاء سين عند الميم حمزة وأبو جعفر على أصله في تقطيع الحروف[2]، وقد نبّهنا على عِلَلِ ذلك فيما مضى.

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (ص:٦٠٧). وذكره الماوردي (٤/ ١٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ٢٨٨) وعزاه للنحاس.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٦)، والكشف (١/ ٦٦)، والنشر (٢/ ١٩، ٧٠)، والإتحاف (ص:٣٣١)، والسبعة (ص:٤٧٠).

ووجه إدغام النون من سين في الميم: اشتراك الحرفين في الغُنَّة.

ولأنه يُدغم في غير هذا فدُغم في هذا.

ووجه الإظهار: أن الحروف المقطّعة مبنيّة على الانفصال والوقف عليها، ولذلك لم تُعرب، فجرت على حكم الوقف عليها.

واختلف العلماء في تأويلها؛ فقال بعضهم: هي حروف من كلمات.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله تعالى به(١).

وقال مجاهد: اسم السورة(٢).

وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن(٣).

واختلف أرباب القول الأول في تأويله؛ فقال علي عليه السلام: لما نزلت «طسم» قال رسول الله ﷺ: ((الطاء طور سيناء، والسين الإسكندرية، والميم مكة))(٤).

وقال ابن عباس في رواية: الطاء طيبة، والسين بيت المقدس، والميم مكة(٥).

وقال جعفر الصادق عليه السلام: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى،

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧). وذكره الماوردي (٤/ ١٦٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٥) مثل السابق.

والميم محمد ﷺ[١].

وقال القرظي: أقسم الله بِطَوْلِهِ وسنائه وملكه[٢].

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي: خيفةَ أو خشيةَ ألا يكونوا مؤمنين.

ثم أخبر أنه لو شاء أن يَضْطرَّهم بآية مُلْجِئةٍ لفعل ذلك فقال: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾.

قال قتادة: لو شاء لأنزل عليهم آية يَذِلُّون بها، فلا يلْوي أحدٌ منهم عنقه إلى معصية الله، فذلك قوله: ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾[٣].

فإن قيل: كيف عطف "فظلَّت" وهو ماض على "نُنَزِّل" وهو مضارع؟

قلت: قد أجاب عنه الزجاج فقال[٤]: معناه: فتظلُّ؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقوله: إن تأتِني أكرمْتُك، معناه: أُكْرِمْك.

فإن قيل: كيف جاز وقوع "خاضعين" خبراً عن الأعناق؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أن أصل الكلام: فظلُّوا لها خاضعين، فأُقْحِمَتِ الأعناق لبيان موضع الخضوع، وتُرِكَ الكلام على أصله.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ١٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٨٨-٢٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٨٢).

وقريبٌ منه قول الزجاج[(١)]: لما لم يكن الخضوع إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رأتْ مَرَّ السنينَ أخذْنَ مِنّي   كَمَا أَخَذَ السِّرارُ من الهلال[(٢)]

أخبر عن السنين وإن كان أضاف إليها المرور.

الثاني: أن الأعناق لما وُصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء، جُمع جَمع من يعقل؛ كقوله: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤].

الثالث: [أن][(٣)] المراد بالأعناق: الرؤساء والأكابر، فإنهم يُسَمَّون بذلك، كما يُسَمَّون رؤوساً وصدوراً ونواصي، قال الشاعر:

....   في محْفَلٍ من نَواصِي الخيلِ مَشْهُود[(٤)]

الرابع: أن الأعناق: الجماعات. تقول: جاء عُنُقٌ من الناس، أي: جماعة، المعنى: [فظلَّتْ جماعاتهم][(٥)] للآية، خاضعين ذليلين خاشعين.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٨٢).

(٢) هو لجرير، والبيت من شواهد النحو، وهو في ديوانه (ص:٤٢٦)، والطبري (٤/ ٣٧، ١٢/ ١٥٧، ١٣/ ١٦٣، ١٩/ ٦٢)، واللسان (مادة: خضع)، والقرطبي (٧/ ٢٦٤، ٩/ ١٣٣، ١٣/ ٩٠)، وزاد المسير (٤/ ١٨٥، ٦/ ١١٦).

والسرار: اختفاء الهلال آخر الشهر وأخذ السرار منه، يعني: نحوله كلما دنا لآخر الشهر. والشاهد أنه أعاد الضمير على «السنين» المضاف إليه.

(٣) زيادة من ب.

(٤) عجز بيت لأم قيس الضَّبيّة، وصدره: (وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الغائِبِينَ بِهِ). انظر: اللسان، مادة: (نصا)، وروح المعاني (١٢/ ١٣٨).

(٥) في الأصل: فظلت أعناقهم أي: جماعاتهم. والمثبت من ب.

الخامس: أن المعنى: فظلت أعناقهم لها خاضعين هم، فأضمرهم.

وما بعده مفسرٌ في أول الأنعام(١) وأول الأنبياء(٢) إلى قوله تعالى: ﴿أو لم يروا﴾ يعني: المكذبين ﴿إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ أي: من كل صنف ونوع حسن مما لا يقدر أحد على إنباته.

﴿إن في ذلك﴾ الإنبات المشار إلى كثرته والإحاطة به بكلمتي "كَمْ" و"كُلّ" ﴿لآية﴾ لدلالة على عظمة الله ووحدانيته وقدرته على إحياء الموتى [وإيجاد](٣) ما توعدهم به، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾(٤) أعلم الله سبحانه وتعالى أن أكثرهم لا يؤمن.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾(٥) المنتقم من أعدائه ومكذبي أنبيائه ﴿الرحيم﴾ بأهل طاعته ومصدقي أنبيائه.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ

(١) عند الآية رقم: ٤-٥.
(٢) عند الآية رقم: ٢.
(٣) في الأصل: وإجاد. والتصويب من ب.
(٤) في الأصل زيادة: أي.
(٥) في الأصل زيادة: ﴿الرحيم﴾. وستأتي بعد.

رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ نادى ربك﴾ أي: واتل عليهم يا محمد قصة ﴿موسى﴾ وحديثه مع فرعون والقبط وأقاصيص الأمم السالفة ليعتبروا بذلك.

﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يعني: القبط الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وعبادة فرعون، وظلموا بني إسرائيل باسترقاقهم واستخدامهم في الأعمال الشاقة، وسَوْمِهم سُوء العذاب، بذبح الأبناء واستحياء النساء.

ثم بيّن القوم الظالمين فقال: ﴿قوم فرعون﴾.

وقوله: ﴿ألا يتقون﴾ كلام مستأنف خارج مخرج التعجب لموسى من فرط جهلهم وظلمهم، وكونهم مع ذلك آمنين مطمئنين لا يخافون بطش الله تعالى وانتقامه، وسنّته في أمثالهم من الظَّلَمَة والفجرة.

فإن قيل: ما وجه قراءة من قرأ: «يَتَّقُونِ» بكسر النون[1]؟

قلتُ: الأصل: "يتقونَني"، فحذفت النون لاجتماع النونين والياء اكتفاء بالكسرة، أو على معنى: يا هؤلاء اتقون، كقوله تعالى: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ [النمل:٢٥] على قراءة الكسائي.

---

(١) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٦٩).

فإن قيل: ما وجه قراءة حماد بن سلمة: «ألا تتّقون» بالتاء[١] على المخاطبة؟

قلتُ: هو على إضمار القول، تقديره: أرأيت القوم الظالمين، فقل لهم: ألا تتقون، وإضمار القول كثير. وقد ذكرناه في مواضع.

أو هو على طريقة الالتفات إليهم بالجَبْهِ والتوبيخ، ونظيره: أن تشكوا جانياً إلى بعض أخصائه ثم تُقبل عليه عند احتداد مزاجك وغضبك وأنت في شكايتك [قائلاً][٢]: ألا تستحي! ألا تتَّقِي الله!. ذكر الأول أبو الفتح ابن جني[٣]، والثاني الزمخشري[٤].

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري﴾ بتكذيبهم إياي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي فيه، فاعتلَّ بثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق صدره، وحبْسَة لسانه.

قرأ الأكثرون: "يضيقُ" و"ينطلقُ" بالرفع، عطفاً على "أخافُ".

وقرأت ليعقوب الحضرمي: "ويضيقَ"، "ولا ينطلقَ" بالنصب فيهما[٥]، عطفاً على "يكذبون".

فإن قيل: على قراءة يعقوب؛ الخوف يكون لأمر متوقع، وحبْسَةُ اللسان في موسى وصف لازم له، فكيف قال: إني أخاف أن لا ينطلق لساني؟

---

(١) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٦٩).

(٢) زيادة من ب.

(٣) المحتسب (٢/ ١٢٧).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٠٨).

(٥) النشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص: ٣٣١).

قلتُ: لا يخلو إما أن يكون هذا القول من موسى بعد أن أُجيبت دعوته وحُلَّتْ عقدته أو قبله، فإن كان بعده زال الإشكال. وإن كان قبله فالمعنى: إني أخاف زيادة العُقْلَة التي لا يجامعها انطلاق اللسان.

فلما مَهَّدَ موسى عليه السلام العُذْرَ بين يدي مسألته، سأل ربه أن يؤيده بأخيه فقال: ﴿فأرسل إلى هارون﴾ أي: ابعث إليه جبريل واجعله رسولاً.

ثم استدْفَعَ ربه المحذور الذي كان يخافه بسبب قتل القبطي فقال: ﴿ولهم عليَّ ذنب﴾ أي: ولهم عليّ دعوى ذنب أو تَبِعَة ذنْب، وهو قتل القبطي الذي وكزه فقضى عليه، ﴿فأخاف أن يقتلونِ﴾ به.

فآمَنَهُ الله تعالى وأعطاه أمنيته بصيغةٍ تدلُّ على الدَّفْعِ وتُؤذنُ بالزَّجْر فقال: ﴿كلا﴾ أي: ارتدعْ يا موسى عن الإقامة على هذا الظن، فإني من ورائك بالحفظ والرعاية.

﴿فاذهبا بآياتنا﴾ أي: انطلق أنت وهارون [بمعجزاتنا][1] ﴿إنا معكم مستمعون﴾ ما تقولان ويُقال لكما.

فإن قيل: هما اثنان، فكيف قال: "إنا معكم"؟

قلتُ: هو على معنى[2] الخطاب لهما ولمن عساه أن يكون معهما ومُنْضَماً إليهما، أو هو على مذهبهم في خطاب الواحد العظيم، أو الاثنين العظيمين بلفظ الجمع.

﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ قال ابن قتيبة[3]: الرسول يكون

---

(١) في الأصل: بمعزاتنا. والتصويب من ب.

(٢) ساقط من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٦).

بمعنى الجميع، كقوله: ﴿هؤلاء ضيفي﴾ [الحجر:٦٨].

قال الزجاج(١): المعنى: إنا رسالة، أي: ذوو رسالة رب العالمين، قال الشاعر:

لقد كَذَبَ الواشون ما بُحتُ عندهم بسِرٍّ ولا أرْسَلْتُهُم برسُـــول(٢)

أي: برسالة.

وقال صاحب الكشاف(٣): يجوز أن يُوحَّدَ؛ لأن حكمهما لتساندهما، واتفاقهما على شريعة واحدة [واتحادهما لذلك](٤)، وللأُخُوَّة كان حكمهما واحداً، فكأنهما رسول واحد، أو أريد أن كل واحد منا رسول رب العالمين.

﴿أن أرسل﴾ أي: بأن أرسل ﴿معنا بني إسرائيل﴾ فاسألاه أن يخلي عنهم وأن يُطلقهم من الاستعباد وسوم العذاب وذبح الأولاد.

فلما بَلَّغا فرعون الرسالة أقبل على موسى فقال: ﴿ألم نربّك فينا وليداً﴾ صبياً صغيراً، سُمّي بذلك؛ لقرب عهده بالولادة، ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾.

قال ابن عباس: ثماني عشرة سنة(٥).

وقال مقاتل(٦): ثلاثين سنة.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٨٥).

(٢) هو لكثيّر عزة، وهو في: اللسان (مادة: رسل)، والطبري (١٩/ ٦٥)، والقرطبي (١٣/ ٩٣، ١٨/ ٢٦٢)، والماوردي (٤/ ١٦٦)، وزاد المسير (٦/ ١١٨)، وروح المعاني (١٥/ ١٠٥، ١٩/ ٦٧).

(٣) الكشاف (٣/ ٣١١).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١١٩).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٧).

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني: قتْله خبّازه القبطي.

وقرأ الشعبي: «وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ»[١].

قال ابن جني[٢]: والفِعْلَة كناية عن الحال التي يكون عليها، كالرِّكْبَة والمِشْيَة.

قال الزجاج[٣]: الفتْح أجود وأكثر؛ لأنه يريد: قَتَلْتَ قَتْلَتَكَ على مذهب المرّة الواحدة. وقراءة الشعبي على معنى: قتلت القِتْلَةَ التي قد عرفتها؛ لأنه قتله بِوَكْزِه، يقال: جلسْتُ جَلْسَةً، يريد: مرّة واحدة، وجلستُ جِلسة [بالكسر][٤] يريد: هيئة الجلوس.

قوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ جائز أن يكون في محل النصب على الحال[٥]، على معنى: قتلته وأنت إذ ذاك من الكافرين الذين تُكفِّرُهم الآن، أو وأنت كذلك من الكافرين بنعمتي.

وجائز أن يكون كلاماً مستأنفاً خارجاً مخرج التوبيخ لموسى والحكم عليه بكفر النعمة والتربية. وهذا معنى قول ابن عباس وأكثر المفسرين[٦].

وقيل: المعنى: وأنت من الكافرين بإلهيتي.

﴿قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين:

---

(١) انظر قراءة الشعبي في: الدر المصون (٥/ ٢٧٠).

(٢) المحتسب (٢/ ١٢٧).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٨٦).

(٤) في الأصل: باكسر. والتصويب من ب.

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧٠).

(٦) انظر: الطبري (١٩/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٤)، والدر المنثور (٦/ ٢٩١).

المعنى: وأنا من الجاهلين[1]، يريد: وأنا من الجاهلين بمعالم النبوة وشرائع الهدي.

أو يكون المعنى: وأنا من الفاعلين فِعْلَ أولي الجهل والسَّفَه، كما قال يوسف لإخوته: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ [يوسف:٨٩].

وقال أبو عبيدة[2]: وأنا من الناسين، كقوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ [البقرة:٢٨٢].

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ أي: هربت منك ومن ملئك المؤتمرين بي ليقتلون، ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ علماً وفهماً. وقيل: نبوةً، ﴿وجعلني من المرسلين﴾.

قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنّها عليّ﴾ إشارة إلى خصلة مبهمة يفسرها قوله: ﴿أن عبّدت بني إسرائيل﴾.

ومحل: «أن عبدت» الرفع؛ لأنه عطف بيان لـ"تلك"، أو هو في محل النصب بنزع الحرف الخافض[3].

واختلف العلماء في تأويل الآية: فتأوّلها الأكثرون على إنكار النعمة التي امتنّ بها فرعون على موسى، والتقدير: أتلك نعمة تمنّها عليّ أن استعبدت أهلي وأخذت أموالهم وذبحت أبناءهم، حتى ألجأت أمي إلى قذفي في اليمّ حتى أفضيتُ إليك،

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٥)، ومجاهد (ص:٤٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩١) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٣).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧١).

فربيتني لسبب يعد مثله نقمة لا نعمة.

وتأوّلها قوم على الاعتراف بنعمته، على معنى: هي نعمة تمنها أن عبدت بني إسرائيل ولم تستعبدني كما استعبدتهم، ونظيره في الكلام: أن تضرب أحد عبديك فيقول المتروك: هذه نعمة عليّ أن ضربت فلاناً، أي: وتركتني، لكنه حذف [للعلم][1] به، وهذا معنى قول الفراء[2].

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ قال محمد بن إسحاق: استوصفه إلهه الذي أرسله إليه[3].

فأجابه موسى بما يدل عليه من مخلوقاته فقال: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ [وإنما][4] ثنّى والسموات والأرض جمع ذهاباً إلى

(١) في الأصل: العلم. والتصويب من ب.

(٢) انظر: معاني الفراء (٢/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٦).

(٤) في الأصل: ونها. والتصويب من ب.

[الجنسين][1].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: ما معنى: ﴿إن كنتم موقنين﴾ وأين عن فرعون وملئه الإيقان؟

قلت: معناه: إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نَفَعَكُم هذا الجواب، وإلا لم ينفع، أو إن كنتم موقنين بشيء قط، فهذا أولى ما توقنون به؛ لظهوره وإنارة دليله.

﴿قال﴾ يعني: فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه، قيل: كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساورة، وكانت للملوك خاصة ﴿ألا تستمعون﴾ هذه المقالة. قَصَدَ الخبيث بذلك إغراءهم بموسى، وأنه قد جاء بأمر شنيع وقول فظيع تجب المبادرة إلى إنكار مثله، فلم يُعرِّجْ موسى على تلبيسه وتدليسه، وأخذ في [الإفصاح][3] بالحجة وإيضاح المحجَّة فقال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فعمَّ أولاً بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾، وخصَّ ثانياً بذكر أنفسهم وآبائهم؛ لأن أقرب ما ينظر فيه العاقل نفسه وما نشأ عنه وتولد منه، مع ما في ذلك من تنبيههم على نعم الله تعالى عليهم وإحسانه إليهم.

فلما [اشتدّت][4] على اللعين مسالك الجواب أخذ في السفه فـ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾.

---

(١) في الأصل: الجنس. والتصويب من ب.

(٢) الكشاف (٣/ ٣١٤).

(٣) في الأصل: الإصاح. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: استدلت. والتصويب من ب.

وقوله: «إن رسولكم» تهكّم [من][(١)] اللعين، وقد سبق ذكر أمثاله، فلم يحفل نبي الله موسى بهَذَيَان السفيه، بل أخذ في تأكيد حجته فـ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ يريد: مشرق النيّرين والكواكب [ومغربها][(٢)]، وخصّهما بالذِّكر في جهة الاحتجاج مع دخولهما في عموم الحجة الأولى؛ لظهور دلالتهما على عظمة الله تعالى [وقدرته][(٣)].

قال صاحب الكشاف[(٤)]: لايَنَ أولاً بقوله: «إن كنتم موقنين»، فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عَرْض الحُجَج خاشن وعارض: "إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون"، بقوله: «إن كنتم تعقلون».

ثم أخذ المخذول في تهديد موسى بعد انقطاعه وسفهه فـ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ أي: لأحبسنك مع من حبسته في السجن.

﴿قال أوَ لَوْ جئتك بشيء مبين﴾ أي: ظاهر تعرف به صدقي، يريد: المعْجز الذي أُيِّدَ به، وفيه إضمار، تقديره: أتفعل بي ذلك.

والواو في «أوَ لَوْ» واو الحال دخلت عليه همزة الاستفهام[(٥)].

قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ

(١) في الأصل: في. والتصويب من ب.
(٢) في الأصل: ومغربهما. والتصويب من ب.
(٣) في الأصل: قدرته. والتصويب من ب.
(٤) الكشاف (٣/ ٣١٤).
(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧٢).

حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ
يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ
أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى
عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا
نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

وما بعده مُفَسَّرٌ في الأعراف[1] إلى قوله تعالى: ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ يعني: وقت الضحى يوم الزينة.

﴿وقيل للناس﴾ يعني: أهل مصر، ﴿هل أنتم مجتمعون﴾. وهذا قول بعضهم لبعض.

---

(١) عند الآية رقم: ١٠٦.

قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية[١].

قال الزمخشري[٢] في قوله: «هل أنتم مجتمعون» المراد به منه: استعجالهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق؟ إذا أراد أن يحرّك همته ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف، ومنه قول تأبط شراً:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجَتِنا أو عبْد ربّ أخا عَوْن بن مخراق[٣]

يريد: ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطئ به.

قلتُ: سيبويه يرويه[٤]: «عبدَ رَبٍّ» بالنصب، عطفاً على محل «دينار»، كأنه قال: باعثٌ ديناراً أو عبدَ ربّ، ولهذا نصب «أخا عون»، ولو كان عطفاً على لفظ «دينار» لقال: أخي عون.

﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ في دينهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩٣) وعزاه لابن جرير.

(٢) الكشاف (٣/ ٣١٧).

(٣) البيت ينسب لجابر بن رألان السنبسي، ونسب أيضاً لجرير، ولتأبط شراً. وقيل: إنه مصنوع. انظر البيت في: الخزانة (٣/ ٤٧٦)، والعيني (٣/ ٥٦٣)، والطبري (١/ ٢٦٣)، والقرطبي (١٥/ ٢٥٩)، وروح المعاني (١٩/ ٧٧)، والكشاف (٣/ ٣١٧).
والاستفهام هنا للاستحثاث.
ودينار وعبد رب: رجلان. وأراد: عبد ربه، ولكنه ترك الإضافة وهو يريدها. والشاهد في البيت: نصب «عبد رب» حملاً على موضع «دينار».

(٤) انظر: الكتاب (١/ ١٧١).

قال الزمخشري[١]: الغرض الكلي: أن [لا][٢] يتبعوا موسى، فساقوا الكلام مساق الكناية؛ لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى.

وذهب بعض المفسرين إلى أنهم أرادوا بالسَّحَرَة: موسى وأخاه[٣]، فيكون تهكّماً واستهزاءً بهما.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله: ﴿قالوا لا ضير﴾ أي: لا ضَرَرَ علينا فيما تنالنا به من عذاب الدنيا.

قال ابن قتيبة[٤]: هو من ضَارَه يَضُوره ويَضِيره، بمعنى: ضَرَّه.

﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ فيجازينا بصبرنا على عذابك إيانا ظلماً وعدواناً، فنفوا ضرر ما توعدهم به من العذاب في جانب ما يرجونه في مقابلته من الثواب.

وقيل: المعنى: لا ضير علينا فيما تتوعدنا به؛ لأنه لا بُدَّ لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت، [والقتل][٥] أهون أسبابه.

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ أي: لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ من رعية فرعون، أو من أهل المشهد بما جاء به موسى.

فإن قيل: فما وجه قراءة من قرأ: «إن كنا» بالكسر مع تحققهم [أنهم][٦] أول المؤمنين؟

---

(١) الكشاف (٣/ ٣١٧).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣١٧).

(٥) في الأصل: والتقتل. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

قلتُ: جائز أن يكون بمعنى إذ، كقوله تعالى: ﴿وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة:٢٧٨]. وقيل: هو من الشرط الذي يجيء به المدلّ بأمره المتحقق لصحته، ونظيره قول القائل لمن يؤخر جُعْله: إن كنت عملت لك فَوَفِّني حَقِّي، وأنشد أبو الفتح ابن جني[١] في معنى هذا:

فَإِنْ تَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّةِ وَاقِمٍ ... فَلَسْنا عَلى الإِسْلامِ أَوَّلَ مَنْ قُتِلْ

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾

وما بعده مُفسر في طه[٢] إلى قوله: ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده ليَحُولوا بينكم وبين الخروج من مصر.

﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ قوماً يحشرون الجنود لإدراك بني إسرائيل.

﴿إن هؤلاء﴾ محكيٌّ بعد قول مضمر، تقديره: قال إن هؤلاء، يعني: بني إسرائيل ﴿لشرذمة قليلون﴾.

قال المبرد: الشرْذِمة: القِطْعَةُ من الناس[٣].

---

(١) المحتسب (٢/ ١٢٨). والبيت لعبد الرحمن بن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل.

(٢) عند الآية رقم: ٧٧.

(٣) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٣٥٣).

وقال غيره: الشِّرذمة: الطائفة القليلة، ومنه ثوبٌ شراذم؛ للذي بَلِيَ وتقطَّع قِطَعاً.

وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، فاستقلّهم فرعون بالنسبة إلى جنوده، فإنه خرج إليهم في جيش كانت مقدمته سبعمائة ألف.

قال ابن عباس: خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث[١].

﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ لمراغمتهم إيانا وقلة اهتمامهم بأمرنا.

وقال مقاتل[٢]: وإنهم لنا لغائظون بقتلهم أبكارنا.

وقال ابن جرير[٣]: يحتمل[٤] أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُليهم.

قال الزجاج[٥]: يقال: قد غاظني فلان، ومن قال: أغاظني؛ فقد لَحَن.

ونقل غيره: تقول: غاظني الشيء وأغاظني؛ إذا أغضبك[٦].

﴿وإنا لجميع حذرون﴾ وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: «حاذِرُون»[٧]. قيل: إنهما

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٧١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٠-٣٠١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٢).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٧٦-٧٧).

(٤) في ب: ويحتمل.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٩٢).

(٦) انظر: اللسان (مادة: غيظ).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٧)، والكشف (٢/ ١٥١)، والنشر (٢/ ٣٣٥)، والإتحاف (ص:٣٣٢)، والسبعة (ص:٤٧١).

بمعنى واحد.

قال أبو عبيدة[١]: يقال: رجل حَذِرٌ وحَذُرٌ وحَاذِرٌ.

وقيل: إن الحاذر: المستعدّ الذي يُحدد حذره ويتهيأ لما يخافه، والحَذِر: [المتيقّظ][٢] المخلوق كذلك.

قال الزجاج في التفسير[٣]: إن معنى: "حاذرون": مُؤْدُون، أي: ذوو أداة، أي: سلاح، والسلاح أداة الحرب، فالحاذر: المستَعِدُّ، والحَذِرُ: المتيقِّظ.

وقرأ ابن أبي [عمّار][٤]: «حَادِرُون» بالدال المهملة[٥].

قال ابن جني[٦]: الحادِرُ: القوي الشديد، ومنه: الحادرة الشاعر.

قوله تعالى: ﴿فأخرجناهم﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿من جنات وعيون﴾.

قال مقاتل[٧]: بساتين وأنهار جارية.

﴿وكنوز﴾ قال مجاهد: سماها كنوزاً؛ لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله[٨].

﴿ومقام كريم﴾ سبق تفسيره في مواضع.

والمراد: المجالس البهيّة الشريفة.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) في الأصل: المستيقظ. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٩٢).

(٤) في الأصل: عامر. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٢٧٤).

(٦) المحتسب (٢/ ١٢٨).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٢).

(٨) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٨٧).

قال الضحاك: يعني: المنابر[(١)].

وقيل: السرر في الحجال.

﴿كذلك﴾ جائز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، [أي][(٢)]: الأمر كذلك وكما وصفنا. وجائز أن يكون منصوباً، على معنى: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا. وجائز أن يكون مجروراً على أنه وصف لـ"مقام" الذي كان لهم[(٣)].

﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾، وذلك أن الله تعالى ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعد أن أغرق فرعون وجنوده، وملّكهم ما كان لهم من الأموال والمساكن.

وقال ابن جرير[(٤)]: [ملكوها][(٥)] ولم يرجعوا إليها، وإنما سكنوا الشام.

فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٢٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٧٤).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣١٤).

(٥) في الأصل: مكلوها. والتصويب من ب.

﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ أي: أدركوا موسى وأصحابه حين شرقت الشمس، أي: طلعت.

قال الزجاج[١]: يقال: أشرقنا؛ أي: دخلنا في وقت طلوع الشمس. وقد سبق ذلك في سورة الحجْر[٢].

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ أي: تقابلا بحيث يرى أحدهما الآخر ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ فقال موسى ثقة بالله وبنصره إياه: ﴿كلا﴾ أي: ارتدعوا وازدجروا فلن يدركونا، ﴿إن معي ربي﴾ بالمعونة والنصر ﴿سيهدين﴾ إلى طريق النجاة.

﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ فيه إضمار، تقديره: فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً على عدد الأسباط، ﴿فكان كل فِرْق﴾ أي: كل جزء انفرق منه.

وقرئ شاذاً: «كل فِلْقٍ»[٣]، والمعنى واحد.

﴿كالطود العظيم﴾ أي: [كالجبل][٤] العظيم.

﴿وأزلفنا ثَم الآخرين﴾ أي: وأزلفنا حيث انفلق البحر الآخرين.

قال الزجاج[٥]: "وأزلفنا": قرَّبْنا الآخرين من الغَرق، وهم أصحاب فرعون.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٩٢).

(٢) عند الآية رقم: ٧٣.

(٣) وهي قراءة أبي المتوكل وأبي الجوزاء وعاصم الجحدري. انظر: زاد المسير (٦/ ١٢٦)، والدر المصون (٥/ ٢٧٦).

(٤) في الأصل: كاجبل. والتصويب من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٩٣).

وقال أبو عبيدة[١]: "أزلفنا": جَمَعْنَا ثَمَّ الآخرين، قال: ومن ذلك سميت [مزدلفة][٢] جَمْع.

قال الزجاج[٣]: وكلا القولين حسنٌ جميل؛ لأن جمعهم تقريبُ بعضهم من بعض. وأصل الزُّلْفَى في الكلام العربي: القُرْبَى.

وذكر أبو الفتح في المحتسب[٤]: أن "الآخرين": موسى وأصحابه.

ولا أعلم أحداً من المفسرين ذكر هذا الوجه الذي ذكره، وهو بعيد من التحقيق.

وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وعبدالله بن الحارث: «وأَزْلَقْنَا» بالقاف[٥]، على معنى: [أزلَلْنا][٦] أقدامهم وأذهبنا عزّهم، كما قال:

تَدارَكتُما عَبْساً وقد ثُلَّ عرشُها وذبيان إذ زلَّتْ بأقدامها النَّعْل[٧]

وجائز أن تكون القدرة الإلهية جعلت مسالك البحر مزلقة لهم ومدحضة لخيلهم، بعد أن كانت قُبيل ذلك يَبَساً لبني إسرائيل.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ من فرعون وجنوده، ﴿ثم أغرقنا

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٧).

(٢) في الأصل: مزلفة. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٩٣).

(٤) المحتسب (٢/ ١٢٩).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٢٧)، والدر المصون (٥/ ٢٧٦).

(٦) في الأصل: أزلنا. والتصويب من ب.

(٧) البيت لزهير. انظر: القرطبي (٧/ ٢٢٠)، وروح المعاني (١٩/ ٨٩)، واللسان (مادة: عرش، ثلل) وفيه: "الأحلاف" بدل: "عبساً".

الآخرين﴾ وقد ذكرنا قصتهم في البقرة.

﴿إن في ذلك﴾ أي: في إهلاك فرعون وقومه بالتِطَامِ البحر عليهم بعد انفراقه اثني عشر طريقاً بضربة موسى بعصاه، ﴿لآية﴾ لعبرة لهم ولمن بعدهم. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ بوحدانية الله تعالى.

قال المفسرون: ولم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون، وخِرْبيلُ مؤمن آل فرعون، وفنَّة الماشطة، ومريم بنت موشا التي دلّت على عظام يوسف(١).

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم﴾ أي: اقرأ يا محمد على قومك ﴿نبأ إبراهيم﴾ خبره مع أبيه وقومه، وحُسْن مجادلته إياهم على إثبات الوحدانية لله ونفي إلهية الأصنام.

﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ كان عليه السلام يعلم أنهم يعبدون الأصنام، لكنه استنطقهم؛ تمهيداً لما سَيُورده عليهم في معرض الاحتجاج على

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٤-٣٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٧).

إيصال ما انتحلوه معبوداً من دون الله.

﴿قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾ مقيمين على عبادتها نهاراً.

﴿قال هل يسمعونكم﴾ فيه إضمار، تقديره: هل يسمعون دعاءكم أو ندائكم، ﴿إذ تدعون﴾.

وقرأ سعيد بن جبير وقتادة وعاصم الجحدري: «يُسْمِعُونكم» بضم الياء وكسر الميم[1].

قال أبو الفتح ابن جني[2]: المفعول [هنا][3] محذوف، أي: [هل][4] يُسْمِعُونكم إذ تدعون جواباً عن دعائكم؟ يقال: دعاني فأَسمعتُه، أي: أسمعته جواب كلامه ودعائه.

قال[5]: وأما قراءة الجماعة: «يَسْمَعُونَكُم» فإنَّ "سمعْتَ" بابُها أن يتعدى إلى ما كان صوتاً [مسموعاً][6]؛ كقولك: سمعتُ كلامك، وسمعتُ حديثك، فإن وقعتْ على جوهرٍ [تعدت][7] إلى مفعولين، ولا يكون الثاني منهما إلا صوتاً، كقولك: سمعتُ زيداً يُحَدِّثُ، ولا يجوز: سمعتُ زيداً يقُوم؛ لأن القيام ليس من المسموعات.

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٢٨)، والدر المصون (٥/ ٢٧٦).

(٢) المحتسب (٢/ ١٢٩-١٣٠).

(٣) في الأصل و ب: من هذا. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٢٩).

(٤) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٥) أي: ابن جني في المحتسب.

(٦) زيادة من المحتسب (٢/ ١٢٩).

(٧) في الأصل و ب: تعدى. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

قال[(١)]: وأما قوله: «هل يَسْمَعُونكُم إذ تدعون» فإنه على حذف المضاف، وتقديره: [هل][(٢)] يسمعون دعاءكم؟ ودلّ عليه قوله: «إِذْ تَدْعُون».

﴿أو ينفعونكم أو يضرون﴾ أي: هل ينفعونكم إن عبدتموهم، أو يضرونكم إن لم تعبدوهم. فألجأهم الانقطاع عند ظهور الحجة عليهم إلى الاعتصام بتقليد الآباء فقالوا: ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدوٌ لي﴾ أي: أعداء، أو كل واحد منهم عدو لي إن اتخذتهم آلهة وعبدتهم، ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع.

وقال ابن زيد: هو استثناء متصل؛ لأنهم [كانوا][(٣)] يعبدون الله تعالى مع آلهتهم[(٤)].

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

قوله: ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يريد هدايته بعد إتمام خلقه ونفخ الروح فيه، إلى كل ما يصلحه، وإلا فَمَنْ هداه إلى الاغتذاء بامتصاص الدم في ظُلَمِ الأحشاء وكيفية الرَّضْع بعد الوضع.

---

(١) أي: ابن جني في المحتسب.

(٢) زيادة من المحتسب (٢/ ١٣٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٨).

وقال المفسرون: يريد: فهو [يهدين][(١)] إلى الدين والرشد لا أصنامكم[(٢)].

﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ أي: يرزقني الطعام والشراب.

﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أضاف الخير المحض إلى الله تعالى، واستعمل معه حُسْن الأدب، فلذلك لم يقل: «أمْرَضَنِي». ومنه في قصة الخضر: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ [الكهف:٧٩]، [وقوله][(٣)]: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ [الكهف:٨٢].

فأضاف إرادة العيب إلى نفسه، والإرادة الثانية إلى الرب عز وجل.

فإن قيل: فما باله أضاف الإماتة إلى الله عز وجل في قوله: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾؟

قلت: ليُقَرِّرَ عندهم أن المميت هو الله عز وجل، وأنه لا أثر للأسباب التي يضيفون ما يترتب عليها إليها إلا بتقدير الله عز وجل، فإن القوم كانوا ضُلالاً عُبَّاد أوثان لا يهتدون إلى واجب القول في ذلك وأمثاله، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿ثم يُحْيِين﴾ يرشدهم إلى أنه يبعثهم بعد موتهم ليجازيهم على أفعالهم وأقوالهم.

﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي: أرجو أن يغفر لي ما عساه يصدر مني، من صغيرة، فإن الأنبياء معصومون من الكبائر والرذائل.

وقال الحسن: هي قوله للكوكب: ﴿هذا ربي﴾[(٤)] [الأنعام:٧٦].

---

(١) في الأصل: هدين. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٢٩).

(٣) في الأصل: قوله. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٥).

وقال أكثر المفسرين: هي الكذبات الثلاث[١]، وقد ذكرناها في سورة الأنبياء[٢].

قال صاحب الكشاف[٣]: فإن قلت: لم علّق مغفرة الخطيئة بيوم الدين، وإنما تُغْفَرُ في الدنيا؟

قلتُ: لأن [أثرها][٤] يتبين يومئذ، وهو الآن خفي [لا][٥] يُعلم.

قلت: ويجوز أن تقع المغفرة يوم الدين، فإن ذلك لا يمنع منه نقل ولا عقل. وقد صح في حديث النجوى: ((وأنا أغفرها لك اليوم))[٦]. وقد ذكرت الحديث في سورة هود عليه السلام[٧].

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: ((يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يَصِل الرحم ويُطعم، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا؛ لأنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[٨].

رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ

---

(١) وهي: قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، وقوله لسارة: هي أختي.

(٢) عند الآية رقم: ٦٣.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٢٥).

(٤) في الأصل: أكثرها. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: ولا. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢ ح٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠ ح٢٧٦٨).

(٧) (ص: ١٤٥).

(٨) أخرجه مسلم (١/ ١٩٦ ح٢١٤).

صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

قوله: ﴿رب هب لي حكماً﴾ قال ابن عباس: معرفةً بالله تعالى وبحدوده وأحكامه[1].

وقال مقاتل[2]: يعني: الفهم والعلم.

﴿وألحقني بالصالحين﴾ وفّقني لعمل يَنْظِمُني في جملتهم ويُدخلني في زمرتهم، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فقال في موضع آخر: ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة:١٣٠].

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي: ثناءً حسناً في الذين يأتون من بعدي إلى يوم القيامة.

﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ مفسرٌ فيما مضى.

فإن قيل: لم خصّ أباه بسؤال المغفرة له في قوله: ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾؟

قلت: للموعدة التي وعدها إياه، على أنه قد قيل: إن أمه كانت مؤمنة، وقد حكيناه في آخر إبراهيم[3] عن الحسن البصري.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٥).

(٣) عند الآية رقم: ٤١.

﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ أي: لا تفضحني يوم يبعث الخلق لفصل القضاء.

ويجوز أن يعود الضمير في "يبعثون" إلى "الصالحين"، على معنى: يوم يبعث الضالون وأبي منهم وفيهم.

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ [بدل](١) من «يوم يبعثون»(٢).

﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ قال الحسن: سليم من الشرك(٣).

وقال سعيد بن المسيب: "بقلب سليم" أي: صحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض(٤). وهذه الأقوال متحدة في المعنى.

وقال الجنيد: "سليم" بمعنى: لديغ من خوف الله(٥).

وقيل: سليم من البدعة، مطمئن على السنّة(٦).

قال الزمخشري(٧): التقدير: "إلا" حال "من أتى الله بقلب سليم". وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنىً إلا غنى من أتى الله بقلب سليم؛ لأن غنى الرجل في دِينه سلامة قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه، ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً، ولا بد لك مع

---

(١) في الأصل: يدل. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٦٨)، والدر المصون (٥/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٠).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣١).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٧١) من قول أبي عثمان النيسابوري، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣١) وعزاه للثعلبي.

(٧) الكشاف (٣/ ٣٢٥-٣٢٦).

ذلك من تقدير المضاف وهو الحال، إذ لو لم تقدّر المضاف لم يتحصّل للاستثناء معنى.

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا
كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ
فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ
﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: قُرّبت ﴿للمتقين﴾ الذين جعلوا طاعة الله حاجزة بينهم وبين المعصية، وما أزلفت لهم إلا ليتعجلوا الراحة والاغتباط بالنظر إلى ما أُعِدَّ لهم من النعيم، ومثله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق:٣١].

﴿وبرّزت الجحيم للغاوين﴾ كُشفت وأُظهرت لهم ليتعجلوا الشقاء والغمّ بالنظر إلى ما أُعِدَّ لهم من العذاب، كما قال: ﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾ [الملك:٢٧].

﴿وقيل لهم﴾ على سبيل التوبيخ: ﴿أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم﴾ يمنعونكم من العذاب ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون هم منه.

﴿فكبكبوا فيها﴾ قال الزجاج[(١)]: طُرِحَ بعضهم على بعض. وحقيقة ذلك في اللغة: تكرير الانكباب، كأنه إذا أُلقِيَ ينكبُّ مرة بعد أخرى حتى يستقرَّ فيها.

قال ابن قتيبة[(٢)]: أصل الحرف: «كُبِّبُوا»، من قولك: كَبَبْتُ الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافاً؛ استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» من «الكُمَّة»، والأصل: كُمِّموا.

قال السدي: "فكبكبوا" يعني: الآلهة، ﴿هم والغاوون﴾ يعني: المشركين[(٣)].

وقال قتادة ومقاتل[(٤)]: الغاوون: الشياطين[(٥)].

﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ يعني: ذريته كلهم.

وقيل: أتباعه من الجن والإنس[(٦)].

﴿قالوا﴾ يعني: عَبَدَة الأوثان ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع آلهتهم: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾.

قال الزجاج[(٧)]: معناه: والله ما كنا إلا في ضلال مبين.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٩٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٨) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٦).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٨٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٢).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٩٤).

وقال الفراء[(١)]: تالله لقد كنا.

والذي عليه حُذَّاق نُحاة البصرة: أنها المخففة من الثقيلة، على ما سبق في نظائره.

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ في العبادة والتعظيم.

ولقد حدثني بعض من شاهد عُبَّاد الأصنام بالهند: أن منهم من يَحُجُّ إلى الصنم الأعظم المدعو: «سُومَنَات» زاحفاً على إسْته، ومنهم من يَحُجُّ إليه زاحفاً على وجهه مسيرة شهر أو أكثر، فإذا وقع نظر الواحد منهم على القبّة التي فوق الصنم المحجوج إليه خَرَّ له ساجداً مراراً قبل وصوله إليه؛ تكريماً له وتعظيماً، فسبحان من حَجَبَ تلك القلوب عن النظر إلى أنوار دلائل التوحيد [بغير][(٢)] أغشية التقليد.

﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ أي: الرؤساء الكبراء الذين كانوا يقتدون بهم في الضلال.

وقال مقاتل[(٣)]: يعنون: الشياطين.

﴿فما لنا من شافعين﴾ يقولون ذلك إذا رأوا الأنبياء والأولياء والملائكة والعلماء يشفعون في أهل التوحيد.

﴿ولا صديق حميم﴾ قريب يودّنا ونودّه. وقد روى جابر عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم؟ فيقول الله

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء.

(٢) كلمة غير مقروءة في الأصل و ب. ولعل الصواب كما أثبتناها.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٦).

عز وجل: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾))[1].

﴿فلو أن لنا كَرَّةً﴾ أي: رجْعة إلى الدنيا. و«لو» هاهنا في معنى التمني، كأنه قيل: فليت لنا كَرَّة. ويجوز أن تكون على أصلها، والجواب محذوف، تقديره: لفعلنا كذا وكذا.

﴿فنكون من المؤمنين﴾ المُصَدِّقين بالوحدانية والرسالة.

﴿إن في ذلك﴾ الذي قصصنا عليك من نبأ إبراهيم ومجادلة قومه ﴿لآية﴾ لمن بعدهم ودلالة على رسالتك.

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ قد ذكرنا فيما مضى أن تكذيب رسول

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٢). وقد وردت أحاديث كثيرة في شفاعة الرجل للرجل في مجمع الزوائد تدول حول هذا المعنى بأسانيد مختلفة بعضها صحيح وبعضها فيه كلام (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨١ باب شفاعة الصالحين).

واحد تكذيب لجميع[1] الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل ويؤمن بهم.

قال الزجاج[2]: دخلت التاء، و"قوم" مذكر؛ لأن المراد بالقوم: الجماعة. والمعنى: كذبت جماعة قوم نوح.

وقال الزمخشري[3]: القوم: مؤنثة، وتصغيرها: قُويمة.

﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ أي: أخوهم في النسب، كقولهم: يا أخا تميم، أي: يا واحداً منهم، ومثله:

لا يَسْألونَ أخاهُم حين يندبُهُم في النَّائباتِ على ما قالَ بُرهانا[4]

وما بعده ظاهرٌ أو مفسرٌ إلى قوله: ﴿واتبعك الأرذلون﴾ وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: «واتْبَاعُكَ» بقطع الهمزة وسكون التاء وضم العين وألف قبلها[5].

قال الزجاج[6]: هي في العربية قويَّة جيّدة؛ لأن واو الحال[7] تصحب الأسماء أكثر في العربية؛ لأنك تقول: جئتكَ وأصحابُكَ الزَّيْدون، ويجوز: وصَحِبَكَ الزيدون، والأكثر: جئتك وقد صحبك الزيدون.

---

(١) في ب: بجميع.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٩٥).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٢٨).

(٤) انظر البيت في: القرطبي (١٣/ ١١٩)، والكشاف (٣/ ٣٢٨)، وروح المعاني (١٠/ ١١٠، ١٩/ ١٠٧، ٢٨/ ٣٦).

(٥) النشر (٢/ ٣٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٣٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٩٥).

(٧) في الأصل و ب زيادة: أن.

قال عكرمة: أرادوا المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز(١).

وقال ابن عباس والضحاك وعكرمة: أرادوا الحاكَة والأساكِفَة وأرباب الحرف الدنيَّة(٢).

وهذا جهل منهم وفرْط عُتوٍ، فإن الصناعات لا [أثر](٣) لها في باب الديانات.

وإذا استقرأت أتباع الرسل السابقين إلى مناصرتهم والإيمان بهم وجدتهم في الغالب الضعفاء والمساكين، حتى صار ذلك أمارةً لهم وعلامة على صدقهم، ولهذا قال هرقل في حديثه مع أبي سفيان لما قال له: ((من يتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، قال: هم أتباع الرُّسُل))(٤).

﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أراد عليه السلام انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم ونَفَى اطّلاعه على [سرائرهم](٥) وضمائرهم؛ لأن مقصودهم بقولهم: «واتبعك الأرذلون» تحقير شأنهم، وأن إيمانهم لم يصدر عن نظر صحيح ورأي مستقيم، كما قالوا في موضع: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ [هود:٢٧]، فاكتفى منهم نوح بظاهر أمرهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فذلك قوله: ﴿إن حسابهم إلا على ربي﴾(٦) أي: ما حسابهم فيما يعملون من خير وشر إلا على ربي ﴿لو تشعرون﴾ ذلك. المعنى: ولكنكم قوم جهلة.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: أكثر. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٥٨ ح٤٢٧٨)، ومسلم (٣/ ١٣٩٥ ح١٧٧٣).

(٥) في الأصل: أسرارهم. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل زيادة قوله: "لو تشعرون". وستأتي بعد.

﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ ذهاباً مع شهوتكم ورغبة في استنزالكم عن مقام الأنَفَة والحميّة عن اتّباعي وهم أتباعي، فإني لم أُكَلَّفْ سوى تبليغ الرسالة، وهو قوله: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي: نذير للخلق مبين للحق.

قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى
كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ قال الضحاك: من المشتومين[1].

وقال قتادة: المضروبين بالحجارة[2].

وقال مقاتل[3]: المقتولين بالرجم.

فشكا إلى ربه حين توعدوه، وسأله الحكم بينه وبينهم فقال: ﴿رب إن قومي

---

(١) ذكره الطبري (١٩/ ٩١) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٧).

ويؤيد هذا القول ما جاء في لسان العرب، مادة: (رجم): أن الرجم يأتي بمعنى: القتل، والشتم، واللمس، والطرد.

كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاء يكون سبب هلاكهم، ونجاتي ونجاة المؤمنين.

﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ أي: المملوء، تقول: شحنتُ الإناء؛ إذا ملأته[1]. وكانت سفينة نوح مملوءةً حيواناً.

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

وما بعده إما مُفسر فيما مضى وإما ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾.

قال ابن عباس وأهل اللغة: الرِّيع: المكان المرتفع[2]، وفيه لغة بفتح الراء، وهي قراءة جماعة، منهم عاصم الجحدري[3]. قال الشاعر:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شحن).

(٢) ذكره الطبري (١٩/ ٩٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨) كلاهما بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

(٣) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

.... ريعٌ يلُوحُ كأنه سَجْل

والسجل: الثوب الأبيض.

والآية: العلامة.

قال سعيد بن جبير: كانوا يبنون بروج الحمام عبثاً[١].

وقال الضحاك: كانوا يبنون في المواضع المرتفعة؛ ليشرفوا على المارّة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم[٢].

وقال ابن عباس: يريد: يبنون ما لا يسكنون[٣].

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال: ((مررتُ مع النبي ﷺ في طريقٍ من طُرُق المدينة فرأى قبّة من لَبن، فقال: لمن هذه؟ فقلت: لفلان، فقال: أما [إنّ][٤] كُلَّ بناء كَلٌّ على صاحبه يوم القيامة إلا ما كان في مسجد، ثم مَرَّ فلم يَرَها فقال: ما فَعَلَتِ القبة؟ قلتُ: بلغ صاحبها ما قلتَ فهدمها، فقال: رحمه الله[٥]))[٦].

وجاء من طريق آخر عن أنس: ((أن النبي ﷺ أعرض عن صاحب القبة، فشكى ذلك إلى أصحابه فقال: والله إني لأنْكِرُ نظر رسول الله ﷺ ما أدري ما حَدَثَ فيّ وما صنعت؟ فأخبروه، فرجع إلى قبته فسواها بالأرض، فذكر ذلك

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٥).

(٤) زيادة من ب، ومسند أحمد (٣/ ٢٢٠).

(٥) ساقط من ب.

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٠ ح١٣٣٢٥).

للنبي ﷺ فقال: إن كل بناءٍ يُبنى وَبَالٌ على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه))[(١)].

قوله تعالى: ﴿وتتخذون مصانع﴾ قال الزجاج[(٢)]: واحد المصانِع: مَصْنَعة ومَصْنَع، وهي التي تُتخذ للماء.

قال قتادة: مصانع الماء تحت الأرض[(٣)].

وقال مجاهد: قصوراً مشيدة[(٤)].

قال أبو [عبيدة][(٥)]: كل بناء مَصنعة.

﴿لعلكم تخلدون﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: المعنى: كأنكم تخلدون[(٦)]، وكذلك هي في قراءة أبي بن كعب.

وقال الفراء وابن قتيبة[(٧)]: كيما تخلدون.

وقال الزجاج[(٨)]: المعنى: [لأنْ تَخْلدوا][(٩)]، أي: تتخذون مباني للخلود لا تُفكِّرون في الموت.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٠ ح٥٢٣٧).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٩٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٧٩٤)، ومجاهد (ص:٤٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٣)، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٨٨). وفي الأصل: عبيد. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ٩٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٧٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) معاني الفراء (٢/ ٢٨١)، وتفسير غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٨) معاني الزجاج (٤/ ٩٦).

(٩) في الأصل: المعنى: لا تخلدون. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

وقال الزمخشري[1]: «لعلكم تخلدون»: ترجون الخلود في الدنيا.

﴿وإذا بطشتم﴾ أي: إذا بطشتم بسيف أو سوط ﴿بطشتم جبارين﴾ بطش الجبابرة الذين يقتلون ويضربون على الغضب والظِنَّة.

قال الحسن: يبادرون تعجيل العذاب[2].

ثم ذكّرهم نِعَم الله عليهم مخوفاً لهم فقال: ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾، ثم فسّره فقال: ﴿أمدّكم بأنعام وبنين﴾.

فإن قيل: لم خصَّ الأنعام والبنين والجنان والعيون بالذكر دون النقدين؟

قلت: المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والذي يُتزين به ما ظهر من المال لا ما خفي منه.

فإن قيل: أي زينة في الأنعام؟

قلت: فيها غاية الزينة والتجمل، لا سيما إذا راحت من مراعيها ممتدّة الأسنام والضروع تتناوَح بالرُّغاء والثُّغَاء.

فإن قيل: كيف قَرَنَ البنين بالأنعام؟

قلت: لما فيهم من الإعانة على القيام بحفظها ورعايتها.

فإن قيل: المقصود من هذا وعظهم وتخويفهم، فكان من المناسب الأمر بالتقوى مقروناً بما يزعجهم من التهديد بالعقاب دون التذكير بالنِّعَم.

قلت: قد جمع بين الأمرين:

أحدهما: التذكير بالنِّعَم ليبعث هِمَمَهُم على شكر المُنْعِم عليهم والمُحْسِن

(١) الكشاف (٣/ ٣٣١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٣١).

إليهم، وفي ضمن ذلك تخويفهم من سلبها عنهم.

الثاني: التخويف المذكور في قوله: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يـوم عظـيم﴾، وهو العذاب الذي أهلكوا به.

وقيل: عذاب يوم القيامة.

قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ
ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى
جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ
ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿قالوا سواء علينا﴾ أي: مُعادلٌ عندنا ﴿أوَعظْت أم لم تكن من الواعظين﴾.

﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام، على معنى: ما هذا الذي تدعو إليه وتحُضُّ عليه إلا كَذِبُ الأولين، تقول: خلقتُ الحديث واختلقتُه؛ إذا افتعلته وكذبته(١).

(١) انظر: اللسان (مادة: خلق).

قال الزجاج[(١)]: وفيه وجه آخر: معناه: خُلِقْنا كما خُلِقَ من قبلنا، نحيا كما حَيُوا ونموت كما ماتوا ولا نُبعث؛ لأنهم أنكروا البعث.

وقرأ الباقون: «خُلُق» بضم الخاء واللام[(٢)]، أي: ما هذا الذي نحن عليه من الدين والاعتقاد إلا عادة الأولين، كما قال كفار قريش: إنا وجدنا آباءنا على أمة.

﴿وما نحن بمعذبين﴾ كما تزعم يا هود.

﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾ بالريح.

وقد ذكرنا ذلك في قصتهم[(٣)] في الأعراف[(٤)].

وما بعده ظاهر أو مفسر إلى قوله: ﴿أتتركون فيما هاهنا آمنين﴾ استفهام في معنى الإنكار لأن يتركوا مخلدين فيما هم فيه من النعيم والرفاهية، آمنين من العذاب والموت.

وقوله: ﴿في جنات وعيون * وزروع﴾ تفسير لقوله: ﴿فيما هاهنا آمنين﴾.

﴿ونخل طلعها هضيم﴾ الطَّلْع: الثَّمرة، والهضيم: النضيج الرّخص الليّن.

وقال الضحاك: الهضيم: الحِمْل الكثير الذي يركب بعضه بعضاً[(٥)].

يشير إلى أنه إذا كَثُرَ الحمل هَضُمَ، أي: صَغُر، وإذا قلّ جاء ممتلئاً كباراً.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٩٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٨)، والكشف (٢/ ١٥١)، والنشر (٢/ ٣٣٥-٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٣)، والسبعة (ص:٤٧٢).

(٣) في ب: وقد ذكرنا قصتهم.

(٤) عند الآية رقم: ٦٥.

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠٢).

وقال صاحب الكشاف[١]: الطَّلْعَة هي التي تَطْلُعُ من النخلة، كنَصْلِ السيف، في جوفه شماريخُ القِنْو. والقِنْو: اسم للخارج من الجِذْع، كما هو بعُرْجونه وشماريخه.

والهَضِيم: اللطيف الضَّامِر، من قولهم: كَشْح هضيم، وطلعُ إناث النخل فيه لطفٌ، وفي طلع الفحاحيل[٢] جَفَاء، وكذلك طلْع البَرْني ألطف من طلْع اللون. [فذكّرهم][٣] نعمة الله عليهم في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه؛ لأن الإناث ولادة التمر، والبرني أجود التمر وأطيبه.

﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين﴾ أي: أشِرين.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «فَرِهِين» بغير ألف. وقرأ الباقون بألف[٤]، يقال: فَرِح وفَارِح، ويقال: إن الهاء من "فَرِهِين" مبدلة من الحاء.

وقال أبو علي الفارسي[٥]: من قرأ: «فَرِهِين» فمعناه: مَرِحين. ومن قرأها: «فارهين» معناه: حَاذِقين، أي: عارفينَ بنحْتِها.

﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ بالشرك والمعاصي.

قال مقاتل[٦]: هم التسعة الذين عقروا الناقة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

(٢) أي: ذكر النخل.

(٣) في الأصل و ب: يذكرهم. والتصويب من الكشاف (٣/ ٣٣٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٩)، والكشف (٢/ ١٥١)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٣)، والسبعة (ص:٤٧٢).

(٥) الحجة (٣/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٠).

﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ يعني: بالكفر والمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ فيها بالإيمان والطاعة.

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ
﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا
فَأَصۡبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ
﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ
لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ
يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ
نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَـٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي
ٱلۡغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ
ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ ممن يسحر كثيراً مرة بعد مرة.

وقيل: ممن له سَحْرٌ، [أي][(١)]: رئة، على أن ما أنت من البشر.

قال ابن عباس: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب[(٢)]. وقد سبق هذا التفسير في سورة سبحان[(٣)].

وكأن التفسير هاهنا أظهر لقولهم: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾.

﴿فائت بآية إن كنت من الصادقين﴾ في قولك أنك رسول الله إلينا.

﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ أي: نصيب من الماء معروف، ﴿ولكم شرب يوم﴾.

قال قتادة: إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله أول النهار، وتسقيهم اللبن آخر النهار، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم[(٤)].

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ ضربٍ ولا عقر ولا غير ذلك ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾. وصف ذلك اليوم بالعظم؛ لحلول العذاب العظيم فيه.

﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ ندم خوف من العقاب، لا ندم توبة وإنابة إلى الله.

وجائز أن يكون ندم توبة، لكن لم ينفعهم لفوات محله.

﴿فأخذهم العذاب﴾ وقد ذكرناه مع ما أهملنا تفسيره هاهنا في الأعراف[(٥)].

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠٣).

(٣) عند تفسير الآية رقم: ٤٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٣١٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) عند الآية رقم: ٧٣.

قوله تعالى: ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني: فروج النساء. قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال[(١)].

﴿بل أنتم قوم عادون﴾ مفرطون في الظلم والتعدي.

﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ عن نهينا وتقبيح أمرنا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ أي: من جملة الذين أخرجناهم من بين أظهرنا.

﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي: المُبْغضين، والقِلَى: البغض الشديد، كأنه بغضٌ يقلي الفؤاد.

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة: «الأيكة» بالألف واللام مع الهمز والجر. وقد ذُكر في الحجْر[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٠٨)، ومجاهد (ص:٤٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) عند الآية رقم: ٧٨.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «أصحاب ليكة» هنا وفي صاد[١] بغير همز مع فتح الهاء، على وزن فَعْلَة[٢].

قال الزجاج[٣]: أهل المدينة يفتحون الهاء على ما جاء في التفسير أن اسم المدينة كان «لَيْكَة»، قال: وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أهل المدينة والفَتْح؛ لأن "ليْكَة" لا تنصرف. وذَكَر أنه اختار ذلك لموافقة الكتاب مع الذي جاء في التفسير أنها اسم المدينة.

قال الزمخشري[٤]: من قرأ بالنصب وزعم أن «لَيْكَة» بوزن لَيْلَة: اسم بلدٍ، فتوهُّم [قَادَ][٥] إليه خط المصحف، حيث وُجدت مكتوبة في هذه السورة وسورة صاد بغير ألف، وفي المصحف أشياء كُتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كُتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ، وقد كُتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة.

﴿إذ قال لهم شعيب﴾ قال مقاتل[٦]: لم يكن شعيب عليه السلام من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: «أخوهم»، وإنما أُرسل إليهم بعد أن أُرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: «أخوهم».

---

(١) عند الآية رقم: ١٣.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥١٩)، والكشف (٢/ ٣٢)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٣)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٩٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٣٧).

(٥) في الأصل: فاد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٢).

وكان محمد بن جرير الطبري[1] يذهب إلى أن أصحاب الأيكة هم أصحاب مدين.

قوله تعالى: ﴿أوفوا الكيل﴾ قال صاحب الكشاف[2]: الكيل ثلاثة أضرب: وافٍ، وطفيفٍ، وزائدٍ، [فأمر بالواجب][3] الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف.

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي: الذين ينقصون الكيل والوزن. يقال: أخسَرْتُ الكيلَ والوزن؛ إذا نقصته[4]. ومنه: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [المطففين:٣].

وقد سبق ذكر القِسْطاس في "بني إسرائيل"[5].

قوله تعالى: ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ قال ابن قتيبة[6]: الجبلّة: الخَلْق، يُقال: جُبِلَ فلانٌ على كذا أي: خُلِقَ[7].

قال الشاعر:

والموتُ أعظمُ حادثٍ ... مما يَمُرُّ على الجبلّه[8]

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٠٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٣٧).

(٣) في الأصل و ب: فالواجب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان (مادة: خسر).

(٥) عند الآية رقم: ٣٥.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٠).

(٧) انظر: اللسان (مادة: جبل).

(٨) انظر البيت في: القرطبي (١٣/ ١٣٦)، والماوردي (٤/ ١٨٦)، وزاد المسير (٦/ ١٤٢).

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
١٨٧ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ
إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ
١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾

قوله تعالى: ﴿وما أنت إلا بشرٌ مثلنا﴾ قال الزمخشري(١): فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود؟

قلت: إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مُنَافٍ للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون [مُسَحَّراً ولا يجوز أن يكون](٢) بشراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنىً واحد، وهو كونه مسحَّراً. ثم قَرَّر بكونه بشراً مثلهم.

قوله تعالى: ﴿فأسقط علينا كِسْفاً من السماء﴾ أي: طائفة منه.

وقرأ حفص: «كِسَفاً» بفتح السين(٣) هنا وفي سبأ(٤)، وهو جمع كِسْفَة، نحو قِطَعٍ وسِدَرٍ، وقد ذُكر في "بني إسرائيل"(٥).

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٨).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٠)، والكشف (٢/ ٥١)، والنشر (٢/ ٣٠٩)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٣٨٥).

(٤) عند الآية رقم: ٩.

(٥) عند الآية رقم: ٩٢.

قال صاحب الكشاف[(١)]: فإن قلت: كيف كرَّرَ في هذه السورة في أول كل قصةٍ وآخرها ما كرَّر؟

قلت: كل قصة منها كتنزيلٍ برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تُفتَتَح بما افتتِحت به صاحبتها وأن تُختتم بما اختتُمت به.

[ولأن][(٢)] في التكرير [تقريراً][(٣)] للمعاني[(٤)] في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور.

ولأن هذه القصص طُرِقَت بها آذان وُقْرٌ عن الإنصات للحق، وقلوبٌ غُلْفٌ عن تدبُّره، فكُوثرت بالوعظ والتذكير، ورُوجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذْناً، أو يَفْتُقَ ذهْناً، أو يصقُلَ عَقْلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهماً قد غطّى عليه تراكم الصدأ.

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني: القرآن.

﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل عليه السلام.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٩).

(٢) في الأصل: وأن. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٣٣٩).

(٤) في ب: اللمعاني. وهو سهو.

وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا حفصاً: «نَزَّلَ» بالتشديد، «الروحَ الأمينَ» بالنصب[(١)]، على معنى: نزّل رب العالمين به الروح الأمين.

﴿على قلبك﴾ قال الزجاج[(٢)]: ومعنى «على قلبك»: نزل عليك فوعاه قلبك وثَبَتَ فلا ينساه أبداً ولا شيئاً منه، كما قال الله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى:٦].

قوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ الباء متعلقة بـ"نَزَلَ"، أو بقوله: ﴿لتكون من المنذرين﴾، على معنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم خمسة: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإنه﴾ قال أكثر المفسرين[(٣)]: المعنى: وإن القرآن، يعني: ذكْره وخبره ﴿لفي زبر الأولين﴾.

وقيل: وإن معانيه لفي الكتب النازلة من السماء على الرسل.

وقيل: وإن محمداً لفي كتب الأولين، كما قال تعالى: ﴿يجدونه مكتوباً عندهم

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٥-٢٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٠-٥٢١)، والكشف (٢/ ١٥١-١٥٢)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠٠).

(٣) ذكره الطبري (١٩/ ١١٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٢).

في التوراة والإنجيل﴾ [الأعراف:١٥٧].

قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ "آية" خبر كان، و"أن يعلمه": اسمها[(١)]، على معنى: أو لم يكن لهم عِلْمُ عُلماء بني إسرائيل أنه النبي المنعوت في الكتب المتقدمة، المبعوث في آخر الزمان، آية وعلامة على صدقه ونبوّته.

وقرأ ابن عامر: «تَكُنْ» بالتاء، «آيةٌ» بالرفع[(٢)].

قال مكي[(٣)]: رفع "الآية"؛ لأنها اسم كان، و«أن يعلمه» خبر كان. وفي هذا التقدير قبحٌ في العربية؛ لأنه جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة، والأحسن أن تُضمر القصة، فيكون التأنيث محمولاً على تأنيث القصة، و"أن يعلمه" ابتداء، و"آية" خبر الابتداء، والجملة خبر كان، فيصير اسم كان معرفة، و"آية" خبر ابتداء، وهو "أن يعلمه"، تقديره: أو لم تكن لهم القصة علم علماء بني إسرائيل به آية.

قوله تعالى: ﴿ولو نزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿على بعض الأعجمين﴾ جمع أعْجَم، والأنثى: عَجْمَاء.

وقرأ الحسن: "الأعجميين"[(٤)].

قال الزجاج[(٥)]: الأعْجَم: الذي لا يُفْصِح، وكذلك الأعجمي، [فأما

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٠)، والدر المصون (٥/ ٢٨٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢١)، والكشف (٢/ ١٥٢)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٣) الكشف (٢/ ١٥٢).

(٤) الإتحاف (ص:٣٣٤).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٠٢).

العجمي فالذي][(١)] من جنس العَجَم، أفْصَحَ أو لم يُفْصِح.

قوله تعالى: ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ يشير إلى شدة شكيمتهم في الكفر والعناد، وأنه لو نَزَلَ هذا القرآن على رجل أعجمي لا يفصح به فضلاً عن أن يقدر على نَظْم مثله لكفروا به، وتمحَّلُوا لجحودهم أعذاراً كما فعلوا، وقد جاءهم به أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصدقهم لهجةً، وأثبتهم حجة.

كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿كذلك سلكناه﴾ أي: مثل هذا السلك سلكنا الشرك والتكذيب ﴿في قلوب المجرمين﴾.

قال الزجاج[(٢)]: جعل الله تعالى مُجازاتهم أن طَبَعَ على قلوبهم وسَلك فيها الشرك.

﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ وذلك عند معاينة سلطان الموت،

---

(١) في الأصل: وأما العجمي الذي. والتصويب من ب، والزجاج (٤/ ١٠٢).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠٢).

حيث لا ينفعهم الإيمان.

﴿فيأتيهم﴾ يعني: العذاب الأليم ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾.

﴿فيقولوا﴾ عند نزوله: ﴿هل نحن منظرون﴾ مُؤَخَّرُون لنُؤمن ونُصدِّق.

قال مقاتل(١): فلما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا: فمتى هو؟ تكذيباً واستهزاء، فقال الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، استفهام في معنى التبكيت لهم والإنكار عليهم.

﴿أفرأيت إن متعناهم﴾ بأعمار ممتدة ﴿سنين﴾ قال مقاتل(٢): عُمُرَ الدنيا.

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب.

﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ استفهام في معنى الإنكار، أي: لا يغني عنهم تمتُّعهم شيئاً.

قال ميمون بن مهران للحسن البصري: عظني! فقرأ له هذه الآية، فقال له ميمون: لقد وعظتَ فأبلغتَ(٣).

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ نظير لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء:١٥] إشارة أنه لا يهلكهم حتى يتقدم إليهم بالإنذار على ألسنةِ الرسل.

﴿ذكرى﴾ قال الزمخشري(٤): «ذكرى» منصوبة بمعنى: تذكرة؛

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٣) ذكره الآلوسي في روح المعاني (١٩/ ١٣١).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٤٣).

[إما][1] لأن "أنذر" و"ذكّر" متقاربان، فكأنه قيل: مُذَكِّرون تذكرة، وإما لأنها حال من الضمير في "منذرون"، أي: ينذرونهم ذوي تذكرة، وإما لأنها مفعول له؛ على معنى: أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، أو صفة بمعنى: منذرون ذوو ذكرى، أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها.

ووجه آخر: وهو أن تكون "ذكرى" متعلقة بـ"أهلكنا" مفعولاً له. والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصوا مثل عصيانهم، ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك قوماً غير ظالمين.

قال[2]: وهذا الوجه عليه المعوّل.

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ
ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى
ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

---

(١) في الأصل: وإما. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٣٤٣).

(٢) أي: الزمخشري.

قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ رد لقول كفار قريش: إنما يجيء بالقرآن الشياطين فيلقونه على لسان محمد ﷺ.

﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ لأنهم مرجومون بالشُّهب، قد حيل بينهم وبين خبر السماء، وهو قوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾.

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ قال ابن عباس: يُحذّر به غيره، يقول: أنت أكرمُ الخلق عليَّ، ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك[١]. وقد سبق القول في نظائره.

قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ يعني: الأدْنَيْن.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: ((قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال: يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف! لا أُغْني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أُغْني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً))[٢].

قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أي: أَلِنْ جانبك للمؤمنين من عشيرتك وغيرهم وأظهر لهم الشفقة والمودة.

﴿فإن عصوك﴾ يعني: عشيرتك ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ من الكفر والمعاصي.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠١٢ ح٢٦٠٢)، ومسلم (١/ ١٩٢ ح٢٠٦).

﴿وتوكل﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «فتوكل» بالفاء[(١)].

قال أبو علي[(٢)]: من قرأ بالواو عطف على قوله: ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾. ومن قرأ: «فتوكل» بالفاء جعلها جملة مستأنفة مقطوعة عما[(٣)] قبلها.

﴿على العزيز﴾ المنتقم من أعدائك، ﴿الرحيم﴾ بأوليائك.

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ قال ابن عباس: [حين][(٤)] تقوم إلى الصلاة[(٥)].

وقال أبو الجوزاء: حين تقوم من منامك[(٦)].

وقال الحسن: حين تخلو[(٧)].

وهذا في التحقيق قول واحد؛ لأن المقصود الذي يراك حين تقوم في جوف الليل متهجداً [خالياً][(٨)] بربك مناجياً له.

﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي: ويرى تقلبك في الساجدين المصَلِّين من أصحابك. فالمعنى: يراك منفرداً ومع الجماعة. هذا قول قتادة وأكثر المفسرين[(٩)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٢)، والكشف (٢/ ١٥٣)، والنشر (٢/ ٣٣٦)، والإتحاف (ص:٣٣٤)، والسبعة (ص:٤٧٣).

(٢) لم أقف عليه في الحجة.

(٣) في ب: مما.

(٤) زيادة من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٧). وذكره الماوردي (٣/ ١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٣٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٤٨).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨). وذكره الماوردي (٣/ ١٨٩).

(٨) في الأصل: خايلاً. والتصويب من ب.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٩) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٣١) وعزاه لعبد بن =

وروي عن ابن عباس أن المعنى: وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك في هذه الأمة[1].

وقال الحسن: المعنى: ويرى ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين[2].

﴿إنه هو السميع﴾ لما تقول ويقال لك، ﴿العليم﴾ بأحوالك.

هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

قل ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك﴾ كذّاب معروف بالكذب، ﴿أثيم﴾ فاجر.

وأما محمد ﷺ فأنتم تعرفونه بالأمانة والبِرّ وصدق اللهجة، وتشهدون له بذلك من قبْل الرسالة.

قوله تعالى: ﴿يلقون السمع﴾ في محل النصب على الحال، أو في محل[3] الجر

=

حميد وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٤٩).

(٣) زيادة من ب.

صفة لـ"كل أفاك". ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً(١)، كأنه قيل: [لم تنزّلُ على](٢) الأفّاكين؟ فقيل: يفعلون كيت وكيت.

والمعنى: يُلقون ما سمعوه إلى الكهنة.

﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أي: أكثر الشياطين كاذبون فيما يوحونه إليهم.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((تخطف الجن السمع فيرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم [يقرفون](٣) فيه ويزيدون))(٤).

وقيل: المعنى(٥): وأكثر الكهنة كاذبون يفترون على الشياطين ويتقوّلون عليهم ما لم يوحوه إليهم.

قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال ابن عباس: كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ قد تهاجيا، فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه. فنزلت هذه الآية(٦).

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) في الأصل: لم تتنزل إلا على. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: يقترفون. والتصويب من ب، ومسلم (٤/ ١٧٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ ح٢٢٢٩) من حديث طويل.

(٥) في الأصل زيادة قوله: وأكثرهم.

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٣٣) وعزاه لابن مردويه.

وقال ابن عباس أيضاً: يريد: [شعراء][(١)] المشركين[(٢)].

قال مقاتل[(٣)]: منهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وأبو سفيان بن الحارث، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف الجمحي، وأبو عزة عمرو بن عبدالله، كلهم من قريش، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم.

﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ مجازٌ عن ذهابهم في كل فن من فنون الشعر، واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في القول، حتى أنهم يُفَضِّلُون الجبان على الشجاع، والشحيح على الجواد، ويُفسّقون العدل، ويُعدّلون الفاسق، ويقولون: فعلنا ولم يفعلوا، وقلنا ولم يقولوا، فذلك قوله: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾.

ويروى: أن سليمان بن عبدالملك سمع الفرزدق ينشد:

فَبِتْنَ بجانبيَّ مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُّ أَفُضُّ أغلاقَ الخِتَام[(٤)]

فقال سليمان: قد وجب عليك الحَدُّ، فقال الفرزدق: يا أمير المؤمنين، قد درأ الله عني الحدَّ بقوله: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾.

قرأتُ على أبي القاسم علي بن أبي منصور الموصلي، أخبركم ابن بَوْش فأقرَّ به

---

(١) في الأصل: شعر. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٧).

(٤) البيت للفرزدق، انظر: ديوانه، واللسان (مادة: غلق، ختم)، والطبري (٣٠/ ١٠٧)، والقرطبي (١٣/ ١٤٨)، وروح المعاني (١٩/ ١٥٢).

قال: أخبرنا أبو العز بن كادش، أخبرنا الجازري، أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثني أبو عبدالله أحمد بن فراس الشامي، حدثنا الجهم بن بدر، قال الكرماني[1] في خَلُوب جارية الرشيد شِعْراً، فبلغ الرشيد، فوجّه إليه وأقعد الرشيد خلوب خلف سِتْر، ومرّ الكرماني بالفضل بن الربيع فقال: إن أمير المؤمنين قد وجّه إليّ فأنشده إن استنشدني، قال: نعم بعد الأمان، فلما دخل قال الرشيد: أنت الكرماني؟ قال: نعم، قال: أنشدني؟ قال: في الزهد، قال: لست هناك، قال: ففي المديح، قال: ولا، قال: فما أنشدك يا أمير المؤمنين؟ قال: شعرك في خَلُوب، قال: بعد الأمان يا أمير المؤمنين، فأنشده قوله فيها حتى بلغ:

لَوْ لَمْ أذقْها طابَ لي حُبُّها　　　لكنَّني ذقْتُ فلا ذقْتُ

فخرجت خَلُوب من وراء الستر فقالت: والله يا أمير المؤمنين ما ذُقْتُهُ ولا ذاقني، ولا رأيته ولا رآني، وقد أقرّ بالزنا، فحُدَّهُ يا أمير المؤمنين، قال: يا خَلُوب، قد أعطيناه الأمان، قالت: الأمان في حدٍّ من حدود الله؟ قال: قد سمعت يا كرماني، قال: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال: صدقت، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

ثم إن الله سبحانه وتعالى استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين ذِكْرُ الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من قول الشعر، فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا﴾ أي: انتصروا من شعراء المشركين

---

(١) في هامش ب: كرمان: بالفتح ثم السكون، وربما كسرت الكاف. ذكره في المعجم قال: والفتح أشهر (انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٤).

بهجْوِهِم والردّ عليهم، ﴿من بعد ما ظلموا﴾ لأنهم بدأوهم بالهجاء.

وفي الصحيحين من حديث حسان بن ثابت قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((أُهجهم أو هاجهم وروح القدس معك))[1].

فصل

لا خلاف بين أهل العلم في جواز قول الشعر ما لم يشتمل على إثم أو مكروه، والضابط لذلك قول عائشة رضي الله عنها: ((الشعر كلام، فمنه حسن ومنه قبيح، فَخُذِ الحسن وَدَعِ القبيح))[2].

قال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[3].

ثم توعد الله تعالى شعراء المشركين فقال: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

وقرأ أبي بن كعب وابن عباس في آخرين: «أي مُنْفَلَتٍ ينفلتون» بالفاء والتاء[4].

قال الزجاج[5]: «أيّ» منصوبة بقوله: «ينقلبون»، لا بقوله: "سيعلم"؛ لأن «أيّاً» وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها[6].

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٦ ح٣٠٤١)، ومسلم (٤/ ١٩٣٣ ح٢٤٨٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٦-٣٦٧)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٢٢٥).

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٥٢)، والدر المصون (٥/ ٢٩٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٠٥).

(٦) أي: إن «أي» مفعول مطلق، أيْ ينقلبون أيّ انقلاب.

قال مكحول: أوحى الله تعالى إلى موسى: قل لبني إسرائيل تجنبوا الظلم، فوعزتي وجلالي إن له عندي مغبَّةَ سَوْء. قال موسى: يا رب وما مغبّته؟ قال: أن[١] أُثْكِلُ فيه الولد، وأُقَصِّرُ فيه الأجل، ثم الثواء بعد ذلك النار.

وقال شريح: سيعلم الظالمون حظَّ من نقصوا، إن الظالم [ينتظر][٢] العقاب والمظلوم ينتظر النصر[٣].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾: إلى جهنم والسعير[٤].

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) في الأصل: ينظر. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٧).

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاث وتسعون آية، وهي مكية بإجماعهم.

طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى
ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿طس﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، أقسم الله تعالى به[1].

وقال في رواية أخرى: هو اسم الله الأعظم[2].

وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن[3].

وقيل: الطاء من لطيف، والسين من سميع[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٤).

﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ سبق القول عليه في سورة الحجْر[١].

قوله تعالى: ﴿هدى وبشرى﴾ في محل الرفع، على معنى: هي هـدى، أو عـلى البدل من "آيات"، أو نقول: "تلك" مبتدأ، "آيات القرآن" خبره، «هدى» خبر بعد خبر.

ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال، والتقدير: تلك آيات القرآن هادياً ومبشراً، والعامل فيها ما في "تلك" من معنى الإشارة[٢].

فإن قيل: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ما محلها؟

قلت: إما أن تكون في محل الحال، فتكون من جملة صلة الموصـول، وإمـا أن تكون جملة اعتراضية، فتكون الصلة تامة عند قوله: ﴿ويؤتون الزكـاة﴾، المعنـى: وهؤلاء الذين يؤمنون ويقيمون ويؤتون هم الموقنون بالآخرة[٣].

وما لم يُفسَّر[٤] هاهنا فهو مُفسرٌ فيما مضى إلى قوله: ﴿أولئك الذين لهـم سـوء العذاب﴾ وهو أقبحه وأشدّه.

والمراد: ما أصابهم من الذلّ والصغار والقتل والأسْر في يوم بدر وغيره.

﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أي: هم أشد الناس خساراً؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار، [وفاتهم][٥] ما لم يكن ليتهيأ لغيرهم من أنهـم

---

(١) عند الآية رقم: ١.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧١)، والدر المصون (٥/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٥٢): وهو الوجه.

(٤) في ب: أفسره.

(٥) في الأصل: فاتهم. والتصويب من ب.

لو آمنوا لكانوا شهداء على جميع الأمم.

قوله تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ أي: لتؤتاه ويُلْقَى عليك فتتلقاه، ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أي: من عند أيّ حكيم وأيّ عليم، وهذا معنى مجيئهما نكرتين.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ أي: اذكر يا محمد إذ قال موسى لامرأته: ﴿إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر﴾ عن الطريق، ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾.

قرأ أهل الكوفة: «بِشِهَابٍ» بالتنوين، وقرأ الباقون بالإضافة[1].

قال الزجاج[2]: من نوَّن جعل «قَبَس» من صفة الشهاب.

وقال غيره: "قبس" بدل من "شهاب".

ومن أضاف؛ فقال الفراء[3]: هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف الاسمان،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٢-٥٢٣)، والكشف (٢/ ١٥٤)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥)، والسبعة (ص:٤٧٨).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٠٨).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٨٦).

كقوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة﴾ [يوسف:١٠٩].

وأبى هذا القول نُحاة البصرة وقالوا: الشيء لا يُضاف إلى نفسه وإنما يضاف إلى غيره لتخصُّصه أو تعرُّفه، فأما قوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة﴾ فتقديره: ولدار الساعة الآخرة، على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، ومثله: ﴿وحب الحصيد﴾ [ق:٩] أي: وحَبّ النبت الحصيد.

ومن كلامهم: صلاة الأولى، ومسجد الجامع، والتقدير فيهما: صلاة الفريضة الأولى، ومسجد اليوم الجامع.

وقال الزمخشري[١]: الشِّهاب: الشُّعْلة، والقَبَس: النار المقبوسة، وإضافة الشهاب إلى القبس؛ لأنه يكون قبساً وغير قبس.

﴿لعلكم تصطلون﴾ أي: تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

﴿فلما جاءها نودي أن بورك﴾[٢] "أنْ" هي المفسرة؛ لأن النداء فيه معنى القول، والتقدير: قيل له: بورك.

﴿من في النار﴾ قال ابن عباس والحسن: أي قُدِّسَ من في النار، وهو الله عز وجل[٣].

﴿ومن حولها﴾ من الملائكة.

والمعنى: قُدِّسَ من ناداه من النار؛ لأن الله تعالى لا يَحِلُّ في شيء.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٥٤).

(٢) في الأصل زيادة: في النار. وهو خطأ.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

وقيل: "بُورِكَ" فُوعِلَ من البركة، وهو على حذف المضاف، على معنى: بُورِكَ من في طلب النار، فتكون تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة، كما حيّا آل إبراهيم بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه، في قوله تعالى: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [هود:٧٣].

وقيل: "مَنْ" زائدة؛ كقول الشاعر:

فكفى بنا فَضْلاً على مَنْ غيرنا ... حُبُّ النبي محمدٍ إيانا[١]

والتقدير: بورك[٢] في النار، وهذا معنى قول مجاهد[٣].

وقيل: المعنى: بورك من في النار من الملائكة، ومن حولها وهو موسى؛ لأنه كان بالقُرب منها ولم يكن فيها.

وقيل: المعنى: بورك في مكان النار، وهو عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي، ومن حولها من أرض الشام، كما قال تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ [الأنبياء:٧١].

وحقيق لتلك الأرض أن تكون بالبركة موصوفة؛ لأنها مَقَرُّ الأنبياء ومستودَعُهُم، أحياءً وأمواتاً، ومهبط الوحي والملائكة.

قوله تعالى: ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ الضمير في "إنه" ضمير

---

(١) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، انظر: الطبري (١/ ١٧٩، ٤/ ١٥٠)، وروح المعاني (١/ ١٨٥).

(٢) في الأصل زيادة قوله: من.

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤١) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

الشأن، «أنا الله» مبتدأ وخبر، «العزيز الحكيم» صفتان للخبر[١].

وقال الفراء[٢]: الهاء في «إنه» عِمَادٌ.

وقال السدي: هي كناية عن المنادي؛ لأن موسى قال: من هذا الذي يناديني؟ فقيل: إنه أنا الله[٣].

قوله تعالى: ﴿وألق عصاك﴾ عطف على ﴿أن بورك﴾[٤]، وفيه إضمار تقديره: فألقاها.

﴿فلما رآها تهتز كأنها جَانٌّ﴾ قال الفراء[٥]: وهي الحية التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة.

وقال الزجاج[٦]: "تهتز": تتحرّك كما يتحرك الجانّ في الخفة، وهي في صورة الثعبان العظيم من الحيات.

﴿ولّى مدبراً ولم يعقّب﴾ قال قتادة: لم يلتفت[٧].

وقال الزجاج[٨]: يرجع.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٢)، والدر المصون (٥/ ٢٩٧).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٢٨٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٢٩٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٨٧).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ١٠٩).

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٨) معاني الزجاج (٤/ ١٠٩).

وقال غيره(١): يقال: عَقَّبَ [المقاتل](٢)؛ إذا كرّ بعد الفرار(٣). قال الشاعر:

فما عَقَّبُوا إذْ قيلَ هلْ من معقِّبٍ ولا نَزَلُوا يوم الكريهةِ مَنْزِلا(٤)

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون﴾ قال ابن عباس: لا يخاف عندي من أرسلته(٥).

قوله تعالى: ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء متصل(٦)، على معنى: إلا من ظلم منهم نفسه، بأن فرطت منه صغيرة يجوز مثلها على الأنبياء؛ كالذي فرط من يونس وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام.

والمراد -والله تعالى أعلم-: التعريض لموسى بِوَكْزِهِ القبطي، وسماه ظلماً كما قال موسى: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ [القصص:١٦].

﴿ثم بدّل حُسْناً بعد سوء﴾ وفيه إضمار، تقديره: فإنه يخاف، وحذف لدلالة ما قبله عليه.

وقال أكثر المفسرين: هو استثناء منقطع(٧).

المعنى: لكن من ظلم ثم بدّل حسناً ندماً وتوبةً وعملاً صالحاً بعد سوء ﴿فإني

---

(١) هو قول الزمخشري، انظر: الكشاف (٣/ ٣٥٥).

(٢) في الأصل: القاتل. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: عقب).

(٤) انظر البيت في: البحر المحيط (٧/ ٥٥)، والدر المصون (٥/ ٢٩٨)، وروح المعاني (١٩/ ١٦٣)، والكشاف (٣/ ٣٥٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٩).

(٦) وهو اختيار الطبري في تفسيره (١٩/ ١٣٧).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ١٧٢)، والدر المصون (٥/ ٢٩٨).

غفور رحيم﴾.

وحكى الفراء[١]: أن «إلاّ» بمعنى الواو، تقديره: ومن ظلم.

وقرأ أبي بن كعب وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري: «ألاَ مَنْ ظُلِمَ» بحذف التنبيه[٢].

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «حَسَناً» بفتح الحاء والسين[٣].

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ وهو ما جِيبَ من القميص، أي: قُطِعَ.

قال ابن جرير[٤]: إنما أمر بإدخال يده في جيبه؛ لأنه كان حينئذ عليه مدرعة من صوف ليس لها كُمّ.

﴿في تسع آيات﴾ أي: في جملة تسع آيات، وقد ذكرناها في بني إسرائيل[٥].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٥٧).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٣٥).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٨).

(٥) عند الآية رقم: ١٠١.

﴿إلى فرعون وقومه﴾ أي: مبعوثاً أو مرسولاً إليهم، ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ بينة واضحة.

وقرأ قتادة وعلي بن الحسين: «مَبْصَرَة»(١).

قال أبو الفتح ابن جني(٢): قد كَثُرَت المَفْعَلَة [بمعنى الشِّياع والكثرة](٣) في الجواهر والأَحداث، كقولهم: أرض مَضَبَّةٌ: كثيرة الضباب، ومَحْيَاة: كثيرة الحيّات، ومَحْواة أيضاً، ومَفْعَاة: كثير الأفاعي.

وأما الأَحداث؛ كقولك: البطْنَة مَوْسَنَة، وأكل الرطب [مَوْرَدَة](٤)، ومنه: المَسْعَاة والمَعْلاة.

وقال الزمخشري(٥): هي نحو مَجْبَنَة ومَبْخَلَة [ومَجْفَرَة](٦)، أي: مكاناً يكثر فيه التبصر.

قال الزمخشري(٧): جعل [الإبصار لها وهو في الحقيقة](٨) لمتأملها؛ لأنهم

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٥/ ٥٢)، والدر المصون (٥/ ٣٠٠).

(٢) المحتسب (٢/ ١٣٦).

(٣) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: موروده. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.
ومَوْرَدَة: محمّة، مِن وردته الحمّى: أخذته لوقت. والقياس: مورِدة -بكسر الراء-، وهي مضبوطة كذلك بالقلم في «اللسان»، لكن كلام ابن جني يفيد أنها مفتوحتها، فقد يكون فيها لغتان، وقد يكون الكسر تحريفاً في اللسان. (راجع اللسان، مادة: ورد).

(٥) الكشاف (٣/ ٣٥٧).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) الكشاف (٣/ ٣٥٦).

(٨) في الأصل: الإبصار وهي الحقيقة. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

لابسوها، وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها. ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار: كل ناظر فيها من كافة أولي العقل، وأن يراد أيضاً[(١)] فرعون وقومه؛ لقوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾، أو جُعلت كأنها تبصر فتهدي؛ لأن العُمْي لا تقدر على الاهتداء، فضلاً عن أن تَهْدِي غيرها، ومنه قولهم: كلمة عَيْنَاء، وكلمة عَوْرَاء؛ لأن الكلمة الحسنة تُرشد، والسيئة تُغوي.

﴿قالوا هذا﴾ إشارة إلى ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام ﴿سحر مبين﴾.

﴿وجحدوا بها﴾ أي: [بالآيات][(٢)]، ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ هذه واو الحال، و"قد" بعدها مضمرة، تقديره: وجحدوا[(٣)] بالآيات وقد استيقنتها أنفسهم.

﴿ظلماً وعلواً﴾ أي: شركاً وتكبراً عن اتباع موسى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ قال ابن عباس: علماً بالقضاء، وبكلام الطير والدواب، وتسبيح الجبال[(٤)].

---

(١) في الكشاف: إبصار.

(٢) في الأصل: الآيات. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل و ب زيادة: بها وقد بعدها مضمرة تقديره: وجحدوا. وهو تكرار.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥٩) بلا نسبة.

﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ بالعلم والنبوة، وإلانة الحديد، وتسخير الشياطين والجن والإنس.

وفي هذه الآية دليلٌ ظاهرٌ وبرهانٌ باهرٌ على شرف العلماء وإنافة محلهم، ودلائل شرفهم النقلية والعقلية كثيرة، ولو لم يكن لهم من مراتب الإنافة إلا أن الله تعالى فضّلهم على الكافّة، فقال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة:١١]. اللهم فألبسنا من مدارعه أضفاها، وأوردنا من مشاربه[1] أصفاها.

قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ يعني: ورث منه النبوة والملك والعلم دون سائر بنيه، وكان له تسعة عشر ذَكَراً، فخُصَّ بذلك من بينهم.

﴿وقال﴾ ذاكراً لإحسان الله تعالى إليهم وشاكراً لأنعمه عليهم ﴿يا أيها الناس علّمنا منطق الطير﴾ أي: فُهِّمْنا لغة الطير.

قال قتادة: والنمل من الطير[2].

ويروى: أن سليمان عليه السلام مَرَّ على بلبل في شجرة يحرّك رأسه ويميل ذَنَبَه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم، قال: يقول: أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء[3].

---

(١) في ب: مشارعه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥)، والمناوي في فيض القدير (١/ ٨٧).

وصاحت فَاخِتَةٌ[١] يوماً فقال: إنها تقول: ليت ذا الخَلْقَ لم يُخْلَقُوا[٢].

وصاح طاووس[٣] فقال: يقول: كما تدين تدان[٤].

وصاح هُدْهُدٌ[٥] فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبين[٦].

وصاح طِيْطَوَى[٧] فقال: يقول: كل حي ميت، وكل جديد بَال[٨].

وصاح خُطَّافٌ[٩] فقال: قدموا خيراً تجدوه[١٠].

وصاحت رَخَمَةٌ[١١] فقال: تقول: سبحان ربي الأعلى، ملأ سمائه وأرضه[١٢].

وصاح قُمْرِيٌّ[١٣] فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى[١٤].

---

(١) الفَاخِتَة: واحدة الفواخِت، وهي ضربٌ من الحمام المطوّق (اللسان، مادة: فخت).

(٢) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥)، والمناوي في فيض القدير (١/ ٨٧).

(٣) الطاووس: طائر حسن (اللسان، مادة: طوس).

(٤) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥).

(٥) الهدهد: طائر معروف، وهو مما يقرقر (اللسان، مادة: هدد).

(٦) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٧) الطيطوى: ضربٌ من الطير معروف (اللسان، مادة: طيط).

(٨) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦)، والمناوي في فيض القدير (١/ ١٠٢).

(٩) الخُطّاف: طائر معروف، وقيل: هو العصفور الأسود، وهو الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة، وجمعه: خطاطيف (اللسان، مادة: خطف).

(١٠) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(١١) الرَّخَمَة: طائر أبقع على شكل النَّسْر خِلْقَة إلا أنه مُبَقَّعٌ بسواد وبياض (اللسان، مادة: رخم).

(١٢) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

(١٣) القُمْري: طائر يشبه الحمام القُمْر البيض (اللسان، مادة: قمر).

(١٤) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).

وقال: الحِدَأة[١] تقول: كل شيء هالك إلا الله[٢].

والقَطَاة[٣] تقول: من سكت سلم[٤].

والببغاء يقول: ويل لمن الدنيا همّه[٥].

والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين[٦].

والنسر يقول: يا ابن آدم عِشْ ما شئت آخِرُك الموت[٧].

والعُقاب[٨] يقول: في البُعد من الناس أُنْس[٩].

والضِّفْدَع يقول: سبحان ربي القدوس[١٠].

قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ قال الزجاج[١١]: من كل شيء يجوز أن يُؤتاه الأنبياء والناس.

وقيل: أراد بقوله: «وأوتينا من كل شيء»: كثرة ما أوتي، كما تقول: فلان يقصده كل أَحَدٍ، ويعلم كل شيء، يريد: كثرة قُصَّادِهِ ورجوعه إلى غزارةٍ في العلم

(١) الحدأة: طائر معروف يصيد الجرذان (اللسان، مادة: حدأ).
(٢) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).
(٣) القطاة: طائر معروف، سمي بذلك لِثِقَل مشيه (اللسان، مادة: قطا).
(٤) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).
(٥) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).
(٦) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦)، والمناوي في فيض القدير (١/ ٣٨٠).
(٧) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦)، والمناوي في فيض القدير (١/ ١٠٢).
(٨) العُقاب: طائر من العِتاق (اللسان، مادة: عقب).
(٩) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).
(١٠) ذكره القرطبي (١٣/ ١٦٦).
(١١) معاني الزجاج (٤/ ١١١).

واستكثارٍ منه. ومثله قوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل:٢٣].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد[1] بإسناده عن ابن أبي نجيح قال: قال سليمان عليه السلام: ((أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعُلّمنا ما عُلّم الناس وما لم يُعَلَّمُوا، فلم نجد شيئاً أفضل من ثلاثةٍ: كلمة الحلم في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله تعالى في السر والعلانية))[2].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: أعطي سليمان عليه السلام مُلْك مشارق الأرض ومغاربها، فَمَلَكَ[3] أهلَ الدنيا كلَّهم من الجن والإنس والدواب والطير والسباع، وأُعطي علم كل شيء، وفي زمانه صُنعت الصنائع العجيبة فذلك قوله تعالى: ﴿علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

قال بعضهم: هو قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة، كما قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))[5].

قوله تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ أي: وجُمع له جنوده ﴿من الجن والإنس والطير﴾ كل صنف على حِدَةٍ، وكان ذلك في مسير له.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: له.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٥١).

(٣) في ب: وملك.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٤٣ ح٤١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٥) وعزاه للحاكم في المستدرك.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٨ ح٣١٤٨).

وقد روي: أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة، وسبعمائة سُرِّيَّة(١).

وقد نَسَجَت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسَم فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحول الناس الجن والشياطين، والطير تُظله بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، ويأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرُّخَاء فتسير به. فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك، لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك(٢).

فروي: أنه مرّ بحرَّاث فقال الحرَّاث: سبحان الله! لقد أُوتي آل داود ملكاً عظيماً، فألقَتْهُ الريح إليه فنزل ومشى إلى الحرَّاث فقال: لتسبيحة واحدة خير مما أوتي آل داود(٣).

قوله تعالى: ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يحبس أولهم على آخرهم؛ لئلا يتخلف منهم

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٤٤ ح٤١٤١)، والطبري (١٩/ ١٤١) كلاهما عن محمد بن كعب. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٥) وعزاه للحاكم عن محمد بن كعب.

(٢) انظر: الوسيط (٣/ ٣٧٢-٣٧٣)، والقرطبي (١٣/ ١٦٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٩) عن وهب بن منبه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٦) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن وهب بن منبه.

أحد.

قال ابن قتيبة[(١)]: أصل الوَزْع: الكَفُّ والمنع، يقال: وزَعتُ الرجل، أي: كَفَفْتُه[(٢)].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾ أي: أشرفوا عليه.

قال كعب: هو وادٍ بالطائف[(٣)].

وقال قتادة: بالشام[(٤)].

﴿قالت نملة يا أيها النمل﴾ أي: صاحتْ بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً عبّر عنه بالقول، ولما كان النمل ينطق كنطق الآدميين [أجري مجرى

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: وزع).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ١٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

وقد ردّ ابن كثير في تفسيره قول من قال: أن الوادي بالشام، فقال: ومن قال من المفسرين أن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها (تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٠).

الآدميين][(١)] فقيل: ﴿ادخلوا﴾.

واختلفوا في صفة النملة فقيل: كانت كهيئة النعجة.

وقيل: كانت صغيرة.

وظاهر القرآن يدل على أنها كانت أنثى.

ويروى: أن قتادة دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً -وهو غلامٌ حَدَثٌ-، فقال: سلُوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى، فسألوه فلم يُجِرْ جواباً، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت ذلك؟ فقال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قالت نملة يا أيها النمل﴾، ولو كان ذكراً لقال: قال نملة[(٢)]. وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذَكَرٌ وحمامة أنثى، وهو وهي[(٣)].

قوله تعالى: ﴿لا يحطمنّكم﴾ أصل الحَطْم: الكَسْر.

قال الفراء[(٤)]: هذا نهي فيه ظرفٌ من الجزاء.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) وردّ هذا أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٥٩) فقال: ولحوق التاء في "قالت" لا يدل على أن النملة مؤنث، بل يصح أن يقال في المذكر: قالت نملة، لأن نملة، وإن كان بالتاء، هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث. وما كان كذلك، كالنملة والقملة، مما بينه في الجمع وبين واحده من الحيوان تاء التأنيث، فإنه يخبر عنه إخبار المؤنث، ولا يدل كونه يخبر عنه إخبار المؤنث على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق، لا دالة على التأنيث الحقيقي، بل دالة على الواحد من هذا الجنس.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦١).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء.

وقال الزمخشري(١): يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون [نهياً](٢) بدلاً من الأمر. والذي جوّز أن يكون بدلاً منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحْطِمَكُم، [على](٣) طريقة: لا أرينَّك هاهنا.

﴿سليمان وجنوده﴾ أراد: لا [يحطمنّكم](٤) جنود سليمان، فجاء بما هو أبلغ، ونحوه: عجبت من نفسي وإشفاقِها.

﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: لا يعلمون بحطْمِكُم ووطئكم(٥).

وقال ابن عباس: المعنى: وأصحاب سليمان لا يشعرون بكلام النملة(٦). فيكون كلاماً مستأنفاً أخبر الله تعالى به أن أصحاب سليمان لا يعلمون ما قالت النملة، مُعَرِّضاً بتفضيل سليمان وامتيازه على الخلق بإحاطته بقولها.

قال مقاتل(٧): سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال.

قال بعض العلماء: الآية من عجائب القرآن؛ لأنها بلفظة "يا": نادتْ، "أيها": نَبَّهت، "النمل": عَيَّنَت، "ادخلوا": أمَرَت، "مساكنكم": نَصَّتْ، "لا يحطمنكم":

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٦١).

(٢) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: يحطنكم. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) قال الآلوسي (١٩/ ١٧٧): وهذا يشعر بأدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده. وليت من طعن في أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم تأسّى بها فكفّ عن ذلك وأحسن الأدب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٢).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

حَذَّرت، "سليمان": خصّت، "وجنوده": عَمّت، "وهم لا يشعرون": عَذَرَت[١].

قوله تعالى: ﴿فتبسّم ضاحكاً من قولها﴾ «ضاحكاً» حال مُقدَّرة[٢]، والتقدير: فتبسّم مُقَدِّراً الضحك، ولا يكون محمولاً على الظاهر، أعني: الحال المطلق؛ لأن التبسّم غير الضحك.

وقال الزجاج[٣]: «ضاحكاً»: حال مؤكدة؛ لأن تبسَّم بمعنى ضَحِكَ.

وقال صاحب الكشاف[٤]: أي: تبسّم شارعاً في الضحك، آخذاً فيه، بمعنى: أنه قد [تجاوز][٥] حَدَّ التبسم إلى الضحك، وكذلك ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما ما روي أن النبي ﷺ ضحك حتى بدتْ نواجذه؛ فالغرض: المبالغة في وصف ما وُجد منه من الضحك النبوي، وإلا فبدُوّ النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب -يريد: القهقهة-.

وقرأ ابن السميفع: «ضَحِكاً»[٦].

فإن قلت: ما أضحكه من قولها؟

قلت: شيئان: إعجابه بما دلّ عليه قولها من ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وهم لا

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٢)، والدر المصون (٥/ ٣٠٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١١٢).

(٤) الكشاف (٣/ ٣٦١-٣٦٢).

(٥) في الأصل: جاوز. والمثبت من ب، والكشاف (٣/ ٣٦١).

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٠٤).

يشعرون﴾. يعني: أنهم لو شعروا لم يفعلوا، وسروره بما آتاه الله [مما][(١)] لم يؤت أحداً: من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحُكْلِ[(٢)] الذي هو مَثَلٌ في الصغر والقلّة، ومن إحاطته بمعناه. ولذلك اشتمل دعاؤه على [استيزاع][(٣)] الله شكر ما أنعم [به][(٤)] عليه من ذلك، فقال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك﴾.

قال الزجاج[(٥)]: تأويله في اللغة: كُفَّنِي عن الأشياء إلا عن شُكْر نعمتك.

﴿التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ﴾ قال الزجاج[(٦)]: إنما أَدْرَجَ ذكر والديه؛ لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين، [خصوصاً][(٧)] النعمة الراجعة إلى الدين، فإنه إذا كان تقياً نفعهما بدعائه وشفاعته، وبدعاء المؤمنين لهما بسببه.

ويحتمل عندي: أن يكون سأل ربه أن يُلهمه شكر نعمته عليه ونعمته على والديه؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه.

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وتفقد الطير﴾ أي: طلب ما فُقِد منه، ﴿فقال ما لي لا أرى

---

(١) في الأصل و ب: ما. والمثبت من الكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٢) الحُكْلُ من الحيوان: ما لا يُسمع له صوت كالذرّ والنمل (اللسان، مادة: حكل).

(٣) في الأصل: استرجاع. والتصويب من ب، والكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١١٢-١١٣).

(٦) لم أقف عليه في المطبوع من معاني الزجاج.

(٧) في الأصل: خصوصة. والتصويب من ب.

الهدهد﴾ هذا من مقلوب الكلام، أي: ما للهدهد لا أراه، وجاز مثل ذلك لوضوح المعنى، كما تقول العرب: ما لي أراكَ مكتئباً، أي: مَا لَكَ.

﴿أم كان من الغائبين﴾ قال: معناه: بل كان من الغائبين.

وقال الزمخشري(١): «أم» هي المنقطعة، نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال: ما لي لا أراه، على معنى: أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب، فأضْرَبَ عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحّة ما لاح له. ونحوه قولهم: إنها لإبل أم شاءٌ؟

قال ابن عباس: نزل سليمان مَنْزِلاً ولم يدْر ما بُعْد الماء، وكان الهدهد يدلُّه على الماء إذا أراد أن ينزل، فلما فَقَدَهُ سأل عنه، وذلك أن الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاجة(٢).

ويروى: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: تزعم أن الهدهد يرى مسقاة الماء وأن الصبيّ يضعُ له الفخ فيُغطّي عليه شيئاً من التراب فيجيء فيقعُ فيه؟ فقال: ويحك، أما علمت أن القَدَر يحول دون البَصَر(٣).

وقال بعض المفسرين: إنما طلبه؛ لأن الطير كانت تظلهم من الشمس، فأخَلَّ

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٠ ح٣٥٢٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري (١٩/ ١٤٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٦ ح٣١٨٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٩-٢٨٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٨-٣٤٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس.

الهدهد بمكانه فطلعت الشمس عليهم من الخلل[(١)].

ثم إنه توعده على غيبته فقال: ﴿لأعذبنّه عذاباً شديداً﴾ قال ابن عباس: أراد نَتْفَ ريشه[(٢)].

وقيل: نَتْفَ ريشه[(٣)] وصَهْره في الشمس مَطْلِياً بالقطران.

وقيل: إيداعه القَفَص.

وقيل: التفريق بينه وبين إلْفِه.

وقيل: حشْره مع غير جنسه[(٤)].

﴿أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة في إقامة عذره.

قرأ ابن كثير: «ليأتينَّني» بنونين، إحداهما مشددة على الأصل، والباقون كرهوا اجتماعهن، فحذفوا النون التي تصحب ياء المتكلم[(٥)].

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٠ ح٣٥٢٥)، والطبري (١٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٤٩) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم وصححه.

(٣) قال السيوطي في الإكليل (ص:٢٠١): ويستدل بالآية على جواز تأديب الحيوانات والبهائم بالضرب عند تقصيرها في المشيء أو إسراعها أو نحو ذلك، وعلى جواز نتف ريش الحيوان لمصلحة بناء على أن المراد بالتعذيب نتف ريشه.

(٤) ذكر هذه الأقوال كلها ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ١٦٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٤)، والكشف (٢/ ١٥٤-١٥٥)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥)، والسبعة (ص:٤٧٩).

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَكُثَ غير بعيد﴾ وقرأ عاصم بفتح الكاف[1]، وهما لغتان، والفتح أقيس؛ لأن اسم الفاعل منه: ماكِث. قال الله تعالى: ﴿ماكثين فيه أبداً﴾ [الكهف:٣]، وقال تعالى: ﴿إنكم ماكثون﴾ [الزخرف:٧٧]. وهذا يدل ظاهراً أنه من فَعَلَ -بالفتح-؛ لأن مكان الفاعل من فَعُلَ -بالضم- فعيل، نحو: ظريف وشريف وكريم، من ظَرُفَ وشَرُفَ وكَرُمَ.

والمعنى: فمكث غير زمان بعيد.

وكان سليمان عليه السلام قال للعُقاب: عَلَيَّ بالهدهد، فارتفع فرآه مقبلاً فانصبّ عليه فقال: بالذي قوّاك عليّ وأقدرك إلا ما[2] رحمتني، فتركه وقال: ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف ليعذبنك عذاباً شديداً أو ليذبحنك، فقال: أَوَما استثنى؟ قال: بلى، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحه وأقبل يجُرُّهما على

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٥)، والكشف (٢/ ١٥٥)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥)، والسبعة (ص:٤٨٠).

(٢) ساقط من ب.

الأرض تواضعاً لسليمان عليه السلام، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه، فقال: يا نبي الله! اذكر وقوفك بين يدي الله، فارْتعد سليمان عليه السلام وعفى عنه، ثم سأله فقال: ما الذي بطَّأ بك؟ ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾، أي: علمت شيئاً من جميع جهاته[(١)].

قال صاحب الكشاف[(٢)]: كافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاءً له في علمه، [وتنبيهاً][(٣)] على أن في أدنى خلق الله وأضعفه من أحاط علماً بما لم يُحِطْ به؛ لتَتَحَاقَرَ إليه نفسه، ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأَعْظِمْ بها فتنة. وفيه دليل على بطلان قول الرافضة: أن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحدٌ أعلم منه.

﴿وجئتك من سبأ﴾ قرأ أبو عمرو والبزي: «سبأَ» بالفتح من غير تنوين على أنه اسم للقبيلة أو المدينة.

قال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب[(٤)].

ومَنَعَه الصّرف: التعريف والتأنيث.

قال الشاعر:

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٦٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٦٤).

(٣) في الأصل: وتنبهاً. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٢) من حديث طويل، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ما سَبَأَ الحاضرينَ مأربَ إذ يَبنُونَ مِنْ دُون سَيْلِهِ العَرِمَا[1]

وقرأ قنبل بإسكان الهمزة كأنه نوى الوقف، وقرأ الباقون بالجر والتنوين[2]، وجعلوه اسماً للأب، وهو سبأ بن يُشْجُب ابن قحطان، أو اسماً للحي أو للمكان أو الموضع، فصرفوه. وكذلك اختلافهم في سورة سبأ[3].

﴿بنبأ يقين﴾ أي: خبر ثابت صادق لا ريبة[4] فيه.

ثم ذكره فقال: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ يعني: بلقيس بنت شراحيل، وقيل: بنت الهَدْهَاد، ملكة سبأ، وكان أبوها ملك اليمن قد ولده أربعون ملكاً، ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على المُلْك، وكانت هي وقومها مَجُوساً يعبدون الشمس. وضمير المفعول في "تَمْلِكُهُم" راجع إلى سبأ، فإن أريد القبيلة فلا إشكال، وإن أريد المدينة فالمراد: تملك أهلها.

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال عطاء: من زينة الدنيا من المال والجنود[5].

﴿ولها عرش عظيم﴾ قال قتادة: كان عرشها من ذهب قوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ[6].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي. انظر: الكتاب (٣/ ٢٥٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٧)، واللسان (مادة: سبأ)، والدر المصون (٥/ ٣٠٥، ٤٠٤)، والقرطبي (١٣/ ١٨١، ١٤/ ٢٨٣)، والماوردي (٤/ ٢٠٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٥)، والكشف (٢/ ١٥٥)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٥-٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ١٥.

(٤) في ب: مرية.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٠). وذكره الماوردي (٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير =

قال مقاتل[١]: كان[٢] ارتفاعه ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين.

قال الزمخشري[٣]: ومن نَوْكَى[٤] القُصَّاص من يقف على قوله: ﴿ولها عرش﴾ ثم يبتدئ: ﴿عظيم * وجدتها﴾ يريد: أمر عظيم أن وجدتها ﴿وقومها يسجدون للشمس﴾ فرَّ من استعظام الهدهد عرشها، فوقع في عظيمة وهو مسخ كتاب الله.

فإن قلت: كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان؟

قلت: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان، فاستعظم لها ذلك العرش، ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء، كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم.

فإن قلت: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين مَحَطِّهِ وبين بلدها قريبة، وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب؟

قلت: لعل الله تعالى أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام.

فإن قلت: فمن أين للهدهد التهدّي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود [له][٥] وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟

= (٦/ ١٦٥).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٣).

(٢) في ب: وكان.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٤) الأَنْوَك: الأحمق. وجمعه: النَّوْكَى، والنَّوَاكَةُ: الحماقة، ونَوْكَى: حمقى (اللسان، مادة: نوك).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٣٦٦).

قلت: لا يَبْعُدُ أن يُلهمه الله تعالى ذلك، كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوانات المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلاء الرِّجاحُ العقول يهتدون لها.

قوله تعالى: ﴿ألا يسجدوا لله﴾ وقرأ ابن مسعود: «هَلاَّ يسجدوا لله»[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: المعنى: فصدهم عن السبيل؛ لئلا يسجدوا لله.

وقال الفراء[(٣)]: فزين لهم الشيطان أعمالهم؛ لئلا يسجدوا.

وقرأ الكسائي: «أَلاَ يَا اسجدوا» [بحرف][(٤)] التنبيه وحرف النداء، والأمر بالسجود[(٥)].

قال أبو عبيدة[(٦)]: هذا أمرٌ من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيها الناس اسجدوا لله.

قال أبو علي الفارسي[(٧)] وابن فضّال: العرب تحذف المنادى وتَدَعُ حرف النداء ليدلَّ عليه، قال الشاعر:

يا لَعْنَةُ الله والأقوامِ كُلِّهِـمِ ... والصالحينَ على سَمْعَانَ مِنْ جَارِ[(٨)]

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١١٥).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٢٩٠).

(٤) في الأصل: بحذف. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٦-٥٢٧)، والكشف (٢/ ١٥٦)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨٠).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٩٣).

(٧) انظر: الحجة (٣/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٨) انظر البيت في: أمالي ابن الحاجب (ص:٤٤٨)، وخزانة الأدب (١١/ ١٩٧)، والكتاب =

والتقدير: يا قوم أو يا هؤلاء لعنة الله.

قال [الزجاج][(١)]: ومثله: قول ذي الرمة[(٢)]:

ألا يا اسْلَمِي يا دَارَ ميٍّ على البلَى ... ولا زالَ مُنْهلاً بجرعائِكِ القَطْرُ

وقال العجاج [(٣)]:

يا دَارَ سَلْمَى يا اسْلَمِي ثم اسْلَمِي ... .

وقال أبو علي[(٤)]: في هذه القراءة حذفت الألف من «يا» في الوصل؛ لالتقاء الساكنين. وإذا وقف على هذه القراءة: «ألا يا» ويبتدئ: «اسجدوا» فيرد الألف من «يا» التي سقطت في الوصل لالتقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ قال الزجاج[(٥)]: جاء في التفسير: أن الخبء هاهنا: القَطْرُ من السماء، والنبات من الأرض.

قال ابن قتيبة[(٦)]: هو من خبأْتُ الشيء؛ إذا أخفيته.

=

(٢/ ٢١٩)، وابن الشجري (١/ ٣٢٥، ٢/ ١٥٤)، وابن يعيش (٢/ ٢٤)، وهمع الهوامع (١/ ٧٤، ٢/ ٧٠)، والحجة للفارسي (٣/ ٢٣٤)، والدر المصون (٥/ ٣٠٨).

(١) معاني الزجاج (٤/ ١١٥-١١٦). وفي الأصل: الزجا.

(٢) البيت لذي الرمة، انظر: ديوانه (ص:٢٩٠)، والهمع (١/ ١١١)، والأشموني (١/ ٣٧)، والدر المصون (٥/ ٣٠٧).

(٣) صدر بيت للعجاج، وعجزه: (بسَمْسَمٍ أو عن يمين سَمْسَم). انظر: ديوانه (ص:٥٨)، وهو في ملحقات ديوان رؤبة (ص:١٨٣)، وابن يعيش (١/ ٨٩٠)، والخصائص (٢/ ١٩٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٩٤)، والدر المصون (٥/ ٣٠٨)، واللسان (مادة: سمسم).

(٤) انظر: الحجة (٣/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١١٦).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٤). وانظر: اللسان (مادة: خبأ).

وقال غيره: سُمِّيَ المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما، مما خبأه الله عز وجل من غيوبه.

﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ وقرأ الكسائي وحفص بالتاء فيهما على المخاطبة[1].

وفي قوله: ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ إشارة إلى تضاؤل عرش بلقيس بالنسبة إليه.

وقرأ الضحاك وابن [محيصن][2]: «العظيمُ» بالرفع[3]، صفةً لله عز وجل.

قال ابن زيد: من قوله: ﴿أحطت بها لم تحط به﴾ إلى هاهنا من كلام الهدهد[4].

ويجوز أن يكون كلامه تَمَّ عند قوله: ﴿من دون الله﴾، والله أعلم.

فصل

قال الفراء والزجاج[5]: من قرأ: «ألا يا اسجدوا» بالتخفيف فهو موضع سجود، ومن شدَّد فليس بسجدة.

وهذا غير مستقيم؛ لأنه موضع سجدة بإجماع العلماء المشهورين لا نعرف بينهم فيه خلافاً. وعلته: أن [مواضع][6] السجدة إما أمْرٌ بها، كقوله تعالى:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٨)، والكشف (٢/ ١٥٨)، والنشر (٢/ ٣٣٧)، والإتحاف (ص:٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨٠-٤٨١).

(٢) في الأصل: محيصين. والتصويب من ب.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٦).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٢٩٠)، ومعاني الزجاج (٤/ ١١٥).

(٦) في الأصل: موضع. والتصويب من ب.

﴿واسجد واقترب﴾ [العلق:١٩]، أو مدح لمن أتى بها، كسجدة الأعراف وسجدة الرعد، أو ذمٌ لمن تركها؛ كقوله تعالى: ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ [الانشقاق:٢١]، وأكثر سجدات القرآن لم يقارنها الأمر بالسجود.

۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

فلما فرغ الهدهد من كلامه استبعد سليمان أن يكون في الأرض ذو سلطان سواه، فـ﴿قال﴾ للهدهد: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾.

ثم إنه كتب كتاباً وختمه بخاتمه، ثم دفعه إلى الهدهد وقال: ﴿اذهب بكتابي هذا فألقِهِ إليهم﴾. قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: «فألْقِهْ» بسكون الهاء، وكَسَرَها قالون من غير إشباع، والباقون وَصَلُوها بياء(١).

قال الزجاج(٢): إثبات الياء أجود الأوجه، ومن أسكن الهاء فغالط؛ لأن الهاء ليست بمجزومة، وليس له وجه(٣) من القياس.

وقال غيره: من سكن الهاء نوى الوقف وهو بعيد.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٥-٢٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٨)، والكشف (٢/ ١٥٩)، والإتحاف (ص:٣٣٦)، والسبعة (ص:٤٨١).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١١٦-١١٧).

(٣) في معاني الزجاج (٤/ ١١٧): ولها وجه.

وقال الأخفش: هي لغة، ولم يَحْكِها سيبويه، وإنما جاء مثل هذا في ضرورة الشعر، وقد أشبعنا في مثل هذا فيما مضى.

﴿ثم تَوَلَّ عنهم﴾ أي: تَنَحَّ عنهم حتى تكون قريباً منهم في مكان تتوارى فيه لتسمع ما يقولون.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، التقدير: ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ ثم تولّ عنهم راجعاً إليَّ.

قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة فألقى الكتاب على نحرها، فقرأته وأخبرت قومها[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: حمله في منقاره حتى وقف على رأس المرأة، فَرَفْرَفَ ساعة والناس ينظرون، فرفعت رأسها، فألقى الكتاب في حجرها، فلما رأت [الكتاب ورأت][(٣)] الخاتم أرعدت وخضعت، وخضع من معها من الجنود.

ثم قالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إليَّ كتاب كريم﴾ وصفتْه بالكَرَم؛ لأنه كان مختوماً[(٤)].

وقيل: لأنها حسبته من عند الله تعالى حيث رأته مع الهدهد[(٥)]. رويا عن ابن عباس.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٠٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٤).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٣٥٣) وعزاه لابن مردويه.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٦٨).

وقيل: لأنها رأته مُصَدَّراً ببسم الله الرحمن الرحيم(١).

وقال الزجاج(٢): "كريم": حسن.

وقيل: وَصَفَتْه بالكَرَم؛ لكونه من ملك كريم.

﴿إنه من سليمان﴾ كأنه قيل لها: ممن هو الكتاب؟ فقالت: إنه من سليمان.

وقرئ شاذاً: «أنَّه من سليمان وأنَّه» بفتح الهمزة فيهما(٣)؛ تعليلاً لكريم الكتاب.

﴿ألا تعلوا عليَّ﴾ لا تتكبروا عليَّ ولا تأنفوا(٤) من الانقياد إليّ.

وقرأ ابن عباس: «تَغْلُوا» بالغين المعجمة(٥)، من الغلو، وهو مجاوزة الحدّ.

فإن قيل: ما محل: «أن لا تعلوا» من الإعراب؟

قلت: «أنْ» في موضع الرفع على البدل من "كتاب كريم"، أو على معنى: أُلْقِيَ عَلَيّ أن لا تعلوا. ويجوز أن يكون في موضع النصب، على معنى: ألقي إليَّ كتاب بأن لا تعلوا(٦).

[وفسّر](٧) سيبويه(٨) والخليل «أنْ» في هذا الموضع في تأويل أي، على معنى:

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١١٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣١١).

(٤) في ب: وتأنفوا.

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٦٨)، والدر المصون (٥/ ٣١٢).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٧٣)، والدر المصون (٥/ ٣١٢).

(٧) في الأصل: فسر. والتصويب من ب.

(٨) انظر: الكتاب (٣/ ١٦٢).

أي لا تعلوا عليّ، ومثله: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا﴾ [ص:٦]، وفسّرها: أي امشوا.

قوله تعالى: ﴿وأتوني مسلمين﴾ أي: مُنْقادين لأمري.

قال قتادة: كذلك كانت الأنبياء تَكْتُبُ جُمَلاً لا تطيل[(١)].

ثم جمعت أشراف قومها للمشورة وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً، كل واحد على عشرة آلاف.

وقال مجاهد: كانوا ألف قَيْل[(٢)]، تحت يدي كل قَيْلٍ ألف مقاتل[(٣)].

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

فـ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ أي: أشيروا عَلَيَّ ما أصنع في هذا الخَطْب الجليل الذي نزل بي: ﴿ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ أي: ما كنتُ

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) القَيْل: الملكُ من ملوك حمير دون الملك الأعلى، بمثابة القائد للجيش (اللسان، مادة: قول).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

فاصلَةً وباتّةً أمراً حتى تحضرون.

﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ في أجسادنا وبعَدَدنا وعُدَدنا، ﴿وأولوا بأس شديد﴾ أي: شجاعة وبلاء في الحروب، وهو كلام يلوح منه ميلهم إلى المحاربة، ﴿والأمر إليك﴾ في القتال وتركه وغير ذلك، ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ وهذا إذعان منهم بالطاعة لها كيف تصرفت الأحوال، واعتراف أنها أكملهم رأياً وأحسنهم تدبيراً.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ يعني: إذا دخلوها عَنْوة أفسدوها بخرابها [وقتل](١) أهلها، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بالقهر والاسترقاق والأسْر، وهذا زجرٌ لهم عما توسَّمته من الميل إلى مقاتلة من لا قِبَلَ لهم به.

قوله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾ جائز أن يكون من تمام كلامها. وجائز أن يكون من قول الله تعالى؛ لأنها قد أخبرت أنهم يفسدون، فليس في التكرير بقولها: «وكذلك يفعلون» كبير فائدة. وهذا اختيار الزجاج(٢).

﴿وإني مرسلةٌ إليهم بهدية﴾ قال ابن عباس: إنما أرسلت بالهدية لتعلم أنه إن كان نبياً لم يُرد الدنيا، وإن كان مَلِكاً فسيرضى بالحَمْل(٣).

﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ أي: بما يكون منه حتى [أعمل](٤) بمقتضى ذلك.

---

(١) في الأصل: قتل. والتصويب من ب.

(٢) انظر: معاني الزجاج (٤/ ١١٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٠).

(٤) في الأصل: أعلم. والتصويب من ب.

قال ابن جرير(١): إنما سقطت الألف في "بـم"؛ لأن العرب إذا كانت "ما" بمعنى "أي" ثم وصلوها بحرف خافض، أسقطوا ألفها تفريقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله: ﴿عم يتساءلون﴾ [النبأ:١]، ﴿قالوا فيم كنتم﴾ [النساء:٩٧]، وربما أثبتوا فيها الألف.

قال الشاعر:

على ما قَامَ يشتمُنا لَئيمٌ كخنزيرٍ تَمَرَّغَ في رَمَادِ(٢)

قال ابن عباس: بعثت ثلاث لبنات من ذهب، في كل لبنة مائة رطل، وثلاثين وصيفاً، وثلاثين وصيفةً، وألبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبت إليه: إني قد بعثت إليك بهدية فاقبلها، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، فميِّز بين الجواري والغلمان، فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال [لَبِناً](٣) من ذهب، فانطلق، فبعث الشياطين فقطعوا اللَّبِن من الجبال وطَلُوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر، فلما جاءت الرسل قال بعضهم لبعض: كيف تدخلون على هذا الرجل بثلاث لبنات وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنما نحن رسل، فدخلوا [عليه](٤) فوضعوا اللَّبِن بين يديه، فقال:

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٩/ ١٥٦).

(٢) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه. وهو في: اللسان (مادة: قوم)، والقرطبي (١٣/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٦/ ١٧٢)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٩، ٣٠/ ٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: إليه. والتصويب من ب.

أتمدونني بمال[١].

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال﴾ قرأ حمزة: «أتمدونّي» بنون مشددة على الإدغام لاجتماع المثلين، فتُمَدُّ الواو لالتقاء الساكنين.

وقرأ الباقون بنونين ظاهرتين على الأصل[٢]، الأولى علامة الرفع في الفعل، والثانية هي التي تدخل مع الياء في ضمير المتكلم المنصوب.

والمراد بالمال: لَبِنَات الذهب، والوُصَفاء والوصائف، وقد ذكرنا عددهم عن ابن عباس.

وقال مجاهد: كانوا مائتي غلام ومائتي جارية[٣].

وقال وهب: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية[٤].

فإن قيل: بأيّ طريق توصّل إلى معرفتهم؟

قلت: روي عن سعيد بن جبير: أنه أمرهم بالوضوء، فبدأ الغلام من مرفقه

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٦-٢٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٢٨-٥٢٩)، والكشف (٢/ ١٦٠)، والإتحاف (ص:٣٣٦-٣٣٧)، والسبعة (ص:٤٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧١).

إلى كفه، وعكست الجارية ذلك[(١)].

وقال قتادة: بدأ الغلمان بغسل ظهور السواعد قبل بطونها، والجواري على العكس[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم﴾ أي: ما آتاني الله من الجنود واستفحال المُلْك وطاعة الجن والإنس وسائر الحيوان والنبوة والعلم وزينة الدنيا.

قال المفسرون: ضَرَبَ الجن لَبِنَ الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه، وجعلوا حول الميدان حائطاً شُرَفُهُ من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللَّبِن، ثم قعد سليمان على سريره والكراسي من جانبيه، واصطفَّت الشياطين صفوفاً والجن صفوفاً فراسخ، والوحش والسباع والطير[(٣)] كذلك، فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تَرُوثُ على اللَّبِن، فتقاصرت إليهم نفوسهم وأمر بِرَدِّ هديتهم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ قال الزمخشري[(٥)]: أَضْرَبَ عن ذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٧). وذكره الماوردي (٤/ ٢١٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٨). وذكره الماوردي (٤/ ٢٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٦٤): والله أعلم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات. والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه.

(٣) في ب: والطيور.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٢١٢).

(٥) الكشاف (٣/ ٣٧١).

إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح، إلا أن يُهدى إليهم حظٌّ من الدنيا [التي][1] لا يعلمون غيرها. ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المُهْدِي، ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها. ويحتمل أن يكون عبارة عن الردّ، كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها.

قوله تعالى: ﴿ارجع إليهم﴾ خطاب للرسول. وقيل: للهدهد، على معنى: ارجع إليهم حاملاً كتاباً آخر، ﴿فلنأتينهم بجنودٍ لا قِبَلَ لهم بها﴾ أي: لا طاقة لهم بها. وحقيقته: ليس لهم من يقابل جنودي.

﴿ولنخرجنهم منها﴾ أي: من بلدتهم ﴿أذلة﴾ قد ذهب عنهم عز المُلْك والسلطان، ﴿وهم صاغرون﴾ أذلّاء.

قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

فلما رجع إليهم الرسول وأخبرها بما شاهد من عجائب مُلْكه وسلطانه

---

(١) في الأصل: الذي. والتصويب من الكشاف (٣/ ٣٧١).

ودلائل نبوته وحكمته، عرفت حينئذ أنه مؤيد بالرسالة، فأخذت في المسير إليـه، وأمرت بعرشها فجعل من وراء سبعة أبـواب ووكلـت بحفظـه [الحـرس][(١)]، وشخصت إلى سليمان، فأخبر جبريل عليه السلام سليمان بمسيرها إليه، فلما كانت منه على مسيرة فرسخ، قال سليمان لجنوده: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾.

إن قيل: ما أراد بذلك؟

قلت: يجوز أن يكون مراده بذلك: أن يُرِيَهَا بعض ما خصَّه الله به تعالى به من كرامته وإجراء العجائب على يديه، وأن يُطلِعَهَا على عظيم قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه، لتتوفر دواعيها إلى الإسلام. ويحتمل أنه أراد معاجلتها بأخذه والاستيلاء عليه قبل أن يحرّمه عليه الإسلام، ألا تراه يقول: ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾. وهذا معنى قول قتادة[(٢)].

﴿قال عفريت من الجن﴾ وقرأ أبيّ بن كعب بفتح العين[(٣)]، وقرأ ابن مسعود: «عِفرَاةٌ» بكسر العين وألف بدل الياء[(٤)]، والوقف عليها على هذه القراءة بالهاء.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري للكسائي من رواية ابـن أبي شريح عنه: «عِفْريّةٌ» بكسر العين وفتح الياء[(٥)]، والوقف عليها أيضاً بالهاء.

---

(١) في الأصل: والحرس. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) وهي قراءة الضحاك وأبي العالية وابن يعمر وعاصم الجحدري أيضاً. انظر هـذه القـراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٤).

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٤).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٤)، والدر المصون (٥/ ٣١٤).

قال ابن قتيبة[١]: العِفْريتُ: الشديد الوثيق.

وقال الزجاج[٢]: هو النافذُ في الأمر المبالغُ فيه مع خُبْثٍ وَدَهَاءٍ.

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي: من مجلسك الذي تجلس فيه لفصل القضاء، وكان يجلس فيه من غُدْوَةٍ إلى نصف النهار.

﴿وإني عليه لقوي﴾ على حمله، ﴿أمين﴾ على ما فيه من الذهب والجواهر، فقال سليمان: أريد أعجل من ذلك، فـ ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن بَرْخِيّا، وكان صدّيقاً عالماً، وكان كاتباً لسليمان.

وقال [عبدالله][٣] بن لهيعة: بلغني أنه الخضر عليه السلام[٤].

وقيل: جبريل عليه السلام[٥].

قال ابن عباس وجمهور المفسرين: "عِلْم الكتاب": اسم الله الأعظم[٦].

قال مجاهد: قال: يا ذا الجلال والإكرام[٧].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٢٠).

(٣) في الأصل: عبدالرحمن. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: التهذيب (٥/ ٣٢٧)، والتقريب (ص:٣١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٦٥): وهو غريب جداً.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢١٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٥).

(٧) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٦)، ومجاهد (ص:٤٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦١) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال ابن السائب: قال: يا حي يا قيوم[(١)].

﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ حسيراً إذا أَدَمْتَ النظر.

وقال الزجاج[(٢)]: هو مقدار[(٣)] ما تفتح عينيك ثم تَطْرِف.

وقيل: المعنى: قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه.

قال ابن عباس: دعا آصف، فبعث الله تعالى إليه الملائكة فحملوا السرير تحت الأرض يَخُدُّونَ الأرض خَدّاً، حتى انخرقت الأرض بالعرش بين يدي سليمان عليه السلام[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: قال آصف لسليمان: انظر إلى السماء، فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه[(٥)].

﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾ أي: فلما رأى العرش ثابتاً بين يديه، ﴿قال﴾ شاكراً لله تعالى ومثنياً عليه: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني﴾ ليختبرني ﴿أأشكر﴾ فضله ﴿أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأنه يرتبط بالشكر نعمة الله عليه ويستمدّ المزيد ويؤدي فرض الشكر، ويتخلّص من إثم الكفر.

قال بعضهم: الشكر قيدُ النعمة الموجودة، وصيدٌ للنعمة المفقودة[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٢١).

(٣) في ب: بمقدار.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٤).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٧ ح٣١٨٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ١٩٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٤٢).

﴿ومن كفر﴾ بترك الشكر، ﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ [يرزقه][(١)] مع كفره.

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قال العلماء بالتفسير: كرهت الجن أن يتزوج سليمان بلقيس خوفاً أن تُفضي إليه بأسرارهم؛ لأنها كانت بنت جنية، وخافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس، فيخرجوا من مُلْكِ سليمان إلى مُلْكٍ هو أشد وأفظع فَنَزَكُوها[(٢)] وأساؤوا القول فيها وقالوا: إنها شعراء الساقين، وأنّ رجلها كحافر الحمار، وأنّ في عقلها شيئاً، فاختبر عقلها بتنكير عرشها واتخذ الصرح لينظر إلى ساقها ورجْلها، فذلك قوله: ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ أي: غيّروا صفته[(٣)].

---

(١) في الأصل: برزقه. والتصويب من ب.

(٢) في هامش ب: أي: طعنوا عليها وعابوها. ومنه: ليسوا بنزّاكين، يقال: نَزَكْتُ الرَّجُلَ؛ إذا عِبْتَه (انظر: اللسان، مادة: نزك).

(٣) روى نحوه الطبري (١٩/ ١٦٩) عن محمد بن كعب القرظي. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٦٣) وعزاه =

قال ابن عباس: جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضة، وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب، والياقوت مكان الزبرجد، والدر مكان اللؤلؤ، وقائمتي الزبرجد مكان قائمتي الياقوت[(١)].

وقال قتادة: جعلوا أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره، وزادوا فيه ونقصوا منه[(٢)].

﴿ننظر أتهتدي﴾ إلى معرفته ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك﴾ قال مجاهد: جعلت تعرفُ وتُنكر، وعجبت من حضور عرشها عند سليمان، فقالت: ﴿كأنه هو﴾[(٣)].

قال عكرمة: كانت حكيمة، قالت: إن قلت: هو، خشيت أن أكذب، وإن قلت: لا، خشيت أن أكذب، فقالت: كأنه هو[(٤)].

قال المفسرون: قيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب والحرس[(٥)].

قوله تعالى: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ جائز أن يكون من كلام سليمان، وجائز أن يكون من كلام بلقيس.

فإن كان من كلام سليمان عليه السلام؛ فالمعنى: وأوتينا العلم بالله تعالى

= لابن المنذر عن ابن جريج.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦٢) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٧).

وبقدرته وصحة ما جاء من عنده من قبل علمها، أو يكون المعنى: أوتينا العلم بإسلامها من قبل مجيئها.

وإن كان من قول بلقيس؛ فالمعنى: وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة التي شاهدناها من أمر الهدهد، وحدثتنا به رسلنا من قبل هذه الآية.

«وكنا مسلمين»: مستسلمين لأمر سليمان، مذعنين لنبوته منقادين لطاعته.

قوله تعالى: ﴿وصدّها ما كانت تعبد من دون الله﴾ أي: وصَدَّها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس.

قال الزجاج(١): صَدَّها عن الإيمان [العادَة](٢) التي كانت عليها؛ لأنها نَشَأَتْ ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، فصدّتها العادَة، وبَيَّنَ عادتها بقوله: ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾.

وقال الزمخشري(٣): وقيل: المعنى: وصدها الله تعالى -أو سليمان- عما كانت تعبد، بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل.

وقرأ سعيد بن جبير: «أنها» بفتح الهمزة(٤)، على معنى: لأنها كانت، أو هو بدل من فاعل صدّ.

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ قال الزجاج(٥): الصَّرْحُ في اللغة: القَصْرُ والصَّحْنُ،

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٢٢).

(٢) في الأصل: العبادة. والتصويب من ب، والزجاج، الموضع السابق.

(٣) الكشاف (٣/ ٣٧٤).

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٧٨)، والدر المصون (٥/ ٣١٦).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٢٢).

يقال: هذه ساحة الدار، وصرحة[1] الدار، وباحة الدار، وقاعة الدار. هذا كله في معنى الصَّحْن.

قال مقاتل[2]: كان قصراً من قوارير بُنِيَ على الماء وتحته السَّمَك.

قال مجاهد: كانت بِرْكَة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير[3].

واختلفوا في السبب الذي صُنع لأجله الصرح؛ فقال جماعة منهم محمد بن كعب القرظي: أراد أن ينظر إلى قدمها وساقها لما قيل عنها[4].

وقال وهب بن منبه: أراد أن يريها مُلْكاً هو أعزّ من مُلْكِها[5].

وقال ابن جرير[6]: فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف والوصفاء.

﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ وهي معظم الماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ لدخول الماء، فرآها أحسن الناس قَدَماً إلا أنها شعْراء الساقين.

وقيل: هي السبب في اتخاذ النورة، دلَّتْها الشياطين عليها.

﴿قال إنه صرح ممرد من قوارير﴾ أي: مُمَلَّسٌ من قوارير، ﴿قالت﴾ حين رأت الأمور الخارقة للعادة الدالة على نبوة سليمان: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة

---

(١) في معاني الزجاج: وصحنة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٣)، ومجاهد (ص:٤٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٦٢-٣٦٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٥) عن يزيد بن رومان.

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (١٩/ ١٦٨).

غيرك، الآية.

وقيل: حسبت أن سليمان أراد تغريقها حين قال لها: ادخلي الصرح، فحسبته لُجَّة، فقالت: رب إني ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان.

فصل

اختلفوا هل تزوّجها سليمان؟ فقال أكثر المفسرين: تزوّجها وأقرّها على ملكها، وأمر الجن فبنوا لها سَيْلَحِين وغُمْدان، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له[1].

وقال قوم: زوَّجها بتُبَّع وسلَّطه على اليمن.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله﴾: سبق تفسيره[2].

﴿فإذا هم فريقان﴾ "هم" مبتدأ، "فريقان": خبره، ﴿يختصمون﴾: حال من الضمير في "فريقان"، أو وصف لـ"فريقان"[3].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٠).

(٢) في سورة الأعراف آية رقم: ٧٣.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٧٣).

والمعنى: فإذا هم فريقان مؤمنون وكافرون، يختصمون في رسالة صالح وما جاء به.

﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ وهي العقوبة، وكان الذين كذبوه قالوا له: إن كنت صادقاً فائتنا بالعذاب، ﴿قبل الحسنة﴾ وهي الرحمة والعافية، ﴿لولا تستغفرون الله﴾ أي: هلاّ تسألون الله مغفرة لكفركم وذنوبكم بدل استعجالكم بالعذاب، ﴿لعلكم ترحمون﴾.

﴿قالوا اطيرنا﴾ أصلها: تطيَّرنا، فأدغموا التاء في الطاء ثم اجتلبوا الألف توصُّلاً إلى النطق بالساكن، وقد سبق ذكر نظائره.

والمعنى: تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ نسبوا ما أصابهم من القحط والغلاء إلى صالح عليه السلام [تَطَيُّراً][1] به.

﴿قال إنما طائركم عند الله﴾ قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله تعالى بكفركم[2]، وقد ذكرناه في الأعراف[3].

﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ أي: تُبْتَلُون بالخير والشر.

وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ
﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

---

(١) في الأصل: تطائراً. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ١٣١.

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وكان في المدينة﴾ يريد: الحِجْر ﴿تسعة رهط﴾.

قال الزمخشري[1]: إنما جاز تمييز التسعة بالرَّهْط؛ لأنه في معنى الجماعة. [والفرق بين الرَّهْط][2] والنَّفَر: أن الرَّهْطَ من الثلاثة إلى العشرة، أو من السبعة إلى العشرة، والنَّفَرُ من الثلاثة إلى التسعة، وكانوا من أبناء أشرافهم، عتاة، وهم الذين سعوا في عقر الناقة.

قال وهب: أسماؤهم: الهذيل بن عبد رب، عنم[3] بن غنم، رئاب[4] بن مهرج، عمير بن كُرْدُبَة، عاصم بن مخرمة، سُبيط بن صدقة، سمعان بن صفي[5]، قُدار بن سالف[6].

﴿يفسدون في الأرض﴾، وفي قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ إيذان بأنهم كانوا عن الصلاح بمعْزِل، إذ من المفسدين من يَنْدُرُ منه عمل صالح.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٧٦).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الكشاف: غنم.

(٤) في الكشاف: رباب.

(٥) في الكشاف: صيفي.

(٦) وقد ذكر أسماءهم ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٣٧٠)، والماوردي في تفسيره (٤/ ٢١٩) مع اختلاف في الأسماء.

﴿قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا بالله﴾ أي: تحالفوا به.

وجائز أن يكون قوله: «تقاسموا» خبراً في محل الحال، على معنى: قالوا متقاسمين بالله[١].

﴿لنبيتنه وأهله﴾ أي: لنقتُلَنّ صالحاً وأهله ليلاً.

وقرأ حمزة والكسائي: «لتُبيِّتُنَّه» بالتاء بدل النون وضم التاء الثانية[٢].

﴿ثم لنقولن﴾ قرأها أيضاً بالتاء بدل النون وضم اللام الثانية[٣].

فعلى القراءة الأولى: يكون المتكلمون قد أدخلوا أنفسهم مع المقتسمين، كما في قوله تعالى: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾. وعلى القراءة الثانية لم يُدْخِلوا أنفسهم معهم.

وقرأ مجاهد كحمزة والكسائي، إلا أنه بالياء فيهما[٤]. فيتعين على قراءته أن يكون قوله: «تقاسموا» خبراً لا أمراً.

﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لولي دَمِه ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ مُفسرٌ في سورة الكهف[٥] على حسب اختلاف القراء فيه.

فعلى قراءة من فتح الميم واللام -وهو أبو بكر-: الأهل فاعلون في المعنى؛ لأنه مصدر هَلَكَ يَهْلِكُ هلاكاً ومَهْلَكاً، إلا على لغة بني تميم، فإنهم يقولون:

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣١٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٣٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٠)، والكشف (٢/ ١٦١-١٦٢)، والنشر (٢/ ٣٣٨)، والإتحاف (ص:٣٣٧)، والسبعة (ص:٤٨٣).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٨١-١٨٢)، والدر المصون (٥/ ٣١٩).

(٥) عند الآية رقم: ٥٩.

هلكني الأمر، بمعنى: أهلكني، فتكون في موضع نصب.

ومن ضمّ الميم وفتح اللام -وهم أكثر القراء-: فهو مصدر، من أَهْلَكَ، والأهل في موضع نصب، على معنى: ما شهدنا إهلاك أهله.

قوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً﴾ وهو ما أخفوه من تدبير قتل صالح وأهله، ﴿ومكرنا مكراً﴾ جازيناهم على مكرهم، ﴿وهم لا يشعرون﴾ بمكر الله تعالى بهم.

﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾، ثم استأنف فقال: ﴿إنا دمرناهم﴾ وقرأ أهل الكوفة: «أنّا» بفتح الهمزة[١]، ويقوي هذه القراءة [قراءة][٢] أبي بن كعب: «أنْ دمرناهم»[٣].

قال أبو علي الفارسي[٤]: من قرأ: "أنّا" بفتح الهمزة، فإن جعل "كان" من قوله: "كيف كان عاقبة مكرهم" هي التامة، جاز في قوله: "أنّا دمرناهم" أمران:

أحدهما: أن يكون بدلاً من قوله: «عاقبة مكرهم».

والآخر: أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمر، كأنه قال: هو أنّا دمرناهم، أو ذاك أنّا دمرناهم.

وإن جعل «كان» المقتضية للخبر، جاز في قوله: «أنّا دمرناهم» أمران أيضاً:

أحدهما: أن يكون بدلاً من اسم «كان» الذي هو «العاقبة»، فإذا حملته على هذا

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٢)، والكشف (٢/ ١٦٣)، والنشر (٢/ ٣٣٨)، والإتحاف (ص:٣٣٨)، والسبعة (ص:٤٨٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٢٠).

(٤) الحجة (٣/ ٢٤١).

كان «كيف» في موضع خبر "كان".

والآخر: أن يكون خبر «كان»، ويكون موضعه نصباً، كأنه: كان عاقبة مكرهم تدميرهم، ويكون "كيف" في موضع حال[١].

قال الزمخشري[٢]: يجوز أن يكون منصوباً، على معنى: لأنّا دمرناهم.

قال ابن عباس: أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح عليه السلام يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتْهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم[٣].

وقال مقاتل[٤]: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فَجَثَمَ عليهم الجبل فأهلكهم.

وقال قتادة: رماهم الله تعالى بصخرة فقتلتهم[٥].

قوله تعالى: ﴿وقومهم أجمعين﴾ يعني: ودمَّرْنا قومهم بصيحة جبريل.

﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ «خاويةً» نصب على الحال[٦]، والعامل فيها ما دل عليه «تلك».

وقرأ عيسى بن عمر: «خاويةٌ» بالرفع[٧]، على خبر المبتدأ المحذوف.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٤)، والدر المصون (٥/ ٣٢٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٧٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٢).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٧٤)، والدر المصون (٥/ ٣٢١).

(٧) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٢١).

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولوطاً﴾ أي: واذكر لوطاً، أو وأرسلنا لوطاً. ويدل عليه قوله: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً﴾.

﴿إذ قال لقومه﴾ بدل على الأول، وظرف على الثاني[1].

﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ من بصر القلب، على معنى: وأنتم تعلمون أنها فاحشة.

وقيل: وأنتم يُبْصِرُ بعضكم بعضاً.

قال الزمخشري[2]: كانوا في ناديهم يرتكبونها مُعَالنين بها، لا [يتستّر][3] بعضهم من بعض خَلاعةً ومجانَةً، وانهماكاً في المعصية، وكأنّ [أبا][4] نواس [بني][5] على مذهبهم قوله:

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٢١).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٧٨).

(٣) في الأصل: يستتر. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: أبو. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

وَبُحْ باسْمِ ما تأتي وذَرْني من الكُنَى فلا خَيْرَ في اللذَّاتِ مِنْ دُونها سِتْر[1]

وقيل: وأنتم تبصرون آثار العصاة قبلكم.

﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ قال ابن عباس: تجهلون النعمة وعاقبة العصيان[2].

وقيل: المعنى: تفعلون فعل الجاهلين.

وما لم أذكره في تفسير هذه القصة مذكور في الأعراف[3]، [و﴿قدرناها﴾ مذكور][4] في الحِجْر[5].

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه أن يتلو عليهم هذه الآيات الناطقة بالبراهين القاطعة بوحدانية الله تعالى وعظمته وحكمته وقدرته، وأن يستفتحها بتحميده، والسلام على من اصطفاهم من عبيده، فقال: ﴿قل الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾ فصار ذلك سُنَّةً وأدباً للعلماء والفقهاء والوعّاظ والخطباء والبلغاء

(١) انظر البيت في: روح المعاني (١٥/ ٣٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٣).

(٣) عند الآية رقم: ٨١.

(٤) في الأصل: وقد ذكرناها مذكر. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٥) عند الآية رقم: ٦٠.

والأدباء، يفتتحون به كتبهم ومسائلهم وخطبهم ورسائلهم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر))[١].

وقال النبي ﷺ: ((أما إن ربك يحب الحمد))[٢]. وهذا الذي ذكرته قول عامة المفسرين.

وقد قيل: إن الأمر بالحمد خطاب للوط عليه السلام، أُمر أن يحمد الله تعالى على هلاك من كذَّبه، وأن يُسلّم على المصطفين المؤمنين.

والأول أصح.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وسلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾: هم الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى لرسالته[٣].

قال عكرمة: اصطفى الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالخُلَّة، وموسى عليه السلام بالكلام، ومحمداً ﷺ بالرؤية[٤].

وقال ابن عباس في رواية أخرى: هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم[٥]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٠ ح١٨٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥)، والحاكم (٣/ ٧١٢ ح٦٥٧٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٢) كلاهما من طريق عكرمة عن ابن عباس، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٩) بدون لفظة: "ومحمداً ﷺ بالرؤية" وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وهو قول السدي[١].

وقال في رواية أخرى: هم الذين وحّدوه وآمنوا به[٢].

وقال في رواية أخرى: هم أمة محمد ﷺ[٣].

﴿آلله خيرٌ أما يشركون﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم: «يشركون» بالياء، حملاً على ما قبله وبعده من ألفاظ الغيبة. وقرأ الباقون بالتاء[٤]، على معنى: قل يا محمد للكفار آلله خيرٌ أما تشركون.

والمعنى: آلله خيرٌ لمن عبده وأطاعه، أم الأصنام لعابديها.

قوله تعالى: ﴿أمن خلق السماوات والأرض﴾ تقديره: ما يشركون خير أمّن خلق السماوات والأرض.

وقال الزمخشري[٥]: إن قلت: ما الفرق بين أم وأم في ﴿أما يشركون﴾، و﴿أمن خلق﴾؟

قلت: تلك متصلة؛ لأن المعنى: أيها خير، وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة، لما قال: آلله خير أم الآلهة؟ قال: بل أمن خلق السموات والأرض [خير][٦]؟ تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خيرٌ من جماد لا يقدر على شيء.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٥).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٢٥) من قول الكلبي.

(٤) الحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٣)، والكشف (٢/ ١٦٣-١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٣٨)، والإتحاف (ص:٣٣٨).

(٥) الكشاف (٣/ ٣٨٠).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

وقرأ الأعمش: «أَمَنْ خلق» بالتخفيف، ووجهه: أن تجعل بدلاً من "الله"، كأنه قال: أمَنْ خلق السموات والأرض خير أما تشركون؟.

والحدائق: جمع حديقة، وهو البستان عليه حائط من الإحْدَاق، وهو الإحاطة.

﴿ذات بهجة﴾ أي حسن ومنظر يبتهج به من يراه(١).

﴿ما كان لكم﴾ أي: ما ينبغي لكم ﴿أن تنبتوا شجرها﴾؛ لأنكم لا تقدرون عليه.

ثم قال مستفهماً منكراً: ﴿أإله مع الله﴾ أي: هل معه معبودٌ سواه أعانه على ما أنشأه، ﴿بل هم قومٌ يعدلون﴾ بالله غيره، ويجعلون له شريكاً.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿أمن جعل﴾ وما [بعده](٢) بدل من ﴿أمّنْ خَلَقَ﴾.

ومعنى: ﴿جعل الأرض قراراً﴾: دحاها وسوّاها للاستقرار عليها، ﴿وجعل خلالها﴾ أي: فيما بينها ﴿أنهاراً وجعل لها رواسي﴾ جبالاً ثوابت، ﴿وجعل بين البحرين﴾ العذب والملح ﴿حاجزاً﴾ مانعاً من قدرته، كقوله تعالى: ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ [الفرقان:٥٣].

---

(١) في ب: رآه.

(٢) زيادة من ب.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

﴿أَمَّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ المُضْطَرُّ: المكروب الذي أحوجه [مرض أو فقر](١) أو نازلة من نوازل الدهر إلى التضرع إلى الله.

وقيل: المضطر: المُذْنِبُ إذا استغفر.

﴿ويكشف السوء﴾ يعني: الضر، ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ تتوارثون سكناها قرناً بعد قرن، ﴿أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ «ما» زائدة، وقليلاً صفة مصدر مضمر، أي: تذكُّراً قليلاً تذكَّرون، فحذف الموصوف.

والمعنى: نفي التذكُّر، والقلَّة تستعمل في معنى النفي، وقد سبق تقريره فيما مضى.

قرأ أبو عمرو وهشام: «يذكّرون» بالياء، حملاً على قوله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾، وقرأ الباقون بالتاء(٢)، اعتباراً بقوله: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾.

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أَمَّن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ فيرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم والعلامات إذا جنَّ عليكم الليل مسافرين في البر والبحر.

---

(١) في الأصل: المرض أو الفقر. والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٤)، والكشف (٢/ ١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٣٨-٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٨)، والسبعة (ص:٤٨٤).

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾

وما بعده ظاهر أو مُفَسَّرٌ إلى قوله تعالى: ﴿بل أدْرَكَ علمهم في الآخرة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «أدْرَكَ» على وزن أفعل.

وروي عن عاصم: «بل ادَّرَكَ» بوصل الألف وتشديد الدال وفتحها، على وزن افْتَعَلَ، من أدْرَكَ.

وقرأ الباقون: «بل ادَّارَكَ» بوصل الألف أيضاً وألف قبل الراء والتشديد(١).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٥)، والكشف (٢/ ١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٩)، والسبعة (ص:٤٨٥).

فمن قرأ: «أدْرَكَ» كان المعنى: بل بلغ علمهم، واجتمع يوم القيامة حين عاينوا ما كانوا يشُكُّون فيه من أمر الآخرة. هذا مجموع قول ابن عباس والسدي ومقاتل(١) وعامة المفسرين(٢).

ومن قرأ: "بل ادَّارك"(٣) فأصلها: تدارك، فأدغموا التاء في الدال، على معنى: تَلاحَقَ علمهم في الآخرة وتكامل.

﴿بل هم﴾ اليوم ﴿في شك منها﴾ أي: من الساعة، ﴿بل هم منها﴾ أي: من علمها ﴿عَمُون﴾ وهو جمع عَمٍ، وهو الأعمى القلب.

قال صاحب الكشاف(٤): فإن قلت: هذه الإضرابات الثلاث ما معناها؟

قلت: ما هي إلا تنزيل لأحوالهم، وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون [أن](٥) القيامة كائنة، ثم بأنهم يَخْبطُون في شكٍ ومرية، ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال ابن قتيبة(٦): معناه: تَبِعَكم، واللام زائدة، تقديره: كأنه قال: رَدِفَكم.

وقال الزمخشري(٧): زيدت اللام للتأكيد، كالباء في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٢) انظر: الطبري (٢٠/ ٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩١٤)، والوسيط (٣/ ٣٨٣).

(٣) في الأصل: الدرك. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٤) الكشاف (٣/ ٣٨٤).

(٥) في الأصل: بأن. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٦).

(٧) الكشاف (٣/ ٣٨٥-٣٨٦).

بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥]، أو ضمن معنى فعلٍ يتعدى باللام، نحو: دنا لكم وأزِفَ لكم.

وكانوا يستعجلون بالعذاب الذي توعدهم النبي ﷺ تكذيباً واستهزاءً، فأخبرهم الله تعالى أنه قد قَرُبَ منهم بعض ما استعجلوا به من العذاب، وهو قتلهم وأسرهم يوم بدر.

وقيل: عذاب القبر، وادّخر لهم عذاب الآخرة.

﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ قال مقاتل[1]: لم يعجل على أهل مكة بالعذاب، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ذلك.

﴿وإن ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم﴾ أي: ما تُخفيه من معاندتك ومعاداتك، ﴿وما يعلنون﴾ من ذلك.

وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٤).

قوله تعالى: ﴿وما من غائبة﴾ قال الواحدي وابن الجوزي[١]: المعنى: وما من جملة غائبة.

وقال صاحب الكشاف[٢]: سُمّي الشيء الذي يغيب ويخفى: غائبة وخافية، فكانت التاء فيهما [بمنزلتها][٣] في العافية والعاقبة، ونظائرهما: النطيحة والرّميّة [والذبيحة][٤]، وأنها أسماء غير صفات، ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة، [كالرّاوية][٥] في قولهم: ويل للشاعر من راوية السوء. كأنه قال: ما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا [وقد][٦] علمه الله تعالى وأحاط به وأثبته في اللوح.

قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ قال ابن السائب: إن أهل الكتاب اختلفوا وصاروا شيعاً وأحزاباً، فأنزل الله تعالى القرآن بياناً لما[٧] اختلفوا فيه، لو أخذوا به وأسلموا[٨].

﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ سبق تفسيره[٩].

---

(١) الوسيط (٣/ ٣٨٤)، وزاد المسير (٦/ ١٨٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٨٦).

(٣) في الأصل: بمنزلة ما، والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الذبيحة. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: كالروية. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: قد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) في ب: فنزل القرآن ببيان ما.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٨٩) وفيه: فلو أخذوا به لسلموا.

(٩) في سورة يونس آية رقم: ٥٧.

﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ قال أكثر المفسرين: يقضي بين أهل الكتاب.

ويجوز أن يكون المعنى: يقضي بين المؤمنين والكافرين بالقرآن.

وقد تقدم ذكر الفريقين، ويعني «بحُكْمه»: بعدْلِه.

وقيل: أراد بحكمته. ويدل عليه قراءة أبي المتوكل وعاصم الجحدري: «بحِكَمِهِ» بكسر الحاء وفتح الكاف[1]، جمع حِكْمَة.

﴿وهو العزيز﴾ الغالب فلا يرد حكمه وقضاؤه، ﴿العليم﴾ بما يقضي بين المختلفين.

وفي قوله: ﴿فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾ أوضح بيان وأنور برهان، على أن المحق حقيق بالوثوق بالله تعالى، خليق بالاعتماد عليه، وأنه جدير بالنصر، وإن قلَّت أنصاره.

قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ هذا مثلٌ للكفار، شبَّههم الله تعالى لعدم إصاختهم إلى الحق وإفراط إعراضهم عنه بالموتى الذين فقدوا آلة السماع، وكذلك شبههم أيضاً بالصُّمِّ فقال: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾، ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾؛ لأنهم في هذه الحالة أبعد عن إدراك النداء.

وقرأ ابن كثير: «ولا يَسْمَعُ» بياء مفتوحة مع فتح الميم، «الصُّمُ» بالرفع، على الإخبار عنهم[2].

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٨٩)، والدر المصون (٥/ ٣٢٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٦)، والكشف (٢/ ١٦٥)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٩)، والسبعة (ص:٤٨٦).

﴿وما أنت بهادِ العُمْيِ﴾ وقرأ حمزة: «وما أنت تَهْدِي» بالتاء وفتحها[١]، مثل: ترمي، و"العُمْيَ" بالنصب، ونظيره: ﴿أفأنت تهدي العُمْيَ﴾ [يونس:٤٣].

والمعنى: وما أنت بقادر على هداية الكفار لتوغلهم في الضلال وشدة عنادهم.

﴿إن تسمع﴾ سماع إفهام وانتفاع ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ يُصدِّق بالقرآن، ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون في توحيد[٢] الله تعالى، من قوله: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ [البقرة:١١٢]، أو ﴿فهُم مسلمون﴾: مستسلمون منقادون انقياد خضوع لجلال الله تعالى وعظمته.

۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ قال ابن عباس: حق العذاب عليهم[٣]، وذلك عند مقاربة الساعة ومجيء أشراطها، ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾.

قال الحسن: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام.

وفي صحيح مسلم من إفراده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال: ((أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٧)، والكشف (٢/ ١٦٦)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٣٩)، والسبعة (ص:٤٨٦).

(٢) في ب: توحّد.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٠).

على الناس ضحى. قال عبد الله بن عمرو: أيتهما خرجت قبل فالأخرى منها قريب))[١].

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر، ويقول هذا: يا كافر، ويقول هذا: يا مؤمن))[٢].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((تَسِمُ المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتَسِمُ الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر))[٣].

وقال عبد الله بن عمرو: [تَنْكُتُ][٤] في وجه الكافر نُكْتَةً سوداء، فتفشو في وجهه فيسودّ وجهه، [وتَنْكُتُ][٥] في وجه المؤمن نُكْتَةً بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيضّ وجهه، فيعرف الناس المؤمن والكافر، ولكأني بها قد خرجت عقب ركب من الحاج[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٦٠ ح٢٩٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٠ ح٣١٨٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٢).

(٤) في الأصل: تكتب. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: وتكتب. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥-١٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧٩) وعزاه لعبد بن حميد.

فصل: يشتمل على صفة الدابة وموضع خروجها

روي عن النبي ﷺ ((أنه ذكر الدابة فقال: طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب))[١].

وروى حذيفة عن النبي ﷺ ((أنها ذات وَبَرٍ وريش))[٢].

وروي بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ((هي دابة ذات زَغَبٍ وريش، لها أربع قوائم))[٣].

وقال وهب بن منبه: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير[٤].

وأكثر الأحاديث والآثار تُؤذن أنها تخرج من الصفا، وهو قول ابن مسعود وابن عمر، وعامة المفسرين[٥].

قال سوادة: كنت مع ابن عباس بمكة فبينما هو على الصفا إذ قَرَعَ الصفا بعصاه وهو محرم قد عصب رأسه بشِراك وهو يقول: إن [الدابة][٦] لتسمع قَرْعَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٣٠ ح٨٤٩٠)، ولفظه: ((لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب))، والطبري (٢٠/ ١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨٠) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٥ ح١٨٦٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨١) وعزاه لسعيد بن منصور ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤-١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥).

(٦) في الأصل: الدبة. والتصويب من ب.

عَصَايَ هذه[١].

وقال حذيفة بن أسيد: للدابة ثلاث خَرَجَاتٍ؛ خَرْجَةٌ في بعض البوادي ثم تَنْكَتِم، وخَرْجَةٌ في بعض القرى ثم تَنْكَتِم، فبينما الناس عند أعظم المساجد -يعني المسجد الحرام- إذ ارتفعت الأرض فانطلق الناس هُرّاباً فلا يفوتونها، حتى إنها لتأتي الرجل وهو يصلي فتقول: أتتعوذُ بالصلاة! والله ما كنتَ من أهل الصلاة، فتخْطِمُهُ، وتجلو وجه المؤمن[٢].

فصل

اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿تكلمهم﴾ فقرأ الأكثرون بالتشديد.

قال قتادة ومقاتل[٣]: تُكلّمهم بالعربية فتقول: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[٤].

قال بعض المحققين: قولها: «بآياتنا» حكاية لقول الله تعالى، أو هو على معنى: بآيات ربنا، أو ساغ ذلك لموضع اختصاصها بالله وأَثَرَتِها عنده، وكونها من خواص خلقه، كما يقول بعض خواص الملك: بلادنا وخيلنا، وإنما هي بلاد مولاه وخيله.

---

(١) ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (١/ ١٤٤ ح١٠٦٩)، والحاكم (٤/ ٥٣١ ح٨٤٩١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري (٢٠/ ١٤-١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨١) وعزاه للطيالسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٥-٣٨٦).

وقال السدي: تُكلمهم ببطلان الأديان، سوى دين الإسلام[١].

وقيل: كلامها قولها: هذا مؤمن وهذا كافر.

وقرأ ابن أبي عبلة والجحدري: «تَكْلِمُهُم» بفتح التاء وسكون الكاف وكسر اللام وتخفيفها[٢]، من الكَلْم، وهو الجَرْح.

والمراد به: الوَسْم بالعصا والخاتم.

ويجوز أن يكون المراد على قراءة من قرأ بالتشديد ما هو المراد على قراءة من خفّف، وهو الجَرْح على معنى التكثير.

وروي[٣] عن ابن عباس قال: كل ذلك والله تفعل، تُكَلِّمُ المؤمن وتَكْلِمُ الكافر، أي: تجرحه[٤].

قوله تعالى: ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ قرأ أهل الكوفة: «أَنَّ الناس» بالفتح، وكسرها الباقون[٥].

فمن فتح فعلى معنى: تكلّمهم بأن الناس، وهكذا قرأها ابن مسعود.

ومن كسر فعلى إضمار القول، أو لأن الكلام قولٌ، أو هو حكاية منها بقول الله تعالى.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٣).

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٩٣)، والدر المصون (٥/ ٣٢٨).

(٣) في ب: ويروى.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٨)، والكشف (٢/ ١٦٧)، والإتحاف (ص:٣٣٩-٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٦-٤٨٧).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي: جماعة، يعني: الرؤساء والقادة في الكفر.

قال ابن عباس: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة، يساقون من[1] بين يدي أهل مكة، وكذلك تُحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار[2].

وقيل: يحشرون ويجمعون لإقامة الحجة عليهم.

﴿فهم يوزعون﴾ يُحبسون ويُكَفُّ أولهم لآخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار.

﴿حتى إذا جاؤوا﴾ يعني: إلى موقف الحساب ﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ الواو في «وَلَمْ» للحال، كأنه قال: أكذبتم بآياتي جاهلين بها غير ناظرين في معانيها ولا متّفقين فيها.

﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ في الدنيا، والمراد من هذا السؤال: تبكيتهم، فإنهم لم يعملوا إلا التكذيب، فلا سبيل لهم إلى إنكاره.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٩٠).

﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾ أي: وجب العذاب عليهم بما أشركوا وعصوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ بحجة يُحاجِلُون بها عن أنفسهم، أو لا ينطقون لما يَبْغَتُهم من أهوال القيامة وشدائدها، كقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ [المرسلات:٣٥].

قوله تعالى: ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ قد سبق القول على معنى ذلك[1]. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ قال ابن عباس: يريد: النفخة الأولى[2].

﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾[3] وذلك حين يصعقون ويموتون

---

(١) في سورة يونس عند الآية رقم: ٦٧.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٥).

(٣) قال ابن جرير الطبري (٢٠/ ٢٠): فإن قال قائل: وكيف قيل: "فَفَزِعَ"، فجعل فزع وهي فعل مردودة على "ينفخ"، وهي يَفْعُلُ؟

قيل: العرب تفعل ذلك في المواضع التي تصلح فيها "إذا"، لأن "إذا" يصلح معها فعل ويفعل، كقولك: أزورك إذا زرتني، وأزورك إذا تزورني، فإذا وضع مكان "إذا" "يوم" أجرى مجرى "إذا".

لشدة الخوف، ﴿إلا من شاء الله﴾ وهم الشهداء، في قول ابن عباس وأبي هريرة وأكثر المفسرين[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: هم جبريل، وميكال، [وإسرافيل][(٣)]، وملك الموت.

وقال الضحاك وأبو إسحاق بن شاقلا: هم الذين خُلقوا للبقاء، [كالحور][(٤)] العين، وخَزَنة النار، وحَمَلَة العرش[(٥)].

﴿وكلٌ آتُوه داخرين﴾ أصلها: آتِيُونَه، فاعِلُونه، فلما انضمت الياء وقبلها كسرة استُثْقِل ذلك فيها، فألقيت حركة الياء على التاء وحذفت كسرة التاء، فاجتمع ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكانت أولى بالحذف؛ لأن الواو تدل على الجمع، وحذفت النون للإضافة، والهاء في موضع خفض لإضافة اسم الفاعل إليها.

[والمعنى][(٦)]: وكلٌ يأتون الله تعالى يحضرون الموقف.

وقرأ حمزة وحفص عن عاصم: «أَتَوْهُ» بالقَصْر وفتح التاء، جعلاه فعلاً ماضياً[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٠) كلاهما من حديث طويل عن أبي هريرة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير عن أبي هريرة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٦).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: كاحور. والتصويب من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٥).

(٦) في الأصل: المعنى. والتصويب من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٨-٥٣٩)، والكشف (٢/ ١٦٧)، =

﴿داخرين﴾: صاغرين ذليلين.

قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي: واقفة.

قال ابن قتيبة[1]: هذا يكون إذا نُفِخ في الصُّور، تُجْمَعُ الجبال وتُسَيَّر، فهي لكثرتها تُحْسَبُ جامدة.

﴿وهي تمرّ مرّ السحاب﴾ أي: تسير سَيْرَ السحاب، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد، كالجيش العظيم إذا تحركت يحسبها الناظر واقفة، كما قال النابغة يصف جيشاً:

بأرْعَنَ مثلِ الطَّوْدِ تحسِبُ أنهم وُقوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[2]

والأرْعَن: الجبل الكثيف.

﴿صنع الله﴾ قال الزجاج[3]: هو منصوب على المصدر؛ لأن قوله: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ دليل على الصَّنْعَة، فكأنه قال: صَنَعَ الله تعالى ذلك صُنْعاً.

﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أحكمه وأبرمه، ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ أي: بما يفعل العباد، طائعهم وعاصيهم.

وقرأ نافع وابن عامر في رواية عنه وأهل الكوفة: «تفعلون» بالتاء، على

= والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٧).

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٧).

(٢) البيت للنابغة الجعدي، انظر: ديوانه (ص:١٨٧)، واللسان (مادة: صرد)، وتأويل المشكل (ص:٦)، والدر المصون (٥/ ٣٢٩)، والطبري (٢٠/ ٢١)، والقرطبي (١٣/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٦/ ١٩٦)، وروح المعاني (٩/ ١٨٠، ٢٠/ ٣٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٣٠).

المخاطبة للعباد[١].

قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة﴾ مفسّر في آخر الأنعام[٢].

﴿فله خير منها﴾ وهو الثواب المضاعف الدائم.

وقيل: المعنى: فله خير حاصل من جهتها، وهو الجنة.

﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ قرأ أهل الكوفة: «فَزَعٍ» بالتنوين، وقرأ نافع وأهل الكوفة: «يومَئذٍ» [بفتح الميم. وقرأ الباقون: «فَزَعِ» بغير تنوين على الإضافة، «يومِئذٍ» بخفض][٣] الميم[٤].

قال الفراء[٥]: الإضافةُ أعجب إليّ في العربية؛ لأنه فَزَعٌ معلوم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء:١٠٣] فصيّره معرفةً، فإذا أضفْتَ وكان معرفةً كان أحب إليّ.

واختار أبو عبيدة قراءة التنوين وقال[٦]: هي أعمّ التأويلين، فيكون الأمن [من][٧] فزعٍ من جميع ذلك اليوم.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٣٩)، والكشف (٢/ ١٦٩)، والنشر (٢/ ٣٣٩)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٧).

(٢) آية رقم: ١٦٠.

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٠)، والكشف (٢/ ١٦٩)، والنشر (٢/ ٣٤٠)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٧).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٣٠١).

(٦) لم أقف عليه في مجاز القرآن.

(٧) زيادة من ب.

قال أبو علي الفارسي[١]: إذا نوّن يجوز [أن يُعْنى به فزع واحد، ويجوز][٢] أن يُعْنى به الكثرة؛ لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة، وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله تعالى: ﴿إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان:١٩]، وكذلك إذا أضيفت يجوز أن يُعْنى [به][٣] مفرد، ويجوز أن يُعْنى [به][٤] كثرة.

وعلى هذا: القراءتان سواء، فإن أريد به الكثرة: فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وإن أريد به الواحد: فهو المشار إليه بقوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء:١٠٣].

قال أبو علي[٥]: من قرأ: «فَزَعٍ» بالتنوين، «يومَئذ» بفتح الميم، جاز في انتصاب يومئذ: أن يكون منتصباً بالمصدر، كأنه: وهم من أن يفزعوا يومَئِذْ. وجاز أن يتعلق باسم الفاعل كأنه: وهم آمنون يومَئِذٍ من فزعٍ.

قال[٦]: ومن كسر الميم من «يومِئذ» في [المواضع][٧] الثلاثة في هود[٨] وهاهنا وفي سأل سائل[٩]؛ فلأن يوماً اسمٌ معربٌ أضيف إليه ما أضيف من الخزي

(١) الحجة (٣/ ٢٤٨).

(٢) زيادة من ب، والحجة، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: بها. والتصويب من ب، والحجة، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الحجة (٣/ ٢٤٨).

(٥) الحجة (٣/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٦) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٢/ ٤٠٣-٤٠٦).

(٧) في الأصل: الموضع. والتصويب من ب.

(٨) عند الآية رقم: ٦٦.

(٩) عند الآية رقم: ١١.

والعذاب والفزع، فانجرّ بالإضافة، ولم يَفْتَح اليوم، فتبنيه لإضافته إلى المبني؛ لأن المضاف منفصلٌ من المضاف إليه، ولا تلزمه الإضافة، فلما لم تلزم الإضافة المضاف لم يلزم فيه البناء.

ومن فتح الميم فقال: ﴿من خزي يومَئذ﴾، و﴿من عذاب يومَئذ﴾ مع أنه في موضع جر؛ فلأن المضاف يكتسي من المضاف إليه التعريف والتنكير.

ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو: غلامَ مَنْ تضربُ؟ وغلامَ مَنْ تضربْ أضرِبْه، فلما كان يكتسي من المضاف إليه هذه الأشياء اكتسى منه أيضاً البناء، فبُنِيَ اليومَ لإضافته إلى مبني.

فأما من أضاف «من فَزَعِ يَومِئذْ» ولم ينوّن الفزع، فإنه عرّفه بالإضافة إلى اليوم؛ [لأن][1] المراد به من فزع يوم مخصوص، وهو يوم القيامة، فكأنه: وهم من فزع يوم القيامة آمنون، فهذا معرفةٌ مخصوص.

ومن نوَّنَ الفَزَعَ ونكَّره فكأنه فَصَلَ ولم يُضِفْ؛ لأنه لما جاء الفزع الأكبر دلّ ذلك على ضروب منه، وإذا نوّن فقد وقع الأمن من جميع ذلك، أكثره[2] وأوسطه وأدونه؛ لأن النكرة تعمّ والمعرفة تخصّ. هذا كله كلام أبي علي.

قوله تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قال المفسرون: هي الشرك[3] ﴿فكبّت

---

(١) في الأصل: ولأن. والتصويب من ب.

(٢) في الحجة (٢/ ٤٠٦): أكبره.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤١ ح٣٥٢٨) عن عبدالله بن مسعود وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ومجاهد (ص:٤٧٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٥)، والطبري (٢٠/ ٢٢) من عدة طرق. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٨٥-٣٨٧) من طرق كثيرة.

وجوههم في النار﴾.

قوله تعالى: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، وحكاية لما يقال لهم عند الكبّ بإضمار القول.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝٩٢ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنما أمرت﴾ أي: قل يا محمد للمشركين: إنما أمرت، ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني: مكة، ﴿الذي حرمها﴾ في موضع نصب صفة لـ"رب"[1].

وقرأ ابن مسعود: «التي حرمها»[2]، فتكون في موضع جرّ صفة [للبلدة][3].

والمعنى: عظّم حرمتها، فلا ينفّر صيدها، ولا يختلى خلاها.

﴿وله كل شيء﴾ خَلْقاً ومُلْكاً، فهو المستحق للعبادة، ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ المخلصين لله تعالى بالتوحيد.

﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي: أقرأه عليكم.

وقيل: المعنى: وأن أتبع القرآن وأعمل بما فيه.

﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي: فإنما يرجع نفع اهتدائه إليه، ﴿ومن

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٦)، والدر المصون (٥/ ٣٣٠).

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ١٩٨).

(٣) في الأصل: لبلدة. والتصويب من ب.

ضلّ فقل إنما أنا من المنذرين﴾ ليس عليّ إلا البلاغ.

وهذا كان قبل الأمر بالقتال.

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحمده على ما خوَّله من نعمه وهدايته فقال: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾ قال ابن عباس: منها: الدخان وانشقاق القمر[١].

وقال مقاتل[٢]: يعني: العذاب في الدنيا، والقتل ببدر.

وقال الحسن: المعنى: سيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا[٣].

وقال الزجاج[٤]: سيريكم آياته في جميع ما خَلَق، وفي أنفسكم.

﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ قرئ بالياء على المغايبة، لقوله: «وما ربك»، وبالتاء على المخاطبة[٥]، وقد ذكر في آخر هود[٦].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٧).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٢٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٩٨).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٣٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤١)، والكشف (٢/ ٥٣٨)، والنشر (٢/ ٢٦٢-٢٦٣)، والإتحاف (ص:٣٤٠)، والسبعة (ص:٤٨٨).

(٦) عند الآية رقم: ١٢٣.

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسعون آية إلا آيتين، وهي مكية غير قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن... الآية﴾ فإنها نزلت بالجحفة أيام الهجرة[1].

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾: مفعول "نتلو"[2]، أي: نتلوا عليك بعض خبرهما.

قوله تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ أي: طغى في أرض مصر وتجبّر، ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فِرَقاً وأصنافاً في خدمته.

وقيل: جعلهم شِيعاً: فِرَقاً على أهواء مختلفة، وألقى بينهم التشاحن، وأغرى

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٧)، والماوردي (٤/ ٢٣٣)، وزاد المسير (٦/ ٢٠٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٦)، والدر المصون (٥/ ٣٣١).

بين القبط وبني إسرائيل، وشتّت كلمتهم؛ ليتمكن من التسلّط عليهم.

﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم بنو إسرائيل. ومحله النصب على الحال من الضمير في "وجعل"، أو صفة لـ"شيعاً". ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً[(١)].

قوله[(٢)] تعالى: ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ بدل من "يستضعف"، وقد سبق في البقرة سبب قتله واستحيائه النساء.

قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني: بني إسرائيل، وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿إن فرعون﴾. ويجوز أن يكون حالاً من "يستضعف"[(٣)]، على معنى: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نَمُنَّ عليهم[(٤)].

﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال مجاهد: دُعاةً إلى الخير[(٥)].

وقال قتادة: وُلاةً ومُلوكاً[(٦)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٧٦)، والدر المصون (٥/ ٣٣١).

(٢) في ب: وقوله.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٣٣٢): وفيه ضعف من حيث الصناعة ومن حيث المعنى. أما الصناعة فلكونه مضارعاً مثبتاً، فحقه أن يتجرد من الواو وإضمار مبتدأ قبله، أي: ونحن نريد. وأما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون وإرادة المنّة من الله؟ لأنه متى منَّ الله عليهم تعذّر استضعاف فرعون إياهم. وقد أجيب عن ذلك بأنه لما كانت المنّة بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع قريبته جُعِلَت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم.

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٣٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٢٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يرثون مُلْك فرعون وغيره.

﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ [نُمهّد لهم في أرض][(١)] الشام ومصر ونبسط أيديهم ونُعِزّ سلطانهم.

﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «ويَرى» بالياء المفتوحة وإمالة الراء، «فرعونُ وهامانُ وجنودُهُما» بالرفع[(٢)].

والمعنى: يُريهم أو يَرون من بني إسرائيل الذين قهروهم واستعبدوهم واستضعفوهم، ﴿ما كانوا يحذرون﴾ أي: يخافونه من ذهاب مُلْكهم وهلاكهم على يد مولودٍ منهم.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ قال وهب بن منبه: لما حملت بموسى عليه السلام كَتَمَتْ أمرها فلم يطّلع عليه أحد، ولم يتتُؤ بطنها، ولم يتغيّر لونها، ولم يظهر لَبَنُها، وفي تلك السنة تقدم فرعون إلى القوابل فَفَتَّشْنَ تفتيشاً لم

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤١-٥٤٢)، والكشف (٢/ ١٧٢)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤١).

يُفَتِّشْنَهُ قبل ذلك، فلما كانت الليلة التي وُلد فيها موسى ﷺ ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطّلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله تعالى إليها ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه... الآية﴾. قال: فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مُطْبَقاً ومهَّدت له، ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى، فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل، فبصُر بالتابوت، فقال لمن حوله من خدمه: ائتوني بهذا التابوت، فأتوه به، فلما وُضع بين يديه فتحوه فوجدوا فيه موسى، فلما نظر إليه فرعون قال: عِبْراني من الأعداء، فغاظه ذلك وكيف أخطأ هذا الغلام الذبح.

وكان فرعون [قد][1] استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها: آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء، وكانت أماً للمسلمين ترحمهم وتُعطيهم ويدخلون عليها، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة، وإنما أُمِرْتَ أن تذبح الولدان لهذه السنة، فدعه يكن قرة عين لي ولك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه. فاستحيا فرعون وَوَمِقَه[2]، [وألقى][3] الله تعالى عليه محبته ورأفته[4].

وقال جماعة من المفسرين: كانت امرأة من القوابل مصافية لأم موسى فتولّت

---

(١) زيادة من ب.

(٢) وَمِقَه: أي: أحبه (انظر: اللسان، مادة: ومق).

(٣) في الأصل: ألقى. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٧-٦٢٨ ح٤٠٩٧).

أمرها، فلما وضعت رأت له نوراً بين عينيه، فارتعش كل مفصل منها، ودخل حبه قلبها، فقالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأُخبر فرعون، ولكني وجدت لابنك حباً ما وجدت قبله مثله، فاحتفظي به، ثم خرجت فرآها بعض العيون، فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفَّتْ موسى في خرقة ووضعته في التنور وهو يُسْجَر، ولا تشعر بذلك لما طاش من عقلها، فدخلوا ففتشوا فلم يجدوا شيئاً، فخرجوا وهي لا تعلم أين هو، فقالت لأخته: أين أخوك؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاءه من التنور، فوثبت إليه وقد جعل الله تعالى النار عليه[1] بَرْداً وسلاماً، فأرضعته ثلاثة أشهر[2]، كما رويناه عن وهب.

وقيل: أربعة أشهر.

قال ابن عباس: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾: قذفنا في قلبها وألهمناها[3].

وقيل: رأتْ في منامها[4].

وقال مقاتل[5]: جاءها جبريل بذلك، واسم أمه: يوخابذ[6] بنت لاوي بن يعقوب.

قوله تعالى: ﴿فإذا خفت عليه﴾ أي: خشيت عليه، ﴿فألقيه في اليم﴾ يريد: النيل، ﴿ولا تخافي﴾ عليه الغرق والضياع، ﴿ولا تحزني﴾. وقد ذكرنا فيما مضى أن

(١) في ب: عليه النار.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٢) عن الماوردي.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٦) في تفسير مقاتل: يوكابد.

الخوف غَمٌّ يلحق الإنسان لأمر متوقَّع، وأن الحُزْن لأمر ماض.

ثم بَشَّرها ببشارتين تنال بهما شرف الدارين مع ظفرها بمقصودها فقال: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

قال الأصمعي: قلتُ لأعرابية: ما أفصحكِ؟ فقالت: أو بعد هذه الآية فصاحة، وهي قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى ... الآية﴾ فجمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين(١).

قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآله: الذين أصابوا التابوت.

قال السدي: جواري امرأته(٢).

وقال محمد بن قيس: بنت فرعون(٣).

قوله تعالى: ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ البصريون من النحويين يُسمُّون هذه اللام وإن كانت على صورة لام كي: لام العاقبة ولام الصيرورة؛ لأن عاقبة الشيء المذكور انتهت إلى ما أخبر به [وصارت](٤) إليه، وإن لم يكن مما أثّره الفاعل ولا أراده.

وأما الفراء وأصحابه الكوفيون فيذهبون إلى أنها لام كي؛ تنزيلاً لحال الابتداء على معنى الانتهاء، ونظيره: أن يَسْقِي رجل رجلاً دواء ليشفيه من دائه فيتلف،

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣١-٣٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٣).

(٤) في الأصل: وصار. والتصويب من ب.

فيقال: سقاه دواء فقتله، وسقاه ليقتله، أي: كان بمنزلة من قصد إتلافه وإن كان كارهاً غير مختار له، وأنشدوا:

وللموتِ تَغْذُوا الوالداتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرَابِ الدُّورِ تُبْنَى المساكن[1]

[وقال آخر:

وللمَنَايا تُربِي كُلُّ مُرْضِعَةٍ وللخرابِ يُجِدُّ الناسُ عُمرانا[2]][3]

وقال آخر:

فإنْ يَكُنِ الموتُ أفناهُمُ فللموتِ ما تَلِدُ الوالِدَه[4]

قوله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ يعني: آسية ﴿قرة عين لي ولك﴾ فقال فرعون: لكِ لا لي.

وقد جاء في الحديث: ((أنه لو قال يومئذ: قرة عين لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها))[5].

[قال الزجاج[6]: رَفَعَ][7] «قُرَّةُ عين» [على][8] إضمار هو.

---

(١) انظر البيت في: القرطبي (١٣/ ٢٥٢)، وزاد المسير (٤/ ٥٦)، والدر المصون (٤/ ٦٤)، وفيض القدير (١/ ٢٦٤، ٥/ ٤٨٥).

(٢) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٥٦)، والدر المصون (٤/ ٦٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٥).

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر البيت في: زاد المسير (٤/ ٥٦).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٩٧ ح١١٣٢٦).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ١٣٣).

(٧) في الأصل: قال: الرفع. والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: لي. والتصويب من ب.

قلت: ومِنْ جَهَلَةِ القرَّاء من يرى الوقف على قوله: «ولك لا»، ويُفْسِدُ هذا قوله: ﴿تقتلوه﴾ فإنه مجزومٌ ولا جازم له.

قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات[1] فقالت: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي: نجد منه خيراً، كأنها تلمحت منه [مخايل][2] اليُمْن والبركة، لما عاينت من النور الذي بين عينيه، وارتضاعه إبهامه، وبُرْءِ بَرَصِ بنت فرعون بريقه، ﴿أو نتخذه ولداً﴾.

قال الله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ قال مجاهد: لا يعلمون أنه عدوّ لهم[3].

وقال قتادة: لا يعلمون أن هلاكهم على يديه[4].

وقال ابن إسحاق: لا يشعرون أني أعمل ما أريد[5].

وقيل: المعنى: والناس لا يشعرون أنه لقيط، بل يحسبون أنه ولدنا. فيكون من تمام كلامها.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ

(١) أخرجه مجاهد (ص:٤٧٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٥)، ومجاهد (ص:٤٨١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٤).

بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين: أصبح قلبها فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى[1].

وقال الحسن ومحمد بن إسحاق: فارغاً من الوحي الذي أوحى الله تعالى إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر، ومن العهد الذي عهد إليها أنه يردُّه عليها، فجاءها الشيطان وقال: يا أم موسى كرهت أن يَقتُل فرعون موسى ولك أجره، وتوليت أنت قتله فألقيته أنت في البحر وغرّقتيه، فلما [أتاها][2] الخبر أن فرعون أصابه قالت: إنه قد وقع في يد عدوه الذي فررت [به][3] منه، فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله تعالى إليها، فذلك قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾[4].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤١ ح٣٥٢٩) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري (٢٠/ ٣٥-٣٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٩٤-٣٩٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس، ومن طرق أخرى كثيرة.

(٢) في الأصل: أتاه. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٦).

وقال أبو عبيدة(١): فارغاً من الحزن؛ لعلمها أنه لم يَغرَق(٢).

وعجب ابن قتيبة من هذا وقال(٣): كيف يكون كذلك والله تعالى يقول: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾(٤)؟! وهل يُربَطُ إلا على قلب الجازع المحزون؟!.

وقال صاحب الكشاف(٥): «فارغاً»: صفراً من العقل. والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها؛ لما دهشها(٦) من فرط الجَزَع، ونحوه: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ [إبراهيم:٤٣]، أي: جُوَّفٌ لا عقول فيها. ويدل عليه قراءة من قرأ: «فَزِعاً»، وقرئ: «قَرِعاً» أي: خالياً، من قولهم: أعوذ بالله من صِفْر الإناء وقَرْع الفِنَاء، و «فِرْغاً» من قولهم: دماؤهم بينهم فِرْغ، أي: هَدْر، يعني: بَطَلَ قلبُها وذهبَ، وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها.

قلت: الذي قرأ: «فَزِعاً» بفاء معجمة بواحدة وزاي معجمة مكسورة وعين مهملة: أبو رزين والضحاك وأبو العالية وقتادة وعاصم الجحدري في آخرين(٧). وبها قرأتُ على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين النحوي للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه.

ومثلهم قراءة عبدالله بن عباس ومعاذ القارئ وأبو عمران الجوني، إلا أنهم

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٨).

(٢) قال القرطبي (١٣/ ٢٥٥): وقول أبي عبيدة غلط قبيح.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٢٨-٣٢٩).

(٤) في الأصل زيادة: ﴿لتكون من المؤمنين﴾ وستأتي بعد.

(٥) الكشاف (٣/ ٤٠٠).

(٦) في الكشاف: دهمها.

(٧) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٢٠٤).

سكّنوا الزاي[١].

والذي قرأ: «قَرِعاً» بقاف وراء مهملة مكسورة وبعين مهملة: أبي بن كعب، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو رجاء العطاردي[٢]. ومثلهم قرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، إلا أنهم فتحوا الراء.

قوله تعالى: ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي: بموسى وذلك حين فارقته.

قال ابن عباس: كادت تقول: يا بنياه! من شدة وَجْدِها عليه[٣].

وقال السدي: كادت تقول حين حملت لرضاعه: هذا ابني[٤].

وقال ابن السائب: كادت تقول: هو ابني، لما كبر وسمعت الناس يقولون: هذا ابن فرعون[٥].

وحكى ابن جرير[٦]: أن الضمير يعود إلى الوحي، على معنى: إن كادت لتبدي بالوحي، فتتحدث بأنها فعلت ما فعلت من إلقائه في اليم، وما بُشّرت به من رَدِّهِ إليها، وجَعْلِهِ من المرسلين.

﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ ألهمناها الصبر وقوّينا قلبها وثبتناه، ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المُصَدِّقين بوعد الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

(١) انظر هذه القراءة في الدر المصون (٥/ ٣٣٣).
(٢) مثل السابق.
(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧).
(٤) مثل السابق.
(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٥).
(٦) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٧).

قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أي: ابْتَغِي أثَرَه وتتبَّعِي خبره.

قال المفسرون: سمعت أن فرعون أصاب صبياً في تابوت، فقالت لأخته: تنكَّري واذهبي مع الناس وانظري ماذا يفعلون به، فدخلت مع القوابل، ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي: بُعْد، ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته ولا أنها تَرْقُبُه.

قوله تعالى: ﴿وحرّمنا عليه المراضع﴾ وهو جمع مُرْضِع، ﴿من قبل﴾ أي: من قبل رَدِّهِ إلى أمه.

قال المفسرون: بقي ثمانية أيام ولياليهن كلما أُتِيَ بمرْضِعْ لا يقبل ثديها، فأهمّهم ذلك واشتدّ عليهم، ﴿فقالت﴾ لهم أخته حين رأت شفقتهم عليه ورأفتهم به: ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾؟ فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلما جاءت قبل ثديها. وقيل: إنها لما قالت: ﴿وهم له ناصحون﴾ قالوا: لعلك تعرفين أهله؟ قالت: لا، ولكن إنما قلت: وهم للملك ناصحون(١).

قال أهل التفسير: لما وجد ريحها استأنس والْتَقَم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه، فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طَيِّبُ الريح، طيِّبَة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها(٢)، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٦).

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٠١): فإن قلت: كيف حلّ لها أن تأخذ الأجر إلى إرضاع ولدها؟

قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربيّ كانت تأخذه على وجه الاستباحة.

الله سبحانه وتعالى وعده في الرد، فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبياً، فذلك قوله تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ بولدها ﴿ولا تحزن﴾ على فراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ تعالى برده إليها وكونه مرسلاً[1] ﴿حق﴾ لا ريب فيه، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله تعالى وعدها بذلك[2].

فلما فطمتْه ردَّتْه إلى فرعون فنشأ في حجر فرعون وحجر امرأته واتخذاه ولداً.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده﴾ مفسّر في أواخر الأنعام[3]، وأول يوسف[4]، ﴿واستوى﴾ اعتدل وتمّ استحكامه.

---

(١) في ب: رسولاً.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٢٢٩). وانظر: الماوردي (٤/ ٢٣٩).

(٣) عند الآية رقم: ١٥٢.

(٤) عند الآية رقم: ٢٢.

قال ابن عباس: أشدّه: ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه: أربعون سنة[١].

﴿آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ مفسر في سورة يوسف[٢].

قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة﴾ أي: ودخل موسى مصر، وقيل: مَنْفَ[٣] -قرية من مصر-، ﴿على حين غفلة من أهلها﴾.

قال علي عليه السلام: دخلها في يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا بلَهْوِهِم[٤].

وقال ابن عباس: عند الظهيرة وقت القائلة[٥].

وقال وهب بن منبه: بين المغرب والعشاء[٦].

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أي: من بني إسرائيل، ﴿وهـذا من عدوه﴾ يعني: من القبط.

وقد قيل: إن الذي من شيعته: السامري، والذي من عدوه: طبّاخُ فرعون، وكان سَخَّر الإسرائيلي يحمل له حطباً إلى مطبخ فرعون، ﴿فاستغاثه الـذي مـن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥١). وذكره السيوطي في الـدر (٦/ ٣٩٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والمحاملي في أماليه.

(٢) عند الآية رقم: ٢٢.

(٣) مَنْف: مدينة فرعون بمصر، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وبينهـا وبـين عـين شـمس سـتة فراسخ (معجم البلدان ٥/ ٢١٣-٢١٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٣). وذكره السيوطي في الـدر (٦/ ٣٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ولفظهم: «نصف النهار».

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٣) كلاهما عـن ابـن عبـاس. وذكـره ابـن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٨) عن وهب بن منبه، والسيوطي في الدر (٦/ ٣٩٨) وعزاه لابـن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس.

شيعته على الذي من عدوه﴾ أي: استنصره عليه، ﴿فوكزه موسى﴾ قال الفراء[١]: دَفَعَهُ بأطراف أصابعه.

وقال الزجاج[٢]: الوَكْزُ: أن يضربه بجميع كَفِّه، وقد قيل: وَكَزَهُ بالعصا.

ويقال: وَكَزَهُ ولَكَزَهُ ونَكَزَهُ ولَهَزَهُ بمعنىً واحد، أي: دَفَعَه.

وفي قراءة ابن مسعود: «فلَكَزَه موسى»[٣].

﴿فقضى عليه﴾ أي: فقتله.

قال العلماء بالتفسير: كان موسى شديد البطش، فوَكَزَ القبطي فقتله، وهو لا يريد قتله[٤]، فندم على ذلك وقال: ﴿هذا من عمل الشيطان﴾ أي: بسبب منه؛ لأنه الحامل له على ذلك بتهييج غضبه، ﴿إنه عدو﴾ لبني آدم ﴿مضل﴾ لهم ﴿مبين﴾ العداوة[٥].

﴿قال رب إني ظلمت نفسي﴾ بقتل من لم تأذن لي في قتله، ﴿فاغفر لي﴾ فأخبر الله تعالى أنه استجاب دعاءه، فذلك قوله تعالى: ﴿فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾.

﴿قال رب بما أنعمت عليّ﴾ قال الزمخشري[٦]: يجوز أن يكون قَسَماً جوابه محذوف، تقديره: أُقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن، ﴿فلن أكون ظهيراً

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٣٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٣٥).

(٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٤/ ١٦٤): ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكبائر. والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد، فليس بكبيرة، ولأن الوكزة في الغالب لا تقتل.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٩).

(٦) الكشاف (٣/ ٤٠٣).

للمجرمين﴾ وأن يكون استعطافاً، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون ظهيراً للمجرمين إن عصمتني.

وقال غيره: ومن باب الاستعطاف ما قال إبراهيم بن هرمة:

باللهِ ربِّكَ إنْ دخلتَ فقلْ لَهُ ... هذا ابنُ هَرْمَةَ واقِفاً بالباب

صورته صورة قَسَمٍ لأنه تأكيد على المستعطَفِ، وليس بقسم على الحقيقة، والمستعطَفُ حاجب مروان.

قال ابن عباس: المعنى: فلن أكون عوناً للكافرين. وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً[1]، وهو قول مقاتل[2].

وقيل: يجوز أن يريد: فلن أكون ظهيراً لفرعون وملئه، فإنه كان مختصاً بصحبته ومنتظماً في جملته ومكثّراً لسواده، بحيث كان يُدعى ولده.

فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

قال ابن عباس: لم يَسْتَثْنِ موسى في قوله: ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٠٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

فابتُلي به مرة أخرى[(١)]، يشير إلى ما ابتُلي به مع الإسرائيلي مرة ثانية، وهو قوله: ﴿فأصبح في المدينة﴾[(٢)] يعني: المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿خائفاً يترقب﴾ أي: [ينتظر سُوءاً][(٣)] يناله بسبب قتله القبطي.

وقال ابن السائب: ينتظر متى يؤخذ[(٤)].

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس﴾ [وهو الإسرائيلي][(٥)] ﴿يستصرخه﴾ على قبطي آخر، أراد أن يسخّره أيضاً، ﴿قال له موسى﴾ أي: للإسرائيلي. وقيل: للقبطي. والأول أظهر، ﴿إنك لغوي﴾ فعيلٌ بمعنى: مَغْوِيّ، كالأليم بمعنى: مؤلم، أي: إنك [لَمَغْوِيّ][(٦)] ﴿مبين﴾ حيث قتلتُ أمس بسببكَ رجلاً وتستصرخني اليوم على آخر.

ويجوز أن يكون المعنى: إنك لَغَاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شرّه عنك.

ثم أقبل موسى عليهما وأراد أن يبطش بالقبطي، فذلك قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال﴾ له الإسرائيلي: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني﴾ توهّم ذلك؛ لما رأى من غضب موسى عليه، وظن أنه يريده، ﴿كما قتلت نفساً بالأمس﴾.

---

(١) ذكره الطبري (٢٠/ ٤٧)، والماوردي (٤/ ٢٤٢).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿خائفاً﴾ وستأتي بعد.

(٣) في الأصل: ينظر سواء. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٣).

(٥) في الأصل: والإسرائيلي. والمثبت من ب.

(٦) في الأصل: لغوي. والمثبت من ب.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠﴾

قال المفسرون: وكانوا لا يعلمون قاتل القبطي من هو، فلما سمعوا قول الإسرائيلي: "كما قتلت نفساً بالأمس" رفعوا القصة إلى فرعون، فأمر بقتل موسى، فأخبر موسى بذلك رجل من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾[(١)].

قال ابن عباس: هو مؤمن آل فرعون[(٢)]. وسيأتي ذكره في سورة المؤمن[(٣)] إن شاء الله تعالى.

﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون﴾ قال أبو عبيدة[(٤)]: يتشاورون، ﴿بك ليقتلوك﴾.

وقال الزجاج[(٥)]: يأمر بعضهم بعضاً.

والقولان سواء؛ لأن كل واحد من المتشاورين يأمر أصحابه بشيء، أو يشير

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥١) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٥٩) عن الضحاك. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٠) كلاهما عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠١، ٤٠٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) عند الآية رقم: ٢٨.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٠٠).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٣٨).

عليه بأمر.

﴿فاخرج﴾ يعني: من مصر، ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي: قَصَدَها ونحوها.

قال المفسرون: خرج حافياً بغير زاد ولا ظهر، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر، فكان بين مصر ومَدْيَن مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له علم بالطريق، فقال: ﴿عسى ربي أن يهديني﴾ أي: يرشدني، ﴿سواء السبيل﴾ أي: قَصْدَ الطريق إلى مدين[1].

قال السدي: فبعث الله تعالى له مَلَكاً فدلَّه، فورد مدين وخضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١-٢٩٦٢) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٠٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦١) كلاهما عن ابن عباس. وذكره ابن

قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ يعني: بئرهم التي يستقون منها، ﴿وجد عليه أمّة﴾ أي: جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ أي: يسقون مواشيهم. وحذف المفعول؛ لأن الغرض هو الفعل، ومثله: «تذودان»، و «لا نسقي».

﴿ووجد من دونهم﴾ أي: في مكان أسفل من مكانهم ﴿امرأتين﴾ وهما ابنتا شعيب عليه السلام، ﴿تذودان﴾ أي: تدفعان وتطردان غنمهما عن أن تختلط بأغنام الناس، ﴿قال ما خطبكما﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان، ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾.

قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «يَصدُر» بفتح الياء وضم الدال، من صَدَرَ يَصْدُرُ. والمعنى: حتى يرجعوا من سقيهم؛ لئلا نزاحم الرجال.

وقرأ الباقون: [«يُصْدِرَ» بضم الياء وكسر الدال[1]، من أصْدَرَ يُصْدِرَ، على معنى: حتى][2] يُصْدِرُوا مواشيهم.

[والرعاء][3]: جمع رَاعٍ، على قياس: تاجر وتجار، وصائم وصيام، وقائم وقيام.

﴿وأبونا شيخٌ كبير﴾ أي: طاعن في السن لا يقدر على المشي ومزاحمة الرجال، وكفّ الغنم.

= الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٢) عن السدي.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٣)، والكشف (٢/ ١٧٢)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: والراء. والتصويب من ب.

المعنى: فلذلك برزنا لسقيها.

فلما سمع موسى ذلك رقَّ لهما، ﴿فسقى لهما﴾ أي: فسقى[١] الغنم لأجلهما.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقلعها إلا جماعة من الناس، فاقتلعها وسقى لهما[٢].

وقال ابن إسحاق: زاحم القوم وسقى لهما[٣].

وروي: أنه سألهم دلواً من ماء، فأعطوه دلوهم وقالوا: اسْتَقِ بها، وكانت لا ينزعها إلا أربعون، فاستقى بها وصَبَّها في الحوض، ودعى بالبركة، فروَّى غنمهما.

﴿ثم تولى إلى الظل﴾ أي: انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحرّ جائعاً تَعِباً، ﴿فقال رب إني لما أنزلت إليّ﴾ أي: لأي شيء أنزلته إليّ، ﴿من خير﴾ أي: طعام قليل أو كثير ﴿فقير﴾ شديد الحاجة إليه.

قال الباقر عليه السلام: لقد قالها، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة[٤].

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ

---

(١) في ب: سقى.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٤ ح٣١٨٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٢٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٤).

(٤) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٤ ح٣٤٣٠٠) عن ابن عباس قال: ((... ولقد كان افتقر إلى شق تمرة)).

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

قال محمد بن إسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في وقت كانتا لا ترجعان فيه، فأنكر شأنهما فأخبرتاه الخبر، فقال لإحداهما: عليّ به، فرجعت إلى موسى لتدعوه، فذلك قوله تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾[1]، الجار والمجرور في موضع الحال، تقديره: تمشي مستحية[2].

قيل: أتت تمشي مشي من لم يعتد الخروج والدخول، قد استترت بكمّ درعها.

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال بعض العلماء: كَرِهَ قولها: "ليجزيك أجر ما سقيت لنا" وأراد أن لا يتبعها، فلم يجد بداً لما به من الجَهْد[3].

وقال بعضهم: فعل ذلك لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف.

وقيل: إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجرة، ولكن على سبيل

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٦١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٧)، والدر المصون (٥/ ٣٣٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٤).

التقبُّل لمعروفٍ مبتدأ.

ويروى: أنه قال لشعيب حين عرض عليه الطعام: أعوذ بالله، فقال: أو لست بجائع؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيتُ لهما، وإنّا أهل بيت لا نبيع [شيئاً][(١)] من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نُقري الضيف ونُطعم الطعام، فأكل موسى عليه السلام[(٢)].

﴿فلما جاءه وقَصَّ عليه القصص﴾ أي: فلما جاء موسى شعيباً وأخبره خبره وعرفه أنه من سِنْخِ إبراهيم [وسلالة][(٣)] الرسالة، قال له شعيب: ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يشير بذلك إلى أنه ليس لفرعون سلطان على أرضهم.

﴿قالت إحداهما﴾ وهي التي تزوجها موسى عليه السلام ﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذه أجيراً على الغنم، ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ كلام جامع للمقصود؛ لأن من اجتمعت فيه الكفاءة والأمانة جدير بتفويض الأشغال إليه، والتعويل في النهوض بأعبائها عليه.

قال عمر بن الخطاب: لما قالت المرأة هذا قال لها شعيب: وما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أمّا قوّته: فإنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا، وأما أمانته: فإنه

---

(١) في الأصل: شيء. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٠٧) وعزاه لابن عساكر عن أبي حازم.

(٣) في الأصل: وسالة. والتصويب من ب.

قال لي: امشي خلفي فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك[(١)].

وقيل: سَمَّتْه قوياً؛ لنزعه بالدّلو الذي ما كان يُقِلُّه إلا العدد الكثير، فرغب حينئذ فيه شعيب فقال: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني﴾ أي: تأجرني نفسك، فحذف المفعول.

والمعنى: على أن تكون لي أجيراً ترعى لي[(٢)] غنمي.

﴿ثماني حجج﴾ أي: سنين، ﴿فإن أتممت عشراً﴾ قال الزمخشري[(٣)]: أي: عمل عشرٍ. ﴿فمن عندك﴾ أي: فإتمامه من عندك لا ألزمكه، لكنه [تفضُّلاً][(٤)] منك، ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بإلزام العشر.

وقوله: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ ترغيبٌ له في مصاحبته وإعلامٌ له أنه [ممن][(٥)] شأنه المساهلة والمجاملة، إلى غير ذلك مما يوصف به أهل الصلاح.

وقوله: «إن شاء الله» حُسْنُ أدبٍ مع الله، واتّكالٌ على توفيقه، واسْتِمدادٌ لمعونته.

﴿قال﴾ يعني: موسى لشعيب: ﴿ذلك بيني وبينك﴾ مبتدأ وخبر[(٦)]، والإشارة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٤ ح٣١٨٤٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١١٦ ح١١٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٢) في ب: علي.

(٣) الكشاف (٣/ ٤٠٩).

(٤) في الأصل: تفضيلاً. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ١٧٧)، والدر المصون (٥/ ٣٣٩).

إلى ما وقعت المشارطة عليه بينهما، أي: ذلك الذي تعاهدنا عليه قائم بيننا لا أخرج عما [شرطته][(١)] عليّ ولا تخرج عما [شرطته][(٢)] لي عليك.

قرأ الحسن: ﴿أيْمَا الأجلين﴾ بتخفيف الياء من "أيّما"[(٣)].

قال أبو الفتح[(٤)]: هو على تضعيف الحرف، وقد اشتهر عنهم حذف أحد المثلين إذا تجاورا، مثل: أَحَسْتُ [ومَسْتُ][(٥)] وظَلْتُ.

وحكى ابن الأعرابي: ظَنْتُ، قال: وأنشدنا أبو علي للفرزدق:

تَنَظَّرْتُ نَصْراً والسِّمَاكَيْنِ أيهُمَا ... عَلَيَّ من الغيثِ استهلّتْ مَواطِرُه[(٦)]

و"ما" في قوله: ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ زائدة، والتقدير: أيّ الأجلين العشر أو الثماني أتممته [وفرغت][(٧)] منه، ﴿فلا عدوان عليّ﴾ أي: لا يُعتدى عَلَيَّ في طلب الزيادة عليه، ﴿والله على ما نقول وكيل﴾.

قال ابن عباس: شهيدٌ بيني وبينك[(٨)].

---

(١) في الأصل: شرطه. والتصويب من ب.

(٢) مثل السابق.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤٢).

(٤) المحتسب (١/ ٤١).

(٥) في الأصل: وأمست. والتصويب من ب، والمحتسب، الموضع السابق.

(٦) البيت للفرزدق. انظر: ديوانه (١/ ٢٨١)، والمحتسب (١/ ٤١)، والدر المصون (٥/ ٣٤٠)، واللسان (مادة: حير، أيا)، وروح المعاني (٢٠/ ٦٨).

(٧) في الأصل: فرغت. والتصويب من ب.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٧).

وفي حديث أبي ذر[١] عن النبي ﷺ قال: ((إذا سُئلت أي الأجلين قضى موسى فقل: خيرهما وأبرّهما، وإذا سئلت أيّ المرأتين تَزوَّج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت فقالت: يا أبت استأجره))[٢].

وروى ابن عباس: ((أن النبي ﷺ سُئل أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقال: أوفاهما وأطيبهما))[٣].

وفي صحيح البخاري من حديث سعيد بن جبير قال: ((سألني يهودي من أهل [الحيرة][٤]: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول [الله][٥] إذا قال فعل))[٦].

---

(١) في هامش ب: أسنده البزار، وأسند مثله عن ابن عباس، وأسند حديثاً في صفة الغنم التي جعلها شعيب لابنته عند مضي الأجل من حديث عتبة بن الندر.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٧٩ ح٨١٥)، والأوسط (٥/ ٣٢١ ح٥٤٣٠)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٢/ ١٢٨ ح٥١٩)، والبزار في مسنده (٩/ ٣٨٢ ح٣٩٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٠) وعزاه للخطيب في تاريخه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبزار باختصار، وفي إسناد الطبراني عويد بن أبي عمران الجوني: ضعفه ابن معين وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٢ ح٣٥٣١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١١٧ ح١١٤١٨) ولفظها: ((أبعدهما وأطيبهما)). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٧) بلفظ المصنف.

(٤) في الأصل: الخبرة، وفي ب: الحبرة. والمثبت من صحيح البخاري (٢/ ٩٥٣).

(٥) زيادة من ب، والصحيح.

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٣ ح٢٥٣٨).

وقد ذكرنا مدة إقامة موسى عند شعيب في سورة طه[(١)].

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث علي بن رباح اللخمي قال: سمعت عتبة بن [النُّدَّر][(٢)] قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿طس﴾ حتى بلغ قصة موسى عليه السلام فقال: إن موسى عليه السلام آجر نفسه ثماني سنين أو عشراً على عفّة فرجه وطعام بطنه))[(٣)].

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ

---

(١) عند الآية رقم: ٤٠.

(٢) في الأصل: المنذر. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: التهذيب (٧/ ٩٤)، والتقريب (ص:٣٨١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٧ ح٢٤٤٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٣٥ ح٣٣٣). ولم أقف عليه عند أحمد.

قال ابن كثير (٣/ ٣٨٦): وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف، لأن فيه مسلمة بن علي، وهو الخُشَني الدمشقي البلاطيّ، ضعيف الرواية عند الأئمة. ولكن قد رُوي من وجه آخر، وفيه نظر أيضاً، ثم ساق رواية ابن أبي حاتم.

فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

وما بعده سبق تفسيره في طه والنمل إلى قوله: ﴿أو جذوة من النار﴾.

قرأ عاصم: «جَذْوَةٍ» بفتح الجيم، وضَمَّها حمزة، وكسرها الباقون[(١)].

قال ابن عباس: الجذْوَة: قطعة من حطب فيها نار[(٢)].

قال أبو عبيدة[(٣)]: الجذْوَة: القطعة الغليظة من الخشب [ليس][(٤)] فيها لهب.

قوله تعالى: ﴿نودي من شاطئ الواد﴾ أي: من جانبه ﴿الأيمن﴾، وهو الذي عن يمين موسى ﴿في البقعة﴾ وهي القطعة من الأرض ﴿المباركة﴾ بتكليم الله تعالى موسى فيها ﴿من الشجرة﴾ أي: من ناحيتها.

قال ابن عباس: كانت من عُنَّاب[(٥)].

وقال الكلبي: شجرة العَوْسَج[(٦)]، ومنها كانت عصاه.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٣)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٠٢).

(٤) زيادة من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢١٨).

والعنّاب: من الثمر، معروف، الواحدة: عُنّابة (اللسان، مادة: عنب).

(٦) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

والعوسج: شجر من الشوك وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق (اللسان، مادة: عسج).

قال المفسرون: لما ألقى موسى عصاه فصارت جَانّاً فَزِعَ، فأمره الله تعالى أن يضم إليه [جناحيه][(١)] -أي: عضديه- ليذهب عنه الفزع[(٢)].

قال مجاهد: كل من فَزِعَ فضمّ إليه جناحيه، ذهب عنه الفَزَع، وقرأ هذه الآية[(٣)].

واختلف القراء في الرَّهَب؛ فقراءة[(٤)] نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الراء والهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الهاء، إلا حفصاً فإنه فتح الراء[(٥)]. وقرأ أبي بن كعب والحسن بضمّهما[(٦)].

قال ابن الأنباري: الرُّهْبُ والرُّهُبُ والرَّهَبُ، مثل: الشُّغْل والشُّغُل والشَّغَل، والبُخْل والبُخُل والبَخَل، لغات ترجع إلى معنى الخوف والفَرَق[(٧)].

وقيل: المراد بالجناح: اليد؛ لأن يدي الإنسان بمنزلة جناح الطائر، فإذا أدخل يده تحت عضده فقد ضمّ جناحه إليه.

ويَرِدُ على هذا القول من الإشكال أن يقال: قد سبق هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ فأيّ فائدة في تكريره؟

---

(١) في الأصل: جناحه. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٠).

(٣) مثل السابق.

(٤) في ب: فقرأه.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٤)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٣).

(٦) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٢٢٠)، والدر المصون (٥/ ٣٤١).

(٧) انظر قول ابن الأنباري في: زاد المسير (٦/ ٢٢٠).

ويُجاب عنه بأن يقال: كَرَّرَ المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرَّهب.

فإن قيل: فما تصنع [بقوله][1] تعالى في طه: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ [طه:٢٢] فقد جعل الجناح في هذه الآية مضموماً إليه، وفي الآية التي نحن في تفسيرها مضموماً؟

قلتُ: قال الزجاج[2]: يقال لليد كلها: جناح. فإذا ثبت ذلك وكان الأمر على ما حكاه الزجاج، فالمراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى.

وقيل: معنى: «اضمم إليك جناحك» سكّن روعك وثبّت جأشك.

قال أبو علي الفارسي[3]: ليس يراد به الضَّمُّ بين الشيئين، إنما أُمِرَ بالعزم على ما أُمر به والجِدّ فيه، ومثله:

اشدُدْ حَيَازيمكَ للموت ....[4]

قوله تعالى: ﴿فذانِكَ﴾ شدَّد النون ابن كثير وأبو عمرو، وخفَّفها الباقون[5].

---

(١) في الأصل: في قوله. والمثبت من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٤٣).

(٣) الحجة (٣/ ٢٥١).

(٤) عجز البيت: فإن الموت لاقيكا، وهو من مجزوء الهزج، للإمام علي. انظر: ديوانه (ص:١٤٠)، واللسان (مادة: حزم)، والمخصص (٢/ ٥)، وأساس البلاغة (مادة، حزم)، والحجة للفارسي (٣/ ٢٥١)، وروح المعاني (٢٠/ ٧٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٣-٢٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٤)، والكشف (١/ ٣٨١-٣٨٢)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:١٨٧، ٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٣).

قال الزجاج[١]: التشديد تثنية ذلك، والتخفيف تثنية ذاك، جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في "ذانك".

وروي عن بعضهم: «فَذَانِيكَ» بياء بعد النون[٢].

وقال أبو علي على هذه القراءة[٣]: أُبدل من النون الثانية ياء كراهة التضعيف. حكى أحمد بن يحيى: لا وَرَبِّيكَ ما أفعل، يريد: وَرَبِّكَ.

والإشارة بقوله: «فذانك» إلى اليد والعصا.

﴿برهانان من ربك﴾ حجتان من الله تعالى على صدقك.

قال الزجاج[٤]: المعنى: أرسلناك ﴿إلى فرعون وملإه﴾ بهاتين الآيتين.

﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ وقال غيره: «إلى فرعون» متعلق بمضمر، فإن شئت كان في موضع الحال من "بُرهانين"، وإن شئت كان حالاً من المخاطب[٥].

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٤٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٤٢).

(٣) الحجة (٣/ ٢٥٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٤٤).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٤٢).

فلما أمره الله تعالى بتبليغ رسالته إلى فرعون، شكا إليه خوفه من القتل بسبب قتله القبطي، وعُقْلَة لسانه، فسأله المعاضدة بأخيه، فذلك قوله: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أي: أوضح بياناً، لسلامته من العقدة الكائنة بسبب التحريق، والعُقْلَة الكامنة بأصل التخليق.

﴿فأرسله معي ردءاً﴾ أي: عوناً. وترك نافع الهمزة طلباً للخِفَّة(١).

﴿يُصَدِّقْنِي﴾ قرأ عاصم وحمزة: «يُصَدِّقُنِي» بالرفع صفة لـ"رِدْءاً"، وقرأ الباقون بالجزم على جواب السؤال(٢).

وجمهور المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير المرفوع في: «يُصدقُني» عائد إلى هارون.

وشذّ مقاتل فقال(٣): المعنى: يُصَدِّقُنِي فرعون.

فجعل ضمير المرفوع له. ويؤيده قراءة من قرأ: «يُصَدِّقُون» على الجمع(٤).

والأول أصح.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٥)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والإتحاف (ص:٣٤٢)، والسبعة (ص:٤٩٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٥-٥٤٦)، والكشف (٢/ ١٧٣)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٦).

(٤) وهي قراءة زيد بن علي وأبيّ. انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٤٤).

قال الزمخشري(١): ليس الغرض [بتصديقه](٢) أن يقول له: صدقْتَ، أو يقول للناس: صدق موسى، وإنما هو أن يُلَخِّص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار، ألا ترى إلى قوله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي﴾، وفَضْلُ الفصاحة إنما يُحتاج إليه لذلك، لا لقوله: صدقتَ، فإن سَحْبَان وباقِلاً(٣) يستويان فيه.

وبهذا [البيان](٤) وأمثاله حصل لكتابه مَيْزَ الإنافة على أشكاله، غير أنه مَزَجَ العلم النافع بالسُّمِّ النَّاقِعِ، فما أليَقَه بإنشاد قول ابن الرومي:

وحَدِيثُها السِّحْرُ الحلالُ لو أنّه لم يَجْنِ قَتْلَ المسْلِم المتحَرِّز(٥)

﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ وقرأ الحسن: «عُضُدَكَ» بضمّتين(٦).

قال ابن جني(٧): فيها خمس لغات؛ عَضُدٌ، وعَضْدٌ، وعُضُدٌ، وعُضْدٌ، وعَضِدٌ، وأفصحها وأعلاها: عَضُدٌ، نحو: رَجُلٌ. وعَضْدٌ مسكّنٌ من عَضُدَ، وعُضْدٌ منقولُ

---

(١) الكشاف (٣/ ٤١٤).

(٢) في الأصل: تصديقه. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) سحبان: اسم رجل من وائل كان لَسِناً بليغاً، يُضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: أفصح من سحبان وائل (اللسان مادة: سحب).

وباقل: اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل في العِيّ (اللسان، مادة: بقل).

(٤) في الأصل: البان. والتصويب من ب.

(٥) البيت لابن الرومي، وهو في: المثل السائر (١/ ٣٤١)، وصبح الأعشى (١/ ٣٣٦)، وكتاب جمهرة الأمثال (١/ ١٥)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/ ١٧٥).

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٤٤).

(٧) المحتسب (٢/ ١٥٢).

الضمة من الضاد إلى العين، وعُضُدٌ بضمتين جميعاً كأنه تثقيلُ عُضْد.

والمعنى: سنُقوّيك به ونُعينك، ومنه: عَضَدْتُ فلاناً؛ إذا قوّيته[١]، وذلك لأن العَضُدَ أقوى اليد، ومنه: عِضَادَتا الباب.

﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي: حُجَّةً بينة تدل على الرسالة، ويلازم صاحبها وصف البسالة، ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بنوع من أنواع الأذى.

قوله تعالى: ﴿بآياتنا﴾ إما أن يتعلق بقوله: ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ على معنى: نسلطكما بآياتنا ومعجزاتنا، أو بقوله: ﴿فلا يصلون إليكما﴾ على معنى: فتمتنعون منهم بآياتنا، [وإما أن يتعلق بما بعده، على معنى: بآياتنا أنتما الغالبون، فيكون "بآياتنا"][٢] تبييناً لامتناع تقدّم الصلة على الموصول، أو يكون قسماً جوابه: لا يصلون مقدماً عليه، [أو هو][٣] من لغو القسم الذي لا جواب له في اللفظ[٤].

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

(١) انظر: اللسان (مادة: عضد).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: وهو. والمثبت من ب.

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤١٥). وردّ عليه أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١١٣) بأن جواب القسم لا تدخله الفاء عند الجمهور. ويريد بلغو القسم: أن جوابه محذوف، أي: وحق آياتنا لتغلبن.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحرٌ مفترى﴾ أي: سحر تفتعله وتختلقه وتفتريه على الله، ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي تدعونا إليه وتأمرنا به ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي: حُدِّثنا بكونه فيهم.

وقوله: «في آبائنا» حال منصوبة عن "هذا"[(١)]، أي: كائناً في زمانهم.

﴿وقال موسى﴾ وقرأ ابن كثير: «قال موسى» بغير واو[(٢)]، وهكذا هو في مصحف أهل مكة.

﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي: بالبيان الواضح، ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، وهي النصر في الدنيا والجنة في الآخرة.

وقرأ حمزة والكسائي: «يكون» بالياء[(٣)]، وقد ذُكر وعُلل فيما مضى.

﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لا يسعد ولا ينجح المشركون.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ

---

(١) هو قول الزمخشري أيضاً.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٦)، والكشف (٢/ ١٧٤)، والنشر (٢/ ٣٤١)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٦)، والكشف (١/ ٤٥٣)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٤).

فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةًۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ جهلٌ من المخذول، أو تجاهل يستخفّ به أحلامهم، وهو أكبر ظني فيه، ألا ترى إلى قول موسى لـه: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض﴾ [الإسراء:١٠٢].

ثم أخذ يتغابى ليُعمِي على عابديه مسالك الإدراك حين عجز عن معارضة خصمه، فقال مُشغلاً للوقت: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ حتى يصير آجُرّاً، ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ قصراً طويلاً.

قال أهل التفسير: لما أمر فرعون هامان ببناء الصَّرْح جمع العُمّال والفَعَلَة، فكانوا خمسين ألف بَنَّاء سوى الأتباع، فرفعوه وشيّدوه ارتفاعاً لم يبلغه بنياناً قط، فلما انتهى رقى فرعون فوقه وأمر بنُشَّابَةٍ(١) فرمى بها نحو السماء، فرجعت ملطّخة بالدم للفتنة التي أرادها الله تعالى به، فقال: قتلت إله موسى، فبعث الله تعالى جبريل فضربَ الصَّرْح بجناحه فقطّعه، فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، ووقعت أخرى في البحر، وأخرى في المغرب(٢).

---

(١) النُّشَّابة: النَّبْل أو السهام (اللسان، مادة: نشب).

(٢) أخرج طرفاً منه الطبري (٢٠/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٩) كلاهما عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٣) بتمامه. وذكر طرفاً منه الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٥٣) حكاية عن السدي، والسيوطي في الدر (٦/ ٤١٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ أشرف عليه وأنظر إليه.

وفي هذا دليل على غباوة قومه وفرط جهلهم، حيث أطمعهم في قدرته على نيل أسباب السموات بصرح يبنيه.

﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ في قوله: أن له إلهاً غيري.

وقال ابن جرير[١]: المعنى: إني لأظنه كاذباً في ادعائه أن في السماء رباً أرسله.

﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾؛ لأن الكبرياء والعظمة لا تصلحُ إلا لله تعالى، فمتعاطيهما على غير الحق.

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ بعد الموت.

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر﴾ يا محمد [بعين][٢] بصيرتك نَظَرَ تفكُّر واعتبار ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾.

وفي هذا تهديدٌ لكفار قريش، وإيذان بأن العاقبة للرسل صلوات الله عليهم.

﴿وجعلناهم أئمة﴾: قادة في الكفر ﴿يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ أي: لا [يُمنعون][٣] من عذاب الله.

﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ مفسّر في هود[٤]، ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي: المطرودين المُبْعَدين. يقال: قَبَّحَ الله فلاناً، أي: أبعده من كل خير.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: يمتنعون. والمثبت من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٦٠.

وقال الكلبي: يعني: سَوَادُ الوجه وزُرْقَة العين[١].

فعلى هذا هو بمعنى المقبحين المشوّهين الخَلْق.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ يريد: قوم نوح وعاداً وثمود وغيرهم من المكذبين.

﴿بصائرَ للناس﴾ نصب على الحال[٢]، ﴿وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ سبق تفسيره.

وقد روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ((ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة، غير القرية الذين مُسخوا قِردة))[٣].

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٥٤)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٧٨)، والدر المصون (٥/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٢ ح٣٥٣٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤١٧) وعزاه للبزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه.

أَتَنٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم
مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ
ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ قال الزجاج(١): المعنى: وما كنت بجانب الجبل الغربي.

قال ابن عباس: يريد حيث ناجى موسى ربه، وهو قوله تعالى: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾(٢)، وهو الوحي الذي أوحاه إليه، ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿من الشاهدين﴾ لذلك.

وفي هذا تنبيه على صحة نبوّة محمد ﷺ حيث أخبر بقصة موسى على الوجه المتعارف عند أهل الكتاب، وعلى ما هو في التوراة، وليس من أهل [العلم](٣) بذلك.

قوله تعالى: ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ أي: خلقنا أمماً بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي: امتدّ عليهم الزمان فنسوا عهد الله وتركوا أمره.

قال صاحب النظم: هذا الكلام يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه [عهوداً](٤) في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العُمُرُ وخَلَفَتِ القرون بعد

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٤٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: عهداً. والمثبت من ب، والوسيط (٣/ ٤٠١).

القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها[١].

وقال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: كيف يتصل قوله: ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ بهذا الكلام؟ ومن أيِّ وجه يكون استدراكاً له؟

قلت: من حيث أنّ معناه: ولكنا أنشأنا قروناً كثيرة فتطاول عليهم أمد انقطاع الوحي، فاندرست العلوم، فأرسلناك وكسيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى، كأنه قال: وما كنت شاهداً موسى وما جرى عليه، ولكنا أوحينا إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة، ودلَّ به على المُسَبَّبِ، على عادة الله تعالى في اختصاراته، فإذاً هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده.

قوله تعالى: ﴿وما كنت ثاوياً﴾[٣] أي: مقيماً ﴿في أهل مدين تتلوا﴾ أي: تقرأ ﴿عليهم آياتنا﴾ المشتملة على قصة موسى وتتعلم منهم.

وقال مقاتل[٤]: المعنى: لم تشاهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم.

﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ فأرسلناك بهذا إليهم وأنزلناه [عليك][٥] لتقرأه عليهم.

قوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي: بناحيته ﴿إذ نادينا﴾ موسى ليلة المناجاة، وهذا قول الأكثرين.

وقال ابن عباس: كان هذا النداء: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٢١-٤٢٢).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿في أهل مدين﴾ وستأتي بعد.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٩).

(٥) في الأصل: إليك. والتصويب من ب.

واستجبتُ لكم قبل أن تدعوني، وغفرتُ لكم قبل أن تستغفروني، ورحمتكم قبل أن تسترحموني[1].

﴿ولكن رحمة من ربك﴾ قال الزجاج[2]: المعنى لم تشاهد قَصَصَ الأنبياء، ولكنا أوحيناها إليك وقصصناها عليك رحمة من ربك.

﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ في زمن الفترة بين عيسى ومحمد [صلى الله عليهما][3] ونحوه، لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتَّعظون ويتدبّرون.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ قال قتادة: يعني العذاب في الدنيا[4].

﴿بما قدمت أيديهم﴾ من المعاصي، وأضاف السيئات إلى الأيدي لأنها أكثر ما تُزاول بها.

وجواب "لولا" محذوف، تقديره: لولا أنهم يقولون إذا أصيبوا بمصيبة وعوقبوا بما قدمت أيديهم: هلاّ أرسلت إلينا رسولاً، مُحتجّين بذلك؛ لما أرسلنا إليهم رسولاً، أو لعاجلناهم بالعقوبة.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٤٧).

(٣) في الأصل: ﷺ. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠١) عن مقاتل.

بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وهو محمد ﷺ والقرآن، ﴿قالوا﴾ تعنتاً وعناداً: ﴿لولا﴾ أي: هلاّ ﴿أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ من العصا واليد وفَلْقِ البحر وغيرها من الآيات. قال الله تعالى: ﴿أو لم يكفروا﴾ يعني: الذين شابهوهم في الكفر من أمة موسى.

وقيل: الضمير في «يكفروا» يرجع إلى كفار مكة، وذلك أنهم أرسلوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم بنعته وصفته في التوراة.

والاستفهام في معنى الإنكار والتوبيخ.

والمعنى: أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من الآيات الخوارق التي تضطر العقول إلى التصديق بها.

وإن قلنا: هم كفار مكة؛ فالمعنى: أو لم يكفروا بما أوتي موسى مما اشتملت عليه التوراة من صفة محمد ﷺ.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿من قبل﴾ متعلقاً بـ﴿أو لم يكفروا﴾.

فإن قيل: كيف يتوجه هذا المعنى على قول من قال: هم كفار مكة؟

قلت: قد روي عن الحسن أنه قال: كان للعرب أصل في أيام موسى[(١)].

فالمعنى: أو لم يكفر آباؤهم بما أوتي موسى.

﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾ إن قلنا هم أشباههم في الكفر من أمة موسى، أو آباء كفار مكة على قول الحسن، فالساحران موسى وهارون، وإن قلنا هم الكفار الذين أرسلوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ، فالساحران موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

ويروى أنهم قالوا حين جاءتهم رسلهم من عند اليهود وأخبرتهم بنعته ﷺ وأنه في كتابهم، قالوا حينئذ: ساحران تظاهرا.

وقرأ أهل الكوفة: «سحران»[(٢)]، على معنى: ذوو سحر، أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر.

وقيل: أرادوا بالسِّحْرَين: التوراة والقرآن، ونَسَبَ التَّظاهُر -وهو التعارف- إليهما على الاتساع.

﴿وقالوا إنا بكلٍ﴾ من الرسولين والكتابين ﴿كافرون﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ أي: من الكتابين.

فإن قيل: إتيانهم بكتاب من عند الله مُحال، فما وجه مطالبتهم به؟

قلت: عنه جوابان:

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٢٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٧)، والكشف (٢/ ١٧٤-١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤١-٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٥).

أحدهما: أن يكون هذا خارجاً مخرج التهكُّم والسخرية بهم.

الثاني: أن يكون مقصوده تحقيق المعجز بإظهار عجزهم وانقطاع حجتهم، ونحوه: ﴿فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ [يونس:٣٨].

قوله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ يعني: فقد ظهر انقطاع حجتهم وبان عنادهم، ﴿فاعلم﴾ حينئذ ﴿أنما يتبعون أهواءهم﴾ أي: ليس عندهم سوى إيثار الهوى.

ثم ذمَّهم بقوله: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى﴾ أي: بغير شاهد ولا دليل واضح ﴿من الله﴾.

وقوله: «بغير هدى» في محل الحال، على معنى: مخذولاً مخلى بينه وبين هواه[1].

قوله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أي: أتيناهم بالقرآن متواصلاً مفصلاً بالوعد والوعيد والنصائح وأخبار الأمم الماضية، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ إرادة أن يتذكروا.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

---

(١) هذا قول الزمخشري (٣/ ٤٢٥).

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أي: من قبل القرآن، ﴿هم به﴾ أي: بالقرآن.

فإن قيل: هل يجوز أن يعود الضمير في «به» [إلى][(١)] الكتاب؟

قلت: يمنعُ من ذلك قوله: ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾.

وهذه الآية من جملة ما أثنى الله به على مؤمني أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام.

قال رفاعة بن قرظة: نزلت في عشرة أنا أحدهم[(٢)].

وقيل: نزلت في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل، اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، وثمانية من أهل الشام[(٣)].

﴿وإذا يتلى عليهم﴾ أي: وإذا يقرأ القرآن على مؤمني أهل الكتاب ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا﴾، وذلك أنهم وُعدوا بنبي وكتاب، ﴿إنا كنا من قبله﴾ أي: من قبل نزول القرآن ﴿مسلمين﴾ أي: على دين الإسلام؛ لأن الإسلام صفة كل موحّدٍ مصدّقٍ للوحي.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨)، والطبراني في الكبير (٥/ ٥٣ ح٤٥٦٣، ٤٥٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي القاسم البغوي في معجمه والباوردي وابن قانع الثلاثة في معاجم الصحابة والطبراني وابن مردويه بسند جيد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٨) وقال: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل ورجاله ثقات، والآخر منقطع الإسناد.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٥٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٢) ونسبه لمقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٩) عن ابن عباس.

﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ قال قتادة: بما صبروا على الكتاب الأول والكتاب الثاني(١).

وقيل: بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله.

وقيل: بما صبروا على أذى المشركين وأذى أهل الكتاب.

﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ أي: ويدفعون بالطاعة المعصية المتقدمة.

وقال ابن عباس: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك(٢).

وقال مقاتل(٣): يدفعون ما يسمعون من الأذى والشتم من المشركين بالعفو والصفح.

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في طاعة الله.

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ وهو القبيح من القول، ﴿أعرضوا عنه﴾ نزاهةً وصيانةً عن التلوث بسماعه، وإكراماً لأنفسهم عن التعرض لجوابه، وهذا الوصف مما يفتخر به أشراف الناس، وذووا النفوس الأبيّة، قال الشاعر:

فَقُلْ لزهيرٍ إنْ شَتَمْتَ سَرَاتَنا فلسْنَا بشَتَّامينَ للمُتَشَتِّمِ(٤)

إلى أن قال:

وتجهلُ أيدينا ويحلُمُ رأيُنا ونشْتِمُ بالأفعالِ لا بالتَّكَلُّمِ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٨٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٩-٢٩٩٠). وذكره الماوردي (٤/ ٢٥٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٠).

(٤) البيت لمعبد بن علقمة، وهو في: ديوان الحماسة (١/ ٢٥١-٢٥٢).

وقال آخر:

فوالله ما بُقْيَا عليكم تُركْتُم ولكنني أكرمتُ نفسي عن الجهل

وقال آخر:

وأغفرُ عَوراءَ الكريم ادِّخارَه وأعرضُ عن شَتْم اللئيمِ تكَرُّما[1]

وقد أحسن لقيط بن زرارة في قوله:

أغـرَّكُم أني بأحسن شيمةٍ بصيرٌ وأني بالفَواحش أخْرَقُ

وأنك قد سابَبْتَنا فغلبْتَنا هنيئاً مريئاً أنت بالفُحْشِ أحْذَقُ[2]

﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ خطاب لِلاَّغِين المدلول عليهم بقوله: ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾.

وقوله: ﴿سلام عليكم﴾ تسليم مُتاركةٍ وتوديعٍ، لا تسليم تحية.

ومثله قولي في أبيات أرثي بها ولدي أبا صالح أحمد:

على زينة الدنيا ولذّة عيشها السلام فهذا منهما آخر العهد

﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ أي: لا نطلب صحبتهم والتلبّس بأعمالهم.

قال السدي: لما أسلم عبدالله بن سلام جعل اليهود يشتمونه وهو يقول: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين[3].

---

(١) البيت لحاتم الطائي، وهو في: اللسان (مادة: عور)، والطبري (٢/ ٣٢٠).

(٢) البيتان للقيط بن زرارة، انظر: ديوان المعاني للعسكري، باب الافتخار، والتذكرة الحمدونية، باب الهجاء والمذمة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٣).

فإن قيل: هل تقدر على [إبداء][(١)] معنى تَضَمُّنِهِ الثناء على مؤمني أهل الكتاب بهذه الآيات الأربع؟

قلتُ: نعم، وهو حضّ الناس على الإيمان بالنبي ﷺ المنعوت في الكتب المتقدمة، بما استثبته الأحبار والربانيون فيها من الدلائل الناطقة برسالته الشاهدة بنبوته، وتنبيههم على الاقتداء بمن يعلمون براعتهم في العلم ومهارتهم في دراسته. هذا مع ما في الثناء على أهل الكتاب من تقريع ذوي النفوس الأبية من الأمة العربية، والتعريض بذمها لموضع إعراضها عن الإيمان، فإنك لا تكاد تجد أنكى لها وأوغل في أذاها من هجائها ومدح أعدائها، ولا أرغب منها في المدح والثناء، فحرّك هممهم إلى الإيمان بذلك.

إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ قال الزجاج وغيره[(٢)]: أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب.

وذلك أنه قال عند موته: يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا

---

(١) في الأصل: ابتداء. والمثبت من ب.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٤٩). وانظر: الطبري (٢٠/ ٩١) وما بعدها، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٤)، والماوردي (٤/ ٢٥٩)، والوسيط (٣/ ٤٠٣).

وترشدوا، فقال النبي ﷺ: يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتَدَعُها لنفسك، قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: أريد منك كلمة واحدة، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول: "لا إله إلا الله" أشهدُ لك بها عند الله، فقال: يا ابن أخي قد علمتُ أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غَضَاضَةٌ ومسبَّة بعدي لقُلْتُها ولأقررت بها عينك، فنزلت هذه الآية(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ نزلت في رسول الله ﷺ حيث يراود عمه أبا طالب على الإسلام))(٢).

وقد ذكرنا الحديث المخرج في الصحيحين في سبب نزولها أيضاً في براءة عند قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة:١١٣].

والمعنى: إنك لا تقدر أن تُدخل في الإسلام من أحببت أن يدخُل فيه؛ لأنك عبدٌ لا تعلم مَنْ طَبَعْتُ على قلبه وخلقته للنار، ممن شرحتُ قلبه للإسلام وخلقته للجنة.

﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ممن سبقت له السعادة، ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾

---

(١) في هامش ب: من شعر أبي طالب في المعنى:

والله لنْ يصلوا إليكَ بجمْعِهم ... حتى أُوسَّد في الترابِ دَفينا
فامضي لأمركَ ما عليكَ غَضَاضَةٌ ... وأبشرْ بذاك وقرّ بذاكَ عُيونا
ودعوتني وعلمتَ أنك ناصِحي ... وصدقتني وكنت قدم أمينا
وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه ... من خير أديان البريةِ دينا
لولا الملامةُ أو حذاري سُبّةً ... لوجدتني سَمْحاً بذاك مُبينا

(انظر: ديوان أبي طالب ص:٨٧، ١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥ ح٢٥).

الذين خلقهم للهداية.

قوله تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ أي: قال كفار قريش.

وقيل: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، قال للنبي ﷺ: نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك، وإنما نحن أَكَلَةُ رأس -أي: قليلون- أن تتخطفنا العرب من أرضنا، فقال الله تعالى قاطعاً لمعاذيرهم: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي[1]: ذا أمن.

ونسبة الأمن إلى الحرم مجاز، وإلى أهل الحرم حقيقة.

والمعنى: يأمنون فيه من المحاربة والإغارة؛ لكونهم قُطَّان البيت المعظّم المحرّم، وسائر العرب يتناحرون ويتغاورون ويتخطفون[2] من حولهم.

المعنى: فكيف يخافون إذا أسلموا وهم بهذه المثابة.

ثم مع كونه حرماً آمناً ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾، أي: تُجمع وتُجلب إليه.

وقرأ نافع: «تجبى» بالتاء لتأنيث الثمرات، والباقون قرؤا بالياء[3]؛ لأن التأنيث غير حقيقي، أو للحيلولة بين الاسم والفعل.

ولأن الثمرات في معنى الرزق.

والمراد بالكلية في قوله: ﴿كل شيء﴾ الكثرة، كقوله: ﴿وأوتيت من كل

---

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب: ويختطفون.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٨)، والكشف (٢/ ١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٥).

شيء﴾ [النمل:٢٣].

قال مقاتل[١]: يحمل إلى الحرم ثمرات كل شيء من مصر والشام واليمن والعراق.

﴿رزقاً﴾ مصدر أو مفعول له، أو حال من الثمرات[٢]، إن جُعل الرزق بمعنى المرزوق.

فإن قيل: "ثمراتُ" نكرة فكيف ينتصب عنها الحال؟

قلت: تخصصت بالإضافة، فجاز أن تنتصب عنها، كما إذا تخصصت النكرة بالصفة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

ثم خوفهم الله تعالى سوء عاقبة ما هم عليه من الكفر وجحود النعم، ومُقابلتها بعبادة غير المنْعِم بها، فقال: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ قال الزجاج[٣]: البَطَرُ: الطغيان عند النعمة.

والمعنى: بَطِرَتْ في معيشتها، فلما سقط الحرف الجار تعدّى الفعل فنصب.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠١).

(٢) الدر المصون (٥/ ٣٤٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٥٠).

وقيل: انتصب[١] "معيشتها" لتضمن "بَطِرَتْ" معنى: كفَرَت وغطّت.

﴿فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون ومارُّوا الطريق يوماً أو ساعة[٢].

وفي قوله: ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ تحقيقٌ لمعنى خُلوّها، وهو نظير قوله: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ [مريم:٤٠].

﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها﴾ أي: في [أصلها و][٣] قصبتها، ﴿رسولاً﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة، كما فعلنا بكم، وأرسلنا إليكم يا أهل مكة محمداً ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾.

قال مقاتل[٤]: يخبرهم الرسول أن العذاب نازلٌ بهم إن لم يؤمنوا.

﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون.

أخبر سبحانه وتعالى أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد إقامة الحجة وإيضاح المحجّة، وإزاحة العلّة، وإصرارهم مع ذلك على الظلم بالإعراض عن التوحيد والطاعة.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ

---

(١) في ب: انتصبت.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٣٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٢).

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي: من سبب من أسباب الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: فما هو إلا شيء تتمتّعون به أيام حياتكم الفانية وتتزينون به، ﴿وما عند الله﴾ تعالى من الثواب المُعَدِّ لأهل طاعته وطاعة رسوله ﴿خير وأبقى﴾ من متاع الدنيا وزينتها ﴿أفلا تعقلون﴾ أن الباقي خير من الفاني.

قرأ أبو عمرو: «يعقلون» بالياء على المغايبة؛ رداً على ما قبله. وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة؛ حملاً على أول الآية[1].

قوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه﴾ استفهام في معنى الإنكار، ﴿وعداً حسناً﴾ يعني: الجنة ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه ومصيبه، ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ ولا حظّ له في الآخرة، ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ إلى النار.

قال مجاهد: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وفي أبي جهل[2].

وقال محمد بن كعب: نزلت في علي وحمزة وأبي جهل[3].

وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة[4].

وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٨)، والكشف (٢/ ١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٣)، والسبعة (ص:٤٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣١) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ٩٧) عن مجاهد. وذكره القرطبي (١٣/ ٣٠٣) عن محمد بن كعب وزاد: وعمارة بن الوليد.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٣٤).

حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ يريد: الأصنام.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: «زعم» تطلب مفعولين، فأين هما؟

قلت: هما محذوفان، تقديره: الذين كنتم تزعمونهم شركائي. ويجوز حذف المفعولين في باب "ظننت"، ولا يصح الاقتصار على أحدهما.

﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أي: وجب عليهم العذاب بقوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود:١١٩]، وهم رؤساءهم في الكفر وقادتهم.

وقيل: هم الشياطين.

﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ يعنون: أتباعهم.

فـ"هؤلاء": مبتدأ، و"الذين أغوينا": صفته، والعائد على الموصول محذوف، تقديره: ﴿أغويناهم﴾ فغَوَوْا غياً، مثل ما غوينا، يريدون: أننا[2] لم نلجئهم

(١) الكشاف (٣/ ٤٣٠).

(٢) في ب: إنا.

ونقسرهم على الغي، كما أننا لم يكن لنا من يقسرنا عليه، فنحن وهم فيه سواء في اختيار الغي.

﴿تبرّأنا إليك﴾ قال الزجاج[١]: برئ بعضهم من بعض، وصاروا أعداءً، كما قال الله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف:٦٧].

﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ قهراً وقسراً. المعنى: إنما كانوا يعبدون أهواءهم بتحسيننا وتزييننا.

﴿وقيل﴾ يعني: لكفار مكة ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي: [استغيثوا][٢] بآلهتكم لتخلّصكم من العذاب، ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ أي: لم يجيبوهم إلى نصرهم، ﴿ورأوا العذاب﴾ حين تبرأت منهم قادتهم وخذلتهم آلهتهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ جوابه محذوف، تقديره: لو كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب.

ويجوز أن يكون المعنى: تمنوا لو أنهم كانوا يهتدون.

قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول﴾ تبكيتاً وتوبيخاً وتحقيقاً لمعنى العدل: ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ في الدنيا؟ ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ أي: خَفِيتْ واشْتَبَهَت عليهم الحُجَج يوم القيامة.

قال ابن قتيبة[٣]: المعنى: عَمُوا عنها من شدة الهول.

﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عنها، كما يتساءل الناس عن

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥١).

(٢) في الأصل: استعينوا. والمثبت من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٣٤).

المشكلات في الدنيا، وأنَّى لهم التساؤل والرُّسُل المقطوع لهم بالنجاة من النار والفوز بالجنة يتعنعنون في تلك المواطن الهائلة، ويقولون حين يقال لهم: ماذا أجبتم؟ لا علم لنا.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ سبب نزولها: قول الوليد بن المغيرة: ﴿لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف:٣١] يريد: نفسه بمكة، أو عروة بن مسعود بالطائف. فأخبر الله تعالى أنه هو الذي يختار من خلقه ما يشاء(١).

ثم نفى أن تكون الخيرة لغيره فقال: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ حتى يختاروا الوليد أو عروة.

وقيل: "ما" موصولة، والراجع إلى الموصول محذوف، على معنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة، فإنه أعلم بهم وبمصالحهم.

قال الزمخشري(٢): الخِيَرَة من التَّخَيُّر، كالطِّيَرَة من التَّطَيُّر: تُستعمل بمعنى المصدر، وهو التخير بمعنى المتخير، كقولهم: محمد ﷺ خِيَرَة الله تعالى من خلقه.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٦٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٦).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٣٢).

قوله تعالى: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾(١) أي: ما تُخفيه وتُضمره من عداوة رسول الله ﷺ وحسده ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من الطعن عليه والقَدْح في رسالته.

﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾ أي: هو المستأثر بالإلهية، و﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير لذلك.

﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾(٢) لا يستحقه غيره على الحقيقة، ﴿وله الحكم﴾ الفصل بين عباده.

قال ابن عباس: حَكَمَ لأهل طاعته بالمغفرة، ولأهل معصيته بالشقاء والويل(٣).

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ﴿وما يعلنون﴾. وستأتي بعد.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿وله الحكم﴾. وستأتي بعد.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٦).

عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم﴾ أي: قل يا محمد لكفار مكة: أخبروني ﴿إن جعل الله﴾ تعالى ﴿عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة﴾ يعني: دائماً متتابعاً، واشتقاقه من السَّرْدِ، وهو المتابعة، ﴿مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ نور ساطع، ﴿أفلا تسمعون﴾ ما يتلوه عليكم رسولي من الحجج البالغة، ومثله: ﴿أفلا تبصرون﴾ آثار عظمتي ودلائل وحدانيتي وقدرتي.

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ هذا للسكن والراحة، وهو قوله تعالى: ﴿لتسكنوا فيه﴾ وهذا للانتشار وطلب المعيشة، وهو قوله تعالى: ﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ مَنْ أنعمَ عليكم بهذه النعم وغيرها [فتوحّدوه][(1)].

قوله تعالى: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيداً يشهد عليها ولها، وهو نبيّها يشهد بما كان منها من كفر وإيمان، وطاعة وعصيان.

﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ قال مجاهد: حجتكم بما كنتم تعبدون[(2)].

وقال مقاتل[(3)]: حُجَّتكم بأن معي شريكاً.

﴿فعلموا أن الحق لله﴾ لا لشياطينهم، ﴿وضلّ عنهم﴾ بطل وغاب في الآخرة ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من الباطل والكذب.

---

(١) في الأصل: وتوحدوه. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٤)، ومجاهد (ص:٤٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٥).

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قارون اسم أعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف.

قال الزجاج(١): ولو كان فاعولاً من العربية، من قرنْتُ الشيء لا يُصْرف(٢).

واختلفوا في قرابته من موسى؛ فقال ابن عباس وقتادة ومقاتل(٣) وأكثر المفسرين: كان ابن عم موسى(٤)، وهو قارون بن يَصْهُر بن قَاهَث(٥)، وموسى بن عمران بن قَاهَث(٦). وقد ذكرنا نسبه في البقرة.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٣).

(٢) يريد أنه مع أن صيغة فاعول موجودة في اللغة العربية مثل: جاسوس وقاعود وقانون، وقارون فاعول من قرنت ولكنه لا ينصرف لأنه علم أعجمي.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٥-١٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٦-٤٣٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس. ومن عدة طرق أخرى.

(٥) في تفسير مقاتل: أصهر بن قوهث.

(٦) في تفسير مقاتل: قوهث.

وروى عطاء عن ابن عباس: أنه كان من سبط موسى، وهو ابن خالته[١].

وقال ابن إسحاق: كان عمّ موسى[٢].

قال قتادة: وكان يسمى المنوّر؛ لحسن وجهه وصورته، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه، ولكن عدو الله نافَقَ كما نافَقَ السامري[٣].

﴿فبغى عليهم﴾ أي: جاز الحدّ في التكبّر والتجبّر.

قال قتادة: بغى عليهم بكثرة ماله[٤].

وقال الضحاك: كفر[٥].

وقال شهر بن حوشب: زاد عليهم في الثياب شبراً[٦].

﴿وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه﴾ قال الضحاك والسدي: يعني: خزائنه[٧].

قال الزجاج[٨]: هذا هو الأشبه.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (/ ٢٣٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٦). وذكره الماوردي (٤/ ٢٦٤).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٦). وذكره الماوردي (٤/ ٢٦٤).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٧) عن أبي رزين. وذكره الماوردي (٤/ ٢٦٦) من قول السدي وأبي رزين، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٠) من قول السدي وأبي صالح والضحاك.

(٨) معاني الزجاج (٤/ ١٥٥).

قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً[1].

وقال مجاهد وقتادة: يريد: مفاتيح الأبواب[2].

روى الأعمش عن خيثمة قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وَقْرُ ستين بغلاً، ما يزيد منها مفتاح على إصبع، لكل مفتاح منها كنز[3]، وهو قوله تعالى: ﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ أي: تُثْقِلُهم وتميل بهم. يقال: نَاءَ به الحِمْل؛ إذا أثقله، يَنُوءُ به[4].

قال الفراء والزجاج[5]: المعنى: لتُنِيءُ العصبة، فلما دخلت الباء في العُصْبة انفتحت التاء، كما يقولون: هذا يُذْهِبُ الأبصار وهذا يَذْهَبُ بالأبصار.

والعُصبة: الجماعة الكثيرة، والعِصابة مثلها، واعصوصبوا: اجتمعوا.

قال ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال[6].

﴿إذ قال له قومه﴾ محل «إذ» منصوب بـ"تَنُوءُ"[7]، والمراد: إذ قال له قومه

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٦/ ٤٠٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (نوأ).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٣١٠)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٥٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٧).

(٧) هذا قول الزمخشري، انظر: الكشاف (٣/ ٤٣٤). وردّ هذا القول أبو حيان في البحر (٧/ ١٢٧) =

المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لا تفرح﴾ أي: لا تبطر وتمرح، ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ الأشرين البطرين. قال الشاعر:

ولستُ بِمِفْراحٍ إذا الدهرُ سَرَّني ولا جَازعٍ مِنْ صَرْفِهِ المُتَحَوِّلِ[1]

وقال بعضهم: لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأنَّ إليها، فأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما هو فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح[2].

وما أحسن ما قال القائل:

أشدُّ الغَمَّ عندي في سُرور تيقَّنَ عنه صاحبُه انتقالا[3]

وقيل: معنى: "لا تفرح": لا تُفسد، كما قال:

إذا أنتَ لم تَبْرَحْ تُؤدِّي أمانةً وتحملَ أُخْرَى [أفرحتْكَ][4] الودائع[5]

بمعنى: أفسدتك.

قوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أي: اطلب فيما أعطاك من

= فقال: وهذا ضعيف جداً؛ لأن إثقال المفاتح العصبة ليس مقيداً بوقت قول قومه له: "لا تفرح".

(١) البيت لهدبة بن خشرم العذري. انظر: غريب القرآن (ص:٣٣٥)، وحماسة البحتري (ص:١٢٠)، وابن الشجري (ص:١٣٧)، والبحر المحيط (٧/ ١٢٧)، والماوردي (٤/ ٢٦٧)، وزاد المسير (٦/ ٢٤١)، والقرطبي (١٣/ ٣١٣)، وروح المعاني (٢٠/ ١١٢).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ١٥٩).

(٣) البيت لأبي الطيب، وهو في: الكشاف (٣/ ٤٣٥)، والبحر (٧/ ١٢٧)، وروح المعاني (١/ ٢٠٥، ٢٠/ ١١٢).

(٤) في الأصل: أقرحتك. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٥) البيت لبَيْهَس العذري، وهو في: اللسان (مادة: فرح، حمل)، والقرطبي (١٣/ ٣١٣)، وزاد المسير (٥/ ١٦٤).

الأموال الجنة والخلاص من النار بالنفقة في سبيل الله ووجوه الطاعة.

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ قال الزجاج[١]: لا تنس أن تعمل لآخرتك؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته. وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين[٢].

قال علي عليه السلام: لا تنس صحتك وقوّتك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة[٣].

وقال الحسن البصري: لا تنس أن تطلب كفايتك وغناك مما أحلّ الله تعالى[٤].

وقيل: هو الكفن؛ لأنه حظه من الدنيا عند خروجه منها.

﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أي: أحسن بأداء ما افترض الله عليك كما في إحسانه إليك.

وقيل: أحسن إلى عباده كما أحسن إليك.

﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ باتخاذ ما أنعمنا به عليك سبباً إلى المعاصي، ووسيلة إلى ظلم العباد وقهرهم والاستطالة عليهم.

﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: الطبري (٢٠/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٠)، ومجاهد (ص:٤٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٣٩) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم، ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٥٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١١) بمعناه.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

فكَفَرَ المخذول بنعم الله تعالى عليه، وأنكر إحسانه إليه، فقال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ يعني: على معرفة وجوه المكاسب، وحُسْن التصرف في التجارات والزراعات.

وقال ابن عباس: على علم عندي بصنعة الذهب، يريد: العلم بالكيمياء(١).

وقيل: المعنى: إنما أوتيته على استحقاق لما عندي من العلم الذي فُضِّلْتُ به على الناس، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، فقال الله تعالى: ﴿أو لم يعلم﴾ يعني: قارون من التوراة وكتب الأنبياء والتواريخ المشتملة على أخبار الأمم الماضية، ﴿أن الله قد أهلك﴾ بأنواع العذاب ﴿من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جمعاً﴾ للأموال حين طَغَوْا وبَغَوْا وكذبوا الرسل وكفروا بأنعم الله تعالى، ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾.

قال الحسن: لا يسألون ليعلم ذلك من قِبَلِهِم، وإن سئلوا سؤال توبيخ وتقريع(٢).

قال مجاهد: تعرفهم الملائكة بسيماهم(٣).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٠) =

وقال قتادة: المعنى: أنهم يدخلون النار بغير حساب[١].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ قال الحسن: في الحُمْرَة والصُّفْرَة[٢].

وقال مقاتل[٣]: خرج على بغلة شهباء عليها سَرْجٌ من ذهب عليه الأُرْجُوَان، ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهنّ الحلي والثياب الحمر على البغال.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي إذناً، أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصرباذي[٤]، أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، حدثنا إسحاق بن محمد بن إسحاق الرسعني، حدثنا جدي، حدثنا عثمان بن عبدالرحمن

= وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٦).

(٤) في ب: النصراباذي.

الطرائفي[١]، حدثنا علي بن عروة الدمشقي[٢]، عن سعيد بن أبي سعيد[٣]، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أربع خصال من خصال قوم فرعون: جرّ نصال السيوف في الأرض، ولباس الخفاف المقلوبة، ولباس الأرجوان، وكان أحدهم لا ينظر في وجه خادمه تكبراً))[٤].

قال الزجاج[٥]: الأُرْجُوَان في اللغة: صِبْغٌ أحمر.

قوله تعالى: ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ وهم قوم من المسلمين كانوا يميلون إلى زهرة الحياة الدنيا ونضارة عيشها.

وقال قتادة: تمنُّوا ليتقربوا به إلى الله[٦].

وفيه بُعْدٌ؛ لقوله: ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن﴾.

---

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحراني، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو هاشم، الطرائفي، وإنما قيل له ذلك؛ لأنه كان يتتبع طرائف الحديث، صدوق أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل، فضعف بسبب ذلك، حتى نسبه ابن نمير إلى الكذب، وقد وثقه ابن معين، مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائتين (تهذيب الكمال ١٩/ ٤٢٨-٤٣٠، والتقريب ص:٣٨٥).

(٢) علي بن عروة الدمشقي القرشي، متروك الحديث (تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٩، والتقريب ص:٤٠٣).

(٣) هو المقبري، تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٨-٤٠٩)، والديلمي في الفردوس (١/ ٣٧٥) وفي سند الحديث علي بن عروة الدمشقي وهو متروك. قال ابن حجر في التقريب: متروك، وقال ابن حبان: يضع الحديث (انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٩، والتقريب ص:٤٠٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٥٦).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٣٦).

وقيل: كانوا كفاراً.

﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ من الكنوز والزينة، ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ نصيب وافر من الدنيا.

وقيل: الحَظُّ: الجَدُّ والبَخْتُ، ومنه:

وليسَ الغِنَى والفقرُ مِنْ حِيلةِ الفَتَى ولكنْ أحَاظٍ قُسّمتْ وجُدُودُ[١]

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس: يعني: أحبار بني إسرائيل[٢]، ﴿ويلكم ثواب الله خير﴾ قال صاحب الكشاف[٣]: ويلك: أصله الدعاء بالهلاك، ثم استُعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يُرتضى، كما استعمل: لا أبَا لَكَ، وأصله: الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث على الفعل.

قوله تعالى: ﴿ولا يلقاها﴾ يعني: لا يوفق للكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم.

وقيل: لا[٤] يلقّى ثواب الله. وأنَّثه لأنه في معنى الجنة.

وقيل: لا يلقّى الأعمال الصالحة، فإنه مدلول عليها بقوله: ﴿وعمل صالحاً﴾.

وقيل: لا يلقّى هذه السيرة والطريقة، إلا الذين صبروا على ما قُسم [لهم][٥] من قليل الرزق، وعن زينة الدنيا وشهواتها.

---

(١) البيت للمعلوط السعدي. وهو في: ديوان الحماسة (٢/ ١٨)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٣٧).

(٤) في ب: ولا.

(٥) زيادة من ب.

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ السبب في ذلك على ما نقله أهل العلم بالتفسير والسير قالوا: كان بدأُ طغيان قارون وفتنته وعصيانه: أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز ببني إسرائيل البحر وجعلت الحُبُورة لهارون عليه السلام وهي رئاسة المذْبَح، فكان بنو إسرائيل يأتونه بهدْيِهم فيضعه على المذبح، فتنزل نارٌ من السماء فتأكله، وَجَدَ قارون في نفسه من ذلك شيئاً، فأتى موسى عليه السلام فقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة، ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ للتوراة منكما، لا صبر لي على هذا؟ فقال موسى: والله ما أنا جعلتها في هارون، بل الله جعلها فيه، فقال قارون: لا أصدقك حتى [تريني][1] بيانَه، فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال: هاتوا عصيّكم، فحزموها وألقاها في قبته التي كان يتعبد فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا موسى تهتز لها ورق أخضر، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ قال قارون: فوالله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، فاعتزل قارون موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وقارون يؤذيه في كل وقت، ولا يزداد على صبر موسى عليه ومداراته إياه إلا عناداً وحسداً وتجبراً، حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب

---

(١) في الأصل: ترني. والتصويب من ب.

وصفَّح جدرانها بصفائح الذهب[1].

قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام أتاه قارون فصالحه من كل ألف دينار على دينار واحد، ومن كل ألف درهم على درهم، ومن كل ألف شاة على شاة، ثم رجع إلى بيته مفكراً في أمره، فحسب ما يبلغ ذلك فوجده كثيراً، فبخل به، فجمع من يركن إليه ويعتمد عليه من بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم وقد أطعتموه، وهو يريد الآن أخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت، فجمع اللعين كيده وقال لبغيّ من بني إسرائيل: إني أعطيك كذا وكذا، قيل: جعل لها ألف دينار، وقيل: طشتاً[2] من ذهب مملوءة ذهباً، وقيل: جعل لها حُكْمَها، وقال لها: أخلطك بأهلي ونسائي على أن تجيئي غداً إذا اجتمعت بنوا إسرائيل فتقذفي موسى بنفسك، فقالت: نعم.

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى فقال له: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى ﷺ وهم في بَرَاحٍ من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل! من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليست له زوجة جلدناه، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنتَ؟ فقال: وإن كنتُ أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فَجَرْتَ بفلانة، فقال: ادعوها، فوقفت بين يديه، فقال لها موسى صلوات الله عليه: يا فلانة، أنا فعلتُ بك الذي يقول هذا؟ وعظَّم عليها

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) في ب: طستاً.

ووعَظَها، وسألها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة إلا صَدَقْتِ، فتداركها الله تعالى بتوفيقه، وقالت في نفسها: يا ويلها قد عملت كل فاحشة، وما بقي إلا أن أفتري على نبي الله موسى، فقالت: لا والله، ولكن جعل لي قارون جُعلاً على أن أقذفك بنفسي، فَخَرَّ موسى عليه الصلاة والسلام ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنتُ رسولك فاغضب لي، فأوحى الله تعالى إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك، فَمُرْها بما شئت، فقال موسى: يا أرض خُذيه، -وهو على فراشه وسريره-، فأخذته حتى غَيَّبَتْ سريره، فلما رأى ذلك قارون ناشده بالرَّحم، فقال: يا أرض خذيه، فأخذته حتى غيّبت قدميه، ثم قال: خذيه، فأخذته حتى غيّبت ركبتيه، ثم قال: خذيه، فأخذته حتى غيّبت حقويه، وهو في ذلك كله يناشده الرَّحم ويتضرع إليه، حتى لقد قيل: ناشده سبعين مرة، وموسى لا يلتفت إليه لشدة غضبه عليه، فلم يزل يقول: خُذيه خُذيه حتى انطبقت عليه الأرض، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! ما أفظّك، استغاث بك سبعين مرة فلم تُغِثْهُ ولم ترحمه، أما وعزتي لو إيَّايَ دعا مرةً واحدةً لوجدني قريباً مجيباً[١].

قال قتادة: خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامةَ رجل، والله لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة[٢].

قال مقاتل[٣]: فأصبح بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم ويقولون: إنما

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٦-١١٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٨) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٧).

[أهلكه][(١)] موسى ليأخذ ماله وداره، فخسف الله تعالى بداره وبماله[(٢)] بعده بثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾ وهم الذين قالوا: ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾، وقد يُذْكَرُ الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل اليوم الذي أنت فيه، بل الوقت القريب على طريق الاستعارة.

والمعنى: وأصبح الذين تمنّوا مثل منزلته من الدنيا، ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي: يُوسِّعُ على من يشاء ويُضَيِّقُ على من يشاء، ﴿لولا أن منَّ الله علينا لخُسِفَ بنا﴾.

وقرأ حفص: «لخَسَفَ» بفتح الخاء والسين[(٣)].

فصل

اختلف العلماء في قوله: «ويك أن» فقال الخليل وسيبويه[(٤)]: «وَيْ» مفصولة من «كَأَنَّ»، وهي كلمة تندُّم وتنبيه على الخطأ، وكلُّ من تندّم فأظهر ندامته قال: وَيْ. فالمعنى: أن القوم ندموا على ما سَلَفَ منهم من تمنيهم مثل ما أوتي قارون حين شاهدوا سوء عاقبته، ثم قالوا: كأنه ﴿لا يفلح الكافرون﴾ أي: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح.

---

(١) في الأصل: أكله. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل زيادة قوله: الأرض.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٩)، والكشف (٢/ ١٧٥)، والنشر (٢/ ٣٤٢)، والإتحاف (ص:٣٤٤)، والسبعة (ص:٤٩٥).

(٤) انظر: الكتاب (٢/ ١٥٤).

وقال بعض البصريين: لفظه لفظ التشبيه، ومعناه معنى الخبر، والتقـدير: الله يبسط، وكذا التي بعدها. وأنشد:

فأَصْبَحَ بطنُ مَكَّةَ مُكْفَهِرّاً   كأنّ الأرضَ ليسَ بها هِشَام

أي: الأرض ليس بها هشام؛ لأنه كان قد مات.

قال الزجاج[١]: والصحيح في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل، وحكى نحو ما ذكرناه، ثم قال[٢]: وهذا كما يُعاتَبُ الرَّجُلُ على ما سَلَفَ منه فيقول: وَيْ، كأنـك قصدت مكروهي، فالوقف عليها: وَيْ، وأنشد:

سَـــالَتَانِي الطَّـــلاقَ أَنْ رَأَيَـــانِي   قَـلَّ مَـالي قَـدْ جِئْـتُماني بنُكْـرِ[٣]

وَيْكَـأَنْ مَـنْ يَكُـنْ لَـهُ نَـشَبٌ يُحْـ   ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَـيْشَ ضُرِّ[٤]

وأما أبو الحسن فإنه يقول: الكاف متصلة، والتقدير: ويك أعلم أن الله.

وقال قطرب: إنما هو: ويلك، فأسقط منه اللام.

قال عنترة:

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٧).

(٢) انظر: الكتاب (٢/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) سالتاني: يعني زوجتيه اللتين ذكرهما في بيت قبله، وهو:

تلك عرساي تنطقان على العمـ   ـد إلى اليوم قول زور وهتر

وسال: مخفف سأل، بإبدال الهمزة ألفاً. والنكر: المنكر.

(٤) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل، يتحدث عن زوجتين له تركتاه لقلة ماله.

انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٥)، ومجالس ثعلب (ص:٣٢٢)، والخصائص (٣/ ٤١، ١٦٩)، وابن يعيش (٤/ ٧٦)، والهمع (٢/ ١٠٦)، والخزانة (٦/ ٤٠٤)، والأشموني (٣/ ١٩٩)، والدر المصون (٥/ ٣٥٤)، والبحر (٧/ ١٣٠)، ومعاني الفراء (٢/ ٣١٢).

ولقدْ شَفَى نفسي وأذهبَ سُقْمَها قيلُ الفَوارسِ وَيْكَ [عنْتَرَ][١] أَقْدِمِ[٢]

وقال الزمخشري[٣]: يجوز أن يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وَيْ، كقوله: ويك [عنتر][٤] أقدم.

و"أنه" بمعنى "لأنه"، واللام لبيان المقول لأجله هذا القول، أي: لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك، وهو الخسف بقارون.

قال الزجاج[٥]: وجاء في التفسير أن معناه: ألم تر أنه لا يفلح الكافرون.

وقال بعضهم: معناها: أما ترى أنه لا يفلح الكافرون.

وحكى غير الزجاج عن قتادة: معناها: ألم تعلم[٦].

وقال الفراء[٧]: هي كلمة تقرير، كقول الرجل: [أما ترى][٨] إلى صُنع الله وإحسانه. وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنُكَ؟ فقال: ويْكأنّه وراء البيت. يعني: أما ترينه وراء البيت.

---

(١) في الأصل: عنترة. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٢) البيت لعنترة بن شداد. انظر: ديوانه (ص:١٤)، والسبع الطوال (ص:٣٥٩)، والمحتسب (١/ ١٦)، وابن يعيش (٤/ ٧٧)، والخزانة (٦/ ٤٢١)، والأشموني (٣/ ١٩٨)، والدر المصون (٥/ ٣٥٤)، والبحر (٧/ ١٣٠)، واللسان (مادة: ويا).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٤) في الأصل: عنترة. والمثبت من ب.

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) معاني الفراء (٢/ ٣١٢).

(٨) في الأصل: ألم تر. والتصويب من ب، ومعاني الفراء، الموضع السابق.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ وهي الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ قال عطاء: لا يريدون علواً على خلقي[١].

وقال مقاتل[٢]: لا يريدون استكباراً على الإيمان، ولا فساداً بالمعاصي والظلم.

وقال الحسن البصري: لن يطلبوا الشرف والعز[٣] عند ذي سلطانهم[٤].

قال زاذان: كان علي عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو والٍ يُرشِد الضالَّ، ويُعين الضعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾، ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل المقدرة من سائر الأديان[٥].

وروي عن علي عليه السلام أنه قال: إن الرجل ليعجبه شِراكُ[٦] نَعْلِه فيدخل

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٧).

(٣) في ب: العز والشرف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٤) وعزاه لابن مردويه وابن عساكر.

(٦) الشِّرَاك: سيرُ النعل، والجمع: شُرُك، وهو أحد سُيور النعل التي تكون على وجهها (اللسان، مادة: شرك).

في هذه الآية[١].

يريد عليه السلام: أن من تكبر وعلا على غيره بزينته فهو ممن يريد عُلُواً في الأرض. ويعضد هذا المعنى: قوله ﷺ: ((ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حُبِّ الرجل المال، والشَّرَفَ لدينه))[٢].

وما بعده سبق تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ من باب إقامة المُظْهَر مقام المُضْمَر. والمقصود من إظهار لفظ السيئة: التنبيه [على][٣] قُبْحها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أي: أوجب عليك القيام بتبليغه والنهوض بأعباء تكاليفه، وألزمك العمل به، ودعاء الخلق إليه، ﴿لرادك إلى معاد﴾ ليس لغيرك من البشر، وهو المقام الذي أُعِدَّ له في الجنة، وهو قول ابن عباس في

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٨٨ ح٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٦٠).

(٣) زيادة من ب.

رواية عكرمة، وبه قال مجاهد والحسن وأبو صالح والزهري(١).

فإن قيل: هذا اللفظ مُشْعِرٌ بأنه ﷺ كان في الجنة؟

قلت: قد كان ذاك ليلة المعراج، أو حين كان في صُلب آدم، أو ساغ ذلك لكثرة تلبسه ﷺ بها، تارة بعرضها عليه حتى هَمَّ بأخذ القِطْف(٢) منها، وتارة بدخوله إليها في منامه، ومنام الأنبياء وَحْيٌ، وقد دخلها ﷺ في المنام مراراً كثيرة.

على أني أقول: العرب تقول: رجع فلان إلى كذا، وإن لم يكن له سابقة بذلك. وقد قررناه فيما مضى.

وقال ابن عباس -في رواية العوفي- والضحاك ومقاتل(٣): نزلت هذه الآية في الجحفة، في مسير النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فتذكَّر وهو بالجحفة مكة، وكونها مولدُه ومولد آبائه، فاشتاق إليها، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال: نعم، فقال: فإن الله يقول: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾(٤)، أي: إلى مكة ظاهراً عليها.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي صالح، وعزاه للفريابي.

(٢) في هامش ب: القِطْف: بالكسر: العنقود، وهو اسم لكل ما يُقْطَف، كالذِّبح والطِّحن. وأكثر المحدثين يروونه بفتح القاف، وإنما هو بالكسر. وقال الأزهري: يجوز الفتح عند الكسائي (انظر: اللسان، مادة: قطف).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٨).

(٤) أخرج طرفاً منه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦) عن الضحاك. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٤٩). وذكر السيوطي طرفاً منه في الدر (٦/ ٤٤٥) =

قال القتيبي: مَعَادُ الرجل: بلده؛ لأنه [ينصرف][(١)] [في البلاد ويضرب في الأرض][(٢)] ثم يعود إليه[(٣)].

قلت: وحنينه ﷺ إلى بلده من جملة أخلاقه الكريمة التي طُبع عليها.

قالت العرب: أكرمُ الناس آلفُهُم للناس.

وقال بعض الحكماء: حنين الرجل إلى أوطانه من علامة الرِّشْدَة، وقد أحسن القائل:

إذا أنَا لا أشتاقُ أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النُّهى بمَكِين
وإنْ أنَا لمْ أرعَ العهودَ على النَّوَى فلستُ بمأمونٍ ولا بأَمين[(٤)]

قال أبو دُلف العجلي: أَلْأَمُ بيت قالته العرب:

تَلْقَى بكل بلادٍ إنْ حَلَلْتَ بها أهلاً بأهْلٍ وجيراناً بجيران[(٥)]

وذلك لأنه يدل على قلّة رعايةٍ وشدّة قساوة.

وقيل: "[لرادك][(٦)] إلى معاد": أي: [إلى][(٧)] القيامة.

= وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

(١) في الأصل: يتصرف. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من زاد المسير (٦/ ٢٥٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٠).

(٤) البيتان لأبي هلال العسكري، وهما في: ديوان المعاني، باب الهجاء، ومجمع الحكم والأمثال، باب الوطن، وزهر الأكم في الأمثال والحكم.

(٥) البيت لأبي دلف، وهو في: ديوان الحماسة (١/ ٩٨).

(٦) في الأصل: لردك. والتصويب من ب.

(٧) زيادة من ب.

قال [الزجاج][(١)]: وهذا أكثر التفسير.

قال صاحب الكشاف[(٢)]: إن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿قل ربي أعلم﴾ بما قبله؟

قلت: لما وَعَدَ رسول الله ﷺ الرد[(٣)] إلى معاد قال: ﴿قل﴾ للمشركين: ﴿ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ يعني: نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده، ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم.

قوله تعالى: ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء[(٤)]: هذا استثناء منقطع.

وقال الزمخشري[(٥)]: هذا كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك.

قوله تعالى: ﴿ولا يَصُدُّنَّكَ﴾ وقرئ شاذاً: بضم الياء وكسر الصاد[(٦)]، من أصَدَّه بمعنى: صَدَّه، وهي لغة كلب. قال شاعرهم:

[أُناسٌ][(٧)] أَصَدُّوا الناسَ بالسيفِ عنهمُ صُدودَ السَّواقي عن أُنُوفِ الحَوَائِمِ[(٨)]

---

(١) في الأصل: قتادة. والتصويب من ب. وانظر: معاني الزجاج (٤/ ١٥٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٤٠).

(٣) في ب: رسوله الرد.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣١٣).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٤٠-٤٤١).

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٥/ ٣٥٥).

(٧) في الأصل: الناس. والتصويب من ب.

(٨) البيت لذي الرمة. انظر: ديوانه (ص:٦٢٣)، واللسان (مادة: صدد)، والدر المصون (٥/ ٣٥١)، =

السواقي: جمع ساقية، وهُنَّ الولائد الساقيات أو الجماعات التي يسقون الإبل. والحوائم: العطاش، مِنْ حَام؛ إذا عطش.

قال مقاتل[(١)]: ذَكَّر الله تعالى نبيه ﷺ نِعَمَهُ عليه بإلقائه الكتاب إليه، ونهاه عن مُظاهرة قومه حين دعوه إلى دين آبائه، وأمره بالتحرز منهم بقوله: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾.

﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس: الخطاب له في الظاهر، والمراد به: أهل دينه[(٢)]. وقد بينّا فيما مضى أن هذا وأمثاله من باب التهييج والإلهاب.

قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قال ابن عباس وجمهور العلماء: إلا ما أريد به وجهه[(٣)].

وقال الضحاك وأبو عبيدة[(٤)]: المعنى: كل شيء هالك إلا هو.

والوجه يُعبَّر به عن الذات.

= والبحر (٧/ ١٣٢)، والقرطبي (١٣/ ٣٢٢)، وروح المعاني (١٣/ ١٨٣، ٢٠/ ١٣٠).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٠٨-٥٠٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٨) عن مجاهد وسفيان الثوري، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٥٠) عن سفيان. وانظر: الطبري (٢٠/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٤٧) وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن سفيان، وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١١٢). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٢).

قال الزجاج[١]: «وجهَه» منصوب بالاستثناء، ويجوز: «إلا وجهُـهُ» بـالرفع، ولكنه لا ينبغي أن يقرأ بها. ويكون المعنى: كل شيء غير وجهه هالك، وهو مثـل قول الشاعر:

وكلُّ أخٍ مُفارقُهُ أخُوه   لَعَمْرُ أبيكَ إلا الفَرْقَدان[٢]

المعنى: وكل شيء غير الفرقدين مفارقه أخوه.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٥٨).

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقُيل: لسوار بن المضرب، وقيل: لحضرمي بن عامر. انظر: ديوانـه (ص:١٧٨)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٣٣٤)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٢١)، والإنصاف (١/ ٢٦٨)، وجمهرة أشعار العرب للقـرشي (١/ ١١٦)، ومعـاني الأخفـش (ص:٩١)، والأشـباه والنظـائر (٨/ ١٨٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٣٤)، وشرح المفصل (٢/ ٨٩)، ومغني اللبيب (١/ ٧٢)، والمقتضب (٤/ ٤٠٩).

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع وستون آية.

وهي مكية في قول ابن عباس والأكثرين [1].

وقال هبة الله المفسر [2]: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة.

وقيل: بالعكس من هذا القول.

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ
فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾
أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ قال ابن عباس: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكة؛ سلمة بن هشام، [وعياش] [3] بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر وغيرهم [4].

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (ص:٦١١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٤٩) وعزاه لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل. ومن طريق آخر عن عبدالله بن الزبير وعزاه لابن مردويه.

(٢) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص:١٤١).

(٣) في الأصل: وعباس. وهو خطأ. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: التهذيب (٨/ ١٧٦)، والتقريب (ص:٤٣٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٤).

ويؤيد هذا ما رواه البخاري (١/ ٣٤١ ح٩٦١) ((أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة =

وقال مقاتل(١): نزلت في مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي فقتله، فقال النبي ﷺ: ((سيد الشهداء مِهْجَع، وهو أول من يُدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة))، فجزع عليه أبواه وامرأته جزعاً شديداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال الزجاج(٣): هذا اللفظ لفظ استخبار. والمعنى معنى تقرير وتوبيخ. ومعناه: أَحَسِبُوا أن نَقْنَع منهم أن يقولوا «إنا مؤمنون» فقط ولا يُمتحنون بما تبين به حقيقة إيمانهم.

قال مجاهد وقتادة والسدي: ﴿وهم لا يفتنون﴾: أي: لا يُبتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب(٤).

﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ أي: ابتليناهم بضُروب المِحَن وأنواع المصائب؛ تمييزاً للمخلص من غير المخلص، والثابت القَدَم في الإسلام من المُزَلْزَل(٥)، والصابر من الجازع.

= يقول: اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٠).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٠)، وزاد المسير (٦/ ٢٥٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢)، ومجاهد (ص:٤٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٥٠) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) في ب: المتزلزل.

قال ابن عباس: منهم خليل الله إبراهيم ﷺ وقوم كانوا معه ومن بعده نُشروا بالمناشير على دين الله، فلم يرجعوا عنه[١].

فإن قيل: بماذا يتصل قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا﴾؟

قلت: جائز أن يتصل بـ"أحسب"، وجائز أن يتصل بـ"لا يفتنون".

﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ أي: ليعلمن الله ذلك واقعاً.

وقال مقاتل[٢]: المعنى: فليرينّ الله الذين صدقوا في إيمانهم عند البلاء، فصبروا لقضاء الله، وليرينّ الذين كذبوا في إيمانهم، فَشَكُّوا عند البلاء.

ويجوز أن يكون ذلك وعداً ووعيداً، كأنه قيل: وليثبتن الله الذين صدقوا، وليعاقبن الكاذبين.

وقال أبو الفتح ابن جني[٣]: هو على إقامة السَّبَب مقام المُسَبَّب، والغرض فيه: فليُكَافِئنّ الله الذين آمنوا، وذلك أن المكافأة على الشيءِ إنما هي مُسبّبة عن علم،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٢-٤١٣).

ويؤيد هذا القول ما جاء في البخاري (٦/ ٢٥٤٦ ح٦٥٤٤) عن خباب بن الأرت قال: ((شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٠).

(٣) المحتسب (٢/ ١٥٩).

ولو لم [يُعلَم][(١)] لما صَحَّت المكافأة، ومثله: من إقامة [السَّبَب مقام المُسَبَّب][(٢)] قول الله تعالى: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة:٧٥].

وقرأ علي عليه السلام وجعفر بن محمد: «فَلَيُعْلِمَنَّ» بضم الياء وكسر اللام في المواضع الأربعة من هذه السورة[(٣)]، وهي هذان الموضعان، وقوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾.

على معنى: ليُعرِّفَنَّ اللهُ الناسَ منْ هم، فحذف أحد المفعولين.

ويجوز أن يكون: فليَسِمَنَّ الله الفريقين بسِمَةٍ وعلامةٍ يُعرفون بها. أما في الدنيا [فبظهور][(٤)] آثار الصدق وأنوار الإيمان على وجوه المتصفين بهما، وظهور آثار الكذب والنفاق على [المتصفين][(٥)] بهما. وأما في الآخرة فبياض الوجوه واسودادها[(٦)] وكُحل العيون [أو زُرقتها][(٧)]، إلى غير ذلك من الأمارات الفاصلة بين الفريقين.

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ جائز أن يكون "حسب" بمعنى: قَدَّر، فلا يستدعي مفعولين، وجائز أن تكون على بابها، فتكون ما اشتملت عليه صلة "أنْ" سادّاً مسدّ المفعولين، كقوله: ﴿أم حسبتم أن تتركوا﴾ [التوبة:١٦]،

(١) في الأصل و ب: تعلم. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٥٩).

(٢) في الأصل و ب: المسبب مقام السبب. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٢٥٥)، والدر المصون (٥/ ٣٥٨).

(٤) في الأصل: فظهور. والمثبت من ب.

(٥) في الأصل: المصفين. والمثبت من ب.

(٦) في ب: أو سوادها.

(٧) في الأصل: وزرقتها. والمثبت من ب.

و"أم" منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: أن هؤلاء بحُسْبان أظهرُ بطلاناً من الحسبان الذي قبله(١).

والسيئات: الشرك والمعاصي.

﴿أن يسبقونا﴾ أي: يفوتونا. يريد: أن الجزاء لاحِقٌ بهم لا محالة، ﴿ساء ما يحكمون﴾.

قال الزجاج(٢): موضع «ما» نصب، على معنى: ساء حكماً يحكمون، كما تقول: نِعْمَ رَجُلاً زيدٌ. ويجوز أن يكون رفعاً، على معنى: ساء الحكم حكمهم.

قال ابن عباس: يعني: الوليد بن المغيرة، وأبا جهل، والعاص بن هشام، وغيرهم(٣).

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

---

(١) هذا قول الزمخشري، انظر: الكشاف (٣/ ٤٤٤).
قال أبو حيان في البحر (٧/ ١٣٧): أما قول الزمخشري: "اشتمال صلة أن سد مسد المفعولين" فقد كان ينبغي أن يقدر ذلك في قوله: ﴿أن يتركوا﴾، فيجعل ذلك سدّ مسدّ المفعولين، ولم يقدّر ما لا يصح تقديره، وأما قوله: ويجوز أن تضمن "حسب" معنى "قدر" فتعين أنّ "أنْ" وما بعدها في موضع مفعول واحد، والتضمين ليس بقياس، ولا يصار إليه إلا عند الحاجة إليه، وهذا لا حاجة إليه.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٦٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٦).

أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي: يخاف البعث، كقول الشاعر:

إذا لَسَعَتْهُ النحلُ لم يَرْجُ لَسْعُها ....[1]

وقد ذكرتُ ذلك فيما مضى.

وقال سعيد بن جبير: المعنى: من كان يطمع في ثواب الله[2]. واختاره الزجاج[3] نظراً إلى الموضوع الأصلي.

﴿فإن أجل الله لآت﴾ وهو أجل القيامة، فيجازي كُلاًّ بعمله، ﴿وهو السميع العليم﴾ الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله العباد ويفعلونه.

قوله تعالى: ﴿ومن جاهد﴾ أي: من جاهد نفسه في منعها ما تهواه من المعصية وحملها على ما تأباه من الطاعة، وتركيبها بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ لموضع انتفاعها به، ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ لم يأمرهم وينْهَهُم لمصلحة تعود إليه، فإنه منزّه عن ذلك، بل لمصالحهم.

وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ

(١) صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وعجزه: (وخَالَفَها في بيت نُوب عَواسِل). انظر: ديوان الهذليين (١/ ١٤٣)، والدر المصون (١/ ٥٣٤)، واللسان (مادة: نوب، دبر، خلف، رجا)، والقرطبي (٣/ ٥٠، ٨/ ٣١١، ١٣/ ١٩)، والطبري (٥/ ٢٦٤، ١١/ ٨٧، ٢٥/ ١٣٧، ٢٩/ ٩٥). وفي بعض المصادر: "الدبر" بدل "النحل".

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر: معاني الزجاج (٤/ ١٦٠).

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ قال سعد بن أبي وقاص الزهري، -واسم أبي وقاص: مالك-: فيّ أنزلت هذه الآية، كنتُ رجلاً باراً بأمي، -واسمها: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف،- وكنتُ أَحَبَّ أولادها إليها، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتَدَعَنَّ دينكَ هذا أو لا آكل ولا أشرب، ولا يُظلني سقف حتى أموت، فتُعيَّرَ بي فيقال لك: يا قاتل أمه؟ فقلت: لا تفعلي يا أماه، فإني[1] لا أدع ديني هذا الشيء، قال: فمكثتْ يوماً وليلةً لا تأكل ولا تشرب، فأصبحتْ وقد جُهِدَتْ، ثم مكثتْ يوماً آخر وليلة لا تأكل ولا تشرب، فلما رأيتُ ذلك قلتُ: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفسٍ فخرجت نفساً بعد نفس، ما تركتُ ديني هذا الشيء، فكُلي وإن شئت [فلا][2] تأكلي، فلما رأتْ ذلك أكَلَت، وأنزل الله هذه الآية[3].

قال جماعة من المفسرين: أنزل الله فيه هذه الآية والتي في لقمان[4] والتي في الأحقاف[5]، فأمره النبي ﷺ أن يترضّاها ويُحسن إليها ولا يطيعها في الشرك.

---

(١) في ب: إني.

(٢) في الأصل: لا. والمثبت من ب.

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥١-٣٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢١) وعزاه لأبي يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر.

(٤) عند الآية رقم: ١٤.

(٥) عند الآية رقم: ١٥.

وقيل: نزلت في [عياش][1] بن أبي ربيعة المخزومي، وقد ذكرنا قصته مع أمه في سورة النساء عند قوله: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً﴾ [النساء:٩٢].

قال الزجاج[2]: المعنى: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُن.

وقال صاحب الكشاف[3]: المعنى: ووصينا بإيتاء والديه حسناً، أو بإيلاء والديه حسناً أي: فِعْلاً ذا حُسْن، أو ما هو في ذاته حَسَنٌ لفرط حسنه، كقوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حُسْناً﴾ [البقرة:٨٣].

﴿وإن جاهداك﴾ قال أبو عبيدة[4]: فيه إضمار، أي: وقلنا له: وإن جاهداك.

﴿لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي: ما لا تعلم [صحة][5] إلاهيته ﴿فلا تطعهما﴾، وفي هذا دليل على أن الحقوق العظيمة تَسْقُطُ إذا [جاءت][6] مُصَادِمَةً لحقوق الله تعالى جلّت عظمته، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي قوله: ﴿إليَّ مرجعكم﴾ تحذيرٌ من المخالفة وحثٌ على لزوم قوانين الدين.

قوله تعالى: ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ أي: في جملتهم وزُمرتهم.

وقال ابن جرير[7]: أي: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

---

(١) في الأصل: عباس. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: التهذيب (٨/ ١٧٦)، والتقريب (ص:٤٣٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٦١).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٤٦).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) في الأصل: صحته. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٣٢).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله... الآية﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدّوا[1].

وقال مجاهد وكثير من المفسرين: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسّهم بلاءٌ من الناس أو مصيبة في أنفسهم أو أموالهم افتتنوا[2].

وقال ابن السائب ومقاتل[3]: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، فإنه حين رجع به أخواه أبو جهل والحارث ابنا هشام وجَلَدَاه، فَتَنَاهُ عن دينه، فنزلت هذه الآية. ثم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧)، ومجاهد (ص:٤٩٣). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٥٢) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٢).

هاجر بعد ذلك إلى المدينة وحَسُنَ إسلامه[(١)].

قوله تعالى: ﴿فإذا أوذي في الله﴾ أي: أصابه أذى بسبب إيمانه ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي: جعل ما أصابه من أذى الناس [وعذابهم][(٢)] صارفاً له عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارفاً للمؤمنين عن الكفر.

وقال الزجاج[(٣)]: المعنى: فإذا ناله أذًى بسبب إيمانه جَزِعَ من ذلك، كما يجزع من عذاب الله.

﴿ولئن جاء نصرٌ من ربك﴾ يعني: للمؤمنين ﴿ليقولُن﴾ يعني: المنافقين ﴿إنا كنا معكم﴾ على دينكم، فأعطونا نصيبنا من المغنم.

﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ أي: ليَرَيَنَّهُم بثبات المؤمن عند الفتنة واضطراب المُرْتَاب وتزلزله عندها.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولْنَحْمِلْ خطاياكم﴾ وقرأ الحسن: «ولِنَحْمِلْ» بكسر اللام[(٤)].

هذا قول صناديد قريش في الكفر للمؤمنين أصحاب محمد ﷺ، وكانوا يأمرونهم بمشايعتهم ومتابعتهم، على أن يتكفلوا لهم بحمل أوزارهم، على تقدير صحة ما تُوعدوا به من البعث والعذاب.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٥٩).

(٢) في الأصل: وبعذابهم. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٦١).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤٤).

قال الزجاج[1]: «ولنحمل» هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، على معنى: إن تتَّبعوا سبيلنا حَمَلْنا خطاياكم.

وقال الأخفش[2]: كأنهم أمروا أنفسهم بذلك.

قال ابن قتيبة[3]: الواو زائدة.

قال الزجاج[4]: فأعلم الله تعالى أنهم لا يحملون شيئاً من خطاياهم فقال: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾.

قال[5]: معناه: من شيء يُخَفِّفُ عن المحمول عنه العذاب.

﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أي أوزارهم [وأوزاراً][6] مع أوزارهم، يريد: أوزار الذين أضلوهم، وهذا كقوله: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ [النحل:٢١٥].

﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتوبيخ ﴿عما كانوا يفترون﴾ من الأكاذيب في الأباطيل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٦١).
(٢) معاني الأخفش (ص:٢٦٦).
(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٣٧).
(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٦٢).
(٥) أي: الزجاج.
(٦) في الأصل: وأوزار. والتصويب من ب.

وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ حكى الماوردي[١]: أن هذا مقدار عمره كله.

وليس هذا بصحيح؛ لأن اللبث مرتب على الرسالة بفاء التعقيب، فالآية بيان لمقدار لبثه فيهم رسولاً.

واختلفوا في مقدار عمره قبل رسالته وبعد الطوفان؛ [فقال ابن عباس: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش بعد الطوفان][٢] ستين سنة حتى كثُر الناس وفشوا[٣].

فعلى هذا يكون مبلغ عمره ألفاً وخمسين سنة.

وقال كعب الأحبار: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين سنة، فكان مبلغ عمره ألفاً وعشرين سنة[٤].

وقال عون بن أبي شداد: بُعث وهو ابن ثلاثمائة [وخمسين][٥] سنة، وعاش

---

(١) تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٨ ح٣٣٩١٨)، والحاكم (٢/ ٥٩٥ ح٤٠٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٨-٢٧٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٥٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١) عن كعب الأحبار في قول الله: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ قال: عاش بعد ذلك سبعين عاماً. وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦١).

(٥) زيادة من مصادر التخريج.

مثلها بعد الطوفان[(١)].

وقال قتادة: بُعث وهو ابن ثلاثمائة، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة[(٢)].

فإن قيل: لما غاير بين المميزَيْن؟

قلت: لأنه أحسن من تكرير السنة أو العام مرتين.

فإن قيل: هلاّ [قال][(٣)]: تسعمائة وخمسين سنة؟

قلت: المقصود: ذكر ما ابتُلي به نوح عليه السلام من طول مصابرته لقومه، وذكر الأَلْف أفخم في اللفظ وأوقع في النفس.

قوله تعالى: ﴿فأخذهم الطوفان﴾ رَوَتْ عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ((أنه الموت))[(٤)].

وقال ابن عباس: هو المطر[(٥)].

وقال الضحاك: هو الغرق[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٥٦) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١). وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٨).

قال ابن كثير (٣/ ٤٠٨): وهذا قولٌ غريب، وقول ابن عباس أقرب. والله أعلم.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢) ولفظه: مطر بالليل والنهار ثمانية أيام. وذكره الماوردي (٤/ ٢٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

والمعنى في هذا كله مُتَّحِد؛ لأنهم أُمطروا فماتوا بالغرق.

والواو في قوله: ﴿وهم ظالمون﴾ واو الحال.

﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ وقد ذكرنا عدّتهم في هود وقصة غرقهم[1].

﴿وجعلناها﴾ يعني: السفينة، وقيل: القصة والحادثة ﴿آية للعالمين﴾ عبرة لمن بعدهم.

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ قال الزجاج[2]: هو معطوف على "نوحاً".

وقال الزمخشري[3]: نَصَبَ "إبراهيم" بإضمار "اذكر"، وأبدل عنه "إذ" بدل

= (٦/ ٤٥٦) وعزاه لابن جرير.

(١) من الآية رقم: ٢٥-٤٩.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٦٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٥١).

الاشتمال؛ لأن الأحيان تشتمل على ما فيها، [أو][(١)] هو معطوف على "نوحاً"، و"إذ" ظرف لـ"أرسلنا"، يعني: أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغاً صَلُحَ فيه لأن يَعِظَ قومه وينصحهم، ويأمرهم بالعبادة والتقوى.

﴿ذلكم﴾ يعني: العبادة والتقوى ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ الخير من الشر.

المعنى: ولكنكم لا تعلمون.

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ أي: أصناماً ﴿وتخلقون إفكاً﴾ بتسميتكم إياها آلهة وشركاء لله، أو بزعمكم أنها تشفع لكم.

وقيل: أراد بالإفك: الأوثان، جعل نَحْتَهُم لها خَلْقاً للإفك.

ثم بيّن عجزها فقال: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ أي: شيئاً من الرزق، ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [أي][(٢)]: وحِّدُوه ﴿واشكروا له﴾ بالتوحيد والعبادة نعمه من الخلق والرزق وغيرهما ﴿إليه ترجعون﴾ فاستعدُّوا للقائه.

قوله تعالى: ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم﴾ إلى قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ جائز أن يكون من جملة قول إبراهيم لقومه، ويكون قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ من كلام الله تعالى حكاه إبراهيم لقومه، كما حكى[(٣)] رسول الله ﷺ كلام الله تعالى على هذا النمط في كثير من القرآن.

---

(١) في الأصل و ب: إذ. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٥١).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: يحكى.

وجائز أن يكون من جملة ما خوطبت به قريش، وقع اعتراضاً بين أول قصة إبراهيم وآخرها، ويكون المقصود منه تهديد كفار قريش، وتسلية لرسول[١] الله ﷺ، إذ كان أبوه إبراهيم خليل الله مَمْنُوّاً[٢] بنحو ما بُلِي به من شرك قومه وتكذيبهم الحق الذي جاء به، وكون العاقبة كانت له.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا﴾ وقرأ أهل الكوفة: «تروا» بالتاء على المخاطبة[٣].

﴿كيف يبدئ الله الخلق﴾ أي: يخلقهم ابتداء من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة حتى يتكامل خلقه.

• قوله تعالى: ﴿ثم يعيده﴾ ليس بمعطوف على "يُبْدِئ"، وليست الرؤية واقعة عليه، وإنما [هو][٤] إخبار مستأنف بالإعادة بعد الموت، ونحوه: ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ فإن النظر وقع على الابتداء دون الإنشاء.

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي -رحمه الله- قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالله النحوي، حدثني أبي قال: سمعت أبا بكر ابن الأنباري يقول: دخلنا المارستان بباب المحوَّل، فسمعت رجلاً في بعض البيوت يقرأ: ﴿أو لم تروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده﴾ فقال: أنا لا

---

(١) في ب: رسول.

(٢) ممنواً: أي: مبتلياً، يقال: مُنيتُ بكذا: ابتليتُ به (اللسان، مادة: مني).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٩)، والكشف (٢/ ١٧٧)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٤-٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٨).

(٤) زيادة من ب.

أقف إلا على قوله: «كيف يبدئ الله الخلق» فأقف على ما عرفه القوم وأقَرُّوا؛ لأنهم لم يكونوا يُقرّون بإعادة الخلق، وأبتدئ بقوله: «ثم يعيده» ليكون خبراً. وأما ما [قرأ](١) علي بن أبي طالب عليه السلام: "وادّكر بعد أَمَهٍ" [يوسف:٤٥] فهو وجه حسن، والأَمَهُ: النسيان. وأما أبو بكر بن مجاهد فهو إمامٌ في القراءة. وأما قراءة الأحمق ابن شنبوذ: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم»(٢) خطأٌ؛ لأن الله قد قطع لهم بالعذاب بقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء:٤٨]، قال: فقلت لصاحب المارستان: من هذا الرجل؟ فقال: هذا إبراهيم المُوَسْوِسُ محبوس، قال: فقلت: ويحك هذا أُبيّ بن كعب، افتح الباب عنه، ففتح الباب فإذا رجل منغمسٌ في النجاسة والأَدْهَم(٣) في قدميه، فقلت: السلام عليكم، فقال: كلمة [مَقُولَةٌ](٤)، فقلت: ما يمنعكَ من ردِّ السلام عَلَيَّ؟ قال: السلام أمان، وإني أريد أن أمتحنك، ألست تذكرُ اجتماعنا عند أبي العباس -يعني: ثعلباً- في يوم كذا ويوم كذا، وعرّفني ما ذاكرته فعرفته، وإذا به رجل من أفاضل أهل العلم، فقال: هذا الذي تراني منغمساً فيه ما هو؟ فقلت: الخرؤ يا هذا، فقال: وما جمعه؟ قلت: خُرُوء، فقال لي: صدقت، وأنشد:

كأنَّ خُروءَ الطير فوقَ رؤوسهم ....

(١) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٢) وصواب الآية في سورة المائدة: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [١١٨].

(٣) الأدهم: القيد (اللسان، مادة: دهم).

(٤) في الأصل: مفعولة. والمثبت من ب، وتاريخ بغداد (٣/ ١٨٥).

ثم قال لي: والله لو لم تجبني بالصواب لأطعمتك منه، فقلت: الحمد لله الذي أنجاني منه، وتركته ثم انصرفت(١).

قال المصنف: هذا البيت الذي استشهد به الموسوس لجوّاس وهو:

كـأنَّ خُـروءَ الطـير فـوقَ رؤوسـهم إذا اجتمعـتْ قـيسٌ معـاً وتمـيم
متى [تسأل](٢) الضّبيّ عن شرِّ قومـه يقـلْ لَـكَ: إنَّ العائـذيَّ لئـيم(٣)

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أمرهم الله سبحانه بالسير في الأرض [ليشاهدوا](٤) عجائب مخلوقاته وبدائع مصنوعاته، ويستدلوا بابتداء الخلق على صحة إعادته، ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَةَ» بفتح الشين والمد، وقرأ الباقون بسكون

---

(١) انظر القصة في: تاريخ بغداد (٣/ ١٨٥-١٨٦).

(٢) زيادة من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيتان لجواس بن نعيم الضبي، انظر: اللسان (مادة: خرأ).

(٤) في الأصل: لشاهدوا. والتصويب من ب.

الشين والقَصْر [١]، وكذلك اختلافهم في النجم [٢] والواقعة [٣].

قال الفراء [٤]: هذا مثل: الرّأْفة والرآفة، والكأْبة والكآبة.

﴿إن الله على كل شيء﴾ من البدء والإعادة وغيرهما ﴿قدير﴾.

﴿يعذب من يشاء﴾ بعدله، ﴿ويرحم من يشاء﴾ بفضله.

وقد حكى الماوردي فيه أقوالاً [٥]:

أحدها: يعذب من يشاء بسوء الخلق، ويرحم من يشاء بحسن الخلق.

الثاني: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة.

الثالث: يعذب من يشاء بمتابعة البدعة، ويرحم من يشاء بملازمة السنة.

الرابع: يعذب من يشاء بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم من يشاء بالإعراض عنها.

الخامس: يعذب من يشاء ببغض الناس له، ويرحم من يشاء بحب الناس له.

﴿وإليه تقلبون﴾ تُرَدُّون وترجعون.

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ مفسر في الأنفال [٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٤٩)، والكشف (٢/ ١٧٨)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٨).

(٢) عند الآية رقم: ٤٧.

(٣) عند الآية رقم: ٦٢.

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣١٥).

(٥) تفسير الماوردي (٤/ ٢٨٠).

(٦) عند الآية رقم: ٥٩.

قال قطرب[(١)]: معناه: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كما تقول: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة، [ولو][(٢)] صار إليها.

وقيل: المعنى: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء بمعجزين في السماء.

قوله تعالى: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ قال مقاتل[(٣)]: من جَنَّتي.

وقال أبو سليمان: من عَفْوي ومغفرتي[(٤)].

قال ابن جرير[(٥)]: وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب.

وقال غيره: «أولئك يئسوا» وعيد، أي: ييأسوا[(٦)] يوم القيامة، أو شبّه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يأس من الرحمة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) انظر قول قطرب في: زاد المسير (٦/ ٢٦٦).

(٢) في الأصل: لو. والتصويب من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٦).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ١٤٠).

(٦) في ب: ييأسون.

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي: ما كان جواب قوم إبراهيم حين أمرهم بعبادة الله تعالى وتقواه، ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض، أو قاله بعضهم ورضيه الباقون، فيكونون بمنزلة القائلين.

والمعنى: إلا أن قالوا سفهاً وعناداً عند انقطاع حجتهم: ﴿اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار﴾ وقد ذكرنا ذلك في سورة الأنبياء(١).

قوله تعالى: ﴿وقال﴾ يعني: إبراهيم لقومه: ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «مَوَدَّةُ» بالرفع من غير تنوين، «بينِكُم» بالجر على الإضافة. على معنى: هي أو تلك مودة بينكم، أو يكون "مودَّةُ" خبر "إن"، و"ما" موصولة.

وقرأ حمزة وحفص: «مودَّةَ» بالنصب والإضافة، جعلا "ما" مع "إنَّ" كافة، ولم يجعلاها بمعنى الذي، و"مودَّةَ" مفعول له تقديره: اتخذتم الأوثان للمودَّة، ثم أضافها إلى "بينكم" كما أضاف من رفع.

وقرأ الباقون: «مودَّةً» بالنصب والتنوين، «بينكُم» بالنصب على الظرف(٢).

ويجوز أن يكون "مودَّةً" مفعولاً ثانياً، كقوله تعالى: ﴿اتخذ إلهه هواه﴾

---

(١) آية رقم: ٦٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٠)، والكشف (٢/ ١٧٨)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٨-٤٩٩).

[الفرقان:٤٣] على معنى: اتخذتم الأوثان سبب المودَّةِ بينكم، بتقدير حذف المضاف.

وقرأتُ لعاصم من غير [طُرُقه][(١)] المشهورة: «مودَّةٌ» بالرفع والتنوين، «بينكُم» بالنصب[(٢)].

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ فيتبرأ القادة من الأتباع، ﴿ويلعن بعضُكم بعضاً﴾ يلعن الأتباع القادة لكونهم السبب في إضلالهم. ويجوز أن تكون الأوثان داخلة في الكفر واللعن، كما في قوله: ﴿سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم:٨٢].

قوله تعالى: ﴿فآمن له لوط﴾ أي: صدّق إبراهيم، ﴿وقال﴾ يعني: إبراهيم ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ أي: إلى حيث أمرني ربي بالهجرة.

وقيل: مهاجر إلى رضى ربي، فهاجر من كُوثى[(٣)] -وهي من سواد العراق- هو ولوط وسارة، -وهو ابن خمس وسبعين سنة- إلى حَرّان[(٤)]، ثم منها إلى فلسطين.

﴿إنه هو العزيز﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿الحكيم﴾ الذي يأمرني بما يصلحني.

---

(١) في الأصل: طريقه. والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٥٨)، والسبعة (ص:٤٩٩).

(٣) كُوثى: موضع بسواد العراق في أرض بابل (معجم البلدان ٤/ ٤٨٧).

(٤) حَرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة أخذها مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعربت فقيل: حران (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ قال المفسرون: وهب له إسحاق من سارة بعد إسماعيل، وكان إسماعيل من هاجر التي وصلت إليه من الجَبَّار بحرّان، وحديثهم معروف صحيح.

﴿وجعلنا في ذريته﴾ أي: في ذرية إبراهيم ﴿النبوة والكتاب﴾ يريد: جنس الكتب.

قال المفسرون: لم يبعث الله تعالى نبياً قط بعد إبراهيم إلا من صلبه[(١)].

فإن قيل: ما بال إسماعيل لم يذكر، وقد ذُكِر إسحاق؟

فقد أجاب عنه الزمخشري فقال[(٢)]: قد دلّ على إسماعيل في قوله: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾، فكفى الدليل لشُهرة أمره وعُلُوّ قدره.

ويحتمل عندي أن يقال في الجواب: المقصود من ذلك: الإعلام بعجيب ما جُوزي [به][(٣)] إبراهيم -على صبره على الأهوال في ذات الله عز وجل، وهجرته من وطنه- من النعم العظيمة التي قلَّ المشارك فيها أو عُدم، من كونه دوحة الأنبياء، ومَقَرَّ العلوم النازلة من السماء، وكونه رُزق إسحاق من عجوز عقيم لا يُرجى من مثلها ولد، ألا تراها تقول حين بُشِّرت: ﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ [هود:٧٢]، قال عز وجل حاكياً عنها: ﴿فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ [الذاريات:٢٩]، واستيلاد إبراهيم إسماعيل من هاجر لم يكن بهذه المثابة،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٥٥).

(٣) زيادة من ب.

ولا مما خُرقت به العادة، فلذلك لم [يذكر][١].

فلئن قلت: قد ذكر يعقوب ولم يكن كذلك؟

قلت: ذكْر يعقوب وقع على سبيل الاستطراد والتبعيَّة لأبيه إسحاق، وكونه من تمام ما وقع به الامتنان على إبراهيم بالنعمة الخارقة للعادة.

فإن قيل: ما مَنَعَ من عود الضمير في ذريته إلى يعقوب، وهو أقرب المذكورين؟

قلت: منع من ذلك[٢] خروج إسماعيل ومحمد عنه، مع انتظامهما في سلك من جعل الله فيهم النبوة والكتاب، هذا مع أن الضمائر السابقة واللاحقة عائدة إلى إبراهيم والحديث عنه، فيتعين عود الضمير إليه.

قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ قال ابن عباس: هو الثناء الحسن والولد الصالح[٣].

وقال قتادة: لست ترى أحداً من أهل الأديان إلا يتولاه ويحبه[٤].

وقال السدي: أُرِيَ مكانه من الجنة[٥].

وباقي الآية سبق تفسيره.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في ب: منع منه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٥٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٢). وعزاه لابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٨).

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ
وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟
ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولوطاً﴾ معطوف على "إبراهيم"، أو على ما عُطف عليه "إبراهيم"[1].

قوله: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ تقرير لإفراط تلك الفاحشة في القبح، وإيذان بخبث طينتهم، وقبح طويتهم، حين أقدموا على فاحشةٍ نَبَتْ عنها طباع الذين كانوا من قبلهم.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص: ﴿إنكم لتأتون الفاحشة﴾ بهمزة واحدة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بهمزتين محقّقتين. وقرأ أبو عمرو بتحقيق الأولى وتليين الثانية مع الفصل بينهما بألف[2]، وأجمعوا على الاستفهام في: ﴿آإنكم لتأتون الرجال﴾ على أصوله المذكورة في مواضعها، وقد أشرنا إلى علل ذلك في مواضع.

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٥٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٠)، والكشف (٢/ ٢٠)، والنشر (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٤٩٩-٥٠٠).

قوله تعالى: ﴿وتقطعون السبيل﴾ قال ابن عباس وغيره: كانوا يتعرضـون[1] من يمرّ بهم لعملهم الخبيث، فترك الناس الممرّ بهم[2].

وقال مقاتل[3]: كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة.

وحُكي عن الحسن، أن قطع السبيل: كناية عن إتيان ما ليس بحرث[4].

﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ روى الحاكم في صحيحه بإسناده عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم»[5].

وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها: أنه تَحَابُقُهم[6] في مجالسهم[7].

---

(١) في ب: يعترضون.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤) كلاهما عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٦٨) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٦٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٧).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٥٦).

(٥) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٦ ح٧٧٦١).

(٦) الحَبْقُ: الضُّراط (اللسان، مادة: حبق).

(٧) أخرجه البخاري في تاريخه (٦/ ١٩٦ ح٢١٥٤)، والطبري (٢٠/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٤) عن عائشة في قوله: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾، قالت: الضراط. وبلفظهم ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦١) وعزاه للبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه. وانظر: الماوردي (٤/ ٢٨٢).

وقال ابن عباس ومجاهد: هو إتيانهم الرجال[(١)].

واستمكنت تلك الفاحشة منهم[(٢)] حتى صاروا يفعلونها بعضهم ببعض في المجالس.

ولا منافاة بين الحديث وهذه الأقوال؛ لأنه يصدق على ذلك كله اسم المنكر.

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ تكذيباً واستهزاء: ﴿ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ فيما تَعِدُنا به منه.

﴿قال رب انصرني﴾ بتحقيق قولي وتصديق وعدي ﴿على القوم المفسدين﴾.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

فاستجاب الله تعالى دعاءه، فبعث جبريل ومعه الملائكة لتعذيب قومه، فذلك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٥) كلاهما عن مجاهد، ومجاهد (ص:٤٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦١) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق عن مجاهد.

(٢) في ب: فيهم.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ يريد: بالبشارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، ﴿قالوا﴾ يعني: الرسل ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يريد به: قوم لوط.

وما بعده مُفسر في هود[1] إلى قوله: ﴿إنا منجوك وأهلك﴾ قرأ حمزة والكسائي: «لَنُنْجِيَنَّه» و «إنا مُنْجُوكَ» بالتخفيف فيهما، وافقهما ابن كثير وأبو بكر في «مُنْجُوكَ»، وشددهما الباقون[2].

قال سيبويه والمبرد[3]: الكاف في «مُنَجُّوكَ» مخفوضة، ولم يجز عطف الظاهر على المضمر المخفوض، فحمل الثاني على المعنى، وصار التقدير: وننجي أهلك.

وعند الأخفش: هو في محل النصب مفعول «مُنْجُوكَ»[4].

قوله تعالى: ﴿إنا مُنْزِلُون﴾ شدّده ابن عامر، وخففه الباقون[5]، فهو اسم الفاعل من أنزَل أو نزَّل، وهما لغتان بمعنى واحد.

﴿ولقد تركنا منها﴾ أي: من القرية، أو من الفعلة التي فعل بهم، ﴿آية بينة﴾.

قال ابن عباس: هي آثار منازلهم الخربة[6].

---

(١) عند الآية رقم: ٧٧.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥١)، والكشف (٢/ ١٧٩)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، والإتحاف (ص:٣٤٥)، والسبعة (ص:٥٠٠).

(٣) المقتضب (٤/ ١٥٢).

(٤) انظر رأي الأخفش في: البحر المحيط (٧/ ١٤٦)، والدر المصون (٥/ ٣٦٥).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٢)، والكشف (٢/ ١٧٩)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:١٧٩، ٣٤٥)، والسبعة (ص:٥٠٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧١).

وقال قتادة: هي الحجارة التي ألقاها الله تعالى عليهم، وأدركتها أوائل هذه الأمة[١].

وقال مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض[٢].

وقيل: هي الإخبار عما صنع بهم.

﴿لقوم يعقلون﴾ متعلق بـ"آية" أو بـ"بينة".

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ قال عامة المفسرين: الرجاء هاهنا بمعنى: الخشية، المعنى: اخشوا اليوم الذي تجازون فيه بأعمالكم[٣].

وقال الزمخشري[٤]: المعنى: افعلوا ما ترجون به العاقبة، فأقيم [المسبَّب مقام

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الطبري (٢٠/ ١٤٩)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٩) من قول مقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧١) بلا نسبة.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٥٧).

السبب][1]، أو أمروا بالرجاء. والمراد: اشتراط ما يسوغه من الإيمان، كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط.

﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي: في أرضهم أو بلدهم.

وقيل: أراد الجمع فاكتفى بالواحد.

﴿وعاداً وثمود﴾ أي: وأهلكنا عاداً وثموداً، ﴿وقد تبين لكم﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكة هلاكهم ﴿من﴾ جهة ﴿مساكنهم﴾ فإنهم كانوا يمرون عليها وينظرون إليها، ﴿وكانوا مستبصرين﴾.

قال الفراء والزمخشري[2]: يعني: كانوا عقلاء ذوي بصائر، أي: أنهم كانوا بسبيل من النظر والاعتبار، ولكنهم لم يفعلوا.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: وكانوا مستبصرين عند أنفسهم، يحسبون أنهم في ضلالتهم على هدى[3].

وقيل: كانوا مستبصرين: متبيّنين أن العذاب نازل بهم؛ لأن الله تعالى بيّنه لهم وأوضحه على ألسنة الرسل، ولكنهم تمادوا في غيهم حتى هلكوا[4].

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ

---

(١) في الأصل و ب: السبب مقام المسبّب. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٥٧).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣١٧)، والكشاف (٣/ ٤٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٠).

(٤) هو قول الزمخشري أيضاً. انظر: الكشاف (٣/ ٤٥٨).

فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وما كانوا سابقين﴾ أي: ما كانوا يسبقون الله تعالى ويفوتونه أن يفعل بهم ما يريد.

﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ أي: عاقبناه به. ثم فصَّل ما أجمل فقال: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ وهم قوم لوط، ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ وهم ثمود ومدين، ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ وهو قارون، ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ وهم قوم نوح وفرعون.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها مُتَّكَلاً ومُعْتَمداً يرجون نفعها ونصرها، فمثلُهُم في اتخاذها مع ضعفها وعدم نصرها ونفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ لا يدفع عنها حَرّاً ولا قُرّاً ولا مطراً ولا ضَرّاً.

قال ثعلب[١]: العنكبوت أنثى، وقد يُذَكِّرُها بعض العرب. قال الشاعر:

.... كأنّ العنكبوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا[٢]

﴿وإن أوهن البيوت﴾ أي: أضعفها ﴿لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ أن هذا مَثَلُهم، وأنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية في الضعف والوهن.

ويروى عن علي عليه السلام: طَهِّروا بيوتكم من نَسْجِ العنكبوت، فإن تَرْكه في البيوت يُورِثُ الفقر[٣].

ثم تهددهم وتوعدهم [فقال][٤]: ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم: «يدعون» بالياء على الغيبة حملاً على ما قبلها. وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب[٥]، على معنى: قل لهم يا محمد: إن الله يعلم ما يدعون من دونه[٦].

قال الخليل وسيبويه: «ما» هاهنا استفهامية وموضعها نصب بقوله:

---

(١) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٦/ ٢٧٢).

(٢) عجز بيت وصدره: (على هَطَّالِهِم منهمْ بُيوت)، انظر: اللسان (مادة: عنكب، هطل)، ومعاني الفراء (٢/ ٣١٧)، والبحر (٧/ ١٤٨)، والدر المصون (٥/ ٣٦٦)، والقرطبي (١٣/ ٣٤٥)، وزاد المسير (٦/ ٢٧٣)، وروح المعاني (٢٠/ ١٦١).

(٣) القرطبي (١٣/ ٣٤٦)، والنسفي (٣/ ٢٥٩). ولا يصح ذلك، لذا رواه المصنف بصيغة التضعيف.

(٤) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٢)، والكشف (٢/ ١٧٩)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠١).

(٦) قوله: "من دونه" ساقط من ب.

"يَدْعُون"، والتقدير: أي شيء يدعون من دونه.

وقال غيرهما: هي بمعنى: الذي، والتقدير: يعلم الذي يدعونه من دونه، وموضعها نصب بـ"يَعْلَمُ"(١).

وفي قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ تجهيلٌ لهم حيث [عبدوا](٢) جماداً وتركوا الموصوف بالعزة والحكمة.

قوله تعالى: ﴿وتلك الأمثال﴾ إشارة إلى أمثال القرآن، ﴿نضربها للناس وما يعقلها﴾ أي: وما يعقل صحتها وحسنها وفائدتها ﴿إلا العالمون﴾.

ويروى عن جابر: ((أن النبي ﷺ تلى هذه الآية فقال: العالمُ الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه))(٣).

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

و﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي: بالأمر الثابت المعروف الصحة، فجعلها مساكن لعباده ودلائل على قدرته وعظمته وحكمته، ألا تراه يقول: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾.

---

(١) ويجوز أن تكون نافية، و"مِنْ" في قوله: "منْ شيء" مزيدة في المفعول به، كأنه قيل: ما يدعون من دونه ما يستحق أن يطلق عليه شيء (انظر: الدر المصون ٥/ ٣٦٦).

(٢) في الأصل: عبد. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الحارثي في مسنده (٢/ ٨١٢). وذكره الديلمي في الفردوس (٣/ ٧٣).

قوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قد ذكرنا فيما مضى معنى الفحشاء والمنكر.

فإن قيل: كم من مُصَلٍّ لا تنهاه صلاته؟ فما وجه هذا الكلام؟.

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أن المراد بالصلاة: القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ [الإسراء:١١٠]، والقرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر ويزجر عنهما، وهذا قول ابن عمر رضي الله عنهما[١].

الثاني: ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر، كما في قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ [آل عمران:٩٧].

الثالث: أن الصلاة من حيث هي صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لما تتضمن من تلاوة القرآن والخشوع لله، والتضرع بين يديه وامتثال أمره، وهذه أمور يبعث على فعلها رجاء الثواب وخوف العقاب، وكفى بذلك زاجراً لمن كان له قلب يتفكّر أو عقل يتدبّر، وكون بعض المصلين لا ينتهي لا تخرج الصلاة عن أن تكون في نفسها ناهية. وقد روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((من لم تَنْهَهُ صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدَدْ من الله إلا بُعْداً))[٢].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٤). وذكره الماوردي (٤/ ٢٨٤)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٦٦) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٥٤ ح١١٠٢٥)، والطبري (٢٠/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٦) كلهم من حديث ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ روى ابن عمر: ((أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه))[١]. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وعطية وجمهور المفسرين[٢].

وقال أبو الدرداء: المعنى: ولذكر الله أكبر مما سواه، وهو أفضل من كل شيء[٣].

قال قتادة: ليس شيء أفضل من ذكر الله[٤].

وقيل: المعنى: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه المعصية.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ أي: بالخصلة التي هي أحسن، وهي اللين في مقابلة الخشونة، والدعاء إلى الله بالقرآن، والتنبيه على مواضع مواعظه وبراهينه.

﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي: جاوزوا الحد في الكفر وأفرطوا في العناد ولم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٧-٣٠٦٨). وذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٤٠٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٦٦)، وعزاه لابن السني وابن مردويه والديلمي.

(٢) تفسير ابن عباس (ص:٣٩٨)، ومجاهد (ص:٤٩٥). وانظر: المصادر السابقة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

ينفع معهم الرفق في الجدال، فاستعملوا معهم الغلظة.

وقال أكثر المفسرين: معناه: إلا الذين ظلموا بالإقامة على الكفر ونَصْبِ راية الحرب، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية[1].

﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ... الآية﴾ هذا من المجادلة بالتي هي أحسن؛ لما فيه من ملاينتهم واستمالتهم إلى المناصفة وترك المشاغبة.

وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون ... الآية﴾[2] [التوبة:٢٩].

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب عليهم

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١-٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٨-٤٦٩) وعزاه للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٦٩) وعزاه لأبي داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف. وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤١)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٢٢-٤٢٣).

أنزلنا إليك الكتاب.

وقيل: المعنى: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب، أي: أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب تحقيقاً لقوله: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾.

﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم عبدالله بن سلام ومن آمن معه منهم، ﴿يؤمنون به ومن هؤلاء﴾ يعني: أهل مكة ﴿من يؤمن به﴾.

وقيل: فالذين آتيناهم الكتاب [ممن][1] كان قبلك يؤمنون به، ومن هؤلاء الذين هم في عهدك اليوم منهم من يؤمن به.

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع وضوحها ﴿إلا الكافرون﴾ المتوغِّلون في كفرهم.

وجمهور المفسرين يقولون: هم اليهود؛ لأنهم عرفوا محمداً ﷺ وأنكروه[2].

قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ أي: ما كنت قارئاً ولا كاتباً، فإنك لو كنت كذلك ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ أي: إذاً لشكّوا فيك؛ لأن صفتك في التوراة والإنجيل أنك أمّي لا تكتب ولا تقرأ.

فإن قيل: لو كان كاتباً قارئاً لكان غير المنعوت بالرسالة في التوراة والإنجيل قطعاً، فما معنى ارتيابهم وهو على هذا التقدير غير المنعوت في كتابهم؟

قلت: هذا على سبيل الفَرْض والتقدير، أي: لو بُعثت كاتباً قارئاً وأنت على الحال التي أنت عليها من الشواهد الدالة على صدقك ورسالتك لارْتابوا.

فإن قيل: لو لم يكن أمياً لما كانوا مبطلين في الارتياب لكونه على غير النعت الذي نُعت به في الكتاب، فكيف سمّاهم مبطلين؟

---

(١) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٧).

قلت: وصفهم بما هم متلبسون به، كأنه قيل: إذاً لارتاب هؤلاء المبطلون في كفرهم.

قوله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ وهم حملة القرآن.

وقال قتادة: «بل هو»: يعني: محمداً «آيات»: أي: ذو آيات «بينات في صدور الذين أوتوا العلم»: من أهل الكتاب[1].

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني: أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾.

قرأ ابن عامر ونافع وأبو عمرو وحفص: «آياتٌ» على الجمع. وقرأ الباقون: «آيةٌ» على التوحيد[2]، على معنى: آية خارقة، مثل: ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى.

والجمع اختيار أبي عبيد، لقوله: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ أي: ليست بيد

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٧٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦١-٢٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٢)، والكشف (٢/ ١٧٩-١٨٠)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠١).

رُسُله، وإنما هي بيده ينزل منها ما يشاء على من يشاء، ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ ما عليّ غير الإنذار وإبانة ما أوتيتُ من الآيات، وليس لي أن أتخيَّر وأقترح على الله الآيات.

وزعم بعض المفسرين: أن هذا منسوخ بآية السيف[1].

﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أي: أو لم يكفهم إنزال القرآن عليك آية ظاهرة ومعجزة باهرة، تتلى عليهم في كل زمان ومكان، لا تَضْمَحِلُّ وتزول، كما تزول آيات الأنبياء.

وقد قيل: إن ناساً من المسلمين أتوا نبي الله ﷺ بكتاب فيه بعض ما يقوله اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: ((كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قومٍ غيرهم))، فنزلت هذه الآية[2].

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولولا أجلٌ مسمى لجاءهم العذاب﴾ [أي: لولا أجل][3]

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٢٣-٤٢٤) وذهب إلى إحكامها.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٢-٣٠٧٣).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٧١) وعزاه للدارمي وأبي داود في مراسيله وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من حديث يحيى بن جعدة.

(٣) زيادة من ب.

[مسمى سماه][1] الله تعالى وبيّنه في اللوح المحفوظ، وجعله غاية لعذابهم، لجاءهم العذاب حين استعجلوه.

وقال الضحاك: الأجل المسمى: مدة أعمارهم؛ لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب[2].

وقيل: هو يوم بدر.

﴿وليأتينهم﴾ يعني: العذاب. وقيل: الأجل ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾.

﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ أي: ستُحيط بهم يوم يغشاهم العذاب.

ويجوز أن يكون [معنى][3] إحاطتها بهم في الدنيا: إحاطة المعاصي الموجبة لها بهم.

قوله تعالى: ﴿يوم يغشاهم﴾ متعلق بما قبله كما ذكرنا.

وقوله: ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ [الزمر:١٦]، وكقوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ [الأعراف:٤١].

﴿ونقول ذوقوا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «ونقول» بالنون على الإخبار من الله تعالى عن نفسه. وقرأ الباقون بالياء[4]، على معنى: ويقول الله، أو

---

(١) في الأصل: سمى. والتصويب والزيادة من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٠).

(٣) في الأصل: المعنى. والمثبت من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٣)، والكشف (٢/ ١٨٠)، والنشر =

الملَك الموكَّل بعذابهم: ذوقوا، ﴿ما كنتم﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون.

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ قال الزجاج[1]: قيل في تفسيرها: إنهم أُمِرُوا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وأداء فرائضه، وأصل هذا فيمن كان بمكة ممن آمن وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذا يجب على كل من كان في بلد يُعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يُهاجر

= (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠١).

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٧٢).

وينتقل إلى حيث يتهيأ له فيه[١] أن يعبد الله تعالى فيه حق عبادته.

ثم ذكَّرهم الموت لتهون عليهم الهجرة فقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي واحدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق.

﴿ثم إلينا يرجعون﴾ قرئ بالياء على المغايبة حملاً على ما قبله، وبالتاء على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب[٢].

والمعنى: ثم إلينا ترجعون بعد الموت، فاستعدوا لذلك بالهجرة وغيرها من أعمال الطاعة.

قوله تعالى: ﴿لنبوئنهم من الجنة غرفاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: «لنُثْوِيَنَّهُم» من الثواء، وهو الإقامة. وقرأ الباقون: "لنبوئنهم"[٣]، كما قال: ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ [الزمر:٧٤]، وقد فسرنا ذلك فيما مضى.

قال ابن عباس: لنسكننّهم غرف الدور والزبرجد والياقوت، ولننزلنّهم قصور الجنة[٤].

ثم وصف تلك الغرف فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾.

ثم وصف العاملين فقال: ﴿الذين صبروا﴾ يعني: على مفارقة الأوطان وطاعة الله، ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٤)، والكشف (٢/ ١٨٠)، والنشر (٢/ ٣٤٣)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠٢).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٤).

قال ابن عباس: توكلوا على الله وتركوا دورهم وأموالهم[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: كان أحدهم يقول بمكة: كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة، فقال الله تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾.

قال ابن قتيبة[(٣)]: معنى الآية: كم من دابة لا ترفَعُ [شيئاً][(٤)] لغدٍ.

قال ابن عيينة: ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة[(٥)].

ويقال: للعَقْعَق[(٦)] مخابئ إلا أنه ينساها.

والمعنى: لا تحمل رزقها لضعفها عن حمله.

﴿الله يرزقها﴾ مع ضعفها حيث توجهت ﴿وإياكم﴾ حيث توجهتم، أي: وهو الذي [يرزقكم][(٧)] أيضاً مع اقتداركم على الكسب وقوتكم وتصرفكم، فهو الذي يرزق الضعيف والقوي، ولذلك ترى الرزق متفاوتاً، فترى الضعيف العاجز محظوظاً محدوداً، والقوي الجَلْد محروماً محدوداً، ولقد أحسن القائل:

يا طالبَ الرِّزْق الهنيّ بقوةٍ   هيهاتَ أنتَ بباطِلٍ مَشْغُوف
أكَلَ العقابُ بقوةٍ جِيَفَ الفَلا   وَرَعَى الذُّبابُ الشُّهْدَ وهو ضعيف[(٨)]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٤).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٣٩).

(٤) في الأصل: شيء. والتصويب من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٢).

(٦) العَقْعَق: نوع من أنواع الغربان، ذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب (اللسان، مادة: عقق).

(٧) في الأصل: يرقكم. والتصويب من ب.

(٨) البيتان لأبي العلاء المعري، انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٤٠٥).

ويروى أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال: يا ابن عمر! ما لك لا تأكل؟ فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أذُقْ طعاماً، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سَنَتِهِم، ويضعف اليقين؟ فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها ... الآية﴾))(١).

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني: كفار مكة ﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ أي: فكيف يصرفون التوحيد بعد هذا الإقرار.

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي: يُضيّق عليه ويقتّر.

قال الزمخشري(٢): إن قلت: الذي رجع الضمير إليه في قوله: "ويقدر له" هو "من يشاء"، فكأنّ بَسْطَ الرزق وقدره جُعلا لواحد؟

قلت: يحتمل الوجهين جميعاً، أن يزيد ويقدر لمن يشاء، فوضع الضمير موضع من يشاء؛ لأن «من يشاء» مُبْهم غير معين، فكان الضمير مبهماً مثله، وأن [يريد](٣) تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة، ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ فهو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٥٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٦٧).

(٣) في الأصل: أريد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

يعلم ما يصلح العباد ويفسدهم.

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿من نزّل من السماء ماء﴾ يريد: المطر ﴿فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله﴾.

قال الواحدي(١) وأبو الفرج ابن الجوزي(٢) رحمهما الله: المعنى: الحمد لله على إقرارهم بما يُلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد.

والذي يظهر في نظري: أنه أُمِرَ بالحمد شكراً لله على التمتُّع بنعمة العقل، حيث سَلَبَ الكفار نعمة الانتفاع به في عبادة أحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تُبصر ولا تسمع، وجعلهم إياها آلهة، مع اعترافهم أن الخالق الرازق المسخر للشمس والقمر والمنزل من السماء الماء لإحياء الأرض بالنبات وإخراج الثمرات هو الله رب العالمين، ألا تراه يقول: ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي: لا ينتفعون [بعقولهم](٣).

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ يعني في سرعة زوالها عن أهلها ﴿إلا لهو ولعب﴾

---

(١) الوسيط (٣/ ٤٢٥).

(٢) زاد المسير (٦/ ٢٨٣).

(٣) في الأصل: بعقلوهم. والتصويب من ب.

باطل[١] وغرور ينقضي عن قريب، كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون.

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ قال أبو عبيدة وابن قتيبة[٢]: الحيوان: الحياة.

وقال غيرهما: مصدر حَيِيَ، كالنَّزوان والغَلَيان، وقياسُه: حَيَيَان، فقُلبت الياء الثانية واواً، كما قالوا: حَيْوَة في اسم رجل، وقياسه: حيّة؛ لأن اشتقاقه من الحياة.

وتقدير الآية: وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان. أو جعل ذاتها حياة مبالغة.

﴿لو كانوا يعلمون﴾ لرغبوا عن الفاني إلى الباقي.

قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ قال عكرمة:

• كان أهل الجاهلية إذا ركبوا في البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدّت بهم الريح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا: يا خُذَاي [يا][٣] خُذَاي[٤].

قوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ هذه لام كَيْ، وهي متعلقة بالإشراك. المعنى: يشركون ليكفروا.

﴿وليتمتعوا﴾ أي: ليس لهم نفع سوى كفرهم وتمتعهم في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.

ويجوز أن يكون اللام فيها لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت:٤٠]، ﴿واستفزز من استطعت منهم﴾ [الإسراء:٦٤].

---

(١) في ب: وباطل.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٧)، وتفسير غريب القرآن (ص:٣٣٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٦).

ويؤيده قراءة من قرأ: «ولْيتمتعوا» بسكون اللام، وهم ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون[١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

قال أهل التفسير: كان من حول مكة من الأعراب[٢] يتناحرون ويتغاورون ويسبي بعضهم بعضاً، وأهل الحرم قارُّون آمنون، عزيزٌ جنابهم، منيعٌ حماهم، فذكَّرهم الله تعالى نِعَمَهُ عليهم، ووبَّخهم على إيمانهم بالباطل، وإعراضهم عن طاعة الله تعالى فقال: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً... الآية﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا.

قال بعضهم: أطلق المجاهدة ولم يُقيدها بمفعول لتتناول[٣] كل ما تجب مجاهدته من النفس الأمَّارة بالسوء، والشيطان وأعداء الدين.

﴿لنهدينهم سبلنا﴾ لنوفقنهم لإصابة طُرُقِنا المستقيمة.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٥)، والكشف (٢/ ١٨١)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٦)، والسبعة (ص:٥٠٢).

(٢) في ب: الأعاريب.

(٣) في ب: ليتناول.

قال الزجاج(١): أخبر الله تعالى أنه يَزيد المجاهدين هداية، فذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ [محمد:١٧].

وكان سفيان بن عيينة يقول: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر، فإن الله تعالى يقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(٢).

وكان الفضيل بن عياض يقول: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به(٣).

وقال سهل بن عبدالله: والذين جاهدوا في إقامة السنّة لنهدينهم سبل الجنة(٤).

وقال أبو سليمان [الداراني](٥): والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا(٦).

قال عمر بن عبد العزيز: لو أنّ عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا(٧).

قوله: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ قال ابن عباس: يريد: الموحدين(٨).

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٧٤).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤).
(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٧٥).
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٧٥).
(٥) في الأصل: الدراني. والتصويب من ب.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٤).
(٧) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/ ٣٦٤).
(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٥).

وقال غيره: المجاهدين.

والمعنى: هو معهم بالنصرة والمعونة[(١)].

(١) في ب زيادة: والله أعلم.
آخر السفر الرابع من رموز الكنوز، وكان الفراغ منه في غرة جمادى الآخر من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد بن سليمان الشيرجي الحنبلي، تجاوز الله عن سيئاته وغفر له موبقات زلاته، ولجميع المسلمين آمين، ولله الحمد.
ويتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى سورة الروم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف المرسلين محمد وآله الطاهرين وسلّم.
وفي هامشها: بلغ معارضة بالأصل فصح بحسب الإمكان.
قلت: ومن سورة الروم إلى آخر سورة الفتح اعتمدنا نسخة الأصل فقط، حيث إن الجزء الخامس من نسخة ب مفقود.

فهرس المحتويات

رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف
الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي
(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق
أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء السادس

أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :


مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع


مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٢٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي ستون آية في العدد الكوفي، وستون إلا آية في العدد المدني، وهي مكية بالإجماع.

والسبب في نزولها: «أنه كان بين فارس والروم حرب، فغلبت فارس الروم، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لكون الروم أهل كتاب، وفرح المشركون بذلك؛ لما بينهم وبين فارس من الاشتراك في الإشراك والاتحاد في التكذيب بالمعاد. وقال كفار قريش لأصحاب محمد ﷺ: لئن قاتلتمونا لنظهرن عليكم كما ظهر إخواننا على إخوانكم، فأنزل الله تعالى: ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض... الآيات﴾ فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين فقالوا: هذا كلام صاحبكم فقال: الله أنزل هذا، وكانت فارس قد غلبت الروم حتى اتخذوهم شبه العبيد. فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، وكان الذي راهنه أُبيّ بن خلف، وقيل: أبو سفيان بن حرب، وذلك قبل تحريم الرهان، فقالوا لأبي بكر: اجعل بيننا وبينك أجلاً ننتهي إليه، فسَمُّوا بينهم ست سنين، فلامَ المسلمون أبا بكر على تسمية الست، وقالوا: هلاَّ قررتها كما أقرّها الله تعالى، لو شاء الله أن يقول: ستاً لقال، فمضت الست قبل أن تظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهر الروم على فارس»(1).

---

(1) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٤ ح٣١٩٤) من حديث نيار بن مكرم الأسلمي، وأخرج الحاكم (٢/ ٤٤٥) نحوه عن ابن عباس وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري =

وجاء في رواية أخرى: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: ألا احتطت، فزاد في الخطر وماد في الأجل، فظهرت الروم على فارس، فأخذ أبو بكر رهانهم، وأتى ﷺ فقال: تصدق به، وأسلم عند ذلك خلق كثير[1].

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿غلبت الروم * في أدنى الأرض﴾ يعني: في أدنى أرض العرب؛ لأنها الأرض المعهودة عندهم.

قال ابن عباس: هي الأردن [و]فلسطين[2].

وقال عكرمة: أَذْرِعات وكَسْكَر[3].

= (٢١/ ١٦-١٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٦). وانظر: الدر المنثور (٦/ ٤٧٩ وما بعدها).

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٧-٢٨٨)، وبنحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٧٩-٤٨٠) وعزاه لأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن البراء بن عازب.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٨) كلاهما من قول السدي. وما بين المعكوفين زيادة من المصدرين السابقين.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٨).

وأذرعات: بالفتح ثم السكون وكسر الراء جمع أذرعة، وهي بلد في أطراف الشام يجاور أرض =

وقيل: أراد في أدنى أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أقرب أرض الروم إلى عدوهم.

قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس[(١)].

﴿وهم﴾ يعني: الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ وقرأ أبو الدرداء وأبو رجاء وعكرمة: «غَلْبِهِم» بسكون اللام[(٢)]، وهما مصدران؛ [كالحَلْب][(٣)] والحَلَب، والجَلْب والجَلَب، وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

والمعنى: وهم من بعد غلب فارس إياهم ﴿سيغلبون﴾ فارس.

﴿في بضع سنين﴾ في البضع أقوال ذكرتها في سورة يوسف[(٤)].

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد قال: «لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿ألم * غلبت الروم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ قال: ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس»[(٥)].

وقرأ جماعة: منهم أبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: «غَلَبَت

= البلقاء وعمان (معجم البلدان ١/ ١٣٠)، وتسمى الآن: درعا.

وكَسْكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى، ومعناه: عامل الزرع، وهي منطقة واسعة على نهر دجلة بالعراق (معجم البلدان ٤/ ٤٦١).

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٩٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٢٨٨).

(٣) في الأصل: كالحب.

(٤) عند الآية رقم: ٤٢.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٣ ح٣١٩٢).

الروم» بفتح الغين واللام، «سَيُغْلَبُون» بضم الياء وفتح اللام[١]، وبها قرأتُ لأوقية عن اليزيدي، فيكون قوله: «غلبهم» من باب إضافة المصدر إلى الفاعل.

والمعنى: غلبت الروم فارس في أدنى الأرض «وهم» يعني: الروم «من بعد غلبهم سيغلبون» أي: يغلبهم المسلمون، «في بضع سنين» عند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم.

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي: من قبل أن يغلبوا وما بعد ما يغلبون.

﴿ويومئذ﴾ يعني: يوم غلبة الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ تعالى أهل الكتاب على فارس.

وقيل: يفرح المؤمنون بنصر الله إياهم في إظهار صدقهم وتحقيق معجزة نبيهم.

ويجيء على الحديث الذي رويناه آنفاً؛ أن يراد: نصر المؤمنين يوم بدر. ويجوز أن يراد عموم ذلك.

قال الزجاج[٢]: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله؛ لأنه أنبأ بها سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وعد الله﴾ قال الزجاج[٣]: النصب على أنه مصدر مؤكد؛ لأن قوله: ﴿من بعد غلبهم سيغلبون﴾ هو وعد من الله تعالى للمؤمنين، فقوله: «وعد الله» بمنزلة وعدَ الله وعداً.

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ١٥٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٧٥).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٧٧).

﴿لا يخلف الله وعده﴾ أن الروم تظهر على فارس، ﴿ولكن أكثر الناس﴾ من أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ أن الله وعد بذلك.

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ مما يتعلق بمكاسبهم ومعايشهم.

قال الحسن البصري: بلغ -والله- من عِلْم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بيده فيخبرك بوزنه ولا يحسن يصلي[١].

قال الزمخشري[٢]: قوله: ﴿يعلمون﴾ بدل من قوله: ﴿لا يعلمون﴾ وهذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدّ مسدّه، ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، وقوله تعالى: ﴿ظاهراً من الحياة الدنيا﴾[٣] يفيد أن [للدنيا][٤] ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها، وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة.

﴿وهم﴾ الثانية يجوز أن تكون مبتدأ، و﴿غافلون﴾ خبره، والجملة خبر «هم» الأولى، وأن يكون [تكريراً للأولى][٥]، و«غافلون» [خبر][٦] الأولى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٨٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٣-٤٧٤).

(٣) قوله: وقوله: ﴿ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ مكرر في الأصل.

(٤) في الأصل: الدنيا. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٥) في الأصل: تكرير الأولى. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٦) في الأصل: خبره. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ يجوز أن يكون «في أنفسهم» ظرفاً، على معنى: أو لم يحدثوا[١] التفكر في أنفسهم، أي: في قلوبهم [الفارغة من الفكر][٢]، والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: «اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك»، وأن يكون صلةً للتفكر، كقولك: تَفكَّر في الأمر[٣].

﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ قال صاحب الكشاف[٤]: يجوز أن يكون «ما» نفياً فتقف على قوله: ﴿في أنفسهم﴾ وتبتدئ بـ«ما»، وقد عدى التفكر بـ«في»، فجرى مجرى قوله: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت

(١) قوله: «يحدثوا» مكرر في الأصل.

(٢) زيادة من الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٣) إلى هنا ينتهي كلام الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٤) لم أقف عليه في الكشاف.

السموات والأرض﴾ [الأعراف:١٨٥].

ويجوز أن تجعل «ما» متصلاً بما قبله وإن كان نفياً، كقوله تعالى: ﴿وظنوا ما لهم من محيص﴾ [فصلت:٤٨]. والمعنى: لم يخلقهما عبثاً ولا باطلاً.

قال الفراء والزجاج(١) في قوله تعالى: ﴿إلا بالحق﴾ أي: إلا للحق، أي: لإقامة الحق، يعني: للثواب والعقاب.

وقال الزمخشري(٢): الباء في قوله: ﴿إلا بالحق﴾ مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه، يريد: اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام، غير منفك عنهما. وكذلك المعنى: ما خلقهما إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به.

﴿وأجل مسمى﴾ أي: وتقرير أجل مسمى، وهو قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ هذا الاستفهام في معنى التقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم في آثار الهالكين من الأمم المكذبة.

ثم وصفهم فقال: ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس، ويقال لبقر الحَرْث: المُثِيرَة، ومنه: الثَّوْر؛ لإثارته الأرض.

ويروى عن أبي جعفر: «وآثاروا الأرض» بالمد(٣).

وقال ابن مجاهد: ليس هذا بشيء.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٢٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٧٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٣٧٢).

قال أبو الفتح[(١)]: ظاهره لعمري منكر، إلا أن له وجهاً [مَّا، وليس][(٢)] لحناً مقطوعاً به، وذلك أنه أراد: «وأثاروا»، إلا أنه أشبع الفتحة من الهمزة، فأنشأ عنها ألفاً، وقد ذكرنا ذلك وشواهده، ونحوه:

.... ومِنْ ذَمِّ الرجالَ بمنتزاح[(٣)]

أراد: بمُنْتَزَح. وقد سبق إنشاد البيت.

وهذا لعمري مما يختص به ضرورة الشعر، ولا يجوز في القرآن.

قوله تعالى: ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أي: وعمرها أولئك [المدمرون][(٤)] أكثر مما عمرتها قريش؛ لشدة بطشهم وطول أعمارهم وآمالهم، وكثرة عُـدَدهم وعَدَدِهم.

ويجوز أن يكون الضمير المرفوع في «عَمَرُوها» في الموضعين للذين من قبلهم، على معنى: وعَمَرُوها أكثر مما عَمَّرُوا فيها، فيكون عَمَرَ وعَمَّرَ لغتين من البقاء، وهذا الوجه [ذكره][(٥)] صاحب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ثم كان عاقبةُ الذين أسآءوا السُّوأَى﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو

---

(١) المحتسب (٢/ ١٦٣).

(٢) في الأصل: وما ليس. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) البيت لابن هرمة يرثي ابنه، وصدر البيت: (فأنتَ من الغوائلِ حين تُرْمَى). وهو في: اللسان مادة: (نزح، نجد)، وروح المعاني (٩/ ١٩٤، ١٢/ ٢٢٨، ١٨/ ٥٦).

(٤) في الأصل: المدميرون. انظر: الكشاف (٣/ ٤٧٥).

(٥) زيادة على الأصل.

(٦) كشف المشكلات (٢/ ٢١١).

عمرو: «عاقبةُ» بالرفع، ونصبها الباقون[١].

فمن رفع «العاقبة» جعلها اسم «كان»، و«السوأى» الخبر. ومن نصب «العاقبة» جعلها الخبر و«السوأى» الاسم.

قال الفراء وابن قتيبة والزجاج وغيرهم[٢]: السُّوأى: تأنيث [الأسْوَأ][٣]، وهو الأفصح، كما أن الحُسنى تأنيث الأحْسَن.

ويجوز أن يكون السوأى مصدراً بمنزلة الإساءة، فيكون التقدير -على قراءة من رفع «العاقبة»-: ثم كان عاقبة الذين أساؤوا إساءة التكذيب، فيكون «كذبوا» هو الخبر.

ويكون التقدير على قراءة من نصب «العاقبة»: ثم كان التكذيب عاقبة الذين أساؤوا إساءة[٤].

والمعنى عند المفسرين: ثم كان عاقبة الذين أشركوا النار.

فإن قيل: ما إعراب قوله تعالى: ﴿أن كذَّبُوا﴾ على القول المشهور في تفسير «السُّوأَى»؟

قلت: يجوز أن يكون مفعولاً له، أي: لأن كذبوا. ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو أن كذبوا[٥].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٦)، والكشف (٢/ ١٨٢)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٧)، والسبعة (ص:٥٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٧٩). ولم أقف عليه في معاني الفراء.

(٣) في الأصل: الأسواه. وانظر: البحر (٧/ ١٦٠).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٨٥)، والدر المصون (٥/ ٣٧٢).

(٥) مثل السابق.

وكان سفيان بن عيينة يقول في هذه: ألا إن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه، حتى يسودّ القلب كله فيصير كافراً[(١)].

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ أي: الله خلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت، كما قال تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ثم ترجعون إلى ثوابه وعقابه. ولفظ الخلق واحد ومعناه: المخلوقون، فَرَدَّ «نعيده» على اللفظ، و«ترجعون» على المعنى.

وقد سبق ذكر الإبلاس في الأنعام[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ أي: كانوا في الآخرة كافرين بأصنامهم يتبرأون منهم، ويجحدون عبادتهم حين يأسهم من الانتفاع بهم.

وقيل: المعنى: وكانوا في الدنيا بسبب شركائهم كافرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٠).

(٢) عند الآية رقم: ٤٤.

قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئـذ يتفرقـون﴾ قـال الحسن: هـؤلاء في عليين، وهؤلاء في أسفل السافلين(١).

قال قتادة: فُرقة لا اجتماع بعدها(٢).

قوله تعالى: ﴿فهم في روضة يحبرون﴾ الرَّوضة عند العرب: كـل أرض ذات نبات وماء(٣). وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة. يريدون: بيضة النعامة.

والمراد بالروضة: الجنة، والحَبْرَة: السرور، يقال: حَبَرَهُ؛ إذا سرّهُ سُرُوراً يتهلل له وجهه ويظهر فيه أثره.

ثم اختلفت عباراتهم في تأويل «يُحبرون»؛ فقال ابن عباس: يُكرمون(٤). وقال مجاهد: يُنَعَّمُون(٥).

وقال [الأوزاعي](٦): هو السماع في الجنة، قال: إذا أخذوا في السماع لم تبق في الجنة شجرة إلا وردَّت(٧)، وليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً مـن إسرافيـل،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩). وذكره السيوطي في الـدر (٦/ ٤٨٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: اللسان (مادة: روض).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨)، ومجاهد (ص: ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٦) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في الأصل: الأزاعي.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٨ ح٣٤٠٢١)، والترمذي (٤/ ٦٩٦ ح٢٥٦٥) كلاهما مـن حـديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٣)، والسيوطي في الدر =

فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم[(١)].

وسئل يحيى بن معاذ الرازي: أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس في مقاصير قدس، [بألحان][(٢)] تحميد، في رياض تمجيد، في مقعد صدق عند مليك مقتدر[(٣)].

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

قال المفسرون: لما ذكر الله تعالى تفريق المؤمنين والكافرين ومآل الفريقين، دلّهم على السبب الموصل لهم إلى الجنة، وهو تنزيهه عن كل سوء، والثناء عليه في هذه الأوقات لتجدد نعم الله تعالى فيها على عباده، فذلك قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾.

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالتسبيح: الصلاة، أي: سَبِّحوا الله «حين تمسون»: أي: تدخلون في وقت المساء، «وحين تصبحون»: أي: تدخلون في وقت الصباح، ﴿وحين تظهرون﴾: تدخلون في وقت الظهيرة.

قال ابن عباس: جمعت هذه الآية الصلوات الخمس ومواقيتها، «حين

=

(٦/ ٤٨٦) وعزاه لابن عساكر.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/ ١٢).

(٢) في الأصل: في بالجنان. والمثبت من زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

تُمسون»: المغرب والعشاء، «وحين تُصبحون»: الفجر، «وعَشِياً»: العصر، «وحين تُظهرون»: الظهر[١].

قوله تعالى: ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾: اعتراض.

وقرأ عكرمة: «حيناً [تمسون وحيناً تصبحون][٢]»[٣].

قال أبو الفتح ابن جني[٤]: أراد: حيناً [تُمسون][٥] فيه، فحذف «فيه» تخفيفاً. هذا مذهب صاحب الكتاب[٦].

قُرئ على أبي المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الهمذاني وأنا أسمع، أخبركم الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد، وابن عمه [المطهر][٧] بن عبدالكريم بن محمد [القومسانيان][٨] فأقرَّ به قالا: أخبرنا عبدالرحمن بن حمد بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين بن الكسار الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرني إبراهيم بن محمد

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) في الأصل: يمسون وحيناً يصبحون. والتصويب من البحر المحيط (٧/ ١٦٢).

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٦٢).

(٤) المحتسب (٢/ ١٦٣).

(٥) في الأصل: يمسون. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٦) يعني: سيبويه.

(٧) في الأصل: المظفر. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (ص:٣٣٧) ضمن حوادث ووفيات سنة ٥٨٠هـ. وقد سبق على الصواب كما أثبتناه.

(٨) في الأصل: القوسيانيان. والصواب ما أثبتناه. وقومسان: من نواحي همذان (معجم البلدان ٤/ ٤١٤).

الضحاك، حدثنا محمد بن سنجر، حدثنا عبدالله بن صالح أبو صالح[١]، حدثني الليث[٢]، عن سعيد بن بشير[٣]، عن محمد بن عبدالرحمن بن البيلماني[٤]، عن أبيه[٥]، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: « من قال حين يُصبح: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون... الآية كلها﴾، أدرك ما فاته في يومه، ومن قالها حين يُمسي أدرك ما فاته في ليلته »[٦].

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

---

(١) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم، أبو صالح المصري، كاتب الليث بن سعد، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٥-٢٢٨، والتقريب ص:٣٠٨).

(٢) الليث بن سعد ين عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، كان ثقة كثير الحديث، نبيلاً سخياً، من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً، مات في يوم الجمعة نصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٢-٤١٧، والتقريب ص:٤٦٤).

(٣) سعيد بن بشير الأنصاري النجاري، مجهول، روى عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، وروى عنه الليث بن سعد، ولم يرو عنه غيره (تهذيب التهذيب ٤/ ١٠، والتقريب:٢٣٤).

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني الكوفي النحوي، مولى آل عمر، ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٦١، والتقريب ص:٤٩٢).

(٥) عبد الرحمن بن البيلماني، مولى عمر، مدني نزل حران، ضعيف، مات في ولاية الوليد بن عبد الملك (تهذيب التهذيب ٦/ ١٣٥، والتقريب ص:٣٣٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٤٠).

مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ أي: ومن دلائل قدرته وعظمته أن خلق أصلكم يا بني آدم من تراب، ﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ من لحم ودم ﴿تنتشرون﴾ في الأرض.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، والنساء خلقن من أصلاب الرجال. هذا قول قتادة(١).

وقال الكلبي: المعنى: خلق لكم أزواجاً من شكلكم وجنسكم(٢).

﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: لتأووا إليها، ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ بواسطة عصمة النكاح من غير سابقة معرفة ولا نسب.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ يريد بالألسنة: اللغات، وقيل: أشكال النطق، فإن القدير الحكيم خالف بين مناطق عباده حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في جهارة، ولا همس، ولا فصاحة، ولا لكْنة، ولا صوت، ولا

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٥) عن الكلبي: جعل لكم آدميات مثلكم ولم يجعلهن من غير جنسكم.

نغمة، واختلاف الألوان ظاهر؛ لأن الخلق ما بين أبيض وأسود وأحمر وآدم.

وقيل: المراد باختلاف الألوان: اختلاف الصور. فسبحان من خالف بين الصور والألوان، حتى لا تكاد ترى أخوين توأمين متفرعين من أصل واحد متماثلين، ما ذاك إلا عن قدرة قادر وحكمة حكيم، فإنها لو اتفقت وتشاكلت لوقع الالتباس في الناس.

﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ البر منهم والفاجر، والجن والإنس.

وقرأتُ لحفص عن عاصم: ﴿للعالِمين﴾ بكسر اللام[1]، جمع عالِم، وخص العالِمين وإن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم؛ لموضع استدلالهم وتدبرهم.

ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾، وبهذا رجح القُرَّاء هذه القراءة.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ قال أبو عبيدة[2]: المنام: من مصادر النوم، بمنزلة قامَ يقومُ قياماً ومَقَاماً، وقالَ يقولُ مَقَالاً.

قال الزمخشري[3]: هذا من باب اللف، وترتيبه: منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله وهو طلب الرزق بالنهار.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٧-٥٥٨)، والكشف (٢/ ١٨٣)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٦-٥٠٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢٠).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٨٠).

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ في «يريكم» وجهان: إضماران؛ كقوله:

ألا أيُّهَذَا الزَّاجري أحْضُرُ الوغى ....(1)

وإنزال الفعل منزلة المصدر، وقد سبق تفسيره في الرعد.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ أي: بقوله: كونا قائمتين، فقامتا بغير علاقة ولا دعامة.

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض﴾ وذلك حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأخيرة على صخرة بيت المقدس فيقول: يا أهل القبور قوموا، فلا يبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت لفصل القضاء.

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ قال بعضهم: «إذا» الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط(2).

---

(١) صدر بيت لطرفة، وعجزه: (وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي)، انظر: ديوانه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: أنن، دنا)، والبحر (٧/ ١٦٣)، والدر المصون (١/ ٢٧٥، ٥/ ٣٧٥)، والسبع الطوال (ص:١٧٢)، والمقتضب (٢/ ١٣٤)، والهمع (١/ ٦)، والخزانة (١/ ١١٩).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٨١).

فإن قيل: بماذا يتعلق «من الأرض»؟

قلت: إما بـ«دَعَاكُم» أو بـ«دَعوَة» على معنى: دعوة كائنة من الأرض، أو بمحذوف في موضع الحال من الكاف والميم في «دعاكم»، تقديره: دعاكم خارجين من الأرض، ولا يجوز أن يتعلق بـ«تخرجون»؛ لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبله.

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ ذهب عامة المفسرين حسن وقتادة والربيع بن أنس إلى أن المعنى: وهو هَيِّن عليه(١).

وهو اختيار أبي عبيدة(٢)، وأنشدوا قول الفرزدق:

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزّ وأطول(٣)

---

(١) ذكره الطبري (٢١/ ٣٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٩١) وعزاه لآدم بن أبي إياس والفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد. ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لابن المنذر.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢١).

(٣) البيت للفرزدق، انظر ديوانه (٢/ ١٥٥)، واللسان (مادة: كبر، عزز)، والقرطبي (١٤/ ٢١)، والطبري (٢١/ ٣٧)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٩، ٦/ ٢٩٧)، وروح المعاني (٧/ ١٣٥، ١٣/ ٩٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤١)، وشرح المفصل (٦/ ٩٧-٩٩)، ومعاهد التنصيص (١/ ١٠٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٢١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢١٥).

أي: عزيزة طويلة.

وقول الآخر:

يـا بيـتَ عاتكـةَ الـذي أتعـزَّلُ [حَذَرَ][1] العِدَى وبه الفؤاد مُوكَّل[2]

[وقول][3] الآخر:

.... فتلـكَ طريـقٌ لـستُ فيهـا بأوْحَـد[4]

وقد سبق في سُبْحان.

وقد ذهب جمهور أهل العربية، منهم [الفراء][5] والمبرد والزجاج[6] إلى أن المعنى: وهو أهون عليه فيما يجب عندكم ويقتضيه معقولكم؛ لأنكم أقررتم أنه بدأ الخلق، وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه. وهذا معنى قول مقاتل[7] والزمخشري[8].

---

(١) في الأصل: نحذر. والتصويب من مصادر البيت.

(٢) البيت للأحوص يُشبّب بعاتكة بنت يزيد، وهو في: روح المعاني (١٥/ ٢٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٣)، واللسان (مادة: عزل).

(٣) في الأصل: قول.

(٤) عجز بيت لطرفة، وصدره: (تمنى رجالٌ أن أموت وإن أمت)، انظر: البحر (٦/ ٢٨٨)، والقرطبي (٢٠/ ٨٨)، والطبري (١٦/ ١٤١، ٣٠/ ٢٢٧)، وزاد المسير (٦/ ٢٩٨، ٩/ ١٥١)، وروح المعاني (١٧/ ٤٤، ٣٠/ ١٥١).

(٥) في الأصل: الفر.

(٦) معاني الفراء (٢/ ٣٢٤)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٨٣)، والمقتضب (٣/ ٢٤٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٠).

(٨) الكشاف (٣/ ٤٨٢).

فعلى هذين التأويلين: الضمير في قوله: «عليه» يعود على الله تعالى.

وقد روي عن ابن عباس أنه يعود إلى الخلق[1]؛ لأن الله خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة، ويوم القيامة يقول له: كن فيكون، وذلك أهون عليه من تنقله من حال إلى حال. وهذا اختيار قطرب[2].

﴿وله المثل الأعلى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي لا يشارك فيه، قد وصف به في السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجزه ما شاء من الإعادة والإنشاء وغيرهما.

وقال مجاهد: المثل الأعلى: قول: لا إله إلا الله[3].

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ أي: بين لكم شبهاً من أنفسكم، ﴿هل لكم﴾ أيها السادة ﴿من ما ملكت أيمانكم﴾ يعني: من عبيدكم ﴿من شركاء

---

(١) ذكره الطبري (٢١/ ٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٨).

(٢) انظر قول قطرب في: زاد المسير (٦/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٠) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩١) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم عن قتادة.

فيما رزقناكم﴾. فـ«مِنْ» الأولى للمبتدأ، والثانية للتبعيض، والثالثة زائدة[١].

والمعنى: هل يشارككم عبيدكم فيما رزقناكم من المال والعبيد والأهل.

﴿فأنتم فيه﴾ أيها السادة والعبيد ﴿سواء﴾. وموضع قوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾: النصب؛ لأنه جواب قوله: ﴿هل لكم﴾، تقديره: هل لكم منهم شركاء فتستووا.

﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كإرث بعضكم بعضاً[٢].

وقيل: المعنى: تهابون عبيدكم وتخشون أن يستبدوا بالتصرف دونكم كما يهاب ويخشى بعضكم بعضاً.

ومعنى الكلام: إذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فكيف ترضونه لي وأنا المالك على الحقيقة، الموجد للخليقة، وكيف تجعلون لي من خلقي وعبيدي شركاء ولا تجعلون ذلك لأنفسكم.

قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في تلبية المشركين وقولهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[٣].

قوله تعالى: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ يشير إلى أن المشركين لم يأخذوا في شركهم بدليل نقلي ولا برهان عقلي، وإنما هو مجرد هوى.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبراني (٨/ ٤٥ ح٧٩١٠) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٢) وعزاه للطبراني وابن مردويه عن ابن عباس، والماوردي (٤/ ٣١٠-٣١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٨) كلاهما من قول سعيد بن جبير.

وقوله تعالى: ﴿بغير علم﴾ في موضع الحال، تقديره: اتبعوا أهوائهم جاهلين. وهذا غاية الذم؛ لأنهم لو اتبعوا أهواءهم عالمين لرُجِيَ رجوعهم، ولكانوا بسبيل من مراجعة رشدهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من «الدين»[1]. والمعنى: قوّم وجهك للدين وعدّله ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه.

وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك الله تعالى إليها[2].

﴿فطرة الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله[3].

﴿التي فطر الناس عليها﴾ والفطرة: الخَلْق، بدليل قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٧٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٠).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٨٤). وردّ هذا أبو حيان في البحر (٧/ ١٦٧) قال: وقول الزمخشري «أو عليكم فطرة الله» لا يجوز؛ لأن فيه حذف كلمة الإغراء، ولا يجوز حذفها لأنه قد حذف الفعل وعوض «عليك» منه، فلو جاز حذفه لكان إجحافاً، إذ فيه حذف العوض والمعوض منه.

قال الزجاج[١]: معناه: خِلْقَةَ الله التي خَلَقَ عليها البشر. قال[٢]: وقول النبي ﷺ: «كل مولود يُولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه [ويمجّسانه][٣]»[٤]، معناه: أن الله عز وجل فطر الخلق على الإيمان به، على ما جاء في الحديث: «أن الله تعالى أخرجهم من صلب آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم»[٥]، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم... الآية﴾ [الأعراف:١٧٢] قال[٦]: فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدتْ [بأن][٧] الله تعالى خالِقُها.

فمعنى «فطرة الله»: دين الله التي فطر الناس عليها.

وقال الزمخشري وغيره[٨]: المعنى: أن الله تعالى خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكرين له؛ لكونه مجاوباً للعقل، مساوقاً للنظر الصحيح.

قوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ قال الزجاج[٩]: أكثر ما جاء في التفسير أن

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٨٤-١٨٥).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) زيادة من الصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٤٥٦ ح١٢٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧ ح٢٦٥٨).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢ ح٢٤٥٥).

(٦) أي: الزجاج.

(٧) في الأصل: باء. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ١٨٥).

(٨) الكشاف (٣/ ٤٨٤-٤٨٥).

(٩) معاني الزجاج (٤/ ١٨٥).

معناه: لا تبديل لدين الله، وما بعده يدل عليه، وهو قوله تعالى: ﴿ذلك الدين القيم﴾.

وقال الزمخشري[١]: المعنى: لا ينبغي أن تُبدل تلك الفطرة ولا أن تُغير.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾: أنه خصاء البهائم[٢].

قوله تعالى: ﴿منيبين إليه﴾ أي: راجعين إلى الله، وهو حال من «فأَقِم»[٣]؛ لأن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمّته، كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق:١].

ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في الفعل العامل في «فطرة الله» النصب[٤]، تقديره: الزَمُوا فطرة الله منيبين، فيكون العامل وصاحب الحال مضمرين، كقوله تعالى: ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً﴾ [البقرة:٢٣٩] أي: فصلّوا رجالاً أو ركباناً.

وقوله تعالى: ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا﴾ معطوف على الفعل المضمر الذي هو: الزموا.

قوله تعالى: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ قال مقاتل[٥]: كل ملّة بما عندهم راضون.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٣١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٨٦)، والدر المصون (٥/ ٣٧٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٢).

وقال الزمخشري[1]: «من الذين فَارَقُوا» بدل من «المشركين». ويجوز أن يكون منقطعاً مما قبله. ومعناه: من المفارقين دينهم، كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع «فرحون» على الوصف لـ«كل»[2]، كقوله:

وكلُّ خَليلٍ غيرِ هَاضمٍ نفسِه ....[3]

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

وما بعده مفسر فيما مضى إلى قوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾. والمعنى: أم أنزلنا عليهم حجة مضيئة من السماء ناطقة بصحة شركهم، وتكلم السلطان مجاز عن الدلالة والشهادة كما تقول: هذا الكتاب ينطق بكذا.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٨٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٨٦)، والدر المصون (٥/ ٣٧٨).

(٣) صدر بيت للشماخ، وعجزه: (لوصل خليل صارم أو معارز). انظر: ديوانه (ص:١٧٣)، والكتاب (٢/ ١١٠)، والبحر (٧/ ١٦٨)، والدر المصون (٥/ ٣٧٨)، واللسان (مادة: عرز)، وروح المعاني (٢١/ ٤٢).

و«ما» في قوله: ﴿بما كانوا به﴾ مصدرية أو موصولة.

ثم ذمّ الناس ببطرهم عند الرحمة من النعمة والرخاء، ويأسهم منها عند حلول السيئة من الفقر والمرض وغيرهما من أنواع البلاء فقال: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها... الآية﴾ وهذه حالة الكَفَرة والفَجَرة؛ لأن المؤمنين يشكرون الله على السراء ويرجون رحمته في الضراء.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ حقُّ القريب: بِرّه وصلته وزيارته والسلام عليه، وحقُّ المسكين: مواساته والصدقة عليه، وحقُّ ابن السبيل: ضيافته وإعانته بما يتوصل به إلى بلده.

وفي هذه الآية مستدل لمن يرى وجوب نفقة الأقارب إذا كانوا محتاجين.

﴿ذلك خير﴾ أي: إيتاء هؤلاء المذكورين حقهم خير ﴿للذين يريدون﴾ بعملهم ﴿وجه الله﴾ أي: ثوابه.

قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من رباً﴾ قرأ ابن كثير: «أَتَيْتُم» بالقصر، جعله من باب

المجيء. وقرأ الباقون بالمد، جعلوه من باب الإعطاء[١].

﴿من رباً ليربوا في أموال الناس﴾ قرأ نافع: «لتُربوا» بتاء مضمومة وإسكان الواو على المخاطبة، بمعنى: لتصيروا ذوي ربا فيما أعطيتم. وقرأ الباقون: «ليَربوا» بياء مفتوحة وفتح الواو[٢]، على معنى: ليربوا ما آتيتم في أموال الناس.

﴿فلا يربوا عند الله﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وجمهور المفسرين: هو الرجل يُهدي الهدية أو يُعطي العطية ليُثاب أكثر منها، فهذا رباً حلال، ليس فيه أجر ولا وزر[٣].

وقال الحسن البصري: هو الربا المحرم[٤].

فعلى هذا يكون المعنى في هذه الآية كما في قوله: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ [البقرة:٢٧٦].

قوله تعالى: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ قال الزجاج[٥]: ذووا الأضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل مُقْوٍ، أي: صاحب قوَّة، ومُوسِر، أي: صاحب يَسَار.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٨)، والكشف (٢/ ١٨٤)، والنشر (٢/ ٢٢٨)، والإتحاف (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٩)، والكشف (٢/ ١٨٤)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٧).

(٣) أخرجه البيهقي (٧/ ٥١ ح١٣١١١)، والطبري (٢١/ ٤٦)،، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩١)، ومجاهد (ص:٥٠١) بمعناه. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٥-٤٩٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن عدة طرق أخرى.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٤).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٨٨).

وقال غيره: «فأولئك هم المضعفون»: التفات حَسَن، وهو أمدح من قوله: فأنتم المضعفون.

والمعنى: المضعفون به؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»[(١)].

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ المراد بالفساد: قحط المطر، وقلة النبات، ومحق البركات، وعدم الربح أو قلّته في التجارات، وكثرة المضار وقلة المنافع في الجملة.

قال ابن عباس: البَرّ: البرية التي ليس عندها نهر، والبحر: ما كان من المدائن والقرى على شاطئ نهر[(٢)].

وقال عكرمة: لا أقول نهركم هذا، ولكن كل قرية عامرة[(٣)].

قال عكرمة: العرب تسمي الأمصار: البحار[(٤)].

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٨٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣١٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٩٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقرئ شاذاً: «في البر والبحور»[١]، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة ومجاهد وجمهور المفسرين.

وقال عطية: هو البحر المعروف، وإذا قلّ المطر قلّ الغوص[٢].

قال ابن عباس: تفتح الأصداف في البحر أفواهها، فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ[٣].

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي: بشؤم معاصيهم، كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى:٣٠].

﴿ليذيقهم﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة: «لنذيقهم» بالنون، وبها قرأتُ ليعقوب الحضرمي رواية روح عنه[٤].

والمعنى: فعلنا بهم ذلك لنذيقهم في الدنيا وَبَالَ أو جزاء ﴿بعض الذي عملوا﴾ من المعاصي ﴿لعلهم يرجعون﴾ عنها.

وقال إبراهيم النخعي: لعلهم يرجعون إلى الحق[٥].

وقال الحسن: المعنى: لعل الذين من بعدهم يرجعون[٦].

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ١٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٦) وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) النشر (٢/ ٣٤٥)، والإتحاف (ص:٣٤٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٠). وذكره الماوردي (٤/ ٣١٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير.

قال قتادة في هذه الآية: هذا قبل أن يبعث الله نبيه ﷺ، وقد امتلأت الأرض ظلماً وضلالة، فلما بعث الله تعالى نبيه ﷺ رجع راجعون من الناس[(١)].

ثم نبّههم على أن سبب هلاكهم شركهم؛ تحذيراً لهم منه، وتنفيراً لهم عنه فقال: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ برأيه.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ هو يوم القيامة، ﴿لا مردّ له﴾ مصدر بمعنى الرد.

وقوله تعالى: ﴿من الله﴾ متعلق بـ«يأتي» على معنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا مَرَدَّ له.

ويجوز أن يكون متعلقاً بـ«مَرَدَّ» على معنى لا مرد من جهة الله له[(٢)].

﴿يومئذ يصدعون﴾ أي: يتفرَّقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

قوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي: وَبَالَ كفره وجزاؤه، ﴿ومن عمل صالحاً﴾ آمن بربه وأطاعه ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ أي: يوطئون.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٨٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٨٠).

قال مجاهد: يفرشون ويسوون المضاجع في القبور[١].

قوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس: معناه: ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم[٢].

واللام في «لِيَجْزِيَ» متعلقة بـ«يمْهَدُون» تعليل له[٣].

﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ لا يحبهم ولا يثني عليهم.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ قال الزمخشري[٤]: الرياح: هي الجنوب والشمال والصبا، وهي رياح الرحمة. وأما الدَّبور فريح العذاب. ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٣)، ومجاهد (ص:٥٠١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في عذاب القبر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٦).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٨٠). وزاد وجهين آخرين، أحدهما: أنه متعلق بـ«يصدعون»، والثاني: أنه محذوف.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٥) أخرجه الشافعي في مسنده (ص:٨١).

والمعنى: مبشرات بالغيث.

﴿وليذيقكم﴾ عطف على «مُبَشِّرَاتٍ» على المعنى، كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم. ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف، تقديره: وليذيقكم، [وليكون كذا وكذا][(١)] أرسلناها[(٢)]. والمعنى: وليذيقكم من رحمته بنزول الغيث وحصول الخصب، ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ فإن جَرْيها في البحر متوقف على إرسال الرياح.

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بطلب التجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نِعَمَه فتوحِّدُوه.

ثم عزى نبيه ﷺ مبشراً له أن عاقبة الأمر له ولأصحابه، ومنذراً للكفار من غضبه وانتقامه، فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾، وكان بعضهم يقف [على][(٣)]: «وكان حقاً» على معنى: وكان الانتقام من المجرمين حقاً، ثم يبتدئ «علينا نصر المؤمنين».

والأول أظهر؛ لما أخبرنا به أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي، حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا [عبدالواحد بن أحمد][(٤)] المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد

---

(١) في الأصل: ولتجري. وهو وهم من الناسخ. والمثبت من الكشاف (٣/ ٤٩٠).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٩٠). وانظر: الدر المصون (٥/ ٣٨١).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) في الأصل: أحمد بن عبد الواحد، والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء =

بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو شيخ الحراني(١)، أخبرنا موسى بن أعين(٢)، عن ليث بن أبي سليم(٣)، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾»(٤).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ

= (١٨/ ٢٥٥).

(١) هو عبد الله بن مروان، أبو شيخ الحراني، ثقة سكن بغداد وحدّث بها. قال ابن حبان في الثقات: يعتبر حديثه إذا بين السماع في خبره (تاريخ بغداد ١٠/ ١٥١، والثقات ٨/ ٣٤٥).

(٢) موسى بن أعين الجزري، أبو سعيد الحراني، مولى بني عامر بن لؤي، مات سنة سبع وسبعين ومائة، ثقة صالح صدوق (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٨، والتقريب ص:٥٤٩).

(٣) ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم، أبو بكر الكوفي، ولد بالكوفة، وكان معلماً بها، كان رجلاً صالحاً عابداً، إلا أنه اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٧-٤١٨، والتقريب ص:٤٦٤).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٩ ح٢٧٥٧٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٩) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾

ثم دلّهم على وحدانيته وقدرته بما يشاهدونه من عجائب صنعته فقال: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء﴾ أي: يجعله مُتَّصلاً في سَمْت السماء، كقوله تعالى: ﴿وفرعها في السماء﴾ [إبراهيم:٢٤].

﴿كيف يشاء﴾ على ما تقتضيه الحكمة الإلهية من قليل وكثير.

﴿ويجعله كِسَفاً﴾ قِطَعاً متفرقة. والمعنى: يجعله متصلاً تارة ومتفرقاً أخرى.

وقرأ أبو جعفر وابن ذكوان: «كِسْفاً» بسكون السين[1]، وقد ذكر معناه.

﴿فترى الوَدْقَ﴾ وهو المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي: من خلال السحاب، ﴿فإذا أصاب به﴾ أي: [بالودق][2] ﴿من يشاء من عباده﴾ والمعنى: أصاب بلادهم وأراضيهم.

قوله تعالى: ﴿من قبله﴾ توكيد لقوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ ومعنى التوكيد: الإشارة إلى استحكام يأسهم من المطر لتطاول عهدهم.

﴿فانظر إلى أَثَرِ رحمة الله﴾ وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا أبا بكر: «آثار» على

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٠)، والنشر (٢/ ٣٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٨).

(٢) في الأصل: بأودق.

الجمع[1].

قال مقاتل[2]: «آثار رحمة الله»: هو النبت، وهو أثر المطر، والمطر رحمة الله.

قوله تعالى: ﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ هذه اللام في «ولئن أرسلنا» هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط[3]، إذا أتت الريح بلفظ الواحد أريد بها العذاب، كما سبق آنفاً.

﴿فرأوْه﴾ يعني: أثر رحمة، وهو النبت ﴿مُصْفَرّاً﴾ قد ذهبت نضارته وخضرته.

وقيل: الضمير في قوله: «فرأوه» يعود إلى السحاب، على معنى: فرأوا السحاب مصفراً فإنه إذا كان كذلك لا يمطر.

قوله تعالى: ﴿لظلوا﴾ يعني: لصاروا، وهو جواب يسدّ مسدّ جوابي القسم والشرط.

﴿من بعده﴾ أي: من بعد اصفرار النبات أو السحاب ﴿يكفرون﴾ بأنعم الله السالفة، فهم في جميع أحوالهم مذمومون، إن أنعم عليهم بطروا، وإن ابتلوا كفروا.

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضَعْف﴾ قرأ حمزة وأبو بكر: «ضَعْفٍ»

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦١)، والكشف (٢/ ١٨٥)، والنشر (٢/ ٣٤٥)، والإتحاف (ص:٣٤٨-٣٤٩)، والسبعة (ص:٥٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٥).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٩٢).

بفتح الضاد في المواضع الثلاثة في هذه الآية. وقرأ الباقون بضم الضاد[١]، وهو اختيار أبي عبيد والزجاج[٢]، ولغة النبي ﷺ وقريش، والفتح: لغة تميم.

قال عطية: قرأتُ على عبدالله بن عمر: ﴿الله الذي خلقكم من ضُعْف ثم جعل من بعد ضُعْف قوة ثم جعل من بعد قوة ضُعْفاً وشيبة﴾، فقال ابن عمر: ﴿الذي خلقكم من ضَعْف ثم جعل من بعد ضَعْف قوة ثم جعل من بعد قوة ضَعْفاً وشيبة﴾، ثم قال: قرأتها على رسول الله ﷺ كما قرأتها، فأخذها كما أخذتها عليك[٣].

ومعنى الآية: خلقكم من ماء ذي ضَعف وهو المني، ثم جعل من ضعف الطفولية قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعف الكبر والهرم، «وشَيْبَة» وهو التغير من صفة إلى صفة[٤]، وهيئة إلى هيئة أعدل شاهد وأظهر دليل على الصانع الحكيم.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٢)، والكشف (٢/ ١٨٦)، والنشر (٢/ ٣٤٥)، والإتحاف (ص:٣٤٩)، والسبعة (ص:٥٠٨).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٤/ ١٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٨ ح٥٢٢٧).

(٤) قوله: «إلى صفة» مكرر في الأصل. وانظر النص في: الكشاف (٣/ ٤٩٣).

قوله تعالى: ﴿ما لبثوا﴾ أي: يحلفون ما لبثوا في قبورهم. وقيل: في الدنيا ﴿غير ساعة﴾.

فإن قيل: استقصارهم مدة اللبث في الدنيا ظاهر معلوم، فما معنى استقصارهم مدة اللبث في القبور وهم معذبون؟

قلتُ: يجوز أن يقولوا ذلك ناسين ما كانوا فيه؛ لما دهمهم من أهوال الطامة، أو صار عندهم عذاب القبور كلا عذاب بالنسبة إلى ما أفضوا إليه، وقد سبق هذا المعنى فيما مضى. ويجوز أن يكونوا قالوا ذلك وهم كاذبون.

﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أي: مثل ذلك الصَّرْف كانوا يُصْرَفُون عن الصدق في الدنيا.

﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ وهم الملائكة. وقيل: الأنبياء. وقيل: المؤمنون.

ويجوز عندي: أن يكون القول صادر من الجميع.

﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

وقيل: في علم الله.

وقيل: فيما كتبه الله تعالى، أي: أوجبه بحكمته.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم.

﴿إلى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾ الذي كنتم تنكرونه.

﴿فيومئذ لا ينفع الذين﴾ قرأ أهل الكوفة: «لا ينفع» بالياء للفصل، أو حملاً

على معنى المعذرة فإنها بمعنى العذر. وقرأ الباقون بالتاء؛ لتأنيث المعذرة[١].

وقد أشرنا إلى علّة القراءتين واستوفينا القول في نظائر ذلك فيما مضى.

قال ابن عباس: لا يقبل من الذين أشركوا عذر ولا عتاب ولا توبة ذلك اليوم[٢].

﴿ولا هم يستعتبون﴾ قال الواحدي وابن الجوزي[٣]: [أي: لا يطلب][٤] منهم العتبى والرجوع في الآخرة.

وقال الزمخشري[٥]: هو من قولك: استعتبني فلان [فأعتبته][٦]، أي: استرضاني فأرضيته.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ جائز أن يكون

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٢)، والكشف (٢/ ١٨٦)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، والإتحاف (ص:٣٤٩)، والسبعة (ص:٥٠٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٢).

(٤) في الأصل: ولا هم تطلب. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) الكشاف (٣/ ٤٩٤).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

على ظاهره، على معنى: ضربنا لهم الأمثال تقريباً إلى أفهامهم وتنبيهاً لهم واحتجاجاً عليهم.

وجائز أن يكون المعنى: ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها [وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن][1] كصفة المبعوثين يوم القيامة [وقصتهم][2] وما يقولون وما يقال لهم.

﴿ولئن جئتهم بآية﴾ خارقة ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ لقسوة قلوبهم ونبوّ طباعهم عن قبول الحق ومجّ أسماعهم حديث الآخرة.

﴿إن أنتم﴾ أي: ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿إلا مبطلون﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الطبع ﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي: على قلوب الجهلة بالله تعالى وبصفاته وبما جاءت به رسله.

﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذاهم وعداوتهم ﴿إن وعد الله﴾ تعالى بصبرك وظهور دينك وإعلاء كلمتك ﴿حق﴾ لا بد من وقوعه وإنجازه.

﴿ولا يستخفنّك﴾ وقرأتُ ليعقوب بسكون النون وتخفيفها[3].

والمعنى: لا يستخفنَّ رأيك وحلمك.

وقال الزجاج[4]: لا يستفزَّنَّكَ عن دينك.

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٤٩٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) النشر (٢/ ٢٤٦)، والإتحاف (ص:١٨٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٩٢).

﴿الذين لا يوقنون﴾ [بالبعث][1] والجزاء.

وبعض المفسرين يقول: الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف. وقد سبق الكلام على أمثالها.

(١) في الأصل: بالبهت. والصواب ما أثبتناه. انظر: زاد المسير (٦/ ٣١٣).

سورة لقمان عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاث وثلاثون آية في المدني، وأربع وثلاثون آية في المكي، وهي مكية.

واستثنى قوم ثلاث آيات متواليات من قوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ فقالوا: نزلت بالمدينة(١).

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿هدى ورحمة﴾ قرأهما حمزة بالرفع، والباقون بالنصب(٢).

فمن رَفَعَ فعلى معنى: هو هدى ورحمة، ومن نصب: فعلى الحال من «آيات»، والعامل فيها ما في «تلك» من معنى الفعل.

﴿للمحسنين﴾ يعني: الذين يعملون الحسنات المذكورة في الآية التي بعدها، كأنه قيل: مَن المحسنون؟ فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة ... الآية﴾.

ومثل هذا ما يروى: أن الأصمعي سئل عن الألمعي ما هو، فأنشد قول أوس:

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (ص:٦١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٣) وعزاه للنحاس. وانظر: الإتقان (١/ ٣٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٣)، والكشف (٢/ ١٨٧)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، والإتحاف (ص:٣٤٩)، والسبعة (ص:٥١٢).

الألمعيُّ الذي يَظُنُّ بكَ الـ ـظن كأنْ قَدْ رَأَى وقدْ سَمِعَا[١]

ولم يُرد.

ويجوز أن يكون المراد بالمحسنين: الذين يعملون الحسنات، ثم خص هذه الخصال الثلاث بالذِّكْر؛ لموضع اختصاصها بالفضل.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال ابن السائب ومقاتل[٢]: كان النضر بن الحارث يخرج تاجراً إلى فارس، فيشتري كتباً فيها أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً، ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم حديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم حديث رستم [واسفنديار وأخبار][٣] الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت هذه الآية[٤].

---

(١) البيت لأوس بن حجر. انظر: ديوانه (ص:٥٣)، واللسان (مادة: حظرب، لمع)، والبحر (٧/ ١٧٩)، والدر المصون (٥/ ٣٨٦)، والخصائص (٢/ ١١٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٨).

(٣) في الأصل: واسفندار وأخبا. والصواب ما أثبتناه. وانظر: مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٠٥) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٦)، والوسيط (٣/ ٤٤٠-٤٤١)، والماوردي (٤/ ٣٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٥-٣١٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٠٣) وعزاه للبيهقي في الشعب عن ابن عباس.

وقال مجاهد: نزلت في شراء القِيان والمغنيات[١].

وروي: أن النضر كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به [إلى][٢] قينته فيقول: أطعميه واسقيه وغنّيه، ويقول: هذا خير لك مما يدعو إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رجل اشترى جارية كانت تغنّيه ليلاً ونهاراً[٤].

وقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام »[٥].

وفي مثل هذا نزلت هذه الآية: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث... إلى آخر الآية﴾.

وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٢)، ومجاهد (ص:٥٠٣). وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٦).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٤) وعزاه لجويبر عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٧٩ ح٥١٠٤) عن ابن مسعود. وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٠٨) وعزاه للبيهقي عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧ ح٢٢٢٧٢).

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥ ح٣٥٤٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٦٨ ح٢١١٣٠)، والبيهقي في شعبه (٤/ ٢٧٨ ح٥٠٩٦)، والطبري (٢١/ ٦١). وذكره =

وقال قتادة: هو كل لهو[1].

قال أهل المعاني: فيدخل في هذا كل من اختار اللهو واللعب والمعازف والمزامير على القرآن.

قوله تعالى: ﴿يشتري﴾ إما أن يكون على حقيقته -كما روينا عن النضر-، أو على مجازه، وهو إيثار اللهو، واختياره على ما أسلفنا في قوله: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ [البقرة:١٦].

قوله تعالى: ﴿ليُضلّ عن سبيل الله﴾ قرأ أهل الكوفة: «ليُضِلَّ» بضم الياء، على معنى: ليضل غيره، وقرأ الباقون بفتح الياء[2]، على معنى: ليصير أمره إلى الضلال.

وقوله: ﴿بغير علم﴾ في محل الحال من الضمير في «يَشْتَرِي»[3]، أو في «لِيُضِلَّ» فهو تجهيل للمُضِلّ أو تجهيل للمشتري حيث لم يهتد إلى التجارة الرابحة.

قوله تعالى: ﴿ويتَّخِذَها هزءاً﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال، ورفعها الباقون.

فمن نَصَبَ عَطَفَ على «لِيُضِلَّ»، ومن رَفَعَ عَطَفَ على [«يَشْتَرِي»][4]، والضمير المنصوب في «يتّخِذَها» يعود إلى الآيات، أو إلى «سبيل الله»، فإن السبيل

= السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٩٠).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٣)، والنشر (٢/ ٢٩٩)، والإتحاف (ص:٣٤٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٨٦).

(٤) في الأصل: ليشتري.

يُؤنّث ويذكّر[1]، وقد ذكر فيما مضى.

ويجوز عندي: أن يعود الضمير إلى «الآخرة»، فإن تكذيبهم بها واستهزاءهم بما كانوا يتوعدون به فيها متداول مشهور بينهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه﴾ أي: على المشتري لهو الحديث. وفي قوله: ﴿كأن لم يسمعها﴾ تحقيق لمعنى استكباره وعدم مبالاته بالله تعالى وآياته.

﴿كأنّ في أذنيه وقراً﴾ أي: ثِقلاً. والجملتان المصدريتان بـ«كأنّ» مستأنفتان.

ويجوز أن يكون الأولى حالاً من «مُسْتكْبراً»، والثانية حالاً من «لم يسمَعْها»، والأصل في كأن المخففة: كأنّه، والضمير ضمير الشأن[2].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾

وما بعده مفسّر إلى قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٨٧)، والدر المصون (٥/ ٣٨٦).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٩٨). وانظر: التبيان (٢/ ١٨٧)، والدر المصون (٥/ ٣٨٦).

اعلم أن مقصود الكلام في لقمان يحصره فصول أربعة:

الفصل الأول:

اختلفوا هل كان حراً أو عبداً؟ فقال محمد بن إسحاق: هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح -وهو آزر-، وعاش ألف سنة، وأدرك زمان داود[١].

وقيل: كان ابن أخت أيوب. وقيل: ابن خالته.

وقال مجاهد: كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين[٢].

وقال سعيد بن المسيب: كان أسود نوبياً من سودان مصر، ذا مشافر[٣].

وقال ابن عباس: كان عبداً حبشياً[٤].

الفصل الثاني:

اختلفوا في صناعته؛ فروى الإمام أحمد بإسناده عن سعيد بن المسيب: أن لقمان كان خياطاً[٥].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/ ٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٣ ح٣٤٢٩١)، والطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٩) وعزاه لابن أبي شيبة في الزهد وأحمد وابن أبي الدنيا في كتاب المملوكين وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن المنذر.

وقال خالد [الربعي][(١)]: كان عبداً حبشياً نجاراً[(٢)].

الفصل الثالث:

اختلفوا هل كان نبياً أم لا؟

فذهب الأكثرون، منهم ابن عباس: إلى أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً[(٣)].

وقال عكرمة: كان نبياً[(٤)].

والأول أكثر وأصح.

ويروى: أن لقمان عليه السلام خيّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة[(٥)].

الفصل الرابع: في الإشارة إلى نبذة يسيرة من حكمته:

روي: أن رجلاً وقف عليه فقال: ألست الذي كنت ترعى معي؟ فقال: بلى، فقال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: صِدْق الحديث، والصمت عما لا يعنيني[(٦)].

ويروى: أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدروع وقد ليَّنَ الله تعالى

---

(١) في الأصل: الربع. وهو خطأ. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٣/ ٣٢٢)، ولسان الميزان (٢/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٥)، والطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٤ ح٣٤٢٩٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧). وذكره الماوردي (٤/ ٣٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧). وذكره الماوردي (٤/ ٣٣١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥١١) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٨)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (١/ ٩٦، ٢٩٤) كلاهما عن عمرو بن قيس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٢) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وابن جرير.

له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة، فلما انتهت لبسها، وقال: نعم لبوس الحربِ أنتِ، فقال لقمان: الصمت حِكَم وقليلٌ فاعله، فقال له داود: بحقٍّ ما سميت حكيماً[1].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[2] له بإسناده عن مالك بن دينار قال: قال لقمان لابنه: يا بني! اتخذ طاعة الله تعالى تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة.

وبإسناده عن أبي عثمان -رجل من أهل البصرة يقال له: الجعد[3]- قال: قال لقمان لابنه: لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهد فيك[4].

وبإسناده عن عبيد بن عمير قال: قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني! اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك عَيِياً يعلموك، وإن يطلع الله تعالى إليهم برحمة تصيبك معهم.

يا بني! لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك عيّاً يزيدوك عياً، وإن يطلع الله عز وجل بعد ذلك

---

(١) أخرج نحوه الحاكم (٢/ ٤٥٨ ح٣٥٨٢)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٦٤ ح٥٠٢٦) كلاهما من حديث أنس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٣) وعزاه للعسكري في الأمثال والحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس.

(٢) الزهد (ص:٦٤).

(٣) كذا في البداية والنهاية (٢/ ١٢٧)، وفي الدر المنثور (٦/ ٥١٦): الجعدي.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٣٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٣٨ ح٢٠١٣٥)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤٨٤ ح١٣٧٤).

بسخط يصيبك معهم.

يا بني! لا تغبطن امرءاً رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين، فإن له عند الله قاتلاً لا يموت[(١)].

وبإسناده عن أبي سعيد قال: قال لقمان لابنه: يا بني! لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء[(٢)].

وبإسناده عن قتادة: أن لقمان قال لابنه: يا بني! اعتزل الشر كيما يعتزلك، فإن الشر للشر خُلق[(٣)].

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني حسين بن الجنيد قال: حدثنا سفيان قال: قال لقمان لابنه: يا بني! ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب[(٤)].

عُدْنا إلى التفسير:

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ فَسَّرها عكرمة: بالنبوة[(٥)].

وقال مجاهد وعامة المفسرين: الحكمة هاهنا: الفقه والعقل والإصابة في

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٧) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد.

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٧) وعزاه لعبد الله في زوائده.

(٣) أخرج أحمد في الزهد (ص:٦٥) طرفاً منه، وأخرجه البيهقي في شعبه (٥/ ٤٥٧ ح٧٢٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٦-٥١٧) وعزاه لأحمد.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٧).

القول[١].

قوله تعالى: ﴿أنِ اشكر لله﴾ «أنْ» هي المفسرة؛ لأن إيتاء الحكمة في معنى القول، فنبّه بهذا على أن الحكمة الأصلية توحيد الله سبحانه وتعالى وشكره.

قال مقاتل[٢]: المعنى: قلنا له: أنِ اشكر الله فيما أعطاك من الحكمة.

وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ واسمه: أنعم.

وقال ابن السائب: اسمه أشكم[٣].

﴿وهو يعظه﴾ رُوي: أن ابنه وامرأته كانا كافرين، فما زال يعظهما حتى

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٤)، والطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧)، ومجاهد (ص:٥٠٤).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١١) وعزاه للفريابي وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٣٣٣) وفيه: مشكم.

أسلما[1].

﴿يا بُنَيَّ لا تشرك﴾[2] وقرأتُ لابن كثير إلا من طريق ابن فليح: «يا بُنَيْ» بسكون الياء وتخفيفها أيضاً[3]، كما خفَّفَ الشاعر:

قد كنتُ جَارَكَ حَوْلاً ما تُروِّعُني فيه روائعُ من إنسٍ ولا جان[4]

فخفَّفَ النون.

قال أبو علي[5]: خَفَّفَ ياء الإضافة، ثم خَفَّفَ فحذف الياء التي هي لام الفعل، وبقيت الياء التي هي ياء التصغير، فالياء الموقوف عليها في «بُنَيَّ» هي ياء التصغير.

﴿إن الشرك﴾ وجعل من لا نعمة له كمن لا نعمة إلا منه، ﴿لظلم عظيم﴾. وقد ذكرنا سبب نزوله.

قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾ أي: تَهِنُ وَهْناً على وَهْن، أي: تَضْعُف ضَعْفاً على ضَعْف، كلما ازداد حملها زاد ضَعْفُها.

﴿وفصاله﴾ أي: فِطَامُه. وهو مبتدأ، خبره في الظرف على تقدير: يقعُ أو يحدث، ﴿في عامين﴾ أي: في انقضاء عامين.

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ٦٢).

(٢) قوله: «لا تشرك» ذكرت في الأصل بعد قوله: «يا بنيْ» التالية.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٢-٢٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٤)، والكشف (١/ ٥٢٩)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٢).

(٤) البيت لعمران بن حطان، وانظر البيت في: اللسان، مادة: (جنن، ظلل)، والحجة للفارسي (٢/ ٣٩٧)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية (٨/ ١٥٣).

(٥) الحجة (٢/ ٣٩٧).

والمقصود من ذلك: تهييج الإنسان على بِرِّ والديه بتذكيره ما عانت من الوهن زمن الحمْل، والمشقة مدة الرضاع.

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد[1] له بإسناده عن كعب بن علقمة: أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج هارباً من فرعون قال: رب أوصني، قال: [أوصيك][2] أن لا تعدل بي شيئاً أبداً إلا اخترتني عليه، فإني لا أرحم ولا أزكي من لم يكن كذلك، قال: وبماذا يا رب؟ قال: بأمك، فإنها حملتك وَهْناً على وَهْن، ثم قال: ثم ماذا يا رب؟ قال: بأبيك، قال: ثم ماذا يا رب؟ قال: أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكرهُ لهم ما تكره لها، قال: ثم بماذا يا رب؟ قال: ثم إن وليتك شيئاً من أمر عبادي فلا تُعَنِّهِم[3] إليك في حوائجهم [فإنك إنما تُعَنِّي روحي، فإني مبصر ومستمع ومشهد ومستشهد][4].

﴿أن أشكر لي ولوالديك﴾ قال ابن عباس: المعنى: أطعني وأطع والديك[5].

قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما[6].

وفي قوله: ﴿إليّ المصير﴾ ترغيب في الطاعة طلباً للمثوبة، وترهيب من الإضاعة هرباً من العقوبة.

---

(١) الزهد (ص:٨٧).

(٢) في الأصل: أصيك. والتصويب من الزهد، الموضع السابق.

(٣) من العناء والمشقة.

(٤) زيادة من الزهد (ص:٨٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣).

(٦) ذكره القرطبي (١٤/ ٦٥).

قوله تعالى: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ قال الزجاج[1]: أي مُصَاحَباً معروفاً، تقول: صَاحَبَه مُصَاحَباً ومُصَاحَبَةً. ومعنى المعروف: ما يُستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ أي: اسلك طريق من رجع إليّ، وهو طريق محمد ﷺ وأصحابه.

وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: واتبع سبيل أبي بكر الصديق، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا له: آمنت وصدقت محمداً؟ [قال][2]: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى يقول لسعد: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ يعني: أبا بكر رضي الله عنه[3].

يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٩٧).

(٢) في الأصل: قالوا.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣)، وأسباب نزول القرآن (ص:٣٥٨).

قال السدي: قال ابن لقمان لأبيه: أرأيت لو أن حبّة من خردل في مَقْل البحر[١] أكان الله تعالى يعلمها؟ فقال له ما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾[٢].

قرأ نافع: «مثقالُ» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب[٣].

فمن رَفَعَ جعل «كان» تامة لا تحتاج إلى خبر، فرفع «المثقال» بها، وأتى بالفعل على لفظ التأنيث حملاً على المعنى؛ لأن المثقال في معنى السيئة أو المظلمة، ومثله قوله تعالى: ﴿فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام:١٦٠] فأنّث؛ لأن المعنى: فله عشر حسنات.

ومن نَصَبَ جعل «كان» ناقصة، فأضمر فيها اسمها، ونصب «المثقال» على الخبر، على معنى: إن تك المظلمة أو السيئة قدر مثقال حبة من خردل.

﴿فتكن في صخرة﴾ قال ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي تكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها[٤].

قال السدي: هذه صخرة ليست في السماوات ولا في الأرض، هي تحت سبع أرضين، عليها ملك قائم[٥].

---

(١) مَقْل البحر: موضع المغاص من البحر الذي يغمره الماء (اللسان، مادة: مقل).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٥)، والكشف (٢/ ١٨٨)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، والإتحاف (ص:٣١٠-٣١١)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٩٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣).

وقال قتادة: «فتكن في صخرة»: في جبل[١].

وقرأ عبدالكريم الجزري: «فَتَكِنَّ» بكسر الكاف[٢]، من قولهم: كَنَّ الطائرُ يَكِنُّ وُكُوناً؛ إذا استقرّ [في][٣] وكنته، وهو مقره ليلاً، وهو أيضاً عُشّه الذي يبيض فيه ووَكْرِه[٤]، ومنه قول الشاعر:

وقد أغْتَدِي والطيرُ في وَكَنَاتِها   بمنجَردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ[٥]

﴿يأت بها﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء، ﴿إن الله لطيف﴾ يصل علمه إلى كل خفي.

وقال قتادة: لطيف باستخراجها، ﴿خبير﴾ بمستقرها[٦].

قوله تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك﴾ أي: على ما أصابك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى ما أصابك من المصائب.

﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ سبق تفسيره في آخر آل عمران[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٨٢)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٣٨٨).

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٠٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: وكن).

(٥) البيت لامرئ القيس من معلقته، انظر: ديوانه (ص:١٩)، والسبع الطوال (ص:٨٢)، والمحتسب (٢/ ٢٣٤)، والخصائص (٢/ ٢٢٠)، واللسان (مادة: قيد)، وروح المعاني (٢١/ ٩٨)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٦٦)، والدر المصون (٥/ ٣٩٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) عند الآية رقم: ١٨٦.

قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: «تُصَعِّرْ» بتشديد العين من غير ألف. وقرأ الباقون: «تُصَاعِرْ» بألف مع تخفيف العين[1].

قال أبو علي[2]: هما لغتان، مثل: ضَاعَفَ وضَعَّف. وقال أبو الحسن: «تُصَاعِرْ» لغة أهل الحجاز، و«تُصَعِّر» لغة تميم. والمعنى فيه: لا تتكبر على الناس ولا تُعرض عنهم تكبراً عليهم.

قال أبو عبيدة[3]: أصل هذا من الصَّعَرِ الذي يأخذ الإبل في رؤوسها وأعناقها.

قال أبو علي[4]: كأنه يقول: لا تعرض عنهم، ولا تَزْوَرَّ كازْوِرَار الذي به هذا الدّاء الذي يلوي منه عنقه ويُعرِضُ بوجهه.

قال ابن عباس: هو الذي إذا سُلِّمَ عليه لوى عنقه كالمستكبر[5].

وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَة -الصَّدّ- فيراه فيعرض عنه[6].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٥)، والكشف (٢/ ١٨٨)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٢) الحجة (٣/ ٢٧٣).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٢٧).

(٤) الحجة (٣/ ٢٧٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٥).

وباقي الآية مفسر في سُبْحان[(١)] والنساء[(٢)].

قوله تعالى: ﴿واقصدْ في مَشْيِكَ﴾ أي: اعدل فيه واجعله بين المشيين، لا تدبّ كدبيب المتماوتين، ولا تثب وثب [الشطار][(٣)]، وليكن قصداً خارجاً عن قانون الاختيال والإسراع المُذْهِب بالوقار[(٤)].

قال عطاء: امْشِ بالوقار والسكينة[(٥)].

﴿واغضض من صوتك﴾ أي: انقص منه.

قال الزجاج[(٦)]: ومنه: غَضَضْتُ بصَري، وفُلانٌ يَغُضُّ [بَصَرهُ][(٧)] من فلان، [أي: يتنقَّصُه][(٨)].

﴿إن أنكر الأصوات﴾ أقبح الأصوات[(٩)]. قال الزجاج[(١٠)]: يقول: أتانا فُلانٌ بوجه مُنْكَر، أي: قبيح.

---

(١) عند الآية رقم: ٣٧.

(٢) عند الآية رقم: ٣٦.

(٣) في الأصل: الشياطين، والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٠٤).

(٤) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ١٩٩).

(٧) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٨) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ١٩٩).

(٩) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢٣): فإن قيل: كيف قال: «الصوت» ولم يقل: لأصوات الحمير؟

الجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكأنه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

(١٠) معاني الزجاج (٤/ ١٩٩).

قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً ما جعله الله للحمير[١].

وقرأ أبو المتوكل وابن أبي عبلة: «أن أنكر» بفتح الهمزة[٢].

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ وقرأ يحيى بن عمارة: «وأصْبَغَ» بالصاد[٣].

قال أبو الفتح[٤]: أصله السين إلا أنها أبدلت للغين بعدها صاداً، وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن، والصاد مستطيلة، وهي أخت السين في المخرج وأحدي حروف الاستعلاء، ونحوه: قولهم في سطر: صطر.

وقال الزمخشري[٥]: هكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٣٢٣).

(٣) وهي قراءة ابن عباس أيضاً. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ١٨٥)، والدر المصون (٥/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٣٤).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٠٥).

في سلخ: صلخ، وفي سقر: صقر، وفي سالغ: صالغ.

واختلف القراء في «نِعَمَهُ»؛ فقرأ الأكثرون: «نِعْمَةً» على التوحيد. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر: «نِعَمَهُ» على الجمع(١).

قال أبو علي(٢): من قرأ «نِعَمَهُ» على الجمع؛ فلأنَّ نِعَم الله تعالى كثيرة. ومن قرأ «نِعْمَةً» على الإفراد؛ فلأن المفرد أيضاً يدل على الكثرة، قال: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم:٣٤].

وروى جويبر عن الضحاك قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ فقال: هذا من مخزوني الذي سألت رسول الله ﷺ عنه، فقلت: يا رسول الله! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: أما الظاهرة: الإسلام وما حسن من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق، وأما الباطنة: فما ستر عليك من سوء عملك يا ابن عباس(٣).

وقال الحارث المحاسبي: الظاهرة: نعيم الدنيا، [والباطنة](٤): نعيم العقبى(٥).

وقيل: الظاهرة: الرزق المكتسب، والباطنة: الرزق من حيث لا يحتسب.

وقيل: الظاهرة: ألوان العطايا، والباطنة: غفران الخطايا.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٥-٥٦٦)، والكشف (٢/ ١٨٩)، والنشر (٢/ ٣٤٦-٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٢) الحجة (٣/ ٢٧٤).

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه (٤/ ١٢٠ ح٤٥٠٥). وذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٢٥-٥٢٦) وعزاه لابن مردويه والديلمي وابن النجار.

(٤) في الأصل: والباطن.

(٥) ذكره القرطبي (١٤/ ٧٣).

ويروى: أن موسى عليه السلام قال: إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك؟ فقال: أخفى نعمتي عليهم: النَّفَس[(١)].

ويروى: أن أيسر ما يعذب به أهل النار: الأخذ بالأنفاس[(٢)].

قوله تعالى: ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي: إلى موجباته وأسبابه.

قال أبو عبيدة: جوابه محذوف، تقديره: أتتبعونه.

وقال صاحب الكشاف[(٣)]: معناه: ولو كان الشيطان يدعوهم، أي: في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب.

وقال الأخفش[(٤)]: لفظه لفظ استفهام، ومعناه التقرير.

۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ وقرأ علي بن أبي طالب وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية وقتادة: «ومن يُسَلِّمْ» بالتشديد[(٥)]. يقال: أَسْلِمْ أمركَ

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٠٦).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٠٦). قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص:١٣٠): لم أجده.

(٣) الكشاف (٣/ ٥٠٦).

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٦٧).

(٥) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٢٥)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٠).

وسَلِّم أمْرَكَ إلى الله تعالى، والمراد: التوكل عليه والتفوض إليه.

﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ هو مفسر في البقرة[1].

وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ سبب نزولها: ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٨٥] إيانا يريد أم قومك؟ فقال: كلا، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال: إنها في علم الله تعالى قليل، فنزلت هذه الآية[2].

والمعنى: ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت

---

(١) عند الآية رقم: ٢٥٦.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٦) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم، والواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٨)، والماوردي (٤/ ٣٤٤).

بتلك الأقلام وبذلك المِدَاد كلمات الله، لما نفدت كلماته.

قال ابن قتيبة[(١)]: «يَمُدُّ» من المِدَاد لا من الإمْدَاد. يقال: مَددتُ دَوَاتي بالمِدَاد، وأمددتُه بالمال والرجال.

واختلف القراء في «البحر»: فرفعه الأكثرون، ونصبه أبو عمرو[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: النصب عطفٌ على «ما»، والرفع حسن على وجهين: أحدهما: والبحر هذه حاله. ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع «أن» مع ما بعدها.

وقال غيره: يجوز أن يكون النصب من باب قوله: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يس:٣٩]، ﴿والسماء رفعها﴾ [الرحمن:٧]، فيكون منصوباً بمضمر، تقديره: يمدُّه من بعده.

وقال أبو علي والزمخشري[(٤)]: الرفع على الابتداء، والواو للحال، على معنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً. وهو الوجه الأول الذي ذكره الزجاج.

قال الزمخشري[(٥)]: فإن قلت: الكلمات جمع قلّة، والموضع موضع التكثير، فهلاّ قيل: كلم الله؟

---

(١) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٦/ ٣٢٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٤-٢٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٦)، والكشف (٢/ ١٨٩)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٠).

(٤) الحجة (٣/ ٢٧٥)، والكشاف (٣/ ٥٠٧).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٠٨).

قلتُ: معناه: أن كلماته لا تفي [بكتبتها][(١)] البحار، فكيف بكلمه؟

وقرأ ابن مسعود: «وبحر يمدُّه» على التكثير[(٢)].

وقرئ: «تَمُدُّه» و«يَمُدُّه» بالتاء والياء[(٣)]، ونعتها يشير إلى استواء القليل والكثير في قدرته.

قوله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ معناه: إلا كحق نفس واحدة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الفُلْكَ﴾ وقرأ موسى بن الزبير: «الفُلُكَ» بضم اللام[(٤)].

---

(١) في الأصل: بكتبة. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٠٨).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٨٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩١).

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٨٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩١).

قال الزمخشري[(١)]: كل فُعْل: يجوز فيه فُعُل، كما يجوز في كل فُعُل فعل، على مذهب التعويض.

﴿ليريكم من آياته﴾ من عجائب مخلوقاته ودلائل قدرته.

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على الشدة والبلاء ﴿شكور﴾ في العافية والرخاء.

وقال أهل المعاني: أراد: لآيات لكل مؤمن؛ لأن الصبر والشكر من أفضل خصال المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ يريد: الكفار. وقيل: هو على عمومه.

ولما كان الموج يرتفع ويتراكم شُبِّهَ بالظُّلَل، وهو جمع ظلة، والظُّلَّة: كل ظُلَل من شجر أو سحاب أو غيرهما.

قوله تعالى: ﴿فمنهم مقتصد﴾ متوسط في الكفر والظلم.

قال مجاهد: مقتصد في القول مضمر للكفر[(٢)].

وقال الكلبي: مقتصد في القول من الكفار؛ لأن بعضهم أشد قولاً وأغلا في الافتراء من بعض[(٣)].

---

(١) الكشاف (٣/ ٥١٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٩) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٩٦).

وقيل: «مقتصد» بمعنى: مؤمن. قاله الحسن[١].

وقال ابن زيد: «المقتصد»: الذي هو على صلاح من الأمر[٢].

﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ قال ابن قتيبة[٣]: الخَتْرُ: أقبحُ الغدر وأشدُّه.

وأنشدوا قول عمرو بن معدي كرب:

فإنكَ لو رأيتَ أبا عُمَيرٍ ... مَلأْتَ يَدَيْكَ منْ غَدْرٍ وخَتْرْ[٤]

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي بن كنانة، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو نصر المهرجاني، أخبرنا عبيدالله بن محمد الزاهد، أخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، حدثنا أبو الربيع الزهراني[٥]، حدثنا حماد بن زيد[٦]، عن أيوب، [عن][٧] ابن أبي مليكة قال: «لما

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٥).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٤٥).

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب. انظر: ديوانه (ص:١٠٩)، والدر المصون (٥/ ٣٩٢)، والطبري (٢١/ ٨٥)، والقرطبي (١٤/ ٨٠)، وروح المعاني (٢١/ ١٠٦)، والماوردي (٤/ ٣٤٨)، والبحر (٧/ ١٧٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٩).

(٥) هو سليمان بن داود العتكي، أبو الربيع الزهراني البصري الحافظ، ثقة صدوق، سكن بغداد، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٦٦، والتقريب ص:٢٥١).

(٦) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري الأزرق، مولى آل جرير بن حازم، كان ضريراً، ثقةً ثبتاً، كثير الحديث، مات سنة تسع وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٩-١٠، والتقريب ص:١٧٨).

(٧) زيادة من مصادر التخريج.

كان فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر، فَخَبَّ بهم البحر، فجعلت [الصَّراري][(١)] ومن معه في السفينة يدعون الله تعالى ويستغيثون به، فقال: ما هذا؟ قيل: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله. فقال عكرمة: وهذا إله محمد الذي كان يدعونا إليه، ارجعوا بنا، فرجع فأسلم»[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه، ومنه قول الراعي:

[وأجْزَأتْ][(٣)] أمرَ العالمينَ ولم يكن ... [ليجْزِي][(٤)] إلا كاملٌ وابنُ كامل[(٥)]

وقد سبق هذا المعنى، والفرق بين جزى وأجزى في البقرة.

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن التزود لآخرتكم، ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ أي: لا يغرنكم بحلم الله وإمهاله الغَرُور.

---

(١) في الأصل: البصاري. والمثبت من مجمع الزوائد (٥/ ٥).
والصَّراري: الملاّح (اللسان، مادة: صرر).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٣٧٢ ح١٠١٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٧).

(٣) في الأصل: وأجزاب. والتصويب من مصادر البيت.

(٤) في الأصل: لبحري. والتصويب من مصادر البيت.

(٥) البيت للراعي، وهو في: الماوردي (٤/ ٣٤٩)، والقرطبي (١/ ٣٧٨).

وهو الشيطان، في قول مجاهد(١).

والأمل بتمني المغفرة، في قول سعيد بن جبير(٢).

وقرأ سماك بن حرب: «الغُرور» بضم الغين(٣).

قال الكلبي: هو غرور الدنيا بخدعها الباطلة.

وقيل: غرور الدنيا بشهواتها الموبقة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من أهل البادية يقال له: الوارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن الساعة متى قيامها، وإني قد ألقيت [حباتي](٤) في الأرض وقد [أبطأت عنّا](٥) السماء فمتى تمطر، وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها ذكراً أم أنثى، وإني عملت ما عملت أمس فما أعمل غداً، وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت؟ فنزلت

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧)، ومجاهد (ص:٥٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ١٨٩)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٢).

(٤) زيادة من الكشاف (٣/ ٥١١).

(٥) في الأصل: أنطأت عبا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

هذه الآية[١].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولا يعلم متى [تغيض][٢] الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا تعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله»[٣].

وقال ابن عباس: من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب، وإياكم والكهانة، فإن الكهانة تدعو إلى الشرك، والشرك وأهله في النار[٤].

وقال الزجاج[٥]: من ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كَفَرَ بالقرآن؛ لأنه خالفه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿عنده علم الساعة﴾: علم قيامها.

﴿وينزل الغيث﴾ قال صاحب كشف المشكلات[٦]: هذه الآية تدل على أن الظرف يشبه الفعل، ألا ترى أنه قال: «عنده علم الساعة»، فجاء بالظرف وما

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٠) وعزاه لابن المنذر عن عكرمة. وذكره الواحدي في: أسباب النزول (ص:٣٥٩). وانظر لفظ المصنف في: الكشاف (٣/ ٥١١) واسم الرجل فيه: «الحارث» بدل: «الوارث»، والبحر المحيط (٧/ ١٨٩) واسم الرجل فيه: الحارث بن عمارة المحاربي.

(٢) في الأصل: غيض. والتصويب من الصحيح (٢/ ١٧٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣٣ ح٤٤٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥١١-٥١٢).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٢).

(٦) كشف المشكلات (٢/ ٢١٨-٢١٩).

ارتفع به، ثم قال: «وينزل الغيث»، فعطف الفعل والفاعل على الظرف وما ارتفع به، ومثله: ﴿نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع﴾ [المؤمنون:٢١] فصدَّر بالفعل والفاعل، ثم عطف بالظرف، وأنشد:

نُقاسمُهُم أسيافَنَا شَرَّ قسمةٍ ففينا غَواشيها وفيهمْ صُدُورُها(١)

فصدَّرَ بالفعل والفاعل، ثم أتى بالظرف وما ارتفع به.

ويجوز أن يكون التقدير: وأن ينزل الغيث، أي: عنده علم الساعة وإنزال الغيث، فحذف «أنْ» كقوله:

.... أحْضُر الوغى ....(٢)

والمعنى: وينزل الغيث في زمانه ومكانه.

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى، وتام وناقص، ومؤمن وكافر، وحسن وقبيح، وأبيض وأسود، إلى غير ذلك.

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ من خير أو شر، وربما كانت عازمة على شيء فينقلب معكوساً، و«ماذا» ينتصب بقوله: «تكسب»، لا بقوله: «تدري»؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله.

﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ قال بعض العلماء: كم من نفس أقامت

(١) البيت لجعفر بن علبة الحارثي، وهو في اللسان (مادة: غشا)، وتاج العروس (مادة: غشا).

(٢) جزء من بيت لطرفة، وهو:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

انظر: ديوانه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: أنن، دنا)، والبحر (٧/ ١٦٣)، والدر المصون (١/ ٢٧٥، ٥/ ٣٧٥)، والسبع الطوال (ص:١٧٢)، والمقتضب (٢/ ١٣٤)، والهمع (١/ ٦)، والخزانة (١/ ١١٩).

بأرض وضربت أوتادها وقالت: لا أبرح أو أقبر فيها، فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها بها ظنونها.

ويروى: أن مَلَكَ الموت عليه السلام مرّ على سليمان عليه السلام، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت، قال: [فكأنه](١) يريدني، وسأل سليمان أن يحمله على الريح وتلقيه ببلاد الهند، ففعل، ثم قال ملك الموت لسليمان: كان دوام نظري إليه تعجباً فيه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك(٢).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إذا أراد الله عز وجل قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾»(٣).

وقال هلال بن يساف: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي يدفن فيها(٤).

فإن قيل: الأرض مؤنثة فكيف قال: «بأي أرض»؟

قلت: أراد بالأرض: المكان.

---

(١) في الأصل: فكا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٧٠ ح٣٤٢٦٨)، وأحمد في الزهد (ص:٥٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٠٦ ح٨٤١٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٦) وعزاه للطبراني في الأوسط. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٢-٥٣٣) وعزاه للطيالسي وأحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٥٠)، والمناوي في فيض القدير (٣/ ٥٣٣) وعزاه للدينوري في المجالس.

وقال الفراء[١]: اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في أيّ تأنيث آخر.

وقال أبو عبيدة[٢]: يقال: بأي أرض [كنت][٣]، وبأية أرض كنت، لغتان.

وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب: «بأَيَّةِ أرضٍ» بتاء مكسورة[٤].

قال الزمخشري[٥]: شبّه سيبويه[٦] تأنيث «أي» بتأنيث كل في قولهم: كلّتهن.

قوله تعالى: ﴿إن الله عليم خبير﴾ قال الماوردي[٧]: يحتمل وجهين:

أحدهما: عليم بالغيب خبير بالنية.

والثاني: عليم بالأفعال خبير بالجزاء. والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٣٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) في الأصل: كتب. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٣١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٢).

(٥) الكشاف (٣/ ٥١٢).

(٦) انظر: الكتاب (٣/ ٤٠٧).

(٧) تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٠-٣٥١).

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة المضاجع. وهي ثلاثون آية في المدني والكوفي، وهي مكية.

واستثنى الكلبي ثلاث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً ... إلى آخرها﴾[1].

وقال مقاتل[2]: فيها آية مدنية: ﴿تتجافى جنوبهم ... الآية﴾.

وقال غيرهما: فيها آيات مدنيات من قوله تعالى: ﴿تتجافى﴾ إلى تمام خمس آيات.

قال الزجاج[3]: روى أحمد بن حنبل بإسناد له: « أن النبي ﷺ كان يقرأ في كل ليلة سورة السجدة «ألم تنزيل الكتاب»، وسورة تبارك الملك ».

قرأت على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي فأقر به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله قال: «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تبارك وألم تنزيل»[4].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٢)، وزاد المسير (٦/ ٣٣٢)، والإتقان (١/ ٣٦-٣٧)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٦٢٠).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٦).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٠ ح١٤٧٠٠). وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٥٠٤).

وبالإسناد قال البغوي: حدثنا المطهر بن علي، حدثنا أبو ذر محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبدالله بن محمد المعروف بأبي الشيخ، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا ابن عرعرة، حدثنا معتمر بن سليمان وفضيل بن عياض، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر قال: « كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تنزيل السجدة وتبارك »[1]، قال: هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: « من قرأ سورة السجدة كتبت له سبعون حسنة، وحطّت عنه سبعون سيئة، ورفعت له سبعون درجة »[2].

قال: ورفع ﴿تنزيل الكتاب﴾ على إضمار: الذي يتلو تنزيل الكتاب.

ويجوز أن يكون في المعنى خبراً عن ﴿ألم﴾، أي: أن ألم هو تنزيل الكتاب.

ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء: «لا ريب فيه».

قال الزمخشري[3]: الوجه أن يرتفع «تنزيل» بالابتداء، وخبره: ﴿من رب العالمين﴾، و ﴿لا ريب فيه﴾: اعتراض لا محل له. والضمير في ﴿فيه﴾ راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أي: في كونه منزلاً من رب العالمين، ويشهد لوجاهته قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾؛ لأن قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿بل هو الحق من ربك﴾ وما فيه من تقدير أنه من الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٥ ح٢٨٩٢).

(٢) أخرجه الدارمي (٢/ ٥٤٦ ح٣٤٠٩).

(٣) الكشاف (٣/ ٥١٣).

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، فأضرب عن ذلك إلى قوله: «أم يقولون افتراه» إنكاراً لقولهم.

ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك.

﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم قريش، فإن الله تعالى لم يبعث قبل محمد رسولاً.

وما بعده سبق تفسيره.

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ
أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض... الآية﴾ في معناها قولان:

أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم من أيام الدنيا فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من سير الآدمي.

الثاني: يدبر أمر الدنيا مدة أيام الدنيا فينزل القضاء والقدر من السماء إلى

الأرض.

﴿ثم يعرج إليه﴾ أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر، ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ وذلك في القيامة؛ لأن كل يوم من أيام الآخرة كألف سنة.

وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً[(١)].

فعلى هذه الأقوال: المراد: تدبير أمر الدنيا.

قال الزجاج[(٢)]: ومعنى: «ثم يعرج»: يصعد، يقال: عَرَجْتُ في السُّلَّم أعْرُجُ، ويقال: عَرَجَ الرجل يَعْرُجُ؛ إذا صار أعْرَج[(٣)].

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٢-٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عرج).

عامر: «خَلْقَهُ» بسكون اللام. وقرأ الباقون بفتحها[١].

قال الزجاج وأبو علي[٢]: من أسكن اللام جاز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدراً دلَّ عليه ما تقدم من قوله تعالى: ﴿أحسن كل شيء﴾، فالمعنى: الذي خلق كل شيء خلقه.

الثاني: أن يكون بدلاً من «كل»، فيصير التقدير: الذي أحسن خَلْقَ كل شيء.

ومن فتح اللام فقال أبو علي[٣]: جعله فعلاً ماضياً وصفاً للنكرة المتقدمة، أي: كل شيء مخلوق.

قال الزجاج[٤]: فتأويل الإحسان في هذا أنه خَلَقَهُ على إرادته، فخَلَقَ الإنسان في أحسن تقويم، وخلق القرْد على ما أحب.

قال صاحب النظم: بيان ذلك: أنه لما طوّل رجل البهيمة والطائر طوّل عنقه؛ لئلا يتعذر عليه ما لا بد له من قوته، ولو تفاوت ذلك لم يكن له معاش، وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدّر لما يصلح به معاشه[٥].

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾: جعله حسناً[٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٨-٥٦٩)، والكشف (٢/ ١٩١)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥١)، والسبعة (ص:٥١٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٤)، والحجة (٣/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٣) الحجة (٣/ ٢٧٧).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٤).

وقال مجاهد: أحكمه وأتقنه[(١)].

والقولان متقاربان في المعنى، وهما مرويان عن ابن عباس[(٢)].

وقال السدي: أحسنه لم يتعلمه من أحد، كما يقال: فلان يحسن كذا؛ إذا [علمه][(٣)].

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني: منكري البعث ﴿أإذا ضللنا في الأرض﴾. وقرأ ابن محيصن: «ضَلِلْنا» بكسر اللام، وهما لغتان ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ.

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء بضم الضاد [وتشديد اللام][(٤)] وكسرها[(٥)].

وقرأ علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد عليهم السلام: «صَلِلْنا» بصاد مهملة وكسر اللام الأولى[(٦)]، ومثلهم قرأ الحسن إلا أنه فتح اللام[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٤)، وتفسير مجاهد (ص:٥٠٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٤)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٤). وما بين المعكوفين في الأصل: عمله. والتصويب من المصدرين السابقين.

(٤) في الأصل: وتشد. والتصويب والزيادة من زاد المسير (٦/ ٣٣٦).

(٥) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٣٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٦).

(٦) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٣٥)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٦).

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥١).

فمن قرأ بالضاد المعجمة؛ فقال قطرب[١] وغيره: معناه: غُيِّبْنا في الأرض، وأنشد قول النابغة:

وآبَ مُضِلُّوهُ بعينٍ جليَّة ....[٢]

وقال أكثر المفسرين: المعنى: صِرْنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه[٣]، من قولهم: ضَلَّ الماء في اللبن.

ومن قرأهما بالصاد المهملة؛ فقال ابن جني[٤]: صَلَّ اللحم يَصِلُّ؛ إذا أَنْتَن[٥]، وَصَلَّ يَصَلّ أيضاً -بفتح الصاد-، والكسر في المضارع أقوى اللغتين.

وقيل: المعنى: صِرْنا من جنس الصَّلَّة، وهي الأرض اليابسة.

﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ استفهام في معنى الإنكار.

وقد سبق القول في اختلاف القرّاء فيه، وأشرنا إلى العلة في ذلك.

قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ أي: وُكِّلَ بقبض أرواحكم.

قال مجاهد: حُوِيَت الأرض لملك الموت وجعلت له مثل الطشت يتناول منها

---

(١) انظر قول قطرب في: تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٦).

(٢) صدر بيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

"وغُودر بالجَولان حزمٌ ونائل". انظر: ديوانه (ص:٩٠)، واللسان (مادة: ضلل، جلا)، والبحر (٧/ ١٩٥)، والدر المصون (٥/ ٣٩٦)، والماوردي (٤/ ٣٥٦)، والقرطبي (١٤/ ٩١)، والطبري (٣/ ٣٠٩)، وروح المعاني (٢١/ ١٢٤).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٥).

(٤) المحتسب (٢/ ١٧٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: صلل).

حيث يشاء[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولو ترى﴾ خطاب للنبي ﷺ.

ويجوز أن يكون المعنى: ولو ترى أيها السامع، وجوابه محذوف، تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً، و«لو» و«إذ» كلاهما للمُضِيّ، وإنما جاز ذلك؛ لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود، و«إذ» ظرف للرؤية[2].

﴿المجرمون﴾ مبتدأ، خبره: ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾[3]، أي: مطأطئوها حياءً وندماً، ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ أي: أبصرنا صدق موعدك ووعيدك، وسمعنا منك صدق رُسُلك.

وقيل: المعنى: أبصرنا وسمعنا بعد أن كنا عُمْياً وصُمّاً.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٨)، ومجاهد (ص:٥١٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٤٣) وعزاه للطبري.

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥١٧).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٩٤).

قال قتادة: أبصروا حين لم ينفعهم البصر، وسمعوا حين لم ينفعهم السمع[١].

وفيه إضمار، تقديره: يقولون ربنا أبصرنا. وموضعه من الإعراب: النصب على الحال، أو هو خبر ثان للمبتدأ.

وفي قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ إشعار بأن الإيمان والعمل الصالح منوط بمشيئة الله تعالى وتقديره وردٌّ لقولهم: ﴿ارجعنا نعمل صالحاً﴾.

﴿ولكن حق القول مني﴾ قال ابن السائب: سَبَقَ القول مني[٢].

وقال غيره: وَجَبَ القول مني.

﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي: من عُصاة الفريقين.

والقول الذي حق من الله: قوله تعالى لإبليس: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص:٨٥].

قوله تعالى: ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: فذوقوا العذاب بترككم الاستعداد ليومكم هذا، أو بترككم الاستعداد ليومكم هذا، أو بترككم الإيمان به.

﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٥-٣١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٤٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٥٩).

قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءُۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ وُعظوا وخُوِّفُوا بها ﴿خروا سجداً﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ قالوا: سبحان الله وبحمده، ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن تعفير وجوههم لله تعالى.

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ ترتفع وتَنْبُو عنها، من قولك: جفا الشيء عن الشيء وتجافا عنه؛ إذا نبا عنه ولم يلزمه[1].

والمضاجع: فرش النوم، ومنه قول عبدالله بن رواحة:

يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عنْ فِرَاشِهِ إذا استثقَلَتْ بالكافرينَ المضاجع[2]

﴿يدعون ربهم﴾ حال[3]، على معنى تتجافى جنبهم داعين ربهم ﴿خوفاً وطمعاً﴾ لأجل خوفهم من عقابه وطمعهم في ثوابه.

قال عطاء ومجاهد: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة[4].

أخرج الترمذي عن أنس في قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ قال:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جفا).

(٢) البيت لعبد الله بن رواحة، وهو في: البحر (٧/ ١٩٧)، والدر المصون (٥/ ٣٩٨)، والطبري (٢١/ ١٠٢)، والقرطبي (٥/ ٢٠٩، ١٤/ ١٠٠، ١٥/ ٥٢)، والماوردي (٤/ ٣٦١)، وزاد المسير (٥/ ٣٦٢)، وروح المعاني (٢٣/ ٤٨).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٩٠)، والدر المصون (٥/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٦) عن أنس رضي الله عنه. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٤٥-٥٤٦) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس بن مالك. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن مردويه.

«نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى: العتمة»[١].

وأخرج أبو داود عنه قال: «كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون»[٢].

وقال أبو الدرداء: هم الذين يصلون العشاء والصبح في جماعة[٣].

وقال الحسن وكثير من المفسرين: هم المتهجدون بالليل[٤]، وهو اختيار الزجاج[٥]؛ لقوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ قال: لما كان قيام الليل عملاً يَسْتَسِرُّ الإنسان به جعل لفظ ما يجازى عليه أخفى.

وفي الحديث: « أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل: إن شئت أنبأتك بأبواب الخير؟ قلت: أجل يا رسول الله. قال: الصوم جُنّة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله. قال: ثم قرأ هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ »[٦].

قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ قرأ حمزة ويعقوب والحلبي عن عبدالوارث عن أبي عمرو: «أُخْفِيْ» بسكون الياء، وحرّكها الباقون

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٦ ح٣١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٥ ح١٣٢١) وفيه: «يتيقظون»، بدل: «يتنفلون».

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠١). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٤٨) وعزاه لابن نصر وابن جرير.

(٥) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٢٠٧).

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ١١ ح٢٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣١ ح٢٢٠٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٧ ح٣٥٤٨).

بالفتح[١]. فمن أسكن الياء جعله فعلاً مستقبلاً، على معنى: ما [أخفي][٢] أنا لهم، ومن فتحها جعله فعلاً ماضياً لم يُسَمّ فاعله.

و«ما» استفهامية، أو بمعنى: الذي.

وقرأ ابن مسعود وأبو الدرداء وأبو هريرة: «منْ قُرَّاتِ أعين» على الجمع[٣].

قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له، والأمر أعظم وأجلّ مما يُعرف تفسيره[٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾»[٥].

قال الزجاج[٦]: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾: مفعول له.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٩)، والكشف (٢/ ١٩١)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٦).

(٢) في الأصل: أو خفي.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٨)، والبناء في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٥ ح٣٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤ ح٢٨٢٤).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٨).

لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ السبب في نزولها: ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحدُّ منك سناناً، وأبسطُ منك لساناً، وأملأُ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية[1].

وقال شريك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل[2].

قال الزجاج[3]: «مَنْ» لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الواحد وعلى الجماعة، فجاء «لا يستوون» على معنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون.

ويجوز أن يكون «لا يستوون» للاثنين؛ لأن معنى الاثنين معنى الجماعة.

ثم أخبر عن منازل المقربين فقال: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ١١٨)، والخطيب في تاريخه (١٣/ ٣٢١)، وأبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني (٥/ ١٥٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٤)، وأسباب النزول (ص:٣٦٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٥٣) وعزاه لأبي الفرج في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٨).

وقرأ ابن مسعود: «جَنَّةُ المأوى»[١].

وقرأ الحسن والنخعي والأعمش: «نُزْلاً» بسكون الزاي[٢]، وذلك كله.

والذي بعده مُفَسَّرٌ إلى قوله: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ أخرج مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب في قوله: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ قال: « مصائب الدنيا، والروم، والبطشة أو الدخان. شَكَّ شُعبة في البطشة أو الدخان »[٣].

قال ابن مسعود وقتادة: ما أصابهم يوم بدر[٤].

وقال النخعي: سنون أخذوا بها[٥].

قال مقاتل[٦]: أخذوا بالجوع سبع سنين.

وقال مجاهد: القتل والجوع[٧].

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٧ ح٢٧٩٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٩ ح٣٥٥١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٣ ح٩٠٣٨)، والطبري (٢١/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٠) كلهم عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٤) وعزاه للفريابي وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٠).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠).

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٠)، ومجاهد (ص:٥١١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٥) وعزاه للفريابي وابن جرير.

وكل هذه الأقوال داخلة في قول أبي بن كعب.

قال الزجاج[١]: وجملته: أن كل ما يعذَّبُ به في الدنيا فهو العذاب الأدنى، والعذاب الأكبر: عذاب الآخرة.

وقال البراء: العذاب الأدنى: عذاب القبر[٢].

وقال جعفر بن محمد: العذاب الأدنى: غلاء السعر، والأكبر: خروج المهدي بالسيف[٣].

﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى الإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿ثم أعرض عنها﴾ قال صاحب الكشاف[٤]: «ثم» هاهنا للاستبعاد. والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد [في العقل والعادة][٥]، كما تقول لصاحبك: وجدت [مثل][٦] تلك الفرصة ثم لم تنتهزها؛ استبعاداً لتركه الانتهاز. ومنه «ثُمَّ» في بيت الحماسة:

لا يكشفُ [الغَمَّاءَ][٧] إلا ابن حُرَّةٍ ... يَرَى غَمَراتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُها[٨]

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٨).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٥).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٢٢).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: منك. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: الغمات. والتصويب من مصادر البيت.

(٨) البيت لجعفر بن علبة الحارثي. انظر: الحماسة البصرية (١/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٧/ ١٩٩)، =

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن [رآها][(١)] واستيقنها واطلع على شدتها.

فإن قلت: هلاَّ قيل: إنا منه منتقمون؟

قلتُ: لما جعله أظلم من كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر [من][(٢)] الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ اختلفوا في تأويلها؛ فقال أبو العالية ومجاهد وقتادة: المعنى: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى[(٣)].

قال المفسرون: وعد ﷺ أن يلقى موسى قبل أن يموت، ثم لقيه ليلة الإسراء

= والكشاف (٣/ ٥٢٢).

(١) في الأصل: زارها. والمثبت من الكشاف (٣/ ٥٢٢).

(٢) في الأصل: عن. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢)، ومجاهد (ص:٥١١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي العالية. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

على ما صَحَّتْ به الأخبار[١].

قال الزجاج[٢]: الذي جاء في التفسير: لا تكن في شك من لقاء موسى، ودليله: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ [الزخرف:٤٥]، فالمعنى: فلا تكن يا محمد في مرية من لقائه، والخطاب للنبي ﷺ بمنزلة الخطاب له ولأمته في هذا الموضع، أي: فلا تكونوا في شك من لقاء النبي ﷺ موسى.

قال الزجاج[٣]: وقيل أيضاً: «فلا تكن في مرية من لقائه»: أي: من لقاء موسى الكتاب[٤]، وتكون الهاء «للكتاب»، ويكون في «لقائه» ذكر موسى.

ويجوز أن تكون الهاء لـ«موسى»، و«الكتاب» محذوف؛ لأن ذكر الكتاب قد جرى كما جرى ذكر موسى ﷺ.

قال[٥]: وهذا والله تعالى أعلم أشبه بالتفسير.

وقال أبو علي الفارسي[٦]: وفي ذلك مدح له ﷺ على امتثاله ما أمر به، وتنبيه

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٥).

ولقاء موسى عليه السلام بسيدنا محمد ﷺ تم في ليلة الإسراء والمعراج في السماء، وراجعه موسى عليه السلام عدة مرات في فريضة الصلاة حتى خففت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وقد أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ١٣٥-١٣٦ ح٣٤٢).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٩).

(٤) لقائه: بمعنى: تلقّيه.

(٥) أي: الزجاج (٤/ ٢٠٩).

(٦) لم أقف عليه في الحجة.

على الأخذ بمثل هذا الفعل.

وقيل: فلا تكن في مرية لقاء موسى ربه.

وقيل: من لقاء الأذى كما لقي موسى.

﴿وجعلناه﴾ يريد: الكتاب، في قول الحسن[١].

وموسى، في قول قتادة[٢].

﴿هدى لبني إسرائيل * وجعلنا منهم أئمة﴾ أي: من بني إسرائيل أئمة قادة في الخير، وهم العالمون العاملون.

وقيل: الأنبياء.

﴿يهدون بأمرنا﴾ يدعون الناس إلى العمل بها في التوراة، ﴿لما صبروا﴾. وقرأ حمزة والكسائي: «لِمَا» بكسر اللام وتخفيف الميم[٣]. وبها قرأتُ أيضاً ليعقوب من رواية رويس عنه.

ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود: «بما صبروا»[٤]، جعلوا «ما» مصدرية، على معنى: جعلناهم أئمة لصبرهم.

ومن شدَّد جعل «لمّا» بمعنى: حين.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٥) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢). وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٣٦٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٥٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٩)، والكشف (٢/ ١٩٢)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٦).

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤٤)، وأبو حيان في: البحر (٧/ ٢٠٠).

وقال أبو علي[١]: جعله كالمجازاة، إلا أن الفعل المتقدم أغنى عن الجواب، كما أنك إذا قلت: أجيئُكَ إن جئت، تقديره: إن جئت أجِئْك، [فاستغنيت][٢] عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط.

قوله تعالى: ﴿إن ربك هو يفصل بينهم﴾ أي: بين الأنبياء وأممهم، أو بين المؤمنين والكافرين، ودخلت «هو» هاهنا فَصْلاً، ومثله: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى: ﴿هو يقبل التوبة عن عباده﴾ [التوبة:١٠٤].

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يَهْدِ لهم﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «نَهْدِ» بالنون[٣]. وقد سبق تفسيره في آخر طه[٤].

والضمير في قوله: ﴿لهم﴾ لأهل مكة، ﴿يمشون﴾. وقرئ شاذاً: «يُمَشُّونَ» بالتشديد[٥]، ﴿في مساكنهم﴾ أي: يمرّون في متاجرهم على مساكنهم.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء﴾ المطر أو السيل ﴿إلى الأرض الجرز﴾

---

(١) الحجة (٣/ ٢٧٨).

(٢) في الأصل: فإن استغنيت. والتصويب من الحجة، الموضع السابق.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

(٤) عند الآية رقم: ١٢٨.

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٦/ ٢٦٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٦٤).

قال الزمخشري[1]: هي التي جُرِزَ نباتها، أي: قُطِعَ؛ إما لعدم الماء، وإما لأنه رعي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جُرُز. ويدل عليه قوله: ﴿فنخرج به زرعاً﴾.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ قد ذكرنا فيما مضى أن الفتح يكون بمعنى: القضاء والحكم، ويكون بمعنى: النصر.

فإن أريد الأول -وهو قول أكثر المفسرين- كان المعنى: ويقول كفار مكة تكذيباً واستهزاء واستبعاداً: متى هذا القضاء والقصد الكائن بين المؤمنين والكافرين[2]. يريدون: يوم القيامة، أو يوم وقوع الحكم بعذابهم في الدنيا، على قول السدي[3].

وإن أريد الثاني؛ فالمعنى: متى فتح مكة ونصركم عليها. وهذا قول ابن السائب والفراء وابن قتيبة[4].

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٢٣).

(٢) ذكره الطبري (٢١/ ١١٦)، والماوردي (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٣٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٣٤٧)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٦٨)، وزاد المسير (٦/ ٣٤٥).

فإن قيل: كيف يصح هذا القول والله تعالى يقول: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ وإيمان من آمن يوم فتح مكة نافع لهم؟

قلتُ: المعنى: لا ينفع الذين إيمانهم في حال القتل ومعاينة سلطان الموت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق.

وقال ابن عباس: المعنى: لا ينفع من قتل من الكفار يومئذ إيمانهم بعد الموت[١].

وقيل: كان النبي ﷺ قال: « من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن »[٢]، وكان خالد بن الوليد دخل من غير الطريق التي دخل فيها رسول الله ﷺ، فلقيه جماعة منهم سهيل بن عمرو فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش، وأربعة من هذيل وانهزموا، وجعل يقتل من لقي، والنبي ﷺ يرسل إليه: ارفع السيف، والقدرة الإلهية توقع في سمعه، ضع السيف[٣].

إذا ثبت ذلك فنقول: يقال: آمنتُ فلاناً إيماناً وأماناً.

فالمعنى: لا ينفعهم إيمانهم الذي جعل لهم، ولا يدفع عنهم العذاب النازل بهم.

﴿ولا هم ينظرون﴾ لا يمهلون لمعذرة أو توبة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠٧ ح١٧٨٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس: منسوخ بآية السيف[1].

﴿وانتظر﴾ النصرة عليهم ومواعيدي فيهم بالهلاك، ﴿إنهم منتظرون﴾ هلاكك.

وقرأ ابن السميفع: «إنهم مُنْتَظَرُون» بفتح الظاء[2]، على معنى: إنهم أحق أن ينتظروا هلاكهم، أو أن الملائكة ينتظرونه.

والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٦).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٠٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٠٠).

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاث وسبعون آية، وهي مدنية بإجماعهم.

أخبرنا شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، أخبرنا الشيخ أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي، أخبرنا أحمد بن مظفر بن سوسن التمار، أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو بكر(١) محمد بن العباس بن نجيح، حدثنا يعقوب بن يوسف(٢)، حدثنا القاسم بن الحكم(٣)، حدثنا مسعر(٤)، عن عاصم، عن زر(٥)، عن أبي بن كعب قال: «كم آية تدعون

---

(١) في الأصل زيادة لفظة: «بن». وهو خطأ، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ١١٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥١٣-٥١٤).

(٢) يعقوب بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب بن الضحاك، أبو عمرو القزويني، كان ثقة (تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨٦).

(٣) القاسم بن الحكم بن كثير بن جندب بن ربيع بن عمرو بن عبد الله بن إبراهيم بن كعب العرني، أبو أحمد الكوفي، قاضي همدان، صدوق فيه لين، مات سنة ثمان ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٩، والتقريب ص:٤٤٩).

(٤) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة الكوفي، أحد الأعلام، ثقة ثبت فاضل، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٢-١٠٣، والتقريب ص:٥٢٨).

(٥) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال، وقيل: هلال الأسدي، أبو مريم، ويقال: أبو مطرف الكوفي، مخضرم أدرك الجاهلية، كان عالماً بالقرآن قارئاً فاضلاً، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٧، والتقريب ص:٢١٥).

سورة الأحزاب؟ قال: اثنين وسبعين أو ثلاثاً وسبعين، قال: فقال: كانت توازي سورة البقرة وأكثر. وقد قرأتُ فيها: الشيخ والشيخة [إذا زنيا فـ][١] ـارجموهما البتة نكالاً من الله»[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ أي: دُمْ على التقوى، أو ازْدَدْ منه، أو هو مما خوطب به النبي ﷺ، والمراد: أمته.

﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ لا تقبل لهم [رأياً][٣] ولا مشورة.

قال المفسرون: كان النبي ﷺ يحب إسلام اليهود: قريظة والنضير وبني قينقاع، وكان قد بايعه ناس منهم على النفاق، فكان يلين لهم جانبه ويسمع منهم، وقدم عليه في الموادعة أبو سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبو الأعور السلمي، فقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا وقل: إنها تشفع وتنفع وندعك وربك، وأعانهم على ذلك القول رؤساء المنافقين.

ويروى: أن أهل مكة حين قدموا المدينة نزلوا على عبد الله بن أبيّ والجد بن قيس ومعتب بن قشير، فلما عرضوا على رسول الله ﷺ ما ذكرنا، همّ رسول الله ﷺ

---

(١) زيادة من مسند أحمد (٥/ ١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٢ ح٢١٢٤٥).

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٢٧).

والمسلمون بقتلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

فيُخَرَّجُ في قوله تعالى وجه آخر: أي: اتق الله في نقض العهد.

﴿إن الله كان عليماً﴾ بالصواب والخطأ، أو بما يكون منهم، ﴿حكيماً﴾ في تدبيره.

﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما يعملون خبيراً﴾ قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث: «يعملون خبيراً» يريد: الكافرين والمنافقين، وكذلك: «بما يعملون بصيراً»[٢] بالياء فيهما على المغايبة، وقرأ الباقون بالتاء[٣].

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ قال ابن عباس: كان المنافقون يقولون: إن لمحمد قلبين، قلباً مع أصحابه وقلباً معنا، فنزلت هذه

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٧).

(٢) عند الآية رقم: ٩ من سورة الأحزاب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٠)، والكشف (٢/ ١٩٣)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٨-٥١٩).

الآية[١].

وقال السدي وكثير من المفسرين: نزلت في جميل بن معمر الفهري[٢]، وكان وقاداً ظريفاً لبيباً حافظاً لما يسمع، وكان يقول: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فكانت قريش تسميه ذا القلبين، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم جميل بن معمر، فتلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده وأخرى في رجله، فقال: يا معمر: ما حال الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال: ما شعرت إلا [أنهما][٣] في رجلي، فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده[٤].

وقال الزجاج[٥]: أكثر ما جاء في التفسير: أن عبدالله بن خطل كانت تسميه قريش: ذا القلبين.

وروي أنه كان يقول: إن لي قلبين أفهمُ بكل واحد منهما أكثر ما يَفهم محمداً، فأكذبه الله تعالى فقال: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٨ ح٣١٩٩) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (١/ ٢٦٧ ح٢٤١٠)، والطبري (٢١/ ١١٨)، والحاكم (٢/ ٤٥٠ ح٣٥٥٥)، والضياء المقدسي في المختارة (٩/ ٥٣٩-٥٤٠ ح٥٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦١) وعزاه لأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٢).

(٣) في الأصل: نهما.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٦٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٤٩).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢١٣-٢١٤).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٨) وذكره الماوردي (٤/ ٣٧٠).

ثم قَرَنَ هذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم مما لا حقيقة له فقال تعالى: ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ فأعلم الله تعالى أن الزوجة لا تكون أمّاً، وكانت الجاهلية تُطَلِّقُ بهذا الكلام، فأنزل الله تعالى كفارة الظّهار في سورة المجادلة.

ومعنى الكلام: وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن كأمهاتكم في التحريم. وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم الظِّهار وأحكامه في سورة المجادلة.

واختلف القُرّاء في قوله تعالى: ﴿اللائي﴾؛ فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بتحقيق الهمزة وياء ساكنة بعدها، وكذلك قالون وقنبل إلا أنهما اجتزءا بالكسرة عن الياء. وقرأ أبو عمرو والبزي ووَرْش بتخفيف الهمزة من غير ياء بعدها[١].

قال أبو علي[٢]: القياس أن تُجْعَل بين بين.

وقال بعض أصحاب ابن مجاهد: كان ابن كثير وأبو عمرو يقرآن بتخفيف الهمزة فتصير ياء ساكنة، وزعم أنه كذلك ضبط، وكذلك اختلافهم في التي في المجادلة[٣] والطلاق[٤].

قال أبو علي[٥]: من قرأ بإثبات الياء فهو القياس؛ لأن اللائي وزنه: فَاعِل، مثل: شائي.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧١)، والكشف (٢/ ١٩٣)، والنشر (١/ ٤٠٤)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٨).

(٢) الحجة (٣/ ٢٧٩-٢٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ٢.

(٤) عند الآية رقم: ٣.

(٥) الحجة (٣/ ٢٧٩).

ومن حذف الياء فقال مكي[1]: اجتزأ بالكسرة عنها؛ كالقاض والغاز. والذين أسكنوا الياء [خفَّفُوا][2] الهمزة على البدل، فأبدلوا منها ياء مكسورة، وأسكنوا الياء تخفيفاً. ومن كسر الياء أتى بها على أصل البدل.

وقرأ عاصم: «تُظاهِرون» بضم التاء والتخفيف مع الألف وكسر الهاء. وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتخفيف الظاء مع الألف، ومثلهما قرأ ابن عامر، إلا أنه شدد الظاء. وقرأ الباقون بتشديد الظاء والهاء من غير ألف[3].

قوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ قال مجاهد: كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً، فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابناً أصبح أعز أهلها، وكان زيد بن حارثة منهم، قد تبنّاه النبي ﷺ على ما كان يصنع أهل الجاهلية، فلما جاءت هذه الآية أمرهم الله تعالى أن يلحقوهم بآبائهم، فقال تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾[4].

وقال جماعة من المفسرين: نزلت في زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبنّاه، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش -وكانت تحته-، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[5].

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/ ١٩٣).

(٢) في الأصل: حققوا. والتصويب من الكشف، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٢)، والكشف (٢/ ١٩٤)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٣)، والسبعة (ص:٥١٩).

(٤) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:٥١٣) قال: نزلت في زيد بن حارثة، وكان النبي ﷺ تبناه.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥١).

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر أنه قال: «ما كنا ندعوا زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾»[(١)].

والأدْعِياء: جمع دَعِيّ، وهو الذي يدعى ابناً لغير أبيه.

﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي: ذلكم النسب هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له ولا صحة.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ أي: الطريق المستقيم.

ثم قال ما هو من الحق وهدى، إلى ما هو من السبيل المستقيم؛ فقال تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ أي: انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم، ﴿هو أقسط عند الله﴾ أي: أعدل عند الله، ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدين ومواليكم﴾ أي: أولياؤكم فيه فقل: يا أخي ويا مولاي. ولما نزلت هذه الآية نسبوا إلى آبائهم؛ كالمقداد كان ينتسب إلى الأسود، فرُدَّ إلى أبيه عمرو، وزيد رُدَّ إلى أبيه حارثة، ومن لم يكن له أب معلوم قيل له: مولى فلان؛ كسالم مولى أبي حذيفة.

﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ قال مجاهد: فيما أخطأتم من ذلك قبل النهي، ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ بعد النهي[(٢)].

وقال قتادة: لو دعوتَ رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه ليس عليك بأس، ولكن الإثم في الذي تعمدت قلوبكم من دعائهم إلى غير آبائهم[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩٥ ح٤٥٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١)، ومجاهد (ص:٥١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦٥)
=

ويجوز عندي أن يكون المراد: ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به مما تبادرت إليه ألسنتكم من دعائكم إياهم لغير آبائهم جَرْياً على عادتكم، ولكن ما تعمدت قلوبكم من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ما تعمدت﴾ في موضع جرّ عطفاً على «ما» الأولى.

﴿وكان الله غفوراً﴾ لما كان منكم قبل النهي، أو لما قلتموه خطأ ونسياناً على المعنى الذي ذكرته، أو لما كان منكم في الشرك، ﴿رحيماً﴾ بكم في الإسلام.

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ قال ابن عباس: إذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعة أنفسهم (١).

وقال مقاتل بن حيان: أولى بهم من بعضهم ببعض (٢).

وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٧٣).

وقال عكرمة: كان في الحرف الأول: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم»[١].

وفي قراءة مجاهد: «وهو أبٌ لهم»[٢].

وحكى النقاش: أن النبي ﷺ دعا الناس في غزوة تبوك، فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت هذه الآية[٣].

قرأتُ على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبد القادر الجيلي الحنبلي، أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الكاتبة فأقرّ به، قالت: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبدالسلام بن أحمد الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني قال: سمعت أبا القاسم عبدالله بن إبراهيم بن يوسف الجرجاني الأبندوني يقول: أخبرني محمد بن سعيد بن هلال الرسعني، حدثنا المعافى بن سليمان، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا [أولى][٤] الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فلورثته عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٥). وذكره الماوردي (٤/ ٣٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم. وفيهم: وهو أبٌ لهم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٢)، ومجاهد (ص:٥١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٧٣).

(٤) زيادة من الصحيح. وقد كتب في الهامش: لعله: أولى.

مولاه»[١]. هذا حديث اتفق الشيخان على إخراجه في صحيحيهما، فرواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن فليح، عن أبيه، وعن عبدالله بن محمد، عن أبي [تميلة][٢]، عن فليح.

قوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ في تحريمهن ووجوب تعظيمهنّ وإكرامهنّ وهنّ أجانب فيما عدا تحريم النكاح في سائر الأحكام.

وإلى هذا المعنى أشارت عائشة رضي الله عنها في قولها لامرأة قالت لها: يا أمه: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم[٣].

وإلى هذا المعنى ذهب عامة أهل العلم.

وقد حكى الماوردي[٤] في ثبوت المحرمية وإباحة النظر إليهن وجهاً لهم. وهو بعيدٌ من الصواب؛ لأن تحريم نكاحهن كان إجلالاً لرسول الله ﷺ وحفظاً له، فتبقى سائر الأحكام مقتضى الدليل الأصلي، وغير خافٍ على من له أنسة بعلم النقل ما كان عليه أزواج رسول الله ﷺ من التستر والاحتجاب بعد نزول الحجاب.

وكانت عائشة بعد الحجاب إذا أرادت دخول رجل عليها، أمرت أختها أسماء

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٥ ح٢٢٦٩، ٤/ ١٧٩٥ ح٤٥٠٣)، ومسلم (٣/ ١٢٣٧ ح١٦١٩).

(٢) في الأصل: تمام، وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه. وهو: يحيى بن واضح، أبو تميلة الأنصاري مولاهم المروزي الحافظ، ثقة محمود الرواية (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٥٨، والتقريب ص:٥٩٨).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٧٠ ح١٣٢٠٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٥، ٦٧، ١٧٨، ٢٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦٧) وعزاه لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه.

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٤).

أو غيرها ممن تنتشر حرمة الرضاع بينها وبينه برضاعه منها فترضعه استدلالاً بحديث امرأة أبي حذيفة في إرضاعها سالماً مولاه وهو رجل، وأبى ذلك -أعني: القول بانتشار حرمة مثل هذا الرضاع- سائر أزواج النبي ﷺ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وعامة الفقهاء.

قوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام﴾ مُفسّرٌ في آخر سورة الأنفال إلى قوله تعالى: ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ يريد: أن ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان، كما كانوا يفعلون قبل النسخ.

فعلى هذا القول: «مِن» لابتداء الغاية. ويجوز أن يكون قوله: «من المؤمنين» بياناً «لأولي الأرحام» على معنى: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب.

قوله تعالى: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ قال الزمخشري[1]: هذا استثناء من أعم العام في معنى النفع والإحسان، كما تقول: القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية، تريد: أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك، إلا في الوصية.

والمراد بفعل المعروف: التوصية، فإنه لا وصية لوارث، وعُدّي «تفعلوا» بـ«إلى»، لأنه في معنى: تُسْدُوا وتزكوا. والمراد بالأولياء: المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين.

وقال الزجاج[2] -وهو مذهب عامة المفسرين-: هذا استثناء ليس من الأول.

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٣٢).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢١٦).

والمعنى: ليكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً.

﴿كان ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره في الآيتين جميعاً ﴿في الكتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا﴾ أي: واذكر إذ أخذنا ﴿من النبيين ميثاقهم﴾ بتبليغ الرسالة، والدعاء إلى التوحيد والطاعة، وإيمان بعضهم ببعض، ﴿ومنك﴾ يا محمد، ﴿ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى﴾ ولما كان هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء المشهورين؛ قدّم أفضلهم، وهو محمد ﷺ.

وقال الزجاج[1]: جاء في التفسير: إني خُلِقْتُ قبل الأنبياء وبُعثتُ بعدهم.

قال[2]: فعلى هذا القول لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير، وهو على نسقه.

وأخذَ الميثاق من حيث أخرجوا من صُلب آدم عليه السلام كالذَّر.

ومذهب أهل اللغة: أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن المذكور أولاً لا يستقيم أن يكون معناه التأخير. فالمعنى على مذهب أهل اللغة: ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى [ومنك][3]. ومثله: قوله تعالى: ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران:٤٣].

قوله تعالى: ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ أي: عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا، وهو اليمين بالله.

وقيل: أراد بالميثاق: الذي قبله.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢١٦-٢١٧).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) في الأصل: وصفك. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٢١٧).

﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ أي: أخذنا ميثاقهم ليسأل الصادقين، وهم الأنبياء عن صدقهم في تبليغهم.

ومعنى سؤال الأنبياء وهو يعلم صدقهم: تبكيت مكذبيهم. وهذا معنى قول الزجاج[1].

وقيل: ليسأل الأنبياء عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم.

﴿وأعدّ للكافرين﴾ عطف على ما دلّ عليه «ليسأل»[2]، كأنه قال: فأثاب المؤمنين، وأعدّ للكافرين ﴿عذاباً أليماً﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ قال ابن عباس: يعني: يوم الأحزاب[3]، حين أنعم عليهم بالصبر ثم بالنصر[4].

﴿إذ جاءتكم جنود﴾ وهم الأحزاب الذين تحزبوا وتجمعوا على رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٢١٧).

(٢) ويجوز أن يكون معطوفاً على «أخذنا»؛ لأن المعنى: أن الله أكدّ على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعد للكافرين (انظر: الدر المصون ٥/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٦).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٧٨).

من قريش وغطفان وبني قريظة أيام الخندق، وعليهم أبو سفيان بن حرب.

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ قال مجاهد: هي الصبا، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم[(١)].

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالصّبا، وأهلكت عاد بالدّبور»[(٢)].

﴿وجنوداً لم تروها﴾ وقرأ النخعي وابن السميفع: «يَرَوْهـا» بالياء[(٣)]، وهم الملائكة عليهم السلام.

وفيما صنعوا أربعة أقوال؛ حكاها الماوردي[(٤)] وغيره:

أحدها: أنهم فرقوا كلمة المشركين وأقعدوا بعضهم عن بعض.

والثاني: أنهم أوقعوا الرعب في قلوبهم. حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنهم قووا قلوب المسلمين من غير أن يقاتلوا معهم.

الرابع: أنهم قلعوا الأوتاد، وقطعوا الأطناب، وأطفؤوا النيران، وكبّروا في جوانب العسكر، فقال طلحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد سحركم فالنجاء النجاء، فانهزموا من غير قتال.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٨)، ومجاهد (ص:٥١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٤٢ ح٨٥٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٠ ح٩٨٨)، ومسلم (٢/ ٦١٧ ح٩٠٠).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٥٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٠٤).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٩).

قال العلماء بالتفسير والسير: لما سمع النبي ﷺ بإقبالهم أمر بحفر الخندق، وكان ذلك من رأي سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم خرج في ثلاثة آلاف فضرب بعسكره الخندق بينه وبين المشركين، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام[(١)]، واشتد الخوف، وظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر نذهب إلى الغائط. وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة، وقائدهم أبو سفيان، وغطفان ومن تابعهم من أهل نجد في ألف، وقائدهم عيينة بن حصن، وعامر بن الطفيل في هوازن، وضامتهم قريظة والنضير، ومكثوا نحواً من شهر، ولم يجر بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة[(٢)].

وفي الحديث: «أن شاباً قال لحذيفة بن اليمان: هل رأيت رسول الله ﷺ قال: إي والله لقد رأيته، قال: والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض، فقال له حذيفة: يا ابن أخي، أفلا أحدثك عني وعنه؟ قال: بلى، قال: والله لو رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله، قام رسول الله ﷺ فصلى ما شاء الله من الليل، فقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع والبرد، ثم صلى ما شاء الله، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، قال حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الجهد والخوف والجوع والبرد، فصلى رسول الله ﷺ ما شاء، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة،

(١) الآطام: جمع أُطُم: حِصْنٌ مبنيٌ بالحجارة. وقيل: هو كل بيت مربّع مسطّح (اللسان، مادة: أطم).
(٢) أخرج نحوه الطبري (٢١/ ١٣٠-١٣١). وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٩٣-٩٤).

فوالله ما قام منا أحد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، فلم أجد بداً من إجابته، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: اذهب فجئني بخبر القوم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع، قال: فأتيت القوم وكأني أمشي في حَمّام، فإذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل، لا يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار، ولا تطمئن لهم قدر، فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله ثم قال: يا معاشر قريش لينظر أحدكم مَنْ جليسه، قال حذيفة: فبدأت بالذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: ثم دعا أبو سفيان براحلته، فقال: يا معاشر قريش! والله ما أنتم بدار مقام، لقد هلك الخف والحافر(١)، وأخلفتنا بنو قريظة، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء، ولا تثبت لنا نار، ولا تطمئن قدر، ثم عجل وركب راحلته وإنها لمعقولة ما حلّ عقالها إلا بعدما ركبها، قال: فقلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً، فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله، فذكرتُ قول النبي ﷺ: لا تحدثن شيئاً حتى ترجع، قال: فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وكأني أمشي في حَمّام، فأتيته وهو يصلي، فلما سمع وجسي فرج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مَرْطه(٢)، فركع وسجد، ثم قال: ما الخبر؟ فأخبرته، فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل »(٣).

---

(١) هلك الخف والحافر: خف الجمل وحافر الفرس. والمعنى: أنهم ذبحوا الجمال لأكلها وهلكت الفرسان لقلة المرعى ولوجودها في ساحة القتال.

(٢) المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان (اللسان، مادة: مرط).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٧-١٢٨) عن محمد بن كعب القرظي. وذكره ابن هشام في: السيرة =

قوله تعالى: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾ أي: من فوق الوادي من قبل المشرق: قريظة والنضير وغطفان، ﴿ومن أسفل منكم﴾ من قبل المغرب من ناحية مكة: أبو سفيان ومن معه من قريش، ﴿وإذا زاغت الأبصار﴾ مَالَتْ عن كل شيء ولم تنظر إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب.

وقيل: مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً.

﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ جمع حَنْجَرَة، وهي رأس الغَلْصَمَة وهي منتهى الحلقوم. والحلقوم: مدخل الطعام والشراب.

قال قتادة: شخصت عن مكانها[1].

قال الفراء[2]: جَبُنُوا وَجَزَعَ أكثرهم، وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه: أن تنتفخ رئته، وإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انْتَفَخَ سَحْرُه.

وقيل: إنه مَثَلٌ مضروب لشدة الخوف، وإن لم تزل القلوب عن أماكنها.

قال أبو سعيد الخدري يوم الخندق: «يا رسول الله! هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال: فقلناها، [فضرب][3] وجوه أعداء الله بالريح فهزموا»[4].

=

النبوية (٤/ ١٩٠-١٩٢)، والواحدي في: الوسيط (٣/ ٤٦٠-٤٦١).

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣٣٦).

(٣) في الأصل: فضرت. والتصويب من مسند أحمد (٣/ ٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣ح١١٠٠٩).

قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنون﴾ قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: «الظُّنُونَـا» و«الرسولا» و«السبيلا» بألف فيهن في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحالين. وقرأ الباقون بألف في الوقف دون الوصل[(١)].

قال أبو علي[(٢)]: حجة من أثبت الألف في هذه الكلم في الوصل والوقف: أنها في المصحف كذلك، وهي رأسُ آية، ورؤوس الآي مشبّه بالقوافي[(٣)] من حيث كانت مقاطع، كما كانت القوافي مقاطع. وأنشد:

أَقِلِّي اللومَ عَاذِلَ والعِتَابَا ....[(٤)]

ومن حذف الألف منهن في الوصل والوقف فإنه أجرى ذلك على السنن الواضح المشهور في العربية، وأما كتابتها في المصحف بالألف؛ فإن في المصحف حروفاً كثيرة اللفظ بها مخالف لخطها، نحو قوله تعالى: ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ [التوبة:٤٧] خطها في المصحف: «ولأأوضعوا» بألف بعد «لا». ومن أثبت الألف في هذه الكلم في الوقف وحذفها في الوصل؛ فإنه أراد أن يجتمع له الأمران: اتباع المشهور من سنن العربية، وموافقة خط المصحف، فحذف الألف في الوصل على

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٢-٥٧٣)، والكشف (٢/ ١٩٤)، والنشر (٢/ ٣٤٧-٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٣)، والسبعة (ص:٥١٩).

(٢) الحجة (٣/ ٢٨١).

(٣) في الحجة: تُشبه بالفواصل.

(٤) صدر بيت لجرير، وعجزه: (وقولي إن أصبت لقد أصابا). انظر: ديوانه (ص:٨٩)، والدر المصون (٥/ ٤٠٥)، وخزانة الأدب (١/ ٦٩، ٣٣٨، ٣/ ١٥١)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٣٤٩)، والكتاب (٤/ ٢٠٥، ٢٠٨)، وهمع الهوامع (٢/ ٩٢)، واللسان (مادة: خنا)، والخصائص (١/ ١٧١)، وشرح المفصل (٤/ ١١٥)، والمقتضب (١/ ٣٧٥).

ما يوجبه القياس، وأثبتها في الوقف تشبيهاً بالقوافي.

قال الحسن: ظنوا ظنوناً مختلفة، ظن المنافقون أن يُستأصل محمد، وظن المؤمنون أن يُنصر[(١)].

وقال صاحب الكشاف[(٢)]: الخطاب للذين آمنوا. ومنهم الثبت القلوب والأقدام، والضعاف القلوب: الذين هم على حرف، والمنافقون: [الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم][(٣)]، فظنّ الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال، وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم.

هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ اختُبروا بضروب المحن من الحصر والجوع والبرد والخوف؛ ليتبين المخلص من المنافق، ﴿وزلزلوا﴾ زعجوا وحركوا ﴿زلزالاً شديداً﴾.

﴿وإذ يقول﴾ أي: واذكر إذ يقول ﴿المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ شك

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣١-١٣٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) الكشاف (٣/ ٥٣٥).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

ونفاق، ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من كون فارس والروم يفتحان علينا ﴿إلا غروراً﴾.

قال السدي: كان النبي ﷺ يحفر الخندق، فبينا هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول على صَفًا[1]، فطار منه كهيئة الشهاب من نار في السماء، وضرب الثاني فخرج منه مثل ذلك، وضرب الثالث فخرج منه مثل ذلك، فرأى ذلك سلمان، فقال له النبي ﷺ: رأيت ما خرج من كل ضربة ضربتها؟ قال: نعم يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: تُفتح لكم بِيضُ المدائن وقصور الروم ومدائن اليمن، ففشا ذلك في أصحاب النبي ﷺ فتحدثوا به، فقال رجل من الأنصار يدعى معتب بن قشير من الأوس: أيعدنا محمد أن تفتح لنا مدائن اليمن وبيض المدائن وقصور الروم وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته إلا قتل، هذا والله الغرور، فأنزل الله هذه الآية[2].

قوله تعالى: ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ أي: من المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

قال السدي: هو عبد الله بن أبي [بن][3] سلول وأصحابه[4].

وقال مقاتل[5]: بنو سالم من المنافقين.

---

(١) الصَّفَا: هو الحجر الأملس (اللسان، مادة: صفا).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٧-٥٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨).

﴿يا أهل يثرب﴾ قال أبو عبيدة[١]: يَثْرِب: اسم أرض ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها.

وقيل: يثرب: اسم المدينة.

﴿لا مقام لكم فارجعوا﴾ قرأ حفص: «مُقام» بضم الميم، وفتحها الباقون[٢].

قال أبو علي[٣]: من ضم الميم احتمل أمرين: يجوز أن يكون المُقام: المكان الذي يُقام فيه، أي: لا موضع إقامة لكم، وهذا أشبه؛ لأنه في معنى من فتح الميم. ويجوز أن يكون المقام مصدراً من أقامَ يُقيم، أي: لا إقامة لكم. فأما من فتح الميم فإن المَقام: اسم المكان من قَامَ يَقوم، أي: ليس لكم موضع تقومون فيه.

والمعنى: لا مقام لكم هاهنا في مركز القتال فارجعوا إلى المدينة.

وقال الفراء[٤]: المَقام -بالفتح-: الثبات على الأمر.

قال الحسن: قالوا: لا ثبات لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب[٥].

وقال ابن السائب: المعنى: فارجعوا إلى طلب الأمان[٦].

﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع إلى المدينة.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٣٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٤)، والكشف (٢/ ١٩٥)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٣)، والسبعة (ص:٥٢٠).

(٣) الحجة (٣/ ٢٨٢).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: تفسير الماوردي (٤/ ٣٨٢).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٠).

(٦) مثل السابق.

قال السدي: استأذنه منهم رجلان من الأنصار من بني حارثة: أبو عوانة بن أوس وأوس بن قيظي[١].

قال الضحاك: ورجع ثمانون رجلاً بغير إذن[٢].

﴿يقولون إن بيوتنا عَوْرَة﴾ وقرأ جماعة، منهم أبو رجاء: «عَوِرَة» بكسر الواو في الموضعين[٣].

قال الزجاج[٤]: يقال: عَوِرَ المكانُ يَعْوَرُ عَوَراً فهو عَوِرٌ، وبيوت عَوِرة وعَوْرَة.

قال ابن السائب: المعنى: أن [بيوتنا][٥] خالية ليس فيها إلا العورة من النساء[٦].

قال الفراء[٧]: هو مأخوذ من قولهم: قد أعور الفارس؛ إذا كان فيه موضع خَلَل، ومنه قول الشاعر:

.... لَهُ الشَّدَّةُ الأولى إذا القِرْنُ أعْوَرَا[٨]

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٧٩) وعزاه لابن أبي حاتم، وفيها: «أبو عرابة» بدل: «أبو عوانة».

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٢).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢١٩-٢٢٠).

(٥) في الأصل: بتونا. والتصويب من الماوردي (٤/ ٣٨٣).

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٣).

(٧) معاني الفراء (٢/ ٣٣٧).

(٨) انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٣٣٧)، واللسان (مادة: عور)، والماوردي (٤/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢١٢)، والدر المصون (٥/ ٤٠٥).

وقال السدي: المعنى: أن بيوتنا مكشوفة الحيطان يخاف عليها السرق والطلب[(١)].

قال الماوردي[(٢)]: العرب تقول: قد أَعْوَرَ منزلُك؛ إذا ذهب ستره وسقط جداره. وكل ما كره انكشافه فهو عندهم عورة.

فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وما هي بعورة إن يريدون﴾ أي: ما [يريدون][(٣)] ﴿إلا فراراً﴾ من القتال ونصرة المؤمنين.

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿ولو دخلت عليهم﴾[(٤)] يعني: المدينة أو البيوت، ﴿من أقطارها﴾: جوانبها ونواحيها. أي: لو دخلت هذه العساكر المتحزّبة التي يفرَقون خوفاً منها بيوتهم ومدينتهم من جميع أقطارها، وجاءتهم من كل جانب، ﴿ثم سئلوا﴾ عند ذلك

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: يردون.

(٤) في الأصل زيادة قوله: ﴿من أقطارها﴾ وستأتي بعد.

﴿الفتنة﴾ وهي الشرك، في قول ابن عباس[(١)].

أو قتال المسلمين، عند الضحاك[(٢)] والزجاج[(٣)].

﴿لأتوها﴾ قرأ نافع وابن كثير: «لأتوها» بقصر الهمزة، على معنى: لجاؤوها. وقرأ الباقون: «لآتوها» بالمد، على معنى: لأعطوها[(٤)].

وزاد هذه القراءة حسناً قوله تعالى: ﴿سئلوا﴾، فإن الإعطاء مع السؤال يتناسب.

والمعنى: لو دخلت عليهم ثم سئلوا وهم منهوبون مسلوبون تغشاهم السيوف ويفترسهم الخوف لأجابوا إلى الكفر وإلى قتال محمد وأصحابه مَقْتاً للإسلام وأهله، وحباً للكفر وحزبه.

﴿وما تلبثوا بها﴾ قال قتادة: ما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً[(٥)].

وقال السدي: وما تلبثوا بالمدينة إلا يسيراً حتى يعذبوا[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أي: من قبل الخندق ﴿لا يولون الأدبار﴾.

قال قتادة: عاهدوا الله قبل الخندق وبعد بدر حين سمعوا ما أعطى الله تعالى

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦١).

(٢) ذكره القرطبي (١٤/ ١٥٠).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٤-٥٧٥)، والكشف (٢/ ١٩٦)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٤)، والسبعة (ص:٥٢٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦١).

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٢).

أهل بدر من الكرامة[١].

وقال مقاتل[٢]: هم أهل العقبة، وكانوا سبعين رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله تعالى ونصرهم رسوله.

وهو قول فاسد؛ لأن الحديث عن المنافقين فكيف يصرف إلى أهل العقبة الذين هم أمثل أصحابه.

والصحيح: ما قاله محمد بن إسحاق: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عابهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا[٣].

قال الواقدي: لما نزل يوم أحد ما نزل عاهد الله معتب بن قشير [وثعلبة][٤] بن حاطب لا نولي دبراً قط. فلما كان يوم الأحزاب نَافَقَا[٥].

﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ مطلوباً مقتضى حتى يوفي.

وقيل: مسؤولاً عنه في الآخرة.

ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم فقال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿إلا قليلاً﴾ وهو مدة آجالهم.

﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ أي: من ذا الذي يجيركم ويمنعكم منه،

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨٠) وعزاه لابن جرير.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩).

(٣) أخرج نحوه الطبري (٢١/ ١٣٧) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

(٤) في الأصل: ثعلبة. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٣٦٣).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٣).

﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ قتلاً أو غيره من أصناف الشر، ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ نصراً على الأعداء أو غيره من أنواع الخير.

فإن قيل: كيف تساوقت الإرادتان على العصمة إلا من السوء؟

قلت: عنه جوابان:

أحدهما: أنه من باب:

وَعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً .... (١)

تقديره: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة.

الثاني: أن المراد بالعصمة: مطلق المنع، وبهذا التقرير يحسن تساوقهما عليه.

۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ أي: المتثبّطين منكم عن رسول الله ﷺ، وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم من الأنصار: ما محمد وأصحابه إلا أَكَلَةُ رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلوهم وهلموا

---

(١) تقدم.

إلينا[1].

قال ابن زيد: انصرف رجل يوم الخندق من عند رسول الله ﷺ إلى أهله، فوجد أخاه لأبيه وعنده شواء ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف، فقال: هلم إليّ لقد أحيط بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً. فقال له أخوه: كذبت والذي يحلف به، أما والله لأخبرن رسول الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد جبريل قد نزل بهذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿يسيراً﴾[2].

وقال ابن السائب: كان عبد الله بن أبيّ ومعتب بن قشير [والمنافقين][3] الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في العسكر أن ائتونا بالمدينة، وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُداً، فيأتون ليرى الناس وجوههم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت هذه الآية[4].

وقد سبق الكلام على «هَلُمّ» في الأنعام.

﴿ولا يأتون البأس إلا قليلاً﴾ أي: إتياناً قليلاً للرياء والسمعة، ولو كان لله لكان كثيراً.

---

(١) هو قول قتادة، أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨٠-٥٨١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: والمنافقون. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٣٦٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٤).

قوله تعالى: ﴿أشحة عليكم﴾ قال الزجاج[١]: هو منصوب على الحال[٢]. المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيراً بُخَلاء عليكم.

وقد ذكرنا فيما مضى أن الشُّحّ أشد البخل. والمراد: بخلاً عليكم بالنفقة في سبيل الله والنصرة.

﴿فإذا جاء الخوف﴾ أي: فإذا حضر القتال واشتملوا بالخوف ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ في تلك الحالة ﴿تدور أعينهم كالذي﴾ أي: كعين الذي ﴿يغشى عليه من الموت﴾ أي: من سكرات الموت وأسبابه، فيرهب ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف، كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف. ويقال للميت إذا شخص بصره: دارت عينه ودارت حَمَاليق عينه[٣]. ذكر هذا المعنى الواحدي[٤].

وقال الماوردي[٥]: «فإذا جاء الخوف» فيه قولان:

أحدهما: فإذا جاء الخوف من قتال العدو إذا أقبل. وهذا قول السدي.

والثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب هؤلاء. وهذا قول ابن شجرة.

﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ خوفاً من القتال، على القول الأول، ومن النبي ﷺ، على القول الثاني.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٩١)، والدر المصون (٥/ ٤٠٧).

(٣) حماليق العين: بياضها أجمع ما خلا السواد (اللسان، مادة: حملق).

(٤) الوسيط (٣/ ٤٦٣).

(٥) تفسير الماوردي (٤/ ٣٨٥).

«تدور أعينهم» فيه قولان:

أحدهما: تدور [أعينهم][(١)] لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.

والثاني: تدور أعينهم لشدة الخوف حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة. هذا آخر كلام الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ قال الزجاج[(٢)]: معنى «سلقُوكُم»: خاطبوكم أشدَّ مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيبٌ مِسْلاقٌ؛ إذا كان بليغاً في خطبته[(٣)].

وقال الفراء[(٤)]: آذوكم بالكلام في الأمن، بألْسِنَةٍ سَليطةٍ ذَرِبَة[(٥)].

يقال: سَلَقَ فلاناً بلسانه؛ إذا أغلَظَ له في القول مجاهراً[(٦)].

قال الفراء[(٧)]: العرب تقول: «صَلَقُوكُم» بالصاد أيضاً، ولا يجوز في القراءة هذا.

وهذا الذي أنكر [الفرّاء][(٨)] قراءته قد قرأ به جماعة، منهم أبي بن كعب، وأبو

---

(١) زيادة من الماوردي (٤/ ٣٨٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سلق).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٣٩).

(٥) ذَرِبَة: أي: سليطة حادّة. وذَرَبُ اللسان: حِدّتُه (اللسان، مادة: ذرب).

(٦) انظر: اللسان (مادة: سلق).

(٧) معاني الفراء (٢/ ٣٣٩).

(٨) في الأصل: القراء. وهو خطأ.

الجوزاء، وأبو عمران الجوني[(١)].

قال قتادة: بسطوا ألسنهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا، فلستم بأحق بها منا. فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند القسمة فأشح قوم، وهو قوله تعالى: ﴿أشحة على الخير﴾[(٢)].

والنصب فيه على الحال[(٣)]، أو على الذم، يريك بخلاً بالغنيمة يشاحون المؤمنين فيها عند القسمة.

وقيل: «أشحّة على الخير»: وهو ظفر النبي ﷺ.

وقيل: إنفاقهم في سبيل الله.

﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ لأنهم منافقون يُضْمِرُون من الكفر خلاف ما يظهرون من الإيمان، ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾.

قال مقاتل[(٤)]: أبطل الله تعالى جهادهم؛ لأنه لم يكن في إيمان.

﴿وكان ذلك﴾ الإحباط، أو ذلك النفاق ﴿على الله يسيراً﴾ هَيِّناً.

وفي هذه الآية بيان واضح ودليل قاطع على أن الأعمال الصالحة لا تجدي نفعاً إلا [بانضمام][(٥)] الإيمان إليها، وأن الإيمان باللسان ليس بإيمان حتى يواطئه القلب.

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٤١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٩١)، والدر المصون (٥/ ٤٠٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤١).

(٥) في الأصل: بانتضمام.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أي: يظن المنافقون -لِمَا يداخلهم من الخوف المفرط وما عندهم من الجبن الشديد- أن الأحزاب لم يذهبوا راجعين إلى مكة.

﴿وإن يأت الأحزاب﴾ كرّة ثانية ﴿يودوا﴾ لما أصابهم في الكَرَّة الأولى ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ وقرأ ابن عباس: «لو أنهم بُدَّىً» بتشديد الدال والتنوين[1]، جمع باد؛ كغَازٍ وغُزَّىً. والمعنى: يحبوا لو أنهم في البادية مع الأعراب حذراً من القتال الذين لا يرجون بفعله ثواباً ولا يخافون بتركه عقاباً.

﴿يسألون﴾ كل وارد عليهم وداخل إليهم ﴿عن أنبائكم﴾ أما هلك محمد وأصحابه؟ ما فعل أبو سفيان وأحزابه؟.

وقرأت ليعقوب من رواية رويس: «يَسَّاءَلُوا» بالمد وتشديد السين[2]، على معنى: يتساءلون ويقول بعضهم لبعض: ماذا سمعت.

﴿ولو كانوا فيكم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ أي: لم يقاتلوا إلا تعللاً رياءً وسمعة.

وفي هذا الكلام تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، وإعلام لهم أن حضور المنافقين للقتال وعدم حضورهم سِيّان؛ لكونهم لا غنى عندهم في الحرب ولا يقع فيهم.

---

(١) ذكر هذه القراءة السمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٠٩).

(٢) النشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص: ٣٥٤).

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إِسْوَة حسنة﴾ وقرأ عاصم: «أُسْوَةٌ» بضم الهمزة، وكذلك اختلافهم في التي في الممتحنة(١).

قال الفراء وأبو علي(٢): هما لغتان بمعنى واحد.

قال المفسرون: المعنى: لقد كان لكم في رسول الله ﷺ قُدوة صالحة لو اقتديتم به في صبره على قتال الكفار كما فعل يوم أحد(٣).

وقال الزمخشري(٤): إن قلت: ما حقيقة قوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾؟

قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه في نفسه أسوة، أي: قدوة، كما تقول: في البيضة عشرون منا حديد، أي: هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد.

الثاني: أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع، وهي المواساة بنفسه.

﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ من قولك: رجوت زيداً وفضله، أي: رجوت فضل زيد.

---

(١) عند الآية رقم: ٤.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣٣٩)، والحجة (٣/ ٢٨٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٤).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٣٩).

وقيل: لمن كان يخاف الله واليوم الآخر.

﴿وذكر الله كثيراً﴾ أي: استكثر من ذِكْره والعمل بطاعته رجاء ثوابه وخوف عقابه.

قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي: شاهدوا تلك الشدائد والأهوال أيام الخندق، ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ في قوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ... الآية﴾ [البقرة:٢١٤]، ﴿وما زادهم﴾ ما رأوه ﴿إلا إيماناً وتسليماً﴾.

وقيل: المعنى: وما زادهم ما شاهدوه من تلك الأهوال إلا إيماناً وتسليماً، تصديقاً بما وعدهم به رسول الله ﷺ وهو يحفر الخندق أن أمته ظاهرة على مدائن كسرى والحيرة، وتسليماً لأمر الله تعالى.

مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: « نرى هذه الآية نزلت في عمي أنس بن النضر: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ »(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر. فلما قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩٥ ح٤٥٠٥).

الله عز وجل قتالاً ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحُد انكشف الناس، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء -يعني: المشركين-، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء -[يعني][(١)]: المسلمين-، [ثم مشى][(٢)] بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، [واهاً][(٣)] لريح الجنة. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. [قال][(٤)] أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مَثَّلُوا به، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نقول: أنزلت هذه الآية: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فيه وفي أصحابه»[(٥)].

﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ وروي عن علي عليه السلام: أنه ذكر طلحة بن عبيدالله فقال: ذاك رجل نزلت فيه آية من كتاب الله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ لا حساب عليه فيما يستقبل[(٦)].

وقد جعل بعض المفسرين هذا القدر من الآية في طلحة، وأولها في أنس بن النضر.

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: مشق. والتصويب والزيادة من مصادر التخريج.

(٣) في الأصل: وإنها. والمثبت من صحيح مسلم والبيهقي.

(٤) زيادة من البخاري.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٣٢ ح٢٦٥١)، ومسلم (٣/ ١٥١٢ ح١٩٠٣). والحديث بلفظه في: سنن البيهقي (٩/ ٤٣).

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٨٨) وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

ومعنى الآية: من المؤمنين رجال صدقوا [ما][١] عاهدوا الله فوفوا بها عاهدوه عليه، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة وأن لا يفروا إذا لاقوا.

قال المفسرون: منهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعيد بن زيد، وحمزة، ومصعب بن عمير[٢].

«فمنهم من قضى نحبه»: قال ابن عباس: حمزة ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه[٣].

«ومنهم من ينتظر»: عثمان وطلحة.

قال ابن قتيبة[٤]: أصل النَّحْب: النَّذْر، كأن قوماً نذورا أنهم إن لقوا العدو قاتلوا حتى يُقتَلوا، أو يَفتح الله عليهم؛ [فقُتِلوا][٥]، فقيل: فلانٌ قضى نحبه؛ أي: قُتل.

فاستعير النَّحْب مكان الأجَل؛ لأن الأجل وقع بالنَّحْب، وكأنّ النحب سبباً له، ومنه قيل للعطية: مَنّ؛ لأن من أعطى فقد مَنّ.

وقال الزمخشري[٦]: فإن قلت: ما قضاء النَّحْب؟

قلت: وقع عبارة عن الموت؛ لأن كل حي لا بد له من أن يموت سوى الله عز

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣٠٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧١-٣٧٢).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٤٩).

(٥) في الأصل: قتلوا. والمثبت من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٦) الكشاف (٣/ ٥٤٠).

وجل. فكأنه نذر لازم في رقبته، فإذا مات فقد قضى نحبه، أي: نذره. وقوله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ محتمل موته شهيداً، ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله ﷺ.

﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ أي: ما غيروا العهد كما غيّره المنافقون، لا المُستَشْهِد ولا المُنْتَظِر. ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله ﷺ: « أوجب طلحة »(١).

قوله تعالى: ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ أي: صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم، ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ الله تعالى.

قال السدي: يميتهم على نفاقهم إن شاء فيوجب لهم العذاب(٢).

فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين: إماتتهم على النفاق إن شاء، ﴿أو يتوب عليهم﴾ بخروجهم من النفاق بالتوبة حتى يموتوا وهم تائبون(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠١ ح١٦٩٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٦).

(٣) فائدة: قال ابن جرير الطبري (٢١/ ١٤٨): إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بقوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ والمنافق كافر؟ وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق، فيقال: ويعذّبه إن شاء؟

قيل: إن معنى ذلك: ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء، فيستوجبوا بذلك العذاب، فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم. اهـ.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وردَّ الله الذين كفروا﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه من الأحزاب ﴿بغيظهم﴾ بحقدهم وغَمِّهم، ﴿لم ينالوا خيراً﴾ وهو ما كانوا يتوقعونه من الظفر بالنبي ﷺ وأصحابه.

وهما حالان(١). ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى [أو](٢) استئنافاً(٣).

﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة، ﴿وكان الله قوياً﴾ في سلطانه، ﴿عزيزاً﴾ في قدرته وانتقامه من أعدائه.

ثم ذكر ما صنع باليهود الذين أعانوا أبا سفيان على رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم﴾ أي: وأنزل بني قريظة الذين ظاهروا الأحزاب وكانوا معهم يداً واحدة على المؤمنين من حصونهم.

قال ابن قتيبة(٤): أصل الصَّياصي: قرون البقر؛ لأنها تمتنعُ بها، وتدفعُ عن

(١) انظر التبيان (٢/ ١٩٢)، والدر المصون (٥/ ٤١٢).
(٢) في الأصل: و. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٤١).
(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٤١).
(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٤٩).

أنفسها، فقيل للحصون: الصَّيَاصِي؛ لأنها تَمنع[١].

قال الزجاج[٢]: كل [قَرْن][٣] صِيصِيَّة، وصِيصِيَّةُ الديك: شوكته؛ لأنه يتحصَّنُ بها أيضاً.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف الذي ملأ قلوبهم، ﴿فريقاً تقتلون﴾ وهم المقاتلة ﴿وتأسرون﴾ وقرأ ابن يعمر وابن أبي عبلة: «وتَأْسُرُون» بضم السين[٤]، ﴿فريقاً﴾ وهم الذرية والنساء.

﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ عقارهم ومنازلهم وأموالهم المنقولة.

﴿وأرضاً لم تطئوها﴾ قال الحسن: فارس والروم[٥].

وقال قتادة: مكة[٦].

وقال السدي: خيبر[٧].

وقال عكرمة: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة[٨].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: صيا).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٣).

(٣) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٣٧٥)، والدر المصون (٥/ ٤١٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦). وذكره الطبري (٢١/ ١٥٥) بلا نسبة، والماوردي (٤/ ٣٩٣) من قول قتادة، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٥) عن ابن زيد. وذكره الماوردي (٤/ ٣٩٣) من قول السدي وابن زيد، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

الإشارة إلى قصة بني قريظة:

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل أتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة»[1].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف أحداً منهم»[2].

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أنس قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام، حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة»[3].

ونقل العلماء بالسير عن قتادة: أن جبريل أتاه صلى الله عليهما وسلم وهو عند زينب بنت جحش يغسل رأسه، فقال: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهض إلى بني قريظة، فإني قد قطعت [أوتادهم][4]، وفتحت

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥١١ ح٣٨٩٦)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩ ح١٧٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٢١ ح٩٠٤)، ومسلم (٣/ ١٣٩١ ح١٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥١٠ ح٣٨٩٢). ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) في الأصل: أوزارهم. والتصويب من الطبري (٢١/ ١٥٠)، والدر المنثور (٦/ ٥٩١).

أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبِلْبَال[١]، فسار إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة -وقيل: خمس عشرة ليلة- أشد الحصار، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أرسل إلينا أبا لبابة، فأرسله إليهم فشاوروه في أمرهم، فأشار إليهم أنه الذبح، ثم ندم وقال: خنت الله ورسوله[٢].

وقد ذكرنا قصته في سورة الأنفال[٣]. ثم نزلوا على التحكيم في أنفسهم.

وفيمن نزلوا على حكمه قولان:

أحدهما: أنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فكتفوا ونحّوا ناحية، وجعل النساء والذرية ناحية، وكلمت الأوس رسول الله ﷺ أن يهبهم لهم، وكانوا حلفاءهم، فجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ. هكذا ذكره محمد بن سعد[٤].

الثاني: أنهم أولاً نزلوا على حكم سعد بن معاذ رجاء أن يأخذه فيهم هوادة للحلف الذي كان بينهم وبين الأوس، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه المواسي، وأن تسبى ذراريهم ونساءهم، وأن تقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ لسعد: « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »، ثم استنزلوهم فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث -امرأة من بني النجار- ثم أخرجهم

---

(١) أي: تركهم في اضطراب وهياج واختلاط وتشتت من الأمر.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول...﴾ [٢٧].

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٧٤-٧٥).

إلى سوق المدينة فخندق بها خندقاً، وجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، وأخرجوا إليهم أرسالاً فضربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة، والمكثر يقول: من الثمانمائة إلى التسعمائة، وكان الذي يضرب أعناقهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فقالوا لكعب [بن أسد][(١)] -وكان رأسهم-: ما تراه يصنع بنا؟ فقال كعب: آه، في كل موطن لا تعقلون، أما ترون الداعي لا ينزع، وأن من يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلما جيء بعد [بحُيَيّ][(٢)] بن أخطب نظر إلى رسول الله ﷺ وقال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم جلس فضربت عنقه[(٣)].

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الزبير بن باطا اليهودي القرظي -وكان يكنى أبا عبدالرحمن- كان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث، أخذه فجزّ ناصيته ثم خلى سبيله، فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبدالرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل [يجهل][(٤)] مثلي مثلك؟ قال: إني أريد أن أجزيك بيدك عندي؟ قال: إن الكريم يجزي الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله! كانت للزبير عندي يد وله عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه، فقال له رسول الله ﷺ: هو لك، فأتاه فقال له: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع

(١) في الأصل: أسيد. والتصويب والزيادة من الطبري (٢١/ ١٥٣).

(٢) في الأصل: وحيي.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧٤).

(٤) زيادة من مصادر التخريج.

بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فسأله أهله وولده، قال: هم لك، فأتاه فقال له: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز ولا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ماله؟ قال: هو لك، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك.

قال -أي ثابت-: ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن [أسد][(١)]؟ قال: قتل.

قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل.

قال: فما فعل مقدمتنا إذا اشتددنا وحاميتنا إذا كررنا [عزال بن شموال][(٢)]؟ قال: قتل.

قال: فما فعل المجلسان -يعني: بني [كعب بن][(٣)] قريظة وبني [عمرو][(٤)] بن قريظة-؟ قال: ذهبوا قتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم، [فوالله][(٥)] ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فقدمه ثابت فضرب عنقه، ثم قال:

---

(١) في الأصل: أسيد. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: اعزال شمول. والتصويب من البغوي (٣/ ٥٢٤).
وفي تاريخ الطبري: عزال بن شمويل. وعند ابن هشام: سموأل.

(٣) زيادة من مصادر التخريج.

(٤) في الأصل: عمر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) في الأصل: فهوالله. والتصويب من مصادر التخريج.

وَفَتْ ذمّتي أني كريمٌ وأنني صبورٌ إذا ما القومُ حَادُوا عن الصبر
وكان زبير أعظم الناس منةً عليَّ فلما شدّ كُوعاهُ بالأسر
أتيتُ رسول الله كيما أفكّه وكانَ رسول الله بحراً لنا يجري(١)

قال محمد بن إسحاق: لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة نفر، وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة، طُرحت عليه رحى فشدخته فقط(٢).

قالت عائشة رضي الله عنها: لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك ما لَكِ؟ قالت: أُقتل، قلت: ولما؟ قالت: حدثٌ أحدثْته؟ قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفتْ أنها تقتل(٣).

قال الواقدي: واسم تلك المرأة: بنانة امرأة الحكم [القرظي](٤)، وكانت قد قتلت خلاد بن سويد(٥).

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٤/ ٢٠٢-٢٠٣)، والطبري في تاريخه (٢/ ١٠٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٢٤).

(٢) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ١٠٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٣-١٥٤).

(٤) في الأصل: القرضي. والتصويب من البغوي (٣/ ٥٢٣).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٥٢٣).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية﴾ قال العلماء بالتفسير: إن أزواج النبي ﷺ وكن يومئذ تسعاً: عائشة وحفصة وسودة وأم حبيبة وأم سلمة وهؤلاء من قريش، وزينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرة بنت الحارث المصطلقية، وهؤلاء من العرب، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية -من سبط هارون عليه السلام- [سألنه][1] شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه في الغيرة، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية آية التخيير، فبدأ بعائشة فقال لها: يا عائشة، إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، فقالت: ما هو؟ فتلى عليها: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية﴾ فقالت عائشة: أفيك أستأمر أبويّ، بل أختار الله ورسوله وأسألك أن لا تذكر ذلك لامرأة من نسائك، فقال: إن الله لم يبعثني متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا [خيّرتها][2]، ثم خيّر نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة[3].

قال ابن عباس: وكان آخر من عرض عليها منهن حفصة، فقالت: يا رسول

---

(١) في الأصل: سألته.

(٢) في الأصل: أخيرتها.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٣ ح٢٣٣٦)، ومسلم (٢/ ١١١٣ ح١٤٧٥).

الله مكان العائذ بك من النار، والله لا أعود لشيء تكرهه أبداً، أختار الله ورسوله، فرضي رسول الله ﷺ عنها[١].

قال المفسرون: فلما اخترنه أثابهن الله تعالى بثلاثة أشياء:

أحدها: تفضيلهنَّ على سائر النساء بقوله تعالى: ﴿لستن كأحد من النساء﴾.

الثاني: جعلهنَّ أمهات المؤمنين.

الثالث: أنه حرّم عليه طلاقهنّ والاستبدال بهن بقوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ... الآية﴾.

واختلف العلماء فيما فيه وقع التخيير على قولين:

أحدهما: أنه الطلاق والمقام مع رسول الله ﷺ. وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي[٢].

والثاني: الدنيا والآخرة، وأنهن إن اخترن الدنيا فارقهن، وإن اخترن الآخرة أمسكهن. وهذا قول الحسن وقتادة[٣]، والقولان متقاربان في المعنى[٤].

والمراد بقوله: ﴿أمتعكن﴾: متعة الطلاق، ﴿وأسرحكن﴾: أطلقكن. وقد ذكرنا أحكام المتعة ومعنى التسريح الجميل في البقرة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٦-٥٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله بينهما جمعاً حسناً فقال: والذي يظهر الجمع بين القولين؛ لأن أحد الأمرين ملزوم للآخر، وكأنهن خيرن بين الدنيا فيطلقهن، وبين الآخرة فيمسكهن، وهو مقتضى سياق الآية (فتح الباري ٨/ ٥٢١).

فصل

اختلف أهل العلم فيمن خَيَّر امرأته فاختارت نفسها، فذهب أكثرهم إلى أنه يقع بها طلقة واحدة رجعية. يروى ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس، وإليه ذهب عمر بن عبدالعزيز، وبه قال ابن أبي ليلى وسفيان وأحمد والشافعي وإسحاق[(١)].

وذهب قوم إلى أنه يقع بها ثلاث طلقات. يروى ذلك عن زيد بن ثابت، وبه قال الحسن ومالك[(٢)].

أما إذا اختارتِ الزوجَ فلا يقع به شيء عند الأكثرين[(٣)].

قال مسروق: ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفاً بعد أن تختارني. قالت عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه أو كان طلاقاً[(٤)]؟.

وقال الحسن: يقع به طلقة رجعية. وهو مذهب مالك.

ويروى عن علي وزيد: وإذا فوّض الرجل طلاق امرأته إليها فقال لها: طلقي نفسك، أو خيَّرها، أو قال لها: أمرك بيدك، وأراد به تفويض الطلاق وطلّقت نفسها في المجلس وقع، وإن طلقت بعد انقضاء المجلس لم يقع عند أكثر أهل العلم.

وقال الحسن وقتادة والزهري: يقع.

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٣١٤)، والأم (٥/ ١٤٠).

(٢) انظر: موطأ مالك (٢/ ٥٦٣).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٣١٤)، والأم (٥/ ١٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠١٥ ح٤٩٦٣)، ومسلم (٢/ ١١٠٤ ح١٤٧٧).

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾

قوله تعالى: ﴿من يأت منكن﴾ «مَنْ» للبيان لا للتبعيض، ﴿بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس: يريد: النشوز وسوء الخلق[1].

فإن قيل: الفاحشة السيئة البليغة في القبح، والنشوز وسوء الخلق لا يترقى إلى ذلك، فكيف سماه فاحشة؟

قلت: تعاظم ذلك وتفاحش لأجل رسول الله ﷺ، وكونه هو المعامل به.

وحكى الماوردي[2] عن السدي أن الفاحشة: الزنا.

وأظن الحامل له على ذلك هذا القول؛ أنه رأى هذه اللفظة لهذا المعنى في مواضع من القرآن، ورسول الله ﷺ بل سائر رسله معصومون من صحبة زوجة تزن بهذه الريبة -على ما قررناه فيما مضى- فلا وجه لنهيهن عما لا يجوز وقوعه منهن، إنما التفسير الصحيح ما قاله ابن عباس.

﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، وإنما ضوعف عذابها؛ لزيادة قبح المعصية منها لو وجدت والعياذ بالله منها.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧٨).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٧).

واختلف اللغويون في الضعف؛ فقال أبو عبيدة[(١)] والأخفش: ضِعْفُ الواحد: اثنان، وضِعْفا الواحد: ثلاثة.

وقال ابن قتيبة[(٢)]: المراد بالضِّعْف: المِثْل، وبالضِّعْفَين: المثلين[(٣)].

وقال آخرون: إذا كان ضعف الشيء مثليه وجب أن يكون ضعفاه أربعة أمثاله.

واختلف القرّاء في قوله تعالى: «يُضَعِّفْ» فقرأ ابن كثير وابن عامر: «نُضَعِّفْ» بالنون [وتشديد][(٤)] العين وكسرها من غير ألف، و«العذابَ» بالنصب، وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح العين «العذابُ» بالرفع. وقرأ الباقون بالياء وبالألف وتخفيف العين وفتحها، «العذابُ» بالرفع[(٥)].

قال أبو الحسن: الخفيفة لغة أهل الحجاز، والمثقّلة لغة بني تميم.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٣٦-١٣٧).

قال العلامة الشوكاني: قوله: ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يعذبهن مثلي عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات (فتح القدير ٤/ ٢٧٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٠).

(٣) وضعّف هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٥٩). وقال النحاس في معانيه (٥/ ٣٤٤): «التفريق الذي جاء به أبو عمرو لا يعرفه أحد من أهل اللغة» يعني: التفرقة بين يضاعف ويضعف في المعنى، بل معناهما واحد.

(٤) في الأصل: وتشد. والصواب ما أثبتناه.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٥)، والكشف (٢/ ١٩٦)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٤-٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢١).

قوله تعالى: ﴿وكان ذلك﴾ يعني مضاعفة العذاب لهن ﴿على الله يسيراً﴾ هيناً.

وفي هذا إعلام بأن تزويجهن برسول الله ﷺ ليس بدافع عنهن العذاب، وكيف وهو السبب في مضاعفته لهن.

قوله تعالى: ﴿ومن يقنت﴾ قرأ ابن عامر من رواية الوليد، ويعقوب من رواية زيد عنه: «تقنت» بالتاء[١].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ويَعْمَل صالحاً يُؤْتِها﴾ بالياء فيهما[٢].

قال أبو علي[٣]: لم يختلفوا في «يقنت» أنها بالياء المنقطة من تحت، وذلك لأن الفعل مسند إلى ضمير «مَنْ» هو مذكّر، وكذلك من قرأ: «ويعمل» بالياء، حمل ذلك أيضاً على لفظ من دون معناها. ومن قرأ: «وتَعْمَل» بالتاء المنقوطة من فوق، فإنه لما لم يبين فاعل الفعل، وذكر بعده ما دلّ على أن الفعل لمؤنث حُمل على المعنى فأنّث.

فأما الياء والنون في «نُؤْتِها»، فالياء لما تقدم من الغيبة في قوله تعالى: ﴿لله ورسوله﴾، والنون على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، وقد ذكرنا أن القنوت: الطاعة.

﴿وتعمل صالحاً﴾ فيما بينها وبين ربها، ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾.

---

(١) ذكر هذه القراءة القرطبي في الجامع (١٤/ ١٧٦)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٢٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٦)، والكشف (٢/ ١٩٦)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢١).

(٣) الحجة (٣/ ٢٨٣-٢٨٤).

قال مقاتل[١]: مكان كل حسنة تثبت عشرين حسنة، ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾: حسناً، وهو الجنة.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

ثم أظهر فضيلتهن على سائر النساء فقال تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾. قال الزجاج[٢]: لم يقل: كواحدة من النساء؛ لأن «أحداً» نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة.

قال ابن عباس: ليس قدركنّ عندي مثل قدر غيركنّ من النساء الصالحات، أنتنّ أكرم عليّ وأنا بكنّ أرحم وثوابكنّ أعظم إن [اتقيتنّ][٣] الله. وشرط عليهن التقوى؛ بياناً أن فضلهنّ إنما يكون بالتقوى لا بمجرد اتصالهنّ بالرسول ﷺ[٤].

واختلفوا في جواب هذا الشرط؛ فقال قوم: جوابه مدلول قوله تعالى: ﴿لستن

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٤).

(٣) في الأصل: اتقتن.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٩).

كأحد من النساء﴾.

وقال أبو علي[١]: جوابه «فلا تخضعن»؛ لأن ليس عنده حرف وليس بفعل.

ومعنى قوله: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾: لا تلينَّ ولا ترققن بالقول.

وقال ابن السائب: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب[٢].

وقال الحسن: [لا تتكلمن][٣] بالرفث[٤].

﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي: زناً وفجور، والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة؛ لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة.

قرأ الأعرج وأبان بن عثمان: «فيطمَعِ الذي» بكسر العين[٥]، عطفاً على «فلا تخضعن»، ويكون النهي شاملاً لهما.

﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ وهو ما يوجبه الدين والإسلام بغير خضوع مطمع.

قوله تعالى: ﴿وقَرْنَ في بيوتكن﴾ قرأ نافع وعاصم: «وقَرْنَ» بفتح القاف. وقرأ الباقون بكسرها[٦].

قال أبو علي[٧] وغيره: من قرأ بكسر القاف احتمل أمرين:

---

(١) لم أقف عليه في الحجة.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٩) بلا نسبة.

(٣) في الأصل: تكلمن. والمثبت من الماوردي (٤/ ٣٩٩).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٩).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٢٢)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤١٤).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٤).

(٧) الحجة (٣/ ٢٨٤).

أحدهما: أن يكون أمراً من الوقار، فيكون قِرْنَ من الوقـار مثـل: عِـدْنَ مـن الوعد، وزِنَّ من الوزن، ونحو ذلك مما تُحذف منه الفـاء، وهـي واو. ويحتمـل أن يكون من [قرَّ][1] في مكانه يَقرُّ، فإذا أمر من هذا قال: اقرر، فيبدل من الراء الأولى التي هي عين الفعل الياء كراهة التضعيف، كما أبدل من إحدى النونين واليائين في دينار وقيراط، فيصير للياء المبدلة من الراء حركة الحرف المبدل منه وهي الكسرة، ثم تُلقى حركتها على فاء الفعل وهي القاف، استثقالاً للكسرة على اليـاء فتسكن الياء وبعدها الراء التي هي لام الفعل ساكنة، فيلتقي ساكنان، فتحذف الياء لالتقاء الساكنين، وتسقط ألف الوصل لتحرك ما بعدها فتقول: «وقِرْنَ».

فأما من فتح القاف فقال: «قَرْنَ» فهي لغة، يقال: قررْتُ بالمكان أقَرُّ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل. حكاهـا الكسائي وغيره وأنكرهـا المـازني وغيره، فيكون الأصل: واقررن. ثم نقل على نحو ما ذكر ما قال أبو علي. فمـن لم يجوِّز: قَرَرْتُ في المكان أقَرُّ بكسر العين في الماضي [وفتحها][2] في المستقبل لم يجوز «وقَرْنَ» بالفتح؛ لأن الأمر إنما هو من المستقبل، ومستقبل هذا الفعل لا فتحة فيه، وإنما فيه كسرة منقولة من الراء إلى القاف.

قال[3]: والوجه في القراءة: «قِرْنَ» بكسر؛ لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه منهما: الوقار والقرار.

---

(١) في الأصل: قرّه. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: فتحها.

(٣) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٢٨٤).

وقال الجوهري صاحب الصحاح[١]: يقال: قَرِرْتُ بالمكان -بالكسر- أقَرُّ قَراراً، وقَرَرْتُ -بالفتح- أقِرُّ قَراراً وقُرُوراً.

والوَقار: الحلمُ والرزانة، وقد وَقَرَ الرجل يَقِرُ وَقَاراً وقِرَةً فهو وَقور[٢].

قال أبو الضحى: حدثني من سمع عائشة تقرأ: «وقِرْنَ في بيوتكن» وتبكي حتى تبلّ خمارها[٣].

وقيل لسودة زوج النبي ﷺ: ما لك لا تحجّين ولا تعتمرين كما فعل أخواتك، فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقرّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت، فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت جنازتها[٤].

قوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية﴾ التَّبَرُّج: إظهار الزينة وإبداء ما تحت ستره من المحاسن.

وقيل: هو التبختر، وأصله: من بَرَجُ العين، وهو السَّعَة فيها[٥].

قال قتادة: كانت لنساء الجاهلية الأولى مِشْية تكسُّر وتَغَنُّج، فنُهين هؤلاء عن

---

(١) الصحاح (٢/ ٧٩٠).

(٢) الصحاح (٢/ ٨٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٠٥) عن أبي الضحى، وابن سعد في طبقاته (٨/ ٨٠) عن عمارة بن عمير. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٤-٣٥).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٩-٦٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال: نبئت أنه قيل لسودة ... فذكره.

(٥) انظر: اللسان (مادة: برج).

ذلك[1].

والجاهلية الأولى: هي القديمة.

قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام[2].

وقال مقاتل[3] وغيره: زمان إبراهيم عليه السلام، وكانت المرأة تلبس درعاً مفرجاً ليس عليها غيره وتمشي في الطريق تعرض نفسها على الرجال[4].

وقال الحكم: ما بين آدم ونوح[5].

وقيل: ما بين نوح وإدريس[6].

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن الجاهلية الأولى كانت ألف سنة[7].

﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة﴾ فخصهن الله تعالى بالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع دخولهن في عموم الخطاب بذلك؛ لموضع اختصاصهن، وخصّ هاتين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٠) عن الكلبي.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠١) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤)، والحاكم (٢/ ٥٩٨ ح٤٠١٣)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٣٧٣ ح٥٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

العبادتين؛ لأنهما الأصل في عبادة [البدن][١] والمال، ثم عمَّمَ بقوله: ﴿وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله﴾ بتأديبكن وأمركن ونهيكن ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾.

قال ابن عباس: يعني: عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا[٢].

﴿أهْلَ البيت﴾ نصب على المدح أو النداء.

واختلفوا في المراد بأهل البيت على ثلاثة أقوال:

أحدها: ما أخبرنا به المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن السراج، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان[٣]، حدثنا أبو يحيى الحماني[٤]، عن صالح [بن][٥] موسى القرشي[٦]، عن خصيف[٧]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس

---

(١) في الأصل: البدين.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٩).

(٣) الحسن بن علي بن عفان العامري، أبو محمد الكوفي، صدوق، مات سنة سبعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦١، والتقريب ص:١٦٢).

(٤) عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، أبو يحيى الكوفي، صدوق يخطئ، ورمي بالإرجاء، مات سنة اثنتين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ١٠٩، والتقريب ص:٣٣٤).

(٥) في الأصل: عن، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في التعليق التالي.

(٦) صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله الطلحي الكوفي، متروك الحديث (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٥٤، والتقريب ص:٢٧٤).

(٧) خصيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون الحضرمي الحراني الأموي مولاهم، صدوق سيء الحفظ، خلط بأخرة، ورمي بالإرجاء، مات سنة سبع وثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٢٣-١٢٤، والتقريب ص:١٩٣).

قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[١].

وبالإسناد قال الواحدي: أخبرنا أبو حكيم[٢] عقيل بن محمد الجرجاني -فيما أجاز لي روايته عنه لفظاً-، أخبرنا المعافى بن زكريا القاضي، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا ابن حميد[٣]، حدثنا يحيى بن واضح[٤]، حدثنا الأصبغ بن علقمة[٥]، عن عكرمة، عن قول الله عز وجل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ قال: ليس الذي تذهبون إليه، إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة. قال: وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق[٦]. وهذا قول ابن السائب ومقاتل[٧] وسعيد بن جبير.

واحتجوا لصحته بما تقدم من الخطاب قبله وما تأخر، فإنه مختص بأزواج النبي ﷺ.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٠٣) وعزاه لابن مردويه.

(٢) في الوسيط (٣/ ٤٧٠): أبو حليم.

(٣) محمد بن حميد بن حيان التميمي الحافظ، أبو عبد الله الرازي، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ١١١-١١٤، والتقريب ص:٤٧٥).

(٤) تقدم.

(٥) أصبغ بن علقمة بن على بن علقمة بن شريك بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة الحنظلي اليربوعي، من أهل مرو، وكنيته أبو المقدام، يروى عن سعيد بن المسيب وعكرمة، روى عنه ابن المبارك (الثقات ٦/ ٧٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٠٣) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥).

وإنما قال: «ليذهب عنكم»؛ لدخول رسول الله ﷺ معهن في الخطاب.

قال الزمخشري[1]: وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته.

القول الثاني: أن المراد بأهل البيت: رسول الله ﷺ، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين. قاله أبو سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة.

والدليل على صحته: ما أخبرنا به الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني بقراءتي عليه من أصل سماعه قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الأنصاري، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع[2]، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة[3]، حدثنا أبي[4]، عن مصعب بن شيبة[5]، عن صفية بنت شيبة

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٤٦).

(٢) الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس السكوني، أبو همام بن أبي بدر الكوفي، نزيل بغداد، ثقة صدوق يكتب حديثه، مات في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١١٩، والتقريب ص:٥٨٢).

(٣) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي مولاهم، أبو سعيد الكوفي، ثقة متقن صدوق، مستقيم الحديث، كان على قضاء المدائن، ومات بها سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٨٣، والتقريب ص:٥٩٠).

(٤) زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي مولاهم، أبو يحيى الكوفي، كان ثقة كثير الحديث، وكان يدلس، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤، والتقريب ص:٢١٦).

(٥) مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار العبدري المكي الحجبي، لين الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٤٧، والتقريب ص:٥٣٣).

الحجبية[١]، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: « خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجلس، فجاءته فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ »[٢]. هذا حديث صحيح. أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر، عن زكريا عن مصعب.

وروت أم سلمة: « أن النبي ﷺ جَلَّلَ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله! قال: إنك إلى خير »[٣]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والصحيح عندي[٤]: أن المراد بأهل بيته: نساؤه وآله. وهو قول الضحاك[٥] واختيار الزجاج[٦]؛ لأن اللفظ صالحٌ لهما عامٌ فيهما.

وظاهر القرآن والأحاديث يدل على صحة ما اخترته.

وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ قال: « وأهل بيتي

---

(١) صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار العبدرية، لها رؤية (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٨، والتقريب ص:٧٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٣ ح٢٤٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٩٩ ح٣٨٧١).

(٤) وهو القول الثالث.

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٦).

أُذكّركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس »[(١)].

فهذا اعتراف من زيد بن أرقم أن نساءه من أهل بيته.

﴿ويطهركم تطهيراً﴾ قال مجاهد: ويطهركم من الشرك[(٢)].

وقال قتادة: من السوء[(٣)].

وقال السدي: من الإثم[(٤)].

والمعنى: ويطهركم بإذهاب الرجس عنكم.

قال الزجاج[(٥)]: الرِّجْس في اللغة: كل مستنكر مُستقْذر من مأكول أو عمل أو فاحشة.

قوله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ يعني: القرآن ﴿والحكمة﴾ قال قتادة: السنّة[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧٣ ح٢٤٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وهذا هو الصواب، ولا ينافيه القول الثاني، فإن السنة تشتمل على أحكام الحلال والحرام أيضاً.

وقال مقاتل[(١)]: الحلال والحرام والحدود، على معنى: اذكرن ما يتلى في بيوتكن من الكتاب الجامع بين أمرين: هو آيات بينات، وحكمة علوم وشرائع.

وفائدة هذا: تنبيههن على موضع الشكر حيث جعل بيوتهن مقر الرسالة ومهبط الوحي.

وقيل: هذا حثٌّ لهن على حفظ القرآن والسنة ومذاكرتهن بهما للإحاطة بحدود الشريعة، والخطاب وإن اختص بهنّ فغيرهنّ داخلٌ فيه؛ لأن مبنى الشريعة على هذين: القرآن والسنة، وبهما يوقف على حدود الله تعالى ومفترضاته.

﴿إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ قال عطية العوفي: لطيفاً باستخراجها، خبيراً بموضعها[(٢)].

وقيل: خبيراً بمن يصلح لنبوته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته، لطيفاً بكم حيث علمكم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم.

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات... الآية﴾ أخرج الترمذي من حديث أم

---

(١) ذكره مقاتل (٣/ ٤٥) بمعناه. وانظر: الماوردي (٤/ ٤٠١).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٢).

عمارة الأنصارية قالت: « أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ »(١).

وروي نحوه عن أسماء بنت عميس وأم سلمة(٢).

والمسلم: المنقاد. وقيل: المفوض أمره إلى الله تعالى، ومنه: أسلم وجهه إلى الله.

والمؤمن: المصدق بما يجب التصديق به.

وقال الماوردي(٣): في الإسلام والإيمان قولان:

أحدهما: أنه واحد في المعنى وإن اختلفا في الأسماء(٤).

الثاني: أنهما مختلفان، وفيها قولان:

أحدهما: أن الإسلام: الإقرار باللسان، والإيمان: التصديق بالقلب. قاله الكلبي.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٤ ح٣٢١١).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٧٠). وله شاهد صحيح من حديث أم سلمة أخرجه أحمد في مسنده عن أم سلمة قالت: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي على الجريد فإذا هو يقول على المنبر: يا أيها الناس! إن الله يقول في كتابه: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ... -إلى آخر الآية- أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (مسند أحمد ٦/ ٣٠٥ ح٢٦٦٤٥).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٤) والتحقيق أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر الإيمان والإسلام في حديث أو آية فسر الأول بالاعتقادات الباطنة، وفسر الثاني بالأعمال الظاهرة، وإذا ذكر الإسلام مفرداً دخل فيه الإيمان وكذا العكس.

الثاني: أن الإسلام: هو اسم الدين، والإيمان: هو التصديق به والعمل عليه.

وقد سبق ذكر القانت، وأنه القائم بطاعة الله تعالى الدائم عليها.

والصادق: الذي يصدق في نيته وقوله وعمله.

والصابر: الذي يصبر على طاعة الله تعالى وعن معصيته.

والخاشع: المتواضع لله تعالى بقلبه وجوارحه.

وقيل: هو الذي إذا صلى لا يعرف من عن يمينه وشماله.

والمتصدّق: الذي يزكي ماله ولا يبخل بالنوافل.

وقد قيل: من تصدق في أسبوع بدرهم وصام أيام البيض من كل شهر فهو من المتصدقين والصائمين.

والذاكرين: الذاكر الله كثيراً: من لا يكاد يخلو من ذكر الله تعالى بقلبه أو لسانه أو بهما، أو يكثر من تلاوة القرآن.

أخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرّ على جبل له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[(١)].

قرأتُ على الشيخ الإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بدمشق، -وكنت سمعته عليه قبل ذلك غير مرة-، والإمام فخر الدين أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم بن تيمية الخطيب بحران، وبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن المظفر الحربي الواعظ الحافظ بالموصل، وأبي الفرج يحيى بن سعد الله بن أبي تمام

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٢ ح٢٦٧٦).

الزاهد التكريتي بتكريت، قلت لكل واحد من الأشياخ الثلاثة المقدم ذكرهم [على][(١)] انفراده: أخبركم أبو الفتح محمد بن عبدالباقي بن سلمان الحاجب المعروف بابن البطي فأقرَّ به.

وقلت أيضاً لشيخنا أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد على انفراده، ولأبي الفتوح الزاهد على انفراده: أخبركم الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالرحمن بن محمد الطوسي فأقرَّ به.

قال ابن البطي والطوسي: أخبرنا أبو عبدالله مالك بن أحمد بن إبراهيم المالكي [البانياسي][(٢)]، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت[(٣)]، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي[(٤)]، حدثنا خلاد بن أسلم[(٥)]، حدثنا

(١) زيادة على الأصل.

(٢) في الأصل: النايياسي. وهو خطأ.

(٣) أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت المجبر، أبو الحسن، شيخ البانياسي، ضعفه البرقاني وقوّاه غيره، كان ديّناً صالحاً، ولد في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ومات في رجب سنة خمس وأربعمائة (لسان الميزان ١/ ٢٥٥).

(٤) إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي البغدادي، أبو إسحاق الهاشمي، كان أبوه أمير الحاج مدة، توفي بسامراء في أول المحرم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة عن بضع وتسعين سنة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧١-٧٢، والتقييد ص:١٩١).

(٥) خلاد بن أسلم البغدادي، أبو بكر الصفار، ثقة، أصله من مرو، مات بسامراء قبل الخمسين أو عام الخمسين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٨، والتقريب ص:١٩٦).

النضر[(١)]، حدثنا شعبة[(٢)]، عن أبي إسحاق[(٣)] قال: سمعت الأغر[(٤)] قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده »[(٥)]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن ابن مثنى عن محمد بن جعفر عن شعبة.

قوله تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ خبران. والتقدير في قوله تعالى: ﴿والذاكرات﴾ ﴿والحافظات﴾: والذاكراته، والحافظاتها، فحذف المفعول[(٦)].

والمعنى: أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجراً عظيماً لعملهم.

---

(١) النضر بن شميل المازني، أبو الحسن النحوي البصري، نزيل مرو، كان إماماً في العربية والحديث، ثقة ثبت، مات في أول سنة أربع ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٠، والتقريب ص:٥٦٢).

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، كان ثقةً مأموناً ثبتاً حجة، صاحب حديث، وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وإتقاناً وورعاً وفضلاً، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار علماً يقتدى عليه بعده أهل العراق، ولد سنة اثنتين وثمانين، ومات سنة ستين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٧-٣٠٢، والتقريب ص:٢٦٦).

(٣) عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال: علي، ويقال: بن أبي شعيرة، أبو إسحاق السبيعي، ثقة مكثر عابد، اختلط بأخرة، مات سنة تسع وعشرين ومائة. وقيل: قبل ذلك (تهذيب التهذيب ٨/ ٥٦-٥٨، والتقريب ص:٤٢٣).

(٤) الأغر أبو مسلم المدني، تابعي ثقة، نزل الكوفة (تهذيب التهذيب ١/ ٣١٩، والتقريب ص:١١٤).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ح ٢٧٠٠).

(٦) انظر: الدر المصون (٥/ ٤١٦).

قال قتادة: وكانت هذه الآية أول آية نزلت في النساء، فذُكِرْن بخير[١].

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: نزلت في زينب بنت جحش وأخيها عبدالله، وكانا ابني عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ خطبها لزيد بن حارثة مولاه، فظنت أنه يخطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت أنه يريدها لزيد كرهت وكره أخوها، وقالا: لا نرضاه، وكانت زينب امرأة بيضاء جسيمة وسيمة، وكان فيها حدّة، فقالت: أنا ابنة عمتك وأتم نساء قريش، فكيف أرضاه لنفسي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فبادرت بصريح إيمانها فقالت: أمري بيدك يا رسول الله، فزوّجها به[٢].

قال مقاتل[٣]: وساق لها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً وملحفة، [ودرعاً وإزاراً][٤]، وخمسين مُدّاً من طعام، وعشرة أمداد من تمر.

وقال ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١-١٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٠٩-٦١٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.
ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.
ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧).

(٤) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد بن حارثة، فكرهت وكره أخوها[١].

والأول أكثر وأشهر.

والمعنى: «وما كان لمؤمن» عبدالله بن جحش وغيره، «ولا مؤمنة» زينب وغيرها من المؤمنين والمؤمنات.

﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ حكماً به ﴿أن تكون لهم الخيرة﴾ أي: الاختيار ﴿من أمرهم﴾.

وقرأ أهل الكوفة وهشام: «أن يكون» بالياء[٢].

﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ﴾ أخطأ وجار عن سبيل الهدى ﴿ضلالاً مبيناً﴾ ظاهراً.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

ثم إن النبي ﷺ أتى بيت زيد بن حارثة فأبصر زينب قائمة، فوقعت في قلبه فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أن نفسه قبل ذلك كانت تجفو عنها،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٦١٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٨)، والكشف (٢/ ١٩٨)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢٢).

فسمعت زينب تسبيحه فذكرته لزيد، ففطن، وألقى الله تعالى في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: أرابك منها شيء؟ فقال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم طلقها بعد، فلما اعتدّت قال رسول الله ﷺ: ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك، اخطب عليَّ زينب.

قال زيد: فانطلقتُ وإذا هي تخمر عجينها، فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، وقلت: يا زينب أبشري، إن رسول الله ﷺ يخطبك، ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن(١).

وفي الصحيح من حديث أنس: « أن زينب كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات »(٢)، وفيها نزلت آية الحجاب.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس أيضاً: « لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية »(٣).

وفي الترمذي من حديث عائشة: « لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي

(١) أخرج نحوه مسلم (٢/ ١٠٤٨ ح١٤٢٨) من حديث أنس.
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٩ ح٦٩٨٤).
(٣) مثل السابق.

لكتم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ »[١]، يعني: زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالهدى والاختصاص بك حتى تبنيته وأحببته واصطفيته ﴿وأنعمت عليه﴾ بالعتق، ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ أي: اتق الله في أمرها فلا تطلقها.

وقيل: اتق الله فلا تذمها بنسبتها إلى الكبر وأذى الزوج.

وفي قوله تعالى: ﴿وتُخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ أربعة أقوال:

أحدها: تعلق قلبه الكريم بها ومحبته إياها. قاله ابن عباس[٢].

الثاني: إيثاره طلاقها. قاله قتادة وابن جريج ومقاتل[٣].

الثالث: إضماره في نفسه إن طلقها زيد تزوجتها. قاله [ابن][٤] زيد[٥].

الرابع: أن الله تعالى كان أعلمه أنها تكون زوجته، وأن زيداً سيطلِّقها، فلما قال له: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ عاتبه الله تعالى على ذلك[٦]. قاله علي بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٣ ح٣٢٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣) عن قتادة. وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٨)، والماوردي (٤/ ٤٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦١٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن قتادة.

(٤) زيادة من زاد المسير (٦/ ٣٨٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣) بأطول منه. وذكره الماوردي (٤/ ٤٠٦) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٧).

(٦) وهو الصواب من القول في ذلك. وصحح الأثر الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٢٤) وقال: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك؛ خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من =

الحسين[١].

﴿وتخشى الناس﴾ أي: وتخشى قائلتهم ولائمتهم.

قال الحسن: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية أشد عليه منها[٢].

قال الزمخشري[٣]: إن قلت: الواو في قوله: ﴿وتخفي في نفسك﴾، ﴿وتخشى الناس والله أحق﴾ ما هي؟

قلتُ: واو الحال، أي تقول لزيد: أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يمسكها، وتخفي خاشياً قالة الناس وتخشى الناس، حقيقاً في ذلك بأن تخشى الله. [أو واو][٤] العطف، كأنه قيل: وإذ تجمع بين قولك: [أمسك][٥]، وإخفاء خلافه، وخشية الناس، والله أحق أن تخشاه حتى [لا][٦] تفعل مثل ذلك.

﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها﴾ قال الزجاج[٧]: الـوَطَرُ والأَرَبُ في اللغة بمعنى واحد.

= أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية. والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦١٤-٦١٥) وعزاه للحكيم الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٢) ذكره الطبري (٢٢/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦١٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٥١-٥٥٢).

(٤) في الأصل: وواو. والمثبت من الكشاف (٣/ ٥٥١).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٥٢).

(٦) مثل السابق.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٩).

وقال الخليل بن أحمد: معنى الوطر: كل حاجةٍ يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وطره وأَرَبَه.

قال المفسرون: وذكر قضاء الوطر هاهنا: للتبيين بأن امرأة المتَبَنَّى تحلّ وإن وطئها[1].

﴿لكيلا﴾ متعلق بـ«زوجناكها».

المعنى: زوجناكها لكيلا يكون على الناس ﴿حرج﴾ أي: ضيق في التزوج بأزواج أدعيائهم إذا قضى الأدعياء منهن وطراً.

قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبني كحرمة الابن، فبيّن الله تعالى أن حلائل الأدعياء غير محرمة على المتبني وإن أصابوهن، وهو قوله تعالى: ﴿إذا قضوا منهن وطراً﴾ بخلاف ابن الصلب، فإن امرأته تحرم بنفس العقد[2].

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ أي: فيما شرع له من تزويج [امرأة][3] دعيّه.

وقيل: فيما قسم له وأوجب، من قولهم: فرض لفلان في الديوان كذا.

وقال الضحاك: ما كان على النبي من حرج في أن ينكح ما شاء من عدد النساء

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٤).

(٣) في الأصل: بامرأة.

وإن حرم على أمته أكثر من أربع؛ لأن اليهود عابوا ذلك عليه[(١)].

﴿سنة الله﴾ مصدر مؤكد لما قبله، وهو قوله: «فرض».

قال ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿سنة الله﴾: أي: سنّ الله تعالى لمحمد ﷺ في التوسعة عليه في باب النكاح كسُنَّته في الأنبياء الماضين، يعني: داود عليه الصلاة والسلام حين هوى المرأة التي فتن بها، فجمع الله تعالى بينه وبينها، كذلك جمع بين زينب وبين محمد ﷺ، وتزوج مائة امرأة وكانت له ثلاثمائة سرية، وأحل لسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية[(٢)].

﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ قضاء مقضياً.

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

ثم أثنى على الرسل الماضين فقال تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله... الآية﴾، وهو في موضع جر، على الوصف للأنبياء الذين خَلَوا من قبل، أو في موضع[(٣)] نصب أو رفع على المدح، أو على معنى: أعني.

قال المفسرون: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب قال المشركون واليهود: تزوج

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٢).

(٣) في الأصل زيادة قوله: الله.

محمد امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ يريد: لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه تحريم المصاهرة[١].

﴿ولكن رسول الله﴾ أي: ولكن كان رسول الله ﴿وخاتم النبيين﴾.

قال المفسرون: يعني: أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان [نبياً][٢] ولم يكن خاتم الأنبياء[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: فإن قلت: أما كان أبا الطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم؟

قلت: قد أخرجوا من حكم النفي بقوله تعالى: ﴿من رجالكم﴾ من وجهين:

أحدهما: أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال.

الثاني: أنه قد أضاف الرجال إليهم، وهؤلاء رجاله لا رجالهم.

فإن قلت: أما كان أباً للحسن والحسين؟

قلت: [بلى][٥]، ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ، وهما أيضاً من رجاله، وشيء آخر: وهو أنه إنما قصد ولده خاصة، لا ولد ولده؛ لقوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾، ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٣).

(٢) في الأصل: نبينا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٣).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٥٣).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لأبي عمرو من رواية القـزاز [والحلبـي][١] عـن عبـدالوارث عـن أبي عمـرو: «ولكـنّ» بالتـشديد، وقـرأتُ للبـاقين «ولكـنْ» بالتخفيف[٢]. وقرأ «رسولُ الله» بالرفع.

قال الزجاج[٣]: من نصبَ فعلى معنى: ولكن كان رسـولَ الله وكـان خـاتمَ النبيين. ومن رفع فالمعنى: ولكن هو رسولُ الله.

قال الزمخشري[٤]: ومن شدّد فعلى حذف الخبر، تقديره: ولكن رسولَ الله من عرفتموه.

قال ابن جني[٥]: وعليه قول الفرزدق:

وَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيّاً عَرَفْتَ قَرَابَتِي ... وَلَكِن زَنْجِيّاً غَلِيظَ المَشَافِرِ[٦]

أي: ولكن زنجياً غليظ المشافر لا يعرف قرابتي، كذلك هاهنا الخبر محذوف، تقديره: ولكن رسولَ الله محمد.

---

(١) في الأصل: الحلبي. والصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكر هذه القـراءة أبـو حيـان في البحـر المحيط (٧/ ٢٢٨)، والـسمين الحلبـي في الـدر المـصون (٥/ ٤١٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٥٣).

(٥) المحتسب (٢/ ١٨١-١٨٢).

(٦) البيت للفرزدق. انظـر: الكتـاب (٢/ ١٣٦)، والمحتـسب (٢/ ١٨٢)، وابـن يعـيش (٨/ ٨١)، والهمع (١/ ١٣٦)، والبحر (٧/ ٢٢٨)، والدر المصون (٥/ ٤١٩)، واللسان (مادة: شفر).
والمشافر: جمع مشفر، وهو للبعير كالشفة للإنسان. واستعاره منه لما قصد مـن تـشنيع خلـق مـن يهجوه. والقرابة التي بين الفرزدق وضبة: أنه من تميم بن مر بن أد بن طابخة. وضبة هو ابن أد بن طابخة. وهو هنا ينفي نسبته إلى ضبة.

وقرأ الأكثرون: «وخاتِم النبيين» بكسر التاء، على أنه اسم الفاعل، من ختمهم فهو خاتمهم، كما تقول: ضربهم فهو ضاربهم، فتحها عاصم[١]، وهي قراءة الحسن، على معنى: أنه آخر النبيين كالطابع عليهم.

ويروى أن الحسن قال: هم الخاتم الذي ختم به[٢].

قرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرّ به قال: حدثنا أبو محمد البغوي، أخبرنا علي بن يوسف الجويني، أخبرنا محمد بن علي الخذاشاهي، أخبرنا عبدالله بن محمد الحوريذي، حدثنا يونس بن عبدالأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبين ابن مريم نبي »[٣].

قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة، فطاف بها النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل ».

وأخرج الإمام أحمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة. ومسلم عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق بالإسناد عن أبي هريرة، أن رسول الله

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٨)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٠ ح٣٢٥٨)، ومسلم (٤/ ١٨٣٧ ح٢٣٦٥).

ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأكملها وأجملها، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك، فقال محمد ﷺ: فكنت أنا اللبنة»(١).

وأخرجاه في الصحيحين من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ أي: اذكروه بألسنتكم وقلوبكم.

قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبداً(٣).

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون »(٤).

﴿وسبحوه﴾ صَلُّوا له ﴿بكرة وأصيلاً﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٢ ح٨١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٠٠ ح٣٣٤٢)، ومسلم (٤/ ١٧٩٠ ح٢٢٨٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٦٨ ح١١٦٧١).

قال ابن السائب: أما «بكرة»: فصلاة الفجر، وأما «أصيلاً»: فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء[١]. وهذا مروي عن ابن عباس.

وقال قتادة: صلاة الصبح والعصر[٢].

وقيل: «سَبِّحُوه»: نَزِّهُوه.

قال مجاهد: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

قوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ أما الصلاة من الله: فالرحمة والمغفرة، في قول الحسن وأكثر المفسرين[٤].

وقال أبو العالية: الثناء، وأما صلاة الملائكة: فالدعاء والاستغفار[٥].

قال الزمخشري[٦]: لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن [ينعطف][٧] على غيره حنواً عليه وترؤفاً.

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ قال مقاتل[٨]: من الكفر إلى الإيمان.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) الكشاف (٣/ ٥٥٥).

(٧) في الأصل: يتعطف. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩).

وقيل: من النار إلى الجنة.

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ قال مقاتل[١]: يعني: تسليم الملائكة عليهم.

وقيل: تحية بعضهم بعضاً. وقد سبق تفسير ذلك.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ أي: شاهداً على من بعث إليهم مصدقهم ومكذبهم، وشاهداً على الأمم الخالية بتبليغ رسلهم ما بعثوا به.

«وشاهداً»: حال مُقدّرة.

﴿وداعياً إلى الله﴾ قال ابن عباس: إلى شهادة أن لا إله إلا الله[٢].

وقيل: إلى الإسلام والطاعة.

﴿بإذنه﴾ بتيسيره وتسهيله.

فإن قيل: ما منعك من حمل الإذن على ظاهره؟

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣١٢ ح١١٨٤١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣١٩ ح١٤١٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر.

قلت: منعني من ذلك ﴿إنا أرسلناك﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وداعياً﴾، وهذا مشعر بالإذن في الدعاء.

وقيل: «بإذنه»: بأمره.

﴿وسراجاً منيراً﴾ يُستضاء بك في طلب الهدى، ووصفه بالإنارة؛ لكون بعض السرج لا تضيء.

قوله تعالى: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ سبق تفسيره في أول السورة.

﴿ودع أذاهم﴾ قال ابن عباس: اصبر على أذاهم[١].

وقال الزجاج[٢]: تأويله: لا تجازِهِمْ عليه إلى أن تُؤمر فيهم بأمْر. وهذا منسوخ بآية السيف[٣].

وقال الضحاك: ﴿دعْ أذاهم﴾: وهو ما خاضوا فيه من الطعن عليه حين تزوج زينب[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٤٠) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٣١).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٢٨).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤١١).

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ قال ابن عباس: كذبوا على ابن مسعود، وإن كان قالها فزلّة من عالم؛ في الرجل يقول: إن تزوجتُ فلانة فهي طالق، [يقول][(١)] الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾، ولم يقل: إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن[(٢)].

وقال سماك بن الفضل[(٣)]: إنما النكاح عقدة والطلاق يَحُلُّها، فكيف تُحَلُّ عقدة لم تُعْقَد؟ قال معمر: فصار بهذه الكلمة قاضياً على صنعاء[(٤)].

وقد أجمع العلماء على أن الطلاق إذا وقع قبل المسيس والخلوة فلا عدّة فيه، ويشطر الصداق، وأن التي لم يدخل بها تبينها الطلقة الواحدة.

﴿فمتعوهن﴾ متعة الطلاق. وقد ذكرنا أحكامها في سورة البقرة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا

---

(١) في الأصل: بقول. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٢٣ ح٢٨٢١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢٠ ح١٤٦٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٧) وعزاه للبيهقي.

(٣) سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني، ثقة، يروي عن وهب بن منبه، روى عنه معمر بن راشد (الثقات ٦/ ٤٢٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٤٢٠ ح١١٤٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢١ ح١٤٦٦٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٠٣).

فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ... الآية﴾ قال المفسرون: ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها الله لنبيه ﷺ فقال: ﴿أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي: مهورهن، وسُمِّي المهر أجراً؛ لوقوعه في مقابلة البضع. والمعنى: اللاتي تزوجهن بصداق.

﴿وما ملكت يمينك﴾ بالسبي ﴿مما أفاء الله عليك﴾ أي: رده عليك من الكفار؛ كصفية وجويرية، فإنه أعتقهما وتزوجهما.

﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ يريد: نساء قريش، ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ يريد: نساء بني زهرة، ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ إلى المدينة.

قال القاضي أبو يعلى: ظاهر هذا يدل على أن من لم تهاجر معه من النساء لا يحل له نكاحها[(١)].

وقالت أم هانئ: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه بعذر، ثم أنزل الله هذه الآية، فلم أحل له لأني كنت من الطلقاء[(٢)]. وهذا قول جماعة من المفسرين.

وقيل: نسخ شرط الهجرة في التحليل ولم يذكر ناسخه.

وقيل: شرط الهجرة في التحليل له كان مختصاً ببنات عمه وببنات عماته وبنات

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٥ ح٣٢١٤) وقال: حديث حسن صحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، والحاكم (٤/ ٥٨ ح٦٨٧٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٥٤ ح١٣١٢٨)، وابن سعد في طبقاته (٨/ ١٥٢)، والطبري (٢٢/ ٢١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٢).

خاله وبنات خالاته.

وقال صاحب الكشاف(١): إن قلت: لم قال: ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾، و﴿مما أفاء الله عليك﴾، و﴿اللاتي هاجرن﴾ وما فائدة هذه التخصيصات؟

قلت: قد اختار الله تعالى لرسوله ﷺ الأفضل الأولى، واستخصه(٢) بالأطيب الأزكى، كما اختصه بغيرها من الخصائص، وآثره بما سواها من الأثر، وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية، وإن وقع العقد جائزاً، وله أن يماسّها وعليه مهر المثل إن دخل بها، والمتعة إن لم يدخل بها، وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكان التعجيل [ديدن](٣) السلف وسنتهم، وكذلك [الجارية](٤) إذا كانت سبية مالكها، وخطبة سيفه ورمحه، ومما اغتنمه الله تعالى من دار الحرب أحل وأطيب مما يشتري من شق الجلب، وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله ﷺ من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه، و«أحللنا لك» من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك، ولذلك نكرها. واختلف [في](٥) اتفاق ذلك، فعن ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ أحد منهن بالهبة(٦).

وقيل: الموهوبات أربع: ميمونة، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية،

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٥٨-٥٥٩).

(٢) في الكشاف (٣/ ٥٥٨): واستحبه.

(٣) في الأصل: دين. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٥٨).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٥٩).

(٦) انظر: الطبري (٢٢/ ٢٢-٢٣).

وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم.

وقرأ أبي بن كعب والحسن: «أَن وهبت» بفتح الهمزة[١]، أي: لأن وهبت.

وقرأ ابن مسعود: «وامرأة مؤمنة وهبت»، بغير «إن»[٢].

وقوله تعالى: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ أي: إن آثر ذلك، أي: أحللناها لك إن وهبت نفسها وأردت نكاحها. وإنما خاطبه بقوله: «إنا أحللناها لك»، ثم عدل إلى الغيبة بقوله: «إن أراد النبي -ﷺ- أن يستنكحها» يعني: الواهبة، ثم خاطبه بقوله تعالى: ﴿خالصة لك﴾ الإشعار باختصاص ذلك به، والتنويه باسم النبي ﷺ للإيذان بأنها السبب في إكرامه بما خص به وتكريره بقوله: ﴿إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي﴾ للتفخيم والتعظيم، كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ يسبِقُ الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفقيرا[٣]

فصل

اختلف العلماء في جواز النكاح بلفظ الهبة لغير النبي ﷺ، وفي جوازه بلفظ البيع والتمليك، فأجازه جماعة؛ منهم: النخعي وأبو حنيفة وأصحابه، واختلف أصحابه في النكاح بلفظ الإجارة[٤]، واحتجوا بهذه الآية نظراً إلى أن الأصل مساواة الأمّة للرسول ﷺ في الأحكام، إلا ما خصه الدليل.

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٦).

(٢) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٣/ ٥٥٩).

(٣) البيت لعدي بن زيد. انظر: ديوانه (ص:٦٥)، والكتاب (١/ ٩٢)، والخصائص (٣/ ٥٣)، والخزانة (١/ ١٨٣)، والدر المصون (١/ ٢٣٥)، والطبري (٤/ ٤٢)، والقرطبي (١/ ٤١٧، ٤/ ٦٢، ٨/ ١٤٩)، وزاد المسير (١/ ٢٢٧)، واللسان (مادة: نغص).

(٤) انظر: المغني (٧/ ٦٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ١١١).

ولم يجزه الأكثرون، منهم: سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء ومالك والشافعي وأحمد(١)؛ لقوله تعالى: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾، ولقطع المشاركة بين النكاح وغيره من العقود في اللفظ، كما لا تنعقد سائر العقود بلفظ الإنكاح والتزويج.

قوله تعالى: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ قال ابن عباس: يقول: لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال، [وهذا](٢) من خصائصه في النكاح(٣).

و«خالصة» مصدر مؤكد، أي: خلص لك ذلك خالصة بمعنى خلوصاً.

قوله تعالى: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ أي: قد علمنا ما أوحينا وحكمنا على المؤمنين في أزواجهم، وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع، وأنه لا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود ﴿وما ملكت أيمانهم﴾.

وقوله تعالى: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ متعلق بقوله: ﴿خالصة لك﴾، أي: أخلصنا لك ذلك لكيلا يكون عليك حرج، وما بينهما جملة اعتراضية تفيد الإشعار باختصاص الله تعالى بعلم ما يشرع للنبي ﷺ مختصاً به، وما حد للمؤمنين فيما فرض عليهم.

۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٦٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ١١١).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٧٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٧).

ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ نزلت مبيحة للنبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه؛ تخصيصاً له وتفضيلاً.

قوله تعالى: ﴿ترجي﴾ أي: تؤخر. ومن القُرّاء السبعة من يهمزه، ومنهم من لا يهمزه[١]. وقد سبق ذكره.

والمعنى: تؤخر من تشاء بالطلاق. قاله ابن عباس[٢].

وقال مجاهد: تؤخر من تشاء فتعزلها عن أزواجك فلا تأتيها[٣].

قال المفسرون: كان القسم والتسوية بينهن واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن[٤].

قال أبو رزين: كان ممن آوى: عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة، وكان ممن أرجأ: سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة، وكان يقسم لهن ما شاء، وكان أراد أن يفارقهن فقلن: اقسم لنا ما شئت من نفسك ودعنا نكون على حالنا[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٨)، والنشر (١/ ٤٠٦)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٣) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٦)، ومجاهد (ص:٥١٩) بالمعنى. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٥) وعزاه للفريابي وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٠١)، والطبري (٢٢/ ٢٥).

أخبرنا أبو القاسم السلمي وأبو الحسن البغداديان، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا زكريا بن يحيى[١]، حدثنا أبو أسامة[٢]، حدثنا هشام[٣] عن أبيه[٤]، عن عائشة قالت: «كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ فأقول: تهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء... الآية﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»[٥].

وأخرجه مسلم[٦] عن أبي كريب عن أبي أسامة.

قوله تعالى: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ أي: ومن طلبت ممن

---

(١) زكريا بن يحيى بن صالح بن سليمان بن مطر البلخي، أبو يحيى اللؤلؤي، ثقة حافظ، كان صاحب سنّة وفضل ممن يرد على أهل البدع، مات سنة ثلاثين أو اثنتين وثلاثين (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٩، والتقريب ص:٢١٦).

(٢) حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم، أبو أسامة الكوفي، ثقة ثبت ربما دلّس، مات في شوال سنة إحدى ومائتين (تهذيب التهذيب ٣/ ٣، والتقريب ص:١٧٧).

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر، وقيل: أبو عبد الله، كان ثقةً ثبتاً، كثير الحديث، حجة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤-٤٥، والتقريب ص:٥٧٣).

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، أبو عبد الله المدني، كان ثقةً كثير الحديث، فقيهاً عالماً، ثبتاً مأموناً، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح (تهذيب التهذيب ٧/ ١٦٣-١٦٥، والتقريب ص:٣٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩٧ ح٤٥١٠).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٨٥ ح١٤٦٤).

عزلتهن من نسائك عن القسم [وأردت][1] ضَمَّها وإيوائها إليك فلا إثم عليك، ولا حرج عليك في ذلك ولا عتب، ﴿ذلك﴾ التخيير الذي خيرناك والتفويض إلى مشيئتك ﴿أدنى أن تقر أعينهن﴾ أقرت قرة أعينهن ورضاهن جميعاً لكونه منزلاً من عند الله.

قال قتادة: إذا علمن أن هذا جاء من الله تعالى كان أطيب لأنفسهن وأقلّ لحزنهن[2].

قرأ الأكثرون: «كُلُّهن» برفع اللام، أي: يرضين كلهن. وقرئ شاذاً: «كُلَّهن» بالنصب[3]، تأكيداً لـ«هُنَّ» في «آتيتهن»، والمعنى واحد.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ قرأ أبو عمرو: «لا تَحِلُّ» بالتاء، لتأنيث الجمع، والباقون بالياء[4]؛ لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وإذا جاز بغير فصل كقوله تعالى: ﴿وقال نسوة﴾ كان مع الفصل أجوز من بعد، أي: من بعد التسع.

قال الشعبي: لما خيرهن النبي ﷺ فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك

---

(١) في الأصل: وأرت.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨). وذكره الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر (٧/ ٢٣٥)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٢٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٩)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

فقصره عليهن، وأنزل هذه الآية. وهذا قول ابن عباس وقتادة والحسن[١].

وقال أبي بن كعب: المعنى: لا تحل لك من بعد المذكورات في قوله: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن... الآية﴾. وهو قول الضحاك أيضاً[٢].

وقال مجاهد: المعنى: لا تحل لك نساء اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات[٣].

﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ ينبني على الأقوال المذكورة، فعلى الأول يكون المعنى: ولا يحل لك أن تستبدل بزوجاتك سواهن[٤].

وعلى قول مجاهد يكون المعنى: ولا أن تبدل الكتابيات بالمسلمات، يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية.

وقال أبو هريرة وابن زيد: كانت عادة الجاهلية التبادل بالأزواج، فيعطي أحدهم زوجته لرجل ويعطي الآخر زوجته بدلاً منها، فنهوا عن ذلك[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨-٢٩) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٨) عن الشعبي، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٣٧) وعزاه لأبي داود في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أنس.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٣٨).
وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) وهو اختيار ابن جرير الطبري (٢٢/ ٣١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣١) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٨) وعزاه للبزار وابن مردويه عن أبي هريرة.
وأنكر هذا القول ابن جرير فقال: والذي قاله ابن زيد فقول لا معنى له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة =

قوله تعالى: ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ في محل الحال من الفاعل المضمر في «تَبَدَّلَ»، لا من المفعول الذي هو «من أزواج»؛ لتوغله في «إلا» التنكير.

﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يعني: فإنهن غير محصورات بعدد. أو يكون المعنى: إلا ما ملكت يمينك من الكتابيات.

ويجيء على قول أبي هريرة وابن زيد: أن يكون إلا ما ملكت يمينك فلك الاستبدال بها.

فصل

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ هل نسخ أم لا؟ فروي عن علي وابن عباس وعائشة وأم سلمة أنه نسخ بقوله تعالى: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾(١).

= لكانت القراءة والتنزيل: ولا أن تبادل بهن.

(١) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٣١-٤٣٣).

وذهب ابن جرير الطبري (٢٢/ ٣٠) إلى إحكام الآية فقال: وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ...﴾ إلى قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِي﴾. وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ عقيب قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء، ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين قبل الأخرى منهما، فإن كان ذلك كذلك، ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة للأخرى. اهـ.

وأورد مكي بن أبي طالب إحكام الآية بأدلته عن ابن عباس وسهل وقتادة والحسن وابن سيرين. =

قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء[(١)].

قال أبو سليمان الدمشقي: يعني: نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات[(٢)].

وقال جماعة، منهم الحسن وابن سيرين: أنها محكمة ما نسخت[(٣)].

قال الزهري: قبض رسول الله ﷺ وما نعلمه تزوج النساء بعد[(٤)].

وفي قوله: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ تحذير من مجاوزة حدود الله عز وجل.

= انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص:٣٣٧).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٦ ح٣٢١٦)، وأحمد (٦/ ٤١ ح٢٤١٨٣)، والشافعي في الأم (٥/ ١٤٠) وله رأي في قول عائشة، قال الشافعي رضي الله عنه: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه في قوله: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ... الآية﴾.

ثم قال: وأحسب قول عائشة رضي الله عنها: «أحل له النساء» بقول الله عز وجل: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ إلى قوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ فذكر الله عز وجل ما أحل له، فذكر أزواجه اللاتي آتى أجورهن وذكر بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي قال: فدل ذلك على معنيين:

أحدهما: أنه أحل له مع أزواجه من ليس له بزوج يوم أحل له، وذلك أنه لم يكن عنده ﷺ من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خالاته امرأة وكان عنده عدد نسوة، وعلى أنه أباح له من العدد ما حظر على غيره.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١١).

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٨/ ١٩٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٨).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... الآية﴾ أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: «كان النبي ﷺ عروساً بزينب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا إلى رسول الله ﷺ هدية، فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة في [بُرْمَة][(١)] فأرسلت بها معي، فانطلقت بها إليه فقال: ضعها، ثم أمرني فقال: ادع لي رجالاً سماهم، وقال: ادعُ لي من لقيت، قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاصٌّ[(٢)] بأهله، ورأيت النبي ﷺ وضع يده في تلك الحيسة وتكلم بما شاء، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول

---

(١) في الأصل: رمه. والتصويب من البخاري (٥/ ١٩٨١).

والبُرْمَة: قِدْرٌ من حجارة. والجمع: بُرَم وبِرام وبُرْم. وقيل: القدر مطلقاً. وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن (اللسان، مادة: برم).

(٢) أي: ممتلئ بهم. وغَصَّ المكان بأهله: ضاق (اللسان، مادة: غصص).

لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه، حتى تصدعوا كلهم [عنها][(١)]، فخرج [منهم][(٢)] من خرج وبقي[(٣)] نفر يتحدثون. ثم خرج النبي ﷺ نحو الحجرات وخرجت في إثره، فقلت: إنهم [قد ذهبوا][(٤)]، فرجع فدخل البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي -إلى قوله تعالى-: والله لا يستحيي من الحق﴾، فخرج رسول الله ﷺ وقرأهن على الناس »[(٥)]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق.

وقال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين يتحيّنون [طعام][(٦)] النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية[(٧)].

وفي الصحيحين من حديث عمر قال: « قلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل عليهن البرّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب »[(٨)].

وقالت عائشة: كان عمر يقول لرسول الله ﷺ: « احجب نساءك فلا يفعل، فخرجت سودة ليلة، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل

---

(١) زيادة من البخاري (٥/ ١٩٨١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل زيادة قوله: من بقي. وهي غير موجودة في البخاري.

(٤) في الأصل: تذهبوا. والتصويب من البخاري (٥/ ١٩٨١).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٨١ ح٤٨٦٨)، ومسلم (٢/ ١٠٥١ ح١٤٢٨).

(٦) في الأصل: طام. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٤١٣).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٣).

(٨) أخرجه البخاري (١/ ١٥٧ ح٣٩٣)، ولم أقف عليه عند مسلم.

الحجاب، فنزل »[١].

قوله تعالى: ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ في معنى الظرف، تقديره: وقت أن يؤذن لكم، و ﴿غير ناظرين إناه﴾ حال [من][٢] «لا تدخلوا»، والاستثناء واقع على الوقت والحال معاً، تقديره: لا تدخلوا إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه[٣]، أي: نضجه وبلوغه. يقال: أَنَى يَأْني إذا حان وأدرك[٤].

﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ معطوف على «ناظرين»، فيكون مجروراً، أو هو منصوب، على معنى: ولا تدخلوها مستأنسين[٥].

قوله تعالى: ﴿فيستحيي منكم﴾ لا بد فيه من تقدير المضاف، أي: فيستحيي من إخراجكم.

﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أي: لا يترك ما يبيّن لكم أنه الحق.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٧ ح١٤٦)، ومسلم (٤/ ١٧٠٩ ح٢١٧٠).

(٢) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٦٣).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٣). وانظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٤).

قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٣٧): فقوله: ﴿إلا أن يؤذن﴾ في معنى الظرف، وتقديره: وقت أن يؤذن لكم، وأنه أوقع الاستثناء على الوقت فليس بصحيح، وقد نصوا على أنّ «أنْ» المصدرية لا تكون في معنى الظرف، تقول: أجيئك صياح الديك وقدوم الحاج، ولا يجوز: أجيئك أن يصيح الديك ولا أن يقدم الحاج. وأما أن الاستثناء وقع على الوقت والحال معاً؛ فلا يجوز على مذهب الجمهور، ولا يقع بعد إلا في الاستثناء إلا المستثنى، أو المستثنى منه، أو صفة المستثنى منه، وأجاز الأخفش والكسائي ذلك في الحال، أجازا: ما ذهب القوم إلا يوم الجمعة راحلين عنا، فيجوز ما قاله الزمخشري في الحال.

(٤) انظر: اللسان (مادة: أني).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٤)، والتبيان (٢/ ١٩٤).

قال بعض العلماء: هذا أدبٌ أدَّبَ الله به الثُّقلاء[١].

قالت عائشة رضي الله عنها: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾[٢].

﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾ أي: حاجة، والضمير لنساء النبي ﷺ ولم يذكرن؛ لأن الحال ناطقة بهن.

﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الريبة، ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ في شيء من الأشياء، ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾.

قال ابن عباس: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لو توفي رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فأنزل الله سبحانه وتعالى ما أنزل[٣].

قال مقاتل بن سليمان[٤]: هو طلحة بن عبيدالله.

قال الزجاج[٥]: أعلم الله تعالى أن ذلك محرم بقوله: ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾.

فصل

اختلف الفقهاء في وجوب [الاعتداد][٦] على أزواج النبي ﷺ على وجهين:

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ٢٢٤) عن إسماعيل بن أبي حكيم.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣١٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٦٩ ح١٣١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٤٣) وعزاه لابن مردويه.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٥).

(٦) في الأصل: الاعتاد.

أحدهما: أن عليهن العدة لدخولهن في عموم الأدلة الدالة على وجوبها.

والثاني: لا عدة عليهن؛ لأن العدة مدة تتربص بها الإباحة، وتحريمهن على التأبيد، فلا فائدة في شرعيتها عليهن.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قال المفسرون: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب، فأنزل الله تعالى: ﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾(١).

قال قتادة: «لا جناح عليهن في آبائهن»: في ترك الحجاب(٢).

وقال مجاهد: في وضع الجلباب(٣).

﴿ولا نسائهن﴾ يريد: نساء المسلمات. وقيل: الجميع(٤). وقد ذكر في سورة

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٤٢٠).

وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤١). وذكره الماوردي (٤/ ٤٢٠).

(٤) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٧-٤١٨): فان قيل: ما بال العمِّ والخال لم يُذْكَرا؟ فعنه جوابان:

أحدهما: لأن المرأة تَحِلُّ لأبنائهما، فكره أن تضع خمارها عند عمِّها وخالها، لأنهما ينعتانها لأبنائهما،

النور[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾، وقرئ: «وملائكتُهُ» بالرفع[٢]، عطفاً على محل إن واسمها. وقد ذكر آنفاً معنى صلاة الله والملائكة عليه.

﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة قال: «قلنا: يا رسول الله! قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[٣].

ومعنى قولهم: «قد عرفنا السلام عليك»: ما يقال في التشهد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهو معنى قوله: ﴿وسلموا تسليماً﴾.

وقيل: المعنى: وسلِّمُوا لأمره تسليماً.

وحكى مقاتل قال[٤]: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: فما لنا يا رسول الله؟

= وهو قول الشعبي وعكرمة.

والثاني: لأنهما يجريان مجرى الوالدين فلم يُذْكَرا. قاله الزجاج.

(١) عند الآية رقم: ٣١.

(٢) وهي قراءة ابن عباس. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٢٣٩)، والدر المصون (٥/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٢ ح٤٥١٩)، ومسلم (١/ ٣٠٥ ح٤٠٦).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٤).

فنزل: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته... الآية﴾[١].

أخرج الإمام أحمد من حديث عبدالرحمن بن عوف قال: « خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلاً، فسجد فأطال السجود، حتى خفت أو خشيت أن يكون الله عز وجل قد توفاه أو قبضه. قال: فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: ما لك يا عبدالرحمن؟ قال: فذكرت ذلك له. قال: فقال: إن جبريل عليه السلام قال لي: ألا أبشرك، إن الله عز وجل يقول لك: من صلّى عليك صلاة صليتُ عليه، ومن سلّم عليك سلّمتُ عليه »[٢].

وفي حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: «دخلت على النبي ﷺ فلم أره أشد استبشاراً منه يومئذ ولا أطيب نفساً، قلت: يا رسول الله! ما رأيتك قط أطيب نفساً ولا أشد استبشاراً منك اليوم؟ قال: وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبريل من عندي قال: قال الله تعالى: من صلى عليك صلاة صليت بها عليه عشر صلوات، ومحوت عنه عشر سيئات، وكتبت له عشر حسنات»[٣].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث الحسين بن علي: أن النبي ﷺ قال: «البخيل من ذكرتُ عنده ثم لم يُصَلِّ عليّ»[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٦)، والماوردي (٤/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٩١ ح١٦٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩ ح١٦٣٩٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥١ ح٣٥٤٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/ ٢٠١ ح١٧٣٦).

فصل

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة كلما ذُكر، وذهب بعضهم إلى وجوبها في كل مجلس مرة واحدة، وذهب بعضهم إلى وجوبها في العمر مرة واحدة[١].

وأما الصلاة عليه في الصلاة واجبة عند الإمام أحمد، ومنهم من يجعلها شرطاً لصحة الصلاة، ومنهم من يجعلها سنة.

واختلفوا في الصلاة على غيره ؛ فسوغها قوم؛ لقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»[٢]، وكرهها آخرون؛ لكونها شعاراً للنبي ﷺ، إلا أن يكون تبعاً؛ كقولك: اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: هم الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي[٣].

---

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (١/ ٢٩)، وبدائع الصنائع (١/ ٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٤ ح١٤٢٦)، ومسلم (٢/ ٧٥٦ ح١٠٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٥٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال عكرمة: هم أصحاب [التصاوير][(١)].

وقال يحيى بن سلام: هم قوم من المنافقين كانوا يكذبون على النبي ﷺ ويبهتونه[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿يؤذون الله﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه وصفه بما لا يليق بجلاله وما يجب تنزيهه عنه.

أخبرنا أبو علي بن عبدالله بن سعادة في كتابه أخبرنا أبو القاسم الشيباني، أخبرنا [أبو][(٣)] علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن أبي عبدالرحمن -هو السلمي-، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: « ما من أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، يدعون له ولداً ويعافيهم ويرزقهم »[(٤)].

أخرجه البخاري عن مسدد، عن يحيى، عن سفيان. وأخرجه مسلم عن أبي بكر، عن أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش.

الثاني: أن المعنى: يؤذون نبي الله، فجعل أذى نبيه أذى له؛ تشريفاً لمنزلته.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٥٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. وما بين المعكوفين في الأصل: البضايير. والتصويب من المصادر السابقة.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٢).

(٣) زيادة على الأصل. انظر ترجمته في: العبر (٢/ ٢٨٥)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٢ ح٥٧٤٨)، ومسلم (٤/ ٢١٦٠ ح٢٨٠٤)، وأحمد (٤/ ٤٠١ ح١٩٦٠٤).

الثالث: أن المعنى: يؤذون أولياء الله[١]. وأما أذى الرسول فهو ما ذكرناه في سبب النزول.

وقال الواحدي[٢]: هو أنهم كذبوا رسول الله وشَجُّوا وجهه وكسروا رباعيته، وقالوا: مجنون؛ شاعر، ساحر، كذاب.

﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ قال المفسرون: لعنتهم في الدنيا: القتل والجلاء، وفي الآخرة: عذاب النار[٣].

قوله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أي: بغير جناية توجب استحقاق الأذى.

قيل: إنها نزلت في الذين تكلموا في أهل الإفك، وهو قول الضحاك[٤].

وقال ابن السائب: نزلت في الزناة، كانوا يمشون في الطريق فيرون المرأة فيغمزونها[٥].

وحكى مقاتل[٦] والنقاش: أنها نزلت في قوم كانوا يؤذون علي بن أبي طالب

---

(١) ذكر هذه الأقوال: الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٢٢).

(٢) الوسيط (٣/ ٤٨٢).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٠).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢١).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣) عن الضحاك، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٧) عن الضحاك والسدي وابن السائب الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢١) عن السدي.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٥٤). وذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢١).

ويكذبون عليه.

ويروى: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قرأ ليلة هذه الآية فأفزعته، فانطلق إلى أبيّ بن كعب فقال: يا أبا المنذر! إني قرأت آية من كتاب الله فوقعت مني كل موقع: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾، وإني لأعاقبهم وأضربهم، فقال: إنك لست منهم، إنما أنت مُؤدِّب، إنما أنت معلِّم[(١)].

وقال الفضيل: لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق، فكيف [تؤذي مسلماً][(٢)]؟

وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة؛ لما فيه من الروعة عند كراء الحول[(٣)].

وقال الحسن وقتادة: إياكم وأذى المؤمن فإنه حبيب ربه، أَحَبَّ الله تعالى فأحبه، وغضبَ لربه فغضب الله له، وإن الله يحوطه ويؤذي من آذاه[(٤)].

وفي حديث الرؤيا: «رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين [و][(٥)] المؤمنات بغير ما اكتسبوا»[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٧)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٩). وما بين المعكوفين زيادة من سير أعلام النبلاء.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٩).

(٤) ذكر نحوه الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٢).

(٥) زيادة على الأصل.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن
جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾
۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى
ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ يرخينها عليهن، ويغطين بها وجوههن وأعطافهن. و«مِنْ» للتبعيض.

قال ابن قتيبة[(١)]: قل لهن يلبَسْنَ الأَرْدِئة.

وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن.

قال ابن مسعود والحسن: الجلباب: الرداء[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: القناع[(٣)].

وقال قطرب: هو [كل][(٤)] ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها[(٥)].

وقال الزمخشري[(٦)]: هو ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٦١) وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) زيادة من الماوردي (٤/ ٤٢٤).

(٥) انظر قول قطرب في: الماوردي (٤/ ٤٢٤).

(٦) الكشاف (٣/ ٥٦٩).

على رأسها ويبقى ما ترسله على صدرها.

وقيل: هو ما تستتر به من كساء أو غيره.

قال أبو زبيد:

.... مُجَلْبَبٌ منْ سوادِ الليل جِلْبَابا[١]

﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ قال السدي: كانت المدينة ضيقة المنـازل، وكانت النساء يخرجن بالليل لقـضاء الحاجـة، وكـان فُـسَّاق مـن فُـسَّاق المدينـة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حُرَّة فتركوها، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: هذه أَمَة فكابروها[٢].

ثم الله تعالى توعد هؤلاء الفساق فقال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ أي: عن نفاقهم، ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ وهم أهل الفجر.

وقيل: هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات.

﴿والمرجفون في المدينة﴾ قال قتادة: هم الذين يذكرون من الأخبار ما تضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين[٣].

﴿لنغرينـك بهـم﴾ أي: لنُحرِّشَـنَّكَ ولنحملنـك عـلى مؤاخـذتهم، ﴿ثـم لا يجاورونك فيها﴾ أي: في المدينة ﴿إلا قليلاً﴾ أي: زماناً قليلاً، ثم يهلكون.

---

(١) انظر البيت في: اللسان (مادة: جلب)، وروح المعاني (٢٢/ ٨٨)، والكشاف (٣/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٦١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨)، وابن أبي حـاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكـره الـسيوطي في الـدر المنثـور (٦/ ٦٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿ملعونين﴾ نصب على الذم أو على الحال[١]، أي: لا يجاورونك إلا ملعونين.

وقيل: إن «قليلاً» نصب على الحال أيضاً[٢]، على معنى: لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين.

﴿سنة الله﴾ في موضع مصدر مؤكد، أي: سَنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيث ما ثقفوا، أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر.

قال قتادة: ذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله تعالى في هذه الآية فكتموه[٣].

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ قال الكلبي: سأل أهل مكة النبي ﷺ

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

عن الساعة وعن قيامها، فقال الله تعالى: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾[(١)]. أي: هو المستأثر بعلمها لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً.

ثم خوَّفهم فقال: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ أي: شيئاً قريباً، أو ذكر لأن الساعة في معنى اليوم، أو في معنى البعث، أو لأن تأنيثها غير حقيقي.

قوله تعالى: ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ وقرأ ابن عامر: «ساداتِنا» على الجمع مع كسر التاء[(٢)].

قال أبو علي[(٣)]: سَادَة: جمع سَيِّد، وسادات: جمع سَادَة. وهم رؤساء الكفر الذين زينوه لهم.

وقال مقاتل[(٤)]: هم المطعمون في غزوة بدر.

﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ عذاب الضلال وعذاب الإضلال، ﴿والعنهم لعناً كثيراً﴾.

قرأ عاصم: «كبيراً» بالباء المعجمة بواحدة[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: ومعناهما قريب.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٠)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

(٣) الحجة (٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٦).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٠)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٧).

وقال أبو علي[(١)]: الكثرة أشبه بالمعنى؛ لأنهم يُلْعَنُون مرةً بعد مرة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب بنت جحش، وما سمع فيه من قالة بعض الناس.

والأشبه على هذا القول: أن يراد بأذى موسى: ما جرى له من حديث المُومِسَة[(٢)] التي حملها قارون على قذفه بنفسها، وقد ذكرته في القصص[(٣)].

وقال أبو وائل: قسم رسول الله ﷺ قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فذكر ذلك للنبي ﷺ فغضب وقال: رحم الله موسى، لقد أوذي أكثر من هذا فصبر[(٤)].

وقيل: أذى موسى: ما اتهموه من قتل [هارون][(٥)]، وقد ذكرناه في المائدة. قاله علي عليه السلام[(٦)].

---

(١) الحجة (٣/ ٢٨٧).

(٢) المومسة: الفاجرة جهاراً (اللسان، مادة: ميس).

(٣) عند الآية رقم: ٨١.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٩ ح٣٢٢٤)، ومسلم (٢/ ٧٣٩ ح١٠٦٢) كلاهما رفعه من طريق أبي وائل عن ابن مسعود.

(٥) في الأصل: فرعون. وهو خطأ. والتصويب من المصادر التالية.

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٧-٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٦) وعزاه لابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه.

وقيل: هو ما أخبرنا أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: حدثنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسحاق بن [نصر][1]، حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر. فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه، فجمح موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، وقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً.

قال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة»[2]. أخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق.

وفي رواية أخرى للبخاري: «فذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى... الآية﴾»[3].

والآدر: العظيم الخصيتين[4].

قوله تعالى: ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ يقال: وَجُهَ الرجُلُ يُوجَهُ وَجَاهَةً فهو

---

(١) في الأصل: نصير. والتصويب من البخاري (١/ ١٠٧). وانظر: ترجمته في: التهذيب (١/ ١٩٢)، والتقريب (ص:٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٠٧ ح٢٧٤)، ومسلم (١/ ٢٦٧ ح٣٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٩ ح٣٢٢٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: أدر).

وجيه؛ إذا كان ذا جَاهٍ وقَدْر[١].

قال ابن عباس: كان عند الله حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه[٢].

وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة[٣].

وقرأ ابن مسعود والأعمش: «وكان عبداً لله وجيهاً»[٤].

قال ابن خالويه[٥]: صليتُ خلف ابن [شنبوذ][٦] في شهر رمضان فسمعته قرأها.

وقراءة العامة أوجه؛ لأنها مفصحة عن [وجاهته][٧] عند الله، لقوله تعالى: ﴿عند ذي العرش مكين﴾ [التكوير:٢٠] وهذه ليست كذلك[٨].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وقولوا قولاً سديداً﴾ قال ابن عباس: صواباً[٩].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وجه).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٦).

(٥) المختصر في شواذ القرآن (ص:١٢١).

(٦) في الأصل: سنبوذ. وهو خطأ. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٧٢).

(٧) في الأصل: وجاة. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٧٢).

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٧٢).

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٧).

وقال ابن قتيبة[١]: قصْداً.

قال قتادة: عدلاً في جميع الأقوال والأعمال[٢].

قال عكرمة: قولوا: لا إله إلا الله[٣].

والمراد من ذلك: حفظ اللسان من الخوض فيما لا يجوز.

﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ قال مقاتل[٤]: يزكيها.

وقال ابن عباس: يتقبل حسناتكم[٥].

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعامة المفسرين: الأمانة: هي الفرائض والأحكام التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب[٦].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٨) =

ويدخل في هذا القول: جميع ما ذكره المفسرون من أنواع الأمانات.

قال الحسن: عرضت الأمانة على السموات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن [أحسنتن جزيتن][(١)]، وإن أسأتن عوقبتن؟ قلن: لا، ثم عرضت على الأرضين السبع اللاتي شدت بالأوتاد وذللت للمهاد وأسكنت العباد، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن، وإن أسأتن عوقبتن؟ قلن: لا، ثم عرضت على الجبال الشوامخ البواذخ الصلاب الصعاب، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن، وإن أسأتن عوقبتن؟ قلن: لا، فذلك قوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾[(٢)].

وقال ابن جريج: قالت السماء: يا رب خلقتني وجعلتني سقفاً محفوظاً، وأجريت فيّ الشمس والقمر والنجوم، لا أتحمل فريضة ولا أبتغي ثواباً ولا عقاباً[(٣)].

وروى السدي عن أشياخه: أن آدم عليه السلام لما أراد الحج قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فَأَبَتْ، وقال للأرض فَأَبَتْ، وقال للجبال فَأَبَتْ، وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وتجيء وتجد ولدك كما يسرّك، فلما انطلق آدم قتل قابيل

= وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد عن ابن عباس.

(١) في الأصل: ختنتن خربتن. والتصويب من الماوردي (٤/ ٤٣٠)، والوسيط (٣/ ٤٨٤).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري.

هابيل، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة ... الآية﴾(١).

قال جمهور المفسرين: ركب الله تعالى العقل في هذه الأعيان وأفهمهنَّ خطابه وأنطقهنّ بالجواب(٢).

وقال الحسن: المراد: عرضنا الأمانة على أهل السموات والأرض وأهل الجبال من الملائكة ولم يكن إباؤهن مخالفة، وإنما كان خشية من خوف الخيانة؛ لأن العرض كان على وجه التخيير لا على وجه الإلزام، وهو قوله تعالى: ﴿وأشفقن منها﴾(٣)، أي: خِفْنَ من حملها العقاب بتقدير ترك الأداء.

﴿وحملها الإنسان﴾ قال ابن عباس: يريد: آدم، عرض الله تعالى عليه أداء الفرائض، الصلوات الخمس في مواقيتها، وأداء الزكاة عند محلها، وصيام رمضان، وحج البيت على أن له الثواب وعليه العقاب، فقال آدم: بين أذني وعاتقي(٤).

قال مقاتل بن حيان: قال الله تعالى لآدم: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ قال آدم: وما لي عندك؟ قال: إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك، قال: قد رضيت رب وتحملتها، فقال: قد حملتكها، فذلك قوله تعالى: ﴿وحملها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦-٥٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٨-٤٢٩).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[١].

قال مجاهد: ما كان بين أن يحملها وبين أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر إلى العصر[٢].

وقال الزجاج[٣]: حقيقة هذه الآية -والله تعالى أعلم وهو موافق للتفسير-: أن ائتمان بني آدم على ما افترضه عليهم، وائتمان السموات والأرض والجبال؛ لقوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:١١].

واعلم أن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة وكثيراً من الناس يسجدون له، فعرّفنا سبحانه أن السموات والأرض والجبال لم تحمل الأمانة، أي: أدَّتْها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثِمَ فقد احتمل الإثم. قال الله تعالى: ﴿وليحملُن أثقالهم﴾ [العنكبوت:١٣]، فأعلم أن من باء بالإثم يسمى حاملاً للإثم، والسموات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة وأدّينها، وأداؤها طاعة الله تعالى فيما أمر به وترك المعصية.

﴿وحملها الإنسان﴾ الكافر والمنافق حمل الأمانة، أي: خانا ولم يطيعا. هذا آخر كلام الزجاج.

قال المقاتلان[٤]: إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة أمره.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

وقال ابن السائب: ظلمه حين عصى ربه، فأخرج من الجنة وحمله حين احتملها[١].

وعلى قول السدي: «الإنسان»: قابيل[٢].

قال ثعلب: جميع الناس[٣].

قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ أي: ليعذبهم بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل، ونقضوا الميثاق الذي أخذ عليهم حين استخرجهم من ظهر آدم.

قال ابن قتيبة[٤]: المعنى: عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافقين وشرك المشركين فيعذبهم الله ويعاقبهم، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يرجع عليهم بالرحمة والمغفرة إن حصل منهم تقصير في بعض الطاعات.

وقرأ الأعمش: «ويتوبُ» بالرفع على الاستئناف[٥].

﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٧).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٩).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٣٨).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٦).

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وخمسون في العدد الكوفي والمدني، وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى الضحاك وابن السائب ومقاتل آية، وهي قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك﴾ فقالوا: نزلت بالمدينة[1].

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

قال الله تعالى: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾[2] يعني:

---

(١) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٥٢): روى الترمذي عن فروة بن مسيك المرادي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي ... الحديث، وفيه: وأنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ ... الحديث (الترمذي ٥/ ٣٦١). قال ابن الحصار: هذا يدل على أن هذه القصة مدنية، لأن مهاجرة فروة بعد إسلام ثقيف سنة تسع. قال: ويحتمل أن يكون قوله: «وأنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته.

(٢) في هامش الأصل: قوله: ﴿الحمد لله... إلخ﴾ قال ابن جرير (٢٢/ ٥٩): يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه، ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة، فالحمد لله خالصاً دون ما سواه، في عاجل الدنيا وآجل الآخرة؛ لأن النعم كلها من قبله =

مُلْكاً وخَلْقاً، ﴿وله في الحمد في الآخرة﴾[١] يريد: أن أهل الجنة يحمدونه إذا أخذوا منازلهم، كقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ [الزمر:٧٤]، ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر:٣٤]، ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾[٢] [الأعراف:٤٣].

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ أي: ما يدخل فيها من مطر، أو يُجَنّ فيها من ميت، ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات.

وقال النقاش: ما يخرج منها من كنوز الذهب والفضة والمعادن كلها[٣].

﴿وما ينزل من السماء﴾ من مطر وزق وملك قضاء، ﴿وما يعرج فيها﴾[٤] من القضاء والدعاء والأعمال والملائكة.

= لا يشركه فيها أحد من دونه، ﴿وهو الحكيم﴾ في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك.

يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء، ﴿وما يَنزِلُ من السماء وما يَعْرُجُ فيها﴾ وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

(١) زيد في هامش الأصل بخط مغاير قوله تعالى: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٧٦): فإن قلت: ما الفرق بين الحمدين؟

قلت: أمّا الحمد في الدنيا فواجب؛ لأنه على نعمة متفضل بها، وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب. وأمّا الحمد في الآخرة فليس بواجب؛ لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، وإنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم، يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٢).

(٤) زيد في هامش الأصل بخط مغاير قوله تعالى: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦

قوله تعالى: ﴿قل بلى وربي لتأتينكم﴾ وقرئ شاذاً: «لَيأْتِيَنَّكُمْ» بالياء(١).

قال ابن جني(٢): جاز التذكير؛ لأن [المخوف](٣) منها إنما هو عقابها، وعليه قولهم: ذهبَتْ بعض أصابعه؛ لأن بعض أصابعه إصبع في المعنى.

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلانٌ لَغُوبٌ(٤)، جاءَتْهُ كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس [بصحيفة](٥). وهذا من أعرابيّ جافٍ هو الذي نبّه أصحابنا على انتزاع [العلل](٦)، وكذلك ما يجري مجراه، فاعرفه.

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٤٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٢٨).

(٢) المحتسب (٢/ ١٨٦).

(٣) في الأصل: المحذوف. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) اللغوب: الأحمق (اللسان، مادة: لغب).

(٥) في الأصل: تصحيفة. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٨٦).

(٦) في الأصل: العامل. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الغيب﴾ قرأ نافع وابن عامر: «عالمُ» بالرفع على معنى: هـو عالم، أو على الابتداء، والخبر: ﴿لا يعزب﴾. وقرأ الباقون بالجر، نعتاً للرب الله، إلا أن حمزة والكسائي قرءا: [عَلاَّم][1] بالتشديد[2]، على وزن [فعّال][3].

وقرأ ابن السميفع والأعمش: «ولا أصغرَ» «ولا أكبرَ» بالفتح[4]، على نفـي الجنس؛ كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿لتأتينكم﴾.

وقال ابن جرير[5]: المعنى: أثبت مثقال الذرة وأصغر منه ليجزي.

قوله تعالى: ﴿من رجز أليم﴾ قرأ ابن كثير وحفص: «أليمٌ» بالرفع، هاهنا وفي الجاثية[6]. وقرأ الباقون بالجر[7].

قال أبو علي[8]: من قرأ بالجر جعله صفة للرجز، ومن قرأ بالرفع جعله صفة للعذاب، أي: لهم عذاب أليم من رجز، والجر في «أليم» أبين؛ لأن الرجز العذاب.

---

(١) في الأصل: إعلام. وهو خطأ. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨١)، والكشف (٢/ ٢٠١)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٧)، والسبعة (ص:٥٢٦).

(٣) في الأصل: فقال. وهو خطأ. انظر المصادر السابقة.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢).

(٦) عند الآية رقم: ١١.

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٨-٢٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٢)، والكشف (٢/ ٢٠١)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٧)، والسبعة (ص:٥٢٦).

(٨) الحجة (٣/ ٢٨٩).

فالمعنى: لهم عذاب من عذاب أليم، فإذا وصف العذاب الثاني بـأليم، كـان العذاب الأول أليماً، وإذا أجريت الأليم على العذاب الأول كان المعنى: لهم عذاب أليم من عذاب، فالأول أكثر فائدة.

قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ وهـم أصـحاب النبـي ﷺ، في قـول قتادة[١].

[ومؤمنوا][٢] أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه، في قول مجاهد[٣].

قال الزجاج[٤] وغيره: موضع «يرى» نصب عُطِفَ عـلى قولـه: «ليجـزي»، و«الحق» مفعول ثان لـ«يرى»، وهو هاهنا فَصْل، ويسميه الكوفيون: العِماد[٥].

فإن قيل: ما فائدة الفَصْل؟

قلت: شيئان:

أحدهما: التفصلة بين الخبر والصفة.

والثاني: التأكيد، في نحو قولك: زيد هو المنطلق، أي: لا منطلق إلا هو.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿ويرى﴾ كلاماً مستأنفاً خارجاً مخرج الثناء على الذين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: ومونوا. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٤٣٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١) عن الضحاك. وذكره الطبري (٢٢/ ٦٢) بـلا نـسبة، وابـن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٣) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٧٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٤١).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٩٥)، والدر المصون (٥/ ٤٣٠). والعماد هو: ضمير الفَصْل.

أوتوا العلم، والذم لمن لم يكن على مثل ما هم عليه من العلم والإيمان.

﴿ويهدي﴾ يعني: القرآن ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو دين الإسلام.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ منكري البعث، قال بعضهم لبعض: ﴿هل ندلّكم على رجل﴾ وهو محمد ﷺ ﴿ينبئكم﴾ أي: يخبركم أنكم ﴿إذا مزقتم﴾ وأكلتكم الأرض ﴿كل ممزق﴾ مصدر في معنى التمزيق.

قال مقاتل(١): إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم تراباً.

وقوله: «إذا» منصوب بفعل مضمر، يدل عليه قوله: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ تقديره: إذا مزّقتم كل ممزّق بعثتم ولا يتتصب بـ«جديد»؛ لأن ما بعد «إنَّ» لا يعمل فيما قبلها، ولا ينتصب بقوله: «ينبئكم»؛ لأن الأخبار ليس في ذلك الوقت، ومثله: ﴿أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾ [الرعد:٥]، ومثله: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ [العاديات:٩-١١] حملوا هذه الآي على إضمار فعل ينتصب به «إذا»، ولم يحملوه على ما بعد

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥٩).

«إنّ»، ألا ترى أنك لو قلت: عمراً إنّ زيداً ضارب، لا ينتصب عمراً بضارب.

قوله تعالى: ﴿أفترى على الله كذباً﴾ هذا قول منكري البعث، قال بعضهم لبعض على وجه التعجب [والإنكار](١) لما أخبرهم به من البعث بعد الموت: ﴿أفترى على الله كذباً﴾، وهذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل، وحذفت التي للوصل لوقوع الاستغناء عنها، وإنما لم تسقط في قوله: «السحر» لخوف الالتباس، لكون همزة الخبر مفتوحة كهمزة الاستفهام، و«أَمْ» معادلة لهمزة [الاستفهام](٢).

فردَّ الله عليهم فقال: ﴿بل﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوه من الافتراء أو الجنون، ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب﴾ يعني: في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ عن الهدى في الدنيا.

وقال السدي: «الضلال البعيد»: هو الشقاء الطويل(٣).

قوله تعالى: ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ استفهام في معنى التقرير لهم بإحاطة السماء والأرض بهم حيث نظروا وتوجهوا.

ومقصود ذلك: [تذكيرهم](٤) بقدرة الله تعالى عليهم وتخويفهم من سطوته وبطشته، ألا تراه يقول: ﴿إن يشأ يخسف بهم الأرض﴾. وهذا المعنى قول قتادة

---

(١) في الأصل: والإكار.

(٢) في الأصل: الاسم ستفهام.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٤).

(٤) في الأصل: تذكرهم.

وجمهور المفسرين[(١)]. لكن لي فيه حسن السفارة [بإيضاح][(٢)] المعنى في أحسن صورة.

وقال أبو صالح: المعنى: أفلم يروا إلى ما بين أيديهم ممن أهلكهم الله من الأمم في أرضه، وما خلفهم من أمر الآخرة في سمائه[(٣)].

﴿إن يشأ يخسف بهم الأرض﴾ التي تحتهم كما خسفنا بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ التي هي فوقهم.

قرأ الأكثرون: «نخسِفْ» «ونُسْقِط» بالنون فيهما، حملاً على قوله: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾. وقرأهما حمزة والكسائي بالياء، رداً على قوله: ﴿أفترى على الله كذباً﴾. وقرأ الكسائي: «يخسف بهم» بإدغام الفاء في [الباء][(٤)].

قال أبو علي[(٥)] وغيره: لا يجوز إدغام الفاء في الباء، وإن جاز إدغام الباء في الفاء؛ لأن الفاء فيها زيادة صوت؛ لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١-٣١٦٢) كلاهما عن قتادة بمعناه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٤-٦٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه.

(٢) في الأصل: بإضاح.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٤).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٣)، والكشف (٢/ ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٧)، والسبعة (ص:٥٢٧).

وما بين المعكوفين في الأصل: الياء. وكذا وردت في المواضع التالية.

(٥) الحجة (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

[الثنايا](١) العليا، فانحدر الصوتُ بها إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الثاء، ولهذا جاز إبدال الثاء بالفاء، نحو: الحدث، والحدف، والمغافير، والمغاثير، فتعاقبا للمقاربة التي بينهما، فكما لا يجوز إدغام التاء في الباء، لا يجوز إدغام الفاء في الباء؛ لزيادة صوتها على صوت الباء.

﴿إن في ذلك﴾ الذي يرونه من السماء والأرض ﴿لآية﴾ دالة على وحدانية الله وقدرته على البعث ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع إلى طاعة الله.

قال قتادة: هو المقبل بتوبته(٢).

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ وهو ما أعطي من النبوة والزبور والملك في الدنيا، ﴿يا جبال﴾ أي: وقلنا إظهاراً لشرفه ومنزلته وكرامته علينا: يا جبال ﴿أوبي معه﴾ رجِّعي معه التسبيح، وكان داود إذا سبَّح سبَّحت الجبال معه.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية [عبد الوارث عنه: أُوْبي](٣)، بضم الهمزة

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: عبد الورث عنه وأبي. وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٨).

وتخفيف الواو وتسكينها[١]، من الأوْب، وهو في معنى: أوّبي.

قرأ الأكثرون: ﴿والطيرَ﴾ بالنصب، عطفاً على موضع «الجبال»، كقوله:

ألا يا زيد والضحاكَ سِيَرا ....[٢]

قال الزجاج[٣]: كل منادى -عند البصريين كلهم- في موضع نصب.

ويجوز أن يكون منصوباً على معنى: «مع»، كما تقول: قمت وزيداً، أي: مع زيد[٤].

وحكى أبو عبيدة[٥] معمر بن المثنى عن أبي عمرو ابن العلاء: أنه منصوب على معنى: وسخرنا له الطير، فيكون عطفاً على «فَضْلاً».

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبدالوارث عنه وليعقوب من رواية زيد عنه: «والطيرُ» بالرفع[٦]، عطفاً على «جبال»، أي: يا جبال ويا أيها الطير أوبي معه.

﴿وألنّا له الحديد﴾ كان إذا أخذه صار في يده كالعجين والطين والشمع، يتصرف فيه كيف شاء من غير نار ولا ضرب مطرقة، وإنما أتته القدرة الإلهية مع قطع النظر إلى الأسباب.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٨).

(٢) صدر بيت وعجزه: (فقد جاوزتما خَمَرَ الطريق). انظر: ابن يعيش (١/ ١٢٩)، والهمع (٢/ ١٤٢)، والدر المصون (١/ ٥٣٥، ٥/ ٤٣٤)، والطبري (٢٢/ ٦٦)، والقرطبي (٣/ ٥١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٣).

(٤) قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٥٣): وهذا لا يجوز؛ لأن قبله «معه» ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه إلا على البدل، أو العطف.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٤٣).

(٦) النشر (٢/ ٣٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٨).

وقيل: لاَنَ له في يده ما أُتي من شدة القوة أن يعمل سابغات.

قال الزجاج[١]: «أن اعمل» في تأويل التفسير، كأنه قيل: وألنّا له الحديد ﴿أن اعمل سابغات﴾.

والمعنى: اعمل دروعاً كوامل يجرّها لابسها على الأرض.

قال قتادة: وكان أول من عملها، وإنما كانت قبله صفائح[٢].

﴿وقدّر في السَّرْد﴾ السَّرْد: نسج الدروع، ومنه قيل لصانعها: سَرَّاد وزرَّاد، على إبدال السين زاياً. والمعنى: اجعله على القصد وقدر الحاجة.

قال ابن عباس وعامة المفسرين واللغويين في معناه: لا [تدقق][٣] المسامير فتفلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق[٤].

والفَصْم -بالفاء-: الكسر من غير إبانة[٥]، وبالقاف: الكسر مع الإبانة[٦]، تقول: فصم وما قصم. قال الله تعالى: ﴿لا انفصام لها﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال الله تعالى: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ [الأنبياء:١١] لما كان موضع استئصال.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في الأصل: تجعل. والتصويب من المصادر التالية.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٨)، ومجاهد (ص:٥٢٣)، والحاكم (٢/ ٤٥٩ ح٣٥٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٦) وعزاه لعبد الرزاق والحاكم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) انظر: اللسان (مادة: فصم).

(٦) انظر: اللسان (مادة: قصم).

﴿واعملوا صالحاً﴾ خطاباً لداود وأهله.

قال ابن عباس وغيره: اشكروا الله تعالى بما هو أهله[1].

وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

ثم ذكر سليمان وما اختصه به من الكرامة فقال: ﴿ولسليمان الريحَ﴾ قال الفراء[2]: نصب «الريحَ» على «وسخرنا».

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «الريحُ» بالرفع[3].

وقرأ أبو جعفر: «الرياحُ» بالرفع أيضاً والجمع[4].

قال أبو علي[5]: من رفع فوجهه: أن الريح إذا سُخِّرت لسليمان، جاز أن يقال: له الريحُ، على معنى: له تسخير الريح، فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٨).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣٥٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٣-٥٨٤)، والكشف (٢/ ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٨)، والسبعة (ص:٥٢٧).

(٤) النشر (٢/ ٢٢٣)، والإتحاف (ص:١٥١).

(٥) الحجة (٣/ ٢٩١).

﴿غدوّها شهر ورواحها شهر﴾ قال قتادة: تسير مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم مسيرة شهرين[١].

قال الحسن: كان يغدو من دمشق[٢] فيقيل بإصطخر[٣] وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ويروح من إصطخر فيبيت بكابل[٤] وبينهما مسيرة شهر للمسرع[٥].

﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أذبنا له عين النحاس.

قال المفسرون: أجريت له عين الصُّفْر[٦] ثلاثة أيام ولياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطي سليمان. والقِطْر: النحاس المذاب[٧].

قال قتادة: هي عين بأرض اليمن[٨].

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ قال ابن عباس: سخرهم الله تعالى لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) دمشق: البلدة المشهورة قصبة الشام (معجم البلدان ٢/ ٤٦٣).

(٣) اصطخر: بلدة من بلاد الفرس (معجم البلدان ١/ ٢١١)، إيران حالياً.

(٤) كابل: اسم يشمل الناحية بين الهند ونواحي سجستان (معجم البلدان ٤/ ٤٢٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٩) بأقصر منه. وذكره الماوردي (٤/ ٤٣٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٨).

(٦) الصُّفر: النحاس الجيد (اللسان، مادة: صفر).

(٧) ذكره الطبري (٢٢/ ٦٩)، والماوردي (٤/ ٤٣٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٧٨).

(٨) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩).

﴿ومن يزغ منهم﴾ يعدل منهم ﴿عن أمرنا﴾ بطاعة سليمان ﴿نذقه من عذاب السعير﴾.

قال ابن عباس: كان معه مَلَكٌ بيده سوط من نار، كل من استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني[1].

وقيل: المعنى: ومن يزغ منهم عن طاعتنا وعبادتنا نذقه في الآخرة من عذاب النار.

قال الماوردي[2]: وفي قوله: ﴿ومن الجن﴾ دليلٌ على أن فيهم غير مسخر.

قوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ وهي الأبنية الرفيعة والقصور. وقد ذكرنا المحراب في سورة آل عمران[3].

قال المفسرون: بنوا له الأبنية العجيبة باليمن؛ صِرْوَاح، ومرواح، وبينون، وهندة، وهنيدة، وقلثوم، وغُمْدان، وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين[4].

وقال الحسن وقتادة: عملوا له آلة المساجد[5].

﴿وتماثيل﴾ جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، يعني: صوراً من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن [تعملها][6]، قالوا: وهي صور الأنبياء والملائكة كانت

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٨) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٨).

(٣) عند الآية رقم: ٣٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٦) في الأصل: تعلمها.

تصوّر في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة(١).

وقال الضحاك: طواويس وعقباناً ونسوراً تكون على كرسيه ودرجات سريره لكي يهابه من شاهده(٢).

قال الحسن: لم تكن يومئذ محرمة(٣).

﴿وجفان كالجواب﴾ الجِفَان: القِصَاع، والجَوَاب: الحياض الكبار، سميت بذلك؛ [لأن](٤) الماء يجبى فيها، أي: يجمع.

قال المفسرون: كان يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل، يأكلون منها(٥).

﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات لها قوائم لا تحرك عن أماكنها لعظمها.

قال ابن جريج: [ذكر لنا](٦) أن تلك القدور باليمن [أبقاها](٧) الله تعالى آية وعبرة(٨).

﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ حكاية ما قيل لآل داود. [وانتصب «شكراً» على

---

(١) وقد استدل بالآية على أن التصوير كان مباحاً في شرع سليمان، ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد ﷺ (فتح القدير ٣/ ٣١٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٩).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: ولأن.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤٠).

(٦) في الأصل: ذكرنا. والتصويب من الماوردي (٤/ ٤٣٩).

(٧) في الأصل: أبقا. والتصويب من الماوردي، الموضع السابق.

(٨) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٩).

أنه][1] مفعول لأجله، أو حال؛ أي: شاكرين، أو على معنى: اشكروا شكراً؛ لأن «اعملوا» فيه معنى: اشكروا، من حيث أن العمل للمنعم شُكر له. أو هو مفعول به، على معنى: إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة[2].

﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ الكثير الشكر.

قال ابن عباس: قليل من عبادي من يشكر على أحواله كلها[3].

أخرج الإمام في كتاب الزهد له بإسناده عن ثابت قال: «كان داود عليه السلام جَزَّأَ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم يكن يأتي ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي»[4].

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ... الآية﴾ قال أهل التفسير[5]: كانت الإنس في زمن سليمان تزعم أن الجن تعلم الغيب، فلما مات سليمان مكث قائماً

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٨٢).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٨٢). وانظر: التبيان (٢/ ١٩٦)، والدر المصون (٥/ ٤٣٥).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣٢٣).

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ١٥٥ ح٣١٨٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعملها في حياة سليمان وهم لا يشعرون بموته، حتى أكلت دابة الأرض -وهي الأَرَضَة- [عصا سليمان، فخرَّ ميتاً، فعلموا بموته، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب](١).

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء والجحدري: «دابة الأَرَض» بفتح الراء، جمع أَرَضة(٢).

﴿تأكل منسأَته﴾ أي: عصاه.

قرأ أبو عمرو ونافع: «منسَاتَه» بألف من غير همز. وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة، وابن ذكوان يسكن الهمزة(٣).

قال الزجاج(٤): المِنْسَأة: العصا ينسأ بها، أي: يطرد [ويزجر](٥).

قال المبرد(٦): بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً، وأنشد:

إذا دَبَبْتَ على المنساةِ منْ كِبَرٍ ... فقدْ تباعدَ عنكَ اللهوُ والغزل(٧)

(١) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وزاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٢) ذكر هذه القراءة الماوردي (٤/ ٤٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٤)، والكشف (٢/ ٢٠٣)، والنشر (٢/ ٣٤٩-٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٨)، والسبعة (ص:٥٢٧).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٥) في الأصل: ويزجي. وفي معاني الزجاج: ويؤخر. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٦) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٤٨٩).

(٧) انظر البيت في: اللسان (مادة: نسأ، نسا)، والماوردي (٤/ ٤٤١)، والطبري (٢٢/ ٧٤)، والقرطبي (١٤/ ٢٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٢٤٦)، وروح المعاني (٢٢/ ١٢١)، والمحتسب (٢/ ١٨٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٥)، والدر المصون (٥/ ٤٣٦)، والوسيط (٣/ ٤٨٩). وفي بعض المصادر «هرم» بدل «كبر».

قال مكي[١]: من همز أتى به على الأصل. وقد حكى سيبويه[٢] في تصغير المنسأة: مُنَيْسِئَة، بالهمز، قال: يردّها إلى أصلها، ولا يجعل البدل فيها لازماً، وقد قالوا في جمعها: «مناسيء» بالهمز؛ لأن التصغير والجمع يردّ الأشياء إلى أصولها في أكثر الكلام.

وأما من أسكن الهمزة فهو بعيد في الجواز، إنما يجوز الإسكان للاستثقال لطول الكلمة.

﴿فلما خرّ﴾ سقط ميتاً ﴿تبيَّنَتِ الجن﴾ وقرأتُ ليعقوب الحضرمي من رواية رويس: «تُبُيِنت» بضم التاء والباء وكسر الياء، على ما لم يسم فاعله[٣].

قال أكثر المفسرين: ظهرت وانكشفت للناس وبان جهلها وأنها لا تعلم الغيب[٤].

قال صاحب كشف المشكلات[٥]: التقدير: فلما خَرَّ تبيَّن أمر الجن، فحذف المضاف.

وقوله تعالى: ﴿أن لو كانوا يعلمون﴾ بدل من أمر الجن، وتبين لازم هاهنا.

وقال الماوردي[٦]: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تبينت الجن أن الشياطين -وهم كانوا المسخرين في العمل- لو كانوا

---

(١) الكشف (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) الكتاب (٣/ ٤٥٩).

(٣) النشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٥) كشف المشكلات (٢/ ٢٣٧).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٢).

يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين [سنة][(١)].

الثاني: ما روى سفيان عن عمر وعن ابن عباس أنه كان يقرأ في التلاوة: «فلما خَرَّ تبيّنت الإنسُ أن الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سَنَة».

الثالث: أن الجن دخلت عليهم شبهة توهموا بها أنهم يعلمون الغيب، فلما خرّ تبينوا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

قال الماوردي[(٢)]: وروي عن النبي ﷺ: أن سليمان وقف في محرابه فصلى متوكئاً على عصاه فمات، وبقي على حاله قائماً على عصاه سنة، والجن لا تعلم بموته، وقد كان سأل الله تعالى أن لا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة.

واختلفوا في سبب سؤال ذلك على قولين:

أحدهما: أن الجن كانوا يذكرون للإنس أنهم يعلمون الغيب، فسأل الله تعالى ذلك ليعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وهذا قول مأثور.

الثاني: أن داود عليه السلام كان قد أسس بناء بيت المقدس ثم مات، فبناه سليمان صلى الله عليه بعده، وسخّر الجن في عمله، وكان قد بقي من إتمامه بعد موته بناء سنة، فسأل الله تعالى أن لا تَعلم الجن بموته حتى يتمّوا البناء، [فأتمّوه][(٣)].

لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ

---

(١) زيادة من الماوردي (٤/ ٤٤٢).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٤١).

(٣) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ وَأَثۡلٍ وَشَيۡءٍ مِّن سِدۡرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال﴾ قد ذكرنا سبأ في سورة النمل[١].

وقد أخرج الترمذي بإسناده عن فروة بن مسيك المرادي قال: «قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ، أرض أو امرأة؟ فقال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل وَلَدَ عشرة من العرب، فتيامن[٢] منهم ستة، وتشاءم[٣] منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة. وأما الذين تيامنوا: فالأزد، [والأشعريون][٤]، وحمير، وكندة، ومذحج، وأنمار. فقال رجل: وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة»[٥].

والمراد هاهنا بسبأ: القبيلة، الذين هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «مسكنِهم» على التوحيد، إلا أن الكسائي يكسر الكاف، وقرأ الباقون: «مساكنهم» على الجمع[٦].

---

(١) عند الآية رقم: ٢٢.

(٢) أي: سكنوا اليمن.

(٣) أي: سكنوا الشام.

(٤) في الأصل: والأشعرون. والتصويب من الترمذي (٥/ ٣٦١).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦١ ح٣٢٢٢).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٥)، والكشف (٢/ ٢٠٤)، والنشر =

قال أبو علي[(١)]: من جمع أتى باللفظ وفقاً للمعنى؛ لأن لكل ساكن مسكناً، والمساكن: جمع مسْكَن؛ الذي هو اسمٌ للموضع من سكن يسكن. وقرئ: «في مسكنهم» على الإفراد والكاف مفتوحة، فيشبه أن يكون جعل المسكن مصدراً، وحذف المضاف، والتقدير: في مواضع مسكنهم، أي: في مواضع سكناهم؛ لما جعل المسكن كالسكنى والسكون أفرد، كما تُفْرَد المصادر، وهذا أشبه من أن تحمله على نحو قوله:

كُلوا في نصف بطنكم تَعيشُوا ....[(٢)]

ونحو ذلك مما لا يكاد يجيء إلا في الشعر.

ومن قال: «في مسْكَنِهِم» على الإفراد أيضاً والكاف مكسورة، فإن فتح الكاف أشبه؛ لأن اسم المكان من فَعَلَ يَفْعُلُ على مَفْعَل، مفتوح العين، وكذلك المصدر منه، وقد يشذُّ عن القياس المطَّرد نحو هذا، كما جاء المسجد والمطْلِع، من [طلع][(٣)] يطْلُع، إلى حروف أخر، فيكون المسْكَن كذلك.

والمعنى: لقد كان لسبأ في مساكنهم علامة دالة لهم على قدرة الله تعالى وأنه هو المنعم عليهم.

= (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٨-٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨).

(١) الحجة (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) صدر بيت، وعجزه: (فإن زمانكم زمن خميص). ويروى: «تعفّوا» بدل: «تعيشوا». انظر: الكتاب (١/ ٢١٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٠٨)، والمحتسب (٢/ ٨٧)، وشرح المفصل لابن يعيش (٥/ ٨)، والهمع (١/ ٥٠)، والدر المصون (١/ ١٠٨)، والحجة للفارسي (٣/ ١٣٠)، وزاد المسير (١/ ٢٨، ٤/ ٤٥٢)، والطبري (١/ ١٦٠).

(٣) في الأصل: مطلع. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٩٣).

و«جنتان» بدل من «آية»، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الآية جنتان[١].

قال الزمخشري[٢]: وفي الرفع معنى المدح، تدل عليه قراءة من قرأ: «جَنَّتَيْن» بالنصب.

قال[٣]: ولم يجعل الجنتين في أنفسهما آية، وإنما جعل قصتهما، وأن [أهلهما][٤] أعرضوا عن شكر الله عليهما فخرّبهما، [وأبدلهم][٥] عنهما الخمط والأثل، آية وعبرة لهم، ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم.

فإن قلت: كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية، ورُبَّ قرية من قريات العراق يحتفّ بها من الجنات ما شئت؟

قلت: لم يرد بستانين اثنين فحسب، وإنما أراد جماعتين من البساتين: جماعة عن يمين بلدهم، وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في [تقاربها][٦] وتضامها كأنها جنّة واحدة، كما تكون بلاد الريف العامرة [وبساتينها][٧]، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾ [الكهف:٣٢].

قلتُ: المعنى الأول هو قول عامة المفسرين.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٩٦)، والدر المصون (٥/ ٤٣٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٣) أي: الزمخشري.

(٤) في الأصل: أهلها. والمثبت من الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٥) في الأصل: وأبدلهما. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: تقاربهما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

قال مقاتل[١]: كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمرّ، فيمتلئ مكتلها من ألوان الفواكه من غير أن تمس شيئاً بيدها.

﴿كلوا من رزق ربكم﴾ على إضمار القول، ﴿واشكروا له﴾ بالعمل بطاعته، ﴿بلدة طيبة﴾ يعني: أرض سبأ.

وقال مجاهد: هي صنعاء طيبة غير سَبَخَة[٢].

قال ابن عباس: كانت أخصب البلاد وأطيبها[٣].

وقال ابن زيد: لم يكن فيها شيء مُؤْذٍ من بعوض وذباب وبرغوث ولا عقرب، ويمر الغريب ببلدتهم في ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها[٤].

﴿ورب غفور﴾ وقرئ شاذاً: «بلدة طيبة ورباً غفوراً» بالنصب على المدح[٥].

وقال ثعلب: على معنى: اسكنوا بلدة واعبدوا رباً[٦].

قوله تعالى: ﴿فأعرضوا﴾ يعني: تولوا عن أمر الله واتباع رسله، ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾.

الإشارة إلى قصتهم:

ذكر العلماء بالتفسير والسير: أن قوم بلقيس كانوا يقتتلون على ماء واديهم،

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٦٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٤٤). ومعنى قوله: «غير سَبَخَة»: أي: غير مالحة (اللسان، مادة: سبخ).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٨٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٦) انظر قول ثعلب في: الكشاف، الموضع السابق.

فنهتهم فلم يطيعوها، فانطلقت مغاضبة إلى قصرها فنزلته، فلما كثر الشرّ بينهم ندموا، فأتوها وأرادوها على الرجوع إلى ملكها فأبتْ، فقالوا: ترجعين وإلا قتلناك، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، فقالوا: إنا نطيعك، فجاءت إلى واديهم، وكان إذا مطروا أتاه السيل من مسيرة أيام، فأمرت به فردم وسدّ ما بين الجبلين بالصخر والقار، وحقنت به ماء العيون والأمطار، وجعلت له منافذ بعضها فوق بعض على [مقدار][(١)] حاجتهم، فلم تزل على ذلك إلى آن من حديثها مع سليمان عليه السلام ما كان[(٢)].

ثم أرسل الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبياً على عدد قراهم، فكذبوا الرسل ولم يُقروا بنعم الله، فأرسل الله عليهم [جرذاً][(٣)] نقب ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتيهم فغرقهما، ودفن السيل بيتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وهو جمع عرمة، وهي الحجارة المركومة، ويقال للكَدْس من الطعام: عَرَمَة، والمراد: المُسَنَّاة[(٤)] التي عقدوها سَكْراً[(٥)]، وهذا قول مجاهد وعامة اللغويين[(٦)].

---

(١) في الأصل: مقار.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٩) من حديث المغيرة بن حكيم.

(٣) في الأصل: جراداً. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٤٤٥). والجُرذ: الذَّكَر من الفأر (اللسان، مادة: جرذ).

(٤) المُسَنَّاة: ضفيرة تُبنى للسيل لتردّ الماء؛ سميت بذلك لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يَغْلِب (اللسان، مادة: سنا).

(٥) السَّكْر: اسم ذلك السِّداد الذي يجعل سَدّاً للشق ونحوه.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤٣-٤٤٥).

وقال ابن عباس: العَرِم: السيل الشديد(١).

وقال في رواية أخرى: العَرِم: اسم الوادي. وهو قول قتادة والضحاك ومقاتل(٢).

قال الزجاج(٣): وقيل: إن العَرِم اسم الجُرَذ الذي نقب السَّكْرَ عليهم، وهو الذي يقال له: الخُلْد.

﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ اللتين تطعمان الفواكه ﴿جنتين ذواتي أكلٍ خمطٍ﴾ قرأ أبو عمرو: «أكُلِ خَمْطٍ» بالإضافة من غير تنوين. وقرأ الباقون: «أُكُلٍ» بالتنوين(٤).

قال الواحدي(٥): القراءة الجيدة بالإضافة؛ لأن الخمط عند المفسرين اسم شجرٍ وقالوا: هو الأراك، وأُكُله: جَنَاهُ، وهو البَرِير.

قال أبو عبيدة(٦): الخَمْط: كل شجرة مرّة ذات شوك.

قال الأخفش(٧): الأحسن في مثل هذه: الإضافة، مثل: دار آجر، وثوب خز.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٩). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٩٠-٦٩١) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن الضحاك وعزاه لابن جرير.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٧)، والكشف (٢/ ٢٠٥)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨).

(٥) الوسيط (٣/ ٤٩١).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ١٤٧).

(٧) انظر قول الأخفش في: الوسيط (٣/ ٤٩١).

وقال ابن الأعرابي: الخمط: ثمر شجر يقال له: فَسْوةُ الضَّبع، على صورة الخَشْخَاش، يَتفَرَّكُ ولا يُنتفع به[(١)].

وقال المبرد والزجاج[(٢)]: يقال لكل نبت قد أخَذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله: خَمْطٌ.

وعلى هذا يحسن التنوين في «أُكُلٍ» إذا جعلت الخَمْط اسماً للمأكول.

﴿وأثْلٍ﴾ وهو الطرفاء. وقيل: شجر يشبه الطرفاء أعظم منه.

﴿وشيء من سدر قليل﴾ أي: وشيء قليل من السدر، وهو شجر النَّبق.

قال الحسن: قلّل السدر لأنه أكرم ما بدلوا[(٣)].

وقال قتادة: بينما شجرهم من أحسن الشجر وخير الشجر، إذ صيره الله تعالى من شر الشجر[(٤)].

وقرئ شاذاً: «وأثْلاً وشيْئاً» بالنصب، عطفاً على «جنتين»[(٥)].

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ أي: ذلك التبديل بكفرهم، ﴿وهل يُجازى إلا الكفور﴾.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: «نجازي» بالنون وكسر الزاي وياء بعدها،

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٧)، واللسان (مادة: خمط).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٩). وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٢٦٠).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣٢٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٢). وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٦١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٤٠).

«الكفورَ» بالنصب(١).

والمعنى: وهل نجازي مثل هذا الجزاء [الفظيع](٢)، أو وهل يجازى بكل عمله إلا الكفور، فإن المؤمن يكفّر عنه ذنوبه أو معظمها بطاعته، والكافر يجازى بجميع سيئاته.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وجعلنا بينهم﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ﴾، يعني: وكان من قصتهم أنّا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام.

ويروى: أنها كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية(٣).

﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها قرى ظاهرة لأعين الناظرين. وهذا معنى قول الحسن(٤).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٧)، والكشف (٢/ ٢٠٦)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨-٥٢٩).

(٢) في الأصل: الفضيع.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٤٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧) بمعناه. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وراكبه تتبين الطريق ظاهرة للسائلة، وكان شجرهم من أرض اليمن إلى الشام.

﴿وقدرنا فيها السير﴾ قال الحسن وقتادة وغيرهما: كانوا يغدون [فيقيلون][١] في قرية ويروحون فيبيتون في قرية، لا يخافون جوعاً ولا عطشاً ولا عدوّاً، ولا يحتاجون إلى حمل زاد ولا ماء[٢].

وقال ابن قتيبة[٣]: «وقدرنا فيها السير»: جعلنا بيْن القرية والقرية مقداراً واحداً.

﴿سيروا فيها﴾ أي: وقلنا لهم سيروا فيها ﴿ليالي وأياماً﴾ أي: إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار، فإن الأمن فيها لا يختلف.

قال المفسرون: آمنين من الجوع والعطش والسباع والعدو، فبطروا النعمة، وملُّوا العافية، وطلبوا الكدّ والتعب، كما طلب بنوا إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى[٤].

﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «بَعِّدْ» بتشديد العين وكسرها وسكون الدال من غير ألف، على لفظ السؤال. وقرأ

---

(١) في الأصل: فيقلون. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٤-٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٢-٦٩٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٦).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤٨).

الباقون «بَاعِدْ» بالألف، على لفظ السؤال أيضاً[١].

وقرأت ليعقوب: «رَبُّنا» برفع الباء، «بَاعَدَ» على صيغة الماضي[٢]، وهو خلاف المعنى الأول.

﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصي. وقيل: بسؤالهم، ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ يتحدث الناس بهم ويتعجبون منهم، ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي: فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق، وذلك أنهم بعد أن خربت مساكنهم وذهبت جناتهم، تبدَّدُوا في البلاد، فضربت العرب بهم المثل فقالت: تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ.

قال كثير:

أيادي سَبَا يا عَزَّ ما كنتُ بعدكُم ... فلم يَحْلُ بالعينين بَعْدَكِ منظَرُ[٣]

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ عن معصية الله تعالى ﴿شكور﴾ لنعمه.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٨)، والكشف (٢/ ٢٠٧)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٩).

(٢) النشر (٢/ ٣٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٩).

(٣) البيت لكثير، وهو في: اللسان (مادة: سبأ)، وفيه: «منزل» بدل: «منظر»، والبحر (٧/ ٢٦٢)، وروح المعاني (٢٢/ ١٣٣)، والكشاف (٣/ ٥٨٧).

﴿ولقد صَدَقَ﴾ وقرأ أهل الكوفة: «صدّق» بتشديد الدال[(١)].

قال أبو علي[(٢)]: من قرأ بالتخفيف فمعناه: أنه صَدَقَ ظَنُّهُ الذي ظَنَّهُ بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم، وذلك نحو قوله: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [الأعراف:١٦]، ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ [الحجر:٣٩] فهذا ظَنُّه الذي [صدَّقوه][(٣)]؛ لأنه لم يقل ذلك على تيقن وإنما ظن ظناً، فكان كما ظن، فـ«ظنّه» على هذا ينتصب انتصاب المفعول به، ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف، أي: صَدَقَ عليهم إبليس في ظنه، ولا يكون على هذا متعدياً [بـ«صَدَقَ»][(٤)] إلى مفعول به، وقد يقال: أصابَ الظنُّ، وأخطأ الظن.

ومن قال: «صَدَّقَ» بالتشديد، فإنه ينصب الظن على أنه مفعول به، وعَدَّى «صَدَّقَ» إليه. قال الشاعر:

فإن لم أُصَدِّقْ ظنّكم بتيقُّن ... فلا سَقَتِ الأوصَالَ مِنِّي الرَّواعِد[(٥)]

وقال غيره في قراءة من خفَّف: هو متعد؛ كقولك: صدقت فلاناً في الحديث. قال الأعشى:

فَصَدَقْتُهُ وكذبْتُه ... والمرءُ ينفعُهُ كِذَابُه[(٦)]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٨)، والكشف (٢/ ٢٠٧)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٩).

(٢) الحجة (٣/ ٢٩٦-٢٩٧).

(٣) في الأصل: صدقه. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٩٦).

(٤) زيادة من الحجة، الموضع السابق.

(٥) انظر البيت في: الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٧)، والجمل في النحو للخليل (ص:٢١٧).

(٦) البيت للأعشى. وهو ليس في ديوانه. وهو في: الدر المصون (٦/ ٤٦٦)، وابن يعيش (٦/ ٤٤)، =

وقال الزجاج[(١)]: من خفَّف نصب الظن مصدراً، على معنى: صَدَقَ عليهم [ظناً][(٢)] ظنه، وصدق في ظنه.

وقرأ الزهري: «صَدَقَ» مخففة، «إبليسَ» نصب، «ظَنُّهُ» رفع[(٣)].

قال أبو الفتح ابن جني[(٤)]: معناه: أن إبليس سَوَّلَ له ظنه شيئاً [فيهم][(٥)] [فصدقه][(٦)] ظَنُّه.

والضمير في «عليهم» وفي «فاتبعوه»: لأهل سبأ، أو لبني آدم.

﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [قال][(٧)] ابن عباس: يعني: المؤمنين كلهم، وهم الذين قال الله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[(٨)] [الحجر:٤٢].

﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي: من تسلط واستيلاء بالوسوسة [والاستغواء][(٩)]، ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ مفسَّرٌ في

=

والطبري (٣٠/ ٢٠)، والقرطبي (١٩/ ١٨١)، وزاد المسير (٩/ ١٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١٦).

وفي الكل الشطر الأول: فصدقتها وكذبتها.

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) في الأصل: ظن. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٢٥٢).

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٤٢).

(٤) المحتسب (٢/ ١٩١).

(٥) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: قصدقه. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٩١).

(٧) في الأصل: قاله.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٣).

(٩) في الأصل: الاستغواء. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٨٨).

أول العنكبوت(١).

وقرأ الزهري: «لِيُعْلَمَ» بياء مضمومة؛ على البناء للمفعول(٢).

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ أي: قل يا محمد للمشركين الذين أنت بين أظهرهم: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله [ليدفعوا](٣) عنكم ضرراً، أو يجلبون لكم نفعاً.

ثم أخبر عن عجزهم بقوله تعالى: ﴿لا يملكون مثقال ذرّة﴾ حبَّة، يعني: من خير أو شر ﴿في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما﴾ أي: في هذين الجنسين، يعني: السموات والأرض ﴿من شرك﴾ في الخلق ولا في الملك ولا في التدبير، ﴿وما له منهم من ظهير﴾ أي: ما لله من الآلهة من ظهير، أي: معين يعينه على الخلق والتدبير، فكيف دعوتموهم آلهة عبدتموهم ورجوتموهم من دون الله.

فإن قيل: أين مفعولا «زعم»؟

قلتُ: هما محذوفان، التقدير: زعمتموهم آلهة.

---

(١) عند الآية رقم: ٣.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٥٠).

(٣) في الأصل: ليدعوا.

قال الزمخشري[١]: حذف الراجع إلى الموصول كما حذف في [قوله][٢]: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، [استخفافاً][٣]، لطول الموصول بصلته[٤]، وحذف «آلهة» لأنه موصوف، صفته «من دون الله»، والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذاً مفعولا «زعم» محذوفان [جميعاً][٥] بسببين مختلفين.

قوله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وأبو بكر: «أُذِنَ» بضم الهمزة، وفتحها الباقون[٦].

والمعنى: لا تنفع شفاعة ملك ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة.

وقيل: المعنى: إلا من أذن الله أن يشفع له.

وقيل: اللام في «أذن له» بمعنى: لأجله، بمعنى: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله.

وقال صاحب الكشاف[٧]: وهذا وجه لطيف، وهو الوجه.

فإن قلت: بما اتصل قوله تعالى: ﴿حتى إذا فُزّع عن قلوبهم﴾ ولأي شيء

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٨٩).

(٢) في الأصل: قولهم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: واستخفافاً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الكشاف: لصلته.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٩)، والكشف (٢/ ٢٠٧)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨-٥٢٩).

(٧) الكشاف (٣/ ٥٨٩).

وقعت «حتى» غاية؟

قلت: بما فُهم من هذا الكلام أن ثم انتظاراً للإذن وتوقفاً وتمهلاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان، وطول من التربص، كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون ملياً [فزعين][١] وهلين، ﴿حتى إذا فزّع عن قلوبهم﴾ أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك، وسأل بعضهم بعضاً: ﴿ماذا قال ربكم﴾.

وقرأ ابن عامر: «فَزَّعَ» بفتح الفاء والزاي[٢]، على معنى: خلَّى الله الفزع عن قلوبهم.

وقرأ الحسن: «فُرِّغَ» بالراء المهملة والغين المعجمة[٣]، وهو يرجع إلى معنى قراءة العامة؛ لأن المعنى: فرغت من الفزع.

﴿قالوا الحق﴾ أي: وقال الحق.

قال الواحدي[٤]: ثم أخبر الله تعالى عن خوف الملائكة قال: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾، قال: وهذا دليل على أنه [قد][٥] يصيبهم فزع شديد من شيء يحدث

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٨٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٩)، والكشف (٢/ ٢٠٥)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٥٩-٣٦٠)، والسبعة (ص:٥٣٠).

(٣) وهي قراءة قتادة وابن يعمر أيضاً. انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٠)، وزاد المسير (٦/ ٤٥٢).

(٤) الوسيط (٣/ ٤٩٤).

(٥) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

من أقدار الله تعالى، ولم يذكر ذلك الشيء؛ لأن إخراج الفزع يدل على حصوله، فكأنه قد ذكر.

قال[(١)]: والمفسرون ذكروا ذلك الشيء.

قال مقاتل[(٢)] وقتادة والكلبي: لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وبعث الله تعالى محمداً ﷺ، أنزل جبريل بالوحي، فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل [بشيء][(٣)] من أمر الساعة، فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يمرّ بكل سماء ويكشف عنهم الفزع، وقال بعضهم [لبعض][(٤)]: «ماذا قال ربكم قالوا الحق»[(٥)].

وقال الماوردي[(٦)]: فزعوا عند سماع الوحي من الله تعالى؛ لانقطاعه ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكان لصوته صلصلة كوقع الحديد على الصفا، فخرُّوا عنده سُجَّداً مخافة القيامة.

قال[(٧)]: وهذا معنى قول كعب.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن ابن [روزبة][(٨)] البغداديان

---

(١) أي: الواحدي.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٦٤).

(٣) في الأصل: لشيء. والتصويب من الوسيط (٣/ ٤٩٤)، وزاد المسير (٦/ ٤٥٣).

(٤) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٩٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٥٣).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٨).

(٧) أي: الماوردي.

(٨) في الأصل: رزبة. وهو خطأ. انظر ترجمته في: السير (٢٢/ ٣٨٧-٣٨٩)، والتقييد (ص:٤١٩).

قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن[١]، أخبرنا عبدالله[٢]، أخبرنا محمد[٣]، حدثنا محمد[٤]، حدثنا الحميدي[٥]، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة [يقول][٦]: أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صَفْوان[٧]، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير»[٨]. انفرد بإخراجه البخاري.

وفي سنن أبي داود من حديث ابن مسعود قال: «إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء [للسماء][٩] صلصلة كجرّ السلسلة على الصَّفا[١٠]، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ما قال [ربك][١١]؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»[١٢].

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد الداودي. تقدمت ترجمته.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي. تقدمت ترجمته.

(٣) هو محمد بن يوسف الفربري. تقدمت ترجمته.

(٤) هو محمد بن إسماعيل البخاري.

(٥) هو عبد الله بن الزبير الحميدي.

(٦) زيادة من الصحيح (٤/ ١٨٠٤).

(٧) الصَّفْوان: العريض من الحجارة الأملس، ومثله: الصَّفا (اللسان، مادة: صفا).

(٨) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٤ ح٤٥٢٢).

(٩) زيادة من سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥).

(١٠) الصَّفا: هو كالصفوان بمعنى واحد.

(١١) في الأصل: ربكم. والتصويب من سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥).

(١٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٥ ح٤٧٣٨).

۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل﴾[1] أي: قل لكفار مكة محتجاً عليهم: ﴿من يرزقكم من السموات﴾ المطر ﴿والأرض﴾ النبات والثمر، ﴿قل الله﴾ فإنهم لا جواب لهم سواه، فلا حاجة لك إلى استنطاقهم به.

قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ كلام وارد مورد الإنصاف كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ [العنكبوت:٥٢]، وكقول حسان:

.... فشرُّكُما لخيركُما الفداء[2]

وقال الزجاج[3]: رُوي في التفسير: «وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين»، وهذا في اللغة غير جائز، ولكنه في التفسير يؤول إلى هذا المعنى. والمعنى: إنا لعلى

---

(١) في الأصل زيادة قوله تعالى: ﴿من يرزقكم﴾ وستأتي بعد قليل.

(٢) عجز بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وصدره: (أتهجوه ولست له بكفء)، انظر: ديوانه (ص:٧٦)، واللسان (مادة: ندد)، والبحر (٧/ ٢٦٧)، والدر المصون (٥/ ٤٤٥)، والطبري (١٨/ ٨٨).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٣).

هدى أو في ضلال مبين، أو إنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، وهذا كما يقول القائل: إذا كانت الحال تدل على صدقه، [أحدُنا صادق وأحدُنا كاذب، والمعنى](١): أحدنا [صادق](٢) أو كاذب.

وما بعده ظاهر أو مفسر إلى قوله تعالى: ﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾. قال الزجاج(٣): معناه: [ألحقتموهم](٤) به، ولكنه حذف؛ لأنه في صلة «الذين»(٥).

قال الزمخشري(٦): فإن قيل: ما معنى قوله: «أروني» وكان يراهم ويعرفهم؟

قلت: أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به.

ويحتمل عندي: أن يكون هذا على مذهب العرب في الازدراء بالرأي، كقول الشاعر:

ولو أني بليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المدان
لهان عليّ ما ألقى ولكن تعالي فانظري بمن ابتلاني(٧)

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٢٥٣).

(٢) في الأصل: صادقاً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٤).

(٤) في الأصل: ألحقتوهم. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) حذف العائد بعد فعل مُتَعَدٍ.

(٦) الكشاف (٣/ ٥٩٢).

(٧) البيتان في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٠)، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٧٣) مع اختلاف في بعض اللفظات، والمستطرف (١/ ٤٥٤).

﴿كلا﴾ ردع وزجر لهم عن مذهبهم الذي لا يثبت على محك النظر، ولا عند حاكم العقل.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ قال الزجاج[1]: معنى «كافة» في اللغة: الإحاطة[2]. والمعنى: أرسلناك جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ، وأُرسل ﷺ إلى العرب والعجم.

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: كفف).

قوله تعالى: ﴿ولا بالذي بين يديه﴾ يريدون: التوراة وغيرها من الكتب، حملهم على هذا القول ما سمعوه من علماء أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ.

﴿ولو ترى﴾ أيها الرسول أو أيها السامع ﴿إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ محبوسون للحساب يوم القيامة وهم يتجادلون. وجواب «لو» محذوف، أي: [لرأيت][1] عجباً.

قوله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ قال المبرد والزجاج والزمخشري[2] وعامة اللغويين: المعنى: بل مكركم في الليل والنهار، اتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه.

وقيل: جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي.

وقرأ قتادة: «بل مكرٌ» بالتنوين، «الليلَ والنهارَ» بنصب الظرفين[3].

قال الزمخشري[4]: وقرئ: «بل مكر الليل والنهار» بالرفع والنصب، أي: تَكُرُّونَ الإغواء مَكَرّاً دائماً لا تفترون عنه.

فإن قلت: ما وجه الرفع والنصب؟

قلتُ: هو مبتدأ أو خبر، على معنى: بل سبب ذلك مكركم، أو مكركم سبب ذلك، والنصب على معنى: بل تكُرُّون الإغواء مَكَرَّ الليل والنهار.

---

(١) في الأصل: لو رأيت.

(٢) المقتضب (٤/ ٣٣١)، ومعاني الزجاج (٤/ ٢٥٤)، والكشاف (٣/ ٥٩٤).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٥٨)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٤٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٩٤).

قوله تعالى: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ مفسر في يونس[1].

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي
يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ
أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ
رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ
فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ افتخروا وظنوا أن الله خوّلهم ذلك كرامتهم عليه، وقاسوا على تقدير كونها وصحة وجودها على أمر الدنيا، فذلك قولهم: ﴿وما نحن بمعذبين﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ إبطال لما توهموه من أن كثرة أموالهم وأولادهم يقتضي كرامتهم على الله، فإن بسط الرزق وقدره ابتلاء وامتحان من الله حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وكم من فاسق موسّع عليه، وطائع مضيّق في رزقه، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك.

---

(١) عند الآية رقم: ٥٤.

ثم صرّح بإبطال ما قالوه وأكذبهم فيه، فقال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ قال الفراء[١]: يصلح أن تقع «التي» على الأموال والأولاد جميعاً؛ لأن الأموال جمع، والأولاد جمع.

وإن شئت وجهت «التي» إلى الأموال، واكتفيت بها من ذكر الأولاد؛ كقوله:

نحن بما عندنا وأنت بما   عندك راضٍ والرأيُ مختلف[٢]

وقال الزجاج[٣]: المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم، [فحذف][٤] اختصاراً.

وقال الزمخشري[٥]: أراد: وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم، وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث.

وقرأ الحسن: «باللاتي»؛ لأنها جماعات[٦].

قال الأخفش[٧]: «زلفى» اسم المصدر، كأنه أراد بالتي تقربكم عندنا [إزلافاً][٨].

﴿إلا من آمن﴾ استثناء منقطع.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٦٣).

(٢) تقدم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٥).

(٤) في الأصل: فحذ.

(٥) الكشاف (٣/ ٥٩٥).

(٦) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٧٢).

(٧) معاني الأخفش (ص: ٢٧٠).

(٨) في الأصل: تقريباً. والمثبت من معاني الأخفش، الموضع السابق.

وقال الزمخشري[١]: مِنْ «كُمْ» في «تُقَرِّبُكُم». والمعنى: أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير، وفقَّهَهُم في الدين، ورشَّحهم للصلاح والطاعة.

﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لرويس عن يعقوب: «جزاءً» بالنصب والتنوين، «الضعفُ» بالرفع[٢].

وقرأتُ للقراء السبعة من جميع طرقهم الثلاثة الذين ألحقوا بهم: «جزاء الضِّعْف» برفع «جزاء» والإضافة.

وتقدير القراءة الأولى: فأولئك لهم الضعف جزاؤهم في الغرفات.

وقرأ حمزة: «في الغُرْفَة» على التوحيد[٣]، يريد: الجنس؛ كقوله تعالى: ﴿يجزون الغرفة﴾ [الفرقان:٧٥].

والمعنى في القراءتين واحد.

والمراد: وهم في غرفات الجنة آمنون من الموت والغير والخروج وكل مخوف.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ قال سعيد بن جبير: وما أنفقتم من شيء من غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه[٤].

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٩٥).

(٢) النشر (٢/ ٣٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٠).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٠)، والكشف (٢/ ٢٠٨)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٦٠)، والسبعة (ص:٥٣٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٣١ ح٢٦٥٩٨)، والطبري (٢٢/ ١٠١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧٠٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير.

[وقال الكلبي: وما أنفقتم في الخير والبر فهو يخلفه][(١)] إما أن يعجله في الدنيا أو يدخره [لكم][(٢)] في الآخرة[(٣)].

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي، أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد البخاري[(٤)]، حدثنا إسماعيل[(٥)]، حدثني أخي[(٦)]، عن سليمان هو ابن بلال[(٧)]، عن معاوية بن أبي [مزرد][(٨)]، عن أبي الحباب[(٩)]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من

(١) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٩٧)، وزاد المسير (٦/ ٤٦١).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦١).

(٤) تقدم هذا الإسناد آنفاً.

(٥) هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله بن أبي أويس، ابن أخت مالك ونسيبه، صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، مات في رجب سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٧١-٢٧٢، والتقريب ص:١٠٨).

(٦) هو عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو بكر بن أبي أويس المدني الأعشى، ثقة، مات ببغداد سنة اثنتين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ١٠٧، والتقريب ص:٣٣٣).

(٧) سليمان بن بلال التيمي القرشي مولاهم، أبو محمد، ويقال: أبو أيوب المدني، ثقة، مات سنة سبع وسبعين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٤، والتقريب ص:٢٥٠).

(٨) في الأصل: مرزد. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: التهذيب (١٠/ ١٩٦)، والتقريب (ص:٥٣٨).

(٩) هو سعيد بن يسار، أبو الحباب المدني، مولى ميمونة، وقيل: مولى شقران أو مولى الحسن بن علي، وقيل: مولى بني النجار، وقيل أن اسمه: سعيد بن مرجانة، وهو ثقة متقن، مات سنة سبع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٩٠، والتقريب ص:٢٤٣).

يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً »[(١)].

وأخرجه مسلم عن القاسم بن زكريا، عن خالد بن مخلد[(٢)]، عن سليمان بن بلال.

قرأتُ على محمد بن أبي عبدالله الصوفي، أخبركم محمد بن أسعد، حدثنا الحسين بن مسعود الفراء[(٣)]، أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي[(٤)]، أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى قال: أنفقْ يُنْفَقْ عليك، قال: وقال رسول الله ﷺ: يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لا ينقص ما في يمينه، قال: وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض، يرفع ويخفض »[(٥)]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه محمد البخاري عن علي بن عبدالله. وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع، كلاهما عن

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٢ ح١٣٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٠٠ ح١٠١٠).

(٢) خالد بن مخلد القطواني، أبو الهيثم البجلي مولاهم الكوفي، ثقة صدوق كثير الحديث، وفيه تشيع، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل بعدها (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠١، والتقريب ص:١٩٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٥٦).

(٤) حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي الخالدي، أبو علي المنيعي المروروذي، كان ذا تهجد وصيام واجتهاد، مات في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٩ ح٦٩٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٩١ ح٩٩٣).

عبدالرزاق.

﴿وهو خير الرازقين﴾ أكرمهم وأعلاهم وآمنهم؛ لأن كل ما رزق من سلطان يرزق جنوده، أو سيد يرزق عبيده، أو رجل يرزق عياله، فهو من رزق الله، أجراه على أيدي هؤلاء.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ يعني: المشركين.

وقال مقاتل[(١)]: الملائكة ومن [عَبَدَها][(٢)].

﴿ثم نقول للملائكة﴾ وقرئ: «يحشُرُهُم»، «ثم يَقُولُ» بالياء فيهما[(٣)]، حملاً على «قل إن ربي يبسط الرزق».

﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ استفهام في معنى التقريع والتوبيخ للعابدين، ونحوه: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة:١١٦]، وقد علم الله سبحانه وتعالى أن الملائكة وعيسى مبرؤون مما وجه عليهم من السؤال،

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٦٨).

(٢) في الأصل: بعدها. والتصويب من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٠)، والنشر (٢/ ٢٥٧)، والإتحاف (ص:٢٠٦)، والسبعة (ص:٥٣٠).

وهو وارد على المثل السائر: «إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة».

﴿قالوا﴾ يعني: الملائكة إظهاراً لبراءتهم من الرضى بعبادتهم ﴿سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ الذي نواليك من دونهم، ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ يريدون: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى، ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ أي: أكثر المشركين بالجن الشياطين مصدقون، أي: يصدقونهم فيما يخبرونهم به من الباطل.

﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿نفعاً ولا ضراً﴾؛ لأن الأمر في الثواب يوم القيامة لله وحده، لم يفوض إلى أحد من خلقه فيه أمراً، ولم يجعل له سلطاناً كحال الدنيا.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ هذا إيذان بفرط جهل العرب وإشعار أن ردهم وتكذيبهم لم يصدر عن تثبت وفكر وعلم، على ما هو المتعامل من عادة ذوي البصائر المضيئة بنور العلم، فإنهم إن صدر منهم تكذيب فلشبهة تقوم في نظرهم يضعف قوى علمهم عن دفعها.

وقال الفراء[1]: من أين كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه.

﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار﴾ أي: وما بلغ هؤلاء مِعْشَار ما آتينا أولئك، والمِعْشَار والعُشْر والعَشِير بمعنىً.

وقيل: المعشار: عُشْر العُشْر، وقيل: عُشْر العَشِير، والعَشِير: عُشْر العُشْر.

قال الماوردي[2]: وهو الأظهر؛ لأن المراد به المبالغة في التقليل.

والمعنى: وما بلغوا معشار ما آتيناهم من طول الأعمار واشتداد القوى وكثرة الأموال. هذا معنى قول ابن عباس[3].

وقال الحسن: ما عملوا معشار ما أمروا به[4].

﴿فكذبوا رسلي﴾ المعنى: فأخذناهم ولم يغن عنهم ما كانوا فيه، فكيف بهؤلاء؟

﴿فكيف كان نكير﴾ النكير: اسم بمعنى الإنكار.

۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أي: إنما آمركم وأوصيكم بخصلة واحدة، ثم فَسَّرها بقوله تعالى: ﴿أن تقوموا لله﴾ وليس المراد به المثول على الأقدام،

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٦٤).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٣-١٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨) بمعناه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧٠٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، بمعناه.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٥٥).

وإنما المراد به: الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمم.

والمعنى: أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين.

﴿مثنى وفرادى﴾ اثنين اثنين وواحداً واحداً، ﴿ثم تتفكروا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به، ويعرض كل واحد منكم محصول ما أداه فكره إليه على شريطة المناصعة وعزل الهوى، أو يراجع رشده إذا خلا بنفسه وأمعن النظر، فإنكم إن فعلتم ذلك هجم بكم الفكر الصالح على النظر الصحيح وأصبتم طريق الحق.

فإن قيل: لم أمرهم بالقيام مثنى وفُرادى فقط؟

قلت: لغرض صحيح نعرفه عن استعداء العادات، وهو أن الجموع الوافرة والعصب المتكاثرة يوجب اضطراب آرائها واختلاف أهوائها اختلاط القول وتوقد ثائرة التعصب، وهذا أمر لا يجامعه الإنصاف غالباً وظاهراً.

وفي قوله تعالى: ﴿ما بصاحبكم من جِنَّة﴾ إشعار بأن هذا الأمر العظيم الذي ينتظم في سلك المبعوث به سياسة الملك ورئاسة الدين، لا يتصدى لادعاء مثله إلا أحد رجلين؛ مجنون لا يبالي عند ظهور عجزه عن إثبات صحة ما ادعاه بالافتضاح، أو عاقل مؤيد بالعجز [مصطفىً][1] للنبوة، وإلا فما يحمل العاقل على مثل هذه الدعوى التي يبقى صاحبها بعرضة السخرية والاستهزاء إذا لم يثبت، وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من جِنَّة، بل علمتموه أرزن قريش حلماً، وأغزرهم مروءة، وأصلهم رأياً، وأصدقهم لساناً، وأجمعهم لمكارم الأخلاق.

﴿إن هو إلا نذير لكم﴾ أي: ما هو إلا مخوف لكم ﴿بين يدي عذاب شديد﴾

---

(١) في الأصل: مطفىً.

يشير إلى قرب الساعة، كما قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار إلى أصبعيه السبابة والوسطى»[١].

قال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: «ما بصاحبكم» بم يتعلق؟

قلتُ: يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبيهاً من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ. ويجوز أن يكون المعنى: ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة. وقد جوَّز بعضهم أن تكون «ما» استفهامية.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ هذا كقول القائل: ما لي في هذا فقد وهبتكه، يريد: ليس لي فيه شيء.

فالمعنى هاهنا: ما سألتكم عليّ بتبليغ الرسالة من أجر.

﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ قال مقاتل[٣]: يتكلم بالحق، وهو القرآن والوحي. يريد: أنه يلقيه وينزله على أنبيائه، أو يرمي به الباطل فيدمغه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٣١ ح٤٩٩٥)، ومسلم (٢/ ٥٩٢ ح٨٦٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٩٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٦٩).

﴿علاّم الغيوب﴾ قال الزجاج[(١)]: الرفع في «عَـلاَّم» صـفة عـلى موضـع «إن ربي»؛ لأن تأويله: قل ربي علام الغيوب يقذف بالحق، و«إنَّ» مؤكدة. ويجوز الرفع على البدل مما في «يقذف»[(٢)].

المعنى: قل إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب.

وقال غيره: يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف[(٣)].

وقرأ أبو رجاء: «عَلاَّمَ» بالنصب[(٤)]، صفة لـ«ربي».

وقرئ: «الغيوب» بالحركات الثلاث على الغين، وقد ذكرنا هـذا الأصـل في سورة البقرة، وأن الضم هو الأجود، والكسر لا بأس به من أجل الياء، فإن الكسر أشد موافقة للياء من الضمة. وأما فتح الغين فشاذّ، وهو الأمر الذي خفي وغاب جداً.

﴿قل جاء الحق﴾ القرآن ودين الإسلام، ﴿وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾.

قال الزجاج[(٥)]: «ما» في موضع نصب، على معنى: وأيّ شيء يُبـدئ الباطـل وأيّ شيء يعيد. والأجود أن يكون «ما» نفياً [على معنى: مـا يبـدئ الباطـل ومـا يعيد][(٦)]، و«الباطل» هاهنا: إبليس. والمعنى: وما يبدئ إبليس وما يعيد، أي: وما

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٩٨)، والدر المصون (٥/ ٤٥٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكر هـذه القـراءة ابـن الجـوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٦)، والسمين الحلبي في الـدر المصون (٥/ ٤٥٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٨).

(٦) زيادة من الزجاج (٤/ ٢٥٨).

يبعث ولا يخلق.

قلت: وهذا معنى قول قتادة[(١)].

وقال الضحاك: الباطل هاهنا: الأصنام لا تبدئ خلقاً ولا تحيي[(٢)].

وقيل: الباطل هو الذي يضاد الحق. فالمعنى: ذهب الباطل بمجيء الحق ولم يبق منه بقية يبدي بها أو يعيد.

قال الزمخشري[(٣)]: الحي إما أن يبدئ فعلاً أو يعيده، فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة، فجعلوا قولهم: لا يبدئ ولا يعيد مثلاً في الهلاك، ومنه قول عبيد:

أَقْفَرَ منْ أَهْلِهِ عَبيدُ ... [فاليومَ][(٤)] لا يُبدي ولا يُعيد[(٥)]

والمعنى: جاء الحق وهلك الباطل؛ كقوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ [الإسراء:٨١].

أخبرنا أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان، أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا صدقة بن الفضل[(٦)]، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٦).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٠٠).

(٤) في الأصل: فالقوم. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص، انظر: ديوانه (ص:٤٥)، واللسان (مادة: قفر)، والبحر المحيط (٧/ ٢٧٨)، والدر المصون (٥/ ٤٥٣)، وروح المعاني (٢٢/ ١٥٦)، والكشاف (٣/ ٦٠٠).

(٦) صدقة بن الفضل، أبو الفضل الحافظ المروزي، وثقه النسائي وغيره، مات سنة ثلاث أو ست =

نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه قال: « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد »(١). هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن سفيان بن عيينة.

والنُّصُب: الصنم المنصوب للعبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وما ذُبح على النصب﴾ [المائدة:٣].

﴿قل إن ضللت﴾ كما تزعمون يا كفار قريش، فإنهم كانوا يقولون له: ضللت بترك دين آبائك.

﴿فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي﴾ من الحكمة والبيان، ﴿إنه سميع قريب﴾ ما تقولون وأقول.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّۭ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ أي: لو ترى إذ فزعوا يا محمد.

=

وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٦، والتقريب ص:٢٧٥).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٦ ح٢٣٤٦)، ومسلم (٣/ ١٤٠٨ ح١٧٨١).

قال مجاهد: يوم القيامة[١].

وقال قتادة: حين يرون بأس الله في الدنيا[٢].

قال السدي: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم، فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة[٣].

وقال الحسن: هو فزعهم في القبور من الصيحة[٤].

«فلا فَوْتَ»: قال ابن عباس: فلا نجاة[٥].

وقال مجاهد: فلا مَهْرَب[٦].

﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ وهو من الموقف إلى النار، أو من القبور إلى الموقف، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

وروي عن ابن عباس قال: نزلت في خسف البيداء، وذلك أن ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم.

فعلى هذا يكون المعنى: وأخذوا من مكان قريب، أي: من تحت أقدامهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٥٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٨). وذكره الماوردي (٤/ ٤٥٨).

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ٤٥٨).

وعن ربعي بن حراش[١] قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب: « فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، [ويفتضون][٢] بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة [فيخربون][٣] ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، [فتلحق][٤] ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله تعالى جبريل فيقول: يا جبريل! اذهب فأبِدْهُم، فيضربها برجله ضربة فيخسف الله تعالى بهم، فذلك قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾، فلا [ينفلت][٥] منهم إلا رجلان، أحدهما بشير والآخر نذير،

---

(١) ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد العبسي، أبو مريم الكوفي، قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية، قال العجلي: تابعي ثقة من خيار الناس، لم يكذب كذبة قط. مات سنة مائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٥، والتقريب ص:٢٠٥).

(٢) في الأصل: ويقتضون. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: فيخرجون. والتصويب من الطبري (٢٢/ ١٠٧).

(٤) في الأصل: فتحلق. والتصويب من الطبري، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: يلتفت. والتصويب من الطبري، الموضع السابق.

وهما من جهينة »[١].

وجواب: «ولو ترى» محذوف، تقديره: لرأيت أمراً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿وقالوا آمنا به﴾ قال مجاهد: بالله[٢].

وقال الحسن: بالبعث[٣].

وقال قتادة: بالرسول ﷺ[٤].

وقد سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ما بصاحبكم من جِنَّة﴾، وهذا يكون منهم في الآخرة، أو عند معاينة نزول بأس الله تعالى بهم.

﴿وأنى لهم التناوش﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: «التناؤُش» بالمد والهمز، وقرأ الباقون بغير همز[٥].

قال صاحب كشف المشكلات[٦]: الأصل الهمزة، من قوله:

تمنَّى نئيشاً أن يكونَ أطاعني ... وقدْ حدثتْ بعدَ الأمور أُمور[٧]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٧)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره (١١/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨)، ومجاهد (ص:٥٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٠-٥٩١)، والكشف (٢/ ٢٠٨)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٦٠)، والسبعة (ص:٥٣٠).

(٦) كشف المشكلات (٢/ ٢٤١).

(٧) البيت لنهشل بن حرّي. وهو في: اللسان (مادة: نأش)، والبحر (٧/ ٢٤٦)، والدر المصون (٥/ ٤٥٥)، والطبري (٢٢/ ١٠٩)، وروح المعاني (٢٢/ ١٥٨)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٦٥).

فنصب «نئيشاً» على الظرف، أي: تمنى مدة مديدة؛ لأن النئيش: التأخير.

ومن قال: «التناؤُش»: فإنه يكون على تليين الهمزة وإبدالها واواً.

ويجوز أن يكون الأصل: «التناوش» بالواو، من قوله:

فهي تنوشُ الحوضَ نَوْشاً منْ علا ....[1]

فتكون الهمزة مثلها في «[أجوه][2]» و «أقتت».

وقال غيره: التناوش: التناول، تفاعلَ من النوْش الذي هو التناول، ومن همز فَلأنّ واو «التناوُش» مضمومة، وكل واو ضمها لازمة جاز إبدال الهمزة منها، نحو: أجوه وأدور.

وقال مكي[3]: من همز جعله مشتقاً من نَأَشَ؛ إذا طَلَبَ. والمعنى: وكيف لهم طلب الإيمان في الآخرة، وهو المكان البعيد.

ويجوز أن يكون من نَاشَ يَنُوشُ؛ إذا تناول، لكن لما انضمت الواو [أبدلوا][4] منها همزة، فالمعنى: وكيف [يكون][5] لهم تناول الإيمان.

---

(١) صدر بيت لغيلان بن حريث يصف إبلاً وردت حوضاً وتناولت ما فيه تناولاً من فوق، مستغنية عن المبالغة فيه. وعجزه: (نوْشاً به تَقْطَعُ أجْوازَ الفَلا). انظر: الكتاب (٣/ ٤٥٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٠)، و اللسان (مادة: نوش، علا)، والبحر (٧/ ٢٤٦)، والدر المصون (٥/ ٤٥٤)، والماوردي (٤/ ٤٥٩)، والقرطبي (١٤/ ٣١٦)، والطبري (٢٢/ ١١٠)، وروح المعاني (٢٢/ ١٥٨).

(٢) في الأصل: أوجوه. وفي الكشف: وجوه و وقتت. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) الكشف (٢/ ٢٠٨).

(٤) في الأصل: بدلوا. والمثبت من الكشف (٢/ ٢٠٨).

(٥) زيادة من الكشف، الموضع السابق.

﴿من مكان بعيد﴾ وهو الآخرة. وعليه معنى القراءة الثانية.

﴿وقد كفروا به﴾ أي: بالله أو بالبعث، أو بالرسول ﷺ، ﴿من قبل﴾ يعني: في الدنيا، ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾.

وقال الحسن: يرجمون بالظن فيقولون: لا جنة ولا نار(١).

وقال مجاهد: هو طعنهم في رسول الله ﷺ بأنه شاعر أو ساحر(٢).

قوله تعالى: ﴿وحِيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ أي: حِيلَ بينهم وما يشتهون في الآخرة من الرجعة إلى الدنيا، في قول ابن عباس(٣).

أو من الإيمان، على قول الحسن(٤).

أو ما يشتهون من قبول التوبة منهم، [على قول مقاتل](٥).

﴿كما فُعل بأشياعهم من قبل﴾ بنظرائهم من الكفار الذين لم تقبل منهم توبة وإنابة عند معاينة العذاب من قبل هؤلاء.

فإن قيل: «ولو ترى إذ فزعوا»، «وأخذوا»، «وقالوا»، «وحيل بينهم» جميعها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩) كلاهما عن قتادة. وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠) عن الحسن، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٠) عن الحسن وقتادة، والسيوطي في الدر (٦/ ٧١٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٢)، ومجاهد (ص:٥٢٩). وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٩٨ ح٣٥٣٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٩٩). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٧٠).

متمحضة للاستقبال على ما ذكر في التفسير، وما تقدم من التقرير، فلم جاءت بصيغة الماضي؟

قلت: لأنها في تحقق وجودها والقطع بكونها حيث أخبر الله الصادق في خبره بأنها كائنة، كالشيء الذي وُجد ومضى.

﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ من البعث.

وقال مقاتل[1]: من نبيهم.

«مُريب»: مُوقعٌ لهم في الريبة والتهمة.

قال الزجاج[2]: قد أعلمنا الله تعالى أنه يُعذّب على الشك، وقد قال قوم من الضُّلال: إن الشاكّين لا شيء عليهم، وهذا كُفْر ونقض للقرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ [ص:٢٧]. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠) وعزاه لمقاتل. وفي تفسير مقاتل: (٣/ ٧٠): «إنهم كانوا في شك» من العذاب بأنه غير نازل بهم في الدنيا. ولم يذكر المعنى الذي ذكره المصنف. والله أعلم.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٩).

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة الملائكة، وهي ست وأربعون آية في العدد المدني، وخمس في الكوفي[1]، وهي مكية بإجماعهم.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

قال الله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ أي: مبتدئها ومبتدعها على غير مثال سابق.

قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي: ابتدأتها[2].

﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ رسلاً يُرسلهم إلى النبيين وإلى ما شاء من الأمور.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري من رواية الحلبي والقزاز، عن عبد الوارث عن أبي عمرو: «جاعلٌ» بالرفع والتنوين، «الملائكةَ» بالنصب[3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢١٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٥٨ ح١٦٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣) وعزاه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٢-٤٧٣)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٢٨٤).

﴿أولي أجنحة﴾: أصحاب أجنحة.

قال الزمخشري[١]: و«أولوا»: اسم جمع لـ«ذو»، كما أن «أولاء» اسم جمع لـ«ذا»، ونظيرهما في المتمكنة: المخاض والخلفة.

يريد: أن الخلفة وهي الحامل من النوق واحد، والمخاض: اسم جمع للخلفة، وهي الحوامل.

﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ صفات للأجنحة. وقد ذكر في سورة النساء[٢].

قال قتادة[٣]: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة[٤].

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ أي: في خلق الأجنحة وغيرها ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل: الجناحان؛ لأنهما بمنزلة اليدين.

قال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح[٥]. وهذا المعنى قول عامة المفسرين واختيار الفراء[٦] والزجاج.

وقال الزهري وابن جريج: هو الصوت الحسن[٧].

---

(١) الكشاف (٣/ ٦٠٤).

(٢) عند الآية رقم: ٣.

(٣) في الأصل زيادة قوله: بن يزيد، وهو وهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٠).

(٦) معاني الفراء (٢/ ٣٦٦).

(٧) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣١)، والشعب (١/ ١٣٥ ح١١٥)، وابن أبي حاتم =

وقال قتادة: الملاحة في العينين[(١)].

وقيل: تجعد الشعر وحسنه[(٢)].

وقيل: الخط الحسن[(٣)].

والصحيح: أن الآية مطلقة تشمل كل زيادة في الخلق: من صباحة في الوجه، وملاحة في العين، وفصاحة في اللسان، وسماحة في النفس، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، إلى غير ذلك من أنواع الزيادة مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا

(١٠/ ٣١٧٠) كلهم عن الزهري. وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٣٥ ح١١٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤) وعزاه للبيهقي.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٦٢) حكاية عن النقاش.

(٣) ذكره القرطبي (١٤/ ٣٢٠).

﴿يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾

قوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ أي: ما يطلق الله تعالى من نعمة مطر أو رزق أو صحة أو [أمن][1] أو غير ذلك، أي: لما يمسكه.

وقرئ شاذاً: «فلا مرسل لها»[2]، رجوعاً إلى الرحمة من بعده من النعم التي لا يحاط بعددها.

﴿فلا ممسك لها وما يمسك﴾ من ذلك ﴿فلا مرسل له [من بعده][3]﴾ أي: من بعد إمساكه؛ كقوله تعالى: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ [الجاثية:٢٣] أي: من بعد هدايته[4]، ﴿وهو العزيز﴾ القادر على الفتح والإمساك، ﴿الحكيم﴾ في فتحه وإمساكه على من يريد.

قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي: اشكروها بمعرفة حقها وطاعة موليها.

والظاهر: أنه خطابٌ لجميع الناس لانغمارهم في نِعَم الله تعالى.

وقال ابن عباس وغيره: يريد: يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث

---

(١) في الأصل: من. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦٠٦).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٢٨٦).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٠٦).

قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٨٦): وهو تقدير فاسد لا يناسب الآية، جرى فيه على طريقة الاعتزال.

أسكنكم حرمه وأمنكم، [ومنعكم][(١)] من الغارات والناس يتخطفون من حولكم[(٢)].

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «غيرِ الله» بالجر[(٣)].

وقرئ شاذاً: «غيرَ الله» بالنصب[(٤)].

فالرفع والجر على الصفة لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء، وقد سبق تعليل ذلك في الأعراف[(٥)].

﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ صفة لـ«خَالِقٍ». والمعنى: هل من خالق غير الله يرزقكم ﴿من السماء﴾ المطر، ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ النبات، ﴿لا إِلَهَ إلا هُوَ فَأنى تُؤْفكُونَ﴾.

قال الزجاج[(٦)]: من أين يقع الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث وأنتم تقرؤون بأن الله خلقكم ورزقكم.

ثم عزى نبيه بقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، ثم أوعد ووعد بقوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾.

قال صاحب الكشاف[(٧)]: إن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط؟ ومن حق

---

(١) في الأصل: ومعنكم. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦٠٧).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٠٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٢)، والكشف (٢/ ٢١٠)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٦١)، والسبعة (ص:٥٣٤).

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٢٨٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٥٩).

(٥) عند الآية رقم: ٥٩.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٦٣).

(٧) الكشاف (٣/ ٦٠٨).

الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له؟

قلتُ: معناه: وإن يكذبوك فتأسَّ بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع: «فقد كذبت رسل من قبلك» موضع: فتأسَّ، استغناء بالسبب عن المسبب، أعني: بالتكذيب عن التأسي.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة(١).

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والملل التي خالفت الهدى(٢).

والمعنى: أفمن زين سوء عمله ففارق النهي ووافق الهوى وأطلق عنان نفسه في ميادين شهواتها، حتى رأى القبيح حسناً، والحسن قبيحاً، كما قال أبو نواس لأبي العتاهية حين وعظه وزجره عما كان مساكناً له من اللذات التي استهوته وسلبته لباس التقوى:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٥).

(٢) مثل السابق.

أتُـــراني يــــا عَتَــــاهِي تاركـــاً تلــكَ الملاهِـــي
أتـــراني مُفْـــسِداً بالنُّـــسْك عنــدَ القـــوم جـــاهِي [(١)]

كمن لم يزين، أو كمن هداه الله لقوله.

قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَـذْهَبْ نَفْـسُكَ عَلَـيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.

وقرأتُ لأبي جعفر: «فلا تُـذْهِبْ» بضم التـاء وكسر الهـاء، و«نَفْسَكَ» بالنصب[(٢)].

قال الزمخشري[(٣)]: «حسرات»: مفعول له، معناه: فلا تهلك نفسك للحسرات.

و«عليهم» صلة «تَذْهَب»، كما تقول: هَلَكَ عليه حُبّاً، ومات عليه حُزْناً. [أو هو][(٤)] بيان للمتحسّر عليه. ولا يجوز أن يتعلق بـ«حسرات»، لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته.

وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ

---

(١) البيتان في: الأغاني (٤/ ١٠٦)، وتاريخ دمشق (١٣/ ٤٤٢).

(٢) النشر (٢/ ٣٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦١).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٠٩-٦١٠).

(٤) في الأصل: وهو. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦٠٩).

ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

فإن قلت: ما يريد بقوله تعالى: ﴿والله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾، لم جاء «فتثير» على المضارعة دون ما قبله وبعده؟

قلتُ: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح [السحاب][1]، ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع [تمييز][2] وخصوصية، بحال تستغرب، أو تهمّ المخاطب، أو غير ذلك، كما قال تأبّط شراً[3]:

بأنّي قد لقيتُ الغولَ تَهْوي ... بشُهْبٍ كالصحيفةِ صَحْصَحَانِ[4]

فأضربها بلا دَهَشٍ فخَرَّت ... صريعاً لليدينِ وللجِرَانِ[5]

---

(١) في الأصل: والسحاب. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦١٠).

(٢) في الأصل: تميز. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) هو من فحول الشعراء في الجاهلية وفرسانها المشهورين، كنيته أبو زهير، وبتلقيبه بتأبّط شراً أقوال؛ المشهور منها: أنه تأبّط سيفاً وخرج، فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: تأبّط شراً وخرج (بلوغ الأرب ٢/ ٣٤٥).

(٤) الصحصحان: المكان المستوي (اللسان، مادة: صحح).

(٥) البيتان لثابت بن جابر الفهمي، الملقب بتأبط شراً، من أبيات قالها يزعم ضربه الغول، انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٤٢)، والدر المصون (٥/ ٤٦٠)، والبحر (٧/ ٢٨٩).

قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، مشاهدةً للتعجب من جراءته على كل هول، وثباته عند كل شدة. وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها؛ لما [كانا][1] من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فَسُقْنَا، وأَحْيَيْنا؛ [معدولاً][2] بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه.

والكاف في قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ في محل الرفع، أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات.

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله! كيف يحيي الله الموتى؟ قال: أما مررت بوادي قومك مَحلاً ثم مررت به خضراً؟ قلت: بلى. قال: كذلك يحيي الله الموتى، أو قال: ﴿كذلك النشور﴾»[3].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فلله العِزَّةُ جَمِيعاً﴾ قال المفسرون: كان المشركون يعتزون بالأصنام، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾ [مريم:٨١]، وكان المنافقون يتعززون بالمشركين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لله جَمِيعاً﴾ [النساء:١٣٩]، فبيَّن الله تعالى أن لا عِزّة إلا له جلَّت عظمته ولأوليائه، فقال تعالى: ﴿ولله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

---

(١) في الأصل: كنا. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦١٠).

(٢) في الأصل: معدلاً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١ ح١٦٢٣٧).

ومعنى الآية: من كان يبتغي العزة فليطلبها عند الله، فوضع قوله: «فلله العزة» موضعه، استغناء به عنه لدلالته عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عز الدنيا [فليطع][1] العزيز»[2].

ثم إن الله تعالى أعلم عباده أن الذي يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح، فقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

وقرأ ابن مسعود وأبو عبدالرحمن السلمي والنخعي: «الكلامُ الطيبُ»، وبها قرأتُ للشيزري عن الكسائي[3].

والكلم الطيّب: التوحيد والثناء على الله تعالى.

قال علي ابن المديني: «الكلم الطيب»: لا إله إلا الله، «والعمل الصالح»: أداء الفرائض واجتناب المحارم[4].

وفي هاء «يرفعه» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الكلم الطيب، والعمل الصالح هو الرافع. قاله ابن

---

(١) في الأصل: فليطلع. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ٦٠، ٨/ ١٧١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٢)، والديلمي في الفردوس (٥/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر (٢/ ٧١٧) وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي وابن عساكر عن أنس.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٨).

عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير[١].

المعنى: أن هذه الكلمة الطيبة التي هي «لا إلـه إلا الله» لا تـصعد إلى الـسماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المتقبلة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّين﴾ [المطففين:١٨] إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها.

وكان الحسن يقول: يعرض القول على الفعل، فإن وافق القول الفعـل قُبِـلَ، وإن خالفه رُدَّ[٢].

القول الثاني: أنها تعود إلى العمل الصالح، والكلام الطيب هو الرافع؛ لأنه لا يتقبل عملٌ إلا من مُوحّد، كما قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتَّقين﴾ [المائـدة:٢٧] يريد: الذين يتَّقُون الشرك. وهذا عكس القول الأول.

القول الثالث: أنها تعود إلى الله تعالى، على معنى: يرفعه الله تعالى لصاحبه. قاله قتادة والسدي[٣].

ويؤيد القولين الثاني والثالث قراءة من قرأ: «والعملَ الصالِحَ» بالنصب[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢١)، ومجاهد (ص:٥٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٩) وعزاه لآدم بن أبي إياس والبغوي والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقـي في الأسـماء والـصفات عـن مجاهد. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير وعزاه للفريابي. ومن طريق آخر عن الحـسن، وعـزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن المبـارك في الزهـد (١/ ٣٠ ح٩١). وذكـره ابـن الجـوزي في زاد المـسير (٦/ ٤٧٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٩) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٠) عن قتـادة. وذكـره المـاوردي (٤/ ٤٦٤)، والواحـدي في الوسيط (٣/ ٥٠٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٠) وعزاه لابن المبارك عن قتادة.

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٦١).

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ قال الزمخشري[(١)]: إن قلت: «مكر» فعل غير مُتعدّ، لا يقال: مكر فلان عمله، فبم نصب «السيئات»؟

قلتُ: هذه صفة للمصدر، أو لما في حكمه، كقوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر:٤٣] أصله: والذين مكروا المَكْرات السيئات، أو أصْناف المَكْرات السيئات.

يريد الزمخشري بقوله: «أو لما في حكمه»: [ما][(٢)] أضيف إلى المصدر.

قال أبو العالية: هم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة[(٣)].

وقال قتادة: هم الذين يعملون السيئات[(٤)].

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ﴾ الذين مكروا بك ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ﴿هُوَ يَبُورُ﴾ أي: يفسد ويهلك.

وقيل: يكسد ويفسد دون مكر الله حين زين لهم أسباباً استدرجهم بها، فجمع لهم المكرات الثلاث اللاتي راموا كيد رسول الله ﷺ بها، فأخرجهم من مكة، وقتلهم يوم بدر، وأثبت جيف القتلى منهم في القَلِيب، والأسرى في وثاق. اللهم أعذنا من وبال مَكْرِك، وأعِنَّا على ذكرك وشكرك.

قوله تعالى:﴿ثم جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي: أصنافاً.

---

(١) الكشاف (٣/ ٦١٢).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقيل: ذكراناً وإناثاً.

وقال قتادة: زوّج بعضكم بعضاً(١).

قوله تعالى: ﴿إِلا بِعِلْمِهِ﴾ في محل الحال، تقديره: إلا معلومةً له(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أي: ما يعمر من أحد، وسماه معمّراً باعتبار ما يؤول إليه.

﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ قال الفراء(٣): يريد: آخر غير الأول، فكُنّي عنه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

قال الزمخشري(٤): هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بإفهام السامعين، واتكالاً على تسديدهم معناه بعقولهم، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول [والقصر](٥) في عمر واحد. وعليه كلام الناس المستفيض: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق.

قال(٦): [وفيه تأويل](٧) آخر: وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا ينقص إلا في كتاب، وصورته: أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عَمَّر. وإذا أفرد

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢٢). وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٦٢).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٦٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٥) في الأصل: والعرض. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) أي: الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٧) في الأصل: وفي تأيل. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون، فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: «إن الصدقة والصلة يعمران الديار وتزيدان في الأعمار»(١).

وقيل: المعنى: وما يعمر من معمر قدّر الله تعالى مدة أجله إلا كان ما نقص منه في كتاب.

قال سعيد بن جبير: مكتوب في أمّ الكتاب: عُمْر فلان كذا وكذا، ثم يكتب في أسفل من ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة، حتى يأتي على آخر عمره(٢).

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كتابة الآجال. وقيل: التعمير والنقصان ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ تعالى ﴿يَسِيرٌ﴾ هيّن.

وقال الكلبي: المعنى: أن حفظ ذلك بغير كتاب على الله يسير(٣).

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى

---

(١) أخرج نحوه أحمد في المسند (٦/ ١٥٩ ح٢٥٢٩٨) من حديث عائشة، أن النبي ﷺ قال لها: إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩١٨-٩١٩ ح٤٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١-١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦٦).

ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ﴾ يعني: العذب والملح.

ثم ذكرهما منبهاً على المعنى الذي بسببه وقع التفاوت بينهما، فقال تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ... الآية﴾ وقد سبق تفسيرها وتفسير ما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ وهذا على سبيل الفرض والتقدير.

وحاصل ذلك: ما ذكره المفسرون فيه أن المعنى: ولو سمعوا لم يكن عندهم إجابة. ولم يذكر أحد منهم مانع الإجابة ما هو، غير أن صاحب الكشاف[1] قال: ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يدعون ما تدعون من الإلهية، ويتبرؤون منها.

ويحتمل عندي أن يكون المعنى: ولو سمعوا بأن يخلق الله لها سمعاً ما استجابوا لكم؛ لتوقف حصول الإجابة على أسباب؛ منها: القدرة على النفع والدفع. أو يكون التقدير: ولو سمعوا دعاءكم ما أجابوكم، لانتفاء قدرتهم على الكلام، إذ لا يلزم من وجود [السمع][2] وجود النطق، ألا تراه يقول: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: ويوم القيامة إذ أفهمهم وأنطقهم وركَّب فيهم الميز ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي: بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم، وهو قولهم: ﴿ما كُنتم

(١) الكشاف (٣/ ٦١٥).

(٢) زيادة على الأصل.

إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس:٢٨].

﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به. يشير إلى نفسه جلَّت عظمته، وأن ما أخبرهم به من حال الأصنام هو الحق.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلى الله﴾ أي: المحتاجون إليه في رزقه ومغفرته ورحمته.

﴿والله هو الغني﴾ عن عبادتكم ﴿الحَمِيدُ﴾ عنكم بإحسانه إليكم.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي: نفس مثقلة بالذنوب إلى حملها الذي حملته ﴿لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المدعو ذا قرابة.

قال ابن عباس: يقول الأب والأم: يا بني احمل عني، فيقول: حسبي ما عليّ[1].

قال أهل المعاني: لما غضب الله عليهم في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعه

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٣).

الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها فقال: ﴿إنما تُنْذِرُ﴾، كأن رسول الله ﷺ أسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل قوله تعالى: ﴿إنما تُنْذِرُ﴾[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾ يعني: الكافر والمؤمن.

﴿ولا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ﴾ أي: ولا [الضلالات][2] ولا الهدى.

﴿ولا الظل ولا الحَرُور﴾ أي: ولا الحق ولا الباطل.

وقال مجاهد والكلبي: الظل: الجنة، والحرور: النار[3].

وقال الفراء[4]: الحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة، والحرور تكون بالنهار وبالليل، والسموم لا تكون إلا بالنهار.

وقال عطاء: يعني: [الظل بالليل][5]، والسموم بالنهار[6].

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٧).

(٢) في الأصل: الضلات.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤) عن الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٣) عن مجاهد.

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وهو في: الماوردي (٤/ ٤٦٩)، وزاد المسير (٦/ ٤٨٣) عنه.

(٥) في الأصل: ظل الليل. والمثبت من الوسيط (٣/ ٥٠٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٣).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله تعالى للكافرين والمؤمنين، يقول: لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن(١).

ودخول «لا» المقارنة لواو العطف في سياق النفي، يفيد توكيد معنى النفي، فلذلك قال تعالى: ﴿ولا الظلمات ولا النُّور * ولا الظل ولا الحَرُور * وما يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾.

﴿إِنَّ الله يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يريد: أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فهو يضلهم ويهديهم بعلمه فيهم، وأما أنت يا محمد فيخفى عليك أمرهم، ولذلك تحرص على هداية من أضلَّه الله، ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ﴾.

فإن قيل: هلاَّ قيل: «وما أنت بمسمع الموتى»؟

قلتُ: هذا أدخل في المقصود وأوغل في نفي الإسماع؛ لأنه قد انضم إلى كونهم موتى تغييبهم تحت أطباق الثرى، فانتفى الإسماع لانتفاء سببه، وزاده تأكيداً وجود مانعه، بخلاف ميّت موسّد بين أهله، فإنه لقرب العهد بمجاورته والأُنس بمجاورته، يُخَيِّل إلى مخاطبه أن روح الحياة تتردد فيه مع علمه بوجود منافيه. وهذا المعنى من نفائس الخصائص، ومن الجواهر التي لم يظفر بها قبلي غائص.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ قوله: «بالحق» حال من أحد الضميرين.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

يعني: محقاً أو محقين، أو صفة للمصدر، أي: إرسالاً [مصحوباً][1] بالحق[2]، ﴿بشيراً﴾ بالجنة، ﴿ونذيراً﴾ بالنار، ﴿وإن من أمة﴾ أي: وما من أهل عصر ﴿إلا خلا فيها﴾ أي: سَلَفَ فيها ﴿نذير﴾.

وهذا يدل على أنه لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة، فإنه لا يذهب عصرٌ إلا وفيه رسول أو نبي أو رباني يقوم بأعباء النذارة والبشارة، نيابة عن الرسول المبعوث بهما.

فإن قيل: هلاَّ قال: «وإن من أمة إلا خلا فيها بشير ونذير» ليكون عجز الآية مطابقاً لصدرها؟

قلتُ: البشارة والنذارة متلازمان، فذكر أحدهما ذكر لهما.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ
وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

وما بعده مُفسر فيما مضى إلى قوله تعالى: ﴿مختلفاً ألوانها﴾ أي: أجناسها؛ من

---

(١) في الأصل: محصوباً. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦١٧).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٧).

الرمان والتفاح، وغيرهما مما لا يحصر، أو هيئاتها من الحُمْرة والصفْرة والخضْرة ونحوها.

قوله: ﴿ومن الجبال﴾ أي: ومما خلقنا من الجبال ﴿جدد بيض وحمر﴾ قال ابن قتيبة[١] والمبرد: الجُدَد: الخطوط [والطَّرائقُ][٢] تكون في الجبال، فبعضها بِيضٌ وبعضها حُمرٌ وبعضها غرابيب سود.

قال الفراء[٣]: هي في الجبال كالعُروق، بيض وسود وحمر، واحدها: جُدَّة.

قال الفراء[٤]: «وغرابيب سود» على التقديم والتأخير، تقديره: وسود غرابيب؛ لأنه يقال: أسود غِرْبيب، وقلّ ما جاء: غربيب أسود.

قال الزمخشري[٥]: إن قلت: الغربيب تأكيد للأسود، يقال: أسود غربيب، وأسود حُلْكُوك، وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه. ومنه: الغراب، ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد؛ كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يَقَق، وما أشبه ذلك؟

قلتُ: وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر، كقول النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطير ....

ولم يتمم [الزمخشري][٦] البيت وهو:

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٦١).

(٢) في الأصل: والطريق. والتصويب من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٦٩).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وهو في: الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وزاد المسير (٦/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٦١٨-٦١٩).

(٦) في الأصل: الزمخشر.

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسحُها ... رُكْبانُ مكةَ بين الغَيْلِ والسَّنَدِ[(١)]

وهما موضعان، وتقديره: أقسم بالله المؤمن الطير العائذات.

رجعنا إلى كلام الزمخشري؛ قال[(٢)]:

وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً[(٣)]، ولا بد من تقدير [حذف][(٤)] المضاف في قوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾، بمعنى: ومن الجبال ذو جُدد بيض وحمر وسود، حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾.

وقرأ الزهري: «جُدُدٌ بيضٌ» بالضم[(٥)]، جمع جَديدَة، وهي الجدّة. يقال: جديدةٌ وجُدُدٌ وجَدائدُ، كسفينةٌ وسُفُنٌ وسفائن.

وقد فسر بها قول أبي ذؤيب:

.... جَوْنُ السَّراةِ له جدائدُ أربع[(٦)]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوانه (ص:٣٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١١)، والبحر (٧/ ٢٩٧)، والدر المصون (٤/ ٢٥٠، ٤٦٧)، والقرطبي (١٨/ ٤٦)، وروح المعاني (١٣/ ١٨٢، ٢٢/ ١٩٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٦١٩).

(٣) قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٧): وهذا لا يصح إلا على مذهب من يجيز حذف المؤكد. ومن النحويين من منعه، وهو اختيار ابن مالك.

(٤) زيادة من الكشاف (٣/ ٦١٩).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٦٦).

(٦) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي. وصدره: (والدهرُ لا يبقى على حدثانه). انظر: ديوان الهذليين =

هذا آخر كلام الزمخشري.

وقال أبو الفتح ابن جني[١]: قراءة الزهري «جَـدَدٌ» بفتحتـين، ولم يثبته أبـو حاتم ولا قطرب. وعلى أن له معنى وهو الطريق الواضح [المسفر][٢].

وقرئ: «والدواب» بالتخفيف[٣]، ونظيره التخفيف في قراءة من قـرأ: ﴿ولا الضأَلين﴾ [الفاتحة:٧] وعلتهما: الفرار من التقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال ابن عباس: يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني[٤].

وقال ابن عباس: من خشي الله تعالى فهو عالم[٥].

وقال مجاهد: العالم من خاف الله تعالى[٦].

وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم[٧].

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً[٨].

= (١/ ٤)، والمفضليات (ص:٨٥٨)، والأغاني (٦/ ٢٨٨)، والبحر (٧/ ٢٩٦)، والـدر المصون (٥/ ٤٦٦).

(١) المحتسب (٢/ ٢٠٠).

(٢) في الأصل: المسفور. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) وهي قراءة الزهري أيضاً. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٢٩٧)، والدر المصون (٥/ ٤٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٦).

(٧) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٦).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٠) وعزاه لعبد بن حميد.

ويقال: إن فاتحة الزبور: رأس الحكمة خشية الله[1].

وقرأ أبو حنيفة: «إنما يخشى اللهُ» بالرفع «العلماءَ» بالنصب، على معنى: إنما يعظم الله العلماء.

وتروى هذه القراءة عن عمر بن عبدالعزيز[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ أي: يكثرون تلاوته.

وقيل: يتبعون ما فيه فيعملون به.

وقال السدي: هم أصحاب محمد ﷺ[3].

﴿ليوفيهم أجورهم﴾ وهو الثواب الذي قرره لهم في مقابلة تلاوة كتابه.

﴿ويزيدهم من فضله﴾ على النصيب المقدر لهم ...[4].

«ليوفيهم» متعلق بـ«لن تبور»، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٧١).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٩٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٦٨).

قال أبو حيان: ولعل ذلك لا يصح عنهما، وقد رأينا كتباً في الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة، وإنما ذكرها الزمخشري، وذكرها عن أبي حيوة أبو القاسم يوسف بن جبارة في كتابه (الكامل).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٢١)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٨).

(٤) كلمة أو كلمتين غير ظاهرة في الأصل.

ليوفيهم بنفاقها أجورهم.

وقيل: «يرجون» حال من الضمير في «وأنفقوا»[١]، أي: فعلوا جميع ذلك راجين ليوفيهم، وخبر «إنَّ» على القول الأول «يرجون تجارة»، وعلى القول الثاني قوله تعالى: ﴿إنه غفور شكور﴾.

قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ويزيدهم من فضله﴾: يفسح لهم في قبورهم[٢].

وقال أبو وائل: يشفعهم فيمن أحسن إليهم في الدنيا[٣].

وكان مطرف يقول في هذه الآية: [هذه آية][٤] [القراء][٥]، يشير بذلك إلى دلالتها على فضلهم وتنويهها بذكرهم.

قرأتُ على الصاحب أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر رحمه الله بمدينة إرْبل[٦]، ثم قرأت عليه ثانياً وعلى ابن عمه أبي الحزم مهاجر بن أحمد بن مهاجر بالموصل، أخبركم أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي الأصبهاني فأقرّا به، أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد الصباغ[٧]، أخبرنا أبو الفتح علي بن محمد بن

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٦٨).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٢).

(٣) مثل السابق.

(٤) زيادة من المصادر التالية.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٣). وما بين المعكوفين في الأصل: والقراء. والتصويب من الطبري، والدر المنثور.

(٦) إربل: مدينة كبيرة تعد من أعمال الموصل، وبينهما مسيرة يومين (معجم البلدان ١/ ١٣٨).

(٧) عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأصبهاني، أبو طاهر الصباغ، المعروف بالدشتج، من أهل أصبهان. كان شيخاً صالحاً، ولد سنة نيف وعشرين وأربعمائة، وتوفي يوم الاثنين الحادي عشر من =

عبدالصمد، حدثنا محمد بن إبراهيم المقرئ، حدثنا إبراهيم بن جعفر بن خليد المقرئ بمكة، حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن قراد[1]، حدثنا مالك، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله خاصة من الناس، قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن أهل الله وخاصته»[2].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ اختلف العلماء في المراد بالكتاب على قولين:

أحدهما: أنه اسم جنس. فعلى هذا؛ فالمراد بالمصطفين قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء وأتباعهم. قاله الحسن[3].

فيكون التقدير: والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق، ثم كنا أورثنا الكتاب الأنبياء قبلك؛ كقول الشاعر:

=

شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وخمسمائة بأصبهان (التحبير في المعجم الكبير ص:٤٩٧).

(١) محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، ويعرف أبوه بقراد، قال الدارقطني وغيره: كان يضع الحديث، وقال ابن عدي: له عن ثقات الناس بواطيل (لسان الميزان ٥/ ٢٥٥، والكامل لابن عدي ٦/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٨ ح٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧ ح١٢٣٠١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٧).

قُلْ لمنْ سَادَ ثم سَادَ أبوه .... [١]

فعلى هذا؛ يكون المعنى: فمن أممهم ظالم لنفسه... الآية.

الثاني: أنهم أمة محمد ﷺ، على معنى: أورثناهم الإيمان بالكتب كلها.

قال ابن عباس: أورث الله تعالى أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله الله تعالى[٢].

فعلى هذا؛ تقدير الآية: أنزلنا الكتب المتقدمة ثم أورثنا أمة محمد ﷺ الإيمان بها.

ويؤيد هذا القول: أن حقيقة الإرث: [انتقال الشيء][٣] من قوم إلى قوم.

القول الثاني: أن المراد بالكتاب: القرآن.

والمعنى: ثم نقلنا العلم والحكم إلى الذين اصطفينا من عبادنا، وهم أمة محمد ﷺ، وهو قول جمهور المفسرين[٤].

ثم قسمهم فقال تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال الضحاك: هم المنافقون[٥].

وقال السدي: أصحاب المشأمة[٦].

---

(١) صدر بيت لأبي نواس، وعجزه: (ثم قَدْ سَادَ قَبْلَ ذلك جَدُّه)، وهو في مدح العباس بن عبيد الله. انظر البيت في: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٣-١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(٣) في الأصل: الانتقال. والتصويب والزيادة من الماوردي (٤/ ٤٧٢)، وزاد المسير (٦/ ٤٨٨).

(٤) ذكره الطبري (٢٢/ ١٣٤)، والماوردي (٤/ ٤٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٣).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣) بلا نسبة.

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٢)، ومجاهد (ص:٥٣٢) كلهم عن مجاهد. وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣) عن السدي.

وقال مجاهد: الجاحد[١].

فيكون المراد بالاصطفاء على هذه الأقوال: تكريمهم وتشريفهم بإنزال الكتاب عليهم، كما قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف:٤٤] وإن أبوا ذلك ولم يقبلوه.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: «فمنهم ظالم لنفسه»: وهو الذي مات على كبيرة لم يتب منها[٢].

وقال الحسن: «الظالم لنفسه»: الذي ترجَّحَتْ سيئاته على حسناته، و«المقتصد»: الذي استوت حسناته وسيئاته، و«السابق»: من ترجحت حسناته على سيئاته[٣]. وهذا القول أشهر الأقوال في التفسير، وأشبه بالأحاديث والآثار.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له[٤]. ورواه أيضاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٥].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: سابقنا أهل جهادنا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وظالمنا أهل بدونا[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وعزاه للعقيلي وابن لال وابن مردويه والبيهقي.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وعزاه لسعيد بن منصور =

وقال أسامة بن زيد: قال رسول الله ﷺ: «كلهم من هذه الأمة»[(١)].

وقال عقبة بن صهبان: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: كلهم من أهل الجنة، السابق مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة والرزق، والمقتصد من اتبع أثره حتى لحق [به][(٢)]، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا[(٣)].

فَرَضِيَ الله عن أم المؤمنين الصّدّيقة بنت الصّدّيق، كانت تعلم بشهادة الله تعالى لها في قوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ [النور:٢٦] أنها من أهل الجنة، ولكن المؤمن يهضم نفسه، ونظيره قول أبيها: «وُلِّيتُكم ولستُ بخيركم».

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة»[(٤)].

فإن قيل: لم أَخَّرَ السابق ومن حَقِّهِ أن يكون مُقدَّماً على ذكر الظالم؟

قلت: قد ذكر الثعلبي[(٥)] عنه أجوبة:

= وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٦٧ ح٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٤) وعزاه للطبراني والبيهقي في البعث.

(٢) زيادة من الماوردي (٤/ ٤٧٤). وانظر: المصادر التالية.

(٣) أخرجه الطيالسي (١/ ٢٠٩ ح١٤٨٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٢ ح٣٥٩٣)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٦٧ ح٦٠٩٤). وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٤) وعزاه للطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٣ ح٣٢٢٥).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٧).

أحدها: ليكون أقرب إلى الجنات والثواب قبله، وقدَّم الظالم لئلا ييأس من الرحمة، وأَخَّرَ السابق لئلا يعجب بعمله.

وقال جعفر الصادق عليه السلام: بدأ بالظالم إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بصرف كرمه، ثم ثنّى عنه بالمقتصد؛ لأنه بين الخوف والرجاء، ثم خَتَمَ بالسابق لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص(١).

وقال الزمخشري(٢): قدَّم الظالم للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل.

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى توريث الكتاب. وقيل: إلى السبق بالخيرات، ﴿هو الفضل الكبير﴾.

جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾

قال الزمخشري(٣): إن قلت: فكيف جعلت «جناتُ عدن» بدلاً من «الفضل الكبير»، الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك؟

قلتُ: لما كان السبب في نيل الثواب، نزل منزلة المسبب، كأنه هو الثواب،

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ٣٤٩-٣٥٠)، والبغوي (٣/ ٥٧٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٦٢٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٢٢-٦٢٣).

فأبدلت عنه جنات عدن، وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر.

وقرئ: «جنة عدن» على الإفراد[1]، كأنها جنة مخصوصة بالسابقين. و«جناتَ عدنٍ» بالنصب[2] على إضمار فعل يفسره الظاهر، أي: يدخلون جنات عدن يدخلونها. هذا آخر كلام الزمخشري.

وقال مقاتل[3]: يعني: الأصناف الثلاثة.

وقرأ أبو عمرو: «يُدْخَلُونَهَا» بضم الياء وفتح الخاء؛ لأن الله تعالى هو الذي يُدخلهم. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء[4]؛ لأنهم إذا أدخلهم الله دخلوها.

والآية مفسرة في سورة الحج[5].

ولما استقرت بهم الدار وتخلصوا من تلك الشدائد قالوا: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [قال][6] ابن عباس: هو خوف النار[7].

---

(١) وهي قراءة زر بن حبيش والزهري. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٢٩٩)، والدر المصون (٥/ ٤٦٩).

(٢) وهي قراءة الجحدري. انظر هذه القراءة في المصدرين السابقين.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٧٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٢-٥٩٣)، والكشف (٢/ ٢١١)، والنشر (٢/ ٣٥٢)، والإتحاف (ص:٣٦٢).

(٥) عند الآية رقم: ٢٣.

(٦) في الأصل: وقال.

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٣)، والحاكم (٢/ ٤٦٣ ح٣٥٩٥) كلهم بلفظ: حزن النار. وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

وقال قتادة: هموم الدنيا وتعبها[١].

وقال سعيد بن جبير: هَمّ الخبز في الدنيا[٢].

وقال الزجاج[٣]: أذهب الله تعالى عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد.

﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ غفر سيئاتهم وشكر حسناتهم.

﴿الذي أَحَلَّنَا دار المقامة من فضله﴾ قال مقاتل[٤]: أنزلنا دار الخلود فأقاموا فيها أبداً لا يحزنون ولا يتحولون عنها أبداً.

﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ قال قتادة: وَجَع[٥].

وقال غيره: تَعَب.

﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ وهو الإعياء من التعب.

قال الزمخشري[٦]: النَّصَب: نفس المشقة والكلفة. واللُّغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٩) بمعناه. وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٢) ثم قال: ومن القبيح تخصيص هذا الحزن بالخبز وما يشبهه، وإنما حزنوا على ذنوبهم وما يوجبه الخوف.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٧٠).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٦) الكشاف (٣/ ٦٢٤).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فيموتوا﴾ جواب النفي، ونصبه بإضمار «أَنْ».

وقرىء: «فيموتون» عطف على «يُقْضَى»[1]، وإدخالاً له في حكم النفي.

قوله تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يَفتعلون من الصراخ، وهو الاستغاثة بجهدٍ وشدة.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قال عطاء وقتادة ووهب: يريد: ثماني عشرة سنة[2].

وقال الحسن: أربعين سنة[3].

أنبأنا أبو اليمن زيد بن حسن الكندي وغيره قالوا: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو محمد بن علي المقرئ، أخبرنا أحمد بن محمد بن

---

(١) وهي قراءة الحسن وعيسى. انظر هذه القراءة في البحر (٧/ ٣٠١)، والدر المصون (٥/ ٤٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥). وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٦) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣١-٣٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم. وهو اختيار ابن جرير؛ قال: لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين (انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٢).

الصلت، حدثنا أحمد بن جعفر المنادي، حدثنا حامد بن محمد[١]، حدثنا سريج بن يونس[٢]، حدثنا علي بن ثابت، عن عمرو بن شهر، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن شهر، عن عبادة بن الصامت قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله عز وجل أمر الحافظين فقال لهما: ارفقا بعبدي في حداثته، حتى إذا بلغ الأربعين [فاحفظا][٣] وحققا»[٤].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد عن مسروق قال: «إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله»[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: لقد تمت حجة الله على من بلغ أربعين سنة فمات لها[٦].

وقال ابن عباس في رواية مجاهد: ستين سنة، قال: وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم[٧].

---

(١) حامد بن محمد بن شعيب بن زهير، أبو العباس البلخي المؤدب، ثقة صدوق، سكن بغداد، ومات يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٨/ ١٦٩).

(٢) سريج بن يونس بن إبراهيم، أبو الحارث المروروذي، ثقة، سكن بغداد، ومات في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين (تاريخ بغداد ٩/ ٢١٩).

(٣) في الأصل: فاحفضا. والتصويب من الحدائق (٣/ ١٦٩)، والدر (٧/ ٤٤٢).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الحدائق (٣/ ١٦٨-١٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٢) وعزاه لابن الجوزي في كتاب الحدائق بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٢٠).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣٤-٣٣٥).

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤١).

أخبرنا الشيخان أبو القاسم [بن][1] عبدالله بن عبدالصمد، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالله البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبدالسلام بن مطهر[2] قال: حدثنا [عمر بن علي][3]، عن [معن][4] بن محمد الغفاري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى من أخر أجله حتى بلغه ستين سنة»[5]. انفرد بإخراجه البخاري.

وقال وهب بن منبه: قرأتُ في بعض الكتب: أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح: يا أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ما قدّمتم وماذا أخّرتم، أبناء الستين لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا، وإذ خلقوا علموا لماذا خلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم[6].

---

(١) زيادة على الأصل. وانظر ترجمته في: التقييد (١/ ١٤٦)، والسير (٢٢/ ٨٤).

(٢) عبد السلام بن مطهر بن حسام الأزدي، أبو ظفر البصري، صدوق، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨٩، والتقريب ص:٣٥٥).

(٣) في الأصل: علي بن عمر. وهو خطأ. انظر ترجمته في: التهذيب (٧/ ٤٢٧)، وتهذيب الكمال (٢١/ ٤٧٠-٤٧٣).

(٤) في الأصل: محمد. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: التقريب (ص:٥٤٢)، وتهذيب الكمال (٢٨/ ٣٤١).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٠ ح٦٠٥٦).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٥٧)، وأبو الفرج بن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٥٢) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

قوله تعالى: ﴿وجاءكم النذير﴾ قال جمهور المفسرين: هو النبي ﷺ[(١)]. ويؤيده قراءة من قرأ: «جاءتكم النُّذُر».

وقيل: الحمى. وقيل: موت الأهل والأقارب[(٢)].

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الأمراض والأوجاع كلها بريد ملك الموت ورسل الموت، فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: يا أيها العبد! كم خبر بعد خبر، وكم رسول بعد رسول، وكم بريد بعد بريد، أنا الخبر ليس بعدي خبر، وأنا الرسول ليس بعدي رسول، أجب ربك طائعاً أو مكرهاً، فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال: على من يصرخون؟ وعلى من يبكون؟ فوالله ما ظلمتُ له أجلاً، ولا أكلتُ له رزقاً، بل دعاهُ ربّه، فليبْكِ الباكي على نفسه، فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً»[(٣)].

وقال ابن [عمر][(٤)] وعكرمة وسفيان بن عيينة: النّذير: الشّيب[(٥)].

المعنى: أو لم نعمركم حتى شبتم.

أخبرنا عبد العزيز بن منينا، أخبرنا أبو بكر بن عبدالباقي الأنصاري، أخبرنا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي. ومن طريق آخر عن ابن زيد وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكر هذين القولين: الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٧٦).

(٣) لم يسنده المصنف، وروي نحوه في الجامع الصغير (٢/ ٨٥٤) وهو حديث ضعيف.

(٤) زيادة من زاد المسير (٦/ ٤٩٤).

(٥) أخرجه البيهقي في سننه (٣/ ٣٧٠ ح٦٣١٣) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥) عن عكرمة. وذكره الطبري (٢٢/ ١٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢) وعزاه لابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة.

الخطيب أبو بكر بن ثابت، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد النيسابوري، أخبرنا محمد بن عبدالله بن شاذان الرازي قال: سمعت أبا عبدالله القرشي يقول: كان لي جار شاب وكان أديباً، وكان يهوى غلاماً أديباً، فنظر يوماً إلى طاقات شعر بيض في عارضيه، فوقع له شيء من الحق، فهجر الغلام وقلاه، فلما نظر الغلام إلى هجره كتب إليه:

ما لي جُفيتُ وكنتُ لا أُجْفَى ... ودلائلُ الهجران ما تَخفى

وأراكَ تشربُني وتمزُجُني ... ولقد عهدتُك شاربي صَرْفا

قال: فقلبت الرقعة على ظهرها وكتبت:

التَّصابي مع الشَّمط ... سمتني خطةً شَطَط

لا تلمني على جَفَايَ ... فحسبي بها فرط

أنا رهن بما جنيتُ ... فذرني من الغَلَط

قد رأينا أبا الخلائق ... في زلَّةٍ هَبَط(1)

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ الخلائف: جمع خليفة، والخليفة والخليف: المستخْلَف، وهو التالي للمتقدم،

---

(1) ذكره ابن الجوزي في كتاب ذم الهوى (ص:٢٦٩).

ولذلك قيل لأبي بكر: خليفة الله، فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ.

قال بعض السلف: إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى لا يغيب ولا يموت(١).

والمعنى: أنه جعلكم خلفاء في الأرض وسلَّطكم على ما فيها وملّككم مقاليد التصرف لتوحدوه وتعبدوه.

﴿فمن كفر﴾ منكم أو غمط هذه النعمة ﴿فعليه كفره﴾ أي: وبال كفره.

فعلى هذا: الخطاب لعموم بني آدم.

وقيل: الخطاب للذين بعث إليهم محمد ﷺ.

أي: خلقكم خلائف خلفتم من قبلكم من الأمم، ورأيتم وسمعتم آثار غضبي عليهم حين كفروا بوحدانيتي وعصوا رسلي.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَرُوني﴾ بدل من «أرأيتم»(٢)؛ لأن معنى أرأيتم: أخبروني عن

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٧).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٢٦). وردّه أبو حيان في البحر (٧/ ٣٠٢) فقال: لا يصح؛

هؤلاء الشركاء أروني ما خلقوا من الأرض دوني.

﴿أم لهم شرك﴾ أي: شركة ﴿في﴾ خلق ﴿السماوات أم آتيناهم كتاباً﴾ فجاؤكم به من عندي ينطق بأنهم شركائي.

وجمهور المفسرين على أنّ الضمير في «آتيناهم» للمشركين؛ كقوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ [الروم:٣٥].

قال مقاتل[١]: المعنى: هل أعطينا أهل مكة ﴿فهم على بينة منه﴾ [بأن مع الله عز وجل شريكاً من الملائكة][٢].

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم والكسائي: «بيناتٍ» على الجمع[٣].

ثم استأنف فقال: ﴿بلْ إنْ يَعِدُ الظالمون بعضهم﴾ وهم الرؤساء ﴿بعضاً﴾ وهم الأتباع ﴿إلا غروراً﴾ وهو قولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس:١٨].

قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ قال الزمخشري[٤]: أي: كراهة أن تَزُولا، أو يكون المعنى: يمنعهما أن تزولا؛ لأن الإمساك منع.

﴿ولئن زالتا﴾ وقرئ: «ولو زالتا». و﴿إن أمسكهما﴾ جواب القسم في «ولئن زالتا» سدّ مسد الجوابين[٥]، و«من» الأولى مزيدة لتأكيد النفي، والثانية للابتداء.

= لأنه إذا أبدل مما دخل عليه الاستفهام فلا بد من دخول الأداة على البدل.

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٩).

(٢) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠١-٣٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٤)، والكشف (٢/ ٢١١)، والنشر (٢/ ٣٥٢)، والإتحاف (ص:٣٦٢)، والسبعة (ص:٥٣٥).

(٤) الكشاف (٣/ ٦٢٦).

(٥) قوله: «سَدَّ مَسَدَّ الجوابين»، أي: أنه دلَّ على جواب الشرط المحذوف. =

و﴿من بعده﴾ من بعد إمساكه.

﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ غير معاجل بالعقوبة، حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً، لعظم كلمة الشرك، كما قال الله تعالى: ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض﴾ [مريم:٩٠].

وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

=

قال أبو حيان في البحر (٧/ ٣٠٣): وكلامه إن أُخذ كلامه على ظاهره لم يصح؛ لأنه لو سَدّ مسدّهما لكان له موضع من الإعراب باعتبار جواب الشرط، ولا موضع له من الإعراب باعتبار جواب القسم. والشيء الواحد لا يكون معمولاً غير معمول.

قلت: قصد أبو حيان أن جملة «إن أمسكهما» إن جعلت سادّة مسدّ الجوابين كانت معمولة، إن هي في محل جزم باعتبارها جواب الشرط، وغير معمولة لأنه لا محل لها باعتبارها جواب القسم. وانظر في سد الجملة مسدّ جوابي الشرط والقسم: الأشموني (٤/ ٢٩).

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله﴾ يعني: كفار مكة حلفوا بالله قبل أن يرسل الله تعالى محمداً ﷺ حين سمعوا ما قوبل به أهل الكتاب من اللعنة والعذاب، ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ يعني: اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿فلما جاءهم نذير﴾ وهو محمد ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ عن الهدي.

وهذا من الإسناد المجازي؛ لأنه كان السبب في أن زادوا أنفسهم نفوراً.

﴿استكباراً في الأرض﴾ مصدر، أو بدل من «نُفُوراً»، أو مفعول له، أو حال بمعنى: مستكبرين وماكرين[(١)].

قيل: «ومَكْرَ السيء» معطوف على «نُفُوراً»[(٢)]، ومكر السيء سبق القول عليه.

وقيل: هو من باب إضافة الاسم إلى صفته؛ كقوله تعالى: ﴿والدار الآخرة﴾ [الأعراف:١٦٩]، ﴿لحق اليقين﴾ [الحاقة:٥١].

قرأ حمزة: «السَّيءْ» بسكون الهمزة، وقلبها في الوقف ياء[(٣)].

قال أبو علي[(٤)]: هو على إجراء الوصل مجرى الوقف، ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين، كما خففوا الباء من «إبل» لتوالي الكسرتين.

﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك[(٥)].

---

(١) انظر: البحر (٧/ ٣٠٥)، والدر المصون (٥/ ٤٧٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٤)، والكشف (٢/ ٢١٢)، والنشر (٢/ ٣٥٢)، والإتحاف (ص:٣٦٢)، والسبعة (ص:٥٣٥-٥٣٦).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٨).

=

﴿فهل ينظرون إلا سُنّة الأولين﴾ أي: فهل ينتظرون إلا نزول العذاب بهم كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم. وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم.

ثم أخبر أن ذلك كائن لا محالة فقال تعالى: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ قال ابن جرير[١]: بصير بمن يستحق العقوبة منهم ومن يستحق الكرامة[٢].

=

فائدة: قال أبو حيان في البحر (٧/ ٣٠٥): قال أبو عبد الله الرازي: فإن قلت: كثيراً نرى الماكر يفيده مكره ويغلب خصمه بالمكر، والآية تدل على عدم ذلك؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن المكر في الآية هو المكر بالرسول، من العزم على القتل والإخراج، ولا يحيق إلا بهم حيث قتلوا ببدر.

وثانيها: أنه عام؛ وهو الأصح، فإنه عليه السلام نهى عن المكر وقال: «لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً، فإنه تعالى يقول: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾، فعلى هذا يكون ذلك الممكور به أهلاً فلا يرد نقضاً.

وثالثها: أن الأمور بعواقبها، ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر، ففي الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك. انتهى.

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ١٤٨).

(٢) في الأصل: آخر الجزء الثالث. يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع من أول سورة يس إلى آخر القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

سورة يس

وهي اثنان وثمانون آية في المدني، وثلاث في الكوفي.

وهي مكية في قول..[1] وعامة المفسرين. وقيل: مدنية وليس بصحيح. واستثنى .. وهي قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ .. واستثنى ابن عباس آية أخرى لم أرها في التفاسير، وهي قوله تعالى: ﴿إنا نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فإنها مدنية .. إن شاء الله تعالى.

أخبرنا أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر البناني، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبد الرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبد الكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن [بن][2] حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر أحمد الكسار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا عبدالله بن أحمد [بن][3] عبدان، حدثنا زيد بن الحريش[4]، حدثنا الأغلب بن تميم[5]، عن أيوب ويونس

---

(١) تعرضت اللوحة الأولى والثانية من المخطوط لرطوبة مما تسبب عنه تآكل أطراف اللوحتين، وقد وضعنا نقطتين اثنتين مكان التآكل.

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) زيادة من عمل اليوم والليلة (ص:٣١٨).

(٤) زيد بن الحريش الأهوازي، يروى عن عمران بن عيينة، ثنا عنه عبد الله بن أحمد بن موسى القاضي عبدان، ربما أخطأ (الثقات ٨/ ٢٥١).

(٥) أغلب بن تميم بن النعمان سنان، أبو حفص. حدّث عن سليمان التيمي، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء (لسان الميزان ١/ ٤٦٤).

وهشام، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر الله له»[(١)].

وأخرج الإمام أحمد في المسند من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله عز وجل والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم»[(٢)].

وقال يحيى بن أبي كثير: .. من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرج الله حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرج [الله][(٣)] حتى يصبح.

وقد حدثني من جربها ..

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

قال الله تعالى: ﴿يس﴾ اختلف القُرّاء فيها؛ فقرأ السبعة والأكثرون «يس» على الوقف.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٢١ ح٣٥٠٩)، والصغير (١/ ٢٥٥ ح٤١٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦).

(٣) زيادة على الأصل.

وقرأ أبو المتوكل وأبو رجاء: بفتح النون(١).

وقرأ الحسن وأبو الجوزاء وأبو السَّمَّال: بكسر النون(٢).

وقرأ ابن عباس بالرفع وقال: هي بلغة طيء: يا إنسان(٣).

وقد ذكرنا وجه قراءة ..

وأما الفتح فإما أن يكون كأين وكيف، أو يكون مفعولاً على معنى: اتْلُ ياسين.

وأما الرفع فعلى معنى: هذه ياسينُ .. الكسر والتقاء الساكنين.

واختلف القراء .. وابن كثير .. على النون.

واختلف المفسرون .. أقوال:

أحدها: يا إنسان. قاله ابن عباس(٤) .. أن يكون .. اقتصروا على ..

الثاني: أنه اسم من أسماء الله أقسم الله تعالى به. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٥).

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن. قاله قتادة(٦).

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٧٤).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (٣٦٣). وانظر: زاد المسير (٧/ ٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٨). وذكره الماوردي (٥/ ٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٨). وذكره الماوردي (٥/ ٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤).

الرابع: أنه اسم من أسماء النبي ﷺ. قاله محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير[(١)].

وأنشدوا للسيد الحميري:

يا نفسُ لا تَمْحَضِي بالنصح مُجتهداً ... على المودَّة إلا آل ياسينا[(٢)]

ثم أقسم بالقرآن الحكيم .. فقال تعالى: ﴿والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين﴾ وهذا تكذيب لهم في قولهم: .. ﴿على صراط مستقيم﴾ خبر بعد خبر، أو صلة «للمرسلين»[(٣)].

قوله: ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ قرأ .. وأهل الكوفة: «تنزيل»، والباقون بالرفع[(٤)].

فمن فتح فعلى معنى ..، ومن رفع فعلى: هذا تنزيل.

وقرئ شاذاً: .. بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿لتنذر﴾ .. إنك لمن المرسلين، ﴿قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ .. في قول .. العلماء ويؤيده قوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾، وقوله: ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ فيكون وصفاً أي: .. فهم غافلون لعدم إنذارهم.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٥) من قول محمد بن الحنفية، والسيوطي في الدر (٧/ ٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن محمد بن الحنفية.

(٢) البيت للسيد الحميري. وهو في: البحر (٧/ ٣١٠)، والقرطبي (١٥/ ٤)، وروح المعاني (٢٢/ ٢١١).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٥-٥٩٦)، والكشف (٢/ ٢١٤)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٣)، والسبعة (ص:٥٣٩).

وقيل: .. مثل إنذار آباءهم. وقيل: موصولة منصوبة ..

قال السدي: وجب العذاب[١].

وقال الضحاك: سبق القول بكفرهم[٢].

﴿على أكثرهم﴾ .. عن إرادة الله تعالى ..

إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾
وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا
يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا
تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ
كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ
شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿في أعناقهم﴾ .. وإنما حصل تصميمهم على .. نسيانهم عن الإنفاق من .. ﴿فهي إلى الأذقان﴾ ..

والإنفاق عليها. قاله الفراء والزجاج.

قال .. يؤيد والله أعلم أن الأيدي غلت إلى الأعناق .. لوجود الأذقان .. الزمخشري أن يكون، فهي كناية عن الأيدي محتجاً .. ابن عباس: «إنا جعلنا في

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٦) عن السدي، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥) كلاهما بلا نسبة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٨). وذكره الماوردي (٥/ ٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

أيديهم».

وقراءة ابن مسعود: «في أيمانهم» وقال: فهي يعني الأغلال والله إلى الأذقان .. إليها .. مقمحون.

قال الفراء والزجاج[(١)]: المُقْمَح: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. يقال: أقْمَحَ البعير رأسه وقَمَحَ؛ إذا رفعه ولم يشرب الماء[(٢)]، وأنشدوا لشاعر يذكر سفينة كانوا فيها:

ونحنُ على جوانبها قُعودٌ نغُضُّ الطَّرْف كالإبل القِمَاح[(٣)]

قال الأزهري[(٤)]: أراد الله تعالى أن أيديهم لما غُلَّتْ عند أعناقهم رَفَعَتِ الأغلالُ أذقانهم ورؤوسهم صُعُداً، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إياها.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: «سَدّاً» بفتح السين في الحرفين، وضمَّها الباقون[(٥)]. وقد أشرنا إلى الفرق بينهما في الكهف[(٦)].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٧٣)، والزجاج (٤/ ٢٧٩).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (قمح).

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي. انظر: ديوانه (ص:٤٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣١١)، واللسان، مادة: (قمح)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٧)، وتهذيب اللغة (٤/ ٨١)، والدر المصون (٥/ ٤٧٦)، وزاد المسير (٧/ ٤٤)، وروح المعاني (٢٢/ ٢١٤).

(٤) تهذيب اللغة (٤/ ٨٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٦)، والكشف (٢/ ٢١٤)، والنشر (٢/ ٣١٥)، والإتحاف (ص:٢٩٥)، والسبعة (ص:٥٣٩).

(٦) آية رقم: ٩٤.

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: منعناهم بموانع سَدَّتْ عليهم مسالك الهدى.

الثاني: سددنا عليهم طريق الوصول إلى الرسول حين مكروا به وأجمعوا على قتله ﷺ. وهذا معنى قول السدي[١].

﴿فأغشيناهم﴾ أي: أغشينا بصائرهم بالأكنّة الصادرة لها من النظر إلى الهدى. وهذا على الوجه الأول.

وقال السدي: فأغشينا أبصارهم بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبي ﷺ[٢].

يشير إلى أنهم أرادوا اغتياله ليلاً فحالت الظلمة بينهم وبينه.

وقرأ ابن عباس وعكرمة وقتادة والحسن وسعيد بن جبير: «فأعشيناهم» بالعين المهملة[٣]، من عَشِيَ يَعْشَى؛ إذا ضَعُفَ بصرُه[٤].

والآية .. هذه إخبار بأن الإنذار وعدمه سيان بالنسبة إليهم حيث أغشيت أبصارهم وشدت عليهم .. الإيمان.

وقد ثبت بطرق صحيحة[٥]: أن عمر بن عبد العزيز دعا غيلان القدري فقال: يا غيلان! بلغني أنك تتكلم في القدر؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنهم يكذبون عليّ، فقال: يا غيلان، اقرأ أول سورة يس، فقرأ: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله تعالى:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٩). وذكره الماوردي (٥/ ٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) مثل السابق.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٣). وانظر: زاد المسير (٧/ ٨).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (عشا).

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٢٢).

﴿وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فقال غيلان: والله يا أمير المؤمنين لكأني ما قرأتها قط قبل اليوم، أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أقول في القدر، فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن كان صادقاً فتُب عليه وثبِّتْه، وإن كان كاذباً [فسلّط عليه من][1] لا يرحمه واجعله آية [للمؤمنين. قال: فأخذه][2] هشام فقطع يديه ورجليه.

قال ابن عون: أنا رأيته مصلوباً على باب دمشق.

فإن قيل: .. الزهري وابن محيصن: أنذرتهم .. ينبغي أن .. الاستفهام آية .. الكميت:

طربْتُ وما شَوقاً إلى البيض أطْرَبُ ولا لَعِباً مني وذو الشيْب يلعبُ[3]

معناه: أو ذو الشيب يلعب.

ويدل على .. الخبر لقال: أو لم تنذرهم.

فإن قيل: أم هذا .. وكقولهم .. قيل: إن قدرت ذلك نفي ذلك.

قوله تعالى: ﴿سواء عليهم﴾ .. لا ثاني له .. خبر سواء اثنان فقد علمته بهذا أن قول .. مجاهد على الخبر لا وجه له.

قال الزجاج[4]: إن من أضله الله تعالى هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار.

---

(١) غير ظاهر في الأصل. والمثبت من تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٢).

(٢) غير ظاهر في الأصل. والمثبت من تفسير الثعلبي، الموضع السابق.

(٣) البيت لكميت، وهو في: الخصائص لابن جني (٢/ ٢٨١)، ومغني اللبيب (ص:٢٠)، والأغاني (١٧/ ٣٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٠).

إنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ يعني: القرآن، ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ خاف الله تعالى في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ أي: نحييهم بالإيمان بعد الكفر. قاله الضحاك[1].

وقال غيره: .. جهنم للجنة.

﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ ما عملوا من خير أو شر.

و«آثارهم» قال سعيد بن جبير: ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها من بعدهم[2].

وقال مجاهد: «آثارهم»: خطاهم إلى المساجد[3].

أخرج الإمام أحمد في الزهد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كانت الأنصار منازلهم بعيدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا فيكونوا قريباً من المسجد، فنزلت ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فقالوا: لا بل نثبت في مكاننا»[4].

.. أن هذه الآية مدنية.

وفي أفراد مسلم من حديث جابر قال: «خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: إنه بلغني

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٣-١٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٠). وذكره الماوردي (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٥٨ ح٧٨٥).

أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»[١].

وفي رواية أخرى: «إن لكم بكل خطوة درجة»[٢].

قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه﴾ .. بيَّناه وحفظناه ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ
ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا
يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا
تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟
طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا
ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا
يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ
شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ
فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٢ ح٦٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٦١ ح٦٦٤).

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾، قال الزجاج[١]: «مَثَلاً» مفعول به[٢]، ومعنى قول الناس: عندي من هذا الضَّرْب شيء كثير، أي: من هذا المثال، وتقول: هذه الأشياء على ضَرْب واحد، أي: على مثال واحد، فمعنى اضْرِبْ لهم مثلاً: مَثِّل لهم مَثَلاً.

والقرية: أنطاكية، وأصحابها: أهلها الثَّاوونَ بها.

و «إذ» بدل من «أصحاب القرية»[٣].

و«المرسلون» رُسُل عيسى عليه السلام، في قول قتادة وابن جريج[٤].

وقال كعب ووهب: هم رسل الله تعالى[٥]، وهو ظاهر القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾.

قال ابن عباس: اسمهما: صادق وصدوق[٦].

وقيل: شمعون ويوحنا[٧].

---

(١) معاني القرآن الزجاج (٤/ ٢٨١).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٢)، والدر المصون (١/ ١٦٣).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١١١)، والدر المصون (٤/ ٤٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩١) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٩) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٦) وفيه: صادق ومصدوق. وذكره الماوردي (٥/ ١٠).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢) عن شعيب الجبائي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن شعيب الجبائي.

قال ابن عباس: فضربوهما وسحبوهما(١).

﴿فعزَّزْنا بثالث﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «فَعَزَزْنا» بالتخفيف(٢)، أي: فقوَّيْنا [وشددنا](٣) الرسالة برسول ثالث.

قال ابن عباس: واسمه: [شلوم](٤).

وقال غيره: يونس(٥).

وقيل: شمعون الصفا(٦).

وكان ملك أنطاكية أحد الفراعنة، وكان يعبد الأصنام، فبعث عيسى ﷺ إليهم بإذن الله عز وجل رجلين من الحواريين، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنماً له، وهو حبيب بن إسرائيل النجار صاحب يس، فسلَّما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: معكما آية؟ فقالا: نعم، نشفي المرضى ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نطلع حاله، فأتى

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١١) وفيه: فضربوهما وسجنوهما.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٧)، والكشف (٢/ ٢١٤)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٣)، والسبعة (ص:٥٣٩).

(٣) في الأصل: وشدنا.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٦) وفيه: سلوم. وذكره الماوردي (٥/ ١٠). وما بين المعكوفين في الأصل: شلوه. والتصويب من الماوردي.

(٥) هو قول شعيب الجبائي. ذكره الماوردي (٥/ ١٠).

(٦) ذكره القرطبي (١٥/ ١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١١) عن مقاتل، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠).

بهما إلى منزله، فمسحا ابنه فقام في الوقت صحيحاً بإذن الله تعالى، وفشى خبرهما في المدينة، فشفى الله تعالى بهما خلقاً كثيراً من المرضى، وآمن حبيب وجعل يعبد ربه متخفياً في غار، فدعا بهما الملك وسمع كلامهما، وأفضى الحال إلى أن ضُربا وحُبسا وكُذِّبا، فبعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفا لينصرهما، فدخل البلدة متلطفاً[1] حتى دخل على الملك، فلما أنس به قال له: أيها الملك! بلغني أنك حبست رجلين وضربتهما حين دعوك إلى دينهما، فإن رأى الملك أن يتطلع ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون -يقصد استرواح الملك بألطف الطرق-: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صِفَاهُ لي وأوجزا. قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال: وما آيتكما؟ فقالا: ما يتمنّاه، فأمر الملك بغلام مطموس العينين فأحضر، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاها في حدقتيه، فصارتا مُقلتين يُبصر فيهما، فعجب الملك، فقال شمعون -رأس الحواريين- للملك: سَلْ إلهك أن يصنع مثل هذا فيكون لك البشرى والملك، فقال له الملك: ليس لي عندك سراً، إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل على الصنم مع الملك فيصلي كثيراً ويبكي ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملّتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به، فقالا: إن إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن هاهنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابن دُهْقَان[2]، وقد أخَّرْتُ دفنه حتى يقدم أبوه، وكان غائباً، فجاؤوا بالميت وقد تغير، فجعلا يدعوان ربهما،

---

(١) أي: متخفياً ومتنكراً.

(٢) الدُّهْقَان: التاجر، فارسي معرّب.

وجعل شمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت فقال: اللهم إني قد متّ منذ سبعة أيام، فوجدت مشركاً، وأدخلت في سبعة أودية من نار، وأنا أُحذِّرُكم مما أنتم فيه فآمنوا، ثم قال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، وأشار إلى شمعون وصاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون الصفا أن [قوله][(١)] قد أثَّر في قلب الملك أخبره بالحال، فآمن قوم فيهم الملك وكَفَرَ آخرون[(٢)].

وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كَفَرَ الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم، فذكَّرَهم ودعاهم إلى طاعة المرسلين، فقالوا له: وأنت تخالف ديننا ومؤمن بإله هؤلاء، فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ إلى قوله: ﴿فاسمعون﴾، فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه[(٣)].

قال عبدالله بن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرجت قُصبه[(٤)] من دبره[(٥)].

وقال السدي: رمُوه بالحجارة حتى قطعوه[(٦)].

وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة، وقبره بسوق أنطاكية[(٧)]، فأوجب الله تعالى له الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿قيل ادخل الجنة﴾.

---

(١) زيادة من البغوي (٤/ ٨).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٧-٩).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٩، ١٠). وأخرج الطرف الأخير منه: الطبري (٢٢/ ١٦١).

(٤) القُصب: المِعَى. وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء (اللسان، مادة: قصب).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٦١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٣).

(٧) ذكره القرطبي (١٥/ ١٩)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٣١٦)، ولفظهم: حرقوه حرقاً، وعلقوه في

وجميع ما أسقطت تفسيره هاهنا إما لظهوره، أو لكونه سابقاً. وفي غضون ذلك مواضع أذكرها سؤالاً وجواباً، وهي:

إن قيل: ما معنى قولهم: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾، وهل يقوم بذلك حجة عليهم؟

قلتُ: لم يصدر ذلك من الرسول ابتداء، وإنما قالوه بعد إظهار العجز..[1] هذا العنت منهم، فهو كلام خارج مخرج الالتجاء إلى الله تعالى والتفويض إليه، وشواهده كثيرة في القرآن، وقرأت منه قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ [العنكبوت:٥٢]، أو هو في معنى التوكيد والتحقيق.

فإن قيل: ما معنى: ﴿طائركم معكم﴾؟

قلتُ: الطائر أنهم كانوا أصيبوا ببلاء فتطيروا بهم، كما تطيروا بموسى عليه السلام فقالوا لهم: ﴿طائركم معكم﴾ أي: شُؤمكم معكم، وهو الكفر، فمنه أُتيتم وبسببه ابتليتم.

قرأ أبو جعفر: «أَأَن ذكرتم» بفتح الهمزة الثانية وتليينها مع الفصل بألف، «ذُكِرْتُم» بالتخفيف، على معنى: من أجل أن ذكرتم، أو لأن ذكرتم تشاءمتم، وقرأ الباقون على أصولهم المعروفة. وقرأ ابن كثير بهمزة واحدة مفتوحة بعدها ياء، ومثله أبو عمرو إلا أنه كان يَمُدّ[2].

= باب المدينة، وقبره في سور أنطاكية.

(١) ثلاث كلمات غير مقروءة في الأصل.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٦)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٤)، والسبعة (ص:٥٤٠).

قال أبو علي[1]: هي «إِنْ» التي للجزاء، إذ دخلت عليها ألف الاستفهام، فكأنهم قالوا: أئن ذُكِّرتم تشاءمتم! فحذف الجواب لتقدم ما يدلُّ عليه.

وقرئ: «أَنْ ذُكِّرْتُمْ» بفتح الهمزة من غير استفهام على الخبر[2].

فإن قيل: ما وجوه قراءة [أبي][3] جعفر: «ذُكِرْتُم» بالتخفيف؟

قلتُ: معناه: طائركم معكم لئن ذكرتم وروسلتم فلم تؤمنوا.

وقرئ: «أَيْنَ ذُكِرْتُم»، أي: حيث جرى ذكركم[4].

فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ وكان وجه الكلام أن يقول: «وما لكم لا تعبدونَ»؛ لأن مقصوده هم، بدليل قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾؟

قلتُ: هذا أدخلُ في النصح وألطفُ في معنى المدارات، حيث لم يُرِدْ لهم إلا ما أراد لنفسه.

فإن قيل: ما وجه قراءة حمزة: «وما لِيْ لا أعبد» بإسكان الياء، وقراءة الباقين بالفتح؟

قلتُ: اعلم أن الأصل في ياء المتكلم إذا انكسر ما قبلها: الحركة؛ لأنها بإزاء كاف المخاطب، فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء.

فإن قيل: الحركة في حروف اللين مكروهة؟

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٦).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣١٤)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٧٨).
وهي قراءة قرأ بها الماجشون، وهو يوسف بن يعقوب.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣١٤)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٧٨).
وهي قراءة أبي جعفر والحسن وقتادة والأعمش والهمذاني.

قلتُ: الفتحة لا تُكره؛ لخفتها، ولذلك اتفقوا على التحريك بها إذا سكن ما قبلها، مثل: بُشراايَ وغُلامايَ وغُلامِيَ. وحجة حمزة ما ذكرناه من كراهتهم الحركة على الياء.

ولأن الياء تشابه الألف، والألف تُسَكَّنُ في الأحوال كلها، فكما أسكنت الألف فيها تسكن الياء، والدليل على شبه الألف قربها منها في المخرج وإبدالهم إياها منها في نحو: طائيّ وحاريّ، في النسب إلى طيّء والحِيرَة، وفي قوله:

لنضربنْ بسَيْفِنَا قَفَيْكَا[1]

فإن قيل: من المخاطب بقوله: ﴿فاسمعون﴾؟

قلتُ: الرسل الثلاثة، يقول لهم: اسمعوا قولي واشهدوا لي بالإيمان، وهذا قول ابن مسعود[2].

وقال وهب: هو خطاب لقومه[3].

---

(١) الرجز لرجل من حمير وتمامه:

يا ابنَ الزبير طَالَ ما عَصَيْكَا وَطَالَ ما عَنَّيْتَنَا إليْكَا

لنضربنْ بسيفِنا قَفَيْكَا

وهو في: خزانة الأدب (٤/ ٤٢٨، ٤٣٠)، واللسان (مادة: قفا)، والمقاصد النحوية (٤/ ٥٩١)، ونوادر أبي زيد (ص:١٠٥)، والحجة للفارسي (١/ ٧٣)، والجنى الداني (ص:٤٦٨)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٨٠)، والعين (٥/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦ ح٣٦٠٥). وذكره الطبري (٢٢/ ١٦٠) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ١٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٢) وعزاه للحاكم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٦٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٤).

قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿قيل ادخل الجنة﴾ وذلك لما لقي الله تلقاه بالبشرى، وقيل له إكراماً واحتراماً وتنويعاً للراحة بانضمام لذة السماع إلى ما حصل له من النعيم -كما قيل:

ألا فاسْقِني خمراً وقُل لي هيَ الخمرُ ....[1]-:

ادخل الجنة.

قال قتادة: أدخله الله الجنة، فهو فيها حي يرزق[2].

﴿قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي﴾ تمنى علم قومه بحاله رجاء سعيهم لمثلها.

قال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً[3].

و«ما» مصدرية. وقيل: موصولة.

والمعنى: بالذي غفره لي ربي.

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ

---

(١) صدر بيت، وعجزه: (ولا تسقني سراً إن أمكن الجهر). انظر البيت في: روح المعاني (١٤/ ١٣١، ١٥/ ٣٠٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٠)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ١٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤).

﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده﴾ أي: على قوم حبيب من بعد قتله ﴿من جُنْدٍ من السماء﴾ يعني: الملائكة.

قال مجاهد: المعنى: ما أنزلنا عليهم رسالة(١).

وقال الحسن: الملائكة الذين ينزلون بالوحي(٢).

والذي اعتمده المتأخرون من المفسرين: أن هذا إخبار من الله تعالى، لم يهلكهم بملائكة أنزلهم لإهلاكهم؛ إشعاراً بعظيم قدرته [وشدته](٣) وقوته، وإعلاماً أنه لم يحتج في إهلاك أمة عظيمة ومدينة منيعة إلى أعوان وأنصار، بل أرسل إليهم مَلَكاً من ملائكته وهو جبريل عليه السلام، فأخذ بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون هامدون كالنار إذا طفئت، ومنه قول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئِهِ ... يحورُ رماداً بعد إذ هُوَ سَاطِعُ(٤)

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٣٤)، والطبري (٢٣/ ١). وذكره الماوردي (٥/ ١٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٥). وهو اختيار الطبري (٢٣/ ٢) قال: وهذا القول أولى بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها: جند، إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك: الرُّسُل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء. والخبر في ظاهر الآية عنه أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جندًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

(٣) في الأصل: وشدة.

(٤) البيت للبيد. انظر: ديوانه (ص:١٦٩)، والهمع (١/ ١١٢)، والأشموني (١/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ٤٩٨)، والقرطبي (١٩/ ٢٧٣)، وزاد المسير (١/ ٢٢٦، ٦/ ٢٥٠، ٩/ ٦٥)، =

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وما كنا منزلين﴾؟

قلتُ: قد ذكروا جوابين:

أحدهما: أن المعنى: لم ينتصر منهم بِجندٍ من السماء وما كنا ننزله على الأمم إذا أهلكناهم كالطوفان [والصاعقة](١) والريح. وهذا الذي اعتمده الواحدي(٢).

وليس بشيء.

الثاني: وما كان يصح في حكمنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جُنْداً من السماء، وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض، وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً... الآية﴾ [العنكبوت:٤٠]، وهذا كلام صاحب الكشاف(٣)، وهو الجواب.

ويحتمل عندي أن يكون قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾؛ إعلاماً بسرعة انتقام الله تعالى منهم، وأنه لم يمهلهم زماناً ينزل عليهم فيه ملائكة الله الذين هم جنوده والموكَّلون بأهل الأرض ينزلون بأرزاقهم ويعرجون بأعمالهم ويحفظونهم بأمر الله تعالى، إلى غير ذلك، ﴿وما كنا منزلين﴾ مما لا بد للأحياء منه من الرزق والحفظ وغيرهما.

فـ«ما» الثانية على هذا موصولة. ويجوز أن تكون نافية، على معنى: وما كنا

=

واللسان وتاج العروس (مادة: حور)، والعين (٣/ ٢٨٧).

(١) في الأصل: والصاعة. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥١٢).

(٢) الوسيط (٣/ ٥١٢).

(٣) الكشاف (٤/ ١٥).

فاعلين ذلك وقد فعلوا ما فعلوا[١].

قوله تعالى: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ وقرأ أبو جعفر: «صيحةٌ واحدةٌ» بالرفع[٢].

وقال الزجاج[٣]: من نصب فالمعنى: ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة.

ومن رفع فالمعنى: ما وقعت عليهم عقوبة إلا صيحة.

قوله تعالى: ﴿يا حسرةً على العباد﴾ قال ابن عباس: حلّوا محلّ من يتحسر عليهم[٤].

وقال قتادة: المعنى: يا حسرة العباد على أنفسهم[٥].

وقال الزجاج[٦] وغيره من اللغويين وأهل المعاني في معنى نداء الحسرة وما شابهها مما لا يعقل: فيجب المقصود من النداء التنبيه؛ فإذا قلت: يا زيد، فقد نبّهته ثم تحظى به بما تريد، ولو خاطبته من غير نداء لم تبلغ في الفائدة مبلغ الخطاب بعد التنبيه بالنداء، ألا ترى أن قولك: يا عجباً أتفعل كذا، أبلغ من قولك: أنا أعجبُ مما فعلتَ، والمعنى: يا عجباً أقبل، فإنه من أوقاتك، وكذلك ﴿يا ويلتا أألد وأنا عجوز﴾ [هود:٧٢]، و﴿يا حسرتا على ما فرطت﴾ [الزمر:٥٦].

---

(١) انظر: البحر (٧/ ٣١٧)، والدر المصون (٥/ ٤٨٠).

(٢) النشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٤-٢٨٥).

قال الزمخشري هاهنا[(١)]: هذا نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك التي من حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل.

والمعنى: أنهم أحقاء بأن يتحسَّر عليهم المُتحسّرون، ويتلهَّفَ على حالهم المُتلهّفون. أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين. ويجوز أن يكون من الله تعالى [على][(٢)] سبيل الاستعارة [في][(٣)] معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم [ومحنوها][(٤)] به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه.

وقراءة من قرأ: «[يا حسرتاه][(٥)]» تعضد هذا الوجه؛ لأن المعنى: يا حسرتي.

وقرئ: «يا حسرةَ العبادِ» على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم؛ من حيث أنها موجهة إليهم. و«يا حسرة على العباد»، على إجراء الوصل مجرى الوقف[(٦)].

ثم بين سبب حسرتهم بتمام الآية، ثم خوف كفار مكة بالتي بعدها.

قال الزجاج[(٧)]: المعنى: ألم يعتبروا بمن أهلكنا قبلهم من القرون فيخافوا أن يُعجِّل لهم في الدنيا مثل الذي عُجِّل لغيرهم، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبداً. وموضع «كم» نصبت بـ«أهلكنا»؛ لأن «كم» لا يعمل فيها ما قبلها، خبراً

---

(١) الكشاف (٤/ ١٦).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: على. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وحنوها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: يا حسرتا. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) إلى هنا انتهى كلام الزمخشري.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٥).

كانت أو [استفهاماً][(١)]، تقول في الخبر: كمْ فرسخاً سرتَ؟ يريد: فراسخ كثيرة، ولا يجوز: سرتَ كمْ فرسخاً؟، وذلك أن «كم» في بابها بمنزلة «رُبَّ»، وأن أصلها الاستفهام والإبهام، فكما أنك إذا استفهمت فقلت للمخاطب: كم فرسخاً سرتَ، لم يجز: سرتَ كمْ فرسخاً؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وكذلك إذا جُعلت «كم» خبراً، فالإبهام قائم فيها، و«أنهم» بدل من معنى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾. والمعنى: ألم يروا أن القرون التي أهلكناها أنهم إليهم لا يرجعون.

ويجوز «إنهم» بالكسر على الاستئناف. [والمعنى][(٢)]: هم إليهم لا يرجعون. انتهى كلام الزجاج.

والكسر في «إنهم» قراءة الحسن[(٣)]. وقرأ ابن مسعود: «ألم يروا مَنْ أهلكنا»[(٤)]، والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال. وفي هذه الآية إبطال لقول أهل الرجعة.

ويروى عن ابن عباس أنه قال حين قيل له: إن قوماً يزعمون [أن][(٥)] علياً مبعوث قبل يوم القيامة: بئس القوم نحن إذاً، نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه[(٦)].

قوله تعالى: ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة:

---

(١) في الأصل: استخباراً. والتصويب من الزجاج (٤/ ٢٨٥).

(٢) في الأصل: المعنى. والتصويب من الزجاج، الموضع السابق.

(٣) ذكر هذه القراءة البناء في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٤).

(٤) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٤/ ١٦).

(٥) زيادة من المصادر التالية.

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ [النحل:٣٨]. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

«لَمَّا» بالتشديد هنا وفي الطارق(١)، والباقون بالتخفيف(٢).

قال الزجاج(٣): فمن قرأ بالتخفيف [«لَمَا»](٤) فـ«ما» زائدة مؤكدة. والمعنى: وإن كل لجميع لدينا محضرون. ومعناه: ما كلٌّ إلا جميع لدينا [محضرون](٥).

ومن قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فمعنى «لَمَّا» هاهنا «إلاَّ» تقول: سألتك لَمَّا فعلت وإلاّ فعلت.

وقال الزمخشري(٦): من قرأ «لَمَا» بالتخفيف فـ«ما» صلة للتأكيد، و«إنْ» مخففة من الثقيلة، وهي [متلقاة](٧) باللام لا محالة. و«لَمّا» بالتشديد، بمعنى: إلاّ، كالتي في مسألة الكتاب: نشدتك بالله لَمّا فعلت، و«إنْ» نافية، والتنوين في «كُلٌّ» هو الذي يقع عِوَضاً من المضاف [إليه](٨)؛ كقولك: مررتُ بكل قائماً.

فإن قلت: كيف أخبر عن «كل» بـ«جميع» ومعناهما واحد؟

قلتُ: ليس بواحد؛ لأن «كُلاًّ» يفيد معنى الإحاطة، وأن لا ينفلت منهم أحد، و«الجميع»: معناه الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فَعيل بمعنى مفعول.

---

(١) الآية رقم: ٤.

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٧)، والكشف (٢/ ٢١٥)، والنشر (٢/ ٢٩١)، والإتحاف (ص:٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٦).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) الكشاف (٤/ ١٦-١٧).

(٧) في الأصل: ملقاة. والتصويب من الكشاف (٤/ ١٧).

(٨) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وآية لهم﴾ أي: وعلامة لهم دالة على قدرتنا، ﴿الأرض الميتة﴾.

قرأ نافع: «الميّتة» بالتشديد، والباقون بالتخفيف[1].

قال الزجاج[2]: الأصل: التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز، «وآيـةٌ» مرفوعة بالابتداء وخبرها: «لهم»[3].

أي: وعلامة لهم تدلهم على التوحيد، وأن الله تعالى يبعث الموتى؛ إحياء الأرض الميتة.

ويجوز أن تكون «آية» مرفوعة بالابتداء، وخبرها: «الأرض الميتة»[4].

قال الزمخشري[5]: ﴿أحييناها﴾ استئناف بيان؛ لكون الأرض الميتة آية. وتقديم

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١١-١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٠)، والكشف (١/ ٣٣٩)، والنشر (٢/ ٢٢٤-٢٢٥)، والإتحاف (ص:٣٦٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٦).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٣)، والدر المصون (٥/ ٤٨٣).

(٤) وقد ذكر هذا الوجه السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٨٣) حكاية عن مكي، ثم قال: وهـذا ينبغي أن لا يجوز؛ لأنه لا يُترك المعرفة من الابتداء بها ويُبتدأ بالنكرة إلا في مواضع للضرورة.

(٥) الكشاف (٤/ ١٧).

الظرف في قوله: ﴿فمنه يأكلون﴾ للدلالة على أن الحَبَّ هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق، ومنه صلاح الإنس، وإذا قلّ جاء القحط ووقع الضرّ، وإذا فُقد حضر الهلاك ونزل البلاء.

قوله تعالى: ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ سبق توجيه اختلاف القراء فيها في سورة الأنعام.

والضمير في «ثَمَرِه» يحتمل وجوهاً:

أحدها: أن يرجع إلى النخيل دون الأعناب؛ كقوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به﴾ [النساء:١١٢]، وكقوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ [التوبة:٣٤]. وقد قررنا أمثاله فيما مضى.

الثاني: أن يرجع إلى الله تعالى، على معنى: ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر، وما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك حتى بلغ منتهاه. يشير إلى أن الثمر في نفسه فعل الله تعالى، وفيه آثار من عمل بني آدم.

وكان الأصل أن يقال: ليأكلوا من ثمرنا؛ لقوله تعالى: ﴿وجعلنا﴾ ﴿وفجرنا﴾ غير أنه رجع إلى الغيبة، على ما تقدم ذكره في غير موضع.

الثالث: أن يراد: ليأكلوا من ثمره المذكور، وهو الجنات، كما قال رؤبة:

فيها خُطوطٌ من بياضٍ وبَلَقْ ... كأنه في الجلدِ تَوليعُ البَهَقْ [1]

فقيل له، فقال: أردت: كأن ذلك.

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج. انظر: ديوانه (ص:١٠٤)، والمحتسب (٢/ ١٥٤)، ومجالس العلماء (ص:٢٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٤٣)، ومجالس ثعلب (٢/ ٣٧٥)، واللسان (مادة: بهق)، والبحر (٣/ ١٦٩، ٧/ ٣٢٠)، والدر المصون (١/ ٢٥٦، ٢/ ٣٠٦، ٥/ ٤٨٤).

قوله تعالى: ﴿وما عملته أيديهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: «وما عَمِلَتْ» بغير هاء، وقرأ الباقون: «وما عَمِلَتْه»[(١)].

قال أبو علي الفارسي[(٢)]: من قرأ «عَمِلَتْه» احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى: الذي.

والآخر: أن تكون نافية، فإذا كانت بمعنى الذي؛ فموضعها جَرّ، عطفاً على «الثمر»، التقدير: ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم.

ومن قرأ «وما عملتْ» فإنه حذفها من الصلة استخفافاً لطول الكلام.

وأكثر ما جاء في التنزيل من هذا على حذف الهاء؛ كقوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل:٥٩]، و﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [الأنعام:٢٢]، و﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ [هود:٤٣] وكل هذا على حذف الهاء وإرادتها.

ومن أثبت الهاء في «وما عملتْه أيديهم» فعلى ما قيل ما تستحقه الصلة من الضمير العائد منها إلى الموصول، وقد جاء الإثبات أيضاً في التنزيل في قوله تعالى: ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة:٢٧٥] وإن قُدِّرت «ما» ناصبة فلا موضع لها من الإعراب؛ لأنها حرف.

والمعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُون * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] فمن قدّر هذا

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٨)، والكشف (٢/ ٢١٦)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٠).

(٢) الحجة (٣/ ٣٠٧).

التقدير لم يكن صلة، وإذا لم يكن صلة لم تقتض الهاء الراجعة إلى الموصول. هذا آخر كلام أبي علي.

وقال الزجاج(١): إذا حذفت الهاء فالاختيار أن تكون «ما» في موضع خفض، وتكون في معنى «الذي».

وللمفسرين في معنى الآية قولان على نحو ما ذكره أهل الإعراب، وقول الضحاك ومقاتل موافق قول من قال أنها نافية.

قال الضحاك: وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها(٢).

وقال مقاتل(٣): لم يكن ذاك من صنع أيديهم ولكن من فعلنا.

وهذا المعنى يشبه في نظري من حيث أن المقصود بسياق هذه الآيات: عظمة الله تعالى وقدرته ونعمته على عباده وامتنانه عليهم، ألا تراه يقول: ﴿أحييناها وأخرجنا منها حباً﴾، ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا﴾ ثم عقب ذلك بقوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ وأتبعه بقوله: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني: أجناس الفواكه والحبوب وأجناس ما تنبت الأرض ﴿ومن أنفسهم﴾ يريد: الذُّكْران والإناث، ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خلق الله تعالى من الأمم وسائر الأشياء الذي يحيط بها علمه جَلَّتْ عظمته.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٣).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٨٤).

لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿نسلخ منه النهار﴾ قال الفراء[١]: يرمي بالنهار عن الليل فيأتي بالظلمة.

وذلك أن الأصل [هي][٢] الظلمة، والنهار داخل عليه، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، أي: كُشِط وأزيل، فتظهر الظُّلمة، وهو قوله تعالى: ﴿فإذا هم مظلمون﴾ أي: داخلون في ظلام الليل.

قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ أي: إلى مستقر وحَدّ معلوم ينتهي سيرها إليه، وهو يوم القيامة؛ في قول مقاتل[٣] وكثير من المفسرين.

وقال ابن السائب: مستقرها أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها[٤].

وقال قتادة: تجري لوقت واحد لا تعدوه[٥].

والصحيح في تفسيرها: ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٧٨).

(٢) في الأصل: في. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥١٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٨٦).

(٤) ذكره الطبري (٢٣/ ٦) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ١٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف.

عنه قال: «سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش»[١].

وقد ذكرت حديث أبي ذر في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿ولله يسجد﴾ بأتم من هذا.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء ليعقوب الحضرمي من طريق هبة الله عن زيد عنه: «لِمُسْتَقِرٍّ» بكسر القاف.

وقرأتُ عليه أيضاً [للكسائي][٢] من طريق الشيزري: «لا مُسْتَقَرَّ لها» على النفي وفتح الراء، وهي قراءة ابن مسعود وعكرمة وعلي بن الحسين[٣].

قال الزجاج[٤]: معناه: أنها تجري أبداً لا تثبت في مكان.

﴿ذلك﴾ الجري الذي هو بحسبان تعجز عن إدراكه الأفهام الثاقبة ﴿تقدير العزيز﴾ الغالب [بقدرته][٥] ﴿العليم﴾ بما خلقه وقدّره بحكمته.

قوله تعالى: ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «والقمرُ» بالرفع، ونصبه الباقون[٦].

فمن رفع فعلى الابتداء، والخبر: «قَدَّرْنَاهُ»، أو هو معطوف على «الليل»، على

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٦ ح٤٥٢٥)، ومسلم (١/ ١٣٩ ح١٥٩).

(٢) في الأصل: الكسائي.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٨٥).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٧).

(٥) في الأصل: بقدته. والصواب ما أثبتناه.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٩)، والكشف (٢/ ٢١٦)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٠).

معنى: وآية لهم القمر.

ومن نصبه فبفعل يفسره «قدَّرْنَاهُ منازلَ»، [وفيه][(١)] إضمار تقديره: قدرنا مسيره منازل. وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه، على تقدير معلوم لا تفاوت فيه، ثم يستتر في آخر الشهر ليلتين أو ليلة، -وقد ذكر أسماء هذه المنازل في سورة يونس[(٢)]-. فإذا كان في آخر منزله دَقَّ واستَقْوَس، وعاد كالعرجون القديم، وهو عود العذق الذي فيه الشماريخ.

قال الزجاج[(٣)]: وهو [فُعْلُول][(٤)] من الانعراج، وهو الانْعِطَاف.

قال ابن قتيبة[(٥)]: والقديم هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْل.

قال غيره: إذا قَدِمَ دقّ وانحنى واصفرّ، فشُبه به من هذه الأوجه.

وقال بعض أهل العلم: أقل مدة الموصوف بالقِدَم: الحَوْل، فلو قال: كل مملوك له قديم حُرّ، أو وصى بذلك: عتق من مضى له عنده حَوْل فما زاد.

قوله تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ... الآية﴾ المعنى: أنهما يتعاقبان بحساب معلوم.

قال قتادة: إذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر[(٦)].

---

(١) في الأصل: وفي. والصواب ما أثبتناه.

(٢) عند الآية رقم: ٥.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٨).

(٤) في الأصل: فعلون. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٣٦٥).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

﴿وكل﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك يسبحون﴾.

قال ابن عباس: يَجْرُون[1].

وقال عكرمة: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة[2].

وقال الزجاج[3]: أي: لكل واحد منهما فَلَكٌ يسبح فيه. والمعنى: يسيرون فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فقد سَبح فيه، ومن ذلك: السِّباحة في الماء.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لهم أنا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المشْحُون﴾ قرأ نافع وابن عامر: «ذرّيّاتهم»، وقرأ الباقون «ذريّتهم»[4]. وقُدم القول على ذلك[5].

قال المفضل بن سلمة: الذرية النسل؛ [لأنهم][6] من ذرأهم الله منهم، والذرية أيضاً: الآباء؛ لأن الذر وقع منهم، فهو من الأضداد. قال: ومنه هذه الآية[7].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٠)، والكشف (٢/ ٢١٧)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٠-٥٤١).

(٥) في سورة الأعراف عند الآية رقم: ١٧٢.

(٦) في الأصل: لأنه. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٢١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١-٢٢).

قال ابن عباس: والمشحون: المملوء[١].

قال أكثر المفسرين: أراد في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام[٢]، فنسب الذرية إلى المخاطبين؛ لأنهم من جنسهم، كأنه قال: ذرية الناس[٣].

وقال الفراء[٤]: أي: ذرية من هم منهم، فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم.

قال أبان بن عثمان: «الذريّة»: الآباء، حملهم الله تعالى في سفينة نوح[٥].

قال الماوردي[٦]: سُمي الآباء ذرية؛ لأن منهم ذرء الأبناء.

وقيل: هو حمل الأبناء في أصلاب الآباء حين ركبوا في السفينة[٧]، ومنه قول العباس:

بل نُطفة تَركبُ السَّفينَ وقد أَلجمَ نَسْراً وأهلَهُ الغَرق[٨]

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ أي: من مثل سفينة نوح، وهي سائر

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي مالك. ومن طريق آخر عن أبي صالح، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١).

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ٣٧٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٩).

(٦) الماوردي (٥/ ١٩).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١).

(٨) البيت للعباس بن عبد المطلب يمدح سيدنا رسول الله ﷺ، وهو في: اللسان (مادة: نسر)، والقرطبي (١٣/ ١٤٦)، وزاد المسير (٧/ ٢١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٣)، والاستيعاب (٢/ ٤٤٧).

السفن[(١)].

يشير إلى خلق الخشب التي تتخذ منه، وإلى هذا المعنى ذهب الضحاك وأبو مالك وأبو صالح[(٢)].

وقيل: المراد: الإبل، فإنها سفن البر، والمثلية بينهما واقعة في معنى كون كل جنس من هذين يُركب ويحمل عليه، وإلى هذا القول ذهب مجاهد [و][(٣)] عكرمة[(٤)].

وعن ابن عباس والحسن وقتادة كالقولين[(٥)].

وقيل: المعنى ﴿حملنا ذريتهم﴾: أولادهم وما يهمهم.

وقيل: نساؤهم؛ لأنهن موضع ذرء الأولاد.

﴿في الفلك المشحون﴾ يعني: السفن، ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ أي: من مثل

---

(١) ورجح هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ١١) قال: وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عنى بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي مالك. ومن طريق آخر عن أبي صالح، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة والحسن، وعزياه لعبد بن حميد وابن جرير.

الفلك ﴿ما يركبون﴾ وهي سفائن البر.

وقيل: السفن الصغار، فإن الفُلْك السفن الكبار.

وحكى الماوردي قولاً عجيباً ونسبه إلى علي عليه السلام قال[1]: الذرية: النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفُلك المشحون، قال: فيكون معنى قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾: أن النساء خُلقن لركوب الأزواج.

قلت: فعلى هذا الجواب يكون المِثْل صلة، تقديره: وخلقنا لهم منه ما يركبون.

وَهَبْ أنه قد يحمل تطبيق هذه الآية على هذا القول بهذا الوجه الضعيف؛ فما يصنع بقوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾. أي: لا مغيث لهم، فالصَّريخ هاهنا بمعنى الصراخ به ﴿ولا هم ينقذون﴾ من الغرق.

﴿إلا رحمة منا﴾ مفعول له[2]، على معنى: إلا لرحمة منا ولنمتع بالحياة إلى حين وأجَلٍ يموتون فيه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ قال مجاهد: «ما

---

(١) الماوردي (٥/ ١٩).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٧).

بين أيديكم»: ما مضى من الذنوب، «وما خلفكم»: ما يأتي منها[١].

وقال قتادة: «ما بين أيدكم»: من عذاب الله لمن يقدمكم من عاد وثمود، «وما خلفكم»: من أمر الساعة[٢].

وقال سفيان: ما بين أيديكم من الدنيا، وما خلفكم من عذاب الآخرة[٣].

وقيل: عكس هذا القول[٤].

فإن قيل: أين جواب «إذا»؟

قلتُ: هو محذوف، تقديره: أعرضوا، ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾.

قال قتادة: آية من كتاب الله[٥].

وقال غيره: معجزة تدل على صدقك.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ قال الواحدي[٦]: قال مقاتل[٧]: قال المؤمنون لكفار قريش: أنفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧)، وتفسير مجاهد (ص:٥٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣).

(٤) هو قول ابن عباس والكلبي. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢١).

(٦) الوسيط (٣/ ٥١٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٨٨).

أنه لله، وهو ما جعلوه من حروثهم وأنعامهم لله، فقال الكفار: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ أي: أنرزق من لو يشاء الله رزقه، أي: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله. وهذا خطأ منهم؛ لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضاً ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من ماله، والمؤمن لا يعترض على المشيئة وإنما يوافق الأمر. هذا تمام كلام الواحدي.

وقال قتادة: هذا قول الزنادقة(١).

قال ابن عباس: كان بمكة زنادقة(٢).

وقال الحسن: هذا قول اليهود(٣).

وقوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنه من تمام كلامهم للمؤمنين. قاله قتادة(٤).

والثاني: أنه إخبار من الله تعالى وحكم عليهم بالضلال حيث ردّوا على المؤمنين هذا الجواب(٥).

الثالث: أنه حكاية قول المؤمنين.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢)، وهو الوجه الراجح عند الطبري (٢٣/ ١٢-١٣).

(٥) قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر هذا الوجه عن ابن جرير: وفي هذا نظر، والله أعلم (تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٥).

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿ويقولون﴾ على سبيل التكذيب والاستهزاء: ﴿متى هـذا الوعد﴾ الذي تعدونا به يا محمد أنت وأصحابك من قيام الساعة، أي: متى إنجازه أو مجيئه ﴿إن كنتم صادقين﴾ تقديره: ما وراءنا ذلك.

﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ قال ابن عباس: يريد: النفخة الأولى في الصور[1].

﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ يختصمون في البيع والشراء في أسواقهم ومجالستهم متشاغلين بمعايشهم ودنياهم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «يَخَصِّمُون» بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد. وروى شجاع عن أبي عمرو اختلاس فتحة الخاء. وقرأ قالون بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد، ومثله حمزة غير أنه خفف. وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد[2].

وجه القراءة الأولى -وهي أجود القراءات-: أن الأصل: يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها، تنتقل بالإدغام إلى حرف هو أقوى منها،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٠)، والكشف (٢/ ٢١٧)، والنشر (٢/ ٣٥٣-٣٥٤)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤١).

وألقيت حركة التاء على الخاء.

ووجه ما رواه شجاع من الاختلاس: أن الأصل إسكان الخاء، غير أنها حُرّكت لئلا يلتقي ساكنان، والاختلاس كافٍ في ذلك مع ما فيه من مراعاة الأصل الذي هو السكون.

ووجه الثالثة وهي أردؤها: لما فيه من اجتماع الساكنين مراعاة الأصل، فإنها كانت ساكنة قبل الإدغام.

ووجه الرابعة -وهي قراءة حمزة-: أنه فعل مستقبل من خَصَمَ يَخْصِم، على معنى: يخصِمُ بعضهم بعضاً، أو يَخْصِمُون مُجَادِلَهم، أي: يغلبونه، وحَذْفُ المفعول كثير في التنزيل.

ووجه القراءة الخامسة: أنه اجتمع ساكنان بعد الإدغام كسرت الخاء ولم ينقل إليها حركة التاء.

وقرأتُ لعاصم من بعض طرقه: «يِخِصِّمُون» بكسر [الياء][1] والخاء[2]، وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين والياء للاتباع.

قوله تعالى: ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ قال قتادة: أعجلوا عن ذلك[3]، ﴿ولا إلى أهلهم﴾ أي: من أسواقهم وغيرها ﴿يرجعون﴾.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟

(١) في الأصل: التاء. وانظر: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٧/ ٢٥)، وفي الدر المصون (٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

وقد سبق القول في «الصور» في الأنعام، وفسرنا النسلان في سورة الأنبياء[١].

﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال المفسرون[٢]: إنما قالوا ذلك؛ لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين، فإذا عاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل، فتقول لهم الملائكة: هذا وعد الرحمن، أي: على ألسنة الرسل إنكم تبعثون بعد الموت للجزاء.

وقال قتادة: أول الآية للكافرين وآخرها للمؤمنين، قال الكفار: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾، وقال المسلمون: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[٣].

و«هذا»: مبتدأ، «ما وعد»: خبره، و«ما»: مصدرية، على معنى: هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين، أو موصولة، والتقدير: هذا الذي وعده الرحمن والذي صدق المرسلون فيه[٤].

وقيل: «هذا»: صفة للمرقد، و«ما وعد»: خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ

(١) عند الآية رقم: ٩٦.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٨).

محذوف الخبر، تقديره: ما وعد الرحمن وحق عليكم[(١)].

قوله تعالى: ﴿فاليوم لا تظلم... الآية﴾ حكاية ما يقال لهم.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿في شُغُل﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الغين، والباقون بإسكانها[(٢)]، وهما لغتان.

وقرأ أبو جعفر: «فكِهُون» بغير ألف[(٣)].

والمراد بالشُّغُل: افتضاض الأبكار؛ في قول ابن مسعود، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعامة المفسرين[(٤)].

وقال ابن عباس: في افتضاض الأبكار وضَرْب الأوتار[(٥)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٨).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٠١)، والكشف (٢/ ٢١٩)، والنشر (٢/ ٢١٦)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٢).

(٣) النشر (٢/ ٣٥٤)، والإتحاف (ص:٣٦٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن ابن مسعود وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن عكرمة وقتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) أخرج الطرف الأول منه: الطبري (٢٣/ ١٨). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤). وذكر السيوطي في الدر =

وقال إسماعيل بن أبي خالد: في شغل مما يَلْقَى أهل النار[1].

والفَاكِه والفَكِه: المتنعِّم المتلذِّذ، ومنه: الفاكهة؛ لأنه يتلذَّذ بها، ومنه: الفكاهة؛ وهي المزاحة.

وقال الزجاج[2]: «فاكِهُون وفَكِهُون» بمعنى: فرحون.

قال الفراء[3]: الفاكِه والفكِه بمعنًى، كالحاذر والحذر.

وقال أبو عبيدة[4]: الفكِه: الذي يتفكَّه بالطعام، والفَاكِه: ذو الفاكهة.

﴿هم وأزواجهم في ظلال﴾ جمع ظُلَّة؛ كعُلْبَة وعِلاَب، وبُرْمَة وبِرَام.

وقرأ حمزة والكسائي: «ظُلَلٍ» بضم الظاء من غير ألف، جمع ظُلَّة[5].

قال مقاتل[6]: في أكنان القصور.

وقد سبق ذكر الأرائك في الكهف[7].

(٧/ ٦٥) الطرف الثاني منه، وعزاه لابن أبي حاتم. ثم قال السيوطي: قال أبو حاتم: هذا خطأ من السمع، إنما هو افتضاض الأبكار. قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧): ولا يثبت هذا القول.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٩١).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٨٠).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٦٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠١)، والكشف (٢/ ٢١٩)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٢).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٨٩).

(٧) عند الآية رقم: ٣١.

فصل

في قوله تعالى: ﴿هم﴾: مبتدأ، ﴿وأزواجهم﴾: معطوف عليه، ﴿فاكهون﴾: خبره وهو مقدم عليه، و﴿في ظلال﴾ من صلة «فاكهين»، و﴿متكئون﴾ خبر آخر[١].

وقيل: الخبر: «متكئون»، فيكون الوقف على قوله تعالى: ﴿فاكهون﴾.

وعلى الأول يجوز أن يكون خبر إنّ من قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة﴾ الظرف الذي هو في «شُغُل»، والتقدير: إن أصحاب الجنة بايتون في شُغُل اليوم، ثم يبتدئ: ﴿فاكهون هم وأزواجهم﴾ أي: هم [وأزواجهم][٢] فاكهون في ظلال متكئون على الأرائك.

وعلى الثاني خبر إن: «فاكهون»، أي: فاكهون في شغل متكئون، من صلة «فاكهين».

قوله تعالى: ﴿ولهم ما يدعون﴾ أي: ما يتمنون ويشتهون.

قال الزجاج[٣]: هو مأخوذ من الدعاء. والمعنى: كل ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم.

﴿سلام﴾ بدل من «ما»[٤]. المعنى: لهم ما يتمنونه سلام، أي: هذا مُنى أهل الجنة أن يُسلّم الله تعالى عليهم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٨٩).

(٢) في الأصل: وزواجهم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٢).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٩).

و﴿قولاً﴾ مصدر مؤكد لما قبله.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبد الخالق بن علي[(١)]، حدثني أحمد بن محمد بن موسى [اللخمي][(٢)]، حدثنا الحسن بن أبي علي الزعفراني[(٣)]، حدثنا ابن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم[(٤)]، حدثنا الفضل الرقاشي[(٥)]، عن محمد بن المنكدر[(٦)]، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا

---

(١) عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق بن محمد بن إسحاق المؤذن، أبو القاسم النيسابوري، قدم قزوين غازياً سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وحدّث بها عن بكر بن محمد بن حمدان المروزي، وروى عنه الخليل الحافظ (التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٤٧٩-٤٨٠).

(٢) في الأصل: الملجمي. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥١٧).

(٣) الحسن بن أبي علي الفضل بن السمح، أبو علي الزعفراني، المعروف بالبوصراني، كان ينزل بالجانب الشرقي قرب المزوقين، مات في أول جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين ومائتين (تاريخ بغداد ٧/ ٤٠١، ولسان الميزان ٢/ ٢٤٤).

(٤) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك الشيباني، أبو عاصم النبيل البصري، قيل: إنه مولى بني شيبان، ثقة ثبت كثير الحديث، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، مات سنة أربع عشر ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٥-٣٩٦، والتقريب ص:٢٨٠).

(٥) الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى البصري الواعظ، منكر الحديث رمي بالقدر (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٥٤، والتقريب ص:٤٤٦).

(٦) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر، أحد الأئمة الأعلام، ثقة فاضل، مات سنة ثلاثين أو بعدها (تهذيب التهذيب ٩/ ٤١٧-٤١٨، والتقريب ص:٥٠٨).

الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قول الله عز وجل: ﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾، فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»[1].

وقال ابن عباس: يرسل الله تعالى إليهم بالسلام[2].

وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حِدَة، وذلك حين يحشر المؤمنون ويُسَار بهم إلى الجنة.

وقال قتادة: اعتزلوا عن كل خير[3].

وقال الضحاك: لكل كافر بيت من النار يكون فيه، لا يَرى ولا يُرى[4].

فعلى هذا امتيازهم هو أن لا يرى بعضهم بعضاً، تقول: ميّزت الشيء عن الشيء؛ إذا عزلته عنه ونحيته فامْتَاز وانْمَاز[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٥ ح١٨٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (٤/ ١٢).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ميز).

قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم﴾[١] أي: أوصيكم وآمركم.

وقال الزجاج[٢]: ألم أتقدم إليكم على لسان الرسول ﷺ.

﴿يا بني آدم﴾ يريد: المجرمين ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ تطيعوه في الشرك.

قوله تعالى: ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «جُبْلاً» بضم الجيم وسكون الباء مع التخفيف، وكذلك ابن كثير وحمزة والكسائي ووَرْش، إلا أنهم ضَمّوا الباء. وقرأ نافع وعاصم: «جِبلاًّ» بكسر الجيم والباء وتشديد اللام[٣].

وقرأتُ ليعقوب من رواية روح وزيد وأبي حاتم: بضم الجيم والباء مع التشديد[٤]، وهي قراءة علي بن أبي طالب، وابن عباس، [وأبي][٥] عبد الرحمن السلمي، والزهري، والأعمش.

وقرأ عبد الله بن عمرو [وابن][٦] السميفع: بكسر الجيم وسكون الباء مع التخفيف.

وقرأ أبو المتوكل ومعاذ القارئ: بضم الجيم وفتح الباء مع التخفيف.

وقرأ أبو العالية: بكسر الجيم وفتح الباء مع التخفيف.

---

(١) في الأصل زيادة قوله تعالى: ﴿يا بني﴾. وستأتي بعد.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٩-٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠١-٦٠٢)، والكشف (٢/ ٢١٩)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٢).

(٤) انظر: النشر (٢/ ٣٥٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٦).

(٥) في الأصل: أبي.

(٦) في الأصل: بن.

وقرأ أبو عمران الجوني: «جِبالاً» بكسر الجيم مع زيادة ألف[١].

ومعنى الكلمة كيف تصرفت: أضل منكم خلقاً كثيراً.

قرئ: «جِيلاً» بكسر الجيم وبالياء، واحد الأجيال[٢].

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

ثم يقال لهم توبيخاً وتقريعاً ومبالغة في إعلامهم: ﴿هذه جهنم﴾.

قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ وذلك عند إنكارهم الشرك [وتكذيبهم][٣] الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، وقولهم: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣].

﴿وتُكلمنا أيديهم﴾ أخرج الإمام أحمد من حديث [حكيم بن][٤] معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «تجيؤون يوم القيامة على أفواهكم الفِدام، وإن

---

(١) ذكر هذه القراءات جميعاً ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٣٠).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٢٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٩١). وهي قراءة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٣) في الأصل: وتكذبهم.

(٤) زيادة من مسند أحمد (٤/ ٤٤٦).

أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه»[١].

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يقال لأعضائه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْداً لكُنّ وسُحْقاً وفيكن كنت أناضل»[٢].

فإن قيل: لم سمي ما صدر من اليد كلاماً ومن الرجل شهادة؟

قلتُ: لأن اليد مباشرة والرِّجل حاضرة، وقول الإنسان على نفسه إقرار وعلى غيره شهادة.

قوله تعالى: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أي: لو نشاء لأذهبنا أعينهم وعفنا أثرها.

﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي: استبقوا إلى الصراط، أو يقال: ساغ ذلك؛ لتضمن «استبقوا» [ابتدروا][٣].

قال قتادة: المعنى: لو نشاء لأعمينا أبصار الكفار فضلُّوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم[٤].

وقال ابن عباس ومقاتل[٥]: المعنى: لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٦).

والفدام: هو ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه. والمقصود: أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم وجلودهم (اللسان، مادة: فدم).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٠ ح٢٩٦٩).

(٣) في الأصل: ابتدوا.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٩١).

عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم[١].

﴿فأنى يبصرون﴾ ولم يفعل بهم ذلك.

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ والمكانة والمكان واحد.

وقرأ أبو بكر: «مكاناتهم» على الجمع[٢].

قال ابن عباس: لمسخناهم قردة وخنازير[٣]. وقيل: حجارة[٤].

وقال قتادة: لأقعدناهم على أرجلهم وأزمنّاهم[٥].

﴿فما استطاعوا مُضِيّاً﴾ وقرئ: «مِضِياً»[٦]، مثل: الغُنى والغِنى.

﴿ولا يرجعون﴾ إلى ما كانوا عليه.

وقال أبو صالح: ما استطاعوا مضياً في الدنيا ولا رجوعاً فيها[٧].

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٢)، والكشف (١/ ٤٥٢)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٣).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر (٧/ ٣٢٩)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨).

(٤) هو قول أبي صالح ومقاتل. انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٦) بدون لفظة: «وأزمناهم». وذكره الماوردي (٥/ ٢٩) بدون زيادة هذه اللفظة أيضاً، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٩)، والكشاف (٤/ ٢٨) بزيادتها.

(٦) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٢٩)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٩٢).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣).

قوله تعالى: ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ قرأ عاصم وحمزة: «نُنَكِّسْه» بالتشديد وكسر الكاف، من التنكيس. وقرأ الباقون: بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف وتخفيفها[(١)].

قال أبو الحسين: [نَنْكُسُه][(٢)] هو كلام العرب، ولا يكادون يقولون: نكَّسْتُه، -يعني: بالتشديد- إلا لما يُقلب فيجعل رأسُه أسفل[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: من أطَلْنا عُمْره نكَّسْنا خَلْقَه، فصار بدل القوة الضعف، وبدل الشباب الهرم.

﴿أفلا يعقلون﴾ بالتاء والياء، وقد سبق.

والمعنى: أفلا يعقلون أن القادر على تصاريف أحوال الناس ونقلهم من حال إلى حال قادر على البعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر﴾ أي: ليس الذي علمناه من القرآن شعراً، أو قول الشعر، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن هذا الذي يقوله محمد شِعْر، وإن محمداً شاعر.

﴿وما ينبغي له﴾ أي: ما يصحّ له ولا يتأتّى له لو طلبه، لأنا صرفناه عنه ولم نجعل له طبعاً متأنياً منقاداً لقوله. ولقد كان يتمثّل ببيت من الشعر لغيره فيكسره،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٣)، والكشف (٢/ ٢٢٠)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٣).

(٢) في الأصل: نكسه. والتصويب من الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٣).

فروى الحسن[١]: أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال أبو بكر: [يا رسول الله، إنما قال الشاعر][٢]:

.... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً[٣]

أشهد أنك رسول الله، ما علّمك [الشعر][٤] وما ينبغي لك[٥].

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يتمثل بيت أخي بني قيس -يعني طرفة-:

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كُنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزوّد[٦]

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فيقول أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فيقول: لست بشاعر ولا ينبغي لي[٧].

ودعا يوماً بعباس بن مرادس فقال: أنت القائل:

---

(١) خلط الناسخ بين ألفاظ هذه الفقرة حيث قدّم وأخّر بعضها على بعض. وقد أثبتنا الصواب من الوسيط (٣/ ٥١٨-٥١٩).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٥١٨).

(٣) عجز بيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وصدره: (عميرة ودع إن تجهزت غادياً)، انظر: ديوانه (ص:١٦)، والأغاني (٢٢/ ٣٠٧)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٨٧)، والتبصرة (ص:٢٣٢)، والبيان والتبيان (ص:٥٢)، واللسان (مادة: نهي).

(٤) زيادة من الوسيط (٣/ ٥١٨).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٠-٣٢٠١).، وابن سعد في طبقاته (١/ ٣٨٢-٣٨٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧١) وعزاه لابن سعد وابن أبي حاتم والمرزباني في معجم الشعراء.

(٦) البيت لطرفة بن العبد، انظر: ديوانه (ص:٧٢)، واللسان (مادة: ضمن)، والقرطبي (١٥/ ٥١)، وروح المعاني (٢٣/ ٤٩)، والمستطرف (٢/ ٣٦٨)، والبحر (٧/ ٣٢٩).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٨-٥١٩).

أتجعلُ نهبي ونهبَ العبيـ ـد بين الأقرع وعيينة[(١)]

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي لم يقلْ كذلك، فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: لا يضرك بأيهما [بدأت][(٢)]، فقال أبو بكر: والله ما أنت بشاعر ولا ينبغي لك الشِّعر[(٣)].

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب[(٤)]

وقال ﷺ:

هل أنتِ إلا [أصبع][(٥)] دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ[(٦)]

قلتُ: الفصيح قد يجري على لسانه كلام موزون ويقع منه ذلك من غير قصد، بل غير الفصيح قد يتفق له ذلك، ولا يعد بذلك قائلاً للشعر، والبيت الثاني أنشده النبي ﷺ مستشهداً، على أن هذا النوع من الرجز ليس بشعر عند الخليل.

وفي الجملة: قائل البيت والبيتين ليس بشاعر عند العرب، إنما الشاعر عندهم

---

(١) أصل البيت: بين عيينة والأقرع، وهو في: اللسان (مادة: رجز)، والقرطبي (٨/ ١٧٩، ١٥/ ٥٢)، وروح المعاني (١٥/ ٦٥، ٢٣/ ٤٩)، والأغاني (١٤/ ٣٠٠).

(٢) في الأصل: بدأ. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٤-٣٥).

(٤) انظر البيت في: اللسان (مادة: رجز)، والقرطبي (٨/ ١٠١، ١٥/ ٥٢)، وروح المعاني (١٠/ ٧٤، ١٢/ ٣٣، ٢٣/ ٤٨، ٢٦/ ١٦٥)، والبحر (٧/ ٣٣٠).

(٥) في الأصل: أصبعاً. والتصويب من مصادر التخريج.

(٦) انظر البيت في: اللسان (مادة: رجز، صبع)، والقرطبي (١٥/ ٥٢)، وروح المعاني (١٠/ ٩٧، ٢٣/ ٤٩، ٣٠/ ١٥٧)، والبحر (٧/ ٣٣٠).

الذي ينفث بالشعر على أقراء مخصوصة وأوزان معلومة.

فإن قيل: لم مُنع عن قول الشعر؟

قلتُ: كما مُنع من الكتابة؛ لئلا يتخذ الكَفَرة ذلك ذريعة إلى الطعن عليه فيما جاء به من النظم البديع، فيقال: إنما تأتي له ذلك بحدة خاطره، وثقابة فطنته، وقوته على نظم القريض، وكذلك منع الكتابة لئلا يقال: نَظَرَ في الكتب القديمة وتسلط بها على إنشاء كتابه، واطلع فيها على الأمور المغيبة عنه.

فإن قيل: إذا كان ما ذكرته حكمةُ صرفه عن قول الشعر، فنراهم لم يتناهوا عنه حتى قالوا: شاعر؟

قلتُ: لا جرم أن ذلك كسبهم شعار الكذب، وسلبهم وصف الإنصاف، وجعلهم عند أنفسهم كَذَبَة فَجَرَة؛ لعلمهم بحاله.

ولذلك قال لهم الوليد بن المغيرة: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما رأيته يلتئم بها، فقولوا فيه غير ذلك، فقالوا: قل أنت؟ فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، وإنما راموا بذلك ترويج باطلهم عند جاهل غِرٍّ، أو متجاهل ذي غُمر، وإلا فأين أسلوب[1] القرآن من أساليب الشعر؟

قوله تعالى: ﴿لينذر﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «لتنذر» بالتاء[2]، على الخطاب للرسول ﷺ.

﴿من كان حياً﴾ يريد: المؤمنين، ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ سبق تفسيره.

---

(١) قوله: «أسلوب» مكرر في الأصل.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٣)، والكشف (٢/ ٢٢٠)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٤).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

ثم دلّهم بما يشاهدون من آثار قدرته على وجوب وحدانيته فقال: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ أي: عملناه بغير واسطة ولا شِركة. وهـذا معنى قول السدي(١).

قال الحسن: الأيـدي: القـوة، كـما قـال تعـالى: ﴿والـسماء بنيناهـا بأيـد﴾(٢) [الذاريات:٤٧].

﴿فهم لها مالكون﴾ قادرون على التصرف فيها، لم نجعلها وحشية نافرة منهم.

﴿وذلّلناها لهم﴾ يعني: الأنعام، ولولا تسخيره جَلَّت عظمته لامتنعـت عـن بني آدم كما امتنع ما هو أضعف منها من الحيوانات.

ولقد ذَلَّلَ الله تعالى أعظمها أجساماً، وأشدها قوة وأجراماً، حتى ضرب بـه المثل في الانقياد، قال ﷺ: « المؤمن كالجمل الأنِف، إن [قيد](٣) انقـاد، وإن أنـيخ استناخ »(٤).

ولقد أحسن القائل:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠١) عن السدي قال: من صنعتنا. وذكـره المـاوردي (٥/ ٣١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣١).

(٣) زيادة من شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢ ح٨١٢٨).

يُصرِّفُه الصبيُّ بكل وجهٍ ويحبسُه على الخسْفِ الجرير
وتضْربهُ الوليدةُ بالهَرَاوى فلا غِيرٌ لديه ولا نكيرُ(١)

ولهذا المعنى وهذا الإنعام أمر الله تعالى راكبه أن يشكر نعمته عليه ويسبحه إذا علا ذروته، فقال تعالى: ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ [الزخرف:١٣].

رأيت بخط الإمام [أبي](٢) البقاء علي بن عقيل الحنبلي البغدادي رضي الله عنه في كتابه المعروف بالفنون، وهو كتاب عظيم، يدل على فخامة صاحبه وغزارة علمه وحكمته. قال لي الشيخ أبو البقاء اللغوي: سمعت أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السِّفْر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون يقول: ركب يزيد بن نهشل بعيراً، فلما استوى عليه قال: اللهم إنك قلت: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]، اللهم إني أشهدك أني له مُقرن، فنفر البعير وتعلقت رجله والبعير يجمر به حتى مات.

[معنى](٣): «مُقرنين»: مُطيقين، فادعى الطاقة لرد منّة الله منه تعالى في نعمته فهلك.

قوله تعالى: ﴿فمنها ركوبهم﴾ أي: ما يركب، يريد: الإبل.

---

(١) البيتان في: المستطرف (٢/ ٦١)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ١٠٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٢٩)، ومجمع الأمثال (١/ ٢٥٤).

(٢) في الأصل: أبو. وهو لحن.

(٣) في الأصل: يعني.

وقرأ الحسن والأعمش: «رُكُوبُهُم» بضم الراء، أي: ذو ركوبهم[(١)].

﴿ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار والنسل، ﴿ومشارب﴾ من ألبانها، جمع مَشْرَب، وهو موضع الشرب أو المشروب.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

﴿واتخذوا من دون الله﴾ الذي أنعم بهذه النعمة ﴿آلهةً لعلهم ينصرون﴾ أي: رجاء أن يعضدهم ويدفع عنهم وينفعهم ويشفع لهم، فانعكس [مقصودهم][(٢)] عليهم.

قوله تعالى: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي: المشركون لأصنامهم جُنْد.

قال ابن جريج: شِيعة.

وقال غيره: أعوان[(٣)].

«مُحْضَرُون»: يحضرونهم للعبادة والخدمة والذَّبِّ عنهم والغضب لهم.

﴿فلا يحزنك قولهم﴾ هذا وقف التمام. ثم استأنف فقال: ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٧).

(٢) في الأصل: مصودهم.

(٣) ذكر القولين الماوردي (٥/ ٣٢).

لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من كفار قريش أتى رسول الله ﷺ بعظم نَخِر ففتَّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن الله تعالى يُحيي هذا بعدما رَمَّ؟ فقال: نعم، يُميتك الله ثم يُحييك ثم يُدخلك نار جهنم[(١)].

واختلف في هذا الرجل؛ فقيل: هو العاص بن وائل[(٢)].

وقيل: أبو جهل[(٣)]. رويا عن ابن عباس.

وقال الحسن: أمية بن خلف[(٤)].

وقال مجاهد وقتادة وعامة المفسرين: هو أُبيّ بن خلف[(٥)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦ ح٣٦٠٦)، والطبري (٢٣/ ٣٠-٣١) عن سعيد بن جبير مرسلاً، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٢)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ٨٧-٨٨)، والإسماعيلي في معجمه (٣/ ٧٤٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة، كلهم عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل ... الحديث.

(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٥) وعزاه لابن مردويه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٣٧)، والطبري (٢٣/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٢). وذكره =

﴿وضرب لنا مثلاً﴾ في إنكار البعث بالعظم البالي يفتُّه في يده ويُنكر قدرتنا على إعادته.

﴿ونسي خلقه﴾ أي: وترك النظر في خلق نفسه وعنصره وكوني أوجدته من نطفة خسيسة مَهينة خارجة من قناة البول، ونقلته بقدرتي ونعمتي من حال إلى حال، حتى جعلته سميعاً بصيراً متكلماً، قادراً عالماً فاهماً، ثم جحد حقِّي وكفر نعمتي، وأنكر وحدانيتي، وعَبَدَ الأصنام من دوني، وتصدى لنصرة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يروم أن يجعله بزعمه شريكاً لي، وأنكر قدرتي على إحياء عظام أنا أنشأتها وفَطَرْتها ابتداء، وأخرجتها من العدم إلى الوجود.

﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ يقال: رَمَّ العظمُ يرمُّ رمّاً؛ إذا بلي فهو رميم[1]، والعظام رميم.

قال الزمخشري[2]: الرَّميم: اسم لما بلي من العظام غير صفة، [كالرمة][3] والرفات، فلا يقال: لِمَ لَمْ يؤنث وقد وقع خبر المؤنث؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول.

= السيوطي في الدر (٧/ ٧٥-٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن السدي، وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) انظر: اللسان (مادة: رمم).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣).

(٣) في الأصل: كالرمية. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

فصل

احتج علماؤنا بهذه الآية على نجاسة عظام الميتة من حيث كونها قابلة للموت ضرورة قبولها للحياة.

قوله تعالى: ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ أي: يعلم كيف يخلق، لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات.

ثم ذكر من بدائع خلقه ما يدلهم على قدرته على ما أحالته عقولهم الضعيفة، فذلك قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ أي: الذي جعل النار المحرقة من الشجر الأخضر الرّطب، وجمع بينهما مع مضادة النار الماء وإشعالها الحطب، وأكثر ما تكون النار في المَرْخ والعَفَار، وفي أمثالهم: (في كل شجر نار، واستمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار)، يقطع الرجل منهما عويدتين كالسواكين وهما خضراوان يقطران الماء، فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهي أنثى، فتنقدح النار بإذن الله تعالى.

ويروى عن ابن عباس: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب. قالوا: ولذلك يتخذ منه كُذَيْنِقَات[١] القصارين[٢].

وقوله تعالى: ﴿الأخضر﴾: على اللفظ. وقيل: الشجر، جمع يؤنث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون﴾ [الواقعة:٥٢-٥٣]، وقال تعالى هاهنا: ﴿فمنه توقدون﴾.

---

(١) الكُذَيْنِقُ: مدقّ القصارين الذي يدقّ عليه الثوب (اللسان، مادة: كذنق).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣).

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

ثم ذكر لهم ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال تعالى: ﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر﴾.

وروى رويس وأبو حاتم عن يعقوب: «يَقْدِرُ» بياء مفتوحة وسكون القاف من غير ألف(١)، جعله فعلاً مضارعاً، وهي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد [ذكرناه](٢) في بني إسرائيل.

﴿يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق﴾ وقرأ أبي بن كعب والحسن: «الخالق العليم»(٣).

و«الخلاّق»: الكثير المخلوقات، «العليم»: الكثير المعلومات.

والآية التي بعد هذه مفسرة في النحل(٤).

ثم نزّه نفسه سبحانه وتعالى عما يقولون فقال: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت﴾ أي: مُلْك ﴿كل شيء﴾ والقدرة على كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ بعد الموت. والله تعالى أعلم.

---

(١) النشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٧).

(٢) في الأصل: ذكرنا.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٧).

(٤) عند الآية رقم: ٤٠.

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة واثنتان وثمانون آية، وهي مكية بإجماعهم.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾

قال الله تعالى: ﴿والصافات صفاً﴾ قيل: يريد جماعة المؤمنين إذا صفوا في الصلاة أو القتال في سبيل الله تعالى.

وقيل: الطير، من قوله تعالى: ﴿والطير صافات﴾ [النور:٤١].

والصحيح: أنهم الملائكة. وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وعامة المفسرين (١).

أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة [أو](٢) بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة، أو أجنحتها في الهواء واقفة ترتقب أمر الله عز وجل.

قال ابن عباس: يريد: الملائكة صفوفاً صفوفاً، لا يعرف كل مَلَك منهم مَنْ إلى جانبه، لم يلتفت منذ خلقه الله تعالى عز وجل (٣).

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦ ح٣٦٠٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٤ ح٩٠٤١)، وأبو الشيخ في العظمة، والطبري (٢٣/ ٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٨) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن ابن عباس، وعدة طرق أخرى.

(٢) في الأصل: أ. والمثبت من الكشاف (٤/ ٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤).

﴿فالزاجرات زجراً﴾ قال الربيع وقتادة: آيات القرآن(١).

والصحيح: أنها الملائكة، وهو قول الذين تقدم ذكرهم وعامة المفسرين.

يريد: فالزاجرات السحاب، أو فالزاجرات عن المعاصي زجراً.

﴿فالتـاليـات ذكراً﴾ يريد: الملائكة.

وقال ابن عباس: الأنبياء(٢).

أي: القارئات لكلام الله عز وجل وكتبه المنزّلة.

قال قطرب: أقسم الله تعالى بثلاثة أصناف من الملائكة، وجواب القسم: ﴿إن إلهكم لواحد﴾.

قرأ أبو عمرو في إدغامه الكبير وحمزة: ﴿والـصافات صـفاً﴾، ﴿فـالزاجرات زجراً﴾، ﴿فالتاليات ذكراً﴾، ﴿والذاريات ذرواً﴾ بالإدغام فيهن. وعلة الإدغـام: مقاربة التاء هذه الحروف من حيث أنها وإياهن من طرف اللسان وأصول الثنايا، ومن ترك الإدغام فلاختلاف المخارج(٣).

﴿رب السمـاوات﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف(٤).

و﴿المشـارق﴾ ثلاثمائة وستون مشرقاً، وكذلك المغارب، تشرق الشمس كل

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤). وذكره السيوطي في الـدر (٧/ ٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بـن حميـد وابـن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٢)، والكشف (١/ ١٥٠-١٥٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٧)، والسبعة (ص:٥٤٦).

(٤) التبيان (٢/ ٢٠٥)، والدر المصون (٥/ ٤٩٥).

يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب، ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا﴾ يريد: السماء القربى إلى الأرض.

﴿بزينةٍ الكواكب﴾ قرأ عاصم وحمزة: «بزينةٍ» بالتنوين. وقرأ أبو بكر: «الكواكبَ» بالنصب، وقرأ الباقون بإضافة «الزينة» إلى «الكواكب»[1].

فمن نوّن وخفض «الكواكب» جعل الكواكب بدلاً من «الزينة»؛ لأنها هي هي، كما تقول: مررت بأبي عبدالله محمد. ومن نوّن ونصب «الكواكبَ» جعلها بدلاً من محل «زينة».

وقال أبو علي[2]: أعمل الزينة في الكواكب، المعنى: بأن زينّا الكواكب فيها. والباقون أضافوا المصدر إلى المفعول به، كقوله تعالى: ﴿من دعاء الخير﴾ [فصلت:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿بسؤال نعجتك﴾ [ص:٢٤]، والمعنى: بأن زينا الكواكب فيها.

﴿وحفظاً﴾ محمول على المعنى، تقديره: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً ﴿من كل شيطان﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٤)، والكشف (٢/ ٢٢١)، والنشر (٢/ ٣٥٦)، والإتحاف (ص:٣٦٧-٣٦٨)، والسبعة (ص:٥٤٦-٥٤٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٤).

وقيل: المعنى: وحفظناها حفظاً.

قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث؛ رجوماً للشياطين، ونوراً يهتدى بها، وزينة للسماء الدنيا[١].

قوله تعالى: ﴿لا يسّمّعون﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «يَسَّمَّعُون» بتشديد السين وفتحها، أصله: يتسمَّعون، أدغموا التاء في السين. وقرأ الباقون: «يَسْمَعُون»، من سمع يسمع[٢].

قال ابن عباس: يتسمعون ولا يسمعون[٣].

قال الزمخشري[٤]: إن قلت: كيف اتصل «لا يَسَّمَّعُون» بما قبله؟

قلتُ: لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان، أو استئنافاً، فلا تصح الصفة؛ لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف؛ لأن سائلاً لو سأل: كيف تحفظ من الشياطين؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون؛ لم يستقم، فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً، لما عليه حال المسترقة للسمع، وأنهم لا يقدرون أن يستمعوا إلى كلام الملائكة، أو يستمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة؛ فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٥)، والكشف (٢/ ٢٢١)، والنشر (٢/ ٣٥٦)، والإتحاف (ص:٣٦٨)، والسبعة (ص:٥٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) الكشاف (٤/ ٣٨-٣٩).

فإن قلت: هل يصح قول من زعم [أن أصله](١): «لئلا يسمعوا» فحذفت اللام كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني، فبقي: أن لا يسمعوا، فحذفت «أن» وأهدر عملها، كما في قول القائل:

ألا أيُّهذا الزَّاجري أحْضُرُ الوغى ....(٢)

قلتُ: كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب.

فإن قلت: أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث، وسمعت إليه يتحدث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟

قلتُ: المعدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك.

والملأ الأعلى: الملائكة؛ لأنهم يسكنون السماوات.

وقال ابن عباس: هم الكَتَبَة من الملائكة(٣).

﴿ويُقْذَفُون﴾ أي: يرمون ﴿من كل جانب﴾ أي: من جميع جوانب السماء أين صعدوا للاستراق.

﴿دُحُوراً﴾ مفعول له، أي: يقذفون للدُّحور وهو الطَّرْد، أو مدحورين؛ على الحال، أو هو مصدر على معنى: يُدْحَرُون دحوراً(٤)، أو لأن القذف والطرد

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٣٩).

(٢) صدر بيت لطرفة، وعجزه: (وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي)، انظر: ديوانه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: أنن، دنا)، والبحر (٧/ ١٦٣)، والدر المصون (١/ ٢٧٥، ٥/ ٣٧٥)، والسبع الطوال (ص:١٧٢)، والمقتضب (٢/ ١٣٤)، والهمع (١/ ٦)، والخزانة (١/ ١١٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٥)، والدر المصون (٥/ ٤٩٦).

يتقاربان في المعنى، فكأنه قيل: يُدحرون دحوراً.

﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي: دائم، يعني: أنهم يعذبون في الدنيا بإرسال النجوم عليهم، ولهم في الآخرة نوع من العذاب متصل لا ينقطع وهو عذاب النار.

وقال مقاتل(١): دائم إلى النفخة الأولى فهم يخرجون ويخبلون.

قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ «مَنْ» في محل الرفع بدل من الواو في ﴿لا يسَّمَّعُون﴾(٢)، على معنى: لا يسمع من الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة، أي: اختلس الكلمة من الملائكة مسارقة.

﴿فأتبعه﴾ لحقه ﴿شهاب ثاقب﴾ نار مضيئة تحرقه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ [الحجر:١٨].

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾
بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً
يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فاستفتهم﴾ قال الزجاج(٣): سَلْهم سؤال تقرير.

﴿أهم أشد خلقاً﴾ أحكم صنعة أو أقوى خلقاً، من قولهم: شديد الخَلق

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٩٦).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٩).

والخُلق، ﴿أم من خلقنا﴾ يريد: ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المَرَدَة. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد وسعيد بن جبير[١].

والمعنى: فكيف ينكرون قدرتي على إعادة الأموات، وقد شاهدوا عظائم مخلوقاتي ودلائل قدرتي.

قولهم: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ تسجيلٌ عليهم بالضعف بالنسبة إلى هذه المخلوقات العظام، وتنبيهٌ لهم على عجائب قدرة من أنشاهم من تراب مجبول، ليستدلوا بأحد المقدورين على الآخر.

وقيل: المعنى: أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم الماضية قبلهم، وقد أهلكنا أولئك حين كذبوا وكفروا وكانوا أشدّ منهم قوة وأعظم بطشاً، فما ظن هؤلاء؟

والمفسرون يقولون: نزلت هذه الآية في ركانة بن زيد[٢] بن هاشم بن عبد مناف، وأبي الأشدين كلدة[٣].

يقال: لَزِبَ يَلْزُبُ لُزُوباً؛ إذا لَزِق[٤].

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٠)، والطبري (٢٣/ ٤١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) في مصادر ترجمته: ركانة بن عبد يزيد. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٨)، والتقريب (ص:٢١٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: لزب).

قال ابن عباس: من طين لاصق[1].

وقال قتادة: لازق[2].

قال الواحدي[3]: المعنى: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون [فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين][4] غيرهم من الأمم في الخلق.

وهذا عندي غير مستقيم؛ لأن الأمم الماضية كانت أحكم بُنْيَة، وأشدّ قوة، وأعظم أجراماً، وقد نطق القرآن بأنهم كانوا أشد منهم قوة في مواضع، وإنما أراد الله تعالى تقريرهم بضعفهم بالنسبة إلى الذين من قبلهم؛ لتتضاءل أنفسهم عندهم؛ حيث يعظموا شدّة قواهم. ثم بين ضعف الجميع بقوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾.

قوله تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ أَضْرَبَ عن الكلام الأول ثم أخذ في غيره، فكأنه قيل: دَعْ يا محمد ما مضى، عجبت أنت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦). وذكره الماوردي (٥/ ٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كلهم -عدا الماوردي- بلفظ: ملتصق.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الوسيط (٣/ ٥٢٢).

(٤) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

وقرأ حمزة والكسائي: «عَجِبْتُ» بضم التاء[١]، وهي قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال أبو وائل: قرأ عبدالله بن مسعود: «بل عجبتُ»، فقال شريح: إن الله لا يعجب، إنما يعجب من لا يعلم.

قال الأعمش: فذكرته لإبراهيم، فقال: إن شريحاً كان معجباً برأيه، وإن عبدالله قرأ: «بل عجبتُ»، وعبدالله أعلم من شريح[٢].

قال الزجاج رحمه الله[٣]: إنكار هذا غلط؛ لأن القراءة به، والرواية كثيرة، والعجب من الله تعالى بخلاف العجب من الآدميين، وأصل العجب في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما [ينكره][٤] ويقلّ مثله قال: قد عجبتُ من كذا وكذا، فكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله تعالى جاز أن يقول فيه: عجبتُ، والله تعالى قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والتعجب الذي به يلزم الحجة عند وقوع الشيء.

وقال الواحدي[٥]: إضافة التعجب إلى الله تعالى ورد الخبر به، كقوله ﷺ:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٥)، والحجة لابنِ زنجلة (ص:٦٠٦)، والكشف (٢/ ٢٢٣)، والنشر (٢/ ٣٥٦)، والإتحاف (ص:٣٦٨)، والسبعة (ص:٥٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦-٣٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٢) وعزاه لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٠).

(٤) في الأصل: يكره. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٣٠٠).

(٥) الوسيط (٣/ ٥٢٣).

«عجب ربكم من إِلِّكم[1] وقنوطكم»[2]، و «عجب ربك من شاب ليست له صبوة»[3]، و «عجب الله البارحة من فلان وفلانة»[4].

قوله تعالى: ﴿يستسخرون﴾ أي: يسخرون ويستهزؤون، أو يستدعي بعضهم من بعض السخرية.

قوله تعالى: ﴿وآباؤنا﴾ معطوف على محل «إن» واسمها، أو على الضمير في «لمبعوثون»، والذي جوّز العطف عليه [الفصل][5] بهمزة الاستفهام.

والمعنى: أيبعث أيضاً آباؤنا، على زيادة الاستبعاد[6].

قال مكي[7]: هذه واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام التي معناه الإنكار للبعث بعد الموت.

وقرأ ابن عامر وقالون: «أوْ آباؤنا» بإسكان الواو[8]، ومثله في

---

(١) الإلّ: الحلف والأيمان.

قال الخطابي في إصلاحه غلط المحدثين (ص:١٥٢): يرويه المحدثون بكسر الألف. والصواب: «أَلّكم» بفتحها. يريد: رفع الصوت بالدعاء.

(٢) أخرج ابن ماجه (١/ ٦٤ ح١٨١)، وأحمد (٤/ ١١) هذا الخبر بلفظ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره...».

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٤ ح٤٦٠٧).

(٥) في الأصل: الفعل. والتصويب من الكشاف (٤/ ٤١).

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤١).

(٧) الكشف (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٨) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٨)، والكشف (٢/ ٢٢٣)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٨).

الواقعة(١)، جعلها «أو» التي للإباحة في الإنكار، أي: أنكروا بعثهم [وبعث](٢) آبائهم بعد الموت. هكذا ذكر مكي.

وأنا قرأتُ لنافع من رواية وَرْش أيضاً عنه كقالون.

﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾: صاغرون.

﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ هذا جواب شرط مُقَدَّر، تقديره: إذا كان ذلك فإنما هي زجرة، وهي لا ترجع إلى شيء، وإنما هي مبهمة يفسرها خبرها.

والمعنى: فإنما هي صيحة واحدة.

قال الحسن وعامة المفسرين: هي النفخة الثانية(٣).

وَقَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وقالوا﴾ يعني: منكري البعث ﴿يا ويلنا﴾ سبق الكلام عليه وما بعده.

ويجوز أن يكون من تمام كلامهم، وقول بعضهم لبعض إلى قوله تعالى: ﴿احشروا﴾. ويجوز أن يكون من قول الملائكة لهم، ويجوز أن يكون قول الكفار.

---

(١) عند الآية رقم: ٤٨.

(٢) في الأصل: أو بعث. والتصويب من الكشف (٢/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٧) كلاهما عن السدي. وذكره الماوردي (٥/ ٤٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي.

انتهى بتمام الآية، ومن قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل﴾ من كلام الملائكة جواباً لهم.

وقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أضرابهم وأمثالهم في الكفر والمعاصي.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا، وصاحب الزنا مع صاحب الزنا، وصاحب الخمر مع صاحب الخمر[١].

وقال الحسن: يريد: أزواجهم المشركات[٢].

﴿وما كانوا يعبدون * من دون الله﴾ قال عكرمة وقتادة: يريد: الأصنام[٣].

وقال مقاتل[٤]: يعني: إبليس وجنده. واحتج بقوله تعالى: ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ [يس:٦٠].

﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ عرّفهم طريق النار حتى يسلكوها.

﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ قال الماوردي[٥]: فيه ستة أوجه:

أحدها: عن لا إله إلا الله. وهو قول يحيى بن سلام.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٣) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وابن منيع في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨) كلاهما عن قتادة. وذكره الماوردي (٥/ ٤٣) عن قتادة وعكرمة، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٩٧).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٤٤).

الثاني: عما دعوا إليه من بدعة. رواه أنس بن مالك مرفوعاً[(١)].

الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه. حكاه أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري.

الرابع: عن جلسائهم. وهو قول عثمان بن زائدة[(٢)].

الخامس: محاسبون. وهو قول ابن عباس[(٣)].

السادس: مسؤولون.

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ على طريق التوبيخ والتقريع لهم. انتهى كلام الماوردي.

قلت: وهذا الوجه السادس هو التفسير الصحيح.

والمقصود من هذا السؤال: التهكم بهم، والتوبيخ لهم بعجزهم عن تناصرهم، وليس المقصود منه الحساب، فإن هذا السؤال واقع بعد أن يقال للملائكة: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم»، وقد قضي الأمر فيهم وحق القول عليهم.

﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون خاضعون، أو قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله.

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه (٢/ ٨٦ ح١٧٧٨)، والترمذي (٥/ ٣٦٤ ح٣٢٢٨) وقال: هذا حديث غريب، والطبري (٢٣/ ٤٨)، والدارمي (١/ ١٤١)، والحاكم (٢/ ٤٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨٤) وعزاه للبخاري في تاريخه والترمذي والدارمي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ
إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ
بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾
وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾
يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني: الرؤساء والأتباع.

وقال قتادة: أقبل الإنس على الجن[1].

﴿يتساءلون﴾ سؤال توبيخ وتلاوُم، هؤلاء يقولون: غَرَرْتُمُونا، وهؤلاء يجيبونهم: لِمَ قَبِلْتُم منّا، ونحوه قول إبليس لهم: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان ...

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

الآية﴾ [إبـراهيم:٢٢]، وجيء به على لفظ الماضي على عـادة الله تعـالى في إخبـاره، لكونه متحقق الكون.

﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عـن اليمـين﴾ قـال ابـن عبـاس: تقهرونـا بـالقوة، واليمين: القوة[١]، وأنشدوا:

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ　　　تلقّاها عَرابةُ باليمين[٢]

وقال بعض أهل المعاني[٣]: لما كانت اليمين أشرف العضوين وأمثلهما وكانوا يتيمّنون بها، فبها يُصافحون وبهـا يُنـاولون ويَتنـاولون ويُزاولـون أكثـر الأمـور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سَمُّوها: الشؤمى، كما سموا أختها: اليُمنى، وتيمَّنوا بالسانح، وتطيّروا من البارح[٤]، وعـضدت الـشريعة ذلـك، فـأمرت بمبـاشرة أفاضل الأمور باليمين، [وأراذلها][٥] بالشمال. وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء، وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتـب الـسيئات، ووعـد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله؛ استعيرت للخير وجانبـه، فقيل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته، فصدّه عنه وأضله.

وقيل: كان الرؤساء قد حلفوا للأتباع أن ما يدعونهم إليه هـو الحـق فوثقـوا

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار المري. وهو في: اللـسان (مـادة: عـرب، يمـن)، والطـبري (٢٣/ ٤٩)، والقرطبي (٥/ ٢٠، ٨/ ٢٥١، ١٤/ ١٤٧، ١٥/ ٧٥، ٢٧٨، ١٨/ ٢٧٥)، والماوردي (٥/ ٤٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٢-٤٣).

(٤) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك. والبارح: ما أتاك من ذلك عن يـسارك (اللسان، مادة: سنح).

(٥) في الأصل: وأرذالها. والتصويب من الكشاف (٤/ ٤٢).

بأيمانهم.

والمعنى: كنتم تأتوننا من ناحية اليمين أنكم على الحق.

فإن قيل: ما العامل في «إذا» في قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم﴾؟

قلتُ: «يستكبرون»، تقديره: إنهم كانوا يستكبرون إذا قيل لهم: لا إله إلا الله.

فإن قيل: ما منعك أن تجعل «إذا» خبراً لـ«كان»؟

قلتُ: لأنها ظرف زمان، والواو في «كانوا» يراد به الجثث، وظروف الزمان لا تكون إخباراً عن الجثث.

وما لم أذكره ظاهر أو مفسر، إلى قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وهو استثناء منقطع.

﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ قال قتادة: الرزق المعلوم: الجنة[1].

ويفسد هذا القول بقوله تعالى: ﴿في جنات﴾.

وقال غيره: هو ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فواكه﴾، فيكون «فواكه» عطف بيان.

وقال بعض أهل العلم بالمعاني[2]: فسر الرزق المعلوم بالفواكه، وهو كل ما يتلذذ به ولا [يتقوت][3] لحفظ الصحة، يعني: أن رزقهم كله فواكه، لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، لأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) الكشاف (٤/ ٤٤).

(٣) في الأصل: يتوقت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

ويجوز أن يراد: رزق معلوم منعوت بخصائص خُلق عليها؛ من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر.

﴿على سرر متقابلين﴾ لا يرى بعضهم أقفاء بعض، وذلك من تمام ما يكون به الإكرام.

قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ يقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها [كأساً][(١)]، قال:

وكأسٍ شَربتُ على لذةٍ وأخرى تداويتُ منها بها[(٢)]

وقال الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وهذا تفسير ابن عباس أيضاً[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿من معين﴾ أي: من شراب معين، أي: من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض، الظاهر للعيون.

﴿بيضاء﴾ صفة للكأس.

قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن[(٤)].

﴿لَذَّة﴾ أي: لذيذة، يقال شراب لَذّ ولذيذ، كطَبّ وطبيب.

وأنشدوا:

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٤٤).

(٢) البيت للأعشى، وهو في: البحر (٧/ ٣٤٤)، والدر المصون (٥/ ٥٠٠)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، وهناد في الزهد (١/ ٧٧-٧٨)، كلهم عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٧) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك، والنسفي (٤/ ٢٠) عن الأخفش.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥٦).

ولذٍّ كطعْمِ الصَّرْخديّ تركتُه   بأرضِ العِدا من خشيةِ الحَدَثَان[1]

ولَذَّة: تأنيث لَذَّ.

والمعنى: ما هو إلا التلذُّذ الخالص السالم من آفات الخمر، ألا تراه يقول: ﴿لا فيها غَوْل﴾ أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها وجع، من غالَه يغُوله؛ إذا أهلكه، ومنه: الغُول[2].

وقال بعض الحكماء: الغضبُ غُول الحِلْم[3].

﴿ولا هم عنها يُنْزَفُون﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يُنْزِفُون» بكسر الزاي، وافقهما عاصم في التي في الواقعة[4]. وقرأهما الباقون بفتح الزاي[5].

قال أبو علي[6]: يقال: أنزف الرجل، على معنيين:

أحدهما: أنه يراد به سَكِرَ. قال الشاعر:

لعمْري لئن أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ   لبئسَ النَّدَامَى كُنتمُ آل أَبْجَرَا[7]

---

(١) البيت للراعي، وهو في: اللسان (مادة: لذذ)، والقرطبي (١٥/ ٧٨)، والبحر (٧/ ٣٣٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠١)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٧)، والكشاف (٤/ ٤٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: غول).

(٣) هذا مثلٌ يُضرب في وجوب كظم الغيظ. (انظر: المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٣٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٦١).

(٤) آية رقم: ١٩.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٥-٣١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٨-٦٠٩)، والكشف (٢/ ٢٢٤)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٩)، والسبعة (ص:٥٤٧).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٦).

(٧) البيت ينسب للأبيرد الرياحي. وهو في: اللسان (مادة: نزف)، والمحتسب (٢/ ٣٠٨)، ومجاز القرآن (٢/ ١٦٩)، والأغاني (١٣/ ١٤٨)، والبحر (٧/ ٣٣٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠١)، =

فمقابلته له بـ«صحوتم» يدل على إرادة «سكرتم».

والآخر: أنْزفَ الرجل: إذا [نَفَدَ][(١)] شرابه، ومعنى «أنزف»: صار ذا إنفادٍ لشرابه، كما أن الأول معناه النفاد من عقله.

فمن قرأ بكسر الزاي: يجوز أن يراد به: لا يَسْكَرُون عن شربها. ويجوز أن يراد: لا ينفد ذلك عندهم، كما ينفد شراب أهل الدنيا.

ومن فتح الزاي أراد: لا يسكرون، وهو مثل: لا يُضْرَبُون، ليس «يُنْزَفون» من أنْزَفَ؛ لأن أنزف في كلا معنييه لا يتعدى إلى المفعول به، وإذا لم يتعدّ إلى المفعول به لم ينبني له، فإذا لم يجز ذلك علمت أن [ينزفون][(٢)] من نَزَفَ، وهو مَنْزُوف؛ إذا سَكِرَ.

قوله تعالى: ﴿وعندهم قاصراتُ الطرف عِين﴾ وهُنَّ اللواتي قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددنها إلى غيرهم، ومنه قول امرئ القيس:

منَ القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ من الذَّرِّ فوقَ الإتبِ منها لأثَّرا[(٣)]

قال أبو جعفر النحاس: العرب تقول لكل صغير: مُحْوِل ومُحِيل، وإن لم يأت عليه حَوْل[(٤)].

= والطبري (٢٣/ ٥٥)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٨)، ونسبه القرطبي في تفسيره للحطيئة (١٥/ ٧٩).

(١) في الأصل: نفذ. والتصويب من الحجة (٣/ ٣١٦).

(٢) في الأصل: منزفون. والتصويب من الحجة (٣/ ٣١٦).

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٦٨)، واللسان (مادة: قصر، حول)، والبحر (٧/ ٣٤٤)، والدر المصون (٥/ ٥٠٢)، والقرطبي (١٥/ ٨٠، ٢٢٠)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٩، ٢٧/ ١١٨، ٣٠/ ٢١٢)، والماوردي (٥/ ٤٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: حول).

وقال أبو هلال العسكري: الإِتْبُ: ثوب رقيق تبرز فيه المرأة. يقال: ائْتَتَبَت [تأتيباً](١).

و«العِين»: النَّجَل(٢) العيون.

قال الزجاج(٣): كِبَارُ العيون حِسَانُها، الواحدة: عَيْنَاء.

﴿كأنهن بَيْضٌ مكنون﴾ شبههن سبحانه وتعالى ببيض النعام المكنون في الأداحي، وبها تشبِّه العرب النساء وتسمّيهن: بيضات الخدور.

وقال الزجاج(٤): أي: كأن ألوانهن ألوان بيض النعام الذي يكنه ريش النعام.

ويجوز أن يكون «مكنون»: مَصُون، يقال من ذلك: كَنَنْتُ الشيء؛ إذا سترته وصُنْتُه، فهو مكنون، وأَكْنَنْتُه: إذا أخفيته وأضمرته في نفسك(٥).

وقال الحسن وابن زيد: شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار، فلونها [أبيض](٦) في صفرة، وهذا أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء [مشربة بصفرة](٧).

---

(١) في الأصل: تأتيب. وانظر: اللسان (مادة: أتب).

(٢) النَّجَل: سعة شق العين مع حُسْن (اللسان، مادة: نجل).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: كنن).

(٦) زيادة من الوسيط (٣/ ٥٢٥).

(٧) أخرج نحوه الطبري (٢٣/ ٥٧) عن ابن زيد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٢) عن زيد بن أسلم. وذكره الماوردي (٥/ ٤٨) عن الحسن، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٥) عن الحسن وابن زيد، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٩) وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم. وما بين المعكوفين في =

وإلى هذا المعنى ذهب جماعة المفسرين، إلا ما يروى عن ابن عباس أنه أراد بالبيض المكنون: الدُّرُّ في صَدَفه[١]، وأنشدوا قول الشاعر:

هي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغـ ـواص مِيزتْ منْ جَوهرٍ مكنون[٢]

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ
﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ
﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا
لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يريد: أهل الجنة يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا.

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ أي: صاحب في الدنيا ينكر البعث، وهو قوله: ﴿أإنك لمن المصدقين﴾ يعني: بالبعث.

قال ابن عباس: شريكٌ كان يدعوه إلى الكفر فلا يجيبه[٣].

= الأصل: مشرة صفرة. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٢٥).

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٨).

(٢) البيت لأبي دهبل، ويقال: لعبد الرحمن بن حسن، انظر اللسان (مادة: خصر، سنن)، والطبري (٢٣/ ٥٨)، والقرطبي (١٠/ ٢٢، ١٥/ ٨١)، والماوردي (٥/ ٤٨).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩).

وقال مجاهد: شيطانٌ كان يغويه[1].

وكثيرٌ من المفسرين يقولون: هما اللذان قص الله تعالى علينا قصتهما في الكهف في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾[2] [الكهف:٣٢].

قوله تعالى: ﴿لمدينون﴾ أي: مجزيون ومحاسبون، والاستفهام للإنكار.

«قال» يعني: القائل، «إني كان لي قرين».

وقيل: الله عز وجل. وقيل: بعض الملائكة.

فإن قلنا: هو صاحب القرين؛ فالمعنى: قال لأصحابه في الجنة: ﴿هل أنتم مطلعون﴾ إلى النار ينظر كيف منزلة أخي. وقد نُقل أن في الجنة كوىً ينظر منها أهل الجنة إلى أهل النار.

وإن قلنا: هو الله تعالى أو بعض الملائكة؛ كان المعنى: هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لتعلموا فرق ما بين المنزلتين.

﴿فاطلع فرآه﴾ أي: فرأى قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ أي: في وسطها، سُمي بذلك؛ لاستواء المسافة منه إلى الجوانب.

وقرأ جماعة، منهم ابن عباس وابن محيصن: «مُطْلِعُونَ» بالتخفيف وفتح النون[3].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨). وذكره الماوردي (٥/ ٤٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٩٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٩).

قال الزجاج[١]: هو بمعنى طَالِعُون ومُطَّلِعُون، يقال من ذلك: طَلَعْتُ عليهم واطَّلَعْتُ عليهم في معنى واحد.

قال الزمخشري[٢]: قيل: الخطاب على هذا للملائكة.

وقرئ: «مُطْلِعُونِ» بكسر النون[٣]، أراد: مطلعون إياي؛ فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله:

هُمُ الفاعلونَ الخيرَ والآمِرُونه ... إذا ما خَشُوا من حادثِ الأمر مُعْظَمَا[٤]

قال الزجاج[٥]: كسر النون شاذ عند البصريين والكوفيين جميعاً، وله عند الجماعة وجه ضعيف، وقد جاء مثله في الشعر وهو قوله، وأنشد البيت ثم قال: وإنما الكلام: والآمروه، وكل أسماء الفاعلين إذا ذكرت بعدها المضمر لم تذكر النون والتنوين، تقول: زيدٌ ضَارِبِي وهم ضاربوك.

وقال ابن جني[٦]: هو على لغة ضعيفة، وهو أن يجري اسم الفاعل مجرى

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٧).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٦٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٠٣). وقد ردّ هذه القراءة أبو حاتم وغيره؛ لجمعها بين نون الجمع وياء المتكلم، إذ كان قياسها: مُطَّلِعِيّ.

(٤) انظر البيت في: الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٨) وفيه: أن الرواة زعموا أنه مصنوع، ومجالس ثعلب (ص:١٢٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ١٢٥)، والخزانة (٤/ ٢٦٩)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٨٦)، والبحر (٧/ ٣٤٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠٤)، والقرطبي (١٥/ ٨٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٥).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٢٠).

الفعل المضارع؛ لقربه منه، فيجري «مُطلعوني» مجرى «يُطلعوني»، وهو شاذ.

﴿قال تالله إنْ كدت لتردين﴾ قال الزمخشري[١]: «إنْ» مخففة من الثقيلة، وهي تدخل على «كاد» كما تدخل على «كان»، ونحوه: ﴿إن كاد ليضلنا﴾ [الفرقان:٤٢] واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

«لتُرْدِين»: لتهلكني.

﴿ولولا نعمة ربي﴾ وهي العصمة والتوفيق للتمسك بعروة الإسلام، ﴿لكنت من المحضرين﴾ في النار.

قال ابن السائب: ثم يؤتى بالموت فيُذْبَح، فإذا أمن أهل الجنة فرحوا، وقالوا: ﴿أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ فقيل لهم: لا، فعند ذلك قالوا: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ قال الله تعالى: ﴿لمثل هذا﴾ النعيم ﴿فليعمل العاملون﴾[٢].

قال الزمخشري[٣]: الذي عطفت عليه الفاء محذوف، معناه: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بميتين ولا معذبين.

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا
شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ
لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٧).

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤﴾

ولما تمت قصة المؤمن وقرينه رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أذلك﴾ يعني: الرزق ﴿خير نُزُلاً﴾ قال الزجاج والزمخشري[1]: النُّزُل هاهنا: الرَّيْعُ والفَضْلُ في الطعام، يقال من ذلك: هذا طعام كثير النُّزُل، بتسكين الزاي وضَمِّها، والنَّزَل أيضاً.

قال الزمخشري[2]: فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغم.

وانتصاب «نُزُلاً» على التمييز، ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أَثَمر النخلة خير بلحاً أم رطباً؟ يعني: أن الرزق المعلوم نُزُل أهل الجنة، وأهل النار نُزُلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير في كونه نزلاً. والنُّزُل: ما يقال للنازل بالمكان من الرزق. ومنه: إنزال الجند لأرزاقهم. ومعنى الأول: أن للرزق المعلوم نُزُلاً، ولشجرة الزقوم نُزُلاً، فأيهما خير نزلاً؟. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم، واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم، قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٦)، والكشاف (٤/ ٤٨).
(٢) الكشاف (٤/ ٤٨).

قال الماوردي(١): هي شجرة في النار يقتاتها أهل النار، مُرّة الثمرة، خَشِنَة الملمس، مُنْتِنَة الريح.

فلما نزلت هذه الآية قال كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة. فقال ابن الزبعرى: الزقوم بكلام البربر: التمر والزبد، فقال أبو جهل: يا جارية أبغينا تمراً وزبداً، ثم قال لأصحابه: تزقموا، هذا الذي يخوفنا به محمد، [يزعم أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر](٢).

قال قتادة: لما ذكر الله تعالى هذه الشجرة افتتن بها الظلمة، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكلها، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾(٣).

أي: محنةً [وعذاباً](٤) لهم في الآخرة، وابتلاء لهم في الدنيا.

﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ قال الحسن: أصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترفع إلى دركاتها(٥).

﴿طَلْعُها﴾ الطَّلْع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها، ﴿كأنه﴾ في قبح منظره وشدة كراهته ﴿رؤوس الشياطين﴾ وشبهه برؤوس الشياطين وإن كانوا لم يروها؛ لما تقرر في أنفس الناس من قبحها، لكون الشيطان شراً محضاً، ألا تراهم يقولون للشيء المتناهي في القبح: كأنه شيطان، وللقبيح

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٥٠-٥١).

(٢) زيادة من الماوردي (٥/ ٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٩٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: عذاباً. والمثبت من: الكشاف (٤/ ٤٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٣).

الصورة: كأنه وجه شيطان، وإذا [صَوَّره][(١)] المصورون جاؤوا به على أقبح ما يقدروا، وبالعكس من ذلك [تشبيههم][(٢)] الأشياء المتناهية الحُسْن بالملائكة؛ لما تقرر في النفوس من حسن الصورة المَلَكية وإن لم يشاهدوها؛ لكون المَلَك خيراً محضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريم﴾[(٣)] [يوسف:٣١].

قوله تعالى: ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ أي: مِنْ ثَمَرِها ﴿فمالئون منها البطون﴾ إما لما يغلبهم من الجوع المفْرط، أو لكونهم يُكرهون على أكلها.

﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ أي: لَخَلْطاً ومزاجاً ﴿من حميم﴾ وهو الماء المتناهي الحرارة، إما أنهم يشربونه لعطشهم إذا أكلوا الزقوم، أو يُشاب لهم الزقوم بالحميم قبل تناوله.

والأول أظهر في العربية؛ لترتيبه بحرف «ثم».

وقرئ شاذاً: «لشُوباً» بضم الشين[(٤)]، و«هم» اسم لما يُشاب به، والأول تسميه بالمصدر.

قوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ فيه إشعار بأنهم يذهب بهم عن دركاتهم في النار إلى شجرة الزقوم والماء الحميم فيتطلعون منهما ثم يرجعون إلى أماكنهم، وهذا كقوله تعالى في موضع آخر: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ [الرحمن:٤٤].

---

(١) في الأصل: صوروه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٤٨).

(٢) في الأصل: تشبههم. والصواب ما أثبتناه.

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨).

(٤) وهي قراءة شيبان النحوي. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٣٤٨)، والدر المصون (٥/ ٥٠٦).

ثم ذمّهم الله تعالى على التقليد في الشرك فقال: ﴿إنهم ألفَوا آباءهم ضالين﴾ أي: وجدوهم زائغين عن طريق الهدى.

﴿فهم على آثارهم يُهْرَعُون﴾ قال الزجاج[1]: يَتبعونهم في سُرعة، كأنهم يزعجون [من الإسراع][2] إلى اتباع آبائهم.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي: دعانا على قومه حين أَيِسَ منهم، ﴿فلنعم المجيبون﴾ اللام جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: فوالله لنعم المجيبون نحن.

والمراد: أجبناه أحسن الإجابة من نصره على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ أنواع العذاب.

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده.

وقيل: المعنى: هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، وذلك أنه كان معه في السفينة أولاده الثلاثة: سام -وهو أبو العرب-، ويافث -أبو الروم- وحام -أبو

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٧).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

الحبش-.

قال بعض العرب يصف سوداء:

عجوزٌ من بني حَام بن نُوح كأنَّ جَبينها حَجَرُ المقام[١]

وقيل: سام أبو العرب وفارس والروم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب.

والأول أصح؛ لما أخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم»[٢].

﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ قال ابن عباس: تركنا عليه ثناء حسناً، وهو قوله تعالى: ﴿سلام على نوح﴾[٣]. وهو من الكلام المحكي.

قوله تعالى: ﴿في العالمين﴾ إعلام بثبات ذلك ودوامه في الملائكة والثقلين، وأنهم يسلمون عليه عن آخرهم إلى يوم القيامة.

ثم نبّه على أن علّة هذا العطاء الجزيل والثناء الجميل إحسان نوح وإيمانه، فقال تعالى: ﴿إنا كذلك ...﴾ إلى آخر الآيتين.

۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

---

(١) البيت لعنترة بن شداد، انظر: الماوردي (٥/ ٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥ ح٣٢٣١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٧).

قوله تعالى: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ قال ابن عباس: من أهل دينه[١].

وقال مجاهد: على منهاجه وطريقته[٢].

قال الأصمعي: الشيعة: الأعوان، مأخوذ من الشِّياع، وهو الحطب الصغار، يوضع مع الكبار حتى يستوقد؛ لأنه يعين على الوقود[٣].

وعامة المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير في «شيعته» يرجع إلى نوح.

وقال ابن السائب والفراء[٤]: الضمير لمحمد ﷺ. وهو بعيد.

وقيل: جعله من شيعته؛ لما بين شريعتيهما من الاتفاق.

وقيل: لحسن مصابرته قومه.

قوله تعالى: ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ قال قتادة: من الشك[٥].

وقال الحسن: من الشرك[٦].

والصحيح: العموم، على معنى: جاء ربه بقلب سليم من جميع الآفات المفسدة للقلوب، والظرف متعلق بما في «شيعته» من معنى المشايعة، على معنى: وإن من جملة من شايعه حين جاء ربه بقلب سليم إبراهيم، أو هو متعلق بمحذوف،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٩). وذكره الماوردي (٥/ ٥٤).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٢)، والطبري (٢٣/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٥٤).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٨٨). وذكره الطبري (٢٣/ ٦٩) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٦).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٤).

(٦) مثل السابق.

تقديره: اذكر إذ جاء ربه، فقال بعض أهل المعاني: أخلص قلبه لله، وعرف ذلك منه، فضرب المجيء مثلاً لذلك[١].

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ بدل من «إذ جاء ربه»[٢].

﴿أإفْكاً﴾ قال الزمخشري[٣]: هو مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً، وإنما قدم [المفعول على الفعل للعناية، وقدم][٤] المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون «إفكاً» مفعولاً به، يعني: أتريدون إفكاً[٥].

ثم فسّر الإفك بقوله: ﴿آلهة دون الله﴾ على أنها إفك في أنفسها.

ويجوز أن يكون حالاً، يعني: أتريدون آلهة من دون الله آفكين[٦].

﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ قال الثعلبي والواحدي[٧]: ما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره. فيكون تهديداً لهم على هذا القول.

وقال صاحب الكشاف[٨]: المعنى: فما ظنّكم به حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام، أو فما ظنكم به أيّ شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أنداداً.

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٥٠-٥١).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ٥٠).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٠٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٨)، والوسيط للواحدي (٣/ ٥٢٨).

(٨) الكشاف (٤/ ٥١).

فيكون تجهيلاً لهم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ قال المفسرون: كانوا يتعاطون علم النجوم، فأتاهم من حيث لا ينكرون حين أراد الكيد بأصنامهم، ليستدرجهم إلى مقصوده في إلزامهم الحجة، ودافعهم لئلا يحضر معهم عيدهم، وأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم[1].

قال سعيد بن جبير: رأى نجماً طالعاً فنظر فيه ﴿فقال إني سقيم﴾[2].

أي: مشارف للسقم وهو الطاعون، وكان أغلب أمراضهم، وكانوا يخافون العدوى، فتفرقوا عنه وذهبوا إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام، ففعل ما قصّ الله تعالى في كتابه الكريم.

وقال الكلبي: كان إبراهيم عليه السلام بقرية بين البصرة والكوفة، وكانوا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٩) كلاهما عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب.

ينظرون في النجوم، فنظر نظرة في النجوم فقال: إني سقيم[١].

قال ابن عائشة: كان علم النجوم من النبوة، فلما حبس الله تعالى على يوشع بن نون[٢] الشمس أبطل ذلك[٣].

فعلى هذا؛ يكون التقدير: فنظر نظرة في علم النجوم، أو في أحكام النجوم.

وقال قتادة: كلمة من كلام العرب، تقول إذا تفكّر الرجل في أمره: قد نظر في النجوم[٤].

فإن قيل: هل يُعَدُّ قوله: «إني سقيم» كذباً؟

قلتُ: كلا بل هو من معاريض الكلام. وقد أشبعت القول في مثل هذا في سورة الأنبياء في قصة إبراهيم عليه السلام.

ومراده هاهنا: إني سَاقِم، كما قال تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠].

وقيل: إني سقيم النفس لكُفْرِكُم.

﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ ذهَبَ إليها خفية، ومنه: رَوْغَةُ الثعلب. وكانوا تركوا بين أيدي آلهتهم طعاماً [لتبارك][٥] لهم فيه [على زعمهم][٦] ﴿فقال﴾ إبراهيم عليه السلام مستهزءاً بها وبهم: ﴿ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون﴾.

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٥٦).

(٢) وهو فتى سيدنا موسى الذي صاحبه في رحلتيه إلى الخضر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٥٥).

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: لتبرك. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٦٨).

(٦) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي: مَالَ عليهم. و«ضَرْباً»: مصدر.

وفي قوله: «باليمين» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أراد الجارحة المعلومة، أي: ضربهم بيده اليمنى؛ لأن الضرب بها أشد وأمكن؛ لقوتها.

الثاني: أنه أراد بالقوة والقدرة. قاله السدي[1].

وقيل: بقوة النبوة.

والثالث: أن المعنى: «ضَرْباً باليمين» أي: بسبب اليمين حين قال: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ [الأنبياء:٥٧]. حكاه ابن عيسى وغيره[2].

﴿فأقبلوا إليه يَزِفُّون﴾ وقرأ حمزة: «يُزِفُّون» بضم الياء[3]، وقرأتُ بها أيضاً لعاصم من رواية أبان عنه، ومن رواية أبي زيد عن المفضل عنه.

فمن قرأ بفتح الياء فمعناه: فأقبلوا إليه يُسرعون؛ من زَفيف النعامة، وهو أول عَدْوِهَا، يقال: جاء يزِفُّ زَفيفَ النعامة، ويقال: زفَّتِ الإبل تَزفُّ؛ إذا أسرعت[4].

ومن ضم الياء فهو من أَزَفَّ، إذا دخل في الزَّفيف، أو من أزفَّه، إذا حمله على الزَّفِيف، أي: يُزِفُّ بعضهم بعضاً، أو يُزِفُّون دوابهم، فإنه بلغهم صنيع إبراهيم بآلهتهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٩) حكاية عن الماوردي.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٩)، والكشف (٢/ ٢٢٥)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٩)، والسبعة (ص:٥٤٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: زفف).

فلما أقبلوا عليه قال محتجاً عليهم: ﴿أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون﴾ وبهذه الآية احتج علماء الحق على إبطال مذهب القَدَرية والجبرية بناء على أن «ما» مصدرية.

المعنى: والله خلقكم وعملكم، فأثبت كونها مخلوقة لله، وكونها من كسب العباد.

وقيل: إن «ما» موصولة، على معنى: والله خلقكم والذي تعملونه وتنحتونه من الآلهة.

وهذا الوجه أظهر؛ لوجهين:

أحدهما: أن المراد من الآية: الاحتجاج عليهم بفساد ما انتحلوه من عبادة [مخلوقات][1] لله تعالى مثلهم، بدليل قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾، فلو قلنا بأنها مصدرية لم يصح هذا الاحتجاج.

الثاني: أن «ما» في قوله: ﴿ما تنحتون﴾ موصولة لا شك فيها، فلا يُعدل بأختها عنها.

قوله تعالى: ﴿فأرادوا به كيداً﴾ أي: شراً، وهو تحريقه بالنار، ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أي: أعليناه عليهم بالحجة، وقهرناهم بخلاص إبراهيم من كيدهم.

وقيل: من الأسفلين في نار جهنم.

وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ

---

(١) في الأصل: مخالوق. والصواب ما أثبتناه.

أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ قال ابن عباس: مُهَاجر إلى ربي، يعني: أهجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني ربي[١].

وقال قتادة: ذاهب إلى ربي بقلبي وديني وعملي[٢].

قال مقاتل[٣]: فهاجر من أرض العراق، وهو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة.

وفي قوله: ﴿سيهدين﴾ قولان:

أحدهما: سيرشدني إلى طريق الهجرة. وهو قول جمهور المفسرين[٤].

الثاني: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي وتوفيقي، وهو الظاهر.

فلما استقر بدار هجرته -قال مقاتل[٥]: هي الأرض المقدسة- سأل ربه الولد فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ ولفظ الهِبة مُشعرٌ بالولد وغالبٌ عليه، ومنه: ﴿ووهبنا له يحيى﴾ [الأنبياء:٩٠]، و﴿هب لي من لدنك ولياً﴾ [مريم:٥]، ومنه قول علي حين هَنَّأ عبدالله بن العباس بولده علي عليهم السلام أبي الخلفاء: شكرت

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٥٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٣).

الواهب، وبورك في الموهوب.

﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ أي: وقور.

قال الحسن: ما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً أجلّ من الحلم[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: وهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويُوصف بالحلم.

﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال قتادة: مشى معه[(٣)].

وقال الحسن: مشى معه للعمل الذي تقوم به الحجة[(٤)].

قال ابن عباس: صام وصلى، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وسعى لها سعيها﴾[(٥)] [الإسراء:١٩].

قال المفسرون: كان ابن ثلاث عشرة سنة[(٦)].

﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ قال مقاتل[(٧)]: رأى إبراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٦٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٦٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٦٠).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٦١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٧٢).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٤).

قال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي[١].

وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا شيئاً فعلوه[٢].

﴿فانظر ماذا تَرَى﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «تُرِي» بضم التاء وكسر الراء[٣].

فمن قرأ: «تَرَى» بفتح التاء والراء، فمعناه: ماذا ترى من صبرك أو جزعك، أو ماذا ترى من الرأي.

ومن قرأ: «تُرِي» فعلى معنى: ماذا تبصر من رأيك وتبديه وتشير به.

وقال الفراء[٤]: ماذا تريني من صبرك أو جزعك.

وعلم أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، فإن ذلك كان حتماً من الله تعالى، بل ليعلم ما عنده مما نزل به من البلاء العظيم، وليؤانسه ويثبته ويستدرجه إلى الاستسلام والانقياد لما أمر به فيه، فظهر فيه أثر تلك البشارة المؤذنة براجح علمه، فذلك قوله: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ به من ذبحي ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلائه.

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٤-١٠٥) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٩)، والكشف (٢/ ٢٢٥)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٩-٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٨).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٩٠).

﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾
وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

﴿فلما أسلما﴾ أي: استسلما لأمر الله تعالى وانقادا له.

وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس وجعفر بن محمد والأعمش والثوري: «سلّما»(١). يقال: أسْلَمَ وسَلَّمَ واسْتَسْلَمَ بمعنى واحد.

قال قتادة: أسلم هذا ابنه وهذا نفسه(٢).

﴿وتلّه للجبين﴾ صرعه على شقه، فوضع أحد جنبيه على الأرض، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

قال الحسن: كان ذلك في الموضع المشرف على مسجد منى(٣).

وقال الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم(٤).

﴿وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ حيث فعلت ما أمكنك فعله.

ويروى: أنه رأى في النوم معالجة الذبح ولم يراد إراقة الدم، ففعل في اليقظة ما رأى في النوم. وهذا تمام الكلام.

وجواب «لمَّا» محذوف، تقديره: لما أسلما كان مما لا يحيط به الوصف من

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٧).

(٤) مثل السابق.

سعادتهما واصطفائهما.

وقيل: الجواب: «وناديناه»، والواو زائدة.

وقوله تعالى: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ إخبارٌ من الله تعالى، وليس من تمام ما نودي به إبراهيم.

قال مقاتل[١]: جزاه الله تعالى بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار [الظاهر][٢] الصعوبة أو المبين للمخلص من غيره.

وقال: البلاء هاهنا: النعمة، وهو أن فُدي ابنه بالكبش، وهو قوله تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ فعلى قوله: يكون «هذا» إشارة إلى الفداء.

والذِّبْح: اسم لما يُذْبَح.

واختلفوا في الكبش؛ فقال ابن عباس: هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقُبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فُدي به إسماعيل[٣].

وقال الحسن: [أنه فدي][٤] بوعْل[٥] أُهبط عليه من ثبير[٦].

فإن قيل: لم وُصف بالعظيم؟

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٤).

(٢) في الأصل: الطار. والصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١). وذكره الماوردي (٥/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١١٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) في الأصل: أفدى. والمثبت من الماوردي (٥/ ٦٢).

(٥) الوَعْل: تيس الجبل (اللسان، مادة: وعل).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٧). وذكره الماوردي (٥/ ٦٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٠).

قلتُ: لأنه وقع فداء عن ذبح الله من خليل الله فصار عظيماً لذلك، أو [لأنه][١] تقبل ورعى في الجنة أربعين خريفاً.

وقيل: كان عظيم الجثّة.

فصل

اختلف علماء الأمة في الذبيح على قولين:

أحدهما: أنه إسحاق[٢]. وهو قول عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، والعباس بن عبد المطلب، وكعب الأحبار، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل[٣]، والزهري، والسدي، في آخرين[٤].

والقول الثاني: أنه إسماعيل. وهو قول ابن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع، والقرظي، والكلبي، في آخرين[٥].

وعن الإمام أحمد روايتان كالقولين، وإلى القول الأول ميل أصحاب الإمام أحمد، وله ينصرون.

---

(١) في الأصل: لكنه. والصواب ما أثبتناه.

(٢) وهو اختيار الطبري.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٤).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٣)، والطبري (٢٣/ ٨١-٨٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١) وما بعدها. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٧ وما بعدها) من طرق عديدة، فانظرها.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٣)، والطبري (٢٣/ ٨٣-٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٥-١٠٧) من طرق عديدة، فانظرها.

والحجة للقول الثاني في القرآن: ما استنبطه محمد بن كعب القرظي، وذلك أن الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبوح: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾، وقال عز من قائل: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود:٧١] يقول: [بابن][١] وابن ابن، فلم يكن يأمره بإسحاق ليذبحه وله فيه من الله تعالى الموعد[٢]. فلما لم يذكر الله تعالى إسحاق إلا بعد انقضاء قصة الذبح ثم بشره بإسحاق، علمنا أن الذبيح إسماعيل.

قال القرظي: قد ذكرتُ ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام، فقال لي عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، وكان يهودياً فأسلم وحَسُنَ إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال: أيُّ بَنِي إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن [يكون][٣] أباكم الذي كان من أمر الله سبحانه وتعالى فيه والفضل الذي ذكره الله تعالى عنه، لصبره على ما أمره به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم[٤].

واحتج أيضاً من نصر هذا القول: بأن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة، ولو

---

(١) في الأصل: وأبا ابن. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٥ ح٤٠٣٩)، والطبري (٢٣/ ٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير والحاكم.

(٣) زيادة من الطبري (٢٣/ ٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٤-٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٧) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير.

كان الذبيح إسحاق لم يكن ذلك، بل كانا في يدي بني إسرائيل، ولم يزالا في البيت إلى أن احترق في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الشعبي وغيره: كان [القرنان][١] ميراثاً لولد إسماعيل عن أبيهم، وكان ولد إسحاق الروم أكثر وأعز من العرب، فلو لم يكن شرفاً لهم لم تقره الروم في أيديهم.

وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو ابن العلاء عن الذبيح؟ فقال لي: يا أصمعي أين ذهب عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان إسماعيل، وهو الذي بنى البيت مع أبيه عليهما الصلاة والسلام[٢].

الإشارة إلى القصة:

أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن علي النيسابوري، أخبرنا المؤمل بن أحمد، أخبرنا محمد بن عبدالله بن نعيم، حدثنا محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا الحسن بن الجهم، حدثنا الحسين بن الفرج، حدثنا أبو عبدالله الواقدي، حدثني ابن أبي سبرة، عن أبي مالك -وكان مولى لعثمان بن عفان- عن عطاء بن [يسار][٣] قال: سألت خوات بن جبير[٤]: ذبيح

---

(١) في الأصل: القرآن. والصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٠٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٣٥٦).

(٣) في الأصل: السائب. والمثبت من المستدرك (٢/ ٦٠٥)، والوسيط (٣/ ٥٣٠). وهو عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، كان ثقة كثير الحديث، مات بالإسكندرية سنة ثلاث أو أربع ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ١٩٤، والتقريب ص:٣٩٢).

(٤) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري، قيل: إنه شهد بدراً، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، مات سنة أربعين أو بعدها (تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٧، والتقريب ص:١٩٦).

الله أيهما كان؟ فقال: إسماعيل، لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النوم في منزله بالشام أن يذبح إسماعيل، فركب إليه على البراق حتى جاءه فوجده عند أمه، فأخذ بيده ومضى به إلى حيث أمر، حتى انتهى إلى منحر البدن اليوم، فقال: يا بني! إن الله أمرني أن أذبحك، فقال إسماعيل: فأطع ربك، فإن في طاعة ربك كل خير. فقال له إسماعيل: هل أعلمتَ أمي بذلك؟ قال: لا. قال: أصبت، إني أخاف أن تحزن، ولكن إذا قربت السكين من حلقي فأعرض عني، فإنه أحرى أن تصبر ولا تراني، ففعل إبراهيم، فجعل يحزّ في حلقه فإذا هو يحز في نحاس ما تَحيكُ[1] فيه الشفرة، فَشَحَذَها[2] مرتين أو ثلاثاً بالحجر كل ذلك لا يستطيع. قال إبراهيم: إن هذا الأمر من الله، فرفع رأسه فإذا هو بوَعْلٍ واقف بين يديه، فقال إبراهيم: قم يا بني، فقد نزل فداؤك، فذبحه هناك[3].

وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم عليه السلام إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدوا من الشام فيقيل بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته، أُرِيَ في المنام أن يذبحه، فلما أقرَّ بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلما جاء بابنه في شعب ثبير أخبره بما ذكر الله تعالى[4].

---

(١) أي: ما تقطع (انظر: اللسان، مادة: حيك).

(٢) شَحَذَ السكين والسيف يشحذه شحذاً: أَحَدَّهُ بالمِسَنِّ وغيره مما يخرج حَدَّه (اللسان، مادة: شحذ).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٥ ح٤٠٤٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٠).

(٤) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٥)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٣).

قال العلماء بالسير: فقال له ابنه الذي أراد ذبحه: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمي شيء فتراه أمي فتحزن، واستحدّ شفرتك، وأسرع مرَّ السكين على حلقي لتذبحني، فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فأقرئها السلام مني، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه، ثم أقبل عليه يُقبّله وقد ربطه وهو متكئ والابن يبكي، حتى استنقع بالدموع ما تحت خدّه، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك السكين(١).

قال السدي: ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه(٢).

قالوا: فقال الابن عند ذلك: كُبّني لوجهي على جبيني، فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله، وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل إبراهيم ذلك، ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين، ونودي: يا إبراهيم! قد صدقت الرؤيا، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه(٣)، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أقرن أملح، فكبَّر جبريل وكبَّر إبراهيم وكبَّر ابنه، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه(٤).

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٤-١٦٥)، والبغوي (٤/ ٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الفاكهي (٥/ ١٢٣-١٢٤).

(٤) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٥-١٦٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٤-٣٥).

قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده، لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس[(١)].

قال أبو هريرة وكعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله: قال الشيطان: والله لئن لم أفتن آل إبراهيم عند هذا [لا أفتن][(٢)] منهم أحداً أبداً، فتمثل لهم الشيطان رجلاً وأتى أم الغلام، فقال لها: هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطبان من هذا الشعب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك، قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: إن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه وسلّمنا لأمر الله، فخرج الشيطان من عندها حتى أتى الابن وهو يمشي على إثر أبيه، فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: نحطب أهلنا من هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلا أن يذبحك، قال: ولم؟ قال: يزعم أن الله أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره ربه، فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، فقال: والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع عدو الله إبليس بغيظه لم يبلغ من إبراهيم وآله شيئاً مما أراد، قد امتنعوا منه بعون الله تعالى[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ «نبياً» حال مُقَدَّرَة[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٧). وذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٣).

(٢) في الأصل: لأفتن. والتصويب من البغوي (٤/ ٣٤).

(٣) أخرجه الفاكهي (٥/ ١٢٣). وذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٥)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٧)، والدر المصون (٥/ ٥١١).

قال الزمخشري[(١)]: لا بد من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشرناه بوجود إسحاق نبياً، أي: بأن يوجد مقدرة نبوته؛ فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، وبذلك يرجع، نظير قوله: ﴿فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣].

قوله تعالى: ﴿من الصالحين﴾: حال ثانية[(٢)].

قال قتادة: بشره الله تعالى بنبوة إسحاق بعدما امتحنه بذبحه[(٣)].

وهذا جواب من يقول: الذبيح إسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله: ﴿وبشرناه بإسحاق﴾، قالوا: ولا يجوز أن يبشره الله تعالى بمولده ونبوته معاً؛ لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبياً.

قوله تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ أي: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٦١).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ وهو ما كانوا فيه من الذُلِّ والاستعباد والاستخدام في الأعمال الشاقة.

وقيل: الغرق.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ وقرأتُ لابن عامر من بعض طرقه: «وإنَّ اليَاسَ» بوصل الهمزة(١). والابتداء على هذه القراءة بفتح الهمزة، جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف، كقوله: ﴿واليَسْعَ﴾ [الأنعام:٨٦].

والوجه: قراءة العامة؛ لأن الهمزة ثابتة في هذا الاسم وليست للتعريف، يدل على ذلك قوله: ﴿سلام على إلياسين﴾.

واختلف فيه، فقال عبدالله بن مسعود: هو إدريس عليه السلام(٢)، وفي قراءته: «وإن إدريس لمن المرسلين»، «سلام على إدراسين»، وهذا قول قتادة

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٩-٦١٠)، والنشر (٢/ ٣٥٧-٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٢٦١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

وعكرمة[١].

وقال عامة المفسرين وأهل العلم بالتاريخ: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل[٢].

قال ابن عباس: هو عم اليسع[٣]، وقالوا: هو إلياس بن ياسين بن العيزار بن هارون بن عمران.

قال ابن إسحاق وغيره: بعثه الله تعالى إلى سبطه، وكانوا يسكنون بعلبك، وكان ملكهم قد حملهم على عبادة الأوثان، وكان لهم صنم يقال له: [«بَعْل»][٤]، طوله عشرون ذراعاً، له أربعة أوجه، فجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الرحمن ورفض الأوثان، فاستجاب له الملك، وكان إلياس يقوم بأمره ويسدده، وكان للملك امرأة فاجرة، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب، فتبرز للناس وتحكم بينهم، وكانت قَتَّالة للأنبياء والأولياء، وكان للملك جار صالح..[٥] له جنينة إلى جنب قصر الملك وامرأته، وكان [الملك يحسن إليهما][٦]، وكانت امرأته تحسده عليها، فاحتالت عليه في أخذها منه..[٧] في بعض أسفار الملك أنه قد سبّ الملك، وكان حكمهم إذ ذاك أن من سبّ الملك قُتِلَ، فقتلته وأخذت الجنينة، فغضب الله

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٧٩).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٦٤) عن الكلبي، والبغوي (٤/ ٣٦)، والقرطبي (١٥/ ١١٥).

(٤) في الأصل: بغل. والتصويب من البغوي (٤/ ٣٦).

(٥) كلام غير ظاهر في الأصل.

(٦) غير ظاهر في الأصل. ولعل الصواب ما أثبتناه. وانظر: البغوي (٤/ ٣٦).

(٧) كلام غير ظاهر في الأصل.

تعالى عليهم، فلما قدم الملك سَفَّهَ رأيها فيما فعلت، فقالت: غضبتُ لك وحكمتُ بحكمك، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن قل له [ولزوجته][(١)]: إن الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلتموه ظلماً، وآلى على نفسه إن لم تتوبا وتردّا الجنينة إلى ورثة وليي؛ أن يهلككما في جوف الجنينة أيسر ما تكونان، ثم يدعكما جيفتين مُلقاتين فيها حتى تتعرى عظامكما من لحومكما، ولا يتمتعان بها إلا قليلاً، فلما بلغه رسالة ربه اشتد غضبه على إلياس وقال: والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً، والله ما أرى إلا فلاناً وفلاناً -سَمّى ملوكاً كانوا يعبدون الأوثان- إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتمتعون، ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما ترى لنا عليهم من فضل، وهمَّ بتعذيب إلياس، فلما أحس بذلك خرج هارباً منه، فلحق بشواهق الجبال، وعاد الملك إلى عبادة الأوثان، وعكف على «بَعْل» يعبده من دون الله، وجعل له أربعمائة سادن يحفظونه ويقومون بأمره، وكان الشيطان يدخل في جوفه فيكلم السدنة، فمرض ابن الملك -وكان يحبه حباً شديداً- فسأل السدنة أن يلتمسوا له الشفاء من «بَعْل»، فدعوه فلم يجبهم، ومنعت القدرة الإلهية الشيطان أن يلج في جوف «بَعْل»، فلما طال ذلك عليهم قالوا: أيها الملك إن إلهك عليك غضبان، قال: ولم وأنا أعبده وأطيعه؟ قالوا: لأنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سالماً، وهو كافر بإلهك، فخذْ في طلبه، وهلك ابنه، ودعا عليهم إلياس فحبس الله تعالى عليهم القطر ثلاث سنين وهلك أكثرهم، فرجع إليهم إلياس فقال: إن كنتم لم تعلموا أنكم على باطل فاخرجوا بأصنامكم

---

(١) في الأصل: لزوجته.

وادعوها، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم ورجعتم [ودعوتم][(١)] الله تعالى فكشف ما بكم، فقالوا: أنصفت، وفعلوا، فلما رأوا أنها لم تجبهم إلى ما سألوا لجأوا إلى إلياس، فدعا الله تعالى لهم فنشأت سحابة مثل الترس فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق، ثم أرسل الله تعالى المطر فأغاثهم، فلما [كشف][(٢)] الله عنهم نقضوا العهد ولم ينزعوا عن ضلالتهم، فلما رأى إلياس ذلك دعا [ربه عز وجل أن يريحه منه][(٣)]، فقيل له: انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا [وكذا، فما جاءك من شيء فاركبه][(٤)] ولا تهبه، فأقبل [فرسٌ][(٥)] من نار حتى وقف بين يديه، فوثب [عليه إلياس][(٦)] فانطلق الفرس، فكان ذلك آخر العهد به، وقطع الله عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، وكان إنسياً ملكياً، أرضياً سمائياً[(٧)]، وسلط الله تعالى على الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم، فقتل الملك وزوجته في الجنينة، ولم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة

---

(١) في الأصل: ودعوتموا.

(٢) في الأصل: شكف. والتصويب من البغوي (٤/ ٤١).

(٣) غير ظاهر في الأصل، والمثبت من البغوي، الموضع السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: قوس. والتصويب من البغوي، الموضع السابق.

(٦) غير ظاهر في الأصل، والمثبت من البغوي، الموضع السابق.

(٧) أخرج نحوه الطبري (٢٣/ ٩٢-٩٤) من طريق محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٨١) مختصراً، والطبري في تاريخه (١/ ٢٧٣-٢٧٤). وقال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن ذكر قول وهب بن منبه (١/ ٣٣٨): وفي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة. والله أعلم.

حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما، ونبأ الله اليَسْع وبعثه إلى بني إسرائيل رسولاً، وأَيَّدَهُ بمثل ما أَيَّدَ به إلياس، فآمنت به بنوا إسرائيل، وكانوا يعظمونه وينتهون إلى أمره[١].

وقد أخرج الإمام بإسناده عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام[٢].

قوله تعالى: ﴿أتدعون بَعْلاً﴾ قال عطاء: كان من ذهب[٣].

﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أي: وتدعون عبادة أحسن الخالقين.

﴿اللهُ ربُّكُم﴾ مبتدأ وخبر، ﴿وربُّ آبائكم الأولين﴾ عطف على الخبر[٤].

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «اللهَ ربَّكُم وربَّ» بالنصب على البدل[٥].

قوله تعالى: ﴿سلام على إليَاسين﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «آل ياسين»[٦].

قال أبو علي[٧]: حجة من قرأ «آل ياسين» أنهم زعموا أنها في المصحف مفصولة من «ياسين»، ولو كانت الألف واللام التي للتعريف لوصلت في الخط

---

(١) ذكر البغوي قول ابن إسحاق بطوله في تفسيره (٤/ ٣٦-٤١).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٨١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣١).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٠)، والكشف (٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، والنشر (٢/ ٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٩).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٠-٦١١)، والكشف (٢/ ٢٢٧)، والنشر (٢/ ٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٩).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٩-٣٢١).

[ولم تُفْصَل][1]، ففي فَصْل ذلك في الكتاب دلالة على «آلٍ» الذي تصغيره: أُهيل.

وأما من قرأ «إلياسين» فهو جمع، معنى واحده النسب، مثل: تميمي وبكري، ولا يجوز أن يكون هذا الجمع على حدِّ: مسلم ومسلمون، وزيد وزيدون؛ لأنه ليس كل واحدٍ منهم اسمه إلياس، وإنما إلياس اسم نبيِّهم، وإذا لم يكن على هذا عُلِمَ أنه على معنى إرادة النسب بالياء، إلا أن اليائين حذفتا في جمع الاسم على التصحيح، كما حذفتا في جمعه على التكسير، وذلك على نحو: المَسَامِعَة [والمَهَالِبَة][2]، فإنما هذا على أن كل واحد منهم مَسْمَعِي ومُهَلَّبِي، فحذفت الياءات في الجمع، وهكذا قولهم: الأشعرون والنمرون، إنما هو الأشعريون والنميرون، فحذفت ياء النسب من جميع ذلك، وكذلك التقدير في «إلياسين»: إلياسيِّين، فحذفت كما حذفت من سائر هذه الكلم، وقد قيل: أن إلياسين لغة في إلياس، كقوله: ميكال وميكائيل.

قال أبو علي[3]: وليس كذلك؛ لأن ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد، وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً؛ كإدريس وإدْراسين، وإلياس وإلياسين. تمّ كلام أبي علي.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إلياسين﴾ يريد: إلياس ومن آمن معه[4].

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٣١٩).

(٢) في الأصل: والمهالية. والتصويب من الحجة (٣/ ٣٢٠).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٢).

قال الفراء[١]: يذهب بإلياسين إلى أنه يجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين[٢] في اسمه.

وأما من قرأ «آل ياسين»: فلم أر أحداً من المفسرين قال فيه كلاماً سديداً. ويحتمل عندي وجهين:

أحدهما: أن يراد بـ«ياسين»: إلياس، ويكون ذلك من تحريف العرب الكلم الأعجمي؛ لأنه ليس من لغتها، فيقِلُّ اهتمامها به كما مرّ، حرّفوا إدريس إلى إدارس وإدراسين، وسليمان إلى سَلاَّم. قال الحطيئة:

فيه الرِّماحُ وفيه كُلّ سابغةٍ جَدْلاءَ مُحكمةٍ من نسْجِ سَلاَّم[٣]

وحرَّفَه النابغة فقال:

.... ونسْجُ [سُليمٍ][٤] كُلَّ قَضَّاءَ ذائِلِ[٥]

الجَدْلاء والمجْدُولة: المحكمة. ودرع قَضَّاء: خشنة الملمس. وذائل: طويلة. وحرّفوا أيضاً «طور سيناء» إلى «طور سينين»، وهذا كثير في كلامهم جداً.

فعلى هذا؛ يريد: سلام على أهل دينه، ويكون بهذا المعنى داخلاً في جملتهم؛

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) في الأصل زيادة قوله: فيه. وهو وهم. وانظر: معاني الفراء (٢/ ٣٩٢).

(٣) البيت للحطيئة، وهو في: اللسان (مادة: جدل) وفيه: «الجياد» بدل: «الرماح»، والأغاني (١٢/ ١٦٤)، وتاج العروس (مادة: جدل)، وزاد المسير (١/ ١٢٢).

(٤) في الأصل: سليماً. والتصويب من مصادر البيت.

(٥) عجز بيت للنابغة، وصدره: (وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ)، وهو في: ديوانه (ص:٩٥)، واللسان (مادة: ضمت، ذيل، قضي)، وزاد المسير (١/ ١٢٢)، وتاج العروس (مادة: صمت، ذيل، نثل، قضي)، والعين (٥/ ١٠).

لأنه أصلهم وهم تبع له، أو تكون الآل مقحمة؛ كقول الشاعر:

فلا تَبْكِ مَيْتاً بعدَ مَيْتٍ أجَنَّهُ عليٌّ وعباسٌ وآلُ أبي بكر [١]

يريد: وأبو بكر.

الثاني: أن المراد بآل ياسين: إلياس، وياسين: اسم أبيه كما سبق، فأضيف إليه كما تقول: آل محمد، وآل علي، وآل العباس، وهذا الوجه ألَمّ به صاحب الكشاف [٢].

وذكر الكلبي في تفسيره: أن المعنى: سلام على آل محمد [٣].

قال الواحدي [٤]: وهذا بعيد؛ لأن ما قبله وما بعده لا يدل عليه.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾

قوله تعالى: ﴿إذ نجيناه﴾ في قصة لوط لا يتعلق بما قبله؛ لأنه لم يرسل إذ نُجِّي، وإنما يتعلق بمحذوف، تقديره: اذكر إذ نجيناه.

قوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرّون عليهم﴾ أي: على قراهم ومنازلهم ﴿مصبحين *

---

(١) البيت لعبد الله بن أراكة الثقفي يرثي أخاه عمرو، انظر البيت في: تفسير الماوردي (٥/ ١٥٩)، وزاد المسير (١/ ٢٩٦)، وتفسير القرطبي (٤/ ٦٣).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٦٢).

(٣) انظر: الوسيط (٣/ ٥٣٢).

(٤) الوسيط (٣/ ٥٣٢).

وبالليل﴾ أي: نهاراً وليلاً. ثم وبخهم فقال: ﴿أفلا تعقلون﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝١٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾: سمعت شيخنا موفق الدين أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه يقول: أخبرنا أبو العباس أحمد بن المبارك بن سعد، أخبرنا جدي لأمي أبو المعالي ثابت بن بندار، أخبرنا أبو علي بن دوما، أخبرنا[1] أبو علي الباقرحي، أخبرنا الحسن بن علوية، أخبرنا إسماعيل، أخبرنا إسحاق بن بشر، أخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: أن يونس عليه السلام كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل، فأوحى الله إليه أن ابعث يونس إلى أهل نِينَوى[2] يحذرهم عقوبتي، قال: فمضى يونس على كُرْهٍ منه، وكان رجلاً حديداً شديد الغضب، قال: [فأتاهم][3] فحذَّرَهم وأنذرهم؛ فكذبوه وردُّوا عليه نصيحته، ورمُوهُ بالحجارة وأخرجوه، فانصرف عنهم، فقال له نبي بني إسرائيل:

---

(١) قوله: «أخبرنا» مكرر في الأصل.

(٢) نينوى: هي قرية يونس بن متّى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها: نينوى، منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه (معجم البلدان ٥/ ٣٣٩).

(٣) في الأصل: فأتهم. والصواب ما أثبتناه.

ارجع إلى قومك، فرجع إليهم، فرَمَوه بالحجارة وأخرجوه، فقال له النبي: ارجع إلى قومك، فرجع فكذبوه، فوعدهم العذاب فقالوا: كذبت، فلما كذَّبُوه وكفروا بالله وجحدوا كتابه، دعا عند ذلك ربه على قومه فقال: يا رب! إن قومي أبوا إلا الكفر، فأنزل عليهم نقمتك، فأوحى الله تعالى إليه أني أنزل بقومك العذاب، قال: فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله وانطلق، فصعد جبلاً ينظر إلى أهل نينوى ويترقب العذاب، فجاءهم العذاب وعاينوه، فأنابوا إلى الله تعالى، فكشف عنهم العذاب، فلما رأى ذلك جاءه إبليس فقال: يا يونس إنك إن رجعت إلى قومك اتَّهَمُوك وكذَّبُوك، فَذَهَبَ مغاضباً لقومه، فانطلق حتى أتى شاطئ دجلة، فركب سفينة، فلما توسطت الماء أوحى الله تعالى إليها أن ارْكدي، فركدت السفينة، والسفن تَمُرُّ يميناً وشمالاً فقالوا: ما نال سفينتكم؟ فقالوا: لا ندري، قال يونس: أنا أدري، قالوا: فما حالها؟ قال: فيها عبد آبق من ربه، فلا تسير حتى تلقوه في الماء، قالوا: ومن هو؟ قال: أنا وعرفوه، قالوا: أما أنت فليس نلقيك، والله ما نرجوا منها النجاة إلا بك، قال: فاقْترعوا فمن قرع فألقوه في الماء، قال: فاقْترعوا فَقَرَعَهُم يونس، فأبوا أن يلقوه، قال: فاقْترعوا الثانية فَقَرَعَهُم، قال: فاقترعوا الثالثة فَقَرَعَهُم فقال: ألقوني في الماء.

وفي رواية: قال: يا قوم، اطرحوني في الماء وانجوا، فقام القوم فاحتملوه شبه المشفقين عليه، فقال: ايتوا بي صدر السفينة، ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه فإذا الحوت فاتحٌ فاه، فلما رأى ذلك قال: أي قوم ردوني إلى مؤخر السفينة، ففعلوا، فلما أشرفوا ذهبوا يطرحونه فاستقبله الحوت فاتحاً فاه، فلما رأى جوفه وهَوْله قال: يا قوم ردوني إلى وسط السفينة، ففعلوا فاستقبله، فقال: ردوني إلى الجانب الآخر،

فاستقبله فاتحاً فاه ليأخذه، فقال: اطرحوني وانجوا، فلا منجى من الله، فطرحوه، والتقمه الحوت قبل أن يبلغ الماء وتصوب به.

رجع الحديث إلى الحسن، قال: فانطلق به الحوت إلى مسكنه من البحر، ثم انطلق به إلى قرار الأرض، فطاف به البحار أربعين يوماً، فسمع يونس تسبيح الحصا وتسبيح الحيتان، قال: فجعل يسبح ويهلل ويقدس، وكان يقول في دعائه: سيدي في السماء مسكنك، وفي الأرض قدرتك وعجائبك، سيدي من الجبال [أهبطتني][1]، وفي البلاد سيرتني، وفي الظلمات الثلاث حبستني، إلهي سجنتني بسجن لم تسجن به أحداً قبلي، إلهي عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي، فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء:٨٧]، قال: فسمعت الملائكة بكاه، وعرفوا صوته، وبكت الملائكة لبكاء يونس، وبكت السموات والأرض والحيتان، فقال الجبار: يا ملائكتي، ما لي أراكم تبكون؟ قالوا: ربنا، صوتٌ ضعيفٌ حزينٌ نعرفه في مكان غريب، قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر، فقالوا: يا رب! العبد الصالح الذي كان يصعد له في كل يوم وليلة العمل الصالح الكثير؟.

قال ابن عباس: قال الله: نعم، فشفعت له الملائكة والسموات والأرض، فبعث الله تعالى جبريل فقال: انطلق إلى الحوت الذي حبست يونس في بطنه فَقُلْ له: إن لي في عبدي حاجة، فانطلق به إلى الموضع الذي ابتلعته فيه فاقذفه فيه،

(١) في الأصل: أهبطني.

فانطلق جبريل عليه السلام إلى الحوت فأخبره، فانطلق الحوت بيونس وهو يقول: يا رب استأنست في البحر بتسبيح عبدك، واستأنست به دواب البحر، وكنت أزكى شيء به، وجعلت بطني له مُصلًّى يقدّسك فيه، فقدّست به وما حولي من البحار فتخرجه عني بعد أنس كان به، قال الله تعالى: إني أقلته عثرته ورحمته فألقِه، قال: فجاء به إلى حيث ابتلعه ببلد على شاطئ دجلة، فدنا جبريل من الحوت وقَرَّبَ فاه من فِيِّ الحوت فقال: السلام عليك يا يونس، رب العزة يقرئك السلام، فقال يونس: مرحباً بصوت كنتُ خشيتُ أن لا أسمعه أبداً، مرحباً بصوت كنتُ أرجوه قريباً من سيدي، ثم قال جبريل للحوت: اقذف يونس بإذن الله تعالى الرحمن، فقذفه مثل الفَرْخ المَمْعُوط(١) الذي ليس عليه ريش، فاحتضنه جبريل.

قال الحسن: فأنبت الله تعالى عليه شجرة من يَقْطين، وهو الدُّبَّاء، وكان لها ظل واسع يستظل به، وأمرت أن ترضعه أغصانها، فكان يرضع منها كما يرضع الصبي.

وعن [الحسن](٢) قال: بعث الله تعالى إلى يونس وَعْلَة من وُعُول الجبل يدرّ ضرعها لبناً، حتى جاءت إلى يونس وهو مثل الفرخ، ثم ربضت وجعلت ثديها في فِيِّ يونس، فكان يَمُصُّهُ كما يَمُصُّ الصبي، فإذا شبع انصرفت، فكانت تختلف إليه حتى اشتد ونبت عليه شعرُه خلقاً جديداً، ورجع إلى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت، فمرَّتْ به مارَّة فكسُوه كساء، فبينا هو ذات يوم نائماً إذ أوحى الله تعالى إلى الشمس أن احرقي شجرة يونس فأحرقتها، فأصابت الشمس جلده فأحرقته،

---

(١) مَعِطَ شعرُهُ وجِلْدُه مَعْطاً، فهو أمْعَط، ورجلٌ أمْعَط: لا شعر له على جسده (اللسان، مادة: معط).
(٢) في الأصل: أحسن.

فقال: يا رب نجيتني من الظلمات ورزقتني ظل شجرة كنت أستظل بها [فأحرقتها][١]، أفتسخر مني يا رب، وبكى، فأتاه جبريل فقال: يا يونس إن الله تعالى يقول: أنت زرعتها أم أنت أنْبَتَّها؟ قال: لا، قال: فبكاؤك حين تعلم أن الله تعالى قد أعطاكها، فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم.

وقال ابن عباس: قال له جبريل: أتبكي على شجرة أنبتها الله تعالى لك ولا تَبْكِ على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة، فعند ذلك عرف يونس ذنبه واستغفر ربه، فغفر له.

وعن الزهري قال: لما قوي يونس عليه السلام كان يخرج من الشجرة يميناً وشمالاً، فأتى على رجل يصنع الجرار، فقال يونس: يا عبد الله، ما عملك؟ قال: أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله تعالى، فأوحى الله تعالى إلى يونس: قل له: يكسر جراره..[٢]، فقال يونس ذلك له، فغضب الجرّار وقال: إنك رجل سوء، تأمرني بالفساد، تأمرني أن أكسر شيئاً صنعته وعملته ورجوتُ خيره، فأوحى الله تعالى إلى يونس: ألا ترى إلى هذا الجرّار كيف يغضب حيث أمرته بكسر ما صنع، وأنت تأمرني بهلاك قومك، فما الذي يشق عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون.

قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبِّحين﴾ أي: من المصلِّين من قبل أن تنزل البلية، ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾.

---

(١) في الأصل: فاحترقتها.

(٢) كلمة غير مقروءة في الأصل.

قال ابن عباس: من كان ذاكراً لله تعالى في الرخاء ذكره الله تعالى في الشدة واستجاب له، ومن يغفل عن الله تعالى في الرخاء وذكره في الشدة لم يستجب له.

إلى هاهنا سمعت من شيخنا رحمه الله.

عدنا إلى التفسير:

قوله تعالى: ﴿إذ أَبَقَ﴾ مجازٌ عن هربه بغير إذن من الله تعالى.

﴿فساهم﴾ فقارع ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين.

وحقيقته: المزْلَق عن مقام الظفر والغلبة.

﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ أي: ابتلعه وهو مستحق للَّوم؛ لأنه أتى ما يُلام عليه، وهو قوله تعالى: ﴿مليم﴾، [وهو](١) في محل الحال(٢).

﴿فلولا أنه كان من المسبِّحِين﴾ قال ابن عباس: من المصلِّين(٣).

قال قتادة: كان كثير الصلاة في الرَّخاء(٤).

وقال الحسن: من القائلين: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾(٥).

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٦) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٨٧ ح٢١١٩٤)، وأحمد في الزهد (ص:٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٥) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٨٧).

﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أي: في بطن الحوت إلى يوم يبعثون.

قال قتادة: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة(١).

واختلفوا في مقدار لبث يونس في بطن الحوت على خمسة أقوال:

أحدها: أربعون يوماً. وقد ذكرناه آنفاً، وهو قول جماعة، منهم: أبو مالك، وابن جريج، والسدي(٢).

الثاني: عشرون يوماً. قاله الضحاك(٣).

الثالث: سبعة أيام. قاله عطاء وجعفر(٤).

الرابع: ثلاثة أيام. قاله قتادة ومقاتل(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٥)، والطبري (٢٣/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠) كلهم عن أبي مالك. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن مردويه عن ابن جريج.

ومن طريق آخر عن أبي مالك، وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠) عن سعيد بن جبير. وذكره الماوردي (٥/ ٦٨) عن جعفر، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٣) عن عطاء، والسيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠) عن قتادة. وذكره مقاتل في تفسيره (٢/ ٣٦٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

الخامس: بعض يوم[١]. قال الشعبي: [التقمه][٢] ضحى، ولَفَظَهُ عشية[٣].

قوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء﴾ وهو المكان الخالي من الشجر والماء، ﴿وهو سقيم﴾ مُعتلٌّ مما حلّ به.

﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ قال أهل اللغة: اليقطين: كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض، كالبطيخ والقثاء والحنظل، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان، أي: أقام به.

قال عامة المفسرين: يعني: القرع[٤].

وقيل: التين.

وقيل: الموز.

والأول أكثر وأصح.

فإن قيل: ما الحكمة في اختصاص ذلك بالإنبات على يونس دون سائر الأشجار؟

قلتُ: لينُه وتكاثف ظلِّه، وكونه لا يقربه الذباب، فكان في ذلك زيادة لطف بيونس؛ لأنه خرج كما حكيناه كالفرخ المَمْعُوط.

---

(١) قاله الماوردي (٥/ ٦٨).

(٢) في الأصل: ألقمه. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩)، والحاكم (٢/ ٦٣٩ ح٤١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٢-١٠٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٠-١٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وطرق أخرى كثيرة، فانظرها.

قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال ابن عباس: أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت[١]، فكأنه أرسل إلى قوم بعد قوم أرسل إليهم ثانية.

وقال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه[٢].

فعلى هذا؛ المراد به: ما سبق من إرساله إليهم.

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾ فقال ابن عباس والفراء[٣] [وآخرين][٤]: «أوْ» بمعنى: «بل»[٥]، كقوله: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم:٩]، وأنشدوا:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشمسِ في رَوْنَقِ الضُّحَى ... وصُورتها أو أنتِ في العين أمْلَحُ[٦]

وقيل: «أو» بمعنى الواو[٧]؛ كقوله: ﴿عذراً أو نذراً﴾ [المرسلات:٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٢) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن وقتادة.

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٩٣).

(٤) في الأصل: آخرين.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٤). وذكره الماوردي (٥/ ٦٩).

(٦) البيت لذي الرمة. انظر: ملحقات ديوانه (ص:٨٥٧)، واللسان (مادة: أوا)، والمحتسب (١/ ٩٩)، والخصائص (٢/ ٤٥٨)، والدر المصون (١/ ١٣٥)، والقرطبي (١/ ٤٦٣، ١٦/ ١٠٠)، وزاد المسير (١/ ٤٢، ١٣٠)، وروح المعاني (١/ ٣٣٥، ٢٥/ ٩٠، ٢٨/ ١٠٥).

(٧) هو قول ابن قتيبة. انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٥).

وفي قراءة جعفر بن محمد: «ويزيدون»[١].

وقال الزجاج[٢]: هي على أصلها. المعنى: أو يزيدون في تقديركم، إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون.

فالشك إنما دخل في حكاية المخلوقين.

واختلفوا في مقدار زيادتهم؛ فقال قوم: كانوا يزيدون عشرين ألفاً.

أخرج الترمذي [من][٣] حديث أبي بن كعب قال: « سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال: يزيدون عشرون ألفاً »[٤].

وهذا قول عامة المفسرين.

وقال الحسن: بضعة وثلاثين ألفاً[٥].

وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً[٦].

﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ انتهاء آجالهم.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا
وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٨٩)، وأبو حيان في: البحر (٧/ ٣٦٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣١٤).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥ ح٣٢٢٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿فاستفتهم﴾ قال ابن عباس: اسأل أهل مكة سؤال توبيخ: ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾، وذلك أن قريشاً وقبائلاً من العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وهذا كقوله تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى﴾[1] [النجم:٢١-٢٢].

﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إناثاً ﴿وهم شاهدون﴾ حاضرون خلقنا إياهم، ومضنون ذلك بجهلهم حيث اطمأنوا إلى هذه المقالة التي لا يعضدها برهان.

﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون * وَلَدَ اللهُ﴾ وقرئ شاذاً: «وَلَدُ الله» بالرفع والإضافة[2]، أي: الملائكة ولد الله. والولد فَعَل بمعنى مفعول، يقع على الواحد والجمع، والمذكّر والمؤنث، تقول: هذا ولدي، وهؤلاء أولادي، وهذه ولدي.

قوله تعالى: ﴿أصْطَفَى البنات على البنين﴾ قرأ أبو جعفر ونافع في رواية وَرْش وإسماعيل: «لكاذبونَ اصْطَفَى» بوصل الهمزة على الخبر، والابتداء بكسر الهمزة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٦١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥١٤).

وقرأ الباقون:«أَصْطَفَى» بفتح الهمزة(١)، على الاستفهام الذي بمعنى التوبيخ؛ كقوله تعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ [الزخرف:١٦]، وقوله تعالى: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ [الطور:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم:٢١]، فكما أن هذه المواضع كلها استفهام، فكذلك قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى البنات﴾. ومن قرأ بوصل الألف فإنه على وجه الخبر، كأنه: اصطفى البنات فيما يقولون؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان:٤٩] أي: عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب إليه.

ويجوز أن يكون المعنى: وإنهم لكاذبون، قالوا أصطفى البنات، فحذف: قالوا(٢). وقوله بعد: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ توبيخ لهم على قولهم الكذب. ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿أصطفى البنات﴾ بدلاً من قوله تعالى: ﴿ولد الله﴾؛ لأن ولادة البنات [واتخاذهنّ](٣) اصطفاءً لهن. ويجوز أن يكون «اِصْطَفَى» تفسير لكذبهم الذي نسب إليهم في قولهم: ﴿ولد الله وإنهم لكاذبون﴾. هذا كله كلام أبي علي(٤).

وقال الفراء(٥): أراد الاستفهام، فحذف حرف الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ [الأحقاف:٢٠].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٢)، والنشر (٢/ ٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧١)، والسبعة (ص:٥٤٩).

(٢) قوله: «قالوا» مكرر في الأصل.

(٣) زيادة من الحجة (٣/ ٣٢٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١-٣٢٢).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٣٩٤).

وقراءة الأكثرين هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿أفترى على الله كذباً﴾ في سبأ[1].

﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي: حُجّة نزلت من السماء بأن الملائكة بنات الله.

﴿فائتوا بكتابكم﴾ الذي أنزل عليكم في ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ [الروم:٣٥] وهذه الآيات مؤذنة بغضب شديد، وإنكار فظيع، وتضليل لأحكام كفار قريش ومن دَانَ بقولهم واستهزائهم.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً﴾ قال قتادة: قالوا: صاهر الله الجن، والملائكة من بينهم[2].

وقال الكلبي: قالوا لعنهم الله: تزوج من الجن [فخرج][3] منها الملائكة[4].

وقال مجاهد: لما قالت قريش: الملائكة بنات الله، قال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات[5] الجن[6].

وقال الحسن: أشركوا الجن في طاعة الله[7].

---

(١) آية رقم: ٨.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٣) في الأصل: فرج. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٥) سروات الجن: أي: أشرافهم (اللسان، مادة: سرا).

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٦)، والطبري (٢٣/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣١)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٦٦ ح١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٣) وعزاه لآدم بن أبي إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦).

قال القرطبي (١٥/ ١٣٥): قول الحسن في هذا أحسن، دليله قوله تعالى: ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء:٩٨] أي: في العبادة.

وقال عطية العوفي وابن السائب: هو قول الزنادقة: أن الله وإبليس أخوان، وأن النور والخير [والحيوان][(١)] النافع من خلق الله، والظلمة والشر والحيوان الضار من خلق إبليس[(٢)].

﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي: أن القائلين هذا القول لمحضرون في النار.

وقيل: الضمير في «إنهم» للجِنَّة إن فُسِّروا بالشياطين.

قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع من «المحضرين»، معناه: لكن المخلصين ناجون، و﴿سبحان الله﴾ اعتراض. ويجوز أن يكون استثناء من الضمير في ﴿يصفون﴾[(٣)] أي: لكن عباد الله المخلصين براء من أن يوصفوه به.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ هذا خطاب لأهل مكة.

قال ابن عباس: فإنكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله[(٤)].

---

(١) في الأصل: الحيوان. والتصويب من الماوردي (٥/ ٧١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٧٠-٧١).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

﴿ما أنتم عليه﴾ قال الواحدي[١]: «ما أنتم عليه» أي: على ما تعبدون.

وقال الزمخشري[٢]: الضمير في «عليه» لله عز وجل. معناه: ما أنتم بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها.

فإن قلت: كيف يفتنونهم على الله؟

قلتُ: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخبَّبها عليه.

قال[٣]: ويجوز أن يكون الواو في «وما تعبدون» بمعنى: مع، على معنى: إنكم مع ما تعبدون، أي: إنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها. ثم قال: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾، أي: [على][٤] ما تعبدون «بفاتنين» بحاملين على طريق الفتنة والإضلال.

﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ في سابق علمه قضائه وحكمه.

قال عمر بن عبد العزيز: فصلت هذه الآية بين الناس[٥]. يشير إلى إبطال ما انتحلته القَدَرية.

وقرأ الحسن: «صَالُ الجحيم» بضم اللام[٦].

---

(١) الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٧).

(٣) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٣٦).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧١).

قال ابن جني[(١)]: شيخنا أبو علي يحمله على أنه حذف لام «صالٍ» تخفيفاً، وأعرب اللام بالضم، كما حُذفت لام البالة من قولهم: ما باليت به بالةً، وهي البالية كالعَافية.

وذهب قطرب إلى أنه أراد به جمع «صالٍ»، أي: صالون، فحذفت النون للإضافة، وبقَّى الواو [في][(٢)] «صالو»، فحذفها من اللفظ لالتقاء الساكنين، وحُمل على معنى «من»؛ لأنه جمع، فهو كقوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [يونس:٤٢].

قال ابن جني[(٣)]: وهذا حسن عندي. وقول أبي علي وجه مأخوذ به.

قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ هذا قول الملائكة. والتقدير: وما منا أحد، ولا بد من هذا المحذوف ليعود الضمير في قوله: «إلا له» إليه. والمعنى: إلا له مقام معلوم في العبادة ينتهي إليه ولا يتجاوزه ولا يقصر عنه، كما يروى: أن منهم من هو راكع لا يقيم صلبه، وساجد لا يرفع رأسه.

قال قتادة: كان الرجال والنساء يصلون جميعاً حتى نزلت: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾، فتقدم الرجال وتأخر النساء[(٤)].

﴿وإنا لنحن الصافون﴾ يصفون أقدامهم في الصلاة، أو أجنحتهم في الهواء ينتظرون أمر الله تعالى.

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٢٨).

(٢) في الأصل: من. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) المحتسب (٢/ ٢٢٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

وقال أبو مالك: كان الناس يصلون متبددين، فأنزل الله تعالى: ﴿وإنا لنحن الصافون﴾، فأمرهم النبي ﷺ أن يَصْطَفُّوا[1].

﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المُصَلُّون أو المنزهون.

ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين فقال: ﴿وإنْ كانوا ليقولون﴾ هذه «إنْ» المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، تقديره: وإن الشأن والأمر كأن المشركون ليقولون.

﴿لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي: لو جاءنا كتاب كما جاء غيرنا ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ كما قالوا: ﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ [الأنعام:١٥٧].

فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

قال الله تعالى: ﴿فكفروا به﴾ المعنى: فجاءهم ما تمنُّوا فكفروا به، ﴿فسوف يعلمون﴾ مغبّة كفرهم. وهذا تهديد لهم.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن مالك.

قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ قال مقاتل(١): الكلمة قوله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة:٢١].

وقال غيره: الكلمة قوله تعالى: ﴿إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

فإن قيل: هي كلمات، فكيف سماها كلمة؟

قلتُ: قد ذكرنا فيما مضى أن العرب تقول عن القصيدة: كلمة فلان، وقال فلان في كلمته، وهاهنا أولى؛ لانتظام الكلمات في معنى واحد، فكأنه كلمة مفردة.

فإن قيل: هذه الآية تتعلق بغلبة الرسل ونصرهم على من ناوأهم، وقد رأينا الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالاً، ومنهم من قتل، كما قال تعالى: ﴿وكأيّن من نبي قاتل﴾ [آل عمران:١٤٦]؟

قلتُ: قال السدي: المعنى: إنهم لهم المنصورون بالحجج في الدنيا [والعذاب](٢) في الآخرة(٣).

وقال قتادة: هم المنصورون إما بالإيمان أو بالانتقام(٤)، على أن العلة للرسل ولمن تبعهم في العاقبة، وإن وقع في غضون الأمر خلاف ذلك ابتلاء وامتحاناً.

وقد روي عن الحسن أنه قال: لم يقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١١٠).

(٢) في الأصل: والغدر. والتصويب من الماوردي (٥/ ٧٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٤) مثل السابق.

قط[١].

قوله تعالى: ﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ قال مجاهد والسدي: حتى نأمرك بالقتال[٢].

وقال قتادة: إلى الموت[٣]. فتكون منسوخة بآية السيف[٤].

﴿وأبصرهم﴾ وما يقضى عليهم من القتل والذل والأسر إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك.

وقال ابن زيد: أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يبصرون ما يحل بهم من عذاب الله[٥].

وقال ثعلب: «أبصرهم»: أعلمهم الآن، «فسوف يبصرون»: يعلمونه بالعيان[٦].

قال المفسرون: لما هدّدهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ قالوا تكذيباً واستهزاءً: متى هذا العذاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾[٧]. ﴿فإذا نزل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١-٥٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٣٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥). وذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٦) انظر قول ثعلب في: تفسير الماوردي (٥/ ٧٤).

(٧) ذكره الطبري (٢٣/ ١١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٩) بنحوه.

بساحتهم﴾ أي: بحضرتهم.

قال الفراء[١]: العرب تكتفي بالسَّاحَة والعَقْوَة[٢] من القوم، يقولون: نزل بك العذاب وبساحتك [سواء][٣].

والسَّاحَة: مُتَّسَعُ الدار[٤].

﴿فساء صباح المنذرين﴾ وقرأ ابن مسعود على المعنى: «فبئس صباح المنذرين»[٥].

وصحَّ عن النبي ﷺ «أنه قال يوم خيبر حين أصبحوا فخرجوا بمساحيهم فرأوا جيش النبي ﷺ فقالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[٦].

وإنما كرر «وَتَوَلَّ عنهم» لتكون تسلية على تسلية، وتأكيداً لوقوع ما توعدهم به من العذاب.

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ثم نزّه نفسه عما يقوله المشركون فقال سبحانه وتعالى: ﴿سبحان ربك رب

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) العقوة والعقاة: الساحة وما حول الدار والمحلّة (اللسان، مادة: عقا).

(٣) زيادة من معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: سوح).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٢١ ح٥٨٥)، ومسلم (٢/ ١٠٤٥ ح١٣٦٥).

العزة﴾ أي: مالك العزة.

وقال صاحب الكشاف[1]: أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذو العزة، كما تقول: صاحب صدق؛ لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وتعز من تشاء﴾ [آل عمران:٢٦].

ولما اشتملت هذه السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله عز وجل ونسبوا إليه ما هو سبحانه وتعالى منزّه عنه، وما عاناه المرسلون صلوات الله عليهم من جهتهم، وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم؛ ختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما قيّض لهم من حسن العواقب.

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون... إلى آخر السورة»[2].

وهو حديث ثابت من طرق، أحسنها ما أخبرنا به أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الكرابيسي، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه أبو سعيد المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن حمد الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر الدينوري، أخبرنا أبو بكر السني الحافظ، أخبرني

---

(١) الكشاف (٤/ ٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٩ ح٣٠٩٧).

أبو عروبة[١]، حدثني ابن وكيع[٢]، حدثني أبي[٣]، عن سفيان الثوري، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته -قال: لا أدري قبل أن يُسَلِّم أو بعد أن يُسَلِّم- يقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٤].

وقال ﷺ: «من أحب أن يكتال له بالكيل الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٥].

---

(١) هو الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي الجزري، أبو عروبة الحراني، صاحب التصانيف. ولد بعد العشرين ومائتين، وأول سماعه في سنة ست وثلاثين ومائتين، كان عارفاً بالرجال وبالحديث، مات سنة ثماني عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥١٠-٥١٢).

(٢) سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو محمد الكوفي، كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل، فسقط حديثه. توفي في ربيع الآخر سنة سبع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٠٩، والتقريب ص:٢٤٥).

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ، كان ثقةً مأموناً عالياً، رفيع القدر، كثير الحديث حجة، ولد سنة سبع أو ثمان أو تسع وعشرين ومائة، ومات سنة ست وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٩-١١٤، والتقريب ص:٥٨١).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ١٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه للخطيب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه لابن أبي حاتم عن الشعبي.

سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ستة وثمانون آية في المدني، وثماني وثمانون في الكوفي[1]، وهي مكية بإجماعهم.

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾

قال الله تعالى: ﴿صٓ﴾ اتفق القراء السبعة والأكثرون على تسكين الدال، وكان أبو جعفر يقف وقفة يسيرة[2].

وقرأ أبي بن كعب والحسن: «صادِ» بكسر الدال[3].

وقرأ عيسى بن عمر: «صادَ» بفتح الدال[4]، ومثله: قاف، ونون.

وقرئ: «صادٍ» بالجر والتنوين[5].

قال الزمخشري[6]: قرئ بالفتح والكسر لالتقاء الساكنين، ويجوز أن ينتصب

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢١٤).

(٢) انظر: النشر (١/ ٢٤١، ٤٢٤)، والإتحاف (ص:٣٧١).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧١).

(٤) ذكر هذه القراءة: الطبري (٢٣/ ١١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٩٧)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٣٦٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٥١٩).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٦٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٥١٩). وهي قراءة ابن أبي إسحاق.

(٦) الكشاف (٤/ ٧٢).

بحذف حرف القسم وإيصال فعله، كقولهم: اللهَ لأفعلنَّ، بالنصب، أو بإضمار حرف القسم، والفتح في موضع الجر، كقولهم: اللهِ لأفعلنَّ، بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث، لأنها بمعنى السورة، وقد صرفها من قرأ «صادٍ» بالتنوين والجر على تأويل الكتاب والتنزيل.

وقيل فيمن كسر: هو من المُصَادَاةِ، وهي المعارضة.

قال أبو علي الفارسي(١): ومنه الصدى، [وهو ما يعارض](٢) الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة، ومعناه: ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه.

وقيل: من قرأ «صاد» فعلى الإغراء.

وقيل: هو فعل ماض، أي: صاد محمد قلوب الناس واستمالها حتى آمنوا به.
وقد سبق الكلام على الحروف المقطعة في أوائل البقرة.

وقال مجاهد والقرطبي(٣) فيما يخص هذا الحرف: هو مفتاح أسماء الله، صمد، صانع المصنوعات، صادق الوعد.

وقال الضحاك: صدق الله(٤).

وقيل: صدق محمد ﷺ، وذلك مروي عن ابن عباس(٥).

---

(١) لم أقف عليه في الحجة. وهو من كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢).

(٢) في الأصل: وما تعارض. والتصويب والزيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٤) وعزاه لابن جرير.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٤٤) وعزاه لابن مردويه.

وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن[(١)].

وقيل: اسم السورة.

وقال السدي: قسم أقسم الله تعالى به[(٢)].

قوله تعالى: ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ أي: ذي الشرف، كما قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف:٤٤].

وقال ابن عباس: ذي البيان[(٣)].

قال صاحب الكشاف[(٤)]: ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم [محذوف][(٥)] الجواب لدلالة التحدي عليه، كأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه لكلام مُعْجِزٌ. أو يكون «صَ» خبر مبتدأ محذوف، على أنها اسم للسورة، كأنه قال: هذه صَ، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، [تريد][(٦)]: هذا هو المشهور بالسخاء والله؛ وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز.

وقال جماعة من أهل المعاني: جواب القسم محذوف، بتقدير: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودلّ على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿بل الذين

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٧). وذكره الماوردي (٥/ ٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٧) عن ابن عباس.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٩٨) كلاهما عن قتادة.

(٤) الكشاف (٤/ ٧٢).

(٥) في الأصل: بمحذوف. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: زيد. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

كفروا﴾[١].

وقال الواحدي[٢]: جواب القسم قد تقدم، أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمداً قد صدق، كما تقول: فعل والله، وقام والله.

قوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا في عِزَّةٍ﴾ أي: استكبار وأَنَفَة عن الإذعان للحق والاعتراف به.

وقرئ «غِرَّةٍ» بالغين معجمة والراء المهملة. أي: في غفلة[٣].

ثم خوفهم فقال تعالى: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا﴾ عند معاينة العذاب بالاستغاثة.

قال الحسن: فنادوا بالتوبة[٤].

قال الله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ قال الزمخشري[٥]: «لاَتَ» هي [لا][٦] المشبهة بـ«لَيْسَ»، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبَّ، وثَمَّ للتوكيد، تغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها؛ إما الاسم وإما الخبر، وامتنع بروزهما جميعاً. وهذا مذهب الخليل وسيبويه[٧].

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٢٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٥٣٨).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٩٩)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٣٦٧).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٣).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) الكتاب (١/ ٥٧).

وعند الأخفش: أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء، وخصت بنفي الأحيان. و«حين مناص» منصوب بها، كأنك قلت: ولا حين مناص لهم[1].

وعنه: أن [ما][2] ينتصب بعده بفعل مضمر، أي: ولا أرى حين مناص، ويرتفع -يعني: ما بعد «ولات»- بالابتداء، أي: ولا حين مناص كائن لهم. وعندهما أن النصب على: «ولات حين مناص»، أي: وليس الحين حين مناص، والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم[3].

وقرئ: «حينِ مناص» بالكسر[4]، وأنشدوا:

طَلَبُوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أنْ لاتَ حينَ بَقَاء[5]

وقرئ: «ولاتِ» بكسر التاء على البناء، [كجير][6].

فإن قلت: كيف يوقف على «ولات»؟

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٢٢).

(٢) زيادة من الكشاف (٤/ ٧٣).

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٥٢٢) بعد أن ذكر هذين الوجهين: وهما ضعيفان.

(٤) قال أبو حيان في البحر (٧/ ٣٦٧): وتخريجه مشكل. وحكى أيضاً في شرح التسهيل: أن بعضهم خرّج هذه القراءة على أن «لات» بمعنى «غير»، صفة لمحذوف، وتقدير البيت: طلبوا صلحنا وقتاً غير أوان صلح. وردّ هذا بأن الواو لا تراد في كـ«لا» الصفة، وبأنه لو كانت «لات» صفة لوجب تكرارها، في نحو: مررت برجل لا قائم ولا قاعد (انظر: التصريح ٢/ ٢٧٩، والكتاب ١/ ٢٨٠).

(٥) البيت لأبي زبيد الطائي، وهو في: اللسان (مادة: أون)، والخصائص (٢/ ٣٧٧)، ومجمع الأمثال (١/ ٤٣٣)، والكشاف (٤/ ٧٣)، والبحر (٧/ ٣٦٧)، والقرطبي (١٥/ ١٤٧)، والطبري (٢٣/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٥٢١)، وابن يعيش (٩/ ٣٢)، والهمع (١/ ١٢٦)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٩٨)، والأشموني (١/ ٢٥٦)، والخزانة (٤/ ١٨٣).

(٦) في الأصل: كحير. والتصويب من الكشاف (٤/ ٧٣).

قلتُ: يوقف عليها بالتاء، كما يوقف على الفعل الذي يتصل [به][(١)] تاء التأنيث.

وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة.

وأما قول أبي عبيد: أن التاء داخلة على «حين» فلا وجه له. واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط. هذا آخر كلامه[(٢)].

قلتُ: وإلى هذا الذي ذكر من أنّ الوقف على التاء وأن «حين» منقطعة صار جمهور أهل العلم.

وقد ذكر أبو [عبيد][(٣)] في غريب الحديث[(٤)]: قال الأموي: العرب يزيدون التاء في الآن وفي حين، فيقولون: تَلآن وتَحين، ومنه قوله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾، قال: وأنشدني الأموي لأبي [وجزة][(٥)] السعدي:

العَاطِفُونَ تَحِينَ ما منْ عَاطفٍ والمُطْعِمُون زمانَ ما منْ مُطْعِمِ[(٦)]

والمناص: المَنْجَا والفَوْت، يقال: نَاصَهُ يَنُوصُهُ نَوْصاً ومَنَاصاً؛ إذا فَاتَه،

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٧٣).

(٢) أي: كلام الزمخشري.

(٣) في الأصل: عبيدة. والصواب ما أثبتناه.

(٤) غريب الحديث (٤/ ٢٥٠).

(٥) في الأصل: جزة. والتصويب من غريب الحديث، الموضع السابق.

(٦) البيت لأبي وجزة السعدي، وهو في: اللسان (مادة: عطف، أين)، والأشموني (٤/ ٣٣٩)، ومجالس ثعلب (ص:٣٧٤)، والدر المصون (٥/ ٥٢١)، والقرطبي (١/ ٣٢١، ١٥/ ١٤٧)، وزاد المسير (٧/ ١٠١)، وروح المعاني (٢٣/ ١٦٥).

واسْتَنَاصَ: طَلَبَ المَناص[1].

قال حارثة بن [بدر][2] يصف فرساً كثير الجري:

غَمْرُ الجِرَاءِ إذا قَصَرْتُ عِنَانَهُ ... بيدي اسْتَنَاصَ ورَامَ جَرْيَ المِسْحَلِ[3]

المِسْحَل: حمار الوحش، سُمي بذلك؛ لكثرة سحاله.

وقال الفراء[4]: النَّوْص -بالنون-: التأخر، والبَوْص -بالباء-: التقدم، وجمعهما امرؤ القيس في بيت فقال:

أمِنْ ذكْرِ ليلى إذ نَأتْكَ تَنُوصُ ... وتَقْصُر عنها خُطْوةً وتبُوصُ[5]

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ

---

(١) انظر: اللسان (مادة: نوص).

(٢) في الأصل: برد. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: الأعلام (٢/ ١٥٨).

(٣) البيت لحارثة بن بدر، وهو في: اللسان (مادة: نوص)، والبحر (٧/ ٣٦٥)، والدر المصون (٥/ ٥٢٥)، وروح المعاني (٢٣/ ١٦٥)، والكشاف (٤/ ٧٤).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٩٧).

(٥) البيت لامرئ القيس، انظر: ديوانه (ص:١٧٧)، واللسان (مادة: بوص، نوص)، والماوردي (٥/ ٧٧)، وغريب القرآن (ص:٣٧٦)، والدر المصون (٥/ ٥٢٤)، والطبري (٢٣/ ١٢٠)، وزاد المسير (٧/ ١٠١). وفي الديوان وبعض المصادر: «سلمى» بدل: «ليلى».

ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أي: رسول من أنفسهم. هذا الذي ذكره المفسرون. والآية تحتمل وجهين:

أحدهما: مُنذرٌ من بني آدم، والآخر: من نسبهم.

وفي هذه الآية والتي بعدها دلالة على إفراط القوم في الجهالة، وتوغلهم في الضلالة، حيث نسبوا السحر والكذب إلى من ظهرت آيات رسالته، ومعجزات نبوته، وتعجبوا من إثبات الوحدانية لله تعالى الذي خلق ورزق، مع إنارة براهينها، ولم يتعجبوا من الشرك وعبادة الأحجار مع وضوح بطلانه.

قوله تعالى: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أي: لأمرٌ عَجَب، وهما لغتان مثل: كبير وكُبَار، [وطويل](١) وطُوَال.

والقُرّاء السبعة والأكثرون قرأوا: «عُجَاب» بالتخفيف. وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي وعيسى بن عمر: «عُجَّاب» بالتشديد(٢)، وهو لغة أيضاً.

قال ابن جني(٣): قد كثر عنهم مجيء الصفة على فعيل وفُعَال -بالتخفيف- وفُعَّال بالتشديد، قالوا: رجل وضِيءٌ ووُضَّاءٌ، وأنشدوا:

والمرءُ يُلْحِقُهُ بِفتيانِ النَّدَى ... خُلُقُ الكريم وليس بالوُضَّاء(٤)

---

(١) في الأصل: وطول. والمثبت من زاد المسير (٧/ ١٠٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ١٠٢-١٠٣)، والدر المصون (٥/ ٥٢٥).

(٣) المحتسب (٢/ ٢٣٠-٢٣١).

(٤) البيت لأبي صدقة الدُّبَيْري. انظر: الخصائص (٣/ ٢٦٦)، واللسان، (مادة: وضأ)، والقرطبي

أي: وليس بالوَضيء.

وقال:

نحنُ بَذلنا [دُونها][1] الضِّرَابــــا إنا وجَدْنا ماءَها طُيَّابــــا[2]

وقال:

جاؤوا بصيدٍ [عجب][3] من العَجَبْ أُزيرق العينين طُوَّال الذَّنب[4]

قال المفسرون: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق ذلك على قريش، فأتى أشرافهم أبا طالب واجتمعوا عنده، وشكوا إليه النبي ﷺ وقالوا: إنه سَفَّهَ أحلامنا، وسَبَّ آلهتنا، وعَابَ ديننا، فعاتب أبو طالب النبي ﷺ وقال: ما تريد من قومك يا ابن أخي؟ فقال: أدعوهم إلى كلمة واحدة، قالوا: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فنفروا من ذلك وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾، وخرجوا من عند أبي طالب يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم﴾، يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي: اثبتوا على عبادتها[5].

﴿إنْ هذا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد وظهور أمره ﴿لشيء يراد﴾ يُرِدْه

= (١٨/ ٣٠٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٧٦).

(١) في الأصل: دنها. والتصويب من المحتسب (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٣٩٨).

(٣) في الأصل: عجباً. والتصويب من مصادر البيت.

(٤) انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٣٩٨)، وزاد المسير (٧/ ١٠٣).

(٥) ذكره الطبري (٢٣/ ١٢٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨١)، والوسيط (٣/ ٥٣٩-٥٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٤٢-١٤٣).

الله تعالى ويُمْضِيه، أو لشيء يُراد بنا لا نَقْدِر على دفعه.

﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقوله محمد ﷺ من التوحيد ﴿في الملة الآخرة﴾ يعنون: النصرانية؛ لأنها آخر الملل. والنصارى لا يُوحِّدون.

وقال قتادة: في ملة قريش الذي أدركوا عليها آبائهم [(١)].

﴿إنْ هذا﴾ الذي جاء به من التوحيد والقرآن ﴿إلا اختلاق﴾ افْتعال وافْتراء.

ثم أنكروا اختصاصهم من بين صناديدهم وعظمائهم لشرف النبوة فقالوا: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري﴾ لأنهم كانوا يتردَّدُون بين التصديق بما يظهر لهم من دلائل نبوته، وبين التكذيب ذهاباً مع الحسد.

﴿بل لما يذوقوا عذابـ﴾ـي بعد، فإذا ذاقوه عرفوا ما أنكروه، وهذا تهديدٌ لهم وإيذان بأنهم يذوقون عذاب الله.

﴿أم عندهم﴾ أي: أبأيديهم ﴿خزائن رحمة ربك﴾ حتى يتصرفوا فيها كيف شاؤوا فيصيبوا بالنبوة ويخصُّوا بالذِّكْر من أرادوا.

والمعنى: ليس ذلك إليهم، وإنما هو بيد ﴿العزيز﴾ القاهر على خلقه، ﴿الوهاب﴾ الكثير المواهب المصيب بها مواقعها ومواضعها.

﴿أم لهم مُلْكُ السموات والأرض وما بينهما﴾ حتى يَتَكَلَّموا في الأمور الربانية، ويتحكموا في الحكم الإلهية، ويتصرفوا في التدابير التي يختص بها الخالق المالك.

ثم رشح ذلك تهكماً بهم فقال تعالى: ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ أي: إن كانوا يصلحون لهذا الشأن العظيم وبأيديهم الخزائن ولهم الملك وزمام التصرف والتدبير

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢٧) قال قتادة: أي: في ديننا هذا ولا في زماننا قط. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

على وفق الحكمة والمصلحة، وهو مفوض إليهم؛ فليرتقوا في الأسباب، أي: فليصعدوا في معارج العالم العلوي، وليستووا على العرش ويتوصلوا إلى ملكوت السموات والأرض، ويُنزلوا الوحي على من يشاؤون، ويخصُّوا بالشرف من يختارون.

ثم أبعدهم عن ذلك فقال تعالى: ﴿جند ما هنالك﴾ أي: هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل.

و«ما»: زائدة.

قال قتادة: أخبره الله تعالى وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جند المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر(١).

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُولَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

وفي قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد﴾ مع ما في حيزها تسلية للنبي ﷺ وتخويف لكفار قريش بما ذكَّرهم به من سنّته جلّت عظمته في الأمم المكذبة ممن كانوا أشد منهم قوة وأعظم مُلْكاً.

﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾ قال عطية: الجنود والجموع العظيمة(٢). يشير إلى

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٠٦).

استقرار ملكه واستحكام أمره واستفحال سلطانه، وأصله من ثبات المطنب بالأوتاد، كما قال:

والبيتُ لا ينبني إلا على عَمَدٍ ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتَادُ[1]

فاستعير لثبات العزة والملك كما ذكرناه، ومنه قول الأسود بن يعفر:

.... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابتِ [الأوتاد][2]

وقيل: **هذا** إشارة إلى جبروته وبطشه وتعجْرفه، فإنه كان إذا غضب على إنسان أمر به **فَمُدَّ** بين أربعة أوتاد وأرسل عليه العذاب.

قال **مقاتل** بن حيان: كان يَمُدُّ الرجل مُستلقياً على الأرض ثم [يشدّه][3] بالأوتاد[4].

وقال السدي: كان يمدّ الرجل ويشدّه بالأوتاد، ويرسل عليه العقارب والحيات[5].

---

(١) البيت للأفوَه الأودي، انظر: ديوانه (ص:١٠)، وأمالي القالي (٢/ ٢٢٤)، والبحر (٧/ ٣٧٠)، والدر المصون (٥/ ٥٢٧)، والكشاف (٤/ ٧٨)، وروح المعاني (٢٣/ ١٧٠، ٣٠/ ٦).

(٢) في الأصل: الأتاد. والتصويب من مصادر البيت.

وهو عجز بيت لأسود بن يعفر، وصدره: (ولقد غَنُوا فيها بأنْعَمَ عِيشَةٍ)، انظر: ديوان المفضليات (ص:٤٤٩٢)، والبحر (٧/ ٣٧٠)، والدر المصون (٥/ ٥٢٧)، والأغاني (١٣/ ٢٢)، وغريب القرآن (ص:٣٧٧)، والماوردي (٥/ ٨١)، والقرطبي (١٥/ ١٥٥)، وزاد المسير (٧/ ١٠٦).

(٣) في الأصل: يسنده. والمثبت من البغوي (٤/ ٥٠).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٥٠).

(٥) مثل السابق.

وقيل: كان يشد كل عضو إلى سارية ويتركه في الهواء حتى يموت(١).

وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه(٢).

قوله تعالى: ﴿فحق عقاب﴾ أي: فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم.

﴿وما ينظر هؤلاء﴾ كفار مكة لوقوع العذاب بهم ﴿إلا صيحة واحدة﴾ وهي النفخة الأولى في الصور ﴿ما لها من فَوَاق﴾.

قرأ حمزة والكسائي وخلف: «فُوَاق» بضم القاف والفاء، وفتحها الباقون(٣).

قال الفراء وأبو عبيد وأبو علي(٤): «الفَواق» -بالفتح-: الراحة والإفاقة، وبالضم: من فُواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين.

وقيل: هما لغتان بمنزلة جَمَامُ [المَكُول](٥) وجُمَامِهِ، وقَصَاصِ الشَّعْرِ وقُصَاصِهِ.

وقال ابن عباس وقتادة: ما لها من رجوع(٦).

---

(١) هو قول مقاتل في تفسيره (٣/ ١١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٦) كلاهما عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٠٦) عن عطاء وقتادة، والسيوطي في الدر (٧/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٣)، والكشف (٢/ ٢٣١)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٢).

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ٤٠٠)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١٧٦-١٧٧)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٢٣).

(٥) في الأصل: المكوك. والمثبت من الدر المصون (٥/ ٥٢٨). والمَكُول من الآبار: التي يقلّ ماؤها فتستجمّ حتى يجتمع الماء في أسفلها (اللسان، مادة: مكل).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال الزجاج[١]: المعنى في القراءتين: ما لها من رجوع.

[والفُواق][٢]: ما بين حَلْبَتَيْ الناقة، وهو مشتق من الرجوع أيضاً؛ لأن اللبن يعود إلى الضرع، ويقال: أفَاقَ من مرضه؛ إذا رجع إلى الصحة، وهو من هذا أيضاً[٣].

وقال صاحب الكشاف[٤]: ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين حَلْبَتَي الحالِب ورَضْعَتَي الرَّاضِع.

يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان؛ كقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [النحل:٦١].

وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قِطَّنا﴾ القِطُّ: القسْط من الشيء؛ لأنه قطْعة منه، مِنْ قَطَّه؛ إذا قطعه[٥].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٢٣).

(٢) في الأصل: والوافق. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: فوق).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: قطط).

ويقال [الصحيفة](١) الجائزة: قِطّ؛ لأنها قطعة من القرطاس(٢).

قال ابن عباس وقتادة: المعنى: عَجِّلْ لنا نصيبنا من العذاب والعقوبة، قالوا ذلك تكذيباً واستهزاءاً(٣).

وقال سعيد بن جبير والسدي: لما ذكر لهم ما في الجنة قالوا: عجل نصيبنا منها في الدنيا(٤).

وقال أبو العالية والكلبي ومقاتل(٥): لما نزل قوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ [الحاقة:١٩]، ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ [الحاقة:٢٥] قالت قريش: زعمت يا محمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا، فعَجِّل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب، يقولون ذلك تكذيباً به(٦)، فقال الله تعالى: ﴿اصبر على ما يقولون﴾ يعني: من الكفر والتكذيب والأذى.

فإن قيل: ما وجه المطابقة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ حتى قرن به وعطف عليه؟

قيل: قد أجاب الزمخشري(٧) عنه فأحسن، قال: كأنه قال لنبيه عليه الصلاة

---

(١) في الأصل: الصحيفة. والتصويب من الكشاف (٤/ ٧٩).

(٢) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٤) عن ابن عباس وقتادة، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٧) عن قتادة. وذكره الماوردي (٥/ ٨٢) عن ابن عباس، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٢) عن قتادة.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٢).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١١٤-١١٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٣).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٩).

والسلام: اصبر على ما يقولون، وعظّم أمر معصية الله تعالى في أعينهم بذكر قصة داود، وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك، لكرامته عليه وزلفته [لديه][1]، ثم زلّ زلةً فبعث الله تعالى [إليه][2] الملائكة ووبّخه عليها، على طريق التمثيل والتعريض، حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب، ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمّه الواصب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟ أو قال له ﷺ: اصبر على ما يقولون، وصُنْ نفسك وحافظ عليها أن تزلّ فيما كُلّفت من مصابرتهم وتحمّل أذاهم، واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زَلَّ تلك الزلّة اليسيرة، فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي.

﴿ذا الأَيد﴾ ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقّه وتكاليفه[3]، فإنه ﷺ كان يصوم يوماً ويُفْطر يوماً، -وهذا أشق شيء نجده على النفس-، ويقوم نصف الليل.

﴿إنه أوّاب﴾ رجّاع عن كل ما يكره الله تعالى.

﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ وهو وقت إضاءة الشمس وصفاء شعاعها.

قال الزجاج[4]: يقال: شَرِقَت الشمس؛ إذا طلعت، وأشرقت؛ إذا أضاءت[5].

---

(١) في الأصل: يديه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٧٩).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: بمشاقصوا تكاليفه. وقد صححت على الهامش بقوله: لعله: بمشاقه وتكاليفه. والمثبت من: الكشاف (٤/ ٧٩).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٢٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: شرق).

وقال غيره: يقال: شرقت الشمس ولما تشرق.

وقد روي عن ابن عباس أنه [فَسَّر][1] التسبيح بالإشراق في هذه الآية بصلاة الضحى[2]. وقال: حدثتني أم هانئ: «أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ، ثم صَلّى الضحى وقال: يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق»[3].

﴿والطير محشورة﴾ أي: مجموعة إليه تُسبّح الله تعالى معه.

قال ابن عباس: كان إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبّحت، فذلك حشرها[4].

﴿كل له أوّاب﴾ أي: كل واحد من الجبال والطير رجّاع إلى طاعة داود وأمره، أو كلٌّ لأجل داود، أي: لأجل تسبيحه مُسبّحٌ، لأنها كانت تُسبّح بتسبيحه.

وقيل: الضمير في «له» يرجع إلى الله تعالى، على معنى: كل واحدٍ من داود والجبال والطير لله تعالى أواب.

﴿وشددنا ملكه﴾ قوَّيناه بالجنود والعَدَد والعُدَد وإلقاء الرهبة والرغبة في قلوب الناس له.

قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل، فإذا أصبح قيل:

---

(١) في الأصل: قر. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٤٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٩ ح٦٨٧٣)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٠٦ ح٩٨٦)، والأوسط (٤/ ٢٩٦ ح٤٢٤٦). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٩) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٤).

ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله ﷺ(١).

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود، فقال: إن هذا غصبني بقراً لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة فلم تكن له بينة، فقال لهما دواد عليه السلام: قوما حتى أنظر في أمركما، فقاما من عنده، فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه: أن يقتل الرجل الذي استعدى عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أثبت، فأوحى الله تعالى إليه في منامه أن يقتله، فلم يفعل، فأوحى الله تعالى إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود عليه السلام إليه فقال له: إن الله تعالى أوحى إليَّ أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة؟ قال داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله تعالى فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل حتى أخبرك، وإني والله ما أُخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت أبَا هذا، فقتلته، فبذلك أُخذت، فأمر به فقُتل، فأشدت هيبة بني إسرائيل لداود عليه السلام عند ذلك، واشتدّ ملكه، فذلك قوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة﴾(٢).

قال ابن عباس: النبوة والمعرفة بكل ما حكم(٣).

وقيل: الزبور وعلم الشرائع.

﴿وفصْل الخطاب﴾ قال أكثر المفسرين: هو البينة على المدّعي واليمين على من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١١١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٨-١٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٧-٣٢٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٥).

أنكر[١]؛ لأن به الفصل والقطع بين المتخاصمين. وهو مروي عن علي عليه السلام.

وقال ابن مسعود وقتادة: هو العلم بالقضاء والفهم فيه[٢].

وقيل: الكلام الصحيح الفاصل بين الحق والباطل، والصحيح والفاسد، والصواب والخطأ[٣].

ويروى أنه عليه الصلاة والسلام أول من قال: أما بعد[٤].

وقيل: هو الخطاب الذي ليس فيه اختصار مُخِلٌّ، ولا إشباع مُمِلٌّ[٥]. ومنه قول أم معبد في صفتها لرسول الله ﷺ: «حلو المنطق، فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ»[٦].

وقد أحسن القائل:

ويُوجِزُ لكنه لا يُخِلُّ   ويطنُبُ لكنه لا يُمِلّ[٧]

---

(١) وهو نص حديث رسول الله ﷺ، أخرجه الترمذي في جامعه (٣/ ٦٢٦ ح١٣٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبري (٢٣/ ١٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٤) وعزاه لابن جرير والبيهقي.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٢).

(٤) هو قول أبي موسى الأشعري والشعبي. أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٠) عن الشعبي، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٨) عن أبي موسى. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٤-١٥٥) وعزاه لابن جرير عن الشعبي. ومن طريق آخر عن أبي موسى الأشعري، وعزاه لابن أبي حاتم والديلمي.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٢).

(٦) أخرجه الحاكم (٣/ ١٠-١١ ح٤٢٧٤) من حديث طويل.

(٧) البيت لعلي بن محمد البستي. انظر: قرى الضيف (٤/ ٣٥٥).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ قيل: إن الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما؛ إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما له نسوان كثيرة من المهائر[1] والسراري، والثاني ما له إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها.

والصحيح[2] والمشهور: أن السبب في امتحان داود عليه السلام: ما حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه في ذي القعدة سنة خمس وستمائة، قال: أخبرنا أحمد بن المبارك، أخبرنا ثابت بن بندار، أخبرنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا إسماعيل بن عيسى[3]، أخبرنا إسحاق بن بشر[4]، قال: وأخبرنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود عليه الصلاة والسلام قد قسم الدهر على أربعة أقسام، فيوم لبني إسرائيل يدارسهم العلم

---

(١) المهائر: الحرائر (اللسان، مادة: مهر).

(٢) وقد أشار المؤلف رحمه الله في آخر القصة أن جماعة من المحققين أنكروا صحة هذه الروايات، وهو الصحيح.

(٣) إسماعيل بن عيسى البغدادي العطار، ضعفه الأزدي وصححه غيره، مات في رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ٢٦٢، ولسان الميزان ١/ ٤٢٦).

(٤) إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم، أبو حذيفة البخاري، مولى بني هاشم. ولد ببلخ واستوطن بخارى فنسب إليها، وهو صاحب كتاب «المبتدأ» وكتاب «الفتوح»، متروك الحديث رمى بالكذب، توفي يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة ست ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٦).

ويدارسونه، ويوم للمحراب، ويوم للقضاء، ويوم للنساء، فبينا هو مع بني إسرائيل يدارسهم إذ قال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يوم إلا يصيب فيه ذنباً، فقال داود في نفسه: اليومُ الذي أخلو فيه للمحراب تُنحّى عني الخطيئة، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود خذ حذرك حتى ترى بلاءك»[١].

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشير -قلتُ: واسمه: سعيد بن بشير-، عن قتادة، عن الحسن قال: بينا هو في محرابه مُنكبّ على الزبور يقرؤها، إذ دخل طائر من الكوة فوقع بين يديه، جسده من ذهب، وجناحاه من ديباج مُكلل بالدر، ومنقاره زبرجد، وقوائمه فيروزج، [فوقع][٢] بين يديه، فنظر إليه فحسب أنه من طير الجنة، فجعل يتعجب من حسنه، وكان له ابن صغير فقال: لو أخذت هذا الطائر فنظر إليه ابني، فأهوى إليه فتباعد منه ويطمعه أحياناً من نفسه حتى كاد تقع يده عليه، فيتباعد منه أيضاً، فما زال كذلك يدنو ويتباعد حتى قام من مجلسه، وأطبق الزبور فطلبه [فوقع][٣] في الكوة، فرمى بنفسه في بستان، فاطلع داود فإذا [بامرأة][٤] تغتسل، فنظر إلى أحسن خلق الله، ونظرت المرأة وإذا وجه رجل، فنشرتْ شَعْرَها فغطَّتْ جسدها.

رجع إلى حديث الحسن، قال: فزاده ذلك بها إعجاباً، فرجع إلى مكانه وفي

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٨) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن.

(٢) في الأصل: قوع.

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: بالمرأة.

نفسه منها ما في نفسه، فبعث لينظر من هِيَ، فرجع الرسول إليه فقال: هي [بشايع][(١)] ابنة حنانا، وزوجها [أوريا][(٢)] بن صوري، وهو في البلقاء مع ابن أخت داود محاصري قلعة، فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً إذا جاءك كتابي هذا فمُرْ أوريا بن صوري فليحمل التابوت وليتقدم أمام الجيش، وكان الذي يتقدم أمام الجيش لا يرجع حتى يقتل أو يفتح الله تعالى عليه، فدعا صاحب الجيش أوريا بن صوري فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعة، فحمل التابوت وسار أمام أصحابه فقُتِلَ، وكتب ابن أخت داود عليه الصلاة والسلام بذلك إلى داود عليه الصلاة والسلام، فلما انقضت عدّة المرأة أرسل إليها داود عليه السلام فخطبها فتزوجها[(٣)].

وقال: وأخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال: إن داود عليه السلام لما تزوج بشايع بنت حنانا، وكان يخلو للعبادة في المحراب، فبينا هو في المحراب إذ سمع

---

(١) في الأصل: تشايع. وانظر مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: أرويا. وانظر: مصادر التخريج.

(٣) أخرج نحوه الطبري (٢٣/ ١٤٨). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ١٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وهذه القصة باطلة لا تصح، ونقل المؤلف أن جماعة من المحققين أنكروا صحة هذه الروايات. فهي من الإسرائيليات التي اختلقها اليهود ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى نبي الله داود. وقد صرّح كثير من أهل العلم ببطلان هذه القصة المزعومة، كالقرطبي والقاضي عياض وابن الجوزي وأبي حيان التوحيدي وغيرهم.

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١١٥): وهذا لا يصح من طريق النقل ولا يجوز من حيث المعنى؛ لأن الأنبياء منزهون عنه.

صوتاً عالياً، ثم تسوّر عليه رجلان حتى اقتحما عليه، فلما رآهما فزع منهما قالا: ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ يعني: اعتدى بعضنا على بعض وظلمه، ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ يعني: ولا تَجُر، ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ يعني: إلى قصد السبيل، فقال داود عليه السلام: قصّا عليّ قصتكما. قال: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾ يعني: قهرني وظلمني وأخذ نعجتي فضمّها إلى نعاجه. «وعزني في الخطاب» يعني: إذا تكلم كان أبلغ في [المخاطبة](١) مني، وإذا دعا كان أسرع إجابة مني، وإذا خرج كان يعني أكثر تبعاً مني. فقال داود عليه السلام: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾.

قال: فضحك المُدّعى عليه، فقال داود عليه السلام: تظلم وتضحك، ما أحوجك إلى قَدوم(٢) يرضّ منك هذه وهذه، يعني: جبهته وفاه، قال الملك: بل أنت أحوج إلى ذلك منه، وارتفعا(٣).

وفي رواية: قال: فتجولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه.

وعلم داود أنما عني به، فخرَّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها، ثم يعود فيسجد لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتى نبت العشب حول

---

(١) في الأصل: المخابة.

(٢) القَدُوم: معروفة، وهي التي ينحت بها (اللسان، مادة: قدم).

(٣) ذكره الطبري (٢٣/ ١٤٦) وما بعدها، والسيوطي في الدر (٧/ ١٥٨) وما بعدها.

رأسه، وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة، وكان يقول في سجوده: سبحان خالق النور الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس، فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي لم أفارق الزبور ولم أتعظ بما وعظت به غيري، إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الرحيم، فنسيت عهدك، سبحان خالق النور، إلهي بأي وَجْهٍ أنظر إليك يوم القيامة، وإنما يُنظر الظالمون من طَرْفٍ خفي، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطئ، أنت المغيث وأنا المستغيث، فمن يدعو المستغيث إلا المغيث، سبحان خالق النور، إلهي إليك فررت بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، في مناجاة كثيرة.

قال: فأتى نداء: أجائعٌ أنت فتُطعم، أظمْآن فتُسقى، أمظلوم أنت فتُنصر، ولم يجبه في ذكر خطيئته، قال: فصاح صيحة هاج ما حوله، ثم نادى: يا رب الذنب الذي أصبت، فنودي: يا دواد ارفع رأسك فقد غفرت لك.

قال: وأخبرنا أبو إلياس عن وهب: أن داود عليه السلام أتى قبر أوريا، فقام عنده وجعل التراب على رأسه، ثم نادى فقال: الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود يوم يقتص للمظلوم من الظالم، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الظالمين إلى النار، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود.

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت ذنبك، ورحمت بكاءك، وأقلتك عثرتك. قال: يا رب كيف تعفو عني وصاحبي لم يعفُ عني؟ قال: يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول: رضي عبدي، فيقول: يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول له: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه فيهبُك لي. قال: يا رب الآن عرفت أنك قد غفرت لي(١). هذا تمام الحديث والقصة التي سمعتها من شيخنا رحمه الله.

وروى السدي وابن السائب عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: كان داود عليه السلام يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب! أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله تعالى إليه أنهم قد ابتلوا ببلايا لم يُبتل بها أحد فصبروا عليها، ابتلي إبراهيم عليه السلام بنمروذ، وبذبح ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف، وإنك لم تُبتل بشيء من ذلك. قال داود: فابتليني مثل ما ابتليتهم، وأعطني مثل ما أعطيتهم. فأوحى الله تعالى إليه إنك مبتلى في شهر كذا، في يوم كذا، فاحترس. فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل داود في المحراب فأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فبينا هو كذلك، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، من كل لون حسن، فذكروا قريباً مما تقدم، غير أنهم قالوا: ففتح على يديه، فكتب إلى داود بذلك، فبعث داود إلى ابن أخته أيضاً أن ابعثه إلى عدو كذا، إلى أن قال: فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدّتها تزوجها

(١) ذكره الطبري (٢٣/ ١٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٦٠-١٦١).

داود، وهي أم سليمان[١].

وقد أنكر جماعة من المحققين صحة هذه الروايات؛ تنزيهاً لمنصب النبوة عن مثل هذه الأمور التي لا تصح إضافتها إلى آحاد الصلحاء فضلاً عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ورووا عن سعيد بن المسيب والحارث الأعور: أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القُصَّاص جلدته مائة وستين، وهو حدّ الفرية على الأنبياء[٢].

ويروى: أن رجلاً حدّث عمر بن عبدالعزيز بذلك وعنده رجل فأنكره، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله عز وجل فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وإن كانت على ما ذكرت وكفّ الله عز وجل عنها تستراً على نبيه عليه الصلاة والسلام فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لَسماعي هذا الكلام أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس[٣].

وقال بعض العلماء: الذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله تعالى لقصته عليه الصلاة والسلام ليس إلا [طلبه][٤] إلى زوج المرأة أن ينزل عنها فحسب[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٧)، والحاكم (٢/ ٦٤١ ح٤١٣٤) كلاهما عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٩-١٦٠) وعزاه لابن جرير والحاكم عن السدي.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣-٨٤)، والنسفي في تفسيره (٤/ ٣٦).

(٤) في الأصل: طلبته. والتصويب من الكشاف (٤/ ٨٤).

(٥) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٤).

قال[١]: وكان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك، فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة أوريا، فسأله النزول عنها، فاستحيا أن يردّه ففعل.

وقيل: خطبها أوريا، ثم خطبها داود على خطبته مع كثرة نسائه، فرغب أهلها فيه فزوَّجُوه[٢].

فإن قيل: لم خوطب بجنايته على طريقة التمثيل؟

قلتُ: لما في ضمن ذلك من التوبيخ المؤثر في القلب بسبب ترسخه في الذهن واستقراره فيه حيث أبرز في صورة تماثله مع ما في ذلك من جميل العشرة وحسن الأدب بترك المجاهرة.

فإن قيل: لم خاطب الله تعالى رسوله بذلك على طريقة الاستفهام؟

قلتُ: تنبيهاً له على أنه ثناء عجيب ينبغي أن يُصِيخَ[٣] إليه بقلب حاضر وأُذُن واعية، وتشويقاً له إلى استماعه.

فإن قيل: ما الخصم المذكور في الآية؟

قلتُ: هما جبريل وميكائيل. هكذا ذكره مقاتل[٤] وعامة المفسرين على أنهما اثنان، بدليل قوله تعالى: ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾، وقوله تعالى: ﴿إن هذا أخي له﴾، وقوله: ﴿أنما فتناه﴾ على قراءة من خفَّف.

---

(١) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٢-٨٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣).

(٣) أصاخَ له يُصيخُ إصاخة: استمع وأنصت (اللسان، مادة: صيخ).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ١١٦).

فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿إذ تسوّروا المحراب﴾ وما بعده، فإنه يدل على أنهم أكثر من اثنين؟

قلتُ: هو على مذهب من يجعل الاثنين جماعة.

وقال الزمخشري[1]: الخصْمُ: الخصماء، وهو يقع على الواحد والجمع؛ كالضيف. قال الله تعالى: ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾[الذاريات:٢٤] لأنه مصدر في أصله.

فإن قلت: هذا جمع، وقوله تعالى: «خصمان» تثنية، فكيف استقام ذلك؟

قلتُ: معنى «خصمان»: فريقان خصمان، والدليل عليه قراءة من قرأ: «خصمان بغى بعضهم على بعض»، ونحوه: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾.

فإن قلت: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿إن هذا أخي له﴾ وهو دليلٌ على اثنين؟

قلتُ: هذا قول البعض المراد بقوله: بعضنا على بعض.

فإن قلت: فقد جاء في الرواية: أنه بعث إليه ملكان؟

قلتُ: معناه: أن التحاكم كان بين مَلَكين، ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون.

فإن قلت: فإذا كان التحاكم بين اثنين، فكيف سمّاهم جميعاً خَصْماً في قوله: ﴿نبأ الخصم﴾ و ﴿خصمان﴾؟

قلتُ: لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحَّت التسمية به.

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٤-٨٥).

فإن قلت: بم انتصب «إذ»؟

قلتُ: لا يخلو إما أن ينتصب بـ«أتاك»، أو بالنبأ، أو بمحذوف، فلا يسوغ انتصابه بـ«أتاك»؛ لأن إتيان النبأ رسول الله ﷺ لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود، ولا بالنبأ؛ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله ﷺ. وإن أردت بالنبأ: القصة في نفسها لم تكن ناصباً، فبقي أن ينتصب بمحذوف، وتقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم.

ويجوز أن ينتصب بـ«الخصم»؛ لما فيه من معنى الفعل.

وأما [«إذ»](١) الثانية فبدل من الأولى.

ومعنى: ﴿تسوّروا المحراب﴾ تصعّدوا سُورَه، كما تقول: تَسَنَّمَه؛ إذ علا سَنامَه، وتذرَّاهُ؛ إذا عَلاَ ذُرْوَته.

وقد ذكرنا «المحراب» في آل عمران(٢).

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) في الأصل: إذا. والتصويب من الكشاف (٤/ ٨٥).

(٢) عند الآية رقم: ٣٧.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ففزع منهم﴾ قال ابن إسحاق: لم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه، فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: لا تخف خصمان، أي: نحن خصمان(١).

﴿ولا تُشْطِط﴾ وقرأ أبو رجاء وقتادة: «تَشْطُط» بفتح التاء وضم الطاء.

يقال: شَطَّ الرجل يَشُطُّ ويَشِطُّ شَطَطاً، وأشَطَّ إشْطَاطاً؛ إذا جَارَ في حكمه(٢).

فالمعنى: ولا تَجُرْ علينا.

وقيل: لا تبعد عن الحق، من قولهم: شَطَّتِ الدار، أي: بَعُدَت(٣).

﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾: احملنا على الحق.

قال داود عليه السلام: تكلَّما، فقال أحد الملكين: ﴿إن هذا أخي﴾ يريد: في الدين، أو أخوة الصداقة والألفة، أو أخوة الشركة.

﴿له تِسْع وتسعون نعجة﴾ وقرأ الحسن بخلاف عنه: «تَسْعٌ» بفتح التاء(٤).

وقرأ أيضاً والأعرج معه: «نِعْجَةً» بكسر النون(٥).

قال أبو الفتح(٦): قد كثر عنهم مجيء الفَعْل والفِعْل على المعنى الواحد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٩) من طريق محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه.

(٢) انظر: اللسان (مادة: شطط).

(٣) مثل السابق.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٢).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٧٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٣١).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٣١-٢٣٢).

والفَعْلة والفِعْلة أيضاً، مثل: البَزْر والبِزْر، والنَّفْط والنِّفْط، والحَبْر والحِبْر، وكذلك: لَقْوَةٌ ولِقْوَةٌ، وقوم شَجْعَة وشِجْعَة للشُّجَعَاءِ، والمَهْنَةُ والمِهْنَةُ للخدمة.

فكأن مقصودهما التَّوْرية والتمثيل، فلهذا كنُّوا عن النساء بالنِّعاج، والعرب تُورِّي عن المرأة بالشاة والنعجة.

قال الأعشى:

فرميتُ غفلةَ عينِهِ عن شَاتِهِ ... فأصبْتُ حبةَ قَلْبها وطِحَالَهَا[1]

وقال الآخر:

يا شَاةَ ما قَنَصٍ لمنْ حلَّت له ... .[2]

﴿فقال أكفلنيها﴾ ضمها إليّ واجعلني كافلها لتتم له المائة.

﴿وعزني في الخطاب﴾ قال الشاعر:

قَطَاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجنَاح[3]

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء رحمه الله لعاصم من رواية خلف عن يحيى عن أبي بكر عنه: «وعَزَني» بتخفيف الزاي، وهي قراءة أبي حيوة.

---

(١) البيت للأعشى. وهو في: اللسان (مادة: شوه)، والقرطبي (١٥/ ١٧٣)، وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

(٢) صدر بيت لعنترة، وعجزه: (حَرُمَتْ عَلَيَّ وليتَها لم تَحْرُم)، وهو في: اللسان (مادة: شوه)، والقرطبي (١٥/ ١٧٣)، وزاد المسير (٧/ ١٢٠)، وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

(٣) البيت لقيس بن الملوح. انظر: ديوانه (ص:٩٠)، والكشاف (٤/ ٨٥)، والأغاني (٢/ ٤٥، ٥٧، ٨١)، وديوان الحماسة (٢/ ١٠٩)، والبحر (٧/ ٣٧٢)، والدر المصون (٥/ ٥٣١)، والقرطبي (١٥/ ١٧٤)، وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

قال ابن جني[1]: خفف الكلمة بحذف الزاي الثانية أو الأولى، كما حكاه ابن الأعرابي، من قولهم: ظَنْتُ، أي: ظننت، وكقول أبي زبيد:

خَلاَ إنَّ العِتَاق من المطايا أَحَسْنَ به فهُنَّ إليه شُوسُ[2]

فإن قيل: كيف شاع للملكين كلام قول ما لم يكن؟

قلتُ: هو على سبيل الفرض والتقدير لا على وجه التحقيق والإخبار.

﴿قال لقد ظلمك﴾ جواب قسم محذوف.

فإن قيل: كيف حكم عليه بالظلم من قبل أن يسمع كلامه؟

قلتُ: الظاهر أنه استنطقه فاعترف، غير أنه لم يحك في القرآن، أو يكون التقدير: إن كان الأمر على ما تقول: لقد ظلمك ﴿بسؤال نعجتك﴾، أي: بسؤاله نعجتك ﴿إلى نعاجه﴾ أي: ليَضُمَّها إلى نعاجه.

﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ أي: الشُّركاء -وكان داود عليه السلام ظنهما شريكين- ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ المعنى: فإنهم لا يظلمون.

﴿وقليل مّا هم﴾ أي: هُمْ قليل.

و «ما» صلة، أو موصولة، على معنى: وقليل الذين هم كذلك.

قال المفسرون: فلما قضى داود عليه السلام بينهما نَظَرَ أحدهما إلى صاحبه فَضَحِكَ، وصعدا إلى السماء، فعلم داود عليه السلام أن الله تعالى ابتلاه، وإنما ذَكَّرَاه تمثيلاً لقصته، فهو قوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتنَّاه﴾ أي: أيْقَنَ وعَلِمَ أنما

(١) المحتسب (٢/ ٢٣٢).

(٢) تقدم.

ابتليناه[١].

وقرأتُ على الشيخ أبي البقاء عبدالله بن الحسين النحوي رحمه الله للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: «فَتَنَاهُ» بالتخفيف[٢]، إشارة إلى المَلَكَيْن.

﴿فاستغفر ربه﴾ سأله الغُفْران، ﴿وخَرَّ راكعاً﴾ قال ابن عباس: ساجداً[٣].

وعبّر عن السجود بالركوع؛ لما يشتركان فيه من معنى الانحناء والخضوع.

وقال الحسين بن الفضل: سألني عبدالله بن طاهر عن قوله تعالى: ﴿وخَرَّ راكعاً وأناب﴾ هل يقال للراكع خَرَّ؟ قلتُ: لا، قال: فما معنى الآية؟ قلت: معناه: فخرَّ بعد أن كان راكعاً، أي: سجد[٤].

فعلى تفسير ابن عباس: «راكعاً»: تمييز. وعلى التفسير الثاني: حال[٥].

فصل

اختلف أهل العلم في سجدة ص، فذهب عمر وسفيان الثوري وابن المبارك وأبو حنيفة وأصحابه إلى أنه يُسْجَد هاهنا[٦].

قال ابن عباس: كان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم عليه الصلاة والسلام أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فَسَجَدَها رسول الله ﷺ وقال: أما تقرأ:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٢).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٥)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٩).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٥٧)، والقرطبي (١٥/ ١٨٣).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢١٠)، والدر المصون (٥/ ٥٣٢).

(٦) انظر: المغني (١/ ٣٥٧)، والشرح الكبير (١/ ٨٢٠).

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[1] [الأنعام:٩٠].

وذهب الشافعي إلى أنه سجود شكر وليس من عزائم السجود[2].

وعن الإمام أحمد كالمذهبين[3].

والذي يفتي به أصحابه: أنها ليست من عزائم السجود.

أخبرنا الشيخان أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري ببغداد، قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور [الكرجي][4]، أخبرنا أحمد بن الحسن أبو بكر الحيري، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع قال: قال لي الشافعي: أخبرنا ابن عيينة، عن عبدة[5]، عن زر، عن ابن مسعود: «أنه كان لا يسجد في ص ويقول: إنما هي توبة نبي»[6].

وفي صحيح مسلم عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «رأيت رسول الله ﷺ يسجد في صٓ»[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٨ ح٤٥٢٩).

(٢) انظر: المغني (١/ ٣٥٧)، والشرح الكبير (١/ ٨٢٠).

(٣) انظر: المغني (١/ ٣٥٧)، والإنصاف (٢/ ١٩٦).

(٤) في الأصل: الكرخي. وانظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٧١-٧٢).

(٥) عبدة بن أبي لبابة الأسدي الغاضري مولاهم، يقال: مولى قريش، أبو القاسم البزاز الكوفي الفقيه، نزيل دمشق، ثقة (تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٧-٤٠٨، والتقريب ص:٣٦٩).

(٦) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٣١٩ ح٣٥٦٠)، والشافعي في مسنده (ص:٣٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٧١ ح٤٢٦٩).

(٧) أخرجه البخاري (١/ ٣٦٣ ح١٠١٩) ولم أقف عليه عند مسلم.

أخبرنا أبو المجد محمد بن محمد الكرابيسي بدمشق، أبنا الشيخان عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أبنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أبنا القاضي أبو نصر الدينوري، أبنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد السني، حدثني عمر بن سهل، ثنا زكريا بن يحيى الناقد، ثنا الخليل [بن](1) عمرو(2)، ثنا محمد بن سلمة(3)، عن الفزاري(4)، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى قال: رأيت في المنام كأني جالس في ظل شجرة ومعي دواة وقرطاس، وأنا أكتب من أول سورة ص، حتى بلغت السجدة، فسجدت والدواة والقرطاس والشجرة، وسمعتهن يقُلْن في سجودهن: اللهم احطط بها وزراً، وأحرز بها شكراً، وأعظم بها أجراً، وعُدْنَ كما كُنّ، فلما استيقظتُ أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: خيرٌ رأيتَ وخيرٌ يكون، نمتَ ونامتْ عينُك، توبة نبي ذكرت، تَرقَّب عندها مغفرة، ونحن نترقب ما ترقب(5).

وفي مسند الإمام أحمد: «أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب صٓ، فلما

---

(١) زيادة من عمل اليوم والليلة (ص:٣٦٢). وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) الخليل بن عمرو الثقفي، أبو عمرو البزاز البغوي، نزيل بغداد، كان ثقة صدوق، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٥، والتقريب ص:١٩٦).

(٣) محمد بن سلمة بن عبد الله بن أبي فاطمة المرادي الجملي مولاهم، أبو الحارث المصري، كان ثقة ثقة، توفي لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ١٧١، والتقريب ص:٤٨١).

(٤) في عمل اليوم والليلة: القواريري.

(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٦٢).

بلغ إلى [سجدتها](١) قال: رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً، قال: فقصها على النبي ﷺ، فلم يزل يسجد بها [بعد](٢)»(٣).

وفي حديث آخر: أن أبا سعيد الخدري قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة صٓ، فلما بلغت الشجرة السجدة سجدت، فسمعتها تقول في سجودها: اللهم اكتب لي بها أجراً، وحطّ عني بها وزراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته، فقال رسول الله ﷺ: أفسجدت أنت يا أبا سعيد؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: كنتَ أحق بالسجدة من الشجرة، ثم قرأ رسول الله ﷺ [سورة صٓ](٤) حتى بلغ السجدة فسجد، ثم قال مثل ما قالت الشجرة»(٥).

وقد أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ... فذكر نحو هذا الحديث»(٦).

قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ أي: لقُربى ومكانة ومنزلة حسنة.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن مالك بن دينار في قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ قال: يقيم الله تعالى داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول: يا داود مجِّدْني اليوم بذلك الصوت الرخيم، فيقول: كيف

(١) في الأصل: إلى التي يسجد بها. والتصويب من المسند (٣/ ٧٨).
(٢) زيادة من المسند، الموضع السابق.
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧٨ ح١١٧٥٨).
(٤) زيادة من المصادر التالية.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٩٣ ح٤٧٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٣٠ ح١٠٦٩).
(٦) أخرجه الترمذي (٢/ ٤٧٢ ح٥٧٩).

أُمجِّدُك به وقد سلبتنيه في الدنيا؟ فيقول: إني أردُّه عليك، قال: فيرفع داود صوته بالزبور فيستفرغ نعيم أهل الجنة(١).

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ أي: استخلفناك على تدبير مُلْك الأرض، أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ في قضائك وغيره مما استخلفت فيه، ﴿فيضلك﴾ الهوى ﴿عن سبيل الله﴾.

فإن قيل: ﴿يوم الحساب﴾ بم يتعلق؟

قلتُ: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون متعلقاً [بـ«نسوا»](٢)، على معنى: لهم عذاب شديد بنسيانهم يوم الحساب، وهو ضلالهم عن سبيل الله.

والثاني: أن يكون متعلقاً بـ«لهم عذاب شديد»، على معنى: لهم عذاب شديد في يوم الحساب.

﴿بما نسوا﴾ أي: بنسيانهم وتركهم القضاء بالحق. وهذا قول عكرمة

---

(١) لم أجده في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٦٧-١٦٨) وعزاه لأحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: بينسوا. وانظر: الكشاف (٤/ ٩٠).

والسدي[١].

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ أي: عبثاً.

قال ابن عباس: إلا للثواب والعقاب[٢].

﴿ذلك﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً ﴿ظن الذين كفروا﴾ فإنهم ينكرون الثواب والعقاب والحساب.

قوله تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾ هذه «أمْ» منقطعة، والاستفهام للإنكار عليهم.

المعنى: لو بطل الحساب والجزاء لتساوى المؤمنون والمفسدون في الأرض، والمُتَّقون والفُجّار.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط، الموضع السابق.

﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن ﴿أنزلناه إليك مبارك﴾ كثير خيره.

﴿لِيَدَّبَّرُوا ءاياته﴾ وقرأتُ لأبي جعفر ولعاصم من طريق: «لِتَدَبَّرُوا» بتاء المخاطبة وتخفيف الدال(١).

والمعنى: ليتفكروا فيها ويستخرجوا مكنون سرّها ويعملوا بما فيها.

﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ قال الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأتُ القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا [الوَرَعَة](٢)، لا كَثَّر الله تعالى في الناس مثل هؤلاء(٣).

قوله تعالى ﴿إذ عرض﴾ أي: اذكر إذ عرض ﴿عليه بالعشي﴾ بعد العصر ﴿الصافنات الجياد﴾.

قال ابن عباس: الخيل السوابق إذا وقفت صَفَنَتْ على أطراف حوافرها عُرضت عليه حتى شغلته عن صلاة العصر إلى أن غابت الشمس(٤).

---

(١) النشر (٢/ ٣٦١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٢).

(٢) في الأصل: الوزعة. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٢٧٤ ح٧٩٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٢٠ ح١٣٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٤١ ح٢٦٥٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥١).

وقال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به: أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه، ويحتمل أنه كان =

قال الزجاج[١]: قال أهل التفسير واللغة: الصَّافِنُ: القائم الذي يُثْني إحدى يديه وإحدى رجليه حتى يقف بها على سُنْبُكِهِ، وهو طرف الحافر، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمة منها متصلة بالأرض بطرف حافرها فقط، قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفُونَ فلا يزالُ كأنه ... مما يقومُ على الثلاث كَسِيرا[٢]

وقال بعضهم: الصَّافِن: القائم ثَنَى بعض قوائمه أو لم يَثْنِها.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من سَرَّه أن يقوم الناس له صُفوناً فليتبوأ مقعده من النار»[٣].

قال ابن السائب: غزا سليمان بن داود عليهما السلام أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس[٤].

= سائغاً في ملَّتهم تأخير الصلاة لعذر، والأول أقرب؛ لأنه قال بعدها: ﴿ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾، وذهب ابن جرير إلى أنه ذهب يمسح عراقيب الخيل وأعرافها؛ لأنه لم يكن له أن يعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بلا سبب، وخالفه ابن كثير لاحتمال أن يكون مثل هذا جائزاً في شرعهم ولا سيما إذا كان غضباً لله، ولذلك عوضه الله بما هو خير منها من الريح التي هي أسرع من الخيل. اهـ (انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤-٣٥).

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٠).

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: صفن)، والبحر (٧/ ٣٧٢)، والدر المصون (٥/ ٥٣٤)، والقرطبي (١٢/ ٦٢، ١٥/ ١٩٣)، وزاد المسير (٧/ ١٢٧)، والماوردي (٥/ ٩٢)، وروح المعاني (٢٣/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٩٠ ح٢٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٩٣، ١٠٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٩ ح٩٧٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٤) ذكره القرطبي (١٥/ ١٩٣)، والبغوي (٤/ ٦٠).

وقال مقاتل[(١)]: ورث سليمان عليه السلام من أبيه ألف فرس، وكان أبوه أصابها من العمالقة.

وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر [لها][(٢)] أجنحة[(٣)].

قالوا: فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه، فتنبه لصلاة العصر وقد بقي منها مائة فرس، فإذا الشمس قد غابت ولم يعلموه بذلك هيبة له، فاغتمَّ لذلك فقال: «رُدُّوها عليَّ»، فردوها عليه فعرقبت وعقرت بالسيف، وقربها لله تعالى، وبقي منها مائة فرس، فما في أيدي الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك المائة.

قال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله[(٤)] خيراً منها وأسرع [وهي][(٥)] الريح تجري بأمره كيف يشاء[(٦)].

﴿فقال إني أحببت حب الخير﴾ أي: آثرت حُبَّ الخير.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: أحببت الخير حُبّاً، فقدّم وأضاف.

والمراد بالخير في قوله: «حُبَّ الخير»: المال. وقيل: الخيل.

وفي قراءة ابن مسعود: «حُبَّ الخيل»[(٧)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١١٨).

(٢) زيادة من زاد المسير (٧/ ١٢٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٨).

(٤) في الأصل زيادة قوله: «منها».

(٥) زيادة من البغوي (٤/ ٦٠).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٦٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٨٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) ذكر هذه القراءة الماوردي في تفسيره (٥/ ٩٢).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[١].

﴿عن ذِكْر﴾ أي: على ذكر ﴿ربي﴾ يريد: صلاة العصر، في قول علي[٢].

والذِّكْر المعروف، في قول ابن عباس[٣].

﴿حتى توارت بالحجاب﴾ الليل.

والأول أكثر وأشهر.

وكثير من العلماء باللغة والتفسير يقولون: هو كناية عن غير مذكور.

قال الزجاج[٤]: هذا لا أحسبه أعطوا الفكر فيه حقّه؛ لأن في الآية دليل على الشمس، وهو قوله تعالى: ﴿إذ عرض عليه بالعشي﴾ [والعشيُّ][٥] في معنى: إذ عرض عليه بَعْدَ زوال الشمس، حتى توارت الشمس بالحجاب، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذِكْرٌ أو دليلُ ذِكْرٍ بمنزلة الذِّكْر.

وطرد الزجاج هذا حيث جاء في كتاب الله تعالى، حتى قال في قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر:١] جرى ذكر القرآن فيما قبل هذه السورة في قوله تعالى: ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان:١-٣] وهي ليلة القَدْر. وقوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة:٢٦] كناية عن النفس، وقد تقدم ذكرها في أول السورة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٧ ح٢٦٩٥)، ومسلم (٣/ ١٤٩٣ ح١٨٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٥). وذكره الماوردي (٥/ ٩٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٧٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٩٢).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٣١).

(٥) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

قال الحسن: عاتب الله تعالى سليمان حين فاتته صلاة العصر فقال: ﴿ردوها عليّ﴾ أي: أعيدوها عَلَيّ[(١)].

﴿فطفق مَسْحاً﴾ أي: يمسح مِسَاحاً، أي: يضرب ضرباً، يقال: مسح علاوته، أي: ضرب عنقه[(٢)]. والمعنى: أقبل يضرب سوقها وأعناقها.

قال الزجاج[(٣)]: والسُّوق: جمع سَاق، مثل قولك: دَارٍ ودُور، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ليضرب سُوقها وأعناقها إلا وقد أباح الله تعالى له ذلك؛ لأنه لا تحصل التوبة من ذنب بذنْبٍ عظيم.

قال ابن عباس: يريد: قطع الرؤوس والأعناق[(٤)].

قال الحسن: [كَسَفَ][(٥)] عراقيبها وقطع أعناقها وقال: لا تشغليني عن عبادة ربي مرة أخرى[(٦)].

قال الزمخشري[(٧)]: أراد [بالكَسْف][(٨)]: القَطْع، ومنه: الكسف في ألقاب الزحاف في العروض. ومن قاله بالشين المعجمة [فمُصَحَّف][(٩)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مسح).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٣١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٢).

(٥) في الأصل: كشف. والكَسْف: قطع العرقوب (اللسان، مادة: كسف).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٦).

(٧) الكشاف (٤/ ٩٤).

(٨) في الأصل: بالكشف. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٩) في الأصل: فقد صحت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وهذا الذي ذكرناه من قطع أعناقها وسوقها هو المشهور في التفسير، وإنما فعل ذلك تقرُّباً إلى الله تعالى وكفارة لما فعل، وقد كانت الخيل مباحة في شرعهم كبهيمة الأنعام لنا.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها حُبّاً لها[١].

وقال قوم: حبسها في سبيل الله وكَوَى سوقها وأعناقها بكَيّ الصدقة[٢].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: أعليناه واختبرناه بسلب ملكه.

وكان السبب في ذلك: ما حدثناه شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه قال: أخبرنا أحمد بن المبارك، أخبرنا جدي لأمي أبو المعالي ثابت بن بندار، أخبرنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، أخبرنا إسحاق بن بشر، أخبرنا جويبر[٣]، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: كان سليمان عليه الصلاة والسلام رجلاً غَزَّاء، يغزو في البر والبحر، فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر، فركب

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٧٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٦١).

(٣) جويبر بن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب، نزيل الكوفة، راوي التفسير، ضعيف جداً، مات بعد الأربعين (تهذيب التهذيب ٢/ ١٠٦، والتقريب ص:١٤٣).

سليمان الريح وجنوده من الجن والإنس حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملكها وسبى من فيها وأصاب جارية لم يَرَ مثلها حسناً وجمالاً، وكانت ابنة ذلك الملك، فاصطفاها لنفسه، وكان يجد بها ما لا يجد بأحد، وكان يؤثرها على جميع نسائه، فدخل عليها يوماً فقالت: إني أذكر أبي وملكه وما أصابه فيحزنني ذلك، فإن رأيت أن تأمر بعض الشياطين [فيُصوِّرُون][1] لي صورة أبي في داري، فأراه بكرة وعشياً، رجوتُ أن يذهب عني حزني، ويسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان صخر المارد فمثَّلَ لها أباها في هيئته في ناحية دارها لا تُنْكر منه شيئاً، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه فزيّنته وألبسته حتى تركته في هيئة أبيها ولباسه، فإذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه كل غدوة مع جواريها فتُطيّبه وتسجد له، ويسجد جواريها، وتروح بمثله، وسليمان لا يعلم بذلك، حتى أتى لذلك أربعون يوماً، وبلغ الناس، وبلغ آصف بن برخيا، وكان صِدِّيقاً، فدخل عليه فقال: يا نبي الله، قد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم، فجمع سليمان الناس، فقام فيهم، فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى، وأثنى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضلهم الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان، فَذَكَرَ فضله وما أعطاه الله تعالى في حداثة سِنّه وصِغَره، ثم سكت، فامتلأ سليمان عليه السلام غيظاً، فلما دخل أرسل إليه، فدخل، فقال: يا آصف ذكرتَ من مضى من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام فأثنيتَ عليهم بما كانوا في زمانهم كله، فلما ذكرتني جعلت تُثْني عليَّ بخير في صغري، وسكتَّ عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي

---

(١) في الأصل: فيصورن.

أحدثتُ في كبري، قال: أحدثتَ أنَّ غير الله تعالى يُعْبَد في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة، قال: [في][1] داري؟ قال: في دارك، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عرفتُ ما قلتَ هذا إلا عن شيء بلغك[2]، ثم رجع إلى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم دعا بثياب الطهر[3] فلبسها، ثم خرج إلى فلاة من الأرض ففُرش له الرماد، ثم أقبل تائباً إلى الله عز وجل، فجلس على ذلك الرماد يتمعَّك[4] فيه [متذللاً][5] مُتضرِّعاً يبكي ويستغفر يقول: يا رب ما هذا بلاؤك عبد آل داود أن يعبدوا غيرك، وأن يقروا في دارهم وأهليهم عبادة غيرك، فلم يزل كذلك حتى أمسى، ثم رجع. وكانت له جارية سماها: الأمينة، وكان إذا أتى الخلاء أو أرادِ إتيان امرأة وضع خاتمه عندها، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، وكان الله تعالى جعل مُلْكه في خاتمه.

قال وهب: فجاء يوماً يريد الوضوء فدفع الخاتم إليها، وجاء صخر المارد فسبق سليمان فدخل المتوضأ فدخل سليمان لحاجته وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفض لحيته من الوضوء لا تنكر من سليمان شيئاً، فقال: خاتمي يا أمينة، فناولته إياه ولا تحسب أنه إلا سليمان، فجعله في يده، ثم جاء حتى جلس على

---

(١) في الأصل: لي. والتصويب من البغوي (٤/ ٦٢).

(٢) قوله: «إلا عن شيء بلغك» قدم في الأصل بعد قوله: «هوى امرأة» وهو وهم من الناسخ، وقد أخّر إلى هنا ليستقيم المعنى (انظر: البغوي ٤/ ٦٢).

(٣) ثياب الطهر: هي ثياب لا تغزلها إلا الأبكار، ولا تنسجها إلا الأبكار، ولا تغسلها إلا الأبكار (البغوي ٤/ ٦٢).

(٤) تمعّك فيه: أي: تمرّغ فيه (اللسان، مادة: معك).

(٥) في الأصل: متذلاً.

سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والوحش والإنس والجن، وخرج سليمان بن دواد عليهما السلام فقال للأمينة: خاتمي، قالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، وقد تغير عن حاله وذهب عنه بهاؤه، قالت: كذبت، إن سليمان قد أخذ خاتمه وهو جالس على سريره في ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته[(١)].

قال الحسن: فخرج هارباً مخافةً على نفسه، فذهب على وجهه بغير حذاء ولا قلنسوة في قميص وإزار، فمر بباب شارع على الطريق وقد جهده الجوع والعطش والحر، فأتى الباب فَقَرَعَهُ، فخرجت امرأة فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ضيافة ساعة، فقد ترين ما أصابني من الحرّ والرمضاء، قد احترقت رِجْليَّ وبلغ مجهودي من الجوع والعطش، قالت المرأة: زوجي غائب وليس يسعني أن أدخل رجلاً غريباً عليّ، فادخل البستان فإن فيه ماءً وثماراً فَأَصِبْ من ثماره وتبرد فيه، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك، فإن أذن لي فذاك، وإن أبى أصبت منا رزق الله ومضيت، فدخل البستان فاغتسل، ووضع رأسه فنام، فآذاه الذُّبَّان، فجاءت حيّة سوداء فأخذت ريحانة من البستان بفيها، وجاءت سليمان فجعلت تَذُبَّ عنه الذُّبَاب، حتى جاء زوج المرأة فقصت عليه القصة، فدخل إلى سليمان، فلما رأى الحية وصنيعها دعا امرأته فقال: تعالي فانظري إلى العجب، فنظرت، ثم مشيا إليه فأيقظاه، ثم قالا له: يا فتى هذا منزلنا لا يسعنا شيء يُعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها، وكانت من أجمل نساء زمانها، فتزوجها، وأقام عندهم ثلاثاً.

ثم قال: لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي، فانطلق إلى الصيادين فقال

---

(١) ذكره الثعلبي (١١/ ٣٩٠)، والبغوي (٤/ ٦١-٦٢) من حديث وهب بن منبه.

لهم: هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم وترضخون له من صيدكم، وكُلٌّ يأتيه الله تعالى برزقه، فقالوا: قد انقطع عنا الصيد، وليس عندنا فضل نعطيكه، فمضى إلى غيرهم فقال لهم مثل هذه المقالة، فقالوا له: نعم وكرامة، نواسيك بما عندنا، فأقام معهم يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد، حتى أنكر الناس قضاء سليمان وفعاله، فلما رأى الخبيث أن الناس قد فطنوا له انطلق بالخاتم فألقاه في البحر (١).

قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً.

وروي: أنه قعد على كرسي سليمان، فاجتمع له الجن والإنس والشياطين وملك كل شيء يملكه سليمان، إلا أنه لم يُسَلَّط على نسائه، وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيفهم، ويقوم على باب الرجل والمرأة ويقول: أطعموني فإني سليمان بن داود، فيطردونه ويقولون: ما يكفيك ما أنت فيه حتى تكذب على سليمان، وهذا سليمان على ملكه، حتى أصابه الجهد، واشتد عليه البلاء، فلما تمّ عليه أربعون يوماً قال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيت؟

(١) هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ذكرها المفسرون في فتنة سليمان النبي لم ترد في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة، فضلاً عما فيها من تناقضات ومخالفات تدل على عدم صحتها، ومن هنا فإننا لا نسلم بها. أما عن التناقضات في تلك الروايات التي معنا فنرى المصنف يذكر في رواية أولى أن سبب فتنة سليمان ما حدث في بيته من عبادة زوجته لصنم دون علمه، وفي رواية ثانية يذكر فيها أن صخراً المارد تمثل بصورة سليمان وأخذ الخاتم من زوجته، وفي رواية ثالثة يذكر فيها أن الشيطان ضحك على سليمان وأخذ خاتمه وألقاه في البحر فذهب ملك سليمان، فتلك وغيرها مما ذكره بعض المفسرين أقوال متناقضة ومن ثم لا يعتد بها جميعاً، كما أن فيها مخالفات لا تتمشى مع روح الآيات ولا مع نزاهة الأنبياء وعصمتهم.

قالوا: نعم، فعمد عند ذلك فألقى الخاتم في البحر، فاستقبله جِرِّيٌّ[(١)] فابتلع الخاتم فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم، فاستقبل جرية الماء فوقع في شباك الصيادين الذين كان سليمان معهم، فلما أمسوا تقسموا السمك فأسقطوا الجِرِّيّ فجعلوه لسليمان، فذهب به إلى أهله، فأمرهم أن يصنعوه، فلما شقوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه، فدعَتِ المرأة سليمان فأرَتْهُ الخاتم فتختَّم به، وخَرَّ لله تعالى ساجداً وقال: إلهي لك الحمد على قديم بلائك، وحسن صنعك إلى آل داود، إلهي أنت ابتدأتهم بالنعم، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوة، فلك الحمد، نعمائك ظهرت فلا تخفى، وبطنت فلا تحصى، فَلَكَ الحمد، إلهي لم تسلمني بذنوبي، فَلَكَ الحمد، تغفر الذنوب وتستجيب الدعاء، فَلَكَ الحمد، إلهي لم تسلمني بجريرتي، فلك الحمد، ولم تخذلني بخطيئتي، فَلَكَ الحمد، إلهي فأتمّ نعمتك عليّ واغفر لي ما سلف، وَهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فَلَكَ الحمد[(٢)].

وروى عكرمة: أن سليمان عليه السلام لما أصاب المُلْك أمر بحمل أهل ذلك البيت فوضعهم في وسط المملكة، ولم يكن سليمان نال تلك المرأة حتى رد عليه الملك ملكه. هذا تمام الحديث الذي سمعته من شيخنا.

قال السدي: فأمر سليمان بالشيطان الذي أخذ خاتمه فجُعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك إلى الساعة[(٣)].

---

(١) الجِرِّيُّ: ضَرْبٌ من السمك (اللسان، مادة: جرا).

(٢) في الأصل زيادة قوله: قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٨٥) وعزاه لابن جرير.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن سبب فتنة سليمان عليه السلام أنه كانت له امرأة يقال لها: جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، فقضى بينهم بالحق، إلا أنه ودّ أن الحق كان لأهلها، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، وأوحى الله تعالى إليه أنه سيصيبك بلاء، فكان لا يدري يأتيه من السماء أو من الأرض[1].

وقال السدي: كانت جرادة آثر نسائه عنده فقالت له يوماً: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وإني أحب أن تقضي له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي [لأجل ما قال][2].

قال وهب بن منبه: هذه جرادة هي التي سباها وأمر أن يصوروا لها صورة أبيها.

وقال سعيد بن المسيب: احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه: احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم، ولم تنصف مظلوماً من ظالم، فسلط الشيطان على خاتمه[3].

فعلى هذه الأقوال: المراد بالجسد: الشيطان، وكان اسمه: صخر.

وقيل: إنه لم يُسَخَّر لسليمان لفرط تمرده.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧١ ح٣٦٢٣)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٧٨-١٧٩) وعزاه للفريابي والحكيم الترمذي والحاكم وصححه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٣٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٨٥) وعزاه لابن جرير. والزيادة من زاد المسير.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٨٤) وعزاه لعبد بن حميد والحكيم الترمذي من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب.

وقال الشعبي في سبب ذلك: ولد لسليمان ابن، فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ينفك ما نحن فيه من البلاء والسخرة، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله، فعلم سليمان عليه السلام بذلك، فأمر السحاب حتى حملته، وغدا ابنه في السحاب خوفاً من معرة [الشياطين][1]، فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشياطين، ومات الولد، فأُلقي ميتاً على كرسيه جسداً، فهو الجسد الذي قال الله تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾[2].

قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قدَّم طلب المغفرة على طلب الملك؛ لأن المغفرة سبب للسعادة في الدار الآخرة، وهو مقصود الأنبياء والأولياء.

ومعنى: «لا ينبغي»: لا يتسهل لأحد من بعدي.

فإن قيل: كيف سأل مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، والمعهود من حال الأنبياء والأولياء الإعراض عن الدنيا والإضراب عنها والزهد فيها، ثم لم يكتف بذلك

(١) في الأصل: الشيطان. وكذا وردت في الموضع التالي. وانظر: مصادر التخريج.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٣٤-١٣٥).

حتى قال: «مُلْكاً»، ثم لم يكتف حتى قال: «لا ينبغي لأحد من بعدي»، وهو سؤال يلوح منه الحرص ويؤذن بالحسد؟

قلتُ: عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لم يرد المُلْك والاستبداد به ليتنعم به ويمرح نفسه في لذات الدنيا، بل أراد الاستظهار على الكفرة والفَجَرَة والمَرَدَة من الجن والإنس بمعجزة النبوة وقوة المُلْك ليأخذ بنواصيهم إلى طاعة الله تعالى.

الثاني: أنه أراد مُلْكاً مستقراً محفوظاً لا يسلب عنه ولا يقوم به غيره بدلاً عنه، كما سلبه أولاً وأقيم فيه الجسد على كرسيه. وهذا معنى [قول][١] الحسن[٢].

الثالث: أن المعنى: هب لي مُلْكاً تكون فيه آية تدل على نبوّتي، ولا ينبغي لأحد من الآدميين الذين ليسوا بأنبياء، ويكون في ذلك آية تدل على أنك قد غفرت لي ورددت إليّ نبوتي، ودليله قوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح﴾ وما بعده. قاله الزجاج[٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلَّتَ عَلَيَّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله تعالى منه، فأخذته فأردت أن [أربطه][٤] إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرتُ دعوة أخي سليمان: ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فرددته

---

(١) في الأصل: وقول.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٨٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٣).

(٤) في الأصل: أرطبه. والتصويب من الصحيحين.

خاسئاً»[(١)].

قوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء﴾ أي: ليِّنة الهبوب.

قال الحسن: ليست [بالعاصفة][(٢)] المؤذية ولا الضعيفة المقصرة[(٣)].

﴿حيث أصاب﴾ أي: أراد وقصد.

قال الأصمعي: العرب تقول: أَصَابَ فلان الصَّواب فأخطأ الجواب. معناه: أنه قَصَدَ الصواب وأراده وأخطأ مُراده[(٤)].

ويحكى أن رجلين من أهل اللغة قصدا رؤبة بن العجاج ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان[(٥)]؟ فقالا: هذه طلبتنا، ورجعا[(٦)].

ويقال: أصاب الله بك خيراً.

قوله تعالى: ﴿والشياطين﴾ أي: وسخرنا له الشياطين ﴿كل بناء وغواص﴾ بدل من «الشياطين»[(٧)]، وكانوا يبنون له الأبنية، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ [سبأ:١٣] ويغوصون له في البحر يستخرجون له الدُّرّ.

﴿وآخرين﴾ أي: وسخرنا له آخرين ﴿مقرنين في الأصفاد﴾ وهم مَرَدَة

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦٠ ح٣٢٤١)، ومسلم (١/ ٣٨٤ ح٥٤١).

(٢) في الأصل: بالعاصف. والتصويب من الماوردي (٥/ ٩٩).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٩٩).

(٤) انظر: اللسان (مادة: صوب).

(٥) قوله: «تصيبان» مكرر في الأصل.

(٦) انظر: الغريب للخطابي (٣/ ٢٩).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢١٠)، والدر المصون (٥/ ٥٣٦).

الشياطين سُخِّروا له حتى قرنهم في الأصفاد.

قال الزجاج[١]: الأصفاد: سلاسل الحديد، وكل ما شددتّه شداً وثيقاً بالحديد وغيره فقد صَفَدْتَه، وكل من أعطيته عطاء جزلاً فقد أصْفَدْتَه، أي: كأنك أعطيته ما يرتبط به.

قال غيره: ومنه قول علي عليه السلام: من بَرَّكَ فقد أسرك، ومن جَفَاكَ فقد أطلقك[٢].

ومنه قول المتنبي:

.... ومنْ وَجَدَ الإحسانَ قَيْداً تَقَيَّدَا[٣]

قال يحيى بن سلام: لم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم[٤].

قوله تعالى: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي: قلنا له: هذا عطاؤنا.

قال عطاء عن ابن عباس: أعط من شئت وأمسك من شئت بغير حساب، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت[٥].

قال الحسن: ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تَبِعَة، إلا سليمان عليه

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٣).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ٣٠٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٤٠).

(٣) عجز بيت للمتنبي، وصدره: (وقيَّدتُ نفسي في ذراك محبةً)، وهو في: الخزانة (١/ ٢٠٠)، وقرى الضيف (١/ ٢٥١)، والقرطبي (٩/ ٣٨٤)، وروح المعاني (٢٣/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٩٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٤١).

السلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿هذا عطاؤنا ... الآية﴾، إن أعطى أجر، [وإن لم][(١)] يعط لم يكن عليه تَبِعَة[(٢)].

وقيل: المعنى: امْنُن على من شئت من الجن بإطلاقه، أو أمسك من شئت منهم في عمله من غير حرج عليك. وهذا قول جماعة منهم قتادة[(٣)].

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿بغير حساب﴾ متعلق بقوله: ﴿هذا عطاؤنا﴾، تقديره: هذا عطاؤنا أعطيناكه بغير حساب، يعني: جماً كثيراً.

وقال الزجاج[(٤)]: بغير جزاء، يعني: أعطيناكه تفضيلاً لا مجازاة.

والباء في قوله تعالى: ﴿بغير﴾ في موضع الحال من «عطاؤنا»، أي: هذا عطاؤنا ثابتاً بغير حساب. والعامل فيه معنى الإشارة، وهي على المعنى الأول هي في موضع الحال من الفاعل، والعامل فيه «فامْنُن»[(٥)].

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

---

(١) في الأصل: ولم. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٥٦).

(٢) ذكره الطبري (٢٣/ ١٦٣)، والماوردي (٥/ ١٠٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٦-٥٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩١) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٤).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢١٠)، والدر المصون (٥/ ٥٣٦).

قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ «عَبْدَنا» منصوب بوقوع الفعل عليه، «وأيوبَ» بدل أو عطف بيان، و﴿إذ﴾ بدل اشتمال منه.

﴿نادى ربه﴾ دَعَاهُ ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: «بنُصُبٍ» بضم النون والصاد، وقرأتُ ليعقوب بفتحهما، وقرأتُ أيضاً من رواية حسنون بن الهيثم عن هبيرة بن محمد التمار عن حفص: بفتح النون وسكون الصاد، وقرأتُ لباقي القراء العشرة: بضم النون وسكون الصاد[١].

فالنُّصْب والنَّصَب لغتان، كالرُّشْد والرَّشَد، و«نُصُب» [بضمهما][٢] تثقيل نصب، ونَصَبٌ على أصل المصدر، وأصله: التَّعَبُ والمشقة.

قال ابن عباس: يريد: ما ابتلاه الله تعالى به حين سَلَّط عليه الشيطان[٣].

وقال قتادة: بضُرٍّ في الجسد وعذاب في الأهل والمال[٤].

فإن قيل: كيف أضاف ما أصابه إلى الشيطان والمبتلي له هو الله تعالى؟

قلتُ: أضافه إلى الشيطان إضافة الشيء إلى سببه، فإن الشيطان هو الذي تولى

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٥-٣٢٦)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٤).

(٢) في الأصل: يضمهما.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٧).

قال محققه: يذكر كثير من المفسرين هاهنا مرويات وقصصاً إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام ولا وثوق من ذلك كله إلا بمجمله، وهو ما أشار له التنزيل الكريم لأنه المتيقن، وهو أنه عليه السلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وماله وأهله وأنه صبر على ذلك صبراً صار يُضرب به المثل، كثباته وسعة صدره وشجاعته، وأنه جوزي بحسنة صبره أضعافها المضاعفة.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩١) وعزاه لعبد بن حميد.

ذلك، وباشره على ما ذكرناه في قصته في سورة الأنبياء، فتطلبه مع ما لم أذكره هاهنا من حديثه في سورة الأنبياء.

فإن قيل: فما الحكمة في إضافته إلى سببه دون مسببه؟

قلتُ: استعمال حسن الأدب مع الله سبحانه وتعالى لئلا يكون كالشاكي منه يذكر ما ابتلاه به.

وقيل: أراد بقوله: ﴿مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾: ما كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، وما كان يغريه على الكراهة والجزع.

﴿ارْكض برجلك﴾ أي: قلنا له اضرب الأرض برجلك، فركض فنبعت عين ماء فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم رَكَضَ برجْله فأنبعت عين فشرب منها، فهو قوله تعالى: ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾.

قال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها: الجابية[1].

قوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾ أي: وقلنا له خُذْ بيدك حزمة من حشيش أو ريحان أو عيدان ونحو ذلك، فاضرب به ولا تحنث، وكان عليه السلام حَلَفَ في مرضه ليضربن امرأته مائة جلدة إن عافاه الله تعالى.

واختلفوا في سبب يمينه على أربعة أقوال:

أحدها: ما ذكرناه في سورة الأنبياء من حديث ابن عباس: أن إبليس جلس في

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٠٢).

والجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور، من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وفي هذا الموضع خطب سيدنا عمر رضي الله عنه خطبته المشهورة (معجم البلدان ٢/ ٩١).

طريقها في صورة طبيب فقالت له: يا عبد الله إن هاهنا إنساناً مبتلى، فهل لك أن تداويه؟ فقال: إن شاء فعلت على أن يقول لي إذا برأ: أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال: ويحك ذاك الشيطان وحلف ليجلدنها إن شفاه الله تعالى مائة جلدة[(١)].

الثاني: ما حكيناه أيضاً في الأنبياء عن الحسن: أن إبليس أتى زوجته بسخلة فقال: ليذبح هذه لي وقد برأ، فأخبرته الخبر، فحلف[(٢)].

الثالث: أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها. قاله سعيد بن المسيب[(٣)].

الرابع: أن إبليس لقيها فقال لها: أنا الذي فعلت بأيوب ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي فانطلقي أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سحر بصرها وأراها وادياً عميقاً فيه أهلها وولدها ومالها، فأتت أيوب فأخبرته بذلك فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف وعى قوله سمعك، والله لئن شفاني الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة. [قاله][(٤)] وهب بن منبه[(٥)].

قال المفسرون: جبر الله تعالى زوجته بحسن صبرها أن أَفْتَاهُ في ضربها، فسهل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٩٢-١٩٣) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٠٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٨).

(٤) في الأصل: قال. والتصويب من زاد المسير (٧/ ١٤٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٤٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

الأمر، فجمع لها مائة عود، وقيل: مائة سنبلة، وقيل: أخذ عِثْكالاً[١] فيه مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فبرّ في يمينه[٢].

قال مجاهد: هذا خاص لأيوب[٣]، يريد: أن شريعتنا ليست كذلك.

والأمر على ما ذَكَرَ عندنا وعند مالك والليث بن سعد فيما إذا حلف ليضربنه مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة لا يبرّ في يمينه.

وقال أبو حنيفة والشافعي: يبرّ إذا أصابه في الضربة الواحدة كل واحد منها؛ احتجاجاً بقصة أيوب[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ دليل على أن الشكاية إلى الله تعالى لا تبطل الصبر ولا تذهب بالأجر.

وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر عبادنا﴾ وقرأ ابن كثير: «عبدنا» على التوحيد[٥].

---

(١) العِثْكَال: الشِّمْراخ، وهو ما عليه البُسْرُ من عيدان الكِباسة، وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكَرْم (اللسان، مادة: عثكل).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٤٤).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٠٤).

(٤) انظر: المغني (١٠/ ٦١)، والأم (٧/ ٨٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٣)، والكشف (٢/ ٢٣١)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٤).

فعلى قراءة الأكثرين: ﴿إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ بدل من «عبادنا». وعلى قراءة ابن كثير وحده: بدل، ثم عطف عليه «إسحاق ويعقوب»[١].

فإن قيل: ما بال إسماعيل لم يذكر معهم وهو منهم؟

قلتُ: إنما لم يذكر معهم؛ لأن المعنى: واذكر هؤلاء الذين ابتلوا فصبروا، ولذلك عطف ذكرهم على ما تقدم من قصة داود وسليمان وأيوب ذوي البلوى، وإسماعيل عليه السلام لم يُبْتَل كبلواهم، إلا إذا قلنا هو الذبيح فلا يستقيم هذا الجواب.

﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ الأيْدِي: جمع يد التي هي بمعنى القدرة والقوة.

قال ابن عباس: أولي [القوة][٢] في طاعة الله تعالى، والأبصار في المعرفة بالله تعالى[٣].

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «الأيْدِ» بغير ياء في الحالين[٤]، وهي قراءة ابن مسعود والأعمش؛ اكتفاء بالكسرة.

قال الفراء[٥]: هو صواب، مثل الجَوَارِ والمُنَادِ[٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١١)، والدر المصون (٥/ ٥٣٧).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٥٦٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٦) كلاهما بلفظ: أولي القوة والعبادة، والأبصار: الفقه في الدين. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٠-٥٦٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٢).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٤٠٧).

(٦) "الجوار" في سورة الشورى من الآية رقم: ٣٢، و"المناد" في سورة ق من الآية رقم: ٤١.

قوله تعالى: ﴿إنا أخلصناهم﴾ أي: جعلناهم لنا خالصين ﴿بخالصة﴾ أي: بخصلة خالصة، ثم فسّرها بقوله تعالى: ﴿ذكرى الدار﴾ أي: أنهم يذكرون الدار الآخرة فيتأهبون لها ويزهدون في ضرتها.

قال أبو علي[1]: على هذه القراءة «ذكرى» بدل من «خالصة»، تقديره: أخلصناهم بذكرى الدار.

وقرأ نافع والحلواني عن هشام: «بخَالِصَةِ ذِكْرَى» بغير تنوين على الإضافة[2]؛ لأن الخالصة تكون للذِّكْر وغير الذِّكْر، فإذا أضيفت إلى «ذكرى» اختصت الخالصة بهذه الإضافة، فتكون الإضافة إلى المفعول به، كأنه بإخلاصهم ذكرى الدار، أي: أخلصوا ذكرها والخوف منها [لله][3]، ويجوز أن تكون على إضافة المصدر الذي هو «خالصة» إلى الفاعل، تقديره: بأن [أخلصت][4] لهم ذكرى الدار. هذا كلام أبي علي.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ يريد: من الذين اتخذهم صَفْوة، فصَفَّاهم من كل دنس، والأَخْيَار: جمع خَيْر أو خَيِّر على التحقيق؛ كأموات في جمع مَيْت أو مَيِّت.

قوله تعالى: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ أي: اذكر فضلهم وصبرهم

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٦-٣٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٣)، والكشف (٢/ ٢٣١)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٤).

(٣) زيادة من الحجة (٣/ ٣٢٨).

(٤) في الأصل: خلصت. والتصويب من الحجة، الموضع السابق.

وتأسَّ بهم واقْتَدِ بأخلاقهم.

وقد ذكرنا الْيَسْع في سورة الأنعام[١]، وذا الكفل في الأنبياء[٢].

هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿هذا ذِكْرٌ﴾ أي: هذا شرف وثناء جميل تذكرون به أبداً، وكيف لا يكون شرفاً والمُثْنِي عليهم رب العالمين.

﴿وإن للمتقين﴾ أي: وإن للأنبياء المذكورين ومن شاركهم في وصف التقوى مع هذا الثناء الجميل والشرف العظيم ﴿لحُسْنَ مآب﴾ أي: لحسن مرجع يؤوبون إليه يوم القيامة.

﴿جنات عدن﴾ بدل من «حُسْنَ مآب» أو عطف بيان[٣].

﴿مفتحةً﴾ قيل: النصب صفة لـ«جنات».

وقال الزمخشري[٤]: «مُفَتَّحَةً» حال، والعامل فيها ما في «للمتقين» من معنى الفعل. وفي «مفتحة» ضمير الجنات، و«الأبواب» بدل من الضمير، تقديره: مُفَتَّحَةً

---

(١) آية رقم: ٨٦.

(٢) آية رقم: ٨٥.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١١)، والدر المصون (٥/ ٥٣٨).

(٤) الكشاف (٤/ ١٠٢).

هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيدٌ اليَد والرِّجل، وهو من بدل الاشتمال.

وقال الزجاج[١]: المعنى: مفتحة لهم الأبواب منها.

وقال الفراء[٢]: المعنى: مفتحةً لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة.

قال الزمخشري[٣]: وقرئ «جَناتُ عدنٍ مفتحةٌ» بالرفع[٤]، على أن «جنات عدن» مبتدأ، و«مفتحة» خبره. أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف، أي: هو جنات عدن هي مفتحة لهم[٥].

قوله تعالى: ﴿متكئين فيها﴾ حال من الضمير المجرور باللام في قوله تعالى: ﴿لهم﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ قال الزجاج[٧]: الأتْرَاب: اللواتي أسنانهن واحدة، وهنّ في غاية الشباب والحُسْن.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٧).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٤٠٨).

(٣) الكشاف (٤/ ١٠٢).

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٨٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٣٩).

(٥) قال ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١٧٤): فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟

قيل: الفائدة في ذلك: إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢١١)، والدر المصون (٥/ ٥٣٩).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٨).

قال غيره: وإنما جعلهن على سِنّ واحدة؛ لأن التحابّ بين الأقران أثبت.

وقيل: هنّ أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم.

و«قاصرات الطرف» مفسر في الصافات[١].

قوله تعالى: ﴿هذا ما توعدون﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يوعدون» بالياء، والباقون بالتاء[٢].

قال أبو علي[٣]: من قرأ بالتاء فعلى معنى: قل لهم هذا ما توعدون، فيكون خطاباً من النبي ﷺ لهم. ومن قرأ «يوعدون» بالياء؛ فلأن ذكر المتقين قد تقدم في قوله تعالى: ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾، ﴿هذا ما يوعدون﴾ أي: ما يوعد المتقون ليوم الحساب، أي: في يوم الحساب، أو لأجل يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿ما له من نفاد﴾ أي: انقطاع.

قال ابن عباس: ليس لشيء في الجنة نفاد، ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه [حياً][٤].

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ

(١) عند الآية رقم: ٤٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٤)، والكشف (٢/ ٢٣٢)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٥).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٣). وما بين المعكوفين في الأصل: جرماً. والتصويب من الوسيط.

مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا
بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ
عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ
الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ
تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿هذا﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: الأمر هذا، فـ«هـذا» رفـع بخـبر الابتداء المحذوف، وإن شئت كان «هذا» رفعاً بالابتداء، والخبر محذوفاً.

وقال غيره: يجوز أن يكون التقدير: إن هذا لرزقنا هذا، فيكون توكيداً لما قبله.

ثم ذكر ما للكفار فقال تعالى: ﴿وإن للطاغين لشرَّ مآب﴾.

﴿جهنم﴾ بدل من «شر مآب»، أو عطف بيان[2].

﴿هذا فليذوقوه﴾ فيه تقديم وتأخير، تقديره: هذا حميم فليذوقوه، أو العذاب هذا فليذوقوه. ثم ابتدأ فقال: ﴿[هذا][3]﴾ أي: هو ﴿حميم وغساق﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «وغسَّاق» بالتشديد، هاهنا وفي عم يتساءلون[4]، والباقون بالتخفيف[5].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٨).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٢)، والدر المصون (٥/ ٥٣٩).

(٣) في الأصل: جهنم. وهو خطأ.

(٤) عند الآية رقم: ٢٥.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٥)، والكشف (٢/ ٢٣٢)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٥).

قال أبو علي[1]: من قرأ بالتخفيف؛ فلأنه اسم مثل: عذاب ونكال وشراب وهو بارد ضد الحميم يحرق كما يحرق الحميم.

فأما من قرأ «وغسّاق» بالتشديد فلا يخلو من أن [يكون][2] اسماً أو صفة، فيبعد أن يكون اسماً، [لأن][3] الأسماء لم تجئ على هذا الوزن إلا قليلاً، وذلك الكَلاَّء[4] [والقَذَّاف][5] والجَبَّان[6]، وإن كان صفة من غَسَقَ يغسِقُ: إذا سأل، مثل: ضَرَّاب من ضرب يَضْرِبُ، فقد أقيم مقام الموصوف، وأن لا تُقام الصفة مقام الموصوف أحسن، إلا [أن][7] يكون صفة قد غلبت وأجري مجرى الأسماء، نحو: العبد، والأبطح.

والقراءة بالتخفيف أحسن؛ لسلامته من الأمرين اللذين وصفناهما في المشدد، وهما قلة البناء، وإقامة الصفة مقام الموصوف.

---

(١) الحجة (٣/ ٣٣٠-٣٣١).

(٢) زيادة من الحجة (٣/ ٣٣٠).

(٣) في الأصل: فإن. والمثبت من الحجة، الموضع السابق.

(٤) الكَلاَّء: مرفأ السفن، وهو عند سيبويه فَعَّالٌ، مثل: جَبَّار، لأنه يَكْلأُ السفن من الريح، وعند أحمد بن يحيى: فَعْلاء، لأن الريح تَكِلُّ فيه، فلا ينخرق، وقول سيبويه مرجّح، ومما يرجحه أن أبا حاتم ذكر أن الكلاّء مذكر لا يؤنثه أحد من العرب (انظر: لسان العرب، مادة: كلأ).

(٥) في الأصل: والقذا. والتصويب من الحجة (٣/ ٣٣٠). والقذّافُ: جمع، وهو الذي يُرمى به الشيء فَيَبْعُدُ، والقذّاف: المنجنيق وهو الميزان (لسان العرب، مادة: قذف).

(٦) الجبَّانُ: الصحراء، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء تسمية للشيء بموضعه، والجبَّان: ما استوى من الأرض في ارتفاع، ويكون كريم المنبت (لسان العرب، مادة: جبن).

(٧) زيادة من الحجة (٣/ ٣٣١).

واختلف المفسرون في الغَسَّاق؛ فقال ابن عباس: هو الزمهرير[(١)].

وقال أبو سعيد الخدري: المُنْتِن[(٢)].

وقال عطية: القيح الذي يسيل من جلود أهل النار[(٣)].

وقال السدي: دموعهم التي تسيل من أعينهم[(٤)].

وقال كعب الأحبار: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذي حمة[(٥)].

وأخبرنا أبو المجد القزويني قال: أخبرنا أبو منصور الطوسي قال: سمعت الحسين بن مسعود البغوي يقول: الغَسَّاق: ما يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم[(٦)].

قوله تعالى: ﴿وآخر من شكله﴾ أي: من شكل هذا المذوق في الفظاعة والكراهة ﴿أزواج﴾ أجناس وأصناف.

وقرئ: «مِنْ شِكْلِهِ» بكسر الشين[(٧)]، وهي لغة في معنى المثل، وأما

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٩٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٦ ح٢٥٨٤)، والحاكم (٤/ ٦٤٤ ح٨٧٧٩)، وأحمد (٣/ ٢٨ ح١١٢٤٧) كلهم رفعه. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٩٩-٢٠٠) وعزاه لأحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٠٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩٩) وعزاه لهناد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠٠) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٧) عن السدي.

(٧) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٨٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٤١).

الغَنِج[١] فبالكسر لا غير.

قرأ أبو عمرو: «وأُخَرُ» بضم الهمزة من غير مد، وقرأ الباقون بفتح الهمزة ومَدِّها[٢]، على معنى: وعذاب آخر. وقوله تعالى: ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ يؤيد هذه القراءة.

ويجوز أن يجمع الخبر الذي هو «أزواج» وإن كان المبتدأ واحداً؛ لأن «آخر» يراد به العذاب، والعذاب يشتمل على ضروب، كما تقول: عذاب فلان ضُروب شتى.

ومن قرأ «وأُخَر» على الجمع فمعناه: وضُروب أُخَر وأنواع أُخَر؛ لأن العذاب ذو ضروب وأنواع، «وأُخَر» أيضاً مرفوع بالابتداء، و«أزواج» الخبر. هذا كلام أبي علي الفارسي[٣].

قوله تعالى: ﴿هذا فوج﴾ أي: جمع كثيف، ﴿مقتحم معكم﴾ النار، أي: داخلها بشدة.

قال ابن السائب: يضربون بالمَقَامِع[٤] فيلقون أنفسهم في النار[٥].

وهو حكاية قول الزبانية، أو كلام بعضهم لبعض.

قال ابن عباس: إذا دخل القادة النار ثم دخل بعدهم الأتباع، قال الخَزَنة للقادة: هذا فوج مقتحم معكم، فيقول القادة: ﴿لا مرحباً بهم﴾، أي: لا صادفوا

(١) الغَنَج: الدَّلّ، من التدلل (انظر: اللسان، مادة: غنج).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٥)، والكشف (٢/ ٢٣٣)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٥).

(٣) الحجة (٣/ ٣٣٢).

(٤) المقامع: جمع مِقْمَعَة، وهي سياط تعمل من حديد رؤوسها مُعْوَجَّة (اللسان، مادة: قمع).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٥١).

مرحباً[١].

والمَرْحَب والرَّحْب: السَّعَة[٢]، أي: لا اتسعت بهم مساكنهم. وهذا إخبار أن مودتهم انقطعت وصارت عداوة.

﴿إنهم صالوا النار﴾ كما صليناها.

﴿قالوا﴾ يعني: الأتباع للقادة ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ يشيرون إلى أن قادتهم أولى بالدعاء عليهم وبما قالوه لهم، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أي: قدمتموا العذاب لنا، [يريدون][٣]: سببه، وهو الكفر، يريدون: أنتم ابتدأتم وشرعتم الكفر الذي هو سبب عذابنا.

ثم قالت الأتباع: ﴿ربنا من قدّم لنا هذا ... الآية﴾ وقد سبق الكلام على تفسيرها في سورة الأعراف[٤].

قوله تعالى: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ قال مجاهد: يقول أبو جهل في النار: أين صهيب؟ أين عمّار؟ أين بلال؟[٥].

وقال الكلبي: ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم معهم، وهم المؤمنون، فعند ذلك يقولون: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ في الدنيا[٦].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٢٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: رحب).

(٣) في الأصل: يريدن.

(٤) عند الآية رقم: ٣٨.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٥).

﴿أتخذناهم سخرياً﴾ إخباراً عن أنفسهم أنهم صنعوا ذلك، على معنى: أنا اتخذناهم سخرياً، والجملة المعادلة لقوله: ﴿أم زاغت﴾ محذوفة، المعنى: [أمفقودون][1] هم أم زاغت عنهم الأبصار. وهذه قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون: «منَ الأشْرار اتَّخَذْنَاهم» بقطع الهمزة وفتحها على الاستفهام[2]، ولذلك عودل بـ«أم»، واستبعد البصراء بالعربية هذه القراءة؛ لأن استفهامهم مع علمهم أنهم فعلوا بهم ذلك لا معنى له.

وقال الفراء[3]: الاستفهام بمعنى التعجب والتوبيخ.

والمعنى: أنهم يوبخون أنفسهم على ما صنعوا بالمؤمنين.

و«سخرياً» بضم السين وكسرها، مذكور في ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[4].

قال قتادة ومقاتل[5]: أم زاغت أبصارنا عنهم فهم معنا في النار ولا نراهم[6].

قوله تعالى: ﴿إن ذلك لحق﴾ قال الزجاج[7]: أي إن الذي وصفناه عنهم لحق، ثم بين ما هو فقال تعالى: ﴿تخاصم أهل النار﴾.

---

(١) في الأصل: أمفقودن.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٣-٣٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٦-٦١٧)، والكشف (٢/ ٢٣٣)، والنشر (٢/ ٣٦١-٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٦).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٤١١).

(٤) عند الآية رقم: ١١٠.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٢٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٣٤٠).

قال المفسرون: يعني: تخاصم القادة والأتباع(١).

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿إنما أنا منذر﴾ أُخوِّفكم عقوبة الله.

﴿قل هو﴾ يعني: القرآن، في قول مجاهد والضحاك وعامة المفسرين(٢).

وقيل: المعنى: هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً، وأن الله واحد قهار ﴿نبأ عظيم﴾ لا يعرض عنه إلا غافل شديد الغفلة.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ لا تتفكرون فيه.

والمقصود من ذلك: تنبههم على التفكر في القرآن ليستدلوا به على صدق محمد ﷺ ورسالته، ألا تراه يقول: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ يعني: الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ في آدم حين قال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها...﴾ [البقرة:٣٠] إلى آخر القصة. قاله ابن عباس وأكثر المفسرين(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠١-٢٠٢) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي نصر السجزي في الإبانة عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣-١٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٧). وذكره السيوطي في الدر =

وقيل: اختصامهم ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي عز وجل فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم يا رب، قال: في الكفارات والدرجات. فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. وأما الدرجات فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام»[1].

قوله تعالى: ﴿إن يوحى إليّ﴾ أي: ما يوحى إلي ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾.

قال الفراء[2]: المعنى: ما يوحى إليّ إلا أني نبي ونذير مبين أُبَيِّنُ لكم ما تأتون من الفرائض والسنن، وما تدعون من الحرام والمعصية.

وقرأتُ لأبي جعفر: «إلاَّ إنَّما» بكسر الهمزة على الحكاية[3]، على معنى: إن يوحى إليّ إلا هذا القول وهو إذ أقول لكم إنما أنا نذير مبين.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ

= (٧/ ٢٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن جرير.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٤٢ ح٥٤٩٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٤١٢).

(٣) النشر (٢/ ٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٤).

مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ
﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ
وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ متصل بقوله: «يختصمون»، وما بينهما اعتراض.

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ أي: لما توليت خلقه بنفسي ﴿أستكبرت﴾ عن طاعتي والسجود لآدم ﴿أم كنت من العالين﴾ ممن علا واستكبر وارتفع عن السجود له.

والاستفهام بمعنى التوبيخ، فأخبره أن امتناعه من السجود لآدم علوّه عليه فقال: ﴿أنا خير منه﴾.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ اتفق القرّاء على نصب «الحقَّ» الثاني، واختلفوا في الأول، فقرأ عاصم وحمزة: «قال فالحقُّ» بالرفع، ونصبه الباقون[1]. فمن رفع جعله خبر مبتدأ محذوف، تقديره: أنا الحقُّ أو قولي، أو هو مبتدأ، خبره محذوف، على معنى: قال فالحق مني، كما قال تعالى:

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٨)، والكشف (٢/ ٢٣٤)، والنشر (٢/ ٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٤)، والسبعة (ص:٥٥٧).

﴿الحق من ربك﴾ [البقرة:١٤٧].

ومن نصب فعلى معنى: الزموا الحق، أو على معنى: أحق الحق، كقوله تعالى: ﴿ويحق الله الحق﴾ [يونس:٨٢].

وقيل: هو قسم، فلما حذفت الباء انتصب، كما تقول: الله لأفعلنّ، أي: قال فبالحق لأملأن جهنم، وما بينهما اعتراض.

والحق الثاني منصوب بـ«أقول».

ويروى عن أبي عمرو من غير طرقه المشهورة: «والحقُّ أقولُ» بالرفع[1].

ووجهه ظاهر.

﴿لأملأن جهنم منك﴾ أي: من جنسك، ﴿وممن تبعك منهم﴾ من ذرية آدم ﴿أجمعين﴾.

﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي: على القرآن ﴿من أجر﴾ أو الوحي، أي: على تبليغه من أجر[2] فتتهموني.

﴿وما أنا من المتكلفين﴾ الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله، وقد عرفتموني بالبراءة من ذلك، فكيف أنتحل النبوة وأتكلف ما لم أؤمر به وأتقوَّل القرآن.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان، قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن

---

(١) ذكر هذه القراءة البناء في: الإتحاف (ص:٣٧٤)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٥٨).

(٢) في الأصل زيادة قوله: المعنى.

أبي الضحى، عن مسروق قال: «دخلنا على عبدالله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. قال الله تعالى لنبيه: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾»[١]. هذا حديث صحيح.

﴿إن هو﴾ يعني: القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ موعظة للجن والإنس.

﴿ولتعلمن﴾ يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾.

قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت[٢].

قال الحسن: يا ابن آدم! عند الموت يأتيك الحق[٣] اليقين[٤].

وقال عكرمة: يوم القيامة[٥].

وقال السدي: يوم بدر[٦].

وقال ابن السائب: من بقي عَلِمَ ذلك لما ظهر أمره وعلا، ومن مات [علمه][٧] بعد الموت[٨]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٩ ح٤٥٣١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٩) عن قتادة.

(٣) في جميع مصادر التخريج: الخبر.

(٤) ذكره الطبري (٢٣/ ١٨٩) في تفسيره، والماوردي (٥/ ١١٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٠٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١١٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٩). وذكره الماوردي (٥/ ١١٢).

(٧) زيادة من الوسيط (٣/ ٥٦٨).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٨).

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي اثنتان وسبعون آية في المدني، وخمس في الكوفي[١].

وهي مكية في قول ابن عباس وعليه المفسرين[٢]، إلا آيتين نزلتا بالمدينة: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ و ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾[٣].

وقيل: إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ إلى آخر السبع. واستثني أيضاً: ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ
﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب﴾: مبتدأ، خبره: ﴿من الله﴾.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢١٦).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٠) وعزاه لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي (٥/ ١١٣)، وزاد المسير (٧/ ١٦٠)، والبيان (ص:٢١٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٦٤٣).

وقيل: «تنزيل»: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، والجار والمجرور صلة التنزيل، كما تقول: نزل من عند الله. أو غير صلة، فيكون الجار والمجرور خبراً بعد خبر. أو يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا من الله[١].

والمراد بالكتاب: القرآن.

قوله تعالى: ﴿مخلصاً﴾ نصب على الحال، ﴿الدين﴾ نصب بوقوع الفعل عليه[٢]. والمعنى: فاعبد الله ممحضاً له الدين من الشرك والرياء.

﴿ألا لله الدين الخالص﴾ قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله[٣].

وقال الحسن: الإسلام[٤].

وقيل: المعنى: هو الذي وجب اختصاصه بأن تُخلص له الطاعة من كل شائبة كدر.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ قال صاحب الكشاف[٥]: يحتمل المتَّخذين وهم الكفرة، والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى؛ عن ابن عباس. والضمير في «اتخذوا» على الأول راجع إلى «الذين»، وعلى الثاني إلى «المشركين»، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً، والراجع إلى «الذين» محذوف.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١٤)، والدر المصون (٦/ ٣-٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١١٤).

(٥) الكشاف (٤/ ١١٣).

والمعنى: والذين [اتخذهم][1] المشركون أولياء.

«والذين اتخذوا» في موضع رفع على الابتداء.

فإن قلت: فالخبر ما هو؟

قلتُ: هو على الأول، إما ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ أو ما أضمر من القول قبل قوله: ﴿ما نعبدهم﴾. وعلى الثاني: ﴿إن الله يحكم بينهم﴾.

فإن قلت: فإذا كان «[إن الله][2] يحكم بينهم» الخبر، فما موضع القول المضمر؟

قلتُ: يجوز أن يكون في موضع الحال، أي: قائلين ذلك. [ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة فلا يكون له محل، كما أن المُبْدل منه كذلك][3].

وقرأ ابن مسعود بإظهار القول: «قالوا ما نعبدهم»[4]. وفي قراءة أُبَيّ: «ما نعبدكم إلا لتقربونا» على الخطاب[5]، حكاية لما خاطبوا به آلهتهم.

وقال الزجاج[6]: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى﴾ أي: قُربى.

والضمير في «بينهم» لهم ولأوليائهم.

والمعنى: إن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى عليهم السلام الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله تعالى.

---

(١) في الأصل: اتخذوهم. والمثبت من الكشاف (٤/ ١١٣).

(٢) في الأصل: الله تعالى. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة الطبري (٢٣/ ١٩١)، والقرطبي (١٥/ ٢٣٣).

(٥) ذكر هذه القراءة الطبري، الموضع السابق، والقرطبي (١٥/ ٢٣٤).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٤٤).

وقيل: يحكم بين المسلمين والمشركين، فإن المسلمين كانوا يقولون لهم: مَنْ خَلَقَ السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

﴿إن الله لا يهدي﴾ أي: لا يُرشد ﴿من هو كاذب كفار﴾ في قوله أن الآلهة تشفع لهم وتقربهم إلى الله.

وقيل: من هو كاذب في قولهم في بعض من اتخذوه من دون الله أولياء: بنات الله، ولذلك عقبه محتجاً عليهم بقوله تعالى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾.

قال الزمخشري[1]: كأنه قال: لو أراد الله تعالى اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما [يشاء][2] من خلقه وهم الملائكة، إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم [اتخاذهم][3] أولاداً، ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات.

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سبحانه هو الله الواحد القهار﴾.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ

(١) الكشاف (٤/ ١١٤).

(٢) في الأصل: شاء. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: اتخاهم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ قال أبو عبيدة[1]: يُدْخِلُ هذا على هذا، وهذا على هذا.

قال ابن قتيبة[2]: أصل [التكوير][3]: اللَّفُّ، ومنه كَوْرُ العمامة.

وقال غيره: أصل التَّكوير: طرح الشيء بعضه على بعض[4].

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ يعني: حوّاء من آدم عليهما السلام.

وقد أشرنا إلى دفع الإشكال في الترتيب بحرف «ثم» مع تقدم خلق حواء على خلق المخاطبين في سورة النساء عند قوله تعالى في أواخرها: ﴿ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات﴾ بعد قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ [النساء:١٥٣].

وقيل: أخرج الله تعالى ذرية آدم عليه السلام من ظهره [كالذَّرِّ][5]، ثم خلق بعد ذلك حوّاء.

قوله تعالى: ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ أي: قضى لكم وقَسَم، والقضاء

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٨٨).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣٨٢).

(٣) في الأصل: التكور. والتصويب من غريب القرآن، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان (مادة: كور).

(٥) في الأصل: كاذر. والتصويب من الكشاف (٤/ ١١٦).

والقَسَم موصوف بالنزول من السماء.

وقيل: لما كانت لا تعيش إلا بالماء والنبات النامي من الماء، والماء من السماء، فكأنه أنزلها من السماء. وقد أشرنا إلى تفسير ذلك في الأنعام[1].

﴿خَلْقاً من بعد خلق﴾ يريد: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم لحماً، إلى غير ذلك من تقلبات أحوال الإنسان إلى أن يظهر إلى الوجود.

وقيل: خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلق في ظهر آدم.

﴿في ظلمات ثلاث﴾ قال ابن عباس وقتادة وعامة المفسرين: هي ظلمة البطن، والرَّحم، والمشيمة[2].

وقيل: ظلمة البطن، والرّحم، والصلب.

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاًۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٣.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٥٦)، والطبري (٢٣/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن أبي مالك، وعزاه لعبد بن حميد.

قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ قال ابن عباس: لا يرضاه لعباده المؤمنين(١)، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾ [الإنسان:٦].

وقيل: لا يرضاه لأحد ما وإن وقع بإرادته. وبين [الإرادة](٢) والرضى فرق ليس هذا موضع ذكره.

﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ اختلف القراء السبعة، فمنهم من ضَمَّ الهاء ووصلها بواو؛ لأن ما قبل الهاء متحرك فصار بمنزلة: ضَرَبَه. ومنهم من اختلس الحركة؛ لأن أصل الكلمة: ترضاه، فصار بمنزلة: عَصَاه، والحذف ليس بلازم. ومنهم من أسكن الهاء وقال: هي لغة(٣).

قوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه﴾ أي: راجعاً إليه ومقبلاً عليه.

﴿ثم إذا خوّله﴾ ملَّكه وأعطاه، واشتقاقه من قولهم: هو خائل مالٍ؛ إذا كان متعهداً له حَسَنُ القيام عليه(٤)، ومنه الحديث: «كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة»(٥).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) في الأصل: إرادة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٩)، والكشف (٢/ ٢٣٦)، والنشر (١/ ٣٠٧-٣٠٩)، والإتحاف (ص:٣٧٥)، والسبعة (ص:٥٦٠-٥٦١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: خول).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٨ ح٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١٧٢ ح٢٨٢١).

وقيل: هو من خَالَ يَخُولُ؛ إذا اختال وماس[(١)].

وفي معناه قول العرب: إن [الغنيَّ][(٢)] طويلُ الذَّيل ميّاس[(٣)].

﴿نعمة منه﴾ أزال عنه الضُّرَّ وأسبغ عليه نعمة من نعمه، ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي: نَسِيَ الضر الذي كان يَتضرَّعُ الله تعالى بسببه، ويدعوه إلى كشفه.

وقيل: نسي ربه الذي [كان][(٤)] يبتهل إليه[(٥)].

و«ما» بمعنى «من»؛ كقوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ [الليل:٣]، ومثله قوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ [الكافرون:٣].

والمراد بالإنسان في هذه الآية: الكافر.

قال عطاء: نزلت في عتبة بن ربيعة[(٦)].

وقال مقاتل[(٧)]: في أبي حذيفة بن المغيرة.

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خول).

(٢) في الأصل: الفتى. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) هذا مثلٌ يراد به: أن المال يظهر ولا يخفى، وكذلك الفقر لا يكاد المرء يخفيه (انظر: المستقصى في أمثال العرب ١/ ٤٠٩، وجمهرة الأمثال ١/ ١٩٨، ومجمع الأمثال ١/ ٣٤).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ١١٨).

(٥) هذا من كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٧-١١٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٦٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٢٨).

قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. قاله ابن عباس(١).

والثاني: في عثمان بن عفان رضي الله عنه. قاله ابن عمر(٢).

والثالث: في عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وأبي ذر. قاله ابن السائب(٣).

وحكى يحيى بن سلام: أنه رسول الله ﷺ(٤).

وقيل: بعمومها فيمن كان بهذه الصفة.

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وحمزة: «أَمَنْ» بتخفيف الميم، وشدّدها الباقون.

قال أبو علي(٥): من شدَّد فإنها «أَمْ» دخلت على [«مَنْ»](٦) فأدغمت الميم في الميم، وتكون الجملة التي عادلت أمْ قد حذفت، المعنى: الجاحد الكافر بربه خير أمَّن هو قانت، و«مَنْ» موصولة بمعنى الذي، وليست باستفهام، ودل على الجملة

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١١٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٦). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢١٣-٢١٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١١٧).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٩-٣٤٠).

(٦) زيادة على الأصل.

المحذوفة المعادلة لأَمْ ما جاء بعد من قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون﴾، ودلّ عليها أيضاً ما قبلُ من قوله تعالى: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾. فأما من خفَّفَ الميم فقال: ﴿أَمَنْ هو قانت﴾، فالمعنى: أمَنْ هو قانت كَمَنْ هو بخلاف هذا الوصف؟ ولا وجه للنداء هاهنا؛ لأن هذا موضع معادلة، ويدل على المحذوف هاهنا: ﴿قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون﴾؛ لأن التسوية لا تكون إلا بين شيئين.

قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا﴾ مفسر في النحل[1].

﴿وأرض الله واسعة﴾ يريد: الجنة.

وقيل: الأرض المعهودة.

فإن أريد الأول كان ترغيباً لهم في العمل المفضي بهم إليها. وإن أريد الثاني كان حَضّاً لهم على الهجرة.

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم﴾ على طاعة الله وعن معصيته، وعلى تجرّع الغُصَص واحتمال البلاء أجرهم الذي جعله الله تعالى جزاء لهم على صبرهم ﴿بغير حساب﴾ أي: لا يحاسبون عليه.

وقيل: بغير مكيال وغير ميزان، وهو تمثيل للتكثير.

---

(١) عند الآية رقم: ٣٠.

قال ابن عباس: لا يهتدي إليه حساب الحُسَّاب ولا يعرف[١].

أخبرنا الشيخ عبدالعزيز بن معالي بن غنيمة بن منينا قراءة عليه وأنا أسمع بمنزله بباب البصرة، أخبركم أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري فأقرّ به، قال: أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر القاضي، حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا علي بن قمر العجلي، حدثنا جعفر بن سليمان، عن [سعد][٢] بن طريف[٣]، عن الأصبغ بن نباتة[٤] قال: «دخلنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الحسن بن علي نعوده، فقال له علي: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ فقال: أصبحت بحمد الله بارئاً، فقال: كذا أنت إن شاء الله. ثم قال الحسن: أسندوني أسندوني، فأسنده عليّ إلى صدره، فقال الحسن: سمعت جدي ﷺ وقال لي يوماً: بُنَيّ! عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس، وأدّ الفرائض تكن من أعبد الناس، يا بني! إن في الجنة شجرة يقال لها: شجرة البلوى، يُؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، يُصَبُّ عليهم الأجر صَبّاً، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ »[٥].

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره (٤/ ٥٠).

(٢) في الأصل: سعيد. وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٣) سعد بن طريف الإسكاف الحذّاء الحنظلي الكوفي، متروك، ورماه ابن حبان بالوضع (تهذيب التهذيب ٣/ ٤١٠، والتقريب ص:٢٣١).

(٤) الأصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي، أبو القاسم الكوفي، متروك رمي بالرفض (تهذيب التهذيب ١/ ٣١٦، والتقريب ص:١١٣).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٩٢ ح٢٧٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٥) وعزاه =

قوله تعالى: ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ قال الزمخشري[1]: المعنى: وأمرتُ بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين، أي: مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة. ولك أن تجعل اللام مزيدة، مثلها في: أردت لأن أفْعَل. ولا تزاد إلا مع «أنْ» خاصة دون الاسم الصريح، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس:٧٢]، ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ [يونس:١٠٤]، و﴿أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ [الأنعام:١٤].

وفي معناه أوجه: أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي، لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها، وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً.

قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ معناه: أن الكاملين في الخسران هم الذين خسروا أنفسهم بالمصير إلى النار =

للطبراني وابن عساكر وابن مردويه.

(١) الكشاف (٤/ ١٢٠-١٢١).

وخسروا أهليهم؛ لأنهم إن كانوا كفاراً فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا مؤمنين فقد خسروهم؛ لأنهم لم يدخلوا معهم الجنة.

وقال الحسن وقتادة: خسروا الحور العين الذين كانوا أهليهم لو أدخلوا الجنة(١).

قال الزمخشري(٢): وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله تعالى: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرّف الخسران ونعته بالمبين.

قوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار﴾(٣) أي: أطباق وسرادقات من النار ودخانها، ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أطباق وسرادقات هي مهاد لقوم وظُلَلٌ لآخرين.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى العذاب المذكور ﴿يخوّف الله به عباده﴾ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه، ﴿يا عباد فاتقون﴾ ولا تعرضوا [لعذابي](٤).

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٦٩).

(٢) الكشاف (٤/ ١٢١).

(٣) في الأصل زيادة قوله تعالى: ﴿ومن تحتهم﴾. وستأتي بعد.

(٤) في الأصل: لعاذابي.

تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ قال ابن زيد: حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله؛ زيد بن [عمرو](١)، وأبو ذر، وسلمان الفارسي(٢).

والمعنى: والذين اجتنبوا عبادة ما دون الله من شيطان وكاهن وصنم.

قال الأخفش(٣): إنما قال: ﴿أن يعبدوها﴾؛ لأن [الطاغوت](٤) في معنى جماعة، وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً.

وقال غيره: «أنْ» مع الفعل في موضع النصب بتأويل المصدر بدل من مفعول «اجتنبوا»، تقديره: والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت.

﴿لهم البشرى﴾ خبر المبتدأ الذي هو «والذين اجتنبوا»(٥). والمعنى: لهم البشرى على ألسنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين في الدنيا، وعلى ألسنة الملائكة حين الموت وحين يحشرون.

﴿فبشر عبادي﴾ فوصفهم فقال: ﴿الذين يستمعون القول﴾ وهو القرآن في

---

(١) في الأصل: عمر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٢).

(٣) معاني الأخفش (ص:٢٧٤).

(٤) في الأصل: العابدون. والمثبت من معاني الأخفش، الموضع السابق.

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ١١).

قول عامة المفسرين.

﴿فيتّبعون أحسنه﴾ مفسّر في الأعراف عند قوله تعالى: ﴿يأخذوا بأحسنها﴾ [الأعراف:١٤٥].

وقيل: بعمومه في الكلام كله.

قال ابن عباس: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع، ويكفّ عما سواه[١].

وقد ذهب بعض القراء إلى أن الوقف على قوله: ﴿فبشر عبادي﴾ ويبتدئ: ﴿الذين يستمعون القول﴾، فيكون مرفوعاً بالابتداء، والخبر ﴿أولئك﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾. ذكر الزجاج والزمخشري[٣] -دخل كلام أحدهما في الآخر-: أنها جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار، والهمزة الثانية هي الأولى، كُررت لتوكيد الكلام وطوله؛ لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاسم والخبر.

وأصل الكلام: أمَّن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، والفاء الثانية فاء الجزاء، والفاء الأولى عطف على محذوف يدلّ الخطاب عليه، تقديره: أأنت مالُكُ أمرهم، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه.

ويجوز أن تكون الآية جملتين، على معنى: أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٢١).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ١١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٤٩-٣٥٠)، والكشاف (٤/ ١٢٣).

تخلصه[١]؟ أفأنت تنقذه؟ وإنما جاز حذف «فأنت تخلصه»؛ لدلالة «أفأنت تُنقذُ» عليه.

قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده، ومن تخلّف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان[٢].

قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ أي: علالي بعضها فوق بعض قد بُنيت العلالي وأحكمت إحكام المساكن التي على الأرض.

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل.

﴿وعد الله﴾: مصدر[٣].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن

---

(١) في الأصل زيادة قوله: أفأنت تخلصه. وانظر النص في: الكشاف (٤/ ١٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١٤)، والدر المصون (٦/ ١٢).

السماء نزل[١].

والمعنى: فأدخله ونظمه عيوناً في الأرض يسلك في مجاريه كالعروق في الأجساد.

﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأبيض وغير ذلك.

وقيل: المراد بألوانه: أصنافه من بُرّ وشعير وأرز وسمسم وغيرها.

﴿ثم يهيج﴾ يتناهى جفافه.

قال الأصمعي: يقال للنبت إذا تَمَّ جفافه: قد هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً[٢].

قال بعضهم: سُمي بذلك؛ لأنه إذا تَمَّ جفافه حان له أن يثور عن منابته.

﴿فتراه﴾ بعد نضارته وخضرته ﴿مصفرّاً ثم يجعله حطاماً﴾ فتاتاً متكسراً.

﴿إن في ذلك لذكرى﴾ لتذكيراً ﴿لأولي الألباب﴾ على أنه لا بد من صانع حكيم قادر عليم.

وقال مقاتل[٣]: هذا مثلٌ ضُرب للدنيا.

قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ قال الزجاج[٤]: جوابه متروك؛ لأن الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شرح الله صدره

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٥٧ ح٧٣٤٧)، والطبري (٢٣/ ٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٩) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ في العظمة والخرائطي في مكارم الأخلاق.

(٢) انظر: اللسان (مادة: هيج).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٣١).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٥١).

فاهتدى كمن طبع الله تعالى على قلبه. ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.

وقد فسرنا معنى الشرح في سورة الأنعام[1] وذكرنا فيه حديثاً له اختصاص بهذه الآية ومدخل في تأويلها.

قال قتادة: «فهو على نور من ربه»: هو كتاب الله يأخذ به وينتهي إليه[2].

قال ابن عباس: نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وأبيّ بن خلف[3].

وقال عطاء: نزلت في علي وحمزة وأبي لهب وولده[4].

وقال مقاتل[5]: نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل.

وقد ذكرنا معنى القسوة في سورة البقرة[6].

ومقاتل يقول[7]: «مِنْ ذكر الله» بمعنى: عَنْ ذكر الله[8].

---

(١) عند الآية رقم: ١٢٥.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٠٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٢١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٧٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٤).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٣)، والوسيط (٣/ ٥٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٤).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٣١).

(٦) عند الآية رقم: ٧٤.

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٣١).

(٨) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٤): فإن قيل: كيف يقسو القلب من ذكر الله عز وجل؟

فالجواب: أنه كلما تلي عليهم ذكر الله الذي يكذبون به قَسَتْ قلوبهم عن الإيمان.

قال الفراء[١]: كما تقول: اتّخمت من طعامٍ أكلته وعن طعام أكلته.

قلتُ: [ويؤيد][٢] هذا قراءة أُبيّ بن كعب وابن أبي عبلة وأبي عمران: «عن ذكر الله»[٣].

وقال الزمخشري[٤]: إن قلت: ما الفرق بين «من» و«عن» في هذا؟

قلتُ: إذا قلتَ: قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت، من [أن][٥] القسوة من أجل الذِّكْر وسببه، وإذا قلتَ: عن ذكر الله، فالمعنى: غلظ عن قبول الذِّكْر وجفا عنه. ونظيره: [سقاه][٦] من العَيْمَة[٧]، أي: من أجل عطشه، وسقاه عن العيمة؛ إذا أرواه حتى أبعده عن العطش.

وقال غيره: هو على حذف المضاف، تقديره: فويل للقاسية قلوبهم من ترك ذكر الله.

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٤١٨).

(٢) في الأصل: ويد.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٧٤).

(٤) الكشاف (٤/ ١٢٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: سقا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) العَيْمَة: شدة العطش (اللسان، مادة: عيم).

قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: قالت الصحابة: يا رسول الله لو حدَّثتنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(١)].

﴿كتاباً﴾ بدل من «أحسن الحديث»، أو حالاً منه[(٢)]، ﴿متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

وقال قتادة: تشبه الآية الآية، والكلمة الكلمة، والحرف الحرف[(٣)].

وقال الزجاج[(٤)]: يشبه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة.

وقال الزمخشري[(٥)]: متشابهاً في الصحة والإحكام والصدق، وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخيّر والإصابة، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز. ويجوز أن يكون ﴿مثاني﴾ بياناً لكونه متشابهاً؛ لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة.

والمثاني: جمع مثنى، بمعنى: مردّد ومكرّر، لما ثني من قصصه وأنبائه، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه.

وقيل: لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد.

ويجوز أن يكون جمع مثنى: مَفْعَل، من التثنية، بمعنى: التكرير والإعادة.

فإن قيل: ما فائدة التثنية والتكرير؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١١) عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢١) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٥)، والدر المصون (٦/ ١٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٢٢).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٥١).

(٥) الكشاف (٤/ ١٢٥).

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله ﷺ فيتعلم كل واحد منهم ما يتيسر له، وكان رسول الله ﷺ يبعث السور المختلفة إلى القبائل المتفرقة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة نوح مثلاً إلى قوم، وقصة موسى إلى قوم، فأراد الله سبحانه وتعالى الحكيم إظهار القصص وتشعبها في القبائل والبقاع؛ موعظة لخلقه، ومعجزة لرسوله ﷺ.

الثاني: أن النفوس شديدة النفرة عن المواعظ والنصائح، فأراد الله عز وجل تكرير قصص الأنبياء مع أممهم وأمثال ذلك ليترسخ فيها بسبب التكرار والترداد.

قوله تعالى: ﴿تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي: يأخذهم عند تلاوته وتدبر مواعظه قُشعريرة.

روى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا اقشعرَّ جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما تتحاتّ عن الشجرة اليابسة أوراقها»(١).

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تعالى حرَّمه الله على النار»(٢).

﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ عَدَّى «تلين» بإلى؛ لتضمنها معنى

---

(١) أخرجه البيهقي في شعبه (١/ ٤٩١ ح٨٠٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٠) وعزاه للبزار وقال: وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٢) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٧٧).

قط[١].

قوله تعالى: ﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ قال مجاهد والسدي: حتى نأمرك بالقتال[٢].

وقال قتادة: إلى الموت[٣]. فتكون منسوخة بآية السيف[٤].

﴿وأبصرهم﴾ وما يقضى عليهم من القتل والذل والأسر إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك.

وقال ابن زيد: أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يبصرون ما يحل بهم من عذاب الله[٥].

وقال ثعلب: «أبصرهم»: أعلمهم الآن، «فسوف يبصرون»: يعلمونه بالعيان[٦].

قال المفسرون: لما هدّدهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ قالوا تكذيباً واستهزاءً: متى هذا العذاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾[٧]. ﴿فإذا نزل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١-٥٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٣٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥). وذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٦) انظر قول ثعلب في: تفسير الماوردي (٥/ ٧٤).

(٧) ذكره الطبري (٢٣/ ١١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٩) بنحوه.

بساحتهم﴾ أي: بحضرتهم.

قال الفراء[١]: العرب تكتفي بالسَّاحَة والعَقْوَة[٢] من القوم، يقولون: نزل بك العذاب وبساحتك [سواء][٣].

والسَّاحَة: مُتَّسَعُ الدار[٤].

﴿فساء صباح المنذرين﴾ وقرأ ابن مسعود على المعنى: «فبئس صباح المنذرين»[٥].

وصحَّ عن النبي ﷺ «أنه قال يوم خيبر حين أصبحوا فخرجوا بمساحيهم فرأوا جيش النبي ﷺ فقالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[٦].

وإنما كرر «وَتَوَلَّ عنهم» لتكون تسلية على تسلية، وتأكيداً لوقوع ما توعدهم به من العذاب.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ثم نزّه نفسه عما يقوله المشركون فقال سبحانه وتعالى: ﴿سبحان ربك رب

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) العقوة والعقاة: الساحة وما حول الدار والمحلّة (اللسان، مادة: عقا).

(٣) زيادة من معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: سوح).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٢١ ح٥٨٥)، ومسلم (٢/ ١٠٤٥ ح١٣٦٥).

العزة﴾ أي: مالك العزة.

وقال صاحب الكشاف(١): أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذو العزة، كما تقول: صاحب صدق؛ لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وتعز من تشاء﴾ [آل عمران:٢٦].

ولما اشتملت هذه السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله عز وجل ونسبوا إليه ما هو سبحانه وتعالى منزّه عنه، وما عاناه المرسلون صلوات الله عليهم من جهتهم، وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم؛ ختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما قيّض لهم من حسن العواقب.

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون... إلى آخر السورة»(٢).

وهو حديث ثابت من طرق، أحسنها ما أخبرنا به أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الكرابيسي، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه أبو سعيد المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن حمد الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر الدينوري، أخبرنا أبو بكر السني الحافظ، أخبرني

---

(١) الكشاف (٤/ ٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٩ ح٣٠٩٧).

أبو عروبة[١]، حدثني ابن وكيع[٢]، حدثني أبي[٣]، عن سفيان الثوري، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته -قال: لا أدري قبل أن يُسَلِّم أو بعد أن يُسَلِّم- يقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٤].

وقال ﷺ: «من أحب أن يكتال له بالكيل الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٥].

---

(١) هو الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي الجزري، أبو عروبة الحراني، صاحب التصانيف. ولد بعد العشرين ومائتين، وأول سماعه في سنة ست وثلاثين ومائتين، كان عارفاً بالرجال وبالحديث، مات سنة ثماني عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥١٠-٥١٢).

(٢) سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو محمد الكوفي، كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل، فسقط حديثه. توفي في ربيع الآخر سنة سبع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٠٩، والتقريب ص:٢٤٥).

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ، كان ثقةً مأموناً عالياً، رفيع القدر، كثير الحديث حجة، ولد سنة سبع أو ثمان أو تسع وعشرين ومائة، ومات سنة ست وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٩-١١٤، والتقريب ص:٥٨١).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ١٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه للخطيب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه لابن أبي حاتم عن الشعبي.

طلحة[(١)]، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ قال: غير مخلوق[(٢)].

قال حموية بن يونس: بلغ أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه هذا الحديث، فكتب إلى جعفر بن محمد بن فضيل يكتب إليه بإجازته، فكتب إليه بإجازته، فَسُرَّ أحمد بهذا الحديث وقال: كيف فاتني عن عبدالله بن صالح هذا الحديث.

وبهذا الإسناد قال أبو الحسن الحمامي: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن مخلد العطار، حدثنا أبو داود السجستاني، حدثنا حسين[(٣)] بن الصباح، حدثنا [معبد أبو][(٤)] عبدالرحمن -ثقة-، عن معاوية [بن][(٥)] عمار قال: سألت جعفر بن محمد رضي الله عنهما عن القرآن،

=

الحمصي، أحد الأعلام وقاضي الأندلس، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ثمان وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٩-١٩٠، والتقريب ص:٥٣٨).

(١) علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي، مولى بني العباس، أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٩٨، والتقريب ص:٤٠٢).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٨٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص:٣١١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٢٣) وعزاه للآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) في الشريعة: الحسن.

(٤) في الأصل: سعيد بن. وهو خطأ. وهو معبد بن راشد، أبو عبدالرحمن الكوفي، انظر ترجمته في: التهذيب (١٠/ ٢٠١)، والتقريب (ص:٥٣٩).

(٥) في الأصل: عن. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: لسان الميزان (٧/ ٣٩٢)، والتقريب (ص:٥٣٨).

قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل[١].

وبالإسناد قال الحمامي: حدثنا أبو بكر محمد بن هارون العسكري الفقيه، حدثنا محمد بن يوسف بن [الطباع][٢] قال: سمعت رجلاً سأل أحمد بن حنبل فقال: يا أبا عبدالله، أُصلِّي خلف من يشرب المُسْكِر؟ قال: لا. قال: وأصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق؟ قال: فقال: سبحان الله، أنهاك عن مسلم وتسألني عن كافر[٣].

وأخبرنا أبو بكر عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي إذناً قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن مرزوق، أخبرنا جعفر بن أحمد بن عبدالواحد الثقفي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبدالرحيم، أخبرنا عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، حدثنا موسى بن عبدالله الطرسوسي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو [جهميّ][٤]، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ فقد كفر[٥]، والقرآن من علم الله، فمن زعم أن من علم الله شيئاً مخلوقاً فقد كفر[٦].

أخبرنا أبو علي الحسين بن الحسن بن علي الكوسج الأصبهاني إجازة،

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٨٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٤٢ ح٣٩٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:١٠٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٥١-١٥٢).

(٢) في الأصل: الصباغ. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٨٤). وذكره ابن مفلح في: المقصد الأرشد (٢/ ٥٣٣).

(٤) في الأصل: جمي. وقد ذكره عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٦٥).

(٥) ذكره اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٥٦) عن النضر بن محمد.

(٦) ذكره اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٥٤).

وأخبرني عنه سماعاً أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن [الأزهر][1] الصريفيني قال: أخبرنا الحافظ أبو سعد محمد بن عبدالواحد بن عبدالوهاب الصائغ، حدثنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الدقاق، أخبرني أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرئ بقراءتي عليه، حدثنا أحمد بن موسى، حدثنا محمد ابن الحسن النقاش، حدثنا أبو صالح القاسم بن الليث الرسعني، حدثنا محمد بن بشار[2] بندار رحمه الله قال: كان لنا جارٌ، وكان يقرأ القرآن، وكان حسن الصوت، رأيته عند يعقوب الجرمي فجاور رجلاً فقال: إن لم يكن القرآن مخلوقاً فنزع الله كل آية في كتابه من صدري، فأصبح وما يقرأ من كتاب الله تعالى حرفاً واحداً. قال: فكان إذا سمع قارئاً في المسجد تكلم به قال: لا أستطيع، ويقول كلاماً معروفاً. قال: ومات على هذه الحال.

قال بندار: كتب إليَّ إسحاق بن راهويه يسألني عن هذا الحديث، فكتبت إليه.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سالماً لرجل﴾ أي: ضرب الله لعُبّاد الأصنام مثلاً مثل رجل، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، فـ«رجلاً» بدل من قوله: «مثلاً فيه شركاء»[3].

«متشاكسون»: مختلفون كل واحد منهم يدعي أنه عبده، فهم يتجاذبون عنان التصرف فيه على حسب أهوائهم واختلاف أغراضهم وآرائهم، فأصبح مُتشعِّب

---

(١) في الأصل: الأهر. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٨٩)، وذيل التقييد (١/ ٤٣٩).

(٢) في الأصل زيادة قوله: بن. وهو خطأ. وقوله: «بندار» لقب لمحمد بن بشار. وقد تقدمت ترجمته.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١٥).

الهموم، مُتقسم الفكر.

«ورجلاً» عطف على الأول، أي: ومثل رجل، «سالم لرجل»: خالص لرجل واحد، فهو مجتمع الهمّ، سليم مما يوجب توزع فكره، مقتصر على خدمة سيد واحد.

﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي: صفة، أي: هل يستوي صفتاهما وحالاهما.

قال ثعلب: إنما قال: «هل يستويان مثلاً» ولم يقل: «مَثَلَيْنِ»؛ لأنهما جميعاً ضُربَا مثلاً واحداً، ومثله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾[1] [المؤمنون:٥٠].

وقال الزمخشري[2]: إنما اقتصر في التمييز على الواحد؛ لبيان الجنس. وقرئ: «مثلين»؛ كقوله تعالى: ﴿وأكثر أموالاً وأولاداً﴾ [التوبة:٦٩] مع قوله تعالى: ﴿أشد منهم قوة﴾، وهذا مثل العبد المؤمن والعبد الكافر في عبادة هذا إلهاً واحداً، وفي عبادة هذا آلهة شتى.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ورَجُلاً سَالِماً لرجُل» بألف مع كسر اللام، وقرأ الباقون: «سَلَماً» بفتح اللام من غير ألف[3].

وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: « ورَجُلٌ سالمٌ» بالرفع على الابتداء[4]، على معنى: وهناك رجل سالم لرجل.

(١) انظر: زاد المسير (٧/ ١٨٠-١٨١).

(٢) الكشاف (٤/ ١٢٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢١-٦٢٢)، والكشف (٢/ ٢٣٨)، والنشر (٢/ ٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٥)، والسبعة (ص:٥٦٢).

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٨٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٥).

﴿الحمد لله﴾ قال الماوردي[1]: يحتمل وجهين:

أحدهما: على احتجاجه بالمثل الذي خصم به المشركين.

الثاني: على هدايته التي أعان بها المؤمنين.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيشركون به غيره، أو لا يعلمون المثل المضروب.

قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ إن قيل: ما الحكمة في إخباره بموته وهو يعلمه حقيقة؟

قلتُ: هو فيه حِكَم:

أحدها: الحث على العمل.

الثانية: تقصير الأمل.

الثالثة: الإيذان بقرب الأجل، حيث أتى به في صيغة الحال.

الرابعة: أن المشركين كانوا يتربصون به ﷺ الموت، فأخبرهم أن الموت وصفٌ شاملٌ له ولهم، فلا معنى لانتظاره له دونهم.

الخامسة: توطئة نفسه الكريمة ﷺ على الموت.

السادسة: إعلام المؤمنين أن هذا الرسول الكريم ﷺ على ربه لم يوجب له اختصاص بوصف الامتياز على العالمين فضلاً عليهم في الخلود والبقاء الدائم.

﴿ثم إنكم﴾ أنتم وإياهم -غلب المخاطب- ﴿يوم القيامة عند ربكم﴾ الذي لا يخفى عليه خافية ﴿تختصمون﴾ فيحتج عليهم بالبلاغ، ويحتجون هم بما لا حجة فيه من الاقتداء بالآباء والكبراء.

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ١٢٤).

وقال ابن عباس: يتخاصم الصادق والكاذب، والمظلوم والظالم، والمهتدي والضال، والضعيف والمتكبر[١].

وقال إبراهيم النخعي: لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة: ما خصومتنا ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا[٢].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدَّق به﴾ قال علي عليه السلام وأبو العالية وابن السائب: «الذي جاء بالصدق»: رسول الله ﷺ، «وصدَّق به»: أبو بكر رضي الله عنه[٣].

وقال ابن عباس: هو رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله وصدق به[٤].

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن عساكر.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٨) وعزاه لابن جرير والباوردي في معرفة الصحابة وابن عساكر من طريق أسيد بن صفوان عن علي بن أبي طالب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

وقال مجاهد في رواية الليث عنه: «الذي جاء بالصدق»: رسول الله ﷺ، «وصدّق به»: علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وقال قتادة: «الذي جاء بالصدق»: رسول الله ﷺ، «وصدّق به»: المؤمنون[٢].

وقال عطاء: «الذي جاء بالصدق»: الأنبياء، «وصدّق به»: الأتباع[٣].

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وأبي العالية: «والذي جاؤوا بالصدق وصدقوا به»[٤].

وقال السدي: «الذي جاء بالصدق»: جبريل جاء بالقرآن، «وصدّق به»: محمد ﷺ[٥].

وقرأ أبو صالح الكوفي السمان ومحمد بن جحادة: «وصَدَقَ به» بالتخفيف[٦]، على معنى: وصَدَقَ به الناس ولم يكذبهم به، يعني: أدَّاه إليهم كما نزل إليه من غير تحريف.

قوله تعالى: ﴿الذي﴾ هاهنا اسم جنس، يدل عليه قوله: ﴿أولئك هم المتقون﴾، ومثله:

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٧٩).

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٤١١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٤١٢)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٦).

إنّ الذي حَانَتْ بفلْجٍ دماؤُهُم   هُمُ القومُ كُلُّ القومِ يا أمَّ خالدِ(١)

قوله تعالى: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ اللام من صلة قوله تعالى: ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾. وقيل: هو لام القسم، التقدير: والله ليكفرن الله عنهم، فكُسرت اللام وحذفت النون. والمعنى: أسوأ الذي عملوا قبل الإيمان والتوبة.

وقيل: أسوأ الذي عملوا من الصغائر؛ لأنهم يتقون الكبائر. ذكر هذين الوجهين الماوردي(٢).

ولا معنى للأول؛ لأن مدلوله أن المصدق لا يعمل عملاً يوصف بالاستواء، ولا للثاني لأنه مُشعر أن المصدّق لا يقع في كبيرة.

والمعنى: أن الله تعالى يكفر عنهم أسوأ أعمالهم، فما ظنك بغير الأسوأ.

وقيل: الذي فرط منهم هو عندهم الأسوأ؛ لاستعظامهم المعصية، والحسَن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن؛ لحسن إخلاصهم فيه؛ فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ

---

(١) تقدم.

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ١٢٧).

أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ يعني: محمداً ﷺ.

وقرأ حمزة والكسائي: «عباده»[1]، يريد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عمران: «بكافي» بياء من غير تنوين، «عَبْدِهِ» بالجر على الإضافة[2]، ومثلهما قرأ أُبيّ بن كعب وأبو العالية وأبو الجوزاء والشعبي، إلا أنهم قرؤوا «عباده» على الجمع[3].

وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء: «يُكافي» بياء مضمومة قبل الكاف وياء ساكنة بعد الفاء، «عِبَادَهُ»: بالنصب مع الجمع[4].

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا: يا محمد ما تزال تذكر آلهتنا وتعيبها، فاتق أن تصيبك بسوء، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ وقرأ أبو عمرو: «كاشفاتٌ وممسكاتٌ» بالتنوين فيهما، «ضُرَّهُ ورحْمَتَه» بالنصب فيهما؛ لأنه أمر منتظر، وما لم يقع من أسماء

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٢)، والكشف (٢/ ٢٣٩)، والنشر (٢/ ٣٦٢-٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٥)، والسبعة (ص:٥٦٢).

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٨٤)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٦).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير، الموضع السابق، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٦).

الفاعلين أو كان في الحال فالوجه فيه التنوين والنصب؛ لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال يعمل عمل الفعل.

وقرأ الباقون بغير تنوين وبالجر في الجملتين على الإضافة[١]؛ طلباً للخفة والتنوين مراد، ولذلك لا يتعرّف اسم الفاعل وإن أضيف إلى معرفة.

قال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: لم قيل: «كاشفات» و«ممسكات» على التأنيث بعد قوله تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾؟

قلتُ: أنثهن وكنّ إناثاً، وهنّ اللات والعزى ومناة، [قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة][٣] الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم:١٩-٢١] [ليضعفها][٤] ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة؛ لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة، كأنه قال: الإناث اللاتي هنّ اللات والعزى ومناة أضعف مما تَدَّعون [لهن][٥] وأعجز. وفيه [تهكم][٦] أيضاً.

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤١-٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٣)، والكشف (٢/ ٢٣٩)، والنشر (٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦)، والسبعة (ص:٥٦٢).

(٢) الكشاف (٤/ ١٣٢).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: لضعفها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لهم. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: تهكيم.

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ مُفسر في الأنعام(١).

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أي: يقبضها عند فناء أجلها، ﴿والتي لم تمت﴾ أي: ويتوفى التي لم تمت ﴿في منامها﴾ وسماهُ وفاة على وجه التشبيه للنائمين بالموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام:٦].

قال الزجاج(٢): المتوفى وفاة الموت هو الذي قد فارقته النفس التي تكون بها الحياة والحركة، والنفس التي تميز بها، والتي تتوفى في النوم نفس [التمييز](٣) وحدها لا نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النَّفَس، والنائم يتنفَّس.

وقال ابن عباس: في ابن آدم نفس وروح، فالنفس العقل والتمييز، وبالروح النفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه(٤).

---

(١) عند الآية رقم: ١٣٥.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٥٦).

(٣) في الأصل: التميز. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٨٦).

وقال ابن جريج: في ابن آدم نفس وروح بينهما حاجز، والله تعالى يقْبِضُ النَّفْسَ عند النوم ثم يَرُدُّها إلى الجسد عند الانتباه، فإذا أراد إماتة العبد في نومه لم [يَرُدَّ][١] النَّفْسَ وقَبَضَ الروح[٢].

وقال سعيد بن جبير: إن الله تعالى يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فيتعارف ما شاء الله أن يتعارف، ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ فلا يعيدها، ﴿ويرسل الأخرى﴾ فيعيدها[٣].

وذهب بعض العلماء إلى أن التوفي المذكور في حق النائم هو نومه، وهو اختيار الفراء[٤] وابن الأنباري.

فعلى هذا؛ معنى توفي النائم: قبض نفسه عن التصرف، وإرسالها: إطلاقها باليقظة في التصرف.

قرأ حمزة والكسائي: «قُضِيَ» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء على ما لم يُسمّ فاعله، «الموتُ» بالرفع. وقرأ الباقون «قَضَى» بفتح القاف والضاد، «الموتَ» بالنصب[٥]، حملاً على قوله: ﴿ويرسل الأخرى﴾[٦] في بناء الفعل للفاعل.

---

(١) في الأصل: يردد. والتصويب من زاد المسير (٧/ ١٨٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٢٨-١٢٩).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٤٢٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٤)، والكشف (٢/ ٢٣٩)، والنشر (٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦)، والسبعة (ص:٥٦٢-٥٦٣).

(٦) في الأصل زيادة قوله: ليسجد.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا﴾ «أمْ» هاهنا منقطعة، ﴿من دون الله شفعاء﴾ يعني: الأصنام، فإنهم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ﴿قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ [وجواب هذا الاستفهام][(1)] محذوف، تقديره: [أتتخذونهم][(2)] شفعاء.

قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ أي: أُفرد بالذِّكْر دون آلهتهم ﴿اشمأزت﴾. قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت[(3)]، ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾.

وقال ابن عباس أيضاً: نَفَرَتْ عن التوحيد[(4)].

﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ وهم آلهتهم، ذُكر الله تعالى معهم أو لم يذكر ﴿إذا هم يستبشرون﴾.

---

(١) في الأصل: وحرا. والتصويب والزيادة من الوسيط (٣/ ٥٨٤)، وزاد المسير (٧/ ١٨٧).

(٢) في الأصل: أتتخذومهم.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٥٩)، والطبري (٢٤/ ١٠). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٣٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) ذكره الطبري (٢٤/ ١٠)، والماوردي (٥/ ١٢٩) كلاهما بلا نسبة.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أي: يا فاطر. وقد سبق تفسيرها.

كان الربيع بن خثيم قليل الكلام، فلما قتل الحسين عليه السلام قالوا: اليوم يتكلم، فلما أخبروه بقتله لم يزد على قراءة هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي: ظهر لهم من سخطه وعذابه ما لم يكن في حسابهم.

وقيل: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات.

جزع محمد بن المنكدر عند موته، فقيل له: [لم تجزع](٢)؟ فقال: أخشى آية من كتاب الله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾(٣).

سمعت شيخنا أبا محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة رضي الله عنه يقول: أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني في كتابه، أخبرنا عبدالرزاق بن محمد بن الشرابي، [أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أنا علي بن أحمد بن علي

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٦/ ١٩٠).

(٢) زيادة من المصادر التالية.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٤٦). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٤٤).

الواقدي][(١)]، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن إسحاق السراج يقول: سمعت محمد بن خلف يقول: حدثني يعقوب بن يوسف قال: كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه -يعني: في الصلاة- مرَّ ولم يقف ولم يخوّف، وإذا علم أنه ليس خلفه تنوّق[(٢)] في القرآن وحزن وخوّف، فظنَّ يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين﴾ [المؤمنون:١٠٦] قال: فخرَّ عليّ مغشياً عليه، فلما علم أنه خلفه وأنه قد سقط، تجوّز في القراءة، فذهبوا إلى أمه فقالوا: أدركيه، فجاءت فرشَّتْ عليه ماء فأفاق، فقالت لفضيل: أنت قاتل هذا الغلام عَلَيَّ، فمكث ما شاء الله فظنَّ أنه ليس خلفه، فقرأ: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فخرّ ميتاً، وتجوّز [أبوه][(٣)] في القراءة، وأُتيت أمه فقيل لها: أدركيه، فجاءت فرشَّت عليه ماء فإذا هو ميت رحمه الله تعالى[(٤)].

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ

---

(١) زيادة من كتاب التوابين (ص:٢٠٩).

(٢) تنوّق في الأمر: تأنّق فيه وتجوّد (اللسان، مادة: نوق).

(٣) زيادة من كتاب التوابين (ص:٢٠٩).

(٤) أخرجه ابن قدامة في كتاب التوابين (ص:٢٠٩).

ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا﴾ قال مقاتل[1]: هو أبو حذيفة بن المغيرة. وقد سبق في هذه السورة نظيره.

﴿ثم إذا خولناه نعمة منا﴾ مُفسّر في أوائل هذه السورة أيضاً.

﴿قال إنما أوتيته﴾ أي: أتيت الإنعام أو شيئاً من النعمة.

وقيل: «إنما» موصولة لا كافة، فرجع الضمير إليها، على معنى: الذي أوتيته على علم.

وقد سبق تفسيره في قصة فرعون في سورة القصص[2].

﴿بل هي﴾ يريد: النعمة ﴿فتنة﴾ ابتلاء وامتحان، أيشكُر أم يكفُر؟.

وقرئ: «بل هو فتنة»[3] حملاً على «إنما أوتيته».

وقيل: «بل هي» يريد: الكلمة أو المقالة التي قالها فتنة.

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أنهم مستدرجون أو مفتونون.

قال صاحب الكشاف[4]: إن قلت: ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٦).

(٢) عند الآية رقم: ٧٨.

(٣) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٤/ ١٣٦).

(٤) الكشاف (٤/ ١٣٦-١٣٧).

وعطف مثلها في أول السورة بالواو؟

قلتُ: السبب في ذلك: أن هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ [الزمر:٤٥] على معنى: أنهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسّ أحدهم ضرٌّ دعا من اشمأز من ذِكْرِه، دون من استبشر بذِكْرِه، وما بينهما من الآي اعتراض.

وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة، وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو؛ كقولك: قام زيد وقعد عمرو.

قوله تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ أي: قد قال هذه الكلمة أو هذه المقالة أو هذه الجملة من الكلام الذين من قبلهم.

وقرئ: «قاله الذين من قبلهم»[1]: قارون وقومه، حيث قال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص:٧٨] وقومه راضون بها، فكأنهم قالوها.

وقال السدي: هم الأمم الماضية[2].

يشير إلى أن فيهم من قال مثل هذه المقالة.

﴿فما أغنى عنهم﴾ «ما» نافية أو استفهامية ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من متاع الدنيا ويجمعون منه.

قوله تعالى: ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ أي: من مشركي مكة وأضرابهم ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ أي: جزاء سيئاتهم كما أصاب الذين من قبلهم، فأصابهم ذلك يوم بدر بقتل صناديدهم وحبس القطر عنهم سبع سنين، ثم بسط

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٤١٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣٤) وعزاه لابن جرير.

لهم الرزق فمطروا سبع سنين، فذلك قوله تعالى: ﴿أو لم يروا ... الآية﴾.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي: جَنُوا عليها بالإسراف في المعاصي والغُلوّ فيها.

﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا إسماعيل البخاري، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال يعلى: إن سعيد بن جبير أخبرهم عن ابن عباس: «أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا

كفارة، فنزلت: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان:٦٨]، ونزل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾»(١).

وقال ابن عمر: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين كانوا بمكة وكانوا قد أسلموا ثم عُذبوا فافتتنوا، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: لا يَقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً، قوم تركوا دينهم لعذاب عُذبوه، [فنزلت](٢) هذه الآية، فكتب بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا(٣).

وقيل: نزلت في وحشي، قاتل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه(٤).

وهذه الآية من أرجى الآيات المؤذنة برحمة الله تعالى.

ويروى: أن رسول الله ﷺ قال حين نزلت: ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية(٥).

وقال علي عليه السلام: ما في القرآن آية أوسع من ﴿يا عبادي الذين أسرفوا ... الآية﴾(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١١ح٤٥٣٢)، ومسلم (١/ ١١٣ ح١٢٢).

(٢) زيادة من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣٧) وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٥).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥ ح٢٢٤١٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣٧-٢٣٨) وعزاه لابن جرير.

وقال ابن مسعود: إن أكثر آية في القرآن فرجاً هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿وأسلموا له﴾ أي: أخلصوا له التوحيد واخضعوا له.

﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ مفسر في الأعراف في قوله تعالى: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ [الأعراف:١٤٥].

قوله تعالى: ﴿أن تقول نفس﴾ قال المبرد: المعنى: بادروا قبل أن تقول، واحذروا من أن تقول(٢).

وقال غيره: كراهة أن تقول نفس(٣).

﴿يا حسرتا﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: «يا حسرتايَ» بألف بعد التاء وياء مفتوحة(٤).

وقرأ الحسن وأبو العالية: «يا حسرتي» بكسر التاء وسكون الياء على الأصل(٥). والمعنى: يا ندامتي احضري، فهذا أوانك.

﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ «ما» مصدرية.

قال الحسن: في طاعة الله(٦).

وقال سعيد بن جبير: في حق الله(٧).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥).

(٢) انظر قول المبرد في: زاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٣٩).

(٤) النشر (٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٢).

وقال مجاهد والزجاج: في أمر الله[١]. وأنشدوا للسابق البربري:

أما تتقينَ اللهَ في جَنْبِ [وَامِقٍ][٢] له كبدٌ حرّى عليكِ تَقَطَّع[٣]

وقال الفراء[٤]: الجنب: القرب، أي: على ما [فرطت][٥] في قُرب الله وجواره. يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي: في قُربه وجواره[٦].

فعلى هذا؛ يكون المعنى: على ما فرطت في طلب قُرب الله، وهو الجنة.

﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ قال الزجاج[٧]: أي وما كنت إلا من المستهزئين.

قال قتادة: لم يكفه أن يضيع طاعة الله حتى سَخِرَ من أهلها[٨].

قال الزمخشري[٩]: ومحل «إن كنت» النصب على الحال، كأنه قال: [فرطت][١٠] وأنا ساخر، أي: فرطت في حال سخريتي.

﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ أرشدني ﴿لكنت من المتقين﴾.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٥٩)، والطبري (٢٤/ ١٩). وانظر: معاني الزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٢) في الأصل: وابق. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٣٩). وفي بقية المصادر: عاشق.

(٣) البيت لسابق البربري، من شعراء الحماسة، وهو في: البحر (٧/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٢٠)، وروح المعاني (٢٤/ ١٧)، والكشاف (٤/ ١٣٩)، ونسبه القرطبي (١٥/ ٢٧١) لكثير، ونُسب أيضاً لجميل بن معمر، انظر ديوانه (ص:٧٣).

(٤) انظر قول الفراء في: الوسيط (٣/ ٥٨٨)، وزاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٥) في الأصل: فطت. والصواب ما أثبتناه.

(٦) انظر: اللسان (مادة: جنب).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٤١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٩) الكشاف (٤/ ١٤٠).

(١٠) في الأصل: فرط. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾.

قال الزجاج[١]: قوله: ﴿بلى﴾ جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي.

ومعنى: «لو أن الله هداني» و «لو أن لي كَرَّة»: ما هُديت، فقيل له: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء اللغوي رحمه الله تعالى للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: «جاءتكِ، فكذبتِ، واستكبرتِ، وكنتِ» بكسر الكاف والتاء فيهن، على المخاطبة للنفس. وهي قراءة عائشة رضي الله عنها[٢].

قال الزجاج[٣]: رُويت عن النبي ﷺ.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٩٣)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٠).

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ أي: زعموا أن له [ولداً أو شريكاً][(١)].

وقال الحسن: هم الذين يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل[(٢)].

﴿وجوههم مسودة﴾ مبتدأ وخبر في موضع الحال، أو مفعول ثان إن [كان][(٣)] «ترى» من رؤية القلب[(٤)].

والأول أجود.

قال الزجاج[(٥)]: ويجوز «وجوهَهُم مسودةً» بالنصب على البدل من «الذين كذبوا». المعنى: ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودةً.

قوله تعالى: ﴿ويُنجّي الله الذين اتقوا﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية أبي حاتم وروح: [«ويُنْجِي»][(٦)] بالتخفيف[(٧)].

﴿الذين اتقوا بمفازتهم﴾ وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «بمَفَازَاتِهِمْ» على الجمع[(٨)].

---

(١) في الأصل: ولد أو شريك. وهو لحن.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٣).

(٣) في الأصل: كا. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٤٢).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢١٥)، والدر المصون (٦/ ٢١).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٠).

(٦) في الأصل: وننجي. وانظر المصادر التالية.

(٧) النشر (٢/ ٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢١٠، ٣٧٦).

(٨) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٦٢٤)، والكشف (٢/ ٢٤٠)، والنشر =

قال أبو علي(١): حجة من قرأ على الإفراد: أن المفازة والفوز واحد، وإفراد المفازة كإفراد الفوز من حيث إنه مصدر.

ووجه من قرأ على الجمع: أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها، ومثله في الجمع والإفراد قوله تعالى: ﴿على مكانتكم﴾ [الأنعام:١٣٥] و«مكاناتكم».

وقال الزمخشري(٢): قرئ: «بمفازاتهم» على أن لكل مُتَّق مفازة.

قوله تعالى: ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ تفسير للمفازة، كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقيل: لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون، أي: ننجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم، من قوله تعالى: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ [آل عمران:١٨٨] أي: بمَنْجَاةٍ منه.

فإن قلت: ما محل «لا يمسهم» من الإعراب على التفسيرين؟

قلتُ: أما على الأول فلا محل له. وأما على الثاني فمحله النصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ قال الزجاج وابن قتيبة وغيرهما من أهل اللغة والمفسرين(٣): المقاليد: المفاتيح.

يريد: أن كل شيء من السموات والأرض فالله خالقه ومالكه وفاتح بابه، ولا

=

(٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦)، والسبعة (ص:٥٦٣).

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٢).

(٢) الكشاف (٤/ ١٤٢).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٦٠)، والطبري (٢٤/ ٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٤٣، ٢٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وطرق أخرى كثيرة، فانظرها، والزجاج في معاني القرآن (٤/ ٣٦١)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص:٣٨٤).

واحد للمقاليد من لفظها.

وقيل: واحدها: مِقْلِيد، ويقال: إِقْلِيد، والكلمة أصلها فارسية وعرَّبتها العرب[1].

(١) اختلف العلماء والأئمة في وقوع المعرَّب في القرآن الكريم، فالأكثرون -كما يقول الإمام السيوطي في كتابه الإتقان- ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه، لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾، وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك.
وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول.
وقال ابن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.
وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.
وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلقت من لغاتهم ألفاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.
وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة. وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح، قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي. وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً. ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ. وذهب آخرون إلى وقوعه فيه. وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى: ﴿أأعجمي وعربي﴾ بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمي ومخاطب عربي. واستدلوا باتفاق النحاة على أن في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس.
=

وأقوى ما رأيته للوقوع وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان. وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاكته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب.

ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير انتهى.

وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو. وقد رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل إن: «استبرق» ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون الفصاحة والبلاغة فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك، وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة، فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثه على وجه الحكمة، فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب. ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور الأماكن الطيبة ثم المآكل الشهية ثم المشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع، فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح، ولو تركه لقال من أمر بالعبادة ووعد عليها وبالأكل والشرب إن الأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كريه، فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها، وأرفع الملابس في الدنيا الحرير. وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب، ثم إن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن. وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع، فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحث والدعاء. ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح، أو لا يذكر بمثل هذا، ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه =

قال المفسرون: مقاليد السموات: المطر، ومقاليد الأرض: النبات[1].

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ مُتصل بقوله: ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾، وما بينهما اعتراض.

﴿قل﴾ يا محمد لكفار قريش وغيرهم: ﴿أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ و«غير» منصوب بـ«أعبد» لا بـ«تأمروني»[2]، والتقدير: أتأمروني أن أعبد غير الله، فحذف «أنْ» ورفع الفعل، كما في قوله:

.... أحْضُرُ الوغى ....[3]

أوجز وأظهر في الإفادة وذلك إستبرق، فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه، لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به. وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة، لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل، فعلم بهذا أن لفظ: «إستبرق» يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه، وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله؟ انتهى.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: والصواب عندي فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فصادق. ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون. (انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٣٩٣-٣٩٦).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٤).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٦)، والدر المصون (٦/ ٢٢).

(٣) تقدم.

والدليل على صحة هذا: قراءة من قرأ «أعْبُدَ» بالنصب[١].

وقال أبو علي[٢]: «تأمروني» يقتضي مفعولين، والياء المفعول الأول، و«غير» مفعول ثان. و«أعبد» في تقدير: أن أعْبُدَ، في موضع البدل من «غير».

قرأ نافع: «تَأْمُرُونِي» بنون واحدة مخففة. وقرأ ابن عامر بنونين خفيفتين. وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة[٣].

فمن أظهر النون فعلى الأصل؛ لأن النون الأولى من علامة رفع الفعل، والثانية هي التي تصحب ياء المتكلم مع الفعل، ومن شدَّد أدغم الأولى في الثانية لاجتماع المثلين.

[فإن قيل][٤]: كيف جاز الإدغام وقبله حرف ساكن وهو الواو؟

قلتُ: هو حرف مدّ ولين، والمد الذي فيه ينوب مناب الحركة.

ومن قرأ بنون واحدة حذف إحدى النونين؛ لاجتماع المثلين، والمحذوفة هي التي تصحب ياء المتكلم؛ لأن التكرير والتثقيل بها وقع.

ولأن حذف الأولى لحن؛ لأنها دلالة الرفع.

وكلهم سَكّن الياء، إلا ابن كثير ونافعاً فإنهما فتحاها[٥].

---

(١) ذكر هذه القراءة السمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٢)، وأبو حيان في: البحر (٧/ ٤٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٥)، والكشف (٢/ ٢٤٠)، والنشر (٢/ ٣٦٣-٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٦-٣٧٧)، والسبعة (ص:٥٦٣).

(٤) في الأصل: فاقيل.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٥)، والكشف (٢/ ٢٤٠)، والنشر (٢/ ٣٦٣-٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٦-٣٧٧)، والسبعة (ص:٥٦٣).

قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية أبي حاتم وزيد عنه: «لنُحْبطَنَّ» بنون مضمومة مع كسر الباء، «عَمَلَكَ» بالنصب[(١)]، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله.

قال ابن عباس: هذا أدب من الله لنبيه ﷺ وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك[(٢)].

وقيل: إنما خاطبه بذلك؛ ليعرف من دونه أن الشرك يحبط الأعمال المتقدمة كلها ولو وقع من نبي.

واللام الأولى في «لئن أشركتَ» موطئة للقَسَم، والثانية لام جواب، وهذا الجواب سادّ مسدّ جوابي الشرط والقسم.

﴿بل الله فاعبد﴾ لا ما أمروك به من طواغيتهم. و«اللهَ» منصوب بـ«أعْبُد»[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: هو إجماع في قول الكوفيين والبصريين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، المعنى: قد تَبيَّنْتَ فاعبُدِ الله.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٩٥)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قَدْرِه﴾ أي: ما عَظَّمُوه حَقَّ تعظيمه.

قال الزجاج[١]: ويقرأ «قَدَرِه» بفتح الدال. قال[٢]: والقَدْر والقَدَر هاهنا بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿والأرض﴾ يريد: الأرضين، بدليل قوله تعالى: ﴿والسموات﴾، وقوله تعالى: ﴿جميعاً﴾.

ولأنه موضع تعظيم.

وقوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال[٣]. المعنى: والأرض إذا كانت مجتمعة.

﴿قبضته يوم القيامة﴾ قال ابن عباس: الأرض والسموات كلها بيمينه[٤].

وقال سعيد بن جبير: السموات [قبضة][٥] والأرض قبضة[٦].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، حدثنا آدم[٧]، حدثنا

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٦١).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١٦)، والدر المصون (٦/ ٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٦).

(٥) في الأصل: قبضته. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من زاد المسير (٧/ ١٩٧).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٧).

(٧) آدم بن أبي إياس واسمه عبد الرحمن بن محمد، ويقال: ناهية بن شعيب الخراساني، أبو الحسن العسقلاني، ثقة مأمون عابد، نشأ ببغداد، وارتحل في الحديث فاستوطن عسقلان إلى أن مات سنة إحدى وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٧١، والتقريب ص:٨٦).

شيبان[١]، عن منصور[٢]، عن إبراهيم[٣]، عن عَبيدة[٤]، عن عبدالله[٥] قال: «جاء حَبْر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾»[٦]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وبه قال البخاري: حدثنا سعيد ابن عفير[٧]، حدثني الليث[٨]، حدثني

---

(١) شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي، أبو معاوية البصري المؤدب، سكن الكوفة ثم انتقل إلى بغداد، ثقة صدوق صاحب كتاب، مات سنة أربع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٢٦-٣٢٧، والتقريب ص:٢٦٩).

(٢) منصور بن عبد الله بن ربيعة بن عتاب بن فرقد السلمي، أبو عتاب الكوفي، ثقة ثبت، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٧-٢٧٨، والتقريب ص:٥٤٧).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل النخعي، أبو عمران الكوفي، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، مات سنة ست وتسعين (تهذيب التهذيب ١/ ١٥٥، والتقريب ص:٩٥).

(٤) هو عبيدة بن عمرو السلماني. تقدمت ترجمته.

(٥) هو ابن مسعود.

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٢ ح٤٥٣٣)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٦).

(٧) سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد بن الأسود الأنصاري مولاهم، أبو عثمان المصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة صدوق عالم بالأنساب وغيرها، مات سنة ست وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٦٦، والتقريب ص:٢٤٠).

(٨) هو الليث بن سعد. تقدمت ترجمته.

عبدالرحمن بن خالد بن مسافر[١]، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي [الأرضين][٣] بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[٤].

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ سبق في الأنعام[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، ويقال: اسم جده ثابت بن مسافر، أبو خالد، ويقال: أبو الوليد الفهمي المصري، أمير مصر، كان ثبتاً في الحديث صدوق، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٠، والتقريب ص:٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٢ ح٤٥٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨ ح٢٧٨٧).

(٣) في الأصل: الأرض. والتصويب من صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨ ح٢٧٨٨).

(٥) عند الآية رقم: ٧٣.

﴿فَصَعِقَ﴾ وقرأ ابن السميفع: «فَصُعِقَ» بضم الصاد[1]. والمعنى: ماتوا من شدة الفزع.

﴿إلا من شاء الله﴾ مفسر في النمل[2].

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهي نفخة البعث ﴿فإذا هم﴾ يعني: الخلائق ﴿قيامٌ﴾. وقرئ شاذاً: «قياماً»[3].

﴿ينظرون﴾ يقلبون أبصارهم نظر المبهوت إذا حل به أمر أزعجه، أو ينظرون ماذا يُفعل بهم.

قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ أي: أضاءت بما أظهر فيها من الحق والعدل. هذا معنى قول الحسن[4].

ويحقق ذلك تمام الآية وختمها بنفي الظلم، وكثيراً ما يستعيرون النور للعدل والظلمة للظلم، ومنه الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[5].

[وللإمام][6] أحمد رضي الله عنه في أبيات يوصي فيها ابنه يقول:

لا تَلْقَ ربكَ ظالماً لعباده ... فالظلمُ مُشتقٌّ من الظلماء

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٩٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٤).

(٢) عند الآية رقم: ٨٧.

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٤٢٣)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٥).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٣٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٤ ح٢٣١٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ح٢٥٧٨).

(٦) في الأصل: وللإم.

وقال الثعلبي[١]: قال أكثر المفسرين: بضوء ربها، وذلك حين يبرز الجبار لفصل القضاء بين خلقه.

وقال: ويقال إن الله تعالى يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به[٢].

ويقال: إن الله يتجلى للملائكة فتشرق الأرض بنوره. وأراد بالأرض: عرصات القيامة.

قوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال[٣].

وقال السدي: الكتاب: الحساب[٤].

وقيل: اللوح المحفوظ.

﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ وهم الذين يشهدون للأمم وعليهم.

وقال السدي: الذين استشهدوا في سبيل الله[٥].

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٢). وذكره الماوردي (٥/ ١٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٢) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٣٧).

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ قال الحسن: أفواجاً[(١)].

قال أبو عبيدة[(٢)] والأخفش: جماعات في تفرقة.

قال ابن السائب: أمماً[(٣)].

وقيل: في زُمر.

﴿الذين اتقوا ربهم﴾ هي الطبقات المختلفة؛ الشهداء، والزهاد، والعلماء، والفقراء، أي: كل طائفة على حِدَة.

فإن قيل: ما معنى سَوْق هؤلاء وسَوْق هؤلاء؟

قلتُ: سَوْق الكفار: طردهم إلى النار وزجرهم بأبلغ ما يكون من العنف والهوان ليقتحموا جَراثيم جهنم. وسوق المتقين: سوق مراكبهم إسراعاً بهم إلى ما أعد لهم من الكرامة في الجنة.

فإن قيل: ما الفرق بين قراءة أهل الكوفة: «فُتحت، وفُتحت» بالتخفيف فيهما، وقراءة الباقين بالتشديد؟

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٣٧).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٩١). وانظر: قول الأخفش في: الماوردي (٥/ ١٣٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٣٧).

قلتُ: قد ذكرته في الأنعام عند قوله تعالى: ﴿فتحنا عليهم أبواب كـل شيء﴾ فاطلبه هناك[1].

فإن قيل: لم أدخلت الـواو في الموضـع الثـاني وهـو قولـه تعـالى: ﴿وفتحـت أبوابها﴾، وحذفت في الأول؟

قلتُ: هي واو الحال، بتقدير: وقد فتحت أبوابها، يريد: أن المتقين سـبقوا إلى الجنة وقد فتحت أبوابها لهم قبل مجيئهم ليتعجلوا السرور والفرح، وأن الكـافرين جاؤوا جهنم وأبوابها مغلقة لم تفتح حتى جاؤوها لتكـون أشـد لحرّهـا وأبلـغ في عذابها.

وقال بعض العلماء: هذه تسمى واو الثمانية، وذلك أن من عادة قريش يعدون العدد من الواحد إلى الثمانية، فإذا بلغوا الثامنة زادوا فيها واواً، فيقولـون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية. وقد أشرنـا إلى هـذا عنـد قولـه تعـالى: ﴿وثـامنهم كلـبهم﴾ [الكهف:٢٢].

وقيل: الواو زائدة.

فإن قيل: أين جواب ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾؟

قلتُ: [«فُتِحَت»][2] إن كانت الواو زائـدة، أو محـذوف إن لم تكـن زائـدة، تقديره: حتى إذا جاؤوها -إلى آخر الآية-: سـعدوا، ويكـون التقـدير: حتـى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها.

---

(١) عند الآية رقم: ٤٤.

(٢) في الأصل: فيجب. وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه. انظر: الدر المصون (٦/ ٢٥).

وقال الزجاج[١]: المعنى: ﴿حتى إذا جاؤوها﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فادخلوها خالدين﴾: دخلوها، فيكون الجواب: دخلوها، وحذف؛ لأن في الكلام [دليلاً][٢] عليه.

قوله تعالى: ﴿طبتم﴾ أي: طهرتم من دنس المعاصي في الدنيا.

وقال ابن عباس: طاب لكم المقام[٣].

وقيل: طبتم بالمغفرة.

ويروى عن علي عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: سيقوا إلى أبواب الجنة، حتى إذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما فنظروا فيها فَجَرَتْ عليهم نظرة النعيم، فلن تغير آثارهم بعدها أبداً، ولن تشعث أشعارهم بعدها أبداً، كأنما قد دهنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى [وتلقتهم][٤] الملائكة على أبواب الجنة: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٥].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٤).

(٢) في الأصل: دليل. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠١-٢٠٢).

(٤) في الأصل: وتلقهم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٢)، وابن المبارك في الزهد (ص:٥٠٩)، والضياء في المختارة (٢/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٣-٢٦٤) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة والبيهقي في البعث والضياء في المختارة.

وقد ذكرنا نحو هذا في الأعراف[(١)].

وقوله: «خالدين» حال مُقَدَّرة.

قوله تعالى: ﴿وأورثنا الأرض﴾ يعني: أرض الجنة. وقد سبق معنى كون ذلك ميراثاً في الأعراف[(٢)].

﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أي: نتخذ من المنازل ما شئنا. وما ذاك إلا لسعتها وزيادة منازلها على مقدار حاجة الداخلين إليها.

وحكى أبو سليمان الدمشقي: أن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم، فلذلك قالوا: ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ فيقول الله تعالى: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ أي: فنعم ثواب المطيعين [في الدنيا][(٣)] الجنة[(٤)].

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي: مُحدقين بالعرش.

ودخول «مِنْ» للتوكيد.

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ يُصلّون وينزهون متلذذين بذلك لا مُتعبدين بذلك؛

---

(١) عند الآية رقم: ٤٦.

(٢) عند الآية رقم: ١٣٧.

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٠٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٢).

لأن التكليف قد زال في ذلك الزمان.

﴿وقُضي بينهم﴾ أي: بين العباد.

[وقيل][(١)]: بين الملائكة، على معنى: فصّل بينهم بتمييز درجاتهم على حسب فضائلهم.

والأول أصح.

﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ هذا قول المؤمنين، حمدوا الله تعالى على خلاصهم من الجحيم وفوزهم بالنعيم.

قال قتادة: فتح أول الخلق بالحمد، فقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ [الأنعام:١]، وختم بالحمد، فقال تعالى: ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾[(٢)].

وقد ذكر نحوه عن ابن عباس في أول الأنعام.

قال المفسرون: ابتدأ الله تعالى ذكر الخلق بالحمد، وختم غاية الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم بالحمد؛ تنبيهاً للحق على حمده في بداية كل أمر وخاتمته[(٣)].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر»[(٤)].

---

(١) في الأصل: قيل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٠ ح١٨٩٤).

سورة المؤمن[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي أربع وثمانون آية في المدني وخمس في الكوفي[2]، وهي مكية بإجماعهم.

ويحكى عن ابن عباس وقتادة: أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ والتي بعدها[3].

وقال الزجاج[4]: الحواميم كلها نزلت بمكة.

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: ((الحواميم ديباج القرآن))[5].

وقال ابن مسعود: إذا وقعتَ في آل حمَ وقعتَ في روضات دمثات أتأنق فيها[6].

وقال ابن سيرين: رأى واحدٌ في المنام سبعَ جوار حِسان في مكان واحد لم يُر أحسن منهن، فقال لهن: لمن أنتن؟ قلن: لمن قرأ آل حمَ؟[7].

---

(١) وتسمى سورة غافر.

(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص:٢١٨).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي (٥/ ١٤١)، وزاد المسير (٧/ ٢٠٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٥).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٩) وعزاه لأبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي. وقد أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٤ ح٣٦٣٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٥٣ ح٣٠٢٨٣) موقوفاً على عبدالله بن مسعود. وديباج القرآن: زينته، وفي القاموس (مادة: دبج): الديباج: النقش.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٣ ح٣٠٢٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٨) وعزاه لأبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر.

(٧) ذكره الثعلبي (٨/ ٢٦٢)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٨٨) عن محمد بن قيس.

قال ابن الأنباري[١]: العرب تقول: وقع في الحواميم وفي آل حَمٓ، وأنشد أبو عبيدة[٢]:

حلفتُ بالسبع اللواتي طُوِّلت ... وبمئين بعدها قد أُمْئِيت
وبمثانٍ ثُنِّيت فكُرِّرت ... وبالطواسين اللواتي ثُلِّثت
وبالحواميم اللواتي سُبِّعت ... [وبالمفصّل اللواتي فُصِّلت][٣]

فمن قال: وقع في حَمٓ، جعل حَمٓ اسماً لكلهن، ومن قال: وقع في الحواميم، جعل حَمٓ كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل.

وقال غيره: من الخطأ أن تقول: قرأتُ الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب: آل حَمٓ.

وأنشدوا للكميت:

وجدنا لكمْ في آل حاميمَ آيةً ... تأوَّلَها منا تقيٌّ ومُعْرِبُ[٤]

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قرأ حمزة والكسائي بإمالة الحاء في الجمع.

---

(١) انظر قول الأنباري في: زاد المسير (٧/ ٢٠٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٧).

(٣) زيادة من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٤) البيت للكميت، وهو في: الكتاب (٣/ ٢٥٧)، والطبري (٢٤/ ٤٠)، والبحر (٧/ ٤٢٩)، والدر المصون (٦/ ٢٧)، وزاد المسير (٧/ ٢٠٤)، وروح المعاني (٢٥/ ٣١).

واختلفت الرواية عن ابن عامر؛ فروي عنه الإمالة والتفخيم، [وفخمها][1] الباقون[2].

قال الزجاج[3]: فأما الميم فساكنة في قراءة القُرّاء كلهم، إلا عيسى بن عمر فإنه حكي عنه أنه قرأ: "حَمَ" وفتح الميم، وذلك على ضربين:

أحدهما: أن تجعل "حَم" اسماً للسورة، فتنصبه ولا تنونه؛ لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية، نحو: هابيل وقابيل، ويكون المعنى على قولك: اتل حَم يا هذا.

والأجود أن يكون فَتَحَ "حَم"؛ لالتقاء الساكنين، حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حرف هجاء.

وقال الزمخشري[4]: وجه الفتح: التحريك لالتقاء الساكنين، وإيثار أخف الحركات، نحو: أين وكيف، أو النصب بإضمار "اقرأ"، ومنع الصرف للتأنيث والتعريف، أو التعريف وأنها [على زنة][5] أعجمي، نحو: قابيل وهابيل.

وللمفسرين في معنى حَم ثمانية أقوال[6]:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله تعالى به[7].

---

(١) في الأصل: فخمها.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٥-٣٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٦-٦٢٧)، والكشف (١/ ١٨٨)، والإتحاف (ص:٣٧٧)، والسبعة (ص:٥٦٦-٥٦٧).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٥).

(٤) الكشاف (٤/ ١٥٢).

(٥) في الأصل: لزنة. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٥٢).

(٦) ذكر هذه الأقوال الماوردي في تفسيره (٥/ ١٤١).

(٧) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٥).

الثاني: أن معنى "حَمٓ": قضي ما هو كائن[١].

الثالث: أنهما مع انضمام الٓر [وحَمٓ][٢] ونـون اسـم الـرحمن عـلى الهجـاء[٣]. رويت هذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

الرابع: أن الحاء مفتاح اسم حميد، والميم مفتاح مجيد. قاله أبو العالية[٤].

الخامس: أن الحاء مفتاح كل اسم [لله ابتداؤه حاء، مثـل: حكـيم، وحلـيم، وحي. والميم مفتاح كل اسم][٥] أوله ميم، مثل: ملك، ومتكبر، ومجيد، ومهيمن. قاله عطاء الخراساني[٦].

قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله تعالى بحلمه وملكه أن لا يعذب أحداً عاد إليه بقول: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه[٧].

السادس: أن حَمٓ اسم من أسماء القرآن. قاله قتادة[٨].

السابع: أنه اسم السورة. قاله الشعبي.

الثامن: أنه اسم محمد ﷺ. قاله جعفر الصادق.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٢) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

وفي صحيح البخاري[١]: يقال: حَمّ اسم، يدل عليه قول شريح بـن أبي أوفى العبسي:

يُناشدني حَمّ والرمح دونه فهلاَّ تلا حَمّ قبل التقدم[٢]

قوله تعالى: ﴿وقابل التوب﴾ جمع توبة، أو مصدر.

وقال صاحب الكشاف[٣]: التَّوْب والثَّوْب والأَوْب: أخواتٌ في معنى الرجوع، والطَّوْلُ: الفضل والزيادة. يقال: لفلان على فلان طَوْل.

فإن قلت: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً، والموصوف معرفة تقتضي أن تكون مثله معارف؟

قلتُ: أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان؛ لأنه لم يُرد بهما حدوثُ الفعلين، وأنه يغفر [الذنب][٤] ويقبل التوب الآن أو غداً، حتى يكونا في تقدير الانفصال، وتكون إضافتهما غير حقيقية؛ وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه، وكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش.

وأما شديد العقاب فأمره مشكل ؛ لأنه في تقدير: شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير، وقد جعله الزجاج[٥] بدلاً. وفي كونه بدلاً وحده

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً (٤/ ١٨١٣).

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: حمم)، والطبري (٢٤/ ٣٩)، والقرطبي (١٥/ ٢٩٠)، والماوردي (٥/ ١٤١)، والبحر (٧/ ٤٢٩)، والدر المصون (٦/ ٢٧)، والمقتضب (١/ ٣٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٣).

(٣) الكشاف (٤/ ١٥٢-١٥٣).

(٤) في الأصل: الذنوب. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٥٢).

(٥) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٣٦٦).

[بين](١) الصفات [نبوّ](٢) ظاهر، والوجه أن يقال: لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة، فقد آذنت بأن كلُّها أبدالٌ غير أوصاف، ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على [مُسْتَفْعِلُنْ](٣)، فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على مُتَفَاعِلُنْ كانت من الكامل(٤). ولقائل أن يقول: هي صفات، وإنما حَذَفَ الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً، فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج، ومما سهل ذلك الأمنُ [من](٥) اللبس وجهالة الموصوف.

فإن قلت: ما بال الواو في قوله: ﴿وقابل التوب﴾؟

قلتُ: فيه نكتة جليلة، وهي إفادة الجمع للمذنب [التائب](٦) بين رحمتين: بين أن تُقبل توبتُه فيكتبها له طاعة من الطاعات، وأن يجعلها مَحَّاءَةً للذنوب، كأن لم يذنب، كأنه قال: جامع المغفرة والقبول.

---

(١) في الأصل: من. والتصويب من الكشاف (٤/ ١٥٣).

(٢) في الأصل: نبوة. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: مستفعلين. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) وقد ناقش ذلك أبو حيان في البحر (٧/ ٤٣٠) فقال: ولا نبوّ في ذلك؛ لأن الجَرْي على القواعد التي استقرت وصحت هو الأصل. وقوله: "فقد آذنت بأن كلها أبدال" تركيب غير عربي، لأنه جعل "فقد أذنت" جواب "لما" وليس من كلامهم: لما قام زيد فقد قام عمرو، وقوله: "بأن كلها أبدال" فيه تكرار الأبدال، أما بدل البدل عند من أثبته فقد تكررت فيه الأبدال، وأما بدل كل من كل، وبدل بعض من كل، وبدل اشتمال، فلا نص عن أحد من النحويين أعرفه في جواز التكرار فيها، أو منعه.

(٥) زيادة من الكشاف (٤/ ١٥٣).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ أي ما يجادل فيها بالباطل ﴿إلا الذين كفروا﴾ ومثل هذا قوله عليه الصلاة والسلام: ((مراءٌ في القرآن كفر))(١).

قوله تعالى: ﴿والأحزاب من بعدهم﴾ وهم الذين تحزبوا على الرسل. وقد فسرنا ذلك مع ما لم نذكر تفسيره هاهنا.

قوله تعالى: ﴿وهمت كل أمّة برسولهم﴾ قال: [وُجِّهَتْ](٢) إلى الرجال.

وقرأ ابن مسعود: "برسولها"(٣). وكلٌّ صوابٌ.

﴿ليأخذوه﴾ قال ابن عباس: ليقتلوه(٤).

وقيل: ليحبسوه ويعذبوه(٥). ويقال للأسير: أَخِيذ.

﴿فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ سبق تفسيره.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٦ ح٧٨٣٥).

(٢) في الأصل: ذهبت. والصواب ما أثبتناه. انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٣٢)، والدر المصون (٦/ ٣٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٧).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٣) حكاية عن ابن قتيبة.

﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ قد سبق تفسيرها واختلاف القُرّاء فيها في الموضع الأول من يونس[١].

﴿أنهم أصحاب النار﴾ قال الزمخشري[٢]: "هم" في محل الرفع بدل من "كلمة ربك"، أي: مثل ذلك الوجوب وجب على الذين كفروا كونهم من أصحاب النار. والمعنى: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب، كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة، أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل.

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ
لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ
جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ
فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

ثم أخبر سبحانه وتعالى بفضل المؤمنين فقال: ﴿الذين يحملون العرش﴾ وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جعلوا ثمانية.

قال ابن عباس: حملة العرش ما بين [منكب][٣] أحدهم إلى أسفل قدمه

---

(١) عند الآية رقم: ٣٣.

(٢) الكشاف (٤/ ١٥٥).

(٣) في الأصل: كعب. والتصويب من الدر المنثور (٧/ ٢٧٦).

مسيرة خمسمائة عام(١).

وقال مسروق: أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، [وهم](٢) أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء السادسة، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها(٣).

وقال مجاهد: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً من نور(٤).

قال ابن عباس: لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي، فلم يُطيقوا، فخلق مع كل مَلَكَ منهم مثلَ جنود من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الخلق، فقال: احملوا عرشي فلم يُطيقوا، فخلق مع كل منهم مثلَ جنود سبع سموات وسبع أرضين، وما في الأرض من عدد وخلق، وعد الحصى والثرى، فقال: احملوا عرشي، فلم يُطيقوا، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلما قالوها استقلوا عرش ربنا عز وجل، قال: فنفدت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستو، فكتب على كل قدم من أقدامهم اسماً من أسمائه عز وجل، فاستقر في أقدامهم(٥).

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٧٥-٢٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) زيادة من الدر المنثور (٧/ ٢٧٦).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٧٦) وعزاه لعبد بن حميد عن ميسرة.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٩١ ح١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٦) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) ذكره الثعلبي (٨/ ٢٦٦).

وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلقاً من الملائكة يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه على الأرض السفلى، وقد مرق رأسه من سبع سماوات، وإنه ليتضاءل من عظمة الله عز وجل حتى يصير كأنه الوَصَع»(١).

وفي حديث عن النبي ﷺ: «أُذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام»(٢).

قوله تعالى: ﴿ومن حوله﴾ قال وهب بن منبه: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة [يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة](٣)، ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح الآخر(٤).

وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيون، وهم سادة الملائكة(٥).

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾.

﴿ربنا﴾ أي: يقولون ربنا ﴿وسعت كل شيء رحمةً وعلماً﴾ قال الزجاج(٦):

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٩٧-٦٩٨ ح٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٧٦) وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

والوَصَع: الصغير من العصافير (اللسان، مادة: وَصَع).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢ ح٤٧٢٧).

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٠٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٨).

(٥) مثل السابق.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٧).

النصب على التمييز.

وقال غيره: المعنى: وسعتْ رحمتُك وعلمُك كلَّ شيء[١].

﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وقهم السيئات﴾ أي: عذاب السيئات.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ قال قتادة: يُنادون يوم القيامة[٢].

وقال السدي: في النار[٣].

﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم.

﴿إذ تُدْعَون﴾ منصوب بالمقت الأول، والمعنى: يُقال للكافرين يوم القيامة: كان اللهُ يمقتكم حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان، فتأبون عليهم أشد من

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٥).

(٣) مثل السابق.

مقتكم اليوم لأنفسكم.

قال الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم، فنودوا: ﴿لمقت ... الآية﴾[1].

وقيل: المعنى: لمقتُ الله إياكم إذ عصيتموه أكبرُ من مقت بعضكم بعضاً حين يتلاعن القادة والأتباع ويتبرّأ بعضكم من بعض.

وقيل: المعنى: لمقت الله إياكم اليوم حين شاهدتم ما وُعدتم به أكبرُ من مقتكم أنفسكم.

وقوله تعالى: ﴿إذ تدعون﴾: تعليل، فالمَقْتُ: أشدّ البغض. وقد سبق.

قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ أي: أمَتَّنا إماتتين وأحييتنا إحيائين، أو أمَتَّنا موتتين وأحييتنا إحيائين.

وقد سبق تفسير ذلك في أوائل البقرة في قوله تعالى: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة:٢٨]، وذكرنا ثمة ما هو الصحيح الذي يجب أن يعتمد عليه في التفسير.

وقال السدي: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا في قبورهم، ثم أُميتوا في قبورهم ثم أُحيوا في الآخرة[2].

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: أحياهم حين أخذ الميثاق عليهم، ثم أماتهم بعده، ثم أحياهم حين أخرجهم، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم[3].

﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ وذلك أنهم كانوا ينكرون البعث في الدنيا، فلما تكررت

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٧٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٦).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٦).

عليهم الإماتة والإحياء علموا أن الله تعالى قادر على ذلك وعلى ما يشاء، فاعترفوا حينئذ بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وغيره.

﴿فهل إلى خروج﴾ من النار وتخليص مما نحن فيه من العذاب ﴿من سبيل﴾ كأنهم سألوا العود إلى الدنيا ليقروا بالبعث ويعملوا بالطاعة.

وفي الكلام محذوف، تقديره: لا سبيل لكم إلى الخروج.

قوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ أي: ذلكم الذي أنتم فيه ولا تقدرون على التخلص منه بسبب أنه ﴿إذا دعي الله وحده﴾ فقيل: لا إله إلا الله ﴿كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله﴾ فهو الذي حكم عليكم بالعذاب الشديد ﴿العلي الكبير﴾: سبق تفسيرهما.

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ مبتدأ، خبره مقدم عليه وهو: "رفيع الدرجات"(١).

وقرئ: "رفيعَ" بالنصب على المدح(٢).

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١٧)، والدر المصون (٦/ ٣٢). وفيهما: أن "رفيع الدرجات" مبتدأ، وخبره: "ذو العرش".

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٣٦)، والدر المصون (٦/ ٣٣).

واختلفوا في معنى "رفيع الدرجات"؛ فقال ابن عباس: يعني: رافع السموات[١].

وقيل: عظيم الصفات[٢].

وقيل: رفعه درجات أوليائه[٣].

وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿ذي المعارج﴾ [المعارج:٣] وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش[٤].

وقيل: هو مَجَازٌ عن عُلوّ شأنه وعظمة سلطانه.

﴿يلقي الروح﴾ وهو الوحي. وقيل: جبريل.

﴿من أمره﴾ قال ابن عباس: من قضائه[٥].

وقال مقاتل[٦]: بأمره.

وقيل: "من أمره": من قوله. وهذا يجيء على قول من قال: الروح: الوحي[٧].

﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿لينذر﴾ الله، أو الروح، أو النبي الذي ألقي عليه الروح.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٠).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٧) من قول ابن زياد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٧) من قول يحيى.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٦٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ١٤٥) ولفظه: بإذنه.

(٧) وهو قول قتادة. أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: "لتنذر"[١] على الخطاب للنبي ﷺ، أو لتنذر الروح؛ لأنها مؤنث.

﴿يوم التلاق﴾ وهو يوم القيامة.

قال ابن عباس: يلتقي فيه أهل السماوات وأهل الأرض والأولون والآخرون[٢].

وقال قتادة: يلتقي الخالق والمخلوق[٣].

وقال ميمون بن مهران: يلتقي فيه الظالم والمظلوم[٤].

وقيل: يلتقي المرء بعمله[٥].

﴿يوم هم بارزون﴾ ظاهرون لا يسترهم جبل ولا أكمة ولا بناء ولا شيء، ولا عليهم ثياب، كما جاء في الحديث: ((يحشرون حفاةً عراةً غُرْلاً))[٦].

﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمالهم وأحوالهم شيء.

ولعمري! إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء برزوا أو اختفوا، وإنما هذا لدفع ما توهمه الكفرة والجهلة، كما قال الله تعالى: ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٨).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١) حكاية عن الثعلبي.

(٦) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧١ ح٣٢٦٣)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ ح٢٨٥٩).

تعملون﴾ [فصلت:٢٢].

وقيل: المعنى: يوم هم بارزون من قبورهم لا يخفى على الله منهم شيء، بل ينشرهم ويحشرهم جميعاً.

قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾ قال محمد بن كعب وأكثرُ العلماء بالتفسير: إذا أفنى الله تعالى الخلائق يقول: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه عز وجل فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾[١].

وقال ابن مسعود: يجمع الله الخلائق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة، لم يُعصَ اللهُ تعالى فيها قط، فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد: ﴿لمن الملك اليوم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سريع الحساب﴾[٢].

فعلى هذا: المجيب هو المنادي.

وقال عطاء: يجيب الله تعالى نفسه فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾[٣].

وقال ابن جريج: تجيبه الخلائق المؤمنون والكافرون فيقولون: "لله الواحد القهار"[٤].

وقوله: "اليوم" ينتصب بمدلول قوله تعالى: ﴿لمن﴾، أي: لمن ثبت الملك في هذا اليوم.

وقال قوم: الوقف على "الملك" حسن، ويبتدئ: "اليوم لله"، أي: هو ثابت لله

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٢).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٨٠) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٢).

(٤) مثل السابق.

في هذا اليوم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ
حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك؛ لأزوفه، وهو قربه، ومنه: ﴿أزفت الآزفة﴾ [النجم:٥٧].

وقيل: هو يوم حضور المنية(١).

والأول أصح.

﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وذلك أنها ترتقي من المخافة وتنتقل من مقارّها إلى الحناجر، فلا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويستريحوا، ولا تخرج فيموتوا، ولكنها معترضة كالشَّجَا(٢). وقد سبق ذكر الحناجر في الأحزاب(٣).

قال الزجاج(٤): ﴿كاظمين﴾ منصوب على الحال، والحال محمولة على المعنى؛ لأن القلوب لا يقال لها: كاظمين، وإنما الكاظمون أصحاب القلوب. والمعنى: إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كَظْمِهِم.

---

(١) قاله قطرب. ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٢).

(٢) الشجا: ما اعترض في الحلق (القاموس، مادة: شجا).

(٣) عند الآية رقم: ١٠.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٩-٣٧٠).

وجاء في التفسير: أن القلب [من][١] الفزع يرتفع فيلصق بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه، ولا يخرج فيُسْتَرَاحُ من كَرْبِ غمّه.

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب، وأن القلوب كاظمة على غمٍ وكربٍ فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جَمَعَ الكاظمَ جَمْعَ السلامة، لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء، كما قال: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤]. ويؤيده قراءة من قرأ: "كاظمون".

ويجوز أن يكون حالاً عن قوله تعالى: ﴿وأنذرهم﴾ [أي: وأنذرهم][٣] مقدرين أو مشارفين الكظم، كقوله: ﴿فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣].

قال المفسرون: "كاظمين": أي: مغمومين ممتلئين خوفاً وحزناً[٤].

وقال قطرب: ساكتين[٥]، وأنشدوا قول الشماخ:

فظَلَّتْ كأنّ الطيرَ فوق رؤوسها صيامٌ تُباري الشمس وهْي كُظُومُ[٦]

وقال علي بن عيسى: الكاظم: الساكت على امتلائه غيظاً[٧]. وقد سبق ذكر ذلك.

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٣٦٩).

(٢) الكشاف (٤/ ١٦٢).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ١٦٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩).

(٦) انظر البيت في: الماوردي (٥/ ١٤٩) وفيه: "تنائي" بدل: "تباري"، والكشاف (٤/ ١٦٣).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩).

قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم﴾ قال الحسن: من قريب[(١)].

وقال مجاهد: من شقيق[(٢)].

﴿ولا شفيع يُطاع﴾ قال الحسن: والله ما يكون لهم شفيع البتة.

قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ أي: هو يعلم. والخائنة والخيانة واحدة.

قال قتادة: وهو الغمز بالعين فيما لا يحبه الله تعالى و[لا][(٣)] يرضاه[(٤)].

قال ابن السائب: النظرة بعد النظرة[(٥)].

وقال ابن عباس: هو الرجل يكون في القوم فتمرُّ به المرأة فيريهم أنه يغضُّ بصره، فإذا رأى فيهم غفلة لحظ إليها، فإن خاف أن يفطنوا له غضَّ بصره[(٦)].

﴿وما تخفي الصدور﴾ قال ابن عباس: ما تضمره من الفعل أن لو قدرت على ما نظرت إليه[(٧)].

وقال السدي: الوسوسة[(٨)].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩). وفيه: الشفيق.

(٣) زيادة من الطبري (٢٤/ ٥٤)، وزاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٥)، وابن أبي شيبة (٤/ ٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٨٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٨) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣-٢١٤).

وقيل: ما يضمره القلب من أمانة وخيانة[١].

﴿والله يقضي بالحق﴾ فيجازي بالسيئة والحسنة، ﴿والذين يدعون من دونه﴾ وقرأ نافع وابن عامر في رواية: "تدعون" بالتاء[٢]، على معنى: قل لهم والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾

قوله تعالى: ﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾ وقرأ ابن عامر: "منكم"[٣]، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

﴿وآثاراً في الأرض﴾ يريد: حصونهم وقصورهم.

وقال ابن جريج: المشي فيها بأرجلهم[٤].

وقال الكلبي: بُعْدُ الغاية في الطلب[٥].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٨-٦٢٩)، والكشف (٢/ ٢٤٢)، والنشر (٢/ ٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٩)، والكشف (٢/ ٢٤٢)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٥١).

(٥) مثل السابق.

وقال مقاتل[(١)]: طول الأعمار.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ۝٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة موسى وفرعون وحديثه مع قارون ليعتبروا فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ قال المفسرون: أعاد اللعينُ القتل على بني إسرائيل حين جاءهم موسى، فذلك قوله تعالى: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾.

قال قتادة: [كان][(٢)] فرعونُ قد كفَّ عن قتل الولدان، فلما بَعَثَ الله تعالى موسى أعاد عليهم القتل ليصدّهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام[(٣)].

﴿وما كيد﴾ فرعون ﴿إلا في ضلال﴾ أي: في ضياع وذهاب؛ لأنه ما عصمه مما أراد الله به من العذاب.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٤٦).

(٢) في الأصل: كا. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٢١٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٥).

﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ وكانوا نهوْه عن قتله وقالوا: ليس هو بالذي تخافه، وهو أقلُّ من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة، وكانوا قالوا له: إن قتلته أدخلت الشبهة على الناس، واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة.

وقيل: كان في ملئه مؤمنون من بني إسرائيل يكفونه عن قتله.

﴿وليدع ربه﴾ الذي يزعم أنه أرسله ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾.

قال قتادة: أن يُغيّر أمركم الذي أنتم عليه(١).

﴿وأن يظهر﴾ قرأ أهل الكوفة: "أو أن يظهر"، وقرأ الباقون: "وأن"(٢).

وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: "يُظهِرَ" بضم الياء وكسر الهاء [﴿الفسادَ﴾ بالنصب](٣) و[قرأ الباقون: "يَظْهَرَ" بفتح](٤) الياء، "الفسادُ" بالرفع(٥).

فمن قرأ: "وأن يظهر" بواو العطف، كان المعنى: إني أخاف هذه الأمرين.

ومن قرأ: "أو أن يظهر" فالمعنى: إني أخاف عليكم هذا الضرب عليكم، كما تقول: كل خبز أو تمر، أي: كل هذا الضرب من الطعام.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٥١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٩)، والكشف (٢/ ٢٤٣)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢١٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٠)، والكشف (٢/ ٢٤٣)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

ومن قرأ: "يُظْهِرَ" بضم الياء، أسند الفعل إلى موسى وطابق بينه وبين الفعل الذي قبله وهو يبدل، والباقون أضافوا الفعل إلى الفساد؛ لأن التبديل إذا وقع ظهر الفساد.

والمعنيُّ بظهور الفساد: تغييرُ دينهم على زعمه.

وقيل: يُظهر الفساد بقتل أبنائكم كما فعلتم بهم.

﴿وقال موسى إني عُذْتُ بربي وربكم﴾ قرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي: "عذت" بإدغام الذال في التاء لتقارب مخرجهما؛ لأنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا. وقرأ الباقون بالإظهار(١)؛ لأن الذال ليس من مخرج التاء، إنما هي من مخرج الظاء والثاء. ثم إن الذال حرف مجهور والتاء مهموسة، والمجهور أقوى من المهموس، فإدغامه فيه إجحاف به، ونقل له من القوة إلى الضعف.

والمعنى: وقال موسى لقومه: إني استجرت بربي وربكم.

وفي قوله: "وربكم" تنبيه لهم وبعث على الاعتصام بالله ﴿من كل متكبر﴾ عن الخضوع لله والإيمان بفرعون وغيره ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾؛ لأن انضمام كفره إلى كبره يوجب له مزيد قسوة وجرأة على الله وعباده، فلذلك استعاذ منه.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٩-٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قال ابن عباس: لم يكن مؤمن غيره وغير امرأة فرعون، والرجل الذي قال لموسى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك﴾(١).

قال السدي ومقاتل(٢): كان ابن عم فرعون.

وقال ابن السائب: كان اسمه عزقيل، وكان ملكاً على نصف الناس، وله الملك من بعد فرعون(٣).

وقال ابن عباس: اسمه: خربيل(٤).

وقال كعب وابن إسحاق: حبيب(٥).

وقيل: سمعون -بالسين المهملة-(٦).

وقيل: سمعان -بالسين والشين-(٧).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٥٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨٤-٢٨٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٨). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ١٤٧)، والماوردي (٥/ ١٥٢). وذكر مقاتل في سورة القصص (٢/ ٤٩٣): أنه حزقيل بن صابوث القبطي.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٢) وفيه أن اسمه: حزبيل.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧) وفيه: حزبيل.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٦) وهو قول شعيب الجبائي. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٧) وهو قول ابن إسحاق. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

وقيل: كان المؤمن إسرائيلياً[١].

والأول أصح.

وكان إيمانه بموسى.

وقيل: كان مؤمناً قبل مجيء موسى[٢].

والأول أظهر.

قوله تعالى: ﴿من آل فرعون﴾ صفة لـ"رجل". وقيل: صفة[٣] لـ﴿يكتم﴾ [أي][٤] يكتم ﴿إيمانه﴾ من آل فرعون[٥].

﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ أي: لأن [تقتلون][٦] رجلاً يقول ربي الله.

﴿وقد جاءكم﴾ على صدقه ﴿بالبينات﴾ وهي اليد والعصا في جملة الآيات التسع.

﴿من ربكم﴾ أي: من عند ربكم.

فإن قيل: أين الكتمان مع هذا التصريح؟

قلت: المعنى: كان يكتم إيمانه إلى أن صدر منه هذا القول.

فإن قيل: ما المانع أن يكون التقدير: من ربكم على زعمه، بدليل قوله: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾ وهذا ينفي التصريح بالإيمان، أو يكون الله تعالى حكى ما

(١) ذكره الطبري (٢٤/ ٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٢) من قول الحسن، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٣) في الكشاف: صلة.

(٤) في الأصل: على. والتصويب من الكشاف (٤/ ١٦٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢١٨)، والدر المصون (٦/ ٣٧).

(٦) في الأصل: تقولون. والصواب ما أثبتناه.

في نفسه من غير أن يكون صرح بقوله: ﴿من ربكم﴾؟

قلتُ: الآية الأخرى وهي قوله: ﴿لهم﴾ مذكراً بأنعم الله عليهم ومحذراً لهم من زوالها، وحلول بأس الله عز وجل بهم وما يتلوها مما حكى الله عنه من قوله لقومه ما ينفي ذلك.

فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾؟

قلتُ: هو استدراجٌ لهم إلى الهدى بألطف طريق، [واستنزالٌ][1] لهم عن أذى موسى بأحسن وساطة ومناصفة.

فإن قيل: لم قال: "بعض الذي يعدكم"؟

قلتُ: قال[2] الزجاج[3]: هذا باب من النَّظَر، يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثله قول الشاعر[4]:

قد يُدْرِكُ المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مِنَ المستَعْجِلِ الزَّلَلُ

وإنما ذكر البعض ليوجب له الكل؛ لأن البعض من الكل، ولكن القائلَ إذا قال: أقلَّ ما يكون للمتأني إدراكُ بعض الحاجة، وأقلُّ ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضلَ المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه.

---

(١) في الأصل: واستنزل. والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ابن. وهو وهم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٢).

(٤) البيت للقطامي. انظر: ديوانه (ص:٢٣)، واللسان (مادة: بعض)، والقرطبي (١٥/ ٣٠٧)، وزاد المسير (٧/ ٢١٨)، والبحر (٧/ ٤٤٢)، والدر المصون (٦/ ٣٨)، ومجالس ثعلب (ص:٣٦٩).

وقال الزمخشري[(١)]: أراد أن يَهضمه بعضَ حقه في ظاهر الكلام، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾.

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، أخبركم عبد الأول. قرأ على أبي القاسم أحمد بن عبدالله العطار وأنا أسمع، أخبركم عبد الأول قال: أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلتُ لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ. قال: «بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾»[(٢)]. هذا حديث صحيح، انفرد بإخراجه البخاري، وساوى[(٣)] فيه الإمام أحمد، فإن الإمام رواه في مسنده عن علي بن عبدالله، هو ابن المديني.

وأخرج ابن ودعان في كتابه المعروف بالتخريج النظامي بإسناده عن محمد بن

---

(١) الكشاف (٤/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٤ ح٤٥٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٠٤ ح٦٩٠٨).

(٣) المساواة: هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنفين (نخبة الفكر ص:٢١).

عقيل قال: قال علي عليه السلام يوماً وهو في جماعة من الناس: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أشجع الناس أبو بكر رضي الله عنه، لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً [فقلنا][1]: من يكون مع النبي ﷺ لئلا يَصِلَ إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر [شاهراً][2] السيف على رأس رسول الله ﷺ. قال: واجتمع المشركون عليه بمكة، قال علي: فهذا يجأه وهذا يتلتله وهم يقولون: أنت [الذي][3] جعلت الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا إليه منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم قال علي عليه السلام: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم [أبو][4] بكر؟ قال: فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه، وأبو بكر رجل أظهر إيمانه[5].

قوله تعالى: ﴿يا قوم﴾ من تمام كلام المؤمن ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ يريد: أرض مصر ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ أي: من عذابه.

ذكَّرهم نعمة الملك والاستيلاء، ثم حذرهم زواله بسبب الكفر وقتل النبي

---

(١) في الأصل: قلنا. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: شاهر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) زيادة من البزار (٣/ ١٥).

(٤) في الأصل: أبي. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٣/ ١٥ ح٧٦١). وذكره الهيثمي في مجمعه (٩/ ٤٦-٤٧) وعزاه للبزار وقال: فيه من لم أعرفه.

المبعوث إليهم، [وضم][(١)] نفسه في جملتهم فقال: ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ ملاطفة وحسن عشرة.

فلما ظهرت الحجة أَخَذَ اللعينُ يُموّه ويقول: ﴿ما أريكم﴾.

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ما أشير عليكم إلا ما أرى لنفسي[(٢)].

وقيل: ما أريكم إلا ما أرى من قتله، يعني: ما أستصوبُ إلا قتله.

﴿وما أهديكم﴾ بهذا الرأي ﴿إلا سبيل الرشاد﴾ أي: طريق الصواب.

قال بعض العلماء[(٣)]: كان اللعين مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام، وكان يخاف أن يعاجل بالهلاك إن أوقع به مكروهاً، فكان يتجلد، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً في أذى موسى عليه الصلاة والسلام ولعاجله بالقتل وغيره.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

﴿وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم﴾ يعني: إن أقمتم على كفركم ﴿مثل يوم الأحزاب﴾ أي مثل أيامهم، كقول الشاعر:

---

(١) في الأصل: ونضم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٤).

(٣) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ١٦٨).

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ....[1]

ثم فسر فقال: ﴿مثل دأب قوم نوح وثمود والذين من بعدهم﴾ أي: أخافُ عليكم مثلَ جزاء دأبهم، أي: عادتهم في الإقامة على الكفر، فينزل بكم مثل ما نزل بهم.

وقيل: الثاني عطف بيان للأول[2].

﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب: "التنادي" بإثبات الياء في الحالين، ووافقهما وَرْش في الوصل[3].

قال الزجاج[4]: الأصل إثبات الياء، وحذفها حسن جميل؛ لأن الكسرة تدل على الياء وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال[5].

والمراد: يوم القيامة، سمي بذلك؛ لمناداة بعضهم بعضاً.

قال ابن جريج: هو قولهم: يا حسرتنا، يا ويلتنا[6].

وقال غيره: يُنادى كلُّ أناس بإمامهم[7].

وقال قتادة: ينادي أهل الجنة أهل النار ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل

---

(١) تقدم.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٧-٦٢٨)، والكشف (٢/ ٢٤٦)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٨).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٣).

(٥) قال محقق معاني الزجاج: هكذا في الأصل، ويبدو أنه "على الكسر" فهذا ما يقتضيه السياق.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٢١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ [الأعراف:٤٤]، وينادي أهل النار أهل الجنة ﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾[١] [الأعراف:٥٠].

وقرأ جماعة؛ منهم: أبو بكر الصديق وابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وأبو العالية والضحاك رضي الله عنهم: "التَّنَادّ" بتشديد الدال من غير ياء[٢]، من قولهم: ندّ فلان وندّ البعير؛ إذا هرب على وجهه[٣].

فالمعنى: يوم ينِدّ الناسُ بعضُهم من بعض، وهو قوله تعالى: ﴿يوم تولون مدبرين﴾، ومثله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه﴾ [عبس:٣٤-٣٥].

قال الضحاك: إذا سمعوا زفير النار ندّوا هراباً، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا رأوا الملائكة صفوفاً، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تولون﴾ فراراً من النار[٤].

وقال قتادة: منصرفين من موقف الحساب إلى النار[٥].

﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ أي: من مانع.

وفي قائل: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ قولان:

أحدهما: أنه موسى عليه السلام[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٨٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٤/ ٦١)، وزاد المسير (٧/ ٢١٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ندد).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:١٠٣)، والطبري (٢٤/ ٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٨٦-٢٨٧) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٢). وذكره الماوردي (٥/ ١٥٥).

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٥٥).

والثاني: مؤمن آل فرعون[١].

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ أي: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين من قبل موسى بالدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى. وهذا قول عامة المفسرين[٢].

وحكى النقاش عن الضحاك: أنه رسول من الجن يقال له: يوسف[٣]. وليس بشيء.

﴿حتى إذا هلك قلتم﴾ قولاً من عند أنفسكم غير مستند إلى حجة: ﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ فأقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يؤكد حجته عليكم ولا يرسل رسولاً إليكم، ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الضلال ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ كافر ﴿مرتاب﴾ شاكٌّ في الله تعالى وفي رسله عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٥٥).
(٢) ذكره الطبري (٢٤/ ٦٣)، والماوردي (٥/ ١٥٥).
(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٥).

قوله تعالى: ﴿الذين يجادلون﴾ قال الزجاج[١]: هو في موضع نصب على الرد على "مَنْ"، أي: كذلك يضل الله الذين يجادلون ﴿في آيات الله﴾ بغير حجة أتتهم.

ويجوز أن يكون موضع "الذين" رفعاً، على معنى: مَنْ هُوَ مُسرفٌ مرتابٌ [هم][٢] الذين يجادلون في آيات الله.

وقال صاحب الكشاف[٣]: ﴿الذين يجادلون﴾ بدل من ﴿من هو مسرف﴾.

فإن قلت: كيف يجوز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد؟

قلتُ: لأنه لا يريد مسرفاً واحداً، فكأنه قال: كل مسرف.

فإن قلت: ما فاعل "كَبُرَ"؟

قلتُ: [ضمير][٤] من هو مسرف.

فإن قلتَ: أما قلت هو جمع، ولهذا أبدلت منه "الذين يجادلون"؟

قلتُ: بلى، هو جمع في المعنى. وأما اللفظ فموحد، فحمل البدل على معناه، والضمير الراجع إليه على لفظه. ويجوز أن يرفع "الذين يجادلون" على الابتداء، ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في "كَبُرَ"، تقديره: جدال الذين يجادلون كبر مقتاً، ويحتمل أن يكون "الذين يجادلون" مبتدأ؛ و "بغير سلطان أتاهم" خبراً، وفاعل "كَبُرَ" قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: كَبُرَ مقتاً مثل ذلك الجدال، و﴿يطبع الله﴾ كلام مستأنف.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٤).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) الكشاف (٤/ ١٧٠-١٧١).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ١٧١).

قال المفسرون: يجادلون في إبطالها والتكذيب بها بغير حجة واضحة أتتهم من الله.

و"مَقْتاً" نصب على التمييز.

﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر بخلاف عنه: "قلبٍ" بالتنوين، على وصف القلب بالتكبر والتجبر؛ لأنه مقرهما، أو على معنى: على كل ذي قلب، فيجعل الصفة لصاحب القلب. وقرأ الباقون: "قلبِ" بغير تنوين على الإضافة(١).

قال الزجاج(٢): وهو الوجه؛ لأن المتكبر هو الإنسان.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى
تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ
﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ
﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٠)، والكشف (٢/ ٢٤٣-٢٤٤)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨-٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٤).

وما بعده مفسر في القصص[١].

قوله: ﴿لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات﴾ يعني: أبوابها وطرقها. وهذا قول عامة المفسرين واللغويين[٢]. وأنشد الأخفش:

ومنْ هَابَ أسبابَ المنايا يَنلْنَهُ ولوْ رَامَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ[٣]

﴿فأطلعُ إلى﴾ وقرأ حفص: "فأطلعَ" بالنصب[٤]، على جواب الترجي تشبيهاً له بالتمني.

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك التزين وذلك الصَّد ﴿زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾، والفاعل للتزيين والصد هو الله تعالى بالقدر والقضاء، أو الشيطان بالوسوسة والإغواء. وقد ذكرنا اختلاف القراء في "وصُدَّ" في سورة الرعد[٥].

﴿وما كيدُ فرعون إلا في تباب﴾ أي: خسران وهلاك.

ثم [عاد][٦] إلى الإخبار عن نصيحة مؤمن آل فرعون، وما وَعَظَ به قومه وذكَّرَهُم به، فقال: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب

---

(١) عند الآية رقم: ٣٨.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٤-٦٥) عن السدي، عن أبي صالح. وذكره الماوردي (٥/ ١٥٦).

(٣) البيت لزهير، انظر: ديوانه (ص:١١١)، والقرطبي (٢/ ٢٠٦)، والدر المصون (١/ ٤٣١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣١)، والكشف (٢/ ٢٤٤)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٠).

(٥) عند الآية رقم: ٣٣.

(٦) في الأصل: عاده. والصواب ما أثبتناه.

بإثبات الياء في الحالين، وافقهما في الوصل وَرْش وأبو جعفر والولي[١] عن أبي عثمان عن الدوري، وعبد الوارث عن أبي عمرو، والباقون بغير ياء في الحالين[٢].

﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ طريق الهدى.

وفيه تعريض لفرعون وقومه بأنهم على نقيض ذلك، وهي الغي.

قوله تعالى: ﴿من عمل سيئة﴾ يريد: الشرك. وقيل: المعاصي.

﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ أي: بمقدارها.

قوله تعالى: ﴿يدخلون الجنة﴾ قرئ: "يَدْخُلُون" و"يُدْخَلُون" على البناء للفاعل والمفعول[٣]. وقد سبق ذكره.

﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ أي: بغير تقدير، بل ما شاؤوا من الزيادة وما لم تبلغه الأماني.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ

---

(١) هو: أحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الدقاق الولي لله. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٩٤).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٢-٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٢)، والكشف (١/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧١).

بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

وما بعده ظاهر ومفسر إلى قوله تعالى: ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي: ليس له استجابة دعوة.

وقال ابن السائب: ليس له شفاعة(١).

قوله تعالى: ﴿فستذكرون﴾ وقرأ ابن مسعود وأبو العالية: "فستذَكَّرون" بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها(٢).

وقرأ أبي بن كعب: بفتح الذال والكاف وتشديدهما(٣).

والمعنى: فستذكرون في الآخرة.

وقيل: عند نزول العذاب بكم(٤).

﴿ما أقول لكم﴾ من النصيحة ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ معتصماً به متوكلاً عليه. وكانوا توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ أوليائه وأعدائه.

قال المفسرون(٥): ثم إن المؤمن خرج من بين أظهرهم، فلم يَقْدِرُوا عليه، ونجا مع موسى حين جاوز البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٢٥).
(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٢٥-٢٢٦).
(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٢٦).
(٤) هو قول النقاش. ذكره الماوردي (٥/ ١٥٨).
(٥) انظر: الطبري (٢٤/ ٧٠)، والماوردي (٥/ ١٥٩)، والدر المنثور (٧/ ٢٩٠).

مكروا﴾ أي: ما دبروه فيما بينهم ليغتالوه به، ﴿وحاق بآل فرعون﴾ أحدق بهم وأحاط بهم ﴿سوء العذاب﴾ أشده وأقبحه، وهو الغرق. وقد ذكرناه في البقرة.

أو يكون المراد بسوء العذاب: ما أعدّ الله تعالى لهم في الآخرة من عذاب الجحيم، فيكون قوله تعالى: ﴿النار﴾ بدلاً من "سوء العذاب"، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو النار. وعلى الأول: "النار" مبتدأ، خبره: ﴿يعرضون عليها﴾ (١).

قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في [أجواف] (٢) طير سود، يُعرضون على النار كل يوم مرتين، فيقال: يا آل فرعون هذه داركم (٣).

وقال حماد بن محمد [الفزاري] (٤): سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال: يرحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية المغرب فوجاً فوجاً، فلا يَعْلَمُ عَدَدَها إلا اللهُ تعالى، فإذا كان العشاء رجع مثلها سوداً. قال: فطنتم لذلك؟ قال: نعم. قال: إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سوداً، فينبت عليها من الليل رياش بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو فيعرضون على النار غدواً وعشياً، ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دأبهم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى:

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١٩)، والدر المصون (٦/ ٤٤).

(٢) في الأصل: أجوف. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٥٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٩١) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: القاري. والتصويب من مصادر التخريج. وانظر ترجمته في: ضعفاء العقيلي (١/ ٣١٣).

﴿أدْخِلُوا آل فرعون أشد العذاب﴾[١].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة»[٢].

وفي هذه الآية حجة على صحة عذاب القبر.

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: "الساعة ادخُلوا" بالوصل وضم الخاء، والابتداء على قراءتهم بضم الهمزة. وقرأ الباقون: "أَدْخِلُوا" بهمزة مقطوعة مفتوحة وصلاً ووقفاً، وكسر الخاء[٣]، على معنى الأمر للملائكة بإدخال آل فرعون ﴿أشد العذاب﴾، أي: أفظع عذاب في نار جهنم.

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه: من عاش بعد الموت (ص:٤٤)، والطبري (٢٤/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٩١) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب: من عاش بعد الموت، وابن جرير.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٤ ح١٣١٣)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩ ح٢٨٦٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٣)، والكشف (٢/ ٢٤٥)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٢).

﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ أي: اذكر لقومك يا محمد إذ يتخاصمون، يعني: أهل النار في النار. وقد سبق تفسير ذلك(١).

قوله تعالى: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ هو جمع تابع، كخدم وخادم. أو يكون بمعنى: إنا كنا لكم ذوي تبع.

قوله تعالى: ﴿إنا كل فيها﴾ أي: نحن وأنتم فيها.

وقرأ ابن السميفع: "كُلاًّ" بالنصب(٢)، على التأكيد لاسم "إنَّ" وهو معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، يريد: إنا كلنا فيها.

قال الزمخشري(٣): إن قلت: هل يجوز أن يكون "كلاًّ" حالاً قد عمل ["فيها"](٤) فيها؟

قلتُ: لا؛ لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدماً، تقول: كل يوم لك ثوب، ولا تقول: قائماً في الدار زيد.

﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ قضى وفصل بينهم بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال الكافرين النار.

﴿وقال الذين في النار﴾ على وجه الاستغاثة حين لم تنفعهم الاستغاثة ﴿لخزنة

(١) في سورة إبراهيم، آية رقم: ٢١.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٤٨)، والدر المصون (٦/ ٤٦).

(٣) الكشاف (٤/ ١٧٥).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

جهنم﴾ القُوَّامُ بأمرها، وفي ذكرها باسمها تفخيم وتهويل لها ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾.

﴿قالوا﴾ موبخين لهم قاطعين لمعذرتهم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا﴾ كلام يلوح منه خيبتهم، دعوا أو لم يدعو.

ثم آيسوهم من استجابتهم فقالوا: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ
لِأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ
بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ قال أبو العالية: ننصرهم بالحجة(١).

وقيل: بالانتقام من أعدائهم(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم.
(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٠).

قال السدي: ما قَتَلَ قومٌ قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق من المؤمنين إلا بَعث الله تعالى عليهم من ينتقم لهم، فصاروا منصورين في الحياة الدنيا وإن قُتلوا[١].

وقيل: ننصرهم بجعل العاقبة لهم[٢].

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه[٣]: وفصلُ الخطاب أن نصرهم حاصل لا بُدَّ منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطي داود وسليمان من المُلْك ما قهرا به كل كافر، وأظهر محمداً ﷺ على مكذبيه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم [بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه، وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم][٤] بعد وفاة الرسل، كتسليطه بختنصر على قتلة يحيى بن زكريا.

﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ عطف على ما قبله، أي: ننصرهم في الدنيا، وننصرهم يوم يقوم الأشهاد، وهو جمع شاهد؛ كصاحب وأصحاب، أو جمع شهيد، مثل: شريف وأشراف، وهم الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنون من أمة محمد ﷺ.

﴿يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: "تنفع" بالتاء؛ لتأنيث لفظ المعذرة، وقرأ الباقون بالياء[٥]؛ لأن المعذرة والعذر بمعنى

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٠).

(٣) زاد المسير (٧/ ٢٣٠).

(٤) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٣٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٤)، والكشف (٢/ ٢٤٥)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٢).

واحد. وقد سبق القول [في][(١)] نظائره. واليوم الثاني بدل من الأول[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ وهو جميع ما أوتيه من الآيات والمعجزات وشرائع الدين، ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة.

﴿هدى وذكرى﴾ مفعول له، أو حال[(٣)].

﴿فاصبر﴾ يا محمد على ما يُجَرِّعُك قومك من الغصص ﴿إن وعد الله حق﴾ بنصرك وإعلاء كلمتك، وكون العاقبة لك ولأمتك حق كائن ثابت لا محالة.

وكثير من المفسرين يقول: الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف[(٤)].

﴿واستغفر لذنبك﴾ قال الماوردي[(٥)]: أي من ذنب إن كان منك.

وقال الزمخشري[(٦)]: أقبل على التقوى [واستدرِكْ][(٧)] الفرطات بالاستغفار.

﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ قال ابن عباس: صَلِّ الصلوات الخمس[(٨)].

وقال الحسن: هي صلاةٌ كانت قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٩)، والدر المصون (٦/ ٤٧).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٨).

(٤) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٢)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٣).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ١٦١).

(٦) الكشاف (٤/ ١٧٧).

(٧) في الأصل: واستدراك. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٢).

غدوة، وركعتان عشية[١].

وقيل: نزِّه ربك وأثْنِ عليه.

قوله تعالى: ﴿إنْ في صدورهم إلا كبْرٌ﴾ يعني: كفار مكة، ﴿ما هم ببالغيه﴾ أي: ما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضاه، وهو ما كانوا يتعلقون به من الرئاسة والنفاسة عليك.

﴿فاستعذ بالله﴾ مستعيناً به مستجيراً بعزّته من كيدهم ومكرهم وبغيهم وحسدهم.

وذهب جماعة من المفسرين -منهم مقاتل[٢]-: إلى أنها نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود -يعنون: الدّجّال- يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويَرُدُّ الملكَ إلينا، وتسيرُ معه الأنهار، وإنه من آيات الله، فأنزل الله هذه الآية، وأمره بالاستعاذة من الدجال.

﴿إنه هو السميع﴾ لما تقول ويقولون ﴿البصير﴾ بما تعمل ويعملون، فهو عاصمك منهم وناصرك عليهم.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا
رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٣).

أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

ولما كان معظم جدالهم في آيات الله لإنكار البعث، قال الله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾.

وبعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ قال ابن عباس: وَحِّدُوني واعبدوني أُثِبْكم(١).

وقال السدي: سلوني أُعْطِكم(٢).

﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ يترتب على القولين.

قرأتُ على الشيخ أبي المجد محمد بن الحسين بن أحمد، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد المعروف بحفدة العطاري، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(٣)، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن [أحمد](٤) بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن ذر(٥)، عن

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٠٣).

(٤) في الأصل: محمد. والتصويب من تفسير البغوي (٤/ ١٠٣). وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٣٣-٤٣٥).

(٥) ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني، أبو عمر الكوفي، كان من عُبّاد أهل الكوفة، ثقة صدوق في =

يسيع الكندي[١]، عن النعمان بن بشير[٢] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾»[٣]. هذا حديث حسن لا يُعرف إلا من حديث ذر.

قرأ ابن كثير وأبو بكر والعباس وعبدالوارث عن أبي عمرو: "سَيُدْخَلون" على البناء للمفعول. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء، على البناء للفاعل[٤].

"داخرين": صاغرين.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

الحديث، رمي بالإرجاء (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٩، والتقريب ص:٢٠٣).

(١) يسيع بن معدان الحضرمي، ويقال: سنان الكوفي، ثقة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٣، والتقريب ص:٦٠٧).

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله المدني، له ولأبويه صحبة، سكن الشام ثم ولي إمرة الكوفة، ثم قتل بحمص سنة خمس وستين، وله أربع وستون سنة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٩-٤٠٠، والتقريب ص:٥٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦ ح٣٣٧٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٥)، والكشف (٢/ ٢٤٥)، والنشر (٢/ ٢٥٢)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٢).

قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

وما بعده سبق تفسيره في مواضع متفرقة[1] إلى قوله تعالى: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ متعلق بفعل محذوف، تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا، أو كذلك لتكونوا. [وأما][2] قوله تعالى: ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ فمحمول على معنى: ولنفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى، وهو وقت الموت، وقيل: يوم القيامة.

﴿ولعلكم تعقلون﴾ ما في ذلك من العبر والحجج على قدرة الله تعالى ووحدانيته وقدرته وحكمته.

---

(١) وهي: سورة يونس آية رقم: ٦٧، والقصص آية رقم: ٧٣، والأنعام آية رقم: ٩٥، والنمل آية رقم: ٦١، والأعراف آية رقم: ٥٤ و ٢٩، والحج آية رقم: ٥.

(٢) في الأصل: فأما.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل
لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا
كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟
أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ
نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ
أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟
عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ قال ابن زيد: هم المشركون(١).

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٨٣).

وقال أكثر المفسرين: نزلت في القدرية[١].

قال ابن سيرين: إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية، فإني لا أدري فيمن نزلت: ﴿ألم تر﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾[٢].

قال الزمخشري[٣]: إن قلت: هل قوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم﴾ إلا مثل قولك: سوف أصوم أمس؟

قلتُ: المعنى: [هو][٤] إذاً؛ لأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوع بها، عبّر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال.

قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبو رزين في آخرين: "والسلاسلَ" بالنصب، "يَسحبون" بفتح الياء، على عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية[٥].

قال ابن عباس: إذا سحبوها كان أشد عليهم[٦].

قوله تعالى: ﴿يسجرون﴾ أي: توقد بهم النار.

وقيل: هو من سَجَرَ التنّور؛ إذا ملأه بالوقود[٧].

فمعناه: أنهم في النار وهم مسجورون بالنار، مملوءة بها أجوافهم.

﴿ثم قيل لهم﴾ توبيخاً وتبكيتاً: ﴿أينما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعني:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٨٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) الكشاف (٤/ ١٨٣).

(٤) في الأصل والكشاف: على. والمثبت من تفسير الرازي (٢٧/ ٨٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٣٦)، والدر المصون (٦/ ٥٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٦).

(٧) انظر: اللسان (مادة: سجر).

الأوثان، ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ غابوا عنا.

فإن قيل: هم معهم في النار، فكيف ضلّوا عنهم؟

قلتُ: معنى الكلام: أين نَفْعُ ما كنتم تدعون من دون الله وشفاعتهم لكم، قالوا ضلّوا عنا وذهب ما كنا نرجوه من نفعها.

﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً﴾ أي: ظهر لنا عند الحاجة أننا لم نكن نعبد شيئاً، كما تقول: كنت أحسب أن فلاناً شيء فإذا هو ليس بشيء.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ضلال آلهتهم عنهم ﴿يضل الله الكافرين﴾.

﴿ذلكم﴾ الإضلال ﴿بـ﴾ سبب ﴿ما كنتم تفرحون في الأرض﴾.

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ المعنى: فمن لي أن آتي بآية من الآيات التي تقترحونها.

﴿فإذا جاء أمر الله﴾ وهو القيامة.

قوله تعالى: ﴿لتركبوا منها﴾ يريد: الإبل، ﴿ومنها﴾ أي: ومن الأنعام جميعها ﴿تأكلون﴾.

﴿ولكم فيها منافع﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿ولتبلغوا عليها﴾ أي: على الإبل ﴿حاجة في صدوركم﴾ من حج وغزو وطلب علم وتجارة وغير ذلك، ﴿وعليها﴾ في البر ﴿وعلى الفلك﴾ في البحر ﴿تحملون﴾.

أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ

بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

و"ما" في قوله تعالى: ﴿فما أغنى عنهم﴾ نافية أو استفهامية، و"ما" الثانية موصولة أو مصدرية. وقد سبق تفسيره مع ما لم أذكره هاهنا.

قوله تعالى: ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يريد: المشركين. وعِلْمُهم الذي فرحوا به: إنكارهم الوحدانية والبعث، بالشُّبه التي كانوا يدفعون بها البيِّنات. وتسمية ذلك علماً؛ تهكُّمٌ بهم.

وقيل: أراد الرسلَ عليهم الصلاة والسلام، فرحوا بما عندهم من العلم الذي آثرهم الله تعالى به حين رأوا جهل المكذبين وما حلّ بهم من العقوبة فرح شكر لله تعالى.

وقيل: فرح المرسل إليهم بما عند الرسل من العلم فرح استهزاء واستزراء، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾.

قوله تعالى: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ قال ابن عباس: هلكوا[1].

وقال الزجاج[2]: تبين لهم خُسْرانهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٨).

فهرس المحتويات

رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي
(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء السابع

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع



مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٢٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى المصابيح[1]، وهي ثلاث وخمسون آية في المدني، وأربع في الكوفي[2]، وهي مكية بإجماعهم.

قرأتُ على الشيخ أبي القاسم علي بن أبي الفرج بن أبي منصور الموصلي، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش الخباز فأقرَّ به، أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيدالله بن كادش، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين بن محمد الجازري الكاتب، حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى النهرواني الجريري، حدثنا أبو بكر ابن الأنباري، حدثنا محمد -يعني: المروزي-، حدثنا أحمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن زياد[3] مولى بني هاشم، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال عتبة بن ربيعة، وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ منفرد ناحية: أريد أن أقوم إلى محمد فأعرض عليه أموراً ليكف عن أمره هذا، فأيها شاء أعطيناه إذا رجع لنا عن هذا، فقالوا له: شأنك أبا الوليد، وكان عتبة سيداً حليماً، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إنك منا بحيث قد علمت من الصميم في النسب والمكان من العشيرة، وإنك قد أتيتَ قومك بما لم يأت أحد قومه بمثله، سفّهتَ أحلامنا، وكفَّرت آبائنا،

---

(١) وتسمّى سورة فصلت أيضاً.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٠).

(٣) يزيد بن زياد، ويقال: بن أبي زياد، ويقال: يزيد بن زياد بن أبي زياد المدني، ثقة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٧، والتقريب ص:٦٠١).

وعبتَ آلهتنا، وفرّقت كلمتنا، فإن كان هذا المال تبغيه جمعنا لك أموالنا حتى تكون أيسرنا، وإن كنت تميل إلى الرئاسة رأسناك علينا ولم نقطع أمراً دونك، وإن كان لرأي من الجن يعتادك أعذرنا في الجد والاجتهاد حتى ينصرف عنك، فإن الرأي قد يحمل صاحبه على ما لا يصل إلى بذله، ورسول الله ﷺ ساكت يسمع، فلما سكت عتبة قال له رسول الله ﷺ: اسمع يا أبا الوليد ما أقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ ومضى رسول الله ﷺ في القراءة حتى انتهى إلى السجدة فسجد، وعتبة مُصْغٍ يستمع، قد اعتمد على يديه من وراء ظهره، فلما قطع رسول الله ﷺ القراءة قال: يا أبا الوليد قد سمعتَ الذي قرأت عليك فأنت وذاك، فانصرف عتبة إلى قريش في ناديها فقالوا: والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من عندكم، ثم قالوا له: وما وراءك أبا الوليد؟ فقال: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة فأطيعوني في هذه، وأنزلوها بي، خلوا محمداً وشأنه واعتزلوه، فوالله ليكونن لما سمعت من قوله نبأ، [فإن][1] أصابته العرب كفيتموه بأيدي غيركم، وإن كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به؛ لأن ملكه ملككم، وشرفه شرفكم، فقالوا: هيهات، سحرك محمد يا أبا الوليد، فقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم[2].

---

(١) في الأصل: فا.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٢٢١). وذكره ابن إسحاق في السيرة النبوية (٢/ ١٣٠-١٣٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٠٩) وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿تنزيل﴾[1] قال الزجاج[2]: "تنزيل": مبتدأ، خبره: ﴿كتاب فصلت آياته﴾ هذا مذهب البصريين.

وقال الفراء[3]: يجوز أن يرتفع "تنزيل" بـ"حمٓ"، ويجوز أن يرتفع بإضمار: هذا.

وقال الزمخشري[4]: إن جعلتَ "حمٓ" اسماً للسورة كانت في موضع المبتدأ. و"تنزيل" خبره. وإن جعلتَها تعديداً للحروف كان "تنزيل" خبر مبتدأ محذوف، و"كتاب" بدل من "تنزيل"، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف[5]، ويجوّز الزجاج أن يكون "تنزيل" مبتدأ، و"كتاب" خبره. ووجهه: أن تنزيلاً تخصص

---

(١) في الأصل زيادة قوله: الكتاب. وهو خطأ.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٩).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٤١٤).

(٤) الكشاف (٤/ ١٨٩).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٠)، والدر المصون (٦/ ٥٥).

بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ.

قوله تعالى: ﴿فصلت آياته﴾ مُفسّر في أول هود.

﴿قرآناً﴾ نصب على الحال[١]. أي: فصلت آياته في حال كونه قرآناً عربياً.

وقيل: نصب على المدح والاختصاص[٢].

﴿لقوم يعلمون﴾ متعلق بـ"تنزيل" أو بـ"فصلت"[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: الأجودُ أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده، أي: قرآناً عربياً كائناً لقوم عرب، لئلا يفرق بين الصلات والصفات.

﴿بشيراً ونذيراً﴾ صفة لـ"قرآناً"[٥]. وقرئ: "بشير ونذير" بالرفع[٦]، صفة للكتاب، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿فهم لا يسمعون﴾ لا يقبلون. وقد ذكرنا مثل هذا فيما مضى.

﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة﴾ أغطية، وقد سبق ذكره وذكر الوقر[٧].

وهذه تمثيلات لنُبُوِّ قلوبهم عن تقبل الحق الذي جاء به.

﴿فاعمل إننا عاملون﴾ قال الفراء[٨]: اعمل ما تعلم من دينك إنا عاملون بما

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٠)، والدر المصون (٦/ ٥٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٥-٥٦).

(٤) الكشاف (٤/ ١٨٩).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٦).

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٦٣)، والدر المصون (٦/ ٥٦) وهي قراءة زيد بن علي.

(٧) في سورة الأنعام، عند الآية رقم: ٢٥.

(٨) معاني الفراء (٣/ ١٢).

نعلم من ديننا.

وقال ابن السائب: اعمل في هلاكنا إنا عاملون في هلاكك[١].

وقد سبق ذكر الويل في البقرة.

فإن قيل: هذه السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة، فكيف وصفهم في معرض الذم بمنع الزكاة؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: معناه: الذين لا يزكون أعمالهم. قاله ابن عمر ومجاهد[٢].

الثاني: لا يأتون ما يصيرون به أزكياء. قاله الحسن[٣]. وهو معنى قول ابن عباس: لا يشهدون أن لا إله إلا الله[٤].

الثالث: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة. قاله الضحاك[٥].

فإن قيل: على هذا القول لم خص منع الزكاة من بين أوصافهم المذمومة بالذِّكر؟

قلتُ: تقريعاً لهم بالشُّحِّ الذي تأنف منه النفوس الأبية والأمة العربية.

فإن قيل: لم قرنه في الذِّكر بالكفر بالآخرة؟

قلتُ: لتوغله في الإثم، ولذلك ألحق مانع الزكاة بالكافر في شرعته، ونصب

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٨).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٢).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٢).

لهم [الصّدّيق][(١)] راية القتال حتى عاودوا رشدهم وعادوا عن إلحادهم.

قوله تعالى: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ قال ابن عباس وعبد الله بن سلام والسدي والأكثرون: يوم الأحد ويوم الاثنين[(٢)].

ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر

---

(١) في الأصل: الصدق. والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الحاكم مطولاً (٢/ ٥٩٢ ح٣٩٩٧)، والطبري (٢٤/ ٩٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٦٣)، والنحاس في ناسخه (ص: ٦٨٠-٦٨١) كلهم عن ابن عباس، ومن طريق آخر أخرجه أبو الشيخ (٤/ ١٣٦٦) عن عبدالله بن سلام. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣١٤، ٣١٥) وعزاه لابن جرير والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عبد الله بن سلام، وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

فيها يوم الاثنين ...»[١].

وقد ذكرت الحديث في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض﴾ [٥٤]، وذكرنا ثمة ما لا غنى لك عن النظر فيه، وذكرنا كيفية خلق السماوات والأرض في أوائل البقرة.

قوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ وهي الجبال.

فإن قيل: ما الحكمة في [تثبيتها][٢] بالجبال من فوقها، وهلاّ كانت لها دعائم كسائر الأبنية؟

قلتُ: جعلها فوقها لاستقرارها والانتفاع بها والاستدلال على قدرة مُنشئها وعظمته، وليعلم أن للماسك والممسوك قادراً ممسكاً.

﴿وبارك فيها﴾ بإجراء أنهارها وإنشاء أشجارها وإخراج زرعها وثمارها.

﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها بما يصلحهم في معايشهم.

﴿في أربعة أيام سواء﴾ قرأ أبو جعفر: "سواءٌ" بالرفع. وقرأ يعقوب وعبد الوارث والقزاز عن أبي عمرو: "سواءٍ" بالجر، والباقون بالنصب[٣].

قال الزجاج[٤]: من قرأ بالخفض جعل سواء صفة للأيام. المعنى: في أربعة أيام مستويات تامات، ومن نصب فعلى المصدر، على معنى: استوت سواءً

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٩ ح٢٧٨٩). قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٩٥): وهو من غرائب الصحيح.

(٢) في الأصل: تثبتها. والصواب ما أثبتناه.

(٣) النشر (٢/ ٣٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٨٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

واستواءً، ومن رفع فعلى معنى: هي سواء.

ومعنى: [﴿للسائلين﴾][1] معلق بقوله تعالى: ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ لكل محتاج من خلقه إلى القُوت.

وإنما قيل: "للسائلين"؛ لأن كلاً يطلب القُوت ويسأله، ويجوز أن [يكون للسائلين][2] لمن سأل: في كم خُلقت السموات والأرض؟

فقيل: خُلقت الأرض في أربعة أيام سواء، لا زيادة على ذلك ولا نقصان، جواباً لمن سأل. هذا كلام الزجاج.

قلتُ: والمعنى الأول قول ابن زيد[3]، والثاني قول قتادة[4].

قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ أي: عمد إليها وهي دخان متصاعد من الماء.

قال المفسرون: لما خلق الله تعالى الماء أرسل عليه الريح فثار منه دخان، فارتفع وسما[5].

﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي: جيئا بما خلقتُ فيكما لمصالح عبادي، أو افعلا ما آمركما [اختياراً][6] أو اضطراراً.

---

(١) في الأصل: السائلين. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

(٢) في الأصل: السائلين. والتصويب والزيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٧). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٣١٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٥).

(٦) في الأصل: اختاياراً.

قال ابن عباس: رَكَّبَ فيهما العقل فخاطبهما، فقال للسموات: أطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض: شقِّقي أنهارك وأخرجي ثمارك[١].

﴿قالتا أتينا طائعين﴾ قال ابن عباس: أتت السماء بما فيها، والأرض بما فيها[٢].

قال أبو النصر: نطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء ما بحيالها، فوضع الله تعالى فيها حرمه[٣].

وقيل: إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما[٤].

قال الزجاج[٥]: "طائعين" منصوب على الحال، وإنما قال: "طائعين" دون طائعات؛ لأنهن جرين مجرى ما يعقل ويُميز، كما قال في النجوم: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠]. وقد قيل: أتينا نحن ومن فينا طائعين.

ويروى: أن بعض الأنبياء قال: يا رب! لو أن السموات والأرض حين قلت لهما: "ائتيا طوعاً أو كرهاً" عصتاك ما كنت صانعاً بهما؟ قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما، قال: وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي، قال: يا رب وأين ذلك المرج؟ قال: في علم من علمي[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٩ ح٧٣)، والطبري (٢٤/ ٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٦-٣١٧) وعزاه لابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٢).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٢).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٤٤).

قولهِ تعالى: ﴿فقضاهن﴾[(١)] قال الزجاج[(٢)]: أي: خلقهنّ وصورهنّ.

قال أبو [ذؤيب][(٣)] الهذلي:

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودتَانِ قَضَاهُما ... دَاودُ أَوْ صَنَعَ السَّوابغَ تُبَّع[(٤)]

أي: عملهما وصنعهما.

﴿سبع سماوات في يومين﴾ قال ابن عباس وعبد الله بن سلام: يوم الخميس ويوم الجمعة[(٥)].

﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ قال قتادة: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وملائكتها وما يصلحها[(٦)].

وقال مجاهد: أوحى ما أراد، وأمر بما شاء[(٧)].

﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ يريد: النجوم، سُمِّيت بذلك؛ لإضاءتها.

﴿وحفظاً﴾ قال الزجاج[(٨)]: وحفظناها من استماع الشياطين بالكواكب

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "سبع" وستأتي بعد.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٨١).

(٣) في الأصل: ذؤب. والصواب ما أثبتناه.

(٤) انظر البيت في: الدر المصون (٦/ ٥٩)، والبحر (٧/ ٤٦٧)، واللسان (مادة: صنع، قضي)، والطبري (١/ ٥٠٩، ١١/ ٩١، ٢٢/ ٦٧)، والقرطبي (٢/ ٨٧، ١٤/ ٢٦٨، ١٥/ ٣٤٥)، وزاد المسير (٧/ ٢٤٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٩) عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣١٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص: ٥٧٠) والطبري (٢٤/ ٩٩)، كلاهما بلفظ: قال: مما أمر به وأراد.

(٨) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٢).

حفظاً.

وقال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً.

فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ
ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ
رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ أي: إن تولوا عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فقل﴾ محذراً لهم ومخوفاً: ﴿أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾.

وروي شاذاً عن ابن كثير: "صَعْقَةً مثل صَعْقَةِ" بغير ألف فيهما[2].

والمعنى: أنذرتكم أن ينزل بكم ما نزل بمن كفر من الأمم قبلكم من العذاب الشديد، الوقع الذي كأنه صاعقة.

وخصّ هاتين الأمّتين بالذِّكْر؛ لأن قريشاً كانت تَمُـرُّ بمنـازلهم وآثـارهم في

---

(١) الكشاف (٤/ ١٩٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٦٨)، والدر المصون (٦/ ٥٩).

أسفارهم.

﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي: من كل جانب، وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يؤمنوا.

وقال الحسن: أنذروهم وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة(١)، فقد جاؤوهم بالوعظ والتخويف من جهة الزمن الماضي والمستقبل.

وقيل: جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم.

فإن قيل: كيف يستقيم هذا القول وقد قال: "جاءتهم الرسل"؟

قلتُ: الرسل كلهم جاؤوا بدين التوحيد وإيجاب التصديق بكل رسول، فكأن الرسل جميعهم قد جاؤوهم.

﴿ألا تعبدوا﴾ يعني: أي: لا [تعبدوا](٢). وقيل: هي مخففة من الثقيلة.

قالوا استبعاداً لإرسالهم إليهم وتكذيباً لهم: ﴿لو شاء ربنا﴾، ومفعول "شاء" محذوف، تقديره: لو شاء إرسال الرسل ﴿لأنزل ملائكة﴾ ولم يرسل بشراً، ﴿فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ هذا ليس اعتراف منهم برسالتهم، وإنما هو على طريقة التهكم بما أرسلتم به على زعمكم.

ثم قَصَّ الله تعالى قصة عاد وثمود فقال: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق﴾ أي: تكبروا وعتوا على الناس، أو تكبروا عن الإيمان ﴿وقالوا﴾ حين توعدهم هود بالعذاب: ﴿من أشد منا قوة﴾ فنحن ندفع ما يجيء به، اغتراراً بفخامة أجسامهم وعِظَم أجرامهم.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٩٦).

(٢) في الأصل: يعبدوا.

قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ قال أبو عبيدة[١]: هي الشديدة الصوت.

قال الزمخشري[٢]: هي العاصفة التي تُصَرْصِر، أي: تصوّت في هبوبها.

وقال الزجاج[٣]: وأكثر التفسير: أنها الشديدة البرد.

قال غيره: هي الباردة التي تحرق ببردها، تكرير لبناء الصرّ، وهو البرد الذي يصرّ، أي: يجمع.

وقال مجاهد: هي السموم[٤].

﴿في أيام نحسات﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة: "نحِسات" بكسر الحاء، وأسكنها الباقون من العشرة[٥].

فمن كسر الحاء، فالواحد: "نَحِس"، مثل: فَرِق وحَذِر، وجُمِعَ على ذلك. ومن أسكن الحاء فالواحد "نَحْس".

قال الزمخشري[٦]: إما مخفف نَحِس، أو صفة على فَعْل، أو وصف لمصدر.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٩٦).

(٢) الكشاف (٤/ ١٩٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٢). وذكره الماوردي (٥/ ١٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٨).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٥)، والكشف (٢/ ٢٤٧)، والنشر (٢/ ٣٦٦)، والإتحاف (ص:٣٨٠-٣٨١)، والسبعة (ص:٥٧٦).

(٦) الكشاف (٤/ ١٩٩).

قال مجاهد وقتادة: "نَحِسَات": مشؤومات[١].

قال ابن عباس: كُنَّ آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء، وذلك ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾، قال: وما عُذِّب قوم إلا في يوم الأربعاء[٢].

وقال الربيع بن أنس: أولها يوم الجمعة[٣].

وقال السدي: يوم الأحد[٤].

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ وقرأتُ لعاصم من رواية المفضل عنه: "ثموداً" بالنصب والتنوين[٥].

قال المبرد: والوجه الرفع، تقول: زيد ضربته، والنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

قال قتادة: المعنى: وأما ثمود فبينا لهم سبيل الخير والشر[٦].

﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان ﴿فأخذتهم﴾

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٧٠)، والطبري (٢٤/ ١٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٧-٣١٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٤٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨١)، والدر المصون (٦/ ٦٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١٨) وعزاه لعبد بن حميد.

[الصاعقة ﴿صاعقة]⁽¹⁾ العذاب﴾ أي: قارعة العذاب ﴿الهون﴾ والهُون والهوان بمعنى واحد. وقد سبق ذكره، ومجازه: فأخذتهم [صاعقة][2] العذاب ذي الهوان.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار﴾ قرأ نافع ويعقوب وأبان عن عاصم: "نَحْشُرُ" بالنون على البناء للفاعل "أعداءَ" بالنصب. وقرأ باقي القراء العشرة في جميع طرقهم المشهورة: "يحشر" بالياء المضمومة على البناء للمفعول، "أعداءُ" بالرفع[3].

والقراءة الأولى محمولة على قوله: ﴿ونجينا الذين آمنوا﴾، ويؤيدها قوله تعالى:

---

(١) في الأصل: الصاعة صاعة.

(٢) في الأصل: صاعة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٥-٦٣٦)، والكشف (٢/ ٢٤٨)، والنشر (٢/ ٣٦٦)، والإتحاف (ص:٣٨١)، والسبعة (ص:٥٧٦).

﴿يوم نحشر المتقين﴾ [مريم:٨٥]، والثانية محمولة على "يوزعون"، والكلام تم عند قوله تعالى: ﴿وكانوا يتقون﴾، فلا معنى لحمل ما بعده عليه.

و﴿يوزعون﴾ مُفسّر في النمل(١).

قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم﴾ الأظهر: أنها الجلود المعروفة.

وقيل: الأيدي والأرجل(٢).

وقال السدي: هي الفروج(٣).

وعن ابن عباس: كالقولين(٤).

والآخرين قالوا لها حين شهدت عليهم: ﴿لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ هذا تمام كلام الجلود.

وفي هذا الموضع إشكالان ما رأيت أحداً من المفسرين ذكرهما:

أحدهما: أن الشهادة صدرت من السمع والأبصار والجلود، فَلِمَ أفرد الجلود باللوم والسؤال دون السمع والأبصار؟

الثاني: أن حق الجواب أن يكون: شهدنا لكيت وكيت، فلم قالوا: أنطقنا الله، وهم لم يسألوهم عن ذلك؟

قلتُ: على الإشكال الأول إن أريد الجلود المعروفة فلا إشكال فيه؛ لاشتمالها

---

(١) عند الآية رقم: ١٧.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٦) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٦) عن الحكم الثقفي، وعبيد الله بن أبي جعفر. وذكره الماوردي (٥/ ١٧٦) عن ابن زيد.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٠).

على سائر الأجسام، فلومها وسؤالها شامل لجميع أجزاء البدن، وإن أريد الأيدي والأرجل؛ فلأنهما معتمد الجسد وبهما عامة أكسابه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس:٦٥]، وإن أريد الفروج؛ فلأن جنايتها أشد من جناية البصر والسمع، والعقوبة الكائنة بسببها أعظم.

وأما الثاني فجوابه أن يقال: لما كان مقصودهم بالسؤال اللوم بقولهم: لم شهدتم علينا؟ أجابوا واعتذروا: قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء بالشهادة وألجأنا إليها بطريق القهر والاضطرار الذي أنطق كل شيء.

قال أنس بن مالك: ((ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألون مِمَّ ضحكت؟ فقالوا: مِمَّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، قال: يقول: يا رب أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال: فإن لك ذلك، قال: فإني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي، قال: أو ليس كفى بي شهيداً والكرام الكاتبين؟ قال: فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول لهنّ: بُعْداً لَكُنَّ وسُحقاً، عنكنَّ كنتُ أجادل))[١]. هذا حديث انفرد مسلم بإخراجه.

قال الله تعالى: ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ هذا تقرير. المعنى: إنطاق الجوارح، واستدلال على القدرة على ذلك بالخلق الأول.

قوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٠ ح٢٩٦٩).

جلودكم﴾ السبب في نزولها: ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه بقراءتي عليه في شعبان سنة تسع وستمائة بظاهر دمشق قال: أخبرنا أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي ببغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، حدثنا محمد بن مسلمة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا المسعودي(١)، عن الأعمش(٢)، عن أبي وائل(٣) -فيما يعلم المسعودي-، عن عبدالله قال: «بينما أنا مستتر بأستار الكعبة إذ دخل ثلاثة نفر عظيمة بطونهم، قليل فقههم، [ثقفيان](٤) وختن لهما قرشي، أو قرشيان وختن لهما ثقفي، فقال أحدهما لصاحبه: ترى الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إذا رفعنا، ولا يسمع إذا خفضنا.

قال عبدالله: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بقولهما، قال: فنزل القرآن: ﴿وما

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي المسعودي، كان ثقة صدوق، كثير الحديث، وقد اختلط قبل موته، مات سنة ستين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ١٩٠-١٩١، والتقريب ص:٣٤٤).

(٢) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، يقال: أصله من طبرستان، وولد بالكوفة سنة إحدى وستين، كان ثقةً ثبتاً في الحديث، عارفاً بالقراءات، لكنه يدلس، وكان محدث أهل الكوفة (تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٥-١٩٦، والتقريب ص:٢٥٤).

(٣) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي. أدرك النبي ﷺ ولم يره، كان ثقة كثير الحديث، مخضرم، مات بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٧، والتقريب ص:٢٦٨).

(٤) في الأصل: ثقيفيان. والتصويب من الصحيحين.

كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾»[١]. هذا حديث صحيح اتفق الشيخان على إخراجه في صحيحيهما، فرواه البخاري عن الحميدي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، ورواه أيضاً عن الصلت بن محمد[٢]، [عن][٣] يزيد بن زريع[٤]، عن روح بن القاسم، عن منصور، ورواه أيضاً عن عمرو بن علي، عن يحيى، عن سفيان الثوري، عن منصور.

فكأنني من هذين الطريقين لقيت من حدثني به عن أصحاب أصحاب البخاري.

والمعنى: ما كنتم تستخفون من أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم لا تستطيعون الاختفاء منها.

﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ قال ابن عباس: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٨-١٨١٩ ح٤٥٣٨، ٤٥٣٩، ٤٥٤٠). ومسلم (٤/ ٢١٤١ ح٢٧٧٥).

(٢) الصلت بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي المغيرة البصري، أبو همام الخاركي، ثقة صدوق (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨٢، والتقريب ص:٢٧٧).

(٣) في الأصل: بن. والصواب ما أثبتناه.

(٤) يزيد بن زريع العيشي، ويقال: التميمي، أبو معاوية البصري الحافظ، كان ثقة حجة كثير الحديث، توفي بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٤-٢٨٥، والتقريب ص:٦٠١).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥١).

﴿وذلكم﴾: مبتدأ، ﴿ظنكم﴾: خبره، ﴿الذي ظننتم﴾: صفة الخبر، ﴿أرداكم﴾: خبر بعد خبر(١).

ويجوز أن يكون "ذلكم": مبتدأ، "ظنكم": بدل منه، "أرداكم": خبره(٢).

ومعنى: "أرداكم": أهلككم.

﴿فإن يصبروا﴾ يعني: على العذاب ﴿فالنار مثوى لهم﴾ يريد: لا ينفعهم صبرهم، ﴿وإن يستعتبوا﴾ يسألوا العُتْبَى، وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعاً مما هم فيه، ﴿فما هم من المعتبين﴾ المُجَابين إلى ما طلبوا من الرضا، تقول: استعتبت فلاناً؛ إذا طلبت منه أن يُعْتَبَ، أي: يُرْضَى. وأعْتَبَني فلان؛ إذا أرضاك بعد إسخاطه إياك(٣).

وقرأ الحسن البصري: "وإن يُسْتَعْتَبُوا" بضم الياء، على البناء للمفعول(٤).

﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: لا سبيل لهم إلى ذلك؛ لأنهم غير قادرين عليه.

۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢١)، والدر المصون (٦/ ٦٣-٦٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: عتب).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٧٣)، والدر المصون (٦/ ٦٤).

يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ
ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقيّضنا لهم قرناء﴾ أي: [وسببنا][1] لمشركي مكة أخداناً من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ [الزخرف:٣٦].

﴿فزيّنوا لهم ما بين أيديهم﴾ قال الكلبي: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وهو قولهم لهم: لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا، فزينوا لهم اللذات[2].

وقيل: بالعكس[3].

وقيل: ما بين أيديهم ما فعلوه، وما خلفهم ما عزموا على فعله[4].

﴿وحق عليهم القول﴾ يعني: كلمة العذاب ﴿في أمم﴾ أي: في جملة أمم.

وموضع "في أمم" من الإعراب: النصب على الحال من الضمير في "عليهم"[5]، أي: حَقَّ عليهم القول كائنين في جملة أمم.

﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ يريد: الذين قيض لهم القرناء والأمم.

---

(١) في الأصل: وسنينا. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٢٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٢) بلا نسبة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١١) عن السدي. وذكره الماوردي (٥/ ١٧٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٢).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٦٤).

قوله تعالى: ﴿والغوا فيه﴾ قال الزجاج[(١)]: عارضوه بكلام لا يُفهم يكون ذلك الكلام لغواً، يقال: لَغَا [يلغو][(٢)] لغواً، ويقال أيضاً: لَغَا يَلْغَى لَغْواً؛ إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لا يحصل منه على نفع ولا على فائدة، ولا تفهم حقيقته.

وقرأ جماعة، منهم عيسى بن عمر: "والغُوا" بضم الغين[(٣)].

قال أبو الفتح ابن جني[(٤)]: يقال منه: لَغَا يَلْغُو فهو لاغٍ، ومنه الحديث المرفوع: ((من قال في الجمعة: صَهْ، فقد لغا))[(٥)].

ويقال فيه: لَغِيَ يَلْغَى لغاً.

وقال الأخفش: من فتح الغين كان من لغا يلغى، مثل: طغى يطغى، ومن ضم الغين كان من لغا يلغو، مثل: دعا يدعو.

قال المفسرون: كانت قريش توصي بعضهم بعضاً: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه فارفعوا أصواتكم باللغو لتُشَوِّشُوا عليهم[(٦)].

وقال ابن عباس: قعوا فيه وعيبوه[(٧)].

وقال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق[(٨)].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٤).

(٢) في الأصل: يلغي. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٧٣)، والدر المصون (٦/ ٦٥).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٧٦ ح١٠٥١).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٢).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٨).

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٥٧١)، والطبري (٢٤/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٢-٣٢٧٣).
=

﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً﴾ قال ابن عباس: يوم بدر[١].

﴿ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ في الدنيا وفي الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار﴾ فيه الوجهان المذكوران في إعراب: "وذلكم ظنكم". ويجوز فيه وجه ثالث وهو: أن يكون "النار": ابتداء، و ﴿لهم فيها دار الخلد﴾: خبراً[٢]، ويكون الوقف على قوله تعالى: ﴿أعداء الله﴾.

وقيل: ذلك إشارة إلى الأسوأ، ويجب أن يكون التقدير: أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون، حتى تستقيم هذه الإشارة، و"النار" عطف بيان للإشارة، أو خبر مبتدأ محذوف[٣].

قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ قال الزجاج[٤]: النار هي الدار، كما تقول: لك في هذه الدار دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها. قال الشاعر:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها ويسأَلُها ... يأْبى الظلامةَ منه النَّوفلُ الزُّفَرُ[٥]

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: يقولون يوم القيامة ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا﴾.

وقد ذكر اختلاف القراء في "أرنا" في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وأرنا

=

وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٠٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٢)، والدر المصون (٦/ ٦٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٥).

(٥) البيت لأعشى باهلة، يرثي أخاه المنتشر بن وهب. وهو في: اللسان (مادة: زفر، قفر، نفل)، والقرطبي (١٦/ ٢٩٩)، وزاد المسير (١/ ٤٣٤، ٧/ ٢٥٣).

مناسكنا﴾ [البقرة:١٢٨]، وأشرنا إلى تعليل ما قرؤوا به.

﴿من الجن والإنس﴾ يريدون: إبليس وقابيل؛ لأن إبليس سَنَّ الكفر، وقابيل سَنَّ القتل بغير حق.

وقيل: أرادوا دعاة الضلالة من الجن والإنس.

والمعنى: أرناهما ومكنّا منهما.

﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أي: في الدرك الأسفل من النار. سألوا ذلك حنقاً عليهم حيث كانوا السبب في إضلالهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال الزمخشري(١): "ثم" لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة. وفضلها عليها؛ لأن الاستقامة لها الشأن كله. ونحوه قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات:١٥]. والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده(٢).

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٠٤).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٤) عن أبي بكر الصديق في قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً. وذكره الماوردي (٥/ ١٧٩).

ويؤيد هذا القول: ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال: قد قال الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو [ممن][(١)] استقام»[(٢)].

وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض[(٣)].

وقال قتادة: استقاموا على الطاعة[(٤)].

وقال السدي: استقاموا على الإخلاص والعمل إلى الموت[(٥)].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد بإسناده عن الزهري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال: استقاموا على الطريقة والله بطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب[(٦)].

وقال سفيان بن عبد الله الثقفي: يا رسول الله! أخبرني بأمر أعتصم به؟ قال: قل: ربي الله ثم استقم[(٧)].

وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية بكى وقال: اللهم أنت ربنا فارزقنا

---

(١) في الأصل: مؤمن من. والتصويب من الترمذي (٥/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٦ ح٣٢٥٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٥). وذكره الماوردي (٥/ ١٧٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤).

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٤٤).

(٧) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٧ ح٢٤١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ح٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣).

الاستقامة[١].

﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني: عند الموت[٢]، بالبشرى.

وقال قتادة: عند خروجهم من قبورهم للبعث[٣].

وقيل: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم[٤].

﴿أن لا تخافوا﴾ "أنْ" بمعنى: أي. وقيل: مخففة من الثقيلة، على معنى ضمير الشأن.

قال مجاهد: لا تخافوا الموت ﴿ولا تحزنوا﴾ على أولادكم[٥].

وقال عكرمة: لا تخافوا أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم[٦].

وقد ذكرنا فيما مضى: أن الخوف غَمٌّ يلحق الإنسان لتوقع المكروه. والحزن: غَمٌّ لوقوع المكروه.

ثم تقول لهم الملائكة: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي: نحن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١١٥).

(٢) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:٥٧١)، والطبري (٢٤/ ١١٦) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الشعب عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠) عن ثابت ومقاتل، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤) عن قتادة.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٨٠).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٤).

الذين نتولاكم في الدنيا ونحبكم لما نرى من أعمالكم الصالحة، ونحن الذين نتولاكم اليوم إلى أن تدخلوا الجنة.

﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ قال مقاتل[١]: ما تتمنّون.

وقال غيره: ما تدعون أنه لكم فهو مملوك لكم بحكم ربكم[٢].

﴿نُزُلاً﴾ نصب على الحال من الموصول أو من الضمير الموصول المحذوف[٣].

أي: ما تدعونه نُزُلاً، والنُّزُل: رزق النزيل، وهو الضيف. وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ هذا عام في كل من اتَّصف بهذه الأوصاف الثلاثة، ويدخل في عموم ذلك ما قاله المفسرون.

وقد روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنها نزلت في المؤذِّنين. وهو قول

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٧).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٠) من قول ابن عيسى.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٢)، والدر المصون (٦/ ٦٧).

عائشة ومجاهد[١].

وقال ابن عباس: هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة لا إله إلا الله[٢].

"وعمل صالحاً" قال ابن السائب: أدى الفرائض[٣].

وقالت عائشة: صلى ركعتين بعد الأذان[٤].

وقال عكرمة: صام وصلى[٥].

"وقال إنني من المسلمين" أي: دان بالإسلام واعتقده، كما تقول: أنا أقول مقالة أهل الحديث، أي: أعتقد عقيدتهم وأذهب إلى مذهبهم.

قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ قال الزجاج[٦]: و"لا" زائدة مؤكدة. المعنى: لا تستوي الحسنة والسيئة. ومثله قال الفراء، وأنشد:

ما كان يرضي رسولَ الله فعلُهم   والطيبان أبو بكر ولا عمر

قال علي عليه السلام: "الحسنة": حب آل رسول الله ﷺ، و"السيئة": بغضهم[٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٠٤ ح٢٣٤٧) عن عائشة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٨١).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢٥) وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٦).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

وقال ابن عباس: "الحسنة": الإيمان، و"السيئة": الشرك[١].

وقال الضحاك: "الحسنة": الحلم، و"السيئة": الفحش[٢].

وقيل: "الحسنة": المداراة، و"السيئة": الغلظة[٣].

وقد أشرنا فيما مضى من كتابنا إلى أن هذه الأقوال وأمثالها لم تذكر لحصر المراد من الكلام، بل هي لبيان جنس [بذكر][٤] بعض أنواعه.

قال صاحب الكشاف[٥]: إن [قلت][٦]: هلاّ قيل: فادفع بالتي هي أحسن؟

قلتُ: هو على تقدير قائل قال: فكيف أصنع؟ فقيل: ادفع بالتي هي أحسن.

فإن قلت: إذا كان المعنى "ولا تستوي الحسنة والسيئة"، فالقياس على هذا التقدير أن يقال: ادفع بالتي هي حسنة.

قلتُ: أجل، ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة، ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة؛ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها.

﴿فإذا الذين بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ قال عكرمة: الولي: الصديق، والحميم القريب[٧].

أخرج البخاري في أفراده عن ابن عباس «في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) وهو قول ابن عيسى. ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٨٢).

(٤) في الأصل: يذكر. والصواب ما أثبتناه.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٠٥).

(٦) في الأصل: قالت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

أحسن﴾ قال: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله وخضع لهم عدوّهم»[١].

وقال مقاتل[٢]: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب، كان مؤذياً لرسول الله ﷺ، فصار له ولياً بعد أن كان عدواً. ونظيره قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ [الممتحنة:٧].

قوله تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ قال الزجاج[٣]: وما يُلَقَّى هذه الفعلة، وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على كظم الغيظ، ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ من الخير.

وقال السدي: إلا ذو جَدّ[٤].

وقال قتادة: الحظ العظيم: الجنة[٥].

وقال الحسن: والله ما عَظُمَ حَظٌّ دون الجنة[٦]، فيكون المعنى: وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة.

قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ قال الزمخشري[٧]: النزغ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٦٧) وفيه: أن نزولها في أبي جهل.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٢).

(٧) الكشاف (٤/ ٢٠٦).

والنسغ بمعنىً، وهو شبيه بالنخس. فالشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي. وجعل النزغ نازغاً، كما قيل: جدّ جدّه، أو أريد: وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر. وقد فسرنا هذه الآية في آخر سورة الأعراف(١).

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ إن قيل: كيف قال: الذي خلقهن، وقد قال: ﴿الليل والنهار والشمس والقمر﴾ وهي مُذَكَّرة، فقد قال الزجاج(٢): فيها وجهان:

أحدهما: أن ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كِبَاشُك فَسُقْها، وإن شئت قلت: فَسُقْهُنَّ، وإنما يكون "خلقهن" لما [يعقل](٣) لا غير، ويجوز أن يكون "خلقهنّ" راجع على معنى الآيات في قوله تعالى: ﴿ومن آياته﴾.

---

(١) عند الآية رقم: ٢٠٠.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٧).

(٣) في الأصل: يفعل. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

فصل

واختلفوا في موضع السجدة هاهنا على قولين:

أحدهما: "تعبدون". قاله ابن مسعود وأصحابه والحسن[١]، وإليه ذهب الشافعي لذكر لفظ السجدة قبله.

الثاني: "يسأمون". قاله ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب ومسروق وقتادة[٢]، وإليه ذهب أبو حنيفة وعلماؤنا؛ لأن به تمام الكلام.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ قال الزجاج[٣]: مُتَهَشِّمَةً مغبرّة.

وقال الزمخشري[٤]: الخشوع: التذلل والتقاصر، فاستعين بحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها.

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ وقرأ أبو جعفر: "وربأت" بهمزة مفتوحة بعد الباء[٥].

قال الزجاج[٦]: "رَبَتْ": عظمت، ورَبَأَتْ: ارتفعت. وقد ذكرناه في سورة الحج[٧].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٥٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٧).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(٥) النشر (٢/ ٣٢٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٨).

(٧) عند الآية رقم: ٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ سبق تفسير الإلحاد وذكر اختلاف القُرَّاء فيه في أواخر سورة الأعراف[1].

والمراد به هاهنا: التكذيب بالآيات، في قول قتادة[2].

والميل عن الأدلة، في قول أبي مالك[3].

ومعاندة الرسل في قول السدي[4].

والمكاء والصفير عند تلاوة القرآن، في قول مجاهد[5].

﴿لا يخفون علينا﴾ وعيدٌ لهم على التحريف، ﴿أفمن يلقى في النار خير﴾ وهو أبو جهل، في قول عامة المفسرين.

---

(١) عند الآية رقم: ١٨٠.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٤).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٧١)، والطبري (٢٤/ ١٢٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٤).

﴿أم[١] من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ وهو عمار بن ياسر، في قول عكرمة[٢].

ورسول الله ﷺ، في قول ابن السائب ومقاتل[٣].

وعمر بن الخطاب، [في][٤] قول ابن زياد[٥].

وحكى الثعلبي[٦]: أنه عثمان بن عفان.

وحكى الواحدي[٧]: أنه حمزة، رضي الله عنهم.

والظاهر: أنه عام في كل مؤمن وكافر.

وباقي الآية وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ وهو القرآن، في قول عامة المفسرين.

وخبر "إنّ": ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾[٨]. وقيل: محذوف، تقديره: كفروا به أو يجازون بكفرهم[٩].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "خير" وقد سبقت.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٠) وعزاه لابن عساكر.

(٣) ذكره مقاتل (٣/ ١٦٨)، والماوردي (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦١).

(٤) في الأصل: وفي.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦١) حكاية عن الماوردي.

(٦) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٩٨).

(٧) الوسيط (٤/ ٣٧).

(٨) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٦٨): وقد استُبعد هذا من وجهين: أحدهما: كثرة الفواصل، والثاني: تقدم من يصح الإشارة إليه بقوله: "أولئك"، وهو قوله: ﴿والذين لا يؤمنون﴾، واسم الإشارة يعود على أقرب مذكور.

(٩) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٢)، والدر المصون (٦/ ٦٨).

وقال الزمخشري[١]: إن قلت: بم اتصل قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾؟

قلتُ: هو بدلٌ من قوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾؛ لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله.

﴿وإنه لكتاب عزيز﴾: منيع محمي.

قال ابن عباس: كريم على الله[٢]. وقال السدي: غير مخلوق[٣].

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي: لا يتطرق إليه بوجه من الوجوه.

قال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب[٤].

وقال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً[٥].

فإن قيل: أليس قد تأوّله المبطلون وحرّفه الملحدون إلى مقاصدهم وأقرب الأشياء عهداً بذلك ما حكيته في سورة الحجر من إلحاد ذلك الزائغ الذي [حرّف][٦] كتاب الله في ملأ من الأشراف؟

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٠٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٢) كلاهما عن ابن السائب الكلبي. وذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٦٧) عن ابن عباس.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٦٧).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن الضريس.

(٦) في الأصل: حر.

قلتُ: الذي ضمنه الله تعالى حفظ كتابه، وأن الباطل لا يلبس به، وذلك حاصل والحمد لله.

وأما تحريف الغالين وتأويل الزائغين فقد قيض الله سبحانه وتعالى رجالاً يبيّنون عواره ويوضحون فساده، ويدفعون ما ليس منه.

قوله تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ قال قتادة وجمهور المفسرين: المعنى ما يقول المشركون لك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الأقوال المؤذية، كقولهم: ساحر ومجنون[1]. فتكون الآية على هذا القول تعزية للنبي ﷺ.

وقال الكلبي: المعنى: ما تخبر إلا ما أخبر الأنبياء قبلك، وهو ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ لمن آمن بالله وصدق المرسلين ﴿وذو عقاب أليم﴾ لمن كفر بالله وكذّب المرسلين[2].

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره الماوردي (٧/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٣) حكاية عن الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ أي: لو أنزلنا القرآن بلسان أعجمي ﴿لقالوا لولا﴾: هلاَّ ﴿فُصِّلَت﴾ أي: بُيِّنَت ﴿آياته﴾ بأن تنزل عربية، ولقالوا إنكاراً لذلك: ﴿أأعجمي وعربي﴾ أي: أقرآن أعجمي ورسول عربي؟، أو مرسل إليه عربي؟، والمعنى الأول قول سعيد بن جبير(١)، والثاني قول السدي(٢).

ومعنى الكلام: أنهم قوم شأنهم التعنت واتباع الهوى والتكذيب.

قرأ ابن كثير في رواية قنبل من طريق ابن شوذب وابن عامر من رواية الحلواني عن هشام: "أعجمي" بهمزة واحدة مقصورة مع سكون العين، وهي قراءة الحسن والضحاك والجحدري، ومثلهم عمرو بن ميمون، إلا أنه فتح العين. وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام على اختلاف أصولهم(٣).

قال أبو الفتح(٤): أما من قرأ "أَعْجَمِيٌّ" بقصر الهمزة وسكون العين، فعلى أنه خبر [لا استفهام، أي](٥): لقالوا: لولا فصلت آياته. ثم أخبر فقال: الكلام الذي جاء به أَعْجَمِيٌّ، أي: قرآن وكلام أَعْجَمِيّ. ولم يخرج مخرج الاستفهام على معنى التعجب والإنكار على قراءة الكافة. وأما قراءة عمرو بن ميمون فهو منسوب إلى العجم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٦).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٦-٣٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٧)، والكشف (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:٣٨١)، والسبعة (ص:٥٧٦-٥٧٧).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٤٨).

(٥) زيادة من المحتسب (٢/ ٢٤٨).

وقال الزجاج في قراءة الحسن[١]: المعنى: هلا بُيِّنَتْ آياته، فجعل بعضها بياناً للعرب وبعضها بياناً للعجم. وقد ذكرنا فيما مضى الفرق بين الأعجمي والعجمي[٢].

قال الزمخشري[٣]: إن قلت: كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب؟

قلتُ: هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتاباً عجمياً كُتِبَ إلى قوم من العرب، يقول: أكتاب عجمي ومكتوب إليه عربي، وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة، فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض، [ولا][٤] يوصل به ما يحتمل غرضاً آخر. ألا تراك تقول -وقد رأيتَ لباساً طويلاً على امرأة قصيرة-: اللباس طويل واللابس قصير، ولو قلت: اللابسة قصيرة، جئت بما هو [لكنة][٥] وفضول قول؛ لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس [وأنوثته][٦]، إنما وقع في غرض وراءهما.

﴿قل هو﴾ أي: القرآن ﴿هدى وشفاء﴾ إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٨٩).

(٢) في سورة الشعراء عند تفسير الآية رقم: ١٩٨.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٠٨).

(٤) في الأصل: لا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لكونه. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: وأنوثيته. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

فإن قلت: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ منقطع [عن][(١)] ذكر القرآن، فما وجه اتصاله به؟

قلتُ: لا يخلو إما أن يكون "الذين لا يؤمنون" في موضع الجر معطوفاً على قوله تعالى: ﴿للذين آمنوا﴾ على معنى قولك: هو للذين آمنوا هدى وشفاء، وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر؛ إلا أن فيه عطفاً على عاملين، وإن كان الأخفش يجيزه. وإما أن يكون مرفوعاً على تقدير: والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ، أو في آذانهم منه وقر.

وقد ذكرنا فيما مضى أن الوَقْر: الصَّمَم.

قوله تعالى: ﴿وهو عليهم عمى﴾ وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص: "عَمٍ" بكسر الميم[(٢)]، وقراءة الأكثرين أرجح، وهي اختيار أبي عبيد؛ لقوله: ﴿هدى وشفاء﴾، فكذلك "عمى" مصدر مثلهما، قال: ولو أنهما "هادٍ وشافٍ" لكان الكسر في "عمٍ" أجود؛ ليكون نعتاً مثلهما.

﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ تحقيق لمعنى إعراضهم وبُعدهم عن الحق، كأنهم لفرط ذلك كالذي يُصاح به من مكان بعيد، فهو لا يَسمع النداء.

والآية التي [بعدها][(٣)] مفسرة في آخر سورة هود[(٤)].

---

(١) في الأصل: من. والمثبت من الكشاف (٤/ ٢٠٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٧/ ٤٨١)، والدر المصون (٦/ ٧٠).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) عند تفسير الآية رقم: ١١٠.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وما تخرج من ثمرة من أكمامها﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص: "ثَمَراتٍ" على الجمع؛ لأن المعنى عليه؛ لأنه لا يريد ثمرة دون ثمرة. وقرأ الباقون "ثَمرة" على لفظ الإفراد[1]، والمراد: الكثرة، ويقوِّي ذلك قوله تعالى: ﴿وما تحمل من أنثى﴾.

قال الزمخشري[2]: الكِمُّ -بكسر الكاف-: وعاء الثمرة، كجُفِّ الطَّلْعَة.

وقال غيره: غلافُ كل شيء: كُمُّه، ومنه قيل للقلنسوة: كُمَّة؛ لأنها تغطي الرأس، [ومن هذا][3] كُمَّا القميص؛ لأنهما يغطيان [اليدين][4].

والمعنى: وما يحدث من شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضعها إلا وهو عالم به.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٧-٦٣٨)، والكشف (٢/ ٢٤٩)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٢)، والسبعة (ص:٥٧٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٠٩).

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٦٥).

(٤) في الأصل: اليد. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

﴿ويوم يناديهم أين شركائي﴾ يريد: على زعمهم أنها شركاء في الإلهية.

﴿قالوا﴾ يعني: المشركين. وقيل: الشركاء. والأول أظهر.

﴿آذنَّاك﴾ أعلمناك بما علمت من عقائدنا الآن، أو يقولون ذلك وقد سبق إعلامهم به أول ما سئلوا.

ثم أعيد عليهم السؤال توبيخاً وتقريعاً، فحكى الله تعالى ذلك عنهم، أو يكون ذلك إنشاء للإيذان.

﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد بأن لك شريك. تبرّؤوا من شركائهم حين تبيَّنوا وحدانية الله تعالى، فلم ينفعهم ذلك.

وإن قلنا: هو من قول الشركاء، فالمعنى: ما منا من شهيد يشهد بما أضافوه إلينا من الشركة.

﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾.

وكان سهل يقف على قوله: "وظنوا"، على معنى: وظنوا ظناً.

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أو من دعائه الخير، فحذف الفاعل وأضافه إلى المفعول.

والمعنى: لا يسأم من طلب السعة في المال وسوغ النعم.

﴿وإن مسه الشر﴾ وهو الفقر والضيق ﴿فيئوس قنوط﴾.

قال الزمخشري[(١)]: بُولغ فيه من طريقين؛ بناء فعول، والتكرير. وهذه صفة الكافر، بدليل قوله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧].

﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعدْ ضراء مسته﴾ أي: ولئن فرجنا عنه فأذقناه غنى بعد فقر، أو صحة بعد مرض ﴿ليقولن﴾ أَشَراً وبَطَراً وبغياً: ﴿هذا لي﴾ أي: حقي وصل إليّ؛ لأني أستوجبه بما عندي من الاستحقاق له.

ثم يتمادى في جهله وغيه حتى يقول إنكاراً لقدرة الله تعالى على البعث بعدما رأى وشاهد من تقلبات أحواله وآثار تصرفات الله تعالى فيه: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾.

ثم يقول على سبيل الفرض والتقدير: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ الحالة الحسنى من النعمة والكرامة كما أعطاني في الدنيا.

قال الحسن بن علي عليهما السلام: الكافر في أُمنيتين، أما في الدنيا فيقول: لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، وأما في الآخرة فيقول: يا ليتني كنت تراباً[(٢)].

ثم [هدّدهم][(٣)] بالآية التي تلي هذه.

---

(١) الكشاف (٤/ ٢١٠).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٧٣).

(٣) في الأصل: هدهم.

والآية التي بعدها مُفسَّرة في أواخر بني إسرائيل[١].

والمراد بالعريض: الكثير. والعرب تستعمل الطول والعرض في معنى الكثرة، يقولون: أطال فلان الكلام وأعْرَض؛ إذا كثر[٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يستدرجهم بألطف طريق وأن يستنزلهم عما هم عليه من العناد فقال: ﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن كان﴾ يعني: القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ هذا الكفر وعاندتموه هذا العناد ﴿من أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ عن الهدى.

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ قال الحسن ومجاهد: "في الآفاق": فتح أقطار الأرض، "وفي أنفسهم": فتح مكة[٣].

وقال قتادة وغيره: سنريهم وقائعنا في الأمم الخالية، وذلك بسيرهم في

---

(١) في سورة الإسراء، عند الآية رقم: ٨٣.

(٢) انظر: اللسان (مادة: عرض).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥). وذكره الماوردي (٥/ ١٨٩) كلاهما عن السدي، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠).

الأرض، وفي أنفسهم يوم بدر[١].

وقيل: "وفي أنفسهم": وهو كونهم خلقوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظامـاً، إلى أن نقلوا إلى العقل والتمييز[٢].

﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يريد: القرآن، ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ فهو يشهد لك وعليهم.

والآية التي بعدها مُفسَّرة فيما مضى، ومضمونها: تهديدهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٦٧).

(٢) وهو قول الزجاج. انظر: معاني الزجاج (٤/ ٣٩١-٣٩٢).

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمسون آية في المدني، وثلاث وخمسون في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس وعامة المفسرين[2].

ويحكى عنه أيضاً أن فيها من المدني: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً ...﴾ إلى آخر أربع آيات[3]، واستثنى مقاتل: ﴿ذلك الذي يبشر الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بذات الصدور﴾، وقوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿من سبيل﴾[4].

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي: أقسم الله سبحانه وتعالى بحلمه ومجده وعلمه وسنائه وقدرته[5].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٥) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن الزبير، وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٠).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢) عن ابن عباس، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ٢) عن محمد بن كعب.

وقال في رواية ابن أبي طلحة: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله به[١].

وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن[٢].

وقال كثير من المفسرين: هي حروف مقطعة من حوادث آتية[٣].

قال عطاء: الحاء من حرب، والميم من تحويل ملك، والعين من عدو مقهور، والسين من [استئصال بسنين][٤] كسني يوسف، والقاف من قدرة الله تعالى في ملكوت الأرض[٥].

وقال بكر بن عبدالله المزني: حم حرب تكون بين قريش والموالي، فتكون الغلبة لقريش على الموالي، ["م"][٦] ملك بني أمية، "ع" علو ولد العباس، "سين" سناء المهدي، "ق" قوة عيسى بن مريم [حين][٧] ينزل فيقتل النصارى ويخرب البِيَع[٨].

وفي مصحف ابن مسعود: "حم سق" بغير عين[٩].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٩١)، واين الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧١).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٢).

(٤) في الأصل: استيعال يستبين. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٢٧١).

(٥) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٠٣) بنحوه، والماوردي (٥/ ١٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧١).

(٦) في الأصل: من. والتصويب من تفسير الثعلبي (٨/ ٣٠٣).

(٧) في الأصل: حتى. والمثبت من تفسير الثعلبي، الموضع السابق.

(٨) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٠٣). وكل ذلك لا دليل عليه من الشارع وإنما هو اجتهاد.

(٩) انظر: الطبري (٢٥/ ٦)، والماوردي (٥/ ١٩٢).

ويروى: أن ابن عباس كان يقرؤها كذلك[١].

وسئل حسين بن الفضل: لم قطع ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ ولم يقطع ﴿كهيعص﴾ و ﴿المٓصٓ﴾، يعني في خط المصحف؟. فقال: لكونها بين سور أوائلها حم، فجرى مجرى نظائرها قبلها وبعدها.

ولأنهما عُدّا آيتين وعدت أخواتها التي كتبت موصولة آية[٢].

وقيل: لأن أهلَ التأويل لم يختلفوا في ﴿كهيعص﴾ وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في ﴿حمٓ﴾ فجعلها بعضهم فعلاً ماضياً على معنى "حُمَّ"، أي: قضي ما هو كائن إلى يوم القيامة[٣].

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: مثلُ ذلك الوحي، أو مثل ذلك الكتاب ﴿يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ من الرسل.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾[٤].

قرأ ابن كثير: "يوحَى" بفتح الحاء على البناء للمفعول به.

فعلى هذا؛ يرتفع اسم "الله" بما دل عليه "يوحى"، كأنه قيل: مَنِ الموحي؟ فقال: الله تعالى.

---

(١) انظر: الطبري (٢٥/ ٦)، والماوردي (٥/ ١٩٢).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١١٩).

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

قال أبو علي(١): ومما يقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك﴾ [الزمر:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح﴾ [هود:٣٦].

وقرأ الباقون "يوحِي" بكسر الحاء على البناء للفاعل(٢)، فيرتفع اسم الله بإسناد الفعل إليه.

وقرأتُ لعاصم من رواية أبان عنه: "نُوحِي" بالنون(٣)، فيرتفع اسم الله تعالى بالابتداء.

وما بعده إخبار، و﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان، والظرف خبر(٤).

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يَنْفَطِرْنَ من فوقهن﴾ قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: "يَنْفَطِرْنَ" بالنون وتخفيف الطاء وكسرها. وقرأ الباقون: "يَتَفَطَّرْن" بتاء مفتوحة مع تشديد الطاء وفتحها(٥).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٩)، والكشف (٢/ ٢٥٠)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٢)، والسبعة (ص:٥٨٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٧٢)، والدر المصون (٦/ ٧٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٣)، والدر المصون (٦/ ٧٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٠)، والكشف (٢/ ٢٥٠)، والنشر (٢/ ٣١٩)، والإتحاف (ص:٣٨٢-٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨٠).

وقد ذكر في آخر مريم "تكاد"(١).

والمعنى: تكاد السموات يتفطرن من عظمة الله تعالى وعلو شأنه.

واستدل الزجاج على صحة هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾، وهذا معنى قول الضحاك وجمهور المفسرين(٢).

وقيل: المعنى: يكدن يتفطرن من عظمة من فوقهن من العرش والكرسي والملائكة الصافين والحافين من حول العرش، لهم زجل التسبيح والتهليل والتقديس إلى غير ذلك، مما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من الملكوت العلوي.

وقال ابن عباس: المعنى: تكاد السموات كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين: اتخذ الله ولداً(٣)، فتكون نظيرَ الآية التي في أواخر مريم(٤).

قال الزمخشري(٥): لما جاءت كلمة الكفر من الذين تحت السموات، كان القياس [أن](٦) يقال: ينفطرن من جهتهن(٧)، أي: من الجهة التي منها جاءت الكلمة، ولكن بولغ في ذلك، فجُعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يَكَدْنَ

---

(١) عند الآية رقم: ٩٠.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٩٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣).

(٤) عند الآية رقم: ٩٠.

(٥) الكشاف (٤/ ٢١٤).

(٦) في الأصل: أ. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الكشاف: تحتهن.

ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن. هذا خلاصة ما ذكره المفسرون.

ويجوز أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿من فوقهن﴾ راجعة إلى الأرضين. وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى: ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾، وهو الذي أشار إليه الزمخشري.

قوله تعالى: ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي: يُصَلُّون. وقيل: يُنَزِّهُون الله تعالى ويُعَظِّمُونه.

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ قال ابن السائب وغيره: سببُ استغفار الملائكة لمن في الأرض: أن الملائكة لما رأت المَلَكَين[1] [اللذين اختُبرا][2] وبُعثا إلى الأرض [ليحكما بينهم][3]، فافتتنا بالزهرة -على ما حكيناه في البقرة-، فأتيا إدريس، وهو جد أبي نوح عليهما السلام فسألاه أن يدعو الله لهما، سبَّحت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت لبني آدم[4].

والذي يقتضيه البحث الصحيح: أنه من العام الذي يراد به الخصوص، وأن استغفارهم للمؤمنين خاصة، بدليل قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر:٧]، وقوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ [غافر:٧].

---

(١) أي: هاروت وماروت.

(٢) في الأصل: الذين اختيراً. والتصويب من الماوردي (٥/ ١٩٣).

(٣) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٣).

ثم إن الله تعالى قد أخبر أن الملائكة يَلْعَنون الكفار في قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾ [البقرة:١٦١] فكيف تتوارد اللعنة والاستغفار على محل واحد؟ وهذا قول الضحاك والسدي[١].

وزعم مقاتل[٢]: أن هذه الآية منسوخة بالآية المخصوصة.

وليس هذا بشيء.

وزعم ابن السائب: أن المراد باستغفارهم لمن في الأرض: سؤال الرزق لهم[٣].

وقال صاحب الكشاف[٤]: يحتمل أن يقصدوا بالاستغفار: طلب الحلم والغفران في قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ إلى أن قال: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ [فاطر:٤١]، وقوله تعالى: ﴿إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ [الرعد:٦] والمراد: الحلم عنهم، وأن لا يُعاجلهم بالانتقام، فيكون عاماً.

وهذا قول محتمل.

والتفسير الصحيح ما ذكرته لك أولاً [فاعتمد][٥] عليه، فإن كتاب الله تعالى يُصَدِّقُ بعضُه بعضاً.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: جعلوا له أنداداً يوالونهم

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٧٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٢١٤).

(٥) في الأصل: فا تعتمد.

ويعبدونهم من دون الله.

﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيبٌ عليهم على أحوالهم، وهو يتولى حسابهم وجزاءهم.

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: ما أنت يا محمد بموكل عليهم، فتقهرهم على الإيمان وتضطرهم إليه، إنما أنت رسول مبلغ.

وجمهور المفسرين قالوا: هذه الآية منسوخة بآية السيف[1]. وقد أوضحتُ لك منهج الصواب في هذه الآية وأضرابها في مواضع من كتابي، فاسلكه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ قال الزمخشري[2]: الكاف مفعول به لـ"أوحينا". و"قرآناً عربياً" حال من المفعول به، أي: [أوحيناه][3] إليك، وهو قرآن عربي بيِّن، لا لَبْسَ فيه عليك، لتفهم ما يقال لك، ولا تتجاوز حد الإنذار.

ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر "أوحينا"، أي: ومثلُ ذلك الإيحاء البيِّن

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٢١٥).

(٣) في الأصل: أوحينا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

المُفْهم أوحينا إليك قرآناً عربياً بلسانك ﴿لتنذر﴾. يقال: أنذرته كذا وأنذرته بكذا. وقد عَدَّى الأول، أعني: "لتنذر أم القرى" إلى المفعول الأول، والثاني وهو قوله تعالى: ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ إلى المفعول الثاني.

﴿أم القرى﴾ مكة، والمراد: لتنذر أهلها، ﴿ومن حولها﴾ في موضع نصب.

﴿وتنذر يوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك لاجتماع الأولين والآخرين فيه. وفيه أقوال غير ذلك ذكرتها عند قوله تعالى: ﴿لينذر يوم التلاق﴾ في حَمَ المؤمن[1].

﴿لا ريب فيه﴾ مُفسَّر في أول سورة البقرة.

ثم أخبر الله تعالى عن حال المجموعين فيه فقال: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾.

أخرج الإمام أحمد من حديث شفي الأصبحي، عن عبدالله بن عمرو قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفَّيه ومعه كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا يا رسول الله، فقال: الذي في يدي اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم، عدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون، فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة. ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم، وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في

---

(١) في سورة غافر، عند الآية رقم: ١٥.

الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون، وليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم، إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة. فقال عبدالله بن عمرو: ففيم العمل إذاً؟ فقال: اعملوا، وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، ثم قال تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾»[1].

وفي لفظ آخر: «فرغ [ربكم][2] من العباد؛ فريق في الجنة وفريق في السعير»[3].

ثم أخبر الله تعالى أن افتراقهم الموجب لتفرقهم فرقتين في الجنة والسعير بمشيئته، فقال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أي: جماعة متفقة على دين الإسلام؛ كقوله تعالى: ﴿لجمعهم على الهدى﴾ [الأنعام:٣٥].

﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ قال أنس [بن][4] مالك: في الإسلام[5].

﴿والظالمون﴾ وهم الكافرون ﴿ما لهم من ولي ولا نصير﴾.

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٤٩ ح٢١٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٧ ح٦٥٦٣).

(٢) في الأصل: ربك. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) انظر: سنن الترمذي (٤/ ٤٤٩)، ومسند أحمد (٢/ ١٦٧).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٤).

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا﴾ الهمزة للإنكار، والفاء في ﴿فالله﴾ جوابُ شرطٍ مقدرٍ، أي: إن أرادوا ولياً حقيقاً بالولاية ﴿فالله هو الولي﴾ لا ما تولوه.

وقال ابن عباس: فالله وليك يا محمد وولي من اتبعك(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ حَضٌّ لهم على إفراد الله سبحانه وتعالى بالولاية؛ لاختصاصه بالقدرة، وتخويفٌ لهم من اتخاذهم أولياء من دونه، بما يستلزم إحياء الموتى من الحساب والجزاء على الأقوال والأعمال.

قوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ أي: من شيء من أمر الدين أو من غيره ﴿فحكمه إلى الله﴾ تعالى.

قال مقاتل(٢): هو يحكم فيه.

قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربي﴾ "ذلكم": مبتدأ، "الله": عطف بيان، "ربي": نعت له، والخبر: قوله تعالى: ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل، أو نعت، أو مبتدأ خبره: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾(٤).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٤).
(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٧٣).
(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٤).
(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٤)، والدر المصون (٦/ ٧٦).

وقرئ شاذاً: "فاطرِ" بالجر[١]، على معنى: فحكمه إلى الله فاطر السموات، وما بين الصفة والموصوف اعتراض.

﴿جعل لكم﴾ أي: خلق لكم ﴿من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم من بني آدم ﴿أزواجاً﴾، قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي[٢]: يعني: نساء، ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أصنافاً، ذكوراً وإناثاً.

قال الزجاج[٣]: المعنى: خلق الذكر والأنثى من الحيوان كلّه.

وقال صاحب الكشاف[٤]: المعنى: وخلق من الأنعام أزواجاً. ومعناه: وخلق للأنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً.

ويجوز عندي أن يكون المعنى: وجعل لكم يا بني آدم أزواجاً من جنسكم، وجعل لكم أيضاً من الأنعام أزواجاً، ذكوراً وإناثاً يتناسلون لأكلكم ولركوبكم، ولغير ذلك من أنواع الانتفاع المتعلق بها. ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة:٢٩].

ولأنه لو أراد المعنى الذي ذكره صاحب الكشاف لما اقتصر على بهيمة الأنعام؛ لأن جميع الحيوانات قد خلق الله تعالى لها من أنفسها أزواجاً، بل أراد الامتنان على عباده بما خلق لهم من الأزواج من جنسهم للسكون وغيره، ومن بهيمة الأنعام للأكل والركوب وغيرهما.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٨٨)، والدر المصون (٦/ ٧٦). وهي قراءة زيد بن علي.

(٢) زاد المسير (٧/ ٢٧٥).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٢١٧).

﴿يذرؤكم﴾ قال الفراء وغيره: يُكَثِّركم. يقال: ذرأ الله تعالى الخلق: بَثَّهم وكَثَّرهم.

قال الزجاج[(١)]: يُكَثِّركم بجعْله منكم ومن الأنعام أزواجاً.

وقال السدي: يخلقكم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فيه﴾ في الأرحام. وقيل: في البطن. وقيل: في الزوج. وقيل: "فيه" بمعنى: به، أي: يذرؤكم ويُكَثِّرُكُم بما جعل لكم من الأزواج.

وقال الزمخشري[(٣)]: المعنى: يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل.

والضمير في "يذرؤكم" يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء.

فإن قلت: هلا قيل: يذرؤكم به؟

قلتُ: جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير؛ كما قال ثعلب: ليس كهو شيء، [والمثل][(٤)] زائد للتوكيد[(٥)]. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ في سورة البقرة[(٦)].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٣٩) وعزاه لابن جرير.

(٣) الكشاف (٤/ ٢١٧).

(٤) في الأصل: المثل. والتصويب من الماوردي (٥/ ١٩٥).

(٥) انظر قول ثعلب في: الماوردي (٥/ ١٩٥).

(٦) عند الآية رقم: ١٣٧.

وقال الزجاج[(١)]: هذه الكاف مؤكدة، المعنى: ليس مثله شيء، ولا يجوز أن يقال: ليس مثل مثلِهِ شيء؛ لأن من قال هذا فقد أثبت المثل لله، تعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

وقال الزمخشري[(٢)]: قالوا: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذمم، كان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر.

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿شرع لكم﴾ أي: بيّن وأوضح لكم ﴿من الدين ما وصى به نوحاً﴾.

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٥).
(٢) الكشاف (٤/ ٢١٧).

قال قتادة: من تحليل الحلال وتحريم الحرام(١).

قال الحكم: تحريم البنات والأمهات والأخوات(٢).

وقيل: التوحيد(٣).

وقال مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلا وصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإقرار لله تعالى بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم(٤). وهذا المعنى يروى عن ابن عباس.

وقيل: هو قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾. وفي هذه الآية مستدل لمن يرى أن ما لم ينسخ من شرع من قبلنا شرع لنا.

قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين﴾ في محل النصب على البدل من مفعول "شَرَعَ"، أو في موضع الرفع(٥)، كأنه قيل: ما ذلك المشروع؟ فقال: هو إقامة الدين، ونحوه: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [الأنبياء:٩٢].

﴿كبر على المشركين﴾ أي: عَظُمَ عليهم ﴿ما تدعوهم إليه﴾ من التوحيد ورفض الأنداد. ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ الضمير راجع إلى "الدين". والمعنى: الله يصطفي ويختار لدينه من شاء.

ورأيت في بعض التفاسير: أنهم الذين ولدوا في الإسلام(٦).

﴿ويهدي إليه﴾ يرشد إلى دينه ﴿من ينيب﴾ يقبل إليه من أهل الكفر.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٦).

(٤) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٠٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٧٧-٧٨).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٧) من قول الكلبي.

ثم ذمّ أهل الكتاب بكفرهم وظلمهم بعد إيمانهم وعلمهم فقال: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أن الفُرْقة ضلال وفساد.

وقيل: "من بعد ما جاءهم العلم": وهو نعت محمد ﷺ وصفته.

﴿بغياً بينهم﴾ قال الزجاج[1]: فعلوا ذلك بغياً بينهم، أي: للبغي.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهو عِدَتُهُم بتأخيرهم إلى يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ [القمر:٤٦].

﴿لقضي بينهم﴾ قضاء فصل بإنزال العذاب.

﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ﴿من بعدهم﴾ أي: من بعد الرسل.

وقيل: "الذين أورثوا الكتاب": هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد النبي ﷺ من بعد إسلامهم.

وقيل: "الذين أورثوا الكتاب": هم المشركون، والكتاب: القرآن.

"من بعدهم" أي: من بعد أهل الكتاب.

﴿لفي شك منه مريب﴾ أي: من الكتاب. وهو القرآن، على الأقوال كلها، أو التوراة، على القولين الأولين.

وقيل: لفي شك من محمد ﷺ.

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٦).

وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلذلك﴾ قال الفراء[1]: المعنى: فإلى ذلك، تقول: دعوت إلى فلان، ودعوت لفلان.

قال ابن السائب: المشار إليه: القرآن[2].

وقال مقاتل[3]: التوحيد.

والأجود في نظري: أن تكون الإشارة إلى ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين﴾.

وقال الزمخشري[4]: المعنى: فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تَشَعُّب الكفر شعباً ﴿فادع﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية، ﴿واستقم﴾ عليها وعلى الدعوة إليها ﴿كما أمرت﴾ أي: كما أمرك الله تعالى في القرآن، ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ الباطلة المختلفة.

﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ يريد: الإيمان بجميع الكتب المنزلة؛ لأن الذين تفرقوا آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض.

﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ إذا ترافعتم إليّ.

وقيل: لأعدل بينكم في تبليغ الرسالة.

﴿الله ربنا وربكم﴾ فهو يقضي بيننا وبينكم ﴿لنا أعمالنا﴾ عبادة الله ودين

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٢).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧٨).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٧٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٢٠).

الإسلام، ﴿ولكم أعمالكم﴾ طاعة الشيطان وعبادة الأصنام ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي: لا خصومة بيننا وبينكم في الدين.

فصل

ذهب أكثر المفسرين إلى نسخ ما اشتملت عليه هذه الآية من مشاهدة الكفار ومتاركتهم. وذهب جماعة من المفسرين إلى أنها محكمة، وأن المعنى: لا حجة بيننا وبينكم بعد ظهور الحق ووضوحه؛ لأن المحاجة بعد ظهور الحجة لا حاجة إليها[1].

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يحاجون في الله﴾ أي: يخاصمون في دينه.

قال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، فنحن خيرٌ منكم[2].

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٥)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال غيره: هم المشركون.

﴿من بعد ما استجيب له﴾ قال مجاهد: من بعد ما أسلم الناس(١).

وقيل: من بعد ما أقروا بالميثاق.

والأظهر عود الضمير في "له" إلى الله تعالى.

وقيل: يعود إلى النبي ﷺ.

وقيل: من بعد ما استجاب الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ دعاءه على المشركين يوم بدر.

﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ أي: باطلة زائلة، وسمى خصومتهم حُجّة؛ لاعتقادهم أنها حجة، فهي كقوله تعالى: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٧].

قوله تعالى: ﴿الله الذي أنزل﴾ إليك ﴿الكتاب﴾ يريد: القرآن، أو جنس الكتب ﴿بالحق﴾ أي: ملتبساً بالحق مقترناً، ﴿والميزان﴾ قال ابن عباس: يعني: العدل. وهذا قول قتادة وجمهور المفسرين(٢).

والمعنى: أنزل الأمر به في كتبه، وسمى العدل ميزاناً؛ لما فيه من ظهور الحق والتسوية بين الخلق.

وحُكي عن مجاهد أن المراد: الميزان الذي يوزن به(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٠)، ومجاهد (ص:٥٧٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٠).

ومعنى إنزاله: إلهام الخلق العمل به.

﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ مُفسَّر في أواخر سورة الأحزاب[١].

فإن قيل: كيف طابق ذكر اقتراب الساعة وذكر إنزال الكتاب والميزان؟

قلتُ: براهين وجوب الإيمان بالكتاب والاعتصام بالعدل قطعية، وشهود ثبوتها مقبولة عند حاكم العقل، فالمعتاد لمعظم الناس [عند][٢] الأخذ بذلك إنما هو الركون إلى الحياة الدنيا والسكون إلى شهواتها، والاغترار بزينتها، فوعظهم بقرب مجيء الساعة مُعَرِّضاً بفناء الدنيا وذهاب ما اغتروا به من شهواتها وزينتها، استمالة لهم إلى الدين المنجي من عذابها.

وقال الزمخشري في جواب هذا السؤال[٣]: الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم.

قوله تعالى: ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ أي: يجادلون ويلاجون، كأنّ كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه، أي: يستخرجه.

قال الزجاج[٤]: "يُمارُون": تدخلهم المِرْيَة والشك.

و"اللطيف": مُفسّر في الأنعام[٥].

---

(١) عند الآية رقم: ٦٣.

(٢) في الأصل: عن. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٢١).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٧).

(٥) عند الآية رقم: ١٠٣.

﴿يرزق من يشاء﴾ أي: يوسع له في الرزق؛ لأن رزقه واصل إلى جميع الخلق.

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أي: من كان يريد بعمله ثواب الآخرة ﴿نزد له في حرثه﴾ الحسنة بعشر أمثالها ونزيد.

وقيل: نزد له نشاطاً وقوة في الطاعة.

﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ قال ابن قتيبة(١): يقال: فلان يحرث للدنيا، أي: يعمل لها ويجمع المال.

﴿نؤته منها﴾ قال السدي: هو المنافق، وكان رسول الله ﷺ يعطيه سهمه من الغنيمة.

﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ لأنه عمل لغير الله.

قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء﴾ الهمزة للتقرير والتقريع، وشركاؤهم: شياطينهم

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٢).

الذين أطاعوهم في الشرك وإنكار البعث وإرادة حرث الدنيا، وهذا هو الدين الذي شرعوه لهم لم يأذن به الله.

﴿ولولا كلمة الفصل﴾ وقد سبق تفسيرها ﴿لقضي بينهم﴾ أي: بين المؤمنين والكافرين، أو بين المشركين وشركائهم.

قوله تعالى: ﴿وإن الظالمين﴾ يعني: المشركين، بدليل قوله تعالى: ﴿ترى الظالمين﴾ يعني: في الآخرة ﴿مشفقين مما كسبوا﴾ أي: خائفين مما اجترحوا من الشرك والشك والأعمال السيئة.

ثم قابل ذلك بقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون﴾ يتمنّون ﴿عند ربهم﴾ منصوب على الظرف لا [بـ"يشاؤون"][1]، ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ المنّ العظيم.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: "يَبْشُر" بفتح الياء وضم الشين، وقرأ باقي

(١) في الأصل: يشاؤون. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٢٢).

القراء العشرة من جميع طرقهم "يُبَشِّر" بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين وتشديدها[1]. فالقراءة الأولى من بَشَرَهُ يَبْشُرُه، والثانية من بَشَّرَهُ يُبَشِّرُه.

وقرأ حميد بن قيس: "يُبْشِرُ"[2]، من أَبْشَرَ، يقال: بَشَرَ وأَبْشَر وبَشَّر.

قال صاحب الكشاف[3]: والأصل: ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده، فحذف الجار، كقوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف:١٥٥]، ثم حذف الراجع إلى الموصول، كقوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده.

قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ اختلفوا في سبب نزوله على قولين:

أحدهما: أن المشركين اجتمعوا في مجمع فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟. قاله قتادة[4].

وقال ابن عباس: كانوا يؤذونه بمكة، فنزلت هذه الآية[5].

الثاني: أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده سعة، فقالت الأنصار: إن رسول الله ﷺ قد هداكم الله تعالى به وليس في يده سعة، فاجمعوا له من

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٢٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٠-٦٤١)، والنشر (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٧/ ٤٩٣)، والدر المصون (٦/ ٨٠).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

أموالكم ما لا يضركم، ففعلوا، ثم أتوه به، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس أيضاً[١].

وفي هذا الاستثناء وجهان:

أحدهما: أنه متصل، على معنى: لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم، وهذا لقريش خاصة؛ لأنه لم يكن بطن من بطونهم إلا وبينه وبينهم قرابة[٢]. وهذا المعنى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد والأكثرين[٣].

أو على معنى: إلا أن تودوا أهل قرابتي، وهو قول علي بن الحسين وسعيد بن جبير والسدي[٤].

ثم المراد بقرابته قولان:

أحدهما: أنهم فاطمة وعلي وولداهما رضي الله عنهم. روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي (٨/ ٣١٠).

(٢) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١١٤): ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٧٥)، والطبري (٢٥/ ٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٦) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٤٨) وعزاه لسعيد بن منصور عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٤٧ ح٢٦٤١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق =

القول الثاني: أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

فإن قيل: أي: المعنيين أشبه بسبب النزول؟

قلتُ: المعنى الأول أشبه بقول ابن عباس الأول وقول قتادة. والمعنى الثاني أشبه بقول ابن عباس الأخير.

الوجه الثاني: أنه استثناء منقطع، على معنى: لكن أسألكم أن تودوني لقرابتي، أو تودوا قرابتي أهل بيتي.

وقال الحسن: المعنى: إلا أن تودوا الله تعالى وتتقربوا إليه بالطاعة والعمل الصالح[(١)].

وقال ابن زيد: إلا أن تودوا لي كما تودون قرابتكم[(٢)]. هذا بالقول الثاني في سبب النزول أشبه.

وقيل[(٣)]: إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم[(٤)]. وهو بعيد.

قوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي: يكتسب حسنة، ﴿نزد له فيها حسناً﴾.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبدالوارث: "يَزِدْ" بالياء[(٥)]، وهي قراءة جماعة،

سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٦). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٤). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٢).

(٣) قوله: "وقيل" مكرر في الأصل.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٠٢) من قول عبدالله بن القاسم، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٥) حكاية عن الماوردي.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ٨٠).

منهم: ابن السميفع، وعاصم الجحدري.

وزيادة حسنها من جهة الله تعالى: مضاعفتها.

والظاهر: عمومها في أي حسنة كانت.

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾ قال: [المودة لآل][1] محمد ﷺ[2].

﴿إن الله غفور﴾ يغفر لمن تاب وأناب ﴿شكور﴾ يشكر اليسير ويجزل عليه الثواب.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ "أمْ" منقطعة، والاستفهام بمعنى التوبيخ، تقديره: بل أيقول الكفار: أفترى محمد ﷺ على الله كذباً؟

﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم[3].

وقال قتادة: "يختم على قلبك": ينسيك القرآن[4]، ويقطع عنك الوحي.

يعني: لو افترى على الله الكذب لفعل ذلك به.

وقال صاحب الكشاف[5]: المعنى: فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتى تفتري عليه الكذب، فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من

---

(١) في الأصل: المراد آل. والتصويب من الدر المنثور (٧/ ٣٤٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٤٨).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٠٣) عن مقاتل، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣) بلا نسبة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٢٦).

كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله. ومثال ذلك: أن يخون بعض الأمناء فيقول: لعل الله خذلني، لعل الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب. وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله. ثم قال[١]: ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق ﴿بكلماته﴾ بوحيه أو بقضائه، كما قال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ [الأنبياء:١٨] يعني: لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله تعالى افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه. ويجوز أن يكون عِدَةً لرسول الله ﷺ بأنه يمحو الباطل الذي هُم عليه من البهت والتكذيب، ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مردّ له من نصرتك عليهم.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ويمحو الله الباطل﴾[٢]: ليس بمردود على "يختم" فيكون جزماً، وإنما هو مستأنف، ومثله مما حذف منه الواو: ﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ [الإسراء:١١].

وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، تقديره: والله يمحو الباطل[٣].

وقال الزجاج[٤]: الوقف عليها "ويمحو" بواو. والمعنى: والله يمحو، غير أنها كتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن

(١) أي: الزمخشري في الكشاف.
(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٣).
(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٦).
(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٩).

فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ
لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ مُفسّر في سورة براءة[١].

﴿ويعلم ما يفعلون﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "تفعلون" بالتاء، على الخطاب لجميع المكلفين. وقرأ الباقون بالياء، حملاً على ما قبله من الغيبة[٢].

قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي: يستجيب لهم، فحذف اللام، كما [حذف][٣] في قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم﴾.

أو يكون المعنى: ويستجيب دعاء الذين آمنوا.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ قال: يشفعهم في إخوانهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال: يشفعهم في إخوان إخوانهم[٤].

وقيل: المعنى: ويستجيب الذين آمنوا لله بالطاعة، جعلوا الفعل للمؤمنين. وهو قول بعيد؛ لأن ما قبله وبعده خبر عن الله تعالى.

---

(١) عند الآية رقم: ١٠٤.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤١)، والكشف (٢/ ٢٥١)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨٠-٥٨١).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥١) وعزاه لابن جرير من طريق قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي.

قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمنيناها، فأنزل الله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض... الآية﴾[(١)].

والمعنى: لو وسع عليهم فيه لطغوا وتطاول بعضهم على بعض. وشاهدُ صحةِ ذلك ما عُرف وأُلف من أحوال ذوي البسطة في المال والقدرة.

وقيل: هو من البغي الذي هو بمعنى الكبر، أي: لتكبروا في الأرض وراموا العلو فيها.

قال ابن عباس: بغيُهم طلبُهم منزلة بعد منزلة، ودابة بعد دابة، ومركباً بعد مركب، وملبساً بعد ملبس[(٢)].

قال بعض السلف: لو رزق الله تعالى العباد بغير كسب لطغوا وبغوا وسعوا في الأرض فساداً، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمةً منه وامتناناً[(٣)].

﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ أي: ينزل أرزاقهم بمقدار تقتضيه حكمته وعلمه.

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ فهو يعلم ما فيه صلاحهم وفسادهم.

فإن قيل: نرى البغي موجوداً في الأرض بدون البسط في الرزق؟

قلتُ: لعمري إنه لموجود، لكنه لو بسط لهم الرزق لتضاعف البغي بتضاعفه، فكأن عدم البسط مقللاً لا مزيلاً بالكلية.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٧).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٧).

(٣) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣١٧) من قول شقيق بن إبراهيم الزاهد.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر: "يُنَزِّلُ" بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف[١]. وقد سبق ذكره.

"من بعد ما قنطوا": أيسوا منه.

﴿وينشر رحمته﴾ قال السدي: المطر[٢]. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الـذي يرسل الرياح نشراً[٣] بين يدي رحمته﴾ [الأعراف:٥٧].

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أجدبت الأرض وقنط الناس؟ قال: مطرتم إذاً، ثم قال: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾[٤]. وهذا المعنى قول عامة المفسرين.

وحكى أبو سليمان الدمشقي: أن الرحمة: الشمس بعد المطر[٥].

﴿وهو الولي الحميد﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه، الحميد المحمود على ذلك.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

---

(١) الحجة للفارسي (١/ ٣٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤١)، والكشف (١/ ٢٥٤)، والنشر (٢/ ٢١٨-٢١٩)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:١٦٤-١٦٦).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٩).

(٣) وقراءة حفص: ﴿بشراً﴾.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿وما بث فيهما من دابة﴾ يجوز أن يكون محمولاً على المضاف فيكون مرفوعاً، أو المضاف إليه فيكون مجروراً.

فإن قيل: الدواب في الأرض فكيف قال: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما﴾؟

قلتُ: هو مثل قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن:٢٢] وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح، وسِرُّ ذلك: أن الشيء يجوز أن ينسب إلى جملته هو ملتبس [ببعضها][(١)]، كقوله عليه الصلاة والسلام: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل»[(٢)]، ومعلوم أن خزاعة لم يتمالؤوا على قتل الهذلي، وإنما قتله بعضهم.

ومثله قول بعض بني هاشم:

وعند غني قطرة من دمائنا   وفي أسد أخرى تعدّ وتذكر[(٣)]

وقال بعض أهل العلم: يجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران، فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسي. ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في السموات حيواناً يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض[(٤)].

﴿وهو على جمعهم﴾ بعد تمزقهم وتمزق أشعارهم وأبشارهم ﴿إذا يشاء قدير﴾.

---

(١) في الأصل: بعضها. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ١٧٢ ح٤٥٠٤).

(٣) البيت لابن أبي عقب الليثي، وهو في: تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٢، ٤٦٦).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٩).

قال الزمخشري[١]: "إذا" تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي، قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل:١]، ومنه: ﴿إذا يشاء﴾، وقال الشاعر:

وإذا ما أشاء أبعث منها آخر الليل ناشطاً [مذعورا][٢]

قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ قرأ نافع وابن عامر: "بما كسبت" بغير فاء، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون "فبما كسبت" بالفاء، وكذلك هي في سائر المصاحف[٣].

قال الزجاج[٤]: وهي أجود.

قال أبو علي[٥]: اعلم أن "ما" من قوله: ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون شرطاً، ويكون قوله تعالى: ﴿أصابكم﴾ في موضع جزم بالشرط، فمن قدرها هذا التقدير لم يجز عنده حذف الفاء من قوله تعالى: ﴿فبما كسبت﴾ على قول سيبويه، وغيره يجيز ذلك، ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام:١٢١].

والآخر: أن يكون "ما" بمعنى: الذي، ويكون "أصابكم" صلة "ما". فمن قدر

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٢٩).

(٢) في الأصل: مذاعورا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

والبيت لكعب بن زهير، وهو في: القرطبي (١/ ٢٠١، ٥/ ٢٩١)، وروح المعاني (٢٥/ ٤٠).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٢-٣٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٢)، والكشف (٢/ ٢٥١)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨١).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٩٩).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٣).

"ما" هذا التقدير فإثبات الفاء وحذفها جائزان على معنيين مختلفين، أما إذا ثبتت الفاء ففي إثباتها دليل على أن الأمر الثاني وجب بالأول، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ [البقرة:٢٧٤]، ثم قال تعالى: ﴿فلهم أجرهم﴾ [البقرة:٢٧٤] فثبات الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما [هو][١] من أجل الإنفاق، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل:٥٣]، وإذا لم تذكر الفاء جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره.

قال[٢]: والأولى إذا كان جزاءً غير جازم -يعني: أن تكون "ما" بمعنى: الذي- أن تثبت الفاء؛ كقوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ [النساء:٧٩].

واختلفت أقوال المفسرين في معنى الآية، فقال الحسن البصري: وما أصابكم من الحدود على المعاصي فبما كسبت أيديكم[٣].

وقال غيره: المعنى ما أصاب المؤمن من مكروه في نفس أو مال أو ولد أو غيره فبما كسبت يده من الذنوب.

قال مرة الهمداني: رأيتُ على كف شريح قرحة فقلت: يا أبا أميّة ما هذا؟ قال: بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير[٤].

وقال أحمد بن أبي الحواري: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٣٦٣).

(٢) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣٢-٣٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣٢٠).

اللوم عمن أساء إليهم؟ قال: لأنهم علموا أن ما ابتلاهم الله تعالى به بذنوبهم. قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾(١).

وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليبلغه إياها إلا بها(٢).

فإن قيل: ما بال الطفل والمجنون يصابان ولا ذنب لهما؟

قلتُ: لما ذكرته آنفاً، وهو في حقهما لرفع درجتهما إن كانا من أهل السعادة، كما يمتحن النبي والولي.

فإن قيل: يجوز أن تكون الآية متناولة للكافر أيضاً؟

قلتُ: نعم، ويكون ما أصابه في الدنيا من البلاء من جملة ما يعذب به.

فإن قيل: على هذا فما نصنع بقوله تعالى: ﴿ويعفو عن كثير﴾؟

قلتُ: يكون مخصوصاً بالمؤمنين، أو يكون على عمومه في حق الناس، صالحهم وطالحهم، وغير ممتنع عقلاً وشرعاً أن يتجاوز الله تعالى عن بعض ذنوبه، فلا يعذبه عليها.

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ
عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ
وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾

(١) أخرجه الثعلبي (٨/ ٣٢٠).

(٢) ذكره الثعلبي، الموضع السابق.

وما بعده مُفسّر إلى قوله: ﴿ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام﴾ أي: ومن عجائب مخلوقاته الجواري.

أثبت الياء في الحالين: ابن كثير ويعقوب، ووافقهما في الوصل: نافع وأبو جعفر وأبو عمرو، وحذفها باقي العشرة في الحالين(١). وقد أشرنا إلى علة ذلك فيما مضى.

والمراد بالجواري: السُّفُن، واحدتها: جارية، وهي السائرة في البحر.

"كالأعلام": وهي الجبال، واحدها: عَلَم.

قال الخليل: كل موضع مرتفع عند العرب فهو عَلَم.

قالت الخنساء:

وإنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهداةُ به كأنهُ عَلَمٌ في رأسه نَارُ(٢)

﴿إن يشأ يسكن الريح﴾ يريد: جنس الرياح.

وفي قراءة أبي جعفر ونافع: "الرياح" على الجمع(٣).

﴿فيظللن﴾ يعني: الجواري ﴿رواكد﴾ ثوابت ﴿على ظهره﴾ أي: على ظهر البحر واقفات لا يجرين.

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على البلاء ﴿شكور﴾ على النعماء.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٢)، والكشف (٢/ ٢٥٤)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨١).

(٢) البيت للخنساء. انظر: ديوانها (ص:٤٩)، والقرطبي (١٦/ ٣٢)، والبحر (٧/ ٤٩٧)، والدر المصون (٦/ ٨٢)، وروح المعاني (٢٢/ ٢٢٦، ٢٥/ ٤٢).

(٣) الحجة للفارسي (١/ ٣٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:١١٨-١١٩)، والكشف (١/ ٢٧٠)، والنشر (٢/ ٢٢٣)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:١٧٣).

﴿أو يوبقهن﴾ يهلكهن ﴿بما كسبوا﴾ بسبب ما كسبوا من الذنوب ﴿ويعف عن كثير﴾.

قوله تعالى: ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ قرأ نافع وابن عامر: "ويعلمُ" بالرفع. وقرأ الباقون بالنصب[١].

فمن رفع؛ فعلى الاستئناف حيث كان بعد الجزاء، وإن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف.

ومن نصب؛ قال الزمخشري[٢]: عطف على تعليل محذوف، تقديره: ولينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه قوله تعالى: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ [مريم:٢١].

وقال مكي رحمه الله[٣]: من نصب فعلى الصرف. ومعنى الصرف: أنه لما كان قبله شرط وجواب، وعطف "ويعْلَمَ" عليه لا يحسن في المعنى؛ لأن علم الله تعالى واجب، وما قبله غير واجب، فلم يحسن الجزم في "يعلم" على العطف على الشرط وجوابه، لأنه يصير المعنى: وإن يشأ يعلم، فلما امتنع العطف عليه على لفظه، عطف على مصدره، والمصدر اسم، فلم يمكن عطف فعل على اسم، فأضمر "أن" ليكون مع الفعل اسماً، فيعطف اسماً على اسم، فانتصب الفعل بـ"أن" المضمرة، فالعطف مصروف عن لفظ الشرط إلى معناه، فلذلك قيل: نُصِبَ على الظرف،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٣-٣٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٣)، والكشف (٢/ ٢٥١)، والنشر (٢/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٣٨٣)، والسبعة (ص:٥٨١).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٣٢).

(٣) الكشف (٢/ ٢٥٢).

وعلى هذا أجازوا: إن تأتني وتعطيَني أُكرمْك، فنصبوا "تعطيني" على الصرف؛ لأنه صرف عن العطف على "تأتني"، فعطف على مصدره، فأضمرت "أن" لتكون مع الفعل مصدراً، فيعطف اسم على اسم، ولو عطف على "تأتني" كان المعنى: إن تأتني وإن تعطي أكرمك. فبوقوع أحد الفعلين يقع الإكرام إذا جزمت، وعطفتَ على لفظ "تأتني"، ولم يرد المتكلم هذا، إنما أراد: إذا اجتمع الأمران منكَ وقع مني الإكرام، فالتقدير: إن يكن منك إتيان وإعطاء أكرمك.

ومعنى الآية: ويعلم الذين يجادلون في آيتنا ويخاصمون فيها بالباطل عند إحاطة الهلاك والغرق بهم.

وقيل: يعلمون بعد البعث.

﴿ما لهم من محيص﴾ أي: مهرب ومَعْدِل.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "كَبِيرَ الإثم"[1]، أي: عظيمه. والمراد: الجمع.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٣)، والكشف (٢/ ٢٥٣)، والنشر (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٣-٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨١).

وقد ذكرنا الكبائر في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء:٣١]، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وكذلك ما بعده.

﴿والفواحش﴾ الذنوب المفرطة في القبح، ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ أي: هم الأجدرون بأن يغفروا حالة الغضب ويكظموا على ما في أنفسهم، رغبة في الثواب ورهبة من العقاب.

وقد ذكرنا في سورة آل عمران[١] وأواخر الأعراف[٢] طرفاً من الأخبار والآثار الواردة في فضل الكظم والعفو والتجاوز عند الغضب.

قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه فيما دعاهم إليه، ﴿وأقاموا الصلاة﴾ مُفسّر في أول سورة البقرة.

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أي: لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه. فأثنى الله تعالى عليهم بذلك.

قال الحسن: ما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشد أمرهم[٣].

وقد أشرنا إلى فضيلة المشاورة في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران:١٥٩].

والشورى مصدر بمعنى التشاور.

---

(١) عند تفسير الآية رقم: ١٣٤.

(٢) عند تفسير الآية رقم: ١٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص:١٠٠). وذكره الماوردي (٥/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧) وعزاه لعبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن المنذر.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أي: ذو شورى.

قال علي عليه السلام: اجتمع لأبي بكر مال مرة، فتصدق به كله في سبيل الله [والخير][(١)]، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون، فأنزل الله تعالى: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾[(٢)] إلى قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[(٣)]. خص به أبا بكر وعمَّ به من اتبعه.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ قال ابن جريج: إذا بغى المشركون عليهم انتصروا بالسيف منهم[(٤)].

وقال زيد بن أسلم: كان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين بمكة، فرقة منهم كانت تؤذى فتعفو عن المشركين، وفرقة كانت تؤذى فتنتصر، فأثنى الله تعالى عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ وقال في المنتصرين: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾[(٥)].

وقال في رواية أخرى عنه: ذكر الله تعالى المهاجرين وكانوا[(٦)] صنفين، صنفاً عفى[(٧)]، وصنفاً انتصر فقال: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ فبدأ بهم، وقال [في

---

(١) في الأصل: لخير. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٣٣).

(٢) في الأصل زيادة قوله: وزينتها. وهو خطأ.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٣٢-٢٣٣)، والقرطبي (١٦/ ٣٦).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٨) وعزاه لابن المنذر.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩١).

(٦) في الأصل زيادة قوله: "له". وانظر النص في: زاد المسير (٧/ ٢٩١).

(٧) في الأصل زيادة قوله: "الله تعالى عنهم" وهو وهم. انظر: الطبري (٢٥/ ٣٧)، وزاد المسير (٧/ ٢٩١).

المنتصرين: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ وقال][1]: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ إلى قوله: ﴿ينفقون﴾ وهم الأنصار، ثم ذكر الصنف الثالث فقال: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ من المشركين[2].

وقيل: إنها عامة في جميع الناس.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يُستذلوا، فإذا قدروا عفوا[3].

فإن قيل: هل يحمدون على الانتصار؟

قلتُ: نعم إذا لم يكن المنتصر متعدياً فيه؛ لأنه إذا تجرأ في الانتصار فَجَانَبَ ما لا يسيغه الشارع له، وفَعَلَ ما يبيحه له كان مطيعاً لله تعالى، ألا ترى أن مجتنب المعاصي ممدوح محمود في الآية السالفة، وهي قوله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾.

فإن قيل: فكيف يجمع بين هذه الآية الدالة على كونهم محمودين وبين الآيات المشتملة على فضيلة العفو؟

قلتُ: لا تناقض بين الحالتين، فإن المنتصر على الوجه المشروع محمود على الوجه الذي ذكرناه، والعافي له رتبة الفضيلة، حيث أغضى عن حقه وكظم على ما في نفسه ابتغاء وجه الله تعالى، وصار هذا بمنزلة من استحق دَمَ إنسان قصاصاً، فإنه إن طالب القصاص على الوجه المشروع أو الدية على الوجه المقدر في الشرع

---

(١) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٩١-٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩١-٢٩٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٧٩). وذكره البخاري تعليقاً (٢/ ٨٦٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٥٧) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

كان محسناً باعتبار اقتفائه أثر الشرع، وإن عفى كان أجمل وأفضل.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ مثل قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ [البقرة:١٩٤]. وقد سبق الكلام عليه.

قال مجاهد والسدي: إذا قال له كلمة أجابه بمثلها من غير أن يتعدّى[(١)].

وقال مقاتل[(٢)]: هذا في القصاص في الجراحات والدماء.

ثم رغب في العفو فقال: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ تعالى.

قال الحسن: إذا كان يوم القيامة ينادي مُنادٍ: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا[(٣)].

﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ الذين يبدؤون بالظلم.

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ هذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول. ويفسره

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٥٩) وعزاه لابن جرير.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٨٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩٣)، والسيوطي نحوه في الدر (٧/ ٣٥٩) وعزاه لابن مردويه.

قراءة من قرأ: "بعد[١] ما ظُلِمَ"[٢].

﴿فأولئك﴾ إشارة إلى معنى "من" دون لفظها ﴿ما عليهم من سبيل﴾ بعقاب ولا عاب ولا عتاب.

﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ يبتدؤونهم بالظلم، ﴿ويبغون في الأرض﴾ بالفساد والتكبر ﴿بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾.

﴿ولمن صبر وغفر﴾ أي: صبر على الظلم، وغفر فلم ينتصر ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ مُفسّر في آل عمران[٣].

ويروى: أن رجلاً سَبَّ رجلاً في مجلس الحسن البصري، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله [وفهمها][٤] إذ ضيّعها الجاهلون[٥].

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ

(١) في الأصل زيادة قوله: من. وانظر النص في: المصادر التالية.
(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٧/ ٥٠٠)، والدر المصون (٦/ ٨٦).
(٣) عند الآية رقم: ١٨٦.
(٤) زيادة من القرطبي (١٦/ ٤٤).
(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٤٤).

فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده﴾ أي: ما له من ولي بعد الله يتولى هدايته، أو منعه من الله تعالى.

﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ في الدار الآخرة ﴿يقولون هل إلى مردّ من سبيل﴾ مرجع إلى الدنيا لنصلح ما أفسدنا.

﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي: على النار، ودلّ عليها ذكر العذاب من قبل.

﴿خاشعين﴾ خاضعين متواضعين ﴿من الذل﴾. وبعض القُرّاء يقف على: "خاشعين"، ويبتدئ: ﴿من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ فيجعل "من الذل" متعلقاً بـ"ينظرون".

قال الأخفش (١): الطَّرْفُ: العين.

قال ابن عباس: "من طرف خفي": أي: ذليل (٢).

وقال قتادة: يسارقون النظر (٣).

وقال أبو عبيدة (٤): ينظرون ببعض العين.

ويروى: أنهم يحشرون عُمْياً فلا ينظرون إلى النار إلا بقلوبهم، وهو النظر من

---

(١) معاني الأخفش (ص:٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٤٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦١) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٠١).

طرف خفي[١].

وفيه بُعْدٌ.

وكان يونس يقول: "مِنْ" بمعنى الباء، [مجازه][٢]: بطرف خفي[٣].

قوله تعالى: ﴿يوم القيامة﴾ إن تعلق بـ"خسروا"؛ كان المعنى: وقال الذين آمنوا في الدنيا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

وإن تعلق بـ"قال"؛ كان المعنى: وقال الذين آمنوا يوم القيامة إذا رأوا المشركين على الصفة الفظيعة والحال الشنيعة: إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم.

ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله﴾ أي: استجيبوا له [بالتوحيد][٤] والطاعة.

وقوله: ﴿من الله﴾ "مِنْ" صلة "لا مردّ"، على معنى: لا يرده الله بعد ما حكم به، أو "مِنْ" صلة "يأتي"، أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على ردِّه.

---

(١) ذكره الطبري (٢٥/ ٤٢)، والماوردي (٥/ ٢١٠).

(٢) في الأصل: محازة.

(٣) انظر: القرطبي (١٦/ ٤٦).

(٤) في الأصل: التوحيد.

﴿ما لكم من ملجأ يومئذ﴾ تلجؤون إليه ﴿وما لكم من نكير﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من منكر ينكر ويغيِّر ما بكم. قاله ابن السائب[١].

الثاني: ما لكم من إنكار، أي: لا تقدرون أن تنكروا شيئاً. قاله جماعة، منهم الزجاج[٢].

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ سبق تفسيره[٣].

﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ منسوخ بآية القتال عند أكثر المفسرين[٤].

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾[٥] هو اسم جنس.

قال المفسرون: يريد: الكافر.

﴿منا رحمة﴾ نعمة من صحة وغنى وغيرهما، ﴿فرح بها﴾ أعجب بها غير شاكر ولا ذاكر.

﴿وإن تصبهم سيئة﴾ بلاء من مرض وفقر وغيرهما ﴿فإن الإنسان كفور﴾ بالله ونعمه.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٠٢).

(٣) في سورة النساء، آية رقم: ٨٠.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

(٥) في الأصل زيادة قوله: رحمة هم.

قوله تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ خزائنها وما فيهما، فهو يتصرف كيف يشاء، ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ كما وهب للوط وشعيب عليهما السلام، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ كإبراهيم ويعقوب.

﴿أو يزوجهم﴾ يقرنهم ﴿ذكراناً وإناثاً﴾ كما وهب لمحمد ﷺ.

وقال مجاهد وجمهور المفسرين: هو أن تلد المرأة غلاماً ثم جارية، ثم غلاماً ثم جارية[١].

وقال محمد بن الحنفية: أن تلد المرأة توأمين ذكراً وأنثى[٢].

﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ لا يولد له؛ كيحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم عليهما السلام.

وهذه الأقسام موجودة في جميع الناس، وإنما ذكرنا الأنبياء عليهم السلام تمثيلاً.

﴿إنه عليم﴾ بمصالح العباد وما يصلح لكل واحد منهم من الأولاد ﴿قدير﴾ على ما يصلحهم.

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: لم قدم الإناث أولاً على الذكور مع تقدمهم عليهنّ، ثم رجع فقدمهم، ولم عرّف الذكور بعدما نكّر الإناث؟

قلتُ: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لأن

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٧٧)، والطبري (٢٥/ ٤٤). وذكره الماوردي (٥/ ٢١١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢١١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٣٦-٢٣٧).

سياق الكلام أنه فاعل ما [يشاؤه][1] لا [ما][2] يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهمّ، والأهمّ واجب التقديم، وليَلي الجنس الذي كانت العرب [تَعُدُّهُ][3] بلاءً ذكر البلاء، فلما أخَّرهم لذلك تدارك تأخيرهم، وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن، لكن لمقتضى آخر.

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً [صادقاً][4] كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم: لم

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: بعده. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الماوردي (٥/ ٢١٢)، وزاد المسير (٧/ ٢٩٧).

ينظر موسى إلى الله، ونزلت هذه الآية[(١)].

ومعنى الآية: ما صلح لبشر ﴿أن يكلمه الله﴾ إلا على أحد أوجه ثلاثة:

﴿إلا وحياً﴾ في المنام، أو بطريق الإلهام، كما أوحى إلى إبراهيم في ذبح ولده، وإلى أم موسى بما قذف في قلبها، ومنه قول عبيد بن الأبرص:

وأَوْحَى إليَّ اللهُ أنْ قَدْ تَأَمَّرُوا   بإبل أبي أوفى فَقُمْتُ عَلَى رِجْلِ[(٢)]

أي: ألهمني وقذف في قلبي.

﴿أو من وراء حجاب﴾ وهو أن يسمع كلامه ولا يراه، كما كَلَّمَ الله تعالى موسى. وهذا الوجه الثاني.

﴿أو يرسل رسولاً﴾ من ملائكته، إما جبريل أو غيره إلى من اختصه بالنبوة واختاره للرسالة، وجبريل أمين الوحي، وهو صاحبه الملازم له. وهذا الوجه الثالث.

قرأ نافع: "أو يرسلُ" بالرفع، ﴿فيوحيْ﴾ بسكون الياء، على الاستئناف والقطع مما قبله، أو على إضمار مبتدأ، تقديره: وهو يرسل.

وقال أبو علي[(٣)]: "يرسل" فعل مضارع قد وقع موقع الحال، والتقدير: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو إرسالاً، "فإرسالاً" معطوف على "وحياً" الذي هو مصدر في موضع الحال.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩٧).

(٢) البيت في: البحر المحيط (٧/ ٥٠٣)، وروح المعاني (٢٥/ ٥٤)، والكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٦-٣٦٨).

وقرأ الباقون "يرسلَ"، "فيوحيَ" بالنصب فيهما[(١)]، حملاً على معنى المصدر؛ لأن قوله: "إلا وحياً" معناه: إلا أن يوحي، فيعطف "أو يرسل" على أن يوحي.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون معطوفاً على "أن يكلمه الله"؟

قلتُ: كلا؛ لأن معناه على هذا التقدير: وما كان لبشر أن يرسل رسولاً، أو أن يرسله الله رسولاً. والمعنيان فاسدان.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرسل أوحينا إليك روحاً، وهو القرآن، وسائر ما أوحيناه إليه سمي روحاً؛ لأنه حياة القلوب.

قال مقاتل[(٢)]: وحياً بأمرنا.

﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ قال ابن قتيبة ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وأكثر المحققين[(٣)]: ما كنت تدري ما القرآن وشرائع الإيمان، فإن شرائع الإيمان تسمى إيماناً. قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣] يريد: صلاتكم.

ولا بد من هذا التقدير، فإن النبي ﷺ لم يشرك بالله طرفة عين، ولا جهلَ التوحيد.

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه: من زعم أن النبي ﷺ كان

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٤)، والكشف (٢/ ٢٥٣)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٨٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٩٨).

على دين قومه فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النُّصُب[١].

﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي﴾ يريد: الكتاب والإيمان.

﴿وإنك لتهدي﴾ أي: [إنك لترشد][٢] وتدعو ﴿إلى صراط مستقيم﴾.

قوله تعالى: ﴿صراط الله﴾ بدل من الأول[٣].

وقد فَسَّرنا ﴿الصراط المستقيم﴾ في الفاتحة[٤].

قوله تعالى: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ إيذان بالبعث وتنبيه على الجزاء. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: السنة للخلال (١/ ١٩٥-١٩٦)، وزاد المسير (٧/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: إن سد. ولعل الصواب ما أثبتناه. وانظر: القرطبي (١٦/ ٦٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٦)، والدر المصون (٦/ ٨٩).

(٤) الآية:٦.

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع وثمانون آية في العدد المدني والكوفي[(١)]، ومكية بإجماعهم[(٢)].

واستثنى مقاتل منها آية واحدة فقال: هي مدنية وهي: ﴿واسأل من أرسلنا... الآية﴾[(٣)].

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿حم * والكتاب المبين﴾ سبق تفسير "حم" في أول آل حم، وتفسير "الكتاب المبين" في أول سورة يوسف.

وهذا قسمٌ جوابه: ﴿إنا جعلناه﴾.

قال مجاهد: أوحيناه[(٤)].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٣).

(٢) قال السيوطي في الدر (٧/ ٣٦٥): أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة سورة "حم" الزخرف.

(٣) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٠١)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٤) انظر قول مجاهد في: الماوردي (٥/ ٢١٥)، ولفظه: "قلناه"، بدل: "أوحيناه".

وقال السدي: أنزلناه[١] ﴿قرآناً عربياً﴾.

وقيل: صَيَّرناه، ولذلك تعدى إلى مفعولين.

فإن قيل: إنما يُقْسَمُ على الشيء إذا كان في مظنة الخفاء، وكون هذا القرآن عربياً لا يفتقر في تقريره وتحقيقه إلى قَسَم؛ لأنه لا ينكر؟

قلتُ: لم يقسم على كون القرآن عربياً فقط، إنما أقسم على كونه قرآناً، ثم وصفه بكونه عربياً امتناناً عليهم بإنزاله بلسانهم، إرادةَ أن يعقلوه ويفهموه، ألا تراه أتبع ذلك بقوله: ﴿وإنه﴾ يعني: القرآن.

وقال ابن جريج: ما يكون من الخلق من طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر[٢].

والأول أصح[٣].

﴿في أم الكتاب﴾ أي: في أصله، وهو اللوح المحفوظ، كما قال في موضع آخر: ﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

﴿لدينا﴾ أي: عندنا ﴿لعلي﴾ رفيع الشأن ﴿حكيم﴾ محكم بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، أو حكيم ذو حكمة وبلاغة.

قوله تعالى: ﴿أفنضرب عنكم الذِّكْر صفحاً﴾ قال ابن قتيبة[٤]: أفنمسك عنكم، فلا نذكركم؟

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) ورجحه غير واحد من المفسرين؛ كالطبري (٢٥/ ٤٨) وغيره.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٥).

"صفحاً": أي إعراضاً. يقال: صَفَحْتُ عن فلان؛ إذا أعرضت عنه[١].

والأصل في ذلك: أن تُولِّيَه صفحة عنقك. قال كُثيِّر يصف امرأة:

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إلا بَخِيلةً   فمنْ مَلَّ منْها ذلكَ الوصلَ مَلَّتِ[٢]

أي: معرضة بوجهها، يقال: ضربت عن فلان كذا؛ إذا أمسكته، وأضربت عنه[٣].

وقال الزمخشري[٤]: الفاء للعطف على محذوف، تقديره: [أنُهْمِلُكُم][٥] فنضربَ عنكم الذكر إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما تقدم. و"صَفْحاً" مصدر، من صفح عنه: إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له، على معنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به، إعراضاً عنكم؟.

قرأ نافع وحمزة والكسائي: "إن كنتم قوماً مسرفين" بكسر الهمزة، وفتحها الباقون[٦].

وقال أبو علي[٧]: من كسر الألف جعل "إنْ" شرطاً، واستُغْنِيَ عن جوابه بما

---

(١) انظر: اللسان (مادة: صفح).

(٢) البيت لكثير، وهو في: اللسان (مادة: صفح)، والقرطبي (١٦/ ٦٣)، وزاد المسير (٧/ ٣٠٢)، والبحر (٨/ ٧).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ضرب).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٤١).

(٥) في الأصل: أنمهلكم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٤)، والكشف (٢/ ٢٥٥)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨٤).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٩).

تقدَّمه، ومن فتحها فالمعنى: لأن كنتم، فموضع "أنْ" نصب على أنه مفعول له.

قال قتادة: المعنى: أفنمسك عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون[1]؟.

قوله تعالى: ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ يشير إلى كثرة الرسل قبل محمد ﷺ.

﴿وما يأتيهم﴾ حكاية حال ماضية، على معنى: وما كان يأتيهم ﴿من نبي إلا كانوا به يستهزؤون﴾. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ.

ثم خَوَّفَ كفار قريش فقال: ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً﴾ قوة ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أي: سبق وصفُ عقابهم فيما أنزلناه عليك.

وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستَقَعُ بينهم المشابهة في الإهلاك.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً
مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ
رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا
لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

(١) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٢٨)، من قول قتادة وابن زيد.

ثم أبان عن جهل كفار قريش، حين أقروا بأن العزيز العليم خالق السموات والأرض، وهم مع ذلك يعبدون الحجارة، فقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم.. الآية﴾.

والتي تليها مُفسّرة في سورة طه[١].

والمعنى: لعلكم تهتدون بالسبل في طرقكم وأسفاركم، أو: لعلكم تهتدون إلى معرفة المُنْعِم عليكم. وهو قول سعيد بن جبير[٢].

وقيل: لعلكم تهتدون إلى معايشكم[٣].

﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ مُفسّر في سورة الحجر[٤].

قال ابن عباس: يريد أنه ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قَدَر فأغرقهم، بل هو بقَدَر ليكون نافعاً[٥].

﴿فأنشرنا﴾ أحيينا ﴿به بلدة ميتاً﴾، ﴿كذلك تُخْرَجُون﴾ مُفسّر فيما مضى.

قرأ حمزة والكسائي وابن عامر بخلاف عنه: ["تَخرُجُون"][٦] بفتح [التاء][٧] وضم الراء، وقرأ الباقون بالعكس من ذلك[٨].

---

(١) عند الآية رقم: ٥٣.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) عند الآية رقم: ٢١.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٠٤).

(٦) في الأصل: يخرجون. والتصويب من مصادر التخريج.

(٧) في الأصل: الياء. والتصويب من المصادر التالية.

(٨) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٥-٦٤٦)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والنشر (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٤)، والسبعة (ص:٥٨٤).

قوله تعالى: ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني: أصناف الحيوان من ذكر وأنثى.

وقال سعيد بن جبير: يعني: الأصناف كلها[١].

قال الحسن البصري: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والشمس والقمر، والجنة والنار[٢].

﴿وجعل لكم من الفلك﴾ وهي السفن ﴿والأنعام﴾ يريد: الإبل ﴿ما تركبون﴾ أي: تركبونه.

﴿لتستووا على ظهوره﴾ قال أبو عبيدة[٣]: هاء التذكير في "ظهوره" لـ: "ما".

قال الزمخشري[٤]: على ظهور ما تركبون، وهو الفُلْكُ والأنعام.

﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾ بالتسخير والتيسير ﴿إذا استويتم عليه وتقولوا﴾ ذِكْراً وشُكْراً: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: مطيقين[٥].

قال ابن قتيبة وغيره[٦]: يقال: أنا مُقْرِن لك؛ أي: مطيق لك، ويقال: هو من قولهم: أنا قِرْن لفلان؛ إذا كنت مثله في الشدة، فإذا قلت: أنا قَرْن فلان -بفتح

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢١٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٤) الكشاف (٤/ ٢٤٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٥).

القاف-، فمعناه أن تكون مثله في السنّ. قال ابن هَرْمَة:

وأقْرَنْتُ ما حَمَّلتني ولَقَلَّما يُطاقُ احتمالُ الصَّدِّ يا دَعْدُ والهَجْرِ[1]

﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أي: راجعون في الآخرة.

سَنَّ الله تعالى لراكب الفُلْكِ والإبل قولَ هذا، بعد ذكر النعمة وشكرها، وتنزيه المنعم بها، والاعتراف بالعجز عن الاستيلاء عليها، لولا تسخيره جَلّت عظمته؛ لأنها حالة لا يؤمن فيها التلف، خصوصاً راكب البحر.

ولقد قيل لبعضهم بعد خروجه من البحر: ما أعجب ما رأيت فيه؟ قال: سلامتي.

فينبغي للمتلبس بهذه الحالة استذكار الآخرة والاستعداد لها، فليجتلب ما ينجيه؛ من طاعة الله، ويجتنب ما يرديه من معصيته، ولا يتخذ ذلك مقراً لفسقه ولهوه، كعادة أكثر ملوك زماننا وأتباعهم وأضرابهم، يشربون الخمور، وتضرب لهم القيان بالمعازف على صهوات الخيل، وفي البحور، لا يرجون لله تعالى وقاراً، ولا يعرفون نعم الله عليهم، ولا يخشون هجوم الموت وهم في مثل هذه الحالة، التي هلك بسببها خلق كثير، ما ذاك إلا استيلاء الغفلة على قلوبهم، وقلة المبالاة بأمر آخرتهم.

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده، ومسلم في صحيحه -واللفظ للإمام- من رواية عبدالله بن عمر: «أن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته -يعني: للسفر- كَبَّر ثلاثاً، ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا

(١) البيت لابن هرمة، وهو في: البحر (٨/ ٩)، والدر المصون (٦/ ٩٣)، وروح المعاني (٢٥/ ٦٩)، والكشاف (٤/ ٢٤٤).

إلى ربنا لمنقلبون﴾، ثم يقول: اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا السفر، واطْوِ لنا البعيد، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا.

وكان إذا رجع إلى أهله قال: آيبون تائبون إن شاء الله، عابدون لربنا حامدون»[١].

وفي بعض الألفاظ: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في الأهل والمال»[٢].

وروى علي عليه السلام: «أن النبي ﷺ كان إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وكبر ثلاثاً، وهلَّل ثلاثاً»[٣].

قال قتادة: في هذه الآية تعليمكم، تقولون إذا ركبتم في الفُلك: ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾، وإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾، وإذا نزلتم من الفلك والأنعام تقولون: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين[٤].

ويروى: «أن الحسين بن علي رضي الله عنهما رأى رجلاً ركب دابة فقال: سبحان الذي سخر لنا هذا، فقال: أبهذا أمرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟ قال: أن تذكروا

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٩٧٨ ح١٣٤٢)، وأحمد (٢/ ١٤٤ ح٦٣١١).

(٢) أخرجه مسلم، الموضع السابق، وأحمد (٢/ ١٥٠ ح٦٣٧٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤ ح٢٦٠٢)، والترمذي (٥/ ٥٠١ ح٣٤٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٤).

نعمة ربكم إذا استويتم عليه، وكان قد أغفل حمد الله فنبهه عليه))[(١)].

وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون خلقهن العزيز العليم﴾ المعنى: وجعلوا له مع اعترافهم أنه الخالق الفاعل لما عدّدوه من نعمه عليهم من عباده، يريد: الملائكة [جزءاً][(٢)]، أي: بعضاً له، وهو قولهم: الملائكة بنات الله.

قال الزجاج[(٣)]: وقد أنشدني بعض أهل اللغة بيتاً يدل على أن معنى "جزء" معنى الإناث، ولا أدري البيت قديم أم موضوع[(٤)]، أنشدني[(٥)]:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٤) عن أبي مجلز أن الحسن بن علي...، وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٦٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبي مجلز قال: رأى حسين بن علي...

(٢) في الأصل: جزاءاً.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٤) في زاد المسير واللسان: مصنوع.

(٥) نقل صاحب اللسان (مادة: جزأ) كلام الزجاج هذا وزاد: والمعنى في قوله: ﴿وجعلوا له من عباده =

إنْ أجْزَأتْ حرةٌ يوماً فلا عَجَبٌ قد تُجزئُ الحرَّةُ المذكارُ أحيانا[1]

أي: [إن][2] أنثت: ولدت أنثى.

قال الزمخشري[3]: ومن بدع التفاسير: أن الجزء في لغة العرب: اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً، وأنشد:

إن أجزأتْ ....

قوله تعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين﴾ "أمْ" منقطعة، تقديره: بل اتخذوا، الهمزة للإنكار؛ تجهيلاً لهم وتعجيباً من شأنهم، حيث جعلوا لله من عباده جزءاً.

ثم لم يقنعوا بذلك حتى جعلوا له الأخس وهو الإناث، [وأصفاهم][4] بالأخص وهم الذكور.

= جزءاً﴾، أي: جعلوا نصيب الله من الولد: الإناث، ثم قال: ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، وأنشد أبو حنيفة:

زوَّجْتُها من بناتِ الأوسِ مُجْزِئَةً للعوْسَجِ اللدْنِ في أبياتِها زَجَلُ

يعني: امرأة غزالةً بمغازل سُوِّيَتْ من شجر العوسج.

(١) البيت في: اللسان (مادة: جزأ)، وغريب القرآن (ص:٣٩٦)، والدر المصون (٦/ ٩٣)، وزاد المسير (٧/ ٣٠٥)، والقرطبي (١٦/ ٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٠).

(٢) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٤٠٧).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٤٥).

(٤) في الأصل: والاصفاهم.

والذي بعدها مُفسّرة في سورة النحل[١].

قوله تعالى: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "يُنَشَّأُ" بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين. وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين[٢]. فمن خَفَّفَ بناه على الثلاثي، من قولهم: نَشَأَ الغلام، ونَشَأت الجارية، فهو فعل لا يتعدى. ومن شَدَّدَ بناه على الرباعي بتضعيف العين، على: نَشَّأَ يُنَشِّأ، مثل: قَتَّلَ يُقَتِّلُ، وهو أيضاً إنكار عليهم وتوبيخ لهم، على معنى: أجعلتم مَنْ هو بهذه الصفة المذمومة ولداً للرحمن عز وجل، وهو يُربَّى في الزينة والنعمة، فإذا التفّت عليه المحافل في الخصام والجدال، غيرُ مبين بحجة، لضعف عقله ونقصان فطرته.

قال قتادة في هذه الآية: قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها[٣].

قال بعض العلماء[٤]: وفي هذه الآية تنبيه على أن النَّشْءَ في الزينة والنعومة من المعايب والمذام، وأنه وصف ربات الحجال، ولذلك عدُّوا قول الحطيئة في الزبرقان:

---

(١) عند الآية رقم: ٥٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٦)، والكشف (٢/ ٢٥٥)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٢٤٧).

دَعِ المكارم لا تنهضْ لبُغيَتِها واقعدْ فإنَّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي [١]

هجواً عظيماً، حتى قال حسان: ما هَجَاهُ ولكن سَلَحَ عليه.

فعلى الرجل الحازم أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: ((اخْشَوْشِنُوا وتمعْدَدُوا[٢]))[٣].

قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: "عند الرحمن". وقرأ الباقون "عِبَاد"[٤].

فمن قرأ جعله ظرفاً، احتج بقوله تعالى: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأنبياء:١٩]، وقوله تعالى: ﴿إن الذين عند ربك﴾ [الأعراف:٢٠٦]، والباقون احتجوا بقوله تعالى: ﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء:٢٦].

﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي: أَحَضِرُوا خلقهم وعاينوه فشهدوا على ما رأوا؟ وهو توبيخ لهم على القول بغير علم.

وقرأ نافع بهمزتين الأولى محققة والثانية مضمومة ملينة مع سكون الشين[٥]،

---

(١) البيت للحطيئة، وهو في اللسان (مادة: ذرق، طعم، كسا)، والطبري (١٢/ ٤٦)، والقرطبي (٩/ ٤٠)، والأغاني (٢/ ١٧٧، ١٧٨)، والاستيعاب (٢/ ٥٦٢).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٣٤١-٣٤٢): تَمَعْدَدَ الغلامُ: إذا شَبَّ وغَلُظَ، وقيل: أراد: تَشَبَّهوا بعَيْشِ مَعَدِّ بن عدنان، وكانوا أهلَ غِلَظٍ وقَشف، أي: كونوا مثلهم ودعوا التَّنَعُّم وزِيَّ العَجَم، ومنه حديثه الآخر: عليكم باللِّبْسَة المَعَدِّيَّة، أي: خُشَونة اللِباسِ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٠٤ ح٢٦٣٢٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٧)، والكشف (٢/ ٢٥٦)، والنشر (٢/ ٣٦٨)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(٥) أي هكذا: "أَأُشْهِدُوا".

وفصل بينهما بألف قالون وأبو جعفر يزيد بن القعقاع(١)، وهؤلاء أدخلوا همزة التي معناها التوبيخ على فعل رباعي لم يُسَمَّ فاعله.

﴿ستكتب شهادتهم﴾ في ديوان الحَفَظَة وكتاب أعمالهم ﴿ويسألون﴾ عنها إذا وردوا موقف الحساب، وهذا أيضاً توبيخ لهم على كفرهم وشهادتهم على الملائكة بأنهم إناث.

قال بعض العلماء(٢): جمعوا في كفرة ثلاث كفرات، وذلك أنهم نسبوا إلى الله تعالى الولد، ونَسبوا إليه أخس النوعين، وجعلوا الملائكة الذين هم عند الله إناثاً، [فاستخفوا](٣) بهم واحتقروهم.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ يعنون: الملائكة، في قول قتادة(٤).

والأصنام، في قول مجاهد(٥).

يريدون: لو لم يرض بعبادتنا لمنعنا بالعقوبة وقطع أسباب الرزق، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾، فنسبهم إلى الجهل في اعتقادهم، وما رضي

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٧-٦٤٨)، والكشف (٢/ ٢٥٧)، والنشر (٢/ ٣٦٨-٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(٢) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٢٤٨).

(٣) في الأصل: فاستحقوا. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٤٨).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٢) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٠)، والطبري (٢٥/ ٥٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧١-٣٧٢) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

الله تعالى بصنيعهم.

وبعض المفسرين يقول: "ما لهم بذلك" أي: بقولهم: الملائكة بنات الله، أو الأصنام آلهة "من علم".

والمعنى الأول أصح، وهذه الآية نظيرة قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقوله: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ [يس:٤٧]، وقد كشفنا عن نفس المقصود، وأبطلنا جدالهم في الموضعين من الأنعام ويس، فاطلبه هناك تظفر به.

﴿إن هم إلا يخرصون﴾ أي: يكذبون في قولهم واعتقادهم أن الله راض بأقوالهم وأفعالهم.

أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ قد سبق القول على "أمْ" في مواضع، والضمير في "قبله" يعود إلى الكتاب، [نسبوا][^1] فيه إلينا ما اختلقوه علينا، ﴿فهم به

(١) في الأصل: نسبنا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

مستمسكون﴾ بل إضراب عن أن تكون لهم حجة يتمسكون بها إلا قولهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ دين وملة.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز ومجاهد: "إِمَّةٍ" بكسر الهمزة[١]، أي: على طريقة ومقصد.

وقيل: كلتا القراءتين من الأَمّ وهو القَصْد، والأَمَّة: الطريقة التي تؤمّ، أي: تُقصد، كالرحلة للمرحول إليه، والإِمَّة: الحالة التي يكون عليها الآمّ، وهو القاصد.

وقيل: الأُمَّة: النعمة، وأنشد قول عدي بن زيد:

ثُمَّ بعدَ الفلاحِ والملكِ والأمَّـ ـة وَارَتْهُمُ هُناكَ القبور[٢]

يريدون: وجدنا آباءنا على نعمة وحالة حسنة مرضية فسلكنا طريقهم.

﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ "إنّ" واسمها وخبرها والظرف صلة لـ"مهتدون"[٣]. ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر.

ثم أخبر الله تعالى عنهم أنهم على طريقة من قبلهم في الاقتداء بالآباء، فقال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير... الآية﴾ ومعنى: "مقتدون": مُتَّبِعُون.

---

(١) انظر هذه القراءة في: الماوردي (٥/ ٢٢١)، والبحر (٨/ ١٢)، والدر المصون (٦/ ٩٥).

(٢) البيت لعدي بن زيد، وهو في: اللسان (مادة: فلح، أمم)، والطبري (٢٥/ ٦٠)، والقرطبي (١٦/ ٧٤).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٤٩).

﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿أَوَلَوْ جئتكم﴾. وقرأ ابن عامر وحفص: ﴿قال أَوَلَوْ﴾[١] على الخبر ﴿جئتكم﴾. وقرأ أبو جعفر: "جئناكم" على الجمع[٢]، ﴿بأهدى﴾ أو بدين أهدى ﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾. والجواب محذوف، تقديره: أتتبعون آباءكم وتَدَعُون الذين هو أهدى.

قال مقاتل[٣]: فردوا على النبي ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

ثم عاد إلى ذكر الأمم الخالية والإخبار عنهم، فقال: ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ بالكتب والرسل.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ قال الزجاج[٤]: "بَراءٌ" بمعنى: بريء، والعرب تقول للواحد منها: أنا البراء منك، وكذلك الاثنان والجماعة، والذكر

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٨-٦٤٩)، والكشف (٢/ ٢٥٨)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(٢) النشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٨٨).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٠٩).

والأنثى [يقولون: نحن البراء منك، والخلاء منك][1] لا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراؤون. وإنما المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذو البراء منك، كما تقول: رجل عدل، وامرأة عدل، وقوم عدل.

قوله تعالى: ﴿إلا الذي فطرني﴾ مثل قوله تعالى في الشعراء: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ [الشعراء:٧٧]، وقد تكلمنا عليه.

قال الزمخشري[2]: "الذي فطرني" فيه غير وجه: أن يكون منصوباً على أنه استثناء منقطع، كأنه قال: لكن الذي فطرني فإنه سيهدين. وأن يكون مجروراً بدلاً من المجرور بـ"مِنْ"؛ كأنه قال: [إنني][3] براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني.

فإن قلت: كيف تجعله بدلاً وليس من جنس "ما تعبدون" من وجهين:

أحدهما: أن ذات الله تعالى مخالفة لجميع الذوات، فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون.

الثاني: أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة؟

قلتُ: قالوا: كانوا يعبدون الله تعالى مع آلهتهم، وأن تكون "إلا" صفة بمعنى: غير، على أن "ما" في [ما][4] تعبدون موصوفة، تقديره: إنني براء من [آلهة][5] تعبدونها غير الذي فطرني، فهو نظير قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٤٠٩).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٥٠).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: آلهتكم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢].

قلتُ: ما معنى قوله تعالى: ﴿سيهدين﴾ على التسويف؟

قلتُ: قال مرّة: ﴿فهو يهدين﴾ [الشعراء:٧٨] ومرّة ﴿فإنه سيهدين﴾، فاجمع بينهما وقدر، كأنه قال: فهو يهدين وسيهدين، فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال.

قوله تعالى: ﴿وجعلها﴾ أي: وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها - وهي قوله تعالى: ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾- ﴿كلمة باقية في عقبه﴾ أي: في ذريته، فلا يزال فيهم من يُوحِّد الله تعالى ويدعو إلى التوحيد.

وقيل: وجعل الوصية التي أوصى بها بنيه، وهي الوصية المذكورة في البقرة: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ [البقرة:١٣٢].

﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى التوحيد إذا علموا أن أباهم تبرَّأ من كل معبود سوى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ أي: أجزلتُ لقريش النِّعَم وأمهلتهم ﴿حتى جاءهم الحق﴾ وهو القرآن ﴿ورسول مبين﴾ للحق من الباطل، وهو محمد ﷺ.

المعنى: فكان ينبغي لهم أن ينتبهوا من غفلتهم عند مجيء الحق والرسول.

﴿ولما جاءهم الحق﴾ ضَمُّوا إلى شركهم وغفلتهم المعاندة، فذلك قوله تعالى: ﴿قالوا سحر﴾.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم الحق﴾ هم اليهود والنصارى[١]. وفيه بُعْد.

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ هذا من اقتراحات قريش واحتكامهم على الله جَلَّت عظمته في اختيار محمد ﷺ للرسالة، واختصاصه بالنبوة، وكانوا أولاً ينكرون رسالته لكونه من البشر، فلما شرقوا[٢] بالحجة وعلموا أن الرسل رجال عَدَلُوا عن ذلك إلى إنكار العدول بالرسالة عن أحد الرجلين العظيمين في نظرهم؛ تحكماً على الله تعالى.

وقولهم: "هذا القرآن" كلام يلوح منه الاستهانة به.

ومرادهم بالقريتين: مكة والطائف.

والمعنى: على رجل من إحدى القريتين، فهو كقوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن:٢٢].

وقيل: التقدير: من رَجُلي القريتين.

"عظيم" أي: رئيس متقدم في الدنيا.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٠) عن قتادة قال: هم اليهود.

(٢) شرق بريقه: غَصَّ (القاموس المحيط، مادة: شرق).

وعظيم مكة: الوليد بن المغيرة، في قول ابن عباس وقتادة والأكثرين[١].

وعتبة بن ربيعة، في قول مجاهد[٢].

وأما عظيم الطائف ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. قاله ابن عباس[٣].

الثاني: أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي. قاله قتادة[٤].

وكان الوليد بن المغيرة يسمى: [ريحانة][٥] مكة، وكان يقول: لو كان هذا حقاً لنزل القرآن عليّ، أو على أبي مسعود الثقفي[٦].

الثالث: أنه كنانة بن عبد عمرو الطائفي. قاله السدي[٧].

الرابع: أنه ابن عبد ياليل. قاله مجاهد[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٨١)، والطبري (٢٥/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: رحانة.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٦). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٣).

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٥٨١)، والطبري (٢٥/ ٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

قال الله تعالى منكراً عليهم معجباً من احتكامهم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ يعني: النبوة فيضعونها بجهلهم حيث شاؤوا ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ يعني: نحن قسمنا بينهم أرزاقهم ولم نكِلَ ذلك إلى أحد، فكيف بأمر النبوة؟.

قال قتادة: إنك لتلقاه ضعيف الحيلة، عيي اللسان، قد بسط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، بسيط اللسان، وهو مقدور عليه[١].

﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ هذا قوي وهذا ضعيف، وهذا حُر وهذا رقيق، وهذا غني وهذا فقير، وهذا عزيز وهذا ذليل. ولم تقتض حكمتنا التسوية بينهم.

﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ فيملك الحر الرقيق، ويستأجر الغني الفقير، ويستسخر الناس بعضهم بعضاً في أسباب معايشهم، ولو جعلناهم في القوة والغنى، والعزة وغيرها سواء؛ لم ينتظم أمر العالم.

﴿ورحمة ربك﴾ التي هي النبوة ﴿خير﴾ أفضل وأعظم ﴿مما يجمعون﴾ من الأموال.

فإذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية الدنيوية على هذه الصفة المذكورة، فما ظنهم بتدبير أمر الكتاب والنبوة، والأحكام الدينية.

والمقصود من هذا كله: [تجهيلهم][٢] في قولهم: ﴿لولا نزل... الآية﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٧). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٧٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وفيهما: ... سليط اللسان، وهو مقتور عليه.

(٢) في الأصل: تجهلهم.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

ثم إن الله عز وجل أخبر عباده بهوان الدنيا عليه وخِسّتها عنده؛ لئلا يَظنَّ ظَانٌّ أو يَتوهّم مُتوهّم أن الموسَّع عليه منها والمحظوظ فيها، كان ما ناله منها باعتبار كرامته على الله تعالى ونفاسة قدره عنده، وأن المضيَّق عليه فيها والمحروم منها، كان باعتبار هوانه على الله، وخِسَّة قدره عنده، فقال تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي: لولا كراهة أن يُجمعوا على الكفر إذا رأوا زهرة الحياة الدنيا ملازمة له ومقرونة به ﴿لجعلنا﴾ لهوان الدنيا علينا ﴿لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾. فقوله تعالى: ﴿لبيوتهم﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿لمن يكفر بالرحمن﴾[1].

قال الفراء[2]: إن شئت جعلت اللام في "لبيوتهم" مكررة؛ كقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ [البقرة:٢١٧]، وإن شئت جعلتها بمعنى: على، كأنه قال: جعلنا لهم على بيوتهم.

﴿سقفاً من فضة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بفتح السين وسكون القاف على التوحيد، ويريد الجنس. وقرأ الباقون: "سُقُفاً" بضمّها على الجمع[3]. تقول:

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٧)، والدر المصون (٦/ ٩٦).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٣١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٩)، والكشف (٢/ ٢٥٨)، والنشر =

سَقْف وسُقُف، مثل: رَهْن ورُهُن.

﴿ومعارج﴾ جمع معرج، أو اسم جمع لمعراج، والمعارج: المصاعد إلى العلالي[1]، يريد: ومعارج أيضاً من فضة.

﴿عليها يظهرون﴾ يعلون السقف؛ كقوله تعالى: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ [الكهف:٩٧].

﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ أي: وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة ﴿وسرراً﴾ من فضة ﴿عليها يتكؤون﴾.

﴿وزخرفاً﴾ أي: وجعلنا لهم زخرفاً. فهو منصوب بفعل مضمر، وإن شئت كان معطوفاً على موضع قوله تعالى: ﴿من فضة﴾[2].

والزُّخْرُف: الذهب. وقد سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ [الإسراء:٩٣].

قوله تعالى: ﴿وإن كل ذلك لَمَا متاع الحياة الدنيا﴾ هذه "إنْ" الخفيفة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، على إضمار الشأن، تقديره: وإن الشأن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا.

وقرأ عاصم وحمزة وهشام: "لَمّا" بتشديد الميم[3].

= (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٥).

(١) انظر: اللسان (مادة: عرج).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٩٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٤٩)، والكشف (١/ ٥٣٦-٥٣٧)، والنشر (٢/ ٢٩١)، والإتحاف (ص:٣٨٥)، والسبعة (ص:٥٨٦).

فعلى هذه القراءة "إنْ" هي النافية بمعنى: "ما"، كالتي في قوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك:٢٠]، فالمعنى: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، و"لمّا" في معنى "إلاّ".

وقد حكى سيبويه: نشدتك الله لمّا فعلت، وحمله على "إلاّ". وزعموا أنّ [في][1] حرف أُبيّ: "وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا".

فهذا يدل على أنّ "لمّا" بمعنى: "إلا"، وأنّ "إنْ" بمعنى "ما". هذا كلام أبي علي[2].

قوله تعالى: ﴿والآخرة﴾ يريد: الجنة ﴿عند ربك﴾ أي: في حكمه ﴿للمتقين﴾ خاصة، إلا الدنيا فتكون للصالح والطالح.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ "يَعْشُ": يُعْرِض[3]. وقيل: يَعْمَ[4]. رويا عن ابن عباس.

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٣٧٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٧٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والأول قول قتادة(١)، واختيار الفراء والزجاج(٢).

وقال أبو عبيدة(٣): يَعْشُ: تُظْلِمْ عينه.

وقرأ ابن عباس: "يَعْشَ" بفتح الشين(٤).

قال الفراء(٥): من قرأ "يَعْشُ" -يعني: قراءة الأكثرين- فمعناه: يُعْرِض، ومن نصب الشين أراد: يَعْمَى عنه.

قال الزمخشري(٦): الفرق بين القراءتين: أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: عَشِيَ. وإذا نظر نظر العُشْي ولا آفة [به](٧)، قيل: عَشَا. ونظيره: عَرِجَ، لمن به الآفة. وعَرَجَ، لمن مَشَى مِشْيَةَ العُرْجَان.

قال الحطيئة:

متى تأْتِه تعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِه ... تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ(٨)

أي: تنظر إليها نظر العُشْي؛ لمّا يضعف بصرك من عظيم الوقود واتساع

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٧٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) انظر: معاني الفراء (٣/ ٣٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤١١).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤).

(٤) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٩٨)، والبحر (٨/ ١٦).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٣٢).

(٦) الكشاف (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٧) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٥٤).

(٨) البيت للحطيئة. انظر: ديوانه (ص:٥١)، والكتاب (٣/ ٨٦)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٦٦)، والخزانة (٩/ ٩٤)، واللسان (مادة: عشا)، والدر المصون (٦/ ٩٨)، والبحر (٨/ ٦).

الضوء. وهو بيّنٌ في قول حاتم:

أَعْشُو إذا ما جَارَتِي بَرَزَتْ حتى يُواري جَارَتِي الخِدْرُ[(١)]

وقرئ: "يَعْشُوا"[(٢)]، على أنّ "مَنْ" موصولة غير مضمنة معنى الشرط.

وحق هذا القارئ: أن يرفع "نُقَيِّض".

وأنكر ابن قتيبة المعنى الذي ذكره الفراء وتابعه عليه الزمخشري، فقال[(٣)]: لا أرى القول إلا قول أبي عبيدة. قال[(٤)]: ولم أر أحداً يُجيز: "عَشَوْتُ عن الشيء": أعرضتُ عنه، إنما يقال: "تَعَاشَيْتُ عن كذا"، أي: تغافلتُ عنه، كأني لم أره، ومثله: تَعَاميتُ. والعرب تقول: "عشوتُ إلى النار": إذا استدللتُ إليها ببصر ضعيف[(٥)].

قال الحطيئة:

متى تأته ....

---

(١) ونسب أيضاً لمسكين الدارمي. انظر: ديوانه (ص:٤٥)، وزاد المسير (١/ ٤١)، وروح المعاني (١/ ١٦٩، ١٢/ ١٤٠) وفيهما: "أعمى" بدل: "أعشق".

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ١٦)، والدر المصون (٦/ ٩٨).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٨).

(٤) أي: ابن قتيبة.

(٥) قال الأزهري في التهذيب -على ما في اللسان (١٥/ ٥٦)- بعد أن ذكر هذا: أغفل القتيبي موضع الصواب واعترض -مع غفلته- على الفراء يرد عليه. فذكرت قوله لأبين عواره، فلا يغتر به الناظر في كتابه. والعرب تقول: عشوت إلى النار أعشو عشواً، أي: قصدته مهتدياً به، وعشوت عنها، أي: أعرضت عنها، فيفرقون بين "إلى" و "عن" موصولين بالفعل. ثم نقل عن أبي زيد وأبي الهيثم ما يثبت ذلك ويؤكده.

وقال القرطبي (١٦/ ٧٧): والقول قول أبي الهيثم والأزهري. وقد انتصر الطبري (١١/ ١٨٨) لرأي الفراء، ونقله عن قتادة.

وأنشد البيت.

ومنه حديث ابن المسيب: أن إحدى عينيه ذهبت، وهو يَعْشُو بالأخرى[١]، أي: يبصر بصراً ضعيفاً.

فعلى ما ذكره الفراء يكون المعنى على قراءة الأكثرين: ومن يَتَعَامَ ويتجاهل وهو يعرف الحق.

وعلى القراءة القليلة: المعنى: ومن يَعْمَ عن ذكر الرحمن، فيُعِيرُ القرآن أذناً صُمّاً، وعيناً عُمْياً ﴿نقيّض له﴾.

وقرأتُ لجماعة، منهم: خلف ويعقوب: "يُقَيِّضْ له" بالياء[٢]، على معنى: يقيّض له الرحمن ﴿شيطاناً﴾ جزاء له على فعله، ﴿فهو له قرين﴾ لا يفارقه.

﴿وإنهم﴾ يعني: الشياطين ليصدون العَاشِين ﴿عن السبيل﴾ وجَمَعَ ضمير "مَنْ" والشيطان في قوله تعالى: ﴿وإنهم ليصدونهم﴾ لإبهام "مَنْ" في جنس العاشي، وإبهام الشيطان.

﴿ويحسبون﴾ يعني: العاشين ﴿أنهم مهتدون﴾.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءنا﴾ قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر: "جاءانا" بألف بعد الهمزة على التثنية، أي: العاشي وقرينه.

وفي الحديث: «أنهما يُجعلان يوم البعث في سلسلة فلا يفترقان [حتى][٣]

---

(١) ذكره أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٢/ ١٦٦).

(٢) النشر (٢/ ٣٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٦).

(٣) زيادة من الطبري (٢٥/ ٧٤).

يصيرهما الله تعالى إلى النار»[١].

وقرأ الباقون: "جاءنا"[٢]، أي: العاشي وحده.

﴿قال﴾ لقرينه: ﴿يا ليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقين﴾ أي: بُعد ما بين المشرق والمغرب، فثنّى باسم أحدهما، كما قالوا: سيرة العُمَرين، يريدون: أبا بكر وعمر، فغُلّب عمر؛ لأنه أخفّ الاسمين.

قال الفرزدق يمدح هشاماً:

فَحُلَّ بسيرةِ العُمَرَيْن فينا شفاءٌ [للقلوبِ][٣] من السِّقَام

والطلحتان: طلحة بن خويلد الأسدي وأخوه: جيال، والأقرعان: الأقرع بن حابس وأخوه: مرثد، والخبيبان: عبدالله بن الزبير وأخوه: مصعب، والحتتفان: الحتتف وأخوه: سيف ابنا أوس بن حميري، وقال الشاعر[٤]:

أَخَذْنَا بآفاقِ السماءِ عليكُم لنا قَمَرَاهَا والنجومُ الطوالع

يريد: الشمس والقمر.

وقال الآخر:

فبَصْرَةُ الأزدِ منَّا والعراقُ لنا والموصِلان ومنّا مصرُ فالحرم[٥]

يريد: الجزيرة والموصل.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٠)، والكشف (٢/ ٢٥٨-٢٥٩)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٦).

(٣) في الأصل: للقوب.

(٤) البيت للفرزدق، وهو في: الطبري (٢٥/ ٧٤)، واللسان (مادة: عنا)، والماوردي (٥/ ٢٢٦).

(٥) انظر البيت في: الطبري (٢٥/ ٧٤)، وزاد المسير (٧/ ٣١٦).

وهذا القول اختيار الفراء والزجاج[1].

وقال ابن السائب: هما مشرق الشمس في أقصر يوم في السنة، ومشرقها في أطول يوم في السنة[2]. ومثله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن:١٧].

وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم﴾ يريد: يوم القيامة ﴿إذ ظلمتم﴾ أي: أشركتم في الدنيا ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ في محل الرفع على الفاعلية، تقديره: لن ينفعكم الاشتراك في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه[3]. وقد قررت هذا المعنى بأوضح من هذا فيما مضى.

ويجوز أن يُجعل الفعل للتمني في قوله تعالى: ﴿يا ليت بيني وبينك بُعْد المشرقين﴾ بمعنى: ولن ينفعكم اليوم تمنّي مباعدة القرين.

وقوله تعالى: ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ تعليل، أي: لن ينفعكم تمنيكم؛

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٣٣-٣٤)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤١٢).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٦).

(٣) ذكر هذا التقدير الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٥٦).

لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناءكم في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه، وهو الكفر.

ويؤيده: ما قرأتُه على أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري رحمه الله من رواية التغلبي عن ابن ذكوان عن ابن عامر: "إنكم" بكسر الهمزة[1].

قوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ هذا الاستفهام إنكار تعجيب من أن يكون النبي ﷺ قادر على هدايتهم، حيث كان يدأب نفسه الكريمة في دعائهم، ويحرص على استنقاذهم من هلكة الضلال.

﴿فإما نذهبن بك﴾ مثل قوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ [البقرة:٣٨] وقد ذكرنا إعرابها في أوائل البقرة.

والمعنى: فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ [غافر:٧٧].

﴿أو نرينك الذي وعدناهم﴾ يعني: من العذاب.

قال ابن عباس: أراه ذلك يوم بدر[2].

وقال الحسن وقتادة: عنى بذلك المسلمين[3].

وقد كان بعد نبي الله ﷺ نقمة شديدة، فأكرم الله تعالى نبيه ﷺ وذهب به قبل أن يريه في أمته ما يكره.

ويروى: أن النبي ﷺ أُري ما يُصيب أمته من بعده، فما رؤي ضاحكاً منبسطاً

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٠)، والسبعة (ص:٥٨٦).
(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣١٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٨٠) وعزاه لابن مردويه.
(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٩٢).

حتى قبضه الله تعالى[١].

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاعتصام بالقرآن تصريحاً، وأمر غيره به تلويحاً فقال: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ أي: اثبت عليه وادعُ إليه.

وقوله تعالى: ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ تعليل لذلك.

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لذكر لك ولقومك﴾ أي: لشرف لك ولهم.

والمراد بقومه: قريش.

وقال قتادة: كل من تابعه من أمته[٢].

﴿وسوف تسألون﴾ عن حقه وأداء شكره.

قوله تعالى: ﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾

قال ابن عباس وعامة المفسرين: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل الأنبياء الذين جُمعوا له ليلة الإسراء[٣].

قال ابن عباس: فلم يسألهم؛ لأنه كان أعرفَ بالله منهم[٤].

قال الزهري: صلى خلفه تلك الليلة كل نبي كان أرسل، وقيل له: اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا.

ويروى: أن ميكائيل قال لجبريل عليهما السلام: سألك محمد عن ذلك؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٨٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٨) عن ابن زيد. وذكره الماوردي (٥/ ٢٢٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٨).

فقال: هو أشد إيماناً وأعظم يقيناً من أن يسأل عن ذلك[١].

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: المراد: واسأل أتباع الرسل من قبلك[٢].

وقيل الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: باليد والعصا وغيرهما من معجزاته ﷺ ﴿إلى فرعون وملإه﴾ من القبط ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾ فطالبوه بالبينة على دعواه وصدقه في ادعائه.

ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ أي: يهزؤون ويسخرون وينسبونه إلى السحر.

﴿وما نريهم من آية﴾ من الآيات التسع ﴿إلا هي أكبر﴾ أي: أعظم ﴿من أختها﴾ التي قبلها.

قال صاحب الكشاف[٣]: إن قلت: هو كلام متناقض، لأن معناه: ما من آية

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٧٥) عن ابن الأنباري.

(٣) الكشاف (٤/ ٢٥٩).

من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها، فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة.

قلتُ: الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر، لا يكدن يتفاوتن فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل، وتتقارب منازلها فيه التقارب[(١)] اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها، فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك.

فعلى هذا [بنى][(٢)] الناس كلامهم، فقالوا: رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض، [وربما][(٣)] اختلفت آراء الرجل الواحد فيها، فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك. ومنه بيت الحماسة:

مَنْ تَلْقَ منهمْ تَقُلْ لاقيتُ سيِّدَهُم مثلَ النجومِ الذي يَسْري بها السَّاري[(٤)]

ولقد فاضلت الأنمارية بين [الكَمَلَة][(٥)] من بنيها، ثم قالت -لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة [التفاوت][(٦)]-: ثَكِلْتُهُم إن كنتُ أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفْرَغَة لا يُدْرَى أين طرفاها.

قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادعُ لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾ وقرأ ابن عامر: "يا أَيُّهُ الساحر"[(٧)]، وقد ذكرتُ علته في سورة النور في قوله تعالى:

---

(١) في الكشاف: وتتفاوت منازلها فيه التفاوت.

(٢) في الأصل: بنوا. والمثبت من الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٣) في الأصل: ربما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) البيت في: الدر المصون (٦/ ١٠٢)، وروح المعاني (٢٥/ ٨٧)، والكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٥) في الأصل: الكلمة. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٦) في الأصل: التفوات. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٥٩).

(٧) بضم الهاء. انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٦٥٠)، والكشف =

﴿أيها المؤمنون﴾ [النور:٣١].

فإن قيل: هذا كلام يظهر فيه التناقض؛ لأنهم خاطبوه باسم الساحر ثم سألوه الدعاء لهم معترفين بأن له رباً يقدر على كشف ما بهم، ثم أخبروه بأنهم مهتدون؟

قلتُ: قد أجاب عنه الحسن البصري فقال: هو على وجه الاستهزاء منهم[1].

وهو بعيد؛ لأنه لو كان ذلك على طريقة الاستهزاء [فكيف][2] يكشف عنهم العذاب؟ ثم قوله تعالى: ﴿إذا هم ينكثون﴾ يفسده.

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الساحر عندهم: الماهر في العلم، فأرادوا تعظيمه بـذلك. وهـذا المعنى مروي عن ابن عباس[3].

الثاني: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية. قاله الزجاج[4].

وقال ابن بحر: أرادوا: يا غالب [السحرة][5].

وقوله تعالى: ﴿بما عهد عندك﴾ مع ما لم أذكره هاهنا مُفسّر في سورة الأعراف في قصتهم[6].

= (٢/ ١٣٧)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٦-٥٨٧).

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٠).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره الطبري (٢٥/ ٨٠) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤١٤).

(٥) في الأصل: السحر. والتصويب من الماوردي (٥/ ٢٢٩).

(٦) عند الآية رقم: ١٣٥.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ أي: أمر رجالاً [فنادوا][1]، كما تقول: قطع الأمير السارق، وعاقب اللص، وقد أمر به. وجائز أن يكون اللعين قال ذلك رافعاً به صوته في ملأ من القبط، فأشاعوه عنه وأذاعوه، فكأنه نادى به فيهم فقال معظماً لنفسه: أليس إليَّ مُلْكُ مصر.

حكى النقاش: أنه كان يملك أربعين فرسخاً في مثلها[2].

ويروى: أن الرشيد رضي الله عنه مرت به هذه الآية يوماً فقال: والله لأولينها أخسّ عبيدي، فولاها الخصيب، وكان على وَضوئه[3].

﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أراد: النيل، وما يتشعب منه، من ماء أجراه تحت قصوره ودوره وفي بساتينه.

---

(١) في الأصل: فتلاوا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢٩).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٩٩).

ومن الأقوال [البعيدة](١): ما يروى عن الضحاك أنه أراد بالأنهار: القواد والجبابرة الذين كانوا يسيرون تحت لوائه(٢).

قال الزمخشري(٣): ويجوز أن تكون الواو عاطفة "للأنهار" على "ملك مصر". و"تجري" نصب على الحال منها، وأن تكون الواو للحال، واسم الإشارة مبتدأ، "الأنهار" صفة لاسم الإشارة، و"تجري" خبر للمبتدأ.

قوله تعالى: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مَهين﴾ "أمْ" هذه منقطعة، على معنى: بل أأنا خير، والهمزة للتقرير، كأنه لما عدّد عليهم أسباب فضله قال: قد تقرر عندكم أني أنا خير من هذا الذي هو مهين، [أي](٤): ضعيف حقير.

وقيل: هي متصلة؛ لأن المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، إلا أنه وضع قوله تعالى: ﴿أنا خير﴾ موضع "تبصرون"؛ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بُصراء(٥).

وهذا الوجه حكاه الزجاج(٦) عن الخليل وسيبويه(٧).

وقال الفراء وجماعة من أهل المعاني: الوقف على قوله: "أم"، وفيه إضمار، مجازه: أفلا تبصرون أم لا تبصرون. ثم ابتدأ فقال: "أنا خير من هذا الذي هو

---

(١) في الأصل: البعدة.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٣٠).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٦٠).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٦١).

(٥) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٠-٢٦١).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٤١٥).

(٧) انظر: الكتاب (٣/ ١٧٣).

مهين".

﴿ولا يكاد يبين﴾ أي: يفصح بالكلام. عَظَّمَ اللعينُ نفسه أولاً بـما ذكـر مـن ملكه وعظمة شأنه وعز سلطانه، ثم هَضَمَ نبيَّ الله ﷺ ثانياً بما افتراه عليه من المهانة ونسبه إليه من اللّكْنَة والعيّ في القول حين عجز مع قوة سلطانه وكثرة أعوانه عن معارضة آياته ومناقضة بيناته.

ثم أخذ يُموّه عليهم ويخيّل إليهم أن النبوة يلازمهـا المُلْـك والقُـدْرَة عـلى[1] المتَّصِف بها، فقال: ﴿فلـولا﴾ أي: هـلاّ ﴿ألقـي عليـه أسَـاوِرَةٌ﴾ وقـرأ حفـص: "أَسْوِرَةٌ"[2].

﴿من ذهب﴾ يريد: هلاّ كان مَلِكاً، وإنما قـال ذلـك؛ لأنهـم كـانوا إذا أرادوا تسويد الرجل وتفويض مقاليد الملك إليه سوّروه بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب.

وقد ذكرنا في سورة الكهف[3] ما يوضح ذلك الفرق بين "أساور" و"أسورة".

فإن قيل: ما هذه الهاء اللاحقة بـ"أساور"؟

قلتُ: قال أبو علي[4]: هي عوض مـن اليـاء التـي ينبغـي أن تُلحـق في جمـع [إسوارٍ][5] على حَدِّ: إعصارٌ وأعاصير.

ويجوز أن تكون "أساورة" جمع أَسْوِرَة، مثل: أَسْقِيَةٍ وأساقٍ، ولحقت علامـة

(١) في الأصل زيادة قوله: يريد.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥١)، والكشف (٢/ ٢٥٩)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

(٣) عند الآية رقم: ٣١.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٥) في الأصل: أساور. والتصويب من الحجة (٣/ ٣٧٧).

التأنيث كما لحقت في قَشْعَم[١] وقشاعمة.

﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ قال قتادة: متتابعين[٢].

وقال مجاهد: يمشون معه[٣].

فإن قيل: فرعون لم يكن مؤمناً بالله ولا مقراً بالملائكة، فما معنى هذا القول منه؟

قلتُ: هذا ليس على معنى الاعتراف منه بالملائكة، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير، أي: هب أن الأمر كما ذكره من أن له رباً قادراً، عنده ملائكة هم في قبضته وتحت قهر سلطانه، فهلاَّ أيّده بجند من الملائكة ليعاضدوه ويناصروه، ويكونوا [دليلاً][٤] على صدقه؟.

قوله تعالى: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ أي: استفزهم لِمَا أراد منهم فأجابوه.

قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا﴾ قال ابن عباس وغيره: أغضبونا[٥].

---

(١) القَشْعَم: المسن من الرجال، والنسور، ومن أسماء الأسد، والجمع: قشاعم (لسان العرب، مادة: قشعم).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٢)، والطبري (٢٥/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) في الأصل: ديلاً.

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قال ابن قتيبة[١]: الأَسَف: الغضب، يقال: أَسِفَ يأْسَفَ أَسَفاً: إذا غضب[٢].

قوله تعالى: ﴿فجعلناهم سلفاً﴾ قرأ حمزة والكسائي: بضم السين واللام، والباقون بفتحها[٣].

قال مكي[٤]: من ضَمَّ جعله جمعاً لـ"سَلَف"، كأسَد وأُسُد، ووَثَن ووُثُن، وهو كثير.

وقيل: هو جمع سليف، كرغيف ورغف، وهو كثير أيضاً.

والسَّليف: المتقدم، والعرب تقول: مضى منا سَلَف وسُلُف وسَلِيف.

ومن فتحه حمله على بناء يقع للكثرة في الجمع، جعله جمع سالف؛ كخادم وخَدَم، وغائب وغيب. فالقراءتان في معنى واحد.

قال المفسرون: المعنى: فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار، ويقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم[٥].

﴿ومثلاً﴾ عبرة لهم.

وقيل: "مثلاً": حديثاً عجيب الشأن، يجري فيهم مجرى المثل.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: أسف).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥١)، والكشف (٢/ ٢٦٠)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

(٤) الكشف (٢/ ٢٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٤) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ أطبق جمهور المفسرين أن نزول هذه الآية وما في حيزها كان بسبب قصة عبدالله بن الزبعرى ومجادلته النبي ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء:٩٨]، وقد ذكرنا قصته في آخر الأنبياء[١]، وأن ابن الزبعرى قال: إن عيسى قد عُبِدَ من دون الله تعالى، وأن قريشاً استبشرت وتضاحكت فرحاً بفلجهم بالحجة على ظنهم.

فمعنى الآية: ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلاً وجاء ذلك به حيث عبدته النصارى إذا قومك منه يصدون، أي: من هذا المثل، "يصدون": يصيحون ويَضِجُّون فرحين ضاحكين، من الصَّديد وهو الجلبة.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي: "يَصُدُّون" بضم الصاد[٢].

قال الزجاج[٣]: الكسر أكثر، ومعناهما جميعاً: [يَضِجُّون][٤]. ويجوز أن يكون

---

(١) عند الآية رقم: ١٠١.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٢)، والكشف (٢/ ٢٦٠)، والنشر (٢/ ٣٦٩)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤١٦).

(٤) في الأصل: يضحكون. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

معنى المضمومة: يُعْرِضُون. يعني: يَصُدُّون من الصُّدود. وهو قول الأخفش وقطرب(١)، على معنى: إذا قومك من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه.

﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ قرأ أهل الكوفة: "أآلهتنا" بهمزتين محققتين بعدهما ألف، وقرأ الباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية، واتفقوا على ترك الفصل بينهما(٢).

والمعنى: أن آلهتنا عندك ليست خيراً من عيسى، فإذا كان عيسى من حصب جهنم كان أمر آلهتنا هيناً.

﴿ما ضربوه﴾ أي: ما ضربوا هذا المثل ﴿لك إلا جدلاً﴾ لأجل الجدال، لا طلباً للتمييز بين الحق والباطل، وهو حال على معنى: ما ضربوه لك إلا جدلين؛ لأنهم قد علموا أن المراد بذلك آلهتهم.

﴿بل هم قوم خصمون﴾ لك، شداد الخصومة.

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا عبد﴾ يعني: عيسى ﴿أنعمنا عليه﴾ بالنبوة والكتاب ﴿وجعلناه﴾ حيث خلقناه من غير ذكر ﴿مثلاً لبني إسرائيل﴾ عبرة عجيبة وآية عظيمة لهم.

﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ أي: لولدنا منكم يا بني آدم بقدرتنا التي نجبل بها ما نشاء إلى ما نشاء ﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾كم فيها كما يخلفكم أولادكم.

وفي هذا إيذان بكمال قدرة الله تعالى جلَّت عظمته وتعريض لنفي ما أثبتوه

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٣٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٣)، والكشف (٢/ ٢٦٠)، والإتحاف (ص:٣٨٦)، والسبعة (ص:٥٨٧).

للملائكة من كونها بنات الله.

وقال أكثر المفسرين: المعنى: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلف بعضهم بعضاً، أو يخلفونكم في الأرض[(١)].

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ قال الحسن وسعيد بن جبير: الضمير في "وإنه" للقرآن[(٢)].

وقال ابن عباس والجمهور: الضمير لعيسى عليه السلام[(٣)]. وهو الصحيح.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٨٦-٣٨٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور ومسدد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي هريرة وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن مجاهد =

والمعنى: وإن عيسى بن مريم شرطٌ من أشراط الساعة تُعْلَمُ به، فسمي الشرط علماً لحصول العلم به.

وقيل: المعنى: وإنه لدليل على الساعة والبعث بما أجري على يديه من إحياء الموتى.

وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن محيصن، وحميد: "لعَلَم" بفتح العين واللام[1]، أي: علامة وأمارة على الساعة وكونها، أو على قربها.

والأول أوجه؛ لقوله تعالى: ﴿فلا تمترن بها﴾.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي، وأبو الحسن الصوفي البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((كيف أنتم إذا [نزل][2] عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم))[3]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب، عن يونس.

= وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٦)، وزاد المسير (٧/ ٣٢٥).

(٢) زيادة من الصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٢ ح٣٢٦٥)، ومسلم (١/ ١٣٦ ح١٥٥).

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد فأقرَّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي[١]، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح[٢]، أخبرنا أبو القاسم البغوي[٣]، حدثنا علي بن الجعد[٤]، أخبرنا [عبدالعزيز بن][٥] عبدالله بن الماجشون[٦]، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لا يقبله أحد))[٧]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري عن إسحاق، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح. وأخرجه مسلم عن قتيبة، عن الليث، كل عن ابن شهاب.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٨).

(٢) عبد الرحمن بن أبي شريح أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن مخلد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن ثابت الأنصاري، أبو محمد المعروف بالشريحي، فقيه ثقة زاهد، مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (تكملة الإكمال ٣/ ١٦٢، ٥١٠).

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، أبو القاسم البغوي، الحافظ الصدوق، كان ثقةً ثبتاً مكثراً، فهماً عارفاً، ولد سنة أربع عشرة ومائتين، ومات ليلة الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة (لسان الميزان ٣/ ٣٣٨-٣٣٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ١١١-١١٦).

(٤) علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، أبو الحسن البغدادي، مولى بني هاشم، ثقة ثبت رمي بالتشيع، مات سنة ثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٦-٢٥٧، والتقريب ص:٣٩٨).

(٥) زيادة من البغوي (١/ ٣٠٨).

(٦) عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، كنيته أبو عبدالله، مات بالعراق سنة ست وستين ومائة، وكان فقيهاً ورعاً متابعاً لمذاهب أهل الحرمين من أسلافه (رجال مسلم ١/ ٤٢٨).

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٢ ح٣٢٦٤)، ومسلم (١/ ١٣٥ ح١٥٥).

قوله: "يكسر الصليب، ويقتل الخنزير" إشارة إلى أنه يُبطل دين النصرانية، ويحكم بالشريعة المحمدية.

قوله: "ويضع الجزية" أي: يسقطها، ويحمل أهل الكتاب على دين الإسلام.

وقيل: معنى وضع الجزية: أن المال يكثر حتى لا يوجد محتاج، يدل عليه تمام الحديث.

وفي حديث آخر: ((أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية من الأرض المقدسة، يقال لها: أَفِيق[١]، وعليه مُمَصَّرتان[٢]، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة، هي التي يقتل بها الدجّال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الغداة والإمام يؤم بهم، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام، ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويُخَرِّبُ البِيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به))[٣].

قوله تعالى: ﴿واتبعوني﴾ أي: اتبعوا هُداي وشرعي، ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: هذا الذي أدعوكم إليه، أو هذا القرآن، على قول الحسن وسعيد[٤].

قوله تعالى: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ آيات الإنجيل وما أوتي من العلم، ﴿قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ لأنهم كانوا

---

(١) أفيق، بوزن: أمير، والمراد بها: القدس الشريف (روح المعاني ٢٥/ ٩٦).

(٢) أي: حلتان.

(٣) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٥٤): غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند، وهو مفرق في غضون الأحاديث.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٣٦) عن الحسن.

يختلفون في أمور دينية وغير دينية، فجاء ببيان ما اختلفوا فيه من الدين.

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ الموحدين العاملين بطاعة الله تعالى، فإن خِلّتهم تزداد يوم القيامة وتقربهم إلى الله تعالى.

قال مقاتل[1]: نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط.

يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

قال محمد بن جرير رحمه الله[2]: حدثنا ابن عبدالأعلى قال: [حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال][3]: حدثنا المعتمر، عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد: يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناس كلهم، فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فييأس [الناس][4] منها غير المسلمين.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٥/ ٩٥).

(٣) زيادة من تفسير الطبري، الموضع السابق.

(٤) مثل السابق.

وفي لفظ آخر: ينادي مُناد يوم القيامة: ﴿يا عبادي ... الآية﴾، [فيرفع][(١)] الخلائق رؤوسهم، فيقول: الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فينكس الكفار رؤوسهم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ في محل النصب صفة لـ"عبادي"[(٣)].

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ قرناؤكم أو زوجاتكم، "تحبرون" تنعمون وتسرون سروراً يظهر حباره، أي: أثره عليكم.

وقد فسرنا "تحبرون" في سورة الروم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ الصِّحَاف: جمع صَحْفَة، وهي القَصْعَة[(٥)]، والأكواب: جمع كُوب، وهو إناء مستدير لا عُروة له[(٦)].

قال الفراء وغيره[(٧)]: الكوب: [الكوز][(٨)] المستدير الرأس الذي لا عُروة له ولا خرطوم. قال عدي:

مُتَّكِئاً تَصْفِقُ أبوابُهُ يَسْعَى عليه العبدُ بالكُوب[(٩)]

---

(١) في الأصل: فيرجع. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٢٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٧).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ١٠٦).

(٤) عند الآية رقم: ١٥.

(٥) انظر: اللسان (مادة: صحف).

(٦) انظر: اللسان (مادة: كوب).

(٧) انظر: معاني الفراء (٣/ ٣٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٢٨)، واللسان (مادة: كوب).

(٨) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٩) البيت لعدي بن زيد، وهو في: اللسان (مادة: كوب، صفق)، ومعاني الفراء (٣/ ٣٧)، والدر =

وقال الأعشى:

صَريفيَّةٌ [طَيِّبٌ][1] طعمُها لها زبدٌ بين كُوبٍ ودَنِّ[2]

قال بعض أهل [اللغة][3]: إنما كانت بغير عرى ليشرب الشارب من أين ناحية منها شاء[4].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ له سبع درجات، وهو على السادسة وفوقه سبعة، وإن له لثلاثمائة خادم، ويُغْدَى عليه ويراح بثلاثمائة صحفة، ولا أعلمه [إلا قال][5]: من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما [يلذ][6] آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت [لي][7] لأطعمتُ أهل الجنة وسقيتهم [لم ينقص][8] مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه التي في الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من

=

المصون (٦/ ١٠٦)، والقرطبي (١٦/ ١١٤)، وزاد المسير (٧/ ٣٢٨)، والبحر (٨/ ٦).

(١) في الأصل: طيباً. والتصويب من مصادر البيت.

(٢) البيت للأعشى، وهو في: اللسان (مادة: صرف)، والطبري (٢٥/ ٩٦، ٢٧/ ١٧٤)، والقرطبي (١٦/ ١١٤).

(٣) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٣٢٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢٨) من قول أبي منصور اللغوي.

(٥) في الأصل: قال إلا. والتصويب من المسند (٢/ ٥٣٧).

(٦) في الأصل: يذل. والتصويب من المسند، الموضع السابق.

(٧) زيادة من المسند، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: لا نقص. والمثبت من المسند، الموضع السابق.

الأرض))[١].

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرّ بـه قـال: حدثنا الحسين بن مسعود الفراء قـال: أخبرنـا ابـن أبي توبـة، أخبرنـا أبـو طـاهر [الحارثي][٢]، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بـن سـليم، عـن الحجاج بن عتاب العبدي[٣]، عن عبدالله بن معبد الزِّمَّاني[٤]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دان لـمـن يغـدو عليـه [ويـروح][٥] عشرة آلاف خادم، مع كل خادم منهم طريفة ليست مع صاحبه))[٦].

قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين﴾ وقرأ نـافع وابـن عـامر وحفص: ﴿تشتهيه الأنفس﴾ بإثبات الهاء[٧].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٧ ح١٠٩٤٥).

(٢) في الأصل: الحازني. والتصويب من البغوي (٤/ ٢٨٤).

(٣) حجاج بن عتاب العبدي، أبو خليفة، من أهل البصرة، يروى عن عبد الله بن معبد الزماني، روى عنه أبو هلال الراسبي، وقيل: إن هذا والد عمر بن أبى خليفة (الثقات ٦/ ٢٠٣).

(٤) عبد الله بن معبد الزماني البصري، تابعي ثقة، روى عن أبي قتادة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وأرسل عن عمر، وعنه قتادة، وغيلان بن جرير، وثابت البنـاني، والحجـاج بـن عتـاب العبدي (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦، والتقريب ص:٣٢٤).

(٥) في الأصل: ويرح. والتصويب من البغوي (٤/ ٢٨٤).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٨٤).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٤)، والكـشف (٢/ ٢٦٠)، والنـشر (٢/ ٣٧٠)، والإتحاف (ص:٣٨٧)، والسبعة (ص:٥٨٨-٥٨٩).

قال أبو علي[(١)]: هذا الفعل في صلة "ما"، والهاء عائدة على "ما"، فجاء بالكلام على أصله.

ومن قرأ: "تشتهي" بحذف الهاء؛ فلأن هذا الاسم قد طال بالصلة، والأسماء إذا طالت حسن الحذف فيها، قال[(٢)]: وحذف هذه الهاء من الصلة في [الحسن][(٣)] كإثباتها، إلا أن الحذف يرجح على الإثبات بأن عامة هذا النحو جاء في التنزيل على الحذف، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل:٥٩]، و﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ [هود:٤٣]، وقد جاءت هذه الهاء مثبتة في قوله تعالى: ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة:٢٧٥].

وبالإسناد السالف قال: حدثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد[(٤)]، عن عبد الرحمن بن سابط[(٥)] قال: [قال][(٦)] رجل: «يا رسول الله! أفي

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٢).

(٢) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٣٨٢).

(٣) في الأصل: حسن. والتصويب من الحجة، الموضع السابق.

(٤) علقمة بن مرثد الحضرمي، أبو الحارث الكوفي، ثقة (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٦، والتقريب ص:٣٩٧).

(٥) عبد الرحمن بن سابط -ويقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، وهو الصحيح، ويقال: عبدالرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سابط- بن أبي حميضة بن عمرو بن أهيب بن حذافة بن جمح الجمحي المكي، تابعي ثقة كثير الإرسال، مات سنة ثماني عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٣، والتقريب ص:٣٤٠).

(٦) زيادة من البغوي (٤/ ١٤٥).

الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل، فقال: إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير [بك][١] في أيّ الجنة شئت إلا فعلت، فقال أعرابي: يا رسول الله! أفي الجنة إبل، فإني أحب الإبل؟ قال: يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[٢].

قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ وقال الزمخشري[٣]: "تلك" إشارة إلى الجنة المذكورة. وهي مبتدأ، خبرها: "الجنة"، "التي أورثتموها" صفة "الجنة". أو "الجنة": صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة. و"التي أورثتموها": خبر المبتدأ. أو "التي أورثتموها": صفة، و"بما كنتم تعملون": الخبر، والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخباراً. وفي الوجه الأول تتعلق بـ"أورثتموها".

﴿منها تأكلون﴾ "مِنْ" للتبعيض، أي: لا تأكلون إلا بعضها، وأعقابها باقية في شجرها، فهي مزينة بالثمار أبداً موقرة بها، لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا.

قال ثوبان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها»[٤].

---

(١) زيادة من البغوي (٤/ ١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨١ ح٢٥٤٣). وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٤٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٩٦ ح٨٣٩٠) مطولاً.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ
لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا
نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم﴾ أي: لا يخفف ولا ينقص من قولهم: فَتَرَتْ عنه الحمى؛ [إذا سكت عنه قليلاً ونقص حرّها][1].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد[2] رضي الله عنه من حديث عمرو بن ميمون قال: قال عبدالله بن مسعود: «لو وعد أهل النار أن يخفف عنهم يوماً من العذاب لماتوا فرحاً».

﴿وهم فيه مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس من الفرج.

وقد ذكرنا معنى الإبلاس في سورة الأنعام[3].

﴿وما ظلمناهم﴾ بالتعذيب من غير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ بما جنوا على أنفسهم.

﴿ونادوا يا مالك﴾ وقرأ جماعة، منهم: علي بن أبي طالب، وعبدالله بن

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٦٦).

(٢) الزهد (ص:٢٠٢).

(٣) عند الآية رقم: ٤٤.

مسعود، وابن يعمر: "يا مَالِ" بحذف الكاف وكسر اللام للترخيم(١).

وقرأ الغنوي: "يا مَالُ" بالترخيم أيضاً، ورفع اللام(٢).

ويروى أن ابن عباس قيل له: إن ابن مسعود قرأ: "ونادوا يا مَالِ" فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم(٣).

وقال الزجاج(٤): أكرهها لمخالفة المصحف.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن صفوان بن(٥) يعلى، عن أبيه قال: ((سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾))(٦).

والمعنى: سَلْهُ أن يميتنا فنستريح.

قال ابن عباس: فيجيبهم مالك بعد ألف سنة: ﴿إنكم ماكثون﴾(٧).

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٢٩)، والدر المصون (٦/ ١٠٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٢٧-٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٠٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٦).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٠).

(٥) في الأصل زيادة قوله: "أبي". وانظر ترجمته في: التهذيب (٤/ ٣٧٩)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٢١٨).

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢١ ح٤٥٤٢).

(٧) أخرجه الطبري (٢٥/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٦)، والحاكم (٢/ ٤٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٤) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وغيرهم.

قال عبدالله بن عمرو: هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك[(١)].

وقال بعضهم: الضمير في "قال" [لله][(٢)] تعالى، أي: قال الله إنكم ماكثون، بدليل قوله تعالى: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ أي: أتيناكم بالحق على ألسنة الرسل ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾.

يروى عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿ولكن أكثركم﴾: يريد: كلكم[(٣)].

وكان الزجاج ينكر هذا، ويقول: الصحيح: أن البعض لا يكون بمعنى الكل. وقد ذكرنا مثل ذلك فيما مضى من كتابنا.

فإن قيل: إذا لم يكن المراد بالأكثر هاهنا الكل، فما معنى الآية، وإنما هذا الخطاب للكفار، وكلهم كرهوا الحق؟

قلتُ: هذا توبيخ لهم وهم في النار على كراهيتهم للحق ونفورهم منه في الدنيا.

المعنى: أتيناكم بالحق فكرهه أكثركم، وهم الذين أصروا على الكفر والأمر به؛ لأنهم أكثر من الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿أم أبرموا أمراً﴾ أي: أم أحكموا أمراً يكيدونك به يا محمد.

قال أكثر المفسرين: وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة، وقد ذكرناه في الأنفال[(٤)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٩ ح٣٤٩٢).

(٢) في الأصل: الله.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٠).

(٤) عند الآية رقم: ٣٠.

وقال الفراء[١]: المعنى: أم أبرموا أمراً ينجيهم من العذاب.

﴿فإنا مبرمون﴾ محكمون أمراً ندرأ به كيدهم.

﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم﴾ أي: ما حدثوا به أنفسهم ﴿ونجواهم﴾ فيما بينهم ﴿بلى﴾ نسمعهما ونطلع عليهما ﴿ورسلنا﴾ الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أقوالهم وأفعالهم.

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

﴿قل﴾ يا محمد لمن افترى الكذب عليَّ ونسب الولد إليّ من العرب واليهود والنصارى: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾.

اختلفوا في "إنْ" على مذهبين:

أحدهما: أنها شرطية على أصلها. ثم في معنى الكلام خمسة أوجه:

أحدها: إن كان للرحمن ولد على زعمكم وفي قولكم فأنا أول الجاحدين أن لله ولداً. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٣٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ويروى أن أعرابيين اختصما إلى ابن عباس فقال أحدهما: إن هذا كانت لي في يده أرض فَعَبَدَنيها، فقال ابن عباس: الله أكبر، فأنا أول العابدين الجاحدين أن لله ولداً[١].

الثاني: إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولداً فأنا أول الموحدين الذين يعبدون الله مخالفين قولكم. وهذا قول مجاهد والزجاج[٢].

والثالث: فأنا أول الآنفين من هذا القول.

قال ابن قتيبة[٣]: يقال: عَبِدتُ من كذا أعبَدُ عَبَداً، فأنا عَبِد وعَابِد. قال الفرزدق:

.... وأعبَدُ أن [تُهْجَى][٤] تميم [بدارم][٥]

أي: آنف. قاله ابن السائب وأبو عبيدة[٦].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣١).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٤)، والطبري (٢٥/ ١٠١). وانظر: معاني الزجاج (٤/ ٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠١).

(٤) في الأصل: تهجو. والتصويب من ب، ومن مصادر البيت.

(٥) عجز بيت للفرزدق، وصدره: (أولئك قوم إن هجوني هجوتهم)، وهو في: زاد المسير (٧/ ٣٣٢)، والإنصاف (٢/ ٦٣٧). وما بين المعكوفين في الأصل: بداهم. والتصويب من المصادر السابقة. ويروى:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم وأعبد أن أهجو كليباً بدارم

انظر: المحتسب (٢/ ٢٥٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٠٦)، والبحر (٨/ ٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٠٨).

(٦) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٣١)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٠٦).

قال ابن جني[(١)]: روينا عن [قطرب][(٢)] أن العابد: العالم، والعابد: الجاحد، والعابد: الأَنِف الغضبان.

قال: ومعنى هذه الآية يحتمل كل هذه المعاني.

الرابع: "إن كان للرحمن ولد": أن المعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عَبَدَ الله، لكني لست أول من عَبَدَ الله فلا يكون لله ولد. وهذا المعنى حكاه الواحدي عن سفيان بن عيينة[(٣)].

الخامس: إن صح أن للرحمن ولد، أو ثبت ببرهان صحيح توردونه، فأنا أول من يُعظِّمُ ذلك الولد ويعبده.

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفي الولد، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. [وهذا][(٤)] اختيار صاحب الكشاف[(٥)].

المذهب الثاني: أنها "إنْ" النافية. قاله الحسن وقتادة وابن زيد وآخرين[(٦)]. فيكون المعنى: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، أول من عَبَدَ الله وحده من

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٥٨).

(٢) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) الوسيط (٤/ ٨٣).

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) الكشاف (٤/ ٢٦٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠١). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٢).

هذه الأمة، أو فأنا أول الآنفين من هذا القول.

ويروى: أن النضر بن عبد الدار قال: إن الملائكة بنات الله، فنزلت هذه الآية، فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني. فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمن ولد فإنه أول الموحدين من أهل مكة: أن لا ولد له[١].

ثم نزّه الله سبحانه وتعالى نفسه بالآية التي تليها.

﴿فذرهم يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا﴾ وقرأ جماعة، منهم أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن محيصن: "حتى يَلْقَوا" بفتح الياء وسكون اللام وفتح القاف من غير ألف، وبها قرأتُ لأبي جعفر[٢].

﴿يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة.

وأكثر المفسرين يقولون: هذه منسوخة بآية السيف[٣]، وقد أسلفنا في غضون كتابنا أن هذا وأمثاله خارج مخرج التهديد، كقوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر:١١].

قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ قال الزجاج[٤]: المعنى: هو الموحَّدُ في السماء وفي الأرض.

وقرأ جماعة، منهم: عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وابن السميفع، وابن يعمر، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: "وهو الذي

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٩).

(٢) انظر: النشر (٢/ ٣٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٧).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٨)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٢١).

في السماء اللهُ وفي الأرض الله"[١]. والمقصود نفي آلهة سواه جلّت عظمته، وإبطال ما كانوا ينتحلونه من عبادة الأصنام.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، حتى أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة، فهم أحق بالشفاعة من محمد، فنزلت هذه الآية[٢].

﴿إلا من شهد بالحق﴾ استثناء منقطع، على معنى: لكن من شهد بالحق، وهو يوحِّد الله تعالى، وعلَّمه علماً سليماً من الشك، فهو الذي يملك الشفاعة.

وقيل: هو استثناء متصل؛ لأن في جملة "الذين يدعون من دون الله": الملائكة وعيسى وعزيراً. والأول قول قتادة والأكثرين[٣]، والثاني قول مجاهد[٤].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٣٣)، والدر المصون (٧/ ١٠٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

والواو في قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ واو الحال.

قوله تعالى: ﴿وقيله﴾ قرأ عاصم وحمزة: "وقيلِه" بكسر اللام. وقرأ الباقون بنصب اللام[١].

وقرأ جماعة، منهم: أبو هريرة، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، والجحدري، وقتادة: "وقيلُه" برفع اللام[٢].

فمن قرأ بالجر عطفه على "الساعة"، أي: وعنده علم الساعة وعلم قِيله.

ومن نصب احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يحمله على موضع: "وعنده علم الساعة"، على معنى: ويعلم الساعة ويعلم قِيلَه. وهو اختيار الزجاج[٣].

الثاني: أن يكون منصوباً على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر، التقدير: ويقول قيلَه.

الثالث: أن يحمله على: "سرّهم ونجواهم"[٤]، التقدير: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيلَه. ذكرهما الأخفش. وذكر الأوجه الثلاثة أبو علي[٥].

وقال مكي[٦]: هو معطوف على مفعول "يكتبون" المحذوف، تقديره:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٥)، والكشف (٢/ ٢٦٢)، والنشر (٢/ ٣٧٠)، والإتحاف (ص:٣٨٧)، والسبعة (ص:٥٨٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٣٤-٣٣٥)، والدر المصون (٦/ ١١٠).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٢١).

(٤) قوله: "ونجواهم" مكرر في الأصل.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٦) الكشف (٢/ ٢٦٢).

[ورسلنا لديهم][1] يكتبون ذلك وقيلَه.

قال[2]: ويجوز أن يكون معطوفاً على مفعول "يعلمون" المحذوف. ذكر هذين الوجهين مع الثلاثة المتقدمة[3].

ومن رفع فعلى الابتداء، والخبر ما بعده، أو هو محذوف، تقديره: وقيلُه يا رب مسموع، أو مُتقبَّل.

قوله تعالى: ﴿فاصفح عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿وقل سلام﴾ مثل قوله في القصص: ﴿سلام عليكم﴾ [القصص:٥٥]. وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف[4].

ثم [هددهم][5] بقوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون﴾.

وقيل: المعنى: فسوف يعلمون أنك صادق عند حلول العذاب بهم.

ويحتمل عندي أن يكون المعنى: فسوف يعلمون صدقك عند استفحال سلطانك وانتشار دعوتك، وظهور دينك.

وقرأ نافع وابن عامر: "فسوف تعلمون" بالتاء، على الأمر للنبي ﷺ بمخاطبتهم[6].

---

(١) زيادة من الكشف (٢/ ٢٦٢).

(٢) أي: مكي في الكشف.

(٣) الكشف (٢/ ٢٦٣).

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٨)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

(٥) في الأصل: هدهم.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٦)، والكشف (٢/ ٢٦٣)، والنشر (٢/ ٣٧٠)، والإتحاف (ص:٣٨٧)، والسبعة (ص:٥٨٩).

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست وخمسون آية في المدني وسبع في الكوفي(1)، وهي مكية بإجماعهم.

قال: أخبرنا أبو [المجد](2) محمد بن أبي بكر [الكرابيسي](3)، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل [بن](4) محمد وابن عمه أبو سعيد المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن [حمد](5) بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين بن [الكسار](6) الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني قال: أخبرنا الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((من قرأ سورة الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له))(7).

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٥).

(٢) في الأصل: المجلد. وقد سبق صوابه كما أثبتناه.

(٣) في الأصل: الكربيسي. وقد سبق صوابه كما أثبتناه.

(٤) زيادة على الأصل.

(٥) في الأصل: أحمد. وقد سبق صوابه كما أثبتناه.

(٦) في الأصل: الكساب. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥١٤).

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٣ ح٢٨٨٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣١٩).

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ هذا جواب القسم، والكنايةُ راجعةٌ إلى "الكتاب"، وهو القرآن، و"الليلة المباركة": ليلة القدر، في قول ابن عباس وعامة المفسرين[١]، وقد ذكرنا كيفية إنزاله في ليلة القدر في مقدمة الكتاب.

وسنذكر إن شاء الله تعالى معنى بركتها وفضيلتها في سورة القدر.

وقال عكرمة: في ليلة النصف من شعبان[٢].

وهذا بعيد من وجهين[٣]:

أحدهما: أنه خلاف ما عليه عامة أهل العلم.

الثاني: أنه يناقض قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر:١].

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله[٤]: الرواية عن عكرمة بذلك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٩٨-٤٠٠) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. ومن نفس الطريق عزاه لابن جرير أيضاً.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤٤).

(٣) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١٣٨): ومن قال أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النّجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان.

وعلى هذا: فإن الصواب هو القول الأول وعليه عامة المفسرين.

(٤) زاد المسير (٧/ ٣٣٨).

مضطربة.

قوله تعالى: ﴿إنا كنا منذرين﴾ مرتبط بجواب القسم، على معنى: إنا أنزلناه مفصلاً بالحكم والأحكام، مشتملاً على ضروب النذارة؛ لأن شأننا الإنذار من عذاب النار.

﴿فيها يفرق﴾ أي: يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ أي: محكم.

قال ابن عباس: يكتب[١].

وقال الضحاك: يقضي[٢].

وقال ابن زيد: ينزل[٣].

قال ابن عباس: يُكْتَبُ من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال، حتى الحاج[٤].

وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى[٥].

قوله تعالى: ﴿أمراً من عندنا﴾ قال الأخفش[٦]: "أمراً" و"رحمة" منصوبان على

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٨٥).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٧ ح٣٦٧٨)، والطبري (٢٥/ ١٠٩) بنحوه، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٧)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٢١ ح٣٦٦١) كلهم من قول ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٦) معاني الأخفش (ص: ٢٨٤).

الحال. والمعنى: إنا انزلناه آمرين أمراً وراحمين رحمة.

قال الزجاج[١]: ويجوز أن يكون منصوباً بـ"يُفرق"، بمنزلة يفرقُ فرقاً؛ لأن أمراً بمعنى فَرْقاً.

قال الفراء[٢]: ويجوز أن [تنصب][٣] الرحمة بوقوع "مرسلين" عليها، فتكون الرحمة هي النبي ﷺ.

وقال الزمخشري[٤]: ﴿أمراً من عندنا﴾ نصب على الاختصاص[٥]. جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا، كائناً من لدنا. و"رحمة": مفعول له، على معنى: إنا أنزلنا القرآن؛ لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم.

قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض﴾ قرأ أهل الكوفة: "ربِّ" بالجر. وقرأ الباقون بالرفع[٦].

قال الزجاج[٧]: الخفض على الصفة، على قولك: من رَبّ. ومن رفع فعلى

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٤).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٣٩).

(٣) في الأصل: ينتصب. والتصويب من معاني الفراء، الموضع السابق.

(٤) الكشاف (٤/ ٢٧٥).

(٥) في الأصل زيادة قوله: من. وانظر النص في: الكشاف، الموضع السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٦)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٨)، والسبعة (ص:٥٩٢).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٤).

قوله: "إنه هو السميع العليم". وإن شئت على الاستئناف، على معنى: هو رب السموات والأرض.

﴿وما بينهما إن كنتم موقنين﴾، ومعنى الشرط: أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل لهم: إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مُقِرُّون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما، أي: إن كان إقراركم عن إيقان بالله تعالى وإتقان لمعرفته.

قوله تعالى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ قرأ الأكثرون: "ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين" برفع الباء فيهما. وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء اللغوي رحمه الله للكسائي من رواية الشيزري عنه: بالجر فيهما[1]، بدلاً من "ربك".

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾
يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا
مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ
وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ
نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ تكذيبٌ لهم في دعواهم الإيقان بالله تعالى، فإنهم لو كانوا مصدقين بذلك ما صدر عنهم ما لا يجامعه من عبادة الأصنام وجحد البعث وتكذيب الرسل.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٨٨).

قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ اختلف فيه وفي وقته على قولين:

أحدهما: أنه الجوع الذي أصاب كفار قريش بدعوة النبي ﷺ، على ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: حدثنا عبدالله -يعني: ابن مسعود- قال: «إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾. قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله! استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، قال لمضر: إنك لجريء، فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال: يعني يوم بدر»[1]. هذا حديث متفق على صحته.

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن مسعود قال: «مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام»[2]. وإلى هذا القول ذهب مجاهد وأبو العالية

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٣ ح٤٥٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٦ ح٢٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٣ ح٤٥٤٣)، ومسلم (٤/ ٢١٥٧ ح٢٧٩٨).

والضحاك وابن السائب ومقاتل[١].

الثاني: أنه دخان مرتقب يكون في آخر الساعة. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام))[٢].

وقال ابن أبي مليكة: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلتُ: لِمَ؟ قال: طلع [الكوكب][٣] ذو الذنب فخشيت أن يكون دخاناً قد طرق، فما نِمْتُ حتى أصبحت[٤].

وهذا القول يروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة والحسن[٥].

قوله تعالى: ﴿يغشى الناس﴾ أي: يشملهم. وهو في محل الجر صفة لـ"دخان".

﴿هذا عذاب﴾ فيه إضمار منصوب على الحال[٦]، تقديره: قائلين هذا عذاب ﴿أليم﴾.

﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾ وهو الجوع، على القول الأول. والدخان، على

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٨). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٢).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣٩).

(٣) في الأصل: الكوب. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٦ ح٨٤١٩)، والطبري (٢٥/ ١١٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٣-١١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٧-٤٠٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن علي. ومن طريق آخر عن ابن عمر، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن أبي سعيد الخدري، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) انظر: الدر المصون (٦/ ١١٣).

الثاني، ﴿إنا مؤمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي: كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب، ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ وهو محمد ﷺ، ودلائل صدقه ظاهرة، وبراهين رسالته باهرة، فلم يذكروا ولم يتعظوا.

﴿ثم تولوا عنه وقالوا﴾ بهتاناً وعناداً: ﴿معلم مجنون﴾ يعلمه فلان وفلان غلمان أعاجم، وقد ذكرناهم عند قوله تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ [النحل:١٠٣].

قال الله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً﴾ زماناً قليلاً أو كشفاً قليلاً. وهو الضرّ الذي أصابهم بسبب الجوع، على قول ابن مسعود(١).

قال مقاتل(٢): كشفه الله تعالى عنهم إلى يوم بدر.

والدخان؛ على القول الآخر. فقد [روي](٣) أنه يكشف عنهم بعد أربعين يوماً، فريثما يكشف عنهم يرتدون(٤).

﴿إنكم عائدون﴾ يعني: إلى الشرك، على قول ابن مسعود(٥)، أو إلى عذاب الله، على القول الآخر.

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ هو يوم بدر، على قول ابن مسعود(٦)، ويوم

(١) وقد سبق الحديث قريباً.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٣).

(٣) في الأصل: وي.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٧٧).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٤٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٥ ح٣٦٦٧٣). وذكره السيوطي في الدر =

القيامة، على القول الآخر(١).

وقد سبق أن البطش: الأخذ بقوة.

فإن قيل: فما العامل في "يوم نبطش"؟

قلتُ: إما مضمر، تقديره: "اذكر"، أو ما دل عليه.

﴿إنا منتقمون﴾ على معنى: ننتقم منهم يوم نبطش.

فإن قيل: هل يجوز أن ينتصب بـ"منتقمون"؟

قلتُ: لا؛ لأن ما بعد "إن" لا يعمل فيما قبلها.

فإن قيل: ما وجه قراءة الحسن وأبي رجاء: "نُبْطِش" بضم النون وكسر الطاء؟

قلتُ: هو على معنى: نسلط عليهم من يبطش بهم، أو على معنى: نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم.

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ
عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ
﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ

= (٧/ ٤٠٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٨) وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أي: فتناهم بما فتحنا عليهم وأتحنا لهم من أسباب الرزق وامتداد العمر حتى بطروا نعمتي، وعبدوا غيري.

وقيل: المعنى: فتنَّاهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم.

﴿وجاءهم رسول كريم﴾ شريف وسيط النسب، أو كريم على ربه.

﴿أن أدوا إليّ عباد الله﴾ "أنْ" هي المفسرة، أو الخفيفة من الثقيلة، و"عباد الله" مفعول به، أو منادى[1].

فالأول على معنى: أرسلوا معي بني إسرائيل وسلمهم إليّ. والثاني على معنى: أدوا إليّ عباد الله ما هو واجب عليكم من التمسك بما جئتُ من التوحيد، والتنسك بما أمرتم به على لساني من الحكم والأحكام.

والمعنى الأول قول ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين[2]. والثاني ذكره الزجاج وغيره[3].

قال الماوردي[4]: وهو قول محتمل.

قوله تعالى: ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ "أنْ" هذه كالتي قبلها.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ١١٤).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٨٨)، والطبري (٢٥/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٥).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٢٤٩).

والمعنى: لا تتعظموا وتتكبروا على الله بالاستهانة برسوله.

﴿إني آتيكم بسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة تدل على صدقي.

قال المفسرون: لما قال ذلك تواعدوه بالقتل، فقال ﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾.

قال قتادة: بالحجارة[1].

وقال أبو صالح: ترجمون بالشتم، بأن تقولوا: ساحر أو كاهن أو مجنون[2].

﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ تنحّوا عني وخلوا سبيلي واجتنبوا أذاي.

﴿فدعا ربه أن هؤلاء﴾ أي: بأن هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ أي: مشركون.

قيل: كان دعاؤه: اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم.

وقرئ: "إنَّ هؤلاء" بكسر الهمزة[3]، على إضمار القول، أو لأن الدعاء في معنى القول.

فأجاب الله دعاءه وقال: ﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾ وهو على إضمار القول، تقديره: فقال أسر بعبادي، أو يكون جواب شرط محذوف، تقديره: إن كان الأمر كذلك كما تقول فأسر بعبادي، يعني: بني إسرائيل.

﴿إنكم متبعون﴾ يتبعُكم فرعون وجنوده.

﴿واترك البحر رهواً﴾ ساكناً. ومنه قول الأعشى:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١١٩). وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٦)، والدر المصون (٦/ ١١٤).

يمشينَ رهْوَاً فَلاَ الأعجازُ خاذلةً ولا الصُّدُورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ [(١)]

فالمعنى: اتركه ساكناً على حاله بعد انفراقه، فلا تأمره بالالتئام خوفاً منهم. ﴿إنهم جند مغرقون﴾ وعبارة المفسرين في الرّهو ترجع إلى هذا الأصل، أو إلى هذا المعنى.

قال قتادة: "رَهْوَاً": طريقاً يابساً[(٢)].

وقال مجاهد: منفرجاً[(٣)].

وقال الربيع: سهلاً[(٤)].

وقال الضحاك: دمثاً[(٥)].

وقد ذكرنا قصة غرقهم في البقرة.

والآية التي بعدها مُفسّرة في الشعراء[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ونَعمة كانوا فيها فاكهين﴾ وهي ما كانوا فيه من السعة والرغد.

قال ابن عمر: هو نيل مصر[(٧)].

---

(١) ونسب للقطامي أيضاً، انظر: ديوانه (ص:٤)، واللسان (مادة: رها)، والقرطبي (١٦/ ١٣٧)، والدر المصون (٦/ ١١٥)، والبحر (٨/ ٣٢)، والماوردي (٥/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤١٠) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٠) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر، الموضع السابق.

(٦) عند الآية رقم: ٥٧.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥١).

وقال ابن زياد: أرض مصر لكثرة خيرها[١].

وقد ذكرنا النعمة في [أول][٢] البقرة في قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ [البقرة:٤٠].

و"فاكهين" وقرأ أبو جعفر: "فكهين"[٣]، هو مذكور في يس[٤].

﴿كذلك﴾ أي: الأمر كذلك ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾ ليسوا منهم في شيء، بل كانوا مستعبدين في أيديهم.

قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ اختلف العلماء في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على حقيقته وظاهره، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه: الحُمرة التي في السماء بكاؤها[٥].

وقال علي عليه السلام: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاّه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مصلى ولا في السماء مصعد عمل، فقال الله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥١).

(٢) في الأصل: أوال.

(٣) النشر (٢/ ٣٥٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٦).

(٤) عند الآية رقم: ٥٥.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٤٥).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٩)، وابن المبارك في الزهد (ص:١١٤)، والمقدسي في المختارة (٢/ ٣٥٨ ح٧٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٣) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر من طريق المسيب بن رافع عن علي رضي الله عنه.

وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً[١]، فقيل له: أَوَ تبكي؟ فقال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يَعْمُرُها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دويٌّ كدويّ النحل؟[٢].

وإلى هذا القول ذهب عامة المفسرين المتقدمين. ويؤيده ما أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من مؤمن إلا وله بابان، بابٌ يصعد منه عمله، وبابٌ ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾))[٣].

الثاني: أنه على حذف المضاف، تقديره: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض. قاله الحسن[٤].

الثالث: أنه على مذهب العرب، فإنهم يقولون إذا مات رجل خطير: بكت عليه السماء والأرض، وأظلمت له الشمس، وبكته الريح.

ومنه قول جرير يرثي عمر بن عبدالعزيز:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٣) وعزاه لابن أبي شيبة والبيهقي.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧١٤ ح١١٧٤٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤١٢) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٠ ح٣٢٥٥).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥٢).

الشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ تبكي عليكَ نجومُ الليلِ والقمَرا
حُمِّلْتَ أمراً عظيماً فاصْطَبَرْتَ له وسِرْتَ فيه بحُكْمِ الله يا عُمَرا[(١)]

وقالت الخارجية:

أيَا شَجَرَ الخابُور ما لكَ مُورقاً كأنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابن طريف[(٢)]

وقال ابن مُفَرِّغ الحميري في غلامه برد حين باعه:

وشريْتُ بُرْداً ليتني من بعدِ بُرْدٍ كنتُ هامَه
الريحُ تبكي شَجْوَه والبرقُ يلمعُ في غمامه[(٣)]

قال بعض أهل المعاني[(٤)]: وذلك منهم على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء، وتنبيهاً على تعظيم مهلك الرجل الخطير، وعلى هذا المعنى

---

(١) البيتان لجرير، انظر: ديوانه (ص:٣٧٢) وفيه: فالشمس كاسفة ليست بطالعة، وانظر البيت الأول في: اللسان (مادة: شمس، كسف، بكا)، وأمالي المرتضى (١/ ٥٢)، والقرطبي (١٦/ ١٤٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٤٦)، والبحر (٨/ ٣٧)، والدر المصون (٦/ ١١٦)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٤)، والماوردي (٥/ ٢٥٣). وانظر البيت الثاني في: الجمل للفراهيدي (ص:١١١)، ومغني اللبيب (ص:٤٨٦).

(٢) البيت لليلى بنت طريف الخارجية، وهو في: الأغاني (١٢/ ١١٣، ١١٤، ١١٦)، والقرطبي (١٦/ ١٤٠)، وروح المعاني (٢١/ ٨٠) ونسبه للخنساء، واللسان (مادة: خبر).

(٣) البيتان ليزيد بن مفرغ الحميري، انظر: ديوانه (ص:٢١٣)، والأغاني (١٨/ ٢٦٩). وانظر البيت الأول في: اللسان (مادة: برد، شري)، والقرطبي (٣/ ٢١، ٩/ ١٥٥)، والطبري (١/ ٤١٥، ١٢/ ١٧٠)، وزاد المسير (٢/ ١٣١)، وروح المعاني (١٢/ ٢٠٤). وانظر البيت الثاني في: البحر (٨/ ٣٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٤٦).

(٤) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٨٠).

حملوا الأخبار والآثار الواردة في ذلك. والله تعالى أعلم.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين﴾ وهو ما كان فرعون يعدهم به من استخدامهم في الأعمال الشاقة، واستحياء النساء، وقتل الأبناء.

﴿من فرعون﴾ أي: من العذاب المهين الواقع من فرعون، ويجوز أن يكون "من فرعون" بدلاً من "العذاب المهين"(١)، كأنه في نفسه عذاب؛ لفرط توغله فيه.

وقرئ: "مِنْ عَذَابِ المهين"(٢) على إضافة العذاب إلى المهين، وهو فرعون.

﴿إنه كان عالياً﴾ متكبراً ﴿من المسرفين﴾ وهما خبرا "كان"(٣).

قوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ "على عِلْم" في محل الحال(٤). والمعنى: ولقد اخترنا بني إسرائيل عالمين بما اخترناه على عالمي زمانهم.

وقيل: هو على عمومه، على معنى: اخترناهم على جميع العالمين، بأن جعلنا الأنبياء منهم، وأكرمناهم بإنزال المنّ والسلوى، وتظليل الغمام عليهم، وغير ذلك من الآيات العظام والعجائب المختصة بهم.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ١١٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ١١٦)، والكشاف (٤/ ٢٨٠).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ١١٦).

﴿وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة ظاهرة.

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

ثم عاد إلى الإخبار عن كفار قريش فقال تعالى: ﴿إن هؤلاء ليقولون * إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ قال صاحب الكشاف[1]: [فإن][2] قلت: كان الكلام واقعاً في الحياة الثانية لا في الموت، فهلاّ قيل: إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين؟ كما قيل: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾؟ وما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى؟

قلتُ: معناه -والله الموفق للصواب-: أنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة [قد تعقبتها][3] حياة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [البقرة:٢٨] فقالوا: ﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ يريدون: ما الموتة التي من شأنها أن تتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية.

﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين. يقال: أنشر الله تعالى الموتى ونشرهم: إذا

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) زيادة من الكشاف (٤/ ٢٨١).

(٣) في الأصل: تعقبها. والتصويب والزيادة من الكشاف، الموضع السابق.

بعثهم. وقد سبق ذلك.

﴿فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ هذا من جملة تعنّتهم؛ لأنهم قد شاهدوا من معجزات النبي ﷺ ما يغنيهم عن الاحتكام عليه بالإيتاء بآبائهم، وفيه إيذان بجهلهم حيث طلبوا منه إحياء الموتى ليؤمنوا، ولو وقع ذلك لكانوا مضطرين إلى الاعتراف به، لموضع مشاهدتهم إياه، فيخرج عن حد الإيمان بالغيب، ويبطل معنى التكلف.

قوله تعالى: ﴿أهم خير أم قوم تبّع﴾ هذا تخويف لكفار قريش. والمعنى: أهم خير في القوة والنعمة.

قال ابن عباس: أهم أشد أم قوم تُبَّع [١].

أخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تسبوا تُبَّعاً فإنه كان قد أسلم)) [٢].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ما أدري تُبَّعاً نبياً أو غير نبي)) [٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تسبوا تُبَّعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله تعالى ذمّ قومه ولم يذمّه [٤].

وقال قتادة: هو تُبّع بن حمير الحميري، وكان سار بالجيوش حتى حَيَّرَ الحيرة،

---

(١) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠ ح٢٢٩٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٨ ح٣٦٨١)، والطبري (٢٥/ ١٢٨-١٢٩).

وبنى سمرقند، وكان إذا كتب كتب: بسم الذي ملك براً وبحراً وضحاً وريحاً[١].

وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت[٢].

﴿والذين من قبلهم﴾ يعني: من الأمم الخالية الكافرة. وهو مبتدأ، خبره: ﴿أهلكناهم﴾. ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر دلّ عليه "أهلكناهم". ويجوز أن يكون مرفوعاً عطفاً على "قوم تُبَّع"، والتقدير: أهم خير أم قوم تبع المهلكون من قبلهم[٣].

فعلى هذا يقف على "قبلهم"، ويكون "أهلكناهم" في تقدير: وأهلكناهم.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا
مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل﴾ يريد: يوم القيامة، ﴿ميقاتهم أجمعين﴾.

وقرأ عبيد بن عمير: "ميقاتَهم" بالنصب[٤]، على أنه اسم "إنّ"، والخبر: "يوم الفصل"[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٨). وذكره الماوردي (٥/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٥) وعزاه لابن المنذر وابن عساكر.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٣١)، والدر المصون (٦/ ١١٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩)، والدر المصون (٦/ ١١٧).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ١١٧).

﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ أي: لا يغني مولى قريب أو غير ذي قرابة.

وقال أبو عبيدة[١]: لا ينفع ابن عمّ ابن عمّه.

﴿إلا من رحم الله﴾ في محل الرفع على البدل من الواو في "ينصرون"، أو في محل النصب على أصل الاستثناء[٢]، وهم الذين ماتوا على الإسلام، فإنهم يشفعون ويشفع فيهم، وينفع بعضهم بعضاً.

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم﴾ وهي مذكورة في سورة الصافات[٣].

﴿طعام الأثيم﴾ أي: الفاجر الكثير الآثام.

ويروى: «أن رجلاً كان يقرأ هذه الآية على أبي الدرداء ويقول: "طعام اليثيم"، وأبو الدرداء يرددها عليه ولسانه لا يجري بها، فقال أبو الدرداء: قل: طعام الفاجر»[٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣١)، والدر المصون (٦/ ١١٧).

(٣) عند الآية رقم: ٦٢.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٩ ح٣٦٨٤)، والطبري (٢٥/ ١٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه.

فقال الزمخشري[١]: ومن هذا أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، [وهي][٢]: أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر.

وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

و"المهل" مذكور في سورة الكهف[٣].

قرأ ابن كثير وحفص: "يغلي" بالياء؛ لتذكير الطعام.

فإن قيل: هل يجوز أن يراد المهل؟

قلتُ: لا؛ لأنه ذكر ليشبه به الطعام.

وقرأ الباقون: "تغلي" بالتاء[٤]؛ لتأنيث الشجرة.

والحميم: الماء الحار الذي انتهى غليانه. وقدم ذكره أيضاً.

قوله تعالى: ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وابن

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: وهو. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) عند الآية رقم: ٢٩.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٧)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٨)، والسبعة (ص:٥٩٢).

عامر: "فَاعْتُلُوهُ" بضم التاء. وقرأ الباقون بكسرها[١].

والمعنى: خذوه أيها الزبانية وقودوه إلى النار بعنف وغلظة، ومنه: العُتُلّ، وهو الغليظ الجافي.

"إلى سواء الجحيم" أي: وسط النار.

قال مقاتل[٢]: هذه الآيات في أبي جهل، يضربه المَلَك من خُزَّان جهنم على رأسه بمقمعة من حديد، فتثقب دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصب الملك في النقب ماءً حميماً قد انتهى حرّه، فيقع في بطنه، ثم يقول له الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾.

قرأ الكسائي: "ذُقْ أَنَّكَ" بفتح الهمزة، على معنى: ذق لأنك، أو بأنك. وكسرها الباقون على الاستئناف[٣].

وفي الحديث: أنه قال يوماً لرسول الله ﷺ: ((ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني))[٤]، فيكون هذا القول له في النار خارجاً على مذهب الاستهزاء به والتوبيخ له.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٧)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٨)، والسبعة (ص:٥٩٢-٥٩٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٧)، والكشف (٢/ ٢٦٤)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

قال قتادة: إنك أنت العزيز الكريم عند نفسك[١].

وقيل: إنك أنت العزيز الكريم على قومك[٢].

ثم تقول الخَزَنَة للكفار توبيخاً لهم وتصغيراً: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى ما وقعوا فيه من العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكُّون أو تتلاحون وتتمارون فيه.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ قرأ نافع وابن عامر: "مُقام" بضم الميم، على أنه اسم المكان، مِنْ أقام، أو تكون مصدراً على تقدير حذف مضاف، تقديره في موضع إقامة. وقرأ الباقون بالفتح[٣]، على أنه اسم مكان، مِنْ قَامَ، كأنه اسم للجنس أو للمشهد، كما قال تعالى: ﴿في مقعد صدق﴾ [القمر: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿أمين﴾ يدل على أنه اسم مكان.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥٠).

(٢) ذكره الماوردي، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٦٥٧)، والكشف (٢/ ٢٦٥)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص: ٣٨٩)، والسبعة (ص: ٥٩٣).

والمعنى: في مقام أمنوا فيه من جميع المخاوف.

وقد ذكرنا "الجنات" في أوائل سورة البقرة[١]، و"السندس والإستبرق" في الكهف[٢]،

و"متقابلين" في سورة الحجر[٣].

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كذلك. ويجوز أن يكون في محل النصب، على معنى: آتيناهم مثل ذلك، ﴿وزوجناهم بحور عين﴾.

قال المفسرون: المعنى: قَرَنَّاهم بهنّ وليس من عقد التزويج.

قال يونس: العرب لا يقولون: تزوج بها، إنما يقولون: تزوجها[٤].

قال أبو علي الفارسي[٥]: والتنزيل على ما قال يونس[٦].

وقال ابن قتيبة[٧]: يقال: زوجته امرأة، وزوجته بامرأة.

وأما الحور؛ فقال مجاهد: النساء النقيات البياض[٨].

---

(١) عند الآية رقم: ٢٥.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) عند الآية رقم: ٤٧.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من الحجة.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٧) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٨) انظر: الطبري (٢٥/ ١٣٦).

وفي تفسير مجاهد (ص:٥٩٠) قوله: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ يقول: أنكحناهم حوراً عيناً. والحور: اللاتي يحار فيهن الطرف؛ باد مخ سوقهن من وراء ثيابهن، فينظر الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.

=

قال أبو [عبيدة][(١)]: الحوراء: الشديدة بياض العين الشديدة سوادها. وقد ذكرنا في سورة الصافات معنى "عِين"[(٢)].

قوله تعالى: ﴿آمنين﴾ قال قتادة: من الموت والأوصاب والشيطان[(٣)].

وقيل: آمنين من انقطاع الفاكهة في بعض الأزمنة[(٤)].

﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ قال صاحب الكشاف[(٥)]: إن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى -المذوقة قبل دخول الجنة- من الموت المنفي ذوقه فيها؟

قلتُ: أريد: لا يذوقون فيها الموت البتة، فوضع قوله: ﴿إلا الموتة الأولى﴾ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها.

= ورد الطبري على مجاهد معنى الحور هذا وقال: وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها أنه يحار فيها الطرف قول لا معنى له في كلام العرب؛ لأن الحور إنما هو جمع حوراء كالحمر جمع حمراء، والسود جمع سوداء. والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض كما قيل وبالمنفعة البياض من الطعام الحواري (الطبري ٢٥/ ١٣٦).

(١) في الأصل: عبيد. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٦).

(٢) عند الآية رقم: ٤٨.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥١).

(٥) الكشاف (٤/ ٢٨٦).

وقال ابن جرير[١]: "إلا" بمعنى بعد. وقد ذكرنا هذا في قوله: ﴿إلا ما قد سلف﴾ [النساء:٢٢]. وأكثر المفسرين يقول: سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فضلاً من ربك ذلك﴾ مفعول له، [أو مفعول][٢] به، على معنى: أعطاهم فضلاً، أو مصدر مؤكد لما قبله[٣]؛ لأن قوله تعالى: ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ تفضل منه لهم، فكأنه قال: تَفَضَّلَ عليهم فضلاً.

وقال الزجاج[٤]: المعنى: فعل الله تعالى بهم ذلك فضلاً منه.

وقرئ: "فَضْلٌ" بالرفع[٥]، على معنى: ذلك فضل.

قوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن، ﴿بلسانك﴾ أي: بلغتك ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أراد: أن يفهموه فيتدبروه.

﴿فارتقب﴾ انتظر ما يحلّ بهم ﴿إنهم مرتقبون﴾ هلاكك.

وأكثر المفسرين يقولون: هذه الآية منسوخة بآية السيف[٦].

والصحيح: أنها محكمة، على ما سبق في نظائرها. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الطبري (٢٥/ ١٣٧).

(٢) في الأصل: أمفعول.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٣١)، والدر المصون (٦/ ١٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٢٩).

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٢٨٦).

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥).

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة الشريعة. وهي ست وثلاثون آية في المدني، وسبع في الكوفي[1].

وهي مكية في قول عامة المفسرين[2].

واستثنى قوم آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ فقالوا: هي مدنية[3].

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

قال الله تعالى: ﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ يجوز أن يكون على ظاهره.

وقال الزجاج[4]: المعنى -والله تعالى أعلم-: إن في خلق السموات والأرض،

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٦).

(٢) ذكر السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت بمكة سورة حم الجاثية. وذكر عن ابن الزبير أيضاً قال: أنزلت سورة الشريعة بمكة.

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٢٦٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٥٤)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٤٣١).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وفي خلقكم﴾.

والمعنى: وفي خلقكم من تراب ثم نطفة إلى أن يتكامل خلق الإنسان وينفخ فيه الروح ﴿وما يبث من دابة﴾ عطف على "الخلق" المضاف، لا على المضاف إليه؛ لأنهم يستقبحون عطف المُظْهَر على المُضْمَر المجرور.

وقد ذكرنا علة ذلك في أول النساء(١).

قرأ حمزة والكسائي: "آياتٍ لقومٍ يوقنون" و "آياتٍ لقومٍ يعقلون" بالنصب فيهما. وقرأ الباقون "آياتٌ" بالرفع فيهما(٢).

قال الزجاج وأبو علي وغيرهما(٣): من قرأ برفع "الآيات"، فإن الرفع من وجهين:

أحدهما: العطف على موضع "إنَّ" وما عملت فيه؛ لأن موضعها رفع بالابتداء، فيحمل الرفع فيه على الموضع.

والآخر: أن يكون مستأنفاً ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة، فيكون قوله تعالى -على هذا- ﴿آياتٌ﴾: مرتفعاً بالابتداء، أو بالظرف في قول من رأى الرفع به.

وأما حمزة والكسائي فإنهما حملا على لفظ "إنّ" دون موضعها، حَمَلاَ "آيات" في الموضعين على نصب "إنَّ" في قوله تعالى: ﴿إن في السموات والأرض لآيات

---

(١) عند الآية رقم: ١.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٨)، والكشف (٢/ ٢٦٧)، والنشر (٢/ ٣٧١)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٤٣١-٤٣٢)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

للمؤمنين﴾، ومما يؤكد قراءتها وأنّ "آيات" محمولة على ما ذكرهن في بعض القرآن بثلاث لامات؛ ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة لآيات﴾، وكذلك الموضعان الآخران؛ لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر "إنَّ" أو على اسمها. فأما قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يسلم الكلام من العطف على عاملين، وجاز حذف "في" هاهنا، وهي مرادة؛ لتقدم ذكرها في قوله تعالى: ﴿إن في السموات﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وفي خلقكم﴾ فلما تقدم ذكرها في الموضعين قدّر إثباتها وإن كانت محذوفة، كما قدر سيبويه[١] في قوله:

أكل امرئ تحسبين امرءاً ونارٍ تَوقَّدُ بالليل نارا[٢]

أن "كلّ" في حكم الملفوظ به، واستغني عن إظهاره بتقدُّم ذكره.

وفي قراءة ابن مسعود: "وفي اختلاف الليل والنهار"[٣]، وقد سبق تقدير الاثنين في سورة البقرة[٤].

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا

(١) انظر: الكتاب (١/ ٦٦).

(٢) البيت لابن أبي دؤاد الإيادي. وهو في: أمالي ابن الشجري (١/ ٢٩٦) بلا نسبة.

(٣) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ١٢٢)، والكشاف (٤/ ٢٨٨).

(٤) عند الآية رقم: ١٦٤.

ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿تلك﴾ إشارة إلى [ما][1] تقدم إنزاله من القرآن، أو إلى هذه الحجج المذكورة.

﴿آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ مُفسّر في سورة البقرة[2].

﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ مُفسّر في الأعراف[3].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص: "يؤمنون" بالياء حملاً على ما قبله من الغيبة. وقرأ الباقون بالتاء[4]، حملاً على قوله تعالى: ﴿وفي خلقكم﴾، أو على معنى: قل لهم يا محمد فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ قال ابن عباس: نزلت في النضر بن الحارث[5].

و"الويل" مذكور في البقرة، و"الأفاك الأثيم" في الشعراء[6]، والتي تليها في

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) عند الآية رقم: ٢٥٢.

(٣) عند الآية رقم: ١٨٥.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٥٩)، والكشف (٢/ ٢٦٧)، والنشر (٢/ ٣٧١-٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٨٩)، والسبعة (ص:٥٩٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٥٥).

(٦) عند الآية رقم: ٢٢٢.

سورة لقمان(١).

قوله تعالى: ﴿وإذا علم من آياتنا﴾ وقرأ ابن مسعود بضم العين وكسر اللام وتشديدها(٢). والمعنى: وإذا أحس بشيء من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد ﷺ ﴿اتخذها هزواً﴾.

وقيل: المعنى: وإذا علم من آياتنا شيئاً يتشبث به المعاند اتخذها هزؤاً وسلّماً يرقى فيه إلى أغراضه الفاسدة، ﴿أولئك﴾ يشير إلى كل أفّاك أثيم.

قوله تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ مُفسّر في سورة إبراهيم(٣).

﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من الأموال وزينة الدنيا ﴿شيئاً﴾ أي: لا ينفع ولا يدفع عنهم شيئاً من العذاب، كقوله تعالى: ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ [المجادلة:١٧]، ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: آلهتهم لا تدفع عنهم أيضاً شيئاً من العذاب.

قوله تعالى: ﴿هذا هدى﴾ يريد: القرآن ﴿والذين كفروا﴾ من هذه الأمة وغيرهم ﴿بآيات ربهم﴾ القرآن وغيره من كتب الله تعالى ﴿لهم عذاب من رجز أليمٍ﴾. وقرئ: "أليمٌ" [بالرفع](٤). وقد [ذكرناه](٥) في سورة سبأ(٦)، و"الرجز" في

---

(١) عند الآية رقم: ٧.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٥٦)، والدر المصون (٦/ ١٢٦).

(٣) عند الآية رقم: ١٦.

(٤) في الأصل: بالفع. وانظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٢)، والكشف (٢/ ٢٠١-٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٤).

(٥) في الأصل: ذكرنا.

(٦) عند الآية رقم: ٥.

الأعراف[١].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿جميعاً منه﴾ الجار والمجرور في محل الحال[٢]. المعنى: سخر لكم هذه الأشياء كائنة من عنده.

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي جميعاً منه[٣].

وقرأ جماعة، منهم: عبد الله بن عمرو، [وعبدالله][٤] بن العباس، وأبو مجلز، وابن محيصن، وابن السميفع، والجحدري: "جميعاً مِنَّةً"[٥] بفتح النون وتشديدها مع النصب والتنوين على المصدر، بما دل عليه: "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً" كأنه قال: مَنَّ عليكم مِنَّة.

---

(١) عند الآية رقم: ١٣٤.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ١٢٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: وعبد. والصواب ما أثبتناه.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٥٦)، والدر المصون (٦/ ١٢٧).

وقرأ سعيد بن جبير: "مَنُّه" بفتح الميم وتشديد النون ورفعها[1]، على معنى ذلك، أو هو منه، أو هو فاعل "سَخَّر".

قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ ذهب جمهور المفسرين إلى أنها نزلت في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فروى عطاء عن ابن عباس: أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبيّ غلامه ليستقي له ماء، فأبطأ عليه، فلما أتاه قال: ما حَبَسَكَ؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قِرَب النبي ﷺ، وقِرَب أبي بكر، وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مثلُنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سَمِّن كلبكَ يأكُلْك، فبلغ عمر رضي الله عنه قوله، فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه، فنزلت هذه الآية[2].

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس أيضاً قال: لما نزلت: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة:٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له: فنحاص: احتاج رب محمد، فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل بهذه الآية، وبعث رسول الله ﷺ في طلب عمر، فلما جاء قال: يا عمر ضع سيفك، وتلا عليه هذه الآية[3].

وقال مقاتل[4]: نزلت في عمر بن الخطاب، وكان قد شتمه رجل، فهمَّ أن

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٥٦)، والدر المصون (٦/ ١٢٧).

(٢) ذكره الواحدي في: أسباب نزول القرآن (ص:٣٩٣)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٣٥٧).

(٣) ذكره الواحدي في: أسباب نزول القرآن (ص:٣٩٤)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٣٥٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٢).

يطش به، فنزلت هذه الآية، وأمره الله تعالى بالعفو والصفح عنه. روي عن ابن عباس أيضاً.

فصل

وعامة المفسرين يقولون: هي منسوخة[1]؛ لأنها نزلت متضمنة الصفح عن المشركين والتجاوز عنهم.

واختلفوا في ناسخها؛ فقيل: آية السيف[2].

وقيل: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم﴾ [الأنفال:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ [التوبة:٣٦]. رويا عن قتادة[3].

وقال أبو صالح: وقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم... الآية﴾[4] [الحج:٣٩].

وقال قوم: هي محكمة. وقد ذكرنا أمثال ذلك فيما مضى.

فصل

وأما إعراب "يغفروا" فإنه مثل قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ [إبراهيم:٣١]. وقد سبق ذكره هناك، وسبق أيضاً [الرجاء][5]، يطلق بمعنى: الخوف. فالمعنى: لا يخشون وقائع الله بأمثالهم.

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٥-٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٤) وعزاه لابن جرير وابن الأنباري في المصاحف.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٤٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٦٣).

(٥) زيادة على الأصل.

وقيل: لا يأملون ما وعد الله المؤمنين من الثواب.

والأول أظهر المعنيين هاهنا. وقد سبق ذكر المراد "بأيام الله" في سورة إبراهيم(١).

قوله تعالى: ﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: "لنجزي" بالنون، وقرأ الباقون بالياء(٢).

وقرأتُ لأبي جعفر: "ليُجزَى" بضم الياء وفتح الزاي(٣).

واتفقوا على نصب "قوماً"، ولا إشكال في نصبه على القراءتين المشهورتين. والتقدير على قراءة أبي جعفر: ليُجْزَى الجزاءُ قوماً. واللام في "ليجزي" يتعلق بقوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾، أي: اغفروا لهم ليجزي قوماً.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾

---

(١) عند الآية رقم: ٥.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٠)، والكشف (٢/ ٢٦٨)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٤-٥٩٥).

(٣) النشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٩٠).

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ
وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ يريد: التوراة ﴿والحكم﴾ يعني: الحكمة والفقه.

وقيل: فصل الخصومات.

﴿والنبوة﴾ وما في الآية سبق تفسيره في مواضع.

﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أعطيناهم برهاناً يصدعون به بين الحق والباطل، ويفرقون به بين الحلال والحرام.

وقيل: آتيناهم العلم بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته.

وما بعده سبق تفسيره فيما مضى إلى قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أي: صيّرناك على طريقة واضحة من أمر الدين.

وما بعده ظاهر ومُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿أم حسب﴾ الهمزة لإنكار الحسبان ﴿الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾.

قوله تعالى: ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: "سواءً" بالنصب. وقرأ الباقون: بالرفع(١).

فمن نصب جعله المفعول الثاني "لنجعل"، أو يكون حالاً، ويكون المفعول الثاني "لنجعلهم كالذين آمنوا". ويجوز أن يكون من الضمير المرفوع في "كالذين آمنوا"، وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في "نجعلهم" في كلا الوجهين من كونه مفعولاً ثانياً، أو حالاً قد أعمل عمل الفعل، فرفع به "محياهم"، ومن رفع جعله خبر مبتدأ متقدم، والمبتدأ: "محياهم ومماتهم" سواء.

والمراد من الآية: الإعلام بنفي المساواة بين الصالح والطالح في حياته ومماته، وذم من سوّى بينهم في ذلك.

قال إبراهيم بن الأشعث: كنتُ كثيراً ما أرى الفضيل بن عياض يردد من أول ليلته إلى آخرها هذه الآية ونظائرها: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾، ثم يقول: يا فضيل، ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟!(٢).

وما بعده مُفسّر وظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

قال مقاتل(٣): نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

وقد سبق تفسيره في الفرقان(٤).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦١)، والكشف (٢/ ٢٦٨)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٥).

(٢) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٦١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٤).

(٤) عند الآية رقم: ٤٣.

قوله تعالى: ﴿وأضله الله على علم﴾ قال الزجاج[١]: أي: على ما سبق في علم الله تعالى قبل أن يخلقه أنه ضالّ. وهو معنى قول ابن عباس[٢].

وقال مقاتل[٣]: على علم منه أنه ضالّ.

وتمام الآية مُفسّر في البقرة[٤]، والتي تليها مُفسّرة في المؤمنين[٥] إلى قوله تعالى: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي: ما يُفنينا إلا مرّ الزمان واختلاف الجديدين. ولم يكن من اعتقادهم أن قبض أرواحهم بإذن الله تعالى على يد مَلَك الموت وأعوانه، ونسبتهم ذلك إلى الدهر على عادتهم في إضافة الحوادث التي تنزل بهم إليه. وإذا استقرأت أشعارهم وأخبارهم رأيناها مشحونة بذلك، وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[٦]، أي: فإن الله هو الذي يفعل بكم ما تنسبونه إلى الدهر.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٦٦ ح١٠٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم واللالكائي في السنة والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٤).

(٤) عند الآية رقم: ٧.

(٥) عند الآية رقم: ٣٧.

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٦٣ ح٢٢٤٦).

لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ
جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا
كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

وما بعده سبق تفسيره في مواضعه إلى قوله تعالى: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾.

قال ابن عباس: مجتمعة[١].

وقال قتادة: جماعات، من الجَثْوَة، وهي الجماعة[٢]. وقد ذكرناه في سورة مريم[٣].

وقال مجاهد: مستوفزة[٤].

وقال الحسن: باركة على الركب[٥].

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: في القيامة ساعة هي عشر سنين، يكون الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي: نفسي نفسي، لا أسألك إلا نفسي[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٦٧).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٥٠).

(٣) عند الآية رقم: ٦٨.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٢)، والطبري (٢٥/ ١٥٤). وذكره الماوردي (٥/ ٢٦٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٦٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٠).

وقرئ: "جَاذِيَةً" بالذال المعجمة[١]، والجذوّ أشد استيفازاً من الجثو؛ لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه[٢].

﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ وقرأت على شيخنا أبي البقاء ليعقوب من بعض طرقه: "كُلَّ أمَّةٍ" بالنصب[٣].

فمن رفع فعلى الابتداء، ومن نصب جعله بدلاً مما قبله.

قال ابن [عباس][٤]: تدعى إلى كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها[٥].

وقال الشعبي: تدعى إلى حسابها[٦]. وهو قول الفراء وابن قتيبة[٧]، وهو يرجع إلى القول.

وقيل: إلى كتابها الذي أنزل على رسولها[٨].

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ قال ابن السائب: كتاب الأعمال الذي كتبته الحفظة[٩].

---

(١) انظر هذه القراءة في البحر المحيط (٨/ ٥٠)، والدر المصون (٦/ ١٣٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: جذا).

(٣) النشر (٢/ ٣٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٩٠).

(٤) زيادة من زاد المسير (٧/ ٣٦٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٤).

(٦) مثل السابق.

(٧) معاني الفراء (٣/ ٤٨)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٠٥).

(٨) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٤).

(٩) مثل السابق.

وقال مقاتل[١]: اللوح المحفوظ.

وقال ابن قتيبة[٢]: المعنى: هذا القرآن يدلكم ويذكركم، فكأنه ينطق عليهم.

﴿إنا كنا نستنسخ﴾ أي: نأمر الملائكة بكتب أعمالكم في الدنيا. هذا معنى قول علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وقال أكثر المفسرين: نأمر الملائكة أن ينسخوا من اللوح المحفوظ في كل عام ما يكون من أعمال بني آدم فيه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا من أصل[٤].

وقال الحسن: ونستنسخ ما حفظته عليكم الملائكة[٥].

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا
رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ
﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢١٥).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٥/ ١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٥).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٦٨).

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٣٥ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾

فإن قيل: أين جواب "أما" في قوله: ﴿وأما الذين كفروا﴾؟

قلتُ: هو محذوف، تقديره: فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾.

فإن قيل: أين المعطوف عليه بالفاء؟

قلتُ: هو محذوف أيضاً، تقديره: ألم تأتكم رسلي، فلم تكن آياتي تتلى عليكم.

قوله تعالى: ﴿والساعة لا ريب فيها﴾ قرأ حمزة: "والساعةَ" بالنصب. وقرأ الباقون بالرفع[1]، فمن نصب عطف على "الوعد"، ومن رفع عطف على محل "إنَّ" واسمها.

﴿قلتم﴾ إنكاراً وتكذيباً: ﴿ما ندري ما الساعة إن نظن﴾ قيامها ﴿إلا ظناً﴾.

وباقي الآية توكيد منهم لنفي علمهم بصحة كونها.

﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم في النار ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: كما تركتم الإيمان به والاستعداد له.

قال الزجاج[2]: والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ومأواكم النار﴾.

﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "يَخْرُجُون" بفتح الياء وضم

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٢)، والكشف (٢/ ٢٦٩)، والنشر (٢/ ٣٧٢)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٦).

الراء[1].

﴿ولا هم يستعتبون﴾ يطلب منهم أن يعتبوا ربهم، أي: يرضوه. وهو مُفسّر في المصابيح[2] وغيرها.

ثم حمد نفسه جَلَّت عظمته مُعَلِّماً لعباده كيف يحمدونه ويعظمونه فقال: ﴿فلله الحمد﴾ إلى آخر السورة.

والكبرياء: العَظَمَة.

وقيل: السلطان والشرف. والله تعالى أعلم.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٢)، والكشف (١/ ٤٦٠)، والنشر (٢/ ٢٦٧)، والإتحاف (ص:٣٩٠)، والسبعة (ص:٥٩٥).

(٢) هي سورة فصلت، عند الآية رقم: ٢٤.

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربع وثلاثون آية في المدني، وخمس في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس وعامة المفسرين[2].

واستثنى قتادة وابن عباس في رواية عنه قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ وما في حيزها[3].

وضمّ مقاتل إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم ... الآية﴾[4].

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟
مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ
ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ
مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٧).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٣٣) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة حم الأحقاف، ومن طريق آخر عن ابن الزبير، وعزاه لابن مردويه.

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٢٧٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٦٨).

(٤) انظر: زاد المسير، الموضع السابق.

﴿حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمۡ أَعۡدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾

قال الله تعالى: ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: خلقاً ملتبساً بالحكمة.

وقال الكلبي: إلا للحق[1].

قوله تعالى: ﴿وأجل مسمى﴾ أي: ما خلقنا ذلك إلا بالحق وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه، وهو يوم القيامة.

و"ما" في قوله: ﴿عما أنذروا﴾ موصولة أو مصدرية، بمعنى: عن إنذارهم ذلك اليوم.

وما بعده مُفسّر في فاطر[2] إلى قوله: ﴿إيتوني بكتاب من قبل هذا﴾ أي: من قبل هذا القرآن فيه برهان ما تدعون، ﴿أو أثارة من علم﴾.

قال ابن عباس، ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: "أو أثارة من علم": الخط[3].

وقال مجاهد: بقيةٌ من علم تأثرونه عن غيركم[4].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧١).

(٢) عند الآية رقم: ٤٠.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٦ ح١٩٩٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٩٩ ح١٠٧٢٥)، والأوسط (١/ ٩٠ ح٢٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٤) وعزاه لأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٣)، والطبري (٢٦/ ٣) بمعناه. وذكره الماوردي (٥/ ٢٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٦٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

قال الزمخشري[1]: هو من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم، أي: على بقية من شحم كانت بها من شحم [ذاهب][2].

وقال الحسن: أو أثارة شيء تستخرجونه وتثيرونه[3].

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي بن كعب وأبو عبدالرحمن السلمي والحسن وقتادة: "أَثْرَةٍ" بسكون الثاء، على وزن قَطْرَة[4].

وقرأ ابن مسعود وأبو رزين وابن عباس بخلاف عنه، وعكرمة وعمرو بن ميمون: "أَثَرَة"، مثل: شَجَرَة.

قال أبو الفتح ابن جني[5]: الأَثَرَة والأَثَارَة التي تقرأ بها العامة: البقية، وما يؤثر. وهي من قولهم: أَثَرَ الحديث يَأْثُرُه أثْراً وأَثَرَة. وأما الأَثْرَة ساكنة الثاء فهي أبلغ معنى؛ وذلك أنها الفعْلَة الواحدة من هذا الأصل، فهي كقولك: ائتوني بخبر واحد، أو حكاية [شاذة][6]، أي: قد قنعت منكم في الاحتجاج بهذا على [قلّته][7].

وقال الزمخشري[8]: قرئ: "أَثَرَة" -يريد: بفتح الثاء- أي: من شيء أوثرتم به وخصصتم من علمه لا إحاطة به لغيركم.

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: ذهب. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٧١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٦٩)، والدر المصون (٦/ ١٣٥).

(٥) المحتسب (٢/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: شاهدة. والتصويب من المحتسب (٢/ ٢٦٤).

(٧) في الأصل: قلة. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٨) الكشاف (٤/ ٢٩٨).

قلتُ: وهو معنى قول ميمون وقتادة وأبي سلمة بن عبدالرحمن: خاصة من علم[١].

قال[٢]: وقرئ: "أثرة" بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء، فالإثْرة -بالكسر- بمعنى: الأَثْرة. وأما الأثرة فالمرة من مصدر: [أثَرَ][٣] الحديث إذا رَوَاهُ. وأما الأُثْرة -بالضم-: فاسم ما يؤثر، كالخطبة: اسم ما يخطب [به][٤].

قوله تعالى: ﴿ومن أضل﴾ أي: أشد ضلالاً ﴿ممن يدعوا من دون الله من لا﴾. وقرأ ابن مسعود: "ما لا"[٥].

﴿يستجيب له﴾ يريد: الأصنام؛ لأن "ما" لمن لا يعقل. ويجوز أن يراد على قراءة العامة: كل من عُبِدَ من دون الله من الجن والإنس والأصنام، فغلب ما يعقل.

وقيل: ويجوز أن يراد الأصنام وحدها، فأجريت مجرى من يعقل لوصفهم إياها بذلك. والجائز الثاني أظهر وأشهر في التفسير، على أن "ما" و"من" يتعاقبان.

﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ في محل الحال.

﴿وإذا حشر الناس﴾ يعني: يوم القيامة ﴿كانوا لهم أعداء﴾ يتبرؤون منهم ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ جاحدين.

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٣) في الأصل: أثرت. والتصويب من الكشاف (٤/ ٢٩٨).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٢٩٩).

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

قال الزمخشري(١): واللام في قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم﴾ مثلها في قوله تعالى: ﴿للذين آمنوا لو كان خيراً﴾ [الأحقاف:١١]، أي: لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا.

﴿أم يقولون افتراه﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سِحْراً إلى ذكر قولهم: إن محمداً افتراه.

ومعنى الهمزة في "أم": للإنكار والتعجب، كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المفضى منه العجب، وذلك أن محمداً ﷺ كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه.

﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾ أي: لا تقدرون على دفع عذابه عني، فكيف أفتري عليه وأتعرض لعقابه؟

﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي: بما تقولون في القرآن ﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالتكذيب، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾.

---

(١) الكشاف (٤/ ٢٩٩-٣٠٠).

قال الزجاج لما ذكر هاهنا الغفران والرحمة[١]: ليُعلمهم أن من أتى ما أتيتم ثم تاب فإن الله غفور رحيم به.

قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾ وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة وأبو حيوة: "بَدَعاً" بفتح الدال[٢].

فالمعنى على قراءة الأكثرين: ما كنت أول من أرسل.

والبدْع والبديع من كل شيء: مبتدأه، ومنه: البدْعة؛ لأنه قول [ما لم][٣] يسبق إليه، و"بديع السموات": مبتدؤها على غير مثال سبق.

والمعنى على القراءة الأخرى: ما كنت ذا بدع، على حذف المضاف.

وقيل: المعنى: ما كنت بدعاً من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبرُكم بكل ما تسألون عنه من المغيبات؛ فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلا بما أوحي إليهم.

﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ قرأ ابن أبي عبلة وابن يعمر: "يَفْعَلُ" بفتح الياء[٤].

واختلفوا هل المراد نفي علمه بما يفعل به في الآخرة أم في الدنيا؟ على قولين:

أحدهما: في الآخرة، قال: ثم نزل بعدها: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح:٢]، وقال: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ [الفتح:٥]

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٣٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٥٧)، والدر المصون (٦/ ١٣٦).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٧١)، والدر المصون (٦/ ١٣٦).

فأعلمه ما يفعل به وبالمؤمنين[(١)].

الثاني: في الدنيا، ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن النبي ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخيل وشجر وماء، فقصّها على أصحابه فاستبشروا؛ لما كان يلحقهم من الأذى بسبب المشركين، ثم إنهم مكثوا بُرهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله! متى تهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا؟ ثم قال: إنما هو شيء رأيته في منامي، وما أتبع إلا ما يوحى إليّ. روي ذلك كله عن ابن عباس[(٢)].

وقال الحسن: ما أدري أُخْرَجُ كما أُخْرِجَ الأنبياء قبلي؟ أو أقتل كما قتلوا؟ وما أدري ما يفعل بكم أتعذبون أم تؤخرون؟ أتصدقون أم تكذبون[(٣)]؟.

وقال عطية: ما أدري هل يتركني بمكة أو يخرجني منها[(٤)]؟.

وقيل: المعنى: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فيما يستقبل من الزمان، ويقدر لي ولكم في قضاياه.

وقيل: هو نفي للدراية المفصلة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧-٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٧) وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٣٥) وعزاه لابن المنذر.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١﴾

﴿قل أرأيتم﴾ خبروني، ﴿إن كان من عند الله﴾ يعني: القرآن ﴿وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ وهو عبد الله بن سلام، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين[(١)].

وقال سعد بن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام، وفيه نزلت: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾[(٢)].

فـ"المِثْل" على هذا: صلة، أي: شهد على صحته، وكونه من عند الله.

وقيل: المعنى: وشهد على ما يماثله في التوراة ويطابقه من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك.

وقيل: وشهد على مثل ما أقول أنه من عند الله، أو على نحو ذلك.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٣)، والطبري (٢٦/ ١٠-١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٣٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد والضحاك، وعزاه لابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن زيد بن أسلم وقتادة، وعزاه لابن عساكر. ومن طريق آخر عن مجاهد وعطاء وعكرمة، وعزاه لابن سعد وابن عساكر.
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨٧ ح٣٦٠١)، ومسلم (٤/ ١٩٣٠ ح٢٤٨٣).

قال الزجاج[1]: والأجود أن يكون على مثل شهادة النبي ﷺ، يعني: كونه من عند الله. فيكون المقصود تقريع اليهود وتبكيتهم وإلزامهم الحجة بإسلام عالمهم وابن عالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبدالله بن سلام.

وروى الشعبي عن مسروق قال: والله ما نزلت في عبدالله بن سلام؛ لأن آل حم نزلت بمكة، وإنما أسلم عبدالله بالمدينة، وإنما كانت محاجة من رسول الله ﷺ لقومه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

ومثل القرآن التوراة، فشهد موسى على التوراة، ومحمد على القرآن، وكلاهما مصدق الآخر.

فعلى هذا يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن، ومصدقة له في التوحيد والإخبار بما كان وما يكون، وناطقة بصحته ومخبرة بوجوده.

والأول أشهر وأكثر وأحسن في انتظام الكلام ومطابقة المعنى.

فإن قيل: أين جواب الشرط في قوله: ﴿إن كان من عند الله﴾؟

قلتُ: هو محذوف. وفي تقديره أربعة أوجه:

أحدها: فمن أضلّ منكم؟ قاله الحسن[3].

والثاني: أن التقدير: إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد فآمن به، أو

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧٤) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٥).

تؤمنون؟ قاله الزجاج[١].

الثالث: تقديره: أتأمنون عقوبة الله؟ قاله أبو علي الفارسي[٢].

الرابع: تقديره: ألستم ظالمين. ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾. ذكره الواحدي[٣]. واختاره صاحب الكشاف قال[٤]: فالواو في قوله: ﴿وكفرتم﴾ عاطفة لـ"كفرتم" على فعل الشرط، كما عطفت "ثم" في قوله: ﴿إن كان من عند الله ثم كفرتم به﴾ [فصلت:٥٢]، وفي قوله تعالى: ﴿واستكبرتم﴾ عاطفة لـ"استكبرتم" على "شهد شاهد"، [وأما][٥] الواو في قوله تعالى: ﴿وشهد شاهد﴾ فقال الزمخشري أيضاً[٦]: قد عطفت جملة قوله: "شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم" على جملة قوله: "إن كان من عند الله وكفرتم به".

ويجوز أن يكون الواو في قوله: "وكفرتم" واو الحال، وفي قوله: "وشهد شاهد" حالاً معطوفة عليها، على معنى: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وقد كفرتم به، والحال أنه قد شهد [حَبْر][٧] من بني إسرائيل، ومن تعرفونه بالمهارة في العلم، ودراسة الكتاب الأول على مثله، فآمن واستكبرتم، ألستم أظلم الناس

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٠).

(٢) انظر قول أبي علي في: زاد المسير (٧/ ٣٧٤).

(٣) الوسيط (٤/ ١٠٥).

(٤) الكشاف (٤/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٥) في الأصل: فأما. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٠٣).

(٦) الكشاف (٤/ ٣٠٤).

(٧) في الأصل: خبر. ولعل الصواب ما أثبتناه.

[وأضلّهم](١)؟ ويكون ذلك تقريعاً لليهود وتوبيخاً لهم.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ اختلفوا في هذه الآية أيضاً هل هي مكية أو مدنية؟

فإن قلنا: هي مكية، فالمعنى: وقال كفار قريش للضعفاء الذين بادروا إلى الإيمان؛ كصهيب، وبلال، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، تعظماً عليهم واستكباراً: لو كان ما بادروا إليه خيراً ما سبقونا إليه.

قال أبو الزناد: أسلمت امرأة ضعيفة البصر، فقال الأشراف من قريش يهزؤون بها: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقتنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية(٢).

وقال أبو المتوكل: لما أسلم أبو ذر استجاب قومه إلى الإسلام، قالت قريش: لو كان خيراً لم يسبقونا إليه(٣).

وإن قلنا: هي مدنية -قال الثعلبي(٤): وهو قول أكثر المفسرين- فقال الكلبي: "وقال الذين كفروا": يعني: أسد وغطفان، "للذين آمنوا": يعني: جهينة ومزينة، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهمة ورُذَال الناس.

وقيل: هو قول اليهود عند إسلام ابن سلام وأصحابه.

فإن قيل: ما معنى قوله: "للذين آمنوا"؟

---

(١) في الأصل: وأظلمهم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٥).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠).

قلتُ: قد سبق في مواضع من هذا الكتاب التنظير[١] بهذه الآية، وأن المعنى: لأجل الذين آمنوا. ويجوز أن يكون من خطاب التلوين والرجوع من المخاطبة إلى المغايبة، فتكون اللام على بابها.

قوله تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ أي: بالقرآن.

قال الزمخشري[٢]: إن قلت: لا بد من عامل في الظرف في قوله: "إذ لم يهتدوا به" ومن متعلق بقوله: "فسيقولون"، وغير مستقيم أن يكون "فسيقولون" هو العامل في الظرف، لتدافع دلالتي المضي والاستقبال، فما وجه هذا الكلام؟

قلتُ: العامل في "إذ" محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، كما حذف من قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به﴾ [يوسف:١٥]، وقولهم: حينئذ الآن، وتقديره: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفك قديم، فهذا المضمر صح به الكلام، حيث انتصب به الظرف، وكان قوله: "فسيقولون" [مسبباً][٣] عنه، كما صح بإضمار أن قوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسول﴾ [البقرة:٢١٤] لمصادفة "حتى" مجرورها، والمضارع ناصبه.

وقولهم: ﴿هذا إفك قديم﴾ كقولهم: أساطير الأولين.

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

---

(١) رُسمت في الأصل هكذا: التنيطير.

(٢) الكشاف (٤/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) في الأصل: سبباً. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٠٥).

قوله تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ أي: ومن قبل القرآن كتاب موسى، و"كتاب موسى": مبتدأ، والظرف خبر مقدم عليه، وبه انتصب "إماماً" على الحال[1]، كقولك: في الدار زيد قائماً.

وقال أبو عبيدة[2]: فيه إضمار، تقديره: أنزلناه إماماً ورحمة.

وقال الأخفش[3]: انتصب على القطع.

ومعنى: "إماماً": قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه، "ورحمة" لمن آمن واتبعه.

﴿وهذا﴾ يعني: القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ لكتاب موسى.

وقيل: مصدق لما تقدمه من كتب الله.

﴿لساناً عربياً﴾ حال من ضمير الكتاب في "مصدق"، والعامل فيه: "مصدق". ويجوز أن ينتصب عن "كتاب" لتخصصه بالصفة، ويعمل فيه معنى الإشارة. ويجوز أن يكون مفعولاً لـ"مصدق"[4]، أي: يصدق ذا لسان عربي، وهو الرسول ﷺ.

قرأتُ لأبي جعفر يزيد بن القعقاع ونافع وابن عامر وابن فليح عن ابن كثير، وهبة الله عن اللهبي عن ابن كثير أيضاً، وللمفضل عن عاصم، وليعقوب الحضرمي: "لتنذر" بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ.

وقرأتُ لباقي العشرة من جميع طرقهم اللاتي خرجها الإمام أبا طاهر أحمد بن

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ١٣٧).

(٢) لم أقف عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٣) انظر: معاني الأخفش (ص:٢٨٥) وفيه: نصب؛ لأنه خبر معرفة.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٣٧).

علي بن عبيدالله بن سوار المقرئ رحمه الله في كتابه "المستنير"، وقرأتُ بجميع ما فيه على شيخنا العلامة أبي البقاء عبدالله بن الحسين اللغوي تلاوة، وأخبرني أنه قرأ بجميع ذلك وهو ما فيه على الشيخ أبي الحسن علي بن المرحب البطائحي تلاوة، وأخبره أنه قرأ بجميع ما فيه على ابن سوار المصنف تلاوة: "لينذر" بالياء[(١)]، يعني: الكتاب.

﴿وبشرى﴾ أي: وهو بشرى ﴿للمحسنين﴾ الموحدين.

وقيل: "وبشرى" في محل النصب عطفاً على "لتنذر"[(٢)]، فإنه في محل النصب؛ لأنه مفعول له.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا
ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ
ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ
وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ
ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٢-٦٦٣)، والكشف (٢/ ٢٧١)، والنشر (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩١)، والسبعة (ص:٥٩٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٣٧).

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿بوالديه إحساناً﴾ قرأ أهل الكوفة: "إحساناً". وقرأ الباقون: "حُسْناً"[١]. وقد سبق القول فيه إعراباً وتفسيراً.

قوله تعالى: ﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ سبق ذكر اختلاف القراء فيه في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿أن ترثوا النساء كرهاً﴾ [النساء:١٩]، ونصبه على الحال[٢]. أي: ذات كُرْه، أو على أنه صفة للمصدر، أي: حملاً ذا كُرْه.

والمعنى: حملته على مشقة ووضعته على مشقة. وهذا خارج مخرج التعليل للإحسان.

قوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله﴾ وقرأتُ ليعقوب: "وفَصْله" بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف[٣].

ومعنى الكلام: ومدة حمله وفصاله بالفطام عن أمه ﴿ثلاثون شهراً﴾.

وبهذه الآية احتج علي عليه السلام وفقهاء الأمصار من بعده: على أن أقل الحمل ستة أشهر؛ لأن مدة الرضاع لمن أراد الإتمام مقدرة بحولين، فيتعين لأقل الحمل ستة أشهر.

وقال ابن إسحاق: حمله تسعة أشهر، [وفصاله][٤] من اللبن لأحد وعشرين شهراً[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٣)، والكشف (٢/ ٢٧١)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩١)، والسبعة (ص:٥٩٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٣٨).

(٣) النشر (٢/ ٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩١).

(٤) في الأصل: فصاله. والتصويب من الثعلبي (٩/ ١٢).

(٥) ذكره الثعلبي (٩/ ١٢).

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ وهو زمن اكتهاله واشتداد قوته واستحكام عقله وتمييزه، وذلك إذا أربى على الثلاثين وناهز الأربعين.

وقال ابن قتيبة[١]: أَشُدُّ الرجل غيرُ أَشُدّ اليتيم؛ لأن أشد الرجل: الاكتهال والحُنُكَة -الحُنُكَة: فهم الشيء وإحكامه[٢]- وأن يشتد رأيه وعقله، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة. وأشد الغلام: أن يشتد خَلْقُه ويتناهى نباته.

وقد ذكرنا الأَشُدّ في الأنعام[٣] ويوسف[٤].

﴿قال رب أوزعني﴾ مُفسّر في النمل[٥].

والمراد بالنعمة التي سأل ربه أن يوزعه شكرها: نعمة التوحيد والإسلام.

﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ أي: وأوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه، ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ اجعلهم محلاً ومقراً للصلاح ومظنة له.

فصل

ذهب ابن عباس وعامة المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه[٦]، ويؤيد ذلك تعذر إجرائها على العموم في كل إنسان؛ لأنه ليس كل من بلغ أربعين سنة قال: رب أوزعني، ودعا بما أخبر الله تعالى عنه في هذه

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٢٥٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حنك).

(٣) عند الآية رقم: ١٥٣.

(٤) عند الآية رقم: ٢٢.

(٥) عند الآية رقم: ١٩.

(٦) ذكره الطبري (٢٦/ ١٧)، والماوردي (٥/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٤٣) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

الآية.

قال علي عليه السلام: هذه الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه: نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، [فنزلوا][٢] منزلاً فيه سِدْرة، فقعد رسول الله ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذلك محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبي، وما استظل أحد بعد عيسى تحتها إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره[٣]، فلما نُبِّئَ رسول الله ﷺ -وهو ابن أربعين سنة، وأبو بكر وهو ابن ثماني وثلاثون سنة- صدَّق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي﴾[٤]. [فأجابه][٥] الله، فأعتق سبعة من المؤمنين، فكانوا يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه، واستجاب له في ذريته فآمنوا. هذا كلام ابن عباس[٦].

وقال جمهور المفسرين: لما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا الله تعالى بما ذكره في هذه

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٠٧).

(٢) في الأصل: فلما نزلوا. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٣٧٧).

(٣) في زاد المسير: وحضره.

(٤) أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٣٩٥-٣٩٦).

(٥) في الأصل: فأحبه. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

الآية، فأجابه الله تعالى فأسلم وأسلم [والداه][١] وأولاده ذكورهم وإناثهم، ولم يتفق ذلك لأحد غيره من الصحابة[٢].

وقال الضحاك والسدي: نزلت في سعد بن أبي وقاص[٣]. وقد ذكرنا قصته في موضعها[٤]. والصحيح: الأول.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يتقبل عنهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: ["نَتَقَبَّلُ"، و"نَتَجَاوَزُ"][٥] بنون مفتوحة فيهما، ﴿أحسنَ﴾ بالنصب. ومثلهم قرأ أبو المتوكل وأبو رجاء وأبو عمران الجوني، إلا أنه بالياء فيهما[٦]. وقرأ باقي القراء السبعة بالياء المضمومة فيهما، "أحسنُ" بالرفع[٧].

والأحسن بمعنى: الحسن.

وقوله تعالى: ﴿في أصحاب الجنة﴾ في محل الحال[٨]، على معنى: كائنين في جملة أصحاب الجنة ومنتظمين في زمرتهم.

﴿وعد الصدق﴾ مصدر مؤكد؛ لأن قوله: "يتقبل" و"يتجاوز" وعدٌ من الله

---

(١) في الأصل: والده. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٧٨).

(٣) مثل السابق.

(٤) في سورة العنكبوت، عند الآية رقم: ٨.

(٥) في الأصل: يتقبل ويتجاوز. وهو خطأ.

(٦) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩١)، وزاد المسير (٧/ ٣٧٩).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٨-٣٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٤-٦٦٥)، والكشف (٢/ ٢٧٢)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩١)، والسبعة (ص:٥٩٧).

(٨) انظر: الدر المصون (٦/ ١٣٩).

تعالى لهم بالتقبل والتجاوز.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ سبق القول على "أُفّ" في بني إسرائيل[1]. وذكرنا اختلاف القراء فيها، ولغات العرب.

﴿أتعدانني﴾ وقرأتُ لأبي عمرو من رواية القزاز عن عبد الوارث عنه: بفتح نون التثنية[2]، وهي لغة شاذة. وعلته: استثقال اجتماع نونين وكسرتين.

وروى هشام: "أتعِدَانِّي" بنون واحدة مشددة على الإدغام[3]، تحرياً للتخفيف أيضاً، كما تحرّاه من أسقط إحدى النونين.

﴿أن أُخرج﴾ أي: أُبعث وأُخرج من الأرض، ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾.

قال مقاتل[4]: مضت فلم يبعث منهم أحد.

---

(١) عند الآية رقم: ٢٣.

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ١٣٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٢).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٤).

وقال أبو سليمان الدمشقي: مضت القرون مكذبة بهذا[١].

﴿وهما يستغيثان الله﴾ يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان له: ﴿ويلك آمن﴾ دعاء عليه بالثبور، ومقصودهما: استنقاذه من الهلكة وتحريضه على الإيمان لا حقيقة الهلاك.

﴿إن وعد الله حق﴾ وقرئ: "أنَّ" بفتح الهمزة[٢]، على معنى: آمن بأن وعد الله حق.

فصل

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فذهب جمهور المفسرين إلى أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه، وكان أبواه ألحّا عليه فيما دعواه إليه من الإيمان، فقال: أحيوا لي عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم ما يقولون[٣].

وقال مجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر الصديق[٤].

وروي عن عائشة رضي الله عنها: أنها أنكرت أن تكون الآية نزلت في عبدالرحمن إنكاراً شديداً[٥].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨١).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٢)، والدر المصون (٦/ ١٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٥-٣٢٩٦) عن السدي. وذكره الماوردي (٥/ ٢٧٩-٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٠).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٤٥) وعزاه لعبد الرزاق =

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، عن موسى بن إسماعيل[1]، حدثنا أبو عوانة[2]، عن أبي بشر[3]، عن يوسف بن ماهك[4] قال: ((كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايَعَ له بعد أبيه. فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه. فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله تعالى أنزل عذري))[5]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وقال محمد بن زياد وغيره: كتب معاوية إلى مروان ليبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم، فقال مروان: هذا =

وابن مردويه من طريق ميناء.

(١) موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم، أبو سلمة التبوذكي البصري، ثقة صدوق، مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٦-٢٩٧، والتقريب ص:٥٤٩).

(٢) الوضاح بن عبد الله اليشكري، مولى يزيد بن عطاء، أبو عوانة الواسطي البزاز، ثقة ثبت صدوق في الحديث، كان من سبي جرجان، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، ومات في ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٣-١٠٥، والتقريب ص:٥٨٠).

(٣) بيان بن بشر الأحمسي البجلي، أبو بشر الكوفي، ثقة ثبت (تهذيب التهذيب ١/ ٤٤٤، والتقريب ص:١٢٩).

(٤) يوسف بن ماهك بن بُهزاد المكي، مولى قريش، ثقة عدل قليل الحديث، مات سنة ست ومائة. وقيل قبل ذلك (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٠، والتقريب ص:٦١١).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٧ ح٤٥٥٠).

الذي يقول الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما ... الآية﴾ فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك، فغضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئتُ لسمّيته، ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله[١].

وقال الزجاج[٢]: قول من قال: أنها في عبد الرحمن باطل بقوله: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾، فأعلم الله تعالى أن هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين [وسرواتهم][٣].

والتفسير الصالح: أنها نزلت في الكافر العاقّ.

وقال الحسن البصري: نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم[٤].

قوله تعالى: ﴿في أمم﴾ أي: في جملة أمم، أو مع أمم كافرة، ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾.

وقرأ ابن السميفع وأبو عمران الجوني: "أَنَّهم" بفتح الهمزة[٥]، على معنى: لأنهم، أو بأنهم.

﴿ولكل﴾ من الجنسين المذكورين ﴿درجات﴾ منازل ومراتب ﴿مما عملوا﴾ أي: من جزاء أعمالهم في الخير والشر، أو من أجل ما عملوا.

وإنما قال: درجات، والنار دركات، على مذهبهم في التغليب.

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٤٥٨ ح١١٤٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٨ ح٨٤٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٤) وعزاه لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٣) في الأصل: وسراوتهم. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٤٤٤).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨١).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٨/ ٦٢).

﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ تعليل، معلَّلُهُ محذوفٌ، تقديره: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدَّر جزاءهم، فجعل لكلٍ درجات مما عملوا.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: "وليوفيهم" بالياء. وقرأ نافع وحمزة والكسائي: "ولنوفيهم" بالنون[1]. وعن ابن عامر [كالقراءتين][2].

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ العامل في الظرف محذوف، تقديره: اذكر، أو القول المضمر، تقديره: فيقال لهم، ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾. والمراد بعرضهم على النار: تعذيبهم بها، كقولهم: عُرض بنو فلان على السيف؛ إذا قتلوا به.

وقيل: المراد عرض النار عليهم، من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريد: عرض الحوض عليها، فقلبوا.

ويدل عليه تفسير ابن عباس: يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها[3].

قرأ ابن كثير: "أأذهبتم" بهمزتين، الأولى محققة والثانية ملينة من غير فصل،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٥)، والكشف (٢/ ٢٧٢)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩٢)، والسبعة (ص:٥٩٨).

(٢) في الأصل: كاقرائتين.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٠٩).

وحققهما ابن عامر في رواية ابن ذكوان، وليّن الثانية في رواية هشام، وفصل بينهما بألف الحلواني عن هشام أيضاً. وقرأ الباقون "أذهبتم" بهمزة واحدة على الخبر[(١)].

قال الفراء والزجاج[(٢)]: العرب توبخ بالألف وبغير الألف، فتقول: أذهبت ففعلت كذا، وذهبت ففعلت.

والمراد بطيباتهم: ما كانوا فيه من اللذات والنعم المكفورة غير المشكورة.

قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: لو شئت لدعوت بصَلائِق[(٣)] وصِنَابٍ[(٤)] وكَراكِرَ[(٥)] وأسْنِمَة، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[(٦)].

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً، وأحسنكم لباساً، ولكني أستبقي [طيباتي][(٧)].

وقال جابر بن عبد الله: اشتهى أهلي لحماً فمررت بعمر بن الخطاب فقال: ما

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٥)، والكشف (٢/ ٢٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩٢)، والسبعة (ص:٥٩٨).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٥٤)، ومعاني الزجاج (٤/ ٤٤٤).

(٣) الصلائق: جمع، واحدها: صليقة. وهو الخبز الرقيق (اللسان، مادة: صلق).

(٤) الصنّاب: صِباغٌ يُتخذ منه الخردل والزبيب (اللسان، مادة: صنب).

(٥) الكراكر: جمع، واحدها: كِرْكِرَة، وهي رحى زَوْر البعير والناقة، وهي إحدى الثَّفِنات الخمس. وقيل: هو الصَّدْر من كل ذي خف (اللسان، مادة: كرر).

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٤٧).

(٧) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢١). وذكر السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. وما بين المعكوفين في الأصل: بطيباتي. والتصويب من المصادر السابقة.

هذا يا جابر؟ قلت: اشتهى أهلي لحماً، فاشتريت لحماً بدرهم، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً جعله في بطنه، أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[(١)].

وقال ثوبان: كان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان [من][(٢)] أهله [فاطمة][(٣)]، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام، فلما قدم من غزوة أتاها، فإذا بِمِسْحٍ على بابها، ورأى على الحسن والحسين عليهما السلام قلبين من فضة، فرجع ولم يدخل عليها، فلما رأت ذلك فاطمة عليها السلام ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين وقطعتهما، فبكى الصبيان فقسمته بينهما نصفين، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: يا ثوبان اذهب بذا إلى بني فلان -أهل بيت بالمدينة-، [واشتر][(٤)] لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي لا أحب أن يأكلوا طيباتهم في الحياة الدنيا[(٥)].

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٥٣)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٤٠ ح٢٤٥٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٦) وعزاه لأحمد في الزهد عن الأعمش قال: مر جابر... فذكر نحوه.

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) زيادة من مصادر التخريج.

(٤) في الأصل: فاشتر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٨٧ ح٤٢١٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٥ ح٢٢٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٨) وعزاه لأحمد والبيهقي في شعب الإيمان.

خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا
لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ
عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ
رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا
مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد﴾ يعني: هوداً ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ قال ابن قتيبة[١]: واحد الأحقاف: حِقْف، وهو من الرمل: ما أشرف من كُثبانه واستطال وانحنى[٢].

قال قتادة: هي رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشِّحْر[٣].

قال ابن إسحاق: كانوا ينزلون ما بين عُمان وحضرموت واليمن كله[٤].

وقال ابن عباس: الأحقاف: وادٍ بين عُمان ومَهْرة[٥].

وقال مقاتل[٦]: في حضرموت، بموضع يقال له: مَهْرة، إليها تنسب الجمال،

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: حقف).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٣). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٢).

والمَهْرة: قال ياقوت (٥/ ٢٣٤): مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).

يقال: إبل مهرة ومهاري، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم.

﴿وقد خلت النذر﴾ يعني: الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ يعني: من قبل هود ومن بعده ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي: أنذرهم بأن لا يعبدوا إلا الله، ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ اعتراض يشعر بأن الرسل الذين تقدموه والذين جاؤوا من بعده كانوا على سبيل واحد، من الإنذار والدعاء إلى توحيد الله عز وجل.

﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ أي: لتصرفنا ﴿عن﴾ عبادة ﴿آلهتنا﴾ بالإفك.

قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ قال ابن قتيبة[(١)]: العَارِض: السَّحاب.

وأنشد الأخفش قول أبي [كبير][(٢)] الهذلي:

[وإذا][(٣)] نظرتَ إلى أسِرَّةِ وجهه بَرَقَتْ كبرْق العَارِضِ المتهلل[(٤)]

قال بعضهم: سمي بذلك؛ لأنه مار في السماء، والعارض: هو المار الذي لا يلبث[(٥)].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٠٧).

(٢) في الأصل: كثير. وهو تصحيف. والصواب ما أثبتناه. وانظر: مصادر تخريج البيت.

(٣) في الأصل: وإذ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) البيت لأبي كبير الهذلي، وهو في: تاج العروس (مادة: عرض)، وديوان الحماسة (١/ ٢١)، والقرطبي (٢/ ٣٤٢).

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٨٣).

قال المفسرون: وكان قد حُبِسَ القطرُ عنهم، فبعث الله تعالى سحابة سوداء، فلما رأوها فرحوا وقالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾، فقال لهم هود: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾[١].

ثم بيّن ما هو فقال: ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ فجعلت الريح تحمل الفسطاط[٢] وتحمل الظعينة[٣] فترفعهما حتى ترى كأنها جرادة.

﴿تدمر كل شيء﴾ أي: تهلك كل شيء مرَّت به من الناس والدواب والأموال ﴿بأمر ربها فأصبحوا لا تَرى إلا مساكنَهم﴾.

قرأ عاصم وحمزة وخلف ويعقوب: "لا يُرى" بياء معجمة من تحت مضمومة، "مساكنُهم" بالرفع. وقرأ الباقون من العشرة: بتاء معجمة من فوق مفتوحة، "مساكنَهم" بالنصب[٤].

فالقراءة الأولى على معنى: [لا][٥] يرى شيء إلا مساكنهم، ولذلك ذَكَّر الفعل؛ لأنه محمول على "شيء" المضمر، و"المساكن" بدل من "شيء". والقراءة الثانية على معنى: لا ترى يا محمد، أو لا ترى أيها السامع شيئاً إلا مساكنهم خالية ليس فيها أحد منهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٨٤).

(٢) الفسطاط: بيت من شعر (اللسان، مادة: فسط).

(٣) الظعينة: الجمل يُظعن عليه (اللسان، مادة: ظعن).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٦)، والكشف (٢/ ٢٧٤)، والنشر (٢/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٣٩٢)، والسبعة (ص:٥٩٨).

(٥) زيادة على الأصل.

والمراد: الإعلام أنها اجْتَثَّتْ أصلهم [واستأصلت][(١)] شأفتهم.

وقرأ علي عليه السلام، وأبو عبدالرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والجحدري؛ كقراءة عاصم وحمزة، إلا أنهم جعلوا بدل الياء تاء[(٢)]، على معنى: لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم.

ثم هدد كفار قريش بباقي الآية. وقد ذكرنا قصة إهلاكهم مستوفاة في سورة الأعراف[(٣)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم العطار، وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان، أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو[(٤)]، أن أبا النضر[(٥)] حدّثه، عن سليمان بن يسار، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لَهَوَاتِهِ[(٦)]، إنما كان يتبسم.

---

(١) في الأصل: واستأصل.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(٣) عند الآية رقم: ٦٥.

(٤) عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري، مولى قيس أبو أمية، ثقة فقيه حافظ، مات قبل الخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ١٣-١٤، والتقريب ص:٤١٩).

(٥) سالم بن أبي أمية التميمي، أبو النضر المدني، مولى عمر بن عبد الله التيمي، كان ثقة ثبت كثير الحديث، يرسل كثيراً، مات في خلافة مروان بن محمد سنة تسع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٢، والتقريب ص:٢٢٦).

(٦) اللهوات: جمع لَهَاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق (اللسان، مادة: لها).

قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِفَ في وجهه. قالت: يا رسول الله! [إن][(١)] الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفَ في وجهك الكراهية؟ فقال: يا عائشة! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا))[(٢)].

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ وقال الزمخشري[(٣)]: "إنْ" نافية، أي: فيما ما مكناكم فيه، إلا أن "إنْ" أحسن في اللفظ؛ لما [فيه][(٤)] مجامعة "ما" مثلها من التكرير المستبشع. ومثله مجتنب، ألا ترى أن الأصل في "مهما": "ما ما" فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء. ولقد أغثّ أبو الطيب في قوله:

لعمرُكَ مَا مَا بَانَ منكَ لِضَارِبِ ....[(٥)]

---

(١) زيادة من الصحيح (٤/ ١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٧ ح٤٥٥١).

(٣) الكشاف (٤/ ٣١٢-٣١٣).

(٤) في الأصل: في. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣١٢).

(٥) صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (بأقْتَلَ مما بَانَ منكَ لِعَائِبِ). انظر: ديوانه (ص:٢٨٥)، وروح المعاني

وما ضرّه لو [اقتدى بعذوبة][1] لفظ التنزيل، فقال:

لعمرك [ما إن][2] بان منك لضارب.

وقد جعلت "إنْ" صلة، مثلها [فيما][3] أنشد الأخفش:

يُرَجِّي المرءُ [ما][4] إنْ لا يَراهُ وتَعْرِضُ دونَ أدناهُ الخُطُوبُ[5]

وتأولوه: ولقد مكّناهم في مثل ما مكّناكم فيه. والوجه هو الأول، ولقد جاء عليه غير آية من القرآن: ﴿هم أحسن أثاثاً ورئياً﴾ [مريم:٧٤]، ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض﴾ [غافر:٨٢]، وهو أبلغ في التوبيخ، وأبلغ في الحث على الاعتبار.

قلتُ: والأول هو قول ابن عباس وعامة المفسرين[6].

قال[7]: فإن قلتَ: بم انتصب: ﴿إذ كانوا يجحدون﴾؟

قلتُ: بقوله: ﴿فما أغنى﴾.

= (٢٦/ ٢٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(١) في الأصل: افتدى بعبه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣١٢).

(٢) في الأصل: إن ما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: في. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣١٣)، ومصادر البيت.

(٤) زيادة من مصادر البيت.

(٥) البيت لجابر بن رألان الطائي، أو إياس بن الأرت. وهو في: الخزانة (٣/ ٥٦٧)، والقرطبي (١٦/ ٢٠٨)، وروح المعاني (٢٦/ ٢٨)، والبحر (٨/ ٦٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣١٣).

فإن قلت: لِم جرى مجرى التعليل؟

قلتُ: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذا أساء؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته؛ فإنما ضربته فيه [لوجود إساءته فيه](١)؛ إلا أن "إذ"، و"حيث"، غلبتا دون سائر الظروف في ذلك.

ثم هدّد كفار مكة وزاد في تخويفهم فقال تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ كديار ثمود، وعاد، ولوط، والمراد: أهل القرى، بدليل قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ والمعنى: ﴿وصرفنا﴾ لأهل القرى ﴿الآيات﴾، جئناهم بها على ضروب مختلفة ﴿لعلهم يرجعون﴾ فلم يرجعوا.

﴿فلولا﴾ أي فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ يريد: أصنامهم، فإنهم كانوا يقولون: إنها تقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده.

قال الزمخشري(٢): وأحد مفعولي "اتخذوا" المحذوف العائد على "الذين"، والمفعول الثاني: "آلهة"، و"قرباناً": حال.

وقال المصنف: ويجوز أن يكون "قرباناً": مفعولاً ثانياً(٣).

قال الزمخشري(٤): ولا يصح أن يكون "قرباناً" مفعولاً ثانياً و"آلهة" بدلاً منه؛ لفساد المعنى(٥).

---

(١) في الأصل: لإساءته. والتصويب والزيادة من الكشاف (٤/ ٣١٣).

(٢) الكشاف (٤/ ٣١٣).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٣١٣).

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٦٦): ولم يبين الزمخشري كيف يفسد المعنى، ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب.

=

قال المصنف: ولستُ أُبْعِدُ ما نفى صحته، معللاً بفساد معناه، وإن كان الأوجه ما قاله أولاً؛ لأن المشركين اتخذوا الأصنام قرباناً واتخذوها آلهة هي القربان عندهم.

وقال صاحب الكشاف[1]: التقدير: فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرباناً، فـ"قرباناً" مفعول ثان قدم على المفعول الأول، أي: آلهة ذات قربان.

﴿بل ضلّوا عنهم﴾ غابوا عن نصرتهم ﴿وذلك إفكهم﴾ أي: وذلك الاتخاذ إفكهم كذبهم وافتراؤهم.

وقيل: الإشارة بقوله: "وذلك" إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم، أي: وذلك أثر إفكهم وافترائهم الكذب على الله.

وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عمران الجوني: "أَفَّكَهم" بفتح الهمزة وقصرها وتشديد الفاء وفتحها وفتح الكاف[2].

ومثل هذه القراءة قراءة ابن عباس، وأبي رزين، والشعبي، وأبي العالية، والجحدري، إلا أنهم لم يشددوا الفاء[3]، على معنى: وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وثناهم عنه، والقراءة التي قبلها في معناها، إلا أن التشديد للمبالغة.

= وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٤٣): ووجه الفساد -والله أعلم-: أن القربان اسم لما يتقرب به إلى الإله، فلو جعلناه مفعولاً ثانياً، و"آلهة" بدلاً منه، لزم أن يكون الشيء المتقرب به آلهة، والفرض أنه غير الآلهة، بل شيء يتقرب به إليها، فهو غيرها فكيف تكون الآلهة بدلاً منه؟ وهذا ما لا يجوز.

(١) لم أقف عليه في الكشاف.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٣) مثل السابق.

ومثل قراءة ابن عباس قرأ ابن الزبير، إلا أنه مدَّ الهمزة[(١)]، على معنى: وذلك أصارهم إلى الإفك وأوقعهم فيه.

وقرأ ابن مسعود وأبو المتوكل بفتح الهمزة ومدها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف[(٢)]، على معنى: وذلك صارفهم عن الحق.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ اختلف العلماء في سبب صرفهم إليه ﷺ؛ فقال قوم: كان ذلك بسبب رجمهم بالشهب. فروى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب [فرجعت][(٣)] الشياطين فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٨٦-٣٨٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٣).

(٣) في الأصل: فرجت. والتصويب من الصحيحين.

حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر، فمرّ النفر الذين توجهوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ [الجن:١-٢]، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن﴾»(١).

وقال قوم: صرفوا إليه لينذرهم، وأمر أن يقرأ عليهم القرآن. وهذا مذهب جماعة، منهم: قتادة.

وكان يقول: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: إني أمرت أن أقرأ على الجن، فأيكم يتبعني. فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فأتبعه عبد الله بن مسعود. قال: فدخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون، وخط على عبد الله خطاً ليثبته به. قال: فسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ، فلما رجع قلت: يا نبي الله، ما اللغط الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم، فقضيت بينهم بالحق(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث علقمة قال: «قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكنا كنا مع النبي ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير [أو اغتيل](٣)، فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٣ ح٤٦٣٧)، ومسلم (١/ ٣٣١ ح٤٤٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١).

(٣) في الأصل: واغتيل. والتصويب من مسلم (١/ ٣٣٢).

الله، فقدناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، قال: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن. قال: [فانطلق][١] بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم))[٢].

فصل

واختلفوا في الموضع الذي استمعوا فيه القرآن على القولين:

أحدهما: أنه الحجون. قاله ابن مسعود وقتادة[٣].

والثاني: بطن نخلة. قاله ابن عباس ومجاهد[٤].

فصل

واختلفوا في عددهم ومساكنهم، فقال زر بن حبيش: كانوا تسعة، أحدهم: زوبعة[٥].

وقال مجاهد: كانوا سبعة: ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين[٦].

وقال عكرمة: من جزيرة الموصل[٧].

---

(١) في الأصل: فانطق. والتصويب من مسلم (١/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٣٢ ح ٤٥٠).

(٣) سبق عن قتادة في الحديث ما قبل السابق. وقد أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٣) عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٣) وعزاه لابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٥)، والطبري (٢٦/ ٣٣) عن مجاهد. وقد سبق قريباً عن ابن عباس من رواية البخاري ومسلم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٦).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٥٣) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور، الموضع السابق.

وقال قتادة: من أهل نينوى[١].

قال ابن عباس: كانوا سبعة نفر من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم[٢].

فصل

النَّفَر: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والجمع: أنفار[٣].

وفي حديث أبي ذر: ((حين قدم مكة ينظر أمر رسول الله ﷺ، فسمع امرأتين يدعوان إسافاً ونائلة، فقال: أنكحوا إحداهما الأخرى، فقالتا: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا))[٤].

وقرئ: "وإذ صرّفنا" بالتشديد[٥]، "يستمعون": يقصدون سماع القرآن، وفي هذا إيذان بأنهم قوم هداهم الله تعالى وألهمهم قصد النبي ﷺ لاستماع القرآن.

﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ الضمير للقرآن. ويجوز أن يكون للنبي ﷺ. ويؤيده قراءة ابن الزبير: ﴿فلما قَضَى﴾ بفتح القاف والضاد[٦]، أي: فلما فرغ وأتمّ قراءته ﴿ولّوا إلى قومهم منذرين﴾ مخوفين داعين إلى الهدي بأمر النبي ﷺ.

﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ قال عطاء: كان دين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١). وذكره الماوردي (٥/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣١)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٥٦ ح١١٦٦٠) وفيه: تسعة نفر.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نفر).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٢١ ح٢٤٧٣).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٤).

(٦) وقرأ الجمهور: "قُضِيَ". وانظر قراءة ابن الزبير في: البحر المحيط (٨/ ٦٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٤).

أولئك الجن اليهودية، ولذلك قالوا: "من بعد موسى"[١].

﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ يعنون: محمداً ﷺ. وهذا يدل على أن الله تعالى أرسله إلى الجن والإنس. وقد ذكرناه في سورة الأنعام.

﴿وآمنوا به يغفر لكم مِنْ ذنوبكم﴾ قيل: "مِنْ" هاهنا صلة. وقيل: للتبعيض، نظراً إلى أن بعض الذنوب وهو ما كان من مظالم العباد يتوقف على رضى الخصم.

﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ وهو عذاب النار.

قال ابن عباس: فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فوافوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم[٢].

فصل

اختلف العلماء في حكم مؤمني الجن؛ فذهب جماعة، منهم: الحسن، وأبو حنيفة، إلى أنه لا ثواب لهم سوى نجاتهم من النار[٣].

قال الحسن: ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

وذهب جماعة، منهم: مالك بن أنس، وابن أبي ليلى، إلى التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب والعقاب؛ لاستوائهم في التكليف. وهو الصحيح.

قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٠)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٣١٦).

(٢) ذكره القرطبي (١٦/ ٢١٧)، والبغوي (٤/ ١٧٥).

(٣) انظر المصدرين السابقين، وفتح الباري (٦/ ٣٤٦).

(٤) ذكره القرطبي (١٦/ ٢١٨).

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ
عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا
تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ
بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولم يَعْيَ بخلقهن﴾ أي: لم يضعف عن إبداعهن ولم يعجز عن اختراعهن.

قال الزجاج وغيره[١]: يقال: عَيِيَ فلان بأمره؛ إذا لم يهتد له ولم يقدر عليه، وأعييتُ: إذا تعبت[٢].

﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال أبو عبيدة والأخفش[٣]: الباء زائدة مؤكدة.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري: "يَقْدِرُ" بالياء من غير ألف[٤]، جعله فعلاً مضارعاً، وهي قراءة جماعة، منهم: الأعرج، وعاصم الجحدري. واختارها أبو حاتم؛ لأن دخول الباء في خبر "أن" يصح، لا يقال: ظننت أن زيداً بقائم، وساغ دخولها هاهنا في خبر "أن"؛ لاشتمال النفي أول الآية،

(١) معاني الزجاج (٥/ ٤٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: عيا).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١٣)، ومعاني الأخفش (ص:٢٨٦).

(٤) انظر: النشر (٢/ ٣٥٥-٣٥٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٢).

على "أن" وما في خبرها.

قال الزجاج[١]: لو قلت ما ظننت أن زيداً بقائم جاز.

ويؤيد قراءة العامة قراءة ابن مسعود: "قادر" بغير باء[٢]، على تقدير القدرة.

قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ فيه إضمار، فيقال لهم: أليس هذا بالحق، وهذا المضمر هو ناصب الظرف، و"هذا" إشارة إلى العذاب، بدليل قوله تعالى: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ أي: أولوا الجد والثبات والحزم في الأمور.

واختلفوا في "مِنْ" هاهنا؛ فقال ابن الأنباري: دخلت "مِنْ" للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: لبست الثياب من [الخَزّ][٣]، والجباب من [القَزّ][٤].

فعلى هذا القول يكون قوله: "أولوا العزم" صفة للرسل كلهم. وإلى هذا ذهب ابن زيد قال: لم يبعث الله تعالى رسولاً إلا كان من أولي العزم[٥].

والأظهر عند أكثر المفسرين: أنها للتبعيض.

ثم اختلفت عباراتهم في ذلك؛ فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي في آخرين: "أولوا العزم": نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: القرطبي (١٦/ ٢١٩).

(٣) في الأصل: الحر. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٣٩٢).

(٤) انظر قول الأنباري في: زاد المسير (٧/ ٣٩٢). وما بين المعكوفين في الأصل: القر. والمثبت من زاد المسير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٧).

عليهم أجمعين[١]، وهم أصحاب الشرائع.

وعدّ منهم أبو العالية: هود عليه السلام[٢].

وقال ابن جريج: منهم: إسماعيل، ويعقوب، وأيوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان[٣].

وقال ابن السائب أيضاً: هم الذين أمروا بالجهاد والقتال[٤].

وقال الحسين بن الفضل: هم نجباء الرسل الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام، لقوله عقيب ذلك: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[٥].

وقال الحسن البصري: هم الذين لم تصبهم فتنة[٦].

وحكى الثعلبي في تفسيره قال[٧]: قال بعضهم: كل الأنبياء أولوا العزم إلا يونس عليه السلام. ألا ترى أن نبينا عليه السلام نُهِيَ أن يكون مثله لعجلة ظهرت منه حين ولى من قومه مغاضباً، فابتلاه الله عز وجل بثلاث، سلط عليه العمالقة

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٨)، وفي شعب الإيمان (٧/ ١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٥٤) وعزاه لابن المنذر.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١١٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٣).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٢).

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٥).

حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكلهم، وسلط الحوت عليه فابتلعه.

قوله تعالى: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ تسكين للنبي ﷺ وتهديد لكفار قريش.

﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب إذا نزل بهم في الدنيا. وقيل: في الآخرة ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورهم ﴿إلا ساعة من نهار﴾ استقصروا مدة أمدهم ولبثهم لما أفضوا إليه من العذاب الدائم والأهوال المتراكمة.

وقوله تعالى: ﴿بلاغ﴾ هو وقف التام.

والمعنى: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ، كقوله تعالى في آخر إبراهيم: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقرأ الحسن البصري: "بلاغاً" بالنصب(١)، على معنى: بلغ بلاغاً.

قال الزجاج(٢): النصب في العربية جيد بالغ، إلا أنه يخالف المصحف.

وقرأ جماعة، منهم: أبو العالية، وأبو عمران، وأبو مجلز: "بَلِّغْ"(٣)، على الأمر للنبي ﷺ.

﴿فهل يُهْلَكُ﴾ وقرأ ابن محيصن: "يَهْلِكُ" بفتح الياء وكسر اللام(٤)، وروي عنه فتحها مع فتح الياء(٥)، وهي لغة شاذة.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٩٤)، والدر المصون (٦/ ١٤٥).

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٣).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٦٨)، والدر المصون (٦/ ١٤٥).

﴿إلا القوم الفاسقون﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

قال الزجاج[١]: ما في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية.

وقد روى الثعلبي[٢] -رحمه الله تعالى- بإسناد لا بأس به: أن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا تعسر على المرأة ولدها فليكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة، ثم تغسل وتسقى منها: "بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون"[٣].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٤٤٨).

(٢) أخرجه الثعلبي (٩/ ٢٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٩ ح٢٣٥٠٨).

سورة محمد ﷺ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أول سور المُفَصَّل في قول الأكثرين.

وفي حديث ثوبان: أن النبي ﷺ قال: ((إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة، وأعطاني المائين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني بالمفصل))[2].

قال بعض أهل العلم: سمي بذلك؛ لكثرة تفصيل سُوَرِه بالبسملة.

وهي تسع وثلاثون آية في المدني، وثمان في الكوفي[3].

وهي مدنية في قول ابن عباس وأكثر المفسرين[4]، واستثنى ابن عباس قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ... الآية﴾ فقال: نزلت على النبي ﷺ بعد حجة الوداع حين خرج من مكة، فجعل ينظر إلى البيت ويبكي حزناً عليه[5].

---

(١) وتسمى سورة القتال.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧ ح١٧٠٢٣) من حديث واثلة بن الأسقع بألفاظ متفاوتة، والثعلبي (٩/ ٦٨) عن ثوبان.

(٣) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٨).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٦) وعزاه لابن الضريس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت سورة القتال بالمدينة. ومن نفس الطريق عزاه أيضاً للنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل قال: نزلت سورة محمد ﷺ بالمدينة.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٥).

وقال الضحاك والسدي: هي مكية[1]. وليس بشيء؛ لأنك إذا تصفحت آياتها وجدتها مفسدة لهذا القول، شاهدة ببطلانه، وغير ممتنع أن تشتمل على آيات مكية، لكن إطلاق القول بنزولها كلها بمكة خطأ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

قال الله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ أي: أعرضوا عن دين الإسلام، أو صدّوا الناس عنه.

قال ابن عباس: هم المطعمون يوم بدر[2].

وقيل: هم أهل الكتاب.

وقيل: بالعموم. وهو الصحيح.

﴿أضلّ أعمالهم﴾ أبطلها وأحبطها. وأعمال المشركين ما كانوا ينتحلونه من مكارم الأخلاق، ويتمسكون به من بقايا دين إبراهيم وإسماعيل؛ كصلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الضيف، وحفظ الجوار، ورعي الذِّمام.

وقيل: أضلّ أعمالهم التي أبرموها في نقض أمر النبي ﷺ، وليس بشيء؛ لقوله

(١) انظر: زاد المسير (٧/ ٣٩٥)، وكذلك حكى النسفي هذا القول الغريب في تفسيره (٤/ ١٤٤).
(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٢٣).

تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿كَفَّرَ عنهم سيئاتهم﴾، فقابل الذين كفروا بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقابل صدود الكفار عن الحق الذي جاء بـه محمـد ﷺ بإيمان المسلمين بما نزل عليه، وجعل جزاء الذين كفروا وصدّوا إبطال حسناتهم، وجزاء الذين آمنوا تكفير سيئاتهم، فجاء الكلام على أبدع نظـم وأحـسن تقـسيم وأصح معنى، اللهم فلك الحمد على ما هديتنا إليـه مـن إبـراز رمـوز خطابـك، ودللتنا عليه من إحراز كنوز كتابك.

قرأ ابن مسعود: "نَزَّلَ" بفتح النون والزاي والتشديد(١).

وقرأ أبو رزين وأبو الجوزاء وأبو عمران كذلك، إلا أنهم خففوا(٢).

وقرأ أبيّ بن كعب: "أُنْزِلَ" بضم الهمزة وكسر الزاي(٣).

وقرأتُ للعشرة من جميع طرقهم: "نُزِّل" بضم النون وتشديد الزاي، على البناء للمفعول.

﴿وأصلح بالهم﴾ قال قتادة والمبرد وغيرهما: يعني: حالهم وشأنهم(٤).

قال المفسرون: وذلك بما أعطاهم من النـصرة والـتمكن واسـتفحال الملـك وجباية الأموال، فجمع لهم جزاء لهم على إيمانهم خير الدنيا والآخرة.

وقال الماوردي(٥): في قوله: ﴿وأصلح بالهم﴾ أربعة أقوال:

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٩٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٢٩١-٢٩٢).

أحدها: أصلح شأنهم. قاله مجاهد[١].

الثاني: أصلح حالهم. قاله قتادة[٢].

الثالث: أصلح أمرهم. قاله ابن عباس[٣].

وهكذا ترى معظم كتابه على هذا النمط يعدد أقوالاً حاصلها قول واحد.

قال: الرابع: أصلح قلبهم. حكاه النقاش، ومنه قول الشاعر:

فإنْ تُقْبِلِي بالودِّ أُقبلْ بمِثْلِه وإن تُدْبِرِي أذهبْ إلى حَالِ بَاليَا[٤]

وهو على هذا التأويل محمول على [إصلاح][٥] دينهم.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ قال الزجاج[٦]: أي: الأمر ذلك. وجائز أن يكون ذلك الإضلال لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحق، ثم قال تعالى: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي: كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين، أي: كالبيان الذي ذكر.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٧)، والطبري (٢٦/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٩)، والحاكم (٢/ ٤٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٥٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) البيت لسحيم، انظره في: الماوردي (٥/ ٢٩٢)، والقرطبي (١٦/ ٢٢٤).

(٥) في الأصل: صلاح. والمثبت من الماوردي (٥/ ٢٩٢).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٥-٦).

وقال الزمخشري(١): إن قلت: أين ضرب الأمثال؟

قلتُ: في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين. أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة [الكفار](٢)، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

وقال غيره: "أمثالهم" أي: أمثال من كان قبلهم كيف أهلكهم الله عند تكذيب الرسل، أي: أمثاله لهم. وقد تكون الأمثال: الأوصاف.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا﴾ يعني: في مراكز القتال، ﴿فضرب الرقاب﴾ أي: الزموا أو اتبعوا ضرب الرقاب، كما قال:

يا نفسُ صبراً على ما كانَ منْ مضَض ....(٣)

(١) الكشاف (٤/ ٣١٩).

(٢) في الأصل: الكافر. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) صدر بيت لحرّي بن ضمرة، وعجزه: (إذ لم أجد لفضول القول أقرانا)، وهو في: اللسان (مادة: =

أي: الزمي صبراً.

والمعنى: إذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم، غير أنه لما كان الغالب في قتل الإنسان ضرب عنقه صار عبارة عنه وإن لم يقتل ضرب عنقه، كما في قوله: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ وأمثاله.

﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل وأغلظتموه، من الشيء الثَّخين؛ وهو الغليظ.

ويجوز أن يكون المعنى: حتى إذا أثخنتموهم بالقتل والجراح.

﴿فشدّوا الوثاق﴾ يريد: أسرهم لئلا يفلتوا منكم.

فالوَثاق -بفتح الواو وكسرها-: اسم ما يوثق به[١].

﴿فإما منّاً بعد وإما فداءً﴾ هما منصوبان بفعلين مضمرين، أي: فإما تَمُنُّون مَنّاً وإما تفدون فِدَاءً، فخُيِّر بعد الأسر بين هذين الأمرين، وهما المنّ عليهم بالإطلاق أو الفداء بعِوَض.

فصل

اختلف العلماء في حكم الأسير؛ فذهب عامة أهل العلم، منهم: ابن عمر، والحسن، وعطاء، وابن سيرين، والإمامان أحمد والشافعي: إلى أن هذه الآية محكمة[٢]، وأن الإمام مُخيّر في الأسير بين القتل والاسترقاق، والمنّ والفداء، ففي أي ذلك رأى المصلحة فعل؛ لأن رسول الله ﷺ قتل عقبة بن أبي معيط، والنضر بن

= مضض)، وتاج العروس (مادة: مضض).

(١) انظر: اللسان (مادة: وثق).

(٢) ورجّحه الطبري (٢٦/ ٤٢). وانظر: الماوردي (٥/ ٢٩٤)، وزاد المسير (٧/ ٣٩٧).

الحارث يوم بدر صبراً، وفادى أسارى بدر، وقتل بني قريظة، ومنَّ [عَلَى ثمامة][1] بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك دأب الخلفاء الراشدين من بعده.

وذهب جماعة، منهم: قتادة، والضحاك، وابن جريج، والسدي: إلى أن حكمه القتل أو الاسترقاق، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه[2]، قالوا: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم﴾[3] [الأنفال:٥٧]، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في سورة براءة.

قوله تعالى: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين[4].

وقال مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام[5].

وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح عليه السلام[6].

وقال الفراء[7]: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم.

فالمعنى على هذا: حتى يضع أهل الحرب أوزارهم، وهي آلتهم وسلاحهم.

---

(١) في الأصل: مامة. وهو خطأ. وهو: ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة الحنفي، أبو أمامة. (انظر ترجمته في: الإصابة ١/ ٤١٠-٤١١). وقول "على" زيادة على الأصل.

(٢) انظر: المغني (٩/ ١٧٩)، والأم (٤/ ١٧٧)، والمبسوط للسرخسي (١٠/ ٢٤).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٦٥)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٧).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٦٠) وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) معاني الفراء (٣/ ٥٧).

ومنه قول الأعشى:

وأعددتُ للحربِ أوْزَارَها رِمَاحاً طِوَالاً وخَيْلاً ذُكُورا[١]

وقيل: المعنى: حتى تضع أوزار المشركين بأن يسلموا ويوحدوا الله تعالى. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ قال الزجاج[٢]: "ذلك" في موضع رفع. المعنى: الأمر ذلك.

ويجوز أن يكون نصباً، على معنى: افعلوا ذلك. ولو يشاء الله لانتصر منهم فكفاكم أمرهم بغير قتال، ولكن شرع القتال وأمركم به ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ فيجزي المؤمنين بالمثوبة ويجزي الكافرين بالعقوبة.

﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ قرأ أبو عمرو وحفص والمفضل عن عاصم ويعقوب: "قُتِلوا" بضم القاف وكسر التاء من غير ألف. وقرأ باقي القراء العشرة: "قاتلوا"[٣]. والأولى اختيار [أبي][٤] حاتم.

ومثل أبي عمرو قرأ الحسن، إلا أنه شدد التاء[٥].

---

(١) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٧١)، واللسان (مادة: وزر)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٤٤)، والقرطبي (١٦/ ٢٢٩)، والبحر (٨/ ٧٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٩٧)، وروح المعاني (٢٦/ ٤١)، وغريب القرآن (ص:٤٠٩)، والماوردي (٥/ ٢٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٦)، والكشف (٢/ ٢٧٦)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٣)، والسبعة (ص:٦٠٠).

(٤) في الأصل: أبو. وهو لحن.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٧٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٧).

وقرأ عاصم الجحدري: "قَتَلوا" بفتح القاف والتاء والتخفيف[١].

فالقراءة الأولى وقراءة الحسن يراد بهما الشهداء، وقراءة الأكثرين اختيار أبي عبيد، والثالث بمعنى: قتلوا المشركين في سبيل الله.

﴿فلن يضل أعمالهم﴾ كما أضل أعمال الكفار.

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد، ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون: اعل هُبَل[٢].

وقد ذكرنا ما قال الكفار، وماذا أجابهم المسلمون في ذلك اليوم في سورة آل عمران[٣].

﴿سيهديهم﴾ قال ابن عباس: إلى أرشد الأمور[٤].

وقيل: إلى محاجّة منكر ونكير[٥].

وقيل: إلى طريق الجنة[٦].

﴿ويدخلهم الجنة﴾ وقرأت لأبي عمرو [من][٧] رواية عبدالله بن عمر الزهري عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي عنه: "ويُدْخِلْهُم" بالجزم؛ لتوالي

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٧٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) عند الآية رقم: ١٤٣.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٨).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) زيادة على الأصل.

الحركات(١).

﴿عرّفها لهم﴾ قال مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها [أحداً](٢).

قال مقاتل(٣): يمشي المَلَك الذي كان موكلاً بحفظ عمله في الدنيا، فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة والفراء وأبو عبيدة وجمهور المفسرين.

وروى عطاء عن ابن عباس أن المعنى: طيبها لهم(٤).

قال ابن قتيبة(٥): وهو قول أصحاب اللغة. يقال: طعام معرَّف، أي: مطيَّب.

قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله﴾ أي: تنصروا دينه ورسوله ﴿ينصركم﴾ على عدوكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ عند القتال، أو على الإسلام.

وقرأ المفضل عن عاصم: "ويثبت" بالتخفيف(٦).

﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ قال الزجاج(٧): التَّعْسُ في اللغة: الانحطاط والعُثُور، والنصب على معنى: أتعسهم الله تعساً.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٧٦)، والدر المصون (٦/ ١٤٨).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٩٨)، والطبري (٢٦/ ٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. وما بين المعكوفين زيادة من مصادر التخريج.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٤-٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٦٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٠).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٣٩٩)، والدر المصون (٦/ ١٤٨).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٨).

وقال غيره[١]: يقال: تَعَسَهُ اللهُ وأَتْعَسَهُ، ونقيض تَعْسَاً له: لعاً له.

قال الأعشى يصف ناقة:

بذاتِ لَوْثٍ عِفِرْنَاةٍ إذا عَثَرَتْ فالتَّعْسُ [أدنى لها منْ أنْ][٢] أقول لَعَا[٣]

يريد: العثور والانحطاط أقرب لها من [الانتعاش][٤].

واختلفت عبارات المفسرين في ذلك؛ فقال ابن عباس: بُعْداً لهم[٥].

وقال الضحاك: خيبةً لهم[٦].

وقال السدي: حزناً لهم[٧].

وقال ابن زيد: شقاءً لهم[٨].

وقال ثعلب: هلاكاً لهم[٩].

﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ تعالى من القرآن وما اشتمل عليه من التكاليف ﴿فأحبط أعمالهم﴾.

---

(١) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٣٢٢).

(٢) في الأصل: أو دنى لها من. والتصويب والزيادة من مصادر البيت.

(٣) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٠٥)، واللسان (مادة: لوث، تعس)، والبحر (٨/ ٧١)، والطبري (٧/ ١١٢)، والقرطبي (٦/ ٣٥٨، ١٦/ ٢٣٢)، والدر المصون (٦/ ١٤٨)، والمحتسب (١/ ١٤١).

(٤) في الأصل: الإنعاش. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٢٢).

(٥) ذكره القرطبي (١٦/ ٢٣٢)، والبغوي (٤/ ١٨٠).

(٦) ذكره القرطبي (١٦/ ٢٣٢)، والبغوي (٤/ ١٨٠).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٥) وفيه: خزياً لهم، والقرطبي (١٦/ ٢٣٢).

(٨) أخرجه الطبري (٢٦/ ٤٥). وذكره الماوردي (٥/ ٢٩٥).

(٩) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٥).

۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ سبق تفسيره[1].

﴿دَمَّرَ الله عليهم﴾ يقال: دَمَّرَهُ الله تعالى، أي: أهلكه، ودَمَّر عليه، أي: أهلك عليه ما يختص به. فالمعنى: أهلك الله تعالى عليهم أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وجميع ما يختص بهم.

ثم هدّد كفار هذه الأمة فقال تعالى: ﴿وللكافرين أمثالها﴾ أي: أمثال تلك العاقبة أو الهلكة أو السنة.

﴿ذلك﴾ الذي فعله من نصر المؤمنين وتدمير الكافرين ﴿بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ وليُّهم وناصرُهم، ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أي: يتمتعون بمتاع الحياة الدنيا،

(١) في سورة يوسف، عند الآية رقم: ١٠٩.

﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ أي: يأكلون غافلين غير متفكرين فيما يراد بهم.

﴿والنار مثوى لهم﴾ منزل ومقام لهم.

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ قد ذكرنا في آل عمران(١) اختلاف القراء في "كأيّن"، وأشرنا إلى معناها هناك. والمراد: أهل قرية، ولذلك قال: أهلكناهم.

قوله تعالى: ﴿فلا ناصر لهم﴾ حكاية حال؛ كقوله: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس:٩].

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي: على حجة وبرهان واضح من الله. وهو النبي ﷺ، في قول أبي العالية(٢).

أو المؤمنون، في قول الحسن(٣).

﴿كمن زين له سوء عمله﴾ يعني: المشركين، ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في عبادة

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٦.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٠).

(٣) مثل السابق.

الأوثان.

قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ مفسر في الرعد[١].

﴿فيها أنهار من ماء غير آسِن﴾ قال أبو عبيدة والزجاج[٢]: غير متغير الريح.

وقال ابن قتيبة[٣]: غير متغيِّر الريح والطعم. والآجن نحوه.

وقرأ ابن كثير: "أَسِنٍ" بقصر الهمزة[٤]، وهما لغتان بمعنى واحد، وأنشد ليزيد بن معاوية:

لقدْ سَقَتْني رِضاباً غيرَ ذي أسِنٍ   كالمسكِ [فُتَّ][٥] على ماءِ العناقيد[٦]

وقال أبو يعلى: يقال: أَسَنَ الماء يَأْسِنُ، ويَأْسُنُ أَسْناً وأُسُوناً فهو آسِن، وأَسِنَ يَأْسَنُ أَسَناً وهو أَسِن؛ إذا تغيّر[٧].

فمن قرأ: " آسن " على وزن فاعل، فهو اسم الفاعل من أَسَنَ يَأْسِنُ، كضَارب، من ضَرَبَ يَضْرِبُ.

ومن قرأ: " أَسِن " على وزن فَعِل ، فهو من أَسِنَ يَأْسَنُ كحَذِرَ ، من حَذِرَ يَحْذَرُ.

---

(١) عند الآية رقم: ٣٥.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢١٥)، ومعاني الزجاج (٥/ ٩).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص: ٤١٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٧)، والكشف (٢/ ٢٧٧)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٣)، والسبعة (ص:٦٠٠).

(٥) في الأصل: نمت. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٢٤).

(٦) انظر البيت في الكشاف (٤/ ٣٢٤)، والقرطبي (١٠/ ٢٢).

(٧) انظر: اللسان (مادة: أسن).

وقال مكي[١]: من قصر جعله اسم فاعل على "فَعِل"؛ لأنه غير متعدّ إلى مفعول؛ كحَذِر، وهو قليل. ومن مَدَّ بناه على فاعل، وهو الأكثر في فَعِلَ يَفْعَلُ، نحو: جَهِلَ يَجْهَلُ فهو جاهل، وعَلِمَ يَعْلَمُ فهو عالم.

قوله تعالى: ﴿وأنهار من لبن﴾، ثم وصفه فقال: ﴿لم يتغير طعمه﴾ يريد: كما تتغير ألبان الدنيا، ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ سبق تفسيره في الصافات عند قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات:٤٥].

قال الزمخشري[٢]: قرئ بالحركات الثلاث، فالجر على صفة الخمر، والرفع على صفة الأنهار، والنصب على العلة، أي: لأجل لذة الشاربين.

قوله تعالى: ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ أي: ليس فيه عَكَر ولا كَدَر ولا شمع كعسل الدنيا. يشير بذلك إلى سلام لبن الجنة وخمرها وعسلها من الأقذاء والأكدار الملازمة لما في الدنيا من ذلك، بل هو لبن لم تشتمل عليه بطون اللقاح، وخمر لم تعصره الأقدام، وعسل لم تَجْرسه النحل.

﴿ولهم﴾ أي: للمتقين ﴿فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ لذنوبهم السالفة، ﴿كمن هو خالد في النار﴾.

قال الزجاج[٣]: المعنى: أفمن كان على بينة من ربه وأعطي هذه الأشياء، كمن زيّن له سوء عمله، وهو خالدٌ في النار.

---

(١) الكشف (٢/ ٢٧٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٢٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠).

وقال الفراء[(١)]: أراد: من كان من أهل النعيم كمن هو خالد في النار.

وقال غيره: وقع التشبيه على ما في الضمير، يقول: أمن هو في هذه الجنة الموصوفة، كمن هو خالد في النار؛ لأن قوله: ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ يؤذن بأنهم فيها.

وقال الزمخشري[(٢)]: هو كلام في صورة الإثبات، ومعنى النفي والإنكار؛ لانطوائه تحت [حكم][(٣)] كلام مصدر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه، وهو قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله﴾ [محمد:١٤] كأنه قيل له: [أمثل][(٤)] الجنة كمن هو خالد في النار، أي: كمثل جزاء من هو خالد في النار.

قال[(٥)]: و"مثل الجنة": مبتدأ، وخبره: "كمن هو خالد". وقوله تعالى: ﴿فيها أنهار﴾ داخل في حكم الصلة كالتكرير لها، ألا ترى إلى صحة قولك: التي فيها أنهار. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي فيها أنهار، أو كأن قائلاً يقول: وما مثلها؟ فقيل له: فيها أنهار. وأن يكون في موضع الحال، أي: [مُستقرة][(٦)] فيها أنهار.

قوله تعالى: ﴿وسقوا ماءً حميماً﴾ سبق تفسيره، ﴿فقطع أمعاءهم﴾ جمع، واحده: مِعىً، مثل: قَفَا وأقْفَاء، وإِنَى وآناء.

(١) معاني الفراء (٣/ ٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ٣٢٤).

(٤) في الأصل: مثل. والمثبت من الكشاف (٤/ ٣٢٤).

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٦) في الأصل: مفسرة. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يعني: المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ويسمعون خطبته وحديثه ولا يعون ما يقول، ولا يلقون لـه بـالاً؛ تهاوناً منهم به.

فإن قيل: "مِنْ" في قوله: "ومنهم" ما هي؟

قلتُ: "مِنْ" التي للتبعيض، أي: ومن الكفار. وقد تقدم ذكرهم في مواضـع من أول السورة إلى هاهنا.

أو يكون المعنى: ومن هؤلاء المحكوم عليهم المخلدون في النار مـن يـستمع إليك.

فإن قيل: هلاّ قال: ومنهم من يسمع، ليكـون مطابقـاً لحـالهم، فـإنهم كـانوا يسمعون ولا يستمعون؟

قلتُ: أراد تحقيق نفاقهم وأنهم كانوا يوهمون المسلمين أنهـم يـشاركونهم في استماع قول النبي ﷺ والإصغاء إلى ما يقوله.

﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من أصـحابك جريـاً

على عادتهم من النفاق واتهاماً لهم أنهم قوم شأنهم ضبط ما يقول الرسول ﷺ وحفظه وإتقانه ﴿ماذا قال آنفاً﴾ ولهذا المعنى خصوا بسؤالهم أولي العلم.

وهذان الدخلان والجواب عنهما والتقرير التالي لهما ما علمت أن أحداً من المفسرين ذكره، غير أن الإمام أبا الفرج ابن الجوزي رحمه الله قال[١]: وفي استفهامهم قولان:

أحدهما: أنهم لم [يعقلوا][٢] ما قال. ويدل عليه باقي الآية.

والثاني: أنهم قالوه استهزاء.

قرأ عكرمة وحميد وابن محيصن: "أَنِفاً" بقصر الهمزة، على وزن فَعِل. وبها قرأتُ لابن كثير من رواية ابن فرح عن البزي عنه[٣]. وانتصابه على الظرف[٤].

والمعنى: ماذا قال الساعة.

قال الزجاج[٥]: هو من قولك: استأنفت الشيء؛ إذا ابتدأته، وروضةٌ أُنُفٌ؛ [إذا][٦] لم تُرْعَ [بعد][٧]، أي: لها أولٌ يُرعى.

---

(١) زاد المسير (٧/ ٤٠٢).

(٢) في الأصل: يعقوا. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٤٠٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٣)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٣-٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠٠).

(٤) وأنكر أبو حيان في البحر (٨/ ٧٩) أن يكون منصوباً على الظرف، قال: والصحيح أنه ليس بظرف، ولا نعلم أحداً من النحاة عدّه في الظروف.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٠). وانظر: اللسان (مادة: أنف).

(٦) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

والمعنى: ماذا قال في أول وقتٍ يقرُب منا.

قوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا﴾ يريد: المؤمنين ﴿زادهم هدى﴾ أي: زادهم الله تعالى هدى.

وقيل: زادهم قول الرسول ﷺ.

وقيل: زادهم استهزاء المنافقين هدى.

﴿وآتاهم تقواهم﴾ وقرأ ابن مسعود والأعمش: "[وأعطاهم][١] تقواهم"[٢].

والمعنى: أعانهم عليها.

وقال السدي: بَيَّن لهم ما يتقون[٣].

وقال أبو سليمان الدمشقي: أعطاهم التقوى مع الهدى، فاتقوا معصيته خوفاً من عقوبته[٤].

وقال سعيد بن جبير: المعنى: وآتاهم جزاء تقواهم[٥].

قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة﴾ أي: هل ينتظرون إلا الساعة، وقوله تعالى: ﴿أن تأتيهم﴾ بدل اشتمال من "الساعة"[٦].

قال الزجاج[٧]: هذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى، وهو نحو قوله:

---

(١) في الأصل: وأنطاهم. وانظر: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٣٢٥)، والقرطبي (١٦/ ٢٤٠).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٣٩)، والماوردي في تفسيره (٥/ ٢٩٨) عن ابن زياد.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٣).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٨١).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٧)، والدر المصون (٦/ ١٥٢).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ١١).

﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم﴾ [الفتح:٢٥] المعنى: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات.

وقرأ أبي بن كعب وأبو الأشهب وحميد: "إنْ" بكسر الهمزة، ["تأتهم"][1] بغير ياء بعد التاء[2]، على استئناف الشرط والجزاء، والوقف على "الساعة".

قالوا: وكذلك هي في مصاحف أهل مكة. وجزاء الشرط قوله تعالى: ﴿فأنى لهم﴾ على معنى: أن تأتيهم الساعة فكيف لهم ذكراهم واتعاظهم وقد انقضت مدة التكليف؟. و"أشراطها": علاماتها.

قال المفسرون: ظهور النبي ﷺ من علامتها، وانشقاق القمر، والدخان، وغير ذلك[3].

وقال ابن السائب: كثرة المال والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلّة الكرام، وكثرة اللئام[4].

قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، كما قررناه في مواضع. أو يكون المعنى: دُم على عملك.

﴿واستغفر لذنبك﴾ أي: اطلب المغفرة مني تواضعاً لي، وهضماً لنفسك، وخضوعاً لعزتي، واعترافاً بتقصيرك، مع كونك أكرم [الخلق][5] عليّ وأكملهم

(١) في الأصل: تأتيهم. وانظر: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٠٣)، والدر المصون (٦/ ١٥٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٣).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٠).

(٥) في الأصل: الحق. والصواب ما أثبتناه.

لديّ بالنسبة إلى عظمتي، وما يجب لي عليك من مقابلة إحساني إليك.

﴿وللمؤمنين﴾ أي: واطلب مني المغفرة لمن تبعك على دينك من المؤمنين ﴿والمؤمنات﴾.

﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ قال ابن عباس: "متقلبكم": منصرفكم لاشتغالكم بالنهار، "ومثواكم": مضجعكم بالليل للنوم(١).

وقال عكرمة: "متقلبكم": من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، "ومثواكم": مقامكم في الأرض(٢).

وقال ابن كيسان: "متقلبكم": من ظهر إلى بطن، "ومثواكم": متقلبكم في القبور(٣).

والمقصود من ذلك: الحث على الخوف وطلب المغفرة من الله الذي لا يخفى عليه شيء من أحوال [الخلق](٤).

قال سفيان بن عيينة وقد سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [الحديد:٢٠] إلى قوله: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [الحديد:٢١] وقال: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [الأنفال:٢٨] ثم قال بعد: ﴿فاحذروهم﴾ [التغابن:١٤]، [وقال تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من

---

(١) ذكره الطبري (٢٦/ ٥٤)، والماوردي (٥/ ٣٠٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٣)، والبغوي (٤/ ١٨٣).

(٤) في الأصل: الحق. والصواب ما أثبتناه.

شيء فأن لله خمسه﴾ ثم أمر بالعمل بعد][1].

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ قال المفسرون: [كان][2] المسلمون يقولون اشتياقاً إلى الوحي وحرصاً على الجهاد: لولا، أي: هلاّ.

وكان أبو مالك الأشجعي يقول: "لا" صلة. والتقدير: لو نزلت سورة[3].

﴿محكمة﴾ أي: مبينة، ﴿وذكر فيها القتال﴾ الأمر بالجهاد ذكراً محكماً [لا يحتمل من التأويل][4] إلا وجهاً واحداً وهو وجوب القتال.

﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ قال ابن [عباس][5]: نفاق[6]، ﴿ينظرون

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٤٢). وما بين المعكوفين زيادة منه.

(٢) في الأصل: كا.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

(٤) في الأصل: لاحتمل من التوائل. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٥).

إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ أي: تشخص أبصارهم جُبْناً وهلعاً، كما ينظر المغشي عليه عند نزول الموت به.

﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيد لهم وتهديد، وهو أفعل، من الولي، وهو القرب.

وقال الأصمعي: معناه: وليك وقاربك ما تكره[١].

ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿طاعة وقول معروف﴾ قال الخليل وسيبويه[٢]: المعنى: طاعة وقولٌ معروف أمثل.

وقيل: هذا حكاية قولهم، أي: قالوا طاعة، أي: أمرنا طاعة وقول معروف. ويؤيده قراءة أبي بن كعب: "يقولون طاعة"[٣].

وذكر بعض المفسرين أنه متصل بما قبله[٤].

والمعنى: فأولى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفاً.

قوله تعالى: ﴿فإذا عزم الأمر﴾ قال الحسن: جَدَّ. والعزم والجد لأصحاب الأمر، وإسناده إليه إسناد مجازي[٥]. وقد سبق نظيره في سورة لقمان[٦].

والمعنى: فإذا جَدَّ رسول الله ﷺ وأصحابه في القتال وتلبسوا به.

﴿فلو صدقوا الله﴾ أي: فلو صدقوا في الإيمان والجهاد وواطأت قلوبهم ألسنتهم ﴿لكان خيراً لهم﴾.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٦).

(٢) انظر: الكتاب (١/ ١٤١).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٨١)، والكشاف (٤/ ٣٢٧).

(٤) انظر: القرطبي (١٦/ ٢٤٤)، وزاد المسير (٧/ ٤٠٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٦). وانظر: الكشاف (٤/ ٣٢٧).

(٦) عند الآية رقم: ١٧.

وقوله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ قال الزجاج[١]: "عَسَيْتُم" بفتح السين.

وقرأ نافع: "عَسِيتُم"[٢]. واللغة الجيدة العالية[٣]: "عَسَيْتُم" بفتح السين، ولو جاز "عَسِيتُم" لجاز أن يقال: "عَسِيَ ربكم أن يرحمكم".

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء ليعقوب من رواية رويس عنه: "تُوُلِّيتم" بضم التاء والواو وكسر اللام[٤]، وهي قراءة علي عليه السلام.

وقرأتُ عليه ليعقوب: "وتَقْطَعُوا" بفتح التاء وسكون القاف والتخفيف[٥].

واختلفوا في المخاطبين بذلك؛ فقيل: هم المنافقون، وهو الظاهر.

وقال ابن حيان: هم قريش[٦].

وقال بكر بن عبدالله المزني: الخوارج[٧].

وقال مقاتل[٨]: منافقوا اليهود.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٣).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:١٣٩)، والكشف (١/ ٣٠٣)، والنشر (٢/ ٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٤).

(٣) في معاني الزجاج: البالغة.

(٤) النشر (٢/ ٣٧٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٤).

(٥) مثل السابق.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٧) حكاية عن الماوردي.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٧).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٨).

فعلى [هذا][(١)] القول يكون من خطاب التلوين؛ لأنه كان يخبر عن المنافقين.

ثم التفت إليهم موبخاً لهم فقال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن دين الإسلام، وأظهرتم الرجوع إلى عبادة الأصنام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الأرض بالإغارة والنهب، وقطيعة الأرحام بالمقاتلة، ووأد البنات.

أو يكون المعنى: فهل عسيتم إن تأمرتم وتوليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بالجور والظلم وقطيعة الرحم. وهذا المعنى أكثر ما جاء في التفسير، وهو الذي يقتضيه قول ابن حيان وبكر، وعليه تدل الأحاديث والآثار.

والمعنى على قراءة علي عليه السلام: فهل عسيتم إن توليتكم ولاة ظلمة أن تفسدوا في الأرض بالخروج والقتال معهم، والإعانة لهم.

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا سليمان[(٢)] قال: حدثني معاوية بن أبي مزرد، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فذاك. قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا

(١) زيادة على الأصل.

(٢) هو ابن بلال التيمي القرشي. تقدمت ترجمته.

أرحامكم﴾))[١].

وبهذا الإسناد قال البخاري: حدثنا إبراهيم بن حمزة[٢]، حدثنا حاتم[٣]، عن معاوية قال: حدثني عمي أبو الحباب سعيد بن يسار، عن أبي هريرة بهذا ثم قال: قال رسول الله ﷺ: ((اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم﴾))[٤].

وبه قال البخاري: حدثنا بشر بن محمد، حدثنا عبد الله، أخبرنا معاوية بن أبي المزرد بهذا، قال رسول الله ﷺ: ((اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾))[٥].

قلتُ: وعبدالله هو الإمام ابن المبارك، واسم أبي مزرد: عبد الرحمن بن يسار، يُعدّ في أهل المدينة.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أعمال بني آدم تعرض على الله عشية كل خميس، فلا يقبل عمل قاطع رحم))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨ ح٤٥٥٢).

(٢) إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن عبد الله بن الزبير بن العوام المدني، أبو إسحاق، ثقة صدوق، كان يأتي الربذة كثيراً فيقيم بها ويتّجر بها، ويشهد العيدين بالمدينة، مات سنة ثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٠١، والتقريب ص:٨٩).

(٣) حاتم بن إسماعيل المدني مولاهم، أبو إسماعيل، كان ثقةً مأموناً، كثير الحديث، مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٢/ ١١٠، والتقريب ص:١٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨ ح٤٥٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٨ ح٤٥٥٢).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٣ ح١٠٢٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٤ ح٧٩٦٥).

وفي حديث عبدالله بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»[١].

وحديث أبي بكرة مذكور في سورة يونس عند قوله: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ [يونس:٢٣]، وقد سبق في أثناء كتابنا جملة من الأحاديث والآثار الحاضة على صلة الأرحام في البقرة عند قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً وذي القربى﴾، وفي سورة الرعد[٢] وغيرهما من المواضع، فتطلب ذلك وأمثاله في مظانه.

قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الذين تقدم ذكرهم ﴿الذين لعنهم الله﴾ أبعدهم عن كل خير لإفسادهم وقطعهم الأرحام، ﴿فأصمّهم﴾ عن سماع الحق والهدى ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن النظر إليه.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يتصفحون ما فيه من المواعظ والزواجر وأخبار ما

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٣ ح٧٩٦٢).
(٢) عند الآية رقم: ٢١.

كان ويكون، وما فيه من الدلائل بصدقك وشواهد رسالتك، ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ "أمْ" بمعنى: بل. [وهمزة التقرير][١] للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا [يتوصل إليها][٢] شيء من الهدى والمواعظ. وإنما نكّر القلوب؛ لأنه أراد أم على قلوب قاسية، أو أراد: [على][٣] بعض القلوب، وهي قلوب المنافقين. وإضافة الأقفال إليها إضافة تخصيص، أي: أقفالها المختصة بها، وهي أقفال الكفر والنفاق المبهمة التي لا يقدر على فتحها إلا الله تعالى.

قال خالد بن معدان: ما من الناس إلا من له أربعة أعين؛ عينان في وجهه لدنياه ومعيشته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب، وما من أحد إلا ومعه شيطان مستبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عاتقه، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد الله بعبد خيراً بصرت عيناه التي في قلبه، وما وعد الله تعالى من الغيب، وإذا أراد الله بعبد شراً طمس عليها، فذلك قوله: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أي: رجعوا إلى الكفر.

قال ابن عباس: هم المنافقون[٥].

وقال قتادة ومقاتل[٦]: هم اليهود.

﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ أي: من بعد ما وضح الحق ﴿الشيطان سوّل

(١) في الأصل: والهمزة للتقرير. والمثبت من الكشاف (٤/ ٣٢٨).

(٢) في الأصل: يصل إليهم. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٣) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٨). وذكره مقاتل (٣/ ٢٣٩)، والماوردي (٥/ ٣٠٢).

لهم﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهذه الجملة خبر "إنَّ"، كقولك: إن زيداً عَمْرو ضربه.

والمعنى: الشيطان زين لهم ركوب العظائم.

قرأ أبو عمرو وزيد عن يعقوب: "وأُمْلِيَ" بضم الهمزة وكسر اللام وياء بعد اللام مفتوحة. وقرأ [يعقوب][1] إلا زيداً وأبان عن عاصم كأبي عمرو، إلا أنهما سكّنا الياء. وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة واللام وألف بعدها[2].

فأبو عمرو جعله فعلاً ماضياً لم يُسَمَّ فاعله، وهو الله تعالى، بدليل قوله: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف:١٧٣]، وقوله: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ [آل عمران:١٧٨]، وقوله: ﴿فأمليت للكافرين﴾ [الحج:٤٤]، وقوله: ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ [الرعد:٣٢]، ويعقوب جعله مثل قوله: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف:١٨٣] فيكون إخباراً من الله عن نفسه جلَّت عظمته، على معنى: وأنا أملي لهم، والباقون جعلوه فعلاً ماضياً والفاعل هو الله تعالى؛ كما قدمنا ذكره.

وقيل: الشيطان، على معنى: سوّل لهم ومَدَّ لهم في الأماني الباطلة والآمال الخائبة، حتى ماتوا على كفرهم.

والصحيح: أن الفاعل هو الله تعالى، فيكون الوقف حَسَناً على قوله: ﴿سوَّل لهم﴾ على اختلاف القراءات، إلا إذا قلنا: الفاعل هو الشيطان.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ قال الزجاج[3]: الأمر

---

(١) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٠٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٧-٦٦٨)، والكشف (٢/ ٢٧٧-٢٧٨)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠٠-٦٠١).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٤).

ذلك، أي: ذلك الإضلال، يقول الذين ارتدوا على أدبارهم للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر.

فإن قلنا: إن الذين ارتدوا هم المنافقون، فالمعنى: قالوا للذين كرهوا ما نزل الله -وهم اليهود-: سنطيعكم في بغض محمد ﷺ، والقعود عن نصرته. وهذا قول الضحاك والسدي(١).

وإن قلنا: "إن الذين ارتدوا": هم اليهود، فالمعنى: قالوا للذين كرهوا ما نزل الله -وهم المنافقون-: سنطيعكم [في](٢) الأمر فنكتم ما علمناه من نبوة محمد ﷺ. قاله ابن جريج(٣).

وكانوا قالوا ذلك سراً فأفشاه الله تعالى عليهم وتوعدهم فقال تعالى: ﴿والله يعلم إسرارهم﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "إسرارهم" بكسر الهمزة، وفتحها الباقون(٤).

فمن كسرها جعله مصدراً، من أَسَرَّ يُسِرُّ [إسراراً](٥)، ومن فتحها جعله جمع سِرٍّ، كعِدْلٍ وأعْدَال.

قال أبو علي(٦): كأنه السر، وإن كان مصدراً لاختلاف ضروبه،

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٩) كلاهما عن السدي.

(٢) زيادة من الماوردي (٥/ ٣٠٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٠٩).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٩)، والكشف (٢/ ٢٧٨)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠١).

(٥) في الأصل: إسراً.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٦).

[وجميع][(١)] الأجناس يحسن جمعها مع الاختلاف. ولما كان السر يتناول جميع ضروبه أُفْرِدَ مرة وجُمِعَ أخرى.

والآية التي بعدها مفسرة في الأنفال[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الجزاء وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ من خالف نبيه وما خالف بشريعته، ﴿وكرهوا رضوانه﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: "رُضوانه" بضم الراء[(٣)]. وقد ذكرناه في أوائل آل عمران[(٤)].

قال المفسرون: كرهوا الإيمان برسول الله ﷺ.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شكٌّ ونفاق ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ أي: أن لن يبرز الله لرسوله ﷺ وللمؤمنين أحقادهم الكامنة

---

(١) في الأصل: وجمع. والتصويب من الحجة (٣/ ٤٠٦).

(٢) عند الآية رقم: ٥٠.

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٦٩)، والنشر (٢/ ٢٣٨)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠٢).

(٤) عند الآية رقم: ١٥.

في صدورهم.

﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ قال الزجاج[(١)]: لعرَّفناكَهُم. تقول: قد أريتَكَ هذا الأمر، أي: قد عرفتك إياه. المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة، وهي السيما.

﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ أي: بتلك العلامة ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾. قال الكلبي: في كذب القول[(٢)].

قال المفسرون: المعنى: ولتعرفنهم في مقصد كلامهم وفحواه، فإنهم يتعرضون [بتهجين][(٣)] أمرك والاستهزاء بدينك[(٤)].

وقال بعضهم[(٥)]: اللَّحْن: أن تلحن بكلامك، أي: [تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له][(٦)] صاحبك، وذلك من أثر القدرة على التصرف في الكلام، والأخذ في أساليبه، وأنشدوا:

لقد لحنت لكم لكيما تفهموا ... واللحن يعرفه ذوو الألباب[(٧)]

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٤).

(٣) في الأصل: يتجهيز. والمثبت من زاد المسير (٧/ ٤١١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١١).

(٥) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(٦) في الأصل: تمليه إلى نحو من الإيحاء ليفطن به. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(٧) البيت للقتال الكلابي. انظر: ديوانه (ص:٣٦)، واللسان (مادة: لحن)، والبحر (٨/ ٧٣)، والدر المصون (٦/ ١٥٧)، والقرطبي (١٦/ ٢٥٣).

ولفظهم:

=

وقال آخر:

وحديثٌ ألذه هو [مما][1] تشتهيه النفوس [يُوزن][2] وزنا

منطِقٌ [صائب][3] وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا[4]

[أي][5]: تارة تأتي بالكلام على وجهه صائباً مسدوداً، وأخرى تحرّف فيه وتلحن، أي: تعدل على الجهة الواضحة متعمدة لذلك تلعباً بالقول، ومنه الحديث: «لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته»[6]، أي: أنهض بها وأحسن تصرفاً فيها.

وبهذا التقدير يجوز أن يكون المراد: ولتعرفنهم في لحن القول الصادر ما ينبهه على أنه يوحى إليه في فحوى الكلام ما يستدل به عليهم.

والأول هو المعروف في التفسير.

قال الزجاج[7]: دلّ بهذا -والله أعلم- أن قول القائل وفعله قد يدل على نيته.

=

ولقد وميت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحناً ليس بالمرتاب

وانظر البيت بنفس لفظ المصنف في: الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(١) في الأصل: ما. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٢) في الأصل: وزنا فوس. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٣) في الأصل: صالب. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٤) البيتان لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، انظر: اللسان (مادة: لحن)، والقرطبي (١٦/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٧/ ٤١١)، والبحر (٨/ ٧٣)، والدر المصون (٦/ ١٥٧)، وروح المعاني (٢٦/ ٧٧).

(٥) في الأصل: وأي.

(٦) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٥٥ ح٦٥٦٦)، ومسلم (٣/ ١٣٣٧ ح١٧١٣).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ١٥).

قال ابن جرير[١]: ثم بعد عرفه الله إياهم.

قال الزمخشري[٢]: إن قلت: أي فرق بين اللامين في "فلعرفتهم" و"لتعرفنهم"؟

قلتُ: الأولى هي داخلة في جواب "لو" كالتي في "لأريناكهم" كررت في المعطوف، وأما اللام في "ولتعرفنهم" فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف.

قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ أي: ولنعاملنكم معاملة المبتلي، أي: المختبر، حتى نعلم علماً يتعلق به الجزاء [للمجاهدين][٣] منكم في سبيله، والصابرين على مشاق تكاليفنا.

﴿ونبلُوَا﴾ وقرأ يعقوب: "ونبلُوا" بسكون الواو[٤]، على معنى: ونحن نبلوا.

﴿أخباركم﴾ أي: نختبركم بالتكليف اختباراً يكشف للمؤمنين أحوالكم وضمائركم.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: "وليبلونكم حتى يعلم"، "ويبلوا" بالياء فيهن[٥].

سمعت شيخنا أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد رضي الله عنه يقول: قال إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت فضيلاً -يعني: ابن عياض- بليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣٠).

(٣) في الأصل: المجاهدين. وبما أثبتناه يستقيم المعنى.

(٤) النشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٠)، والكشف (٢/ ٢٧٨)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٤)، والسبعة (ص:٦٠١).

والصابرين ونبلوا أخباركم﴾، وجعل يقول: وتبلوا أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا[١].

وسمعته يقول: تزينتَ للناس وتصنعتَ لهم وتهيأتَ لهم، ولم تزل ترائي حتى عرفوك، فقالوا: رجل صالح، فقضوا لك الحوائج، [ووسعوا][٢] لك في المجلس، وعظموك خيبة لك، ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك[٣].

وسمعته يقول: إن قدرتَ أن لا تُعرف فافعل، وما عليك أن [لا][٤] تعرف، وما عليك إن لم يُثْنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً[٥].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٣٦ ح١٠١٤٣). وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١١١).

(٢) في الأصل: وسمعوا. والمثبت من حلية الأولياء (٨/ ١١١).

(٣) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١١١).

(٤) زيادة من الزهد للبيهقي (٢/ ١٠٠).

(٥) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ١٠٠ ح١٤٨)، وذكره أبو نعيم في الحلية (٨/ ٨٨).

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: نزلت في المطعمين يوم بدر[١].

وقال مقاتل[٢]: في اليهود.

وقيل: نزلت في بني قريظة والنضير[٣].

﴿وسيحبط أعمالهم﴾ التي يرجون بها الثواب.

وقيل: وسيحبط أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الإسلام وأهله.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يحتمل عندي: أن يكون هذا خطاباً للمنافقين، فتكون منتظمة في سلك ما قبلها من الآيات المساوقة في المنافقين، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم جهراً، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول سراً كما أطعتموه جهراً، ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ من الجهاد والصلاة والصوم وغيرها من العبادات بالنفاق والكفر، فإنه لا يتقبل معهما عمل.

والذي عليه عامة المفسرين: أنها خطاب للمؤمنين.

واختلفوا في قوله: "ولا تبطلوا أعمالكم"؛ فقال الحسن: ولا تبطلوها بالمعاصي والكبائر[٤].

وقال قتادة: الشر ينسخ الخير، والخير ينسخ الشر، والأعمال بخواتيمها[٥].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢) عن الواحدي.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

ويروى عن حذيفة في هذه الآية أنه قال: من أتى كبيرة مما أوعد الله تعالى عليها النار حطت ما قبلها من حسناته.

وقال مقاتل[١]: لا تبطلوها بالمن. وذلك أن قوماً أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ [الحجرات:١٧].

وقال ابن السائب: لا تبطلوها بالرياء والسمعة[٢].

وهذا والذي قبله هو التفسير الصحيح.

ومن تصفح كتاب الله واستقرأ سنة رسوله ﷺ حصل له العلم والجزم بأن الحسنات يذهبن السيئات، ولا كذلك بالعكس، فإن الحسنات لا يذهبها بعد القضاء بكونها حسنات إلا الكفر، والمن والأذى، وهذا هو الأليق بفضل الله تعالى ورحمته، والأشبه بعدله جل وعز، ولهذا قال رسول الله ﷺ لحكيم بن حزام حين قال له: «أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية، فقال له عليه الصلاة والسلام: أسلمتَ على [ما][٣] سلف لك من خير»[٤].

فلم يجعل كفره ومعاصيه مبطلة لتلك الأعمال الصالحة الموجودة منه حال كفره.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: هذه الآية تدل على أن من دخل في قربة لم يجز

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٢).

(٣) زيادة من الصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٧٧٣ ح٢١٠٧)، ومسلم (١/ ١١٣ ح١٢٣).

له الخروج منها قبل إتمامها، وهذا على ظاهره في الحج، فأما الصلاة والصيام فهو على سبيل الاستحباب[١].

قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا﴾ أي: لا تضعفوا ﴿وتدعوا إلى السَّلْم﴾ وقرأ حمزة وأبو بكر: "السِّلْم" بكسر السين[٢]، أي: لا تدعو الكفار ابتداء الصلح. وقد ذكرنا السَّلم في الأنفال[٣] وغيرها.

قال قتادة: لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها في طلب الموادعة[٤].

﴿وأنتم الأعلون﴾ يجوز أن تكون الواو حالية. ويجوز أن تكون إخباراً خارجاً مخرج البشارة لهم بالاستعلاء والنصر على الأعداء.

﴿والله معكم﴾ بالنصر والمعونة فهو يكفيكم أمرهم، ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾.

قال الزجاج[٥]: يُنقصكم شيئاً من ثوابكم.

وأنشد قطرب:

إن تترني من الإجارة شيئاً ... لا تفتني على الصراط بحقي[٦]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٠)، والكشف (٢/ ٢٧٩)، والنشر (٢/ ٢٢٧)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠١).

(٣) عند الآية رقم: ٦١.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٦).

(٦) انظر البيت في: الماوردي (٥/ ٣٠٦).

وقال الزمخشري[(١)]: هو من وَتَرْتُ الرجل؛ إذا [قتلت][(٢)] له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، أو حربته. وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوِتْر، وهو الفرد؛ فشَبَّهَ إضاعة عمل العامل [وتعطيل][(٣)] ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله»[(٤)]، أي: أفرد عنهما [قتلاً][(٥)] ونهباً.

إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ قيل: المعنى: لا يسألكم ربكم أموالكم.

وقيل: المعنى: ولا يسألكم محمد ﷺ أموالكم.

والأول أظهر.

---

(١) الكشاف (٤/ ٣٣٢).

(٢) في الأصل: قلت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: تعطيل. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٧)، ومسلم (١/ ٤٣٥ ح٦٢٦).

(٥) في الأصل: مثلاً. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٣٢).

قال الماوردي[(١)]: المعنى: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله. ويفسد هذا المعنى ما بعده.

والصحيح: أن المعنى: لا يسألكم أموالكم كلها، إنما يطلب منكم ربع عشور أموالكم.

﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ أي: يجهدكم بالسؤال، والإِحْفَاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء. يقال: أَحْفَاهُ في المسألة؛ [إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح][(٢)]، وأَحْفَى شاربه: اسْتَأْصَلَه[(٣)].

﴿تبخلوا﴾ جواب الشرط، ﴿ويخرج أضغانكم﴾ معطوف عليه[(٤)].

وقرأ عبدالوارث عن أبي عمرو: "ويخرج" بالياء والراء. وقرئ: بالتاء، "أضغانكم" بالرفع، لإسناد الفعل إليه[(٥)].

وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن عباس بتاء مضمومة وفتح الراء، على البناء للمفعول، "أضغانكم" بالرفع[(٦)].

والضمير في "ويخرج" لله عز وجل.

ويؤيده قراءة يعقوب في رواية الوليد عنه: "ونُخْرِج" بالنون وضمها[(٧)].

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٠٧).

(٢) زيادة من الكشاف (٤/ ٣٣٢).

(٣) انظر: اللسان (مادة: حفا).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ١٥٨).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٥)، وزاد المسير (٧/ ٤١٤).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤١٤)، والدر المصون (٦/ ١٥٨).

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤١٤-٤١٥)، والدر المصون (٦/ ١٥٨).

وقيل: يخرج البخل أضغانكم.

والمعنى: ويخرج ما في قلوبكم من العداوة والحقد لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ها أنتم﴾ مذكور في آل عمران[1].

﴿هؤلاء﴾ قال الزمخشري[2]: هو موصول، بمعنى: الذين، صلته: ﴿تدعون﴾، أي: أنتم [الذين][3] تدعون، أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون.

ثم استأنف وصفهم، كأنهم قالوا: ما وصفنا؟ فقيل: تدعون ﴿لتنفقوا في سبيل الله﴾ أي: في الجهاد. وقيل: الزكاة، كأنه قيل: الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء [واضطغنتم][4] أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر، ﴿فمنكم من يبخل﴾ بالنفقة في سبيل الله ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ لا يعود ضرر بخله إلا عليه. يقال: بخلت عليه وعنه.

﴿والله الغني﴾ عنكم وعن أموالكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليه.

﴿وإن تتولوا﴾ قال قتادة: عن طاعته[5].

وقال مجاهد: عن كتابه[6].

وقال الكلبي: عن الصدقة[7].

---

(١) عند الآية رقم: ٦٦.

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣٣).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: واصطعتم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٦).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٧) عن قتادة.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٧).

﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ على خلاف ما أنتم عليه راغبين في الإيمان والعمل الصالح.

قال مجاهد: يستبدل من سائر الناس قوماً غيركم(١).

قيل: هم الأنصار. وقيل: الفرس.

قال أبو هريرة: «لما نزلت: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً(٢) بالثريا لتناوله رجال من فارس»(٣).

وقيل: هم الملائكة.

قال الزجاج(٤): هو في اللغة -على ما أَتَوَهَّمُ- فيه بُعْدٌ؛ لأنه لا يقال للملائكة قوم، إنما يقال قوم للآدميين.

وقيل: إن تولى أهل مكة استبدل الله بهم أهل المدينة.

والمعنى -والله أعلم-: وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم أطوع له منكم، كما قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ﴾ [التحريم:٥] إلى

---

(١) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:٦٠٠) قال: يستبدل من يشاء بمن يشاء، والطبري (٢٦/ ٦٧) ولفظه: يستبدل قوماً غيركم من شاء.

(٢) منوطاً: أي: معلقاً، يقال: نُطْتُ هذا الأمر به أَنُوطُهُ وقد نِيطَ به فهو مَنُوط (اللسان، مادة: نوط).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤ ح٣٢٦١). وأصله عند مسلم (٤/ ١٩٧٢ ح٢٥٤٦) ولفظه: لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال: من أبناء فارس حتى يتناوله.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٧).

آخر القصة، فلم يتولّ جميع الناس.

﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قال ابن جرير[١]: في البخل والإنفاق في سبيل الله.

وقال غيره: في المعصية وترك الطاعة[٢].

المعنى: بل يكونوا خيراً منكم.

ويروى عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: هي أحبُّ إليَّ من الدنيا[٣]. والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٦٦).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٨).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٨)، والقرطبي (١٦/ ٢٥٨).

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاثون آية، [إلا آية][1] في العدد المدني والكوفي[2]. وهي مدنية بإجماعهم.

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبدالله بن مسلمة[3]، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر عمر، نَزَرْتَ[4] رسول الله

(١) في الأصل: الآية.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٢٩).

(٣) عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، أبو عبد الرحمن المدني الحارثي، نزيل البصرة، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨-٢٩، والتقريب ص:٣٢٣).

(٤) النَّزر: الإلحاح في السؤال. ونَزَرَهُ نَزْراً: ألحَّ عليه في المسألة (اللسان، مادة: نزر).

ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحرّكت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصيح بي، فقلت: لقد نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾»[1]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وروى عطاء عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [الأحقاف:٩] قال اليهود: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يُفعل به، فاشتدَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[2].

وفي المراد بهذا الفتح أربعة أقوال: أنه فتح الحديبية. قاله أكثر العلماء[3].

وقال البراء بن عازب: نحن نعد الفتح بيعة الرضوان[4].

قال جابر بن عبدالله: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية[5].

وقال الشعبي: هو فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأُطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وغلبت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٢٩ ح٤٥٥٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٦٩). وذكره الماوردي (٥/ ٣٠٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٢٥ ح٣٩١٩)، والطبري (٢٦/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠٨) وعزاه للبخاري وابن جرير وابن مردويه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧٠). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠٩) وعزاه لسعيد بن منصور =

وقال الزهري: لم يكن فتحٌ أعظم من فتح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير[١].

أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد قال: حدثني أحمد بن إسحاق[٢]، حدثنا عثمان بن عمر[٣]، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾»[٤].

وفي رواية مسلم عن أنس قال: «لما نزلت: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله﴾ إلى قوله: ﴿فوزاً عظيماً﴾ مرجعه من الحديبية، وهم مخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، قال رسول الله ﷺ: لقد نزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً»[٥].

= وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١٩).

(٢) أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر بن جندل السلمي، أبو إسحاق البخاري السرماري، كان يضرب بشجاعته المثل، وكان من الغزائين، ومن أهل الفضل والنسك مع لزوم الجهاد، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١١، والتقريب ص:٧٧).

(٣) عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدي، أبو محمد، وقيل: أبو عدي، وقيل: أبو عبد الله البصري، ثقة، مات سنة تسع ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٩، والتقريب ص:٣٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٣٠ ح٣٩٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٤١٣ ح١٧٨٦).

القول الثاني: أنه فتح مكة. رواه مسروق عن عائشة(١)، وبه قال السدي(٢).

الثالث: أنه فتح خيبر. قاله مجاهد(٣).

[الرابع: القضاء له بالإسلام](٤).

والذي يقتضيه النظر الصحيح والبحث المستقيم: عموم ذلك في هذه الأقوال وغيرها، وأنه بشارة للنبي ﷺ والمسلمين بما قضى الله تبارك لهم في الظهور والاستعلاء بما سيفتح عليهم من مكة وخيبر وغيرهما.

فإن قيل: كيف يكون ذلك وهو بصيغة الماضي؟

قلتُ: هكذا تجد أكثر أخبار الله تعالى في كتابه العزيز يخرج للمستقبل في صيغة الماضي ليحقق كونه متيقن وجوده، واستواء الحالتين في علمه جل وعلا. أو نقول: الفتح: القضاء، على ما سبق في غير موضع من كتابنا، وقضاء الله تعالى له بذلك قد تقضى ومضى، فلذلك أخبر به بصيغة الماضي.

قال ابن قتيبة(٥): المعنى: إنا قضينا لك قضاءً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قال صاحب الكشاف(٦): إن قلت: كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟

قلتُ: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة: وهي

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٠٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥١٠) وعزاه لابن مردويه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) زيادة من زاد المسير (٧/ ٤٢٣).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٢).

(٦) الكشاف (٤/ ٣٣٤).

المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قيل: [يَسَّرنا](١) لك فتح مكة، ونصرناك على عدوك، لنجمع لك بين عزّ الدارين، وأغراض العاجل والآجل. ويجوز أن يكون علة للغفران من حيث إنه جهاد.

والمراد: ليغفر لك الله جميع ما فرط منك.

قال ابن عباس والشعبي ومقاتل(٢) وعامة المفسرين: ما تقدم من الجاهلية وما بعدها(٣).

قال بعض العلماء: هذا على سبيل التوكيد، كما يقال: فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه.

وقيل: ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك(٤). وفيه بُعْد.

أخبرنا الشيخان أحمد بن عبدالله وعلي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر [الفربري](٥)، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا ابن عيينة قال: حدثنا زياد أنه سمع المغيرة يقول: « قام النبي ﷺ

(١) في الأصل: بشرنا. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٣٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥١٢) وعزاه لابن المنذر عن عامر وأبي جعفر.

(٤) ذكره القرطبي (١٦/ ٢٦٣)، والبغوي (٤/ ١٨٩) كلاهما عن عطاء الخراساني.

(٥) في الأصل: القريري. وهو خطأ. انظر: ترجمته في: التقييد (ص:١٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠-١٣).

حتى تورّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ »[١].

وبهذا الإسناد قال البخاري: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا حيوة، عن أبي الأسود[٢]، سمع عروة، عن عائشة: « أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً. فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع »[٣]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن هارون بن معروف[٤]، عن [أبي][٥] صخر[٦]، عن[٧] ابن قسيط[٨]، عن عروة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٠ ح٤٥٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٧١ ح٢٨١٩).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزي الأسدي، أبو الأسود المدني، يتيم عروة؛ لأن أباه كان أوصى به إليه، وكان جده الأسود من مهاجرة الحبشة، كان ثقة كثير الحديث، قدم مصر سنة ست وثلاثين ومائة، ومات سنة بضع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٧٣، والتقريب ص:٤٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٠ ح٤٥٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٧٢ ح٢٨٢٠).

(٤) هارون بن معروف المروزي، أبو علي الخزاز الضرير، نزيل بغداد، ثقة ثبت، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١٢، والتقريب ص:٥٦٩).

(٥) زيادة على الأصل. انظر: ترجمته في التعليق التالي.

(٦) حميد بن زياد، وهو بن أبي المخارق المدني، أبو صخر الخراط، صاحب العباء، صدوق يهم، سكن مصر، ومات سنة تسع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٦، والتقريب ص:١٨١).

(٧) في الأصل زيادة قوله: أبي. وهو خطأ. انظر: صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٢).

(٨) يزيد بن عبد الله بن قسيط بن أسامة بن عمير الليثي، أبو عبد الله المدني الأعرج، كان فقيهاً ثقة، =

قوله تعالى: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ يعني: بالنبوة والفتح والمغفرة، ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ مثل قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٦].

﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ قال الزجاج[(١)]: نصراً ذا عز لا يقع معه ذل.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ أي: السكون والطمأنينة ﴿في قلوب المؤمنين﴾ بسبب الصلح بعد النطق والانزعاج لما ورد عليهم من صد المشركين إياهم عن البيت، حتى قال عمر: ((علام نعطي الدَّنِيَّة في ديننا، فقال رسول الله ﷺ: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني))[(٢)].

وقال سهل بن حنيف: [اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل][(٣)] لو

= مات سنة اثنتين وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٩، والتقريب ص:٦٠٢).

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٢ ح٤٥٦٣)، ومسلم (٣/ ١٤١١ ح١٧٨٥).

(٣) زيادة من صحيح البخاري.

أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم[١].

ثم أوقع الله الرضى بما يجري في قلوب المسلمين، فسلَّموا وانقادوا راضين بقضاء الله وتقديره.

﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض﴾ يسلط بعضها على بعض على ما تقتضيه حكمته وعلمه.

قوله تعالى: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ سبق آنفاً.

سبب نزولها: قال أهل المعاني[٢]: كررت اللام في "ليدخل" بتأويل تكرير الكلام، مجازه: "إنا فتحنا لك ليغفر لك الله، إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين".

قال مقاتل[٣]: فلما سمع بذلك عبد الله بن أبيّ بذلك، انطلق في نفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ما نحن إلا [كهم][٤]، فما نحن عند الله؟ فنزلت: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات... الآية﴾.

قال المفسرون: ظنوا أن الله تعالى لن ينصر محمداً والمؤمنين.

قال الضحاك: ظنت أسد وغطفان في رسول الله ﷺ حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو يهزم ولا يعود إلى المدينة سليماً، فعاد ظافراً[٥].

وقيل: هو ظنهم أن لله شريكاً، ولن يبعث الله أحداً عليهم[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٣٤ ح٣٩٥٣).

(٢) انظر: الطبري (٢٦/ ٧٣).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٦).

(٤) في الأصل: كهتم.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٢).

(٦) مثل السابق.

[﴿دائرة السوء﴾][1]: مذكورة في براءة[2].

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ قال قتادة: شاهداً على أمتك بالبلاغ[3].

وقيل: شاهداً بأعمالهم الصالحة والطالحة[4].

وقيل: شاهداً مبيناً لهم ما أرسلناك به إليهم[5]، وهو مثل قوله: ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء:٤١]، وقوله: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة:١٤٣].

قوله تعالى: ﴿ليؤمنوا بالله ورسوله﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "ليؤمنوا... ويعزروه...، ويوقروه" بالياء فيهن، وهو الذي يقتضيه نظم الكلام. وقرأ الباقون بالتاء فيهن[6]، على معنى: قل لهم: إنا أرسلناك لتؤمنوا. وقد ذكرنا في

(١) في الأصل: النبوة. وهو خطأ.

(٢) عند الآية رقم: ٩٨.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٢).

(٥) مثل السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧١)، والكشف (٢/ ٢٨٠)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠٣).

الأعراف[١] معنى التعزير عند قوله: ﴿وعزروه ونصروه﴾.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن السميفع: "ويُعززوه" بزاءين[٢]، على معنى: تجعلوه عزيزاً.

﴿وتوقروه﴾ أي: تُعظموه وتُبجلوه، والضمير يعود للرسول ﷺ، في قول الضحاك وكثير من المفسرين[٣].

وجمهور القراء يختارون الوقف هاهنا تنبيهاً على عود الضمير إلى الرسول ﷺ وتمييزاً له عن الضمير الراجع إلى الله تعالى في قوله: ﴿ويسبحوه﴾، فامتثل الصحابة رضوان الله عليهم ما نُدبوا إليه من تعظيم النبي ﷺ وتعزيره، حتى لقد قال عروة بن مسعود يوم قدم على النبي ﷺ في شأن الحديبية من جهة قريش حين رجع إليهم: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخّم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلّك بها وجهه وجلده، وإن أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون النظر إليه تعظيماً له[٤].

وقيل: الضمائر كلها لله تعالى.

---

(١) عند الآية رقم: ١٥٧.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٢٧)، والدر المصون (٦/ ١٦٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٧٦ ح٢٥٨١).

قال الزمخشري[١]: من فَرَّقَ بين الضمائر فقد أبعد.

والمراد بتعزير الله: تعزير دينه وتعزير رسوله ﷺ.

﴿ويسبحوه بكرةً وأصيلاً﴾ أي: ينزهوا الله أو يصلُّوا له. وقد سبق في مواضع.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ وقرأ تمام بن العباس بن عبدالمطلب: "إنما يبايعون لله"[٢]، وهذه بيعة الرضوان يوم الحديبية.

وكان سببها: أن رسول الله ﷺ حين نزل الحديبية أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة يقول: إنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوّاراً لهذا البيت، معنا الهدي نذبحه وننصرف، فقالوا: لا كان هذا أبداً ولا يدخلها العام، فبلغ ذلك المسلمين أن عثمان قد قتل، فقالوا: لا نبرح حتى نناجزهم، فذلك حين دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى بيعة الرضوان، فبايعهم تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة.

وقال قتادة: ألفاً وخمسمائة[٣].

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ على الموت[٤].

وقال جابر بن عبد الله: بايعناه على أن لا نفرّ[٥]. ومعناهما متقارب.

---

(١) الكشاف (٤/ ٣٣٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٩٢)، والدر المصون (٦/ ١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٢٦ ح٣٩٢٢)، والطبري (٢٦/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٢) وعزاه للبخاري وابن مردويه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٣ ح١٨٥٦)، والترمذي (٤/ ١٤٩ ح١٥٩١)، والطبري (٢٦/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٣) وعزاه لمسلم وابن جرير وابن مردويه.

وضرب رسول الله ﷺ يومئذ بشماله على يمينه وقال: هذه لعثمان، إنه ذهب في حاجة الله ورسوله، وجعلت الرسل تختلف بينهم، حتى انتظم الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً اشتمل على ما اتفقوا عليه من الشروط، فلما قضي شأن الكتاب قال النبي ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، وكان مقام رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة وعشرين يوماً -وقيل: عشرين ليلة-، ثم انصرف راجعاً[(١)].

قوله تعالى: ﴿إنما يبايعون الله﴾ تنبيه لهم على الوفاء بما بايعوا عليه وإعلاماً لهم أن مبايعة الرسول ﷺ مبايعة لله تعالى بواسطة الرسول ﷺ.

﴿يد الله فوق أيديهم﴾ قال ابن عباس: يد الله بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء[(٢)].

وقال السدي: يد الله فوق أيديهم عند المبايعة[(٣)].

وقال ابن السائب: نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة[(٤)].

وقال ابن كيسان: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم[(٥)].

وقال الحسن: "يد الله": يعني به: محمد ﷺ على أيديهم.

﴿فمن نكث﴾ أي: نقض البيعة ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ أي: ينقض على نفسه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٧).

(٣) انظر: الطبري (٢٦/ ٧٦) بلا نسبة. وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٩٠).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٦٧-٢٦٨)، والبغوي (٤/ ١٩٠).

(٥) ذكره الطبري (٢٦/ ٧٦) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٨).

﴿ومن أوفى بما عاهد عليهِ اللهَ﴾ وقرأ حفص: "عَلَيْهُ اللهَ" بضم الهاء في "عليه"[1].

﴿فسيؤتيه﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر: "فسنؤتيه" بالنون[2]، حملاً على قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك﴾.

﴿أجراً عظيماً﴾ قال المفسرون: هو الجنة. وناهيك رضاه عنهم أجراً، فإنه أعظم نعيم الجنة، ألا تراه يقول لهم: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً، وسخطه عز وجل على أهل النار أعظم عذابهم، فقد جاء أنهم يستغيثون: "عذبنا بما شئت ولا تسخط علينا".

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨٠)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨٠)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٥)، والسبعة (ص:٦٠٣).

قوله تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ مَنْ حول المدينة من الأعراب، حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية خوفاً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو صَدّ عن البيت، وكان رسول الله ﷺ قد أحرم بعمرة وساق الهدي معه ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثيراً من الأعراب شكّاً ونفاقاً، فلما رجع أقبلوا إليه يعتذورن بالكذب ويقولون: ﴿شغلتنا أموالنا﴾ بإصلاحها ﴿وأهلونا﴾ بالقيام عليها، ﴿فاستغفر لنا﴾.

قال ابن عباس: هم غفار ومزينة وجهينة وأشجع والديل وأسلم(١).

يريد: أن المنافقين المخلفين كانوا من هؤلاء القبائل، لا أنهم كلهم بهذه المثابة، فأكذبهم الله تعالى في اعتذارهم وطلبهم من رسوله الاستغفار لهم بقوله تعالى: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضَرّاً﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "ضُرّاً" بضم الضاد(٢).

قال أبو علي(٣): الضَّر -بفتح الضاد-: خلاف النفع، والضُّر -بضم الضاد-: سوء الحال. ويجوز أن يكونا لغتين في معنى، كالفَقْر والفُقْر، والضَّعف والضُّعف.

والمعنى: فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً من قتل أو هزيمة، ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ من نصر أو غنيمة.

ثم أكذبهم وهدّدهم بقوله تعالى: ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٢٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨١)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩).

﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول﴾ أي: لن يرجع الرسول ﴿والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ وقرأ ابن مسعود: "إلى أهْلِهِمْ" بغير ياء(١)، ووجههما ظاهر.

﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ لما له عليكم من الشقاء، ﴿وظننتم ظن السوء﴾ وذلك أنهم قالوا: إنما محمد وأصحابه أكَلَة رأس، فأين تذهبون؟ انظروا ما يكون منهم ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ هلكى. وقد ذكرنا ذلك في الفرقان(٢).

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿سيقول المخلفون﴾ وهم الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ أخبر الله تعالى نبيه أنه يفتح عليه خيبر، فبشر النبي ﷺ أصحابه بذلك، وأخبره أن هؤلاء المخلفين يقولون له وقت انطلاقه إلى خيبر: ﴿ذرونا نتبعكم﴾ إلى خيبر لنشهد قتال أهلها، ومقصودهم الغنيمة لا الجهاد.

﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "كَلِمَ الله" بكسر اللام من غير ألف(٣).

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٩٣)، والدر المصون (٦/ ١٦١).

(٢) عند الآية رقم: ١٨.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٢)، والكشف (٢/ ٢٨١)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

قال الفراء[(١)]: الكلام: مصدر، والكَلِم: جمع كَلِمَة.

والمعنى: يريدون أن يبدلوا مواعيد الله باختصاص غنائم خيبر بأهل الحديبية. قاله ابن عباس[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: أمر الله نبيه أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله تعالى وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه خيبر، ونهاه أن يسير معه أحد من المخلفين.

وقال ابن زيد: "كلام الله": قوله لنبيه ﷺ: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾[(٤)] [التوبة:٨٣]. وتابعه على ذلك جماعة من المفسرين والمتأخرين. وهو موضع مزلة أقدام أقوام لم يترسخوا في علم النقل؛ لأن آية براءة نزلت في غزوة تبوك، وهي آخر غزاة غزاها رسول الله ﷺ، وهذه كما تسمع وترى نزلت في عام الحديبية.

﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ أن غنائم خيبر لمن شهد الحديبية.

وقال مقاتل[(٥)] وغيره: يشير إلى قوله: ﴿قل لن تتبعونا﴾، فأنكروا ورَدُّوا أن يكون الله حكم بذلك، وأضافوه إلى المسلمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ المعنى: فذلك الذي يحملكم على ردعنا ومنعنا من المسير معكم لئلا نشارككم في الغنيمة، فأكذبهم الله تعالى في نسبة الحسد إلى الرسول ﷺ والمؤمنين،

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٦٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٠). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٥).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٤٩).

وردّ ذلك عليهم ملحقاً بهم عار الجهل، فقال تعالى: ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾ وهو فهمهم لأمور دنياهم دون أمور دينهم، كما قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ [الروم:٧].

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

ثم إن الله الرحيم الكريم فتح لهم باب الإنابة ولم يؤيّسهم من الخير على تقدير الاستجابة، فذلك قوله تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ وهم الذين تقدم ذكرهم، ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ فيهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل فارس. قاله ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وابن جريج في آخرين[(١)].

الثاني: أنهم فارس والروم. قاله الحسن[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٩-٥٢٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن جريج، وعزاه لابن المنذر.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

وعن مجاهد كالقولين[١].

الثالث: أنهم هوازن وغطفان، وكان ذلك يوم حنين. قاله سعيد بن جبير وقتادة[٢].

الرابع: أنهم بنو حنيفة، أصحاب مسيلمة الكذاب، الذين حاربهم الصدّيق. قاله الزهري والكلبي ومقاتل[٣].

قال رافع بن خديج[٤]: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعي أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم[٥].

وقال بعض العلماء: لا يجوز أن [تكون][٦] هذه الآية إلا في العرب؛ لقوله تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ وفارس والروم إنما يقاتلون حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية[٧].

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥١٩-٥٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن عكرمة وسعيد بن جبير، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٠) وعزاه لابن المنذر والطبراني عن الزهري. وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٠).

(٤) رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن تزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، أبو عبد الله، ويقال: أبو رافع. شهد أحداً والخندق، مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٨، والتقريب ص:٢٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٧/ ٤٣٢).

(٦) زيادة من زاد المسير (٧/ ٤٣٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٢).

وقوله تعالى: ﴿أو يسلمون﴾ عطف على قوله: "تقاتلونهم"[١]، على معنى: حتى يكون أحد الأمرين: المقاتلة أو الإسلام.

وفي حرف أبيّ بن كعب: "أو يسلموا" بغير نون[٢]، على معنى: إلى أن يسلموا، كقول امرئ القيس:

.... أو تموتَ فَنُعْذَرَا[٣]

فصل

وفي هذه الآية حجة بالغة على صحة إمامة سيدي قريش: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأن الصدّيق رضي الله عنه هو الذي دعا إلى قتال بني حنيفة، وعمر رضي الله عنه هو الذي دعا إلى قتال فارس والروم.

﴿فإن تطيعوا﴾ قال ابن جريج: إن تطيعوا أبا بكر وعمر[٤].

﴿يؤتكم الله أجراً حسناً﴾ وهو الثناء في الدنيا والغنيمة والظهور على الأعداء.

﴿وإن تتولوا﴾ عن طاعتهما ﴿كما توليتم من قبل﴾ عن طاعة رسول الله ﷺ في المسير معه إلى الحديبية ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ وهو في الدنيا: الخزي والعار، وفي

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٩٤)، والدر المصون (٦/ ١٦٢).

(٣) جزء من بيت لامرئ القيس. وهو:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول مُلْكاً أو نموت فنعذرا

انظر: ديوانه (ص:٦٦)، والكتاب (١/ ٤٢٧)، والمقتضب (٢/ ٢٨)، والخصائص (١/ ٢٣٦)، وابن يعيش (٧/ ٢٢)، والخزانة (٣/ ٦٠١)، والأشموني (٣/ ٢٩٥)، والبحر (٨/ ٩٤)، والدر المصون (٦/ ١٦٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٢).

الآخرة: عذاب النار.

وكذلك فعل الله تعالى بأعدائهما من الرافضة الذين ينكرون إمامتهما ولا يرون طاعتهما، جعل العار شعارهم، والذلّ دثارهم، والنار مثواهم ودارهم، فما أحقهم بإنشاد ما قيل في غيرهم:

فلوْ نظرَ الغرابُ إلى تميمٍ وما فيها من السَّوْءاتِ شَابَا[1]

اللهم فاحرسنا من عرض نفاقهم كما عافيتنا من مرض نفاقهم.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج... الآية﴾[2].

قرأ نافع وابن عامر: "نُدْخِلْهُ جنات... نُعَذِّبْه" بالنون فيهما. وقرأ الباقون بالياء فيهما[3]. ووجههما ظاهر.

۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ وهي البيعة التي تقدم ذكرها بالحديبية.

---

(١) البيت للعباس بن يزيد الكندي. وهو في: الأغاني (٨/ ٢٥)، وصبح الأعشى (٢/ ٢٠٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٧٣).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤)، والكشف (١/ ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

وبهذه الآية سُمّيت بيعة الرضوان.

قال سلمة بن الأكوع: بينا نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس! البيعة البيعة، فصرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة [سمرة][(١)]، فبايعناه[(٢)].

وقال عبد الله بن مغفل[(٣)]: كان رسول الله ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس، وإني لأرفع أغصانها عن رأسه[(٤)].

﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء والصبر عند اللقاء ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم﴾ جازاهم على ذلك في العاجل ﴿فتحاً قريباً﴾ وهو فتح خيبر، في قول قتادة والأكثرين[(٥)].

وفتح هجر، في قول الحسن[(٦)].

---

(١) زيادة من المصادر التالية.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٨٦ ح٣٦٨٥٢)، والطبري (٢٦/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذويب المزني، أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الرحمن، سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة، وهو من أصحاب الشجرة، مات بالبصرة سنة ستين (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٨، والتقريب ص:٣٢٥).

(٤) أخرج نحوه الطبري (٢٦/ ٩٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٢٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ومن طريق آخر عن الشعبي، وعزاه لعبد بن حميد.

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٤٢).

وقيل: فتح مكة[١].

والصحيح: الأول. فإن فتح خيبر كان عقيب انصرافهم من الحديبية، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسموها واتسعوا بها، فذلك قوله تعالى: ﴿ومغانم كثيرة تأخذونها﴾.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ وهو ما سيفتح عليهم إلى يوم [القيامة][٢].

﴿فَعَجَّل لكم هذه﴾ الإشارة إلى خيبر، في قول الأكثرين.

وقال ابن عباس في رواية عنه: هو صلح الحديبية[٣].

﴿وكفّ أيدي الناس عنكم﴾ قال قتادة: هم اليهود، كانوا هموا أن يغتالوا عيال

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٣١٦).

(٢) زيادة على الأصل. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٩). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٥).

المسلمين بالمدينة، فكفهم الله تعالى عن ذلك[١].

وقيل: هَمَّت أيضاً أسد وغطفان باغتيال عيال المسلمين[٢].

وقيل: فكفّ أيدي أهل خيبر وأيدي حلفائهم من أسد وغطفان، وكانوا أرادوا نصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا، على قول ابن عباس[٣].

"فكفّ أيدي الناس عنكم": أهل مكة.

﴿ولتكون﴾ هذه الكفة ﴿آية للمؤمنين﴾ عبرة لهم، يعرفون بها نعمة الله عليهم وحياطته لهم ونصره إياهم.

﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ بصيرةً ويقيناً في الإسلام وثباتاً عليه.

قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ أي: ووعدكم أخرى، أو هو معطوف على "هذه"، أي: فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى، أو هو منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده، وهو ﴿قد أحاط الله بها﴾[٤].

قال قتادة: فتح مكة[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٧) بلا نسبة، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٢٥) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ١٦٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩٢) ورجحه. وذكره الماوردي (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٢٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

وقال ابن عباس والأكثرون: فارس والروم[(١)].

"قد أحاط الله بها": قدر عليها.

وقيل: أحاط بها علماً أنها ستكون لكم.

قوله تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار﴾ أي: لو قاتلكم أيها المؤمنون مشركوا قريش يوم الحديبية لولوا الأدبار، لما قذفت في قلوبهم منكم من الهيبة والرعب.

﴿ثم لا يجدون ولياً﴾ نافعاً، ﴿ولا نصيراً﴾ مدافعاً.

﴿سُنة الله﴾ منصوب على المصدر، أي: سَنَّ الله غلبة رسوله والمؤمنين سُنَّة، وهو قوله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة:٢١].

قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيدكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قال [أنس][(٢)] بن مالك: هبط ثمانون رجلاً من أهل مكة على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ سلماً فأعتقهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٣)].

وقال ابن عباس: بعث أهل مكة أربعين رجلاً أو خمسين ليطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ يوم الحديبية، لعلهم يصيبون منهم أحداً، فأخذهم المسلمون فأتوا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩١). وذكره الماوردي (٥/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٢٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. ومن طريق آخر عن علي وابن عباس، وعزاه لابن عساكر.

(٢) زيادة من صحيح مسلم (٣/ ١٤٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٢ ح١٨٠٨).

بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل. فنزلت هذه الآية[١].

وبطن مكة: الحديبية؛ لأن بعضها مضاف إلى الحرم. قاله أنس بن مالك[٢].

وقال السدي: هو وادي مكة[٣].

وقيل: التنعيم[٤].

"من بعد أن أظفركم عليهم" أي: بهم.

﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ قرأ أبو عمرو: "يعملون" بالياء، على معنى: بما يعمل الكفار من الصد والكفر وغيرهما. وقرأ باقي القراء العشرة: "تعملون" بالتاء[٥]، على الخطاب للجميع، لتقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ٩٤).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣١٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٣٨) حكاية عن أبي سليمان الدمشقي.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤)، والكشف (٢/ ٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ يريد: أهل مكة، وما صنعوا عام الحديبية من صدّ المسلمين، وصدّ الهدي المقلد، وهو قوله تعالى: ﴿والهدي﴾ أي: وصدّوا الهدي.

ويجوز أن يكون مفعولاً معه(١)، أي: صدّوكم مع الهدي.

﴿معكوفاً﴾ نصب على الحال(٢)، ومعناه: محبوساً عن ﴿أن يبلغ محله﴾ وهو الموضع الذي يحل نحره به بطريق الأصالة. يريد: منى.

قوله تعالى: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ وهم المستضعفون بمكة ﴿لم تعلموهمْ﴾ أي: لم تعرفوهم وقت الْتحام الحرب وتلبس بعضكم ببعض ﴿أن تطؤوهم﴾ بدل اشتمال من "رجال"(٣).

ومعنى: "أن تطؤوهم": تدوسهم، وهو مجاز عن إهلاكهم، كما قيل:

وَوَطِئْتَنا وَطْأً على حَنَقٍ ....(٤)

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ١٦٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) صدر بيت للحارث بن وعلة الذهلي، وعجزه: (وَطْءَ المُقَيَّدِ نَابتَ الهَرَم). انظر: شرح المفضليات (ص:٥٤٩)، واللسان (مادة: وطأ، هرم)، وديوان الحماسة (١/ ٧١-٧٣)، والبحر (٨/ ٩٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٤)، وروح المعاني (٢٦/ ١١٣).

﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ قال ابن زيد: إثم[١].

وقال ابن إسحاق: غرم الدية[٢].

وقال الكلبي: كفارة قتل الخطأ[٣].

وقيل: عيب[٤]، فيقال: قتلوا أهل دينهم.

وقوله: ﴿بغير علم﴾ متعلق بـ"أن تطؤوهم".

والمعنى: ولولا [كراهة][٥] أن تطأووا رجالاً ونساء من المؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم لا تعرفونهم فتصيبكم منهم معرّة غير عالمين بهم، لما كففنا أيدكم عن أهل مكة. فحذف الجواب لدلالة الكلام عليه. وقيل: الجواب: "لعَذَّبْنا".

وقوله تعالى: ﴿لو تزيّلوا﴾ كالتكرير لقوله: ﴿ولولا رجال﴾؛ لأنهما يرجعان إلى معنى واحد.

وقوله تعالى: ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ تعليل لما سيقت له الآية من كفّ أيديهم عنهم، على معنى: فعل الله ذلك ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء، وهم الذين أسلموا بعد الصلح.

قال ابن عباس: "لو تزيلوا"[٦]: لو تفرقوا[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٤) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٢). وذكره الماوردي (٥/ ٣٢٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: كرامة.

(٦) في الأصل زيادة قوله: إليّ. وانظر النص في: زاد المسير (٧/ ٤٤٠).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٠).

وقال ابن قتيبة والزجاج[١]: لو تميزوا.

والمعنى: لو تميّز المسلمون من المشركين.

﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ بأيديكم أيها المكفوفون عنهم ﴿عذاباً أليماً﴾ بالقتل والسبي والأسر.

قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ يجوز أن يكون العامل في الطرف ما قبله، أي: لعذبناهم وقت جعلهم الحمية في قلوبهم. ويجوز أن يكون بإضمار: "اذكروا".

الحمية: الأَنَفَة، وذلك أنهم قالوا: لا والله لا يدخلون علينا وقد قتلوا بالأمس آبائنا وإخواننا وأبنائنا، ولا تتحدث العرب بذلك.

﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فلم يتداخلهم ما تداخل أولئك من الحمية، مع كونهم من سِنْخ[٢] ..[٣] نفوس أبيّة وعزة عربية، بل استسلموا واحتملوا الأذى، وأغضوا الجفون على القذى؛ طاعة لله ولرسوله.

﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أخرج الترمذي من حديث أُبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ: (("وألزمهم كلمة التقوى" قال: لا إله إلا الله))[٤]. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي في آخرين[٥].

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٧).

(٢) السِّنْخ: الأصل من كل شيء (اللسان، مادة: سنخ).

(٣) كلمة غير ظاهرة في الأصل.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٦ ح٣٢٦٥).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٣٦-٥٣٧).

قال علي عليه السلام: كلمة التقوى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير[(١)].

وقال ابن عمر: هي: لا إله إلا الله والله أكبر[(٢)].

قال عطاء الخراساني: لا إله إلا الله، محمد رسول الله[(٣)].

وقال الزهري: كلمة التقوى: بسم الله الرحمن الرحيم[(٤)].

وقال مجاهد: الإخلاص[(٥)].

وقال الحسن البصري: الوفاء بالعهد[(٦)].

ومعنى إضافتها إلى التقوى: أنها سبب التقوى، أو كلمة أهل التقوى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٦) عن عطاء.
وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لابن جرير من طريق ابن جريج عن عطاء. وأما قول علي فهو كقول ابن عمر الآتي، وقد أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٦) وعزاه لابن جرير وأبي الحسين بن مروان في فوائده.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٩٧ ح٩٧٩٨)، والطبري (٢٦/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٧) وعزاه لابن جرير.

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٤٦).

فإن قيل: ما معنى إلزامهم إياها؟

قلتُ: اتّصافهم بها وشدّة ملازمتهم لها.

فإن قيل: لِمَ سُمِّيت كلمة التقوى؟

قلتُ: لأنهم يتّقون بها غضب الله وعذابه.

فإن قيل: ما من أحد إلا وهو حقيق بقول: لا إله إلا الله، فما معنى قوله تعالى: ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾؟

قلتُ: هو إشعار بأن الله تعالى اصطفاهم لدينه وأخلصهم لمعرفته وأهّلهم لتوحيده، فكانوا أحق بها لموضع اصطفاء الله تعالى إياهم، حيث جعلهم من أهل السعادة.

وقال ابن عقيل في هذا الحرف كلاماً حسناً -لا يحضرني الآن-: حاصله راجع إلى أن العرب لموضع أنفتهم وحميتهم وغيرة نفوسهم، حتى أنك ترى الواحد منهم يخاطب الأمير كما يخاطب الحقير، أحق بتوحيد الله وتخصيصه بالخضوع والعبادة دون الأصنام من الأعاجم الذين لم يقاربوهم في العزة والأنفة.

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه عام الحديبية كأن قائلاً يقول له: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ إلى

قوله تعالى: ﴿لا تخافون﴾، ورأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة محلّقين ومقصّرين، فأخبر أصحابه بذلك ففرحوا، فلما خرجوا عام الحديبية حسبوا أنهم يدخلون مكة ذلك العام، فلما رجعوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟ فنزلت هذه الآية، فدخلوا في العام القابل[١].

والمعنى: لقد صدق الله رسوله فيما أراه في منامه.

وقوله تعالى: ﴿بالحق﴾ متعلق بـ"صدق" أو بـ"الرؤيا"، وهو قسمٌ باسمه الذي هو "الحق"، واللام في "لتدخلن" جواب القسم، أو جواب قسم محذوف على الأول[٢].

فإن قيل: إنما يستثني من يجهل العاقبة، والله تعالى علم أنهم يدخلون مكة، فما معنى قوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾؟

قلتُ: قال أبو عبيدة وابن قتيبة[٣]: "إنْ" بمعنى: "إذ". وقد سبق القول على ذلك في سورة البقرة.

وليس بالجواب السديد.

وقيل: الاستثناء يعود إلى دخول بعضهم أو جميعهم. حكاه الماوردي[٤].

وليس هذا القول أيضاً بشيء، ولا يندفع به الإشكال.

وحكى القاضي أبو يعلى: أنه على وجه الحكاية لما رآه النبي ﷺ في منامه أن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٢-٤٤٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٩)، والدر المصون (٦/ ١٦٥).

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:٤١٩).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٢٢).

القائل قال: "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين"[١].

والجواب المعتمد عليه: أن يقال: الاستثناء في مواعيد الله تعالى تأديبٌ للعباد، أو تثقيفٌ لهم، وتحضيض لهم على الاستثناء في مواعيدهم بأبلغ الطرق.

قال الزجاج[٢]: يجوز -وهو حسن- أن يكون "إن شاء الله" جرى على ما أمر الله تعالى به، [في][٣] كل ما يُفعلُ مُتَوَقَعاً فقال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].

فإن قيل: معلوم قطعاً أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمه الناس، فما معنى إخبار المسلمين بذلك؟

قلتُ: ذكَّرهم بذلك ليزدادوا استسلاماً لأقضية الله فيهم، وطمأنينة على الصبر على ما منوا به من تمكين أعراضهم، وتفويضاً إلى العالم الحكيم أزمَّة أمورهم.

والمعنى: علم ما في تأخير دخولكم مكة وصلحكم إياهم على الوجه الذي أرادوه وكرهتموه من المصالح ﴿ما لم تعلموا﴾.

﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ وهو فتح خيبر، في قول ابن عباس وعطاء وابن زيد ومقاتل[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٣).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٨).

(٣) في الأصل: على. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٨). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٨-٥٣٩) وعزاه لابن جرير عن ابن زيد.

أو صلح الحديبية، في قول مجاهد والزهري وابن إسحاق[١].

وقد سبق معنى إظهار هذا الدين على الدين كله في براءة[٢].

قوله تعالى: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ قال الحسن: شهيداً على نفسه أنه يظهر دينك[٣].

وقال مقاتل[٤]: المعنى: وكفى بالله شهيداً أن [محمداً ﷺ][٥] رسولُ الله.

والأول أوجه.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ مبتدأ وخبر. أو تقول: "محمد": مبتدأ، "رسول الله": عطف عليه عطف بيان، ﴿والذين معه﴾: عطف عليه، ﴿أشداء﴾ وما في

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٣)، والطبري (٢٦/ ١٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٣٨) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن مجاهد.

(٢) عند الآية رقم: ٣٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٠٩).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٤).

(٥) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

حيزه: الخبر. أو تقول: "محمد": خبر مبتدأ محذوف[١]، أي: هو محمد. أي: الرسول الذي أرسله هو محمد.

وقرأ الشعبي وأبو رجاء وأبو المتوكل وعاصم [الجحدري][٢]: "محمداً رسولَ الله" بالنصب فيهما[٣]. على معنى: ألزموا أو اتبعوا محمداً رسول الله.

قال ابن عباس: شهد له بالرسالة[٤].

﴿والذين معه أَشِدَّاءُ على الكفار﴾ وقرأتُ لأبي حاتم عن يعقوب: "أَشُـدَّاء" بضم الشين.

قال الزجاج[٥]: أَشِدَّاء: جمع شديد، والأصل: أشدِدَاء، نحو قولك: نـصيب وأَنْصِبَاء، ولكن الدَّالَيْن تَحَرَّكَتَا فأدغمت الأولى في الثانية.

﴿رُحَماء بينهم﴾ جمع رحيم. والمعنى: أنهم شداد صعاب على الكفار متراحمون فيما بينهم.

قال الحسن[٦]: [بلغ][٧] من تشددهم على الكفار: أنهم كانوا [يتحرزون][٨] من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمسَّ أبدانهم؛ وبلغ مـن تـرحمهم فـيما

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٣٩)، والدر المصون (٦/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) في الأصل: والجحدري. والصواب ما أثبتناه. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٤٥).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٤٥)، والدر المصون (٦/ ١٦٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٥).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٨).

(٦) ذكر قول الحسن؛ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٨).

(٧) في الأصل: أبلغ. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: يتحرزن. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه [وعانقه](١).

ثم وصفهم بكثرة الصلاة فقال: ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾، ثم وصفهم بالإخلاص فقال: ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ وهذا عام في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عند جمهور المفسرين.

وروي عن الحسن أنه قال: "والذين معه": أبو بكر، "أشداء على الكفار": عمر، "رحماء بينهم": عثمان، "تراهم ركعاً سجداً": علي بن أبي طالب، "يبتغون فضلاً من الله ورضواناً": طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة(٢).

قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ اختلف العلماء هل هذه السِّيما في الدنيا أم في الآخرة؟ على قولين:

أحدهما: في الدنيا.

قال ابن عباس: هو السمت الحسن(٣).

وقال مجاهد: الخشوع والوقار والتواضع(٤).

---

(١) في الأصل: وعنانقه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٣٤٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠١)، والبيهقي (٢/ ٢٨٦ ح٣٣٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤١-٥٤٢) وعزاه لمحمد بن نصر في كتاب الصلاة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١١)، وابن المبارك في الزهد (ص:٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٢) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر.

وقال الحسن: الصفرة[١].

وقال سعيد بن جبير: أثر السهر[٢].

وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حملت جباههم من الأرض[٣].

وقيل: السِّمَة التي تحدث في جبهة الساجد من كثرة السجود، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿من أثر السجود﴾.

وكان كل واحد من العَلِيَّيْن: أبي الخلفاء علي بن عبد الله بن العباس، وزين العابدين علي بن الحسين بن علي، يسمى ذا الثَّفِنَات[٤]؛ لأن كثرة سجودهما أثَّرَ في جبهة كل واحد منهما أثراً يشبه ثَفِنَات البعير.

القول الثاني: أن هذه السِّيما في الآخرة.

قال عطية العوفي: هو نور يظهر على وجوههم يوم القيامة[٥]. ونحوه عن الزهري[٦].

وقيل: هو نعتهم يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين من أثر الوضوء[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٦).

(٤) الثَّفِنَة من البعير والناقة: هو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغَلُظ؛ كالركبتين وغيرهما (اللسان، مادة: ثفن).

(٥) أخرج نحوه الطبري (٢٦/ ١١٠). وذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٣٢٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن نصر وابن جرير.

(٦) انظر: زاد المسير (٧/ ٤٤٧).

(٧) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٢٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٧) حكاية عن الزجَّاج.

قوله تعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ أي: صفة محمد ﷺ وأصحابه هذه الصفة في التوراة. وهاهنا تم الكلام.

ثم أخبر عن صفتهم في الإنجيل فقال: ﴿كزرع﴾ وهذا قول الضحاك وابن زيد[١].

وقال مجاهد وغيره: مثلهم في التوراة والإنجيل واحد[٢].

ثم ذكر مثلهما في الكتابين فقال: ﴿كزرع أخرج شَطْأَهُ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر: "شَطَأَهُ" بفتح الطاء[٣].

قال أبو علي[٤]: هما لغتان، [كالشَّمْع والشَّمَع][٥]، والنَّهْر والنَّهَر.

وقرأ أبي بن كعب وابن أبي عبلة: "شطَاءَه" بفتح الطاء وألف بعد الطاء مع المد والهمز[٦].

قال أبو عبيدة[٧]: "شَطْأَهُ" أي: فراخه، يقال: أَشْطَأَ الزَّرْعُ فهو مُشْطِئٌ، أي: مُفَرِّخ[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤)، والكشف (٢/ ٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٦)، والسبعة (ص:٦٠٤).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠).

(٥) في الأصل: كالسمع والسمع. والمثبت من الحجة، الموضع السابق.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٤٨)، والدر المصون (٦/ ١٦٧).

(٧) مجاز القرآن (٢/ ٢١٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: شطأ).

﴿فآزَرَه﴾ وقرأ ابن عامر: "فَأَزَرَهُ" بقصر الهمزة[١]. والمعنى: فأزره الصغار الكبار وقوّاه ولحق به.

﴿فاستغلظ فاستوى﴾ الجميع ﴿على سوقه﴾ جمع ساق. أي: قام على أصوله. وهذا مثلٌ لاستحكام الإسلام وقواة أهله واشتداد بعضهم ببعض، واستفحال أمرهم وسلطانهم بعد أن ظهر ضعيفاً كالطاقة من الزرع.

قال قتادة: في الإنجيل مكتوب: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٢].

وقال ابن عباس: المراد بـ"الزرع": محمد ﷺ، "أخرج شطأه": [أبو بكر][٣]، "فآزره" بعمر، "فاستغلظ" بعثمان، "فاستوى على سوقه" بعلي بن أبي طالب، ﴿يعجب الزراع﴾ يعني: المؤمنين، ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ وهو [قول عمر][٤] لأهل مكة: لا يعبد الله تعالى سراً بعد اليوم[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٤-٦٧٥)، والكشف (٢/ ٢٨٢)، والنشر (٢/ ٣٧٥)، والإتحاف (ص:٣٩٧)، والسبعة (ص:٦٠٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٤٤٩).

(٤) في الأصل: قوله. والتصويب والزيادة من زاد المسير (٧/ ٤٤٩).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٤) وعزاه لابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "كزرع" قال: أصل الزرع: عبد المطلب، "أخرج شطأه": محمد ﷺ، "فآزره" بأبي بكر، "فاستغلظ" بعمر، "فاستوى" بعثمان، "على سوقه" بعليّ، "ليغيظ بهم الكفار".

وقوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ تعليلٌ لما دل عليه تشبيههم بالزرع من اشتداد قوتهم وزيادة ترقيهم.

فصل

قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ لأصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[١].

وقال ابن إدريس: لا آمنُ أن يكونوا قد ضارعوا الكفار -يعني: الرافضة-؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾[٢].

أخبرنا أبو علي بن الفرج المذكر في كتابه، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا لوين[٣]، حدثنا يحيى بن المتوكل[٤]، عن كثير النواء[٥]، عن إبراهيم بن حسن [بن حسن][٦] بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه، قال:

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٤٧)، والخلال في السنة (٢/ ٤٧٨ ح٧٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤٩).

(٣) محمد بن سليمان بن حبيب بن جبير الأسدي، أبو جعفر المصيصي العلاف، المعروف بلوين، كوفي الأصل، ثقة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٦، والتقريب ص:٤٨١).

(٤) يحيى بن المتوكل العمري، أبو عقيل المدني، ويقال: الكوفي الحذاء الضرير، ضعيف، مات سنة سبع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٧، والتقريب ص:٥٩٦).

(٥) كثير بن إسماعيل، ويقال: بن نافع النواء، أبو إسماعيل التيمي، مولى بني تيم الله الكوفي، ضعيف (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٦٧، والتقريب ص:٤٥٩).

(٦) زيادة من المسند (١/ ١٠٣).

قال لي علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرج من آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام))(١).

وفي صحيح مسلم من حديث عروة، عن عائشة قالت: ((يا ابن أختي! أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبّوهم))(٢).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: من قال: علي أحق بالولاية من أبي بكر وعمر فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، ولا أدري يرفع له عمل إلى السماء أم لا؟.

قال الزمخشري(٣): ويجوز أن يكون قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ تعليلاً لقوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾؛ لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد الله لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك.

ومعنى ﴿منهم﴾ البيان، كقوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج: ٣٠].

وقيل: يجوز أن يكون هذا الوعد لمن أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح(٤).

وقال محمد بن جرير(٥): "منهم" يعني: من الشطء الذي أخرج الزرع، وهم

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٠٣ ح٨٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١٧ ح٣٠٢٢).
(٣) الكشاف (٤/ ٣٥٠).
(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٠).
(٥) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٥).

الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة.

ورد الهاء والميم على معنى الشطأ لا على لفظه.

وقال أبو العالية في قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾: أحبوا أصحاب محمد ﷺ المذكورين في الآية. فبلغ قوله الحسن البصري رحمه الله، فارتضاه واستصوبه. والله تعالى أعلم.

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني عشرة آية[1]. وهي مدنية بإجماعهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ السبب في نزولها مع ما في حيزها: ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم بن عبدالله بن عبدالصمد، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: «أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أَمِّرْ القعقاع بن معبد، وقال عمر

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٣٠).

رضي الله عنه: أمِّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾ حتى انقضت الآية: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾»[١]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

قال ابن عباس: نهو أن يتكلموا بين يدي كلام النبي ﷺ[٢].

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على الله ورسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسان رسوله[٣].

وقال الحسن: نزلت في قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح[٤].

وقال قتادة: كان ناس يقولون[٥]: لو أنزل فيَّ كذا، لو أنزل فيَّ كذا، فنزلت هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٤ ح٤٥٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٥)، والطبري (٢٦/ ١١٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩٥ ح١٥١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) من هنا يبدأ الجزء السادس من مخطوط المكتبة الظاهرية والذي يبدأ من أول الحجرات إلى آخر القرآن، وقد رمز لهذه النسخة بحرف (ب).

الآية(١).

قرأ يعقوب: "لا تَقَدَّمُوا" بفتح التاء والدال، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي هريرة، وأبو رزين، وعائشة، وأبي عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والضحاك، وابن سيرين، وقتادة. وقرأ باقي القراء العشرة: "تُقَدِّموا" بضم التاء وكسر الدال(٢).

قال الفراء(٣): كلاهما صواب، يقال: قَدَمت وتقدَّمت.

وقال الزجاج(٤): كلاهما واحد.

وقال ابن جني(٥): المفعول على قراءة العامة محذوف.

والمعنى: لا تسبقوهما بالقول والفعل، ولا تقطعوا أمراً دونهما.

[وقيل](٦): لا تمشوا بين يدي رسول الله ﷺ.

قال الثعلبي(٧): وكذلك بين يدي العلماء، فإنهم ورثة الأنبياء.

ودليل هذا التأويل: ما روى عطاء عن أبي الدرداء قال: «رآني النبي ﷺ أمشي أمام أبي بكر، فقال: تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، وما طلعت

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: النشر (٢/ ٣٧٥-٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٦٩).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣١).

(٥) المحتسب (٢/ ٢٧٨).

(٦) في الأصل: قيل. والمثبت من ب.

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ٧١).

شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خير وأفضل من أبي بكر رضي الله عنه))[١].

﴿واتقوا الله﴾ في التقدم بين يدي الله ورسوله ﴿إن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم.

قوله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ وبالإسناد قال البخاري: حدثنا [يسرة][٢] بن صفوان بن جميل اللخمي، حدثنا نافع[٣] بن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: ((كاد الخيّران أن يهلكا، أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... الآية﴾. قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر الصديق رضي الله عنه))[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢١٤).

(٢) في الأصل: بسرة. والتصويب من الصحيح (٤/ ١٨٣٣). وهو: يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي، أبو صفوان، وقيل: أبو عبد الرحمن الدمشقي البلاطي، كان ثقة، ولد سنة عشرة ومائة، ومات سنة خمس عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣١، والتقريب ص:٦٠٧، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٣) في الأصل زيادة قوله: عن. وهو وهم. انظر: الصحيح (٤/ ١٨٣٣). ونافع: هو ابن عمر بن عبدالله بن جميل الجمحي. انظر: ترجمته في: التهذيب (١٠/ ٣٦٥)، والتقريب (ص:٥٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٣ ح٤٥٦٤).

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعد[١]، حدثنا ابن عون[٢]، قال: أنبأني موسى بن أنس[٣]، عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته يبكي منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شرّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا -قال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة- فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»[٤].

قوله تعالى: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ وهو رفع الصوت عليه، ولا تظُنن أن المنهي عنه من ذلك ما قُصد به الاستخفاف، فإن ذلك كفر. والخطاب للمؤمنين.

ولأن رفع الصوت عنده حرام في كل حالة، فقد كان ذلك مشروعاً في الحرب وعند الحاجة، قال ﷺ: «صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»[٥].

وقال للعباس عليه السلام يوم حنين: "اصرخ بالناس"، فصرخ: يا أصحاب

---

(١) أزهر بن سعد السمان، أبو بكر الباهلي البصري، ثقة مأمون، مات سنة ثلاث ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٧٧، والتقريب ص:٩٧).

(٢) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، مات سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ٣٠٣-٣٠٤، والتقريب ص:٣١٧).

(٣) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، قاضي البصرة، كان ثقة قليل الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٨، والتقريب ص:٥٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٣ ح٤٥٦٥).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١١٢ ح١٢١٢٢).

السَّمُرة، وكان العباسُ أجهرَ الناس صوتاً[١].

ويروى: أن غارةً أتتهم يوماً، فصاح العباس: يا صباحاه! فأسقطت الحوامل لشدة صوته[٢].

بل المنهي عنه جهرٌ ينافي الهيبة والوقار، فندبهم إلى غضِّ أصواتهم عنده ﷺ؛ توقيراً وتعظيماً له ﷺ.

وقال سعيد بن جبير والضحاك في قوله: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله[٣].

﴿أن تحبط أعمالكم﴾ قال الأخفش[٤]: مخافة أن تحبط أعمالكم الصالحة.

وقيل: حبط الأعمال مجاز عن نقص المنزلة لا إسقاط العمل من أصله[٥].

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ قال أبو بكر: والله لا أرفع صوتي إلا كأخي السرار، فأنزل الله في أبي بكر: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ... الآية﴾[٦].

والغَضُّ مذكور في سورة لقمان[٧].

﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ قال ابن عباس: أخلصها للتقوى

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٩٨ ح١٧٧٥).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٠٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٨) عن الضحاك. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٧).

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٨٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٧).

(٦) مثل السابق.

(٧) عند الآية رقم: ١٩.

من المعصية[١].

وقال الزجاج[٢]: اختبر قلوبهم فوجدهم مُخلصين، كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب والفضة، أي: اختبرتهما بأن أذبتهما حتى خلصا، فعلمت حقيقة كل واحد منهما.

وقال ابن جرير[٣]: اختبرها بامتحانه إياها فاصطفاها وأخلصها للتقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ هذا من تمام ما نزل في وفد بني تميم، على ما ذكرناه في حديث ابن الزبير.

قال جابر بن عبد الله: جاءت بنو تميم إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب: يا محمد! اخرج، فإن مدحَنا زين وذمّنا شين، قال: فسمعها رسول الله ﷺ، فخرج عليهم وهو يقول: إنما ذلكم الله الذي مدحُه زين وذمه شين، فقالوا: نحن أناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ: ما بالشعر بُعثت ولا بالفخار أُمرت، ولكن هاتوا، فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم فاذكر فضلك وفضل قومك، فقام فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه، وآتانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء، فنحن من خير أهل الأرض، من أكثرهم عدة ومالاً

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥٨).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ١٢٠).

وسلاحاً، فمن أنكر علينا فضلنا وقولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وبفعال هو خير من فعالنا.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس -وكان خطيب رسول الله ﷺ-: قم فأجبه، فقام فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظمهم أحلاماً فأجابوه، فقالوا: الحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله، وعزاً لدينه، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا ماله ودمه، ومن أباها قتلناه، وكان رغمه في الله علينا هيناً. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقال الزبرقان لشاب من شبابهم: قم يا فلان فقل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك، فقام الشاب فأنشد أبياتاً يفتخر فيها، أولها:

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا ... فينا الرؤوسُ وفينا يُقسم الرّبع

فقال رسول الله ﷺ: [قم][1] يا حسان فأجبه، فقام حسان فأنشد أبياتاً منها:

إن الذوائبَ من فِهْرٍ وإخوتهم ... قد شرعوا سُنَّةً للناس تُتَّبَع

ثم أنشد أبياتاً غيرها منها:

فأحياؤُنا من خير من وطِئَ الحصا ... وأمواتُنا من خير أهل المقابر

فقام الأقرع بن حابس فأنشد أبياتاً منها:

---

(١) زيادة من ب.

أتينـاكَ كـيما يعـرفَ النـاسُ فـضلَنا إذا خالفُونـا عنـد ذِكْـرِ المكـارم
وإنـا رؤوسُ النـاس مـن كـل معـشرٍ وأن ليسَ في أرضِ الحجاز [كَـدَارِم][(١)]

فأجابه حسان بن ثابت بأبيات منها:

فـلا تجعلـوا الله نِـداً [وأسْـلِمُوا][(٢)] ولا تَفْخَـرُوا عنـد النبـي بـدارم
وإلا وربِّ البيـتِ مالـتْ أكفّنـا على هَـامِكُم بالمُرْهَفَـاتِ الـصَّوارِمِ[(٣)]

فقام الأقرع بن حابس فقال: ما أدري ما هذا! تكلم خطيبنا فكان خطيبكم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعركم أشعر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية[(٤)].

ويروى: أن النبي ﷺ سُئل عن قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ فقال: هم الجفاة من بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدَّجَّال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم[(٥)].

---

(١) في الأصل: كدام. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: واسموا. والتصويب من ب.

(٣) انظر: ديوان حسان (ص:٢٢٧). وانظر: الأبيات السابقة في: البحر (٨/ ١٠٦-١٠٧).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٠٤-٤٠٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢١١) مختصراً. وانظر: سيرة ابن هشام (٥/ ٢٥١) وما بعدها، والبداية والنهاية (٥/ ٤١) وما بعدها، وتاريخ الطبري (٢/ ١٨٨) وما بعدها.

(٥) ذكره ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٧ ح٣١٧٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٥٣) وعزاه لابن منده وابن مردويه من طريق يعلى بن الأشدق عن سعد بن عبدالله.

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد نام للقائلة، فتأذى بأصواتهم، ولم يعلموا في أي حجرة هو، فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه.

قرأ أبو جعفر: "الحُجَرات" بفتح الجيم[١]، وهي قراءة أبيّ بن كعب، وعائشة، وأبي عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبي العالية، في آخرين.

وقرأ باقي القراء العشرة: "الحُجُرات" بضم الجيم. وأسكن الجيم أبو [رزين][٢]، وسعيد بن المسيب، وابن أبي عبلة[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: واحد الحُجُرات: حُجْرة، مثل: ظُلْمة وظُلُمات.

وقال الفراء[٥]: وجه الكلام: أن تضم الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجَرَات، وربما خفّفوا. والتخفيف في تميم، والتثقيل في أهل الحجاز.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿حتى تخرج إليهم﴾؟

قلتُ: لأنه لو خرج إليهم لكان الأولى بهم والأليق بالأدب أن يصبروا حتى يخرج إليهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧).

(٢) في الأصل: زين. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٥٩)، والدر المصون (٦/ ١٦٩).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤١٥).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٧٠).

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ نزلت في الوليد بن عقبة، بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً إلى بني المصطلق، فلما سمعوا به خرجوا ليتلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم [يريدون][(١)] قتله، وكان يعاديهم في الجاهلية، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله، فبدا له الرجوع، فخشينا أنما يكون رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبت علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد في خفية في عسكر، [وأمره][(٢)] أن يخفي عليهم قدومه، فقال له: انظر، فإن [كان][(٣)] رأيهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار، ففعل ذلك ووافاهم، فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ صدقاتهم ولم ير منهم شيئاً إلا الطاعة والخير.

فانصرف خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: ﴿يا

---

(١) في الأصل: يريدن. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل و ب: وأمرهم. وقد عدلت في هامش ب إلى: وأمره.

(٣) زيادة من ب.

أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ... الآية﴾[١].

قوله تعالى: ﴿فتبينوا﴾ مذكور في سورة النساء[٢] وتفسيره واختلاف القراء فيه.

﴿أن تصيبوا﴾ مفعول له[٣]، أي: [كراهة][٤] إصابتكم ﴿قوماً﴾.

وقوله: ﴿بجهالة﴾ حال[٥]، كقوله تعالى: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾ [الأحزاب:٢٥] يعني: جاهلين بحقيقة الأمر.

﴿فتصبحوا﴾ أي: فتصيروا ﴿على ما فعلتم﴾ من إصابتهم ﴿نادمين﴾.

ثم وعظهم وخوفهم فقال: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ معناه: اجتنبوا الكذب وغيره من أسباب الفسق، فإن رسول الله ﷺ بين أظهركم، أفتأمنون أن يفضحكم الله تعالى بإطلاعه عليكم.

ثم قال تعالى: ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر﴾ مما تخبرونه به من الباطل ﴿لعنتم﴾ لوقعتم في العنت. وهو الضَّرر. وقيل: الإثم والهلاك.

﴿ولكن الله حبب إليكم﴾[٦] أيها المؤمنون المتحرزون من أسباب الفسق

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩)، والطبري (٢٦/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٣). وذكره الماوردي (٥/ ٣٢٨-٣٢٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٥٥) وما بعدها من عدة طرق، فانظرها. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٠٧).

(٢) عند الآية رقم: ٩٤.

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ١٦٩).

(٤) في الأصل: كرهة. والتصويب من ب.

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ١٠٩).

(٦) في الأصل زيادة قوله: "الإيمان". وستأتي بعد.

﴿الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ وحسنه عندكم بما ألهمكم من الهدى والبراهين الشاهدة بصحته.

﴿وكرَّه إليكم الكفر والفسوق﴾ قال ابن عباس: يريد: الكذب[(١)].

﴿والعصيان﴾ جميع معاصي الله، ﴿أولئك هم الراشدون﴾ المهتدون إلى محاسن الأمور.

ثم أخبر الله تعالى أن ذلك بفضل منه فقال تعالى: ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ قال الزجاج[(٢)]: منصوب مفعول له. والمعنى: [فعل][(٣)] الله ذلك بكم للفضل والنعمة عليكم.

﴿والله عليم﴾ بمن يحبب إليه الإيمان ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، ﴿حكيم﴾ في تدبيره وقضائه وتقديره.

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ السبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قيل لرسول الله

---

(١) ذكره القرطبي (١٦/ ٣١٤)، والبغوي (٤/ ٢١٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٥).

(٣) في الأصل: فضل. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

ﷺ: «لو أتيت عبد الله بن أبيّ. فركب حماراً، وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني! والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، وكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا [أنه][1] أنزلت فيهم: ﴿وإن طائفتان ... الآية﴾»[2].

قلتُ: واسم الرجل الذي غضب للنبي ﷺ: عبدالله بن رواحة رضي الله عنه.

والقول على: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ كالقول على ﴿هذان خصمان اختصموا﴾ [الحج:١٩].

وقرأ جماعة منهم: ابن مسعود، وأبيّ بن كعب: "اقتتلا"[3].

﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالدعاء إلى كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾ بطلب ما ليس لها، غير راضية بما أوجبه كتاب الله لها وعليها، ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾ أي: تستطيل بغير الحق، ﴿حتى تفيء إلى أمر الله﴾ أي: ترجع إلى طاعته ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا في الإصلاح بينهما، ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ في الدين.

قال الزجاج[4]: أعْلَمَ اللهُ تعالى أن الدين يجمعهم، وأنهم إخوة، إذا كانوا

---

(١) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٨ ح٢٥٤٥)، ومسلم (٣/ ١٤٢٤ ح١٧٩٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٦٣)، والدر المصون (٦/ ١٧٠).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٦).

متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب؛ لأنهم جميعاً ولد آدم وحواء، ولو اختلفت أديانهم لافترقوا في النسب، وإن كانوا في الأصل لأب وأم، ألا ترى أنه لا يرث الابن المؤمن من الأب الكافر، ولا الحميم المؤمن من نسيبه الكافر.

﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ قرأ الأكثرون على التثنية. وقرأ أبيّ بن كعب، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وقتادة، ويعقوب في آخرين: "بين إِخْوَتِكُم" بكسر الهمزة وسكون الخاء وتاء مكسورة[1].

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو رزين، [وأبو][2] عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي: "إِخوانكم" بكسر الهمزة وألف بعد الواو ونون مكسورة[3].

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو الياسري بهذه الأوجه الثلاثة لأبي عمرو.

والقراءتان تدلك على أن المراد بقراءة العامة الجمع وإن كان بصيغة التثنية.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمه[4]، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره

---

(١) النشر (٢/ ٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧).

(٢) في الأصل: أبو. والتصويب من ب.

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٧)، وزاد المسير (٧/ ٤٦٤).

(٤) في الصحيحين: يسلمه.

الله يوم القيامة))[١].

وقال بكر بن عبدالله المزني[٢]: امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزُرْ أخاً في الله تعالى[٣].

فصل

وفي هاتين الآيتين دليل واضح على أن الباغي لا يخرج عن الإيمان، وقد سُئل علي عليه السلام -وهو القدوة في قتال أهل البغي- عن الخوارج: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون؟ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما[٤] حالهم؟ فقال: إخواننا بغوا علينا[٥].

فصول: تتضمن أحكام البغاة

الفصل الأول:

الخارجون على الإمام ثلاثة أقسام: قسم لا تأويل لهم، فهؤلاء قطّاع طريق، وقد ذكرنا أحكامهم في المائدة، وكذلك إن كان لهم تأويل لكنهم عدد يسير لا منعة لهم؛ لأن علياً رضي الله عنه لم يُجْر ابن ملجم مجرى البغاة[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢ ح٢٣١٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ح٢٥٨٠).

(٢) في هامش الأصل: قوله: قال بكر... إلخ، هو حديث أخرجه السيوطي في الجامع من رواية ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن مكحول مرسلاً، اللفظ بعينه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخوان" (ص:١٥٢) من حديث مكحول.

(٤) في الأصل زيادة قوله: هم.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٥ ح٣٧٧٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٧٣ ح١٦٤٩٠) وفيهما: سئل علي عن أهل الجمل.

(٦) انظر: المغني (٩/ ٣).

القسم الثاني: [الخوارج][١] الذين يُكفّرون أهل الحق، وأصحاب رسول الله ﷺ، ويستحلون دماء [المسلمين][٢]، فذهب عامة الفقهاء إلى أن حكمَهم حكمُ البغاة؛ لأن علياً رضي الله عنه قال: "إخواننا بغوا علينا"، وقال: "لا تبدؤوهم بالقتال". وكذلك عمر بن عبدالعزيز، من غير نكير، فكان إجماعاً[٣].

وذهبت طائفة من علماء الحديث إلى أنهم كفار، حكمهم حكم المرتدين؛ لما روى أبو سعيد أن النبي ﷺ قال فيهم: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأين ما لقيتهم فاقتلهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة))[٤].

وفي لفظ: ((لا يجاوز إيمانهم حناجرهم؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[٥].

فعلى هذا؛ يجوز قتلهم ابتداء وقتل أسراهم واتباع مدبرهم، ومن قُدر عليه منهم استتيب كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل[٦].

القسم الثالث: قوم من أهل الحق خرجوا على الإمام بتأويل سائغ وراموا خلعه، ولهم مَنَعَة وشوكة، فهؤلاء بغاة وواجب على الناس معونة إمامهم في قتالهم، للآية التي نحن في تفسيرها[٧].

ولأن الصحابة قاتلوا مانعي الزكاة، وقاتل علي رضي الله عنه أهل البصرة يوم

---

(١) في الأصل: الخارجون. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: المسلمون. والتصويب من ب.

(٣) انظر: المغني (٩/ ٣-٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٧ ح٤٧٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٩ ح٣١٦٦)، ومسلم (٢/ ٧٤١ ح١٠٦٤).

(٦) انظر: المغني (٩/ ٤).

(٧) انظر: المغني (٩/ ٥).

الجمل، وأهل الشام يوم صفّين.

ولا يقاتلهم الإمام حتى يسألهم ما ينقمون منه، فإن اعْتَلُّوا بمَظْلَمَةٍ أزالها، أو شبهة كشفها؛ لأن علياً عليه السلام راسل عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير يوم الجمل: ما الذي أقدمكم؟ فاعتلّوا بطلب دم القتيل ظلماً أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأنهم خرجوا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، آخذين على أيدي الظَّلَمَة الفَجَرَة الذين قتلوا عثمان وانحازوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأجابهم إلى ذلك طالباً منهم موافقتهم ومعاضدتهم، حتى يأخذوا على أيديهم ويقتلوهم، فانتظم أمر الفريقين على ذلك، فلما [أحسّ][(١)] القتلة بما انتظم الأمر عليه انتهزوا الفرصة وغفلة الجيشين، فرشقوهم بالنبل، فقال طلحة والزبير: ما هذا؟ فقيل: عليٌّ يقاتلكم، فعبّوا أصحابهم للقتال، فقال علي: ما هذا؟ فقيل: طلحة والزبير قد تهيأوا لقتالك، فنشبت الحرب بينهم يومئذ.

وروى عبد الله بن شداد: أن علياً عليه السلام لما اعتزلته الحرورية بعث عبد الله بن عباس إليهم فقاضاهم إلى كتاب الله، وجَرَتْ بينهم مناظرة معروفة عند أهل العلم، فرجع منهم أربعة آلاف[(٢)].

الفصل الثاني:

إذا قوتلوا لم يتبع لهم مدبر ولم يجهز على جريح، ولم يقتل لهم أسير، ولم يغنم لهم مال، ولم يسب لهم ذرية[(٣)].

---

(١) في الأصل: حسّ. والتصويب من ب.

(٢) انظر: المغني (٩/ ٥).

(٣) انظر: المغني (٩/ ٦).

قال أبو أمامة: شهدت صفِّين، فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يطلبون مولياً، ولا يسلبون قتيلاً[(١)].

ولأن المقصود دفعهم، فإذا حصل لم يجز قتلهم كالصائل.

ومن لم يُقاتل منهم لم يُقتل؛ لأن علياً رضي الله عنه قال يوم الجمل: إياكم وصاحب البرنس -يريد محمد بن طلحة السجاد- وكان حضر طاعةً لأبيه، ولم يقاتل[(٢)].

ومن قتل أحداً ممن مُنع من قتله ضمنه؛ لأنه قتل معصوماً لم يؤمر بقتله، وهل يقاد به؟ فيه وجهان:

أحدهما: يقاد؛ لأنه [قَتَلَ][(٣)] مكافئاً عمداً.

والثاني: لا يقاد به؛ لتمكن الشبهة الدارئة [لوجوب][(٤)] القصاص.

الفصل الثالث:

من أتلف من الفريقين على الآخر مالاً أو نفساً حال التحام الحرب لم يضمنه.

قال الزهري: كانت الفتنة العظمى وفيهم البدريون، فأجمعوا على أن لا يجب حدّ على رجل ارتكبَ فَرْجاً حراماً بتأويل القرآن، ولا يُقتل رجلٌ سفكَ دماً حراماً بتأويل القرآن، ولا يُغرم ما أتلفه بتأويل القرآن[(٥)]؛ لأن العادل مأمور بالإتلاف،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٩٨ ح٣٣٢٧٨)، والحاكم (٢/ ١٦٧ ح٢٦٦٠).

(٢) انظر: المغني (٩/ ٦).

(٣) في الأصل: قاتل. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: لحوب. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٩/ ٩).

فلم يضمن، كما لو قتل الصائل عليه.

والبغاة طائفة ممتنعة بالحرب بتأويل، فلم يُضمن ما أتلفت على الأخرى بحكم الحرب؛ كأهل العدل[١].

ولأن تضمينهم ذلك يفضي إلى تنفيرهم عن الطاعة، فسقط كأهل الحرب.

وعن الإمام أحمد رواية أخرى: أنه يلزم البغاة ضمان ما أتلفوا على أهل العدل؛ لأنهم أتلفوه بغير حق فضمنوه، كقطّاع الطريق[٢].

الفصل الرابع:

إذا استولى البغاة على بلد فأقاموا الحدود وأخذوا الزكاة والخراج والجزية احتُسب بذلك؛ لأن علياً رضي الله عنه لم يتبع ما فعله أهل البصرة وأخذوه.

وكان ابن عمر يدفع زكاته إلى ساعي نجدة الحروري[٣].

ومن ادّعى دفع زكاته إليهم قُبل منه بغير يمين؛ لأن الناس لا يستحلفون على صدقاتهم[٤].

ومن ادّعى من أهل الذمة دفع جزيته إليهم لم يُقبل إلا ببينة؛ لأنها عوض، فأشبهت الأجرة[٥].

ومن ادّعى دفع خراجه إليهم، ففيه وجهان:

---

(١) انظر: المغني (٩/ ٨).

(٢) انظر: المغني (٩/ ٩).

(٣) انظر: المغني (٩/ ١٣).

(٤) مثل السابق.

(٥) مثل السابق.

أحدهما: لا يُقبل؛ لأنه أجرة الأرض.

ولأنه خراج، أشبه الجزية.

والثاني: يُقبل؛ لأن الدافع مسلم، فقُبل قوله [فيه][(١)] كالزكاة[(٢)].

فإن ولّوا قاضياً يستبيح دماء أهل العدل وأموالهم لم ينفُذ حكمه؛ لاختلال وصف العدالة، وإن كان عدلاً مجتهداً كان كقاضي أهل العدل، لكنه إن كتب إلى قاضي أهل العدل استُحب ألا يَقبل كتابه؛ إرغاماً له وكسراً لقلوبهم[(٣)].

الفصل الخامس:

إذا اقتتلت طائفتان من المسلمين فالعادلة منهما من كان الإمام معها، فإن لم [يكن][(٤)] مع إحداهما فهما [ظالمتان، يلزم كل طائفة منهما][(٥)] ضمان ما أتلفت على الأخرى[(٦)]. والله تعالى أعلم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: المغني (٩/ ١٣).

(٣) انظر: المغني (٩/ ١٣).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: طائفتان يلزم واحدة. والتصويب من ب.

(٦) انظر: المغني (٩/ ٧).

قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ القوم: الرجال الذين يقومون بالأمور، [ولذلك][(١)] قال: ﴿ولا نساء من نساء﴾، وقد ذكرنا ذلك في أوائل البقرة.

وقوله تعالى: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ و"خيراً منهم"[(٢)] كلام مستأنف موقعه موقع جواب مستخبر عن علة النهي، ولولا ذلك لكان حقه أن يوصل [بالفاء][(٣)].

والسبب في نزولها: ما روى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوماً يريد الدنو من رسول الله ﷺ وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلساً، فجلس مغضباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فذكر أماً له كان يُعيّر بها في الجاهلية، فأغْضى الرجل ونكس رأسه، فنزلت هذه الآية[(٤)].

وقال الضحاك: نزلت في وفد تميم حين استهزؤوا بفقراء المسلمين؛ لما رأوا من رثاثة حالهم[(٥)].

قوله تعالى: ﴿ولا نساء من نساء﴾ نزل على سبب آخر، وهو ما روي عن أنس بن مالك: «أن نساء النبي ﷺ عيّرن أم سلمة بقصرها، فنزلت هذه الآية»[(٦)].

---

(١) في الأصل: وكذلك. والتصويب من ب.

(٢) في ب: منهن.

(٣) في الأصل: بالتاء. والتصويب من ب.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٠٩)، وزاد المسير (٧/ ٤٦٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٦).

وقال ابن عباس: نزلت في امرأتين من [أزواج][1] النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت حَقْوَيْها بسَبَنِيَّة[2] -وهو ثوب أبيض- [وسدلت][3] طرفها خلفها. فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تَجُرُّ خلفها، كأنه لسان كلب[4].

وروي عنه أيضاً: أن صفية بنت حيي أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيرنني ويقُلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: هلاّ قلت: أبي هارون، وعمّي موسى، وزوجي محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين. فأنزل الله تعالى هذه الآية[5].

قوله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ سبق تفسير اللمز[6] فيما مضى.

والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم، فإن المؤمنين كنفس واحدة.

﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أخرج الترمذي في جامعه وأبو داود -واللفظ له- عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: «فينا نزلت هذه الآية بني سلمة، قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان [أو ثلاثة][7]، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضبُ من هذا الاسم، فأنزلت

---

(١) في الأصل: أزاج. والتصويب من ب.

(٢) السَّبَنِيَّة: ضَرْبٌ من الثياب تتخذ من مُشاقة الكتان أغلظ ما يكون. وقيل: منسوبة إلى موضع بناحية المغرب، يقال له: سَبَن (اللسان، مادة: سبن).

(٣) في الأصل: وشد. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٠٩).

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٠٩-٤١٠).

(٦) في سورة التوبة، عند الآية رقم: ٥٨.

(٧) في الأصل: وثلاثة. والتصويب من سنن أبي داود (٤/ ٢٩٠)، و ب.

[هذه][1] الآية: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾»[2].

قال المفسرون: هو أن يقول لأخيه المسلم: يا فاسق يا منافق، أو لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني، يا كلب، يا حمار[3].

فأما الألقاب الحسنة التي لا تقتضي غيظاً [ولا][4] أذى ولا كذباً؛ كالصِّدّيق لأبي بكر، والفاروق لعمر، وذي النورين لعثمان، وسيف الله لخالد، وأمثال ذلك، فغير مكروهة ولا منهي عنها.

قوله تعالى: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي: بئس الاسم أن يقول: يا يهودي وقد أسلم، أو يا فاسق وهو طائع.

﴿ومن لم يتب﴾ عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

---

(١) زيادة من سنن أبي داود (٤/ ٢٩٠)، و ب.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٩٠ ح٤٩٦٢)، والترمذي (٥/ ٣٨٨ ح٣٢٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٦٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: أو. والتصويب من ب.

قوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ قال الزجاج(١): هو أن تظن بأهل الخير سوءاً. فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

قال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد بـه سـوءاً، [أو يدخل](٢) مدخلاً لا يريد به [سوءاً](٣)، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً(٤).

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء رضي الله عنه: هذه الآية تدل على أنه لم يُنْهَ عن جميع الظن، والظن على أربعة أضرب: محظور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه.

فأما **المحظور**: فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب حسن الظن بـالله تعـالى، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور.

وأما **الظن المأمور به**: فهو ما لم ينتصب عليه دليل يوصل إلى العلم بـه، وقـد تُعُبّدنا بتنفيذ الحكم فيه [والاقتصار](٥) على غالب الظن، وذلك نحو ما تُعُبِّدنا به من قبول شهادة العدول، وتحرّي القِبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنايات، التي لم يرد بمقاديرها توقيف.

وأما **الظن المباح**: كالشاكّ في الصلاة إذا كان إماماً، أمـره النبـي ﷺ بـالتحري والعمل على ما يغلب على ظنه، فإن فعله كان مباحاً، وإن عدل عنه إلى البناء عـلى اليقين كان جائزاً.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٦-٣٧).

(٢) في الأصل: ويدخل. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: سواء. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٩).

(٥) في الأصل: والإقصار. والمثبت من ب.

وأما الظن المندوب إليه: فهو إحسانُ الظن بالأخ المسلم، يُندبُ إليه ويُثاب عليه.

وأما ما روي في الحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظن»[(١)]، فالمراد: الاحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحاً خشيت السُّرَّاق[(٢)].

﴿إن بعض الظن إثم﴾ وهو الظن الذي نُهي عن مُسَاكنته.

﴿ولا تجسسوا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، والضحاك، وابن سيرين، وأبو رجاء: بالحاء[(٣)].

قال أبو عبيدة[(٤)]: هما واحد وهو التبحث، ومنه: الجاسوس.

وقيل: [التجسس][(٥)] -بالجيم-: البحث عن عورات الناس، [وبالحاء][(٦)]: الاستماع لحديث القوم[(٧)].

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن ثابت المعروف بابن الطالباني الفقيه الحنبلي رحمه الله بقراءتي عليه وقراءة غيري، قال: أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب الموصلي، أخبرنا الشيخ نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم السرّاج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٨٩ ح٥٩٨).

(٢) ذكر قول أبي يعلى هذا: ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٨)، وزاد المسير (٧/ ٤٧١).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٥) في الأصل: التجسيس. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: والحاء. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٧/ ٤٧١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧١).

حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن طوق، حدثنا أبو جابر زيد بن عبدالعزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن عمار[١]، حدثنا المعافى بن عمران[٢]، عن ابن لهيعة، حدثنا عبدالرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسُوا ولا تحسَّسُوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى))[٣].

وأخبرنا به عالياً أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم الدمشقي، قراءة عليه وأنا أسمع يوم السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ست وستمائة بظاهر دمشق، أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبدالله التاجر مولى ابن البخاري، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن [هزارمرد][٤] الصريفيني، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا عبيدالله بن محمد العيشي[٥]، حدثنا

(١) محمد بن عبد الله بن عمار بن سوادة الأزدي الغامدي، أبو جعفر البغدادي المخرمي، نزيل الموصل، كان ثقة صاحب حديث، وأحد الحفاظ المكثرين، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٣٦، والتقريب ص:٤٨٩).

(٢) المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر بن جبلة بن عبيد بن لبيد بن مخاشن بن سلمة بن مالك بن فهم الأزدي الفهمي، أبو مسعود النفيلي الموصلي، رحل في طلب العلم إلى الآفاق، وجالس العلماء، ولزم الثوري وتأدب بآدابه، وتفقه به، وأكثر عنه وعن غيره، وكان زاهداً فاضلاً، شريفاً كريماً عاقلاً، مات سنة خمس أو ست وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٠، والتقريب ص:٥٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٦ ح٤٨٤٩)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ح٢٥٦٣).

(٤) في الأصل: زارمرد. والتصويب من ب.

(٥) عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى التميمي، أبو عبد الرحمن البصري، المعروف =

وهيب[١]، عن عبدالله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((إياكم والظن... فذكر الحديث))[٢]، وجعل بدل قوله: "ولا تحاسدوا": "ولا تنافسوا.

قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ القول على هذه الجملة تحصره ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ماهية الغيبة

وهي ما أخبرنا به أبو علي حنبل بن عبدالله بن الفرج في كتابه قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، أخبرنا عبدالله قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان[٣]، حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم، حدثنا العلاء[٤]، عن أبيه[٥]، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ ((أنه قيل

=

بالعيشي، والعائشي، وبابن عائشة؛ لأنه من ولد عائشة بنت طلحة، ثقة صدوق، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٤١، والتقريب ص:٣٧٤).

(١) وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم، أبو بكر البصري، صاحب الكرابيس، ثقة ثبت لكنه تغير قليلاً بأخرة، مات سنة خمس وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٩، والتقريب ص:٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٥ ح٢٥٦٣).

(٣) عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار، أبو عثمان البصري، مولى عزرة الأنصاري، ثقة ثبت، مات سنة عشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٥-٢٠٨، والتقريب ص:٣٩٣).

(٤) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي، أبو شبل المدني، مولى الحرقة، من جهينة، كان ثقة، مات سنة بضع وثلاثين (تهذيب التهذيب ٨/ ١٦٦، والتقريب ص:٤٣٥).

(٥) عبد الرحمن بن يعقوب الجهني المدني، مولى الحرقة، تابعي ثقة (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٦٩، والتقريب ص:٣٥٣).

له: ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره. قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول يـا رسول الله؟ قال: إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه»[١]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم، فـرواه عـن قتيبـة [بـن][٢] سعيد، [عن][٣] إسماعيل، عن العلاء.

وفي هذا تنبيه على [أن][٤] الفاسق المستهتر لا غيبة له؛ لأنه لو كره [ما يُقال][٥] فيه ما أظهره وأشاعه على نفسه.

وفي حديث بهز بن حكيم[٦]، عن أبيه[٧]، عـن جـده[٨]، أن النبـي ﷺ قـال: «ليس للفاسق غيبة»[٩].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ ح٢٥٨٩)، وأحمد (٢/ ٣٨٤ ح٨٩٧٣).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: بن. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: عما يقول يقال. والتصويب من ب.

(٦) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، أبو عبد الملك القشيري، ثقة صدوق، مات قبل الستين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٧، والتقريب ص:١٢٨).

(٧) حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، والـد بهـز، تـابعي صـدوق (تهـذيب التهـذيب ٢/ ٣٨٧، والتقريب ص:١٧٧).

(٨) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، صـحابي نزل البصرة ومات بخراسان (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٥، والتقريب ص:٥٣٧).

(٩) أخرجه الطبراني (١٩/ ٤١٨، ح ١٠١١)، قال الهيثمي (١/ ١٤٩): فيه العلاء بـن بـشر ضـعفه الأزدي. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠٩، ح ٩٦٦٥) وقال: قال أبو عبد الله (يعني الحاكم): غير صحيح. وأخرجه أيضاً: القضاعي (٢/ ٢٠٢، ح ١١٨٥).

وأخبرنا الشيخان أبو عبدالله محمد بن أحمد بن هبة الله، وأبو الرجاء عبدالهادي بن أحمد بن علي بن قاسم[(١)] الهمذانيان، إجازة [من][(٢)] همذان، أن أبا المحاسن نصر بن المظفر البرمكي الجرجاني[(٣)] أخبرهم قراءة عليه، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور، أخبرنا أبو القاسم عيسى[(٤)]، حدثنا أبي أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير[(٥)] قال: قرئ على أبي علي إسماعيل بن العباس الوراق[(٦)] وأنا أسمع، حدثكم الفضل بن يعقوب[(٧)]، حدثنا أبو

(١) عبد الهادي بن أحمد بن علي بن قاسم الحطبي، أبو الرجاء الهمداني. حدث عن أبي المحاسن نصر بن المظفر البرمكي، كان شيخ مسنّ صحيح السماع، ويكتب طبقة السماع على البرمكي (تكملة الإكمال ٢/ ٥١٤).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٣) نصر بن المظفر بن الحسين بن أحمد بن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو المحاسن البرمكي الجرجاني الأصل الهمذاني، أكثر الأسفار ودخل خراسان وبخارى ودمشق، وتوفي بهمذان سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٦٣، والتقييد ص:٤٦٥).

(٤) عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير، أبو القاسم، أملى مجالس عن البغوي وطبقته. كان يرمى بشيء من رأي الفلاسفة ولم يصح ذا عنه، توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (لسان الميزان ٤/ ٤٠٢، وميزان الاعتدال ٥/ ٣٨٤، وتاريخ بغداد ١١/ ١٧٩).

(٥) علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير البغدادي، أبو الحسن، الكاتب مرة للمقتدر وللقاهر، ولد سنة نيف وأربعين ومائتين، وكان كثير الصدقات والصلوات، مجلسه موفور بالعلماء، توفي في آخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وله تسعون سنة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٨-٣٠١).

(٦) إسماعيل بن العباس بن عمر بن مهران البغدادي، أبو علي الوراق، ثقة، ولد في سنة أربعين ومائتين، وتوفي راجعاً من الحج في الطريق في المحرم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٤، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٠٠).

(٧) الفضل بن يعقوب بن إبراهيم بن موسى الرخامي، أبو العباس البغدادي، ثقة حافظ صدوق، =

[عصام][(١)] العسقلاني[(٢)]، حدثنا أبو سعد الساعدي[(٣)]، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: ((من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له))[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: إذا قلت في الرجل خلفه ما تقوله في وجهه فليس بغيبة.

الفصل الثاني: في الزجر عن الغيبة

وبالإسناد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد[(٥)]، حدثني أبي[(٦)]، حدثنا واصل مولى أبي عيينة[(٧)]، حدثني خالد بن عرفطة[(٨)]، عن طلحة بن

= مات في أول جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٥٩، والتقريب ص:٤٤٧).

(١) في الأصل: عاصم. والتصويب من مصادر الترجمة. انظر: التعليق التالي.

(٢) هو رواد بن الجراح، أبو عصام العسقلاني، أصله من خراسان، صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٩، والتقريب ص:٢١١).

(٣) أبو سعد الساعدي. روى عن أنس بن مالك. قال أبو حاتم: مجهول، وقال الدارقطني: مجهول يترك حديثه (تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٧، والتقريب ص:٦٤٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢١٠).

(٥) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم التنوري، أبو سهل البصري، كان ثقة مأمون، مات سنة ست وسبع ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩١، والتقريب ص:٣٥٦).

(٦) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم التنوري، أبو عبيدة البصري، كان ثقة ثبت حجة، رمي بالقدر ولم يثبت عنه، توفي بالبصرة في المحرم سنة ثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩١-٣٩٢، والتقريب ص:٣٦٧).

(٧) واصل مولى أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري، ثقة صدوق، صالح الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ٩٣، والتقريب ص:٥٧٩).

(٨) خالد بن عرفطة، روى عن حبيب بن سالم، والحسن البصري، وطلحة بن نافع. روى عنه أبو =

نافع[1]، عن جابر بن عبد الله قال: ((كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس))[2].

وبالإسناد قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر[3] قال: أخبرنا أبو بكر[4] – يعني: ابن عياش –، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله [بن][5] جريج[6]، عن أبي برزة الأسلمي[7] قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع =

بشر جعفر بن أبي وحشية، وعبد الله بن زياد بن درهم، وقتادة، وواصل مولى أبي عيينة (تهذيب الكمال ٨/ ١٣٠، والتقريب ص:١٨٩).

(١) طلحة بن نافع القرشي مولاهم، أبو سفيان الواسطي، ويقال: المكي الإسكاف، صدوق (تهذيب الكمال ١٣/ ٤٣٨-٤٤٠، والتقريب ص:٢٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١ ح١٤٨٢٦).

(٣) الأسود بن عامر شاذان، أبو عبد الرحمن الشامي، نزيل بغداد، ثقة صدوق، مات أول سنة ثمان ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٩٧، والتقريب ص:١١١).

(٤) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، مولى واصل الأحدب، كان من العُبّاد الحفّاظ المتقنين، ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، ولد سنة خمس أو ست وتسعين، ومات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٧-٣٩، والتقريب ص:٦٢٤).

(٥) في الأصل: عن. والمثبت من ب. وانظر مسند أحمد (٤/ ٤٢٠).

(٦) سعيد بن عبد الله بن جريج الأسلمي البصري، مولى أبي برزة، روى عن مولاه، وعن نافع مولى ابن عمر، ومحمد بن سيرين، وعنه الأعمش، وعزرة بن ثابت، وحوشب بن عقيل، وأبان بن أبي عياش (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٦، والتقريب ص:٢٣٧).

(٧) نضلة بن عبيد، أبو برزة الأسلمي، صاحب النبي ﷺ، أسلم قبل الفتح، وكان من ساكني المدينة ثم البصرة، شهد مع علي فقاتل الخوارج بالنهروان، وغزا بعد ذلك خراسان فمات بها بعد سنة أربع وستين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٩، والتقريب ص:٥٦٣).

الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))[١].

وقال أسامة بن شريك[٢]: سمعت الأعاريب يسألون رسول الله ﷺ: هل علينا جُناح في كذا وكذا؟ فقال: ((عبادَ الله! وَضَعَ الله تعالى الحرج إلا امرؤ اقترض من عرض أخيه فذاك الذي حرج))[٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((أربى الربا استطالةُ الرجل في عرض أخيه))[٤].

قرأتُ على أبي القاسم بن أبي الفرج اليعقوبي، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد فأقرَّ به قال: أخبرنا أبو العز بن كادش، أخبرنا أبو علي الجازري، حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، أخبرنا أبو حاتم[٥]، عن العتبي[٦]، عن أبيه قال: كان أبو حنظلة يقول: إنه لينبغي لك أن يدلك عقلك على ترك القول في أخيك، ففيه خلال ثلاث: أما واحدةٌ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠).

(٢) أسامة بن شريك الثعلبي، من بني ثعلبة بن سعد، له صحبة وأحاديث، تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة (تهذيب التهذيب ١/ ١٨٤، والتقريب ص:٩٨).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٢/ ٣٦٣ ح٨٢٤).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٩٥ ح٥٥٢٢).

(٥) سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني النحوي المقرئ، صدوق فيه دعابة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٦، والتقريب ص:٢٥٨).

(٦) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي، أبو عبد الرحمن العتبي البصري، العلامة الأخباري، مات سنة ثمان وعشرين ومئتين (سير أعلام النبلاء ١١/ ٩٦).

فلعلك أن تذكره بما هو فيك، أو لعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه، فما هذا جزاء العافية أن تجحد الشكر عليها، [أو لعلك][(١)] تذكره بما فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكاماً لمقته إياك، أما كنت تسمع: [ارحم][(٢)] أخاك، واحمد الله الذي عافاك[(٣)].

الفصل الثالث: في كفارتها

روى سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر الله، فإن ذلك كفارة له»[(٤)].

وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كفارة من اغتبت أن تستغفر الله»[(٥)].

ثم إن الله سبحانه وتعالى ضرب للغيبة مثلاً فقال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ فنهى سبحانه وتعالى عن الاغتياب، ثم حذر منه بأوكد الأسباب فقال: ﴿أيحب أحدكم﴾ يعني مع الإباء البشري والتنزه عن الخلق البهيمي أن يأكل لحم إنسان من جنسه، ثم جعله أخاً له ليجمع إلى كراهية الإنسان لحم من لا يقتات بمثله كون المأكول أخاً له يحنو عليه ويفتديه من المكاره بنفسه، ثم جعل ذلك الأخ ميتاً، إذ كان أكل الميت من لحوم الطير المشتهاة لا تقبله النفس ولو شارفت من الطَّوي الموت، فكيف إذا كان بشراً، ثم قسيماً في النسب وأخاً.

---

(١) في الأصل: ولعلك. والمثبت من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في: صفة الصفوة (٣/ ١٧٦).

(٤) ذكره ابن عدي في الكامل (٣/ ٢٤٧)، وابن حجر في اللسان (٣/ ٧٩) في ترجمة سليمان بن عمرو بن عبدالله. قال ابن عدي: وهذه الأحاديث عن أبي حازم كلها مما وضعه سليمان بن عمرو عليه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (ص:١٧١)، وفي كتاب الغيبة والنميمة (ص:١٣١).

قال قتادة: كما يمتنع أحدكم من أكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع أن يغتابه[(١)].

قال الماوردي[(٢)]: استعمل أكل اللحم مكان الغيبة؛ لأن عادة العرب بذلك جارية. قال الشاعر:

وإن أكَلُوا لحمي وفرْتُ لحومهم وإنْ هَدمُوا مجدي بنيتُ لهم مجدا[(٣)]

قوله تعالى: ﴿فكرهتموه﴾ وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري: "فَكُرِّهْتُمُوه" بضم الكاف وتشديد الراء[(٤)].

قال الفراء[(٥)]: أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه.

قال الزجاج[(٦)]: تأويله: كما تكرهون أكل لحمه ميتاً، كذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائباً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ أي: من آدم وحواء.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٣٥).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٣٣٥).

(٣) البيت للمقنع الكندي، وهو في: الأغاني (١٧/ ١١١)، وديوان الحماسة (٢/ ٣٨)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٠٦)، والماوردي (٥/ ٣٣٥)، والقرطبي (١٦/ ٣٣٥).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٧٢)، والدر المصون (٦/ ١٧١).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٧٣).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٧).

هذا استنزال للعرب عما أَلِفُوهُ من التفاخر بالأحساب، وتعريض لهم بالزجر عن الاستسخار واللمز والتنابز بالألقاب والغيبة، حيث أعلمهم أنهم من أب واحد وأم واحدة.

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ لا لتتفاخروا.

قال جمهور المفسرين واللغويين: الشُّعُوب: جمع شَعْب -بفتح الشين- وهو الحي العظيم، مثل: ربيعة ومضر، والقبائل دونها؛ كبكر من ربيعة، وتميم من مضر. سميت بذلك؛ لتَشَعُّبِ القبائل منها.

وقال مجاهد: الشُّعوب: النسب الأبعد، والقبائل: النسب الأقرب(١).

وقيل: الشُّعوب: [عرب](٢) اليمن من قحطان، والقبائل: ربيعة ومضر وسائر عدنان(٣).

وروى عطاء عن ابن عباس: الشُّعوب: الموالي، والقبائل: العرب(٤).

وقال قوم: هم من لا يعرف لهم نسب؛ كالهند والترك.

وقرأ الأكثرون: "لِتَعَارَفُوا"، وشَدَّد التاء مجاهد وأبو المتوكل وابن محيصن(٥).

وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والضحاك، وابن يعمر، وأبان عن عاصم:

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٠٨)، والطبري (٢٦/ ١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٧٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) في الأصل: العرب. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٣٣٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٤).

(٥) انظر: النشر (٢/ ٢٣٢-٢٣٣)، والإتحاف (ص:٣٩٨).

"لِتَعْرِفوا" بغير ألف وكسر الراء وسكون العين[١]، من عرف يعرف، والمفعول محذوف على هذه القراءة.

وقرأ أبو نهيك والأعمش: "لِتَتَعَرَّفُوا" بتاءين مفتوحة الراء مُشدَّدة من غير ألف[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إعلام أن ارتفاع المنازل عند الله تعالى بالتقوى لا بالنسب.

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن ثابت الطالباني الفقيه الحنبلي رحمه الله، أخبركم أبو منصور بن مكارم المؤدب فأقرَّ به، أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله بن طوق، حدثنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران رحمه الله، عن موسى بن خلف، عن أبي المقدام[٣]، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: ((منْ سرَّه أن يكون أكرمَ الناس فليتقِ الله عز وجل))[٤].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٧٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٤٧٤)، والدر المصون (٦/ ١٧١).

(٣) هشام بن زياد بن أبي يزيد القرشي، أبو المقدام بن أبي هشام المدني، مولى عثمان، ضعيف متروك الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦، والتقريب ص:٥٧٢).

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٩٦٧ ح١٠٧٠) مطولاً، والشهاب في مسنده (١/ ٢٣٤ ح٣٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٨).

وبهذا الإسناد قال: حدثنا المعافى، عن هشام [بن][1] سعد[2]، حدثنا سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إن الله قد أذهب عنكم [عُبِّيَّةَ][3] الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، [أو ليكُونُنَّ][4] أهونَ على الله من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النَّتن»[5].

وقال رجل لعيسى بن مريم: أيّ الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من تراب فقال: أيّ هاتين أفضل؟ الناس خلقوا من تراب، فأكرمهم أتقاهم[6].

۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من ب، وسنن أبي داود. وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) هشام بن سعد المدني، أبو عباد، ويقال: أبو سعد القرشي مولاهم، صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، مات سنة ستين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧، والتقريب ص:٥٧٢).

(٣) في الأصل: غيبة. والتصويب من ب، وسنن أبي داود. وعُبِّيَّة الجاهلية: الكِبْر (اللسان، مادة: عبب).

(٤) في الأصل: وليكونن. والتصويب من ب، وسنن أبي داود.

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣١ ح٥١١٦). والجِعْلان: جمع، واحده: جُعَل. وهو: حيوان معروف يشبه الخنفساء (اللسان، مادة: جعل).

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ٤٥١).

ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ
أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ
بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ قال المفسرون: نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة، قدموا على النبي ﷺ المدينة في سنة مجدبة، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارهم، وكانوا يمنّون على رسول الله ﷺ فيقولون: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك. فنزلت هذه الآية[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم، فإن [كان][(٣)] مع ذلك الإظهار اعتقاد [وتصديق][(٤)] بالقلب فذلك الإيمان. والذي هذه صفته مؤمن مسلم. فأما من أظهر قبول الشريعة فهو في الظاهر مسلم، وفي الباطن غير مُصدق، فقد أخرجه الله من الإيمان بقوله: ﴿قل لم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤١-١٤٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٥-٤٧٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٨٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٨).

(٣) زيادة من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل و ب: أو تصديق. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ أي: لم تصدقوا بما أسلمتم تعوذاً من القتل.

﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: إن تخلصوا الإيمان[١].

﴿لا يَأْلِتْكُم من أعمالكم شيئاً﴾ قرأ أبو عمرو: "يألتكم" بهمزة بعد الياء، من أَلَتَ يَأْلِتُ أَلْتاً، مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْباً، وحجته: ﴿ما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ [الطور:٢١].

وقرأ الباقون "يَلِتْكُم" بغير همز[٢]، من لاَتَ يَلِيتُ، مثل: بَاعَ يَبِيعُ. وحُجتهم: أنها مكتوبة في المصحف بغير ألف. ومعناهما واحد.

قال ابن عباس: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً[٣]. [وأنشدوا][٤] قول الحطيئة:

أبلغْ سَراةَ بني سعدٍ مُغَلْغَلَةً ... جَهْدَ الرِّسَالةِ لا أَلْتاً ولا كَذِبَا[٥]

أي: لا نقصاناً ولا كذباً.

وقيل: المعنى: لا نمنعكم من ثواب أعمالكم شيئاً، وأنشدوا قول رؤبة:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٦)، والكشف (٢/ ٢٨٤)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٦).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٣٨).

(٤) في الأصل: وأنشد. والمثبت من ب.

(٥) البيت للحطيئة. انظر: ديوانه (ص:٧)، والمحتسب (٢/ ٢٩٠)، واللسان (مادة: ألت)، والبحر (٨/ ١٠٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٢)، والقرطبي (١٦/ ٣٤٩)، والطبري (٢٧/ ٢٧)، والدر المنثور (٧/ ٥٨٤)، وروح المعاني (٢٦/ ١٦٨)، والماوردي (٥/ ٣٣٨).

وليلةٍ ذاتِ نَدىً سريتُ   ولم يَلِتْني عنْ سُرَاهَا ليتُ[(١)]

والمعنى متقارب.

ثم نعت الله تعالى المؤمنين في الآية التي تليها.

قال المفسرون: لما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعرف [الله][(٢)] غير ذلك منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾[(٣)].

علم هاهنا بمعنى: أعلم، ولذلك دخلت الباء في "بدينكم".

﴿والله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ فهو يعلم ما أنتم عليه لا يحتاج إلى إخباركم. وفيهم نزل: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ فإنهم قالوا: أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان[(٤)].

قرأ ابن كثير: ﴿والله بصير بما يعملون﴾ بالياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكرها في قوله: ﴿يمنون﴾.

---

(١) البيت لرؤبة. وهو في: المحتسب (٢/ ٢٩٠)، واللسان (مادة: ليت)، والطبري (٢٦/ ١٤٣)، والقرطبي (١٦/ ٣٤٩)، وزاد المسير (٧/ ٤٧٧)، والبحر (٨/ ١٠٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٢)، والماوردي (٥/ ٣٣٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧ ح١١٥١٩)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٧٨ ح٨٠١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٥) وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه بسند حسن عن عبدالله بن أبي أوفى. ومن طريق آخر عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن.

وقرأ الباقون بالتاء[1] ، حملاً على قوله: ﴿قـل لا تمنـوا﴾ ومـا في حيـزه . والله أعلم.

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٤-٤١٥)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٦٧٧)، والكـشف (٢/ ٢٨٤)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٦).

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي [خمس وأربعون][1] آية في العددين[2].

وهي مكية في قول عامة المفسرين. واستثنى ابن عباس وقتادة آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض﴾[3].

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥

قال الله تعالى: ﴿قٓ والقرآن المجيد﴾ قرأ الأكثرون: "قافْ" [بسكون][4] الفاء. ونصبها أبو عبدالرحمن وأبو رجاء وأبو المتوكل وأبو الجوزاء، ورفعها أبو رزين وقتادة، وكسرها الحسن وأبو عمران الجوني[5].

---

(١) في الأصل و ب: أربع وخمسون. وهو خطأ. وقد صححت في هامش الأصل: خمس وأربعون.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣١).

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٣٣٩)، وزاد المسير (٨/ ٣)، والإتقان (١/ ٥٣).

(٤) في الأصل: بكسر. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءات في: زاد المسير (٨/ ٣-٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٤)، وإتحاف فضلاء البشر =

وقد سبق القول على علل ذلك في سورة "ص"، وعلى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به[(١)].

وقال قتادة: من أسماء القرآن[(٢)].

وقال مجاهد والفراء والزجاج[(٣)]: معناه: قضي الأمر، كما قيل في "حم": حُـمّ الأمر[(٤)].

وقال الضحاك: هو اسم للجبل المحيط بالأرض[(٥)]، وهو من زمردة خضراء، عليه كتفا السماء، وخضرة السماء منه[(٦)].

قال ابن عباس: خلق الله تعالى جبلاً يقال له: قاف، يحيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا[(٧)] أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فتحرَّك العرق الذي يلي تلك القرية[(٨)].

= (ص:٣٩٨).

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٧٥)، ومعاني الزجاج (٥/ ٤١).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣٣٩).

(٥) ذكره الطبري (٢٦/ ١٤٧) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ٣٣٩).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤).

(٧) في الأصل زيادة قوله: إذا.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "العقوبات" (ص:٣٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٨٩ ح٩٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٨٩) وعزاه لابن أبي الدنيا في العقوبات وأبي =

وقال أبو العالية: هو افتتاح اسم قدير[١].

وقال القرظي: افتتاح كل اسم لله أوله قاف، مثل: قدير، وقاهر، وقريب[٢].

وقال أبو بكر الوراق: معناه: قف عند أمرنا ونهينا[٣].

وقيل: معناه: قل يا محمد[٤].

والمجيد: [الكريم][٥]، في قول ابن عباس وعامة المفسرين[٦].

فإن قيل: أين جواب القسم؟

قلتُ: قال الأخفش[٧]: جوابه محذوف، تقديره: والقرآن المجيد لتبعثن. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أإذا متنا﴾.

وقيل: جوابه: إن محمداً رسول الله، بدليل قوله تعالى: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾[٨].

وقال ابن كيسان: جوابه: ﴿ما يلفظ من قول﴾[٩].

= الشيخ في العظمة.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥) حكاية عن الثعلبي.

(٥) في الأصل: والكريم. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٧)، والطبري (٢٦/ ١٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) معاني الأخفش (ص:٢٨٧).

(٨) ذكره الماوردي (٥/ ٣٤٠).

(٩) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٣).

وقيل: ﴿قد علمنا﴾ أي: لقد علمنا، فحذف اللام؛ كقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾[١] [الشمس:٩].

وقال أهل الكوفة: جوابه: ﴿بل عجبوا﴾ وهو مفسر في "ص"[٢] إلى قوله تعالى: ﴿شيء عجيب﴾، أي: معجب[٣].

﴿أءذا متنا وكنا تراباً﴾ فيه إضمار، تقديره: نبعث، فحذفه لدلالة الكلام عليه.

﴿ذلك رجع بعيد﴾ رد إلى الحياة بعيد غير كائن.

﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ أي: ما تأكله من لحومهم وعظامهم وأشعارهم وتشرب من دمائهم.

وقال قتادة: قد علمنا من يموت منهم[٤].

﴿وعندنا﴾ بذلك وبغيره ﴿كتاب حفيظ﴾ محفوظ من التبديل والتغيير، أو حافظ لأسمائهم وعدتهم، وهو اللوح المحفوظ.

﴿بل كذبوا بالحق لمَّا جاءهم﴾ وقرأ عاصم الجحدري: "لِمَا" بكسر اللام وتخفيف الميم[٥]، أي: عند مجيئه إياهم.

قال ابن جني[٦]: هو كقولهم: أعطيته ما سأل لطِلْبَتِهِ، أي: عند طلبته ومع طِلْبَتِهِ، وكذلك في التاريخ: لخَمْس خَلَوْن، أي: عند خمس خلون، أو مع خمس

(١) انظر: زاد المسير (٨/ ٥).

(٢) عند الآية رقم: ٤.

(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٩). وذكره الماوردي (٥/ ٣٤٠).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ١٢١)، والدر المصون (٦/ ١٧٥).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٨٢).

خلون، فيرجع ذلك بالمعنى إلى قراءة العامة.

و"الحق": القرآن.

﴿فهم في أمر مريج﴾ ملتبس مختلط. ومنه الحديث: ((مَرِجَتْ عهودهم وأماناتهم))[١].

قال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم[٢].

قال الزجاج في معنى اختلاط أمرهم هاهنا[٣]: [هو][٤] أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلم، وللقرآن أنه سحر، ومرة مفترى، فكان أمرهم ملتبساً مختلطاً عليهم.

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾
وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا
بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا
لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

ثم دلّهم على البعث، وقدرته عليه بما يشاهدونه من عجائب المخلوقات

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢٣ ح٤٣٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٧ ح٣٩٥٧)، والحاكم (٢/ ١٧١ ح٢٦٧١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٤٢).

(٤) في الأصل: هم. والتصويب من ب.

وعظائمها، فقال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ بناءً عجيباً متناسباً، لا يفتقر إلى علاقة ولا دعامة، ﴿وزيناها﴾ بالشمس والقمر والنجوم، ﴿وما لها من فروج﴾ صدوع وشقوق. فإن [في][1] ذلك أثر القدرة الباهرة والحكمة البالغة.

﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت، وأنشدوا:

رَسَا أَصْلُه تحت الثَّرَى وسَمَا به ... إلى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويل[2]

﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ أي: من كل نوع حسن يبهج الناظر إليه. تقول: أَبْهَجَنِي هذا الأمر؛ إذا سرَّك.

قوله تعالى: ﴿تبصرةً وذكرى﴾ مفعول له[3].

قال الزجاج[4]: أي فعلنا ذلك ليبصر به ويدل على القدرة.

﴿لكل عبد منيب﴾ قال قتادة: تائب إلى ربه[5].

وقال السدي: مخلص[6].

﴿ونزلنا من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿مباركاً﴾ كثير الخير والبركة، ﴿فأنبتنا به

---

(١) زيادة من ب.

(٢) البيت للسموأل بن عادياء، وهو في: الماوردي (٥/ ٣٤٢)، والمستطرف (١/ ٢٩٢)، وديوان الحماسة (١/ ٢٩).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤١)، والدر المصون (٦/ ١٧٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٤٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٥٢) بلفظ: مقبل بقلبه إلى الله. وذكره الماوردي (٥/ ٣٤٢).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٤٢).

جنات﴾ بساتين ﴿وحبَّ الحصيد﴾ وهو كل ما يحصد، [حُصِدَ أو لم][1] يُحْصَد.

و"الحصيد": نعتٌ "للحَبّ"، إلا أنه خُرِّجَ مخرج الإضافة، كقولهم: بارحة الأولى أو حب النبت الحصيد. وقد سبق نظائر هذا في مواضع.

﴿والنخل باسقات﴾ أي: [طوالاً][2] ﴿لها طلع﴾ وهو أول ما يبدو من ثمار النخل ﴿نضيد﴾ منضود متراكم، وذلك قبل أن يتفتح، فإذا خرج من أكمامه وتفرَّق فليس بنضيد.

﴿رزقاً للعباد﴾ مفعول له[3].

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

وتُبَّع: هو تبع الحميري، المذكور في الدخان[4].

وما لم أذكره مُفسَّر إلى قوله تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أي: أعجزنا عن ابتداء الخلق، وكانوا يقرون بأن الله خلقهم وينكرون إعادتهم بعد الموت، فدلَّهم بالنشأة الأولى على صحة الثانية.

﴿بل هم في لَبْس﴾ أي: في شَكٍّ ﴿من خلق جديد﴾ يريد: البعث.

---

(١) في الأصل: حصداً ولم. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: طولاً. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤١)، والدر المصون (٦/ ١٧٦).

(٤) عند الآية رقم: ٣٧.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ قال الواحدي(١): "ونحن أقرب إليه" بالعلم، "من حبل الوريد": وهو عرق يتفرق في البدن، مخالطٌ للإنسان في جميع أعضائه، وذلك أن أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله تعالى شيء.

وقال الزجاج(٢): الوريد: عرق في باطن العنق، وهما وريدان.

قال الفراء(٣): الوريد: عرق بين الحلقوم [والعِلْباوين(٤).

والعِلْباوان: العصبان الصفراوان](٥) في متن العنق.

والحَبْل: هو الوريد، والقول فيه كالقول في: "وحَبَّ الحصيد".

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه مع علمه بالإنسان وقربه منه قد وكل به ملكين يحفظان عليه أقواله إلزاماً للحجة عليه، وتحقيقاً لمعنى العدل، فقال تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾.

---

(١) الوسيط (٤/ ١٦٥).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٤٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٧٦).

(٤) جاء في اللسان (مادة: علب): العلباء -ممدود-: عَصَبُ العُنُق. قال الأزهري: الغليظ خاصة، وهما عِلْبَاوان يميناً وشمالاً بينهما مَنْبِتُ العُنُق.

(٥) في الأصل: العلياويين العلياوان العصبتان الصفروان. والتصويب من ب.

قال الزجاج[١]: هما كاتباه الموكَّلان به، يتلقيان ما يعمله فيثبتانه عليه. المعنى: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، [فدل][٢] أحدهما على الآخر.

قال غيره[٣]: فحذف المدلول عليه. كقول الشاعر:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عِنْـ ـدَكَ راضٍ والرأيُ مختلف[٤]

والمراد بالقعيد هاهنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم.

قال مجاهد: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات[٥].

﴿ما يلفظ من قول﴾ أي: ما يتكلم من كلام يلفظه، أي: يلقيه من فمه ﴿إلا لديه رقيب﴾ حافظ موكل به ﴿عتيد﴾ حاضر معه ملازم له.

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، فكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة [وأراد][٦] صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٤٤).

(٢) في الأصل و ب: يمل. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٤٤).

(٤) البيت نُسب لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي، ونُسب أيضاً لقيس بن الخطيم، ولدرهم بن زيد. انظر: الكتاب (١/ ٧٥)، ومعاني الفراء (١/ ٤٣٤)، وملحقات ديوان قيس (ص:١٧٣)، والمقتضب (٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣١٠)، والهمع (٢/ ١٠٩)، والأشموني (٣/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٥/ ٦٥)، والدر المصون (٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٩٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٦) في الأصل: وأرد. والتصويب من ب.

استغفر منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة))[١].

فصل

اختلفوا هل يكتبان عليه جميع أقواله وأفعاله؟ فذهب قوم إلى أنهم يكتبون جميع ما يصدر منه؛ قال مجاهد: حتى أنينه في مرضه[٢].

وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يوزر فيه[٣].

وقال الضحاك: مجلسهما على الحنك[٤].

وكان الحسن يعجبه أن ينظف [عَنفقته][٥].

فصل

وفي هذه الآية ما يزجر المكلف عن إطلاق لسانه فيما لا يعنيه.

ويروى أن علياً رضي الله عنه[٦] سمع رجلاً يَشتم رجلاً، فقال له: يا هذا إنك تُمْلِي على كاتبيك كتاباً إلى ربك، فانظر على من تُمْلِ وإلى من تكْتُب.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٤٧، ح ٧٩٧١)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٠٨): فيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٠، ح ٧٠٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٣ ح١٠٨٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٩٦) وعزاه لابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢).

(٥) ذكره القرطبي (١٧/ ١٠). وما بين المعكوفين في الأصل: عنفته. والتصويب من ب، وتفسير القرطبي.

(٦) في ب: عليه السلام.

وقال مخلد بن الحسين[(١)]: ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر منها منذ خمسين سنة[(٢)].

وكان وهب بن منبه يَعُدُّ كلامه كل يوم ويحفظه.

وقال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من [فمك، فإنما][(٣)] جعل لك أذنان لتسمع أكثر مما تتكلم به.

وقال خارجة بن مصعب[(٤)]: صحبت ابن عون أربعاً وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[(٥)].

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، أخبركم أبو الوقت عبد الأول بن عيسى فأقرَّ به.

وأخبرنا الشيخ أبو القاسم بن عبدالله العطار قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبد الله بن منير[(٦)]، عن أبي

---

(١) مخلد بن الحسين الأزدي المهلبي، أبو محمد البصري، نزيل المصيصة، ثقة صالح، مات سنة إحدى وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٦٥، والتقريب ص:٥٢٣).

(٢) ذكره أبو نعيم في: حلية الأولياء (٨/ ٢٦٦)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٦٦).

(٣) في الأصل: قلبك فما. والتصويب من ب.

(٤) خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي، أبو الحجاج الخراساني السرخسي، متروك، وكان يدلس عن الكذابين، توفي سنة ثمان وستين ومائة، وهو ابن ثمان وتسعين سنة (تهذيب التهذيب ٣/ ٦٧، وتهذيب الكمال ٨/ ١٦-٢٢، والتقريب ص:١٨٦).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٦٧ ح٥٠٤٢).

(٦) عبد الله بن منير، أبو عبد الرحمن المروزي، ثقة عابد، مات سنة إحدى وأربعين(تهذيب التهذيب =

النضر[١]، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[٢]، عن أبيه[٣]، عن أبي صالح[٤]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل لا يلقي لها بالاً يرفعه الله تعالى بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))[٥]. انفرد بهذا البخاري.

وأخرجاه من طريق يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة، سمع النبي ﷺ يقول: ((إن العبد [ليتكلم][٦] بالكلمة يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب))[٧].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل: ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: كُفَّ عليك هذا، فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار =

٦/ ٣٩، والتقريب ص:٣٢٥).

(١) هاشم بن القاسم بن مسلم بن مقسم الليثي، أبو النضر البغدادي الحافظ، خراساني الأصل، ولقبه قيصر، ثقة ثبت، ولد سنة أربع وثلاثين ومائة، ومات في ذي القعدة سنة خمس أو سبع ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١٨، والتقريب ص:٥٧٠).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار العدوي، مولى ابن عمر، صدوق يخطئ (تهذيب التهذيب ٦/ ١٨٧، والتقريب ص:٣٤٤).

(٣) عبد الله بن دينار العدوي، أبو عبد الرحمن المدني، مولى ابن عمر، ثقة صدوق، مات سنة سبع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٥/ ١٧٧، والتقريب ص:٣٠٢).

(٤) هو ذكوان السمان الزيات. تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٧ ح٦١١٣).

(٦) في الأصل: يتكلم. والمثبت من الصحيح، ومن ب.

(٧) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٧ ح٦١١٢).

على وجوههم -أو قال: على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم))(١).

وأخرج الإمام أحمد من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: ((قلت يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل: ربي الله ثم استقم. قال: قلت: يا رسول الله ما أَخْوَفُ ما تخوف عليّ؟ قال: فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا))(٢).

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ أي: جاءت غمرته وشدته التي تغشى الإنسان فتذهب بعقله، بالحق الثابت من أمر الآخرة، فأبانت له ما كان يجهله من ذلك.

وقيل: جاءت بحقيقة الموت.

وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق وابن عباس والحسن: "سَكْرَةُ الحقِّ بالموت"(٣).

قال محمد بن جرير الطبري(٤): لهذه القراءة وجهان:

أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سكرة الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١١ ح٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨ ح١١٣٩٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ح٣٩٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٢)، والكشاف (٤/ ٣٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ١٦٠-١٦١).

بالموت.

والثاني: أن السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها، كقوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ [الواقعة:٩٥]، فيكون المعنى: وجاءت السكرة الحق [بالموت][1].

ويروى: أن عائشة رضي الله عنها أنشدت عند أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين احتُضر:

لعمرُكَ ما يُغني الثَّرَاءُ عن الفتى ... [إذا][2] حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصدر[3]

فقال لها أبو بكر: يا بنية! لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله: "وجاءت سكرة الحق بالموت"[4].

وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني: "وجاءت سكرات" على الجمع، وتقديم "الحق"، ومثلهما قرأ أبي بن كعب وسعيد بن جبير: "سكرات"[5].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي: فيقال للإنسان ذلك ﴿ما كنت منه تحيد﴾.

قال ابن عباس: تكره[6].

---

(١) زيادة من ب، والطبري (٢٦/ ١٦١).

(٢) في الأصل: إذ. والمثبت من ب.

(٣) البيت لحاتم الطائي، انظر: اللسان (مادة: حشرج)، والماوردي (٥/ ٣٤٨)، والقرطبي (١٧/ ٢٣٠)، والطبري (١٣/ ٣٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٩٩) وعزاه لأحمد وابن جرير عن عبدالله بن اليمني مولى الزبير بن العوام.

(٥) انظر هاتان القراءتان في: زاد المسير (٨/ ١٢).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣).

وقال الضحاك: تَرُوغ[١].

وقال الحسن: تهرب[٢].

وأصل الحَيْد: المَيْل، يقال: حَادَ يَحِيدُ حَيْداً، وأنشدوا قول طرفة:

أبا مُنذرٍ رُمْتَ الوفاءَ فهبتَهُ   وحِدتَ كما حَادَ البعيرُ عن الدَّحْضِ[٣]

قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ مذكورٌ في الأنعام[٤].

والمراد: نفخة البعث.

﴿ذلك يوم الوعيد﴾ قال مقاتل[٥]: يعني بالوعيد: عذاب الآخرة.

والمعنى: ذلك يوم وقوع الوعيد.

ويجوز أن يكون الموعود، فصُرف وأضيف.

قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس مَعَها سائق وشهيد﴾ أي: وجاءت ذلك اليوم كل نفس معها، ولغة بني تميم "مَعْها" بإسكان العين، سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد يشهد لها وعليها، وهما من الملائكة في قول جمهور المفسرين.

قال ابن السائب: السائق الذي كان يكتب عليه السيئات، والشهيد الذي كان يكتب الحسنات[٦].

وقيل: السائق: القرين من الشياطين، والشهيد: العمل.

---

(١) انظر: الطبري (٢٦/ ١٦١) بلا نسبة.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٢٣).

(٣) البيت لطرفة، وهو في: تاج العروس (مادة: دحض)، والقرطبي (١١/ ٦، ١٧/ ١٣).

(٤) عند الآية رقم: ٧٣.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٠).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣).

وقيل: الجوارح.

والآية عامة في قول عامة المفسرين.

وقال الضحاك: خاصة في الكفار(١).

﴿لقد كنت﴾ على إضمار القول، تقديره: فيقال: لقد كنت أيها الإنسان.

وقيل: الخطاب: للكافر. وهو قول ابن عباس(٢).

والمعنى: لقد كنت في دار الدنيا.

﴿في غفلة من هذا﴾ الذي صرت إليه، ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ وهي الأكِنَّة الصادّة له عن النظر، ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي: حادٌّ ثاقب.

قال مجاهد: وذلك حين ينظر إلى لسان الميزان حين توزن حسناته وسيئاته(٣).

وقال [مقاتل](٤): حديدٌ شاخصٌ لا يَطْرُف.

وقال الزجاج(٥): علمُك اليوم نافذ، لم يرد به حقيقة البصر.

[وقال](٦) ابن زيد: هذه الآية خطاب للنبي ﷺ(٧)، على معنى: لقد كنت في

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٣). وذكره الماوردي (٥/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤).

(٤) في الأصل: قتادة. والمثبت من ب، وزاد المسير (٨/ ١٤). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٧١).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٤٥).

(٦) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٧) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٣-١٦٤). وعقب الآلوسي على هذا القول في روح المعاني (٢٦/ ١٨٤) فقال: ولعمري أنه زعم ساقط لا يوافق السباق ولا السياق.

غفلة عن الرسالة والوحي، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي، فبصرك اليوم، أي: عملك في الدنيا حديد.

والقول الأول أظهر وأشهر.

وتؤيده قراءة الجحدري: "لقد كنتِ" بكسر التاء، "عنكِ غطاءكِ فبصركِ" بكسر الكاف فيهنّ، على المخاطبة للنفس[1].

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

﴿وقال قرينه﴾ قال الحسن وقتادة: هو الملك الشهيد عليه[2].

وقال مجاهد: قرينه الذي قُيض له من الشياطين[3]، يقول: هذا الذي وكلتني به من بني آدم، قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

قال الزجاج[4]: "ما" رفع بـ"هذا"، و"عتيد" صفة لـ"ما" فيمن جعل "ما" في مذهب النكرة. المعنى: هذا شيء لديّ عتيد.

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٢٤)، والدر المصون (٦/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٤). وذكره الماوردي (٥/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٠) وعزاه للفريابي.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٤٥).

ويجوز أن يكون رفعه بإضمار "هو"، تقديره: هذا شيءٌ [لدي][١] هو عتيد.

ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلاً من "ما"، المعنى: هذا عتيد.

قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم﴾ خطاب للسائق والشهيد.

وقال مقاتل[٢]: الخطاب لخازن النار.

فإن قيل: فما وجه مخاطبته بصيغة الاثنين؟

قلتُ: العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول: قوما واضربا زيداً يا رجل، وأنشدوا:

فإنْ تَزْجُراني يا ابنَ عفَّانَ أَنْزَجِرْ وإنْ تَتْرُكاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا[٣]

قال الزجاج[٤]: [ومثله][٥]:

قِفَا نَبْكِ من ذكرَى حبيبٍ ومنزل ....[٦]

وقال المازني: كان الأصل: ألق ألق، فناب ألقيا عن ألق ألق؛ لأن الفاعل كالجزء من الفعل، فكان تثنية الفاعل نائباً عن تكرار الفعل.

---

(١) في الأصل: لديه. والمثبت من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧١).

(٣) البيت لأبي ثروان، سويد بن كراع العكلي، وهو في: اللسان (مادة: جزز)، والطبري (٢٦/ ١٦٥)، والقرطبي (١٧/ ١٦)، والماوردي (٥/ ٣٥٠)، وزاد المسير (٨/ ١٦)، والدر المصون (٦/ ١٧٨)، وروح المعاني (٢٦/ ١٨٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٤٦).

(٥) في الأصل: مثله. والمثبت من ب.

(٦) أول معلقة امرئ القيس (انظر: ديوانه ص:٨).

وقال قوم: أصله: ألقين، فأبدل من النون ألفاً، كقوله:

.... ولا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعبُدَا[١]

قوله تعالى: ﴿مناع للخير﴾ قال قتادة: للزكاة المفروضة[٢].

وقال الضحاك: مناع لدخول الناس في الإسلام[٣].

ويقال: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، منع بني أخيه من الدخول في الإسلام[٤].

﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ إن كان مبتدأ فخبره: "فألقياه". ويجوز أن يكون منصوباً على البدل من "كل كفار"، ويكون قوله: "فألقياه" توكيداً[٥].

قوله تعالى: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: هذا قول قرينه الذي قيض له من الشياطين[٦]، يتبرأ منه يوم القيامة ويقول: ما أكرهته على الضلال.

﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ عن الهدى، فهو كقوله: ﴿وقال الشيطان لما

(١) عجز بيت للأعشى، وصدره: وإياك والميْتات لا تقربنها، انظر: ديوانه (ص:١٧)، والكتاب (٣/ ٥١٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٨٤)، وابن يعيش (٩/ ٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ١٧٩).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٠) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن ابن جريج وعزاه لابن المنذر.

قضي الأمر... الآية﴾ [إبراهيم:٢٢].

وقال سعيد بن جبير: "قرينه": المَلَك الذي يكتب السيئات. يقول الكافر: رب إنه زاد عليّ في الكتابة، فيقول المَلَك: "ربنا ما أطغيته" أي: ما زدت عليه، ولا كتبت إلا ما قال وعمل[(١)].

فحيئنذ يقول الله تعالى: ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي: لا تختصموا عندي، ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ على ألسنة رسلي.

﴿ما يبدّل القول لديّ﴾ ذكروا في معناه قولين:

أحدهما: لا يبدل ما وعدته من ثواب وعقاب. وهو قول الأكثرين[(٢)].

والثاني: ما يُغَيَّر عندي قول ولا يحرّف عن وجهه؛ لأني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي[(٣)]، واختيار الفراء وابن قتيبة والواحدي[(٤)].

﴿وما أنا بظلاّم للعبيد﴾ فأزيد على إساءة المسيء، أو أنقص من حسنات المحسن، أو أعاقب على غير ذنب.

فإن قيل: نسبة الظلم إلى الله عز وجل أمر مُحال، فإنه لو عَذَّبَ الطائع لم يكن ظالماً، فما معنى نفيه عنه بلفظ يُوهم نسبته إليه، على تقديرٍ ما؟

قلتُ: الظلم الشرعي الذي هو التصرف على الوجه الذي ليس للمخلوق

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٧٩)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:٣٢٧)، والوسيط للواحدي (٤/ ١٦٨).

التصرف عليه مُحال نسبته إليه؛ لأن الله تعالى كيف فعل وتصرّف فله ذلك.

والمراد في هذه الآية وأمثالها: نفي الظلم اللغوي الذي هو وضع الشيء في غير موضعه، على معنى: وما أنا بظلاّم أضع العقوبة في غير موضعها، بل إنما أضعها وأُوقِعُها بمستحقها من الكفرة والفجرة، على ما تقتضيه حكمتي وعدلي.

فإن قيل: لو قال: "وما أنا بظالم" كان أبلغ في تحقيق معنى العدل، لنفيه أصل الظلم، فما باله عدل عنه إلى "ظلام"، ومقتضاه نفي الكثرة لا الأصل؟

قلتُ: إذا كان المعنى: وما أنا بظلاّم، أو ما ربك بظلاّم للعبيد فيعذبهم على غير جُرْم، كان النفي بصيغة التكثير أنفى للظلم، وأدلَّ على تحقيق معنى العدل من حيث المعنى، لدلالة مفهومه على تكثير الظلم، على تقدير العذاب على غير جرم، فنزّه نفسه سبحانه وتعالى عن الظلم قليله وكثيره بأبلغ الطرق، منبهاً على أن القليل منه كثير بالنسبة إليه جلّت عظمته.

وهذان الدخلان والجواب عنهما لم أُسْبَق إليهما، فإن يكن ذلك صواباً فمن فضل الله تعالى، وإن لم يكن ذلك فالله المسؤول التجاوز عني برحمته وكرمه.

وبعد أن سطرت الدخلين والجواب عنهما وجدت الزمخشري(١) قد تعرّض للدخل الثاني، وأجاب عنه بنحوٍ [مما](٢) ذكرته، لكن في جوابي زيادةَ بَسْط وتقرير لم يتعرّض له.

---

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٣٩٢).

(٢) في الأصل: ما. والمثبت من ب.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ
ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ
۝٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ قرأ نافع وأبو بكر والمفضل عن عاصم: "يقول" بالياء، على معنى: يقول الله لجهنم.

وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: "يقال لجهنم"[1].

وقرأ باقي العشرة: "نقولُ" بالنون[2]. وانتصاب "يوم" بـ"ظلام"، أو بقوله: "ونفخ في الصور".

وقال الزجاج[3]: نصب "يوم" على وجهين:

أحدهما: على معنى: ما يبدل القول لدي في ذلك اليوم.

وعلى معنى: أنذرهم يوم نقول لجهنم.

قال[4]: والله عز وجل عالم هل امتلأت أم لم تمتلئ، وإنما السؤال توبيخ لمن أُدخلها وزيادة في مكروهه، [ودليلٌ][5] على تصديق هذا قوله تعالى: ﴿لأملأن

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٧-٦٧٨)، والكشف (٢/ ٢٨٥)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٤٦-٤٧).

(٤) أي: الزجاج.

(٥) في الأصل: وبدليل. والتصويب من ب.

جهنم منك وممن تبعك﴾ [صَ:٨٥].

وأما "هل من مزيد" ففيه وجهان عند أهل اللغة:

أحدهما: أنها تقول ذلك بعد امتلائها، فتقول: هل من مزيد، أي: هل بقي فيَّ موضع لم يمتلئ، أي: قد امتلأتُ.

ووجه آخر: تقول: "هل من مزيد" تغيظاً [على من عصى الله، كما قال عز وجل: ﴿سمعوا لها تغيظاً]^(١) وزفيراً﴾ [الفرقان:١٢].

فأما قولها هذا ومخاطبتها، فالله تعالى جعل فيها ما به تُميِّزُ وتخاطب، كما جعل فيما خلق أن يسبح بحمده، وكما جعل في النملة أن قالت: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل:١٨].

وقد زعم قوم أنها امتلأت فصارت صورتها صورة من لو ميَّزَ لقال: هل من مزيد، [كما]^(٢) قال الشاعر:

امتلأَ الحوضُ، وقال: قَطْنِي مَهْلاً رُويداً قد ملأتَ بطني^(٣)

وليس هنالك قول. وهذا لا يشبه ذلك؛ لأن الله تعالى جلّ ذكره قد أعلمنا أن المخلوقات تُسبّح، وأنا لا نفقه تسبيحها، فلو كان ذلك إنما هو أن تَدُلَّ على أنها مخلوقة كُنَّا نفقه تسبيحها. هذا كله كلام الزجاج.

وقال غيره: المزيد إما مصدر وإما اسم مفعول، كالمبيع.

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٤٧).

(٢) زيادة من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: قطط، قطن)، وتاج العروس (مادة: قطط)، والماوردي (٥/ ٣٥٣)، والقرطبي (٢/ ٣١، ١٥/ ٣٤٤، ١٧/ ١٨)، وروح المعاني (٥/ ١٤٩، ١٨/ ١١٩).

قرأتُ على الشيخ أبي القاسم عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن رواحة الأنصاري، أخبركم أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلفة الأصبهاني فأقرّ به، أخبرنا الرئيس أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي الأصبهاني، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد المزكي النيسابوري بها، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها فتقول: قط قط، ويزوَى بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنه فضول الجنة»(١). رواه البخاري عن آدم.

قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي: قُرِّبَتْ لهم حتى يَرَوْها قبل أن يدخلوها، إكراماً لهم، وتعجيلاً لأسباب السرور والنعيم لهم، ﴿غير بعيد﴾ توكيد لمعنى قربها. ونصب "غير" على الظرف، أي: مكاناً غير بعيد، أو على الحال، وتذكيره على حذف الموصوف المذكر، تقديره: شيئاً غير بعيد، أو لكونه على صفة المصادر؛ كالزئير والصليل، ويقال لهم: ﴿هذا﴾ الذي ترونه ﴿ما توعدون﴾ وقرأ ابن كثير: "يوعدون" بالياء على المغايبة(٢).

والمعنى: ما يوعدون في الدنيا على ألسنة الرسل.

﴿لكل أوّاب﴾ رَجَّاع عن معاصي الله إلى طاعته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٥٣ ح٦٢٨٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ح٢٨٤٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٨)، والكشف (٢/ ٢٨٥)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٥٥٥).

قال مجاهد: هو الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها[١].

وقال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب[٢].

وقد ذكرنا الأوّاب في بني إسرائيل[٣].

قال مقاتل[٤]: "حفيظ": حافظ لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ في موضع جر بدل من "أوّاب". ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء، والخبر: "أدخلوها" تقديره: يقال لهم: ادخلوها[٥].

ويجوز أن يكون منادى، وقد حذف حرف النداء للقرب. وقد سبق تفسيره في سورة الأنبياء[٦].

﴿وجاء بقلب منيب﴾ راجع إلى طاعة الله.

﴿ادخلوها بسلام﴾ أي: بسلامة من الهموم والعذاب، أو ادخلوها مصحوبين بالسلام من الله والملائكة. وقد ذكرنا ذلك في مواضع.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٧٢) عن مجاهد، وابن أبي شيبة (٧/ ١٦٣) من طريق مجاهد عن عبيد بن عمير. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٥٤ ح١٣٦٤٧)، وشعب الإيمان (٥/ ٤٠٨ ح٧٠٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٣) عند الآية رقم: ٢٥.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٢).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٢)، والدر المصون (٦/ ١٨٠).

(٦) عند الآية رقم: ٩.

﴿ذلك يوم الخلود﴾ في الجنة.

﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ قال المفسرون: وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله تعالى من عنده ما لم يسألوا، فذلك قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾.

وفي حديث علي عليه السلام عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾ قال: يتجلّى لهم[1].

وقال أنس بن مالك: يتجلى لهم الرب عز وجل في كل جمعة[2].

ويروى: أن السحاب يمرّ بأهل الجنة فيمطرهم الحور، فتقول الحور: نحن اللواتي قال الله عز وجل: ﴿ولدينا مزيد﴾[3].

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

ثم هدّد كفار مكة بالآية التي تليها.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٥) وعزاه للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه واللالكائي في السنة والبيهقي في البعث والنشور.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١) حكاية عن الزجاج. وانظر: معاني الزجاج (٥/ ٤٧).

قوله تعالى: ﴿فنقبوا في البلاد هل من محيص﴾ قرأ جمهور القراء: "فَنَقَّبُوا" بفتح النون والقاف مع التشديد.

وقرأ بالتخفيف: العُمَران؛ ابن الخطاب وابن عبدالعزيز، وقتادة[(١)].

قال قتادة: ساروا وطوَّفُوا[(٢)].

وقال ابن جريج: اتخذوا فيها طرقاً ومسالك[(٣)]، وأصله من النَّقْب، وهو الطريق، وأنشدوا:

وقد نقَّبْتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمةِ بالإيَاب[(٤)]

وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وابن السميفع: بكسر القاف[(٥)]، على الأمر، بمعنى: التهديد والوعيد.

"هل من محيص" استفهام في معنى الإنكار.

قال الزجاج[(٦)]: طوَّفوا وفتَّشوا فلم يروا محيصاً من الموت.

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٤١٧)، والسبعة (ص:٦٠٧). وانظر قراءة العُمرين وقتادة في: زاد المسير (٨/ ٢١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٥٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٩٩)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٢٤)، والماوردي (٥/ ٣٥٥)، والبحر (٨/ ١٢٧)، والدر المصون (٦/ ١٨١)، والطبري (٢٦/ ١٧٦)، والقرطبي (١٧/ ٢٢)، وزاد المسير (٨/ ٢٢)، وروح المعاني (٢٦/ ١٩١)، واللسان (مادة، نقب).

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٨).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٤٨).

وقال قتادة: حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركاً[١].

وهذا تخويفٌ لكفار مكة [وإعلام][٢] لهم أنهم على مِثْل سبيل من كان قبلهم، لا يجدون مفرّاً من الموت المفضي بهم إلى عذاب الله.

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من إهلاك القرى ﴿لذكرى﴾ لتذكرة وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ قال ابن عباس: عقل[٣].

قال الفراء[٤]: وهذا جائز في العربية أن تقول: ما لك قلب، وما معك قلبك، أي: ما عقلُك معك.

وقال ابن قتيبة[٥]: لما كان القلبُ محلَّ العقل كَنَّى عنه به.

وقيل: كَنَّى به عن النفس المميزة. المعنى: لمن كانت له حياة.

وقيل: المعنى: لمن كان له قلب واعٍ؛ لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قَلْبَ له.

﴿أو ألقى السمع﴾ أصغى إلى مواعظ القرآن وزواجره. تقول العرب: أَلْقِ سَمْعَكَ إليَّ، أي: استمع مني.

﴿وهو شهيد﴾ حاضر القلب غير ساهي ولا لاهي.

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ سبق تفسيره.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٢) في الأصل: وإعلاماً. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٨٠).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:١١٥).

﴿وما مسنا من لغوب﴾ تعب ونصب.

قال المفسرون: قالت اليهود: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت، فلذلك لا نعمل فيه شيئاً، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾[(١)].

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ من الكذب والبهت.

قال المفسرون: هذا كان قبل الأمر بالقتال.

وقيل: الصبر مأمور به على كل حال، [فلا][(٢)] نسخ[(٣)].

﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي: سبح حامداً ربك، ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾.

قال ابن عباس: صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر[(٤)].

وفي الصحيحين [من حديث][(٥)] جرير بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تُضَامُون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب [فافعلوا][(٦)]، وقرأ: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٥٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٦٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣).

(٥) زيادة من ب.

(٦) زيادة من صحيح البخاري.

الغروب﴾))[١].

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه﴾ قال مقاتل[٢]: صلاة المغرب والعشاء.

وقال مجاهد: صلاة الليل كله[٣].

﴿وأدبار السجود﴾ قرأ نافع وابن كثير وحمزة: "وإِدْبَار" بكسر الهمزة، مصدر أدْبَر. وقرأ الباقون بفتحها، جمع دُبُر[٤].

أخرج البخاري من حديث مجاهد عن ابن عباس قال: ((أَمَرَهُ أن يسبح في أدبار الصلوات كلها. يعني: قوله: ﴿وأدبار السجود﴾))[٥].

وقال عمر وعلي والحسن بن علي وأبو هريرة والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وقتادة: هو الركعتان بعد المغرب[٦].

وأخرج الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ((إدبار النجوم: الركعتين قبل الفجر، وإدبار السجود: الركعتين بعد المغرب))[٧].

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٩)، ومسلم (١/ ٤٣٩ ح٦٣٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٠) وعزاه لابن جرير.

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٨)، والكشف (٢/ ٢٨٥)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، والإتحاف (ص:٣٩٨)، والسبعة (ص:٦٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٦ ح٤٥٧١).

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦١٣)، والطبري (٢٦/ ١٨٠-١٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١١) وعزاه لابن مردويه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن عمر بن الخطاب، وعزاه لابن المنذر ومحمد بن نصر في الصلاة. ومن طريق آخر عن إبراهيم النخعي وعزاه لابن جرير. وأخرج عن مجاهد وقتادة والشعبي والحسن مثله.

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٢ ح٣٢٧٥).

وقال ابن زيد: النوافل بعد المفروضات[١].

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واستمع يوم ينادي المنادي﴾ أي: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، فحذف المضاف، وهو مفعول به لا ظرف.

والمنادي: إسرافيل عليه السلام.

قال المفسرون: يقف على صخرة بيت المقدس وينادي: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتفرقة، والشعور المتمزقة، إن الله تعالى يأمركن [أن][٢] تجتمعن لفصل القضاء[٣]. وهذه هي النفخة الأخيرة.

والصخرة: وسط الدنيا، وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٢). وذكره الماوردي (٥/ ٣٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦١٠) وعزاه لابن جرير.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦١١) وعزاه لابن جرير عن كعب. ومن طريق آخر عن يزيد بن جابر، وعزاه لابن عساكر والواسطي في فضائل بيت المقدس.

(٤) انظر: الطبري (٢٦/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠).

﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ بدل من "يوم ينادي المنادي"[(١)][(٢)].

والمعنى: يوم يسمعون الصيحة بالحق، بالأمر الثابت الذي لا مِرْيَةَ فيه، وهو البعث.

﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور.

قوله تعالى: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً﴾ بدل أيضاً من "يوم ينادي المنادي"[(٣)].

ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿وإلينا المصير﴾ أي: يصيرون إلينا في ذلك اليوم.

و"سراعاً" نصب على الحال، تقديره: فيخرجون سراعاً[(٤)].

﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ هَيِّن.

ثم عزَّى نبيه ﷺ فقال: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي: بما يقول كفار مكة من تكذيبك والاستهزاء بك، ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمسلط تقهرهم على ما تريد.

قال ابن عباس: لم تُبعث لتُجبرهم على الإسلام، إنما بعثت مُذكِّراً، وذلك قبل أن يُؤمر بقتالهم[(٥)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٢).

(٢) حصل سهو من ناسخ الأصل، فقدم بعض العبارات وأخّر البعض من قوله تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ إلى قوله: تقهرهم على ما تريد. وقد أثبتنا ذلك من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الطبري (٢٦/ ١٨٥) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥).

﴿فذكر بالقرآن﴾ عِظْ به ﴿من يخاف وعيد﴾.

وقرأ يعقوب: "وعيدي" بياء في الحالين[١].

وكان ﷺ يُذكّر بالقرآن من يخاف ومن لا يخاف، لكنه خصَّ الخائفين من وعيده بالنار لمن عصاه بالذِّكْر؛ لموضع انتفاعهم به. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٣٧٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٩).

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ستون آية في العددين[1]. وهي مكية بإجماعهم.

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

قال الله تعالى: ﴿والذاريات ذرواً﴾ قال الزجاج[2]: جاء في التفسير عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أن ابن الكواء سأله عن تفسير الذاريات فقال: الرياح. قال: ﴿فالحاملات وقراً﴾؟ فقال عليه السلام: السحاب. قال: ﴿فالجاريات يسراً﴾؟ قال: الفلك. قال: ﴿فالمقسمات أمراً﴾؟ قال عليه السلام: الملائكة[3].

قال الزجاج[4]: والمفسرون جميعاً يقولون بقوله في هذا.

قال[5]: "والذاريات" مجرور على القسم. المعنى: أحلف بالذاريات وبهذه

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٥١).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦ ح٣٧٣٦)، والضياء في الأحاديث المختارة (٢/ ١٢٢ ح٤٩٤) بأطول منه.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٥١).

(٥) أي الزجاج.

الأشياء. والجواب: ﴿إنما توعدون لصادق﴾.

وقال قوم: المعنى: ورب الذاريات ذرواً، كما قال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ [الذاريات:٢٣].

والذاريات: من ذرَتِ الريح تذْرُو؛ إذا فرّقت التراب وغيره. يقال: ذرَتِ الريح وأذرَتْ بمعنى واحد، ذرَّت فهي ذارِيَة، وهُنَّ ذاريات، وأذرَتْ فهي مُذْرِية ومُذْرِيات للجماعة. هذا كله كلام الزجاج.

وقال غيره: للعرب أيمانُ يُجْرونها على ما استمرت به عادتهم، كحلفهم بعَمْرو الإنسان، وسير الجمال، وركض الخيل، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والأشجار، وغير ذلك مما يستعظمونه، فخوطبوا بما يفهمون، ألا ترى إلى قول أمية بن أبي الصلت:

لعمرو أدْمَاء جمالية ... حَجَّ عليها رجلٌ أشيب

فحلف بحياة ناقته.

وقال آخر:

أما ودماءٍ لا تزالُ كأنها ... على اللاتِ والعزى وبالنَّسْر عندما[1]

فحلف بالدماء.

وهذا أكثر من أن يحصى.

فقوله تعالى: ﴿والذاريات﴾ يمين برب القدرة على إذراء الرياح، وكذلك:

---

(١) البيت لعمرو بن عبد الجن القضاعي، ويروى: "مائرات تخالها"، بدل: "لا تزال كأنها". انظر: خزانة الأدب (٧/ ٢١٤، ٢١٧)، واللسان (مادة: نسر، عزز، قنن، لوي)، والإنصاف (١/ ٣١٨)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٣٦٠)، والحجة للفارسي (٢/ ١٨٢).

والمرسلات، والنازعات، والطور، والنجم، وسائر ما ذكر في القرآن من الأيـمان.

ولا خلاف بين العلماء أن "الذاريات": الرياح. و"ذرواً" نصب على المصدر[(١)].

وأما "الحاملات" فهي السحاب. "وقراً" مفعول به[(٢)]، على معنى: تحمل ثقلاً من الماء.

و"الجاريات": السفن، "يسراً": أي: تجري جرياً ذا يُسْر، أي: سهولة.

وقد قيل: إن "الجاريات": السحاب [أيضاً][(٣)]، تجري حيث سيرها الله تعالى.

قال الأعشى:

كأنَّ [مِشْيَتَها][(٤)] من بيتِ جارتها مشيُ السحابةِ لا ريثٌ ولا عجل[(٥)]

وأما "المقسمات" فالمشهور عندهم: أنها الملائكة، يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به.

قال ابن السائب ومقاتل[(٦)]: هم أربعة: جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل [وهو][(٧)] صاحب

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: شملتها. والتصويب من ب.

(٥) انظر: ديوانه (ص:٣٠)، واللسان (مادة: مور)، والطبري (٢٧/ ٢٠)، والقرطبي (١٣/ ٩٤، ١٧/ ٣١، ١٧/ ٦٣)، والماوردي (٥/ ٣٦١)، وزاد المسير (٨/ ٤٨)، وروح المعاني (٢٧/ ٢٩)، والدر المصون (٦/ ١٩٦).

(٦) ذكره مقاتل (٣/ ٢٧٥)، والماوردي (٥/ ٣٦١).

(٧) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

[الصور][1] واللوح، وعزرائيل وهو قابض الأرواح.

قال الحسن: المقسمات: السحاب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد[2].

وقيل: إن المقسمات: الكواكب السبعة التي أقسم الله تعالى بها فقال تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس * الجواري الكنس﴾ [التكوير:١٥-١٦] فإنها ضُمّنت أحكام العالم.

والصحيح: الأول.

قوله تعالى: ﴿إنما توعدون﴾ يعني: من البعث والجزاء، من الثواب والعقاب ﴿لصادق﴾ حق.

﴿وإن الدين﴾ الجزاء والحساب ﴿لواقع﴾ كائن لا محالة.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤

ثم أقسم بالسماء التي هي من عجائب مخلوقاته، ودلائل عظمته، وقدرته، وحكمته فقال: ﴿والسماء ذات الحبك﴾.

قال الزجاج[3]: جاء في التفسير: أنها ذات الخلق الحسن. وأهل اللغة يقولون:

---

(١) في الأصل: الصوت. والمثبت من ب.

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٣٩٨).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٥٢).

ذات الحبك: ذات الطُّرُق الحسنة. والمحبوك في اللغة: ما أُجيد عمله، وكل ما تراه من الطرائق في الماء أو في الرمل إذا أصابته الريح فهو حُبُك، واحدها: حِبَاكٌ، مثل: مِثال ومُثُل، ويكون واحدها: حَبيكة، مثل: طريقة وطُرُق.

قلتُ: وإلى أصل هذه الكلمة في اللغة ترجع أقوال المفسرين.

قال ابن عباس وقتادة والربيع: ذات الخلق الحسن السوي[1].

قال عكرمة: ألم تر إلى النسَّاج إذا نسج الثوب، قيل: ما أحسن حبكه[2]؟.

وقال سعيد بن جبير: ذات الزينة[3].

وقال الحسن: حُبكَت بالنجوم[4].

وقال مجاهد: هو المتقن البنيان[5].

وقال الضحاك: ذات الطرائق ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها[6].

قال[7]: ومنه: حبك الرمل والماء؛ إذا ضربتهما الريح، وحبك الشعر الجعد. ومنه الحديث في صفة الدجال: [رأسه][8] حبك حبك، يعني: الجعودة[9].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٩ و ١٩٠) دون لفظ: السوي.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٨٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦١٦)، والطبري (٢٦/ ١٩٠).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٤) عن مقاتل والكلبي.

(٧) أي: الضحاك. وانظر: الماوردي (٥/ ٣٦٣).

(٨) زيادة من ب.

(٩) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٠)، والطبري (٢٦/ ١٩٠).

وقال أبو صالح وابن زيد: ذات الشدة[١].

وقد اختلف القراء في هذا الحرف اختلافاً كثيراً، [فقرأه][٢] العامة بضم الحاء والباء، ومثلهم قرأ ابن عباس وأبي بن كعب وأبو رجاء وابن أبي عبلة، غير أنهم أسكنوا الباء[٣]، وهي لغة بني تميم، كرُسْل وعُمْد في رُسُل وعُمُد.

ومنهم من فتح الباء جمع حُبْكَة، مثل: طُرْفَة وطُرَف، ونبقة ونبق[٤].

وقرأ عمر بن الخطاب وأبو رزين: "الحِبِك" بكسر الحاء والباء[٥]، مثل: إبل وإطل، وهو قليل في الكلام.

وقرأ عثمان بن عفان والشعبي وأبو العالية بكسر الحاء وسكون الباء على التخفيف[٦].

وقرأ ابن مسعود وعكرمة: بفتح الحاء والباء[٧]، جمع حَبَكَة، مثل: عَقَبَة وعَقَبٍ.

وقرأ أبو الدرداء وأبو الجوزاء وأبو المتوكل وأبو عمران والجحدري بفتح الحاء وكسر الباء[٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٠) عن ابن زيد. وذكره الماوردي (٥/ ٣٦٢) عن أبي صالح.

(٢) في الأصل: قرأ. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٨٤).

(٤) في ب: وبُرْقَة وبُرَق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨)، والدر المصون (٦/ ١٨٤).

(٦) مثل السابق.

(٧) مثل السابق.

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩)، والدر المصون (٦/ ١٨٤).

وعن الحسن في هذا الحرف اختلاف واسع، ليس هذا موضع استقصائه، والجميع يرجع إلى معنى واحد، وهو ما ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ جواب القسم الثاني.

والمعنى: إنكم لفي قول مختلف في شأن رسولي وما بعثته به ما بين [شرك وإيمان][(١)]، وشك وإيقان، قد فرقتم القول فيه وفي القرآن، هذا يقول: ساحر وسحر، وهذا يقول: شاعر وشعر، وهذا يقول: مجنون، وهذا يقول: معلم، وهذا يقول: أساطير الأولين.

﴿يؤفك عنه من أفك﴾ قال الحسن: يصرف عنه من صرف[(٢)].

وقد سبق ذكر الإفك وحقيقته في مواضع.

والضمير في "عنه" يعود إلى ما دلّ [عليه][(٣)] قوله: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ من الحق، أو الإيمان، أو الصواب، أو الرسول، أو القرآن، وأمثال ذلك.

وجوَّز بعضهم عود الضمير في "عنه" إلى القول المختلف، ولا تكون عنه هاهنا بمنزلة [قولهم][(٤)]: صرفته عن كذا، إنما المعنى: أُتي من أفك عن جهة القول المختلف، أي: ما وقع به وقع عن هذه الجهة، والمفعول هو الذي يقتضيه "أفك"، أي: أفك عن كذا وعن الحق عن جهة القول المختلف.

قوله تعالى: ﴿قتل الخرّاصون﴾ أي: لُعن الكذابون أو المرتابون.

---

(١) في الأصل: شك إيمان. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩١). وذكره الماوردي (٥/ ٣٦٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) زيادة من ب.

قال ابن الأنباري: القتل إذ أُخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة؛ لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك[١].

وقال الزجاج[٢]: تقول: قد تَخَرَّصَ عليَّ فُلانٌ الباطل.

قال[٣]: ويجوز أن يكون الخرّاصون الذين إنما يظنون الشيء لا [يُحِقُّونه فيعملون][٤] لما لا يدرون صحته.

قال الفراء[٥]: المعنى: لُعن الكذابون الذين قالوا: إن النبي ﷺ ساحر وكاذب وشاعر، فخرصوا بما لا علم لهم به.

﴿الذين هم في غمرة﴾ من الجهالة والعمى ﴿ساهون﴾ غافلون.

﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي: يقولون يا محمد متى يوم الدين. وهذا سؤال استهزاء وتكذيب لا سؤال استرشاد وتصديق، ولذلك عُوملوا في الجواب بما يُعامل به أمثالهم من المستهزئين والمكذبين، فقيل: ﴿يوم هم﴾ أي: يقع ويكون جزاؤهم على الاستهزاء يوم هم[٦].

وقرأ ابن أبي عبلة: "يومُ" بالرفع[٧]، على معنى: هو يوم هم.

﴿على النار يفتنون﴾ يحرّقون ويعذّبون.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٠).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٥٢).

(٣) أي: الزجاج.

(٤) في الأصل: يحققونه فيعلمون. والمثبت من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٨٣).

(٦) في الأصل زيادة: على النار يفتنون. وستأتي بعد قليل. وانظر: ب.

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٣٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٥).

ومنه قيل للحرة السوداء: فتين، كأنها أُحرقت بالنار.

﴿ذوقوا فتنتكم﴾ في محل [الحال][1] على معنى: [مقولاً][2] لهم: ذوقوا فتنتكم، أي: حريقكم وعذابكم، تقول الخَزَنة لهم ذلك تحقيراً وتصغيراً وإيصالاً للعذاب إلى حاسّة سمعهم؛ لأنها أحد الأسباب الموصلة للألم إلى القلب.

وقال ابن عباس: ذوقوا تكذيبكم[3]، على حذف المضاف، أي: جزاء تكذيبكم.

﴿هذا الذي كنتم به﴾ في الدنيا ﴿تستعجلون﴾ تكذيباً واستهزاءاً.

وهذه الجملة مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون "هذا" بدلاً من "فتنتكم"[4].

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ
ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا
تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ قال الزجاج[5]: "آخذين" نصب على

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: مفعولاً. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٥). وذكره الماوردي (٥/ ٣٦٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٥).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٥٣).

الحال[١]. المعنى: المتقين في جنات وعيون في حال أخذ ما آتاهم ربهم.

﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ يعني: في الدنيا ﴿محسنين﴾ موحدين طائعين.

وقال سعيد بن جبير: آخذين بما أمرهم ربهم، عاملين بالفرائض التي أوجبها عليهم. وروي نحوه عن ابن عباس[٢].

وفي نظم الكلام على هذا اضطراب[٣]، ولقد راجعتُ فيه بعض العلماء فقال: هو على حذف المضاف، تقديره: ثواب عملهم بالفرائض.

ويحتمل عندي أن يكون التقدير: إن المتقين في حكمي وعلمي في جنات وعيون، باعتبار ما يؤولون إليه والحكم لهم بذلك في حال كونهم آخذين قابلين ما أمرهم به ربهم، عاملين به، ولهذا قيل في التفسير: كانوا قبل نزول الفرائض محسنين في أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ الهجوع: النوم في الليل، وخصّه بعضهم بالقليل من النوم[٤]، وأنشدوا:

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسِي فما أطعمُ نَوماً غيرَ تَهْجَاعِ[٥]

و"ما" مع الفعل بتأويل المصدر، التقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، فيكون هجوعهم بدلاً من الواو في "كانوا"، أي: كان هجوعهم قليلاً من الليل. أو

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٦).

(٣) يعني: حسب الظاهر.

(٤) انظر: اللسان (مادة: هجع).

(٥) البيت لأبي قيس بن الأسلت. وهو في: اللسان (مادة: هجع)، والقرطبي (٩/ ٢٠٨، ١٧/ ٣٥)، وروح المعاني (١٢/ ٢٥٩)، والأغاني (١٧/ ١٢٠)، والعين (٣/ ١٤).

صلة زائدة، على معنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل، فـ"يهجعون" على هذا خبر "كان"، و"قليلاً" ظرف. أو صفة مصدر، على معنى: هجوعاً قليلاً. ويجوز أن يكون تقدير المصدرية: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، وارتفاعه بـ"قليلاً" على الفاعلية، ويجوز أن تكون "ما" موصولة، تقديره: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعون فيه، وارتفاعه أيضاً بـ"قليلاً" على الفاعلية[١].

وهذا المعنى المستفاد من هذا الإعراب على الأوجه الثلاثة في "ما" مذهب الحسن والأحنف بن قيس والزهري[٢].

وقال ابن عباس: كانوا قلَّ ليلة تَمُرُّ بهم إلا صَلُّوا فيها[٣]. فيكون "الليل" على هذا القول اسماً للجنس.

وقال عطاء: ذلك حين أمروا بقيام الليل، ثم نزلت الرخصة[٤].

وقيل: إن "ما" نافية.

ثم اختلف القائلون بذلك في توجيه الآية على مسلكين: فذهب قوم، منهم: الضحاك ومقاتل[٥]، إلى أن الوقف على قوله: ﴿كانوا قليلاً﴾ على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم استأنفوا فقالوا: ﴿من الليل ما يهجعون﴾ أي: ما ينامون البتة[٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣-٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٦).

(٢) انظر: الطبري (٢٦/ ١٩٧-١٩٨)، والماوردي (٥/ ٣٦٥)، وزاد المسير (٨/ ٣٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧ ح٦٣٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن نصر وابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٦).

(٦) انظر: الطبري (٢٦/ ١٩٩)، والماوردي (٥/ ٣٦٥)، وزاد المسير (٨/ ٣١).

وهذا وإن كان حسناً من حيث المعنى، غير أنه مدخول من حيث صنعة الإعراب؛ لما فيه من تقديم خبر النفي على حرف النفي، قالوا: لا يجوز: [زيداً][(١)] ما ضربت[(٢)].

وذهب قوم إلى أن المعنى: كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، أي: كانوا يسهرون في قليل من الليل.

قال أنس بن مالك: يصلون ما بين المغرب والعشاء، ونظيره: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾[(٣)] [السجدة:١٦].

ويرد عليه الذي ورد على الوجه الذي قبله من حيث الإعراب، وفيه خلل من حيث المعنى.

قال صاحب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات[(٤)]: لا يجوز أن تكون "ما" نافية؛ لأنها لو كانت نافية تَرَدَّدَ الأمر في قوله: "من الليل"، فإما أن تكون صفة لـ"قليل" وذلك لا يجوز؛ لأن "قليلاً" ظرف زمان، فلا يصح كونه خبراً للواو في "كانوا"؛ لأنهم جُثَثٌ، وظرف الزمان لا يكون خبراً للجُثَّة، وإن قُدِّرت: كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، أو قُدِّرت: كانوا قليلاً ما يهجعون من الليل، فكنت قد

---

(١) في الأصل: زيد. والمثبت من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٣-٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٥-١٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٥ ح١٣٢٢)، والنسائي في الصغرى (١/ ٤٧٨ ح٨٤١)، والطبري (٢٦/ ١٩٦)، والحاكم (٢/ ٥٠٧ ح٣٧٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٩ ح٤٥٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٥) وعزاه لأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٤) كشف المشكلات (٢/ ٣٢٩).

قدمت "ما" في حيز النفي على حرف النفي، وهو ممتنع.

فإذاً: الوجه أن يكون "ما يهجعون" بدلاً أو صلة زائدة.

قوله تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ قال الحسن: مدُّوا الصلاة إلى الأسحار، ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار[1].

﴿وفي أموالهم حق﴾ أي: نصيب، ﴿للسائل﴾ وهو المستجدي، ﴿والمحروم﴾ المتعفف الذي لا يسأل.

وقيل: هو المُحَارِف الذي لا يكاد يكسب.

وقيل: هو الذي ليس له شيء في الفيء.

والأول قول قتادة والزهري[2]، والثاني قول ابن عباس[3]، والثالث قول إبراهيم النخعي[4].

وأصل المحروم في اللغة: الممنوع، من الحرمان، وهو المنع[5]، كأنه الذي مُنِعَ وحُرِمَ الرزق.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٧ ح٦٢٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٦) وعزاه لابن أبي شيبة وابن نصر وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٧) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) انظر: اللسان (مادة: حرم).

وسُئل عمر بن عبد العزيز عن المحروم فقال: الكلب(١).

وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم(٢)، ولقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة، فما أنا اليوم بأعلم مني يومئذ.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال لأنس: «يا أنس! ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: يا رب ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم، قال: فيقول: وعزتي لأقربنَّكم وأبعدنَّهم. قال أنس: وتلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾»(٣).

قوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات﴾ علامات ودلالات على الصانع وقدرته وعظمته وحكمته؛ من إجراء أنهارها، وإخراج ثمارها، وإرساء جبالها، وانقسامها إلى حَزن وسهل، وبر وبحر، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قدرة خالقها، ﴿للموقنين﴾ بالله تعالى.

﴿وفي أنفسكم﴾ أيضاً آيات، إذ كنتم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن نفخت فيكم الأرواح وصرتم بشراً ناطقاً، سميعاً بصيراً، فاهماً، ذوي ألسنة مختلفة، وطبائع غير مؤتلفة، وصور متباينة، وألوان متغايرة.

﴿أفلا تبصرون﴾ آيات الأرض وآيات أنفسكم، [فتستدلوا](٤) بالصنعة على

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٠٨ ح٤٨١٣)، والصغير (٢/ ١٣ ح٦٩٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٢) وعزاه للطبراني في الصغير والأوسط، قال: وفيه الحارث بن النعمان، وهو ضعيف. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٨) وعزاه للعسكري في المواعظ وابن مردويه.

(٤) في الأصل: وتستدلوا. والمثبت من ب.

الصانع، وبهذه العجائب على قدرة مكوّنها على بعثكم بعد إماتتكم.

﴿وفي السماء رزقكم﴾ وقرأ أبيّ بن كعب وحميد: "أرزاقكم" على الجمع[١]، أي: سبب أرزاقكم أو رزقكم[٢]، وهو المطر الذي تخرج به الحبوب التي تقتاتونها[٣]. وهذا قول عامة المفسرين[٤].

وقرأ ابن مسعود والضحاك وابن محيصن وأبو نهيك: "رازقكم"[٥]، يعني: الله عز وجل.

﴿وما توعدون﴾ من الثواب والعقاب، والخير والشر.

وقال مجاهد: "وما توعدون": الجنة[٦].

﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ قال الزجاج[٧]: المعنى: إن الذي ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي ﷺ حق، ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي: كما أنكم تنطقون.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٣-٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٥).

(٢) في ب: رزقكم أو أرزاقكم.

(٣) في ب: الحبوب فتقتاتونها.

(٤) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١٩) وعزاه لابن النقور والديلمي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لأبي الشيخ وابن جرير.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٩٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٤).

(٦) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٦) عن الضحاك. ولفظ مجاهد: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ يقول: الجنة في السماء، وما توعدون من خير أو شر. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٥٤).

فَشَبَّهَ تحقيق ما أخبر عنه كتحقيق نطق الآدمي ووجوده كالذي تعرفه ضرورة.

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: "مثلُ" بالرفع صفة لـ"لحق"، أي: إنه لحق مثل نطقكم. وقرأ الباقون: "مثلَ" بالنصب(١).

قال مكي(٢): حجتهم ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون مبنياً على الفتح لإضافته إلى اسم غير متمكِّن، وهو "أن"، كما بُنِيَتْ "غير" لإضافتها إلى "أن" في قوله:

لم يمنعِ الشُّربَ منها غير أن نَطَقَتْ ....(٣)

الوجه الثاني: أن تجعل "ما" و"مثل" اسماً واحداً، وتبنيه على الفتح، وهو قول المازني، فهو عنده كقول الشاعر:

وتَدَاعَى مِنْخَرَاهُ بِدَمٍ مثلَ ما أثْمَرَ حُمَّاضُ الجَبَل(٤)

فبنى "مثلاً" لَمَّا جعلها و"ما" اسماً واحداً.

الوجه الثالث: أن تنصب "مثلاً" على الحال من النكرة، وهي "حق". وهو قول الجرمي(٥).

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٧٩)، والكشف (٢/ ٢٨٧)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٣٩٩)، والسبعة (ص:٦٠٩).

(٢) الكشف (٢/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٣) تقدم.

(٤) انظر البيت في: اللسان (مادة: حمض)، والدر المصون (٦/ ١٨٧)، والحجة للفارسي (٢/ ٤٠٤، ٣/ ٤١٩). والحُمَّاض: بقلة برّيّة تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء، وهي من ذكور البقول (اللسان، مادة: حمض).

(٥) هو: صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي، أخذ النحو عن الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه عليه، ولقي

والأحسنُ أن يكون حالاً من المضمر المرفوع في "لحقّ"، وهو العامل في المضمر وفي الحال، وتكون "ما" على هذا زائدة، و"مثل" مضاف إلى "أنكم" ولم يتعرّف بالإضافة لما ذكرنا أولاً، والحال من النكرة قليلٌ في الاستعمال. وقد حكى الأخفش[1] في قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا﴾ [الدخان:٤-٥] أن "أمراً" الثاني حال من "أمر" الأول، وهو نكرة. والأحسن أن يكون حالاً من الضمير في "حكيم" وهو بمعنى محكم[2].

سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه يقول: أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني إجازة، أخبرنا أبو الفتح عبدالرزاق بن محمد بن الشرابي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المذكر، حدثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، حدثنا أبو رجاء محمد بن أحمد، حدثنا أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي[3] قال: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها، إذ

=

يونس، وكان رفيقاً للمازني، وأخذ اللغة عن أبي زيد وطبقته، وكان ورعاً، وله تصانيف. توفي سنة ٢٢٥هـ (انظر: إنباه الرواة ٢/ ٨٠، ونزهة الألباء ص:١٤٣، ومراتب النحويين ص:٧٥).

(١) معاني الأخفش (ص:٢٨٤).

(٢) في الكشف: يحكم.

(٣) العباس بن الفرج الرياشي، أبو الفضل البصري النحوي، مولى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، كان عالماً باللغة، قدم بغداد وحدّث بها، مات سنة سبع وخمسين ومائتين بالبصرة، قتله الزنج (تهذيب التهذيب ٥/ ١٠٦، والتقريب ص:٢٩٣).

طلع أعرابي جَلْفٌ جافٍ على قَعُود(١) له متقلد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلّم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلتُ: من بني الأصمع. قال: أنت الأصمعي؟ قلتُ: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ [فقلت](٢): من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلتُ: نعم، قال: اتل عليّ شيئاً منه، قلتُ له: انزل عن قَعُودك، فنزل وابتدأت بسورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، قال: يا أصمعي! هذا كلام الرحمن؟ قلتُ: إي والذي بعث محمداً ﷺ بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطّعها بجلدها وقال: أعنّي على تفريقها، ففرّقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرمل(٣)، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾(٤)، فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي.

فلما حججتُ مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلٌ مصفارٌ، فسلّم عليّ وأخذ بيدي فأجلسني من وراء المقام وقال [لي](٥): اتل عليّ كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾

---

(١) القَعود من الإبل: ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع (اللسان، مادة: قعد).

(٢) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٣) في كتاب التوابين (ص:٢٧٤): الرحل.

(٤) في الأصل: ورزقكم في السماء وما توعدون. والمثبت من ب.

(٥) زيادة من ب، والثعلبي (٩/ ١١٥)، والتوابين (ص:٢٧٥).

صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم. يقول الله تعالى: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾، فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه حتى ألجأوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثاً وخرجت فيها نفسه[1].

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ الاستفهام بمعنى تفخيم شأن القصة، والتنبيه على أن العلم بهذا الحديث لا طريق له سوى الوحي.

وقد سبق أن الضيف في الأصل مصدر، فلذلك يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، وهم الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى. وقد ذكرنا عددهم في سورة هود[2]. ووصفهم بالإكرام؛ لأن خير البرية إبراهيم ﷺ خَدَمَهُم بنفسه وخَدَمَتْهم زوجه سارة عليهما السلام، وعجّل لهم القِرى بذبح العجل، أو لأنهم [مكرمون][3] عند الله. قال الله عز وجل: ﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء:٢٦].

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ١١٥)، وابن قدامة في كتاب التوابين (ص:٢٧٣-٢٧٤).

(٢) عند الآية رقم: ٧٠.

(٣) في الأصل: مكرومون. والتصويب من ب.

﴿إذ دخلوا عليه﴾ الظرف منصوب بـ"مكرمين" على تفسير إكرامهم بخدمة إبراهيم وتعجيل القِرى، وإلا فهو منصوب بإضمار: "اذكروا"، بما في "ضيف" من معنى الفعل(١).

﴿قوم منكرون﴾ قال الزجاج(٢): ارتفع على معنى: [أنتم](٣) قوم منكرون.

قال ابن عباس: لم يعرفهم(٤).

وقال أبو العالية: أنكر في ذلك الزمان وفي تلك الأرض السلام الذي هو من شعائر الإسلام(٥).

وقيل: أنكرهم؛ لأنه رأى فيهم صورة الملائكة وصورة البشر.

وقيل: لأنهم دخلوا عليه بغير استئذان.

﴿فراغ إلى أهله﴾ عَدَلَ إليهم في خِفْيَةٍ من ضيفه، وهذا من فُتوّته ومروءته وحسن أدبه وعشرته، فإن مبادرة الضيف بالقِرى وإخفاء ذلك منه لئلا يكفه عنه ويمنعه منه؛ [من](٦) شيم الأكارم وخصال المكارم.

﴿فجاء بعجل سمين﴾ قال قتادة: كان عامّة مال نبي الله: البقر(٧).

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٨).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٥٤).

(٣) في الأصل: أأنتم. والتصويب من ب، ومن معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦).

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

"فجاء بعجل" والمعنى: جاء به مَشْوِيّاً، بدليل قوله تعالى في هود: ﴿جاء بعجل حنيذ﴾ [هود:٦٩].

﴿فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون﴾ أنكر عليهم ترك الأكل وحثَّهم عليه.

﴿وبشروه بغلام عليم﴾ وهو إسحاق عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته﴾، [وقولها](1) في هود: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾[هود:٧٢].

[ويروى](2) عن مجاهد: أنه إسماعيل(3). وليس بشيء.

قال ابن قتيبة(4): لم تُقْبِل من موضع إلى موضع، وإنما هو كقولك: أَقْبَلَ يشتمني، أي: أخذ في شتمي.

﴿في صَرَّة﴾ أي: في صيحة، ومنه: صَرَّ الجُنْدُب(5)، وصَرَّ القلم والباب.

وقيل: في جماعة، ومنه: المُصَرَّاة وصُرَّة الدراهم.

والأول هو التفسير الصحيح. ومحله النصب على الحال(6). [أي](7): جاءت صارَّة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: ويرى. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦١٩)، والطبري (٢٦/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢١).

(٥) الجُنْدُب: الذَّكر من الجراد (اللسان، مادة: جدب).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٨٩).

(٧) زيادة من ب.

قال قتادة: تأوَّهَت[١].

وقال الفراء[٢]: قالت: يا ويلتا.

﴿فصكّت وجهها﴾ قال ابن عباس: لَطَمَتْه[٣].

ومعنى الصَّكُّ: ضرب الشيء بالشيء[٤].

قال ابن السائب ومقاتل[٥]: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً.

﴿وقالت عجوز عقيم﴾ [أي: أنا عجوز عقيم][٦] فكيف أَلِدُ؟

﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ أي: مثل الذي قلنا وأخبرنا به قال ربك، ﴿إنه هو الحكيم﴾ فيما يدبّره ﴿العليم﴾ بما يقدّره. فأيقن [حينئذ أنهم][٧] ملائكة أرسلهم الله تعالى إليه.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾
لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: اللسان (مادة: صكك).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٧٨). وانظر: الطبري (٢٦/ ٢١٠) بلا نسبة.

(٦) زيادة من ب.

(٧) في الأصل: أنهم حينئذ. والمثبت من ب.

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

فـ﴿قال﴾ لهم: ﴿فما خطبكم﴾ أي: ما شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾.

﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي: في قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾، وذلك قوله تعالى: ﴿فأسْرِ بأهلك﴾ [هود:٨١].

﴿فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أي: غير أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ يعني: لوطاً وبنتيه. وصفهم الله بالإسلام والإيمان جميعاً؛ لأن كل مؤمن مسلم.

﴿وتركنا فيها آية﴾ علامة ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾، وما لم نفسره في هاتين القصتين مُفسّر في هود[1].

قوله تعالى: ﴿وفي موسى﴾ معطوف على ﴿وفي الأرض آيات﴾، أو على قوله: ﴿وتركنا فيها آية﴾، على معنى: وجعلنا في موسى آية[2].

---

(١) عند الآيات: ٦٩-٨٣.

(٢) وهذا هو الظاهر. وأما القول الأول -أي: أنه معطوف على: "وفي الأرض آيات"-؛ فقال أبو حيان في البحر (٨/ ١٣٩): وهذا بعيد جداً، ينزه القرآن عن مثله.

=

﴿فتولى بركنه﴾ أي: أعرض بما كان يتقوى به من جنده وملكه، كقولـه: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود:٨٠].

وقيل: أعرض بجانبه.

و"اليم" مذكور في الأعراف[١]، و"المُليم" في الصافات[٢].

قوله تعالى: ﴿وفي عاد﴾ معطوف أيضاً، ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي التي لا تُنتج خيراً، لا تُنشئ مطراً، ولا تُلقح شجراً، بل هي ريح هلاك وعذاب.

ثم وصفها فقال: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم ﴿إلا جعلته كالرَّميم﴾.

قال الفراء[٣]: الرَّميم: نبات الأرض إذا يبس ودِيسَ.

قوله تعالى: ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ تفسيره قوله: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ [هود:٦٥] وذلك حين عقروا الناقة.

﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وقرأ الكسائي: "الصَّعْقَةُ" بسكون العين من غير ألف[٤].

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٩٠): ووجه استبعاده له بُعْد ما بينهما، وقد فعل أهل العلم هذا في أكثر من ذلك.

(١) عند الآية رقم: ١٣٦.

(٢) عند الآية رقم: ١٤٢.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٨٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٠)، والكشف (٢/ ٢٨٨)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٣٩٩)، والسبعة (ص:٦٠٩).

قيل: هما لغتان في الصاعقة [التي][(١)] تنزل وتحرق.

وقيل: الصاعقة هي التي تنزل، والصَّعْقَة: الزَّجْرَة، وهي الصوت عند نزول الصاعقة.

﴿وهم ينظرون﴾ يرون ذلك عياناً.

وقيل: [ينتظرونه][(٢)]، على ما ذكرناه في قصتهم.

﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي: فما قدروا على نهوضٍ من تلك الصرعة.

﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح﴾ قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث وأهل الكوفة إلا عاصماً: "وقومِ" بخفض الميم. وروى عبد الوارث: "وقومُ" بالرفع[(٣)]، وقرأ الباقون من العشرة بنصبها[(٤)].

فالجر على معنى: وفي قوم نوح، وهكذا يقرأ ابن مسعود، والرفع على الابتداء، والنصب على معنى: واذكر قوم نوح. أو هو عطف على المعنى؛ لأن معنى: "فأخذتهم الصاعقة": أهلكناهم، التقدير: وأهلكنا قوم نوح. أو عطف على معنى: فنبذناهم في اليم، أي: فأغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. وهذا الوجه اختيار الزجاج[(٥)].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: ينظرونه. والمثبت من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٠)، والدر المصون (٦/ ١٩١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٠-٦٨١)، والكشف (٢/ ٢٨٩)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠)، والسبعة (ص:٦٠٩).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٥٧).

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأَيْدٍ﴾ وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين واللغويين: بقوة[(١)].

والأَيْد والأداء: القول، وقد آدَ يَئِيدُ فهو أيْد[(٢)].

﴿وإنا لموسعون﴾ قال الحسن: لموسعون الرزق بالمطر[(٣)].

وقال ابن زيد: لموسعون السماء[(٤)].

وقال الزجاج[(٥)]: لموسعون ما بين السماء والأرض.

وقال الواحدي[(٦)]: وإنا لذو سعة لخلقنا.

المعنى: قادرون على رزقهم لا نعجز عنه، والموسع ذو الوسع والسعة، وهو

---

(١) أخرجه مجاهد (ص: ٦٢١)، والطبري (٢٧/ ٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لآدم بن أبي إياس والبيهقي.

(٢) انظر: اللسان (مادة: أيد).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٥٧).

(٦) الوسيط (٤/ ١٨٠).

الغنى والجدة.

﴿والأرض فرشناها﴾ بسطناها ﴿فنعم الماهدون﴾ أي: فنعم الماهدون نحن.

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أي: ومن كل شيء من الحيوان خلقنا ذكراً وأنثى.

وقال الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة، فعدَّد أشياء وقال: كل اثنين منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له(١).

﴿لعلكم تذكرون﴾ أي: فعلنا ذلك إرادة أن تتذكروا فتعرفوا عظمة الله وقدرته ووحدانيته وتشكروا نعمته.

ولما عرّف عباده عظمته وحكمته ووحدانيته وقدرته وإحسانه إليهم وإنعامه عليهم، بعد أن قصَّ عليهم أخبار الأمم المكذبة في الأيام الخالية، أمرَهم بالمبادرة إلى ثوابه والهرب من عقابه، فقال تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ أي: إلى طاعته من معصيته، ﴿إني لكم منه﴾ أي: من الله ﴿نذير مبين﴾.

ثم زجرهم عن الشرك فقال: ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر... الآية﴾.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾
وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) أخرج نحوه الطبري (٢٧/ ٨) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كذلك، أو الأمر مثل ذلك. والإشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميتهم إياه ساحراً ومجنوناً. ثم فسره فقال: ﴿ما أتى... الآية﴾.

قوله تعالى: ﴿أتواصوا به﴾ الضمير للقول، على معنى: أَتَواصَى الأولون والآخرون بهذا القول حتى اتفقوا عليه. والاستفهام للتوبيخ.

ثم أضرب عن ذلك فقال: ﴿بل﴾ أي: لم يتواصوا به، وأثبت لهم الاشتراك في الطغيان فقال: ﴿هم قوم طاغون﴾.

﴿فتولَّ عنهم﴾ أعرض عن هؤلاء الذين دَأَبْتَ في مناصحتهم ودعائهم إلى توحيدنا وهم يعاندونك ويباعدونك، وهذا تهديد لهم، ﴿فما أنت بملوم﴾ إذا بذلت مجهودك في تبليغ رسالتنا ونهضت بأعباء دعوتنا.

﴿وذكِّرْ﴾ أي: لا تدع مع ذلك التذكير والموعظة.

قال ابن عباس وجمهور المفسرين: لما نزلت هذه الآية: ﴿فتولَّ عنهم﴾ حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، حتى نزلت الآية الثانية: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٤) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

قال مقاتل[١]: عِظْ كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من في علم الله أنه يؤمن.

وقيل: تنفعهم في دينهم.

قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ قال علي عليه السلام: لآمرهم أن يعبدون[٢]. واختاره الزجاج[٣].

وقال ابن عباس: ليقرّوا لي بالعبودية طوعاً وكرهاً[٤].

وقال الضحاك والفراء وابن قتيبة والقاضي أبو يعلى[٥]: هذا خاص في المؤمنين.

قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني[٦].

قال القاضي أبو يعلى: معنى هذا: الخصوص؛ لأن البُلْه والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، وكذلك الكفار يخرجون من هذا، بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [الأعراف:١٧٩]، فمن خلق للشقاء ولجهنم لم يخلق للعبادة[٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٥٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٤) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٨٩)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٢). وانظر: زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣).

وقال جماعة من أهل المعاني: ما خلقتهم إلا ليخضعوا ويذلوا لي، وكلّ الخلق خاضعٌ ذليلٌ لعزة الله تعالى[١].

﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أي: ما أريد منهم أن يرزقوا أحداً من خلقي، ولا أن يرزقوا أنفسهم، وما أريد أن يطعموا أحداً من خلقي.

وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيال الله، فمن أطعم عيال الله فقد أطعم الله، ومنه الحديث: ((استطعمتك فلم تطعمني))[٢].

﴿إن الله هو الرزاق﴾ وقرأ الضحاك وابن محيصن: "الرَّازق"[٣].

قال الخطابي[٤]: المُتَكَفِّلُ بالرِّزْقِ، القائم على كل نَفْسٍ بما يُقيمُها من قُوتِها، والمتين: الشديد القوة.

وقرأ أبو رزين وقتادة وأبو العالية والأعمش وقتيبة عن الكسائي: "المتينِ" بكسر النون[٥].

قال الزجاج[٦]: جعل "المتين" صفة للقوة؛ لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة. فالمعنى: ذو [الاقتدار][٧] الشديد.

قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ذَنُوباً﴾ نصيباً من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ ح٢٥٦٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٠).

(٤) شأن الدعاء (ص:٥٤، ٧٧).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٥٩).

(٧) في الأصل: الأقدار. والتصويب من ب.

العذاب ﴿مثل ذَنُوب أصحابهم﴾ الذين كانوا على مثل رأيهم في الشرك وتكذيب الرسل.

قال الفراء وابن قتيبة والزمخشري[١]: الذَّنُوب: الدَّلْوُ العظيمة. وهذا تمثيل، أصله في السُّقَاة يتقسّمون [الماء][٢]، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب. قال:

لنا ذنوبٌ ولكمْ ذنوبُ ... فإن أبيتمْ فلنا [القَليبُ][٣]

والذَّنُوب يذكر ويؤنث.

﴿فلا يستعجلون﴾ بالعذاب، فإني قد أمهلتهم إلى يوم القيامة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة.

وقيل: يوم بدر. والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٩٠)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٩).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: الذنوبين. وهو وهم. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

وانظر البيت في: اللسان (مادة: ذنب)، والطبري (٢٧/ ١٤)، والقرطبي (١٧/ ٥٧)، والماوردي (٥/ ٣٧٥)، وزاد المسير (٨/ ٤٤).

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي سبع وأربعون آية في العدد المدني، وتسع في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة[2]، عن أم سلمة قالت: «شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور»[3]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن مالك.

وبهذا الإسناد قال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حدثوني عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٣).

(٢) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها أم سلمة، ولدت بأرض الحبشة، ماتت في ولاية طارق على المدينة سنة ثلاث وسبعين (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٠، والتقريب ص:٧٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٧٧ ح٤٥٢)، ومسلم (٢/ ٩٢٧ ح١٢٧٦).

المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ كاد قلبي أن يطير.

قال سفيان: فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، لم أسمعه زاد الذي قالوا»[1].

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾
وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا
لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ
نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ
أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا
تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿والطور﴾ هو الجبل الذي كَلَّمَ الله تعالى عليه موسى عليه الصلاة والسلام. وقد ذكرناه في البقرة[2].

﴿وكتاب مسطور﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه اللوح المحفوظ[3].

ويرد على هذا القول إشكال لم أرهم تعرّضوا الذكره فضلاً عن جوابه، وهو أنه

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٣٩ ح٤٥٧٣).

(٢) عند الآية رقم: ٦٣.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٥).

وصف الكتاب بقوله: ﴿في رَقٍّ﴾.

واللوح المحفوظ بنص ابن عباس: دُرَّةٌ بيضاء[١].

وقال ابن السائب: هو ما كتبه الله تعالى لموسى وهو يسمع صرير القلم[٢].

والأظهر في التفسير: أن الكتاب المسطور: كَتْبُ أعمال بني آدم.

قال مقاتل[٣]: تخرج إليهم أعمالهم يومئذ.

[﴿في رَقٍّ منشور﴾ يعني: أديم الصحف.

قال الثعلبي[٤]: ونظيره][٥] قوله[٦]: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ [الإسراء:١٣]، وقوله: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ [التكوير:١٠].

وقيل: هو ما كتبه الله تعالى للخلق من السابقة والعاقبة.

وحكى الماوردي قولين آخرين[٧]:

أحدهما: أنه التوراة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٦ ح٣٧٧١)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٠ ح١٠٦٠٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٢ ح٤٢)، والطبري (٢٧/ ١٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٥٩)، والبغوي (٤/ ٢٣٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٢).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٣-١٢٤).

(٥) زيادة من ب.

(٦) في الأصل: وقوله تعالى. والتصويب من ب.

(٧) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٧).

والآخر: أنه القرآن.

والرّق: الصحيفة.

وقيل: الجلد الذي يُكتب فيه.

والمنشور: المبسوط.

﴿والبيت المعمور﴾ قال الحسن: هو البيت الحرام[(١)].

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور: أنه بيت في السماء، يسمى: الضُّرَاح.

قال ابن عباس: هو على سمت البيت الحرام، حتى لو سقط لسقط عليه، يحجه كل يوم سبعون ألف ملك، ثم [لا][(٢)] يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى: الضُّرَاح[(٣)].

والضُّراح: بالضاد المعجمة. قال ابن فارس[(٤)]: هو بيت في السماء.

وقال الربيع بن أنس: أنه كان في الأرض في موضع الكعبة في [زمان][(٥)] آدم، حتى كان زمان نوح، فأمرهم أن يحجوا إليه، فعصوه، فلما طغى الماء رُفع فجعل في سماء الدنيا حذاء البيت الحرام، وبوأ الله تعالى لإبراهيم الكعبة حيث كان[(٦)].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤١٧ ح١٢١٨٥)، وعبد الرزاق (٥/ ٢٨ ح ٨٨٧٤)، والأزرقي (١/ ٩١ ح٣٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٧) وعزاه للطبراني وابن مردويه بسند ضعيف.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٤٨).

(٥) في الأصل: زمن. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧).

واختلفوا في أيّ سماء هو؛ فروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ: أنه في السماء السابعة[١].

وحديث مالك بن صعصعة المخرج في الصحيحين يدل عليه[٢].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: أنه في السماء الدنيا[٣].

وروي عن علي رضي الله عنه: أنه في السماء السادسة[٤]. والله تعالى أعلم.

والمعنى: أنه معمور بمن يغشاه ويحجه من الملائكة، أو من الناس؛ إن قلنا هو البيت الحرام.

﴿والسقف المرفوع﴾ قال علي عليه السلام: هو السماء[٥]. وإليه ذهب جماهير

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٤٦ ح١٦٢)، والطبري (٢٧/ ١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٩) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥)، ومسلم (١/ ١٤٩ ح١٦٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٤)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٥٩ ح٤٩٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٢٧) وعزاه لابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤٠): هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ، منهم: الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم. قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٨ ح٣٧٤٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٣٠ ح٥٤٨)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٢٩) وعزاه لابن راهويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة =

العلماء.

وقال الربيع بن أنس: هو العرش[١].

﴿والبحر المسجور﴾ قال علي عليه السلام: هو بحر تحت العرش، ماؤه غليظ، يُمْطَر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً، فينبُتون في قبورهم[٢]. وهذا قول ابن السائب ومقاتل[٣] وجمهور العلماء.

وقال الماوردي[٤]: هو بحر الأرض، قال: وهو الظاهر.

وأما المسجور؛ فقال أبو صالح وابن السائب وقتادة وعامة اللغويين: هو الممتلئ[٥].

وقال مجاهد: الموقد ناراً[٦].

= والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٤ ح٦٢). وذكره الماوردي (٥/ ٣٧٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٢٩) وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٩) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم، كلهم بلفظ: بحر في السماء تحت العرش.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٢).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٠) وعزاه لابن جرير عن قتادة.

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٢٤)، والطبري (٢٧/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٠) وعزاه لابن جرير.

قال شمر بن عطية[١]: هو بمنزلة التنور المسجور[٢].

وقال ابن عباس في رواية عطية وذي الرمة الشاعر وأبو العالية: هو اليابس الذي [قد][٣] ذهب ماؤه ونضب[٤].

قال الحسن: [تُسجر البحار][٥] حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة[٦].

وجاء في الحديث: أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فتُسْجَرُ بها نار جهنم[٧].

ويروى أن علياً عليه السلام سأل يهودياً: أين موضع النار في كتابكم؟ قال: في البحر. قال علي: ما أراه إلا صادقاً، لقوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾[٨].

---

(١) شمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي، كان ثقة صدوق، وله أحاديث صالحة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٩، والتقريب ص:٢٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرج الطبري (٢٧/ ١٩) عن ابن عباس في قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: سجره حين يذهب ماؤه ويفجر. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨). وبمعناه السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٠) وعزاه للشيرازي في الألقاب من طريق الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: الفارغ.

(٥) في الأصل: يسجر البحر البحار. والمثبت من ب.

(٦) ذكره البخاري معلقاً (٤/ ١٨٣٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨).

(٨) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

وهذا كله ينزع إلى قول مجاهد، ويشهد له بالصحة [والاعتبار][(١)].

وقال الربيع بن أنس: المسجور: المختلط العذب بالملح[(٢)]. ومنه: عين سَجْرَاء؛ إذا خالطت بياضها حُمرة[(٣)].

قال المفسرون: أقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته.

وجواب القسم: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ أي: لكائن.

﴿ما له من دافع﴾ أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد -تصنيف أبيه- بإسناده، عن هشام بن حسان قال: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن، فانتهينا إليه وعنده رجل يقرأ، فلما بلغ هذه الآية: ﴿إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع﴾ بكى الحسن وبكى أصحابه، وجعل مالك يضطرب حتى غُشي عليه[(٤)].

ثم بين زمان وقوعه فقال: ﴿يوم تمور السماء مَوْراً﴾ المَوْر: تحرّكٌ في تموّج. قال ابن عباس: تدُور دَوْراً[(٥)].

---

(١) في الأصل: والاعتبارة. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سجر).

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص:٨٩ ح٩٢)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٢٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٨) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

قال الضحاك: يموج بعضها في بعض لأمر الله تعالى[(١)].

وقال أبو عبيدة[(٢)]: تتكفَّأ بأهلها. ومنه بيت الأعشى:

كأنّ مِشْيَتَها من بيت جارتها [مَورُ][(٣)] السحابةِ لا رَيثٌ ولا عَجَل[(٤)]

والمعنى متقارب.

ودخول الفاء في قوله: "فويل"؛ لتضمن الكلام معنى المجازاة، مَجَازُه: إذا كان هذا ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾.

وما لم أذكره مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿يوم يدعّون﴾ أي: يدفعون دفعاً عنيفاً، ومنه: ﴿يدعّ اليتيم﴾ [الماعون:٢].

قال مقاتل[(٥)]: تُغَلُّ أيديهم إلى أعناقهم، وتُجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قال لهم خَزَنَتها: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا.

﴿أفسحرٌ هذا﴾ الذي تشاهدونه من النار. وكانوا يقولون للرسل: سَحَرَة، فقيل لهم توبيخاً وتصغيراً وتبكيتاً وتهكّماً: أفسحر هذا، ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ اليوم كما كنتم لا تبصرون في الدنيا.

﴿اصلوها﴾ قاسوا شدتها وحرّها ﴿فاصبروا﴾ على العذاب ﴿أو لا تصبروا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٣١).

(٣) في الأصل: مشي. والمثبت من ب. وانظر: مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٣).

سواء عليكم﴾ الصبر والجزع، ﴿إنما تجزون﴾ اليوم ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الكفر والتكذيب والمعاصي.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للمؤمنين فقال: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ فائدة التنكير: التعظيم، تقديره: في أي جنات وأي نعيم.

﴿فاكهين﴾ مذكور في يس[(١)]. ونصبه على الحال[(٢)].

﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على قوله: ﴿في جنات﴾. ويجوز أن تكون الواو في "ووقاهم" حالية بإضمار "قد".

﴿كلوا واشربوا﴾ على إضمار القول، تقديره: يقال لهم: كلوا واشربوا.

﴿هنيئاً﴾ صفة مصدر محذوف، تقديره: أكلاً وشرباً هنيئاً مأمون العاقبة من الأمراض والتخم.

قال زيد بن أرقم: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم! تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: والذي نفسي بيده، إن الرجل منهم يؤتى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع. قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ فقال: عرق يفيض مثل ريح المسك، فإذا كان كذلك

(١) عند الآية رقم: ٥٥.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٥)، والدر المصون (٦/ ١٩٧).

ضمر له بطنه»[١].

ثم ذكر حالهم عن الأكل والشرب فقال: ﴿متكئين على سرر﴾ وهو جمع سرير، ﴿مصفوفة﴾ بعضها إلى جانب بعض.

وباقي الآية مذكور في آخر الدخان[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِىٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ قرأ أبو عمرو: "وأتْبَعْنَاهم" بقطع الهمزة وفتحها وسكون التاء وتخفيفها ونون وألف، "ذرياتهم" على الجمع، والتاء مكسورة في اللفظ على إضافة الفعل إلى الله تعالى، إجراء [للكلام][٣] على سَنَن واحد؛ لأن قبله "وزوجناهم"، وبعده "ألحقنا بهم" "وما ألتناهم" و"ذرياتهم" نصب بوقوع الفعل عليهم، والتاء غير أصلية، فلفظ النصب فيها كلفظ الخفض؛ لأنها تاء جماعة المؤنث، كالمسلمات والصالحات.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧).

(٢) عند الآية رقم: ٥٤.

(٣) في الأصل: الكلام. والمثبت من ب.

وقرأ الباقون: "واتَّبعتهم" بوصل الألف وتشديد التاء وبعد العين تاء ساكنة، على إضافة الفعل إلى الذرية، "ذريَّتُهم" على التوحيد والرفع[(١)].

ووافق ابن عامر أبا عمرو في جمع "ذرياتهم"، غير أنه رفع بإسناد الفعل إليهم.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: "ألحقنا بهم ذرياتهم" على الجمع. وقرأ الباقون "ذُرَيَّتهم" على التوحيد ونصب التاء[(٢)].

والذرية لفظ واقع على الواحد والجمع، والمراد هاهنا: الجمع.

والباء في "بإيمان" للسببية. المعنى: ألحقنا بهم ذرياتهم بسبب إيمانهم، ليتكامل حُبُورُهُم وسرورهم بانضمام ذريتهم إليهم، وإن لم تكن ذريتهم من أهل تلك الدرجات التي بلغتها الآباء بأعمالهم، كما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الله يرفع ذرية المؤمن حتى يلحقهم به، وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم[(٣)] عينُه، ثم قرأ: ﴿والذين آمنوا... الآية﴾))[(٤)].

وقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث علي عليه السلام، أن النبي ﷺ قال: ((إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم... الآية﴾))[(٥)].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨١-٦٨٢)، والكشف (٢/ ٢٩٠)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠)، والسبعة (ص:٦١٢).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) في ب: به.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤) موقوفاً على ابن عباس، وكذا ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٢) وعزاه للبزار وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٣٤ ح١١٣١).

وقيل: بسبب إيمان الذرية، فيكون معنى التنكير في "إيمان" على القول الأول: التعظيم لذلك الإيمان، أي: بإيمان عظيم المحل كامل الأوصاف، وعلى القول الثاني على معنى: بشيء من إيمان الذرية.

قال صاحب كشف المشكلات[١]: الباء في "بإيمان"[٢] حال، إما من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما جميعاً.

قرأ ابن كثير: "وما أَلِتْنَاهُم" بكسر اللام. وروى ابن شنبوذ: إسقاط الهمزة[٣].

وقرأ الباقون من العشرة: "وما أَلَتْنَاهُم" بفتح اللام مع الهمزة[٤].

قال أبو علي وغيره[٥]: هما لغتان، أَلَتَ يَأْلِتُ، مثل: ضَرَبَ يَضْرِب، وأَلِتَ يَأْلَتُ مثل: عَلِمَ يَعْلَمُ.

وقرأ ابن السميفع: "آلَتْنَاهُم" بمد الهمزة مع فتح اللام[٦].

وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري: "ولَتْنَاهُم" بواو مفتوحة من غير همز مع فتح اللام[٧].

---

(١) كشف المشكلات (٢/ ٣٣٥).

(٢) في الأصل زيادة قوله: ضم.

(٣) النشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٢)، والكشف (٢/ ٢٩١)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠٠-٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٢).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٤١٤).

(٦) انظر هذه القراءة في: النشر (٢/ ٣٧٧)، وزاد المسير (٨/ ٥١).

(٧) مثل السابق.

قال ابن جني[١]: يقال: أَلَتَهُ يُؤْلِتُـهُ إيلاتـاً، وَلاتَـهُ يَلِيتُـهُ لَيْتـاً. ويقـال أيـضاً: [وَلَتَهُ][٢] يَلِتُهُ وَلْتاً بمعناه.

وقد ذكرنا المعنى في سورة الحجرات[٣].

﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ أي: مرهون.

قال مقاتل[٤]: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مُرتَهن في النار، والمؤمن لا يكون مُرتَهناً؛ لقوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين﴾ [المدثر:٣٨-٣٩]، فاستثنى المؤمنين.

وقيل: هو على عمومه، على معنى: كل أحد مرتهن[٥] عند الله بالعمل الصالح، الذي هو مطالب به، فإن عمل صالحاً خلَّص نفسه، وإلا أوْبَقَها.

قوله تعالى: ﴿وأمددناهم﴾ أي: زدناهم في وقت بعد وقت.

قال ابن عباس: زيادة غير الذي كان لهم[٦].

﴿يتنازعون فيها كأساً﴾ يتعاطونها.

قال الزجاج[٧]: يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا. وأنشد أبو

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٩٠).

(٢) في الأصل: وليته. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ١٤.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٤).

(٥) في ب: مرهون.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥١).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٦٣).

عبيدة[1] [للأخطل][2]:

نازعْتُه طَيِّبَ الرّاح الشَّمُول وقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وقعةُ الساري[3]

والكأس مُفسّرة في الصافات[4].

قوله تعالى: ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح فيهما من غير تنوين. وقرأ الباقون بالرفع والتنوين فيهما[5].

فمن فتح أراد النفي العام المستغرق لجميع الوجوه من ذلك الصنف، ومن رفع جعل "لا" بمنزلة "ليس"، وهكذا اختلافهم في قوله تعالى: ﴿لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾ [إبراهيم:٣١]. وقد ذكرنا ذلك في مواضعه، ونبهنا على علة الفتح والرفع في قوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ [البقرة:١٩٧].

قال ابن قتيبة[6]: المعنى: لا تَذهب بعقولهم، فيلغُوا ويرفُثوا فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) في الأصل: الأخطل. والتصويب من ب.

(٣) البيت للأخطل. انظر: ديوانه (ص:١٤٢)، والبحر (٨/ ١٤٧)، والدر المصون (٦/ ٢٠٠)، والماوردي (٥/ ٣٨٢)، والطبري (٢٧/ ٢٨)، والقرطبي (١٧/ ٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٥٢)، والأغاني (١٥/ ١٠٢).

(٤) عند الآية رقم: ٤٥.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٣)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٢).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢٥).

﴿ويطوف عليهم غلمان لهم﴾ أي: مملوكون مخصوصون بهم، ﴿كأنهم﴾ في الحسن وصفاء اللون والبياض ﴿لؤلؤ مكنون﴾ مستور مصون في أصدافه، لم تمسه الأيدي.

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله! هذا الخادم فكيف بالمخدوم؟ فقال: والذي نفسي بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[١].

وكان الحسن إذا تلا هذه الآية روى عن النبي ﷺ مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ قال ابن عباس: [يتذاكرون][٢] ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف، وهو قوله تعالى: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ خائفين من العذاب، ﴿فَمَنَّ الله علينا﴾ بالمغفرة والأمن ﴿ووقانا عذاب السموم﴾[٣].

قال الحسن ومقاتل[٤]: السَّمُوم: اسم من أسماء جهنم.

وقال الزجاج[٥]: عذاب سموم جهنم، وهو ما يوجد من لفحها وحرّها.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن القاسم بن محمد قال: غدوتُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

(٢) في الأصل: يتذاكون. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٣).

(٤) ذكره مقاتل (٣/ ٢٨٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٣) عن الحسن.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٦٤).

يوماً، وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة أسلّم عليها، فوجدتها ذات يوم تصلي السبحة وهي تقرأ: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ وترددها وتبكي، فقمتُ حتى مللت، ثم ذهبت السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي تقرؤها وترددها وتبكي وتدعو(١).

﴿إنا كنا من قبل﴾ أي: من قبل لقاء الله والرجوع إليه، حين كنا في الدنيا ﴿ندعوه﴾ نُوَحِّده ونعبده.

وقيل: ندعوه أن يقينا عذابه.

﴿إنه هو البر الرحيم﴾ قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: "أَنه" بفتح الهمزة، على معنى: ندعوه لأنه، وقرأ الباقون من العشرة: "إِنه" بكسرها على الاستئناف(٢).

قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه: البَرُّ: الصادق في وعده(٣).

وقال في رواية ابن أبي طلحة: البَرُّ: اللطيف(٤).

وقال الخطابي(٥): البَرُّ: العَطُوفُ على عباده، المُحْسِنُ إليهم، الذي عَمَّ بِرُّهُ جميع خلقه.

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٠).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٣-٦٨٤)، والكشف (٢/ ٢٩١)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) شأن الدعاء (ص:٨٩).

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ
نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ
﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿فذكِّرْ﴾ أي: عِظْ بالقرآن وخَوِّف به.

ثم نفى عنه ما قرفوه به فقال تعالى: ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ أي: بإنعامه عليك ﴿بكاهن﴾ تخبرهم بالمغيبات من غير وحي. والكاهن: الذي له رِئيٌّ من الجن يخبره بالأمور المغيَّبة(١)، يقال: كَهَنَ يَكْهَنُ كِهَانَةً، مثل: كَتَبَ يَكْتُبُ كِتابةً.

واعلم أن "أم" هاهنا في أوائل هذه الآي من قوله تعالى: ﴿أم يقولون شاعر﴾ إلى قوله: ﴿أم لهم إله غير الله﴾ منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

قال أبو الفتح(٢): هذا هو الموضع الذي يقول أصحابنا [فيه](٣): أن "أم" المنقطعة بمعنى: بل، للترك والتحول، إلا أن ما بعد "بَلْ" متيقَّن، وما بعد "أمْ" مشكوك فيه ومسؤول عنه، كقول علقمة:

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ ... أم حبلُها إذْ نَأتْكَ اليومَ مَصْرُوم(٤)

---

(١) انظر: اللسان (مادة: كهن).

(٢) المحتسب (٢/ ٢٩١-٢٩٢).

(٣) زيادة من المحتسب (٢/ ٢٩١).

(٤) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل. انظر: ديوانه (ص:١٧)، والكتاب (٣/ ١٧٨)، والمقتضب (٣/ ٢٩٠)، والمحتسب (٢/ ٢٩٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ١٨)، والهمع (٢/ ٢٣٣)، والبحر (٥/ ٣٧١)، والدر المصون (٤/ ٢٣٧)، والأغاني (١٠/ ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٠).

أي: بل أيقولون شاعر، بل أتأمرهم، بل أهم قوم طاغون، أخرجه مخرج الاستفهام، وإن كانوا عنده قوماً طاغين؛ تلعُّباً بهم، وتهكماً عليهم، [وهذا][(١)] كقول الرجل لصاحبه الذي لا يشك في جهله: أجاهل أنت؟ توبيخاً له، وتقبيحاً عليه.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون شاعر﴾ أي: هو شاعر ﴿نتربص به ريب المنون﴾.

قال ابن عباس: ننتظر به الموت[(٢)]، وأنشد:

تَرَبَّصْ بها ريبَ المنون لعلَّها ... تُطَلَّقُ يَوْماً أوْ يموتُ حَلِيلُها[(٣)]

وقال مجاهد وابن قتيبة[(٤)]: حوادث الدهر. وأنشد ابن قتيبة قول أبي ذؤيب الهذلي:

أمِنَ [المنون][(٥)] ورَيْبِه تَتَوَجَّعُ ... والدهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[(٦)]

وقال غيره: المنون يكون بمعنى الدهر، ويكون بمعنى الموت، سميا بذلك؛

---

(١) في الأصل: هذا. والتصويب من ب، والمحتسب (٢/ ٢٩١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٧).

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: ربص)، والبحر المحيط (٢/ ١٨٦، ٨/ ١٤٨)، والدر المصون (١/ ٥٥١، ٦/ ٢٠١)، والقرطبي (٣/ ١٠٨، ١٧/ ٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣١). وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٥) في الأصل: المون. والتصويب من ب.

(٦) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في: اللسان (مادة: منن)، والأغاني (٦/ ٢٨٠، ٢٨٦)، والماوردي (٥/ ٣٨٤)، والبحر (٨/ ١٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٠١)، والقرطبي (١٦/ ١٧٠، ١٧/ ٧٢)، وزاد المسير (٨/ ٥٤).

لأنهما ينقضان الأمل، ويقطعان[1] الأجل.

قوله تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش تُوصف بالأحلام والعقول، فأزرى الله حلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل[2].

قيل لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله، [أي][3]: لم يصحبها التوفيق[4].

قرأ مجاهد: "بل هم قوم طاغون"[5].

قال ابن عباس: حملهم طغيانهم على تكذيبك[6].

﴿أم يقولون تقوله﴾ افتعله من تلقاء نفسه ﴿بل لا يؤمنون﴾ فلذلك يرمونك[7] بهذه المطاعن البعيدة من أخلاقك الكريمة، وأوصافك الحميدة.

ثم تحداهم بقوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أي: مثل القرآن في رصانة مبانيه وصحة معانيه.

وقرأ أبو رجاء وأبو نهيك والجحدري: "بحديثِ مثله" بغير تنوين على

---

(١) في الأصل زيادة قوله: الآن. وانظر: ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٤).

(٣) زيادة من زاد المسير (٨/ ٥٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٤-٥٥).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨٩).

(٧) في الأصل زيادة قوله: بذلك. وانظر: ب.

الإضافة[١]، على معنى: بحديث مثل محمد، أي: بحديث رجل من العرب مثل محمد، ﴿إن كانوا صادقين﴾ أنه تقوَّله.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أم خُلقوا﴾ قدّروا هذا التقدير العجيب الذي هم عليه، ﴿من غير شيء﴾ أي: من غير مُقَدِّرٍ [خَلَقَهم][٢] وأوجدهم، ﴿أم هم الخالقون﴾ الذين خلقوا أنفسهم حتى استنكفوا عن توحيدي، وجعلوا الصنم نديدي.

وقيل: المعنى: أم خلقوا من غير أب وأم، فهم كالجماد لا يعقلون ولا يفهمون.

وقيل: "مِنْ" بمعنى اللام، تقديره: أم خلقوا لغير شيء، على معنى: أخُلقوا باطلاً لا يُحاسبون ولا يُكلفون، أم هم الخالقون فلا يؤمرون ولا ينهون.

والآية التي تليها ظاهرة.

﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ قال ابن عباس: يريد: المطر والرزق[٣].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٥٥)، والدر المصون (٦/ ٢٠١).

(٢) في الأصل: لخلقهم. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٦).

وقال عكرمة: النبوة[١].

وقيل: عِلْم ما يكون من الغيب[٢].

والمعنى: أعندهم مفاتيح الملك فيتخيروا للرسالة من شاؤوا.

﴿أم هم المصيطرون﴾ المسلطون الغالبون.

وقال عطاء: أرباب قاهرون[٣]، [فيتصرفوا][٤] كيف شاؤوا على حسب إرادتهم.

قرأ قنبل وهشام: "المسيطرون" بالسين. وقرأ حمزة بين الصاد والزاي، وقرأ الباقون بالصاد[٥]؛ لأجل الطاء، ليعمل اللسان عملاً واحداً في [الإطباق][٦] والاستعلاء.

والسين هو الأصل؛ لجواز نقل الصاد إليها، ولو كانت الصاد هي الأصل لم تُنقل إلى السين؛ لأن الأقوى لا يُنقل إلى الأضعف، والصاد أقوى من السين؛ لما فيها من الاستعلاء والإطباق. وكلها لغات أشرنا إلى عللها فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿أم لهم سُلّم يستمعون فيه﴾ أي: مصعد ومرتقاً يرتقون فيه إلى

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٥٦) حكاية عن الثعلبي.

(٣) ذكره القرطبي (١٧/ ٧٥)، والبغوي (٤/ ٢٤١).

(٤) في الأصل: فيتصروا. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٤)، والكشف (٢/ ٢٩٢)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٣).

(٦) في الأصل: الإباق. والتصويب من ب.

السماء لاستماع الوحي، ﴿فليأت مستمعهم﴾[١] أي[٢]: إن ادعى ذلك ﴿بسلطان مبين﴾ كما جاء محمد ﷺ على صحة رسالته بحجة ظاهرة.

والآية التي بعدها كقوله تعالى: ﴿فاستفتهم ألربك البنات﴾ [الصافات:١٤٩].

﴿أم تسألهم أجراً﴾ أي: أتسألهم[٣] جُعْلاً على ما جئتَهم به ودعوتَهم إليه؟

﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أثقلهم ذلك الغرم وقدحهم حتى زهدهم في اتباعك.

﴿أم عندهم الغيب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿فهم يكتبون﴾ ما فيه حتى قالوا: لا نُبعث، وإن بُعثنا لم نُعذب.

وقيل: المعنى: أعندهم الغيب حتى علموا أن محمداً يموت قبلهم، حتى قالوا: نتربص به ريب المنون.

﴿أم يريدون كيداً﴾ لمحمد ﷺ والمؤمنين يوم دار الندوة، ﴿فالذين كفروا﴾ إشارة إليهم. وقيل: إلى كل كافر ﴿هم المكيدون﴾ المجزيّون بكيدهم، يريد: أن ضرر كيدهم عائد عليهم وراجع إليهم.

﴿أم لهم إله غير الله﴾ يرزقهم ويحفظهم.

ثم نزّه نفسه بقوله تعالى: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: بسلطان مبين. وستأتي بعد. وانظر: ب.

(٢) غير موجودة في ب.

(٣) في الأصل زيادة قوله: أجراً أي. وانظر: ب.

وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

ثم ذكر عنادهم وقسوة قلوبهم فقال: ﴿وإن يروا كِسْفاً من السماء ساقطاً﴾ أي: وإن يروه[1] ساقطاً عليهم ﴿يقولوا﴾ لفرط عنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ بعضه فوق بعض ممطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم.

ثم هددهم فقال: ﴿فذرهم حتى يلاقوا﴾ وقرأ أبو جعفر وعبدالوارث: "يَلْقُوا"[2]، ﴿يومهم الذي فيه يَصْعَقُون﴾.

وقرأ ابن عامر وعاصم: "يُصْعَقُون" بضم الياء[3].

والمراد: يوم هلاكهم وموتهم.

وقيل: يوم القيامة، فيكون المراد بصعقهم: غشيتهم، كقوله: ﴿وخرَّ موسى صعقاً﴾ [الأعراف:١٤٣].

---

(١) أي: الكِسْف. والكسف: القطعة (اللسان، مادة: كسف).

(٢) النشر (٢/ ٣٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٤٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٤)، والكشف (٢/ ٢٩٢)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠١)، والسبعة (ص:٦١٣).

قوله: ﴿وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك﴾ وهو عذاب القبر[١].

وقيل: ما أصابهم يوم بدر[٢]. رويا عن ابن عباس.

وقال الحسن: مصائبهم في الدنيا[٣].

قوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ أي: اصبر لحكم ربك بإمهالهم وتمكنهم من أذاك ﴿فإنك بأعيننا﴾ قال الزجاج[٤]: بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك.

وهذا من المواضع التي يقول أكثر المفسرين: أنها منسوخة[٥]. ولا يصح؛ لما ذكرنا في نظائره.

﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ قال ابن عباس: صلِّ لله حين تقوم من منامك[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٣٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨٦).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٦٨).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٦٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٤).

(٦) ذكره الطبري (٢٧/ ٣٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٩١).

وهذا القول هو اختيار الطبري في تفسيره، قال: وهذا أولى الأقوال بالصواب؛ لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قال الضحاك لكان فرضاً أن يقال؛ لأن قوله: "وسبح بحمد ربك" أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في =

وقال عطاء ومجاهد: قل: سبحانك اللهم وبحمدك حين تقوم من مجلسك(١).

وقال الضحاك: قل سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك، حين تقوم في الصلاة(٢).

وهذا أحد الترجيحات لمذهب إمامنا أحمد وأبي حنيفة، فإنهما يستحبان الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام [بهذا(٣).

قال زيد بن أسلم](٤): صَلِّ صلاة الظهر حين تقوم من نوم القائلة(٥).

﴿ومن الليل فسبحه﴾ قال مقاتل(٦): صلاة المغرب [والعشاء.

﴿وإدبار](٧) النجوم﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، في قول علي عليه

= ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد؟!

قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة بأن ذلك معني به ما قاله الضحاك فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلاً لنا على أنه أريد به الندب والإرشاد.

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٢٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٧) عن عطاء. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٧) وعزاه للفريابي وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٢١٠ ح٢٤٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر.

(٣) انظر: المغني (١/ ٢٨٢)، وبدائع الصنائع (١/ ٤٧٠).

(٤) في الأصل: وبهذا قال زيد بن أرقم. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الطبري (٢٧/ ٣٨)، والماوردي (٥/ ٣٨٧).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٨).

(٧) بياض في الأصل. والمثبت من ب.

السلام وجمهور المفسرين[١].

وقال الضحاك وابن زيد: هي صلاة الغداة[٢].

وقرأ يعقوب في رواية زيد عنه: "وأدبار" بفتح الهمزة[٣]. وقد أشرنا إلى ذلك في آخر قاف. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٨٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٣٨) وعزاه لابن مردويه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٣٨) وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٣) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠١-٤٠٢)، وزاد المسير (٨/ ٦٠-٦١).

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي [إحدى][1] وستون آية في المدني، واثنتان في الكوفي[2]. وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى ابن عباس ومقاتل وقتادة آية، وهي قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم... الآية﴾[3].

قال مقاتل[4]: هذه أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة.

وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ اختلف العلماء في تفسيره على خمسة أقوال:

أحدها: أنه الثريا، وهو اسم غالب لها[5].

---

(١) في الأصل: أحد. والتصويب من ب.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٤).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٥٣)، والماوردي (٥/ ٣٨٩)، وزاد المسير (٨/ ٦٢).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٠-٤١) وهو اختياره، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٨). وذكره السيوطي في

قال ابن قتيبة[١]: العرب تسمي الثريا -وهي ستة أنجمٍ-: نجماً.

وقال غيره: هي سبعة، فستة ظاهرة، وواحد خفي، يَمتحن به الناسُ أبصارهم.

والمعنى: والنجم إذا سقط وغاب.

الثاني: أنه النجم من نجوم القرآن[٢]، فإنه نزل نُجُوماً متفرقة، على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب. والقولان عن مجاهد.

الثالث: أنه النجم الذي تُرمى به الشياطين إذا هوى وانقضّ للرجم[٣]. وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس.

الرابع: أنه اسم جنس، يريد: النجوم إذا غربت أو تناثرت يوم القيامة. رُوي عن مجاهد[٤].

الخامس: أنها الزهرة. قاله السدي[٥].

وقد روى عروة بن الزبير عن رجال من أهل بيته قالوا: كانت بنت رسول الله ﷺ عند عتبة بن أبي لهب، فأراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمداً فلأوذينه،

= الدر (٧/ ٦٤٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن المنذر.

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٠). وذكره الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٤١) وعزاه لابن جرير عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٣).

فأتاه فقال: يا محمد! هو يكفر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى، ثم تَفَلَ في وجهه، وردّ عليه ابنته فطلّقها، فقال رسول الله ﷺ: اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك. قال: وأبو طالب حاضر، فَوَجَمَ[١] لها، وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره بذلك، ثم خرجوا إلى الشام ونزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: هذه أرض مَسْبَعَة[٢]، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معاشر قريش هذه الليلة، فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا [له][٣] أحمالهم وفرشوا لعتبة في أعلاها، وناموا حوله، فجاء الأسد فجعل يتشمم وجوههم، ثم ثنى ذنبه فوثب وضرب عتبة بيده ضربة واحدة فخدشه، فقال: قتلني، ومات مكانه[٤]. ففي ذلك يقول حسان بن ثابت:

مَنْ يَرْجِعُ العامَ إلى أهلِهِ فما أكيلُ السَّبُعِ بالرَّاجِعِ[٥]

قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ يعني: محمداً ﷺ. وهذا جواب القسم، والخطاب لقريش.

والمعنى: ما ضل عن طريق الهدى ﴿وما غوى﴾.

﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي: ما يتكلم بالباطل. وهذا تكذيب لهم حيث

---

(١) الوُجوم: السكوت على غيظ. والواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام. وقيل: الوجوم: الحزن (اللسان، مادة: وجم).

(٢) أرض مَسْبَعَة: أي: ذات سباع (اللسان، مادة: سبع).

(٣) ساقط من ب.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٨٣).

(٥) البيت لحسان بن ثابت. انظر: حياة الحيوان للدميري (٢/ ٤٤٦)، والقرطبي (٦/ ٥٠)، والكشاف (٤/ ٤١٩)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٦٢).

زعموا أنه جاء بالقرآن من تلقاء نفسه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ أي: ما القرآن إلا وحي من الله تعالى أوحاه إليه.

وربما احتج بهذه الآية من لم يجوز للنبي ﷺ أن يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه وحي، ولا حجة فيها؛ لأنه إذا كان مأذوناً له في الاجتهاد فهو من الوحي.

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ
دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ
۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً
أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى
ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨

﴿علمه شديد القوى﴾ وهو جبريل ﷺ[١].

ومن آثار قوته: اقتلاعه قرى قوم لوط حاملاً لها على جناحه، رافعاً لها إلى السماء، وصياحه بثمود فأصبحوا جاثمين.

﴿ذو مِرَّة﴾ حصافة في عقله ورأيه، ومتانة في دينه.

وقال أكثر المفسرين: ذو شِدَّة في خلقه.

﴿فاستوى * وهو﴾ أي: استوى جبريل ومحمد ﴿بالأفق الأعلى﴾، ليلة أسري بمحمد ﷺ. فتكون الواو في "وهو" عاطفة على الضمير في "استوى" غير مؤكد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٢) عن قتادة، ومن طريق آخر عن الربيع، ومن طريق آخر عن مجاهد.

كقول الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النبْعَ يَصْلُبُ عُودُه ... ولا يَسْتَوِي والخِرْوَعُ المُتَقَصِّفُ[(١)]

وعليه حملوا أيضاً قوله تعالى: ﴿أئذا كنا تراباً وآباؤنا﴾ [النمل:٦٧].

وقيل: فاستوى جبريل، أي: استقام وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية التي جُبل عليها، فإنه كان يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه في صورة رجل، فأحب رسول الله ﷺ أن ينظره في صورته الملكيّة التي خلق عليها، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق.

قال مجاهد: "الأفق الأعلى": مطلع الشمس[(٢)].

وقال غيره: إنما قيل: الأعلى؛ لأنه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض، لا في الهواء[(٣)].

قال المفسرون: سأل رسولُ الله ﷺ جبريلَ أن يريه نفسه في صورته التي خُلق عليها، فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض، ومرة في السماء. فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وذلك أن محمداً ﷺ كان بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسدّ الأفق إلى المغرب، فخرّ رسول الله ﷺ مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين، فضمّه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه. وأما في السماء فعند

---

(١) البيت لجرير، انظر: شرح ديوانه (١/ ٣٧٩)، ومعاني الفراء (٣/ ٩٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩)، والطبري (٢٧/ ٤٣)، والقرطبي (١٧/ ٨٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٤٤) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٥).

سدرة المنتهى[(١)].

وفي الصحيحين من حديث عائشة: «ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين»[(٢)].

فعلى هذا القول، يكون الواو في "وهو" للحال.

قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ قال الفراء[(٣)]: المعنى: ثم تدلى فدنا، ولكنه جائز أن تُقدّم أيّ الفعلين شئت إذا كان المعنى فيهما واحداً، تقول: دنا فقرُب وقرُب فدنا، وشَتَم فأساء وأساء فشتم.

وقال الزجاج[(٤)]: "دنا" بمعنى: قَرُبَ، "فتدلى": زاد في القُرْب. ومعنى اللفظين واحد.

وفي المشار إليه بقوله: "دنا" ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الله عز وجل. ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: «دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»[(٥)].

وقال ابن عباس: دنا ربه فتدلى[(٦)]. وهو اختيار مقاتل قال[(٧)]: دنا الرب عز وجل من محمد ﷺ ليلة أسري به، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٠ ح٤٥٧٤)، ومسلم (١/ ١٥٩ ح١٧٧).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٩٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣١ ح٧٠٧٩). ولم أقف عليه عند مسلم.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٥) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩).

القول الثاني: أنه محمد ﷺ دنا من ربه عز وجل. قاله القرظي[١].

الثالث: أنه جبريل عليه السلام[٢].

قال الحسن وقتادة: دنا بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى إلى رسول الله ﷺ[٣].

ويقال: "تدلّى": تعلّق عليه في الهواء. ومنه: تدلّت الثمرة، ودلّى رجليه من السرير. والدَّوالي: الثمر المعلَّق[٤]. ويقال: هو مثل القِرِلَّى، إن رأى خيراً تدلى، وإن [لم][٥] يره تولى.

والقِرِلَّى: طائر من طير الماء، إحدى رجليه أطول من الأخرى.

﴿فكان قاب قوسين﴾ القَابُ والقِيب، والقَادُ والقِيد، والقَاسُ والقِيس: المقدار.

وقرأ ابن مسعود وأبو رزين: "قَادَ قوسين" بالدال[٦].

والمعنى: فكان مقدار مسافة قُربه مثل قاب قوسين.

قال الكسائي: هي لغة حجازية، يقال: كان مني قاب قوسين، وقيد قوسين[٧].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: دلا).

(٥) زيادة من ب.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٦٦).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣).

قال ابن قتيبة[١]: قدر قوسين عربيتين.

قال ابن عباس: هي القوس التي يرمى بها[٢]. وهو قول مجاهد وعكرمة[٣].

وقال ابن مسعود: قدر ذراعين[٤]. ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث أنس[٥].

قال الواحدي[٦]: فيكون المراد بالقوس على هذا القول: ما ينقاس به الشيء.

قال ابن السكيت: قَاسَ الشيء يَقُوسُه قَوْساً، لغة في قَاسَهُ يَقِيسُهُ قِياسَاً؛ إذا قَدَّرَه[٧].

ويحتمل عندي أن يكون الحديث وتفسير ابن مسعود تفسيراً لقاب قوسين، فإنه بمقدار ذراعين تقريباً.

قال الكسائي: أراد بالقوسين قوساً واحداً[٨].

ويقال: القاب: ما بين المَقْبَض والسِّيَة، فكل قوس له قابان[٩].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٢٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٣-١٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: الطبري (٢٧/ ٤٥)، والدر المنثور (٧/ ٦٥٢).

(٦) الوسيط (٤/ ١٩٤).

(٧) انظر: اللسان (مادة: قيس).

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٧).

(٩) انظر: اللسان (مادة: قوب).

قال ابن قتيبة: السِّية: ما عُطف من طرفي القوس[(١)].

﴿أو أدنى﴾ قال مقاتل[(٢)]: بل أدنى.

وقيل: المعنى: كان على ما تقدّرونه أنتم قدر قوسين أو أقل. وهذا مِثلُ قوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾ [الصافات:١٤٧].

قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده﴾ أي: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ ﴿ما أوحى﴾ كفاحاً. وهذا قول من قال: كان ليلة المعراج.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: فأوحى جبريل إلى عبدِ الله محمد ﷺ ما أوحى إليه[(٣)].

وقالت عائشة والحسن وقتادة: فأوحى إلى عبده جبريل ما أوحى[(٤)].

وقوله: "ما أوحى" تفخيم للوحي الذي أوحي إليه.

قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ [الضحى:٦] إلى قوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[(٥)] [الشرح:٤].

وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقرأ أبو جعفر وهشام: "ما كَذَّبَ"

(١) انظر: اللسان (مادة: سيا).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٧). وذكره الماوردي (٥/ ٣٩٣).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٤٦).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٩).

بالتشديد[١]، على معنى: ما أنكر فؤاده ما رأتْ عيناه بل صدَّقه.

ومعنى الآية على قراءة الأكثرين: ما أوهمه فؤاده أنه رأى ولم ير، بل رأى شيئاً فصدق به، يقال: كذَبَه -بالتخفيف-؛ إذا قال له الكذب[٢].

قال ابن عباس وأنس والحسن وعكرمة وجمهور المفسرين: رأى محمد ﷺ ربه بعيني رأسه[٣].

وكان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ﷺ ربه تبارك وتعالى[٤].

وقال ابن مسعود وعائشة: رأى جبريل على صورته التي خُلق عليها[٥].

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه[٦] قال: أخبرنا أبو محمد العباس بن محمد بن العباس، ويعرف بعباسة، قال: أخبرنا محمد بن سعيد، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الثقفي، حدثنا أبو علي بن حبيش المقرئ، أخبرنا علي بن زنجويه، حدثنا سلمة، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا ابن عيينة، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبدالله بن الحارث قال: اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس: إنا نحن بني هاشم نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥)، والكشف (٢/ ٢٩٤)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠٢)، والسبعة (ص:٦١٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: كذب).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٤٧) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٥).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٥٩ ح١٧٧).

(٦) في ب: الطوسي كتابة.

فقال: تعجبون أن الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليهم أجمعين، قال: فكبّر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما، فكلّم[1] موسى ورآه محمد عليهما الصلاة [والسلام][2].[3].

قال [مجالد][4]: وقال الشعبي: وأخبرني مسروق أنه قال لعائشة: يا أماه! هل رأى محمد ربه قط؟ قالت: إنك لتقول قولاً إنه ليقف منه شعري. قال: قلت: رويداً، فقرأتُ عليها: ﴿والنجم إذا هوى﴾ إلى قوله: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ فقالت: رويداً أين يذهب بك؟ إنما رأى جبريل عليه السلام في صورته، مَنْ حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣]، ومَنْ حدثك أنه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿إن الله عنده علم الساعة... الآية﴾ [لقمان:٣٤]، ومن حدثك أن محمداً قد كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، والله يقول: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك... الآية﴾[5] [المائدة:٦٧].

---

(١) في ب: فكلمه.

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٤ ح٣٢٧٨)، والحاكم (٢/ ٣٠٩ ح ٣١١٤)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٧) وعزاه لعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي.

(٤) في الأصل: مجاهد. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٤ ح٣٢٧٨)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٤١)، والطبري (٢٧/ ٥١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٤٧) وعزاه لعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر =

قال عبدالرزاق: فذكرت هذا الحديث لمعمر فقال: ما عائشة عندنا بأعلم من [ابن][1] عباس[2].

قوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ قرأ حمزة والكسائي: "أفتَمْرُونَـه" بفـتح التاء وسكون الميم من غير ألف[3]، على معنى: أفتجحدونه، يقال: مَرَيْتَهُ حَقَّه؛ إذا جحدته[4]، وأنشدوا:

لئنْ جحدتَ[5] أخَا صِدْقٍ ومكرُمَةٍ لقدْ مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَا[6]

وقيل: المعنى: أفتغلبونه في المراء، من مَارَيْتُه فَمَرَيْتُه. قالوا: ولما فيه من معنـى الغلبة، عُدّي بـ"على"، كما تقول: غلبتُه على كذا، وهذه القراءة اختيار أبي عبيد، وبها قرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، ومسروق، والنخعي، وخلـف، ويعقوب. ومثل هذه القراءة قراءة طلحة بن مصرّف، وسعيد بن جبير، غير أنهما ضمّا التاء[7]، على معنى: أفتُوقِعُونه في المِرْيَة والشك.

= والحاكم وابن مردويه.

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٤١)، والنووي في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٥).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥)، والكشف (٢/ ٢٩٤)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠٢)، والسبعة (ص:٦١٤-٦١٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: مرا).

(٥) في ب: هجرت.

(٦) البيت لم أعرف قائله. وهو في: البحر (٨/ ١٥٧) وفيه: "سخرت" بدل: "جحدت"، والدر المصون (٦/ ٢٠٦)، والقرطبي (١٧/ ٩٣)، وروح المعاني (٢٧/ ٤٩)، والكشاف (٤/ ٤٢١).

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٥٧)، والدر المصون (٦/ ٢٠٦).

وقرأ الأكثرون: "أفتمارونه" من المِرَاء، وهو الملاحاة والمجادلة، واشتقاقه من: مَرَيْتُ النَّاقَةَ[(١)]، كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه.

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أي مرة أخرى من النزول.

قال ابن عباس: رأى محمد ربه، وذاك أنه كان يتردد لأجل الصلوات، فرآه مرة أخرى في بعض تلك المرات[(٢)]، وهو قول كعب أيضاً على ما حكيناه آنفاً.

وقال ابن مسعود وعائشة: هذه الرؤية لجبريل أيضاً[(٣)]، فإنه رآه على صورته مرتين، كما ذكرناه.

قالت عائشة: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: هو جبريل[(٤)].

والسِّدْرَةُ: شجرة النَّبْق.

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: نَبِقُها مثل قِلال هَجَر[(٥)]، وورقها مثل آذان الفيلة[(٦)].

وهي فوق السماء السابعة، على ما في حديث مالك بن صعصعة[(٧)].

---

(١) مَرَيْتُ الناقة: أي: مسحت ضرعها لِتَدِرَّ (اللسان، مادة: مرا).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٠).

(٥) القِلال: جمع قُلَّة، وهي الجرة العظيمة (اللسان، مادة: قلل)، وهَجَر: قرية قرب المدينة (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).

(٦) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٣ ح٣٠٣٥).

(٧) أخرجه البخاري، الموضع السابق، ومسلم (١/ ١٤٩ ح١٦٤).

قال مقاتل[١]: هي عن يمين العرش. قال: ولو أن ورقة من ورقها وُضِعَتْ في الأرض، لأضاءت لأهل الأرض [نوراً][٢]، تحمل الحُلِيّ والحُلَل والثمار من جميع الألوان.

وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود: أنها في السماء السادسة[٣]. وقد ذكرنا الحديث بتمامه عند قوله: ﴿آمن الرسول﴾ في البقرة[٤].

قال المفسرون: سميت سدرة المنتهى؛ لأن إليها ينتهي ما يُصْعَدُ به من الأرض، فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يَهبط من فوقها فيُقبض منها، وإليها ينتهي علم الملائكة[٥].

وقيل: إليها تنتهي أرواح الشهداء، وأرواح من مات على منهاج رسول الله ﷺ.

وفي حديث أبي هريرة قال: لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه سدرة المنتهى، ينتهي إليها كلُّ أحد من أمتك على سنّتك[٦].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٠).

(٢) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ ح١٧٣).

(٤) آية رقم: ٢٨٥.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ ح١٧٣)، والنسائي في الصغرى (١/ ٥٤٨ ح١٠٠١)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١٢ ح٣١٦٩٧)، وأحمد (١/ ٣٨٧ ح٣٦٦٥، ١/ ٤٢٢ ح١٠١١)، والطبري (٢٧/ ٥٢) كلهم من حديث ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٩) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٣).

﴿عندها جنة المأوى﴾ قال ابن عباس: هي عن يمين العرش، وهي منزل الشهداء[1]، نظيره: ﴿فلهم جنات المأوى نزلاً﴾ [السجدة:١٩].

وقرأ معاذ القارئ وابن يعمر وأبو نهيك: "عِنْدَه"[2] على ضمير المذكر.

وقرأ جماعة؛ منهم: علي، وأنس، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومحمد بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية: "جَنَّهُ المأوى"[3]، أي: سَتَرَه بظلاله ودخل فيه.

وقيل: عندها أدركه المبيت، والضمير للنبي ﷺ.

قال [ثعلب][4]: يريد: "أجنّه" وهي شاذة[5].

قوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ لم أر أحداً ذكر بماذا يتعلق الظرف هاهنا، ولا يخلو من أمرين؛ إما أن يتعلق بـ"رآه" على معنى: رأى محمد جبريل عليهما السلام، أو رأى ربه، "إذ يغشى السدرة ما يغشى".

قال عطية: غشيها الجبار عز وجل.

وفي [الحديث][6] عن النبي ﷺ: «غشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة من

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٦٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق، والدر المصون (٦/ ٢٠٧). وقد ردّت عائشة هذه القراءة، وتبعها جماعة، وقالوا: أَجَنَّ الله من قرأها.

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٠).

(٦) في الأصل: حديث. والمثبت من ب.

حب الله عز وجل، أمثال الغربان يقعن على الشجر»[(١)].

وفي الحديث أيضاً: يغشاها رفرف من طير خضر[(٢)].

وقال ابن مسعود: يغشاها فراش من ذهب[(٣)].

وفي حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ: لما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها[(٤)].

وإما أن يتعلق بقوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ أي: ما مال بصر محمد ﷺ، ولا تجاوز ما رأى، أو ما أمر به حين غشي السدرة ما غشيها من التهاويل والأنوار والملائكة.

قال ﷺ: «انتهيتُ إلى السدرة وأنا أعرف أنها سدرة المنتهى، فأعرف ثمرها [وورقها][(٥)]، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتاً وزمرداً، حتى ما يستطيع أحد أن يصفها»[(٦)].

قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال ابن مسعود: رأى رفرفاً أخضر [من][(٧)] الجنة قد سدّ الأفق[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٦) من حديث الربيع.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ ح١٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ١٤٦ ح١٦٢).

(٥) في الأصل: ووقها. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨ ح١٢٣٢٣)، والطبري (٢٧/ ٥٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) في الأصل: في. والمثبت من ب.

(٨) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤١ ح٤٥٧٧)، وأحمد (١/ ٤٤٩ ح٤٢٨٩)، والطبراني في الكبير =

قال الضحاك: سدرة المنتهى[(١)].

وقال عبدالرحمن بن زيد: رأى جبريل في صورته[(٢)].

قال ابن جرير[(٣)]: رأى من أعلام ربه وأدلته الكبرى.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

قال الزجاج[(٤)]: لما قصّ الله تعالى هذه القصص قال: ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى﴾ كأن المعنى -والله أعلم-: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها، هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وُصف بها ربُّ العزة شيء.

=

(٩/ ٢١٦ ح٩٠٥١)، والطبري (٢٧/ ٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥١) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ٥٧).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٧٢).

قرأ رويس عن يعقوب، وروى هبة الله عن اللهبي: "اللاَّتَّ" بتشديد التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي رزين، وأبي عبدالرحمن السلمي، ومجاهد، وأبي صالح، والضحاك، وابن السميفع، والأعمش في آخرين، واتفقوا على الوقف بالتاء اتباعاً للمصحف، وكذلك "مناة" إلا الكسائي، فإنه وقف على الهاء في الموضعين.

وقرأ الأكثرون والباقون من العشرة بتخفيف التاء[١].

فمن شدّد التاء قال: هو رجل كان يَلُتُّ السَّويق[٢] للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

قال أبو صالح: كان بالطائف وكان يقوم على آلهتهم، ويَلُتُّ لهم السويق، فلما مات عبدوه[٣].

وقال الزجاج[٤]: زعموا أن رجلاً كان يَلُتُّ السويق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسمّي الصنم: اللاتّ -بالتشديد-.

وجمهور القراء على تخفيف التاء، وهو اسم صنم لثقيف، وكانوا يشتقون لآلهتهم أسماء من أسماء الله تعالى، فقالوا من الله: اللاّت، وكذلك اختار الكسائي الوقف على الهاء[٥].

---

(١) النشر (٢/ ٣٧٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٢).

(٢) السَّويق: ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير (اللسان، مادة: سوق).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٧٣).

(٥) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٣٧٩): وما وقع في كتب بعضهم من أن الكسائي وحده يقف بالهاء والباقون بالتاء؛ فَوَهْمٌ لعله انقلب عليهم من "اللّات".

قال الخطابي[(١)]: صَرَفَهُ الله إلى اللاَّتِ صيانةً لهذا الاسم، وذَبّاً عنه.

وقالوا من العزيز: العُزّى، وهي تأنيث الأعز.

قال مجاهد: وهي سَمُرة بنخلة لغطفان يعبدونها[(٢)].

وهي التي بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول:

يا عزُّ كفرانكِ لا سُبحانكِ إني رأيتُ الله قد أهانَكِ[(٣)]

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، واضعة يدها على رأسها، تدعو بالويل، فقتلها خالد، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: تلك العُزّى، ولن تُعبد أبداً[(٤)].

قرأ ابن كثير والشموني: ["ومناءة"][(٥)] بالمد والهمز. وقرأ الباقون من العشرة بغير مد ولا همز[(٦)]، وهما لغتان، والتي هي قراءة الأكثرين هي[(٧)] أعلى اللغتين.

قال أبو عبيدة: لم أسمع فيه المد.

---

(١) شأن الدعاء (ص:٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٩٩) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٢).

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: عزز)، والقرطبي (١٧/ ١٠٠)، وروح المعاني (٢٧/ ٥٥)، والبحر (٨/ ١٥٨).

(٤) أخرجه النسائي (٦/ ٤٧٤ ح١١٥٤٧).

(٥) في الأصل: ومناء. والمثبت من ب.

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥)، والكشف (٢/ ٢٩٦)، والنشر (٢/ ٣٧٩)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٧) ساقط من ب.

وقال أبو علي[١]: لعل "مناءة" -بالمد- لغة، ولم أسمع بها عن أحد من رواة اللغة.

وقال بعض العلماء: أصلها: الهمز، من النَّوْء، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها، وأنشدوا:

ألا هلْ أتى زيدُ بن عبدِ مناءةٍ   على الشيء فيما بيننا ابنُ تميم[٢]

وقال جرير في اللغة العالية:

أَزَيْدَ مناةَ تُوعِدُ يا ابنَ تَيْمٍ   تَبَيَّنَ أَيْنَ تَاهَ بكَ الوعيدُ[٣]

قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة[٤].

وقال قتادة: بل كانت للأنصار[٥].

قال صاحب الكشاف[٦]: سميت بذلك؛ لأن دماء المناسك [كانت][٧] تمنى عندها، أي: تُراق.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥).

(٢) البيت لهوبر الحارثي. انظر: ديوان أبي تمام (٣/ ٣٤٤)، واللسان (مادة: شظي، مني)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠٨)، والقرطبي (١٧/ ١٠٢)، وروح المعاني (٢٧/ ٥٥). ويروى البيت: "الشنء" و "النأي" بدل: "الشيء".

(٣) البيت لجرير. انظر: ديوانه (ص:١٢٦)، والبحر (٨/ ١٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٠٨)، والحجة للفارسي (٤/ ٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٢).

(٥) مثل السابق.

(٦) الكشاف (٤/ ٤٢٤).

(٧) زيادة من الكشاف، الموضع السابق. وفي نسخة ب: كأنها. وكتب على الهامش: صوابه: كانت.

قال الثعلبي[(١)]: العرب لا تقول للثالثة الأخرى، وإنما الأخرى نعتٌ للثانية.

واختلفوا في وجهها؛ فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله تعالى: ﴿مآرب أخرى﴾ [طه:١٨] ولم يقل: أُخَر.

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة.

وقال الزمخشري[(٢)]: "الأخرى" ذم، وهي المتأخرة [الوضيعة][(٣)] المقدار. ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للاّت والعزى.

قال أبو علي[(٤)]: التقدير: أفرأيتم جعلكم اللات والعزى ومناة بنات الله، فحذف.

قال ابن السائب[(٥)]: قال مشركوا قريش: الملائكة والأصنام بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ بالأنثى كره، فقال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى﴾ جائرة ظالمة، من ضَازَهُ يَضِيزُهُ ويَضُوزُه[(٦)].

قال صاحب [كشف المشكلات][(٧)]: أصله: ضُوْزَى، فُعلى نقلت إلى فِعْلى، لا بد من هذا التقدير؛ لأن حمله على فِعْلى كما هو في اللفظ يوجب خروجاً عن

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٢٤).

(٣) في الأصل: الوضعية. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) لم أقف عليه في الحجة للفارسي.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٣).

(٦) انظر: اللسان (مادة: ضيز).

(٧) كشف المشكلات (٢/ ٣٣٨). وما بين المعكوفين في الأصل: الكشاف. والتصويب من ب.

كلامهم، إذ ليس فِعْلى من أبنية الصفات، إنما جاء فِعْلى في الصفات في حرفين أو ثلاثة.

قال مكي[١]: فلما كُسر أوله انقلبت الواو ياء.

وإن جعلته من: ضَازَ يَضِيزُ، فالياء في "ضيزى" غير منقلبة من واو، بل هي أصلية.

وقرأ ابن كثير: "ضِئْزَى" بالهمز[٢]، من ضَأَزَهُ يَضْأَزُه؛ إذا ظلمه[٣]، قال الشاعر:

ضأزت بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب[٤]

قال أبو علي[٥]: لا ينبغي أن يكون ابن كثير أراد بضئزى فُعلى؛ لأنه لو أراد ذلك لكان "ضُوزَى"، ولم يرد به أيضاً فِعلى صفة؛ لأن هذا البناء لم يجئ صفة، ولكن ينبغي أن يكون أراد المصدر، مثل: الذكرى، فكأنه قال: قسمةٌ ذات ظلم. فعلى هذا يكون وجه قراءته.

قوله تعالى: ﴿إن هي﴾ يريد: الأصنام، أي: ما هي ﴿إلا أسماء﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات، ﴿سميتموها﴾ أي: سَمَّيتُم بها، تقول: سميتُه زيداً وسميتُه بزيد.

(١) الكشف (٢/ ٢٩٥).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٥-٦٨٦)، والكشف (٢/ ٢٩٥)، والنشر (١/ ٣٩٥)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ضيز).

(٤) البيت نُسب لامرئ القيس، وليس في ديوانه، وهو في: البحر (٨/ ١٥٢)، والدر المصون (٦/ ٢٠٩)، والقرطبي (١٧/ ١٠٢)، وروح المعاني (٢٧/ ٥٧).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦).

﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ سبق تفسيره.

﴿إن يتبعون﴾ في عبادتها واعتقاد إلاهيّتها ﴿إلا الظن﴾ أي: الوَهْم ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أي: تميل إليه وتشتهيه، ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ البيان الواضح بتحقيق الحق، وإبطال الباطل.

ثم أبطل ما كانوا يعتقدونه من شفاعتها فقال: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ هي "أم" المنقطعة، والهمزة للإنكار.

والمعنى: ليس للكافر ما تمنى من شفاعة الآلهة.

وقيل: هو قولهم: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت:٥٠].

وقيل: هو [قول](١) العاص بن وائل: ﴿لأوتين مالاً وولداً﴾ [مريم:٧٧].

وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي(٢).

﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي: هو مالكهما، فهو يتصرف فيهما بالعطاء والمنع، والضر والنفع، وغير ذلك.

﴿وكم من ملك في السموات﴾ مع قربهم مني وعبادتهم إياي وطاعتهم لي ﴿لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله﴾ في الشفاعة ﴿لمن يشاء﴾ الشفاعة له ﴿ويرضى﴾ عنه. وهذه الآية كقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء:٢٨].

فإن قيل: ما وجه الجمع في قوله: "شفاعتهم" واللفظ واحد؟

قلتُ: "كم" هاهنا يراد به الجمع، ولو قيل: "شفاعته" كان جائزاً حملاً على

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٢٤).

اللفظ.

وقال الأخفش: الملك موحَّد، ومعناه: الجمع، فهو كقوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة:٤٧].

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم
بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾
فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ
مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا
عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ
وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ
ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة﴾ أي ليسمون كل واحد من الملائكة بنتاً؛ لقولهم: الملائكة بنات الله.

﴿وما لهم به﴾(١) أي: بذلك، أو بقولهم.

وقرأ أبيّ: "بها"(٢).

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ﴿من علم﴾. وستأتي بعد.

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٢١٠)، والكشاف (٤/ ٤٢٥).

﴿من علم﴾ أي: بالتسمية أو بالملائكة.

﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي: لا يقوم مقام العلم الموصل إلى إدراك حقيقة الشيء.

قوله تعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ منسوخ عند عامة المفسرين بآية السيف[1].

﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ قال الزجاج[2]: إنما يعلمون ما يحتاجون إليه في معايشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة.

قال الفراء[3]: صَغَّرَ رأيهم وأزرى بهم، يقول: ذلك قدْر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ وسيجازيهم على ضلالهم واهتدائهم.

وقيل: هو تسكينٌ للنبي ﷺ، فإنه كان شديدَ الحرص على إيمانهم.

المعنى: خفض على نفسك، فإن ربك قد فرغ منهم، وعَلِمَ الضال من المهتدي، وليس عليك إلا البلاغ.

قوله تعالى: ﴿ليجزيَ﴾ متعلق بقوله: ﴿هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧٠)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٥).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٧٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٠٠).

أعلم بمن اهتدى﴾؛ لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي: جزاؤهما، [وما][1] بينهما اعتراض. ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ على معنى: له ما فيهما مُلْكاً وخلْقاً، خَلَقَهم ليجزيهم بالعقوبة والمثوبة. والحسنى: الجنة، و"الكبائر" مذكورة في سورة النساء[2].

وقرأ حمزة والكسائي: "كبير الإثم"[3]. قيل: هو النوع الكبير منه، وهو الإشراك بالله.

والفواحش: ما فَحُشَ من الكبائر، كأنه قال: ويجتنبون الفواحش منها خاصة. وقد سبق ذكرها فيما مضى.

﴿إلا اللمم﴾ قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة والشعبي ومسروق وعامة المفسرين: هو صغار الذنوب؛ كالنَّظْرة والقُبْلَة، وما كان دون الزنا[4].

وإلى هذا نظر وضاح اليمن في قوله:

فما نَوَّلَتْ حتى تَضَرَّعْتُ حولَهَا ... وأقرأتُها ما رخَّص الله في اللمم[5]

ويؤيد هذا المعنى: ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا، فزنا العينين: النظر، وزنا اللسان: النطق، والنفس تشتهي

(١) في الأصل: ما. والتصويب من ب.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٦)، والكشف (٢/ ٢٥٣)، والنشر (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٦).

(٥) انظر البيت في: اللسان وتاج العروس (مادة: نول، لمم)، والأغاني (٦/ ٢٤٠).

وتتمنى، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج»[(١)]. فإن تقدم بفرجه كان الزنا، وإلا فهو اللمم. هذا حديث صحيح.

وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألَمَّ بالقلب، أي: خَطَرَ[(٢)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: هو الرجل يُلِمُّ بالفاحشة، ثم يتوب[(٣)].

وروى عمرو بن دينار عن عطاء، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «إنْ تغفر اللهم تغفرْ جماً، وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمّا»[(٤)]. أخرجه الترمذي.

قال الزمخشري[(٥)]: ولا يخلو قوله: "إلا اللمم" من أن يكون استثناء منقطعاً أو صفة، كقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله﴾ [الأنبياء:٢٢] كأنه قيل: كبائر الإثم والفواحش غير اللمم، وآلهة غير الله.

قوله تعالى: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ قال ابن عباس: لمن فعل ذلك ثم تاب[(٦)].

قال أبو وائل: رأى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل -وهو من أفاضل أصحاب

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٤ ح٥٨٨٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٦ ح٢٦٥٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٦٦)، والحاكم (٢/ ٥١٠ ح٣٧٥٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٨٥)، وشعب الإيمان (٥/ ٣٩٢ ح٧٠٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥٦) وعزاه لسعيد بن منصور والترمذي وصححه والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٦ ح٣٢٨٤).

(٥) الكشاف (٤/ ٤٢٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٦).

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه- في المنام، قال: رأيت كأني أدخلت الجنـة، فـإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لذي الكلاع وحوشب، وكانا [قُـتلا][1] مع معاوية، فقلت: أين عمار وأصحابه؟ فقالوا: أمامك. قلت: وقد قَتَلَ بعضهم بعضاً، فقال: إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة[2].

قوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ أي: هو أعلم بالبَرِّ منكم والفاجر، والصالح والطالح، وقت خلق أبيكم آدم من قبضة قبـضها مـن جميـع الأرض، ﴿وإذ أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم﴾ جمع: جنين، ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها وتشهدوا لها بأنها زاكية طاهرة من المعاصي، ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾.

قال علي عليه السلام: يعني: عمل حسنة وارعوى عن سيئة[3].

وقال الحسن: أخلص العمل لله[4].

وكان السبب في نزول هذه الآية: أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون: صُـمْنا وصلَّيْنا وغَزَوْنا وفَعَلْنا، يزكون أنفسهم بذلك[5].

وقيل : إن اليهود كانوا إذا مـات لهـم صـبي قـالوا : صـدّيق ، فنزلـت هـذه الآية[6].

---

(١) في الأصل: قاتلا. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٦٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٤٣).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٠).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٠) من قول الكلبي ومقاتل.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٨١ ح١٣٦٨).

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، وكان قد ركن إلى رسول الله ﷺ، فعيّره بعض المشركين وقال له: تركتَ دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار، وكان ينبغي لك أن تَنْصُرَهُم، فقال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له عاتِبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله وعاد إلى شركه أن يتحمّل عنه عذاب الله، ففعل، فأعطاه بعض الذي ضمن له، ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له، فأنزل الله هذه الآية. قاله مجاهد وابن زيد(١).

الثاني: أنه النضر بن الحارث، أعطى بعض فقراء المسلمين خمس قلائص حين ارتدَّ عن الإسلام، وضمن له أن يتحمل عنه مأثم رجوعه عن الإسلام. قاله الضحاك(٢).

الثالث: أنه العاص بن وائل السهمي، كان ربما وافق رسولَ الله ﷺ في بعض

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٥٩) وعزاه لابن جرير عن ابن زيد. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

الأمور. قاله السدي[١].

الرابع: أنه أبو جهل، فإنه قال يوماً: والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق. قاله محمد بن كعب القرظي[٢].

ومعنى "تولى": أعرض عن الإيمان.

﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ قَطَعَ ومَنَعَ، أصله من إكْدَاء الحافر، وهو أن تلقاه كُدْيَة[٣] صخرة أو نحوها، فيمسك عن الحفر، ثم قيل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يتمم: أكْدَى.

قال الحطيئة:

فأعْطَى قليلاً ثمَّ أكْدَى بماله ... ومنْ يبذُلِ المعروفَ في الناس يُحمد[٤]

قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم عصى[٥]. وهو معنى قول مجاهد: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع ثم أكدى بالانقطاع[٦]، ومعنى قول مقاتل[٧]: أعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم قطع.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٣) الكُدْيَة: قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس (اللسان، مادة: كدا).

(٤) البيت للحطيئة. انظر: البحر (٨/ ١٥٣)، والقرطبي (١٧/ ١١٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧١). وذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٥٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٣).

وقال الضحاك: أعطى قليلاً من ماله ثم منع[١].

﴿أعنده علم الغيب﴾ وهو ما غاب عنه من أمر الآخرة ﴿فهو يرى﴾ حاله فيها، وأن ما صنعه نافع له إذا وافاها.

﴿أم﴾ معادلة [لهمزة][٢] الاستفهام، أو منقطعة بمعنى: بل والهمزة ﴿لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ يعني: التوراة.

﴿وإبراهيم﴾ أي: وصحف إبراهيم.

وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف»[٣].

﴿الذي وفى﴾ وقرأ سعيد بن جبير وأبو عمران وابن السميفع: "وَفَى" بالتخفيف[٤]. وقراءة الأكثرين أبلغ في المدح بالوفاء.

أخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؛ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون...﴾ [الروم:١٧] حتى يختم الآية»[٥].

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ: «أنه قرأ ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ يعني: عمل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٧٨).

(٢) في الأصل: همزة. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه ابن حبان (٢/ ٧٧ ح٣٦١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٧٩)، والدر المصون (٦/ ٢١٢).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٩).

يومه [أربع][١] ركعات كان يصليهن من أول النهار»[٢].

وفي حديث نعيم بن همار أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا [ابن آدم][٣]! لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفيك آخره»[٤].

وقال ابن عباس: وفّى جميع شرائع الإسلام[٥].

وقال الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفّى به[٦].

ويدخل في هذا قول الضحاك: وفّى شأن المناسك[٧].

وقول سفيان بن عيينة: أدّى [الأمانة][٨].

وقول الربيع بن أنس: وفّى برؤياه وقام بذبح ابنه[٩].

وقال عطاء بن السائب: بلغني: أن إبراهيم عليه السلام كان عاهد الله أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما قُذف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك

---

(١) في الأصل: وأربع. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٣)، والديلمي في الفردوس (١/ ١٣٤ ح٤٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٠) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والشيرازي في الألقاب والديلمي بسند ضعيف.

(٣) في الأصل: إبراهيم. والتصويب من ب، ومسند أحمد (٥/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١/ ١٧٧ ح٤٦٨)، وأحمد (٥/ ٢٨٦ ح٢٢٥٢٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٢-٧٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٣).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٨) في الأصل: أمانة. والتصويب من ب. وذكر هذا القول ابن الجوزي في: زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٩) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٢) عن القرظي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٠) وعزاه لابن جرير عن القرظي.

فلا، فوفّى بما عاهد[١].

وقال مجاهد وعكرمة والنخعي: وفّى ألا تزر وازرة وزر أخرى[٢]، على معنى: وفّى العمل بها، وذلك أنهم كانوا فيما بين نوح وإبراهيم يأخذون الرجل بجريرة أبيه وجريرة ابنه[٣].

قوله تعالى: ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: لا تحملُ نفسٌ حاملـةٌ حِمْـل نفس أخرى، ولا تُؤخذ بإثمها.

و"أَنْ" مخففة من الثقيلة، على إضمار الشأن، ومحل "أنْ" ومـا في [حيزهـا][٤]: الجر بدلاً من "ما في صحف موسى"، أو الرفع على معنى: هو أن لا تزر[٥].

قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أي: وأنه ليس للإنسان إلا مـا سعى.

قال الزجاج[٦]: هذا في صحفهما أيضاً. ومعناه: ليس للإنسان إلا جزاء سعيه، إن عَمِلَ خيراً جُزِيَ عليه خيراً، وإن عَمِلَ شراً جُزي عليه شراً.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٠) وعزاه لابن جرير عـن مجاهـد وعكرمة.

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٤٠٣).

(٤) في الأصل: خبرها. والتصويب من ب.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢١٣).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٧٦).

فصل

يروى عن ابن عباس: أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ [الطور:٢١]، فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة(١).

وهذا لا يستقيم؛ لأنه يمكن الجمع بين الآيتين.

ولأن هذا خبر، والأخبار لا تنسخ.

فإن قيل: فما وجه الآية، وقد صحت الأخبار بنفع الميت بالصدقة عنه، والحج عنه، ومضاعفة الثواب زائداً على ما يستحقه على عمله، ووصول ثواب القراءة إليه، [على أصل الإمام](٢) أحمد رضي الله عنه(٣)، وكل هذا ليس من سعيه؟

[قلتُ](٤): قال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى خاصة، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى غيرهم(٥)؛ بخبر سعد حين سأل رسول الله ﷺ: هل لأمي إن تطوَّعت عنها؟ قال: نعم.

وخَبَر المرأة التي سألت رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي مات ولم يحج؟ فقال:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٤)، والنحاس في ناسخه (ص:٦٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٢) وعزاه لأبي داود والنحاس كلاهما في الناسخ وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه. وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٥-٤٧٦).

(٢) في الأصل: على إمام. والتصويب من ب.

(٣) انظر: المغني (٢/ ٢٢٥).

(٤) في الأصل: قالت. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨١).

حُجِّي عنه[١].

وقال الربيع بن أنس: المراد بالإنسان هاهنا: [الكافر][٢]، يريد: أنه ليس له من عمل الخير إلا ما سعاه، فيُطْعَم به في الدنيا، حتى يُوافي الآخرة وليس له عمل يُثاب عليه[٣].

وقال الحسين بن الفضل: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل[٤]. فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله تعالى ما يشاء.

وقيل: اللام بمعنى: على، تقديره: ليس على الإنسان إلا ما سعى.

وذكر بعض المتأخرين عن هذه الآية جوابين محررين[٥]:

أحدهما: أن سعي غيره لمّا لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه -وهو أن يكون مؤمناً صالحاً- كان سعي غيره كأنه سعي له، لكونه قائماً مقامه، وتابعاً له.

الثاني: أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه.

قوله تعالى: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ [أي][٦]: يُرى الإنسان جزاءه.

﴿ثم يجزاه﴾ أي: يجزى سعيه، يقال: جزاه الله تعالى عمله، بحذف الجار وإيصال الفعل، وجزاه على عمله، ﴿الجزاء الأوفى﴾ الأكمل الأتمّ.

---

(١) أخرجه النسائي (٥/ ١١٦ ح٢٦٣٤).

(٢) في الأصل: الكافرين. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨١).

(٥) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٢٨).

(٦) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾
وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا
غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أي: منتهى الخلق ومرجعهم.

قال الزجاج(١): هذا كله في صحف موسى وإبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: مرَّ النبي ﷺ على قوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فنزل جبريل فقال: إن الله يقول: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى جاء جبريل فقال: ائت هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى هو أضحك وأبكى(٢).

قال مجاهد: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار(٣).

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٧٦).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤١٦-٤١٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٦٣) وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره الطبري (٢٧/ ٧٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣) عن مجاهد.

وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر[(١)].

وقيل: أضحك المؤمن في الآخرة، وأبكاه في الدنيا[(٢)].

وقيل: أضحك الكافر في الدنيا، وأبكاه في الآخرة.

﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي: أفنى في الدنيا وأحيا للبعث.

وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء[(٣)].

وقيل: أمات الكافر بكفره، وأحيا المؤمن بإيمانه. قال الله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ [الأنعام:١٢٢].

﴿وأنه خلق الزوجين﴾ أي: الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾ من جميع الحيوانات.

﴿من نطفة إذا تمنى﴾ أي: تُراق في الرَّحم. يقال: مَنَى الرجل وأمْنَى. وهذا المعنى قول الضحاك وعطاء بن أبي رباح وابن السائب[(٤)].

وقيل: "تُمْنَى": تُخْلَق وتُقَدَّر، من قولهم: ما تدري ما يَمْنِي لك الماني. قاله ابن قتيبة وأبو عبيدة[(٥)].

﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أي: الخلق الآخر يوم البعث.

﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ أي: أغنى الناس بالأموال وأعطاهم القِنْيَة[(٦)]، وهي

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١١٧) عن محمد بن علي الترمذي.

(٣) ذكره القرطبي (١٧/ ١١٧)، والبغوي (٤/ ٢٥٥).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣) كلاهما من قول ابن السائب الكلبي.

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٢٩)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٣٨).

(٦) بكسر القاف وفتحها (اللسان، مادة: قنا).

أصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية.

قال الضحاك: أغناهم بالذهب والفضة، وصنوف الأموال، وأقنى بالإبل والبقر والغنم[١].

وقال الحسن وقتادة: "أقنى": أخدم[٢].

وقال ابن زيد: "أغنى": أكثر، و"أقنى": أقلّ، وتلا: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾[٣] [الرعد:٢٦].

وقال الأخفش: "أقنى": أفقر[٤].

قال[٥] بعض العلماء: إن كان هذا الحرف من الأضداد، وإلا فمعنى "أقنى": أحوج إلى طلب القنية.

والمنقول عن ابن عباس: "أغنى": بالكفاية، و"أقنى": أرضى بما أعطى[٦].

وفي رواية عنه: أقنى بالزيادة[٧].

وقال سفيان: أغنى بالقناعة[٨].

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري، الموضع السابق.

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ١١٩)، والبغوي (٤/ ٢٥٦).

(٥) في ب: وقال.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٣).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٥).

(٨) مثل السابق.

وقيل: أغنى نفسه، وأفقر الخلائق إليه[١].

﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ وهو نجم يطلع وراء الجوزاء، يقال له: مِرْزَم الجوزاء، وهما شعريان، يقال لأحدهما: العَبُور[٢]، وللأخرى: الغُمَيْصَاء[٣]. وأراد هاهنا: العَبُور. وكانت خزاعة تعبدها من دون الله، وكان أول من سنَّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له: أبو كبشة.

﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب والمفضل: "عاداً لُّولى" بإدغام التنوين في اللام وطرح الهمزة، ونقل ضمتها إلى لام التعريف. وكان قالون يأتي بهمزة ساكنة بعد اللام في موضع الواو.

وقرأ الباقون من العشرة بكسر التنوين وتحقيق الهمزة[٤].

[قال أبو علي[٥]: لما حقق الهمزة من][٦] "الأولى" سكنت لام المعرفة والتنوين ساكن، فحرّك التنوين لالتقاء الساكنين بالكسر. فأما من أدغم التنوين في اللام فإنه لما خفف الهمزة ألقى حركتها على اللام الساكنة قبلها، فلما ألقى حركتها عليها تحركت، وقبلها نون ساكنة فأدغمها في اللام بعد أن قلبها لاماً.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٧٦) عن الحضرمي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٥) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ عن الحضرمي.

(٢) انظر: اللسان (مادة: عبر).

(٣) انظر: اللسان (ماة: غمص).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٧)، والكشف (٢/ ٢٩٦)، والنشر (١/ ٤١٠)، والإتحاف (ص:٤٠٣)، والسبعة (ص:٦١٥).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٩).

(٦) زيادة من ب.

قال ابن سوار صاحب كتاب المستنير: أجمعوا على الوقف على "عادا" بالألف، واختلفوا [في الابتداء][(١)] بلفظة "الأولى"، فكان أهل المدينة والبصرة والمفضّل يبتدئون: "الأولى" بإثبات الهمزة وضم اللام الأولى.

وروى قالون إلا أبا نشيط كذلك، ويهمز الواو على أصله، الباقون يبتدئون بهمزة مفتوحة وإسكان اللام وبعدها همزة مضمومة. تمّ كلامه.

وقال الزجاج[(٢)]: فيها ثلاث لغات؛ "الأولى": بسكون اللام وإثبات الهمزة، وهي أجود اللغات.

قال جمهور المفسرين: هم قوم هود، وكان لهم عقب هم عاد الأخرى[(٣)].

قال قتادة: عاد الآخرة كانت بحضرموت[(٤)].

وقال كعب الأحبار: قوم هود هم عاد الآخرة، وهم من أولاد عاد الأولى[(٥)].

﴿وثمود﴾ وهم قوم صالح ﴿فما أبقى﴾ أحداً منهم. وقد ذكرنا قصة هلاكهم في الأعراف[(٦)]، واختلاف القرّاء في صرف ثمود وعدم صرفه في سورة هود[(٧)].

﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي: وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ أشد ظلماً وأعظم طغياناً من غيرهم؛ لفرط عنادهم وعتوهم

---

(١) في الأصل: بالابتداء. والمثبت من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٧٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٤).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٦٥) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٤).

(٦) عند الآية رقم: ٧٣.

(٧) عند الآية رقم: ٦٨.

على الله تعالى، وتماديهم في غيّهم [وضلالهم][(١)]، مع طول دعوة نوح إياهم، وكثرة أذاهم له.

﴿والمؤتفكة أهوى﴾ أي: وأهلك القرى التي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت بهم، وهي سدوم وأخواتها، قُرى قوم لوط، رفعها الله إلى السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم أهواها، أي: أسقطها إلى الأرض، ثم أتبعها بالحجارة، فذلك قوله: ﴿فغشاها ما غشى﴾ أي: ألبسها ما ألبسها من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿ما غشى﴾ تعظيم وتفخيم لشأن ذلك العذاب الشديد.

قال المفسرون: عدَّد الله نعماً ونقماً، وسمى الجميع "آلاء"؛ لما في النقمة من نعمة التذكير والزجر عن الحال المفضية إلى العذاب.

ثم قال: ﴿فبأي آلاء ربك﴾ أيها الإنسان.

وقال ابن عباس: الخطاب للوليد بن المغيرة[(٢)].

﴿تتمارى﴾ تتشكَّك.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿هذا﴾ إشارة إلى سيد ولد آدم محمد ﷺ ﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي: من جماعة النذر الأولى.

---

(١) في الأصل: وضلالتهم. والمثبت من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٤).

وقال قتادة: الإشارة إلى القرآن(١).

﴿أزفت الآزفة﴾ أي: قَرُبَت الساعة الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر:١]، وأمثالها من الآيات.

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أي: نفسٌ كاشفة.

وقيل: الهاء للمبالغة؛ كعلاّمة ونسّابة.

والمعنى: لا يكشف أحد عن وقتها إلا الله، كما قال تعالى: ﴿لا يجلّيها لوقتها إلا هو﴾ [الأعراف:١٨٧].

وقال الضحاك وقتادة وعطاء: إذا غشيت [الخلق](٢) شدائدها وأهوالها لا يكشفها عنهم أحد ولم يَرُدَّهَا(٣).

وقيل: "الكاشفة" مصدر بمعنى: كشف، كالخائنة بمعنى: خيانة.

ثم أنكر عليهم ضحكهم واستهزاءهم وغفلتهم عن مواعظ القرآن وزواجره وحِكَمه فقال تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون﴾ إنكاراً. ﴿وتضحكون﴾ استهزاءً ﴿ولا تبكون﴾ خوفاً من وعيده وزواجره.

﴿وأنتم سامدون﴾ ساهون لاهون، يقال: دَعْ عنك سُمُودَك، قال الشاعر:

ألا أيها الإنسان إنك سامد كأنك لا تفنى ولا أنت هالك(٤)

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٥).

(٢) في الأصل: الحق. والتصويب من ب، وزاد المسير (٨/ ٨٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٥).

(٤) انظر البيت في: الدر المصون (٦/ ٢١٩).

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس (١).

وروي عنه: سَامِدون: شامخون مستكبرون (٢).

وروي عنه: أن السُّمُود: الغناء (٣).

وقال قتادة: غافلون (٤).

وقال الضحاك: أَشِرُون بَطِرُون (٥).

وقال الحسن: واقفون عن الطاعة (٦).

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى.

وقال مجاهد: "سامدون": غِضَابٌ مُبرطِمُون، فقيل له: ما [البرطمة] (٧)؟ قال: الإعراض (٨).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٦ ح١١٧٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٠٧). وقوله: "مستكبرون" عن السدي.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٢٣)، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (ص:٧٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وأبي عبيد في فضائله وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٦).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٢٣) بلفظ: واقفون للصلاة.

(٧) في الأصل: المبرطم. والمثبت من ب.

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٦٣٤) بلفظ: قال: البرطمة، وهو العابس الوجه، والطبري (٢٧/ ٨٢) بلفظ: =

أخرج الإمام أحمد بإسناده عن صالح بن الخليل قال: لما نزلت: ﴿أفمن هـذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون﴾ ما رؤي النبي ﷺ ضاحكاً[(١)].

قوله تعالى: ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ أي: خُصُّوه سبحانه بالسجود والعبادة، ولا تسجدوا لآلهتكم ولا تعبدوها.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني نصر بن علي[(٢)]، حدثني أبو أحمد[(٣)]، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق[(٤)]، عن الأسود بن يزيد[(٥)]، عن عبد الله بن مسعود قال: «أول سورةٍ أنزلت فيها سجدة: النجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجل رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد قُتل كافراً، وهو

= غضاباً مبرطمين. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد للإما م أحمد، وقد أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٨٢ ح٣٤٣٥٦)، والثعلبي (٩/ ١٥٨).

(٢) نصر بن علي بن نصر بن علي بن أصبهان الأزدي الجهضمي، أبو عمرو البصري الصغير، ثقة ثبت، طلب للقضاء فامتنع، مات في ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين أو بعدها (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨٤، والتقريب ص:٥٦١).

(٣) محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي مولاهم، أبو أحمد الزبيري الكوفي، ثقة صدوق، مات بالأهواز سنة ثلاث ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٧، والتقريب ص:٤٨٧).

(٤) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد، أبو إسحاق السبيعي. تقدمت ترجمته.

(٥) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الرحمن، مخضرم ثقة مكثر، مات بالكوفة سنة خمس وسبعين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٩٩، والتقريب ص:١١١).

أمية بن خلف»[١]. هذا حديث متفق على صحته. أخرجاه من طرق.

وبالإسناد قال محمد بن إسماعيل البخاري: حدثنا أبو معمر[٢]، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس»[٣]. هذا حديث صحيح. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٢ ح٤٥٨٢)، ومسلم (١/ ٤٠٥ ح٥٧٦).

(٢) عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ميسرة التميمي المنقري مولاهم، أبو معمر المقعد البصري، كان ثقة ثبتاً صدوقاً، رمي بالقدر، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٣، والتقريب ص:٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٢ ح٤٥٨١).

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس وخمسون آية(١). وهي مكية.

واستثنى قوم ثلاث آيات من قوله: ﴿أم يقولون نحن جميع﴾ إلى قوله: ﴿أدهى وأمرّ﴾(٢)؛ لما أخبرني به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إبراهيم بن موسى(٣)، أخبرنا هشام بن يوسف(٤)، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني يوسف بن ماهك قال: «إني عند عائشة أم المؤمنين قالت: لقد نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾»(٥). هذا حديث صحيح.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٦).

(٢) وقال السيوطي في الإتقان (١/ ٥٣): استثني منها: ﴿سيهزم الجمع﴾. وقيل: ﴿إن المتقين﴾ الآيتين. وانظر: الماوردي (٥/ ٤٠٨)، وزاد المسير (٨/ ٨٧).

(٣) إبراهيم بن موسى بن يزيد بن زاذان التميمي، أبو إسحاق الرازي الفراء، المعروف بالصغير، ثقة حافظ، مات بعد العشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٤٨، والتقريب ص:٩٤).

(٤) هشام بن يوسف الصنعاني، أبو عبد الرحمن الأبناوي، قاضي صنعاء، ثقة مأمون، مات سنة سبع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٥١، والتقريب ص:٥٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٦ ح٤٥٩٥).

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ أي: دَنَتِ القيامة، ﴿وانشق القمر﴾ أي: وقد انشق، وكذلك هي في قراءة حذيفة بن اليمان[1]، وكان يقول: ألا إن الساعة قد اقتربت، والقمر قد انشق.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا مسدد[2]، حدثنا يحيى، عن شعبة وسفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: ((انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا))[3].

وبه قال البخاري: حدثنا علي، حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله: ((انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ، فصار فرقتين، فقال لنا: اشهدوا اشهدوا))[4]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ١٧١).

(٢) مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد البصري الأسدي، أبو الحسن الحافظ، ثقة صدوق، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٩٨، والتقريب ص:٥٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٣ ح٤٥٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٣ ح٤٥٨٤)، ومسلم (٤/ ٢١٥٨ ح٢٨٠٠).

وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة، منهم: عبد الله بن العباس[(١)]، وعبد الله بن عمر[(٢)]، وحذيفة[(٣)]، وجبير بن مطعم[(٤)]، وأنس بن مالك[(٥)].

قال ابن مسعود: رأيت فلقتيه[(٦)].

---

(١) حديث عبدالله بن عباس، أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣١ ح٣٤٣٩)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩ ح٢٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧١) وعزاه للبخاري ومسلم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) حديث عبدالله بن عمر، أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٩ ح٢٨٠١)، والترمذي (٥/ ٣٩٨ ح٣٢٨٨)، والطبري (٢٧/ ٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧١) وعزاه لمسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي وأبي نعيم في الدلائل.

(٣) حديث حذيفة، أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٣٩ ح٣٤٧٩٨)، وعبد الرزاق (٣/ ١٩٣ ح٥٢٨٥)، والطبري (٢٧/ ٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٢) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم.

(٤) حديث جبير بن مطعم، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٨ ح٣٢٨٩)، وأحمد (٤/ ١٨)، والطبري (٢٧/ ٨٦)، والحاكم (٢/ ٥١٣ ح٣٧٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧١) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير والحاكم وأبي نعيم والبيهقي.

(٥) حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣١ ح٣٤٣٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩ ح٢٨٠٢)، والترمذي (٥/ ٣٩٧ ح٣٢٨٦)، والحاكم (٢/ ٥١٣ ح٣٧٦١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٦ ح١١٥٥٤)، وأحمد (٣/ ١٦٥ ح١٢٧١١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٠) وعزاه للبخاري ومسلم وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) أخرجه أحمد (١/ ٤١٣ ح٣٩٢٤)، والحاكم (٢/ ٥١٢ ح٣٧٥٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٥ ح٩٩٩٧)، والطبري (٢٧/ ٨٥) كلهم بلفظ نحو هذا اللفظ. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٠) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

وقال مجاهد: ثبتت فرقة [وذهبت][1] فرقة من وراء الجبل[2].

وقال ابن زيد: كان يُرى نصفه على قعيقعان[3]، والنصف الآخر على أبي قبيس[4].

قال المفسرون: كان انشقاق القمر من معجزات النبي ﷺ وآياته التي اقترحها قومه عليه.

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلتُ أتؤمنون؟ قالوا: نعم. فسأل ربه أن يعطيَه ما سألوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: يا فلان يا فلان اشهدوا، وذلك بمكة قبل الهجرة[5].

وعلى هذا القول عامة المفسرين.

---

(١) في الأصل: وذبت. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٧).

(٣) قعيقعان: جبل بمكة يشرف على المسجد الحرام من جهة الشمال، والشمال الغربي، ويعرف بأسماء عدة، فالجزء المشرف على المعلاة يسمى بجبل العبادي، وجبل السليمانية، أما الجزء الجنوبي المتصل بالفلق فيسمى بجبل هندي وطرفه المشرف على حارة الباب بريع الرسام. ومن هذه الأسماء جبل القرارة، وجبل فلفلة من جهة الشامية، وكل هذه الأجزاء تمثل جبل قعيقعان (معالم مكة التاريخية ص:٢٢٣).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٨).

وأبو قبيس هو: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام، فنُحِتَ منه الكثير وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسيل وطريقاً للسيارات، وهو مكسو بالبنيان (معجم معالم الحجاز ٧/ ٨٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٦).

وشذَّ قوم فقالوا: المعنى: سينشق القمر. وليس هذا القول بشيء؛ لمصادمته الأحاديث، والآثار الصحيحة، وإجماع العلماء، والآية التي بعد هذه الآية، وما تشتمل عليه من نسبتهم السحر إليه. هذا مع ما فيه من مخالفة مدلول اللفظ، فإنه فعل ماض، فَصَرْفُهُ إلى المستقبل يفتقر إلى دليل صارف له عن موضوعه الأصلي.

ومعنى الآية: اقتربت الساعة وقد حصل من أمارات اقترابها انشقاق القمر، الدالّ على رسالة النبي محمد ﷺ، المبعوث في آخر الزمان.

قوله تعالى ﴿سحر مستمر﴾ قال مجاهد وقتادة: ذاهبٌ[١]، من قولهم: مَرَّ الشيء واستمرّ: إذا ذهب[٢]. أي: هذا سحر، والسحر يذهب ولا يثبت. وهذا اختيار الكسائي والفراء[٣].

وقال أبو العالية والضحاك: "مستمر" أي: شديد قوي محكم[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: هو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْل[٦].

وقيل: سحر دائم مطّرد. قالوا ذلك حين رأوا تتابع معجزاته وتواصل آياته.

قوله تعالى: ﴿وكلُّ أمر مستقر﴾ أي: كل أمر، [فهو][٧] صائرٌ إلى غاية يستقر

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٣٥)، والطبري (٢٧/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

(٢) انظر: اللسان (مادة: مرر).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٠٤).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٢٧).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣١).

(٦) انظر: اللسان، مادة: (مرر).

(٧) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

عليها، وسيصير أمر محمد ﷺ إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل، وستظهر لهم عاقبته.

وقيل: وكل أمر من أمر محمد ﷺ، وأمرهم يستقر على حالة خذلان ونصر وشقاء وسعادة.

قال قتادة: الخير يستقر بأهل الخير، والشر بأهل الشر[1].

وقرأتُ لأبي جعفر: "مستقرٍ" بالجر[2]، عطفاً على "الساعة"، على معنى: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر.

ويروى عن نافع فتح القاف[3]، على معنى: ذو مستقر، أي: ذو موضع استقرار أو زمان استقرار.

﴿ولقد جاءهم﴾ أي: أتاهم من أنباء الأمم المكذبة الماضية وأخبار هلاكهم في القرآن ﴿ما فيه مزدجر﴾ ازدجار أو موضع ازدجار، فهو مصدر بمعنى: ما فيه نهي وعظة. والأصل فيه: مزتجر، ولكن التاء إذا وقعت بعد الزاي أبدلت دالاً، نحو: مَزْدَان.

﴿حكمة بالغة﴾ بدل من "ما"، أو خبر مبتدأ محذوف[4]، تقديره: هو حكمة تامة قد بلغت الغاية، ﴿فما تُغْنِ النُّذر﴾ استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، كقوله:

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير.

(٢) النشر (٢/ ٣٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٤).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٢)، والدر المصون (٦/ ٢٢١). قال أبو حاتم: لا وجه لفتح القاف.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٢٢).

﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ [يونس:١٠١].

وجائز أن تكون "ما" نافية، أي: لا تغني النذر عنهم شيئاً.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿فتولَّ عنهم﴾ أعرض عن إنذارهم، وهو منسوخ بآية السيف عند عامة المفسرين[(١)]، وهاهنا تم الكلام.

قوله تعالى: ﴿يوم يدعُ الداعي﴾ منصوب بقوله: ﴿يخرجون﴾ المعنى: يخرجون من قبورهم في ذلك اليوم، أو بإضمار "اذكر"، أي: اذكر يوم يدعو الداعي، وهو إسرافيل يوم ينفخ النفخة الثانية.

وأبو عمرو وأبو جعفر والبزي ووَرْش وإسماعيل يثبتون الياء في "الداعي" في الوصل، زاد يعقوب إثباتها في الحالين، وحذفها الباقون في الحالين، اكتفاء بالكسرة عنها[(٢)].

﴿إلى شيء نكر﴾ وقرأ ابن كثير: "نكْر" بسكون الكاف[(٣)].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٧٧).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٩-٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٨)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٧).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٨)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٢١٦)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٧).

وقال أبو علي[١]: ضم الكاف هو الأصل؛ لأن الكلمة على فُعُل؛ كرُسُل، نحو: عُنُق ورُسُل. ومن أسكن الكاف حذف الضمة استخفافاً، وهي في تقدير الثبات.

والمعنى: يوم يدعو الداعي إلى أمر فظيع منكر لم يُر مثله.

قرأ أهل العراق إلا عاصماً: "خاشِعاً" بالألف وكسر الشين وتخفيفها. وقرأ الباقون من العشرة: بغير ألف وفتح الشين وتشديدها[٢].

وخشوع أبصارهم كناية عن ذلّهم. والنصب على الحال[٣]، على معنى: يخرجون خشعاً.

قال الزجاج[٤]: لك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة: التوحيد، نحو: خاشعاً أبصارهم، [ولك][٥] التوحيد والتأنيث لتأنيث الجماعة، نحو: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ [القلم:٤٣]، ولك الجمع نحو: ﴿خشعاً أبصارهم﴾، تقول: مررت بشبان حَسَنٍ [أوجههم][٦] وحِسَانٍ أوجههم، وحَسَنَةٍ أوجههم. قال الشاعر:

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٨)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٧-٦١٨).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٢٤).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٨٦).

(٥) في الأصل: وذلك. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٨٦).

(٦) في الأصل: وجههم. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بن نزار بن معد(١)

وقال أبو علي(٢): من قرأ "خاشعاً" فوجهه: أنه فعل متقدِّم، فكما أنه لم تلحقه علامة التأنيث لم يُجمع، وحَسُن أن لا يؤنث؛ لأن تأنيث فاعله ليس بحقيقي.

ومن قرأ "خُشَّعاً" فقد أثبت ما يدل على الجمع، وهو على لفظ الإفراد، ودلَّ الجمع على ما يدلُّ عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ [القلم:٤٣]، فلذلك ترجَّحَ قولهم: مررت برجلٍ حِسَانٍ قومُه، على قولهم: مررت [برجلٍ](٣) حَسَنٍ قومه؛ لأن حِسَاناً [قد](٤) حصل فيه ما يدل على الجمع، والجمع كالتأنيث في باب أنه يدل عليه.

وقرأ ابن مسعود: "خاشعة"(٥).

قوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ الجراد مَثَلٌ في الكثرة. والمعنى: يخرجون من قبورهم عند النفخة الثانية، كأنهم في كثرتهم واضطرابهم وتموجهم جراد مُنبثّ في كل مكان، ليست له جهة يقصدها.

﴿مهطعين﴾ مذكور في إبراهيم(٦)، يريد: مسرعين، مادّي أعناقهم إلى صوت

---

(١) البيت لأبي داود الإيادي. وهو في: اللسان (مادة: خشع)، والطبري (٢٧/ ٩٠)، والقرطبي (١٧/ ١٢٩)، وزاد المسير (٨/ ٩١)، والبحر (٨/ ١٧٣) وفيه: "ورجال" بدل: "وشباب"، والدر المصون (٦/ ٢٢٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١-١٢).

(٣) زيادة من ب، والحجة للفارسي (٤/ ١٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٠)، والدر المصون (٦/ ٢٢٣).

(٦) عند الآية رقم: ٤٣.

الداعي إسرافيل.

﴿يقول الكافرون﴾ لما لابسهم من أهوال القيامة وشدائدها ﴿هذا يوم عسر﴾ صعب شديد.

قال ابن عباس: عسر على الكافرين، سهل يسير على المؤمنين، كقوله: ﴿يوم عسير * على الكافرين غير يسير﴾[1] [المدثر:٩-١٠].

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم﴾ أي: كذبت قبل أهل مكة ﴿قوم نوح﴾ قال صاحب الكشاف[2]: إن قلت: ما معنى قوله: ﴿فكذبوا﴾ بعد قوله: ﴿كذبت﴾؟

قلتُ: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا، أي: كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن [مُكذّب][3] تبعه قرن مُكذّب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا، أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة: كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٨).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٣٤).

(٣) في الأصل: كذب. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

الرسل.

﴿وقالوا مجنون﴾ أي: هو مجنون ﴿وازدجر﴾.

قال المفسرون: زجروه عن دعوته بالشتم والوعيد(١).

﴿فدعا ربه أني مغلوب﴾ أي: بأنّي.

وقرأ [عيسى](٢) بن عمر: "إني" بكسر الهمزة(٣)، على إرادة القول، أو لتضمُّن الدعاء معنى القول.

﴿ففتحنا﴾ وشدّد التاء ابن عامر(٤).

قال علي عليه السلام: إن أبواب السماء فُتحت بالماء من المجرّة، وهي شَرْجُ السماء(٥).

﴿أبواب السماء بماء منهمر﴾ مُنْصَبٌّ بسرعة في كثرة.

﴿وفجَّرنا الأرض عيوناً﴾ تقديره: بعيون، فحذف الجار، وإن شئت كان "عيوناً": تمييزاً، أو حالاً، وإن شئت كان التقدير: وفجرنا من الأرض عيوناً(٦).

---

(١) ذكره الطبري (٢٧/ ٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٢).

(٢) في الأصل: موسى. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٨/ ٩٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٢)، والدر المصون (٦/ ٢٢٥).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٩)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٢٥٨)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٨). .

(٥) أخرجه البخاري في الأدب (ص:٢٦٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٩٧-١٢٩٨ ح٧٩٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٧٥) وعزاه للبخاري في الأدب وابن أبي حاتم.

(٦) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٢٦).

قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفجرت الأرض من تحتهم أربعين يوماً[١].

﴿فالتقى الماء﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض.

وقرأ أبي بن كعب وأبو رجاء وعاصم الجحدري: "الماءان"[٢]، أي: النوعان من الماء؛ السمائي، والأرضي.

وقرأ ابن مسعود: "المايان" بقلب الهمزة ياء[٣].

وقرأ الحسن: "الماوان" بقلب الهمزة واواً[٤]، كقولهم: علباوان.

﴿على أمر قد قُدِر﴾ أي: قضي عليهم.

وقال مقاتل[٥]: قدّر الله أن يكون [الماءان][٦] سواء، فكانا على قَدَر.

﴿وحملناه﴾ يعني: نوحاً ﴿على﴾ سفينة ﴿ذات ألواح ودُسُر﴾. قال الزجاج[٧]: الدُّسُر: المسامير والشُّرط التي تُشدُّ بها الألواح، وكل شيء كان نحو السَّمْر، أو إدخال شيء في شيء بقوّة وشِدَّة فهو الدَّسْر، يقال: دَسَرْتُ المسمار أَدْسُرُهُ دَسْراً[٨]. والدُّسُرُ: واحدها: دِسَار، نحو: حِمَار وحُمُر.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٢)، والدر المصون (٦/ ٢٢٦).

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٧).

(٦) في الأصل: الماء. والتصويب من ب.

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٨٧-٨٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: دسر).

وقال عكرمة: الدُّسر: صدر السفينة الذي يَدْسُرُه الموج[١].

﴿تجري بأعيننا﴾ أي: بمرأى منا.

وقال الضحاك: بأمرنا[٢].

وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها[٣].

والأول أصح.

﴿جزاء﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك جزاء[٤] ﴿لمن كان كُفِر﴾ وهو نوح عليه السلام، على معنى: مكافأة لنوح حين كفر به قومه، وأفرطوا في أذاه، فصبر عليهم.

وقال السدي: جزاء لتكذيبهم نوحاً[٥].

قال ابن جني[٦]: تأويله: جزاء لهم لكفرهم بنوح. واللام الأولى التي هي مفعول بها محذوفة، واللام الثانية الظاهرة في قوله: ﴿لمن كان كفر﴾ [لام المفعول له. وهناك مضاف محذوف، أي: جزاء لهم، لكفر من كُفِر][٧]، أي: لكفرهم بمن كفروا به.

وقرأ جماعة؛ منهم: مجاهد وقتادة: "كَفَر" بفتح الكاف والفاء[٨]، على معنى:

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٧٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٤٩)، والدر المصون (٦/ ٢٢٧).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٣).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٩٨).

(٧) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٤)، والدر المصون (٦/ ٢٢٧).

جزاءً للكافرين.

﴿ولقد تركناها﴾[1] يعني: الفعلة [أو السفينة][2] ﴿آية﴾ يعتبر بها.

قال قتادة: أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة دهراً طويلاً، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة[3].

وقد ذكرنا ذلك وقصة هلاكهم[4] وكيفية عمل السفينة في سورة هود[5].

﴿فهل من مُدَّكر﴾ مُتَّعِظٌ مُعتبر.

وقرئ: "مُذْتَكِر" على الأصل[6].

قال الزجاج[7]: أصله: مُذْتَكِر، بالذال والتاء، ولكن التاء أبدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالذال[8] من التاء، وأدغمت الذال في الدال. وقد قال بعض العرب: "مُذَّكِر" بالذال المعجمة، فأدغم التاء في الأول. وهذا ليس بالوجه، [إنما][9] الوجه: إدغام الأولى في التاء.

---

(١) في الأصل: والتقدير كناها. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: والسفينة. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) في ب: إهلاكهم.

(٥) عند الآية رقم: ٢٥-٤٤.

(٦) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٢٢٧)، والكشاف (٤/ ٤٣٦).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٨٨).

(٨) في معاني الزجاج: بالدال.

(٩) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٨٨).

قال قتادة: هل من طالب خير فَيُعان عليه[(١)].

﴿فكيف كان عذابي﴾ استفهام بمعنى التعظيم والتفخيم لذلك العذاب الشديد، والتخويف [لكفار][(٢)] قريش[(٣)].

قرأ يعقوب: "ونذري" بإثبات الياء في الحالين، في المواضع الستة في هذه السورة، وافقه في الوصل وَرْش عن نافع. وقرأ الباقون بحذفها في الحالين[(٤)].

قال ابن قتيبة[(٥)]: النُّذُر هاهنا: جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي: سَهَّلناه للحفظ والتلاوة، على ذوي الألسنة المختلفة، حتى إن الأعجمي والعجمي يُشارك الفصيح والعربي في تلاوته وحفظه، إعانة للمتذكرين، وتيسيراً لطريق [الوصول][(٦)] إلى الاتعاظ به.

قال سعيد بن جبير: ليس كِتابٌ من كُتب الله تعالى يُقرأ كله [ظاهراً][(٧)] إلا القرآن[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٩٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) في الأصل: لكافر. والمثبت من ب.

(٣) في ب: مكة.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٨)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٤)، والسبعة (ص:٦١٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٢).

(٦) في الأصل: الموصل. والمثبت من ب.

(٧) في الأصل: طاهراً. والتصويب من ب.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٥).

وقيل: يسرناه [للادّكار][1] والاتعاظ بما أودعناه من [المواعظ][2] الشافية، وصرفنا فيه من الوعيد.

﴿فهل من مدكر﴾ ذاكر يذكره، وقارئ يقرأه.

ومعنى ذلك: الحث على تعلّم القرآن وتدبر مواعظه.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

وقد سبق تفسير "الصَّرْصَر" في حم السجدة[3].

قوله تعالى: ﴿في يوم نحس مستمر﴾ أي: شُؤْم دائم.

وقرأ الحسن: "يومٍ" بالتنوين[4]، كقوله: ﴿في أيامٍ نحسات﴾ [فصلت:١٦].

قال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم[5].

قال الزجاج[6]: قيل: في يوم الأربعاء في آخر الشهر.

﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم من الأرض وقد تماسكوا ودخل بعضهم في بعض، واعتصم بعضهم بالشعاب والحفائر، فتنزعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتدقّ

---

(١) في الأصل: للاذتكار. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: الموعظ. والتصويب من ب.

(٣) سورة فصلت، عند الآية رقم: ١٦.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٥).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٨٩).

رقابهم، ﴿كأنهم﴾ وقد بانت رؤوسهم عن أجسادهم، أو مَالَتْ على أكتافهم، صرعى على الأرض، وهم جُثث طوال عظام ﴿أعجاز نخل﴾ قطعت فروعها ﴿منقعر﴾ منقلع عن مغارسها.

والأعْجَاز: جمع عَجُز، وهو مؤخر الشيء[١].

وقرأ أبي بن كعب: "أعْجُز" بضم الجيم من غير ألف بعد الجيم[٢].

وقرأ ابن مسعود وأبو مجلز وأبو عمران: "عُجُز" بضم العين والجيم من غير ألف قبل العين وبعد الجيم[٣].

قال الفراء[٤]: المنقعر: المُنْصَرِع من النخل.

قال ابن قتيبة[٥]: يقال: قَعَرْتُهُ فانقعَرَ، أي: قلعته فسقط.

قال أبو عبيدة[٦]: والنخل يذكر ويؤنث. فهذه الآية على لغة من ذَكَّر. وقوله: ﴿أعجاز نخل خاوية﴾ [الحاقة:٨] على لغة من أنَّث.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ
وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا
مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عجز).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٩٥)، والدر المصون (٦/ ٢٢٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٠٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٤١).

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي: بالرسل.

وقد ذكرنا فيما مضى أن المكذِّب لرسول واحد مكذِّب لجميع الرسل.

وقيل: النذر بمعنى [الإنذار. والمعنى][1]: كذبت ثمود [بالإنذار][2] الذي جاءهم به صالح.

﴿فقالوا أبشراً منا﴾ منصوب بفعل مضمر، يفسره ما بعده [وهو: ﴿نَتَّبِعُه﴾][3].

وقرأ أبو [السمّال][4] العدوي: "أَبَشَرٌ" بالرفع، "واحِدَاً" بالنصب[5].

قال أبو الفتح[6]: "بَشَرٌ" عندي مرتفع بفعل يدل عليه قوله تعالى: ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ كأنه قال: أيُنَبَّأ، أو أيُبعث بَشَر منا.

---

(١) في الأصل: الإذار والعنى. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: بالإذار. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: ونتبعه. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٨)، والدر المصون (٦/ ٢٢٩).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

وأما انتصاب "واحداً"؛ فإن شئت جعلته حالاً من الضمير في ["مِنَّـا"(١) أي: أَبَشَرٌ بَشَرٌ كائن مِنَّا؟ والناصب لهذه الحال الظرف، كقولك: زيد في الدار جالساً.

وإن شئت جعلته حالاً من الضمير في](٢) قوله: "نَتَّبِعه"(٣)، أي: نتبعه واحداً منفرداً لا ناصر له.

وقال الزمخشري(٤): قرئ: "أبشرٌ منا واحدٌ" على الابتداء، و"نتبعه" خبره.

فإن قيل: ما مرادهم بقولهم: "منا"؟

قلتُ: الذي يظهر لي: أنهم أرادوا انتظامه معهم في سلك المساواة في البشرية والقبيلة، كأنهم قالوا: نتبع بشراً، ثم مع كونه بشراً هو رجل منا لا امتياز له علينا بوجه من الوجوه.

وقَلَّ أن ترى مثل هذا التدقيق والتحقيق في تفسير، فإذا قرأته فادْعُ بالرحمة والمغفرة لمن أسهَر فيه ناظره، وأتعب في استثماره خاطره.

واعلم أنني بعد ذلك رأيت بعض نَحارِير(٥) العلماء قد ألمّ بهذا المعنى، فحمدتُ الله على مماثلته في التوفيق، [لإصابة](٦) جهة التحقيق.

﴿إنا إذاً﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لفي ضلال﴾ عن الصواب ﴿وسُعُر﴾ أي: جنون.

---

(١) أي الضمير المستقر في متعلقه.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من المحتسب (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٠)، والدر المصون (٦/ ٢٢٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٣٧).

(٥) النحارير: جمع نحرير، وهو الرجل الفَطِن المُتقن البصير في كل شيء، أو الحاذق الماهر العاقل المجرِّب (اللسان، مادة: نحر).

(٦) في الأصل: والإصابة. والتصويب من ب.

قال الفراء[١]: يقال: نَاقَةٌ مسعورةٌ؛ إذا كانت خفيفة الرأس، هائمةً على وجهها[٢].

قال الشاعر يصف ناقته:

تَخَالُ بها [سُعْراً][٣] إذا العيسُ هزَّها ذميلٌ [وإيضاعٌ من السَّيْر][٤] مُتْعِبُ[٥]

العِيس: الإبل البيض وفي بياضها ظُلمة خفيفة[٦]. يريد: تَخَالُ بها من شدة نشاطها وسرعة مشيها[٧] جُنوناً. وهذا التفسير منقول عن ابن عباس وكثير من المفسرين[٨].

وقيل: السُّعُر: وقود النار[٩].

ثم في تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: أنه كقول من وقع في [خَطْبٍ][١٠] عظيم وعذاب أليم: أنا في النار،

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظره في: تفسير البغوي (٤/ ٢٦٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سعر).

(٣) زيادة من ب، ومن مصادر البيت.

(٤) في الأصل: وإيضاح من السر. والمثبت من ب، ومصادر البيت. والإيضاع: سيرٌ مثل الخَبَب (اللسان، مادة: وضع).

(٥) البيت لم أعرف قائله، وهو في: البحر (٨/ ١٧٨)، والدر المصون (٦/ ٢٢٩)، والكشاف (٤/ ٤٣٧)، والقرطبي (١٧/ ١٣٨)، وروح المعاني (٢٧/ ٨٨).

(٦) انظر: اللسان (مادة: عيس).

(٧) في ب: سيرها.

(٨) انظر: القرطبي (١٧/ ١٣٨).

(٩) انظر: اللسان (مادة: سعر).

(١٠) في الأصل: خصب. والتصويب من ب.

يريد: تشبيه حاله في الألم بحال من يُعذّب بالنار ويحرق بها.

الثاني: أنهم عكسوا على صالح ما كان يتوعدهم به إن لم يتبعوه من نار جهنم، فقالوا على طريقة الفَرَض والتقدير: إن اتبعناك كنا إذاً في ضلال وسُعُر.

ثم أنكروا اختصاصه من بينهم بالنبوة والرسالة فقالوا: ﴿أألقي الذكر﴾ أي: أنزل ﴿عليه﴾ الوحي ﴿من بيننا بل هو كذابٌ أشِر﴾ بَطِرٌ متكبّر، حمله كبره على الكذب في [ادعاء][1] النبوة ليتعظَّم علينا بها.

وقرأ مجاهد: "أَشُر" بضم الشين[2]، وهما لغتان، مثل: حَذِر وحَذُر، ويَقِظ ويَقُظ، وعَجِل وعَجُل.

﴿سيعلمون غداً﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة: ["ستعلمون"][3] بالتاء[4]، على معنى: قيل لهم ستعلمون غداً عند نزول العذاب بكم أو يوم القيامة ﴿من الكذاب الأشِر﴾.

وقرأ أبو قلابة: "الأشَرُّ" بفتح الشين وتشديد الراء[5].

والصحيح: ما عليه عامة القرّاء؛ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنها نُقلت بطريق التواتر الذي لا يثبت كونه قرآناً إلا به.

الثاني: أنه رام عكس قولهم عليهم، وهم إنما نسبوه إلى الأشَر لا إلى الشَّرَارة.

---

(١) في الأصل: الدعاية. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٩)، والدر المصون (٦/ ٢٣٠).

(٣) في الأصل: وستعلمون. والتصويب من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٨٩)، والكشف (٢/ ٢٩٧)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٧٩)، والدر المصون (٦/ ٢٣٠).

الثالث: أنه وإن كان أصل قولهم هو شر منه، لكنه أصل مرفوض.

وقد حكى ابن الأنباري أن العرب تقول: هو أَخْيَر وأَشَرّ، وما أخيَرَه وما أشرّه[١].

قوله تعالى: ﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم﴾ أي: باعثوها ومخرجوها على حسب ما اقترحوا من الصخرة ابتلاء وامتحاناً لهم، ﴿فارتقبهم﴾ انتظر ما هم صانعون ﴿واصطبر﴾ على أذاهم، منتظراً أمري فيهم وحكمي عليهم.

﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ لهم شِرْبٌ وللناقة شِرْبٌ. وإنما قال "بينهم": تغليباً للعقلاء.

﴿كل شرب محتضر﴾ محضور إما لهم أو للناقة.

﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدَّار بن سالف ﴿فتعاطى﴾ عقر الناقة ﴿فعقر﴾ فبلغ ما أراد، أو فتعاطى السيف فعقر الناقة.

و"المحتظِر": الذي يعمل الحَظِيرة يمتنع بها، من [الحَظْر][٢]، وهو المنع[٣].

قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك وداسَتْهُ الغنم فهو الهَشِيم[٤].

قال الزجاج[٥]: الهَشِيم: ما يَبِسَ من الورق وتكسّر وتحطّم.

---

(١) انظر قول الأنباري في: البحر المحيط (٨/ ١٧٩).

(٢) في الأصل: الظر. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: حظر).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٩٨).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٩٠).

وقرأ الحسن: "المحتَظَر" بفتح الظاء[١]، وهو موضع الاحتظار، أي: كهشيم المكان الذي فيه الحظيرة.

وقد ذكرنا قصتهم في موضعها[٢].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾ قال ابن عباس: يريد: ما حُصبوا به من الحجارة من السماء[٣].

قال أبو عبيدة والنضر[٤]: الحاصب: الحجارة في الريح.

وقد ذكرنا ذلك في بني إسرائيل عند قوله: ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ [الإسراء:٦٨].

قوله تعالى: ﴿نجيناهم بسَحَر﴾ قال الأخفش: إنما أجراه؛ لأنه نكرة، ومجازه:

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٥).

(٢) وذلك في تفسير سورة الأعراف عند الآية رقم: ٧٣.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٧) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢١١).

(٤) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٢٤١)، والماوردي (٥/ ٤١٨) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢١١).

بسحر من الأسحار، ولو أراد سحراً بعينه لقال: بسحر، غير مجرى، ونظيره قوله تعالى: ﴿اهبطوا مصراً﴾[1] [البقرة:٦١].

﴿نعمةً من عندنا﴾ مفعول له[2]، أي: نجيناهم للإنعام عليهم، ﴿كذلك نجزي من شكر﴾ [أنعُمَنا][3] فَوَحَّد وأطاع.

﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط قبل حلول العذاب بهم ﴿بطشتنا﴾ أَخْذَنا إياهم بالعقوبة ﴿فتماروا بالنذر﴾ وكذبوا بالإنذار متشاككين فيه.

﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ مثل قوله: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ [يوسف:٢٣].

﴿فطمسنا أعينهم﴾ مسحناها وجعلناها كسائر الوجه، على ما ذكرناه في سورة هود[4]. وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين[5].

وقال الضحاك: أُخفوا عن أبصارهم حتى لم يروهم مع بقاء أعينهم[6].

﴿فذوقوا﴾ على إضمار القول، تقديره: فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ﴿ذوقوا عذابي ونذري﴾ ما أنذركم به لوط من العذاب، سمى العذاب باسم الإنذار.

﴿ولقد صبّحهم بكرة﴾ أول النهار، وأراد بُكْرة: من البُكَر، فلذلك صُرِفَت ﴿عذاب مستقر﴾ دائم إلى أن يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

---

(١) انظر قول الأخفش في: القرطبي (١٧/ ١٤٣).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٠)، والدر المصون (٦/ ٢٣١).

(٣) في الأصل: أنعامنا. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٨١.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٠٥). وذكره الماوردي (٥/ ٤١٨).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤١٨).

وما [كرّره][(١)] في هذه السورة في آخر كل قصة ففائدته: قرع [الأسماع][(٢)] بالزواجر والمواعظ، وإيقاظ البصائر من رقدة الغفلة عن هذا النبأ العظيم، [والخَطْب][(٣)] الجسيم.

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ وهم موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، [لأنهما][(٤)] عَرَضَا عليه ما جاءت به النُّذُر من قبلهما.

وقيل: النُّذُر: جمع نذير، إما بمعنى الإنذار، وإما لأن كل آية من الآيات التسع نذير.

﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني: الآيات التسع. وقد ذكرناها في بني إسرائيل[(٥)].

﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ لا يُغالَب مقتدر على ما يريد.

﴿أكفاركم﴾ يا أهل مكة ﴿خير﴾ أقوى وأشد، أو بمعنى: أقلّ كُفْراً ﴿من

(١) في الأصل: ذكره. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: المسماع. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: والخطاب. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: بأنهما. والمثبت من ب.

(٥) سورة الإسراء، الآية رقم: ١٠١.

أولئكم﴾ المذكورين المهلكين. وهذا الاستفهام بمعنى: الإنكار والتوبيخ.

﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ أي: براءة أنزلها الله تعالى في الكتب المتقدمة بأنكم آمنون من حلول مثل ذلك العذاب بكم.

﴿أم يقولون﴾ لاتفاق كلمتهم وشدة شكيمتهم: ﴿نحن جميع منتصر﴾.

قال الكلبي: نحن جميع ننتصر من أعدائنا[١].

قال الثعلبي[٢]: وكان حقُّه: مُنْتَصِرُون، فَتَبعَ رُؤوس الآي.

وقال الواحدي[٣]: وَحَّدَ "مُنْتَصِر" للفظ الجميع، وهو واحد في اللفظ، وإن كان اسماً للجماعة، كالرَّهْط والجَيْش.

﴿سيُهزم الجمع﴾ وقرأ يعقوب في رواية أبي حاتم عنه: "سَنَهْزِمُ" بالنون وكسر الزاي، "الجَمْعَ" بالنصب، "وتُوَلُّونَ" بالتاء[٤].

والمعنى: سيهزم جمع كفار قريش، ﴿ويولون الدُّبُر﴾ يريد: الأدبار، فذهب به مذهب [الجنس][٥]. وهذا مما وعد الله به رسوله والمؤمنين، فحققه لهم يوم بدر، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولقدْ وليتُمُ الدُّبُرَ لنا حين ... سالَ الموتُ من رأسِ الجبل[٦]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٣).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٩).

(٣) الوسيط (٤/ ٢١٣).

(٤) النشر (٢/ ٣٨٠).

(٥) في الأصل: الجيش. والتصويب من ب.

(٦) انظر البيت في: الماوردي (٥/ ٤١٩).

أخبرنا الشيخان أحمد بن عبدالله وعلي بن أبي بكر بن عبدالله البغداديان قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا محمد بن حوشب[١]، حدثنا عبد الوهاب[٢]، حدثنا خالد الحذّاء[٣].

قال البخاري: وحدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب، حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ قال وهو في قُبَّةٍ يوم بدر: اللهم! إني أنشدك عهدك ووعدك، إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبُك يا رسول الله، ألححتَ على ربك، وهو يَثِبُ في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾»[٤].

هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي: موعد الجميع للعذاب، ﴿والساعة

---

(١) محمد بن عبد الله بن حوشب الطائفي، نزيل الكوفة، صدوق (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٦، والتقريب ص:٤٨٧).

(٢) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، أبو محمد البصري، ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين، مات أربع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٧، والتقريب ص:٣٦٨).

(٣) خالد بن مهران الحذّاء، أبو المنازل البصري، مولى قريش، وقيل: مولى بني مجاشع، ثقة كثير الحديث، وسمي بالحذّاء؛ لأنه كان يجلس عندهم، وقيل: لأنه كان يقول أحذ على هذا النحو، أشار حماد بن زيد إلى أن حفظه تغير لما قدم من الشام، وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٤، والتقريب ص:١٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٥ ح٤٥٩٤).

أدهى﴾ قال الزجاج[1]: الداهية: الأمر الشديد الذي لا يُهتدى لدوائه.

والمعنى: والساعة أفظع ﴿وأمرّ﴾ أشد مرارة مما نالهم من القتل والأسر والهزيمة يوم بدر.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسُعُر﴾ أي: في ضلال عن الحق في الدنيا، ونار تُسْعَر عليهم في الآخرة.

أخرج مسلم في صحيحه والترمذي من حديث أبي هريرة قال: «جاء مشركوا قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القَدَر، فأنزل الله: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقَدَر﴾»[2].

وهذه الآية المعتضدة بالأحاديث الصحيحة المبين لسبب النزول الدافع لكل تأويل يعتصم به الخصم من جملة الدلائل الدامغة للقدرية، والبراهين المبطلة لمذهبهم الخبيث.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٦ ح٢٦٥٦)، والترمذي (٤/ ٤٥٩ ح٢١٥٧).

قال وهب بن منبه: قرأتُ اثنين وسبعين كتاباً من كُتُب الله عز وجل، فوجدت فيها كلها: أن من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر[١].

ويكفي في إثبات كفرهم وضلالهم؛ ما أخبرنا به شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه بقراءتي عليه قال: قرئ على [فاطمة][٢] بنت علي بن عبدالله وأنا أسمع، أخبركم أبو القاسم بن بنان، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو حفص بن شاهين[٣]، حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الهروي[٤]، حدثنا زكريا بن منظور[٥]، عن أبي حازم[٦]،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤٦، ٦٨٣)، وابن سعد في طبقاته (٥/ ٥٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٦) وعزاه لابن سعد والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) في الأصل: طمة. والتصويب من ب.

(٣) عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب، أبو حفص المعروف بابن شاهين البغدادي الواعظ، ولد في سنة سبع وتسعين ومائتين، ارتحل بعد الثلاثين إلى دمشق فسمع بها وبغيرها، وجمع وصنف الكثير، كان ثقةً مأموناً، مات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣١-٤٣٤).

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن حاتم، أبو إسحاق الهروي، نزيل بغداد، صدوق حافظ تكلم فيه بسبب القرآن، مات بسر من رأى سنة أربع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١١٥، والتقريب ص:٩٠).

(٥) زكريا بن منظور، ويقال: اسم جده: عقبة بن ثعلبة بن أبي مالك، ويقال: زكريا بن يحيى بن منظور بن ثعلبة القرظي، أبو يحيى المدني القاضي، حليف الأنصار، ضعيف، منكر الحديث (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٧، والتقريب ص:٢١٦).

(٦) هو سلمة بن دينار. تقدمت ترجمته.

عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((القدرية مجوس هـذه الأمـة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم))(١).

وممن روى عن النبي ﷺ أن القدرية مجوس هذه الأمة: أبو هريرة، وأبو سعيد، وأبو أمامة، وجابر بن عبدالله، وأنس، وسهل بن سعد.

قال أبو سليمان الخطابي: إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر مـن فعل الظلمة، فصاروا ثنويّة، وكذلك القدرية يُضيفون الخـير إلى الله، والـشر إلى غيره(٢). والله أعلم.

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ((اتقـوا هـذه القدريـة، فإنهـا شـعبة مـن النصرانية))(٣).

وروى عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: ((ما هلكت أمة قط، إلا كان بدؤها الشرك بالله، وما كان بدؤها الشرك إلا التكذيب بالقدر))(٤).

وروى ابن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قـال: ((مـن كـذَّب بالقـدر أو خاصم فيه فقد كفر بما جئت به، وجحد ما أنزل عليّ))(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٢ ح٤٦٩١).

(٢) ذكره النووي في شرحه على مسلم (١/ ١٥٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٢٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٢ ح١١٦٨٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل الـسنة (٤/ ٦٣١ ح١١٢٨).

(٤) أخرجـه الطـبراني في الـصغير (٢/ ٢١٩ ح١٠٥٩)، والبخـاري في التـاريخ الكبـير (٨/ ٣٠٠ ح٣٠٨١).

(٥) أخرجـه العقـيلي في الـضعفاء (٢/ ١٧٠ ح٦٨٦)، والطـبراني في الأوسـط (٨/ ١٦٩ ح٨٢٩٨) =

وهذه الأحاديث تركت أسانيدها اختصاراً.

قرأتُ على الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي، أخبركم أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي فأقرّ به، أخبرنا محمد بن الحسن المقوّمي، أخبرنا القاسم بن أبي المنذر، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، أخبرنا محمد بن [يزيد](١) بن ماجه، حدثنا عبدالله بن عامر بن زرارة(٢)، حدثنا شريك(٣)، عن منصور، عن ربعي، عن علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن [عبد حتى يؤمن](٤) بأربع: بالله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وبالبعث بعد الموت، والقدر»(٥). هذا حديث صحيح.

وقرأتُ على شيخنا أبي محمد عبدالله بن أحمد، أخبركم أبو الحسن علي بن عساكر المقرئ فأقرَّ به، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله(٦) الفقيه، أخبرنا أبو

= كلاهما بلفظ: "من كذب بالقدر فقد كذب بما أنزل على محمد ﷺ".

(١) في الأصل: زيد. والتصويب من ب.

(٢) عبد الله بن عامر بن زرارة الحضرمي مولاهم، أبو محمد الكوفي، صدوق، مات سنة سبع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٣٨، والتقريب ص:٣٠٩).

(٣) شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، أبو عبد الله الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة، صدوق يخطىء كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً، شديداً على أهل البدع، مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٣-٢٩٥، والتقريب ص:٢٦٦).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٢ ح٢١٤٥)، وابن ماجه (١/ ٣٢ ح٨١).

(٦) في ب: عبيدالله.

الحسن علي بن البسري، [أنبأنا](١) عبيدالله، حدثني يعقوب بن يوسف، حدثنا محمد بن عبدالله المروزي، حدثنا يحيى بن أبي جعفر، أخبرني أحمد بن عمرو، حدثنا إبراهيم بن سلمة(٢) البصري، حدثنا إبراهيم بن سليمان السلمي، حدثنا ابن أبي روّاد، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((ينادي منادٍ يوم القيامة: أين خصماء الله؟ قال: فتقوم القدرية مسودّة وجوههم، مزرقّة أعينهم، مائلاً شقّهم، يسيل لُعابهم، يقذرهم كل من رآهم، فيقولون: والله ربنا ما عبدنا شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولا اتخذنا من دونك إلهاً، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة:١٨] هم والله القدريون، هم والله القدريون، هم والله القدريون))(٣).

قال بعض العلماء: إنما سُمُّوا خصماء الله؛ لأنهم يقولون: يكتب الله علينا المعاصي، ثم يُعذّبنا(٤).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن وهب بن خالد، عن ابن الديلمي قال: ((لقيت أبيّ بن كعب فقلت: يا أبا المنذر، إنه قد وقع في قلبي شيء من هذا القدر، فحدثني بشيء فلعله يَذهب من قلبي. قال: لو أن الله عذب أهل سماواته

(١) في الأصل: أنبأ. والتصويب من ب.

(٢) في ب: سلم.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٦٢، ح٧١٦٢). قال الهيثمي (٧/ ٢٠٦): فيه محمد بن الفضل بن عطية، والدارقطني في العلل (٢/ ٧٠، ح١١٥) وقال: هو حديث مضطرب الإسناد غير ثابت، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٨٦) وعزاه لابن مردويه.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٥).

وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً من أعمالهم، ولو أنفقتَ جبل أُحد أو مثل جبل أُحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك لدخلت النار. قال: فأتيت حذيفة فقال لي مثل ذلك، وأتيت ابن مسعود فقال لي مثل ذلك، وأتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك))(١).

وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب قال: ((بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر، تدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))(٢). وهو مختصر من حديث طويل.

وقد ذكرت في أثناء كتابي هذا أنواعاً من الأدلة الدّالة على بطلان مذهبهم، ولولا خشية الإطالة لذكرتُ في إقامة حُجج الله عليهم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يملأ أوراقاً كثيرة، لكن في هذا القدر كفاية لمن أراد الله تعالى هدايته.

قال أبو الأسود الدؤلي: ما أدركتُ أحداً من أصحاب النبي ﷺ إلا وهو يُثبت

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢ ح٢١٦٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٧ ح٨).

القدر[١].

قوله تعالى: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ على إرادة القول، أي: يقال لهم ذوقوا مسّ سقر.

قال الحسن البصري رحمه الله: والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، ثم صلى حتى يصير كالوَتَر، ثم أُخذ ظُلماً وزُوراً حتى ذُبح بين الركن والمقام، لكبَّه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له: ذُقْ مَسَّ سقر[٢].

قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقَدَر﴾ قرأ العشرة وأكثر القرّاء: "كلَّ" بالنصب بفعل مُضْمَر يفسره الظاهر.

وقرأ أبو [السَّمَّال][٣] العدوي البصري: "إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ" بالرفع[٤].

قال أبو الفتح[٥]: الرفع هنا أقوى من النصب، وإن كانت الجملة على النصب، وذلك أنه في موضع الابتداء، فهو كقولك: زيدٌ ضربتُه، وهو مذهب صاحب الكتاب[٦] والجماعة. وذلك لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن مبتدأ، من قولك: نحن كل شيء خلقناه بقدر، فهو كقولك: هندٌ زيدٌ ضربها، ثم دخلت

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٥٨٥ ح١٠٣٧، ٤/ ٦٦٢ ح١٢٠٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ١٤٣ ح١١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٤-٢١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٢).

(٣) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٨١)، والدر المصون (٦/ ٢٣٢).

(٥) المحتسب (٢/ ٣٠٠).

(٦) انظر: الكتاب (١/ ١٤٨) وفيه عن الآية: "فأما قوله عز وجل: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ فإنما هو على قوله: زيداً ضربته، وهو عربي كثير".

"إِنَّ" فنصبت الاسم، وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر.

ومعنى الآية: كل شيء خلقناه بقدر مقدور مكتوب في اللوح المحفوظ.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل شيء بقدر حتى العَجْز والكَيْس))[١].

قال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدّك[٢].

قوله تعالى: ﴿وما أمرنا﴾ قال ابن عباس: قضاؤنا في خلقنا[٣].

وقال ابن السائب: ما أمرنا بمجيء الساعة[٤].

﴿إلا واحدة﴾ كلمة واحدة، وهي: "كُنْ"، فهي في سرعة التكوين كلمْح البصر.

ومعنى اللمْح: النَّظَر بسرعة[٥].

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم ونظراءكم من كفار الأمم الماضية.

﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ قال مقاتل[٦]: مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ ح٢٦٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣١٨ ح٩٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٨٤) وعزاه للبخاري في تاريخه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر: اللسان (مادة: لمح).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٢).

وقيل: في كتب الحفظة.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال، وما كان وما يكون ﴿مستطر﴾ مكتوب في اللوح.

وقيل: كونه ووقوعه.

﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ يريد: أنهار الجنة من الماء واللبن والخمر والعسل، فوحَّد لوفاق الفواصل، أو ذهب به مذهب الجنس، وأنشد الخليل وسيبويه(١):

بها جِيَفُ [الحَسْرَى](٢) فأمَّا عِظَامُها فبيضٌ وأما جلدُها فصليبُ(٣)

وقيل: المراد بالنَّهَر: الضِّياء والسعة، من قولك: أنهرْتُ الطَّعْنة؛ إذا أوسعتها(٤).

وقرأ الأعمش والأعرج: "ونُهُر" بضم النون والهاء(٥)، [جمع](٦) نَهَر، كأَسَد وأُسُد، أو جمع نَهَار، يريد: لا ليل لهم، بل هم في ضياء أبداً.

﴿في مقعد صدق﴾ أي: في مكان مرضي ومجلس. وقد نبهنا على هذا في قوله

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: الحشرى. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيت لعلقمة بن عَبَدَةَ المعروف بالفحل. انظر: ديوانه (ص:٤٠) والكتاب (١/ ٢٠٩)، والمفضليات (ص:٣٩٤)، والطبري (٤/ ٢٤٤، ١٧/ ١٢)، والقرطبي (١/ ١٩٠)، ومعاني الزجاج (١/ ٨٣، ٢/ ٧٤)، وزاد المسير (١/ ٣٠٧، ٤٠١، ٢/ ١٢٨، ٨/ ١٠٣)، والدر المصون (١/ ١٠٨، ٢/ ١٢٥).

(٤) انظر: اللسان (مادة: نهر). وفي ب: وسعتها.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٥).

(٦) في الأصل: وجمع. والتصويب من ب.

تعالى: ﴿أن لهم قدم صدق﴾ [يونس:٢].

﴿عند مليك﴾[1] مالك، وجاء على بناء فعيل؛ للمبالغة، ﴿مقتدر﴾ قادر على ما يشاء.

والمراد: المجالس التي أعدّها الله تعالى لأوليائه في جواره. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: مقتدر. وستأتي بعد.

سورة الرحمن عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي سبع وسبعون آية في المدني، وثمان في الكوفي[1].

وهي مكية في قول الحسن وعطاء ومقاتل[2] والأكثرين، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة عنه[3]، واستثنى آية وهي: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾[4].

ومدنية في قول ابن مسعود وابن عباس في رواية عطية عنه[5].

والصحيح الأول؛ لأن النبي ﷺ قرأها على الجن الذين صرفهم الله تعالى إليه، وكان ذلك بمكة.

وسنذكر الحديث في آخر السورة إن شاء الله.

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٧).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٤٣).

(٤) انظر: الماوردي (٥/ ٤٢٢)، وزاد المسير (٨/ ١٠٥)، والدر المنثور (٧/ ٦٨٩).

(٥) انظر: المصادر السابقة.

بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ
وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

قال الله عز وجل: ﴿الرحمن * علم القرآن﴾ قال مقاتل[(١)]: لما نزل قوله: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان:٦٠] قال كفار مكة: وما الرحمن؟ فأنكروه. فقال الله: الرحمن الذي أنكروه هو الذي علم القرآن.

قال الكلبي: علَّم محمداً وعلَّم محمد أمته[(٢)].

وقال الزجاج[(٣)]: يسّر القرآن لأن يذكر.

﴿خلق الإنسان﴾ قال ابن عباس وقتادة: آدم[(٤)].

و﴿البيان﴾: اللغات، والأسماء كلها.

وقال ابن كيسان: المراد بالإنسان: محمد ﷺ، علَّمه بيان ما كان ويكون[(٥)].

والصحيح: أن الإنسان: اسم جنس، وهو قول جمهور المفسرين[(٦)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٩٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١٤) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٠٦) عن ابن عباس وقتادة، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

(٦) ذكره الطبري (٢٧/ ١١٤)، والماوردي (٥/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

قال الحسن: البيان: النطق والتمييز[١].

وقال يمان: البيان: الكتابة والخط[٢].

قال بعض العلماء: لما أراد الله تعديد نعمه على خلقه في هذه السورة بدأ بنعمة الدِّين؛ لكونها أجلّ المنن وأعظمها، وتعليم القرآن أعلى مراتبها وأقصى مراقيها؛ لأنه الصراط المستقيم المُفْضي إلى الجنة والسعادة الأبدية، وثَنَّى بخلق الإنسان؛ تنبيهاً له أنه خُلق للدين والعلم بالقرآن، وثَلَّث بنعمة تعليم البيان، وهو النطق الذي تميّز به عن سائر الحيوان، والذي هو وسيلة إلى العلم بالقرآن [والتمييز][٣] بين الخير والشر[٤].

قال صاحب الكشاف[٥]: "الرحمن": مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيدٌ أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذل، كثّرك بعد قلّة، فَعَلَ بك ما لم يَفعل أحد بأحد.

قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي: يجريان بحساب معلوم، لمصالح العالم، على ما بيناه في مواضعه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: والتميز. والتصويب من ب.

(٤) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٣٥): فإن قيل: لِمَ قَدَّمَ تعليم القرآن للإنسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود؟

قيل: لأن التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه.

(٥) الكشاف (٤/ ٤٤٣).

﴿والنجم﴾ قال ابن عباس: هو كل نبت ليس له ساق[١].

قال اللغويون[٢]: هو النبات الذي ينجم، أي: يطلع ليس له ساق؛ كالبقول.

﴿والشجر﴾ الذي له ساق.

وقال مجاهد: المراد بالنجم: نجوم السماء[٣].

وجوّز الزجاج[٤] أن يراد: جميع ما نَبَتَ على وجه الأرض، وما طلع من نجوم السماء. وقال: يقال لكل ما يطلع: قد نَجَمَ.

والأول أصح.

وسجودهما: انقيادهما لما خُلقا له.

وقيل: سجودهما: ميلهما مع الشمس.

وقيل: [تفيّؤ][٥] ظلالهما.

وقد أشرنا إلى ذلك وإلى ما هو المختار عندنا من القول في هذه الآية وأمثالها في سورة الحج[٦].

قوله تعالى: ﴿والسماء رفعها﴾ أي: جعلها رفيعة عالية؛ ليتسع الفضاء بين الأرض والسماء، ولولا ذلك وجريان الريح؛ لمات الخلق كَرْباً.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٩٦)، ومعاني الفراء (٣/ ١١٢).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٣٩)، والطبري (٢٧/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٦).

(٥) في الأصل: تفؤ. والتصويب من ب.

(٦) عند الآية رقم: ١٨.

وقرأ أبو [السمّال](١): "والسماءُ" بالرفع(٢)، جعلها جملة مركّبة من مبتدأ وخبر معطوفة على الجملة التي هي قوله: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾.

﴿ووضع الميزان﴾ لينتصف بعض الناس من بعض.

قال الضحاك: هو الميزان ذو اللسان والكِفَّتين(٣).

وقال مجاهد وقتادة والسدي: المراد بالميزان: العدل(٤).

وقيل: القرآن(٥).

والعدل شامل لجميع الأقوال، وبه تقدير الأشياء ووزنُها، وتمييز باطلها من حقها.

فالمراد بالميزان على هذا: كل ما تُعرف به المقادير، من ميزان ومكيال ومقياس وغير ذلك.

﴿أن لا تطغوا﴾ أي: وضعها لئلا تطغوا وتتجاوزوا القدر والعدل.

ويجوز أن تكون "أنْ" مفسرة و "لا" للنهي، تقديره: أي: لا تطغوا ﴿في الميزان﴾(٦).

---

(١) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ١٨٨)، والدر المصون (٦/ ٢٣٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧).

(٤) أخرجه مجاهد (ص: ٦٤٠)، والطبري (٢٧/ ١١٨). وذكره الماوردي (٥/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧) من قول الحسين بن الفضل.

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٣)، وأبي البقاء العكبري في التبيان (٢/ ٢٥١)، إلا أن أبا البقاء كأنّه تنبّه للاعتراض فقال: و"أنْ" بمعنى: أي، والقول مقدّر. قال السمين الحلبي في الدر =

﴿وأقيموا الوزن﴾ وفي قراءة ابن مسعود: "وأقيموا اللسان".

﴿بالقسط﴾ أي: لسان الميزان.

والمعنى: قوّموه بالقسط، وهو العدل.

﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي: لا تنقصوه. فنهى سبحانه أولاً عن الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الاعتداء، وأمر بالتسوية والعدل ثانياً، ثم نهى عن التطفيف والنقصان ثالثاً. وكرّر ذكر الميزان؛ مبالغة في الحث على الأخذ به والعدل فيه.

قرأ بلال بن أبي بردة: "ولا تَخْسَرُوا" بفتح التاء والسين، على معنى: لا تخسروا في الميزان، فلما سقط الحرف الجار تعدّى الفعل، فنصب[1]. وروي عنه: "تَخْسِرُوا" بفتح التاء وكسر السين[2].

قال الزجاج[3]: روى أهل اللغة: أَخْسَرْتُ الميزان، وخَسَرْتُ الميزان.

وقال ابن جني[4]: هو ما يشترك فيه فَعَلْت وأفْعَلْت من المعنى =

المصون (٦/ ٢٣٧): وقوله: "والقول مقدّر" ليس بجيد؛ لأنها لا تفسّر القول الصريح، فكيف يقدّر ما لا يصح تفسيره؟ فإصلاحه أن يقول: وما هو بمعنى القول مقدّر.

وردّ هذا القول -أي: أن تكون "أنْ" مفسرة و "لا" للنهي- أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ١٨٨) فقال: ولا يجوز؛ لأنه فات أحد شرطيها، وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول، ووضع الميزان جملة ليس فيها معنى القول، والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتعمد، وأما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه.

(١) قال أبو حيان في البحر (٨/ ١٨٨): ولا يحتاج إلى هذا التخريج؛ لأن خسر جاء متعدياً؛ كقوله تعالى: ﴿خسروا أنفسهم﴾ [الزمر:١٥]، و ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ [الحج:١٥].

(٢) انظر القراءتين في: البحر المحيط (٨/ ١٨٨)، والدر المصون (٦/ ٢٣٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٩٦).

(٤) المحتسب (٢/ ٣٠٣).

[الواحد][(١)]، نحو: أَجْبَرْتُه وجَبَرْتُه، وأَهْلَكْتُه وهَلَكْتُه.

وقال الزمخشري[(٢)]: يقال أيضاً: خسر الميزان يَخْسَره ويَخْسِره، بضم السين وكسرها.

قوله تعالى: ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ أي: بَسَطَها ومهَّدَها للأنام.

قال ابن عباس: الأنام: الإنس[(٣)]. وأنشدوا قول [رقيقة][(٤)] بنت أبي صيفي في عبدالمطلب:

مُبارَكُ الوَجْهِ يُسْتَسْقَى الغمامُ به ... ما في الأنامِ له عِدْلٌ ولا خَطَرُ[(٥)]

وقال الحسن والزجاج[(٦)]: الإنس والجن[(٧)].

(١) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٢) الكشاف (٤/ ٤٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٢-٦٩٣) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم. وذكره من نفس الطريق أيضاً، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: رفيقة. والمثبت من ب.

(٥) البيت لرقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف، تمدح عمها عبد المطلب حين استسقى به قومه فسقوا، وأولها:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوَّذ المطر

وحديث رقيقة في سقيا عبد المطلب أخرجه ابن سعد في طبقاته (١/ ٨٩-٩٠)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٥٩ ح٦٦١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ١٤٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٩٧).

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١١٩) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن الحسن.

وقال مجاهد وقتادة: هو اسم لكل ذي روح[١].

قال بعضهم: سُمِّي بذلك؛ لأنه ينام.

والآية التي بعد هذه مفسرة فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ قرأ ابن عامر: "والحبَّ" بالنصب، "ذا" بالألف، "والريحانَ" بالنصب[٢]؛ عطفاً على قوله: ﴿وضعها للأنام﴾، على أن "وَضَعَهَا" بمعنى: خَلَقَها. المعنى: والأرض خلقها وخلق الحب والريحان.

وقرأ الباقون: "والحبُّ" بالرفع[٣]، على معنى: فيها فاكهة والنخل والحب ذو العصف وفيها الريحان.

وقرأ حمزة والكسائي: "والريحانِ" بالجر[٤]، على معنى: ذو العصف وذو الريحان.

والحب: اسم جنس، يريد: الحبوب المأكولة.

قال ابن كيسان: يبدو أولاً ورقاً وهو العصف، ثم يبدو له ساق، ثم يُحدث الله فيه أكماماً، ثم يُحدث في الأكمام الحَبّ[٥].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠٧-١٠٨).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٩)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٠)، والكشف (٢/ ٢٩٩)، والنشر (٢/ ٣٨٠)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٨).

قال الزجاج[1]: والعَصْفُ: ورق الزرع، ويقال: التِّبْن.

والريحان: الرزق. في قول أكثر المفسرين[2].

قال الفراء[3]: الريحان في كلام العرب: الرِّزق، يقولون: خرجنا نطلب ريحان الله. وأنشد الزجاج[4] للنمر بن تولب:

سَلامُ الإلهِ وريحانُهُ ورحمتُهُ وسَماءٌ دِرَر[5]

وبهذا التفسير تَحْسُنُ قراءة حمزة والكسائي.

المعنى: وفيها الحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام، وذو الريحان الذي هو [مَطْعَم][6] الناس.

وقال الحسن والضحاك وابن زيد: هو الريحان المشموم[7].

والقولان مرويان عن ابن عباس.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٩٧).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٠)، والطبري (٢٧/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٣-٦٩٤) عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، وعزاه من طرق الثلاثة لابن جرير.

(٣) معاني الفراء (٣/ ١١٣-١١٤).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٧).

(٥) البيت للنمر بن تولب. انظر: ديوانه (ص:٣٤٥)، واللسان (مادة: روح، درر)، وغريب القرآن (ص:٤٢٦)، والطبري (٢٧/ ١٢٣)، والقرطبي (١٧/ ١٥٧، ٢٣٣)، وزاد المسير (٨/ ١٠٨)، والماوردي (٥/ ٤٢٦)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٢١)، والحجة للفارسي (٤/ ١٣).

(٦) في الأصل: طعام. والمثبت من ب.

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٢٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٣-٦٩٤) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لابن جرير. ومن طريق آخر عن ابن زيد، وعزاه لابن جرير أيضاً.

ثم خاطب الثقلين الإنس والجن بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: بأيّ نعمه المذكورة في هذه السورة وغيرها تُكذبان.

والآلاء: النِّعَم، وهو جمع، واحده: إلىً، مثل: مِعًى، ويقال: ألَىً، مثل: قَفاً[(١)].

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ أي: خلقه من طين يابس لم يُطبخ، إذا نقرته صوّت، فهو كالفخار، أي: كالطين المطبوخ بالنار.

وقد ذكرنا "الصلصال" و"الجان" في الحِجْر[(٢)].

قال ابن عباس: "المارج": لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت[(٣)].

وقال مجاهد: المختلطُ بعضُه ببعض من اللهب الأحمر والأخضر والأصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت[(٤)].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: ألا).

(٢) عند الآية رقم: ٢٦-٢٧.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٦).

(٤) أخرجه مجاهد (ص: ٦٤٠)، والطبري (٢٧/ ١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٤) وعزاه =

قال الزجاج[١]: هو اللهب المختلط بسواد النار.

قال غيره: من مَرَجَ الشيء؛ إذا اضطرب واختلط[٢].

وقال مقاتل[٣]: المارج: لهب النار الصافي من غير دخان.

قال الزجاج[٤] رحمه الله في قوله: ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ [الرحمن:١٤]، وقوله: ﴿من طين لازب﴾ [الصافات:١١]، وقوله: ﴿من حمأ مسنون﴾ [الحجر:٢٦]، وقوله: ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران:٥٩]: لا مناقضة بين هذه الآيات، فأصل الطين: التراب، فأعلم الله عز وجل أنه خلق آدم من تراب جُعِلَ طيناً، ثم انتقل فصار كالحمإ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار. فهذا كله أصله التراب.

قوله تعالى: ﴿رب المشرقين﴾ أي: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ﴿ورب المغربين﴾ مغربهما.

وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما.

وقيل: مشرق الفجر والشمس، ومغرب الشمس والشفق.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ البحرين﴾ أرسل كل واحد من البحر العذب والبحر الملح على صاحبه ﴿يلتقيان﴾.

= للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(١) معاني الزجاج (٥/ ٩٩).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مرج).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٤).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٨).

﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله ﴿لا يبغيان﴾ لا يختلطان فيبْغِي [أحدهما][1] على الآخر.

وقد سبق هذا في سورة الفرقان[2].

وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك: هو بحر السماء وبحر الأرض، يلتقيان كل عام[3].

وقال الحسن وقتادة: "مرج البحرين" يعني: بحر فارس والروم[4]، "بينهما برزخ": وهو الجزائر[5].

قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ قرأ نافع وأبو عمرو: "يُخْرَجُ" بضم الياء وفتح الراء، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم

---

(١) في الأصل: إحداهما. والمثبت من ب.

(٢) عند الآية رقم: ٥٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٨) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لابن جرير. وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري، وأيّده بسياق الآية فقال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عني به بحر السماء وبحر الأرض، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء؛ فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٢٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة، ولفظه: برزخ الجزيرة.

الراء[1]؛ لأنه إذا أُخرج فقد خَرج.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية العباس بن الفضل عنه: "يُخْرِجُ منهما" بضم الياء وكسر الراء، ونصب "اللؤلؤ والمرجان"[2].

قال الزجاج[3]: إنما يخرج من البحر الملح، وإنما جمعهما؛ لأنه إذا أُخرج من أحدهما فقد أُخرج منهما. ومثله: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ [نوح:١٦].

وقال أبو علي[4]: أراد: [يخرج][5] من أحدهما، فحذف المضاف.

وقال الزمخشري[6]: لما التقيا وصارا كالشيء الواحد، جاز أن [يقال][7]: يخرج منهما، [كما][8] يقال: يخرج من البحر، ولا يخرج من جميعه، ولكن من بعضه.

وجمهور المفسرين واللغويين: على أن اللؤلؤ: اسم جامع للحَبّ الذي يخرج من البحر، والمرجان: صغاره[9]. وقول مقاتل[10] والسدي على الضد من ذلك.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩١)، والكشف (٢/ ٣٠١)، والنشر (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٥)، والسبعة (ص:٦١٩).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠٠).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٥).

(٥) في الأصل: خرج. والتصويب من ب.

(٦) الكشاف (٤/ ٤٤٥).

(٧) في الأصل: يقول. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٤٤٥).

(٨) في الأصل: لا. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٩) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٠-١٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ومن عدة طرق أخرى عن قتادة ومجاهد والحسن والضحاك.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٥)، وزاد المسير (٨/ ١١٣).

وقال ابن مسعود: "المرجان": الخرز الأحمر كالقضبان[١].

قال ابن عباس: إذا مطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها، فما وقع فيها من مطر السماء فهو لؤلؤ[٢].

قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ وقرأ حمزة وعاصم بخلاف عنه: "المنشِآت" بكسر الشين[٣].

والمعنى: وله السفن الجواري، الواحدة منها: جارية، سميت بذلك؛ لأنها تجري في الماء بإذن الله.

والجارية: المرأة الشابّة، سميت بذلك لجريان ماء الشباب فيها.

والمنشآت: بفتح الشين: المرفوعات الشُّرَع، وبالكسر الرّافعات الشُّرَع، أو اللاتي يُنشئن [الأمواج بجريهن][٤].

قال الكلبي: ما رُفع قلعه منها، فهي منشأة، وما لم يرفع فليس بمنشأة[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢١٨ ح٩٠٥٨). وذكره الماوردي (٥/ ٤٣١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٧) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٤)، وابن أبي الدنيا في كتاب "المطر" (ص:٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩١-٦٩٢)، والكشف (٢/ ٣٠١)، والنشر (٢/ ٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٦)، والسبعة (ص:٦١٩-٦٢٠).

(٤) في الأصل: بخروجهن. والتصويب والزيادة من ب.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣١).

والأعْلام: جمع عَلَم، وهو الجبل الطويل(١). وقد سبق ذكره(٢).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ أي: جميعُ مَنْ على الأرض هالك.

وقد تقدم ذكرها في قوله: ﴿والأرض وضعها﴾ [الرحمن:١٠].

﴿ويبقى وجه ربك﴾ مثل قوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص:٨٨].

﴿ذو الجلال والإكرام﴾ قال الخطابي(٣): الجلال: مصدر الجليل، [يقال](٤): جليل بين الجلالة والجلال.

[والإكرام](٥): مصدر أَكْرَمَ يُكْرِمُ إِكْراماً.

والمعنى: أنه يستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَمَ؛ لعزَّته وعظمته، أو لأنه يُجِلُّ أولياءه ويُكرمهم برفع الدرجات في الجنات.

وهاتان الصفتان من أعظم صفات الله عز وجل. وقد أمر رسول الله ﷺ [أمته](٦) أن يضرعوا إلى الله ويسألوه بهما على وجه الملازمة والإلحاح، فقال ﷺ:

(١) انظر: اللسان (مادة: علم).

(٢) في سورة الشورى آية رقم: ٣٢.

(٣) شأن الدعاء (ص:٩١-٩٢).

(٤) زيادة من ب، وشأن الدعاء (ص:٩١).

(٥) في الأصل: وإكرام. والتصويب من ب، وشأن الدعاء، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب.

((أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام))(١).

فإن قيل: أي نعمة في قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ حتى عقبه بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾؟

قلتُ: هو نعمة لأولياء الله؛ حيث أفضى بهم إلى السعادة الأبدية والنعمة العظمى.

وجميع ما يأتيك في هذه السورة؛ فهو إما تحديث [بنعمة](٢)، أو تحذير من نقمة، أو إعلام بقدرة باهرة، أو عظمة ظاهرة، وجميع ذلك نِعَمٌ. فإن شخصاً لو جاءك منقذاً لك من هَلَكَةٍ كنتَ غافلاً عنها لرأيتها له نعمة جسيمة ومنّة عظيمة.

قوله تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ أي: يطلبون منه أنواع الحاجات؛ لِغِنَاهُ وفقرهم إليه.

﴿كُلَّ يوم هو في شأن﴾ أي: كل وقت وزمان هو في شأن من شؤون المُلْك، يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُغْني ويُفْقِر، ويُحيي ويُميت، ويُسْعِدُ ويُشْقِي، ويُمْرِض ويَشْفِي، إلى غير ذلك من تدبير ملكوت السموات والأرض، مما لا يُحيط به علماً سواه.

قرأتُ على أبي القاسم بن أبي منصور الموصلي، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد، أخبرنا أبو العز بن كادش، أخبرنا أبو علي الجازري، أخبرنا المعافى بن زكريا، حدثنا الحسن بن الحسين بن عبدالرحمن الأنطاكي، حدثنا محمد بن الحسن -يعني: أبا الحارث- الرملي، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوزير بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠ ح٣٥٢٥)، وأحمد (٤/ ١٧٧).

(٢) في الأصل: نعمة. والتصويب من ب.

صبيح الثقفي[(١)]، حدثنا يونس بن ميسرة بن [حَلْبَس][(٢)]، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ ((في قول الله عز وجل: ﴿كل يوم هو في شأن﴾: من شأنه [أن][(٣)] يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويجيب داعياً، ويرفع قوماً ويضع آخرين))[(٤)].

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لكم أيها الثقلان﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً وعبد الوارث عن أبي عمرو: "سَيَفْرُغُ لكم" بالياء، حملاً على قوله: "وله الجواري"، إلا أن الحلبي عن عبد الوارث زاد: ضم الياء وفتح الراء[(٥)]. وقرأ الباقون من العشرة

---

(١) الوزير بن صبيح الثقفي، أبو روح الشامي، صالح الحديث (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٢، والتقريب ص:٥٨٠).

(٢) في الأصل: حليس. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١١/ ٣٩٤)، والتقريب (ص:٦١٤).

(٣) زيادة من سنن ابن ماجه (١/ ٧٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٣ ح٢٠٢). وذكره البخاري معلقاً موقوفاً على أبي الدرداء (٤/ ١٨٤٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١١٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٢).

بالنون وضم الراء[١].

وقد سبق ذكر اختلافهم في "أيها الثقلان"[٢].

قال المفسرون: هذا وعيدٌ من الله وتهديدٌ منه لعباده[٣].

قال الزجاج[٤]: تقول: سَأَفْرَغُ لفلان، أي: سأجعله قصدي.

فمعنى الآية: سيقصد لحسابكم. والثَّقَلان: الإنس والجن، سُمِّيا بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض.

ويدل على ذلك قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا﴾ الأقْطَار: النواحي.

قال ابن عباس: المعنى: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض[٥].

وقيل: إن استطعتم أن [تخرجوا][٦] من ملكوتي ومن سمائي وأرضي وتهربوا من قضائي وقدري، فلا يدركم الموت ولا ما تكرهونه من مرض وفقر وغيرهما، فانفذوا.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٢)، والكشف (٢/ ٣٠١)، والنشر (٢/ ٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٦)، والسبعة (ص:٦٢٠).

(٢) في سورة النور، آية رقم: ٣١.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٩٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٧).

(٦) في الأصل: تحروا. والتصويب من ب.

﴿لا تنفذون﴾ أي: لا تقدرون على ذلك ﴿إلا بسلطان﴾ أي: بقدرة تتسلطون بها على ما تريدون، وأنّى لكم ذلك وأنتم خلقي وتحت سلطاني وفي قبضتي.

وقيل: المعنى: لا تنفذون إلا في سلطاني وملكي.

قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما﴾ أي: على الكفار من الثقلين ﴿شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾. قرأ ابن كثير: "شِواظٌ" بكسر الشين، وضَمَّها الباقون[1]. وهما لغتان بمعنى واحد، وهو اللهب الخالص.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: "ونحاسٍ" بالجر، عطفاً على "نار". وقرأ الباقون بالرفع، عطفاً على "شُواظ"[2].

والنحاس -بالحركات الثلاث على النون-: الدخان[3]. وأنشدوا للنابغة الجعدي:

تُضيءُ كضوءِ سِراجِ السَّليـ ـط لم يجعل اللهُ فيه نُحَاسا[4]

أي: دخاناً.

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٣)، والكشف (٢/ ٣٠٢)، والنشر (٢/ ٣٨١)، والإتحاف (ص:٤٠٦)، والسبعة (ص:٦٢١).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) البيت للنابغة الجعدي. انظر: ديوانه (ص:٨١)، واللسان (مادة: نحس)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٤٥)، وغريب القرآن (ص:٤٣٨)، والطبري (٢٧/ ١٤١) ونسبه للنابغة الذبياني، والقرطبي (١٧/ ١٧٢)، وزاد المسير (٨/ ١١٧)، والماوردي (٥/ ٤٣٥)، والبحر (٨/ ١٨٤)، والدر المصون (٦/ ٢٤٣) ونسبه للأعشى، ومعاني الفراء (٣/ ١٣٧).

وقيل: النُّحاس: الصُّفْر المذاب يُصب على رؤوسهم[١]. والقولان عن ابن عباس.

قال ابن عباس: [إذا][٢] خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر[٣].

وجاء في الحديث: «يُحاط على الخلق بلسان من نار، ثم ينادون: ﴿يا معشر الجن والإنس... الآية﴾، وذلك قوله: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾»[٤].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ أي: تصدّعت من المجرة لنزول الملائكة يوم القيامة، ﴿فكانت وردة﴾ قال الزجاج[٥]: كلون فرسٍ وردةٍ،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٠٢) وعزاه لابن جرير، ولفظها: النحاس: الصُّفْر يعذبون به.

(٢) في الأصل: إذ. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٤٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/ ١٩٣).

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ١٧٠)، والبغوي (٤/ ٢٧١).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٠١).

والكُمَيْتُ[1]: [الوردُ][2] يتلوّن فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف، ولونه في الفصل[3] خلاف لونه في الشتاء والصيف. فالسماء تتلوّن من الفزع الأكبر.

وقال ابن قتيبة[4]: فكانت حمراء في لون الفرس الورد. وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والربيع وجمهور المفسرين[5].

وقيل: هي وردة النبات. وقد تختلف ألوانها، إلا أن الأغلب عليها الحُمْرة[6].

قال قتادة: هي اليوم خضراء كما ترون، ولها يوم القيامة لون آخر إلى الحُمْرة[7].

---

(١) الكميت: الذي خالط حُمْرَتَهُ قُنوء، أي: الأحمر الأقنى. (انظر: اللسان، مادة: كمت).

(٢) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ١٠١).

(٣) قال محقق معاني الزجاج (٥/ ١٠١ حاشية ٤): ويكون في أي فصل غير فصلي الشتاء والصيف بلون آخر، ولعله يعني بالفصل هنا أنه في الفاصل بين الشتاء والصيف بلون آخر.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٢) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) قال الماوردي (٥/ ٤٣٦): وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبُعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحُمْرة الدم، وترى بالحائل زرقاء. فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء؛ لأنه أصل لونها.

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

﴿كالدهان﴾ جمع دُهْن.

قال عطاء بن أبي رباح: كعصير الزيت يتلوّن في الساعة ألواناً[١].

وقال الحسين بن الفضل: كصبيب الدهن يتلوّن[٢].

قال الفراء[٣]: شَبَّهَ تلوّن السماء بتلوّن الورد من الخيل، وشبّه الورد في اختلاف ألوانه بالدهن واختلاف ألوانه.

قال ابن جريج: تذوب السماء كالدُّهن الذائب، وذلك حين يُصيبها حَرّ جهنم[٤].

وقال ابن عباس وابن السائب: الدهان: الأديم الأحمر[٥].

قوله تعالى: ﴿فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ قال ابن عباس: لا يسأل بعضهم بعضاً؛ لاشتغال كل واحد بنفسه[٦].

وقال في رواية أخرى: لا يسألون ليعلم حالهم؛ لأن الله أعلم منهم بذلك[٧].

وقال الزجاج[٨]: لا يسأل أحد عن ذنبه ليستفهم، ولكنه يسأل سؤال توبيخ.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٢).

(٢) ذكره القرطبي (١٧/ ١٧٣) من قول الحسن.

(٣) معاني الفراء (٣/ ١١٧).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٢).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٢) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. وانظر: الماوردي (٥/ ٤٣٦) عن ابن عباس، والبغوي (٢/ ٢٧٢) عن ابن السائب الكلبي.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٣٦).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٠٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٨) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قوله في: زاد المسير (٨/ ١١٨).

وقد نقل نحوه عن ابن عباس أيضاً.

وبهذه الأقوال[1] يتبين لك أن لا مناقضة بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ [الحجر:٩٢].

والجانّ: أبو الجن. وقد ذكرناه [فيما][2] مضى.

والمعنى: لا يسأل بعض من الإنس ولا بعض من الجن، فوضع "الجان" موضع الجن، كما يقال: تميم، والمراد: أولاده.

قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم﴾ وهو سواد الوجوه، وزُرْقَةُ العيون، بدليل قوله: ﴿وتَسودُّ وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقوله: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ [طه:١٠٢].

﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ وهي جمع ناصية، وهي مُقدَّم الرأس[3].

قال الضحاك: يُجمع بين قدميه وناصيته في سلسلة من وراء ظهره[4].

وقيل: تسحبهم الملائكة تارة بأخذ النواصي وتارة [بالأقدام][5].

قال مردويه الصائغ[6]: صلى بنا الإمام صلاة الصبح، فقرأ سورة الرحمن،

---

(١) في ب: الأحوال.

(٢) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نصا).

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١/ ١٨٠ ح٢٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٤) وعزاه لهناد في الزهد.

(٥) في الأصل: بأقدام. والتصويب من ب.

(٦) عبد الصمد بن يزيد، المعروف بمردويه الصائغ، خادم الفضيل بن عياض، كان ثقة من أهل السنة والورع، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين (لسان الميزان ٤/ ٢٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٠).

ومعنا علي بن الفضيل بن عياض، فلما قرأ الإمام: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ [خَرَّ][(١)] مغشياً عليه حتى فرغنا من الصلاة. فلما كان بعد ذلك قلنا له: أما سمعت الإمام يقرأ: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾؟ قال: شغلني عنها: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾[(٢)].

قوله تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ هو على إضمار القول، تقديره: يقال لهم إذا سُحبوا إليها تحقيراً وتعنيفاً وانتقاماً منهم: هذه جهنم.

ثم أخبر عن حالهم فيها بقوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ قال الحسن والفراء[(٣)]: قد بلغ منتهى حَرّه[(٤)].

قال قتادة: قد آنى طبخه منذ خلق الله السموت والأرض[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: آنى يأنى فهو آنٍ؛ إذا انتهى حَرُّه.

وقال ابن قتيبة[(٧)]: الحميم: الماء الحار، والآني: الذي انتهت شدة حَرّه.

قال المفسرون[(٨)]: يطوفون بين الجحيم وبين الحميم، فإذا استغاثوا من النار

---

(١) في الأصل: فخر. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١١٩).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١١٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٤) عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٠٢).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٤٣٩).

(٨) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير =

جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار [كالمهل][1].

قال كعب الأحبار: ["آن"][2]: وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم وهم في الأغلال، فيغمسون في ذلك الوادي، حتى [تنخلع][3] أوصالهم، ثم يخرجون وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً، فيُلقون في النار[4].

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ
أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ أي: ولمن خشي وقوفه بين يدي ربه للحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ بُستانان.

المعنى: ولمن خاف مقام ربه بالحفظ والمراقبة، كقوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد:٣٣].

قال مجاهد: هو الذي يهمُّ بالمعصية فيذكر الله فَيَدَعُها[5].

=

(٨/ ١١٩).

(١) في الأصل: كامهل. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: إن. والتصويب من القرطبي والبغوي.

(٣) في الأصل: تنخعل. والتصويب من ب.

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ١٧٦)، والبغوي (٤/ ٢٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢١٦ ح٣٥٤٦١)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٦٩ ح٧٣٨)، وابن أبي الدنيا في التوبة (ص:٩٩)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٥٣ ح٨٩٩).
=

ثم وصف الجنتين فقال: ﴿ذواتا أفنان﴾ [يجوز][1] أن يكون جمع فَـنَن، وهـو الغصن المستقيم طولاً، ويجوز أن يكون جمع فَنّ، وهو الضَّرْب.

فإن أريد الأول -وهو قول مجاهد، والضحاك، وعكرمـة، وعطيـة العـوفي، وابن السائب، والفراء، والزجاج- كان المعنى: ذواتا أغصان مُتشعِّبَة مُثمرة مُورقة، لتمتدّ ظلالها وتكثر ثمارها[2].

وإن أريد الثاني -وهو قول سعيد بن جبير- كان المعنى: ذواتا ضُروب وأصناف من النعم [المُسْتَلَذَّة][3] المُشْتَهاة[4]، ومنه قول الشاعر:

وَمِنْ كُلِّ أَفْنَانِ اللذَاذَةِ والصِّبَا ... لَهَوْتُ به والعيشُ أخضرُ نَاضِرُ[5]

قوله تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ قال الحسن: تجريان بالماء الزلال، إحداهما: التَّسْنيم، والأخرى: السلسبيل[6].

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين[7].

= وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٦) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد وابن أبي الدنيا في التوبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١) في الأصل: ويجوز. والمثبت من ب.

(٢) ذكره الطبري (٢٧/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠)، والزجاج في معاني القرآن (٥/ ١٠٢).

(٣) في الأصل: المستذلة. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الطبري (٢٧/ ١٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠).

(٥) البيت لم أعرف قائله. وهو في: البحر (٨/ ١٨٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٦)، والكشاف (٤/ ٤٥٠)، وروح المعاني (٢٧/ ١١٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٦).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠).

قال أبو بكر الورّاق: فيهما عينان تجريان لمن كان له في الدنيا عينان تجريان بالبكاء(١).

قوله تعالى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أي: صِنْفَان، قيل: صِنْفٌ معروف، وصِنْفٌ غريب.

قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حُلْوة ولا مُرّة إلا وهي في الجنة، حتى الحَنْظَل(٢).

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿متكئين على فرش﴾ حال من: "ولمن خاف"، أو نصب على المدح لهم(٣).

﴿بطائنها من إستبرق﴾ البِطَانة: ما تحت الظِّهارة(٤)، والإستبرق: ما غَلُظَ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٠٩)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٤).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٢)، والدر المصون (٦/ ٢٤٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: بطن).

[من][1] الديباج[2]. وقد ذكرناه في الكهف[3].

قال أبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر[4].

قال ابن عباس: إنما ترك وصف الظهائر؛ لأنه ليس أحد يعلم ما هي[5].

﴿وجنى الجنتين دان﴾ أي: ما يُجْتَنَى منهما من الثمار، قريبٌ من جَانِيهِ، لا يَـرُدُّ يده عنها بُعْدٌ ولا شَوْكٌ.

قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها وليّ الله، إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً[6].

قوله تعالى: ﴿فيهن﴾ أي: في الفرش أو في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفُرُش، أو في الجنتين؛ لاشتمالهما على قصور وأماكن، أو في الجنات[7]. وقد دلَّ عليها ما تقدم ذكره.

﴿قاصرات الطرف﴾ مذكورٌ في الصافات[8].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: برق).

(٣) عند الآية رقم: ٣١.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٩) من حديث هبيرة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢١) عن أبي هريرة.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٦-٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢١).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧).

(٧) في ب: الجنان.

(٨) عند الآية رقم: ٤٨.

﴿لم يطمثهن﴾ وقرأ الكسائي: "يَطْمُثْهُنَّ" بضم الميم، وهما لغتان[١].

قال الفراء[٢]: الطَّمْث: الافْتِضَاض، وهو النكاح بالتَّدْمِيَة.

والمعنى: لم يفتضّ بكارتهنَّ.

قال مقاتل[٣]: لأنهن خُلِقْنَ في الجنة.

فعلى قوله: هُنَّ من حور الجنة.

وقال الشعبي: هُنَّ من نساء الدنيا، لم يمسسن مُذْ أنشئن[٤].

وهو قول ابن السائب: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان[٥].

قال الزجاج[٦]: وفي هذه الآية دليل على أن الجني يَغْشَى ما يغشاه[٧] الإنسي.

وسُئل طلق بن حبيب: هل يدخل الجِنَّةُ الجَنَّةَ؟ [فقال][٨]: نعم، ثم تلا هذه الآية، فللجِنِّ جِنِّيات، وللإنس إنْسِيَّات[٩].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٤)، والكشف (٢/ ٣٠٣)، والنشر (٢/ ٣٨١-٣٨٢)، والإتحاف (ص:٤٠٦-٤٠٧)، والسبعة (ص:٦٢١).

(٢) معاني الفراء (٣/ ١١٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٠).

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٥٧ ح٢٢). و ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧١١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٠٣).

(٧) في ب: يغشى.

(٨) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٩) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥١)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٩٦ ح١١٥١٧١) كلاهما من =

قوله تعالى: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال قتادة: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان[١].

قال الزجاج وغيره من أهل اللغة[٢]: المرجان: اللؤلؤ الصغار، وهو أشد بياضاً من كبار اللؤلؤ.

وقال أهل اللغة: الياقوت: فارسي مُعرَّب، والجمع: اليواقيت[٣]. وقد تكلَّمتْ به العرب. قال مالك بن [نويرة][٤]:

لَنْ يُذهبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قد حُبيتَ به   من الزبرْجَد والياقوتِ والذهب[٥]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمرة تَلِجُ الجنة صورتهم صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوَّة، ورشحهم المسك، لكل واحد منهم [زوجتان][٦]، يُرى مُخّ سُوقهما من وراء اللحم من الحُسن»[٧].

حديث أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن أرطأة بن المنذر قال: تذاكرنا عند ضمرة بن حبيب... فذكره.

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٠٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: يقت)، والصحاح للجوهري (١/ ٢٧١).

(٤) في الأصل: يويرة. والتصويب من ب.

(٥) انظر البيت في: زاد المسير (٨/ ١٢٣).

(٦) زيادة من ب، والصحيحين.

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٥ ح٣٠٧٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٠ ح٢٨٣٤).

وفي حديث أبي سعيد نحوه وقال فيه: «على كل زوجة سبعون حُلَّة، يُرى مُخّ ساقها من وراء لحمها ودمها وحُللها»[١].

قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أي: هل جزاء الإحسان في العمل في الدنيا إلا الإحسان في الجزاء في الآخرة.

قال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة[٢].

وروى أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وقال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن ربكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة[٣].

أخبرنا الإمام أبو العباس أحمد بن عبدالواحد بن أحمد، المعروف بالبخاري الفقيه الحنبلي رحمه الله، قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق، سنة سبع وستمائة، أخبرنا أبوالمعالي عبدالمنعم بن عبدالله بن محمد الفراوي بمدينة شاذياخ[٤] "نيسابور" سنة ست وثمانين وخمسمائة قال: أخبرنا عبدالغفار بن محمد الشيروي

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٠ ح٢٥٢٢، ٤/ ٦٧٧ ح٢٥٣٥)، وأحمد (٣/ ١٦ ح١١١٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧١٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادره (٢/ ٢٦٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٣٣٧)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٤) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبغوي في تفسيره والديلمي في مسند الفردوس وابن النجار في تاريخه.

(٤) شاذياخ: هي مدينة نيسابور، أم بلاد خراسان، وكانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين، ملاصق مدينة نيسابور (معجم البلدان ٣/ ٣٠٥).

سنة اثنتين وخمسمائة، أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري.

وقرأتُ على الشيخ أبي طالب عبداللطيف بن محمد بن علي القبيطي ببغداد وولدي [أبو][١] الفضائل محمد -جبره الله- [يسمع][٢] سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، أخبركم أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي سنة إحدى وستين وخمسمائة فأقرَّ به، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد الكاخي الساوي[٣] سنة سبع وثمانين وأربعمائة، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم الأموي، حدثنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن سالم [بن][٤] أبي حفصة، عن منذر الثوري[٥] قال: قال محمد بن علي ابن الحنفية: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ قال: هي مُسَجَّلة للبرّ والفاجر[٦].

---

(١) في الأصل: أبي. والمثبت من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد الساوي الكاخي، محدّث رحّال فاضل، سمع بنيسابور القاضي أبا بكر الحيري، والصيرفي، والبرقاني، وهبة الله اللالكائي، وطائفة. حدّث عنه إسماعيل بن محمد الحافظ، وسعيد الميهني، وأبو زرعة المقدسي، وآخرون (سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٤-١٨٥).

(٤) في الأصل: عن. والتصويب من ب. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٧٤)، والتقريب (ص:٢٢٦).

(٥) المنذر بن يعلى الثوري، أبو يعلى الكوفي، كان ثقة قليل الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٠، والتقريب ص:٥٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٣)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥٢٥ ح٩١٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد (ص:٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٤) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان.

قال المفسرون: من دونهما في الفضل والدرجات، وهذا كما روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»[2].

وقال الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة، والأخريان[3] من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأوليين[4].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٨ ح٤٥٩٧)، ومسلم (١/ ١٦٣ ح١٨٠).

(٣) في ب: والآخرتان.

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٦)، والقرطبي (١٧/ ١٨٤).

قوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ قال ابن عباس وابن الزبير: [خضراوان][1] من الري[2]، تَضربُ خضرتهما إلى سواد. يقال: ادْهَامَّ الزَّرْعُ، فهو مُدْهَامٌّ[3].

﴿فيهما عينان نضاختان﴾ قال أبو عبيدة[4]: فوّارتان.

قال ابن قتيبة[5]: النَّضْخُ -يعني بالخاء المعجمة- أكثر من النَّضْح.

قال ابن عباس: تَنْضَخُ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور[6].

﴿فيهما فاكهة﴾ يعني: ألوان الفاكهة ﴿ونخل ورمان﴾.

قال الأزهري[7]: العربُ تَذْكُرُ أشياء جملة، ثم تخصُّ شيئاً منها بالتسمية؛ تنبيهاً على فَضْلٍ فيه. قال الله تعالى: ﴿من كان عدواً﴾ إلى قوله: ﴿وجبريل وميكال﴾ [البقرة:٩٨]، وقد أشرنا إلى هذا المعنى في البقرة.

قال ابن عباس: نخل الجنة جذوعها زمردٌ أخضر، وكَرَبُها[8] ذهب أحمر،

---

(١) في الأصل: خضروان. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عبدالله بن الزبير وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) انظر: اللسان (مادة: دهم).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢٨).

(٧) تهذيب اللغة (٦/ ٢٥).

(٨) الكَرَب: أصول السعفِ الغِلاظ العِراض التي تيبَسُ فتصير مثل الكَتِف، واحدتها كَرَبة (اللسان، مادة: كرب).

وسعَفُها كسوة أهل الجنة، منها مقطّعاتهم وحُللهم[١].

قوله تعالى: ﴿فيهن﴾ أي: في الجنات الأربع ﴿خيرات﴾ وقرأ معاذ القارئ وعاصم الجحدري وأبو نهيك: "خَيِّرات" بتشديد الياء على الأصل[٢]؛ لأن التخفيف فرع عليه، كهَيِّن ولَيِّن.

وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ قال: ((خيرات الأخلاق، حسان الوجوه))[٣].

قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ قال المفسرون: قُصرن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم[٤].

وقال ابن عباس والحسن وأبو العالية ومقاتل وأبو عبيدة[٥]: مقصورات: محبوسات في الحِجال[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٧ ح٣٧٧٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٦٨-١٠٦٩ ح٥٧٤)، وهناد في الزهد (١/ ٩١ ح٩٩)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص:٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٦-٧١٧) وعزاه لابن المبارك وابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٢٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٧٨ ح٣١٤١)، والكبير (٢٣/ ٣٦٨ ح٨٧٠)، والطبري (٢٧/ ١٥٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢١٥ ح٣٥٤٥٦)، وهناد في الزهد (١/ ٥٦ ح١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن جرير عن مجاهد.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٠). وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢).

والعرب تقول: مَقْصُورَة وقَصِيرَة وقَصُورَة؛ إذا كانت ملازمة خدرها[١]. قال كثيِّر:

لعمـري لقـدْ حَبَّبْـتِ كـلَّ قـصيرةٍ إليَّ، ومـا تـدري بـذاكَ القَـصَائِرُ
عَنَيْـتُ قـصيراتِ الحِجَـالِ ولم أُرِدْ قِصَارَ الخُطـا، شَرُّ النِّـسَاءِ البَحَـاتِرُ[٢]

ويروى: كُلَّ قَصُورَةٍ، وقَصُورات. والبَحَاتِر: القِصَار[٣].

قال عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس: الخيام: دُرٌّ مجوَّف[٤].

وقال ابن عباس: الخيمة: لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ [في أربعة فراسخ][٥]، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب[٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قصر).

(٢) البيتان لكثير عزة. انظر: ديوانه (١/ ٢٣٠)، والبحر (٨/ ١٨٥)، والدر المصون (٦/ ٢٤٩)، والقرطبي (١٧/ ١٨٩)، وزاد المسير (٨/ ١٢٦)، وروح المعاني (٢٧/ ١٢٣).

(٣) انظر: اللسان (مادة: بحتر).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن عمر بن الخطاب. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لمسدد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢ ح٣٤٠٦٢)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص:٣٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضاً))[١].

ويروى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((مررتُ ليلة أسري بي بنهر حافَّتاه قباب المرجان، فنوديت منه: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جواري من الحور العين استأذنَّ ربَّهنَّ أن يُسَلِّمْنَ عليك، فأذِنَ لهنَّ فقلن: نحن الخالدات فلا نموتُ، ونحن الناعمات فلا نبأس، أزواجُ رجالٍ كرام، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ قال: محبوسات))[٢].

قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ وقرأ عثمان بن عفان [وعاصم][٣] الجحدري وابن محيصن: "على رَفَارِف"، و"عباقِريَّ" بالجمع وعدم الصرف مع كسر القاف[٤].

وقرأ الضحاك وأبو العالية وأبو عمران مثلهم، إلا أنهم صرفوا[٥].

وأنكر الزجاج القراءتين في "عَبقَري" وقال[٦]: لا مخرج لها في العربية؛ لأن الجمع الذي بَعْدَ أَلِفِهِ حرفان، نحو: "مساجد"، لا يجوز أن يكون فيه مثل: عباقري، لو جمعت عبقري لكان جمعه: عباقرة، مثل: مهالبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٤٩ ح٤٥٩٨)، ومسلم (٤/ ٢١٨٢ ح٢٨٣٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٨٩).

(٣) في الأصل: عاصم. والتصويب من ب.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٧)، والدر المصون (٦/ ٢٥٠). قال السمين الحلبي: هي مشكلة، إذ لا مانع من تنوين ياء النسب.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٢٧، ١٢٨).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٠٤-١٠٥).

وسوَّغ الجمع في عباقري مع الصرف: أبو حاتم، وأبو الفتح عثمان ابن جني[١]، والزمخشري، وقالوا: هي نسبة إلى عَبَاقِر، كالنسبة إلى مَدَائِن: مدائني. وأما ترك الصَّرْف فسوّغه بعضهم مع شذوذه في القياس لاستمراره في الاستعمال.

وقال الزمخشري[٢]: لا وجه لصحته.

قال ثعلب -على قراءة الأكثرين-: إنما لم يقل: "أخضر"؛ لأن الرفرف جمع، واحده: رفرفة[٣].

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: الرَّفْرَف: رياض الجنة[٤].

وقال في رواية العوفي: فضول المجالس[٥] والبُسُط[٦].

وقال الحسن: الوسائد[٧].

﴿وعبقري حسان﴾ قال مجاهد: هو الديباج الغليظ[٨].

---

(١) المحتسب (٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٥٢).

(٣) انظر قول ثعلب في: زاد المسير (٨/ ١٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٧).

(٥) في الطبري والدر: المحابس.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢ ح٣٤٠٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٢٢) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٢٧).

(٨) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٣ ح٣٤٠٧٢)، وهناد في الزهد (١/ ٨٢ ح٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

قال ابن قتيبة[(١)]: العَبْقَري: الطَّنافس الثِّخان.

قال أبو عبيدة[(٢)]: يقال لكل شيء من البُسُط: عَبْقَري.

قال [الزجاج][(٣)]: أصل العَبْقَري في اللغة: أنه وصفٌ لكل ما بولغ في وصفه، وأصله: أن "عَبْقَر" بلد كان توشّى فيه البُسُط وغيرها، فنُسب كل شيء جيد إليه. قال زهير:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَديرونَ يوماً [أن][(٤)] يَنالُوا فَيَسْتَعْلُوا[(٥)]

قال الخليل بن أحمد رحمه الله: كُلُّ جليلٍ نفيسٍ فاضلٍ فاخرٍ من الرجال وغيرهم عند العرب: عَبْقَري، ومنه الحديث في عمر بن الخطاب: "فلمْ أَرَ عَبْقَرِياً يَفْرِي فَرِيَّهُ"[(٦)].

قوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك﴾ قيل: إن "اسم" صلة.

وقد سبق القول على تبارك[(٧)].

وكان ابن عامر يقرأ: "ذو" بالواو[(٨)]، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام،

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٤).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠٥). وما بين المعكوفين زيادة من ب.

(٤) زيادة من ب، ومصادر البيت.

(٥) البيت لزهير. انظر: ديوانه (ص:٨٤)، واللسان (مادة: عبقر)، والبحر (٨/ ١٨٦)، والقرطبي (١٧/ ١٩٢)، وزاد المسير (٨/ ١٢٨)، والعين (٢/ ٢٩٨).

(٦) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٧ ح٣٤٧٩)، ومسلم (٤/ ١٨٦٢ ح٢٣٩٣).

(٧) في الأعراف، الآية رقم: ٥٤.

(٨) الحجة للفارسي (٤/ ١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٤)، والكشف (٢/ ٣٠٣)، والنشر =

جعله صفة لـ"اسم". واتفقوا على الموضع الأول أنه بالواو.

[وفي][1] قراءة ابن مسعود: "ذي الجلال والإكرام" بالياء في الموضعين[2]، صفة للرب عز وجل.

وقد سبق في هذه السورة معنى: ذي الجلال والإكرام.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ في هذه السورة؟

قلتُ: قَرْعُ الأسماع بعظيم نعم الله وقدرته؛ تنبيهاً للخلق، وطرداً لغفلتهم، وحثاً لهم على الشكر، وتوكيداً لإقامة الحجة عليهم، على أنه أسلوب مسلوك للعرب. قال الشاعر:

[ولا تَمَلَّنَّ يوماً][3] من زيارتِه زُرْهُ وَزُرْهُ وَزُرْ وَزُرْ وَزُرْ

وقد قررنا هذا المعنى مستوفى في البقرة وغيرها.

وقد أخرج الترمذي والحاكم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال: «قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم سكوتاً، الجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت هذه الآية من مرة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد»[4]. والله تعالى أعلم.

= (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٧)، والسبعة (ص:٦٢١).

(١) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٩).

(٣) في الأصل: وتملن. والتصويب والزيادة من ب.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٩ ح٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٥١٥ ح٣٧٦٦).

وفي رواية الترمذي: «لقد [قرأتها][1] على الجن ليلة الجن»[2].

(١) في الأصل: فرقها. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الترمذي (٥/ ٣٩٩).

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي سبع وتسعون آية في المدني، وست في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة وقتادة ومقاتل[2] والأكثرين. واستثنى ابن عباس قوله: ﴿وتجعلون رزقكم﴾[3].

وروى عطية عن ابن عباس: أنها مدنية[4].

قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[5].

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ
أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٣٩).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣١١).

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٤٤٥)، وزاد المسير (٨/ ١٣٠).

(٤) انظر: زاد المسير (٨/ ١٣٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٤٨ ح٣٤٨٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

قال الله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ قال ابن عباس: إذا قامت القيامة(١).

﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال الكسائي: هو بمعنى الكذب، كقوله تعالى: ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ [الغاشية:١١] أي: لغوٌ(٢).

قال الزجاج وغيره(٣): "كاذبة": مصدر، كقولك: عافاه الله عافيةً. فهذه أسماء في موضع المصادر.

وقال الزمخشري(٤): المعنى: ليس لها نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله.

قرأتُ على الشيخ أبي البقاء اللغوي رحمه الله [لليزيدي](٥) في اختياره: "خافضةً رافعةً" بالنصب، وهي قراءة أبي رزين، وأبي عبدالرحمن السلمي، وأبي العالية، والحسن، في آخرين. وقرأ الأكثرون بالرفع فيهما(٦).

فمن نصب؛ فعلى الحال، تقديره: إذا وقعت الواقعة في حال خفضها قوماً ورفعها آخرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣١).

(٢) انظر: القرطبي (١٧/ ١٩٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٠٧).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٥٤).

(٥) في الأصل: للزيدي. والتصويب من ب.

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٧)، وزاد المسير (٨/ ١٣١).

ومن رفع فعلى معنى: فهي خافضة رافعة.

قال أبو علي[(١)]: أضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب "إذا".

وقال عثمان: العامل في "إذا وقعت الواقعة": "إذا رجت الأرض".

وقال قوم: العامل فيه: "ليس لوقعتها".

وقيل: اذكر[(٢)].

---

(١) لم أقف عليه في: الحجة للفارسي.

(٢) وهو ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٥٤) قال: فإن قلت: بم انتصب "إذا"؟ قلت: بـ"ليس"؛ كقولك: يوم الجمعة ليس لي شغل. أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار: "اذكر". اهـ.

وردّ هذا القول أبو حيان في البحر (٨/ ٢٠٣) فقال: أما نصبها بـ"ليس" فلا يذهب نحوي ولا من شدا شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأن ليس في النفي كما، وما لا تعمل، فكذلك ليس، وذلك أن ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان. والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز، لأن حد الفعل لا ينطبق عليها. والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث، فإذا قلت: يوم الجمعة أقوم، فالقيام واقع في يوم الجمعة، وليس لا حدث لها، فكيف يكون لها عمل في الظرف؟ والمثال الذي شبه به، وهو يوم القيامة، ليس لي شغل، لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس، بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس، وهو الجار والمجرور، فهو من تقديم معمول الخبر على ليس، وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها، وهو مختلف فيه، ولم يسمع من لسان العرب: قائماً ليس زيد. وليس إنما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط، فهي كما، ولكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع، جعلها ناس فعلاً، وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية.

ويظهر من تمثيل الزمخشري إذاً بقوله: يوم الجمعة، أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها، ولو كانت شرطاً، وكان الجواب الجملة المصدرة بليس، لزمت الفاء، إلا إن حذفت في شعر، إذ ورد ذلك، فنقول: إذا أحسن إليك زيد فلست تترك مكافأته. ولا يجوز لست بغير فاء، إلا إن اضطر إلى ذلك. وأما تقديره: إذا وقعت كان كيت وكيت، فيدل على أن إذا عنده شرطية، ولذلك =

وقيل: جواب إذا: "فأصحاب الميمنة"(١).

وقال أبو سليمان الدمشقي: لما قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا [الفتح](٢)، نزل قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾. فالمعنى يكون: إذا وقعت الواقعة(٣).

قال ابن عباس في رواية العوفي عنه: خفضت فأسمعت القريب، [ورفعت](٤) فأسمعت البعيد(٥).

وقال في رواية عكرمة: خفضت أناساً ورفعت آخرين(٦).

وقال محمد بن كعب: تَخْفِضُ أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا، وترفع أقواماً كانوا منخفضين فيها(٧).

= قدر لها جواباً عاملاً فيها. وأما قوله: بإضمار اذكر، فإنه سلبها الظرفية، وجعلها مفعولاً بها منصوبة بأذكر. اهـ.

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٠).

(٤) في الأصل: ووقعت. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٧) ولفظه: أسمعت القريب والبعيد. وبلفظه ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه. وانظر لفظ المصنف في: زاد المسير (٨/ ١٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٦ ح٣٤٧٨٣). و ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٧) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٢٨ ح١٥). وذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

قال المفسرون: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين في النار، وترفع أقواماً إلى عِلِّيين في الجنة[١].

قوله تعالى: ﴿إذا رُجَّت الأرض رجّاً﴾ جائز أن يكون بدلاً من "إذا وقعت الواقعة"[٢].

ويجوز أن ينتصب بـ"خافضة رافعة"، أي: تخفض وترفع وقت رَجِّ الأرض وبَسّ الجبال[٣].

قال ابن عباس: إذا رُجَّت الأرض وزُلْزِلَت[٤].

قال ابن جريج: تُرَجُّ بما فيها كما يُرَجُّ الغِرْبَال بما فيه[٥].

قيل ذلك؛ لإماتة من عليها[٦]. وقيل: لإخراج من في بطنها من الأموات[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣١).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٦/ ٢٥٣).

(٣) وهذا ما جوّزه الزمخشري في الكشاف(٤/ ٤٥٥). وردّه ولم يجوّزه أبو حيان في البحر (٨/ ٢٠٤) فقال: ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً، بل بأحدهما.
ولأنه لا يجوز أن يجتمع مؤثران على أثر واحد.
وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٢٥٣): معنى كلامه أن كلاً منهما متسلط عليه من جهة المعنى، وتكون من التنازع، وحينئذ تكون العبارة صحيحة، إذ تصدق أن كلاً منهما عامل فيه وإن كان على التعاقب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦) من قول الربيع بن أنس.

(٦) وهذا تأويلها على قول ابن عباس. ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦).

(٧) وهذا تأويلها على قول ابن جريج. ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦).

﴿وبُسَّتِ الجبال بساً﴾ أي: فُتّت حتى صارت كالدقيق، ولُتَّتْ كما يُلَتُّ السويق.

وقال مجاهد: سَالَتْ سَيْلاً[(١)].

وقال عكرمة: هُدَّتْ هَدّاً[(٢)].

﴿فكانت هباء منبثاً﴾ غباراً متفرقاً. وقد استوفينا القول عليه في الفرقان[(٣)].

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر أحوال الناس يوم القيامة، وجِهَة انقسامهم فقال تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً﴾ أي: أصنافاً ﴿ثلاثة﴾.

﴿فأصحاب الميمنة﴾ وفيهم خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الذين كانوا على يمين آدم [حين][(٤)] أخرجت ذريته من صلبه. قاله ابن عباس[(٥)].

الثاني: أنهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم. قاله الضحاك[(٦)].

الثالث: أنهم الذين كانوا ميامين على أنفسهم، أي: مباركين. قاله الحسن والربيع[(٧)].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) عند الآية رقم: ٢٣.

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٢).

(٦) مثل السابق.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٢).

الرابع: أنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة. حكاه الواحدي[١].

الخامس: أنهم أصحاب المنزلة الرفيعة. قاله الزجاج[٢].

وقوله: ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعظيمٌ لهم وتفخيمٌ لما أفضوا إليه من الكرامة.

قوله تعالى: ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ تفسيره على الضدّ من الذي قبله في تفسيره.

قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾ قال الحسن وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة[٣].

قال ابن سيرين: هم الذين صَلُّوا إلى القبلتين[٤].

وقال محمد بن كعب: هم الأنبياء[٥].

وقال الضحاك: هم أهل القرآن[٦].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن عثمان بن أبي سودة تلا هذه الآية: ﴿والسابقون السابقون﴾ قال: هم أوّلهم[٧] رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في

---

(١) الوسيط (٤/ ٢٣٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧١). وذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٣).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٣) عن كعب.

(٧) قوله: "أولهم" مكرر في الأصل.

سبيل الله[١].

قال الزجاج[٢]: "السابقون" الأول رفع بالابتداء، والثاني توكيد له، ويكون الخبر: ﴿أولئك المقربون﴾، ثم أخبر أين محلهم فقال: ﴿في جنات النعيم﴾. ويجوز أن يكون "السابقون" الأول مبتدأ، خبره: "السابقون" الثاني، فيكون المعنى -والله أعلم-: السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمة الله. ويكون ﴿أولئك المقربون﴾ من صفتهم.

وقال الزمخشري[٣]: "والسابقون السابقون" يريد: والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم، كقولك: وعبد الله عبد الله، وكقول أبي النجم:

..... وشِعْرِي شِعْرِي ....[٤]

كأنه قال: وشِعْري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته.

وقد جعل "السابقون" تأكيداً، و"أولئك المقربون": خبراً. وليس بذاك.

ووقف بعضهم على: "[والسابقون][٥]"، وابتدأ: "السابقون أولئك المقربون".

والصواب: أن يوقف على الثاني، لأنه تمام الجملة، وهو في مقابلة: "ما

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٦٣).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٠٩).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٤) جزء من بيت، وهو:

أنا أبو النجم وشعري شعري ... لله دري ما يُجِنّ بصدري

انظر: الأغاني (٢٢/ ٣٤١)، والخصائص (٣/ ٣٣٧)، ومغني اللبيب (ص:٨٦٣)، والدر المصون (٦/ ٢٥٤).

(٥) في الأصل: السابقون. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٤٥٧).

أصحاب الميمنة"، و"ما أصحاب المشأمة".

قوله تعالى: ﴿أولئك المقربون﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: يعني: عند الله في ظل عرشه وجواره[١].

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين﴾ "ثُلَّة": خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هم ثُلَّة[٢].

والثُّلَّة: الجماعة الكثيرة لا يحصرها عدد[٣].

قال مقاتل[٤]: يعني: سابقي الأمم.

﴿وقليل من الآخرين﴾ من هذه الأمة، يريد مقاتل: أن سابقي هذه الأمة قليل بالنسبة إلى سابقي الأمم الماضية.

وقيل: ثُلّة من الأولين من متقدمي هذه الأمة، وقليل من متأخريها؛ لأن الذين

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٤).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٦/ ٢٥٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ثلل).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٢).

اتبعوهم بإحسان قليل بالنسبة إليهم.

قوله تعالى: ﴿على سرر موضونة﴾ قال ابن عباس وغيره: مرمولة منسوجة بالذهب والجواهر[(١)]، قد أدخل بعضُها في بعض، ومنه سمي النِّسْع[(٢)]: الوَضِين. ومنه بيت الأعشى:

ومنْ نَسْجِ داودَ مَوْضُونةٌ ....[(٣)]

وقول الآخر:

وبيضاءَ كالنهيِ موضونة ....[(٤)]

وقال الضحاك: "مَوْضُونة": مصفوفة، وهي رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس[(٥)].

قال ابن السائب: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٠)، وهناد في الزهد (١/ ٨٠ ح٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨) وعزاه لسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٢) في هامش ب: النِّسْع -بالكسر-: سَيْرٌ مضفورٌ يُجعل زماماً للبعير وغيره، وقد تنسج عريضةً تجعل على صدر البعير، وهو الوَضِين والبِطَان، والجمع: نِسْع وأَنْسَاع (انظر: لسان العرب، مادة: نسع).

(٣) صدر بيت للأعشى، وعجزه: تسير مع الحي عيراً فعيرا. انظر: ديوانه (ص:٧١)، واللسان (مادة: وضن)، والبحر (٨/ ٢٠١)، والدر المصون (٦/ ٢٥٥)، والقرطبي (١٧/ ٢٠١)، والطبري (٢٧/ ١٧٢)، وروح المعاني (٢٦/ ٤١، ٢٧/ ١٣٥).

(٤) صدر بيت للأعشى، وعجزه: لها قونس فوق جبين البدن. وهو في: القرطبي (٨/ ٣٨٠، ١٧/ ٢٠١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور.

تواضعت له، فإذا جلس عليها ارتفعت[(١)].

قوله تعالى: ﴿متكئين عليها﴾ قال الزجاج والزمخشري[(٢)]: "متكئين": حال من الضمير في "على"، وهو العامل في الحال، أي: استقروا عليها متكئين، ﴿متقابلين﴾ لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وُصفوا بحُسْن العشرة وتهذيب الأخلاق [والآداب][(٣)].

قوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أي: مُبْقَوْنَ أبداً على شكل الولدان، لا يكبرون ولا ينقصون ولا يتغيرون ولا يموتون. هذا قول جمهور العلماء[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: مُقَرَّطون[(٥)].

وقال الفراء وابن قتيبة وغيرهما[(٦)]: مُحَلَّوْنَ بالأسورة والأقراط، وأنشدوا:

وَمُخَلَّداتٌ باللُّجَيْنِ كأنما ... أعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الكُثْبَانِ[(٧)]

قال أهل اللغة[(٨)]: "الأباريق": فارسي مُعرَّب، وقد تكلمت به العرب قديماً.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٠٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١١٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٨).

(٣) في الأصل: والأدب. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكره الطبري (٢٧/ ١٧٣)، والماوردي (٥/ ٤٥٠).

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٢٢٠) بلا نسبة، والقرطبي (١٧/ ٢٠٢)، والبغوي (٤/ ٢٨١).

(٦) معاني الفراء (٣/ ١٢٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٤٤٦-٤٤٧).

(٧) انظر البيت في: اللسان (مادة: خلد، قوز)، والطبري (٢٩/ ٢٢٠)، والقرطبي (١٧/ ٢٠٢)، والماوردي (٥/ ٤٥٠)، وزاد المسير (٨/ ١٣٦).

(٨) انظر: اللسان (مادة: برق)، والصحاح (٤/ ١٤٤٩).

قال عدي بن زيد:

ودَعَا بالصَّبُوحِ يوماً فجاءت   قَينةٌ في يمينها إبريق[(١)]

قال الزجاج وغيره من المفسرين واللغويين[(٢)]: [الأكواب][(٣)]: آنية لا عُرى لها ولا خراطيم.

﴿لا يصدعون عنها﴾ أي: بسببها؛ كخمر الدنيا.

وقيل: لا يُفَرَّقُون عنها.

وما لم أفسره هاهنا مُفَسَّر في الصافات[(٤)]، أو ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿وحور عين﴾.

قرأ حمزة والكسائي: بالجر فيهما، وقرأ الباقون من السبعة: بالرفع[(٥)].

وقرأ أبي بن كعب وعائشة وأبو العالية والجحدري: بالنصب[(٦)].

فمن قرأ بالجر: عطفه على ما قبله؛ إما لأنه ليس من شرط المعطوف مشاركة المعطوف عليه في المعنى، وأنشدوا:

---

(١) البيت لعدي بن زيد، وهو في: اللسان (مادة: برق، طرق)، والبحر (٨/ ٢٠٢)، والدر المصون (٦/ ٢٥٦)، وزاد المسير (٨/ ١٣٦)، وروح المعاني (٢٧/ ١٣٦)، والأغاني (٦/ ٨٥، ٨٦)، وتاج العروس (مادة: برق، طرق).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٥/ ١١٠)، واللسان (مادة: كوب).

(٣) في الأصل: الأباريق. والمثبت من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) عند الآية رقم: ٤٧.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٢٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٥)، والكشف (٢/ ٣٠٤)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٧-٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٢).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٣٧)، والدر المصون (٦/ ٢٥٧).

إذا ما الغانياتُ برزنَ يوماً   وزجَّجْنَ الحواجبَ والعُيُونا[١]

والعيون لا تُزَجَّج وإنما تُكحل، وأنشدوا أيضاً:

وعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً   ....[٢]

وإما لكونه لا يمتنع أن يطوف الولدان عليهم بالحور، ويكون ذلك من جملة ما يتنعّمون به ويُكرَمون بسببه.

ومن رفع فعلى معنى: وهناك حُورٌ، أو ولهم حور.

ومن نصب فعلى معنى: ويعُطون حوراً، هُنَّ في صفاء الألوان ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ في أصدافه، لم يتغير بمسّ الأيدي، ولم يتأثر بطول الاستعمال.

قوله تعالى: ﴿جزاءً﴾ مفعول له[٣].

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ قد سبق معنى اللغو والسلام عند قوله: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾ في مريم، ومعنى "التأثيم" في الطور[٤].

---

(١) البيت للراعي النميري، وهو في: اللسان (مادة: زجج)، ومعاني الفراء (٣/ ١٢٣)، والطبري (٢٧/ ١٧٦)، والقرطبي (١٧/ ٢٠٥)، وزاد المسير (٨/ ١٣٨)، والخصائص (٢/ ٤٣٢)، وتاج العروس (مادة: زجج).

(٢) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها). انظر ملحقات ديوانه (٣/ ١٨٦٢)، ومعاني الفراء (١/ ١٤ان ٣/ ١٢٤)، وتأويل المشكل (ص:٢١٣)، والخصائص (٢/ ٤٣١)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٨)، والإنصاف (٢/ ٦١٣)، وأوضح المسالك (١/ ٢٩٨)، والخزانة (١/ ٤٩٩)، واللسان (مادة: قلد).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٥٨).

(٤) في سورة مريم عند الآية رقم: ٦٢، وفي سورة الطور عند الآية رقم: ٢٣.

وقوله: ﴿سلاماً﴾ بدل من ["قِيلاً"](١)، بـدليل الآيـة المـذكورة في مـريم، أو مفعول به لـ"قيلاً"، على معنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً(٢).

وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وأصحاب اليمين﴾ هم أصحاب الميمنة.

﴿في سدر مخضود﴾ قال عكرمة: لا شَوْك فيه(٣).

قال ابن قتيبة(٤): كأنه خُضِدَ شوكه، أي: قُطِع، ومنه قول النبي ﷺ في المدينة: ((لا يُخْضَدُ شوكها))(٥).

وقال مجاهد والضحاك: "مخضود": [موقر](٦)، وهو الذي تَثْني أغصانه لكثرة

---

(١) في الأصل: قليلاً. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧٩)، وهناد في الزهد (١/ ٩٥ ح١٠٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٣).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٧).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٨ ح٣٧٧٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٠)، وهناد في الزهد (١/ ٩٥ ح١٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣) وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث. وما بين المعكوفين في الأصل: موفر. والمثبت من ب.

حمله، من قولهم: خَضَدَ الغصن؛ إذا ثناه وهو رَطْب[١]. والقولان عن ابن عباس[٢].

قوله تعالى: ﴿وطلح منضود﴾ الطَّلْحُ: شجر الموز، في قول علي، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وجمهور المفسرين[٣].

وقال أبو عبيدة وغيره من أهل اللغة[٤]: الطَّلْحُ عند العرب: شجرٌ عِظَامٌ، كثير الشوك. [وهو شجر][٥] أم غَيْلان[٦]. قال الحادي:

بَشَّرَها دَلِيلُهَا وقالا غداً تَرَيْنَ الطلحَ والحبالا[٧]

فإن قيل: ما الفائدة فيه حتى جُعل من شجر الجنة؟

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خضد).

(٢) أخرج القول الأول: الطبري (٢٧/ ١٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من طرق عن ابن عباس.
وأخرج القول الثاني: الطبري (٢٧/ ١٧٩). وذكره السيوطي (٨/ ١٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٧)، وهناد في الزهد (١/ ٩٦ ح١١١، ١١٢)، والطبري (٢٧/ ١٨١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٠-٣٣٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن علي بن أبي طالب. ومن طرق أخرى عن أبي سعيد الخدري ومجاهد.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٠).

(٥) في الأصل: وشجر. والتصويب من ب.

(٦) انظر: اللسان (مادة: طلح).

(٧) البيت للنابغة الجعدي، وهو في: مجاز القرآن (٢/ ٢٥٠)، والطبري (٢٧/ ١٨١)، والماوردي (٥/ ٤٥٤)، والقرطبي (١٧/ ٢٠٨)، وزاد المسير (٨/ ١٤٠).

قلتُ: كثرة نوره، وطيب ريحه، وامتداد ظله[١]، وما بين شجر الدنيا وشجر الجنة اشتراك إلا في الأسماء، وإلا [فلتلك][٢] ثمار ونُوَّار لا يعلمه أهل الدنيا.

وروى محمد بن جرير بإسناد له قال[٣]: قرأ رجل عند علي عليه السلام: ﴿وطلح منضود﴾ قال علي: ما شأن الطلح، إنما هو: ["وطلع][٤] منضود"، ثم قرأ: ﴿طلعها هضيم﴾ فقيل له: إنها في المصحف بالحاء، أفلا نحوِّلها؟ فقال: إن القرآن لا يُهَاجُ اليوم.

ويروى: أن علياً عليه السلام كان يقرأ: "وطَلْعٍ منضود"[٥] [بالعين][٦]. والله أعلم بصحة ذلك عنه.

والذي أطبقت عليه الأمة واختارته الأئمة ما نُقل على لسان التواتر، ونَطق به الإمام الذي [أجمعت][٧] عليه الصحابة فمن بعدهم: مصحف عثمان رضي الله عنه.

والمنضُود: المُتَراكم الذي ينضد بالحمل من أوله إلى آخره.

قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله[٨].

---

(١) في الأصل زيادة قوله: ما بين. وانظر: ب.

(٢) في الأصل: فتلك. والتصويب من ب.

(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ١٨١).

(٤) في الأصل: طلع. والتصويب من ب، ومن الطبري، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: الماوردي (٥/ ٤٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٥٩).

(٦) زيادة من ب.

(٧) في الأصل: اجتمعت. والمثبت من ب.

(٨) ذكره القرطبي (١٧/ ٢٠٩)، والبغوي (٤/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٠) بمعناه.

قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ أي: دائم لا تنسخه الشمس.

قال الربيع: يعني: ظل العرش[١].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم بن عبدالله بن عبدالصمد العطار، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالله الصوفي قالا: أخبرنا عبدالأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾»[٢]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق، ورواه جماعة من الصحابة منهم: سهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وغيرهم[٣].

قوله تعالى: ﴿وماء مسكوب﴾ أي: دائم الجرية لا ينقطع.

﴿وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة﴾ في [بعض][٤] الأحايين كثمار الدنيا، ﴿ولا ممنوعة﴾ من [متناولها][٥] بوجه من الوجوه.

قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قيل المراد بالفُرُش: النساء، على معنى: مرفوعة بالجمال على نساء الدنيا، أو مرفوعة على السرر. ويدل عليه قوله: ﴿إنا أنشأناهن﴾.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥١ ح٤٥٩٩)، ومسلم (٤/ ٢١٧٥ ح٢٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٦ ح٢٨٢٧-٢٨٢٨) من حديث سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: تناولها. والمثبت من ب.

والصحيح: ما عليه عامة المفسرين: من أنها الفُرُش المعروفة، أي: مرفوعة بزيادة الحشو، أو على السرر.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، مسيرة ما بينهما خمسمائة عام»(١).

قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ قال ابن عباس: يريد: النساء الآدميات(٢).

وفي الترمذي من حديث أنس: «أن من المنشآت اللاتي كُنَّ في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً»(٣).

والمعنى: أنشأناهنَّ إنشاءً جديداً من غير أن تشتمل عليهن أصلاب الفحول وأرحام الطوامث.

فإن قيل: قد أسلفتَ أنه لا يكنى عن شيء إلا وقد تقدمه ما يدل عليه، فأين جرى هاهنا ذكر نساء أهل الدنيا لترجع الكناية في قوله: "أنشأناهن" إليهن؟

قلتُ: إن أريد بالفُرُش: النساء، فلا إشكال، وإلا فقد دلَّت عليهن دلالة ملازمة.

﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عذارى.

قال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلا وجدها بكْراً(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٩ ح٢٥٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢ ح٣٢٩٦).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٢).

﴿عرباً أتراباً﴾ وقرأ حمزة: "عُرْباً" بإسكان الراء[١].

والعُرُب: جمع عَرُوب. قال الشاعر:

وفي الحُدُوج[٢] عَرُوبٌ غيرُ فاحشةٍ رَيّا الرَّوادِفِ يَغْشَى دُونها البصر[٣]

وهي المُتَحَبِّبَة إلى زوجها، الحسنة التَّبَعُّل. قاله ابن عباس وعامة المفسرين واللغويين[٤]. وإليه يؤول قول عكرمة: أنهن الغَنِجَات[٥].

وقول الحسن وقتادة: العواشق لأزواجهن[٦]؛ لأن عشقهن لهم يزيدهم ميلاً إليهن.

وقول ابن زيد: الحسِناتُ الكلام[٧].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والكشف (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٢).

(٢) الحُدُوج: جمع، واحدها: حِدْج، وهي مراكب النساء، أو الهودج. (انظر: اللسان، مادة: حدج).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في: مجاز القرآن (٢/ ٢٥١)، والحجة للفارسي (٤/ ٢٢)، والماوردي (٥/ ٤٥٥)، والطبري (٢٧/ ١٨٦)، والقرطبي (١٧/ ٢١١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦) وعزاه لابن جرير. وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٧-١٨٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٧-١٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٥).

ويروى في [الحديث][(١)]: أن النبي ﷺ قال: ((كلامهن عربي))[(٢)].

"أتراباً" مفسر في ص عند قوله: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ [ص:٥٢].

واللام في قوله: ﴿لأصحاب اليمين﴾ متعلقة بقوله: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾، تقديره: إنا خلقناهن خلقاً جديداً بعد أن كُنَّ عجائز عُمْشاً، ثم صِرْنَ في القبور تراباً، فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين﴾ أي: أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة جماعة كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين.

وفي "الأولين" و"الآخرين" القولان السابقان في التي قبلها.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال ((في قوله: ﴿ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين﴾: جميع الثُّلَّتَيْن من أمتي))[(٣)].

فإن قيل: هل بين قوله: ﴿وقليل من الآخرين﴾ وقوله: ﴿وثلة من الآخرين﴾ مناقضة؟

قلتُ: كلا؛ لأن الآية الأولى في السابقين من الأمم، على ما أشرنا إليه من قول مقاتل، وقد كشفنا عن وجه معناه. وهذه في مطلق أهل الجنة، إما من جميع الأمم أو من هذه الأمة. وكلا الفريقين الداخلين إلى الجنة من الأولين والآخرين ثلة غير

---

(١) في الأصل: حديث. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن مردويه.

محصورة، على أن قوله: ﴿وقليل من الآخرين﴾ لا ينافي كون القليل ثُلَّة، وإنما أفاد كثرة الثُّلَّة الأوّلة بالنسبة إلى الثُّلَّة الآخرة.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ هذا تعجيب من سوء حالهم.

﴿في سموم﴾ قال ابن قتيبة[1]: هو حرّ النار.

﴿وحميم﴾ هو الماء الحار. وقد سبق تفسيرهما[2].

﴿وظلّ من يحموم﴾ يَفْعُول، من الأحم، وهو الأسود الشديد السواد.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٤٩).

(٢) سبق تفسير السموم في سورة الطور، آية رقم: ٢٧، وتفسير الحميم في سورة الحج، آية رقم: ١٩.

قال الفراء[١]: الدخان الأسود.

وقال ابن عباس: ظل من دخان[٢].

ثم نعته فقال: ﴿لا بارد ولا كريم﴾ قال ابن عباس: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر[٣].

﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ أي: مُتَّعين مُنَعَّمين منهمكين في اللذات، راكبي رؤوسهم في اتباع الشهوات.

﴿وكانوا﴾ مع ذلك ﴿يصرون على الحنث العظيم﴾. قال الحسن والضحاك وابن زيد: هو الشرك بالله[٤].

وقال مجاهد وقتادة: هو الذنب العظيم لا يتوبون منه[٥].

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس[٦].

يشير -والله أعلم- إلى حلفهم أنهم لا يُبْعَثُون. ويدل عليه قوله: ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٣)، والحاكم (٢/ ٥١٨ ح٣٧٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٠) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٩)، والطبري (٢٧/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٤).

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: "أئذا" بهمزتين محقَّقتين، وفصل بينهما بألف؛ هشام، الباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية، وفصل بينهما بألف: أبو عمرو وقالون، ولم يقرأه أحد على الخبر.

وقرأ نافع والكسائي: "إنا" على الخبر، الباقون: بهمزتين، وحققهما ابن عامر وعاصم وحمزة، وفصل بينهما بألف: هشام، وحقق الأولى وليّن الثانية: ابن كثير وأبو عمرو، وزاد أبو عمرو الفصل بألف(١). وقد أشرنا إلى علة ذلك في أوائل الرعد(٢).

وقرأ نافع وابن عامر: "أوْ آباؤنا" بسكون الواو(٣). وقد ذكرته في الصافات(٤)، وبيّنت معناه.

قال الزمخشري(٥): إن قلت: كيف حَسُنَ العطف على المضمر في: ﴿لمبعوثون﴾ من غير تأكيد؟

قلتُ: حَسُنَ للفاصل الذي هو الهمزة، كما حَسُنَ في قوله: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام:١٤٨] لفصل "لا" المؤكدة للنفي. و"مِنْ" في قوله: ﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ لابتداء الغاية، وفي قوله: ﴿مِنْ زَقُّوم﴾ لبيان الشجر وتفسيره. وأنَّث ضمير الشجر على المعنى، وذكَّره على اللفظ في قوله: "منها" و"عليه".

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٢)، والنشر (١/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٣).

(٢) عند الآية رقم: ٥.

(٣) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٤٠٨).

(٤) عند الآية رقم: ١٧.

(٥) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

ويجوز عندي: أن يكون الضمير في قوله: ﴿فشاربون عليه﴾ راجعاً إلى "الزقوم"، يدل عليه قراءة من قرأ: "من [شَجَرَة][1]".

وما لم أذكره مُفسّر في مواضعه.

قوله تعالى: ﴿فشاربون شُرْبَ الهيم﴾ قرأ نافع وعاصم وحمزة وأبو جعفر: "شُرْبَ" بضم الشين. وقرأ الباقون من العشرة: بفتحها[2].

قال الزجاج[3]: "الشَّرْبُ" -بالفتح-: المصدر، وبالضم: الاسم.

وقال الزمخشري[4]: هما مصدران.

وقال الكسائي: قوم من بني سعد يقولون: "شِرْبَ الهيم" بكسر الشين[5].

قال غيره: "الشِّرْبُ" -بكسر الشين- بمعنى: المشروب.

والهِيمُ: الإبل التي بها الهُيام، وهو داءٌ لا تَرْوى معه من شُرْب الماء. يقال: بعيرٌ أهْيَمُ وناقةٌ هَيْماءُ[6]. قال ذو الرمة:

فأصبحتُ كالهَيْماءِ لا الماءُ مُبْرِدٌ ... صَدَاها ولا يَقْضِي عليها هِيَامُها[7]

---

(١) في الأصل: شجر. والتصويب من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والكشف (٢/ ٣٠٥)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١١٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٥).

(٦) انظر: اللسان (مادة: هيم).

(٧) البيت لذي الرمة، انظر: ديوانه (ص:٧١٤)، والبحر (٨/ ٢٠٨)، والدر المصون (٦/ ٢٦١)، والكشاف (٤/ ٤٦٢)، وروح المعاني (٢٧/ ١٤٦).

هذا قول مجاهد [وعكرمة][(١)] والضحاك وقتادة وعطاء وجمهور المفسرين[(٢)].

وقيل: إن الهِيم: الرمال التي [لا][(٣)] تروى من الماء[(٤)]. والقولان عن ابن عباس.

قال أبو عبيدة[(٥)]: الهِيمُ: ما لا يَروى من رمْل أو بعير.

وقال الزمخشري[(٦)] -على القول الثاني-: وجهه: أن يكون الهِيم جمع: الهَيام -بفتح الهاء-، وهو الرمل الذي [لا][(٧)] يتماسك، جُمِعَ على فُعُل؛ كسَحَاب وسُحُب، ثم خُفِّف وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجَمْع أَبْيَض.

ومعنى الآية: أنه يُسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم، فإذا ملؤوا منه بطونهم سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم، [فيشربونه][(٨)] شُرْبَ الهِيم.

قوله تعالى: ﴿هذا نزلهم﴾ أي: هذا الطعام والشراب نُزُلُهُم الذي أعددنا لهم

---

(١) في الأصل: عكرمة. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٤٩-٦٥٠)، والطبري (٢٧/ ١٩٥-١٩٦).

وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١-٢٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن أبي مجلز وعكرمة وقتادة والحسن والضحاك.

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢) وعزاه لسفيان بن عيينة في جامعه.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٦) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

(٧) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٨) في الأصل: فشربونه. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

﴿يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء والحساب. وقد سبق ذكره في الفاتحة.

وفي هذا تهكُّمٌ بهم؛ لأن النُّزُل: ما يُعَدّ للأضياف من الرزق تكرمةً لهم.

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ
أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ
ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿نحن خلقناكم﴾ أي: نحن قدَّرنا هيئتكم وأوجدناكم، ﴿فلولا﴾ أي: فهلاّ ﴿تصدقون﴾ بالبعث وتعتبرون إحدى النشأتين بالأخرى، أو فهلاّ تصدقون بالحق تصديقاً لا مناقضة فيه، فإن الإقرار بالخلق الأول مع إنكار الخلق الثاني متناقضان.

﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ وقرأ أبو [السَّمَّال][(١)]: "تَمْنُون" بفتح التاء[(٢)].

وقد ذكرنا أنهما لغتان، أمْنَى ومَنَى.

والمعنى: أخبروني ما تلقونه في أرحام النساء ﴿أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾.

قرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم الإمام أبو منصور محمد بن أسعد العطاري فأقر به قال: سمعت الإمام أبا محمد الحسين بن مسعود البغوي يقول: روي عن علي رضي الله عنه: أنه قرأ في الصلاة بالليل: ﴿أفرأيتم ما تمنون * أأنتم

---

(١) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢١٠)، والدر المصون (٦/ ٢٦٣).

تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثاً[١]، وكذلك في قوله: ﴿أم نحن الزارعون﴾، ﴿أم نحن المنزلون﴾[٢].

﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ وقرأ ابن كثير: "قَدَرْنا" بالتخفيف[٣]، وهما لغتان بمعنى واحد.

قال الضحاك: سوينا بينكم فيه[٤]. فيكون التقدير بمعنى: القضاء.

وقال مقاتل[٥]: المعنى: منكم من يموت كبيراً، ومنكم من يموت صغيراً وشاباً وشيخاً.

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي: بمغلوبين.

﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ قال الزجاج[٦]: المعنى: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ذلك.

﴿وننشئكم في ما لا تعلمون﴾ من الصور.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٥٢-٤٥٣ ح٤٠٥٣)، والحاكم (٢/ ٥١٨ ح٣٧٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٣١١ ح٣٥١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٦)، والكشف (٢/ ٣٠٥)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٨)، والسبعة (ص:٦٢٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٦).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١١٤).

قال مجاهد: نخلقكم في أيّ خلق شئنا[1].

فمعنى الآية: وما نحن بمسبوقين على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم، وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونه.

وقيل: تقديره: على أن نبدلكم بأمثالكم، فحذف المفعول الأول، والجارّ من المفعول الثاني.

وقيل: الأمثال: جمع مثل، بمعنى الصفة، أي: نبدّل صفاتكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ أقرّيتم بها واعترفتم بصحّة كونها، ﴿فلولا تذكرون﴾ فتستدلوا بالنظير على النظير.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ
لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ في الأرض وتلقون فيها من البذر.

﴿أأنتم تزرعونه﴾ تُنبِتُونَه وتُخْرِجُونه نابتاً نامياً، ﴿أم نحن الزارعون﴾.

﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ قال الزجاج[2]: أبطلناه حتى يكون متحطماً لا حنطة فيه ولا شيء.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص: ٦٥٠)، والطبري (٢٧/ ١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١١٤).

﴿فَظَلْتُم﴾ وقرأ الشعبي وأبو العالية: "فَظِلْتُم" بكسر الظاء[١]؛ لأن الأصل [فيه: "ظَلِلْتُم"][٢]، فنقل حركة اللام إلى الظاء، وهذا الحرف آخر الحروف التسعة التي جاءت بالظاء في القرآن. وقد ذكرتها في سورة النحل عند قوله: ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ [٥٨]، فاطلبها هنالك.

ومعنى: ﴿تفكهون﴾ تعجبون مما نزل بكم في زرعكم.

وقيل: تندمون على عملكم[٣] فيه وإنفاقكم عليه. والقولان مشهوران في التفسير.

ويقال: إنه من الأضداد. تَفَكَّهَ بمعنى: تَنَعَّم، وتَفَكَّهَ بمعنى: تَحَزَّن.

وقرأ أُبيّ بن كعب وابن السميفع والقاسم بن محمد وعكرمة: "تَفَكَّنُون" [بنون][٤] بدل الهاء، بمعنى: تندَّمون[٥].

[ومنه][٦] الحديث: «مثلُ العالم مَثَلُ الحَمَّة، يأتيها البُعَداء ويتركها القُرَباء، فبينما هم كذلك إذ غار ماؤُها، فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكَّنون»[٧]. أي: يتندّمون.

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٦٤).

(٢) في الأصل: فظللتم. والمثبت من ب.

(٣) في ب: تعبكم.

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: منه. والتصويب من ب.

(٧) أخرجه ابن قتيبة في المعارف (ص:٤٣٩). وذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٦٤).

﴿إنا لمغرمون﴾ قال الزجاج[١]: أي يقولون: إنا لمغرمون قد غرمنا وذهب زرعنا.

وقيل: لمعذبون من الغرام، وهو الهلاك.

﴿بل نحن محرومون﴾ مُحَارَفُون محدودون.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

والمُزْن: السَّحَاب، واحدتها: مُزْنَة[٢].

وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء.

﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ ملحاً زُعاقاً لا تقدرون على شُرْبه ﴿فلولا تشكرون﴾ أي: فهلاّ تشكرون الذي أنزله عذباً ثَجَّاجاً ولم يجعله ملحاً أجاجاً.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ تقدحونها وتخرجونها[٣] من الزناد.

قال الزجاج[٤]: يقال: وَرَى الزند يَرِي فهو وَارٍ؛ إذا انقدحت منه النار،

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١١٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مزن).

(٣) في ب: وتستخرجونها.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١١٥).

وأَوْرَيْتُ النار؛ إذا قدحتها[١]. والعرب تَقْدَحُ بالزَّند والزَّندة، وهو خشب يُحَكُّ بعضه على بعض، فتخرج منه النار، وهذا قول ابن قتيبة أيضاً وعامة أهل اللغة والتفسير.

﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ وهي المَرْخ والعَفَار، وفي كل شجر نار.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن المراد بشجرتها: الحديد[٢].

﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ تذكيراً لنار جهنم وأنموذجاً لها.

أنبأنا أبو علي بن عبدالله المذكّر قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبدالواحد، أخبرنا الحسن بن علي [الواعظ][٣]، أخبرنا أبو بكر[٤] أحمد بن جعفر، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن همام، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نارُكم هذه ما يوقد بنو آدم جزءٌ واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله. قال: فإنها فَضَلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها»[٥]. أخرجاه في الصحيحين.

قوله تعالى: ﴿ومتاعاً للمُقْوِين﴾ أي: ومنفعة للذين ينزلون القَواء، وهي القفْر والأرض الخالية.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وري).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٩).

(٣) في الأصل: الحافظ. والمثبت من ب، وقد سبق عدة مرات كما أثبتناه.

(٤) في الأصل زيادة قوله: "بن". وهو خطأ. وانظر: ب.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩١ ح٣٠٩٢)، ومسلم (٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٣)، وأحمد (٢/ ٣١٣ ح٨١١١).

ومنه قول النابغة:

.... أقوتْ وطَالَ عليها سالفُ الأبد[١]

وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك[٢].

قال بعض العلماء: المسافر أشدّ حاجةً إليها من المقيم؛ لأنه إذا أوقدها هربت منه السّباع، واهتدى بها الضّالّ، واصْطَلَى بها في شدة البرد[٣].

وقال مجاهد: متاعاً للمسافرين [والحاضرين][٤].

ولعمري إنها كذلك، ولكن الاشتقاق لا يساعده على هذا، اللهم إلا أن يكون مثل قوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل:٨١].

وقال الربيع والسدي: متاعاً للمُرْمِلين المُقْوين الذين لا زاد معهم، يوقدون ناراً فيختبزون بها[٥].

---

(١) عجز بيت للنابغة، وصدره: يا دار ميّة بالعلياء فالسند. انظر: ديوانه (ص:٣٠)، والخزانة (٤/ ٤٠٩)، وشرح شواهد المغني (٤/ ٣١٥)، والتصريح على التوضيح (١/ ١٤٠)، والدرر اللوامع (١/ ٦١)، والأشموني (١/ ٢١٠)، والبحر المحيط (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠١-٢٠٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٢)، وهناد في الزهد (١/ ١٦٨ ح٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤) وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وما بين المعكوفين في الأصل: والضحاضرين. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الثعلبي (٩/ ٢١٧).

وقال ابن زيد: "للمقوين": للجائعين(١). تقول: أَقْوَيْتُ من كذا وكـذا؛ إذا لم تأكل شيئاً(٢).

وقال قطرب وغيره من أهل اللغة والواحدي(٣): المُقْوي من الأضداد، يكون بمعنى: الفقير، ويكون بمعنى: الغني. ويقال: أقوى الرجل؛ إذا قوي على ما يريد، وأقوى: إذا افتقر وخلا من المال(٤).

قال الواحدي(٥): فالمعنى: ومتاعاً للأغنياء والفقراء، وذلك أنه لا غنى لأحد عنها.

وهذا القول من الواحدي فيه إشعار أن اللفظة الواحدة تُستعمل في الشيء وضده في حالة واحدة، وهذا لا يجوز، فإنه لا يسوغ أن تُطلق القُرْء وأنت تريد به: الحيض والطهر.

قوله تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نَزِّه ربك مما يقولون.

أمر الله تعالى نبيه بالتسبيح شكراً له على ما فضّله من ذكر نعمه ودلائل وحدانيته وقدرته على البعث.

۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٢). وذكره الماوردي (٥/ ٤٦١).

(٢) انظر: اللسان (مادة: قوا).

(٣) الوسيط (٤/ ٢٣٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: قوا).

(٥) الوسيط (٤/ ٢٣٨).

مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ قال الزجاج[١] وأكثر المفسرين واللغويين: معناه: فأقسم بمواقع النجوم، فـ"لا" مزيدة مؤكدة، كقوله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ [الحديد:٢٩].

وقيل: إن "لا" على أصلها، فهي ناهية، بمعنى: لا تكفروا ولا تجحدوا ما ذكرت من نعمي، ولا تنكروا قدرتي، أو نافية لما يقوله الكفار في القرآن.

وقرأ الحسن: "فَلأُقْسِمُ"[٢] على معنى: فلأنا أقسم.

قال مجاهد: "مواقع النجوم": مطالعها ومساقطها[٣].

وقال الحسن: انتثارها وانكدارها يوم القيامة[٤].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها نجوم القرآن[٥]؛ لأنه كان ينزل على النبي ﷺ نجوماً شيئاً بعد شيء.

قال الزجاج[٦]: ودليل هذا القول: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١١٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٥١)، والدر المصون (٦/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٥٢)، والطبري (٢٧/ ٢٠٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ١٥٤)، والطبري (٢٧/ ٢٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥) وعزاه لابن مردويه.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١١٥).

كريم﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "بمَوْقِعِ" على التوحيد وإرادة الجنس[١].

وقال المبرد: هو مصدر، يصلح للواحد والجمع.

ثم استعظم سبحانه وتعالى القَسَم بمواقع النجوم تفخيماً لشأنه، وتنبيهاً على عظيم قدرته فيه وحكمته فقال: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾. وهاهنا اعتراضان:

أحدهما: بين القَسَم والمُقْسَم عليه، وهو قوله: ﴿وإنه لقسم...﴾ إلى آخر الآية.

الثاني: بين الموصوف وصفته، وهو قوله: ﴿لو تعلمون﴾.

﴿إنه لقرآن كريم﴾ على الله، عظيم النفع للناس؛ لما اشتمل عليه من الأحكام والحكم.

﴿في كتاب مكنون﴾ قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ[٢].

فالمعنى بكونه مكنوناً على هذا القول: صيانته عن غير الملائكة المقربين الذين أذن الله لهم في الأخذ منه والنظر فيه.

وقال مجاهد وقتادة: هو المصحف[٣].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٧)، والكشف (٢/ ٣٠٦)، والنشر (٢/ ٣٨٣)، والإتحاف (ص:٤٠٩)، والسبعة (ص:٦٢٤).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦) وعزاه لآدم ابن أبي إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في المعرفة عن مجاهد.

فالمعنى على هذا القول بكونه مكنوناً: صيانته عن الباطل، وحفظه عنه.

وقال عكرمة: المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل[١].

وقال السدي: الزبور[٢]. على معنى: أنّ ذِكْر القرآن ومن ينزل عليه القرآن في الكتب المتقدمة.

قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ الضمير يعود إلى "الكتاب".

فإن قلنا: هو اللوح المحفوظ؛ فالمطهرون: الملائكة.

وإن قلنا: هو المصحف أو غيره من الكتب المنزلة: فيكون النفي في معنى النهي، على معنى: لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون من الأحداث. وهذا قول قتادة[٣].

ويؤيده ما أخرج مالك في الموطأ: أن في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»[٤].

وقال ابن السائب: المطهرون من الشرك[٥].

وقال الربيع بن أنس: المطهرون من الذنوب والخطايا[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٦). وذكره الماوردي (٥/ ٤٦٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٣) بلا نسبة.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٢).

(٤) أخرجه مالك (١/ ١٩٩ ح٤٦٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٢).

(٦) ذكره الماوردي، وابن الجوزي في زاد المسير، الموضعين السابقين، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

وقيل: إن هذا إخبارٌ من الله تعالى بأنه لا يجد طعم القرآن ونفعه إلا من آمن به. حكاه الفراء[(١)].

قوله تعالى: ﴿تنزيل﴾ صفة رابعة "للقرآن"، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو تنزيل ﴿من رب العالمين﴾[(٢)].

ولما عظّم الله القرآن وفخّمه وأقسم على كرامته أنكر عليهم تكذيبهم به، فذلك قوله تعالى: ﴿أفبهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾.

قال الزجاج[(٣)]: المُدْهِن والمُدَاهِن: الكذّاب المنافق.

وقال ابن قتيبة[(٤)]: يقال: أدْهَنَ في دِينه ودَاهَنَ.

﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي: شكر رزقكم، على حذف المضاف.

وقرأ علي عليه السلام: وتجعلون شكركم ﴿أنكم تكذبون﴾[(٥)].

فالمعنى: وتجعلون شكر رزقكم ونعمة الله عليكم بالقرآن؛ التكذيب.

والذي عليه ابن عباس وجمهور المفسرين: أن هذه الآيات نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها. وأن المراد بالرزق: المطر، على معنى: وتجعلون شكر ما [يرزقكم][(٦)] الله من المطر أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى، حيث تنسبونه إلى النجوم، يدل على ذلك؛ ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال:

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٣٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٦٨).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١١٦).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥١).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٥٤)، والدر المصون (٦/ ٢٦٩).

(٦) في الأصل: رزقكم. والمثبت من ب.

«مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ حتى بلغ: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾»[1].

وأخرج الترمذي بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ قال: شكركم أن تقولوا: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا»[2].

وقرأتُ للمفضل عن عاصم: "تَكْذِبُون" بفتح التاء وسكون الكاف والتخفيف[3].

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ أي: فهلاّ إذا بلغت الروح الحلقوم. وترك ذكرها لدلالة الكلام عليها، كما قال:

أمَاوِيُّ ما يُغني الثَّرَاءُ عَنِ الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصدرُ[4]

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٤ ح٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠١ ح٣٢٩٥).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٢٥)، والسبعة (ص:٦٢٤).

(٤) البيت لحاتم الطائي، انظر: اللسان (مادة: حشرج)، والماوردي (٥/ ٣٤٨)، والقرطبي

﴿وأنتم﴾ يا أهل الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ تشاهدون أحب الناس إليكم وأعزهم عليكم يُسْتَلَبُ منكم.

﴿ونحن أقرب إليه﴾ أي: إلى المحتَضر ﴿منكم﴾ يا أهله بقدرتنا وعلمنا، أو بملك الموت وأعوانه، ﴿ولكن لا تبصرون﴾.

قال ابن عباس: لا تبصرون الملائكة(١).

وقيل: لا تعلمون. [على](٢) أن الخطاب فيه للكفار(٣).

قوله تعالى: ﴿فلولا إن كنتم غير مَدِينين﴾ هذا الكلام مُلتفٌّ بالذي قبله، وترتيبه: فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إذا بلغت الحلقوم، وكرر [لولا](٤) لطول الكلام.

وقال الفراء(٥): ﴿ترجعونها﴾ جواب لقوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾، وقوله: ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ فإنهما أجيبا بجواب واحد، كقوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾ [البقرة:٣٨].

قال ابن عباس في قوله: "غير مدينين": غير محاسبين(٦).

= (١٧/ ٢٣٠)، والطبري (١٣/ ٣٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٦).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٥).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) انظر: الوسيط (٤/ ٢٤١).

(٤) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٣٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

وقال قتادة: غير مبعوثين(١).

وقال أبو عبيدة: غير مجْزِيِّين(٢).

وقال ميمون بن مهران: غير مقهورين(٣).

وقال الفراء(٤): غير مملوكين.

[ووجه](٥) ارتباط الكلام وانتظامه: إن كنتم كما تزعمون غير محكوم عليكم وغير مقهورين وكنتم صادقين في أنه ليس لكم إله يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم على أعمالكم، فهلاّ تردون نفس المحبوب إليكم، العزيز عليكم.

المعنى: فإذا لم تقدروا على ذلك [فاعلموا](٦) أن لكم إلهاً قادراً ورباً عظيماً يفعل ذلك.

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر طبقات المحتضرين فقال: ﴿فأما إن كان من

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٠) عن الحسن. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٦) عن قتادة.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٢).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٥).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٣١).

(٥) في الأصل: وو. والمثبت من ب.

(٦) في الأصل: فاعملوا. والتصويب من ب.

المقربين﴾ أي: إن كان الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله.

وقال أبو العالية: من السابقين[١].

قال بعضهم: من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة.

﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فله رَوْح، أي: استراحة من كل هَمٍّ وغَمٍّ وتَعَبٍ ونَصَب، وذلك بما أفضى إليه من كرامة الله عز وجل، المُعَدَّة لأوليائه في الجنة.

وقرأت للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه، وليعقوب من رواية رويس عنه: "فَرُوحٌ" بضم الراء[٢]. وهي قراءة أبي بكر الصديق، وعائشة، وأبي رزين، والحسن، وقتادة، في آخرين.

قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَرُوحٌ وريحان﴾ بضم الراء[٣].

قال الحسن: الرَّوْح: الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم[٤].

وقيل: المعنى: فله البقاء الدائم.

وقد ذكرنا في سورة الرحمن[٥] أن الريحان: الرزق.

وقال الحسن وأبو العالية: يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم تقبض فيه روحه[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٦).

(٢) النشر (٢/ ٣٨٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥ ح٣٩٩١)، والترمذي (٥/ ١٩٠ ح٢٩٣٨)

(٤) ذكره القرطبي (١٧/ ٢٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) عند الآية رقم: ١٢.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور =

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تُلُقِّيَ بضبائر الريحان من الجنة فتجعل روحه فيه[١].

قوله تعالى: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي: أنك ترى فيهم ما تُحب من السلامة فلا تهتمّ لهم.

وقال مقاتل[٢]: هو أن الله يتجاوز عن سيئاتهم ويتقبل حسناتهم.

وقال عطاء: تُسَلِّمُ عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين[٣].

وقيل: المعنى: فسلام عليك يا محمد من أصحاب اليمين، أي: أنهم يسلمون عليك[٤] في الجنة؛ كقوله: ﴿إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ [الواقعة:٢٦].

قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾ وهم أصحاب المشأمة. ﴿فنُزُلٌ﴾ أي: فلهم نُزُل ﴿من حميم﴾، وهو مثل قوله: ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ [الواقعة:٥٦].

قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه السورة، من تنوع أحوال المحتضرين وغيره ﴿لهو حق اليقين﴾ من باب إضافة الشيء إلى نفسه؛ كصلاة الأولى. وأنشدوا:

= (٨/ ٣٧-٣٨) وعزاه للمروزي في الجنائز وابن جرير عن الحسن. ومن طريق آخر عن أبي العالية وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣١٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٥٨).

(٤) في ب: عليه.

ولوْ أقْوَتْ عليكَ ديارُ عَبْسٍ عَرَفْتَ الذُلَّ عِرْفانَ اليقين[١]

وقد استوفينا القول في مثل هذا في مواضع، [وذكرنا][٢] فيه مذهب البصريين والكوفيين[٣].

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ مفسر في هذه السورة[٤].

وفي حديث عقبة بن عامر الجهني قال: ((لما نزلت: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى:١] قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في سجودكم))[٥].

قُرئ على الشيخ أبي المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الهمذاني[٦] وأنا أسمع، أخبركم الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد، وابن عمه المطهّر بن عبدالكريم قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن حمد بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى[٧]، حدثنا إسحاق بن

---

(١) البيت لم أعرف قائله. وهو في: معاني الفراء (٢/ ٥٦)، والطبري (١٣/ ٨١)، والقرطبي (٩/ ٢٧٥).

(٢) في الأصل: ذكرنا. والتصويب من ب.

(٣) انظر: الآية رقم: ٧ من سورة النمل.

(٤) عند الآية رقم: ٧٤.

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٠ ح٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨٧ ح٨٨٧).

(٦) في ب: الهمداني.

(٧) أحمد بن علي بن المثنى بن عيسى بن هلال بن أسد الموصلي، أبو يعلى، سمع منه الأئمة والحفاظ، ورحل إليه من خراسان والعراق وغيرهما من البلاد، توفي في سنة سبع وثلاثمائة (التقييد =

[أبي][1] إسرائيل[2]، حدثنا محمد بن منيب العدني[3]، حدثنا السري بن يحيى الشيباني[4]، عن أبي شجاع[5]، عن أبي ظبية[6]، أن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تُصبه فاقةٌ أبداً. قال: وقد أمرتُ بناتي أن يقرأنها كل ليلة»[7]. والله تعالى أعلم.

ص: ١٥٠-١٥٢).

(١) زيادة من مصادر ترجمته.

(٢) إسحاق بن أبي إسرائيل واسمه إبراهيم بن كامَجْرا، أبو يعقوب المروزي، نزيل بغداد، صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن، ولد سنة إحدى وخمسين ومائة، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٩٥-١٩٦، والتقريب ص: ١٠٠).

(٣) محمد بن منيب، أبو الحسن العدني، روى عن السري بن يحيى الشيباني البصري، وقريش بن حيان العجلي، وعدة، روى عنه علي بن المديني، وزيد بن المبارك الصنعاني، وغيرهم (تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢١، والتقريب ص: ٥٠٩).

(٤) السري بن يحيى بن إياس بن حرملة بن إياس الشيباني، أبو الهيثم، ويقال: أبو يحيى البصري، ثقة صدوق، مات سنة سبع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٤٠٠، والتقريب ص: ٢٣٠).

(٥) أبو شجاع، وقيل: شجاع، نكرة لا يعرف. روى عن أبي ظبية عن ابن مسعود، قال أحمد بن حنبل: لا أعرفهما (ميزان الاعتدال ٧/ ٣٨٠، ولسان الميزان ٣/ ١٣٩).

(٦) انظر التعليق السابق.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩١ ح٢٤٩٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ٣٢٠).

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاثون آية، [إلا آيتين][1] في المدني، [وإلا آية][2] في الكوفي[3].

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وعكرمة وجابر بن زيد: هي مدنية[4].

وقال الكلبي: هي مكية[5].

وبهذا الإسناد السالف قال [ابن][6] السني: أخبرنا أبو عبد الرحمن -يعني: النسائي-، أخبرنا علي بن حُجر[7]، حدثنا بقية بن الوليد[8]، عن

---

(١) في الأصل: الآيتين. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: والآية. والتصويب من ب.

(٣) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤١).

(٤) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٣-٤٤): قال ابن الغرس: الجمهور على أنها مدنية. وقال قوم: إنها مكية. ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً، لكن يشبه صدرها أن يكون مكياً.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٦٠).

(٦) زيادة على الأصل. وقد سبق.

(٧) علي بن حُجر بن إياس بن مقاتل بن مخادش بن مشمرج بن خالد السعدي، أبو الحسن المروزي، كان فاضلاً حافظاً، ثقةً مأموناً، صدوقاً متقناً، وقد اشتهر حديثه بمرو، مات في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٩، والتقريب ص:٣٩٩).

(٨) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز الكلاعي الميتمي، أبو يُحْمِد الحمصي، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، مات سنة سبع وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١/ ٤١٦-٤١٩، =

[بَحِير][1] بن سعيد[2]، عن خالد بن معدان[3]، عن عبدالله بن أبي بلال[4]، عـن العرباض بن سارية[5]: ((أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبّحات قبل أن يرقد، ويقول: إن فيهن آية أفضل من ألف آية))[6].

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

قال الله عز وجل: ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ أخْبَرَ الله سبحانه وتعالى أن أهل سماواته وما في أرضه من إنسي وجنِّي ناطق وصامت يعظمونه ويسبحونه.

= والتقريب ص:١٢٦).

(١) في الأصل و ب: بجير. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) بحير بن سعيد السحولي، أبو خالد الحمصي، ثقة ثبت صالح الحديث (تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٨، والتقريب ص:١٢٠).

(٣) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، تابعي ثقة عابد، يرسل كثيراً، مات سنة ثلاث ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٢، والتقريب ص:١٩٠).

(٤) عبد الله بن أبي بلال الخزاعي الشامي، روى عن العرباض بن سارية، وعبد الله بن بسر، وعنه خالد بن معدان (تهذيب التهذيب ٥/ ١٤٤، والتقريب ص:٢٩٧).

(٥) العرباض بن سارية السلمي، كنيته أبو نجيح، صحابي كان من أهل الصفة، ونزل حمص، مات بعد السبعين (تهذيب التهذيب ٧/ ١٥٧، والتقريب ص:٣٨٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٣ ح٥٠٥٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٦ ح٨٠٢٦)، وأحمد (٤/ ١٢٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢١).

وقد بيّنا في سورة "سبحان"[١] ما هو المختار من القول في تسبيح ما لا يعقل، وقررناه بما نرجو فيه عقبى الله عز وجل.

واللام في قوله: "لله" مثلها في قولهم: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له، أو هي بمعنى: لأجل الله.

قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ أي: هو القديم قبل كل شيء، الباقي بعد هلاك كل شيء.

﴿والظاهر﴾ بالحجج والبراهين الواضحة الدالة على وحدانيته وعظمته وقدرته، فهو الظاهر للبصائر، الباطن المحتجب عن الأبصار.

وقيل: هو الظاهر، أي: العالي على كل شيء، الغالب له، من قولهم: ظَهَرَ على كذا.

﴿والباطن﴾ الذي بطن كل شيء، أي: علم باطنه.

قال صاحب الكشاف[٢]: الواو الأولى [معناها][٣]: الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين [الأوليّة والآخريّة][٤]، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين وبين مجموع الصفتين الآخرتين.

---

(١) سورة الإسراء، عند الآية رقم: ٤٤.

(٢) الكشاف (٤/ ٤٧١).

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: الأولوية والأخروية. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

والآية التي بعد هذه مُفسّرة في الأعراف(١) وسبأ(٢) إلى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أي: هو معكم بالعلم والقدرة أينما كنتم، من أرض وسماء، وبَرٍّ وماء.

قال قتادة: ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا العنان، هذا زوايا الأرض يسوقه الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. ثم قال: هل [تدرون](٣) ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فذكر السموات السبع والعرش والأرضين السبع، وأن بين كل جرمين مسيرة خمسمائة عام. ثم قال: والذي نفسي بيده لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله، ثم قرأ

(١) عند الآية رقم: ٥٤.

(٢) عند الآية رقم: ٢.

(٣) في الأصل: ترون. والمثبت من ب.

هذه الآية: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾(١).

ومعنى: "لهبط على الله": [أي](٢): على علمه [وقدرته](٣) وخلقه وملكه.

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أي: مما جعلكم خلفاء في التصرف فيه؛ لأن الأموال خلقٌ لله عز وجل، أباح لهم الانتفاع بها، وخوّلهم الاستمتاع بمنافعها، وليسوا بأربابها المالكين لها على الحقيقة.

وقال الحسن: جعلكم مستخلفين فيه ممن كان قبلكم؛ بتوريثه إياكم(٤).

قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ المعنى: أيُّ عذر لكم في ترك الإيمان.

والواو في قوله: ﴿والرسول﴾ واو الحال، على معنى: ما لكم لا تؤمنون والرسول يدعوكم [بالبراهين](٥) النيرة، ويبين لكم الحق من الباطل.

﴿لتؤمنوا بربكم وقد أخَذَ ميثاقَكُم﴾ حين أخرجكم من ظهر آدم.

وقيل: بما ركَّب فيكم من العقول، وأوضح لكم من الدلائل، فما عذركم بعد ذلك.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب في رواية أبي حاتم عنه: "أُخِذَ" بضم الهمزة وكسر الخاء، "مِيثَاقُكُم" بالرفع(٦).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢١٦، ٢٨/ ١٥٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: قدرته. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧١).

(٥) في الأصل: بابراهين. والتصويب من ب.

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٧-٦٩٨)، والكشف (٢/ ٣٠٧)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤٠٩)، والسبعة (ص:٦٢٥).

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالحجج والدلائل.

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

وما بعده مُفسّر إلى قوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ معناه: وأيُّ عذر لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله، والله مهلك من في السموت والأرض ووارثهم، فجدير بمن هذه حاله أن لا يبخل بإنفاق ما يتقرب به إلى الله تعالى مما سينتقل عنه ويُسلب منه.

ثم بيَّن التفاوتَ بين المُنفِقِينَ منهم فقال: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أي: من قبل فتح مكة، وعزّ الإسلام، واستفحال سلطانه، وقوة أهله.

وقال الشعبي: من قبل الحديبية[1].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥١٠) =

المعنى: ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف لوضوح معناه.

قال ابن السائب وجمهور المفسرين: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه[١]. ويؤيد هذا: أن أبا بكر أول من أسلم وأنفق في سبيل الله، وأول من قاتل على الإسلام.

قال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ، [وأبو بكر][٢] رضي الله عنه[٣].

وقال ابن [عمر][٤]: بينا النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عليه عباءة قد خَلَّهَا[٥] على صدره بخِلال، إذ نزل جبريل عليه السلام عليه، وأقرأه من الله عز وجل السلام وقال: يا محمد! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ قال: يا جبريل! أنفق[٦] ماله عليّ قبل الفتح. قال: [فَأَقْرِهِ][٧] من الله تبارك وتعالى السلام وقل: يقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر! هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: على ربي أسخط؟ أنا عن ربي راض، أنا عن

=

وعزاه لعبد بن حميد.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٦٣).

(٢) في الأصل: أبو بكر. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٤٥).

(٤) في الأصل: مسعود. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٥) خلّها: أي: جمعها بين طرفيه (انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧٣).

(٦) في الأصل زيادة قوله: عليَّ. وفي ب: أنفق ماله قبل الفتح عليّ.

(٧) في الأصل: قاره. والتصويب من ب.

ربي راض[١].

وفي قوله: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ دليل على أن أبا بكر أفضل بني آدم بعد رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، قال: أخبرنا العباس بن محمد بن العباس، المعروف بعبّاسة، أخبرنا محمد بن سعيد بن فرخزادا، أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق الثعالبي[٢]، أخبرنا عبدالله بن حامد الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا عقبة بن سنان أبو بشر، حدثنا [ابن][٣] شداخ[٤]، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن سِلمة، عن علي عليه السلام قال: سبق رسول الله ﷺ، وصلَّى[٥] أبو بكر، وثلّث عمر، فلا أوتى برجل فَضَّلَني على أبي بكر إلا جلدته جلد المفتري[٦].

قرأ ابن عامر: "وَكُلٌّ" بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب[٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٤٦). قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٠٨): هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه. والله أعلم.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو إسحاق الثعلبي، صاحب التفاسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن. توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. قال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له لا نسب (طبقات المفسرين للداودي ١/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٥-٤٣٧).

(٣) في الأصل: أبو. والصواب ما أثبتناه. وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٤) هو الهيصم بن شداخ، روى عن الأعمش، روى عنه على بن أبى طالب البزاز، والوليد الطيالسي (الجرح والتعديل ٩/ ١٢٣).

(٥) السابق: الأول، والمُصَلِّي: الثاني (انظر: اللسان، مادة: صلا).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٤٠).

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٨)، والكشف (٢/ ٣٠٧)، والنشر =

فمن رفع؛ فعلى: وكُلٌّ وعده الله الحسنى. ومن نصب: فبفعل مُضْمَر يُفسّره ما بعده.

والمعنى: وكل واحد من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ وهي الجنة، أو المثوبة الحسنى، وهي الجنة أيضاً.

قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ مفسرٌ في البقرة[(١)].

قرأ ابن عامر وعاصم: "فَيُضَاعِفَهُ" بنصب الفاء وحذف الألف. وشدَّدَ العين حيث كان: ابن كثير وابن عامر[(٢)]، وكذلك خلفهم في التي في البقرة[(٣)]. وقد أشرنا إلى علة الرفع والنصب هناك.

قوله تعالى: ﴿يوم ترى﴾ ظرف لقوله: ﴿وله أجر كريم﴾، أو منصوب بإضمار: "أذكروا".

المعنى: [ترى][(٤)] المؤمنين والمؤمنات يسعى نور إيمانهم وأعمالهم.

قال ابن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفئ مرة ويَقِدُ أخرى[(٥)].

(٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤٠٩)، والسبعة (ص:٦٢٥).

(١) عند الآية رقم: ٢٤٥.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٩)، والكشف (٢/ ٣٠٨)، والنشر (٢/ ٢٢٨)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٥).

(٣) عند الآية رقم: ٢٤٥.

(٤) في الأصل: يوم. والمثبت من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٦)، والحاكم (٢/ ٥٢٠ ح٣٧٨٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧ ح٣٤٥٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة =

وقال قتادة: إن المؤمن يُضيء له نوره كما بين عدن [إلى][1] صنعاء ودون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه[2].

﴿بين أيديهم﴾ قال الحسن: على الصراط[3].

قال مقاتل[4]: هو دالّهم إلى الجنة.

﴿وبأيمانهم﴾ قال الفراء[5]: عن أيمانهم، وذلك حين يسلك بهم إلى الجنة.

وقال الضحاك ومقاتل[6]: المعنى: يسعى نورُهم بين أيديهم وكتبهم بأيمانهم.

والقول هاهنا مُضمر، تقديره: وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَاكم اليوم جنات... الآية﴾.

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ

=

وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه.

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٩ ح٣٥٣١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٢).

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٣٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٣). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٢).

قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿انظرونا﴾ قرأ حمزة: بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء. وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وضم الظاء[1]. والابتداء على هذه القراءة بضم الهمزة، وحمزة جعله من الإنظار، وهو التأخير والإمهال، كقوله: ﴿أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ [الأعراف:١٤].

وقال الفراء[2]: تقول العرب: أنظِرْني بمعنى: انتظرني. قال عمرو بن كلثوم:

أَبَا هندٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنا ... وأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليقِينا[3]

والباقون جعلوه من نظر العين، أو بمعنى: انظرونا؛ لأنهم يسرع بهم إلى الجنة، [كالبرق][4] الخاطف، والمنافقون مشاة.

قال المفسرون: تغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، [فيعطى][5] المؤمنون

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٩-٧٠٠)، والكشف (٢/ ٣٠٩)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٥-٦٢٦).

(٢) معاني الفراء (٣/ ١٣٣).

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم. انظر: ديوانه (ص:٧١)، ولسان العرب (مادة: نظر)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣٦٩)، وشرح القصائد السبع (ص:٣٨٧)، والحجة للفارسي (٤/ ٣٠)، والطبري (٢٧/ ٢٢٤)، والقرطبي (٢/ ٦٠، ١٧/ ٢٤٥)، والدر المصون (١/ ٣٣٢)، والماوردي (٥/ ٤٧٤).

(٤) في الأصل: كابرق. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: فيطى. والتصويب من ب.

النور، فيمشي المنافقون بنور المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾، فيقول لهم المؤمنون، -وقيل: الملائكة- تهكُّماً بهم واستهزاء: ﴿ارجعوا وراءكم﴾ إلى الموضع الذي أعطينا فيه النور، ﴿فالتمسوا نوراً﴾ فيرجعون فلا يجدون شيئاً، فيلحقون بهم، فيحال بينهم وبينهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور﴾.

قال قتادة: حائط بين الجنة والنار[(١)].

قال ابن عباس ومجاهد: هو الأعراف[(٢)].

وكان جماعة من العلماء قد ذهبوا إلى أنه يكون بالموضع الذي يسمى: وادي جهنم، شرقي البيت المقدس، منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص، وابن عباس في رواية ابنه علي، وكعب الأحبار[(٣)].

وفي الحديث: أن عبادة بن الصامت قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكا، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: مِنْ هاهنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿له باب﴾ أي: لذلك السور بابٌ لأهل الجنة يدخلون منه،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٥٧)، والطبري (٢٧/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٥)، والحاكم (٤/ ٦٤٣ ح٨٧٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥-٥٦) وعزاه لعبد بن حميد عن أبي سنان قال: كنت مع علي بن عبدالله بن عباس... فذكره، ومن طريق آخر عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن عساكر.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢١ ح٣٧٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥) وعزاه لعبد بن حميد.

﴿باطنه﴾ باطن السور أو الباب، وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿فيه الرحمة وظاهره﴾ ما ظَهَرَ لأهل النار ﴿من قبله﴾[١] من جهته ﴿العذاب﴾ الظلمة والنار.

﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: ألم نكن معكم على دينكم نصلي بصلاتكم ونغزو معكم، فيجيبهم المؤمنون: ﴿بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ مَحَنْتُمُوها بالنفاق وأهلكتموها، ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر، ﴿وارتبتم﴾ شككتم في دين الإسلام مع وضوح دلائل صحته، ﴿وغرّتكم الأماني﴾ الكاذبة والآمال [الخائبة][٢]، ﴿حتى جاء أمر الله﴾ نزل بكم سلطان الموت.

وقال قتادة: هو إلقاؤهم في النار[٣].

﴿وغركم بالله الغرور﴾ وهو الشيطان.

﴿فاليوم لا يؤخذ منكم﴾ وقرأ ابن عامر: "تُؤْخَذ" بالتاء؛ لتأنيث الفدية[٤].

وقد سبق القول على مثل ذلك في مواضع.

والمعنى: لا يؤخذ منكم عِوَضٌ ولا بَدَل، والخطاب للمنافقين؛ بدليل قوله: ﴿ولا من الذين كفروا﴾.

﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ قال أبو عبيدة[٥]: أولى بكم.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: العذاب. وستأتي بعد.

(٢) في الأصل: الخائنة. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٦).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٠)، والكشف (٢/ ٣٠٩)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٤).

قال الزمخشري(١): حقيقتُه: [مَحْراكم ومقمنكم . أي](٢): مكانكم الذي يقال فيه: هو أولى بكم، كما يقال: هو مئنَّةٌ للكرم، أي: مكان لقول الناس: إنه لكـريم. ويجوز أن يراد: هي ناصركم، أي: لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفي الناصر عـلى البت. ومنه قوله: ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ [الكهف:٢٩].

وقيل: هي تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ أخرج مسلم في صحيحه أن ابن مسعود قال: ((ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بقولـه: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ إلا أربع سنين))(٣).

وفي رواية أخرى: فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً(٤).

وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعـاتبهم عـلى رأس ثـلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال: ﴿ألم يأن للذين آمنـوا أن تخشع قلـوبهم لـذكر

(١) الكشاف (٤/ ٤٧٤).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١٩ ح٣٠٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٦٧).

الله﴾[١].

وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين، آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم[٢].

والمعنى: ألم يَحِن، من أَنَى الأمر يَأْنِي؛ إذا جاء إِنَاهُ، وهو حينه ووقته[٣]، "أن تخشع": تلين وتخضع، "لذكر الله": وهو القرآن.

﴿وما نزل من الحق﴾ وهو القرآن أيضاً؛ [لأنه][٤] جامع بين الوصفين، كونه ذِكْراً وحقاً نازلاً.

قرأ نافع وحفص: "نَزَلَ" بالتخفيف، وشدَّدها الباقون من العشرة[٥].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية: "نُزِّلَ" بضم النون وكسر الزاي وتشديدها[٦].

وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء: "أَنْزَلَ" بهمزة مفتوحة[٧].

وقرأ أبو مجلز وعمرو بن دينار: "أُنْزِلَ" بهمزة مضمومة وكسر الزاي[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٨) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٧). وهذا القول غير صحيح؛ لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

(٣) انظر: اللسان (مادة: أني).

(٤) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٠)، والكشف (٢/ ٣١٠)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٠)، وزاد المسير (٨/ ١٦٨).

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٦٨)، والدر المصون (٦/ ٢٧٧).

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٦٨)، والدر المصون (٦/ ٢٧٧).

﴿ولا يكونوا﴾ وقرأ رويس عن يعقوب: "ولا تكونوا" بالتاء[1]، على طريقة الالتفات، أو على مخاطبتهم بالنهي.

وقراءة الأكثرين عطفٌ على "أن تخشع".

﴿كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ قال ابن قتيبة[2]: الأَمَدُ: الغاية.

والمعنى: أنه بَعُدَ عهدهم بالأنبياء والصالحين.

﴿فقست قلوبهم﴾ قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله[3].

﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين رفضوا ما في الكتابين ونبذوه وراء ظهورهم.

ويروى: أن أبا موسى رضي الله عنه طلب قرّاء أهل البصرة، فَدُخِلَ عليه بثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاؤها، فاتلوه، ولا يَطُولَنَّ عليكم الأَمَدُ فتقسوا قلوبكم كما قَسَتْ قلوب من كان قبلكم[4].

والمقصود من الآية التي بعدها: الاستدلال على صحة البعث وكونه.

وقال ابن عباس: المعنى: اعلموا أن الله يُلَيِّن القلوب بعد قسوتها[5]، فيجعلها

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢٦ ح١٠٥٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٤٢ ح٣٤٨٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩) وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣/ ١٤٧) عن صالح المري. وذكره السيوطي في الدر المنثور =

مُجيبة مُنيبة، ويُحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة، وإلا فقد [عُلِمَ][(١)] إحياء الأرض بالمطر مشاهدة.

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ أصلها: المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت التاء في الصاد.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما[(٢)]، بمعنى: إن المؤمنين والمؤمنات.

قال أبو علي[(٣)]: من حجة من شدّد أنهم زعموا: أن في قراءة أبيّ: "إنَّ المتصدقين والمتصدقات"، ومن حجتهم: أن قوله: ﴿وأقرَضوا الله قرضاً حسناً﴾ اعتراضٌ بين الخبر والمخبر عنه، والاعتراض بمنزلة الصفة، فهو للصدقة أشدّ [ملاءمةً][(٤)] منه للتصديق.

= (٨/ ٥٧) وعزاه لابن المبارك.

(١) زيادة من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠١)، والكشف (٢/ ٣١٠)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣١).

(٤) في الأصل: ملازمة. والمثبت من ب، والحجة (٤/ ٣١).

ومن حجة من خفَّفَ: أن "المُصَدِّقين" أعمّ من "المتصدِّقين"، فهو أذهب في باب المدح، والعطف بقوله: ﴿وأقرضوا الله﴾ على معنى الفعل في المصدقين؛ لأن اللام بمعنى: الذين، واسم الفاعل بمعنى: اصدقوا، كأنه قيل: إن الذين اصدّقوا وأقرضوا.

﴿يضاعف لهم﴾ وقرأ ابن عامر وابن كثير: "يُضَعَّفُ" بتشديد العين من غير ألف[1]. وقد ذكرنا تفسير ذلك في البقرة.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أولئك هم الصِّدِّيقون﴾[2].

قال مجاهد: كُلُّ من آمن بالله ورسوله فهو صِدِّيق، ثم قرأ هذه الآية[3].

ثم استأنف كلاماً آخر فقال: ﴿والشهداء﴾ وهو جمع شاهد، أو شهيد.

وهم الأنبياء، في قول ابن عباس، ومسروق، والكلبي، في آخرين[4].

وقال مقاتل بن سليمان ومحمد بن جرير[5]: هم الذين قتلوا في سبيل الله.

ثم أخبر عن حال الشهداء فقال: ﴿عند ربهم﴾ يعني: أنهم في جنة مخصوصة بهم في جوار ربهم عز وجل.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٩٩)، والنشر (٢/ ٢٢٨)، والإتحاف (ص:٤١٠)، والسبعة (ص:٦٢٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٧٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٠).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٤)، وتفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ٢٣٢).

ويجوز أن يكون الخبر: ﴿لهم أجرهم﴾(١)، على معنى: والشهداء في حكم ربهم لهم أجرهم الذي هو أجرهم المخصوص بهم، ﴿ونورهم﴾.

وقال قوم: الواو في قوله: "والشهداء" واو النَّسق. والمعنى: أولئك هم الصديقون، وهم الشهداء عند ربهم.

قال ابن مسعود: كلُّ مؤمن صِدِّيقٌ شهيد(٢).

وقال غيره: يشهدون لأنبيائهم بتبليغ الرسالة(٣).

وقال الضحاك: نزلت في ثمانية نفر سبقوا أهل زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وزيد، وحمزة بن عبد المطلب، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه الله بهم؛ لما عَرَفَ من صِدْق نيته(٤).

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٤٤) من قول مجاهد، والسيوطي في الدر (٨/ ٦١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن مجاهد، ومن طريق آخر، وعزاه لعبد بن حميد عن عمرو بن ميمون.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٧٩) من قول الكلبي.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٠).

ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ باطلٌ وغرورٌ، ثم ينقضي ويزول عن قريب.

والمراد: إعلامُ العبد أن الدنيا التي حالت بين أكثرهم وبين النظر لآخرتهم الباقية هي هذه اللذات الحائلة الزائلة، التي هي في نضارتها وحُسن رونقها كالزرع.

قال علي عليه الصلاة والسلام لعمار بن ياسر: لا تحزن على الدنيا فهي ستة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح، فأكبر طعامها العسل، وهو بزقة ذبابة، وأكبر شرابها الماء، واستوى فيه جميع الحيوان، وأكبر الملبوس من الديباج، وهو نسج دودة، وأكبر المشموم المسك، وهو دم فأرة ظبْية، وأكبر المركوب الفرس، وعليها تُقتل الرجال، وأكبر المنكوح النساء، وهو مَبَالٌ في مَبَال. والله! إن المرأة لتُزَيِّنُ أحسنَها، [فيرادُ منها][(١)] أقبحُها[(٢)].

ثم إن الله سبحانه وتعالى ضرب لها مثلاً فقال: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار﴾[(٣)] يعني: الزرَّاع. وقيل: الكفّار بالله؛ لأنهم أفرحُ بالدنيا وجودة نباتها من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿نباته﴾ وهو ما ينبت به، ﴿ثم يهيج﴾ يَيْبَس ﴿فتراه مصفراً﴾ بعد خضرته وريِّه ﴿ثم يكون حطاماً﴾ يتحطم وينكسر.

---

(١) في الأصل و ب: يراد به، والمثبت من تفسير السراج المنير (٤/ ٢١١).

(٢) ذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٤) في تفسيره، والخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير (٤/ ٢١١).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿نباته﴾. وستأتي بعد قليل.

وقد سبق بيان هذا المثل في سورة يونس[١]، وفي سورة الكهف[٢].

والمقصود: تحقير شأن الدنيا وتعظيم أمر الآخرة، ألا تراه يقول: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ يعني: لمن كفر وعصى، ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لمن آمن وأطاع.

وباقي الآية والتي تليها مُفسّر في آل عمران[٣] إلى قوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ فبيَّن بهذا أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضله سبحانه وتعالى.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ يعني: من انقطاع المطر ونقصان الثمر وغير ذلك، ﴿ولا في أنفسكم﴾ من الأمراض وموت الأولاد وغير ذلك، ﴿إلا في كتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ، ومحله: الحال[٤]، تقديره: إلا مكتوباً أو مثبتاً في كتاب ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي: من قبل أن نخلق الأنفس أو المصيبة.

---

(١) عند الآية رقم: ٢٤.

(٢) عند الآية رقم: ٤٥.

(٣) عند الآية رقم: ١٨٥.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٦)، والدر المصون (٦/ ٦٧٩).

وقال سعيد بن جبير: من قبل أن نبرأ الأرض والنفس[(١)].

﴿إن ذلك﴾ أي: إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب من قبل كونه ﴿على الله يسير﴾.

ثم بَيَّنَ الحكمة في ذلك، فقال: ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي: تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من الدنيا مما لا يُقَدَّرُ لكم ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ قرأ أبو عمرو وحده من بين القرّاء العشرة: "بما أَتَاكُم" بقصر الهمزة[(٢)]، جعله فعلاً ماضياً، بمعنى: جاءكم ليُعَادِل به ما فاتكم، فكما أن الفعل [للفائت][(٣)] في قوله: "فاتكم"، كذلك يكون الفعل [للآتي][(٤)] في [قوله][(٥)]: "بما أتاكم"، والعائد إلى الموصول بين الكلمتين، أعني: "فاتكم" و"أتاكم" هو الضمير المرفوع، بأنه فاعل.

ومن قرأ: "بما آتاكم" بالمد، فمعناه: بما أعطاكم، والفاعل هو الله تعالى.

والمراد: لكيلا تُفرطوا في الأسى والفرح.

قال ابن عباس: ليس أحدٌ إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن العاقل من جعل الفرح شكراً، والحزن صبراً[(٦)].

---

(١) ذكره القرطبي (١٧/ ٢٥٧).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠١-٧٠٢)، والكشف (٢/ ٣١١)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١١)، والسبعة (ص:٦٢٦).

(٣) في الأصل: الفائت. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: الآتي. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٥)، والحاكم (٢/ ٥٢١ ح٣٧٨٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٧ ح٣٤٧٨٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٢٩ ح٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٢) وعزاه =

وقال جعفر الصادق عليه السلام: يا ابن آدم! ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت[(١)].

وقيل لبرزجمهر: ما لك أيها الحكيم، لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت، فقال: إن الفائت لا يُتلافى بالعبرة، والآتي لا يُستدام [بالحَبْرَة][(٢)].

وكان سالم الخواص يقول: من أراد أن يأكل الدارين فليدخل في مذهبنا عامين [ليضع][(٣)] الله [تعالى][(٤)] الدنيا والآخرة بين يديه، قيل: وما مذهبكم؟ قال: الرضا بالقضاء ومخالفة الهوى[(٥)]، وأنشد:

لا تُطِلِ الحُزْنَ على فائتٍ فَقَلَّما يُجدي عليكَ الحزن
سِيَّانِ محزونٌ على ما مضى ومُظهِرٌ حُزناً لما لم يكن[(٦)]

وقال قتيبة بن سعيد: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا أنا بفضاء من الأرض [مملوء][(٧)] من الإبل موتى، بحيث لا أحصي عددها، فسألت عجوزاً: لمن هذه

= لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٢٢٩ ح٢٣٦) عن يحيى بن معاذ الرازي. وذكره القرطبي (١٧/ ٢٥٨) عن جعفر الصادق.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٤٥). وما بين المعكوفين في الأصل: بالخبرة. والمثبت من ب. والحبرة: الفرح والسرور (اللسان، مادة: حبر).

(٣) في الأصل: ليضيع. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٦) البيتان لمحمود الوراق، انظرهما في: أدب الدنيا والدين (١/ ٣٦٣).

(٧) في الأصل: مملوءاً. والتصويب من ب.

الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تلٍّ [يغزل][١] الصوف، فقلت له: [يا شيخ][٢] ألك كانت هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي. قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاها، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ قال: نعم:

لا والـذي أنـا عَبْـدٌ مـن خَلائِقِـهِ والمرءُ في الدَّهْرِ نصبُ الـرُّزْءِ والمحـن
مـا سَرَّني أنّ إبـلي في مَبَارِكَهـا وما جَـرَى في قـضاء الله لم يكـن[٣]

وما بعد هذه الآية مُفسّر في النساء[٤] إلى قوله: ﴿ومن يتول﴾ أي: من يُعْرِضْ عن أوامر الله ونواهيه ﴿فإن الله هو الغني﴾ لم يأمركم وينهاكم لنفع يعود عليه بل عليكم، ﴿الحميد﴾ فهو يستحق الحمد منكم بإحسانه إليكم.

وقرأ ابن عامر ونافع: "فإن الله الغني"، بإسقاط "هو"، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام[٥].

قال أبو علي[٦]: من قرأ "فإن الله هو" بإثبات "هو"، فإن "هو" يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون فَصْلاً لا موضع له من [الإعراب][٧]، ويكون الخبر: "الغني".

---

(١) في الأصل: يغز. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٤) عند الآية رقم: ٣٧.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٢)، والكشف (٢/ ٣١٢)، والنشر (٢/ ٣٨٤)، والإتحاف (ص:٤١١)، والسبعة (ص:٦٢٧).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٣٢).

(٧) في الأصل: إعراب. والتصويب من ب.

والآخر: أن يكون "هو" مبتدأ، و"الغني": خبره، والجملة خبر "إنّ".

والأول أولى؛ بدلالة قول من حذفه؛ لأن الفصل حذفه أسهل من حيث إنه لا موضع له من الإعراب.

ومن قرأ بحذف "هو" فحجَّته: أنه حذفه اختصاراً؛ إذ كان لا موضع له من الإعراب، وحذفه لا يخلّ بالمعنى.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ أي: بعثنا المرسلين من الأنبياء بالحجج البالغة، ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ [وهو][1] اسم جنس، يريد: الكتب التي جاءت بها المرسلون، والمعيّة هاهنا مثلها في قوله في الأعراف: ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ [الأعراف:١٥٧]، غير أن الوجه الذي [استنبطته][2] هناك مختص بتلك الآية.

وقال بعض العلماء: "أرسلنا رسلنا" يريد: الملائكة إلى الأنبياء، وأظن الحامل له على ذلك [قوله][3]: ﴿وأنزلنا معهم﴾، والأنبياء منزّل عليهم لا منزّل[4] معهم.

---

(١) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: استنبطه. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) قوله: "منزل" ساقط من ب.

والأول هو الصحيح، وهو المتبادر إلى الأفهام. والذي يدل على صحته قوله: ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب﴾ [البقرة:٢١٣].

﴿والميزان﴾ العدل، في قول ابن عباس وقتادة ومقاتل بن حيان[١]، على معنى: أمرناهم به.

وقال ابن زيد ومقاتل بن سليمان[٢]: هو ما يوزن به.

فيكون المعنى: وأنزلنا معهم الأمر بالميزان.

ويروى: أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح، وقال: مُرْ قومك يَزِنُوا به[٣].

﴿وأنزلنا الحديد﴾ قال ابن عباس: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السِّنْدَان والكَلْبَتَان والمِيقَعَة[٤] والمِطْرَقَة والإبرة[٥].

ويروي في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح»[٦].

وقال الحسن وجمهور أهل المعاني: ﴿وأنزلنا الحديد﴾: خلقناه؛ كقوله في الزمر:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٢٦) وفيه: العدل -كالقول الأول-. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٤).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٨).

(٤) الكلبتان: هي الآلة التي تكون مع الحدَّادين (اللسان، مادة: كلب).

والميقعة: المِسَنُّ الطويل. وقيل: هي المطرقة (اللسان، مادة: وقع).

(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٧) من غير ذكر الإبرة. وذكره الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٦٠)، والبغوي (٤/ ٢٩٩).

﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾[١] [الزمر:٦].

﴿فيه بأسٌ شديد﴾ وهو المحاربة به، يشير إلى أنه يُتخذ منه السلاح ﴿ومنافع للناس﴾ في معايشهم ومصالحهم وصنائعهم، فقلّ أن ترى صنعة إلا والحديد قوامها، أو له فيها مدخل بوجه من الوجوه.

﴿وليعلم الله﴾ علم مشاهدة ورؤية ﴿من ينصره ورسله﴾ أي: وينصر رسله بالآلة التي تُتَّخَذُ من الحديد للمحاربة؛ كالسيوف والرماح، ﴿بالغيب﴾ أي: ينصرونه غائباً عنهم، فهو حال من المفعول[٢].

قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه[٣].

﴿إن الله قوي عزيز﴾ لا يُغَالَب، فلو شاء أن ينتقم من أعدائه لفعل، لكنه أمر أولياءه بمجاهدة[٤] أعدائه لينتقم منهم بأيديهم، ويُنيلهم إذا امتثلوا أمره درجاتٍ مخصوصاتٍ بالمجاهدين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٤) بلا نسبة.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٨٠).

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٤٧٨).

(٤) في ب: بجهاد.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ يعني: الحواريين وأتباعهم ﴿رأفة﴾ وقد ذكرنا فيما مضى أنها أبلغ الرحمة، ﴿ورهبانيةً﴾ منصوب بفعل مُضْمَر يُفسّره ما بعده(١)، تقديره: ابتدعوها من قِبَل أنفسهم؛ تقرباً إلينا، ابتدعوها ونذروها.

﴿ما كتبناها عليهم﴾ أي: ما فرضناها وأوجبناها عليهم، ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع، أي: [ولكنهم](٢) ابتدعوها ابتغاء رضوان الله.

قال ابن مسعود: كنتُ رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال: يا ابن أم عبد! هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل هذه الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام، يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهُزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن [ظهرنا هؤلاء](٣) أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرّق في

---

(١) وهو ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٩)، وأبو البقاء في التبيان (٢/ ٢٥٧)، فهو من باب الاشتغال.

وردّ أبو حيان في البحر (٨/ ٢٢٦) هذا الإعراب من حيث الصناعة، وقال: وهذا إعراب المعتزلة، لأن مثل هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتداء، ولا يجوز الابتداء هنا بقوله: "ورهبانية" لأنها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بها، فلا يصلح نصبها على الاشتغال.

(٢) في الأصل: ولكونهم. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: ظهروا هؤلاء، والمثبت من ب، ومصادر التخريج.

الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى -يعنون: محمداً ﷺ-، فتفرقوا في غِيران الجبال وأحدثوا الرهبانية، فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: ﴿ورهبانية ابتدعوها... الآية﴾، ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم﴾ أي: الذين ثبتوا عليها ﴿أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾. ثم قال النبي ﷺ: يا ابن أم عبد: تدري ما رهبانية أمَّتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التّلاع[(١)].

قوله تعالى: ﴿فما رعوها﴾ يعني: جميعهم ﴿حق رعايتها﴾ بل فرطوا فيما وجب عليهم بالتزامهم وإن لم يكن واجباً بأصل الشرع، كما لو نذر الواحد منا في شريعتنا فعل عبادة لا تلزمه، فإنه يصير لازماً له بالتزامه ونذره، كذلك أولئك نذروا والتزموا فعل الرهبانية، فلما ضيّعوا وفرّطوا عاب الله عليهم ذلك[(٢)].

وقيل: إن منهم من بدّل وغَيَّر الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام.

وقيل: الإشارة بقوله: "فما رعوها" إلى الأتباع لا إلى المتبوعين الذين كانوا الأصل في الرهبانية. وهذا المعنى منقول عن ابن عباس[(٣)].

﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ ثبتوا على إيمانهم، وتمسكوا بقوانين دينهم وشريعة نبيهم، إلى أن بعث محمد ﷺ، ﴿أجرهم﴾ ثواب إيمانهم وطاعتهم، ﴿وكثير منهم فاسقون﴾

---

(١) أخرجه الثعلبي (٩/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٦-١٧٧): قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول؛ وهو ما ينذره ويوجبه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين. فاقتضى ذلك أن كل من ابتدع قربة قولاً أو فعلاً فعليه رعايتها وإتمامها.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٧).

خارجون عن الطاعة.

أخرج الحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فقال: اختلف من كان قبلي على ثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرهم، فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين [الله ودين عيسى بن مريم حتى قتلوا. وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم، فدعوهم إلى دين الله ودين][(١)] عيسى، فأخذوهم فقتلوهم وقطعوهم بالمناشير، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم إلى دين الله ودين عيسى، فساحوا في البلاد وترهّبوا، وهم الذين قال الله عز وجل ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم... الآية﴾، فقال النبي ﷺ: من آمن بي وصدّقني واتّبعني، فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يتّبعني فأولئك هم الهالكون[(٢)].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب لأهل الكتابين ﴿اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ محمد ﷺ، كما آمنتم بموسى وعيسى، ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ سبق

---

(١) زيادة من الحاكم (٢/ ٥٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٢ ح٣٧٩٠).

معنى "الكِفْل" في النساء[١].

والمعنى: يؤتكم كِفْلين بسبب إيمانكم الأول والثاني. ومنه الحديث الصحيح: ((أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد فله أجران))[٢]. أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ.

وقال ابن زيد: يؤتكم أجر الدنيا والآخرة[٣].

﴿ويجعل لكم﴾ على الصراط ﴿نوراً تمشون به﴾.

وقيل: يجعل لكم نوراً وهو القرآن[٤]. والقولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ قال الفراء[٥]: العرب تجعل "لا" صلة في كل كلام دخل في آخره أو في أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد.

واللام في لـ"يعلم" يتعلق بـ"يؤتكم كفلين"، وما في حيزها.

المعنى: يؤتكم لإيمانكم أجركم مرتين، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

﴿أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ "أنْ" مخففة من الثقيلة بإضمار الشأن، على معنى: أن الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله، وأنهم لا أجر لهم.

﴿وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ فآتى المؤمنين أجرهم مرتين.

---

(١) عند الآية رقم: ٨٥.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤ ح١٥٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٣٧).

قال الواحدي -وقد ذكر هذا المعنى-[1]: هذه آية مشكلة، ليس للمفسرين ولا [لأهل][2] المعاني فيها بيان ينتهي إليه، ويلفّق بينه وبين الآية التي قبلها، وأقوالهم مختلفة متدافعة، وقد بان واتضح المعنى فيما ذكرناه.

ولقد صدق الواحدي رحمه الله، فإنني تتبعت كثيراً من كتب التفسير والمعاني، فلم [أظفر][3] بقولٍ يكشف عن وجه المقصود ويوضح ارتباط إحدى الآيتين بالأخرى.

وفي الذي ذكره واعتقد اتضاح المعنى به وقفةٌ.

والذي يظهر في نظري: أن المعنى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ من أهل الكتابين، واستثمروا من إيمانهم علماً جازماً بمعرفة محمد ﷺ لا يستطيعون دفاعه عنهم، بل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ﴿اتقوا الله﴾ بترك العناد والحسد، ﴿وآمنوا برسوله﴾ الذي تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، ﴿يؤتكم... إلى آخر الآية﴾.

ثم قال: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ أي: يؤتكم إذا اتقيتم وآمنتم كِفْلين، ويجعل لكم نوراً، ويغفر لكم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أن لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾، إذ لو قدروا عليه لما رضوا لأنفسهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وليعلموا أن الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه وتحت قدرته، فهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وليس لهم إلى هداية أنفسهم والقدرة على شيء من فضل الله من الإسلام وغيره سبيل إلا بإذنه، ﴿يؤتيه من يشاء﴾ ممن

---

(١) الوسيط (٤/ ٢٥٧).

(٢) في الأصل و ب: أهل. والمثبت من الوسيط، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: أ. والمثبت من ب.

خَلَقَه [للسعادة][١] وعَلِمَ أنه أهل لها ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

(١) في الأصل: للعبادة. والتصويب من ب.

فهرس المحتويات

رموز الكنوز
في
تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الثامن

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع



مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى وعشرون آية في المدني، واثنتان في الكوفي[(١)].

وهي مدنية في قول ابن عباس وعامة المفسرين.

واستثنى ابن السائب قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾[(٢)].

وقال عطاء: من أولها إلى رأس عشر آيات مدني، وباقيها مكي[(٣)].

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١﴾

قولُه تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات. لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله... إلى آخر الآية﴾[(٤)].

و"قَدْ" هاهنا على أصلها للتوقُّع؛ لأن الرسول ﷺ والمجادلة توقعا أن يسمع الله مجادلتهما وشكواهما، ويُنزل فيهما ما عساه يكون راحة لها.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٢).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٤).

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٤٨٧)، وزاد المسير (٨/ ١٨٠).

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً (٦/ ٢٦٨٩).

واسم المجادِلَة: خولةُ في قول عامة المفسرين؛ لكن اختلفوا في أبيها[١]؛
فقال عكرمة وقتادة: خولة بنت ثعلبة[٢].
وبعضهم يقول: خولة بنت مالك بن ثعلبة[٣].
وقيل: بنت خويلد[٤].
قال الماوردي[٥]: وليس هذا بمختلف؛ لأن أحدهما أبوها والآخر جدها.
وروى خُليد بن دعلج، عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم[٦].
وقيل: بنت دليج[٧].

---

(١) قال ابن الجوزي (زاد المسير: ٨/ ١٨١): وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال:
أحدها: خولة بنت ثعلبة. رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال عكرمة وقتادة والقرظي.
والثاني: خولة بنت خويلد. رواه عكرمة عن ابن عباس.
والثالث: خولة بنت الصامت. رواه العوفي عن ابن عباس.
والرابع: خولة بنت الدليج. قاله أبو العالية.
(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢)، عن قتادة. وفيه: خويلة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٤) وعزاه لعبد بن حميد عن عكرمة.
(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٣٩٩)، عن يوسف بن عبد الله ابن سلام.
(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣). والطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٥ ح ١١٦٨٩). كلاهما عن ابن عباس، وفيهما: خويلة بنت خويلد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٧)، وعزاه للطبراني.
(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٤٨٧).
(٦) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٣٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها.
(٧) أخرجه الطبري (٢٨/ ١). وفيه: خويلة. والبيهقي في السنن (٧/ ٣٨٤ ح ١٥٠٣٣). كلاهما عن أبي العالية. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في السنن.

وقيل: هي جميلة، امرأة أوس بن الصامت[1].

والصحيح: أنها خولة بنت ثعلبة.

قال ابن عباس وغيره: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه، وكان أولَ من ظاهر في الإسلام أوسُ بن الصامت، ثم ندم وقال لامرأته: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه، فأتته ﷺ فسألته عن ذلك، وقالت: يا رسول الله! أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إليّ، وقد ظاهر مني، وقد نسخ الله سُنَنَ الجاهلية، فقال: ما أراكِ إلا قد حرمتِ عليه، فقالت: يا رسول الله! ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فهتفتْ وشَكَتْ إلى الله وبَكَتْ، وجعلت تُراجع رسول الله ﷺ وتقول: إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فبينا هي في ذلك إذ تَرَبَّدَ[2] وجهُ رسول الله ﷺ، وأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي عليه، فلما قضي الوحي قال: ادعي لي زوجك، فجاءا فتلا عليه: ﴿قد سمع الله ...﴾ وبيّن له حكم الظهار[3].

وقد ذكرنا فيما مضى اشتقاق الجدل.

وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة، في قول جمهور أهل النقل.

وروى خليد بن دعلج عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم، امرأة عبادة بن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) تَرَبَّدَ: أي: تغيّر إلى الغَبرة، وقيل: الربدة: لون بين السواد والغبرة (انظر: النهاية، مادة: ربد).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٥ ح١١٦٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٦) وعزاه للطبراني.

الصامت[١].

قال الحافظ ابن عبدالبر[٢]: هذا وهم، وخُليد ضعيفٌ سيء الحفظ[٣]، وإنما هي امرأة أوس بن الصامت، على الاختلاف في اسم أبيها.

﴿وتشتكي إلى الله﴾ يقال: اشتكى يشتكي، بمعنى: شكا يشكو.

والمحاورة: مراجعة الكلام، وأنشدوا قول عنترة في فرسه:

لو كانَ يَدري ما المحاورةُ اشتكى ولكانَ لوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي[٤]

وفي الحديث: أن عمر بن الخطاب خرج ومعه الناس، فمرّ بعجوز فاستوقفته، [فوقف][٥] فجعل يحدثها وتحدثه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! حبستَ الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك تدري من هذه، [هذه][٦] امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، فعُمَر والله أحق أن يسمع لها، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله في حقها: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾، والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها[٧].

---

(١) سبق تخريج حديث خليد ص:٤.

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٣١).

(٣) انظر أقوال العلماء في خُليد هذا (الكامل لابن عدي ٣/ ٤٧، وميزان الاعتدال ١/ ٦٦٣).

(٤) البيت لعنترة، وهو في: الخصائص (١/ ٢٤)، وزاد المسير (٨/ ١٨٢).

(٥) في الأصل: فوف. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٠) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن زيد.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾ قرأ عاصم: "يُظَاهِرُونَ" بضم الياء وتخفيف الظاء، وبعدها ألف وكسر الهاء وتخفيفها، من ظَاهَرَ يُظَاهِرُ. وقرأ الحرميان وأبو عمرو: بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء وفتحها من غير ألف، من ظَهَّرَ، مثل: ضَعَّف. وقرأ الباقون كذلك، إلا أنهم أثبتوا ألفاً بعد الظاء، وخففوا الهاء، وكذلك الموضع الثاني(١).

قال أبو علي(٢): هو مضارع تَظَهَّرَ يتظَهَّرُ، مثل: تكرَّمَ يتكَرَّم، والجميع: يتظهّرون، مثل: يتكرّمون، ثم أدغمت التاء في الظاء فصار: يظهّرون، وقراءة الباقين مضارع تَظَاهَرَ يتَظَاهَرُ، مثل: تَضَارَبَ يتَضَارَبُ، وللجميع: يتظاهرون، ثم أدغمت التاء في الظاء لمقاربتها لها.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٣)، والكشف (٢/ ٣١٣)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١١)، والسبعة (ص:٦٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٠).

وقرأ ابن مسعود: "يتظاهرون"(١).

وقرأ أبي بن كعب: "يتظهّرون" بتاء بعد الياء على الأصل(٢).

ومعنى ذلك: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي.

وسُمِّي ظِهاراً؛ لأنه قُصد به تحريم ظهرها عليه، وقد كان في الجاهلية طلاقاً بائناً لا رجعة فيه ولا إباحة بعده، فرجع إلى ما أقرّه الله عليه وذكره هاهنا.

قوله تعالى: ﴿ما هن أمهاتِهم﴾ وروى المفضل عن عاصم: برفع التاء وضم الهاء(٣)، والقراءتان على اللغتين الحجازية والتميمية.

قال الفراء في قراءة المفضل(٤): هي لغة نجد، وأنشد:

ويزعُمُ حَسْلٌ أنه فَرْعُ قومِهِ وما أنتَ فرعٌ يا حُسَيلُ ولا أصلُ(٥)

والمعنى: لَسْنَ [بأمهاتهم](٦).

﴿إنْ أمهاتهم﴾ أي: ما أمهاتهم على الحقيقة ﴿إلا اللائي ولدنهم وإنهم﴾ يعني: المظاهرين ﴿ليقولون منكراً من القول﴾(٧) لا يُعرف في شريعة ﴿وزوراً﴾ كذباً وباطلاً ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ فلذلك تجاوز عنهم، وشرع لهم الكفارة.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٨٢)، والبحر (٨/ ٢٣١).

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٣)، والسبعة (ص:٦٢٨).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٣٩).

(٥) البيت لعمرو بن خويلد، وهو في: الإنصاف (٢/ ٦٩٤)، وزاد المسير (٨/ ١٨٣).
والحِسْل: ولد الضب (اللسان، مادة: حسل).

(٦) في الأصل: بأمهاتهن. والتصويب من ب.

(٧) في الأصل زيادة قوله: ﴿وزوراً﴾ وستأتي بعد قليل.

قوله تعالى: ﴿والذين يظَّهَّرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ قال صاحب الكشاف[١]: يعني: والذين كانت عادتهم أن يقولوا هـذا القـول المنكـر فقطعـوه بالإسلام، ثم يعودون لمثله، فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يَمَاسَّ المظاهر منها.

ووجه آخر: "ثم يعودون لما قالوا": ثم يتداركون ما قالوا؛ لأن المتدارك للأمر عائد إليه. والمعنى: أنَّ تدارك هذا القول بأن[٢] يكفّر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار.

ووجهٌ ثالث: وهو أن يراد بها قالوا: ما حرموه عـلى أنفـسهم بلفـظ الظهـار، تنزيلاً للقول منزلة المقول فيه، ويكون المعنى: ثم يريدون العود للتَّماس. هذا تمـام كلامه. وهذا الوجه الثالث هو قول سعيد بن جبير[٣].

المعنى: يريدون أن يعودوا للجماع.

قال الحسن وطاووس والزهري: العَوْدُ: الوَطْء[٤].

وقال الشافعي: العَوْد: هو أن يُمسكها بعد الظهار مدةً يمكنـه [طلاقهـا][٥] فيها فلا يطلقها، فإذا وجد هذا استقرت عليه الكفارة[٦].

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٢) قوله: "بأن" مكرر في الأصل.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٤٢٢ ح١١٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٥) وعـزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن طاووس. وانظر: المغني (٨/ ١٣).

(٥) في الأصل: طلاقه. والتصويب من ب.

(٦) انظر: الأم (٥/ ٤٠٠)، والمغني (٨/ ١٤).

وقال شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي[١]: العَوْدُ: هو الوطء، في ظاهر كلام أحمد والخرقي.

قلت[٢]: وهذا مذهب الحسن وطاووس والزهري.

قال أحمد: العَوْدُ: الغشيانُ؛ لأن العَوْدَ في القول [فعلُ][٣] ضدّ ما قال، كما أن العَوْدَ في الهبة: استرجاعُ ما وَهَبَ، فالمظاهر مَنَعَ نفسَه غشيانَها، فعودُه في قوله غشيانُها.

وقال القاضي أبو يعلى وأصحابه: العَوْد: العزم على الوطء[٤].

وهو مذهب أهل العراق[٥].

قال البغوي: وهو مذهب أحمد ومالك رحمهما الله؛ لأن الله تعالى أمر بالتكفير عقيب العود [وقبل][٦] التماس بقوله: ﴿ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾، وعلى كلا القولين لا يحل له الوطء قبل التكفير؛ لقوله سبحانه: ﴿من قبل أن يتماسا﴾، فإن وطئ أَثِمَ واستقرت الكفارة عليه.

وقال الزهري: عليه كفارتان.

وقال أبو حنيفة: تسقط الكفارة والظهار، ثم لا يحل له وطؤها ثانية حتى يُكفِّر.

---

(١) في الكافي (٣/ ٢٦٠).

(٢) أي المصنف.

(٣) زيادة من الكافي (٣/ ٢٦٠).

(٤) إلى هنا انتهى النقل من الكافي.

(٥) تحفة الفقهاء (٢/ ٢١٤).

(٦) في الأصل: وقيل. والتصويب من ب.

فإن فات الوطء بموت أحدهما [أو فرقتهما][1] فلا كفارة عليه. وإن عاد فتزوجها لم تحل له حتى يُكفّر[2].

وقال أبو الخطاب: إن كانت الفرقةُ بعد العزم فعليه الكفارة. وهذا مقتضى قول من وافقه. وقد صرح أحمد بإنكاره، وكذلك قال القاضي: لا كفارة عليه.

فصل

وفي التلذّذ بالمُظاهَر منها قبل التكفير بما دون الجماع؛ كالقبلة واللمس، عن الإمام أحمد روايتان:

[إحداهما][3]: يحرم؛ لأن ما حَرَّمَ الوطءَ من القول حَرّمَ دواعيه، كالطلاق.

والثانية: لا يحرم؛ لأن المسيس هاهنا كناية عن الوطء، فيقتصر عليه[4].

فصل

وشذَّ داود بن علي الأصبهاني فقال: العَوْد: هو إعادة اللفظ ثانياً[5].

قال الزجاج[6]: هذا قول من لا يدري اللغة.

وقال أبو علي[7]: قد يكون العَوْد إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسُميت

---

(١) في الأصل: وفرقتها. والتصويب من ب.

(٢) انظر: المغني (٨/ ١٢).

(٣) في الأصل: أحدهما. والتصويب من ب.

(٤) انظر: المغني (٨/ ١٠).

(٥) انظر: المغني (٨/ ١٤).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٣٥).

(٧) الحجة للفارسي (١/ ٣٣١-٣٣٢).

الآخرة مَعاداً، [ولم يكن][1] فيها أحد ثم عاد إليها. قال الهذلي:

وعَادَ الفتى كالطفلِ[2] ليسَ بقائلٍ سوى الحقِّ شيئاً واستراحَ العواذِلُ[3]

وقال ابن قتيبة[4]: من توهَّمَ أن الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية فليس بشيء؛ لأن الناس قد أجمعوا أن الظهارَ يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلِّقون بالظهار، فجعل اللهُ حُكم الظِّهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم في الجاهلية، وأنزل: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ يعني: في الجاهلية ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ يعني: في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام ﴿فتحرير رقبة﴾ أي: فعليهم أو فكفَّارتهم تحرير رقبة، أي: عتقها.

وفي اشتراط كونها مؤمنة؛ عن الإمام أحمد؛ روايتان[5].

ولا تجزئ إلا رقبة سليمة من العيوب المضرة بالعمل ضرراً بيّناً؛ لأن المقصود تمليكُ العبد منفعة نفسه وتمكّنه من التصرف، فلا يجزئ الأعمى ولا الزمن ولا مقطوع اليد أو الرجل، ولا مقطوع الإبهام أو السبابة أو الوسطى، ولا مقطوع الخنصر والبنصر من يد واحدة، وقطع أنملتين من أصبع كقطعها، ولا يمنع قطعُ أنملة واحدة إلا الإبهام لأنها أنملتان، فذهاب إحداهما مضر بالعمل؛ كقطعها[6].

---

(١) في الأصل: ويكن. والتصويب من ب، والحجة للفارسي (١/ ٣٣٢).

(٢) في جميع مصادر تخريج البيت: كالكهل.

(٣) البيت لأبي خراش الهذلي، وهو في: الأغاني (١٠/ ٢١٨، ٢١/ ٢١٨)، والحجة للفارسي (١/ ٣٣٢)، والطبري (١/ ٣٢٧)، والقرطبي (٧/ ٣٠١، ١٥/ ٩)، وزاد المسير (٨/ ١٨٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥٧).

(٥) انظر: المغني (٨/ ١٨).

(٦) انظر: المغني (٨/ ١٨).

ولا يجزئ الأخرس، إلا أن تُفهم إشارته، فيجزئ على قول القاضي وأبي الخطاب، إلا أن يجتمع معه الصمم، فلا يجزئ بغير خلاف عندنا(١).

ولا يجزئ المجنون، إلا أن تكون إفاقته أكثر.

فصل

ويجزئ الأعور، والأجدع، والخصي، والمجبوب؛ لأنه كالسليم فيما ذكرناه، ويجزئ المرهون، والجاني، والمُدَبَّر، وولد الزنى، والمريض المرجو برؤه، والهزيل القادر على الكسب، والغائب، إلا أن يُشَكَّ في حياته(٢).

فصل

ولا يجزئ عتق الجنين؛ لأنه لم تثبت له أحكام الرقاب(٣).

فإن أعتق صبياً فقال القاضي: يجزئ في جميع الكفارات إلا كفارة القتل، فإنها على روايتين.

وقال أبو بكر عبدالعزيز: يجزئ الطفل في جميع الكفارات؛ لأنه تُرجى منافعه وتصرّفه، فهو كالمريض المرجوّ زوال علته.

قوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ قال الزجاج(٤): ذلكم التغليظ في الكفارة.

﴿توعظون به﴾ لتتركوا الظهّار.

قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد﴾ أي: فمن لم يستطع عتق رقبة ﴿فصيام﴾ أي: فعليه

---

(١) انظر: المغني (٨/ ١٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: المغني (٨/ ٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٣٥).

صيام ﴿شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾، فإن شرع في أول شهر أجزأه صيام شهرين بالأهلة، تامين كانا أو ناقصين. وإن دخل في أثناء شهر صام شهراً بالهلال وأتم الشهر الذي دخل فيه بالعدد[١].

فإن أفطر يوماً لغير عذر لزمه استئناف الشهرين؛ لأنه أمكنه التتابع وقد قطعه لغير عذر.

وإن أفطر لعذر من مرض مَخُوفٍ أو جنون أو إغماء لم ينقطع.

وإن أفطر في السفر؛ فظاهر كلام الإمام: أنه لا ينقطع التتابع؛ لأنه عذر مبيح للفطر أشبه المرض[٢].

وخرّج بعض أصحابنا وجهاً: أنه ينقطع التتابع.

والحامل والمرضع إن خافتا على أنفسهما فهما كالمريض، وإن خافتا على ولديهما فعلى وجهين.

والحيضُ عذر شرعي فلا ينقطع [به التتابع][٣].

ومن أكل يظن أن الشمس قد غابت، أو أن الفجر لم يطلع فبان بخلافه أفطر، وفي انقطاع التتابع وجهان.

[وإن][٤] نسي التتابعَ أو تركه جهلاً بوجوبه انقطع.

والفطر لأجل العيد وأيام التشريق لا يقطع التتابع.

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٣٠).

(٢) انظر: المغني (٨/ ٣١).

(٣) في الأصل: التتابع به. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: أو. والتصويب من ب.

وإن قطع الصوم بصوم رمضان لم ينقطع التتابع.

وإن كان عليه نذرُ صوم كلّ خميس قَدَّمَ صوم الكفارة وقضاه بعد ذلك وكَفَّرَ؛ لأنه لو صامه لم يمكنه التكفير بحال.

فصل

فإن وطئَ المظَاهَرَ منها في ليالي الصوم لزمه الاستئناف؛ لقوله تعالى: ﴿من قبل أن يتماسا﴾.

وقيل: لا ينقطع التتابع؛ لأنه وطءٌ لا يُفطر بـه، فلـم يقطـع التتـابع؛ كـوطء غيرها.

قوله تعالى: ﴿فمن لم يستطع﴾ أي: لم يقدر على الصيام؛ لكبرٍ أو مـرض غـيرِ مرجو الزوال، أو شبق شديد أو نحوه ﴿فإطعـام﴾ أي: فعليـه أن يطعـم ﴿سـتين مسكيناً﴾.

فصل

الواجبُ أن يدفع إلى كل مسكين مُدّ بر، أو نصف صاع من تمر أو شعير[(١)]؛ لما روى الإمام أحمد في مسنده: «أن امرأةً من بني بياضة جاءت إلى النبي ﷺ بنـصف وسق شعير، فقال النبي ﷺ [للمظاهِر][(٢)]: أطعم هذا، فإن مُدَّيْ شعير مكان مُـدِّ بُرٍّ»[(٣)].

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٢٤)، والكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٢).

(٢) في الأصل: لمظاهر. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الحارث في مسنده عن أبي يزيد المدني (بغية الباحث ١/ ٥٥٧)، وفيه: فإنه يُجزئ مكان كل نصف صاع من حنطة صَاعٌ من شعير.

فصل

ويجزئه في الإطعام ما يجزئه في الفطرة، سواء كان قوت بلده أو لم يكن. فإن أخرج غيرها من الحبوب التي هي قوت بلده أجزأه؛ لقوله: ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ [المائدة:٨٩].

فإن أخرج غير قوت بلده خيراً منه جاز.

وقال القاضي: لا يجزئ إخراج غير ما يجزئ في الفطرة.

قال شيخنا[1]: والأول أجود؛ لموافقته ظاهر النص.

ويجزئ إخراج الدقيق إذا بلغ قدر مُدّ من الحنطة.

وفي الخبز روايتان:

إحداهما: يجزئ؛ لقوله: ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾ [المجادلة:٤].

والثانية: لا يجزئ؛ لأنه خرج عن صفة الكمال والادخار، أشبه الهريسة. فإذا قلنا يجزئه اعتبر أن يكون من مُدّ بر، أو من نصف صاع شعير[2].

قال الخرقي: لكل مسكين رطلاَ خبزٍ؛ لأن الغالب أنهما لا يكونان إلا من مُدّ فأكثر.

وفي السَّويق وجهان؛ بناء على الروايتين في الخبز.

ولا تجزئ الهريسة وأمثالها؛ لأن ذلك خرج عن الاقتيات المعتاد، ولا القيمة؛ لأنه أحد ما يُكَفَّرُ به، فلم تجز القيمة فيه؛ كالعتق[3].

---

(١) في الكافي (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٣).

(٣) انظر: المصدر السابق.

ولا تجزئ كفارة إلا بالنية(١)؛ لقوله ﷺ: «إنما لامرئ ما نوى»(٢).

فصل

ولا يجوز تقديم الكفارة على سببها. فإن كَفَّرَ بعد السبب وقبْل الشرط؛ جاز. وإن كَفَّر عن الظهار بعده وقبْل العَوْد وعن اليمين بعدها وقبْل الحنث؛ جاز(٣).

فصل

ولا فرق في الظهار بين الظَّهْر وغيره من الأعضاء. فلو قال: أنت عَلَيَّ كبطن أمي أو فخذها أو يدها أو رجلها أو غير ذلك من الأعضاء التي يقع الطلاق بإضافته إليه، كان مُظاهراً، فيخرج من ذلك الشعر والسن والظفر. [هذا](٤) مذهب إمامنا، وبه قال الشافعي في أصح قوليه(٥).

وقال أبو حنيفة: إن شَبَّهَهَا ببطن أمه أو فرجها أو فخذها فهو [ظهار](٦)؛ كالظَّهر، وإن شبهها بعضو آخر سواها فليس بظهار. فإن قال: أنت عَلَيَّ كأمي أو مثل أمي فهو مظاهر، إلا أن يريد به الكرامة والمنزلة(٧).

وعن أحمد: لا يكون مظاهراً(٨) حتى ينوي به الظِّهَار.

---

(١) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥١ ح٤٧٨٣).

(٣) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٥).

(٤) في الأصل: وهذا. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٨/ ٩).

(٦) في الأصل: ظاهر. والتصويب من ب.

(٧) انظر: بدائع الصنائع (٣/ ٢٣١).

(٨) في ب: ظهاراً.

وإن قال: أنت كأمي أو مثلها فليس [بظهار][١] حتى ينوي به؛ لأنه في غير التحريم أظهر.

وعند أبي الخطاب: هي كالتي قبلها.

قال شيخنا[٢]: وقياس المذهب: أنه إن وجدت قرينة صارفة إلى الظهار، فهو ظهار، وإلا فلا.

فصل

وغيرُ الأم من ذوات المحارم كالأم؛ فلو قال: أنت عَلَيَّ كظهر جدتي أو أختي أو عمتي أو خالتي؛ فهو ظهار. وإن شبهها بمن تحرم عليه بالرضاع أو المصاهرة فكذلك[٣].

وللشافعي في الصورتين قولان[٤].

غير أن الصحيح في المشبَّهَة بمن تحرم بسبب الرضاع: أنه ظهار. والصحيح في المشبَّهَة بسبب المصاهرة: أنه ليس بظهار.

وإن قال: أنت عَلَيَّ كظهر البهيمة لم يكن مظاهراً[٥].

وإن قال: أنت عَلَيَّ كظهر أبي، ففيه عن الإمام أحمد روايتان:

إحداهما: أنه ظهار؛ لأنه شبهها بمحل محرّم على التأبيد.

---

(١) في الأصل: بظاهر. والتصويب من ب.

(٢) في الكافي (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر: المغني (٨/ ٥).

(٤) انظر: الحاوي للماوردي (١٠/ ٤٣١-٤٣٢).

(٥) انظر: المغني (٨/ ٥).

والأخرى: ليس بظهار؛ لأنه ليس محلاً [للاستمتاع][1].

فصل

فإن قال: أنت طالق كظهر أمي؛ طلقت ولم يكن ظهاراً؛ إلا أن ينويهما، فيكون طلاقاً وظهاراً.

وإن نوى الظهار وحده بلفظ الطلاق لم يكن ظهاراً؛ لأنه صريح في موجبه، فلم ينصرف إلى غيره بالنية، كما لو نوى بقوله: أنت عليّ كظهر أمي؛ الطلاق[2].

فصل

ويصح الظهار مؤقتاً؛ كقوله: أنت عليّ كظهر أمي شهراً، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه[3]، والشافعي في أصح قوليه[4].

وذهب مالك والليث وابن أبي ليلى إلى أنه لا يجب به شيء[5].

والصحيح: الأول؛ لما روى سلمة بن صخر قال: «[ظاهرت][6] من امرأتى حتى ينسلخ شهر رمضان، فبينا هي تخدمني ذات ليلة إذ [تكشّف][7] لي منها شيء، فلم ألبث أن نزوت عليها، [فانطلقت][8] إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر،

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٥). وما بين المعكوفين في الأصل: لاستمتاع. والتصويب من ب.

(٢) انظر: المغني (٨/ ٨).

(٣) انظر: بدائع الصنائع (٣/ ٢٣٥).

(٤) انظر: الحاوي للماوردي (١٠/ ٤٥٦).

(٥) فيَبْطُلُ التَّأْقِيتُ وَيَتَأَبَّدُ الظِّهَارُ. انظر: المدونة (٦/ ٥٣).

(٦) في الأصل: ظهات. والتصويب من ب.

(٧) في الأصل: تكشفت. والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: فانطلق. والتصويب من ب.

فقال: حرِّر رقبة»[١]. رواه أبو داود في سننه.

ولأنه يمين مكفرة، فصح توقيته؛ كاليمين بالله.

فإذا مضى الوقت مضى حكم الظهار.

ويجوز تعليقه بشرط؛ كدخول الدار.

وإن قال: أنت عليّ كظهر أمي إن شاء الله؛ لم يكن مظاهراً[٢].

فصل

إذا قالت المرأة لزوجها: أنتَ عَلَيَّ كظهر أبي؛ لم تكن مظاهرة؛ لظاهر الآية.

وفي وجوب الكفارة ثلاث روايات:

إحداهن: عليها كفارة الظهار؛ لأن عائشة بنت طلحة قالت: إنْ تزوجتُ مصعب بن الزبير فهو عليّ كظهر أبي، فسألت أهل المدينة، فرأوا أن عليها الكفارة[٣].

ولأنها أتت بالمنكر من القول والزور، فأشبهت الرجل.

والثانية: لا شيء عليها؛ لكونه ليس بظهار، فتجب عليها كفارته.

والثالثة: ليس عليها [إلا][٤] كفارة يمين، كما لو حرّمت شيئاً على نفسها[٥].

قوله تعالى: ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي: ذلك البيان والتعليم لما شرع

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٦٥ ح٢٢١٣).

(٢) انظر: المغني (٨/ ١١).

(٣) أخرجه الدارقطني (٣/ ٣١٩ ح٢٧١).

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر: المغني (٨/ ٣٤-٣٥).

لكم من أحكام الظهار وغيره لتصدقوا بالله ورسوله، في امتثال ما أَمَر به واجتناب ما نَهَى عنه، واتباع ما شرعه من الظهار وغيره، ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم.

﴿وتلك حدود الله﴾ التي لا يجوز تعدّيها وانتهاك حُرَمِهَا، ﴿وللكافرين﴾ قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به[1] ﴿عذاب أليم﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ [يعادونهما][2] ويخالفون أمرهما ونهيهما. وقد سبق معنى "المحادة" في براءة[3].

﴿كُبِتُوا﴾ قال المقاتلان[4]: أُخْزُوا كما أخزي من قبلهم من أهل الشرك. وقد سبق معنى "الكبْت" في آل عمران[5].

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨٧).

(٢) في الأصل: يعادنهما. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٦٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٠).

(٥) عند الآية رقم: ١٢٧.

﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ تَدُلُّ على صدق الرسول ﷺ، وصحة ما جاء به، ﴿وللكافرين﴾ الذين جحدوا هذه الآحكام تكبُّراً وعناداً ﴿عذاب مهين﴾ يَذهبُ بعزّهم وكبرهم.

ثم بيّن وقت ذلك العذاب فقال: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ أي: يبعثهم كلهم، لا يغادر منهم أحداً.

وقيل: "جميعاً" حال، أي: يبعثهم مجتمعين يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ على رؤوس الأشهاد توبيخاً لهم وتقريعاً، ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ حفظه الله ونسوه هم تهاوناً به.

قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ وقرأ أبو جعفر: "ما تكون" بالتاء[1].

قال ابن قتيبة[2]: النجوى: السِّرَار.

وقال غيره: النجوى: التناجي.

وقال الزجاج[3]: ما يكون من خلوةِ ثلاثةٍ يُسرون شيئاً ويتناجون به إلا هو رابعهم، أي: عالم به.

قال ابن عباس: ما من شيء تُناجي به صاحبك إلا هو رابعكم بالعلم[4].

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٣٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٣).

قرأ يعقوب: "ولا أكثرُ" بالرفع، وقرأ الباقون: بالنصب[١].

قال الزمخشري[٢]: فمن رفع: عطف على محل "لا" مع "أدنى"؛ كقولك: لا حولَ ولا قوةٌ إلا بالله، بفتح الحول ورفع القوة. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء، كقولك: لا حولٌ ولا قوةٌ إلا بالله، وأن يكون ارتفاعهما عطفاً على محل "من نجوى"، كأنه قيل: ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم.

ومن نصب: فعلى أن "لا" لنفي الجنس، ويجوز أن يكونا مجرورين عطفاً على "نجوى"، كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿ألم ترى إلى الذين نُهوا عن النجوى﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، فيحزنون

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٨٩).

لذلك. فلما طال ذلك وكثر شَكَوا إلى رسول الله ﷺ، فنهاهم أن يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا[١].

والنَّجْوَى: مشتق من النَّجْوَة، وهو ما ارتفع وبَعُدَ؛ سميت بذلك؛ لبُعد الحاضرين عنها[٢].

وحكى ابن سراقة: أن السِّرار: ما كان بين اثنين، والنجوى: ما كان بين ثلاثة[٣].

﴿ويتناجون﴾ وقرأ حمزة ويعقوب بخلاف عنه: "ويَنْتَجُون" مثل: يَشْتَرُون[٤]. والمعنى: ويتناجون ﴿بالإثم والعدوان﴾ على المؤمنين ﴿ومعصية الرسول﴾ لأنه نهاهم عن النجوى.

﴿وإذا جاؤوك حَيَّوْكَ بما لم يُحَيِّكَ به الله﴾ وهو قول اليهود ومن انتحل مذهبهم من المنافقين: السَّام عليك.

أخرج الإمام أحمد في المسند قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «[استأذن][٥] رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقالت عائشة: فقلت: بل السام عليكم واللعنة، قال: يا عائشة! إن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله. قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلتُ:

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨٨).

(٢) انظر: اللسان (مادة: نجا).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٠).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٤)، والكشف (٢/ ٣١٤)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢)، والسبعة (ص:٦٢٨).

(٥) في الأصل: استأذ. والتصويب من ب، ومسند أحمد (٦/ ٣٧).

وعليكم»[١].

وأخرجه البخاري عن أبي نعيم، ومسلم عن زهير كلاهما عن ابن عيينة[٢].

قال ابن زيد والزجاج[٣]: السَّام: الموت[٤].

وكانوا إذا خرجوا يقولون فيما بينهم: لو كان نبياً لاستجيب لـه فينـا، فـذلك قولهم: ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾.

فإن قيل: ما الذي حيّاه الله تعالى به؟

قلتُ: قوله تعالى: ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل:٥٩]، فالسلام هو التحية التي ارتضاها للأنبياء والأولياء في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ قال عطاء ومقاتل[٥]: يريد: المنافقين[٦]. على معنى: آمَنُوا بألسنتهم أو على زعمهم.

ويجوز عندي: أن يكون على طريقة التهكم بهم، كقول الكفار للنبي ﷺ: ﴿يـا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ [الحجر:٦].

وذكر جماعة، منهم الزجاج[٧]: أنه خطابٌ للمؤمنين، نُهـوا أن يفعلـوا فعـل اليهود والمنافقين، فقال: ﴿إذا تناجيتم... الآية﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧ ح٢٤١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٣٩ ح٦٥٢٨)، ومسلم (٤/ ١٧٠٦ ح٢١٦٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٣٧).

(٤) ذكره الطبري (٢٨/ ١٥)، والماوردي (٥/ ٤٩٠)، عن ابن زيد.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٠).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ١٣٨).

ثم أخبر أن ذلك من فعل الشيطان فقال: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ من تزيينه وتسويله، ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾، وذلك أنهم كانوا إذا رأوهم يتناجون ترامت بهم الظنون وقالوا: لعلهم قد سمعوا عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتلاً وهزيمة، وما أشبه ذلك مما يحزنهم.

وقد نهى النبي ﷺ عن النجوى التي هي في مظنة الأذى، ففي الصحيح[١] من حديث ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجينَّ اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»[٢].

قوله تعالى: ﴿وليس بضارهم﴾ أي: وليس الشيطان. وقيل: الحزن بضار المؤمنين ﴿شيئاً إلا بإذن الله﴾ قال مقاتل[٣]: إلا بإذن الله في الضرّ.

ثم ندب الله تعالى المؤمنين إلى الالتجاء إليه والاعتماد عليه فقال: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس﴾ قرأ عاصم: "في المجالس" على إرادة العموم، أو لأن مجلسَ الرسول ﷺ مجلسٌ لكل واحد منهم. وقرأ

---

(١) في ب: الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١٨ ح٢١٨٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٢).

الباقون: "في المجلس"[١].

قال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر، فجاء ناس منهم يوماً وقد سُبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ ينتظرون أن يُوسع لهم فلم يوسع، فشقّ ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: قم يا فلان قم يا فلان، وشقّ ذلك على من أقيم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضَنُّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يَفْسَحَ بعضُهم لبعض[٣].

ومعنى: تفسّحوا توسّعوا.

﴿فافسحوا﴾ أي: ليفسح بعضكم لبعض، ﴿يفسح الله لكم﴾ في الجنة.

وقيل: في كل ما تحبون الفسحة فيه، من مكان ورزق وقبر وغيره.

وقيل: نزلت في مراكز القتال، وهو قول ابن عباس والحسن وأبي العالية في آخرين[٤].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٤)، والكشف (٢/ ٣١٤-٣١٥)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢)، والسبعة (ص:٦٢٨-٦٢٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣-٣٣٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٧)، عن ابن عباس، ولفظه: ذلك في مجلس القتال. وذكره الماوردي (٥/ ٤٩٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد، كلاهما عن الحسن.

وكانوا رضي الله عنهم يتراصّون فيها، فيأتي الرجل الصف فيقول: تفسحّوا لي، فيأبون؛ حرصاً على الشهادة.

﴿وإذا قيل انشِزُوا فانشِزُوا﴾ قرأ نافع وابن عامر وعاصم: بضم الشين(١). والابتداء على هذه القراءة: "أُنشزوا" بضم الهمزة.

قال الحسن: إذا قيل لكم انهضوا إلى قتال عدوكم فانهضوا(٢).

وقال قتادة: إذا دُعيتم إلى خير فأجيبوا(٣).

وهو عامّ في كل ما يأمرهم به رسول الله ﷺ، وأصله من النَّشْز، وهو المكان المرتفع(٤).

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم﴾ من المؤمنين [﴿درجات﴾. قال ابن عباس: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين](٥) على الذين لم يؤتوا العلم درجات(٦).

وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس! افهموا هذه الآية ولْترغّبْكُم في العلم،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٥)، والكشف (٢/ ٣١٥)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢)، والسبعة (ص:٦٢٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نشز).

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٣ ح٣٧٩٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢-٨٣) وعزاه لابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل.

فإن الله يرفعُ المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات[١].

قال الماوردي[٢]: يحتمل هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون إخباراً عن حالهم عند الله تعالى في الآخرة.

والثاني: أن يكون [أمراً][٣] برفعهم في المجالس المقدم ذكرها، ليترتّب الناس فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم.

وهذه الآية من جملة دلائل فضل العلم وأهله، وفي ذلك من الآثار والأخبار والدلائل العقلية ما لو ذكرتُ شطره لطال الكتاب، فتطلّبْ ذلك في أماكنه ومظانّه تجده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾ أي: إذا أردتم مناجاته، بدليل قوله: ﴿فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾.

قال ابن عباس: سألوا رسول الله ﷺ حتى شقّوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٤).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩٣).

(٣) في الأصل: إخباراً. والتصويب من ب، والماوردي (٥/ ٤٩٣).

نبيه، فأنزل هذه الآية[(١)].

وقال المقاتلان[(٢)]: كان المكثرون يكثرون على رسول الله ﷺ ويغلبون الفقراء عليه، فكره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية.

قال المفسرون: لم يناجه أحد إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تصدق بدينار[(٣)].

وكان علي عليه السلام يقول: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي؛ آية النجوى، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهماً فنسختها الآية الأخرى: ﴿أأشفقتم... الآية﴾[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الصدقة ﴿خير لكم﴾ لما فيه من طاعة الله ﴿وأطهر﴾ لذنوبكم، ﴿فإن لم تجدوا﴾ يعني: ما تقدمونه بين يدي نجواكم صدقة ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كلاهما عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٣ ح٣٢١٢٥)، والحاكم (٢/ ٥٢٤ ح٣٧٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه.

ثم نسخت [بالآية][(١)] التي بعدها.

قال المفسرون: لم تَطُل مدة النسخ.

ويروى أن علياً عليه السلام قال: ما كانت إلا ساعة[(٢)].

وقال مقاتل بن حيان: كانت عشر ليال، ثم أنزل الله: ﴿أأشفقتم﴾[(٣)].

قال ابن عباس: أَبَخِلْتُم[(٤)].

والمعنى: أَخِفْتُم [العَيْلة][(٥)] إن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

﴿فإذ لم تفعلوا﴾ ما أُمرتم به وشقَّ عليكم، ﴿وتاب الله عليكم﴾ وعَذَرَكُم فرخَّص لكم بالنسخ، فلا تُفَرِّطُوا فيما أمركم به أمراً جازماً، وشرعه لكم شرعاً لازماً؛ من الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا

(١) في الأصل: الآية. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨٣-٨٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٦).

(٥) في الأصل: العلية. والتصويب من ب.

يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ وهم المنافقون كانوا يتولون اليهود وينقلون إليهم أسرار المؤمنين.

﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ يعني: المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية، ولا من اليهود.

﴿ويحلفون على الكذب﴾ قال السدي ومقاتل(١): نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وكان رجلاً أزرق، يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود(٢).

وفي صحيح الحاكم من حديث ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ كان في ظل حُجْرة من حُجَره، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له... الآية﴾»(٣).

والواو في قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ واو الحال(٤)، وهو أبلغ في ذمهم واجترائهم

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٧ ح٢٤٠٧)، والحاكم (٢/ ٥٢٤ ح٣٧٩٥).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٩٠).

على الله حيث حلفوا، عالمين بكذب أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّةً﴾ أي: سُتْرة يستترون بها من القتل.

وقرئ شاذاً: "إِيمانهم" بكسر الهمزة[(١)].

﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ قال السدي: صدوا الناس عن دين الإسلام[(٢)].

يريد: أنهم في حال أمنهم كانوا يُثبِّطون من لقوا عن الدخول في الإسلام، ويُوهِنُون شأنه في قلوبهم.

وقيل: المعنى: وصَدوا المؤمنين عن جهادهم وأخذ أموالهم بما أظهروه لهم من الإيمان.

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿فيحلفون له﴾ قال قتادة ومقاتل[(٣)]: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا[(٤)].

﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾ من النفع، ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ المتوغّلون في الكذب، المفرطون فيه، حيث كذبوا وحلفوا لله الذي يعلم السر وأخفى أنهم كانوا مؤمنين.

قوله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ استولى وغلب عليهم.

قال المبرد: استحوذ على الشيء: حواه وأحاط به.

قال غيره: ومنه قول عائشة رضي الله عنها في وصف عمر بن الخطاب: كان

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، والدر المصون (٦/ ٢٩٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٧).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٥) وعزاه لعبد بن حميد.

أحوذياً، نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها[١].

تصفه بالقوة والإحاطة بأسباب السياسة وحسن الرعاية والحفظ.

وقد ذكرتُ اشتقاق الاستحواذ في سورة النساء[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ من المنافقين وغيرهم، ﴿أولئك في الأذلين﴾ الأسفلين.

﴿كَتَبَ الله﴾ قضى ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ قال المفسرون: مَنْ بُعث من الرسل بالحرب فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب فهو غالبٌ بالحجة[٣].

﴿إن الله قوي عزيز﴾ فهو ينصر حزبَه وأولياءه، ويخذل أعداءه.

قوله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يعني: إيماناً حقيقياً لا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٤ ح٣٧٠٥٥).

(٢) عند الآية رقم: ١٤١.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٨).

فرية فيه ولا مرية، ﴿يوادون من حاد الله ورسوله﴾ قال الزمخشري[1]: هذا من باب التخييل، خيل أن مِنَ الممتنع المحال: أن تجد قوماً [مؤمنين][2] يوالون المشركين، والغرضُ به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في [مجانبة][3] أعداء الله، وزاد ذلك تشديداً بقوله: ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ وبقوله: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ وبمقابلة قوله: ﴿أولئك حزب الشيطان﴾، وبقوله: ﴿أولئك حزب الله﴾، فلا تجد شيئاً أَدْخَلُ في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؛ فقال ابن جريج: حُدثتُ أن أبا قحافة سبَّ النبي ﷺ [فصكّه أبو بكر صكّة][4] سقط منها. ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ قال: [أو فعلته][5]؟ قال: نعم. قال: فلا تَعُد. فقال أبو بكر: والله! لو كان السيف مني قريباً لقتلته، فأنزل الله هذه الآية[6].

وقال ابن مسعود: نزلتْ في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البِراز فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرعيل الأول؟ فقال: أمتعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٩٦).

(٢) في الأصل: يؤمنون بالله واليوم الآخر. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: مجانبته. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: فصححه أبو بكر صححة. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: أفعلته. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٦) وعزاه لابن المنذر.

أُحُد، وفي عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة قتلا عتبة وشيبة ابني ربيعة[١].

وقال السدي: نزلتْ في عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله ﷺ، فشرب رسول الله ﷺ ماء، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك؟ قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي لعل الله سبحانه وتعالى يطهّر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه. فقال: ما هذا؟ قال: فضلة شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها، لعل [الله][٢] يطهر قلبك، فقال: هلاّ جئتني ببول أمك، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في قتل أبي، [فقال][٣] رسول الله ﷺ: ارفق به وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية[٤].

وقيل: نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة[٥]. وسنذكرها إن شاء الله في أول الممتحنة.

قوله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ أي: أثبت في قلوبهم التصديق.

ومعناه: جمع في قلوبهم الإيمان حى استكملوه.

﴿وأيّدهم بروح منه﴾ قال ابن عباس: هو النصر[٦]، سمي روحاً؛ لأن به حياةَ أمرهم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٩).

(٥) وذلك حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم عام الفتح.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٠).

وقال الربيع: الرُّوح: القرآن[١].

وقال السدي: الإيمان[٢].

وقال مقاتل[٣]: الرحمة.

وقيل: جبريل عليه السلام[٤].

وما بعده ظاهر ومُفسّر إلى آخر السورة. والله أعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٦).

(٤) قاله الماوردي (٥/ ٤٩٦).

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربع وعشرون آية، وهي مدنية بإجماعهم[1].

قال المفسرون: نزلت جميعها في بني النضير[2].

وكان ابن عباس يسميها سورة بني النضير[3].

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن
يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٢ ح٤٦٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٨) وعزاه لسعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٤). قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٣٢): كأن ابن عباس كره تسميتها سورة الحشر؛ لئلا يُظَنّ أن المراد بالحشر يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النَّضِير.

تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾

الإشارة إلى قصتهم:

قال العلماء بالتفسير والسير: لما قدمَ النبي ﷺ المدينة، صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبِل النبي ﷺ ذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً [وظهر][1] على المشركين قالت بنو النضير: والله! إنه النبي الذي نجد نعته في التوراة لا تردّ له راية، ثم قالوا: استأْنُوا به حتى ننظر ما يكون من أمره في وقعة أخرى، فلما كانت أُحُد وانهزم المسلمون ارتابت بنو النضير، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ [والمؤمنين][2]، فركب كعب بن [الأشرف][3] في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد، وتَوَثّقوا على ذلك بين أستار الكعبة، فنزل جبريل على محمد ﷺ فأخبره بذلك، فلما قَفَل كعبُ بن الأشرف أمر النبي ﷺ بقتله، فانتدب له أخوه من الرضاعة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، فقتله، وقصة قتْله معروفة عند أهل النقْل.

وكان رسول الله ﷺ اطلع من بني النضير على خيانة ونقض عهد، حين أتاهم ومعه أبو بكر وعمر وعلي في نفر من أصحابه يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة، وكان النبي ﷺ قد آمنهما، فقالوا: نفعل، وهمّوا بالغدر به، فقال عمرو بن جَحَّاش: أنا أظهر على البيت

---

(١) في الأصل: وظهراً. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: والمؤمنون. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: الأشر. والتصويب من ب.

فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مِشْكَم: لا تفعلوا والله لَيُخْبَرَنَّ بما هممتهم به، فأوحى الله تعالى إليه ما [كادوه][١] به، فنهض سريعاً فتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه، فقالوا: قُمتَ يا رسول الله ولم نشعر! فقال: همّت يهودُ بالغدر، فأخبرني الله بذلك فقمت، وبَعَثَ إليهم رسولُ الله ﷺ محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجّلتكم عشراً، فمن رُؤي بعد ذلك منكم ضُربت عنقه، فأخذوا في التجهيز، فدسّ إليهم ابن أُبيّ يقول: لا تخرجوا فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتمدُّكُم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فاغترّوا بقوله، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: إنا لا نخرج فاصنع ما بدا لك، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربتْ [يهود][٢]، ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة فاعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن أُبيّ وحلفاؤهم من غطفان، وحاصرهم رسول الله ﷺ إحدى وعشرين ليلة، وقَطَعَ نخلهم، فضرعوا إلى رسول الله ﷺ في طلب الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما [يأمرهم][٣] به، فقالوا: ذلك لك، فصالحهم على الجلاء، وعلى أن لهم ما أَقَلَّتْ إبلُهم من أموالهم إلا الحَلْقَة، وهي السلاح[٤].

(١) في الأصل: دوه. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: اليهود. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: مرهم. والتصويب من ب.

(٤) أخرج بعضه أبو داود (٤/ ٢٣٤- ٢٣٥ ح ٣٠٠٤). وأخرجه مطولاً عبد الرزاق (٥/ ٣٥٩- ٣٦٠ ح ٩٧٣٣)، وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٩٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وأبي داود وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

=

وقال ابن عباس: صالحهم على أن يحمل أهل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي، فخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحا، ولحقت طائفة منهم بالحيرة، إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر[١].

فوجد رسولُ الله ﷺ خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً[٢]، فذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني: يهود بني النضير.

[﴿من ديارهم﴾ قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير][٣] مرجع رسول الله ﷺ من أُحُد، وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب، وبينهما سنتان[٤].

﴿لأول الحشر﴾ قال ابن عباس: هم أول من حُشِرَ وأُخْرِجَ من دياره[٥].

قال ابن السائب: هم أول من نُفي من أهل الكتاب[٦].

وقال الحسن: هذا أول حشرهم، والحشر الثاني إلى أرض المحشر يوم

= وانظر قصة إجلاء بني النضير في: الطبقات الكبرى (٢/ ٥٧-٥٨)، والبداية والنهاية (٤/ ٧٤-٧٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٨٣-٨٥).

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣١-٣٢). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٩١) لابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الواقدي (١/ ٣٧٧).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٨).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٤).

القيامة[١].

قال ابن عباس وعكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام، فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم يومئذ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر[٢].

وقال مرة الهمداني: كان هذا أول الحشر لأنهم من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه[٣].

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والثاني نارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيتُ معهم إذا باتوا، وتقيلُ معهم إذا [قالوا][٤]، وتأكلُ منهم من تخلّف[٥].

قوله تعالى: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي: ما حسبتم ذلك لشدة بأسهم وكثرة عَدَدهم وعُدَدهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي: توهموا أن حصونهم مانعتهم، أي: عاصمتهم من بأس الله وسلطان رسوله، ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ من حيث لم يظنوا، ولم يخطر ببالهم، مِنْ قتل رئيسهم كعب بن الأشرف بيد أخيه من الرضاعة، فإنه كان سبب فشلهم وفَلِّ شوكتهم.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف الذي ملأ قلوبهم.

قرأ أبو عمرو: "يُخَرِّبُونَ" بضم الياء وفتح الخاء وتشديد الراء. وقرأ الباقون:

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٩) وعزاه للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٤) في الأصل: أقبلوا. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٩٩).

بضم الياء وسكون الخاء وتخفيف الراء[(١)].

قال أبو عمرو: إنما اخترتُ التشديد؛ لأن الإخراب ترك الشيء خراباً بغير ساكن، وأن بني النضير نقضوا منازلهم ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة[(٢)].

قال ابن جرير[(٣)]: المشددة معناها: النقض والهدم، والمخففة معناها: ما [يخرجون][(٤)] منها ويتركونها خراباً معطلة.

وقال قوم: التخريب والإخراب واحد.

والذي دعاهم إلى التخريب: حاجتهم إلى الخشب والحجارة، ليسدوا أفواه الأزقّة.

قال ابن عباس: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها؛ ليتسع لهم المَقَاتِل، وجعل أعداءُ الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها يتحصنون فيها[(٥)].

وقال الضحاك: جعل المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا من أبنيتهم ما يبنون به ما خرّبه المسلمون[(٦)].

وقال ابن زيد: كانوا يقلعون العُمُد وينقضون السقوف، ويقلعون الخشب

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٥)، والكشف (٢/ ٣١٦)، والنشر (٢/ ٣٨٦)، والإتحاف (ص:٤١٣)، والسبعة (ص:٦٣٢).

(٢) الطبري (٢٨/ ٣٠).

(٣) الطبري (٢٨/ ٣٠).

(٤) في الأصل: يخربون. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٨/ ٢٠٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٠). وذكره الماوردي (٥/ ٥٠٠).

حتى الأوتاد؛ لئلا يسكنها المسلمون، حسداً[١] منهم وبغضاً[٢].

ومعنى تخريبهم بيوتهم بأيدي المؤمنين: أنهم عرّضوهم لذلك، وكانوا السبب فيه.

﴿فاعتبروا﴾ أي: تدبّروا ناظرين في عواقب الأمور ﴿يا أولي الأبصار﴾ يا أرباب العقول.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ أي: ولولا أن قضى الله عليهم أن يخرجوا جميعهم من بيوتهم [بذراريهم][٣] ونسائهم، ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة ﴿ولهم في الآخرة﴾ مع ما أصابهم في الدنيا ﴿عذاب النار﴾.

﴿ذلك﴾ الذي أصابهم ﴿بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ وقد سبق بيان المشاقة في البقرة.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: قد دلّت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم، من غير سبي، ولا استرقاق، ولا جزية، ولا دخول في ذمة، وهذا حكم منسوخ إذا كان في المسلمين قوة على قتالهم؛ لأن الله تعالى أمر بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية، وإنما يجوز ذلك الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم ولم يقدروا على إدخالهم في الإسلام أو [الذمة][٤]،

---

(١) في الأصل زيادة قوله: لهم. وانظر النص في: تفسير البغوي (٤/ ٣١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٠). وذكره الماوردي (٥/ ٥٠٠).

(٣) في الأصل: بذرارهم. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: ذمة. والتصويب من ب.

فيجوز لهم حينئذ مصالحتهم على [الجلاء من بلادهم. وفي هذه القصة دلالة على جواز مصالحتهم على][1] مجهول من المال؛ لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم وعلى الحلقة[2]، وترك لهم ما أقلّت الإبل، وذلك مجهول[3].

قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ وهي النخل كله ما خلا البرني والعجوة، في قول ابن عباس، وعامة المفسرين واللغويين[4].

قال الزجاج[5]: أهلُ المدينة يُسمُّون جميع النخل: الألوان، ما خلا البرني والعجوة. [وأصل][6] لينة: لِوْنَة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

وقال مقاتل[7]: هي ضربٌ من النخل يقال لثمرها: اللّون[8]، وهو شديد الصفرة، يُرى نواه من خارج، يغيب فيه الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم. وكانت النخلةُ الواحدة منها ثمنَ وَصِيف، وأحبّ إليهم من وصيف، فلما [رأوا][9] ذلك الضرب يُقطع، شقّ عليهم مشقةً شديدة، وقالوا للمؤمنين: تزعمون أنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وتخربون وتقطعون الشجر، دَعُوا

---

(١) زيادة من زاد المسير (٨/ ٢٠٧).

(٢) في الأصل زيادة قوله: وما أقلت. وانظر النص في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٢-٣٣). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٩٨).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٤٤).

(٦) في الأصل: وأصله. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ١٤٤).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٨).

(٨) في مقاتل: اللين.

(٩) في الأصل: أرادوا. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل (٣/ ٣٣٨).

هذا النخل فإنما هو لمن غلب عليها.

وقال سفيان: اللِّينة: كرائم النخل[١].

قال الضحاك: قطعوا وأحرقوا ست نخلات[٢].

وقال مقاتل[٣]: أربعة.

وقال ابن إسحاق: قطعوا نخلة، وأحرقوا نخلة[٤].

وقال مجاهد: إن بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخيل ونهاهم بعضهم وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، وقال الذين قطعوا: بل هي غيظ للعدو، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع [النخيل][٥]، وتحليل من قطعه من الإثم، فقال تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ أي: بأمره[٦].

﴿وليخزي الفاسقين﴾ أي: ليذل اليهود، أذن في ذلك.

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وقطع، فأنزل الله: ﴿ما قطعتم... الآية﴾»[٧].

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٨).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٨).

(٥) في الأصل: النخل. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٣)، والطبري (٢٨/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٩١-٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

(٧) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧٩ ح٣٨٠٧)، ومسلم (٣/ ١٣٦٥ ح١٧٤٦).

وهَانَ على سَراةِ بني لُؤي حَريقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِير[(١)]

والذي يظهر في نظري ويدل عليه ظاهر الآية والحديث والشعر ودلالة الحال: أن الذي قُطِعَ وحُرِّقَ أكثر مما نقله أهل السير.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾

قوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي: ما جعله فَيْئاً له ﴿منهم﴾ أي: من بني النضير ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ قال أبو عبيدة[(٢)]: الإيجاف: الإيضاع، والرِّكاب: الإبل.

قال ابن قتيبة وغيره[(٣)]: يقال: وَجَفَ الفرسُ والبعيرُ يَجِفُ وَجِيفاً: إذا أسْرَعَ

---

(١) البيت لحسان. وهو في: القرطبي (١٨/ ٧، ٨)، والطبري (٢٨/ ٣٤)، واللسان (مادة: طير)، والدر المنثور (٨/ ٩١، ٩٨)، والماوردي (٥/ ٥٠١)، وتاج العروس (مادة: بور، طير).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٦).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص: ٤٦٠).

في السَّيْر، وأَوْجَفَه صاحبه[١]، ومثله: الإيضاع.

قال الزجاج[٢]: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ.

قال المفسرون: [طلب][٣] المسلمون من رسول الله ﷺ أن يخمّس أموال بني النضير كما فَعَلَ بغنائم بدر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يبين أنها فيء لم يوجفوا عليها خيلاً ولا ركاباً.

﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ فهو الذي سلط محمداً ﷺ على بني النضير.

فلما خصّ اللهُ رسولَه ﷺ بأموال بني النضير وجعل الأمر له قَسَمَهَا في المهاجرين لموضع حاجتهم، ولم يُعط أحداً من الأنصار شيئاً سوى ثلاثة كانت بهم حاجة، وهم: أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمّة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن[٤] علي بن أبي بكر، قالا: أخبرنا عبدالأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا سفيان -غير مرة-، عن عمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان[٥]، عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ، مما

(١) انظر: اللسان (مادة: وجف).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٤٥).

(٣) في الأصل: خاطب. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: بن. وهو خطأ.

(٥) مالك بن أوس بن الحدثان بن سعد بن يربوع البصري، أبو سعيد المدني، مختلف في صحبته، مات سنة اثنتين وتسعين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٩، والتقريب ص:٥١٦).

لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يُنفق على أهله منها نفقة [سنته][1]، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع[2].

قال المفسرون: ثم ذكر الله تعالى حكم الفيء، فذلك قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله﴾ يَحْكُمُ فيه بما يريد، ولرسوله بتمليك الله[3] [إياه، فأربعة أخماس الفيء للرسول، والخُمس الآخر للمذكورين في الآية.

واختلفوا فيما يصنع به بعد موته؛ وقد ذكرناه في الأنفال[4]. وهذا قول جماعة من الفقهاء والمفسرين.

قال الزمخشري[5]: لم يدخل العاطف على هذه الجملة؛ لأنها بيانٌ للأولى، فهي منها غير أجنبية عنها. بيّن لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه، وأمره أن يَضَعَهُ حيث يَضَعُ الخمُس من الغنائم مقسوماً على الأقسام الخمسة.

فصل

اعلم أن الفيء: ما أُخذ من أموال المشركين بغير قتال؛ كالجزية والخراج والعُشُور المأخوذة من تجارهم، وما بذلوه في الهدنة أو صالحوا عليه ونحو ذلك؛ فذكر الخرقي رحمه الله: أنه يُخَمَّس، فيُصرف خُمُسُه إلى من يُصرف إليه خُمُسُ الغنيمة

---

(١) في الأصل: سنة. والتصويب من ب، والبخاري (٣/ ١٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦٣ ح٢٧٤٨).

(٣) في الأصل زيادة قوله: له. وقد سقط قدر لوحة من الأصل. واستدركت من النسخة ب.

(٤) عند الآية رقم: ٤١.

(٥) الكشاف (٤/ ٥٠٢).

لهذه الآية، وهذا مذهب الشافعي(١)، وإحدى الروايتين عن أحمد.

والرواية الأخرى عنه -وهي المشهورة من مذهبه، وبها يُفتي عامة أصحابه-: أنه لا يُخَمَّس(٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قرأ هؤلاء الآيات إلى قوله: ﴿والذين تبوؤوا الدار﴾، ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾: استوعبت جميعَ المسلمين، ولئن عشتُ ليأتينّ الراعي بسَرْو حِمْيَر نصيبُه منها لم يعرق فيه جبينه(٣). وهذا قول أكثر أهل العلم.

وعلى المذهبين جميعاً: يُبدأ فيه بالأهم فالأهم من كفاية أجناد المسلمين وأرزاقهم، وسدِّ الثغور، وحفر الخنادق، وعمل القناطر، وعمارة المساجد، وأرزاق القضاة، والعلماء، والأئمة، والمؤذنين، إلى غير ذلك من المصالح العامة، وما فَضَلَ بعد ذلك قَسَمه في المسلمين.

وذكر القاضي أبو يعلى رحمه الله: أن الفيء لأهل الجهاد خاصة دون غيرهم؛ لأن ذلك كان للنبي ﷺ بحصول النصرة به، فلما مات أُعطي لمن يقوم مقامه في

---

(١) انظر: الحاوي (٨/ ٣٨٨).

(٢) انظر: المغني (٦/ ٣١٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ١٠١ ح ٢٠٠٤٠) وأبو عبيد، بنحوه، في الأموال (ح٤١ ص:٢٠)، والطبري (٢٨/ ٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٥١ ح١٢٧٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٢) وعزاه لعبد الرزاق وأبي عبيدة وابن زنجويه معاً في الأموال وعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه.
وسرو حمير: منازل حمير بأرض اليمن. والسرو من الجبل: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل.

ذلك، وهم المقاتِلة دون غيرهم[١].

وقال الثعلبي في تفسيره[٢]: كان الفيءُ يُقْسَم على عهد رسول الله ﷺ على خمسة وعشرين سهماً؛ أربعة أخماسها، وهي عشرون سهماً لرسول الله ﷺ، يفعل فيها ما يشاء، والخمس الباقي يُقسم على ما يُقْسَم عليه خمس الغنيمة.

وأما بعد وفاته فقد اختلف الفقهاء في الأنفقة التي كانت له ﷺ من الفيء، فقال قوم: يُصرف إلى المجاهدين، وهو أحد قولي الشافعي.

وقال آخرون: يُصرف إلى مصالح المسلمين من سدّ الثغور وحفر الأنهار ونحوها، وهو القول الآخر للشافعي[٣].

وأما السهمُ الذي كان له من خمس الفيء وخمس الغنيمة، فإنه يُصرف بعده إلى مصالح المسلمين بلا خلاف[٤]، كما قال النبي ﷺ: «والخُمُس مردودٌ فيكم»[٥].

قوله تعالى: ﴿كيلا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم﴾ قرأ أبو جعفر والصيدلاني عن ابن ذكوان: "تكون" بالتاء، "دُولةٌ": بالرفع[٦]، على معنى: كَيْلا يقع ويحدث دُولَة.

وقرأ الباقون من العشرة: "يكون" بالياء، "دُولةً" بالنصب، على معنى: كيلا

---

(١) انظر: المغني (٦/ ٣١٩).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٣) انظر: الحاوي (٨/ ٤٢٩).

(٤) انظر: الحاوي (٨/ ٤٤١).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٣ ح٢٦٩٤)، ومالك في الموطأ (٢/ ٤٥٧ ح٩٧٧) من حديث عمرو بن شعيب.

(٦) النشر (٢/ ٣٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٣).

يكون الفيء دُولة.

قال الماوردي(١): يقال: دُولة بضم الدال، ودَولة بفتحها. وقد قرئ بهما، وفيهما قولان:

أحدهما: أنها سواء، وهو قول يونس والأصمعي.

والثاني: أن بينهما فرقاً. واختُلف في الفَرْق على [أربعة](٢) أوجه:

أحدها: أن الدَّولة -بالفتح-: الظَّفَر في الحرب، والدُّولة -بالضم-: الغنى عن فقر. هذا قول أبي عمرو ابن العلاء.

والثاني: أن الدَّولة -بالفتح-: في الأيام، والدُّولة -بالضم-: في الأموال. وهذا قول أبي عبيدة.

والثالث: أن الدَّولة -بالفتح-: ما كان كالمستقرّ، والدُّولة -بالضم-: [ما كان كالمستعار. حكاه ابن كامل.

والرابع: أنه بالفتح: الطعن في الحرب، وبالضم](٣): أيام المُلْك وأيام السنين التي تتغير. وهذا قول الفراء(٤).

قال حسان بن ثابت:

ولقد نِلْتُم ونِلنا منكُمُ وكذاكَ الحربُ أحياناً دُوَلْ(٥)

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٥٠٣).

(٢) في ب: ثلاثة. والتصويب من الماوردي، الموضع السابق.

(٣) زيادة من تفسير الماوردي (٥/ ٥٠٣).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٤٥).

(٥) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:١٨١)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٩٣)، والماوردي (٥/ ٥٠٣).

وقال الزجاج[1]: الدُّولَة: اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّوْلَة: الفعل والانتقال من حال إلى حال.

فعلى هذا القول: يكون المعنى على قراءة من ضَمَّ الدال: كيلا يكون الفيءُ شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، فلا يُصيب الفقراء.

ويكون المعنى على قراءة من فَتَحَ الدال: كيلا يكون ذا تداول بينكم، أو كيلا يكون إمساكه تداولاً بينكم لا تُخرجونه إلى الفقراء.

قوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ أي: ما أعطاكم من قسمةِ غنيمةٍ أو فَيْء فَخُذُوه، ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وهذا وإن كان سبب نزوله ما ذكرناه، إلا أنه عامٌّ في كل ما أمر به ونهى عنه ﷺ، بدليل ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله [قال][2]: «لعن الله الواشمات والمتوشّمات والمتنمّصات والمتفلّجات للحُسن، المغيّرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعنُ ما لَعَنَ رسولُ الله ﷺ ومن هو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول، قال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأتِ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟ قالت: بلى، قال:

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٤٦).

(٢) زيادة من البخاري (٤/ ١٨٥٣).

فإنه قد نهى عنه »[١].

قال الزجاج[٢]: ثم بيّن مَنِ المساكين فقال: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾.

قال المفسرون: يريد: المهاجرين.

﴿يبتغون فضلاً من الله﴾ رزقاً يأتيهم ﴿ورضواناً﴾ رضاه عنهم.

قال قتادة: ذُكر لنا أن الرجل منهم كان يعصب الحجر على][٣] بطنه ليقيم به صُلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار غيرها[٤].

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم﴾ وهم الأنصار. وهذه الجملة معطوفة على "المهاجرين".

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٣ ح٤٦٠٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٤٥).

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من الأصل، والمثبت من نسخة ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

قال أبو علي[١]: المعنى: تبوؤوا الدار ودار الإيمان من قبلهم.

وقال غيره: تبوؤوا الدار وآثروا الإيمان، أو وقبلوا الإيمان من قبلهم.

قال الزمخشري[٢]: المعنى: تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان؛ كقوله:

وعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً ....[٣]

أو جعلوا الإيمان مستقَرّاً ومتوَطَّناً لهم؛ لتمكنهم منه، واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك. أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان، فأقام لام التعريف في "الدار" مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه. أو سمى المدينة داراً؛ لأنها دار الهجرة، ومكان ظهور الإيمان بالإيمان، "من قبلهم" أي: من قبل المهاجرين؛ لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان.

وقيل: من قبل هجرتهم.

﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ وهذا من أحسن ما وصفَهم به؛ لأنه أخبر أنهم يفعلون ذلك مع المهاجرين، مع محبتهم لهم وميلهم إليهم، وفيه تحقيقٌ لمعنى كرم طباعهم بأبلغ الطرق.

﴿ولا يجدون﴾ يعني: الأنصار ﴿في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾. قال المفسرون: لا يجدون في صدورهم غيظاً وحَسَداً مما أوتي [المهاجرون][٤] من الفيء والغنيمة، وخُصّوا به دونهم.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨٣).

(٢) الكشاف (٤/ ٥٠٤).

(٣) تقدم.

(٤) في الأصل: المهاجرين. والتصويب من ب.

وقال أبو علي: التقدير: لا يجدون في صدورهم مسّ[١] حاجة من فقد ما أوتوا، فحذف المضافين.

وقال غيره من أهل المعاني[٢]: يعني: أنهم لم تتبع نفوسهم ما أعطوا، ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه.

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ أي: يؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم [حاجة][٣] شديدة، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم، وآثروهم بما أفاء الله على رسوله.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قسم للمهاجرين ما أفاء الله عليه من النضير [وقيل][٤] من قريظة، على أن يَرُدَّ المهاجرون على الأنصار ما كانوا أعطوهم من أموالهم، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا ونؤثرهم بالفيء، فأنزل الله هذه الآية[٥].

وبالإسناد السالف قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يُضيفه هذه الليلة يرحمه

---

(١) في ب: من.

(٢) قاله الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٠٤).

(٣) في الأصل: خصاصة. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل و ب: وحمل، وفي الماوردي: ونفل. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠٦).

الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. قالت: والله! ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العَشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾»[١]. وأخرجه مسلم أيضاً.

والرجل هو: أبو طلحة الأنصاري.

وكان أنس بن مالك يحلف بالله ما في الأنصار بخيل، ويقرأ هذه الآية: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة... إلى آخر الآية﴾[٢].

وقال أنس بن مالك: أُهدي لبعض الصحابة رأسُ شاة مشوي، وكان مجهوداً، فوجّه به إلى جار له، فتداولته تسعة أنفس ثم عاد إلى الأول[٣]، فأنزل الله هذه الآية[٤].

ويحكى عن أبي الحسين الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الريّ، ولهم أرغفة معدودة لم تَسَعْ جميعَهم، [فكسَّر][٥] الرُّغْفَان وأطفأ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٤ ح٤٦٠٧)، ومسلم (٣/ ١٦٢٤ ح٢٠٥٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٣).

(٣) في هامش ب: خرجه الحاكم في مستدركه.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٦ ح٣٧٩٩)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٢٥٩ ح٣٤٧٩) كلاهما من حديث ابن عمر بنحو هذه القصة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٧) وعزاه للحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.

(٥) في الأصل: وكسر. والمثبت من ب.

السراج وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل واحد منهم إيثاراً منه على نفسه[(١)].

قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ قرأ ابن السميفع: "يُوَقَّ" بفتح الواو وتشديد القاف[(٢)].

وفيه إشعار أن الأنصار وُقُوا شُحَّ أنفسهم، وأضيف الشح إلى النفس؛ لأنه غريزةٌ فيها.

قال المفسرون: وهو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمنع شيئاً أمره الله به.

وإذا أردتَ أن تعلم فضيلة السخاء وأنه جِماعُ كل خير، ورذيلةَ الشُّح وأنه جِماع كل شر، فتلمح قوله عليه السلام: «أيُّ داء أدوى من البخل»[(٣)].

وتُلَمَّحُ هذه الآية كيف حكم بفلاح من وُقي شُحَّ نفسه وجزم به وأكَّدَه فقال: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فجاء بصيغة الترجّي، ولم يأت بها هاهنا؛ نظراً إلى ما ذكرناه من المعنى.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

---

(١) ذكره الثعلبي (١٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢١٥)، والدر المصون (٦/ ٢٩٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٤٢ ح٤٩٦٥).

يجتمعان في قلب [عبدٍ: الإيمان][(١)]، والشح»[(٢)].

فصل

ذهب قوم إلى أن الشح والبخل بمعنى واحد.

وقال أبو سليمان الخطابي: [الشح][(٣)] أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشح بمنزلة الجنس، والبخل بمنزلة النوع.

قال بعضهم: البخل: أن يَضِنَّ بماله، والشحّ أن يبخل بماله ومعروفه[(٤)].

وقال طاووس: الشحّ: البخل بما في يد غيره، والبخل: منع ما في يده[(٥)].

وقال سعيد بن جبير: الشحّ: هو أخذ الحرام ومنع الزكاة[(٦)].

وقال أبو الشعثاء: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، إنما ذلك البخل، وبئس الشيء البخل[(٧)].

---

(١) في الأصل: مؤمن. والتصويب من ب، ومسند أحمد (٢/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠ ح٨٤٦٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٥).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٠٨) وعزاه لابن المنذر.

(٦) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٦-٣٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٥٣٢ ح٣٨١٥)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٢ ح٢٦٦١١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٨ ح٩٠٦٠)، =

وفي حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بَرئ من الشح من أدى الزكاة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النائبة»[١].

قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ عطفٌ أيضاً على "المهاجرين"[٢].

قال السدي والكلبي: هم الذين هاجروا من بعد ذلك[٣].

وقال مقاتل[٤] وغيره: هم الذين يجيؤون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

قال ابن أبي ليلى: الناسُ على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل[٥].

قال الزجاج[٦]: المعنى: ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ولهؤلاء المسلمين، والذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة، ما أقاموا على محبة أصحاب

=

والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٦ ح١٠٨٤١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٤)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٨٨ ح٤٠٩٦)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٧ ح١٠٨٤٢).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٩٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠٧).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٤١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٥).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٤٦-١٤٧).

رسول الله ﷺ. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولـون﴾ أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الـذين سـبقونا بـالإيمان﴾، فمن ترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه عليهم غِلّ، فلـه حَـظٌّ في [فيء][(١)] المسلمين، ومَنْ شَتَمَهُم ولم يترحّم عليهم، أو كان في قلبه غِلٌّ [لهم][(٢)] فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنَصِّ الكتاب.

وكذلك عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال: مَنْ تنقَّص مـن أصـحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا هذه الآيات[(٣)].

فقبَّح الله الرافضة من طائفة ما أخسَّها وأهونها على الله وعلى عباده المؤمنين.

روى الشعبي عن بعض أشياخه قال: فَضَلَت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سُئلتِ اليهود: من خير أهل ملّتكم؟ فقالت: أصحاب موسى. وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالت: [حواريّوا][(٤)] عيسى. وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد. أُمـروا بالاسـتغفار لهـم فـسبّوهم، فالسيف عليهم مسلولٌ إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله[(٥)].

---

(١) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ١٤٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه أبو نعيم في: حلية الأولياء (٦/ ٣٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٦).

(٤) في الأصل: حواري. والمثبت من ب.

(٥) ذكره القرطبي (١٨/ ٣٣)، والبغوي (٤/ ٣٢١).

وقد ذكرتُ في أثناء كتابي هذا من فضائحهم، وقبائحهم، ودلائل ضلالهم وكفرهم، ما أرجو به القربى إلى الله، والزلفى لديه يوم ألقاه.

وما لم أذكر تفسيره هاهنا من ألفاظ الآية فقد ذكرته قبل.

والغِلُّ: الحقدُ الكامِن في الصَّدر.

وقال الأعمش: الغِشّ[1].

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ وأصحابه،

(١) ذكر الماوردي (٥/ ٥٠٧) عن الأعمش في معنى الغل، قال: العداوة.

﴿يقولون لإخوانهم﴾ في الكفر، وهم اليهود ﴿لئن أخرجتم﴾ يعنون: من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم﴾ أي: في قتالكم وفي خذلانكم ﴿أحداً أبداً﴾.

ثم وعدوهم النصر بقوله: ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾، قال الله مكذباً لهم في مواعيدهم: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾.

ثم أخبر الله أنهم لا يفعلون ذلك فقال: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ أي: ولئن وجد منهم نصرة[1] على سبيل [الفَرَض][2] والتقدير ﴿ليولن الأدبار﴾ منهزمين.

ثم استأنف الله الإخبار بخذلانهم فقال: ﴿ثم لا ينصرون﴾ يعني: بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم [ناصروهم][3] بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبةً﴾ أي: لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة ﴿في صدورهم﴾ قال مقاتل[4]: في صدور المنافقين.

وقال غيره: في صدور اليهود.

ويجوز عندي: أن يراد الجميع.

﴿من الله﴾ أي: من رهبة الله، على معنى: من رهبتهم الله.

قال ابن عباس: هم منكم أشد خوفاً من الله[5].

---

(١) في ب: النصر.

(٢) في الأصل: القرض. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: ناصرهم. والمثبت من ب.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٤٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٦).

﴿ذلك﴾ الخوف الذي بهم منكم ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ عظمة الله وشدة انتقامه من أعدائه.

ثم ذكر أثر ذلك فقال: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ أي: لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين متساندين، يعني: اليهود والمنافقين، ﴿إلا في قرى محصنة﴾ بالخنادق والدروب، ﴿أو من وراء جُدُر﴾ دون أن يبرزوا ويُصْحِروا(١) لكم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "جدار" على لفظ الواحد، والمراد الجمع.

وقرأ الباقون: "جُدُر" بضم الجيم والدال على الجمع، كحِمَار وحُمُر(٢).

وقرأ أبو بكر الصديق وابن أبي عبلة: "جَدَرٍ" بفتح الجيم [والدال(٣).

وقرأ عمر بن الخطاب ومعاوية وعاصم الجحدري: "جَدْرٍ" بفتح الجيم](٤) وسكون الدال(٥)، وهي لغة في الجدار.

وقرأ علي بن أبي طالب وأبو عبدالرحمن السلمي وعكرمة والحسن وابن سيرين وابن يعمر: بضم الجيم وسكون الدال، مخففة من جُدُر(٦).

﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي: بأسهم الذي يُوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس؛ لأن الشجاع يجبُن، والعزيز يَذِلُّ عند محاربة الله

---

(١) أصحر القوم: إذا برزوا إلى فضاء لا يواريهم شيء (اللسان، مادة: صحر).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٥)، والكشف (٢/ ٣١٦)، والنشر (٢/ ٣٨٦)، والإتحاف (ص:٤١٣-٤١٤)، والسبعة (ص:٦٣٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢١٨)، والدر المصون (٦/ ٢٩٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٣)، وزاد المسير (٨/ ٢١٨).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣-٣١٤)، وزاد المسير (٨/ ٢١٨).

ورسوله.

قال الواحدي[١]: بعضهم فظٌّ على بعض، وبينهم مخالفة وعداوة.

﴿تحسبهم جميعاً﴾ مجتمعين مؤتلفين ﴿وقلوبهم شتى﴾ مفترقة غير متّفقة، ومختلفة غير مؤتلفة.

وهذا أحد الأسباب التي [فَلَّ][٢] اللهُ بها جَمْعَ اليهود وكسر شوكتهم.

وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود[٣].

وفي ذلك تشجيع للمؤمنين عليهم، وإغراء لهم بهم.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى اختلافهم فيما بينهم، ﴿بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أَنَّ تَشَتُّتَ قلوبِهِم مما يُوهنُهُم ويخذُلُهم.

ثم ضرب الله تعالى لليهود مثلاً، فذلك قوله تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ أي: مَثَلُ اليهود كمثل الذين من قبلهم في زمان قريب.

قال مجاهد: كفار قريش يوم بدر[٤]، وكان بينهما ستة أشهر.

وقال ابن عباس: كمثل بني قينقاع[٥].

وقال قتادة: مثلُ قريظة كمثل الذين من قبلهم بني النضير، أُجْلوا عن الحجاز

---

(١) الوسيط (٤/ ٢٧٦).

(٢) في الأصل: قلّ. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٥)، والطبري (٢٨/ ٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٨).

إلى الشام[١]. وكان بينهما سنتان.

والمراد: [التمثيل بينهم][٢] في الخذلان، واستيلاء أهل الإسلام عليهم.

﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ سوء عاقبته في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

ثم ضرب مثلاً لليهود والمنافقين حين أخلفوهم ما وعدوهم وغروهم فقال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ قال مجاهد: هذا مثلٌ ضربه الله للكافر في طاعة الشيطان، وهو عامٌّ في الناس كلهم[٣].

وذهب جمهور المفسرين إلى أنه إنسانٌ مخصوص، ضربه الله مثلاً لهؤلاء المغرورين. وهذا شرح قصته:

ذكر ابن عباس وغيره من [أهل العلم بالتفسير والسير][٤]: أن عابداً من بني إسرائيل يقال له: بَرْصِيصا، كان تعبّد في صومعة له زماناً طويلاً، لم يعص الله فيه طرفة عين، وكان يُؤتى بالمجانين فيداويهم ويُعوذهم فيبرؤون على يده، وأن إبليس أعياه أمره، فجمع له المَرَدة فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض -وهو صاحب الأنبياء-: أنا أكفيك أمره، فانطلق على صورة الرهبان فأتى صومعته فناداه فلم يجبه برصيصا، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام مرة، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٧). وذكره الماوردي (٥/ ٥٠٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١١٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: التمثل بهم. والتصويب من ب.

(٣) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:٦٦٥) قال: يعني الناس عامة، وعنه الطبري (٢٣/ ٢٩٧).

(٤) في الأصل: أهل التفسير والعلم بالسير. والمثبت من ب.

برصيصا اطّلع فرآه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فلما رأى ذلك من حاله تذمّر في نفسه حين لم يجبه، فقال له: كنتُ مشغولاً عنك حين ناديتني، فحاجتك؟ فقال: حاجتي أحببت أن [أكون][(١)] معك [فأتأدّب بك][(٢)] وأقتبس من علمك، ونجتمع على العبادة، فتدعو لي وأدعو لك، قال برصيصا: إني لفي شُغُل عنك، فإن كنتَ مؤمناً فإن الله سيجعلُ لك فيما أدعو للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يلتفت برصيصا إليه أربعين يوماً، فلما انفتل رآه قائماً يصلي، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده، وكثرة تضرّعه وابتهاله إلى الله تعالى [كلمه][(٣)] فقال له: حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له فصعد إليه فأقام معه حولاً لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً وربما زاد على ذلك فمدّ إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرُك، ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان بلغنا عنك غير الذي رأيت، قال: فدخل على برصيصا من ذلك أمرٌ شديد، وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودّعه قال الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن للمبتلى والمجنون فيعافى بإذن الله، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة؛ لأن لي [في][(٤)] نفسي شُغلاً، وإني أخاف إن عَلِمَ الناس بهذا شغلوني عن العبادة،

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: فتأدب. والتصويب والزيادة من ب.

(٣) في الأصل: فكلمه. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

فلم يزل به حتى علّمه، ثم انطلق حتى أتى على إبليس فقال له: والله قد[1] أهلكت الرجل. قال: فانطلق الأبيض فتعرّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبّب فقال: إن بصاحبكم جنوناً أفأعالجه؟ قالوا: نعم. فقال لهم: إني لا أقوى على جنّيته، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله تعالى له فيعافيه، فقالوا له: دلّنا؟ فقال لهم: انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده اسم الله الذي إذا دُعي به أجاب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس مثل ذلك ثم يبعثهم[2] إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون. قال: فانطلق الأبيض فتعرّض لجارية من أبناء[3] ملوك بني إسرائيل، بين ثلاثة إخوة، فخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطبّب فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. قال: إن الذي عرض لها ماردٌ لا يُطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تَدَعُونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، فقالوا: ومن هو؟ فقال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: إن قَبِلَها وإلا [فضعوها][4] في صومعته وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه فأبى عليهم، فوضعوها في صومعته، وقيل: وضعوها في غار إلى جانب صومعته وقالوا: هي أمانة عندك، ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا من صلاته جاءه الشيطان فقال له: لو نزلت إليها فمسحتها بيدك، ودعوت الله لها فيعافيها وتذهب إلى أهلها، فنزل، فلما دنا من باب الغار دخل فيها الشيطان، فإذا

---

(١) في ب: قد والله.

(٢) في ب: يرسلهم.

(٣) في الأصل زيادة قوله: الملوك.

(٤) في الأصل: ضعوها. والمثبت من ب.

هي تركض فسقطت عنها ثيابها، فنظر برصيصا إلى شيء لم ينظر إلى مثله حُسْناً وجمالاً، فأتاه الشيطان فقال له: ويحك واقِعْها فلن تجد مثلها، وتتوب بعد ذلك، فتُدْرِكَ الأمر الذي تريد، فلم يزل به حتى واقعها، وضَرَبَ على أذنه، فلم يزل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا لقد انفضحت(١)، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب، فإن سألوك عنها قلت: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل به حتى قتلها ودفنها، ثم رجع إلى صومعته فأقبل على عبادته(٢)، فجاءه إخوتها يسألونه عنها فقال: جاءها شيطانها فذهب بها ولم أُطِقْه، فصدَّقُوه وانصرفوا.

وفي بعض الروايات أنه قال: فدعوت الله لها فعافاها ورجعت إليكم، فتفرّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه فقال: ويحك، إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، فبرصيصا خيرٌ من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال ولا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر بمثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط: وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها فكأنكم اتهمتموني؟ قالوا: لا والله، واستحيوا وانصرفوا. فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا فحفروا فرأوا أختهم، فقالوا: يا عدو

---

(١) في ب: قد افتضحت.

(٢) في ب: صلاته.

[الله][1] أقتلتها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرّ على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تُكابر، فلما أقرّ أمر الملك بقتله وصلبه، فعرض له الشيطان الأبيض وكان إبليس قال له: ما يُغني عنك ما فعلت؟ إن قُتل فهو كفارة له لما كان منه، فقال الأبيض: أنا أكفيكه، فأتاه فقال له: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك أما[2] اتقيت الله في أمانة! خنت أهلها، وأنت تزعم أنك أعبد بني إسرائيل، ثم إنك أقررت على نفسك فافتضحت وفضحت أشباهك من الناس، فإن مُتّ على هذه الحال لم تُفلح ولا أحدٌ من نظرائك، فقال: فكيف أصنع؟ قال: [تطيعني][3] في خصلة حتى أنجيك وآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك، قال: وما هي؟ قال: تسجد لي؟ قال: أفعل، فسجد له، فقال: يا برصيصا هذا الذي [أردت][4] منك، صارتْ عاقبة أمرك إلى أن كفرت، إني بريء منك، ثم قُتل. فضرب الله هذا [المثل][5] لليهود حين غرّهم المنافقون، ثم أسلموهم[6].

وباقي الآية مُفسّر في الأنفال[7].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في ب: ما.

(٣) في الأصل: تطعني. والمثبت من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: مثلاً. والمثبت من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٩-٢٢٢).

(٧) عند الآية رقم: ٤٨.

قوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي[١]: الشيطان وذلك الإنسان.

وقال مقاتل[٢]: يعني: عاقبة اليهود والمنافقين.

﴿أنهما في النار خالدين فيها﴾ وقرأ ابن مسعود: "خالدان فيها" على أنه خبر "أنّ"[٣]. و"في النار": لغو، وعلى القراءة المشهورة: "خالدين" حال من الضمير في قوله: "في النار"[٤]. [أي][٥]: أنهما ثابتان في النار خالدين فيها.

وكرر "في" كقولهم: زيد في الدار قائم فيها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ أي: لينظر أحدكم ما الذي قدّم ليوم القيامة من الأعمال، فهل قدّم صالحاً أو طالحاً؟

والمراد من ذلك: الحضّ على ما يُقرِّب من الجنة ويُبعد من النار.

فإن قيل: لم نكّر النفس والغد؟

---

(١) في ب: يعني.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٤٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٩٩).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٩٩).

(٥) زيادة من ب.

فقد أجاب عنه صاحب الكشاف فقال(١): أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة، كأنه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذلك.

وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره، كأنه قيل: لغد لا يُعرف كُنهه لِعِظَمه.

فإن قيل: بين نزول هذه الآية وبين يوم القيامة زمن طويل، فما معنى قوله: "لغد"؟

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أنه أراد تقريبه، فجعله في القُرب بمنزلة الغد؛ تهييجاً لدواعي العباد على الاستعداد له والعمل لأجله، كما قرّب زمن إهلاك القرون الماضية فقال: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ [يونس:٢٤]؛ [ليكون](٢) ذلك في جهة الاعتبار والادّكار، كأنه بالنسبة إلى يومهم الحاضر أمسهم الذاهب، فإنه أبلغ في الموعظة والتخويف.

الثاني: أنه عبّر عن الآخرة بالغد؛ تنزيلاً للآخرة والدنيا على أنهما نهاران: يوم وغد.

فإن قيل: لم كرّر الأمر بالتقوى؟

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أنه كرّره توكيداً، وهذا [باب](٣) واسع في كلام العرب والكتاب العزيز. وقد سبق ذكره في مواضع.

والثاني: أن الأمر الأول بالتقوى يجوز أن يكون المراد به: اتقوا الله في [امتثال ما

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٠٨).

(٢) في الأصل: لكون. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: بيان. والتصويب من ب.

أُمرتم به من الطاعات. والثاني يجوز أنه يراد به: واتقوا الله في][1] اجتناب ما نُهيتم عنه من المعاصي؛ لأنه عقَّب كل واحد من الأمرين بما يدُل على هذا التفسير، فحينئذ [يَسْلَم بهذا التقرير][2] من التكرير.

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ من قبل ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ قال الزجاج[3]: تركوا ذكْره وما أمرهم به، فترك ذكْرهم بالرحمة والتوفيق.

وقيل: فأنساهم أنفسهم؛ لشدة ما لابَسَهُم في الآخرة من أهوال القيامة.

قال ابن عباس: يريد: قريظة والنضير وبني قينقاع[4]، وهو قوله: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾.

فإن قيل: لا يخفى على أدنى من له مُسْكَة من عقل أن أصحاب الجنة وأصحاب النار لا يستويان، فما معنى نفي المساواة بينهما؟

قلتُ: المقصود: تنبيه العباد من رقدة غفلتهم عن الآخرة، كما تقول لرجل مُنهمك على أفعال تجلب له بها ضرراً: إنّها نفسك، فتجعله بمنزلة من لا يعرف نفسه، فتنبّهه بذلك على خطر النفس وشرفها، ولزوم السعي لأسباب حفظها.

لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: مسلم بهذا التفسير. والمثبت من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٤٩).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢٤).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ المعنى: لو ركّبنا في جبل عقلاً وتمييزاً وأنزلنا هذا القرآن العظيم عليه، ﴿لرأيته﴾ لمواعظ القرآن وزواجره مع ما رُكّب فيه من الصلابة ﴿خاشعاً﴾ ذليلاً خاضعاً ﴿متصدّعاً﴾ مشفقاً ﴿من خشية الله﴾.

والغرض: توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلّة خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبّر آياته، والتفكّر في عجائب ما صَرَّفَ فيه من الوعد والوعيد. وهذا تمثيل وتخييل، ألا ترى إلى قوله: ﴿وتلك الأمثال... الآية﴾.

وما بعدها إلى آخر السورة سبق تفسيره.

وقد أشرت إلى شرح أسماء الله الحسنى على وجه الاختصار في قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ في أواخر الأعراف[1]، فتطلب تفسيرها من هناك وفي أماكنها في غضون هذا الكتاب.

والمُصَوِّر: الذي أنشأ خلقه على صور شتى؛ ليتعارفوا بها.

وقرأ الحسن وأبو الجوزاء وأبو عمران وابن السميفع: "المصوَّرَ" بفتح الواو

(١) عند الآية رقم: ١٨٠.

والراء[١]، على معنى: الذي برأ [المصوَّر][٢].

أخبرنا الشيخ أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر [الهمذاني][٣] قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه أبو سعيد المطهّر بن عبدالكريم بن محمد [القومسانيان][٤] قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن حمد بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين بن الكسّار الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، حدثنا محمد بن الحسين بن مكرم[٥]، حدثنا محمود بن غيلان[٦]، حدثنا أبو أحمد الزبيري[٧]، حدثنا خالد بن طهمان أبو العلاء[٨]، حدثنا نافع بن أبي نافع[٩]، عن

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٤)، وزاد المسير (٨/ ٢٢٩).

(٢) في الأصل: الصور. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: الهمداني. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: القوسانيان. والتصويب من ب.

وقومسان: من نواحي همذان (معجم البلدان ٤/ ٤١٤).

(٥) محمد بن الحسين بن مكرم، أبو بكر البغدادي، كان قد انتقل إلى البصرة فسكنها حتى مات بها، وكان ثقة، توفي في ذي القعدة من سنة تسع وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٣).

(٦) محمود بن غيلان العدوي مولاهم، أبو أحمد المروزي الحافظ، نزيل بغداد، ثقة، توفي سنة تسع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٨، والتقريب ص:٥٢٢).

(٧) هو محمد بن عبد الله بن الزبير. تقدمت ترجمته.

(٨) خالد بن طهمان السلولي، أبو العلاء الخفاف الكوفي، صدوق رمي بالتشيع، ثم اختلط (تهذيب التهذيب ٣/ ٨٥، والتقريب ص:١٨٨).

(٩) نافع بن أبي نافع البزاز، مولى أبي أحمد، ثقة، روى عن معقل بن يسار، وأبي هريرة، وروى عنه خالد بن طهمان، وابن أبي ذئب (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٦، والتقريب ص:٥٥٨).

معقل بن يسار[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر، وُكّل به سبعون ألف مَلَكٌ يُصلُّون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، وإن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة»[٢].

وفي حديث أبي هريرة: سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم قال: عليك بآخر سورة الحشر فأكْثِر قراءتها، فأعدت عليه فأعاد عليّ، فأعدت عليه فأعاد عليّ[٣]. والله تعالى أعلم.

---

(١) معقل بن يسار بن عبد الله بن معير المزني، أبو علي، ويقال: أبو يسار، ويقال: أبو عبد الله البصري، صحابي ممن بايع تحت الشجرة، وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة. مات بعد الستين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٢، والتقريب ص:٥٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٢ ح٢٩٢٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٠).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٨٩).

سورة الممتحنة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ثلاث عشرة آية، وهي مدنية بإجماعهم(١).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ
وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ
رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ
وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾
إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ
وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ
بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا
بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا
قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ
تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٤٤).

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ ذهب عامة المفسرين إلى أنها نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وكان من حديثه: أن سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين، فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كبت الأصل والعشيرة والموالي، وقد ذهبت مواليّ واحتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، قال لها: فأين أنت من شباب أهل مكة، وكانت مغنية، فقالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحثّ عليها رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب، فكسوها وأعطوها نفقة، وحملوها.

فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وفيه: إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، فنزل جبريل وأخبر النبي ﷺ بذلك بعد خروج سارة، فأرسل رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد في طلب الكتاب(١)، فكان من القصة: ما أخبرنا به الشيخان الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري بقراءتي عليه ببغداد، قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤١)، والبغوي (٤/ ٣٢٨-٣٢٩)، وزاد المسير (٨/ ٢٣٠-٢٣١).

[الكرجي][(١)]، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا محمد بن إدريس الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد [بن][(٢)] علي[(٣)]، عن عبيدالله بن أبي رافع[(٤)] قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: «بعثنا رسول الله ﷺ أنا والمقداد والزبير فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ[(٥)]، فإن بها ظعينة[(٦)] معها كتاب، فخرجنا تتعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، [فقالت: ما معي كتاب، فقلنا لها: لتخرجنّ الكتاب][(٧)]، أو لنلقينّ الثياب، فأخرجته من عِقَاصِها[(٨)]، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى

---

(١) في الأصل: الكرخي. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٧١-٧٢)، والتقييد (ص:٤٥١).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٣) الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد المدني، وأبوه يعرف بابن الحنفية، ثقة فقيه، كان من ظرفاء بني هاشم وأهل الفضل منهم، مات سنة مائة أو قبلها، وليس له عقب (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٦، والتقريب ص:١٦٤).

(٤) عبيد الله بن أبي رافع المدني، مولى النبي ﷺ، وكاتب علي رضي الله عنه، كان ثقة كثير الحديث (تهذيب التهذيب ٧/ ١٠، والتقريب ص:٣٧٠).

(٥) خاخ -ويقال: روضة خاخ-: موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة (معجم البلدان ٢/ ٣٣٥).

(٦) الظعينة: المرأة، وأصله: المرأة في الهودج على ناقتها (تفسير الطبري ١٧/ ٦٢١).

(٧) زيادة من مصادر تخريج الحديث.

(٨) العِقَاص: جمع، واحده: عقيصة، وهي الخُصْلَة. والعَقْصُ: أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها، فكل خصلة عقيصة (اللسان، مادة: عقص).

ناس[(١)] من المشركين بمكة، يُخبر ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا يا حاطب؟ [فقال][(٢)]: لا تعجل عليَّ، فإني كنت امرءاً مُلْصَقاً في قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم، ولم يكن لي بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً، والله ما فعلته شكاً في ديني، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد صدق. فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ونزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء... الآية﴾»[(٣)]. أخرجه البخاري عن الحميدي. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره، كلهم عن سفيان.

وفي رواية أخرى: «أن رسول الله ﷺ قال: وما يدريك يا عمر، لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم»[(٤)].

[وفي][(٥)] رواية أخرى: «أنهم همّوا بالرجوع، فقال علي عليه السلام: والله ما كُذبنا، وسلّ سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأُجَرِّدَنَّكِ، ولأضربنَّ عنقك،

(١) في ب: أناس.
(٢) في الأصل: قال. والمثبت من ب.
(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٥ ح٤٦٠٨)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ح٢٤٩٤)، والشافعي في مسنده (ص:٣١٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٩ ح٥٩٠٤).
(٥) في الأصل: في. والتصويب من ب.

فلما [رأت][1] الجدّ أخرجته من عقاصها... ثم ساق الحديث كما تقدم، وقال: فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمتُ أن [الله][2] مُنْزِل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره»[3].

وفي حديث جابر بن عبدالله: «أن عبداً لحاطب جاء يشتكي حاطباً إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ليدخلنّ حاطب النار، فقال النبي ﷺ: كذبتَ، لا يدخلها أبداً، إنه قد شهد بدراً والحديبية»[4].

وقد ذكرنا فيما مضى أن "العَدُوّ" على زنة المصدر، فلذلك يقع على الواحد والاثنين والجمع، و"العَدُوّ" فعول من عَدَا، كعَفُوّ من عَفَا.

قوله تعالى: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون استئنافاً، على معنى: أتُلقون إليهم المودة، فحذف همزة الاستفهام، كما في قوله: ﴿وتلك نعمة تمنّها عليّ﴾ [الشعراء:٢٢]، وكما في نظائره السابقة في أماكنها.

الثاني: أن يكون "تلقون" متعلقاً بـ"لا تتخذوا"، فيكون حالاً من الضمير فيه، على معنى: لا تتخذوهم أولياء ملقين إليهم بالمودة.

الثالث: أن يتعلق بـ"أولياء"، فيكون صفة له، على معنى: لا تتخذوهم أولياء

---

(١) في الأصل: رأيت. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٥٧ ح٧١١٩)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٤٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٩ ح١٤٨١٣).

مُلقًى إليهم بالمودة[١].

والباءِ في "بالمودة" زائدة مؤكدة؛ كقوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله: ﴿يرد فيه بإلحاد﴾ [الحج:٢٥].

وقيل: ليست زائدة، على معنى: تُلقون إليهم أخبار رسول الله ﷺ بسبب المودة التي بينكم وبينهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وقد كفروا﴾ حال من "لا تتخذوا". ويجوز أن يكون حالاً من "تلقون"، على معنى: لا توالوهم أو لا توادّوهم وهذه حالهم[٣].

قوله تعالى: ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ حال من[٤] "كفروا"[٥]، وهو استئناف خارج مخرج التعليل؛ لكفرهم، و﴿أن تؤمنوا﴾ تعليل لإخراجهم، تقديره: يخرجونكم لإيمانكم.

قوله تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم﴾ شرط [تقدم][٦] جوابه عليه، تقديره: إن كنتم خرجتم جهاداً فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. والبصريون يقولون في مثل هذا: هو شرط جوابه محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه[٧].

وقوله: ﴿جهاداً﴾ و ﴿ابتغاء مرضاتي﴾ مصدر في موضع الحال، تقديره: إن

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣٠١).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٢).

(٤) في الأصل زيادة قوله: الذين.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣٠٢).

(٦) في الأصل: بعد. والتصويب من ب.

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣٠٢).

كنتم خرجتم مجاهدين مبتغين مرضاتي، ويجوز أن يكونا مفعولين لهما[(١)]، وهو اختيار الزجاج[(٢)].

قوله تعالى: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ كلام مستأنف، مضمونه: الإعلام بعدم انتفاعهم بالإسرار إليهم؛ لاستواء السر والعلانية بالنسبة إلى علم الله تعالى.

وجائز أن يكون استئنافاً بإضمار الهمزة، على معنى: الإنكار عليهم والتوبيخ لهم على موالاة الكفار ومصافاتهم، والإسرار إليهم بالمودة[(٣)].

والباء في "بالمودة" كالتي قبلها، والواو في: "وأنا أعلم" للحال[(٤)].

ثم هدَّدَهم فقال: ﴿ومن يفعله منكم﴾ يعني: بعد هذا النهي والزجر والبيان الواضح، ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الهدى.

ثم أكّد ذلك وأخبرهم بما في أنفسهم لهم من العداوة فقال: ﴿إن يثقفوكم﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ ظاهري العداوة، ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ بالقتل والشتم، ﴿وودوا﴾ أحبوا وتمنّوا ﴿لو تكفرون﴾ فهم يريدون بكم هلاك الدنيا والآخرة.

المعنى: فكيف تُوالونهم وهذه حالهم معكم؟

ولما كان الحامل لحاطب والباعث له على مناصحة الكفار؛ الخوف على قراباته والمحاماة عليهم قال: ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ أي: ذوو أرحامكم ﴿ولا

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٥٦).

(٣) في ب: بالمودة إليهم.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٢).

أولادكم﴾ أي: لن ينفعكم عند الله إذا عصيتموه بسببها. والعامل في "يوم": "يفْصِل".

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: "يُفْصَلُ" بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد، ومثلهم ابن عامر إلا أنه شدد الصاد وفتح الفاء، ومثله حمزة والكسائي إلا أنهما كسرا الصاد[١]، ومثلهما أُبيّ وابن عباس إلا أنهما قرءا: "نُفَصِّل" بالنون[٢].

وقرأ عاصم: بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد وتخفيفها[٣]. ومثله أبو رزين وعكرمة والضحاك، إلا أنهم قرؤوا: "نَفْصِلُ" بالنون[٤]. والفاعل على جميع القراءات وتصاريف الفعل هو: الله.

والمعنى: يوم القيامة يفصل بينكم، فيفرّ [المرء][٥] من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، ويفصل بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار.

ثم حضّهم على التأسّي بإبراهيم في التَّبَرُّؤ من الكفار فقال: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ وقد سبق تفسيره في الأحزاب[٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٦-٧٠٧)، والكشف (٢/ ٣١٨)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٤)، والسبعة (ص:٦٣٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٣٣-٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ٣٠٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٦-٧٠٧)، والكشف (٢/ ٣١٨)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٤)، والسبعة (ص:٦٣٣).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ٣٠٤).

(٥) في الأصل: المؤمن. والمثبت من ب.

(٦) عند الآية رقم: ٢١.

والمعنى: قد كان لكم يا حاطب ومن عساه كان على مثل مذهبه اقتداءٌ حسن ﴿في إبراهيم والذين معه﴾ وهم الأنبياء. وقيل: المؤمنون، ﴿إذ قالوا لقومهم﴾ حين باينوهم في الدين.

وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه﴾ قال ابن عباس: كانت لكم أسوةٌ حسنة في صنع إبراهيم، إلا في استغفاره لأبيه وهو مشرك[١].

قال مجاهد: نُهوا أن يتأسوا بإبراهيم في استغفاره للمشركين[٢]. وقد ذكرنا ذلك في أواخر براءة[٣]، وأواخر إبراهيم[٤].

﴿وما أملك﴾ من تمام قول إبراهيم لأبيه، أي: ما أملك ﴿لك من الله من شيء﴾ سوى أني أستغفر لك. فأما الهداية [والإضلال][٥] فإليه سبحانه، أو ما أقدر أن أدفع عنك من عذاب الله شيئاً إن كفرتَ به.

وقوله: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ وما في حيزه من تمام الأسوة الحسنة.

ويجوز أن يكون المعنى: قولوا: ربنا، فيكون من تمام ما وقعت الوصية به من قطع العلائق بين المؤمنين والكافرين.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٧ ح٣٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢٩) وعزاه ابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٧)، والطبري (٢٨/ ٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) سورة التوبة، عند الآية رقم: ١١٤.

(٤) عند الآية رقم: ٤١.

(٥) في الأصل: والضلال. والمثبت من ب.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن
يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي
الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ قال الزجاج(١): لا تُظهرْهم علينا فيظنوا أنهم على حق، فيفتَتِنُوا بذلك.

وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا(٢). وقد سبق ذلك في يونس(٣).

قال الزمخشري(٤): ثم كرّر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريراً وتأكيداً عليهم، ولذلك جاء به مُصَدَّراً بالقسم؛ لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله:

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٥٧).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٧)، والطبري (٢٨/ ٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) عند الآية رقم: ٨٥.

(٤) الكشاف (٤/ ٥١٣-٥١٤).

﴿لكم﴾ قوله تعالى: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾، وعَقَّبَهُ بقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به.

قال مقاتل وغيره[1]: فلما نزلت هذه الآيات بالغ المسلمون في مقاطعة أبنائهم وآبائهم وعشائرهم وأقربائهم.

فلما رأى اللهُ منهم صدقَهم في البراءة من المشركين وَعَدَهُم بما يتمنونه فقال: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾، ففعل ذلك بأن أسلم كثير منهم يوم الفتح: أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو، وغيرهم من صناديد قريش.

وتزوج رسولُ الله ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت هاجرتْ مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصّر، وأَبَتْ أن تُتابعه، فمات، وبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها عليه، وساق عنه إليها أربعمائة دينار، وبلغ ذاك أباها فاستبشر وقال: ذاك والله الفَحْل، لا يُقْرَعُ أنفه، وانكسر عن كثير مما كان عليه من الإيغال في عداوة رسول الله ﷺ.

﴿والله قدير﴾ على تقليب قلوب العباد وإصلاح أهل الفساد، ﴿والله غفور رحيم﴾ لا يتعاظم عليه مغفرةُ تلك السيئات الشنيعة، والصفح عن تلك الجنايات الفظيعة.

قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ ذهب جماعة من المفسرين: إلى أنها نزلت في النساء والصبيان.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٣).

قال ابن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أُمَّها قُتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا، فلم تقبل هداياها، ولم تُدخلها منزلها، فسألت لها عائشة رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فقال: مريها أن تُدخلها منزلها، وتَقْبَل هديتها، وتكرمها، وتُحسنَ إليها[(١)].

وقال جماعة، منهم ابن عباس: نزلت في خزاعة وبني مدلج، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يُقاتلوه ولا يُعينوا عليه أحداً[(٢)].

وقال عطية العوفي: نزلت في جماعة من بني هاشم، منهم: العباس بن عبدالمطلب[(٣)].

وقيل: هي عامة في كل من لم يقاتل من الكفار.

وكان قتادة وابن زيد يقولان: هي منسوخة بآية السيف[(٤)].

والصحيح: أنها محكمة[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٧ ح٣٨٠٤)، والنحاس في ناسخه (ص:٧١٥)، والبزار في مسنده (٦/ ١٦٧ ح٢٢٠٨)، وأحمد (٤/ ٤)، والطيالسي (١/ ٢٢٨ ح١٦٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٠-١٣١) وعزاه للطيالسي وأحمد والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في تاريخه والحاكم وصححه والطبراني وابن مردويه. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣١) وعزاه لأبي داود في تاريخه وابن المنذر عن قتادة.

(٥) انظر دعوى النسخ في هذه الآية: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٨٥-٤٨٦).

وقوله تعالى: ﴿أن تبرّوهم﴾ بدل من "الذين لم يقاتلوكم"، وكذلك "أن تولوهم"[1]، إذ المعنى: لا ينهاكم الله عن مبرّة هؤلاء ومعاملتهم بالعدل، ﴿إنما ينهاكم الله﴾ عز وجل ﴿عن﴾ تولي ﴿الذين قاتلوكم... الآية﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ وقال ابن عباس: صالح رسول الله ﷺ مشركي مكة يوم الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة ردّه عليهم، ومن أتى أهلَ مكة من أصحابه لم يردوه، وكتبوا بذلك كتاباً [وختموا][2] عليه. فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم -وقال

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٠)، والدر المصون (٦/ ٣٠٦).

(٢) في الأصل: وختموه. والتصويب من ب.

[المقاتلان][١]: هو صيفي بن الراهب- في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد! اردد عليّ امرأتي، فإنك قد [شرطت][٢] لنا أن تردّ علينا من أتاكم منا، وهذه طينة الكتاب لم تجفّ بعد، فأنزل الله هذه الآية[٣].

وذكر جماعة؛ منهم محمد بن سعد -كاتب الواقدي-: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أولُ من هاجر من النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة في هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة فقالا: يا محمد! أوف لنا بشرطنا، وقالت أم كلثوم: يا رسول الله! أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف [ما][٤] قد علمت، فإن رددتني إلى الكفار فتنوني عن ديني ولا صبر لي، فنقض الله العهد في النساء، وأنزل فيهن المحنة[٥].

فصل

قال الماوردي[٦]: اختلف أهل العلم هل دخل ردّ النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً؟

فقالت طائفة منهم: قد كان شرط رَدِّهِنَّ في عقد الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله رَدَّهُنَّ [من العقد][٧] ومنع منه، وبقّاه في الرجال على ما كان.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥١). وما بين المعكوفين في الأصل: مقاتلان. والتصويب من ب.
(٢) في الأصل: شرط. والتصويب من ب.
(٣) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٤٤٤)، وزاد المسير (٨/ ٢٣٨).
(٤) في الأصل: كما. والمثبت من ب.
(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣٨-٢٣٩).
(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢١).
(٧) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

وقالت طائفة من أهل العلم: [لم يشترط ردّهنّ في العقد لفظاً، وإنما][1] أطلق العقد [في ردّ][2] من أسلم، فكان ظاهرُ العموم اشتمالَه عليهن مع الرجال، فبيّن الله تعالى خروجهن عن عمومه، وفرّق بينهن وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنهنَّ ذوات فروج يحرمن عليهم.

والثاني: أنهنَّ أرقّ قلوباً وأسرع تقلباً منهم.

فأما المقيمة على شركها فمردودةٌ عليهم.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: إنما لم يردّ النساء عليهم؛ لأن النسخ جائز بعد التمكّن من الفعل وإن لم يقع الفعل[3].

قال ابن زيد: وإنما أُمر بامتحانهن؛ لأن المرأة كانت بمكة إذا غضبت على زوجها تقول: لألحقنّ بمحمد[4].

واختلفوا فيما كان يمتحنهنّ به، فأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي، قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه قال: أخبرني عروة، أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: «أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾. قال عروة: قالت

(١) زيادة من الماوردي (٥/ ٥٢١).

(٢) في الأصل: ورد. والمثبت من ب، والماوردي، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٠).

عائشة: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك [كلاماً][١]، ولا والله! ما مسّت يدُه يدَ امرأة قط في المبايعة، ما يُبايعهن إلا بقوله: قد بايعتُك على ذلك»[٢]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يمتحن النساء بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[٣].

وفي رواية عنه: كان يستحلف المرأة بالله ما خرجتُ من بُغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماسَ دنيا، وإنما خرجتُ حباً لله ولرسوله[٤].

وقيل: امتحنوهن بالنظر في الأمارات.

﴿فإن علمتموهن﴾ بما يظهر لكم عند البحث عن حالهن ﴿مؤمنات﴾ والمراد بالعلم: غلبة الظن، ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ أي: إلى أزواجهن الكفار.

وفي قوله: ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ تعليلٌ للمنع من ردهنّ إليهم.

قوله تعالى: ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أي: أعطوا أزواجهن ما بذلوا لهن من المهور.

قال مقاتل[٥]: هذا إن تزوجها مسلم، فإن لم يتزوجها أحد فليس لزوجها الكافر شيء.

---

(١) زيادة من الصحيحين، و ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٦ ح٤٦٠٩)، ومسلم (٣/ ١٤٨٩ ح١٨٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٤) وعزاه لابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠)، والترمذي (٥/ ٤١٢ ح٣٣٠٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٧ ح١٢٦٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٧) وعزاه لابن أبي أسامة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥١).

﴿ولا جناح عليكم﴾ أي: ولا إثم عليكم ﴿أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن﴾ يعني: مهورهن.

فصل

الصحيح من مذهب الإمام أحمد: أن الحربية إذا هاجرت إلينا[(١)] بعد الدخول توقّفت الفرقة بينها وبين زوجها على انقضاء عدتها. فإن أسلم قبل انقضاء عدتها فهي امرأته. وهذا قول الأوزاعي والليث ومالك والشافعي.

وقال أبو حنيفة: تقع الفرقة باختلاف الدارين[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب: "تُمَسِّكُوا" بالتشديد، من مسّك يمسّك، وخففها الباقون من العشرة[(٣)].

وقرأ ابن عباس والحسن: بفتح التاء والميم والسين مشددة[(٤)]. الأصل: تتمسّكوا، من قولك: تمسّكت بالشيء، فحذف إحدى التائين لاجتماعهما.

والكَوَافِر: جمع [كافرة][(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: أي: إذا كفرت فقد زالت العصمة بين المشركة والمؤمن، أي: قد انْبَتَّ حبلُ عقد النكاح. وأصل العِصْمَة في اللغة: الحبل، وكل من أمسك شيئاً

---

(١) ساقط من ب.

(٢) انظر: المغني (٧/ ١٢٠)، وبدائع الصنائع (٢/ ٣٣٨).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٧)، والكشف (٢/ ٣١٩)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٥)، والسبعة (ص:٦٣٤).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٥).

(٥) في الأصل: كافر. والمثبت من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٥٩).

فقد عصمه.

وقال ابن قتيبة(١): العِصْمَة: الجبال.

وقال الزمخشري(٢): العِصْمَة: ما يُعْتَصَمُ به من عقد وسبب، والمعنى: لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية.

قال ابن عباس: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا [يَعْتَدَنَّ](٣) بها من نسائه(٤).

وقال النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر(٥).

وقال مجاهد: أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن(٦).

وروى(٧) موسى بن طلحة بن عبيدالله عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية [طَلَّقْتُ](٨) أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وطَلَّقَ عمرُ بن الخطاب قريبةَ بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان في الشرك،

---

(١) ذكر قول ابن قتيبة: الماوردي (٥/ ٥٢٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٥١٧).

(٣) في الأصل و ب: يعيذن. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥١٧).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٨) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٨)، والطبري (٢٨/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٧) في الأصل زيادة قوله: أبو. وهو خطأ. وانظر: ب.

(٨) في الأصل: طلق. والتصويب من ب.

وطَلَّقَ أيضاً أمَّ كلثوم بنت جرول الخزاعية أم عبدالله بن عمر[(١)].

فصل

ذهب بعضُ أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [المائدة:٥] ناسخ لقوله: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ وهذا تخصيص لا نسخ[(٢)]. وقد قرّرتُ مثله في سورة البقرة، فافهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ أي: اطلبوا مهرَ أزواجكم اللاحقات بالكفار منهم.

﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات منكم، وهذا كان في هدنة الحديبية.

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره ﴿حكم الله﴾.

وقوله: ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف، أو حال من "حكم الله"، على حذف الضمير، أي: يحكمه الله[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم﴾ وقرأ ابن مسعود والزهري والنخعي: "فعَقَبْتُم" بغير ألف[(٤)].

ومثلهم قرأ ابن عباس وعائشة والحسن والأعمش، إلا أنهم شددوا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٧٣٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ٣٠٧).

القاف[١].

وقرأ أبي بن كعب وعكرمة ومجاهد: "فأَعْقَبتم" بهمزة بعد الفاء وسكون العين وفتح القاف والتخفيف[٢].

وقرأ معاذ القارئ وأبو عمران الجوني: "فعَقِبْتم" بفتح العين وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف[٣].

قال الزجاج[٤]: المعنى في التشديد والتخفيف: فكانت العقبى لكم، إلا أنَّ "عَقَّبْتُم" -بالتشديد- أبلغ.

قال غيره: ومن قرأ "[فأعقبتم][٥]" فمعناه: دخلتم في العقبة، وهي النوبة.

قال ابن جني[٦]: "فأعقبتم" صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم.

ومن قرأ: "فعَقِبْتُم" فهو مثل: غَنِمْتُم وَزْناً ومعنى.

وقال الزمخشري[٧]: قُرِئ: "فعقّبتم" بالتشديد، "فعقَبتم" بالتخفيف، بفتح القاف وكسرها. فمن شدَّد فهو من عقّبَه؛ إذا قَفَاه[٨]، وكذلك "عقَبتم" بالتخفيف.

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٥)، وزاد المسير (٨/ ٢٤٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ٣٠٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٤٣).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٦٠).

(٥) في الأصل: عاقبتم. والتصويب من ب.

(٦) المحتسب (٢/ ٣٢٠).

(٧) الكشاف (٤/ ٥١٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: عقب).

قال ابن فارس بعد أن ذكر تصاريف هذه اللفظة(١): الباب كله يرجع إلى أصل واحد، وهو أن يجيء الشيء بعقب الشيء.

والمعنى على قراءة الجمهور: فعاقبتم من [العُقْبَة](٢) وهي النوبة، شبّه ما حَكَمَ به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى، بأمر يتعاقبون فيه، كما يتعاقب في الركوب وغيره.

وقال الزجاج(٣): المعنى: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم.

وقال الماوردي(٤): ومعنى هذا: أن [من](٥) فاتته زوجته بارتدادها إلى أهل العهد المذكور ولم يصل إلى مهرها منهم، ثم [غنمهم المسلمون](٦)، ردوا عليه مهرها.

وفي المال الذي يُرد منه هذا المهر ثلاثة أقوال:

أحدها: من أموال غنائمهم. قاله ابن عباس(٧).

الثاني: من أموال الفيء. قاله الزهري(٨).

---

(١) في معجم مقاييس اللغة (٤/ ٧٧).

(٢) في الأصل: العقوبة. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٦٠).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٥) زيادة من تفسير الماوردي، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: غنمتم. والتصويب والزيادة من الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٧) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٥) وعزاه لابن مردويه.

(٨) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٦).

الثالث: من صداق من [أسلمن][(١)] منهن عن زوج كافر. وهذا مروي عن الزهري أيضاً[(٢)].

فصل

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: هذه الأحكام في أداء المهر وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صداق قد وجب رده على أهل الحرب: منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نص أحمد على هذا. تم كلام القاضي[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]: هذه الآيات نسختها آية السيف.

وقال عطاء: بل حكمها باق ثابت[(٥)].

فصل

قال الماوردي[(٦)]: لا يجوز لمن بعد رسول الله ﷺ من الأئمة أن يشرط في عقد الهدنة رَدَّ من أسلم؛ لأن رسول الله ﷺ [كان][(٧)] على وعد من الله في فتح بلادهم ودخولهم في الإسلام، طوعاً وكرهاً، فجاز له ما لم يجز لغيره.

وقال شيخنا الإمام أبو محمد ابن قدامة المقدسي رضي الله عنه فيما قرأته

---

(١) في الأصل و ب: أسلمت. والمثبت من الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٦-١٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٤).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٧) زيادة من ب، والماوردي، الموضع السابق.

عليه[1]: يجوز في الصلح رَدُّ من جاءه من أهل الحرب من الرجال؛ لأن النبي ﷺ شَرَطَ ذلك في صلح الحديبية، ولا يجوز رَدُّ النساء المسلمات؛ لقول الله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾.

ولأنه لا يؤمن أن تُزوَّج بمشرك.

ولا يجوز رد الصبيان العقلاء؛ لأنهم بمنزلة النساء في ضعف قلوبهم، وقلّة معرفتهم، فلا يؤمن أن يفتتنوا عن دينهم.

وإن شرط ردّ الرجال لزم الوفاء لهم، بمعنى: أنهم إن جاؤوا في طلب من جاء منهم لم يُمنعوا من أخذه، ولا يجبره الإمام على الرجوع معهم، وله أن يأمره سِرًّا بالفرار منهم وقتالهم؛ لقصة أبي بصير[2].

وإن جاءت امرأةٌ مسلمة لم يجز ردّها، ولا يجب ردّ مهرها؛ لأن بُضْعَها لا يدخل في الأمان. وإنما رَدَّ النبي ﷺ المهر؛ لأنه شرط ردّ النساء، وكان شرطاً صحيحاً، فلما فُسخ ذلك وجب رد البدل؛ لصحة الشرط، بخلاف حكم من بعده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾

(١) في الكافي (٤/ ١٦٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٢/ ٩٧٩).

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ قال المفسرون: لما فَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية[١].

وفي هذا القول منافاة لحديث عائشة الذي رويناه آنفاً في الامتحان. ومعلوم أن امتحانهن كان قبل الفتح في هدنة الحديبية. وما أعلمُ أحداً من المفسرين لَحَظَ هذا الذي ذكرته مع [حكايتهم][٢] القولين المتنافيين، غير أن حديث عائشة أصح وأثبت.

والظاهر: أن هذه الآية نزلت قبل الفتح، وأن الناقلين نزولها يوم الفتح لم يستثبتوا ذلك. والله أعلم.

قال العلماء بالتفسير والسير: لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه [يبايع][٣] النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلّغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقّبة متنكّرة مع النساء، فقال النبي ﷺ للنساء: أبايعكن على أن لا تشركن بالله [شيئاً][٤]، فرفعت هندٌ رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ[٥] على الإسلام والجهاد، فقال النبي ﷺ: ولا تسرقن، قالت امرأة أبي سفيان: إن أبا سفيان رجل شحيح، [وإني][٦] أصيبُ من ماله الهَنَات، فلا أدري أيحل لي أم

(١) انظر: تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٤)، والوسيط (٤/ ٢٨٦)، وزاد المسير (٨/ ٢٤٤).
(٢) في الأصل: حكاياتهم. والتصويب من ب.
(٣) في الأصل: يباع. والتصويب من ب.
(٤) زيادة من ب.
(٥) في الأصل زيادة قوله: علي رضي الله عنه. وهو خطأ. وانظر: ب.
(٦) في الأصل: وأن. والتصويب من ب.

[لا](١)؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال. قال: فضحك رسولُ الله ﷺ وعرَفها، وقال: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم، فاعفُ عما سلف يا رسول الله عفا الله عنك، فقال: ولا تزنين، فقالت هند: أوَ تزني الحُرَّة؟ فقال: ولا تقتلن أولادكن، فقالت هند: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنُها حنظلة قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسّم رسول الله ﷺ فقال: ولا تأتين ببهتان تفتريته بين أيديكنّ وأرجلكنّ، وهو [أن](٢) تقْرِف ولداً على زوجها وليس منه، فقالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ولا يعصينك في معروف، فقالت: ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء(٣)، فأقرّ النسوة بما شرط عليهن(٤).

والمراد بقوله: ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾: وَأْدُ البنات، وبقوله: ﴿ولا يأتين

(١) زيادة من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في هامش ب: وفي المسند ومسند البزار: لما جاءت أختُها فاطمةُ تبايع، فذكر الزنا، وضعت يدها على رأسها حياء، فأعجبَ رسولُ الله ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أَقِرِّي أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، فقالت: فنعم إذاً (مسند أحمد ٦/ ١٥١ ح٢٥٢١٦).
وفيه: في حديث أُراه في الأنصار: "ولا يغششن أزواجهن" فقالت امرأة: وما غِشُّ أزواجنا؟ قال: بأخذ مالِه تُحابي به غيره (مسند أحمد ٦/ ٣٧٩ ح٢٧١٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨) من حديث ابن عباس. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٨٦-٢٨٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٤٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. قال ابن كثير (٤/ ٣٥٥) بعد سياقه: وهذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

ببهتان﴾: ما ذكرناه: لا يُلحقن بأزواجهن أولاداً من غيرهم[١]، بأن تلتقط ولداً فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. في قول ابن عباس وجمهور المفسرين.

وإنما قال: ﴿بين أيديهن وأرجلهن﴾؛ لأن الولد إذا وضعتْه الأم يسقط بين يديها ورجليها.

فإن قيل: ما منعك من تفسيره بولد الزنا، على ما قاله بعض المفسرين؟

قلتُ: لأن الزنا قد تقدم في قوله: ﴿ولا يزنين﴾.

وحكى الماوردي فيه قولين آخرين[٢]:

أحدهما: أنه السحر.

والثاني: المشيُ بالنميمة والسعي في الفساد.

قوله: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال ابن عباس: هو النَّوْح[٣]. ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٤].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا أبو معمر، حدثنا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٢)، كلاهما عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٣ ح١٥٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٢٠ ح٢٦٧٦٣).

عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين[(١)]، عن أم عطية[(٢)] قالت: «بايعْنا رسولَ الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها»[(٣)].

وقال مصعب بن نوح[(٤)]: أدركتُ عجوزاً بايعت رسول الله ﷺ، فحدثتني عن النبي ﷺ ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال: النَّوْح[(٥)].

وفي حديث عن النبي ﷺ قال: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا [يتركونهن][(٦)]: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحةُ إذا لم تَتُب قبل موتها، تُقام يوم القيامة عليها سِرْبالٌ من قَطِران، ودِرْعٌ من جَرَب»[(٧)].

---

(١) حفصة بنت سيرين، أم الهذيل الأنصارية البصرية، تابعية ثقة، ماتت سنة إحدى ومائة (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣٨، والتقريب ص:٧٤٥).

(٢) نسيبة بنت كعب، ويقال: بنت الحارث، أم عطية الأنصارية، صحابية مشهورة، كانت تغزو مع رسول الله ﷺ، تمرض المرضى وتداوي الجرحى، وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٨٢، والتقريب ص:٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٦ ح٤٦١٠). وأسعدتني فلانة: قامت معي في نياحة لي.

(٤) مصعب بن نوح الأنصاري، مجهول، روى عن سقط، روى عنه عمرو بن فروخ (الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٥٥)، وابن سعد في طبقاته (٨/ ٨)، والطبري (٢٨/ ٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤١) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن سعد وابن مردويه بسند جيد.

(٦) في الأصل: يتركوهن. والمثبت من صحيح مسلم، و ب.

(٧) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤٤ ح٩٣٤).

وقال زيد بن أسلم وأسيد بن أبي أسيد: من المعروف أن لا تخمّش وجهاً، ولا تنشُر شعراً، ولا تشق جيباً، ولا تدعو ويلاً[(١)].

وقال ابن السائب وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما: هو عامٌّ في كل معروف أمر الله ورسوله به[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فبايعهن﴾ جواب قوله: ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ أي: إذا بايعنك على هذه الشرائط فبايعهن.

وقد ذكرنا كيفية مبايعته ﷺ النساء في حديث عائشة.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة [قولي][(٣)] لمائة امرأة»[(٤)].

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح من ماء، فغمس يده فيه، ثم غَمَسْنَ أيديهن فيه»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨)، وابن أبي شيبة (٣/ ٦١ ح١٢١٠٨) كلاهما عن زيد بن أسلم. وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٢) عن أسيد بن أبي أسيد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤٣) وعزاه لابن أبي شيبة عن زيد بن أسلم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٦) عن ابن السائب الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٧) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٣) في الأصل: قول. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه النسائي (٧/ ١٤٩ ح٤١٨١)، وأحمد (٦/ ٣٥٧ ح٢٧٠٥١).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤٣) وعزاه لابن سعد وابن مردويه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ قال المقاتلان[١]: يريد: اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصّلون بذلك إليهم، ليصيبوا من ثمارهم، فنزلت هذه الآية[٢].

﴿قد يئسوا﴾ يعني: القوم الذين غضب الله عليهم ﴿من الآخرة﴾ أي: من ثواب الآخرة بسبب كفرهم بمحمد ﷺ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم. هذا قول جمهور العلماء.

﴿كما يئس الكفار﴾ يعني: عَبَدَةَ الأوثان، يئسوا ﴿من﴾ الموتى ﴿أصحاب القبور﴾ أن يرجعوا أحياء، فيكون على حذف المضاف، تقديره: من بعث أصحاب القبور.

قال ابن عباس: كما يئس الكفار مِنْ بعث مَنْ في القبور[٣].

فيكون "مِنْ" على هذا القول؛ مفعول "يئس الكفار".

وقال مجاهد: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب[٤].

فيكون "مِنْ" على هذا القول؛ بياناً للكفار الذين قُبِروا.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٤).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٨).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٦٧٠)، والطبري (٢٨/ ٨٢). وذكره الماوردي (٥/ ٥٢٦).

فإن قيل: ما تقول في قول الثعلبي[1]: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم؟

قلتُ: ليس بمستقيم؛ لأن المؤمنين والكفار مشتركون في اليأس من رجوع أصحاب القبور إليهم، فيكون الاقتصار على ذكر الكفار عديم التأثير. [والله أعلم][2].

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٩).

(٢) زيادة من ب.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي أربع عشرة آية[١].

وهي مدنية في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين، ومكية في قول ابن يسار[٢].

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ قال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: كان ناسٌ من المؤمنين يقولون قبل أن يُفرض الجهاد: وددنا أن الله تعالى دلّنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل فرضُ الجهاد كرهه بعض القائلين، فنزلت هذه الآية[٣].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٥).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٢٤٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٨٣-٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه.

وقال مجاهد: نزلت في قوم كانوا يقولون: لو علمنا أحبَّ الأعمال إلى الله لسارعنا إليه، فلما نزلت فريضة الجهاد تثاقلوا عنه[١].

وقال عكرمة: كان الرجل منهم يقول: قاتلتُ ولم يقاتل، وطعنتُ ولم يطعن، وضربتُ ولم يضرب، وصبرتُ ولم يَصبر[٢]. وهذه الأقوال مروية عن ابن عباس.

وروى سعيد بن المسيب عن صهيب رضي الله عنه قال: كان رجل يوم [بدر][٣] قد آذى المسلمين ونكأهم، فقتله صهيب في القتال، فقال رجل: يا رسول الله! قتلتُ فلاناً، ففرح بذلك رسول الله ﷺ، فقال عمر وعبد الرحمن لصهيب: أخبرْ رسول الله أنك قتلته، فإن فلاناً يتنحله، فقال [صهيب][٤]: إنما قتلته لله ولرسوله، فقال عمر وعبد الرحمن لرسول الله: يا رسول الله، قتله صهيب، قال: كذلك يا أبا يحيى؟ قال: نعم يا رسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية والآية الأخرى[٥].

وقال ابن زيد: نزلت في المنافقين، كانوا يَعِدُون المؤمنين النصر وهم كاذبون[٦].

فيكون نداؤهم بالإيمان؛ تهكماً بهم وبإيمانهم.

وقال ميمون بن مهران: نزلت في الرجل يُقرّظ نفسه بما لا يفعله نظيره،

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٠٢).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٠٢).

ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا[(١)].

قال الزمخشري[(٢)] في قوله: ﴿لِمَ تقولون﴾: هذه لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من [حروف الجر][(٣)] في قولك: [بِمَ][(٤)]، وفِيمَهْ، ومِمَّ، وعَمَّ، وإِلامَ، وعَلامَ. وإنما حذفت الألف؛ لأن "ما" والحرف كشيء واحد، ووقع استعماله كثيراً في كلام المستفهم؛ وقد جاء استعمال الأصل قليلاً، والوقف على زيادة هاء السكت أو [الإسكان][(٥)]. ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سُمع: ثلاثه، أربعه، بالهاء، وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ قال الزجاج[(٦)]: "مَقْتاً" نصب على التمييز. والمعنى: كَبُرَ قولكم ما لا تفعلون مَقْتاً عند الله.

وقال غيره[(٧)]: اختير لفظ المَقْتُ؛ لأنه أشد البُغض وأبلغه، ولم يقتصر على أن جعل المقتَ كبيراً حتى جعله أشدَّه وأفحشَه، وعند الله أبلغ من ذاك؛ لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله، فقد تم كبره وشدّته.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٠٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الكشاف (٤/ ٥٢٢).

(٣) في الأصل: جر. والتصويب والزيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ثم. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: الإنسكان. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٦٣).

(٧) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٣).

ثم ذكر الله ما يحبه فقال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ أي: صافّين أنفسهم أو مصفوفين، ﴿كأنهم﴾ في [تراصّهم][(١)] من غير خلل ﴿بنيان مرصوص﴾ قد [رُصِفَ ورُصَّ][(٢)] بعضه ببعض.

وقال الفراء[(٣)]: المَرْصُوصُ: المبنيّ بالرَّصَاص.

وقوله: ﴿صَفاً كأنهم بنيان﴾ حالان متداخلتان[(٤)].

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾ وبّخهم عليه السلام على إفراطهم في أذاه، على ما ذكرناه في أواخر الأحزاب عند قوله: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ [الأحزاب:٦٩].

﴿وقد تعلمون﴾ في محل الحال[(٥)]، أي: تُؤذونني عالمين علماً لا تَرَدُّدَ عندكم فيه

---

(١) في الأصل: تزاحمهم. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: رص وقد رص. والتصويب من ب.

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٥٣).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٠)، والدر المصون (٦/ ٣١٠).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٣١٠).

﴿أني رسول الله﴾، فهيّج دواعي شفقتهم بقوله: "يا قوم"؛ ليكفوا عن أذاه بسبب النَّسب، وعاب عليهم أذاهم[1] إياه مع كونهم عالمين برسالته، مصدّقين بنبوّته.

وفي ضمن ذلك: تخويفهم من إقدامهم واجترائهم على الله وعلى أذى [رسوله][2] عمداً، بعدما شاهدوا معجزاته وعاينوا آياته.

﴿فلما زاغوا﴾ مالُوا عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ عن الهدى الواضح؛ جزاء لهم على سوء ما اختاروه لأنفسهم من الزيغ.

ومعنى الآية: اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لقومه هذا القول، لعلهم يرتدعون عن أذاك، خوفاً مما جُوزي به قوم موسى من إزاغة قلوبهم ومنعهم الهداية.

فإن قيل: لم قال عيسى: ﴿يا بني إسرائيل﴾ ولم يقل[3]: "يا قوم"، كما قال موسى؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أن الله أوجده من غير أب، فلم يكونوا قومه؛ لأن قوم الإنسان عصبته الذين يقومون بأمره.

الثاني: أن إيجاده من غير أب كان أعظم آياته وأوضح معجزاته، فكَرِهَ أن يأتي بلفظ يُوهم نفي معجزاته وآيته ولو على بُعد.

الثالث: أن موسى قصد استدفاعَ أذاهم، فأتى بلفظ يستعطف به قلوبهم،

---

(١) في ب: أذاه.

(٢) في الأصل: رسله. والتصويب من ب.

(٣) قوله: "ولم يقل" مكرر في الأصل.

وذكَّرهم بالقرابة التي بينه وبينهم، بخلاف عيسى، فإنه قصد إخبارهم برسالته إليهم وبشارتهم بمحمد ﷺ رسولاً من بعده.

فإن قيل: بماذا انتصب قوله: "مُصَدِّقاً" و"مُبَشِّراً"؟

قلتُ: بما في "رسول" من معنى الإرسال.

فإن قيل: ما منعك أن تجعل الظرف هو العامل؟

قلتُ: لأن "إليكم" صلة لـ"رسول"، وحروف الجر لا تعمل إلا بما فيها من معنى الفعل. فإذا وقعت صِلات لم تتضمّن معنى الفعل، فلا تعمل.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر: "من بعديَ اسمه أحمد" بفتح الياء، وأسكنها الباقون[١]. والعلة في ذلك: التقاء الساكنين.

والخليل وسيبويه يختاران الفتح.

فإن قيل: ما معنى "أَحْمَد"؟

قلتُ: هو أفْعَل من الحمد، بمعنى: أنه أكثر حمداً لله من غيره، أو يُحمد أكثر من غيره، بما فيه من محاسن الشيم ومكارم الأخلاق. فتكون المبالغة على المعنى الأول من الفاعل، وعلى الثاني من المفعول.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن بن العطار قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٠)، والكشف (٢/ ٣٢١)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٥)، والسبعة (ص:٦٣٥).

وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[١]. أخرجه البخاري في تفسير هذه السورة.

ورواه في موضع آخر عن إبراهيم بن المنذر، عن معن، عن مالك، عن الزهري[٢].

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه[٣].

وهذا الاسم من أسماء النبي ﷺ الأعلام، وفيه يقول حسان بن ثابت:

صَلَّى الإلهُ ومن يَحُفُّ بعَرْشِهِ والطَّيِّبُونَ على المبارَكِ أحْمَدِ[٤]

فإن قيل: ما الحكمة في بشارة عيسى بني إسرائيل بإرسال محمد ﷺ من بعده؟

قلتُ: التنبيه على فخامة أمره ﷺ، وتعظيم شأنه، وتحقيق رسالته، وتقرير نبوته في قلوب أهل الكتاب، وتوكيد حجته، مع ما في ذلك من المعجزة له ولعيسى صلى الله عليهما وسلم.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ لم أَرَ أحداً من المفسرين تعرّض للتصريح باسم الفاعل والمفعول في "جاءهم"؛ اعتماداً منهم على وضوح معناه، وتبادره إلى الأفهام، كأن التقدير والله أعلم: فلما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٨ ح٤٦١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٩٩ح٣٣٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢٨ ح٢٣٥٤).

(٤) البيت لحسان. انظر: ديوانه (ص:٦٦)، والماوردي (٥/ ٥٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣١٠)، وروح المعاني (٢٨/ ٨٦).

ويجوز أن يكون التقدير: فلما جاءهم أحمد الذي بَشَّرَ به عيسى وأوضح أمره بالبينات، أي: بالدلالات الشاهدة برسالته، منضمّة إلى بشارة عيسى به، قالوا بهتاناً وعناداً: هذا سحر مبين.

وقُرئ: "ساحر"(١). وقد ذكرته في آخر المائدة(٢).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ قال مقاتل(٣): هم اليهود.

وقال أبو سليمان: النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله(٤).

وقرأ ابن مسعود وعاصم الجحدري: "وهو يَدَّعِي" بفتح الياء والدال وتشديدها، وكسر العين(٥).

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٣٩-٢٤٠)، والكشف (١/ ٤٢١)، والنشر (٢/ ٢٥٦)، والإتحاف (ص:٢٠٣، ٤١٥)، والسبعة (ص:٢٤٩).

(٢) عند الآية رقم: ١١٠.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٣).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٨/ ٢٥٣)، والدر المصون (٦/ ٣١١).

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف [وحفص][(١)]: "مُتِمُّ" بغير تنوين "نُورِه" بالجر على الإضافة، وقرأ الباقون من العشرة: "مُتِمٌّ" بالتنوين، "نُورَه" بالنصب[(٢)]، وهو الأصل في اسم الفاعل إذا كان للحال أو للاستقبال.

وهذه الآية مفسرة في براءة[(٣)].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾
تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ
تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت
طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ سمَّى الإيمان وما في [حيِّزه][(٤)] تجارة؛ لما

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٤٠-٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٧-٧٠٨)، والكشف (٢/ ٣٢٠)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٥-٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٥).

(٣) عند الآية رقم: ٣٢.

(٤) في الأصل: خبره. والتصويب من ب.

يتضمن من ربح [النَّجَاة][(١)].

﴿تُنْجِيكُم﴾ وقرأ ابن عامر: "تُنَجِّيكُم" بالتشديد[(٢)]، ﴿من عذاب أليم﴾.

ثم بيّن تلك التجارة فقال: ﴿تؤمنون بالله﴾ وهو خبر في معنى الأمر، ولذلك أجيب بقوله: ﴿يغفر لكم﴾، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: "آمنوا بالله"[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وأخرى تحبونها﴾ قال الفراء[(٤)]: أي: وخصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة.

ثم فسّر الخصلة فقال: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ عاجل، وهو فتح مكة.

وقال الحسن وعطاء: فتح فارس والروم[(٥)].

قوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على "تؤمنون"؛ لأنه في معنى آمنوا.

والمعنى: وبشر يا محمد المؤمنين بالنصر والتمكين في الدنيا، والجنة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿كونوا أنصاراً لله﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: "أنصاراً" بالتنوين، "لله". وقرأ الباقون: "أنصارَ الله" على الإضافة[(٦)]، وهو اختيار أبي عبيد؛

---

(١) في الأصل: التجارة. والتصويب من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٨)، والكشف (٢/ ٣٢٠)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، والإتحاف (ص:٢١٠)، والسبعة (ص:٦٣٥).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٦٠)، والدر المصون (٦/ ٣١٢).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٥٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٥) كلاهما عن عطاء.

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٨-٧٠٩)، والكشف (٢/ ٣٢٠)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٥).

[لقوله][1] تعالى: ﴿نحن أنصار الله﴾.

والتشبيهُ في قوله: ﴿كما قال عيسى بن مريم للحواريين﴾ محمولٌ على المعنى، تقديره: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى، حين قال: من أنصاري إلى الله.

وقد سبق ذكر الحواريين.

﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ قال ابن عباس: يعني: في زمن عيسى عليه السلام[2].

﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ بعيسى ﴿على عدوهم﴾ مخالفي عيسى.

وقال مقاتل[3]: تمّ الكلام عند قوله: ﴿وكفرت طائفة﴾.

والمعنى: فأيدنا الذين آمنوا بمحمد ﷺ على عدوهم.

﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين[4] عالين بمحمد ﷺ على الأديان.

قال إبراهيم النخعي: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرةً بتصديق محمدٍ ﷺ؛ أن عيسى كلمة الله وروحه[5]. والله أعلم.

---

(١) في الأصل: قوله. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٢).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٧).

(٤) قوله: "غالبين" سقط من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى عشرة آية في العددين[1]. وهي مدنية بإجماعهم.

قرأ أبو الدرداء وأبو عبد الرحمن السلمي وعكرمة والنخعي والوليد عن يعقوب: "الملكُ القدوسُ العزيزُ الحكيمُ" بالرفع[2]، على معنى: هو الملك.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ يعني: العرب[3] ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من الأُمِّيين لا يكتب ولا يقرأ.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٥٧)، والدر المصون (٦/ ٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٤)، عن مجاهد وقتادة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٥٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة، ومن وجه آخر، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

وقيل: رسولاً من أنفسهم. وقد سبق هذا المعنى.

وما لم أذكره [ظاهر أو مفسر](١) إلى قوله: ﴿وآخرين﴾ وهو مجرور عطفٌ على "الأمِّين"(٢)، على معنى: بَعَثَه في الأمين، وفي آخرين منهم.

قال الزجاج(٣): ويجوز أن يكون "وآخرين" في موضع نصب، على معنى: يُعلّمهم الكتاب والحكمة ويُعلّم آخرين منهم.

قال ابن عمر وسعيد بن جبير: هم العجم(٤).

فعلى هذا؛ معنى قوله: "منهم": أنهم مسلمون، فإن المسلمين يد واحدة على من سواهم، وإن اختلفت أنواعهم.

قال ابن زيد: "وآخرين منهم" هم الذين يدخلون في الإسلام إلى يوم القيامة(٥). والقولان عن مجاهد(٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت

---

(١) في الأصل: ظاهراً أو مفسراً، والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٦١)، والدر المصون (٦/ ٣١٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٧٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٥) كلاهما عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٥٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري عن مجاهد (٢٨/ ٩٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٩). والقول الثاني أخرجه مجاهد (ص:٦٧٣) ولفظه: يعني من ردف الإسلام من الناس كلهم.

(٦) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٦)، ومجاهد (ص:٦٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ولفظه: "من ردف الإسلام من الناس كلهم"، وهو لفظ الطبري ومجاهد أيضاً.

عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال قائل: منْ هُمْ يا رسول الله؟ -وفينا سلمان الفارسي-، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان فقال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»(١).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «رأيتُني يتبعني غنم سود، ثم تبعها غنم عُفْر، أوِّلْها يا أبا بكر. قال: أما السود فالعرب، وأما العُفْر فالعجم تتبعك بعد العرب، قال: كذلك عبّرها الملك سحر»(٢).

قوله تعالى: ﴿لَمَّا يلحقوا بهم﴾ أي: لم يلحقوا بهم بعد، أو لم يلحقوا بهم في الفضيلة والسبق؛ لأن التابعين إلى يوم القيامة لم يدركوا فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله﴾ إشارة إلى النبوة التي خص الله تعالى بها رسوله ﷺ، في قول مقاتل(٣).

وقال ابن السائب: "ذلك" إشارة إلى الإسلام(٤)، ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٨ ح٤٦١٥)، ومسلم (٤/ ١٩٧٢ ح٢٥٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٣٧ ح٨١٩٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٩).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٧).

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي: كُلِّفُوا العمل بها، ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بها، وهم: اليهود ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يُثقله ويُتعبه، وكلُّ مَنْ عَلِمَ ولم يَعمل فهو من أهل هذا المثل، أعاذنا الله من ذلك.

والأسْفَار: جمع سِفْر، مثل: شِبْر وأشْبَار.

﴿بئس مثل القوم الذين﴾ إن شئت كان المضاف محذوفاً، على تقدير: بئس مَثَلُ القوم مَثَلُ الذين كذبوا، فيكون "الذين" في موضع رفع؛ لقيامه مقام المضاف المحذوف. وإن شئت كان "الذين" في موضع الجر؛ وصفاً للقوم، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، المثل المضروب لهم[(١)].

وقال الواحدي[(٢)]: هو ذم لمثلهم. والمراد به: ذمهم.

والآيتان بعد هذه سبق تفسيرهما في البقرة[(٣)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦١)، والدر المصون (٦/ ٣١٦).

(٢) في الوسيط (٤/ ٢٩٥).

(٣) عند الآية رقم: ٩٤، ٩٥.

وكان اليهود يكرهون [الموت][(١)] لسوء ما اختاروا لأنفسهم من حب الرئاسة والنفاسة على محمد ﷺ، حتى أنكروا ما عرفوه ووجدوه مكتوباً عندهم في التوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾، وقرأ زيد بن علي: "إنّه ملاقيكم"[(٢)].

وقرأ ابن مسعود: "تفرون منه ملاقيكم"[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: دخلت الفاء في خبر "إنَّ"، ولا يجوز: إنّ زيداً فمنطلقٌ؛ لأن "الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم" فيه معنى الشرط والجزاء. ويجوز أن يكون تمام الكلام: "قل إن الموت الذي تفرون منه" كأنه قيل: إن فررتُم من أيّ موتٍ كان من قتلٍ أو غيره فإنه ملاقيكم، ويكون "فإنه" استئناف بعد الخبر الأول.

قال غيره[(٥)] في قراءة زيد: قد جَعَلَ "إن الموت الذي تَفِرُّون منه" كلاماً برأسه، أي: إن الموت هو الشيء الذي تَفِرُّون منه، ثم استؤنف: "إنه ملاقيكم".

وقراءة ابن مسعود ظاهرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة﴾ يعني: النداء الثاني إذا جلس الإمام على المنبر

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٦٤)، والدر المصون (٦/ ٣١٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٦١)، والكشاف (٤/ ٥٣٢).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٧١).

(٥) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٣٢).

﴿من يوم الجُمُعَة﴾ وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: "الجُمْعَة" بسكون الميم[١]، واسمه: "عروبة" في اللغة القديمة.

ويقال: أول من سَمّاه الجمعة: كعب [بن][٢] لؤي[٣].

﴿فاسعوا إلى﴾ قال البخاري في صحيحه[٤]: قرأ عمر: "فامضوا".

قلتُ: [وهي][٥] قراءة ابن مسعود، وكان يقول: لو قرأتها "فاسْعَوْا" لسعيت حتى يسقط ردائي[٦].

والمراد بالسَّعْي: المشي.

قال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة[٧].

وقال عكرمة والضحاك: "فاسعوا" أي: اعملوا[٨]، على معنى: اعملوا على المضي إلى ذكر الله، وذلك بتعاطي أسبابه المؤدية إليه.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٦)، وزاد المسير (٨/ ٢٦٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٥٥): روى عبد الرزاق بإسناد صحيح (٣/ ١٥٩ ح٥١٤٤) عن محمد بن سيرين قال: جَمَعَ أهلُ المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، وقبل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره، فجعلوه يوم العروبة. اهـ. فظهر من الأثر أن أول من سمى الجمعة: الأنصار.

(٤) ذكره البخاري معلقاً (٤/ ١٨٥٨).

(٥) في الأصل: وفي. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠١).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦٤).

(٨) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠١).

وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، فقد نُهوا أن يأتوا المسجد إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن [بالقلوب][1] والنية والخشوع[2]. ونحوه عن قتادة[3].

والمعني بذكر الله: الخطبة والصلاة.

﴿وذروا البيع﴾ أي: دعوا التجارة في ذلك الوقت.

وشدّد في ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه فقال: لو باع لم يصح البيع. وهو قول مالك[4].

فصل

تجبُ الجمعة على من سمع النداء من أهل المصر، إذا كان المؤذن صَيِّتاً والريح ساكنة. وحَدَّه مالك بفرسخ[5]، ولم يَحُدّه الشافعي.

وعن الإمام أحمد كالمذهبين[6].

وتجب الجمعة على أهل القرى.

---

(١) في الأصل: بالقوب. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:٦٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٦)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٨٢ ح٥٥٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠٠)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٨٨ ح٢٩٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٢) وعزاه لعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) انظر: المغني (٢/ ٧١).

(٥) انظر: الشرح الكبير لدردير (١/ ٣٧٣).

(٦) انظر: المغني (٢/ ١٠٦).

وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على [أهل][(١)] الأمصار[(٢)].

ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين، في أصح الروايات عن الإمام أحمد. والرواية الأخرى: خمسون، والرواية الثالثة: ثلاثة[(٣)].

وفي وجوب الجمعة على العبد روايتان:

[إحداهما][(٤)]: لا تجب. وهو قول الأكثرين.

والثانية: تجب، وهو قول الحسن وقتادة[(٥)].

وتجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة[(٦)].

وهل من شرطها إذن الإمام؟ على روايتين[(٧)].

وتجوز إقامة الجمعة في موضعين من البلد فصاعداً عند الحاجة، خلافاً لمالك والشافعي [وأبي يوسف[(٨)].

ويجوز إقامتها قبل الزوال، خلافاً لأكثرهم[(٩)].

وإذا وقع العيد في يوم الجمعة فاجتزأ بالعيد وصلى الجمعة ظهراً جاز، إلا

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: المغني (٢/ ١٠٦)، والمبسوط للشيباني (١/ ٣٤٥).

(٣) انظر: المغني (٢/ ٨٨-٨٩).

(٤) في الأصل: أحدهما. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٢/ ٩٥).

(٦) انظر: المغني (٢/ ٩٦)، والمبسوط للسرخسي (٢/ ٢٢).

(٧) انظر: المغني (٢/ ٩٠).

(٨) انظر: المغني (٢/ ٩٢)، وبدائع الصنائع (١/ ٢٦٠)، ومواهب الجليل (٢/ ١٩٦).

(٩) انظر: المغني (٢/ ١٠٤).

الإمام، وبه قال الشعبي والنخعي، خلافاً لأكثرهم[١].

والخطبةُ شرطٌ في الجمعة، خلافاً لداود[٢]. والطهارة فيها مستحبة، خلافاً لأحد قولي الشافعي[٣]، والقيام ليس بشرط في الخطبة خلافاً للشافعي[٤]][٥].

ولا يجب القعود بين الخطبتين، خلافاً له أيضاً[٦].

والخطبتان واجبتان، ومن شرطهما: التحميد، والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة[٧].

وقال أبو حنيفة: إن اقتصر الخطيب على قول: الحمد لله، أو سبحان الله: جاز[٨].

ويُسنّ للإمام إذا صعد المنبر أن يُسلّم على الناس، خلافاً لأبي حنيفة ومالك[٩].

فصل: في فضيلة الجمعة

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد

---

(١) انظر: المغني (٢/ ١٠٥).

(٢) انظر: المغني (٢/ ٧٤).

(٣) انظر: المغني (٢/ ٧٧)، والحاوي للماوردي (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: المغني (٢/ ٧٤)، والحاوي للماوردي (٢/ ٤٣٣).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من ب.

(٦) انظر: المغني (٢/ ٧٦).

(٧) انظر: المغني (٢/ ٧٥-٧٦).

(٨) انظر: المغني (٢/ ٧٦)، والمحيط البرهاني (٢/ ١٧١).

(٩) انظر: المغني (٢/ ٧١)، والتاج والإكليل (٢/ ١٧١).

فأقرَّ به قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا النضر بن شميل، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ يوم طلعت فيه الشمس يومُ الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها [مسلم][(١)] يصلي، يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، وقال بيده يُقلِّلُها، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، هي آخر ساعات الجمعة، هي الساعة التي خلق الله فيها آدم. قال الله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾»[(٢)].

هذا حديث صحيح.

قال الإمام أحمد في الساعة التي يستجاب فيها الدعوة: أكثر الأحاديث أنها بعد العصر، وتُرجى بعد زوال الشمس[(٣)].

ويروى عن النبي ﷺ: «أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»[(٤)].

---

(١) زيادة من ب، والترمذي (٢/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ٣٦٢ ح٤٩١).

(٣) انظر: الترمذي (٢/ ٣٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٤ ح٨٥٣) من حديث أبي موسى الأشعري.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٢١) بعد أن ذكر أكثر من أربعين قولاً في الساعة التي يستجاب فيها الدعوة: قال المحب الطبري: أصح الأحاديث فيها حديث أبي موسى، وأشهر الأقوال فيها قول عبد الله بن سلام. انتهى.

=

وعن ابن عباس: أنها ما[1] بين الأذان إلى انصراف الإمام.

وقال أبو هريرة: التمسوا الساعة التي في الجمعة في ثلاث مواطن: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بين أن ينزل الإمام إلى أن يكبر، وما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس[2].

فصل: في وعيد من ترك الجمعة بغير عذر

قُرئ على الشيخ أبي الحسن علي بن ثابت الطالباني البغدادي الفقيه برأس عين وأنا أسمع، أخبركم أبو منصور بن مكارم فأقرّ به، أخبرنا نصر بن محمد بن صفوان، أخبرنا علي بن إبراهيم السّراج، أخبرنا هبة الله بن إبراهيم بن أنس، حدثنا ابن طوق، [حدثنا][3] زيد بن عبدالعزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران رحمة الله عليه، عن فضيل بن مرزوق، عن رجل من أهل الخير والصلاح، عن محمد بن علي، عن سعيد بن المسيب، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على منبره يوم الجمعة يقول: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم إياه، وكثرة صدقتكم في السر والعلانية

= ثم قال: وما عداهما إما موافق لهما أو لأحدهما، أو ضعيف الإسناد، أو موقوف استند قائله إلى اجتهاد دون توقيف، ولا يعارضهما حديث أبي سعيد في كونه ﷺ أنسيها بعد أن علمها؛ لاحتمال أن يكونا سمعا ذلك منه قبل أن أنسي.

(١) في ب: فيها.

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح (٢/ ٤١٧).

(٣) زيادة على الأصل.

تُؤجروا، وتُنصروا، وتُرزقوا.

واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة فريضة مفروضة، من يومي هـذا، في مقامي هذا، في شهري هذا، في عامي هذا، إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي جحوداً بها واستخفافاً بها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمـره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، [ألا][١] ولا صوم له، ولا برّ له[٢]. فمن تاب تاب الله عليه»[٣].

وقرأتُ على القاضي أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرَّ به، قال: حدثنا أبو محمد البغوي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حـدثنا أحمـد بـن عـلي الكشميهني، حدثنا علي بن [حُجْر][٤]، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بـن عمرو، عن عبيدة بن[٥] سفيان، عن أبي الجعد -يعني: الضمري[٦]- قـال: قـال

(١) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٢) في ب: بركة.

(٣) أخرجه عبد بن حميد (ص:٣٤٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٨١-٣٨٢ ح ١٨٥٦)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٦٤ ح ١٢٦١).

(٤) في الأصل: حجرة. والمثبت من ب. وانظر ترجمته في: تهـذيب التهـذيب (٧/ ٢٥٩)، والتقريـب (ص:٣٩٩).

(٥) في الأصل و ب زيادة لفظة: "أبي". وهـو وهـم. انظـر ترجمتـه في: تهـذيب التهـذيب (٧/ ٧٧)، والتقريب (ص:٣٧٩).

(٦) في الأصل: الـضمرتي. والتـصويب مـن ب. وانظـر ترجمتـه في: تهـذيب التهـذيب (١٢/ ٥٧)، والتقريب (ص:٦٢٨).

رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها، طبع [الله][(١)] على قلبه»[(٢)].

هذا حديث حسن. ولا يعرف لأبي الجعد الضمري حديث سوى هذا، وله صحبة، ولا يعرف له اسم.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر وأبي هريرة قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول وهو على أعواد منبره: «لينتهينّ أقوامٌ عن ودْعهم الجُمُعَات، أو ليختمنّ الله على قلوبهم، ثم ليكوننّ من الغافلين»[(٣)].

فصل في فضيلة التبكير إلى الجمعة

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك.

وأخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبدالغافر، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، أبنا [أبو إسحاق][(٤)] إبراهيم الفقيه، أخبرنا مسلم، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا مالك.

وأخبرنا الشيخان الإمام أبو محمد ابن قدامة المقدسي وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق النيسابوري بقراءتي عليه قالا: أخبرنا أبو زرعة المقدسي، أخبرنا أبو

---

(١) زيادة من ب، والترمذي (٢/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ٣٧٣ ح٥٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩١ ح٨٦٥).

(٤) في الأصل: إسحاق بن، والتصويب مع الزيادة من: التقييد (ص:١٨٦).

الحسن مكي بن منصور [بن][1] علان الكرجي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا مالك.

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد الطوسي فأقرّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو الحسن الشيرزي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سُمَيّ مولى أبي بكر بن عبدالرحمن[2]، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قَرَّبَ بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة [يستمعون][3] الذكر»[4]. هذا حديث متفق على صحته.

وبالإسناد قال: أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طُويت الصحف واستمعوا الخطبة، والمهجِّر إلى الصلاة

(١) زيادة من ب.

(٢) سُمَيّ مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو عبد الله المدني، ثقة، قتلته الحرورية يوم قديد سنة ثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٩، والتقريب ص:٢٥٦).

(٣) في الأصل: يسمعون. والمثبت من ب، والصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٣٠١ ح٨٤١)، ومسلم (٢/ ٥٨٢ ح٨٥٠)، والشافعي في مسنده (ص:٦٢).

كالمُهْدي بدنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي كبشاً، حتى ذكر الدجاجة والبيضة»[(١)] هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق، عن الزهري، عن أبي عبدالله الأغر وأبي سلمة، عن أبي هريرة.

قال الخليل بن أحمد رحمه الله: التَّهْجِير إلى الجمعة: التَّبْكِير[(٢)].

واختلفوا في هذه الساعات؛ فذهب بعضُهم إلى أنها ساعات لطيفة بعد الزوال، لا يريد به حقيقة الساعات التي يدور عليها حساب الليل والنهار؛ لأن الرّواح لا يكون إلا بعد الزوال، فهو كقول القائل: جلست عند فلان ساعة، لا يريد به التحديد بساعة النهار.

وقيل: المراد منه: ساعات النهار، فَبَيَّنَ فضلَ من جاء في الساعة الأولى من النهار مبكراً قبل الزوال. وجاء بلفظ الرواح؛ لأنه خَرَجَ لفعل يفعله وقت الرواح، كما يقال للقاصدين إلى الحج: حُجَّاج، وللخارجين إلى الغزو: غُزَاة، وَلَمَا يحجوا ويغزوا بعد.

وقيل: مَنْ راح إلى الجمعة، أي: مَنْ خَفَّ إليها، يقال: تَرَوَّحَ القوم ورَاحُوا؛ إذا ساروا أيّ وقت كان[(٣)].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣١٤ ح٨٨٧، ٣/ ١١٧٥ ح٣٠٣٩)، ومسلم (٢/ ٥٨٧ ح٨٥٠)، والشافعي في مسنده (ص:٦٢).

(٢) انظر: المغرب (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: روح).

قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ هذا أمر إباحة. وقد تقدمت نظائره.

قال ابن عباس: إن شئتَ فاخْرُج، وإن شئتَ فَصَلِّ إلى العصر، وإن شئت فاقعد[(١)].

﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي: اطلبوا الرزق بأنواع التجارة.

وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، وقال: اللهم! أجبتُ دعوتك، وصليتُ فريضتك، وانتشرتُ كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين[(٢)].

وقيل: "ابتغوا من فضل الله" من عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله. ويروى هذا المعنى عن النبي ﷺ[(٣)].

وقال الحسن وسعيد بن جبير في قوله: ﴿وابتغوا من فضل الله﴾: اطلبوا العلم[(٤)].

وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ السبب في

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٦). وذكره الماوردي (٦/ ١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠٣) من حديث أنس.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦٨).

نزولها: [ما][(١)] أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا خالد بن عبد الله، أخبرنا حصين، عن سالم [بن][(٢)] أبي الجعد، [وعن][(٣)] أبي سفيان[(٤)]، عن جابر بن عبد الله قال: «أقبلتْ عيرٌ يومَ الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناسَ إلا اثني عشر رجلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾»[(٥)]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وفي رواية: «أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً، فجاءت عير من الشام، فخرج الناس إليها، فلم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر»[(٦)].

وفي رواية: «إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم»[(٧)].

قال الحسن وأبو مالك: أصاب أهلَ المدينة جوعٌ وغلا السعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة من الشام، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع، خشوا أن يُسبقوا إليه، فلم يبق من القوم مع النبي ﷺ إلا رهط، منهم أبو بكر

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من البخاري و ب.

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من البخاري، و ب.

(٤) هو طلحة بن نافع الواسطي، أبو سفيان الإسكاف، نزل مكة، صدوق (تهذيب الكمال ١٣/ ٤٣٨-٤٤٠، والتقريب ص:٢٨٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٩ ح٤٦١٦)، ومسلم (٢/ ٥٩٠ ح٨٦٣).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٠ ح٨٦٣).

(٧) أخرجه مسلم، الموضع السابق.

وعمر، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لَسَالَ بكم الوادي ناراً»[١].

وقال قتادة ومقاتل[٢]: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات لعير تقدم من الشام، وكان ذلك يوافق يوم الجمعة.

والمراد باللهو: الطَّبْل، وذلك أن العير كانت إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطَّبْل والتصفيق.

وقال مقاتل[٣]: كان دحية بن خليفة إذا قدم من الشام يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو بُرٍّ أو غيره، فينزل عند أحجار الزيت -وهو مكان في سوق المدينة-، ثم يُضرب الطَّبْل ليُؤْذِنَ الناسَ بقدومه.

والضمير في "إليها" راجع إلى التجارة؛ لأنها أهمّ. هذا قول الفراء[٤] والمبرد.

وقيل: التقدير: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، وكذلك قراءة من قرأ: "انفضوا إليه" على ضمير المذكّر[٥].

وهي قراءة ابن مسعود، وهذا اختيار الزجاج[٦].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٦-١٦٧) وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٦١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٦١).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٥٧).

(٥) وهي قراءة ابن مسعود وابن أبي عبلة، كما في زاد المسير (٨/ ٢٧٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٧٢).

وقد قُرئ: "انفضوا إليهما"(١).

﴿وتركوك قائماً﴾ يعني: على المنبر.

وقال الواحدي(٢): أجمعوا على أن هذا القيام كان في الخطبة.

وسُئل ابن مسعود: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال: أما تقرأ: ﴿وتركوك قائماً﴾(٣).

﴿قل ما عند الله﴾ من ثواب الصلاة والثبات مع نبيه ﷺ ﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ فإنه ينعم بالنوال قبل السؤال، ويرزق على كل [حال](٤).

قال الزجاج(٥): أي: ليس يفوتهم من أرزاقهم لتخلّفهم عن النظر إلى الميرة شيء، ولا بتركهم البيع في وقت الصلاة. والله تعالى أعلم.

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود وابن أبي عبلة، كما في زاد المسير (٨/ ٢٧٠).

(٢) الوسيط (٤/ ٣٠١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٣٥٢ ح١١٠٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٦ ح١٠٠٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن ماجة والطبَراني وابن مردويه.

(٤) زيادة من ب.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٧٣).

سورة المنافقون(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي كالجمعة إحدى عشرة آية(2)، مدنية بإجماعهم.

وكان السبب في نزولها: ما صَحَّت به الأخبار، ونقله أئمة الحديث؛ كالبخاري ومسلم وغيرهما، وأنا أجمع متفرّق ما نقلوه على وجه الاختصار بسياقةٍ محصلةٍ للمقصود، فأقول:

اعلم أن عبدَ الله بن أبيّ خرج مع النبي ﷺ في جماعة من المنافقين في غزوة المُرَيْسِيع -وهو ماء لبني المصطلق- طلباً للغنيمة لا رغبةً في الجهاد؛ لأنه كان سفراً قريباً، فلما قضى رسولُ الله ﷺ غزوته أقبل رجل من جهينة يقال له: سنان، وهو حليف لعبد الله بن أبيّ، ورجل من غفار يقال له: جَهْجَاه بن سعيد، وهو أَجِيرٌ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فَلَطَم الجهني فأدْمَاه، فنادى الجهني: يا للأنصار، فأقبلوا، ونادى الغفاري: يا للمهاجرين، فأقبلوا، وأصلح الأمرَ قومٌ من المهاجرين، فبلغ الخبرَ عبدُ الله بن أبيّ، فقال لجماعة عنده من المنافقين: والله ما مَثَلُكُم ومثلُ هؤلاء إلا كما قال القائل: سَمِّن كلبك يأكلك، ولكن هذا فعلُكم بأنفسكم، آويتموهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم

---

(1) في ب: المنافقين.

(2) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٧).

أموالكم، فقَوُوا وضَعُفْتُم، وايم الله! لو أمسكتُم أيديكم لتفرّقتْ عن هذا جموعُه، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلامٌ لا يُؤْبَهُ له، فقال لعبد الله: أنت والله الذليل القليل البغيض في قومك، ومحمدٌ ﷺ في عز من الرحمن، ومودة من المسلمين، فقال عبدالله: اسكت، إنما كنت ألعب، فأقبل زيد بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله، فقال: إذاً تُرْعَدُ له أُنُفٌ كثيرة. قال: فإن كرهتَ أن يقتله رجل من المهاجرين، فمرْ سعد بن عبادة أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله، فقال: إذاً يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيّ فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام، فقال: والذي أنزل عليك ما قلتُ شيئاً من هذا، وإن زيداً لكذاب، فقال من حضر: يا رسول الله! لا [يُصَدَّقُ][(١)] عليه غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعذره رسول الله ﷺ، فَفَشَتِ الملامة في الأنصار لزيد بن أرقم، وكذّبوه، فقال له عمّه: ما أردّتَ إلا أن يكذّبك رسول الله ﷺ والناس ومَقَتُوك، فاستحيا زيد، ووقع عليه من الهمّ ما [لم][(٢)] يقع على أحد، وجعل لا يسير قريباً من النبي ﷺ حياء منه، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من خبر أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله! بلغني أنك تريد قتل أبي لما بلغك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْني به أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمتِ الخزرجُ ما كان بها رجلٌ أبرَّ [بوالديه][(٣)] مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا

---

(١) في الأصل: تصدق. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: بولديه. والتصويب من ب.

تدعنّي نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال النبي ﷺ: بل نرفُقُ به، ونُحسن صحبته ما بقي معنا، فلما قاربوا المدينة وقف له ابنه على فوهة الطريق وقال: وراءك؟ فقال له أبوه: ما لك ويلك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، لتعلم اليوم من الأعز ومن الأذلّ، فشكاه إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: خلّ عنه. قال زيد بن أرقم: فلما وافى رسولُ الله ﷺ المدينةَ جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء، وأنزل الله سورة المنافقين، فأرسل رسول الله ﷺ إلى زيد [فقال][1]: إن الله قد صدَّقك، وكذَّبَ عبدَ الله بن أبيّ، فقرأ عليه سورة المنافقين[2].

وفي رواية الترمذي: «وكان ذلك في غزوة تبوك»[3].

قرأتُ على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي، أخبرتكم شهدة بنت أحمد فأقرّ به قالت: أخبرنا محمد بن عبدالسلام الأنصاري، أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: سمعت عبدالله بن إبراهيم الجرجاني يقول: أخبرني محمد بن سعيد بن هلال الرسعني، حدثنا المعافى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ أصاب الناس فيه شدّة، فقال عبدالله بن أبيّ لأصحابه: لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبدالله، فاجتهد يمينه ما

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥١-٤٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٧ ح ٣٣١٤).

فعل، فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رسول الله، قال: فوقع في نفسي مما قالوا شدة، حتى أنزل الله تصديقي: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾، قال: ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلوَّوا رؤوسهم»[1]. أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن حسن بن موسى، عن زهير، فكأنني سمعته من طريقه من الفراوي.

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد﴾ أي: نشهد شهادة تتواطأ عليها قلوبنا وألسنتنا ﴿إنك لرسول الله﴾ وهاهنا تم الكلام.

ثم استأنف الله تعالى جملة أخرى وهي قوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾، وكأنّ الفائدةَ فيها: دفعُ ما عساه أن يتوهمه بعضهم عند مرادفة قوله: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ لقوله: ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ من أنه تكذيب لهم في شهادتهم أنه رسول الله.

فلما فَصَلَ بين الجملتين بقوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ زاحت علل

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٠ ح٤٦٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٤٠ ح٢٧٧٢).

المبطلين، وطاحت [شُبَه][١] المكذبين.

والمعنى: والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم: "نشهد".

والآية التي بعدها مفسرة في المجادلة[٢].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾، أي: ذلك القول الشاهد عليهم ﴿بأنهم﴾ أسوأ الناس أعمالاً، بسبب أنهم ﴿آمنوا ثم كفروا﴾ وذلك الكذب بأنهم آمنوا بألسنتهم، ثم كفروا بقلوبهم، [أو بها][٣] ظهر من كفرهم.

﴿فطُبع على قلوبهم﴾ خُتم عليها بالكفر، ﴿فهم لا يفقهون﴾ الحق من الباطل.

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم﴾ خطابٌ للنبي ﷺ أو لكل سامع ﴿تعجبك أجسامهم﴾ قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبيّ جسيماً فصيحاً، ذَلِقَ اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله[٤].

وقال زيد بن أرقم: كانوا رجالاً أجمل شيء[٥].

وقال غيره[٦]: وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، ولهم جهارة المنظر، وفصاحة الألسن، فكان النبي ﷺ والمؤمنون يَعجبون منهم ويسمعون كلامهم.

﴿كأنهم خُشُبٌ مسنَّدة﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي وقنبل: "خُشْب" بسكون

---

(١) في الأصل: بشبه. والتصويب من ب.

(٢) عند الآية رقم: ١٦.

(٣) في الأصل: أبها. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٠ ح٤٦٢٠) ضمن حديث زيد بن أرقم السابق ذكره.

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٢).

الشين، وقرأ الباقون بضمّها[١]، وهو جمع خَشَبَة؛ كبَدَنة وبُدُن، وثَمَرة وثُمُر.

والمعنى: كأنهم في عِظَم أجسامهم، وخِفَّةِ أحلامهم، وعدم انتفاعهم والنفع بهم؛ خُشُب.

وفي قوله: ﴿مُسنَّدة﴾ تحقيق لمعنى عدم النفع بهم؛ لأن الخُشُب لا ينتفع به ما دام متروكاً [مسنّداً][٢].

وقيل: شبّههم [بالخُشُب][٣] المسنّدة؛ لأنها لا تُثمر ولا تَنمي.

وقيل: شبّههم بالخُشُب النخرة؛ لسوء مَخْبَرِهم.

وجوّز بعضهم أن يراد: الأوثان المنحوتة من الخشب المسنّدة إلى الحيطان، فهي جميلة في المنظر، خالية عن المخبر.

وقال اليزيدي: الخُشُب: جمع خَشْبَاء، وهي الخَشَبَة التي دَعَرَ جوفها، أي: فَسَد، شُبِّهُوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم[٤].

﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي: يحسبون لما عندهم من الرُّعب كل صيحة عليهم. [وثاني][٥] مفعولي "يحسبون" محذوف، تقديره: يحسبون كل صيحة واقعة[٦] عليهم.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٩)، والكشف (٢/ ٣٢٢)، والنشر (٢/ ٢١٦-٢١٧)، والإتحاف (ص:١٤٢، ٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٦).

(٢) في الأصل: مستنداً. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: باخشب. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الكشاف (٤/ ٥٤٢).

(٥) في الأصل: ويأتي. والتصويب من ب.

(٦) قوله: "واقعة" سقط من ب. وانظر: الدر المصون (٦/ ٣٢١).

وقد سَرَقَ الأخطل النصراني هذا المعنى، وأنَّى له ذلك لولا الكتاب العزيز فقال:

ما زلتَ تحسِبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ   خَيْلاً تكُرُّ عليهمُ ورجالا[1]

قال المفسرون: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أُتُوا، وإن نادى مُنادٍ في العسكر أو انفلتت دابة، أو نُشدت ضالة، ظنوا أنهم يرادون؛ لما في قلوبهم من الخوف، وكانوا كالمتوقعين أمراً من عند الله، يَستأصل به شأفتهم على لسان رسوله ﷺ وبأيدي المؤمنين.

﴿هم العدو﴾ أي: هم الكاملون في العداوة؛ لكفرهم ونفاقهم وما جَثَم على صدورهم من الغل والحسد للنبي ﷺ والمؤمنين، [ولن][2] تجد أجلب للعداوة من هذه الأسباب، لا سيما وقد حُرِبُوا وسُلبوا وبُدِّلُوا من بعد عِزِّهم ذُلاًّ، ومن بعد أمنهم خوفاً.

وإلى هذا المعنى نظر سديف في قوله:

لا يغُرَّنْكَ ما تَرى من رجالٍ   إنّ تحتَ الضُّلُوع [دَاءً][3] دَوِيّا
فَضَعِ السيفَ وارفَعِ السَّوْطَ حتى   لا تَرى فوقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيّا[4]

---

(١) البيت لجرير ضمن قصيدة طويلة له، انظر: شرح ديوان جرير (ص:٣٣٩).

(٢) في الأصل: ولم. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) البيتان لسُديف، وهما في: الأغاني (٤/ ٣٤٣) وفيه: "جرِّد السيف وارفع العفو" بدل: "فضع السيف وارفع السوط"، والكامل في التاريخ (٥/ ٢٦، ٧٧)، والبدء والتاريخ (٦/ ٩٠)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٣١).

وباقي الآية مفسر في براءة[(١)].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ أخرجا في الصحيحين: «أن زيد بن أرقم قال: ثم دعاهم رسولُ الله ﷺ ليستغفر لهم، قال: فلوَّوا رؤوسهم»[(٢)].

قال المفسرون: لما نزلت في ابن أبيّ هذه السورة وبَانَ كذبُه، قال له عبادة بن الصامت وغيرُه من أهله: يا أبا الحباب! قد نزلتْ فيك آيات شِدَاد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فلوى رأسه[(٣)].

---

(١) عند الآية رقم: ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٠ ح٤٦٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٤٠ ح٢٧٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٧٥) من حديث بشير بن مسلم.

قرأ نافع: "لَـوَوْا" بـالتخفيف، وشـدَّدَه البـاقون[(١)]. والمعنـى واحـد، إلا أن التشديد للتكثير.

قال مقاتل[(٢)]: عطفوا رؤوسهم رغبةً عن الاستغفار.

وقال الفراء[(٣)]: حرّكوها استهزاء بالنبي ﷺ وبدعائه.

ويروى أنه قال لهم: أمرتموني أن أؤمـن فآمنـت، وأمرتمـوني أن أزكـي مـالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد[(٤)]!. ولم يلبث بعدها إلا أياماً قلائـل حتـى اشتكى ومات.

ثم أخبر أن الاستغفار لا ينفعهم فقال: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ وقرئ شاذاً: "استغفرْتَ" على حذف حرف الاستفهام؛ لدلالة "أم" المعادلة عليه[(٥)].

وقرأتُ لأبي جعفر: "آستغفرت" بالمد عـلى الإشـباع لهمـزة الاسـتفهام[(٦)]؛ إظهاراً لها وبياناً.

والآية التي بعدها قول ابن أبيّ المنافق؛ على ما ذكرناه في سياقة قصته.

ومعنى: "يَنْفَضُّوا": يتفرَّقُوا[(٧)].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٣)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٧٠٩-٧١٠)، والكـشف (٢/ ٣٢٢)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٦٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٧٥) من حديث بشير بن مسلم.

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٥٤٥)، والدر المصون (٦/ ٣٢١).

(٦) انظر: النشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٦-٤١٧).

(٧) في ب: تنفضوا، تتفرقوا.

[وقرئ][(١)] شاذاً: "[يُنْفِضُوا][(٢)]"، من [أَنْفَضَ][(٣)] القَوْم؛ إذا فَنِيَتْ أزوادهم[(٤)].

وفي قوله: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ إشعارٌ بأنه هو الذي بيده أرزاق العباد، فهو الذي رَزَقَ النبي ﷺ وأصحابه لا أهل المدينة.

قال المفسرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات[(٥)].

﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك.

والآية التي بعدها قول المنافق، وقد ذكرناه في قصته.

وفي قراءة الحسن البصري وابن أبي عبلة: "لَنُخْرِجَنَّ" ونصب "الأعزَّ" و"الأذلَّ"[(٦)].

قال الزمخشري[(٧)]: معناه: خروج الأذل، أو إخراج الأذل، أو مثل الأذل.

ويحتمل عندي: أن يكون مرادُ المنافق -قاتله الله- على هذه القراءة: إجراءَ الصفتين على النبي ﷺ، على معنى: لنخرجن الأعز على أصحابه، الأذل عندنا، فسلب الله عن المنافق ما انتحله لنفسه المهِينَة من العِزَّة فقال: ﴿ولله العزة﴾ الغلبة والقوة، ﴿ولرسوله وللمؤمنين﴾.

---

(١) في الأصل: قرئ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل و ب: تنفضوا. والتصويب من : الكشاف (٤/ ٥٤٥)، والدر المصون (٦/ ٣٢٢).

(٣) في الأصل: انتفض. والتصويب من ب.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نفض).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٦).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٧).

(٧) الكشاف (٤/ ٥٤٥).

ومن استقرأ ذلك عَرَفَ صحته عياناً، فإنك ترى الواحد من المحقِّين في الدِّين المخلصين فيه، تخضع له أعناق الجبابرة والفراعنة، وتخشع لهيبته ذووا الأنَفَة والحميّة، ما ذاك إلا لما ألْبَسَهُ الله من عِزِّ سلطانه، وكَسَاهُ من هيبته.

قال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يزعمون أن فيك [تيهاً](١)؟ قال: ليس بتيهٍ، ولكنه عزّة، وتلا هذه الآية(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم﴾ أي: لا يشغلكم طلبُ استثمار الأموال، والقيام على الأولاد ﴿عن ذكر الله﴾ قال ابن عباس: طاعته في الجهاد(٣).

وقال عطاء: الصلاةُ المكتوبة(٤).

وقيل: جميع الفرائض.

---

(١) في الأصل: نهياً. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٤٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٠) وعزاه لابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ في تجارتهم، لما فاتهم من ثواب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ قال ابن عباس: يريد: زكاة الأموال[١].

وقال الضحاك: يريد: الحقوق الواجبة في المال[٢].

وقيل: صدقة التطوع[٣]. فيكون الأمر للندب.

قال الضحاك: لا ينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤد زكاة المال إلا سأل الرجعة، وتلا هذه الآية[٤].

﴿لولا أخرتني إلى أجل﴾ أي: هَلاَّ أخرتَ موتي إلى أجل ﴿قريب﴾ زمان قليل، ﴿فأصَّدَقَ وأكون﴾ قرأ أبو عمرو: "وأكونَ" بالواو والنصب، عطفاً على لفظ "فأصَّدَّقَ"؛ لأنه منصوب بإضمار "أنْ"، على جواب التمني.

وقرأ الباقون: "وأكُنْ" بغير واو مع الجزم[٥]، عطفاً على موضع "فأصَّدَّقَ"؛ لأن موضعه قبل دخول الفاء: الجزم.

وقرأ عبيد بن عمير: "وأكُونُ" بالرفع[٦]، [على معنى][٧]: وأنا أكون.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٧).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٧).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٨).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٠)، والكشف (٢/ ٣٢٢)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٧)، والسبعة (ص:٦٣٧).

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٣٢٤).

(٧) زيادة من ب.

قرأ أبو بكر عن عاصم: "يعملون"، خاتمتها بالياء على المغايبة، حملاً على قوله: ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾.

وقرأ الباقون: بالتاء، على المخاطبة لجميع الخلق[1]. والله تعالى أعلم.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١١)، والكشف (٢/ ٣٢٣)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٧)، والسبعة (ص:٦٣٧).

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني عشرة آية[1].

وهي مدنية، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين[2].

وقال الضحاك: مكية[3]. ومثله عطاء بن يسار، واستثنى منها ثلاث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ واللتان بعدها[4].

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٢٧٩)، والدر المنثور (٨/ ١٨١).

(٣) انظر: الماوردي (٦/ ٢٠)، وزاد المسير (٨/ ٢٧٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٨١) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير.

رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يُعيدهم يوم القيامة كما خلقهم(١).

قال الزجاج(٢): جاء في التفسير: أن يحيى بن زكريا خُلق في بطن أمه مؤمناً، وخُلق فرعونُ في بطن أمه كافراً.

قلتُ: وعلى هذا جاءت الأحاديث الصحيحة، وليس هذا موضع استقصائها:

منها: «السعيدُ من سعد في بطن أمه، والشقيُّ من شقي في بطن أمه»(٣).

ومنها: «ثم يبعث الله إليه المَلَكُ فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»(٤).

ومنها: «الغلام الذي قتله الخضر»(٥).

وقيل: تمّ الكلام عند قوله: ﴿خلقكم﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿فمنكم كافر ومنكم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٧ ح٢٦٣١) من حديث ابن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٤ ح٣٠٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ ح٢٦٤٣).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٠ ح٢٦٦١).

مؤمن﴾ قال ابن عباس في رواية أبي الجوزاء: فمنكم كافر يؤمن، ومنكم مؤمن يكفر(١).

[وقال](٢) الزجاج(٣): أحسن ما قيل فيه: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بأن الله خلقه، وهو مذهب أهل الدهر والطبائع، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه.

وما بعده ظاهر أو مُفسَّر إلى قوله مخاطباً لأهل مكة: ﴿ألم يأتكم﴾ والمراد: تهديدهم. ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ وهو العذاب في الدنيا ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى الوبال الذي ذاقوه في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿بأنه﴾ أي: بأن الشأن والحديث.

وقولهم: ﴿أبشر يهدوننا﴾ [إنكار](٤) أن يكون الرسول [بشراً](٥)، كما أخبر الله عن كفار قريش وغيرهم من كفار الأمم الماضية.

والبَشر: اسم جنس، معناه الجمع. ﴿واستغنى الله﴾ عن إيمانهم.

وقد ذكرنا فيما مضى أن "زَعَم" كناية عن الكذب.

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٠).

(٢) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٧٩).

(٤) في الأصل: إن كان. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: بشر. والتصويب من ب.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم﴾ منصوب بقوله: ﴿ثم لتنبؤن﴾.

وقيل: بـ"خبير"؛ لتضمنه معنى الوعيد، أو بإضمار: اذكر(١).

والتَّغَابُن: تفاعلٌ من الغَبْن، وهو فوْتُ الحظ والمراد.

وأسباب الغبن في ذلك اليوم كثيرة: منها ما روي عن ابن عباس وغيره، [وهو حديث](٢) مرفوع إلى النبي ﷺ: «أنه ليس من كافر إلا وله منزلٌ وأهل في الجنة لو أسلم، فَيَرِثُ المؤمن ذلك منه بعد أن يُوقَف عليه ويقال له: هذا لك لو كنت أحسنت، فيُغبنُ حينئذ غبناً شديداً»(٣).

وقال مجاهد: هو غبنُ أهلُ الجنة أهلَ النار(٤).

قوله تعالى: ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ قرأ نافع وابن عامر: "نكفر" و"ندخله" بالنون فيهما. وقرأهما الباقون: بالياء(٥). ووجههما ظاهر.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٣)، والدر المصون (٦/ ٣٢٦).

(٢) في الأصل: وحديث. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٢).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٦٧٩)، والطبري (٢٨/ ١٢٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٩١ ح٣٥٢٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١١)، والكشف (١/ ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:١٨٧، ٤١٧)، والسبعة (ص:٦٣٨).

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَهْدِ قلبه﴾ قال ابن عباس: يَعْلَمُ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه(١).

وقال ابن السائب: إذا ابتُلي صبر، وإذا أُنعم عليه شَكَر، وإذا ظُلم غَفَر(٢).

وقال أبو ظبيان(٣): كنا نَعْرض المصاحف عند علقمة(٤)، فَمَرَّ بهذه الآية: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ فسألناه فقال: هو الرجل تُصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم(٥).

وفي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعاصم الجحدري: "يَهْدَ" بفتح الياء

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٣).

(٣) حصين بن جندب بن الحارث بن وحشي بن مالك الجنبي، أبو ظبيان الكوفي، ثقة، مات سنة تسعين (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢٧، والتقريب ص:١٦٩).

(٤) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل، ويقال: بن كهيل بن بكر بن عوف، ويقال: بن المنتشر بن النخع، أبو شبيل النخعي الكوفي، ولد في حياة الرسول ﷺ، وكان ثقة من أهل الخير، مات سنة إحدى وستين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٤-٢٤٥، والتقريب ص:٣٩٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٣)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٦٦ ح٦٩٢٥)، وفي الشعب (٧/ ١٩٦ ح٩٩٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٣-١٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن علقمة.

والدال، "قَلْبُه" بالرفع[١].

قال الزجاج[٢]: هو من هَدَأَ يَهْدَأُ، إذا سَكَن.

فالمعنى: إذا استسلم لأمر الله سكن قلبه.

وفي قراءة عثمان بن عفان رضي الله عنه والضحاك وطلحة بن مصرف: "نَهْدِ" بالنون وكسر الدال[٣].

وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن: "يُهْدَ" بياء مضمومة [وفتح][٤] الدال، "قَلْبُه" بالرفع[٥].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٨١).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٣٢٦).

(٤) في الأصل: فتح. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٣٢٦).

قوله تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة، أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة، فلم يدعهم أزواجهم وأولادهم[١].

والمعنى: إن بعض أزواجكم عدواً لكم في دينكم، حيث راموا منعكم من الهجرة إلى نبيكم، فاحذروهم.

قال المفسرون: فلما هاجروا ورأوا أنهم قد سُبِقُوا سَبْقاً بعيداً، وفَاتَهُم ما أدركه المهاجرون قبلهم من العلم والحكمة، همّوا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم الذين منعوهم من الهجرة، فأنزل الله: ﴿وإن تعفوا... الآية﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي: بلاءٌ ومحنةٌ وشُغْلٌ عن الآخرة؛ لأنهم يورّطون في المهالك، ويُوقعون في العظائم، ويَحملون على تناول الحرام.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إنكم لتُجَبِّنُون وتُبَخِّلُون، وإنكم لمن ريحان الله»[٣].

أخبرنا الشيخ أبو نجيح فضل الله بن أبي رشيد الأصبهاني إجازة قال: أخبرنا الحافظ أبو [القاسم][٤] إسماعيل بن محمد، إملاءً من لفظه سنة

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٩ ح٣٣٧١)، والطبري (٢٨/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٢ ح٣٨١٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٥ ح١١٧٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٤) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٢) انظر: تخريج الأثر السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٩ ح٢٧٣٥٥).

(٤) في الأصل: إسحاق. وهو وهم. والتصويب من ب.

[اثنتين][1] وثلاثين وخمسمائة، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي السمسار، أخبرنا أبو إسحاق بن خورشيد قُولَه قال: حدثنا المحاملي، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا علي بن الحسن[2]، أخبرنا الحسين بن واقد[3]، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: «أن النبي ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين وهما يعثران على قميصيهما، فنزل النبي ﷺ حتى حملهما ثم قال: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾»[4].

وفي رواية أخرى: «نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[5].

وفي قوله تعالى: ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ ترغيبٌ للمؤمنين في ثواب الله، وحضٌّ لهم على إيثاره على الأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ذكرنا أنها نسخت قوله: ﴿فاتقوا الله حق تقاته﴾ في آل عمران[6]، وحققنا القول على ذلك في موضعه.

---

(١) في الأصل: اثنين. والتصويب من ب.

(٢) علي بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مشعب العبدي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، ثقة حافظ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣، والتقريب ص:٣٩٩).

(٣) الحسين بن واقد المروزي، أبو عبد الله، قاضي مرو، مولى عبد الله بن عامر بن كريز، ثقة له أوهام، مات سنة تسع وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢١، والتقريب ص:١٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٥٨ ح٣٧٧٤)، والنسائي (١/ ٥٣٥ ح١٧٣١)، وأحمد (٥/ ٣٥٤ ح٢٣٠٤٥).

(٥) انظر: تخريج الحديث السابق عند الترمذي وأحمد.

(٦) عند الآية رقم: ١٠٢.

قال ابن عباس: "[وأنفقوا]"[١]: تصدقوا[٢].

وقال الضحاك: أنفقوا في الجهاد[٣].

وقال غيره: في وجوه الطاعات.

﴿خيراً لأنفسكم﴾ منصوب بمحذوف، تقديره: ايتوا خيراً لأنفسكم من الأموال والأولاد[٤].

وتمام الآية مُفسّر في [الحشر[٥]، وباقي السورة مُفسّر في][٦] البقرة[٧] وغيرها[٨]. والله أعلم.

---

(١) في الأصل: واتقوا. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٦) ولفظهما: الصدقة.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٢٧).

(٥) عند الآية رقم: ٢٣ و ٢٤.

(٦) زيادة من ب.

(٧) عند الآية رقم: ٢٥٤.

(٨) في سورة الحديد، عند الآية رقم: ١١ و ١٨.

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى النساء القصرى.

وهي اثنتا عشرة آية(١). وهي مدنية بإجماعهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ قال المفسرون: نادى النبي ﷺ، ثم خاطب أمته؛ لأنه السيد المقدّم، وإمام الأمة، كما يقول السلطان لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت؛ إظهاراً لتقدمه، وتنويهاً بشرف منزلته، وإشعاراً لهم بأن الأمور المنوطة بهم مفوضة إليه.

والمعنى: إذا أردتم طلاق النساء.

﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أي: لاستقبال عدتهن.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٩).

قال ابن عباس: فطلقوهن قبل عِدَّتهن[(١)].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: مُرْهُ فليراجعها ثم ليتركها حتى تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طَلَقَّ قبل أن يمسّ، فتلك العدَّة التي أمر الله أن تُطلَّق لها النساء»[(٢)].

فحصل من الآية والحديث: أن الطلاق على ضربين: طلاق السنة، وطلاق البدعة.

فأما طلاق السنة: فهو أن يطلقها في طُهْر لم يجامعها فيه.

وأما طلاق البدعة: فهو أن يطلقها في زمن الحيض، أو في طُهْر جامعها فيه، ويقع الطلاق؛ لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بمراجعة زوجته، ويأثم لارتكابه ما نهي عنه.

فصل

والأولى أن يطلقها واحدة ثم يدعها حتى تنقضي عدّتها[(٣)]، فإن أرسل عليها ثلاث طلقات أثم. وهو قول أبي حنيفة ومالك[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٩)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٣٤١ح٥٥٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٣١ح١٤٧٢١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٠-١٩١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد والطبراني وابن مردويه.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠١١ح٤٩٥٣)، ومسلم (٢/ ١٠٩٣ح١٤٧١).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٢٧٨-٢٧٩)

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (٦/ ٣)، وبدائع الصنائع (٣/ ٨٩)، والمغني (٧/ ٢٨١).

وعن الإمام أحمد رواية أخرى: أنه لا يأثم، وهو قول الشافعي، ويقع الطلاق من غير خلاف بينهم[١].

وفي هذه الآية مستدل لمن يقول: الأقراء: هي الأطهار.

وفيه عن الإمام أحمد روايتان، أصحهما: أنها الحيض، وهي قول أبي حنيفة.

والثانية: أنها الأطهار، وهو قول الشافعي[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾، وإنما تطلق في الطّهر.

وطريق الانفصال من ذلك على الرواية الصحيحة: أن المرأة إذا طلقت في الطهر المتقدم للقرء[٣] الأول من أقرائها، فقد طلقت لاستقبال عدتها.

قوله تعالى: ﴿وأحصوا العدة﴾ أي: احفظوها واضبطوها، لتعلموا ما يترتب عليها من أحكام النفقة والرجعة والسكنى، وتوزيع الطلاق على الأقراء لمن أراد أن يطلق ثلاثاً إلى غير ذلك.

﴿واتقوا الله ربكم﴾ خافوه واحذروا مخالفة ما شرع لكم من الدين.

﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ التي كنّ يسكُنّها، وهنّ في نكاحكم أيها الأزواج، وأُضيفت إليهنّ؛ لمكان اختصاصهنّ بهنّ.

﴿ولا يخرجن﴾ هُنَّ بأنفسهن ﴿إلا﴾ لضرورة؛ لأنهن محبوساتٍ لحقِّ الأزواج، ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد: هي

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٢٨٠-٢٨١).

(٢) انظر: المغني (٧/ ٤٠٥-٤٠٦)، والإنصاف (٩/ ٢٧٩)، والأم (٥/ ٢٠٩).

(٣) في ب: للقروء.

الزنا[1]. فيكون المعنى: لا تخرجوهن إلا أن يزنين، فأخرجوهن لإقامة الحد عليهنّ.

وقيل: الفاحشة: البَذاء على المطلّق وأهله[2]، فيحل لهم إخراجها حينئذ. وهذا مروي عن ابن عباس[3].

وقال السدي: المعنى: إلا أن يخرجن قبل انقضاء العدة، فخروجهن فاحشة[4].

وفي قوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ تحقيقٌ وتقرير؛ لما سبق من شرعية الطلاق السني وإحصائه. فربما قلب الله قلبه إلى محبتها، أو ندم على مفارقتها فيكون بسبيل من استرجاعها.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٨١)، والطبري (٢٨/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن والشعبي، وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٢) هو أن يطول لسانها على أقارب زوجها.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٤)، والشافعي في مسنده (ص:٢٦٧)، وابن أبي شيبة (٤/ ١٨٩)، وعبد الرزاق (٦/ ٣٢٣ ح١١٠٢٢). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٩٣) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٩).

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: شَارَفْنَ انقضاء عدتهن.

وما لم أُفسِّره في هذه الآية مذكور في البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿وأشهدوا﴾ يعني: على الرجعة ﴿ذوي عدل منكم﴾ وهل الإشهاد عليها واجب أو مستحب؟ فيه عن الإمام أحمد روايتان، وللشافعي قولان[2].

وقال جماعة من المفسرين: أُمروا أن يُشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة.

ثم خاطب الله الشهداء فقال: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي: لوجه الله خالصاً، لا للمشهود له، ولا للمشهود عليه، ولا لغرض فاسد، بل لإقامة الحق، ودفع الظلم.

وما بعده مُفسَّر في البقرة[3] إلى قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ قال أكثر المفسرين: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أَسَرَ العدو ابناً له، فذكر [ذلك][4] للنبي ﷺ وشكا إليه الفاقة، فقال له: اتّق الله واصبر، وأكثرْ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلاً. وقيل: ساق أربعة آلاف شاة، وجاء إلى أبيه، فذلك قوله: ﴿ويرزقه

---

(١) عند الآية رقم: ٢٣١.

(٢) انظر: المغني (٧/ ٤٠٣)، والماوردي (١٠/ ٣١٩).

(٣) آية رقم: ٢٣٢.

(٤) زيادة من ب.

من حيث لا يحتسب﴾»[١].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾، فما زال يقولها ويعيدها»[٢].

وقال ابن عباس: ومن يتق الله يُنجه من كل كربٍ في الدنيا والآخرة[٣].

وقال الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس[٤].

وحدثني جماعة من أشياخي عن الوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة رحمه الله قال: أنشدني المستنجد بالله أمير المؤمنين رحمه الله:

بتَقْوَى الإلهِ نَجَا مَنْ نَجَا وفَازَ وأدْرَكَ ما قَدْ رَجَا

ومَنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ له كما قَالَ من أمره مَخْرَجا

وقال بعض العلماء[٥]: هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة، وطريقه الأحسن، والأبعد من الندم.

ويكون المعنى: ومن يتق الله فيطلّق للسّنّة، ولم يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٤٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٥-١٩٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٣٥ ح٣٥٦٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن بالمنذر.

(٥) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٥٨).

مسكنها، واحتاط [فأشهد][١]، يجعل له مخرجاً من الغموم، والوقوع في المضايق، ويكون بسبيل من الارتجاع.

ويروى أن رجلاً سأل ابن عباس وقد طَلَّقَ أكثر من ثلاث فقال: لَمْ تتق الله فلم يجعل لك مخرجاً، بَانَتْ منك بثلاث، والزيادة إثمٌ في عنقك[٢].

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي: كافيه في كل أمر يحذره، أو كرب يقع فيه.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم: توكّل عليّ أكْفِك، ولا تولّى غيري فأخذلك[٣].

قوله تعالى: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ وقرأ حفص: "بالغُ أمره" على الإضافة.

وقد سبق ذكر نظائره في مواضع آخرها في سورة الصف عند قوله: ﴿والله مُتِمُّ نوره﴾ [الصف:٨].

فإن قيل: ما وجه قراءة من قرأ: "بالغاً" بالنصب؟

قلتُ: نصبه على الحال، وخبر "إنَّ": ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾، ومعناه: تقديراً وتوقيتاً. فكل شيء من الرزق وغيره له قدرٌ وأجلٌ وحَدٌّ ينتهي إليه.

وفي هذا تقرير لمعنى التوكل على الله والتفويض إليه.

وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ

(١) في الأصل: وأشهد. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٥٥٨).

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١١٦).

وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿واللائي يئسن من المحيض﴾ السبب في نزولها: أن أبيّ بن كعب قال: يا رسول الله! إن نساءً من أهل المدينة يقُلْنَ: قد بقي من النساء ما لم يُذكر فيه شيء، قال: وما هو؟ قال: الصِّغَارُ والكبارُ وذواتُ الحمل، فأنزل الله[1] هذه الآية[2].

ومعنى: ﴿إن ارتبتم﴾ أشكل عليكم أمرهنّ، وجهلتم عدتهنّ.

﴿واللائي لم يحضن﴾ يعني: الصغار. وهذا وقف التمام. وفيه إضمار، تقديره: فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر.

ثم استأنف الإخبار عن عدة الحوامل فقال: ﴿وأُولاتُ الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾، مطلقات كُنَّ أو متوفّى عنهنّ[3]. وهذا قول عمر وابنه وابن

---

(١) في ب: فنزلت.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٤١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٥٣٤ ح٣٨٢١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤١٤ ح١٥١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٠١) وعزاه لإسحاق بن راهويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٣) أخرج الطبري (٢٨/ ١٤٣) عن ابن مسعود أنه قال: من شاء لاعنته، ما نزلت ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ إلا بعد آية المتوفي عنها زوجها وإذا وضعت المتوفي عنها فقد حلت. وانظر: الدر المنثور (٨/ ٢٠٣-٢٠٤).

مسعود وعامة الصحابة والتابعين فمن بعدهم، والأئمة الأعلام(١).

ويحكى عن علي وابن عباس: أن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين(٢).

والصحيح: مذهب الجمهور؛ لما أخبرنا به الشيخان الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور [الكرجي](٣)، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله، عن أبيه: «أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال، فمرّ بها أبو السنابل بن بعكك فقال: قد تصنّعت للأزواج، إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: كذب أبو السنابل، [أو ليس](٤)

---

(١) في ب: والأعلام.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٤ ح٤٦٢٦)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٣٨٧ ح٥٧٠٥)، كلاهما عن ابن عباس.

وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٠٣) من طرق عن ابن مسعود أنه بلغه عن علي رضي الله ، وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وذكره السيوطي أيضاً (٨/ ٢٠٤) عن ابن عباس ، وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه.

(٣) في الأصل: الكرخي. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: وليس. والمثبت من ب، ومسند الشافعي (ص:٢٤٤).

كما قال أبو السنابل، قد حللت فتزوجي»[١]. هـذا حـديث متفـق عـلى صـحته، أخرجاه من طرق عن الزهري. وأبو السنابل اسمه: حبة.

قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ أي: يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما شرع من الأحكام ﴿أمر الله أنزله إليكم﴾.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ "مِنْ" الأولى زائدة، أو للتبعيض، [ومُبَعَّضُها][٢] محذوف، تقديره: أسكنوهن مكاناً من حيث سكنتم، أي: بعض مساكنكم.

والثانية عطف بيان لقوله: "من حيث سكنتم"، كأنه قيل: أسـكنوهن مكانـاً من مسكنكم مما تطيقونه.

قرأ يعقوب في رواية روح: "من وِجْدِكُم" بكسر الواو، وضَمَّها الباقون مـن

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦٦ ح٣٧٧٠)، ومسلم (٢/ ١١٢٢ ح١٤٨٤)، والـشافعي في مـسنده (ص:٢٤٤).

(٢) في الأصل: وبعضها. والتصويب من ب.

العشرة[١]، وهي قراءة أبي هريرة وأبي رزين وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة. وفتحها ابن يعمر وابن أبي عبلة وأبو حيوة[٢].

والوُجْد: الوُسع والطاقة.

قال الفراء[٣]: على ما يجد إن [كان][٤] مُوسِعاً وَسَّعَ عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدْر ذلك.

﴿ولا تُضَارُّوهُنَّ لتضيقوا عليهن﴾ يعني: وأنتم تجدون السعة.

قال القاضي أبو يعلى: المراد بها الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق:١]، [وقوله][٥] تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ [الطلاق:٢]، فدلّ ذلك على أنه أراد الرجعية[٦].

فصل

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم أن المطلقة الرجعية تستحق النفقة والسكنى ما دامت في العدة. واختلفوا في المبتوتة، فقالت طائفة: لا نفقة لها ولا سكنى، إلا أن تكون حاملاً. روي ذلك عن ابن عباس، وهو قول الحسن وعطاء والشعبي،

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩٦)، والدر المصون (٦/ ٣٣١).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٦٣).

(٤) زيادة من ب، ومعاني الفراء، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: قوله. والتصويب من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٩٦).

وأصح الروايتين عن الإمام أحمد، أخذاً بحديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها البتة، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة[١].

وقالت طائفة: لها السكنى والنفقة. يروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود. وبه قال النخعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة[٢].

وقالت طائفة: لها السكنى بكل حال، ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً. يحكى ذلك عن ابن المسيب، وبه قال الزهري ومالك والليث بن سعد والأوزاعي والشافعي، والرواية [الثانية][٣] عن أحمد رضي الله عنه[٤]، واعتذروا عن حديث فاطمة بقول سعيد بن المسيب: فَتَنَتْ فاطمةُ الناس، كانت للسانها [ذرابة][٥]، فاستطالت على أحمائها، فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم[٦].

قوله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم﴾ يعني: المطلقات ولداً منهن أو من غيرهن بعد انقطاع عصمة النكاح ﴿فآتوهن أجورهن﴾ يعني: أجرة رضاعهن، ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ أي: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف، ولا يشتطّ أحد على صاحبه، ﴿وإن تعاسرتم﴾ في الأجرة ولم تتّفقوا على شيء ﴿فسترضع له أخرى﴾ خبر في معنى الأمر.

---

(١) انظر: المغني (٨/ ١٨٥)، والإنصاف (٩/ ٣٦٠)، والمبسوط للسرخسي (٥/ ٢٠١).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر: المغني (٨/ ١٨٥).

(٥) في الأصل: ذراية. والمثبت من ب.

ولسان ذَرِبٌ: أي: فيه حِدَّة. وامرأةٌ ذَرِبَة: سليطة اللسان (اللسان، مادة: ذرب).

(٦) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٤٧٤)، والشافعي (ص:٣٠٢).

وقال بعض أهل المعاني(١): فيه طرَف من معاتبة الأم على المعاسرة.

وقوله: "له" أي: للأب، أي: سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه.

﴿لينفق﴾ وفتح القاف: ابن السميفع(٢)، على معنى: شرعنا ذلك لينفق، ﴿ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه﴾ أي: ضيّق. وقد سبقت نظائره.

وقرأ أبيّ بن كعب: "قُدِّر" بالتشديد(٣).

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الفرج بن أبي منصور بقراءتي عليه قال: أخبرنا أبو القاسم ابن بَوْش، حدثنا أبو العز بن كادش، أخبرنا أبو علي الجازري، حدثنا المعافى بن زكريا، حدثنا علي بن محمد بن عبيدالله البزاز، حدثنا جعفر بن محمد البزاز، حدثنا إبراهيم بن بشير أبو إسحاق المكي، حدثنا معاوية بن عبدالكريم الضالّ(٤) -وإنما سمي الضالّ؛ لأنه خرج يريد مكة فضلّ الطريق، لقيناه بمكة في الطواف- قال: سمعت أبا جمرة الضبعي(٥) قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن أخذ عن ربه أدباً حسناً، فإذا وسّع عليه وسّع على نفسه،

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩٧)، والكشاف (٤/ ٥٦٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩٧)، والدر المصون (٦/ ٣٣١).

(٤) معاوية بن عبد الكريم الثقفي مولاهم، أبو عبد الرحمن البصري المعروف بالضالّ، صدوق، مات سنة ثمانين (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٢، والتقريب ص:٥٣٨).

(٥) نصر بن عمران بن عصام، وقيل: بن عاصم بن واسع، أبو جمرة الضبعي البصري، كان ثقة مأموناً، مقيماً بنيسابور، ثم خرج إلى مرو، ثم إلى سرخس فمات بها سنة ثمان وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨٥، والتقريب ص:٥٦١).

وإذا أمسك عليه أمسك»[١].

قال المفسرون: كان الغالب عليهم في ذلك الوقت الفقر، فوعدهم الله أن يفتح عليهم أبواب الرزق، فذلك قوله: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ ففتح الله عليهم البلاد، وأعطاهم جباية الأموال.

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ أي: وكم من قرية ﴿عَتَتْ﴾ [أعرضت][٢] على وجه العتو والعناد ﴿عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديداً﴾ أي: جازيناها في الدنيا بموجب الحساب الشديد.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٥٩ ح٦٥٩١) وقال: هذا حديث منكر، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٥).

(٢) في ب: عصت. والمثبت من ب.

وقال ابن عباس والفراء(١): [فيه](٢) تقديم وتأخير، تقديره: عذبناها عـذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والسيف والبلايا، وحاسبناها حساباً شديداً في الآخرة(٣).

قوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسـولاً﴾ قـال مقاتـل(٤) والـسدي: الرسول: محمد ﷺ(٥). فيكون المعنى: أنزل الله إليكم ذكراً وهو القـرآن، وأرسـل رسولاً.

وقال ابن السائب: الرسول: جبريل عليه السلام(٦).

فعلى هذا: يكون "رسولاً" بدلاً من "ذكراً"(٧)؛ لأن جبريل موصوف بتلاوة آيات الله، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر، فصحّ إبداله منه، أو جعله لكثرة ذكره كأنه ذكر. أو يراد بالذِّكْر: الشَّرف، أو على معنى: ذا ذكر، أي: مَلَكاً ذا ذكر.

وما بعده ظاهر أو مُفسّر إلى قوله: ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٦٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٩٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٢).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٣٦).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٣)، والدر المصون (٦/ ٣٣٢).

قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ جاء في الحديث: أن كَثَافَةَ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وكذلك كَثَافَةَ الأرض والمسافة ما بين كل أرضين(١).

وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في [كل](٢) أرضٍ آدمُ مثل آدمكم، ونوحٌ مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى(٣).

قال أبو سليمان الدمشقي: [سمعنا في معناه: أن(٤) معناه](٥): أن في كل أرض خلقاً من خلق الله، لهم سادة يقوم كبيرهم ومقدّمهم(٦) في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذريته في السنّ والقِدم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم(٧).

قال كعب: في الأرض السابعة إبليس(٨).

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل تحت الأرض خلق؟ قال: نعم. قال: فما الخلق؟ قال: إما ملائكة وإما جِنّ.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١٠ ح٣٤٢٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦١)، والحاكم (٢/ ٥٣٥ ح٣٨٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات وقال: قال البيهقي: إسناده صحيح ولكنه شاذ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعاً.

(٤) في ب زيادة قوله: في.

(٥) في الأصل: معناه في معناه. والمثبت من ب، وزاد المسير (٨/ ٣٠٠).

(٦) في ب، وزاد المسير: ومتقدمهم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٠٠).

(٨) مثل السابق.

قوله تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أي: يتنزل قضاء الله [وحكمه][(١)] في خلقه بينهن.

قال قتادة: في كل سماء أو في كل أرض خلق من خلقه، وأمرٌ من أمره، وقضاء من قضائه[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: يتنزل الوحي بينهن.

﴿لتعلموا﴾ أي: أعلمكم بهذا لتعلموا ﴿أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء﴾ من مخلوقاته مما كان ويكون ﴿علماً﴾. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: وحكمته. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٤).

سورة المتحرم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي [اثنتا][(١)] عشرة آية[(٢)]، وهي مدنية بإجماعهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر مما كان يحتبس، فغِرْتُ، فسألت عن ذلك، قيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةَ[(٣)] عسل، فَسَقَتِ النبي ﷺ منه شربةً، فقلت: أما والله لنحتالنّ له»[(٤)].

---

(١) في الأصل: اثنا. والمثبت من ب.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٥٠).

(٣) العُكَّة: هي وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن أو العسل، وهو بالسمن أخصّ (اللسان، مادة: عكك).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠١٧ ح٤٩٦٧)، ومسلم (٢/ ١١٠١ ح١٤٧٤).

وفي رواية أخرى: قالت: «كان رسول الله ﷺ يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، قالت: فتواصينا أنا وحفصة [أنّ][(١)] أيّتنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير[(٢)]، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً، فنزل: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾»[(٣)].

وهذا هو الأشبه؛ لأن عائشة وحفصة كانتا متظاهرتين.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبي وعامة المفسرين في سبب نزولها: أن حفصة ذهبت إلى أبيها تتحدث عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى مارية فظلّت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة [فوجدتها][(٤)] في بيتها، فغارت غيرةً شديدة، فلما خرجت دخلت حفصة فقالت: قد رأيتُ من كان عندكَ وقد سُؤتني، فقال النبي ﷺ: والله لأرضينّك، وإني مُسِرٌّ إليكِ سِرّاً فاحفظيه، قالت: وما هو؟ قال: إني أُشهدك أن سريتي هذه عليّ حرام رضًى لك.

فانطلقت حفصة إلى عائشة فقالت لها: أبشري، إن النبي ﷺ قد حرّم عليه

---

(١) زيادة من ب.

(٢) المغافير: صمغ شبيه بالناطِف ينضحه العفرط فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيُشرب، واحدها: مِغْفَر (اللسان، مادة: غفر).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٥ ح٤٦٢٨)، ومسلم (٢/ ١١٠٠ ح١٤٧٤).

(٤) في الأصل: وجدتها. والتصويب من ب.

فتاته، فنزلت هذه الآية[١].

وقال الضحاك: قال لحفصة: لا تذكري لعائشة ما رأيت، فذكرته فغضبت عائشة، ولم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية[٢].

قال المفسرون: وآلى رسول الله ﷺ بعد ذلك أن لا يدخل على نسائه شهراً، وطلّق حفصة بنت عمر، فقال عمر: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقكِ رسول الله ﷺ، فنزل جبريل على النبي ﷺ وقال: راجعها، فإنها صوّامة قوّامة، وإنها لمن نسائك في الجنة[٣].

والمعنى: لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين، أو من العسل.

﴿تبتغي﴾ إما تفسير لـ"تُحَرِّم"، أو حال، أو استئناف[٤].

﴿قد فرض الله لكم﴾ أي: شرع لكم ﴿تحلَّة أيمانكم﴾ تحليلها بالكفارة.

قال الحسن وقتادة والشعبي: حلف رسول الله ﷺ يميناً حرّمها بها، فعوتب بالتحريم، وأُمر بكفارة اليمين[٥].

وقال ابن عباس: حرّمها على نفسه بغير يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٧)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٢ ح١٤٨٥٢) كلاهما عن ابن عباس، وابن سعد في طبقاته (٨/ ١٨٧) عن عروة بن الزبير. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٤-٢١٥) وعزاه لابن سعد وابن مردويه عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٢)، والحاكم (٤/ ١٦ ح٦٧٥٣).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٤)، والدر المصون (٦/ ٣٣٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٦ و ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن الشعبي وقتادة.

اليمين[1].

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: في الحرام يُكفِّر، ثم قال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[2] [الأحزاب:٢١].

واختلفوا: هل كفّر يمينه؟

فقال الحسن: لم يكفّر؛ لأنه كان مغفوراً له[3].

وقال المقاتلان[4]: أعتق رقبة.

فصل

إذا قال لزوجته: أنتِ عليَّ حرام؛ ففيه عن الإمام أحمد ثلاث روايات:

إحداهن: أنه ظِهَار، نوى الطلاق أو لم يَنْوِه. ذكره الخرقي، وهو مروي عن عثمان وابن عباس؛ لأنه صريح في تحريمها، فكان كقوله: أنتِ عليّ كظهر أمي.

الثانية: هو كناية ظاهرة في الطلاق، وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن مسعود.

الثالثة: هو يمين، وهو قول أبي بكر الصديق وعمر وعائشة[5].

وقال مسروق: هو لغو[6].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٥ ح٤٦٢٧)، ومسلم (٢/ ١١٠٠ ح١٤٧٣).

(٣) ذكره القرطبي (١٨/ ١٨٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٦).

(٥) انظر: المغني (٧/ ٣١٦، ٣١٧)، والكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ١٧٣).

(٦) انظر: المغني (٧/ ٣١٧).

فصل

فإن قال: أَمَتُه عليه حرام، أو هذا الطعام عليّ حرام: كان يميناً عندنا. وهو قول أبي بكر [وعائشة][١] وابن عباس؛ لهذه الآية[٢].

وقال الشافعي: ليس بيمين[٣].

وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ يعني: حفصة، والذي أسرّه إليها: تحريم مارية[٤]، في قول عطاء والشعبي والضحاك وقتادة.

وقيل: الذي أسرّه إليها: أنه قال لها: أبوك وأبو عائشة واليا الناس من بعدي[٥]. والقولان عن ابن عباس.

---

(١) في الأصل: عائشة. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التحقيق في أحاديث الخلاف (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: منهاج الطالبين (ص:١٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٥) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن الشعبي وقتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢١٩) وعزاه لابن مردويه.

قال ميمون بن مهران: قال لها: أبو بكر خليفةٌ من بعدي[(١)].

قال جماعة من المفسرين: قال لها لما رأى عندها من الغيرة والكراهية: إني مُسِرٌّ إليكِ شيئين: إني قد حرّمت مارية على نفسي، وإن الخلافة من بعدي في أبي بكر وعمر.

﴿فلما نبأت به﴾ أخبرت حفصة عائشة بالحديث، ﴿وأظهره الله عليه﴾ أطلع الله نبيه على قول حفصة لعائشة، ﴿عرف بعضه﴾ أعلم حفصة ببعض ما أفْشَتْ عليه من السِّرّ ﴿وأعرض عن بعض﴾ تكرماً.

قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام[(٢)].

وقرأ الكسائي: "عَرَفَ" بتخفيف الراء[(٣)]، أي: جازى عليه. [تقول][(٤)]: أنا أعرف لأهل الإحسان، وأعرف لأهل الإساءة، أي: لا أقصّر في [مجازاتهم][(٥)]. وعليه حملوا قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة:١٩٧] أي: يجازيكم به الله.

ولا يجوز أن تُحمل هذه القراءة على العلم؛ لأن الله قد أعلمه بالحديث كله، وأحاط النبي ﷺ به علماً.

قال المفسرون: جازاها عليه بطلاقها.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢١٩) وعزاه لابن عساكر.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٩-٥٧٠).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٣)، والكشف (٢/ ٣٢٥)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٩)، والسبعة (ص:٦٤٠).

(٤) في الأصل: بقوله. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: مجازتهم. والمثبت من ب.

فإن قيل: ما معنى مجازاتها على بعض إفشائها السر؟

قلتُ: تخفيف ما جازاها به بالنسبة إلى ما كانت تستحقه في مقابلة إظهار سره، ومخالفة أمره.

فإن قيل: ما البعض الذي عرّفها به، على قراءة الجمهور؟

قلتُ: عرّفها أنها أفشت عليه تحريمه مارية، وتغافل عن الباقي.

وقال ابن عباس بالعكس من ذلك.

فإن قيل: ما الحكمة في الإعراض عن السر الآخر، وهو إمامة الشيخين عليهما السلام؟

قلتُ: لم يكن [مأذوناً][1] له في إشاعته وإذاعته، فأعرض عنه قَطْعاً لِقَالَة الناس، وحسماً لمادّة انتشاره.

فإن قيل: فلم كره ﷺ إظهار حفصة تحريمه مارية؟

قلتُ: إجلالاً لمنصب النبوة عن إظهار ما الأحسن والأجمل كتمانه.

﴿فلما نبأها به﴾ أي: بذلك البعض الذي عرّفها إياه ﴿قالت﴾ مُستفهمة له: ﴿من أنبأك هذا﴾ كأنها خافت أن تكون عائشة أشاعت سرّها إليه ﴿قال نبأني العليم الخبير﴾.

ثم خاطب عائشة وحفصة فقال: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ مَالَتْ عما يجب عليكما من مناصحة رسول الله ﷺ، واتباع مرضاته.

---

(١) في الأصل: مأذون. والتصويب من ب.

وقال ابن عباس: زاغت وأثمت[١].

قال مجاهد: كنا نحسب "صَغَتْ" شيئاً هيناً، حتى وجدنا في قراءة ابن مسعود: "فقد زاغت قلوبكما"[٢].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عَدَلَ عمر وعدلْتُ معه بالإدَاوَة[٣] فتبرّز، ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾؟ فقال عمر: وا عجباً لك يا ابن العباس!!. -قال الزهري: كَرِهَ والله ما سأله عنه ولم يكتمه-. قال: هما عائشة وحفصة، ثم أخذ يسوق الحديث...»[٤]. وفيه طول.

فإن قيل: ما وجه الجمع وهما قلبان؟

قلتُ: لأن الاثنين فما فوقهما جماعة، ولهم ضابط وهو: أن كل ما في الإنسان منه واحد يثنّى على لفظ الجمع؛ لزوال اللبس، [تقول][٥]: ضربت ظهورهما

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٩) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٨٣)، والطبري (٢٨/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) الإداوة: إناء صغير من جلد يُتَّخَذُ للماء كالسطيحة ونحوها (اللسان، مادة: أدا).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٩١ ح٤٨٩٥)، ومسلم (٢/ ١١١١ ح١٤٧٩).

(٥) في الأصل: بقوله: والتصويب من ب.

وقطعت رؤوسهما. ويجوز أن يثنّى على واحد قال:

.... ظَهْرَاهُمَا مِثْلَ ظُهُورِ [التُّرْسَيْنِ][(١)]

فجاء باللغتين.

قوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ أي: تتعاونا عليه بما يسوؤه، من الإفراط في الغيرة، وإفشاء السر، ﴿فإن الله هو مولاه﴾ وليه وناصره، وزيادة "هو" للإيذان بتحقيق مناصرة الله له ومظاهرته، ﴿وجبريل﴾ عطف على "هو مولاه".

[﴿وصالح المؤمنين﴾][(٢)] قال ابن مسعود وعكرمة والضحاك: أبو بكر وعمر[(٣)].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: عمر[(٤)].

وروي عن مجاهد: أنه علي عليه السلام[(٥)].

---

(١) عجز بيت لخطام المجاشعي، وصدره: (ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنِ). وهو في: اللسان (مادة: مرت)، والقرطبي (٥/ ٧٣، ٦/ ١٧٤)، وروح المعاني (١٦/ ٢٨٢).

وما بين المعكوفين في الأصل: الفرسين. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦٣) عن الضحاك، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٥ ح١٠٤٧٧). وذكره الماوردي (٦/ ٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٠). والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٣) وعزاه للطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦ ح٣١٩٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٢) كلاهما عن سعيد بن جبير. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن سعد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن سعيد بن جبير.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٤١).

وقال السدي: أصحاب النبي ﷺ[١].

وقال ابن زيد: الملائكة[٢].

وقال قتادة: الأنبياء عليهم السلام[٣].

وقيل: الخلفاء من الصحابة.

وقيل: هو عام في كل من آمن وعمل صالحاً.

قال صاحب الكشاف[٤]: إن قلت: صالح المؤمنين واحد أو جمع؟

قلتُ: [هو][٥] واحد أريد به الجمع، كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس، يريد: الجنس. ويجوز أن يكون أصله: "صالحوا المؤمنين" بالواو، فكتب بغير واو على اللفظ؛ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه، كما جاءت أشياء في المصحف متبوعٌ فيها حكم اللفظ دون وضع الخط.

قوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ أي: والملائكة على كثرتهم، وامتلاء السموات من جموعهم، بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين.

ويجوز أن يكون "وجبريل": مبتدأ، فيكون "صالح المؤمنين": عطفاً عليه، "والملائكة": عطف أيضاً، و "ظهير": خبر المبتدأ[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٤١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) الكشاف (٤/ ٥٧١).

(٥) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٤-٢٦٥)، والدر المصون (٦/ ٣٣٦).

فإن [قيل][(١)]: المخبَر عنهم جمع، فكيف [جاء][(٢)] الخبر على لفظ الواحد؟

قلتُ: المعنى: والملائكة فوج ظهير، أي: مظاهر، أو كل واحد منهم ظهير.

والجواب المتداول بين أكثر أهل العلم: أن "ظهير" في تأويل ظَهْراء، كقول الشاعر:

.... إنّ العَواذِلَ لَسْنَ لي بأَمِين[(٣)]

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ أخرج البخاري في صحيحه من حديث عمر قال: «اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾، فنزلت هذه الآية»[(٤)].

وهذا تخويفٌ لنساء النبي ﷺ. ولعمري إنهن خيرُ نساء الأمة، لكن لو طلقهن رسول الله ﷺ لعصيانهن، وإيذائهن له، كان غيرهن من المؤمنات السليمات من ذلك لو تزوجهن رسول الله خيراً منهن، فهو على سبيل الفرض والتقدير، لا أن غيرهنّ خيراً منهن.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: جاز. والتصويب من ب.

(٣) عجز بيت، وصدره: (يا عاذلاتي لا تزدن ملامتي). وهو في: اللسان (مادة: ظهر)، والطبري (١٩/ ٥٤)، والقرطبي (١٣/ ٨٣)، والخصائص (٣/ ١٧٤)، ومغني اللبيب (ص:٢٧٩) وفيهم: "بأمير" بدل: "بأمين".

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٩ ح٤٦٣٢).

ثم وصف الأزواج فقال: ﴿مسلمات مؤمنات﴾ أي: مُقرّات مُخلصات ﴿قانتات﴾ أي: طائعات ﴿سائحات﴾ أي: صائمات، وقيل: مهاجرات. وقد ذكرنا ذلك في براءة عند قوله: ﴿التائبون العابدون﴾ [التوبة:١١٢].

قال الزمخشري[(١)]: فإن قلت: لمَ أُخْلِيَتِ الصفاتُ كلُّها عن العاطف، ووسط بين الثيبات والأبكار؟

قلتُ: لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهنّ في سائر الصفات، فلم يكن[(٢)] بُدّ من الواو.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا
مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ
سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ
ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ
رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾

(١) الكشاف (٤/ ٥٧١-٥٧٢).

(٢) في الأصل زيادة قوله: بعد.

قوله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ وقاية الأنفس: أن تعمل بطاعة الله وطاعة رسوله، [ووقاية][(١)] الأهلين: أن تأمرهم بذلك.

قال علي عليه السلام: علِّمُوهم وأدِّبُوهم[(٢)].

ومعنى: "وقودها الناس والحجارة" مذكور في البقرة[(٣)].

﴿عليها ملائكة غِلاظٌ شدادٌ﴾ أي: في أَجْرَامِهم غلظة وشدة، أي: جفاء وقوة.

وقيل: غلاظ القلوب، شداد الأبدان، لم يخلق الله في قلوبهم الرحمة، وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم من خَزَنَةِ النار.

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن داود كان يُعاتَب في كثرة البكاء، [فقال][(٤)]: ذروني أبكي قبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[(٥)].

فصل

ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتدبر ما اشتملت عليه هذه الآية، من الأمر بوقاية النفس والأهل نار جهنم، فيأخذ به ويتدبر ما تضمنته من التهديد،

---

(١) في الأصل: وقاية. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦٥)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٩٧ ح٨٦٤٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٦ ح٣٨٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٥) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل.

(٣) عند الآية رقم: ٢٤.

(٤) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٨٨).

وينظر بنور إيمانه قيام الخَزَنة الغلاظ الشداد على عذاب أهل النار، بأيديهم مقامع الحديد، يمضون فيهم أمر الله جلّ وعز[١].

كان مالك بن دينار يقول: لو وجدتُ أعواناً لفرقتهم في منار الأرض ينادون: أيها الناس النار النار[٢].

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ تلا هذه الآية وعنده بعض أصحابه [وفيهم][٣] شيخ فغُشي عليه، فناداه رسول الله ﷺ [فقال][٤]: قل: لا إله إلا الله، فقالها فبشره بالجنة، فقال أصحابه: أمن بيننا يا رسول الله؟ قال: نعم، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد»[٥].

وقد كنا يوماً نتدارس القرآن في بيت من بيوت الله برأس عين، سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكان عامَ قحط وغلاء وموت ذريع بسبب الجوع، فأتينا على هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وعندنا رجل من ذوي اليسار يستمع القرآن سماع تفكر واعتبار، فصاح صيحة شديدة، وألقى نفسه في وسط الحلقة كهيئة الولهان، ثم تراجعت إليه نفسه، فقال لنا:

---

(١) في ب: عز وجل.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٨٧). وذكره أبو نعيم في: حلية الأولياء (٢/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في: صفة الصفوة (٣/ ٢٨٦).

(٣) في الأصل: فيهم. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من الحاكم (٢/ ٣٨٢).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٢ ح٣٣٣٨)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٦٨ ح٧٣٤).

أشهدكم أن لله في مالي مائة مَكُّوك[١] من الحنطة، وستمائة درهم أُصْلِحُها بها وأطعمها لفقراء المسلمين، أقي بها نفسي وأهلي من نار جهنم، ثم نهض وأمضى ذلك باطلاع منا في أيام، فكان مجموع ما أنفق نحواً من مائتين وخمسين ديناراً تقريباً.

قوله تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ أي: فيما أمرهم.

وقيل: "ما أمرهم" في محل النصب على البدل[٢]، أي: لا يعصون ما أمر الله، أي: أمره، كقوله: ﴿أفعصيت أمري﴾ [طه:٩٣].

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ قال بعضهم: ليست الجملتان في معنى واحد؛ لأن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامر الله ولا يأبونها.

ومعنى الثانية: يؤدون ما أُمروا به، لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه.

قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ قال أبو زيد: توبة صادقة، يقال: نصحته، أي: صَدَقْتُهُ[٣].

وفي الحديث: التوبة النصوح: أن يتوب التائب ثم لا يرجع إلى الذنب[٤].

وقال بعض أهل المعاني[٥]: وُصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي،

---

(١) المَكُّوك: مكيال معروف لأهل العرب، والجمع: مكاكيك، وهو صاع ونصف (اللسان، مادة: مكك).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢١).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧ ح٣٤٥٦٠)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٨٧ ح٧٠٣٥) من حديث ابن مسعود. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٢).

(٥) هذا قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٧٣).

والنصح صفة للتائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: "نُصُوحاً" بضم النون[(١)].

قال الأخفش: لا أعرفه.

وقال غيره: هو فُعول، [مصدر كالذُّهُوب][(٢)] والجُلُوس، أي: توبة ذات نصوح.

وقيل: اشتقاقها من نصاحة الثوب، وهي خياطته.

والنَّاصح: الخياط، والنِّصَاح: السِّلْكُ [الذي يخاط][(٣)] به[(٤)].

كأن المعنى: توبوا توبة تَرُمُّ خَلَلَكُم وتَرْفَؤُ خُرُوقَ دينكم.

وقيل: من قولهم: عسل ناصح؛ إذا خَلَصَ من شمعه[(٥)].

أي: توبوا توبة خالصة.

فإن قيل: ما وجه قراءة ابن أبي عبلة: "ويُدْخِلْكُم" بالجزم؟

قلتُ: العطف على محل: ﴿عسى ربكم أن يكفر﴾[(٦)].

فإن قيل: ما العامل في ﴿يوم لا يخزي﴾؟

قلتُ: "ويدخلكم".

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٤)، والكشف (٢/ ٣٢٦)، والنشر (٢/ ٣٨٨-٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤١٩)، والسبعة (ص:٦٤١).

(٢) في الأصل: كاللاهوت. والتصويب والزيادة من ب.

(٣) في الأصل: يخيط. والتصويب والزيادة من ب.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نصح).

(٥) مثل السابق.

(٦) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٨)، والكشاف (٤/ ٥٧٤).

فإن قيل: لم عدل عن لفظ الإكرام إلى نفي الخزي عن النبي؟

قلتُ: تعريضاً بخزي الذين كذبوه وكفروا به.

فإن قيل: ﴿والذين آمنوا معه﴾ ما موضعه من الإعراب؟

قلتُ: يجوز أن يكون منصوباً عطفاً على "النبي". ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء.

وقوله تعالى: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ الأول[(١)].

وقد فسرنا: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ في الحديد[(٢)].

﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ قال ابن عباس: ليس أحدٌ من المسلمين إلا يُعطى يوم القيامة نوراً. فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن مُشفق مما رأى من إطفاء نور المنافقين فهو يقول: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾[(٣)].

والآية التي بعدها مُفسّرة في براءة[(٤)].

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٨).

(٢) عند الآية رقم: ١٢.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٨ ح٣٨٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٨) وعزاه للحاكم والبيهقي في البعث.

(٤) عند الآية رقم: ٧٣.

ثم مثّل الله تعالى حال الكفار في أنهم يُعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين، غير نافع لهم ما بينهم وبينهم من لُحمة نسبٍ أو مصاهرة فقال: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح﴾ واسمها: واعلة. وقال [مقاتل][(١)]: والعة[(٢)].

﴿وامرأة لوط﴾ واسمها: واهلة. وقال مقاتل[(٣)]: والهة.

﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما في الدين، كانت امرأة نوح تُخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوطٍ ضيفٌ بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخّنت ليعلم قومه أنه قد نزل بلوط ضيف[(٤)].

وقال السدي: كانت خيانتهما: كفرهما[(٥)].

وقال الضحاك: نميمتهما[(٦)].

وقال الكلبي: نفاقهما[(٧)].

---

(١) زيادة من ب. انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٠).

(٢) في تفسير مقاتل: والغة.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٠).

(٤) أخرج نحوه الطبري (٢٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٨ ح٣٨٣٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٥). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٨) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٥).

(٦) مثل السابق.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٢).

﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ أي: من عذاب الله شيئاً.

﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة، فأخبر عنه بلفظ الماضي؛ لتحقق [كونه][1]، ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

ثم مثّل حال المؤمنين في أن وُصْلَةَ الكفار لا تضرُّهم فقال: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أي: مثل امرأة فرعون، فحذف المضاف، وهو بدل من قوله: "مثلاً"، [واسمها][2]: آسية بنت مزاحم عليها السلام، وهي من النساء الكوامل.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضْل عائشة على النساء

---

(١) في الأصل: كونهما. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: أو اسمها. والتصويب من ب.

كفضل الثريد على سائر الطعام»[١]. وأخرجه مسلم أيضاً.

قال المفسرون: كانت قد آمنت بموسى عليه السلام.

قال أبو هريرة: ضَرَبَ فرعونُ لامرأته أوتاداً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرّقوا عنها أظلّتها الملائكة فقالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾، فكشف الله عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها[٢].

﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ قيل عمله: جِمَاعُه[٣]. وقيل: دينه[٤]. رويا عن ابن عباس.

﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أهل دينه.

قوله تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران﴾ عطف على "امرأة فرعون"[٥]، بتقدير حذف المضاف، أي: ومثل مريم ابنة عمران ﴿التي أحصنت فرجها﴾.

﴿فنفخنا فيه﴾ أي: في الفرج.

وقيل: في جيب درعها. وقد ذكرناه في سورة الأنبياء[٦].

﴿وصدّقت بكلمات ربها﴾ التي أنزلها في الصحف.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧٤ ح٣٥٥٨)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦ ح٢٤٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٩) وعزاه لأبي يعلى والبيهقي بسند صحيح.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٤٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٩) وعزاه لوكيع في الغرر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٩).

(٦) عند الآية رقم: ٩٢.

وقيل[(١)]: هي قول جبريل: ﴿أنا رسولُ ربكِ﴾ [مريم:١٩].

وقرأ جماعة، منهم: أبيّ بن كعب، وعاصم الجحدري: "بكلمة" على التوحيد[(٢)]، إشارة إلى عيسى عليه السلام.

وقرأت لأبان عن عاصم: "وصَدَقَت" بالتخفيف، وهي في معنى التشديد[(٣)].

وقرأ أبو عمرو وحفص: "وكُتُبِه" على الجمع. وقرأ الباقون: "وكتابه" على إرادة الجمع[(٤)]، أو الإنجيل.

﴿وكانت من القانتين﴾ أي: من القوم القانتين.

قال قتادة[(٥)]: من القوم المطيعين [لربهم][(٦)].

وقال عطاء: من المُصَلِّين، كانت تصلي بين المغرب والعشاء[(٧)]. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: هو.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣١٦)، والدر المصون (٦/ ٣٣٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٢٩٠)، والدر المصون (٦/ ٣٣٩).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٥)، والكشف (٢/ ٣٢٦)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤١٩)، والسبعة (ص:٦٤١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٧٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) في الأصل و ب: لربها. وهو خطأ؛ لأن فيها إعادة الضمير المفرد إلى لفظ دال على الجماعة، والصواب -والله أعلم- كما ذكرناه؛ لأنه من المتعارف لغوياً أن يتفق الضمير العائد مع ما عاد عليه لفظاً ومعنى وتذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً. (هامش الوسيط ٤/ ٣٢٤).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٤).

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي إحدى وثلاثون آية في المدني، وثلاثون في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

قال ابن مسعود: هي المانعة من عذاب القبر[2].

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ﴿٤﴾

أخبرنا أبو [المجد][3] محمد بن محمد بن أبي بكر، أخبرنا عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه مطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا أبو محمد

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥١).

(٢) أخرجه البيهقي في الصغرى (ص:٥٥٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٣١) وعزاه لابن مردويه.

(٣) زيادة على الأصل. وفي ب: أخبرنا محمد. انظر ترجمته في: التقييد (ص:١٠٨).

عبدالرحمن بن [حمد][(١)] الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر ابن الكسار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا أبو عبدالرحمن النسائي، أخبرنا إسحاق بن منصور ومحمد بن المثنى، حدثنا يحيى [بن][(٢)] سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن عباس الجشمي[(٣)]، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في القرآن سورة، ثلاثون آية، شفعت لصاحبها حتى غُفر له ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾[(٤)]»[(٥)].

وفي حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «وددتُ أن ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ في قلب كل عبد مؤمن[(٦)]»[(٧)].

وفي حديث ابن شهاب عن حميد بن عبدالرحمن، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) في الأصل: أحمد. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل و ب: عن. والتصويب من عمل اليوم والليلة. وفي هامش ب: صوابه: بن سعيد. وهو: يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد البصري الأحول، ثقة متقن، حافظ إمام قدوة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٠-١٩٢، والتقريب ص:٥٩١).

(٣) عباس الجشمي، يقال: اسم أبيه عبد الله، روى عن عثمان وأبي هريرة، وعنه قتادة وسعيد الجريري (تهذيب التهذيب ٥/ ١١٨، والتقريب ص:٢٩٤).

(٤) في هامش ب: ذكره ابن طقوش، وهو في سننه، وفي د ت ق. ورواه أحمد أيضاً في مسنده.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٩٦ ح١١٦١٢)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٤ ح٣٧٨٦)، وأحمد (٢/ ٢٩٩ ح٧٩٦٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢١).

(٦) في هامش ب: رواه عبد بن حميد في مسنده، والطبراني في معجمه، وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف.

(٧) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٠٦ ح٦٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٣ ح٢٠٧٦).

«﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ تُجادل عن صاحبها يوم القيامة»[(١)].

وقد شرحنا "تبارك" في الأعراف[(٢)].

قال ابن عباس: والمراد بالمُلْك: السُّلْطان، فهو يُعزّ ويُذلّ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ قال ابن عباس: يريد: الموت في الدنيا والحياة في الآخرة[(٤)].

وقال قتادة: موت الإنسان وحياته في الدنيا[(٥)].

قال أهل المعاني[(٦)]: الحياة: ما يَصح بوجوده الإحساس، أو ما يُوجب كون الشيء حياً، وهو الذي يصح منه أن يَعْلَمَ ويَقْدِرَ، والموت عدم ذلك فيه.

ومعنى خلْق ذلك: إيجاده وإعدامه.

فإن قيل: لمِ قَدَّمَ الموت على الحياة؟

قلتُ: لأنها مسبوقة به، يدلك قوله: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة:٢٨]، فقدّمه في الذّكر، وإن كان المراد الموت الثاني، نظراً إلى أنه أسبق.

ولأنه أقرب إلى القهر والملك.

ولأن المقصود التنبيه والحضّ على عمل الآخرة، فقُدم لذلك.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٠٩ ح٤٨٧).

(٢) عند الآية رقم: ٥٤.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٩).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٥٠) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٦).

(٦) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٧٩).

﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ مُفسّر في هود[١].

فإن قيل: من أين تعلق قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ بفعل البلوى؟

قلتُ: قال الزجاج[٢]: المتعلق بـ"أيكم" مضمر، تقديره: ليبلوكم فيعلم أيكم أحسن عملاً. وقد ذكرنا فيما مضى أن "أي" لا تعمل فيها ما قبلها.

قوله: ﴿طِبَاقاً﴾ أي: مطابقة بعضها فوق بعض، من طَابَقَ النعل؛ إذا خصفها طَبَقاً على طَبَق. وهذا وصفٌ بالمصدر، أو يكون المعنى: ذات طِبَاق أو طُوبقت طِباقاً.

﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ قال مقاتل[٣]: ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب.

وقال قتادة: ما ترى خَلَلاً ولا اختلافاً[٤].

وقال غيره[٥]: حقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأنّ بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه.

وقرأ حمزة والكسائي: "تَفَوُّتٍ"[٦].

ومعنى البنائين واحد، كالتظاهر والتظهّر، والتعاهد والتعهّد.

---

(١) عند الآية رقم: ٧.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٩٧).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٦).

(٥) هذا كلام الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٨٠).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٥)، والكشف (٢/ ٣٢٨)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٠)، والسبعة (ص:٦٤٤).

وموضع[1] هذه الجملة: النصب صفةً لـ"طباقاً"[2].

﴿فارجع البصر﴾ أي: كرّر النظر، ﴿هل ترى من فطور﴾ أي: صُدوع [وشُقوق][3]، جمع فَطْر، وهو الشّق. وأنشدوا قول عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود:

شَقَقْتِ القلبَ ثم ذرَرْتِ فيه هَواكِ فَلِيمَ فَالْتَأمَ الفُطُور[4]

وقال الضحاك: اختلاف وشطور.

﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أي: مرّة بعد أخرى.

أمر الله تبارك وتعالى بالتوقّف وتكرير النظر إلى أن يحسر بصره من كثرة المعاودة، ليتحقق الناظر أنه لا يعثر على شيء من الفُطُور.

﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً﴾ مبعداً لم يظفر بما رام من رؤية الفُطور، ﴿وهو حسير﴾ كليل منقطع. قال الشاعر:

نظرتُ إليها بالمحَصَّبِ من مِنى فَعَادَ إليَّ الطَّرْفُ وهو حَسير[5]

قال الزجاج[6]: قد أعيا من قبل أن يَرى في السماء خَلَلاً.

---

(١) في ب: وموقع.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٤١).

(٣) في الأصل: وتشقق. والمثبت من ب.

(٤) البيت لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود. وهو في: اللسان (مادة: ذرأ، ذرر، فطر)، والبحر (٨/ ٢٩٣)، والدر المصون (٦/ ٣٤١)، والقرطبي (١٨/ ٢٠٩)، وروح المعاني (٢٩/ ٧)، وديوان الحماسة (٢/ ١٣٣)، وتاج العروس (مادة: فطر، بلغ)، ونسبه في الموضع الثاني لقيس بن ذريح.

(٥) انظرِ البيت في: القرطبي (٨/ ٢١٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٩٨).

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: كيف ينقلب البصر خاسئاً حسيراً برجعه كرَّتين اثنتين؟

قلتُ: معنى التثنية: التكرير بكثرة، كقولهم: لبَّيْكَ وسعديك، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض، وقولهم في المثل: "دُهْدُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْن"[٢] من ذلك، أي: باطل بعد باطل.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي السُّرج، سُمِّيت بها الكواكب؛ لإنارتها.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٨١).

(٢) في الأصل: القلين. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٥٨١).

وهو مثل يُضرب لمن يأتي بالباطل. قال الأصمعي: ولا نعرف أصله. انظر: المستقصى في أمثال العرب (٢/ ٨٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٤٨).

﴿وجعلناها﴾ يعني: المصابيح ﴿رجوماً للشياطين﴾ مسترقي السمع.

ومن تصفَّح كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، رأى انحصار خلق النجوم لثلاث حكم.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. فمن تأوّل فيها غير ذلك [فقد تكلّف][1] ما لا علم له به[2].

وقال محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتّبعون الكهانة ويتخذون النجوم علّة[3].

﴿وأعتدنا لهم﴾ بعد الإحراق بالشهب ﴿عذاب السعير﴾، و"الشهيق" مذكور في أواخر هود[4].

قال الزمخشري[5]: الشهيق: إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها، [أو من][6] أنفسهم، كقوله: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ [هود:١٠٦]، وإما للنار؛ تشبيهاً بحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق.

﴿تفور﴾ تغلي بهم غليان المِرْجَل[7] بما فيه. وجعلت كالمغتاظة عليهم؛ لشدة

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣-٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣١)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٣٠ ح٧٠٦٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٢٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٤) عند الآية رقم: ١٠٦.

(٥) الكشاف (٤/ ٥٨٢-٥٨٣).

(٦) في الأصل و ب: ومن. والتصويب من الكشاف (٤/ ٥٨٢).

(٧) المِرْجَل: القِدْر من الحجارة والنحاس (اللسان، مادة: رجل).

غليانها بهم، ويقولون: فلان يتميَّز غيظاً ويتقصف غضباً، وغَضِبَ فطارت منه شقّة في الأرض وشقّة في السماء: إذا وصفوه بالإفراط فيه.

ويجوز أن يراد: غيظ الزبانية.

﴿ألم يأتكم نذير﴾ سؤال توبيخ وتقريع.

والنذير: بمعنى الإنذار، أي: أهل نذير، أو وصف [منذروهم][(١)] لغلوّهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا الإنذار، وكذلك ﴿قد جاءنا نذير﴾.

قوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ من تمام ما أخبر به للكفار عن أنفسهم بما قالوه للنُّذُر، على معنى: إن أنتم إلا في ضلال عن الصواب.

ويجوز أن يكون من كلام الخَزَنة للكفار على إرادة القول، أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا.

قال الزجاج[(٢)]: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل﴾.

قال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾[(٣)].

وقيل: إنما جمع بين السمع والعقل؛ لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل.

---

(١) في الأصل: منذوهم.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٩٩).

(٣) ذكره القرطبي (١٨/ ٢١٢)، والبغوي (٤/ ٣٧١).

﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً﴾ قال ابن عباس: فبُعْداً[(١)].

وقرأ الكسائي: "فسُحُقاً" بضم الحاء[(٢)].

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾

وقوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ قال ابن عباس: كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد، فأنزل الله هذه الآية[(٣)].

﴿ألا يعلم من خلق﴾ [أي][(٤)]: ألا يعلم ما في الصدور مَنْ خَلَقَها، و"من خلق" في محل الرفع بإسناد الفعل إليه.

ويجوز أن يكون منصوباً، على معنى: ألا يعلم مخلوقه.

والأول أظهر.

﴿وهو اللطيف الخبير﴾ فهو يعلم ما ظهر وبطن من خلقه.

قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ مذلّلة سهلة، ولم يجعلها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٣٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٦)، والكشف (٢/ ٣٢٩)، والنشر (٢/ ٢١٧)، والإتحاف (ص:٤٢٠)، والسبعة (ص:٦٤٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢١).

(٤) زيادة من ب.

وعرةً تمنعُكُم بحُزُونَتِها عن كثير من مصالحكم.

﴿فامشوا في مناكبها﴾ قال ابن عباس وقتادة: أي: جبالها[١]. واختاره الزجاج، قال[٢]: لأن المعنى: سَهَّلَ لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ.

وقال مقاتل[٣]: في جوانبها. وإليه ذهب الفراء وأبو عبيدة[٤]، وهو اختيار ابن قتيبة قال[٥]: ومنكبا الرجل: [جانباه][٦].

قوله تعالى: ﴿وإليه النشور﴾ المعنى: وإليه تبعثون من قبوركم فيسألكم عن شكر نعمه ورزقه إياكم.

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ قرأ ابن عامر

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦-٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٩٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٣).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٧١)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٢).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٧٥).

(٦) في الأصل: جنباه. والتصويب من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

وأهل الكوفة: "أأمنتم" بتحقيق الهمزتين، والباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية، إلا [ما][١] روي عن قنبل عن ابن شنبوذ من قلب همزة الاستفهام واواً لانضمام ما قبلها، وهو الراء، وتليين الثانية بين بين، وابن شنبوذ كذلك إلا أنه [يحقق][٢] الهمزة الثانية. وفَصَلَ بين الهمزتين بألفٍ: قالون وأبو عمرو، وترك الفصل: ابن كثير غير من ذكرته عن قنبل ووَرْش[٣].

قال ابن عباس: أمنتم عذاب مَنْ في السماء، وهو الله عز وجل[٤].

قال الثعلبي[٥]: واعلم أن الآيات والأخبار الصحاح في هذا الباب كثيرة، وكلُّها إلى العلو مشيرة، ولا يدفعها إلا مُلحدٌ جاحد، أو جاهلٌ معاند.

ومن المواضع التي سُلب فيها الزمخشري التوفيق، وقاده إليها شؤم بدعته، قوله هاهنا[٦]: كانوا يعتقدون التشبيه، وأن الله في السماء، وأن العذاب والرحمة ينزلان منه، وكانوا [يدعونه][٧] من جهتها، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء.

---

(١) زيادة من ب.
(٢) في الأصل: يخفف. والمثبت من ب.
(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٥٣-٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٦)، والكشف (٢/ ٣٢٨)، والنشر (١/ ٣٦٤)، والإتحاف (ص:٤٢٠)، والسبعة (ص:٦٤٤).
(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٢).
(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٠).
(٦) الكشاف (٤/ ٥٨٥).
(٧) في الأصل و ب: يدعونها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وهذا الهذيان الذي رام به جحد النص الجليّ أقلُّ من [أن][1] يُتعرّض له بِرَدٍّ وإبطال.

وقد قررنا وأثبتنا صفة العلو لله تعالى في مواضع من هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فإذا هي تمور﴾ قال مقاتل[2]: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

وقد سبق ذكر "الحاصب"[3].

﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي: إذا رأيتم المنذَر به تعلمون كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

قوله تعالى: ﴿صَافّاتٍ﴾ أي: باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها، ﴿ويقبضن﴾ بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضُه بعد البسط، ﴿ما يمسكهن﴾ أن يقعن ﴿إلا الرحمن﴾ بقدرته، [وبما][4] رَكَّبَ لهنّ من القَوَادِمِ [والخَوَافِي][5]، ودبّر فيهن من الخصائص والأشكال التي ينفعل عنها الطيران.

أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا

---

(١) زيادة من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٣).

(٣) في سورة الإسراء، عند الآية رقم: ٦٨.

(٤) في الأصل: بما. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: الخوافي. والتصويب من ب.

والقَوَادِم: أربع ريشات في مقدّم الجناح، الواحدة: قادمة (اللسان، مادة: قدم).

والخوافي: ريشات إذا ضَمَّ الطائر جناحيه خفيت، واحدتها: خافية (اللسان، مادة: خفا).

فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا
ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

ولفظ "الجُنْد": موحّد، ولهذا قال: ﴿أم من هذا الذي هو جندٌ لكم﴾.

﴿أم من هذا الذي يرزقكم﴾ أي: يرزقكم المطر وغيره.

قوله تعالى: ﴿أفمن يمشي مُكِبّاً على وجهه﴾ هذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر.

والمعنى: ليس من يمشي مُكِبّاً على وجهه لا ينظر أمامه ولا يمينه وشماله، بل يعسف في مكان وعْر، يَخِرُّ تارة ويعثُرُ أخرى، كمن يمشي سوياً معتدلاً سالماً من العُثُور والخُرور.

وقال [قتادة](١): هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبّاً على وجهه، والمؤمن يمشي سَوِيّاً(٢).

قال الكلبي: يعني بالمُكِبِّ: أبو جهل. وبالسويّ: النبي ﷺ. وقيل: حمزة بن

(١) في الأصل: مقاتل. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٣).

عبد المطلب[١].

وجميعُ ما لم أذكره ظاهر أو مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿فلما رأوه﴾ أي: شاهدوا الوعد ﴿زلفة﴾ أي: قريباً، ونصبه على الحال أو الظرف[٢]، أي: رأوه ذا زلفة، أو مكاناً ذا زلفة، ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أي: ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن عَلَتْها الكآبة، وغشيها الكسوف والقَتَرة.

﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾ قال الفراء وابن قتيبة[٣]: تَفْتَعِلُون، من الدعاء، أي: تَطلبون وتَستعجلون تكذيباً واستهزاء.

وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: "تَدْعُون" بالتخفيف[٤]، وهي في [معنى][٥]: "تدَّعُون" مشددة.

وقال جماعة، منهم: الزجاج، في معنى المشددة[٦]: تدّعون الأباطيل والأكاذيب، فتدّعون أنكم إذا مُتُّم لا تبعثون.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

---

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢١٩).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٤٧).

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٧٥).

(٤) النشر (٢/ ٣٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٠).

(٥) زيادة من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٠١).

قال المفسرون: كان الكفار يتربّصون بالرسول [والمؤمنين][1] الهلاك، فـأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله﴾[2] أي: أخبروني إن أهلكنـي الله ﴿ومن معي﴾ كما تتمنّون أو أبقانا وأخّر في آجالنا، ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ فإنه واقع بهم لا محالة، وأنتم إنما تتربصون بنا إحدى الحُسْنَيَيْن؛ النـصر أو الشهادة.

وقيل: معنى الآية: نحن في إيماننا بين خوف ورجاء؛ فمن يجيركم أنـتم مـن عذاب الله مع كفركم.

قوله تعالى: ﴿فستعلمون﴾ وقرأ الكسائي: "فسيعلمون" بالياء[3]؛ حملاً عـلى قوله: ﴿فمن يجير الكافرين﴾.

﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ ذاهباً في الأرض.

وقد فسّرناه في الكهف[4].

﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ ظاهر العيون.

---

(١) في الأصل: المؤمنين. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿ومن معي﴾ وستأتي بعد.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٥٤)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٧١٦)، والكـشف (٢/ ٣٢٩)، والنـشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢١)، والسبعة (ص:٦٤٤).

(٤) عند الآية رقم: ٤١.

سورة نون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثنتان وخمسون آية(١).

وهي مكية بإجماعهم، إلا ما يحكى عن ابن عباس وقتادة: أن فيها من المدني ﴿إنا بلوناهم﴾ إلى قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾(٢).

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

اختلف القراء السبعة في إدغام النون في الواو من قوله: ﴿نون﴾(٣). والإدغام اختيار الزجاج(٤)، والإظهار اختيار الفراء(٥).

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٦).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٧)، والكشف (٢/ ٣٣١)، والنشر (٢/ ١٨-١٩)، والإتحاف (ص:٤٢١)، والسبعة (ص:٦٤٦).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٠٣).

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٧٢).

قرأ ابن عباس: "نونِ" بكسر النون[١]. وقرأ عيسى بن عمر: بفتحها[٢]، كما في صاد. وقد تقدّمت عِلَلُ ذلك في مواضعه.

وقرأ الحسن وأبو عمران وأبو نهيك: "نونُ" بالرفع[٣].

قال الحسن وقتادة: هي الدواة[٤].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة»[٥].

وقال مجاهد والسدي وابن السائب ومقاتل[٦]: الحوت الذي على ظهره الأرض[٧].

وقيل: النون آخر حروف الرحمن[٨]. وهذه الأقوال عن ابن عباس.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٢٦)، والدر المصون (٦/ ٣٤٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٠٢)، والدر المصون (٦/ ٣٤٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤١) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة والحسن. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٥٤) مطولاً، كما في الدر (٨/ ٢٤١).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٦).

(٧) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:٦٨٧)، والطبري (٢٩/ ١٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٤١) وعزاه لابن جرير والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٧).

=

وقال معاوية بن قرة: "نون": لوح من نور. رواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ(١).

وقال عطاء: افتتاح اسم نصير وناصر(٢).

وقال جعفر الصادق: نهر في الجنة(٣). والله تعالى أعلم.

وقال صاحب الكشاف(٤): المراد هذا الحرف من حروف المعجم. وأما قولهم: هو الدواة، فما أدري أهو وضع لغوي أو شرعي؟ ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو عَلَماً، [فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين. وإن كان علماً](٥) فأين الإعراب؟ وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام.

فإن قلت: هو مُقسمٌ [به](٦) وجب أن يكون جنساً، ووجب أن [تجرّه وتنوّنه](٧)، ويكون القسَم بدواة مُنكَّرَةٍ مجهولة، كأنه قيل: ودواةٍ. وإن كان عَلَماً أن تصرفه وتجرّه، أو لا تصرفه وتفتحه للعَلَمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت

= قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره (٣٠/ ٧٧) بعد ذكره لهذا القول: وهذا ضعيف؛ لأن تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية. والصواب أنّ "ن" من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته.

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعاً. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤١) وعزاه لابن جرير.

قال ابن كثير (٤/ ٤٠٢): وهذا مرسل غريب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) الكشاف (٤/ ٥٨٩).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: تنونه وتجره. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

واللوح والنهر في الجنة.

والمراد بالقلم: الذي يكتب به الذِّكر في اللوح المحفوظ.

قال ابن جريج: هو من نور، طوله ما بين السماء والأرض[١].

وقيل: القلم الذي يَكتُبُ به الناس[٢]، أقسم به؛ لأنه نعمة عظيمة، ومنّة جسيمة، ومنفعة شاملة.

قال ابن [هيثم][٣]: من جلالة القلم أنه لم يُكتب لله كتاب إلا به، فلذلك أقسم الله به[٤].

وقيل: الأقلام مطايا الفِطَن ورُسُل الكرام[٥].

وقيل: البيان اثنان؛ بيان لسان وبيان بنان، ومن فضل بيان البنان أن ما تُثبته الأقلام باقٍ على الأيام، [وبيان اللسان تدرسه الأعوام][٦][٧].

وقال بعض الحكماء: قِوام أمور الدين والدنيا بشيئين: القلم والسيف، والسيف تحت القلم[٨]، [وفيه][٩] يقول ابن الرومي:

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٦٠).

(٢) واستظهر هذا القول ابن كثير (٤/ ٤٠٢).

(٣) في الأصل: هثيم. والمثبت من ب.

(٤) ذكره ابن عجيبة في تفسيره (٦/ ٣٨١).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) زيادة من تفسير ابن عجيبة، الموضع السابق.

(٧) انظر: تفسير ابن عجيبة، الموضع السابق.

(٨) مثل السابق.

(٩) زيادة من ب.

إنْ يَخْدُمِ القلمَ السيفُ الذي خضعتْ ... لـه الرقـابُ ودانـتْ دُونـه الأُمَـم
فـالموتُ، والمـوتُ لا شيءٌ يُغالِبُـه ... مـا زالَ يتبـعُ مـا يجـري بـه القَلَـم
كـذا قَـضَى الله للأقْـلامِ مُـذْ بُرِيَـتْ ... أنَّ السيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَـتْ خَـدَم[١]

وقوله أيضاً:

في كَفِّـهِ قلـمٌ ناهيـكَ مـن قَلَـمٍ ... نُـبْلاً وناهيـكَ مـنْ كَـفٍّ بـه اتَّـشَحا
يَمْحُـو ويُثْبِـتُ أرزاقَ العبـادِ بـه ... فـما المقـاديرُ إلا مـا وَحَـا ومَحَـا[٢]

ولأبي تمام في محمد بن عبدالملك الزيات:

لـه القلـمُ الأعـلى الـذي [بـشَبَاتِه][٣] ... يُـصابُ مـن الأمـرِ الكُـلَى والمَفَاصِـلُ
فَـصيحٌ إذا اسـتنطَقْتَه وهـو راكـبٌ ... وأعجـمُ إن خاطبْتَـهُ وهـو رَاجِـلُ
إذا ما امتطى الخمسَ اللِّطافَ وأفْرَغَتْ ... عليـه شِـعابُ الفِكْـرِ وهـي حَوافِـلُ
أطاعتـهُ أطـرافُ الرمـاحِ [وقَوَّضَـتْ ... لنَجْواهُ تَقويضَ][٤] الخيامِ الجَحَافِـلُ[٥]

وما أحسن قول المتنبي في وصفه:

---

(١) الأبيات لابن الرومي، انظر: خزانة الأدب (١/ ٢٢٩، ٢٣٦)، وصبح الأعشى (١/ ٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨).

(٢) البيتان لابن الرومي. انظر: محاضرات الأدباء (١/ ٤٠).

(٣) في الأصل: بشتاته. والتصويب من ب، ومصادر الأبيات.

(٤) في الأصل: وفوضت لنجواه تفويض. والمثبت من ب.

(٥) الأبيات لأبي تمام الطائي. انظر: صبح الأعشى (٢/ ٤٧٨)، والحيوان للجاحظ (١/ ٢٢)، والعقد الفريد (٢/ ٤٩).

نَحيفُ الشَّوى يَعْدُو على أمّ رأسه ويَخْفَى فيقوى عَدْوُه حين يُقْطَعُ
يَمُجُّ ظلاماً في نَهارٍ لسانُه، ويَفْهَمُ عَمَّنْ قال ما ليس يَسْمَعُ(١)

وآثر الوزير ضياء الدين أبو الفتح ابن الأثير نثر هذا النظم، فقرطس في البلاغة بالإصابة، وحلاّه إذ حلّه فاتّسعت به الأسماع مع الغرابة فقال: أخرس وهو فصيح الإيراد، أصمّ وهو يسمع مناجاة الفؤاد. ومن عجيب شأنه: أنه لا يَنطق إلا إذا قطع لسانه، ولا يضحك إلا إذا بَكَتْ أجفانه.

قوله تعالى: ﴿وما يسطرون﴾ "ما" موصولة، أو مصدرية.

قال مجاهد: ما تكتب الملائكة من الذكر(٢).

وقال مقاتل وغيره(٣): ما تكتبه الحَفَظَة من أعمال بني آدم.

وقيل: ما يسطره جميع الكَتَبَة.

﴿ما أنت﴾ يا محمد ﴿بنعمة ربك بمجنون﴾ نفى ذلك عنه لقولهم: ﴿إنك لمجنون﴾ [الحجر:٦]، والباء في "بنعمة" تتعلق "بمجنون"، وهي في محل الحال(٤)، تقديره: ما أنت بمجنون منعّماً بذلك، والباء في "بمجنون" لتوكيد النفي.

﴿وإن لك﴾ بصبرك على أذاهم مُنضماً إلى ما أنعمتُ عليك به من النبوة والإيمان، وظهور دينك على سائر الأديان، وارتفاع شأنك، واستفحال سلطانك

---

(١) البيتان للمتنبي، انظر: ثمار القلوب (ص:٢٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧). وذكره الماوردي (٦/ ٦٠).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٥٠).

﴿لأجراً﴾ ثواباً ﴿غير ممنون﴾ منقوص ولا مقطوع.

وقال الحسن: غير ممنون عليك من أذى[١].

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال بعض أهل المعاني[٢]: استعظم خُلُقَهُ لفرط احتماله ﷺ المُمِضّات من قومه، وحُسْنِ مخالفته ومداراته لهم.

وأقوال المفسرين فيه ترجع إلى معنى واحد، وهو: الأخذ بما أُمر به.

قال ابن عباس: هو دين الإسلام[٣].

وقال عطية: آداب القرآن[٤].

وقال قتادة: ما يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه، مما نَهى الله عنه[٥].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقُه القرآن، يسخط لسخطه[٦]، ويرضى لرضاه[٧].

وقال الماوردي[٨]: حقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٦١).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٤).

(٦) في ب: بسخطه.

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٥٤ ح١٤٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) تفسير الماوردي (٦/ ٦١-٦٢).

[الإنسان][١] نفسه من الآداب، سُمي خُلُقاً؛ لأنه يصير كالخِلْقَة فيه.

فأما ما طُبع عليه من الآداب فهو الخِيم[٢]، فيكون الخلق: الطبع المتكلّف، والخِيم: الطَّبع الغريزي. وقد أوضح الأعشى ذلك في شِعره حيث يقول:

وإذا ذو الفُضُولِ ضَنَّ على المَوْلَى وعادتْ بخِيمِهَا الأخْلاقُ[٣]

أي: رجعت الأخلاق إلى طباعها.

قوله تعالى: ﴿فستبصر ويبصرون﴾ وعيد لأهل مكة، ظَهَرَ أثَرُه يوم بدر.

﴿بأيكم المفتون﴾ قال الحسن: المفتون: الضَّال[٤].

وقال مجاهد: الشيطان[٥].

وقال الضحاك: المجنون[٦].

والباء زائدة، في قول أبي [عبيدة][٧] وابن قتيبة[٨]؛ كقول الشاعر:

.... نضربُ بالسيفِ ونرجو بالفَرَجِ[٩]

---

(١) زيادة من ب، والماوردي (٦/ ٦١).

(٢) وهي الطباع.

(٣) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٢٥) وفيه: "وصارت" بدل: "وعادت"، والقرطبي (١٨/ ٢٢٧)، والماوردي (٦/ ٦٢).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠). وذكره الماوردي (٦/ ٦٢).

(٦) مثل السابق.

(٧) في الأصل: عبيد. والتصويب من ب. وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٦٤).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص:٤٧٧).

(٩) عجز بيت للنابغة الجعدي، وصدره: (نحن بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجْ).

=

وأصلية، في قول الفراء والزجاج[١].

وقول الضحاك أشبه لقوله: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾.

فإن قلنا: الباء زائدة، فيكون التقدير: أيكم المجنون، سُمي بذلك؛ لأنه مُجِـنَ بالجنون، أو لكونه من تخييل الجن، وهم الفُتَّان.

وإن قلنا: الباء أصلية، كان "المفتون" مصدراً، [كمَعْقُود][٢] ومَعْقُـول. قـال الراعي:

حتى إذا لم يَتْرُكُوا لعِظَامِهِ لَحْماً ولا لفُؤادِهِ معْقُولا[٣]

أي: عقلاً، فيكون التقدير: بأيكم الفُتُون، أي: الجنون.

وقيل: الباء بمعنى "في"، تقديره: في أيكم، أي: في [أي][٤] الفريقين المجنون، في [فريقك][٥] أو في فريقهم. ومن يستحق هذا الاسم أنتم أم هم؟.

وتعضده قراءة أُبيّ بن كعب وأبي عمران الجـوني وابـن أبي عبلـة: "في أيكـم المفتون"[٦].

= انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٢١، ٨/ ٣٢٩)، والخزانة (٤/ ٥٩)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٩٢)، والماوردي (٤/ ١٦).

(١) انظر: معاني الفراء (٣/ ١٧٣)، والزجاج (٥/ ٢٠٥).

(٢) في الأصل: كالمعقود. والتصويب من ب.

(٣) البيت: للراعي. وهو في: الطبري (١٢/ ١٦٥)، والقرطبي (١٨/ ٢٢٩)، وزاد المسير (٤/ ١٩٢)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: فريقكم. والمثبت من ب.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٣٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥١).

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ
بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ودوا﴾ أي: أحبّ رؤساء قريش ﴿لو تدهن﴾ تَلين وتُصانع.

قال أبو الحسن الأصبهاني: أي: أن لو تُدهن، فأضمر أنْ، و"لو" زائدة[1].

وقال الزمخشري[2]: فإن قلت: لم رفع ﴿فيدهنون﴾ ولم ينصب بإضمار "أن" وهو جواب التمني؟

قلتُ: قد عدل به إلى طريق آخر: وهو أن جُعل خبرَ مبتدأ محذوف، أي: فهم يُدهنون، كقوله: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ [الجن:١٣]، على معنى: ودُّوا لو [تُدهن][3] فهم [يدهنون حينئذ. أو ودّوا إدهانك فهم الآن][4] يُدهنون؛ [لطمَعهم في إدهانك][5].

قال سيبويه[6]: وزعم هارون[7] أنها في بعض المصاحف: "وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ

---

(١) في ب: زيادة.

(٢) الكشاف (٤/ ٥٩١).

(٣) في الأصل: دهن. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لطعهم في الدهانك. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) الكتاب (٣/ ٣٦).

(٧) هارون بن موسى الأزدي العتكي النحوي البصري، صاحب القراءات. روى عن أبي =

فَيُدْهِنُوا".

قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ أي: كثير الحلف بالباطل ﴿مَهِين﴾ من المهانة، وهي القلّة والحقارة في الرأي [والتمييز][1].

قال ابن عباس ومقاتل[2]: يريد: الوليد بن المغيرة، عَرَضَ على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه.

وقال عطاء: الأخنس بن شريق[3].

وقال مجاهد: الأسود بن عبد يغوث[4].

﴿همّاز﴾ عَيَّاب طَعَّان[5].

قال الحسن: يَلوي شدقيه في أقفية الناس[6].

﴿مَشَّاءٍ بنميم﴾ يقال للكلام السيء المفسد بين الناس، وهو النَّمام والقتّات[7].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتّاتٌ»[8].

= عمرو بن العلاء، وابن إسحاق، وعبد الله بن أبي إسحاق، والخليل بن أحمد، وعدة. وعنه: شعبة، ووكيع، وبهز بن أسد، وغيرهم (تهذيب التهذيب ١١/ ١٤).

(١) في الأصل: والتميز. والتصويب من الكشاف (٤/ ٥٩١).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) قوله: "طعان" سقط من ب.

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٩١).

(٧) القتّات: هو الذي يتسمّع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون فينمّ عليهم (اللسان، مادة: قتت).

(٨) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٠ ح٥٧٠٩)، ومسلم (١/ ١٠١ ح١٠٥).

﴿مناع للخير﴾ قال ابن عباس: مَنَعَ ولدَه وعشيرته الإسلامَ[١].

وقيل: "مناع للخير": بخيل بالمال.

﴿معتد أثيم﴾ ظلوم فاجر، كثير الآثام.

﴿عُتُلٍّ﴾ غليظٍ جافٍ، من قولهم: عَتَلَهُ؛ إذا قاده بعُنفٍ وغلْظةٍ[٢].

قال أبو عبيدة: هو الأَكُول الشَّرُوب القوي الشديد[٣].

وقال الفراء[٤]: الشديد الخصومة بالباطل.

قال ابن عباس: العاتل: الشديد المنافق[٥].

وقال عكرمة: الشديد في كفره[٦].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن معبد بن خالد[٧] قال: سمعت حارثة بن وهب

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة، عتل).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤) عن عبيد بن عمير. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤) ولفظه: العُتُلّ: الفظّ الكافر في هذا الموضع، وهو الشديد في كل شيء.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٢).

(٧) معبد بن خالد بن مرير بن حارثة بن ناضرة بن عمرو بن سعيد بن علي بن رهم بن رباح بن يشكر بن عدوان الجدلي القيسي العابد الكوفي، ثقة صدوق، كان عابداً صابراً على التهجد، يصلي الغداة والعشاء بوضوء واحد، مات سنة ثمان عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٩، والتقريب ص:٥٣٩).

الخزاعي[(١)] قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف [متضعّف][(٢)] لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍ جَوّاظٍ مستكبر»[(٣)].

﴿بعد ذلك﴾ أي: بعدما [عدَّ][(٤)] له من المثالِب والنقائص، ﴿زنيم﴾.

قال ابن عباس في رواية عطاء: أي: دَعِيٍّ في قريش ليس منهم[(٥)]. وهذا قول أكثر المفسرين واللغويين، وأنشدوا:

زَنيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَال زيادةً   كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكَارع[(٦)]

وقال آخر:

زَنيمٌ ليسَ يُعرفُ مَنْ أبوهُ   بَغِيُّ الأمِّ ذا حَسَبٍ لَئيم[(٧)]

---

(١) حارثة بن وهب الخزاعي، أخو عبيد الله بن عمر لأمه، صحابي نزل الكوفة، وكان عمر زوج أمه (تهذيب التهذيب ٢/ ١٤٦، والتقريب ص:١٤٩).

(٢) في الأصل: مستضعف. والمثبت من ب، والصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٠ ح٤٦٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٩٠ ح٢٨٥٣).
والجَوَّاظ: المتكبر الجافي (اللسان، مادة: جوظ).

(٤) في الأصل: أعد. والمثبت من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن عساكر.

(٦) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:٢١٦)، واللسان (مادة: زنم)، والقرطبي (١/ ٢٥، ١٨/ ٢٣٤)، والماوردي (٦/ ٦٥)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٢)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٧).

(٧) انظر البيت في: المستطرف (١/ ٧٥، ١٩١)، والقرطبي (١/ ٢٥، ١٨/ ٢٣٤)، والطبري (٢٩/ ٢٥)، والدر المنثور (٨/ ٢٤٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٧).

وقال حسان:

وأنتَ زنيمٌ نِيطَ في آل هاشم كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ[١]

قال ابن قتيبة[٢]: لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا بلغ من ذكر عُيوبه ما بلغه من ذكر الوليد بن المغيرة؛ [لأنه][٣] وُصِفَ بالحلف والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدِّعوة. فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

قال مرة الهمداني: إنما ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[٤].

وقال ابن عباس في رواية عكرمة: بَغَتْ أمه فلم يُعرف، حتى قيل: زنيم، فعُرف، فكانت له زَنَمة في عنقه يُعرف بها[٥].

وقال في رواية سعيد بن جبير: يُعرف بالشر، كما تُعرفُ الشاةُ بزَنَمَتِها[٦].

يريد ابن عباس -والله أعلم-: أن هذا الذي رماه به قد صار طوقاً في عنقه كزَنَمة الشاة، وهي الهَنَةُ من جلد الماعزة، تُقطع فتخلّى معلّقة في حلقها.

---

(١) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:١٠٠)، واللسان (مادة: زنم)، والقرطبي (١٨/ ٢٣٤)، والطبري (٢٩/ ٢٥)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٢)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٣)، والكشاف (٤/ ٥٩٢).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥٩).

(٣) في الأصل: لا. والتصويب من ب، وتأويل مشكل القرآن، الموضع السابق.

(٤) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٣٥)، والبغوي (٤/ ٣٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٥)، والحاكم (٢/ ٥٤١ ح٣٨٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والخرائطي في مساوئ الأخلاق والحاكم وصححه.

وقال عكرمة: الزنيم: الذي يُعرف بِلُؤْمه، كما تُعرف الشاة بزَنَمَتِها[١]. وهو غير مناقض لما قبله.

وقال الضحاك: كانت للوليد زَنَمَة أسفل من أذنه، كزَنَمة الشاة، وفيه نزلت هذه الآية[٢].

وفي هذا التفسير نظر؛ لأن الله إنما عابه بأوصاف معنوية.

ويروى عن ابن عباس أن الزنيم: الظلوم[٣].

قوله تعالى: ﴿أن كان﴾ قرأ حمزة وأبو بكر: "أَأَن" بهمزتين محقَّقتين مفتوحتين. وفَصَلَ بينهما بألف: هبة الله عن الداجوني. وقرأ ابن عامر إلا هبة الله عن الداجوني، وأبو جعفر وزيد ورويس عن يعقوب: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. وفَصَلَ بينهما بألف: أبو جعفر، والحلواني عن هشام، وزيد عن يعقوب، الباقون: بهمزة واحدة، على الخبر[٤]. ومن استفهم فعلى معنى التوبيخ.

فإن قيل: بما يتعلق قوله: ﴿أن كان﴾؟

قلتُ: بمحذوف، تقديره: لأن أو ألأن، على قراءة من استفهم. ﴿كان ذا مال وبنين﴾ يكفر ويجحد.

ويجوز أن يتعلق بقوله: "ولا تطع" على معنى: لا تُطعه مع هذه المثالب لأن

---

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٦٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٧-٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣١)، والنشر (١/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٤٢١)، والسبعة (ص:٦٤٦-٦٤٧).

كان، والتقدير في الاستفهام: أتطيعُه[١] لأن كان.

فإن قيل: ما منعك أن تجعل "أن كان" متعلقاً بـ"عُتُلّ"، على معنى: عُتُلّ لأن كان ذا مال وبنين؟

قلتُ: وصْفه بـ"زنيم" لا يجوز عندهم: هذا ضارب ظريف زيداً.

فإن قيل: فهلا عُلّق بقوله: ﴿قال أساطير الأولين﴾؟

قلتُ: لأنه جواب الشرط، وجواب الشرط لا يعمل فيما قبل الشرط؛ لأن حكم العامل أن يكون قبل المعمول فيه، وحكم جواب الشرط: أن يكون بعده، والشيء إذا كان في رتبته وموضعه لم ينوبه غير موضعه.

ثم إن الله توعد هذا المخذول الموصوف بهذه الأوصاف التسعة من الذم فقال: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال المبرد: "الخُرْطُوم" من الناس: الأنف، ومن البهائم: الشَّفَة[٢]. وكذلك قال الفراء وأبو عبيدة[٣] وأبو زيد وغيرهم: الخرطوم: الأنف، والسِّمَةُ: العلامةُ.

والمعنى: سنجعل له يوم القيامة في وجهه علامة مشوّهة يتبين بها عن سائر الكَفَرَة.

قال الكلبي: يُضرب في النار على أنفه يوم القيامة[٤].

---

(١) في ب: أنطيعه.

(٢) انظر قول المبرد في: الماوردي (٦/ ٦٦).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٧٤). ولم أقف عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٦).

وقال الفراء[1]: الخرطوم وإن كان قد خُصَّ بالسِّمَة، فإنه في مذهبِ الوجـه؛ لأن بعض الوجه يؤدّي عن البعض.

قال الزجاج[2]: سنجعل له في الآخرة العَلَم الذي يُعرف [به][3] أهل النـار، من اسوداد وجوههم.

وما أحسن قول قتادة: سنُلحق به شيئاً لا يُفارقه[4].

قال ابن قتيبة في تفسير هذا المعنى[5]: العرب تقول: قد وَسَمَهُ مِيْسَم سـوء، يريدون: أَلْصَقَ به عاراً لا يُفارقه؛ لأن السِّمَة لا تَنمحي ولا يذهب أثَرُها.

وقد ألحقه الله تعالى بما ذكَرَ من عيوبه عاراً لا يفارقه، كالوَسْم على الخرطوم، وأبين ما يكون الوَسْم: على الوجه. وأنشد قول جرير:

لما وضعتُ على الفرزدق مَيْسَمِي ... وعلى البعيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأخطل[6]

أراد: بالهجاء.

وقال بعض أهل المعاني[7]: الوجهُ أكرم موضـع في الجسد، والأنـف أكـرم

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٧٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٠٧).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٤).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥٦).

(٦) البيت لجرير. انظر: ديوانه (ص:٣٣٥)، والأغاني (١٤/ ٣٣٨)، والمثل السائر (٢/ ٣٧٩)، والقرطبي (١٨/ ٢٣٧)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٤)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٩).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٩٣).

موضع من الوجه، ولذلك جعلوه مكان العزّ والحميّة، وقالوا: أحمى من أنف الأسد، واشتقوا منه الأَنَفَة، وقالوا: شامخ العِرْنِين. وقالوا في الذليل: جُدع أنفه، ورَغَم أنفه، فعبّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة.

ويُروى عن ابن عباس: سنخطمه بالسيف، فيكون علامة باقية على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخُطِم بالسيف(١).

ومن الأقوال التي تحكى للقدْح فيها لا للأخذ بها، قول النضر بن شميل: المعنى: سنحُدّه على شُرب الخمر. والخُرْطوم: الخَمْر، والجمع: خراطيم(٢). قال الشاعر:

تَظَلُّ يومكَ في لَهْوٍ وفي لَعبٍ وأنتَ [بالليل](٣) شَرَّابُ الخراطيم(٤)

وهذا تعسّف في التأويل؛ لأن الله ذمّه بأوصاف أيسرها مُوبق. ثم ختم ذلك بقوله: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أفَتُراه [يعدل](٥) عن التهديد والوعيد على هذه العظائم الموبقة إلى الوعيد على شربه الخمر، وهو كافر مكذِّب؟ وكيف يكون ذلك وشُرب الخمر لم يكن حين نزول هذه الآية محرّماً بإجماع أهل العلم؛ لأن تحريمه كان بالمدينة، وهذه السورة مكية؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩-٢٥٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٣٨).

(٣) في الأصل: في الليل. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٤) البيت للأعرج. وهو في: القرطبي (١٨/ ٢٣٨)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٤)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٩).

(٥) في الأصل: يقول. والتصويب من ب.

إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ
﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾
وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ
رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟
يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني: أهل مكة بالقحط والجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم سلّط عليهم سنين كسنيّ يوسف»[(١)].

﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ حين هلكت جنتهم.

وكان من حديثهم على ما نقله أهل العلم بالتفسير والسير[(٢)]: أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام.

واختلفوا فيما كان يصنع؛ فقال قتادة: كان يُمسك منه قدر كفايته وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٤١ ح٩٦١) مطولاً.

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٦٧)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٩). وذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٠).

وقال غيره: كان يترك للمساكين ما تعدّاه المِنْجَل[١] وما يَسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدِّياس، وكان يجتمع من هذا شيء كثير[٢].

قال قتادة: وكان له بنون، فكانوا يلومونه ويقولون: [لئن][٣] ولينا لنفعلنّ ولنفعلن، فلما مات ورثوه وقالوا: نحن أحق من الفقراء والمساكين؛ لكثرة عيالنا، فحلفوا ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ أي: ليَقْطَعَنّ ثمر نخيلهم في أول الصباح قبل انتشار المساكين[٤].

﴿ولا يستثنون﴾ قال عكرمة: لا يستثنون حق المساكين[٥].

وقال جمهور المفسرين واللغويين: لا يقولون: إن شاء الله[٦].

وسُمي استثناء؛ لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء، من حيث إن قولك: لأخرجن إن شاء الله، في معنى: لا أخرج إلا أن يشاء الله.

﴿فطاف عليها طائف﴾ قال الفراء[٧]: الطائف لا يكون إلا بالليل.

قال قتادة: طرقها طارق من أمر الله[٨].

---

(١) المِنْجَل: ما يُحصَدُ به. أو: هو الذي يقضَبُ به العود من الشجر فيُنْجَل به، أي: يُرمَى (اللسان، مادة: نجل).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٣) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٦) ذكره الطبري (٢٩/ ٢٩)، والماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٧) معاني الفراء (٣/ ١٧٥).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٧).

قال ابن عباس: أحاطت بها النار فاحترقت[١].

قال مقاتل[٢]: بعث الله عليها ناراً بالليل فأحرقتها حتى صارت سوداء، فذلك قوله: ﴿فأصبحت كالصريم﴾ أي: كالليل المظلم. وأنشد الفراء وغيره:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الجَوْنُ البَهِيمُ   فما يَنْجَابُ عن صُبْحٍ صَرِيم[٣]

وقال ابن عباس: أصبحت كالرّماد الأسود[٤].

وقال الحسن: صُرِمَ عنها الخير فليس فيها شيء[٥].

وقال غيره: أصبحت كالمصروم لهلاك ثمرها.

وقال ابن كيسان: كالحرة السوداء.

وقال المؤرج: كالرَّملة انصرمت من مُعظم الرمل[٦].

وأصل الصَّريم: المَصْرُوم، وكُلُّ شيء قُطِعَ من شيء: فهو صريم، فالليل صريم، والصبح صريم؛ لأن كلَّ واحد منهما يَنْصَرِمُ عن صاحبه.

قوله تعالى: ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي: دعا بعضُهم بعضاً عند الصباح.

﴿أن اغدوا على حرثكم﴾ أي: [إلى][٧] حرثكم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٨).

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: صرم)، والطبري (٢٩/ ٣١)، والقرطبي (١٨/ ٢٤١)، والماوردي (٦/ ٦٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٦٦).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٥) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٤٢)، والبغوي (٤/ ٣٧٩).

(٦) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٤٢).

(٧) زيادة من ب.

وقيل: لما كان [الغدوُّ][1] إليه ليَصرموه ويَقطعوه كان [غُدُوّاً][2] عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو. ويجوز أن يُضَمَّن [الغدو][3] معنى الإقبال.

ومعنى: ﴿يتخافتون﴾ يتسارَرُون فيما بينهم.

ثم فسّر ما تسارَرُوا به فقال: ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾.

﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ الحَرْدُ في اللغة يكون بمعنى: القصد. وهو قول قتادة والحسن ومجاهد وابن السائب ومقاتل[4].

أي: [غدوا][5] على جِدٍّ من أمرهم؛ لأن القاصد إلى الشيء جادّ، يقال: حَرَدْتُ حَرْدَك، أي: قصدتُ قصدكَ، وأنشدوا:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاءَ من أمرِ الله ... يَحْرِدُ حَرْدَ الجنةِ المُغِلَّه[6]

وهذا قول جمهور المفسرين.

فالمعنى: وغدوا على قصدٍ إلى جنتهم، أو على قصد منع المساكين.

ويكون الحرد بمعنى: الغضب. قاله الشعبي وسفيان[7].

---

(١) في الأصل: العدو. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: توعد. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: العدو. والتصويب من ب.

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٣٨٨)، والماوردي (٦/ ٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٥) في الأصل: عدوا. والتصويب من ب.

(٦) انظر البيت في: زيادات ديوان حسان (ص:٥٢٢)، واللسان (مادة: حرد، غلل، ألـه)، والطبري (٢٩/ ٣٣)، والقرطبي (٥/ ١٦، ١٨/ ٢٤٢)، والماوردي (٦/ ٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٣١)، والبحر (٨/ ٣٠١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٧).

وأنشد أبو عبيدة(١):

أُسُودُ شَرىً لاقتْ [أَسُودَ](٢) خَفِيَّةٍ ... تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأَسَاوِدِ(٣)

ويؤيد هذا قراءة من قرأ: "حَرَد" بفتح الراء.

المعنى: وغدوا على حَنَق وحِقْد على المساكين؛ لما كان أبوهم يمنحهم من الجنة.

ويكون الحَرْد بمعنى: المنع، تقول العرب: حارَدَت السنة، إذا منعت مطرها، والسَّنة حاردة، وحارَدَت الناقة؛ إذا لم يكن لها لبن(٤).

فالمعنى: وغدوا مجمعين على منع المساكين.

وقال السدي: الحَرْد: اسم الجنة(٥).

قال قتادة وجمهور المفسرين: قادرين على جنتهم عند أنفسهم(٦).

وقال الشعبي: قادرين على المساكين(٧).

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦).

(٢) في الأصل و ب: أسوداً. والتصويب من مصادر البيت.

(٣) البيت للأشهب بن رميلة. وهو في: اللسان (مادة: حرد)، وتاج العروس (مادة: حرد)، وأمالي القالي (١/ ٨)، والمخصص (١١/ ١٨)، والبحر (٨/ ٣٠١)، والدر المصون (٦/ ٣٥٦)، والطبري (٢٩/ ٣٣)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٧).

(٤) انظر: اللسان (مادة: حرد).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٨٩)، والطبري (٢٩/ ٣٢). وذكره الماوردي (٦/ ٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٢) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٦٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨).

وقال ابن قتيبة[1]: المعنى: مَنَعوا وهم قادرون واجدون.

وقيل: مقدّرين أن يتم لهم مُرادهم من الصِّرام والحرمان.

والنصب في "قادرين" على الحال، وقوله: "على حرد" في موضع الحال أيضاً[2]، على معنى: وغدوا حاردين.

﴿فلما رأوها﴾ شاهدوها فوجدوها على غير ما عهدوها ﴿قالوا﴾ لفرط ما بين المُنْظَرَيْن من التنافر ﴿إنا لضالون﴾ أي: ضللنا عن طريق جنّتنا، وما هي بها.

فلما تفكّروا وعرفوا ما أنكروا أضربوا عن ذلك بقولهم: ﴿بل نحن محرومون﴾، حُرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا بمنع المساكين.

﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم وخيرهم ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾.

قال عامة المفسرين[3]: أي: هلاّ تستثنون عند قولكم: "ليصرمنها مصبحين". أي: هلاّ استثنيتم فقلتم: إن شاء الله.

قال الزجاج[4]: وإنما قيل للاستثناء تسبيح؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه لله عز وجل من السوء، والاستثناء تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقْدر أحدٌ أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٧)، والدر المصون (٦/ ٣٥٦).

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ٣٥)، والماوردي (٦/ ٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٥٣).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٠٩).

وقالِ أبو صالح: كان استثناؤهم ذلك الزمان قول: سبحان الله[١].

وقيل: المعنى: لولا تسبحون الله بالذكر والتوبة والاستغفار من خُبث نيتكم.

كأنه والله أعلم كان نهاهم وخوّفهم عاقبة أمرهم حين أصرُّوا على منع المساكين، يدل عليه قوله: ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم وظلمهم في منع الفقراء، وترك الاستثناء.

﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ يلوم بعضهم بعضاً؛ لأن منهم من زَيَّنَ، ومنهم من قَبِلَ، ومنهم من رَضِيَ، ومنهم من عَذَر.

ثم نادوا على أنفسهم بالويل فقالوا: ﴿يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ حيث لم نصنع في جَنَّتِنا ما كان أبونا يصنع فيها.

ثم رجعوا إلى الله راجين فضله وإحسانه فقالوا: ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ طالبون منه الخير.

قال ابن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وَعَرَفَ الله منهم الصدق، فأبدلهم الله بها جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنبٌ يحمل البغل منها عنقوداً واحداً[٢].

قال بكر بن سهيل: حدثني أبو خالد اليمامي: أنه رأى تلك الجنة فقال: رأيتُ كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم[٣].

قوله تعالى: ﴿كذلك العذاب﴾ أي: مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦) عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٤٥)، والبغوي (٤/ ٣٨١).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره، الموضع السابق.

وأصحاب الجنة عذاب الدنيا، ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ [أشد][1] وأعظم ﴿لو كانوا﴾ يعني: المشركين ﴿يعلمون﴾.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا
تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ
﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

قال المفسرون: لما أنزل الله: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ قال المشركون: إنا نُعطى في الآخرة أفضل مما يعطون، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الجائر، كأنّ أمر الجزاء في الآخرة مفوّض إليكم.

﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون﴾ ولولا اللام في خبر "إنَّ" لكانت همزة "إنَّ" مفتوحةً بـ"تدرسون". ويجوز أن يكون حكاية للمدروس.

﴿أم لكم أيمان﴾ تقول العرب: لفلان عليّ يمين بكذا؛ إذا ضمنتَه منه، وحلفتَ له على الوفاء به.

والمعنى: أم ضمنا لكم وأقسمنا لكم بأيمان ﴿بالغة﴾ أي: مغلّظة.

---

(١) في الأصل: وأشد. والتصويب من ب.

وقوله تعالى: ﴿إلى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدّر في الظرف، تقديره: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة. ويجوز أن يتعلق بـ"بالغة"[١].

وقيل: "إلى" صلة.

وقرأ الحسن: "بالغةً" بالنصب على الحال من الضمير في الظرف[٢].

﴿إن لكم لما تحكمون﴾: مثل التي قبلها.

ولا تتوهّمَنَّ بسبب كسرها أن الوقف على ما قبلها في الموضعين، بل هو مفعولٌ لا يجوز الوقف دونه، ومثاله قولك: علمت أن في الدار لزيداً. والأظهر في الموضع الثاني [أنه][٣] جواب القسم؛ لأن معنى: "أم لكم أيمان علينا": أم أقسمنا لكم.

قوله تعالى: ﴿سَلْهُم﴾[٤] أي: سَلْ يا محمد هؤلاء القائلين الحاكمين لأنفسهم بأنهم يُعْطَوْن في الآخرة أفضل منكم، ﴿أيهم بذلك﴾ الحكم ﴿زعيم﴾ كفيل به، أو قائم بصحة الاحتجاج على صحته.

﴿أم لهم شركاء﴾ ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه، ويذهبون إلى مذهبهم فيه.

وقيل: المراد: الأصنام التي جعلوها شركاء لله.

﴿فليأتوا بشركائهم﴾ يشهدون بصحة قولهم ﴿إن كانوا صادقين﴾ في دعواهم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٥٧).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢١).

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: "أيهم". وستأتي بعد.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ العامل في الظرف قوله: ﴿فليأتوا﴾.

قال عكرمة: سُئل ابن عباس عن قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر؛ فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

.... وَقَامَتِ الحربُ بنا على سَاقِ[1]

هو يوم [كرب][2] وشدة[3].

وهذا قول كثير من المفسرين واللغويين[4].

---

(١) عجز بيت، وصدره: (صبراً أمام إنّ شَرَّ باق)، وهو في: البحر (٨/ ٣١٠)، والدر المصون (٣٥٨/٦).

(٢) في الأصل: حرب. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٢ ح٣٨٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) وعزاه لابن عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) وسيذكر المؤلف فيما يأتي أن المراد بالساق ساقه جل ذكره.

[وقال][١] مجاهد عن ابن عباس: هي أشد ساعة في القيامة[٢].

وقال عكرمة: إذا اشتد الأمر في الحرب، قيل: كشفت الحربُ عن ساق. أخبرهم الله تعالى بشدة ذلك اليوم[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: أصل هذا: أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه، قيل: شَمَّر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة.

فتأويل الآية: يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يُكشف عن ساق.

فصل

اعلم أنني سلكت في تفسير هذا الحرف سبيلَ كثير من [علماء السنة][٥]، وسوّغ ذلك: أن ابن عباس والحسن في جماعة من التابعين فَسَّرُوه بهذا التفسير، ونقله الإمام أحمد ورواه.

قال الزجاج في معانيه[٦]: أخبرنا عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال: حدثنا أبي، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قال ابن

---

(١) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن منده.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٣٧).

(٥) في الأصل: العلماء بالسنة. والمثبت من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢١٠).

عباس في قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾: الأمر الشديد(١).

وقاعدة مذهب إمامنا في هذا الباب: اتباع السلف الصالح، فما تأولوه تأولناه، وما سكتوا عنه سكتنا عنه، مفوّضين علمه إلى قائله، منزّهين الله عما [لا](٢) يليق بجلاله.

وذهب جماعة من علماء السنة إلى إلحاق هذا بنظائره من آيات الصفات وأخبار الصفات.

ورووا عن عبدالله بن مسعود في قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: عن ساقه جَلَّ ذكره(٣).

[ويؤيد](٤) هذا ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا [أبو الوقت](٥)، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا [الليث](٦)، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله(٧) ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات. وابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٠٨.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣٩) مطولاً. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤).

(٤) في الأصل: ويد. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: أبو قت. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل زيادة لفظة: "أبو"، وهو خطأ.

(٧) في ب: النبي.

كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسُمْعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»[١]. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري هكذا. وهو حديث طويل أخرجه مسلم بطوله.

وقال مقاتل بن سليمان[٢]: قال عبدالله بن مسعود في هذه الآية: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ وقال: عن ساقه اليمين فتضيء من نور ساقه الأرض، فذلك قوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [الزمر:٦٩].

وهذا إن ثبت عن ابن مسعود من طريق يُوثق به غير طريق مقاتل فمقبول، وإلا فمقاتل لا يثبت [حديثه عند][٣] أهل العلم بالحديث.

[وقد][٤] أشرنا إلى مذهب أهل السنة في هذه الآية تأويلاً وسكوتاً.

ومذهب الوَرِعين عن الخوض في تأويلها أسلمُ المذهبَيْن، وأشبه بأصول صاحب المذهب، الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، رضي الله عنه، ورزقنا الاهتداء بأنواره، والاقتداء بآثاره.

قوله تعالى: ﴿ويدعون إلى السجود﴾ قال أهل التفسير: يسجد الخلق كلهم سجدة واحدة، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا ﴿فلا يستطيعون﴾ كأن في ظهورهم [سَفَافِيدُ][٥] الحديد.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧١ ح٤٦٣٥)، ومسلم (١/ ١٦٧-١٦٨ ح١٨٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٠).

(٣) في الأصل: حدثه. والتصويب والزيادة من ب.

(٤) في الأصل: وهذا قد. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: سافيد. والتصويب من ب.

قال النقاش: ليس ذلك بتكليف لهم أن يسجدوا وهم عجزة، ولكنه توبيخ لهم [بتركهم](١) السجود(٢)، -يعني: في الدنيا-.

﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ أي: ذليلة أبصارهم، تعلوهم كآبة إذا عاينوا العذاب، ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود﴾ يعني: بالأذان في دار الدنيا ﴿وهم سالمون﴾ [أصحاء](٣) في أصلابهم، التي هي اليوم كأنّ فيها السفافيد.

قال سعيد بن جبير: يسمعون "حي على الفلاح" فلا يجيبون(٤). وهذا تهديدٌ شديدٌ للمتخلّفين عن الصلوات في الجماعات.

قوله تعالى: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أي: خَلِّ بيني وبين من يكذب بهذا القرآن.

وما بعده إلى قوله: ﴿أم تسألهم أجراً﴾ مُفسّر في أواخر الأعراف(٥).

وقوله: ﴿أم تسألهم﴾ إلى آخر الآيتين مُفسّر في الطور(٦).

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ

(١) في الأصل: تركهم. والتصويب من ب.
(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤١-٣٤٢).
(٣) زيادة من ب.
(٤) أخرج نحوه الطبري (٢٩/ ٤٣) ولفظه: يسمع المنادي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤١).
(٥) عند الآية رقم: ٣٩-٤٠.
(٦) عند الآية رقم: ١٨٢-١٨٣.

رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ هذ أمرٌ للنبي ﷺ [بالصبر][(١)] على ما حكم به سبحانه وتعالى من تأخير العذاب عنهم.

﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وهو [يونس][(٢)] عليه السلام ﴿إذ نادى﴾ في بطن الحوت: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، ﴿وهو مكظوم﴾ مملوءٌ غَمًّا وكرباً.

والمعنى: لا يُوجد منك ما وُجد منه من الغضب والضجر والعجلة، فتُبتلى ببلائه.

وقيل: المعنى: اذكر إذ نادى.

﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ وقرأ ابن مسعود: "تَدَارَكَتْهُ"[(٣)]؛ لتأنيث النعمة، وحَسُنَ التذكير على قراءة الجمهور [للفصل][(٤)].

والمعنى: لولا أن تداركته رحمة من ربه وتوبة.

﴿لنبذ بالعراء﴾ أي: لأُلْقِيَ[(٥)] بالصحراء. وقد سبق تفسيره في

(١) في الأصل: باصبر. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: نس. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٤٣)، والدر المصون (٦/ ٣٥٩).

(٤) في الأصل: للفضل. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل زيادة قوله: في.

الصافات[١].

قال الزجاج[٢]: المعنى: أنه قد نُبذ بالعراء وهو غير مذموم، ويدل على ذلك: أن النعمة قد شَمِلَتْه.

وقال ابن جريج: "لنبذ بالعراء": وهو أرض المحشر. المعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة[٣].

﴿فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾ قال ابن عباس: ردّ إليه الوحي، وشفّعه في قومه وفي نفسه[٤].

قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ "إنْ" هي المخففة من الثقيلة بإضمار الشأن، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

وقرأ نافع: "لَيَزلقونك" بفتح الياء[٥]، وهما لغتان، يقال: زَلَقَه وأَزْلَقَه عن المكان؛ إذا نحّاه عنه. واللازم منه: زَلِقَ، مثل: سَمِعَ.

قال [ابن][٦] السائب وجماعة من المفسرين: قصد الكفار أن يصيبوا رسولَ الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً ثم يرفع جانب خبائه، فتمرُّ به النعم فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهبُ

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٥.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢١١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٣).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣٢)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٧).

(٦) زيادة من ب.

إلا قليلاً حتى يسقط منها عِدَّة، فسأله الكفار أن يُصيبَ رسول الله ﷺ بالعين، فعصمه الله تعالى منه(١)، وأنزل هذه الآية(٢).

وأبى الزجاج(٣) هذا القول [وقال](٤): التأويل: أنهم من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك. وهذا مستعملٌ في الكلام، يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً يكاد يصرعني به، ونظراً يكاد(٥) يأكلني فيه، وتأويله كله: أنه [نظر](٦) نظراً لو أمكنه معه أكلي، أو أن يصرعني؛ لفَعَل.

قال(٧): وهذا بينٌ واضح.

وقال ابن قتيبة(٨): ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يُصيب العاين بعينه ما يُعجبه، وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك -إذا قرأت القرآن- نظراً شديداً بالعداوة

(١) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤١٠): وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.
وقد روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٧١٩ ح٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "العين حق، ولو كان شيء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَته العين، وإذا اسْتُغْسِلتُم فاغْسِلُوا".
قلت: وقد أورد الحافظ رحمه الله طائفة كثيرة من الأحاديث التي تثبت تأثير العين والحسد، فراجعها في التفسير (٤/ ٤١٠-٤١٣).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٦٤)، وزاد المسير (٨/ ٣٤٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٢).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: كاد.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أي: الزجاج في معانيه (٥/ ٢١٢).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٢).

والبغضاء، يكاد يُسقط، كما قال الشاعر:

.... نظراً يُزيل مواطئ الأقدام[(١)]

ويدل على صحة هذا المعنى: أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة، فيحُدُّون النظر إليه بالبغضاء، والإصابة بالعين تكون مع الإعجاب والاستحسان[(٢)]، ولا تكون مع البُغض.

وعبارات العلماء متقاربة.

المعنى: ليزلقونك، أي: لينفذونك بأبصارهم[(٣)]، قال: ويقال: زَهَقَ السهم وزَلَق: إذا نفذ.

وقال الكلبي: يَصْرَعُونك[(٤)].

وروي عنه: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة[(٥)].

---

(١) عجز بيت وصدره: (يتقارضون إذا التقوا في موطن). ويروى: "مجلس" بدل: "موطن". وهو في: اللسان (مادة: قرض، زلق)، والقرطبي (١٨/ ٢٥٦)، وزاد المسير (٨/ ٣٤٤)، والبحر (٨/ ٣١١)، وتاج العروس (مادة: قرض، زلق)، وروح المعاني (٢٩/ ٣٨)، والحجة للفارسي (٤/ ٥٨)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٤٢، ٤٣٢)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢١).

(٢) في ب: والاستحباب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٦). وذكره الماوردي (٦/ ٧٤).

(٥) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥٦)، والبغوي (٤/ ٣٨٤).

وقال المؤرج: يرمونك[١].

وقال ابن كيسان: يقتلونك. وروي عن الحسن أيضاً مثله[٢].

وقال قتادة: يُزهقونك[٣].

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "ليُزهقونك"[٤]، من زَهَقَت نفسه وأزهقها.

وباقي السورة ظاهر ومُفسّر. والله أعلم.

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥٦) ولفظه: يزيلونك.

(٢) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ٤٦)، والبحر (٨/ ٣١١).

سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي كالسورة التي قبلها في العدد[1] وموضع [النزول][2].

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ
بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟
بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ
بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟
رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قال الله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ قال المفسرون: الحاقة: الساعة[3].

قال الفراء[4]: سميت بذلك؛ لأن فيها حوّاق الأمور.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٣).

(٢) في الأصل: النزويل. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٧-٤٨).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٧٩).

وقال الزجاج[١]: لأنها تُحِقُّ كل إنسان بعمله من خير وشر.

وقال غيره[٢]: "الحاقة": هي الساعة الواجبة الوقوع، الثابتة المجيء.

والرفع على الابتداء، والخبر: "ما الحاقة"[٣].

والمعنى: أي شيء هي الحاقة، على مذهب التفخيم لشأنها، والتعظيم لأمرها، وكذلك قوله: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾. وهذا لا يختص بالمدح، بل هو [جارٍ][٤] في المدح والذم.

وموضع: "ما الحاقة" في الموضعين: الرفع على الابتداء[٥].

قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ قال ابن عباس: القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة[٦].

قال مقاتل[٧]: وإنما سميت القارعة؛ لأن [الله][٨] يقرع أعداءه بالعذاب.

وقال غيره[٩]: لأنها تَقْرَعُ الناسَ بالأفزاع والأهوال، والسماءَ بالانشقاق والانفطار، والأرضَ والجبال بالدكّ والنسف، والنجومَ بالطمس والانكدار.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢١٣).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٧)، والدر المصون (٦/ ٣٦١).

(٤) في الأصل: جائز. والمثبت من ب.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٧)، والدر المصون (٦/ ٣٦١).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٢).

(٨) زيادة من (ب)، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٩) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٢).

ووُضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة؛ زيادة في وصف شدتها.

﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ قال ابن عباس ومجاهد: بطغيانهم وكفرهم(١).

وفاعلة تأتي بمعنى المصادر؛ كالخائنة [والعافية](٢) والعاقبة.

وقال قتادة: بالصيحة الطاغية. وذلك أنها جاوزت مقدار الصياح(٣).

وقال ابن زيد: الطاغية: عاقر الناقة(٤).

والريح الصرصر مفسرة في سورة حم السجدة(٥)، والعاتية: التي جاوزت المقدار.

وجاء في التفسير: أنها عتت على الخزّان، فخرجت بلا كيل ولا وزن(٦).

﴿سخرها عليهم﴾ التسخيرُ: استعمالُ الشيء على وجه الاستعلاء والاقتدار.

والمعنى: سلّطها عليهم.

﴿سبع ليال وثمانية أيام حُسُوماً﴾ قال ابن عباس: تباعاً(٧).

قال الفراء(٨): الحُسُوم: التتابع.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٤).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٦).

(٥) عند الآية رقم: ١٦.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٠) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٦٤).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٥) وعزاه لابن جرير.

(٨) معاني الفراء (٣/ ١٨٠).

وقال الزجاج[١]: الذي تُوجبه اللغة في معنى قوله: "حسوماً"، تحسمهم حسوماً[٢] أي: تُفنيهم وتُذهبهم.

فعلى معنى[٣] قول الزجاج: هو مصدر؛ كالشكور والكفور، أو هو صفة، أي: ذات حسوم، أو هو مفعول له، تقديره: سخرها عليهم للاستئصال[٤].

وقُرئ شاذاً: "حَسُوماً" بفتح الحاء[٥]، فيكون حالاً من الريح، أي: سخّرها عليهم مستأصلة.

وقال غيره[٦]: هو جمع حاسم؛ كشاهد وشهود، وقاعد وقعود.

فالمعنى: أنها نحسات حَسَمَت كلَّ خير، واستأصَلَتْ كلَّ بركة، وهي الأيام التي تُسميها العرب أيام الأعجاز، وأيام العُجُز، وهي آخر الشتاء.

وقيل: أيام العجوز، وذلك أن عجوزاً من عادٍ توارت في سَرَبٍ، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها، وأنشدوا فيها:

كُسِعَ الشِّتَاءُ بسبعةٍ غُبْرِ أيامِ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْر
فإذا انقضتْ أيامُ شَهْلَتِنَا بالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْر
وبِآمِرٍ وأخِيهِ مُؤْتَمِرٍ ومُعَلِّلٍ وبِمُطْفِئِ الجَمْر

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢١٤).

(٢) قوله: تحسمهم حسوماً، سقط من ب.

(٣) قوله: معنى، سقط من ب.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٦٢).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣١٦)، والكشاف (٤/ ٦٠٣).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٣).

ذَهَبَ الشتاءُ مُوَلِّياً هَرَباً وأَتَتْكَ وَاقِدَةٌ مِنَ الحَرِّ[1]

قال الزمخشري[2]: ويقال: ومكفيء الظعن.

قلتُ: فعلى هذا؛ تكون ثمانية أيام، كما في كتاب الله عز وجل، والأكثرون لم يذكروا هذا الاسم الثامن، فتكون الريح أرسلت عليهم في يوم آخر منضماً إلى [الأيام][3] السبعة. والله تعالى أعلم.

﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أي: هلكى ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ أي: كأنهم أصول نخل ساقطة.

والنخل يذكّر ويؤنّث، فلهذا قال هاهنا: "خاوية"، وقال في سورة القمر: ﴿نخل منقعر﴾ [٢٠].

﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أي: من بقاء؛ كالطاغية بمعنى الطغيان، أو بقية، أو من نفس باقية.

قوله تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قَبْلَهُ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: "قِبَلَهُ" بكسر القاف وفتح الباء، على معنى: ومن عنده من تبّاعه.

ويؤيده قراءة ابن مسعود وأُبيّ بن كعب: "ومن معه"[4]. [وقرأ][5] الباقون:

---

(١) الأبيات لابن أحمر. انظر: المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٤٣)، وثمار القلوب (ص:٣١٤)، واللسان (مادة: كسأ، أمر، عجز، علل)، والقرطبي (١٨/ ٢٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٠٣).

(٣) في الأصل: أيام. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٣٦٢)، والكشاف (٤/ ٦٠٤).

(٥) في الأصل: قرأ. والمثبت من ب.

"قَبْلَهُ" بفتح القاف وسكون الباء[١]، على معنى: ومن تقدمه من كفار الأمم.

﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط، ﴿بالخاطئة﴾: أي: الخطأ العظيم، أو بالفعلة الخاطئة، أي: ذات الخطأ.

﴿فعصوا﴾ يعني: أهل المؤتفكات ﴿رسولَ ربهم﴾ لوطاً، ﴿فأخذهم﴾ الله ﴿أخذة رابية﴾ زائدة في الشدة على الأخذات؛ لشدة قبائحهم، وأصله: من الربا، وهو الزيادة -كما سبق-.

﴿إنا لما طغى الماء﴾ أي: تَجَاوَزَ الحدُّ في الكثرة ﴿حملناكم﴾ وأنتم في أصلاب آبائكم ﴿في الجارية﴾ في السفينة الجارية.

﴿لنجعلها لكم﴾ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من إغراق قوم نوح ونجاة من نجينا مع نوح في السفينة لكم ﴿تذكرة﴾ عظة وعبرة ﴿وتَعِيَهَا﴾ أي: تحفظها ﴿أذنٌ واعية﴾ من شأنها أن تحفظ وتعي ما سمعتْ، ولا تضيعه بترك العمل به.

قال قتادة: أُذُنٌ سمعت وعقلت عن الله[٢].

قال الزجاج والزمخشري[٣]: فكلُّ ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته، كقولك: أوعيتُ الشيء في الظرف.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٥-٢١٦)، والكشاف (٤/ ٦٠٤).

فإن قلت: لم قال: "أذن واعية"، على التوحيد والتنكير؟

قلتُ: للإيذان بأن الوعاة فيهم قِلَّة، ولتوبيخ الناس بقِلَّة من يَعِي منهم.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء العكبري اللغوي لابن كثير من رواية نظيف، عن قنبل عنه، [ومن][1] طريق النهرواني، عن ابن بلال الكوفي، عن ابن فرح، عن البزي عنه: ["وتعْيَها"][2] بسكون العين للتخفيف[3]، كما في "أَرِنَا"، وفي قولهم: كبد وعضد.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ عامة القرّاء قرؤوا: "نفخةٌ واحدةٌ" بالرفع، على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأ أبو [السَّمّال][4]: "نفخةً" بالنصب[5]، أقام الجار والمجرور مقام ما لم يُسَمَّ فاعله.

---

(١) في الأصل: من. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: تعيها. والتصويب من ب.

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٦٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٨).

(٤) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣١٧)، والدر المصون (٦/ ٣٦٣).

وحَسُنَ التذكير في "نفخ"؛ لوقوع الفصل، أو لأن التأنيث في "نفخة" ليس بحقيقي.

قال عطاء: هي النفخة الأولى[(١)]؛ لأن عندها خراب هذا العالم.

وقال ابن السائب ومقاتل[(٢)]: هي النفخة الثانية؛ لقوله تعالى: ﴿يومئذ تعرضون﴾ [الحاقة:١٨] عقيب ذكر النفخة.

ويجاب عن هذا بأن يقال: المراد بقوله: "يومئذ" الحين الواسع الذي يقع فيه [النفختان][(٣)] والنشور والحساب، كما تقول: رأيته في عام كذا، أو في يوم كذا، وإنما كانت رؤيتك إياه في جزء منه.

﴿وحُمِلَتِ﴾ وقرأتُ لابن عامر من رواية الوليد بن عتبة عنه: "وحُمِّلَتِ" بتشديد الميم[(٤)].

والمعنى: وقُلعت جملة الأرض وجملة الجبال من أماكنها.

﴿فدُكَّتا دكةً واحدة﴾ أي: كُسِرَتا كَسْرةً واحدة حتى تندقّ. وقد أشرنا إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿جعله دكاً﴾ [الأعراف:١٤٣].

والمراد: أنها تصير أرضاً واحدة مستوية، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة، ﴿وانشقت السماء﴾ لنزول من فيها

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٨).

(٢) ذكره مقاتل (٣/ ٣٩٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٨).

(٣) في الأصل: النفخات. والمثبت من ب.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٢)، والدر المصون (٦/ ٣٦٣).

من الملائكة ﴿فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة.

قال الفراء[١]: وَهْيُها: تَشَقُّقُها.

وقال مقاتل[٢]: واهية من الخوف.

﴿والمَلَكُ﴾ اسم جنس، يريد: الملائكة ﴿على أرجائها﴾ على جوانبها ونواحيها.

قال الزجاج[٣]: رجا كل شيء: ناحِيَتُهُ، مَقْصُورٌ، والتَّثْنِيَة: رَجَوان، والجمع: أرْجاء.

قال الضحاك: إذ انشقت السماء [كانت][٤] الملائكة على حافاتها، حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون، فيحيطون بالأرض وبمن عليها[٥].

﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ أي: فوق رؤوس الحَمَلَة، أو فوق الذين على أرجائها، أو فوق أهل القيامة.

﴿يومئذ ثمانية﴾ جاء في الحديث: «أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدّهم الله [بأربعة][٦] أملاك آخرين»[٧]. وهذا قول جمهور المفسرين[٨].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٨١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٦).

(٤) في الأصل: فكانت. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠).

(٦) في الأصل: أربعة. والتصويب من ب.

(٧) وهو حديث مشهور بحديث الصور، الطويل. أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٢١-٨٣٧ ح٣٨٦).

(٨) ذكره الطبري (٢٩/ ٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٧٠).

قال العباس بن عبد المطلب: ثمانية أملاك على صورة الأوعال[(١)].

وفي الحديث: «ما بين أظلافهم إلى رُكَبِهم ما بين سماء إلى سماء»[(٢)].

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: ثمانية [صفوف][(٣)] من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى[(٤)].

وفي سنن أبي داود من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «أذن الله لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل، من حملة العرش: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[(٥)].

﴿يومئذ تعرضون﴾ على الله للحساب ﴿لا تخفى منكم خافية﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "لا يخفى" بالياء[(٦)].

والمعنى: لا يخفى منكم نفس خافية، أو فعلة خافية.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعرض

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١٠ ح٣٤٢٩، ٢/ ٥٤٣ ح٣٨٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٧٤ ح٦٧١٢)، والخطيب في تالي التلخيص (٢/ ٤٨٩-٤٩٠ ح٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وعثمان بن سعيد والدارمي في الرد على الجهمية وأبي يعلى وابن المنذر وابن خزيمة وابن مردويه والحاكم وصححه والخطيب في تالي التلخيص.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣١ ح٤٧٢٣).

(٣) في الأصل: صوف. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٠) كلاهما عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢ ح٤٧٢٧).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٨).

الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضَات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله»[(١)].

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ
أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا
دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ هاء: صوت يُصوَّتُ به، يُفْهَمُ منه: خُذْ.

قال الكسائي: العرب تقول للواحد: هاءَ، وللاثنين: هَاؤُما، وللثلاثة: هَاؤُم[(٢)].

وقال الزجاج[(٣)]: "هَاؤُم" أمرٌ للجماعة، بمنزلة: هاكُمُ، تقول [للواحد][(٤)]: هاءَ، وللاثنين: هَاؤُما يا رجلان، وللثلاثة: هَاؤُم يا رجال، وللمرأة: هاءِ يا امرأة -بكسر الهمزة-، وللاثنتين: هاؤُما، وللجماعة: هاؤُنّ.

وقال ابن قتيبة[(٥)]: "هاؤُم": بمعنى: هَاكُم، فأبدلت الواو[(٦)] من الكاف.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٨٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٧).

(٤) في الأصل: للوحد. والتصويب من ب.

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٤).

(٦) في تفسير غريب القرآن: الهمزة.

قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقة بسلامته وسروراً بنجاته[١].

﴿إني ظننت﴾ أيقنت وعلمت في الدنيا ﴿أني مُلاق حسابيه﴾ يريد: الإخبار بأن سبب نجاته وإعطائه كتابه بيمينه؛ إيمانه في الدنيا بالبعث والحساب.

قرأ يعقوب: "كتابيه" و"حسابيه" في الموضعين، وكذلك: "ماليه وسلطانيه" بحذف الهاء في الوصل في المواضع الستة، وافقه حمزة في: "ماليه" و"سلطانيه"، والهاء فيهن للسَّكْت، فلذلك أسقطها يعقوب في الوصل، وهو الوجه. والباقون اتبعوا المصحف[٢].

قال الزجاج[٣]: الواجب أن يُوقف على هذه الهاءات ولا توصل؛ لأنها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أُحب مخالفة المصحف، ولا أن أقرأ وأثبت الهاءات في الوصل. وهذه رؤوس آيات، فالصواب أن يوقف عندها.

قال[٤]: وكذلك قوله: ﴿وما أدراك ما هيه﴾ [القارعة:١٠].

قوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي: في حالة من العيش يرضاها، أو ذات رضاً، مثل: لاَبِنٍ، وتَامِرٍ.

قال الزمخشري[٥]: "راضية" منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل، والنسبة

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٢).

(٢) انظر: الحجة لابن زنجلة (ص:٧١٩)، والكشف (١/ ٣٠٧)، والنشر (٢/ ١٤٢)، والإتحاف (ص:٤٢٢-٤٢٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٧).

(٤) أي الزجاج.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٠٧).

نسبتان: نسبة بالحرف، ونسبة [بالصيغة][(١)]. أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها.

قال أبو هريرة وأبو سعيد يرفعانه: إنهم يعيشون فلا يموتون [أبداً][(٢)]، ويصحّون فلا يمرضون أبداً، وينعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبون فلا يهرمون أبداً[(٣)].

﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المكان والمنازل والدرجات والأشجار.

﴿قطوفها دانية﴾ ثمارها قريبة، ينالها القاعد.

وقد سبق هذا المعنى في سورة الرحمن[(٤)].

﴿كلوا واشربوا﴾ على إضمار القول، تقديره: يقال لهم: كلوا واشربوا، ﴿هنيئاً﴾ صفة مصدر محذوف، تقديره: أكلاً وشرباً هنيئاً.

﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ أي: بما قدمتم في الأيام الماضية من الأعمال الصالحة.

وعن مجاهد: أيام الصيام[(٥)].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد من زيادات ابنه عبدالله بإسناده، عن يوسف بن يعقوب الحنفي قال: بلغنا أن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا أوليائي طال ما نظرت

---

(١) في الأصل و ب: بالصفة. والتصويب من الكشاف (٤/ ٦٠٧).

(٢) زيادة من المصادر التالية.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٨٤)، والقرطبي (١٨/ ٢٧٠).

(٤) عند الآية رقم: ٥٤.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٧).

إليكم في الدنيا وقد قلصت [شِفَاهُكُم][(١)] عن الأشربة، وقد غارت [عيونكم][(٢)]، وخَمَصَت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية[(٣)].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ قال ابن السائب: تُلوى يدُه اليسرى خلفَ ظهره، ثم يُعطى كتابه، ﴿فيقول﴾ حين يقف على تلك الفضائح والقبائح: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه﴾[(٤)].

كان بعض السلف [يقول][(٥)]: لو خُيرت بين أن أكون تراباً وبين أن أُحاسب

(١) في الأصل: شفاكم. والتصويب من ب.

(٢) في ب: أعينكم.

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد للإمام أحمد. وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٧٢) وعزاه لابن المنذر.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٨٩).

(٥) زيادة من ب.

ثم أدخلَ الجنة، لاخترت أن أكون تراباً[١].

﴿يا ليتها﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كانت القاضية﴾ القاطعة لأثره. تمنى أنه لم يُبعث. وقيل: يتمنى الموت في ذلك اليوم.

قال قتادة: تمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت[٢].

﴿ما أغنى عني﴾ نفي [أو][٣] استفهام بمعنى الإنكار، تقديره: أيُّ شيء أغنى عني اليوم ما كان لي في الدنيا من المال.

﴿هلك عني سلطانيه﴾ ذهب عني تسلطي واقتداري.

وقال جمهور المفسرين وأهل المعاني: السلطان: الحجة[٤].

قال الزجاج[٥]: قيل للأمراء سلاطين؛ لأنهم الذين تُقام بهم الحججُ والحُقُوق.

والمعنى: ضَلَّتْ عني حجتي.

قال مقاتل[٦]: حين [شهدت][٧] عليه الجوارح بالشرك.

فيقول الله حينئذ: ﴿خذوه فغلُّوه * ثم الجحيم صلُّوه﴾ أي: اجعلوه يَصْلَى

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء (ص:٤٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٣). وذكره الماوردي (٦/ ٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٧٣).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢١٧).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٤).

(٧) في الأصل: شدت. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

النار.

﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ قال ابن عباس: بذراع المَلَك(١).

وقال نوف البِكَالي: كُلُّ ذراع سبعون باعاً، الباعُ أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة(٢).

وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً(٣).

وقال الحسن: الله أعلم أيّ ذراع هو(٤).

وقال مقاتل(٥): سبعون ذراعاً بالذراع الأول.

قال كعب: لو جُمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها(٦).

وفي حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه -وأشار إلى جمجمة- أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت إلى الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٣-٦٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٣)، وابن المبارك في الزهد (ص:٨٣)، وهناد في الزهد أيضاً (١/ ١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٣-٢٧٤) وعزاه لابن المبارك وهناد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٧).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٤).

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٤) وعزاه لابن المبارك وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

أربعين خريفاً، الليل والنهار، قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»[١].

وقال سويد بن نجيح[٢]: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة[٣].

ومعنى: "اسلكوه": اجعلوه فيها.

قال ابن السائب: كما يُسلك الخيط في اللؤلؤ[٤].

وجاء في التفسير: أنها تُدْخَلُ من فيه وتُخْرَجُ من دبره[٥].

قال الزمخشري[٦]: ومعنى "ثم": الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة، لا على تراخي المدة.

ثم ذكر السبب الموجب لذلك فقال: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض﴾ أي: لا يحث ﴿على طعام﴾ أي: على بذل طعام ﴿المسكين﴾ بمعنى: لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: «أنه كان يحُضُّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا [نخلع][٧] نصفها

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٧ ح٦٨٥٦).

(٢) سويد بن نجيح، أبو قطبة، سمع عكرمة، والشعبي، ويزيد الفقير. روى عنه عبد الواحد بن زياد، ومحمد بن عبيد الطنافسي، توفي في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين (الثقات ٦/ ٤١٢، والإكمال لابن ماكولا ٧/ ٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣).

(٦) الكشاف (٤/ ٦٠٨).

(٧) في الأصل: نجعل. والتصويب من ب.

الآخر؟»[(١)].

﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ قريب أو صديق يدفع عنه.

ويقال: إن اشتقاقه من الحميم، وهو الماء الحار، كأنه القريب أو الصديق الذي يحترق قلبه لأجله.

﴿ولا طعامٌ إلا من غِسْلِين﴾ وهو صديد أهل النار، وما ينغسل من أبدانهم من القيح والدم.

قال ابن عباس: لو أن قطرة من غسلين وقعت في الأرض أفسدت على الناس معايشهم[(٢)].

وقال الضحاك: هو شجر يأكله أهل النار[(٣)].

﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ الآثمون أصحابُ الخطايا، وهم الكافرون.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ
﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ "لا" ردٌّ لقول المشركين.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٤) وعزاه لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر ولفظه: عن أبي الدرداء قال: إن لله سلسلة لم تزل تغلي فيها مراجل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم القيامة تلقى في أعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فَحُضِّي على طعام المسكين يا أم الدرداء.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٤).

أي: ليس الأمر كما قالوا من نسبتهم الرسول إلى الشعر والكهانة، أو هي زائدة مؤكدة، وهو مذكور في الواقعة.

﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ أي: بما ترون وما لا ترون، فهو قسم بجميع الكائنات من السماوات، والملائكة، والعرش، والجنة والنار، والأرض، والإنس والجن، والدنيا والآخرة.

وقيل: هو قسم بالخالق والمخلوق.

وقيل: ما أظهر عليه الملائكة وما استأثر بعلمه.

وقيل: ما تبصرون من آثار القدرة، وما لا تبصرون.

وقيل: أراد الأرواح والأجسام.

﴿إنه﴾ يعني: القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ وهو محمد ﷺ، في قول جمهور المفسرين.

وقال ابن السائب: جبريل عليه السلام[1].

والأول أصح؛ لقوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ والمعنى: إنه لقول رسول كريم جاء به من عند الله.

ودلّ على هذا المحذوف ذكر الرسول، فإنه يستدعي مُرْسِلاً، وهو الله تعالى.

﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما زعم أبو جهل، ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾.

﴿ولا بقول كاهن﴾ كما زعم عقبة بن أبي معيط.

﴿قليلاً ما تذكرون﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر: "يذكرون" و"يؤمنون" بالياء

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٤).

فيهما[١]، حملاً على قوله: ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾.

قال الزجاج[٢]: "ما" مؤكدة، وهي لغوٌ في باب الإعراب. والمعنى: قليلاً يذَّكَّرون وقليلاً يؤمنون.

وقال غيره: القلَّة في معنى العدم، أي: لا يؤمنون ولا يذَّكَّرون البتة، على معنى: ما أكفركم وما أغفلكم.

﴿تنزيل﴾ أي: هو تنزيل ﴿من رب العالمين﴾.

وقرأ أبو [السَّمَّال][٣]: "تنزيلاً" بالنصب على المصدر[٤].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «خرجتُ أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدتُّه قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجبُ من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ قال: قلت: كاهن، قال: ﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين... إلى آخر السورة﴾ قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع»[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٠)، والكشف (٢/ ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٣)، والسبعة (ص:٦٤٨-٦٤٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢١٨).

(٣) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٢٢)، والدر المصون (٦/ ٣٧٠).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٧ ح١٠٧).

وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا
مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ
لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ أي: لو تكلّف قولاً من تلقاء نفسه ونسبه إليه.

﴿لأخذنا منه باليمين﴾، قال الزجاج[1]: بالقُدرة والقوّة. قال الشماخ:

إذا ما رايةٌ رُفعت لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليمين[2]

وهذا قول الفراء[3] والمبرد وعامة أهل البيان.

قال ابن قتيبة[4]: إنما أقامَ اليمين مُقامَ القوة؛ لأن قوة كل شيء في مَيامنه.

﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وهو عِرْق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب[5].

والمفسرون يقولون: هو نِياط القلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

وقيل: هو القلب.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢١٨).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار المري. وهو في: اللسان (مادة: عرب، يمن)، والطبري (٢٣/ ٤٩)، والقرطبي (٥/ ٢٠، ٨/ ٢٥١، ١٤/ ١٤٧، ١٥/ ٧٥، ٢٧٨، ١٨/ ٢٧٥)، والماوردي (٥/ ٤٥).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٨٣).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥٤).

(٥) الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب (المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٣).

وقال ابن السائب: هو عرق بين العلباء والحلقوم[(١)]، وأنشدوا للشمَّاخ:

إذا بَلَّغْتِنِي وحملْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فاشْرَقِي بدَمِ الوَتِينِ[(٢)]

﴿فما منكم من أحد﴾ "مِنْ" زائدة لتوكيد النفي، ﴿عنه حاجزين﴾[(٣)] حائلين بينه وبين ما يُفعل به.

والضمير في "عنه": للنبي ﷺ.

وقيل: للقتل.

والخطاب بقوله: "منكم": للناس.

قال الزمخشري[(٤)]: قيل "حاجزين" في وصف أحد؛ لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام، مستوياً فيه الواحد والجميع، والمذكر والمؤنث، ومنه قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب:٣٢].

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ مثل قوله: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة:٢]. وقد بيناه في أول البقرة.

﴿وإنا لنعلم أن منكم﴾ خطاب للناس كلهم.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٨٧).

(٢) البيت للشماخ. انظر: ديوانه (ص:٩٢)، وشرح المفصل (٢/ ٣١)، والطبري (٢٩/ ٦٧)، والقرطبي (١٨/ ٢٧٦)، والماوردي (٦/ ٨٧)، والدر المصون (٦/ ٣٧٠)، وزاد المسير (٨/ ٣٥٥)، وروح المعاني (٢٩/ ٥٤).

(٣) في الأصل زيادة قوله: عنه.

(٤) الكشاف (٤/ ٦١٠).

وقيل: خطاب للمؤمنين، على معنى: لنعلم أن [فيكم][1].

﴿مكذبين﴾ بالقرآن والوحدانية والرسالة.

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ إذا رأوا ثواب المصدّقين به.

﴿وإنه لحق اليقين﴾ قال الزجاج[2]: "لليقين" حق اليقين.

قال الزمخشري[3]: كقولك: هو العالم حق العالم. والمعنى: لعين اليقين، ومحض اليقين.

وباقي الآية مفسرٌ في آخر الواقعة[4].

---

(١) في الأصل: منكم. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢١٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٦١٠).

(٤) عند الآية رقم: ٩٥-٩٦.

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وأربعون آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

قال الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: "سال" بغير همز[2].

وروى وَرْش من طريق النهرواني: "سايل" بتخفيف الهمزة بين بين هنا فحسب، كالخزاعي عن ابن فليح من طريق ابن كثير[3]. وقرأ الباقون من العشرة: بتخفيف الهمزة فيهما، إلا حمزة إذا وقف، فإنه يبدل من الهمزة ألفاً، سماعاً في هذا على غير قياس.

وكان القياس: أن يجعل الهمزة بين بين، أي: بين الهمزة والألف، كما يفعل في

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٤).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٠-٧٢١)، والكشف (٢/ ٣٣٤)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٣)، والسبعة (ص:٦٥٠).

(٣) انظر: النشر (٢/ ٣٩٠).

الوقف على: رأى ونأى.

وقد حكى سيبويه[1] البدل في "سال" سماعاً، وأنشد على ذلك أبياتاً، منها قول الشاعر:

سَالَت هذيل رسولَ الله فاحشةً ....[2]

فمن حقق الهمزة في "سأل" جعله من السؤال وأتى به على أصله، وهو اختيار أكثر القُرّاء.

قال ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين: السائل: النضر بن الحارث، والذي سأل قوله: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[3] [الأنفال:٣٢].

وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل[4].

وكان ذلك على وجه الاستهزاء، كما ذكرناه في موضعه.

---

(١) انظر: الكتاب (٣/ ٥٥٤).

(٢) صدر بيت لحسان بن ثابت، وعجزه: (ضَلَّت هذيل بما قالت ولم تصب). انظر: ملحق ديوانه (ص:٣٧٣)، وشرح المفصل (٩/ ١١٤)، والكتاب (٣/ ٤٦٨، ٥٥٤)، والمقتضب (١/ ١٦٧)، والمحتسب (١/ ٩٠)، والحجة للفارسي (١/ ٣٧٨، ٤/ ٦١)، والدر المصون (٦/ ٣٧٣)، والقرطبي (١٨/ ٢٨٠)، وروح المعاني (٢٩/ ٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس، والحاكم (٢/ ٥٤٥ ح٣٨٥٤) عن سعيد بن جبير. وانظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٤٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٧).

ولما كان السؤال متضمناً معنى الدعاء، عدَّاه تعديته فقال: ﴿بعذاب﴾ كأنه قيل: دعا داعٍ بعذاب، من قولك: دعا بكذا؛ إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ [الدخان:٥٥].

وبعضهم يقول: الباء في "بعذاب" زائدة.

وقوله: ﴿للكافرين﴾ متصل بـ"عذاب" صفة له، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين. أو بـ"واقع"، على معنى: بعذاب نازل لأجلهم. أو بالفعل، على معنى: دعا للكافرين بعذاب واقع[١].

وقيل: الباء بمعنى عن، كقوله: ﴿فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقان:٥٩] أي: عنه، وأنشدوا:

فإن تسأليني بالنساء ....[٢]

أي: عن النساء.

وقد سبق إنشاد البيت في الفرقان.

والمعنى: سأل سائل عن عذاب واقع لمن هو؟ فقال الله تعالى: للكافرين.

وهذا قول الحسن وقتادة قالا: كان هذا بمكة لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ، وخوّفهم بالعذاب، فقال بعضهم لبعض: منْ أهلُ هذا العذاب؟ سلوا محمداً لمن هو؟ فقال الله تعالى: للكافرين.

وقيل: هو رسول الله ﷺ، استعجل بعذاب [للكافرين][٣].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٨)، والدر المصون (٦/ ٣٧٣).

(٢) تقدم.

(٣) في الأصل: الكافرين. والمثبت من ب.

ومن قرأ: "سال" بغير همز، احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون من السؤال، لكن أبدل من الهمزة ألفاً، على ما ذكرناه آنفاً من اللغة المسموعة فيه، وتكون الهمزة في "سائل" أصلية.

الثاني: أن تجعله من سِلْتَ تَسَالُ، لغة في السؤال، كخِفْتَ تَخَافُ، فتكون الألف في "سَالَ" بدلاً من واو، كخَافَ، وتكون الهمزة في "سَايِل" بدلاً من واو؛ كخَايِف.

الثالث: أن تكون من السيل لا من السؤال، فتكون الألف في "سأل" بدلاً من ياء، ككَالَ، وتكون الهمزة في "سايل" بدلاً من ياء.

قال زيد بن ثابت: هو واد في جهنم يقال [له][1]: سايل[2].

ويؤيد هذا قراءة ابن عباس: "سال سيل"[3].

قوله تعالى: ﴿من الله﴾ يتصل بـ"واقع"، على معنى: بعذاب واقع من الله، أو بـ"دافع"، على معنى: ليس له دافع من جهة الله إذا جاء وقته.

قوله تعالى: ﴿ذي المعارج﴾ أي: المصاعد. وقد ذكرنا فيما مضى أنه جمع: مِعْرَج.

قال مجاهد: هي معارج الملائكة[4].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧٠) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٨). وقد استضعف هذا القول ابن كثير (٤/ ٤١٩) وقال: وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول، لدلالة السياق عليه.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٥٨)، والدر المصون (٦/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧٠) ولفظه: "معارج السماء". وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٩).

وقال ابن عباس وابن السائب: ذي السماء[١]، وسماها معارج؛ لأن الملائكة تعرج إليها[٢].

وقال قتادة: ذي الفضائل العالية[٣].

وقيل: ذي الدرجات العالية، يُعطيهن من يشاء من خلقه.

والأول أصح، ألا تراه وصف المصاعد وبُعْدَ مداها فقال: ﴿تعرج الملائكة﴾.

وقرأ الكسائي: "يَعْرُجُ" بالياء[٤]؛ لأن تأنيث الجمع غير حقيقي.

﴿والروح﴾ وهو جبريل، في قول جمهور المفسرين[٥].

وقال قبيصة: هو روح الميت حين يُقبض[٦].

﴿إليه﴾ أي: إلى الله تعالى، ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.

قال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه[٧].

وقال ابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة والقرظي وجمهور المفسرين: يعني:

---

(١) في ب: السموات.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٨) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢١)، والكشف (٢/ ٣٣٥)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٣)، والسبعة (ص:٦٥٠).

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٧٠)، والماوردي في تفسيره (٦/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٩).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٩).

(٧) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٩٢).

يوم القيامة(١).

ويؤيده ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري قال: «قيل لرسول الله ﷺ: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يُصلِّيها في الدنيا»(٢).

وهذا مقدار ما بين البعث إلى الفصل بين الخلاق، وإلا فهو يومٌ لا آخِرَ له.

فعلى هذا القول: يتعلق قوله: ﴿في يوم﴾ بقوله: "ليس له دافع" أي: ليس له دافع من الله في ذلك اليوم، أو [بقوله](٣): "بعذاب واقع"، على معنى: سأل سائل بعذاب واقع في ذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿فاصبر﴾ متعلق بقوله: "سأل سائل"؛ لأن ذلك كان [منه](٤) على سبيل الاستهزاء برسول الله ﷺ، وذلك مما يوجب تألّمه وتضجّره، فأمر بالصبر عليه.

فإن قيل: كيف يتعلق به على قراءة من قرأ "سَالَ" بغير [همز](٥)، على

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٤). وذكره الماوردي (٦/ ٩٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٧٩-٢٨٠) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن مردويه. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥ ح١١٧٣٥).

(٣) في الأصل: فقوله. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: فيه. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: ألف. والمثبت من ب.

[معنى][1] أنه وادٍ في جهنم؟

قلتُ: معناه قَرُبَ العذاب منهم فاصبر ﴿صبراً جميلاً﴾ لا جزع فيه. وقد فسرناه في يوسف[2].

﴿إنهم يرونه﴾ يعني: يرون العذاب الواقع، أو يوم القيامة ﴿بعيداً﴾ غير كائن، ﴿ونراه قريباً﴾ كائناً. وكل ما [هو][3] آت فهو قريب.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

ثم أخبر عن زمان وقوعه فقال: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ قال ابن عباس: كدُرْدِيّ[4] الزيت[5].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) عند الآية رقم: ١٨.

(٣) زيادة من ب.

(٤) دُرْدِيُّ الزيت: ما يبقى في أسفله (اللسان، مادة: درد).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٠)، وأحمد (١/ ٢٢٣ ح١٩٤٦). وذكره الماوردي (٦/ ٩٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٨٥) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال عطاء: كَعَكَر القطران[١].

وقال ابن مسعود والحسن: كالفضة [المذابة][٢]. وقد ذكرناه في الكهف[٣].

﴿وتكون الجبال كالعِهْن﴾ قال الزجاج[٤]: العِهْن: الصوف.

وقال ابن قتيبة[٥]: الصُّوف المصبوغ.

قال الحسن: الصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف[٦].

وقال مقاتل[٧]: المنْفُوش، وهو [جمع][٨]: عِهْنَة، كصُوفَة وصُوف.

وقال الزمخشري[٩]: "كالعهن" كالصوف المصبوغ ألواناً؛ لأن الجبال جُدد بيضٌ وحمرٌ وغرابيب سود، فإذا بسّت وطيّرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح.

وقال غيره: شبَّهها بالصوف في ضعفها ولينها.

وقيل: شبَّهها به في الخفة إذا سارت.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٢).

(٢) مثل السابق. وما بين المعكوفين في الأصل: الذائبة. والمثبت من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٢٩.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٠).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٧).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٨٤).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٨).

(٨) زيادة من ب.

(٩) الكشاف (٤/ ٦١٢).

﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ قال مقاتل[١]: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال.

وقرأتُ لجماعة، منهم: أبو جعفر: "ولا يُسْأَلُ" بضم الياء[٢].

قال الزجاج[٣]: المعنى: لا يُسْأَل قريب عن قرابته.

قوله تعالى: ﴿يبصرونهم﴾ كلام مستأنف، كأنه قيل: لعله لا يبصره، فقال: يبصرونهم، لكنه منعهم التساؤل ما خَامَرَهُم من أهوال القيامة.

وجُمع الضميران في "يبصرونهم" وهما للحميمين؛ نظراً إلى المعنى؛ لأنه لم يُرد حميمين مخصوصين، بل كل حميمين.

وقرأ جماعة، منهم: قتادة وأبو المتوكل: "يُبْصِرُونهم" بالتخفيف[٤]. من [أبْصَر][٥] يُبْصِر.

﴿يود المجرم﴾ يتمنى أبو جهل وغيره من أضرابه ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه﴾ الذين هم أحبُّ الخلق إليه.

﴿وصاحبته﴾ يعني: زوجته، ﴿وأخيه﴾ الذي هو أعزّ أهله عليه[٦].

﴿وفصيلته﴾ عشيرته القريبة إليه التي فصل منها ﴿التي تؤويه﴾ تضمُّه انتماءً إليها، أو حَدَباً عليه.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٨).

(٢) النشر (٢/ ٣٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٠).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٦١)، والدر المصون (٦/ ٣٧٦).

(٥) في الأصل: البصر. والتصويب من ب.

(٦) قوله: "عليه" ساقط من ب.

﴿ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ يعني: ذلك الفداء.

قال الزجاج[١]: "كلا" ردعٌ [وتنبيه، أي: لا يرجع أحدٌ من هؤلاء فارتدعوا.

وقال غيره[٢]: "كلا" ردعٌ][٣] للمجرم عن الودادة، وتنبيهٌ على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب.

ولما كان المراد بـ"عذاب يومئذ" النار كنى عنها بقوله: ﴿إنها لظى﴾ قال الفراء[٤]: هو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم يُجرِه.

وقال غيره: معناها في اللغة: اللهب الخالص.

وقال ابن الأنباري: سميت بذلك؛ لشدّة توقُّدِها وتلَهُّبها، يقال: هو يتلظى، أي: يتلهَّب ويتوقَّد[٥].

﴿نَزَّاعةٌ للشَّوَى﴾ أي: هي نزاعةٌ، أو هو خبر بعد خبر لـ"إن"، أو خبرٌ لـ"لظى" إن كان الهاء في "إنها" ضمير القصة والشأن، والجملة خبر "إن"، أو صفة لـ"لظى" إن كان المراد بلظى: اللهب[٦].

وقرأ عمر بن الخطاب وأبو رزين وأبو عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وحفص

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٣).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٨٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦١).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٧٦-٣٧٧).

عن عاصم: "نزاعةً" بالنصب[١].

قال الزجاج[٢]: هي حال مؤكدة، كما قال: ﴿هو الحق مصدقاً﴾ [فاطر: ٣١].

وقال غيره: على الاختصاص للتهويل[٣].

قال الفراء والزجاج[٤]: الشَّوَى: الأطراف؛ اليدان والرجلان والرأس.

وأُنشد على ذلك:

سَليمِ الشَّظى عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسَاء ....[٥]

وقال مجاهد وغيره: الشَّوَى: جمع شِوَاة، وهي جلدة الرأس[٦].

وأنشدوا قول الأعشى:

قَالتْ قُتَيْلَةُ مَا له قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُه[٧]

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٣)، والكشف (٢/ ٣٣٥)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥٠-٦٥١).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٣) في ب: للتنويل.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٨٥)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٥) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: (له حَجَبَاتٌ مُشرفاتٌ على الفال). انظر: ديوانه (ص:٣٦)، واللسان (مادة: شنج، فيل، شظي)، وتاج العروس (مادة: شنج، عبل، فيل، شظي، نسا)، والقرطبي (١٨/ ٢٨٨).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) البيت للأعشى، وليس في ديوانه. وهو في: اللسان (مادة: شوا)، والطبري (٢٩/ ٧٦)، والقرطبي (١٨/ ٢٨٨)، والبحر (٨/ ٣٢٥)، والدر المصون (٦/ ٣٧٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٦٠)، والمزهر للسيوطي (٢/ ٣٠٩، ٣١١).

وقال الحسن وأبو العالية: الشَّوَى: محاسن الوجه[(١)].

قال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظم[(٢)].

﴿تدعو من أدبر﴾ عن الحق، ﴿وتولى﴾ أعرض عنه، فتقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق، إليّ يا فاسق، إليّ يا ظالم.

وقيل: دعاؤها مجاز عن إحضارهم، كأنها تدعوهم فتُحْضِرُهم، كقول ذي الرمة:

لَيَالِي اللهوِ يَطْبِيني فَأَتْبَعُهُ ....[(٣)]

أي: يدعوني، يقال: [أطْبَاه وطَبَاه][(٤)]؛ إذا دعاه[(٥)].

وقول أبي النجم:

.... تقولُ للرَّائدِ أعشبتَ انْزِل[(٦)]

وقيل: هو دعاء الزبانية.

﴿وجمع فأوعى﴾ أي: جمع المال [فجعله][(٧)] في وعاء وكَنَزَهُ ولم يؤدّ حقوقه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٩٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٢).

(٣) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (كأنني ضاربٌ في غَمْرةٍ لَعِبُ)، وهو في: اللسان (مادة: ضرب، طبي)، وروح المعاني (٢٩/ ٦١).

(٤) في الأصل: أبطاه وبطاه. والتصويب من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: طبي).

(٦) عجز بيت لأبي النجم، وصدره: (مستأسد أذنابه في عيطل). انظر: اللسان (مادة: عشب، أسد)، والكشاف (٤/ ٦١٣)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٣٦٤).

(٧) في الأصل: جعله. والتصويب من ب.

۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ
مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ
هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ المراد بالإنسان: الناس، فلذلك استثنى منه [إلا][(١)] المصلين.

وقيل: المراد بالإنسان: الكافر. فيكون استثناء منقطعاً.

والهَلَعُ: سرعة الجزع عند مسّ المكروه، وسرعة المنع عند مسّ الخير. من قولهم: ناقة هَلُوعٌ: سريعة السير.

قال [المفسرون][(٢)]: ما بعد الهلوع تفسير له.

﴿إذا مسه الشر﴾ وهو الفقر والمرض ونحو ذلك، ﴿جَزوعاً﴾ لا يصبر.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: بعض المفسيرين. والتصويب من ب.

﴿وإذا مسه الخير﴾ وهو المال والشّرف ونحوهما ﴿مَنُوعاً﴾ لا يشكر بفعل ما أوجب الله عليه بسبب إحسانه إليه.

ثم استثنى الموحدين فقال: ﴿إلا المصلّين * الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أي: محافظون على الصلاة المكتوبة، على الوجه المأمور به.

وقال الزجاج[1]: هم الذين لا يُزيلون وجوههم عن سَمت القبلة.

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: هو الذي إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله[2].

﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ وهو الزكاة المفروضة.

﴿للسائل والمحروم﴾ مُفسّر في الذاريات[3].

وما بعده مُفسّر في المؤمنين[4] إلى قوله: ﴿والذين هم بِشَهَادَتِهِم قائمون﴾.

وقرأ حفص: "بشهاداتهم قائمون" على الجمع[5].

والإفراد أولى؛ لأنه مصدر.

والمعنى: يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها.

وقال سهل: قائمون بحفظ ما يشهدون به، من شهادة أن لا إله إلا الله، فلا

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٤)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤١٩).

(٣) عند الآية رقم: ١٩.

(٤) عند الآية رقم: ٧-٨.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦٣-٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٤)، والكشف (٢/ ٣٣٦)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥١).

يُشركون به في شيء من الأقوال والأفعال والأحوال[١].

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ نزلت في جماعة من الكفار جلسوا حول النبي ﷺ يستهزؤون بالقرآن والمؤمنين ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد [لندخلنها][٢] قبلهم[٣].

والمعنى: ما لهم مسرعين نحوك، مادّي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك.

وقد ذكرنا معنى الإهطاع في إبراهيم[٤].

---

(١) تفسير سهل التستري (ص:١٧٨).

(٢) في الأصل: لندخلها. والمثبت من ب.

(٣) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٤٦٦).

(٤) عند الآية رقم: ٤٣.

﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ [جمع: عزة، يريد: جماعات][1] في تفرقة. كأنّ كل فرقة [تعتزي][2] إلى غير من تعتزي إليه الأخرى.

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ خرج على أصحابه يوماً وهم حلق حلق متفرقون، فقال: ما لي أراكم عزين؟»[3].

فإن قيل: ما إعراب هاتين الآيتين؟

قلتُ: [ما][4] رُفِعَ بالابتداء، واللام خبره، وفيه ضميره، "قِبَلك": حال من الواو في "كفروا"، "مهطعين" حال بعد حال، وكذلك "عزين"، والتقدير: عزين عن اليمين وعن الشمال. ومن رأى وصف الحال كان "عزين" صفة لـ"مهطعين". ويجوز أن يكون "عزين" حالاً من الضمير في "مهطعين". ويجوز أن يكون "مهطعين" حالاً من الضمير في "قبلك". ويجوز في "قبلك" أن يكون ظرفاً [للام][5]، أو لـ"مهطعين". ويجوز أن يتعلق "عن اليمين" بمضمر أيضاً في موضع الحال، أو صفة لـ"مهطعين". ويجوز أن يكون صلة لـ"عزين"[6].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن طمعهم في دخولهم الجنة، وإعلامٌ لهم أنهم لا يدخلونها.

ثم ابتدأ فقال: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي: من نطفة، ثم من علقة، ثم من

(١) في الأصل: يريد جمع عزة جماعات. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: تعطزى. والمثبت من ب.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢ ح٤٣٠)، وأحمد (٥/ ١٠٧ ح٢١٠٦٥).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: واللام. والتصويب من ب.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٧٩).

مضغة. يشير بذلك إلى أنهم من أصل واحد، ومادة واحدة، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالإيمان والتقوى، فكيف يتعظّمون على المؤمنين ويعتقدون أنهم أولى بالجنة منهم لشرفهم.

قال قتادة في هذه الآية: إنما خُلقت يا ابن آدم من قذر، فاتّق الله تعالى[(١)].

وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ثم بزق على كفه ثم قال: يا ابن آدم! أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدّلتك مشيت بين بُرْدَين[(٢)]، وللأرض منك وئيد[(٣)]، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي[(٤)] قلت: أتصَدَّقُ، وأنّى أوان الصدقة؟!»[(٥)].

وقيل: المعنى: إنا خلقناهم مما يعلمون، أي: من أجل ما يعلمون، وهو الطاعة، على حذف المضاف. المعنى: فما عملوا بها فلا يدخلون الجنة.

فإن قيل: هؤلاء كفارٌ فمن أين عَلِمُوا أنهم خُلقوا للطاعة؟

قلتُ: عَلِمُوا ذلك من براهين العقل، وأدلة السمع الواردة على أَلْسِنَة الرسل صلى الله عليهم.

وقال صاحب الكشاف[(٦)]: المعنى: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء؛ فمن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٨٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) البَردان والأبردان: الغداة والعشي، وقيل: ظلاّهما (اللسان، مادة: برد).

(٣) الوئيد: شدة الوطء على الأرض كالدَّوي من بُعد (اللسان، مادة: وأد).

(٤) التراقي: جمع ترقوة، وهي: العظم الذي بين ثُغرة النحر والعاتق من الجانبين (اللسان، مادة: ترق).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٥ ح٣٨٥٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

(٦) الكشاف (٤/ ٦١٦).

أين يطمعون في دخول الجنة؟

فإن قلت: من أي وجه دلّ هذا الكلام على إنكار البعث؟

قلتُ: من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى، كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل، وذلك قوله: ﴿خلقناهم مما يعلمون﴾ أي: من النطفة، وبالقدرة على أن [نهلكهم][١]، ونبدل ناساً خيراً منهم، وأنه [ليس][٢] بمسبوق على ما يريد تكوينه، لا يعجزه شيء، والغرض: أن من قَدَرَ على ذلك لا تعجزه الإعادة.

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ سبق تفسيره.

﴿برب المشارق والمغارب﴾ مشرق كل يوم ومغربه.

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ مُفسّر في الواقعة[٣].

والآية التي بعدها مُفسّرة في الطور[٤].

قوله تعالى: ﴿كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ قرأ ابن عامر وحفص: "نُصُبٍ" بضم النون والصاد. وقرأ الباقون بفتح النون وسكون الصاد[٥]، واحد نُصْبٍ، كسَقْفٍ وسُقُف، ورَهْن ورُهُن، فالقراءتان بمعنى واحد.

---

(١) في الأصل: نهلكم. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦١٦).

(٣) عند الآية رقم: ٦٠.

(٤) عند الآية رقم: ٤٥.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٤-٧٢٥)، والكشف (٢/ ٣٣٦)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥١).

قال قتادة وغيره: كأنهم إلى شيء منصوب أو غاية جعلت لهم يسرعون[١].

قال ابن جرير[٢]: [تأويله][٣]: كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون.

قال الفراء[٤]: الإيفاض: الإسراع، وأنشدوا[٥]:

ألا أبْغِهَا نعامةً مِيفَاضَا خَرْجَاءَ ظَلَّتْ تَطْلُبُ الإِضَاضَا[٦]

الميفاض: السريعة، وخرجاء: ذات لونين سوداء وبيضاء، ومعنى الإِضَاض: الموضع الذي يُلجأ إليه. يقال: آضتني الحاجة إليك إضاضاً.

﴿خاشعةً أبصارهم﴾ حال من الضمير في "يوفضون"[٧].

﴿ترهقهم ذلة﴾ يغشاهم هوان. وقد سبق تفسيره مع ما لم أذكره.

﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ أي: يُوعدونه، فحذف العائد من [الصلة][٨] إلى الموصول.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٨٨).

(٣) زيادة من ب.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٨٦).

(٥) في ب: وأنشد الزجاج.

(٦) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان وتاج العروس (مادة: أضض، وفض)، والطبري (٢٩/ ٨٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٣٠)، والدر المصون (٦/ ٣٨١). وفي جميع المصادر: "لأنعتن" بدل: "ألا أبغها".

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٨١).

(٨) في الأصل: أصله. والتصويب من ب.

سورة نوح عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاثون آية في المدني، وثمان وعشرون في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾
يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا
يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟
أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ
إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ
ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا
تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٥).

قوله تعالى: ﴿أنْ أنذر قومك﴾ "أنْ" مُفسِّرة؛ لأن الإرسال فيه معنى القـول، فهي بمعنى: أي.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "أنذر قومك" بغير "أنْ"[(١)].

وإن شئت قلت: هي "أنْ" الناصبة للفعل، أصـله: بـأن أنـذر قومـك، فلـما حذف الجار وصل الفعل، فنصب "أنْ"، والتقدير: أرسلناه بأن قلنا له: أنذر.

وقوله تعالى: ﴿أن اعبدوا الله﴾ مثل قوله: ﴿أن أنذر﴾.

﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ قال ابن عباس: هو عذاب النار[(٢)].

وقال الكلبي: هو الطوفان[(٣)].

قوله تعالى: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال مقاتل[(٤)] والسدي: "مِـنْ" هاهنـا صلة.

وقال الزجاج[(٥)]: دخلت "مِنْ"؛ لتخصيص الذنوب من سائر الأشـياء، ولم تدخل لتبعيض الذنوب. ومثله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج:٣٠].

وقال غيره من أهل المعاني: هي للتبعيض، على معنى: يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم إلى وقت إيمانكم، وذلك بعض ذنوبهم[(٦)].

﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ وهو أجَلُ مـوتهم، يريـد: أنهـم يُـؤَخَّرون إلى

---

(١) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ٩٠-٩١)، والكشاف (٤/ ٦١٨).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٩٨).

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ٩١) بلا نسبة، والماوردي (٦/ ٩٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٠). وذكره الماوردي (٦/ ٩٩).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٩).

انقضاء آجالهم فيموتون بغير عقوبة.

﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر﴾ قال الحسن: هو أجل القيامة(١).

وقال مجاهد: أجل الموت(٢).

وقال السدي: أجل العذاب(٣).

وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ فعلوا ذلك؛ لئلا [يسمعوا](٤) صوته، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ لئلا يروه ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ عن اتباعه ﴿استكباراً﴾.

﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ وهو مصدر في موضع الحال، أي: دعوتهم مجاهراً لهم بالدعاء إلى التوحيد، أو صفة مصدر، تقديره: دعوتهم دعاء جهاراً(٥).

قال ابن عباس: بأعلى صوتي(٦).

﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ أي: خلطتُ دعاءَ العلانية بدعاء السر.

قال بعض أهل المعاني(٧): افتتح بالمناصحة في السر، فلمّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة، فلمّا لم يؤثر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: يسمعون. والتصويب من ب.

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٨٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧٠).

(٧) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦١٩).

ومعنى: "ثم": الدلالة على تباعد الأحوال.

﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ أي: توبوا إليه من الكفر والمعاصي.

﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ كثيرة الدَّرِّ. وقد ذكرناه في أول الأنعام[١].

قال الشعبي: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقالوا له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح[٢] السماء التي بها يُستنزل القطر، ثم قرأ: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً﴾[٣].

وشكا رجل إلى الحسن الفقر، وآخر قلة ريع أرضه، وآخر الجدب، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقيل له في ذلك، فتلى هذه الآية[٤].

قوله تعالى: ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ قال المفسرون: حَبَسَ اللهُ القطرَ عنهم، وقَطَعَ نسلَهم ونسلَ دوابهم أربعين سنة.

---

(١) آية رقم: ٦.

(٢) المجَادِيح: واحدها مِجْدَح، والياء زائدة للإشباع، والقياس أن يكون واحدها: مِجْدَاح، فأما مِجْدَح فجمعه: مَجَادِح. والمجدح: نجم من النجوم قيل: هو الدَّبَران. وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافِي؛ تشبيهاً بالمِجْدَح الذي له ثلاث شُعَب، وهو عند العرب من الأنْواء الدّالة على المطر، فجعل الاستغفار مُشَبَّهاً بالأنواء، مُخاطَبَة لهم بما يعرفونه، لا قوْلاً بالأنْواء.
وجاء بلفظ الجمْع؛ لأنه أراد الأنْواء جَميعها التي يَزعمون أن من شأنِها المطر (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٩٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٣ ح١٠٩٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٨٧ ح٤٩٠٢).

(٤) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٢٠).

﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ بدل بساتينكم وأنهاركم، فإنها كانت قد هلكت [ويبست][(١)].

قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ قال الزجاج[(٢)]: قيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة.

وقيل: لا ترجون عاقبة الإيمان وتوحّدون الله.

وقال الزمخشري[(٣)]: لا تأملون له توقيراً، أي: تعظيماً. المعنى: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب، و "لله" بيان للموقَّر.

﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ في موضع الحال[(٤)]، كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي حال موجبة للإيمان به، لأنه خلقكم أطواراً: أي تارات، خلقكم أولاً تراباً، ثم خلقكم نطفاً، ثم خلقكم علقاً، ثم خلقكم مضغاً، ثم خلقكم عظاماً ولحماً، ثم أنشأكم خلقاً آخر.

أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا
وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾

---

(١) في الأصل: يبست. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٩).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٢٠).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٨٤).

لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾ مُفسّر في تبارك الملك(١).

﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ قال الحسن: يعني: في سماء الدنيا(٢).

وقوله: "فيهن" كما تقول: أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إن الشمس والقمر وجوهُهُما قِبَل السموات، وظُهورهما قِبَل الأرض، يضيئان لأهل السموات كما [يضيئان](٣) لأهل الأرض(٤).

وقد فَسَّرنا هذه الآية في أواخر الفرقان(٥).

قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ أي: ابتداء خلقكم من الأرض. قال الخليل(٦) وغيره: "نباتاً": مصدر مخالف للصدر، مجازه: فَنَبَتُّم نباتاً.

قال ابن قتيبة(٧): ومثله: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ [المزمل:٨] فجاء على بَتَلَ. قال

(١) عند الآية رقم: ٣.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧١).

(٣) في الأصل: يضآ. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٩٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١١٤١ ح٦١٥٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٩١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) عند الآية رقم: ٦١.

(٦) انظر: العين (٨/ ١٣٠).

(٧) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٨/ ٣٧٢).

الشاعر:

وخيرُ الأمر ما استقبلتَ منه وليسَ بأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا[(١)]

قال[(٢)]: وإنما تجيء المصادر مخالفة للأفعال؛ لأن الأفعال وإن اختلفت أبنيتها واحدةٌ في المعنى.

وقال الزجاج[(٣)]: "نباتاً" محمول في المصدر على المعنى؛ لأن معنى "أنبتكم": جعلكم تنبتون نباتاً.

قوله تعالى: ﴿سبلاً فجاجاً﴾ أي: طرقاً واسعة. وقد سبق ذكره.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا
ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

قرأ نافع وابن عامر وعاصم: "وَوَلَدُهُ" بفتح الواو واللام. وقرأ الباقون: بضم الواو وسكون اللام[(٤)].

---

(١) البيت للقطامي. انظر: ديوانه (ص:٣٥)، والكتاب (٤/ ٨٢)، والدر المصون (٢/ ٧٦)، واللسان، مادة: (تبع)، والقرطبي (٤/ ٦٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٧٢).

(٢) أي: ابن قتيبة.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٠).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٦٥-٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٥)، والكشف (٢/ ٩٢)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥٢-٦٥٣).

قال الزجاج[١]: هما بمعنى واحد، كالعُرْب والعَرَب، والعُجْم والعَجَم.

وقرأ الحسن وأبو العالية والجحدري: بكسر الواو وسكون اللام[٢].

والمعنى: أن الأتباع والفقراء اتبعوا الأغنياء والكبراء الذين زادتهم أموالهم وأولادهم خساراً في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ يعني: الرؤساء احتالوا في إبطال الدين وكيد نوح مكراً عظيماً.

وقرئ: "كُبَاراً" بالتخفيف مع ضم الكاف وكسرها[٣]، وكلها لغات. وقد أشرنا إليها في أول ص[٤].

﴿وقالوا﴾ أي: وقال بعضهم لبعض ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ أي: لا تَدَعُنَّ عبادتها ﴿ولا تذرن وَدّاً﴾. وضم الواو من "وَدّاً": نافع[٥]، وهذه أسماء أصنامهم.

قال المفسرون: انتقلت عنهم إلى العرب، ولذلك سَمّت العرب بعبد وُدّ، وعبد يغوث.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن، قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٠).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٤)، وزاد المسير (٨/ ٣٧٣).

(٣) وهي قراءة أبي رجاء وأبي عمران وغيرهما. انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٧٣)، والدر المصون (٦/ ٣٨٥).

(٤) عند الآية رقم: ٥.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٦)، والكشف (٢/ ٣٣٧)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٣).

عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا إبراهيم [بن][١] موسى، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما وُدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت [لهمدان][٢]، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[٣]، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت»[٤]. انفرد بإخراجه البخاري.

قال الزجاج[٥]: "يغوث ويعوق" لا ينصرفان؛ لأنهما في وزن الفعل، وهما معْرفتان.

وقرأ الأعمش: "يغوثاً ويعوقاً" بالصرف[٦].

قال الزمخشري[٧]: هذه قراءة مشكلة؛ لأنهما [إنْ][٨] كانا عربيين أو عجميين

---

(١) زيادة من ب، والصحيح.

(٢) في الأصل: لهمذان. والمثبت من ب، والصحيح.

(٣) في الأصل و ب زيادة قوله: ونسراً، وهي غير موجودة في الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٣ ح٤٦٣٦).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٣١).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٥)، والكشاف (٤/ ٦٢٢).

(٧) الكشاف (٤/ ٦٢٢).

(٨) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

ففيهما سَبَبَا عدم[1] الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة؛ ولعله قصد الازدواج فصرفهما، لمصادفته أخواتهما منصرفات؛ وُدّاً وسُواعاً ونسراً، كما قرئ: ﴿وضحاها﴾ [الشمس:١] بالإمالة، لوقوعه مع المُمالات؛ للازدواج.

قوله تعالى: ﴿وقد أضلوا﴾[2] يعني: الأصنام، وقيل: الرؤساء، ﴿كثيراً﴾ يريد: خلقاً كثيراً من الناس.

وهذا من شكاية نوح عليه السلام إلى ربه عز وجل.

ثم دعا على [قومه][3] حين أَيِسَ من إيمانهم فقال: ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ "ما" صلة. والمعنى: من خطاياهم، أي: من أجلها وبسببها أغرقوا.

---

(١) في ب والكشاف: منع.
(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿كثيراً﴾، وستأتي بعد.
(٣) زيادة من ب.

قرأ أبو عمرو: "خَطَايَاهُم" مثل: عطاياهم. وقرأ الباقون: "خطيئاتهم"[(١)]، وهما جمْعا: خطيئة.

وفي قراءة ابن مسعود: "من خطيئاتهم"[(٢)].

قوله تعالى: ﴿دَيّاراً﴾ من الأسماء المستعملة في النفي العام.

قال ابن قتيبة[(٣)]: يقال: ما بالمنازل ديّار؛ أي: ما بها أحد.

قال الزجاج[(٤)]: أصلها: ديوار، فقلبت الواو ياء [وأدغمت][(٥)] إحداهما في الأخرى.

قال المفسرون: إنما دعا عليهم؛ لأن [الله][(٦)] تعالى أوحى إليه: ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾[(٧)] [هود:٣٦].

قوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ قد ذكرنا فيما مضى أن اسم أبيه: [لمك][(٨)] بن متوشلخ، واسم أمه: شمخا بنت أنوش.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٦)، والكشف (٢/ ٣٣٧)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٣٧)، والدر المصون (٦/ ٣٨٦).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٨).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٣١).

(٥) في الأصل: وأغدمت. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) أخرجه الطبري عن قتادة. وذكره الماوردي (٦/ ١٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٩٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

(٨) في الأصل: ملك. والتصويب من ب.

قال المفسرون: كانا مؤمنين(١).

وقرأ سعيد بن بن جبير وسعيد بن المسيب والجحدري: "ولوالدي" على التوحيد، وهي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٢).

وقرأ ابن مسعود وأبو العالية والزهري والنخعي: "ولِوَلَدَيَّ" من غير ألف، على التثنية(٣)، يريد: ابنيه.

وفي استغفار نوح لوالديه وإبراهيم أيضاً في قوله: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ [إبراهيم:٤١] شريعة(٤) وتنبيه لكل مؤمن على الاستغفار لوالديه، إلا أن يموتا على الكفر، فلا وجه لاستغفاره لهما.

أخبرنا حنبل بن الفرج إذناً قال: أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر ابن حمدان، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم [بن](٥) أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»(٦).

قوله تعالى: ﴿ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾ أي: منزلي. وقيل: مسجدي.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٧٥)، والدر المصون (٦/ ٣٨٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) في ب: شرعية.

(٥) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩ ح١٠٦١٨).

و"مؤمناً" نصب على الحال(١).

﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ عام في كل من آمن، من الرجال والنساء.

﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ أي: هلاكاً.

فإن قيل: ما فعل بصبيانهم حين أغرقوا؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أنه قد روي أن الله أعقم نساءهم أربعين سنة، فلم يكن لهم عند الغرق صبيان.

الثاني: أنهم كانوا كفاراً في علم الله تعالى؛ لأن نوحاً لم يُقدم على قوله: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ إلا بطريق الوحي.

الثالث: أنهم أُغرقوا بآجالهم لا على وجه العقوبة لهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٨٧).

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثماني وعشرون آية[1]. وهي مكية بإجماعهم.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ
رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ
شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ
كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ
ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل أوحي إلي﴾ قال الزجاج[2]: وقُرئت: "أُحِيَ إليّ" بغير واو، [وهو من][3] وَحَيْتُ إليه، [والأكثر][4] أوحيتُ. والأصل: يعني في "أُحِيَ": وُحِيَ، ولكن الواو إذا انضمت فقد تُبدل منها الهمزة، نحو: ﴿وإذا الرسل

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٦).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٣).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وأكثر. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

أقتت﴾ [المرسلات:١١]، أصله: وُقِّتت؛ لأنه من الوقت.

قال الزمخشري[١]: هو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة؛ وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً؛ كإشاح، وإسادة، وإعاء أخيه.

وقرأ ابن أبي عبلة: "وُحِيَ" على الأصل[٢].

﴿أنه استمع نفر من الجن﴾ [اتفق][٣] القراء العشرة وأكثر القراء على فتح هذه الهمزة، وذلك أنه مفعولٌ [قام][٤] مقام الفاعل لـ"أوحي". وقد ذكرنا في الأحقاف سبب نزول هذه الآية، وسبب استماعهم، وعددهم، ومعنى النَّفَر[٥].

قال المفسرون: كانوا من الشيصبان -قبيلة من الجن[٦]-، وهم أكثر الجن عدداً، وعامة جنود إبليس منهم[٧].

﴿فقالوا﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ بديعاً يُعجب منه؛ لبلاغته، وهو مصدر وُضع موضع العجب.

﴿يهدي إلى الرشد﴾ يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان والطاعة.

﴿فآمنا به﴾ أي: بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص:

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٢٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٣٣٩)، والدر المصون (٦/ ٣٨٨).

(٣) في الأصل: اتفقوا. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: أقام. والتصويب من ب.

(٥) عند الآية رقم: ٢٩.

(٦) قوله: "قبيلة من الجن" ساقط من ب.

(٧) الكشاف (٤/ ٦٢٥).

"وأنه" بفتح الهمزة وما بعدها إلى قوله: ﴿وأنا منا المسلمون﴾، وهي اثنتا عشرة همزة. وكسرها الباقون[١].

فمن فتح ذلك حمله على "أوحي"، ومن كسر فعلى الاستئناف.

وقرأ أبو جعفر المدني: ﴿وأنه تعالى﴾، ﴿وأنه كان [يقول][٢]﴾، ﴿وأنه كان رجال﴾ بالفتح فيهن؛ لما ذكرناه، وكَسَرَ ما عدا هذه المواضع الثلاثة على الاستئناف[٣].

قال الزجاج[٤]: والذي يختاره النحويون: قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم في هذا؛ لأنه عندهم ما كان محمولاً على الوحي، فهو "أنه" بالفتح، وما كان من قول الجن [فهو][٥] مكسور معطوف على قوله: ﴿قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾. وعلى هذه القراءة يكون المعنى: وقالوا إنه تعالى جدّ ربنا، [وقالوا إنه كان يقول سفيهنا][٦].

فأما من فتح؛ [فذكر][٧] بعض النحويين: أنه معطوف على الهاء، المعنى عنده: فآمنا به وبأنه تعالى جَدُّ ربنا، وكذلك بعد هذا عنده.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٦٨-٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٧-٧٢٨)، والكشف (٢/ ٣٣٩)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) النشر (٢/ ٣٩١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٥) في الأصل: فهور. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٢٣٤).

(٧) في الأصل: فقال. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

وهذا رديء في القياس لا يُعطف على الهاء المخفوضة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه: أن يكون محمولاً على معنى: آمنا به صدّقنا، فيكون المعنى: وصدّقنا أنه تعالى جَدّ ربنا.

ومعنى: جَدّ ربنا: عظمته. تقول العرب: جَدَّ فلان في عيني، بمعنى: عَظُمَ، ومنه الحديث: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أي: عَظُمَ»[١].

وقال أبو عبيدة[٢]: جَدُّه: ملكه وسلطانه.

وقيل: غناه. ومنه: «لا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَد»[٣].

وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ بيانٌ لـ"جدّ ربنا" جل وعلا.

قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً﴾ قال مجاهد وقتادة: هو إبليس[٤].

وقال مقاتل[٥]: كفارهم، "على الله شططاً": جوراً وكذباً، وهو [وصفه][٦] بالشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا﴾ كان في ظن هؤلاء النفر من الجن أن أحداً من الثقلين لن يكذب على الله، وهذا القول خارج مخرج الاعتذار من سوء ما سلف منهم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠ ح١٢٢٣٦).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٩ ح٨٠٨)، ومسلم (١/ ٣٤٧ ح٤٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٩٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٥).

(٦) في الأصل: وصف. والتصويب من ب.

والاستعتاب.

و"كذباً" صفة مصدر محذوف، تقديره: قولاً كذباً، أو هو بمعنى: مكذوب فيه.

وقرأتُ ليعقوب: "أن لن تَقَوَّلَ" بفتح القاف والواو وتشديدها[١]، فيكون "كذباً": تقوّلاً؛ لأن التقوّل لا يكون إلا كذباً.

﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ قال ابن زيد وغيره: كان الرجل في الجاهلية إذا [سافر][٢] فنزل بِوَادٍ أو قَفْرٍ[٣] مساءً قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من شرّ سُفهاء قومه، فيبيتُ في جوار منهم[٤].

قال مقاتل[٥]: كان أولَ من تعوّذ بالجن قومٌ من أهل اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب.

قال كردم بن أبي السائب[٦]: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذُكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فوثب الراعي، فنادى: يا عامر الوادي جارك، فنادى

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٣٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٥).

(٢) في الأصل: سنافر. والتصويب من ب.

(٣) القفر والقفرة: الخلاء من الأرض وجمعه قفور. وقيل: القفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء، وقالوا: أرض مقفر أيضاً (لسان العرب، مادة: قفر).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٠٨). وذكره الماوردي (٦/ ١١١)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٥).

(٦) كردم بن أبي السائب الأنصاري، له صحبة، سكن المدينة (الإصابة ٥/ ٥٧٧).

مُنادٍ لا نراه: يا سرحان[١] أرْسِلْهُ، فإذا الحَمَلُ يشتدُّ[٢] حتى دخل الغنم فلم تُصبه كَدْمَة[٣]، فأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾[٤].

قال مقاتل[٥] وجمهور المفسرين: زاد الإنس الجن بسبب تعوذهم بهم رهقاً، وذلك أن رؤساؤهم قالوا: قد سُدْنا الجن والإنس.

وقيل: زاد الجن والإنس رهقاً.

قال الحسن: شراً[٦].

---

(١) السرحان: الذئب، وقيل: الأسد، وجمعه: سراح وسراحين (النهاية ٢/ ٣٥٨).

(٢) أي: يسرع.

(٣) الكَدْمُ: تَمَشْمُش العظم وتعرّقه، وقيل: هو العض بأدنى الفم كما يَكْدُمُ الحمار، وقيل: هـو العـض عامة، كدَمَه يكدُمُه ويكْدِمُه كَدْماً؛ إذا أثّرت فيه بحديدة (لسان العرب، مادة: كدم).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٩١ ح٤٣٠) وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٦٥ ح١١٠٥٢٥)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٠١ ح١١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي في الضعفاء والطبراني وأبي الشيخ في العظمة وابن عساكر.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٣٠): وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه، ثم قال: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة، كان جنياً حتى يرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه. والله تعالى أعلم.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٤٠٢).

وقال مقاتل[١]: غياً.

وأصل الرَّهَق: الغشيان. المعنى: [زادوهم][٢] اجتراء على غشيان الإثم والمحارم.

ثم أخبر الله تعالى أن الجن كانوا على نحو ما كان عليه كفار قريش من إنكار البعث بعد الموت فقال تعالى: ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ قال الكلبي: أتيناها[٣].

وقال غيره: اللَّمْسُ: المَسُّ، فاستعير للطلب؛ لأن الماسّ طالب متعرف.

والمعنى: طلبنا بلوغ السماء، واستماع كلام أهلها.

﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً﴾ الحرس: اسم مفرد في معنى الحُرَّاس، [كالخدم][٤] في معنى الخُدّام، والحَرَس: الملائكة الذين يحرسون السماء من استراق السمع، ﴿وشُهُباً﴾ جمع شِهاب، وهو النجم المضيء. وقد ذكرناه في قوله: ﴿فأتبعه

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦).

(٢) في الأصل: زادهم. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٥).

(٤) في الأصل: كاخدم. والتصويب من ب.

شهاب ثاقب﴾ [الصافات:١٠].

والرَّصَدُ: مثل الحرس، اسم مفرد في معنى الجمع، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب.

ويجوز أن يكون صفة للشهاب، بمعنى: الراصد.

قوله تعالى: ﴿وأنا لا ندري أشَرٌّ أريد بمن في الأرض﴾ يعني: أشرّ أريد بهم بحراسة السماء بالشهب، أي: عذاب وبلاء، ﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ خيراً ورحمة.

قال مقاتل[١]: هذا قول مؤمني الجن، قالوا: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيد بمن في الأرض، بإرسال محمد إليهم فيكذبونه فيهلكون، أم أراد بهم ربهم رشداً، وهو أن يؤمنوا به فيهتدوا.

ثم أخبروا عن حال أنفسهم فقالوا: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أي: الأبرار المتقون، ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي: قوم دون الصالحين.

وقولهم: ﴿كنا طرائق قِدَداً﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنا ذوي مذاهب مختلفة.

قال الحسن: الجن أمثالكم، منهم قَدَرية ومرْجئة[٢] ورافضة وشيعة[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦).

(٢) الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير. والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة بالمعنى الأول فهو صحيح لأنهم كانوا يأخرون العمل على النية. والمرجئة أصناف أربعة مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة. (انظر: الملل والنحل ١/ ١٢٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٠).

وقال مجاهد: يعنون: مسلمين وكافرين[١].

والطَّرائق: جمع طريقة، والقِدَد: جمع قِدَّة، وهي القطعة، وأنشد ابن عباس رضي الله عنهما:

ولقدْ قُلْتُ وزيدٌ حَاسِرٌ يومَ ولَّتْ خيلُ زيدٍ قِدَدا[٢]

وفيه إضمار، تقديره: ذوي طرائق أو في [طرائق][٣].

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا﴾ أي: أيقنا ﴿أن لن نعجز الله في الأرض﴾ أي: لن نفوته طلباً إذا طلبنا، ﴿ولن نعجزه هرباً﴾.

قال الزمخشري[٤]: قوله: "في الأرض"، "هرباً": حالان، أي: لن نعجزه كائنين في الأرض، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. وهذه صفات أحوال الجن

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١١٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٠٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) انظر البيت في: الدر المنثور (٨/ ٣٠٤).

(٣) في الأصل: طريق. والتصويب من ب.

(٤) الكشاف (٤/ ٦٢٩).

وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم.

قوله تعالى: ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ أي: لما سمعنا القرآن صدّقنا أنه من عند الله، ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ أي: فهو لا يخاف، ولولا تقدير هذا المبتدأ لكان وجه الكلام: لا [تخف][(١)].

﴿بخساً﴾ نقصاناً من ثواب عمله، ﴿ولا رهقاً﴾ ظلماً ومكروهاً يغشاه.

قوله تعالى: ﴿ومنا القاسطون﴾ أي: الجائرون الظالمون بالكفر. يقال: قَسَطَ: إذا جار، فهو قاسط. وأقسط: إذا عدل، فهو مُقسط[(٢)].

﴿فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً﴾ قال الفراء[(٣)]: أَمُّوا الهدى.

وقال غيرُه: تحرّوا: توخّوا وقصدوا الحق.

﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ أي: وقوداً للنار.

ويروى: أن الحجاج [قال][(٤)] لسعيد بن جبير حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسبوا أنه وصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالماً مشركاً، وتلا لهم قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[(٥)] [الأنعام:١].

---

(١) في الأصل: تخاف. والمثبت من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: قسط).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٩٣).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٠)، والمناوي في: فيض القدير (٢/ ٤٧٢).

﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ قال صاحب الكشاف[(١)]: "أنْ" مخففة من الثقيلة، فهو من جملة [الموحى. والمعنى][(٢)]: وأوحي إليّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى، أي: [لو][(٣)] ثبت أبوهم الجانّ على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر، وتبعه ولده على الإسلام، ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾. ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع، ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام، لوسّعنا عليهم الرزق مستدرِجين لهم.

وقال مقاتل[(٤)] وجمهور المفسرين: هذا إخبار عن أهل مكة. المعنى: وأن لو استقاموا على طريقة الهدى.

وذهب قوم: إلى أن المراد بها: طريقة الكفر. وهو قول محمد بن كعب والربيع والفراء وابن قتيبة[(٥)].

فعلى الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا عليهم ﴿لنفتنهم﴾ لنختبرهم فننظر كيف شكرهم.

وعلى الثاني يكون المعنى: وأن لو استقاموا على طريقتهم في الكفر لوسّعنا عليهم لنوقعهم في الفتنة.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٣٠-٦٣١).

(٢) في الأصل و ب: الوحي المعنى، والمثبت من الكشاف (٤/ ٦٣٠).

(٣) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦٣٠).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٧).

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٩٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٩٠). وذكره الماوردي (٦/ ١١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨١).

والماء الغَدَق: الكثير، وإنما ذُكر لأن عامة الخير والرزق [به][(١)].

وقيل: المعنى: لأكثرنا لهم الماء فأغرقناهم كقوم نوح.

وليس هذا القول بشيء.

قوله تعالى: ﴿نَسْلُكْهُ﴾ وقرأ أهل الكوفة: "يَسْلُكْهُ" بالياء[(٢)] ﴿عذاباً﴾ أي: في عذاب، إما بتقدير حذف الجار، وإما لكون "نسلكه" في معنى: ندخله ﴿صَعَداً﴾ شاقاً.

والمعنى: ذا صعود.

وجاء في التفسير: أنه جبل في النار يكلّف صعوده. وسنذكره إن شاء الله عند قوله: ﴿سأرهقه صَعُوداً﴾ [المدثر:١٧].

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن
يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ اتفق القُرَّاء على فتح الهمزة هاهنا، وفيه وجهان:

---

(١) في الأصل: منه، والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٩)، والكشف (٢/ ٣٤٢)، والنشر (٢/ ٣٩٢)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٦).

أحدهما: أن يكون من جملة الموحى.

والثاني: أن يكون المعنى: ولأن المساجد لله ﴿فلا تدعوا﴾. فتكون اللام متعلقة: بـ"لا تدعوا". على معنى: فلا تدعوا ﴿مع الله أحداً﴾ في المساجد؛ لأنها لله خالصة. ومثله: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [المؤمنون:٥٢]، أي: ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون، أي: لهذا فاتقون. وهذا مذهب الخليل.

قال أبو علي[١]: ويجوز أيضاً في غير هذا الحرف مما قُرئ بالفتح أن يحمل على هذا التأويل إذا كان مما يليق به.

وفي معنى المساجد أربعة أقوال:

أحدها: أنها المساجد المعهودة. قاله ابن عباس[٢].

قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهُم أشركوا بالله، [فأمر الله][٣] عز وجل المسلمين أن يخلصوا له الدعاء إذا دخلوا مساجدهم[٤].

الثاني: أنها الأعضاء السبعة التي يَسجد عليها العبد. قاله سعيد بن جبير[٥].

على معنى: أنها لله خلقاً وملكاً، فلا يُذللها لغيره جل وعلا.

وهي على التفسير الأول: جمع مَسْجِد، بكسر الجيم. وعلى الثاني: جمع مَسْجَد، بفتح الجيم.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٦٩).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٢).

(٣) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٠٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٢).

الثالث: أن المراد بالمساجد: البقاع كلها. قاله الحسن[١]. على معنى: أن الأرضَ كلَّها مواضعُ للسجود، وهي كلها لله فلا تعبدوا عليها غيره.

الرابع: أن المساجد: السجود. يقال: سَجدتُ سُجُوداً ومَسْجَداً -بفتح الجيم-، كما يقال: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضْرَباً، ثم يُجمع [فيقال][٢]: المساجد والمضارب. قاله ابن قتيبة[٣].

فيكون المعنى: وأن السجود لله مختصٌ به لا يُشارَكُ فيه، فلا تعبدوا[٤] غيره.

قوله تعالى: ﴿وأنه﴾ من جملة المُوحَى أيضاً ﴿لما قام عبد الله﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿يدعوه﴾ يصلي ببطن نخلة، على ما ذكرناه في الأحقاف[٥]، ﴿كادوا﴾ يعني: الجن ﴿يكونون عليه لِبَداً﴾ يَركبُ بعضهم بعضاً، حرصاً على سماع القرآن[٦].

وقيل: هو من قول الجن حين رجعوا إلى قومهم، [فوصفوا][٧] لهم أصحاب رسول الله ﷺ، وما رأوا من ائتمامهم به في الركوع والسجود والقيام. والقولان عن ابن عباس[٨].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٣).

(٢) في الأصل: ويقال. والمثبت من ب، وتفسير غريب القرآن (ص:٤٩١).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩١).

(٤) في الأصل زيادة قوله: به.

(٥) عند الآية رقم: ٢٩.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٣) من رواية عطية عن ابن عباس.

(٧) في الأصل و ب: وصفوا. والمثبت من زاد المسير (٨/ ٣٨٣).

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٣-٣٨٤).

وقال الحسن وقتادة: المعنى: لما قام عبدُالله يدعو الله [أي][(١)]: يعبده ويوحده ويدعو إليه، كاد الإنس والجن يكونون عليه لبداً، ليبطلوا الحق الذي جاء به[(٢)].

وقرأ هشام عن ابن عامر: "لُبَداً" بضم اللام[(٣)].

قال الفراء[(٤)]: ومعنى القراءتين واحد، يقال: لُبَدَة ولِبَدة.

وقال غيره: لُبَداً: جمع لُبْدَة، وهي ما يلبد بعضه على بعض، ومنها: لِبْدَة الأسد.

قال الزجاج[(٥)]: معنى "لُبَداً": يَركبُ بعضهم بعضاً، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبّدته، ومن هذا اشتقاق هذه اللُّبود التي [تُفْرَش][(٦)].

وقرأ جماعة، منهم: عاصم الجحدري: "لُبَّداً" بضم اللام وتشديد الباء[(٧)].

قال الزجاج[(٨)]: هو جمع لاَبِدٌ [ولُبَّد][(٩)]، مثل: راكِعٌ ورُكَّع.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٩)، والكشف (٢/ ٣٤٢)، والنشر (٢/ ٣٩٢)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٦).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٩٤).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٧).

(٦) في الأصل: تفترش. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٨٣)، والدر المصون (٦/ ٣٩٦).

(٨) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٧).

(٩) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

﴿قال إنما أدعو ربي﴾ وقرأ عاصم وحمزة: "قُلْ" على الأمر[1].

قال مقاتل[2]: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم لم يُسمع بمثله فارجع عنه، فأنزل الله: ﴿قل إنما أدعو ربي﴾.

ومن قرأ "قال" حَمل هذا على [أن][3] النبي ﷺ أجابهم بهذا.

﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ أي: لا أقدر لكم على ضر ولا نفع.

وقيل: المراد بالضر: الغي.

وفي قراءة أبيّ بن كعب: "لا أملك لكم غياً ولا رشداً"[4].

وقيل: المعنى: لا أقدر على دفع ضر عنكم، ولا على جلب رشد لكم.

﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ قال المفسرون: كان المشركون قالوا لرسول الله ﷺ: اُترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك[5]، فأنزل الله تعالى: ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ أي: لن يمنعني منه أحد إن عصيته، ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ ملتجأً. وقد ذكرناه في الكهف[6].

قوله تعالى: ﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ استثناء من قوله: ﴿لا أملك لكم ضراً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٩)، والكشف (٢/ ٣٤٢)، والنشر (٢/ ٣٩٢)، والإتحاف (ص:٤٢٦)، والسبعة (ص:٦٥٧).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٧).

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٦٣٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٤).

(٦) عند الآية رقم: ٢٧.

المعنى: لا أملك لكم إلا بلاغاً من الله، وما بينهما جملة اعتراضية.

وقال الزجاج[١]: "إلا بلاغاً" بدلٌ من قوله: "ملتحداً". المعنى: ولن أجد من دونه منجىً إلا بلاغاً، أي: لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلتُ به.

وقال غيره: "إلا" هي "إن لا"، ومعناه: إن لا أبلغ بلاغاً، كقولك: إن لا قياماً فقعوداً.

"ورسالاته" عطف على "بلاغاً"، كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات، و"من" ليست بصلة للتبليغ، إنما هي بمنزلة "مِنْ" في قوله: ﴿براءة من الله﴾ [التوبة:١].

المعنى: بلاغاً كائناً من الله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا﴾ يعني: كفار قريش ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ جنداً أهم أم المؤمنون.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٧).

فلما سمع ذلك النضر بن الحارث قال: متى هذا الذي تُوعدنا؟ فأنزل الله: ﴿قل إن أدري﴾ أي: ما أدري ﴿أقريب ما توعدون﴾ من العذاب ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ غاية بعيدة. هذا قول جمهور المفسرين.

وقال بعض المحققين[1]: الأمد يكون قريباً وبعيداً، ألا ترى إلى قوله: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠].

وكان رسول الله ﷺ يستقرب الموعد، فكأنه قال: ما أدري أهو حال [متوقع][2] في كل ساعة، أو هو مؤجل ضربت له غاية[3].

قوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ أي: هو عالم الغيب، [أو هو][4] نعت لـ"ربي". والمعنى: عالم ما غاب عن العباد، ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ من خلقه.

﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ أي: إلا المرتضى المخصوص بالرسالة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه.

وفي هذا إبطال لأمر النجوم، وما يدّعي أصحابها من علم ما غاب عن العباد بالنظر فيها.

قال العلماء بالتفسير: من ادّعى أن النجوم تدلُّه على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن.

﴿فإنه يسلك من بين يديه﴾ أي: من بين يدي من ارتضاه لرسالته، ﴿ومن

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٣٤).

(٢) في الأصل: مستوقع. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٣٤).

(٣) في ب: أو مؤجل له غاية.

(٤) في الأصل: وهو. والتصويب من ب.

خلفه رصداً﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويحرسونه من الوساوس؛ لئلا يُلبِّسوا عليه، حتى يُبلّغ ما أوحي إليه على الوجه الصحيح.

قال الضحاك: ما بُعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبّهوا بصورة المَلَك[١].

وقال السدي: يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا إنه من عند الله، وما كان ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان[٢].

قوله تعالى: ﴿ليعلم﴾ قال الزجاج[٣]: أي: ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالاته. وما بعده يدل على هذا، وهو قوله: ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾.

وقال ابن قتيبة[٤]: ليعلم الله ذلك موجوداً.

وقال قتادة: ليعلم [محمد][٥] ﷺ أن الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وحفظوا[٦].

وقال سعيد بن جبير: ليعلم محمد ﷺ أن جبريل بلغ إليه رسالة ربه[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٠٩-٣١٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٨).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٣٤).

(٥) في الأصل: محمداً. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٨).

وقرأ يعقوب من رواية رويس: "لِيُعْلَمَ" بضم الياء[(١)]، وهي قراءة ابن عباس، على معنى: ليعلم الناس.

قال ابن قتيبة[(٢)]: تُقرأ: "لتَعلم" بالتاء، يريد: لتعلم الجن أن الرسل [قد][(٣)] بلَّغت لا هُم بما رجوا من استراق السمع.

﴿وأحاط بما لديهم﴾ أي: بما عند الرسل من الحِكَم والشرائع ﴿وأحصى كل شيء﴾ من الرمل والقطر وورق الأشجار وغيرها ﴿عدداً﴾ المعنى: فكيف لا يُحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه.

و"عدداً" حال، أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً.

وقال الزجاج[(٤)]: يجوز أن يكون عدداً في موضع المصدر المحمول[(٥)]، على معنى: وأحصى، أي: وَعَدَّ كل شيء [عدداً][(٦)]. والله تعالى أعلم.

---

(١) النشر (٢/ ٣٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٢).

(٣) زيادة من ب، وتفسير غريب القرآن (ص:٤٩٢).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٨).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠٠).

(٦) في الأصل: عداً. والمثبت من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

سورة المزمل ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني عشرة آية في المدني، وعشرون بالكوفي[1].

وهي مكية إلا قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم...﴾ إلى آخر السورة[2].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ
زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ
نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا
﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها المزمل﴾ قرأ الأكثرون: "المزّمل" بإدغام التاء في الزاي؛ لقربها منها.

وقرأ جماعة، منهم: أبي بن كعب، والأعمش: "المتزمّل" بإظهار التاء على

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٧).

(٢) انظر الإتقان (١/ ٥٤)، وزاد المسير (٨/ ٣٨٧).

قال السيوطي في الإتقان: ويرده: ما أخرجه الحاكم عن عائشة أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس.

الأصل[١].

وقرأ عكرمة: "المُزَمِّل" بحذف التاء وتخفيف الزاي[٢]، على معنى: يا أيها المزَمِّل نفسه.

والمزّمّل: هو الذي تَزَّمَّلَ في ثيابه، أي: تَلَفَّفَ فيها.

قال أبو [عبدالله][٣] الجدلي[٤]: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله عز وجل: ﴿يا أيها المزمل﴾ ما كان تزميله ذلك؟ قالت: كان مِرْطاً، طولُه أربع عشرة ذراعاً، نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه على رسول الله ﷺ وهو يصلي. قال أبو عبدالله: فسألتها: ما كان؟ [فقالت: والله ما كان][٥] خَزّاً ولا قَزّاً ولا مِرْعِزَّى[٦] ولا إبريسم [ولا صوفاً][٧]، كان سَداهُ شَعْراً ولحُمته وَبَراً[٨].

[وقال][٩] السدي: كان قد تزمّل للنوم[١٠].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٨٨)، والدر المصون (٦/ ٤٠١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: أبو عبيد الله. والمثبت من ب. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٤) أبو عبد الله الجدلي الكوفي، اسمه: عبد بن عبد، وقيل: عبد الرحمن بن عبد. ثقة رُمي بالتشيع (تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٥، والتقريب ص: ٦٥٤).

(٥) زيادة من ب.

(٦) المِرْعِزَّى: الليّن من الصوف (اللسان، مادة: رعز).

(٧) في الأصل: وصوفا. والتصويب من ب.

(٨) ذكره الثعلبي (١٠/ ٥٨).

(٩) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(١٠) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٨).

وقال مقاتل[١]: خرج من البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل: "يا أيها المزمل".

وقال ابن عباس: يا أيها المزمل بالقرآن[٢].

وقال عكرمة: يا أيها المزمل بالنبوة[٣].

فإن قيل: ما الحكمة في ندائه هاهنا بالمزمل دون النبي والرسول؟

قلتُ: لأن هذه الآية من أول ما خُوطب به رسول الله ﷺ، فلما رسخ قدمه في النبوة والرسالة، فُخِّمَ وعُظِّمَ بالخطاب المنوّه بهما.

﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ يعني: قُمْهُ مصلِّياً.

قال المفسرون: كان قيام الليل فرضاً عليه.

وتقديره: قم الليل نصفه إلا قليلاً. فـ"نصفه" بدل من "الليل"[٤]، كما تقول: ضربت زيداً رأسه.

و"قليلاً": استثناء منه، قدّم المستثنى على المستثنى منه، والضمير في "منه" و"عليه" للنصف[٥].

والمعنى: التخيير بين أمرين، وهما القيام أقلّ من نصف الليل على البَتِّ والقطع، [أو اختيار][٦] أحد الأمرين، وهما النقصان من النصف والزيادة عليه.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٩).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠١).

(٥) مثل السابق.

(٦) في الأصل: واختيار. والتصويب من ب.

ويجوز أن يكون "نصفه" بدلاً من "قليلاً"[(١)].

﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ قال ابن عباس: بيّنه تبييناً[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: البيانُ لا يتم بأن تَعْجَلَ في القراءة، وإنما يتم التبيين بأن تُبَيِّنَ جميعَ الحروف وتُوَفِّي حقها من الإشباع.

قال أبو [جمرة][(٤)]: قلت لابن عباس: إني رجل في قراءتي وفي كلامي عَجَلَة، فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة البقرة أُرَتِّلها أحبّ إليّ من أقرأ القرآن كله[(٥)].

وسُئلت عائشة عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا كَسَرْدِكُم هذا، لو أراد السامعُ أن يَعُدَّ حروفه لعدّها[(٦)].

وقال عمر رضي الله عنه: شَرُّ السَّيْر: الحَقْحَقَة، وشَرُّ القراءة: الهَذْرَمَة[(٧)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٥ ح٨٧٢٥، ٦/ ١٤١ ح٣٠١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٣) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن منيع في مسنده ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٠).

(٤) في الأصل: حمزة. وهو خطأ. والتصويب من ب. وأبو جمرة هو: نصر بن عمران. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٨٥).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢/ ٤٨٩ ح٤١٨٧)، وابن المبارك في الزهد (ص: ٤٢٠).

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٨).

(٧) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٨).

والحقحقة: شدّة السَّيْر (اللسان، مادة: حقق).

والهذرمة: السُّرْعَة في القراءة (اللسان، مادة: هذرم).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن [عمرو][(١)] عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتِّل كما كنت تُرَتِّلُ في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[(٢)].

فصل

قال أهل التفسير: كان النبي ﷺ وطائفة من المؤمنين يقومون من الليل على نحو هذه المقادير، وشق ذلك على رسول الله ﷺ والمؤمنين لموضع احتياطهم وخوفهم من فوات القدر الواجب، فكانوا يقومون الليل كله، حتى خفّف الله عنهم، فأنزل آخر السورة: ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾.

قال سعيد بن هشام: قلت لعائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألست تقرأ: ﴿يا أيها المزمل﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن [الله][(٣)] افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثنا عشر شهراً في السماء، حتى أتى أمرُ الله في آخر هذه السورة بالتخفيف، فصار قيامُ الليل تطوعاً بعد [فريضة][(٤)].

وذهب جماعة من العلماء إلى أن الله تعالى نسخ فرضيّة قيام الليل في حق النبي ﷺ بقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء:٧٩]، وفي حق المؤمنين

---

(١) في الأصل: عمر. والتصويب من ب، والمسند (٢/ ١٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢ ح٦٧٩٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: فرضه. والتصويب من ب، والصحيح. والحديث أخرجه مسلم (١/ ٥١٣ ح٧٤٦).

بالصلوات الخمس.

وقال [قوم][(١)]: نُسخ في حق الأمة وبقي فرضاً عليه ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ يريد: القرآن.

وفي معنى ثقله خمسة أقوال:

أحدها: ما كان يجده النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو [أشدّه][(٢)] عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً»[(٣)]. هذا حديث متفق على صحته، وأخرجه مسلم عن أبي بكر عن أبي أسامة عن هشام.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر رضي الله عنه: «ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فلما كان رسولُ الله ﷺ بالجعرانة جاءه رجل فسأله عن شيء، فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعال،

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: أشد. والتصويب من الصحيح ومن ب.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤ ح٢)، ومسلم (٤/ ١٨١٦ ح٢٣٣٣).

فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو [مُحْمَرٌّ][(١)] يَغِطُّ كذلك ساعة، ثم سُرِّيَ عنه»[(٢)].

وفي حديث زيد بن ثابت [قال][(٣)]: «إني لقاعد إلى جنب النبي ﷺ إذ أوحي إليه وغشيَتْه السكينةُ، ووقع فخذه على فخذي، فلا والله ما وجدتُ شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ»[(٤)]. وقد ذكرنا الحديث في سورة النساء عند قوله: ﴿لا يستوي القاعدون﴾ [النساء:٩٥].

وقال أبو أروى الدوسي: «رأيت الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته، حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فربما بركت وربما قامت مُوتِدة يديها، حتى يُسَرَّى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر عنه مثل [الجمان][(٥)]»[(٦)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بِجِرَانِها[(٧)].

وقال عبادة بن الصامت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كَرِبَ له، وتربّد وجهه[(٨)].

القول الثاني: أن المراد بثقله: مشاقُّ تكاليفه.

---

(١) في الأصل: محمد ﷺ. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٧٣ ح٤٠٧٤)، ومسلم (٢/ ٨٣٧ ح١١٨٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ١١ ح٢٥٠٧).

(٥) في الأصل: الجمانة. والتصويب من ب، والطبقات الكبرى (١/ ١٩٧).

(٦) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٩٧).

(٧) أخرجه أحمد (٦/ ١١٨ ح٢٤٩١٢).

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٧ ح٢٣٣٤).

قال قتادة: [ثقيلٌ][(١)] والله! فرائضُه وحدودُه[(٢)].

وقال الحسن: إن الرجل ليَهُذُّ[(٣)] السورة، ولكن العمل به ثقيل[(٤)].

الثالث: أنه يثقل[(٥)] في الميزان يوم القيامة. قاله ابن زيد[(٦)].

الرابع: أن معنى ثقله: رصانة ألفاظه ومبانيه، وصحة معانيه، كما تقول: هذا قولٌ له وزن؛ إذا استجدّته.

قال الزجاج[(٧)]: معناه: أنه له وزنٌ في صحته وبيانه ونفعه.

قال الفراء[(٨)]: ليس بالخفيف ولا بالسفساف؛ لأنه كلام الرب عز وجل.

الخامس: أنه مهيب، [كما][(٩)] يقال للرجل العاقل: رزين راجح. قاله عبد العزيز بن يحيى[(١٠)].

قوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ يعني: ساعاته.

---

(١) في الأصل: تثقل. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن نصر.

(٣) الهذّ: سرعة القطع، تقول: تهذ القرآن هذّاً فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر (النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧).

(٥) في ب: ثقيل.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٠).

(٨) معاني الفراء (٣/ ١٩٧).

(٩) زيادة من ب.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩٠).

قال المفسرون واللغويون: الليل كله ناشئة.

قال الزجاج[1]: كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث منه فهو ناشئة.

قال أبو علي الفارسي[2]: كأنّ المعنى: إن صلاة ناشئة الليل أو عمل ناشئة الليل.

قالت عائشة رضي الله عنها: الناشئة: القيام بعد النوم[3]. وإلى هذا المعنى ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية المروذي عنه.

وقال أنس بن مالك: هي ما بين المغرب والعشاء[4].

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: هي بعد العشاء[5].

وقال عكرمة: ما قمتَ من أول الليل فهو ناشئة[6].

وقال يمان وابن كيسان: هي القيام من آخر الليل[7].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٠).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٧١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩١).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠ ح٤٥٢٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥ ح٥٩٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٧) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف وابن نصر والبيهقي في سننه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٨، ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠ ح٤٥٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٦-٣١٧) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن نصر والبيهقي في سننه. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن نصر.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩١).

قال صاحب الكشاف[(١)]: "ناشئة الليل": هي النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض وترتفع، من نشأتِ السحابةُ؛ إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه؛ إذا نهض، قال:

نَشَأنا إلى [خُوصٍ بَرَى][(٢)] نَيَّهَا السُّرَى   وألصقَ منها مُشْرِفَاتِ المَقَاحِدِ[(٣)]

قلت: [الخَوْصُ][(٤)]: ضِيقُ العين وغُؤُورُها[(٥)]، والنيّ: الشحم، والمَقَاحِد: جمع مِقْحَاد، وهي الناقة الضخمة السنام، والقَحَدَة: أصل السنام[(٦)].

قال[(٧)]: أو قيام الليل، على [أن][(٨)] الناشئة مصدر من نشأ؛ إذا قام ونهض، على فاعلة؛ كالعافية. ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها، وقد ذكرته.

﴿هي أشد وَطْأً﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو: "وِطَاءً" بكسر الواو وفتح الطاء والمد. وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء من غير مد[(٩)].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٣٩).

(٢) في الأصل: حوض يرى. والمثبت من ب.

(٣) انظر البيت في: الكشاف (٤/ ٦٣٩)، والبحر (٨/ ٣٥٤)، والدر المصون (٦/ ٤٠٤)، وروح المعاني (٢٩/ ١٠٥).

(٤) في الأصل: الحوص. والتصويب من ب.

(٥) في ب: وعوورها.

(٦) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٢١-٥٢٢).

(٧) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٨) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦٣٩).

(٩) الحجة للفارسي (٤/ ٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٠)، والكشف (٢/ ٣٤٤)، والنشر (٢/ ٣٩٢-٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٦)، والسبعة (ص:٦٥٨).

فالقِراءة الأولى مصدر [وَاطَأ][1] يُواطِئُ وِطَاءً، مثل: قَاتَلَ يُقَاتِلُ قِتَالاً.

والمعنى: إن ناشئةَ الليل هي خاصةً دون ناشئة النهار أشدُّ مواطأة يواطئ [قلبها][2] لسانها؛ إن أردت النفس، أو يواطئ فيها [قلب][3] القائم لسانه؛ إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات.

وقال الحسن: أشد موافقة بين السر والعلانية، لانقطاع رؤية الخلائق[4].

قال ابن قتيبة وأبو علي وغيرهما[5]: من قرأ: "وَطْأً" على فَعْل، فالمعنى: أنه أشقّ على الإنسان من القيام بالنهار؛ لأن الليل للدَّعَة والسكون، ومنه الحديث: «اللهم اشْدُد وطأتك على مضر»[6].

﴿وأَقْوَمُ قيلاً﴾ أسدُّ مقالاً وأصحُّ قراءة؛ لهُدُوّ الأصوات، وسكون القلوب، وعدم الشواغل.

وفي قراءة أنس: "وأصوب قيلاً"[7].

قوله تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ قال ابن عباس: فراغاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك[8].

---

(١) في الأصل: وطأ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: قبلها. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: قبل. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٩).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٧١)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٣٦٥).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٣٤١ ح٩٦١)، ومسلم (١/ ٤٦٦ ح٦٧٥).

(٧) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٤٠٥)، والكشاف (٤/ ٦٤٠).

(٨) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩٢).

وقال غيره: السَّبْح: سرعة الذهاب، ومنه: السباحة في الماء، وفرس سابح، أي: شديد الجَرْي[(١)].

فالمعنى: إن لك في النهار تصرفاً وتقلُّباً في مُهمّاتك وحوائجك.

قال الواحدي[(٢)]: السَّبْحُ: التَّقَلُّبُ، ومنه: السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه[(٣)].

وقرأ جماعة، منهم: ابن مسعود، وابن يعمر، وأبو عمران: "سَبْخاً" بالخاء المعجمة[(٤)].

قال الزجاج[(٥)]: معناه قريب من معنى السَّبْح.

قال غيره: أراد خفّةً [وَسَعَةً][(٦)] واستراحة، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد دَعَتْ على سارق سرقها: «لا تُسبّخي بدعائك عليه، أي: لا تخفّفي»[(٧)].

والتَّسْبِيخ: توسيع القطن والصوف ونفشهما، يقال للمرأة: سَبِّخي قطنك، ويقال لقطع القطن إذا نُدف: سبائخ[(٨)].

قال الأخطل يصف القناصَ والكلاب:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سبح).

(٢) الوسيط (٤/ ٣٧٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سبح).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٢)، والدر المصون (٦/ ٤٠٥).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٤١).

(٦) في الأصل: وسرعة. والمثبت من ب.

(٧) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٠ ح١٤٩٧).

(٨) انظر: اللسان (مادة: سبخ).

فَأرْسَلوهُنَّ يُذْرينَ الترابَ كَما يُذْرِي سبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أوتارِ(١)

قال ثعلب: ومنه قول النبي ﷺ: «إن الحمّى من فيح جهنم فسبّخوها بالماء»(٢).

قوله تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ أي: انقطع إلى الله في العبادة، ومنه قيل لمريم: البَتُول.

والمعنى: بتّل نفسك. وعليه جاء المصدر مراعاة للفواصل.

قوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وأهل الكوفة إلا حفصاً: "ربِّ" بالجر على البدل من "ربك".

وقرأ الباقون من العشرة: "ربُّ" بالرفع على المدح(٣). أو هو مبتدأ، خبره: ﴿لا إله إلا هو﴾(٤). وقد سبق تفسيره.

وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا

(١) البيت للأخطل. انظر: ديوانه (ص:١٤٠)، واللسان (مادة: سبخ)، والطبري (٢٩/ ١٣٢)، والقرطبي (١٩/ ٤٣)، والبحر (٨/ ٣٥٥)، والدر المصون (٦/ ٤٠٥)، وروح المعاني (٢٩/ ١٠٦)، وتاج العروس (مادة: سبخ، ندف)، والعين (٤/ ٢٠٤).

(٢) ذكره بهذا اللفظ: القرطبي (١٩/ ٤٣). وأصل الحديث أخرجه البخاري (٣/ ١١٩١ ح٣٠٩١)، ومسلم (٤/ ١٧٣١ ح٢٢٠٩) من حديث ابن عمر ولفظها: "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء".

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣١)، والكشف (٢/ ٣٤٥)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٦)، والسبعة (ص:٦٥٨).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠٦).

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ
إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ
مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون﴾ أي: على ما يقولون من التكذيب والأذى، ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿وذرني والمكذبين أولي النَّعْمة﴾ أي: أولي التنعّم.

المعنى: لا تهتم بهم فإني أكفيك أمرهم.

قالت عائشة رضي الله [عنها][(١)]: لما نزلت: ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾ لم يكن إلا يسيراً حتى كانت وقعة بدر[(٢)].

قوله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ وهي القيود، واحدها: نِكْل.

قال الكلبي: أغلالاً من حديد[(٣)].

وقال أبو عمران الجوني: قيودٌ لا تُحلّ[(٤)].

﴿وجحيماً * وطعاماً ذا غصة﴾ لا يسوغ في الحلق.

---

(١) في الأصل: عنهما. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٣٦ ح٨٧٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والطبري (٢٩/ ١٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٥٦ ح٤٥٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٨) وعزاه لأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣١٩) وعزاه لعبد بن حميد.

قال ابن عباس: هو شوك يأخذ [بالحلق][(١)] فلا يدخل فيه ولا يخرج[(٢)].

وقال [مقاتل][(٣)]: هو الزقوم.

وقال الزجاج[(٤)]: هو الضريع.

أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره، عن وكيع، عن حمزة الزيات، عن حمران بن أعين، عن ابن عمر: أن النبي ﷺ سمع قارئاً قرأ: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾ فصعق[(٥)].

قرأتُ على الشيخ أبي عبدالله أحمد بن محمد بن طلحة البغدادي بالموصل، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد فأقر به، أخبرنا أبو طالب ابن يوسف، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، حدثنا أبو بكر[(٦)] أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا أبي، حدثنا يونس، وحدثنا صالح،

---

(١) في الأصل و ب: الحلق. والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٩ ح٣٨٦٧)، والطبري (٢٩/ ١٣٥)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (ص:٩١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

(٣) زيادة من ب. وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤١٠).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٠)، وأحمد في الزهد (ص:٣٦)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٠ ح٢٦٧)، والبيهقي في الشعب (١/ ٥٢٢ ح٩١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٩) وعزاه لأحمد في الزهد وهناد وعبد بن حميد ومحمد بن نصر.

(٦) في الأصل زيادة قوله: بن. وهو وهم.

عن خليد بن حسان[1]، قال: أمسى الحسن صائماً، فجئناه بطعامه عند إفطاره، فلما قُرِّب إليه عرضت له هذه الآية: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ فتقلَّصت يده عنه، فقال: ارفعوه، فرفعناه. قال: فأصبح صائماً، فلما أراد أن يفطر ذكر الآية ففعل ذلك أيضاً، فلما كان اليوم الثالث انطلق ابنه إلى ثابت البناني ويحيى البكّاء وأناسٍ من أصحاب الحسن فقال: أدركوا أبي فإنه لم يذق طعاماً منذ ثلاثة أيام، كلما قربنا إليه الطعام ذكر هذه الآية: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة﴾ فتركه، قال: فأتوه، فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق[2].

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف﴾ قال الزجاج[3]: "يومَ" منصوب بقوله: "إن لدينا أنكالاً" أي: نُنكِّل بالكافرين ونعذِّبهم يوم ترجف ﴿الأرض والجبال﴾، أي: تُزلزل وتُحرّك.

﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ قال الفراء[4]: الكثيب: الرمل، والمهيل: الذي تُحرّك أسفله فينهال عليك من أعلاه.

وما بعده ظاهر أو مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿أخذاً وبيلاً﴾ أي: ثقيلاً، ومنه: الوَابِلُ والوَبِيلُ: العصا الضخمة[5].

---

(١) خليد بن حسان، أبو حسان البحري العصري، سكن بخارى. يروي عن الحسن، روى عنه خازم بن خزيمة، يخطىء ويهم (الثقات ٦/ ٢٧١).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٤٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٢).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٩٨).

(٥) انظر: (اللسان، مادة: وبل).

قوله تعالى: ﴿يوماً﴾ مفعول به[١]، أي: فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وعذابه إن بقيتم على كفركم؟.

ويجوز أن يكون ظرفاً، على معنى: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا.

وقرأت من بعض طرق حفص: "تتقونِ" بكسر النون[٢]، فيكون "يوماً" نصباً على الظرف، على ما ذكرنا، أو مفعولاً لـ"كفرتم"[٣]، على معنى: جحدتم يوماً، أي: كيف تتقون وتخشون إن جحدتم يوم القيامة، والمجازاة على الأعمال؛ لأن تقوى الله خوف عقابه.

ثم نبّه على أهوال ذلك اليوم وشدائده بقوله: ﴿يجعل الولدان﴾ أي: الأطفال الذين لم يتلبّسوا بالإجرام ولم يتدنّسوا بالآثام ﴿شيباً﴾.

وقرأ أبي بن كعب وأبو عمران: "نجعل" بالنون[٤].

ثم بالغ في وصف أهواله فقال: ﴿السماء مُنفطرٌ به﴾ يعني: لنزول الملائكة، كقوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [الانفطار:١].

قال ابن قتيبة[٥]: المعنى: السماء مُنشقٌّ به، أي فيه، يعني: في ذلك اليوم.

وقال غيره[٦]: الباء في "به" مثلها في قولك: فطرتُ العود بالقدوم فانفطر به،

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٢)، والدر المصون (٦/ ٤٠٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: القرطبي (١٩/ ٥٠).

(٣) في الأصل: كفرتم. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٤)، والدر المصون (٦/ ٤٠٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٤).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٣).

يعني: أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله، كما ينفطر الشيء بما يُفطر به.

قال الفراء[١]: السماء تذكّر وتؤنّث، وأنشد:

فلو رَفَعَ السماءُ إليهِ قَوْماً لَحِقْنا بالسماءِ معَ السحاب[٢]

وقال الزجاج وغيره[٣]: ذكّر على تأويل السماء بالسقف. وقيل: التقدير: السماء شيء مُنفطر به.

﴿كان وعده مفعولاً﴾ أي: وعد الله بالبعث مفعولاً، كائناً لا محالة.

وقيل: الضمير في "وعده" لليوم، فيكون من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

﴿إن هذه﴾ الآيات الناطقة بهذا الوعيد الشديد ﴿تذكرة﴾ موعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالإيمان والطاعة.

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٩٩).

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: سما)، والطبري (٢٩/ ١٣٩)، والقرطبي (١٩/ ٥١)، والبحر (١/ ٢١٩، ٨/ ٣٥٧)، والدر المصون (١/ ١٣٦، ٦/ ٤٠٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٩٤)، وروح المعاني (١/ ١٧١، ٢٩/ ١١٠).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٣).

حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أي: أقل ﴿من ثُلُثَي الليل﴾ وقرأ هشام: "ثُلْثَي" بسكون اللام(١)، وهما لغتان.

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة: "ونِصْفَهُ وثُلُثَه" بالنصب فيهما، على معنى: وتقوم النصف والثلث.

وقرأ الباقون من العشرة: بالجر فيهما، عطفاً على "ثُلُثَي الليل"(٢)، أي: وأدنى من نصفه، وأدنى من ثلثه.

قال مكي(٣): النصب أقوى؛ لأن الفرض كان على النبي ﷺ قيام ثُلُث الليل، فإذا نصبت ["ثلثه"](٤) أخبرت أنه كان يقوم ما فرض الله عليه وأكثر، وإذا [خفضت](٥) "ثلثه" أخبرت أنه كان يقوم أقلّ من الفرض.

﴿وطائفة من الذين معك﴾ وهم المؤمنون المخلصون، ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ يعلم مقادير ساعاتها، لا يعلمها على الحقيقة سواه، ﴿علم أن لن

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٣)، والكشف (٢/ ٣٤٦)، والنشر (٢/ ٢١٧)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٨).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣١-٧٣٢)، والكشف (٢/ ٣٤٥)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٨).

(٣) الكشف (٢/ ٣٤٥).

(٤) زيادة من الكشف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: نصبت. والتصويب من ب، والكشف، الموضع السابق.

تحصوه﴾ قال مقاتل[(١)]: علم أن لن تطيقوا قيام ثلثي الليل ولا ثلث الليل ولا نصف [الليل][(٢)].

وقال الفراء[(٣)]: علم أن لن تحفظوا مواقيت الليل.

وقال غيره[(٤)]: الضمير في "تحصوه" لمصدر "يقدر".

﴿فتاب عليكم﴾ عاد عليكم بالرحمة والتخفيف ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ أي: فَصَلُّوا ما تيسّر عليكم.

وعبّر عن الصلاة بالقراءة؛ لاشتمالها عليها، كما عبّر عنها بالركوع والسجود.

قال الماوردي[(٥)]: يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يتطوع به من نوافله.

الثاني: أنه محمول على [فروض][(٦)] الصلوات الخمس؛ لانتقال الناس من قيام الليل إليها. ويكون قوله: "ما تيسر" محمولاً على صفة الأداء في القوة والضعف، والصحة والمرض.

وذهب كثير من المفسرين إلى أن المعنى: فاقرؤوا في الصلاة ما تيسير من القرآن.

ويروى أن ابن عباس أمّ الناس بالبصرة، فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤١١).

(٢) في الأصل: الثلث. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٠٠).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٤).

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٢).

(٦) في الأصل: فرض. والتصويب من ب، وتفسير الماوردي، الموضع السابق.

من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، فلما قضى صلاته قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾. قال علي بن عمر الحافظ: هذا حجة لمن يقول: فاقرؤوا ما تيسر منه [فيها][١] بعد الفاتحة[٢].

قال بعضهم: هو أمرٌ بقراءة القرآن.

ثم اختلفوا: هل هذا الأمر على وجه الإيجاب أم الاستحباب؟

والحق أن يقال: يجب على المسلم أن يتعلم من القرآن ما يتوقّف[٣] صحة الصلاة عليه.

قال الماوردي[٤]: وفي قدر ما تضمّنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال:

أحدها: جميع القرآن؛ لأن الله تعالى قد يسّره على عباده. وهو قول الضحاك.

والثاني: ثلث القرآن. حكاه جويبر.

والثالث: مائتا آية. قاله السدي.

والرابع: مائة [آية][٥]. قاله ابن عباس.

والخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة. قاله أبو خالد الكناني[٦].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٣٨ ح٢)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٤٠ ح٢٢٠١) من حديث قيس بن أبي حازم. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٣) وعزاه للدارقطني والبيهقي في السنن.

(٣) في الأصل زيادة قوله: على. وانظر: ب.

(٤) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٣).

(٥) زيادة من ب، وتفسير الماوردي، الموضع السابق.

(٦) في هامش ب: أسند البزار عن جابر: كتب علينا قيام الليل ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا

=

ثم نبّه على حكمة التخفيف بما ذكر من أعذار الناس فقال: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ المعنى: فلا تُطيقوا قيام الليل ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ أي: يسافرون ﴿يبتغون من فضل الله﴾ أي: يطلبون الرزق بالتجارة فلا يستطيعون قيام الليل؛ إما لمشقة السفر، وإما لكثرة السهر، ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾.

قال بعض العلماء: سوّى الله تعالى بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال[(١)].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ يريد: الصلوات الخمس، ﴿وآتوا الزكاة﴾ قال ابن عباس: صلة الرحم، وقرى الضيف[(٣)]. يشير إلى أن الزكاة لم تكن بعدُ فُرضت.

قال عكرمة وقتادة: زكاة الأموال[(٤)].

= قليلاً﴾ فقمنا حتى انتفخت أقدامنا. فأنزل الله تبارك وتعالى الرخصة: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى... إلى آخر السورة﴾.

قلت أنا: وفي هذا نظر، فإن هذا كان كله بمكة، وجابر أنصاري...

(١) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٤٤).

(٢) ذكره القرطبي (٨/ ٣٢٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن عمر بن الخطاب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩٦).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

وقيل: صدقة الفطر[١].

﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ مُفسّر في البقرة[٢].

والمراد بها هاهنا: النفقة في سبيل الله، في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣].

والنوافل بعد الفرض، في قول ابن زيد[٤].

وقال زيد بن أسلم: النفقة على الأهل[٥].

قوله تعالى: ﴿هو خيراً﴾ قال الزجاج[٦]: "خيراً" منصوب بمفعول ثاني لـ"تجدوه"، ودخلت "هو" فَصْلاً.

قال المفسرون: ومعنى: "هو خيراً" هو أفضل مما أعطيتم، ﴿وأعظم أجراً﴾ من الذي تؤخرون إلى وقت الوصية عند الموت.

﴿واستغفروا الله﴾ من ذنوبكم ﴿إن الله غفور﴾ للمستغفرين ﴿رحيم﴾ بالمؤمنين.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٢) عند الآية رقم: ٢٤٥.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٢). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٤).

سورة المدثر ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس وخمسون آية في المدني، [وست][1] في الكوفي[2]. وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى مقاتل آية وهي قوله: ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾[3].

والسبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «[جاورتُ][4] بحِراء شهراً، فلما قضيتُ جواري نزلتُ فاستبطنتُ بطن الوادي، فنُوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دَثِّروني، وصبوا عليّ ماء بارداً، وأنزل عليّ ﴿يا أيها المدثر﴾»[5].

قوله: "فإذا هو جالس" يعني: جبريل عليه السلام.

[أخبرنا][6] الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا

---

(١) في الأصل: ست. والتصويب من ب.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٣٩٨).

(٤) في الأصل: جاوت. والتصويب من ب، والصحيحين.

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٥ ح٤٦٤٠)، ومسلم (١/ ١٤٤ ح١٦١).

(٦) في الأصل: وأخبرنا. والمثبت من ب.

عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحِراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فَجُئِثْتُ(١) منه رعباً، [فرجعت](٢) فقلت: زَمِّلوني زَمِّلوني، فدثِّروني، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾. قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع»(٣).

قال الخطابي: "فجُئِثْتُ": أي: فَرَقْتُ، يقال: رجل مَجْؤُوثٌ. وقد صحّفه بعضهم فقال: "فجبنت"، من الجُبن. وهذا يدل على أن هذا من أول ما نزل من القرآن. وقد ذكرنا الصحيح من ذلك في مقدمة الكتاب.

فصل

اختلف العلماء في الشهر الذي ابتُدئ فيه الوحي؛ فقال أبو هريرة: نزل جبريل على النبي ﷺ بالرسالة يوم سبعة وعشرين من رجب، وهو أول يوم هبط فيه(٤).

وقال ابن إسحاق: ابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان، فأما اليوم الذي ابتُدئ فيه بالوحي، فقد روى مسلم في صحيحه: «أن النبي ﷺ سئل عن

---

(١) فجئثت: أي: ذُعِرْتُ وخِفْتُ (اللسان، مادة: جأث).

(٢) في الأصل: فرعت. والتصويب من ب، والبخاري (٤/ ١٨٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٥-١٨٧٦ ح٤٦٤١، ٤٦٤٢).

(٤) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه (٨/ ٢٨٩) مطولاً.

صوم يوم الاثنين؟ فقال: فيه وُلدت، وفيه أُنزل عليّ»(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾

فصل

قرأ الأكثرون: "المدَّثِّر". وقرأ أبي بن كعب وأبو عمران الجوني والأعمش: "المتَدَثِّر"(٢).

وقرأ أبو رجاء وعكرمة: "[المدَثَّر](٣)" بتخفيف الدال(٤). وقد نبهنا على علّة ذلك في أول المزمل.

والأكثرون على أنه من التَّدثير بالثياب.

وقيل: المدثر بالنبوة، كما في المزمّل.

﴿قم فأنذر﴾ أي: قم من مضجعك.

وقيل: هو أمرٌ له [بالتشمير](٥) في الإنذار والجِدّ فيه، فأنْذِرْ كفار مكة وغيرهم، وحَذِّرْهُمُ عقوبة الله إن لم يؤمنوا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٠ ح١١٦٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٩)، والدر المصون (٦/ ٤١١).

(٣) في الأصل: المتدثر. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٩)، والدر المصون (٦/ ٤١١).

(٥) في الأصل: بالتشهير. والتصويب من ب.

﴿وربك فكبر﴾ أي: عَظِّم.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «لما نزلت [قال رسـول الله ﷺ][١]: "الله أكبر"، فكبّرت خديجة وفرحت، وأيقنت أنه الوحي»[٢].

﴿وثيابك فطهِّر﴾ قال مجاهد وقتادة: نفسك فطهِّر من الذنوب[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: كنَّى عن الجسم بالثياب؛ لأنها تشتمل عليه. ويشهد له قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرمحِ الأصمِّ ثيابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنَا بمُحَرَّم[٥]

وهو قريبٌ من قول من قال: وعملك فأصلح[٦].

قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً: إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً: إنه لخبيث الثياب[٧].

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٦٤٧).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٧)، والقرطبي (١٩/ ٦٢).

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ١٤٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٠).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٥).

(٥) البيت لعنترة. وهو في: اللسان (مادة: طهر)، والأغاني (٩/ ٢٥٤)، ومجمع الأمثال (١/ ٣٤٤)، والقرطبي (١٩/ ٦٣)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١١٧).

(٦) هو قول مجاهد. أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) ذكره البغوي (٤/ ٤١٣).

وقال ابن عباس: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة(١).

قال غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني [بحمدِ](٢) الله لا ثوبَ فَاجرٍ ... لبستُ ولا مِنْ غَدْرَةٍ أتقنَّعُ(٣)

وروي عن ابن عباس أيضاً: أن المعنى: لا تكن ثيابك من كسب(٤) غير طاهر(٥).

وقال ابن سيرين وابن زيد: أمره بتطهير ثيابه من النجاسات التي لا تجوز معها الصلاة(٦).

وقال سعيد بن جبير: وقلبك فطهر(٧). ويشهد له قول امرئ القيس:

فإنْ تكُ قد ساءتكَ مني خليقةٌ ... فَسُلِّي ثيابي من ثيابكِ تنسُلي(٨)

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم.

(٢) في الأصل: وبحمد. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيت لغيلان بن سلمة. وهو في: اللسان (مادة: قوا)، والطبري (١٥/ ١٠١، ٢٩/ ١٤٥)، والقرطبي (١٠/ ٢٧٦، ١٩/ ٦٣)، والماوردي (٦/ ١٣٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، وروح المعاني (٢٩/ ١١٧).

(٤) في ب: مكسب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٦-١٤٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠١).

(٨) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٣)، والأغاني (٩/ ٨٥)، والماوردي (٦/ ١٣٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٠١)، وروح المعاني (٢٩/ ١١٧).

أي: قلبي من قلبك.

وقال طاووس والزجاج[١]: وثيابك فقصّر؛ لأن تقصير الثوب أبعدُ من النجاسة.

﴿والرجز فاهجر﴾ وقرأ حفص: "والرُّجْزَ" بضم الراء[٢].

قال عامة المفسرين: يريد: الأوثان.

وقيل: الإثم.

قال الزجاج[٣]: الرجز في اللغة: العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله.

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ قال الزجاج[٤]: "تستكثر" حالٌ متوقعة[٥].

وهذا للنبي ﷺ خاصة، وليس على الإنسان إثم في أن يُهدي هدية يرجو بها ما هو أكثر منها. والنبي ﷺ أدبه الله تعالى بأشرف الآداب، وأجلّ الخلائق.

قال جمهور المفسرين: المعنى: لا تُعطِ شيئاً لتُعطى أكثر منه[٦].

وقال الحسن: لا تمنن بعملك فتُكَثِّرَهُ على ربك[٧].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٥). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠١).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٣)، والكشف (٢/ ٣٤٧)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٩).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٢)، والدر المصون (٦/ ٤١٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٨-١٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢). وانظر: الدر (٨/ ٣٢٧).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٩). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٨).

وقال مجاهد: لا تَضْعُفْ عن الخير أن تستكثر منه[(١)].

وقرأ الحسن: "تستكثرْ" بالسكون.

قال الزمخشري[(٢)]: وفيه ثلاثة أوجه: الإبدال من "تمْنُن". كأنه قيل: [ولا][(٣)] تمنن لا تستكثر؛ على أنه من المنّ في قوله عز وجل: ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى﴾؛ لأن من شأن المنّان بما يعطي أن يستكثره، أي: يراه كثيراً ويعتدّ به، وأن يشبّه [ثِرْوَ][(٤)] بعَضُد، فيسكّن تخفيفاً، وأن يُعتبر حال الوقف.

وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار "أنْ" كقوله:

ألا [أيّهذا][(٥)] الزاجري أحضر الوغى ....[(٦)]

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "ولا تمنن أن تستكثر"[(٧)].

ويجوز في الرفع أن تحذف "أنْ" ويبطل عملها، كما روي: أحضُرُ الوغى.

قوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ أي: لأجل ربك، أو لثواب ربك، فاصبر على أذى المشركين، والقيام بأعباء الرسالة، وكل ما شُرِع لك الصبر عليه.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٩). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الكشاف (٤/ ٦٤٨).

(٣) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ٦٤٨).

(٥) في الأصل: أيها. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) تقدم.

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٦٤)، والدر المصون (٦/ ٤١٢).

قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ أي: نُفخ في الصور. [وهل][(١)] المراد بذلك النفخة الأولى أو [الثانية][(٢)]؟

فيه قولان: أظهرهما: أنها [الثانية][(٣)]؛ لقوله: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾. وقد سبق ذكر "الصور" في الأنعام[(٤)].

قرأتُ على أبي عبدالله أحمد بن محمد بن طلحة بن الحسن بن طلحة، أخبركم يحيى بن أسعد بن بَوْش، أخبرنا أبو طالب ابن يوسف، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، [أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي][(٥)]، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا أبو خباب القصاب قال: صلى بنا زرارة بن أوفى صلاة الصبح فقرأ: ﴿يا أيها المدثر﴾ حتى إذا بلغ: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خرّ ميتاً[(٦)].

قال الزجاج[(٧)]: و﴿يوم عسير﴾ يرتفع بقوله: ﴿فذلك﴾. المعنى: فذلك يوم عسير يوم النفخ في الصور.

و"يوم" يجوز أن يكون رفعاً، ويجوز أن يكون نصباً. فإذا كان نصباً فإنما بُني على الفتح؛ لإضافته إلى "إذ"؛ لأن "إذ" غير متمكنة. وإذا كان رفعاً فهو على

---

(١) في الأصل: وقيل. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: الثالثة. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: الثالثة. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٧٣.

(٥) زيادة على الأصل. وفي هامش ب: سقط اسم القطيعي.

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٠٢). وأصله عند الترمذي، انظر: (٢/ ٣٠٦ ح٤٤٥).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٦).

معنى: فذلك يوم عسير يوم ينفخ في الصور.

وقال صاحب الكشاف[1]: إن قلت: كيف صح أن يقع "يومئذ" ظرفاً لـ"يوم عسير"؟

قلتُ: المعنى: فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير؛ لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين يُنقر في الناقور.

فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿غير يسير﴾ و﴿عسير﴾ مُغْنٍ عنه؟

قلتُ: لما قال: ﴿على الكافرين﴾ فقَصَرَ العُسْرَ عليهم قال: ﴿غير يسير﴾ ليُؤذن لهم بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يُراد به أنه عسير لا يُرجى أن يرجع يسيراً، كما [يُرجى][2] تيسير العسير من أمور الدنيا.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٤٨-٦٤٩).

(٢) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦٤٩).

قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ قد سبق تفسير "ذرني"[(١)]. والعائد على الاسم الموصول محذوف، تقديره: ومن خلقته.

[و"وحيداً"][(٢)] حال من المخلوق، على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد. وهذا قول مجاهد[(٣)].

وقيل: إن "وحيداً" حالٌ من الله تعالى، ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه حال من الضمير المنصوب في "ذرني"، على معنى: ذرني وحدي، فأنا أكفيك أمره وأنتقم لك منه، وأجزيك عن كل منتقم منه.

[قال][(٤)] مقاتل[(٥)]: خلِّ بيني وبينه فأنا أكفيك هلاكه.

الثاني: أنه حال من الضمير المرفوع في "خَلَقْتُ"، أي: ذرني ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد[(٦)].

قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فإنك أتيت محمداً تتعرّض لما قبله، فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له، قال: وماذا أقول،

---

(١) في سورة القلم، عند الآية رقم: ٤٤.

(٢) في الأصل: وحيداً. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤١٥).

فوالله ما [فيكم][(١)] رجل أعلم بالأشعار مني، والله ما يُشبهها الذي يقول، والله إن لِقَوْلِه حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغدقٌ أسفله، وإنه ليَعْلُوا وما يُعلى. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: [فدعني][(٢)] حتى أفكر فيه، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثُرُه عن غيره، فنزلت هذه الآيات[(٣)].

قال مجاهد: قال الوليد لقريش: إن لي إليكم حاجة، فاجتمعوا في دار الندوة، فقال: إنكم ذَوو أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم وينطلقون من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا على شيء واحد، ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول: إنه شاعر، فعَبَسَ عندها وقال: قد سمعنا الشعر وما يشبه قوله الشعر، فقالوا: نقول: إنه كاهن، فقال: إذاً يأتونه فلا يجدونه يُحدّث ما تحدث [به][(٤)] الكهنة، قالوا: نقول: إنه مجنون، قال: إذاً يأتونه فلا يجدونه مجنوناً، قالوا: نقول: إنه ساحر، قال: وما الساحر؟ قالوا: بشرٌ يُحبّبون بين المتباغضين، ويبغّضون بين المتحابين، قال: فهو ساحر، فخرجوا لا يلقى أحد النبي ﷺ إلا قال: يا ساحر، فاشتدّ ذلك [عليه][(٥)]، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات[(٦)].

---

(١) في الأصل: منكم. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: دعني. والمثبت من ب.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٠ ح٣٨٧٢) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب (١/ ١٥٦-١٥٨ ح١٣٤). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٠) وعزاه للحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل.

(٤) زيادة من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) الوسيط (٤/ ٣٨٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٤٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٣-٤٠٤).

قوله تعالى: ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ كثيراً مبسوطاً.

وقال الزجاج[١]: غير منقطع.

قال عمر بن الخطاب رضي الله [عنه][٢]: غَلَّةُ شهر بشهر[٣].

قال مقاتل[٤]: كان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره شتاءً ولا صيفاً.

وقال ابن عباس ومجاهد: ألف دينار[٥].

وقال قتادة: أربعة آلاف دينار[٦].

﴿وبنين شهوداً﴾ أي: حضوراً عنده قد أغنيتهم عن الضرب في الأرض لابتغاء الرزق.

وفي عددهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا عشرة. قاله مجاهد وقتادة[٧].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والدينوري في المجالسة.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢) كلاهما عن مجاهد. وذكره الماوردي (٦/ ١٣٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢) كلاهما عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

الثاني: ثلاثة عشر. قاله سعيد بن جبير[1].

الثالث: اثنا عشر. قاله السدي[2].

الرابع: سبعة. قاله مقاتل[3]. قال: وهم: خالد، وعمارة، وهشام، وهؤلاء أسلموا، والعاص، وقيس، وعبد شمس، والوليد.

قوله تعالى: ﴿ومهدتُ له تمهيداً﴾ أي: بسطتُ له في العيش بسطاً.

وقال ابن عباس: يعني: المال بعضه على بعض، كما يمهد الناس[4] الفرش[5].

وقال غيره[6]: بسطتُ له الجاه العريض والرئاسة في قومه، فأتممت عليه نعمتَي الجاه والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون: زيادة الجاه والحشمة. وكان الوليد من وُجهاء قريش وصناديدهم، ولذلك لُقِّبَ الوحيد، وريحانة قريش.

﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ قال مقاتل[7]: يطمع أن أزيده في المال والولد.

وقال الحسن: يطمع أن أدخله الجنة[8].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٤) قوله: "الناس" ساقط من ب.

(٥) ذكره القرطبي (١٩/ ٧٢) من قول مجاهد، والبغوي (٤/ ٤١٤) من قول الكلبي.

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٥٠).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٨) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥).

قال المفسرون: كان الوليد يقول: إن كان [محمد][١] صادقاً، فما خُلقت الجنة إلا لي.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ له، وقطعٌ لرجائه وطمعه.

قال المفسرون: منعه الله المال والولد، ولم يزل بعد نزول هذه الآية في نقصان حتى مات فقيراً.

﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ أي: معانداً. وهو كلام مستأنف خارج مخرج التعليل للردع، كأنّ قائلاً [قال][٢]: لم لا يُزاد؟ فقال: إنه عاند آيات [النعم][٣] عليه.

﴿سأرهقه صعوداً﴾ أي: سأحمله على مشقة من العذاب، أو سأغشيه عقبة شاقة المصعد.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الصعود عقبة في النار، يتصعَّد فيها الكافر سبعين خريفاً، فهو كذلك أبداً»[٤].

وفي لفظ آخر: «جبل من نار، يُكلّف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً»[٥].

---

(١) في الأصل: محمداً. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: المنعم. والمثبت من ب.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٣ ح٢٥٧٦).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٦٦ ح٥٥٧٣)، والطبري (٢٩/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣).

قوله تعالى: ﴿إنه فكر﴾ يعني: ماذا يقول في القرآن ﴿وقدّر﴾ [هيأ][(١)] القول في نفسه. ﴿فقتل كيف قدر﴾ أي: لُعن وعُذّب على أيّ حال قدر من الكلام.

قال صاحب النظم[(٢)]: وهذا كما يقال: لأضربنه كيف صنع، أي: على أيّ حال كانت منه.

وقيل: هو تعجيب من إصابته [المحز][(٣)] في تقديره.

﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكريراً لمعنى التوكيد.

﴿ثم نظر﴾ عطف على "فكّر وقدّر"، والدعاء: اعتراض بينهما، فيما يدفع به القرآن ويرده.

وقال مقاتل[(٤)]: نظر في الوحي.

وقيل: نظر في وجوه الناس.

﴿ثم عبس وبسر﴾ أي: كرّه وجهه وقطّب، وأنشدوا:

وقدْ [رَابَنِي][(٥)] منها صُدُودٌ رأيتُهُ وإعراضُهَا عن حَاجَتِي وبُسُورُها[(٦)]

وقيل: قدّر ما تقوله، ثم نظر فيه، ثم عَبَسَ لما ضاقت عليه الحيل ولم يَدْرِ ما يقوله.

---

(١) في الأصل: منا. والتصويب من ب.

(٢) هو: الحسين بن يحيى الجرجاني.

(٣) في الأصل: المخز. والتصويب من ب.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٧).

(٥) في الأصل: رأيتني. والتصويب من ب.

(٦) البيت لتوبة الخفاجي. وهو في: الطبري (٢٩/ ١٥٦)، والقرطبي (١٩/ ٧٦)، والماوردي (٦/ ١٤٢)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٧)، وروح المعاني (٢٩/ ١٢٤).

﴿ثم أدبر﴾ عن الحق ﴿واستكبر﴾ عنه، فقال ما قال.

[ولما][(١)] كان قوله [لكلمته][(٢)] الشنعاء عقيب استنباطها من غير توقّف وتثبّت، جاء بحرف التعقيب وهو الفاء دون حرف المهلة، وذلك قوله: ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾. أي: يأثره محمد عن غيره.

وقيل: معناه: تؤثره النفوس لحلاوته.

﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ يريد: أنه ليس من كلام الله.

قال الله تعالى [مبيناً][(٣)] جزاءه على ذلك: ﴿سأصليه سقر﴾، وهو اسمٌ من أسماء جهنم. وقد ذكرناه في القمر[(٤)].

ثم عظّم شأن سقر فقال: ﴿وما أدراك ما سقر﴾.

ثم أخبر عنها فقال: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي: لا تُبقي لهم لحماً إلا أكلته، ولا تذرهم من العذاب.

وقال مجاهد: لا تُبقي من فيها حياً، ولا تذره ميتاً[(٥)].

﴿لوّاحة للبشر﴾ أي: مغيّرة للجلود الظاهرة.

قال أبو رزين: تلفَحُ الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل[(٦)].

---

(١) في الأصل: ما. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: وكلمته. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: فبينا. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٤٨.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٤٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٩ ح٣٤١٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد.

وقال عطية: تحرق البشر حتى يلوح العظم[(١)].

قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ يريد: خزنتها، وهم مالك وأعوانه، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، تَسَعُ كفُّ أحدهم مثل ربيعة ومضر.

ويروى في الحديث: «إن لأحدهم قوةَ الثقلين، يسوق أحدهم الأمّة، على رقبته جبل، فيرمي بهم في النار، ويرمي بالجبل عليهم»[(٢)].

قال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أيعْجِزُ كلُّ عشرة منكم أن يَبطشوا بواحد منهم، ثم نخرج من النار، فقال أبو الأشدين الجمحي -واسمه: كلدة بن خلف. وقال مقاتل[(٣)]: أسيد بن كلدة-: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة فأنا أمشي بين [أيديكم][(٤)] إلى الصراط، فأرفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار وندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾[(٥)].

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٣).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٧).

(٤) في الأصل: أيدكم. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٩-١٦٠) بأقصر منه. وذكره الواحدي في الوسيط (٦/ ٣٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٣٣) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ
أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ
أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾
لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم تُطِيقُونهم، وإنما جعلناهم ملائكة أشداء يَعجز طوقُ البشر عن مغالبتهم.

﴿وما جعلنا عدتهم﴾ قليلة ﴿إلا فتنة﴾ ضلالة ﴿للذين كفروا﴾ حتى قالوا ما قالوا، ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ ما عندهم من ذكر عدَّتِهم؛ لأن عِدَّتَهم في كتابهم تسعة عشر.

وقيل: ليستيقنوا صدق محمد ﷺ بكونه أخبر بعدد خَزَنة جهنم، على الوجه المذكور عندهم.

﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ منهم ومن غيرهم بمحمد ﷺ ﴿إيماناً﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي: لا يتخالجهم شك ولا ريب في عدد الخَزَنة، فينضم إلى يقينهم وتصديقهم عدم الريب بسبب تواطئهم وتوافقهم على ذلك، نظراً إلى تصديق كل واحد من الكتابَيْن والنبيَّيْن لصاحبه.

قوله تعالى: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق.

﴿والكافرون﴾ مشركوا العرب ﴿ماذا أراد الله بهذا﴾ الحديث والخبر ﴿مثلاً﴾. و"مَثَلاً" تمييز لـ"هذا"، أو حال منه[(١)].

قال الزمخشري[(٢)]: إن قلت: لم سموه مَثَلاً؟

قلتُ: هو استعارة من المثل المضروب؛ لأنه مما غَرُبَ من الكلام وبَدُع، استغراباً منهم لهذا [العدد][(٣)] واستبداعاً. والمعنى: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأيّ [غرض][(٤)] قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر، ومرادهم إنكاره من أصله، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص.

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ الكاف الأولى في موضع نصب، و"ذلك": إشارة إلى ما تقدم ذكره من معنى الإضلال والهدى.

والمعنى: كما أضل الله من أنكر عدد الخَزَنة، وهدى من صدّق ذلك ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾.

﴿وما يعلم جنود ربك﴾ يعني: من الملائكة ﴿إلا هو﴾ فلا يتوهموا أن قلّة عدد الخَزَنة لقلّة جنوده الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، يشير إلى أن مع كل واحد من الخزنة من الجنود والأعوان مما لا يعلم عددهم إلا الله. هذا معنى قول عطاء[(٥)].

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٤١٨).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٥٤).

(٣) في الأصل: العد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: شيء. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: البغوي (٤/ ٤١٧).

ويحتمل عندي: أن يراد بذلك عموم الملائكة.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين وجبريل إلى جنبه، فأتاه مَلَكٌ فقال: إن ربك يأمرك بكذا وكذا، فخشي رسول الله ﷺ أن يكون شيطاناً، فقال: يا جبريل تعرفه؟ فقال: هو مَلَك، وما كُلُّ ملائكة ربك أعرفه[1].

وقال الأوزاعي: قال موسى ﷺ: يا رب! من معك في السماء؟ قال: ملائكتي، قال: كم عدّتهم يا رب؟ قال: اثنا عشر سبطاً، قال: كم عدة كل سبط؟ قال: عدد التراب[2].

قوله تعالى: ﴿وما هي﴾ يريد: سقر ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ موعظة للناس.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ أي: حقاً.

وقيل: ردعٌ لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيراً.

ثم أقسم سبحانه وتعالى بعجائب مخلوقاته فقال: ﴿والقمر * والليل إذ أدبر﴾ قرأ نافع وحمزة وحفص: "إذ" بغير ألف، "أدبر" بهمزة قبل الدال.

ومَرَّ وَرْش على أصله في إلقاء حركة الهمزة على الساكنين قبلها، جعلوه أمراً قد تقضّى ومضى؛ لأن "إذ" ظرف لما مضى من الزمان.

وقرأ الباقون: "إذا دَبَر" بغير همز[3]، جعلوه أمراً لم يمض؛ لأن "إذا" لما يُستقبل من الزمان.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٢٥ ح٧٣٣٩).

(٢) ذكره القرطبي (١٩/ ٨٣).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٣)، والكشف (٢/ ٣٤٧)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٩).

وأَدْبَرَ ودَبَرَ لغتان. قاله الفراء[١] والأخفش وثعلب.

وقال أبو عبيدة وابن قتيبة[٢]: دَبَر بمعنى: خَلَفَ، وأدبر بمعنى: ولّى، يقال: دبرني، بمعنى: جاء خلفي.

﴿والصبح إذا أسفر﴾ أضاء وتبيّن.

﴿إنها﴾ يعني: سقر ﴿لإحدى الكُبَر﴾.

قال ابن قتيبة[٣]: "الكُبَر" جمع: كُبْرى، مثل: الأُوَل والأُولى، والصُّغَر والصُّغْرى، وهذا كما يقال: إنها لإحدى العظائم.

قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها[٤].

وقال الكلبي ومقاتل[٥]: أراد بالكُبَر: دركات جهنم السبعة.

قوله تعالى: ﴿نذيراً للبشر﴾ قال الزجاج[٦]: نصب "نذيراً" على الحال[٧].

والمعنى: إنها للكبيرة في حال الإنذار.

وقال الزمخشري[٨]: "نذيراً" تمييز من "إحدى"، على معنى: إنها لإحدى

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٠٤).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٥-٢٧٦)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٩٧).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٠).

(٥) ذكره مقاتل (٣/ ٤١٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٩).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤٢٠).

(٨) الكشاف (٤/ ٦٥٥).

الدواهي إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النساء [عفافاً][1].

وقيل: "نذيراً" متعلق بقوله في أول السورة "قُمْ"، على معنى: قُمْ نذيراً[2]. وفيه بُعْد.

قوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من قوله: "للبشر"[3].

﴿أن يتقدم﴾ في الخير والإيمان ﴿أو يتأخر﴾ عنه.

يريد: أن الإنذار شامل للمؤمنين والكفار.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ
مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا
تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ
حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ
صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ
﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ
وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(١) في الأصل: عقافاً. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٥٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤٢٠).

(٣) مثل السابق.

قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ قال صاحب الكشاف[(١)]: "رهينة" ليست بتأنيث رهين في قوله: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ [الطور:٢١]، لتأنيث النفس؛ لأنه لو قصدت الصفة لقيل: رهين؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى: الرهن، [كالشتيمة][(٢)] بمعنى: الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن.

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: كل نفس بالغة رهينةٌ بعملها لتُحاسب عليه، ﴿إلا أصحاب اليمين﴾، وهم أطفال المسلمين؛ لأنه لا حساب عليهم، لأنهم لا ذنوب لهم. قاله علي عليه السلام[(٣)]، واختاره الفراء[(٤)].

الثاني: كل نفس من أصحاب النار رهينة في النار، إلا أصحاب اليمين وهم المؤمنون فإنهم في الجنة. قاله الضحاك[(٥)].

الثالث: كل نفس مرتهنة بعملها لتحاسب عليه، إلا أصحاب اليمين فإنهم لا يحاسبون. قاله ابن جريج[(٦)].

وقال ابن السائب: هم الذين قال لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهم الذين

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٥٥).

(٢) في الأصل: كالشتمة. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ١٦٥)، والماوردي (٦/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١١).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٥) بمعناه. وذكره الماوردي (٦/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١١).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١١).

كانوا على يمين آدم[١].

وقال مقاتل[٢]: هم الذين أُعْطوا كتبهم بأيمانهم.

﴿في جنات﴾ أي: هم في جنات ﴿يتساءلون * عن المجرمين﴾ يسأل بعضهم بعضاً، أو يتساءلون غيرهم.

وقال مقاتل[٣]: إذا خرج أهل التوحيد من النار قال المؤمنون لمن بقي في النار: ﴿ما سلككم في سقر﴾.

قال الفراء[٤]: وهذه الآية تُقوّي أنهم الولدان؛ لأنهم لم يعرفوا الذنوب، فسألوا: "ما سلككم في سقر".

وقال غيره: سألوهم مع علمهم بحالهم؛ توبيخاً وتقريعاً لهم.

والمعنى: ما أدخلكم النار؟.

﴿قالوا لم نَكُ من المصلين﴾ أي: من أهل الصلاة.

﴿ولم نَكُ نُطعم المسكين﴾ لله عز وجل.

﴿وكنا نخوض﴾ [تكذيباً][٥] واستهزاءً ﴿مع الخائضين﴾ بالباطل.

﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أي: بيوم الجزاء والحساب.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ وهو الموت.

---

(١) ذكره القرطبي (١٩/ ٨٧)، والبغوي (٤/ ٤١٨) كلاهما عن مقاتل.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٩).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٥).

(٥) في الأصل: مع تكذيبنا. والتصويب من ب.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ قال المفسرون: هذا بعد الشفاعة.

قال ابن عباس: يريد: شفاعة الملائكة والنبيين، كما نفعت الموحدين[١].

وقال الحسن: لم تنفعهم شفاعة مَلَك ولا شهيد ولا مؤمن[٢].

قال ابن مسعود: يشفع نبيكم ﷺ رابع أربعة؛ جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى وعيسى، ثم نبيكم [صلى الله عليهم][٣] أجمعين، لا يُشفّع أحدٌ في أكثر مما يُشفّع فيه نبيكم، ثم النبيون، ثم الصدّيقون، ثم الشهداء. ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم: ﴿ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين﴾ قرأ إلى قوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾. قال ابن مسعود: فهؤلاء الذين يبقون في جهنم[٤].

﴿فما لهم عن التذكرة﴾[٥] أي: عن التذكير، يريد: الموعظة بالقرآن وغيره من المواعظ، ﴿معرضين﴾ نصب على الحال[٦]، كما تقول: ما لك قائماً.

﴿كأنهم﴾ لشدة نفرتهم عن التذكرة ﴿حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾.

قرأ نافع وابن عامر: "مستنفَرة" بفتح الفاء، على معنى: أنها استدعيت للنفار من القَسْوَرة، فهي مفعول بها في المعنى.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: ﷺ. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٧).

(٥) في الأصل زيادة قوله: ﴿معرضين﴾، وستأتي بعد.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤٢٢).

وقرأ الباقون: بكسر الفاء[١]، جعلوها فاعلة. ويدل عليه قولهم: ﴿فرّت﴾. يقال: نَفَرَ واسْتَنْفَرَ بمعنىً، مثل: عجب واستعجب.

قال أبو عبيدة[٢]: المعنى: كأنهم حُمُرٌ مذعورة، وأنشد الفراء والزجاج[٣]:

أمْسِكْ حمارَكَ إنه مُستنفرٌ ....[٤]

والقَسْوَرَة: فَعُولَة من القَسْر، وهو القهر والشدة، وكل شديدٍ عند العرب فهو [قَسْوَرَة][٥]. قال لبيد:

إذا ما هَتَفْنَا هَتْفَةً في نَدِيِّنَا أَتَانَا الرجالُ العائذونَ القَسَاوِرُ[٦]

ثم اختلفوا فيه؛ فقال ابن عباس في رواية عنه: هو الأسد بلغة الحبشة[٧]. وهو قول أبي هريرة[٨].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٤)، والكشف (٢/ ٣٤٧-٣٤٨)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٦٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٦).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٠٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٠).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (في إثْر أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّب)، وهو في: اللسان وتاج العروس (مادة: نفر)، والطبري (٢٩/ ١٦٨)، والماوردي (٦/ ١٤٨)، والبحر (٨/ ٣٧٢)، والدر المصون (٦/ ٤٢٢)، وزاد المسير (٨/ ٤١٢). ويروى البيت: "اربط" بدل: "أمسك".

(٥) في الأصل: قسور. والتصويب من ب.

(٦) البيت للبيد بن ربيعة. وهو في: القرطبي (١٩/ ٨٩)، والبحر (٨/ ٣٦٢)، والدر المصون (٦/ ٤٢٣).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٩) وعزاه لعبد بن حميد =

قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه، كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ هربوا منه[(١)].

وسُئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عنه فقال: هو الأسد، ومنه قوله في أراجيزه عليه السلام:

أنا الذي سَمَّتْنِي أمِّي حيدره ضِرْغَامُ آجام شَديدٌ قسورة[(٢)]

وقال ابن عباس في رواية أخرى: القسورة: الرماة[(٣)].

وقال أيضاً: هم عصب من الرجال[(٤)].

وقال أيضاً: أصوات الناس[(٥)].

وقال سعيد بن جبير: هو القَنَّاص[(٦)]، يريد: الصَّيَّاد.

وقال جماعة، منهم عكرمة: ظلمة الليل[(٧)].

= وابن جرير وابن المنذر.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٢).

(٢) انظر نحو هذا البيت في: البداية والنهاية (٤/ ١٨٧)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٣٧)، واللسان (مادة: حدر).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لسفيان بن عيينة في تفسيره وعبد الرزاق وابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٣).

قوله تعالى: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ أي: كتباً منشورة.

وكان كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إن سرّك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل واحد[1] منا كتاب منشورٌ: إلى فلان بن فلان من الله تبارك وتعالى، يؤمر فيه باتباعك[2].

وقال أبو صالح: طلبوا أن يأتي كل واحد منهم كتاب من الله تبارك وتعالى فيه براءة له من النار[3].

وقيل: إنهم قالوا: بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا أذنب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب في رقعة، فما لنا لا نرى ذلك، فنزلت هذه الآية[4].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن تلك الإرادة، وزجر عن اقتراح الآيات ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أي: لا يحذرون عذابها. فلذلك اقترحوا عليك الآيات، وتعنّتوك هذا [التعنّت][5].

﴿كلا إنه﴾ يعني: القرآن ﴿تذكرة﴾ أي: عظة بليغة.

﴿فمن شاء ذكره﴾ أي: اتّعظ به، فإن الله تعالى جعل له آلة تُوصله إلى ذلك.

ثم رد المشيئة إلى نفسه تعالى فقال: ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ وقرأ نافع:

---

(١) في ب: رجل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر أيضاً.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٣).

(٥) في الأصل: التعنيت. والتصويب من ب.

"تذكرون" بالتاء، على الخطاب[١].

﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ أخبرنا الشيخ أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم المعبر الخاتوني بدمشق، في شوال سنة ست وستمائة قال: أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد الخياط المقرئ سبط الشيخ أبي منصور، في المحرم سنة سبع وثلاثين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور البزاز، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسين الدقاق، المعروف بابن أخي ميمي، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ قال رسول الله ﷺ: «يقول ربكم: أنا أهل أن أتّقى فلا يُشرك بي غيري، وأنا أهلٌ لمن اتقى أن يُشرك بي أن أغفر له»[٢].

وأخرج الإمام أحمد قال: حدثني عبدالقدوس بن بكر قال: سمعت محمد بن [نضر][٣] الحارثي يقول في قوله تعالى: ﴿أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ قال: «أنا أهلٌ أن يتقيني عبدي، فإن لم يفعل كنتُ أهلاً أن أغفر له»[٤].

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٥)، والكشف (٢/ ٣٤٨)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ ح٤٢٩٩).

(٣) في الأصل و ب: نصر. والتصويب من الزهد (ص:٤٤١). وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٥).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٤١).

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربعون آية في الكوفي، وإلا آية في المدني[1]. وهي مكية بإجماعهم.

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن
نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ
لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ
ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا
وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾
بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ اتفقوا على أن المعنى: أقسم بيوم القيامة. واختلفوا في "لا" فقال ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو عبيدة[2]: هي صلة، وأنشدوا:

تذكَّرْتُ ليلى [فاعْتَرتْنِي][3] صَبَابَةٌ ... وكادَ ضميرُ القلب لا يتقطَّع[4]

أراد: وكاد ضمير القلب يتقطّع، ومثله: ﴿لئلا يعلم أهل

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (:٢٥٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧)، والطبري (٢٩/ ١٧٢-١٧٣)، والماوردي (٦/ ١٥٠).

(٣) في الأصل: فاعترتي. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٤) انظر البيت في: تفسير الماوردي (٦/ ١٥٠)، وتفسير النسفي (٤/ ٢٩٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٩١، ٢٠/ ٥٩) وفيه: "صميم" بدل: "ضمير".

الكتاب﴾ [الحديد:٢٩].

وقال أبو بكر بن عياش وغيره: دخلت "لا" توكيداً للقسم، كقولك: لا والله[١]، ومنه قول امرئ القيس:

لا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ لا يَدَّعِي القومُ [أني][٢] أفرّ[٣]

وقال الفراء[٤]: "لا" ردٌّ على الذين أنكروا البعث والجنة والنار.

ويدل على هذا قراءة من قرأ "لأُقْسِمُ" يجعلها لاماً دخلت على "أُقْسِم". وهي قراءة ابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن وعكرمة وابن محيصن، وبها قرأتُ لابن كثير بخلاف عنه، ولأبي عمرو من رواية عبدالوارث[٥].

قال الزجاج[٦]: وهذه القراءة بعيدة في العربية؛ لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربنَّ زيداً، ولا يجوز: لأضربُ زيداً.

وقال غيره في هذه القراءة[٧]: اللام للابتداء، و"أُقْسِم": خبر مبتدأ محذوف،

---

(١) ذكره الطبري (٢٩/ ١٧٣)، والماوردي (٦/ ١٥٠).

(٢) في الأصل: لا. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥٤)، والمحتسب (٢/ ٢٧٣)، والخزانة (٤/ ٤٨٩)، والقرطبي (١٩/ ٩٢)، والماوردي (٦/ ١٥٠)، والبحر (٨/ ٣٧٥)، والدر المصون (٦/ ٤٢٤)، وتاج العروس (مادة: سند)، وروح المعاني (٥/ ٧١، ٢٧/ ١٥٢، ٢٩/ ١٣٥).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٧).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٥)، والكشف (٢/ ٣٤٩)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٧).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٠).

معناه: لأَنا أقسم، ويعضده أنه في الإمام بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال قتادة: حكمُها حكمُ الأولى[١].

قال الحسن: أقسَمَ بالأولى، ولم يُقسم بالثانية[٢].

قال الماوردي[٣]: يكون تقدير الكلام: أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة.

والصحيح: انتظامهما في سلك واحد، وأنهما قَسَمان[٤].

فإن قيل: المقسَم عليه ما دل عليه قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾، كأنه قيل: أقسَمَ لتُبعثن. فعلى هذا؛ القسم بيوم القيامة [معقول][٥]؛ لما يشتمل عليه من الأهوال، والأمور العِظام الدالَّة على قدرة خالقها، وعظمة مُوجِدِها، والتذكير بذلك اليوم العظيم ليُهَيّجُهُم على الإيمان به، والاستعداد له، فما معنى القَسَم بالنفس اللوامة؟

قلتُ: النفس اللوامة هي التي [تتلوَّم][٦] حين لا ينفعها التَّلوُّم، وذلك يوم القيامة. فهو منتظم في معنى القَسَم الأول.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٣). وذكره الماوردي (٦/ ١٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٣). وذكره الماوردي (٦/ ١٥١).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ١٥١).

(٤) وهو اختيار الطبري (٢٩/ ١٧٣)، قال: لأنه جعل "لا" رداً لكلام قد كان تقدمه من قوم وجواباً لهم.

(٥) في الأصل: مفعول. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: تلوم. والمثبت من ب.

قال الفراء[(١)]: ليس من نفس برّةٍ ولا فاجرةٍ إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلاّ [ازددتُ][(٢)]، وإن كانت عملت شراً قالت: ليتني لم أفعل. وهذا معنى ما رواه عطاء عن ابن عباس.

وقيل: هي التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان.

قال الحسن: لا ترى المؤمن إلا لائماً لنفسه[(٣)]، وإن الكافر يمضي قُدُماً لا يعاتب نفسه[(٤)].

فعلى هذا؛ يكون القسم بالنفس المؤمنة الشديدة الخوف من ربها، أقسم بها مُؤذناً بشرفها، معرّضاً بتوبيخ الكفار لإعراضهم عن مراقبة ربهم، ومحاسبة أنفسهم، ظناً منهم أنها مُهملة، لا تُجمع لفصل القضاء والعَرْض على الله للجزاء.

وقيل: هي نفس آدم لم تزل [تتلوَّم][(٥)] على فعلها الذي خرجت به من الجنة[(٦)].

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان﴾ يريد: الكافر، فهو اسم جنس.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٠٨).

(٢) في الأصل: ازددت. والتصويب من ب.

(٣) في ب: نفسه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (ص:٢٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٤٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٥) في الأصل: تلوم. والمثبت من ب.

(٦) انظر: القرطبي (١٩/ ٩٣).

وقال ابن عباس: يريد: أبا جهل(١).

وقال مقاتل(٢) وغيره: نزلت في عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: لو عاينت يوم القيامة لم أصدقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام؟ فنزلت هذه الآية.

والاستفهام في معنى الإنكار.

والمعنى: ﴿أن لن نجمع عظامه﴾ بعد تفرُّقها وتمزُّقها.

﴿بلى﴾ أوجبت ما بعد النفي، وهو جمع العظام، أي: بلى نجمع عظامه ﴿قادرين﴾ حال من الضمير في "نجمع"(٣).

والمعنى: نجمع العظام قادرين على تأليفها وجمعها بعد أن صارت رميماً، ونسفتها الرياح.

﴿على أن نسوي بنانه﴾ يريد: أصابعه.

وخُصّ البنان بالذِّكْر؛ لموضع صغر عظامه؛ إشارة إلى أنَّ من قَدَرَ على جمع العظام الصغار كان على جمع العظام الكبار أقْدَر. وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج(٤).

وقال جمهور المفسرين: المعنى: بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه، أي: نجعلها مستوية شيئاً واحداً؛ كخف البعير، وحافر

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢١).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٤)، والدر المصون (٦/ ٤٢٦).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٤٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥١).

الحمار، فلا يتمكن من القبض والبسط، وعمل الأشياء اللطيفة التي تعمل بالأصابع؛ كالكتابة والخياطة وغيرهما[١].

وفي قراءة ابن أبي عبلة: "قادرون"، على معنى: نحن قادرون[٢].

قوله تعالى: ﴿بل يريد الإنسان﴾ قال الزمخشري[٣]: "بل يريد" عطف على "أيحسب"، فيجوز أن يكون مثله استفهاماً، وأن يكون إيجاباً على أن يُضرب عن مُستَفهم عنه إلى آخر. أو يُضرب عن مستَفهم عنه إلى موجب.

﴿ليفجر أمامه﴾ أي: ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الزمان، لا ينزع ولا يرجع عن كفره ومعصيته. هذا معنى قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي[٤].

وقال ابن عباس: يُكَذِّبُ بما أمامه من البعث والحساب[٥].

وقال سعيد بن جبير: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب، حتى يأتيه الموت على شر أحواله، وأسوأ أعماله[٦].

قوله تعالى: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أي: يسأل الإنسان تكذيباً واستهزاءً متى يوم القيامة، ونحوه: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ [يونس:٤٨].

---

(١) ذكره الطبري (٢٩/ ١٧٥-١٧٦)، والماوردي (٦/ ١٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٢٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٦١).

(٤) انظر: الطبري (٢٩/ ١٧٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٨).

قال الله عز وجل: ﴿فإذا بَرِقَ البصر﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وأبان عن عاصم: "بَرَقَ" بفتح الراء، وكسرها الباقون من العشرة[١].

فمن فتح فعلى معنى: لَمَعَ وشَخَصَ عند الموت، ومن كسر فعلى معنى: حَارَ وفَزِعَ عند البعث أو عند الموت، أو عند رؤية جهنم، وأصله من بَرِقَ الرجل؛ إذا نظر إلى البرق، فَدَهَشَ بصره[٢].

وقيل: إن اللغتين بمعنى واحد.

قال الفراء[٣]: العرب تقول: بَرِقَ البصر يَبْرَقُ، وبَرَقَ يَبْرُقُ؛ إذا رأى هولاً يفزع منه، وبَرِقَ أكثر وأجود. قال الشاعر:

فنفسَكَ فَانْعَ ولا تَنْعَنِي ... ودَاوِ الكُلُومَ ولا تَبْرَقِ[٤]

بالفتح، أي: لا تفزع من هول الجراح التي بك.

قوله تعالى: ﴿وخَسَفَ القمر﴾ أي: ذهب ضوؤه.

وقرأ أبو حيوة: "وخُسِفَ" بضم الخاء وكسر السين[٥]؛ لقوله: ﴿وجُمِعَ الشمس والقمر﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٦)، والكشف (٢/ ٣٥٠)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

(٢) انظر: اللسان (مادة: برق).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٠٩).

(٤) البيت لطرفة بن العبد. انظر: ديوانه (ص:٧٠)، واللسان (مادة: برق، حنن)، والطبري (٢٩/ ١٧٩)، والقرطبي (١٩/ ٩٦)، والماوردي (٦/ ١٥٣)، وزاد المسير (٨/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٤٢٧)، وتاج العروس (مادة: برق).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٢٧).

وفي قراءة ابن مسعود: "وجمع بين الشمس والقمر"[(١)].

قال الفراء[(٢)]: إنما لم يقل: وجمعت؛ لأن المعنى: وجمع بينهما.

وقال الكسائي: لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غُلّب المذكر؛ لقوّته وخفّته.

وقال أبو عبيدة[(٣)]: إنما قال: وجُمع؛ لتذكير القمر.

قال الفراء والزجاج[(٤)]: المعنى: جمع بينهما في ذهاب نُورهما.

وقال جمهور المفسرين: جمع بين ذاتيهما.

قال ابن مسعود: جُمعا كالبعيرين القرينين[(٥)].

قال مجاهد: يرمى بهما في النار كالثورين العقيرين[(٦)].

قرأتُ على الشيخ أبي عبدالله محمد بن داود بن عثمان الدربندي بمسجد الخليل ﷺ، أخبركم الحافظ أبو طاهر السلفي بثغر الإسكندرية فأقرَّ به، قال: أخبرنا أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي الأصفهاني، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد المزكِّي بنيسابور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي، حدثنا محمد بن المنادي، حدثنا يونس -يعني: بن محمد المنادي-، حدثنا عبدالعزيز بن المختار، عن عبدالله الداناج قال: شهدت

---

(١) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ١٨٠)، والقرطبي (١٩/ ٩٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٠٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٩)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٩).

(٦) انظر: القرطبي (١٩/ ٩٧)، والبغوي (٤/ ٤٢٢).

أبا سلمة[١] بن عبدالرحمن بن عوف زمن خالد بن عبدالله بن أسيد في هذا الجامع بالبصرة قال: وجاء الحسن فجلس إليه قال: فحدّث قال: حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «تُحوَّلُ الشمس والقمر ثورين مكوّرين في النار يوم القيامة. قال: وقال الحسن: وما ذنبهما؟ قال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، قال: فسكت الحسن»[٢]. رواه البخاري عن مسدد عن عبد العزيز.

وقال عطاء بن يسار: يُجمعان يوم القيامة ثم يُقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى[٣].

وقيل: المعنى: جُمع بينهما في الطلوع من المغرب.

ويروى عن علي وابن عباس: أنهما يُجعلان في نور الحجب[٤].

قوله تعالى: ﴿يقول الإنسان﴾ أي: المكذِّب بالبعث ﴿يومئذ أين المفر﴾.

قرأ العشرة وعامة القرّاء: "المفَرُّ" بفتح الفاء.

وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري: "المَفِرُّ" بكسر الفاء[٥].

قال الكسائي: هما لغتان.

وقال غيره[٦]: "المَفَر": بالفتح، المصدر، وبالكسر: المكان.

---

(١) في ب: أبان.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧١ ح٣٠٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره القرطبي (١٩/ ٩٧).

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٨)، وزاد المسير (٨/ ٤١٩-٤٢٠).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦١).

قال الزجاج وغيره[١]: من فتح فهو بمعنى الفرار، ومن كسر فعلى معنى: أين مكان الفرار، [تقول][٢]: جلستُ مَجْلَساً -بفتح اللام- بمعنى: جُلُوساً، وإذا قلت: مَجْلِساً، [فأنت][٣] تريد المكان.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن طلب المفر ﴿لا وزر﴾ أي: لا ملجأ، وكلُّ ما التجأت إليه من جبل وغيره، أو تخلصت به فهو وَزَرُك.

﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أي: إلى ربك خاصة يوم القيامة مُستقر العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، وطائعهم وعاصيهم. أو إلى حكم ربك مرجع أمور العباد، لا يحكم فيها غيره. [أو إلى][٤] ربك مستقرهم، أي: موضع قرارهم، من جنة أو نار، أي: مفوّض ذلك إلى مشيئته، من شاء أدخله الجنة، ومن شاء أدخله النار.

قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان﴾ أي: يخبر[٥] ﴿يومئذ بما قدم﴾ من عمله ﴿وأخَّر﴾ منه.

وقال ابن مسعود: بما قدم قبل موته من صالح وطالح، وما سَنَّ من شيء يُعمل به بعد موته[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٢).

(٢) في الأصل: يقال. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: فلت. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وإلى. والتصويب من ب.

(٥) في ب: يخير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال زيد بن أسلم: بما قدّم: من أمواله لنفسه، وما أخّر: خلّف للورثة[١].

وقال قتادة: بما قدم من معصية وما أخّر من طاعة[٢].

قوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ قال الفراء[٣]: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي: رُقباء يشهدون عليه بعمله، وهي الجوارح.

قال ابن قتيبة[٤]: فلما كانت جوارحه منه أقامها مقامه.

وقال أبو عبيدة[٥]: جاءت الهاء في "بصيرة" في صفة المذكّر، كما جاءت في: رجل راوية، وطاغية، وعلاَّمة.

وقيل: المعنى: بل الإنسان على نفسه عينٌ بصيرة، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه.

قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ قال الزجاج[٦]: المعنى: ولو أدلى بكل حجة.

قال[٧]: وجاء في التفسير: أن المعاذير: سُتور، واحدها: مِعْذار.

قلتُ: وهو قول الضحاك والسدي[٨].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٤). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢١١).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٩٣).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٣).

(٧) أي: الزجاج.

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٦) عن السدي. وذكره الماوردي (٦/ ١٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٤٧) وعزاه لابن المنذر عن الضحاك.

قال الماوردي[١]: هو بلغة اليمن. وأنشد قول الشاعر:

ولكِنَّها ضَنّتْ بمنزلِ ساعةٍ علينا ولطَّت دُوننا بالمعَاذِرِ[٢]

قلتُ: ومعنى: لطَّت -بالطاء المهملة-: سَتَرَت.

قال ابن دريد[٣]: كُلُّ شيء سترته فقد لَطَطْتَهُ، ولَطَّتْ الناقة بذنبها؛ إذا جعلته بين فخذيها في عَدْوها[٤].

قال صاحب الكشاف[٥]: فإن صح؛ فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ أي: بالقرآن.

أخرج [الشيخان][٦] في الصحيحين والنسائي والترمذي وغيرهم من حديث

---

(١) تفسير الماوردي (٦/ ١٥٥).

(٢) انظر البيت في: الماوردي (٤/ ١٥٥)، و القرطبي (١٩/ ١٠٠)، والبحر (٨/ ٣٧٨)، والدر المصون (٦/ ٤٢٩) وفيهم: "وأطّت" بدل: "ولطّت".

(٣) جمهرة اللغة (١/ ١٠٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: لطط).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٢).

(٦) في الأصل: البخاري. والمثبت من ب.

ابن عباس في هذه الآية قال: «كان النبي ﷺ يُعالج من التنزيل شدة»[(١)].

وفي رواية الترمذي: «يحرك به لسانه يريد أن يحفظه»[(٢)].

وفي رواية: «يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة أن لا يحفظ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾»[(٣)].

ونظير هذه الآية قوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [طه:١١٤].

﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ جمعه في صدرك، "وقرآنه" أي: وإثبات قرآنه في لسانك. أو إن علينا قراءته عليك، أي: إن جبريل يقرأه عليك حتى تحفظه.

﴿فإذا قرأناه﴾ أي: إذا فرغ جبريل من قراءته.

قال الزمخشري[(٤)]: جعل قراءة جبريل قراءته، والقرآن القراءة.

﴿فاتبع قرآنه﴾ فكن مُقَفِّياً له فيه ولا تراسله.

وقال ابن عباس: اعمل به[(٥)]. فكان النبي ﷺ بَعْدَ هذا إذا نزل عليه جبريل بالوحي أطرق، فإذا فرغ وذهب قرأه كما وعده الله.

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ تبيينه بلسانك، فتقرأه كما أقرأك جبريل. هذا قول ابن

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦ ح٥)، ومسلم (١/ ٣٣٠ ح٤٤٨)، والنسائي (١/ ٣٢٤ ح١٠٠٧)، وأحمد (١/ ٣٤٣ ح٣١٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٠ ح٣٣٢٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٨) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) الكشاف (٤/ ٦٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

عباس(١).

وقال قتادة: علينا بيان ما فيه من الأحكام، والحلال والحرام(٢).

وقال الحسن: علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد ووعيد(٣).

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ للنبي ﷺ عن العجلة، وحثٌ على التؤدة.

وقال عطاء: المعنى: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وببيانه(٤).

﴿بل تحبون العاجلة﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وأهل الكوفة: "تحبون"، "وتذرون" بالتاء فيهما على المخاطبة، على معنى: قل لهم يا محمد: بل تحبون العاجلة. وعلى معنى: أنتم يا بني آدم تحبون العاجلة، وهي الدنيا فتعملون لها، ﴿وتذرون الآخرة﴾ لا تعملون لها.

وقرأ الباقون من العشرة: "يحبون"، "ويذرون" بالياء فيهما على المغايبة، حملاً على ما قبله من لفظ الغيبة(٥).

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ ناعمة غَضَّة حسنة. يقال: شجرة ناضر، وروض ناضر.

قال المفسرون: مُشْرِقةٌ بالنعيم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩١). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٤٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٦)، والكشف (٢/ ٣٥٠)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

قال الزمخشري[١]: الوجه: عبارة عن الجملة.

﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال ابن عباس: يريد: إلى الله ناظرة[٢].

وقال في رواية أخرى: تنظر إلى الله لا تُحجب عنه[٣].

قال مقاتل[٤]: تنظر إلى ربها معاينة.

وقد ذكرتُ طرفاً من ذلك في سورة يونس[٥]، وأقمت حجة الله على منكري نظر المؤمنين إلى ربهم في الجنة. وهذا قول عامة المفسرين.

ويروى عن ابن عمر ومجاهد: أن المعنى: إلى ثواب ربها ناظرة[٦]، على حذف المضاف.

قال الزمخشري[٧]: سمعتُ سَرَوِيَّةً مُستجديةً[٨] بمكة وقت الظهر حين يُغلق الناسُ أبوابَهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عُيَيْنَتي نُوَيْظِرة إلى الله وإليكم.

وهذا لا ينفي إثبات الرؤية لله؛ لأنها ثابتة بأدلة أُخَر لا يتطرّق إليها تأويل.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٦٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢٦.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٥٦). قال القرطبي (١٩/ ١٠٨): حكاه -أي: القول- الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً، وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده.

قلت: كذا القول الثاني ليس بصحيح. وقد ثبت عن عكرمة خلافه.

(٧) الكشاف (٤/ ٦٦٣).

(٨) أي: امرأة سائلة من جبال السَّرَاة.

والأول هو الصحيح، وإليه ذهب علماء السنة وجمهور الأمة.

قوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ قال قتادة: كالحة[1].

قال ابن قتيبة[2]: مُقطِّبة عابسة.

﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ قال مجاهد: داهية[3].

قال غيره[4]: داهية تقصِم فقَار الظهر.

قال ابن زيد: الفاقرة: دخول النار[5].

وقال ابن السائب: هي أن تُحجب عن ربها فلا تَنظُر إليه[6].

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾
وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ
﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٣).

﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن إيثار الدنيا على الآخرة ﴿إذا بلغت﴾ قال جماعة من المحققين[(١)]: يعني: النفس، وإن لم يَجْرِ لها ذكر؛ لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها، كما قال حاتم:

أَمَا وِيَّ ما يُغني الثراءُ عن الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ[(٢)]

والتَّراقي: العظام المكتَنِفَة لثُغْرَة النحر، عن يمين وشمال، واحدها: تَرْقُوَة[(٣)].

قال بعض العلماء[(٤)]: ذكّرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وقيل مَنْ راق﴾ كان حفص يُظهر النون مِنْ "مَنْ" ويقف عليها وقفة يسيرة[(٥)].

[قال أبو العالية ومقاتل][(٦)]: تقول الملائكة: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة،

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٤).

(٢) البيت لحاتم، انظر: اللسان (مادة: قرن)، والقرطبي (١٧/ ٢٣٠)، والطبري (١٣/ ٣٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٦).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ترق).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٤).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٧)، والكشف (٢/ ٥٥-٥٦)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

(٦) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وما بين المعكوفين في الأصل: وقال أبو العالية مقاتل. والتصويب من (ب).

أو ملائكة العذاب[١].

وقال عكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد: المعنى: يقول أهله: من يرقيه برقية تشفيه[٢].

قال قتادة: التَمَسُوا له الأطباء فلم يُغنُوا عنه من قضاء الله شيئاً[٣]. والقولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وظن أنه الفراق﴾ أي: تيقّن الذي بلغت روحه التراقي أنه مُفارق للدنيا.

قوله تعالى: ﴿والتفّت الساق بالساق﴾ قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة[٤].

وقال سعيد بن جبير: اجتمع فيه الحياة والموت[٥].

وقال الشعبي: التفّت ساقاه عند الموت[٦].

قال الحسن: ماتت رجلاه فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوّالاً[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٦١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤) عن الحسن ومجاهد، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٦٢) وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ١٥٨).

وقال سعيد بن المسيب: هما ساقاه حين يُلفّان في أكفانه[١].

وقيل: التفّت آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة[٢].

قوله تعالى: ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ أي: إلى الله الذي لا يخفى عليه خافية، يُساق العباد يوم القيامة، وهو الذي يتولى جزاءهم.

قوله تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ قال المفسرون: نزلت في أبي جهل بن هشام لعنه الله.

ويجوز أن يراد: الإنسان، بدليل قوله أولاً: ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة:٣]، وثانياً: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدى﴾ [القيامة:٣٦].

قال قتادة: فلا صدّق بكتاب الله، ولا صلى لله[٣].

وقيل: فلا صدّق بماله.

وقد قيل: "لا" بمعنى "لم"، أي: [لم][٤] يُصدِّق ولم يُصلّ.

﴿ولكن كذب﴾ بكتاب الله ﴿وتولى﴾ عن الإيمان به.

﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطّى﴾ أي: يتبخْتَر، وأصله: يتمطَّط، أي: يتمدَّد؛ لأن المتبختر يَمُدُّ خُطاه.

وقال الفراء والزجاج[٥]: هو مأخوذٌ من المَطَا، وهو الظهر.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤).

(٢) قاله الزجاج. انظر: معاني الزجاج (٥/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) زيادة من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢١٢)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٤).

قال الزمخشري(١): لأنه يلويه. ومنه الحديث: «إذا مَشَتْ أمتي المُطَيْطَاء وخدمتهم فارس والروم فقد جُعل بأسهم بينهم»(٢).

يعني: كذّبَ رسولَ الله ﷺ وتولى عنه، ثم ذهب إلى أهله يتبختر افتخاراً بذلك.

﴿أولى لك فأولى﴾ يعني: ويل لك، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

قال الزجاج(٣): العرب تقول: أولى لفلان؛ إذا دَعَتْ عليه بالمكروه.

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدى﴾ أي: [يُهمل](٤) فلا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُحاسب ولا يُعاقب، وأنشدوا:

فَأُقْسِمُ بالله جهدَ اليمينِ ... ما تَرَكَ اللهُ أمْراً سُدَى(٥)

ثم دلَّهم على البعث بقوله: ﴿ألم يك نطفة من مني تمنى﴾ وقرأ حفص: بالياء(٦)، جعل الفعل للمنيّ، وهو مذكر.

والباقون جعلوا الفعل للنُّطفة.

﴿ثم كان علقة﴾ بعد أن كان نطفة ﴿فخلق فسوى﴾ أي: فقدّر فعدّل نسمة

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٦٥).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٥/ ١١٢ ح٦٧١٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٤).

(٤) في الأصل: يمهل. والمثبت من ب.

(٥) انظر البيت في: الماوردي (٦/ ١٦٠)، والبحر (٨/ ٣٧٤)، والدر المصون (٦/ ٤٣٤)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٩)، والقرطبي (١٩/ ١١٦).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٧)، والكشف (٢/ ٣٥١)، والنشر (٢/ ٣٩٤)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦٢).

تسعى.

﴿فجعل منه﴾ أي: من الإنسان ﴿الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾.

﴿أليس ذلك﴾ الذي أنشأ هذا [الإنشاء](١) ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾.

وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأبو رجاء وعاصم الجحدري: "يَقْدِرُ"(٢) على صيغة الفعل المضارع، من قَدَرَ يَقْدِر.

أخرج أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين.

ومن قرأ: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل: بلى.

ومن قرأ: ﴿والمرسلات﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنا بالله»(٣).

---

(١) في الأصل: الإنسان. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٢٦)، والدر المصون (٦/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٤ ح٨٨٧).

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى وثلاثون آية[1].

قال مجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: هي مدنية[2].

واستثنى الحسن: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾[3].

وقال مقاتل[4]: هي مكية.

وقال قوم: من أولها إلى قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ مدني، وباقيها مكي[5].

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣

قال الله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٦٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٤٢٧).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٤٤)، وزاد المسير (٨/ ٤٢٧).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٥).

(٥) انظر: الماوردي (٦/ ١٦١)، وزاد المسير (٨/ ٤٢٧).

قال الفراء[١]: [معناه][٢]: قد أتى، و"هَلْ" تكون خبراً وتكون جحداً، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل وعظتك؟ هل أعطيتك؟ فتقرّره بأنك قد فعلت ذلك. والجحد أن تقول: هل يقدر أحد على مثل هذا. وهذا قول المفسرين وأهل اللغة[٣].

وقيل: إنه استفهام في معنى التقرير، تقديره: أليس قد أتى على الإنسان.

والمراد بالإنسان: آدم عليه السلام، والحين الذي أتى عليه: أربعون سنة، وذلك حين كان جسداً مصوراً من طين قبل أن يُنفخ فيه الروح. وهذا قول أكثر أهل العلم[٤].

ويروى عن ابن عباس وابن جريج: أنه اسم جنس[٥].

فعلى هذا؛ المراد بالحين: زمن كونه نطفة وعلقة ومضغة.

وقوله: ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ في محل النصب على الحال من "الإنسان"[٦]، تقديره: هل أتى عليه حين غير مذكور. أو في محل الرفع على الوصف

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢١٣).

(٢) زيادة من ب، ومعاني الفراء، الموضع السابق.

(٣) انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٢)، والماوردي (٦/ ١٦١)، والدر المصون (٦/ ٤٣٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (٢٩/ ٢٠٢)، والماوردي في تفسيره (٦/ ١٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٨).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٦٧) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٥).

لـ"حين"[١].

والمعنى: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً.

وقال قطرب والفراء[٢] وثعلب: قد كان شيئاً ولم يكن شيئاً مذكوراً.

أخبرنا الشيخ أبو عبدالله أحمد بن طلحة البغدادي، أخبرنا أبو القاسم يحيى بن أسعد، أخبرنا أبو طالب ابن يوسف، أخبرنا أبو علي ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي، ثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبدالله، أخبرنا أبو عمر زياد بن أبي مسلم، عن أبي الخليل، أو زياد بن مخراق، سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقرأ: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فقال عمر: ليتها تمّت[٣].

وقال عون بن عبدالله: قرأ رجلٌ عند ابن مسعود هذه الآية، فقال: ألا ليت ذلك لم يكن[٤].

قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ قال الزمخشري[٥]: هو كبُرْمَةٍ أعْشَارٍ، وبُرْدٍ أكْيَاشٍ، وهي ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضاً: نطفة مشج. قال الشَّمَّاخ:

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٣٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢١٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧ ح٣٤٥٥٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٦-٦٦٧).

طَوَتْ أحشاءَ مُرْتِجَةٍ لوقتْ على مَشَجٍ سُلالَتُهُ مَهِين[١]

ولا يصح "أمشاج" أن يكون تكسيراً له، بل هما مِثْلان في الإفراد، لوصف المفرد بهما.

وقال غيره: واحد الأمْشَاج: مَشْجٌ ومَشِيجٌ، ويقال: مشجت هذا بهذا، أي: خلطته، فهو مَمْشُوجٌ ومَشِيجٌ، مثل: مَخْلُوطٌ وخَلِيطٌ.

والمعنى: من نطفة قد امتزج واختلط فيها الماءان.

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والربيع وجمهور المفسرين: يريد: ماء الرجل وماء المرأة، يختلطان في الرحم، فيكون منهما جميعاً الولد[٢].

وماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا [ماء][٣] صاحبه كان الشبه له.

وقال قتادة: هي أطوار الخلق، تكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم يُكسى العظم لحماً، ثم ينشئه الله خلقاً آخر[٤].

وقال الضحاك وابن عباس في رواية الوالبي: أراد: اختلاف ألوان النطفة،

---

(١) البيت للشماخ. انظر: ديوانه (ص:٣٢٨)، واللسان (مادة: مشج، سلل)، والقرطبي (١٩/ ١٢٠)، والبحر (٨/ ٣٨٤)، والدر المصون (٦/ ٤٣٧)، وتاج العروس (مادة: سلل).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٧١١)، و(ص:٧١٢) عن الحسن، والطبري (٢٩/ ٢٠٣-٢٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الربيع، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) في الأصل: على. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

فنطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء، فهي مختلفة الألوان[١].

وقال ابن مسعود وأسامة بن زيد: هي العروق التي تكون في النطفة[٢].

وقال الحسن: نعم والله خُلقت من نطفةٍ مُشجت بدم، وهو دم الحيض، فإذا [حبلت][٣] ارتفع الحيض[٤].

قوله تعالى: ﴿نبتليه﴾ حال مقدرة[٥]. أي: خلقناه مُبْتَلِينَ له. بمعنى: مريدين ابتلاءه؛ كقولك: مررت برجل [معه][٦] صقر صائداً به غداً.

قال المفسرون: المعنى: نبتليه بالأمر والنهي.

وقال الفراء[٧] وغيره: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٤-٢٠٥) عن ابن عباس ومجاهد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠). وانظر: تفسير البغوي (٤/ ٤٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٦٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٥) عن ابن مسعود وعن أسامة بن زيد عن أبيه، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠) عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٦٧-٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ومن نفس الطريق عزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن زيد بن أسلم وعزاه لابن المنذر.

(٣) في الأصل و ب: جبلت. والصحيح ما أثبتناه. وفي الدر المنثور: حملت.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٥)، والدر المصون (٦/ ٤٣٨).

(٦) زيادة من ب.

(٧) معاني الفراء (٣/ ٢١٤).

لنبتليه؛ لأن الابتلاء يقع بعد تمام الخلق.

قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ قال عطاء: سبيل الهدى، أي: بيناه له، بنصب الأدلة وإرسال الرسل[١].

﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ حالان من الهاء في "هديناه"[٢].

والمعنى: أوضحنا له السبيل، إما موحّداً في علمنا، وإما كفوراً.

قال الفراء[٣]: بيّنّا له الطريق إن شكر أو كفر.

ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد فقال عزّ من قائل[٤]:

إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾

﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل﴾ قرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٨) بلا نسبة.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٥)، والدر المصون (٦/ ٤٣٨).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢١٤).

(٤) في ب: عز وجل.

"سَلاسِلاً" بالتنوين. وقرأ الباقون: بغير تنوين[(١)].

وهو الوجه؛ لأنه مثلُ مساجد ومنابر، لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، ومن صرفه فلمجاورته "أغلالاً"، كما قالوا: الغدايا والعشايا، وهذا أولى بالجوار.

قال الأخفش: سمعنا من العرب من يصرف هذا، ويصرف جميع ما لا ينصرف[(٢)].

قال غيره: أكثر ما يُصرف هذا، وشِبْهُه في الشعر. فأما في الكلام فهو قليل.

وقال أبو علي[(٣)]: هذه الجموع أشبهت الآحاد؛ لأنهم قالوا: صواحبات يوسف، فلما جمعوا هذه الجموع [جَمْعَ الآحاد المنصرفة][(٤)] جعلوها في حكمها، فصرفوها.

واختلف القراء [أيضاً][(٥)] في الوقف، فأثبت بعضهم الألف، وهم الذين قرؤوا بالتنوين، ووافقهم جماعة ممن لم يُنوّن اتباعاً لخط المصحف، وتشبيهاً له بالقوافي التي تُشبع فيها الفتحة، حتى تصير ألفاً؛ كـ"الظنونا"، و"الرسولا"، و"السبيلا"[(٦)].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٧)، والكشف (٢/ ٣٥٢)، والنشر (٢/ ٣٩٤)، والإتحاف (ص:٤٢٨-٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٣).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٨٠).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٨١).

(٤) في الأصل: جمعوا الآحاد المتصرفة. والتصويب من ب، والحجة، الموضع السابق.

(٥) زيادة من ب.

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٨١-٨٢)، والنشر (٢/ ٣٩٤-٣٩٥)، والكشف (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٣).

وقد ذكرنا "الأغلال" فيما مضى، و"السعير" في سورة النساء[١].

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار﴾ واحدهم: بَرٌّ وبَارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المطيعون.

قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرّ[٢].

﴿يشربون من كأس﴾ سبق تفسيره أيضاً.

﴿كان مزاجها كافوراً﴾ قال مجاهد ومقاتل[٣]: هو الكافور المعروف، وليس ككافور الدنيا.

والمقصود بمزجه به: طيب الرائحة والطعم.

قال قتادة: تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك[٤].

وقال ابن كيسان: طيّبت بالكافور [والمسك والزنجبيل][٥].

وقال عطاء وابن السائب وغيرهما: الكافور: اسم عين ماء في الجنة، ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده[٦].

---

(١) الأغلال في سورة الرعد، عند الآية رقم: ٥، والسعير في سورة النساء عند الآية رقم: ١٠.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) في الأصل: والمشرجيل. والتصويب من ب. وانظر قول ابن كيسان في: القرطبي (١٩/ ١٢٥)، والبغوي (٤/ ٤٢٧).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٠).

قوله تعالى: ﴿عيناً﴾ بدل إما من "كافوراً"، على قول عطاء ومن وافقه. [وإما][1] من محل "من كأس" بتقدير حذف المضاف، تقديره: يشربون خمراً خمر عين[2].

وقال الأخفش[3]: هي منصوبة على وجه المدح، بمعنى: أَعْنِي عَيْناً.

وقال الزجاج[4]: الأجود أن يكون المعنى: من عين.

﴿يشرب بها﴾ قيل: الباء زائدة.

وقيل: المعنى: يشرب منها.

وقيل: المعنى: يشرب بها عباد الله الخمر.

والمراد بعباد الله: أولياؤه.

﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يُجْرُونها حيث يريدون.

قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ هذا من صفاتهم في الدنيا. المعنى: كانوا يوفون بالنذر.

وقال الزمخشري[5]: "يوفون" جواب من عسى، يقول: ما لهم يرزقون ذلك، والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر[6] على أداء الواجبات؛ لأن من وفى بما

---

(١) في الأصل: إما. والمثبت من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٤٠).

(٣) معاني الأخفش (ص:٣٠١).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٨).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٨).

(٦) في ب: بالتوفير.

[أوجبه][(١)] هو على نفسه لوجه الله، كان بما أوجب الله عليه أوفى.

قال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به[(٢)].

وقال قتادة: يوفون بما فرض الله عليهم، من الصلاة والزكاة والحج والعمرة [وغيرها][(٣)] من الواجبات[(٤)].

قال الواحدي[(٥)]: ومعنى النذر في اللغة: الإيجاب. والمعنى: ما أوجبه الله عليهم من الطاعات.

﴿ويخافون يوماً﴾ قال الكلبي: يخافون عذاب يوم[(٦)].

﴿كان شرُّه مُستطيراً﴾ فاشياً منتشراً، ومنه: الفجر المستطير[(٧)].

قال مقاتل[(٨)]: كان شره فاشياً في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكوّرت الشمس والقمر، وفي الأرض [فنسفت][(٩)] الجبال، وغارت المياه، وتَكَسَّرَ كلُّ شيء على وجه الأرض من جبل وبناء.

---

(١) في الأصل: أوجب. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٦٦٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣١).

(٣) في الأصل: وغيرهما. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) الوسيط (٤/ ٤٠٠).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٦).

(٧) وهو الذي انتشر ضوءه واعترض في الأفق (اللسان، مادة: طير).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٧).

(٩) في الأصل: فبسّت. والمثبت من ب، وتفسير مقاتل (٣/ ٤٢٧).

قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قال ابن عباس ومقاتل[١] وجمهور المفسرين: الضمير للطعام[٢]، أي: على حُبِّ الطعام، وشهوتهم إياه، وحاجتهم إليه، كما قال: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران:٩٢].

وقال الداراني: [على][٣] حب الله[٤].

[ويجوز عندي: أن يعود الضمير إلى][٥] الإطعام المدلول عليه بقوله: "ويطعمون"، على معنى: أنهم يطعمون الطعام، وهم يحبون الإطعام، ولا يتكرّهون به، ولا يحملون أنفسهم عليه، بل يفرحون به ويستبشرون عند بذله. [وباعتبار][٦] هذا جعلوا بيت زهير أمدح بيت قالته العرب:

تراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتهللاً   كأنكَ تُعطيه الذي أنتَ سائلُه[٧]

ومثله قول أبي نوفل الثقفي:

ولئنْ فَرحتَ بما يُنيلكَ إنه   لَبِمَا يُنيلكَ منْ نَدَاهُ أفْرحُ[٨]

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٨).

(٢) انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٩)، والماوردي (٦/ ١٦٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٣).

(٥) في الأصل: ويجوز الضمير عندي أن يعود إلى. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: وبالاعتبار. والتصويب من ب.

(٧) البيت لزهير، وهو في: الأغاني (١٤/ ٢٢٢)، والمستطرف (٢/ ٣٦٨)، وخزانة الأدب (١/ ٤٢٣)، واللسان وتاج العروس (مادة: هلل)، والعين (٣/ ٣٥٢).

(٨) انظر البيت في: نهاية الأرب للنويري (١/ ٣٠٩)، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري (١/ ٦).

ومثله قول أبي تمام:

[أسائلُ نصرٍ لا تسله][١] فإنه أحنُّ إلى الإرفَادِ منكَ إلى الرِّفْد[٢]

وممن أبدع في ذلك: البحتري في قوله:

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً فوجهُكَ دُونَ الردِّ يكفي المُسَلِّمَا[٣]

وممن أجاد في هذا المعنى: أبو الأسود الدينوري في قوله:

ولائمـةٌ لامتـكَ يـا فَـيْضُ في النَّـدَى فقلـتُ لهـا لـن يَقـدحَ اللَّـوْمُ في البَحْـر

أرادتْ لِتَثْنِي الفيضَ عن عادةِ النَّـدَى ومن ذا الذي يَثْنِي السَّحابَ عن القَطْـر

إذا مـا أتـاهُ الـسائلونَ توقَّـدَتْ عليـه مـصابيحُ الطَّلاقـةِ والبِـشْر

لـه في بَنـي الحاجـاتِ أيـدٍ كأنَّهـا مواقـعُ مـاءِ المُـزْنِ في البَلَـدِ القَفْـر[٤]

وقد سبق معنى المسكين واليتيم في البقرة[٥].

وفي الأسير أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة. قاله مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير[٦].

---

(١) في الأصل: أسأل نصر لا تسأله. والتصويب من ب.

(٢) انظر البيت في: ديوان المعاني للعسكري (١/ ٦)، ونهاية الأرب للنويري (١/ ٣٠٩).

(٣) انظر البيت في: تاريخ النقد الأدبي (١/ ١٥٣)، وديوان المعاني للعسكري (١/ ٦).

(٤) انظر الأبيات في: الأغاني (١٤/ ١٣٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ١٠٢).

(٥) عند الآية رقم: ٨٣.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد.

الثاني: المرأة. قاله أبو حمزة الثمالي[١]. دليله قوله عليه السلام: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم»[٢].

الثالث: العبد. حكاه الماوردي[٣].

الرابع: أنه الأسير المشرك. قاله الحسن وقتادة[٤]. وهو الأظهر.

قال الحسن: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه[٥].

قال القاضي أبو يعلى: وهذا محمول على صدقة التطوع، فإن الفرض لا يجوز صرفه إلى الكافر[٦].

وزعم بعض المفسرين: أن إطعام الأسير منسوخ بآية السيف[٧].

وليس قوله بشيء.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٧ ح١١٦٣)، وابن ماجه (١/ ٥٩٤ ح١٨٥١).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ١٦٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٠١ ح١٠٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن مردويه عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٦٩).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٤).

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٢).

فصل

ذهب ابن عباس [في رواية][(١)] عطاء وعامة المفسرين: إلى أن هذه الآية وما في حيِّزها نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام، آجر نفسه يسقي نخلاً بشيء من شعير ليلةً حتى أصبح، فلما قَبَضَ الشعيرَ طحن ثلثه وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه، فلما استوى أتى مسكينٌ فأخرجوه إليه، ثم عَمِلَ الثلث الثاني، فلما تمّ أتاه يتيم فأطعموه، ثم عمل [الثلث][(٢)] الثالث، فلما تمّ جاء أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. فنزلت هذه الآيات[(٣)].

وقيل: نزل فيهم من قوله: ﴿يوفون بالنذر﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي: لطلب رضاه وثوابه.

قال المفسرون: لم يتكلّموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم، وعلم من نيّاتهم أنهم فعلوا ذلك خوفاً من الله [ورجاء ثوابه][(٤)].

﴿لا نريد منكم جزاء﴾ بالفعل ﴿ولا شكوراً﴾ بالقول.

قال الزمخشري[(٥)]: الشكور والكفور: مصدران؛ كالشكْر والكفْر.

---

(١) في الأصل: ورواية. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٤٧٠)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١١)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٥١ ح٦٨٩٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٦٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٧١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد. وما بين المعكوفين زيادة من ب.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٩).

﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ قال مقاتل والكلبي[١]: تعبس فيه الوجوه من هول ذلك اليوم فلا تنبسط.

قال بعض أهل المعاني[٢]: وصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين:

أحدهما: أنه يُوصف بصفة أهله من الأشقياء، كقولك: نهارك صائم.

الثاني: أنه يُشبَّه في شدته بالأسد العبوس، أو [بالشجاع][٣] الباسل.

والقَمْطَرِير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه[٤]. وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة[٥].

وقال الزجاج[٦]: يقال: يومٌ قمطريرٌ [وقُمَاطِرٌ][٧]: إذا كان شديداً غليظاً.

ويروى عن ابن عباس: أن القمطرير: الطويل[٨].

قوله تعالى: ﴿فوقاهم الله﴾ وقرئ: "فوقّاهم" بالتشديد[٩]، ﴿شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً﴾ أي: وأعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٢).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٩).

(٣) في الأصل: بالشاع. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (قمطر).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٩).

(٧) في الأصل: وقمطار. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٣٨٨).

وجوههم، وسروراً في قلوبهم.

وهذا يدل على المجاز الأول في وصف اليوم بالعبوس.

﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على طاعة الله وعن معصيته.

وقيل: [وجزاهم][1] بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري ﴿جنة﴾ فيها مأكل هني ﴿وحريراً﴾ فيه ملبس بهي.

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ مذكور في الكهف[2].

قال الزجاج[3]: والنصب في "متكئين" على الحال، أي: جزاهم جنة في حال

---

(١) في الأصل: جزاهم. والمثبت من ب.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٩).

اتكائهم فيها. قال[(١)]: وكذلك: ﴿ودانيةً﴾[(٢)].

﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي: لا يجدون فيها حَرّاً ولا برداً.

والزَّمْهَرير: البرد الشديد[(٣)]. وفي الحديث: «هواءُ الجنة سجسج، لا حرّ ولا قرّ»[(٤)].

وقال ثعلب: الزمهرير: القمر بلغة طيء[(٥)]. [وأنشد][(٦)]:

وليلةٍ ظَلامُها قد اعْتكَر قَطَعْتُهَا والزَّمْهَريرُ ما ظَهَرْ[(٧)]

فيكون المعنى: الجنة ذات ضوء لا تحتاج إلى شمس ولا قمر.

قوله تعالى: ﴿ودانيةً عليهم ظلالها﴾ قد ذكرنا قول الزجاج في النصب.

وقال الفراء والمبرد والزجاج أيضاً[(٨)]: [جائز][(٩)] أن يكون [نعتاً للجنة][(١٠)].
المعنى: وجزاهم جنة دانية، فحذف الموصوف.

---

(١) أي: الزجاج.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٤٣).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (زمهر).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٠ ح٣٣٩٧٠)، وابن المبارك في الزهد (ص:٢١٣).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٥).

(٦) في الأصل: فأنشد. والتصويب من ب.

(٧) ويروى: ما زهر، كما في ب وبعض المصادر. انظر البيت في: القرطبي (١٩/ ١٣٨)، والماوردي (٦/ ١٦٩)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٥)، والبحر (٨/ ٣٨٥)، والدر المصون (٦/ ٤٤٣)، وروح المعاني (٢٩/ ١٥٨).

(٨) معاني الفراء (٣/ ٢١٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٩).

(٩) في الأصل: جائزاً. والتصويب من ب.

(١٠) في الأصل: نعتاً لجنة. وفي ب: نعت الجنة. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

وقال الزمخشري[(١)]: "ودانية" عطف على الجملة التي قبلها؛ لأنها في موضع الحال من المجزيين، تقديره: غير رائين فيها شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها.

وقرئ: "ودانيةٌ" بالرفع[(٢)]، على أن "ظلالها": مبتدأ، "ودانية": خبر، والجملة في موضع الحال.

والمعنى: لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، والحال أن ظلالها دانية عليهم.

فإن قلت: علام عطف ﴿وذُلِّلَت﴾؟

قلتُ: هي -إذا رُفعت "ودانيةٌ"- جملة فعلية معطوفة على جملةٍ ابتدائيةٍ، وإذا نصبتها على الحال، فهي حالٌ من دانية، أي: تدنو ظلالها عليهم في [حال][(٣)] تذليل قطوفها لهم. أو معطوفة عليها [على][(٤)]: ودانية عليهم ظلالها، [ومذللة][(٥)] قطوفها؛ وإذا نصبتَ ["ودانية"][(٦)] على الوصف، فهي [صفة][(٧)] مثلها؛ ألا ترى أنك لو قلت: جنةٌ ذُلِّلت قطوفها: كان صحيحاً.

قال مقاتل[(٨)] في قوله: "ودانية عليهم ظلالها": يعني: شجرها قريب منهم.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٧١).

(٢) وهي قراءة أبي حيوة. انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٨٨)، والدر المصون (٦/ ٤٤٣).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ٦٧١).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: مذللة. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: دانية. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٩).

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾: إذا هـمَّ أن يتنـاول مـن ثمارها تدلّت إليه حتى يتناول منها ما يريد(١).

وقد سبق هذا المعنى.

وقد ذكرنا الأكواب في الزخرف(٢).

قوله تعالى: ﴿كانت قواريراً﴾ أي: تكوّنت [بتكوين](٣) الله قوارير.

ثم بيّن جوهرها فقال: ﴿قوارير من فضة﴾ قال المفسرون: جعـل الله قـوارير أهل الجنة من الفضة، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير(٤).

قال ابن عباس: لو ضَرَبْتَ فضةَ الدنيا حتى جعلْتَها مثل جناح الذباب لم تـر الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة في صفاء القارورة(٥).

واختلف [القُرّاء](٦) في هذا الحرف؛ فقرأ نافع والكسائي وأبو بكر: "قواريراً قواريراً" بالتنوين فيهما. وقرأ ابن كثير: بالتنوين في الأول. وقرأ الباقون: بغير تنوين فيهما(٧).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٦).

(٢) عند الآية رقم: ٧١.

(٣) في الأصل: بتكون. والمثبت من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٧٥) وعزاه لعبـد الـرزاق وسعيد بن منصور والبيهقي في البعث.

(٦) زيادة من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ٨٠)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٧٣٨)، والكـشف (٢/ ٣٥٤)، والنـشر (٢/ ٣٩٥)، والإتحاف (ص:٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٤).

قال الزجاج[١]: وهو اختيار النحويين؛ لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. ومن صرف الأول؛ فلأنه آخر آية، ومن ترك صرف الثاني؛ فلأنه ليس بآخر آية. ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ، فيقولون: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، وإنما الخرب من نعت الجُحْر.

واختلفوا في الوقف عليهما، فمنهم من يقف بالألف، ومنهم من يقف بغير ألف، والحجة فيه: ما أشرنا إليه في "سلاسل".

قرأ العشرة وجمهور القرّاء: "قَدَّروها" بفتح القاف وتشديد الدال[٢].

وقرأ ابن عباس وأبو عبد الرحمن وأبو عمران والجحدري: بضم القاف وكسر الدال [وتشديدها][٣].

وقرأ حميد وعمرو بن دينار: "قَدَرُوها" بفتح القاف وتخفيف الدال[٤].

وبها قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لعاصم من رواية أبان عنه، وضمير الفاعل على قراءة الأكثرين: للشاربين، على معنى: قَدَّروها في أنفسهم، فجاءت على ما قدّروا. وهذا معنى قول الحسن[٥].

وقيل: للطائفين بها، على معنى: قدروها على مقدار ريّهم، لا يزيد عن ريّهم ولا ينقص منه فتطلب الزيادة، وهذا ألذّ الشراب. وهو معنى قول مجاهد

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٠).

(٢) في ب: والتشديد.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٣٧)، والدر المصون (٦/ ٤٤٥). وما بين المعكوفين في الأصل: وتشيدها. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

وغيره[١].

قال مجاهد: لا تفيض ولا تغيض[٢].

والضمير على قراءة ابن عباس: للشاربين.

قال الزجاج[٣]: المعنى: جُعلت لهم على قدر إرادتهم.

وقال غيره[٤]: جُعلوا قادرين لها كما شاؤوا، من قولهم: قدّرني فلان على كذا؛ إذا جعلك قادراً له.

قوله تعالى: ﴿ويسقون فيها﴾ أي: في الجنة ﴿كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾.

قال مجاهد: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار[٥].

قال غيره[٦]: سُميت بذلك؛ لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذُّه وتستطيبُه.

قال الأعشى:

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبيلَ بَاتَا بِفِيها وأَرْياً مُشَارَا[٧]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٠).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٢).

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٢١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٨).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٢).

(٧) البيت للأعشى، انظر: ديوانه (ص:٨٥) واللسان، مادة: (زنجبيل، شور)، وزاد المسير (١/ ٤٨٧، ٨/ ٤٣٨)، والدر المصون (٦/ ٤٤٦)، وروح المعاني (٢٩/ ١٦٠). ولفظ الديوان:

كأنه جَنِيّاً من الزنجبيل خالط فاها وأرياً مشورا

وقال آخر:

وكأنَّ طعمَ الزنجبيلِ به ... إذ ذُقْتُهُ وسُلافَةَ الكَرْمِ(١)

ويروى: وسُلافَةَ الخَمْرِ.

وقال السدي: تُمزج الكأس بالزنجبيل، وهو مما تستطيبُه العرب، فإنه [يحذو](٢) اللسان ويهضم المأكول(٣).

قال ابن عباس: كلُّ ما ذكَرَ الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثلٌ في الدنيا، لكن الله سماه بالاسم الذي يُعرف(٤).

وقد سبق آنفاً في قوله: ﴿كان مزاجها كافوراً﴾ ما له ارتباط بهذا الموضع.

قوله تعالى: ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ "عيناً" بدل من "زنجبيلاً"(٥)، إذا قلنا هو اسم لعين.

وقال الزجاج(٦): يُسقون عيناً، و"سَلْسَبيل": اسم للعين، إلا أنه صرف؛ لأنه رأس آية. وسَلْسَبيل في اللغة: اسم لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين -والله تعالى أعلم- سُميت بصفتها.

---

(١) البيت للمسيب بن علي، انظر: الماوردي (٦/ ١٧١)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٧)، والبحر (٨/ ٣٨٥)، والدر المصون (٦/ ٤٤٦).

(٢) في الأصل: يحد. وفي ب: يحذا. والتصويب من الماوردي (٦/ ١٧٠).

وحَذَا اللبنُ اللسانَ والخَلُّ فاه يَحْذيه حَذْياً: قَرَصه (اللسان، مادة: حذا).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٣).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٤٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٦١).

وقال غيره[١]: يقال: شراب سَلْسَل وسِلْسَال وسَلْسَبيل، أي: سائغ سهل الدخول في الحلق.

وقرئ: "سَلْسَبيلَ" على منع الصرف؛ لاجتماع العلمية والتأنيث.

وقد حكي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أن المعنى: سَلْ سبيلاً إليها[٢].

قال الزمخشري[٣]: وهذا غير مستقيم على ظاهره. إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً، جُعلت علماً للعين، كما قيل: تأبط شراً؛ وذرّى حَباً. وسميت بذلك؛ لأنه لا يَشربُ منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلُّفٌ وابتداع، وعزوه إلى مِثْل علي عليه السلام أبدع.

قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ مُفسّر في الواقعة[٤].

﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ قال عطاء: يريد: في بياض اللؤلؤ وحسنه. واللؤلؤ إذا نُثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً[٥].

وقيل: شُبّهوا باللؤلؤ المنثور؛ [لانتشارهم][٦] في أنواع الخدمة[٧].

وقيل: شُبّهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماء[٨].

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٧٢-٦٧٣).

(٤) عند الآية رقم: ١٧.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٩) بلا نسبة.

(٦) في الأصل: لانتشاره. والمثبت من ب.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٩).

(٨) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٧٣).

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثَمَّ﴾ قال الزمخشري[١]: "رأيت" ليس له مفعول ظاهر ولا مقدّر ليشيع ويعمّ، كأنه قيل: وإذا وجدت الرؤية ثَمّ، ومعناه: أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير ومُلْك كبير.

و"ثَمَّ" في معنى موضع النصب على الظرف، يعني: في الجنة. ومن قال: معناه: "ما ثم" فقد أخطأ؛ لأن "ثَمَّ" صلة لـ"ما"، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة.

وقوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ نافع وحمزة: "عَالِيْهُم" بسكون الياء، على أنه مبتدأ، ﴿ثياب سندس﴾: خبره، أي: ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس.

وقرأ الباقون: "عَالِيَهُمْ" بنصب الياء[٢]، على أنه حال من الهاء والميم في "يطوف عليهم".

المعنى: يطوف على الأبرار ولدانٌ، عالياً الأبرار ثياب سندس، أو في حسبتهم، على معنى: حسبتهم لؤلؤاً في حال عُلوّ الثياب إياهم.

أو حال من الضمير المنصوب في "ولقّاهم"، أو في "وجزاهم"[٣].

قال أبو علي[٤]: ويجوز أن يكون ظرفاً؛ لأنه لما كان عالٍ بمعنى فوق أُجري مجراه في هذا. وردّ هذا الوجه الزجاج وقال[٥]: لو كان ظرفاً لما جاز إسكان الياء.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٧٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٩-٧٤٠)، والكشف (٢/ ٣٥٤)، والنشر (٢/ ٣٩٦)، والإتحاف (ص:٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٤).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٤٨).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٨٤).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٢).

قال مكي[1]: ويكون "ثياب سندس": مبتدأ، والظرف الخبر. [ويجوز][2] رفع "ثياب" بـ"عال"، إذا جعلته حالاً، أو بالاستقرار إذا جعلت "عالياً" ظرفاً.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر: "خُضْرٍ" بالجر، ورفعه الباقون[3].

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم: "وإستبرقٌ" بالرفع، وجرّه الباقون[4].

فمن رفع "خضراً" جعله نعتاً للثياب، وحَسُنَ ذلك؛ لأن الثياب والخُضْر جمعان، ويؤيده قوله: ﴿ويلبسون ثياباً خُضْراً﴾ [الكهف:٣١].

ومن جرّ "خُضْراً" جعله وصفاً لـ"سندس"، وضعّفه بعض النحويين؛ لأن الخُضْر جمع أخضر، والسندس واحد. وقد قيل: إن السُّنْدُس جمع سُنْدُسة.

وقيل: إنه اسم جنس، فهو في معنى الجمع.

وقد أجاز الأخفش وصفَ الواحد الذي يدل على الجنس بالجمع، فأجاز: أهلك الناس الدينار الصفر، والدرهم البيض[5]. وهو قبيح من جهة اللفظ، حَسَنٌ من جهة المعنى.

ومن رفع "استبرق" عطفه على الثياب، على معنى: وعاليهم ثياب استبرق، بحذف المضاف، فهو مثل قولهم: على زيدٍ ثوبُ خزٍّ وكتّان، أي: وثوب كتان.

---

(١) الكشف (٢/ ٣٥٥).

(٢) في الأصل: وجوز. والتصويب من ب، والكشف، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٠)، والكشف (٢/ ٣٥٥)، والنشر (٢/ ٣٩٦)، والإتحاف (ص:٤٢٩-٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٤-٦٦٥).

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: القرطبي (١٩/ ١٤٦).

[ومن جَرَّه][١] عطفه على "سُنْدس"؛ لأنه جنس من الثياب [مثله][٢].

وقد سبق في الكهف[٣] تفسير السُّندس، والإستبرق، والأساور.

[فإن][٤] قيل: قد ذكر هاهنا أن أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب؟

قلتُ: يُحَلَّوْنَ بالجميع؛ لأن في اجتماع الحِلْيتين معنىً ليس في الانفراد؛ لأن كلَّ واحد من النوعين يُظهر حُسْن الآخر.

قوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ قال الفراء[٥] وغيره: ليس من خمر الدنيا فيكون نجساً.

وقال غيره[٦]: لم يُعصر فتمسّه الأيدي الوَضِرة [وتدوسه][٧] الأقدام الدنسة.

قال مقاتل[٨]: هو عين ماء على باب الجنة، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غِشٍّ وغِلٍّ وحَسَد.

وقال أبو قلابة وإبراهيم: يُؤتَون بالطعام، فإذا كان آخر ذلك أُتُوا بالشراب الطهور فيشربون، فتضمُرُ بذلك بطونهم، ويفيض عرق من جلودهم مثل

(١) في الأصل: وجره. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: ومثله. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٣١.

(٤) في الأصل: فا. والتصويب من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢١٩).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٤).

(٧) في الأصل: وتدنسه. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣١-٤٣٢).

المسك[1].

قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى ما وصف من نعيم الجنة ﴿كان لكم جزاء﴾ بأعمالكم الصالحة ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾.

قال عطاء: شكرتُكم عليه [وأثبتكم][2] أفضل الثواب.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ
ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ
وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا
بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ أي: فصلناه في الإنزال، ولم نُنزله جملة واحدة.

وقد أشرنا إلى حكمة ذلك فيما مضى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٢٢-٢٢٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٧٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة. ومن طريق آخر عن إبراهيم التيمي.

(٢) في الأصل: وآتيكم. والمثبت من ب.

قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ مُفسّر في مواضع[1].

وبعض المفسرين يقولون: هو منسوخ بآية السيف[2]. وقد ذكرنا صواب القول في هذا وأمثاله.

﴿ولا تطع منهم﴾ أي: من مشركي مكة ﴿آثماً﴾ وهو عتبة بن ربيعة، ﴿أو كفوراً﴾ يريد: الوليد بن المغيرة. وكانا قالا له: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بكل ما تريد، من مال ورئاسة وغيرهما.

وقيل: الصفتان لأبي جهل.

فإن قيل: ما الفائدة في "أو"، وهلاّ قال: آثماً وكفوراً؛ ليكون نهياً عن طاعتهما جميعاً؟

قلتُ: هذه أو التي للتخيير، إذا قلت: اضرب زيداً أو عَمْراً، فمعناه: اضرب أحدهما. فإذا قلت: لا تضرب زيداً أو عمراً، فمعناه: لا تضرب أحدهما. فالمعنى هاهنا: لا تُطع أحدهما، فيكون منهياً عن طاعتهما معاً بطريق الفحوى، كقوله: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [الإسراء:٢٣]، بخلاف قوله: لا تطعهما، فإنه يجوز من حيث اقتضاء الوضع أن يطيع أحدهما، وليس في فحوى الخطاب ما يقتضي المدلول الذي ذكرناه في قوله: لا تطع أحدهما.

قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي: اذكره بالتعظيم والتنزيه ﴿بكرة وأصيلاً﴾.

---

(١) في سورة الطور، عند الآية رقم: ٤٨، وسورة القلم عند الآية رقم: ٤٨.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩٢)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٣)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٣).

قال المفسرون: يعني: اذكره في صلاة الفجر، وصلاة العصر.

وبعضهم يقول: الظهر والعصر.

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ يريد: صلاة المغرب والعشاء، ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ يريد: صلاة الليل، وكانت فرضاً عليه، وهي نافلة لأمته.

قوله تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ يعني: كفار مكة، أي: يؤثرون الدار العاجلة وهي الدنيا، ﴿ويذرون وراءهم﴾ أي: قدّامهم. وقيل: يدعون خلف ظهورهم لا يعبؤون به ﴿يوماً ثقيلاً﴾ عسيراً شديداً.

قوله تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ أصلُ الأسْر: الرَّبْطُ والتَّوثيق، ومنه: أُسِرَ الرجل؛ إذا أوثق بالقِدّ، وفرسٌ مأسور به الحق، وترس مأسور بالعقب[1].

والمعنى: شددنا خلقهم وأحكمنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب.

﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ يعني: إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأمثالهم، فجعلناهم بدلاً منهم.

قوله تعالى: ﴿إن هذه﴾ يعني: السورة أو الآيات القريبة.

والآية مُفسّرة في المزمل[2].

قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: "يشاؤون"

(١) انظر: اللسان، مادة: (أسر).

(٢) عند الآية رقم: ١٩.

بالياء[١]؛ حملاً على قوله: ﴿فمن شاء﴾، وقوله: ﴿نحن خلقناهم﴾، وما في حيزها.

وقرأ الباقون بالتاء، على الخطاب العام لجميع الخلق.

والمعنى: وما يشاؤون اتخاذ السبيل وغيره، ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أنهم لا يشاؤون شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى. ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾.

﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ قال عطاء: من صدّق نبيه أدخله جنته[٢].

﴿والظالمين﴾ يريد: المشركين[٣]، ونصبه بفعل مُضْمر يُفسِّره ما بعده.

وقرأ جماعة، منهم: ابن الزبير، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة: "والظالمون" بالرفع على الابتداء[٤]، ﴿أعد لهم عذاباً أليماً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤١)، والكشف (٢/ ٣٥٦)، والنشر (٢/ ٣٩٦)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٦).

(٣) في ب: الكافرين.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٤٢)، والدر المصون (٦/ ٤٥٢).

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمسون آية(١)، وهي مكية.

واستثنى ابن عباس آية واحدة وهي قوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ فقال: هي مدنية(٢).

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

قال الله تعالى: ﴿والمرسلات عُرفاً﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح يتبع بعضها بعضاً، كعُرْف الفرس. وهذا المعنى مروي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة(٣).

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦١).

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٥٤)، والماوردي (٦/ ١٧٥)، وزاد المسير (٨/ ٤٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٢٨-٢٢٩) من طرق عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة، وابن =

﴿فالعاصفات عَصْفاً﴾ وهي الرياح الشديدة الهبوب.

﴿والناشرات نَشْراً﴾ قال ابن مسعود: هي الرياح التي تنشر السحاب[1].

وقال الحسن: هي الرياح التي ينشرها الله بين يدي رحمته. هذا قول جمهور المفسرين.

﴿فالفارقات فَرْقاً﴾ قال مجاهد: هي الرياح تُفَرِّقُ بين السحاب فتُبَدِّده[2].

وقيل: المرسلات: الملائكة.

فيكون سبحانه قد أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن بالمعروف من أمره سبحانه، فعصفن في مشيهنّ، كما تعصف الرياح مسارعة في امتثال أمره [بطوائف][3] منهم، نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهنّ بالوحي، أو[4] نشرن الكتب [ففرقن][5] بين الحق والباطل، فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام.

= أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢) عن ابن مسعود. وانظر: الماوردي (٦/ ١٧٥، ١٧٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٨١-٣٨٢).

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢). وذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ١٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٧).

(٣) في الأصل: وبطوائف. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: عند.

(٥) في الأصل: ففرن. والتصويب من ب.

وقال أبو هريرة وابن مسعود في رواية مقاتل[١]: المرسلات: الملائكة[٢].

قال الزجاج[٣]: العاصفات: الملائكة تعصف بروح الكافر.

وقال الضحاك: الناشرات: الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد[٤].

وقال الحسن وقتادة: "الفارقات": آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام[٥].

وقال قطرب: المُلْقيات: الرسل يلقون ما أنزل الله إليهم إلى الأمم[٦].

فإن قيل: ما وجه النصب في "غرقاً"؟

قلتُ: نصبه على الحال، على التفسير الذي ذكرناه أولاً، على معنى: متتابعة. ويجوز أن يكون مفعولاً له إذا أريد بالمرسلات: الملائكة، أي: أُرسلن للمعروف الذي هو نقيض المنكر.

قوله تعالى: ﴿عذراً أو نذراً﴾ قرأ الحرميان وابن عامر وأبو بكر: بضم الذال

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢)، والحاكم (٢/ ٥٥٥ ح٣٨٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨١) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لابن جرير.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٨٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٦).

فيهما. وقرأهما الباقون: بالإسكان(١). وهما لغتان، والضم الأصل، والإسكان للتخفيف، وهما مصدران في موضع المفعول لهما، أي: للإعذار والإنذار. ويجوز أن يكونا منصوبين على البدل من "ذكراً"(٢)، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ والمعنى: إنما توعدون من البعث والجزاء لكائن.

قوله تعالى: ﴿فإذا النجوم﴾ مبتدأ، خبره: ﴿طُمِسَت﴾.

وقيل: "النجوم" رفع بفعل مضمر دل عليه "طمست"، والجملة في موضع الجر بـ"إذا"، والعامل في إذا مضمر، تقديره: فاذكر إذا النجوم طمست، وإن شئت كان التقدير: فإذا النجوم طمست بِعُثْتُم(٣). وإعراب ما بعده من المواضع الثلاثة كإعرابه.

[ومعنى](٤) قوله: "طُمِسَت": مُحِيَ نورُها.

﴿وإذا السماء فُرِجَت﴾ فُتحت فكانت أبواباً.

﴿وإذا الجبال نُسِفَت﴾ قُلعت من أماكنها. وقد ذكرناه في طه(٥).

﴿وإذا الرسل أُقِّتَت﴾ قرأ أبو عمرو: "وُقِّتَت" بالواو، ومثله أبو جعفر غير أنه خفف القاف.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٢)، والكشف (٢/ ٣٥٧)، والنشر (٢/ ٢١٧)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٤).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٨)، والدر المصون (٦/ ٤٥٤).

(٤) زيادة من ب.

(٥) عند الآية رقم: ١٠٥.

وقرأ الباقون "أُقِّتَت" بالهمزة وتشديد القاف[(١)].

والمعنى: جُمعت لوقتها الذي تَشْهَدُ فيه على الأمم.

وأصلها: وُقِّتَت بالواو، فأبدلوا من الواو المضمومة همزة.

قال الزجاج وغيره[(٢)]: كل واو [انضمت][(٣)] وكانت ضمتها لازمةً جاز أن تبدل منها همزة.

قال الفراء[(٤)]: تقول: صلى القوم أُحداناً. وهذه [أجوهٌ][(٥)] حسان.

ومن خفف فهو كقوله: ﴿كتاباً موقوتاً﴾ [النساء:١٠٣].

قوله تعالى: ﴿لأي يوم أُجِّلَت﴾ تعظيمٌ لذلك اليوم، وتعجيب للعباد من هوله.

﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يُفصل فيه بين الخلائق.

ثم عظّمه فقال: ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾.

ثم أخبر عن حال الذين كذبوا به فقال: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. وقد ذكرنا معنى "ويل" في البقرة.

قال الزجاج[(٦)]: "ويلٌ" مرفوع بالابتداء، و"للمكذبين": الخبر[(٧)].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٢-٧٤٣)، والكشف (٢/ ٣٥٧)، والنشر (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٦).

(٣) في الأصل: اضمت. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٥) في الأصل: أجرة. والتصويب من ب، ومعاني الفراء (٣/ ٢٢٣).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٧).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٨)، والدر المصون (٦/ ٤٥٥).

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾؟

قلتُ: هو في أصله مصدر منصوب، سَادٌّ مَسَدَّ فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع؛ للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه. ونحوه ﴿سلام عليكم﴾ [الأنعام:٥٤]. ويجوز: "وَيْلاً"، بالنصب؛ ولكنه لم يُقرأ به.

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿ألم نُهْلِكِ الأولين﴾ وقرأ قتادة: "نَهْلِكِ" بفتح النون[2]، من هلكه بمعنى: أهلكه.

قرأ الأكثرون: ﴿ثم نُتْبِعُهُمُ الآخرين﴾ برفع العين على الاستئناف، [ويؤيده][3] قراءة ابن مسعود: "ثم سنتبعهم"[4].

(١) الكشاف (٤/ ٦٧٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٥).

(٣) في الأصل: ويده. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٥).

وقرأ الأعرج: "نُتْبِعْهُم" بجزم العين[١]، عطفاً على "نهْلك".

وهذا تهديد لكفار مكة.

قال ابن جرير[٢]: الأولون: قومُ نوح وعاد وثمود، والآخرون: قومُ إبراهيم ولوط ومدين.

﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أي: مثلُ ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أجرم.

قوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم﴾ وقرأتُ لقالون من رواية أحمد بن صالح عنه: "نخلُقْكُم" بإظهار القاف.

﴿من ماء مهين﴾ ضعيف. والمراد من ذلك: تذكيرهم بقدرته على ما يريد من البعث وغيره.

﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ وهو الرحم. ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو مدة الحمل.

﴿فقدَرْنا﴾ وقرأ نافع والكسائي: "فقدَّرنا" بتشديد الدال[٣].

قال أبو علي[٤]: قَدَّرَ وقَدَرَ لغتان. فمن قرأ: "فقَدَرنا" بالتخفيف؛ فلقوله: ﴿فنعم القادرون﴾، فـ"القادرون" أشكل بـ"قَدَرْنا"، ويجوز "القادرون" مع قدّر، فيجيء باللغتين، كما قال: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم﴾ [الطارق:١٧].

وقال غيره: المخففة من القدرة والمُلْك، [والمشددة من التقدير][٥] والقضاء.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٢٣٥).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٣)، والكشف (٢/ ٣٥٨)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٩١).

(٥) في الأصل: والمشددة من القدر. والتصويب من ب، وزاد المسير (٨/ ٤٤٩).

ويؤيد القراءة بالتشديد قوله: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ [عبس:١٩].

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ معنى الكَفت في اللغة: الضم والجمع، والكفات هاهنا: اسم لما يكفِت، مثل: الضمام والجماع: اسم لما يُضمّ ويجمع.

قال الزمخشري[١]: [وبه][٢] انتصب ﴿أحياءً وأمواتاً﴾ كأنه قيل: كافتة أحياءً وأمواتاً. أو بفعل مضمر يدل عليه وهو: يكفت.

وقال الأخفش: انتصب على الحال.

والمعنى: تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. هذا قول قتادة وجمهور المفسرين[٣].

وقال مجاهد وأبو عبيدة: المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء بالنبات والعمارة، وأمواتاً بالخراب والجفاف[٤].

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبالاً ثوابتَ عالياتٍ، وكلُّ عالٍ فهو شامخ.

﴿وأسقيناكم﴾ مفسرٌ في الحِجْر[٥].

﴿ماءً فُراتاً﴾ عذباً. وقد سبق أيضاً تفسيره.

قال مقاتل[٦]: وهذا كله أعجب من البعث.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٠).

(٢) في الأصل: به. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣٧). وانظر: معاني الفراء (٣/ ٢٢٤)، والوسيط (٤/ ٤٠٨).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٩). ولم أقف عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٥) عند الآية رقم: ٢٢.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٧).

ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة، فقال:

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ
﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ
جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا
يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ أي: انطلقوا إلى العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

ثم كرر فقال: ﴿انطلِقُوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية رويس عنه: "انطلَقوا إلى ظل" بفتح اللام[1]؛ إخباراً عن امتثالهم ما أُمروا به من الانطلاق، وهي قراءة أبيّ بن كعب وأبي عمران.

قال ابن قتيبة وغيره[2]: الظِّلّ هاهنا: ظل من دخان نار جهنم، سَطَعَ ثم افترق ثلاث فِرَق، وهكذا شأن الدخان العظيم تراه [يتفرّق][3] ذوائب إذا ارتفع، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يُفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه.

قال مجاهد: تكون شُعبة فوق الإنسان، وشُعبة عن يمينه، وشُعبة عن شماله،

---

(١) النشر (٢/ ٣٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٠).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣١٩).

(٣) في الأصل: يفترق. والمثبت من ب.

فيحيط به دخان جهنم[١].

ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿لا ظليل﴾ يعني: لا يظل من الحر، ﴿ولا يغني من اللهب﴾.

قال الكلبي: لا يردّ عنهم لهب جهنم[٢].

وقد ذكرنا فيما مضى: أن اللهب ما يعلو على النار إذا أضرمت من أصفر وأحمر وأخضر.

ثم وصف النار فقال: ﴿إنها ترمي بشَرَرٍ كالقصر﴾ الشَّرَرُ: جمع شَرَرَة، وهو ما تطاير من النار متفرقاً.

والقَصْر: واحد القُصُور المبنية، في قول ابن مسعود وابن عباس وجمهور المفسرين[٣].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: كنا نرفع الخشب للشتاء ثلاثة أذرع أو أقل، ونسميه القصر. ﴿كأنه جمالات صُفْر﴾ أي: حبال السفن، تُجمع حتى تكون كأوساط الرجال[٤].

وقال مجاهد: القَصْرُ: الجبل[٥].

وقال الضحاك وسعيد بن جبير: القَصْرُ: أصولُ النخل والشجر

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٩ ح٤٦٤٨).

(٥) انظر: القرطبي (١٩/ ١٦٤).

العظام[١]، واحدتها: قَصْرَة، مثل تمرة وتمر، وجمرة وجمر.

وقرأ علي عليه السلام وابن عباس وأبو رزين ومجاهد وأبو الجوزاء: "كالقَصَر" بفتح الصاد[٢]، مثل: شَجَرة وشَجَر.

قال الزجاج[٣]: أراد: أعناق الإبل.

وقال ابن قتيبة[٤]: أراد: أصول النخل المقطوعة.

وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة والنخعي: بضم القاف والصاد[٥]، بمعنى: القصور، كَرَهْن ورُهُن.

وقرأ سعيد بن جبير بخلاف عنه: بكسر القاف وفتح الصاد[٦]، جمع قَصَرَة.

قال أبو حاتم: ولعله لغة. ونظيرها من الكلام: حَوَجَة وحِوَج.

قال ابن جني[٧]: وقالوا أيضاً في حَلْقَة الحديد: حَلَقَة وحَلَقٌ -بفتح اللام-، وقالوا: حِلَق؛ بكسر الحاء.

وقرأ أبو الدرداء وغيره: "كالقُصْر" بضم القاف وسكون [الصاد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤٠) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨٦) وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٢) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ٢٤٠)، وزاد المسير (٨/ ٤٥٠).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٨).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥٠)، والدر المصون (٦/ ٤٥٨).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥٠-٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٤٥٨).

(٧) المحتسب (٢/ ٣٤٦).

بتخفيف][(١)] قُصُر [(٢)].

ثم أردف التشبيه بمثله فقال: ﴿كأنه جمالات صفر﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "جِمَالَةٌ" على التوحيد، جمع جَمَل، [مثل][(٣)]: حَجَر وحجارة.

قال مكي[(٤)]: لحقته هاء التأنيث؛ لتأنيث الجمع، كما قالوا: فَحْل وفِحَال وفِحَالَة.

ومثلهم قرأ أبو رزين، وحميد، وأبو حيوة، غير أنهم ضموا الجيم[(٥)]، [وهو حبل][(٦)] السفينة.

وقرأ الباقون من السبعة: بكسر الجيم وزيادة ألف على الجمع[(٧)].

وضَمَّ الجيم رويس عن يعقوب[(٨)].

قال الزجاج[(٩)]: من قرأ "جِمالات" بالكسر، فهي جمع جِمَال، كما تقول: بُيوت

(١) في الأصل: الدال وتخفيف. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥١). وعزاها لأبي العالية وأبي عمران وأبي نهيك ومعاذ القارئ، دون أبي الدرداء، وجعل قراءة أبي الدرداء كقراءة سعيد بن جبير المتقدمة.

(٣) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٤) الكشف (٢/ ٣٥٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٤٥٩).

(٦) في الأصل: وحبل. والتصويب من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٤)، والكشف (٢/ ٣٥٨)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٨) النشر (٢/ ٣٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣١).

(٩) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٨).

وبيُوتات، وهو جمع الجمع. ومن قرأ "جُمالات" بالضم، فهو جمع جُمالة، وهو القَلْس[١]، من قُلُوس سفن البحر، ويقال: كالقَلْس، من قلوس الجسر.

قال الفراء[٢]: الصُّفر: سود الإبل، لا ترى الأسود من الإبل إلا وهو مُشْرَبٌ صُفْرة، فلذلك سَمّت العرب سودَ الإبل: صُفْراً. وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين[٣].

قوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ قال الزجاج[٤]: يومُ القيامة له مواطن ومواقيت، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها.

قال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون، ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[٥].

وقال ابن الأنباري: لا ينطقون بحجة تنفعهم.

وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمد، والأعمش: "يومَ" بنصب الميم[٦]، على معنى: هذا الذي قصصنا عليكم واقع يوم لا ينطقون، وهو يوم القيامة، ولا يؤذن لهم فيعتذرون.

---

(١) القَلْسُ: هو حبل السفينة (اللسان، مادة: قلس).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤١). وذكره الماوردي (٦/ ١٨٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٨٦) وعزاه لابن جرير عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٥١).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٤٥٩).

قال الزمخشري(١): "فيعتذرون" عطف على "يؤذن" منخرط في سلك النفي. والمعنى: ولا يكون لهم إذن [واعتذار](٢) متعقب له، من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن، ولو نَصَبَ [لكان](٣) مُسبباً عنه لا محالة.

قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل﴾ إشارة إلى يوم القيامة، يُفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، ﴿جمعناكم﴾ أيها [المكذبون](٤) من هذه الأمة ﴿و﴾ المكذبين ﴿الأولين﴾.

وقوله: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ تقريعٌ لهم على كيدهم لدين الإسلام، وتسجيلٌ [عليهم](٥) بالعجز والاستكانة.

قال مقاتل(٦): المعنى: فإن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى ما أعدّ للمؤمنين فقال:

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟
هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٢).

(٢) في الأصل: وإعذار. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: لمكان. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: المكذبين. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: لهم. والمثبت من ب.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٧).

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿إن المتقين في ظلال﴾ [يعني: ظلال][1] الشجر وأكنان القصور، ﴿وعيون * وفواكه مما يشتهون﴾.

﴿كلوا﴾ على إضمار القول، تقديره: يقال لهم: كلوا، ﴿واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا بطاعة الله.

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ مُفسّر فيما مضى[2].

ثم قال لكفار مكة مهدّداً لهم: ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً﴾ زمناً قليلاً، أو تمتعاً قليلاً مدة بقائكم في الدنيا ﴿إنكم مجرمون﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ قال مقاتل[3]: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة وقالوا: لا ننحني، [فإنها][4] مَسَبَّةٌ علينا، فنزل ذلك فيهم.

وقال رسول الله ﷺ: «لا خير [في دين][5] ليس [فيه][6] ركوع ولا سجود»[7]. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد.

وقال ابن عباس في رواية العوفي: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يُدعون إلى

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في سورة الصافات، عند الآية رقم: ٨٠.

(٣) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وانظر قول مقاتل في: الماوردي (٦/ ١٨١)، وزاد المسير (٨/ ٤٥٢).

(٤) في الأصل: فإنه. والمثبت من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه أبو داود (٣/ ١٦٣ ح٣٠٢٦).

السجود فلا يستطيعون[١]. فيكون أمْرُهُم بالركوع؛ تقريعاً لهم.

قوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي: بعد القرآن المفصل بالمواعظ والحكم ﴿يؤمنون﴾.

قال أهل المعاني: ليس [ترديد قوله][٢] في هذه السورة: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بتكرار؛ لأن كل واحد جاء عقيب جملة مخالفة لصاحبتها، فأثبت الويل لمن كذّب بها.

وقد أشرنا إلى معنى ذلك في مواضع، منها سورة الرحمن.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨٨) وعزاه لابن جرير.

(٢) في الأصل: يريد بقوله. والتصويب من ب.

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربعون آية، مكية[1].

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا
وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يتساءلون﴾ أصله: عَنْ مَا، على أنه حرف جر دخل على "ما" الاستفهامية. والمراد: تفخيم القصة بهذا الاستفهام، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون. وأدغمت النون في الميم، وحذفت ألف "ما"، كقولهم: فِيمَ وبِمَ.

قرأ عكرمة وعيسى بن عمر: "عَمّا يتساءلون" بإثبات الألف[2]، وأنشدوا لحسان:

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٠٢)، والدر المصون (٦/ ٤٦١).

على ما قَامَ يَشْتمني لَئِيمٌ   كخنزيرٍ تمرَّغ في رَمَادِ[١]

وقد سبق ذلك فيما مضى.

قال المفسرون: لما بُعث رسولُ الله ﷺ جعل كفار قريش بمكة يتساءلون بينهم: ما الذي أتى به محمد؟ ويختصمون فيه، فنزلت هذه الآية[٢].

ثم ذكر تساءلهم عَمَّ هو فقال: ﴿عن النبإ العظيم﴾ أي: الخبر العظيم الشأن.

وهو القرآن، في قول مجاهد ومقاتل[٣].

والبعث، في قول قتادة[٤].

وقيل: هو أمر محمد ﷺ[٥].

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ إن قلنا: هو القرآن، فاختلافهم فيه ظاهر، فمنهم من قال: شعر، ومنهم من قال: كهانة، ومنهم من قال: أساطير الأولين.

وإن قلنا: هو البعث، فاختلافهم فيه تصديق بعضهم به، وتكذيب بعض حين أُخبروا به.

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٤) كلاهما عن الحسن. وذكره الماوردي (٦/ ١٨٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤١١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧١٩)، والطبري (٣٠/ ٢). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٨٢).

وقيل: تصديق المؤمنين وتكذيب الكافرين.

وإن قلنا: هو أمر النبي ﷺ، فاختلافهم فيه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿كلاّ﴾ ردعٌ للمتسائلين على وجه الاستهزاء والتكذيب.

ثم توعدهم بقوله: ﴿سيعلمون﴾ والمعنى: سوف يعلمون عاقبة استهزائهم وتكذيبهم، أو سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه [ويضحكون][(١)] منه حق لا محالة.

ثم كرّر ذلك توكيداً فقال: ﴿ثم كلا سيعلمون﴾.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري: "ستعلمون" بالتاء فيهما[(٢)]، [من طريق التغلبي][(٣)] عن ابن ذكوان.

ثم دلهم على كمال قدرته على إيجاد ما أراد من البعث وغيره بقوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ أي: فراشاً، ﴿والجبال أوتاداً﴾ للأرض؛ لئلا تميد بهم، ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ ذكراناً وإناثاً.

﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ قال ابن قتيبة[(٤)]: راحة لأبدانكم. وقد فسرناه في الفرقان[(٥)].

﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ ساتراً بظلمته، كما يستر الثوب لابسه.

---

(١) في الأصل: فيضحكون. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٩٢)، والسبعة (ص:٦٦٨).

(٣) في الأصل: عن طريق الثعلبي. والتصويب من ب.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٨).

(٥) عند الآية رقم: ٤٧.

﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي: وقت معاشٍ تتقلبون فيه لحوائجكم ومكاسبكم.

﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ يريد: السموات السبع. ويعني بشدتها: إتقانها وإحكامها، وأن مرور الدهور لا يؤثر فيها كما يؤثر في الأبنية المتعارفة.

﴿وجعلنا سراجاً وهّاجاً﴾ أي: وقّاداً، يجمع النور والحرارة. يعني: الشمس.

﴿وأنزلنا من المُعْصِرات﴾ وهي السموات، في قول أبي بن كعب، والحسن، وسعيد بن جبير[(١)].

والرياح، في قول ابن عباس وعكرمة[(٢)].

قال زيد بن أسلم: هي الجنوب[(٣)].

قال الأزهري[(٤)]: هي الرياح ذوات الأعاصير.

و"مِنْ" بمعنى الباء، تقديره: بالمعصرات، سُمّيت بذلك؛ لأن الرياح تستدرّ المطر.

والسحاب، في قول أبي العالية، والضحاك، والربيع، وابن عباس في رواية الوالبي، قالوا: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولمّا تمطر، كالمرأة المعصر، وهي

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥) عن الحسن. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والخرائطي من طرق عن ابن عباس.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦).

(٤) تهذيب اللغة (٢/ ١٥).

التي دنا حيضها[١].

قال أبو النجم:

.... قَدْ أَعْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِعْصَارَهَا[٢]

وقد ذكرنا في سورة الحجر عند قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾[٣] ما له ارتباط بهذه الآية، فاعلم ذلك.

وقوله: ﴿ماءً ثجاجاً﴾ قال مقاتل[٤]: يريد: مطراً كثيراً منصبّاً يتبع بعضه بعضاً. يقال: ثَجَّه وثَجّ بنفسه.

﴿لنخرج به حباً﴾ مما يأكله الناس، ﴿ونباتاً﴾ يأكله الناس والأنعام.

وقال الزجاج[٥]: كل ما حُصد فهو حَب، وكل ما أكلته الماشية من الكلأ فهو نبات.

وقيل: الحب: اللؤلؤ، والنبات: العشب.

قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطراً إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً، وفي البرّ عُشباً[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٩١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) عجز بيت لأبي النجم العجلي، وصدره: (تمشي الهُوَيْنا مائلاً خمارها). وهو في: اللسان (مادة: عصر، سفا)، والقرطبي (١٩/ ١٧٢)، والبحر (٨/ ٤٠٢)، والدر المصون (٦/ ٤٦٢).

(٣) عند الآية رقم: ٢٢.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٠).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٢).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧). وفي ب: الأرض عشباً.

﴿وجنات ألفافا﴾ مُلتفّة.

قال صاحب الكشاف(١): لا واحد له، [كالأوزاع](٢) والأخياف. وقيل: الواحد: لف. وقال صاحب الإقليد: أنشدني الحسن [بن](٣) علي الطوسي:

جَنَّةٌ لِفٌّ وعَيْشٌ مُغْدِقٌ ونَدامَى كُلُّهُمْ بيضٌ زُهُرُ

وزعم ابن قتيبة(٤) أنه لَفَّاء ولُفٌّ، ثم ألْفَافٌ، وما أظنه واجداً له نظيراً من نحو: خُضْر وأخْضَار، وحُمْر وأحْمَار، ولو قيل: هو جمع مُلتفَّة، بتقدير حذف الزوائد، لكان قولاً وجيهاً. هذا آخر قول صاحب الكشاف.

والذي حكاه عن ابن قتيبة قد ذكره جماعة، منهم: أبو عبيدة(٥)، وأبو العباس.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾
وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ
جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا
يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٧).

(٢) في الأصل: كأوزاع. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٩).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل﴾ يريد: يوم القيامة ﴿كان ميقاتاً﴾ لما وعد الله من الثواب وأوعد من العقاب.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من "يوم الفصل"، أو عطف بيان[١]، ﴿فتأتون أفواجاً﴾ زمراً زمراً للحساب.

﴿وفُتِّحَتِ السماء﴾ وقرأ أهل الكوفة: "وفُتِحَتِ" بالتخفيف[٢]، ﴿فكانت أبواباً﴾ ذوات أبواب لنزول الملائكة.

﴿وسُيِّرَتِ الجبال﴾ عن أماكنها ﴿فكانت﴾ بعد اشتدادها وتصلب أجزائها ﴿سراباً﴾ هباءً مُنبثاً، أي: تصير شيئاً كلا شيء؛ لتفرّق أجزائها.

قوله تعالى: ﴿إنَّ جهنم كانت﴾ وقرأ ابن يعمر: "أَنَّ جهنم" بفتح الهمزة[٣]؛ على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت ﴿مرصاداً * للطاغين﴾.

قال الأزهري[٤]: المِرْصَاد: هو المكان الذي يَرْصُدُ فيه الراصد العدوّ.

ثم بيّن لمن هي مرصاد فقال: ﴿للطاغين﴾.

قال ابن عباس: للمشركين[٥].

﴿مآباً﴾ مرجعاً يرجعون إليه.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٩)، والدر المصون (٦/ ٤٦٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٥)، والكشف (١/ ٤٣٢ وَ ٤٦٢)، والنشر (٢/ ٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٧، ٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٠٥)، والدر المصون (٦/ ٤٦٤).

(٤) تهذيب اللغة (١٢/ ١٣٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٣).

قوله تعالى: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ قرأ حمزة: "لَبِثِينَ" بغير ألف[١].

قال أبو علي[٢]: من قرأ: "لابثين" جاء باسم الفاعل من لبث على فاعل، نحو: شَرِبَ فهو شارب، ومن قرأ بغير ألف جاء به على فَعِلَ، نحو: حَذِرَ فهو حَذِرٌ. وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فَاعِل وفَعِل.

وقال الزمخشري[٣]: اللبث أقوى؛ لأن اللابث مَنْ وُجِدَ منه اللبث، ولا يقال "لبث" إلا لمن شأنه اللبث، كالذي يجثِم بالمكان لا يكاد ينفك عنه.

﴿فيها أحقاباً﴾ قال الحسن: لم يجعل الله لأهل النار مدةً، بل قال: أحقاباً، فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى [حُقْبٌ][٤] دخل آخر ثم آخر ثم آخر كذلك إلى الأبد[٥].

قال ابن قتيبة[٦]: هذا لا يدل على غاية؛ لأنه كلما مضى حُقْبٌ تبعه حُقْبٌ. ولو أنه قال: لابثين فيها عشرة أحقاب أو خمسة دل على غاية.

وقال الزجاج[٧]: والأحقاب واحدها: حُقْب، والحقب: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم منها مقدار ألف سنة من سنيّ الدنيا.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٥)، والكشف (٢/ ٣٥٩)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٨).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٨٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٤).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٩).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٣).

قال[١]: والمعنى: أنهم يلبثون أحقاباً، لا يذوقون في الأحقاب برداً ولا شراباً، وهم خالدون في النار أبداً، كما قال الله عز وجل: [﴿خالدين فيها أبداً﴾][٢] [الجن:٢٣].

قال صاحب الكشاف[٣]: يجوز أن يراد: لابثين فيها أحقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً، إلا حميماً وغساقاً، ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغَسَّاق من جنس آخر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها بَرْدَاً ولا شراباً﴾ قال ابن عباس: لا يذوقون فيها برد الشراب ولا الشراب[٤].

وقال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً، [أي][٥]: روحاً وراحة[٦].

وقال مقاتل[٧]: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرها، ولا شراباً ينفعهم من عطش.

وقال مجاهد والسدي والكسائي والفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة[٨]: البَرْدُ:

---

(١) أي: الزجاج.

(٢) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٢٧٣).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨).

(٥) زيادة من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٢).

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٥٠٩)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٢)، وزاد المسير (٩/ ٨).

النوم. والعرب تقول: منع البَرْد البَرْد.

قال الفراء[١]: إن النوم ليبرد صاحبه، وإن العطشان لينام فيبرد غليله، فلذلك سمي النوم برداً. قال الشاعر:

فإنْ شِئتُ حَرّمتُ النِّساءَ سِواكُمُ وإنْ شئتُ لم أُطْعَمْ [نُقاخاً][٢] ولا برداً[٣]

قال ابن قتيبة[٤]: [والنُّقَاخ][٥]: الماء، والبرد: النوم.

وأنشد أبو عبيدة[٦] قول الكندي:

بَرَدَتْ مراشِفُها عليَّ فصدَّني عنْها وعنْ قُبلاتِها البَرْدُ[٧]

قوله تعالى: ﴿إلا حميماً وغساقاً﴾ سبق تفسيره.

وقد ذكرنا في أواخر صاد[٨] اختلاف القراء في "غساق"، وتوجيه القراءتين.

قوله تعالى: ﴿جزاءً وفاقاً﴾ قال الزجاج[٩]: جوزوا [جزاء][١٠] وفق أعمالهم.

قال مقاتل[١١]: وافَقَ عذابُ النار الشرك؛ لأنهما عظيمان، فلا ذنب أعظم من

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٢٨).

(٢) في الأصل: نفاخاً. والتصويب من ب.

(٣) تقدم.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٩).

(٥) في الأصل: والنفاخ. والتصويب من ب.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٧) البيت للكندي، وهو في: القرطبي (١٩/ ١٨٠)، والطبري (٣٠/ ١٢)، والماوردي (٦/ ١٨٧).

(٨) عند الآية رقم: ٥٧.

(٩) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٤).

(١٠) زيادة من ب.

(١١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٢).

الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

قال الزمخشري[١]: "وفاقاً" وصفٌ بالمصدر، أو ذا وفاق.

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ أي: لا يخافون أن يُحاسبوا. يريد: كانوا لا يؤمنون بالبعث.

وقال الزجاج[٢]: لا يرجون ثواب حسابهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث.

﴿وكذبوا بآياتنا كذّاباً﴾ أي: تكذيباً.

قال الفراء[٣]: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون: كَذَّبْتُ كِذَّاباً، وخَرَّقْتُ القميص خِرَّاقاً، وكلُّ "فَعَلْتُ" مصدرها: فِعَّالٌ في لغتهم -مُشدَّد-.

قال[٤]: وقال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلقُ أحبُّ إليك أم القِصَّار؟.

وقال صاحب الكشاف[٥]: وسمعني بعضهم أفسّر آية فقال: لقد فسّرتها فسّاراً ما سُمع بمثله.

وقرأ علي عليه السلام: "كِذَاباً" بالتخفيف[٦]، في الموضعين من هذه السورة.

قال الزمخشري[٧]: وهو مصدر كَذَبَ، بدليل قوله:

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٢٩).

(٤) أي: الفراء.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٠٦)، والدر المصون (٦/ ٤٦٧).

(٧) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمرءُ [ينفعُه][١] كِذَابُه[٢]

قلتُ: والبيت للأعشى.

قوله تعالى: ﴿وكُلَّ شيء أحصيناه كتاباً﴾ قال الزجاج[٣]: "كلَّ" منصوب بفعل مضمر يفسره: "أحصيناه". والمعنى: وأحصينا كل شيء، و"كتاباً" توكيد لـ"أحصيناه"؛ لأن معنى أحصيناه وكتبناه فيها يحصل ويثبت واحد، فالمعنى: كتبناه كِتَاباً.

وقال غيره[٤]: يجوز أن يكون "كتاباً" حالاً في معنى: مكتوباً في اللوح، وفي [صُحُف][٥] الحفظة.

قال المفسرون: وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿فذوقوا﴾ على إضمار القول، أي: فيقال لهم: ذوقوا جزاء أعمالكم، ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا
﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

---

(١) في الأصل: وينفعه. والتصويب من ب.

(٢) البيت للأعشى. وهو ليس في ديوانه. وهو في: الدر المصون (٦/ ٤٦٦)، وابن يعيش (٦/ ٤٤)، والطبري (٣٠/ ٢٠)، والقرطبي (١٩/ ١٨١)، وزاد المسير (٩/ ١٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٤).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٨٩-٦٩٠).

(٥) في الأصل: مصحف. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٩٠).

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ أي: موضع فوز، أو فوزاً وظفراً بإدراك البغية.

قال ابن عباس: مفازاً: متنزهاً[(١)].

وقال قتادة: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة[(٢)].

ثم فسّر ذلك الفوز فقال: ﴿حدائق وأعناباً﴾ قال ابن قتيبة[(٣)]: الحدائق: بساتين النخل، واحدها: حديقة.

وقال غيره: البساتين فيها أنواع الشجر المثمر.

﴿وكواعب أتراباً﴾ قال ابن عباس: الكواعب: النّواهد[(٤)].

وقال الضحاك: العذارى[(٥)].

قال ابن فارس[(٦)]: يقال: كَعَبَتِ المرأة كَعَابَةً، وهي كَاعِبٌ؛ إذا نَتَأَ ثَدْيُها.

والأتراب: اللِّدَات[(٧)]. وقد سبق ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٠).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٥) الماوردي (٦/ ١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن المنذر.

(٦) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٨٦).

(٧) انظر: تاج العروس (مادة: ترب).

﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال الحسن وقتادة وابن زيد: "دهاقاً": مملوءة[١].

وقال سعيد بن جبير: متتابعة[٢]، ومنه قول الشاعر:

دُونَكَها مُتْرَعَةً دِهَاقَا ....[٣]

وعن ابن عباس ومجاهد كالقولين[٤].

قال ابن عباس: سمعتُ أبي في الجاهلية يقول: أسقنا كأساً دهاقاً[٥].

وقال عكرمة: صافية[٦]. وعليه أنشدوا:

لأنْتَ إلى الفؤادِ أحبُّ قُوتاً من الصَّادي إلى كأسٍ [دِهَاقِ][٧]

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها﴾ أي: في الجنة ﴿لغواً﴾ باطلاً من الكلام ﴿ولا كِذَّاباً﴾ تكذيباً، أي: لا يكذّب بعضهم بعضاً، على ما هو المتعارف من شاربي خمر

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك والحسن.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير والضحاك.

(٣) صدر بيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعجزه: (كأساً زُعافاً مُزِجَت زُعُاقَا). وهو في: اللسان (مادة: زعق)، وتاج العروس (مادة: زعق، ودق)، والعين (١/ ١٣٣).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٧٢٢)، والطبري (٣٠/ ١٩-٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٦ ح٣٨٩١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لابن جرير.

(٧) انظر البيت في: القرطبي (١٩/ ١٦٣)، والبحر (٨/ ٤٠٢)، والدر المصون (٦/ ٤٦٧)، والماوردي (٦/ ١٨٩)، وفيهم: "قرباً" بدل: "قوتاً". وما بين المعكوفين في الأصل: دهاقا. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

الدنيا.

وقرأ الكسائي: "كِذَاباً" بالتخفيف[١]، مصدر: كَذَبَ، كما أن الكتاب مصدر: كَتَبَ، وإنما شُدِّدَ الموضع الأول؛ لقوله: ﴿وكذّبوا﴾.

قوله تعالى: ﴿جزاء من ربك عطاءً حساباً﴾ قال الزجاج[٢]: "جَزَاءً" منصوب بمعنى: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ [النبأ:٣١]؛ لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد.

قال الزمخشري[٣]: و "عَطَاءً" نصب بـ"جزاء" نصب المفعول به. أي: جزاهم عطاءً. و "حساباً" صفة بمعنى: كافياً، من أَحْسَبَه الشيء؛ إذا كفاه حتى قال: حسبي. وقيل: على حسب أعمالهم.

قال الكلبي: حاسَبَهُم فأعطاهم بالحسنة عشراً[٤].

قرأ الحرميان وأبو عمرو: ﴿ربُّ السماوات﴾ برفع الباء. وقرأ الباقون بالخفض. وقرأ عاصم وابن عامر: بالخفض[٥]، ورفعه الباقون[٦].

فمن رفع الاسمين قطع الكلام مما قبله، فـ"ربُّ" مبتدأ و"الرحمن" خبره، ثم استأنف ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٦)، والكشف (٢/ ٣٥٩)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٩٠).

(٤) ذكره القرطبي (١٩/ ١٨٥).

(٥) أي: بخفض كلمة: "الرحمن".

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٧)، والكشف (٢/ ٣٥٩)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١-٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٦٩).

ومن خفض الاسمين أتبعهما المخفوض قبلهما، وهو قوله: "من ربك" على البدل.

ومن رفع "الرحمن" جعله مبتدأ، والخبر ما بعده، أو على معنى: هو الرحمن.

والضمير في قوله: "لا يملكون": لأهل السموات والأرض.

قال مقاتل[(١)]: لا يَقْدِرُ الخلقُ أن يُكلموا الربَّ إلا بإذنه.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ الظرف متعلق بقوله: "لا يملكون" أو بقوله: "لا يتكلمون"، أو بمضمر تقديره: اذكر.

وفي الروح خمسة أقوال:

أحدها: أنهم خَلْقٌ من خلق الله، على صورة بني آدم يأكلون ويشربون، وليسوا بملائكة. قاله مجاهد[(٢)]. وروي معناه مرفوعاً إلى النبي ﷺ[(٣)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٤) بمعناه.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٧٢٢-٧٢٣)، والطبري (٣٠/ ٢٢-٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٧٠ ح٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس، رفعه.

الثاني: أنه مَلَكٌ ما خلق الله مَلَكاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً، وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً، فيكون عِظَم خلقه مثل صفوفهم[(١)].

قال ابن مسعود: هو أعظمُ من خَلْقِ السموات والجبال والملائكة[(٢)].

الثالث: أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين، قبل أن تُـردَّ إلى الأجساد[(٣)]. وهذه الأقول الثلاثة مروية عن ابن عباس.

الرابع: أنه جبريل عليه السلام. قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك[(٤)].

الخامس: أنهم بنو آدم. قاله الحسن وقتادة[(٥)]. على معنى: يقوم ذووا الروح.

قال الشعبي: هما سماطان، سماط من الروح، وسماط من الملائكة[(٦)]. فيكـون المعنى على هذا: يقوم الروح صفاً والملائكة صفاً.

وقال ابن قتيبة[(٧)]: معنى قوله: "صفاً": صفوفاً.

وقوله: ﴿لا يتكلمون﴾ جائز أن يكون في محل الحال، وجائز أن يكـون جملـة

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦) كلاهما عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٠) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٠-٤٠١) وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢) عن الضحاك والشعبي، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٧٧٨ ح١٥، ٣/ ٨٧٣ ح٤١٣) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ عن الضحاك.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٧٤ ح٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٥١١).

مستأنفة. ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ في الكلام، ﴿وقال صواباً﴾ حقاً في الدنيا وعمل به.

وقال أبو صالح: قال: لا إله إلا الله[(١)].

وقال صاحب الكشاف[(٢)]: هما شريطتان: أن يكون المتكلم منهم مأذوناً له في الكلام، وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى.

قوله تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ أي: مرجعاً بالطاعة.

ثم خوّف كفار مكة فقال: ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ وهو عذاب الآخرة.

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ قال الزمخشري[(٣)]: "المرء": هو الكافر؛ [لقوله][(٤)]: ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾، والكافر: ظاهر وُضع موضع الضمير لزيادة الذم.

وقال أكثر المفسرين: المرء: اسم جنس يشمل الصالح والطالح، أخبر الله أنهم يرون يوم القيامة ما قَدَّموا في الدنيا من الأعمال السيئة والحسنة مُثْبَتاً في صحائف أعمالهم.

وقال قتادة: هو المؤمن[(٥)].

و"ما" موصولة، والراجع إلى الصلة محذوف.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٩١).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٩١).

(٤) في الأصل: كقوله. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٦٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٥) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

ويجوز أن تكون استفهامية، على معنى: أيّ شيء قدمت يداه.

﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ قال عبدالله بن عمرو: إذا كان يوم القيامة، مدّت الأرض مد الأديم، وحُشرت الدواب والبهائم والوحش[1]، ثم يُجعل القصاص بين الدواب، حتى يقتصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فُرغ من القصاص قال لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً[2].

وقال الحسن: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة فقضى بين الثقلين الجن والإنس وأنزلهم منازلهم، قال لسائر الخلق: كونوا تراباً، فحيئنذ يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً[3].

وقيل: المراد بالكافر: إبليس، يرى آدمَ وولدَه وثوابَهم، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف:١٢].

وقال الزجاج[4]: وقيل المعنى: يا ليتني كنتُ تراباً، أي: يا ليتني لم أُبعث، كما قال: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة:٢٥].

---

(١) في ب: والوحوش.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٦١٩ ح٨٧١٦)، والطبري (٣٠/ ٢٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٧).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٦).

سورة النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وتسمى الطامة. وهي أربع وخمسون آية في المدني، وست في الكوفي، وهي مكية بإجماعهم[١].

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا
ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قال الله تعالى: ﴿والنازعات غرقاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تنزع أرواح الكفار[٢].

قال مقاتل[٣]: مَلَكُ الموت وأعوانُه، ينزعون روح الكافر، كما يُنزع السَّفُّود[٤]

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٥).

(٤) السَّفُّود: حديدة ذات شُعَب معقّفة، معروف، يشوى بها اللحم (اللسان، مادة: سفد).

الكثير الشُّعب من الصوف المبتل، فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وهذا قول جمهور المفسرين.

وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس[١].

قال السدي: النازعات: النفوس حين تنزع[٢].

وقال الحسن وقتادة: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، ومن مشرق إلى مغرب[٣]. وهي اختيار أبي عبيدة[٤] والأخفش.

وقال عطاء وعكرمة: هي القسي تنزع بالسهم[٥].

وقيل: هي الوحوش تنزع وتنفر[٦].

وقيل: هي الرماة[٧].

"غرقاً": إغراقاً وإبعاداً في النزع، فهو اسم أُقيم مقام الإغراق.

قوله تعالى: ﴿والناشطات نشطاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تنشط

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨) عن عطاء. وذكره الماوردي (٦/ ١٩٢) عن عطاء، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥) عن عطاء وعكرمة، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٢) حكاية عن يحيى بن سلام.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥) حكاية عن الثعلبي.

أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تُخرجها من أجوافهم بالكَرْب والغم[١].

قال مقاتل[٢]: ينزعُ ملكُ الموت روحَ الكافر، فإذا بلغت ترقوته عَوَّقَها في حلقه، فيعذبه في حياته [قبل أن يميته][٣]، ثم يُنشِطها من حلقه، -أي: يجذبها- كما يُنْشَطُ السَّفُّودُ من الصوف المبتلّ.

وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس[٤].

وقال ابن عباس: هي الملائكةُ تَنْشُطُ أرواحَ المؤمنين بسرعة[٥].

وقال أيضاً: هي أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج. وذلك أنه ليس من مؤمن يحضره الموت إلا عُرضت [عليه][٦] الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها ما يدعوه إليها، فتنشط نفسه لذلك[٧].

وقال قتادة وأبو عبيدة والأخفش: هي النجوم التي تَنْشَطُ من مطالعها إلى مغاربها[٨].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٥).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥).

(٦) زيادة من ب.

(٧) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩)، وزاد المسير (٩/ ١٥).

(٨) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩) عن قتادة. وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣) عن قتادة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

وقال عطاء وعكرمة: هي الأوهاق[(١)].

وقيل: هي الوحش حين ينشط من بلد إلى بلد، كما أن الهُموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد. قاله أبو عبيدة[(٢)]. وأنشد قول [هميان][(٣)] بن قحافة:

أمْسَتْ هُمومي تَنْشَطُ المَنَاشِطَا   الشَّام [بي][(٤)] طوْراً ثم طَوْرَاً وَاسِطَا[(٥)]

قوله تعالى: ﴿والسابحات سبحاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين[(٦)].

قال ابن السائب: يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء، فأحياناً ينغمس وأحياناً يرتفع، يَسُلُّونها سَلاً رفيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح، كالسابح بالشيء في الماء يرفق به[(٧)].

وقال أبو صالح ومجاهد: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩) عن عطاء. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٣) في الأصل و ب: هيمان. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق. وانظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٨/ ٩٥).

(٤) زيادة من مجاز القرآن، الموضع السابق، ومصادر البيت.

(٥) البيت لهميان بن قحافة السعدي. وهو في: الطبري (٣٠/ ٢٩)، والقرطبي (١٩/ ١٩٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٨٤)، واللسان (مادة: نشط)، والماوردي (٦/ ١٩٣)، والبحر (٨/ ٤٠٩)، وزاد المسير (٩/ ١٦)، والدر المصون (٦/ ٤٧٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٤).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

للفرس الجواد [سابح][١]؛ إذا أسرع في جريه[٢].

وقال مجاهد أيضاً: هو الموت يسبَح في نفوس بني آدم[٣].

وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، كُلٌّ في فلك يسبحون[٤].

وقيل: هي خيل الغزاة[٥].

وقال عطاء: هي السفن[٦].

قوله: ﴿فالسابقات سبقاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تَسْبِقُ الشياطينُ بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام[٧].

وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان[٨].

وقال مجاهد: [تَسْبِقُ][٩] بأرواح المؤمنين إلى الجنة[١٠].

وقال ابن مسعود: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد

---

(١) زيادة من زاد المسير (٩/ ١٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠) عن مجاهد. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي صالح.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٣) حكاية عن ابن شجرة.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

(٨) مثل السابق.

(٩) في الأصل: تسجق. وكذا وردت في المواضع الثلاث التالية. والتصويب من ب.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله ورحمته وكرامته[١].

وروي عن مجاهد: أنه الموت يسبق إلى النفوس[٢].

وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضُها بعضاً في السير[٣].

وقال عطاء: هي الخيل[٤].

قوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين: هي الملائكة[٥]، على معنى: تُدَبِّرُ أمراً من علم الحساب وغيره.

وقال عبد الرحمن بن سابط: يدبّر أمر الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل عليهم السلام. فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل[٦] فهو ينزل بالأمر عليهم[٧].

وقيل: جبريل للوحي، وإسرافيل [للصور][٨].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١). وذكره الماوردي وابن الجوزي، الموضعان السابقان.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٦) في الأصل زيادة قوله: فموكل، ولعلها زيادة من الناسخ، وهي غير موجودة في ب.

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٧٧ ح١٥٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥٩ ح٣٤٩٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) في الأصل: الصور. والمثبت من ب.

فإن قيل: من أول السورة إلى هاهنا قَسَم، فأين جوابه؟

قلتُ: إما محذوف، تقديره: لتبعثن، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. وإما قوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [النازعات:٢٦].

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ العامل في الظرف: جواب القسم المحذوف.

والراجفة: الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، أي: تضطرب، وهي النفخة الأولى، وُصفت بما يحدث بحدوثها.

﴿تتبعها الرادفة﴾ وهي النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، وكل [شيء][(١)] تبع شيئاً فقد ردفه.

وقيل: "الراجفة": الأرض والجبال، و"الرادفة": السماء والكواكب؛ لأنها تنشق وتنثر [كواكبها][(٢)] على إثر ذلك.

ومحل "تَتْبَعُهَا" من الإعراب: النصب على الحال[(٣)]، أي: ترجف تابعتها [الرادفة][(٤)].

﴿قلوبٌ يومئذ واجفة﴾ الوجيف والوجيب بمعنىً، أي: شديدة الاضطراب من أهوال القيامة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: كوابها. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٠)، والدر المصون (٦/ ٤٧١).

(٤) في الأصل: المرادفة. والتصويب من ب.

و"قلوبٌ": رفع بالابتداء[(١)].

﴿أبصارها خاشعة﴾ [هو][(٢)] الخبر، "واجفة": صفة القلوب[(٣)]، ولذلك جاز الابتداء بها، وهي نكرة لتخصُّصها بالوصف، كقوله: ﴿ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ﴾ [البقرة:٢٢١].

ومعنى: "خاشعة": ذليلة خاضعة.

والمراد: [أبصار أصحابها][(٤)]، والإشارة إلى منكري البعث، بدليل قوله: ﴿يقولون أئنا لمردودون في الحافرة﴾.

وقرأ أبو جعفر: "إنا لمردودون" بهمزة واحدة على الخبر[(٥)].

وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة ويعقوب إلا زيداً ورويساً: بهمزتين محقَّقَتين. وفَصَلَ بينهما بألف: هشام، الباقون: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. وفصل بينهما بألف: نافع إلا وَرْشاً وأبو عمرو وزيد عن يعقوب، وتركه ابن كثير[(٦)] ووَرْش [ورويس][(٧)].

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب: "إذا كنا" على الخبر. وقرأ عاصم

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٧١).

(٢) في الأصل: هي. والمثبت من ب.

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٧١).

(٤) في الأصل: أيضاً ذا صاحبها. والتصويب من ب.

(٥) النشر (٢/ ٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٢).

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٩٧)، والنشر (١/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧٠).

(٧) في الأصل: ورېوس. والتصويب من ب.

وحمزة وخلف: بتحقيق الهمزتين على الاستفهام، الباقون: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. وفَصَلَ بينهما بألف: أبو عمرو وأبو جعفر، وتركه ابن كثير (١).

قال أهل اللسان: يقال: رجع فلان [في](٢) حافرته، أي: في طريقه [التي](٣) جاء فيها فحَفَرَها، أي: أثّر فيها بمشيه فيها، جعل أثر قدمه حَفْراً، ومنه: حَفِرَتْ أسنانه؛ إذا أثَّر الأُكالُ في أسناخها، ومنه: الخط المحفور في الصخر (٤).

المعنى: أنُرَدُّ إلى أول [حالنا](٥) وابتداء أمرنا.

قال ابن عباس: المعنى: أئنا لمردودون في الحياة بعد الموت(٦).

وقيل: الحافرة: الأرضُ [التي](٧) تُحفر فيها قبورهم.

المعنى: أئنا لمردودون في الأرض خلقاً جديداً. وهذا معنى قول مجاهد والحسن(٨).

والاستفهام في الموضعين للإنكار، وقد نبهنا على معنى الخبر والاستفهام في

(١) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٩٧)، والنشر (١/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧٠).
(٢) في الأصل: على. والمثبت من ب.
(٣) في الأصل: الذي. والمثبت من ب.
(٤) انظر: اللسان (مادة: حفر).
(٥) في الأصل: حالتنا. والمثبت من ب.
(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥-٤٠٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٧) في الأصل: الذي. والمثبت من ب.
(٨) أخرجه مجاهد (ص:٧٢٦)، والطبري (٣٠/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

سورة الرعد[١].

قال الخليل وغيره: حافرة بمعنى: محفورة، كما [قالوا][٢]: ﴿ماء دافق﴾ [الطارق:٦] بمعنى: مدفوق[٣]، و﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة:٢١].

قال الزمخشري[٤]: وقرأ أبو حيوة: "الحَفِرَة"، والحَفِرَة بمعنى: المحفورة. يقال: حَفِرَتْ أسنانه، وهي حَفِرَة. قال: وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى: المحفورة.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "نَاخِرَة". وقرأ الباقون: "نَخِرَة" بغير ألف[٥].

وروي عن الكسائي التخيير بين حذف الألف وإسقاطها[٦]، وهما لغتان بمعنى واحد.

يقال: نخِرَ العَظْمُ فهو نخِرٌ وناخِرٌ، مثل: طَمِعَ فهو طَمِعٌ وطَامِعٌ، إلا أن فَعِلَ أبلغ من فاعل.

والنَّخِرُ: البالي [الأجوف][٧]، الذي تمر فيه الريح فيُسمع له نخير.

والعامل في "إذا" محذوف، تقديره: إذا كنا عظاماً نرد ونبعث.

---

(١) عند الآية رقم: ٥.

(٢) في الأصل. قال. والمثبت من ب.

(٣) قوله: "بمعنى مدفوق" سقطت من ب.

(٤) الكشاف (٤/ ٦٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٨)، والكشف (٢/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧٠).

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) في الأصل: الأخوف. والتصويب من ب.

﴿قالوا تلك إذاً كرةٌ خاسرة﴾ منسوبة إلى الخسران، أو خاسر أصحابها. وهذا على وجه الفرض والتقدير منهم، أي: إن صح هذا فتلك إذاً كَرَّةٌ خاسرة. وهو كلام يُنبئ [عن][1] استحكام تكذيبهم واستهزائهم، وأن ذلك غير كائن ولا واقع.

قوله تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي: لا تستبعدوا تلك الكَرَّة، [فإنما][2] هي زجرة واحدة، أي: صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية.

﴿فإذا هم بالساهرة﴾ وهي وجه الأرض[3]، في قول جمهور المفسرين واللغويين، قالوا: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأن به نوم الحيوان وسهرهم.

والمعنى: فإذا هم على ظهر الأرض أحياء، بعد أن كانوا في بطنها أمواتاً.

قال وهب بن منبه: "فإذا هم بالساهرة": جبل عند بيت المقدس[4].

وقال قتادة: "فإذا هم بالساهرة": جهنم[5].

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ

(١) في الأصل: على. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: إنما. والمثبت من ب.

(٣) ذكره الطبري (٣٠/ ٣٦)، والماوردي (٦/ ١٩٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) مثل السابق.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد جاءك خبره.

﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: "طُوىً" بالتنوين. وقرأ الباقون بغير تنوين(١).

وقد ذكرتُ وجه القراءتين مع ما لم أذكره هاهنا في طه(٢).

قرأ الحرميان: "تَزَّكَّى" بتشديد الزاي. وخففها الباقون(٣)، أصلها: تتزكى. فمن شدّد أدغم التاء في الزاي، ومن خفف حذف التاء الثانية طلباً للخفة، [وهو](٤) مثل: "تظاهرون" و"تساءلون".

والمعنى: هل لك أن تتطهر من الشرك. والعرب تقول: هل لك إلى كذا.

﴿وأهديك إلى ربك﴾ أرشدك إلى معرفته، ﴿فتخشى﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة. قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].

قوله تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ وهي قلب العصا حية، وهي أصل آياته،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والكشف (٢/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧١).

(٢) عند الآية رقم: ٩.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والكشف (٢/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧١).

(٤) في الأصل: وهم. والتصويب من ب.

وأكبر معجزاته.

وقال جمهور المفسرين: هي العصا واليد، وجعلهما "آية"؛ لانتظامهما في سلك واحد، وتساوُقهما معاً.

﴿فكذب﴾ بموسى وآياته، ﴿وعصى﴾ الله بعد صحة علمه أن الطاعة قد وجبت عليه.

وقيل: عصى رسوله.

﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان ﴿يسعى﴾ يعمل بالفساد[1].

وقيل: أدبر حين رأى انقلاب العصا حية.

"يسعى": يُسرع في مشيه خوفاً منها.

﴿فحشر﴾ أي: فجمع قومه وجنوده.

وقيل: جمع السحرة، بدليل قوله: ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ [الشعراء:٥٣].

﴿فنادى﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه. يُروى أنه قام فيهم خطيباً.

ويجوز أن يكون المعنى: أمر منادياً فنادى بهذه الكلمة الشنيعة.

﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ أي: لا رَبَّ فوقي.

وقيل: أراد: أن الأصنام أربابٌ وأنه فوقها.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي المقرئ الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن أحمد بن محمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا

---

(١) في ب: بعمل الفساد.

المؤمل بن محمد، أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا موسى بن إسماعيل القاضي، حدثنا محمد بن أحمد [بن البراء][(١)]، حدثنا عبدالمنعم بن إدريس، حدثنا عبدالصمد بن معقل[(٢)]، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول: أنا ربكم الأعلى، [ويكذب][(٣)] آياتك، ويجحد رسلك، فأوحي إليه: أنه كان حَسَنَ الخُلُق، سَهْلَ الحِجَاب، فأحببتُ أن أُكافئه»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ قال الزجاج[(٥)]: النَّكَال: منصوب مصدر مؤكد؛ لأن معنى: "أخذه الله": نَكَّلَ به، "نكال الآخرة والأولى" أي: أغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة.

قال[(٦)]: وجاء في التفسير: أن نكال الآخرة والأولى؛ لقوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨]، وقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، فنكّل الله به نكال هاتين الكلمتين.

---

(١) في الأصل و ب: البزار. والتصويب والزيادة من البيهقي (٦/ ٥٣). وانظر: ترجمته في: تاريخ بغداد (١/ ٢٨١).

(٢) عبد الصمد بن معقل بن منبه بن كامل اليماني، ثقة صدوق، مات سنة ثلاث وثمانين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٣، والتقريب ص:٣٥٦).

(٣) في الأصل: وكذب. والمثبت من ب.

(٤) أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٣ ح٧٤٧٦، ٦/ ٢٥٠ ح٨٠٤٢).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٠).

(٦) أي: الزجاج.

قلتُ: وهذا المعنى الثاني الذي حكاه الزجاج هو قول جمهور المفسرين.

قال ابن عباس: كان بين الكلمتين أربعون سنة[١].

قال السدي: بقي بعد الآخرة ثلاثين سنة[٢].

والمعنى الأول؛ قول الحسن وقتادة[٣].

﴿إن في ذلك﴾ الذي فَعَلَ بفرعون حين كذّب وعصى ﴿لعبرة لمن يخشى﴾.

ثم خاطب منكري البعث فقال:

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء﴾ أي: أأنتم فيما عندكم [أصعب][٤] خلقاً وأعجب إيجاداً وإنشاء بعد الموت أم السماء؟، وهذا كقوله: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ [غافر:٥٧].

قال الزجاج[٥]: قال بعض النحويين: "بناها" من صلة "السماء". المعنى: التي بناها.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) في الأصل: أضعف. والتصويب من ب.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٠).

وقال بعضهم: السماء ليس مما يوصل، ولكن المعنى: أأنتم أشد خلقاً أم السماء أشد خلقاً.

ثم بيّن كيف خَلَقَها فقال: ﴿بناها﴾.

ثم بيّن البناء فقال: ﴿رفع سَمْكَهَا﴾.

قال الزمخشري[1]: جعل مقدار ذهابها في سَمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام، ﴿فَسَوَّاها﴾ فعدّلها مستوية ملساء، ليس فيها تفاوُتٌ ولا فطورٌ، أو فتمّمها بما علم أنها تَتِمُّ به وأصلحها، من قولك: سوّى فلانٌ أمر فلان.

قوله تعالى: ﴿وأغْطَشَ ليلها﴾ أي: أظْلَمَه، والغَطَشُ والغَبَشُ: الظُّلْمَة، ورجل أغْطَش: أعمى.

﴿وأخرج ضحاها﴾ أبرز ضوءَ شمسِها، بدليل قوله: ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١] أي: وضوؤها، وأضيف الليل والشمس إلى السماء؛ لأنهما ينزلان منها وينشآن عنها.

﴿والأرض بعد ذلك﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دحاها﴾.

قال ابن عباس وغيره من المفسرين واللغويين: "دحاها" بمعنى: بَسَطَها[2]. والدَّحْوُ: البَسْط.

قال عبد الله بن عمر وعكرمة وعطاء وجمهور المفسرين: خلق الأرض قبل

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٩٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٦-٤٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

السماء، ثم خلق السماء، ثم دحى الأرض بعد خلق السماء[(١)].

وحمل القائلون بتكامل خلق الأرض قبل السماء "بعد" على معنى: قبل، كقوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء:١٠٥]، ومنهم من قال: "بعد" بمعنى: مع، قالوا: ومنه قوله: ﴿عتل بعد ذلك﴾ [القلم:١٣]، أي: مع ذلك. ويؤيده قراءة مجاهد: "عند ذلك دحاها".

وقد ذكرنا في البقرة اختلاف العلماء في السابقة[(٢)] بالخلق، وبيّنّا الصواب من ذلك.

قوله تعالى: ﴿أخرج منها ماءها﴾[(٣)] قال ابن عباس: فجَّر الأنهارَ والبحارَ والعيون[(٤)].

﴿ومرعاها﴾ ما يأكله الناس والأنعام، وهو قوله: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾. واستعير الرعي للإنسان كما استعير الرتع في قوله: ﴿يرتع ويلعب﴾ [يوسف:١٢].

قال الزمخشري[(٥)]: "مرعاها": رعيها، وهو في الأصل موضع الرعي. ونصَبَ الأرض والجبال بإضمار "دحا" و"أرسى"، وهو الإضمار على شريطة التفسير.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) في الأصل زيادة قوله: في.

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿ومرعاها﴾. وستأتي بعد.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢١).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٩٧).

وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء[(١)].

فإن قلت: هلاَّ أدخل حرف العطف على "أخرج"؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون [معنى][(٢)] "دحاها" بسطها ومهّدها للسكنى، ثم فسّر التمهيد بما لا بد منه في تأتّي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب؛ وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتاداً لها حتى تستقر ويستقر عليها.

والثاني: أن يكون "أخرج" حالاً بإضمار "قد" كقوله: ﴿أو جاؤوكم حصرت صدورهم﴾ [النساء:٩٠].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ يريد: القيامة.

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٢-٤٣٣).

(٢) في الأصل: بمعنى. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٩٧).

وقيل: الساعة التي يتصدَّعون فيها، فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

وقيل: النفخة الثانية.

وسميت طامّة؛ لأنها تطم وتغمُر الدواهي.

﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ ما عمل من خير وشر.

وقيل: إذا رأى أعماله مدوّنة في كتابه تذكَّرها، وكان قد نسيها، كقوله: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ [المجادلة:٦].

﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ قال مقاتل[١]: يُكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.

وقرأ أبو مجلز وابن السميفع: "لمن ترى" بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ[٢].

وقيل: لمن ترى الجحيم، كما قال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس: "لمن رأى" بهمزة بين الراء والألف[٣].

وجواب قوله: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾؛ قوله: ﴿فأما من طغى﴾.

أي: فإذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك.

قال الزجاج[٤]: ومعنى: ﴿هي المأوى﴾: هي المأوى له.

قال[٥]: وقال قوم: الألف واللام بدلٌ من الهاء، المعنى: هي مأواه؛ لأن الألف

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٩) بمعناه.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٤)، والدر المصون (٦/ ٤٧٦).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٨١).

(٥) أي: الزجاج في معاني القرآن، الموضع السابق.

واللام بدلٌ من الهاء، وهذا كما تقول للرجل: غُضَّ الطرف، تُريد: طَرْفَك.

قال الزمخشري[١]: ليس [الألف][٢] واللام بدلاً من الإضافة، ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى، وأنه لا يغضُّ الرجل طرف غيره: تُركت الإضافة.

قال[٣]: ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف؛ لأنهما معروفان، و"هي" فصل أو مبتدأ.

قال مقاتل[٤]: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ هو الرجل يهمُّ بالمعصية، فيذكر [مقامه للحساب][٥] فيتركها.

قوله تعالى: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي: في أيّ شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتُعلمهم به. يعني: ما أنت وذلك؟ أي: لست تعلمه.

وقال ابن عباس: فيمَ يسألك المشركون عنها ولستَ ممن يعلمها[٦].

وقال عروة بن الزبير: فيمَ تسأل أنت يا محمد عنها، وليس لك السؤال عنها[٧].

ثم [أخبر][٨] أنه سبحانه هو المستأثر بعلمها فقال: ﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي:

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٩٨).
(٢) في الأصل: للألف. والتصويب من ب.
(٣) أي: الزمخشري.
(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٩) بمعناه.
(٥) في الأصل: مقام الحساب. والمثبت من ب.
(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٢٠٠).
(٧) مثل السابق.
(٨) زيادة من ب.

منتهى علمها.

﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي: إنما بُعثت لتنذر من أهوالها.

وإنما خَصَّ الخَاشِينَ بالذكر مع كونه منذراً للثقلين من لدنه إلى أن تقوم الساعة؛ لموضع انتفاعهم بالإنذار.

وقرأتُ على الشيخ أبي البقاء لأبي جعفر ولأبي عمرو من رواية الحلبي عن عبد الوارث: "منذرٌ" بالتنوين[(١)].

قال الفراء[(٢)]: التنوين وتركه صواب؛ كقوله: ﴿بالغٌ أمره﴾ [الطلاق:٣] و﴿موهنٌ كيد الكافرين﴾ [الأنفال:١٨].

وقال الزمخشري[(٣)]: التنوين هو الأصل، والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال، فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة؛ كقولك: هو منذر زيدٍ أمس.

﴿كأنهم يوم يرونها﴾ يعاينون أهوالها ويعانون شدائدها ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا. وقيل: في القبور ﴿إلا عشية﴾ وهي ما بعد العصر، ﴿أو ضحاها﴾ وهو ما كان إلى ارتفاع الشمس.

والمعنى: كأنهم لم يلبثوا إلا هذا القدر من الزمان.

وصحّ إضافة الضحى إلى العشية في قوله: ﴿أو ضحاها﴾؛ لاجتماعهما في يوم واحد.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣)، والسبعة (ص:٦٧١).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٣٤).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٠٠).

قال بعضهم[1]: وفائدة الإضافة: الدلالة على أن مدة لبثهم لم تبلغ يوماً كاملاً، ولكن ساعة من يوم عشية أو ضحاها، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشية، فهو كقوله: ﴿كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ [يونس:٤٥].

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠٠).

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي اثنتان وأربعون آية. وهي مكية بإجماعهم(1).

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ
أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾
كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ
مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

قال الله تعالى: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ أخرج مالك في الموطأ من حديث عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزلت: "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله من عظماء المشركين، فجعل رسول الله يُعرض عنه ويُقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل»(2).

---

(1) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٤).

(2) أخرجه مالك (١/ ٢٠٣ ح٤٧٦).

ولا خلاف بين أهل [العلم][(١)] أنها نزلت فيه، وكان من بني عامر بن لؤي بغير خلاف، واسم أمه أم مكتوم: عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، واسمه: عبدالله، وقيل: عمرو، وهو الأشهر والأكثر.

واختلفوا في اسم أبيه؛ فقيل: زائدة بن الأصم. وقيل: قيس بن مالك بن الأصم بن رواحة بن صخر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي [العامري][(٢)]. وقيل: غير ذلك.

كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله ﷺ.

وقال الواقدي: قدمها بعد بدر بيسير، وكان رسول الله ﷺ يستخلفه في أكثر غزواته، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد، وشهد فتح القادسية، وكان معه اللواء يومئذ، واستُشهد رضي الله عنه[(٣)].

قال المفسرون: أتى ابنُ أم مكتوم رسولَ الله ﷺ، وكان عند رسول الله ﷺ الملأ من قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية وأبيّ ابنا خلف، والوليد بن المغيرة، ورسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم، فجعل ابن أم مكتوم يقول: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يكرر ذلك النداء ولا يدري أنه مشغول عنه بغيره، فكلح رسول الله ﷺ وأعرض عنه، وأقبل على صناديد قريش يدعوهم إلى الله، فأنزل الله هذه الآيات. فكان

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: العامر. والمثبت من ب.

(٣) انظر: الإصابة (٤/ ٦٠١)، والاستيعاب (٣/ ٩٩٧).

رسول الله ﷺ إذا رآه بعد ذلك يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويكرمه ويقول: هل لك من حاجة؟[١].

ومعنى: "عَبَسَ": قَطَّبَ وكلّح.

وقرئ: "عبَّس" بالتشديد؛ للتكثير[٢].

"وتولّى": أعرض بوجهه.

"أنْ جَاءَهُ" منصوب بـ"تولى"[٣]، أو بـ"عبس"[٤]. ومعناه: عبس لأن جاءه الأعمى وأعرض لذلك.

وقرأ أُبيّ بن كعب والحسن: "آن جاءه" بهمزة واحدة مفتوحة ممدودة[٥].

وقرأ ابن مسعود وابن السميفع: بهمزتين مقصورتين مفتوحتين[٦].

فيكون الوقف على قوله: "وتولى"، ثم يبتدئ: "[أأن جاءه][٧]"، أي: ألأن جاءه الأعمى، فَعَلَ ذلك إنكاراً عليه، ثم الرجوع من المغايبة إلى المخاطبة بقوله: ﴿وما يدريك﴾ مُشعر بزيادة الإنكار.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤١٦) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧١).

(٢) وهي قراءة زيد بن علي. انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٤٧٨).

(٣) هو قول البصريين. وهذا هو المذهب المختار؛ لعدم الإضمار في الثاني.

(٤) هو قول الكوفيين.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٣).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٧)، والدر المصون (٦/ ٤٧٨).

(٧) في الأصل: أأجاءه. والتصويب من ب.

قال الزمخشري[١]: وفي ذكر الأعمى نحوٌ من ذلك، كأنه يقول: قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى، وكان يجب أن يزيده لعَمَاهُ تعطُّفاً وترؤُّفاً وتقريباً وترحيباً.

قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يَزَّكَّى﴾ أي: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وبما يتعلمه منك.

﴿أو يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ ﴿فتَنْفَعُهُ الذكرى﴾. قرأ عاصم: "فَتَنْفَعَهُ" بالنصب، على جواب "لعل". وقرأ الباقون: بالرفع[٢]؛ عطفاً على "يزكّى" و"يذكّر"، تقديره: ولعله تنفعه الذكرى.

قوله تعالى: ﴿أما من استغنى﴾ قال ابن عباس: استغنى عن الله عز وجل وعن الإيمان بما له من المال[٣].

﴿فأنت له تَصَدَّى﴾ قرأ ابن كثير ونافع: "تصَّدَّى" بتشديد الصاد، وخففها الباقون[٤].

فمن شدّد أدغم التاء في الصاد، أصلها: تتصدى، بتاءين. ومن خفف أسقط التاء الثانية. وقد أشرنا إلى هذا في مواضع.

والمعنى: فأنت تتعرض بالإقبال عليه.

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٠٢).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والكشف (٢/ ٣٦٢)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣)، والسبعة (ص:٦٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣).

والمُصَادَاةُ: المُعَارَضَة[١].

﴿وما عليك ألا يزَّكَّى﴾ أي: وليس عليك بأس في أن لا يزكى بالإسلام، فإنه كان ﷺ حريصاً على إيمان قومه، متهالكاً على إيمان الأشراف منهم.

وقال الزجاج[٢]: المعنى: أيّ شيء عليك في أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وأما من جاءك يسعى﴾[٣] [يسرع][٤] في طلب الخير، ﴿وهو يخشى﴾ الله تعالى.

وقيل: يخشى الكفار وأذاهم بسبب مجيئه إليك.

﴿فأنت عنه تَلَهَّى﴾ تتشاغل وتُعرض عنه، تقول: لَهِيتُ عن الشيء أَلْهَى؛ إذا تشاغلت عنه[٥].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردع للنبي ﷺ عن العود إلى مثل ما عاتبه عليه.

﴿إنها﴾ يريد: آيات القرآن، أو هذه السورة ﴿تذكرة﴾ عِظة وتذكير.

﴿فمن شاء ذكره﴾ قال ابن عباس: فمن شاء الله ألهمه وفهّمه القرآن حتى يَذْكُرَهُ ويتّعظ به[٦].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: صدي).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿وهو يخشى﴾. وستأتي بعد.

(٤) في الأصل: فيسرع. والتصويب من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: لها).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٣).

قال الزجاج[١]: "إنها تذكرة" يعني به: الموعظة التي وعظ الله بها النبي ﷺ، "فمن شاء ذكره"؛ لأن معنى الموعظة والوعظ واحد. والمعنى راجع إلى [جملة][٢] القرآن. المعنى: إن شاء أن يُذكّره ذَكَّرَه.

ثم أخبر سبحانه وتعالى بجلالة القرآن عنده فقال: ﴿في صُحُفٍ مكرمة﴾ أي: هو في صُحُف، كتبت من اللوح المحفوظ.

وقال مقاتل[٣]: يريد: اللوح المحفوظ.

وقيل: كُتُب الأنبياء عليهم السلام.

﴿مرفوعة﴾ في السماء.

وإن قلنا هي: كُتُب الأنبياء، فمعنى "مرفوعة": عالية القدر، مفخّمة الشأن.

﴿مطهّرة﴾ منزهة عن أيدي الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

وقال الحسن: مطهرة لا تُنزل على المشركين[٤].

وقال مقاتل[٥]: مطهرة من الشرك والكفر.

﴿بأيدي سفرة﴾ وهم الملائكة، في قول جمهور المفسرين[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: حملة. والتصويب من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٣) عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٦/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١٨) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

وأصحاب محمد ﷺ، في قول وهب بن منبه(١).

وقيل: السَّفَرَة: القُرّاء. قاله جماعة، منهم: قتادة(٢).

قال الزجاج وغيره(٣): والسَّفَرَة: جمع، الواحد: سَافِر، مثل: كاتِبٍ وكَتَبَة، وكافِرٍ وكَفَرَة. وإنما قيل للكُتَّاب: [سَفَرَة](٤)، وللكاتِب: سافِر؛ لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه، يقال: أَسْفَرَ الصبح؛ إذا أضاء، وسَفَرَتِ المرأة؛ إذا كشفت النقاب عن وجهها، ومنه: سَفَرْتُ بين القوم، أي: كشفت ما في قلب هذا [وقلب](٥) هذا لأصلح بينهم(٦). وأنشد الفراء(٧):

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بينَ قومِي وَمَا أَمْشِي بغِشٍّ إنْ مشيتُ(٨)

﴿كِرامٍ﴾ على ربهم ﴿بَرَرَة﴾ مطيعين.

قال الزجاج(٩): [هو](١٠) جمع بَارّ.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٣). وذكره الماوردي (٦/ ٢٠٤).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(٤) في الأصل و ب: سفر. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: وقبل. والتصويب من ب.

(٦) انظر: اللسان (مادة: سفر).

(٧) معاني الفراء (٣/ ٢٣٦).

(٨) البيت لم أعرف قائله. وهو في: الطبري (٣٠/ ٥٤)، والقرطبي (١٩/ ٢١٦)، والماوردي (٦/ ٢٠٤)، وزاد المسير (٩/ ٣٠)، والبحر (٨/ ٤١٧)، والدر المصون (٦/ ٤٨٠).

(٩) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(١٠) في الأصل: هم. والتصويب من ب.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ
فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ
﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا
صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾
وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾
مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قتل الإنسان﴾ أي: لعن الكافر.

قال الضحاك: وهو أمية بن خلف[1].

وقال مقاتل[2]: عتبة بن أبي لهب.

وقال مجاهد: كل كافر[3].

﴿ما أكْفَرَه﴾ أي: ما أشدّ كفره بالله.

قال الزجاج[4]: معناه: اعجبوا أنتم من كُفْرِه.

ثم أخذ الله سبحانه وتعالى في وصف حاله من ابتداء كونه إلى انتهائه، مُذَكِّراً له بأَنْعُمِهِ وقدرته فقال: ﴿من أي شيء خلقه﴾ استفهام في معنى التقرير.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٠).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١٩) وعزاه لابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٥).

ثم بَيَّنَ الشيءَ الذي خلقه منه بقوله: ﴿من نطفة خلقه فقدَّره﴾ قال ابن السائب: قدّر أعضاءه، رأسه وعينيه ويديه ورجليه[١].

وقال مقاتل[٢]: قدّره أطواراً، نطفة، ثم علقة، إلى آخر خلقه.

وقال الزجاج[٣]: قدّره على الاستواء.

﴿ثم السبيل يسَّرَه﴾ انتصب "السبيل" بإضمار: "يسّر"، وفَسَّره بيسّره.

والمعنى: ثم سهّل سبيله، وهو مخرجه من بطن أمه.

وقال الحسن ومجاهد: سهّل له العلم بطريق الحق والباطل[٤].

﴿ثم أماته فأقْبَرَه﴾ جعله ذا قبر يُوارى فيه تكرمة له، ولم يجعله على وجه الأرض جَزَراً للسباع والطير، كسائر الحيوان.

يقال: أقْبَرَ الميت؛ إذا جعل له قبراً، وقَبَرَه: إذا دفنه بيده[٥] فهو [قابره][٦].

قال الأعشى:

ولوْ أسندتَ ميتاً إلى نحْرِهَا   عَاشَ ولم يُسْلَمْ إلى قَابِرِ[٧]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٣-٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣١).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: قبر).

(٦) في الأصل: قابر. والمثبت من ب.

(٧) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٩٢)، والأغاني (١٦/ ٣٠٣)، وصبح الأعشى (١/ ٤٤٤)، والطبري (٣٠/ ٥٦)، والقرطبي (١٩/ ٢١٩)، والماوردي (٦/ ٢٠٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢٠)، والدر المصون (٦/ ٤٨٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٤٤).

أي: إلى دافن يدفنه بيده.

﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ بعثه بعد الموت. يقال: أنشر الله الميت؛ إذا [أحياه][(١)]، ونُشِرَ هو: [حيا][(٢)] بنفسه[(٣)]. قال الأعشى:

حتى يقولَ الناسُ مما رأوْا ... يا عجباً للميتِ النَّاشرِ[(٤)]

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ للإنسان عما هو عليه.

وقال الحسن: حقاً[(٥)].

﴿لما يقض﴾[(٦)] (أي: لم يقض ﴿ما أمره﴾ به ونهاه عنه، يريد: الكافر.

وقيل: معناه: لم يقض)[(٧)] ما عاهد الله[(٨)] في الميثاق الأول.

وقال مجاهد: لا يقضي أحدٌ أبداً كُلَّ ما افترض الله عز وجل عليه[(٩)].

فيكون عاماً في المؤمن والكافر.

قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان

---

(١) في الأصل: أحيا. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: يحيى. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نشر).

(٤) تقدم.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٤).

(٦) في الأصل زيادة قوله: ﴿ما﴾. وستأتي بعد.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) في ب: عهد إليه.

(٩) أخرجه مجاهد (ص:٧٣١)، والطبري (٣٠/ ٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

بالنظر إلى طعامه، الذي هو سبب حياته، ومادّة بقائه، ليستدل بعجيب [تدبير][(١)] الله في إيجاده وإنباته على صحة البعث وكونه.

قرأ أهل الكوفة: "أَنَّا صَبَبْنا" بفتح الهمزة، وكسرها الباقون[(٢)].

فمن فتحها فعلى البدل من الطعام. ومن كسرها فعلى الاستئناف.

والمعنى: أنا صَبَبْنا الغيث صَبّاً.

﴿ثم شققنا الأرض﴾ بالنبات ﴿شقاً﴾.

﴿فأنبتنا فيها حباً﴾ قال الزجاج[(٣)]: هو كل ما حُصِد؛ كالحنطة والشعير، وكل ما يتغذى به من ذي حَبّ.

﴿وعنباً وقضباً﴾ يريد: الرَّطْبة التي تُعلف بها البهائم، وهو القَتُّ أيضاً.

قال ابن قتيبة[(٤)]: سُمي بذلك؛ لأنه يُقْضَبُ مرة بعد مرة، أي: يُقطع. وكذلك القصيل؛ لأنه يُقْصَل، أي: يُقطع.

﴿وحدائق غُلْباً﴾ قال الفراء[(٥)]: كل بستان يُحاط عليه حائط فهو حديقة، والغُلْبُ: ما غَلُظَ من النخل.

قال أبو عبيدة[(٦)]: يقال: شجرةٌ غَلْبَاء؛ إذا كانت غليظة.

---

(١) في الأصل: تدبر. والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٠)، والكشف (٢/ ٣٦٢)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣)، والسبعة (ص:٦٧٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٤).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢٣٨).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٦).

وقال ابن قتيبة[(١)]: الغُلْبُ: الغلاظُ الأعناق.

وقال الزجاج[(٢)]: هي المُتكاثِفَة العظام.

﴿وفاكهة﴾ ألوان الفاكهة مما يأكله الناس، ﴿وأَبّاً﴾ [ما][(٣)] تأكله الأنعام. وهذا قول عامة المفسرين واللغويين.

قال الزجاج[(٤)]: الأَبُّ: جميع الكلأ التي تعتلفه الماشية.

ويروى عن ابن عباس: أن الأَبُّ: الثمار الرَّطبة[(٥)]. والأول أصح.

وسُمّي المرْعَى أبّاً؛ لأنه يُؤَبُّ، أي: يُؤَمُّ ويُنْتَجَعُ، والأَبُّ والأَمُّ بمعنىً، وأنشدوا:

جِذْمُنَا [قَيْسٌ ونجدٌ][(٦)] دَارُنا ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ[(٧)]

فإن قيل: كيف خفي على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب[(٨)] رضي الله

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٥).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٣) زيادة من ب.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في الأصل: وقيس نجد. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٧) انظر البيت في: اللسان، وتاج العروس (مادة: أبب)، والقرطبي (١٩/ ٢٢٢)، والبحر (٨/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٤٨٢)، والكشاف (٤/ ٧٠٥)، وروح المعاني (٣٠/ ٤٧).

(٨) حديث عمر، أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٩ ح٣٨٩٧)، وسعيد بن منصور (١/ ١٨١ ح٤٣)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦ ح٣٠١٠٥)، والطبري (٣٠/ ٦٠-٦١)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٤ ح٢٢٨١).

عنهما [مع كونهما](١) من الفصحاء وأهل اللسان معنى الأَبّ، حتى قالا ما ذكرته في مقدمة الكتاب، وجَهِلا معرفته، وعَرَفَه غيرهما من بعدهما؟

قلتُ: لا يلزم من ذلك إحاطتهما [بجميع](٢) لغة العرب. فإن العربي الفصيح قد يجهل بعض لغة قومه فضلاً عن لغة غيرهم. وقد فهما في الجملة أن الأَبّ: نبت، وأنه من جملة ما امتنّ الله به على عباده، وطَلَب منهم شكره، فصَدَفَا عن القول فيه بغير يقينٍ وعلمٍ إلى العمل بشُكر الله وغيرُهما عَلِمَ معناه فقَالَه، فتناقَلَه الخلف عن السلف، واشتَهَر بينهم علمُه، وهكذا يجب على كل عالم أن يتورَّع عن القول في كتاب الله بغير علم وبصيرة، وأن لا يُقدم على تفسير شيء منه إلا بنقل فيما طريقُه النقل، أو استنباطٍ يشهد العلم بصحته، على ما أوضحته في مقدمة الكتاب.

قوله تعالى: ﴿متاعاً لكم﴾ أي: منفعة لكم ﴿ولأنعامكم﴾.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾
تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ قال الزجاج(٣): هي الصيحة التي تكون عندها

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: بالجميع. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٧).

القيامة، تَصُخُّ الأسماع، أي: تُصِمُّها فلا تسمع إلا ما تُدعى به؛ لإحيائها.

قال ابن قتيبة[(١)]: يقال: رجل أَصَخُّ وأَصْلَخ؛ إذا كان لا يسمع، [والداهية][(٢)]: صاخَّةٌ أيضاً[(٣)].

وقال ابن فارس[(٤)]: الصَّاخَّة: الصَّيْحَة تَصُمّ [الآذان][(٥)].

وقال صاحب الكشاف[(٦)]: يقال: صَخّ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوُصفت النفخة بالصاخّة مجازاً؛ لأن الناس يصخُّون لها.

ثم أخبر الله متى تكون الصاخّة فقال: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته﴾ زوجته وقرينته في الدنيا، ﴿وبنيه﴾.

فصل

سألني يوماً رجلٌ من الأكابر في محفل محشودٍ بالعلماء والفقهاء بالموصل فقال: لم بدأ بالأخ من بين الأقارب؟

قلتُ: غير خافٍ ما طُبعت عليه النفوس العربية الأبيّة من العصبيّة والمدافعة والممانعة، وحفظ [الذمار][(٧)]. ومعلوم أن المكافئ للإنسان عند حاجته إلى المعاضدة والمناصرة إنما هم الإخوة؛ لأن الآباء في مظنة الكِبَر، والأبناء في مظنة

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٥).

(٢) في الأصل: الداهية. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: صخخ، صلخ).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٨١).

(٥) زيادة من معجم مقاييس اللغة، الموضع السابق.

(٦) الكشاف (٤/ ٧٠٦).

(٧) في الأصل: الذمام. والمثبت من ب. والذمار: كل ما يلزمك حفظه (اللسان، مادة: ذمر).

الصِّغَر، وهم حالتا ضعف وعجز. والمقصود من سياق هذه الآية: بيان شدائد القيامة وأهوالها، فأعلم الله عز وجل أن الناس في القيامة تُخامرهم مخاوف وزلازل تُذهل القريب المرجوّ لدفع الكرب والشدائد، وتُوجب فراره عن أعزّ الناس عليه، وأقربهم إليه، فبدأ بالأخ؛ لما بينه وبين أخيه من القرابة القريبة، وكونه أشدّ معاضدة لأخيه ومناصرة له، على المعنى الذي ذكرناه.

ثم رأيت بعد ذلك صاحب الكشاف قد ذكر معنى آخر غير هذا فقال[١]: بدأ بالأخ، ثم بالأبوين؛ لأنهما [أقرب][٢] منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أقرب وأحبّ، كأنه قيل: يفر من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه.

قوله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ قال الفراء[٣]: يشغله عن قرابته.

وقال ابن قتيبة[٤]: يَصرفُه.

وقال غيرهما[٥]: "يُغْنِيه" بمعنى: يكفيه في الاهتمام به.

وقرأ جماعة، منهم: أبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، وأبو العالية، وابن السميفع: "يَعْنِيهِ" بفتح الياء وعين مهملة[٦]، بمعنى: شأن لا يُهمُّه غيره.

أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه قال: أخبرنا عبد الجبار بن أحمد بن محمد

(١) الكشاف (٤/ ٧٠٦).

(٢) في الأصل: قريب. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٣٨).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٥).

(٥) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠٦).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٣٥)، والدر المصون (٦/ ٤٨٢).

الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا محمد بن عبدالله بن الحاكم، أخبرنا أحمد بن سليمان[١]، [حدثنا إسماعيل بن إسحاق][٢]، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش[٣]، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث الناس حُفاةً عُراةً غُرْلاً[٤]، يَلجمهم العرق ويبلغ شحمة الآذان. قالت: قلت: يا رسول الله، واسوءتاه! ينظر بعضنا إلى بعض!! قال: شُغِلَ الناس عن ذلك، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾»[٥].

وبالإسناد قال النيسابوري: أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون، أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا يزيد بن عبد ربه[٦]، حدثنا [بقية][٧]، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن

---

(١) أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل، أبو بكر النجاد، كان صدوقاً عارفاً، صنف ديواناً كبيراً في السنن، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤٦٨).

(٢) زيادة من الوسيط (٤/ ٤٢٥). وإسماعيل بن إسحاق روى عن إسماعيل بن أبي أويس (انظر: الجرح والتعديل ٢/ ١٥٨).

(٣) في ب: محمد بن عباس.

(٤) غرلاً: الغرل: جمع الأغْرَل، وهو الأقلف. والغُرْلَة: القلفة (اللسان، مادة: غرل).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩ ح٣٨٩٨)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٤ ح٩١)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٥).

(٦) يزيد بن عبد ربه الزبيدي، أبو الفضل الحمصي المؤذن الجرجسي، ثقة، كان ينزل بحمص عند كنيسة جرجس فنسب إليها، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٠١، والتقريب ص:٦٠٣).

(٧) في الأصل و ب: شعبة. والتصويب من مصادر التخريج.

عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلاً، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا نبي الله، فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾»[١].

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مضيئة. من أسفر الصبح؛ إذا أضاء[٢].

قال عطاء: مسفرة من طول ما اغبرّت في سبيل الله[٣].

وقال الضحاك: من آثار الوضوء[٤].

﴿ووجوه يومئذ عليها غَبَرَة﴾ أي: غبار.

وقال مقاتل[٥]: سوادٌ وكآبة.

﴿ترهقها قَتَرَة﴾ أي: تعلوها وتغشاها ظُلْمَة.

وقال الزجاج[٦]: يَعْلُوها سوادٌ كالدُّخَان.

﴿أولئك هم الكَفَرَة الفَجَرَة﴾ جمع كافر وفاجر.

قال بعض العلماء[٧]: كأنّ الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الفجور إلى الكفر. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١١٤ ح٢٠٨٣)، وأحمد (٦/ ٨٩ ح٢٤٦٣٢)، والحاكم (٤/ ٦٠٨ ح٨٦٨٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٢-٤٢٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سفر).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٠). وذكره القرطبي (١٩/ ٢٢٦).

(٤) ذكره القرطبي (١٩/ ٢٢٦).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٤).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٧).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠٦).

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي تسع وعشرون آية. وهي مكية بإجماعهم[1].

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ
﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ
﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾

أخرج الحاكم في صحيحه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر في يوم القيامة فليقرأ: ﴿إذا الشمس كُوِّرت﴾»[2].

واختلفوا في معنى: "كُوِّرت"؛ فقال جمهور المفسرين واللغويين: هو من كَوَّرْتُ العِمَامَة؛ إذا [لففْتها][3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٠).

(٣) في الأصل: لفيتها. والتصويب من ب. وقد ذكر هذا المعنى: الطبري (٣٠/ ٦٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٨).

فالمعنى: يُلَفُّ ضوؤها لَفّاً، [فيذهب][(١)] انبساطه في الآفاق.

وهذا معنى قول ابن عباس: أظْلَمَتْ[(٢)].

وقول مجاهد: اضمحلَّت[(٣)].

وقول سعيد بن جبير: غُوِّرَت[(٤)].

وقال الربيع بن خثيم: يرمى بها في البحر فتصير ناراً[(٥)].

وقيل: ترمى في النار.

وقيل: تُعاد إلى ما خُلقت منه.

وقيل: هو من قولهم: طَعَنَهُ فكَوَّرَه؛ إذا ألْقَاهُ[(٦)]. فالمعنى: تُلقى وتُطرح من فَلَكِها.

قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي: تناثرت وتساقطت. يقال: انكدر الطائر من الهواء؛ إذا انقضّ[(٧)].

---

(١) في الأصل: فذهب. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) انظر: اللسان (مادة: كور).

(٧) انظر: اللسان (مادة: كدر).

وأنشدوا قول العَجّاج[١]:

أَبْصَرَ خِرْبَانَ فَضَاءٍ فانكَدَرْ تَقَضِّيَ البَازي إذا البازي [كَسَرْ][٢]

قال عطاء وابن السائب: تُمطر السماء يومئذ نجوماً، فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الأرض؛ وذلك أنها في قناديل معلّقة بين السماء والأرض بسلاسل من النور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة، فإذا مات من في السموات ومن في الأرض تساقطت تلك السلاسل من أيدي الملائكة؛ لأنه مات من كان يمسكها[٣].

قوله تعالى: ﴿وإذا الجبال سُيِّرت﴾ أُزيلت عن أماكنها.

قال مقاتل[٤]: سُوِّيت بالأرض كما خُلقت أول مرة، ليس عليها جبل ولا فيها وَاد.

وقيل: سيرت في الجو، كقوله: ﴿وهي تمرُّ مَرَّ السحاب﴾ [النمل:٨٨].

---

(١) البيت للعجاج يصف بازياً. انظر: ديوانه (ص:٢٨)، واللسان (مادة: ظفر)، وتاج العروس (مادة: خرب، ظفر)، والقرطبي (١٩/ ٢٢٧)، والماوردي (٦/ ٢١٢)، والبحر (٨/ ٤٢٢)، والدر المصون (٦/ ٤٨٤).

ورواية الديوان:

دَانَى جناحَيْه من الطور فمرّ تقضي البازي إذا البازي كسر

أبصر خِرْبَانَ فَضَاءٍ فانكَدَر شاكي الكلاليب إذا أهوى اطَّفَر

وانظر أيضاً: الخصائص (٢/ ٩٠)، وأمالي القالي (٢/ ١٧١)، والمحتسب (١/ ١٥٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٠٠)، وابن يعيش (١٠/ ٢٥٠)، والهمع (٢/ ١٥٧)، والأشموني (٤/ ٣٣٦)، والطبري (١/ ٣٢٤)، وروح المعاني (٣٠/ ٥٠).

(٢) في الأصل: كرر. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٥).

قوله تعالى: ﴿وإذا العشار عطّلت﴾ العشار: جمع عُشَرَاء، وهي الناقة الحامل إذا أتت عليها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما تكون عند أهلها[١].

ومعنى: "عُطِّلَت": تُركت مهملة مُسيّبة؛ لما دهمهم من أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حُشِرَت﴾ قال ابن عباس: ماتت[٢].

وقال جماعة من الصحابة والتابعين: جُمعت فاختلطت بالناس من هول القيامة.

وقال السدي وغيره: حُشرت لفصل القضاء، حتى يقتص للجَمَّاء من القَرْنَاء[٣].

قوله تعالى: ﴿وإذا البحار سُجِّرَت﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "سُجِرَتْ" بتخفيف الجيم. وشددها الباقون على التكثير[٤].

قال ابن عباس: أُوقدت فصارت ناراً تضطرم[٥].

فعلى هذا؛ هو من سَجَرْتُ التَّنُّورَ؛ إذا أحميته، ورجلٌ أَسْجَرُ العين؛ إذا كانت

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عشر).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٨-٤٢٩) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٢١٣).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٠)، والكشف (٢/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٨).

فيه حُمْرَة(١).

وقيل: هو مثل قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ [الطور:٦] أي: المملوء.

قالوا: ومعنى: سَجَرْتُ التنور: مَلأْتُهُ حَطَباً.

قال مجاهد والضحاك ومقاتل وابن السائب وغيرهم: فُجِّرَ بعضها إلى بعض، فصارت بحراً واحداً(٢).

وهو معنى قول الربيع بن خثيم: فَاضَتْ(٣).

وقول الفراء(٤): مُلِئَتْ وكَثُرَ ماؤها.

قال المفسرون: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار.

وقال الحسن البصري رحمه الله وقتادة: "سُجِّرت": يبست وذهب ماؤها(٥).

قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زُوِّجَت﴾ أي: قُرنت بأشكالها.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سئل عن هذه الآية: يُقْرَنُ الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويُقْرَنُ الرجل السوء مع الرجل

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سجر).

(٢) ذكره مقاتل (٣/ ٤٥٥)، والطبري (٣٠/ ٦٨)، والماوردي (٦/ ٢١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٣٩).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٨) عن الحسن وقتادة، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٣) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٧-٤٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن والضحاك وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

السوء في النار[1]. وهذا قول الحسن وقتادة.

وقال [الشعبي][2]: رُدت الأرواح إلى الأجساد[3].

وعن عكرمة كالقولين[4].

وقال عطاء: زُوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين[5].

قوله تعالى: ﴿وإذا الموؤودة سُئلت * بأي ذنب قُتلت﴾ قال المفسرون واللغويون: الموؤودة: البنت تُدفن وهي حَيَّة. وكان هذا من فعل الجاهلية، على ما أشرنا إليه في مواضع.

قال الزجاج[6]: ومعنى سؤالها: تبكيتُ قاتليها في القيامة؛ لأن جوابها: قُتِلْتُ بغير ذنب.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن: "سَأَلَتْ" بفتح السين والهمزة، "قُتِلْتُ" بسكون اللام وضم التاء[7]، على

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٤)، والحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٩٩ ح٣٤٤٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وأبي نعيم في الحلية.

(٢) في الأصل: الحسن. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٩/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٠) وعزاه لابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٠). وذكره الماوردي (٦/ ٢١٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٠).

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٤٠)، والدر المصون (٦/ ٤٨٦).

معنى: سألَتْ ربها أو قاتلها على وجه الخصام والطلب بحقها.

أخرج أبو داود من حديث ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «الوائدة والموؤودة في النار»[(١)].

قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نُشِّرَت﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر: "نُشِرَت" بالتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير[(٢)].

والمراد: نشر صُحف الأعمال يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿وإذا السماء كُشطت﴾ قال الزجاج[(٣)]: قُلِعَت كما يُقلع السقف.

وقرأ ابن مسعود: "قُشِطَتْ" بالقاف[(٤)]. والمعنى واحد.

قال الفراء وغيره[(٥)]: القاف والكاف يتعاقبان لتقاربهما، قالوا: قُشط وكُشط، وقافور وكافور، ولَبَكْتُ الثَّريد ولبَقْتُه.

قوله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سُعِّرَت﴾ قرأ نافع وابن عامر بخلاف عنه وحفص: "سُعِّرَت" بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف[(٦)].

والمعنى: أوقدت إيقاداً شديداً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٠ ح٤٧١٧).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥١)، والكشف (٢/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٤٠)، والدر المصون (٦/ ٤٨٦).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢٤١).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥١)، والكشف (٢/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

قوله تعالى: ﴿وإذا الجنة أُزْلِفَت﴾ أي: أُدنيت وقُرِّبت من المتقين، كما قال: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق:٣١].

فصل

اعلم أن هذه اثنتا عشرة خصلة، ستة منها بين يدي الساعة، وستة في الآخرة.

فإن قيل: أين جواب: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير:١] وما في [حيزه][(١)]؟

قلتُ: قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ أي: من خير وشر.

فإن قيل: كل نفس تعلم ما أحضرت، فما معنى قوله عز وجل: ﴿علمت نفس﴾؟

قلتُ: قد أجاب عنه الزمخشري فقال[(٢)]: هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يُعكس عنه. ومنه قوله عز وجل: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر:٢] ومعناه: معنى كم، وأبلغ منه قول القائل:

قد أترك القرن مصفرّاً أنامله ....[(٣)]

وتقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان؟ فيقول: رب فارس عندي، أو لا تعدم عندي فارساً، وعنده المقانب[(٤)]. وقصده بذلك: التمادي في تكثير فرسانه. ولكنه أراد إظهار براءته من التَّزيُّد، وأنه ممن يُقلِّل كثير ما عنده،

---

(١) في الأصل: خبره. والمثبت من ب.

(٢) الكشاف (٤/ ٧١٠).

(٣) صدر بيت للهذلي، وعجزه: (كأن أثوابه مجّت بفرصاد). وهو في: اللسان (مادة: قدد، أسن)، وتاج العروس (مادة: قدد)، والكتاب (٤/ ٢٢٤)، والدر المصون (١/ ٤٧)، وروح المعاني (٧/ ١٣٤).

(٤) المقانب: جماعة الخيل (الصحاح، مادة: قنب).

فضلاً أن يتزيَّد، فجاء بلفظ التقليل، ففُهم منه معنى [الكثرة][(١)] عن الصحة واليقين.

ويروى أن ابن مسعود رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فلما انتهى إلى قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال: وانقطاع ظهراه[(٢)].

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ
إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ
﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ
ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ
﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس * الجواري الكنس﴾ قال الزجاج وغيره[(٣)]: "لا" مزيدة مؤكدة. والمعنى: فأقسم بالخنس.

والخُنَّس: جمع خَانِس وخَانِسَة، والكُنَّس: جمع كَانِس وكَانِسَة، والجواري: جمع جارية، وعامة المفسرين يقولون: هي النجوم.

قال ابن قتيبة[(٤)]: وإنما سَمَّاها خُنَّساً؛ لأنها تسير في البروج والمنازل كسير

---

(١) في الأصل: التكثير. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧١٠).

(٢) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٧١٠)، والبحر (٨/ ٤٢٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩١).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٧).

الشمس والقمر، ثم تخنُس، أي: ترجع، بينا ترى أحدها في آخر البروج كرَّ راجعاً إلى أوله، وسَمّاها كُنّساً؛ لأنها تكنِس، أي: تستتر، كما تكنِسُ الظباء.

قال قتادة: تبدو بالليل وتخفى بالنهار فلا تُرى[1].

قال الزجاج[2]: تَخْنِسُ: أي: تغيب، (وكذلك تَكْنِسُ، أي: تدخل في كناسها أي: تغيب)[3] في المواضع[4] التي تغيب فيها.

ويروى: أن رجلاً من مراد قال لعلي عليه السلام: ما الخُنَّس الجواري الكُنَّس؟

قال: هي الكواكب تخنس بالنهار فلا تُرى، وتكنس بالليل فتأوي إلى مجاريها. قال: وهن: بهرام، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشتري[5].

قال الماوردي[6]: وفي تخصيصها بالذكر وجهان:

أحدهما: [لأنها][7] تستقبل الشمس. وهذا قول بكر بن عبدالله المزني.

والثاني: لأنها تقطع المجرّة. وهذا قول ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٢) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٢).

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في ب: الموضع.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٤-٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٣١) وعزاه لسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٦) تفسير الماوردي (٦/ ٢١٦).

(٧) في الأصل: أنها. والتصويب من ب، وتفسير الماوردي، الموضع السابق.

وذهب جماعة، منهم: ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وجابر بن زيد، إلى أنها: بقر الوحش[(١)].

وقال سعيد بن جبير وابن عباس في رواية العوفي عنه: هي الظباء[(٢)].

والمرادُ بانْخِنَاسِها: رجوعُها بعد جَرْيِها إلى كِنَاسِها، وهو اسمٌ للمكان الذي تأوي إليه؛ لأنها تكْنِسُ فيه، أي: تدخل وتستتر.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا عَسْعَس﴾ يقال: عسعس الليل، وقد يُقلب فيقال: سَعْسَعَ. قال اللغويون: هو من الأضداد، يقال: عَسْعَسَ الليل؛ إذا أقبل، وعَسْعَسَ؛ إذا أدبر[(٣)]. وأنشدوا:

حتى إذا الصبحُ لَهَا تَنَفَّسَا ... وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا[(٤)]

والمعنيان مذكوران في التفسير، ورجح بعضهم المعنى الثاني بقوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾. قال [الزجاج][(٥)]: تنفّس الصبح: امتدّ وصار نهاراً بيّناً.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٥-٧٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٥)، والحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٣)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٩ ح٩٠٦٣)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣١-٤٣٢) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور والفريابي وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٢) وعزاه لابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) انظر: اللسان (مادة: عسس).

(٤) البيت لعلقمة بن قرط. وهو في: الطبري (٣٠/ ٧٩)، والقرطبي (١٩/ ٢٣٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٨٨)، وزاد المسير (٩/ ٤٣)، والبحر (٨/ ٤٢٢)، والماوردي (٦/ ٢١٧)، وروح المعاني (٣٠/ ٥٨). ونسبه السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٤٨٧) للعجاج.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٢). وما بين المعكوفين زيادة من ب.

ثم ذكر جواب القسم فقال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾.

قال الزجاج[١]: يعني: القرآن نزل به جبريل عليه السلام.

ثم وصف جبريل بقوله: ﴿ذي قوة﴾، فهو كقوله: ﴿شديد القوى * ذو مرة فاستوى﴾ [النجم:٥-٦] والمعنى: ذي قوةٍ على أعداء الله، ﴿عند ذي العرش﴾ صاحبه وهو الله عز وجل ﴿مكين﴾ رفيع المنزلة والمكانة عند ذي العرش.

﴿مُطاعٍ﴾ في الملائكة ممتثل الأمر فيهم، علماً منهم بأن إيراده وإصداره منوط بإذن رب العزة جل وعلا.

قال المفسرون: من طاعة الملائكة لجبريل عليه السلام: أنه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد ﷺ أبوابها فدخلها، ورأى ما فيها، وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها[٢].

وقال بعض العلماء[٣]: ﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى الظرف [المذكور][٤]، وهو: عند ذي العرش، فالمعنى: مطاع في ملائكة الله المقربين.

وقرئ: "ثُمَّ" بضم الثاء[٥]؛ تعظيماً لأمانة جبريل، وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة.

وقد سبق في غير موضع: أن جبريل عليه السلام أمين الوحي ورسول الله إلى

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٣).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٣).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٤٣)، والدر المصون (٦/ ٤٨٧).

أنبيائه.

قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني: [محمداً][(١)] ﷺ. وكان كفار مكة رَمَوْه بالجنون، فَسَلَبَ عنه ما أثبتوه له بهتاً وعناداً منهم. ونسبتُه إليهم بقوله: "وما صاحبكم[(٢)]" كلام يلوح منه التوبيخ لهم، والإشعار بأنهم كذبة عند أنفسهم.

المعنى: وما صاحبكم الذي صحبتموه الزمان الطويل وعرفتموه بضدّ ما بـه قرفتموه، وما زال مشهوراً بينكم بالرزانة، موصوفاً بالأمانـة، بمجنـون، فكيـف استجزتم لأنفسكم عظيم الاجتراء على المكابرة والافتراء؟

قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ أي: رأى ربه.

وقيل: جبريل، رآه على صورته التي خُلـق عليهـا، بـالأفق التـي تطلـع منـه الشمس، فتُبيّن الأشياء وتُظهرها. وقد ذكرنا ذلك في النجم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب﴾ أي: وما محمد ﷺ على ما يُخبر به من الغيب من الوحي والإخبار عما كان ويكون ﴿بظنين﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "بظَنِين" بالظاء، أي: بمتّهم على ما يُخبر به من ذلك عن الله عز وجل. وقرأ الباقون "بضَنِين" بالضاد[(٤)]، من الضَّنِّ، وهو البخل، أي: وما هو ببخيل فيبخل عليكم بما ينفعكم من الوحي.

---

(١) في الأصل: محمد. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل زيادة قوله: بمجنون.

(٣) عند الآية رقم: ٧.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٢)، والكشف (٢/ ٣٦٤)، والنشر (٢/ ٣٩٨-٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

والقراءة بالظاء أشبه بسياق الآية، وهو في مصحف ابن مسعود: بالظاء، وفي مصحف أبيّ: بالضاد.

قوله تعالى: ﴿وما هو﴾ يعني: القرآن ﴿بقول شيطان رجيم﴾ نفيٌ لقول كفار مكة: هذا كهانة.

قال مقاتل[(١)]: قال كفار مكة: إنما تجيء به الشياطين، فتلقيه على لسان محمد ﷺ.

قوله تعالى:﴿فأين تذهبون﴾ قال الزجاج[(٢)]: أيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بيّنتُ لكم.

وقال غيره[(٣)]: هذا استضلال للكفار، كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو ذهاباً[(٤)] في بنيات الطريق: أين تذهب؛ مُثّلَتْ حالهم بحاله في تركهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل.

قوله تعالى:﴿إن هو﴾ يعني: القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ [موعظة للخلق أجمعين.

﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من "للعالمين"[(٥)]][(٦)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٧).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٣).

(٣) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٤).

(٤) في ب: وذهاباً.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٢)، والدر المصون (٦/ ٤٨٧).

(٦) زيادة من ب.

وإنما صح إبدال الذين [شاؤوا الاستقامة][(١)] من "العالمين"؛ لأنهم لموضع اختصاصهم بالنفع، كأنه لم يوعظ به سواهم، وإن كان الوعظ بالقرآن للجميع أن يستقيم على الحق والإيمان.

والمعنى: أن القرآن إنما يتّعظ به من استقام على الحق.

ثم أعلم أن المشيئة في التوفيق إليه فقال: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

قال أبو هريرة وسليمان بن موسى: لما نزلت: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[(٢)].

فصل

ذهب جماعةٌ مِنْ نَقَلَةِ التفسير إلى أن قوله: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾، وقوله في عبس: ﴿فمن شاء ذكره﴾ [عبس:١٢]، وقوله في الإنسان وفي المزمل[(٣)]: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ منسوخ بقوله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[(٤)].

---

(١) في الأصل: شاء بالإستقامة. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن سليمان بن موسى، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧٣).

(٣) في سورة الإنسان عند الآية رقم: ٢٩، وفي المزمل عند الآية رقم: ١٩.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٠) قال: وليس هذا بكلام من يدري ما يقول.

وهذا ليس بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين ما ادّعوه ناسخاً ومنسوخاً، وإنما هو إعلامٌ أن مَشِيئَتَهُم منُوطةٌ بمشيئَتِهِ سبحانه وتعالى، والأمر كذلك.

قال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها[1].

---

(١) ذكره القرطبي (١٩/ ٢٤٣).

سورة الانفطار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي تسع عشرة آية، وهي مكية بإجماعهم(١).

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ
مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ
صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ يعني: انشقت، كقوله: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ [الفرقان:٢٥].

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت.

قال ابن عباس: تسقط سُوداً لا ضوء لها(٢).

﴿وإذا البحار فُجِّرَت﴾ فُتِحَ بعضها إلى بعض، فامتزج العذب بالملح وصارت بحراً واحداً.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٦).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٠).

﴿وإذا القبور بُعْثِرَت﴾ أي: بُحْثِرَت وقُلِبَت؛ لِبَعْثِ مَنْ فيها من الموتى.

وقال الفراء[١]: تُخْرِجُ ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة أن تُخْرِجَ الأرضُ ذهبَها وفضَّتها، ثم تُخرج الموتى.

وجواب "إذا": ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ وهو مُفسّر في قوله: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة:١٣].

قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ الإنسان: اسم جنس، يريد: الكافر.

وقال ابن عباس: يريد: أبا الأشدّين[٢]، وقد ذكرناه في المدثر[٣].

وقال عطاء: يريد: الوليد بن المغيرة[٤].

وقال عكرمة: أبيّ بن خلف[٥].

والاستفهام في معنى [إنكار][٦] الاغترار به جلّت عظمته.

قال الزجاج[٧]: ما خَدَعَكَ وسَوَّلَ لك، حتى أَضَعْتَ ما وجب عليك.

وقال غيره: المعنى: ما غرّك بربك الكريم المتجاوز عنك، إذ لم يعاجلك بالعقوبة.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٤٣).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٧).

(٣) عند الآية رقم: ٣٠.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٩) وعزاه لابن المنذر.

(٦) في الأصل: الإنكار. والتصويب من ب.

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٥).

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: غرَّه والله! جهله وحُمْقُه[1].

وقال الحسن: غرَّه والله! شيطانُه الخبيث[2].

وقال قتادة: غرَّه عدوُّه المسلَّط عليه[3].

قال مقاتل[4]: غرَّه عفوُ الله عنه، حين لم يُعاقبه في أول مرة.

وقيل لفضيل بن عياض: لو أقامك الله فقال: ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرّني سترك المرخى[5]. فنظمه محمد بن السماك فقال رضي الله عنهما:

يا كَاتِمَ الذَّنْبِ أمَا تَسْتَحِي والله في الخلوةِ ثَانِيكَا
غَرَّكَ مِنْ ربكَ إمْهَالُهُ وسَتْرُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

وقال يحيى بن معاذ الرازي: لو أقامني الله بين يديه وقال: ما غرّك بي؟ لقلت: غرّني بك بِرُّكَ بي سالفاً وآنفاً[6].

قوله تعالى: ﴿فسوَّاك﴾ أي: فجعلك سوياً سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ تعديلاً متناسباً.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٢) ذكره القرطبي (١٩/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٨٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٤).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٨) وفيه: غَرَّهُ الشيطان. وانظر قول مقاتل في: الوسيط (٤/ ٤٣٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٧).

(٦) مثل السابق.

قرأ أهل الكوفة: "فَعَدَلَك" بتخفيف الدال. وقرأ الباقون: بالتشديد[١].

قيل: هما بمعنى واحد.

وقيل: "عدَلك" بالتخفيف، بمعنى: صرفك.

قال الفراء[٢]: صرفك إلى أي صورة شاء.

وقال غيره[٣]: صرفك إلى خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق.

قوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ "ما" مزيدة.

والمعنى: في أي صورة شاء، حسنة أو قبيحة، أو طويل أو قصير، أو ذكر أو أنثى، رَكَّبَك.

وقال مجاهد: في أي صورة من صور القرابات[٤].

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن أحمد بن محمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو معمر المفضل بن إسماعيل بجرجان، أخبرنا جدي أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن النحاس، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا مُطهّر بن الهيثم الطائي[٥]، حدثنا موسى بن

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٢-٧٥٣)، والكشف (٢/ ٣٦٤)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٤).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٤٤).

(٣) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٨).

(٥) مطهر بن الهيثم بن الحجاج الطائي البصري، متروك الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٣، والتقريب ص:٥٣٥).

علي[1]، عن أبيه[2]، عن جدّه: «أن رسول الله ﷺ قال له: ما وُلد لك؟ قال: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي، إما غلام أو جارية، قال: فمن يشبه؟ قال: يشبه أمه أو أباه. فقال النبي ﷺ: لا تقولن كذا، إن النطفة إذا استقرّت في الرحم، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ أي: من نسبك»[3].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن الاغترار ﴿بل تكذبون بالدين﴾ وهو الجزاء أو دين الإسلام.

﴿وإن عليكم لحافظين﴾ ملائكةٌ يحفظون عليكم أفعالكم وأقوالكم، ويكتبونها عليكم؛ لتُجازوا بها.

﴿كِراماً﴾ على ربهم ﴿كاتبين﴾ ما تُملونه عليهم من خير وشر.

وفي قوله: ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ تحقيق لمعنى ضبطهم وإحاطتهم بأعمالهم

---

(١) موسى بن علي بن رباح اللخمي، أبو عبد الرحمن المصري، صدوق ربما أخطأ، ولي إمرة مصر سنة ستين ومائة، ولد بالغرب سنة تسع وثمانين، ومات بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٢٣، والتقريب ص:٥٥٣).

(٢) علي بن رباح بن قصير اللخمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو موسى، تابعي ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٠، والتقريب ص:٤٠١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٧٤ ح٤٦٢٤)، والطبري (٣٠/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٧).

قال ابن كثير (٤/ ٤٨٢) بعد أن ذكر هذا الحديث: وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مُطهّر بن الهيثم به. وهذا الحديث لو صَحَّ لكان فيصلاً في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأن مُطَهَّر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث. وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره بما لا يُشبه حديث الأثبات.

التي يكتبونها.

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩

قوله تعالى: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ عن الجحيم، وهذا كقوله: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ [المائدة:٣٧].

وقيل: وما هم عن القيامة بغائبين. فيكون الكلام منعطفاً على الأبرار والفجار.

ثم عظّم ذلك اليوم فقال مخاطباً لنبيه محمد ﷺ: ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾.

وقال الكلبي: الخطاب للإنسان لا للنبي ﷺ(١).

ثم كرر ذلك تفخيماً لشأن يوم القيامة فقال: ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾.

ثم أجمل القول في وصفه فقال: ﴿يومُ لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يومُ" بالرفع، على البدل من "يوم الدين"، أو على معنى: هو يوم. وقرأ الباقون: بالنصب(٢)، على معنى: يُدانون يوم الدين، أو بإضمار: اذكر.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٣-٧٥٤)، والكشف (٢/ ٣٦٤-٣٦٥)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٤).

قال مقاتل[1]: [يعني][2]: لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً.

والصحيح عمومه، وأن أحداً لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بأمر الله، ألا تراه يقول: ﴿والأمر يومئذ لله﴾. والله أعلم.

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٩).

(٢) زيادة من ب.

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست وثلاثون آية[1].

قال ابن مسعود والضحاك: هي مكية[2].

وقال ابن عباس والحسن وقتادة: مدنية[3].

قال مقاتل: هي أول سورة نزلت في المدينة[4].

واستثنى ابن عباس وقتادة منها ثماني آيات من قوله: ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخرها فقالا: نزلت بمكة[5].

وقال ابن السائب وجابر بن زيد: نزلت هذه السورة بين مكة والمدينة[6].

قال هبة الله المفسر[7]: نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٧).

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٢٢٥)، وزاد المسير (٩/ ٥١).

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٥).

(٥) انظر: الماوردي (٦/ ٢٢٥)، وزاد المسير (٩/ ٥١).

(٦) انظر: المصدرين السابقين، والإتقان (١/ ٤٥).

(٧) في الناسخ والمنسوخ (ص:١٩٥).

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ
أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥
يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿ويل للمطففين﴾، فأحسنوا الكيل بعد ذلك[(١)].

وقال السدي: قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية[(٢)].

وقد ذكرنا معنى "ويل" في البقرة[(٣)].

قال ابن قتيبة[(٤)]: والمُطَفِّفُ: الذي لا يُوفي الكيل. يقال: إناء [طَفَّانٌ][(٥)]؛ إذا لم يكن مملوءاً[(٦)].

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٥٠٨ ح١١٦٥٤)، وابن ماجه (٢/ ٧٤٨ ح٢٢٢٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١ ح١٢٠٤١)، والشعب (٤/ ٣٢٧ ح٥٢٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤١) وعزاه للنسائي وابن ماجه وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٧٥)، والوسيط (٤/ ٤٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٢).

(٣) عند الآية رقم: ٧٩.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٩).

(٥) في الأصل: طفاف. والتصويب من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٦) انظر: اللسان (مادة: طفف).

وقالِ الزجاج[١]: إنما قيل: مُطَفِّفٌ؛ لأنه لا يكاد يَسْرِقُ في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف، وإنما أُخذ من: طَفِّ الشيء، وهو جانبه.

قال[٢]: وقد فَسَّرَ أمرهم في السورة فقال: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾.

قال الفراء والزجاج وغيرهما من اللغويين[٣]: المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل.

و"على" و "مِنْ" يتعاقبان.

ولم يذكر الوزن؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع غالباً، فذِكْرُ أحدهما يدل على الآخر.

﴿وإذا كَالُوهم أو وَزَنُوهُم يُخسرون﴾ أي: كَالوا لهم أو وَزَنُوا لهم. فحذف الحرف الجار وأوصل الفعل، كما قال:

ولقد جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وعَسَاقِلاً ....[٤]

أي: جنيت لك [هذا][٥]، كقولهم: نصحتك وشكرتك.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٧).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٤٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٩٧).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (ولقد نهيتك عن بنات الأوبر). وهو في: الإنصاف (١/ ٣١٩، ٢/ ٧٢٦)، وأوضح المسالك (١/ ١٨٠)، والخصائص (٣/ ٥٨)، وسر صناعة الإعراب (ص:٣٦٦)، وجمهرة اللغة (ص:٣٣١)، واللسان، (مادة: حجر)، وتاج العروس (مادة: وبر)، والعين (٢/ ٢٩٠)، والمقتضب (٤/ ٤٨)، والمحتسب (٢/ ٢٢٤)، والحجة للفارسي (٢/ ١٨٤).

(٥) في الأصل: وهذا. والمثبت من ب.

قال الفراء[(١)]: هو من كلام أهل الحجاز وَمَنْ جاورهم.

فعلى هذا: يكون الضميران في موضع نصب.

وقيل: "هم" توكيد.

المعنى: وإذا كَالَ المطففون، فيكون الضميران في موضع رفع.

والأول هو الوجه الصحيح.

ومعنى: "يُخْسِرُون": يُنْقِصُون، كقوله: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ [الرحمن:٩]، وقد مرّ تفسيره.

ثم وبّخهم وخوّفهم فقال: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾ أي: ألا يتوهّمون ويخطر ببالهم أنهم مبعوثون ومحاسبون، يريد: أن من توهم البعث والجزاء على الأعمال جدير [بأن][(٢)] يتحاشى ظلم الناس في أموالهم.

وقال ابن عباس وعامة المفسرين: يريد: ألا يستيقن مَنْ فعل هذا أنه مبعوث ومحاسب[(٣)].

قال مقاتل[(٤)]: المُطَفِّفُ في الكيل والوزن شاكٌّ في البعث يوم القيامة.

قال الزجاج[(٥)]: لو ظنوا أنهم يُبعثون ما نقصوا الكيل والوزن.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٤٦).

(٢) في الأصل: أن. والمثبت من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤١).

(٤) لم أقف عليه في تفسير مقاتل.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٨).

قال صاحب الكشاف[١]: وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعِظَم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين: بيان بليغ لِعِظَم الذنب، وتفاقُم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، والعمل على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل[٢] في كل قول وعمل.

فصل: يتضمن نبذة زاجرة عن التطفيف

روى مجاهد وطاووس والضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ بخمسٍ، قالوا: يا رسول الله وما خمسٌ بخمسٍ؟ قال: ما نقض قومٌ العهد إلا سلّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله عز وجل إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، وما طفَّفُوا الكيل إلا مُنِعُوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا مَنعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر»[٣].

وقال مالك بن دينار: دخلتُ على جار لي وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. قلت: ما تقول؟ أتهجر[٤]؟ قال: يا أبا يحيى، إن لي مكيالين كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر، قال: فقمت فجعلت أضرب أحدهما

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٢١).

(٢) قوله: "في كل أخذ وإعطاء بل" ساقط من ب.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٥ ح١٠٩٩٢)، والديلمي في الفردوس (٢/ ١٩٧ ح٢٩٧٨).
قال الهيتمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٥): رواه الطبراني في الكبير، وفيه إسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي، ليّنه الحاكم، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام.

(٤) هَجَرَ في نومه ومرضه يَهْجُرُ هَجْراً: هذى (اللسان، مادة: هجر).

بالآخر، فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظماً، فمات في وجعه[١].

وقال الفضيل بن عياض: بَخْسُ الميزان سوادُ الوجه يوم القيامة[٢].

وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يمرّ بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يُوقَفُون يوم القيامة، حتى إن العَرَق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن هشام صاحب الدستوائي، عن القاسم بن أبي بزة، حدثني من سمع: أن عمر رضي الله عنه قرأ: ﴿ويل للمطففين﴾ فلما بلغ: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ بكى حتى خرّ، وامتنع من قراءة ما بعده[٤].

قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال الزجاج[٥]: "يومَ" منصوب بقوله: "مبعوثون". المعنى: ألا يظنون أنهم يُبعثون يوم القيامة.

قال يزيد الرِّشْك: يقومون بين يديه للقضاء[٦].

وقال سعيد بن جبير: يقومون من قبورهم[٧].

---

(١) أخرج نحوه أحمد في الزهد (ص:٣٩٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤١).

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٧٢١).

(٣) أخرج نحوه الطبري (٣٠/ ٩٢) من حديث ابن عمر، مرفوعاً. وذكره القرطبي (١٩/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٤٠).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٨).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٦).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤١) بلا نسبة.

"لرب العالمين" أي: لأمره.

ويدل على صحة هذا: ما أخبرنا به الشيخ أبو العباس الخضر بن كامل المعبر الخاتوني، بظاهر دمشق قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست وستمائة، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد الخياط المقرئ سنة سبع وثلاثين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزاز، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبدالله الدقاق المعروف بابن أخي ميمي، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا أبو نصر عبدالملك بن عبدالعزيز التمار، حدثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال: يقومون حتى يبلغ [الرشح][1] أطراف آذانهم»[2]. هذا حديث صحيح اتفق الشيخان على إخراجه في صحيحيهما. فرواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر، عن معن، عن مالك، عن نافع. وأخرجه مسلم عن أبي نصر التمار، عن حماد بن سلمة. فهو يعلو لي [برجل][3] من طريق[4] الصحيحين.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين ذراعاً، وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم»[5].

---

(١) في الأصل: الوسخ. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٤ ح٤٦٥٤)، ومسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٢).

(٣) في الأصل: رجل. والتصويب من ب.

(٤) في ب: طريقي.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٣).

وفي صحيح مسلم من حديث المقداد بن الأسود[١] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من العباد حتى تكون [قدر][٢] ميل أو ميلين. قال الراوي عن المقداد: فلا أدري أمسافة الأرض، أو الميل الذي [تكحل][٣] به العين. قال: ثم [تصهرهم][٤] الشمس، فيكونون في العَرَق كقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، [ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه][٥]، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً. قال: فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه، قال: يُلجمه إلجاماً»[٦].

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود البهراني، أبو الأسود الزهري، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو معبد، المعروف بالمقداد بن الأسود، كان أبوه حليفاً لبني كندة، وكان هو حليفاً للأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبنّاه الأسود فنسب إليه، أسلم قديماً، وشهد بدراً والمشاهد، وكان فارساً يوم بدر، مات سنة ثلاث وثلاثين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٥٤، والتقريب ص:٥٤٥).

(٢) في الأصل: قد. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: نكحل. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: تظهرهم. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٤).

لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ وزجرٌ لهم عن التطفيف، والغفلة عن ذكر البعث.

وقوله تعالى: ﴿إن كتاب الفجار﴾ مبتدأ.

وقال أبو حاتم: "كلا" مبتدأ يتصل بها بعده، على معنى: حقاً إن كتاب الفجار ﴿لفي سجين﴾. وهو قول الحسن[١].

وكتابُهم: كُتُبُ أعمالهم.

قال أبو عبيدة[٢]: "سِجِّين" فِعِّيل من السّجن.

قال قتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل: "سِجِّين": الأرض السابعة السفلى[٣].

وفي حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «سجين أسفل سبع أرضين»[٤].

قال عطاء الخراساني: هي الأرض السابعة، وفيها إبليس وذريته[٥].

﴿وما أدراك ما سجين﴾ على وجه التعظيم لأمره.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٣).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٩٤-٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة. وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٦١).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٩٦). وذكره الماوردي (٦/ ٢٢٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٤).

وقال الزجاج[1]: المعنى: ليس سجين مما كنت تعلمه أنت ولا قومك، ثم فسره فقال: ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: مكتوب.

وقال غيره: "مرقوم" أي: مُثبت عليهم، كالرَّقْمِ في [الثوب][2] لا يُمحى حتى يُجازوا به.

قال صاحب الكشاف[3]: "سجين" كتاب جامع، وهو ديوان الشر، دوَّنَ الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور بيّن الكتابة، أو مُعْلَمٌ يعلم من رآه أنه لا خير فيه. فالمعنى: أن ما كتب من أعمال الفجار مُثبت في ذلك الديوان. وسمي سِجِّيناً: فِعِّيلاً من السِّجْن، وهو الحبس والتضييق؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحشٍ مظلم، وهو مسكن إبليس وذريته استهانةً به وإذالةً، وليشهده الشياطين المدحورون، كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون.

وقال الواحدي[4]: ذكر قوم أن قوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ تفسير للسِّجِّين، وهو بعيد؛ لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم في شيء، على ما حكينا عن المفسرين، فالوجه أن يجعل هذا بياناً للكتاب المذكور في قوله: ﴿إن كتاب الفجار﴾، على تقدير: هو كتاب مرقوم.

قوله تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قال صاحب النظم: هذا منتظم بقوله:

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: الثبوت. والتصويب من ب.

(٣) الكشاف (٤/ ٧٢٢).

(٤) الوسيط (٤/ ٤٤٤).

﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾، وما بينهما اعتراض[١].

وما بعده مُفسَّرٌ فيما مضى إلى قوله: ﴿كلا﴾ وهو ردع للمعتدي الأثيم عن قوله: ﴿بل ران﴾.

وقرأ حفص: "بلْ رَان" بإظهار اللام[٢].

قال الزجاج[٣]: الإدغام أجود؛ لقرب اللام من الراء، ولغلبة الراء على اللام. وإظهار اللام جائز؛ لأن اللام من كلمة والراء من كلمة أخرى.

قال[٤]: و"رَانَ" بمعنى غطّى على قلوبهم. يقال: رَانَ على قلبه الذَّنْبُ يَرِينُ رَيْناً؛ إذا غشي على قلبه[٥]. ويقال: غَانَ على قلبه يغِينُ غَيْناً، والغَيْنُ: كالغيم الرقيق، والرَّيْن: كالصدأ يغشى على القلب.

وقال غيره: الغين يقال بالراء وبالغين، ففي القرآن: "كلا بل ران".

وفي الحديث: «إنه ليُغَانُّ على قلبي»[٦]، وكذلك الراية تقال بالراء والغين، والرُّمَيْصَاء تكتب [بالغين][٧] وبالراء؛ لأن الرَّمص يكتب بهما.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٥).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٤)، والكشف (١/ ١٨٢)، والنشر (٢/ ٦٠)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٤) أي: الزجاج.

(٥) انظر: اللسان (مادة: رين).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ ح٢٧٠٢).

(٧) في الأصل: بالعين. والمثبت من ب.

قال الحسن في هذه الآية: هو ورود الذنب حتى يعمى القلب[١].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكَتَ في قلبه نُكْتَة[٢]، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الرَّان الذي ذكر الله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾»[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الرجل ليذنب الذنب فيُنكت على قلبه نكتة سوداء، ثم يذنب الذنب فينكت أخرى، حتى يصير قلبه مثل لون الشاة الرَّبْداء»[٤].

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: القلب مثل الكف، فإذا أذنب العبد انقبض وقبض أصبعاً، ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصبعاً أخرى، ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصابعه، ثم يطبع الله على قلبه، [وكانوا][٥] يرون أن ذلك هو الرَّيْن، ثم قرأ هذه الآية[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٩٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٤٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) النكتة: أثرٌ قليل كالنُّقطة شِبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما (النهاية ٥/ ١١٣).

(٣) لم أقف عليه في صحيح البخاري، وقد أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٤ ح٣٣٣٤).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٤٠ ح٧٢٠٤). والرَّبْداء: أي: لونها بين السواد والغبرة (النهاية ٢/ ١٨٣).

(٥) في الأصل: وكا. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٤٤١ ح٧٢٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٦) وعزاه للفريابي والبيهقي.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن الذنوب التي توجب الرَّيْن على القلوب، ﴿إنهم﴾ يعني: الفجار ﴿عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾.

قال الزجاج[(١)]: في هذه الآية دليلٌ على أن الله تعالى يُرى في القيامة، لولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خَسَّت منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله عز وجل. وقال الله في المؤمنين: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فأعلم الله تعالى أن المؤمنين ينظرون إلى الله تعالى، وأعلم أن الكافرين محجوبون عن الله.

أخبرنا أبو بكر عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي في كتابه، قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن مرزوق، أخبرنا جعفر بن أحمد بن عبدالواحد الثقفي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبدالرحيم، أخبرنا عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، حدثنا الفضل بن [الخصيب][(٢)]، حدثنا أبو العباس المزني[(٣)]، حدثنا أبو إبراهيم المزني، عن ابن هرم قال: قال الشافعي رحمه الله: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فيه دلالة على أن أولياء الله يرون الله تبارك وتعالى[(٤)].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٢) في الأصل: الحصيب. والمثبت من ب. وهو الفضل بن الخصيب ابن العباس بن نصر، المحدث الصدوق الرحال، أبو العباس الأصبهاني، توفي في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٥١-٥٥٢).

(٣) أحمد بن أصرم بن خزيمة بن عباد بن عبد الله بن حسان بن عبد الله بن مغفل، أبو العباس المزني، كان ثقةً شديداً على أهل البدع، توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين (تاريخ بغداد ٤/ ٤٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦).

وقال الربيع بن سليمان: كنت ذات يوم عند الشافعي رضي الله عنه وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قول الله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فكتب فيه: لما حَجَبَ قوماً بالسُّخْطِ دَلَّ على أن قوماً يَرَوْنَهُ بالرضا. فقلت له: أو تدين بهذا سيدي؟ فقال: والله! لو لم يُوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا[1].

وقال الكلبي عن ابن عباس: إنهم عن النظر إلى رؤية ربهم لمحجوبون، والمؤمن لا يُحجب عن رؤيته[2].

وقال مقاتل[3]: إنهم بعد العرض والحساب لا ينظرون إليه نظر المؤمنين إلى ربهم.

وسُئل مالك عن هذه الآية قال: حَجَبَ أعداءه فلم يروه، وتجلى لأوليائه حتى رأوه[4].

وقد ذكرنا في أثناء كتابنا هذا من دلائل الكتاب والسنة وآثار أخبار الأئمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، ما لا يسع المسلم تركه، فنسأل الله أن يُعيذنا من الزيغ والعناد، وأن يمتّعنا بالنظر إليه إذا حُجب عنه أهل الإلحاد.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم بعد حجبهم عنه جل وعلا يدخلون النار فقال: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال﴾ تصغيراً وتحقيراً وتوبيخاً ﴿هذا﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٦).

العذاب ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾.

كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن التكذيب. ويجوز أن يكون متصلاً بما بعده بمعنى: حقاً ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾.

روى البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليين في السماء السابعة تحت العرش»[1].

وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه[2].

وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، والحاكم (١/ ٩٣-٩٤ ح١٠٧)، والطيالسي (١/ ١٠٢ ح٧٥٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٤-٥٥ ح١٢٠٥٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٥٥ ح٣٩٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

ومن طريق آخر عن كعب، وعزاه لعبد بن حميد.

وقال الضحاك: سدرة المنتهى[١].

وقال الحسن: في علو وصعود إلى الله عز وجل[٢].

قال الزجاج[٣]: أعلى الأمكنة.

قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم﴾ الكلام عليه كالكلام [على][٤] نظيره السابق في هذه السورة.

قال صاحب الكشاف[٥]: "عِلِّيُّون": عَلَمٌ لديوان الخير الذي دُوِّن فيه كُلُّ ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع "عِلِّيّ" فِعِّيل من العُلُوّ، كسِجِّين من السِّجن، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة، حيث يسكن الكَرُوبيُّون، تكريماً له وتعظيماً.

وقال الواحدي[٦]: "كتاب مرقوم" ليس بتفسير "عليين"، وهو يحتمل تأويلين:

أحدهما: أن المرادَ به كتابُ أعمالهم، كما ذكرنا في كتاب الفجار.

الثاني: أنه كتاب في عليين كُتب هناك ما أعدّ الله لهم من الكرامة. وهو معنى قول مقاتل[٧]: مكتوبٌ لهم بالخير في ساق العرش.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٨) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٤) زيادة من ب.

(٥) الكشاف (٤/ ٧٢٣).

(٦) الوسيط (٤/ ٤٤٧-٤٤٨).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٢).

ويدل على صحة هذا قوله: ﴿يشهده المقربون﴾ يعني: الملائكة الذين هـم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب.

قوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ سبق تفسير الأرائك، [وأنها][1] السُّرُرُ في الحجال. والمعنى: ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة.

وقيل: ينظرون إلى أعدائهم يُعذَّبون في النار.

قال بعض العلماء[2]: ما تَحْجُبُ الحِجَالُ أبصارَهم عن الإدراك.

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ يعني: بهجته ورونقه.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء العكبري رحمه الله لأبي جعفر ويعقوب: "تُعْرَفُ" بضم التاء وفتح الراء، على البناء للمفعول، "نَضْرَةُ" بالرفع[3].

﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ الرَّحِيق: الخمر[4]، في قول جمهور المفسرين واللغويين.

قال الخليل بن أحمد: هو أجود الخمر[5].

قال الأخفش: هو الخالص من الغش[6].

---

(١) في الأصل: أنها. والتصويب من ب.

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٤).

(٣) النشر (٢/ ٣٩٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٥).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٧٣٩)، والطبري (٣٠/ ١٠٥-١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٤٥١).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٨).

(٦) مثل السابق.

وقال ابن قتيبة[١]: الخمر العتيقة.

وقال الحسن: هو عين في الجنة مَشوبةٌ بالمسك[٢].

ومعنى مختوم: أنه خُتم ومُنع من أن يمسه ماسٌّ، أو تتناوله يد إلى أن ينفكّ[٣] ختمه للأبرار في الجنة. وهذا معنى قول مجاهد[٤].

قال ابن عباس: خُتْمُهُ الذي يُختم به الإناء مِسْكٌ[٥].

وقال غيره: ﴿ختامه مسك﴾ [تفسير][٦] لقوله: "مختوم"، على معنى: آخر طعمه مسك. أي: رائحة المسك.

وقيل: يمزج بالكافور، ويختم مزاجه بالمسك.

وقرأتُ للكسائي من طرقه المشهورة: "خَاتَمُهُ" بألف قبل التاء[٧]. وقرأتُ له من رواية الشيزري: "خَاتِمُهُ" بكسر التاء[٨]، وكلتاهما بمعنى واحد.

أي: ما يختم به ويقطع مسك.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٨).

(٣) في ب: يُفْتَكَّ.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٨).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(٦) في الأصل: تفسيراً. والتصويب من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٤)، والكشف (٢/ ٣٦٦)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٦).

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٥٩)، والدر المصون (٦/ ٤٩٤).

﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ التنافس: كالتشاحّ على الشيء والتنازع فيه. والمعنى: وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة الموصلة إليه.

قوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال ابن مسعود: هو عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتُمزج لأصحاب اليمين[١].

قال حذيفة بن اليمان: هي عين في جنة عدن[٢]. وعدن: دار الرحمن، فأهل عدن جيرانه.

وسُئل ابن عباس عن قوله: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ فقال: هذا مما يقول الله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[٣] [السجدة:١٧].

وقال صاحب الكشاف[٤]: "تسنيم": علمٌ لعين [بعينها][٥]، سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه؛ إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق، على [ما][٦] روي أنها تجري في الهواء متسنّمة [فتنصبّ][٧] في أوانيهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٤ ح٣٤٠٩١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المبارك وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٥٢) وعزاه لابن المنذر.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٢٤).

(٥) في الأصل: بطينها. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: فتصب. والمثبت من ب.

و"عَيْناً" نصب على المدح.

وقال الزجاج[١]: نصب على الحال، ويكون "تسنيم" معرفة، و"عَيْناً" نكرة.

قال الزجاج أيضاً[٢]: ويجوز أن تكون منصوبة بقوله: يُسْقَوْن عَيْناً، أي: مِـنْ عَيْن.

وقال غيره: يجوز أن يكون تمييزاً.

وقوله: ﴿يشرب بها المقربون﴾ مُفسّر في "هل أتى"[٣].

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا﴾ يعني: كفار قريش ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾ مثل صهيب وعمار وخباب وبلال، وغيرهم من المستضعفين بمكة ﴿يضحكون﴾ استهزاءً بهم.

﴿وإذا مروا بهم﴾ أي: وإذا مَرَّ المؤمنون بالكفار ﴿يتغامزون﴾ بالأعين والحواجب، على وجه السخرية منهم.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٠١).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٠١).

(٣) عند الآية رقم: ٦.

وقال ابن السائب ومقاتل[١]: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك أنه مرّ هو ونفر من المؤمنين بالمنافقين فسخروا منهم وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فأنزل الله هذه الآيات قبل أن يصل عَلِيٌّ إلى النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وإذا انقلبوا﴾ يعني: الكفار ﴿إلى أهلهم انقلبوا فاكهين﴾.

وقرأ حفص: "فَكِهِين" بغير ألف[٢]. وقد ذكرنا وجه القراءتين في يس[٣].

والمعنى: انقلبوا متلذذين بالاستهزاء والسخرية من المؤمنين.

﴿وإذا رأوهم﴾ أي: وإذا رأى كفار مكة أصحاب محمد ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾. وصفوهم بالضلال؛ لمباينتهم عبادة الأصنام، ومخالفتهم ما كان عليه أسلافهم.

قال الله تعالى: ﴿وما أُرسلوا عليهم﴾ يعني: الكفار على المؤمنين ﴿حافظين﴾ يحفظون عليهم أعمالهم أي: [لم][٤] يُوكَّلوا على ذلك، فما لهم يحكمون عليهم بالضلال، ويسجلون عليهم به. وفيه تهكُّم بالكفار.

وجوّز بعضهم أن يكون هذا من تمام قول الكفار، وأنهم إذا رأوا المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون، وأنهم [لم][٥] يرسلوا عليهم حافظين؛ إنكاراً لرسالة

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٥)، والكشف (٢/ ٣٦٦)، والنشر (٢/ ٣٥٤-٣٥٥)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٦).

(٣) عند الآية رقم: ٥٥.

(٤) زيادة من ب.

(٥) زيادة من ب.

النبي ﷺ، وما كان عليه هو ومن يعاضده من المؤمنين، من صدّهم عن الشرك، ودعائهم إلى التوحيد.

﴿فاليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾.

قال أبو صالح: يقال لأهل النار وهم [فيها][(١)]: اخرجوا، وتفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، فذلك قوله: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾[(٢)].

﴿على الأرائك ينظرون﴾ إلى عذاب عدوهم.

وقوله: "على الأرائك ينظرون" في محل الحال [من][(٣)] "يضحكون"[(٤)].

وقد ذكرنا عند قوله في الصافات: ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ [٥٥] كيفية اطلاع أهل الجنة على أهل النار.

قوله تعالى: ﴿هل ثُوِّب الكفار﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "هل ثوب" بإدغام اللام في الثاء؛ لقرب مخرجهما[(٥)].

والمعنى: هل جُوزوا. يقال: ثوّبه وأثابه؛ إذا جازاه.

قال أوس:

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦١).

(٣) في الأصل: في. والمثبت من ب.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٦)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٦).

سَأَجْزِيكِ أَوْ يُجْزِيكِ عَنِّي مُثَوِّبٌ ... وحَسْبُكِ أن يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي(١)

والمعنى: هل جُوزي الكفار بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا.

والاستفهام بمعنى التقرير، ومضمونه: تعظيم ما جُوزوا به من العذاب المهين.

ومن هذا الطرز ما كتبه بعض الفضلاء، المبرّزين في العلوم الشرعية والأدبية إلى قاض، وكان بلغه أنه غَضَّ منه فذكر(٢) كلاماً بليغاً في معرض القَدْح فيه إلى أن قال:

يا حَاكِماً صَدّ عَنِّي ... وسَلَّ سَيْفَ التَّجَنِّي

ضَيَّعْتَ لي منك ... ما قدْ حفظتُهُ لَكَ مِنِّي

فاسْمَعْ عِتابي صريحاً ... فإنني لستُ أَكْنِي

وإنْ كَنيتُ فإني ... بالقولِ إياكَ أعْنِي

ماذا دَعَاكَ إلى أن ... قلبتَ ظَهْرَ المِجَنِّ

فصرْتَ تَهْدِمُ ما ... كنتُ منْ إخائِكَ أَبْنِي

[إلى أن قال](٣):

وصرتَ تُبدي وَقَاراً ... وسَطْوَةً أيْ بأَنِّي

---

(١) البيت لأوس بن حجر، وهو في: البحر (٨/ ٤٣٥)، والدر المصون (٦/ ٤٩٥)، والكشاف (٤/ ٧٢٥)، وروح المعاني (٣٠/ ٧٧)، والأغاني (١١/ ٧٧).

(٢) قوله: "فذكر" ساقط من ب.

(٣) زيادة من ب.

قَاضـــيكُمُ فـــاعرفوني وعظِّمُــــــــوني لأنِّي

ثم قال كلاماً آخر ختمه بقوله:

أوجعــتَ قلبــي فقــل لي أوجعـــتُ قلبــكَ أم لا؟

يريد بذلك: تنبيهه على عظيم ما رماه به من القول المُوجع، والأذى المفـرط.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس وعشرون آية، وهي مكية بإجماعهم[1].

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ
كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ
بَصِيرًا ﴿١٥﴾

قال الله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ قال علي عليه السلام: تنشق السماء من المجرّة[2].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١١). وذكره الماوردي (٦/ ٢٣٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال المفسرون: انشقاقُها من علامات الساعة[١]. وذلك مذكور في مواضع من كتاب الله[٢].

فإن قيل: أين جواب "إذا"؟

قلتُ: المختار عند المحققين أنه محذوف؛ ليذهب الذهن [إلى][٣] كل مذهب من أنواع الأهوال.

قال بعضهم[٤]: حذف الجواب اكتفاء بما عُلم في [نظيرتيهما][٥]، وهما التكوير والانفطار.

وقيل: جوابها ما دلّ عليه قوله: ﴿فمُلاقيه﴾. أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كَدْحَه. وهو اختيار الزجاج[٦].

وقال المبرد[٧]: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت.

قوله تعالى: ﴿وأَذِنَتْ لربها﴾ أي: استمعت له، ومنه قوله عليه السلام: «ما أَذِنَ

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٢).

(٢) الفرقان آية رقم: (٢٥)، والرحمن آية رقم: (٣٧)، والحاقة آية رقم: (١٦).

(٣) زيادة من ب.

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٦).

(٥) في الأصل: نظيرتها. والتصويب من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٠٣).

(٧) انظر قول المبرد في: الطبري (٣٠/ ١١٤) بلا نسبة، وزاد المسير (٩/ ٦٣).

الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن»[١].

ومنه قول الشاعر:

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكرتُ به   وإن ذُكرتُ بِشَرٍّ عندهمْ أَذِنُوا[٢]

ومعنى الآية: أطاعت ربها في الانشقاق، وحقّ لها أن تطيعه.

قوله تعالى: ﴿وإذا الأرض مُدَّت﴾ قال ابن عباس: تُمَدُّ مَدَّ الأديم، ويُزاد في سعتها[٣].

قال مقاتل[٤]: لا يبقى عليها بناء ولا جبل إلا دخل فيها.

﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى والكنوز ﴿وتخلت﴾ مما في باطنها من ذلك.

﴿وأذنت لربها﴾ في إلقاء ما في باطنها وتخلّيها منه ﴿وحقت﴾ بأن تأذن له.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ قال الزجاج[٥]: الكَدْحُ في اللغة: السَّعي والدُّؤوب في العمل في [باب][٦] الدنيا وفي

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٨ ح٤٧٣٥، ٦/ ٢٧٢٠ ح٧٠٤٤)، ومسلم (١/ ٥٤٦ ح٧٩٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البيت لقعنب بن أم صاحب. وهو في: اللسان (مادة: شور، أذن)، والمحتسب (١/ ٢٠٦)، وديوان الحماسة (٢/ ١٧٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٧٧)، وتاج العروس (مادة: أذن)، والطبري (٣٠/ ١١٢)، والقرطبي (١٩/ ٢٦٩)، والماوردي (٦/ ٢٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٨)، والدر المصون (٦/ ٤٩٧)، وزاد المسير (٩/ ٦٢)، وروح المعاني (١٠/ ١٢٦، ٣٠/ ٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٨٥)، والحارث في مسنده (٢/ ١٠٠١ ح١١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤) وعزاه للحارث بن أبي أسامة وابن جرير بسند حسن.

(٤) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وانظر قول مقاتل في: الوسيط (٤/ ٤٥١)، وزاد المسير (٩/ ٦٣).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٠٤).

(٦) في الأصل: دار. والمثبت من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

باب الآخرة.

قال تميم بن مقبل:

وما الدَّهْرُ إلا تَارتان فمنهُما أموتُ [وأخرى][(١)] أبتغي العيشَ أكْدَحُ[(٢)]

أي: فتارة أسعى في طلب العيش وأدأب.

وقال مقاتل[(٣)]: إنك ساعٍ إلى ربك سعياً.

وقال ابن عباس وقتادة وعامة المفسرين: إنك عامل لربك عملاً[(٤)].

وقال ابن قتيبة[(٥)]: فيه إضمار، تقديره: إلى لقاء ربك فَمُلاقٍ ربك.

وقيل: فَمُلاق عملك، وهو الكدح.

وابن كثير يصل الهاء في "فملاقيه" بياء. وقد ذكرنا علة ذلك فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ أي: سهلاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: هو أن يُعَرَّفَ ذنوبه ثم يَتجاوز عنه[(٦)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري،

(١) في الأصل: أخرى. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٠٤).

(٢) تقدم.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٤).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١١٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٠ ح٣٥٤٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:٥٢١).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٧) وعزاه لابن المنذر.

حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى -يعني: ابن سعيد-، عن عثمان ابن[1] الأسود قال: سمعت ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة تقول: سمعت النبي ﷺ.

قال البخاري: وحدثنا سليمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ.

قال البخاري: وحدثنا مسدد، عن يحيى، عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة[2]، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدٌ يُحاسب إلا هلك. قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قال: ذاك العَرْض يُعرضون، ومن نُوقش الحساب هلك»[3]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن بشر، عن يحيى بن سعيد.

وأخرج الحاكم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كُنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: تُعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك. قال: فإذا فعلت ذلك فما لي يا رسول الله؟ قال: تُحاسب حساباً يسيراً، ويدخلك الله الجنة برحمته»[4].

---

(١) في الأصل و ب زيادة قوله: أبي. انظر ترجمته في: التهذيب (٧/ ٩٨)، والتقريب (ص:٣٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٣٩).

(٢) حاتم بن أبي صغيرة، وهو ابن مسلم، أبو يونس القشيري، وقيل: الباهلي مولاهم البصري، ثقة (تهذيب التهذيب ٢/ ١١٢، والتقريب ص:١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٥ ح٤٦٥٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٥ ح٢٨٧٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٦٣ ح٣٩١٢).

قوله تعالى: ﴿وينقلب إلى أهله﴾ أي: ويرجع إلى أهله في الجنة، من الآدميات والحور العين ﴿مسروراً﴾ بما أوتي من الكرامة.

﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ قال ابن السائب: لأن يده اليمنى مغلولة إلى عنقه، وتكون يده اليسرى خلف ظهره[(١)].

قال مقاتل[(٢)]: تُخلع يده اليسرى فتكون من وراء ظهره.

﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ يريد: أنه إذا قرأ كتابه دعا: يا ويلاه، يا ثبوراه. وقد ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ [الفرقان:١٣].

قوله تعالى: ﴿ويصلى سعيراً﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: "ويَصْلَى" بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام، أضافوا الفعل إلى الداخل في النار، فهو الفاعل، وهو مضمر في الفعل، وجعلوا الفعل ثلاثياً يتعدى إلى مفعول واحد، وهو "سعيراً"، ودليله: إجماعهم على قوله: ﴿ويصلى سعيراً﴾، وقوله: ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [الصافات:١٦٣].

وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، على ما لم يُسَمَّ فاعله[(٣)].

﴿إنه كان في أهله مسروراً﴾ أي: إنه كان في الدنيا مسروراً باتباع هواه، وركوب شهواته، لا يهمّه أمر آخرته، ولا ينظر في عاقبة أمره.

﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ لن يرجع إلى الله، تكذيباً بالبعث، يقال: حَارَ يَحُورُ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٤) بلا نسبة.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٧).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٥-٧٥٦)، والكشف (٢/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٧).

حَوْراً؛ إذا رجع[١]، وأنشدوا قول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوئِهِ ... يحورُ رَمَاداً بعدَ إذ هُو ساطعُ[٢]

﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي في "لن يحور"، أي: بلى ليحورنّ.

﴿إن ربه كان به بصيراً﴾ لا يخفى عليه شيء من أحواله، فهو يجازيه عليها.

وقال الزجاج[٣]: كان به بصيراً قبل أن يخلقه، عالماً بأن مرجعه إليه.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ
طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا
يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ
﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ
أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ وهو الحمرة التي تخرج وقت المغرب بغيبوبتها.

قال الفراء[٤]: سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ: كأنه الشفق،

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حور).

(٢) البيت للبيد. انظر: ديوانه (ص:١٦٩)، والبحر (٨/ ٤٣٦)، والدر المصون (٦/ ٤٩٨)، والماوردي (٦/ ٢٣٦)، والقرطبي (١٩/ ٢٧٣)، وزاد المسير (١/ ٢٢٦، ٦/ ٢٥٠، ٩/ ٦٥)، وروح المعاني (٢٣/ ٢، ٣٠/ ٨١)، والأغاني (١٥/ ٣٦٢، ١٧/ ٦٩)، واللسان، وتاج العروس (مادة: حور)، والعين (٣/ ٢٨٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٠٥).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٥١).

الشفق، وكان أحمر.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «الشفق: الحُمْرة»(١). وقد ملّح بعض المتأخرين في قوله:

لو لم يكنْ وجْهُهُ شمسَ النهارِ لما لاحتْ على وجْنَتَيْهِ حُمْرَةُ الشَّفَقِ

وقال آخر:

قُمْ يا غلامُ أعِنِّي غيرَ مُحْتَشِمٍ على الزَّمانِ بكأسٍ حَشْوُهَا شَفَقُ(٢)

وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب، والعبادلة: ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، والسعيدان: ابن المسيب، وابن جبير، وطاووس، ومكحول، والأوزاعي، وأبو يوسف، وأبو عبيد، وإسحاق بن راهويه، والأئمة الثلاثة؛ مالك، والشافعي، وأحمد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة، وعامة العلماء من الفقهاء والمفسرين واللغويين.

وقال مجاهد وعكرمة: الشفق: النهار كله(٣).

وقال عمر بن عبد العزيز: البياض(٤). ويقال أنه رجع عنه.

قوله تعالى: ﴿والليل وما وسق﴾ أي: وما جَمَعَه وضَمَّه، مما كان منتشراً في النهار، وذلك أنه بدخول الليل يأوي كلُّ ذي وطن إلى وطنه، وكلُّ ذي وَكْر إلى وَكْره.

---

(١) أخرجه الدارقطني (١/ ٢٦٩ ح٣).

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١٩/ ٢٧٥) وفيه: "مرتبك" بدل: "محتشم".

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٤٢)، والطبري (٣٠/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٦).

قوله تعالى: ﴿والقمر إذا اتّسق﴾ أي: تكامل وتمّ، وذلك ليلة أربع عشرة.

وقال الفراء[١]: اتِّسَاقُهُ: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، وست عشرة. وهو افتعل من الوَسْق، وهو الجمع.

وقد ذكرنا في الذاريات معنى القَسَم بهذه الأشياء وأمثالها، وجواب القسم: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: "لتركبَن" بفتح الباء[٢]، وهي قراءة عمر بن الخطاب، وابن مسعود وأصحابه، وابن عباس، وأبي العالية.

واختلفوا في معناه، فقيل: هو خطاب للنبي ﷺ.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، [حدثنا البخاري][٣]، حدثنا سعيد بن النضر[٤]، حدثنا هشيم[٥]، حدثنا أبو بشر جعفر بن إياس[٦]، عن مجاهد قال: «قال

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٥١).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٦-٧٥٧)، والكشف (٢/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٧).

(٣) زيادة على الأصل. وقد سبق هذا الإسناد كثيراً بهذه الزيادة كما أثبتناه.

(٤) سعيد بن النضر البغدادي، أبو عثمان، سكن آمل جيحون، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٨١، والتقريب ص:٢٤١).

(٥) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي، قيل: إنه بخاري الأصل، كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث، كثير التدليس والإرسال الخفي، ولد سنة أربع ومائة، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٥٣-٥٥، والتقريب ص:٥٧٤).

(٦) جعفر بن إياس وهو ابن أبي وحشية اليشكري، أبو بشر الواسطي، بصري الأصل، ثقة، مات سنة ست وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك (تهذيب التهذيب ٢/ ٧١، والتقريب ص:١٣٩).

ابن عباس: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال: حالاً بعد حال. قال هذا نبيكم ﷺ»[1].
انفرد بإخراجه البخاري.

وقال ابن مسعود والشعبي ومجاهد: المعنى: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء[2].

قال الكلبي: تَصعد فيها[3].

وقيل: لتركبن رتبة بعد رتبة، ودرجة بعد درجة في القربة إلى الله ورفعة المنزلة.

وقال قوم، منهم: قتادة: الإشارة إلى السماء، يريد: أنها تتغير لوناً بعد لون، فتصير تارة كالدهان، وتارة كالمهل، [وتُشقّق][4] بالغمام مرة، وتُطوى أخرى[5].

وقيل: الخطاب للإنسان المنادى بقوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾.

فإن قيل: لم يُرد إنساناً بعينه، بل هو اسم جنس؟

قلتُ: هو كذلك، لكنه راعى اللفظ، فخاطب خطاب الواحد.

وقرأ الباقون: "لَتَرْكَبُنَّ" بضم الباء، على الخطاب للجنس[6]، وهي اختيار أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٥ ح٤٦٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٥ ح١٠٠٦٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٣٨)، والوسيط (٤/ ٤٥٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم في الكنى وابن منده في غرائب شعبه وابن مردويه والطبراني عن ابن مسعود.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٥).

(٤) في الأصل: وتتشقق. والمثبت من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٧) كلاهما عن ابن مسعود.

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٦-٧٥٧)، والكشف (٢/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٧).

عبيد، [قال][١]: لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي ﷺ؛ لأنه إنما ذكر قبل هذه الآية من يؤتى منهم كتابه بيمينه وشماله، ثم قال بعدهما: ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾، وذكر ركوبهم طبقاً بعد طبق فيهما.

واختلف المفسرون في معنى: "طبقاً عن طبق"، فقال أكثرهم: حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر في مواقف القيامة[٢].

قال ابن عباس: الشدائد والأهوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض[٣].

وقال الحسن: الرخاء بعد الشدة، والشدة بعد الرخاء، [والغنى][٤] بعد الفقر، والفقر بعد الغنى، والصحة بعد السقم، والسقم بعد الصحة[٥].

وقال عكرمة: حالاً بعد حال، رضيع، ثم فطيم، ثم غلام، ثم شاب، ثم شيخ[٦].

وقال سعيد بن جبير: هو تغيّر حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع من كان وضيعاً، ويتّضع من كان مرتفعاً[٧].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٢-١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١١). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٤٥٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨).

(٤) في الأصل: والمعنى. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٠) وعزاه لابن المنذر.

قال بعض الحكماء: من كان اليوم على حالة وغداً على حالة أخرى، فليعلم أن تدبيره إلى غيره[١].

وقال بعض البصراء بالعربية[٢]: الطبق: ما طابق غيره، فيقال: ما هذا بطبق لِذَا، أي: لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء: الطبق. وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق. ومنه قوله: ﴿طبقاً عن طبق﴾ أي: حالاً بعد حال، كل واحدة مطابقة [لأختها][٣] في الشدة والهول. ويجوز أن يكون جمع طبقة، وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات. ومنه: طبق الظهر لفقاره، [الواحدة][٤]: طبقة، على معنى: لتركبن أحوالاً بعد أحوال، هي طبقاتٌ في الشدة، بعضها أرفع من بعض، وهي الموت، وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها.

وهاهنا [تمّ][٥] الكلام.

ثم قال مُنْكِراً على كفار[٦] مكة، موبخاً لهم: ﴿فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾.

قال عطاء: لا يصلّون[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٨-٧٢٩).

(٣) في الأصل: لاتها. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٧٢٩).

(٤) في الأصل: الواحد. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٧٢٩).

(٥) في الأصل: ثم. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل زيادة قوله: قريش.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨) كلاهما عن عطاء وابن السائب الكلبي.

وقال غيره: لا [يستكينون][(١)] ولا يخضعون[(٢)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا معتمر قال: سمعت أبي، حدثني بكر، عن أبي رافع قال: «صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه»[(٣)].

هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم عن عبيد الله بن معاذ وغيره عن المعتمر.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ و﴿إذا السماء انشقت﴾»[(٤)].

فصل

احتج من يرى وجوب سجود التلاوة -وهو مذهب جماعة، منهم: سفيان الثوري، وأبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق بن راهويه- بهذه الآية.

قال القاضي أبو يعلى رحمه [الله][(٥)]: ولا حجة فيها؛ لأن المعنى: فما لهم لا يخضعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع

---

(١) في الأصل: يستكنون. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٦٦ ح١٠٢٨)، ومسلم (١/ ٤٠٧ ح٥٧٨).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤٠٦ ح٥٧٨).

(٥) زيادة من ب.

منه[١].

وذهب[٢] [الإمامان][٣] الشافعي وأحمد: إلى أن سجود التلاوة غير واجب، ولذلك أدلة ليس هذا موضع استقصائها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله لم يكتبها علينا[٤].

قوله: ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ يعني: بالقرآن والبعث والجزاء.

﴿والله أعلم بما يوعون﴾ في صدورهم من التكذيب والعناد.

﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ اجعل لهم ذلك بدل البشارة. وقد فسرنا[٥] ذلك في مواضع.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء منقطع.

والممنون عند أهل اللغة: المقطوع.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٩).

(٢) في ب: ذهب.

(٣) في الأصل: الإمان. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه النسائي في الصغرى (١/ ٥٠٦ ح٩٠٢)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٦ ح٤٨٤)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٣٢١ ح٣٥٧٤، ٣/ ٢١٣ ح٥٥٨٧).

(٥) في ب: قررنا.

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي اثنتان وعشرون آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ
أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ
مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠

قال الله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾، وهي البروج الاثنا عشر. وقد ذكرناها في الحجر[2].

﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿وشاهد ومشهود﴾ أقوال كثيرة، أشهرها وأولاها: ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة،

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٩).

(٢) عند الآية رقم: ١٦.

والمشهود: يوم عرفة»[(١)]. وهو مخرج في الترمذي.

وإلى هذا القول ذهب علي عليه السلام، وابن عباس في بعض الروايات عنه، وهو قول أكثر المفسرين.

قال بعضهم: سمي يومُ الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، وسمي يوم عرفة مشهوداً؛ لأن الناس يشهدون فيه [موسم][(٢)] الحج، وتشهده الملائكة.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن أحمد بن محمد [الخواري][(٣)]، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو إسحاق المقرئ -يعني: الأستاذ الثعلبي صاحب التفسير- قال: أخبرنا الحسين بن محمد أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهلويه، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي[(٤)]، حدثنا مالك بن ضيغم الراسبي[(٥)]، حدثنا أبو سهل المنذراني، عن خباب، عن رجل قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٦ ح٣٣٣٩).

(٢) في الأصل: بموسم. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٩/ ٧١).

(٣) في الأصل: الحوري. والتصويب من ب.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النكري البغدادي، أبو عبد الله، ثقة حافظ، ولد سنة ثمان وستين ومائة، ومات سنة ست وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٩، والتقريب ص:٧٧).

(٥) مالك بن ضيغم بن مالك الراسبي، روى عن أبيه، روى عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي (الجرح والتعديل ٨/ ٢١١).

ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم [عرفة][(١)].

فجُزْتُه إلى آخَرَ يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، [وأما][(٢)] المشهود يوم النحر.

فجُزْتُها إلى غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ [الأحزاب:٤٥]، وقال عز وجل: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ [هود:١٠٣].

فسألتُ عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألتُ عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن علي عليهم السلام[(٣)].

قلتُ: وهذا القول المروي عن الحسن بن علي رواه ميمون [بن][(٤)] مهران عن ابن عباس[(٥)].

---

(١) في الأصل: النحر. والمثبت من ب، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٥).

(٢) في الأصل: أما. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الثعلبي (١٠/ ١٦٥-١٦٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧١). قلت: وقول الحسن بن علي أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٨٢ ح٩٤٨٢)، والصغير (٢/ ٢٦٣ ح١١٣٧) من حديث الحسين بن علي، والطبري (٣٠/ ١٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

وروى الوالبي عنه: أن الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: يوم القيامة[١].

وقال سعيد بن جبير: الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: بنو آدم[٢].

وقال الحسين بن الفضل: الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: جميع الأمم. ودليله قوله: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾[٣].

وقال [الترمذي][٤]: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم[٥].

وقيل: الحجر الأسود والحجيج[٦].

وقال صاحب الكشاف[٧]: وشاهدٍ في ذلك اليوم -يعني: يوم القيامة-، ومشهودٍ فيه، والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم؛ وبالمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه.

وقيل: غير ذلك، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: أين جواب القسم؟

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣١) من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وانظر رواية الوالبي عن ابن عباس في زاد المسير (٩/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٤) وعزه لابن جرير من طريق علي عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٣).

(٤) في الأصل و ب: اليزيدي. والمثبت من زاد المسير (٩/ ٧٣). وهو محمد بن علي الترمذي، وليس هو صاحب الجامع.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٣).

(٦) مثل السابق.

(٧) الكشاف (٤/ ٧٣٠).

فقلت: عنه جوابان:

أحدهما: أنه قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾. قاله قتادة والزجاج[(١)].

الثاني: أنه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾[(٢)]. قاله الفراء[(٣)].

قال الزمخشري[(٤)]: هو محذوف، يدل عليه: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾، كأنه قيل: أُقسم بهذه الأشياء [أنهم ملعونون][(٥)]، يعني: كفار قريش، كما لُعن أصحاب الأخدود.

قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ أي: لُعنوا.

والأخدود: الشق المستطيل في الأرض، ويجمع: أخاديد[(٦)]. وهم قوم كفرة، حفروا حفائر، وأوقدوا فيها ناراً، وألقوا فيها من لم يُجبهم إلى الكفر.

وكان من قصتهم: ما أخبرنا به أبو علي بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن النبي ﷺ قال: «كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك:

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٥). وانظر: معاني الزجاج (٥/ ٣٠٧).

(٢) وقال ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٣٥): جواب القسم متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٥٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٣٠).

(٥) في الأصل: أنه لملعونون. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) انظر: اللسان (مادة: خدد).

إني قد كَبِرَتْ سني وحضر أجلي، فادفع إليَّ غلاماً فلأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً وكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام [على][(١)] الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، فكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ [وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟][(٢)]، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو كذلك [إذا أتى][(٣)] ذات يوم على دابة عظيمة وقد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب [أحبُّ][(٤)] إلى الله أم أمر الساحر، وأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى لك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس. فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني! أنت أفضل مني، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، فكان الغلام يُبرئ الأكمه وسائر الأدواء، ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي، فسمع به فأتاه، وأتى بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هاهنا، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به دعوتُ الله فشفاك، فآمن، فدعا الله له فشفاه، ثم أتى الملك فجلس معه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من ردَّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. قال: أنا، قال: لا، ولكن ربي وربك الله، قال: أو لك ربٌّ

(١) في الأصل: إلى. والمثبت من ب، ومسند أحمد (٦/ ١٧).

(٢) زيادة من ب، والمسند، الموضع السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

غيري؟ قال: نعم، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي شيء بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص، وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أنا أحداً، ما يشفي إلا الله، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أو لك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دلَّ على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع [المنشار](١) في مفرق رأسه حتى وقع شِقَّاه. وقال للأعمى: ارجع [عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شِقَّاه في الأرض. وقال للغلام: ارجع](٢) عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فَدَهْدِهُوهُ(٣) من فوقه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل، قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فَدُهْدِهُوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمّس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله عز وجل، فبعث به في قُرْقُور(٤) في البحر مع نفر، فقال: إذا لججتم البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرّقوه، فلجّجوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمّس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله عز وجل، ثم قال للملك: إنك لست قاتلي حتى تفعل ما آمرك [به](٥)، فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتني،

(١) في الأصل: الميشار. والمثبت من ب، والمسند (٦/ ١٧).

(٢) زيادة من ب، والمسند، الموضع السابق.

(٣) الدَّهْدَهَة: قذفك الحجارة من أعلى إلى أسفل دحرجةً، ودَهْدَهْتُ الحجر فَتَدَهْدَه: دحرجته فتدحرج (اللسان، مادة: دهده).

(٤) القُرْقُور: ضَربٌ من السفن. وقيل: هي السفينة العظيمة أو الطويلة (اللسان، مادة: قرر).

(٥) زيادة من ب، والمسند (٦/ ١٧).

وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناس في صعيد واحد، ثـم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كِنَانَتِي[1]، ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه وقـال: بـسم الله ربّ الغلام، فوضع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع الـسهم ومـات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر، فقد والله نزل بك، فقد آمن النـاس كلهـم، فـأمر بـأفواه الـسكك فخُـدّدت فيهـا الأخاديـد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينـه فـدعوه، وإلا فـأقحموه فيهـا، فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق»[2]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم. فرواه عن هدبة [بن][3] خالد[4]، عن حماد بن سـلمة. ولم يخرج البخاري عن صهيب شيئاً.

قال سعيد بن المسيب: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ ورد عليـه قوم فقالوا: إنهم وجدوا ذلك الغلام -يعني: الذي ذكرناه- وهو واضع يده عـلى صدغه، فكلما مُدَّت يده عادت إلى صدغه، فكتب عمر: واروه حيث وجدتموه[5].

وروي عن علي عليه السلام أنه قال حين اختلف المسلمون في المجوس ومـا

(١) الكِنانة: جَعْبَة السهام تُتَّخذُ من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها (اللسان، مادة: كنن).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٩ ح٣٠٠٥)، وأحمد (٦/ ١٦-١٧).

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٤) ويقال له: هداب بن خالد، كما جاء في مسلم (٤/ ٢٢٩٩).

(٥) ذكر نحوه الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٠) من قول ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر.

يجري عليهم من الأحكام: هم أهل كتاب، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أخته فوقع عليها، فلما ذهب عنه السُّكْر ندم وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت؟ وما المخرجُ منه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك فتُعلمهم أن الله قد أحلّ لهم ذلك، ففعل، فأبوا عليه، فخدَّ لهم أخدوداً في الأرض، وأوقدوا فيه النيران، وعرضهم عليها، فمن أبى قبول ذلك قذفه فيها، ومن أجاب خلى سبيله، فأنزل الله فيهم: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ إلى قوله: ﴿وهم عذاب الحريق﴾[1].

وقال قتادة: هم [ناس][2] اقتتل مؤمنهم وكافرهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يَغْدُرَ بعضُهم ببعض، فغدر الكفار بهم، فأخذوهم، فقال لهم رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً واعرضونا عليها، فمن تابعكم على دينكم فذاك الذي تحبون، ومن لم يُتابعكم اقتحم النار، فاسترحتم منه، ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها[3].

وقال الربيع بن أنس: اعتزل قومٌ من المؤمنين الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبَّارٌ من عَبَدة الأوثان، فَعَرَضَ عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فاتخذ لهم أخدوداً فألقاهم فيه[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٠-٤٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٤-٧٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٤).

وقال مقاتل[١]: آمن قومٌ من قوم يوسف بن ذي نُواس بأرض العرب، بعدما رُفع عيسى عليه السلام، فَخَدَّ لهم أُخدوداً وأضرم فيه النار، وعرض عليهم الكفر، وحرَّق من أبى منهم.

قال وهب بن منبه: كانوا اثني عشر ألفاً[٢].

واختلفوا في أصحاب الأخدود أين كانوا؟ وممن كانوا؟ فقال علي عليه السلام: كانوا في الحبش[٣].

وقال الحسن: من اليمن[٤].

وقال الضحاك: كانوا [من][٥] نصارى اليمن، قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة[٦].

وقال مجاهد: من أهل نجران[٧].

وقال ابن عباس: من بني إسرائيل[٨].

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٣). وذكره الماوردي (٦/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق الحسن عن علي.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٥) زيادة من زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٢٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٣)، ومجاهد (ص:٧٤٧). وذكره الماوردي (٦/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٢). وذكره الماوردي (٦/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه لابن جرير.

وفي حديث عن النبي ﷺ: أنه كان إذا ذَكَرَ أصحابَ الأخدود تعوَّذَ بالله من [جَهْدِ][(١)] البلاء[(٢)].

قوله تعالى: ﴿النارِ ذات الوقود﴾ بدل من "الأخدود"[(٣)]، كأنه قال: قُتل أصحاب النار.

وفي قوله: "ذات الوقود" إيذان بأنها نارٌ شديدة الاضطرام.

وقرأ أبو رزين وأبو عبد الرحمن ومجاهد: "الوُقود" بضم الواو[(٤)]. وقد ذكرناه في البقرة[(٥)].

قوله: ﴿إذ﴾ ظرف لـ"قُتِلَ"[(٦)]، على معنى: لُعنوا حين قعدوا على حافات الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر أو الإحراق.

قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود[(٧)].

﴿وهم﴾ يعني: الملك وأصحابه ﴿على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ حضورٌ، ينظرون ذلك ويشاهدونه.

يُشير بذلك: إلى قسوة قلوبهم، وفرط اجترائهم على الفساد.

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٧٩ ح٣٤٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة عن عوف.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٧٧)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢٤.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦١).

وقيل: معنى شهادتهم على إحراق المؤمنين: أنهم وَكَّلُوا بذلك، وجَعلوا شهوداً يشهد بعضهم لبعض عند الملك، أن أحداً منهم لم يُفرّط فيما أمره وفوّض إليه من التعذيب.

وقيل: هم شهود يُؤدُّون شهادتهم يوم القيامة، ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور:٢٤].

قوله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله﴾ وقرأ جماعة: منهم أبو حيوة، وابن أبي عبلة: "نَقِمُوا" بكسر القاف[١]. وقد ذكرنا فيما مضى أنهما لغتان.

قال ابن عباس: ما كرهوا منهم إلا أنهم آمنوا[٢].

وقال مقاتل[٣]: ما عابوا عليهم.

وقد ذكرنا فيما مضى أنه كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم ....[٤]

وقول الآخر:

ما نَقَمَ الناس من أميّةَ إلا [أنهم][٥] يَحْلُمُون إن غَضِبُوا[٦]

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٩/ ٧٧)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٠) ولفظه: ما عذبهم.

(٤) تقدم.

(٥) زيادة من ب.

(٦) البيت لابن قيس الرقيات. انظر: ديوانه (ص:٤)، والخزانة (٧/ ٢٨٨)، والبحر المحيط (٥/ ٧٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٧١-٤٧٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٠٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٧٠)، والقرطبي (٨/ ٢٠٧)، والطبري (٦/ ٢٩٢)، وروح المعاني (٦/ ١٧٣، ١٠/ ١٣٩).

﴿والله على كل شيء﴾ من إحراقهم المؤمنين وغيره ﴿شهيد﴾ لم يخفَ عليه ما صنعوا. وهذا وعيدٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ وهم أصحاب الأخدود.

ومعنى: "فتنوا": أحرقوا. وقد ذكرناه في قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [الذاريات:١٣].

﴿ثم لم يتوبوا﴾ من شركهم ومعاصيهم وما فعلوا بالمؤمنين ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جزاءً على كفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ وهو عذابٌ زائد على عذاب جهنم، كأنها نار أخرى تُضرم لهم، فَيَصْلَوْنَها زيادة على ما يستحقه أمثالهم في الكفر.

وقيل: لهم عذاب الحريق في الدنيا.

قال الكلبي: ارتفعت النار من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم[1].

وقال الربيع بن أنس: قبض الله عز وجل أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار على من في شفير الأخدود من الكفار، فأحرقتهم[2].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦١).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٤). وذكره الثعلبي (١٠/ ١٧٤).

مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن بطش ربك﴾ أي: إن أخذه الجبابرة والظَّلَمَة بالعنف ﴿لشديد﴾.

﴿إنه هو يبدئ﴾ الخلق في الدنيا ﴿ويعيد﴾هم في الأخرى.

﴿وهو الغفور﴾ لذنوب المؤمنين ﴿الودود﴾ المحبّ لهم أو المتحبّب إليهم.

وقد فسرنا الودود في هود(١).

﴿ذو العرش﴾ صاحبه.

قرأ حمزة والكسائي: "المجيدِ" بالجر، صفة العرش، يشير إلى علوّه وعِظَمِه.
وقرأ الباقون: "المجيدُ" بالرفع، صفة لذو العرش(٢). وهو أشبه؛ لأن المجيد لم يُسمع في غير صفة الله تعالى.

﴿فعَّال لما يريد﴾ فلا يُسأل عما يَفعل من تسليط الكافرين على المؤمنين وغيره.

وقال عطاء: لا يَعْجِزُ عن شيء يريدُه(٣).

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ وهم الذين تجنّدوا وتحزّبوا على أولياء الله.

﴿فرعونَ وثمود﴾ بدلٌ من "الجنود"(٤).

---

(١) عند الآية رقم: ٩٠.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٧)، والكشف (٢/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٢).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٥٠٤).

والمعنى: قد عرفت تكذيبهم للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم.

﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك ﴿في تكذيب﴾ يريد: في أيِّ تكذيب.

وفي ضمن ذلك تسليةٌ للنبي ﷺ، وتخويفٌ لكفار[1] قريش، ألا تراه يقول: ﴿والله من ورائهم﴾ يريد: لا يفوتونه إذا طلبهم، أو لا يَخْفَوْن عليه.

﴿بل هو﴾ إشارة إلى الذين كَذَّبُوا به ﴿قرآن مجيد﴾ كريم عظيم عال على سائر الكتب؛ بما اشتمل عليه من البلاغة والحِكم والأحكام والإخبار بما كان ويكون، لا كما قالوا: سحر، وكهانة، وأساطير الأولين.

وقرأ جماعة، منهم: أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميفع: "قرآنُ" بغير تنوين، "مجيدٍ" بالجر على الإضافة[2].

﴿في لوح محفوظ﴾ عند الله، محروسٍ من الشياطين.

وقرأ نافع: "محفوظٌ" بالرفع، صفة لـ"قرآن"[3]، كما قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

وقرأ [يحيى][4] بن يعمر: "في لُوحٍ" بضم اللام[5]. واللُّوح: الهواء. يريد [والله][6] أعلم: ما فوق السماء السابعة.

---

(١) في ب: كفار.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٧٩)، والدر المصون (٦/ ٥٠٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٨)، والكشف (٢/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٨).

(٤) في الأصل: الجني. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٤٦)، والدر المصون (٦/ ٥٠٥).

(٦) في الأصل: الله. والتصويب من ب.

وقال الثعلبي -في هذه القراءة-[1]: المعنى: أنه يلـوح، وهـو ذو نـور وعلـو وشرف. والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٥).

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي سبعة عشر آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ
﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوۡمَ
تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

قال الله تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾ يريد: النجم؛ [لأنه][2] يَطْرُقُ ليلاً.

قال الفراء والزجاج وابن قتيبة[3]: كل من أتاك ليلاً [فقد][4] طَرَقك.

قال المفسرون: يريد: جنس النجوم. ومنه قول هند بنت عتبة:

نحن بنات طارق .... [5]

تريد: أن أبانا نجمٌ في ارتفاع شرفه وعلوّه.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٠).

(٢) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٥٤)، والزجاج (٥/ ٣١١)، وتفسير غريب القرآن (ص:٥٢٣).

(٤) زيادة من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٥) تقدم.

ويروى [عن][1] علي عليه السلام: أنه زحل[2].

قال ابن عباس: هو نجم مسكنه في السماء السابعة، لا يسكنها غيره من النجوم[3].

وقال ابن زيد: يريد: الثريا[4].

وقد ذكرنا أنه عَلَمٌ له فيما مضى.

﴿وما أدراك ما الطارق﴾ على معنى التعظيم له، والتفخيم لشأنه.

قال المفسرون: لم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به لو لم يُنبِّه بقوله: ﴿النجم الثاقب﴾ أي: المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه.

وجواب القسم: ﴿إن كلُّ نفس لما عليها حافظ﴾، وقد ذكرنا اختلاف القراء السبعة في "لما" في يس عند قوله: ﴿وإن كل لما﴾[5]، وأشرنا إلى تعليل القراءتين، وأوضحنا القول في ذلك إيضاحاً شافياً، فاطلبه هناك.

وقرأ أبيّ بن كعب وأبو المتوكل: "إنَّ كلَّ نفس" بتشديد النون ونصب "كُلّ"[6].

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة[7].

---

(١) في الأصل: على. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ١٤٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨١).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٧٤) وعزاه لابن جرير.

(٥) عند الآية رقم: ٣٢.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٨١)، والدر المصون (٦/ ٥٠٦).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٣). وذكره السيبوطي في الدر (٨/ ٤٧٤) وعزاه لابن جرير.

قال قتادة: يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفّيته يا ابن آدم قبضت إلى ربك[١].

ثم نَبَّهَ على البعث بقوله: ﴿فلينظر الإنسان مم خُلق﴾ أي: فلينظر منكر البعث ببصيرته نظر تفكر واستدلال، من أيّ شيء خلقه الله؟!.

وجواب هذا الاستفهام قوله: ﴿خُلِقَ من ماء دافق﴾ وهو المني. والدَّفْق: صَبٌّ فيه دفع. والمعنى: مدفوق.

قال الفراء[٢]: هو كقول العرب: سِرٌّ كاتم، وَهَمٌّ ناصب، وليلٌ نائم، وعِيشةٌ راضية، وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً.

وقال الزجاج[٣]: مذهب سيبويه وأصحابه أن معناه: النسب إلى الاندفاق. المعنى: من ماء ذي اندفاق.

قال الزمخشري[٤]: ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو [مصدر][٥] دفق، كاللاَّبن والتَّامر، أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، قال: ولم يقل ماءين؛ لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه.

قوله: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ قال الفراء[٦]: يخرج من الصلب

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٧٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١١).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٣٦).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٥٥).

والترائب، تقول للشيئين: ليخرجن من بين هذين خير كثير، ومن هذين خير كثير.

وفي الصلب أيضاً لغات؛ ضم الصاد واللام[1]. -وبها قرأ ابن مسعود، وابن سيرين، وابن السميفع، وابن أبي عبلة-. وفتحهما[2]، وقد قُرئ [بهـا][3] أيضاً، وصالب، بزيادة ألف.

والمعنى: يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

ويروى عن الحسن وقتادة: من بين صلب الرجل وترائبه[4].

والترائب: عظام الصدر.

قال الزجاج[5]: أهل اللغة مجمعون على أن الترائب: موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[6]

قوله تعالى: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ قد حصر الإمام أبو الفرج ابـن الجـوزي

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٨٢)، والدر المصون (٦/ ٥٠٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٤٩)، والدر المصون (٦/ ٥٠٧).

(٣) في الأصل: بهما. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٤) عن قتادة. وذكره الماوردي (٦/ ٢٤٦) عن الحسن وقتادة، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣١٢).

(٦) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥)، واللسان (مادة: ترب، سجل)، والقرطبي (٢٠/ ٥)، وزاد المسير (٩/ ٨٣)، وروح المعاني (٣٠/ ٩٧)، والدر المصون (٦/ ٥٠٧)، والبحر (٨/ ٤٤٧)، وتاج العروس (مادة: ترب، فيض، هفف، سجل).
والسجنجل: المرآة.

رضي الله عنه أقوال المفسرين، ورتبها ترتيباً حسناً في هذه الآية فقال[١]: الهاء في "إنه" كناية عن الله عز وجل، "على رجعه" الرجع: رد الشيء إلى أول حاله. وفي هذه الهاء -يعني في قوله: "رجعه"- قولان:

أحدهما: أنها تعود على الإنسان، ثم في المعنى قولان:

أحدهما: أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر. قاله الحسن وقتادة[٢].

قال الزجاج[٣]: ويدل على هذا القول قوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾.

الثاني: أنه على رجعه من حال الكبر إلى الشباب، ومن حال الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة قادر. قاله الضحاك والفراء[٤].

والقول الثاني: أنها تعود إلى الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: على رد الماء في الإحليل. قاله مجاهد[٥].

الثاني: على رده في الصلب. قاله عكرمة والضحاك[٦].

الثالث: على حبس الماء فلا يخرج. قاله ابن زيد[٧]. انتهى كلام أبي الفرج رحمه الله.

---

(١) زاد المسير (٩/ ٨٣-٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦) عن قتادة.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦). وانظر: معاني الفراء (٣/ ٢٥٥).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٧٤٩)، والطبري (٣٠/ ١٤٥).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٥).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦).

فإن قيل: ما العامل في قوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾؟

قلتُ: المصدر الذي هو "رجع"، على معنى: إنه على رجع الإنسان لقادر في ذلك اليوم(١). وهذا قول الحسن وقتادة.

قال(٢): وهو الصحيح.

وعلى باقي الأقوال: العامل فيه مضمر، تقديره: اذكر يوم تبلى السرائر، أي: تُختبر الضمائر، وهي كل ما استسرَّ الإنسان به من خير أو شر، وأنشدوا قول الأحوص:

سَتَبْقَى لها في مُضْمَر القلبِ والحَشَا سريرةُ وُدٍّ يومَ تُبلى السرائرُ(٣)

ويروى: أن الحسن سمع رجلاً ينشد هذا البيت فقال: ما أغفله عما في السماء والطارق.

وهذا الأحوص أحد الشعراء الذين تجمّعوا بباب عمر بن عبدالعزيز حين وُلِّيَ، ومنعهم الدخول عليه، وأنشد لكل [شاعر](٤) منهم شعراً جعله [سبب](٥) رده، فكان هذا البيت سبب رد الأحوص وصدّه [من](٦) الإذن له.

قال ابن عمر: يُبدي الله يوم القيامة كل شيء، فيكون زَيْناً في الوجوه وشَيْناً في

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦) من قول قتادة.

(٢) أي: الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٤٦)، ولم يتقدم له ذكر في هذه المسألة.

(٣) البيت للأحوص، وهو في: اللسان (مادة: ضمر)، وتاج العروس (مادة: ضمر)، والقرطبي (٢٠/ ٨)، والماوردي (٦/ ٢٤٨)، والبحر (٨/ ٤٥٠).

(٤) في الأصل: واحد. والمثبت من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

الوجوه[١].

قوله تعالى: ﴿فما له﴾ يعني: فما للإنسان[٢] ﴿من قوة﴾ يمتنع بها من عذاب الله ﴿ولا ناصر﴾ يدفع عنه ذلك.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ يريد: المطر.

قال الزجاج[٣]: سمي بذلك؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر.

وقال الزمخشري[٤]: العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يُرجعه إلى الأرض، أو أرادوا التفاؤل فسموه رَجْعاً ليرجع.

﴿والأرضِ ذات الصَّدْع﴾ قال المفسرون واللغويون: تتصدَّع عن النبات والأشجار.

وجواب القسم: ﴿إنه لقول فَصْل﴾ يريد: القرآنُ يَفصل بين الحق والباطل.

﴿وما هو بالهزل﴾ أي: هو جِدٌّ محضٌ، لا هوادة فيه.

وقيل: الضمير في قوله: "إنه لقول" كناية عن الوعيد المتقدم ذكره.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٦).

(٢) في ب: يعني: للإنسان.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٢).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٣٧).

قوله تعالى: ﴿إنهم﴾ يعني: كفار قريش ﴿يكيدون كيداً﴾ يعملون المكايد في إبطال أمري، وإطفاء النور الذي بَعثتُ به رسولي.

﴿وأكيد كيداً﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون.

﴿فمهِّل الكافرين﴾ ارتقبهم منتظراً ما أُحِلَّ بهم في الدنيا من العذاب والصَّغار، فظهر ذلك في يوم بدر وغيره، حتى استأصل الله تعالى شأفتهم، وأسكت نامتهم.

﴿أمهلهم رويداً﴾ أي: إمهالاً يسيراً. و"رويداً" نصبٌ على المصدر(١).

قال ابن قتيبة(٢): لا يُتكلم برويداً إلا مُصغّرة مأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير [معنى](٣) الأمر.

وأنشد الكسائي:

تكادُ لا تَكْلِمُ البطحاءَ خُطْوَتُهُ كأنه ثَمِلٌ يمشي على رُود(٤)

وبعض المفسرين يقول: الإمهال منسوخ بآية السيف(٥). ولا مدخل للنسخ هاهنا، على ما قررنا في غير موضع. [والله أعلم](٦).

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ٥٠٨).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٥٥٩).

(٣) زيادة من تأويل مشكل القرآن (ص:٥٥٩).

(٤) البيت للجموح الظفري، وهو في: اللسان (مادة: رود)، وابن يعيش (٤/ ٢٩)، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري (ص:٤٠٣)، والدر المصون (٦/ ٥٠٨)، وتاج العروس (مادة: رود).

(٥) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٦).

(٦) بياض في الأصل قدر كلمتين. والزيادة من ب.

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسعُ عشرة آية[1]، [وهي مكية][2] بإجماعهم[3].

أخرج الإمام أحمد[4] من حديث علي عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يُحبُّ هذه السورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾»[5].

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ
﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٧١).

(٢) في الأصل: ومكية. والمثبت من ب.

(٣) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٥): الجمهور على أنها مكية. وقال ابن الغرس: وقيل: إنها مدنية؛ لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها.

(٤) في هامش ب: وأخرج من حديث ابن عباس: "أن النبي ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى" (مسند أحمد ١/ ٢٣٢ ح٢٠٦٦). وأخرجه أبو داود (١/ ٢٣٣ ح٨٨٣) وقال: وروي موقوفاً على ابن عباس، فالله أعلم.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٩٦ ح٧٤٢).

﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾

قال الله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال الفراء[1]: سبح اسم ربك، وسبح باسم ربك: سواء في كلام العرب.

وغيره يقول: الاسم صلة، كقول لبيد:

.... ثم اسم السلام ....[2]

وقد سبق ذلك.

قال الزجاج[3] وجمهورُ المفسرين واللغويين: نَزِّه ربك عن السوء، وقل: سبحان ربي الأعلى.

وروي عن ابن عباس: أن المعنى: صَلِّ بأمر ربك[4].

وقال ابن جرير الطبري[5]: نَزِّهْ اسم ربك الأعلى أن يسمى باسمه أحد سواه.

﴿الذي خلق فسوّى﴾ أي: خلق كل شيء فسوّى خلقه تسوية تؤذن بحكمة بالغة.

﴿والذي قَدَّرَ فهدى﴾ قال عطاء: قَدَّرَ لكل دابة ما يُصلحها، ثم هداها إليه[6].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٥٦).

(٢) جزء من بيت للبيد بن ربيعة، وهو:

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَد اعْتَذَرْ

وقد تقدم تخريجه.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨٧).

(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ١٥١).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨٨).

ومن تَلَمَّحَ شأنَ الإنسان، وتَصَفَّحَ أحوالَ سائر الحيوان، وتطلّب ما استودع من الحِكم البديعة وأُلهم من الطرق التي يهتدي بها إلى مصالحه رأى عجائب.

ويحكى: أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله تعالى أن سبب شفائها حكُّ عينيها بورق الرَّازْيَانج الغضّ، وربما كانت في فلاة نائية عن الريف، فتطوي تلك المسافة عمياء، حتى تهجم على بعض البساتين فتحك عينيها بورق الرَّازْيَانج الغضّ، فترجع بصيرة بإذن الله تعالى[١].

وقال مجاهد وغيره: قدَّر الشقاوة والسعادة[٢]، فهدى من [شاء][٣] إلى ما شاء منهما.

وقال السدي: قَدَّرَ مدة الجنين في رحم أمه، ثم هداه للخروج[٤].

وقال مقاتل[٥]: قدَّرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذَّكر لإتيان الأنثى.

قال صاحب النظم: إتيان ذكران الحيوان يختلف؛ لاختلاف الصور والخلق والهيئات، فلولا أنه عز وجل جبل كل ذكر على معرفة كيف يأتي أنثاه لما اهتدى لذلك[٦].

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣٩).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٧٥١)، والطبري (٣٠/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٨٢) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: يشاء. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨٨).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٠).

وقرأ الكسائي وحده: "قَدَرَ" بتخفيف الدال[1]، من القُدرة على الأشياء والملك لها.

والمعنى: قَدَرَ فهدى وأضلّ، فحذف الضلال؛ لدلالة الهدى عليه.

وقيل: هو من التقدير، كالقراءة المشددة، كما قال: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ [الشورى:١٢].

قوله تعالى: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي: أنبت العُشب، ﴿فجعله﴾ بعد الخضرة ﴿غثاءً﴾ هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق السيل، ﴿أحوى﴾ أسود بعد أن كان أخضر، وذلك أن الكلأ [إذا][2] تناهى جفافه اسودّ.

ويجوز أن يكون "أحوى" حالاً من "المرعى"[3].

قال الفراء[4]: أخرج المرعى أحوى، أسود من الخضرة والرِّيِّ فجعله غثاء، كما قال: ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن:٦٤].

قوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ قال مقاتل[5]: سنعلمك القرآن ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً.

قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء الله﴾ قال الحسن وقتادة: إلا ما شاء الله أن ينسخه،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٨)، والكشف (٢/ ٣٧٠)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٦٨٠).

(٢) في الأصل: إذ. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ٥٠٩).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٥٦).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٦).

فتنساه[١].

ويروى عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يُبادره بالقراءة خوف النسيان، فنزلت هذه الآية[٢]. وقد ذكرنا مثل ذلك عند قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة:١٦]، فيكون ذلك خارجاً مخرج البشارة له بأنه لا ينسى ما جاءه [به جبريل][٣] من القرآن، استنزالاً له ﷺ عن ذلك الحرص المفرط، وتثبيتاً لقلبه الكريم.

وقيل: إلا ما شاء الله مما عساه أن تنساه، ثم [تتذكّره][٤] بعد ذلك على ما عليه عادة المَهَرَة من القرّاء.

وقيل: هو استثناء لما لا يقع.

قال الفراء[٥]: لم يشأ أن ينسى شيئاً، وإنما هو كقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ [هود:١٠٧] ولا يشاء.

وقيل: إن قوله: ﴿فلا تنسى﴾ نهي للنبي ﷺ عن النسيان، والألف مزيدة للفاصلة، كقوله: "السبيلا"، و"الرسولا"، و"الظنونا". فيكون المعنى: فلا تُغفل قراءته ودراسته فتنساه إلا ما شاء الله أن يُنسيكه برفع تلاوته.

﴿إنه يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾ منهما.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٠ ح١٢٦٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٣) وعزاه للطبراني وابن مردويه.

(٣) في الأصل: جبريل به. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: تذكره. والتصويب من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢٥٦).

قوله تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ معطوف على "سنقرئك". والمعنى: سنوفقك[1] للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني: حفظ الوحي.

وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع.

وقيل: نيسرك لعمل الخير.

﴿فذكر﴾ أي: فَعِظْ أهل مكة.

قال صاحب الكشاف[2]: إن قلت: كان الرسولُ ﷺ مأموراً بالذكرى، نفعت أو لم تنفع، فما معنى اشتراط النفع؟

قلتُ: هو على وجهين:

أحدهما: أن رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتواً وطغياناً، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرةً وتلهّفاً، ويزداد جِدّاً في تذكيرهم وحرصاً عليه، فقيل له: ﴿وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرءان من يخاف وعيد﴾ [ق:٤٥]، و﴿أعرض عنهم وقل سلام﴾ [الزخرف:٨٩]، ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾، وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير.

الثاني: أن يكون ظاهره شرطاً، ومعناه ذماً للمذكّرين، وإخباراً عن حالهم، واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عِظ المكّاسين إن قبلوا منك. قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون.

قوله تعالى: ﴿سيذكر﴾ أي: سيَقْبَلُ التذكرة وينتفع بها ﴿من يخشى﴾ الله وسوء

---

(١) في ب: ونوفقك.

(٢) الكشاف (٤/ ٧٤١).

العاقبة.

﴿ويتجنبها﴾ أي: ويترك الذكرى جانباً ﴿الأشقى﴾ الكافر.

﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ وهي نار جهنم، فإنها أكبر وأشد حراً من نار الدنيا.

وقيل: هي السفلى من أطباق النيران.

﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح بانقطاع العذاب عنه ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه، كما قيل:

ألا مَا لِنَفْسِي لا تموتُ فينقضِي عَنَاهَا ولا تحيا حَيَاةً لها طَعْمُ[١]

وقد سبق هذا في غير هذا الموضع.

وقال ابن جرير[٢]: تصيرُ نفس أحدهم في حلقه فلا تفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال الزجاج[٣]: أي: قد صادف البقاء الدائم والفوز من تكثّر بتقوى الله. والشيء الزاكي: النامي الكثير.

---

(١) تقدم.

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ١٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٦).

وهذا يجمع قول ابن عباس: تطهّر من الشرك بالإيمان[(١)].

وقول الحسن: من كان عمله زاكياً[(٢)].

وقيل: هو تفعُّل من الزكاة، كتصدّق من الصدقة.

قال أبو سعيد الخدري وعطاء وقتادة: أعطى صدقة الفطر[(٣)].

وقال غيرهم: أخرج زكاة ماله.

﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال ابن عباس: ذكر معادَه وموقفه بين يدي الله[(٤)]، فصلى الصلوات الخمس[(٥)].

وقال الضحاك: ذكر اسم ربه في طريق المصلَّى، فصلَّى صلاة العيد[(٦)].

وقال أبو سعيد الخدري: صلَّى العيدين[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٦). وذكره الماوردي (٦/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي سعيد الخدري.

(٤) في ب: ربه.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وفي هامش ب: وأخرج البزار من حديث جابر رفعه: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله. ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال: هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها.

(٦) ذكره القرطبي (٢٠/ ٢٣).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٢٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٨٥).

واعلم أن هذه السورة مكية بالإجماع، وزكاة المال وصدقة الفطر وصلاة العيدين شُرعت بالمدينة، فلا وجه لتفسير الآيتين بهذه الأحكام(١).

قوله تعالى: ﴿بل تؤثرون﴾ قرأ أبو عمرو وحده: "بل يؤثرون" بالياء، على الغيبة، حملاً على قوله: ﴿الأشقى﴾، فإنه اسم جنس. وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب(٢).

واختلفوا هل ذلك خطاب للكفار أو هو على عمومه في الجميع، فإنهم طُبعوا على إيثار الدنيا والميل إليها، إلا من عصم الله تعالى.

قال ابن مسعود: إن الدنيا أُحضرت وعُجّلت لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذّتها وبهجتُها، وإن الآخرة نُعتت لنا وزُويت عنّا، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل(٣).

والمعنى: يؤثرونها فلا يفعلون ما يُفلحون به.

﴿والآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿خير﴾ من زهرة الحياة الدنيا، ﴿وأبقى﴾ أدوم من

---

(١) في هامش ب: أخرج البزار في مسنده (٨/ ٣١٣ ح٣٣٨٣) من حديث كثير بن عبدالله بن عوف عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلي العيد، ويتلو هذه الآية: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى...﴾.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٩)، والكشف (٢/ ٣٧٠)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٦٨٠).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٤ ح٩١٤٧)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٦ ح١٠٦٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

وفي هامش ب: هذا منه على وجه هضم نفسه وعدم تزكيتها، أو أخبر به عن الجنس من حيث هو.

الدنيا الفانية.

قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى قوله: ﴿خير وأبقى﴾. يريد: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف.

وقيل: إنه إشارة إلى ما في السورة كلها، وهو قول جماعة، منهم: أبو العالية[١].

وقال الحسن: الإشارة إلى القرآن[٢]، فيكون مثل قوله: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ [الشعراء:١٩٦].

وقوله: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ مُفسّر في النجم[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤١٩) عن الحسن رضي الله عنه ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ قال: في كتب الله كلها. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) عند الآية رقم: ٣٦.

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست وعشرون آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣
تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن
ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾

قال الله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قال ابن عباس: هي القيامة تغشى الناس بالأهوال[2].

وقال سعيد بن جبير ومقاتل[3]: هي النار تغشى وجوه الكفار.

﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ ذليلة، وهي وجوه الكفار.

وقال ابن عباس: هي وجوه اليهود والنصارى[4].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٩). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٧٨)، والماوردي (٦/ ٢٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿عاملة ناصبة﴾ الوصف للوجوه، والمراد: أصحابها.

واختلفوا في موضع العمل؛ فقال قوم: عاملة في الدنيا.

قال ابن عباس في رواية أبي الضحى: هم الرهبان وأصحاب الصوامع[(١)].

وقال في رواية عطاء: هم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان والرهبان وغيرهم[(٢)].

وقال عكرمة والسدي: عاملةٌ في الدنيا بالمعاصي، ناصبةٌ في النار يوم القيامة[(٣)].

وقال قوم: عاملة في النار.

قال ابن عباس -في رواية عنه- والحسن: عاملة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال؛ لأنها لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها ناصبة في النار[(٤)].

قال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل في النار من حديد[(٥)].

قوله تعالى: ﴿تصلى ناراً حامية﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: "تُصلى" بضم التاء، جعلاه فعلاً رباعياً لم يُسمّ فاعله، متعدياً إلى مفعولين، أحدهما مضمر في الفعل يعود على أصحاب الوجوه المذكورة. والثاني: "ناراً". وقرأ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٥) عن عكرمة والسدي، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٩١) وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٥).

(٥) مثل السابق.

الباقون: بفتح التاء[١]، وهو في معنى قوله: ﴿وسيصلون سعيراً﴾ [النساء:١٠]. وقد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي: متناهية في الحر؛ كقوله: ﴿وبين حميم آن﴾ [الرحمن:٤٤].

قال الحسن رحمه الله: قد أُوقدت عليها جهنم مذ خُلقت فدُفِعُوا إليها عِطاشاً[٢].

قوله تعالى: ﴿إلا من ضريع﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي: هو نبتٌ ذو شوك لاطئٌ بالأرض، تسميه قريش: الشِّبْرِق[٣]، فإذا هاج سموه ضريعاً[٤]. وأنشدوا قول أبي ذؤيب:

رَعَى الشَّبْرِقَ [الرَّيَّان][٥] حتى إذا ذوَى ... وعَادَ ضَريعاً بَانَ عنه النَّحَائِصُ[٦]

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٩)، والكشف (٢/ ٣٧٠-٣٧١)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٧٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٦).

(٣) الشبرق: نبات غضٌّ، وقيل: شجرمَنْبِته نجد وتهامة وثمرتُه شاكة صغيرة الجرم حرام مثل الدم، منبتها السِّباخ والقِيعان، واحدته شِبْرِقة وقالوا إذا يَبِس الضَّرِيع (اللسان، مادة: شبرق).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢١) كلاهما عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٦).

(٥) في الأصل: الريحان. والمثبت من ب.

(٦) البيت لأبي ذؤيب. وهو في: البحر (٨/ ٤٥٦)، والدر المصون (٦/ ٥١٣)، والقرطبي (٢٠/ ٣٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١١٣)، والماوردي (٦/ ٢٥٩).

وقال في رواية الوالبي: هو شجرٌ من نار[(١)].

ولا تنافي بين القولين.

قال ابن زيد: الضريع في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة: شوك من نار[(٢)].

واعلم أن أهل النار متفاوتون في العذاب، كما قال تعالى: ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر:٤٤]، فمنهم من ليس له طعام إلا من ضريع، ومنهم من ليس له طعام إلا من غسلين، ومنهم من طعامه الزقوم[(٣)].

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية، قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، فأنزل الله: ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾[(٤)].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٩١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٦).

(٣) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٧): فإن قيل: إنه قد أخبر في هذه الآية: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ وفي مكان آخر: ﴿ولا طعامٌ إلا من غسلين﴾ [الحاقة:٣٦] فكيف الجمع بينهما؟

فالجواب: أن النار دركات، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طَعامُهُ الزَّقُّوم، ومنهم مَنْ طعامه غِسْلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم مَنْ شَرَابُهُ الصَّديد.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٧).

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ أي: ذات بهجة وحُسن.

﴿لسعيها راضية﴾[(١)] أي: راضية [بعملها][(٢)] حين شاهدت ما أفضى بهم إليه من الكرامة.

﴿في جنة عالية﴾ في المكان والمقدار.

﴿لا تَسْمَعُ فيها لاغية﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يُسْمَعُ" بياء مضمومة، "لاغيةٌ" بالرفع. ومثلهما قرأ نافع، غير أنه قرأ: "تُسْمَعُ" بالتاء؛ لتأنيث "لاغية". وقرأ الباقون: بتاء مفتوحة، "لاغيةً" بالنصب[(٣)].

والمعنى: لا تسمع فيها كلمة ذات لغو، أو نفساً لاغية، فإن أهل الجنة مُنَزَّهون عن العبث.

قوله تعالى: ﴿فيها عين جارية﴾ أي: عيون كثيرة، فهو مثل قوله: ﴿علمت نفسٌ ما أحضرت﴾ [التكوير:١٤]، وقد سبق.

﴿فيها سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس: ألواحُها من ذهب، مكللةٌ بالزبرجد والدرّ والياقوت، مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى موضعها[(٤)].

﴿وأكواب موضوعة﴾[(٥)] كلما أرادوها وجدوها عتيدة حاضرة عندهم.

---

(١) في هامش ب: أي لجزاء أو لثواب سعيها راضية، حين تشاهده ترضى به.

(٢) في الأصل: لعملها. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٠)، والكشف (٢/ ٣٧١)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٦٨١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٨).

(٥) في هامش ب: مفرده: كوب، أواني لا آذان لها ولا خراطيم ليشرب من أي ناحية شاء.

وقيل: موضوعة على حافات العيون.

﴿ونمارق مصفوفة﴾ أي: وسائد ومساند قد صُفَّ بعضها إلى بعض، أينما أراد أن يجلس جلس على مِسْوَرَة، واستند إلى أخرى.

وواحدة النمارق: "نُمْرُقة" بضم النون والراء.

وسمع الفراء من بعض العرب: "نِمْرِقة" بكسرهما[1].

﴿وزرابيّ مبثوثة﴾ أي: مبسوطة ومفرَّقة في المجالس.

والزرابي: الطَّنَافس ذوات الخمل الرقيق، الواحدة: زَرْبِيَّة[2].

قال المفسرون: لما نعت الله ما في الجنة عَجِبَ كفار قريش من ذلك، فذكَّرهم من عجائب مخلوقاته مما يشاهدونه، أو هو حاضر عندهم، عتيد لديهم، ليعتبروا الغائب بالشاهد، فقال تعالى:

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ
﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن
تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ
إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ قال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنة

---

(١) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: اللسان (مادة: زرب).

فقالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[(١)].

قال سعيد بن جبير: لقيت شريحاً القاضي فقلت: أين تريد؟ فقال: أريد الكُنَاسَة، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت[(٢)].

والمعنى: كيف خلقت خلقاً عجيباً عظيماً.

قال أبو عمرو ابن العلاء: إنما خَصَّ الإبل؛ لأنها من ذوات الأربع، تبرك فتُحمل عليها الحمولة، وغيرها من ذوات الأربع لا يُحمل عليها إلا وهي قائمة[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: نبّههم على عظيمٍ من خَلْقِهِ قد ذلَّلَهُ [للصغير][(٥)] يقوده ويُنيخُه ويُنهضه، ويُحمَّل الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض به.

وقيل للحسن: الفيل أعظم في الأعجوبة، فقال: العرب بعيدة العهد بالفيل، ثم هو خنزير، لا يُركب ظهره، ولا يُؤكل لحمه، ولا يُحلب دَرُّه، والإبل من أعز مال العرب وأنفسه، تأكل النوى والقت، وتُخرج اللبن، ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها[(٦)].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٤٩٥) وعزاه لعبد بن حميد عن شريح.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣١٨).

(٥) في الأصل: لصغير. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦).

قال الثعلبي والواحدي[١]: ويحكى أن فأرة أخذت بزمام ناقة، فجعلت تجرُّها وهي تتبعُها، حتى دخلت في[٢] الجُحْر، فجرّت الزمام فبركت، فقرّبت فمها من جُحْر الفأرة. وقد قررنا هذا المعنى في آخر يس.

وقرأ ابن عباس، وأبو عمران، والأصمعي عن أبي عمرو: "الإبْل" بإسكان الباء[٣].

وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدري، وابن السميفع، وهارون عن أبي عمرو: بكسر الباء وتشديد اللام[٤].

قال أبو عمرو: الإبلّ -بتشديد اللام-: السحاب الذي يحمل الماء[٥].

قال الثعلبي[٦]: لم أجد لذلك أصلاً في كتب الأئمة.

قال الزمخشري[٧]: لم يَدَّعِ من زعم أن الإبلّ السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبلّ من أسماء السحاب، كالغمام والمزن، وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل [كثيراً في أشعارهم][٨]، فجوّز أن يُراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٩)، والوسيط للواحدي (٤/ ٤٧٦).
(٢) قوله: "في" سقط من ب.
(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٩٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٩).
(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق.
(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٩).
(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٠). وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٣٥).
(٧) الكشاف (٤/ ٧٤٧).
(٨) في الأصل: في أشعارهم كثيراً. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

وقرأ جماعة، منهم: أبو العالية، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: "خَلَقْتُ" بفتح الخاء واللام وسكون القاف وضم التاء[1]. وكذلك "رَفَعْتُ" و"نَصَبْتُ" و"سَطَحْتُ".

قال أنس بن مالك: صليت خلف علي بن أبي طالب عليه السلام فقرأ: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خَلَقْتُ"[2].

وكذلك: "رَفَعْتُ" و"نَصَبْتُ" و"سَطَحْتُ" يعني: على البناء للفاعل وتاء الضمير. والتقدير: خَلَقْتُها ورَفَعْتُها ونَصَبْتُها وسَطَحْتُها، فحذف المفعول.

قوله تعالى: ﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾ أي: رفعت[3] بغير علاقة ولا دعامة.

﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ نصباً رصيناً متيناً، فهي شامخة راسخة، لا تميد ولا تحيد.

﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ سطحاً وثيراً، تتأتّى معه إثارتها لاستثمار الزرع والأشجار، وعمارَتُها للسكن والقرار.

قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ أي: عِظْ إنما أنت واعظ، وهو كقوله: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [الشورى:٤٨].

والمفسرون يقولون: هي منسوخة بآية القتال[4].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٩٩)، والدر المصون (٦/ ٥١٤).

(٢) ذكره القرطبي (٢٠/ ٣٦).

(٣) قوله: أي رفعت. ساقط من ب.

(٤) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٧).

﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أي: بمسلّط. وقد سبق تفسيره في الطور عند قوله: ﴿أم هم المصيطرون﴾ [الطور:٣٧].

قوله تعالى: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر بعد التذكرة[١] ﴿فيعذبه الله﴾.

وقرأ ابن عباس، وعمرو بن العاص، وأنس، وقتادة، وسعيد بن جبير: "ألا" بفتح الهمزة وتخفيف اللام، على التنبيه[٢].

والمعنى: فيعذبه الله في الآخرة ﴿العذاب الأكبر﴾، وهو عذاب جهنم، بعد العذاب الأصغر، وهو ما ابتلاهم به من الجوع والقتل والذل.

﴿إن إلينا إيابهم﴾ رجوعهم ومصيرهم بعد الموت.

﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ يعني: جزاءهم.

وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وأبو جعفر المدني: "إيّابهم" بتشديد الياء[٣].

قال الزمخشري[٤]: وجهُهُ أن يكون "فِيعَالاً" مصدر "أَيَّب" فَيْعَلَ من الإياب، أو يكون أصله: "إِوَّاباً" فِعَّالاً من "أَوَّبَ".

ثم قيل: إيواباً؛ كديوانٍ في دوّان[٥]، ثم فُعل به ما فُعل بأصل: سيّد.

(١) في ب: التذكير.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٠١)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٨).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٤٧-٧٤٨).

(٥) قوله: "في دوان" ساقط من ب.

فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟

قلتُ: معناه التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم [ليس][١] إلا على الذي يُحاسب على النقير والقطمير. والله أعلم.

(١) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٧٤٨).

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاثون آية في العدد الكوفي، واثنتان وثلاثون في المدني[1]. وهي مكية بإجماعهم.

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)

قال الله تعالى: ﴿والفجر﴾ قال ابن فارس[2]: الفَجْر: انفِجارُ الظُّلمة عن الصُّبح، وانفجَرَ الماء: [تَفتَّحَ][3].

والظاهر أن القَسَم به، كما أقسَم بالصبح في قوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾[4] [المدثر:٣٤].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٥).

(٣) في الأصل و ب: انفتح. والتصويب من معجم مقاييس اللغة، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ﴿والصبح إذا تنفس﴾، والمثبت من ب.

وقال عطية: فيه إضمار، تقديره: وصلاة الفجر[(١)].

والأول أصح.

قال ابن عباس: هو انفجار الصبح كل يوم[(٢)].

وقال مجاهد: يوم النحر[(٣)].

وقال قتادة: هو أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة[(٤)].

وقال الضحاك: فجر ذي الحجة[(٥)]، لقوله: ﴿وليال عشر﴾ يريد: عشر ذي الحجة، في قول جمهور المفسرين.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس: أنه العشر الآخر من رمضان[(٦)].

وقال يمان: عشر المحرم[(٧)].

فإن قيل: لم نكّر الليالي العشر؟

قلتُ: لموضع اختصاصها بزيادة الفضيلة.

قوله تعالى: ﴿والشفع والوَتْر﴾ قرأ حمزة والكسائي: "والوِتْر" بكسر الواو،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٣). وذكره الماوردي (٦/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣).

(٥) مثل السابق.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤).

وفتحها الباقون[١]. وهما لغتان.

وللمفسرين في الشفع والوتر عشرون قولاً، وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك أيضاً روايات: منها: ما أخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين: «أن رسول الله ﷺ سُئل عن الشفع والوتر فقال: هي الصلاة، بعضُها شفع وبعضها وتر»[٢]، وهو اختيار قتادة[٣].

وروى أبو أيوب الأنصاري: «أن رسول الله ﷺ سُئل عن قوله: ﴿والشفع والوتر﴾ فقال: الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر»[٤].

وروى جابر بن عبدالله: أن رسول الله ﷺ قال: «الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة»[٥].

ويقع لي والله أعلم في هذا الحديث: أن يوم النحر سمي شفعاً؛ لأنه يُشفع بليلة النحر، فهي مماثلة له في الفضيلة. وهذا قول عكرمة والضحاك.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦١)، والكشف (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠ ح٣٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٩-٤٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٢) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٨٠ ح٤٠٧٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٣) وعزاه للطبراني وابن مردويه بسند ضعيف.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤).

وقال أبو صالح: الشفع: الخلق كله، والوتر: الله عز وجل[١].

وقيل: الوتر: آدم شُفِعَ بزوجته حواء[٢]. وهذه الأقوال [الثلاثة][٣] مروية عن ابن عباس.

وقال ابن زيد: الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفعٌ ومنه وتر[٤].

وقيل غير ذلك، مما لا طائل في حكايته.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يَسْرِ﴾ أثبت الياء في الحالين: ابن كثير، ووافقه في الوصل: نافع وأبو عمرو، وحذفها الباقون في الحالين اكتفاء بالكسرة[٥]. وهي اختيار الزجاج[٦]؛ لأنها فواصل، والفواصل تحذف منها الياءات، وتدل عليها الكسرات.

والمعنى: إذا يسري ذاهباً مدبراً، كقوله: ﴿والليل إذ أدبر﴾ [المدثر:٣٣]، وقوله: ﴿والليل إذا عسعس﴾ [التكوير:١٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧١). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٦).

(٣) في الأصل: اليلة. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧١) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٦) عن ابن زيد.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦١)، والكشف (٢/ ٣٧٤)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٣).

(٦) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٣٢١).

وقال قتادة: إذا يسري مقبلاً[١].

والأول أصح، وعليه جمهور المفسرين، وهو اختيار الزجاج[٢].

قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حِجْر﴾ أي: هل فيها أقسمت به قسم لذي عقل. وسمي العقل حِجْراً؛ لأنه يحجر صاحبه عن الوقوع في المهالك وفيما لا ينبغي.

والاستفهام بمعنى التقرير.

قال الزمخشري[٣]: والمقسم عليه محذوف، وهو "لتعذبن"، يدل عليه قوله: ﴿ألم تر﴾ [إلى قوله][٤]: ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾.

وقال غيره: جواب القسم: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾، وما بين القسم وجوابه اعتراض.

قال[٥]: وقيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد، كما قيل لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى وإرم؛ تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم: عاد الأخيرة. قال ابن الرقيات:

مَجْداً تَلِيداً بناهُ أَوَّلُهُ أَدْرَكَ عَاداً وقَبْلَهَا إِرَمَا[٦]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٨).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٣٢١).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٥٠).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٠).

(٦) البيت لابن قيس الرقيات. انظر: ديوانه (ص:١٥٥)، والدر المصون (٦/ ٥١٩)، والروض المعطار (١/ ٢٢).

فإرم في قوله: ﴿بعاد إرم﴾ عطف بيان لـ"عاد"، وإيذان بأنهم [عاد][1] الأولى القديمة.

وقيل: "إِرَمَ" بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها. ويدل عليه قراءة ابن الزبير: "بعادِ إرم" على الإضافة، وتقديره: بعادٍ أهل إرم، كما في قوله[2]: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف:٨٢]، ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث.

وقرأ الحسن: "بعادَ [إرَم"، مفتوحتين][3].

وقرئ: "بعادٍ [إِرْمَ][4]" بسكون الراء على التخفيف، كما قرئ: "بورْقكم" [الكهف:١٩]. هذا آخر كلامه.

فإن قلنا: أن إرم تسمية لعاد باسم جدهم، على ما قاله ابن إسحاق وقتادة ومقاتل[5]، وأنه عطف بيان، كان قوله: ﴿ذات العماد﴾ وصفاً لهم بالطول المفرط، ومنه قولهم: رجل مُعَمَّد وعُمْدان؛ إذا كان طويلاً[6].

قال الكلبي: طولُ الرجل منهم أربعمائة ذراع[7].

---

(١) في الأصل: عاداً. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٥٠).

(٢) في ب: كقوله.

(٣) في الأصل: وأرم مفتوحين. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٧٥٠). وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٨).

(٤) في الأصل: وإرم. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٥-١٧٦). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٨١)، والماوردي (٦/ ٢٦٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١١).

(٦) انظر: اللسان (مادة: عمد).

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥١) بلا نسبة.

وقال ابن عباس: يعني: طولهم مثلُ العماد[1].

وقيل: كانوا أهل عَمَد. وكأن معنى قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها﴾ مثل تلك القبيلة في الطول والقوة ﴿في البلاد﴾، وهذا معنى قول الحسن، وهم الذين قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾[2] [فصلت:١٥].

وإن قلنا: إن إرم اسم بلدتهم -وهو قول كثير من المفسرين- كان قوله: ﴿ذات العماد﴾ صفة لبلدتهم، على معنى: ذات الأساطين، أو ذات البناء الرفيع.

وقد اختلفوا فيها؛ فقال سعيد بن المسيب وعكرمة وغيرهما: هي دمشق[3].

وقال محمد بن كعب: الإسكندرية[4].

وقيل: هي المدينة التي بناها شداد بن عاد[5].

وكان من حديثها: على ما أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد المقرئ في كتابه

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٠٥) وعزاه لابن جرير.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٦) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة. ومن طريق آخر عن سعيد بن المسيب، وعزاه لابن عساكر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٠٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٠).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٨، ٥٠٩): ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرَمَ ذات العماد﴾ مدينة، إما دمشق؛ كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة، أو اسكندرية؛ كما رُوي عن القُرَظي، أو غيرهما، ففيه نظر... إلى أن قال: وإنما نبّهت على ذلك لئلا يُغْتَرَّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها: ﴿إِرَمَ ذات العماد﴾ مبنية بلبن الذهب والفضة... إلخ.

قال: أخبرنا جدي لأمي أبو [محمد][1] العباس بن محمد بن العباس المعروف بعبّاسة، أخبرنا أبو سعيد محمد بن سعيد بن فرخزادا، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر، أخبرنا محمد بن عبدالله الصفار الهمذاني قال: أخبرنا [أحمد][2] بن مهدي الأصفهاني، حدثنا عبدالله بن صالح المصري، حدثنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبدالله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينا هو في صحاري عدن، إذ هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته وعقلها، وسلَّ سيفه ودخل باب الحصن، فلما خَلَّفَ الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم ير أعظم منهما، والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فلما رأى ذلك دهش وأعجبه، ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصورٌ كل قصرٍ منها معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت، ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع[3] المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من المسك والزعفران، فلما عاين الرجل ما عاين ولم ير فيها أحداً هَالَه ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: محمد. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٧)، وطبقات الحفاظ (ص:٢٧١).

(٣) في ب: مصراع.

بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار، وتحت الشجر أنهار مُطَّرِدَة يجري ماؤها من قنوات من فضة، كل قناةٍ أشدُّ بياضاً من الشمس. فقال الرجل: والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما خلق الله مثل هذا في الدنيا، وإن هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه، فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها شيئاً، فأخذ ما أراد وخرج، ورجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه، وأعلم الناس أمره، وباع بعض ما حمل، فلم يزل أمره ينمى حتى بلغ معاوية خبره، فأرسل في طلبه حتى قدم عليه، فخلا به وقصّ عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال: يا أبا إسحاق! هل في الدنيا من مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أُخبرك بها وبمن بناها، إنما بناها شداد بن عاد. فأما المدينة فإرم ذات العماد التي وصفها الله عز وجل في كتابه، وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد. قال معاوية: فحدثني حديثها فقال: إن عاداً الأولى ليس عاد قوم [هود](1)، وإنما هود وقوم هود وَلَدُ ذلك الرجل، وكان عاد له ابنان شدّاد وشديد، فهلك عاد، فبقيا ومَلَكا وقهَرَا البلاد، وأخذاها عنوة، ثم مات شديد، وبقي شداد فملك وحده، ودانت له ملوك الأرض، وكان مولعاً بقراءة الكتب، كلما مَرَّ فيها بذكر الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عُتُوّاً على الله عز وجل، فأمر بصنعة تلك المدينة إرم ذات العماد، وأمَّرَ على صنعتها مائة قهرمان، مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى كل ملك في الدنيا أن يجمع ما في بلاده من الجواهر، وكان تحت يده مائتان وستون ملكاً، فخرج القهارمة وتبدَّدُوا في الأرض ليجدوا ما

---

(١) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

يوافقوه، حتى وقعوا على صحراء عظيمة نقية من التلال، وإذا هم بعيون مطّردة، قالوا: هذه [صفة الأرض](١) التي أمر الملك [أن يبنى بها](٢)، فقدّروها العرض والطول ثم وضعوا أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة حتى فرغوا منها، وكان عُمْر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه فارغين منها [قال](٣): انطلقوا واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف علم، يكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، ويكون فوق كل علم ناطور، فرجعوا وعملوا ما أمرهم به، فأمر ألف وزير أن يتهيأوا إلى النقلة(٤) إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحةً من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يبق منهم أحد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك، أحمر أشقر قصير، على حاجبه خال وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبل له في تلك الصحاري، والرجل عند معاوية، فالتفت إليه كعب فقال: هذا والله ذلك الرجل(٥).

---

(١) زيادة من زاد المسير (٩/ ١١٤).

(٢) زيادة من زاد المسير (٩/ ١١٤).

(٣) في الأصل: فقال. والمثبت من ب.

(٤) في ب: للنقلة.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في: العظمة (٤/ ١٤٩٣-١٥٠٢ ح٩٨٣١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٢-١١٦).

وروى الشعبي عن دغفل الشيباني(١)، عن علماء حمير قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة، مَلَكَ من بعده ابنه مرثد بن شداد، وقد كان أبوه خلَّفه بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، فحُمل [مطلياً](٢) بالعنبر والكافور، وأمَرَ [بدفنه](٣) فحُفرت له حفيرة في مغارة، فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب فيه:

اعْتَبِرْ بي أيُّها الـ ... ـمغرورُ بالعمر المديد
أنا شدَّادُ بن عادٍ ... صاحبُ الحصن العميد
وأخُو القوةِ والبأ ... ساءِ والمُلْكِ الحشيد
دانَ أهلُ الأرضِ لي ... من خوفِ وعدي ووعيدي
وملكتُ الشرقَ والـ ... ـغربَ بسلطانٍ شديد
وبفضلِ الملك والـ ... ـعُدّة فيه والعَدِيد
فأتى هودٌ وكنا ... في ضلالٍ قبلَ هود
فدعانا لو قبلناهُ ... إلى الأمرِ الرشيد

---

(١) دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة السدوسي النسابة الشيباني الذهلي، مخضرم له صحبة، نزل البصرة وغرق بفارس في قتال الخوارج قبل سنة ستين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٢، والتقريب ص:٢٠١).

(٢) في الأصل: مطياً. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من زاد المسير (٩/ ١١٦).

فعـــصيناهُ وناديـــتُ: ألا هـــلْ مـــنْ مجِيـــد
فأتتنـــا صـــيحةٌ تهـــوي مـــن الأُفـــقِ البعيـــد
فتوافينـــــا كـــــزرعٍ وســـط بيـــداءَ حـــصيد[1]

قوله: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر﴾ أي: قطعوه ﴿بالواد﴾.

أثبت الياء في الحالين: ابن كثير، ووافقه[2] في الوصل: وَرْش، وحذفها الباقون في الحالين[3].

قال ابن إسحاق: هو وادي القرى[4].

قال ابن عباس: كانوا يجوبون الجبال فيجعلون منها بيوتاً، كما قال الله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾[5] [الشعراء:١٤٩].

ويقال: إن أول من نحت الجبال والصخور والرخام: ثمود.

قوله تعالى: ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ مُفسّر في صاد[6].

قوله تعالى: ﴿فصب عليهم ربك﴾ أي: على عاد وثمود وفرعون. يقال: صَبَّ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٦-١١٧).

(٢) في ب: وافقه.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٣)، والكشف (٢/ ٣٧٤)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٣).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٢).

(٦) عند الآية رقم: ١٢.

[عليه][(١)] السوط وغشَّاه وقنَّعه.

قال الزجاج[(٢)]: المعنى: ألم تر كيف أهلك ربك هذه الأمم التي كذبت رسلها، وكيف جعل عقوبتها أن جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب فقال: ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾.

وقال الحسن رضي الله عنه: إن عند الله أسْوَاطاً كثيرة، فأخذهم بسَوْطٍ منها[(٣)].

قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهو مفعالٌ من الرصد، وقد ذكرناه في سورة النبأ[(٤)].

قال الكلبي: يقول: عليه طريق العباد لا يفوته أحد[(٥)].

والمعنى: لا يفوت ربك منهم أحد.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾
وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا
تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

---

(١) في الأصل: عليهم. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٢).

(٣) ذكره القرطبي (٢٠/ ٥٠).

(٤) عند الآية رقم: ٢١.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٢).

قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان﴾ هو اسم جنس.

قال ابن عباس: يريد: عتبة بن ربيعة، وأبا حذيفة بن المغيرة[(١)].

وقال ابن السائب: يريد الكافر: أبي بن خلف[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: نزلت في أمية بن خلف.

﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾ أي: اختبره بالغنى واليُسْر ﴿فأكرمه﴾ بالمال ﴿ونعَّمه﴾ به ﴿فيقول ربي أكرمني﴾ أي: فضّلني بما أعطاني لكرامتي عليه.

﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ اختبره بالفقر ﴿فقدَّر عليه رزقه﴾ ضيَّقه عليه، ﴿فيقول ربي أهانني﴾ أذلَّني بالفقر.

قال الزجاج[(٤)]: يعني بهذا: الكافر الذي لا يُؤمن بالبعث، إنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الدنيا وقلَّتها. وصفة المؤمن: أن الإكرام عنده: توفيق الله إياه إلى ما يؤديه إلى حظِّ الآخرة.

قال صاحب الكشاف[(٥)]: إن قلت: بم اتصل قوله: ﴿فأما الإنسان﴾؟

قلتُ: بقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾، كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة، وهو مُرْصِدٌ بالعقوبة للعاصي؛ فأما الإنسان فلا [يريد][(٦)] ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يُلذّه ويُنعمّه فيها.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٣).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٣).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٥٢).

(٦) في الأصل: يرد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

واختلف القُرَّاء في إثبات الياء وحذفها في "أكرمني" و "أهانني"[(١)]، على نحو ما تقدم في الموضعين السابقين في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ للإنسان عن قوله. ثم قال: ﴿بل لا يكرمون اليتيم﴾ أي: بل [هناك][(٢)] شر من هذا القول، وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يجب عليهم من إكرام اليتيم والحضّ على طعام المسكين.

قرأ أبو عمرو: "يكرمون" و"يحضون" و"يأكلون" و"يحبون" بالياء فيهن، على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الإنسان الذي هو اسم للجنس. وقرأ الباقون: بالتاء فيهن[(٣)]، على الخطاب من النبي ﷺ لمن أرسل إليه. على معنى: قل لهم يا محمد كذا وكذا.

وقرأ الكوفيون: "تَحَاضُّونَ" بألف قبل الضاد[(٤)]، ويمدُّون الألف لسكونها وسكون أول المشدد، أصله: يتحاضضون، أي: يحضّ بعضكم بعضاً ويحرّضه على إطعام المسكين، فحذفوا إحدى التائين طلباً للخفة، وأدغموا الضاد في الضاد.

قوله تعالى: ﴿ويأكلون التراث﴾ أي: تراث اليتيم، وهو ميراثه.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٤)، والكشف (٢/ ٣٧٤)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٤).

(٢) في الأصل: هذاك. والتصويب من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٢)، والكشف (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٥).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٣)، والكشف (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٥).

قال ابن قتيبة(١): التراث: الميراث، والتاء فيه منقلبة عن واو، كما قالوا: تُجاه، والأصل: وُجَاه.

﴿أكلاً لَمّاً﴾ شديداً.

قال الزمخشري(٢): أكْلاً ذا لَمّ، وهو الجمع من الحلال والحرام. يعني: أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم.

وقيل: كانوا لا يورِّثون النساء والصبيان، ويأكلون تُراثَهم مع تُراثِهم.

﴿ويحبون المال حباً جماً﴾ أي: يحبون جمعه حباً كثيراً مع الشَّرَه والحرص ومنع الحقوق.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا
يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن ذلك.

ثم توعدهم وأخبرهم بما تؤول إليه حالهم من الحسرة، وتمني ما لا سبيل لهم إلى تداركه، من تقديم الإنفاق في سُبُل الخير والعمل الصالح فقال: ﴿إذا دكت

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٥٤).

الأرض دكاً دكاً﴾ أي: مرّة بعد أخرى[١] بالزلازل، حتى يتحطَّم ما عليها من شيء.

وقال ابن قتيبة[٢]: دُقَّت جبالها وأنشازُها حتى استوَت.

﴿وجاء ربك﴾[٣] مذكور في البقرة عند قوله: ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة:٢١٠].

﴿والملك﴾ يريد: الملائكة ﴿صفاً صفاً﴾ أي: يأتي [أهل كل][٤] سماء صَفّاً على حِدَة.

[قال][٥] الضحاك: [يكونون][٦] سبعة صفوف[٧].

﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ قال مقاتل[٨]: يُجاء بها فتُقام عن يسار العرش.

[وأخرج][٩] مسلم في أفراده من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك

---

(١) في ب: مرة.

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٧).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿والملك﴾. وستأتي بعد.

(٤) في الأصل: كل أهل. والمثبت من ب.

(٥) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢١).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٥).

(٩) في الأصل: أخرج. والمثبت من ب.

[يجرّونها][(١)]»[(٢)].

﴿يومئذ يتذكّر الإنسان﴾ أي: يتّعظ.

وقيل: يتذكّر ما فرّط فيه.

﴿وأنّى له الذكرى﴾ لا بد فيه من إضمار، تقديره: وأنّى له منفعة الذكرى. ولولا هذا الإضمار لتنافى صدر الآية وعجزها.

﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ [أي: قدمت لحياتي][(٣)] هذه، وهي حياة الآخرة.

﴿فيومئذ لا يُعذب عذابه أحد﴾ أي: لا يُعذّب مثل عذاب الله أحد من الخلق ولا يستطيع ذلك.

﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو عثمان بن مقبل الياسري للكسائي من جميع طرقه، ولعاصم من رواية المفضل عنه، وليعقوب الحضرمي: "يُعذَّبُ" و"يُوثَق"[(٤)] بفتح الذال [والثاء][(٥)]، والضمير للإنسان، على معنى: لا يعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحد بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه.

ويجوز أن يكون المعنى: لا يحمل عذاب الإنسان أحدٌ سواه، كما قال: ﴿ولا

(١) في الأصل: يجرنها. والتصويب من ب، وصحيح مسلم (٤/ ٢١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٢).

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٣)، والكشف (٢/ ٣٧٣)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٩)، والسبعة (ص:٦٨٥).

(٥) في الأصل وب: والتاء.

تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ قال ابن عباس: المطمئنة بالإيمان[١].

وقال مجاهد: الراضيةُ بقضاء الله، التي علمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها[٢].

قال قتادة: الموقنة بما وعد الله[٣].

فإن قيل: متى يقال لها ذلك؟

قلتُ: عند خروجها من الدنيا[٤].

وفي الحديث[٥]: «أن هذه الآية قرئت عند النبي ﷺ فقال أبو بكر الصديق: إن

---

(١) ذكره الطبري (٣٠/ ١٩٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٦) كلاهما بلا نسبة.

وأخرج الضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ١٢٤-١٢٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ أي: المؤمنة. وذكر أيضاً هذا المعنى: الماوردي (٦/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥١٣) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) في هامش ب: قلت: وقيل: يقال لها ذلك عند البعث. وقيل: عند دخولها الجنة. والقائل لها إما الله أو مَلَك.

(٥) في هامش ب: هو من مراسيل ابن جبير. ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم، وهو عنده عن ابن عباس بلفظ آخر وهو: "نزلت وأبو بكر جالس فقال: ما أحسن هذا؟ فقال: أما إنه سيقال لك هذا" هذا لفظه.

هذا لَحَسَنٌ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أما إن المَلَك سيقولها لك عند الموت»[(١)].

وقال عبدالله بن عمر: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل إليه بتُحفة من الجنة فيقال: أُخرجي أيتها النفس المطمئنة، أُخرجي إلى روحٍ وريحانٍ، وربٍ عنك راضٍ، فتخرجُ كأطيب ريح مسك وَجَدَه في أنفه[(٢)]. وهذا قول جمهور المفسرين.

وقال عطاء وعكرمة والضحاك: يقال لها ذلك عند البعث، حين يأمر اللهُ الأرواحَ أن تعود إلى الأجساد[(٣)].

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "في جسد عَبْدِي"[(٤)]، وقراءة ابن عباس: "فادخلي في عَبِيدِي"[(٥)].

وقيل: يقال لها عند الموت: ارجعي إلى ربك، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: فادخلي في عبادي وادخلي جنتي.

وقال الحسن: المعنى: ارجعي إلى ثواب ربك راضية بما أوتيت، مرضية عند

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨٣- ٢٨٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير.

قال ابن كثير (٤/ ٥١٢): وهذا مرسل حسن.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٣).

(٤) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٢٠/ ٥٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: الطبري (٣٠/ ١٩٢)، وزاد المسير (٩/ ١٢٤) وفيهما: "عبدي". ولم أجد ما ذكر المصنف من قراءة ابن عباس.

ربك[١].

﴿فادخلي في عبادي﴾ أي: في جملة عبادي الصالحين، منتظمة في سلكهم، ﴿وادخلي جنتي﴾ معهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٤).

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي عشرون آية[1]. وهي مكية بإجماعهم.

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

قال الله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ وقرأ عكرمة ومجاهد وأبو عمران وأبو العالية: "لأقسم"[2]. وقد ذكرنا توجيه القراءتين في أول القيامة.

أقسم الله تعالى بالبلد الحرام، وهو مكة شرفها الله تعالى، وبها بعده، على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاقّ والشدائد، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾.

واختلفوا في معنى: "وأنت حِل"؛ فقال ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين: المعنى: وأنت يا محمد في المستقبل من الزمان، ونظيره: ﴿إنك ميت

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٤).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٢٦).

وإنهم ميتون﴾ [الزمر:٣٠] حلال بهذا البلد، تصنع فيه ما تشاء، من قتل وأسر، فيكون خارجاً مخرج البشارة له، بأنه سيفتح عليه، فيكون [فيه][1] حِلاًّ، فظهر أثر ذلك يوم الفتح، وأحله له ساعة من النهار، فقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة، وغيرهما[2]. ثم قال: «إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار»[3].

ويحتمل عندي على هذا القول: أن تكون الواو في "وأنْتَ" حاليّة، فيكون مُقْسِماً بالبلد الحرام على أكمل أوصافه، وأحسن أحواله، مُطهَّراً من الأصنام وعابديها، مُحَلًّى بزينة أهل الإيمان، فإنه لما ظهر النبي ﷺ على مكة وجد حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعن فيها ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»[4]، وأذّن بلال على الكعبة رافعاً صوته بقوله: "أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله"، فنال منهم ذلك كل منال، وأعزّ الله دين الإسلام في ذلك اليوم، وأذلّ سلطان الشرك.

وقيل: المعنى: وأنت حِلٌّ عند المشركين، يستحلون أذاك وقتلك وإخراجك، ويحرّمون قتل الصيد.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٦) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٦٧ ح٤٠٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٦ ح٢٣٤٦) من حديث عبدالله بن مسعود.

فإن قيل: ما فائدة الاعتراض بقوله: ﴿وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾ على ما قاله المفسرون؟

قلتُ: فائدته على القول الأول: ما أشرتُ إليه من البشارة بأنه سيُفتح عليه هذا البلد العظيم، الذي وقع القسم به، ويَحكم فيه وعلى أهله بما يشاء.

وفائدته على القول الآخر: ذَمُّ المشركين حيث استحلوا مثل محمد ﷺ في بلد من شأنه أن الله أقسم به، والإعلام بأن مثله ﷺ في مثل هذا البلد الحرام ما خلا من مكابدة الشدائد، فيكون ذلك خارجاً مخرج التقرير والتحقيق لما أقسم الله عليه من خلق الإنسان في كبد.

فإن قيل: هلاّ اكتفى بالكناية عن البلد فقال: "وأنت حِلٌّ به"؟

قلتُ: كرره تفخيماً لشأنه[1]، كقول الشاعر:

لا أرَى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفقيرا[2]

قوله تعالى: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة: آدم وذريته[3].

وقال أبو عمران الجوني: إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما[4].

---

(١) قوله: "لشأنه" ساقط من ب.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٥٨)، والطبري (٣٠/ ١٩٥-١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبراني (٣٠/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣) ولفظهما: إبراهيم وما ولد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. ولفظه كلفظ ابن أبي حاتم.

قال بعض العلماء(١): فيكون قد أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرمُ أبيه إبراهيم، ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه.

وقيل: هو عام في كل والد وما ولد(٢).

وقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ جواب القسم، وهو اسم جنس، عند ابن عباس وعامة المفسرين(٣).

وقال مقاتل(٤): نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه أذنب ذنباً، فاستفتى رسول الله ﷺ، فأمره أن يُكفّر فقال: لقد ذهب مالي في النفقات والكفارات منذ دخلت في دين محمد.

وقال ابن زيد: آدم عليه السلام(٥).

وقال الحسن: يعني: أبا الأشدين(٦)، وهو رجل من بني جمح، كان كثير المال، شديد القوة، عظيم الخَلْق، يظن لذلك أن لن يقدر عليه الله ولا يُعاقبه.

وقيل: الوليد بن المغيرة(٧).

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٨).

(٢) وهو اختيار الطبري (٣٠/ ١٩٦) قال: لأن الله عمّ كل والد وما ولد، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمّه.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٩).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٨).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٩) حكاية عن الثعلبي.

والصحيح: الأول، وأنه اسم جنس.

ولا منافاة بين ذلك وبين [النزول على][١] ما نُقل من السبب.

وقوله: ﴿في كبد﴾ من قولهم: كَبِدَ الرجل كَبَداً فهو أكْبَد؛ إذا وجِعتْ كبدُه وانتفخَت[٢]، فاتُّسعَ فيه حتى استُعمل في كل تعبٍ ومشقة، ومنه اشتُقَّت: المكابدة، وأنشدوا قول لبيد:

يا عينُ هلاّ بكيتِ أرْبَدَ إذْ [قُمْنَا][٣] وقَامَ الخُصُومُ في كَبَد[٤]

أي: في شدة الأمر وصعوبة الخطب.

قال عمر رضي الله عنه: يُكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء؛ لأنه لا يخلو من أحدهما[٥].

وقال الحسن: لا أعلم خليقة تُكابد من الأمر ما يُكابد هذا الإنسان[٦]، لا يزال يُكابد أمراً حتى يُفارق الدنيا[٧]، وهو مع ذلك أضعف الخلق.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: كبد).

(٣) في الأصل: قنا. والتصويب من ب. وانظر: مصادر البيت.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها أخاه أربد. وهو في: اللسان (مادة: كبد، عدل)، والخصائص (٢/ ٢٠٥، ٣/ ٣١٨)، والأغاني (١٧/ ٦٠، ٦٨)، والعين (٥/ ٣٣٣)، والطبري (٣٠/ ١٩٨)، والقرطبي (٩/ ٢٩٧، ٢٠/ ٦٢)، والماوردي (٦/ ٢٧٦)، والبحر (٨/ ٤٦٨)، والدر المصون (٦/ ٥٢٥).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٧٦) عن ابن عمر، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٩) عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩٧)، وابن المبارك في الزهد (ص:٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٠) وعزاه لابن المبارك.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٩).

وقال في رواية أخرى: يكابد مضايق الدنيا، وشدائد الآخرة[(١)].

قوله: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ أي: أيظن الذي نزل ما نزل بسببه -وهو الحارث-، أن لن يقدر عليه أحد.

قال قتادة: أيظن أني لا أسأله عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟[(٢)].

أو هو أبو الأشدين، على معنى: أيظن هذا الصنديد الشديد لاستحكام خلقه، واشتداد قوته، أني لا أقدر على الانتقام منه[(٣)].

[وكان][(٤)] يقوم على الأديم العكاظي ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا يُنزع إلا قَطْعاً، ويبقى موضع قدميه[(٥)].

﴿يقول أهلكت مالاً لبداً﴾ يريد: كثرة ما أنفقه.

قال ابن قتيبة[(٦)]: هو المال المتلبد، كأن بعضه على بعض.

وقرأ أبو بكر الصديق وعائشة وأبو عبد الرحمن وقتادة: "لُبَّداً" بتشديد الباء. وبها قرأتُ لأبي جعفر[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٠) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٧٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٠).

(٣) انظر: الطبري (٣٠/ ١٩٨).

(٤) في الأصل: وكا. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٩).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٨).

(٧) النشر (٢/ ٤٠١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٩). وانظر: زاد المسير (٩/ ١٣١).

وقرأ عثمان بن عفان والحسن ومجاهد: بضم الباء واللام من غير تشديد[١].

وقرأ علي وأبو الجوزاء: بكسر اللام وفتح الباء مخففة[٢].

وقرأ أبو عمران وأبو المتوكل: "لُبْداً" بتخفيف الباء وتسكينها[٣].

فقراءة الجمهور جمع: لُبْدَة، بضم اللام، وقراءة الصِّدِّيق ومن تابعه جمع: لابد، مثل: راكع ورُكَّع، وقراءة عثمان ومن وافقه جمع: لبُود، وقراءة علي رضي الله عنهم أجمعين جمع: لِبَدَة، بكسر اللام.

فإن قلنا: هو الحارث، فالمعنى ظاهر على ما ذكرناه من قوله في سبب النزول.

وإن قلنا هو أبو الأشدين، فالمعنى: يقول أهلكت مالاً لبداً في عداوة محمد.

﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين أنفق ما أنفق حتى يُكذّب ويتزيّد في قوله: لقد [ذهب][٤] مالي في النفقات، وفي[٥] عداوة محمد، كأنه كان يفتخر بذلك، ويتّخذ به يداً عند المشركين.

وهذا [التقرير][٦] والتحرير وتهذيب المعاني على مُساوقة الأقوال، وكيفية ارتباط الاعتراض بقوله: "وأنت حِلٌّ" بالقسم وجوابه، وتحرير كون الواو في "وأنت حِلٌّ" حاليّة، فلا يكون حينئذ اعتراضاً، كل ذلك مما عقلْتُه فقلته، لا مما وجدته فنقلته.

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٩). وانظر: زاد المسير (٩/ ١٣١).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٣١).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: هب. والتصويب من ب.

(٥) في ب: أو في.

(٦) في الأصل: التقدير. والمثبت من ب.

ثم ذكّره الله سبحانه وتعالى نِعَمَهُ عليه ليعتبر، فذلك قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما المرئيات.

﴿ولساناً وشفتين﴾ يُترجم بهما عن ضميره، ويستعين بهما على كثير من مصالحه.

﴿وهديناه النجدين﴾ سبيل الخير والشر [1].

وقيل: الثديين [2]. على معنى: ألهمناه الارتضاع منهما. والقولان عن ابن عباس.

والأول قول علي عليه السلام، والحسن البصري، وجمهور المفسرين. والثاني قول سعيد بن المسيب والضحاك وقتادة [3].

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٢٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس.

(٣) انظر: الطبري (٣٠/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤).

قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ الاقتحام: الدخول بشدة. وقد فسرناه في صاد[١].

والعقبة: مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان.

وقال الحسن: عقبةٌ والله شديدةٌ، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان[٢]. وهذا معنى قول قتادة وابن زيد وكثير من المفسرين، وإليه ميلُ أهل المعاني.

وللمفسرين في العقبة أقوال:

أحدها: [أنها][٣] جبل في جهنم. قاله ابن عمر[٤].

الثاني: سبعون [دركة][٥] في جهنم. قاله كعب الأحبار[٦].

الثالث: عقبة دون الجسر. يُروى عن الحسن[٧].

فإن قيل: العرب لا تكاد تتكلم بصيغة "لا" الداخلة على الماضي إلا مكررة، كقوله: ﴿فلا صدّق ولا صلى﴾ [القيامة:٣١]، فما لها لم تتكرر هاهنا؟

---

(١) عند الآية رقم: ٥٩.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٧٨).

(٣) في الأصل: أنه. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٨ ح٣٤٦٤٠). وذكره السيوطي (٨/ ٥٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة والطبري وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: درجة. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٤).

قلتُ: هي مكررة في المعنى؛ لأن معنى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾: لا فَكَّ رقبة، ولا أطْعَمَ مسكيناً. فكأنه قال: لا فعل ذا ولا ذا ولا ذا. قاله الفراء والزمخشري[١]، وأشار إليه الزجاج[٢].

قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ قال سفيان بن عيينة: كل ما فيه "وما أدراك" فقد أخبره به، وكل ما فيه "وما يدريك" فإنه لم يخبره به[٣].

قوله تعالى: ﴿فَكُّ رقبة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "فَكَّ" بفتح الكاف، "رقبةً" بالنصب، "أو أطْعَمَ" على صيغة الفعل الماضي، على الإبدال من قوله: "اقتحم العقبة". وقرأ الباقون: "فَكُّ" بضم الكاف، "رقبةٍ" بالجر على الإضافة، "أو إطعامٌ"[٤]، على معنى: هي فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة.

ومعنى فك الرقبة: تخليصها من أسْر الرقّ.

وفي الحديث: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني عملاً يُدخلني الجنة. قال: إن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفكّ الرقبة. فقال: أو ليسا واحداً؟ قال: لا، عتق النسمة: أن تنفرد بعتقها. وفك الرقبة: أن تُعين في ثمنها»[٥].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٦٥)، والكشاف (٤/ ٧٥٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٩).

(٣)ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٤).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٤)، والكشف (٢/ ٣٧٥)، والنشر (٢/ ٤٠١)، والإتحاف (ص:٤٣٩)، والسبعة (ص:٦٨٦).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٣٦ ح٢٨٦١)، والدارقطني (٢/ ١٣٥ ح١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٤٠): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

قوله تعالى: ﴿ذي مسغبة﴾ أي: مجاعة.

ووصف اليوم بالمجاعة نحو قولهم: همٌّ ناصبٌ، وليلٌ نائمٌ، ونهارٌ صائمٌ.

وقرأ الحسن وأبو رجاء: "ذا مسغبة"[١]، على معنى: أطعم في يوم من الأيام شخصاً ذا مجاعة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من موجبات المغفرة: إطعام السغبان»[٢].

قوله تعالى: ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ أي: ذا قرابة.

قال الزجاج[٣]: تقول: زيد ذو قرابتي، وذو مقربتي. وزيد قرابتي قبيح؛ لأن القرابة: المصدر. قال الشاعر:

يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُه وذوا قَرابتِهِ في الحيِّ مسرُور[٤]

﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ يقال: تَرِبَ الرجل؛ إذا افتقر، وأترب؛ إذا استغنى، أي: صار ذا مال كالتراب في الكثرة[٥].

والمعنى هاهنا: قد لصق بالتراب من فقره وضُرّه.

قال ابن عباس: هو المطروحُ في التراب لا يقيه شيء[٦].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧٠ ح٣٩٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢١٦ ح٣٣٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٤) انظر البيت في: روح المعاني (٨/ ١٤٣، ٣٠/ ١٣٨)، والإصابة (٥/ ١١٥).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ترب).

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧٠)، والطبري (٣٠/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٥) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

وقال مجاهد: المطروح في الطريق ليس له بيت[(١)].

وقال الضحاك: كثير العيال[(٢)].

أخبرنا القاضي أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري قراءة عليه وأنا أسمع في ذي القعدة سنة تسع وستمائة بجامع دمشق قال: أخبرنا أبو محمد عبدالكريم بن حمزة بن الخضر السلمي الحداد، أخبرنا أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الكتاني الحافظ، أخبرنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن الجنيد الرازي الحافظ، حدثنا يوسف بن القاسم [بن][(٣)] سوار، أخبرنا علي بن العباس بن الوليد المقانعي، حدثنا [الحسين][(٤)] بن نصر بن مزاحم، حدثنا خالد بن عيسى العكلي، عن حصين بن أبي عبدالرحمن، عن مسعر بن كدام، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبخلن على إخوانكم بذات [أيديكم][(٥)]، يُمسك الله ما في يديه عنكم، فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق، فلا تمنعوهم المعونة بأنفسكم، أو المشي في حوائجهم، فيحجب الله دعاءكم، فإن من القرابة القريبة غداً عند الله والزلفى لديه: إطعام الرجل منكم أخاه الجائع السغبان، ومن الوسيلة إلى ربكم غداً: أن يكسو أحدكم أخاه ثوباً، فيكسوه الله عز وجل من خضر الجنة غداً،

(١) أخرجه الحاكم (٣٠/ ٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد. وانظر: تفسير مجاهد (ص:٧٦٠-٧٦١).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٦).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل و ب: الحسن. والتصويب من الفوائد (٢/ ١٧٨).

(٥) في الأصل: أيدكم. والتصويب من ب.

وإن من مقدمات الخير بكم إلى ربكم أن يسقي أحدكم أخاه، ويرويه من الماء البارد، يسقيه الله عز وجل من الرحيق المختوم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾»[1].

قوله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾[2] فيه إعلام أنَّ فَكَّ الرقبة وإطعامَ الجائع، إنما ينفع مع الإيمان والعمل الصالح، وهو أداء الفرائض.

﴿وتواصوا بالصبر﴾ على طاعة الله وعن معصيته ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالعطف والتراحم فيما بينهم.

وقيل: بما يؤدي إلى الرحمة، وهو الثبات على الإيمان وشرائعه.

﴿أولئك﴾ الذين هذه صفتهم ﴿أصحاب الميمنة﴾ مُفسّر في الواقعة[3]، وكذلك ﴿أصحاب المشأمة﴾.

قوله تعالى: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص: "مُؤْصَدَة" بالهمز.

وقرأ الباقون بغير همز[4]، ومثله في الهُمَزَة[5].

فمن جعله من قولهم: آصَدتُ الباب، أي: أطبقته، فهو أَفْعَلْتُ، وفاء الفعل

---

(١) أخرجه تمام الرازي في كتاب الفوائد (٢/ ١٧٨).

(٢) في الأصل و ب زيادة قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهو خطأ. وموضعها في سورة العصر.

(٣) عند الآية رقم: ٧ و ٨.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٥-١٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٦)، والكشف (٢/ ٣٧٧)، والنشر (١/ ٣٩٥)، والإتحاف (ص:٤٣٩)، والسبعة (ص:٦٨٦).

(٥) عند الآية رقم: ٨.

فيه همزة ساكنة، أُبدل منها ألف، فتثبت همزة في [اسم][1] المفعول، وهو "مؤصدة"، أي: مُطْبَقَة.

ومن لم يهمز جعله من: أوصدتُ الباب، بمعنى: أطبقته أيضاً، ففاء الفعل في هذه اللغة واو، فلا يهمز [اسم][2] المفعول، إذ لا أصل له في الهمز. ويؤيد ذلك: إجماعهم على ترك الهمز في قوله: ﴿بالوصيد﴾ [الكهف:١٨]، ولو كان من المهموز لكان: "بالأصيد"، فهما لغتان بمعنى.

ويجوز على قراءة من لم يهمز: أن يكون قد أبدل من الهمزة واواً؛ لانضمام ما قبلها على أصل تخفيف الهمزة الساكنة.

قال مقاتل[3]: أبوابُها عليهم مُطبقة، فلا يُفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. والله أعلم.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: واسم. والتصويب من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٧).

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس عشرة آية مكية(١).

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا
يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ
مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

قال الله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ أقسم الله تعالى بجرم الشمس، وبضوئها إذا [أفرط](٢) في الاستنارة، وذلك عند ارتفاع الشمس.

وقيل: الضَّحْوُ: ارتفاع النهار، والضُّحى فوق ذلك.

والضَّحاء -بالفتح والمد-: إذا امتد النهار وَكَرَبَ(٣) أن [ينتصف](٤).

قوله تعالى: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ قال مجاهد: ساواها(٥).

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٥).

(٢) في الأصل: فرط. والتصويب من ب.

(٣) في هامش ب: كرب معناه: قرب.

(٤) في الأصل: يتنصف. والمثبت من ب. وانظر: اللسان (مادة: ضحا).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٨).

قال الزجاج[١]: إذا استدار، فكان يتلو الشمس في الضياء والنور.

قال غيره: وذلك في الليالي البيض.

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: تلاها بمعنى: تبعها[٢].

ثم في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة. قاله ابن زيد[٣].

الثاني: أنه أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس يُرى القمر عند سقوطها. قاله قتادة[٤].

الثالث: أنه في الخامس عشر [من][٥] الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس. قاله الطبري[٦].

قوله تعالى: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ الكناية للشمس، والنهار يُجَلِّيها غاية التَّجَلِّي

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٣١).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٨) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٦)، والحاكم (٢/ ٥٧١ ح٣٩٣٨) كلاهما عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٨، ٥٢٩) وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس. ومن نفس الطريق من رواية عكرمة عزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٢).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٠٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٨).

عند انبساطه وارتفاعه. وهذا قول مجاهد[١].

وقال جمهور المفسرين: الكناية للظلمة.

قال الزجاج[٢]: المعنى يدل على الظلمة وإن لم يَجْرِ لها ذكْر، كما تقول: أصبحتْ باردةً، تريد: أصبحتْ غَداتُنا باردة.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ أي: إذا يغشى الشمس فتغيب وتُظلم الآفاق.

قوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ و"ما" هاهنا موصولة، وكذلك: "وما طحاها، وما سواها".

قال عطاء: يريد: الذي بناها[٣].

وقال ابن السائب: ومن بناها[٤]. وهو مذهب عامة المفسرين واللغويين.

ويؤيده قراءة أبي عمران: "ومن بناها، ومن طحاها، ومن سواها"[٥]. وقد قررنا هذا في غير موضع.

وقال الفراء والزجاج[٦]: "ما" مصدرية، تقديره: والسماء وبنائها، والأرض وطحوها.

---

(١) وهو اختيار الطبري (٣٠/ ٢٠٨). ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٨).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٢).

قال صاحب الكشاف[١]: وليس بالوجه؛ لقوله: ﴿فألهمها﴾، وما يؤدي إليه من فساد النظم.

قوله تعالى: ﴿والأرض وما طحاها﴾ قال أبو عبيدة[٢]: طحاها: بسطها من كل جانب.

قال ابن قتيبة[٣]: يقال: [خيرٌ][٤] طاحٍ، أي: كثيرٌ متّسع.

قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها﴾ قال الحسن: يريد: نفس آدم[٥].

وقال عطاء: يريد: جميع ما خلق من الجن والإنس[٦]. وهو الصحيح؛ لدلالة ما بعده من التفصيل بقوله: "قد أفلح"، "وقد خاب" عليه.

قال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: لم نكّرت النفس؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد نفساً خاصة من بين النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس.

والثاني: أن يريد كل نفس، ويُنكَّرُ للتكثير، على الطريقة المذكورة في قوله:

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٦٢).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٠).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٩).

(٤) في الأصل و ب: خبر. والتصويب من زاد المسير (٩/ ١٣٩).
وفي تفسير غريب القرآن: حيٌّ.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٦٣).

﴿علمت نفس﴾ [التكوير:١٤].

وقد حُكيت في قوله: ﴿علمت نفس﴾ فاطلبه هناك.

وقد سبق معنى التسوية في قوله: ﴿فسواك فعدلك﴾ [الانفطار:٧].

قوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ الإلهام في اللغة: إيقاع الشيء في النفس.

قال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور[١].

وهذا هو التفسير الذي تقتضيه لغة العرب، وهو اختيار الزجاج والواحدي وأبي الفرج ابن الجوزي[٢].

ويؤيده ما روي في الحديث: «أن النبي[٣] ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية رفع صوته قائلاً: اللهم! أهم نفسي تقواها، أنت [وليها][٤] ومولاها، وأنت خير من زكّاها»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٠).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٢)، والوسيط للواحدي (٤/ ٤٩٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩/ ١٤٠).

(٣) في ب: رسول الله.

(٤) في الأصل: ولويها. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٠٦ ح ١١١٩١)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٨): "إسناد حسن". وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٩) وعزاه للطبراني وابن المنذر وابن مردويه.

وأصله عند مسلم (٤/ ٢٠٨٨ ح٢٧٢٢) بلفظ: «... اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها».

وقال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: بَيَّنَ لها الخير والشر[١].

وقال في رواية أبي صالح: عَرَّفَها ما تأتي وما تتّقي[٢].

وقال مجاهد: أعْلَمَها[٣].

وجواب القسم: "قد أفلح". والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حُذفت؛ لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها[٤].

وقال ابن الأنباري: جوابه محذوف[٥].

قال غيره[٦]: تقديره: ليُدَمْدِمَنَّ الله عليهم لتكذيبهم رسول الله، كما دَمْدَمَ على ثمود لتكذيبهم صالحاً. وأما "قد أفلح" فكلامٌ تابعٌ لقوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء.

وقال ابن عباس: معناه: قد أفلحت نفس زكاها الله تعالى، وأصلحها وطهّرها. والمعنى: وفّقها للطاعة. وقد خابت نفسٌ أضلّها الله وأغواها[٧].

وقال الحسن وقتادة وابن قتيبة[٨]: المعنى: قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٣).

(٤) هو قول الزجاج في معانيه (٥/ ٣٣١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤١).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٦٤).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٧).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٠)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٣٤٤).

وصالح الأعمال(١).

﴿وقد خاب من﴾ أثمها وفجرها، و﴿دسّاها﴾ أصله: دسّسها، من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلوا من السين الثانية تاء، كما قال:

.... تَقَضِّي البَازي إذا البازي كَسَرْ(٢)

ومعناه: تقضّض، فكأن المتنظف بارتكاب الفواحش دَسَّ نفسه وقمعها، ومصطنع المعروف شَهَرَ نفسه ورفعها.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ الباء هاهنا مثلها في قولك: كتبت بالقلم، وضربت بالسيف. والطَّغْوى: اسم من الطغيان، كالدعوى من الدعاء.

[قال](٣) الزجاج(٤): أصل طغواها: طغياها. وفَعْلَى إذا كانت من ذوات الياء، أُبدلت في الاسم واواً؛ لتفصل بين الاسم والصفة، تقول: هي التقوى، وإنما هي: من تقيت، وقالوا: امرأة خزياً؛ لأنه صفة.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١١). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤١).

(٢) تقدم.

(٣) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٣).

وقال الفراء[١]: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكلُ برؤوس الآيات، فاختير لذلك.

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: اسمُ العذاب الذي جاءها: الطغوى، فقال: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ أي: بعذابها[٢].

وقرأ الحسن: "بطُغواها" بضم الطاء[٣]، كالحُسنى والرُّجعى في المصادر.

قوله تعالى: ﴿إذ انبعثَ﴾ أي: انتدب، وهو منصوب بـ"كذبت" أو "بطغواها"، ﴿أشقاها﴾ قدار بن سالف عاقر الناقة، أشقى الأولين، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: «من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: صدقت. قال: من[٤] أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله، قال: الذي ضربك على هذه، وأشار بيده إلى يافوخه»[٥].

وفي لفظ آخر: «الذي يخضب منك هذه من هذه، ووضع يده على قرنه ولحيته»[٦].

قوله تعالى: ﴿ناقةَ الله﴾ نصب على التحذير[٧]، كقولك: الأسدَ الأسدَ.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٤٠).

(٤) في ب: فمن.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٨ ح٧٣١١)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٧٧ ح٤٨٥).

(٦) أخرجه البزار (٤/ ٢٥٤ ح١٤٢٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٩).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٧)، والدر المصون (٦/ ٥٣٢).

وقال الزجاج[١]: هو منصوب، على معنى: ذروا ناقة الله، كما قال: ﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله﴾ [الأعراف:٧٣].

قال الفراء[٢]: ﴿وسقياها﴾ عطف على: "ناقة الله"، وهي شربها من الماء. على معنى: لا تتعرّضوا للماء يوم شربها.

﴿فكذبوه﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿فعقروها﴾ مذكور في الأعراف[٣].

﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾ قال عطاء ومقاتل[٤]: فدمّر عليهم ربهم.

قال [المؤرج][٥]: الدَّمْدَمَة: إهلاك باستئصال[٦].

وقال الزجاج[٧]: معنى: دَمْدَمَ عليهم: أطبق عليهم العذاب، يقال: [دَمَّمْتُ][٨] على الشيء؛ إذا أطبقتُ عليه، فإذا كررت الإطباق قلت: دَمْدَمْتُ عليه[٩].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٢) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٦٨)، والوسيط (٤/ ٤٩٩).

(٣) عند الآية رقم: ٧٧.

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٨٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٠).

(٥) في الأصل: المؤرخ. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٣).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٨) في الأصل: دمت. والمثبت من ب.

(٩) انظر: اللسان (مادة: دمم).

والمعنى: فسوّى الدمدمة عليهم وعمّهم، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم.

وقال مقاتل[(١)]: سوى بيوتهم على قبورهم، وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها، فلما صِيح بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم، فوقعت على قبورهم.

قوله تعالى: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: عاقبتَها وتبعتَها.

قرأ نافع وابن عامر: "فلا يخاف" وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون: بالواو[(٢)]، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والكوفة والبصرة.

والمعنى: لا يخاف الله عقبى الدمدمة أو التسوية أو الفعلة.

قال ابن عباس والحسن: لا يخاف الله من أحد تَبعَةً في إهلاكهم[(٣)].

فعلى هذا القول: الواو في "ولا يخاف" حالية، والحال من الضمير المرفوع في ["فسواها" أو من "فدمدم".

وقال الضحاك والسدي وابن السائب: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع[(٤)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٦)، والكشف (٢/ ٣٨٢)، والنشر (٢/ ٤٠١)، والإتحاف (ص:٤٤٠)، والسبعة (ص:٦٨٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣١) عن ابن عباس والحسن.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٥-٢١٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لابن جرير.

فعلى هذا الحال: من الضمير المرفوع في][1] "فعقروها" أي: عقرها غير خائف، ونسب الفعل إلى الجميع؛ لرضاهم به وتماليهم عليه، أو يكون التقدير: انبعث أشقاها وهو لا يخاف.

وقال قوم: المعنى: ولا يخاف رسول الله ﷺ صالح عقباها.

فعلى هذا الحال منه. ويجوز أن تكون الواو مقحمة.

ومن قرأ بالفاء كان التقدير -على قول ابن عباس-: فسوّاها الله فلا يخاف عقباها.

وعلى قول الضحاك: فكذبوه فعقروها فلا يخاف العاقر عقباها.

وعلى القول الثالث: يكون قد تبع قول الرسول عدم خوفه من عقبى مقالته أو نذارته.

والوجه الأول: هو الوجه الصحيح. والله تعالى أعلم.

---

(١) زيادة من ب.

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى وعشرون آية مكية(1).

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ
سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾

قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار(2).

وقال الزجاج(3): يغشى الأفق، ويغشى جميعَ ما بين السماء والأرض.

﴿والنهار إذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل.

قال قتادة: هما آيتان عظيمتان يُكورهما الله تعالى على الخلائق(4).

قوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ القول في "ما" هاهنا كالقول في ﴿وما بناها﴾ [الشمس:5].

---

(1) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:276).

(2) ذكره الواحدي في الوسيط (4/ 501)، وابن الجوزي في زاد المسير (9/ 145).

(3) معاني الزجاج (5/ 335).

(4) أخرجه الطبري (30/ 217). وذكره الواحدي في الوسيط (4/ 501).

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول بن عيسى بن شعيب، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا قبيصة بن عقبة[1]، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: «دخلتُ في نفر من أصحاب عبد الله الشام، فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم. قال: فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إليّ، فقال: اقرأ، فقرأت: ﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * والذكر والأنثى﴾ قال: أنت سمعتها من صاحبك؟ قلت: نعم. قال: وأنا سمعتها من فِيّ النبي ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا»[2].

قال البخاري: وحدثنا عمر قال: حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: «قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلنا. قال: فأيكم أحفظ، فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿والليل إذا يغشى﴾؟ قال علقمة: ﴿والذكر والأنثى﴾ قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرؤها كذا، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾، والله لا أتابعهم»[3].

---

(١) قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان بن عقبة بن ربيعة بن جنيدب بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة السوائي، أبو عامر الكوفي، كان ثقةً صدوقاً كثير الحديث، مات سنة خمس عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٢، والتقريب ص:٤٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٩ ح٤٦٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٩ ح٤٦٦٠).

وفي المراد بالذكر والأنثى قولان:

أحدهما: أنه آدم وحواء. قاله الأكثرون.

والثاني: أنه عام. حكاه الماوردي(١).

وجواب القسم: ﴿إن سعيكم لشتى﴾.

قال ابن عباس: إن أعمالكم لمختلفة؛ عملٌ للجنة، وعملٌ للنار(٢).

وقال الزجاج(٣): سعيُ المؤمن والكافر مختلف، بينهما بُعْد.

وفي سبب نزول هذه السورة قولان:

أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأبيّ بن خلف ببردةٍ وعشر أَوَاق، فأعتقه [لله](٤) عز وجل، فأنزل الله عز وجل هذه السورة إلى قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني: سعي أبي بكر وأمية وأبيّ. قاله عبد الله بن مسعود(٥).

الثاني: أن رجلاً كانت له نخلة، فَرْعُها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا صعد النخلة يجتنيها، ربما سقطت منه التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته فيأخذ التمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ صاحب النخلة، فقال

---

(١) تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٥).

(٤) في الأصل: الله. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٤-٥٣٥) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

له النبي ﷺ: تُعطني نخلتك التي في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة، فقال الرجل: إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجبُ إليّ منها، ثم ذهب الرجل، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام: يا رسول الله! أتعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة، فساومها منه، فقال [له][(١)]: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت له: ما لي نخلة أعجب إليّ منها، فقال له: أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنه أعطى، قال: ما مُناك؟ قال: أربعون نخلة، فقال: أنا أعطيك أربعين نخلة، وأشهد له أناساً، [ثم ذهب][(٢)] إلى رسول الله ﷺ فقال: إن النخلة قد صارت في ملكي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله عز وجل: ﴿والليل إذا يغشى﴾ إلى قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾[(٣)].

وقال عطاء: الذي اشتراها من الرجل: أبو الدحداح، أخذها بحائط له[(٤)].

وهذا يُوهم أن السورة مدنية؛ لأن أبا الدحداح أنصاري حليف لهم، وقصته مدنية بغير شك، غير أن المنقول في التفاسير أنها مكية، ولم أرهم ذَكَروا في ذلك خلافاً. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ قال ابن مسعود وجمهور المفسرين: هو

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: فذهب. والمثبت من ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٩-٣٤٤٠) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٢-٥٣٣) وعزاه لابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٧-١٤٨).

أبو بكر الصديق[١].

قال ابن عباس: أعطى من فضل ماله[٢].

وقال الحسن: أعطى الصدق من قلبه[٣].

"واتقى": قال ابن عباس: اتقى ربه[٤].

وقال مجاهد: اتقى البخل[٥].

﴿وصدق بالحسنى﴾ أي: بالخصلة الحسنى.

قال ابن عباس في رواية عطية: صدّق بلا إله إلا الله[٦].

وقال في رواية عكرمة: صدّق بالخلف[٧].

---

(١) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٢١)، والماوردي (٦/ ٢٨٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢١-٤٢٢ ح١٠٨٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٢ ح١٠٨٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٩).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لابن جرير.

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٢ ح١٠٨٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عكرمة عن ابن عباس.

وقال مجاهد: صدّق بالجنة[١].

وقال قتادة: صدّق بالثواب على عمله[٢].

﴿فسنيسره لليسرى﴾ أي: فسنُهيؤه ونُوفّقه ونُسهّل عليه أسباب الخير، حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه.

قال عروة بن الزبير: أعتق أبو بكر على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقبات، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأم عُبيس، وزِنِّيرَة، فأُصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان، فردّ الله إليها بصرها، وأعتق النهديّة وابنتها، [وكانتا][٣] لامرأة من بني عبدالدار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: [حل][٤] يا أم فلان، قالت: حِلّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرّتان، ومر أبو بكر بجارية من بني نوفل وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذّبها لتترك دين الإسلام وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أترُكك إلا ملالة، فابتاعها

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٧٦٥)، والطبري (٣٠/ ٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠) ولفظهما: صدّق بموعود الله على نفسه.

(٣) في الأصل و ب: وكانت. والتصويب من السيرة النبوية (٢/ ١٦١).

(٤) في الأصل و ب: خلا. والتصويب من السيرة النبوية (٢/ ١٦١). وكذا وردت في الموضع التالي. ومعنى حل: يريد: تحللي من يمينك واستثني فيها.

أبو بكر رضي الله عنه(١).

قوله تعالى: ﴿وأما من بخل﴾ قال ابن مسعود: أمية وأُبيّ ابنا خلف(٢).

وقال عطاء: صاحب النخلة(٣).

﴿واستغنى﴾ [عن](٤) ثواب الله فلم يرغب فيه.

﴿وكذب بالحسنى﴾ تفسيره على العكس من: ﴿صدق بالحسنى﴾.

﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي: فسنهيء له أسباب الشر.

قال مقاتل(٥): نُعَسِّرُ عليه أن يُعطي خيراً.

وقال ابن مسعود: ندخله النار(٦).

﴿وما يغني عنه ماله إذا تَرَدَّى﴾ قال ابن عباس: إذا تردّى في جهنم(٧).

وقال مجاهد: إذا مات فتردى في قبره(٨).

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٠).

(٤) في الأصل: من. والمثبت من ب.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٠).

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٧٦٥)، والطبري (٣٠/ ٢٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٦-٥٣٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن علينا للهدى﴾ قال الزجاج(١): المعنى: إن علينا أن نبيّن طريق الهدى من طريق الضلال.

﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ قال مقاتل(٢): مُلْكُ الدنيا والآخرة.

وقيل: ثواب الدارين.

ومعنى ﴿تلظى﴾: تتوقَّد وتتوهَّج.

قوله تعالى: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ [نارٌ](٣) مخصوصة لا يصلاها إلا أشقى الأشقياء؛ كأمية وأبيّ ابنا خلف. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾.

﴿وسيجنبها الأتقى﴾: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وبهذه الآية مع انضمام قوله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣] احتج جماعة من صناديد النُظَّار على تفضيل أبي بكر الصديق على غيره بعد النبيين.

وقال الزجاج(٤): وهذه [الآية](٥) التي من أجْلِها زعم أهلُ الإرْجَاء أنه لا

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٢).

(٣) كلمة غير ظاهرة في الأصل. وفي ب سقط من هنا إلى قوله: أشقى. ولعلها كما أثبتناها.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٥) زيادة من ب.

يدخل النار إلا كافر، وليس كما ظنوا، هذه نارٌ مخصوصة(١) موصوفةٌ بعينها، [ولأهل النار منازل](٢). فلو كان [كل](٣) من لا يشرك بالله لا يُعذب، لم يكن في قوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] فائدة.

قال أبو عبيدة(٤): والأشقى بمعنى: الشقي. وأنشد:

تمنى رجال ....

وقد سبق.

﴿وسيجنبها الأتقى﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه(٥). قال الواحدي(٦): يعني: أبا بكر، في قول الجميع.

ثم وصفه فقال: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ يطلب أن يكون عند الله [زاكياً](٧)، لا يطلب رياء ولا سمعة.

ولا محل لقوله: "يتزكى" من الإعراب إن جعلته بدلاً من "يؤتي"؛ لأنه داخل في حكم الصلة(٨). وإن جعلته حالاً فمحله: النصب(٩).

---

(١) قوله: "مخصوصة" ساقط من ب.

(٢) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٣) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٣٠١).

(٥) قوله: "أبو بكر الصديق رضي الله عنه" ساقط من ب.

(٦) الوسيط (٤/ ٥٠٥).

(٧) في الأصل: زكياً. والتصويب من ب.

(٨) قال أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٧٩): وهو إعراب متكلف.

(٩) ذكر هذين الوجهين الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٦٩). وانظر: الدر المصون (٦/ ٥٣٦).

قوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ أي: لم يفعل ذلك مجـازاة لِيَـدٍ أُسديت إليه.

وروى عطاء عن ابن عباس: أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يُعَـذَّبُ، قال المشركون: ما فعل هذا إلا لِيَدٍ كانت لبلال عنده، فنزلت هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ استثناء منقطع.

﴿ولسوف يرضى﴾ أبو بكر الصديق، لما ينال في الجنـة مـن الكرامـة عنـد الله تعالى، والزلفى لديه.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٨٠)، والوسيط (٤/ ٥٠٥)، وزاد المسير (٩/ ١٥٢).

سورة الضحى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي إحدى عشرة آية مكية(١).

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله(٢): اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدة. ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وعن الروح فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي.

الثاني: لقلة النظافة في بعض أصحابه.

الثالث: لأجل جروٍ كان في بيته. قاله زيد بن أسلم.

وفي مدة احتباسه عنه أقوال ذكرناها في مريم(٣).

وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ
لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا
فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٧).

(٢) زاد المسير (٩/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) عند الآية رقم: ٦٦.

﴿ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

وفي الصحيحين من حديث جندب قال: «قالت امرأة من قريش لرسول الله ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد ودَّعك، فنزلت: ﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى﴾»(١).

والمرأة: هي أم جميل، امرأة أبي لهب.

والمراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار.

وقال الفراء(٢): النهارُ كلُّه.

وقرَّره غيره بقوله: ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾(٣) [الأعراف:٩٨] في مقابلة قوله: ﴿بياتاً﴾.

﴿والليل إذا سجى﴾ قال ابن عباس: أظلم(٤).

وقال قتادة: سكن(٥)، يعني: استقر ظلامه، فلا يزداد بعد ذلك.

وقال الأصمعي: سُجُوُّ الليل: تغطية النهار(٦).

وقال الزمخشري(٧): "سجى": سَكَنَ ورَكَدَ ظلامه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٦ ح٤٦٩٨)، ومسلم (٣/ ١٤٢٢ ح١٧٩٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٧٣).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿وهم﴾.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٦).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٦) انظر: لسان العرب (مادة: سجا)، والوسيط (٤/ ٥٠٨).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٧٠).

وقيل: ليلةٌ ساجيةٌ: ساكنة الريح.

وقيل: معناه: سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر: سكنت أمواجه. وطرفٌ ساجٍ: فاتر.

قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك﴾ جواب القسم. ومعناه: ما قَطَعَكَ قَطْعَ المودّع.

وقال أبو عبيدة[1]: "ما ودّعك": من التوديع، كما يُودّع المفارق.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو رحمهما الله ليعقوب [الحضرمي][2] من رواية أبي حاتم عنه: "وَدَعَكَ" بالتخفيف، وهي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3]، على معنى: ما تركك. كقول الشاعر:

وثمَّ وَدَعْنا آلَ عمْرٍو وعَامِرٍ ....[4]

﴿وما قلى﴾ أي: أبغض، يقال: قَلاهُ يَقْلِيه قِلَىً.

قال الزجاج[5]: المعنى: وما قلاك، كما قال: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ [الأحزاب:٣٥]، المعنى: والذاكراته.

ولما كان قوله: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ مؤذناً بمكانته عند الله، وأنه مُواصِلُهُ ومُحِبُّهُ، وهذا نهاية ما يكون من الكرامة[6] قال: ﴿وللآخرة خير لك من

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٢).

(٢) في الأصل: الحرمي. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٥٧)، والدر المصون (٦/ ٥٣٧).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (فرائس أطراف المثقفة السمر). وهو في: البحر (٨/ ٤٨٠)، والدر المصون (٦/ ٥٣٧)، والقرطبي (٢٠/ ٩٤)، وروح المعاني (٣٠/ ١٥٦)، والكشاف (٤/ ٧٧٠).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٩).

(٦) في ب: الإكرام.

الأولى﴾ أي: ما أعددتُ لك فيها من الكرامة وقُرْب المنزلة أعظم وأكمل مما أعطيتك في الدنيا.

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال علي عليه السلام: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى[١].

وقيل: استعلاؤه وظهور دينه على سائر الأديان.

قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ أي: ضَمَّك إلى عمك أبي طالب، وعطفه عليك، حتى كنتَ آثَرَ عنده من ولَدِه.

﴿ووجدك ضالاً﴾ عن معالم النبوة وشرائع الدين ﴿فهدى﴾ أي: أرشدك إليها، كما قال: ﴿ما كنت تدري من الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى:٥٢].

وقال سعيد بن المسيب: لما خرج النبي ﷺ مع ميسرة -غلام خديجة- إلى الشام أخذ إبليس بزمام ناقته فَعَدَلَ به عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليسَ نفخةً وقع منها إلى الحبشة، وردَّه إلى القافلة، فامتنَّ الله عليه بذلك[٢].

وقيل: إن النبي ﷺ ضَلَّ وهو صغير في شِعاب مكة، فردَّه الله على يدي عدوه أبي جهل إلى عمه[٣].

وقرأ الحسن بن علي عليهما السلام: "ووجدك ضَالٌ" بالرفع[٤]، على معنى: وجدك شخص ضَالٌّ فاهتدى بك، ويكون التنكير هاهنا للتكثير، كما قرّر في

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٨).

(٤) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٢٠/ ٩٩).

﴿علمت نفس﴾ [التكوير: ١٤].

﴿ووجدك عائلاً﴾ فقيراً، تقول: عال؛ إذا افتقر، وأعال؛ إذا كثر عياله[١]. وقد ذكرناه في براءة[٢].

﴿فأغنى﴾ أي: فأغناك بالقناعة وشرف النفس.

وقيل: فأغناك بمال خديجة.

وقيل: بما أفاء عليك من الغنائم.

قال عليه السلام: «جُعل رزقي تحت ظِلّ رُمحي»[٣].

قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أي: لا تغلبه على ماله.

وقرأ ابن مسعود: "فلا تَكْهَر"[٤] أي: لا تعبس في وجهه.

﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي: لا تزجره، إما أن تعطيه، وإما أن ترده إلينا.

وقال جماعة من المفسرين: ليس بالسائل: المُسْتَجْدِي، ولكنه طالب العلم.

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ قال مجاهد: القرآن[٥].

وقيل: النبوة[٦].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عول).

(٢) عند الآية رقم: ٢٨.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٦٧).

(٤) انظر هذه القراءة في: الطبري (٣٠/ ٢٣٣)، والماوردي (٦/ ٢٩٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٣) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

وقال جماعة؛ منهم مقاتل[١]: هي عامة في جميع الخيرات.

قال الحسن: إذا أصبتَ خيراً أو عملتَ خيراً فحدّث به الثقة من إخوانك[٢].

وإنما ندَبَ إلى التحديث بالنعم؛ إظهاراً للشكر.

قال مجاهد: قرأتُ على ابن عباس، فلما بلغت: ﴿والضحى﴾ قال: كَبِّرْ إذا ختمت كل سورة، حتى تختم[٣].

ويروى ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٤].

وهكذا قرأتُ على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري اللغوي، هلّلتُ وكبّرتُ من أول سورة الضحى، ثم من أول كل سورة إلى آخر القرآن.

وقرأتُ عليه بالتهليل والتكبير في رواية أخرى من أول ﴿ألم نشرح﴾.

وقرأتُ عليه في رواية أخرى بالتكبير من غير تهليل، وجميع [ذلك][٥] عن ابن كثير بالاسناد المذكور في آخر كتاب المستنير لابن سوار رحمه الله.

---

(١) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وانظر قول مقاتل في: زاد المسير (٩/ ١٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٤٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٠-١٦١).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٤٤ ح٥٣٢٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٧١ ح٢٠٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٩) وعزاه للحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٥) زيادة من ب.

سورة ألم نشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثماني آيات مكية(1).

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ
۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا
فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨

قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ هذا استفهام في معنى التقرير، أي: قد فعلنا ذلك.

والمعنى: فتحناه وفسحناه حتى احتمل أثقال النبوة، ودعوة الثقلين، والصبر عليهم، ووسِع ما استودعناك من العلم والحلم واليقين والرضا.

﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ قال ابن عباس: حططنا عنك إثمك الذي سلف منك في الجاهلية(2)، كقوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ [الفتح:2].

قال الزجاج(3): ﴿أنقض ظهرك﴾: أثقله حتى سمع له نقيض، أي: صوت.

---

(1) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:277).

(2) ذكره الواحدي في الوسيط (4/ 516)، وابن الجوزي في زاد المسير (9/ 162).

(3) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قول الزجاج في: الوسيط (4/ 516).

وهذا مَثَلٌ معناه: أنه لو كان حِمْلاً يُحمل لسُمِعَ نقيض ظهره.

وقيل: هذا إشارة إلى تخفيف أعباء النبوة عليه، وتسهيل نهوضه بها.

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بما خصصناك به من أنواع الكرامة والفضل.

وروى أبو سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية، فقال: قال الله عز وجل: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي»[(١)].

قال قتادة: فليس خطيبٌ، ولا متشهّد، ولا صاحب صلاة، إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[(٢)]. وهذا قول جمهور المفسرين.

وقيل: رفعنا لك ذكْرك في السماء[(٣)].

وقيل: بأخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا بك ويُقرّوا بفضلك[(٤)].

قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ وجه ارتباطه بما قبله: أن المشركين أولِعُوا باحتقار الرسول والمؤمنين لأجل فقرهم، حتى قالوا: ﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ [الفرقان:٨]، فقرَّرَه بهذه النعم الجسيمة المخصوصة به، ثم قال: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ أي: إن مع العسر الذي أنتم فيه يسراً. المعنى: [فلا][(٥)] تيأسوا من فضلي.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨/ ١٧٥ ح٣٣٨٢). وفي هامش ب: خرجه ابن حبان في صحيحه من حديثه.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٤) حكاية عن الثعلبي.

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: لا. والمثبت من ب.

ثم كرر ذلك فقال: ﴿إن مع العسر يسراً﴾.

قال ابن عباس: يقول الله تعالى: خلقتُ عسراً واحداً وخلقتُ يُسْرَين، فلن يغلبَ عسرٌ يُسْرَين[١].

وقال ابن مسعود: لو أن العسر دخل في جُحْر لجاء اليسر حتى يدخل معه، قال الله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾[٢].

ويحكى عن العتبي قال: كنت ذات ليلة في البادية بحالة [من الغم][٣]، فألقي في روعي بيت شعر فقلت:

أرى الموتَ لمن أصبح مَغْمُوماً له رَوَّح

فلما جَنَّ الليل سمعتُ هاتفاً يهتف من السماء، يقول:

ألا أيها المرءُ الذي الهَمُّ به بَرَّح

وقدْ أنشدَ بيتاً لم يزلْ في فِكْرِه يَسْنَح

إذا اشتدَّ بكَ [العسر][٤] فَفَكِّر في "ألمْ نَشْرَح"

فَعُسْرٌ بين يُسْرَين إذا أبْصَرْتَهُ فافرَح

قال: فحفظتُ الأبيات، وفرّج الله تعالى غَمِّي[٥].

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥١).

(٣) زيادة من الوسيط (٤/ ٥١٩)، وزاد المسير (٩/ ١٦٦).

(٤) في الأصل: الأمر. والمثبت من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٩-٥٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٥-١٦٦).

فإن قيل: هذه الآثار وأقوال المفسرين متطابقة على أن العسر واحد واليسر اثنان، وفي ظاهر التلاوة عسران ويسران؟

قلتُ: هو عسرٌ واحد؛ لأنه مذكور بلفظ التعريف.

قال الفراء[(١)]: العربُ إذا ذكَرَت نكرة ثم أعادت بنكرةٍ مثلِها صارتا اثنتين، كقولك: إذا اكتسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفةً فهي هي، كقولك: إذا اكتسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول.

ونحو هذا قال الزجاج[(٢)]: ذكَرَ العُسْرَ بالألف واللام، ثم ثنَّى ذكره، فصار المعنى: إن مع العسر يُسْرين.

وقال صاحب النظم: معنى الكلام: لا يَحْزُنْكَ ما يُعيّرك به المشركون من الفقر، فإن مع العسر يسراً عاجلاً في الدنيا، فأنجزه ما وعده بما فتح عليه. ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال: ﴿إن مع العسر يسراً﴾. والدليل على ابتدائه؛ تعرّيه من [الفاء و][(٣)] الواو، وهو وعدٌ لجميع المؤمنين؛ لأنه يعني بذلك: إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة، وربما اجتمع له اليسران؛ يُسْرُ الدنيا ويُسْرُ الآخرة[(٤)].

قال: وقوله: "لن يغلب [عسرٌ][(٥)] يسرين" أي: يُسْرُ الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ أي: فاتعب. يقال: نَصِبَ ينْصَبُ نَصْباً؛

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: زاد المسير (٩/ ١٦٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٤١).

(٣) زيادة من زاد المسير (٩/ ١٦٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٤).

(٥) في الأصل: عسراً. والتصويب من ب.

إذا تَعِبَ[١].

وهذا حثٌّ للنبي ﷺ على النَّصَبِ في العبادة؛ شكراً للذي أنعم عليه بشرح صَدْرِه، ووضع وِزْرِه، ورفع ذِكْرِه، وتبديل عُسْرِه بيُسْرِه.

قال ابن مسعود: إذا فرغتَ من الفرائض، فانصبْ في قيام الليل[٢].

وقال ابن عباس: إذا فرغتَ من الصلاة، فانصبْ في الدعاء[٣].

وقال الحسن: إذا فرغتَ من جهاد عدوك، فانصبْ في عبادة ربك[٤].

وقال مجاهد: إذا فرغتَ من أمر دنياك، فانصبْ في عمل آخرتك[٥].

وقال الشعبي: فإذا فرغتَ من التشهد، فادْعُ لدنياك وآخرتك[٦].

﴿وإلى ربك فارغب﴾ قال الزجاج[٧]: اجعل رغبتك إليه وحده.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: نصب).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٧). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٥٢).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٧٦٨)، والطبري (٣٠/ ٢٣٧). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٧).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٤١).

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني آيات[1]. وهي مكية في قول عامة المفسرين.

ويروى عن ابن عباس وقتادة: أنها مدنية[2].

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ
خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ
بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

قال الله تعالى: ﴿والتين والزيتون﴾ قال ابن عباس: هو تينكم هذا وزيتونكم[3].

قال أهل التفسير: أقسم الله بهما؛ لامتيازهما بالفضل على سائر الثمار. فالتين فاكهة مستلذّة، خالصة من شوائب النُّغَص، [خالية][4] من

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٩).

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٣٠٠)، وزاد المسير (٩/ ١٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٨)، والحاكم (٢/ ٥٧٦ ح٣٩٥١) كلاهما بلفظ: الفاكهة التي يأكلها الناس. وذكره السيوطي بلفظيهما في الدر المنثور (٨/ ٥٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) في الأصل: خالصة. والمثبت من ب.

العَجَم[١]، الواحدة منه على مقدار اللقمة، إلى غير ذلك من منافعه الطيبة.

وأما الزيتون فإنه يعتصر منه الزيت، ومنافعه كثيرة جداً.

وقال كعب الأحبار: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس[٢].

قال قتادة: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس[٣].

وقال ابن زيد: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس[٤].

وقيل: التين: جبال ما بين حُلْوَان وهمذان، والزيتون: جبال الشام[٥].

قال بعض العلماء[٦]: سُمّيا بذلك؛ لأنهما منبتا التين والزيتون.

قوله تعالى: ﴿وطور سينين﴾ قال كعب وجمهور المفسرين: هو الجبل الذي كَلَّمَ الله تعالى عليه موسى[٧].

و"سينين" لغة في سيناء، وكذلك هو في قراءة علي عليه السلام، وسعد بن أبي

---

(١) العَجَم -بالتحريك-: النَّوى. والعامة تقوله: عَجْم، بالتسكين (اللسان، مادة: عجم).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٥) وعزاه لابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٩). وذكره الماوردي (٦/ ٣٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٩).

(٥) هو قول الفراء. انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٧٦).

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٨).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٥) وعزاه لابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن كعب.

وقاص، وابن مسعود، [وأبي الدرداء][(١)]، إلا أن الأوَّلَين فتحا السين[(٢)].

وقرأ الجحدري وأبو رجاء مثلَ قراءة العامة، إلا أنهما فتحا السين[(٣)]. وقد ذكرنا معناه في ﴿قد أفلح﴾[(٤)].

قال مقاتل[(٥)]: كُلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مُثمر [فهو][(٦)] سينين، وسيناء بلغة [النَّبط][(٧)].

قوله تعالى: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني: مكة، يأمن فيه الخائف، وهو مِنْ أَمِنَ الرجلُ يأمَنُ أمانةً فهو آمِن.

وجواب القسم قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾.

والصحيح: أنه اسم جنس.

﴿في أحسن تقويم﴾ أي: في أحسن صورة وأعدل هيئة.

قال ابن عباس: [منتصبُ][(٨)] القامة[(٩)].

---

(١) في الأصل: وابن أبي الدرداء. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٧٠)، والدر المصون (٦/ ٥٤٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) سورة المؤمنون، عند الآية رقم: ٢٠.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٨) ولفظه: كل جبل لا يحمل الثمر لا يقال له سيناء. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٠).

(٦) زيادة من ب.

(٧) في الأصل: القبط. والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: منصوب. والمثبت من ب.

(٩) ذكره الماوردي (٦/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٢).

قال المفسرون: خلق الله كُلَّ ذي روح مكباً على وجهه، إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده(١).

﴿ثم رددناه﴾ بعد امتداد قامته واشتداد قوته ﴿أسفل سافلين﴾ فصار عند الكبر [محدودب](٢) الظهر بعد الاعتدال، مُبْيَضَّ الشعر بعد الاسوداد، متقبّضَ الجلد بعد الانبساط، هَرِماً بعد شبابه، ضعيفاً بعد قوته، خَرِفاً بعد رصانة عقله ورزانة حلمه.

والسافلون: هم الضعفاء من الزمنى والأطفال والهرمى، واحدهم: سَفِيل، وسِفل، وسَافِل. قال المخبَّل:

لئن رُدِدتُ إلى النَّعْمانِ ثانيةً إني إذاً لسفيلُ الجدِّ محرُوم

وقوله تعالى: ﴿أسفل سافلين﴾ نكرة تعمّ الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائل، ولا تقول: أكرم القائل، إلا أن تجمع، فإذا جمعت وأردت [به](٣) المعرفة قلت: أكرم القائلين، وإن أردت النكرة قلت: أكرم قائلين. وهذا قول ابن عباس وعامة المفسرين.

وقال الحسن ومجاهد: ثم رددناه إلى النار(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٢٤).

(٢) في الأصل: محدوب. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٦، ٥٥٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد.

قال أبو العالية: إلى النار في [شر][(١)] صورة، في صورة خنزير[(٢)].

قال الواحدي[(٣)]: والنار أسفل سافلين؛ لأن جهنم بعضها أسفل من بعض. والمعنى: ثم رددناه إلى أسفل سافلين.

ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ وهو استثناء متصل، على قول الحسن ومجاهد، ومنقطع على قول غيرهما. على معنى: لكن الذين كانوا صالحين، من الهرمى، ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾.

قال عكرمة: من رُدَّ منهم إلى أرذل العمر، كُتب له كصالح ما كان يعمل في شبابه[(٤)].

﴿فما يكذبك﴾ أيها الإنسان ﴿بعد﴾ أن [استنارت][(٥)] لك دلائل قدرتي على البعث بما تشاهده من تقلّب أحوالك، وآثار تصرفي فيك.

﴿بالدين﴾ أي: بالجزاء. أو فما يكذبك بعد أن تبيَّنْتَ قدرتي ودلائلَ وحدانيتي بديني، الذي هو دين الإسلام.

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي: بأقضى القاضين.

---

(١) في الأصل: أشر. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الوسيط (٤/ ٥٢٤).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: استنار. والتصويب من ب.

قال مقاتل[1]: هو يحكم بينك يا محمد وبين مُكَذِّبِيكَ.

وقيل: أليس الله بأحكم الحاكمين صُنْعاً [وتدبيراً][2].

وقد ذكرنا ما كان رسول الله ﷺ يقوله إذا ختم هذه السورة في آخر القيامة.

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٩).

(٢) في الأصل: وتقديراً. والمثبت من ب.

سورة القلم

(وتسمى سورة العلق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي عشرون آية في المدني، وتسع عشرة في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

وقد أسلفنا أنها أول ما نزل من القرآن[2] إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾، وباقيها نزل في أبي جهل، لعنه الله.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ قال صاحب الكشاف[3]: محل "باسم ربك": النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل: بسم الله، ثم اقرأ.

فإن قلت: ما باله لم يذكر مفعول "خلق"؟

قلتُ: إما أن يكون المعنى الذي حصل منه الخلق فلا يستدعي مفعولاً، وإما

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٨٠).

(٢) وذلك في مقدمة الكتاب، وهي ضمن القسم المفقود من الكتاب.

(٣) الكشاف (٤/ ٧٨١).

أن يكون المفعول محذوفاً، فتقديره: خلق كل شيء.

ثم خصَّصَ جنس الإنسان بالذكر؛ لشرفه، وكونه المخاطب بالتكاليف فقال: ﴿خلق الإنسان من علق﴾.

وقوله: ﴿من علق﴾ على جمع علقة، تدل على إرادة جنس الإنسان.

قوله تعالى: ﴿اقرأ﴾ [تكرير][1] توكيد. ثم استأنف فقال: ﴿وربك الأكرم﴾ أي: الذي لا نظير له في كرمه.

وفي قوله: ﴿الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ عقيب قوله: ﴿الأكرم﴾ تنبيهٌ على أن إفادة العلم كرم محض، وتنبيهٌ على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع التي لا يحيط بها علماً سوى الله عز وجل، وبه انتظام علم الدنيا والآخرة. وقد ذكرت في سورة "نون" طرفاً من فضائل القلم.

ومن بديع ما سمعت فيه ما أنشدنيه صاحبنا أبو نصر بن عثمان بن خليفة الموصلي الحنبلي لنفسه:

أيُّها الصاحبُ الكريمُ ومَنْ ... أصبحَ زيْنَ الكُتَّابِ والأصْحَاب
بيَرَاعٍ ريعَتْ له نُوبُ الدَّهْر ... وهانتْ به جميعُ الصِّعَاب
وإذا ما يشاءُ أمراً فلا يَحْفَلْ ... يوماً بالصَّارمِ القِرْضَاب
فهو يَجْزِي للأولياء بأَرْيٍ ... ولأعدائه بشَرْيٍ وَصَاب
أقسمَ اللهُ باسمه وكَفَاهُ ... [مَفْخَراً][2] إذْ أتى بنصِّ الكِتَاب

(١) في الأصل: تكير. والتصويب من ب.
(٢) في الأصل: فخراً. والمثبت من ب.

والمعنى: علّم الإنسان الكتابة بالقلم، علّم الإنسان من العلوم والصنائع ما لم يعلم.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن الطغيان بالنعمة، وإن لم يُذكر؛ لدلالة الكلام عليه.

وعامة المفسرين يقولون: المعنى: حقاً.

﴿إن الإنسان﴾[١] يعني: أبا جهل ﴿ليطغى﴾.

قال الكلبي: كان إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه، فذلك طغيانه[٢].

﴿أن رآه استغنى﴾ قال ابن قتيبة[٣]: المعنى: أن رأى نفسه استغنى.

وقال غيره[٤]: يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، ولو كانت بمعنى

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "لفي خسر". وهو خطأ. وموضعه في سورة العصر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٦) بلا نسبة.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٣).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٨٣).

الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. و"استغنى" هو المفعول الثاني.

قال عبدالله بن مسعود: منهومان لا يشبعان: طالب علم، وصاحب الدنيا. أما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان، ثم قرأ: ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾[1].

قال مقاتل[2]: ثم خوّفه الله تعالى بالرجعة فقال: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾.

والرُّجْعَى: مصدر؛ كالبُشْرَى، بمعنى: الرجوع.

﴿أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى﴾ استفهام في معنى الإنكار، وتعجيب للمخاطب.

أخرج الترمذي من حديث ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنْهَكَ عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فَزَبَرَهُ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فليدع ناديه * سندع الزبانيه﴾. قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله»[3].

وقال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، فقيل له: ها هو ذاك يصلي، فانطلق ليطأ على رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتّقي بيديه، فأتوه فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً

(١) أخرجه الدارمي (١/ ١٠٨ ح٣٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٤ ح٣٣٤٩).

وأجنحة، فقال نبي الله: والذي نفسي بيده، لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، فأنزل الله عز وجل: ﴿أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى﴾ إلى آخر السورة[1].

فتبين بهذا أن الناهي: أبو جهل.

والمعنى: أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته.

﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾ قال عامة المفسرين: المعنى: أرأيت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى.

﴿أو أمر بالتقوى﴾ يعني: الإخلاص والتوحيد.

﴿أرأيت إن كذب﴾ الناهي أبو جهل ﴿وتولى﴾ عن الإيمان.

قال الفراء[2]: المعنى: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو كاذبٌ مُتَوَلٍّ عن الذِّكْر؟ فأيُّ شيء أعجب من هذا.

وقال ابن الأنباري: [التقدير: أرأيته مصيباً][3].

وقال صاحب الكشاف[4]: المعنى: أرأيت إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما يَنْهَى عنه من عبادة الله، أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب والتَّوَلِّي عن الدين

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٤ ح٢٧٩٧)، والنسائي (٦/ ٥١٨ ح١١٦٨٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٠ ح٨٨١٧)، والطبري (٣٠/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٥) وعزاه لأحمد ومسلم والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي.

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٧٨).

(٣) في الأصل: المعنى: أرأيته مصلياً. والمثبت من ب.

(٤) الكشاف (٤/ ٧٨٣).

الصحيح، كما [نقول][1] نحن. ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد.

قال[2]: فإن قلت: ما متعلق "أرأيت"؟

قلتُ: "الذي ينهى" مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين.

فإن قلت: فأين جواب الشرط؟

قلتُ: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى.

وإنما حَذَفَ لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني.

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون "ألم يعلم" جواباً للشرط؟

قلتُ: كما صحَّ في قولك: إن أكرمتُكَ أتُكرمني؟ وإن أحسَنَ إليك زيدٌ هل تُحسن إليه؟.

فإن قلت: فما "أرأيت" الثانية وتوسطها بين مفعولي "أرأيت"؟

قلتُ: هي زائدة مكررة للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لأبي جهل عن نهيه عباد الله عن الصلاة.

ثم تهدده فقال: ﴿لئن لم ينته﴾ يعني: عن إيذاء محمد ﷺ ونهيه عن الصلاة ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ أي: لنأخذنّ بناصيته ولنسحبنّه بها إلى النار.

والسَّفْع: القبض على الشيء وجَرُّه بشدة[3]. وأنشدوا قول عمرو بن معدي

---

(١) في الأصل: تقول. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٨٣).

(٢) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٨٣-٧٨٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سفع).

كرب:

قومٌ إذا سَمِعُوا الصَّريخَ رأيتَهُم مِنْ [بين][(١)] مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سَافِعِ[(٢)]

قوله تعالى: ﴿ناصية﴾ بدل من "الناصية"، وجاز بدل النكرة عن المعرفة؛ لأنها وصفت[(٣)].

والتقدير: لنسفعاً بناصيةٍ ﴿كاذبة خاطئة﴾، وتأويله: بناصيةٍ صاحبها كـاذبٌ خاطئ، كما يقال: فلان نهاره صائم، وليله قائم.

﴿فليدع ناديه﴾ على حذف المضاف، أي: أهل ناديه.

﴿سندع الزبانية﴾ قال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشداد[(٤)].

قال مقاتل[(٥)]: هم خَزَنَةُ جهنم.

قال الفراء[(٦)]: لا واحد للزبانية من لفظها. وقـال: كـان الكـسائي يقـول: لم أسمع للزبانية بواحد، ثم قال بأَخَرَة: واحد الزبانية زِبْنِيٌّ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً.

قال الزمخشري[(٧)]: كأنه نسب إلى الزَّبن، ثم غُيّر للنسب، كقولهم: أمسى.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) البيت لعمرو بن معـدي كـرب. انظـر: ديوانـه (ص:١٤٥)، واللـسان (مـادة: سـفع)، والبحـر (٨/ ٤٨٧)، والدر المصون (٦/ ٥٤٧)، وتاج العروس (مادة: سفع).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٠)، والدر المصون (٦/ ٥٤٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠٢).

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٨٠).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٨٤-٧٨٥).

وقال أبو عبيدة[١]: واحده: زِبْنِيَّة؛ [كعِفْرِيَّة][٢]، وهو كل متمرد من إنـس أو جان.

قال ابن قتيبة[٣]: هو مأخوذ من الزَّبْن، وهو الدَّفْع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لأبي جهل ﴿لا تطعـه﴾ يـا محمـد في تـرك الـصلاة، ﴿واسجد﴾ لله ﴿واقترب﴾ إليه بالسجود.

وفي الحديث: عن النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٤].

ومن مُستبعد التفسير: قول زيد بن أسلم: اسجد يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النار[٥].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٤).

(٢) في الأصل: كعقربة. والتصويب من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٣).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠ ح٤٨٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس آيات[1].

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: هي مكية[2].

وقال الضحاك ومقاتل[3]: مدنية.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ اتفقوا على أن الكناية في "أنزلناه" للقرآن[4]، ولم يَجْرِ له ذِكْرٌ؛ ثقةً بعلم السامع به؛ لموضع نباهته وشُهرته.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨١).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ١٨١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠٣). وانظر: الماوردي (٦/ ٣١١)، وزاد المسير (٩/ ١٨١).

(٤) في هامش ب: قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن مسلم البطين والمنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أنزلَ اللهُ القرآنَ إلى السماء الدنيا ليلةَ القدر جملةً واحدةً، فكان جبريلُ ينزل، يعني على النبي ﷺ. كذا قال، وقد صح -يعني هذا- عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

وقال الزجاج[١]: لم يَجْرِ له ذِكْرٌ في هذه السورة، [ولكنه][٢] جرى فيما قبلها.

وقد ذكرنا كيفية إنزاله في ليلة القدر في مقدمة الكتاب.

والكلام في ليلة القدر تحصره فصول:

الفصل الأول: اختلفوا في تسميتها بليلة القدر على خمسة أقوال:

أحدها: أنه من القَدْر، الذي هو بمعنى: العَظَمَة، من قولك: لفلان قَدْرٌ، فسُميتْ بذلك؛ لِعِظَم قدرها عند الله تعالى. قاله الزهري[٣].

الثاني: أنه من القَدْر، الذي [هو][٤] بمعنى: الضيق؛ كقوله: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ [الطلاق:٧] أي: ضيّق عليه.

فالمعنى: هي ليلة تضيق فيها الأرض بالملائكة الذين ينزلون من عند الله بالخير والرحمة. قاله جماعة، منهم: الخليل بن أحمد[٥].

الثالث: أن الأمور تُقدَّر فيها، كما قال: ﴿فيها يُفْرَقُ كل أمر حكيم﴾ [الدخان:٤]، وقد سبق تفسيره في الدخان[٦]. قاله قوم، منهم: ابن قتيبة[٧].

الرابع: أنه أُنزل فيها كتابٌ ذو قدر ورحمة، ذاتُ قدرٍ، وملائكةٌ [ذوو][٨]

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٤٧).

(٢) في الأصل: لكنه. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٢).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٢).

(٦) (ج٧/ ١٦٠).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٤).

(٨) في الأصل: ذو. والمثبت من ب.

أقدار[١].

الخامس: أن من لم يكن له قدْر صار بمراعاتها ذا قدر. قاله أبو بكر الوراق[٢].

الفصل الثاني: اختلفوا هل هي باقية أو كانت في زمن النبي ﷺ خاصة؟ على قولين.

والصحيح: أنها باقية.

واختلفوا هل هي مخصوصة بشهر رمضان، أو تكون في جميع السنة؟ على قولين.

والصحيح: اختصاصُها بشهر رمضان.

وذهب الأكثرون إلى اختصاص الأفراد من العشر الأخير منه بها، وعليه تدل الأحاديث الصحيحة والآثار، على ما سنذكره.

واختلفوا أيُّ لياليه أخصُّ بها؟ على أقوال:

أحدها: ليلة سبع وعشرين[٣]. قاله علي وابن عباس وعائشة وجمهور الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

وكان أبيّ بن كعب يحلف ولا يستثني: أنها ليلة سبع وعشرين، وإليه ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٢) حكاية عن علي بن عبيدالله.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ودليله: حديث ابن عمر الآتي.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٧).

الثاني: ليلة إحدى وعشرين[١]، وهو مذهب الشافعي[٢].

الثالث: ليلة ثلاث وعشرين[٣]. قاله عبدالله بن أنيس[٤].

الرابع: ليلة خمس وعشرين. قاله أبو بكرة، ورواه عن النبي ﷺ[٥].

الإشارة إلى الدلائل على ذلك:

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله: أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال بل: هي في رمضان، قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قُبضوا رُفعت، أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: بل هي إلى يوم القيامة، قلت: في أي رمضان هي؟ قال: التمسوها في العشر الأول أو في العشر [الأواخر][٦]، ثم حدَّثَ رسولُ الله ﷺ وحدَّث، ثم اهْتَبَلْتُ[٧] غفلته، فقلت: في أي العشرين هي؟ قال: فابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها... وساق الحديث إلى آخره»[٨].

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو في خامسة

---

(١) ودليله: حديث أبي سعيد الآتي.

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٣١٢)، وزاد المسير (٩/ ١٨٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١ ح٧٤١٧)، والبيهقي في سننه (٤/ ٣١٠ ح٨٣٢٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٦).

(٥) مثل السابق.

(٦) في الأصل: الآخر. والمثبت من ب، ومسند أحمد (٥/ ١٧١).

(٧) في هامش الأصل: قوله: اهتبلت: أي: اغتنمت. كذا في النهاية (مادة: هبل).

(٨) أخرجه أحمد (٥/ ١٧١ ح٢١٥٣٨).

تبقى»[١].

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «من كان متحرِّياً فليتحرَّها ليلة سبع وعشرين، أو قال: تحروها ليلة سبع وعشرين»[٢].

وفي أفراده أيضاً من حديث زِرٍّ قال: «سألت أبيّ بن كعب قلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يُصب ليلة القدر، فقال: [يرحمه][٣] الله، لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، قال: وحلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم - يعني: الشمس - لا شعاع لها»[٤].

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد قال: «اعتكف النبي ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة [عشرين][٥] من رمضان فقال: من كان اعتكف مع النبي ﷺ فليرجع، فإني أريتُ ليلة [القدر][٦] وإني أُنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيتُ كأني أسجد في طين وماء، فجاءت قَزَعَة فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فأبصرته، وإن أثر الماء والطين على

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧١١ ح١٩١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٢ ح١١٦٥).

(٣) في الأصل: يرحمك. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٨ ح٧٦٢).

(٥) في الأصل: إحدى وعشرين، وهي خطأ. والتصويب من ب، والصحيح (١/ ٢٨٠).

(٦) زيادة من ب، والصحيح، الموضع السابق.

جبهته وأنفه»[١].

وأخرج الترمذي بإسناده عن أبي قلابة أنه قال: «ليلةُ القدر تنتقـل في العـشر الأواخر»[٢].

الفصل الثالث: في تفسيرها وفضيلتها.

قوله تعالى: ﴿خير من ألف شهر﴾ قال مجاهد: قيامُها والعملُ فيها خـير مـن قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر[٣]. وهو قول قتادة، واختيار الفـراء، وابن قتيبة، والزجاج[٤].

[وفي][٥] الصحيحين من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من قـام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٦].

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت [نحوه][٧]، وزاد: «غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٠ ح٧٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ١٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٨٠)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٤٧)، وتفسير غريـب القـرآن لابـن قتيبـة (ص: ٥٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر عن قتادة.

(٥) في الأصل: في. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٦٧٢ ح١٨٠٢)، ومسلم (١/ ٥٢٣ ح٧٦٠).

(٧) زيادة من ب.

(٨) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٨ ح٢٢٧٦٥).

وأخرج أيضاً من حديث عائشة قالت: «يا رسول الله! إن وافقت ليلة القدر فبما أدعو؟ قال: قولي: اللهم! إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني»[١].

وقال ابن عباس: ذُكر للنبي ﷺ رجلٌ من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله على عاتقه ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من الألف شهر التي حَمَلَ فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله عز وجل[٢].

وقيل: إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد، حتى يعبد الله ألف شهر، فأُعطيت هذه الأمة ليلةُ القدر، وجُعل إحياؤها خيراً من عبادة العابد من أولئك ألف شهر.

قوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح﴾ أي: تنزل الملائكة والروح جبريل إلى الأرض بالرحمة من الله تعالى، والسلام على أوليائه. ففي حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كَبْكَبَةٍ[٣] من الملائكة، يُصلّون ويُسلّمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل»[٤].

﴿بإذن ربهم﴾ أي: بأمره ﴿من كل أمر﴾ أي: بكل أمر؛ كقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد:١١].

والمعنى: بكل أمرٍ قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٨٢ ح٢٥٥٣٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩١-١٩٢).

(٣) الكَبْكَبَة: الجماعة من الناس (اللسان، مادة: كبب).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٣٤٣ ح٣٧١٧).

وقيل: بكل أمرٍ من الخير والبركة.

﴿سلام هي﴾ أي: ما هي إلا سلام.

قال مجاهد: لا يُحدثُ اللهُ فيها أذى ولا يُرسل فيها شيطاناً[١].

وقيل: هو تسليم الملائكة على المؤمنين[٢].

﴿حتى مَطْلَعِ الفجر﴾ وقرأ الكسائي: "مَطْلِعِ" بكسر اللام[٣].

وقد سبق ذكره في الكهف[٤]، وذكر أمثاله في مواضعه.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٣)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٣٨ ح٣٦٩٩)، عن مجاهد. وذكره الماوردي (٦/ ٣١٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩٤).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٣١٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣٧)، كلاهما من قول الكلبي.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٨)، والكشف (٢/ ٣٨٥)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٢)، والسبعة (ص:٦٩٣).

(٤) عند الآية رقم: ٩٠.

سورة لم يكن (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني آيات(٢).

وهل هي مكية أو مدنية؟ فيه قولان(٣).

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ
ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا
لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ
دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

قال الله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى، ﴿والمشركين﴾ أي: [ومن](٤) المشركين.

وقرأ الأعمش: "والمشركون" عطفاً على محل "الذين كفروا" من

(١) وتسمى سورة البيّنة، وسورة القيامة.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٢).

(٣) الجمهور على أنها مدنية. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: مكية. وهو اختيار يحيى بن سلام. انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣١٥)، وزاد المسير (٩/ ١٩٥).

(٤) في الأصل: من. والتصويب من ب.

الإعراب[(١)].

﴿منفكّين﴾ منفصلين عن كفرهم ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ وهي محمد ﷺ الذي بين لهم ضلالهم.

وهذا تنبيهٌ لمن آمن [من][(٢)] الفريقين على موقع نعمة الله عليهم، بإرسال محمد ﷺ إليهم.

﴿رسول من الله﴾ بدل من "البينة"[(٣)]، ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ يريد: ما تضمّنته الصحف المطهرة من القرآن.

والمراد بتطهيرها: تنزيهها عن الباطل.

﴿فيها كتب﴾ أي: مكتوبات ﴿قيّمة﴾ مستقيمةٌ عادلةٌ، فاصلة بين الهدى والضلال.

﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ وهم الذين أقاموا على يهوديّتهم ونصرانيّتهم.

﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وهي[(٤)] محمد ﷺ، فإنهم لم يزالوا متّفقين على الإيمان به حتى بُعث، فتفرقوا، فآمن بعضٌ وكفر بعض[(٥)].

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ أي: إلا أن يعبدوا الله. وكذلك

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٩٤)، والدر المصون (٦/ ٥٥١).

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٩١)، والدر المصون (٦/ ٥٥٢).

(٤) في ب: وهو.

(٥) وفي البينة قولان آخران، أحدهما: أن المراد بالبيّنة: القرآن. قاله أبو العالية.

والثاني: ما في كتبهم من صحة نبوته ﷺ. (انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٣١٦، وزاد المسير ٩/ ١٩٧).

هي في قراءة ابن مسعود(١).

قال الفراء(٢): العرب تجعل اللام في موضع "أنْ".

والمعنى: وما أمروا في الكتابين إلا أن يعبدوا الله على صفة الإخلاص.

﴿حنفاء﴾ على ملة إبراهيم ﴿ويقيموا الصلاة﴾ على الوجه الذي أُمروا به، ﴿ويؤتوا الزكاة﴾ على [ما](٣) شرع لهم، ﴿وذلك﴾ الذي أُمروا به ﴿دين القيِّمة﴾ أي دين الملّة المستقيمة.

ثم ذكر ما للفريقين في تمام السورة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

قرأ نافع وابن ذكوان: "البَرِيئَة" بالهمز على الأصل؛ لأنه من: بَرَأَ الله الخلق. وقرأ الباقون: بتشديد الياء من غير همز(٤).

قال ابن قتيبة(٥): أكثر العرب والقراء على ترك الهمز؛ لكثرة الاستعمال.

---

(١) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٥٥٢)، والقرطبي (٢٠/ ١٤٤).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٨٢).

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٩)، والكشف (٢/ ٣٨٥)، والنشر (١/ ٤٠٧)، والإتحاف (ص:٤٤٢)، والسبعة (ص:٦٩٣).

(٥) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٩/ ١٩٩).

قال مكي[١]: لما كثُر استعمالهم لهذه الكلمة وفيها همزة ومدّة وياء، والهمز أثقل من غيره، خفَّفوا الهمزة، فأبدلوا منها ياء، وأدغموا الياء الزائدة التي قبلها فيها.

قوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ أي: خافه في الدنيا، فعمل بطاعته.

---

(١) الكشف (٢/ ٣٨٥).

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي تسع آيات في المدني، وثمان في الكوفي(1).

وهل هي مكية أو مدنية؟ فيه قولان(2).

أخبرنا أبو المجد محمد بن محمد الكرابيسي، أخبرنا الشيخان عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر الكسار، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد السني، أخبرنا أبو عبدالرحمن النسائي، أخبرنا [محمد بن](3) عبدالله بن يزيد، عن أبيه(4)، عن سعيد(5)، حدثني عياش بن عباس(6)، عن عيسى بن

---

(1) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:283).

(2) ممن قال بأنها مدنية: ابن عباس وقتادة ومقاتل والجمهور. وقال ابن مسعود وجابر وعطاء: مكية (انظر: تفسير الماوردي 6/ 318، وزاد المسير 9/ 201).

(3) زيادة من سنن النسائي (6/ 180). وانظر ترجمته في: التقريب (ص:490)، وتهذيب الكمال (25/ 570).

(4) عبد الله بن يزيد العدوي، مولى آل عمر، أبو عبد الرحمن المقرئ القصير، ثقة، مات بمكة سنة ثلاث عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب 6/ 75، والتقريب ص:330).

(5) هو سعيد بن أبي أيوب، واسمه مقلاص الخزاعي. تقدمت ترجمته.

(6) عياش بن عباس القتباني الحميري، أبو عبد الرحيم، ويقال: أبو عبد الرحمن المصري، ثقة، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب 8/ 176، والتقريب ص:437).

هلال[١]، عن عبدالله بن عمرو قال: «أتى رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: أقرئني سورة جامعة، فأقرأه: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ حتى فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل، أفلح الرويجل»[٢].

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

اعلم أن الزلزلة: الحركة الشديدة، والمراد بها هاهنا: زلزلة تكون عند قيام الساعة.

قال مقاتل[٣]: تُزَلْزَل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها، ولا تَسْكُنُ حتى تُلقي ما على ظهرها من جبل وبناء وشجر، ثم تتحرك وتضطرب فتخرج ما في جوفها.

وفي قراءة أبي حيوة والجحدري: "زَلْزَالها" بفتح الزاي[٤]، فالمكسور مصدر،

---

(١) عيسى بن هلال الصدفي المصري، صدوق (تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٣-٥٦، والتقريب ص:٤٤١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٧ ح١٣٩٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٨٠ ح١٠٥٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٩ ح٦٥٧٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٢).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٠٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٤).

والمفتوح اسم.

والأثقال: جمع ثِقَل. والمعنى: أخرجت ما فيها من الدَّفَايِن.

قال ابن عباس: أخرجت ما فيها من الموتى(١).

وقال عطية: كنوزها(٢).

﴿وقال الإنسان﴾ لما خامره من هول تلك الزلزلة الشديدة مُستعظماً لها: ﴿ما لها﴾، كما يقول يوم البعث: ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ [يس:٥٢].

وقيل: هذا قول الكافر؛ لأنه لم يكن مؤمناً بالبعث.

﴿يومئذ﴾ بدل من "إذا"، وناصبها: ﴿تحدِّث﴾، ويجوز أن ينتصب "إذا" بمضمر(٣).

والمعنى: تحدث الخلق ﴿أخبارها﴾.

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد وأَمَة بما عَمِلَ على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا»(٤).

والباء في قوله: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ تتعلق بـ"تحدِّث"، أي: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك وإلهامه إياها أن تحدث.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٩ ح٢٤٢٩).

﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب فِرَقاً فِرَقاً، سعداء وأشقياء، كل فِرْقة على حِدَة ﴿ليروا أعمالهم﴾.

قال ابن عباس: جزاء أعمالهم[1].

﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ أي: فمن يعمل في الدنيا زِنَة ذرّة، وهي أصغرُ النمل ﴿خيراً يره﴾ في صحيفة عمله، أو يرى ثوابه.

و"خيراً" و"شراً" تمييزان[2].

قرأ الكسائي من رواية نصير عنه: "يُرَهُ" بضم الياء فيهما[3].

وقرأ هشام: "يَرَهْ" بإسكان الهاء في الموضعين[4].

وقرأ أبو جعفر ويعقوب بخلاف عنهما: بضم الهاء من غير إشباع[5].

أخبرنا القاضي أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري، قراءة عليه وأنا أسمع سنة تسع وستمائة، أخبرنا عبدالكريم بن حمزة السلمي الحداد، قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الكتاني الحافظ قال: أخبرنا تمام بن محمد [بن][6] عبدالله الرازي، أخبرنا خيثمة بن سليمان إملاءً،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٤).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٩٨)، والدر المصون (٦/ ٥٥٦).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٩)، والكشف (٢/ ٣٨٦)، والنشر (١/ ٣١١)، والإتحاف (ص:٤٤٢)، والسبعة (ص:٦٩٤).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٢).

(٦) زيادة من ب.

حدثنا أبو يحيى عبدالله بن أبي [مسرة][١] بمكة قال: حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا محمد بن زياد، حدثنا ميمون بن مهران، عن ابن عباس: «أن عائشة رضي الله عنها أتتها امرأة مشتملة على يمينها قد شُلَّتْ، لا تنتفع بها، فقالت لها عائشة: [ما لكِ][٢]؟ قالت: أخبرك بالعجب، كان أبي معطاءً كثير المعروف، وكانت أمي امرأة مُمْسِكَةً، لا يكاد يخرج من يدها خير، فمات أبي قبلها بزمان، ثم ماتت هي بعد، فعرج[٣] بروحي، فخرجت فإذا أنا بأبي قائم على حوض يسقي من أَقْبَلَ وأَدْبَرَ، فقلت: يا أبَه، هل جاءتكم أمي؟ قال: وقد قُبضت؟ قلت: نعم، قال: ما جاءتنا، ولكن التمسيها في ذات الشمال، قالت: فخرجت فإذا أنا بها قائمة عريانة ليس عليها إلا خريقة [وَارَتْ][٤] بها عورتها، وفي[٥] يديها شُحَيْمَة تَدْلُك بها راحتها، كلما نديت لَحَسَتْها، وبين يديها نهر يجري، وهي تنادي: وا عطشاه وا عطشاه، فقلت لها: يا أماه، ما لكِ؟ قالت: أي بنية، دعيني فإني لم أقدّم لنفسي خيراً قط غير هذه الخرقة، وهذه الشُّحَيْمَة، فقلت لها: ما يمنعك من هذا الماء أن تشربي منه، قالت: لا أُتْرَكُ وإياه، فقلت لها: أفلا أسقيك؟ قالت[٦]: بلى، فغرفتُ غَرفةً بيدي فسقيتها، فنادى مُنادٍ من السماء: [شُلَّتْ][٧] يمين من سقاها، فاستيقظت وأنا كما

(١) في الأصل: ميسرة. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣٢).

(٢) في الأصل: ما لي أراها كذا. والمثبت من ب، والفوائد (٢/ ١٦٦).

(٣) في ب: فأعرج.

(٤) في الأصل: وارزة. والتصويب من ب، والفوائد (٢/ ١٦٧).

(٥) في ب: في.

(٦) في ب: فقالت.

(٧) زيادة من ب، والفوائد (٢/ ١٦٧).

ترين، فلما جاء رسول الله ﷺ من المسجد قصّت عليه القصة، فقال رسول الله ﷺ: من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»(١).

قال الحسن رحمه الله: «قدم صعصعةُ عَمُّ الفرزدق على النبي ﷺ، فلما سمع: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ قال: حسبي ما أبالي أن لا أسمع [من](٢) القرآن غير هذا»(٣).

وروى [أبو](٤) الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله! إلى ما ينتهي الناس يوم القيامة؟ قال: إلى أعمالهم، من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»(٥).

قال الماوردي(٦): وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يَلْقَى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار الجزاء.

والثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة، حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

---

(١) أخرجه تمام الرازي في الفوائد (٢/ ١٦٦-١٦٧). وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٨ ح٨٤٥٥).

(٢) زيادة من تفسير الثعلبي.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩ ح ٢٠٦١٢)، والثعلبي (١٠/ ٢٦٧).

(٤) زيادة على الأصل. وانظر: الوسيط (٤/ ٥٤٣).

(٥) أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٣).

(٦) تفسير الماوردي (٦/ ٣٢١).

قلتُ: والقول الأول هو الأصح، وهو[١] أشبه بسياق السورة ودلالة اللفظ. والله تعالى أعلم.

(١) قوله: "هو الأصح وهو" ساقط من ب.

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي إحدى عشرة آية[1]. وهل هي مكية أو مدنية؟ فيه قولان.

وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ
بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ
ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى
ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

قال مقاتل[2]: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سريةً إلى حيّين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تناجوا، فيظن الرجل أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه أو عمه، فيجدُ من ذلك [أمراً عظيماً][3]، فنزلت: ﴿والعاديات ضبحاً﴾، فأخبر الله تعالى كيف فعل بهم.

قال ابن عباس وجمهور المفسرين واللغويين: هي الخيل في سبيل الله تعدو

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٨٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٠).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

فَتَضْبَح[١].

والضَّبْحُ: صوت أنفاسها إذا عَدَوْن، ليس بصهيل ولا حمحمة[٢].

وعن ابن عباس أنه حكاه فقال[٣]: أح أح[٤].

وانتصاب "ضَبْحاً" على: يَضْبَحْنَ ضبحاً، أو على الحال، أي: ضابحات[٥].

ويروى عن علي وابن مسعود والسدي في آخرين: أنها الإبل في الحج[٦].

قال علي عليه السلام: والعاديات من عرفة إلى مزدلفة، ومن مزدلفة إلى منى[٧].

قال الشعبي: تمارى علي وابن عباس في قوله: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ فقال ابن عباس: هي الخيل، ألا تراه [يقول][٨]: ﴿فأثرن به نقعاً﴾ فهل تُثيره إلا بحوافرها، وهل تَضْبَحُ الإبل، إنما تَضْبَحُ الخيل؟ فقال علي: ليست كما قلت، لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرسٌ أبلق للمقداد بن الأسود[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧١-٢٧٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٠) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) انظر: اللسان (مادة: ضبح).

(٣) في ب: وقال.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٧).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٢-٢٧٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧).

(٧) انظر: التخريج بعد الآتي.

(٨) زيادة من ب.

(٩) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٢-٢٧٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠١) وعزاه لعبد بن حميد.

وفي رواية أخرى: وفرسٌ لمرثد بن أبي مرثد الغنوي.

وفي رواية أخرى: [فرسٌ][١] للمقداد، وفرس للزبير.

وقال بعضهم: من قال: هي الإبل؟ قال: ضبحاً يعني: ضبعاً تمد أعناقها في السير. وضَبَحَت وضَبَعَت بمعنًى واحد. قالت صفية بنت عبدالمطلب:

ألا والعادياتِ غَداةَ جَمْعٍ بأيديها إذا سَطَعَ الغُبَار[٢]

قال صاحب الكشاف[٣]: إن صحت الرواية -[يعني][٤]: عن علي عليه السلام- فقد استعير الضبح للإبل، [كما استعير][٥] المشافر والحافر للإنسان.

قال[٦]: وقيل: الضَّبْحُ لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب.

وقيل: الضَّبْحُ بمعنى الضبع، يقال: ضَبَحَت الإبل وضَبَعَت؛ إذا مدَّت أضباعها في السير، وليس بثبت[٧].

قوله تعالى: ﴿فالموريات قدحاً﴾ قال جمهور المفسرين واللغويين: هي الخيل إذا [جَرَت][٨] فأصابت بحوافرها الحجارة، تُوري النار

---

(١) في الأصل: وفرس. والمثبت من ب.

(٢) البيت لصفية بنت عبدالمطلب. وهو في: القرطبي (٢٠/ ١٥٥)، والماوردي (٦/ ٣٢٣)، والبحر (٨/ ٥٠٠)، والدر المصون (٦/ ٥٥٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: واستعير. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٦) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٥).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٩٥).

(٨) في الأصل: أجرت. والتصويب من ب.

بقدحها[١]. وتسمى تلك النار: نار الحباحب، وهو شيخ من جاهلية مضر من أبخل الناس، وكان لا يُوقد ناراً حتى ينام كل ذي عين، فإذا ناموا أوقد نويرة تخمد مرّة وتلوح أخرى، فإن استيقظ بها أحد أطفأها كراهية أن ينتفع بها أحد، فشبّهت العرب هذه النار بناره؛ لأنه لا يُنتفع بها[٢].

وانتصب "قَدْحاً" بما انتصب به "ضَبْحاً"[٣].

وقال قتادة: هي الخيل تُهَيِّجُ الحربَ ونارَ العداوة بين أصحابها وفرسانها[٤].

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هي نيران المجاهدين إذا أُشعلت وأُكثرت إرهاباً[٥].

وقال عكرمة: هي الألسنة[٦]، أُظْهِرَتْ بها الحجج، وأُقيمت بها الدلائل، وأُوضح بها الحق[٧].

وقال محمد بن كعب [القرظي][٨]: هي نيران الحجيج[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٠، ٦٠٢) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٠).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٥٨).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٤). وذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٨).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٤).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٨).

(٨) زيادة من ب.

(٩) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٠٣) وعزاه لعبد بن حميد.

قوله تعالى: ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ وهي الخيل، تُغير على العدو عند الصباح.

وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما: هي الإبل حين تغدو صبحاً من مزدلفة إلى منى[١].

والإغارة: سُرعة السير، ومنه: أَشْرِقْ ثبير كيما نغير.

﴿فَأَثَرْنَ به﴾ وقرأ أبو حيوة: "فَأَثَّرْنَ" بتشديد الثاء، من التأثير[٢].

"به" أي: بِعَدْوِهِنَّ، ودلّ عليه: "والعاديات"، أو بمكان عدوهن. وفي الكلام دليل عليه.

﴿نَقْعاً﴾ أي: غباراً، ومنه الحديث: «أن جبريلَ أتى النبيَّ ﷺ يوم الخندق وعلى ثناياه النَّقْع»[٣].

﴿فوسَطْن به﴾ وقرأ قتادة: "فوسَّطْن" بتشديد السين[٤]، تقول: وسَطت المكان ووسّطته -بالتشديد-، وتوسّطته؛ إذا صرت في وسطه[٥].

وقوله: ﴿جمعاً﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون مفعولاً، على معنى: فوسطن بِعَدْوِهِنَّ، أو بمكان عَدْوِهِنَّ جَمْعاً من جموع الأعداء، أو فوسطن بعدوهنَّ جَمْعاً، يعني: مزدلفة. وهو قول ابن مسعود[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧). وذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٥٥٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٧٤) عن حيان بن واسع بن حيان عن أشياخ من قومه.

(٤) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٥٦٠).

(٥) انظر: اللسان (مادة: وسط).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٧).

الثاني: أن يكون حالاً، على معنى: فوسطن به جميعاً[(١)].

وقال صاحب الكشاف[(٢)]: "فأثرن به نقعاً" أي: فهيّجن بذلك الوقت غباراً، فوسطن بذلك الوقت، أو بالنقع، [أي: وسطن][(٣)] النقع الجمع. أو فوسطن متلبسات به جَمْعاً من جموع الأعداء.

ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح، كقوله عليه السلام: «ما لم يكن نقع ولا[(٤)] لقلقة»[(٥)]. أي: فهيجن في [المُغَار][(٦)] عليهم صياحاً وجلبة.

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ هذا جواب القسم. والإنسان: اسم جنس.

وقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة[(٧)].

وفي الحديث [عن][(٨)] النبي ﷺ أنه قال: «الكَنُود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده»[(٩)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٣) في الأصل: أوسطن. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في ب: أو.

(٥) ذكره البخاري معلقاً (١/ ٤٣٤) عن عمر موقوفاً.

(٦) في الأصل: الغبار. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٩).

(٨) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

(٩) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٥ ح٧٩٥٨)، والطبري (٣٠/ ٢٧٨) كلاهما من حديث أبي أمامة.

وقال ابن عباس: هو الكفور الجحود[١]. يقال: كَنَدَ النعمة كُنُوداً؛ إذا كَفَرَها[٢].

وقال الحسن وابن سيرين: لوَّامٌ لربه، يَعُدُّ المصائب وينسى النعم[٣].

وقيل: هو البخيل، في لغة بني مالك[٤].

ومن عجيب ما سمعت بإسناد لا يحضرني الآن: أن بعض الأعراب أرسل ابناً له، حين سمع بمبعث النبي ﷺ يسمع ما يقول، فجاء والنبي ﷺ يقرأ: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ فرجع إلى أبيه فقال: ما سمعته يقول يا بني؟ فقال: سمعته يُقسم على ربه بخيلٍ تضبح خواصرها، فتقدح الحصا [بسنابكها][٥]، فتغير على الأحياء غَلَساً، فتثير قَسْطَلَ القَتَام، فتتوسط بالفارس الجمع، وغضون القصة: إن الإنسان لربه لمعاند، فقال: هذا الكلام بعينه يا بني، قال: بل معناه.

قوله تعالى: ﴿وإنه﴾ يعني: الإنسان[٦]. وقيل: الله عز وجل[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: كند).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٨)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٥٣ ح٤٦٢٩) كلهم عن الحسن. وذكره السيوطي (٨/ ٦٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعبه عن الحسن.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٥).

(٥) في الأصل: بسنكائكها. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢١٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٠٤) وعزاه لابن المنذر.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢١٠).

﴿على ذلك﴾ إشارة إلى كنود الإنسان ﴿لشهيد﴾. والقولان عن ابن عباس.

فإن قلنا: تعود الكناية إلى الله -وهو قول أكثر المفسرين-؛ فهو تهديد.

وإن قلنا: تعود إلى الإنسان -وهو قول ابن كيسان، وهو أجود في نظري؛ لما فيه من اتحاد الضمائر وانتظامها في سمط واحد-، فشهادته على ذلك: ظهور أثره عليه، وعلمه من نفسه صحة ما نُسب إليه.

﴿وإنه لحب الخير﴾ وهو المال. والمعنى: لأجل حُبِّ المال.

﴿لشديد﴾ بخيل، مُمسك. يقال: فلان شديد ومُتَشدّد؛ إذا كان بخيلاً مُمْسِكاً[1]. وأنشدوا قول طرفة:

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ ويَصْطَفِي عقيلةَ مالِ الفَاحِشِ المتَشَدِّدِ[2]

وقيل: [وإنه][3] لحب المال لشديد قوي مُطيق، وهو في شكر نعمة الله ضعيف.

وقال الفراء[4]: كان موضع الحب: أن يكون بعد "لشديد"، وأن يضاف شديد إليه، فيقال: وإنه لشديد الحب للخير، فلمّا تقدّم "الحبُّ" قبل "شديد" حُذف من آخره؛ لما جرى ذكره في أوله، ولرؤوس الآيات.

﴿أفلا يعلم إذا بعثر﴾ أي: أُثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شدد).

(٢) البيت لطرفة بن العبد، انظر: ديوانه (ص:٣٤)، واللسان (مادة: شدد، فحش، عيم)، وتاج العروس (مادة: شدد، عقل)، والعين (٢/ ٢٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٢)، والدر المصون (٦/ ٥٦١).

(٣) في الأصل: إنه. والمثبت من ب.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٨٦).

﴿وحُصّل ما في الصدور﴾ أُبرز ما فيها من الخير والشر، كأنه حين أُبرز وأُظهر صار حاصلاً موجوداً.

وقيل: مُيِّزَ بين خيره وشره.

وأصل التحصيل: التميز، ومنه حصّلت الدراهم؛ إذا ميّزتها من زُيُوفها[1].

قال لبيد:

وكلُّ امرئٍ يوماً سَيَعْلَمُ أمرَهُ إذا كُشِفَتْ عند الإلهِ الحَصَائِلُ[2]

ومنه قيل للمنخل: المحصل.

وفي قوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ إيذانٌ بإحاطة علمه بمقادير أعمالهم وجزائهم. والله أعلم.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حصل).

(٢) البيت للبيد، وهو في: اللسان وتاج العروس (مادة: حصل)، والعين (٣/ ١١٦)، والمستطرف (١/ ١٦) مع اختلاف في بعض الكلمات. وفي ب: الخصائل.

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي عشر آيات في المدني، وإحدى عشرة في الكوفي[1]. [وهي مكية][2] بإجماعهم.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

والقارعة: القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تقرع القلوب.

والعامل في قوله: ﴿يوم يكون الناس﴾ مُضمرٌ دل عليه "القارعة"، أي: تقرع يوم يكون الناس ﴿كالفراش﴾، وهو ما تراه يتهافت في النار، و﴿المبثوث﴾ المتفرّق.

وقال الكلبي: الذي يجول بعضه في بعض[3].

شَبَّه سبحانه وتعالى الناس في كثرتهم وانتشارهم وضعفهم وذلتهم وتطايرهم

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٥).

(٢) في الأصل: ومكية. والمثبت من ب.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٨).

إلى الداعي من كل مكان بالفراش المبثوث.

﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ وهو الصوف المصبوغ المندوف.

وقد فسرناه في سأل سائل[١].

وقد سبق ذكر الموازين في أول الأعراف[٢].

قوله تعالى: ﴿فأمه هاوية﴾ أي: فمسكنه جهنم.

وقيل لمسكنه: "أمُّه"؛ لأن أصل السكون إلى الأم.

والهاوية: من أسماء جهنم، وهي المهواة لا يُدرك قعرها.

ويدل على صحة هذا المعنى: ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين، فيقول له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم [وبئست][٣] المربيّة»[٤]. وهذا المعنى قول ابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج[٥].

وقال عكرمة: أراد: أمّ رأسه، يهوي عليها في نار جهنم[٦].

قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل منهم إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أمُّه[٧]، وأنشدوا:

---

(١) عند الآية رقم: ٩.

(٢) عند الآية رقم: ٨.

(٣) زيادة من الحاكم.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٨١ ح٣٩٦٨).

(٥) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٨٧)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٥٦).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٦) وعزاه لابن المنذر.

هَوَتْ أمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادياً [وماذا يرُدُّ الليلُ][(١)] حينَ يَؤُوب[(٢)]

﴿وما أدراك ما هيه﴾ يعني: الهاوية.

وعلى قول عكرمة: يريد: الداهية، التي دلّ عليها قوله تعالى: ﴿فأمه هاوية﴾. ثم فسرها فقال: ﴿نار﴾ أي: هي نار ﴿حامية﴾.

قرأ حمزة: "ما هِيَ" بغير هاء في الوصل، وقرأ الباقون: بالهاء في الحالين[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: الوقف: "هِيَهْ"، والوصل "هي نار"؛ لأن الهاء دخلت في الوقف تبين فتحة الياء[(٥)]، والذي يجب اتباع المصحف فيوقف عليها ولا توصل؛ لأن السنة اتباع المصحف، والهاء ثابتة فيه. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: وما يرد إذا لليل. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي، من قصيدة له يرثي أخاه أبا المغوار الباهلي. وهو في: جمهرة الأمثال (٢/ ٣٥٤)، ومجمع الأمثال (٢/ ٣٩٠)، واللسان (مادة: هبل، أمم، هوا)، والقرطبي (٢٠/ ١٦٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٤)، والدر المصون (٦/ ٥٦٤).

وقوله: ما يبعث الصبح غادياً، يريد من ذكراه والحزن عليه، لأنه وقت الغارات وحمايتهم من العاديات.

وقوله: وماذا يرد الليل يعني من ذكراه أيضاً لأنه وقت الضيفان وطروقهم للقرى (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص: ٨٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٠)، والكشف (٢/ ٣٨٦)، والنشر (٢/ ١٤٢)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٥٦).

(٥) يريد: حيث دخلت هاء السكت وهي ساكنة فتحت الياء، إذا لم تعد الياء آخر الكلمة (هامش معاني الزجاج ٥/ ٣٥٦ حاشية ١).

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني آيات[1]. وهي مكية بإجماعهم.

والسبب في نزولها على ما ذكره [ابن السائب][2] ومقاتل[3]: أن حَيَّين من قريش؛ بني عبد مناف، وبني سهم، جرى بينهما لحاء، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيداً وأعز نفراً، وقال أولئك مثل ذلك[4]، فتعادّوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فكَثَرَتْهم بنو عبد مناف [بالأحياء][5]، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم فكثرتهم بنو سهم؛ لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه السورة[6].

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلانٍ أكثرُ من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلاَّلاً[7].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٦).

(٢) في الأصل: ابن أبي السائب. والمثبت من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٥).

(٤) في ب: هذا.

(٥) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤٩٠).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦١٠).

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

قال الله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس والشعبي: ["أألهاكم"][1] بهمزتين مقصورتين، على الاستفهام، بمعنى الإنكار والتوبيخ[2].

والمعنى: شغلكم التفاخر بكثرة الرجال الأشراف، ويدخل في ذلك: التكاثر بالأموال والأولاد.

﴿حتى زرتم المقابر﴾ فعدَّدْتُم من فيها من أشرافكم.

وقيل: المعنى: حتى أدرككم الموت على تلك الحال.

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن الشخير أنه قال: «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»[3].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم ولكل عاقل عن أن يجعل ذلك وما أشبهه من أمور الدنيا الحائلة الزائلة أكبر همّه ومبلغ علمه.

ثم توعدهم فقال: ﴿سوف تعلمون﴾.

---

(١) في الأصل: ألهاكم. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢١٩)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣ ح٢٩٥٨). ولم أقف عليه في صحيح البخاري.

ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ قال الحسن: هو وعيد بعد وعيد(١).

والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم سلطانُ الموت، وما بعده من القبر وأهوال القيامة، والمجازاة.

ثم كرر تنبيههم أيضاً فقال: ﴿كلا﴾. وجواب: ﴿لو تعلمون﴾ محذوف.

والمعنى: لو تعلمون ما بين أيديكم ﴿علم﴾ الأمر ﴿اليقين﴾ أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور، أو لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم عن التكاثر.

ثم [توعدهم](٢) أيضاً فقال: ﴿لترون الجحيم﴾ وقرأ ابن عامر والكسائي: "لتُرَوُنَّ" بضم التاء(٣).

﴿ثم لَتَرَوُنَّها﴾ وقرأ يعقوب في رواية أبي حاتم: "لتُرَوُنَّها" بضم التاء(٤).

﴿عين اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين.

﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال الحسن: هو خاص بالكفار(٥).

وقال قتادة: هو عام(٦).

وهو الصحيح، فالمؤمن يُسأل عن الشكر، والكافر يُسأل سؤال توبيخ، لم قابل

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٩).

(٢) في الأصل: توعد. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧١)، والكشف (٢/ ٣٨٧)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٥).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٢٠)، والدر المصون (٦/ ٥٦٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٩).

(٦) مثل السابق.

النِّعَم بالكفر.

وللمفسرين في النعَم أقوال كثيرة؛ قال ابن مسعود: الأمن والصحة[١].

وقيل: الماء البارد.

وقال الحسن: الغداء والعشاء[٢].

وقال عكرمة: الصحة والفراغ[٣].

وقيل: غير ذلك.

والصحيح: عمومها في صنوف نِعَم الله على الآدمي.

ومنه قوله ﷺ حين أكل هو وأبو بكر وعمر رُطَباً وشربوا ماء: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»[٤].

وفي حديث[٥] عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: ثلاثٌ لا أسأل عبدي عن شكرهن، وأسأله عما سوى ذلك، بيتٌ يسكنه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللباس»[٦]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨٥)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٤٩ ح٤٦١٥)، وهناد في الزهد (٢/ ٣٦٤ ح٦٩٤). وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٠) مرفوعاً. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦١٢) وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٢)، والبغوي (٤/ ٥٢٢).

(٤) أخرجه النسائي (٦/ ٢٤٦ ح٣٦٣٩)، وأحمد (٣/ ٣٣٨ ح١٤٦٧٨).

(٥) في ب: الحديث.

(٦) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٣١٧ ح٥٦٨).

سورة العصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ثلاث آيات[1].

قال ابن عباس وابن الزبير وعامة المفسرين: هي مكية[2].

وقال مجاهد وقتادة ومقاتل[3]: مدنية[4].

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

قال ابن عباس: العصر: الدهر[5]. واختاره الفراء وابن قتيبة[6].

أقسم الله به؛ لما فيه من الآيات والعبر، ومروره على نظام بديع لا ينخرم.

وقال [الحسن][7]: العصر: ما بين زوال الشمس وغروبها[8].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٤).

(٣) قلت: الذي في تفسير مقاتل (٣/ ٥١٦): أنها مكية.

(٤) الماوردي (٦/ ٣٣٣)، وزاد المسير (٩/ ٢٢٤).

(٥) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٨٩)، والماوردي (٦/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٤).

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٨٩)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٥٣٨).

(٧) زيادة من ب.

(٨) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٤).

قال الزجاج[١]: والعصر الدهر، والعصر اليوم، والعصر الليلة.

قال الشاعر:

ولنْ يَلبَثَ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا[٢]

وقال آخر:

وأَمْطُلُهُ العَصْرَيْن حتى يَمَلَّنِي ويرضَى بنصفِ الدَّيْنِ والأنْفُ رَاغِمُ[٣]

وقال مقاتل[٤]: صلاة العصر.

قال غيره: أقْسَمَ اللهُ بها لفضلها، من كونها الصلاة الوسطى، [وكان][٥] رسول الله ﷺ يحض الناس على مراعاتها حتى قال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله»[٦].

وجواب القسم: ﴿إن الإنسان﴾ وهو اسم جنس ﴿لفي خسر﴾ أي: خسران.

قال أهل المعاني: الخسْرُ: هلاك رأس المال أو نقصانه، فإذا لم يعمل الإنسان

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٥٩).

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي. وهو في: إصلاح المنطق (ص:٣٩٤)، واللسان وتاج العروس (مادة: عصر)، والعين (١/ ٢٩٣)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٧)، والدر المصون (٦/ ٥٦٧)، والقرطبي (٢٠/ ١٧٩)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٢٨).

(٣) انظر البيت في: إصلاح المنطق (ص:٣٩٥)، واللسان وتاج العروس (مادة: عصر)، والقرطبي (٢٠/ ١٧٩).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٦).

(٥) في الأصل: فكان. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٧)، ومسلم (١/ ٤٣٦ ح٦٢٦).

بطاعة الله فقد خسر نفسه وعمره، وهما أكبر رأس ماله[١]. وقد ذكرت هذا المعنى في البقرة.

[﴿وعملوا الصالحات﴾ وهو أداء الفرائض][٢].

قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق﴾ التوحيد والقرآن وغيرهما، من الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره.

﴿وتواصوا بالصبر﴾ على طاعة الله وعن معصيته.

قال[٣] إبراهيم النخعي: أراد: أن الإنسان إذا عمّر في الدنيا [لفي][٤] نقص وضعف، إلا المؤمنين فإنهم تُكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وقوتهم وصحتهم[٥]. وهي مثل قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات... الآية﴾ [التين:٤-٦].

وروى علي بن رفاعة عن أبيه قال: حججتُ فوافيت علي بن عباس يخطب على منبر رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * والعصر * إن الإنسان لفي خسر﴾ أبو جهل بن هشام، ﴿إلا الذين آمنوا﴾ أبو بكر الصديق، ﴿وعملوا

---

(١) انظر: الوسيط (٤/ ٥٥١)، وزاد المسير (٩/ ٢٢٥).

(٢) ما بين المعكوفين ذُكر في الأصل في سورة البلد، وموضعه الصحيح هنا. وقد أشرت إلى ذلك في سورة البلد. وقد أشار ناسخ ب إلى ذلك فقال: هذا ذكره الشيخ في سورة البلد، وليس فيها ﴿وعملوا الصالحات﴾ فنقلته إلى هنا وهو موضعه.

(٣) في ب: وقال.

(٤) في الأصل: وجد. والمثبت من ب، وزاد المسير (٩/ ٢٢٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٥).

الصالحات﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ﴿وتواصوا بالحق﴾ عثمان بن عفان، ﴿وتواصوا بالصبر﴾ علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ويُروى مثل هذا التفسير مرفوعاً إلى النبي ﷺ[١].

(١) ذكره القرطبي (٢٠/ ١٨٠).

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع آيات[(١)]. وهي مكية بإجماعهم.

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

قال الله تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق[(٢)].

وقال عروة: في العاص بن وائل[(٣)].

وقال [ابن][(٤)] إسحاق: في أمية بن خلف[(٥)].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٨).

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

(٤) زيادة من زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

وقال مقاتل[١]: في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب رسول الله ﷺ من ورائه، ويطعن عليه في وجهه.

وقال مجاهد: هي عامة[٢].

ولا منافاة بين الأقوال وأن يكون نزلت بسبب المذكورين، ولفظها عام يشمل من نزلت فيه وغيره.

قال أبو عبيدة والزجاج[٣]: الهُمَزَة واللُّمَزَة: الذي يغتاب الناس.

وقيل: معناهما مختلف.

قال ابن عباس: الهُمَزَة: المغتاب، واللُّمَزَة: العَيَّاب[٤].

وقال الحسن: الهُمَزَة: الذي يهمِزُ الإنسان في وجهه، واللُّمَزَة: الذي يلمِزُه إذا أدبر عنه[٥].

وقال ابن زيد: الهُمَزَة: الذي يهمِزُ الناس بيده، واللُّمَزَة: الذي يلمزُهُم بلسانه[٦].

وقيل: غير ذلك.

ثم وصفه فقال: ﴿الذي جمع مالاً﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: "جَمَّعَ"

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣١١)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٦١).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٧).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٧).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٨).

بالتشديد(١)، وهو مطابق لقوله: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن: "وَعَدَدَه" بالتخفيف(٢).

قال الزجاج(٣): فمن قرأ "وعدَّدَه" بالتشديد كان معناه: عدَّدَه للدهور، فيكون من العدّة، يقال: أعددت الشيء وعدَّدْتُه؛ إذا أمسكتُه(٤).

ومن قرأ بالتخفيف -قال الزجاج(٥)-: معناه: جمع مالاً وعَدداً، أي: وقوماً أعدَّهم أنصاراً. فيكون الضمير على هذا عائداً إلى الهُمَزَة.

وقال الزمخشري(٦): "وعَدَدَه" -بالتخفيف- بمعنى: وضَبَطَ عَدَدَه وأحصاه.

﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ تَرَكَهُ خالداً في الدنيا لا يموت، فهو يدأب في تثميره، غير مهتمّ بأمر آخرته، ولا عاملٍ بحق الله فيه.

﴿كلا﴾ ردعٌ له عن حسبانه، أو كلا لا يُخلده ماله.

﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ وقرأ الحسن: "لَيُنْبَذَانَّ"(٧) يعني: هو وماله ﴿في الحطمة﴾ وهو اسم من أسماء جهنم.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٢)، والكشف (٢/ ٣٨٩)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٧).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٣). وانظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٨).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٦١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: عدد).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٦١).

(٦) الكشاف (٤/ ٨٠٢).

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٣).

قال مقاتل[١]: تُحطِّم العظام، وتأكُلُ اللحمَ حتى تهجم على القلوب، وذلك قوله: ﴿نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة﴾ قال: يخلص حَرُّها إلى القلوب، ثم تُكسى لحماً جديداً، ثم تُقبِل عليهم فتأكلهم.

قال الفراء[٢]: يبلغ ألمها الأفئدة. والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعتَ أرضنا، أي: بلغت.

فإن قيل: العذاب شامل لجميع أجزائه، فلم خصّ الأفئدة؟

قلتُ: فيه إيذانٌ بزيادة عذابها، ومضاعفة ألمها.

فإن قيل: فلم خُصّت بالزيادة؟

قلتُ: لأنها مَقَرُّ الكفر والعقائد الخبيثة.

وقيل: خصّ الأفئدة؛ لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون.

ومعنى ﴿مؤصدة﴾: مُطْبِقَة. وقد ذكرناه في آخر سورة البلد[٣].

قوله تعالى: ﴿في عَمَدٍ ممددة﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "عُمُدٍ" بضم العين والميم، وفتحهما الباقون[٤].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٩٠).

(٣) عند الآية رقم: ٢٠.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٣)، والكشف (٢/ ٣٨٩)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٧).

قال الفراء وغيره[(١)]: هما جمعان [للعَمُود][(٢)]، كرَسُول ورُسُل، وأديم وأُدُم.

قال مكي[(٣)]: الياء كالواو في البناء.

وقال أبو عبيدة والزجاج[(٤)]: كلاهما جمع: العِماد، مثل: إِهَابٍ وأَهَبٍ [وأُهُبٍ][(٥)]، وهي أوتاد الأطباق التي تُطبق على أهل النار.

وفي قراءة عبد الله: "بعُمُد"[(٦)]، وهذا تفسيرٌ لقراءة العامة.

المعنى: أنها عليهم مُطْبَقَة بعُمُد. وفي آخر البلد[(٧)] عن مقاتل[(٨)] ما يؤيد هذا المعنى.

وقيل: المعنى[(٩)] مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تُقْطَرُ [فيها][(١٠)] اللصوص، أجارنا الله تعالى منها.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٩١).

(٢) في الأصل: للعمد. والمثبت من ب.

(٣) الكشف (٢/ ٣٨٩).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٣١١)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٦٢).

(٥) زيادة من ب.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٣٠).

(٧) عند الآية رقم: ٢٠.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٧).

(٩) قوله: وقيل المعنى، ساقط من ب.

(١٠) زيادة من ب.

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس آيات[1]. وهي مكية.

قال محمد بن إسحاق وغيره -دخل كلام بعضهم في بعض ومعظم [السياقة][2] لابن إسحاق-: كان من حديث أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم: أن أبرهة بن الصباح الأشرم -ملك اليمن- بنى كنيسة بصنعاء، وسماها القُلَّيس، وأراد أن يصرف إليها حج العرب، فخرج رجلٌ من كنانة فقَعَدَ فيها[3] ليلاً، فبلغ أبرهة ذلك، فقال: من اجترأ على ذلك؟ فقيل: رجلٌ من العرب من أهل ذلك البيت، سمع بالذي قلت، فصنع هذا، فحلف ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، فخرج سائراً في الحبشة وخرج معه بفيل يقال له: محمود، وكان قوياً عظيماً -وقيل: استصحب معه أيضاً اثنا عشر فيلاً-، حتى إذا بلغ الطائف خرج إليه مسعود بن [مُعَتّب][4] الثقفي في رجال من ثقيف، فقال: أيها الملك إنما نحن

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٩).

(٢) في الأصل: السياق. والمثبت من ب.

(٣) قَعَدَ فيها: أي: أحدث فيها.

(٤) في الأصل و ب: مغيث. والصواب ما أثبتناه. وانظر: مصادر تخريج القصة.

وقال ابن حجر: "معتب": بمهملة ومثناة ثم موحدة (فتح الباري ٦/ ٢٦٣).

عبيدك، ليس لك عندنا خلاف، وبعثوا معه أبا رغال -مولىً لهم- ليدله على البيت، فلما بلغ المُغَمَّس[١] مات [أبو][٢] رغال -وهو الذي يُرجم قبره- فبعث أبرهة من المغمّس رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود، على مقدمة خيله، فجمع إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير، ثم إن أبرهة بعث رجلاً[٣] إلى أهل مكة فقال: سَلْ عن شريفها، ثم قل له: إني لم آت لقتال أحد إلا أن يُقاتلني، إنما جئت لأهدم هذا البيت، ثم انصرف، فلما أتى مكة سأل عن شريفها، فدُلّ على عبدالمطلب، فأبلغه الرسالة، فقال له عبدالمطلب[٤]: ما له عندنا قتال، وما لنا به يدان، سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه.

قال: فانطلق معي إلى الملك، فخرج معه، فلما دخل على الملك أعظمه وأكرمه، وكان عبدالمطلب رجلاً جسيماً وسيماً. وقال الملك لترجمانه: قل له: حاجتك إلى الملك؟ فقال عبدالمطلب: حاجتي أن تردّ عليّ إبلي، فقال [لترجمانه][٥]: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيتٍ هو دينك

---

(١) المغمس: سهل أفيح يمتد من الشمال إلى الجنوب، مبدؤه من الصفاح وأسفل حنين ولبن الأسفل، ومنتهاه عرفة وجبل سعد والخطم، تشرف عليه من الشرق سلسلة جبلية عالية، عظمها كبكب الذي تطلع شمس وسط المغمس من فوقه، وهو شرق مكة على ٢٠ كيلاً (معجم معالم الحجاز ٨/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: أبا. والتصويب من ب.

(٣) واسمه: حناطة الحميري، كما في تاريخ الأزرقي (١/ ٢٢١)، والطبري (٣٠/ ٣٠١).

(٤) في ب: فقال عبدالمطلب: قل له.

(٥) زيادة من ب.

ودين آبائك وعصمتكم لأهدمه فلم تكلّمني فيه وكلّمتني في مائتي بعير أصبتها، فقال عبدالمطلب: قل له: أنا رب هذه الإبل، وإن لهذا البيت رباً سيمنعه منه، فأمر بإبله فرُدَّت عليه.

قال ابن إسحاق: وكان فيما زعم[1] بعض أهل العلم: قد ذهب عبدالمطلب إلى أبرهة بسيد بني كنانة[2] وسيد بني هذيل[3]، فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال أهل تهامة، [على][4] أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، [فأبى][5] عليهم.

فلما رُدّت الإبل على عبدالمطلب رجع فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرّقوا في الشِّعاب، ويتحرَّزوا في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم من معرّة الجيش إذا دخل، ففعلوا، وأتى عبدالمطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا ربِّ لا أرجو [لهمْ][6] سِوَاكَا ... يا ربِّ فامنعْ منهُم حِمَاكَا

إنَّ عدوَّ البيت منْ عَاداكَا ... امنعهمُ أن يُخْرِبُوا قِرَاكَا[7]

وقال أيضاً:

---

(١) في الأصل: عزم. والتصويب من ب.

(٢) وهو يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل، كما في تاريخ الأزرقي (١/ ٢٢٣)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٣٠٢).

(٣) وهو خويلد بن واثلة الهذلي، كما في تاريخ الأزرقي وتفسير الطبري، الموضعان السابقان.

(٤) في الأصل: إلى. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: فأتى. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) انظر البيتين في: القرطبي (٢٠/ ١٩١)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٣٠٢)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٤٢)، وزاد المسير (٩/ ٢٣٣)، والماوردي (٦/ ٣٤١).

لاهُمَّ إنَّ المرءَ يمنعُ رَحْلَهُ فامنعْ حِلالَك
لا يغلبنَّ صليبُهم ومِحالُهم عَدْواً مِحَالَك
جَرُّوا جُموعَ بلادِهم والفيلَ كي يَسْبُوا عِيالَك
عَمَدُوا حِمَاكَ بكيْدِهِم جَهْلاً وما رَقَبُوا جَلالَك
إنْ كنتَ تاركَهُم وكَعْبَتَنَا فأمْرٌ ما بَدَا لَك[1]

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول، فقدّم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، فإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول، فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف[2]، مع كل طير منها ثلاثة أحجار، حجران في رجليه وحجر في منقاره، أمثال الحمص والعدس، فلما غشين القوم أرسلنها عليهم، فلم تصب أحداً إلا هلك، ولم تُصب كل القوم، فخرج من لم تُصبه الحجارة منهم يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه، وماج بعضهم في بعض، وهلكوا في كل طريق ومنهل، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فجعلت أنامله تتساقط، كلما سقطت أنملة تبعتها أنملة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثلُ فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه[3].

---

(١) انظر الأبيات في: زاد المسير (٩/ ٢٣٣-٢٣٤)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٤٢)، وسيرة ابن إسحاق (١/ ٣٩)، وتاريخ الخميس (١/ ١٩٠).

(٢) الخُطّاف: الطائر المعروف، الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة (اللسان، مادة: خطف).

(٣) أخرج القصة بطولها: الطبري (٣٠/ ٣٠٠-٣٠٣)، والأزرقي في تاريخه (١/ ٢١٩-٢٢٧). وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٦٣-١٧٣)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٣٩-٤٤٣).

قالوا: فلما رأى عبد المطلب الطير قد أقبلت من ناحية البحر قال: إن هذه لطيرٌ غريبة، وبعث ابنه عبدالله -أبا النبي ﷺ- ينظر أمر القوم، فرجع يركض فرسه ويقول: هلك القوم جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه، فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينج من القوم إلا وزير أبرهة أبو يكسوم، فسار وطائرٌ يحلّق فوقه، حتى دخل على النجاشي وهو الملك الأعظم، وكان أبرهة دونه، فلما أخبره الخبر أرسل الطائر عليه الحجر فهلك، فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه(١).

فصل

ذهب أكثر علماء النقل إلى أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن الفيل كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة(٢).

وحكى مقاتل(٣): أنه كان قبل مولده بأربعين سنة. والأول أصح.

قال عبد الملك بن مروان لقباث بن أشيم الكناني: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا أسن منه، وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقَفَتْ بي أمي على روث الفيل(٤).

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٩-٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٢-٢٣٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٣٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٣).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٢٤ ح٦٦٢٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧ ح٧٥) كلاهما بدون لفظ: «ووقَفَتْ بي أمي على روث الفيل». وانظر لفظ المصنف في: تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٦٧)، والاستيعاب (٣/ ١٣٠٣)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٥٣).

ويروى: أن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه [أعميَيْن][1] مُقْعَدَيْن يستطعمان[2].

وقال الواقدي: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ[3].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿ألم تر﴾ قال الفراء[4]: ألم تُخْبَر.

قال الزجاج[5]: ألم تعلم. وقد سبق ذلك.

قال صاحب النظم: معناه: التعجيب[6].

وقد ذكرنا سبب مسيرهم لتخريب الكعبة، وهو قول ابن عباس وعامة المفسرين.

وقال مقاتل[7]: كان السبب في ذلك: أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الأزرقي في تاريخه (١/ ٢٢٩). وذكره ابن هشام في سيرته (١/ ١٧٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٥) وعزاه للبزار، قال: ورجاله ثقات.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٤١)، والقرطبي (٢٠/ ١٩٣).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٩١).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٤).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٠).

أرض النجاشي، فنزلوا إلى جانب بِيعَة، فأوقدوا ناراً، فلما رحَلُوا أطارت الريح النار، فاضطرم الهيكل، وانطلق الصريخ إلى النجاشي، فأخبره فأسف عند ذلك غضباً للبِيعَة، فبعث أبرهةَ ليهدم[١] الكعبة.

قوله تعالى: ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ يعني: مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة "في تضليل" عما قصدوا له[٢]، يريد: سعيهم ضل وبطل، كما قال: ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ [غافر:٢٥].

﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أبابيل: متتابعة يتبع بعضها بعضاً[٣].

وقال ابن مسعود: متفرّقة من هاهنا ومن هاهنا[٤].

قال أبو عبيدة[٥]: جماعات في تفرقة.

قال الفراء[٦] وأبو عبيدة: لا واحد لها.

وحكى الزجاج[٧]: واحدها: إبّالة. قال: وبعضهم يقول: واحدها: إبَّوْل، مثل: عِجَّوْل وعَجَاجِيل.

---

(١) في ب: لهدم.

(٢) ساقط من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٧). وفي تفسير مجاهد (ص:٧٨٢): مجتمعة متتابعة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٣١) وعزاه لابن مردويه.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٣١٢).

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٩٢).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٤).

واختلفوا في صفتها ولونها؛ فقال ابن عباس: كان لهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكفٌّ كأكُفِّ الكلاب[(١)].

وقد ذكرنا عن ابن إسحاق: أنها كانت أمثال الخطاطيف[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: كانت خضراء[(٣)].

وقال قتادة: بيضاء[(٤)].

وقال [عبيد][(٥)] بن عمير: سوداء[(٦)].

وغير ممتنع أن تكون مختلفة الألوان، فلا منافاة بين الأقوال.

واختلفوا في صفة الحجارة؛ فقال ابن إسحاق كما حكيناه في سياق القصة.

وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر كرأس الرجل[(٧)].

وقد سبق ذكر السِّجِّيل في هود، والعَصْف في الرحمن[(٨)].

والمعنى: فجعلهم كزرع وتِبْن قد أكلته الدواب، ثم راثته، قد نَسَّ وتفرقت

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٢٦ ح٣٦٥٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) سبق قبل قليل. وانظر: زاد المسير (٩/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٤).

(٤) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: عبدالله. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير، الموضع السابق.

(٦) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٤).

(٨) السجيل في سورة هود، الآية رقم: ٨٢، والعصف في سورة الرحمن، الآية رقم: ١٢.

أجزاؤه، لكنه جاء على ما عليه آداب القرآن، كقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة:٧٥].

وقال ابن عباس: المأكول: الذي أكله الدود.

قال الزجاج[١]: أي: جعلهم كورق الزرع الذي جَفَّ[٢] وأُكل، أي: وقع فيه الأكال.

وقيل: أُكل فبقي صِفْراً منه.

قال الزجاج[٣]: وجاء في التفسير: أن الله تعالى جلّ ذكره أرسل عليهم سيلاً، فحملهم إلى البحر. والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٤).

(٢) في معاني الزجاج: جُزَّ.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٤).

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس آيات في المدني، وأربع في الكوفي[1]. وهي مكية عند الأكثرين. وقال ابن السائب: مدنية[2].

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا
ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ قرأ ابن عامر: "لِإِلَافِ" بغير ياء بعد الهمزة، مثل: لَعِلافِ، جعله مصدر أَلِفَ [إلافاً][3].

قال أبو طالب يوصي أبا لهب بالنبي ﷺ:

ولا تَتْرُكَنْهُ ما حييتَ لِمُعْظَمٍ ... وكنْ رَجُلاً ذا نَجْدَةٍ وعَفَافِ
تذُودُ العِدَى عن ربوةٍ هاشميةٍ ... إلافُهُمُ في الناسِ خيرُ إلافِ[4]

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٣٨).

(٣) زيادة من ب.

(٤) البيتان لأبي طالب بن عبد المطلب، انظر: ديوانه (ص:١٧٧)، والقرطبي (٢٠/ ٢٠٢)، والماوردي (٦/ ٣٤٦).

وقرأ الباقون بياء بعد الهمزة[١]، جعلوه مصدر آلَفَ، وهما لغتان.

واتفقوا على إثبات الهمزة في الموضع الثاني، مصدر آلَفَ.

وكأن ابنَ عامر آثَرَ الجمع بين اللغتين في الكلمتين.

واختلفوا في متعلق اللام من "لإيلاف"، فذهب جمهور العلماء إلى أنه متعلق بقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل:٥]، أي: أهلكهم الله لتبقى قريش، [وما][٢] قدْ أَلِفُوا من رحلة الشتاء والصيف[٣]. فتكون هذه السورة مرتبطة بما قبلها.

وقيل: إنهما في مصحف أبيّ سورة واحدة من غير فصل.

ويروى: أن عمر رضي الله عنه قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب[٤].

وقال الأعمش والكسائي: هذه لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت[٥].

وقال الزجاج[٦]: قال النحويون الذين تُرتضى عربيَّتُهُم: هذه اللام معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإِلْفِهِمْ رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل: أن قريشاً كانوا يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٣-٧٧٥)، والكشف (٢/ ٣٨٩-٣٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٤)، والسبعة (ص:٦٩٨).

(٢) في الأصل: ما. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٨).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٥-٣٦٦).

فيَمْتارون، وكانوا في الرحلتين آمنين، والناس يُتخطّفون، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهلُ حرم الله، فلا يُتعرّض لهم.

وكل من كان من ولد النضر بن كنانة، فهو من قريش.

واختلفوا في سبب تسميتهم بذلك؛ فقال الأكثرون: سُمُّوا قريشاً؛ لجمعهم المال، وكانوا أهل تجارة، ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع، والقَرْشُ: الكَسْبُ[1].

وقال معاوية لابن عباس: لم سمّيت [قريشُ][2] قريشاً؟ فقال: بدابّة تكون في البحر من أعظم دوابّه، يقال لها: قُريش، لا تمرُّ بشيء من الغَثِّ[3] والسمين إلا أكلته. وأنشده شعر الجمحي:

وقُريشٌ [هي][4] التي تسكنُ البحـ ـرَ، بها سُميت قُريشٌ قريشا

تأكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ، ولا تترُكُ فيه لذي الجناحينِ رِيشَا

هكذا في البلادِ حيُّ قريشٍ يأكلونَ البلادَ أكْلاً كَمِيشَا[5]

ولهم آخرُ الزمانِ نبيٌّ يُكْثِرُ القتلَ فيهم والخُمُوشَا[6]

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قرش).

(٢) في الأصل: قريشاً. والتصويب من ب.

(٣) الغَثُّ: الرديء من كل شيء (اللسان، مادة: غثث).

(٤) زيادة من ب.

(٥) كميشا: أي: سريعاً (لسان العرب، مادة: كمش).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٠).
والخُمُوش: جمع الخَمْش، وهو مثل الخدش في الوجه والبدن (اللسان، مادة: خمش).

قوله: ﴿إيلافهم﴾: ترجمة عن الأول وبدلٌ منه، ﴿رحلة﴾: مفعول به[١]، وأراد رحلتي الشتاء والصيف، فأفرد لأمن الإلباس.

﴿فليعبدوا﴾ أي: فليوحدوا ﴿رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع﴾ أي: من بعد جوع، كما تقول: كسوتك من عُرْي، أي: من بعد عُرْي.

قال عطاء عن ابن عباس: كانوا في ضُرٍّ ومجاعة حتى جمعهم [هاشمٌ][٢] على الرحلتين، فكانوا يقْسمون ربحهم بين الغني والفقير، حتى كان فقيرُهم كغنيهم. فلم يكن [بنو][٣] أبٍ أكثر منهم مالاً ولا أعزّ من قريش[٤].

وقد قال الشاعر فيهم:

الخالطونَ فقيرَهُم بغنيِّهم حتى يكونَ فقيرُهُم كالكَافي[٥]

﴿وآمنهم من خوف﴾ إن حضروا آمنهم الحرم، وإن سافروا لا يُتعرض لهم، وغيرهم من العرب يتغاورون ويتناحرون. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٥)، والدر المصون (٦/ ٥٧٣).

(٢) في الأصل: هشام. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: أبو. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٢).

(٥) جاء في هامش ب: وفي القصيدة:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

والبيت لابن الزبعرى، وقيل: لتبع، وهو في: الماوردي (٦/ ٣٤٧)، والبحر (٨/ ٥١٦)، وتاريخ الأزرقي (١/ ١٨٠)، والقرطبي (٢٠/ ٢٠٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٧).

سورة أرأيت

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست آيات في المدني، وسبع في الكوفي[1].

قال الأكثرون: هي مكية.

وقال ابن عباس وقتادة: مدنية[2].

وقيل: نصفها مكي نزل في العاص بن وائل، ونصفها الآخر مدني نزل في عبد الله بن أبيّ المنافق[3].

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ قال الكلبي: هو العاص بن وائل[4].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩١).

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٣٥٠)، وزاد المسير (٩/ ٢٤٣).

(٣) هو قول هبة الله ابن سلامة. انظر: الناسخ والمنسوخ (ص:٢٠٥).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٨)، وأسباب النزول (ص:٤٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٤).

والدِّين: الجزاء والحساب.

وقال صاحب الكشاف[(١)]: المعنى: هل عرفت الذي [يكذب بالجزاء][(٢)] من هو؟ إن لم تعرفه ﴿فذلك الذي يدعُّ اليتيم﴾ أي: يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوةٍ وأذى.

﴿ولا يحض﴾ أي: لا يبعثُ أهله ويحثهم ﴿على طعام المسكين﴾. والمعنى: لا يُطعمه ولا يأمر بإطعامه.

ثم ذكر حالَ المنافقين، مُخبراً بجزائهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون لاهون؛ لأنهم لا يرجون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً[(٣)].

وأكثر المفسرين يقولون: هي عامة في كل من يغفل عن صلاته حتى يخرج وقتها، ويتخذ ذلك دَيْدَناً، وإذا صلى فقلبه متشاغل بالتردد في أودية الأماني، لا يطمأن في ركوع ولا سجود، ولا يذكر الله بقلب خاشع.

قال قتادة: سَاهٍ عنها لا يُبالي، صَلَّى أو لم يُصَلِّ[(٤)].

﴿الذين هم يراؤون﴾ قال الحسن: هو المنافق، إن صَلَّى صَلَّى رِيَاءً، وإن فاتته لم يندم[(٥)].

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٠٩).

(٢) في الأصل: يكذب بالدين أي: بالجزاء. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) في هامش ب: أسند البزار من حديث مصعب بن سعد عن أبيه، أنه سأل عنها رسول الله ﷺ فقال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها. رفعه عكرمة بن إبراهيم... رووه موقوفاً.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٦). وذكره الماوردي (٦/ ٣٥١).

وعن سعد بن أبي وقاص: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها[١].

﴿ويمنعون الماعون﴾ قال ابن عباس: المعروف كله، حتى القِدْر والقَصْعَة والفأس[٢].

أخرج أبو داود من حديث عبدالله بن مسعود قال: «كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر»[٣].

قال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن فراءى في صلاته، وسَهَا عنها، ومنع هذا[٤].

ويروى عن عمر وعلي والحسن وقتادة: أن الماعون: الزكاة[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٨)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٤ ح٢٩٨٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٧٧ ح٢٢٧٦)، وأبو يعلى (٢/ ١٤٠ ح٨٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٢) وعزاه لأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ٣١٩)، والماوردي (٦/ ٣٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ١٢٤ ح١٦٥٧).

(٤) أخرج نحوه البيهقي في الكبرى (٦/ ٨٨ ح١١٢٥١). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٥) وعزاه للفريابي وابن المنذر والبيهقي.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٤-٣١٦)، والحاكم (٢/ ٥٨٥ ح٣٩٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٨٢ ح٧٠٢٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٠ ح١٠٦٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٥) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وغيرهم عن علي بن أبي طالب. وذكره الماوردي (٦/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٦).

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاث آيات[١]. وهي مكية في قول الأكثرين.

وقال الحسن وقتادة وعكرمة: هي مدنية[٢].

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قال الله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ وقرأ الحسن: "أَنْطَيْنَاكَ"[٣]، وهما بمعنى واحد.

والكَوْثَر: فَوْعَلٌ من الكثرة.

والذي عليه جمهور المفسرين [وتدل][٤] عليه الأخبار والآثار: أنه نهر في الجنة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا آدم، حدثنا

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٤٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٢٠/ ٢١٦)، والدر المصون (٦/ ٥٧٧).

(٤) في الأصل: تدل. والتصويب من ب.

شيبان، حدثنا قتادة، عن أنس قال: «لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهرٍ حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفٌ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»(١).

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة، قال سألتها عن قوله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾؟ قالت: «نَهْرٌ أُعْطِيَه نبيُّكُم ﷺ، شاطئاه عليه دُرٌّ مجوّف، آنيته كعدد النجوم»(٢).

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾، ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، [عليه](٣) خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم»(٤).

وفي رواية: «وعدنيه ربي في الجنة، عليه حوضي»، وساق الحديث.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨١).

(٣) زيادة من صحيح مسلم (١/ ٣٠٠).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٠٠ ح٤٠٠). ولم أقف عليه عند البخاري.

أعطاه [الله][(١)] إياه. قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال قتادة: صَلِّ صلاة الأضحى[(٣)].

وقال مجاهد: صلاة الصبح بالمزدلفة[(٤)].

وقال مقاتل[(٥)]: صَلِّ الصلوات الخمس.

وأما قوله: ﴿وانحر﴾ فقال عامة المفسرين: اذبح يوم النحر[(٦)].

وقال علي عليه السلام: ضع اليمنى على اليسرى في الصلاة[(٧)].

قال ابن جرير[(٨)]: ضعهما عند النحر في الصلاة. ويروى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

---

(١) زيادة من الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٥١) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٠) عن مجاهد وعطاء وعكرمة. وذكره الماوردي (٦/ ٣٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٥١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد وعطاء وعكرمة.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٨).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٦-٣٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٩).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٥)، والحاكم (٢/ ٥٨٦ ح٣٩٨٠)، والضياء المقدسي في المختارة (٢/ ٢٩٢)، والبخاري في التاريخ (٦/ ٤٣٧ ح٢٩١١)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٩ ح٢١٦٣)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٤٣ ح٣٩٤١)، والدارقطني (١/ ٢٨٥ ح٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٥٠) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف والبخاري في تاريخه وابن جرير وغيرهم.

(٨) في تفسيره (٣٠/ ٣٢٦).

قال ابن عباس: قالت قريش: ليس لمحمد ولد، فسيموت وينقطع أثره، فأنزل الله تعالى سورة الكوثر إلى قوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

وفي رواية عن ابن عباس قال: نزلت في العاص بن وائل، لقي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه، ثم دخل العاص المسجد وفيه ناسٌ من صناديد قريش فقالوا له: من الذي كنت تحدث؟ فقال: ذلك الأبتر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله هذه السورة[1].

وقيل: شانئه: أبو جهل.

وقيل: أبو لهب.

وقيل: عقبة بن أبي معيط.

والأبتر: المنقطع عن كل خير.

(١) ذكره الواحدي في: أسباب النزول (ص:٤٩٤)، وزاد المسير (٩/ ٢٥٠).

سورة الكافرون(1)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ست آيات(2).

والأظهر عندهم -وهو قول الأكثرين-: أنها مكية.

ويروى عن قتادة: أنها مدنية(3).

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ
أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ
دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

أخبرنا محمد بن محمد بن أبي بكر الهمذاني، أخبرنا عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبدالكريم بن محمد [قالا](4): أخبرنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر الكسار، أخبرنا أبو بكر السني، أخبرنا أبو عبدالرحمن -يعني: النسائي-، أخبرنا محمد بن عبدالله بن المبارك، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا

---

(1) في ب: الكافرين.

(2) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: 293).

(3) انظر: الماوردي (6/ 357)، وزاد المسير (9/ 252).

(4) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن فروة بن نوفل[١]، عن أبيه[٢]، أن النبي ﷺ قال: «ما جاء بك؟ قال: جئت يا رسول الله لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: إذا أخذت مضجعك فاقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك»[٣].

وبالإسناد قال أبو بكر السني: حدثني عبدالله بن محمد، حدثنا عبيدالله بن أحمد، حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق، حدثنا عيسى بن ميمون، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «من قرأ في ليلة: "إذا زلزلت الأرض" كانت له كعدل نصف القرآن، ومن قرأ: "قل يا أيها الكافرون" كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ: "قل هو الله أحد" كانت له كعدل ثلث القرآن»[٤].

قال عامة المفسرين: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم بمكة على المشركين، وألقى الشيطان في قراءته ما ألقى، طمع مشركوا قريش فيه، فأتوه فقالوا له: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أشرك بالله غيره، فأنزل

---

(١) فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، مختلف في صحبته، والصواب أن الصحبة لأبيه، قتل في خلافة معاوية (تهذيب التهذيب ٨/ ٤٤٥، والتقريب ص:٤٤٥).

(٢) نوفل الأشجعي، صحابي نزل الكوفة، وروى عن النبي ﷺ، وروى عنه بنوه: فروة، وعبدالرحمن، وسحيم (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣٩، والتقريب ص:٥٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٣ ح٥٠٥٥)، والترمذي (٥/ ٤٧٤ ح٣٤٠٣)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٠ ح١٠٦٣٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٦ ح٢٨٩٤) من حديث ابن عباس، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٢).

الله هذه السورة. فأتى المسجد وفيه صناديد قريش فقرأها عليهم، فأيسوا منه[١].

والمعنى: ﴿لا أعبد﴾ في المستقبل من الزمان ﴿ما تعبدون﴾ من الأصنام اليوم، ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في المستقبل ﴿ما أعبد﴾ أي: من أعبده اليوم، وهو الله تعالى.

﴿ولا أنا عابد﴾ أي: ولا كُنْتُ قطُّ عابداً فيما سلف ﴿ما عبدتم﴾.

المعنى: ما فعلت ذلك في الجاهلية، فكيف تتوقعونه مني في الإسلام.

﴿ولا أنتم عابدون﴾ أي: ما عبدتم في زمان من الأزمان ﴿ما أعبد﴾. وهذا التقرير اختيار صاحب الكشاف، قال[٢]: لأن "لا" لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، ألا ترى أن "لن" تأكيد لما تنفيه "لا".

قال الخليل: أصل "لن": "لا أن"[٣].

وقال الزجاج[٤]: المعنى: لا أعبد في حالي هذه ما تعبدون.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي: ولا أعبد في المستقبل ما عبدتم.

﴿ولا أنتم﴾ فيما تستقبلون ﴿عابدون ما أعبد﴾.

وقيل: هو تكرير فائدته: حسم أطماع المشركين من عبادة محمد ﷺ آلهتهم.

قال مقاتل[٥]: نزلت هذه السورة في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن منهم

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٩٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٨١٤).

(٣) في هامش ب: وهذا على مذهبه في "لن" أنه مختصة بنفي المستقبل ولهذا خص المصنف التقرير السابق بأنه اختياره.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٧١).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٩).

أحد.

قوله تعالى: ﴿لكم دينكم﴾ أي: شرككم، ﴿ولي دين﴾ توحيدي.

وهذه مجاملة. أي: قد بُعثت إليكم لأرشدكم إلى الهدى، فإذا لم تتبعوني فَدَعُوني، ولا تَدْعُوني إلى الشرك.

وقيل: هو تهديد.

وبعضهم يقول: هو منسوخ بآية السيف[1].

واختلف القراء في "وَلِيَ دين"؛ فقرأ نافع وحفص وهشام: "ولِيَ" بفتح الياء، وأسكنها الباقون[2].

وأثبت الياء في "ديني" في الحالين يعقوب، وحذفها الباقون[3].

---

(١) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٢٠٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٥٠)، والنشر (٢/ ٤٠٤)، والكشف (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٤٤)، والسبعة (ص:٦٩٩).

(٣) النشر (٢/ ٤٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٤).

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاث آيات، مدنية بالإجماع[1].

وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب أنها آخر سورة أنزلت جميعاً.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

والمعنى: إذا جاءك يا محمد ﴿نصر الله﴾ على أعدائك من قريش وفتح مكة، وكان لعشر مضين من رمضان سنة ثمان.

﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ قال أبو عبيدة[2]: جماعات في تفرقة.

قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فدخلوا في دين الله أفواجاً[3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٤).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣١٥).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٦٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٥٦). وقوله: "فليس لكم به يدان" أي: ليس لكم به طاقة.

قوله تعالى: ﴿فسبح﴾ هو العامل في ﴿إذا جاء﴾.

والمعنى: فَصَلِّ، أو فقل: سبحان الله.

﴿بحمد ربك﴾ حامداً له حيث ردَّك إلى مكة ظاهراً عزيزاً قاهراً، تجرُّ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب، بعد أن خرجْتَ منها خائفاً متستراً، قد أظهر دينك، وأعلى كلمتك، وأوقع في القلوب هيبتك، وأنجز لك ما وعدك.

﴿واستغفره﴾ اطلب منه المغفرة؛ خضوعاً لجلاله، وإظهاراً لعظمته، وفقراً إلى رحمته، ﴿إنه كان تواباً﴾.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: «ما صلى النبي ﷺ بعد أن أنزلت عليه: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»(١).

قال(٢): وأخبرني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨٣).

وفي هامش ب: وفي الباب عن عبدالله بن مسعود ذكر الإمام أحمد في مسنده، وهو بألفاظ في بعض طرقه: أنه كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الرحيم (انظر: المسند ١/ ٣٨٨ ح٣٦٨٣، ١/ ٣٩٢ ح٣٧١٩، ١/ ٣٩٤ ح٣٧٤٥).

(٢) أي البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠١ ح٤٦٨٤)، ومسلم (١/ ٣٥٠ ح٤٨٤).

وأخرجه مسلم أيضاً عن زهير بن حرب، عن جرير.

قال البخاري: حدثني عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن حبيب [بن][(١)] أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن عمر سألهم عن قول الله عز وجل: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قالوا: فتح المدائن والقصور. قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مَثَلٌ ضُرِبَ لمحمد ﷺ، نُعيت له نفسه»[(٢)].

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تُدْخِل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ [فقال عمر][(٣)]: إنه مَنْ قد علمتم. فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أُمِرْنا نحمدُ الله ونستغفره إذا نُصِرْنا وفُتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»[(٤)].

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من ب، والصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠١ ح٤٦٨٥).

(٣) زيادة من ب، والصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠١ ح٤٦٨٦).

وكان ابن مسعود يقول: إن هذه السورة تسمى: سورة التوديع[١].

قال قتادة: عاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين[٢]. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨١٨-٨١٩).

وفي هامش ب: وفي مسند أحمد عن ابن عباس: لما نزلت قال ﷺ: نُعيت إليَّ نفسي بأنه مقبوض في تلك السنة (انظر: المسند ١/ ٢١٧ ح١٨٧٣).

وفيه عن ابن مسعود: كنت معه ليلة وفد الجن، فلما انصرف تنفس، فقلت: ما شأنك؟ فقال: نُعيت إلي نفسي يا ابن مسعود (انظر: المسند ١/ ٤٤٩ ح٤٢٩٤).

وفيه عن عائشة: فلما خرجت نفسه لم أر ريحاً أطيب منها (انظر: المسند ٦/ ١٢١ ح٢٤٩٤٩).

وفيه عنها: سمعته يقول: ما من نبي إلا تُقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم تُرد إليه ثم يُخير... (انظر: المسند ٦/ ٧٤ ح٢٤٤٩٨).

وفيه عن علي: أنه ﷺ كُفّن في سبعة أثواب (انظر: المسند ١/ ١٠٢ ح٨٠١).

وفيه عن أبي سعيد أو أبي عسيب: كيف نصلي عليك؟ قال: ادخلوا أرسالاً أرسالاً (انظر: المسند ٥/ ٨١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٥٧).

سورة تبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس آيات[1]. وهي مكية بإجماعهم.

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

والسبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتكم إن حدّثتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسّيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك، فأنزل الله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إلى آخرها»[2].

ومعنى: "تَبَّتْ": خَسِرَتْ يدا أبي لهب. [والمراد: جملته، فهو كقوله: ﴿بما قدمت يداك﴾ [الحج:١٠].

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٢ ح٤٦٨٨)، ومسلم (١/ ١٩٣ ح٢٠٨).

وأبو لهب][(١)] عم النبي ﷺ، اسمه: عبد العزى، وكُنِّي بأبي لهب: لتوقد وجهه حُسْناً.

وإنما كَنَّاهُ الله تعالى؛ لاشتهاره بالكنية، والتسجيل عليه بأنه لا يراد بهذا الأمر الفظيع سواه، ولما في تسميته بعبد العزى من الشرك[(٢)].

وقرأ ابن كثير: "لَهْبٍ" بإسكان الهاء[(٣)]، وهما لغتان، كالنَّهَر والنَّهْر، والشَّمْع والشَّمَع. وإنما يسوغ هذا فيما كان على هذا الوزن، وحرف الحلق عين الفعل [أو لامه][(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾ إخبار أن التَّباب قد حصل له ووقع به. فالأول دعاء عليه، والثاني خبر.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "وقد تبّ"[(٥)].

﴿ما أغنى عنه ماله﴾ استفهام في معنى الإنكار عليه. ويجوز أن يكون نفياً.

"وما" في قوله: ﴿وما كسب﴾ موصولة أو مصدرية، ومحلها الرفع. على معنى: ما أغنى عنه ماله والذي كسبه، أو كسبه.

والمراد بكسبه: ولده. وكان قال حين أنذرهم النبي ﷺ: إن كان ما يقول محمد

---

(١) زيادة من ب.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧٣٧): ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق، بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٦)، والكشف (٢/ ٣٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٤)، والإتحاف (ص:٤٤٥)، والسبعة (ص:٧٠٠).

(٤) في الأصل: ولامه. والمثبت من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: الماوردي (٦/ ٣٦٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥٢٦).

حقاً فإني أفتدي بمالي وولدي[١].

ويجوز أن يراد: ما أغنى عنه رأس ماله ولا أرباحه التي اكتسبها، أو ما أغنى عنه ماله الذي ورثه وما كسبه هو.

ثم توعده بالنار فقال: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾.

﴿وامرأته﴾ أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، ﴿حمالة الحطب﴾.

قرأ عاصم: "حَمَّالَةَ" بالنصب على الذم. وقرأ الباقون: بالرفع على الصفة[٢]، أو على معنى: هي حمالة الحطب.

قال مجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة[٣]. والعرب تقول: فلانٌ يحطب على فلان؛ إذا كان يُغري به ويُفسد أمره[٤]. قال الشاعر يذكر امرأة:

مِنَ البيضِ لمْ تُصْطَدْ على ظَهْرِ سَوْأَةٍ ... ولم تَمْشِ بين الحَيِّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ[٥]

وقال الضحاك وابن زيد: كانت تحتطب الشوك فتُلقيه في طريق رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٠).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٦-٧٧٧)، والكشف (٢/ ٣٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٤)، والإتحاف (ص:٤٤٥)، والسبعة (ص:٧٠٠).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٣)، والطبري (٣٠/ ٣٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص:١٥٨)، والغيبة والنميمة (ص:١١٥). وذكره الماوردي (٦/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٦٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) انظر: اللسان (مادة: حطب).

(٥) انظر البيت في: اللسان (مادة: حطب)، وتاج العروس (مادة: حطب، حظر)، والقرطبي (٢٠/ ٢٣٩)، والماوردي (٦/ ٣٦٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٢٨)، والدر المصون (٦/ ٥٨٦)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٦٣).

ليلاً[١].

والقولان عن ابن عباس.

وقال قتادة: كانت تُعَيّر رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب، فعُيّرت بذلك[٢].

قال الثعلبي[٣]: وهذا قول ليس بقوي؛ لأن الله وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب.

قلتُ: وليس هذا التضعيف بشيء؛ لأن الاحتطاب مع كثرة المال دناءة وخسّة يأباها ذووا الأَنَفَة.

وقال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا[٤]. تقول العرب: فلانٌ حاطب قريته؛ إذا كان مفسداً فيهم، جانياً عليهم[٥].

قوله تعالى: ﴿في جيدها﴾ أي: في عنقها ﴿حبل من مَسَد﴾.

قال ابن قتيبة وغيره[٦]: المَسَد: ما أُحكم فَتْلُه من أي شيء كان.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣). وذكره الماوردي (٦/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٦٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد. ومن طريق آخر عن ابن عباس وعزاه لابن جرير والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ٣٣٩) بلا نسبة، والماوردي (٦/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦١).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: حطب).

(٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:١٦١). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٦٩).

والمعنى: في عنقها حبل من ما مُسِدَ، رابطةً به حزمة من الحطب على ظهرها.

ذكر الله صورتها وهيئتها والحطب على ظهرها، والحبل في عنقها؛ تصغيراً لها، وتحقيراً لشأنها. ولن تجد أنكى لها ولزوجها من المناداة عليها بذلك، وهما من الشرف والعزة والمنعة والمال بالمكانة التي كانا عليها.

وقيل: المعنى: في جيدها في جهنم حبل من مسد، وهي سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً، قد أُحكم فَتْلُها، تُعذَّبُ بها في النار.

قال أهل العلم[1]: وفي هذه السورة دلالة واضحة على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأن الله تعالى أخبر عن مصير أبي لهب وامرأته إلى النار، وكانا من أحرص الناس على إبطال أمره، وإفساد ما جاء به، ولم يؤمنا به نفاقاً، ليظهرا للناس الخُلْفَ فيما تُوعِّدا به.

وعندي: أن فيه دلالة على صحة نبوته من وجهين آخرين:

أحدهما: أنه لو لم يكن هذا من عند الله تعالى لم يقدم سيدنا محمد ﷺ على التسجيل عليهما به؛ لجواز وقوع الإسلام منهما في ثاني الحال، فيفضي إلى تطرُّق الطعن عليه من أعدائه.

الثاني: أنه أخبر بذلك واستمرّ موجبه، وهو [كُفْرُهُما][2] إلى الموت المفضي بهما إليه.

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «لما نزلت هذه السورة أقبلت

---

(١) هو قول ابن الجوزي في: زاد المسير (٩/ ٢٦٠).

(٢) في الأصل: كفرهم. والتصويب من ب.

أم جميل[١] ولها ولولة وفي يدها فِهْر[٢] وهي تقول: مذمّماً أَبَيْنا، ودينه قَلَيْنا، وأمره عَصَيْنا، ورسول الله ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر، فقال: هذه أم جميل يا رسول الله، وأنا أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به قال: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ [الإسراء:٤٥]، ثم أقبلت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر إني أُخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك، فولّت فعثرت في مِرْطها فقالت: تعس مذمم، ثم انصرفت»[٣].

---

(١) في هامش ب: أسند البزار قصتها من حديث ابن عباس، وقال: حديث الإسناد، ويدخل في مسند أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) الفِهْر: الحجر مِلْءَ الكفّ (اللسان، مادة: فهر).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣ ح٣٣٧٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع آيات[(١)].

وهل هي مكية أو مدنية؟ على قولين[(٢)].

والكلام فيها تحصره فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في فضيلتها:

أخبرنا أبو المجد محمد بن أبي بكر الكرابيسي قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا الشيخان عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه [المطهر][(٣)] بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن الكسار الدينوري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد السني، أخبرنا أبو يعلى، حدثنا حوثرة بن أشرس[(٤)] قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس بن مالك: «أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب ﴿قل هو الله أحد﴾ قال:

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٦).

(٢) ممن قال بأنها مكية: ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر. وممن قال بأنها مدنية: ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي (انظر: الماوردي (٦/ ٣٦٩، وزاد المسير ٩/ ٢٦٤).

(٣) في الأصل: المظفر. والتصويب من ب.

(٤) حوثرة بن أشرس بن عون بن مجشر بن حجين، المحدث الصدوق، أبو عامر العدوي البصري، توفي في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٦٨).

حُبّك إياها أدخلك الجنة»[١].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قل هو الله أحد﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سَلُوهُ لأي شيء يصنع ذلك؟ فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله عز وجل يحبه»[٢].

وبالإسناد قال السني: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن عبيد الله بن عبد الرحمن، عن عبيد -مولى آل زيد بن الخطاب- قال: سمعت أبا هريرة يقول: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾، فقال رسول الله ﷺ: وجبتْ، فسألته ماذا يا رسول الله؟ قال: الجنة»[٣].

وبالإسناد قال السني: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن علي بن مدرك، عن إبراهيم النخعي، عن الربيع بن خثيم، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة، قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: بلى ﴿قل هو الله أحد﴾»[٤].

وبه قال الحافظ أبو بكر السني: أخبرنا الحسين بن يوسف، ثنا علي بن

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٨ ح٧٤١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٣-٣٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٨٦ ح٦٩٤٠)، ومسلم (١/ ٥٥٧ ح٨١٣).
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٧٧ ح١٠٥٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٤).
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ١٧٢ ح١٠٥١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٤).

عبدالرحمن بن المغيرة، حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة، حدثني زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾حتى ختمها عشر مرات بُني له بها قصرٌ في الجنة»(١).

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد الفربري، حدثنا محمد البخاري، حدثنا إسماعيل، حدثنا مالك.

وأخبرنا حنبل بن عبدالله إذناً، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا القطيعي، حدثنا عبد الله بن الإمام [أحمد](٢) قال: حدثني أبي، قال: حدثنا إسحاق، حدثنا مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله الأنصاري، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي جاراً يقوم بالليل ولا يقرأ إلا ﴿قل هو الله أحد﴾ كأنه يقللها، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»(٣). انفرد بإخراجه البخاري.

وبالإسناد [قال](٤) الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٨٣ ح٣٩٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٤-٣٢٥).

وفي هامش ب: قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا حسن، ثنا ابن لهيعة، ح وحدثنا يحيى بن غيلان، ثنا رشدين، ثنا زبان بن فائد الحبراني، فذكره. وفيه زيادة: قال عمر: يا رسول الله إذاً نستكثر، فقال: الله أكثر وأطيب (انظر: مسند أحمد ٣/ ٤٣٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٥ ح٤٧٢٦)، وأحمد (٣/ ٤٣ ح١١٠٤١).

(٤) في الأصل: عن. والمثبت من ب.

[يزيد][(١)] بن كيسان، حدثني أبو حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، قال: فحشد من حشد، ثم خرج فقرأ: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: هذا خبر جاءه من السماء، فذلك الذي أدخله، ثم خرج فقال: إني قد قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، وإنها تعدل ثلث القرآن»[(٢)]. انفرد بإخرجه مسلم فرواه عن يعقوب الدورقي، عن يحيى.

الفصل الثاني في سبب نزولها:

أخرج الترمذي من حديث أبي بن كعب: «أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا [عدل][(٣)]، وليس كمثله شيء»[(٤)].

وروى الشعبي عن جابر قال: «قالوا يا رسول الله: انسب لنا ربك، فنزلت: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها»[(٥)].

---

(١) في الأصل: زيد. والتصويب من ب، والمسند (٢/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٧ ح٨١٢)، وأحمد (٢/ ٤٢٩ ح٩٥٣١).

(٣) في الأصل: عديل. والتصويب من ب، وجامع الترمذي (٥/ ٤٥١).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥١ ح٣٣٦٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٥ ح٥٦٨٧)، والطبري (٣٠/ ٣٤٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٠٨ ح٢٥٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٦٩) وعزاه لأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبي نعيم في الحلية والبيهقي بسند حسن.

الفصل الثالث: في تفسيرها:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ قال الزجاج[١]: هو كناية عن ذكر الله تعالى. والمعنى: الذي سألتم تبيين نسبته: هو الله. و"أحد" مرفوع على معنى: هو أحد. المعنى: هو الله هو أحد. ويجوز أن يكون "هو"[٢] [للأمر][٣]، كما تقول: هو زيد قائم، أي: الأمر زيد قائم. فالمعنى: الأمر الله أحد.

قرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري لأبي عمرو من رواية أبي خلاد عن اليزيدي عنه: "أحدُ الله" بضم الدال وصلتها باسم الله من غير تنوين ولالتقاء ساكنين[٤].

﴿الله الصمد﴾ قال بعض المفسرين: الصمد: الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج[٥]. ويروى هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ. يقال: صَمَدْتُ صَمْدَه؛ إذا قَصَدْتَ قَصْدَهُ[٦].

وقال الزجاج[٧]: الصَّمَد: السيد الذي ينتهي إليه السُّؤدد.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٢) في هامش ب: ويسمى ضمير الشأن.

(٣) في الأصل: الأمر. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٥٣)، والسبعة (ص:٧٠١).

(٥) ذكره الطبري (٣٠/ ٣٤٧)، والماوردي (٦/ ٣٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٧).

(٦) انظر: اللسان (مادة: صمد).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٧-٣٧٨).

قال الشاعر:

لقدْ بَكَّرَ النَّاعِي بخَيْرَي بني أسد بعمرو بن ميمونٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَد(١)

قال غيره: ومعنى هذا: أن السؤدد قد انتهى إليه، فلا سيد فوقه(٢).

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي: الصَّمَد: الذي لا جوف له(٣).

قال ابن قتيبة(٤): كأن الدال في هذا التفسير مبدلة عن تاء.

وحكى الزجاج والخطابي(٥): أن الصَّمد: الباقي بعد فَنَاء خلقه.

قوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ تكذيب لليهود والنصارى في قولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

والمعنى: "لم يلد"؛ لأنه لا يجانس حتى يكونه له صاحبة من جنسه فيتوالدان، ويدل عليه قوله في موضع آخر: ﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له

---

(١) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي. وهو في: اللسان (مادة: صمد، خير)، ومجاز القرآن (٢/ ٣١٦)، والطبري (٣٠/ ٣٤٧)، والقرطبي (٢٠/ ٢٤٥)، والماوردي (٦/ ٣٧١)، وزاد المسير (٩/ ٢٦٨)، والبحر (٨/ ٥٢٩)، والدر المصون (٦/ ٥٨٩)، وإصلاح المنطق (ص:٤٩)، والأغاني (٢٢/ ٩٦)، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين (ص:١٠٦) لامرأة من بني أسد. وفي كل المصادر: "عمرو بن مسعود" بدل: "عمرو بن ميمون".

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٧١).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٤)، والطبري (٣٠/ ٣٤٤-٣٤٥). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٧١) وعزاه للطبراني في السنة عن الضحاك.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٤٢).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص:٨٥).

صاحبة﴾ [الأنعام:١٠١]، "ولم يولد"؛ لأن كل مولود محدث وجسم، وهو تعالى منزه عن ذلك.

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قرأ حمزة: "كُفْواً" بسكون الفاء. وقرأ حفص: بالتثقيل وقلب الهمزة واواً، الباقون: بالتثقيل والهمز[١]. وقد ذكرنا أنها لغات فيما مضى.

قال أبي بن كعب: المعنى: لم يكن له مثل ولا عديل[٢].

قال مجاهد: لم يكن له صاحبة[٣].

قال قتادة: لا يكافئه أحد من خلقه[٤].

وفيه تقديم وتأخير، تقديره: لم يكن له أحد كفواً، لكنه راعى رؤوس الآي.

قرأتُ على أبي الحسن علي بن أبي بكر، أخبركم أبو الوقت فأقرَّ به.

وأخبرنا أحمد بن عبدالله العطار قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي [فقوله][٥]: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته.

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٧)، والكشف (١/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٢١٥)، والإتحاف (ص:٤٤٥)، والسبعة (ص:٧٠١-٧٠٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٤٨). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٢).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٧٢).

(٥) في الأصل: قوله. والمثبت من ب، والصحيح.

وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»[1].

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٣ ح٤٦٩٠).

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس آيات(١).

وهل هي وأختها من المكي أو المدني؟ فيه قولان(٢).

وكان السبب في نزولها: على ما روي عن عائشة وابن عباس وعامة المفسرين، وصح به الحديث: «أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فَدَبَّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطَة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له: لبيد بن الأعصم، وجعله في بئر لبني زُرَيْق يقال لها: بئر ذرْوان(٣). فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب، ولم يدر ما عراه، فبينا هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: مَطْبُوب. فقال: ومن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وبم طَبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال:

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٧).

(٢) ممن قال بأنها مكية: الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وممن قال بأنها مدنية: ابن عباس في أحد قوليه وقتادة (انظر: الماوردي ٦/ ٣٧٣، وزاد المسير ٩/ ٢٧٠). والقول بأنها مدنية أصح.

(٣) ذرْوان: بئر لبني زريق بالمدينة (معجم معالم الحجاز ٣/ ٢٥٣).

وأين هو؟ قال: في جُفِّ طَلْعَةٍ تحت راعوفة[1] في بئر ذَرْوَان. فانتبه رسـول الله ﷺ مذعوراً فقال: يا عائشة! أشعرتِ أن الله أخبرني بدائي، ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف -والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْع- وإذا فيه مُشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا وَتَرٌ معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله هاتين الـسورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلّت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلَّت العقـدة الأخيرة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل يقول: بـسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين، الله يشفيك، فقالوا: يا رسول الله! أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً»[2].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ أي: ألوذ به وألجأ إليه.

و"الفَلَق": الصبح، في قول الحسن ومجاهد[3] وسعيد بن جبير وقتادة وعامة

---

(١) في هامش ب: راعوفة البئر: هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكـون ناتئـة هنـاك، فـإذا أرادوا تنقية البئر جلس المستقي عليها. وقيل: هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه. ويروى بالثاء المثلثة. والمشهور: الأول (انظر: اللسان، مادة: رعف).

(٢) أخرجه مختصراً: البخاري (٣/ ١١٩٢ ح٣٠٩٥)، ومسلم (٤/ ١٧١٩-١٧٢٠ ح٢١٨٩) كلاهما من حديث عائشة. وذكره الثعلبي (١٠/ ٣٣٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٦).

المفسرين واللغويين والعرف[١]. تقول: هو أبين من فلق الصبح وفرق الصبح.

وقال الضحاك: "الفلق": الخلق كله[٢].

قال الزجاج[٣]: إذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن انفلاق؛ كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر.

وقال وهب والسدي: سجن في جهنم[٤].

وجاء في بعض الآثار: أنه بيتٌ في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه[٥].

وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس.

﴿من شر ما خلق﴾ من الجن والإنس وسائر المخلوقات.

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أخرج الترمذي من حديث عائشة قالت: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر فقال: يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا، هو الغاسق إذا وقب»[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٠). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٨٨) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٥) كلاهما عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥١) عن السدي، ولفظه: جب في جهنم. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٠).

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢ ح٣٣٦٦).

قال ابن قتيبة[١]: يقال: "الغاسق": القمر إذا كُسف فَاسْوَدَّ. ومعنى "وقب": دخل في الكسوف.

وقال ابن زيد: يعني: الثريا إذا سقطت. قال: وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها[٢].

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين واللغويين: "الغسق": الليل[٣]. ومعنى "وقب": دخل في كل شيء فأظلم[٤].

قال الزجاج[٥]: "الغاسق": البارد، فقيل لليّل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار.

وقوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: "النافثات" بتقدم الألف على الفاء[٦]، وهنّ اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها بريقهن.

وقال بعض المفسرين: المراد بهن: بنات لبيد بن الأعصم، سحرن رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢١٩ ح٦٩٤١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٨٩) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥١). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٤).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٩).

(٦) النشر (٢/ ٤٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٥).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٥).

والمعنى: استعذ بالله من شر سحرهن.

﴿ومن شر حاسد إذا حاسد﴾ وقد ذكرنا الحسد وما جاء فيه وفي ذمّه في سورة البقرة.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلت: قوله: ﴿من شر ما خلق﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة [بعده] من الغاسق والنفاثات والحاسد؟

قلتُ: قد خصّ شر هؤلاء من كل شر؛ لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به.

فإن قلت: لم عَرَّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه؟

قلتُ: عرّف "النفاثات"؛ لأن كل نفاثة شريرة، ونكّر "غاسق"؛ لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات. ومنه قوله عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين»[2].

وقال:

.... إن العُلَى حَسَنٌ في مِثْلِها الحَسَد[3]

وبالإسناد السابق قال أبو بكر السني: أخبرنا أبو عبد الرحمن -يعني: النسائي-، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب،

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٩ ح٧٣)، ومسلم (١/ ٥٥٨ ح٨١٥).

(٣) عجز بيت لأبي تمام الطائي، وصدره: (واعذر حسودك فيما قد خصصت به). وهو في: الكشاف (٤/ ٨٢٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٣٤).

عن أبي عمران أسلم، عن عقبة بن عامر قال: «تبعتُ رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني سورة هود وسورة يوسف، فقال: لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله عز وجل من ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾»(١).

(١) أخرجه النسائي في الصغرى (٨/ ٢٥٤ ح٥٤٣٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٥-٣٢٦).

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ست آيات[1].

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ
ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ
ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

قال الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ قال أهل المعاني: لما كانت الاستعاذة من شر الموسوس في صدور الناس اقتطعهم من بين سائر الخلق، بإضافة الرب إليهم، تحقيقاً لمعنى استحقاق الاستعاذة به، وتنبيهاً لهم على الالتجاء إليه، والخضوع بين يديه؛ لأنه ربهم ومالكهم الذي يقدر على دفع ما يضرهم عنهم.

و﴿ملك الناس﴾ عطف بيان، لأنه قد يقال لغيره رَبٌّ.

و﴿إله الناس﴾ زيادة في البيان أيضاً، لأنه قد يقال لغيره جل وعلا رَبٌّ مَلِكٌ. وأما الإله فهو الذي لا يشارَك فيه.

﴿من شر الوسواس الخناس﴾ وهو الشيطان.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الشيطانُ جاثمٌ على قلب ابن

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٨).

آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس»[١].

والخُنُوس: التأخر في خِفْيَة.

قوله تعالى: ﴿الذي يوسوس﴾ جائز أن يكون في محل الجر صفة لـ"الوسواس". وجائز أن يكون في محل النصب والرفع على الذم[٢].

وفي توجيه الآية أقوال:

أحدها: أن "مِنْ" يتعلق بـ"يُوَسْوِسُ"، ومعناه: ابتداء الغاية، على معنى: يوسوس في صدور الناس من جهة الجن ومن جهة الناس.

قال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن[٣].

وقال ابن جريج: وَسْوَاسُ الإنس: وَسْوَسَةُ النَّفْس[٤].

القول الثاني: أن قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ بيان لـ"الناس"، فإن الجن يسمون ناساً كما يسمون نفراً ورجالاً في قوله: ﴿استمع نفر من الجن﴾ [الجن:١]، وقوله: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ [الجن:٦]. قاله الفراء[٥].

الثالث: أن قوله: "من الجنة" بيان لـ"الوسواس"، أي: الوسواس الذي هو

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٥ ح٣٤٧٧٤) كلاهما موقوفاً عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٩٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٩٣).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٧٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٣٠٢).

من الجِنَّة. وقوله: "والناس" معطوف على "الوسواس". المعنى: من شر الوسواس ومن شر الناس. وهذا اختيار الزجاج.

قال[١]: وهذا المعنى عليه أمر الدعاء، أنه يستعاذ من شر الجن والإنس، ودليل ذلك: ﴿من شر ما خلق﴾ [الفلق:٢].

الرابع: أن الكلام تم عند قوله: "الخناس"، وما بعده استئناف مضمونه البيان، بأن الموسوس من هذين النوعين؛ الجن والإنس، وتقريره ما ذكرناه في القول الثاني.

وبالإسناد السالف قال أبو بكر السني: حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد بن العاص، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا ابن جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر الجهني قال: «بينما أنا أقود برسول الله ﷺ إذ قال لي: يا عقبة! ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، فقرأ عليّ "قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس"، قال: فلما أقيمت الصلاة -صلاة الصبح- قرأ بهما رسول الله ﷺ، ثم مرّ بي فقال: كيف رأيت [يا عقبة][٢]؟ اقرأ بهما كلما نمت وقُمت»[٣].

وبه قال أبو بكر: أخبرنا أبو عبدالرحمن، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا المفضل بن فضالة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها «أن

---

(١) ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٩).

(٢) في الأصل: أبا عقبة. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) أخرجه النسائي (٨/ ٢٥٣ ح٥٤٣٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٥٤-٣٥٥).

النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم قرأ[١] فيهما: "قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس" ثم مسح[٢] بهما ما استطاع من جسده، يمر بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[٣].

وبالإسناد قال الحافظ أبو بكر السني: أخبرنا أبو عبدالرحمن -يعني: النسائي-، أخبرنا عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن أبي ذئب، حدثني أَسِيد بن أبي أسيد[٤]، عن معاذ بن عبد الله بن[٥] خبيب[٦]، عن أبيه[٧] قال: «أصابنا عَطَشٌ وظُلْمَةٌ، فانتظرنا رسول الله ﷺ ليصلي بنا، ثم ذكر كلاماً معناه، فخرج فقال: قل؟ قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً يكفيك كل شيء»[٨].

---

(١) في ب: يقرأ.

(٢) في ب: يمسح.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٦ ح٤٧٢٩)، والنسائي (٦/ ١٩٧ ح١٠٦٢٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٦).

(٤) أسيد بن أبي أسيد يزيد البراد، أبو سعيد المديني، كان قليل الحديث، توفي في أول خلافة المنصور (تهذيب التهذيب ١/ ٣٠٠، والتقريب ص:١١١).

(٥) في الأصل زيادة قوله: أبي. وانظر ترجمته في: التقريب (ص:٥٣٦)، وتهذيب الكمال (٢٨/ ١٢٥).

(٦) معاذ بن عبد الله بن خبيب الجهني المدني، ثقة صدوق ربما وهم، مات سنة ثماني عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٣، والتقريب ص:٥٣٦).

(٧) عبد الله بن خبيب الجهني المدني، حليف الأنصار، مدني له صحبة (تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٩٥، والتقريب ص:٣٠١).

(٨) أخرجه النسائي (٤/ ٤٤٢ ح٧٨٦٠).

=

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين(١).

= وفي هامش ب: عن شداد بن أوس رفعه: ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكل الله به ملكاً، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هبّ...

(١) جاء في آخر نسخة الأصل: وافق الفراغ منه رابع عشر شعبان المكرم سنة أربع وستين وسبعمائة، أحسن الله تعالى خاتمتها آمين يا رب العالمين.

وكتبه أفقر عباد الله إليه محمد بن يحيى المقدسي الحنبلي، عفا الله تعالى عنه، بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير، وغفر لمن كتب منه أو طالع فيه، ودعا له بالرحمة واستغفر له آمين.

وجاء في آخر نسخة ب: نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله.

وكان الفراغ منه على يد الفقير إلى الله تعالى: أحمد بن محمد بن سليمان الشيرجي الحنبلي البغدادي، تجاوز الله عن سيئاته، وغفر له موبقات ذلاته، في ثاني عشرين رجب الحرام من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة الهلالية. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وما من كاتب إلا سيبلى ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء يسرّك في القيامة أن تراه

وفي هامشها: بلغ مقابلة وتصحيحاً بأصله المنقول منه، وهي نسخة عليها خط المصنف، فصحّ بحسب الإمكان. وفي طرة النسخة مكتوب: فرغ من تصنيفه في عشرين رمضان من سنة خمس وثلاثين وستمائة.

فهرس المحتويات

فهارس

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

صنعه

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء التاسع

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :


مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع


مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١
فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٢٧ ص. ب ٢٠٨٣

الفهارس العامة

فهرس الأحاديث والآثار

{إن الله عهد إلينا ... الآية}: أمرهم الله في التوراة أن لا يصدّقوا أحداً يزعم أنه رسول الله	السدي	٣٨١/١
إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَةَ الجاهلية	أبو هريرة	٣٦٥/٧
{إن الله كان بكل شيء عليماً} إني أُدَبِّر عبادي بعلمي فيهم		٤٩١/١
إن الله كتب على ابن آدم حظّه من الزنا	أبو هريرة	٤٨٦/٧
إن الله كره لكم ثلاثاً	أبو هريرة	٢٥٨/١
إن الله لا يظلم المؤمن حسنة	أنس	١٣٢/٣
{إن الله لا يظلم مثقال ذرة} لا ينقص مثقال ذرة من عمل منافق إلا جازاه بها	ابن عباس	٥٠٩/١
{إن الله لا يظلم مقال ذرة} إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا	أنس بن مالك	٥١١/١
إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	عبد الله بن عمرو	٥٠٠/٣
إن الله لم يكتب علينا سجدة التلاوة	عمر بن الخطاب	٥٦١/٨
إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة	أبو هريرة	٣٠٢/٨
{إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...}: هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير ولشر	ابن مسعود	٨١/٤
{إن الله يأمر بالعدل}: العدل: الحق	ابن عباس	٨٠/٤
{إن الله يأمر بالعدل}: العدل: شهادة أن لا إله إلا الله	ابن عباس	٨٠/٤
{إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها}: عامة في كل أمانة	ابن عباس والحسن	٥٤٠/١
{إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات}: الفرْجُ أمانة، والبصرُ أمانة	ابن عمر	٥٤١/١

{الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله}: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ	ابن عباس	٧٨/٤
{الذين لا يؤتون الزكاة} الذين لا يزكون أعمالهم	ابن عمر ومجاهد	٧/٧
{الذين لا يؤتون الزكاة} لا يأتون ما يصيرون بـه أزكياء	الحسن	٧/٧
{الذين لا يؤتون الزكاة} لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة	الضحاك	٧/٧
{الذين لا يؤتون الزكاة} لا يشهدون أن لا إله إلا الله	ابن عباس	٧/٧
{الذين هم في صلاتهم خاشعون}: خشع من خوف الله	ابن عباس	١٠٢/٥
{الذين هم يراؤون} هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها	سعد بن أبي وقاص	٧٤٧/٨
{الذين هم يراؤون}: هو المنافق، إن صَلَّى صَلَّى رِيَاء	الحسن البصري	٧٤٦/٨
{الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل}: بخلوا أن يصدِّقوه فكتموه	ابن السائب	٥٠٣/١
{الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين}: كانوا يوالون اليهود	ابن عباس	٦٤٨/١
{الذين يحملون العرش} أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش	مسروق	٥٩٣/٦
{الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم}: هو الذكر في الصلاة	علي وابن مسعود وابن عباس وقتادة	٣٩٤/١
{الذين يسارعون في الكفر}: هم المنافقون ورؤساء	ابن عباس	٣٧٢/١

بالزبرجد والدر واليواقيت		
{على سرر موضونة} طول كل سرير ثلاثمائة ذراع	ابن السائب	٥٩٣/٧
{على صلاتهم دائمون} هو الذي إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله	عقبة بن عامر	٢٨٥/٨
على كل زوجة سبعون حُلّة	أبو سعيد الخدري	٥٧٣/٧
{عليم بذات الصدور} عَلِمَ ما في صدوركم من الحب لله	ابن عباس	٤٤١/٢
{علينا بيانه} علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد ووعيد	الحسن البصري	٣٨٩/٨
{علينا بيانه} علينا بيان ما فيه من الأحكام والحلال والحرام	قتادة	٣٨٩/٨
{عليها تسعة عشر} إن لأحدهم قوةَ الثقلين يسوق أحدهم الأمّة		٣٦٣/٨
{عليهم ريحاً} هي الصبا	مجاهد	١٠٩/٦
عَمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه		٤٣٩/٣
{عن الفحشاء والمنكر} المنكر: هو ما وعد الله عليه النار	ابن السائب	٨١/٤
{عن اليمين وعن الشمال قعيد} عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات	مجاهد	٣٧٨/٧
{عن آياتنا}: القرآن ومحمد ﷺ		١٣/٣
{عن ذكر الله} الصلاةُ المكتوبة	عطاء	١٤٧/٨
{عن ذكر الله} طاعته في الجهاد	ابن عباس	١٤٧/٨
{عن ذكر الله} يريد الصلوات الخمس	ابن عباس	٢٦١/٥
{عن ذكر الله}: باللسان	أبو سليمان	٢٦١/٥

{فأخذهم الطوفان}: هو الغرق	الضحاك	٥/٥٩٩
{فأخذهم الطوفان}: هو المطر	ابن عباس	٥/٥٩٩
{فأخذهم الطوفان}: هو الموت	عائشة	٥/٥٩٩
{فأخذهم العذاب}: ما أصابهم يوم بدر	مجاهد	٤/١٠١
{فأخذهم العذاب}: يعني الجوع	ابن عباس	٤/١٠١
{فاخلع نعليك}: كانا من جلد بقرة ذكية	الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة	٤/٤٨٩
{فاخلع نعليك}: كانا من جلد حمارٍ مَيِّت	علي بن أبي طالب	٤/٤٨٨
{فإذا جاء وعد الآخرة}: بعث الله تعالى عليهم في المرة الأخيرة بختنصر	مجاهد وقتادة	٤/١٢٨
{فإذا عزم الأمر}: جَدَّ	الحسن	٧/٢٦٦
{فإذا فرغت فانصب} إذا فرغتَ من الصلاة فانصبْ في الدعاء	ابن عباس	٨/٦٧٣
{فإذا فرغت فانصب} إذا فرغتَ من الفرائض فانصبْ في قيام الليل	ابن مسعود	٨/٦٧٣
{فإذا فرغت فانصب} إذا فرغتَ من أمر دنياك فانصبْ في عمل آخرتك	مجاهد	٨/٦٧٣
{فإذا فرغت فانصب} إذا فرغتَ من جهاد عدوك فانصبْ في عبادة ربك	الحسن البصري	٨/٦٧٣
{فإذا فرغت فانصب}: فإذا فرغتَ من التشهد، فادْعُ لدنياك وآخرتك	الشعبي	٨/٦٧٣
{فإذا هم بالساهرة}: جبل عند بيت المقدس	وهب بن منبه	٨/٤٧٢
{فإذا هم بالساهرة}: جهنم	قتادة	٨/٤٧٢

{فالمدبرات أمراً}: هي الملائكة	ابن عباس	٤٦٧/٨
{فالمقسمات}: السحاب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد	الحسن	٤٠٦/٧
{فألهمها فجورها وتقواها} بَيَّنَ لها الخير والشر	ابن عباس	٦٤٧/٨
{فألهمها فجورها وتقواها} جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور	ابن زيد	٦٤٦/٨
{فألهمها فجورها وتقواها} عَرَّفَها ما تأتي وما تتّقي	ابن عباس	٦٤٧/٨
{فألهمها}: أعْلَمَها	مجاهد	٦٤٧/٨
{فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون}: يقال لأهل النار وهم فيها: اخرجوا وتفتح لهم أبوابها	أبو صالح	٥٤٥/٨
{فاليوم ننجّيك ببدنك}: لم يكن البحر يلفظ غريقاً	ابن عباس	٩٦/٣
{فأما الإنسان} يريد الكافر: أُبيّ بن خلف	ابن السائب	٦٢٠/٨
{فأما الإنسان}: يريد: عتبة بن ربيعة وأبا حذيفة بن المغيرة	ابن عباس	٦٢٠/٨
{فامتحنوهن}: أُمر بامتحانهن؛ لأن المرأة كانت بمكة إذا غضبت على زوجها تقول: لألحقنّ بمحمد	ابن زيد	٩١/٨
{فامتحنوهن}: كان يستحلف المرأة بالله ما خرجتُ من بُغض زوج	ابن عباس	٩٢/٨
{فآمنت طائفة من بني إسرائيل}: يعني: في زمن عيسى عليه السلام	ابن عباس	١١٧/٨
{فأمه هاوية} أمّ رأسه يهوي عليها في نار جهنم	عكرمة	٧١٧/٨
{فأمه هاوية} هي كلمة عربية، كان الرجل منهم إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أمُّه	قتادة	٧١٧/٨

{فأهلكوا بالطاغية} بالصيحة الطاغية	قتادة	٢٥١/٨
{فأهلكوا بالطاغية} بطغيانهم وكفرهم	ابن عباس ومجاهد	٢٥١/٨
{فأوحى إلى عبده ما أوحى}: أوحى إليه: {ألم يجدك يتيماً فآوى}	سعيد بن جبير	٤٦٩/٧
{فأوحى إلى عبده ما أوحى}: فأوحى إلى عبده جبريل ما أوحى	عائشة والحسن وقتادة	٤٦٩/٧
{فأوحى إلى عبده ما أوحى}: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى إليه	ابن عباس	٤٦٩/٧
{فأوحى إليهم} خطّ لهم على وجه الأرض	ابن عباس	٣٩٥/٤
{فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}: فأولئك يُبدّل الله قبائح أعمالهم بمحاسنها	ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير	٣٥٥/٥
{فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}: هذا التبديل كائن في الآخرة	سلمان الفارسي وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين	٣٥٥/٥
{فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}: يُبدل الله تعالى سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات	عمرو بن ميمون	٣٥٥/٥
{فأولئك يبدل الله سيئاتهم}: ودَّ قومٌ يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب	الحسن	٣٥٥/٥
{فبأي آلاء ربك}: الخطاب للوليد بن المغيرة	ابن عباس	٥٠١/٧
{فبصرك اليوم حديد}: حديدٌ شاخصٌ لا يَطْرُف	مقاتل	٣٨٥/٧
{فبصرك اليوم حديد}: وذلك حين ينظر إلى لسان الميزان حين توزن حسناته وسيئاته	مجاهد	٣٨٥/٧
{فبغى عليهم}: بغى عليهم بكثرة ماله	قتادة	٥٦٦/٥
{فبغى عليهم}: زاد عليهم في الثياب شبراً	شهر بن حوشب	٥٦٦/٥

تعجباً	ومقاتل	
{فصكّت وجهها}: لَطَمَتْه	ابن عباس	٤٢٤/٧
{فصل لربك} صَلِّ صلاة الأضحى	قتادة	٧٥٠/٨
{فصل لربك} صلاة الصبح بالمزدلفة	مجاهد	٧٥٠/٨
{فضحكت} ضحكتْ تعجباً من إمساك الأضياف عن الأكل	السدي	١٩٠/٣
{فضحكت} ضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط	قتادة	١٨٩/٣
{فضرب بينهم بسور} السور هو الأعراف	ابن عباس ومجاهد	٦٣٩/٧
{فضرب بينهم بسور} حائط بين الجنة والنار	قتادة	٦٣٩/٧
فضل الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة	أبو هريرة	٢١٥/٤
{فضل الله عليكم ورحمته}: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن	ابن عباس	٥٧١/١
فَضَلَت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة	الشعبي	٦١/٨
{فطاف عليها طائف} أحاطت بها النارُ فاحترقت	ابن عباس	٢٣٢/٨
{فطاف عليها طائف} طرقها طارق من أمر الله	قتادة	٢٣١/٨
{فطرة الله التي فطر الناس عليها} أن الله تعالى أخرجهم من صلب آدم كالذر		٢٥/٦
{فطفق مسحاً بالسوق والأعناق}: كان يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها	ابن عباس	٤٨٨/٦
{فطفق مسحاً بالسوق والأعناق}: كَسَفَ عراقيبها وقطع أعناقها	الحسن البصري	٤٨٧/٦
{فطفق مسحاً بالسوق والأعناق}: يريد: قطع الرؤوس والأعناق	ابن عباس	٤٨٧/٦

بإبراهيم		
{فمنهم من آمن به}: فمن اليهود من آمن بمحمد ﷺ	ابن عباس	٥٣٦/١
{فناداها من تحتها}: المنادي: جبريل عليه السلام	ابن عباس وقتادة والضحاك	٤٠٩/٤
{فناداها من تحتها}: فسمع جبريل كلامها وعرف جزعها	ابن عباس	٤٠٨/٤
{فنادوا}: بالتوبة	الحسن البصري	٤٤٨/٦
{فنظر نظرة في النجوم}: كلمة من كلام العرب	قتادة	٤٠٠/٦
{فنظر نظرة} رأى نجماً طالعاً فنظر فيه	سعيد بن جبير	٣٩٩/٦
{فنقّبوا في البلاد}: اتخذوا فيها طرقاً ومسالك	ابن جريج	٣٩٦/٧
{فنقّبوا في البلاد}: ساروا وطوَّفُوا	قتادة	٣٩٦/٧
{فهل أنتم مسلمون}: مخلصون له العبادة		٦٨٥/٤
{فهل من مدّكر}: هل من طالب خير فيُعان عليه	قتادة	٥٢٠/٧
{فهم عن ذكرهم معرضون}: تولّوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة	ابن عباس	١٤٢/٥
{فهو على نور من ربه}: هو كتاب الله يأخذ به وينتهي إليه	قتادة	٥٣٧/٦
{فهو في الآخرة أعمى}: عما وصف له في الآخرة	ابن عباس	٢١٠/٤
{فهو في الآخرة أعمى}: عن الجنة	أبو بكر الوراق	٢١٠/٤
فوالذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش معلق بقرنيه	ابن عباس	٤١٣/٦
{فوربك لنسألنهم أجمعين}: يسأل العباد عما كانوا يعبدون	أبو العالية	٦٣٧/٣

كانت على الزبير مُلاءَة صفراء	ابن الزبير	٢٩٠/١
كانت عليهم يوم بدر عمائم بيض	علي وابن عباس	٢٩٠/١
كانت عمة يوسف أكبر أولاد إسحاق تحب يوسف حباً شديداً	مجاهد	٣٨٨/٣
كانت قريش تَسْمُرُ حول البيت وتفتخر به ولا تطوف به	سعيد بن جبير	١٣٩/٥
كانت لي أخت أسنّ مني فاختلطتْ وذهب عقلها	يحيى بن إسماعيل	٣٤٦/٤
{كانت مرصاداً}: المِرْصَاد: هو المكان الذي يَرْصُدُ فيه الراصد العدوّ	الأزهري	٤٤٩/٨
كانت مريم تصلي في غرفتها الليل والنهار	ابن عباس	١٦٥/١
كانت وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت	أنس بن مالك	٥٠٢/١
{كأنه ولي حميم}: الولي: الصديق، والحميم: القريب	عكرمة	٣١/٧
{كأنهم إلى نصب يوفضون}: كأنهم إلى شيء منصوب أو غاية جعلت لهم يسرعون	قتادة	٢٩٠/٨
{كأنهن الياقوت والمرجان}: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان	قتادة	٥٧٢/٧
{كأنهن بيض مكنون} شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار	الحسن البصري وابن زيد	٣٨٧/٦
كانوا في ذلك الزمان لا يَزِنُون أقل من أربعين درهماً	ابن عباس	٣٠٢/٣
{كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون}: ذلك حين أمروا بقيام الليل، ثم نزلت الرخصة	عطاء	٤١٣/٧
{كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون}: كانوا قلَّ ليلة تَمُرُّ بهم إلا صَلُّوا فيها	ابن عباس	٤١٣/٧

استكباراً على الإيمان		
{لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً}: لا يريدون علواً على خلقي	عطاء	٥٨٠/٥
{لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً}: لن يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانهم	الحسن	٥٨٠/٥
لا يزال الرجل قادراً على البرّ ما دام في فصيلته من هو أكبر منه	مكحول	١٥٦/٤
لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يُكتب في الجبارين	سلمة بن الأكوع	١٦٨/٤
{لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم} شكاً ونفاقاً في قلوبهم	ابن عباس	٦٠٦/٢
لا يزال دينك متمزقاً ما دام قلبك بحب الدنيا متعلقاً	يحيى بن معاذ	٣٣/٣
{لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ}: لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغال كل واحد بنفسه	ابن عباس	٥٦٤/٧
{لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ}: لا يسألون ليعلم حالهم لأن الله أعلم منهم بذلك	ابن عباس	٥٦٤/٧
{لا يستنقذوه منه}: كانوا يجعلون لآلهتهم طعاماً فيقع الذباب عليه فيأكل منه	السدي	٩٣/٥
{لا يستنقذوه منه}: كانوا يَطْلُون أصنامهم بالزعفران فيجفّ	ابن عباس	٩٣/٥
{لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ} عَنْ بَدْرٍ وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْر	ابن عباس	٥٩٨/١
{لا يسجدون}: لا يصلّون	عطاء	٥٥٩/٨
{لا يسمعون حسيسها}: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة	ابن عباس	٦٧٦/٤

{لا ينفع الذين كفروا إيمانهم}: لا ينفع من قتل من الكفار يومئذ إيمانهم بعد الموت	ابن عباس	٩٤/٦
{لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً}: لابتغوا سبيلاً إلى رضاه لأنهم دونه	قتادة	١٧٤/٤
{لابثين فيها أحقاباً}: لم يجعل الله لأهل النار مدةً	الحسن	٤٥٠/٨
{لاتّخذناه من لدنّا}: لاتخذنا نساءً وولداً من أهل السماء لا من أهل الأرض	ابن جريج	٦٠١/٤
{لأجد ريح يوسف}: هبت ريح فصفقت القميص	مجاهد	٤١٣/٣
{لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً}: هم أولياء الله الذين عَصَمَهُم	ابن عباس	١٩٨/٤
{لإحدى الكبر} أراد بالكُبَر: دركات جهنم السبعة	الكلبي ومقاتل	٣٦٧/٨
{لازب}: لازق	قتادة	٣٧٥/٦
{لازب}: لاصق	ابن عباس	٣٧٥/٦
{لأعدوا له عدة}: لأعدوا له النية وما يصلح للخروج من السلاح والمركوب	ابن عباس	٥١٠/٢
{لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف} أول من قطع ذلك وصلب فرعون	ابن عباس	٢٢٦/٢
{لأقعدن لهم صراطك المستقيم} هو طريق الحق	مجاهد	٩٢/٢
{لأقعدن لهم صراطك المستقيم}: هو طريق الإسلام	جابر ومحمد بن الحنفية	٩٢/٢
{لأقعدن لهم صراطك المستقيم}: هو طريق مكة	ابن مسعود والحسن	٩٢/٢
{لأقعدن لهم صراطك} إن الشيطان قَعَدَ لابن آدم بأَطْرُقِه		٩٢/٢

مزدلفة إلى منى		
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله	ابن عمر	٧٠/٦
{مفازاً}: متنزهاً	ابن عباس	٤٥٥/٨
{مفسدون في الأرض}: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع	ابن السائب الكلبي	٣٦٥/٤
{مفسدون في الأرض}: كانوا يفعلون فعل قوم لوط	وهب بن منبه	٣٦٦/٤
{مقاماً محموداً} أن المقام المحمود: الشفاعة	ابن مسعود وحذيفة وابن عمر وسلمان الفارسي وجابر والحسن ومجاهد	٢١٩/٤
{مقاماً محموداً}: يقعده على العرش	ابن مسعود وابن عباس ومجاهد	٢١٨/٤
{مقتحم معكم}: يضربون بالمقَامِعِ فيلقون أنفسهم في النار	ابن السائب الكلبي	٥١٢/٦
{مقترنين}: متتابعين	قتادة	١٣٤/٧
{مقترنين}: يمشون معه	مجاهد	١٣٤/٧
{مقرنين في الأصفاد} تقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم	ابن زيد	٥٧٤/٣
{مقرنين في الأصفاد} سلاسل الحديد والأغلال		٥٧٤/٣
{مقرّنين في الأصفاد}: كل كافر مع شيطان في غل	ابن السائب	٥٧٣/٣
{مقرّنين في الأصفاد}: يقرنون مع الشياطين	ابن عباس	٥٧٣/٣
{مقرنين}: مطيقين	ابن عباس ومجاهد	١٠٢/٧

نزلت {الرجال قوّامون على النساء} حين لَطَمَ سعد بن الربيع زوجته		٤٩٤/١
نزلت {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب} في قصة اليهوديين اللذين زنيا	ابن عباس	١٤٥/١
نزلت {ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم} في رجال من المؤمنين كانوا يقولون: يا رسول الله! ائذن لنا في قتال المشركين	قتادة	٥٦٢/١
نزلت {ألم تر إلى الذين يزعمون ... الآية} في منافق خاصم يهودياً	ابن عباس	٥٤٦/١
نزلت {ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم} في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ	ابن عباس	٥٣٠/١
نزلت {إن الإنسان لربه لكنود} في الوليد بن المغيرة	الضحاك	٧١٢/٨
نزلت {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} في الجحفة	ابن عباس والضحاك ومقاتل	٥٨٢/٥
نزلت {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله} في المُطْعمين يوم بدر	ابن عباس	٤٢٧/٢
نزلت {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً} في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد	مقاتل	٤٣٢/١
نزلت {إن الذين يرمون المحصنات الغافلات} في مشركي أهل مكة	أبو حمزة الثمالي	٢٢٤/٥
نزلت {إنّ الذين يشترون بعهد الله} في الذين كتموا صفة النبي ﷺ	عكرمة ومقاتل	٢٢٢/١
نزلت {إن الله عهد إلينا ... الآية} في جماعة من اليهود أتوا رسول الله ﷺ		٣٨١/١

نزلت {فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} في أبي سفيان بن حرب	مقاتل	٣٢/٧
نزلت {فجعله نسباً وصهراً} في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب زوج فاطمة	ابن سيرين	٣٣٨/٥
نزلت {فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم} في قصة المنافق واليهودي	مجاهد	٥٥١/١
نزلت {فما لكم في المنافقين فئتين} في قوم أسلموا فأصابهم وباء المدينة	عبد الرحمن بن عوف	٥٧٧/١
نزلت {فهو على نور من ربه} في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه	ابن عباس	٥٣٧/٦
نزلت {فهو على نور من ربه} في علي وحمزة	عطاء	٥٣٧/٦
نزلت {فيه رجال يحبون أن يتطهروا} في أهل قباء	أبو هريرة	٦٠٤/٢
نزلت {قالت الأعراب آمنّا} في أعراب بني أسد بن خزيمة		٣٦٦/٧
نزلت {قد خسر الذين قَتَلُوا أولادهم سفهاً بغير علم} في ربيعة ومضر والذين كانوا يئدون بناتهم أحياء		٢٣/٢
نزلت {قل اللهم مالك الملك} حين قالت اليهود: لا نطيع رجلاً رَامَ نقل النبوة من بني إسرائيل	السدي	١٤٧/١
نزلت {قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم} في الجد بن قيس		٥١٦/٢
نزلت {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً} حين قال أهل مكة: يا محمد! ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص	الكلبي	٣٣٥/٢

نزلت {لا يسخر قوم من قوم} في وفد تميم حين استهزؤوا بفقراء المسلمين	الضحاك	٣٤٩/٧
نزلت {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم} في أسماء بنت أبي بكر	ابن الزبير	٨٨/٨
نزلت {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم} في جماعة من بني هاشم	عطية العوفي	٨٨/٨
نزلت {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم} في خزاعة وبني مدلج	ابن عباس	٨٨/٨
نزلت {لتبلون في أموالكم وأنفسكم} في كعب بن الأشرف	الزهري	٣٨٦/١
نزلت {لم تقولون ما لا تفعلون} في الرجل يُقرّظ نفسه بما لا يفعله	ميمون بن مهران	١٠٨/٨
نزلت {لم تقولون ما لا تفعلون} في المنافقين كانوا يَعِدُون المؤمنين النصر وهم كاذبون	ابن زيد	١٠٨/٨
نزلت {لم تقولون ما لا تفعلون} في قوم كانوا يقولون: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لسارعنا إليه	مجاهد	١٠٨/٨
نزلت {له في الدنيا خزي} في أبي جهل		١٧/٥
نزلت {ليس بأمانيكم} حين قالت اليهود والنصارى: لا يدخل الجنة غيرنا	عكرمة	٦٣٢/١
نزلت {ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج} في إسقاط الجهاد عن أهل الزّمانة	الحسن البصري	٢٨٨/٥
نزلت {ليس على الضعفاء} في ابن أم مكتوم	الضحاك	٥٧٥/٢

نزلت {وإذا رآك الذين كفروا} في المستهزئين	ابن عباس	٦١٦/٤
نزلت {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له} في جماعة من الصحابة كانوا يقرؤون ويرفعون أصواتهم		٣٥٠/٢
نزلت {وإذا مروا بهم يتغامزون} في علي بن أبي طالب	ابن السائب	٥٤٤/٨
نزلت {والذي قال لوالديه أف لكما} في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم	الحسن البصري	٢٢٢/٧
نزلت {والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون} في ثمانية نفر سبقوا أهل زمانهم إلى الإسلام	الضحاك	٦٤٦/٧
نزلت {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات}: في الزناة	ابن السائب	١٩٤/٦
نزلت {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم} في حلف الجاهلية	مجاهد	٨٣/٤
نزلت {ودّت طائفة من أهل الكتاب} في قول اليهود لمعاذ بن جبل	ابن عباس	٢١١/١
نزلت {وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم ...} في رجلين، فالأبكم: أسيد بن أبي العيص	ابن عباس	٦٨/٤
نزلت {وكلوا.واشربوا} في بني عامر، كانوا لا يأكلون في أيام حجهم دسماً		١٠٩/٢
نزلت {ولا تطع من أغفلنا قلبه} في أمية بن خلف الجمحي	ابن عباس	٢٧٥/٤
نزلت {ولا يحسبن الذين يبخلون} في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ	ابن عباس ومجاهد	٣٧٦/١

نزلت {ومن الناس من يقول آمنّا بالله} في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم	مجاهد	٥/٥٩٥
نزلت {ومن الناس من يقول آمنّا بالله} في عياش بن أبي ربيعة	ابن السائب ومقاتل	٥/٥٩٥
نزلت {ومن كان غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ} في والي اليتيم	عائشة	١/٤٢٧
نزلت {ومن لم يجعلِ الله له نوراً} في عتبة بن ربيعة بن أمية		٥/٢٦٥
نزلت {ومن يكسب خطيئة أو إثماً} في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول حين رمى عائشة	ابن عباس	١/٦١٨
نزلت {ومنهم من عاهد الله ... الآية} في ثعلبة بن حاطب ونبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير	الضحاك	٢/٥٥٤
نزلت {ووصينا الإنسان بوالدين إحساناً} في أبي بكر الصديق	ابن عباس	٧/٢١٧
نزلت {ووصينا الإنسان بوالدين إحساناً} في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً	علي	٧/٢١٧
نزلت {ووصينا الإنسان بوالدين إحساناً} في سعد بن أبي وقاص	الضحاك والسدي	٧/٢١٨
نزلت {ويحلفون على الكذب} في عبد الله بن نبتل المنافق	السدي ومقاتل بن سليمان	٨/٣٢
نزلت {ويرسل الصواعق} في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حدثني يا محمد عن إلهك	علي بن أبي طالب	٣/٤٥٩
نزلت {ويستعجلونك بالعذاب} في النضر بن الحارث وغيره من المستعجلين بالعذاب		٥/٧٥

{واتخذ سبيله} دخل موسى في المكان الذي مرَّ فيه الحوت	ابن عباس	٣٢٢/٤
{واتخذتموه وراءكم ظهرياً} ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي	ابن عباس	٢٢١/٣
{واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} أمرٌ للمؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم	ابن عباس	٤٠٣/٢
{واتقوا فتنة} أصابتهم الفتنة يوم الجمل	السدي	٤٠١/٢
{واتقى} اتّقى البخل	مجاهد	٦٥٧/٨
{واتقى}: اتقى ربه	ابن عباس	٦٥٧/٨
{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها} كان من أهل اليمن	ابن عباس	٣٠٣/٢
{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها}: هو رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات	ابن عباس	٣٠٨/٢
{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا} الأنصار تقول في هذه الآية: هو أبو عامر الراهب	ابن عباس	٣٠٧/٢
{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا}: كان من بني إسرائيل		٣٠٣/٢
{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا}: كان من مدينة الجبارين		٣٠٣/٢
{وآتوا الزكاة}: زكاة الأموال	عكرمة وقتادة	٣٤٥/٨
{وآتوا الزكاة}: صلة الرحم وقرى الضيف	ابن عباس	٣٤٥/٨
{وآتوا حقه يوم حصاده}: هو الزكاة	ابن عباس وأنس وابن المسيب	٢٦/٢

{وأدبار السجود} النوافل بعد المفروضات	ابن زيد	٤٠٠/٧
{وأدبار السجود}: الركعتان بعد المغرب	عمر وعلي وغيرهم	٣٩٩/٧
{وأدبار السجود}: أَمَـرَهُ أن يـسبح في أدبـار الصلوات كلها	ابن عباس	٣٩٩/٧
{وإدبار النجوم}: الركعتين قبل صلاة الفجر	علي	٤٥٩/٧
{وإدبار النجوم}: هي صلاة الغداة	الضحاك وابن زيد	٤٦٠/٧
{وادعوه خوفاً وطمعاً} خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه	ابن عباس	١٥٧/٢
{وادي النمل}: هو وادٍ بالطائف	كعب	٤٤٦/٥
{وادي النمل}: وادٍ بالشام	قتادة	٤٤٦/٥
{وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب}: هـذا ميثاق الله على علماء أهل الكتاب أن يبينوا للناس ما في كتابهم	الحسن	٣٨٨/١
{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين}: لميثاق العهد الـذي أخذه الله على الأنبياء بتصديق محمد ﷺ	ابن عباس	٢٢٩/١
{وإذ اعتزلتموهم}: هو من قول يمليخا، وهو رئيس أصحاب الكهف	ابن عباس	٢٥٦/٤
{وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت}: لما أمره الله تعالى ببناء البيت لم يَدْرِ أين يبني	السدي	٤١/٥
{وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه}: أن ابنه وامرأته كانا كافرين، فما زال يعظهما حتى أسلما		٥٣/٦
{وإذ قال موسى لفتاه}: هو موسى بن ميشا بـن يوسف، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران	ابن إسحاق	٣١٦/٤

{واسمع غير مُسْمَعٍ} معناه اسمع غير مقبول منك	الحسن	٥٢٦/١
{واسمع غير مُسْمَعٍ} معناه: لا سمعت	ابن عباس	٥٢٦/١
{وأسيراً} الأسير: المرأة	أبو حمزة الثمالي	٤٠٩/٨
{وأسيراً} الأسير: المسجون من أهل القبلة	مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير	٤٠٨/٨
{وأسيراً} أنه الأسير المشرك	الحسن البصري وقتادة	٤٠٩/٨
{وأشهدهم على أنفسهم}: جمعهم جميعاً فجعلهم أزواجاً	أبيّ بن كعب	٢٩٩/٢
{وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً}: أصبح قلبها فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى	ابن عباس	٥١٥/٥
{وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً}: من الوحي الذي أوحى الله تعالى إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر	الحسن وابن إسحاق	٥١٥/٥
{واصبر نفسك} جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ	سلمان الفارسي	٢٧٣/٤
{وأصحاب الرس} هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان	سعيد بن جبير	٣٢٥/٥
{وأصحاب الرس} هم قوم كانوا يعبدون شجرة	علي	٣٢٦/٥
{وأصحاب الرس} هي بئر كانت بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار	ابن عباس	٣٢٥/٥
{وأصحاب الرسّ}: حدثنا أن أصحاب الرَّسّ كانوا أهل فلج اليمامة	قتادة	٣٢٥/٥
{وأصحاب الرسّ}: كانوا أهل بئر قعوداً عليها	وهب	٣٢٦/٥

عليهم		
{والسماء ذات الحبك}: حُبكَت بالنجوم	الحسن	٤٠٧/٧
{والسماء ذات الحبك}: ذات الخلق الحسن السوي	ابن عباس وقتادة والربيع	٤٠٧/٧
{والسماء ذات الحبك}: ذات الزينة	سعيد بن جبير	٤٠٧/٧
{والسماء ذات الحبك}: ذات الشدة	أبو صالح وابن زيد	٤٠٨/٧
{والسماء ذات الحبك}: ذات الطرائق	الضحاك	٤٠٧/٧
{والسماء ذات الحبك}: هو المتقن البنيان	مجاهد	٤٠٧/٧
{والشجرة الملعونة}: هي شجرة الزقوم	ابن عباس	١٩٤/٤
{والشعراء يتبعهم الغاوون}: يريد: شعراء المشركين	ابن عباس	٤٢٧/٥
{والشفع والوتر} الشفع والوتر: الخلق كله	ابن زيد	٦١٠/٨
{والشفع والوتر} الشفع: الخلق كله، والوتر: الله عز وجل	أبو صالح	٦١٠/٨
{والشمري تجري} تجري لوقت واحد لا تعدوه	قتادة	٣٣٦/٦
{والشمس تجري لمستقرّ لها}: مستقرها أبعد منازلها في الغروب	ابن السائب	٣٣٦/٦
{والشمس والقمر} الشمس أبوه، والقمر: خالته	السدي	٢٧٤/٣
{والشهداء} الذين استشهدوا في سبيل الله	السدي	٥٧٨/٦
{والصاحب بالجنب} هو الرفيق	ابن عباس	٥٠١/١
{والصاحب بالجنب}: هو الذي يَلْصَقُ بك رجاءَ خيرك	ابن زيد	٥٠٢/١
{والصاحب بالجنب}: هو الزوجة	علي	٥٠١/١
{والصافات صفاً}: يريد: الملائكة صفوفاً صفوفاً	ابن عباس	٣٦٨/٦
{والطارق} الطارق أنه زحل	علي بن أبي طالب	٥٧٩/٨

{والفجر}: الفجر هو فجر ذي الحجة	الضحاك	٦٠٨/٨
{والفجر}: الفجر هو يوم النحر	مجاهد	٦٠٨/٨
{والقاسية قلوبهم} يريد المشركين، وهم الـــذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله	ابن عباس	٨١/٥
{والقلم وما يسطرون}: القلم هو من نور، طوله ما بين السماء والأرض	ابن جريج	٢١٥/٨
{والقُمّل}: هو الدَّبا، وهو الجراد إذا تحـــرك قبـــل نبات أجنحته	ابن عباس ومجاهد وعطاء	٢٣٦/٢
{والقُمّل}: هو دواب سود صغار	ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير	٢٣٦/٢
{والقناطير المقنطرة} أن القنطار: اثنا عشر ألـــف أوقية	أبو هريرة	١٣٥/١
{والقناطير المقنطرة} أن القنطار: ألفٌ ومائتا أوقية	أبي بن كعب	١٣٥/١
{والقناطير المقنطرة} أن القنطار: ألفٌ ومائتا دينار	الحسن البصري	١٣٥/١
{وألقيت عليك محبة مني} جعل عليه مسحة مـــن جمال	عطية العوفي	٥٠٦/٤
{وألقيت عليك محبة مني}: ملاحة كانت في عيني موسى ما رآه أحد إلا أحبه	قتادة	٥٠٦/٤
والله إن عدواً يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة	قتادة	١٠٤/٢
والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه		٥٦٩/٢
{والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً}: هو خلـــق حوّاء من آدم	قتادة	٦٣/٤
{والله على كل شيء قدير}: يقدر على نـــصركم وأنتم أقلّة أذلة	ابن عباس	٤٣٧/٢

{وتتلقاهم الملائكة} تتلقاهم على أبواب الجنة	ابن السائب الكلبي	٦٧٧/٤
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} شكركم أن تقولوا: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا	علي بن أبي طالب	٦٢١/٧
{وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم}: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال	مجاهد	٤١٣/٥
{وتذكيري بآيات الله}: وعظي وتخويفي إياكم عقوبة الله		٧٧/٣
{وتركنا عليه في الآخرين} تركنا عليه ثناء حسناً	ابن عباس	٣٩٦/٦
{وترى الناس سُكارى} وترى الناس سُكارى من الخوف	ابن جريج	٨/٥
{وترى كل أمة جاثية}: باركة على الركب	الحسن	١٩٦/٧
{وترى كل أمة جاثية}: جماعات	قتادة	١٩٦/٧
{وترى كل أمة جاثية}: مجتمعة	ابن عباس	١٩٦/٧
{وترى كل أمة جاثية}: مستوفزة	مجاهد	١٩٦/٧
{وتظنون بالله الظنونا} ظنوا ظنوناً مختلفة	الحسن البصري	١١٤/٦
{وتقطعون السبيل}: قطع السبيل كناية عن إتيان ما ليس بحرث	الحسن	٦١٢/٥
{وتقطعون السبيل}: كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة	مقاتل	٦١٢/٥
{وتقطعون السبيل}: كانوا يتعرضون من يمرّ بهم لعملهم الخبيث	ابن عباس	٦١٢/٥
{وتقلبك في الساجدين}: وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك في هذه الأمة	ابن عباس	٤٢٥/٥
{وتقلبك في الساجدين}: يراك منفرداً ومع الجماعة	قتادة	٤٢٥/٥

{وشاركهم في الأموال والأولاد}: هو ما كانوا يحرمونه من أنعامهم	ابن عباس	٢٠٠/٤
{وشاهد ومشهود} الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم	الترمذي	٥٦٥/٨
{وشاهد ومشهود} الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: جميع الأمم	الحسين بن الفضل	٥٦٥/٨
{وشاهد ومشهود} الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: بنو آدم	سعيد بن جبير	٥٦٥/٨
{وشاهد ومشهود} أن الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: يوم القيامة	ابن عباس	٥٦٥/٨
{وشاورهم في الأمر}: يريد: أبا بكر	ابن عباس	٣٤٧/١
{وشاورهم} الاستشارة عين الهداية	علي بن أبي طالب	٣٤٥/١
{وشجرة تخرج من طور سيناء} الجبل الحَسَن	عطاء	١١٢/٥
{وشجرة تخرج من طور سيناء} الجبل المُشْجِر	ابن السائب	١١٢/٥
{وشجرة تخرج من طور سيناء} هو الجبل الذي نودي منه موسى	ابن زيد	١١٢/٥
{وشددنا ملكه}: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل	ابن عباس	٤٦٢/٦
{وشهد شاهد من أهلها}: كان ابن عمها، وكان رجلاً حكيماً	ابن عباس	٣١٩/٣
{وشهد شاهد من بني إسرائيل}: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام	مسروق	٢٠٩/٧
{وشيء من سدر قليل} بينما شجرهم من أحسن الشجر وخير الشجر	قتادة	٢٣٣/٦

كل ذي حمة		
{وغسَّاق}: الغَسَّاق: ما يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم	البغوي	٥١١/٦
{وغسَّاق}: الغَسَّاق: هو الزمهرير	ابن عباس	٥١١/٦
{وفار التنور} أنه فار بالهند	ابن عباس	١٥٧/٣
{وفار التنور}: فار من مسجد الكوفة	علي بن أبي طالب	١٥٧/٣
{وفار التنور}: قيل له: إذا رأيت الماء قد علا وجه الأرض فاركب أنت وأصحابك	ابن عباس	١٥٦/٣
{وفار التنور}: كان تنُّوراً من حجارة	الحسن ومجاهد	١٥٦/٣
{وفار التنور}: هو تنُّور آدم	ابن عباس	١٥٦/٣
{وفتح قريب}: فتح فارس والروم	الحسن البصري وعطاء	١١٦/٨
{وفتنّاك فتوناً}: الفُتُون: وقوعه في محنة بعد محنة خلّصه الله تعالى منها	ابن عباس	٥٠٨/٤
{وفديناه بذبح عظيم} أنه فدي بوعْل أُهبط عليه من ثبير	الحسن	٤٠٧/٦
{وفرحوا بالحياة الدنيا}: يريد: مشركي مكة فرحوا بما نالوا من الدنيا		٤٨١/٣
{وفرعون ذو الأوتاد}: كان يمدّ الرجل ويشدّه بالأوتاد	السدي	٤٥٦/٦
{وفرعون ذو الأوتاد}: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه	قتادة وعطاء	٤٥٧/٦
{وفصل الخطاب}: هو العلم بالقضاء والفهم فيه	ابن مسعود وقتادة	٤٦٣/٦
{وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً}: قالت	زيد بن أسلم	٢٠٦/٤

{وما أدري ما يفعل بي ولا بكم}: ما أدري أُخْرَجُ كما أُخْرِجَ الأنبياء قبلي	الحسن	٢٠٧/٧
{وما أدري ما يفعل بي ولا بكم}: ما أدري هل يتركني بمكة أو يخرجني منها؟	عطية	٢٠٧/٧
{وما أضلنا إلا المجرمون}: يعنون: الشياطين	مقاتل	٣٩٩/٥
{وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}: كخضرة النبات ولعب البنات	الحسن	٣٨٤/١
{وما أمرنا} أمرنا قضاؤنا في خلقنا	ابن عباس	٥٤٠/٧
{وما أمرنا}: ما أمرنا بمجيء الساعة	ابن السائب	٥٤٠/٧
{وما آمن معه إلا قليل}: نجا معه بنوه الثلاثة وكنائنه	ابن عباس	١٥٨/٣
{وما أنت عليهم بجبار}: لم تُبعث لتُجبرهم على الإسلام	ابن عباس	٤٠١/٧
{وما أنزلنا على قومه من بعده}: الملائكة الذين يترلون بالوحي	الحسن البصري	٣٢٦/٦
{وما أنزلنا على قومه من بعده}: ما أنزلنا عليهم رسالة	مجاهد	٣٢٦/٦
{وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه}: وما أنفقتم من شيء من غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه	سعيد بن جبير	٢٥٠/٦
{وما بدلوا تبديلاً} أوجب طلحة		١٣١/٦
{وما بلغوا معشار ما آتيناهم}: ما عملوا معشار ما أمروا به	الحسن البصري	٢٥٥/٦
{وما بناها}: ومن بناها	ابن السائب	٦٤٤/٨
{وما بناها}: يريد: الذي بناها	عطاء	٦٤٤/٨

محجوبة عن الله		
{وما رب العالمين}: استوصفه إلهه الذي أرسله إليه	ابن إسحاق	٣٧٨/٥
وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً	أبو هريرة	٣٠٤/١
{وما عملته أيديهم}: وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها	الضحاك	٣٣٥/٦
{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}: لم تعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا	ابن عباس	٤٢٣/٢
{وما كان الله ليعذبهم} قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك	أنس	٤٢١/٢
{وما كان لبشر أن يكلمه الله}: سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه		٩٣/٧
{وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله} أي بقضائه وقدره	ابن عباس	٣٢٦/١
{وما كان منتصراً}: لم ينصره النَّفر الذين افتخر بهم		٢٩٣/٤
{وما كانوا إذاً منظرين} إذا نزلت الملائكة لم ينظروا و لم يمتهلوا	ابن عباس	٥٨٦/٣
{وما كانوا يعبدون * من دون الله}: يريد: الأصنام	عكرمة وقتادة	٣٧٩/٦
{وما كنت بجانب الطور إذا نادينا}: كان هذا النداء: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني	ابن عباس	٥٤٦/٥
{وما كنت بجانب الغربي}: يريد: حيث ناجى موسى ربه	ابن عباس	٥٤٥/٥
{وما كنت ثاوياً في أهل مدين}: المعنى: لم تشاهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم	مقاتل	٥٤٦/٥
{وما لأحد عنده من نعمة تجزى} أن أبا بكر لما	ابن عباس	٦٦٢/٨

منهما يخالف الآخر في اللون		
{وهو الذي جعلكم خلائف الأرض} يخلف حكم بعضكم بعضاً	ابن مسعود	٦٩/٢
{وهو الذي كف أيديهم عنكم}: هبط ثمانون رجلاً من أهل مكة على رسول الله ﷺ وأصحابه	أنس	٣١٠/٧
{وهو يتولى الصالحين} هم الذين لا يعدلون بالله شيئاً	ابن عباس	٣٤٢/٢
{ووالد وما ولد}: إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما	أبو عمران الجوني	٦٣٠/٨
{ووالد وما ولد}: آدم وذريته	الحسن ومجاهد وقتادة	٦٣٠/٨
{ووصينا الإنسان بوالدين حسناً}: فيّ أنزلت هذه الآية	سعد بن أبي وقاص	٥٩٣/٥
{ووضع الكتاب}: الكتاب: الحساب	السدي	٥٧٨/٦
{ووضع الكتاب}: كتاب الأعمال	قتادة	٥٧٨/٦
{ووضع الميزان}: المراد بالميزان: العدل	مجاهد وقتادة والسدي	٥٤٧/٧
{ووضع الميزان}: هو الميزان ذو اللسان والكِفّتين	الضحاك	٥٤٧/٧
{ووضعنا عنك وزرك} حططنا عنك إثمك الذي سلف منك في الجاهلية	ابن عباس	٦٦٩/٨
{ويؤت كل ذي فضل فضله}: يؤت كل من فضلت حسناته على سيئاته فضله	ابن مسعود وابن عباس	١٢٠/٣
{ويأتوكم من فورهم}: من وجههم هذا	ابن عباس	٢٨٩/١
{ويجادل الذين كفروا}: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم	ابن عباس	٣٠٩/٤

{ويقذفون بالغيب}: يرجمون بالظن فيقولون: لا جنة ولا نار	الحسن البصري	٢٦٥/٦
{ويقللكم في أعينهم} استقل المؤمنون بالمشركين	الكلبي	٤٤٢/٢
{ويقول الذين كفروا}: هم اليهود والنصارى		٦٣٣/٣
{ويقولون حجراً محجوراً} إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة: حراماً محرّماً عليكم	مقاتل	٣١٣/٥
{ويقولون حجراً محجوراً} هم الملائكة	ابن عباس	٣١٣/٥
{ويكلم الناس في المهد وكهلاً} تَكَلَّمَ ساعة في مهده	ابن عباس	١٨٠/١
{ويل لكل همزة لمزة}: الهُمَزَة: الذي يهمِزُ الإنسان في وجهه	الحسن البصري	٧٢٨/٨
{ويل لكل همزة لمزة}: الهُمَزَة: الذي يهمِزُ الناس بيده	ابن زيد	٧٢٨/٨
{ويل لكل همزة لمزة}: الهُمَزَة: المغتاب، واللُّمَزَة: العَيَّاب	ابن عباس	٧٢٨/٨
{ويل لكل همزة لمزة}: هي عامة	مجاهد	٧٢٨/٨
{ويمنعون الماعون}: الماعون: الزكاة	عمر وعلي والحسن وقتادة	٧٤٧/٨
{ويمنعون الماعون}: المعروف كله، حتى القِدْر والقَصْعَة والفأس	ابن عباس	٧٤٧/٨
{وينشر رحمته} أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! أجدبت الأرض	قتادة	٧٦/٧
{وينشر رحمته}: المطر	السدي	٧٦/٧
{وينهى عن الفحشاء}: هو الزنا	ابن عباس	٨٠/٤

فهرس الرواة[1]

---

(١) وضعنا رمز (ش) لشيوخ المصنف، ورمز (*) لموضع ترجمة العلم.

فهرس الأعلام[1]

---

(١) وضعنا رمز (*) لمكان ترجمة العلم.

٧٢، ٧٣، ٩٢، ١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٨٢، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٩١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٨٨، ٤٠١، ٤٤٠، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٩٧، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٦، ٥٧٦، ٥٨٤، ٥٨٧، ٥٩١، ٦٠٩، ٦١٢، ٦١٧، ٦٣٤، ٨/٣، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٨، ٥٨، ٦٣، ٧٢، ٧٨، ١٠٠، ١٠٨، ١٢٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٥٦، ١٦١، ١٦٦، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠١، ٢١٢، ٢١٩، ٢٤١، ٢٦٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٧٠، ٣٨٨، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥١٣، ٥٤٥، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦١٥، ١٧/٤، ٣١، ٥٤، ٧٦، ٨٢، ٨٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٥١، ١٥٧، ١٦١، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢، ٢٠١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٨٨، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٥٢، ٤٧٣، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٦، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٥٩، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٨٥، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٩، ٦١٢، ٦٣٠، ٦٤٤، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٤/٥، ٧، ١٢، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٩، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٨٦، ٩٦، ٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١٢٨، ١٣٣،

٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٨، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤٣٠،
٤٣٢، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٨٨، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٤٧،
٥٥٤، ٥٥٩، ٥٦٨، ٥٧٠، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦١٢، ٣١/٤، ٤٣، ٤٩، ٥٤، ٥٦،
٥٨، ٥٩، ٧٥، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٩١، ١٠١، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٠،
١٤٩، ١٥٨، ١٦٣، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٠٦،
٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٦٩، ٣٨٢، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٢،
٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٩، ٥٢٢،
٥٢٣، ٥٦٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٦٠٣، ٦٠٩، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٦٥،
٦٧٩، ٦٨١، ١٧/٥، ٢٣، ٣٠، ٣٧، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٤٩، ٥٤، ٦١، ٦٧،
٧٧، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٧٢، ١٩٢، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥،
٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٨٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٨،
٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٨٦، ٤٠٦،
٤١٣، ٤٣٥، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٩، ٥٠٨، ٥١٤، ٥٣٥،
٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٨٢، ٥٨٨، ٥٩٥، ٦١٣، ٦١٥، ٦٢١،
٥/٦، ١٣، ٢٢، ٣١، ٣٣، ٤٥، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٦، ٦٩، ٧٧، ٧٩، ٨٠،
٨٣، ٨٧، ٨٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٩، ١٤٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٠،
١٧١، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٩، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٦١،
٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٦،
٣٤١، ٣٤٢، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٤، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٨، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٦،
٥٠٣، ٥١٣، ٥١٥، ٥٤٢، ٥٥١، ٥٥٧، ٥٦٥، ٥٩٣، ٦٠٣، ٧/٧، ١٢،
١٥، ١٦، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٥، ٤٥، ٦١، ٦٥، ٧٠، ٧٢، ٨٧، ٩٢، ٩٧،

فهرس المسائل الفقهية

فهرس المسائل اللغوية

فهرس الكتب

فهرس الأشعار

فَاليَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَـا وَتَـشْتِمُنَا	فَاذهَبْ فَمَا بكَ وَالأَيَّامُ مِنْ عَجَب	٤٠٨/١
نسب تتابع كـابراً عـن كـابر	كالرمح أنبوباً علـى أنبـوب	٤٤٢/١
وَمَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَـهُ عَـنْ صَـدِيقِهِ	وَعَنْ بَعْضِ مَا فيه يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ	٤٦٠/١
فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بالَّذي أَنْـتَ أَهْلُـهُ	وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيكَ الحَقَائِبُ	٥٠٧/١
هَا جِيَفُ الحَسْرَى، فَأَمَّا عِظَامُها	فَبِيضٌ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَـصَلِيبُ	٥٥٦/١
كَأَنَّ نَقِيـقَ الحَـبِّ في حَاوِيائِـهِ	فَحِيحُ الأَفَاعِي أَوْ نَقِيقُ العَقَارِبِ	٣٩/٢
تقولُ ابنتي لمـا رأتنـي شَـاحِباً	كأنَّكَ يحميكَ الطعامَ طَبِيـب	١١١/٢
وكانت عصبة مـن آل عمـرو	إلى دين النبي دعـوا شـهابا	١٧٨/٢
فإن تكن الأيـامُ أحْـسَنَّ مَـرَّةً	إليَّ فقد عـادتْ إليَّ ذنـوب	١٩٨/٢
أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بـهِ	فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مَالٍ وذا نَشَبِ	٢٧٠/٢
ذهَبَ الذينَ يُعَـاشُ في أَكْنَـافِهِمْ	وبَقِيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ	٢٩٥/٢
ألم تكن رؤياي حقـاً ويـأتكم	بتأولها فل من القوم هـارب	٣٦٩/٢
لـيس الغـبي بـسيد في قومـه	لكن سـيد قومـه المتغـابي	٥٣١/٢
مَا نَقَـمَ النَّـاسُ مِـنْ أُمَيَّـةَ إلاَّ	أَنَّهُمْ يَحْلُمُـونَ إنْ غَـضِبُوا	٥٤٨/٢، ٥٧٣/٨
أَلاَ أَبْلِغَا عَـني عَلَـى ذات بَيْنِنـا	لُؤَيّاً وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ	٤٧/٣
أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُـفَهَاءَكُمْ	إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْـضَبَا	١١٧/٣
جَرِيمَـةُ نَـاهِضٍ في رَأْسِ نِيـقٍ	تَرى لِعِظَامِ مَا جَمَعَتْ صَـلِيبَا	١٤١/٣
وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَـا عُيَيْنَـةَ طَعْنَـةً	جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا	١٤٢/٣
فَقُلْنا السَّلامُ فَاتَّقَتْ مِـنْ أَمِيرِهـا	فَمَا كَانَ إلا وَمْؤُها بالحَوَاجِبِ	١٨٧/٣
فَإِنَّكَ إِلاَّ تَرْضَ بَكْرَ بـن وائـل	يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بالعِرَاقِ عَصِيبُ	٢٠٠/٣
مَنْ يُـسَاجِلْنِي يُـسَاجِلْ مَاجِـداً	يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَـرَبِ	٢٠٩/٣

نحـــنُ بَـــذلنا دُونهـــا الـــضِّرَابا	إنا وجَـــدْنا ماءَهـــا طُيَّابـــا	٤٥٣/٦
جاؤوا بصيدٍ عجب من العَجَـبْ	أُزيرق العينين طُوَّال الـــذَّنب	٤٥٣/٦
وقدْ أتاكَ يقينٌ غـــيرُ ذي عِـــوَجٍ	من الإلهِ وقولٌ غيرُ مكـــذوب	٥٤٣/٦
وجدنا لكمْ في آل حـــاميمَ آيـــةً	تأوَّلَها منـــا تقـــيٌّ ومُعْـــرِبُ	٥٨٥/٦
مُتَّكِئـــاً تَـــصْفِقُ أبوابُـــهُ	يَسْعَى عليه العبـــدُ بـــالكُوب	١٤٣/٧
يُرَجِّـــي المـــرءُ مـــا إنْ لا يَـــراهُ	وتَعْرِضُ دونَ أدناهُ الخُطُـــوبُ	٢٣١/٧
لقد لحنت لكم لكيمـــا تفهمـــوا	واللحن يعرفه ذوو الألبـــاب	٢٧٥/٧
فلـــوْ نظَـــرَ الغـــرابُ إلى تمـــيمٍ	وما فيها من السَّوْءاتِ شَـــابَا	٣٠٦/٧
أبلغْ سَراةَ بـــني ســـعدٍ مُغَلْغَلَـــةً	جَهْدَ الرِّسَالةِ لا أَلْتاً ولا كَذِبَا	٣٦٧/٧
وقـــد نقَّبْـــتُ في الآفـــاق حـــتى	رضيتُ من الغنيمةِ بالإيَـــاب	٣٩٦/٧
لعمـــرو أدْمَـــاء جماليـــة	حَجَّ عليهـــا رجـــلٌ أشـــيب	٤٠٤/٧
لنـــا ذنـــوبٌ ولكـــمْ ذنـــوبُ	فـــإن أبيـــتمْ فلنـــا القَليـــبُ	٤٣٣/٧
ضـــأزت بنـــو أســـد بحكمهـــم	إذ يجعلون الـــرأس كالـــذنب	٤٨٢/٧
تَخَالُ بها سُعْراً إذا العيسُ هزَّهـــا	ذميلٌ وإيضاعٌ من السَّيْر مُتْعِبُ	٥٢٥/٧
بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظَامُهـــا	فبيضٌ وأما جلدُها فـــصليبُ	٥٤١/٧
لَنْ يُذهبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قد حُبيتَ بـــه	من الزبرْجَد والياقوتِ والذهب	٥٧٢/٧
فلو رَفَـــعَ الـــسماءُ إليـــه قَوْمـــاً	لَحِقْنا بالسماءِ معَ الـــسحاب	٣٤١/٨
هَوَتْ أمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَاديـــاً	وماذا يرُدُّ الليلُ حينَ يَـــؤُوب	٧١٨/٨
منَ البيضِ لمْ تُصْطَدْ على ظَهْرِ سَـــوْأَةٍ	ولم تَمْشِ بين الحيِّ بالحَطَبِ الرَّطْب	٧٦٢/٨

قافية التاء

مـــن اللَّـــواتي والـــتي والـــلاَّتي	زَعَمْنَ أنِّي كَـــبرْتْ لِـــدَاتي	٤٤٨/١

صَفُوحاً فَمَــا تَلْقَــاكَ إلا بَخيلَــةً	فمنْ مَلَّ منْها ذلكَ الوصلَ مَلَّتِ	٩٩/٧
وليلَـــةٍ ذاتِ نَـــدىً ســـريتُ	ولم يَلِتْنِي عنْ سُـرَاهَا ليـتُ	٣٦٨/٧
وَمَا أَدَعُ الـسِّفَارَةَ بـينَ قـومِي	وَمَا أمْشِي بغِشٍّ إنْ مـشيتُ	٤٩٠/٨

قافية الثاء

أشَاقَتْكَ الظَّعـائنُ يـومَ بَـانُوا	بذي الزيِّ الجميلِ من الأثاث	٤٥٦/٤

قافية الجيم

بتَقْوَى الإلَـهِ نَجَـا مَـنْ نَجَـا	وفَازَ وأدْرَكَ مَـا قَـدْ رَجَـا	٩٣/١، ١٦٤/٨
متى تأْتِنَا تُلْمِـمْ بنـا في ديارنـا	تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تأجَّجَا	٣٥٣/٥
نحن بنو جَعْـدَةَ أربـابُ الفَلَـجْ	نضربُ بالسيفِ ونرجُوا بالفَرَجْ	٣٧/٥
إذا هَمَّ بالإقلاعِ هَبَّتْ له الـصَّبا	وأعقَبَ نُوءٌ بعدها وخُـرُوج	١٤٣/٥
بأرْعَنَ مثلِ الطَّوْدِ تحـسِبُ أهُـم	وُقوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ	٥٠١/٥

قافية الحاء

وَمَـا الـدَّهْرُ إلا تارَتَـانِ، فَمِنْهُمَـا	أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ	٥٢٦/١، ٥٥١/٨
ورأيـتُ زَوْجَـكِ في الـوَغَى	مُتَقَلِّـداً سَـيْفاً ورُمْحـا	١٤٠/٢
مَرَرْنَا فَقُلْنا إيـهِ سِـلْم فَـسَلَّمَتْ	كَمَا اكْتَلَّ بالبَرْقِ الغَمَامُ اللَّوائِحُ	١٨٨/٣
فَأَهْـدَتْ مُتْكَـةً لِبَنِـي أبيهـا	تَخُبُّ بها العَثَمْثَمَـةُ الوقـاحُ	٣٢٥/٣
إنِّي أَرِقْتُ فبتُّ الليـلَ مُرْتَفِقَـاً	كأنَّ عيني فيها الصَّابُ مذْبُوح	٢٨١/٤
فأنتَ من الغوائلِ حـين تُرْمَـى	ومنْ كَرَم الرِّجـال بمُنْتَـزاح	١٤٧/٥
ونحـنُ علـى جوانبـها قُعـودٌ	نغُضُّ الطَّرْف كالإبل القِمَاح	٣١٣/٦
بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشمسِ في رَوْنَقِ الضُّحَى	وصُورتها أو أنتِ في العـين أمْلَـحُ	٤٣١/٦
قَطَـاةٌ عزَّهـا شَـرَكٌ فباتَـتْ	تُجاذِبُه وقـد عَلِـقَ الجنَـاح	٤٧٥/٦

قافية الدال

يَا رَاكِــبَ الــذَّنْبِ هُــدْ هُــدْ	واسْــجُدْ كَأنــكَ هُدْهُــدْ	٢٧٤/٢
لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربنــا	ولا شيء أعلى منك جداً وأمجد	٣٠٦/٢
يُعيِّــرني بالــدَّيْن قــومي وإنمــا	تديّنت في أشياء تُكسبهم مجدا	٣٠٩/٢
وإنّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ من غــير ذلــة	وما فيَّ إلا ذاك من شيم العبد	٣٣٩/٢
وَقَفْتُ فيهــا أُصَــيْلالاً أُسَــائِلُها	عَيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ	٣٥٢/٢
القوم أعلم مــا تركــت قتــالهم	حتى رموا فرسي بأشقر مزبــد	٣٨٧/٢
جزى الله رب الناس خير جزائــه	رفيقين حلاّ خيمتي أم معبــد	٤١٧/٢
إذا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ العَــصَا	فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكُ سَيْفٌ مُهَنَّدُ	٤٦٦/٢
وقال رسول الله والحــق لاحــق	بمن قال منا: مَنْ تعدّون سيدا	٥١٤/٢
أما الفقير الذي كانــت حَلُوبَتُــه	وفْق العيال فلم يُترك له سَــبَدُ	٥٢٣/٢
فَقُلْ لِلَّذي يَبْغِي خِلافَ الَّذِي مَضَى	تَهيَّأْ لأُخْرَى مِثْلِها فَكَــأَنْ قَــدِ	٥٦٢/٢
إخْــوَتِي لا تَبْعُــدُوا أبــداً	وَبَلــى وَاللهِ قَــدْ بَعُــدُوا	١٧٩/٣
أَرِيني جَواداً مَاتَ هَــزْلاً لَعَلّنــي	أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخيلاً مُخَلَّدا	١٨٠/٣
أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الجَــوْزَاءِ سَــارِيَةٌ	تُزْجِي الشّمالُ عَلَيْه جَامِدَ البَرَدِ	٢٠٦/٣
أبى حُبِّــي سُــلَيْمَى أَنْ يَبِيــدا	وَأَمْسَى حَبْلُها خَلْقاً جَدِيــدَا	٢٤٣/٣
أَلَــمْ يَأْتِيــكَ وَالأَنْبــاءُ تَنْمــي	بمَا لاَقَتْ لَبــونُ بَــني زِيــاد	٢٨٣/٣
ولا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّــاسِ يُــشْبِهُهُ	وَلاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ	٣٣٠/٣
إِذا مَا مَاتَ مَيْــتٌ مِــنْ تَمِــيم	فَسَرَّكَ أَن يَعيش فَجِئْ بِــزاد	٣٣٨/٣
صَادِياً يَــسْتَغِيثُ غَــيرَ مُغَــاثٍ	وَلَقَدْ كَانَ عُــصْرَةَ المنجُــود	٣٥٦/٣
أخشى على أربــد الحُتُــوفَ ولا	أرهَبُ نوءَ السِّماك والأســد	٤٥٤/٣
فأصبحتُ مما كان بــيني وبينَهــا	من الوُدِّ مثلَ القابضِ الماءَ باليدِ	٤٦٢/٣

قافية الراء

وَلاَ عَائِدٌ ذاكَ الزَّمَــانُ الــذي مَــضَى	تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ	٤/٦٥٧
فَإِنَّ حَرَامــاً لاَ أَرَى الــدَّهْرَ بَاكِيــاً	عَلَى شَجْوِهِ إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَى عَمْرِو	٤/٦٦٧
إذا دَخَلَ الشهرُ الحـرامُ فَـوَدِّعِي	بلاد تميمٍ وانصُري أرضَ عامر	٥/٢٣
ولأَنْتَ تَفْري ما خَلَقْتَ وَبَعْـــ	ـضُ القومِ يخلُقُ ثم لا يَفْــرِي	٥/١٠٨
فقال الــسائلونَ لمــنْ حَفَــرْتُم	فقالَ المُخبِــرُون لهــمْ وزيــر	٥/١٥١
سَــألَتَاني الطَّــلاقَ أَنْ رَأَتَــاني	قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتُمَــاني بِنُكْــرِ	٥/٥٧٨
يا رســولَ المليــكِ إنّ لــساني	رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنــا بُــور	٥/٣٠٨
يـــا لَعْنَـــةُ اللهِ والأقـــوامِ كُلِّهِـــمِ	والصالحينَ على سَمْعَانَ مِنْ جَار	٥/٤٥٧
ألا يا اسْلَمِي يا دَارَ ميٍّ على البِلَى	ولا زالَ مُنْهلاً بجرعائِك القَطْرُ	٥/٤٥٨
وَبُحْ باسْمِ ما تأتي وذَرْني من الكُنَـى	فلا خَيْرَ في اللذَّاتِ مِنْ دُونِها سِتْر	٥/٤٨٣
فإنكَ لــو رأيــتَ أبــا عُمَــيرٍ	مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وخَتْــرِ	٦/٦٧
وَفَتْ ذمّتِي أني كريمٌ وأنني صــبورٌ	إذا ما القومُ حَادُوا عن الصبر	٦/١٣٨
وَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيّاً عَرَفْــتَ قَرَابَتِــي	وَلَكِن زَنْجِيّاً غَلِــيظَ المَــشَافِرِ	٦/١٦٨
لا أرى الموتَ يسبِقُ الموتَ شَــيءٌ	نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفقيرا	٦/١٧٧
أيادي سَبَا يا عَزَّ ما كنتُ بعدكُم	فلم يَحْلُ بالعينين بَعْدَكِ منظَرُ	٦/٢٣٦
تمنَّى نئيــشاً أن يكــونَ أطــاعني	وقدْ حدثتْ بعدَ الأمور أُمــور	٦/٢٦٣
يُــصرِّفُه الــصبيُّ بكــلِّ وجـــهٍ	ويحبسُه على الخسْفِ الجريــر	٦/٣٦٢
لعمْري لئن أنْــزَفْتُم أوْ صَــحَوْتُمُ	لبئسَ النَّدَامَى كُنتمُ آل أبْجَرَا	٦/٣٨٥
منَ القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ	من الذَّرِّ فوقَ الإتبِ منها لأثَّــرا	٦/٣٨٦
فلا تَبْكِ مَيْتاً بعدَ مَيْــتٍ أجَنَّــهُ	عليٌّ وعبــاسٌ وآلُ أبي بكــر	٦/٤٢٢
ألِفَ الصُّفُونَ فــلا يــزالُ كأنــه	مما يقومُ على الثلاث كَــسِيرا	٦/٤٨٤

أَمَاوِيُّ ما يُغْــني الثَّــراءُ عَــنِ الفـتى	إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصدرُ	٦٢١/٧، ٣٩٢/٨
وهَانَ علــى سَــراةِ بــني لُــؤي	حَريــقٌ بــالبُوَيْرَة مُــستَطِير	٤٧/٨
شَــقَقْتِ القلــبَ ثم ذرَرْتِ فيــه	هَواكِ فَلِيمَ فَالْتَــأمَ الفُطُــور	٢٠١/٨
نظرتُ إليها بالمحَصَّبِ مــن مِــنًى	فَعَادَ إليَّ الطَّرْفُ وهو حَــسير	٢٠١/٨
كُــسِعَ الــشِّتَاءُ بــسبعةٍ غُبْــرِ	أيــامِ شَــهْلَتِنا مِــنَ الــشَّهْر	٢٥٢/٨
فَأرْسَلوهُنَّ يُذْرِينَ التــرابَ كَمَــا	يُذْرِي سبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أوتَارِ	٣٣٦/٨
إذا مــا هَتَفْنَــا هَتْفَــةً في نَــدِيِّنَا	أتَانَا الرجالُ العائذونَ القَسَاوِرُ	٣٧٢/٨
لا وأبيــكِ ابنــةَ العــامريِّ	لا يَــدَّعِي القــومُ أني أفــرّ	٣٧٧/٨
ولكنَّها ضَــنَّتْ بمــترِلِ ســاعةٍ	علينا ولطَّت دُوننــا بالمعَــاذِرِ	٣٨٧/٨
ولائمةٌ لامتكَ يا فَيْضُ في النَّــدَى	فقلتُ لها لن يَقدحَ اللَّوْمُ في البَحْرْ	٤٠٨/٨
وليلــةٍ ظَلامُهــا قــد اعْتَكَــر	قَطَعْتُهَا والزَّمْهَرِيرُ مــا ظَهَــرْ	٤١٣/٨
كَــأَنَّ القَرَنْفُــلَ والزَّنْجَبيــلَ	بَاتَا بفيهــا وأرْيــاً مُــشَارَا	٤١٧/٨
جَنَّــةٌ لِــفٌّ وعَــيْشٌ مُغْــدِقٌ	ونَدامَى كُلُّهُمْ بــيضٌ زُهُــرُ	٤٤٨/٨
ولوْ أســندتَ ميتــاً إلى نحْرِهَــا	عَــاشَ ولم يُــسْلَمْ إلى قَــابِرِ	٤٩٢/٨
أبْصَرَ خِرْبَــانَ فَــضَاءِ فانكَــدَرْ	تَقَضِّيَ البَازي إذا البازي كَسَرْ	٥٠٣/٨
سَتَبْقَى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا	سريرةُ وُدٍّ يومَ تُبلى الــسرائرُ	٥٨٣/٨
لا أرَى الموتَ يسبقُ الموتَ شــيء	نَغَّصَ الموتُ ذا الغنَى والفقيرا	٦٣٠/٨
يبكْي الغريبُ عليه لــيسَ يعرفُــه	وذوا قَرابتِهِ في الحيِّ مــسرُور	٦٣٨/٨
ألا والعاديــاتِ غَــداةَ جَمْــعٍ	بأيــديها إذا سَــطَعَ الغُبَــار	٧٠٩/٨

قافية الزاي

كَأنْ لَمْ يَكُونُــوا حمــىً يُتَّقَــى	إِذِ النّاس إذ ذاكَ مِنْ عَزَّ بــزّا	٦٤٩/١، ١٨/٣

رَعَى الشَّبْرِقَ الرَّيَّان حتى إذا ذوَى وعَادَ ضَرِيعاً بَانَ عنه النَّحَائِصُ ٨/٥٩٨

قافية الضاد

أَبَا مُنْــذِرٍ أَفْنَيْــتَ فاسْــتَبْقِ بعْــضَنا حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ مِنْ بَعْض ٤/٣٩٨

أبــا مُنــذرٍ رُمْــتَ الوفــاءَ فهبتَــهُ وحِدتَ كما حَادَ البعيرُ عن الدَّحْضِ ٧/٣٨٤

ألا أبْغِهَـــا نعامــــةً مِيفَاضَـــا خَرْجَاءَ ظَلَّتْ تَطْلُبُ الإضَاضَا ٨/٢٩٠

قافية الطاء

التَّـــصابي مـــع الـــشَّمط سمـــتني خطـــةً شَـــطَط ٦/٣٠٢

أَمْسَتْ هُمومي تَنْشَطُ المَنَاشِـطَا الشَّام بي طوْراً ثم طَوْرَاً وَاسِطَا ٨/٤٦٥

قافية العين

ألا ما لوجـــه المكرمـــات مُلَفّـــعُ وما لعيون الدين تدمى وتدمع ١/٣٢

وما للورى سكرى و لم يشربوا طلا وما لغيــوم الهــم لا تتقــشع ١/٣٣

فلو طالت الأعمار بالفضل لم يكن لموت على مثل الموفق مَطْمَــعُ ١/٣٣

وبعد فلا زالت ســحائب رحمــة من الله في لحد الموفــق تهمــع ١/٣٣

تَعْصِي الإلهَ وأنتَ تُظْهِــرُ حُبَّــه هذا مُحَالٌ في المقــال بَــديعُ ١/١٥٥

وخيرُ الأمر مــا اســتقبلتَ منــه ولــيس بــأن تَتَبَّعَــهُ اتِّبَاعَــا ١/١٦٢

فَأَقْسَمَ لَوْ شَــيْءٌ أَتَانَــا رَسُــولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجدْ لَكَ مَدْفعَا ١/٥٦٨

قَتَلْتُ به فِهْراً وَحَمَّلْــتُ عَقْلَــهُ سَرَاةَ بَني النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ ١/٥٨٩

وَخَيْلٍ قَــدْ دَلَفْــتُ لَهَــا بِخَيْــلٍ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَــرْبٌ وَجِيــعُ ١/٦٤٩

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُم بعَــيْشٍ ناصِــبٍ وإِخَالُ أَنِّي لاحِــقٌ مُــسْتَتْبَعُ ٢/١٩١

عنــد الملــوك مــضرةٌ ومنــافعٌ وأرى البرامك لا تَضُرُّ وتنفَــع ٣/٢٣

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَــى لاَ تَنْفَــعُ هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْماً وَأَمْرِي مُجْمَعُ ٣/٧٨

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضـوئِه	يحورُ رماداً بعد إذ هُوَ سَـاطِعُ	٣٢٦/٦
أما تـتقينَ اللهَ في جَنْـبِ وَامِـقٍ	له كبدٌ حرّى عليـكِ تَقَطَّـع	٥٦٥/٦
وعَلَيْهِمَا مَـسْرُودَتَانِ قَـضَاهُما	دَاودُ أوْ صَنَعَ الـسَّوابغَ تُبَّـع	١٢/٧
أخَذْنَا بآفـاقِ الـسماءِ علـيكُم	لنا قَمَرَاهَا والنجومُ الطوالـع	١٢٤/٧
بذاتِ لَـوْثٍ عِفرْنَـاةٍ إذا عَثَـرَتْ	فالتَّعْسُ أدنى لها منْ أنْ أقول لَعَا	٢٥٤/٧
نحنُ الكرامُ فـلا حـيٌّ يُعادِلُنـا	فينا الرؤوسُ وفينا يُقسم الرّبع	٣٣٥/٧
فإنْ تَزْجُراني يا ابنَ عفَّانَ أنْزَجِـرْ	وإنْ تَتْرُكاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا	٣٨٧/٧
قد حَصَّتِ البيضةُ رأسِـي فمـا	أطعمُ نَومـاً غـيرَ تَهْجَـاع	٤١٢/٧
أمِـنَ المنـون ورَيْبِـه تَتَوَجَّـعُ	والدهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ	٤٥٢/٧
مَـنْ يَرْجِـعُ العـامَ إلى أهلـه	فما أكيلُ الـسَّبْعِ بـالرَّاجِعِ	٤٦٣/٧
نَحيفُ الشَّوى يَعْدُو على أمّ رأسـه	ويخْفَى فيقوى عَدْوُه حينَ يُقْطَعُ	٢١٧/٨
زَنـيمٌ تَـدَاعَاهُ الرِّجَـال زيـادةً	كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكَارِع	٢٢٤/٨
وخيرُ الأمر مـا اسـتقبلتَ منـه	ولـيسَ بـأنْ تَتَبَّعَـهُ اتِّبَاعَـا	٢٩٧/٨
وإني بحمدِ اللهِ لا ثـوبَ فَـاجِرٍ	لبستُ ولا مِنْ غَـدْرَةٍ أتقنَّـعُ	٣٥١/٨
تذكَّرْتُ ليلى فـاعْتَرتْني صَـبَابَةٌ	وكادَ ضميرُ القلب لا يتقطَّـع	٣٧٦/٨
جِـذْمُنَا قَـيْسٌ ونجـدٌ دَارُنـا	ولنـا الأبُّ بـه والمَكْـرَعُ	٤٩٥/٨
وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضـوئِهِ	يحورُ رَمَاداً بعدَ إذ هُو سـاطعُ	٥٥٤/٨
قومٌ إذا سَمِعُوا الـصَّريخَ رأيـتَهُم	مِنْ بين مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سَـافِع	٦٨٦/٨

قافية الفاء

يا من يرينا كل وقـت وجهـه	بشْراً، ويبدي كفُّـه معروفـا	٥١/١
إذَا نُهِـيَ الـسَّفيهُ جَـرَى إلَيْـهِ	وَخَالَفَ، والسَّفيهُ إلى خِلاَفِ	٣٧٧/١

قافية القاف

أَمُحَمَّدٌ أَوَ لَسْتَ ضِـنْءُ نَجِيبَـةٍ	في قَوْمِها وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ	٥٠٩/١
حَتَّى استَوى بشْرٌ عَلَـى العِـرَاق	مِنْ غَيْرِ سَـيْفٍ ودَمٍ مِهْـرَاق	١٤٩/٢
خَفَ اللهُ واسْتُرْ ذا الجَمَـالَ بِبُرْقُـعٍ	فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ في الخُدُورِ العَوَاتِقُ	٣٢٩/٣
فتًى كالسحاب الجوْنِ يُخشى ويُرتجى	يُرجَّى الحيا منها وتُخشى الصَّواعق	٤٥٦/٣
فلا الظلُّ من برْدِ الضُّحَى تستطيعُه	ولا الفيءُ من بَرْد العشيُّ تذُوق	٤٦٤/٣
قالـــت سُـــلَيمى	اشْــتَرْ لنـــا دقيقـــا	٥٣٤/٣
عَــزَّ علــى عَمِّــكِ أن تُــأَوَّقي	أوْ لَمْ تبيتي ليلــةً لم تُغْبَقِـي	٥٩٠/٣
لو سَارَ ألفُ مُـدرَّعٍ في حَاجـةٍ	لم يقْضها إلا الــذي يترفَـقُ	١٠٩/٤
قضيتُ أموراً ثم غادرتُ بعـدها	بوائِقَ في إحكامهـا لم تُفتَّـق	١٤٧/٤
وإني إذا أرجـو تميمـاً ونفعهـا	كراجي الندى والعرف عند المذلق	٢٥١/٤
ضحكوا والدهر عنـهم سـاكت	ثم أبكاهم دمـاً لمـا نطـق	٣٣٦/٤
وَقَوْلُهـا وَالرِّكَـابُ سَـائِرَةٌ	تَتْرُكُنـا هَكَـذَا وَتَنْطَلِـقُ	٦٥٧/٤
طَرْمَحُوا الدُّورَ بالخَراجِ فأضْحَتْ	مثلَ ما امتدَّ من عَمَايَـةَ نيـقُ	١٤٤/٥
قالـــت سُـــليمَى	اشـــترْ لنـــا دقيقـــاً	٢٧٦/٥
هل أنتَ باعثُ دينـارٍ لحاجَتِنـا	أو عبْد ربّ أخا عَوْن بن مخراق	٣٨٢/٥
أغــرَّكُم أني بأحـسن شـيمة	بصيرٌ وأني بالفَواحش أخْـرَقُ	٥٥٣/٥
فيها خُطوطٌ من بيـاضٍ وبَلَـقْ	كأنه في الجلدِ تَوليـعُ البَهَـقْ	٣٣٣/٦
بـل نُطفـة تَركـبُ الـسَّفينَ	وقد ألجمَ نَسْراً وأهلَهُ الغَـرق	٣٤٠/٦
إن تترني مـن الإجـارة شـيئاً	لا تفتني على الصراط بحقـي	٢٨٢/٧
ودَعَا بالصَّبُوحِ يومـاً فجـاءت	قَينـةٌ في يمينـها إبريـق	٥٩٥/٧
وإذا ذو الفُضُولِ ضَنَّ على المَوْلَى	وعادتْ بخيمِهَـا الأخْـلاقُ	٢١٩/٨

فَلَوْ أَنَّ النِّـسَاءَ كَمَـنْ ذكِرْنَـا	لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ على الرِّجَـالِ	٣٠٢/١
أَنَـا الـذي عَاهَـدَني خَليلـي	وَنَحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيـلِ	٣٢٢/١
وَإِنَّ المَوْتَ يَأْخُـذُ كُـلَّ حَـيٍّ	بلا شَكٍّ وَإِنْ أَمْـشَى وَعَـالا	٤١٨/١
من اللاتي لم يحججن يبغينَ حِسْبَةً	ولكن ليقتلن البريء المغفّـلا	٤٤٨/١
وإن امرءاً ضنَّت يداه على امـرئٍ	بنيل يدٍ مـن غـيره لبخيـل	٥٠٨/١
يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلوف وَيَغْـزُو	ثمَّ لا يَـرْزَأُ العَـدُوَّ فَتـيلا	٥٣٣/١
نَازَعْتُهُ قُضُبَ الرَّيْحَـانِ مُتَّكِئـاً	وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهـا خَـضِلُ	٥٤٦/١
نُبئْـتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوْعَـدَني	وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ	٥٩٣/١
تَسْمَعُ للحَلْي وَسْواساً إذا انْصَرَفَتْ	كما اسْتَعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ	٩٦/٢
شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَـلَّ عَقْلـي	كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بـالعُقُولِ	١١٣/٢
فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا	أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ	١٣٣/٢
هذي الكرامُ لا قَعْبَانَ مـن لـبنٍ	شِيْبَا بماءٍ فَعَادَا بعـدُ أبْـوَالا	١٩٨/٢
إن الذي سمك السماء بـنى لنـا	بَيْتاً دَعَائِمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ	٢٥٧/٢
إذا تذكرت شجواً من أخي ثقـةٍ	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعـلا	٢٨٢/٢
كلُّ عـيش وإن تطـاول دهـراً	صـائرٌ مـرةً إلى أن يَـزولا	٣٠٦/٢
وإنَّ لسانَ المرْءِ ما لم يَكُـنْ لـه	حَصَاةٌ على عَوْرَاتِـهِ لَـدَليلُ	٣١٧/٢
لعمرك ما وليت ظهـري محمـداً	وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل	٣٨٧/٢
ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّاني وَحَاجَتُـهُ	مَا قَاتَهُ وفُضُولِ العَيْشِ أَشْغَالُ	٣٩٩/٢
وَثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الغَارِ المُنِيفِ وَقَـدْ	طَافَ العَدُوُّ به إِذْ صَاعَدَ الجَبَلا	٥٠٠/٢
لَمَّا رَأَى لُبَدُ النُّـسُورَ تَطَـايَرَتْ	رَفَعَ القَوادِمَ كَالفَقِيرِ الأَعْـزَلِ	٥٢٢/٢
لَـوْ كُنْـتُ أَقْـدِرُ أَنْ أَقُـولا	لَشفيتُ مِـنْ قَلْـبي غَلِـيلا	٥٨٥/٢

سَقَى قومي بني مَجْـدٍ وأسـقى	نُميراً والقبائـلَ مـن هِـلال	٦٠١/٣
لقد وضح الطريق إليـك قـصداً	فمـا خلـقٌ أرادك يـستدل	٥٩/٤
الحمـد لله إذ لم يـأتني أجلـي	حتى اكتسيتُ من الإسلام سربْالا	٧٣/٤
بانَ الشبابُ فلم أحْفَل بـه بـالا	وأقبلَ الشيبُ والإسلامُ إقبالا	٧٤/٤
وترمينَني بالطرْفِ أيْ أنتَ مُذْنبٌ	وتَقْلينني لكنَّ إيـاكِ لا أقْلـي	٢٨٩/٤
وَقدْ أُخالِسُ رَبَّ البيـتِ مُقْلَتَـهُ	وقد يُحاذِرُ مني ثم مـا يَئِـلُ	٣١١/٤
يريـدُ الـرمحُ صـدرَ أبي بـراء	ويعدل عن دماء بـني عقيـل	٣٣٥/٤
وإني أخوكَ الدائمُ العهدِ لمْ أَحُـلْ	إنْ أنْزَاكَ خَصْمٌ أو نَبَا بكَ منزلُ	٣٤٨/٤
فصِرْنا إلى الحسنى وَرَقَّ كَلامُنـا	ورُضْتُ فذلّتْ صَعْبَةً أيَّ إذلال	٣٥٦/٤
إن ترى رأسي أمـسى واضـحاً	سلّط الشيبُ عليـه فاشـتَعَل	٣٩٠/٤
قالـتِ الخنـساءُ لمـا جئتُهـا	شَابَ بعْدي رأسُ هذا واشْتَعَل	٣٩٠/٤
تَحـنَّنْ علـيَّ هَـداكَ المليـكُ	فـإنَّ لِكُـلِّ مقـامٍ مَقَـالا	٣٩٧/٤
وألَـدَّ ذي حَنَـقٍ عَلَـيَّ كأنمـا	تَغْلي عداوةُ صدرهِ في مِرْجَـل	٤٧١/٤
وَلَقَارِئُ التَّشْرِيحِ أَحْـدَرُ بـالتُّقَى	مِنْ عَابِدٍ فِي مَـسْجِدٍ مُتَبَتِّـلِ	٥١٥/٤
خَالِي لأَنْتَ وَمَنْ جَرِيـرٌ خَالُـهُ	يَنَلِ العُلَى وَيُكَـرِّمِ الأَخْـوَالاَ	٥٣٠/٤
فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْـرَ مُـسْتَحْقِبٍ	إِثْمـاً مِـنَ اللهِ وَلاَ وَاغِـلِ	٥٥٦/٤
هَصَرتْ بفَوْدي رَأْسِها فَتَمَايَلَـتْ	عَلَيَّ هَضِيم الكَشْحِ رَيَّا الُمخَلْخَلِ	٥٧١/٤
أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَـوْمَ أَنَّـنِي	كَبِرْتُ وَأَنْ لاَ يُحْسِنِ اللَّهْوَ أَمْثَالِي	٦٠٢/٤
النَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الـصَّمَّاءِ مَنْبَتُـهُ	والنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ المَاءِ وَالعَجَلِ	٦١٧/٤
أبوكَ الذي أجْدَى عَلَـيَّ بنـصره	فأنْصَبَ عَنِّي بعْدَه كُلَّ قائـل	٢٣/٥
أَبني كُلَيْـبٍ إِنَّ عَمِّـيَ اللَّـذا	قَتَلا المُلُوكَ وفكّكا الأغـلالا	٥٨/٥

وأوْحَى إليَّ اللهُ أنْ قَـدْ تَـأمَّرُوا	بإبل أبي أوفى فَقُمْتُ عَلَى رِحْلِ	٧/٩٤
يمشينَ رهْواً فَلاَ الأعجازُ خاذلـةً	ولا الصُّدُورُ على الأعجاز تَتَّكلُ	٧/١٦٩
وإذا نظـرتَ إلى أسِـرَّةِ وجهـه	بَرَقَتْ كبرْق العَارِضِ المتـهلل	٧/٢٢٧
رَسَا أصْلُه تحت الثَّرَى وسَمَا بـه	إلى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويل	٧/٣٧٥
كأنَّ مِشْيَتَها من بيـتِ جارتِهـا	مشيُ السحابة لا ريثٌ ولا عجل	٧/٤٠٥
وتَـداعَى مِنْخَـراهُ بِـدَمٍ	مثلَ ما أثْمَرَ حُمَّـاضُ الجَبَـل	٧/٤١٨
كأنَّ مِشْيَتَها من بيـت جارتهـا	مَورُ السحابةِ لا رَيثٌ ولا عَجَل	٧/٤٤٢
ولقدْ وليـتُمُ الـدُّبُرَ لنـا حـين	سالَ الموتُ من رأسِ الجبـل	٧/٥٣١
بَـشَّرَها دَليلُهَـا وقَـالا	غداً تَرَيْنَ الطلْـحَ والحبـالا	٧/٥٩٨
ويزعُمُ حَسْلٌ أنـه فَـرْعُ قومِـه	وما أنتَ فرعٌ يا حُسَيلُ ولا أصلُ	٨/٨
وعَادَ الفتى كالطفلِ ليسَ بقائـلٍ	سوى الحقِّ شيئاً واستراحَ العواذلُ	٨/١٢
ولقـد نِلْـتُم ونلنـا مـنكُمْ	وكذاكَ الحربُ أحيانـاً دُوَلْ	٨/٥٢
ما زلتَ تحسِبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ	خَيْلاً تَكُرُّ علـيهمُ ورجـالا	٨/١٤٣
له القلمُ الأعلى الـذي بـشَبَاتِه	يُصابُ من الأمرِ الكُلَى والمفَاصِلُ	٨/٢١٦
حـتى إذا لم يَتْرُكُـوا لِعظَامِـه	لَحْمـاً ولا لفُـؤاده معْقُـولا	٨/٢٢٠
لما وضعتُ على الفرزدق مَيْسَمِي	وعلى البعيثِ جَدَعْتُ أنْفَ الأخطل	٨/٢٢٨
فإنْ تكُ قد ساءتكَ مني خليقـةٌ	فَسُلِّي ثيابي من ثيابكِ تنسُلي	٨/٣٥١
مُهَفْهَفَةٌ بيـضاءُ غـيرُ مُفاضَـة	تَرَائبُها مَصْقُولةٌ كالـسَّجَنْجَل	٨/٥٨١
وكلُّ امرئٍ يوماً سَـيَعْلَمُ أمـرَهُ	إذا كُشِفَتْ عند الإلهِ الحَصَائلُ	٨/٧١٥
أوجعـتَ قلـبي فقـل لي	أوجعـتُ قلبـكَ أم لا	٨/٥٤٧

قافية الميم

فَلاَ يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى	وَلاَ تَلْقَنِي إلاَّ وَأَنْفُكَ رَاغِـمُ	٣/٩١
كَفَّاكَ كَفٌّ مَـا تُليـقُ دِرْهمـا	جُوداً وأُخْرى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا	٣/٢٣١
يـا أبتـا لم تَـرُم عنـدنا	فإنّـا بخـيرٍ إذا لم تُـرَم	٣/٢٧١
أنا شـيخُ العـشيرةِ فـاعرفوني	حَميداً قد تـذرَّيْتُ الـسَّناما	٣/٢٧٧
وتَشْرَقُ بالقول الذي قد أذعْتَـه	كما شَرِقَت صَدْرُ القناة من الدَّم	٣/٢٨٠
فَهِيَ كَالـدَّلْوِ بكَـفِّ المُـسْتَقِي	خَذَلَتْ مِنْها العَرَاقِي فَانْجَـذَمْ	٣/٢٩٧
حَاشَـى أَبي ثَوْبَـانَ إنَّ أبـا	ثَوْبَانَ لَـيْسَ بِبُكْمَـةٍ فَـدْمِ	٣/٣٣٠
تُعَاتِبُني في الرِّزْقِ عرسـي وإنمـا	على الله أرزاقُ العباد كما زَعَم	٣/٣٨٤
إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بي حُبٌّ فَأَحْرَضَـني	حَتّى بَليتُ وَحَتّى شَفَّني السَّقَمُ	٣/٣٩٨
أقولُ لهم بالشِّعْب إذ ييْـسرُونَني	ألم تَيْأسُوا أني ابنُ فارسِ زَهْدَم	٣/٤٨٩
إلى الملكِ القَـرْم وابـنِ الهُمـام	وليثِ الكتيبـةِ في المـزدحَمْ	٣/٦٣٠
ذَمُّ المنازل بعـد منزلـةِ اللـوَى	والعيشَ بعدَ أولئـكَ الأيـام	٤/١٦٦
ضَـمَمْتُ إليـه بالقَنَـاةِ ثيابَـه	فخرَّ صريعاً لليـدين وللفَـم	٤/٢٣٤
فما الحربُ إلا ما عَلمتُم وذُقْـتُم	وما هُوَ عنها بالحديث المُرَجَّم	٤/٢٦٤
فمنْ يَلْقَ خَيراً يَحْمَدِ الناسُ أمـرَهُ	ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما	٤/٤٣٨
ولقد أبيتُ علـى الفَتـاةِ بمَنْـزِل	فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا مَحـرُومُ	٤/٤٤٩
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَـرَى	مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا	٤/٥٢٨
أَلاَ مَنْ لِنَفْسٍ لاَ تَمُوتُ فَيَنْقَـضِي	شَقَاهَا وَلاَ تَحْيَا حَيَاةً لَها طَعْمُ	٤/٥٤٢
عِكْماً تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ القَـوْمِ	لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ اليَـوْمِ	٤/٦٣١
يدعون عنتـر والرمـاح كأنهـا	أشطان بئر في لبـان الأدهـم	٥/٢١
إنَّ الخليفـةَ إنَّ اللهَ سَـرْبَلَهُ	سِرْبَالَ مُلْكٍ به تُرْجَى الخواتيم	٥/٢٥

فظَلّتْ كأنّ الطيرَ فوق رؤوســها	صيامٌ تُباري الشمس وهْي كُظُوم	٦٠١/٦
ومنْ هَابَ أسبابَ المنايــا يَنلْنَــهُ	ولوْ رَامَ أسبابَ السماءِ بسُلّمِ	٦١٨/٦
فَحُــلٌّ بــسيرةِ العُمَــرَيْن فينــا	شفاءٌ للقلوبِ مــن الــسِّقَام	١٢٤/٧
فبَصْرَةُ الأزدِ منَّــا والعــراقُ لنــا	والموصلان ومنّا مصرُ فــالحرم	١٢٤/٧
أتيناكَ كيما يعرفَ الناسُ فــضلَنا	إذا خالفُونا عند ذِكْرِ المكــارم	٣٣٦/٧
أمــا ودمــاءٍ لا تــزالُ كأنهــا	على اللاتِ والعزى وبالنَّسْر عندما	٤٠٤/٧
هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ	أم حبلُها إذْ نَأتْكَ اليومَ مَصْرُوم	٤٥١/٧
ألا هلْ أتى زيدُ بن عبــدِ منــاءةٍ	على الشيء فيما بيننا ابنُ تميم	٤٨٠/٧
فما نَوَّلَتْ حتى تَضَرَّعْتُ حولَهــا	وأقرأتُها ما رخَّص الله في اللمم	٤٨٦/٧
لو كانَ يَدري ما المحاورةُ اشتكى	ولكانَ لوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي	٦/٨
إنْ يَخْدُمِ القلمَ السيفُ الذي خضعتْ	له الرقابُ ودانتْ دُونه الأُمَــم	٢١٦/٨
زَنيمٌ لــيسَ يُعــرفُ مَــنْ أبــوهُ	بَغِــيُّ الأمِّ ذا حَــسَبٍ لَئــيم	٢٢٤/٨
تَظَلُّ يومكَ في لَهْــوٍ وفي لَعــبٍ	وأنتَ بالليل شَرَّابُ الخراطيم	٢٢٩/٨
تَطَاوَلَ لَيْلُــكَ الجَــوْنُ البَهــيمُ	فما يَنْجَابُ عن صُبْحٍ صَــرِيم	٢٣٢/٨
فَشَكَكْتُ بالرمحِ الأصــمِّ ثيابَــهُ	ليسَ الكريمُ على القَنَا بمُحَــرَّم	٣٥٠/٨
سلامٌ وإن كــانَ الــسلامُ تحيــةً	فوجهُكَ دُونَ الردِّ يكفي المُسَلِّمَا	٤٠٨/٨
وكــأنَّ طعــمَ الزنجبيــلِ بــه	إذ ذُقْتُــهُ وسُــلافَةَ الكَــرْم	٤١٨/٨
ألا مَا لِنَفْسِي لا تموتُ فينقــضِي	عَنَاهَا ولا تحيا حَيَاةً لها طَعْــمُ	٥٩٢/٨
مَجْــداً تَليــداً بنــاهُ أوَّلُــهُ	أدْرَك عَــاداً وقَبْلَهَــا إرَمَــا	٦١١/٨
لــئن رُدِدتُ إلى النُّعْمَــانِ ثانيــةً	إني إذاً لسفيلُ الجــدِّ محــرُوم	٦٧٧/٨
ولنْ يَلْبَثَ العَصْرانِ يــومٌ وليلــةٌ	إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَــا	٧٢٤/٨

قافية الهاء

يزيدُ بنو سعدٍ على عَدَدِ الحَـصَا	وأثقلُ من وزْنِ الجبالِ حُلُومُها	١٦٠/٥
ومَنْهَلٍ مـنَ الفَـلا في أوسَـطِهِ	غَلَّسْتُهُ قَبْـلَ القَطَـا وفُرَّطِـه	٢٧٣/٥
أخي ثِقةٍ لا تُهْلِكِ الخمْـرَ مالَـه	ولكنه قد تُهْلِكُ المـالَ نائلُـه	٢٩٥/٥
والمـوتُ أعظـمُ حـادثٍ	ممـا يَمُـرُّ علـى الجبلّـه	٤١٥/٥
فـإنْ يَكُـنِ المـوتُ أفنـاهُمُ	فللموتِ مـا تَلِـدُ الوالـدَه	٥١٣/٥
تَنَظَّرْتُ نَصْراً والـسِّمَاكَيْنِ أيهُمَـا	عَلَيَّ من الغيثِ استهلّتْ مَواطِرُه	٥٣١/٥
نُقاسِمُهُم أسـيافَنَا شَـرَّ قـسمةٍ	ففينا غَواشيها وفيهِمْ صُدُورُها	٧١/٦
لا يكشفُ الغَمَّاءَ إلا ابـنُ حُـرَّةٍ	يَرَى غَمَراتِ الموْتِ ثُمَّ يَزُورُها	٨٨/٦
فَـصَدَقْتُهُ وكذبتُـه	والمـرءُ ينفعُـهُ كِذَابُـه	٢٣٧/٦
أتُـراني يـا عَتَـاهِي	تاركـاً تلـكَ الملاهِـي	٢٧٣/٦
وكـأسٍ شَـربتُ علـى لـذةٍ	وأخرى تداويتُ منـها بهـا	٣٨٤/٦
فرميتُ غفلةَ عينِـهِ عـن شَـاتِه	فأصبْتُ حبةَ قَلْبِها وطِحَالَهـا	٤٧٥/٦
وشَـريْتُ بُـرْداً ليـتني	من بعدِ بُـرْدٍ كنـتُ هامَـه	١٧٢/٧
تَرَبَّصْ بها ريـبَ المنـونِ لعلّهـا	تُطَلَّقُ يَوْماً أوْ يموتُ حَليلُهـا	٤٥٢/٧
فأصبحتُ كالهَيْمَاءِ لا المـاءُ مُبْـرِدٌ	صَدَاها ولا يَقْضِي عليها هيَامُها	٦٠٧/٧
أقْبَلَ سَيلٌ جـاءَ مـن أمـرِ الله	يَحْرِدُ حَـرْدَ الجنـةِ المُغِلّـه	٢٣٣/٨
قَالَـتْ قُتَيْلَـةُ مَـا لَـه	قَدْ جُلِّلَـتْ شَـيْباً شَـوَاتُه	٢٨٢/٨
وقدْ رَابَني منـها صُـدُودٌ رأيتُـهُ	وإعراضُهَا عن حَاجَتي وبُسُورُها	٣٦١/٨
أنا الذي سَمَّتْني أمِّـي حيـدره	ضِرْغَامُ آجامٍ شَديدٌ قـسوره	٣٧٣/٨
تـراهُ إذا مـا جئتُـهُ مُتـهللاً	كأنكَ تُعطيه الذي أنتَ سائلُه	٤٠٧/٨
فَـصَدَقْتُها وكَـذَبْتُها	والمـرءُ ينفعُـه كِذَابُـه	٤٥٤/٨

قافية الواو

قافية الياء

فهرس المقطعات

فهرس الأمثال

فهرس المصادر والمراجع

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء، علي محمد الضبّاع، دار الندوة الجديدة، بيروت.
الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، عبدالرحمن بن جلال الدين.
أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي.
الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي، علي بن محمد، سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
أخبار أصبهان: أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني.
أسباب نزول القرآن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
الاستيعاب: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
أسد الغابة: ابن الأثير، دار الشعب، القاهرة.
الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين: الخالديان، أبو بكر وأبو عثمان.
الاشتقاق: ابن دريد.
الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩٢.
الأصمعيات: الأصمعي، عبدالملك بن قريب، دار المعارف، القاهرة.
أضواء البيان.
إعراب القراءات الشاذة: مخطوط.
إعراب القرآن: النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

الأعلام للزركلي: الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

الأغاني: الأصفهاني، أبو الفرج، جماعة من المحققين، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

الإفصاح عن مسائل الإيضاح: محمد شكور، دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

الإقناع: ابن المنذر، مكتبة الرشد وشركة الرياض، الرياض، ١٤١٨هـ.

الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء: الكلاعي، سليمان بن موسى الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

الأمالي: القالي، أبو علي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

أمالي المرتضى: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، محمد أبو الفضل، دار الكتاب العربي، بيروت.

إنباه الرواة على أنباه النحاة: علي بن يوسف القفطي (٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل: علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (٨٨٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه: مكي بن أبي طالب القيسي.

البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

بدائع الصنائع: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد بن محمد القرطبي الشهير بالحفيد، دار الفكر، بيروت.

البداية والنهاية: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء (٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

برنامج الوادي آشي: الوادي آشي، محمد بن جابر، محمد الحبيب الهيلة، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ١٤٠٢هـ.

البرهان في أصول الفقه: أبو المعالي الجويني، عبدالملك بن عبدالله، عبدالعظيم محمود الديب، الوفاء-المنصورة، مصر، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ.

تاج التراجم في طبقات الحنفية: ابن قطلوبغا، قاسم أبو العدل، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٢م.

التاج والإكليل: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، دارالقاموس الحديث للطباعة، بيروت.

تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (٤٦٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

التبصرة في أصول الفقه: الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الدار العلمية، دلهي - الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العربية.

التحرير والتنوير: ابن عاشور.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

تذكرة الحفاظ: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي.

التراتيب الإدارية: الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير ، حسن جعنا، بيروت.

الترغيب: الأصبهاني.

التسهيل.

تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم): عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

تفسير ابن جرير الطبري: الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

تفسير ابن عباس: راشد عبدالمنعم الرجال، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١١هـ.

تفسير الآلوسي (روح المعاني): أبو الفضل محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تفسير الثعلبي (الكشف والبيان): أحمد بن محمد الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء (٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

تفسير الماوردي (النكت والعيون): علي بن محمد بن حبيب الماوردي، السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

تفسير النسفي (مدارك التزيل): النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود.
تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ.
تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي، عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.
تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان البلخي، أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
تقريب التهذيب: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، الطبعة الأولى.
التقريب والبيان: مخطوط.
التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: ابن نقطة، محمد بن عبد الغني البغدادي (٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨.
تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب: ابن الصابوني، محمد بن علي بن محمود، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٧هـ.
تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفوطي، عبدالرزاق بن أحمد بن محمد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا.
التمهيد: أبو الخطاب.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
التنبيه والإيضاح.
تهذيب التهذيب: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.
تهذيب اللغة: الأزهري.

الجامع الصحيح = سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى بن سوره (٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم بن عطوة، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

جامع العلوم والحكم: ابن رجب، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي ، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م.

جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، دار صادر، بيروت.

جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣١٩هـ.

حجة القراءات لابن زنجلة: عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد الفارسي، كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

الحدائق في علم الحديث والزهديات: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الخزانة.

خزانة الأدب ولباب لسان العرب: البغدادي، عبد القادر بن عمر، دار صادر، بيروت.

الخصائص: عثمان بن جني، محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: شهاب الدين أبي العباس بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الشيخ علي محمد معوض ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

دلائل النبوة: الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ديوان أبي طالب: صنعة أبي هفان المهزمي، وعلي بن حمزة البصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

ديوان الأعشى.

ديوان الخنساء: المكتبة الثقافية، بيروت.

ديوان الفرزدق: دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

ديوان النابغة الذبياني: كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ديوان الهذليين.

ديوان امرئ القيس: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

ذيل أمالي القالي.

الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

ذيل مرآة الزمان: اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

الرسالة: الشافعي، محمد بن إدريس، أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ.

رصف المباني: أحمد المالقي ، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ.
الروضة.
روضة الناظر وجُنة المُناظر: ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تحقيق: عبدالقادر بن أحمد بن بدران، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
الزهد: ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الشيباني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
الزهد للإمام أحمد: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
الزهد لهناد: هناد بن السري الكوفي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
سنن ابن ماجة: ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.
سنن أبي داود: أبو داود، رواية سليمان بن الأشعث بن إسحاق،، مراجعة: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
سنن البيهقي = السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.
سنن الدارقطني: الدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ)، حديث أكاديمي، باكستان، الطبعة الثالثة.

سنن الدارمي: الدارمي، عبدالله بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

سنن النسائي: النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، عناية عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور (٢٧٧هـ)، سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميّد، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

سير أعلام النبلاء: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

السيرة النبوية: ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري (٢١٣هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

شأن الدعاء: الخطابي.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد، عبدالحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

شرح أشعار الهذليين: السكري ، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

شرح الأشموني.

شرح الشذور.

شرح الكوكب المنير: ابن النجار، محمد بن أحمد ، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.

شرح المفصل: ابن يعيش.

شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م.

شعب الإيمان: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

الصَّحاح: الجوهري، إسماعيل بن حماد ، أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

صحيح ابن حبان: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ابن أبي حاتم التيمي، ابن حبان (٣٥٤هـ)، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطصفى البابي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.

صفة الصفوة: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الضعفاء الكبير: العقيلي، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد (٣٢٢هـ)، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

الضعفاء والمتروكين: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد: الأدفوي، جعفر بن ثعلب بن جعفر، سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

طبقات الأدباء: ابن الأنباري.

طبقات الحفاظ: السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى، أبو الحسين (٥٢٦هـ)، مصر، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

الطبقات السنية في تراجم الحنفية: الغزي، تقي الدين بن عبدالقادر المصري، عبدالفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

طبقات الشافعية: الأسنوي، عبدالرحمن الأسنوي، جمال الدين (٧٧٢هـ)، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

طبقات الشعراء: ابن المعتز، عبدالله بن المتوكل.

الطبقات الكبرى: الزهري، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

طبقات المفسرين: الداوودي.

طبقات المفسرين: السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

العبر في خبر من غبر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

العدة في أصول الفقه: أبو يعلى، محمد بن الحسين ، الرياض، ١٩٩٠م.

عرائس المجالس: الثعلبي، عمر.

العظمة لأبي الشيخ: أبو الشيخ عبدالله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين: المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م.

غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، شمس الدين (٦٥٤هـ)، مصر، ١٣٥١هـ.

غريب الحديث: الخطابي، حمد بن محمد الخطابي البستي (٣٨٨هـ)، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم أحمد، تراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، محمد فؤاد عبد الباقي ورفيقه، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

الفصول في الأصول: الجصاص، أحمد بن علي الرازي، عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، عبدالرؤوف (١٠٣١هـ)، دار المعرفة، بيروت.

القاموس المحيط: الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٤٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: ابن حجر، مكتبة المعارف، الرياض.

الكامل في التاريخ: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (٦٠٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.

الكامل في القراءات الخمسين: الهذلي، مخطوط.

الكامل في اللغة والأدب: المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٦هـ.

الكامل في ضعفاء الرجال: ابن عدي، عبدالله بن عدي الجرجاني (٣٦٥هـ)، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان، عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

كتاب المصاحف: ابن أبي داود، عبدالله بن سليمان ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٤١٦هـ.

الكشاف: الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد جار الله أبو القاسم (٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

كشاف القناع: البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، هلال مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.
كشف الخفاء: العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.
كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات: نور الدين علي بن الحسين الباقولي، عبدالقادر عبدالرحمن السعدي، دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب القيسي، محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ.
لباب النقول: السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى.
اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري، محب الدين عبدالله بن الحسين، غازي مختار، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (٧١١هـ).
لسان الميزان: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٩هـ.
اللمع في أصول الفقه: الشيرازي، إبراهيم بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
المؤتلف والمختلف: محمد بن طاهر القيسراني، كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
مجاز القرآن: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ابن حجر الهيتمي، علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٠٨٢م.

مجمل اللغة: ابن فارس، أبو الحسين أحمد، هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

المجموع شرح المهذب: النووي، محيي الدين بن شرف النووي، أبو زكريا (٦٧٦هـ)، تحقيق وإكمال: محمد نجيب المطيعي، المكتبة العالمية، القاهرة.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: عثمان بن جني، عبد الحليم النجار وآخرون، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

المحصول في علم الأصول: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، طه العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

المحلى: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي أبو محمد (٤٥٦هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

مختصر الخرقي في المذهب الحنبلي: عمر بن الحسين الخرقي (٣٣٤هـ)، تحقيق: محمد مفيد الخيمي، مؤسسة الخافقين، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور، محمد بن مكرم ، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ.

مختصر ذيل تاريخ السمعاني: ابن الدبيثي.

مختصر شعب الإيمان: القزويني، عمر بن عبدالرحمن، عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

المختصر في شواذ القرآن: ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.

المراسيل لأبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

المستدرك على الصحيحين: الحاكم، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

مسند أبي داود الطيالسي: الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود (٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت.

مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
مسند إسحاق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.
مسند الشافعي: الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
مشاهد الإنصاف.
مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية.
المصنف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
المصنف في الأحاديث والآثار: ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (٢٣٥هـ)، ضبط محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
معالم التنزيل: البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
معاني القرآن للأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش الأوسط، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
معاني القرآن للفراء: يحيى بن زياد الفراء، أحمد يوسف نجاتي ورفاقه، دار السرور.
معاني القرآن وإعرابه للزجاج: إبراهيم بن السري الزجاج، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: العباسي.
معجم الأدباء: ياقوت بن عبدالله الحموي (٦٢٦هـ)، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

المعجم الأوسط: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
معجم الشعراء: المرزباني، محمد بن عمران ، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
المعجم الصغير: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)، ضبط كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
المعجم الكبير: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس ورفاقه، القاهرة، الطبعة الثانية.
معجم ما استعجم: البكري، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣.
معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن زكريا ، دار إحياء الكتب العلمية، ١٣٦٦هـ.
معرفة القراء الكبار: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، بشار عواد معروف ورفاقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
المغني: ابن قدامة، عبدالله بن أحمد المقدسي (٦٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبدالله، مازن المبارك ورفيقه، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
مغني المحتاج: محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.

المفردات في غريب الحديث: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

المفضليات: المفضل بن محمد الضبي ، دار المعارف، القاهرة، ١٣٦١هـ.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، شمس الدين (٩٠٢هـ)، تصحيح عبدالله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

المقتضب: المبرد، محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

منار السبيل: إبراهيم بن محمد بن ضويان، عصام القلعجي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

مناقب الإمام أحمد بن حنبل: ابن الجوزي، عبد الرحمن (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى،، ١٩٧٩م.

مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي، عبد الرحمن (٥٩٧هـ)، مكتبة المعارف العثمانية، حديرآباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ.

المنهاج.

المهذب في فقه الإمام الشافعي: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (٤٧٦هـ)، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

الموطأ: مالك بن أنس (١٧٩هـ)، تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.

الناسخ والمنسوخ لابن حزم: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: هبة الله بن سلامة المقري، زهير الشاويش ورفيقه، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي (٨٧٤هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، مصر.
النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، علي محمد الضبّاع، دار الفكر.
النكت الظراف على الأطراف: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي .
النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.
نوادر الأصول: الحكيم الترمذي، أحمد عبدالرحيم السايح، والسيد الجميلي.
نواسخ القرآن: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
الهداية: أبو الخطاب، محفوظ بن أحمد الكَلْوذاني (٥١٠هـ)، تحقيق: إسماعيل الأنصاري وصالح السليمان العمري، مطابع القصيم، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
الهمع.
الوسيط في تفسير القرآن المجيد: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.